سيرة الأميرة

ذات الهمة وولدها عبد الوهاب

جزء ١-١٠

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

1 2

3 ٥٥٤١ م

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الأول

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل سير الأولين . عبرة القوم الآخرين . وأحاديث الماضين . اعتبارا للقوم الباقين . الذى فضل دين الإسلام على كل دين لأنه حبل الله المتين . فقال تعالى وهو أصدق القائلين : « هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين » . وقال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام» . وقال تعالى : «ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

﴿ أما بعد ﴾ فقد ذكرت الرواة لهذه السيرة العجيبة . وما فيها من الأحاديث الغريبة . لما رأينا الجهاد حبل الله المتين . ومنزلة المجاهدين عند الله فى أعلا عليين . فأحببت أن أجمع سيرة تكون نزهة السامعين . لما فيها من الانتفاع لكل المطالعين . وأنا أسأل الله الاعانة على ترتيب هذا الكلام العظيم . انه هو السميع العليم . فأول ما نذكر حديث الحارث وولده جندبة وبعدهما حديث الأمير الصحصاح . زائر قبر النبي زين الملاح . سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما أظلم الدجا وأضاء الصباح . ونذكر ماجرى له من الحرب والكفاح . ومايظهر منه من الأولاد الملاح . والأفعال القباح . وما يبدو منهم من الأفعال الصحاح . وما نقلته عنهم الرواة الفصاح وماشاهدوا منهم من الحرب والطعن فى المسا والصباح . وما تم لهم من الجهاد فى طاعة رب العباد الملك الفتاح . من الخير والصلاح . وان من روى هذه السيرة العجيبة . وما فيها من الأحاديث المطرفة الغريبة . هو على بن موسى المقانبي والمهزب بن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المؤنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى قالوا جميعا والله أعلم بماغاب عن الأبصار وسبق إلى الظنون والأفكار انه لم يكن فى العرب العربا ولا فى السادة النجبا من معد بن عدنان ويعرب وقحطان فى زمن بنى أمية أشد

بأسا ولا أقوى مراسا ولا أعظم اقتدارا ولا أجلد صبرا ولا أسنا جنايا ولا أسما علما ولا أفخر ولا أشد حكما ولا أشرف عند الأنساب ولا أقوى عند الطعان والضراب من بنى كلاب السادات الأنجاب لأن فيهم الكرم الشائع وهم أصحاب الوقائع وليوث المعامع ولهم الجفان والجوابى وتقصدهم العرب من السهول والروابى ومع هذه الصفة الكاملة لم يكن الملك فيهم ولا الامارة إليهم بل كانت لبنى سليم من قبل مروان بن الهيثم لأن بنى أمية وليت فى ذلك الزمان وكانت بنى كلاب تفتخر باطعام الطعام واقتناص الأبطال وإجابة السؤال وبذل الأموال وكانت بنى سليم تفتخر بكثرة أموالها وكون الامارة فيها وقد حكمت على سائر العربان فى جميع البلدان وانهم ملوك العربان وكان المقدم على بنى كلاب رجل يقال له جندبة بن الحارث الكلابى وكان طويل الباع عزيز الاتساع والقراع وكان أميرا متواضعا للفقراء والمساكين وهو الذى مدح نفسه بهذه الأبيات :

ربى عطانى من الرأى أصوبه — إذا صح المال لمن يطلبه
البخل عار لا يزيد مكسبه — لأن لى يوم القيامة مرتبة
ان الذى فاخرونى كذبه — ما الفخر أن يجمع عندى ذهبه
وإنما الفخر لعبد وهبه — وحق من أنزل فينا كتبه
على نبى صادق انتخبه — محمد ذاك الشريف المرتبة
ان بنى سليم قوم كذبه — وما لهم على بنى كلاب منقبه

(قال الراوى) وكان الملك فى بنى سليم لرجل يقال له مروان بن الهيثم وكان له رأى صائب وذكر ثاقب ومكارم ومناقب وقباب ومضارب وخيول وجنائب وكان ملكا عظيما وجوادا كريما رفيع الجناب مشهور عند سائر الأعراب صاحب جاه منيع وجناب رفيع وكان توقيع أمارته على العرب من طرف آل مروان والأمير جندبة ما أخذ امارته إلا بالسيف وكذلك أبيه الحارث والد الأمير جندبة ولجندبة هذا منشأ عجيب يحير عقل الواله اللبيب لكن بعد الصلاة على النبى الحبيب الذى من صلى عليه ما يخيب وكذلك كان أبوه الحارث شجاع من الشجعان وفارس من الفرسان لا يخاف من سطوة الاقبال ولا يخشى الأسود من الدحال وكان ظهوره فى أيام عبد الملك بن مروان وكان مستقره فى أرض اليمن وكان دأبه الحرب لا يأوى مكان ولا يسكن تحت جدران بل يسكن الأودية والقفار والبرارى والأوعار وكان صاحب غارات على أحياء العرب ممن دنى منه ومن قرب وكان له زوجة اسمها الرباب

وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكان الحارث قد أغار على بعض أحياء العرب فمسك أبطالهم ونهب أموالهم ونساءهم فرأى بينهم صبية فأعجبته وكان اسمها الرباب فأخذها خطيفة واختارها لنفسه وقد هام بحبها فتعلق أبوها بها وبكى فقال الحارث للرجل مايبكيك أيها الشيخ فقال له أبكى إلى أخذك ابنتى بالقهر ولولا أخذك لها بالغصب ما بكيت وان كان لك فيها غرض خذها بالحلال أفضل لك على سنة الله ورسوله لكان ذلك أحسن وتغتنم الأجر والثواب والباغى له مصرع فلما سمع الحارث ذلك الكلام أطلق الشيخ وابنته وأهل قبيلته وساق إلى أبيها ألف ناقة وألف دينار ذهب وقال خذ هذا ياعماه مهر ابنتك فأحضر أبوها مشايخ قبيلته من وقته وساعته وزوجه بها فدخل بها الحارث ومضى بها فى البر الأقفر فقضى الأمر المقدر أنها حملت منه فلما تكامل حملها وبان ثقلها فنامت ذات ليلة من الليالى فرأت فى منامها ولذيذ أحلامها كأنها فى صحرة من الصحرات وحولها فسيح البرارى المقفرات وانها تقدمت إلى تل عالى وقد انكشف ذيلها وخرج من تحتها نار متأججة ولها ألوان متوهجة فخرجت إلى الأرض فحرقت جميع ماعليها ما بعد منها وماقرب ثم بعد ذلك استدارت واستنارت فانتبهت فزعانة مرعوبة فقال لها الحارث مالى أراكى منزعجة الخاطر فقالت له من أمر رأيته وهول عاينته وذكرت له المنام من أوله إلى آخره فقال لها فى غداة غد أمضى إلى كاهن من كهنة العرب وآتيك برجل خبير تفسرى عليه المنام وتنظرى ما يأتى به من الكلام (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ونصلى على محمد سيد الملاح خرج الحارث من داره يريد كاهنا من الكهان يفسر عليه المنام وإذا بوفد قد أقبل ومعهم شيخ كبير والقوم يشيرون إليه بالتوقير فتقدم الحارث اليهم وسلم عليهم فردوا عليه السلام وتلقوه بالتحية والاكرام لأجل ماعاينوا على أعطافه من الشجاعة والقوة والبراعة وقالوا له هل لك من حاجة فتقضى أو ملمة فتمضى فقال لهم الحارث أيتها السادة لى حاجة إليكم أطلب قضاها وقد خرجت فى طلبها فرأيتكم تشيرون إلى ذلك الشيخ بالتعظيم فعرفت أنه فاهم عظيم حكيم (قال الراوى) فأقبل الحارث اليه وصافحه بالسلام ثم انه قص عليه المنام الذى رأته زوجته وجلس يسمع ما يبديه له من حكمته فقال الشيخ للحارث انى أرى أمرك عجيب وسوف يكون حديثك أمر غريب فان وافق الزجر وصدق الأمر فانى أرى فى الأمم السالفة عن الكتب الذى نقلوها الأمم العارفة أن هذه المرأة تلد مولود له شأن وأى شأن ولم يكن مثله فى هذا الزمان ويخرج من صلبه ولد عظيم أعظم منه وأدين منه وأتقى وأحسن

إلا خوفى على والدته من الموت عند ظهوره إلى دار الدنيا والسلام (قال الراوى) لما سمع الحارث مقال الشيخ فرح واستبشر وقال بعد أن يعيش هو ويبقى فانى وأمه قد رأينا كثير والموت على القوى والفقير ثم ان الحارث أخذ الشيخ وأتى به إلى حلته ودخل به على زوجته وأسمعها خطابه وحكمته وأمرها أن تقص عليه مارأت فأشارت إليه تقول هذه الأبيات :

ألا يا شيخ والبيت الحرام ... وحق منا وزمزم والمقام
رأيت مناما يا هذا عجيب ... فاصغ لقولى وفسر لى منامى
رأيت أنى فى صحرا عظيمة ... وبر فسيح حولى والآكام
وتحتى تل عالى من رمال ... وذيلى قد انكشف والدمع هامى
ومن فرجى خرج للبر نار ... لها لهب وقد زادت ضرام
لها ألوان غالبها سواد ... قد انتشرت فأحرقت الخيام
وأحرقت القبائل والمنازل ... ودارت واستنارت فى الظلام
فانتبهت مرعوبة حزينة ... وهذا ما جرى لى فى المنام

(قال نجد بن هشام) فأجابها الشيخ يفسر لها منامها على عروض شعرها وهو يقول هذه الأبيات :

أخبركى بتعبير المنام ... وما شفتيه فى جنح الظلام
يجى مولود منكى كثير حرب ... له ذكر يدوم على الدوام
ويطلع فارسا بطلا شجاعا ... يثير الحرب فى جمع الأنام
ويربى يتيما بغير أب ... ولا أم ويطلع بحر طامى
ويأتى منه صنديدا مهابا ... لأهل الكفر يضرب بالحسام
وهذا دل عندى فى علومى ... شرحته لكى بتفسير المنام

(قال الراوى) فقال له الحارث يا دهقان من حيث بشرتنا بأن يأتينا هذا المولود السعيد ونسلنا يزيد فما علينا من أنفسنا ان متنا أو عشنا ثم ان الحارث أنعم على الشيخ الدهقان نعمة عظيمة جزيلة وأيضاً زوجته أخلعت عليه خلعة سنيه ويكون فى أوله هذا ما كتبه الحارث بن عامر بن خالد بن صعصعة بن كلاب وهو لاحق بنسبه وكتب الشيخ ماقالت له عليه وطواه وجعله فى قصبة من الفضة وسلمه إلى الرباب وقال لها إذا وضعتى هذا المولود فعلقيه عليه فأحسنت اليه وراح الى حال سبيله (قال الراوى) ولم يلبث الحارث بعد ذلك إلا أيام قلائل ثم مرض مرض الموت فلم يمض عليه إلا شىء يسير حتى مات وقضى

نحبه ولحق بربه وكان للحارث ابنة عم اسمها (حسنا) وكان الحارث يحبها فلما أخذ الرباب عليها النهى عنها بها فلما مات الحارث كانت ابنة حسنا حاملا منه فخافت على نفسها من الأعداء فارتحلت من تلك الحلة إلى حلة غيرها وأقامت بها وكانت العرب على أيام الحارث تخاف من شره وعظيم شجاعته (قال الراوى) وكانت العرب فى ذلك الزمان بين قاتل ومقتول وناكل ومنكول وكانت العرب تعظم الحارث لأجل شجاعته وقوته وبراعته لأنه قهر العربان وأباد الشجعان ودخلت تحت حكمه واطاعته منهم قبائل كثيرة فلما مات اختلفوا من بعده العرب وفرح أكثرهم بموته وقد أرادوا قبائل العربان أن يشنوا الغارات على حيه وأهله وحريمه وعائلته وينهبوا أمواله ويهتكوا عياله فلما نظرت الرباب إلى ذلك الهوان بعد العز وعظيم الشأن وكانت عند موته قد حزنت عليه حزنا طويلا وبكت بكاء شديدا وتذكرت الحارث وطيب تلك الأوقات وشجاعته ورأت أن العرب قداشتوروا على سلبها ونهب أموالها وكل واحد قد طلبها فتذكرت الحارث وبكت عليه بكاء شديد ما عليه من مزيد وأنشدت تقول هذه الأبيات :

لقد طوقتنى نائبات النوائب ... لفقد خليلا كان عزى وصاحبى
بلغت به والله أعلا المراتب ... ونلت به فى الدهر كل المآرب
سلامى على الدنيا الدنية بعده ... لقد أقفرت بيتاً كثير المواهب
أيا حارثا ما كان حل فراقنا ... وعربان حيك استقلوا بجانبى
ومنك أنا حامل وما منهم أحد ... حفظ لك وداً واجب
فيارب ابعث لى صديقاً يودنى ... إلى عند أهلى عاجلا وقرايبى
عليك سلام الله ربى دائما ... ورحمته يا ابن الثراة الأطايب
فيارب ارحمه بجاه محمدا ... نبى الهدى من نسل قوم أطايب

(قال الراوى) ثم انها دعت بغلام لها بعد مااختلط الظلام ونامت عيون الأنام وتجلى الملك العلام وكانت عبيدها لما نظرت الى الحارث قد مات أخذ كل واحد منهم جارية من الجوار وطلب القفار خوفا من الفتن والشر فأقبلت على غلامها وكان اسمه سلام وكان قدتربى عندها فى العز والانعام وكانت العبيد كلها هربوا الجوار والنياق والأغنام ومافضل عندها منهم غير هذا العبد سلام وما أقعده عندها إلا المحبة لها وعشقه فيها فقالت له ياسلام عند ما دخل الظلام أفيك شيء من الخبر فقال لها وماتريدى من الخبر فان الخبر كله عندى وفىّ الخير يا بنت الكرام فقالت له تأخذنى وتسير تحت الليل حتى

لايلحقنا شيء من الخيل وتوصلني الى حلتي وقومي وأهلي أو إلى بعض أحياء العرب نلتجئ إليهم ونسير مختفين ومتنكرين فانى أخشى على روحى من الطلب وأخاف أن أذل بعد العز وأنت تعلم أن مولاك الحارث كيف كان يكره العرب وأنا قد أصبحت فريدة وأخاف أن أغصب على مالا أريد ويشفى فى القريب والبعيد وان الذى قد عزمت عليه من الهرب هو الرأى السديد والله لا خوفى لاعلى مال ولا على رجال ولا خوفى إلاواحد من ملوك العرب يغصبنى على نفسى ويريد منى ماتريد الرجال من النساء وأنا أحلف بالله الواحد القهار والملك الجبار لارجعت أطاوع أحداً من الرجال لامن الأخيار ولامن الأشرار فقال ياستاه الأمر إليك وأنا لك وبين يديك ثم انه ركب وركبت وساروا تحت الليل وتركوا أكثر الأموال فلما خرج بها من الحى عرج عن الطريق وهى لاتعلم وقصد بها قرب حى من أحياء العرب وكان أمير ذاك الحى يقال له دارم فلما قرب بها من الحى عرج عن الطريق وقد حدثته نفسه بوصالها لما رأى حسنها وجمالها وقد وسوس له الشيطان أن يفعل بها القبيح فى تلك الساعة فراودها عن نفسها وطلب منها ما تطلب الرجال من النساء فقالت له ويلك ياعبد يازنيم اترك عنك هذا الفعل الذميم واستعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واحفظ التربية والعيش والملح ولاتهتك سترى ولا تضيع بين العرب قدرى وتتركنى عار فقال لها العبد والله لابد لى من ذلك لأننى فى محبتك هالك. فصرخت عليه وقالت له ياويلك ياأخس العبيد أنا مارضيت بالرجال الصناديد نكاحاً فكيف أرضى بالعبيد سفاحاً وإنى قد خشيت على نفسى من هذا الأمر نكاحاً فكيف يكون سفاحاً فقال لها لابد لى منك وقد زين له الشيطان وجه المحال فصاحت عليه وقالت له: تنح عنى فانك لن تنال منى ماتريد ثم إن الرباب أنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات صلوا على سيدنا محمد صاحب المعجزات :

أيا سلام دعنى قد كفانى	أنا بنت الموائد والجفان
أنا سلام دعنى قد كفانى	جميع ماقد جرى ياابن الزوانى
عن الفحشاء ربى قد نهانى	وحق البيت والركن اليمانى
بعين النقص يانذل ترانى	أما تخشى إلهك أن يرانى
ائن لم تعرض عنى فى أمانى	لأصرخ طاقتى وقوى جنانى
وأجلب لك من قاصى ودانى	ولو قطعت بالعضب اليمانى
لما خليت مخلوق يطانى	فكيف العبد من نسل الزوانى

تخون العيش ياعبـد زنيم ... بلاك الله بنكبات الزمان
تأخر ياردى الأصـل عنى ... واحذر أن تـكن منى مدانى
لأنى عارفـة بأبى وجـدى ... وعمرى غير بعلى ماوطانى
فلا تركب طريق البغى تضحى ... قتيلا ثم تبـلى بالهوان
فخلى عنك وصـلى يازنيم ... واعرف عفتى وارعى مكانى
فلو استجمعوا الثقلين جمعا ... وجاءونى بنى عبـد المدان
يريدوا الوصل منى لم ينالوا ... ولوقطعت بالسيوف اليمـانى
أنا بين النساء سترت عرضى ... ونحمى صار أعلا الفرقدان
أنا بين النساء أصون نفسى ... وسميت المصـونة فى زمانى

(قال الراوى) فلما سمع العبد سلام مقالها ومانطقت به من نظامها أجابها على عروض شعرها يقول هذه الأبيات :

دعينى يا رباب فقد كفانى ... هواك زادنى فيما أعانى
فجسمى ناحل والعقل فانى ... وطرفك بالصبابة قد سبانى
فلو صحتى بأهل المشرقان ... وأحموك بنى عبد المدان
بطعن الرمح مع ضرب اليمانى ... وأبلغ منك قصدى فى أمانى
أقلى عنك شقشقة اللسان ... وكونى اقبلى نصحى عيانى
وجودى يارباب وواصلينى ... فان العشق فيك قد ضنانى
ولى عدة سنين وعشقك فى ... سويد القلب قد كوانى
وما صدقت أن أجتمع بك ... ويخلى البر لى فى ذا المكان
صفا وقتى وصار الحب عندى ... ونلت القصد منك فى زمانى
وأنا أقسم وحق الله ربى ... وبالفرقان والسبع المثانى
لو جاءوا لى الثقلين جمعا ... يردونى عن الوصل المدانى
فعنك لم أحول ولست أرجع ... حتى أنظر سوادى منك دانى

(قال الراوى) ثم إنها بكت وقالت له ويلك وبلغ من قدرك أن تخاطبنى بهذا الخطاب ارجع عن هذا واذكر التربية فقال لها العبد لا تطيلى الخطاب والعتاب ثم إنه تقدم عليها ومد يده اليها وأراد الوثبه عليها ودفعها بين ثدييها راحت على ظهرها وأراد أن يركب على صدرها فمن شدة الدفعه وما لحقها من الفجعة دفق عليها الدم ولحقها الطلق باذن خالق الخلق فلما رأى العبد منها ذلك تأخر عنها وقال ماهذا الدم

الذى دفق عليكى فقالت له أما علمت أنى حامل من مولاك الحارث ومن شدة مادفعتنى هرق على الدم وانفتح ظهرى فلما سمع سلام منها ذلك الكلام أخذها وجرجرها حتى أتى بها إلى نهر ماء كان هناك وقال لها اغتسلى من ذلك الدم واقطعى فرطه وبعدذلك واصلينى ثم إن العبد أبعد عنها وصار يفكر فى ذلك الأمر وأما الرباب فانها لما جلست بجانب النهر وهى تبكى فقوى الطلق عليها فتمخضت وتوجعت وتمنت الموت من شدة ما عاينت ومن بعد ساعه وضعت ولدا ذكرا كأنه فلقة قمر وله ذكر يذكر فقطعت سرته ولفته فى قطعة من ازارها وقد قمطته بخمارها ثم إنها بعد ذلك علقت عليه القصبة الفضة التى فيها الورقة المكتوبة بخط الشيخ الدهقان بحسبه ونسبه ومن أى العرب قومه وأهله ثم إنها أخذته فى حجرها وألقمته ثديها ففتح عينيه وصارت تنظر اليه ثم قالت له أين عينين أبيك الحارث ينظر اليك ولكن هذا حكم الرب القديم قد كتب وتسطر عليك (قال محمد بن هشام) فهذا ماكان من الرباب وما جرى لها من الأسباب وأما ماكان من العبد سلام المرتاب فانه أقام ينتظر مولاته أن تعود اليه بعد أن تغتسل من ذلك الدم ليقضى منها وطرا فطال عليه الانتظار وهو يقول والله ياسلام لقد بلغت ماكنت تتمناه وقد سمح لك الزمان بوصلها وبالقرب منها ولما أن طال به المطال أتى اليها لينظر ما الذى أشغلها عنه إلا أنه لما أن قرب منها فرأى فى حجرها طفل صغير وهى ترضعه فقال لها ايش هذا الذى ترضعيه وهو فى حجرك فقالت له اعلم ياسلام أن هذا ولد سيدك الحارث الذى كان فى بطنى وضعته فقال لها وقد أيس من وصالها ومن قال لك توضعيه فى هذا الوقت وأنا منتظر وصلك ولم لا صبرتى حتى فرغت حاجتى فقالت له ان هذا الأمر ماهو بخاطرى فقال لها تكذبى بل أنت فعلتى هذا بخاطرك فقالت له وكيف ذلك فقال لها ان هذا الرجل الذى خلفك يقول أنك عصرت بطنك وأنزلتيه بالغصب فقالت له انه يكذب لأن هذه قدرة باهرة وتعجز عنها جميع البشر فقال لها ما يكذب إلا أنت لأنك مافعلت هذا الا حتى لا أقربك ولا أتمتع بك ولا أنال منك غرض وان الرجل ما يكذب وما هو إلا صادق فقالت له وأين الرجل فقال لها ها هو خلفك فالتفتت الرباب لتنظر إلى ذلك الرجل حتى توبخه وقد ظنت أن قوله حق فما تركها العبد سلام تلتفت حتى أنه جذب الحسام وضربها على الهام طير رأسها إلى قدام فوقعت إلى الأرض على جنبها والولد فى حضنها والثدى فى فمه ولما أن قتلت أخذ العبد ما كان معها من المال وتركها مرميه على الرمال وسار فى تلك البرارى والقفار وقد نجا بنفسه وقد

أتى إلى بعض الجبال والأماكن وأقام إلى أن يأتى ذكره فى مكانه إن شاء الله تعالى إذا انتشا ذلك المولود (قال الراوى) فهذا ما كان من العبد والرباب وما جرى لهما وأما ما كان من ذلك المكان الذى ماتت فيه الرباب فهو بقرب وادى ولذلك الوادى أمير يقال له الأمير دارم وأنه كان بالقضاء المقدر والأمر المدبر أن زوجة الامير دارم صاحب تلك الحله كانت حامل فوضعت فى تلك الأيام ولد ومات فدفن فصعب ذلك على الامير دارم وقد حزن عليه وأصبح الأمير دارم فى أشد ما يكون من الاحتراق ولم يجد شيئاً يفرج به كربه فأشاروا عليه أهل الحلة أن يخرج الى البر والفضا وأن يتسلا بالصيد المقنص لينفرج ما بقلبه من الهم والغم والنغص ولما سمع قول بنى عمه خرج يفرج ما به من همه ويكشف عنه غمه فساروا معه جماعة من بنى عمه وبعض عشيرته وسار قليل فنفرت منه اعانة من الوحش كانوا مجتمعين فى ذلك المكان فلما نظروا الى الفرسان تفرقوا فى الوديان فجد الأمير دارم خلف فرقة منهم فى الطلب ولم يزل خلفهم سائر وهم قدامه هاربين حتى ساقه القضا والقدر الى ذلك الغدير فوجد الرباب وهى فى تلك البرية ملقحه مرميه وهى مقتوله وذلك المولود نائم جنبها وهو مثل القمر وهو يرضع من ثديها وكان الحر قد هجر فأرسل الله الى ذلك الغلام طير يسمى الجندب فجعل يظلل على الصغير من ذلك الحر والهجير فلما أن رأى الأمير دارم الى ذلك التفت الى بعض من كان معه من مشايخ الحلة وقال له يا ابن العم أنظر الى هذه الصبيه المقتولة وانظر الى هذا الصغير الذى هو فى جنبها وذلك الطير يظلله وأمه ترضعه وهى مقتولة فوحق ذمة العرب انلم تكشف لى عن خبر هذه الصبيه وسبب قتلها والا رميت رأسك مثلها فقال له الشيخ وكان وزيره ومدبر أمره ومشيره يا ملك ما يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى هو أنا كنت معها لما قتلت أو كان لى بها معرفه لكن زم لى وأنا أخبرك بما جرى لها على التخمين فقال له الملك أعطيتك الزمام فقل ما أنت قائل من المقال حتى أسمع ما تقول فقال له الوزير حيث أنك قد أعطيتنى الزمام اسمع منى الكلام يا ملك أقول والله أعلم أن هذه بنت ملك من ملوك العرب الثقال فكبرت عنده فطلبها ملك أو أمير ما رضى به أن يزوجها له فكبرت الى أن بلغت هذا العمر فأرميت عينها على أحد من بعض خدمهم فاختلى بها وقد أزال بكارتها فعلقت منه بهذا الغلام فعلموا بها أهلها وقد شاع خبرها فأخذوها وقد أتوا بها الى هذا المكان وقتلوها لما أن وضعته وتركوه بجنبها ومضوا عنها وخلوها ملقحه كما ترى وهذا ما عندى وما دخل فى ذهنى وهو على غالب ظنى والسلام (قال الراوى) فلما

سمع الأمير دارم من وزيره ذلك المقال قال له يا كاتب العرب ايش هذا الكلام أيقال فى حق مثل هذه ذلك المقال فوالله لولا أننى أعطيتك الزمام لوشحتك بهذا الحسام يا ويلك لو كانت زنت به ما كانت نائمه ترضعه وهى قتيلة ميته وما كان الله قيض له هذا الطير يظلله لكن يا هذا اسمع منى ما أقول ثم ان الامير دارم أشار الى وزيره يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

جل ربى خالق جميع الصفات ... منزل الغيث يسقى جميع النبات
واحد ماجد تقدس عزا ... عن سمات الخلائق المحدثات
خلق الخلق باعث الرزق حقاً ... ويميت الاحيا ومحى الرفات
منزل الحمل فى بطون الاناثى ... ومصور صبيانها والبنات
يا ترى من رماكى بالقتل عمداً ... وبسيفه سقاكى الحسرات
ليت شعرى هل بليتى بعار ... أو رماكى الزمان بالنكبات
أوعضبتى لفاحشة ما رضيتى ... حتى صرتى قتيلة الفلوات
سيمتك سيمة الملوك وعندى ... صح أنك من النساء الخيرات
لولا أنك من النساء الحرائر ... ما رضعتى الغلام بعد الممات
أسأل الله أن يجازيه بفعله ... ويلقيه أيشم النائبات
وأسأل الله أن يكن فيه خيراً ... يأخذ الثار من جميع العداة

(قال الراوى) ولما فرغ الأمير دارم من شعره قال له الوزير والله لقد صدقت يا ملك الزمان وما قصرت فيما نطقت به من الكلام الصحيح وأنت يا ملك بالامس أتاك ولد وتوفى الى رحمة الله نخذ هذا الطفل واجعله عوضه لانه ولد غالى ثم ان الوزير أشار يرد على الامير دارم بهذه الابيات يقول

يا مليكا علا على السادات ... وسمى دارما له سطوات
تفعل الخير فادفن لهذى الصبيه ... واجعلها فى أوسع الحفرات
كان لك فى الديار طفل صغير ... فتوفى وأذقك الحسرات
اجعلوا ذا الغلام هذا مكانه ... يرضعوه نساءك الخيرات
ونسميه جندبه كون انه ... قد ظللته طيورها الطائرات
ونصلى على النبى محمد ... خاتم الرسل سيد السادات
وكذا الآل والصحابة جمعاً ... هم أهل التقى وأهل الصلاة

(قال الراوى) ولما فرغ الوزير صالح من نشيده هذه الأسعار أتوا إلى جانب النهر

ونزلوا ثم أن الأمير دارم أرسل الى الديار بعض الرجال وأمره أن يأتى بغاسله وايزار فصار الرجل وما غاب غير قليل وعاد ومعه الغاسلة والكفن والحنوط وجميع ما يحتاج اليه الميت ولما أن حضرت الغاسلة أرسل الأمير فأتوا بخيمه فنصبوها بجانب النهر وأدخلوا فيها تلك الصبيه المقتوله وتقدمت الغاسلة وكانت قد أتت معها امرأتين ليعينوها على غسل الميته فغسلوها وأحسنوا غسلها ولما فرغوا من الغسل أدرجوها فى الأكفان وكان الأمير دارم أمر بحفر قبر فحفروا لها الرجال قبرا واسعاً ولما انقضى شغلها قام الامير دارم توضأ هو والرجال الذين معه من ذلك النهر وصلوا عليها ولما أن فرغوا من الصلاة قلع الامير دارم أثوابه ونزل إلى القبر بنفسه ولحدها بيده وطلع وقد واراها التراب ولما أن فرغوا منهـا سارت كمن له سنين وأيام رحمة الله عليها وعلى أموات المسلمين (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر الصبيه وما جرى لها وأما ما كان من أمر الامير دارم فانه لما فرغ من ذلك أخذ المولود وسار به إلى الديار ولما أن وصل الى الحى دخل إلى أبياته فلقيته زوجته الأميرة حسنا وقد سالته عن أمر الغاسلة وما هو السبب فى أخذها وما الذى رأيته فى البر فاعاد عليها القصة من أولها إلى آخرها فقالت له وأين الغلام الذى كان معها وأين الصيد الذى أتيت به من صيد الوحوش فقال لها يا بنت العم اعلمى أنى قد خرجت أن أتصيد لك وحش بر فجئت لك بتحفه وهو من الانس ثم انه مد يده اليها وقد أعطاها الطفل وأعطاها الحرز الذى كان عليه وقال لها خذى هذا الحرز وعلقيه على رأسه فاخذته منه وعلقته على رأس المولود وتوكلت فى أمره على الملك الودود وقال لها زوجها الامير دارم احسب أن هذا ولدك الذى ولدتيه ومات فربيه فلعل أن ينالنا منه الاجر والثواب فعارضتها عجوز وكان اسمها شوم الزمان وقالت لها أعيذك بالرحيم الرحمن كيف انك تربى من لا تعرفى له أصل ولا أم ولا أب فلعله يكون من أولاد العواهر وما زالت معها حتى نفرتها منه ولما حصل لها ذلك صبرت حتى دخل عليها زوجها من داخل الخبا بعد أن انفض من مجلسه مع رجاله فاخبرته وقالت له كيف نربى أولاد العواهر ولا تساعدنا على ذلك أهل المفاخر فقال لها اسمعى منى وربيه ثم أشار اليها يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

أيا ابنـة عمى اقصرى ذا التفـكرى ... ومن قول شر الناس كونى تحاذرى
فما أم ذا المولود إلا أميرة ... وبنت أمير نسـل قوم أكابر
فلو كانت أمه قد أتت به من الزنا ... لما حنن الرحمن لها وحش نافرى

وأمه ترضعه وطير يظلله ... وأن جميع هـذا بقدرة قادر
وحر زجد المولود مرمى بجنبه ... ذخيرة ويصلح للملوك الأكابر
فمنى خذى مالا جزيلا وأرضعى ... فما خيب الرحمن من كان صابر
ومن يفعل الخيرات يجزى ثوابها ... بجنات عدن يوم تبلى السرائر

(قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير دارم من نشيد تلك الأبيات قال لها ياأميرة حسنا خذى لك منى فى كل شهر عشر دنانير ذهب ففرحت بهذا المقال وقد أخذته بقبول وربته تربية عالية وقالت له مانسميه فقال لها جندبه لأنى قد وجدت عندرأسه جندبه فأخذت الولد فى حجرها وألقمته ثديها فشرب حتى روى وألقى الله تعالى محبته فى قلبها وفى قلب الأمير دارم وتربى فى الأحضان وحجور الجوار إلى أن انتشى وترعرع ومشى وما زال به أيام وشهور وسنين إلى أن بقى له من العمر سبع سنين وودوه الكتاب فقرأ وعاد وقد بلغ حده فركب الخيل وخاض الليل وتعلم الفروسية وصار يقاوم سائر الأبطال الذين فى الحلة ويعمل معهم سائر الأعمال ومازال كذلك إلى أن بقى من الفرسان الثقال وقد طلع فارسا لايطاق وعلقما مر المذاق ولابقى له ثانى فى الحلة وصار آفة من الآفات وبلية من البليات (ياساده) فهذا ما كان من جندبه وتربيته . وأما ماكان من الأمير دارم فانه خرج فى بعض الأيام الى الكسب والمعاش كما جرت عادة العربان ومعه جماعة من الفرسان فوقع فى أرض امرأة يقال لها الشمطا بنت الملك الضحاك وكانت من الشجعان وتعد من الأقران وتخاف منها الأبطال فى حومة الميدان وتحسب حسابها الرجال والفرسان وكان لها مواشى كثيرة ونعم غزيرة ولما أن خرج الأمير دارم من حيه فلم يقع بالأمر المقدر إلا فى الحى الذى للشمطا فساق مالها وهو لايعلم بحالها وكان معه مائة فارس من قومه ولما أن ساق المال انقام عليه النفير وقد أعلموا الشمطا بذاك الأمر الخطير فركبت وسارت اليه ولما أن قربت منه حملت عليه وعلى من معه من الفرسان فقتلت منهم البعض وبعدها قصدته مثل اللبوة الطلوب أوالماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وحملت عليه فلما رآها الأمير دارم عرفها وعلم أن ما بقى له مناص فالتقاها إلا أنها منعته وجادلته وراوغته وقاتلته القتال الشديد وطعنته بعقب الرمح أقلبته على وجه الأرض ونزلت إليه كتفته بفاضل عمامته وضربت جواده فخرج إلى الفضاء وهربت باقى رجاله من بين يديها وعادوا راجعين إلى الديار وهم ينادون بالويل والطهار وكان للأمير درام عبد فلما أسر مولاه أخذ الحصان وهو شارد فى البر وعاد به إلى الحى وكانوا أهل الحى قد علموا من

من المنهزمين فارتج الحى فلما أقبل العبد وأعلمهم بأسر مولاه الأمير دارم وصح الخبر وكان له عشرة أولاد ذكور أبطال شداد ولهم بصيرة فى الحرب ومواقع الطعن والضرب فقالوا لهم قومهم كيف العمل فى هذه النوبة العظيمة مع هذه الندله اللئيمه وكيف يكون خلاص الأمير دارم من يدها فقالوا أولاده نحن بذلك أخبر وبأخذ ثارنا أبصر وكان جندبه فى تلك الأيام غائب عن الحى فى الجبال وفى المراعى ثم ان أولاده العشرة لبسوا دروعهم وركبوا على خيولهم واعتقلوا برماحهم وخرجوا من حيهم وصاروا إلى الشمطا مبادرين ولحماها قاصدين ولحربها ناوين ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى حماها ولما رأتهم ثارت كأنها اللبوة المصممة وكانت لا تطاق مرة المذاق بعيدة اللحاق فلما عرفت أولاد الأمير دارم لبست لامة حربها وخرجت كأنها اللبوة إذا حامت على شبلها (قال الراوى) ثم أنها جردت الرمح وهى مثل النمر الحردان والأسد الغضبان إلى أن صارت فى وسط الميدان ونادت يا أولاد الأمير دارم ها أنا قد خرجت إليكم فانصفونى فى الميدان ودونكم والضرب والطعان فعند ذلك برز اليها الولد الأكبر وهو مثل الأسد الغضنفر وسار إلى أن قاربها فى الميدان وأنشد يقول هذه الأبيات الحسان صلوا على سيد ولد عدنان :

أيا شمطا دونك والقتال ... ولا تبغى لغيرى فى القتال
أنا الليث الهمام بغير سيف ... أصيد الأسد من وسط الدحال
سأفدى والدى بالرمح قهرا ... وآخذه ولا أعطيك مال
فدونك فارسا بطلا شجاعا ... ولا يخشى الملمات الثقال
ومن لا يرهب الأبطال حقا ... فكيف يخاف ربات الحجال

(قال الراوى) فلما سمعت الشمطا شعره لم تكترث به وردت عليه لا كلام ولا خطاب بل أجابته وهى تقول :

لقد عللت نفسى بالمحال ... وقول الزور يا ندل الرجال
أيرحم والدك حىّ ويسلم ... وقد أوثقته شداً بالحبال
أنا الشمطاء تخاف الأسد منى ... ولا أخشى الملمات الثقال
ولى عزم أخوض به المنايا ... ولا أخشى التكاثر فى المجال
ستلقى اليوم منى كل سوء ... وتعرف قدر ربات الحجال

(قال الراوى) ثم حملت عليه وقومت سنانها اليه وضايقته وخدعته وقالت له رجعتم إلى الغدر والمكر فالله يرزقنى عليكم النصر فلما سمع الغلام كلامها ظن أن بعض

أخوته قد حملا يساعده عليها فالتفت إلى نحوه فاغتنمب الغفلة منه وأدركته وهو فى دهشة ومدت يدها اليه وأخذته أسير وبطرف عمامته ربطته ذليل حقير فلما رأوا أخوته ذلك لم يعطوا تهاون ولا صبر وأرادوا أن يحملوها وإذا بأربعين عبد قد أقبلوا اليها مثل الجان فقالوا لبعضهم ان نحن حملنا عليها حملت علينا العبيد وما ننال منهان مانريد ثم أن أخاهم الثانى حمل عليها فلم يدور معها غير دورة واحدةحتىأخذته وإلى أخيه أقرنته وحملت على بقيتهم فأسرتهم واحد بعد واحد وجعلتهم فى الأصفاد (قال الراوى) وأتى الخبر إلى أمهم فصاحت وولولت و بكت وعددت وصاحت فى أهل الحى فلم يجبها أحد الى قتال الشمطا فداومت البكاء والعويل الى أن أحرمت أهل الحى المنام ولما أن رأت أن لم أحد أنجدها منهم وكان جندبه غائب عن الحى وقد كبر وانتشا وبلغ مبالغ الرجال فأنشدت تقول لما ضاق عليها الحال هذه الأبيات :

دموعى على خدى قبل التمائم	على أسر أولادى هم أولاد دارم
فلا كانت الشمطا ولا كان حبها	كما أفجعتنى فى ليوث دراغم
أبيهم سرى من قبلهم نحو حيها	فصار أسيراً عندها وهو عادم
فصاروا اليه يبتغون خلاصه	فكادتهموا بالغدر والله عالم
فهل مخبر عنهم وهل من مبشر	يفرج عنى كل هول ملازمى
أيا ضعف قلبى ياعمى نور ناظرى	إذا لم أراهم راجعين قوادم
وأنظر أولادى يجوا نحو حيهم	كذا دارم يأتى كذلك سالم
إذا لم يعودوا راجعين الى الحمى	فأنا لا يلمنى فى بكايا لائمى

(قال الراوى) فلما فرغت الأميرة (حسنا) من نشيد هذه الأبيات قال وكان الامير جندبه كما قدمنا غائب عن الحى فى المراعى وقد كبر وانتشى وبلغ مبالغ الرجال وإذا به قد أقبل من المرعى وكان يقيم فى الفلا الشهو والشهرين ولا يحضر فى الحى إلا فى بعض الأحيان فلما حضر ورأى أمه الأميره حسنا التى قد ربته على تلك الحالة وسمع منها ذلك الإنشاد والتعديد والبكى فانزعج وسألها عنهذا الحال الذى هى فيه فأخبرته بأمر أبيه واخوته وقعود أهل الحى عن نصرته ولما سمع جندبه من أمه ذلك الخبر قال وذمة العرب لاسار اليها غيرى ولايخلص أبى واخوتى سواى فقالت له اعلم يابنى إن العجوزلايصلى لها بنار ولا يضام لها جار ثم زجرته فلم ينزجر وردته فلم يرتد وأجابها على عروض شعرها يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

وحـق إله دائم الملك دائم إله بأسرار الخليقـــة عالم
وفضل النبي المصطفى أشرف الورى أخلص أبى منها برمحى وصارمى
وان كنت ما أحمى أبى هو واخوتى فما أنا يا أماه من نسل دارم
توكلت فى سيرى على رافع السماء سينصرنى ربى وأرجع سالم

(قال الراوى) ولما فرغ جندبه من شعره فعمد الى حصان أشقر عالى مضمر وسيف أبتر ورمح أسمر وخرج وسار الى أن وصـل الى حى الشمطا فرأته ورأت الفروسية تلوح من بين عينيه والشجاعة تشهد له لا عليه فقفزت على حصان مثل السرحان أو الكاسر من العقبان قليل لحم الخدين سالم القوائم مليح الدعائم وخرجت وهى طالبة اليه من وهى تمشى على سهل وصاحت عليه : من أنت أيها الساعى الى حتفه القادم الى منيته إن كنت ضالا أرشدناك أو ضيف أكرمناك فقال لها جندبه لا تحسبيني كمن نزل بديارك وحل به عذابك أنا رجل أحوش أجود جئت أخرب هذا الوادى وقتلك شفى فؤادى فقالت له ويلك أنا أنظر الى صغر سنك وأرحم قرب عهـدك وأنت تخاطبنى بهذا الخطاب ثم حملت عليه وأنشدت تقول هذه الأبيات :

أنا الشمطا دونك والتقينى وفى يوم الوغى لاتزدرينى
وارحم صغر سنك فى لقائى لأنى لست أرحم من يجينى
فانظر ماجرى لأبوك دارم بقى عندى على الغبرا رهينى
كذا أولاده فى الأسر عندى وليس لهم من البيدا معين
وانى اليوم جئت اليك عمدا وتبقى فى الوغى ملقى طعين
وإلا كمثلهم تبـقى أسيرا بطول الدهر مربوط اليدين

(قال الراوى) فلما سمع الأمير جندبه من الشمطا هذا الـكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وأجابها على عروض شعرها يقول :

أيا شمطا دونك واعرفيـنى وفى يوم الوغى لاتزدرينى
فليس أنا كمن لقيتى من الأبطال فى طول السنين
قهرتى الناس ياشمطا بغـدر وحصنك فى الفلا حصن حصين
سأترك منك هذا الحصن خالى وأملكه بسيفى ذا المتين
وأعتق دارم منك وأعتق إلى أولاده كى تعرفيـنى
وأريح خلق الله منك جمعاً بعون الله رب العـالمين

(قال الراوى) ثم إنها حملت عليه وصممت بالطعنة اليه فوجدته ثابت غير

مكترث بها وقد صبر لحملها ساعة زمانية إلى أن تعالى النهار وقد حمى الحر وتوقد البر وكان تبع الشمطا أربعين فارس من قومها قد تعودوا قتال الأبطال ونهب الأموال فلما رآها جندبة حمل اليها وهجم عليها وضايقها حتى سد طرائقها وطعنها فى صدرها طلع الرمح يلمع من ظهرها فانقلبت قتيلة وفى الأرض جديلة ولما رأوا قومها إلى ذلك فحملوا على جندبة الأربعين حملة رجل واحد فتلقاهم مثل ماتلتقى الأرض العطشانه أوائل المطر وثبت لهم ثبات الأسود وصاح بهم ياويلكم ماهذا الرأى وماهذه الأعمال أما أنتم رجال أصحاب عقول وانى والله ماقتلت الشمطا إلا على شأنكم لانكم أسود وشجعان وأنتم تخدموا امرأة عجوز لاقدر لها ولا شأن وإنى مافعلت بها هذا الفعال إلا لأجل فعالها بالرجال هذه الفعال ولا تركت لاحد من الأمراء رأس تنشال وان كان قتالكم من أجل المال فوالله لم آخذ منه عقال فلما سمعوا كلامه بعد ما عاينوا فعاله نظر بعضهم إلى بعض وقالوا والله الصواب الذى قاله ثم انهم امتثلوا قوله وقالوا والله العظيم ان هذا الأمير كلامه صحيح والتمسوا عليه وقالوا له افعل ماتريد ونحن لك من جملة العبيد وسار جندبه ينخيهم بهذا المقال وهو ينشد ويقول صلوا على سيدنا محمد الرسول :

ألا يا آل حام اصغوا لقولى — وخلوا عنكمو هذا الفضول
ولا تبغوا قتالى اليوم بغيا — فيغنيكم حسامى مع دبولى
لأنكمو بنى حام بن نوح — وفرسانا على أعلا الخيول
ولا أرضى لكم بالذل يوما — تكوا تخدموا ذات الحجولى
تكونوا تحت حكم عجوز سوء — تربت تحت أذيال البعول
فعار عليكمو أن تخدموها — وأنتم كلكم أسد فحول
فريحت العباد الكل منها — وكان لها معى يوم مهول
فكونوا عصبتى يا آل حام — ترون العز دوما والقبول
وهذا الحصن موهوبا اليكم — فمنوا بالرضى ثم القبول
وكونوا فيه من قبلى وصولوا — بأطراف الدوابل والنصول

(قاو الراوى) ولما سمعوا العبيد من فصاحته ماقال وقد بان لهم شجاعته عند الحرب والقتال وقوة جنانه عند ملاقاة الأبطال فعندذلك وقفوا واشتوروا مع بعضهم البعض ساعة زمانية وبعد ذلك تقدموا اليه وقالوا له فما الذى تريد منا يافارس الخيل

فاحكم علينا حكم الموالى على العبيد فقال لهم اعلموا يابنى عمى أن المال الذى عندكم فى الحصون يكون لكم وأنا أقسمه بينكم بالسوية ولا أريد منكم سوى خلاص أبى وأخوتى والسلام (قال الراوى) فلما أن سمعوا منه ذلك العقال وعاينوا كرمه بين الرجال فترجلوا وقبلوا كلهم الأرض قدامه وقبلوا يديه وأجابوه إلى قصده ومراده وأخذوه وساروا به إلى أن وصلوا إلى حصن الشمطا ودخلوا إلى داخل الحصن وقد أحضروا له جميع ماكان للشمطا من المال فقسمه عليهم ولم يأخذ منه عقال وبعد ذلك قام الأمير جندبة إلى المكان الذى فيه الأمير دارم وخلصه مما هو فيه من الأغلال والقيود وخلص أولاده مما كانوا فيه من النكال وخرج بهم من الحصن وأركبهم على الخيول العوال ورجعوا إلى الأحياء بالمال والنوال والنوق والجمال والخلع النفيسه الغوال وما زالوا حتى التقوا بالأهل والعيال وقد شاع ذلك الخبر عن الأمير جندبة وأنه قد قتل الشمطا ورد دارم وأولاده إلى الأحيا فخرجوا إلى لقاه أهل الحى الأكابر منهم والأصاغر وسلموا عليه وخدموه وأكرموه وطلع اسمه وفشا أمره وذكره فهابته الناس وأعجبته نفسه وتكبر على أبناء جنسه وسار يركب الليل والنهار والخيل ويعلم الصبيان الكر والفر والطعان وارتفع قدره والشأن وقد مال اليه جماعة من أهل الحله وأحبوه وصار يسير ويغير وذكر فى المحافل وعند جميع الأبطال والشجعان فى القبايل لأجل مابان له من الفعايل (قال الراوى) فهذا ماكان من الأمير جندبة وما بان منه وأما ماكان من أمر الأمير دارم فانه لما رأى من جندبة تلك الفعال ورآه قد شاع ذكره بين القبائل والأبطال لحقته من ذلك الغيرة والحسد وقد حل به الكمد وأصابه ما أمرض منه الجسد وقال والله العظيم إن هذا الولد لا بد مايزيد أمره ويعلو شأنه وقدره ويقوى سلطانه وخطره وربما أن يملك أرضنا وديارنا وينزع الملك من أيدينا ولا يبقى لنا معه كلام وتبقى كلمته نافذة فينا ومالى إلا أن أطرده من تلك الديار أخير لنا وأقول له أطلب له مكانا فى غير هذه الأحيا ولما قوى عزمه على ذلك الحال أقبل على الأمير جندبة وقال له ياجندبه مالى أراك على هذه الصفة لما خلصتنا من الشمطا كان نفسك قد أعجبتك وعلتك علينا واحنا قد ربيناك وأنت صغير ولنا عليك الفضل والمنة والخير الكثير فقال له جندبة وما الذى رأيت منى من القبائح حتى أنك تقول لى هذا المقال ثم أنه ولى عنه وهو جردان فعند ذلك أتى دارم إلى بيته وأهله وعشيرته وكبراء أهل الحى ولما أن صاروا

عنده أعلمهم بما يريد أن يفعله ثم انه أشار اليهم بما يقول هذه الأبيات بعد الصلاة على سيد السادات .

ألا ياعزوتى وأولاد عمى — أنا من ذا الفتى قد زاد همى
لقيته فى البرارى يوم صيد — بيرضع أمه فازداد غمى
عليها وهى فوق الأرض ضرعى — ومنها الجرح فوق الأرض تدمى
ولا أب له فى الناس يعرف — فجبتوا الى الحى ملفوف مغمى
لبنت العم وقلت لها ارضعية — سريعا أرضعته بنت عمى
ولما أن كبر فشمخ علينا — وكبر النفس للأبصار يعمى
فلم أرضى بهــذا الفعل منه — فلت له إذا من عظمى همى
ترحل من حمانا واجتنبنا — فما نحتاج من للحى يحمى
وأنت لقيـط ثم ردىء أصل — ولا أنت ابنى ولا ابن عمى

(قال الراوى) ولما فرغ الأمير دارم من نشيد ذلك الشعر والنظام قال لأولاد عمه وها أنا أحضرتكم لتشيروا على بما يكون فيه الصلاح فعند ذلك أحضروا جندبة وأسمعوه ذلك الكلام فلما سمع ذلك الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وأشار مجيبا للامير دارم على عروض شعره يقول :

أيامن للعـدا بالسيف يقمى — كلامك زاد تنكيدى وغمى
أنا كنت أعتقد أنك أبويا — وبنت عمك الحسناء أمى
فأنطقك الإله بقول صـدق — عرفت انى لقيط فزاد همى
وحق التربية قد صار عندى — لـكم دين لتربيتى واسمى
ومن حين أن بغضتمونى دعونى — لأترك أرضكم وإلا أكون مغمى
وأرحل فى الفلاة لحى قومى — لهم بالسيف طول الدهر أحمى
أناس يعرفوا قدرنى ويرعوا — حقوق الضيف للمعروف يسمى
لعلى أن أرى حسبى ونسبى — وأعرف من أنا وأبى وأمى

(قال الراوى) ولـما أن فرغ الأمير جندبه من شعره طلب من الامير دارم الرحيل والاذن فى المسير من الحى بعد أن شكره على تربيته وإحسانه اليه فقال له ارحل ولـكن أريد منك حاجة أن تقضيها لى فقال جندبه وماهى الحاجة فقال نريد أن تدفع لنا هذا الحرز الذى هو على عضدك معلق حتى اننا ننقله ونعود بعد ذلك ندفعه اليك ويعد ذلك ارحل الى حال سبيلك لأننا فى غنى عنك إلا أن أهل الحى أرادوا أن

ينتفعوا بهذا الحرز لأنهم كانوا متبركين به وكانوا يضعوه على المصروع يفيق وعلى الحامل تضع وعلى المريض يشفى لوقته فقال جندبه سمعاً وطاعه ثم ان جندبه أخرج الحرز من على عضده ودفعه اليهم ومضى عنهم إلى أن ينقلوه ويعود يأخذه ولما أخذه الأمير دارم منه ففتحه وقرأه فوجد فيه حسبه ونسبه وقومه وعربه ولما عرف الأمير دارم أنه ابن الحارث الكلابى صاح ياللعرب فاجتمعت عليه الأبطال من قومه وقالوا له : ما بالك أيها الأمير وماهو الأمر الذى جرى لنا فقال لهم يابنى عمى اعلموا أن هذا الغلام الذى رأيته هو ابن الحارث الكلابى ولنا عليه تار من قديم الزمان وبيننا وبين أبيه خطب جسيم فدونكم وإياه فاقتلوه وبسيوفكم قطعوه ثم انه هم أن يقتله لأجل مالهم عليه من الدماء فخرج الغلام من بينهم وكل واحد منهم يريد قتله فقالت عقلاؤهم لاتفعلوا حتى نستصح الأمر فرجعوا وهم يقولون ربما أن دارم يكذب فى هذا المقال لأنه أخبر منه بالأحوال وأشد منه عند ملاقاة الرجال فمسكوا القوم أيديهم عنه وخرج جندبه من بينهم فلحقه الأمير دارم وهو يصرخ فى القبائل وينادى فى الأبطال دونكم وإياه فأبوه هو الذى أخرب بيوتنا وشتتنا من أوطاننا وأهلك أبطالنا ونهب أموالنا فلاسقى الله قومه بالمزن ولابرحت دياره مملوءة حزن فتبعته الرجال وتسارعت نحوه الأبطال وخرجت زوجة الأمير دارم وهى متأسفة على فراقه ودارم يصرخ فى الرجال وهو يقول لاتوروه الا كأنكم تسألوه فى الرجوع الى الأوطان حتى تتمكنوا منه فلما أدركه الأمير دارم وأولاده أظهروا التأسف على فراقه وسألوه الرجوع فتبين لجندبه منهم الغدر لأن بعض الأدباء يقول :

إذا أخفتك أقوالا فى بطونهم ... من الغل أنبأتك الوجوه العوابس

(قال الراوى) فالتفت جندبه الى الأمير دارم وقال له اعلم أن لك على حق التربية ولى عليك حق خلاصك من حصن الشمطا فرد عنى وارجع خلينى أقصد ديار الله الواسعة وأماكنه الشاسعه فان قلبي منك قد نفر ولا ينبغى أن يكون لى عندكم مستقر فقال له الأمير دارم كيف أعود عنك وأدعك تخرب مابقى من البلاد وتهلك العابد وتكون مثل أبيك تشن الغارات وتهلك من بقى من السادات ثم ان الأمير دارم حمل عليه هو وأولاده حملة واحدة فعطف عليهم جندبه وطعن دارم فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وقتل اثنين من أولاده فى حملته وفرق الباقى بصولتـه (قال الراوى) وإذا بأمهم قد أشرقت عليهم ومعها جماعة من الحى وصاحت بجندبه ياولدى بحق التربية إلا ما عفوت عنهم ولا تمكن منهم فلما سمع جندبه كلامها رق لها وعفى عنهم

وتركهم وسار على وجهه الى أن وصل الى قصر الشمطا فلما رأوه السودان الذى لها عرفوه ورأوه وهو مذعور فسألوه عن قصته فأخبرهم بالأمر الذى جرى عليه فتعجبوا من ذلك فقال لهم جندبه : هل لكم أن ترحلوا بنا من هذا الوادى الى واد غيره وأرض أخصب من هذه الأرض وأكثر مرعى ونكون فيها نقطع الطريق ونخون السبيل فقالوا له حباً وكرامة فنحن لك عبيد وسامعين مطيعين ثم أخذوا جميع مايحتاجون اليه وخرج هو وإياهم تحت جنح الليل الى أن انجلى الغسق وإذا هم وقد وقعوا فى برية موحشة معطشة مدهشة لانبات فيها يطلع ولاوحش فيها يرتع وحشة المنظر دهشة المخبر تفزع الجن من مسالكها ولاتقرب دكاكها مافيها مجيب لمن صاح وزعق ولا ينال الانسان بها رمق (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين وعلى الله متوكلين وبعض من السودان بغض جندبه لأجل ماسلك بهم تلك الأرض الصعبة وأرادوا قتله من حيث أنه لايعلم وبعضهم يكن على أغراض بعض ويقولوا لنا أسوة به ان هلك هلكنا معه وان سلم سلمنا فطابت قلوب جماعة منهم فى الظاهر ولم يزالوا سائرين وبعد ساعة وصلوا الى أرض خصبة معشبة ففرحوا القوم بتلك الأرض ونزلوا فيها واستراحوا بقية نهارهم وعولوا على المسير من ذلك المكان فتوقف بعض السودان واختلفوا فى النقض والابرام فقال جندبه فى سره هذه وجوه لايفرح بها رفيق ولا تنفع فى شدة ولا فى ضيق ولو أن فيهم خير كان للشمطا مولاتهم ثم ان جندبه لاعبهم وضاحكهم وصبر الى أن غلب عليهم النوم فقام اليهم وبدا بالخنجر الى الأول وذبحه من أذنه ولم يزل يدور عليهم واحد بعد واحد الى أن ذبح الجميع ثم انه أخذ من الخيل أجودها وسار تحت الليل ولم يزل سائر الى أن أصبح الصباح ونظر بين يديه الى رياض حسنة زهرة بروائح عطرة وفى وسط الأرض خبا مضروب ورمح مركوز وجواد يرتع فاستحسن جندبه مارآه من تلك الأرض وتعجب من ذلك الخبا المنفرد وقال لاشك إن هذا الرجل عابر سبيل لكنه بقى حابر فى أمره وجعل ذلك المضرب قصده فهو يتفحر فى ذلك واذا قد خرج من ذلك الخبا إنسان تام الطول كأنه فحل من الفحول فتأمله جندبه فرآه على ذلك الطول شاب أجرد أمرد عليه درع من الزرد وهو مضاعف العدد وعلى رأسه بيضة مذهبة لداير مشطبة الظاهر كأنها نجم فى غياهب فلما رآه الجواد محمحم واليه تقدم فمسح ظهره بيده وأقبل عليه وقبله بين عينيه وأقلب السرج عليه وشد الحزام ورق اللجام . هذا وجندبه واقف ينظر اليه فلما شد الحصان وثب من الأرض وثبة السرحان فاستوى على ظهر الحصان من غير أن يضع رجله فى الركاب

ثم انه تقلد بسيفه واعتقل برمحه ثم قصد نحو جندبه وحمل عليه من غير كلام ولا خطاب وقصد معه القتال والضراب فقال جندبه ياغلام ابدأ بالسلام قبل القتال والصدام لأنه من سيم القوم الكرام فلا يرد عليه جواب ولا أبدى خطاب فتعين على جندبه قتاله فحمل عليه وهو ينشد ويقول ونحن نصلى على سيدنا محمد الرسول :

ألا يا فارساً طلب الصدام ... ورام الحرب من قبل السلام
ملثم ليس ننظر منه وجهاً ... ولم نسمع له أبدا كلام
كأنك أخرس وأصم أذناً ... فليس لنا على الأخرس ملام
فرد علىّ شعراً وزن شعرى ... اذا قد كنت من أهل النظام
وتكمل بالشجاعة والفصاحة ... لاشك الحما بالسيف حامى
وأعرف من لقيت من البوادى ... لتعلم قدر أرباب الخصام
أنا أدعى بجندبة الكلابى ... أصيد الأسد فى وسط الآجام

(قال الراوى) ولما فرغ جندبة من شعره لم يرد عليه ذلك الفارس كلام ولا نظام بل حمل عليه كأنه الأسد الدرغام والليث الهمام فتلقاه الأمير جندبة كما تلقى الارض العطشانة أوائل المطر وتطاعنا حتى ان الرماح تقصفت وتضاربا بالسيوف الى أن تثلمت وبعد ساعة هاجمه جندبة وضايقه وقدسد عليه طرائقه ومديده اليه وقبضه من جلباب درعه وجذبه واقتلعه من سرجه ورمى به الى الارض وأراد أن يضرب عنقه فقال له بكلام رقيق الصفة الصنيعه يا فارس الزمان فلما سمع منه جندبة ذلك الكلام فبان له أن المتكلم أنثى فقال له جندبة أنت رجل أم امرأة فقالت له أنا بنت بكر عذراء ثم انها كشفت عن وجهها بعد ذلك اللثام فبان للأمير جندبة وجه كأنه البدر إذا ظهر من تحت الغمام فكانت كما قال فيها الشاعر حيث قال :

جاءت مبرقعة فقلت لها اسفرى ... عن وجهك القمر المنير الأبهرى
قالت أخاف العارقلت لهااقصرى ... بحوادث الأيام لا تتحيرى
رفعت نقاب الحسن عن وجناتها ... فتساقط البللور فوق الجوهر
ولقد هممت بقبلة فى خدها ... حتى تصير حضيئتى فى المحشر
ونكون أول عاشقين تخاصما ... يوم القيامة والخلائق تنظر
ويطول من فوق الصراط وقوفنا ... حتى أكر فى المليح المنظر

(قال الراوى نجد بن هشام) ولما نظر جندبة الى حسن تلك الصبية وجمالها وظرفها ودلالها حار عقله فيها وزاد عشقاً بها وهام وتولع قلبه بها وأتلفه الغرام فقال لها

ياست الملاح وبدر التمام وذات الوشاح اطلعينى على سرك وأخبرينى بحقيقة أمرك فقالت له يا فارس الزمان وليث العصر والأوان أخبرك بقصتى نثر وكلام أم شعر ونظام فقال لها جندبه يافصيحة اللسان وفريدة العصر ومليحة دهرها أناما أريد أن أسمع منك إلا شعر ونظام فقالت له السمع والطاعه ياشجيع الزمان ثم انها أشارت تخبر الأمير جندبه بجميع ماجرى لها بالشعر وهى تقول بعد الصلاة على سيدنا محمد النبى الرسول :

ألا أيها البطل المحامى	وياصنديد فى يوم الزحام
تأنى واسمع منى كلامى	فانى بنت بكر أبا همام
بنت القبقبوس القرم أدعى	وقدرى قد علا بين الأنام
طلعت لشدتى ألقى الفوارس	بطعن الرمح مع ضرب الحسام
وذكرى شاع فى العربان جمعاً	وفى الأحياء ما بين الخيام
وجاءت نحوى الخطاب تسعى	فلم أرضى وأكثرهم خصامى
وقد أقسمت بالرحمن ربى	وفضل المصطفى بدر التمام
بأنى قط لم أكتب كتابى	على مخلوق فى طول الدوام
سوى ان كان صنديداً مهابا	يكيد الخصم فى يوم الصدام
ويقهرنى إذا ما التقينا	نهار الحرب فى وهج القتام
أتوا الخطاب جمعاً بارزونى	وقد جندلتهم بين الأنام
ولم يقدر على فتى رآنى	على الشجعان كلهم سلامى
أنا قتالة الشجعان أدعى	من الفرسان فى البيدا أمامى
وخفت أبى يزوجنى جبانا	ويغصبنى ويلزمنى التزاما
فجئت لهذا المكان مكثت فيه	وقوضت المضارب والخيام
وحولى عصبة من كل ليث	نهار الحرب لم يخشى الصدام
ونهجم فى القفار على القوافل	ونغنم كسبهم فى كل عام
وأنت أسرتنى وعفوت عنى	وأنت الكفء بلغنى مرامى
فاخطبنى واحظى بى سريعا	فانى قد رضيتك والسلام

(قال الراوى) فلما سمع الأمير جندبه ذلك الكلام صار كأنه فى منام وقد تعجب غاية العجب من فصاحتها وظرافتها وقوة قلبها وفرح بها فرحاشديدا ثم انها بعد ذلك قالت له ياوجه العرب سر بنا الى حلتنا فقال لها وأين الحلة قالت له هى فى آخر هذا المرج

وان أردت المسير معى فافعل قال فركب جندبه فرسه وسار وهو على حذرمنها لئلا تغدر به واذا هى قد وصلت الى حيها فنظر إلى أرض حسنة وأبيات قد شرعت وأغنام قد سرحت وهى ترعى وخيول تسعى والقوم فى أطيب عيش وأهنأ وأسعد زمان وأصفاه فلما رأوا أهل الحى قتالة الشجعان قدأقبلت قاموا بأجمعهم اليها وسلموا عليها فقالت لهم أ كرموا هذا الضيف الذى قد حل بنا قبل إكرامى فجعل القوم يسلمون على جندبة ويسألوه أن ينزل عن جواده ويدخل المضرب معها ففعل ذلك ونحرت النحور ولم يزل عندها فى أتم سرور ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ورد عليهما ضيوف فأضافتهم وأكرمتهم ثم انها جمعت بينهم وبين جندبة فى مضرب واحد وقدمت لهم الطعام فأكلوا القوم على حسب الكفاية وقدموا المدام فشربوا وطربوا ودخلوا فى الأحاديث الكثيره التى تزيد وتنقص وما فى الاحاديث أحسن من شىء يجرى للانسان فتحدث به ما أمكنه فجاء الحديث على جندبة فأخذ يحكى لهم ماجرى له مع دارم ويقول والله عمرى مارأيت أعجب حديثى لأنى أحسنت اليه وخدمته ومن القتل خلصته فطلب قتلى فرد الله فاسه وكل من بغى رجع البغى عليه ثم جعل كل واحد منهم يتحدث بما جرى له مع الشجعان والاقران وما جرى عليهم من الشدائد وما لاقوا من الاوابد وكانوا عشرة فتحدثوا تسعة بما جرى لهم ولم يبق غير رجل واحد وكان المقدم عليهم وهو عبد أسود فقالوا له وأنت يا أمير مالك لا تحدثنا عما جرى لك فقال والله يا وجوه العرب ما فيكم مثل من جرى له مثل قصتى ولا مثل محنتى فقالوا له مالك ماتحدثنا بها فقال اعلموا أننى كان لى سيد من رؤساء العرب وكان أفرس أهل زمانه تخافه الملوك على شدتها والسباع فى أوديتها فأتاه طارق الحمام ومضى إلى ربه بسلام وبقيت زوجته خائفة خوفا شديدا من الاعداء والاضداد وهى مشغولة القلب أن يهجموا عليها فهربت عبيدها وجوارها ولم يبق فى الحى إلا أنا فازدادت ستى فزعا من خوفها وكانت حامل على ليلتها فادعت بى وقالت ويلك ياسلام أفيك خير حتى ننجوا من هذا المكان قبل أن تدركنا الاشرار فقلت نعم ثم عمدت إلى ناقة فوطيت عليها وشديت عليها هودج وأطلعتها فيه ثم أنى سرت بها فى الليل وكان لها من الجمال مالا يوصف فوسوس الى الشيطان بوصلها فى وادى بقرب حى دارم وقد غاب عنى الصواب واستدت فى وجهى الابواب لما تضارمت بى النار ثم انى كشفت لها عن الاحوال وما أريد منها من الفعال فقالت والله ما أفعل هذه الفعال ولو شربت كؤس الحمام فلم أسمع لها خطاب ولا حفظت لها زمام ثم انى أشهرت سيفى

وضربتها صفحا فألقيتها على وجهها فنادتنى انج بنفسك ياعبد السوء فقد أتانى الطلق باذن خالق ثم صاحت صيحة أدهشتنى ثم وضعت فى تلك الساعه غلام كأنه القمر فى ليلة أربع عشر فعمدت ستى الى الغلام فأرضعته وأقبلت على بالتهديد والوعد والوعيد فخفت منها أن تصل الى ذلك الحى وتعمل على هلاكى فبدأت بها قبل أن تبدوا بى ونهضت اليها وقتلتها وسرت وما أدرى ما فعل الدهر بها وبولدها وهذا حديثى والسلام وحق الواحد المتعال . ثم انى توصلت الى هؤلاء الاقوام وفرقت عليهم ماكان معى من الاموال وصرت المقدم عليهم كما ترى وكان مع ستى قصبة من فضة فيها حرز كتبه الحكيم دمقان ولا أدرى ماكان من بعدى (قال نجد) ولم يكن فى الاتفاق أعجب من لقاء جندبة بعبده سلام هذا وجندبة قد أقبل على ذلك العبد وقال له ماكان اسم سيدك ياغلام فقال سلام كان اسمه الحارب بن عامر الكلابى (قال نجد بن هشام) فلم يمهله جندبة أن يتم كلامه دون أن جذب سيفه وضربه أطاح رأسه عن بدنه فنهضوا أصحابه وقد جردوا سيوفهم على جندبة وأرادوا أن يسقوه كاس الحمام فقامت اليهم قتالة الشجعان ومنعتهم عن ذلك وقالت لهم اذا كان فى غداة غد افعلوا به ما شئتم عندنا ويطلب الطريق ولا يمنعكم عنه مانع (قال الراوى) وكان من أمر العبد سلام أنه لما قتل سيدته أخذ المال الذى كان معها ثم انه سار فالتقى برجال من قطاع الطريق ففرق عليهم تلك الاموال واستخدم به الابطال وأراد أن يصير مثل ماكان عليه سيده الحارث فصار تحت يده رجال كثير من قطاع الطريق وكان وصوله بهذه الشرذمة اليسيرة الى هذه الارض لانه خرج ينظر الى أرض خصبة ينزل فيها فاجتاز بقتالة الشجعان وجرى له ماجرى (قال نجد) ثم أشارت قتالة الشجعان الى الرجال أن يتركوا جندبة الى الصباح ففعلوا ذلك وصاروا يحرسوه من كل مكان وجانب فعندها أخذته قتالة الشجعان ودخلت به الى مضربها وقالت لهم هذا فى ضمانى الى غداة غد أسلمه اليكم فقالوا لها افعلى مابدا لك ثم انهم باتوا تلك الليلة منتظرين الصباح (قال الراوى) ثم ان قتالة الشجعان أقبلت على جندية وقالت له والله انى خائفة عليك من هؤلاء الاقوام أن يقتلوك فقال لها وما الذى تشيرين على به فقالت له أنا أتزوج بك والله مطلع علىّ وعليك وتكفى شر هؤلاء القوم فقال جندبه افعلى مابدا لك ثم انهما تصالحا وتناكحا وأقاموا الى نصف الليل وساروا عن الحى وطلبوا عرض البر والبحر طالبين أرض الحجاز فساروا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرفوا على حى حسن ذات عيون وزهر مكنون فبينما هم سائرين فى وادى من

أودية ذلك الحى بين تلك الاشجار واذا قد لاح لهم جبل كأنه الثلج الأبيض فعمدا اليه ونزلا عليه فأراحوا هناك ساعة من النهار وساروا إلى أن مالت الشمس الى الغروب فأشرفوا على وادى كثير النبات مخضر الجنبات وعلى حافة ذلك الوادى بيوت ومضارب وخيام وفيها عالم عظيم ورماحهم مركوزة وخيولهم مربوطة وبيوتهم عالية وسعادتهم نامية وبسط الديباج مبسوطة والجمال والنوق باركه والاماء يضربون بالمزاهر وقد أمنوا من الاعدا وتصاريف الردا وفى وسط الحى منازل الضيوف وفيهم تضرب الامثال وإلى جودهم تشد الرجال كما قال فيهم الشاعر حيث قال :

نظر إلى حى رحيب مزهر ... فيه لعمرى كل خير مكثر
ببيوتهم خيل تجول كأنها ... أسد الدجال بواديا مستوعر
وعلى البيوت شوارعا قد شرعت ... بيض الصفاح من الحديد الأخضر
مع كل ميال العمامة أشرس ... فى كفه سيف صقيل أبتر
ونساؤهم مثل الظبا وصغارهم ... أشبالهم من كل ليث قصورى
ورجالهم مثل الأسود إذا حموا ... أشبالهم مثل النجوم الزواهر
والحى يرقص آمنا برجالهم ... فرحا بصفو ليس فيه تكدر
خافوا القبائل منهموا فتحاشدوا ... يوم الوغا بالبيض ثم الأسمر
ما منهم إلا سميدع قومه ... وأميرها من تبع أو حميرى

(قال الراوى) فلما نظر جندبه إلى ذلك الحى نزل هو وقتالة الشجعان فى جنب ذلك الوادى وقد زاد حبها فى قلبه وتحدث هو وإياها وقد أعجبه كلامها فقالت له يا أمير جندبه ليش قتلت العبد سلام بغير ذنب وظلمته فقال والله يا أميره إن ذنبه عظيم وما ظلمته وأنه يستحق ذلك ثم أنه أشار اليها يقول وها نحن نصلى على النبى الرسول

وحق إله مالك الملك دائم ... إله بأسرار الخلائق عالم
أنا ما ظلمت العبد لما قتلته ... ولكن ذاك العبد قد كان ظالم
أبى حارثا قد كان فارس عصره ... وقد ذل أبطال الوغا بالصوارم
فمات وأمى حامل بى لحلتى ... إلى والدى والأهل ثم اللوازم
أخذها بليل ثم سار لأهلها ... فأطغاه إبليس اللئيم المخاصم
أراد بها الفحشا أبت أن تطيعه ... وقالت أنا بنت الجياد الأكارم
ولما أتاها الطلق من قبل قتلها ... وقد وضعتنى صرت فى الدم عائم

ولما قتلها العبد خلا بسبيلها وراح بأموال لها والغنائم
وقد خانها لما منعته وضربها وفى الصبح جاها فارس الخيل دارم
أخذنى وواراها التراب وردنى إلى بنت عمه ذى العلا والمكارم
تربيت حتى صرت أشبه والدى ركبت متون الخيل بين العوالم
فلما رآنى دارما صرت فارسا بما صرت فيه من خصال الأكارم
فسار إلى نحوها معاش ومكسب إلى حى شمطا ليجيب الغنائم
فجاءت له الشمطاء تبغى قتاله وقد أسرته بالرماح اللهادم
وخلصت الأموال بالسيف عنوة وشردت الأبطال والأنف راغم
فسارت لها أولاده لخلاصه فاستأسرتهم كلهم بالعزائم
فسرت اليها طالبا لقتالها فجاءت إلى نحوى تريد التصادم
فطاولتها فى الحرب حتى قتلتها وخلصت دارم من شديد العظائم
وجئت به للحى مع أولاده وقامت لنا الأفراح بعد المآتم
ومن بعد هذا قد طردنى من أرضه وحاربنى لم يخشى لوم لائم
فجندلته صرعا وقد حان حينه وصار عفير الخد للأرض لاثم
وسرت أريد أهلى وقومى وعشيرتى لقيتك يابنت السراة الأكارم
فجاء اليك العبد فى الحى ضافك وأحكى حكايته وأنا كنت قاهم
فرحت وقلت اليوم آخذ تارها ومن ساعتى والوقت سليت صارمى
فقتلته بالتار والعبد عبدنا وخليته طعام الطيور الحوائم
فلا تنسبى للظلم من رام حقه وهذا قليل الخير ندل وظالم

(قال الراوى) ولما فرغ جندبة من شعره قالت له قتالة الشجعان والله يافتى ماقصرت فيما صنعت ولقد أحسنت وأصبت ثم أنها أجابته على عروض شعره تقول هذه الأبيات

يا فارس الهيجاء ما أنت ظالم وأنت لأهل البغى بالسيف قاصم
وأنت أخذت التار من ندل خائن وجازيته بالقتل بين العوالم
فلا رحم الرحمن للعبد قبره ومازال بالنيران والجمر ضارم
وهذا جزاء من يقلب الخير بالأسى ولا ظالم إلا سيبلى بظالم
ولا فرق الله المهيمن بيننا وحق عليك الآن قد صار لازم
ومن خان رب العالمين يميته ويرميه ما بين القنا والصوارم

(قال الراوى نجد بن هشام) ولما فرغت قتالة الشجعان من شعرها وتحدثت هى

وجندبة فى حسن ذلك الحى وذلك الوادى فبينماهم فى ذلك الكلام وإذا هم بغبرة قد طلعت وعجاجة قدارتفعت وانكشفت وبان من تحتها عسكر جرار وهو يزيد عن خمسمائة فارس كأنهم الليوث وعليهم الدروع السوابل الذى كأنها عيون الجراد المضاعفين فى العدد ومعهم رجال يزيدون عن ألف رجل فى أيديهم الجحف الثقال والسيوف الحداد فلما نظرهم جندبه ظن أنهم من خيل الحى واذا بهم قد افترقوا على ذلك الحى من أربع جوانبه وقد هزوا فى أيديهم قطع الرماح وجردوا البيض الصفاح وقد كثر فى ذلك الحى الصياح وطلعت أبطاله تريد الكفاح وفى أيديهم البيض والصفاح وقد أشهروا السيوف الصقال والرماح العوال وتبادرت الرجال والنساء والعبيد والجوار وركبت أهل الحى ووقع القتال واشتعلت نيران الطعن والضراب واشتد الكرب وثار الغبار من سنابك الخيل فعاد فى الهوى كقطع الليل وعظم القتال وكثر الزلزال وقل الكلام وتقسطل الغبار ونما ولحق عنان السما وتخضبت اللحا بالدما ونهبت بعض بيوت القوم وجعل القوم يستغيثون بالحى الذى لايموت (قال الزاوى) وكان ذلك القوم الذين هجموا على ذلك الحى يناذون بالأخذ بالتارات وأهل الحى ينادون يا لعامر ويالكلاب وقد اشتد بينهم القتال فلما سمع جندبة صياحهم يالكلاب أقبل على قتالة وقال لها اعلمى أن هؤلاء القوم هم بنو عمى ولحمى ودمى وفيهم حسبى ونسبى ولا صبر لى عن معونتهم فقالت له والله انى مساعدتك على ذلك ولا أتركك ترمى روحك فى هذا الجمع الشديد وأنت وحيد فريد ثم ان الأميرة جندبة ركب بعد ذلك هو وقتالة الشجعان على خيولهم الى أن أدركوا القوم وصاحوا يا آل كلاب وحمل الامير جندبه كأنه شعلة نار على الاعداء وأنزل بهم ونادى وقال أنا ناصل ومهلك الرجال ومبيد الابطال وكاشف العار ومدرك التار أنا قاطع الاعمار ومبيد الابطال والهزبر المختار ثم انه طعن فارس أرماه وآخر بالسيف أرداه وثالث فاجاه ورابع أعدمه الحياة ثم انه صاح وأعلن بالصياح يا آل كلاب يا آل كلاب فأجابته زوجته لبيك هانحن بين يديك أنت من على اليمين وأنا من على الشمال فبددوا عند ذلك الابطال وقتلوا الاقران وهلكوا الشجعان وطعنوا فى صدور الرجال وأنزلوا على بنى شيبان الذل والخبال (قال الراوى) وقدنظروا أهل الحى الى فعالهم وهم يردون الابطال ويجرعون كاس الحمام فحملوا على الاعداء وأسقوهم كاسات الردى وقد قويت قلوبهم واشتدت عزيمتهم وهجموا على أعدائهم بعزمات قوية وخلصوا الغنيمة من أيديهم وأخرجوهم من البيوت وشتتوهم فى تلك الجبال والفلوات وقد قتلوا منهم

خلق كثير ولما فرغوا من تلك الأمور المشكلات رجعو الى جندبة وقتالة الشجعان قاصدين ولها شاكرين فلما اجتمعوا بهما سلموا على الأمير جندبة وزادوا له فى الاكرام لأجل مارأوا منه عند الصدام وقالوا له من أنت حياك الله يافارس الخيل فقال لهم جندبه يا وجوه العرب ما هذا وقت سؤال ولا مقال هذا وقت الراحه من الحرب والقتال فعند ذلك أخذوه وردوا به إلى الأحيا والابيات وماأمسى حتىلم يبق أحد من الاعداء بل تشتتوا فى القفار وحل بهم الدمار وقد نهبت بنى كلاب خيلهم وعددهم وأموالهم والاسلاب وماكان معهم من النهاب وباتوا فى حيهم فرحين وبالنصر مسرورين وبجندبة محدقين وهم من شجاعته متعجبين وهم يقبلون الأرض بين يديه ويثنون عليه ولما استقر بهم القرار قالوا له من أنت أيها السيد الذى من الله بك علينا وأسعدنا بشجاعتك فكشف لهم عن حسبه وأظهر لهم نسبه وذكر لهم قصة دارم الذى رباه وما جرى له معه من الأمور والأسباب . ثم أنشأ يقول لهم الأبيات ونحن وأنتم نصلى على سيد السادات :

أنا أسمى بجندبة الكلابى	وابن الحارث البطل المهاب
ومات أبى وأنا فى بطن أمى	وسارت نحو حلتها
قتلها عبد من نسل الزوانى	بليل وهى كانت حاملا بى
ووقت القتل أرمتنى صغيرا	ودارم جاها ووراها التراب
وودانى لزوجته أرضعتنى	وربونى وربى قد اعتنابى
طلعت فتى وصنديدا مهاباً	وكم قاسيت أهوالا صعاب
أخذت التار من عبد لئيم	يسمى حازم من نسل الكلاب
وجئت بزوجتى فى البر أسعى	إلى الحى الذى فيه انتسابى
أرى الأعداء قد جاؤا صفوفا	يريدوا قتلكم والانتهاب
أنا منكم فلمونى اليكم	وقد أخبرتكم فى الشعر مابى
وصلى الله ربى كل وقت	على من قد أتانا بالصواب

(قال الراوى) ولماسمعوا بنى كلاب منه ذلك الشعر والنظام صاحوا كلهم بالعرب الآن قد اتضح الحق وزهق الباطل وزال الشك والارتباك وعرف من العنوان مافى الكتاب وظهر الصواب وقد رجعت الماء الى مجاريها والمال الى أصحابه والسيف إلى قرابه ثم تقدموا إلى جندبه وتقربوا اليه بكلمات يقدرون عليه وقالت مشايخ الحله والله العظيم أنت أميرنا وابن أميرنا ومابقى لنا أمير سواك ولا مقدم إلا إياك ثم

قدموه عليهم وقضوا ذلك اليوم فى سرور وفرح وغبطة وحبور والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول المشرق بالنور (قال نجد بن هشام) وكانوا هؤلاء القوم خلفاء للحارث أبو جندبة وهم من خواص أصدقاه ولما ان مات تفرقوا مدة من الزمان من خوف العربان وبعد ذلك اجتمعوا وانضموا الى هذه الحلة وجعلوا عليهم أميرا منهم وكان شيخا كبير السن يقال له جابر بن حنظلة العامرى وكان أبغض الناس عنده من يذكر الحارث بالشجاعة والخير وكان أعقل الناس وأشجعها وكانوا قومه اذا ذكروا الحارث بين يديه بالشجاعة يسبهم ويقول ماكان الحارث إلا قاطع طريق وخاين سبيل وكافر . فلما رآهم قد التقوا بجندبه فى ذلك اليوم ورآهم قد اجتمعوا عليه وتركوه ما هان عليه ذلك وقد اغتاظ لذلك غيظا شديدا وبات تلك الليلة فى هم ما عليه من مزيد شديد القلق كثير الحرق ولما أصبح الله تعالى بالصباح اجتمع بهم وسألهم عن حالهم فقالوا له ان الأمر قد اشتهر والحق قد ظهر والباطل خسر ولم يبق غير الحق وهذا جندبة بن الحارث بن عامر الكلابى بن صعصعة وهو الذى كان سبب خلاصنا من الأعداء وهو اليوم أميرنا والحاكم علينا وهو اليوم سيد القوم وامامهم ورئيسهم فقال لهم جابر هو أكثر منى مالا أو أعظم رجالا فقالوا له المال يفنى والرجال تجيبه فقال لهم هل هو أشجع منى قالوا نعم لولاه لكنا هلكنا فقال لهم اذا كان الأمر كذلك وقد جعلتموه مقدما فليخرج لى فإن غلبنى كان مقدما علينا وان قهرته أقمت موضعى فقالوا له قد أشرت بالصواب وبلغ الخبر الى جندبه فقال لقد قال الصواب ونطق بالأمر الذى لايعاب ثم انه أقبل على جابر وجتل وصال وأنشد وجعل يقول ونحن وأنتم نصلى على سيدنا محمد الرسول :

أنا البطل الهمام الغضنفر   جندبة بن الحارث القصور
وحق من أنشا جميع الصور   لابد ما أفنى العد بالأسمر
وكل من عاندنى فى معشر   تركته مجندلا فى كل بر مقفر

(قال الراوى) فلما سمع جابر شعره وفهم نظمه ونثره قال له ياجندبة اصبر على حتى أركب جوادى وأفرغ على لامة جلادى فقال له جندبة افعل مابدا لك (ياساده) فما غاب إلا ساعة وعاد وعليه درع من البولاد المفرق بالذهب وعلى رأسه عمامة خضراء بقصب متقلد برمح مكعب ومن تحته حجرة شهبا تنهب الأرض نهبا كأنها شعلة نار وقد ركب عليها طالب التار والحجرة تدهش النظار إن طلب منها الجرى عرفت وان أشار عليها بالوقوف وقفت وان همزها طارت الى الغيوم وصاحبها يلتقط النجوم

مضمرة الخواصر مليحة الحوافر واسعة الناخر حسنة الباطن والظاهر لها أصل فاخر وغرة مثل الهلال الزاهر صنعة الملك القادر تربية العرب أصحاب المفاخر كأنها قطب الفلك الدائر وراكبها فى أمان من كل عدو ومضادد ومكايد ومعاند (قال الراوى) فلما نظر جندبه الى تلك الحجرة التى تحت جابر ونظر الى انعطافها وذهابها وانحرافها هام بها قلبه واشتغل بها فكره ولبه (قال الراوى) وما كانت إلا ساعة حتى ركبوا بقية القوم وأتت سائر بنى كلاب ووقفوا الاثنين مابين الصفين واشتهروا بين الفريقين وجالوا وصالوا على ظهور الخيل وجرى بينهم من الحرب مالا يوصف ومن القتال والطعان وحمل كل واحد منهما على صاحبه وتماشقا السيفين وتطاعنا بالرمحين وبعد ساعة وقفا للراحة فأشار جابر الى جندبه يقول صلوا على سيدنا محمد الرسول :

خذ ما أتاك وكن لحربى خابر ... واثبت لحملات ابن حنظل جابر
فأنا أمير القوم حامى حيهم ... يوم المعامع بالحسام الباتر
واليوم أنت أتيت ضيفا حينا ... ترجو العلا من غير حرب ثائر
تزعم بأن أباك كان أميرنا ... ما كان إلا ندل قوم فاجر
قاطع طريق على القوافل كلها ... من سائر الاحيا لئيم غادر
وعلى الحرام ربى وربى أهله ... والله أهلكه هلاك القادر
وكذاك أنت طلعت ندلا مثله ... أتريد أن تعلا على أبنا عامر
اثبت والقانى وكن مستيقظا ... من قبل أن تبقى طعم طير طائر
وإلا فاترك عنك هذا كله ... واذهن إلىّ ولا تكون مناظرى
ما أنت مثلى فى الشجاعة والعنا ... بل أنت مسكينا يتيما قاصر
رباك دارم ختنته وقتلته ... وأبوك مثلك كان خائن فاجر

(قال الراوى) ولما سمع الأمير جندبة من جابر شعره وذلك الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام ثم انه قد أجابه على عروض شعره يقول صلوا على سيدنا محمد الرسول :

قد عبت عيبا واضحا يا جابر ... بكلام منه شق سر ضمائرى
فأنا الذى ربيت مسكينا وقد ... أغنانى الله الكريم القادر
ولدارم خلصته من لبوة ... أسرته مع أولاده والعشائر
خلصتهم من أسرها وقتلتها ... وحويت أموالا لها وذخائر
وقتلت دارم حين رام لقتلتى ... وعفوت عن أولاده وعساكر

وأخذت تارى وانثنيت لعزوتى ... خلصتهم من وغد مثلك غائر
ونصرتهم لما رأيتك راجعا ... للحى منهزما لبيتك عابر
وأنا أمير القوم وابن أميرهم ... والحق فى يوم المعامع ناصرى
ثم الصلاة على النبى وآله ... خير الورى طه الشريف الطاهر

(قال الراوى) ولما فرغ الامير جندبة من شعره حمل على جابر حملة الحنق وصاح عليه وزعق وجرد سيفه من غمده وضرب به جندبة ضربة سمعها كل من كان حاضر فبطلها جندبة بحسن صناعته ثم انه حمل عليه وأقبل اليه وضربه بالسيف على عاتقه أطلع السيف يلمع من بين علائقه فانجدل جابر ورحل إلى المقابر (قال الراوى) ثم ان جندبة قال يا بنى كلاب دونكم ونهب الاموال والاسلاب فهو هبة منى اليكم وهذه الحجرة فانى ما أعطيها لاحد منكم فقالوا والله يا أمير ما تصلح إلا لك فلو فتشت جميع الأقاليم لم ترلها مثل ولم تلق لها شبيه لأنها فريدة العصر والأوان فقال جندبه والله يا وجوه العرب إنى من ساعة ما رأيتها قسى قلبي عليه وما كان فى نيتى قتله وما طلبت إلا أسره وأخذها منه وأطلقه ولكن هو طلب قتلى وبغى على فقابله الله على بغيه وأن هذه المهره من وقت ما وقع عليها ناظرى اشتعل بها قلبي وخاطرى فقالوا له بعض كبراء المشايخ والله يا أمير ما تصلح إلا لك لأنها يتيمة الدهر فشكره جندبه وأثنى عليه (يا ساده) وأن أصحاب جابر لما رأوا المهره تحت جندبه حملوا عليه وأرادوا خلاصها منه فحملت عليهم بنو كلاب وتصادمت الرجال والأبطال وجرت الدما وعمل السيف القرضاب ولم يزالوا فى طعن وضرب يقد ويهد حتى انهزمت رجال جابر وأقبلوا بجندبه إلى الحى فقدموا اليه الخيول العربيات والمضارب والعماريات وانقادت اليه الركايب ودارت به الكتايب وأخرجوا لزوجته الحلل الفاخره والنعم الظاهره وصار جندبه زعيم القوم ورئيسها وأميرها وأراد أن يرحل عنهم ويستخلف واحد منهم مكانه فما مكنوه من ذلك وأقام هو وزوجته فى ألذ عيش وأهنأه وأطيب زمان وأصفاه وانطاعت له البلاد واجتمعت على محبته قلوب العباد وصار يشن الغارات ويلازم الغزوات ومهما حصل له يقسمه عليهم ويستخدم به الأبطال إلى أن اجتمع عليه كثير من الشجعان (يا ساده) وكان جندبه قد تعلق قلبه بالمهره وكان اسمها مزنه وكان فى كل يوم يسير اليها ويود أنه بنفسه يفديها من كل سوء ويركب كل يوم إلى ظاهر البيوت وحوله جماعة من الشجعان ويطلب الصيد والقنص وهم حوله كأنهم النجوم الزواهر أو الأسود الكواسر فلما كان فى بعض الأيام خرج على جارى عادته إلى الصيد والقنص وزوجته قتالة الشجعان إلى

جانبه وإذا قد لاحت لهم غزالة فى صدر البر فأخذوا خلفها الطراد وقد داروا حوله الشجعان والأبطال ولم يزالوا خلفها فى البر وقد هلكوا من شدة الهجير والحر فعادوا عنها خائبين وطلبوا ديارهم راجعين وإذا قد لاح لهم لمعان سيوف وازدحام صفوف وضجيج نسوان وأطفال وقعقعة لجم وهمهمة أبطال وصلصلة أقيال فتبينوا المأسورين وإذا هم من بنى كلاب فتقدم اليهم جندبه ومن معه من العربان وبذلوا فيهم السيوف والرماح وشتتوهم فى تلك البرارى والقيعان وخلصوا ما كان معهم من الأصحاب والسبايا والأموال (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك مجىء هذه الخيول إلى حى بنى كلاب أمر عجيب وذلك أن جابر لما قتله جندبه وأخذ موضعه كان له أخ يسمى كاسر فسمع بقتل أخيه فطلب يأخذ بثاره ويقعد موضعه فجمع كبار قومه وأعلمهم بما جرى من الأمر والأسباب وكيف قتل جندبه أخيه فقالوا له نحن لك وبين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ومهما أمرتنا به فعلناه ثم انه استخدم الرجال وبلغ الخبر الى العرب الذى كان سلام مقدمهم فاجتمعوا الكل على كلمة واحدة ولم يزل يجتمع عليهم فرسان حتى صاروا فى ستة آلاف فارس واتفق رأيهم على أن يهجموا إلى حى بنى كلاب ويقتلوا جندبه ويجعلوا كاسر مكانه (قال الراوى) فساروا الكل طالبين جندبه فاتفق لهم أنهم صادفوا حمل الخليفه فى طريقهم فأخذوه بعد أن قتلوا بعض رجاله وأسروا البعض إلا أن الله تعالى قابلهم على فعالهم وأخذهم بذنوبهم اللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا لأنهم وصلوا إلى حى بنى كلاب وجندبه وأصحابه فى الصيد والقنص كما ذكرنا فقتلوا ونهبوا وسفكوا الدماء والتقاهم جندبه وأصحابه وهم راجعين من الصيد والقنص هو وفرسانه كما ذكرنا وقاتلهم القتال الشديد واستخلص حمل الخليفه وما معهم من الأموال والرجال ورجع جندبه إلى الحى والأبطال والفرسان من حوله وهو مؤيد منصور والنساء والاطفال يدعون له بطول البقاء ومرادهم لو جعلوه بين جفونهم إلى أن وصلوا الحى ثم جددوا الأفراح والسرور وقد زالت عنهم الاحزان والغبون ثم أن جندبه أحضر الرجال الذين كان قد أسرهم كاسر فرأى زيهم غريب فسألهم عن حالهم وعن أنسابهم فقالوا أيها الامير والسيد الخطير نحن من أصحاب عبد الملك بن مروان وكنا قد خرجنا إلى البلاد وأخذنا معنا الخراج وعدنا طالبين دمشق فوجدنا هؤلاء فى الطريق فأخذوا منا الاموال وقتلوا منا جماعة من الرجال وأخذونا أسارى والصناديق التى أخذوها كانت معنا وهى فيها ستين ألف مثقال ذهب سوى

الجواهر والتحف واليواقيت (قال الراوى) فلما سمع الامير جندبه ذلك الكلام فتح الصناديق وأخرج منها الاموال وأراد أن يفرقها على الرجال فأشارت عليه المشايخ وقالوا له يا أمير أنت تعرف أننا نحبك وما نشير عليك إلا بالحق والخير والرأى عندنا أن تأخذ هذه الاموال وتسير بها إلى دمشق وتشهد لك هؤلاء الرجال أنك الذى قد خلصتها من الاعداء بعد أن أخذوها وملكوها فاذا سمع الخليفه ذلك يقلع الاماره من بنى سليم ويجعلها فى بنى كلاب ولاسيما وأنت الجحجاح والبطل الوقاح (قال الراوى) فلما سمع جندبه ذلك من وجوه عشيرته قال لهم والله لقد أشرتم بالصواب والامر الذى لا يعاب ثم أنه أخذ الصناديق والاموال وأخذ معه الرجال وسار هو وزوجته قتالة الشجعان فى صحبته ومعهم من الفرسان جماعة إلى أن وصلوا الى دمشق فاستأذنوا عليهم ودخلوا على عبدالملك بن مروان وزوجته معه بصحبته وكان الخبر قد وصل إلى الخليفه بأخذ الاموال فقلق لذلك قلقاً عظيما إلى أن وصل اليه الخبر أن الامير جندبه بن الحارث قد خلصها فجلس يرتقب الاخبار ويتطلع الى الآثار إلى أن قدم جندبة عليه ووصل اليه بالأموال ففرح بذاك فرحاً شديدا وسأل جندبه عن حاله وبما جرى له فأخبره بالحال وسلم اليه الأموال وبقى منتظر الإحسان من الخلع والنوال (قال محمد بن هشام رحمة الله عليه) وكان لعبد الملك بن مروان ولد يقال له هشام وكان يميل الى الصور الحسنة من النساء الملاح فنظر الى زوجة جندبة التى هى قتالة الشجعان فاشتغل قلبه بها وطار عقله ولبه وعظم به الهوى وأحاط به الجوى فدخل عليه أبوه عبدالملك بن مروان فى بعض الأيام فرآه مصفر اللون مضطرب الكون فقال له ياولدى ما الذى دهاك وبشره رماك فقال ياأبى لقد هام قلبي بامرأة هذا البدوى ولم أطق الصبر عنها ساعة واحدة إذا لم أصل اليها مت كمدا لأنها سلبت روحى فقال له أبوه والله ياولدى إن هذا عقل فاسد لأن هذا رجل غريب وقد عمل معنا خير وجميل وخلص مالنا ورجالنا وبعد ذلك نكسر حرمته ونأخذ زوجته فقال له هشام يأخذ هو الأموال الذى جاء بها ويعطيني زوجته وان كان مايفعل ذلك وإلا أخذتها منه غصبا فصاح عليه أبوه واغتاظ من كلامه وخرج من عنده مغضبا (قال الراوى) وهشام قد عظمت بلواه وتزايد جواه حيث يأخذ أبوه بيده ويوصله إلى مناه فأقبل على جماعة من أصحابه وأخذ منهم مائة فارس وأرضاهم بالمال وخلع عليهم الخلع الغوال وقال لهم إنى أريد منكم إذا خرج هذا جندبه وطلب الرجوع الى بلاده تتبعونه وتكمنون له فى الطريق وتحيلون بينه وبين زوجته وتأخذوها منه وتقطعوه بالسيوف فأجابوه الى ذلك وقالوا

له هذا الشيء والأمر فى أى وقت طلبته فعلناه ولكن أرسل اليها من خلف زوجها فان أجابت كان بها وإلا فنحن نفعل ذلك وقت ماتريد فقال لهم هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب (قال الراوى) ثم انه ادعى بدايته التى ربته وأعاد عليها ماهو فيه من العشق والغرام ثم أعطاها تحف عظيمة وأموال جسيمة وقال لها اذهبي لزوجة هذا البدوى الذى جلب لنا الأموال وقولى لها ان ابن أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان يطلبك لنفسه وهو أحب اليك من هذا البدوى الذى لا له قدر ولاقيمة ولا له شغل إلا قتل الرجال ونهب الأموال (قال الراوى) فسارت الدايه اليها ومعها تلك التحف والأموال ثم أعلمتها بجلية الحال وذكرت لها ما قاله ابن الملك من ذلك المقال فلما سمعت قتالة الشجعان ذاك المقال اغتاظت غيظا شديداً وقد تغير لونها وقالت لها ياعجوز النحس إن علم زوجى بهذا الأمر فهو يهلك هشام لأنه لاينظر فى العواقب فقالت لها الدايه والله ان ابن أمير المؤمنين خير لك ممن يمشى على وجه الأرض فقالت والله لا كان ذلك أبداً ولو سقيت كاس الردى (ياساده) فبينماهم فى الكلام واذا بجندبه دخل عليهم فأعلمته زوجته بالمقال وقد أطلعته على جلية الحال فقام عرق الغضب بين عينيه ثم ضربها بعامود حديد خلط عظمها فى بعضه البعض وأمر بعض غلمانه أن يرموها الى ظاهر البلد فرموها ورجعوا (قال الراوى) وان هشام استبطأها وقد أيس منها فاجتمع ببعض غلمانه وندمائه وقد أطلعهم على ماجرى له من إرسال الدايه وقال ما أظن إلا انها قتلت فاتفق رأيهم على انهم يأخذوها بغير اختيارها اذا عاد جندبه طالب دياره (قال نجد) وكان جندبه أقام بعد ذاك خمسة أيام والاقامة تنبه فى كل يوم ولم يجرى له حديث فى الاماره فقال لمن معه لقد خسرنا فى هذه التجارة ولوكنا أخذنا الأموال وقعدنا فى ديارنا كان خيرا لنا ثم أقام ذلك اليوم ومن الغد دخل على الخليفة وأخذ منه الاذن فى أمر الرحيل فأذن له بذلك وأعطاه شيء كثير من المال والخلع الحسان وخلع على كل من معه من الرجال وأمرهم بالمسير بعد أن شكرهم وأكرمهم الاكرام الكثير وبعد ذلك خرج جندبه وأصحابه وساروا من دمشق طالبين أرض بنوكلاب إلاانه (ياساده) ماسارمن دمشق إلاقدر ميل أوفرسخ طويل ولم يشعروا إلاوقدخرج عليهم كمين وهوقدرخمسمائة فارس وهشام فى مقدمتهم وقد حمل على جندبه برجاله ولما رأى جندبه الى تلك الخيل حمل عليهم حملة الأسد فقتل منهم ثلاثين فارسا وبعد ذلك تكاثروا عليه وحجبوا بينه وبين قتالة الشجعان وكان قد قصدها أكثر من ذلك وتكاثروا عليها وأخذوها وهى فى الهودج وجندبه

مشغول عنهم بالقتال وهو لايعلم بذلك الحال ولما ملكوها الأبطال ساروا بها نحو الشام والقتال عمال ولما علموا باقى الفرسان أن أصحابهم قد ملكوا الهودج وساروا به ردوا على أعقابهم راجعين فرجع جندبة عنهم ولما هدىء من القتال وراق باله افتقد جندبه أبطاله فما رأى فقد منهم إلا خمسة أبطال وسأل عن زوجته فلم يجد لها آثار وقالوا لاعلم لنا بها فحار فى أمره وذهب عقله ولبه وصار يفتش عليها فى القتلى فقال له بعض الجرحى : على من تفتش ياأمير وما تطلب من التدوير فقال له أطلب زوجتى فقال له نحن ماجئنا إلا فى طلبها وقد أخذها ابن أمير المؤمنين وطلب بها دمشق الشام ثم انه حكى له على الأمر والأحوال فلما سمع منه ذلك المقال سحب الحسام وأراد أن يقطع الطريق على القوافل والسفار من جميع الجهات والأقطار ويرجع فى طلب زوجته ويهجم على دار الخلافة ويخلصها من دمشق الشام ويقتل ابن الملك فمنعوه من ذلك أكابر القوم وقالوا له ماهذا صواب واعلم ياأمير أن يد الخلافة لاتطاولها يد ولا تعاند ولكن نحن نعطيك غيرها من بنى عمنا وتكون أخير منها لأن البنات كتير فقال لهم لابد أن أفعل أمراً مع الخليفة وولده ولوكان فى غير هذه الأيام ثم ان جندبة سار وقد استوحش لزوجته وصار يبكى عليها الليل والنهار ولما زاد به الغرام أنشد يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

أسير وفى قلبي من الوجد لوعة	ودمعى جرى من مقلتى فوق وجنتى
على زوجة كانت على عزيزة	وما مثلها ألقى مدى الدهر زوجة
قتالة الشجعان كانت شجيعة	وافتردت بين النسا بالشجاعة
وكانت من الحسن البديع بجانب	تفوق ملاح العصر من حسن طلعة
تألفها قلبى وروحى وخاطرى	وحبتنى أيضا كمثل محبتى
وقد وافقتنى فى الأمور جميعها	وفى ملتقى الأبطال كانت كهمتى
أيا سفرة كانت على مشومة	أشاروا بها أعيان أهل مشيرتى
كسبت من المال الجزيل غنيمة	ومن بعدها يسبون أيضا لزوجتى
وسرت بها للشام طالب رغبة	وكانت حمولا كلها للخليفة
فلو كنت مارديتها كنت سالما	من العيب أيضا ثم تسلم زوجتى
فعلنا جميلا عاملونا بضده	وخانوا عهود الله أهل الأمانة
هشاماً فعل فعلا قبيحاً وخاننى	بلاه إله العالمين بنكبة
ورمت بأن أعصى وآخذ تارها	وأنهب مالا سائراً للخليفة

نهانى بنى عمى وأهل مودتى ولست لها أنسى ليوم القيامة
أيا ندمى من سفرتى عدت خائبا وكانت علىّ سفرة بئس سفرة
وصلى إله العرش ربى دائما على المصطفى المبعوث للخلق رحمة

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره توجهوا اليه قومه وبنو عمه وقالوا له لو كان غريمك دون هذا الغريم كنا فديناك ومن حربه كفيناك لكن يد الخلافة لا تطاولها يد ولم يزالوا سائرين إلى نصف الطريق فوجد الامير جندبه جماعة معهم مال كثير محمول إلى الخليفة عبد الملك بن مروان وقد أتى اليه من بعض الجهات فتعرض لهم جندبه فمانعوه القوم الذين مع المال فقتلهم وأخذ المال منهم وسار ولم يزل سائر الى أن وصل الى حى بنى كلاب وهو مهموم مغموم من أجل زوجته قتالة الشجعان فجاءوا اليه أهل الحى ليسلموا عليه فرأوه محزون لاتنشف له دمعة ولا تبرد له لوعة فأقبل عليه رجل من أهل الحى وكان شيخ كبيرمن أمراء الحى وكان اسمه الأمير عامر وقال له ياولدى لاتتأسف على ما مضى ولا تبكى على مافات فان الدهر كثير الآفات واعلم أن لى بنت اسمها (حسنا) وهى أبهى من البدر ليلة كماله وأسنى وأزهى ذات جمال وبهاء وقد واعتدال وقد خطبوها منى أمراء العرب فأبيت أن أزوجها لأحد منهم وهى هبة منى إليك فقبلها منه الأمير جندبة عند ذلك ودفع اليه مهرها شيئا كثيرا من المال والملبوس والنزق والجمال والخيل وغير ذلك فجهزها له فى خمسة أيام ودخل عليها فى اليوم السادس فرآها درة ماثقبت ومطية لسواه ماركبت فأزال بكارتها وتملا بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فجاءت على خاطره ومزاجه وسلا بها عن قتالة الشجعان (قال نجد) فهذا ما كان من جندبه. وأما ما كان من أمر هشام بن الخليفة فانه لما أخذ قتالة الشجعان أقام معها مقدار شهرين وهو يراودها عن نفسها وهى تمانعه وتأبى ذلك وكلما تقرب اليها نفرت منه وكلما تبسم فى وجهها عبست وقطبت وأخذت تسبه وتشتمه وتنهره ولا تدنو منه ولاتقربه فاغتاظ منها غيظا عظيما ولما طال عليه الأمر وخاف من انحطاط قدره بين البشر إذا شاع عنه ذلك الخبر اغتاظ منها وقتلها ولفها فى ثيابها وأخرجها فى دهليز القصر وأمر الجوار أن يدفنوها فى الليل (قال نجد) فهذا ما كان من قتالة الشجعان وما جرى لها. وأما ما كان من الأمير جندبه فانه فى كل يوم ما زال يزداد قوة وكرم وقد زادت همته وقد أطاعته جميع العربان وأتت الى خدمته من كل مكان واستخدم الشجعان وعظم شأنه وسلطانه وقوى سلطانه وزاد وقاره وصار مقدماً على بنى كلاب والحاكم على سائر الأبطال (قال

الراوى) وكان مروان بن الهيتم له الامارة على بنى سليم وكان ملك عظيم وجواد كريم له نظر صايب وكان مع ذلك الملك هذا لم يكن صاحب شجاعة بين قومه وكان جندبة أفرس منه فى حومة الميدان ومقارعة الأبطال (قال الراوى نجد بن هشام) وكان حديث مزنة أمر عجيب وحديث مطرب غريب نحب نذكره على الترتيب بعد الصلاة على سيدنا محمد الحبيب الشفيع الذى من صلى عليه لايخيب وذلك أن مزنة هذه كانت تسوى من المال عشر بدر ولم يكن فى ذلك الزمان فى خيول العربان أجود منها ولا أسرع ولا عاين أحد شكلها وكان الريح من جريانها والرعد من صهيلها والصباح من غرتها فهى يحوز الوصف والسواد الحالك من عينيها والشمس تشرق من بياض نواصيها كأنها القضاء المنزل أو الريح المرسل سليمة من العيوب محبوبة للقلوب فهى كما قال فيها عامر بن يعقوب حيث يقول :

كان وميض البرق من وثباتها — إذا لججت فى لجةالبيض والسمر
فراكبها فى العز والعز راكب — يحول الأقران بالهندية والسمر
حوت مثل جرى الريح حتى كأنها — كريح النبى سليمان بلا نكر
لقد فضلت فى الخيل حقا كمثلها — على ألف شهر فضلت ليلة القدر

(قال نجد بن هشام) وكان الأمير جندبة قد شغف بحبها شغفا شديد وكان كثير الحرص عليها وقد أقام الحرس خوفا من السلالين وفزعا من العبارين والطراق وقد شاعت بحديثها الركبان والسفار وتحدثوا بها القوافل والرفاق ووصفوا فى وصفها جميع الخلائق وكان جندبة أوحد أهل زمانه وفريد عصره وأوانه وكانت حجرته فريدة فى الخيل فما بقى فى العرب شاعر إلا وصفها فى شعره ونظمه ولا صاحب إلا وذكرها (قال نجد بن هشام) ووصل خبرها إلى بنى طى وأميرها وملكها والحاكم عليها وكان اسمه الغطريف ابن مالك الطائى فهام قلبه بها وطار نومه من أجلها شوقا اليها وحسرة عليها وبقى من حبه حيران ولهان لا يدرى كيف يصنع قال فبذل من أجلها المال الجزيل الذى ليس بقليل من الابل والخيل والغنم والعبيدوالدنانير والنعم الكثيرة لكل سارق وشاطر حاذق ومابقى سلال وخاطر فى طلبها طمعا فى الأموال والانعام فلم يظفر أحد منهم الا بالتعب والعنا (قال نجد) ولما ضاقت على ملك بنى طى حيلته وازدادت بلته بعدبذل الاموال بذلفيها نصب مملكته ونعمته فهلك كثيرمن الناس بسببها وبعدذلك انقطع عن طلبها طمع الطامع فلما أعياه ذلك الأمر بذل ابنته سلماوكانت فريدة عصرها وجوهرة دهرها وقد حمل الى ابيها الأموال من جميع الملوك وهو يأبى أن

يزوجها فلما هام قلبه بمزنة هانت عليه ابنته سلما وقال بذات الكريمة فى الكريمه ثم نادى يامعاشر الأصحاب والخلان من كان فى ابنتى راغب وفى كريمتى طالب فقدجعلت مزنة فرس جندبة ابن الحارث صداقها وأضيف إلى ابنتى خمسمائة ثوب من الديباج مختلفة الألوان بعشرة أحمال من التحف الغوال مع المضارب والخيام والخيل والجنايب المسومات وأنا أقسم بمن بسط الأرض ورفع السماء لا كنت بما وعدت كاذب ولا أخاف عتب عاتب وأكون كما قيل فى الأمثال وللناس فيما يعشقون مذاهب (قال الراوى) فلما سمعت العرب مقاله طمعت فى أمواله وثارت رجاله وهمهمت أبطاله وزمجرت أقياله (قال نجد) وكان فى بنى طى رجل يقال له جفال ويلقب بالمحتال وكان شنيع الخلقة وكان لايطمع فى سلما بالوصال ولا يعد لها من الاشكال فلما بذل الغطريف ما بذل أيقن جفال ببلوغ الآمال فنهض جفال على عجل وقال ماتصلح سلما إلا لى ثم ركب ناقته وودع أهله وعشيرته وصار يقطع الفيافى والنفار وهو ينشد ويقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

خليلى إنى ذاهب غير ذاهب ... وفى قلبى نار من فراق الحبايب
وانى مشغوف بسلمى متيما ... وملق على فرش الضنا والنحائب
وإنى ذو عقل ومال ومورد ... وصبر اذا اشتدت على المصائب
وماابنةالغطريف عندى رخيصة ... سأبذل نفسى دونها فى الكتائب

(قال الراوى) وبلغ سلما أن جفال جد فى طلب مزنة طمعا فى طلبها ففزعت وقالت لا بلغ الله آماله فى مزنة ويزيد همه وغمه ولا بلغ الله أبى آمال لأنه يريد أن يعطينى لهذا الشيطان الفاجر المحتال الذى انسلخ فى صورة انسان بشوارب مريعة وريحة كريهه وأنف أعوج وفك أفلح لقدكنت لغيره أحوج وأنا أقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين لان وصل جفال بالحجرة لأقتلن روحى قبل أن أدخل عليه ثم انها بكت وتحسرت وجعلت تقول ونحن نصلى على سيدنا محمد الحبيب الذى من صلى عليه ما يخيب :

أرى الغطريف مال عن الصواب ... ويطمع فى خيول بنى كلاب
ومن عظم المصائب والبلايا ... تزف حمامة نحو الغراب
لئن تم الذى قد قال يوما ... فنوحوا حسرة وابكوا شبابى

(قال الراوى) وسرا جفال حتى وصلوا إلى ديار بنى كلاب فوجد أربعين خشبه عليها أربعين سلال وهم مصلوبين فسأل بعض العبيد عن ذلك الحال فقال له ما فى هؤلاء

أحد إلا وهو سلال وقد جاء فى طلب مزنة فوقع فى هذه المحنه فلما سمع جفال من العبد ذلك المقال علم أن الطلب إلى مزنه بعيد والوصول اليها صعب شديد ثم انه قال من لم يخاطر بالأرواح ما ينال من سلما الوصال ولو راحت روحى لأن سلما وأنا أخاطر مثل الحور العين (قال الراوى) وكان جفال طويل الشيبه مليح الهيبه فلبس مسح أسود وكشف رأسه وكان له شعر طويل مثل أذناب الخيل ووجه أسود مثل سواد الليل ثم إنه قوس ظهره وأرخى ذقنه وأسبل شعره على أكتافه ونفش لحيته وأرخاها على صدره ودخل الحى وهو ينشد ويقول ونحن نصلى على سيدنا محمد الحبيب الرسول

أين العشائر والبقائل	أين أصحاب المحافل
أين السلاطين الكبار	هلكوا فما تبعتهم المنازل
ملكوا وما ملك المنازل	وتغيرت تلك الهواكل
شربوا الحمام وأعدموا	تلك المشارب والمآكل
يا غافلين عن الفنا	ليس الفنا عنكم بغافل
فاستيقظوا من قبل يوم	تكون فيه النوازل
لم ينج من نار الجحيم	سوى فتى لله عامل

(قال نجد) وكان له صوت جهير فأهاج الاخوان وأبكى الرجال والنسوان والشيوخ والشبان ولم يبق أحد إلا ومضى نحوه وترامى عليه وقبل رجله ويداه ثم انهم قدموا له الزاد فامتنع من أكل الطعام وعدل نحو الفلاه ونظروا إلى طول شعره وخشونة بدنه وكبر آذانه فقالوا هذا من أوتاد الأرض المستوحشين مع الوحوش السائحين فى طاعة رب العالمين وكلما عف عنهم وهرب منهم ازدادوا فيه رغبه وقصده جندبة ولما سمع صوته الشجى وقد سمعه وهو يقول هذا الكلام ويرد عليهم بزخاريف الأخبار فبكى عند ذلك الأمير جندبه من وعظه وحسن لفظه فجعل يتبرك به ويسأله الدعاء فلما رأت بنى كلاب ذلك سألوا الامير جندبه أن يسأله لعله يبات فى خيامهم ويأكل من طعامهم فسعى جندبة اليه راجعاً وهو راجلا ونادى وهو يحسن ظنه فيه متوسلا به وقال له أيها العبد الصالح الساعى فى المصالح أقسمت عليك بمن نزع من قلبك حب الدنيا وألهمك بذكر الله وأشغلك بالعبادة والتقوى إلا أن تبيت فى هذه الليلة عندنا وتأكل طعامنا لتعود بركتك علينا ولعل الله أن يكفينا شر أنفسنا وسيآت أعمالنا ويلهمنا التردد لآخرتنا لقد بلغ كلامك فى عقلى وودت أن أترك حب الدنيا من

قلبى وأبكى على ما مضى من ذنبى فقال جفال لقد أقسمت على بقسم عظيم سوف أبيت فى خيامكم إلا على شرط أن لا آكل إلا مما تنبت الأرض فى رؤوس الجبال وبطون الأودية والتلال خوفا من مناقشة الحساب وشده العذاب فقال جندبة يا سيدى نحن بحكمك ولك الخير والكرامة والله يجمع بيننا وبينك يوم القيامه وقد انتشبت مخاليب الاحتيال وأقبل على الأمير جندبة يعظه ويخوفه وهو يبكى وينتحب ثم أقبل عليه وقال له أيها الشيخ أنا أسهر الليل من خوفى على حجرتى لقد طمعت فيها ملوك العربان وقصدتها السلاطين من كل مكان فادع الله تعالى أن يحفظ هذه الحجرة فما حفظه الله فهو المحفوظ وبعين عنايته ملحوظ فقال جفال وأين أنت من اسم الله الأعظم الذى لا يحتاج معه إلى أقفال لكن أريدك أن ترنى هذه الحجرة فانى أضع عليها يدى المباركة وأدعو بالاسم الأعظم فى أذنها وأسأل الله تعالى فى حفظها فيبقى بينها وبين من يريد أخذها سد بولاد ما يحتاج معه إلى قيود ولا أقفال ففرح جندبه بمقاله وحمله إلى خيمته وجفال قد أضمر الغدر بمن أحسن فيه ظنه وهو يطلب منه غفله يسرق منه مزنه وجعل يرتقب الليل وهو قائم على قدميه ولم يزل على ذلك الحال ثلاثة أيام لم يذق فيها منام ولا طعام ولا يمل من القيام والقعود فقال جندبه والله لمثل هذا فليعمل العاملون لقد ضاع زمانى فى محبة مزنه وحفظها فلو أعطيت نفسى من أمورها كان أصلح لى ولها وكانت الليلة الرابعه جعل جفال يبكى فى صلاته ويظهر الخشوع فى دعواته قال فسأله الأمير جندبه عن أحواله مما رأى من توجعه وبلباله فقال له جفال أكتم أمرى أيها الأمير لأنى رأيت البشير النذير فى المنام وهو يقول لى فى ليلة غد تفارق الدنيا وتصل إلى عند المولى وقد بكيت لهذا التأخير إلى ليلة غد إلا أن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاه وأسعده فى قبره وما أشقاه (قال الراوى) فلما سمع الأمير جندبة هذا المقال بكى بكاء شديدا وتعلق به وقال له أيها السيد ادعو لى ولحجرتى مزنه من كل طارق وسارق (قال نجد) فجعل جفال يدعو له إلى نصف الليل فغلب على الأمير جندبه النوم فقام إلى محل منامه وكان قريب من محل جفال وانضجع ونام فى محله وكان مفتاح قيد مزنه فى دكة لباسه لا يأمن عليه أحدا من رجاله وأناسه والقضا المدبر عليه يضحك ولم يعلم بما دار الفلك به فانه قد انطلا عليه مقال جفال وقد كثر عنده الخشوع والآلام فنام وعلا غطيطه فوثب جفال مثل الأسد الريبال وقام إلى الشمعة فطفاها ثم انه أدخل يده تحت أذيال جندبة وحل المفتاح من دكة لباسه وقد احتوى عليه وخرج من باب المضرب فوجد مزنه فى قيدها تلعب وغرتها

تلوح مثل كوكب الصباح وعندها عشرة عبيد نيام والسيوف إلى أجنابهم وقد أمنوا من جهة سيدهم واشتغاله بالعابد الزاهد الذى قدأحسن الظن فيه وقربه إليه وإن جفال قدفتح الأقفال وعزم أن يعلو علىظهر مزنه لحدثته نفسه بأمور شتى لم تكن فى الحساب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه فزع من العبيد أن ينتبهوا ويقع به الصياح وهو بين المضارب وتلك الخيام فربط مزنه فى أطناب الخيام وأخرج خنجرا يمانى من عمل تبع بن جعفر كأنه القضاء المنزل الذى لا مرد له ولا مدفع كيف ما مال قطع قد سقى بأنواع الموت وسن على مسن اطلاق الفوت فذبح العشرة أسرع من طرفة عين وأراد أن يركب مزنه فوقف وقال قد قتلت الجثة بقى رأسها وإذا كان جندبه فى الاحيا طيب فلا بد له من طلبى ولا آمن من عطبى ثم دخل المضرب وقد خلت الرحمة من قلبه ومخافة الله عز وجل من سره ولبه ثم انه جلس على رأسه وأراد أن يوضع الخنجر على نحره وهم أن يذبحه كما فعل بالعبيد إذ سمع معه فى الخيمة كلام وقائل يقول له اصبر ولا تعجل ففى طلبك أتيت والحمد لله الذى جمعنى وإياك فى هذا البيت (قال نجد) وكان السبب فى ذلك عجوزه تسمى غالبه ابنة عطارد وكان الأمير جندبه يناديها يا أماه وكانت طاعنة فى السن وهى صوامه قوامه وكانت لا تدخل على ولدها إلا فى كل سنة مرة واحدة وبقية السنة فى محرابها راكعة ساجدة ولربها شاكرة (يا سادة) فلما سمعت أن عند الأمير جندبه عابد زاهد وان له ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب وانه يصبر على ذلك ثلاثين يوما فقالت فى نفسها هذا من الابدال ثم انها نادت لبعض امائها وقالت لها خذى بيدى إلى الخيمة الذى فيها ولدى فقد انفرد بهذا العابد عن نسائه وأولاده وأصحابه وهـذا هو الرأى السديد والأمر الرشيد أخذ الله بيد ولدى إلى ما يحب ويريد قال فوصلت بها الاماء إلى المضرب لان العبيد على بابها ولـكن اقلعى بعض أطناب المضرب لأنى أريد أن لا ينظرونى العبيد فنعين إيزار المضرب أنا وإياكى عسى هـذا العبد الصالح أن يدعو لولدى بالتوبة النصوح وأن يرزقنى المسامحة يوم القيامة إذا اشتدت الفضيحة فقالت الأمه انى أرى الخيمة مظلمة وما هى عادة هذا العابد فى عبادته حتى انه يخفى عن أعين الناس فلما دخلت الخيمة أحست بالزاهـد فى حركته فظنت أنه فى عبادته فقالت أيها العبد الصالح المطيع لربه السميع العليم ادعو لمن طال عمرها وكثر ذنبها وطال أملها وقصر عملها أن يغفر الله لها وادعو لولدى هذا النائم فانه بحق قائم وللطاعة ملازم وهو يقرى الضيفان ويكسى العريان ويعطى الفقير ويجير المستجير ويحسن الظن بكل مطيع للملك القدير ويفك

الأسير ويجود بالكثير فعند ذلك قال جفال وكيف لاأدعو له وهذه الصفات صفاته فسوف أدعو لكى ولولدك بطول العمر والبقاء اذهبي بارك الله فيكى فلم تقدر تخالفه لعظم هيبته فانصرفت وهى فرحانة بدعوته (قال الراوى نجد بن هشام) هذا وجفال قد عزم على ذبح جندبه وإذا به قد سمع وقع حوافر مزنه على باب الخيمة نخاف من فوات مراده نخرج على باب المضرب ليعلم الخبر فلم يجد لمزنه خبر (قال نجد) وكان السبب فى ذلك أنه كان بأرض الشام رجل أمير يقال له صالح بن معن وكان فارسا لا يطاق علقم مر المذاق وهو صبح الوجه كريم اليد طيب الأخلاق كثير الرجال والأموال سريع إجابة السؤال وكان يحكم من القرتين إلى الرستيين إلى حماه وكان يغزى إلى بلاد الروم محبة فى الجهاد وطاعة لرب العباد وكان مشغوفا بحب الخيل لأن العز مقرونا بنواصى الخيل وكانت تجلب اليه من سائر البلاد وهو يبالغ فى أثمانها ولو بلغت أوزانها رغبة فى الجهاد على ظهورها واتصل اليه أخبار مزنه حجرة الأمير جندبه فطاش عقله بوصفها وقال لو باعنى إياها بوزنها ذهبا لوزنت ذلك فقال له المخبران صاحبها مقدم على عدد كثير من الأبطال والاقران وله أموال تسد الفضاء والفيعان ولا سبيل له إلى البيع فيها لأنه بنفسه وماله يفديها وقد صلب بسببها أربعين سلال واقتنص على ظهرها الأبطال وهى روحه الذى بين جنبيه وما يحلف إلا بها فلما سمع الامير صالح بذكرها ضاقت عليه الدنيا بما رحبت وتمنى أن الرجل لم يخبره بها فوثب اليه عبد يقال فاتك وكان مثل اسمه يحاكى الليل فى سواده وإذا جرى يسبق الخيل فقال له أيها الامير إذا عز المطلوب ابذل المحبوب وإذا بذلت ما أريد جئتك لما له تريد فقال له ويحك اطلب ماشئت فانى أعطيك ماهويت فقال له اعطينى ابنتك سعدى فانى أهيم بها وجدا وعندى منها مرض لايهدا وكانت سعدى ذات حسن وجمال وبهاء وكمال أعذب من الزلال ومن فرط الامير صالح بمحبته إلى مزنه حجرة الامير جندبة حلف يمين غير كاذب أنه اذا أتاه بالحجرة حباه بابنتـه وأضاف اليها شىء كثير من نعمته فسار فاتك يطلب تلك البلاد وقد منع من جفنيه لذيذ الرقاد وأزعج البر بالانشاد وقد هيجه الغرام فأشار وجعل يقول :

لقد هام الفؤاد بحب سعدى ... فكيف أقر من قلقى وأهدا
ولى شوق إلى سعدى قديما ... وقلبى قد علا شوقا ووجدا
إذا هب النسيم على فؤادى ... وأذكرها وجدت النار بردا
إذا أمسى المسا فأقول انى ... أرى الأيام تجمعنى بسعدى

وأحظى بالذى أرجوه حقا   وأبلغ مقصدى وأنال رشدا
وأبذل اجتهادى فى هواها   وآخـــذ مزنه وأنال قصدا
وأزداد المفاخر والمعـالى   إذا الرحمن أسـعدنى بسعدى
وأسأل ذا الجلال وذا العطايا   يسهل ما أريد مزيد رفدا
وأقضى ما حييت الدهر شكرا   لخلاق الورى وأدوم عبـدا
وأظفر بالمنى من ابن معن   إذا ما أنجز المـأمول وعدا
وان أصلب ولم أبلغ مرادى   فذاك يهون فى حبى لسعدى

(قال نجد بن هشام) وجد العبد فاتك فى سيره ليله ونهاره حتى دخل إلى حى بنى كلاب وهو فى زى طنجير من طناجير العرب وكحل عينيه وحلق ذقنه ولبس ثوب من ثياب النسا عريض الاكمام وكان أسمر اللون مليح الكون دقيق الخصر كأنه من بعض الأناث لافرق بينه وبين النساء وعرف موضع الأمير جندبة نهارا وكرر نظره فى مزنه مرارا فلما انسدل الليل بالاعتكار وملا بسواده الاقطار وصبر فاتك الى أن نام كل يقظان وهجعت الرجال والنسوان وخمدت النيران قصد الى المضرب لينال من مزنه مايريد وكان وصوله فى الوقت الذى ذبح جفال فيه العبيد ودخل ليذبح جندبه فوجد فاتك الأمر قد تهيأ فعند ذلك دخل الى المضرب واستوى على ظهر مزنة (قال الراوى) وسار فاتك وجد فى سيره كما ذكرنا وخرج جفال فوجد الحجرة قد عدمت كما وصفنا فعلم أنه قد عدم التوفيق وقصده زحل فى الطريق فقـال ان هربت طلبت وان قعـدت طلبت ومالى إلى أقتل جندبه ليشتغل به أهل الحى عنى من الطلب وآخذ أنا فى العرب ولعلى أقتفى أثر مزنه ولو بلغت الى الارض السابعة السفلى ولما عزم على قتله فانتبه الأمير جندبه من رقدته فوجد الشمعة مطفيه فأحس قلبه بالبلية وافتقد المفتاح فى وسطه فلم يجده فصاح صيحة عظيمة ونادى بالعبيد فلم يجبه أحد فوثب وثبة الاسد وقصد إلى المضرب وطلب فاتك فلم يجده فعـلم أن الحيله قد تمت عليه والبليه قـد وصلت اليه فنادى بالعابد فلم يجبه أحد فنادى بغلمانه فلم يجبه أحد فأحس قلبه بالبلا فقال لاحول ولاقوة إلا بالله ولمـا صاح جندبه وسمعه جفال فطلب الى نفسـه النجاة وركب على بعض جنائب جندبه وخرج هاربا وسار فى الفلاة (قال الراوى) وأما جندبه فانه لما نظر الى عبيده مقتولين ضاقت عليه الأرض بما رحبت وطلب موضع مزنة فما رأى لها خبر ولا وقع لها على أثر فتحير الأمير جندبه من هذا الامر وصاح وحثا التراب على رأسه ونادى يا آل كلاب فثار والرجال من كل مكان وأجابوه من كل جانب وهم على

الخيول والجنائب وهم مثل السلاهب فأعلمهم بما يجرى على مزنه فما فيهم أحد الا وصعب عليه ما جرى على الامير جندبه وتفرقوا فى جميع الطرق وفى سائر المسالك وأما جندبه فانه أخذ جماعه منهم وسار على غير طريق إلى أن انتصف النهار ولم وجد أحد وتم الى الظهر وأما جفال لما خرج من الخيام وهو مسلوب الفؤاد حيث أنه لم بلغ مراد ومن تمام القضا فانه سار على طريق العدو لأنه على ذلك علم أن بعض سلاطين الشام أخذها وكان جفال قد تبع آثار مزنة فسار فى طلبها وطمع فى أخذها لانه كان شجاع وبطلا مناع فسار ذلك اليوم الى ان انتهى إلى أرض مزهرة الجنبات مخضرة الربوات فنزل هنالك جفال وهو لم ينظر إلى أحد يسأله عن ذلك الحال وفى ذلك الوقت وصل فاتك وقد أمن على نفسه وعلى مزنة من المهالك واطمأن على مزنة من كل آفه ومحنة وأطلقها فى تلك الأرض ترعى فلما نظر جفال الى ذلك ركب على جواده وصاح على فاتك وقال له ياولد الزنا وتربية الخنا هيهات أن تفترس السباع وتأكل الضباع خل عن خيول الأعراب وانج سالم من العذاب فان مزنة مهر سلما فابعد عنها رغما فقال له فاتك وقد ثار وعيناه مثل النار كذبت يانذل العرب هيهات ان هى الا مهر من هى أحسن واسما من معشوقتك سلما (قال الراوى) ثم انهما حملا على بعضهما بعض واعتركا ساعة زمانية على وجه الارض وسبق فاتك بضربة بخنجره فى صدر جفال وكان الفال موكل بالمنطق لان جفال كذب على النبى صلى الله عليه وسلم فرد الله تعالى قوله على نفسه صحيح وأخذ فاتك مزنة والجواد بعد قتل جفال وسار يقطع البرارى والقفار وهو ينشد الاشعار الا أنه لما فرغ من نظامه والاشعار الا وغبار قد ثار حتى سد الاقطار وضربه الهوى فتقطع وبان ماكان خافيا وتأمله الناظر تأملا شافيا واذا برجال اليه قاصدين وهم طلبه واردين والامير جندبه فى أوائلهم وهو يصيح ياجامع الشتات يامحيى الاموات أعنى على الامور والمشكلات (قال الراوى) فلما سمعت مزنه صهيل الخيل من ورائها ضربت الأرض بحوافرها وجذبت عنانها من يد فاتك فألقته على وجه الارض وأوسعت فى البريه.

فلما رأى جندبه إلى ذلك علم أن الخيل ماتلحق لها غبار فأشار على قومه ألا يتبعها منهم أحد وكانت به ألوف لانه رباها وأكرمها وكان فى أكثر الاوقات يستدعيها فتأتى بسرعة فلما سمعت صوته صهلت ومالت اليه كما يميل الطفل الى ثدى أمه وجاءت اليه كأنها السهم المرسل أو القضاء المنزل ووقفت بين يديه وجعلت تمرغ وجهها على قدميه وهو يقبل غرتها ويمسح بيده على ناصيتها وقد أخذوا فاتك أسير وقد رأى

جندبة الى الزاهد وهو فى دمه عفير فسأل الامير جندبه عن ذلك الفقير فأخبره فاتك بما كان وأطلعه على ذلك الأمر والشأن فقال له جندبة أما أنت فقد وهبتك نفسك لان الله سبحانه وتعالى جعلك لنجاتى من هذا الغدار ولك على أن أجمع بينك وبين محبوبتك سعدى والا أوهبتك بأمة أحسن منها وقد جعلت أجرتك على قتلى عدوى اطلاقك ورجع جندبه فرس وبعض مال وسار يقطع البرارى والقفار (قال الراوى) وأما مقدم بنى طى الغطريف فانه وصل اليه الخبر بقتل جفال واشتد به الوبال وعلم أنه ما ينال من مزنه منال فجمع قرمه وسائر عشيرته وشاورهم فى أمره وقصته فقال له رجل شيخ كبير الشيبه كامل الهيبه أيها الامير من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ومن عدل عن طريق الهدى لاشك أنه يقع فى الردى وعندى أمر رشيد أشير به عليك وهو إن قبلته نلت ما تريد وهو رأى سديد فقال له الغطريف قل ما تشاء فما خاب من استشار لاسيما أهل العقول والأبصار فقال الشيخ أيها الأمير أنت بذلت سلمى لمن يأتيك بمزنه فربما وصل اليها بعض العبيد فيكون ذلك العار الشديد وعندى من الرأى أن أسير إلى بنى كلاب وأصف لهم حسن سلمى وما نالت من الحسن والجمال واذا قال لى أميرهم ماتريد من المهر وما يكون الصداق أقول ما نريد المهر إلا مزنه ويكون مركوب بمركوب لأن النجاح مقرون بالنكاح فقال الغطريف أيها الشيخ لقد قلت الصواب ولكن كيف يكون العمل اذا ما هو رضى ولا أجاب ايش يكون أكثر من هذا العار والذل والشنار ما طرد الليل النهار فقال الشيخ فليس علينا عار (قال الراوى) ولما سمع الغطريف كلامه ضم اليه خمسين عبدا وألبسهم الثياب المذبجه والعمائم الحرير وقدم ومعه خمسين حصان عليهم إجلال الديباج المنسوجة بالذهب الوهاج وقال له خذ هذه الخيل فى صحبتك حتى يعلم جندبة أن مزنه ما هى كثير وتصغر فى عينه وبعد ذلك أخبره عنى وصف له حسبى ونسبى وصف له ابنتى سلمى وما قد أعطيت من الحسن والجمال والعقل والكمال وما معها من الأموال (قال الراوى) وسار الشيخ وكان اسمه عوف ولم يزل سائر حتى وصل إلى حى بنى كلاب فلما رأوه ومعه تلك الخيول الموسومة والعبيد عليها ركاب فرحوا به المشايخ والجباب وقالوا له من أين أقبلت أيها الشيخ المليح صاحب اللسان الفصيح فقال من عند من ذكرهم فاخر الموصوفين عند سائر الأمم بالوفا والكرم فنحن من عند حاتم عصره وعنترة دهره البطل المماحك والليث الناسك الكثير الممالك الغطريف بن مالك قاصد الى أميركم وأرجوا الاعانة من كبيركم وصغيركم فى أمر يكون فيه سروركم فقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا بالقادم الى

الديار الناطق بأطيب الأخبار ها أبيات الامير جندبه بين يديك ونحن الجميع لك لا عليك لأن أمرك الى الصلاح أقبن الله سعدك بالنجاح ثم ساروا به الى جندبه وأعلموه بحاله وما معه من الخيل والعبيد والغلمان فقال ياويلكم احفظوا منه مزنه لا يكون سلال وقد أتى بالخداع والمحال فقالوا له والله لقد تنغص عليك عيشك فى النهار والليل إذ جعلت جميع الناس يسرقون الخيل (قال الراوى) ثم أن الأمير جندبه أمرهم بالطعام فأحضروه وأكل الشيخ ومن معه حتى شبعوا وقام الشيخ عوف قائما على قدميه وقال الحمد لله المحمود المستحق الحمد غامر العباد بالفضل والجود شرف العبيد إذ بعث اليهم محمداً صلى الله عليه وسلم النبي المنتخب ورفعه الى المكان المقرب وفاز بما طلب وأخبر بما شاهد من القدرة والعجب فصدقه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكذبه أبو لهب وفرض الصلاة والسلام والصيام على كل مسلم إلى الله تقرب وجعل النجاح سبباً إلى كل نجب وأبلغ إلى نيل الارب فجعل الله العدو حبيباً والبعيد قريباً ولا تصلح الكريمه إلا الكريم والمليحه الا الهمام وكان من فضل الله وقدره أن الملك العادل والبطل المناضل والسيد الفاضل ومجيب السائل الذى للشجاعة على وجهه علائم ودلائل الغطريف بن مالك الطائى قد خطبك يا جندبة لابنته ورآك كفؤا لكريمته وزوجاً لعزيزته التى هى ظبية القناص ودرة الغواص التى قال فيها الشاعر هذه الأبيات

منعمة الأطراف بارق ثغرها ... يكاد ثناه يخطف القلب والطرفا
مهفهفة الأطراف يقعد خصرها ... وينحل يخشى من تهفهفه القصفا
وأجفانها فيها سيوف قواطع ... كسيف أبيها يسقى الحاسد الحتفا

(قال الراوى) فتعجبت العرب من مقاله وقالوا له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك فقد أفصحت فى مقالك فأبشر ببلوغ آمالك فقال عوف وكيف لا أكون فصيح اللسان وقد خطبت الثريا وأصبح ميت المزار حيا وكويت قلوب الحاسدين كيا ولكن أريد ان أقول شيئا فقالوا له قل ما شئت واذكر ما هويت فقال ما أذكر خطابى حتى أسمع جوابى من الأمير جندبه فقال له حندبه قل ما تريد واذكره على رؤوس الأشهاد وبين الحديث المفيد ففى مثل الغطريف يرغب الراغب وتحمل اليه الأموال والجنائب أنشد هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

ألا أيها المولى الكريم المخاطب ... أجب عن بنى طى بما أنت طالب
لأن بنى طى كرام أعزة ... لهم شرف فى شرقها والمغارب
وكلهم فى جودهم مثل حاتم ... وأهلا وسهلا بالكريم المخاطب

فكن واصفا للمهر يا صاح اننى ... سأفعله اذا كان أفضل واجب

(قال الراوى) فلما سمع عوف ذلك فرح واستبشر وقال يا مولاى يريد مركوب بمركوب وقد حيا الله حسن يوسف بن يعقوب وجعله لك موهوب فجعل بالصداق فليس فى ذلك نفاق وسوف تذكرنى اذا رأيت وجهها الزائد الاشواق والاشراق فقال له جندبه قل وأوجز فقال نريد مزنة الكريمة مهر الدره اليتيمة لان الغطريف قد سمع خبرها وقد هام بها لبه واشتغل بها قلبه وقد بذل ابنته لبلوغ أمنيته ثم ان الشيخ أنشد هذه الابيات

أجب ياكريم الاصل يابن الاطايب ... ويا سيد السادات عند التناسب

فكم عندنا فى طى أمثال مزنة ... خيول عراب للسراة الاعارب

فوالله ما فى الخافقين كمزنة ... ولا مثل سلمى صادق غير كاذب

لان سلمى مهرة عربية ... وما هى الا البدر بين الكواكب

فهذى لها وجه يزين على الدجا ... وهذى لها جرى كجرى السحائب

(قال الراوى) فلما سمع جندبة كلام الشيخ انقلبت عيناه فى أم رأسه حتى خاف من سطوته جميع جلاسه وقال والله لوطلب الغطريف جميع ما أملكه لهان على إلا مزنة التى أكربها على الأعداء لا كان ذلك أبدا ولا يركبها سواى وأنا فى الدنيا والعين لاتعار البكاء والسيف لايدفع للأعداء وما طلب الغطريف إلا قتلى ولا يجمع شمله بشملى ولولا قدومك الينا وواجب حقك علينا لعاد عليك وبال قولك ومابه تكلمت وندمت على إبلاغ ما حملت ومن أجل شهوة النكاح والجماع أدفع ما أعددته ليوم الفراع فارجع الآن خائبا مما أملت ثم أنشد يقول :

حلفت بمن حث القلوص إلى منى ... يريد بها البيت العتيق المحرما

ومن طاف حول البيت سبعا ومن رمى ... جمارا ومن لبى وطاف وأحرما

ولو أن لى ما تحت دائرة السما ... وقد ملئت مالا جزيلا وأنعما

وكل فتاة يسلب العقل حسنها ... تفوق الظبا جيدا وعنقاً ومبسما

وقالوا تعوضنا بمزنة والتى ... تكر عليها فى الهياج وتغنما

لما سمحت نفسى بحافر مزنة ... لأنى بها ألقى جيوشا عرمرما

وقد طمع الغطريف فيها جهالة ... وقد خاب من يبغى الصعود الى السما

(قال الراوى) فلما سمع الشيخ من الأمير جندبة ذلك الشعر والنظم مكث ساعة زمانية وعلم أن الغيظ غير طبعه ولما سكن مابه رجع الشيخ الى خطابه فقال : رب

مال جلب لصاحبه وبال ورب فرس لعب برأس راكبه من الأبطال فقال أقول ولى الأمان فقال له قل فقال له اعلم يامولاى أن الغطريف عازم على المسير اليكم فى سائر بنى على ولا يدع من بنى كلاب أحد فلا كانت مزنة ولا استكانت وما أشار على الغطريف بهذه الخطبة إلا أنا وقد نصحتك وحق سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم واذا اتصلتم كانت سلمى لك ومزنه فان أبيت فعلى نفسك تعديت وربما سارت الرجال اليك والأبطال ومانحكم إلا انكم غالبين ولكن يقتل منكم ومنهم من دنا أجله ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ثم أنشد يقول هده الأبيات :

ياذا المناقب والمناصب	أنت المقدم فى الكتائب
أنت الذى تعلوه على	أعلى المراتب والمناصب
حقن الدماء فضيلة	ما بين مغلوب وغالب
ولربما رجع الخلاف	إلى المعاطب والمصائب
فاسمع الى القول الذى	قد صار من بعض العجائب

(قال الراوى) فعندها صاح فيه جندبه اسكت لا أم لك فمن يكونوا هؤلاء الأوغاد فبنى كلاب غايه المطلوب وبنى طى أذل وأحقر وقد همّ أن يقتله بعد أن وشجه بالسوط ثم صاح فيه وانصرف الشيخ من عنده خائب وقد استدت عليه جميع المذاهب وسار بما معه من الأموال إلى أن وصل إلى بنى طى فالتقاه الغطريف وسلم عليه وقال لقد أطلت الغيبة والمقام وأطلقت فى قلبي نار الغرام فقال الشيخ والله يا مولاى لقد صدقت ولما وصلت إلى حى بنى كلاب فأجابوا القوم وقالوا لو طلب الغطريف أموالنا ونياقنا قدمناها بين يديه وكذلك قال جندبة إلا مزنه فانه مايعلو ظهرها إنسان إلى أن تخرج الروح من الأبدان وترمل النسوان فلما سمع الغطريف هذا الكلام صار الضيا فى عينه ظلام وصرخ حتى كادت مرارته أن تنفطر وقال يا شيخ الضلاله ما قلت لك من الأول ما يجيب فأكثرت الخطاب ومالك عندى جواب إلا هذا السيف القرضاب ثم ضربه أطاح رأسه عن بدنه وأنشد يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

بغير الصواب علينا أشار	مشيرا كسانا من الذل عارا
وما نجح القول فيما أشارا	فعاد المقال عليه دمارا

(قال الراوى) ثم انه صاح فى بنى طى بأخذ الأهبة إلى ثلاثة أيام وقال لا بد لى أن أجعل بنى كلاب طعاما للذئاب فقام اليه عبد يسمى ميمون ويلقب بالهايج وكان فصيح اللسان شجاع فى الميدان وكان سلال خيل غادر وشيطان وكان مشغوف بمحبة النسوان فقال له يا مولاى قد سمعت أنك قد بذلت ابنتك لمن يأتيك بمزنه فقال له لو كنت أنت يا ميمون ولك معها من الجمال والعبيد ما تريد فقال له يا مولاى تحلف لى بخالق الليل والنهار فقال الغطريف وحق من أعشب البقاع إن أنت أتيتنى بمزنه فلك ابنتى سلمى ومعها شىء من المال والعبيد وأرفعك على سائر الأبطال الصناديد (قال الراوى) فلما سمع ميمون كلامه عزم على المسير إلى حى بنى كلاب ثم صاح الغطريف بابنته سلمى فخرجت مثل غصن البان أو غزال عطشان وهى فى قميص شعر أسود وهى فى بياض وغنج ودلال ذات جسم ناعم رابية المعاصم لحظها أمضى من الصوارم يسبى عقلها أو لفظها عقل اللبيب الحازم فقال لها الغطريف يا بنيه قد زوجتك بمن يأتينى بمزنه فقالت ياأبتاه ماللبنات اعتراض الأبوان ولو زوجتنى بأقل العبيد كنت له أمه فقال لها بارك الله فيكى (قال الراوى) فقال ميمون يا مولاى أريد منك ثياب وفرس سابقة فلعلى أقدر على مثل هذا الذى طلبته منى فلما سمع الغطريف من العبد ذلك الكلام أمر له بجواد سابق وعمامة مطرزة بالذهب وكسوة كاملة وحلة من أحسن ملابسه فأخذ العبد الجميع وخرج فى الليل بعد أن ودع أهله ولبسهما وسار فى الليل والنهار يقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار وهو فرحان فجاش الشعر فى خاطره فباح بما فى ضمائره فأنشد وجعل يقول هذه الأبيات ونحن نصلى على سيدنا محمد سيد السادات :

ابرز لى الوجد فى المرقب ... عرائس غيد على الملعب
سبين فؤادى بألحاظهن ... وأى فواد بهم ما سبى
وأى شجاع غلوب إذا ... برزن له الغيد لم يغلب
سأقصد أرض بنى عامر ... ومدحى فيهم من المكذب
سأقصدهم فى زى مسترقب ... وأخفى مراوغة الثعلب
وأنقض من وسط أفق السما ... على مزنة الخيل كالكوكب
فاما يقال بأنى أموت ... وإما أفوز ولم أنكب
وأترك جندبة باكيا ... وليس بباك على الجندب
سمعت لسلمى وقد أقبلت ... علىّ بمنطقها الأعذب

وقالت رضيتك بعلا إذا أتيت بمزنه ترضى أبى
هناك ستبلغ ما تشتهى وتعلم أنك قد فزت بى
وها أنا سائر فى عزمة أجد المسير إلى مطلبى
لأملك مزنة على عزة ولو كان لى فيها المعطب

(قال الراوى) وما زال ميمون يجد السير وهو طالب حى بنى كلاب وهو ينظم ويرتب فى مدحهم القصائد والأشعار من فكرته ويرتب قوافيها ويصححها على نفسه ويجليها (ياساده) ولما وصل الى الحلة كان بالاتفاق ركب ذلك اليوم الامير جندبة فى أهل قبيلته ووجوه عشيرته (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن جندبة بعد مسير الشيخ من عنده أقبل على بنى كلاب وقال لهم يابنى عمى اعلموا أن الشيخ سار الى بنى طى يحميهم بالكلام وسوف يسوق الينا الرجال ومزنة ماهى لأميركم ولست بأخير منكم وأنا كأحدكم وأنا أعلم أن القوم يطلبوها وأنا لو بقيت على ظهرها وحدى ماأسلمها الى أن أشرب كاس الحمام وإذا رأيت الموت أطلقت لها العنان وخليت الديار والأوطان فماذا أنتم فاعلون فقالوا كلهم عن لسان واحد : أيها الامير لقد أفسدت فينا الاعتقاد وحق رافع السبع الشداد ولو مالت علينا الجبال ما ترى أحدا يصل الى عبد من عبيدنا فكيف أنت أيها المولى المجيد ولو أن الغطريف فى عدد ثمود وعاد لابد من ضربه بالسيوف الحداد ونحن ما نقيم فى الديار حتى يأتى هوالينا ولكننا نسير اليه لأن العرب لاتغزى فى ديارهم ثم ان جندبة ركب فى ذلك اليوم الذى قد ذكرنا وركبوا معه أهل قبيلته وظلوا سائرين إذ لاح لهم فارس من بعيد وعليه ثوب معلم بالذهب ولما أن قرب منهم فصهلت مزنة من تحت جندبة وجعلت تضرب الأرض بحوافرها فقالوا بنى كلاب لابد أن تكون هذه طليعة جيش بنى طى وهم مقبلين إلينا فقال لهم جندبة والله يابنى على ما هذا طليعة وماهو إلا سلال خيل فسوف يبان لكم الحال فبينما هم فى ذلك الكلام وإذا بميمون قد أقبل ولما أن رآهم ورأى ذلك الجحفل ميل اليهم وقدم الى أن قرب منهم ونادى وقال حياكم الله بالتحيات وخصكم بالسلام وقضى لدولتكم بالدوام ولغيركم بالذل والارغام وأسبل عليكم سحائب الانعام لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق بقدرته واصطفاهم من سائر بريته أقوام للخير أهلا فى سائر البنا والآكام فهم للخيرات مفاتيح وللمكرمات مصابيح وللكرامات أهلا وللضيفان سهلا كما قال القائل :

وللمكارم أقوام لها خلقوا فهم بها أبد الايام فى شغل

لطافة الوجه تعلوهم وأنفسهم محسورة من دواعى المزن والبخل
يعطون من غير أن يسألهمو أحد ويحتمون ببيض الهند والأسل

(قال) لاسيما بنى كلاب أسود الغاب وفرسان الطعن والضراب والكاشفين الكروب إذا خيم الضباب ثم انه أنشد يقول :

بنو كلاب الذى شاعت مناقبهم رعى الذمام وترك اللوم فى الذكر
لاسيما الفارس المقدام جندبة حامى الحما وهو مقرى الضيف من مضر
يعطى ويبذل لايخشى العفاف كما أعطى الغمام عطاء وابل المطر
أتيتكم من بلادى نحو حلتكم لعل يذهب بكم دائى ويحتقر

(قال الراوى) ولما فرغ ميمون من شعره وهذيانه شكروه بنو كلاب وأثنوا عليه فقال لهم ميمون أنتم والله شجرة الكرام وأسيافكم لأعدائكم حصاد لأنكم أنتم السادات الأمجاد والابطال الانجاد وحكام هذه البلاد أهل الزرع والحصاد معصمة الفخار وقد قيل فى الامثال :

إن أردتم حوائجاً من أناس فتهيوا الى الوجوه الصباح

ثم انه قال لاسيما الاسد الضرغام والبطل المقدام الامير الصياح جندبة بدر التمام إذا لاح الذى أفاض من انعامه على الخاص والعام وقد عملت اليه شعر ونظام ولابد أن أبديه له بين الأنام وأذكره بين هؤلاء الاقوام وأحسن فيه وأختصر فى الكلام لعل أن يصلنى من سابغ فضله وأعيش بنبله ووصله فهو الرجل الفاضل والبطل الباسل والفارس الحلاحل الذى ليس مثل قبيلته فى القبائل ذو القول الفاصل والعمل الكامل والفضل الشامل والريح الوابل ثم انه أشار اليه يقول هذه الابيات بعد الصلاة والسلام على سيد السادات :

دع العذل يا عاذلى فالقلب غير قابلى من لى بأن يسمح لى
بقبلة من قاتلى ولى بهذا مانع يمنع عذل العاذل
إن الهوى سبيله خلاف عقل العاقل عيونها قواتل
أمضى من العواسل أجفانها قد كحلت عمداً بسحر بابلى
ياصاح قلبى راحل مع الحبيب الراحل فان قلبى معهمو
من جملة المحافل ياصاح قلبى قد ضنى من ذكر ربع ما خلى
وسر إلى قبيلة من أشرف القبائل بنو كلاب انهم
أوائل الجحافل ومجدهم مفضل بالسادة الأوائل

جدوا الى جندبة فهو الهمام الباسل السيد القرم الفتى
أهل السبيل الكامل ذخير حان فى الورى أيضا وخير فاعل
حلت على أعدائه بوائق النوازل ونخ إلى أبوابه
فهو الهمام الباسل فهو مناخ دونه تزدحم القوافل
يا أيها المولى الكمى فأنت خير كافل لازلت كهفا فى الورى
لقاصد وسائل وأنت أكرم من سرى وخير كل نازل
وصل يارب على خير الأنام الكامل

(قال الراوى) ولما فرغ العبد ميمون من هذه الأبيات طربت لها الأبطال والسادات وما بقى أحد من بنى كلاب إلا وأثنى عليه إلا الامير جندبة فانه قال للعبد غض عنى بصرك ياولد الزنا وتربية هذا الخنا لمثلى يقال المقال أتظن أنى أنخدع لهذيانك أويجوز على أذنى شقشقة لسانك ثم ان الامير جندبة بعد ذلك الكلام صاح على العبيد وقال لهم خذوه وعن جواده رجلوه فتبادرت اليه العبيد من كل جانب وانقضوا عليه مثل السلاهب وفى عاجل الحال أخذوه وعن جواده رجلوه وقد أوجعوه بالضرب فزاد به عند ذلك البلاء والكرب فلما أن رأت بنو كلاب الى مافعل الامير ماهذا صواب منك واعلم أن بهذه الفعال تلومنا وتذمنا عليه سائر الأعراب ولابد أن يشيع خبرنا الشنيع فى الآفاق مع السفار والطراق وتمتنع عنا سائر الشعراء والقصاد فلما أن سمع ميمون منهم ذلك الكلام أسبل الدموع وقال لهم ياطول تأسفى ياسادات العرب وأهل الفضل والأدب فى طرل الزمان هل سمعتم من أحد أن مادحاً أتى الى سادات مثلكم ومدحهم بمثل هذا المقال لأجل طلب العطاء من الأمراء الكرام فعاملوه مثل هذه المعاملة هذا وأنتم سادات العربان الجياد الموصوفين بالكرم والارفاد وحل المشكلات الشداد ولكن اسمعوا ما قالوه أهل الارشاد وأنشد يقول هذه الأبيات :

المرء يعرف فى الأنام بفعله ومحاضر الحر الكريم كأصله
لا تستعيب فتستعاب وربما من قال شيئا قيل فيه بمثله
واستجنب الفحشا ولا تنطق بها مادمت فى جد الكلام وهزله
واعلم بأنك ميت ومحاسب تسأل عن الفعل القبيح ونقله
فى الهند مكتوب على أعلا صخرة من يفعل الاحسان يجزى بمثله
علت البزاة على اليدين تكرما وغد الهزبر مسلسل من جهله
والبحر تعلو فوقه جيف الفلا والدر أسفل مختلط مع رمله

أرأيت عصفورا يزاحم باشقاً   فى وكره إلا بقلة عقله

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره قال لهم بالله عليكم ياقوم عجلوا بقتلى واعلموا ان ورائى أولاد صغار فاقتلونى فوراً لأن ذلك يزيد انتهاك أهلى من قلة من يأتيهم بالقوت ودعوا أولادى وبناتى يبقوا من بعدى أيتام فهو أهون من هذا الارتباك فياليت شعرى ماذنبى عندكم غير مدحكم فيا ليت السباع أكلونى ولا يقال بنى كلاب قتلونى ثم انه بكا وأنشد يقول هذه الأبيات :

ليت المنازل تدرى أو تساعدنى   فكيف وهى بلا سمع ولا أذن
ان الليالى تطوينى على مضض   بغير ما ارتضى منها وتنشرنى
ماأشبه الدهر بالقوم الذى سلفوا   تشابهت أنفس الأقوام بالزمن
معالم الخير فيما بينهم درست   وسنة الجود فيهم أقبح السنن
ان جاءهم مادحا يوما يرد رفدا   قالوا تحذر من هذا فيحذرنى
أتيت امدح خير الناس جندبة   أرجوا نولا من الاحزان ينقذنى
قد التقانى على فعلى بشوم لقا   وقد أمر لى بضرب منه أوجعنى
بنى كلاب فهم خير الأنام وما   فى جودهم مثلى فى سائر المدن
ولم يجد من سؤالى عندما ذكروا   إلا بأننى سلالا فيقتلنى
هذا يدل على اكثار جورهم   من الرجال وهم فى أكثر العون
من قال عنهم صناديدا فما صدقوا   إن الصنايد لاتخشى من الوهن

(قال الراوى) ولما فرغ ميمون من شعره بكى وأن واشتكى ومازال يبكى إلى أن أبكى العيون وقد أظهر للقوم الشجون ولم يبق أحد من بنى كلاب إلا وبكى وبعد ذلك أقبلوا على جندبه بالعتاب والملام وقالوا والله ياأمير مانسمع العرب عنا بأقبح من هذا الخبر ولاأشنع منه وما فيهم إلا من لام جندبة وقالوا له والله أيها الامير ايش الذى ألجأك الى هذا الحساب الذميم حتى تجعل الشعراء كلهم سلالين فقد قيل فى الأمثال ان المحبة محنة وقد قال الشاعر :

ان الهوى لهو الهوان بعينه   فاذا عشقت فلا تكن متحامل

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم حبك للشىء يعمى ويصم واعلم أن الصواب أيها الأمير ان تطلق هذا الرجل من الاعتقال وتدعه يمضى الى حال سبيله من غير إحسان ولا توثقه وعن أولاده لا تعوقه ولا تتعرض له فى مسيره لأنه داير على قوته فلما سمع جندبة من قومه ذلك الكلام قال لهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه

قال الحرب خدعه ووالله لقد عمل معكم كلام هذا العبد ولد الزنا على أن الحزم سوء الظن وان كان ولابد من هذه الفعال فأنا ما أقتله بل أنني أدعه عندى فى الاعتقال وأسير إلى بنى طى من يكشف لى عن هذا الحال ويبصر ما يكون من الخبر لأن لى فى بنى طى أصحاب لا يخفون عنى شىء فان كان الذى خطر ببالى صحيح ضربت رقبته وجازيته على فعلته وان كان غير علمت أن الذى خطر على بالى محال فعند ذلك أخلع عليه وأبذل له من المال شيئا كثيرا ولا يلومنى منكم أحد ان أخذت حذرى على مالى ونفسى لأن ما يأخذ هذه الحجرة إلا الذى يقتلنى واعلموا أن هذا كله حذرا على مالى وروحى ثم ان الأمير جندبة رجع الى الحى وأمر عبيده أن يقيدوه ويحتذروا عليه ففعلوا ذلك به ثم ان الأمير جندبة انفذ بعد ذلك من عبيده جماعة الى بنى طى وأقام على بعض الغدران الى أن غربت الشمس وارتحل الى الحى ولما أن دخل على حيه أقبل على العبد ميمون وقال له والله ان قلبى حدثنى عنك بالغدر وأنا أريد أن أقيدك مع مزنة التى هى سبب هذه الفعلة وقد جئت فى طلبها حتى تعظم عليك المصيبة والمحنة ثم ان الأمير جندبه أمر بقيدين فأحضروا له ماطلب ولماحضرت القيود جعل القيد الوحد فى يد مزنة والقيد الثانى فى رجل ميمون وأوصله بقيد مزنه وقد وكل به العبيد ومضى جندبة الى فراشه ونام فى مضربه ونامت الناس هم فى الخيام (قال نجد) فهذا ماكان من الأمير جندبه البطل الهمام وأما ماكان من العبد ميمون السلال نسل الحرام فانه أقبل على العبيد الموكلين به وجعل يحادثهم لما أن أظلم الظلام وصار ينشد لهم الاشعار ويحكى لهم ماجرى للملوك القدماء الماضيين الكبار ويروى عنهم الأخبار وعن غيرهم من المسلمين والكفار وماجرى للمتقدمين من العجائب وأهوال ومازال يسامرهم بمثل هذا الهذيان والمحال فأنسوا اليه العبيد وقد حنوا وشفقوا عليه لأن الجنس يحن الى الجنس وقالوا والله ماهذا الاشاعر حاز جميع الفضائل من الجواهر وأن أميرنا جندبه ما هو الا خسيف العقل جاهل فى سائر العمايل ثم ان العبيد بعد ذلك حط عليهم النعاس فناموا وقد غرقوا فى نومهم وقد علا غطيطهم وكان ميمون لم ينم وهو فى قهر وافتكار ولما رآى الى تلك العبيد ناموا قال فى نفسه هذا والله وقت انتهاز الفرصة والخلاص من هذه الغصه فان ما بقى من عمرى الا بمقدار ما يصل الخبر إلى جندبه بأنى سلال لهو يصلبنى على رؤس الجبال وينزل بى الخبال وقد قيل فى بعض الأمثال السائرة من لم يخاطر بنفيس لم يحظى بنفيس قال ثم انه عافر فى القيد ليفتح الأقفال فعسر عليه ذلك وكان معه خنجرا أمضى من القضاء والقدر وهو مجزم به من تحت

الثياب وانهم مافتشوه لما أن قبضوه وكانوا قد أنساهم الله ذلك فعالج القيد الذى فى رجليه ورجل مزنة فما قدر على فتحه فاحتار فى أمره وقد عيل صبره فقال فى نفسه ان قطع الرجل لم يضر ويعيش بعدها الانسان الا قطع العنق يموت منه الإنسان ثم انه قال مايكون لى خلاص إلا ان قطعت رجلى أو يد مزنه ولكن ان قطعت يد مزنة لا يبقى يفيد بها أبدا وخسارة والله قطع يدها لأنها فرس جيدة ولكن اقطع أنت رجلك ثم انه كبس بعد ذلك على قدمه بذلك الخنجر فوصل الوجع الى قلبه فصبر نفسه على الوجع القليل ولا يصبر على ضرب الرقبة فيصبح قتيل ثم انه قطع رجله وقال وجع الرجل ولا الموت لأن قطع الرجل ساعة وأما العنق فلا يبقى لصاحبه بعد رأسه سلامه (قال الراوى) ثم انه عزل قدمه عن مكانه ولما خلصه غشى عليه ساعة وأفاق وصحى على نفسه ثم انه قفز على ظهر مزنه وقد رآى كوكب الصبح قد طلع وأراد أن يعلوا مزنه فاسترخى وما قدر على الركوب فأيس من نفسه وقد استسلم للقضاء والقدر وقد تراخا ولا بقى له نهمة أن يمسك بها نفسه ولما أن رأى روحه على تلك الحالة تأسف على روحه وقال فى نفسه تذوق وجع قطع الرجل وتخلى بعد ذلك جندبه يتفكه فيك ويقتلك لكن قوم وشد عزمك لان الرجال الصناديد ماافتخرت الا بالصبر على سائر الاهوال ثم انه شد حيله وقطع قطعة من عمامته ولفها على رحله وقام على حيله وتطوح على ظهرها وقال متى ما نفذت بها من الحى فزت بنفسك وتكون قد نلت المنى والارب وبلغت ما تتمناه ويموت جندبة غبينه من شدة الغيظ ودعه يموت من الغضب وأكون أنا قد أخذت محبوبتى وبلغت الارب ثم ان ميمون لما أن علا على ظهر مزنه أخذها وخرج من الحى ولما صار برا الحى صاح عليها فطارت به بين السماء والأرض وصارت فى البيدا كأنها القضاء المنقض من الهوى أو النجم إذا نزل من السماء (قال نجد ابن هشام) فهذا ما كان من ميمون وأما ما كان من جندبة فانه لما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أتى إلى المضرب الذى فيه مزنه والعبد لينظرهما ويزول برؤية مزنه همه وغمه ولما صار فى المضرب فلم يجد العبد ولا وجد مزنه فصاح بالكلاب ياكلاب فجاءته الخيل مثل السلاهب من كل ناحية وجانب وهم يقولون له لبيك ولما أن صاروا عنده قالوا له ما الخبر فقال لهم انظروا إلى هذا العبد الشاعر الذى لمتونى من أجله كيف قطع رجله وخلص روحه من القيد وأخذ مزنه وراح بها من هذا الحى فقالوا له بنى كلاب والله ما كان رأيك إلا صواب وقولك إنه سلال ثم ان القوم تفرقوا فى جوانب البر لما أن خرجوا من الحى فكانوا كما قيل فى الأمثال « وأين الثريا

من يد المتناول » وأما جندبة فانه سار فى تلك البرارى والقفار وهو يسير تارة يمين وتارة يسار فلم يجد أحداً يسأله عن خبر مزنه فرجع وهو مذهول وقد ذهب عقله وهو مع ذلك ينشد هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

لم أعدم الحزم ولكننى دهيت فى المأمن من ممنى
وما سمعت القول من قائل بل ضلنى والله من لامنى
ولما صغيت إلى قولهم أعمانى فى الظاهر والباطن

(قال الراوى) ولما رجع جندبه هو وقومه إلى الحى وما فيهم من ظفر بطايل فأقام وهو كسير الحسرات دائم الزفرات وهو نادم على ما فات وقد طلب الأمير عوف بن عامر الكلابى ليعاتبه فى أمر ميمون ويعرفه قوله لأنه كان من جملة من لامه فما وجده (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وهو أنه لما سمع الأمير عوف الصياح وأخبروه بما فعل العبد فندم على ما صنع لأنه كان قد لام جندبه فيما قد فعله مع العبد ميمون كما أنه قال له هذا نحن لابد لنا أن نرد الضال فبالله عليك لا تفعل هذه الفعال التى لا يفعلها إلا أهل البخل الأنذال فى حق الشعراء وأصحاب المقال الذى يأتوا للرفد والسؤال من الفاقه وضيق الحال والقلق والوبال وسوف يظهر هذا عليك بين العرب وتكسب من الذل أذل مكسب ولما جرى ما جرى قال عوف صدق النبى صلى الله عليه وسلم أن الحرب خداع وقال أيضاً إذا كان القدر وطباع فالثقه بكل أحد عجز وكان تحته جواد من جياد الخيل برىء من العيوب معود صاحبه أن يقتنص عليه الغزلان وهو يوثب وثبات النمر الجردان فى الصحصحان كأنه من شدة الانطلاق والانطوى ثعبان وهو فى المراوغه مقلبان يضيق عند خطواته الميدان وتطوى له الأرض وقت الجريان إلا أن الأمير عامر عمد الى ذلك المهر وكان يسمى الغمام وهو من الخيل الكرام وكان يقارب مزنة فى الجريان فركبه عوف ابن عامر وسار وقد حلف أنه ما يرجع إلا بأخبار مزنه ولو أنه يقع كل يوم فى ألف محنة ثم أنه سار وتبع أثر مزنه وكان ميمون لما أخذ مزنة وسار بها ما هو ثابت على ظهرها إلا غصباً لأنه ما هو فى راحة من وجع رجله المقطوعه وهو يعالج سكرات الموت منها وهو فى محنه ولولا أنه كان من أشجع فرسان بنى طى ما كان ثبت على ظهرها لأنها مثل النمر فى قفزاتها ومثل الثعلب فى همزاتها ولم يزل كذلك وهو يكد طول الليل إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح (يا ساده) وكان الأمير عوف لما ركب مهره وخرج من حيه ما زال يقص أثر مزنة وهو تابع لها وهو يجد على جواده وكان عوف خيال من بين أقرانه فقارب مزنه وبقى بينه وبينها شىء يسير لأن العبد ما كان يعوقه إلا قطع رجله فنظر عند

الصباح الى خلفه فوجد فارس خلفه يكد السير وهو لاحقه وطالب أثره وتابع معه خطره ولما أن نظر ميمون الى ذلك الفارس المقبل من خلفه فقال فى نفسه ما دام هذا الفارس خلفى ما أبالى به ان كان صاحب أو عدو محارب ما آمن منه من النوائب ثم ان ميمون عطف راجعاً الى وراه ونظر الى الأمير عوف وما زال الى أن أدركه وحاذاه فأنكر أمره ووقف ليراه ويعرف من يكون ولما أن صار قريباً منه عرفه أنه هو الذى كان يحاجج عنه الأمير جندبه وهو الأمير عوف بن عامر صاحب أشرف مرتبه عند الأمير جندبه ولما أن عرفه ميمون أرما نفسه من على ظهر مزنة الى الأرض وبكى وقال والله يا مولاى أنت حمية الدار والضيوف أيها الأمير الخطار قد أحميتنى من الأمير جندبة لما أراد أن يضرب رقبتى بالحسام البتار وعلم أننى ما رجعت الى الدار إلا من أجلك لما علمت أن الأمير جندبة يلومك فأردت أن لا يلحقك عتب ولا لوم من جهتى ولولاك ما رجعت بعد أن ملكت مزته واعلم أنى ما فعلت هذه الفعال الا حتى لا يرجع الامير جندبة على الشعراء بالملام ويكثر فى حقهم الكلام ويوقعهم فى الخبال ويجعل كل قاصد سارق محتال وأنت الآن قد قربت على الطريق والآن ما أسلمك مزنة حتى أنك تحلف لى أن تأخذ لى حق رجلى ودواها من الأمير جندبة وان كان ما تفعل ذلك أخذتها وطلبت أهلى وتكون هى عوضا عن رجلى ولا يرجع الأمير جندبة يراها وأبلغ نفسى مناها ثم انه قفز وركب على ظهرها وهو يبكى وينتحب وقد أشار يقول هذه الأبيات

ألا يا ابن عامر فعلت الجميلا ... ولولاك ما كنت إلا قتيلا
أتيت إلى أرضكم مادحا ... وأملت منكم عطاء جزيلا
وقمت إلى جندبة منشداً ... وكان لأبناء جنسى كفيلا
وأسمعت قولى قوما كرام ... فقال أتيت تسل الخيولا
وأسلمنى لعبيد شداد ... فقاسيت منهم عذابا وبيلا
وأوثقنى بقيود ثقال ... وأحرق قلبي يشد النكولا
فحكمت من قدمى مدية ... لقيت لذاك عذابا مهولا
وأجريت منهم دماء كثير ... من الخوف أن أضحى قتيلا
وعالجت كربى حتى هديت ... ورمت بنفسى أنجو عذولا
وسافرت أطلب أرضى سريع ... وتحتى مزنة تجرى عجولا
فذكرت نفسى فعل الكرام ... وذكرت أنك فعلت الجميلا

رجعت لعرضك كى أبره ... وتعلم أنى قطعت الرحيلا
وإنى لجندبه خائفـا ... إذا عدت يحدث قالا وقيلا
إذا مـا رآنى طلب قتلتى ... ولا يستمع مقال الفضيلا
يحل به مثـل ما حل بى ... ويؤخذ بالظلم أخذاً وبيلا
وعدت اليك لأنى امرىء ... أخاف العزيز يروه ذليلا
ليعلم جندبة أنى كريم ... ولست لبشر أجازى جميلا

(قال نجدان بن هشام الراوى) لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام ولما أن سمع الأمير عامر ابن عوف شعر ذلك العبد وما تكلم به من النظام بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقد رق له قلبه لما أن مدحه بتلك الأبيات واستحسن هذا الكلام من عبد وهو معدود من جملة العبيد ثم انه نزل اليه نزل اليه واستقبله أحسن الاستقبال وقال له والله يا شاعر ما جندبه الذى ذكرته إلا رجل بدوى وهو من الفحول الأبطال ولكن انزل وأبشر ببلوغ الآمال والعطا والنوال ولابد أن أدفع لك أنا شىء يغنيك إلى أبد الأبد وينفعك إلى ولد الولد ثم ان الأمير عامر بن عوف هم أن يركب فى ساعة الحال على ظهر الفرس مزنة ويطلب ناحية الحله وتلك الجبال (قال الراوى) لهذا المقام فعند ذلك غافله العبد ابن اللئام الأندال وضربه بخنجر كان معه وقد أعده لتلك الأشغال وينفعه لمثل تلك الفعال التى هى ليست فعال أولاد حلال فارما فى عاجل الحال مصارينه وقد تركه مرمى على الرمال فى تلك الجبال وخلاه مطرودا فى تلك الأرض القفر الخوال ثم ان ذلك العبد ابن اللئام الأندال الذى يستحق القتل على كل حال ركب على ظهر الفرس مزنة وسار يقطع الفيافى والقفار والسهول والاوعار وهو يقطع الأميال والمناهل وما زال ساير وماشى وقد فات كل قبيلة وحى وجد فى مسيره طالب ديار بنى طى والعبد الملعون ابن الملعون ميمون عليه الخزى ممن يقول للشىء كن فيكون لأن الله تعالى يجازى العبد على ما يفعل من الأعمال لأن العلما تقول الجزاء من جنس العمل وأن الله تعالى لابد أن يخلص لكل منهم حقه ولا يهمل هذا وقد ملك مزنه وقد نال النصر والظفر والمنا بعد شرب كاس الحمام وهو كأنه قد ملك الدنيا بحذافيرها (قال نجد ابن هشام) الراوى لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام ما أنار النهار وأظلم الظلام رضى الله تعالى عن بقية المهاجرين والأنصار والتابعين الاخيار ثم ان ميمون ابن ألف ملعون أنشد يقول

ليس ينجو من القضا المجيب — لا قرين ولا رفيق قريب
بيدى قد قطعت رجلى اختيارا — غير أنى ما فاتنى المطلوب
وملكت الذى بها شغف الغطريف — ومن دونها تلك الجنوب
وقتلت الأمير عامر بحيلة — أى وللحرب خدعة ووثوب
وأخذت الغمام والرمح والسيف — وقد أضحى على الارض وهو سلوب
وقطعت البلاد شرقا وغربا — وسهولا لبغية المحبوب
أنا أسرى وموضع القطع يسرى — والمنايا لها بوجهى طلوب
نزفت بالنجيع من شدة السير — فلا مأكلا لها ولا مشروب

(قال الراوى) ثم لم يزل ساير حتى وصل إلى بنى طى واقتحم الأبيات ودخل إلى وسط الحى وعلموا بوصوله فخرجوا إلى لقاه كل من فى الحلة وركب الغطريف فى رجاله وكان يوم دخوله يوم مشهود عجيب ضربت فيه الاماء بالدفوف والمزاهر وانتشر الفرح فى القبائل والعشاير وكان وصوله من أرض بنى كلاب فى أربعة أيام وكانت المسافة بينهم سبعة أيام إلا أنه لما وصل طلب شيئا من الطعام لأنه كان قد تخلا عن روحه من قلة الأكل ونزول الدم لأنه ما كان له قوت إلا من حشايش الأرض فقدموا له الطعام والشراب ووقف الغطريف فى خدمته وكان قد قبل بين عينى مزنه وجعل فى عنقها قلادة من الجوهر وجعل على ظهرها جل من الابريسم فقال ميمون يا مولاى هذا الجواد الذى كان تحتى يقارب مزنه فى الجرى خذه اليك فان عشت كويت به الأعداء وان مت فأنت به أولى ثم انه بكى وعلم أنه من الموتى فأنشد وجعل يقول :

كل وجود يفضى إلى العدم — وها أنا صابر على الألم
إذا بلغت المراد هان على — قلبى هلاكى ولوعة السقم
ان بنى طى الكرام هموا — أولى العفو بالسماح والكرم
وان وعد الغطريف أطعمنى — فى وصل ذات العفاف والنعم
بمزنة جبتها على عجل — قهرا وكان الوفاء من شيمى
لكننى مشرف على تلفى — كمن تمنى الضيا لما رآه عمى

(قال الراوى) فقال له الغطريف يا ميمون وحق من لا تراه العيون ولا يلحقه ريب المنون لا كانت سلما إلا زوجتك وما هى من دون البرايا إلا قرينتك وانى قد قبضت صداقها مزنه فأنت لها بعلا وهى لك أهلا ثم ان الغطريف نادى بالجارية

فأقبلت اليه ووجهها يتلألأ نورا وهى فائقة فى الجمال بادية الكمال تربية الدلال ثقيلة الأطراف لينة الأعطاف حسنة الأوصاف فقال له الغطريف ياميمون هذه زوجتك خـذها إليك فقالت الجارية يا أبت أما تستحى من العار أن تزوجنى بالعبيد وتدع الأبطال الصناديد فقال لها الغطريف يا بنية أما قولك بأنه عبد فانه من أولاد آدم والمرأة لاتكون لزوفها إلا طايعه فكونى له سامعه ولاتجاوبينى فى الكلام أفلق رأسك بهذا الحسام ثم صاح ياميمون خذ زوجتك فان الكريم صاحب الشرع قد أقمع أنف الغيرة قمع فعند ذلك دخلت على ميمون فوضع رأسه على حجرها بعد ما قبلها وهو فى غمرات الموت وكلما عانقها أنشد يقول :

لقد لقينا الأهوال حيناً لحينا ... وتعبنا لغيرنا وشقينا
التقينا وما شفينا غليلا ... وافترقنا كأننا ما التقينا

(قال نجد بن هشام) ثم شهق شهقة خرجت روحه فيها وأما سلمى فانها فرحت بذلك فرحا شديدا وعلم الغطريف بموته لحزن عليه لأجل إقدامه على الأهوال وصبره على لقاء الرجال وكان الغطريف لما أتاه ميمون بمزنة والغمام بقى متحيراً فيمن يجعله سايسا لها فأشار عليه ميمون قبل أن يموت أن يجعل عليهما أخوه المسمى بزيتون وآخر يقال له زند الفيل ففعل ذلك فلما مات ميمون طمع زيتون فى أخذ سلمى فأقبل على مولاه الملك الغطريف وقال له أيها الملك إن أخى ميمون قد قطعت رجله وقضى نحبه فى أخذ « مزنه » وقد توفى الى رحمة الله تعالى وسلمى زوجته وأنا أولى بزوجة أخى (قال) فلم يرد عليه جواب فتركه أيام وأعاد عليه القول فقال له ياولد الزنا إن رجعت إلى مثل هذا الكلام سقيتك كؤوس الحمام فغضب زيتون من كلامه وأقبل على زند الفيل وقال له ياأخى ان الغطريف قد غدر وأنا أريد أن آخذ مزنه والغمام وأمضى وأسير الى بنى كلاب وأردها الى جندبة وأعيش أنا وأنت عنده فى أحسن حال وأنعم بال فقال له زند الفيل افعل ماتريد (ياساده) فصبر الى الليل وساروا وهم على ظهور الخيل وأصبح الغطريف أن يركب الى الصيد والقنص فلم يجد الخيل فقال ربما يكونوا فى بعض المراعى فانفذ الخيل الى المراعى فغابوا وعادوا بغير طايل فبكى الغطريف من شدة القهر وتفرقت الخيل فى البرارى وعادوا بلا فائدة . وأما زيتون وزند الفيل فانهما ساروا حتى وصلوا قريبا من حى بنى كلاب فقال زيتون فى نفسه إذا وصلت اليهم وهذا العبد معى على هذه الصفة يقولون انه مثلى وشكلى فقال لزند الفيل اركب خلفى كأنك غلامى لأنك صاحب ميمون وأنا أخوه فقال زند

الفيل لاتكون أحمق أنا عبد ميمون وصاحبه فى كل وقت وأنت مثل الهوى فغضب زيتون وأضمر له الشر وصبر عليه إلى أن نزلا على الغدير وقفزعليه بخنجره وطلباه ثم ضربه ضربة مكينة فقتله فمن حلاوة الروح وثب الآخر اليه ثم ضربه فى فؤاده صرعه فماتوا من ساعتهما الاثنين فطلبت (مزنة) المراعى التى لبنى كلاب وتبعها الغمام (ياساده ياكرام) فهذا ماجرى لهؤلاء وأما جندبة فانه لما ان فقد مزنة تنغص عليه عيشه ورأى الأمير عامر بن عوف قتيل فبكى عليه وعاد الى الحى وحزن على مزنة وعلى عامر وأقام ذلك أيام وهو يستنجد بقبائل بنى كلاب وبنى عامر (قال الراوى) فبينما الأمير جندبة نائم فى منامه ولذيذ أحلامه إذ رأى رجلا مليح الصفة كثيرالمعرفة راكب على فرس أحمر وبيده رمح أسمر متقلد بسيف من جوهر فسلم على جندبة فهابه وأراد أن يسأله عن حاله فقال له الفارس : ياجندبه كف عما أنت فيه من هذا الحزن على مزنه ايش فان الله يردها عليك فقال له من أنت فقال أنا أبوك الذى خلفتك فى بطن أمك وقد خلفت لك أخ آخروهو يعيش عيشة الذل والارغام كما تعيش الصعاليك والأيتام فبكى جندبة ثم قال وأين أطلبه يا أبتاه قال إن الله يسوقه إليك عن قريب من غيرتعب فاركب غدا الى أياه لعلك تصل به نسبك وتقر به عينك وتقيم ملكك وتغنيه بعد فقره فأصبح جندبه خائف من هذا المنام وقال هذه أضغاث أحلام ثم انه ركب فى جماعة من بنى عمه وخرج من الحى إلى البريه وإذا هو بمطية فى عرض البر فرآها فاذا وراءها فارس ضعيف على فرس ضعيف عليه أثواب رثة وبيده رمح معصب عليه بالعصب وهو سائر على مهل فأمر جندبه بعض بنى عمه من بنى كلاب أن يأتيه بالفارس فلم تكن إلا ساعة حتى أتاه به فلما أوقفه قدامه قال له جندبه ماشأنك أيها الفارس الوحيد فى هذه القفار والبيد فقال له أيها الأمير المهاب والقرم الوثاب أنا قاصد بنى كلاب السادات الأنجاب طالب أميرها وحاكمها ومشيرها الأمير جندبه بن الحارث لأنه أخى فى النسب فقال له جندبه وقد صح عنده المنام وفرح فكيف ذلك ياغلام فقال له اعلم أيها الأمير إن أمى من بنى النضر وكان الحارث قد أخذها من قديم الزمان وتزوجها كما أراد الملك العلام وأقامت عنده إلى أن طرقه طارق الحمام وعلمت بموته قبائل العربان فتحركت عندهم الاحقاد القديمة والاضغان فعولوا على غزو عشيرته بعد موته فسمعت والدتى ذلك الخبر فخافت من السبي والضرر فهربت الى بعض أحياء العرب وولدتنى وتربيت إلى أن تولى عنى الفطام فأقمت أرعى الجمال وأنا مستور الحال وهى لاتعرفنى نسبي ولا من

هو أبى إلى أن دعاها داعى الحمام فقالت لى ياولدى أنا اليوم أموت وأنت اليوم لك ملك كبير وسيد خطير وهو أخوك وولد أبوك فقلت لها ومن هو أخى وما معنى ذلك الكلام فقصت علىّ قصتها على التمام . ثم إنه أعلم جندبه الحرز الذى كتبه الكاهن فى ذلك الزمان والاشارة المماثلة إلى سائر الألوان وانى لما سمعت ذلك أقمت إلى أن ماتت ودفنتها وكانت هذه الجارية التى معى هى ابنة خالى وهى ذات حسن وجمال وبهاء وكمال فلما ماتت أمى مات بعدها أبوها وخلف هذه الناقة والفرس فلما مات أخذناهم وأتينا إلى هذه الديار وهذه أمورنا والأخبار (قال) فلما سمع الأمير جندبه هذا الكلام صح عنده المنام ونادى بالكلاب صح المنام وماخاب ثم انه قص على القوم قصته وصدق أخيه فى مقالته وترجل اليه وضمه الى صدره وسلم عليه وفرح به وقال لعبيده اذهبوا به الى أبياتى واضربوا له المضارب الخاصة التى هى لأهل الاختصاص ثم سلم اليه النوق والجمال والخيل والأموال والطرايف الغوال فبينما هو فى بعض الأيام واذا هو بالصياح عالى والصراخ نامى فركب بعض الجنايب وسأل عن الخبر فقيل له ان أخاك عطاف قد قصد البر يتصيد فرآى مزنة والغمام وهما فى الخيرات والانعام بلا سايق يسوق ولا عايق يعوق فعندها خرج جندبه الى ظاهر الحى فرأى مزنه وهى قد أقبلت الى الأرض والبر بالصهيل وهى تضرب الأرض برجليها فلما رأت جندبة أقبلت اليه اقبال الوالد على ولده وجعلت تحمحم عليه وتمرغ وجهها على قدميه فصار يبكى من شدة فرحتها بها ثم سجد شكرا لله تعالى ودفع لأخيه الأموال ثم رجع هو وإياها إلى الحى وأقام فى أطيب عيش فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك الغطريف فانه لما فقد مزنه والغمام لزم الاحزان وحرم على نفسه المنام فأقبل عليه فى بعض الأيام شيخ أعمش أعور أفلج أفطس أزرق العينين أغبر كأنه من عفاريت بنى منقر فقال له أيها الملك أنا آتيك بمزنة والغمام فما الذى تعطينى من الأنعام فقال وحق ذو الجلال والاكرام لو طلبت روحى دفعتها اليك أو مملكتى تركتها لديك فقال ياملك أريد ما أراد ميمون فقال وحق من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ان سلمى لك ان أتيتنى بالذى أريد ثم عاهده على ذلك وكان الرجل اسمه جمرة الحداد وكان كما ذكرنا قبيح المنظر قد أخذ من الاسد وثبته ومن الثعلب زوغته ومن الغزال خفته كما قال فيه من علت همته هذه الابيات صلوا على سيد السادات:

يالقومى من شيخ سوء لئيم　　　أشقراللون اسود القلب كفرا

كافرا بالاله مازال نحس سيء الاعتقاد سرا وجهرا
حاز مكرا وحيلة وخـداعا كامل الوصف فى المناحس طرا
ساحرا ماكرا خبيثا لئيما فاجرا قد حوى من النحس مكرا
فهو كالصل من بنات الافاعى كلما طال عمره زاد شرا

(قال الراوى) ولما بلغ سلما أن أباها قد زوجها بجمرة الحداد بكت وتأوهت وتحسرت ونادت يارب العبـاد أطلب منك الخـلاص من هؤلاء الأوغاد ويلك ياغطريف لا بلغك الله أمل ولا أنجح لك عمل لقـد نزلت عن حـد المروءة ونسيت النخوة العربية وأبخشت الدرة اليتيمة المضية ثم انها أنشدت وجعات تقول هذه الابيات بعد الصلاة على سيد السادات :

يا شوم بختى فى الورى وتحيرى وسـواد قسمى بينهم وتعـثرى
بالامس كنت لعبد سوء زوجة واليوم صرت لشيخ سوء أعور
ياليت شـعرى ما الذى أذنبته حـتى أصـير زوجة للمفترى
لا نلت ياغطريف ما ترجوه من دنيـاك كلا بل ويوم المحشر
كم ذا تحط بقدر بنتك فى الورى وتركتها بين النسـا تتفطر
والله لولا اختشى من وقفتى يوم القيـامة بين أهـل المحشر
لقتلت روحى بل أرحت لخاطرى من كل هم زايد وتفكر
يارب بالهادى البشير محمـد خير الانام مخصص بالكوثر
اقطع رجا الغطريف من خيركما قد عاد مغرورا بكل الاعصر
وانزل لمزنة حسرة فى قلبـه حـتى يموت بدائهـا للمحشر

(قال نجد بن هشام) فقالت لها أمها يابنيه لعل الله تعالى أن يسقى جمرة كاس المنية كما فعل بميمون والصبر عاقبته محمودة والله يجزى الصابرين ثم انها لم تزل تراضيها الى أن سكن مابهـا فهذا ماكان من سلمى وأمها (وأما ماكان) من جمرة الحداد فانه خرج من حى بنى طى مثل الثعلب الامعط والثعبان الارقط وولده خلفه مثل شـعلة نار إلى أن وصلوا إلى حى بنى كلاب فاحنا جمر ظهره وقوس ركبتيه ثم عوج فـكه ومعط عينيه وعصب رأسه وأخمد أنفاسه وأظهر أنه ابن ألف سنة وجعـل ولده يقوده الى الأبيات حتى صار بين أطناب الخيام ونظر الى البيوت والاطناب وكان ولده أنحس منه بطبقات فصار الشيـخ يقول المنجم الحاسب الحكيم الـكاتب ينظر العايب ويخبر بكل شيء ذاهب ويكتب للمتبوعه والمتبوع ويقيم المصروع ولم يزل حتى وصـل إلى

أبيات جندبه فنظر إلى تلك المضارب والقباب والحراس فقال له ولده أرميتنا فى أضيق الأقفاص وما بقى لنا من الحى خلاص فقال له أقصر يا جبان ثم قال ياصاحب الجدى لك البشارة فقام اليه رجل شيخ يقال له زراره وقال أنا صاحب الجدى وله من حين ضاع ثلاثة أيام فقال جمره هات الحلاوه فقال أخبرنى من قبل أن أعطيك فقال هات قبل فقال الشيخ أنت سارق الجدى فلا أفكك الابه ثم قبض عليه فقال جمره وقد قدح الفكره انا أقول عن الجدى الذى فى السماء فعندها دارت به الصبيان وتضاحكت عليه العبيد والنسوان والشيخ يقول يا لص يا مهان هات الجدى وإلا أنزلت بك الهوان (يا سادة) فساقوهم العبيد الى جندبه وهم فى قتال وغلبه ونظر جندبه الى الغاغه فقال ما الخبر فأتوا اليه بالشيخ وولده وأعلموه بما هو فيه فقال له جندبه ما أنت أيها الشيخ فقال يا مولاى منجم أتكلم على النجوم ولكن ما أدرى بقضاء الحى القيوم لأنى كما ترى مكفوف البصر لا أفرق بين الأشكال والصور ولا ميز بين البهائم وبين بنى آدم الكرام الا بالنطق والكلام وأنا مالى صنعه الا أرقى البقر فى مداودها والخيل فى مقاودها والابل فى مرعاها والغنم فى مراحلها والمضارب والبيوت لا يدخلها سارق ولا ناهب فقال له جندبه أرقى هذه المضارب وأنا أدفع لك ما أنت له طالب فقال له ما أرقى الا بشىء لان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لارقوة الا برشوه فأعطاه جندبه دينار فانطلق مثل البلبل والهزار وصار يرقى ويقول بسم الاله الواحد مفجر الجلامد وكل صلد جامد ذو العز والمحامد مسخر الرياح ومسفر الصباح ومحيي الأرواح وخالق الأشباح جل الاله فاقتدر اذا عصا عبده ستر سبحانه من خالق سبحانه من رازق وللنوى هو فالق وأنزل الماء والمطر بعث لنا خير الورى شرف به أم القرى وفى الذى لنا سرى رأى الاله بالنظر أعيذ خيلك يا أمير جندبه من كل هم مستطير من الكبير والصغير وكل أنثى وذكر وكل قاصد بشر أعيذهم بالخالق من كل لص سارق وكل نحس مارق يريدكم منه بشر رقيتكم ياحضرين وأهل ذا الحى أجمعين القائمين والقاعدين من كل سوء وضرر بالمصطفى سيد مضر (قال نجد ابن هشام) فتعجبوا أهل الحى من رقوته وتباشروا برؤيته وقال له الامير جندبه ما قصرت يا حكيم الزمان فى هذه الرقوة ولكن أريد أن ترقى لى مزنة فرسى التى فى قلب كل أحد منها محنة فقال أنا أرقيها لك يا أمير واحرم أن يصل اليها صغير أو كبير فأرنى اياها حتى أضع يدى المباركة عليها واحرم النجم أن

يصل اليها فأخذه جندبه اليه ولم يزل يناشده الأشعار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار فقال له امشى معى ياحكيم الزمان الى الحجره والحصان حتى نحجب عنهم الانس والجان (قال الراوى) فسار جمره وولده شراره وجندبه معهم والعبيد بين أيديهم حتى وصلوا إلى الحجرة والحصان فلما أن وصل اليها جمره ووضع يده على مزنه فمن دهشته رمق اليها بالنظر فلمحه جندبه فاقشعر جلده وتحير وقال له أيها المنجم القمهار إنى أراك تنظر فى الليل وتعمى فى النهار فعلم جمره أن جندبه فهم عنه لما فتح عينه فقال والله ياأمير إنى لا أنظر لافى ليل ولا فى نهار ولا بقى جلد ولا اصطبار (ياساده) وكان فى الحلة رجل طبيب عالم بجميع الامور وفى الطب لبيب فطلب جندبه اليه فلما حضر بين يديه قال له جندبه انظر الى هذا الحكيم هل هو أعمى أو بصير فان كان أعمى غمرته بالخير والنعماء وإن كان بصير عذبته العذاب النكير فتقدم الطبيب الى الشيخ جمره وهو فى فكرة وحيرة وقال له عند ما قرب منه بالله يا أخى لا تفضحنى ولا تتسبب فى شنق وتكون سببا لقطع رزقى فقد وعدنى الأمير بناقة وجمل وفرس وثياب ودنانير وشيئا من الحنطة والشعير وأناأقسمه بينى وبينك نصفين وتربح الثواب من الذى مرج البحرين قال فضحك الطبيب وقال هذا أعمى لا يبصر أرضا ولا سما فرجع جندبه على نفسه بالملامه وأظهر لجمرة الكرامه وقال كلما تريده يأتوك به الغلمان فقال له أريد النار والحصى اللبان لأطلقه حول الحجرة والحصان فجاءوا له بكل ما طلب فأطلق حول الحجرة والحصان البخور وجعل يقول أعيذ هذه الحجرة والحصان بالواحد المنان من مانع السرج واللجام ومن السرعة فى حومة الميدان ومن الحكمة فى الخصيان ومن الطعن والطعان ومن العيا فى القتال عند التقاء الفرسان وبما أعاذ به السرحان فرس النبى صلى الله عليه وسلم ومن الدغل والوغل والمغل وانحراق الكفل ومن الطحال والخناق والسعال وأوجاع المفاصل والاحليل وبلول الدم ونهش العظم وعقر الظهر والالتحام ومن جميع الآلام ومن أكل الريش والمضر من الحشيش بسم الله عليكم وعلى من يركبكم عند مص اللجام وتفريط الحزام وأعيذك أيتها الحجرة والحصان بالبقرة وآل عمران والكهف وسبحان والنور والفرقان وأعيذكم من العلق والعرق بقل أعوذ برب الفلق وأعيذكم من الصدا والصديد والسيف والحديد والرمح المديد والسادات والعبيد من العرب والعجم والقريب والبعيد عقدت عنكم الحمة وأنفاسها والحمرة وأجناسها بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) فاخلع عليه جندبه خلعة سنية وعلى ولده كذلك وقال له مااسمك قال جمره ومااسم ولدك فقال شراره قال فتشوش

جندبه ونفر من هذه الاسماء وقال والله انها أسامى شنيعه ثم أمر الغلمان أن يفرشوا لهم الطرح والوسايد وقال لهم اخدموه بالطعام والموائد فقال جمره أريد أيها الأمير أن أطلق لها البخور إذا طلع نجم المشترى وأزهر عطارد ويكون كل أحد راقد فأمر العبيد أن يفكوا منها القيود والرباط حتى نمشيها على دخان البخور ليتم لك الفرح والسرور قال فأجابه جندبه إلى مقاله وقد أيقن ببلوغ آماله ثم انه أخذ القيود وأوصى العبيد ودخل إلى أبياته وقد أمن من آفاته وأقبل جمره يشاغل العبيد إلى أن وجد فرصة من الاناء الذى يشربوا منها العبيد الماء فوضع فيه مرقد كان معه فما شرب أحد منه إلا رقد فعند ذلك طلب هو وولده العبيد بالخناجر وعجلوا بهم إلى المقابر وطلع كل أحد إلى فرس وسارا يقطعان البرارى والقفار إلى أن طلع عليهما النهار والتفت جمره الى وراء فما رأى أحد ولا وجد أثر ففرح وأنشد وجعل يقول هذه الأبيات:

ألا يا نفس جدى فى المسير ... تفوزى بالمنى عند الحضور
عسى أن تسلمى تحظى بسلمى ... وأحظى بالمنى يوم السرور
خدعت بنى كلاب بالتعامى ... ومكر بالرقى ثم البخور
وما كنت ابتغى بالمكر إلا ... لأقطع رأس جندبة الأمير
فوكل بى عبيدا يحرسونى ... بقلب منه أضحى مستطير
فذبحت العبيد بحسن مكرى ... ومكنت الخناجر فى النحور
وأخذت لمزنة رغما ومعها ... حصان سابق طرق الطيور
وجندبة المقدم فى كلاب ... سيبكيهم بأدمعه الغزير
فان أسلم فقد نلت الأمانى ... بسلمى بنت ربات الخدور
وإن أعطب سلام الله منى ... على سلمى إلى يوم النشور

(قال نجد بن هشام) وجد فى المسير هو وولده ذلك النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار وهم أن ينزل وإذا بحس الخيل قد أقبلت من بعيد وقعقعة الحديد فأراد أن يهرب واذا بالقوم قد أحاطوا به من كل مكان ولذعوهم بالرماح وأقلبوهم وفى أقل من لمح البصر ارموهما إلى الأرض وكتفوهما قال وكان السبب فى ذلك أمر عجيب لأن جمره لم يراهم من بنى كلاب غرماه وقد تعجب مما دهاه وذلك أن هؤلاء القوم من قبيلة يقال لهم بنى أسد والحاكم عليهم أمير من العرب يقال له الليث بن فوز وكان له حجره وحصان لم يكن لأحد مثلهما فى ذلك الزمان وكانت الحجره يقال لها البرق لم يوجد مثلها فى الغرب ولا فى الشرق وكان يفتخر بها على كل غنى وصعلوك وحسده عليها سائر الملوك

وكانت العرب تقول والله ماهذه الحجره مثال إلا مزنه حجرة بنى كلاب فيقول صاحبها والله ماالحجرتى مثال ولاولدت مثلها عربيه من الخيل الغوال وكان يحبها تعبان وطول ليله سهران وكانت قد قصدتها العيارين وطلبت أبياته المحتالين وبذلت فيها الأموال للسلالين وكان أحرص عليها من جنده وقد نصب الأخشاب والصوارى وكل من أنكر عليه صلبه وأنزل به مصابه وعطبه ولا يخاف لومة لائم وقد شاع ذلك عنه فى سائر الجهات والمعالم فتوقفت عنها الطلاب ولم يبلغ أحدا من أخذها ارب وكان بالقرب منه قبيلة يقال لها بنى مخزوم ولهم أمير يقال له رفاع بن حسان فبلغه خبر الحجرة والحصان فأحبهما على السماع وحلا له المسموع بعد الامتناع وبذل الأموال والتحف للسلالين وغيرهم من العيارين ولما أن أعياه الأمر قال ان من أتانى بهما زوجته ابنتى الحسنا ذات الحسن والجمال وكانت قدخطبوها منه أمراء العرب وأهل المفاخر وذوى الرتب ولم ينعم بها لأحد فى ذلك الزمان فبذلها لمن يأتيه بالحجره والحصان وحلف على ذلك بالإيمان فلما سمعت العيارين ذلك الضمان أتوا اليه من كل مكان وبذلوا نفوسهم للمعاطب طمعا فى نيل المآرب وكان من جملتهم رجل يقال له شواش بن عامر وكان خبيث ماكر فقال يا مولاى أنا آتيك بالحجره والحصان وتوفى لى بالضمان فقال أى وحق خالق الإنسان ومن تعالى عن المكان والزمان ولم ينتهى إلى حد معرفته إنسان وأغنيك إلى ولد الولد وأزوجك ابنتى الحسنا دون كل أحد ان وفيت بالضمان ثم انه دفع له شيئا من المال وقال له اقضى حاجتى وانفق ولا تخف من الاقلال فطلع من عنده كأنه العقاب وأخذ معه سلال آخر وكان مثل الشهاب وقد دفع له شطر المال وتقمش بالقماش الفاخر ودخل على الليث فى صفة شاعر فلما كان عند الصباح واجتمعت أمراء العرب المخدومه عند الليث على جارى عادتهم قام العيار شواش بن عامر على قدميه وأنشد يقول هذه الأبيات :

أيها الليث أنت للعربان	سيد والجميع كالغلمان
وجميع الأنام جمعا ينادوا	ويقولوا لمن به الحرمان
اقصد الليث ابن فوز ترى ما	أنت تطلبه حاضرا للعينان
فاق كل الورى وزاد عليهم	لا فلان تقول أو ذا فلان
وهو بحر العطا لمن يرتجيه	وسواه أدنى من الخلجان
فاق أهل العطا بالفضل طرا	وبما قدحوى من الإحسان
ملك الناس بالمكارم والجود	جميعا فهم له غلمان
عبدك الشاعر الذى جاك يرجو	منك نيل المنا ونيل الأمانى

أنت كنز العطا فلا زلت ترقا لمحـل مادونه كيوان
فايق فى عز نعمة وسرور ماا اعترا قلب عاشق خفقان

(قال الراوى) فقال الليث أحسنت أيها الشاعر الفصيح اللسان أنت أوحد هذا الزمان ثم خلع عليه خلعة سنية وأمر له بالاكرام وقعد يسامره إلى نصف الليل فقام الليث الى فراشه لينام ومشى شواش الى عند العبيد وجعل ينشد لهم الأشعار ويورد الأخبار ويحدثهم بأنواع الهذيان والفشار الى أن نامت العيون وهجعت الكلام ونام كل من فى الحى من الشيوخ والشباب فقام شواش هو ورفيقه وهو كأنه النمر الحردان وأتيا الى عند الحجرة والحصان وحلوهم من القيود وخرجوا بهم من الحى وركب كل واحد منهما جواد وساروا من ذلك الأماكن والبلاد واتسعا فى البر والوهاد وكان فى طريقهما وادى يقال له وادى السباع فأرادوا أن يكمنوا فيه خوفا من الطلب وإذا قد خرج عليهم أسدا درع فقتل الفارسين وكسر الجوادين فهذا ماكان من السلالين (وأما ماكان) من الليث فانه خرج من مضربه عند الصباح يتفقد الخيل فلم يراها ووجد العبيد مذبوحين فعلم أنه مادهى الا من الشاعر المهين فصاح فى الخيل فركبوا وطلعو بمثل السيل وساروا ذلك النهار أجمع الى الليل فوقعوا بجمرة وولده كما ذكرنا فنزلوا عليهما بالصفاح الى أن أثخنوهما بالجراح ثم أخذوهم وأتوا بهما الى الحى وقدموهم الى مقدمهم الليث فنظر الليث الى الغرما فلم يجدهم غرماه والحجرة والحصان ماهم خيله فتعجب من ذلك ولكن أعجبته الحجرة وصارت حجرته عنده لاتساوى نعل مزنة عند ذلك أقبل على جمرة وقال له من أى العرب أنت وإلى أين أنت سائر فقال له جمرة يامولاى أنا رجل شاعر أمدح أصحاب العلا والمفاخر وهذا ولدى ومن عليه معتمدى وقد قدمنا على الأمير جندبة أمير بنى كلاب ومدحناه بشىء من الأشعار فأعطانا الخلع والمال وهذه الخيل القليلة المثال فوقعتم أنتم بنا وفعلتم بنا هذه الفعال ولابد أن تشيع عنكم هذه الأخبار والأعمال الردية بين قبائل العربان وفى محافل الرجال فقال رجل من مشايخ العرب كذبت يا قبيح المنظر هذه خيل ماتعطى لشاعر وهى رخيصة بالنفوس والخواطر والله ما أنت إلا سلال وماكر ومحتال ثم قال أيها الأمير قد أخلف الله عليك عوضا عن خيلك بهذه الحجرة والحصان فلا تبتلى نفسك بالحرمان فعندها قبضوا على جمرة وولده شرار وسلموهم للعبيد وأقاموا عليهم التوكيل الشديد فأقام جمرة الى نصف الليل وأراد أن ينام فمنع المنام مما هو فيه من القيود والأغلال فبينما هو فى حيرة وخيال وإذا به قد سمع عبد يتأوه ويتحسر فى جنح الظلام وهو مع ذلك ينشد ويقول هذه الأبيات :

لقد كان يسى القاب فى كل ليلة　　ثمانون بل تسعون نفسا وأرجح
يهيم بهذا بل ويشق غيره　　ويسلى هوى من نوره حين يصبح
وكان فؤادى خاليا قبل حبكم　　وكان بكل الخلق يلهو ويمزح
فلما دعا قلبي هواكى أجابه　　ولست أراه عن ودادك يبرح
رميت بهجر منك ان كنت مازحا　　وان كنت فى الدنيا بغيرك أفرح
وان كان شيء فى البلاد بأسرها　　إذا غبت عن عينى عبيدك أفلح
فان شئت واصلني وان شئت لاتصل　　فلست أرى قلبي لغيرك يجنح

(قال الراوى) إلا أن جمرة لما سمع ذلك الكلام من العبد علم أنه عاشق ومستهام فأقبل عليه وقد علم أنه يحب بعض الاماء وقال له انى أراك تشكى الصد والهوى ولك عندى الدوا فلو كنت تقدر على خلاصى لكنت أوصلتك الى ماتريد فقال العبد اكتب لى كتاب وأنا أخلصك من تلك الأوصاب ولكن أخاف عليك أن تخرج الرجال خلفك والخيل إلا أن يكتب الله لك السلامة منهم ومن هذا الوادى المسبع فأنت تصل الا بنى طى لأن ماعليك خطر الا مما ذكرت لك فقال له هات الدواة والورقة وخلص لى الحجرة والحصان ودع الأرض تنفر على رجالا وفرسان وأسود وغيلان فقال سمعا وطاعة ثم انه أتاه بما طلب فكتب له جمرة كتاب الهذيان ورق له بفشار اللسان وكان العبد قد خلص له الحجرة والحصان فدفع له ذلك وركب الحجرة وولده الحصان وطلب البر والكثبان ولم يزالوا على ذلك الشأن حتى وصلا الى الوادى المسبع فلحق ولده شرارة البول فقال لأبوه يا أبتاه امسك لى الحصان حتى أنزل للبول فقال جمرة ضيق الله عليك الأرض يا ابن القحبة أنت ضاقت عليك الدنيا ما تبول الا هنا فقال والله ما بقيت أقدر أخطى من ذلك المكان ثم نزل من ذلك المكان ثم نزل من على ظهر الحصان إلا أنه ما وصل إلى الأرض إلا وسبع قد خطفه من بين الشجر وكبس عليه فانذعر ومات لوقته وأكله السبع فلما رآه أبوه تأوه عليه وتحسر وأطلق عنان الحجرة والحصان فى يده وسار الى أن أصبح الله بالصباح فأشرف على حى بنى طى فاقتحم الابيات وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ياعاذلى كف فقد　　زاد غرامى والكمد　　لم يبق لى صبر على
حث الركاب ولا جلد　　وكان صبرى معى　　واليوم صبرى قد نفد
وحب سلمى قد بثث　　عظمى وأوهى للجسد　　وصرت أنا من حبها
مثل الخلال لدى الوقد　　وما كفى حتى الضنا　　والهم عندى والنكد

حتى تخطفت العدا جسمى وزادوه الكمد لهفى على ولدى الذى
قد كان نارا تتقد مازال فى اهراقه دم العدا حتى جمد
يادهر يكفاك الذى تفعله من حر النكد أرميتنى عند العدا!
أحرقت قلبي والكبد أبعدت سلمى بالجفا عنى وهجران وصد
فالله يجمع بيننا بقل هو الله أحد

(قال الراوى) ودخل الى حى بنى طى بمزنة والغمام فهذا ماجرى لجمرة من الامور (وأما ماكان) من الليث بن فوز فانه عند الصباح فقد الحجرة هى والحصان فصاح فى بنى عمه فأقبلت اليه وقد أقبلت الدنيا وسألوه عن حاله فأخبرهم بهروب الغريم وأمرهم بالمسير خلفهم فعند ذلك اقتفوا آثار الخيل وإذا هى طالبة وادى السباع فساروا قليل وإذا بجثة شرارة مرمية ورأسه مثل الأكره فعرفوه لكن ما وجدوا لأبيه خبر فساروا الى داخل الوادى واذاهم بالحجرة والحصان مقتولين وكذلك السلالين الى جانب الخيل مطروحين فبكا الأمير الليث لأجل محبتهم وقال الحمد لله الذى أكلهم السبع ولم يحظى بهم أحد غيرى ثم انهم رجعوا الى الديار وما فى قلبه غير الوجد والافتكار (فهذا ماكان) من أمر الليث بن فوز (وأما ماكان) من جمرة فانه دخل المضارب وقد وقع الصياح من كل جانب وتلقته الاماء بالدفوف والمزاهر ودخلوا به الى الغطريف بن مالك فخرج الى لقاه ونظر الى الحجرة فكاد أن يطير من الفرح والاستبشار وجمرة لايطيق يتحرك من ألم الجراح فقام الغطريف الى مزنة وجعل يقبلها وجعل فى عنقها قلائد الجوهر وعلى ظهرها حبل من الحرير الابريسم الاحمر وركبها ودخل بها الى الحى وأعاد بالاطباء وأمرهم أن يداووا جمرة الى أن يعود الى الصحة ويبرأ ويدخل على سلمى من غير رأيا ولا أمرا فواضبوه أياما وهو لايزداد الى بلاء وسقاو ولما أن خاف أن يشرب كاس الحمام قبل بلوغ الآمال فأقبل الغطريف وقال له أيها الأمير أين الذى وعدتنى به من وعدك الظريف فعندها أحضر الحجرة والحصان وقال له اركب ما شئت منهما أيها الدهقان ثم صاح لسلمى فخرجت اليه وهى كأنها غزال عطشان فقال لها ادخلى الى زوجك فقالت له يا أبتاه وكيف تفعل بى ذلك بالأمس أعطيتنى لعبد قليل المقدار واليوم لشيخ أعور مثل عفاريت القفار فقال دعى عنك هذا المقال فان كان وجهه قبيح ففعله مليح وماجمال الرجال إلا الصبر وركوب الأهوال والمرأة لاترى زوجها إلا فى عينها مليح ثم صاح يا لخنا إن عدتى تردى على أمر أو كلام لأعلون رأسك بهذا الحسام ثم قال خذها إليك ياجمرة فقد قمع الشرع أنف الغيرة

قال فدخلت اليه وهى باكية العين تدعو على أبيها ولما صارت عنده أراد أن ينهض اليها فلم يطق أن يتحرك من ألم الجراح هذا وسلمى تدعو فى سرها وتتضرع الى عالم الخفيات أن ينقذها من جمرة ولايترك فى قلبها حسرة وأما جمرة فانه لماأراد النهوض اليها سقط مغشيا عليه وأيقن بالممات فأشار يرثى روحه قبل موته وهويقول : أنا ما أخاف الموت بل أخاف الفوت ثم انه بكى وأنّ واشتكى وأنشديقول هذه الأبيات

الله يعـلم والدنيا منغصة | والعيش منقلب والدهر ذو ملل
لأنت عندي واسأل ظنونك بى | أحلى من الأمن عندالخائف الوجل
والله لولاك ياسلمى لما سمحت | روحى لروحى بخوض السهل والجبل
ولاسعيت برجلى نحو من طلبوا | قتلى بحد الظبا والطعن بالأسل
فان تجودى بوصل منك لى برضا | أولا فانى عنـك الآن مرتحل
إما بموت سريع لابراح له | عنى وإما بصـد منك يا أملى
فـكيف والجسم منى بالرماح غدا | مهبرا اننى فيـك دنا أجلى

(قال نجد بن هشام) ثم شهق شهقة فارقت روحه الجسد ومات فعندها حمدت سلمى ربها تبارك وتعالى وخرجت من الخبا فقال لها أبوها مالك ياسلمى فقالت له مات بعلى فضحك من قولها وقال لها أنت غير مباركة على الأزواج فقالت له يا أبتاه أنت قد خيبت مقصدى فما ضيع الله حسبي ولا نسبي (ياساده) فهذا ماجرى لهؤلاء . وأما ما كان من أمرالأمير جندبة فانه لما أصبح الله بالصباح افتقد مزنة والغمام فلم يجدهم فى الخيام فصاح يالكلاب يالكلاب الخيل يا أرباب الخيل فعندها ركبت العرب على صهوات الخيل وساروا النهار والليل وهم ينادوا أيها السيد وحق آبائك الطاهرين وأياديك الطاهرة وإنعامك المتواترة لو أن مزنة فى يد عاد الأكبر أخذناها أو فى الجبال الصم نزعناها ثم إن القوم ركبوا الخيل وساروا فى الوادى وتفرقوا فى كل مكان وجندبة قد أرسل النجابة فى طلب مزنة فغابوا وكانوا القوم منتظرين حضور النجابه حتى يعودوا بالجواب فعادوا النجابه بعد أيام قلائل بأصدق البراهين والدلائل وأخبروا أن الحجرة والحصان عند الغطريف فى غاية الانعام والاكرام فعندها رحل جندبة بمن جمعه من القبائل ولم يترك طفل صغير ولا شيخ كبير وسار الى بنى طى وهو فى نار لا يطفأ لها شرار (ياساده) وكان لبنى طى فى بنى كلاب عيون وجواسيس تأتيهم بالأخبار حينا بعد حين فلما نظروا ماتم من جندبة ومسيره فسبقوا الى الملك الغطريف وأخبروه بما كان من جندبة وبنى كلاب وانهم سائرين اليكم وقادمين عليكم

فنادى الغطريف فى بنى طى وأمرهم بالمسير وهو يقول إن أرذل الرجال من تدوس الأعداء دياره وتقاتله فى أمصاره فتحررت الرجال وسارت نحو بنى كلاب وهم كأنهم أسود الغاب وكان الملتقى على وادى يسمى وادى الجندب فلما وقعت العين على العين تصايحت أبطال الطائفتين واصطدمت العسكرين وحان الحين وزعق على رؤوسهم غراب البين وعملت الصوارم فى الفريقين وتصادمت الفتيان ونفذت فى الصدور العيدان واستوفى الضرب والطعان وانقضت عليهم عقبان القضاء والقدر وسحبت سحائب النجيع كالمطر وصارت الأعمار الطوال فى قصر وقاتل جندبه ومن معه وصبر وتغيرت الألوان وفسدت الصور وظهر الغطريف على ظهر مزنة وعليه درع أصفر لاتنفذ فيه الابر وفى يده صارم أبتر وهو معتقل برمح أسمر من عمل سمهر فصال على جندبه وهدر وصاح وزمجر فلما رآه جندبه على حجرته لم يجد مصطبر دون أن قفز اليه واشتهر وناداه ياويلك يامن فجر وغدر أنت ما أخذت مزنة بقتال ولانزال بل بحيلة محتال فدونك الآن والحرب ومقام الطعن والضرب ثم انه ساواه فى مجاله وطلب حربه وقتاله وأنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

تعديت ياغطريف عمدا على مالى ... فما أنت إلا من سلالة أندال
فكن نازلا عن ظهر مزنة عاجلا ... بضربة بتار لذى الحرب قتال
سآخذها قهراً ولست بنايل ... بحيلة محتال ولست بسلال
وان كانت الأخرى وحانت عوائق ... وعاجلنى كأس المنون وآجالى
فما أنا بين الناس أول سيد ... أصيب بأموال تغير أحوال

(قال الراوى) فلما سمع الغطريف كلامه وما أبداه من نثره ونظامه تقدم اليه وناداه يالكاع أنت تعايرنى بالخداع وهو من أبواب الحرب والقراع ثم أجابه على شعره وهو يقول هذه الأبيات

أجندبة ارجع حقيرا باذلال ... ولاتطمع النفس الخبيثة فى حال
تعايرنى أنى ملكت لمزنة ... بحيلة محتال وسلة سلال
وما الحرب إلا خدعة وشجاعة ... لكل بخيل فى الزمان على مال
ومن دونها حرب يشيب لهوله ... من الخوف أبطال وترعد أقيال

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وتسابقا فى حومة الميدان والمجال وأخذا فى الحرب والقتال وتعجبت فى قتالهما الفرسان والأبطال ولم يزالا فى طابق الجولان مقدار ساعة من الزمان وبعد ذلك اختلفت بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة الأمير

جندبه من فرط محبته لمزنه وكان الغطريف فارسا قد لقى كل مصيبة ومحنة فلما رأى السنان وصل اليه مال عنه بمعرفته إلى أن جازه السنان وكسر حدته ثم طعنه مجاوبا لطعنته فوقعت فى فخذه شكته إلى جانب الحصان وأحس الجواد بالطعنة فوقع بجندبه الى الأرض فأوهنه ولما رأت بنى كلاب إلى سيدها ملقى على التراب والملك الغطريف رجع اليهم كأنه العقاب وهو يطعن طعنات كأنها نار الالتهاب ولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وتبعوهم بنى طى كى يضربوا منهم الرقاب وينزلوا بهم الدمار فصاح فيهم الملك الغطريف ونادى : يابنى عمى القوم مابيننا وبينهم دما فلا تنهبوا لهم مال ولا تقتلوا لهم أبطال ولا رجال فرجعوا بنى طى إلى ديارهم عند سماع الملك الغطريف وقد علاهم الفرح والاستبشار وبتلك الفعلة انقطع عن بنى كلاب الطمع والطلب فقال بعضهم لبعض : يابنى الأعمام إن القوم قد جاءهم شغل وإلا ما كانوا انقطعوا عنكم ونحن كيف نرجع الى الديار ونترك جندبه مرمى فى تلك الوهاد والقفار فرجعوا القوم إلى الميدان فوجدوا الارض كشقيقة الارجوان وافتقدوا القتلى فوجدوا الأكثر من بنى كلاب فتأسفوا على هذا المصاب فجعلوا يقولون هذا فلان وهذا فلان وعلموا أن ذلك باذن الملك الوهاب ورأوا الأمير جندبه بين القتلى مطروح إلا أنه فيه الروح فحملوه وعادوا الى الديار وقد نزل بهم الذل والوبال فلما وصلوا المضارب وقد حلت بهم المصائب ونزلوا وقد ندبت النوادب على من قتل لهم من الحبايب ثم انهم قطبوا جراحات الأمير جندبه لكن بطلت رجله ولا بقى يمشى إلا على عصاه وقدطمعوا قومه فيه وقل فى أعينهم وتضعضع حاله ونفرت منه رجاله وعلم أن أمره قد صار غير نافذ فادعى بأخيه الأمير عطاف وكان كريم الأوصاف كامل الخصال كثير المال والرجال ثابت فى المجال يوم الحرب والقتال فقال له يأخى اعلم أن خير القول أصدقه والأمارة لها شروط ومن جملتها المال والرجال والنشاط وأنا قد فقدت هذا كله ولا بقى يلذ لى مركوب بعد مزنة وقد رمانى الزمان بعدها بالحرمان والمحنة وأن الأهل والعشيرة لهم على حق لا أضيعه وقد رأيت من الصواب أن تكون أنت الأمير علينا والمشار اليه فينا ثم ادعى بأهل القبيلة وأخبرهم بذلك فأجابوه الأبطال واستصوبوا ذلك المقال وخاطبوا عطاف بالأمارة جميع الرجال فأعطى وأوهب وفرق الخيول والجمال والفضة والذهب وفرحت به الرجال والنساء وجميع العبيد والمولدات والاماء ومن ذلك اليوم انفرد الأمير جندبه فى بيت منفرد عن الناس ولبس الخشن من اللباس وتواترت عليه الأمراض والأعلال وتغيرت عليه الاحوال وجفاه كل صديق وانقطع عن زيارته كل رفيق فجلس فى بعض الأيام

وتفكر فى أحواله وتفريق رجاله فأنشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

تولت نعمتى ومضى زمانى ... وها أنا قد بقيت كما ترانى
فيوم العز كنت أعز قومى ... وأسبقهم إلى نيل الامانى
ومذ فارقت مزنة عاد عزمى ... إلى ذل يجدد بالهوان
عدمت ركوبها فعدمت صبرى ... وبان تجلدى ووهى جنانى
ترى قبل المماث أرى قبابى ... رفيعات العوامد والمبانى
ويرزقنى الإله فتى كريما ... يصول على الفوارس بالطعان
ويأخذ من عدانا التار قهرا ... بضرب السيف مع طعن السنان
ويأخذ مزنة من تحت خصمى ... ويقهر من يعاند فى الزمان
أنا المغبون فى هزلى وجدى ... فيا مولاى جد لى بالأمانى

(قال الراوى) إلاان جندبة لما فرغ من شعره صلى ركعتين لله تعالى ونام فرأى فى منامه قائلا يقول ياجندبة أبشر فان الله تعالى يعوضك عن رجلك الجنة ولابد أن ترزق ولدا يخلفك من بعدك ويملك البلاد وتطيعه العباد فاشكر الله على هذا الحال فلاتضيق صدرك على إذهاب المال (قال) فانتبه وهو متعجب من ذلك المنام ولم يزل ينتظر تلك الاحوال مدة من الزمان وبعد ذلك طرقه الحمام فأصاب بنى كلاب عليه أعظم مصاب وبكى عليه الرضيع منهم والفطيم والمشايخ والشباب ثم أدرجوه فى الاكفان وواروه التراب ومضى عليه الزمان حتى كأنه ما كان وبعد موته بأيام قلائل ظهرت زوجته حامل وما كان لها من يقوم بها بعد الملك والمال إلا الإذلال والتخضع والسؤال فقالت فى نفسها والله لا بد لى أن أقصد الأمير عطاف وأطلب بذلك الرأفة من خفى الالطاف ثم انها سارت الى عطاف فوجدته جالس بين السادات الصناديد والموالى والعبيد فتركته ودخلت الى زوجته ولما قدمت عليها بكت بين يديها وقالت لها أيتها السيدة لاجعل الله لك الى ذى فقر حاجة ولازلتم تحكمون بالعدل وجنبتم اللجاجة وقد رأت عيناك وسمعت أذناك ما كنا فيه من الحلة والمال والعز الى أن تقلبت الأيام والليالى وقد أتيت اليكم قاصدة بعد العز ذليلة وبعد الكثرة قليلة وإذا ماتت الرجال ذلت النساء وكفى ان قلب كل أحد علينا قد قسى ثم أنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات

كفاك بأن الدهر يبدى العجائب ... وما مفنى الأعمار عنا بغائب
وما هذه الأيام إلا مراحل ... مواردها ممزوجة بالمصائب
وإلا فأين الأكرمين الذين مضوا ... لهم منصب من فوق كل المناصب
وكانوا إذا ساروا لكل ملمة ... احاطت بهم مستعظمات الكتائب

(قال الراوى) فلما سمعت زوجة عطاف منها تلك الاوصاف مالت اليها بالانعطاف وقالت

لها أيتها الأميرة نحن لكم نعم الذخيرة أما والله ما كنت فقيرة ونحن أغنياء وذمة العرب أنا ماتركت افتقادك إلا خوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك اننا جعلناك موضع الصدقة وبعد فكل فضل وصل إلينا فمن بعض فضلكم فأقيمى عندنا ولك مالنا وعليك ماعلينا ثم خلعت عليه شيئا من ثيابها وحكمتها فى النعم وأفردت لها مكانا فى وسط بيتها وأقامت زوجة جندبة عندزوجة عطاف آكلة شاربة مدة ذلك الاسبوع ومامعها شيء ممنوع وكان قد وصل الأمير عطاف من مجلس الحكم فأعادت زوجته عليه قصة زوجة أخيه جندبة فدمعت عيناه وقال إن أردت أن تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك ثم قال لها أكرمى مثواها وكانت زوجة عطاف حامل وكذلك زوجة جندبة حامل باذن من سير الحامل فكانوا الاثنين كفرسى رهان فلما كملت لهما لأيام واعتراهما الطلق كان ذلك فى يوم واحد بقدرة الإله الخالق الماجد وكل واحد منهم فى جانب وعندهما القوابل وكان أول من سهل الله عليها كانت امرأة الأمير جندبة فوضعت ولدا ذكراً كأنه البدرإذا بدر ووضعت زوجةعطاف بنتاً كأنها قمراً طالعاً فسموها «ليلى» وسموا ابن جندبة «الصحصاح» لأن وجهه كان كالمصباح ونشيا الاثنين مثل النجمتين والشموس والقمرين وتموا عدة الأشهروتربوا فى الدلال عددالسنين والأعوام إلى أن بلغ الصحصاح من العمر خمسة عشر سنة فكان الصحصاح أحسن الصبيان وكانت ليلى أحسن البنات وهى كما قال فيها ابن الثريا هذه الأبيات:

مما يشا خلقت حتى اذا كملت ... فى رونق الحسن لاطولا ولاقصر
ربى لها الشحم حتى سدا كعبها ... فهى كالغصن لا سمن ولا ضمر
فانها خلقت من ماء لؤلؤة ... فى كل ناحية من وجهها قمر

(قال الراوى) وكانت تفوق النسوان والبنات الملاح بعيون سود تمرض القلوب الصحاح مليحة الحدق طريلة العنق كما قال فيها الشاعر:

كان سلاف الخمر يشبه ريقها ... وعنقودهامن شعرها الجعديقطف

(قال الراوى) ياساده وقد نالت من الجمال أمانيها وقضيب البان يخجل تثنيها فسبحان مصورها وخالقها وباريها وكل الملاحةقد جمعت فيها بوجه مثل القمر الوضاح لو بدت فى الليل المظلم لصار صباح كأنها تتبسم عن ثغر منظوم قد سرقت قدها من قضيب واستوهبت ردفها من كثيب وهى من أحسن البشر من عرب ومن حضر خصرها نحيل ووجهها قمر تورث القلوب عذابا وتسق من رضابها جلبابا (قال الراوى) وكان الصحصاح بوجه صبيح وقد مليح ولسان فصيح تبان النجابة من

عينيه والشجاعة من كفيه كامل الصفات ظريف الحركات كأنه القمر اذا أبدر أو الصباح إذا أسفر يسبي بحسنه عقول ذوى الألباب (قال الراوى) وخرجت ليلا فى بعض الأيام مع أترابها للغدير تتفرج على الزهر المنير وحولها جميع جوارها والبها والحسن قد حازها وكان من الاتفاق أن الصحصاح خرج يتفرج على الربيع والأرض قد اكتسبت حلتها الخضرا وقد فاحت روايح أزهارها وهى أزكى من عطر عطارها كما قال فيها

محاجرها بيض وأحداقها صفر — وأجسامها خضر وأنفاسها عطر

(قال الراوى) هذا والشقائق كالزنوج وقد حاربت فسالت دماها وهى تلمع باحمرارها والاقحوان فى وسطها والسوسبان كأنه أذناب الطواويس فى بسطها والأرض قد فرشت بأنواع الملابس فجعل الصحصاح يتفرج على الغدير وينظر إلى ليلى وهى كأنها القمر المنير فهاج جنانه ونطق لسانه لأنها رشقته بسهم من كنانة جفونها فجرحت قلبه بغنج عيونها فباح بما فى فؤاده من الغرام وهتك ستر الحيا والاحتشام وقال بلسان النظام هذه الأبيات العظام :

زعمتى بأن القلب منك سليم — وقد ضل عندى للغرام غريم
إذا برزت عند الضحى نفحاته — يهب عليه فى هواك نسيم
فبالله ياليلى على تعطفى — بوصل فانى فى هواك سقيم
ورقى على من ظل فيك معذب — فان عذاب العاشقين أليم

(قال الراوى) فسمعت ليلى شعر الصحصاح فخجلت ومن أترابها استحت وعظم ذلك عليها فقالت ياصحصاح تفضحنى فى كلامك وشعرك ونظامك فقال لها الصحصاح يامولاتى مالك كنيت ولا باسمك عنيت فلما سمعت كلامه شق ذلك عليها وعادت الى منزلها وحدثت أمها فقالت لها يابنيه لعله أعنى إلى غيرك وهل هو الا يتيم أباك (قال الراوى) وشاع الحديث من أمة لها الى بعض بنات عمها فسمع الحديث أبوها عطاف ففزع على عرض ابنته فدعى اليه زوجته وأطلعها على الحال وقال لها يا ابنة العم هذا الصحصاح قد بلغ مبالغ الرجال وكذلك ابنتك ليلى قد بلغت مبالغ النساء وقد ألفها وألفته من حين كانوا صغار والتفريق بينهما هو عين الصواب والا صرنا معيرة عند سائر الأعراب فلما سمعت زوجته ذلك استصوبته وأنفدت فى الوقت خلف الصحصاح فلما حضر بين يديها سلم عليها فردت اليه السلام وقالت له ياولدى اعلم أنك قد بلغت مبالغ الرجال وما يخفى عليك الحال ونريد منك أنك لاترجع تلم بنا ما هو كرها فيك ولكن خوفا من كلام الناس فى حقنا ويشهد الله على بعد هذا

الأرض كأنه قد ألجم بلجام وخرج من عندها ودموعه تتحادر من على وجناته ويتشرق بكاس عبراته وقد أضرمت نيران زفراته فلما أبعد عن الخبا أنشأ وجعل يقول :

تأوهت من نار الغرام وحق لى إذا صحت من الصبابة أو وآها
حلفت بمن حث القلوص الى منى ومن طاف حول البيت انى أهواها

(قال الراوى) فلم يزل كذلك الى أن دخل على أمه وأشكا اليها جميع ماجرى له وما قالت له زوجة عمه وكيف منع من الدخول على ابنة عمه فقالت له ياولدى هذه الفول ما أنت إلا ولدنا ولكن ياولدى نخاف من معيرة العرب وما منعتك من الدخول على ابنة عمك ليلى إلا لأجل شعرك الذى قلته لها عند الغدير ومهما أردت ياولدى من الحويج عرفنا حتى نقضيها لك على ماتحب وترضى وما لنا شيء نخفيه عنك إلا ليلى وأنت وإياها بريان من الخنا والرياء ولكن ياولدى قد قالت الحكماء من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب فلما سمع الصحصاح من امرأة عمه ذلك أطرق إلى جمرة جناها لسانك ولولا ماذكرت من لفظك وشعرك لكنا نكون فى نعمهم إلى الممات وأنت قد أشفيت بنا قلوب الحساد وأشمت بنا الأضداد فأنت فقير يتيم لم لاتنظر الى من رباك بالعظمة والتوقير ياولدى ومن يكن فى بيت يأ كل من صدقته ويستتر عورته كيف يمد عينه إلى حريمهم فاترك نارك وعشقك وتحيل لك فى قميص تلبسه واهتم فى القيام فى قوتى وقوتك فما لى ولك إلا الطحن بالرحى ولا نبذل وجهنا للأعداء ولو كنا فى غير حى بنى كلاب كنا قصدنا من الناس وأ كلنا ويلك ياولدى ألم تعلم انك اذا ذكرتها فى شعرك صار لها حديث عند أهل الحى وينكس بختها وتتمنع خطابها وما جزاؤهم منا ياولدى وقد ربوك يتيما وكفلوك فطيما وفعلت معهم أنت فعلا عظيما لأنه فعل تندم عليه وسوف ترى عواقبه (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح عتب أمه وعندها ذرفت الدمعة من عينيه وتحادرت على خديه وقال لها إليك عنى فقل من الكلام . ثم أنشأ وجعل يقول :

خليلى إنى عاشق ذو صبابة بليلى وانى قد أبوح وأعلنا
فمن شاء منكم أن يلم لايهمنى ملامكم لى يكثر الشوق والضنا

(قال الراوى) فلما سمعت أمه كلامه زاد كربها وحزنها كيف ذكر ليلى فى شعره وجردت عليه ونهرته وتطلب بذلك تكسره عما هو فيه خوفا عليه من نوائب الزمان قال فعند ذلك رفع رأسه إليها وقال ياأماه أما قولك ينكس بختها وتقل خطابها فأنا أولى بها وهل هى إلا ابنة عمى ولاعيب فى أصلى وإن كان الفقر قد ازدرانى فان الذى سلب منا الغنى فيما سلف قادر أن يجود علينا بالخلف فقالت اسكت ياولدى

ثكلتك أمك وعدموك قومك والله إن وصل كلامك الى الأمير عطاف ليكون ذلك سببا لقطع مهجتك وبعدك عن وطنك ويلك ياولدى أنت الليلة نبات بلا عشاء إن لم ينفذوا لنا بيت عمك شيء نأ كله فمن يكون هذا حاله فعنده شغل شاغل عن غيره فكيف حال من يسعى الى الصعود الى السماء ليتناول الكواكب ولا يكون ذلك أبدا ولايناله طالب من أهل المشارق ولا من أهل المغارب فلما سمع الصحصاح من أمه هذا الكلام زادت حسرته وجرت دمعته وزادت مصيبته ولم يدر ماتكن حيلته وزاد به الغرام واشتد به الهيام ونطق بالشعر لسانه لما كثرت أحزانه وأنشد يقول

أقلى من اللوم الذى لايفارق ... فقلبي إلى من تيمته موافق
ولا تطلبي منى التصبر ذرة ... فصبرى وحق الله منى طالق
وشوق فؤادى مثل جمر على الفضا ... وكيف يطيق الصبر من هو شائق
إذا ما دعى اللوم مثلى أجبتهم ... وهاأنا فى ذا القول والله صادق
وقد منعونى أن أراها تعمداً ... وما أنا والرحمن يا أم فاسق
لأنى مربى فى العفاف وشيمتى ... خلائق صدق دونهن الخلائق
يقولون لاتجتاز بالمضرب الذى ... تمر به ليلى كأنى سارق
ولوكنت فى أقصى البلاد فانى ... إليها وحق الله ماعشت عاشق
وإن عظامى حين تسمع ذكرها ... مفاصل طير قد حواهن باشق
ألا فليقل فى الحى من شاء اننى ... لوجهك ياليلى بلاشك شائق

(قال الراوى) فقال الصحصاح لأمه يا أماه هل بقى عندك شيء من مضارب أبى حتى نعتزل به عن هذه المضارب فقالت بلى انه خلف تقادم السنين بيتاً وهو وديعته عند الأمير مازن بن فهر الكلابى فقال لها ائتينى به حتى أضربه فى آخر البيوت مع الفقراء والمساكين وصارت أمه تتردد إلى بيت عمه وتأخذ من زوجة عمه عطاف ماتحتاج اليه من الطعام والشراب . وأما الصحصاح فانه من السهاد هجر المنام (قال الراوى) ثم زاد به الغرام فخرج وهم أن يطلب بيت عمه ليطفى من نيران ليلى قلبه فعاد على نفسه بالعتاب وقال ما هذا صواب وربما ينظرنى بعض الركبان وأنا داخل الخبا فيسعى بى إلى عطاف ويكون ذلك سبب التلاف فرجع الى بيت أمه وهو شاكى ومما يقاسى من الغرام باكى فلم يرى أمه فى الخبا وكانت قد مضت إلى بيت عمه عطاف (قال الراوى) وفى ذلك اليوم خلت أمه بليلى وقالت لها ياأماه كيف حال ابن العم فقالت يابنتى فى أسوأ حال وأعظم وبال ساكب العبرات طول ليله يراعى النجوم السائرات ثم أعادت على ليلى جميع ماجرى لها من ولدها الصحصاح وماقال من الأشعار

فبكت ليلى وقالت والله يا أماه ما هجروه أهلى بغضاً فيه ولكن من كلام الناس والأعداء وأن يصير حديثنا بين الملأ وانني عندى له من الألف وشدة المحبة وعهد الصبا وكثرة المودة والصحبة أضعاف ماعنده ولولا عثرات لسانه لما كان منع من عواطف أبي عطاف وإحسانه فقولى له يخفى ماعنده والصبر أجمل فلعل من قضى بالفراق يمن علينا بالتلاق ثم أعطتها شيء من النفقة وقالت لها يا عمتاه طيبي قلبه وأنشديه عنى بعد تقبيل وجهه ويداه هذه الأبيات :

أياصحصاح عندى من الغرام ‏ ‏ كأضعاف الذى قد حل عندك
ولكنى كتمت عليك وجدى ‏ ‏ فهلا كنت أنت كتمت وجدك
وقد وصل الكلام إلى أبينا ‏ ‏ وقد صبرت حالى لأجل فقدك
وقد قسم الهوى بالعذل فينا ‏ ‏ فلا تحسب بأنك أنت وحدك

(قال الراوى) ففرحت أم الصحصاح بذلك ودعت لها وعرفت صفاء ودها لولدها وشكرتها وقلبها اقدملى بالأفراح وخرجت طالبة لولدها الصحصاح فوصلت وهو قد دخل إلى الخبا فأعادت عليه ماجرى لها مع ليلى وأنشدته الأبيات فزاد الصحصاح طمعاً وغرام ولم يعرف بعد ذلك منام وقال يا أماه أنا من اليوم قتيل هواها وأسير عيناها ولا أسمع فيها لوم لائم وإن نامت فأنا غير نائم وإن صرمت حبلى فانى غير صارم ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الأبيات

خلى ملامى لست أهوى اللائما ‏ ‏ قد بحت بالحب ولست كاتما
ما زلت بالود لها مواصلا ‏ ‏ ولم تزل لى هاجراً مصارما
لو لم يكن على قتالى قادر ‏ ‏ ما سل من ألحاظه صوارما
أبيت سقما فى هواها وهى لا ‏ ‏ تبيت إلا يشفاء سالما
وأدمعى إن منعونى لا أرى ‏ ‏ ليلى لعمرى تخجل الغمائما
لو كان عطاف عنا عاطف ‏ ‏ لكان عم عادل لا ظالما
وإننى أهوى هواها كلما ‏ ‏ عشت فلا زلت لها مسالما
هى جنتى ونعمتى ومنيتى ‏ ‏ إنى لها عبد وحبى دائماً

(قال الراوى) ومضت الأيام والليالى وهو على جمر المقالى حتى بلغ من العمر ثمانية عشر سنه وكمل فيها الخصال الحسنه فخلى فى بعض الأيام بنفسه وقال مالى أرى جسدى يذوب ذوب الرصاص فلم لا أسرع إلى الخلاص من ضيق الأنفاس قال متى أكون فى موضع لا أقدر فيه على ليلى ولا أنظر إليها وأنا فما فياعيب إلا فقرى ومالى إلا أخرج عن

أرض بنى كلاب وأتغرب فان مقامى عندهم عذاب فان غيابى وحضورى سواء ومالى الا أهج فى البرارى والقفار ثم افتكر وقال سبحان الله أنا مالى فرس أركبه ولا مال أوهبه ولا قميص فاخر أصحبه فوالله لا أشرد روحى عن أوطانها فاما أن تفوز بأمالها واما أن تخلص من هوانها واما أن تهلك دون مرادها ثم انه جاش الشعر فى خاطره فأنشأ يقول

دع مهجتى تزداد فى خفقانها ليس التذلل فى الهوى من شانها
واعذر فان حشاشتى مشغولة لا شك أن الدمع من عنوانها
لو أن من عبرات عينى قطرة فى الأرض عاد الماء فى طوفانها
لكن أداريها بحسن تصبرى وتبرد الأحشاء من نيرانها
من رام من لحظ العيون تعرضا بسيوفها لم ينج من عدوانها
لله ليلى انها حورية نزلت الينا من رضا رضوانها
سأسوح أرض الله غير مقصر فعسى أنال الرزق من ريحانها
وأعود مسرور الفؤاد مسلماً وأقاتل الأبطال فى ميدانها
ولسوف أستاق الغنائم عامداً وأصول مقتدراً على أقرانها
فالموت فى البلد البعيد ألذ لى مما تصير النفس رهن هوانها

(قال الراوى) وخرج الصحصاح وقد غلب عليه الهوى وتملك بمهجته الجوى وهو ماشيا حافيا وعليه قميص خام قصير الأكمام وهو صفة الأيتام وعلى رأسه لاطيه لها عشرة أعوام ومعه قرص شعير وعليه ذلة الفقر والتعتير (قال الراوى) وطلبته أمه عند العشاء فلم تجده فظنت أنه مضى الى بيت عمه كما كان على جارى عادته فلما فقدته تجدد عليها أحزانها وضاقت عليها الأرض وأخذت فى البكاء والنحيب ونادت وواحشتاه لليتيم الغريب أين أنت ياولدى يابقية الكرام يامؤنسى بين الأنام ياولدى هاجت على أحزانى ما كفانى يا ولدى ما عندى من المصاب والله ما أريد بعدك لا طعام ولا شراب (قال الراوى) ثم جعلت تبكى وتنوح فعلموا بها أهل الحى فأتوا اليها وبكوا لبكائها وحزنت قلوبهم على الصحصاح ويتمه وغربته وبعده عن أحبته فقالوا أين عينين جندبة يرى ولده فى هذا الحال فطال ما أنزل الضيفان وأنزع الجفان فزال ملكه وانقرض كأنه ما كان ووصل الخبر الى بيت عطاف فبكت زوجته وأيضاً عطاف وبعث خلفه جماعة من قبيلته فعادوا ولم يقعوا له على خبر ولا علموا له أثر فشق على بنى كلاب فقده وصارت أمه ما تأوى الحى الا عند قبر أبيه فهذا ما

كان من هؤلاء (وأما ماكان) من أمر الصحصاح فانه لما خرج من عند أمه لم يدرى الى أى مكان يسلك فجعل يسير الليل والنهار مدة ثلاثة أيام وقد فنى زاده وخفق فؤاده وطار رقاده وأرمته المقادير كما يشاء الملك القدير وفى اليوم الرابع أشرف على أرض متسعة الفلوات مليحة الجنبات وفيها غدير ماء يتلاطم بالأمواج كأنه البحر العجاج والأرض قد شربت كاسات الغيوم لصفو العهود على أصوات أغانى الرعود وقد اخضرت الطلال والوهود والسماء متكاثفة الغيوم صنعة الحى القيوم الذى لا يموت كما قال فيها الشاعر

الغيم والبرق فى الحافات يلتهب ... كأنه مطرف أعلامه ذهب
والعطر يلثم ثم الاقحوان إذا ... تبسمت عنه فى حافاتها غضب
والعاشق المدنف المسكين حين رأى ... تلك المعاهد زاد الشوق والطرب

(قال الراوى) لهذا الكلام والغزلان فى ذلك المرج تمرح والطيور على الأغصان تشرح والأزهار منعكفة والوحوش تسرح والبلابل تصدح والبان أول ما قد تفتح (ياساده) وقد ضرب لها الصيف خيامه ومد سرادقاته وأركز أعلامه وجاء بعزل الشتاء البليد وتسلم الصيف كتاب التقليد فبدت جنوده وسراياه ولاطف بتحفه وهداياه وقد خلع عليها الصيف عقوده ونثر عليها زمان الشتاء ملابسه وبروده وكتب فى مقام الشقائق عقوده فلما نظر الصحصاح إلى تلك الأرض تذكر قبيلته وديار أحبته فأنشأ يقول هذه الأبيات

خرجت وفى أملى أنى أعود ... فيا ليت شعرى متى أرجع

(قال الراوى) ثم نزل على ذلك الغدير وزهره النضير وشرب منه حتى اكتفى وأخرج ما كان قد بقى معه من الزاد وأكل وهو مقروح الفؤاد وتوضأ من ذلك الماء وصلى فلما فرغ من صلاته قال يا نفس أى وجه بقى لكى إلى الرجوع مع هذا الفقر والفاقه والجوع والله لا رجعت خائبا ولا بد ما أقصد باب الكريم طالبا ثم رفع يده إلى السماء وقال يا من علم آدم الأسماء يا حامل المنقطعين يا خالق السموات والأرضين أسألك بحق أنبيائك المرسلين وملائكتك المقربين وعبادك الصالحين ومن خاطبته بطه ويس ومن أرسلته بالآيات والبراهين سهل علىّ كل صعب شديد وبلغنى يا إلهى كلما أريد وارزقنى مالا حلالا أعود به إلى أهلى واجمع بهم شملى يا قريب غير بعيد يا منّ قال وقوله الحق وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان (قال الراوى) وإلى دعاء العرب المنتهى ولأجل ذلك قال سيد الأنام ومصباح الظلام علموهم القرآن وتعلموا منهم الدعاء ثم انه نهض وصلى المغرب وقعد يرتجى من الله عزوجل ما طلب إلى أن أقبل الليل وقام صلى العشاء ونام فلما أصبح الصباح توضأ وصلى الصبح وأكل ما بقى معه وأنشأ وجعل يقول هذه الأبيات

يا هاجرى ادلالا هجرتنى اهـــلالا
م عـذولى أفتى إذ كان قتلى حلالا

(قال الراوى) ثم انه انبطح على وجهه كعادة العرب وجعل ينـكش الأرض بأصبعه وهو مفـكر وإذ بوقع حوافر فرس على بعد فالتفت وإذا هو بفارس يكد وهو طالبه وهو على جواد كالجبـل وقد اعتنق عنق جواده وأرخى عنانه فاستوى الصحصاح جالس ولم تـكن إلا لحظة حتى وصل إليه فارس وهو على آخر نفس فسلم بصوت خفى فرد عليه السلام فنظر اليه الصحصاح كأنه قطعة أرجوان وفى جسده جراحات كأفواه القرب وهو يلتهب بنيران الـكرب فقال للصحصاح يا وجه العرب اطرحنى على الأرض طرحا خفيفا واتخذنى ما عشته خلا ورفيقا وشد لى جراحاتى لعل الله أن يبدو صلاحى واسقنى شربة من المـاء فأنا أعلم أن شرب الماء ما يصلح للمجروح لأنه مسرع لخروج الروح واعلم يا وجه العرب أنى ان سـلمت جازيتك وان أنا مت فأنت بذلك مسعود ففعل الصحصاح ما أمر به وكان تحته حصان يحير فيه الوصف ويسبق الطرف وقد قطع به المسالك كأنه الليل الحالك وإذا سار يسبق الطير الطائر وله قوام كأنها أعمدة حديد وبياض غرته كأنه البدر المنير (قال الراوى) فلمـا نظر الصحصاح إلى ذلك الحصان حار فيه وقال ما أظن يوجد مثل هـذا الحصان فى سائر العربان ثم أقبل على ذلك الانسان وقد وجد فى نفسه راحة فقال له حدثنى من فعل بك هذه الفعال فقال له الرجل يا ولدى الصدق أوفا من المحال اعلم أننى رجل سلال مكار محتال طول دهرى أسـل الخيل وأخوض فى ظلام الليل ولو كان الحصان بين الأجفان أو انطوت عليـه مطاوى الأكفان أو ضمت عليه أحشاء الانسان لسليته أسرع من البرق اليمـان ولا أفزع من كيد الشيطان وأنا آفة العربان ومحنة كل حجرة وحصان وأنا يقال لى المقتنص بن وثاب وكنت سمعت بهذا الحصان الذى تراه تحتى واسمه الشاهق ويلقب باللاحق وهو من خيل بنى مره وصاحبه يقال له مسعود بن وبره وهو يدل بهـذا الحصان على جميع العربان وهو عنده عزيز منصان فخرجت من قبيلتى وهم بنى نمير أهل الجود والخير طمعا فى هذا الحصان وقلت هـذا ثمنه أربعمائة ناقة سود الحدق حمراء الوبر وخمس عبيد وخمس اماء ما لهن نظير فسرت إلى القوم فأقمت عنـدهم يوم بعد يوم إلى أن وجدت خلوه إلى سله فقدته بفاضل زمامه وأخرجت من مخلاتى سوط وضربته به فطار بى كأنه شاهين أو عقاب فلمـا أحسوا بى ركبوا الخيل من كل جانب وتبادروا مثل السـلاهب وفى أيديهم السيوف القواضب وسبقنى بعضهم إلى الوادى لعلهم

إن مالى عبور إلا من عليه وثاروا من بين يدى خمسين رجال وزقونى بالحراب وأثخنونى بالجراح وأنا على ظهره وهو يوثب بى وثبات الفهد إلى أن خرجت من بينهم وهو كأنه النجم الطارق أو السهم الخارق فلم يلحقوا منى الا الغبار وأخذنى وطار ولى اليوم ثلاثة أيام والدم يسيل من بدنى وقد ذهب منى القوى وهانت على الدنيا ولكل أجل كتاب وقد أحسنت لى وأشفقت على وأراك بهذا الحال عارى الجسد ظاهر الكمد وعليك شواهد أهل النعم فمن تكون ياوجه العرب فقال له الصحصاح أنا من بنى عامر وأبى جندبه بن الحارث الكلابى سيد بنى كلاب وأبى مات وأمى حامل بى وجازت علينا نوائب الزمان وقصدتنا الحوادث من كل مكان وأعاد عليه جميع ماهو فيه وكيف خرج من عند أمه هاجا على وجهه وهو فى أمره حائر فرق له السلال وقال له ياولدى انك لذو حسب ونسب وأبوك سيد من ساداة العرب ومع هذا ياولدى ان قدرت تحملنى على ظهر جوادى وتوصلنى الى قومى وتكون راكب ورائى تحفظنى فما بقى لى قوة ألزم روحى على ظهره فان أنا سلمت فهو بيننا بالسوية وان أتتنى فى الطريق المنية فخذ أنت الجواد وامضى فوالله لقد صح عندى أنك أحق به منى فقال له الصحصاح قد رضيت بذلك وتعاهدوا على ذلك ثم أقاموا على الغدير الى وقت المساء فنهض الصحصاح وتوضأ وصلى العشاء والتفت الى السلال فوجده يعالج سكرات الموت فتقدم اليه ورفع رأسه على ركبته وقال له مالى أراك على هذا الحال فلم ينطق بأكثر من قول لا إله الا الله محمد رسول الله وقضى نحبه ولحق بربه فلم يبرح الصحصاح حتى طلع الفجر فصلى الصبح ونهض اليه وغسله على جانب الغدير ولم يزل حتى واراه التراب بعد جهد جهيد وركب جواده وأخذ عدة جلاده وهم بالمسير فحانت منه التفاتة فنظر الى مخلاة معلقة فى السير الذى فى السرج فتطلع فيها وإذا فيها آلة السل مثل مفاتيح ومبارد وأقفال وخيوط طوال ومما يشاكل ذلك كله فألقاه من يده فى الغدير ثم انه سار حتى وصل حى بنى كلاب وهو فرحان فتلقوه أهل الحى وفرحوا بسلامته غاية الفرح وفرح هو بهم أيضا وانشرح قال ونظر عطاف الى الجواد فكاد أن يطير من الفرح ثم سأله عن قصته وماجرى له فأخبره بحديثه من أوله الى آخره فتعجب عطاف من قوة سعادته وعلو همته وقال له والله ياولدى لقد ضاقت علىّ الأرض لغيبتك فالحمد لله على سلامتك فخدمه الصحصاح وقاد اليه الجواد فقال له عطاف وحق من مرج البحرين وأنار القمرين لقد سمعت بهذا الجواد وخبره ولو كان صاحبه يبيعه لشريته منه بألف ناقة والآن فقد جاءنى من غير

تعب وماضاعت والله تربيتنا فى ابن جندبة ثم قال له ما أتركك راحل بعد ماصرت راكب ثم أمر له بجواد لون الغراب ينقض كأنه شهاب وأعطاه سيف محلا قاطع ودرع مليح مانع ومائة رأس من الغنم وعشرة من الإبل فقبل الصحصاح عند ذلك الأرض ودعا له وعاد الى أمه وقد فرح بفعل عمه وفرحت عند ذلك أمه بعودته فنهضت وقبلت طلعته وبين عينيه وبلت شوقها منه (قال الراوى) وسمعت ليلى بقدوم الصحصاح ففرحت غاية الفرح وزال عن قلبها الهم والغم والترح فهذا ماجرى ههنا (وأما الصحصاح) فانه لما جنّ عليه الليل وأرادت العيون أن تنام زعزعته زعازع الهوى وألهبته نيران الجوى وطلب الصبر فلم يجد اليه سبيل وسالت عبرته على وجنته فى الليل الطويل ومن عظم ما ناله أنشأ وجعل يقول :

إلى من أشتكى من حب ليلى إذا ما خاننى الصبر الجميلا
وقد أضحى الغرام يذيب قلبى وجسمى قد تملكه النحولا
تملكنى الهوى طفلا صغيرا يذول القلب منه ولا يزولا
هم يرجوه لى بالسهد حتى تفتته المفاصل والعقولا
طلبت خلاصه وحرصت فيه وليس اليه ياهذا سبيلا

(قال الراوى) وضاقت الدنيا عليه وحس ان روحه زاهقه من بين جنبيه فادعا بأمة تسمى سعدى كان يعرفها انها تدخل الى ليلى فقص قصته اليها ووصف لها ما يلاقى فقال لها أريد منك يا أختاه أن تروحى لها وتعرفيها بحالى وتلفى وهل عندها مثل ماعندى وصفى لها ما أنا عليه من كثرة القلق والذى ألاقى من الاحزان والحرق فمضت الأمه وقد عرفت صورة حاله وشاهدت عظيم بلباله وتمت سائرة حتى دخلت على ليلى ووصفت لها ما يقاسى الصحصحاح من ألم الهوى وتباريح الجوى وزادت عليه شيء كثير من شقشقة اللسان (قال الراوى) فلما سمعت ليلى بذلك زادت بها الاحزان وأظهرت ماكانت تخفيه من الأشجان فصبرت حتى نام كل يقظان واشتملت بمرط أسود وخرجت ولم يعلم بها أحد حتى أتت إلى خيمة الصحصاح وقد هانت عليها روحها لما تعرف من حسن وده ومحبته فدخلت عليه وهو مما يلاقى من الهيمان بين النائم واليقظان فانحت اليه وقبلت بين عينيه ففتح عينيه ونظرها فكاد كبده من شدة الفرح أن ينفطر وغشى عليه ساعة زمانيه ثم أفاق وقد كادت روحه أن تبلغ التراق ثم أنشأ يقول :

أتانى زائرا للبيت يبدى لى الهجر الطويل بلا تعدى
ولما أن رأيت اليه كادت تذوب حشاشتى من عظم وجدى

(قال الراوى) ياساده وجعلوا يتشاكون من عظم المحبة ويبكون ثم شكت اليه

كثرة الاحتياط بها وشكى هو كثرة الشوق والاحتراق إلى أن بدا الصباح وخافت (ليلى) من الافتضاح واستأذنت الصحصاح فى الرواح فخرجت وهى مخفية الى أن وصلت الى خيامها ولم يجرى بينهما فاحشة ولاخيانة سوى الشكوى الى بعضهم البعض (قال الراوى) وان الصحصاح لما خرجت (ليلى) من عنده وقع فى الهم والغم فأنشأ يقول

كل الليالى وجدتها طوال إلا ليالى وصلها قصر

ياليلة كان من تقصرها يعبر فيها العشاء بالسحر

(قال الراوى) ولم يزل الصحصاح على ماهو عليه الى الصباح وعمه عطاف قد زاد عليه من الصحصاح الألم وكان السبب فى ذلك أنه علم أن ابنته ليلى مضت الى الصحصاح فلم يصبر على الافتضاح فجرد حسامه ودخل اليها وأراد أن يبطش بها فمنعته أمها من ذلك وقبحت عليه فعاله وقالت له : والله يا ابن العم لئن قتلتها لتصيرن حديثا فى ألسنة العرب ماقام قائم وقعد ولكن اصبر لعل الله سبحانه وتعالى يسهل للصحصاح من يقتله وتبلغ فيه ماتؤمله لأن الشجعان قاصرين الأعمار قال فعلم أن قولها صحيح فرجع عما كان قد عزم عليه والموت يلوح بين عينيه . هذا ماجرى ههنا وأما الصحصاح فانه أقبل على أمه وقد أطمع نفسه فى ابنة عمه وقال يا أماه قد عولت أن أشن الغارة على القبائل وأقطع الطرقات على القوافل وأجمع لى مال أبلغ به الآمال وأخطب بعد ذلك ابنة عمى ليلى من أبيها (قال) فلما سمعت أمه كلامه قالت ياولدى أنت منصاب أموال العرب هى سابية لك حتى انك تنهبها أماتعلم أن لها من يحميها ويذب عنها (قال الراوى) وكان ذلك الكلام شفقة منها عليه ومخافة من محنة تتم عليه فلم يلتفت الى كلامها بل أنفذ تلك الأمة الى ليلى يعلمها بأنه سائر فى تلك الأيام ويسألها الدعاء ويسألها أن تودعه ولو بالسلام (قال) فمضت الأمة وأعلمتها بماقاله من الكلام فقالت لها : عودى اليه وقولى له يكون فى انتظارى الليلة فانى أدبر حيلة من حيل النساء ومايحس بى إلا وأنا عنده فى الخباء لأن الحى كله وشاة ورقبان فعادت الأمة اليه وقصت القصة عليه فلما سمع بذلك قعد يرصدلها النجوم وقد لعبت بعقله أمواج الهموم وتوسد بأخدوده ذراعيه والنوم قد غلب عليه فبينما هو كذلك واذا هو بليلى قد أقبلت عليه فلما أحس بها نهض قائما على قدميه فقالت له ياصحصاح لوكنت صادقا فى الغرام لما ألفت عيناك المنام فلما سمع كلامها بقى خجلان من توبيخها وقال والله ياحبيبة القلب ماأنام إلا لعلى أرى طيفك فى المنام ثم انهما تشاكيا الى الصباح ومضت الى منزلها من بعد ما ودعته . وأما الصحصاح فانه لما طلع عليه الصباح ركب جواده وخرج يطلب الصيد والقنص

وبقى طول النهار يتسلى من ليلى بمناشدة الأشعار إلى أن غابت الشمس وولى النهار فأقبل وجواده موقور من الوحش والغزلان والأرانب ثم دخل إلى الخبا وقال لأمه اضرمى النار واصنعى لنا شيئا من الطعام ففعلت ذلك وأكل هو وأمه حتى اكتفوا وقعد يفكر فى (ليلى) وحسنها وجمالها إلى أن جن عليه الليل فلم يطق الصبر فشكى إلى أمه نار الفراق وقال لها اذهبى إلى (ليلى) واشرحى لها حالى وما أنا فيه من الاشتياق فان كان لها قدرة على لقائى فتزورنى قبل تلف حالى فقالت ياولدى هاأناسائرة إليها وقادمة عليها ثم انها خرجت من عنده وسارت حتى قدمت إلى (ليلى) وأخبرتها بحاله فرقت وبكت من شفقتها عليه وقالت لها سيرى اليه واقرى سلامى عليه وهاأنافى الأثر فخرجت أم الصحصاح وهى خائفة على ولدها من عمه عطاف وخرجت ليلى وراءها فوصلت فى عقبها ودخلت على الصحاح فرأته نائم فأيقظته من منامه وقالت له هذه صفة من يكون هائم فقال لها والله يابنت العم مانمت إلا طمعاً فى الخيال فتقدمت اليه وقبلته بين عينيه فضمها وضمته أيضا إليها فأنشأ وجعل يقول :

أبات قرير العين أرعى خيالكم ... فتصبح كفى من لقاءكم صفرا
وتلقا كم نفسى إذا كنت نائما ... فياليت ذاك النوم دام لنا شهرا

(قال الراوى) ثم انهم قطعوا الليل بالشكوى وكثرة الاشتياق والجوى حتى طلعت غرة الصباح فعولت (ليلى) على الرواح فبكى الصحصاح عندذلك وناح . وأنشأ يقول

أتى زائراً من صدعه مثل صده ... وقد لاح در الثغر من نار ورده
فعانقته من فرط وجهى صبابة ... وبت وخدى واضع فوق خده
إلى أن أتى الصبح المفرق بيننا ... كجسم حسام سل من جفن غمده

(قال الراوى) وخرجت (ليلى) وهى مخفية من أحد الرقباء حتى وصلت إلى المضرب فحست بها بعض الإماء فأعلمت أبوها عطاف فاحمرت أحداقه وكاد من الغيظ أن يقطع أزياقه وجذب السيف وهم أن يقتل ابنته فوقفت أمها فى وجهه وقالت له ياابن العم ما حالك فأعاد عليها ما قالت له الأمه فقالت يا ابن العم لعله يكون أحداً غيرها وقبل ذا وبعده ما دام الصحصاح قد ركب لابد له أن يقتل فعلم صحة قولها وأغمد سيفه وخرج (قال الراوى) وأن الصحصاح بقى مدة خمسة أيام ما رأى أثر فتزايدت به الأشواق واحترق بنار الفراق ولم يطق الصبر إلا بالتلاق فأرسل خلف الأمة التى تمضى فجاءت اليه فأنفذها الى (ليلى) تعلمها بما هو فيه من شدة الغرام وأمرها أن تسير اليها من كل بد فى هذه الليلة لأمر قد عرض له

ولا يطلع عليه سواها فمضت الأمة وأخبرت ليلى بما قاله الصحصاح فقالت لها ارجعى اليه وقولى له ينتظرنى إذا انتصف الليل فخرجت الأمة وجاءت إليه وعرفته بما قالت ليلى ففرح وقعد لها فى الانتظار حتى انتصف الليل وإذا بها قد أقبلت فقام اليها واستقبلها من باب الخبا ولثم كل واحد منهما صاحبه ثم حدثته بما جرى لها مع أبيها وكيف جرد عليها السيف وأراد قتلها فتعجب الصحصاح من قوة قلبها وقال لها ياليلى قد عولت على أخذ الأموال من إحياء العرب وآتى بالنوق والجمال وأخطبك من أبوك بين الملأ من النساء والرجال قال فبكت وقالت يا ابن العم لاتلق نفسك إلى التهلكة فربما تلحقك آفات المحبة وأبقى بعدك حزينة ولكن اصبر إلى أن يفرج الله عزّ وجل فالأيام دول والمثل يقول (من صبر قدر ومن عجل ندم) فقال لها يا ابنة العم والله لابد من خوض المعامع والدخول فى المهالك فاما هلاك وإما ملاك فاسأل لمن أبلانا بالفراق يمنّ علينا بالتلاق ثم بات فى ألذ ما يكون من العتاب والشكوى إلى آخر الليل ثم قامت وودعته وهى تبكى وكذلك الصحصاح ثم انه بعدها ودع أمه وخرج وركب جواده واعتد بعدته فزجرته أمه فلم يسمع وخرج وهو ينشد ويقول

نحن بنى عامر ذوى الهمم ... والمجد ثم الفخار والذمم
قوم إذا الهياج لاح لهم ... قام لهم عزم على القدم
تنام عين الفقير بينهم ... ولايرى قط صورة العدم
إن جميع المجد أدركهم ... على ماركبوا من مواتن الهمم
من أجل ليلى أكون منفرداً ... كى أنثنى بالخيول والنعم
وانى أرتجى معونة ... من خالق الخلق مالك الأمم
يعجل رزقى بالصداق ولا ... يردنى فى صفات منهزم

(قال الراوى) ولم يزل سائر الليل والنهار وهو يأكل من صيد الغزلان ويشرب من ماء الغدران ستة أيام وفى اليوم السابع أشرف على مرج أفيح وعيون ماء تسرح ومضارب فى الأرض والبطاح وسيوف ورماح فلما نظر إلى ذلك المال والجمال طار فرحا ومال مرحا وحمل بهمة قوية وعزمة كلابية وقد حمله هوى ليلى على كل بليه فاقتطع من ذلك المال نحو ثلاثة آلاف ناقة وجمال فنظرت العبيد إلى فعاله فثارت إلى قتاله بالعدد والرماح والسيوف وفى أوائل العبيد عبد مثل الفيل فحمل على الصحصاح وقال له ياوجه العرب أما تعرف هذه الأموال لمن حتى تغار عليها وحدك والله ما أنت إلا عادم عقلك ولاشك أنك أنت سمعت أن أبطال الحى قد نهضوا لشن الغارة على بنى فزاره فلأجل ذلك غرك الطمع ياويحك أوفى من ألف عبد كجنح الظلام وأمير الحى فى خيمته ولم يمض عشيرته وها الحى قريبا منا فعود على عقبك فأنا المسمى بالبطاح المعروف بقابض الأرواح

﴿ تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الثانى

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فلم يجبه الصحصاح بكلام بل ضربه طير رأسه على التراب وجال فى العبيد فأوثقهم جراح وصاح فى الباقين : سوقوا الجمال يابنى الزوانى هنالك ساقت العبيد النياق والجمال وخافوا من هول ضربته للبطاح ثم ساقوا ساعة وإذا بالغبار من خلفهم قد ثار وانكشف عن عشرين فارس كأنهم الليوث العوابس وفى أوائلهم فارس كأنه أسد عابس فلما دنا من الصحصاح ناداه ياابن الخنا مثلك يغار على مثلنا والله ماظننتك إلا جمع كبير وما دمت أنت وحدك فانج بنفسك من قبل أن تسكن رمسك فقال له الصحصاح دونك والمال فان من دونه أدرع وسيف كل ماما ل قطع فدونك والقتال إن كان فيك ماترد عن نفسك ومالك فلما سمع الفارس كلام الصحصاح نظر الى وجهه كأنه يلوح من تحت اللثام كأنه بدر التمام علم أنه فارس همام والشجاعة تلوح منه كعنتر وفى العفاف كحيدر (قال الراوى) ومن غرائب هذه السيرة أن هذا الفارس المقدم على هذه العشرين فارس الغطريف بن مالك الطائى قاتل جندبة أبو الصحصاح ومن تحته مزنة فرس أبيه وكان الحى خالى من بنى طى لأنهم شنوا الغارة على طائفة بنى فزارة ولم يتخلف فى الحى سوى الغطريف لأمر عرض له أعاقه عن المسير مع قومه فلما نظر وجه الصحصاح يلوح من تحت اللثام (ياساده) وقد ذكرنا حسن الصحصاح فيما تقدم من الحديث فشبهه الغطريف بجارية كان يهواها وكانت من قبيلة بنى عدى وهى من قبيلة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان اسمها زينب وكانت ذات حسن وجمال وكانت قد أعطاها الله تعالى من القوة والاقتدار على الرجال مثل ما أعطاها من الحسن والجمال وكانت العرب تخافها وتخشاها وكانت قد جعلت مهرها لمن يملكها فى ميدان الحرب وكان الغطريف من جملة خطابها فلما

بلغه مبادرتها أنف على نفسه أن يقاتل جارية فقال له بعض خواصه أيها الأمير انك كامل الصفات فى الحسن والجمال والشجاعة ولو قاتلتها وقهرتها وكانت فى المثل أقوى منك كانت ترى حسنك فتغلب حتى تمالكها لأن للنساء غرض فى الرجال وما يخفى عليك ذلك فأبى الغطريف أن يقاتل جارية وأقام على ذلك الحال إلى أن جرى له مع الصحصاح ماجرى ونظره ذلك اليوم فظن أنها الجارية زينب فنادى وبكى يازينب أسفرى اللثام ودعى الضرب بالحسام فقد علمت أنك قد جئت تورينى طرفا من شجاعتك ونوعا من براعتك فأنت على الرحب والسعة والأمن والدعة فلما سمع الصحصاح كلامه نادى : ويلك يا كلب العرب تترك الطعن والضراب وتعدل الى حديث زينب والرباب وأنت اليوم تندبك الأهل والأصحاب (قال الراوى) فلما سمع الغطريف كلامه علم أنه فارس غلاب وأن ظنه قد خاب فصاح فى بعض فرسانه وقال له ابرز الى هذا الجاهل وأتينى برأسه عاجل قال وكان اسم ذلك الفارس همام وهو بطل لايرام وقد ألف الصدام فى معترك الزحام فتقدم همام إلى (الصحصاح) وهو ينشد ويقول

أيها الفارس الذى قد بدا لى اليوم مدل بطعنة بالسنان
تباً لك اليوم مغرورا وذا عجب تريد أن تأخذ أموالا وغلمان
فارجع سليما ولا تبقى بمعركة تضحى قتيلا ولا يرحمك إنسان

فأجابه الصحصاح على عروض شعره يقول :

يا أيها الفارس الميشوم غرته حتفا للقياك كاس الموت صرعان
أين الخلاص من الأقفاص قد علقت فيك المنون مخاليب بعقبان
مادام انك رمت اليوم تقتلنى اذهب ولا تبق فى ذا اليوم ندمان
ألست تندم ولا تنفعك نادمة تبق صريعا طعام الوحش سرحان
إنى أؤمل أن أحظى بمالكمو ويفرح القلب من هم وأحزان

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه فجالا طويلا واعتركا مليا وعلا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار فسبقه الصحصاح بالضربة من قدام فسقط رأسه كما يسقط القطر من الغمام وصاح : لا مفر من الكفاح ثم نادى : هل من مبارز هل من مناجز فلابد من أخذ الأموال والعبيد وأفنيكم قريبا وبعيد لأنى ما أرجع خائب من بعد ماقطعت السباسب ثم أنشأ يقول هذه الأبيات :

تحمل قلبي فوق مالا يطيقه ... من الحب ياهذا وانى رفيقه
وفى القلب منى زفرة وصبابة ... فياليت شعرى كيف كان يطيقه
وانى لأهواهم وأهوى لقاءهم ... فدونكم منى حساما بريقه
أقد به رأس العدو وإننى ... لكى اليوم ياليلى عبيد عتيقه
سأطعن فيهم جائلا ومهمهما ... وأستاق أموال الغطريف ونوقه

(قال الراوى) فلما نظر الغطريف الى قتاله وحسن نزاله قال لرجاله ويحكم يابنى عمى هذا صبي وجهله يحمله على فعاله فليبرز اليه آخر منكم قال فبرز فارس فقتله وثانى فجندله وثالث فرجله ورابع فنكسه عن فرسه وخامس فقتله وما أمهله فلما نظر اليه بقية الفرسان وقد قتل أصحابهم حملوا عليه حملة واحدة فهنالك حمل وقد اشتد به القلق وزاد به الحنق وما كانت الا ساعة حتى التقط أرواحهم بالسنان ولم يبق حول الغطريف منهم انسان هنالك قال ياصبي وهبتك نفسك ودم أصحابي وخذ من المال ماشئت وانج بنفسك سالم من قبل أن تحل بك العظائم فقال له الصحصاح لاعدمت هذه الهمة فالزم نفسك إلزام ان كان لك فى نفسك حاجة ولا تطمع فى رد الغنيمة فهذا شيء لاتراه الا إن عدمت الحياة (قال الراوى) فاشتد غضب الغطريف وقال له ويلك لو عرفتنى مانطقت بهذا الكلام ولا كان لك جنان تقوم فى هذا المقام لأنى أنا الغطريف المحامى بلا تكليف سيد بنى طى الذى كويت قلوب العرب كى وسقت غنائم العرب من برها وبحرها وقد ضجت بنى كلاب من مقاتلى وسائر العرب من مناصلى قال فصاح الصحصاح وقال وأبردها على قلبي وكبدى فالحمد لله الذى وقعت فى يدى حتى آخذ تارى بيدى وتار والدى فقال الغطريف ويحك من تكون فقال أنا الصحصاح بن جندبة الكلابى واليوم تندبك النوادب فى السهول وفى الروابى فبالله عليك ياغطريف هذه الفرس الذى تحتك هى مزنة التى كانت سبب يتمى والمحنة فقال له الغطريف نعم هى مزنة ولها عندى اليوم عشرين سنة ماتغيرت صفاتها الحسنة فقال له الصحصاح ياسيد بنى طى ما أطال الله عمرها إلا ليردها على أهلها ثم انه حمل عليه وهو ينشد ويقول هذه الأبيات:

اليوم يوم فيه أكشف كربتى ... أولا لجرعنى حرارة كربتى
والله ياغطريف لست بتارك ... تارات جندبة الكريم النسبة
أتريد منى رجعة عن تاره ... متوانيا كلا ورب الكعبة
فاحمل علىّ محاربا ومضاربا ... من قبل أن أقضى عليك بحملتى
لاذقت طعم الموت ان لم تلتنى ... كفؤا وآخذ مامضى من مزنة

هيهات مالك فى الحيا من حيلة　　لابد أن أسطو عليك بسطوتى

(قال الراوى) فلما سمع الغطريف شعره ناداه ويلك امضى الى حال سبيلك فانى قد رثيت لصغر سنك ثم إن الصحصاح نادى بالتارات جندبة وحمل عليه فعندها حمل الغطريف وتصادما الاثنين كانهما جبلين واختلفا بينهما ضربتان فكان السابق بالضربة الغطريف فزاغ عنها الصحصاح وحمل عليه وطعنه فى صدره أطلع الرمح من ظهره فوقع الى الأرض عن سرجه فعند ذلك قفز الصحصاح من على ظهر حصانه صار على ظهر مزنه وجمع الخيل والاسلاب وصاح فى العبيد وقال لهم سوقوا المال وإلا وحق من أرسى الجبال وتفرد فى ملكه ضربت رقابكم فى عاجل الحال (قال الراوى) ياسادة ثم ان الصحصاح نزل الى الغطريف وقطع رأسه وحطها فى مخلاته وعاد إلى ظهر مزنه ثم انه قال لقد نال القلب ما اشتهى وأوهب الله مزنة وكنت أنا وإياها كما قال الله تعالى وكانوا أحق بها وأهلها ثم إنه سار وصاح بالعبيد وأمرهم بالمسير وحثهم على ذلك وسار طالب بنى كلاب هذا ومزنة كلما شمت رائحة البلاد صهلت بصوتها الرخيم فيحن لصهيلها الصحصاح فأشار ينشد ويقول هذه الأبيات

ليت جندبة كان يعلم بيا　　اننى بالتار أدركت صبيا
واستلبت المال من أعدائه　　وتركت العزم فى القاع جثيا
ويرى الغطريف لما جاولته　　فى مقام النقع ملقى رميا
وخضبت الرمح منه أحمرا　　بعدما قد كان رمحا سمهريا
واحتويت الخيل مع أسلابهم　　وتركت الكل جزر المشرقيا
وقتلت الغطريف لما قال لى　　أنت لا تعرف فى الهيجاء شيا
قال ياصحصاح والغطريف قد　　جئت تبغى الحرب لى دهرا مشيا
قلت يابشرى قد نلت المنا　　حل لى قتلك ياهذا الكميا
ثم جاولت وقد ناولتـــه　　كاس حتف ثم ناديت هنيا
بلغوا عنى الأعراب جندبة　　انه قد عاد وهو اليوم حيا
صهلت مزنة لما انشقت　　لثنيـــات الرياح المحيا
ذكرت إلفا ودهرا قد مضى　　ثم غنت طربا صوتا شجيا

(قال نجد) وما زال الصحصاح ساير الى أن وصل الى حى بنى عامر وهو كأنه القمر الزاهر او الليث الكاسر وقد رفع رأس الغطريف على رمحه وسلمه الى بعض العبيد ولما أن قرب من الديار وتارت الرجال وقد رأت مزنة الى الخبا والمراعى التى ربيت فيها

أزعجت الحى من صهيلها فانزعجوا وقد فرحوا الناس بالصحصاح فرحا شديدا وعظم فى أعينهم ورجع ونزل فى بيت أمه وأركن رمحه على بابه ورأس الغطريف عليه وأحدقت به الرجال وأهل الحى فوهب وأعطى وعقر وأطعم وفرق الخيل والجمال وأحبته الرجال وفرسانهم ومالت اليه الأبطال وأصحاب الشجاعة وصاروا الشباب ينزلون عند مضربه واشترى بيتا عالى بخمسين ناقة وصاروا القوم يجلسون فيه للخلوات وبلغ الخبر لعطاف فركب وسار الى عند الصحصاح فقام اليه الصحصاح وأكرمه وقدم له من الهدايا شىء لا يحصى مما قد وصل اليه وقبل الأرض بين يديه وقدم له الخيل والنوق والجمال فتعجب من ذلك عطاف وقد نظر الى الشباب القيام الذين هم على باب مضربه فشق عليه ذلك ورجع الى نحو أبياته وهو متعجب وخلا بخواص القوم وقال لهم والله ما أنا لا أبيح بسرى اليكم وأظهر لكم مكتوم أمرى اعلموا ياجماعة أن الصحصاح يكون سبب لقطع آثار بنى كلاب لأنه قتل الغطريف وجماعته من بنى طى تجمع خلقها ورجالها وأبطالها ويسيرون الينا ويسفك الدماء بيننا وبينهم ويكون سببا لاقلاعنا وأيضا أنه انضاف اليه من أوباش الحله وسوادها وكل من لاحت له الفائدة والساعة تقوى شوكته ولا آمنه على الحله لأن المملكة كانت لأبيه والرجال والشباب إذا رأوه عاصيا اتفقوا معه وهو لاشك قاتلى بلا محاله فقالوا له أيها الأمير انه أحقر من هذا وهو دون مافى نفسك ولولا عرفوا الناس أنه تربيتك وغرس نعمتك ما أقبل عليه أحد وها نحن بين يديك ان شئت قتلته قتلناه وان شئت بعده بعدناه (قال نجد) فلما أن سمع منهم هذا الكلام قال لهم انى أريد فلانا وفلان أدعوهم إلى ثم انه جمع القبيلة وأبطال العشيرة وقال لهم كما قال لخاصيته فقالوا له أيها الأمير وذمة العرب مافينا إلا من بات قلقا وجلا لأجله لأننا نعلم أن بنى طى تعادينا ويكون عداوتهم شؤما علينا ومع ذلك فانه قد ذاق طعم نهب الأموال من السادات وأخذ أسلاب الرجال من القادات وأتى بالحصان من السلال وقتله احتيال وملك الحصان من تميم وهم يطلبونا فان نحن قتلناه رضيت العرب عنا وتبرد قلوب العرب إذا علموا أنه هلك ونقول لمن قصدنا نحن لما أن رأيناه قد أثار الحرب بيننا وبين العربان قتلناه لأجلكم ثم انهم تحالفوا على ذلك وانهم على قتل الصحصاح موافقين (ياسادة) فبلغ الخبر الى ليلى فقامت عليها القيامة وبكت سرا وقد أرسلت اليه بعض الاماء أعلمته بذلك وهنته بالسلامة وبأخذ تار أبيه من عدوه وتقول له يابن العم لاخلى جسد من حسد واحترز على نفسك فانى لا آمن عليك من الاحتيال من أبى عطاف واعلم أنه قد وقع فى نفس أبى أنك قاتله لتأخذ مكان أبيك فاحترز على نفسك ولابد أن أجتمع بك وأحذرك ثم انها

قالت للأمه عرفيه ما عندى من الشوق وعظم الحرق وأخاف على نفسى التلاف كما قال الشاعر حيث يقول

ومن ظن أنه يلاقى الحروب وما يصاب فقد ظن عجزاً وقوله معاب

قال فسارت عند ذلك الجارية ودخلت عليه وأعلمته بالخبر فشكر ليلى على ذلك وقال للامه عرفيها ما عندى من الشوق فسارت الأمه من عنده ودخلت على بنت عطاف عمه وأعلمتها بما قال لها الصحصاح (قال نجد) فهذا ما كان منها وأما ما كان من عطاف فانه مازال يحث عليه العربان إلى أن كان فى بعض الأيام أرسلت ليلى إلى الصحاح وأعلمته بذلك فأرسل يقول لها أما أبوكى عطاف فان كان عنده إنصاف فما أرى منه إلا بديع الألطاف وإن كان ما عنده ذلك فهو كلام الأعداء والحساد الذين هم يوقعوا الفساد بين الناس والله يجعلنى لهم بالمرصاد والكفاية من الله تعالى وليس الرزق يعادنى فاما الأرزاق فانه يسوقها الملك الخلاق فارجعى اليها وقبلى يديها فرجعت الأمه إلى ليلى ثم أعلمتها بما قال الصحصاح فالتهبت بالنار من فوق الشوق وعضت على أناملها على ما كان منها من الأول (قال الراوى) فهذا ما كان من ليلى وأما ما كان من الصحصاح فانه ما بقى له شغل إلا اغتنام السرور وشرب الخمور على رياض المنثور والأرض قد فرحت وظهر فيها النور كما قال فيها أبو منصور حيث يقول

أنظر الى الأرض قد وافاك خضرتها من الزمرد جل الله منشيها
كذلك الخوخ والتفاح معتنقاً والتين عانقه الرمان من فيه
أما ترى الماء فى الأركان منسكب كأنه حية تسعى لما فيه
وغرس الكرم ما أحلى تواتراه عنقود أسود قد جل باريه
أما ترى اللوز يحكى راحة صرفت من الجبين تجلى فى معانيه
والزهر والنهر والأغصان ترقص فى حيطانه طرباً يا حسن بانيه
أما ترى زهرة الزمان قد عقدت والآس والورد ما أحسن معانيه
ونرجس فاح والمنثور منتشر على الغدير خزام فى حواشيه
والدوح قد جاوبت أطياره فرحا مثل الهزار وشحرور شقا فيه
وناح قمرى والفاخت تجاوبه من فوق روض جرى كل الماء فيه
كذا اللبان مع جوز وفاكهة قد نار نورها لخلا نواحه
فقم وغنى فى زهرة طرباً ملا الملاح وكاس الخمر أجليه

(قال الراوى) هذا ما كان من الصحصاح وأما عمه عطاف فانه ترك عليه العيون

حتى طلع من الحله فلما أن كان فى بعض الأيام خرج الصحصاح إلى الصيد والقنص وهو راكب على مزنة فمر بها على قبر أبيه جندبه فصهلت فرمى نفسه على القبر وأشار ينشد ويقول هذه الأبيات

إن الفراق كسانا بعدكم حرقا ... وأصبح الشمل بعد الوصل مفترقا
إن كان ما نظرت عيناى نحوكموا ... فقد جرى دمعها كالبحر مندفقاً
وعشت فى بيت عمى وأسأله ... عطفاً على وأخلى الحزن والحرقا
وقد شغفت ببنت العم من صغرى ... عشقاً سليما ولا هو عشق من فسقا
وكنت أملت أنى لا أفارقها ... طول الزمان فما كنا كما اتفقنا
وقال عمى لا يتلم بساحتنا ... قد شاع ذكرك حتى جاوز الأفقا
لولا حقوق لنا لكنت منتقما ... من أجل ذكرك ليلى مظهر الحنقا
وأرسلت بنت عمى لى رسالتها ... على لسان التى قلبى بها وثقا
يا ابن العم قد هيجت لى حزنا ... اذ صرت مثل غراب البين إذ زعقا
فقمت من عندها والقلب منزعج ... وعبرتى قد جرت من مقلتى غرقا
وأيقنت مهجتى أنى أموت جوى ... لولا خيالك ليلى فى الدجى طرقا
أتيت أشكو اليها ما أكابده ... وقد تخايلت أنى بت معتنقا
حتى اذا ما أتانى الصبح فارقنى ... ذاك الخيال وقد أودعنى الأرقا
وكان فى قصتى للناس معتبرا ... لما جاءنى وقد جاز وانطلقا
وسرت أبغى بعد الوصال الى ... نيل المنا ليعود الشمل متفقا
وسقت أموال غطريف وعدت بما ... حويته وإذا الغطريف لى لحقا
جندلته وجميع الصحب فى عجل ... وقد شفيت من الغيظ والحنقا
والآن جئت نحو القبر أخبره ... مابى وان كان لا يدرى بمن نطقا
كذلك قد شوقتنى مزنة وعلا ... صهيلها قلت الموت لى عتقا
لقد وقفت هنا اذ مزنة وقفت ... ولو قدرت اذ ودعتها الحرقا
أرعى لها مثل ما ترعى وداد أبى ... وألصق الخد فوق الخد ملتصقا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الصحصاح من شعره قام على حيله وعاد الى ظهر مزنه وقد أوسع فى البر يطلب مواضع الوحش ومكانه ويخرجه من مواطنه ولم يزل يزعجه من منازله الى أن صاد عشر غزلان فيهم واحده كحيلات العيون وسودات الجفون فلما أن رآها زادت عليه الجنون وأن أنين المحزون فأرسل الدمع شجون فأشار

ينشد ويقول هذه الأبيات

تشتت شمل الوصل واتصل الصد ... فيا أسفى طال الأسى مع الوجد
الى الله أشكو ان قلبي موثق ... بعشقك يا ليلى تهل صفا الورد
وحق سواد الشعر مع لحظاتها ... وصبح جبين بالضياء له وجدى
فنكهتها عند التنفس عنبر ... وريقها والله أحلى من الشهد
وقد وقعت فى ظبية كحل طرفها ... كطرف لها والصب يقتله الصد
سأطلقها من أجل ليلى لأنها ... حوت بعض مافيها من الحسن والقد

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح بعد ذلك الشعر أطلق الغزال ولما أن سارت من الوثاق سارت تمشي وتتلفت خلفها فقال الصحصاح والله لقد صدقتى وما من المروءة طلاقها وحبس رفاقها ثم انه أطلق الغزلان فبينما هو على مثل ذلك اذ سمع حس حوافر الخيل على قاع الصحصحان (ياسادة) وكان السبب فى ذلك أن عطاف لما أن خرج الصحصاح من الحى أعلموه به وقالوا له انه خرج الى الصيد والقنص فطلب عبد يقال له رفاعة وقد ضم له عشر فوارس من الأبطال المعدودين للغارات وقتل السادات وكان حلفهم على قتل الصحصاح وقد ضمن لهم المال لحلفوا له فقال لهم اذهبوا اليه وأظهروا له زى بنى طى وأنتم معصبين ملثمين فقالوا له سمعاً وطاعه فنحن الى قتله أشهى من الصغير الى ثدى أمه ولما أن كان فى هذه الأوقات وخرج الصحصاح أرسل خلفهم وأرسلهم مع العبد فساروا فى زى بنى طى وما زالوا سائرين الى أن أشرفوا على الصحصاح وسمع حس حوافر خيلهم انتبه مما كان فيه فلما أن رأوه نادوا يا لطى فلما أن سمع نداهم قال لبيكم اليوم ألحقكم بالغطريف ثم أنشأوجعل يقول هذه الأبيات

لست أخشى من الحتوف ... وموقف الضرب بالسيوف
لألحق الجميع بالغطريف ... عند ازدحام الصفوف

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح حمل عليهم وفرحت الخيل باطلاق أعنتها وقد لعبت الصوارم القاطعة والرماح الخارقه ولاح لهم الموت بأركانه الواسعه وحمل الصحاح فى أوائلهم وقد علا الصياح وعاد النهار كالليل فعند ذلك طعن الأول فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره أكثر من ذراع والثانى والثالث عاد عمرهم إلى الانقطاع والرابع طعنه ساردمه كأنه كوز الفقاع (قال الراوى) ولم يزل يكر عليهم إلى أن قتل الجميع وتركهم بين جديل وضليع فلما أن فرغ منهم

رأى الصحصاح إلى واحد منهم وقد كشف عن لثامه وإذا هو من بنى عمه فندم حيث لا ينفعه الندم وقامت عليه القيامة ونظر إلى وجوه الجميع فاذا هم أبطال العشيره ففاضت عبرته وقويت حسرته وعلم أن ماحملهم على ذلك إلا الحسد وقد بان له قول ليلى وعلم أن ذلك من عمه عطاف وما أتوا إليه إلا أرادوا به التلاف فنجى الصيد ووقع الصياد فقال الصحصاح صدق أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه حيث قال لله در الحسد ما أعدله بصاحبه بدأ بصاحبه فقتله ثم ان الصحصاح تركهم ملقحين مكانهم ولم يلتفت إلى سلبهم وسار ودخل الحى من طريق غير ذلك الطريق (قال الراوى) هـذا ولما أن دخل إلى الحى أعلموا عطاف أنه رجع سالم ولم ترجع السريه التى أرسلها فقال عطاف لعلهم ما عرفوا مكانه وقد خالفوه فى الطريق وهـذا من عدم التوفيق (قال الراوى) وهو الأصمعى أنه قد وقع لأبى جهل لعنه الله لما أن بعث الوليد بن المغيرة إلى الكعبة ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرجع الوليد بن المغيره فقال أبو جهل ان الذى بعثناه لم يرجع والذى أردنا قتله رجع ثم انهم مضوا إلى الكعبة فوجدوا الوليد مقطع اليدين والرجلين فقالوا له يا وليد ما الذى جرالك فقال لهم اعلموا أننى لما أقبلت عليه سحبت السيف وهجمت عليه وأردت أن أضربه فرد علىّ السيف وقطع يدى ورجلى فقالوا له يا وليد السيف كان معك والا معه فقال ما كان إلا معى ولكن ما قتلنى غيركم لأنكم بعثتمونى إلى رجل ينظر من خلفه كما ينظر أمامه والسبب أننا جئنا اليه وهو يعبد ربه فدخلنا عليه وهجمنا عليه فلم يلتفت الينا ولاقام من مكانه ولما أن أشرفت عليه قال يايمين الوليد ويايساره اسقطا فقطعت فمن حنق غدوت اليه أن أرفصه فقال ياأقدام الوليد الحق يديه فسقطا وهذا ماجرالى والكل كنتم أنتم سببه (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وان عطاف صبر إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب وطلب أبيات الصحصاح وأخذ وسار على سبيل الاصطباح على الغدران فما زالوا سائرين من مكان الى مكان الى أن أشرفوا على المكان الذى فيه القتلى فوجدوا القوم صرعى كأنهم شربوا على العطش ماء الظمأ فلما أن رآهم عطاف خرق ثيابه وعظم مصابه ثم انه قال ما فعل بهؤلاء هذه الفعال الا بنى طى لأجل تار الغطريف فقال له الصحصاح قد يكون ذلك أيها السيد وأنت ما تقعد عن أخذ تارهم ولا بد لى أن أجعل أذمة العرب كلها بيدك فقال له عطاف وهو قليل الانصاف نحن ما نريدك أن تقيم عنـدنا فاخرج عنا والا قصدتنا الأعداء والعربان وسرنا معهم مقيمين فى الأحزان ولولا أنى ربيتك ما كان لك عندى جوابا إلا الحسام

فأطرق الصحصاح ولم يجبه وكاد فؤاده أن يحترق باللهب وعاد إلى الحله منكسر القلب
وهو تارة يضمر شرا وتارة يضمر خيرا وقد أقام على ذلك الحال (قال الراوى)
ياساده هذا وقد حملت بنى كلاب القتلى وقد شاع الحديث وندبت النوادب من كل
جانب وعاد الفرح ترح وقد ازدادت الناس فى الصحصاح بعد الشكر ذما وقالوا
مانزلت بنو طى علينا إلا حتى يفنونا فبعث الصحصاح إلى ليلى وقد أعلمها بجميع
ماقد جرى فقبحت فعل أبيها وعزمت على الاجتماع به فبعثت تقول له لاتخرج من
الحلة حتى أجتمع بك وأقول لك ماتفعل فأقام ينتظرها ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع
أنفذت اليه تقول اعلم أن أبى حرج عليا وقد وكل بى ثلاث جوار يحفظونى ليلا
ونهارا وقد تكلمت أمى فى ذلك ففزع عليها بالسيف وأراد قتلها فاحفظ نفسك منه
واعلم أنه فى نيته قتلك وقد علم أنك الذى قتلت رجاله (ياساده) فلما أن سمع الصحصاح
ذلك الكلام وانها حجبت عنه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وقد خرج على وجهه
يريد الصيد وأما عطاف فانه سار وأخذ معه خمس عبيد وكانوا حماة الحمى كل واحد
منهم يريد لرأسه رجال وماصحب عطاف تلك العبيد من دون العرب إلا حتى يظهر حسده
الشنيع وفعله الوضيع وقد عزم على قتل الصحصاح ووقفوا لشره وقد سبقوه إلى
بين يديه وكان الصحصاح قد خرج وهو شاك فى السلاح لأنه احترز على نفسه من العائبين
والخائنين وقد سار عطاف فى الخمس عبيد وهو شاك فى السلاح وجدوا فى المسير حتى
علم أن الصحصاح قد سار بين يديه بفرسخين فعطف راجعا وقد علم أنه لرأس الصحصاح
قاطعا فهو كذلك وإذا بغبار قد ثار وملأ الأقطار ثم بعد ساعه انكشف الغبار عن
خمسين فارس بالرماح الطوال والسيوف الصقال وفى أوائلهم فارس عليه قميص أحمر
وعلى رأسه مطوق أخضر وهو راكب على جواد أصفر ووجهه كأنه القمر فوقت
عطاف وظن أن القوم من أصحاب الغطريف فنادى على العبيد وقال لهم اعلموا أن
السعيد من اكتفى بغيره وهؤلاء بنى طى قد خرجوا يتوقعون على خروج الصحصاح
وأنا أسلم عليهم وأعرفهم مكانى وأعلمهم أنى أنكرت على الصحصاح وما خرجت
الا لقتله وأقول لهم انى واصل الى هذا من أجله وهو واصل الى هنا وأتركهم يسقوه
كؤس الحمام والفنا ونظفر نحن بالمنا وإذا فرط فينا الفرط وسألونا عنه حلفنا لهم أننا
ما قتلناه ونكون صادقين فقالوا له هذا هو الصواب ولقد كان الصحصاح مايسلم نفسه
حتى يقتل منا واحد واثنين ثم ان عطاف بعد ذلك قصد الخيل وسار نحوهم وسلم عليهم
فردوا عليه السلام وقد تقدم اليه مقدم القوم وقال له من تكون يا وجه العرب

فقال أنا عطاف أمير بنى كلاب فصاح المتكلم وافرحتاه هذا يا قوم قاتل أبى وقاطع حسبي ونسبي هذا عطاف بن الحارث (قال الراوى) وكان هذا الغلام من بنى كنده واسمه حريث بن الحجاج وكان عطاف قد قتل أباه وكان قد ربى يتيم فلما أن كبر طلع بطل من الأبطال وقد هوى جارية يقال لها الغيداء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكان ذلك الغلام هائما بهواها فخطبها من أبيها فقال له يا ولدى ما أنت إلا كثير المال ولكن ما أزوجك ابنتى إلا حتى تأخذ تارك من قاتل أبيك وتستوفى دمه فكيف أن أزوجك ابنتى والحمامة على قبر أبيك عطشانة لا تهجع إلا ان قتلت قاتل أبيك فحينئذ أزوجك ابنتى وهذه منيتى (قال الراوى) فلما أن سمع حريث هذا الكلام قال له يا عم ومن هو قاتل أبى فقال له عطاف قتله فى بعض الغزوات ودارت عليه الآفات فلما سمع حريث كلامه أنقلبت عيناه فى أم رأسه حرصا على زواج الغيداء ولأجل القول الذى سمعه منه وقد أقسم بمن مرج البحرين أنه لا يشرب خمرا ولا يبرم أمرا حتى انه يقتل قاتل أبيه وما فى بنى كنده إلا من قال نحن لك وبين يديك فجزاهم خيرا وأوسعهم شكرا وقد اختار منهم خمسين فارس وقصد بهم حى بنى عامر وقال نكمن لعطاف حتى يخرج وان لم يخرج كبسنا الحى ولو أن بنى كلاب عدد التراب ثم انه سار من حلته إلى أن أتى إلى المكان الذى كان كامن فيه عطاف لأجل قتل الصحصاح فلاقاه وقد صبحه أيشم صباح كما ذكرنا وما أحس بنفسه حتى أحدقت به الرماح وقتلوا عبيده وأرادوا قتله فأشار عليه بعضهم وقال لا تقتلوه إلا فى حى بنى كنده فرأوا ذلك صواب ثم انهم ساروا وقد شدوا عطاف على جواده عرض وشدوه من رقبته إلى رجليه وقد نزل الذل عليه وسار يبكى على نفسه والغلام يقول له لو كنت خفت من القتل ما قتلت أبى وقد رود فى الأثر «كما تكونوا يول عليكم» وقد قال القائل كما تدين تدان واعلم أنه قد انقلبت عليك نوائب الزمان بالذل والحرمان وسار يضربه بالسيف صفحا على رأسه حتى قطع المفاوز ووصل إلى الحى هذا ولما أن وصل الغلام إلى حيه دخل إلى أبياته وربط عطاف على مضربه ووكل به عشرون عبدا ثم انه أرسل الى جميع خلفاه من القبائل يعلمهم بالحضور وشرب الخمور وقتل عطاف فى البيداء وتزويج الغيداء فجاءوه من كل مكان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الصحصاح فانه أقام ذلك اليوم لما يتصيد ويرجع إلى الحى فلما رجع دخل بيته فأعلمت زوجة عمه أن زوجها ما رجع وان الصحصاح قد رجع فعلمت أنه ذاق التلاف وقالت هكذا جرت النوبة الأولى وانها لم تقدر

تظهر ذلك فدخلت على بنتها وقالت لها يا بنيتى اعلمى أن الصحصاح قتل أبوك فقالت لها يا أماه هذا هو ظنك أو جاءك من أعلمك فقالت لها ان أبوك لم يرجع ومعه خمس عبيد لقتل الصحصاح والصواب أن تمضى اليه وتقسمين عليه بحياتك فانه يحدثك بالحال فعندها سارت ليلى وأتت إلى عند الصحصاح ودخلت عليه (قال الراوى) فلما أن رآها الصحصاح وثب اليها قائما على قدميه وتلقاها وسلم عليها فرآها باكية العين فقال الصحصاح ما بالك يا ابنة العم فعندها أشارت اليه تقول هذه الأبيات:

بكت أسفا وقد ردوا المطايا وقدمت الهوادج والقباب
فقلت لهم إلى أين التراحل فقالوا إلى الفسيح من المصاب

(قال الراوى) ثم ان ليلى قالت يا ابن العم ماصنعت بأبى فقال لها وماحاله يا حبيبة القلب فحدثته بالحديث من أوله إلى آخره وانه طلع ما رجع وقد انقطعت أخباره وخفيت عنا آثاره فبحياتى عليك يا ابن العم هل معك منه علم فلما سمع الصحصاح منها ذلك الكلام حلف وأقام الايمان والاسلام والهوى والغرام انه لم رآه ولايعلم هو أين ولكن لابد ما أقتفى آثاره فى تلك الساعة لأجلك فقالت له لا تمضى فى الغياهب لأنى أخاف عليك من المصائب فاصبر الى الصباح وودعته ورجعت الى أمها وأعلمتها بما قال الصحصاح وانه عند الصباح يركب على مزنه ويقتفى أثره ثم يطلب خبره (قال الراوى) فهذا ما كان من ليلى وأما ما كان من الصحصاح فانه ركب عند الصباح وسار واذا هو فارس من بنى كلاب قد التقاه وكان ذلك الفارس قدضل له بعير وأعطى خبره انه فى حى بنى كنده وكان صعلوك لا يملك سواه فسار الى حى بنى كنده فرأى عطاف مشدود عند القوم وانهم ينتظرون قدوم أصحابه فرجع الفارس فالتقاه الصحصاح راجع فأخبره بماجرى لعمه فرجع الصحصاح ونادى التار التار يا بنى كلاب فأجابوه من كل مكان فأخبرهم بماسمع عن عمه عطاف فقالوا له أيها الأمير نسير اليهم بالرماح والقواضب ونطرح عليهم المصائب فقال لهم الصحصاح هذا هو الصواب ولكن سيروا بنا من وقتنا على بركة الله تعالى فساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وما زالوا سائرين إلى أن أشرفوا على وادى الجعفل فقال لهم الصحصاح انزلوا ها هنا فانكم فى ألف فارس وبنى كنده أقل ما يكون عدتهم عشرة آلاف فارس والصواب أنكم تكمنوا هنا إلى أن أدخل الحى فأكشف لكم الخبر ثم أعود وأشور عليكم بمافيه الصواب فاستصوبوا رأيه ثم ان الصحصاح ركب على مزنه وسار الى أن دخل الحى وقد تلثم كأنه من العرب القادمين ودخل إلى المضارب

ونزل عن مزنة وربطها فى بعض الأطناب واذا هو بأمة سودة وقد خرجت اليه وهى تقول أهلا وسهلا ومرحباً بهذا الضيف النازل والسيد المواضل ثم انها فرشت له بساط وقالت له اجلس على الرحب والسعة فجلس وقد أقبل عليه رجل مهاب مليح الأثواب فأتى اليه وحياه بالسلام وكلمه بلطف الكلام ودخل الى المضرب وخرج ومعه جفنة وعليها من الطعام الثريد مايشتهيه الجائع والسمن فى أجنابها يموج فوضعها بين يديه وقال له تعاطى الزاد ياوجه العرب فامتنع الصحصاح من الأكل لأنه فى نيته القتال والعناد فلم يأكل لهم زاد فقال له الرجل أبيت العيش فما بالك لاتأكل من طعامى فقال له الصحصاح أنا ماتركت الزاد إلا لنذر علىّ لأنى لا آكل اللحم حتى أرى حاجتى تقضى فقال له وماهى فقال إن عطاف قتل أبى وقد نذرت لا آكل اللحم حتى أرى عطاف قتيل فقال له الشيخ اعلم ياهذا ان الله تعالى قد قبل نذرك وجعل على اللحم فطرك ومابقى من حياته إلا قدوم العربان ويضرب بالصباح فأول من يكون يضربه أنت فدعا له الصحاح وشكره وقال يامولاى فى أى بيت هو فقال له اعلم أنه فى ذلك البيت فنظر الصحصاح إلى ذلك البيت وإذا على بابه عشرة من الخيل الملبسه والناس الى البيت يدخلون والى رأس عطاف يلطمون ويقولون له أنت الذى قتلت الأمير حجاج ابن عامر ذو الفضل والبر الوافر سوف نرى قتلك وانه قد أيقن بالموت ونزول الفوت (قال الراوى) هذا وأن الصحصاح قام من عند الشيخ وأتى الى ذلك البيت وأشرف على عمه وهومربوط فعاد الى مكانه وجلس وأكل الثريد واللحم كما يأكل العقاب الكاسر وقد رفع الباقى معه فى مزود لوقت الحاجة اليه وقد أقام عند الشيخ بقية ذلك النهار ولما أن أتى الليل وثب الصحصاح وسار من مكانه الى البيت الذى فيه عطاف وأتى من ورائه فوثب عليه كلب من كلاب البيوت فرمى له اللحم فأتوا اليه الكلاب وقد اشتغلوا عنه بذلك ثم ان الصحصاح شق البيت من ظهره ودخل منه وسار الى عند عطاف وقد وضع يده على رأسه فقال له بصوت ضعيف من أنت فقال أنا الذى خرجت أنت من قبيلتك حتى تقتله فما الذى فعلت معك حتى تقتلنى وتستحل إراقة دمى من غير جناية فخلف له انه لم يكن هذا صحيح واننى مشتاق إليك والى وجهك المليح فعندها فك الصحصاح قيده وقال له قم واتبعنى فقال له والله ماأقدرأمشى خطوة واحدة فقال له إن كان ذلك فالعبيد نيام فأنا آخذلك فرس من هذه الخيول القيام وأركبك عليه وأنا أركب فرسى ونسير ونطلب البر فقال له عطاف افعل مابدالك بارك الله فيك (ياساده) فعندها خرج الصحصاح وأتى لعمه بجواد وكان من جياد الخيل وأركبه إياه وركب

الصحصاح على ظهر مزنة ثم سارا الاثنين وقد خرجا من المضارب كأنهما البرق الخاطف فانتبهت العبيد على صوت الركض وصياح الفرسين فثارت الرجال من كل جانب ودخلت خلفهم تحت الغياهب وزعقت الرجال من كل مكان وكان الصحصاح قد قرب من وادى الجحفل الذى فيه بنى كلاب فعندها تصايحت الرجال وسالت الدماء وانقطعت الآجال وجرت الدماء مثل شقائق الارجوان مما سال من أدمية الفرسان وعمل الصارم وحكم وقام بينهما الحرب على ساق وقدم هذا وقد جال الصحصاح ولعبت السيوف بالأرواح وهو تارة يضرب بالصفاح وتارة يطعن بالرماح وسار يكر على الأبطال وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

أعطاف انظر موقفى فى الوقائع ... فعند كريم الأصل ليس بضائع
سأضرم نار الحرب بألطف نخوة ... واترك من عداك دهن البلاقع
فكن جامعاً شملى بليلى تكرما ... فانك ياعماه اكرم جامع

(قال الراوى) ومازالوا يضربوا بنى كندة بالسيوف ويسقوهم شراب الحتوف حتى ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وتبعوهم بنى كلاب الى المضارب والقباب إكراماً للصحصاح وعادوا طالبين أرض بنى كلاب هذا والصحصاح يقول لعطاف ياعم هل بقى فى قلبك على سخط فقال له ولا ذمة العرب بل ذهب الغيظ وبينى وبينك قرابة ونسب ولاعدت من اليوم أظهر لك غدرا ولاأخفى عنك أمرا ولاأقصد لك مكرا فطاب قلب الصحصاح وقد ساروا مجدين هذا وعطاف لايصدق أنه من السالمين وقدوصلوا الى الحى وسبقهم البشير يبشر بقدومهم فخرجوا النساء بالدفوف وخرجت ليلى بين النساء والبنات فسارت كأنها البدر بين الكواكب فى ظلام الليل الساكب وعليها قميص أحمر مرقوم بالذهب وقد شمرت عن الساقين والساعدين وفى يدها حقوق المسك والزعفران وهى فى أوائل النساء فقابلها الصحصاح وفرحت الأرواح وهبت نسمات الأفراح فجعلت ليلى تخلق صدر مزنة هذا والصحصاح يزداد بذلك حسرة وغرام وقد سكر من غير راح فكان يوم عظيم الأفراح وقد نحر الصحصاح وعقر وأولم وليس للعرب حديث إلا الثناء على الصحصاح وقد شهدوا له بأنه أفرس العرب فى ذلك الزمان هذا وقد دخل عطاف على زوجته وخلى بها وقال لها ياابنة العم اعلمى أن الذى أردته انقلب على وما أعلم مايكون على فقالت له ياابن العم انى قد سمعت من أهل الحى حديث الصحصاح بالأوصاف الملاح وانه بطل جحجاح لايمل من الكفاح (قال الراوى) فلما أن سمع عطاف من زوجته ذلك الكلام قال لها والله ما على وصفه من جناح وليس

الخبر كالعيان والذى وصفه ما نصفه لأنه أرجح الرجاح وعلى الحقيقة ماعرفه ولا أعطاه حقه على الايضاح فقالت له فكيف قلبك فى محبته على الارجاح فقال لها والله انى كلما أردت أن أحبه ازداد قلبي عليه بغضه وقل منه النجاح والله انه خلصنى من الاعدا ولا يستوى قلبي وقلبه أبدا وكيف قلبي يحبه وقد مالت اليه الأبطال وبقيت أنا مسلوب الآمال وهو لم يخش الرجال وسوف يأخذ موضعى ويطمع فى الامارة لأنه ابن الأمير جندبة والثانى أنه شجيع ومن ذا الذى يختار ملكه ينتقل الى غيره فقالت له زوجته وعلى ماذا عولت فقال لها أدبر قتله وما أزال به حتى ألحقه برمسه فقالت له زوجته اعلم أن الغدر قبيح بالأجانب فكيف بالأقارب وماهذا منك مليح ولقد قابلت فعله المليح بفعلك القبيح فلا تجعل قتله على يديك والصواب أن تزوجه ليلى وتجعله عبد بين يديك واعلم أنه ان فعلت معه ذلك يكون عبد فى خدمتك ويحامى عن عيلتك واعلم أن الله سبحانه وتعالى من كرمه يجازيك على نيتك وقد ورد فى الخبر عن سيد البشر وهو حديث صحيح عن صاحب المعجزات أنه قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى وقد قال بعضهم :

كم من عدو وغادر أوتر السهم اليه
فوّق السهم ليرميهم به رده الله عليه

فقال لها عطاف وقد غضب منها أقسم بالله أعز الأقسام لو عرفت أن هذا تقوليه على سبيل الاشفاق عليه علوت رأسك بهذا الحسام الفصال ولكن صدق القائل حيث قال :

ألا إنما الدنيا تغر بأهلها فكن بها من كل أنثى على حذر
إن أنت عاملت النساء على الصفا فهن يعاملن الرجال على الكدر

(قال الراوى) فلما أن سمعت منه هذا الكلام علمت أنه لا يلين للملام فتركته من ذلك الكلام وقد وثبت اليه وقبلت رأسه ورجليه وقالت له والله أنا ماقلت لك هذا الكلام إلا حتى أعلم مافى نفسك فلا أذاقنى الله فقدك وسوف أفتح لك بابا فى قتله فضحك من كلامها وقال لها عجلى فقد ضاقت بى الحيل فعندها أنشد يقول هذه الأبيات :

حل المصاب وحل الويل والحرب وخاب فى كل ما أملته الأمل
القتل أيسر لى مما بليت به فليت إذ أسرونى كندة قتلوا
من قبل أن يأخذ الصحصاح سرير ملكى والدنيا لها دول

ياهذه ساعديني وقد عجزت وقد ضاقت على سبيل السهل والجبل

(قال الراوى) فلما سمعت قوله قالت له طب نفسا وقر عينا فسوف أدبر على إتلاف مهجته فقال لها بم قالت بعبدنا الطنجيروكان هذا العبدقد ربى ليلى والصحصاح يميل اليه لكونه أنه رباها على كتفه وأكثر الليالى يبات تحت رجليها فقالت له وهو يسير اليه ويقتله فى مضربه وإذا أصبح الصباح ورأوه مقتول تقول إن بنى طى قد قتلوه ويكون قتله على يد غيرك وتبرأ ساحتك واعلم أن الرأى السديد أنفذ من الرمح الشديد فقال لها عطاف هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب (قال الراوى) ثم إن عطاف أنفذ خلف العبد الطنجيروكان اسمه البصاص فخلى به عطاف وحدثه بماجرى فقال والله يعز علىّ قتل الصحصاح ولكن إذا ضمنت غدوا نجعل لك قتله قهراً لكن إن كان ولا بدمن ذلك فإنى أريد خنجر قد سقى بماء الأجل ليكون لقتله معجل فقال له عطاف وقد فرح بذلك لله درك ثم إنه أحضر له خنجر صنعة الهندوسقاية السند هذا وقد ضمن له عطاف كل شىء أراد وقال له لك على المال وخمسون ناقه وبيت من الخاص وجارية تخدمك وأعتق رقبتك وقد حلف على ذلك وصار عند ذلك العبد الطنجيروالله تعالى يدبر المقادير (قال الراوى) فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من الصحصاح فانه أقام وقد براه الانتظار ووقع به الاصفرار من لوعة عمه عطاف ولم يعلم أن الأمر معه بالخلاف وقد نصب له حبل التلاف وقد نظر إلى تلك الليلة وقد أزهرت نجومها وسهر الصحصاح وقد هاجه حب ليلى فأنشد يقول :

منعت الرقاد وقاسيت ليلا كما ليل قيس على حب ليلى

ومن هجران ليلى ترى أدمعى على صحن خدى يسيلون سيلا

ومن ذا يلمنى على حب ليلى وقد هدمنى قواء وحيلا

ولم أنس عطاف وهو أسير خذوه الأعادى حقيرا ذليلا

وأحربت جهراً وباعدتهم وفى الوقت أرديت رجالا وخيلا

ومانعتهم عن سبى الحريم وما قط تهتك نساء أصيلا

بنى كندة قد رأوا همتى وهم يعرفونى عند جمع القبيلا

وعطاف وعدنى بليلى جهارا ولا وافى بوعده وقد مال ميلا

فيارب صلى على المصطفى غدوا وأبكارا ووقتا أصيلا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الصحصاح من هذه الأبيات دخل عليه العبد وهو

يقول حل لك الوصال ومضت أيام الانفصال وقد حويت بهذا الفعال الثناء الحسن من الأيام والليالى وحصلت لك على وجه الحلال (قال الراوى) فعرفه الصحصاح وفرح به وقال له كيف حال ليلى فقال إنها فى تجهيز شغلها وتنجيز أمرها فقام اليه الصحصاح وخلع عليه وقد أوعده بجزيل المال والعطاء فقال له الصحصاح بشرك الله بالخير فقال له البصاص أنا الليلة أنام عندك وأحدثك بما قد سمعت من الكلام ودخل المضرب وصار يحدثه بزخاريف الكذب حتى نام وسل خنجره وهم أن يصعد على صدره ليذبحه وإذا بصيحة قد أخذته من وراه وقد أحس بانسان قبض على عنقه فالتفت وإذا بثلاثة نفر إحداهما أم الصحصاح والاثنين من أصحابه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن أم الصحصاح مضت إلى ليلى لتسأل عليهم فعزمت عليها أم ليلى وجعلت تشاغلها حتى يتم لها الأمر وليلى على مقالى الجمر وكانت ليلى سمعت الحديث من بعض الاماء ولم تزل إلى أن وجدت لها غفله من أمها ثم قالت لها يا عمتاه الحق ولدك من قبل أن لا تلحقيه وحدثتها بالأمر الذى قد جرى فخرجت أم الصحصاح وهى لا تعقل على ولدها الى أن رأت اثنين من أصدقاء ولدها فقالت لهما الحقانى وقد سارت بهما وما زالت سائرة وهم خلفها الى أن وصلوا الى المضرب ورأوا العبد قد هم وركب على صدره وأراد أن يذبحه فقبضوا عليه فقالت لهما والدته أخرجوا هذا العبد ولد الزنا الى الفلا فأخرجاه وهو من جملة الموتى وقد فتشاه فوجدوا الخنجر معه فضربه أحدهما بالسيف أطاح رأسه عن بدنه فانتبه الصحصاح من نومه فما انتبه الا من حسن الكلام فسألهم عن ذلك فأعلموه بالحال فشكر فضلهم وقد أنفذ الى بنت عمه ليلى وشكر فعلها وقال لها والله لولاك ما كنا الا كافأنا أباك والا لأجل خاطرك اذ أراد أن يضربنى بالسيف ما أدفعه عنى اكراما لك هذا ولما أن مضى الرسول الى ليلى أنشد وجعل يقول هذه الأبيات

لو أن قلبى يرق لى ويرحم ... ماكنت من حر الهوى أتألم
ومن العجائب أن قلبى مولع ... من ناظريك وفى فؤادى أسهم
داريت أهلك فى هواك وهم عدا ... ولأجل عين ألف عين تكرم

(قال الراوى) وكان الصحصاح كل ثلاثة أيام يخرج الى الغدير الممتلىء من ماء النضير وهو غدير يسموه البحيرة لأجل كثرة مياه وكل المروج تنقلب اليه وعنده أجمة فرسخ فى فرسخ فينصب عنده حبائل صيده وقد علم عطاف بذلك فقال لزوجته قتل العبد برأيك ومشورتك وترك كلامها وقام ولبس درع قصير الأكمام

لا يعمل فيه الحسام ولا تنفذ فيه السهام ولبس على رأسه بيضه عادية كانها فضه مجليه وتعمم عليها بعمامه خز كوفيه وركب حصان منسوب كانه الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الأنبوب وسار وقال انني لا أقدر عليه فربما ظفر بى ولكن أكمن له من داخل الأجمة فلما يأتى وينصب حبائل صيده فأحمل عليه وأطعنه من وراء ظهره على غفلة منه فى ظهره أخرج الرمح من صدره فقالت له زوجته انه خصم لا تقدر أن تواجهه والرأى عندنا أن تصالحه ولا تكالحه وتنتظر ما يأتى فى العرضيات لأن الشجاعة لا يحه عليه والشجعان عمرهم قصير وقد قال بعضهم هذه الأبيات

المرء ليس له علم بخبرته ... وليس ينجو من الأشيا بخيرته
وقد ورد فى حديث المصطفى خبرا ... حديث صدق صحيح فى روايته
معناه من سر سراً فى سرائره ... لابد يلبس رداء من سريرته

(قال الراوى) فلما أن سمع عطاف من زوجته ذلك الكلام قال لها وحق خفى الألطاف ان بحت بهذا الكلام جرعتك كئوس الحمام هذا جرى وأما ما كان من الصحصاح فانه كان فى كل ليلة يتجرع كاس الهوى فى المسا والاصباح الى أن كان فى بعض الأيام خرج إلى الصيد والقنص وسار إلى الأرض الذى يقال لها الجرعا وكان بينها وبين الخيام فرسخ وكانت كثيرة الوحش والظبا فقصدها الصحصاح ليتصيد فيها وكانت قد رأته إحدى الإماء عند خروجه فأتت إلى عند عطاف وأعلمته بذلك فركب جواده وسار طالب تلك الأرض التى قصدها الصحصاح على الغدير وهو لا يدرى ما خبى له فى الغيب وصاحب الغيب يدبر الغيب كيف يشاء وكان على صدر عطاف من الزرد وقلبه أقوى من الجلمد وفى كفه حسام مهند فبينما هو سائر إذ رأى الصحصاح فى ذلك المكان فجاء له من وراء ظهره وحمل عليه وسار إلى أن قرب عليه وإذا بأسد قد خرج عليه ثم انه وثب عليه على غرة منه فاختطفه من تحته وصاح إلى أن أقلب الربا والبطاح فسمعه الصحصاح فقام اليه ونظره وقد عاين الأسد وقد لطم بفريسته الأرض فقام قائما على قدميه وسحب سيفه وقد تقدم اليه وهجم بقوة قاب عليه فلما رآه الأسد صاح صيحة ارتجت منها الأرض والبطاح وأرخى فريسته وقفز على الصحصاح فلقيه بوجه كأنه المصباح وقد ضربه بقوته بين عينيه وقد كان الأسد ألقى نفسه ليفعل به مثل ما فعل بغيره فمن قوة البطل وحدة سيفه وقوة حيل الأسد فجاء السيف بين عينيه خرج من بين فخذيه فوقع شطرين فدنا الصحصاح من الأسد وقد

أخذ قلبه ودنا من الفارس الذى كان تحته فرآه غائب الرشد مردى فى الأرض من كثرة ما مرغه الأسد ولولا ما كان عليه من الزرد كان قد انعطب فكشف البيضة عن رأسه وشال البرقع الزرد عن وجهه ليعرفه وإذا به عطاف فعلم أنه ماأتى إلا ليقتله على غفلة منه فلقاه الله عاقبته وبغيه فحمله وأخرجه من الأجمه وقلعه ذلك الدرع الذى عليه وطرحه على جانب الغدير ورش الماء على وجهه وغسل يديه ورجليه وهب نسيم الهوى عليه ففتح عينيه ونظر الى الصحصاح جالس بين يديه وقد شطر الأسد نصفين فلما أن وقعت عين عطاف عليه استقبح فعله ورجع على نفسه عند ذلك بالملامه ثم انه قام وقد استوى جالسا وأقبل على الصحصاح معطفا وبذنبه معترفا وقال له ياابن أخى قد بان الخفا وزال الغيظ والجفا ولكن اعذرنى فانى خرجت من الحى بحرقتى فلقانى الله شؤم طريقتى ومن اليوم قدأخلصت لله نيتى وقدنصرك الله على من يعاديك ورفع عنك كيد من أراد أن يضرك ويوصل كيده اليك ثم انه أشار اليه وهو يقول هذه الأبيات :

الجهل آفة كل عبد جاهل ... والله يجزى كل عبد عامل
فليفعل الانسان خيرا عاجلا ... فالخير مرتبطا بفعل الفاعل
إن الحسود من كان بهمومه ... وغمومه وهلاكه عن عاجل
من كان رب العرش حافظه فلا ... يخشى عليه رزية من فاعل
وأنا ظلمتك فى الفعال تعديا ... وكنت ياصحصاح لى بالكافل
ولقد حنقت عليك حنقة حامل ... حتى تخيل لى بأنك قاتلى
وطلبت قتلك غافلا متعمدا ... تجرى وأن الله ليس بغافل
وكذلك الصياح لاقى حتفه ... وغدا رهين صحاصحا وجنادل
ودفعت عنى كيده من بعد ما ... أيقنت أن سيفى يقتل القاتل
وأنا المصر على جفاك سفاهة ... حتى بلين ببطش ليث باسل
لو لم تكن بالقرب منى حاصلا ... أصبحت مأكولا وأضحى آكل
لله درك لقد واصلته ضربة ... ظهرت لنا ظهرا بهول هائل

(قال الراوى) ولماأن فرغ عطاف من شعره قال الصحصاح وحق من أسكن فى الأجسام الأرواح وأوجد فى الصدور الانشراح وفتح أبواب الرزق بغير مفتاح المعروف بالكرم والسماح انى قد سرجت لك ضوءا من المصباح وعدت من الفساد إلى الصلاح وهاأنا معتذر اليك من الأمور القباح ثم انه أرمى نفسه عليه وسار يقبل

يديه ورجليه فقام الصحصاح إليه وعانقه وقبله بين عينيه وقال له ياعم هل أنا إلا عبد نعمتك ويتيم بيتك ولا أعلم غير الله وأنت وإن كانت نفسك تحدثك بشيء فهذا سيفي وأنت في حل من دمي وقل لهم إن بني طي قتلوه فأنا ماأريد أشغل سرك ولاأشوش خاطرك وذهنك لكن ياعماه سألتك أن تجمع شملي بليلى فأنا والله أحبها محبة عظيمة فالتجم عطاف بلجام ثم انه قال له ياولدى انى أريد أن أنام قليلا فانى أرى نفسي متوعك وأقول انى ماأنا سالم فى تلك الساعه ثم انه وضع درعه تحت رأسه ونام وسار الصحصاح يكبس يديه ورجليه فأخذته سنة من الكرى فنام الصحصاح إلى جانب عمه فرأى طيف ليلى فى المنام فانذعر وقام من نومه وسار يبكى وينشد ويقول هذه الأبيات :

أتى طيف ليلى نهارا جهارا فعانقنى ساعة ثم سارا
وقال لى تنام وتشكى الهوى فقلت نعم إن قبلت اعتذارا
وانى رقدت أروم الخيال يزور ولاشك منه المزارا
لقد سار فينا دليل الهوى ويزعم أنى رقدت اختيارا
أيا لائمى فى الهوى من سبى فؤادى هواها ونحن صغارا
وما زال ينمو الهوى فى الحشا إلى أن لهينا وصرنا كبارا
وها أنا فى حبها موثق وقلبى قد تاه فيها وحارا
فسبحان من قد كساها الجمال بوجه أضاء حسنا ونارا
ونفسى فدا من نشت بالعفاف بين البنات الحسان العذارى
تصيد الرجال بأجفانها وتقتلهم لعبا واغترارا
وتبسم عن واضح لامع لنا نخوة فى الهوى واقتدارا
مقمصة بقميص الحيا وما دنس العيب منها إزارا
فـؤادى عندك مستأثرا ألا يابنت عمى ففكى الاسارى
منعنى خيالك أن لايزور وخيل إلىّ فهمت انتظاوا
ولولا هواك لما قد بقيت ذليلا وقد كنت سبعا أزارا
تبيتين ليلى فى راحة وعبدك لايستقر له قرارا
وقد شاع ذكرى لأن الهوى غدا بعد ما كان سرا جهارا
أبوك الذى قد فاق الورى علواً ومجداً وحاز افتخارا
وفى فضله قد نشينا صغار فما ضره لو جمعنا كبارا

(قال الراوى) وكان عطاف قد أفاق من نومه فسمع من الصحصاح ذلك الشعر

والنظام فتعجب من فصاحته وبراعته وقال وحق النبي المنتخب سيد العرب والعجم لابد أن أجمعكم وأفرح بكم ويسلم شملكم والآن لا نحتاج إلى صيد الغزلان بعد صياد سباع الصحصحان وما يكون إلا مايشاء الواحد المنان الذى لايشغله شان عن شان وما أقدر أصف ما أوليتنى من الاحسان وأنا أقسم بمن جعل السماء إيوان والأرض ميدان لا فرقت بينكما على مر الزمان ولا جعلت لك (ليلى) إلا أمه وهى من عندى وهبه واعلم ياولدى أن البغى سريع مصرعه والظلم يقتل أهله ويذرى صاحبه والآن فقد زال ما عندى من الحسد وما كنت أخفيه من الكمد وقد بدل الله تعالى الغضب بالرضا وقد عفى عما مضى (قال الراوى) ثم ان عطاف من شدة الفرح بكى ورجع على نفسه بالملامه وقال إن عدت أضمرت لك عداوة أو قبيح فما هو والله منى مليح ولكن ياصحصاح سر بنا الى الخيام وإذا وصلنا جهزنا أمورك بالتمام وأنت أخبر بهذا الكلام (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح من عمه هذا الكلام وما أبداه من الملام استحى وأطرق إلى الأرض برأسه من كثرة هواه والغرام لأن الذى حصل له كان يتمناه فقال له والله يامولاى ما أنا إلا عبدك وغرس نعمتك ومن بعض خدامك ولكن ان شاء الله تعالى أعمل ما يبيض وجهى ووجهك عند الصباح (قال الراوى) ياساده هذا وقد وقعت محبة الصحصاح فى قلب عمه عطاف بعد البغضة وعاد وهو فى قلبه أحلى من الماء الزلال على كبد الظمآن وساروا الى أن أتوا الخيام وقد دخل كل منهم أبياته وقد اجتمع الصحصاح على أمه وأخبرها بما تم له مع عمه وقال لها : ياأماه جميع ماكسبته من بنى طى فقد وهبته وما بقى معى غير اليسير وما يصلح أن يكون مهر لبنت عمى وأنا قد عولت أن أسير وأقصد الملك الكبير ويرزقنى من ماله الكثير انه على مايشاء قدير فان عشت رجعت إلى (ليلى) بالمال الكثير وإن أتاك خبرى بأنى جديل عفير فنوحى وأبكى فى المحاضر علىّ فى البادى والحاضر على الذى مات غريب وبسيوف المحبة نهيب وكل ذلك فى هوى الحبيب ثم أشار لها يقول لها هذه الأبيات :

يا أماه لطف الاله برجعى قريب ... إنى أتيتكمو يتيما مريب
واذا أموت بغربة ... إن السعيد هو الغريب
ما كل من رام الأمور ... له بمطلبها نصيب
كم عادل عن منصب ... يرجو الإياب فلم يجيب

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح ودع والدته وأخذ عبد له يسمى نجاح وطلب البر والبطاح وتوكل على الملك الفتاح هذا وقد مضت أمه الى ليلى وأعلمتها بالخبر فجرى دمعها مثل المطر وقالت لها لقد عرض نفسه مقام الخطر فياليتنى كنت له الفدا من أسباب الردا ثم إنها تأوهت وأنشدت وجعلت تقول :

كادت تذوب يوم فرقتكم كبدى منى ومهجتى فزع
لم يبق لى مذ غبتموا أبدا ياسادتى فى قربكم طمع
ولقد جرعت فراقكم زمنا لو كان يغنى الخوف والفزع
يعتادنى فى باطنى حرق أواه ممن وصالهم منعوا

(قال الراوى) ثم انها بكت بكاء شديدا وصعب عليها غيابه ياساده (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وماجرى لها وأما ما كان من الصحصاح فانه لما أن خرج من الخيام هتك ستر الاحتشام وسار ينشد ويقول :

دام الفراق ونالنى الكرب بفراق ليلى أنه صعب
وإذا التفت إلى مضاربها فالنفس إلى خيامها تصبو

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح سار وقال لعبده نجاح خذ على الطريق اليمنى فو الله ما أدرى أى طريق أسلك وفى الطريق الأولى لما خرجت من الديار الى الربا والقفار فوقعت فى حى بنى طى فأخذت مزنة وقتلت الملك الغطريف وفى هذه المرة أريد أن أقطع المفاوز لأقتل أصحاب المراكز حتى آتى بصداق ليلى وان كانت الأخرى فلا ملام على الدنيا ثم أنشأ يقول :

أجوب الفيافى فدفدا بعد فدفد وأطلب رزقى بالحسام المهند
ألا يا نجاح سربى منعما فان لم تجد مالا فسر بى منجد
وإلا فكن لى معذبا ومشاهدا لنجمع مالا من لجين وعسجد
ونأخذ أموال الملوك تعديا عليهم ونغشى مشهدا بعد مشهد
لحى الله شخصا لا يريد لرأسه إذا خاض فى الهيجاء ألف مهند

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح ماسار غير قليل حتى سمع جلبة عظيمة وقعقعه فى الجو فرفع رأسه ونظر الى ذلك وإذا بهما بطائران وهما فى الجو يسيران فقال ويلك يانجاح ما هؤلاء الطائران فقال له يامولاى هؤلاء بازان صايعان فضرب الصحصاح بالمقرعة على قربوص سرجه فلما أن سمع الطائران تلك النقرة نزلا اليه قليلا قليلا فلما أن قارباه لف الصحصاح على يديه منديل وصاح بهما فنزلا على يديه وهمايظنان

أنه صاحبهما فلما أن استقرا على يديه نظر اليهما وإذا هما بازان أشهبان ورأى عليهما زمرد ولهم مخالب مثل الأسد الأول أشهب والثانى مثل الكوكب تحتهما أبرشان كأنهما قمران وكأن عيونهما عقيقان أو مرجان ولهم شاقيان ابريسم ملون وخلاخل من الذهب حلق فيهما درتان تضىء مثل نجمتان (قال الراوى) فلما أن عاين الصحصاح ذلك صاح يا نجاح انظر الى حسنهما فقال له نجاح يامولاى ما أبركه من صباح فقال له الصحصاح اعلم يانجاح ان هذا دليل السعادة والنجاح ولا بد أن أظفر بالصباح ثم أنشد وجعل يقول :

عجبت وقد رأيت طيور باز ... تدور الأفق فى طلب انتهاز
يريد انتهاب الطير عمدا ... فسارا صيد كفى عن مجاز
كذا الصحصاح أضحى نحو ليلى ... أسير الانقياد بالاحتراز

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح قال للعبد يانجاح لابد أن يكونا هذان لبعض الملوك وقد أطلقهما للصيد فلما أن صعدا للغبوق ومرقا فى الجو كل المروق تاها عن الطريق للطروق وهاتان الدرتان التى مثل بيض الحمام أقسم بالله أنهما يساويان ستة آلاف دينار ولو أن دفعتهما لعمى عطاف لهانا عنده لأن العرب لا تعرف فى الصداق إلا الجمال والنياق ولكن امضى بهما الى عند والدتى وأخبرها يانجاح بسفرتى أنها مباركة وقل لها أن تحتفظ عليهما كل الاحتفاظ حتى أعود (قال الراوى) فسار العبد بهما الى عند أم الصحصاح ومازال سائر الى أن وصل اليها وأتى مضارب مولاه فرأى ستة تبكى ولها دموع سفاح فقالت له ما وراءك يانجاح فقال لها اعلمى أن ورائى الخير والفلاح وولدك بالسلامة آمن من الندامة وقد أتاه الفلاح وأرسلنى اليك بهذان البازان ويوصيك بحفظهما وهذان الدرتان ثم انه قص عليهما ماجرى فى أخذهما ففرحت وقالت يا نجاح اذهب الى مولاك وقل له ان الباز مفاز واعلم أن الدرتان علامة در الأرزاق من الملك الخلاق ويعود ان شاء الله تعالى باصناف الصداق وأنا قد أودعته لمن لاتخيب لديه الودايع وهو للشمل بعد الشتات جامع ثم انها أنشدت تقول :

لو سار قلبى بالفراق سجيم ... أبد وشوقى للقاء قديم
يا واحدى إن الفراق بلية ... لم يبق سر بعده مكتوم
أنت البقية من جميع عشيرتى ... سر فى واعة واحد قيوم
عندى اشتياق ليس تبرد ناره ... فكأنه بين الضلوع مقيم
جرت الدموع بمقلتى مسفوحة ... فاتخذت من مقلتى مشموم

قد كان جندبة لنا عذوة | في الحرب تقعد تارة وتقوم
حتى انقضى ومضى وسرنا بعده | في الذل وهو معين معدوم
والآن يا صحصاح قد عاد الذى | قد كان فى الأيام وهو قديم
يا غائبين متى يكون رجوعكم | نحوى ويصبح شملنا منظوم
أرجو اللقا منكم ولكن لم أكن | فيما قضى الرحمن ليس ألوم
أيضا وكم طلبت لقاكم مهجتى | فاذا تبسم سالما محروم
ولقد بعثت لكم زفيرى شاهداً | لا تنكروه فانه معلوم
ومتى أكون من التذكر سالياً | هيهات عزمى بالسلو يهيم
للام أشواق تزيد ومحنة | لا تنقضى وغرامها محتوم
الله جارك يا بنى وقادراً | يعطيك ما ترجوه وهو كريم

(قال الراوى) ثم إنها أخذت البازين من العبد نجاح وعاد يطلب مولاه فوصل اليه وساروا طالبين رزق رب العالمين فبلغ خبر سفره عمه عطاف فصعب عليه وكبر لديه ومن شدة ما جرى له غشى عليه ولما أن أفاق قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم انه سار متفكرا فى أمره إلى أن سمع خبر البازان فسار إلى بيت أم الصحصاح ونظر إليهما وإلى الدرتين فقال والله لقد كان فى هؤلاء كفاية وأما ما كان من الصحصاح فانه ما زال سائر وهو يقطع الربا والقفار والبطاح ليالى وأيام وهو لايلتقى فى البرية لا راكب ولاراجل فقال عند ذلك الصحصحاح ما أظن ما بقى فى البر ساكن ولاسالك ولامدبر ولاملاحق فقال له نجاح يامولاى اعلم أن الله تعالى له خزائن فى الأرض وقد أعطاك مافيه من الكفايه فارجع بنا الى الاحيا فقد قيل فى الأمثال السائرات إن للتأخير آفات وان السعادات لها أوقات وساعات فقال الصحصاح يا نجاح كف عنى هذا الملام فانى متوكل على رب الأرباب الذى أنزل الماء من الغمام الذى هو حى لاينام فاما مالك وإما هالك ثم أنه أشار ينشد ويقول

دع اللوم ويلك يا ابن الزنا | فلابد من سيرى فى الفلاة
ولابد من خوض بحر العجاج | وأخذ الجمال وصيد الحماة
ونهب الأموال وقتل الرجال | وطعن الصدور وقتل الكماة
فاما أفوز بمال جزيل | فافرح صديقى وا كمد عداتى
وأرضى لليلى بحمل الصداق | وتعلو بذاك على الغانيات
واما يقال اليتيم الغريب | قتيل الأسنة مع المرهفات

إذا لم يكن للفتى صولة لدفع المصائب والمعضلات
فما هو إلا رهين الخطوب وتحسبه فى حساب البنات

(قال الراوى) وسار الصحصاح يقطع الراوبى والبطاح إلى أن وصل الى وادى يقال له المرقب وهو وادى مشعب الجنابات كثير الغدران كأنه بعض رياض الجنان فتحير الصحصاح من حسن ذلك الوادى وانشراح ذلك المكان فهم أن ينزل وإذا هو بصياح عالى وصراخ نامى وسيوف مجذبه بأيدى رجال مثل السلاهب وقد قبضوا على شاب ظاهر الجمال معتدل القد أسيل الخد عليه آثار الجد عليل من غير سقم وقائل يقول اقتلوه وآخر يقول اصلبوه وقد ظهرت جارية مليحة القوام حلوة الابتسام كأنها بدر التمام ولها وجه أقمر وجبين أزهر وخد أحمر وطرف أحور بثوب عظيم الشان وفى يدها سيف أبتر وهى تقول وحق الركن والحجر لئن لم تطلقوا ابن عمى لأحطن هذا السيف فى بطنى أخرجة من ظهرى ولا ينال منى أحد منال (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك الصياح قال لعبده نجاح امضى واكشف لى عن الخبر فمضى العبد يطلب القوم وكان السبب فى ذلك حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أن هذا الوادى كان من قديم الزمان لقوم يقال لهم بنى ريان فانفرضوا على ممر الزمان وكان قد بقى منهم أميرين أخوين أحدهما يقال له عامر والآخر زاهر وكان زاهر الأكبر وكان أكرم أهل زمانه يقرى الضيفان ويؤمن الفزعان وكان أخوه عامر شيطان مريد وجبار عنيد يأكل الحرام وينهب أموال حجاج بيت الله الحرام وكانت العرب يعفون عنه اكراما لأخيه زاهر وكان زاهر قد رزق ولد جميل الصوره يسمى غانم ورزق عامر بنت فسماها لبنا وتربيا حتى بلغا سبع سنين وهما روحان فى جسد واحد وكان زاهر مرض مرضا شديدا أشرف على الموت فادعا بأخيه عامر عند موته وقال له يا أخى قد جاءنى الأجل المحتوم ونعيم الدنيا لايدوم وأنت تعلم أننى ماخفت إلا عاقبة هذا الولد وقد تركت أربعة آلاف ناقة حمراً وعشرة آلاف رأس من الغنم ومائة أمه والكل محول اليك فخذ ألف ناقة صداق ابنتك لبنا وزوجها لولدى غانم وهما يعيشوا فى الباقى الى آخر الزمان فانه مال جزيل (قال الراوى) المرتب لهذا الكلام هذا وعامر يسمع ويقول نعم بسم الله فلما مات زاهر وضع يده عامر أخيه على جميع ما خلفه زاهر من تلك الجمال وسار يخادع ولده بالمحال ويوعده بزواج ابنته بالخداع مدة من الأعوام الى أن كبر وتفرس وسار يركب الخيل ويطاعن الفرسان الكبار فطلب من عمه ابنته لبنا فأجابه بالكذب وأراد أن يدبر له الهلاك وقال له ياولدى حتى تغنم لنا غنيمة من أجل

أن تعمل وليمة كبيرة لسائر العربان وكل ذلك خبث منه ولعنة وضلال فقال له غانم ياعم ماأتعبك فى شىء من ذلك وعلى كل ما طلبت ثم انه أراد التخفيف عن قلب عمه ولم يعلم أنه متكبر وضامر له الغدر والعناد ويريد يزوج بنته لبعض الملوك الكبار فركب غانم وطلع من الحى وأخذ معه بعض العبيد وسار فى البرارى والقفار وتوكل على العزيز الغفار وسار الى أن أرمته المقادير الى حى بنو حرب بن همام فرأى الأرض مخصبة والرعيان ترعى وخيل وجمال ونياق وشىء كثير من الأنعام ولم يكن فى المرعى أحدا من الفرسان غير الرعيان لأنها فى الأمان بفرسانها الأعيان فقوم السنان وأحمى الحصان واستاق منها خمسمائة ناقة وجمل وترك رعاتها هاربين وتركهم ما بين قتيل وهزيم فالهزايم من الرعاة قصدوا الحى وأقاموا الصياح فيها فركبت الفرسان ولحقته الخيل من كل مكان فهجم على الخيل لما أن قاربته فقتل كماتها وجندل سراتها وأخذ الأسلاب ووصل الوادى بتلك الخيل والنياق وأراد أن يوصلهم ويعود فى طلب باقى الصداق ويجمعه من الآفاق لأنه أراد أن يكون صداقها من عرق جبينه غير الذى دفعه أباه من جميع المال وكان قد غاب سبعة وعشرون يوما فسار إلى أن وصل الى القوم فوجد قد حدث من بعد الأمور أمور وسمع حس الطبل والزمور ونظر دوران كؤوس الخمور والصياح بالفرح والسرور وكان السبب فى ذلك أن عمه عامر لما غاب ابن أخيه غانم وصفا له الوقت من وصف ماجرى بينهم من العظايم فسار الى ملك حضرموت فى عشرين فارس من قومه وأبطال عشيرته وهو فى أحسن زى فحمل اليه ملك حضرموت ألف ناقة سود الحدق ومائة جمل وأردفه ألف بطل بعد أن زوج عامر ابنته (لبنا) لملك حضرموت وأعطاه الملك هدايا وتحف وكل شىء مستظرف فتلقاه عامر بالشكر والفرح والثناء وعامر يقول لأصحابه هذا يكون لنا عمدة وندخره ليكون لنا على أعدائنا نجدة وأى نجدة فقال له أكابر قومه هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب افعل ما تريد من رأيك السديد إلا رجل من قومه يقال له شاكر وكان من أصحاب الأمير زاهر وهو عبد صالح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال له أيها الأمير الغدر قبيح بالأجانب فكيف بالأقارب وكيف ترضى أن يكوى هذا الغدر فيك وقد زوجتها من مدة إحدى عشر سنة لولد أخيك وأخذت المهر قدامنا من ماله ولم ترضى تزوجها له وقد زوجتها لهذا الكلب اللعين فأين أنت من مالك يوم الدين وهذا رجل برىء من دين الاسلام ويأكل الحرام وما رآه أحد يصلى صلاة ويزكى زكاة أما تعلم أن الله لك بالمرصاد وانه يجمع الخلق على صعيد واحد يوم المعاد (قال) فلما سمعت أذناه هذا

الكلام قامت عليه القيامة وأمر بصفع الرجل على أم رأسه ونتف لحيته وشده وحلف بالله انه لايطعم طعام ولا يسقوه شراب حتى يموت بالكمد ولايرحمه أحد (قال) ووصل السفاك اليهم وقدم عليهم وكان الأمير عامر لما خاطبه شاكر بهذا الخطاب وجرى بينهم ماسمعتموه من الأسباب فبعث عبدا أسودا أتى على لسان بعض أصدقاه بكتاب يذكر فيه أن غانم ابن زاهر على بعض الغنم قد غار وتبعوه فتركوه قتيل على على الرمال فحزنت عليه النساء والرجال وكان قصده أن تخالفه ابنته فيقتلها ويدع الصداق ويبقى معيرة فى الآفاق فلما سمعت (لبنا) الخبر لطمت على وجهها وخرقت أثوابها وعظم مصابها وأقامت أيام لاتأكل ولا تشرب حتى دخلوا النسوان عليها وجعلوا يسلوها وهى لاتسمع فدخل عليها أبوها وهو مجرد سيفه فى يده وعول على قتلها فسألته أمها فيها وكذلك النسوان فخرج وتركها فألبسوها الأحمر والأصفر وأخذ فى أمرها سبعة أيام بعد ماالتقوا السفاك وأنزلوه وأكرموه وبجلوه وأقام عندهم وهو منتظر زفافها عليه ويرحل بها الى قبيلته فبينما هم كذلك إذ وصل غانم ومعه تلك الأموال والغنايم فهوعندباب الوادى إذ لقوه ثلاثة رعيان كانوا لأبيه قديما وصاروا لعمه فلما رأوه قالوا له : لاإله إلا الله محمد رسول الله أليس قدجاء الخبر بقتل مولانا غانم ثم جاءوا اليه وسلموا عليه وأعلموه بالحال فقال هذا كله من عمل عمى فخذوا معكم هذه النياق ولكم فيها عشرة واحفظوها إلى أن أعود اليكم ولكن متى يكون الزفاف فقالوا ليلة غد فقال غانم أنا أدخل الليلة الحى وأتوصل الى ابنة عمى وأخبرها فان كانت معى مقيمة على الوداد فأنا أدبر تدبير آخر يجعل الله فيه الخير والرشاد وما أتخلى عنها بل أرمى روحى على الهلاك وأسقى هذا كؤوس الارتباك فقالوا له الرعاة أما بنت عمك وأخبارها فقد جرى لها من فقدك ما جرى على غيرها من العباد ولما علمت بهلاكك امتنعت عن الشراب والزاد واكتفت بالحزن والسهاد حتى دخل أبوها عليها والسيف مجذوب فى يده ومانعوه بعض أقاربها وأمها قال فلما سمع غانم بتلك القصة ازدادت به الغصة وأخذ الرعاة معه وصبر الى الليل ونزل عن جواده وخلع ولبس ثياب الراعى ودخل الى الحى فى زى صعاليك الصغار من أولاد العرب ولم يزل يمشى حتى دخل من بين أطناب الخيمة فوجد (لبنا) وهى مخضبة جالسة على فراش جديد إلا انها باكية العين حزينة القلب وقد ظهر عليها آثار الوله والغرام والنساء نايمين حولها خوفا عليها من سطوة أبيها فنظر اليها غانم ورأى وجهها فى ضوء الشمع وهو أنور من نورها ويرى دمعها قد بلّ ثيابها وهى تذكر وتترنم بهذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

يالائمى كف الملام فلست أسمع قول لائم لى مقلتين ودمعها
أبدا على الأحباب ساجم هيهات أن أجد السلو وقد مضى المحبوب غانم
ماكنت أحسب أن تنوح عليه نائحة الحمائم ياعالم السر الخفى
ومن الى المظلوم راحم ماذا أقول ولم تزل يارب تدفع للمظالم
فبحق طه المصطفى وبمن محا كل المحارم

(قال الراوى) ثم بكت فلم يجد غانم الصبر دون أن ناداها ابشرى ياابنة العم فقد جاءك الفرح فلما سمعت كلامه وثبت واعتنقا طويلا وأخبرها بما جرى له الى حين رجوعه فقالت له مالك طاقة بأبى ولا بهذا الملعون السفاك والأصوب أنك تأخذنى فى هذه الليلة ونهرب ونقصد الى بعض أحياء العرب فقال لها غانم ولم ذلك وقد أتيت ببعض مهرك فقالت لاتطيل الخطاب فلو أتيت بأموال الأرض والذخاير فما أرضيت عامر لأنه ملعون غادر ولا سيما وقد التصق بهذا الكافر الغادر ولم تزل به حتى سارت معه الى الموضع الذى ترك فيه فرسه ورفعها على السرج وتقلد بسيفه وقال للراعى الذى كان فى صحبته كن معنا فاذا جاءنا طالب تكن منى مقارب الى أن نمضى إلى بعض الملوك وأصحاب المواكب فبينما هم كذلك وإذا بالعياط والصياح عليه من كل جانب وجاءت اليه رجال مثل السلاهب وفى أيديهم الرماح والقواضب وفى أوائلهم السفاك زوج لبنا وهو سابق القوم ومسك رأس الوادى وبقى عامر أبوها ورجاله من وراء غانم قال ونظرت لبنا إلى ماحل بهما من البلا فنزلت من على الجواد وقالت يا ابن العم اركب أنت وانج بنفسك وطيب نفسك فان سلمت أنت فما عليك بأس من طرفى ولا يملكنى ويحظى بى أحد سواك وأنا من الأسواء فداك ولا أسلم فى ذلك إلا أن أقتل نفسى فهم كذلك وقد أدركتهم الخيل والفرسان وغانم سار على ظهر الجواد ونادى برفيع صوته ياويلكم أنا غانم وقدجئت بأموالى والغنايم وعمى قدغدر بى ونسى حق أبى أما كان لأبى عليكم حق واجب فكيف تسلمون ولده الى هذا الفاجر الكاذب فناداه ياغانم كان لأبيك علينا حقوق ولكن مافينا من يقدر على الصدع بالحجر كما فعل عمك ونحن لا نكون لك ولا عليك ثم رجعوا الى وراءهم ووصل أصحاب السفاك بكل سيف فتاك وحملوا على غانم وحمل غانم عليهم وقد أيقن بالهلاك وصال فيهم وجال وقتل سبعة من الرجال الموصوفين فى الحرب والقتال وأصبح الله بالصباح فوقعت العين على العين وجاء عامر وهو ينادى يا ابن الزنا وتربية الخنا أردت تأخذ ابنتى وتهيم فى القفار وتخلينى ألبس العار فقال غانم انما العار على من فعل هذه الفعال وتعدى وجار

فصاح عامر على الرجال وقال للسفاك بين الفرسان ألا أيها الأمير اقتله ولا تسمع هذيانه فقال له ائتنى برأس غانم فما كان الا طرفة عين حتى تحدر اليه وأوقع نفسه عليه فضربه غانم على عاتقه أخرج السيف من علائقه قال فخرج اليه أخو القتيل وكان اسمه عسعس فقتله قال ولم يزل غانم يقتل كل من برز اليه فى الميدان حتى قتل سبعة من الفرسان فعند ذلك صاح السفاك بصوت كأنه الرعد القاصف فخرج الجواد من تحته كأنه البرق الخاطف وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

إلى كم أقل هـذا الغلام يقاتل　　كل ليث يوم الكريهة باسل
وأرى العار أن أقاتل شخصا　　واحدا بعدما أبدت القبـائل
أنا اسمى بقـاتل وبسفاك　　وضيغم الحـرب والجـائل

قال فلما سمع غانم ذلك الـكلام حمل عليه وهو ينشد هذا النظام :

من يؤدى إلى الحبيب رسائلى　　ويخبر بالأشواق بدر المنازل
خل عنى إن كنت فى الحرب مثلى　　وتحمل مثل الذى أنا حامل
وإذا ماسئلت بالله عنى　　فاجعل الشوق فى جواب المسائل
قل للبنا أنى مقيم على العهـد　　دون أنى أصبحت عنها أقاتل

(قال الراوى) وكان عمه لما سمع هذه الأبيات حمل عليه وكان العبد نجاح جاء يكشف الخبر كما ذكرنا فلما رأى تلك الواقعة وسمع الشعر من الاثنين ورأى السفاك وعم غانم وقد حملا عليه فرجع الى الصحصاح وذكر له كل هذه الحكاية (قال الراوى) فحمل الصحصاح وابتدر الى الميدان حتى حك السنان بالسنان وكان غانم قد عجز عن قتالهم وأشرف على الهلاك فما صبر السفاج حتى حمل على الصحصاح فتلقاه وتقاتلو قتال يحير العقول فضربه الصحصاح على هامه أبراه كما يبرى الـكاتب القـلم وصاح على القوم وهمهم ثم هجم على عامر أبو لبنا وضربه على رأسه فشقه وأخمـدت أنفاسه فوقع يخور فى دماه فعندها نادى الصحصاح هل فيكم من يأخذ بتار عامر الغدار وهل ترضون بغانم يكون أميركم بهذه الديار فصاحوا جميع العرب لا رحم الله عامر لقد كفانا الله شره وشر هذا الغـادر قال وفرحوا بقتله فرحـا شـديد ما عليه من مزيد قال ثم إن الصحصاح سلم غانم الأموال وألبسه حلة الامارة وأوقف فى خدمته الرجال وأقبل اليه أهل حلته من الرجال والشباب أحبابه وأصحابه ورجع الحق الى أربابه وشكر غانم الصحصاح على فعـاله وأراد أن يقبل يديه ونعاله فمنعه الصحصاح وأقام عندهم ثلاثة أيام حتى استراح واندملت جراح غانم

ودخل بابنة عمه لبنا ونال من بعد المشقة السرور والهناء فتفكر غانم ما مضى وتباشر باقبال الرضا فقام واقفاً على الأقدام وزاد به الفرح والابتسام وانكب على أقدام الصحصاح يقبلها وقال له يامولاى إن هذه الصنيعة التى صنعتها لا تقاس بالصنايع والجميل عند الكريم ليس بضايع وقد حوت يدى فى هذه الساعة ستة آلاف ناقة ومثلها جمال وأنا أسألك أن تقبل منى ثلاثة آلاف والذى يبقى من فضلك وكان الأمير غانم قد أطلع شاكر ابن سليم فأخلع عليه وأن الصحصاح لما سمع كلام غانم فقال هيهات أن آخذ على فعل الجميل رشوة فقال غانم وقد عجب من الصحصاح فمن تكون ياوجه العرب فقال أنا الصحصاح ابن جندبه بن الحارث الكلابى فلما سمع ذلك قال بخ بخ أنت والله صاحب النسب العميم والفخر الصميم فبحق زمزم والحطيم الا ماقبلت منى ما ذكرت لك وإن كان قليل فخذ الستة آلاف ناقة وأنا بعدها طليق سيفك وأمين خوفك ثم أنشد يمدحه ويقول صلوا على الرسول

ياسيد الاكرام أنت نصرتنى	وكفى فأنت مؤيد مسعود
بلغت بك الهمم الشريفة رتبة	فيها من الأيد الطوال مسود
قاتلت أبطال الزنا وظفرتهم	بتأيد والرأى منك سديد
يامن شجاعته تعاظم أمرها	ضارت بسطوتك الملوك عبيد
قسما لقد ملكت يداك قيادنا	بمكارم والعالمين شهود
خلصتنى وصنعت حتى لم يكن	عندى على حسن الجميل مزيد

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح مدحه استحى منه وقال والله أجازيتنا وأفضلت علينا (قال) ثم ودع القوم وسار كأنه لم فعل شىء فقال له العبد نجاح والله يامولاى لقد أخطأت على روحك يعطيك غانم ثلاثة آلاف ناقة تعف عنها وأكثر ما كنت تحمل لليلى ألف ناقة فى صداقها والألفين تكون لغناك على طول الزمان أترى لو سافرت الساعة مشرق الأرض ومغربها ماحصل لك مثل هذه المرة فى العطية فقال الصحصاح ياابن الزانية تأمرنى أن نأخذ على فعل الجميل أجره لا كان ذلك أبدا ثم سار يقطع البيد والقفار ثلاثة أيام هذا والعبد نجاح قد أيس من الفلاح وفى رابع يوم أشرفوا على أرض فسيحة واذا فى شرقها عجاج قد ملأ الوهاد والفجاج وغبار قد حجب الشمس عن الأبصار وقتام كانه حالك الظلام وصراخ نسوان بأصوات شجان وبكاء غلمان قد أذلهم بعد العز رين الزمان وركض فرسان قد امتلأت بهم الصحصحان وهوادج وعماريات ورماح ورايات وأعلام مذهبات وقواضب بالفضة من بنات وخيول صافنات ومحامل عليها من الديباج اسطوانات وجوار ملاح عليهم عصايب الذهب المثمنات من لؤلؤ وياقوت وبلخش وفير وزج

ومرجان وزمردكبار وعقبان وخدم عليهم العمايم الحرير والتيجان المحكمات وهم بالمناطق الكبار الثقال وعلى رؤوس العماريات لوايح الذهب الكبار الهائلات وصفايح الاحمال من الذهب الرصافيات وملك تعجزعنه الألسنة فى الصفات ورجال بجرحين وهم مشدودين على الخيل العربيات وعبيد وجوار يندبن على أخذ السادات قال وفى أوائل الجمال هودج كبير عالى وعماريه عاليه عليه شبكة منظومة من اللؤلؤ لها قدر وقيمة تساوى الآفاق من مصر للشام للعراق وحواليها جوانب عليها جلال الديباج الملون الأحمر والأصفر وعليها قطع مكوكبه وتماثيل بالرقم مذهبه وشخوص من الذهب الثقال وفواسر بالرماح الطوال والسيوف الصقال . هذا وقد أحدقت بهم عن اليمين والشمال كأنهم السباع الضوارى وقد أحدقوا بهذا الهودج الأول وثمانين جارية مابين تركية ورومية وحبشية عليهم ملابس ملاح كأنهن الرياض حول الغياض وقد كشفن عن الشعور وهتكن الستور وفى ذلك الهودج امرأة من النساء الأحرار مسورة بأساور الفخار والبهاء مقنعة بقناع الجلال والديانة والحياء من أوصافها وتلوح جلالة القدر والظرف من أطرافها وهى تناوى بصوت رخيم ينبئ عن قدرها العظيم وتنادى للجوار : ويلكن اصبرن على القضاء وتلقياه بالقبول والرضا وارجعن إلى الله تعالى فى أموركن فان الذى قصدنا بيته لقادر أن يقيم لنا ناصر غير قاصر يخلصنا من هذه القوم اللئام الذين قطعوا الطريق على حجاج بيت الله الحرام (قال الراوى) فلما رأى الصحصاح إلى مصارع الأشباح وهذه الحريم فى بكا ونواح أخذته الحمية فصاح فى عبده نجاح وقال والله هؤلاء حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهؤلاء اللئام قطعوا عليهم الطريق وعوقوهم تعويق وأظنهم قتلوا كماتهم وأبادوا حماتهم ولقد سلوت حب ليلى باصطناع المعروف وإغاثة الملهوف ولابد أن ألقى روحى على هذه الكتيبة وأكشف ان شاء الله هذه المصيبة فقال له عبده نجاح يامولاى لاتفعل واعلم أن ما قصد لأخذ هذه الأموال وحماها إلا رجال وأبطال وصناديد أقيال ولابد أنهم تسعون فارس مابين مدرع ولابس ولا يخفى أن يكون واحد منهم مثلك والباقى لايصبروا على فعلك وقد كان فى هذه القافلةماينوف عن ستمائة فارس أو دون ذلك فتركوهم هؤلاء مابين مأسور وهالك ومطروح تحت السنابك والصواب يامولاى لاتعرض نفسك على هذه المهالك ولا تعارك فلما سمع الصحصاح من عبده ذلك الكلام نظر إليه وقال ياابن اللئام مايقعد عن نصرة الحريم إلا كل لئيم ثم صاح من أم رأسه : ياأندال البادية والطائفة الباغية العادية أقسم بمن جعل

البيت الحرام حمى للناس وأمناً من الباس وأوضح منهجه وأفرض حجه لئن لم تخلوا عن الحريم وما معهم من المال لأجعلن رقابكم بلا علاصم وأجسامكم بلاجماجم وجراحكم ماينفعها مراهم وقد نصحتكم نصح الليث الحازم ثم أنشد يقول :

ألا يا رجال السوء كفوا عن الطعن — وكفوا عن الأموال والحمل والظعن
أحجاج بيت الله تبغون مغنما — وذلك فعل الشين يقضى إلى المحن
دعوهم وإلا والمظلل من منى — وحجاج بيت الله فى سائر المدن
جعلتكم فى القاع طعماً لاسده — كذا الطير من نسر ويوم مع السن
وأجرى من دم الشجيع سواقيا — كما سال ماء السيل من عارض المزن

(قال الراوى) ثم صاح بمهرته فخرجت مثل الريح الهبوب وأوسع فى المجال هذا وقد صاحت عليه الرجال وقالوا لبعضهم خذوه على رؤوس الأسنة الطوال فحمل عليه عشرة من أراذلهم لامن أبطالهم فما لاصقهم حتى فرقهم ولم يعلم أحدا من الحاضرين إلا قد علم عليهم برأس السنان وانتقل عن المجال وهجم عليهم وضرب فيهم وإذا بهم تساقطوا من ظهور الخيل على الرمال (قال الراوى) فقال رجل من القوم لاتزدروا بالعرب واعلموا أن هذا الفارس ماحدثته نفسه إلى لقاكم إلا وهوكفؤا لكم ولايخشاكم فاحملوا عليه فما هذا وقت التأنى عن هذا البطل النحرير ومعكم أموال الملوك وصعاليك الحجاز كثير فتكثر عليكم العرب ويصير هذا المال منتهب ولاتنولوا أرب (قال الراوى) فحمل على الصحصاح منهم أربعين فارس كأنهم الليوث العوابس فصاح ياأندال العرب ستعلمون من يكون المفتون ويذوق كاس المنون وطال بينهم الحرب والطعن والضرب وضاقت الصدور وعظمت الأمور وفاضت الدماء من أنابيب النحور فلله در الصحصاح فكم سلب منهم الأرواح وحامت عليهم العقبان ووقعت الرؤوس عن الأبدان وعمل فيهم الصحصاح مثل ماتعمل النار فى أحطاب السنديان هذا وعبده نجاح يقول يا كريم يافتاح يامن لايشغله شان عن شان ياحنان يامنان هذا عبدك الصحصاح وابن عبدك قدا تنخى وأخذته الحمية الى هذه النسوان فانصره على أعدائك وما النصر إلا من عندك (قال) وكان عبد الصحصاح خلف ظهره لايفارقه وملاصقه فى كره وفره (قال الراوى) وقد طلع الغبار على الأقطار وقد رفعن الجوار الحسان أيديهن وأبصارهن الى الملك الرحمن وهن ينادون الأمان الأمان ياواحد ياماجد ياقادر على نصرة هذا الواحد الذى ماله سواك مساعد يامن تنزه عن الوالد والولد هذا وقد علت الصرخات والزعقات وزادت

الرنات إلا أن العيون لاتنظرهم لأن الغبار قد علا على الرؤوس فى الآفاق وزاغت الأحداق ولاسمعوا سوى رنين السيوف الصقال وركد حوافر الخيل مثل الرعد فى المجال فبينما هم كذلك وإذا هم بجواد خالى من راكبه ظهر من تحت الغبار وثانى وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وثامن وتاسع وعاشر ولم يزالوا كذلك حتى خرج جواد صاحب العشرين فتطاولت اليه الأعناق ورمقته الأحداق وإذا بصاحبه قد مال ونصفه عن اليمين ونصفه على الشمال وانكشف الغبار عن الباغين وهم على تلك الأرض مطروحين (قال) وخرج الصحصاح وهو يمسح سيفه على معرفة مزنة وقد نزل على الأربعين فارس البلية والمحنة (قال) فلما نظروا الى الصحصاح علموا أنه فارس البطاح وعظم فى أعينهم فرفعوا اليه أصواتهم بالدعاء وقالوا يا فارس الإسلام وحامى زوّار البيت الحرام ويامانع عن الحريم كل لئيم وقاك الله نارالجحيم وأعاذك الله من الشيطان الرجيم فتبسم الصحصاح ونادى لعبده نجاح ويحك حل عقال هؤلاء المربوطين فتبادر نجاح وحل الأسارى هذا والستين قد بقى منهم عشرة حيارى من فعال الصحصاح وما منهم إلا من هم بالخروج اليه فى أول مرة فلما نظروا الى فعاله اعترفوا بكماله وخافوا من قتاله وهم بعيد ينظروا إلى خياله ويقولوا ما فينا إلا من هو له كفؤا ومنه أرجح ولكن قتله عند العرب أقرب أقبح فليبرز اليه واحد منا ويقول ياوجه العرب هذا المال يكون بيننا وبينك بالسوية واترك عنك هذه الحمية ولو كنا قلنا له فى بداية الحال ما كان تعرض لنا فى قتال قال وكان الصحصاح لما قتل الرجال أمر برفع العماريات التى وقعت فى الحال ورد النسوان الى المحامل ومال الى الهودج الكبير الموشح بالحرير والأطلس وكان لما رفع سجافه ظهرت جارية يقصر عن وصفها الصفات ويعجز عن نعتها النعات ورائحة الطيب تخرج من ذلك الهودج وتعبق تلك الفلوات فلما رأته قالت ياغلام لقد أوشدت فعلا وأكرمت أصلا ولقد أرضيت رباً كان بفعلهم غضبان وأوليتنا جميع الاحسان وصنتنا عن الوصول الى اللئام وحميت حجاج بيت الله الحرام فابشر بالملك العميم والمال الجسيم والكرامة الدائمة والحقوق اللازمة والعموم بالخير المتواترة وحسن الجزاء فى الدنيا والآخرة ثم انها جعلت تقول :

لقد أنقذتنا من قوم سوء	لئام مارقين عن الشريعه
لأنك فارس الثقلين حقا	وذو مجد ومرتبة رفيعه
حليف صنايع الاحسان طبعا	ونحن كما ترى أهل الصنيعه

دفعت الشر عنا والرزايا وقد كنا بأحوال شنيعه
سيحمد ما فعلت بغير شك ويعقبها مجازاة الصنيعه

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك بكى بكاء شديدا وقال والله ما فعلت هذا السبب لكرامة فضة ولا ذهب بل رغبة فى ثواب الله وخلاصكم نعم المكسب ثم انه أنشا وجعل يقول :

حاش لله يا ابنة السادة الكرما وأهل الاعظام والاجلال
قسما بالذى أمات وأحيا وتعالى عن قول كل محال
اننى ما بذلت نفسى لكسب عامدا لا ولا لأجل المال
بل أصون الحريم فى طاعة الله وحفظ الحجاج بين الجبال
وخلاص المقيدين من الأسر وقتل اللئام شر الرجال
قد سمعت الضجيج من كل فج وصراخ النسوان فى الجو عال
عذت لله نخوة عربية ثم بادرت حربهم بحد النصال
جاءنى منهم مقدمة الشر ورجالا عشرا لقصد القتال
فالتقطت الأرواح منهم سريعا لقط طير الفلا حبوب الرمال
ودنا الأربعين منى حربا فتلقيتهم بسمر العوال
لو يكونوا عدد ثلاثة آلاف من جيوش الاقيال والضلال
لم أكن فازعاً ولا أرهب الموت ولم أخش من قتال الرجال
ولك العهد والزمام من الله ولسنا نروم أخذ عقال
إننى سيد ونسل كرام لست أرجو على الجزا أخذ مال

(قال الراوى) فما فرغ من شعره إلا وعبد أسود قادم عليه ووصل اليه وحياه بتحية الملوك وخاطبه مخاطبة الشجعان وقال له انى رسول اليك أقص ماحملته عليك وما على الرسول عتب فيما يقول أفتأذن لى يامولاى أن أقول ولى الأمان فقال الصحصاح قل وأنت آمن فقال أنا رسول من عند هؤلاء الأمراء الذين هم قدامك وهم فرسان العرب وأبطال الحجاز والمقدمين على جميع الذين نصرك الله عليهم وأوصلك اليهم وما تأخر هؤلاء العشرة إلا وكل واحد يريد لرأسه ألف فارس وقد أعجبهم طعانك وصولتك على أقرانك غيرانهم رحموا شبابك وهم يقولون قد وهبناك دم القتلى وخيولهم وأسلابهم ثم يسألوك عن هذه الغنيمة بشىء له قدر وقيمة وأكبر الغنائم سلامة نفسك وعودتك سالم الى محلك ولا تلق بيدك الى التهلكة وتوقع شبابك فى الهلكة ولو لم يكن فيهم إلا الغضبان والغيداق الذى يضرب بهم الأمثال فى سائر الآفاق وشوم الزمان والهجام

الذى لاينكر شجاعته أحد من الأنام ولو أراد كل واحد منهم أن يفتح البلاد ويقتل العباد لفعل وهم قد أنذروك وحذروك فارحم شبابك وإلا كأنك بكاس المنية قد أصابك وما تأخروا عنك إلا انهم يروا فى براز مثلك العار وماجئتك إلا وقد تراضوا أن تكون الحادى عشر منهم فى القسمة وتذهب الى أهلك بالشكر والنعمة وتربح المعرفة بهذه الأبطال وتحسب من جملة الأقيال وإن خالفت تخلفت وإن رضيت سلمت والرأى بعد ذلك إليك (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك ضحك حتى استلق على قربوص سرجه ونادى ياويلك إن كنت ماتعرفنى أنا أعرفك بنفسى أنا الصحصاح بن جندبة بن الحارث الكلابى قاتل الغطريف بن مالك فارس بنى طى وقاهر بنى كنده وخلصت عطاف من كل شدة أنا قاتل الأسد على الغدير أنا قاتل السفاك اللعين ارجع اليهم وقل لهم انى ما أقاسم على وفد الله ولا آخذ حجاج بيت الله فان طلبوا البراز يبارزونى وان شاءوا الحملة يحملوا علىّ بأجمعهم ويظهرون شدتهم فعندى الكثير والقليل سواء إذا جالت الخيل فى البيداء وأما قولهم يعطونى من الغنيمة فهى بيدى وقد صارت لى غير أنى تركتها لله عز وجل (ياساده) فرجع العبد الى أصحابه وأعاد عليهم ما سمع فلما سمعوا ذلك انحدروا من التل كأنهم العقبان إذا انقضت على الغزلان وسبق اليه الغضبان كأنه شيطان على حصان كأنه ثعبان يطير من تحته طيران كأنه البرق الزائد اللمعان له من الريح يدان ومن الظبا رجلان ومن الفجر غرته وتحجيلته ومن العزم صهيله ومن الليل لونه ومن النهار كونه يدهش من يراه فهو كما قال فيه الشاعر :

تطبع صم الحصى حوافره طبع الخواتيم لين الطين
ينقض جريا من تحت راكبه كالباز فى الجو والشواهين
ريح سليمان منه قد عجبت وقصرت عنه فى الميادين

(قال الواوى) وعلى الغضبان صدر من زرد كثيرة العدد كأنها عيون الجرد فهى حصن من الموت ودرع من الفوت ضيقة العيون كما قال فيها الشاعر :

وكل من يلبسها فى بطن حصن مانع
فهى له واقيه من كل سيف قاطع

(قال الراوى) وفى يده سيف يمانى من سيوف معد بن عدنان ورمح طويل ونادى اليه دونك ياصحصاح الضرب والطعان واثبت فى الحرب للفرسان وأنشد يقول :

دونك ياصحصاح والطعانا فما ترى من أسمرى أمانا
فخذمنى فى حومة الميدانا ليعرف الشجاع والجبانا

كفاك أنى لم أزل غضباناً   أجندل الأبطال والأقرانا

(قال الراوى) فعند ذلك صاح الصحصاح على مزنة وكانت إذا طلبت نالت وإذا طلبت فاتت ثم حمل على الغضبان وأنشد يقول

إذا كنت غضباناً فانى راضى   ولى حسام فى الرقاب ماضى
قد ضربت من يد ليث فى الوغا   كان خياض منه فى الخياض

(قال الراوى) ثم تطاعنا طعناً أحر من الجمر وأمر من الصبر واختلف بينهما طعنتين كان السابق بالأولى الصحصاح فوقعت فى صدر الغضبان خرج من ظهره ذلك السنان فعند ذلك تصارخت الرجال وزمجرت الأبطال ونادوا يا ويلك إيش هذا الفعال والله ما نحن الاجهال استيقظوا وإلا أفنا كم هذا الغلام فقد أباد الرجال والأبطال وأراد أن يأخذ هذه الأموال فاحملوا عليه ثم قطعوا منه الأوصال فان العار قتلكم واحد بعد واحد فلما رأوا ذلك صواب أرادوا أن يحملوا عليه وإذا بفارس يقال له الصهال قد برز على جواد ديال يسبق ريح الجنوب والشمال وبين عينيه غرة كالهلال وفى يده صارم منصال للأبطال قتال فلما تقارب اليه فى الوصول أنشد وجعل يقول

لقد جاءك الصهال يا صحصاح   فدونك الضراب فى الكفاح
اليوم تبقى فى ثرى الكفاح   معفر فى الترب غير صاحى
كم فارس ممارس وقاح   تركته شلوى على البطاح
بضرب هندى من الصفاح   أو طعن خطى من الرماح
انى أنا الصهال ذو السلاح   تفزع منى سائر النواحى

(قال الراوى) فأجابه الصحصاح وأنشد هذه الأبيات الملاح يقول

ستعلم يا صهال أنى صميدع   أبيد الأعادى بالحسام المهند
وأضرب رقاب العادين بصارم   وأطعن فيهم كل قرم ومعتد
ولو كانوا ألفاً يبرزون قتلتهم   وحق النبى الهاشمى محمد
وإنى أنا الصحصاح والحرب شيمتى   ولى الشرف الأسنى على كل سيد
بضرب صفاح أو بطعنة أسمر   من القتل مناع إلى كل معتد

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وطلع عليهم الغبار حتى خفيا عن أعين النظار ولم يمهله الصحصاح دون أن زعق عليه وضربه بالسيف على عاتقه أخرج السيف يلمع من بين علائمه فلما رأته صاحبة الهودج نادته لا شلت يداك وخاب فيك

رجا أعداك وأنشدت من الهودج تقول

احمى الحريم فان خير　　الناس من يحمى الحريما
فقلوب نيران العدا　　بحروبها صارت حميما
أنفاسها مما بدا　　قد عاد باردها سموما
لولاك أضحى يومنا　　من ظلمهم يوما ذميما
لولاك يا صحصاح كنا　　فى الهموم وفى الغموما
اثبت ثبت على الصراط　　ولا لقيت الدهر شيما

(قال الراوى) وما فرغت من شعرها حتى حمل عليه من الثمانية واحد يقال له أبو النوائب وهو كأنه بعض السلاهب ومعه صارم مجرد الى يوم النوائب يقطع الظهر والترائب ولا يكثر فيه كثرة المضارب ونادى يا كلب بنى كلاب اليوم أوريك المعاطب أنا الفارس المعروف ليوم المصائب ثم حمل عليه وأنشد يقول

امهل فقد جاءك أبو النوائب　　بصارم من أفتك القواضب
انى أقول قولا غير كاذب　　اليوم منى تبلغ المعاطب

(قال الراوى) ثم تقاربا وتباعدا وتعاركا وتشابكا واختلفا فى الطعان والضرب فأقبل الصحصاح على أبو النوائب وقال له ياويلك مالى أراك تباعدت بعدما تواصلت ثم أنشد يقول :

اثبت لطعنى يا أبا النوائب　　إن كنت ما تخشى من المصائب
أنا الهمام البطل المواثب　　قد سرت فى الشرق والمغارب
إنى لخصمى طاعن وضارب　　وأقتل الأبطال بالقواضب
لا ذقت برد الماء فى المشارب　　إذ لم أدعكم سرعة الكتائب

(قال الراوى) فلما سمع شعر الصحصاح فصاح فى وجهه وانحدر اليه وأقبل عليه وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح واختلف بينهم طعنتين كان السابق بالأولى الصحصاح فوقعت فى فاه خرج سنان الرمح من قفاه فوقع صريع فحمل عليه رجل يقال له الخطاف وهو على جواد مليح سريع الالتفات والانعطاف وبيده حسام لأرواح العدى خطاف ثم أنشد يقول :

وافاك يا صحصاح ليث وافى　　بصارم فى حده التلاف
أنا الهمام القسورى المكافى　　رمحى لأرقاب العدا خطاف
كل الورى قد علموا أوصافى　　أنى أنا أعرف بالخطاف

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح شعره أجابه يقول :

وافاك ليث فى الحروب جافى　　وجاءك الموت مع التلاف
إنى أنا الصحصاح ليث وافى　　أسقيكم كاسا من التلاف
فاثبت لحربى ناظر التعطافى　　حتى يصير النقع غير صافى

(قال الراوى) ثم دنا كلا منهما إلى صاحبه وتلاقيا وتطاعنا واختلف بينهما ضربتين قاطعتين كان السابق بالأولى الصحصاح ضربه على هامه أرماه أمامه وذاق حمامة فخرج من بعده ترهب وهو كأنه سلهب والنار من عينيه تتلهب وهو راكب على جواد أشهب مقلد بصارم مشطب وهو يقول :

أتاك ياصحصاح ليث أغلب　　غشمشم يوم الهياج مغضب
على الليوث فى القفار يوثب　　اليهم بسانه والمخلب
أنا الهمام القسورى ترهب　　أخطف أوواح العدا وأنهب

(قال الراوى) فأجابه الصحصاح على عروض شعره يقول :

وافاك ياترهب ليث غالب　　بعوده فى الحرب ليث يغلب
رأسك بالصارم فهو يضرب　　ويلك دع عنك الحريم واذهب
فليس اسعى خلفكم فى الطلب　　وكاس حتف الموت حقا تشرب

(قال الراوى) ثم جالا واستطالا واختلف بينهما طعنتين كان السابق بالطعنة الصحصاح فأخذها ترهب فى الطارقة فمرت خائبة فاغتاظ الصحصاح من ذلك هذا وترهب قد أخذ فى الحملة وصوب اليه بطعنة فى الجملة فزاغ عنها واعتدل ثم أدخل الصحصاح يده فى جلابيب درعه أخذه من بحر سرجه وقاده ذليل حقير فأخذه نجاح ودار كتافة فلما نظروا الى ذلك فقال لهم رجل انى أشير عليكم وتقبلوا منى فقالوا نعم فقال خلوا هذا الرجل واذهبوا وان قدرتم على الهرب فاهربوا وإلا تصير مثل للأبعد والأقرب ويسقيكم هذا الفارس كاس العطب فلما سمعوا كلامه لم يطيعوه وعظمت الأموال وتلك الغنيمة فى أعينهم فبعد عنهم ذلك الرجل وطلب البر الأقفر وقال من نجا بعمره من هذا فما يخسر ثم أنشد يقول :

يانفس سيرى واتركى الضرابا　　واتركى ذا الحرب والحرابا
وان نجوت كان ذا صوابا　　لأن ذا الصحصاح ليث الغابا

(قال الراوى) فتحدر اليه فارس يقال له الحجاف وكان سمع شعر الرجل فقال ياصحصاح لحى الله من يسمع من رجال أبدال أو يفزع من ملاقاة الرجال الأبطال ثم

قال ويلك أنا الأمير حجاف اليوم أذيقك التلاف ثم أنشد وجعل يقول

مهلا رويدا جاءك الحجافا   صميدع غضنفر عطافا
أرواح عداه لها قطافا   صارمه فى حده التلافا

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ما قاله حمل عليه وأنشد وهو بين يديه :

مهلا قد عاجلك التلافا   من كف ليث كم له ائتلافا
يرجو بهذا الفوز والاسعافا   من ربه لايختشى التلافا

(قال الراوى) فلما سمع الحجاف شعر الصحصاح علم أنه بطل جحجاح فطلب أن يرجع الى أصحابه فخاف أن يعايروه برجوعه فشجع قلبه وتقدم الى الميدان فصاح عليه الصحصاح وضربه أطاح الرأس عن البدن وحل به الهلاك والمحن (قال الراوى) وخرج بعده الغيداق فلحقه بالرفاق وخرج اليه مخادع الحرب واشتد بينهما الطعن والضرب فرأى من الصحصاح ضرب مثل النار فى الالتهاب فصاح عليه ياصحصاح ما أنت إلا ساحر عظيم ومن عظم سحرك ضربت فرسك قطعت رجلها وهى تمشى على ثلاث قوائم فاما أن يكون هذا من شدة سحرك والآثام أو ببركة حجاج البيت الحرام (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح كلامه ظن أن قوله حق ومن محبته فى فرسه مزنه وخوفه عليها طل الى الأرض ينظر اليها فهنالك جاءه مخادع وضربه أسرع من البرق فوقعت الضربه على البيضة فقدتها نصفين ووقع الصحصاح الى الأرض قال فظن مقاتله مخادع أنه قتيل وصار على الغبرا جديل فلم يمهله الصحصاح دون أن قام وضربه على قوائم فرسه فوقع منها اثنين ووقع مخادع الى الأرض فالتقاه الصحصاح بصاومه وضربه فقسمه نصفين وكانوا النساء والبنات لما وقع الصحصاح زاد بهم البكا والحزن والصياح فلم يشعروا إلا وهو راكب على مزنه ولا أصابه ضربة ولاطعنة فارتفعت الأصوات بالتهليل والتكبير والصلاة على النذير ولم يبق غير مقدم تلك الفرسان وكان يقال له شوم الزمان وهو فارس من الشجعان فخرج اليه وهو راكب على جواد سابق عربى لا حق طلوب هبوب كالماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب كما قال فيه الشاعر بأحسن أسلوب

وأدهم اذ هبت به الريح ساعة   فما لحقت من حافريه غبارا
يمر جلاميد الصخور بوطئه   ويقدمن رؤس المفاوز نارا

(قال الراوى) ثم ان ذلك الفارس تقدم وصاح وأتى الى عند الصحصاح وقال ويلك ان الذى قتلتهم خدمى وأنا الذى قتلت الاتراك وأسرت الكماة وقد رأيت

الخروج اليك عار يقولوا خرج شوم الزمان وسيد الأقران الى بعض مجاهيل العرب وأنا قد وهبتك دمك فاذهب حيث شئت فانى أشتهى أن يكون قد نشى فى البر فارس ذو شجاعة ويكون قتله على يدى شناعة وإنى رأيت لأن تكون لى ملازما تأخذ الحجاج فى كل عام فهو أحب اليك من ضرب الحسام ثم إن شوم الزمان أنشد يقول

أنا مردى الفرسان شوم الزمان ... ومبيد الأبطال والأقران
وعصيت الرحمن دهرا طويلا ... مع على بأن ذا طغيان
لو رأيت الشيطان فى موقف الحرب ... لا زالت شجاعه الشجعان
ارض ياذا وخذ من الكسب ما شئت ... وإلا غبت فى ثرى الصحصان
يأكل الطير منك والوحش اذ كنت ... قتيلا فى معرك الجولان
ليس لى بغية سوى أخذ مال ... من حرام وهتك ذا النسوان

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح شعره والنظام فناداه ياابن اللئام وحق من خلق الأنام وغسق الظلام لأبيدك فى هذا الميدان وأوريك عاقبة ظلمك لهذه النسوان يا قرنان ياابن القرنان ثم أجابه الصحصاح يقول هذه الأبيات

لعن الله شوم هذا الزمان ... ورماه بالذل والخذلان
وحق من دحا الأرضين من ... ماء وما له من شان
قسما لو رأيت ما تلتقيه ... موت ألف من بعدها ألفان
لم تكن واصلا إلى أهل وفد ... حتى أنى أموت فى الميدان
وأخليك نائم على فدفد الأرض ... ومن رؤسكم فارقت الأبدان

(قال الراوى) ثم حمل كل منهما على صاحبه وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالصفاح حتى كلت منهما السواعد وهاج شوم الزمان مثل الجمال وله صوت أدوت منه الجبال فصاح به الصحصاح يابقية الأندال اليوم أسقيك كاس الوبال ثم هجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه وعجل الله به الى سقر وخرج الصحصاح من تحت الغبار ووجهه مثل القمر قال وأمر الصحصاح عبده نجاح بأخذ أسلاب الستين فارس الذى ردها خاسره وتركهم صرعى إلى يوم الآخرة وخيولهم فى الفلاة نافرة وهى على فقد أصحابها حائرة وقد عضدت لجاماتها وعلقت حزاماتها هذا والأمير الصحصاح راكب على ظهر مزنة وقد نهب الأرواح وأيده الله بالنصر والفلاح فأنشد يقول هذه الأبيات :

نجوت وخيل الموت تطلبنى كدا ... على أننى أصبحت بين الورى فردا
أتونى بعشر عجل الله حتفهم ... على قعر نار حر قط ما يهدا
وساروا الى الأربعين جهالة ... فأوريتهم قتلى ولم أعدم الجهدا
ومن بعدهم قدجاءنى العبد ناصح ... ولم أك يوم الروع أستفصح العبدا
فقال ترى شوم الزمان وصحبه ... قيام يرون العار وقد يهدم المجد
وغيداق والصهال يتلوه ترهب ... وحجاف أيضا والخزامى قدشدا
فكن آخذاً بعض الغنيمة راجياً ... لنفسك أولا واتخذ فى الفلا مجداً
فقلت لهم دون الغنيمة حائل ... بعيد عبار النقع فيكم إذا جدا
هناك أتانى فارس بعد فارس ... فألبستهم ثوب المذلة مسودا
وأوردتهم حوض المنية حيث لا ... يذقون إلا الموت من صارمى وردا
نخادعنى منهم خبيث مخادع ... فعاودته فوق الثرى عافر الخدا
ومال بجنب الأرض حتى كأنه ... ثنية طود زاده دهره هدا
ولم يبق إلا فارس القوم وحده ... يقال له شوم الزمان قد اتعدا
فقومت حد السيف فى أم رأسه ... ومكنت منه الصارم الابتر الحدا
وعدت كليث الغاب يحمى فريسه ... بقهر وعن أشباله يمنع الأسدا
أذقت بنى مخزوم طعم صارمى ... من الموت لا يحلو لمن زجه شهدا

(قال الراوى) ورجع الصحصاح طالب الهودج الأول وكانت صاحبة الهودج قد رفعت ديل السجاف وهى تنظر إلى قتاله وتتعجب من فعاله وتسأل الله تعالى أن ينصره على أعداه وأن يبلغه ما تمناه قال وكان الصحصاح عطش وبقى يلوز ولا يقدر أن يسأل صاحبة الهودج على ذلك فعرفت منه ذلك فناولته طاسه من ذهب فيها ماء وعسل ولبن هو أبرد من الثلج فشرب منه الصحصاح فسكن ما به التعب والشقا واستراح ثم أخرجت قدحاً من الزمرد الأخضر فيه مسك وكافور وعنبر ممزوج بماء الورد والزعفران الأصفر ثم خلقت الصحصاح هى وجوارها بعد ما نزلت من الهودج وكذلك فعلت بمرنة ثم قالت له يا سيد العرب وكاشف البأس والكرب وحامى الحريم ووافى الذمم أبشر بالنعم فقد وفر الله لك القسم وسوف تتحدث بحديثك الأمم ثم أشارت تمدحه بهذه الأبيات

لعمرت لقد أرضيت ربك بالذى ... فعلت وأرضيت النبى محمدا
وخلصتنا من ذله الأسر بعدما ... بدا شملنا فى الصحصحان مبددا

جزاك إله العرش خيرا مؤبدا ودمت لنا ما دام طيرا مغردا
فأنت الذى عودت بالخير عادة لـكل امرىء من دهره ما تعودا
تفردت أن لا تهتك الدهر حرمة فما زلت منصورا كريماً مؤيدا
وسوف تنل يا فارس القوم اننا نجازيك طول الدهر مادمت سرمدا
وأنت من الاحسان تلقى مغانماً وفخرا ومجدا لا يزول وسؤددا
فعلت جميلا يعجز الخلق وصفه وذكرك يبقى فى الزمان مخلدا

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح شعرها أطرق إلى الأرض ولم يتكلم فصاح عليه عبده نجاح يا مولاى ما هذا الوقوف وعليك صداق عظيم وفى هـذه الغنيمة المال الجسيم فخذها وانصرف إلى أهلك واجمع بمن تحبه شملك فقال له الصحصاح اسكت يا ابن الزنا وتربية الخنا ويلك نحن نستقبح هذه الفعال لغيرنا فكيف نرضاها لأنفسنا أتأمرنى أن أبدل الفرح بالترح والمعروف بالمنكر والجنة بسقر يا ويلك هؤلاء القوم كانوا أدركتهم الأعدا ووقفوا فى موقف الهوان والردا فلما خلصتهم فرحوا فرحا شديدا بخلاصهم من العدا أهل الفتن وبعد ذلك تريد أوقع بهم الغم والحزن وأبدل الصلاح بالفساد فلا كان ذلك أبدا ولو سقيت كؤوس الردا واعلم يا نجاح أن الكريم الفتاح حى باق رازق قادر على كل شىء فدع عنك الهوى والغى فقال له نجاح وقد عرف الصواب فالى متى يا سيد هذا الغياب وأنت وراءك الأعداء والأصحاب فان كنت تفعل هكذا فارجع إلى أهلك فلا من غانم استفدت ولا من هؤلاء أخذت فمن أين يحصل الصداق بعد هذا الحرمان فبالله يا مولاى لا تتعب سرنا وتشتتنا عن الأوطان فكفانا ما لقينا وما من فعل الجميل أولينا فعندها أنشد الصحصاح مجاوباً بهذا النظام إلى عبده نجاح كما كانت عادة العرب الكرام صلوا على مصباح الظلام محمد المبعوث هادياً للأنام

دع عنك لومى وارع صاحب الوادى مع الحجيج فليس العذل بالهادى
وخلص القوم من أيدى العدا كرما بحد سيف صقيل قاتل العادى
واحفظ لوفد أهيل الله حيث هم بلا معين سوى الرحمن بالوادى
فقد أشرت بشىء لست أفعله إن كنت تبغى صلاحى فهو إفسادى
فلا تلمنى على شىء فعلت له فقد تقدم قول الرائح الغادى
بيتاً شريفا وكل الخلق تقصده أيضا ويحدو به فى سيره الحادى
الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر يبدو لفاعله على الزادى

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح أطلق المأمورين كما قدمنا وقال لهم اركبوا الخيل التى أخذتها من الأعداء فهى لكم وأنتم أولى بها منى فى هذه الطريق الصعبة المسالك ولو غضب عبدى نجاح وصار هالك ثم ودع صاحبة الهودج وأراد أنه يرجع فصاحت عليه وأخذها الضجيج والبكاء وكذلك جوارها والتفتت اليه كأنها الكوكب الوضاح غير أن الأعين تذرف بالدموع الساح وعليها الهيبة والوقار وتشهد النفوس بشرفها والافتخار فتعلقت بركاب الصحصاح وقالت له يا سيد العرب وكاشف الكرب وكريم إذا جاد وحامى الديار من العدو إذا لها طلب فلماذا ما تكون معنا وتنظر كرامتنا لتشملك عنايتنا فاصبر حتى أقول لك من أنا وتبلغ آمال المنى فقال لها الصحصاح بعد ما وقف اليها هيهات أيها المصونه لا كان ذلك أبدا ولا نأخذ على اصطناع المعروف جزاء ثم أنشد يقول :

فلست أريد فضلا يا كرام ... على فعل الجميل من الأنام

ولكنى أصيد الوغد عنفا ... وأقطع للأعادى بالحسام

ولا أحمى الحرائر لأجل مال ... ولكنى أبيح لهم زمام

(قال الراوى) فلما فرغ الصحصاح من شعره ألوى عنان مزنه ليمضى فقالت صاحبة الهودج وقد أخذها القلق لا تفعل أيها الأمير فقد سبق على لسانك أنك ذممت لنا ونحن أضعف خلق الله ههنا ومعنا هذه الأموال والأثقال وكل إنسان من الفرسان أتانا ونظرنا فيطمع فينا ونكون نهبا لعرب الحجاز ولا يتفق لنا فى كل يوم مثلك وقد قيل :

* وليس فى كل وقت ينجح الطلب *

فأوصلنا إلى أمننا وإلا نحن هالكين لا محاله وان كنت لا تعرفنى أنا أعرفك حسبي ونسبي ومن هو يكن أبى أنا مروه بنت أمير المؤمنين وإمام المسلمين ومن طاعته فرض على المؤمنين العارفين عبد الملك بن مروان فسير معنا وأوصلنا إلى أرض نسرين وسلخت وإلا نحن فى قبضة الهوى والهلاك وما لنا من الأسر فكاك وسوف أيها البطل الشجاع تحمد عاقبة أمرك فى جميع البقاع وان الثناء يبقى لك وان لم ترغب فى المال ارغب الثناء من الرجال أما تعلم أن الخبر السوء يطير وسوف يبلغ ذلك الى أبى وتسير الجيوش فى طلبي فتملأ الفلا وتسد المستوى فاغتنم صداقة من يشرفك على أهل عصرك ويكون سببا لرفع قدرك قال وبكت مروه وأهملت الدموع من فؤاد موجوع وأنشدت :

فعلت الخير يا نسل الكرام ... به فضلت عن جميع الأنام
وجندلت الذين بغوا علينا ... وخلصلت الكرام من اللئام
أنا بنت الخليفة كن مجيرى ... وبالغ فى مناصحـــة الامام
ليحمد ما صنعت وسوف تلق ... نجاح الأمر مع نيل المرام
فتمم ما فعلت وسير معانا ... لتوصلنا إلى أرض الشآم
وإلا نحن فى أسرى الأعادى ... بلا شك ونضرب بالحسام
أجرنا يا أمير ولا تدعنا ... غنيمة للعدا كسب الحرام

(قال الراوى) وجعلت مروه تتعلق به فنظر إلى حرمتها وجريان دموعها على وجنتها فرق قلبه عليها وثبت عنده إجلالها لأنه لا يعرف من هى ولا من أبوها لأنه خرج من أرضه وهو صبى وهو ما يعرف خاص ولا عام وكسب الثنا وأبى القنا ولا يعرف مأموم ولا إمام فأجابها إلى ذلك هذا ونجاح انفطرت مرارته وزادت لوعته فقال فى نفسه لا كنت شيئا تفلح (قال الراوى) وكان من أعجب الأمور أن السيده مروه بنت عبد الملك بن مروان كانت خرجت إلى الحجاز فى تلك السنة وهى فى هذا التجميل وخرج معها عالم عظيم من أرض الشام وخرج من جملتهم شاعرا يقال له عمرو بن أبى ربيعة المخزومى وكانت مروه قد سمعت به فى دمشق أنه يتعرض بشعره لذكر النساء الغانيات ويصف محاسنهم فى الأبيات وما علمت أنه معها فى الحاج حتى جاوزت نصف الطريق فما أمكنها الرجوع وإلا كانت قد رجعت وندمت على ما صنعت وصارت تخفى نفسها فى هودجها بحيث أن النساء لا يقدرن على رؤيتها وكان هذا كله مخافة لا ينظرها ذلك الشاعر لأنها كانت من أهل الحسن الفائق والجمال اللائق موصوفة بالتقى والصلاح وشرف النسب والعفه والصيانه ولم تزل مروه كذلك إلى أن قضت الحج والعمره وتصدقت بالأموال على الفقراء والمساكين وأكست الأرامل والمنقطعين وعولت على الإقامة بمكة إلى أن يصل الحج ويرحل إلى الشام ويرحل الشاعر معه إلى بلاده وأرحل مع عبيدى وغلمانى وأكون وحدى منفرده بنفسى وما معى من الخدم والجوار وكانت تقول ذلك المقال لعلمها أن أحدا لا يقبل عليها لهيبة وقارها وقالت ان تعسر على الرجوع أقمت إلى العام القابل وكان هذا كله مخافة على عرضها من ذلك الشاعر أن يذكرها على ألسنة الناس قال وسار أمير الحج وهو يظن أنها معه فى الوفد وهى قد أقامت بعده ثلاثة أيام ورحلت وقد عاينت العربان ما معها من الحمل والأموال هذا وقد درى بها عبد الله بن الزبير حاكم مكه فأخرج معها ناس فى خدمتها وقد ظهرت تلك النعم والتحف

والجواهر والذهب والعرب من عادتها الطمع فخرج من مكة قوم يقال لهم بنى مخزيه وساروا إلى أهلهم وقالوا يا بنى عمنا قد جاءكم الغنى وزال عنكم العنا هذه مروه ابنة عبد الملك بن مروان وقد أخذت من نوائب الدهر الأمان وتحسب أنها بين المدن والبلدان ومعها من الأموال والجوار الحسان ما يقصر عن وصفه اللسان فدونكم يا بنى العم والغنيمة التى لا يمنعكم عنها مانع ولا يدفعكم دافع (قال الراوى) فنهض الغضبان وشوم الزمان ومن قدمنا ذكرهم من الفرسان وكان عدتهم مائتين فارس أبطال عوابس وخرج معهم شيخ عارف وهو قاضى العرب وكان يقال له صفوان بن دام إلا أن الله تعالى أعمى بصيرته لأنه علم أنها بنت أمير المؤمنين فخرج معهم الى نهبها وحمله على ذلك الطمع فى حب الدنيا والميل اليها لحمل نفسه على هذه البلية وقد قال عليه الصلاة والسلام «حب الدنيا رأس كل خطيئة» وكانوا أكمنوا عليها فى مائتين فارس فى أرض مخزيه وما كان لمروه طريق إلا من هناك (قال الراوى) فلما وصلت الى ذلك المكان ثارت عليها الرجال بالسيوف الصقال والرماح الطوال وحملت عليهم الرجال واشتد القتال وداقعوا عنها غلمانها إلى أن قتل أكثرهم وكذلك الذى أرسلهم الزبير من عسكر مكة فلما قهروهم بنى مخزيه وقتلوا كل من مانع ودافع وأخذوا الأموال والحريم وربطوهم على الجمال والبغال وأنزلوا بهم الذل والخبال وأخذوا مروة وما معها فى الأسر والاعتقال فعندذلك صاحت عليهم الست مروة وقالت لهم أذلكم الله من عرب لئام أما تخافون من الحق سبحانه وتعالى أما علمتم أنى بنت الملك عبد الملك بن مروان وانه يطلبكم من كل جهة ومكان أما تراعون زوار البيت الحرام أما فيكم من له قلب رحيم يغير على الحريم ثم أنشدت مروة تقول :

أذلكم رب العباد ياويلكم من عرب ... فليس فيكم مسلما
يرثى إلى ما حل بى لا تحقروا ذمة من ... أضحى شريف النسب
إن كنتم من بعدها ماتعرفوا فعل أبى ... ما فيكم ذو حسب
يجعلنا فى الحسب ونحن نجزيه بما ... يحمده من طلب
وسوف نعطيه الذى يختاره من ذهب

(قال الراوى) فلما سمع القاضى صفوان كلامها وكان نائم فاستفاق وأقبل على شوم الزمان وقال له أيها الأمير من لا يحسب العواقب ماالدهر له بصاحب ومن لايصون الحريم ماهو رجل كريم والصواب اننا نرجع عن قبيح الذنوب والخطر الجسيم فقد قدمنا على أمر عظيم مع هذه النسوة واننا نأخذ من هذه السيدة المال الجزيل ونفوز

من أباها مروان بالجميل ونوصلها الى أمانها ونردها إلى مكانها ونقصد بها الى الشام ونأخذ منها الزمام بالعفو عما كان منا من الاجرام ونعلمها اننا ماعرفناها (قال الراوى) فلما سمع كلامه غضب شوم الزمان وقال له دع عنك هذا الهذيان ياصفوان ولا تأمرنا بالحرمان (قال) فراجعه صفوان وذكر اليه ما يكون من أمر الملك مروان فلم يسمع كلامه ثم سل عليه شوم الزمان حسامه فصاح صفوان على رجاله وصاح الآخر على أبطاله وعمل بينهم سيف البغى ونزل بهم ماسطر فى الكتاب فحمل شوم الزمان على صفوان وطعنه بالرمح فى صدره أخرج سنانه من وسط ظهره وأوقع السيف فى أصحابه فما سلم منهم أحد وقتل من أصحاب شوم الزمان أربعين وبقى ستين واحتوى على الغنيمة وساروا فى حساب قسم الغنيمة ولقيهم الصحصاح وخلص مروه كما ذكرنا وأجابها إلى ذلك وقال ياسيدة العرب وكريمة النسب أنا أسير معك إلى حيث تأمنين فدعوا له وفرحوا وهللوا وكبروا وأقاموا بقية يومهم حتى استراحوا وقرت أرواح المأسورين الذين كانوا مشدودين وهم ثلاثون فارس وكان السبب فى ذلك أنهم لما انهزموا من الوقعة الأولى التى جرت بين صفوان وشوم الزمان فوقعوا فى أرض معطشة وأيقنوا فيها بالهلاك فلما رأوه استغاثوا وخافوا أن يقتلهم شوم الزمان فشدهم كتاف وساروا إلى وادى يقال له وردان فعند ذلك لقيهم الصحصاح وجرى لهم ماجرى وسار بهم طالب أرض الشام ونرجع الى الحديث (قال الراوى) وكان الخليفة منتظر الى قدوم الحاج ويظن أن مروة تأتى معه وهو لايعلم ماجرت به المقادير من القضاء والتدبير وكان وصول النجابه من مكه من عند عبد الله بن الزبير قبل أن يصل الصحصاح فقامت دمشق على ساق وقدم وخاف عبدالملك على ابنته مروه لأنها كانت أعز الناس عليه وأحبهم لديه لعقلها وعلمها فأحضر أولاده وكانوا عشرة وأخبرهم بالخبر فعظم عليهم وكبر لديهم وكثر بكاهم والنحيب وقال له ولده الأكبر وكان اسمه مسلمة وهو صاحب الرأى الأوفر ياأمير المؤمنين إن من الصواب أن تكتب كتاب الى ملك العرب مروان بن الهيثم السلمى الذى أوليته رقاب العباد شرقا وغربا وتأمره بخلاص ابنتك وحفظها وتكتب فى الكتاب العجل العجل قبل فوات الأجل وتقول له أريد منك العرب الذين فعلوا هذه الفعال وتخلص مروه من الاعتقال وتقتل بنى مخزيه وتوقع بهم كل أذيه ولا تترك على وجه الأرض منهم أحد لا أنثى ولا ذكر حتى يصيروا عبرة لمن اعتبر وان استجاروا عليك ببعض العرب ولا تقدر عليهم فأعلمنى حتى أمدك بمراكب وكتائب أولهم عندك فى الحجاز وآخرهم عندى وان قصرت بعد هذا

الكتاب تركت ديارك خراب ولا أترك من بنى سليم أحد من الأعراب وكتب مسلمة هذا كله فى الكتاب وقرأه بعد ذلك على أبيه وأنفذه مع نجاب وشاع خبره فى دمشق وورد على الناس مورد عظيم وبكا كل قوم على أهلهم وندبت النوادب على كل مسافر وغائب (قال الراوى) ووصل النجاب الى مروان بن الهيثم ملك العرب فلما قرأ الكتاب قامت عليه القيامه وكان سمع بسبي مروه الا أنه ما حق ذلك إلا حتى وصل ذلك الكتاب اليه فلما صح عنده ذلك صاح فى بنى سليم بالرحيل وساروا فى ستين ألف فارس ونزل على بنى مخزية ووضع السيف فيهم ولا أبقى على شيخ لكبر سنه ولا على غلام لعدم ذهنه وسبى البنات والجوار وهتك النساء والأحرار وعمت المصيبة على جميع خلفاهم من جميع الأودية والشعاب وأوقعوا بهم هذه الستين ألف فارس وأتباعهم شوم العذاب كما قيل فى الأمثال

وحرب جره سفهاء قوم فحل بغير جانيه العذاب

(قال الراوى) ولما بقيت الدنيا منهم بلاقع فسار مروان بن الهيثم إلى مكة فخرج عليه عبد الله بن الزبير وبجله وعظمه وكتب إلى دمشق بما فعل وأن الذى أخذ مروه فلا شك أنه هرب ومن معه الى أرض التطيف وهيهات أن تؤديهم العرب وأناالهم فى الطلب (يا سادة) ياكرام فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الصحصاح فانه سار مع مروه يخدمها ويغفرها ومن خوفها لا يتركها فقالت له يا سيد العرب أريدك لا تزال قدام محملى حتى يكمل احسانك وأمانتك على فقال لها سمعا وطاعة والله لا كنت إلا قائدا بزمام البعير لأنى اليك عبد وغفير فلا خوف عليك ولا فزع فقالت له جزاك الله عنا أحسن الجزاء ولا سلب الله نعمة أحد الا وجعلك سببا فى ردها وبلغك الله المطالب ونولك المآرب من الحبايب فعندها أنشد الصحصاح يقول

بلانى ما تقول العاذلانى	بلانى ما أكابده بلانى
ونيران المحبة مضرمات	بقلبى مذسبانى من سبانى
أيا ليلى بقلبى منك وجدا	وقلبى لا يغيره لسانى
ألفتك فى الصباوالحب باد	وقلبى يهوى مخضوب البنان
وجار علىّ عطاف لأنى	رآنى فى حروبى غير دانى
أرد نوائب الأعداء عنه	وأسعده على ريب الزمان
فأزوجنى بها كرما وجودا	وأعوزنى الصداق لشوم ثانى
فسرت أروم فى الدنيا معاشا	بضرب السيف أوطعن السنان
وجئت الوادو الأبطال فيه	وعامر جائل فى الصحصحان
وغانم فى جماعته أسيرا	ولبنا قد أشارت بالبنان
وتطلب من جماعتها شفيا	

وقد جنحوا الى ذل الهوان ... فكنت مجيرها قولا وفعلا
وأرديت الكماة بلا توانى ... قتلت لعامرى بمضى حسامى
تجندل من على ظهر الحصان ... وأزوجت الغلام بلبنا لما
رعت حق الأقارب عن عيانى ... وأعرض ماله قسمين جردا
وقالت لقد بلغت لى الأمانى ... فخذ ذا القسم تجعله لليلى
صداقا يا فريدا فى الزمان ... فلم أقبل على المعروف أجرا
ولم أسمع ملامة من لحانى ... وسرت أروم فى البيدا معاشا
أغار على عبد المدان ... وعند الواردات بدا معاشا
قباب عاليات للمعانى ... عليها الخز والديباج يعلو
عليه أهلة كالعسجدان ... وتكليل الجواهر فى شباك
من الابريسم الحسن المعانى ... وزينه هودج فى صحن محمل
وتاح صيانة حاز الأمانى ... وقد داروا بها قوما لئاما
من الأوباش أولاد الزوانى ... فلم أبرح الى أن مال سيفى
وعمهم بأنواع الهوانى ... وأملت الرجوع الى مرادى
وكنت من الثنا صفر البنانى ... فقالت من لها شرف ومجد
رويدك أننا فى ذا المكان ... وانك مطلق من قيد خطب
عظيم فى المفاوز قد دهانى ... سيجزيك الاله بذاك أجرا
وتعطى القصد من ملك الزمان ... فقلت وقولها عندى صحيح
حوى اللذات مع كل المعانى ... رضيت بأننى لك عبد رق
فلست اخاف من قاص ودانى ... الى أرض الشام أسير قصدا
ولو أبعدت عن وطنى زمانى ... فسيرى فى السرور ولا تخافى
فانك فى أمان من أمانى ... أما والله ما أبغى جزاء
سوى غفران ربى قد كفانى

(قال الراوى) وسار الصحصاح وزمام الناقة بيده وهو على مزنه كأنه غصن بان أو قضيب خيزران فوالله لقد سار أيام وهو ما نظر الى نحو الهودج مرة واحدة لكرامة نفسه وشرافة فعله وكثرة مروءته فلله دره ومع ذلك لسان الأميرة مروة لا يفتر عن التسبيح والتقديس والدعاء الى الصحصاح (قال الراوى) ووصلت كتب مروان بن الهيثم إلى مدينة دمشق وما فعل فى بنى مخزيه وما أوقع بهم من البليه . هذا وأن مروه لم يطلع لها خبر ولا وقف لها على أثر (قال الراوى) فلما سمع ذلك عبد الملك صعب عليه وكبر لديه وامتنع عن الطعام والشراب وقال لأولاده لقد ذلت أختكم بعد عزها وانفردت عن الأهل وأضحت غريبة مأسورة تخضع للاعداء وتطلب الاجارة من الغرباء وهى صوامة قوامه ولا يقر لنا قرار بعدها حتى نكشف العار جردوا العساكر وأعرضوا الدساكر وكاتبوا الى العرب والعشائر وكل النواحى والجوانب لتقدم الينا فكل ساعة علينا بسنه لفقد السيدة مروه فيالها من مصيبة ما أعظمها ونوبة ما أصعبها (قال) وما ورد على أحد مثل ما ورد على أخوها مسلمه لأنها كانت طريدته فى العمر

وهى أعز الناس عنده فعزم على المسير وحده بنفسه فى طلبها وقال لابد لى منها ولو وصلوا بها إلى السند الأقصى ثم أخذ فى التجهيز إلى السفر وكتب الكتب الى جميع البدو والحضر هذا جرى. وأما الصحصاح فانه لم يزل سائر بمروة حتى بقى بينه وبين الشام ستة أيام وبانت له بلادالشام فأقبل على السيدة مروة وأخذ إذن فى الانصراف فقالت لا والله لا يكون ذلك ياوجه العرب لأنك أكلت طعامنا ولا يجوز لك الانصراف إلا باذننا وكيف نتركك تمضى ولا تدخل معنا إلى أميرالمؤمنين وتتعرف بخليفة المسلمين فما تستغنى عنه يوما من الدهر وربما قدمك على أهل الزمان من العربان وأعطاك الأمارة فى كل مكان ويتحفك بتحف الملوك ويعطيك مايصلح لبنى السادات من ذوى الرتب والهدايا جائزة عند العرب والعجم ولا ينكرها أحد من الأمم وقد قال عليه السلام «تهادوا تحابوا» وقال بعضهم:

للهدايا من القلوب مكان وحقوقها يحبها الانسان

ويصيرلك أيها البطل الهمام معرفة باخوتى فاترك اللجاج فانك الىذلك محتاج وماخرجت عن غيرتك وحفظت مروءتك وخاطرت بمهجتك إلا فى طالع مسعود وسوف انك تسود بما يكمد الحسود ويكون دخولك الى دمشق فى يوم مشهود وتتعلم أيضا آداب الحاضرة وعلومها الفاخرة وانى أريد الجزاء الجزيل والعمرالطويل وقد قال بعضهم:

تعلم يافتى فالعلم تاج ويحسن الألفاظ عند التكلم
فلا خير فيمن عاش ليس بعالم ولو نال أبواب السماء بسلم
وقرب أمير المؤمنين غنيمة وترجع ياصحصاح منه بمغنم
وإن شئت أعطاك الأمارة كلها على سائر الأعراب عربا وأعجم
وتبقى غنياً مالك الأرض كلها ولاتشتكى فقراً ولاحال معدم

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح من مروة ذلك الكلام علم أنه هوالصواب ويشيع له بذاك الذكر بين العرب والأنجاب فقال لها نعم أيها الست المصونة هاأنا أسير معك إلى أبيك وأنا من الأسواء أفديك ثم ان الأميرة مروة أقبلت عليه وقالت ياصحصاح لابد أرسل الى عند أبى بشير بما أنعم الله علينا من السلامة به فان الاخبارقد وصلت اليه بهذه الكائنة ولابد ماسيرالنجابين الى سائرالآفاق تطلب أهل الشقاوة والنفاق وأنا أعلم أنه لايبقى على أحد منهم ويأخذهم بالسيف البتار وهو لايعلم أن الله عجل اليهم البوار وأخذهم ولا ترك منهم ديار والثانى تخرج اخوتى الى لقائى ويمشون فى خدمتك لأنك صنت حريمهم وأنا أعلم أن دمشق تزين لأجل دخولنا ويكون عندأهلها يوم عيد

ولايطيلون الناس النظر إلا اليك وينثرون النثار عليك من الفضة والذهب وتصل الى أهلك بكل خير ويصل اليك من المال والانعام شيء كثير فقد كتب قلم السعادة فى بلوغ الارادة فقال الصحصاح افعلى مابدا لك فانى لا أخالف لك أمرا (قال الراوى) وأن الاميرة مروة التى هى بنت الملك أرسلت الى دمشق البشير بغير كتاب لأنهم شاهدوا الحال رالوقائع وما زالوا يقطعون المراحل والمنازل حتى وصلوا الى دمشق ودخلوا من الباب فلما رأوهم الناس عرفوهم فارتفعت الاصوات وعلت الضجات وغلقت الاسواق وأقبلت الناس يهرعون من سائر الآفاق وخرجت المخدرات وبدت المحصنات وكان يومهم مشهود ووصلوا المبشرين إلى دار أمير المؤمنين وقد خرجوا أولاده على ضجة الناس فلمارأوهم صاحوا فرحا بهم وأخذوهم ودخلوا بهم على عبدالملك بن مروان فقبلوا الارض بين يديه وأعادوا القصة من أولها الى آخرها عليه وهو يبكى فرحاً بهم وقد حار مما سمع واستعظم من الصحصاح مافعل وأقبل على أولاده وقد غلب الشوق على فؤاده وقال والله ماجرى قط فى السير المتقدمة مثل هذه أبدا ولقد صنع معنا هذا الرجل شيئا لانقدر على مكافأته ولا مجازاته لأنه رعى حريمنا وسترهم ورفع العار وأزال الشنار ووالله لقد غلبنى الشوق فى حب السيده مروة والى صاحب هذه المروة الذى جاد بما لايجود أحد بمثله من الصعاليك ولا الملوك فى حق من هى ليست له بقرابة وفى هذا الأوان صار الملك ملكه وعفى عنه ولـكنه قد غرس غرساً فى أرض زكية طيبة التراب وسوف يحمد عاقبة زرعه إذا شاهد حصاده فاخرجوا إلى لقاء أختكم التى قد شربت كأس المذاق من المذلة والفراق وهذا كله فى طاعة الله ورسوله وما وصل الناس الى جنات العلا إلا بالصبر على البلا فتأهبوا الآن الى ما أمرتكم به فعندها خرجوا جميع أولاد الخليفة العشرة والناس من حولهم بالنثار وأمروا أن تزين البلد والخلق معهم بالعدد والخدام معهم أطباق الفضة والذهب وفيها مباخر العود والند ونوافح المسك الأذفر ونظر الامير مسلمة إلى كثرة الخلق فصعد الى فوق رابية ونظر يميناً وشمالا فرأى أربعين ألف خيال وأربعين ألف راكبين على النجب وما فيهم إلا من لبس أفخر ماعنده (قال الراوى) فبينما الصحصاح سائر واذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار فقال الدليل أرى غبار قد ثار من بين أيدينا وأنا أقول إنه غبار وحش لأن البلد بعيدة منا فقال الصحصاح ياشيخ لوكان غبار وحش كان متفرق وماهو إلاغبار الخيل فقالت الأميرة مروة صدقت يافارس العرب وهو كما ذكرت ولا شك أنه عسكر قد وصل مع اخوتى وأهلى وعشيرتى

وقد خرجوا الى خدمتك لما وصلتهم أخبارك ومكرمتك فابشر بالسعد الظاهر والشرف الباهر والعطاء الوافر كما قال بعضهم :

زرعت جميلا عند نخلات حاجر ... فأثمر فى أهل العلا والمفاخر
وكان حصاد الزرع فوزاً ورفعة ... ونيل الأمانى عند قوم أكابر
وماضاع فعل مثل ما قال قائل ... خبير بنظم الشعر بين العشائر
ومن يفعل المعروف مع غير أهله ... يجازى كما جوزى مجير أم عامر

(قال الراوى) فقال الصحصاح : يامولاتى الحمد لله بالسلامه على لم الشمل بالأهل والوطن والنجاة من المحن ومع ذلك انه معها يخاطبها واذا قد انكشف الغبار والضباب وظهرت الأعلام والرايات ودقت الكؤوسات ونعرت البوقات وارتفعت الضجات ونظر الصحصاح إلى شيء مارأى قط مثله ولاعاين شكله فطاش عقله وشكر الله تعالى الذى وفقه لما فعل وأعانه على هذا الفعل والعمل والأميرة مروة قالت للصحصاح قف حتى أقول لك فقال سمعا وطاعة ونادت بخدامها وحشمها فلما حضروا أمرتهم أن يضربوا لها سرادق فضربوا لها سرادق من الحرير وبقت فى العماريه على حالها . هذا ومسلمة قد أمر الناس بالمسير على مهل وتقدم هو واخوته على خيول سوابق وهم بمراكب الذهب فلما قربوا من العماريه صاحوا الغلمان قدامهم فقالت مروة تقدم ياصحصاح وخذ بزمام البعير ففعل ذلك وكان مسلمة نظر الى العماريه والصحصاح بين يديها فقال والله هذه عمارية أختى ولا شك أن الذى بيده زمام البعير هو الصحصاح ثم بكى مسلمة فرحا بالاجتماع وظهر الشوق وانحدر مع الاخوة العشرة وكانوا كما قال بعضهم :

وأبرح ما يكون الشوق يوما ... إذا دنت الديار من الديار

(قال الراوى) وتقدم مسلمة واخوته وترجلوا بالقرب من العماريه وأناخوا البعير وحملوا الحمل الى باب السرادق فدخلت الأميرة مروة وقالت ادخل ياصحصاح فدخل مع اخوتها هنالك خرجت الأميرة على الصحصاح وقبلت يديه وقالت لاخوتها يا إخوتى قبل أن تسلموا على سلموا على من صان حريمكم وثبت هذه التيجان على رؤوسكم بعد ما كانت أشرفت على الهتيكه والفضايح فالحمد لله على إنعامه فلا تعترضوا عليكم فيما حكم فله الحمد على كل حال لأنه جواد كريم فعال متعال (قال الراوى) فأقبل مسلمة هو واخوته على الصحصاح وسلموا عليه وجعلوا يقبلوا يديه وهو يشكرهم ويثنى عليهم ويقول : الحمد لله الذى وفقنى لهذه الخدمة وأن الأميرة مروة صارت تحكى لإخوتها على مافعل الصحصاح معهم

فزادقدره عندهم وأخذوا له فى الدعاء والثناء وقالوا له ياشريف النسب ويا فارس العرب ويا ذخيرة للمهمات ومجيب المضطرين نحن عاجزين عن مكافأتك هذا والصحصاح يدعو لهم بفصاحة لسان وقوة جنان وهم قد شغفوا به وأما مسلمة فانه صار مستغرقا فى هواه وحسن بهجته وقد صار ساهى فى وجهه بحيث أن لا تطرف عينه طرفة عين ولا يفتر لسانه عن وصفه (قال الراوى) ووصلت العساكر على طول النهار والمدد ماينقطع والبوقات تضرب والكاسات تدق والناس راحلين فرحين ومستبشرين والصحصاح يحادث أولاد الخليفة وهم يحادثوه ويسألوه عن بداية أمره وسفره فحدثهم الصحصاح بحديث جندبة والغطريف وماجرى له من الأمر اللطيف وحديث غانم ابن زاهر وقصته مع عامر وحديث الغضبان وشوم الزمان وماجرى له مع الفرسان وكيف طلب الرده والوداع وكيف سألته الإقامة خوفا من عرب الحجاز وإنه ماهو ماشى إلا على سبيل الاشفاق ورغبة فى ثواب الملك الخلاق هذا وقد تطاولت اليه الأعناق وصار على القدم ألف قدم وبقى فى ظاهر دمشق ستمائه ألف من الخواص والعوام والنساء والرجال والكل يشيرون الى الصحصاح بالإجلال والاكرام كما يشار إلى الهلال (قال الراوى) ولما وصلوا الى باب المملكة حتى ضربت البوقات وارتفعت الضجات وخرج عبد الملك بن مروان وكان من حين سمع بسبى مروه ماركب إلا فى تلك الساعة وقال والله ماخرجت إلا للقاء الصحصاح وقبض مسلمة على عضده وأشار الى ركاب الخليفة وكبس على يده فعلم مايراد به فقبل الصحصاح قدم الخليفة فى الركاب فطاطا عبد الملك وقبل رأسه وأشار الى مسلمه أن يقدم له فرسه فقدمت له مزنه ولزم مسلمه له الركاب وعضده حتى ركب وجعله إلى جانبه الأيمن وأحدقت به المواكب من كل جانب والخليفة يحادثه ويباسطه فى الكلام وقد صار الصحصاح ملازم الامام بعدما كان قائد الزمام وقد جالت المواكب بينه وبين مروه وجلوه على الناس أحسن جلوه إلى أن وصل الى دار الخلافه وترجلت العساكر وسار الخليفه وأولاده الى الدهليز الأول وإذاهو بالذهب ولما وصل الى الدهليز الثانى وإذا هو بكل عجب وفى الثالث البلخش وفى الرابع الزمرد وفى الخامس الياقوت وفى السادس الجوهر وفى السابع المسك والعنبر هذا وقد بسط الدهالبز وأراد الصحصاح أن ينزل فمنع من ذلك وقيل له أمير المؤمنين قد فضلك على أولاده تسير فى المكان الذى ينزل فيه بنفسه هذا وقد سبق الخليفه وقعد على سدته وأمر فنصب بين يديه كرسى لطيف من العود

القمارى مرصع بالدر والجوهر وعليه مدفرة محشيه بريش النعام ومن فوقه مفصلة باللآلىء الكبار وهو يأخذ بالأبصار فأجلس الصحصاح عليه فغاص وغطس الى وركه ونهض الخليفة وناداه بالتحيه وبقيت أولاد الخليفة وقوف فى خدمته وهو فى غاية الاعظام وهو يسأله عن حاله وحلته وعن قومه وعن قبيلته والصحصاح مجلل بالعرق من الحيا وغلب عليه الفرح حتى بكا ورجع الى طبع العرب فجال فكره بالشعر فأنشد يقول :

ماء النظيم به فؤادى مدنف	وبرامة نزل الحبيب المدنف
إن كنت فى الشام فها أنا ناظرى	نحو الحجاز مخيما لايطرف
ليلى بليلى طال حتى أنه	فى كل جارحة فؤادى يرجف
وألفتها طفلا وقد فارقتها	فمدامعى فرحا وقلبى مدنف
كيف السلو عن التى ماقابلت	شمس الضحى إلا بدت هى تكسف
إن شط معناها فبين جوانبى	قلب يلين الى الخيام ويعطف
اليوم قد حل الركاب ببلدة	هى جنة المأوى بها أتشرف
ونزلت بالقصر الشريف وفوقه	تاج منيع والبناء المشرف
بك ياأمير المؤمنين ابسط يدى	طولى فلان له الزمان الأعجف
يامن له أمران كلا منهما	فيما يشاء من الأنام تصرف
والناس بين مؤمل نال الغنا	من راحتيه وبين من يتوكف
من عبدك الصحصاح حتى أنه	يحظى بتلك المكرمات ويتحف
العبد عبدك والصيانة كلها	من بيت مجدك تستفاد وتعرف
رفقا بعبد نعم ما حسنته	وكنى خطابك إذ به أتشرف
لاكانت الدنيا لغيرك عمدة	واغتال شأنك للزمان الأعجف

(قال الراوى) فلما سمع الخليفة شعره وفصاحته وقد نسب بيته وعظم فى عينه وقال إذا أراد الله بعبد خيرا وسعادة وأطلق لسانه بما يسر به القلوب ثم قال ياصحصاح قد عمت صنائعك الصنائع ولابد ما يبقى حديثك أعجوبة الزمان الشائع ثم أمر باحضار الطعام ونزل عبد الملك عن سريره وساوى الصحصاح فى القعدة وجميع أولاد الخليفة فى الجملة واقفين فى الخدمة وكان الخليفة تارة يضع اللحم بين يديه وتارة يناوله وتارة يلقمه بيده وهذه منزله ما نالها أحد ورفع الطعام وغسل الامام يديه وأشار الى الصحصاح أن يغسل يديه وهو قاعد مطرحه وهو ينظر اليه بعين رحمه ولم يقدر يكشف ستر قلبه ليظهر خافيه ثم قال الخليفة

سبحان الله العظيم ما أحسن هذا الشاب فى أدبه وتربيته وفصاحته ومروءته التى نال بها ما كان ممنوع وارتفع على كل مرفوع فهو كما قال الشاعر حيث يقول هذه الأبيات:

وإذا السعادة لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل ... واقطع بها الجوزاء فهى عنان

(قال الراوى) ثم ان الخليفه أقبل على ولده مسلمة وقال له يامسلمة هـذا السيد ضيفك فأكرم مثواه الى حـين نرجع وراه فانه ضيـف كريم وإذا غاب بقلبى مقيم ففرح مسلمة بنزوله عنده وكيف اختصه أبوه من دون اخوته به وحده فأخذه مسلمة وسار به الى داره وكل خواص الخليفة قدامه بالقسى المذهبة والدرق الملوكية والملابس اللائقة والمناطق المشرقة إلى أن أتوا إلى دار كان قد بناهاالفرجته وجعلها لنزهته كان جن سليمان قد تولوا بناهـا والذى كان عنده شيء من صناعتـه أبداهـا فهى نزهـة للعيون وراحـة للقلـب المحزون وعلى عتبتهـا مكتوب هذه الأبيات:

يانعمة الله حلى فى منازلنا ... وجاورينا فدتك النفس من جار
واستقبلينـا بأيام مبـاركة ... فالسعد يخدمنا فى هذه الدار
وان أتى جار سوء جاء يحسدنا ... الله يحرسنا من ذلك الجار

(قال الراوى) وان الصحصاح لم يلمح بنظره الى هذا المكان ولا إلى سقف ذلك القصر بل يشتهى أن يكون فى قاع الفلاة أشهى اليه من ذلك المكان وجلس مسلمة عنده وقعد ساعة وقال له والله ما أشتهى أن أفارقك إلا لأنى لابد ماأدخل على أختى مروة لأن أبى وأخوتى عندها ولابد لها ماتصف اليهم ما أبديت اليها وما وصل من انعامك عليها وكونى عندها حاضر أحب اليك من كونى عندك ولـكنى أوصيك بما يعود نفعه عليك وسروره اليـك وإياك ثم إياك من مخـالفتى فيما أقوله اليك فيفوتك المأمول واطلب معانى الأمور فتفوز بالحبـور والسرور فقد قيل فى الأمثال من كان دون فبالدون يرضى وهـذه الصنيعة الذى صنعتها معنا غالية المقـدار فاقبل ما أشـير به عليك فقـال الصحصاح يامولاى وهل يجوز للعبـد أن يخالف مولاه فيما يأمره به وينهاه فقال له مسلمة اعلم ياصحصاح أن أمير المؤمنين قد رفع قدرك وسـواك على المائدة بنفسه ولا شـك أنه عنـد الصباح يدعوك ويقول لك تمن علىّ فاياك أن تطلب هين فتهون وترجع مغبون فان التجار أصحاب الأقدار يطلبون حـتى يكسبون فى الدرهم دينـار وأنت عاملت أعظم النـاس قـدراً

وأبذلت المهجة وارتفعت أعلى الدرجة ونزهت نفسك فعال الأنذال وسمحت بما ملكته من المال فقل لى ما الذى تتمنا على امام الزمان حتى أنظر ان كان كما خطر ببالى فان كان ذلك وأزيد فأنت سعيد وان كان بخلاف ذلك فانى أرشدك الى سؤالك فقال الصحصاح يامولاى إذا فتح باب التمنى فإنى ما أتمنى إلا مهر ليلى لاغير ثم أنشد يقول هذه الأبيات :

تريد الليالى أن أسالمها غبنا ... لئن طردت بالبعد عن مقلتى الوسنا
ومن لم يكن يهوى العزيمة ماضيا ... ولا يطلب الأعلى فقد فاته الأدنى
وصبر الفتى فى موضع الصبر عزة ... على أنه ذل إذا ما به استغنى
إذا قيل ياصحصاح كن متمنيا ... تمنيت ليلى إنها عينى المنى
وأرجو من الرحمن تسهيل أمرها ... كما ألف الرحمن غانم مع لبنا
وقد كنت أرجو الكسب من كل غارة ... وأفنى العدا ضربا وأشبعهم طعنا
الى أن أتانى الله جل جلاله ... بعيش نفيس ثم يستحسن الحسنا
إمام يراه الله جل جلاله ... نوال أمير المؤمنين الذى استغنا
أتى ابن أمير المؤمنين يقول لى ... تمنى وإياك أن تطلب الأدنى
أهيم بليلى كلما طار طائر ... ويطربنى صوت الحمام إذا غنا
ويسلمنى دهرى بمسلمة الذى ... عرفت به من فرط إحسانه فنا
به قد بلغت القصد مع كل مطلب ... ونلت سرورا حيث لا أعرف الحسنا

(قال الراوى) وإن مسلمة لما سمع شعره تبسم عجبا وازداد له حبا وقال له لا تفعل ياصحصاح ولكن إذا قال لك أمير المؤمنين تمنى على فقل له أريد موضع ملك العرب مروان بن الهيثم سيد بنى سليم وأكون أميرا على سائر العرب فقال الصحصاح يامولاى ومن يكره هذا غير أن من طلب الصعود إلى السما لا يقدر أن ينصب سلما ومن يريد أن يطاع فيسأل مايستطاع فقال مسلمة ان أنعم عليك أمير المؤمنين بذلك كان أشهى من ضحك الضاحك فاطلب ما أشير به عليك فقال له يامولاى ومهر ليلى أين يكون فضحك مسلمة حتى استلقا على قفاه وقال له سوف يصل اليك مهر ليلى ومثله أضعافا مضاعفة ثم ان مسلمة خرج من عنده وماعاد عند الصحصاح سوى عبده نجاح (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عبد الملك بن مروان فانه دخل على ابنته مروه فوجدها تبكى ودموعها مثل المطر لحلاوة النجاة من الخطر فلما أبصرته وثبت اليه وقبلت صدره ويديه فقال لها يابنية قد كنت أعرف منك السداد والرشاد فكيف

تخلفتى عن الحاج فقالت يا ابى كان عمر بن أبى ربيعة المخزومى فى الحاج فخشيت أن يرانى ويذكرنى فى شعره والثانى كنت وجدت من هذا المحمل ألم عظيم من هذا الجمل من طول الطريق ومنعنى المنام فأردت أن أجاور وأعود فى العام القابل فكان الشوق بينى وبينك حائل فندمت على تأخيرى وانحل عقد تقصيرى وسكن ما كنت أجده من الآلام والهموم وكنت قلت فى نفسى ان ما أحد يجسر علينا بقدوم فسرت سير المطمئنين تحت ستائر الأمان ولم يكن فى الحساب قطع العناب فخرجت علينا أهل البغى والعدوان فتملت العبيد والغلمان وصرت بعد العز فى الهوان وأشرفت على الهلاك حتى سترنى الله تعالى بستره الجميل ونصرنى بالقليل على الكثير وأغاثنا بالصحصاح وكان لنا أمان من الافتضاح ولولاه لوقعت فى أعظم البلا وصرت حديثا بين الملا والله تعالى ينصر من يشاء ثم انها بكت وتنهدت وتأوهت وأنشدت تقول هذه الأبيات

قسما وحقك يا إمام الأمة ... إنى رميت من العداة بنكبة
عظم المصاب على حتى أننى ... أيقنت بالخذلان عند مصيبتى
قد طفت بالبيت الحرام ولم يكن ... فى الظن ما فعلوا بنى مخزية
ولو رأت عيناك حالى معهم ... وملتى بين الأنام وكربة
حتى أتى الصحصاح فرج ما بنا ... وأزال عنى البأس حتى الشدة
لما سمعنى قد نطقت باسمه ... لبى لمن ناداه بأعظم نخوة
فسطا عليهم بالسنان ولم يزل ... بالسيف يعلوهم بصدق عزيمة
ترك الجميع ملقحين كانهم ... شرفوا على ظمأ كؤوس مدامة
ويلومه العبد الزنيم بفعله ... ويقول خذهم فهو خير غنيمة
فيقول لا والواقفون على منى ... لا كان هذا الفعل طول المدة
فرجت عنهم كربة ويكون لى ... أسبابها إيقاعهم فى الكربة
لا والذى حج الحجيج لبيته ... والطائفين تعبداً بالكعبة
لا كان ذلك أننى ذو عفة ... وأمانة عن أخذهم وصيانة
وأراد يرجع فالتمست بذيله ... وصرخت تتركنا بهذى القفرة
فاليوم غيرك لم أرد لى ناصراً ... إلا الاله وأنت خير الصحبة
قد غاب عنى الأقربون جميعهم ... ثم أخوتى وجماعتى وعشيرتى
فأجابنى خاضع وطامع طائعا ... فاجعله فى الدنيا قسم النعمة

فسأكتبن حديثه من بعده حتى يكون طراز هذه الدولة
وأعطيه ما يهوى وبلغه المنا الله يسكنه بأعلى الجنة

(قال الراوى) وكانت تقول ذلك وأبوها يبكى من السماع فكيف لو شاهد هذا الحال فقال لها يا مروه وكان ذلك فى الكتاب مسطورا ولا أظن هذه إلا بسعاده هذا الغلام فوالله لأفعل مع هذا فعلا تتحدث به الخواص والعوام وبعد هذا فله الفضل والانعام فهذا جرى من هؤلاء وأما ما كان من الصحصاح فانه بات وهو يقول لعبده نجاح الحمد لله الذى قلع من قلبى ما أشرت به على يا نجاح وكان فى خلافك الصلاح فقال له نجاح يا مولاى إذا قلت أنى قلت هذا المقال فلابد أن يصلبونى على باب دمشق لا محال ولا قيل ولا مقال فضحك الصحصاح وقال هيهات بل كل ذنب عندهم مغفور ولقد أسعدنا بهم الملك الغفور وما أنا حتى يخرج إلىّ هذا السلطان العظيم إلى لقانا ويجلس على المائدة باقترانى ولقد أخبرنى مسلمه أن هذا إنعام منه ولما كان عند الصباح جاءت الخدام إلى الصحصاح وأمروه بالركوب وقد ركب فى خدمته موكب عظيم لم يكن يناله أحد من العرب وقد ركب فى خدمته سائر أكابر الدولة وكذلك أولاد الخليفة بصحبته ولما أقبلت أولاد الخليفة ترجلت عند الدهليز الخامس وقد مشوا قدام الصحصاح إلى الدهليز السابع وعضدوه أولاد الخليفه فى النزول ورفعت الستور وقد دخل الصحصاح الى أمير المؤمنين وقد نصب له كرسى بين يديه ثم قبل الأرض وسلم بسلام العرب عليه فرد عليه الخليفة وحياه بأحسن تحية وأجلسوه فى ذلك المحل المحتشم وخواص الدولة على قدر منازلهم منهم من هو واقف ومنهم من هو جالس قال وجعل الخليفة يتحدث مع الصحصاح ويسأله عن حسبه ونسبه والناس يتعجبون من ذلك غير أنهم قد عرفوا أنه فعل فعل الجميل وقد حضر الطعام والصحصاح ينظر الى النظام وسار الصحصاح يجالس عبدالملك بن مروان فى المنام ولما اكتفوا من الطعام وغسلوا أياديهم فعندها أقبل عليه الخليفه وقال له يا صحصاح اعلم أن الله تعالى خلق الخلق بقدرته وجعل منهم أقواما للمكرمات مصابيح وللصالحات مفاتيح وللملهوفين مغاث وأنت منهم يا صحصاح يا فارس البطاح ولكن تمن علىّ ويعطيك الملك الفتاح فأراد الصحصاح يتكلم بما أعلمه به مسلمه فاستحى منه ومن الحاضرين وخشى سوء العاقبة ثم استعظم أمارة العرب ثم قال فى نفسه بالأمس كنت يتيما واليوم أصير ملكا عظيما ثم انمسك عن الجواب ورشح عليه العرق حتى بل الثياب لأنه سؤال عظيم المطلب فاطرق إلى الأرض خجلا وما أجاب بجواب

ولا أبدا منه خطاب فعلم الخليفة أنه قد نشرت عليه هيبة الملك والخطاب وقد صعب ذلك من تلك الأسباب فرجع الخليفة عبد الملك بن مروان إلى مؤانسة الصحصاح وقال له ياصحصاح أطلق لسانك وتكلم ولا تخشى من الافتضاح واطلب ماتريد فلك ماتطلب لو يكون فيه ذهاب الأرواح فأطرق الصحصاح رأسه الى الأرض خجلا من الخليفة وقد اعتقل لسانه وعرق جبينه وسمحت بارسال الدموع عيونه وجرى ماء الحياء فى وجناته وكره فى تلك الساعة حياته لأنه من عرب الفلاة ولم يكن جلس مع أمراء ولا ولاة فكيف وهو مع أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين (قال) ولما اعتقل لسان الصحصاح فلاحظه مسلمة بخطابه وقال له يا أمير المؤمنين أعذر الصحصاح فانه رجل عذره واضح وهو من العرب لكن رجل فالح وأنت ملك مسامح وهذا رجل حاز العز والعلا والوقار والتأييد ومن هيبة هذا المجلس يشيب الطفل الوليد ويذل فيه كل بطل صنديد لأنه محفوظ بعناية الملك المجيد غير أن الصحصاح جعلنى وكيلا وقد ضمنت أن أكون له كفيلا وقد طلبت كما أشرت أن يتمنى. وانه يريد يامولاى أن يكون مكان مروان بن الهيثم ملك العرب وأن تكون العربان كلها تحت طاعته تركب لركوبه وتنزل لنزوله وتطيعه فى جميع أموره ولا أحد منهم يخالفه وأنت ناصر له بالسمع والطاعة وتطيعه الخلائق من سائر البلدان وتأتى اليه بالأموال وان عزم أمير المؤمنين على عزل والى بلاد الروم يكون الصحصاح مقدما على سائر ملوك العرب. ويكونوا تحت طاعته ويكون له ثلثمائة ألف عنان من الأبطال والشجعان ومن خواص الفرسان لأنه يصلح للقاء أهل الكفر والضلال والطغيان وليس واحد أحق منه بهذا المكان وليس أحد أشجع منه فى هذا الزمان لمبارزة الأقران والمضاربة فى الأعداء بالسنان وليس هو جبان ولا هو من أهل العصيان وان رأى أمير المؤمنين أعلى وله الحسب الأسنى ونحن والحاضرين فى هذا المعنى تنتظر الى ماللصحصاح على الملك قد تمنى (قال نجد بن هشام) فنظر الخليفة إلى ولده وتبسم ثم قال لا عدمت هذا الترجمان ولا ابنة نوائب الزمان وانى قد أبحت للصحصاح أن يكون ملكا على جميع العرب ومن يدق فى الأرض طنب وأن يأتوه جميع الملوك ويدبر ماينعم به على الغنى والصعلوك ثم قال الخليفة يامسلمة ماذا تتمنى للصحصاح فقال مسلمة أدام الله تعالى بقاء مولانا الخليفة لازال بالغ مراده والآمال دايم السعود والاقبال ومابقى إلا أخذ التواقيع والأوراق حتى تطيعه الفرسان والعربان من سائر الأجناس وتكون أبوابه بالوفود مزدحمة ثم أشار مسلمة إلى الصحصاح فقام وخدم الخليفة وباس يديه.

وخرج طالب داره وخرجوا أرباب الدولة بين يديه والعوام صفوف يتفرجون عليه وقد أخده الدعاء من الخاص والعام وقد نزلت محبته فى قلوب الناس وأن الصحصاح أقبل على مسلمه فى الطريق وقال له يا مولاى اعلم أن الله تعالى قد من على بموالاتك وأيدنى بمعرفتك ولولا أن الله تعالى جعلنى من المسعودين لما جعلك لى من المساعدين ولكن قد بقى يا مولاى صداق ليلى فضحك مسلمة وقال له يا صحصاح ما خرجت من عند الخليفة إلا وقد أغنيتك وسوف ترى العجب مما يصل اليك وما أنعم الله به عليك ثم ان مسلمه ودعه ومضى إلى داره وكذلك جميع الناس والصحصاح دخل إلى حجرته واستراح ساعة من الزمان فلما كان وسط النهار ركب مسلمه وأتى اليه ودخل عليه وسلم وجلس عنده يتحدث هو وإياه ولما استقر بهم الحال قال له يا صحصاح اعلم أنى كنت قد أوصيتك وقد جئت عند ذلك وسعيت فى إصلاح حالك وليس الخيول من عاداتك ولكننى تكلمت بما فيه الصلاح وأننى قد أوصيتك بما يكون لك فيه الشرف الأكبر والحظ الأوفر والسعادة الدنيوية فقال له الصحصاح يا مولاى الاحسان يطلق اللسان ويفرج هم الانسان وقد أنعم أمير المؤمنين بانعام يعجز عنه الخاص والعام فقل لى على ما تريد وتشاء الآن يا ابن الكرام فقال له اعلم أن الخليفة فى غداة غد يقول لك تمن علىّ فقل له تمنيت عليك أن يكون كتاب عزل مروان ابن الهيثم بخط يدك وكذلك يكون منشور بولايتى لأن فى ذلك يكون لى الشرف الأكبر والعز الأفخر وقطع الخائنين والمخالفين وإنعام أمير المؤمنين فقال له الصحصاح سمعا وطاعه يا مولاى وخرج من عنده ولما أن كان من الغد عند الصباح لما أن أضاء بنوره ولاح صلوا يا حاضرين على زين الملاح ركب الصحصاح فى أشرف موكب ومسلمه معه وساروا إلى أن وصلوا إلى دار أمير المؤمنين فنزل مسلمه فى الدهليز الخامس وقد صار الصحصاح إلى أن نزل فى الدهليز السابع وأشرف على الموضع وقد نصب له سرير من الذهب الأحمر وعليه فرش من الديباج المدثر وقد عضدوه الخدام إلى أن جلس بعد أن قبل الأرض وخدم وعلى أمير المؤمنين سلم فأقبل عليه الخليفه وخاطبه بخطاب الملك وقد قال له أهلا وسهلا بملك العرب وسيد أهل الترب فلما سمع الصحصاح ذلك الكلام قام من مكانه وقبل الأرض ودعا له وقال اطلب من الانعام أن يكون كتاب عزل مروان بن الهيثم وكتاب ولاية العرب بخط يدك يا مولانا فقال حبا وكرامه وقد قدمت بعد ذلك الموائد على حسب العادة فأكلوا الى أن اكتفوا من ذلك الطعام وغسلوا الأيادى ثم ان الخليفة خلا بنفسه وقد كتب كتاب ثمانون سطر وهو مكتوب ولاية

الصحصاح على مروان بن الهيثم وكتب كتاب ثانى بعزل مروان بن الهيثم ولما فرغ من كتابتهم لف الكتب فى ثوب من الأطلس وقد أنفذهما مع ولده سليمان وقد أمره أن يوصلهم الى أخيه مسلمه فأخذهم منه وأتى بهما الى الصحصاح ودخل عليه وقد جلس عنده ثم باسطه باللعب والمزاح والانشراح فقام له الصحصاح وقبل الأرض وخدم وأخذ الكتب منه وباسها ووضعها على رأسه وملس بها على عينيه ومن الغد ركب وسار الى خدمة أمير المؤمنين ولما أن أقبل على عبد الملك بن مروان سلم وخدم وجلس فى المكان الذى قد أعد له فقال له الخليفه تمن على اذا كان لك حاجة تقضى على ما تحب وترضى فقام الصحصاح عند ذلك وقبل الأرض وخدم ودعا له وقال الله تعالى يديم بقاء أمير المؤمنين ان العبد يسأل قرب العودة الى أهله ليشاهدوا الناس ما أنعم به أمير المؤمنين والعبد يسأل من فضلك واحسانك فقال الخليفه حبا وكرامه ثم انه أقبل الامام على ولده مسلمه وقال له تول انجاز شغله فقال له سمعا وطاعه وقد مضى على هذا الحديث ثمانون يوما وهو فى أرغد عيش ونعمه الا أنه عنده أمر عظيم من طول الاقامة فدخل عليه مسلمه فوجده يتنفس الصعداء (قال الراوى) فلما سمعه مسلمه رق له قلبه ثم انه دخل عليه وقال له أبشر يا صحصاح بقرب الاجتماع وكثرة الانتفاع ونيل المرام فقال له الصحصاح يا مولاى لولا أنى أجد من وجد ليلى الاشتياق والقلق والهيام لما كنت اخترت فراقك وكنت أكون أخدمك الى المهات ولكن أرجو من الله بلوغ المسرات بوصولى ليلى وأعود الى الخدمة فتبسم من كلامه وقال له اعلم يا صحصاح أن أمير المؤمنين كان قد أنجز شغلك فما رجعت عاودته فى شىء من ذلك واذا كنت على مثل هذا الحال فما بقى غير السفر ثم رجع مسلمه الى عند أبيه وأخبره بما فى قلب الصحصاح من كثرة الأشواق فقال أبوه لا تلومه يا ولدى واعلم أن المحبة تذوب الأجساد (قال الراوى) وان الخليفه أمر مسلمه بكل ما يحتاج اليه الصحصاح وقال له لا تمن بذلك عليه بل له المنة علينا فى قبولها وليس ذلك بمقابلة جميله ثم أنه أمر صاحب بيت المال بالكسوة وما يتعلق بالسلاح والسيوف والرماح والنشاب والحراب والزرد والجواشن والدرق المكوكبه والبيض العادية والبغال والزرزوريه والخيول الملاح العربية والخيام والسرادقات الكبار والصغار ونياق ومهار مصريات وجوار حبشيات ونوبيات وقبطيات ونصرانيات وجرجيات وخدام وغلمان وخدم من الصقالبة ومن الديلم ومن العرب ومن العجم ورايات وصناجق وأعلام بقضبان ذهب عاليات وطبول وزمور وكؤسات وخيول محجلات وقضبان من الفضة

محزمات عليها صورة فهود وبازات وقد كتب التواقيع له بذلك الحال الى سائر الخزائن بتسليم كل مايحتاج اليه وما بقى عليك تعب إلا تسليم كل مايحتاج اليه فعندها خرج الأمير مسلمة من عند أمير المؤمنين وهو ذاكر ولانعام أبيه شاكر ثم إنه أتى الى صاحب بيت المال وسأله عن ذلك فقال له يامولاى اعلم انه قد تقدم مرسوم أمير المؤمنين بمائة ألف دينار فارسية وثلاثين ألف إسلامية وثلاثين ألف دينار مصرية بصناديقها وبغالها وخزائنها وغلمانها ففرح مسلمة بتلك العطايا وقد ادعى مسلمة بصاحب بيت الكسوة وسأله بما أمر به أمير المؤمنين فقال له انه قد أمر بثلاثين ألف ثوب من قباطى مصر وألف ثوب من الأطلس وعشرة آلاف ثوب برسم العرب ثم انه بعد ذلك دعا بالفراش وسأله عما أمر به أمير المؤمنين فقال له أمر بعشرة من السرادقات الديباج مدثرة وسرادق كبير يقال له نصف الدنيا وهو من الأطلس الأحمر وهو مفصل بتفاصيل الياقوت الأزرق والأصفر ومن غرايب الجوهر وأربعين خيمة من سائر الألوان مما يصلح لملوك الزمان وفى كل خيمة هلالان من الذهب والفضة ففرح مسلمة بذلك وقد قال والله إن هذا العطاء عطاء من لا يعرف بخل ثم ان مسلمة قد أمر أن تنصب الخيام والوطاقات والسرادقات بين الأشجار والجدران الكبار والأزهار والأثمار فنصب كل شيء فى مكانه على ترتيب الملوك الكبار وقد مضى على ذلك عشرة أيام فدخل مسلمة على الصحصاح وكان قد ضاق صدره ولما أن دخل عليه طلب منه انجاز أمره بما وعد به أمير المؤمنين فقال له أنجز الله وعدك ياملك العرب وقرب مسيرك ولكن تخرج من دمشق ولا تكشف أحوالها وتتفرج على غرايبها فقال له عند ذلك الصحصاح يامولاى هل أنا عندذلك إلا ضيفك ونزيلك ومهما شئت فهو مرادى وعليك بعد الله اعتمادى فعندها ركب مسلمة والصحصاح وقد أخذه وسار به وطاف به ظاهر البلد وكان زمن الربيع والأرض أبدت زهرها البديع فكان كما قال الشاعر حيث قال :

إن فصل الربيع فصل عجيب   تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيث ماذهبنا ودار   حيث درنا وفضة فى فضاء

(قال الراوى) وقد كانت الأزهار على الأرض نابتات والظل على النبات آية من الآيات (قال) وما زالوا سائرين بين تلك الأزهار إلى أن بانت لهم خيام منصوبة على جانب الغدران فلما أن رأى الصحصاح إلى تلك الخيام وقرب منهم فرأى خيام وغلمان وعبيد قيام والخيل على مقاودها وسرادق كبير يخطف بالبصر والرايات

تلعب بها الرياح فتحير من ذلك الصحصاح وقد حن الى المضارب وقد تذكر الحبايب
فقال لمسلمة يامولاى إن هذه الخيام والمضارب التى هى فى هذا المكان فقال مسلمة
سر بنا اليها حتى اننا نشرف عليها فساروا عند ذلك ولما أن قربوا منها وصاروا عند
الخيام فرأى شيئا مارآه طول عمره فتعجب وتحير وقال والله لو تجهز كسرى أنوشروان
لما كان له مثل هذه الخيام ولا مثل هذه السرادقات وتلك المضارب المنصوبات هنا
وقد تحير مما أبصر ولما أن وصلوا إلى السرادق الكبير خرجوا أهل الخيام وقبلوا
الأرض بين يدى الملك الصحصاح وقد عضدوه وأدخلوه السرادق هو ومسلمة وكان
مفروش بسائر البسط الجرهمى والرومى وفيه المقاعد المختلفات وديباج منسوج بالذهب
الوهاج وفى صدر ذلك السرادق الذى قد لاح سرير من الصندل مصفح بالذهب
الأحمر وهو مرصع بأنواع الجوهر يصعد اليه بسلم أربع درجات عراض من الذهب
كلها والفضة فقال الصحصاح لسلمة يامولاى وهذا السرادق والخيام لمن يكونوا
للخليفة أم لغيره فقال له مسلمة : اعلم أن هذا كله لملك العرب فقال له وأين ملك
العرب فقال مسلمة هو أنت ملك العرب وأشجع أهل الرتب لكن اصعد ياملك
العرب على السرير فصعد الصحصاح وجلس فى وسط ذلك الدست المحتشم ومسلمة
بين يديه وتلك الخلق قيام مثل الخدم ولما استقر به الجلوس قام مسلمة على قدميه وقال
الحمد لله غامر العباد بالنعم على غزائر القسم الذى من شاء قدم ومن شاء أخر لا اعتراض
عليه فيما قضى وحكم وقد جرى بذلك القلم من القدم وقد أرسل نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم إلى سائر الأمم والكفر محلوك بالظلم وليل الشرك قد أظلم بدجاه بعد أن كان محكم
وأظهره على الدنيا كلها إرغاماً لمن جحد وكفر وظلم فأنار به الوجود وابتسم ولم يزل
صلى الله عليه وسلم قائما على قدم وقد أمر بعبادة الله الملك الصمد ونهى عن الصنم
وما زال حتى استنار الاسلام وابتسم واشتد به ركن الاسلام واحتكم وخر جدار
الجحود وانهدم ببركات سيد الأمم صلى الله تعالى عليه وسلم : أما بعد ياملك العرب ١
إن امام المسلمين وهو امام الأمة وسيد الخلفاء والأئمة ووارث الكتاب والحكمة قد
رأى بقدومك وتقديمك على العرب فيه مصلحة الأمة وقد جعلك من خواص دولته
وقد قلدك بسيف نصرته وتوجك بتاج عنايته وانه أمرك بالاشفاق على رعيته فلو
ضاعت شاة من أرض اليمامة لسئلت عنها يوم القيامة وقد مدك الله بأموال
وجعلك بمنزلة الموال كل ذلك لتكشف ظلامة المظلومين وتنتقم من الظالمين وتحتفظ
لحجاج بيت الله الحرام وقد جعلك ترس قبر محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

وحامى حرم الله تعالى وأنه ما عزل مروان ابن الهيثم إلا بذنب قد اجترم لأنه لم يفتقد حجاج بيت الله الحرام بالرأفة والصلاح ولا يستحق أن يكون على العرب مقدم واشتغل عن طاعه الملك الفتاح ولم ينظر إلى حجاج بيت الله الحرام وكان هذا مقدر لك فى علم الله ياصحصاح وقد خصك الله بالملك الجزيل وجميع ما تراه فهو لك وملكك وقد أنعم به أمير المؤمنين عليك وإن أردت الزيادة أجابك إلى ما تريد وعلى الله ثم عليك اتكالى ثم جلس على السرير الذهب الى آخر النهار وإذا بعشرة خدم قد أقبلوا وسلموا وقالوا ان السيدة المعظمه مروه بنت أمير المؤمنين قد بعثت إلى ملك العرب وهى تقول قد طال شوقنا اليك فتصدق علينا بمحبتك الينا قبل دخولك على أمير المؤمنين لأن لنا بك حاجة فقبل الأرض الصحصاح وقال سمعا وطاعة لله ثم للسيدة مروه ثم نهض مسلمة ومعه الصحصاح وهما فى أشرف موكب وأحسن جليه إلى أن وصلوا الى دار مروه فنظر الى دار مليحة البناء معتدلة للرياح من اليمين والشمال بأسر موضع مصنوعة فنظر الصحصاح الى الايوان الكبير واذا عليه شبكة من اللؤلؤ والكبار الرطب فى شريط من الذهب الأحمر والقصب والزمرد الاخضر وفى مدور الايوان سدره من العاج مصفحة بالذهب الوهاج وعليها فرش من الديباج محشو بالابريسم ومروه عليها حلة بيضاء مطرزه بالذهب الاحمر وبين يديها مصحف مكرم وهى تقرأ القرآن العظيم فلما نظرت الى الصحصاح قامت قائمة على قدميها وقالت مرحبا بملك العرب وشريف النسب هناك الله بما أعطاك وعرفك بركة كل ولاية ولاك وحرسك وتولاك ونحن عاتبين عليك لأجل انقطاعك عنا لكن عذرك عندى واضح لاجل قيامك بخدمة أمير المؤمنين وأنا أرجو أن يكون قد أعطاك مناك وبلغك هواك فأخبرنى بما صنع فى حقك من الواجب وما وصل اليك من العطا والمواهب فقبل الصحصاح الارض وخدم وقال لقد عجزت عن شكر ما وصل الى وما أولانى من الاحسان فلا زال دائم السلطان مالك رقاب ملوك الزمان وقضى لدولته بالدوام ولاعداته بالانضرام فما بقى للعبد سؤال الا وقد وصل اليه ولا مراد الا وقد أنعم به عليه ثم أنشد يقول

هو الشكر دائم والثنا منه ناشر وامام معظم وهو للدين ناصر

(قال الراوى) وعندها قالت يا ملك العرب هذه شجرة احسانك وغرس صنيعتك وعاقبة ما تركته مع قدرتك ومخالفتك لعبدك نجاح وهكذا من زرع الخير يحصد السلامه ومن زرع الشر يحصد الندامة وجميع ما أعطاك ما هو شيء والفضل ما يكون الا

المتقدم والثانى من الأول متعلم فقبل الصحصاح الأرض ثانيا وانبسط بالدعاء والثناء (ياسادة) وأقبلت مروه على أخيها وقالت له ماالذى وصل اليه من أبى فأعاد عليها جميع ما وصل اليه ففرحت بذلك وقالت له انه والله فى مقابلة فعله قليل لاجل فعل الجميل وقالت لمسلمة وما الذى فعلت أنت وأخوتك معه فقال على وعليهم مائة ألف دينار فشكرته على ذلك المقال وقالت للصحصاح ياملك العرب لك عندى وديعة انظر إلى ذلك الايوان وخذ مافيه بأمان فنظر الصحصاح وإذا بجميع ما كان معها فى الطريق من ذهب وفضة وعماريات وزلابات غوال وجواهر وأوانى وجميع ما كان معها حتى أنه ماعدم منه مايساوى حبه عند ذلك تبسم الصحصاح وقال يامولاتى وهذه وديعة فقالت نعم يا ملك العرب هذه حسناتك وغنيمة إحسانك الذى بذلت فيه مهجتك وسمحت به من بعد قدرتك فانى يوم وصولى معك كتبت الجميع وافردته لخدمتك وسوف أفعل ما يزيد على أضعاف ذلك واعتذر لك لأجل صنيعتك وكذلك جميع ماكان معى من الغلمان والخدم وكلما أملكه من دينار ودرهم وجملتهم أربعمائة عبد وأمه وكذلك أمرت بكل ما كان معهم من الخيل والبغال والنوق والجمال فهو لك فلما نظر الصحصاح إلى ذلك قبل الأرض وانطلق لسانه داعيا فقالت له والله إننا مقصرون فى حقك ومعتذرون اليك وقد أضفنا الى ذلك هدايات وتحف وسوف تراها اذا فتحتها فى حلتك وهى من سائر الظرايف والملابس وهيهات أن نقوم بواجب حقك أو نقدر على جوار فعلك (قال الراوى) فعندها نهض الصحصاح قايما وقبل الأرض أمام السيدة مروه وخرج من عندها وقد أقبلت عليه الدنيا بجموعها وأباحته خزاين مصنوعها وهو يظن أنه فى منام من كثرة مارأى من الانعام وسار مسلمة بين يديه الى الخيام ووصلت العبيد والغلمان بشىء بعد شىء الى أن حضر الجميع فى يوم وليله وقد كان فيه كفاية ثم أقبل مسلمة وقال له مابقى غير وداع أمير المؤمنين واطلبنى منه كما أعلمتك فقال يا مولاى وهل وصلت الى نعمة إلا وأنت سببها ثم انه ركب هو وأرباب دولته وساروا إلى أن وصل أمير المؤمنين فقبل الأرض ولم يجلس كما جرت به العادة بل قال السلام على أمير المؤمنين أدام الله ظله فى الخافقين وعدله ورفع فى الدنيا والآخرة قدره فقال عبد الملك بن مروان ما الذى يمنعك من الجلوس فقال يامولاى قد جاءك العبد مودعا وأسير الى الحى ليرى عمى عطاف ما أنعم به على أمير المؤمنين أبقاه الله فى عز وتمكين مادامت الأيام والسنين فان الله تعالى

إذا أنعم على عبد بنعمة يحب أن يظهرها عليه والعبد يشتهى أن بنى عمى ينظرون إلى ما وصل إلىّ من إحسان أمير المؤمنين حرسه الله بالدوام فقال عبد الملك بن مروان ياملك العرب إن كنت جئت مودعا فنار الشوق فى قلوبنا تودع ولولا ماذكرت من الشوق الى ابنة عمك ووطنك لما أذنا لك فى الرحيل فلا تكن بزيارتك علينا بخيلا فاسأل حوائجك فانها عندنا مقضية قال فبكا الصحاح وقبل الأرض شكرا ثم أنشد يقول :

فهم النجوم إذا النجوم تناصلت بضيائها وتمتعت بهلالها
وهم الغيوث إذا الغيوم تجمعت وتفرغت وسقى الثرى بلبالها
إن الخلافة لم تزل سلسالها دام السرور لهم على إجلالها
وهم الربيع إذا الصحارى أجدبت وتفرغت واستمسكت بحبالها

(قال الراوى) ثم قال يا أمير المؤمنين لقد حزت الأنعام وأعطيتنى مالم يخطر مثله فى الأوهام وقد بقى للعبد حاجة واحدة وهى تمام المجد وبلوغ الارب فقال أمير المؤمنين وما حاجتك ياملك العرب وسيد أهل الرتب فقال يا أمير المؤمنين ان العبد ربى يتيم فى أرض ماء النظيم يلبس الخام ويعيش مثل الأيتام وقد وصل إلى من أمير المؤمنين ما وصل من الأنعام ولا خبرة لى بتمهيد الإمارة ولاسيما الحجاز يختلف والعرب لا يفكرون فى العواقب ويتحدثون على المناصب والعذل هو الاطلاق للرجال وابن الهيثم ينقاد له مائة ألف عنان وربما يحمله العذل على على العصيان ولا يفكر فى العاقبة إذا عصى وقدكان المملوك يشتهى أن ينعم على أمير المؤمنين بالأمير مسلمة يدخل معى إلى الحجاز ويمهد لى البلاد وتطيعنى العباد فاذا اشتد أزرى واستتم أمرى وجاءت العرب الى خدمتى وتحت طاعتى فيرجع الأمير مسلمة مؤيدا منصورا وأكون بهيبته منصورا (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامه أطرق برأسه إلى الأرض ساعة وقال ياملك العرب اليك ما طلبت لأنك قد حليت عندنا موضع الروح ثم أقبل الخليفة على مسلمة وقال له ان الحاجة داعيه اليك فى رأيك السعيد وفعلك الحميد والصواب أن تسير مع أخيك الصحصاح لتنقاد اليه رقاب العرب والعجم والترك والديلم فتأهب للمسير وخذ معك جيش كبير والتقى الناس بالرعب والهيبة وشيد لأخيك الصحصاح قواعد المرتبة فقال الأمير مسلمة سمعا وطاعة ثم قال أمير المؤمين ان الله تعالى قد أسعد هذا الغلام وخصه بالادب والاحتشام فسير معه ياولدى على عجل وتوكل على الواحد الأحد الفرد الصمد

(قال الراوى) فلما أن سمع الأمير مسلمة من أبيه ذلك الكلام قال سمعاً وطاعة ولابد لى من الرواح معه وأعود مسرعاً الى الأمام فقال له عبد الملك بن مروان يابنى إذا اجتمعت بمروان بن الهيثم أوعده عنا بالجميل ولا ترجع حتى يطأ بساط الصحصاح مثل خادم ويقف فى جملة الأمارة على الأقدام ويبوس الأرض لاثماً وكل من قبل الأرض أقبل عليه بالإحسان وكل من أساء أبليه بالهوان وأما بنى مخزية الذين تعدوا على حجاج بيت الله الحرام وفاتوا شريعة الاسلام فلا ترفع عنهم الحسام ونادى فى الخاص والعام أن من أتى برأس مخزومى فله مائة دينار ثم أصلب من وقعت به منهم على رؤوس الجبال حتى يكون فيه عبره لجميع الأنام ولا تطيل الغيبة فلا صبر لى على فراقك ارحلوا بارك الله فيكم ثم دمعت عيناه فقبل الأرض وبعده الصحصاح وخرج يده فى يد مسلمة فقال الصحصاح لمسلمة يامولاى لقد لاح لى اليوم فى وجه أمير المؤمنين شيئا ما أظن أن أحداً وقف عليه وذلك أن الخليفة من طلاقة وجهه النور يلمع من جبهته وكان ذلك اليوم صدره ضيق غير منشرح فقال له الأمير مسلمة وا عجباه منك يا وجه العرب فما أنقدك ياملك العرب فسبحان من أسعدك اعلم ياوجه العرب إن أمير المؤمنين قد أصيب بمصيبتين عظيمتين وقد منعاه عن تناول الطعام ولذة المدام حتى طار نومه ونحل جسمه فأزال الله عنه أحدهما بحسامك القاطع وعزمك المانع وأما الهم الآخر فهو الى الآن عليه مقيم وهو لايعن على من يخاطبه وقيل فى المعنى « وللناس فيما يعشقون مذاهب » فقال الصحصاح بالله يامولاى وماهو ذلك فقال له مسلمة اعلم ياملك العرب أن مروان ابن الهيثم كان قد أهدى الى أمير المؤمنين فيما تقدم هدية سنية ومن جملتها باذان أشهبان وكان عليهما من الزمرد حلتان بليغتان ومن الياقوت الأحمر مكللتان وكانا يصطادان فى الشتاء والصيف وكان أمير المؤمنين إذا خرج إلى الصيد يطلقهما فيطيران ويرفرفان على رأسه ويقفان إذا وقف ويطيران اذا انصرف وكانا يصيدان أكبر الطيور بخلاف الباذات ولا يحتاج الى من يرسلهما حتى ان أمير المؤمنين كان يقول لقد أعطيت بعض صفات سليمان عليه السلام وكل ذلك من شغفه بهما (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح من الأمير مسلمة ذلك الكلام قال الله أكبر أذكر فيها علامة قال له مسلمة ياملك العرب اعلم أن أحدهما أشهب كأنه كوكب ينقض انقضاض القضاء ويلوح بجنبيه فى الفضاء كأنه من طيور سليمان المرفرفة على رأسه فى الايوان والآخر يشابهه فى الجمال ويزيد عليه فى حسن الفعال وفى أرجلهما جلجلان مرصعان

ودرتان مدورتان قيمتهما ملك الشام وكان أمير المؤمنين قد أشهرهما على نفسه بالدرتين وكان يقول إن الله قد أعطانا بعض كرامات سيدنا سليمان ابن داود عليهما السلام بالطير الذى يرفرف على رأسه مما ألقى الله محبة هذين الطيرين فى قلبه (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح كلام الأمير مسلمة قال لقد فتح الله لى باب النجاح ووفقنى للصلاح وما كان هذين البازين إلا رسولين من عند أمير المؤمنين حتى وصلا إلى إنعامه واحسانه وانهما يامولاى عندى وتحت يدى ولقد كانا بشيران السعادة ومع هذا فانى متعجب منهما لأنهما كانا فى الشام فما الذى جاء بهما الى الحجاز فقال له مسلمة وقد كاد أن يغشى عليه من الفرح سبحان من جعلك رحمة لقلب امير المؤمنين وسوف يكون حديثك عبرة للآخرين فقال له الصحصاح يامولاى فما السبب فى ذلك وكيف كان أمرهما هنالك قال له مسلمة اعلم ياأخى أن السبب فى ذلك أن أمير المؤمنين خرج ذات يوم من بعض الأيام إلى الصيد والقنص وقد أطلق البازات فأطلقهما فصعدا فى الجو إلى أن وقفا فوق رأسه وجعلا يصطادان ويرميان قدامه وقد غلب السرور عليه حتى أتى الضرر بعد الصفا وأتى من القدر ماليس يخفى كما قال القائل :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليال فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(قال الراوى) ثم قال ياأخى فبينما البازان كذلك واذا بطائران قد نزلا من الجو عليهما وقد طلبوهما فهربا منهما ومازالا يطردانهما الى أن خفيا عن أعين الناظرين ولم يعودا وقد مرقا كل المروق وخفيا فى الغبوق فهذا كان سبب ذلك فقال الصحصاح يا أمير مسلمة البازان وجميع ماوصفته عندى وتحت يدى فقال الأمير مسلمة هذا الذى تقوله فى اليقظة أم فى المنام فتبسم الصحصاح وقال أيها الأمير ابعث من عندك البشير الى أمير المؤمنين بذلك ففرح مسلمة وقال لا يكون بشير إلا أنا ثم انه رجع الى أمير المؤمنين ودخل عليه فرآه وقد رجع سريعا فتغير وقال له ما وراءك يامسلمة هل حدث أمر أو أتى من أرض الحجاز خبر فقال مسلمة البشارة لك ياأمير المؤمنين فقال بماذا تبشر لازلت بشير الخير فقال يامولاى أبشرك بما يسر به قلبك قال قل وأوجز فقال ياأمير المؤمنين أبشرك بما يسر به قلبك اعلم أن الله تعالى قد رد عليك البازان كما رد يوسف على يعقوب فاشكر الله على ما أولاك من السرور وإزالة الكروب (قال الراوى) فلما سمع الخليفة من الأمير مسلمة ذلك الكلام وثب قائما على الأقدام وقال يامسلمة عند أى الملوك هما ومن جاء بخبرهما ؟ فقال له يا أمير المؤمنين اعلم أنهما

عند الذى قد كشف عنا العار وضرب بنى مخزيه بالصارم البتار وكان لمروة نعم المستجار فقال له الخليفة هذه صفات ملك العرب الصحصاح فقال نعم يا أمير المؤمنين فتعجب الخليفة وقال هذا رجل قد أيده الله بالسعادة وقد صار للدولة ناصر ولأعدائها قاهر قال له الخليفة وأين هم البازان فقال مسلمة ياأميرالمؤمنين هما فى قبضته والآن مودعين فى حلته عند والدته ثم انه أعاد عليه حديثهما من أوله الى آخره فخر الخليفة ساجداً شكرا لله تعالى وقال يامسلمة ما رأيت بدوى أسعد من هذا والله انه ملك الأرض فى طولها والعرض وقلنا اننا نجازيه على فعاله رجع غمرنا بفضله وإحسانه بأفعاله والآن فقد تكرر علينا إحسانه وزاد فخره بما ذكره من بيانه فالحمد لله الذى منّ علينا بالصحصاح فهو عنوان السعادة والفلاح ثم قال يامسلمة اذهبا بارك الله فيكما ولا تتوانى عن إرسال البازين ولو مع غيرك فقال له السمع والطاعة ثم ودعه ورجع على عقبه إلى أن وصل إلى الصحصاح وقد تلألأ وجهه بالأفراح فلما رآه الصحصاح قام له إجلالا وقال له يامولاى ما الذى فعلت بعودتك الى أمير المؤمنين فقال له إنى بشرته بما أنعم الله به عليه من نعمه وما آتاه من السرور على يديك وسوف ترى ما تقر به عينيك . هذا وقد شاع الخبر فى دمشق بأن الأمير مسلمة سائر مع الصحصاح ملك العرب الى الحجاز فخرج لخروجه خلق كثير وخرجت معهم العساكر الذين كان قد جهزهم الخليفة فعند ذلك نظر الصحصاح إلى ماقد أعطاه الله عزّ وجل فشكره على نعمه وكان جملة المتجردين مع الأمير مسلمة خمسة عشر ألف عنان تذهل العيان هذا وقد نشرت الرايات ونعرت البوقات وسار الخليفة معهم بنفسه للوداع يوم كامل وبعد ذلك ودعه مسلمة والصحصاح فضمهما الى صدره وقال لهما اعلما أن مالى عندكم وصية إلاهلاك بنى مخزيه فقالوا سمعاً وطاعة وكان قد خرج معهم بقية أولاد الخليفة وساروا معهم إلى أرض العناك فأقسموا عليهم أن يرجعوا من هناك فرجعوا وودعوهم وساروا مسافرين وعلى رؤوسهم الأعلام وتموا يقطعون البر والآكام فعند ذلك تفكر الصحصاح فى خروجه من قومه وهو وحيد فريد فقير ورجوعه اليهم وهو من فضل الله ملك كبير فترجل وقبل التراب لله الملك الوهاب وقال يامن أنعم على وأنا فى ظلمة الأحشاء وفعلت بى ماتشاء فلك الحمد بعدد خلقك ولك الشكر على سعة رزقك أدخلتنى الشام فقير ورددتنى الى أهلى ملكا وسلطانا مجيدا ومهدت أمرى تمهيدا وجعلت لى خدماً وعبيدا وقد عجزت يا ربى عن شكرى لنعمتك

ولطف عنايتك ثم انه ركب وسار فى ذلك العسكر وهو طالب أرض الحجاز وديار بنى كلاب هذا وقد شاعت الأخبار فى سائر الأقطار بما قد وصل إلى الصحصاح من الملك الذى يقصر عن مثله قيصر وملوك بنى الأصفر بعد يتمه وفقره وذله وقهره لطف به الرب الكريم وأعطاه ملكا عظيما كما قال الشاعر الفهيم حيث يقول

لك الحمد والمجد والكبرياء   وأنت الاله الذى لا تزول
فاسعدتنى يا إله الورى   فحزت الجيوش وقدت الخيول

(قال الراوى) هذا وقد بلغ الخبر إلى بنى سليم وإلى مقدمها الأمير مروان ابن الهيثم فعظم عليه وكبر لديه فجمع وجوه قومه وأكابر عشيرته وقال لهم يا بنى عمى لقد أتانى الخبر أن هذا الغلام المسمى بالصحصاح بن جندبة الكلابى قد ولاه الخليفه مكانى وقد عزلنى عن مملكة العرب وقد أعطاها لمن ليس هو أهلها ونحن أحق بها وأولى وإنى أخاف أن يخرج الملك من أيدينا وأن الصبر على هذا ليس بصواب لأن الله عز وجل لما أن قال إنى جاعل فى الأرض خليفة علموا الملائكه أنهم قد عزلوا وأنه يستخلف بنى آدم فقالوا من غيرة العزل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية هذا من الملائكة جرى وهم لا يأكلون ولا يشربون وقد صعب عليهم العزل عنها وإخراجهم منها فكيف ونحن نسطو بهذه الولاية وأخذ الأموال وتخدمنا الرجال وتنقاد الى طاعتنا الأبطال وتهابنا العرب والعجم وتطيع الملك سائر الأمم وبعد هذا فما أنا الا واحد منكم ولا ترفعنى نفسى عليكم فان تأخرتم تأخرت وان عزمتم عزمت ثم أنه أشار اليهم بهذه الأبيات يقول

أبنى سليم يا وجوه قبيلتى   فلقد علمتم فى الكلام نصيحتى
العزل مر والهوان مذلة   أفتصبرون على طعام مذلة
قد قلد الصحصاح أمر رقابكم   وستصبحون له عبيد الخدمة
قد كنت فيكم حاكما متوليا   مشفق عليكم فى الرخا والشدة
والآن قد أضحى الخليفة كارها   لكموا ولى فتأملوا فى قصتى

(قال الراوى) فلما سمعوا كلامه وفهموا نظامه نادوا كلهم عن كلمة واحدة وقالوا أيها الملك منك الأمر ومنا السمع والطاعه ومنك الاجتهاد فى الأفعال ومنا المساعدة والقتال ومن هو عبد الملك بن مروان عند العرب الذى قد اتخذوا المفاوز سكننا والجبال وطنا ونحن لا نطيع أحدا من البشر لا من العرب ولا من الحضر وأما بنى كلاب ما هم عندنا الا مثل الكلاب ولا فرق بينهم وبين الدواب وما أعطى الخليفة

للصحصاح مملكة العرب الا من طريق التمنى فاذا كان قد أرمانا بشهاب من العزل والهوان فما ندخل تحت طاعته ونحن فى بلادنا نقاتل عن حريمنا وأولادنا ولنا السيوف الصقال والرماح الطوال والرجال والابطال والعدد والاموال ونحن لا نصبر على الذل والهوان وما لنا ملك غيرك ولا مقدما سواك فطب نفسا وقر عينا واعلم أن من دون ذلك ضرب يقد وطعن يهد ثم قام منهم رجل يقال له القعقاع بن عمار وقال لا وحق من رفع السماء وعلم آدم الاسماء ما مكناهم من هذه البلاد ولا يلقوا منا الا سيوف حداد ورماح مداد وسواعد شداد ورجال أجلاد عند الحرب والطراد ثم أنه أشار يقول

هون عليك الامر يا ابن الهيثم فجميع ما فعلوه ليس بمعظم
فلسوف نطعن بالأسنة فيهموا ونجول فيهم بالرماح اللهدم
وبنوا كلاب كالكلاب وغيرهم ليثا نجا فيهم نهار المصدم
ان كنت تختار الامارة دائما فاجعل لنا قبل الامارة سلم
واعزم على الصحصاح قبل وصوله وامزج له كاس بسم الارقم
واعزم على حرب الجميع فانه ذل وعار واصل لو تعلم
واجهد على ضرب الرقاب بصارم ماض يقضقض كل قرم ضيغم

(قال الراوى) فلما سمع مروان بن الهيثم كلام سادات عشيرته فرح فرحا شديدا وجزاهم خيرا وأقام ينتظر قدوم الاخبار وهو فى هموم وافتكار قال فهذا ما كان من ديار بنى كلاب وحلة بنى عامر والامير عطاف وابنته ليلى فانهم كان حدث عندهم حادث عظيم لابد أن نذكره على الترتيب بعد الصلاة على سيدنا محمد الحبيب صاحب البرده والقضيب وذلك أن الصحصاح لما سار من عندهم وطالت غيبته وبعدت سفرته وانقطعت أخباره وظنوا انه قد مات وشرب شراب الفوات فى بعض الغارات فبكوا عليه وتأسفوا على انقطاع خبره وبكى عطاف وأهل الحلة وأما ليلى فانها كادت أن تهلك نفسها حزنا عليه وصامت عن الطعام وتركت الشراب وهجرت المنام وبكت المحبين على شبابه وكيف صدعه الزمان وأخذه من بيت أهله وأحبابه والاوطان هذا وقد وصل خبره الى أمه فأيقنت أنه صح هلاكه فحزنت عليه حزنا شديدا وصارت مثل الحبه على المقلا وهى تندب عليه الليل والنهار بلا هد ولا قرار وقد تذكرت أخبار المتقدمين وعجائب الأولين ومنعت الناس عن الرقاد من كثرة النواح والحداد وصارت تقول يا ولدى ما عهدت منك هذا الجفا يا طول حزنى عليك يا ولدى (قال

الراوى) فأتوا أهل الحى اليها وقالوا لها اعلمى أن هذا البكاء يؤدى إلى الهلاك وسوء الارتباك ارفقى على مهجتك فتقول لهم وهل أريد بعد الصحصاح حياة أو قرار ثم انها شكت وبكت وقالت هذه الأبيات

أقصروا اللوم فالملام حرام　　فالفؤاد أذابه الاسقام
وجفونى مسهدات من الحزن　　فما يستقر فيها مئام
ظل قلبي على فراق حبيبي　　مضرم بالجوى ونار الغرام
كنت طفلا وعاقلا وصغيرا　　ثم خضت الوغا وأنت غلام
سوف أبكى على فراقك دوما　　ما تغشى الدجى وأرخى الظلام
كنت يا ولدى بجنبي مقيما　　سوف أبكى مثل نوح حمام
سوف أبكى عليك يا نورعينى　　كنت عزى فكيف عزى يضام
يا حبيبي من للغريبة فى الأهل　　اذا ترجف بها الآلام
أترى أنت سالما تجىء لعندى　　أرتجى ترجع عودة الأيام

(قال الراوى) الا أنها لما طال عليها البكا والنواح فى المسا والصباح ونهوها أهل الحى عن ذلك فضربت لها بيت فى أطراف البيوت وخرجت من بينهم وصارت تبكى ليلا ونهارا وإذا كان وقت الليل لا تنام وإذا أتى النهار تمضى إلى قبر أبيه جندبه وتناديه يا سيدى هل التقت روحك بروح الصحصاح لأنى قد كرهت الحياة فمتى يكون الوفاه ثم تبكى وتزيد فى البكا والانتحاب ولما زاد بها العنا أنشدت وجعلت تقول

سأنوح ما دام الزمان عليكما　　والقلب مشتاق يطير اليكما
وكيف اكف الدمع من فيض مقلتى　　وكان اعتمادى فى الأمور عليكما

قال الراوى) وأما ليلى فانها ما رقدت بعده ليلة ونحلت من كثرة البكا إلى أن خفيت عن عيون الناظرين وصارت كانها الخلال وإذا زاد بها الغرام فتأتى إلى أم الصحصاح فيبكيان ويندبان كما جرت عادة النسوان هذا وقد انكسرت شوكة بنى كلاب وانهدم طودها البديع وطمع فيها من كان خائف وشاع فى سائر القبائل والحلل بأن الصحصاح قد أصبح هالك وقد قتل لأن غيبته كانت ثمانية عشر شهرا لم يسمع له فيها خبر (قال الراوى) فبينما بنى كلاب فى حللها وهى مطمئنة واذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وعاد النهار كانه الليل فى الاعتكار وبعد ساعة ظهرت من تحته نواصى الخيل كانها قطع الليل فصاحوا عند ذلك جميع أهل الحلة الخيل يا أرباب الخيل فأقبلت

من كل جانب وهاج الحى بساكنيه وارتج بقاطنيه وركبت الرجال على خيولها وتجردت بنصولها وجرت عوامل الرماح وتذكروا فى ذلك الوقت وقفات الصحصاح وتمنوا لو كان حاضرا كان يسد عنهم هذا الباب ولو أن يفدوه بأرواحهم وتندموا عليه وساروا طالبين الى تلك الخيول الغائرة وقلوبهم من الحرب غير نافره وهم لا يعلمون من هم من العربان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان فارس يقال له حريث بن الحجاج الذى قدمنا ذكره كان فى قلبه النار مما فعل الصحصاح عندما خلص عمه بالحيله وكيف كسر بنى كندة كلهم بالشجاعة والقوة والبراعة وقد فتك فى الرجال وقتل الأبطال وعاد بعبده سالم من الأنكاد فبقى حريث من ذلك حيران ولم يزل على ذلك الحال مدة أيام وليال الى أن غاب الصحصاح وشاعت الأخبار بفقده وأن بنى كلاب قد لازمت عليه البكا فجمع حريث قومه وأهل قبيلته وقال لهم أنتم تعلمون ماصنعت معى بنى كلاب لانى قد تربيت يتيما ولما ان كبرت وصرت فى طبقه الشجعان سرت الى عطاف وأخذته وأردت قتله لأجل ما آخذ منه بثارى فأتى الينا الصحصاح خلفه الى حلتنا وقاتل فى أبطالنا وفرساننا وأباد ساداتنا وتركنا حديثا بين قبائل العرب فماذا أنتم قائلون فقالوا له بعض فرسان عشيرته والله لقد أجبت فى المقال وأصبت فى الفعال ومالنا الا نرحل إلى قبيلته وننهب حلته فى غيبته ونقتل عشيرته ونأخذ ثارنا ونمحى عنا عارنا فقالوا له المشايخ وأرباب المشوره يا أمير حريث ماهذا صواب لان فرسان بنى كلاب أبطال فى الحرب والجلاد وقد نشأ فيها هذا الفارس الذى قد ساد وفاق أبطال العرب من ذوى المفاخر والرتب وأنه اليوم فى طبقة ابن شداد عنتر وعقبة بن شهاب اليربوعى وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ولا نأمن منه أن يرجع يلتقط أبطالنا ويعود علينا ذلك وبال ومن لم ينظر فى العواقب فماله فى الدهر صاحب فقال لهم الأمير حريث اصبر ولعل الله أن يحدث من بعد ذلك أمرا من الأمور (قال الراوى) ثم انه صبر على مضض منه لاجل أنه ماوصل إلى بلوغ الغرض هذا وقد مضى بعد ذلك أيام وشهور وهو ينتظر حوادث الأيام والدهور والقضا والقدر الى أن جرى ماجرى وغاب الصحصاح عن خلته وطالت غيبته وفقدوه أهله وعشيرته وقد سمع بعض شعراء العرب بندب النوادب فى حلل بنى كلاب فأشاع ذلك فى قبيلته وشاع فى القبائل تلاف مهجته فوصل الخبر إلى بنى كندة ففرح حريث بذلك وقال ما أبركه من صباح بهلاك الصحصاح والآن ان حى

بنى عامر بقى بعده مباح فى الغدو أو الرواح وتنهب الأموال والسلاح وبنوا وعزموا على الرواح حتى يأخذوا ثارهم ويسلبوا منهم الأرواح ثم نادى فى بنى كندة وقال يا آل كندة النار النار فلم يبق أحد إلا وثار وساروا فى محفل عظيم بعساكر قد ملأ القفار وما زالوا يجدوا السير وكلما عبروا على حله أو قبيلة ينذروها والكل قد تسربلوا بالحديد وتبرقعوا بالزرد النضيد وحريث ينشد ويقول

جدوا بنا يامعشر الأصحاب نهب أحياء بنى كلاب
ونغنم الأموال مع القباب ونقتل الشيوخ والشباب

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى حى بنى كلاب ولما أن ظهر الغبار وبان لأعين النظار خرجوا اليهم الكبار والصغار هنالك فى ذلك الوقت عرف عطاف قدر الصحصاح فبكى عليه وناح ولما نظر بنى كندة وقد ساقت النوق والجمال تقدم اليهم ونادى يابنى الأندال والله لقد خابت منكم الآمال وحامت عليكم طيور الآجال ثم انه حمل عليهم فى عاجل الحال وحملت معه الأبطال وجروا فى أيديهم البيض الصقال وشرعوا السمر العوال وحامت عليهم النسور تروم أخذ مقل الرجال هنالك جرى الدم وسال وثبتت الرجال الكرام وفرت اللئام وتقابلت الرجال بالرجال وعمل السيف بالقتال وتقطعت ونفرت نفوسهم من القتال ومالت إلى الهزيمة والهرب وخابت منهم الآمال هنالك بكا وناح وتذكر أيام الصحصاح فأنشد وجعل يقول :

أيا ابن أخى قل الصبر والجلد لبعدك قد أودى بنا الهم والكدر
لقد كنت ياصحصاح للضد قاهر فاظلم ضوء الفجر بل أفل البدر
أيا ابن أخى قد كنت نور سمائنا وليس يسقى الدهر من لاله نهر
فتاة من العلياء أكربها الردا وليس لها من بعد ما كسرت جبر
غريب ثوى فى الأرض عنا وذكره مقيم مدى الأيام ما بقى الدهر
لفقدك ياصحصاح حل بنا الردى فلا قلب إلا حشو أحشائه جمر
ألا فالعيش نغضا من بعد موته فقيد لنا من قد حوى ذلك القبر
وكانوا جميع الناس يخشون بأسه وكان لهم من خوف سطوته ذعر
فلو عاينت عيناك ما قد أصابنا كانا أناس قد نكبنا إلى الحشر

(قال الراوى) ثم انه بعد شعره حمل على حريث وحمل حريث عليه

وتطاعنا فى الميدان ساعة من الزمان وطعن حريث إلى عطاف بعقب الرمح فى
صدره فوقع عن مركبه على ظهره وكان عرفه فما أرادقتله إلى فى أحياء قومه
ليعلموا الناس أنه قاتله حتى لا ينسبوا قتله إلىغيره هذا وقد نظرت بنى كلاب
الى أميرها وهو ملقى على الأرض والفلا قد امتلأت من القتلى
فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد عمل فيهم الصارم
البتار وقتلت حماتهم وخربت أباتهم وقد سبيت
نساءهم وأخذت أموالهم وساءت أحوالهم
فلطمت النساء على الخدود وكانوا
نساء بنى كلاب كأنهن
الشموس والبدور

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الثالث

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى) هذا وليلى قد خرجت من خدرها وكشفت البرقع عن وجهها ونشرت شعرها ولطمت على صدرها ونادت بلسان حزنها وكتبت بأقلام عبرتها على صحن وجنتيها وأشارت تنشد وتقول :

الحزن مشترك والهم مطلوب ... والوجد مطلبه عندى لموجود
وفى فؤادى من النيران حرجوى ... لها يجنى على فيه تعديد
ويلاه حل بنا الويل الطويل وقد ... ذلت بنى عامر الأسد الصناديد
يافارس الحرب ياصحصاح يا أملى ... عز المصاب وأيام الهنا سود
جدوا الرحيل بنا يانسل جندبة ... ونحن فى السبى قد ضاقت بنا البيد
ويلاه لو نظرت عيناك حلتنا ... أموالنا نهبت والمال والجيد
لو كنت يافارس الفرسان منجدلا ... على البسيطة أو بالأرض ملحود
يافارس الخيل قد أصبحت خاسرة ... مع الأعادى وصبرى عاد مفقود
قد كنت ركنا لنا فى كل نائبة ... ويلاه ويلاه عاد الركن مهدود
وما عهدتك قبل الآن تتركنا ... نهبا لأيدى العدا إذ أنت موجود
ما بال عطاف فى أسر العدو ولم ... تحام عنه وباب الصبر مسدود
ترى تعود الليالى مثلما سلفت ... يوما ويرجع دهرى وهو محمود

(قال الراوى) وكان من العجب أن ليلى كانت تنشد هذه الأبيات والسيف يعمل فى السادات فالتفت حريث إلى ليلى فنظرها ودى تلتفت لفتات الغزلان وتميل كأنها الغصن الميال لأن الملاحة تزين أهلها وعلم الجمال فوق خديها والسحر حسن جفنيها وهى كما قال فيها بعض واصفيها حيث يقول :

كان سلاف الخمر من صافى ريقها　　وعنقودها من شعرها الجعد يقطف

(قال الراوى) لهذا الكلام ولما أن نظرها حريث نظره أعقبته ألف حسرة فقال لها ياذات الجمال على من هذا الندب والأعوال أخبرينى ياحمامة الوادى على من تندبى وتنادى فقالت له ياكلب العرب وأخس من ضرب فى البيدا وتد وطنب لقد فعلتم فعل ماسبقكم اليه أحد من الرجال وقد نهبتم الأموال وقتلتم الرجال فما الذى ترجون من ربات الحجال وهل يحكم الشرع بالتهجم على الحريم وهل يرضى أحد بهذا الفعل الذميم ويلك يالئيم غير كريم لقد ركبتم أمر عظيم وعلاكم عار جسيم وشنار ذميم وكيف يجوز لك أن تكلم من لا هو لك حريم ولكن أندب على رجل كريم وجواد عظيم كان يحمى الحريم وبالله لوكان حاضرا مقيم لقصرت يداك أن تفعل هذا الفعال إذا غابت السباع لعبت الكلاب الجياع ولو كان حاضرا رغم هذه المعاطس وجعلكم مابين قتيل وناكس ولم يقدر ينافسه منكم منافس ثم انها بكت وأنشدت تقول هذه الأبيات :

يعز على الصحصاح ماقد جراليا　　وماقد دهانى من عظيم المصابيا
لقد كنت ياصحصاح تحمى حمائنا　　فلو نظرت عيناك ماقد دهانيا
ولوكنت هذا اليوم حاضر ماجرا　　تكر على الأعدا بحد المواضيا
ولكنه قد غاب عنا فلم يرى　　وأصبت من بعده قليل المحاميا
فلو كان هذا اليوم حاضر جمعكم　　لكان لكم أفنى بحد المواضيا
ولو كان معنا حاضرا للقائكم　　وأنتم بعد الرمل لم يكن وانيا
وكان لكم كفؤا ولو كان عدكم　　كعد الحصى والرمل أو كالجراديا
وخلاكم فى الأرض صرعى كأنكم　　حصيدا هشيما فى الأراضى الخواليا
ووشحكم بالسيف ضربا ممكنا　　وأفناكمو حقا بحد اليمانيا
فلو أننى أشكو الذى بى لفقده　　الى الجبل الراسى لكان رثى ليا
ولو صحت ياصحصاح كان مسارعا　　وكان أتانى مسرعا ومناديا
ولو صحت له فى الحال كان أتى لنا　　وكان زخيره فى اللقاء للاعاديا
وقد كنت أرجو أن أكون فدا له　　فأصبح من طول البعاد فدا ليا
وقالوا أناس سوف تسلو حبه　　فقلت لهم لاكان قلبى ساليا
سلام على الدنيا سلام مودع　　فلا خير فى الدنيا اذا كان فانيا

(قال الراوى) ثم انها بكت وناحت وعددت وصاحت هذا وحريث

قد بهت من حسنها وجمالها فسأل عنها فقيل له هذه ليلى بنت عطاف سيد بنى كلاب وهى تندب على ابن عمها الصحصاح فارس الحرب والكفاح لأنه عنها غائب وقد أتاها خبره انه قتل فى البر والسباسب وهى تندب وتبكى عليه كما ترى وقد أصبحت نايحة فلما أن سمع حريث ذلك عنها زاد لها وجدا وعشقا وغراما وهياما وقصد لها وغطى رأسها بعمامته وقد زال عنه غمه وهمه وقد تحركت حركات عكوسه وغمه ونادى لقومه يا آل كندة فأجاوه بالتلبية وقالوا لبيك يا فارس الاعراب ماذا تريد من الأسباب فقال لهم ياويلكم يابنى عمى ارفعوا السيف عن بنى كلاب فقد أعطيتهم الأمان فرفعوا السيف عنهم من بعد ما كانوا أشرفوا على القلعان وقد نادى المنادى بالأمان فرجعت بنى كلاب وقد تعجبت من تلك الأحوال وعادوا إلى الأحيا من بعد ما كانوا تعلقوا بالجبال والتلال خوفا من الوبال ومنهم من كان مخفى مع ربات الحجال من داخل الأبيات خوفا من النكال (قال الراوى) ثم إن حريث أمر باحضار الأسارى وكانوا ألف وثمانمائة رجل وكان فى جملتهم عطاف قاتل أبيه وقد أيقن أنه ما يبقيه ولا يقبل من أحد شفاعة فيه فلما حضروا الجميع إلى بين يديه قال حريث اعلموا يابنى عمى والكلام لبنى كلاب انكم يابنى كلاب قد أسلفتم لنا أمثالها وقد قتلتم من بنى كندة أبطالها وأخذتم أموالها وهذا عطاف قد قتل أبى وقد ربيت أنا يتيما منذ كنت صبيا وكان عيشى من بعده أيشم عيش الى أن كبرت وتقدمت على قومى وكنت أنتظر مثل هذا اليوم وأنا أقسم بمن لا تراه العيون ولا تكيفه الظنون العالم بما كان قبل أن يكون ما كان لى نية أن أبقى منكم صغيرا ولا كبيراً ولا أرى منكم أحد إلا وأتركه على الأرض عفير والآن فقد غير الله مافى القلوب وها أنا قد عفوت عنكم ومننت عليكم بنفوسكم وأموالكم بحيث لا يعدم لكم منها عقال وذلك بشرط يكون لى عليكم وإلا فعلت كما قيل فى المثل الخير بالخير والبادى أكرم والشر بالشر والبادى أظلم وأحكم عليكم ما على أبى عطاف قد تحكم لأن من أخذ تاره ما ظلم وأننى نظرت عندكم جارية ذات وجه مليح وقدّ رجيح ولا شك أنها ذات نسب صحيح وأريد أن تزوجونى بها مكرمة وقد خلصتم من هذه النوبة المعظمة لأنها ذات جبين صبيح ومنطق فصيح يدل ذلك على عقل رجيح (قال الراوى) فلما سمعت بنو كلاب من حريث ذلك الكلام أيقنوا بالفرح وزوال الهم والترح هذا وقد أقبل حريث على عطاف وقال له أيها الأمير إن من

زرع حصد من جنس زرعه وأنت قتلت أبى وأنت سبب ما حل بى من اليتم وقد كنت عزمت على قتلك وأقتل من قومك مثل ما قتلت من قومى والساعة فى يومى قد رأيت تلك الجارية التى قد زانها جمالها فصار قلبى ممتلكا لها لأجل دلالها فأردت أن أحكمها فى ملكى وأسلم اليها نعمتى وأسكنها فى مهجتى وأخيرها على جميع الأهل والأقربا وهى صاحبة هذا الخبا وأشار بيده إلى بيت عطاف وقال لقد آلمنى بكاها وأشغل قلبى أنينها وشكواها فمن هى ياسيد بنى كلاب قال هى ابنتى (ليلى) الكريمة الجليلة وهى لك أيها الأمير أمه وأنا من جملة الخدمه فافعل بنا ما أنت أهله (قال الراوى) فلما سمع الامير حريث من عطاف ذلك الكلام فرح وعلم أنه قد بلغ المرام فوثب هو بنفسه وفك كتاف عطاف وقد أمر بحل الباقين من الوثاق ورد الجمال والنياق . هذا وقد نصبت عند ذلك البيوت من بعد ماوقعت وعلت القباب وفرحت واستبشرت بنى كلاب وقالوا هذا هو الصواب وأنت ياسيد بنى كنده الفائدة والعمده ثم عقروا النوق والفصلان وقدموا لهم الطعام وسكبت الخمور ودام الفرح والسرور هذا وأن عطاف قد زوج ابنته لحريث سيد بنى كنده وقد حمله على ذلك أشياء عده (إحداها) أنه كان قد أيقن بالهلاك (والثانى) ما جرى على قومه من الهلاك والإرتباك (والثالث) أنه قد أيس من الصحصاح وأيقن انه قد راح مع من راح (والرابع) أن حريث صاحب حسب ونسب وفضة وذهب وقد بذل الصداق لأجل هواه وتمنى أن يخرج من دنياه إذا لم يبلغ مناه (قال الراوى) هذا وقد سمعت (ليلى) ذلك الكلام فصعب عليها وكبر لديها . هذا وقد ضربت الدفوف والمزاهر فى أبيات بنى كلاب فسألت (ليلى) عن ذلك فقيل لها ان أبيك قد أزوجك بالأمير حريث فقالت لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم انها بكت وزادت بها الندامه فمزقت ثيابها وزاد بكاها وانتحابها وأنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات :

أصحصاح دام اللوم والويل والعتب ... ونار غرامى فى الجوارح لا تخبى
وقد كنت أرجو أن أراك مسلما ... فقد قطعت منك الرسائل والكتب
أغارت علينا خيل كندة بغتة ... وقد عملت فينا العوامل والقضب
وقد زوجونى يا ابن العم مسبية ... وإن لم يرجعوا عنى فانى لهم حرب
وحقك لا أملت فى الدهر سلوة ... وانى بطول الدهر للغير لا أصبو
حلفت بمن حث القلوص إلى منى ... وطاف ولبى ثم سار بذى النجب
بأنى ما أنساك ما هبت الصبا ... ولا طاب لى عيش ولا قر لى قلب

(قال الراوى) هذا وقد اشتغلت بالبكاء حتى أشرفت على الفناء فسمع أبوها بكاها فأتى وبكى بين يديها وقال لها قد علمت يا ابنتى أنى كنت مشرف على التلاف وكذلك قومك وعشيرتك وما خاصنا الله تعالى إلا بسببك ولقد كنت مثل مريم ابنة عمران التى شرف الله بها قومها ونجاهم من الشدائد لأجلها وقد طلبت هؤلاء الأقوام منا النار ولولاك لم كان سلم منا ديار ولا نافخ نار وقد كنت فى الجملة سببى إلا أن الله تعالى قد منّ علينا وعليك لما نظرك الأمير حريث فأحبك وأطلق الناس من أجلك وانه والله أمير مشهور وبطل مذكور والصحصاح قد قتل أو وقع فى الأسر فهلك ومثل هذا الزوج مايصلح إلا لك فقالت ليلى : ياأبى أما اتفاق الأزواج فكثير ولكن ما كلهم يدفعون غريم واما أقول إن العرب ساروا يخلصوا أنفسهم بالبنات العذارى وأنا حزنى على حامية بنى كلاب مقيم وقلبى من رعايته جحيم وقد فوضت أمرى الى السميع العليم ولو لم كنا طالبناه بالصداق لما كان تشتت فى الآفاق وهو وحيد فريد ابن عشرون سنة ولاشك أنه ازدحمت عليه الألوف وقطعوه بالسيوف ولو كان حياً لكان عنى محامى ولا كنت أنت رأيت نفسك فى قيود المذلة والحرمان (قال الراوى) فلما سمع عطاف من ابنته ذلك الكلام قال لها والله انى متندم على الصحصاح كيف فرطنا فيه وماعرفنا قدر مساعيه وما علمت هذه النوبه حتى مضى وفات فيه الأمر وانقضى والآن لو امتنعت عن مراد هذا الرجل لما أبقى منا باقية فالحمد لله الذى جعلك مباركة على أهلك وسبب رجوعهم إلى الأوطان بعد ما كان قد حلّ بهم الهوان وقد زوجتك به وقضى الذى كان فاصبرى على حكم الإله الذى دبر الزمان ويعلم ماهو كائن فى الأكوان فلما سمعت (ليلى) ذلك بكت وتحسرت وأنشدت تقول :

حلّ المصاب صبرت أم لم أصبر — فلأ بكين على الكريم العنصر
ولأ بكين على الذى قد كان لى — حصنا يبيد الفارس المتكبر
أبكى على الصحصاح دهرى دائما — أسفاً على المليح الوجه الأزهر
أبكى عليه بدمعة مسفوحة — طول المدامع كالسحاب الأمطر
بالأمس كان منا هاربا — ورجاله فى ذلة وتحير
فأعادهم قهراً على أعقابهم — وسطا عليهم مثل سطوة قسور
لم يحتفل يوما ولم يك فازعا — إن قابلوه بالعديد الأكثر
حتى إذا قد صار بين بيوتهم — رحم الحريم فعال طيب العنصر

قد كان ذاكر وفر وعصبة   في جود حاتم أم شجاعة عنتر
صبرا لحكم الله فيه انني   إن لم أمت ذا كرة لم أعذر
لو كنت أملك قوتي لم يحونى   من بعده بعلا بلى لم أقدر
والله قادر أن يفرج كربتى   من قبل ذلك فهو خير مقدر
وليعلم الصحصاح انى لم أحل   عن عهده حتى اللقا فى المحشر

(قال الراوى) فخرج أبوها من عندها وقد علم ان عاتبها يزيد غمها وهمها وبعد ثلاثة أيام أتى اليه حريث ونزل على أبياته وقال له أيها الأمير قد عولت على المسير إلى ديارى لأنى لم أقدر أزف ليلى ههنا وأريد أن تصلح أمرها فى يومنا هذا وأرحل بها فى غداة غد الى أهلى وأزفها عند والدتى لأن مالها ولد سواى فقال عطاف سمعاً وطاعة ثم انه أمر باصلاح أمرها وأخرج جهازها فكان شيئا عظيما . هذا وقد ألبسوا ليلى من الثياب الفاخره ما تعجز عنه الأكاسره . كل ذلك وهى تبكى وتندب على الصحصاح فقال حريث لعطاف أيها الأمير أريدك بعد سبعة أيام أن تقدم علىّ فى سادات قومك لتشهد كرامتى فى حلتى وأحمل اليك ما يحمل لمثلك لتعلم العرب انى قد حملت لابنتك صداق وافر ومهر غالى وأموال غامره فقال عطاف حباً وكرامه وأنا عبدك وهى أمتك والفضل شيمتك ثم انهم خرجوا من الحى وليلى تصيح وقد صارت تبكى فلما أن كان من الغد عند الصباح رحل حريث وليلى معه ونظرت أم الصحصاح إلى رحيل ليلى مع حريث فحنت وأنت وقد حثت التراب على رأسها وصرخت من وراء هودج ليلى . هذا وقد صارت تبكى وليلى تجيبها من داخل الهودج وتصيح من قلب قريح وفؤاد جريح فصاحت العبيد على أم الصحصاح وقالوا لها أين تمضى ياستاه فرجعت وهى باكية حزينة على ولدها ومن شدة ما أصابها من الوجد صاحت وبسرها باحت وأنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات :

بالرغم ياصحصاح منى أن أرى   ليلى تزف على حريث الأرذل
يا واحدى مالى أراك مقصرا   لم تحمها عند ازدحام القسطل
لو عاينت عيناك ليلى أصبحت   مثل السبية فوق ظهر المحمل
ودموعها تجرى عليك تأسفاً   وتفيض من حزن بدمع مهمل
لدفعت عنها كل كلب طامع   فينا ولم ترهب رجال المحفل
ياواحدى إن الحياة ذميمة   من بعد فقد الغائبين يحق لى
والقتل لى فرج يكون وراحة   والويل لى أبداً إذا لم أقتل

ويلاه وا ذلاه بعدك اننى ثكلى وأبكى بالدموع المهطل
إن المنازل بعد فقدك أصبحت قفرا فلا أهلا بربع المنزل
إن كنت تجفو الناس حقا كلهم فارحم بنى لعبرتى وتململى
والله لارحم الغرايب فى الوغى غير الكريم الماجد المتفضل
والله لادفع العظائم فى الورى غير الكريم الفاضل المتطول
فلأبكين يابنى دائما على الذى قد كان يحمى منزلى
إن لم تجبنى يابنى عاجلا قد عاد حزنى كالزمان الأول
سعياً لقبرك أين كان وليتنى شاهدته من قبل يوم ترحلى
سعياً لقبر ضم أعضاك دائما قد كنت تزهو كالقمر فى الجدول
ياليتنى عاينت قبرك فى الفلا أو قد رأيتك قبل أن تتجندلى
ياليت تربته لعينى دائما كحلا ووا حزنى إذا لم أكحل
أين الحمية للحريم فاننى قد كنت ذات حمية لو عشت لى
صبراً على حكم الإله فانه متحكما فى عبده المتوسل

(قال الراوى) فكان حريث فى ذلك الوقت واقف يسمع شعر أم الصحصاح فصعب عليه وسأل عنها فقيل هذه أم الصحصاح وقد صح عندها هلاكه وصعب عليها أيضا زفاف زوجته على غيره فقال والله انها معذورة ثم انه سار وقد نال المراد ومسرة الفؤاد وقطع البلاد حتى نزل فى طريقه بشعب الوادى الذى فيه غانم ابن زاهر الذى كان الصحصاح قد اصطنعه ومن القتل خلصه وقتل عمه وملكه الأحياء وزوجه بلبنا وكان قد طالت عليه غيبة الصحصاح فحمل الهدايا وصار طالب حى بنى كلاب مرار ويسأل عنه فيقولوا له ماسمعنا له خبر ولاوقعنا له على أثر فبقى عليه حزين القلب جارى الدمعة ولبس عليه ملابس السواد وتظاهر بالحداد وبعث عبيده إلى سائر البلاد فما سمع له خبر وزادت به الهموم والافتكار وبقى متطلع الى أخباره يبكى عليه فى ليله ونهاره (قال الراوى) وكان الأمير غانم ابن خالة حريث وبعضهم ينزل على بعض وأن حريت لما نزل بالوادى وعلم غانم بقدومه ركب اليه واستقبله ونحر له وعقر ونظر الى بنى كنده وعليهم أثر الحرب والكفاح ومعهم عبيد وإماء وهودج مجلل بالديباج والذهب الوهاج وعلى رأسه هلال من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر والإماء من حوله يضربن على الدفوف والمزاهر فلم ير على نفسه أن يسأل حريث عن ذلك فدخل بيته وأرسل بعض الإماء تسأل عن الخبر فمضت الأمة وعادت وهى

باكية تتحسر فقال لها ويلك ما الخبر فقالت يامولاى هم من أحب الناس اليك وأحظاهم لديك فقال لها أحب الناس إلىّ وأكثرهم إحسانا علىّ الصحصاح ابن جندبة الكلابى فقالت أحسن الله لك فيه العزاء وصبرك على البلاء فقال لها ويلك فض الله فاك ومن أين علمت بذلك فقالت يامولاى هذه زوجته (ليلى) ابنة عطاف مزفوفة على حريث فقال ويلك ارجعى وأتينى بواحدة من جوارها فقالت سمعاً وطاعة ثم رجعت وما لبثت إلا قليل وعادت ومعها أمة من بعض جوار عطاف فلما نظرها غانم طارت الدمعة من عينه وقال لها ويلك أنت أمة عطاف الكلابى فقالت نعم يامولاى فقال وهذه العروس (ليلى) فقالت أجل فقال لها اخبرينى بأخبار الصحصاح هل وصل اليكم نعيه بأنه قتيل حتى آخذ بثاره ولا أريد الحياة بعده فقالت له لا وذمة العرب بل انقطعت عنا أخباره فما نعلم من خبره شيء فلو كان حياً ماصبر عن (ليلى) وقد مضت الشهور والأعوام والأيام ولذلك صح هلاكه عند الخاص والعام ثم أعادت على الأمير غانم كيف كان الزواج وشن الغاره وقتل الرجال وما تم من الأمور والاحوال فقال غانم أقسمت بمن حج وسعى وطاف ودعا وبكى متخشعاً أن هذا الزواج حرام لايرضى به أحد من الانام ولا يجوز فى حكم شريعة الاسلام وربما يكون الصحصاح قد سد فى وجهه باب الفلاح وأبعد الى بلاد الشام أو الى أرض مصر أو بلاد الغرب أو يكون أسيراً أو مريضا أو نعمة جاءته من حيث لايحتسب وقد اشتغل بها ليعود كما يحب وهل يجوز أن يكون لامرأة زوجان والله مايرضى بهذا إنسان والله لقد كان القتل والوبال لعطاف أحسن من هذه الفعال ثم انه وثب من وقته وساعته الى مضرب حريث فلما رآه وهو مقبل انتصب له قائما واعتنقه ملازما لأجل قرابته منه ونسبته اليه فقال غانم بعد أن اطمأن به الجلوس : أيها الأمير انك لم تزل موفقا فى جميع أمورك وفى كل أعوامك وشهورك إلا فى هذه النوبة فان العرب قد جرت عاداتها أن يغار بعضها على بعض وتستوفى من التارات استيفاء القرض ولا جرت العادة للتعرض للعربيات وأخذهن مسبيات هذا لايجوز لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر وهذا عار لايجوز على طول الدهر فقال حريث ياابن الخالة أنا ما أخذت عربية مسبية وأنا أخبرك بالقضية ثم أعاد عليه الحديث الذى كانت الأمة حدثته عنه فقال غانم أيها الامير انتبه من غفلتك ان الصحصاح ماوصل عنه أحد بخبر ولا علموا أهل الحى ان كان هو ميت أم حى وأنت تدرى ان خلوت بليلى تكون حرام عليك وان رزقت منها بولد كان عار عليك ولا ترضى بنسبه

اليك وان كان الصحصاح حيا فهو قاتلك لا محالة وقد نصحتك يابن الخالة والرأى عندى أن ترد ليلى إلى خدرها وتستعرف الأخبار بقيه هذا العام بكماله فان صح موته فأنت تتزوج بها حلالا من بعد ما تجدد العقد مع أبيها وتزداد هيبة وجمالا وإن رجع الصحصاح إلى أهله سالما فهو أحق بزوجته وأنت برىء من غائلته (قال الراوى) فلما سمع حريث ذلك الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه ثم قال أنارامق وفى حسنها عاشق أكثر من الصحصاح والهوى يرمى الانسان على السماح وأما قولك تأمن سطوته فهذا شىء أناما أخاف من عائلته لأن الأرض مملوءة رجالا مثل الصحصاح أفنيتهم كلهم بالبيض الصفاح لأنى ما أفكر فى سفك الدماء ولا مكر النساء قال فلما سمع غانم كلامه قال له ياابن الخالة اعلم أن خير القول أصدقه وإن الصحصاح صنع معى جميلا لا أنهض به ولا شك إلا أنه قد وصل اليك ولا خفى عليك وله على حقوق واجبة وماسبق منى اليه مكرمه وبينى وبينك من القرابة مما لا يعقبها ندامه فى الدنيا ويوم القيامة وأريد أن تهب لى ليلى وتردها إلى أهلها وان كنت راغبا فيها فاصبر واقتصر وعد الى الله وترجى فانك تحمد عاقبة ذلك وتصل إلى مرادك وان كان الصحصاح قتل وقد قال بعضهم حيث قال بعد الصلاة على النبى المفضال

انصف عدوك ولا تظلم أخاك إذا ... عاملته إن تكن تدعى بمقدام
وكن بعيدا وللفحشاء مجتنبا ... فرب سهم أصاب الخائن الرامى
إياك إياك من بغى ومظلمة ... فسوف يأتى الردا من بعد أيام
إن المنايا معدات بأنفسها ... ولو أمدت بأزمان وأعوام

(قال الراوى) فلما سمع حريث بذلك قال له يا ابن الخالة إن أردت أن تطاع اطلب مايستطاع وليلى الكلابية مثل لبنا العامرية وقد أصبحت أنا فى هواها مثل قيس ابن الملوح من بلواها والوصال إليها أصلح ومن وصل اليها فقد أفلح فاعرض عن هذا النصح ولا تنصح ثم أنشأ يقول:

لليلى منها ماقد أصابت فؤاديا ... فلا تك ياابن الخالة اليوم عاديا
ولو أصبح الصحصاح فى الحى ناطق ... لما كنت ذا خوف ولم أك وانيا
فان له عندى سنان كأنه ... لسام حسام مرهف الحد ناديا
ولست أبالى بالخلائق كلها ... إذا كان قلبى عاشق الغيد هاويا

(قال) ولا سيما وأنا قد هويت الوجه المليح والقد الرجيح واللسان الفصيح وأنا فارس العرب وسيد أهل الرتب وقد قيل فى الأمثال:

إذا كان العصفور غاشق يخيل له بأنه يصطاد الباشق

(قال الراوى) ولاسيما وأنا حريث المعروف عند العرب بالقوة والشجاعه وبعدها يا ابن الخاله ها أنا الساعه أدخل بها على رغم أنف الصحصاح وليس على فى ذلك جناح (قال الراوى) فلما سمع الأمير غانم ماهو عليه عازم غضب وقال يا ابن الخاله خير القول أصدقه وعلى للصحصاح حق لا أضيعه وأنا والله ما أمكنك من الوصول لما ذكرت ولو تلفت نفسى وكل أبناء جنسى (قال الراوى) فلما سمع حريث كلام غانم ناداه يا ابن الخنا أبلغ من قدرك انك تبالغنى بهذا الكلام ثم أنه امتطى الصارم وعزم على حرب غانم فوثب غانم وكان أسبق إلى امتشاق الصاوم وارتفع الضجيج وتارت بنى كنده وهجمت على غانم وقبضوا على الصوارم وركبوا الخيل وعاد النهار كالليل وجرت الدماء من الفريقين مثل السيل ونادت نسوان الحى بالويل ومالوا بنى كنده عليهم ميل وقاتل غانم وفتك بالأبطال ولعب بمهج الرجال ونهب أرواح الاقيال وهو ينشد ويقول

لعينيك ياصحصاح أبذل مهجتى وأهلى ومالى ما حييت وقوميا

ولولاك ياصحصاح ما كنت ساعة ولاعشت ذو مال وأصبحت ثاويا

فياليت نفسى قد فدتك من الردا ومن شرفى أنى أموت موافيا

سأحمل عنها نخوة وحميـــة لعينيك ياصحصاح طول حياتنا

(قال الراوى) ثم أن غانم بعد فروغ شعرة نادى ياحريث ما لنا فى هلاك القبيلتين من حاجة أبرز إلىّ وأبرز اليك فان قتلتك فقد رفعت العار وان قتلتنى فهو جهدى قد بذلته فى رضا صاحبى (ياساده يا كرام) فلما سمع حريث ذلك برز على جواد أشقر عالى من الخيل مضمر مليح المخبر كأنه المنبر يفتت بحوافرة الحجر وعليه درع مانع لايعمل فيه السيوف القواطع وفى يده قناة خطيه متقلد بصفيحة هنديه وأخذته النخوة والحمية وهو ينشد

اليوم أقبض روح غانم والخيـــل تعثر بالجماجم

إذ كان لايرعى القرابة ولا السراة من الاكارم

أضحى يخوفنى من الصحـــــصاح وهو بذاك عالم

إنى أنا البطـل الذى شـهدت له جمع العوالم

أيطمـع غانم أننى أصغى إلى عـذل اللوائم

يا ويح غانم أنـــه طارت له طير الأياشم

(قال الراوى) فلما سمع غانم شعره خرج على جواد لايعيا فى البيدا ولا يبعد عليه فسيح المدا وهو متقلد بسيف أبتر وبيده رمح أسمر وحمل على حريث وهو ينشد ويقول

حريث ستندم فى كل حال | إذا بان منى صدق المقال
فما أنا من فعلكم راضيا | بهتك الحريم وسبى العيال
يا ابن اللئام فدونك البراز | لمن لا يهاب قتال الرجال
ويحكم ما بيننا عاجلا | عوالى الرماح وبيض النصال
لأجل ابن جندبة أظهر نخوتى | وأفديه فى الدهر بروحى ومالى
ومن بعده لا أحب الحياة | فياليت انى صريع النبال

(قال الراوى) ثم حمل بعضهما على بعض وارتفع عليهما غبار الأرض وفتحا فيها ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وأخذ فى الكر والفر والهزل والجد واختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة حريث فلما وصل السنان إلى صدر غانم بطل الطعنة وطعنه فى صدر جواده قلبه وتقنطر من فوقه فانقض غانم عليه فأخذه أسير فأومأ حريث الى بنى كنده فحملوا عليه وغدروا به وقصدوا غانم بالصوارم وحملوا على أهل الوادى طمعا فى خلاص حريث وخلصوه وعملت الصوارم فى الجماجم واشتدت العظائم فطارت طيور الاشائم وتكاثرت بنى كنده على أصحاب غانم فأخذوهم أسارى وملكوهم حيارى وأخذ غانم قهراً واحتوى حريث على مافى الوادى من الاموال والرجال وأن بنى كنده كانوا أكثر من أصحاب غانم وقد قال القائل

كن جريئاً إذا رأيت جباناً | وجبانا إذا رأيت جريئاً
لاتقاتل بواحد أهل بيت | فضعيفان يغلبان قوياً

(قال الراوى) وأمرهم حريث بأخذ الأموال والرجال وتركوا الحريم والعيال على الأرض البيضاء وأخذ غانم أسير وقاده ذليل حقير وحلف لابد من قتله فى المكان الذى أراد أن يقتل فيه عطاف ويسقيه كاس التلاف وسار نحو قبيلته طالب إلى أهله وعشيرته ولم يعلم بما قد قضى الله عليه فى علم غيبه ولم يزل سائر الى وقت العصر فنزل على ماء يعرف بالعذيب وهو على خمسة أميال من بنى كلاب وثمان فراسخ إلى حى بنى كنده (قال الراوى) هذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من حديث الصحصاح فانه لما رحل من دمشق كما ذكرنا فسار يجد المسير إلى أن قطع خمسة عشر يوما وفى اليوم السادس عشر أقبل على الأمير مسلمة وقال له يامولاى إعلم أن نار الشوق قد اشتعلت بقلبى والمحبة قد زادت ومارحلت الأوهاج جنانى وعظمت أشواقى وأشجانى وأضرمت

نيرانى ثم أشار وجعل يقول :

إذا جن ليلى حن قلبي لذكراها　　وقلبي على جمر الغضا يتقلب
وحقكموا ماالدار دار ولا الكرا　　أريد ولا العيش الذى عادطيب
أحن إلى قومى وأهلى ومعشرى　　وإنى من المشتاق ألف مقرب

(قال الراوى) ثم قال لمسلمة قد عولت أن أمضى أنا وعبدى نجاح وأتنسم الأخبار وأسأل بنى كلاب لأن قلبي قلق وطرفى أرق وأخاف أن يكون قد حدث شىء لم هو فى الحساب فقال مسلمه يا ملك العرب معلوم أننى ما أريد إلا ماتريد ولكن قال الله عز وجل لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الأمر وقدبقى بينك وبين قومك قدرماسرت من دمشق أوأقل من ذلك ولا آمن عليك من غوائل الدهر والعرضيات ويبقى فى قلوبنا حسرات ويعتب على الخليفة لأجل ذلك والصواب نسير حتى نقرب من الديار ونشارق الآثار وأنت عندنا بالاختيار على أننى ما أشتهى رواحك إلى أرضك إلا على التجمل والتعظيم ليكون ذلك أعظم لك فى العز والهيبة كما خرج سيدنا محمد المصطفى وأبى بكر من مكة مهاجرا فما رجع اليها إلا مؤيدا منصورا وكذلك سيدنا موسى خرج من مصر صبيا ورجع اليها نبيا وأنت قدأنعم الله عليك بهذا الملك والولاية فدع العجلة فعلم الصحصاح أن فى رأيه الصلاح فقال لاعدمتك مشير ثم أنه صبر مع قوة شوقه وكربه وحرقه حتى بقى بذنه وبين قومه ثمانية أيام فزاد به الغرام رهجر الطعام فأقبل على مسلمه وقد تغيرت أحواله وزاد بلباله فأنشأ وجعل يقول :

أيا مولاى قد قل اصطبارى　　وفى قلبي لذاك لهيب نار
وقد زاد الغرام بلا هدو　　ومالى بعد بعدهم قرار
وقدهجر الرقاد جفون عينى　　ويقلقنى سهودى وافتكارى
وقد قال الذى قد كان قبلى　　له شوق الى قرب المزار
وابرح ما يكون الشوق يوما　　إذا دنت الديار من الديار

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره قال اقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين أن الحادث قد حدث فى قومى ولا بد من المسير فى هذا اليوم وأريدأدخل الى الحى ليلا وأسأل عن أخبار ليلى وأبصر البازين للذين عندأمى ان كانوا سالمين فهم غرض أمير المؤمنين وأعرف صديق من عدوى وأسأل والدتى على ماجرى من بعدى فان أنت عوقتنى خفت من التلف على نفسى لأن الروح مكموده والأشواق موجوده والآفات محدوده والأنفاس معدوده فلاترد المشتاق عن هواه ولاتلومه على غرامه ووجده فمن يده الماء

إلى زنده هو أخبر من حرارة الماء من برده (قال الراوى) فلما سمع مسلمة كلام الصحصاح ورآه قد أظهر الهوى وأباح خشى ان رده لا يكون الرد محمود ويفوّته الغرض المقصود فقال له اعلم اننى مامنعتك إلا من الاشفاق عليك والساعة افعل ماتريد وكون حميد وأنا ساير خلفك أجد الرحيل وما تفوتنى إلا بالقليل والله تعالى راعيك وناصرك على من يعاديك وروحى لك الفدا فودعه وقبله بين عينيه وسار ومعه عبده نجاح وساروا مجدين ولا استراحوا ذلك اليوم والليلة فقطعوا مسيرة ثلاثة أيام حتى أشرفوا على ماء العديب فىالوقت الذىنزلت فيه بنى كنده هذا الاتفاق حلو المذاق فنظر الصحصاح الى ذلك العسكر فرآه كأنه البحر اذا زجر والهودج يلوح كأنه قبة ذهب أحمر وثياب الديباج على الأرض تسحب بهلال فضة كأنه كوكب فحن الصحصاح وصبا الى رملة عالج وهو يقول بعد الصلاة على سيدنا محمد الرسول :

أقول وقد سارت حداة الهوادج وقد عرجوا ليلا على رمل عالج
لأن تركوا أحبابنا فى ديارنا فقد أخذوا أرواحنا فى الهوادج

ثم قال يانجاح هذه الخيل وهذه العدة تدل علىأن هذا العسكرمن بنى كنده لأن العرب لها علائم تعرف بها فتقرب بنا لنسأل عن حالهم ونعلم من أى العرب هم فقال له نجاح يامولاى ان بنى كنده فى قلوبهم النار منك وقد صنعت فيهم الصنيع الذى لايخفى وهم فى هذا الجمع الكثير وان أنكروك وقد عرفوك تكون قد فرطت فى نفسك فقال لابد لى من ذلك وبالله المستعان وعليه التكلان ثم انه اختلط بالقوم وقصد مضرب عالى بعيد عن المضارب فأتى اليه ونزل عليه وهو يقول شعر :

كفائك ذلا أن تبيت بشبعة وحولك أكباد تحن الى الأكل

(قال الراوى) فلما سمع صاحب البيت الكلام علم أنه غريب يريد الطعام فقال لعبده انظر من نزل بنا فخرج العبد ورجع وقال يامولاى فارسين غرباء طمعا فى الضيافة قد نزلا فقال على الرحب والسعة ثم أمره فاصطنع جفنة من اللحم والثريد وخرج بها اليهما فلما وضعها بين أيديهما قال له الصحصاح : اجلس ياعبد الخير وكل معنا حتى يطيب عيشكم على قلوبنا وكان قصده بجلوس العبد حتى يخبره بالأخبار فجلس العبد وجعل يأكل هو ونجاح ويقول للصحصاح ما بالك لاتأكل ياوجه العرب فقال له انى على كفاية ولى سبب يمنعنى عن أكل الطعام ولكن هذا رفيقى جيعان فكل معه وتنوب عنى بارك الله فيك فأكلا العبدين . هذا وللصحصاح يستخبره بالحديث والعبد يخبره عن الحال وأعاد عليه غارة القوم على بنى كلاب وكيف قد تزوج

حريث بليلى بنت عطاف فكادت روح الصحصاح أن تخرج من بين جنبيه وهان الملك عليه ثم انه ثبت نفسه وقال وأين ليلى قال يامولاى هاهى فى هذا الهودج الوهاج الذى فى وسط المضارب والخيام لأن حريث ما دخل بها لأنه يريد أن يدخل بها فى وطنه وعند أمه يعمل زفافها والأمير عطاف سوف يصل الينا فى أيام قلائل (قال) وهو يكلمه وما يصدق أن يقوم من عنده حتى يدبر فيما يعمل (قال الراوى) فلما همّ بالقيام سمع من المضارب أنين يخرج من كبد حزين وهو ينشد ويقول :

آلمـــتنى القيود بعد جراحى حيث أصبحت أنصح الصحصاح
اقتـــلونى فاننى لست أرضى منكم بجمعكم للســـفاح
إن (ليلى) على حريث حرام إن هـذا من الأمور القباح
ياعين جودى وساعدينى بدمع أبداً فوق وجنـــتى سفاح
قسما بالذى أمات وأحيا وأقام الجبـــال فوق البطاح
وبأهـلى أفـــديه ثم مالى وبروحى أقيـه فى الأرواح
لست أنسى فعـاله بى لما كنت مستأسرا بغـير جناح
لحيـــانى بنصرة وكفانى كل شىء وقد كان منه صلاح
أنا لولاه ما تزوجت (لبنا) وهو بعـد الزواج رأس نجاحى
سوف أبكى عليه ماهل قطر ومن السحب فوق وجه البطاح
إن قتلى بالسيف أهون مما قيل قد زفت زوجة الصحصاح

(قال الراوى) فلماسمع ذلك تفكروبقى من عجيب هذه القصة متحير فقال للعبد ويحك يامبارك من هو هذا المنادى ومن هوالصحصاح الذى يذكره فى شعره هذا البادى فقال يامولاى هو الصحصاح ابن عم ليلى وكان عمه عطاف قد قطع عليـه مهر ثقيل فقال له ومن هو عمه فقال يامولاى عطاف بن رافع سيد بنى كلاب وأن الصحصاح مضى ليأتى بالمهر فأعاقه العنا وقتله العدا وأما هذا الذى يندبه ابن خالة حريث واسمه غانم بن زاهر وقد وقع ماوقع بينهم من أجل ليلى لأنه قال لحريث ما يجوز لك هذا النكاح ولا تأمن غائلة الصحصاح وأشار عليه بردها فلم يقبل منه ثم أعاد عليه كيف غدر بغانم وبقومه وأراد قتـله وكيف سألوه وجوه القبيلة فيهم فأطلقهم من القتل بعد ماسلب أموالهم وقد صارت بها الرعاة بين أيدينا وأما غانم فانه حلف لا يقتله إلا فى دياره حيث عارضه فى ليلى ثم أخذ العبـد الجفنة ودخل الى الخبا فأقبل الصحصاح على عبـده نجاح وفى قلبه ألم وجراح وقال والله العظيم إن روحى

تحدثني أن أرميها فى هذا العسكر وأشفى قلبي بسيفي الأبتر ولـكنى أخاف أن يلومنى مسلمه على ذلك فقال له العبد يا مولاى ليس هذا سداد وربمـا أنك لا تظفر بمراد وتخاطر بمهجتك وليس هذا صواب وانظر فى غير هذا فقال له يا نجاح لو سرنا فى هذه الأيام لـكان فاتنا حريث ودخل بليلى وما كنت أعيش بعدها أبداً وذلك من خوف العار وما يدرى أحداً ما بقلبى من النار ولـكن هم الليلة مقيمين وعند الصباح يرحلون وأنا أسير بقية ليلتى إلى الفجر وأكون عند مسلمه وأرجع به إلى طريق الجبل الأصلم وأقطع عليهم الطريق والله ولى التوفيق فلو أن معى مائة فارس التقيت الخمس آلاف وخلصت ليلى ولا أخاف ولـكن سير أنت معهم بحيث أن لا يخفى عليك شيئاً من أمرهم وان دخلوا على طريق غير الجبل فاتركهم واقصد الجبل وقيم هناك حتى ألحق بك ولا تقرب هودج ليلى ولا تعرفها بنفسك حتى أعود اليك إن شاء الله تعالى (قال الراوى) ثم ركبّ مزنة وسار يقطع البر الأقفر والمهمه الأغبر وهو يود لو كان له أجنحة وطار فقطع البطاح حتى أصبح الصباح فعندها أنشأ يقول

اقرح الأجفان دمعا سبحا ... وغراما قد بعدكم طفحا
فاطرحانى بين كثبان الحما ... واتركونى عندها مطرحا
ودعانى أذرف الدمع بها ... إننى دمعى جرى منطفحا
فبعينى نظرة لا تنطفى ... وكأنى طائر قد ذبحا
أقلقتنى عنـــد ترحالهم ... زفرات زندها قـد قدحا
يا حمامات اللوا نوحوا معى ... إن طرفى بالبكا قد سمحـا
طال ما كنت بهم مغتبقا ... ذا سر وردائم مصطبحا
دهمتنا نائبـات أفسدت ... بالنوى ما كان منا صلحا
فعرفنـا كل حزن قاتل ... وكانا ما عرفنـا فرحا
ليت ليلى علمت أن الذى ... غاب عنها عاد يشكو الترحا
عاد من عند إمام عادل ... كل من حامه قد ربحا
كتب الاحسـان والمعروف فى ... جبهته والدهر لى قد نجحا
أصبـح الوقت به مبتسما ... بعد ما كان لنا قد كلحـا
ستری لیلی جیوش قد حوت ... تجنب الخيل وتحوى الملحا
وترى كـندة من نقمة ... حيث لا أترك منهم شبحا
وجزى الله بخير غانم ... أنه من أجلنا قد جرحا

بذل المجهود من غير عنا فغدا الفضل به مفتضحا
لعن الله حريث فلقد أقبح للشرع بفعل قبحا

(قال الراوى) ووصل الى العسكر من بعد الجد والجهد والتعب والكدر وهو طائر الفؤاد مسلوب الرقاد فلما شاهدوه اجتمعت الناس فى خدمته واعتنقه مسلمة وسأله عن حاله وسرعة عودته فانفرد به عن الرجال وحكى له جميع الأحوال وقال مسلمة وهذا أيضا من تمام الأحوال بالسعادة وبلوغ الآمال ونيل الارادة وقد أوقع الله فى قلبك القلق حتى لحقت مايجب أن يلحق ولو كان هذا الملعون قد سبق لأضرم فى قلبك الحرق والحمد لله الذى جعل سعادتك فى بداية ولم يجعلها فى نهاية والآن ماتريد أن تصنع فقال يامولاى نسير على الطريق الأخرى نحو بنى كنده ونسبقهم على الكحيل فلابد لهم من تلك الطريق ونضع فيهم السيف الرقيق ولولا خوفى من عتبك لكنت أرميت روحى فيهم وأشفيت غليلى منهم فقال مسلمة أيها الأمير أنت اليوم ملك العرب وهم اليك يلتجئون وبك يستغيث المتطلبون ولاينبغى لك أن ترمى نفسك فى المهالك وتخاطر بمهجتك فى أضيق المسالك وأنت تصل الى مطلوبك وتنال من أعداك مأمولك وان كان هؤلاء القوم الذين قدموا على هذا الأمر اعترفوا بذنوبهم واعتذروا خوفا من عتبهم فبالاحسان نعاملهم لأن العفو بالملوك أجمل والتجاوز بالقادرين أفضل فقال الصحصاح ما أشرت إلا بالصواب ولكن فى القلب نار الالتهاب وأخاف الفوات ومقصودى الجد فى قطع الفلوات ثم ترجل عن ظهر مزنة وركب جنيب من بعض جنايبه وعرج على تلك الطريق وسار الى موضع ماذكرنا ودموعه تتحادرعلى وجنأته وهو يتنفس من نيران زفراته وقد اشتدت حرقته وفاضت عبرته وهو طايش العقل ذاهب اللب تارة يأخذ يسار وتارة يأخذ يمين وتارة يأخذ غرباً فأنكر مسلمة حاله وعذره وقدم بين يديه دليل وقال له ياملك العرب ارفق بنفسك فلابأس عليك ان شاء الله تعالى ولاشك انك تصل إلى مطلوبك فقال يامولاى هذا يكون سبب السعادة ولكن المحب مولع بسوء الظن وأخاف أن يسبقنى الى حلته من وقته وساعته ويموت عبدك الصحصاح من غيرته وتزيد بلوته ثم أنشأ وجعل يقول بعد الصلاة على سيدنا محمد الرسول :

غرامى بليلى كل حين مجدد وفى كبدى نار الأسى تتوقد
وانى إذا ما الليل أرخى ستوره أقوم من شوقى الشديد وأقعد

أحنّ إليكم كلما حن شائق إلى الورد ظمآن الفؤاد مشرد
ولى كبد حرا يعذبها الهوى ولى جسد يبلى ولا يتجدد

(قال الراوى) ثم أعاد عليه حديث غانم من أوله الى آخره فتعجب مسلمة من ذلك وقال يحق له والله أن يبذل نفسه فى هواك ولا يصل أحد لمجازاتك بذلك لأن الفضل للمتقدم والثانى من الأول يتعلم والله تعالى جعل فيك الخير طبعاً وأنت غيرت العالم جودا ومنعا وأن حديث هذا الرجل قد أزعجنى وأقلقنى إذا كان هذا فعاله لأجلك وأخذته الغيرة بسببك فهو لنا بعد اليوم صديق ثم ساروا مجدين إلى أن أشرفوا آخر النهار على الجبل فنزلوا على الماء فلم يروا للقوم عليه أثر ولا لاح لهم خبر فعلم الصحصاح أنه قد سبقهم ففرح بذلك فرحا عظيما وشكر الله وأثنى عليه بما هو أهله وعلم أنه قد وصل الى سؤله وبلغ مأموله قال فأمر الناس بالنزول فنصبت الناس الخيام وعلت القباب وركزت الأعلام وامتلأت بهم الأرض فى طولها والعرض لأنهم زهاء عن خمسة عشرة ألف فارس ومثلهم أتباع وغلمان وخدم والكل فى خدمة الصحصاح وتحت يده فما استقر بهم المكان حتى طلع عليهم غبار بنى كنده وسمعوا صهيل الخيل فقال مسلمة هؤلاء بنى كنده فأظهروا لهم التجمل فنادى المنادى فى الناس بأخذ الأهبة وإظهار الزينة ففعلوا ذلك وركب اثنى عشر ألف بجحف وفى أيديهم السيوف وموكب ثانى اثنى عشر ألف من الشباب والكهول رهم على سوابق الخيول رجال أبطال من أرض الشام كأنهم الأسود ما بين رامح وناشب وليس فيهم إلا كل محارب وقد حنكتهم التجارب لا يولون الأدبار ولا يهابون الأشرار قد حازوا شرف الفخار قال ورفعت الأعلام والرايات والبنود والباشات وامتلأت الجنبات من نعير البوقات وبربرت البرابره من الروم والعجم والديلم وصاروا يصرخوا من سائر اللغات فظنت بنى كنده بأن القيامة قامت وحشرت ملوك الدنيا فى ذلك الصعيد فوقفوا متحيرين وهم لا يجسرون أن ينزلوا عن الخيول ولم يكن فيهم أحد من الشجعان ولا من الأقران ثم إن مسلمة أمر أربعين خادماً أن يأخذ كل واحد منهم فى يده علم منسوج بالذهب ومكتوب عليه لا إلا إلا الله محمد رسول الله وقال لهم إذا وصلتم الى بنى كنده فقولوا لهم أن الأمير مسلمة ابن أمير المؤمنين وولى عهده فى العالمين يأمركم بالترجل والسعى الى خدمة ملك العرب المفترض طاعته على كل من ضرب فى البيدا طنب لم يتخلف منكم ديار ولا نافخ نارا ويحل بكم البوار (قال الراوى) فقصدتهم الخدم وعليهم تلك النعم وساروا نحو بنى كنده فلما رأت بنى كنده الى ذلك كادت قلوبهم أن تذوب لأنهم رأوا عشرة آلاف فارس

ومثلهم معهم وبعد قليل وإذا بالخدم قدأحدقت بهم وقد صاحوا : الأرض ياويلكم ترجلوا الى خدمة ملك العرب وسيد من بعد منها ومن اقترب وهاهو فى السرادق الكبير الأحمر المرصع قبابه بالدر والجوهر وعنده ولد أمير المؤمنين وإمام المسلمين وولى عهده فى العالمين ثم صاحت الغلمان من صوت واحد فعند ذلك ترجلت بنى كنده بأجمعهم وأرموا أنفسهم عن الخيل ونزلوا النزول الذى مابعده إلا الويل ونادوا : السمع والطاعة لله ولملك العرب أدام الله تعالى دولته ببقاء مولانا أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وساروا الكل خاضعين وفى أوائلهم حريث وقد طار عقله خوفا وجزعاً هنالك خرجت من الخيام ثلاثة آلاف نفس وترجلت الركاب وهم اثنى عشر ألف فارس وكانت بنى كندة خمسة آلاف فصار مع كل واحد منهم ثلاثة أبطال وأوثقوهم بالحبال وقد أيقنوا بالذل والوبال فعندها أقبل حريث عليهم أى على قومه وقال لهم يابنى عمى ماهذا للعسكر والأمر المنحوس لقد تعبنا من هلاك النفوس وهذا شىء حير العقول . هذا ومسلمه قد أمر الخدم فرجعوا الى هودج (ليلى) وقبلوا الأرض بين يديها وساقوا البعير سوقا رفيقاً وهم ينادون : ياملكة العرب سعد سعدك وعلا مجدك . هذا وليلى قد ذهب عقلها حارت من ذلك العسكر فى أمرها ولما نظرت إلى الخدم قد ساقوا البعير ظنت أنه ملك العرب مروان بن الهيثم يكون قد بلغه حسنها وجمالها وقد أتى ومراده يأخذها من بنى كنده وأخذها وأنقذها من تلك الشدة ففرحت بذلك فرحا شديدا وقالت ليلى : ❁ وما ظالم إلا سيبلى بظالم ❁

وزادت بها الحسرة وتفكرت وهى تقول ياصحصاح مالى أرى وجهك فى الوجوه الملاح أترى أنت بين الأحياء يرجوك أو بين الأموات يندبوك ثم انها بكت وأنشدت تقول :

دلايل أحزانى عليك شهود ... وأنت غريب فى البلاد بعيد
وعيشك ياصحصاح ماالقلب طيب ... وصبرى شديد حيث أنت تريد
رزتنا الرزايا بعد فقدك دائما ... كأنا جوار بينهم وعبيد
وفى كل يوم نكبة ومذلة ... فياليت شعرى ما القضاء يريد
بنو كدة جاءوا إلينا غوازيا ... وفيهم حريث ظالم وعنيد
أباد سراة الحى حتى أزالهم ... ومنهم أسارى والقيود حديد
وأصبح عطاف أسير مكبل ... أراد ليقتله وذاك شديد
هناك هتك الستر منى حقيقة ... وقد نال منا شامت وحسود
وان حريثا قد أتانا محاصرا ... وصبح قومى جندل بصعيد

فاطلق لقومى وتجرد لخطبتى ... وكل الى قصد النجاة يريد
فزوجنى عطاف بالرغم كارها ... وفى كبدى من أجل ذاك وقود
فلما نزلنا وادى الشعب لم يكن ... لغانم عنا غفلة ورقود
فقال بالجاه الامام فهممت ... عليه أسود بل ونحن أسود
وأصبح للصحصاح فى الارض ناصحاً ... وجندلهم إن الكريم يجيد
ودافع حتى لم تتم له قوى ... وما أنصفوه واللئام تكيد
وكرت عليه الخيل من كل جانب ... وقد شد منهم كرة وجنود
وقد جرحوه بالسيف والقنا ... وكبل وكتف بل وفيه قيود
يعز على قلبى مصاب أحبتى ... لهم نخوة عند الصديق وجود
وقد أخذت أموالهم ورحالهم ... وغانم من جور الغريم طريد
فوالله يا صحصاح لا زال قادرا ... بشجوك لى والفؤاد حريد
تمنيت ياصحصاح لو كنت طائرا ... أطير وأبصر حالكم وأعود
أقلب طرفى فى الديار فلم أرى ... وجوه لأحبابى الذين أريد
ترى ترجع الأيام تجمع بيننا ... وترجع أيام مضت وتعود
سلام عليكم لاسلام مودع ... ولكن سلام ما يزال جديد

(قال الراوى) ثم بكت بكاء شديدا ماعليه من مزيد وكان الصحصاح قد بعث عبده نجاح ليسكن روعها ويهدىء قلبها فلما رآها ناداها ياسيدة العرب ذهب البكاء والحزن والشقاء والمحن ولا عتب ولا لوم على الزمن (قال) فنظرت ليلى الى المتكلم واذا هو نجاح (قال) فصاحت ويحق لها الصياح قال لها أنا نجاح وقد جاء الفلاح فقالت يانجاح قل لى ماوراءك فقال لها يامولاتى ماهذا وقت الكلام أمضى الى سرادق الصحصاح الذى نجمه بالسعادة قد لاح والحزن عنه قد راح ثم انه مشى قدامها الى أن وصلوا الى سرادق الصحصاح فلما وصلت الى تلك المضرب الذى فيه الصحصاح أناخوا الجمل وتقدمت الخدم وأنزلوها من الهودج فلما صارت على الأرض والعبيد بين يديها رفعوا ألسنتهم بالدعاء لها وهى جائزة وتظن أنها فى منام وأضغاث أحلام وساروا الخدم بين يديها الى صدر السرادق واذا بخيمة منصوبة منسوجة كلها بالذهب الأحمر قد فتح بابها ورفع حجابها ودخلت الى سدرة ما تصلح إلا للخلفاء تقصر عن وصفها ألسنة الواصفون (قال الراوى) فلما استقر بها الجلوس وهى طائشة الرأس ماتظن إلا انها قد حملت الى مروان بن الهيثم لعلمها أن الصحصاح لايقدر على

مثل هذا أبدا وحزنها شديد وغرامها يزيد (قال الراوى) فهذا ما كان منها وأما ما كان من حديث حريث وأصحابه فانهم لما دارت بهم العسكر وأخذوا السيوف من رقابهم فأيقنوا بالوبال ووصلوا إلى باب السرادق الذى فيه مسلمة فوقفوا ثلاثة ساعات فبينما حريث كذلك وإذا بعبد من العبيد أتى إلى حريث وقال يامولاى قد أخذت ليلى وقد دخلت إلى السرادق فقال حريث دعنا من ليلى وغيرها فقد لحقنا ذلا وويلا وماندرى ما نحن فيه وما هؤلاء إلا طائفة من الجن وقد تصوروا لنا على صورة الآدميين وقد لعبوا بعقولنا ولا يقدر أحد على مثل هذا ولا بد ما ينكشف الحال والخبر ولقد كانت علينا أشأم الغارات وهيهات أن نرجع إلى بلادنا فبينما هو فى الحديث وإذا بعبد قد دخل عليه وقال يامولاى قد أخذوا الأمير غانم وفكوا قيوده ورموا عدة حديده وقد ركب جوادا وأخذ جميع ماله وجميع مالنا وما كانت إلا ساعة وقد أتى غانم وعليه خلعة من الذهب الأحمر مرصعة بالدر واليواقيت والجوهر وبين يديه جماعة من خواص السلطان فلما سمع الأمير حريث ذلك الكلام كادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وتطاير الشرر من عينيه وعظم عليه (قال الراوى) وكان الأمير مسلمه والصحصاح لما دخلت ليلى فى السرادق أرسلوا نجاح وجميع الخدم إلى غانم فأطلقوه من الوثاق وأكرموه غاية الإكرام ودخل على مسلمة والصحصاح فاحترموه غاية الاحترام فقبل الأرض غانم بين أيديهما فقال له مسلمة ارفع رأسك أيها الفتى ولم فعل معك حريث هذه الفعال قال يا مولاى أنا ما فعلت معه شيء بل أشرت عليه بالصواب فأوقعنى فى هذا العذاب بعد ما سفه علىّ فى الجواب فقال له مسلمه وما الذى حملك على ذلك وألقيت نفسك إلى المهالك قال غانم يا مولاى حب غلام روحى له الفدا الذى فعل معى شى تقصر عنه ألسنة المتكلمين ولا يهتدى اليه نعت الناعتين ثم ان غانم بكى وأنشد :

العار أن تبدى العيون دموعا ... ما لم يكن فوق الخدود نجيعا
أترى أرى الصحصاح يرجع سالما ... أو ان يكن تحت التراب ضجيعا
كذبوا العدا لو كان ذاك تحققا ... لتزعزت صم الجبال وقوعا
لو كان ذاك لمن يرى شمس الضحى ... مذ غاب ما أبدت علىّ طلوعا
رجع الزمان يلذ لى أفعاله ... وغدا الحمام بنوحه مشجوعا
أدعوك يا صحصاح دعوة مخلص ... ما جاك لو كان الدعاء سميعا
من للمكارم والمناقب والندا ... ان لو عدمت فما لهذا رجوعا

علما بأن الدهر فى تفريقه ما نال بالحر الكريم ولوعا
قدكنت لاأخشى عليك من الردا اذ أنت حصنا لا تزال منيعا
زغت عن الرامى بذلك لم تزل سم لأرواح العــداة مريعا
ومالى أقول ولا تجيب وطال ما ناديت من بعد وكنت سميعا
يا ليت يا صحصاح كنت لك الفدا ويـكون شملك دائما مجموعا

(قال الراوى) فلما سمع الأمير مسلمه شعره قال والله لقد صدقت وما سمع أحد من مرثية فيه أعظم من شعرك هذا والصحصاح قد تعجب وقال يالله العجب والله لقد سررت بماقلت أكثر من الملك الذى أنافيه فعندها نادى مسلمه ياغانم أنت نعم الصديق والصاحب على التحقيق ابشر فان الصحصاح هو ملك العرب وسيد أهل الرتب وبيده مقاليد سائر العربان وقد أصبح مروان بن الهيثم له من جملة الغلمان وكل ذلك من انعام خليفة الزمان عبد الملك بن مروان وقد أرسلنى فى خدمته الى هذا المكان حتى يستقيم ملكه فلما سمع غانم ذلك الكلام قبل الأرض شكرا لله تعالى فقال له الأمير مسلمه ارفع رأسك فقد وجب اكرامك علينا ان رأيت الصحصاح تعرفه فقال نعم وكيف لا أعرفه وقد غمرنى بالجود والاحسان وخلصنى من نوائب الزمان فقال مسلمه هو هذا فعندها تأمله غانم فعرفه ورآه فى ذلك الموكب فعادوطأطأ رأسه وصار يقبل الأرض بين يديه فدعاه الصحصاح الى بين يديه وقال له جزاك الله خيرا على مروءتك ونخوتك يا أمير غانم فانك والله نعم الصديق ثم ضمه الى صدره وصار يقبله وأجلسه الى جانبه وقدموا شيئا من الطعام فأكلوا ثم ان ملك العرب الصحصاح وهب غانم كثير من المال وخلع عليه خلعة سنية وقال له ارجع أنت وقومك وخذوا أموالكم وخذ معك أموال بنى كنده مجازاة لما فعلوا معك هذا الفعل الذميم واذا اطمأنت بك الديار وقر بك القرار فسوف أقدمك على عرب الحجاز فقبل غانم الأرض وخرج بالخلعه وأركبه الخليفة مسلمه ببعض مراكبه الخاص وأخذ الأموال والانعام التى أخذت منه وكذلك قد أخذ جميع أموال بنى كندة معه وجعل ينشد ويقول :

سعدت بحمد الله فى السر والجهر وراح حريث النذل بالذل والقهر
أخذت لمالى بعد أن كان قد مضى ومال كندة الطغاة ذوى الفخر
طغوا وبغوا جهرا علىّ بجمعهم وكنت بعون الله سعيا الى النصر
أيا ملك العربان لا زلت قادرا أيا ملك التوفيق فى النهى والامر
ولازال من والاك بالسعد دائما وأنت سعيد الجد والمجد والشكر

(قال الراوى) وسمع بعض عبيد حريث غانم وهو يمدح ملك العربان ويذم حريث فأخبره بذلك فسكت على مضض منه صبرا وتجلدا وقال له ويلك عندنا شغل شاغل عن هذا الخبر ونحن فى قبضة ملك الموت مع كل واحد منا ثلاث رجال ولنا ثلاث ساعات ونحن واقفين ما أمرنا بالدخول على ملك العرب ولا على ابن أمير المؤمنين فهم فى الكلام وإذا بالخدم قد خرجوا وفى أيديهم السيوف المجذوبة واللتوت المذهبة والدروق المكوكبه فقبضوا على كل واحد من أكابر قومه خمسون رجلا عتقا فالتفت حريث لأصحابه وقال والله ما هذه علامة خير ولا شك أن الخليفة قد أرسل ولده ينتقم من بنى كنده (قال الراوى) فلمادخلوا السرادق قبلوا الأرض مرارا وقبل الأرض حريث وقال هاعبدك بين يديك قال مسلمه ياحريث أتعرف من هذا الجالس إلى جانبى فقال لا والله ياسيدى قال مسلمة هذا ملك العربان بن نذار بن معد بن عدنان هذاسيف أمير المؤمنين هذا ناصر الإسلام والمسلمين هذا ولى عهد أمير المؤمنين من المشرقين إلى المغربين هذا الصحصاح بن جندبه بن الحرث الكلابى سيد بنى عامر صاحب الجد الغامر وسوف يصل مروان بن الهيثم الى خدمته صاغر وقال حريث يا مولانا كلنا عبيده والله تعالى يكفينا شره فقال مسلمة يا حريث من أين طريقك فأيقن حريث بالبلاء وقال يا مولانا ان كان الكذب حجة فالصدق أنجح وأنجا ثم ان حريث أعاد على الأمير مسلمه أول الحديث إلى آخره فقال له مسلمه فهل تعرضت لليلى ابنة عم الصحصاح فقال لا وحق فالق الأصباح ما نظرت لها وجها إلا وقت الواقعة فقال له مسلمه هذا سبب حقن دمك ودم بنى كندة وإلا ما كنا تركنا على وجه الأرض كنديا فقال واحد منهم الحمد لله الذى لم يتعرض لها حريث ولقد كان غانم على الصواب لأنه حذرنا من ضرب الرقاب هذا ومسلمه قد أقبل على حريث وقال له لولا أن العفو أحب إلينا وإلا ما خرجت من هذا المقام وقد كنت قد قطعتك بهذا الحسام ثم قال للخدام اخرجوهم وخلوهم عند أصحابهم وقوف وشدوا التوكيد عليهم حتى يرى ملك العرب برأيه فيهم فأخرجوهم الغلمان فلما وصلوا إلى أصحابهم سألوهم عن الحال فأخبروهم بما قد وصل إلى الصحصاح من الملك الذى لا يحصى وقد سلمنا من القتل ومسلمه قد ترك التوكيد علينا حتى يرى الصحصاح رأيه فينا وينفذ فينا أمره ونهيه فقال رجل منهم يقال له المزاح ياحريث ما رأينا عروسا أشأم من هذه العروس والله لقد عمت بركتها على بنى كنده والساعة يدخل عليها الصحصاح ويسألها عن حالها وما جرى لها فتخبره بما قتلنا من الرجال والأبطاله وأخذها رغما عنها فيخرج

عند ذلك الصحصاح وقد وجد لذة النكاح وترى بعد ذلك ضعفا ما رأينا قط مثله وما أسعدنا إن كان صنع بالكفوف والا ضربا بالسيوف (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من مسلمه فانه بعد خروج حريث وبنى كندة من عنده أقبل على الصحصاح وقال ما تقول فى هؤلاء القوم يا ملك العرب فقال الصحصاح وما أقول ما أريد إلا ضرب رقابهم فضحك الأمير مسلمه وقال يا ملك العرب ليس هذا بصواب والعفو عند المقدرة أجمل بالقادر وإذا كان حريث قد أساء فكن أنت محسن وأنت تعلم أن عمك عطاف قتل أبيه وأنه طلب أخذ تاره وقدر عليه وعفا عنه ولا يجوز لمثلك ملك أن يقتل من يكون فى حيه ويتبع الأخلاق الردية بل يشفق على الرعيه واعلم أن حريث وأصحابه من جمله الرعيه فاشكر الله على هذه العطيه (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك من كلام مسلمه كان كأنه نائم واستيقظ وقال لقد أنعم الله على بك يا مولاى والحمد لله الذى جعلك لكل خير سبب والآن قد رجعت عما كان قد خطر بقلبى من سفك دمائهم ولا أطيق أن يبقى من بنى كندة أحد مقيم فدعهم يذهبوا فقال له مسلمه والله مقامهم هنا بغير اختيارهم ثم نهض مسلمه إلى باب السرادق وادعى بجاويش العسكر وقال له اذهب إلى بنى كنده ونادى بصوت يسمعه القريب والبعيد الا أن ملك العرب قد أنعم عليكم بنفوسكم يا بنى كنده فاذهبوا من وقتكم ولا يصبح منكم أحد فى العسكر الا ويلحقه الهلاك والبوار فخرج الجاويش ونادى بذلك النداء وقال أدعو للملك فرفعوا بنى كنده أصواتهم بالدعاء وكانوا قبل ذلك يحسبوا حساب الآفات بخلاف ما كان فى نفوسهم (قال الراوى) ولما قال الجاويش لا يبقى منكم أحد أبدا قالوا نعم فقال المزاح ومن هو القرنان الذى يصبح عليه الصباح ههنا وقد طاب له العنا حتى يقيم الى الصباح ثم أطلقوهم فما صدقوا بذلك فساروا فى ظلام الليل وهم لا يتكلمون الا فى سبب اطلاقهم الذى ما ما كان لهم فى حساب ولا خطر لهم بخاطر ويتحدثون أيضا فيما وصل الى الصحصاح من النعمة والكرامة الكريمة هذا والمزاح قد تقدم فى أوائلهم وأنشد أبياتا يمزح بها فمنها

وانى أنا المزاح أول هارب فلا تغضبوا فالهزل والمزح من طبعى

قال الراوى فضحكت العرب من شعره وأخذ حريث الغضب وصاح عليهم وقال له يا كلب العرب أنت أكلت بعقلك حلاوة وتشفى فؤادك من السادات بالمزاح ومن جراك على سادات العرب بقله الأدب والله لاسقيك كاسات العطب ثم انه

سل سيفه وطلب المزاح فحالت الرجال بينهم وقالوا لحريث يا أمير أما تعلم أن الشيخ مزاح طبعه المزاح فسكت حريث على مضض منه (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الصحصاح فانه لما علم أنه ما بقى أحد من كندة مقيم وذهبوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد أبدا فأزعجه الشوق وأقلقه الافتكار حتى أنه لم يبق يطيق الاصطبار فأنشد وجعل يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

قد طال ليلى وزاد الشوق والقلق   والطرف من أجلكم وقفا الأرق
لا تعذلوا منتهى مالم يجد جلدا   وما بقى منه غير الروح والرمق
حملتم القلب شوقا فوق طاقته   ورمت أحمله صبرا فلم أطق

(قال الراوى) ونظر مسلمة الى الصحصاح وهو شديد الارتياح غير أن الحياء يمنعه عن النهوض الى بنت عمه ليلى فقال مسلمه ياملك العرب أرى منك العجب لأنك تريد المحبة والقوام ولم تسارع إلى القيام مع قرب المزار من المحبوب والخدور الى المطلوب قال فنهض الصحصاح وقبل يد مسلمة وقصد السرادق وقد خرجت الخدم والحشم بين يديه قال هذا وليلى تنشد وتقول هذه الأبيات:

وحقكمو مالى على فقدكم صبر   ولا طاب لى عيش ولا يصف لى سر
إذا ما تأملت الديار ولم أجد   لكم خبر فيها فينقصم الظهر
أقبل أرضا كنتموا قد مشيتمو   عليها وفى قلبى لفرقتكم جمر
واذكر أياما مضت ولياليا   لكم كان فيها العز والنهى والأمر
أحبة قلبى لو يعود رجوعكم   بشىء شريناه ولو طلبوا العمر
تيقنت دفع الروح ان عشت بعدكم   وإن فؤادى ناره تفنى الصخر
يقولون هذا الدهر فرق بيننا   فما كانت الدنيا ولا كان ذا الهجر
وحرمت ماقد كان من عهد قربكم   وقد حرت فى أمرى وقد مسنى الضر
ترى يرجع الصحصاح يارب سالما   وأخبره عما بدا لى والصبر
ولو علم الصحصاح ماقد أصابنى   لضاقت عليه الأرض جمعا مع البحر
ولست أريد المال والملك بعده   فمن بموتى قبل أن يطلع الفجر

(قال الراوى) فبينما هى على ذلك الحال وإذا هى بالصحصاح قد عبر من باب السرادق وليلى ترتعد وتقول ويلاه من الفضيحه ترى مروان ابن الهيثم ما يغار إلا على الحريم ولا يستقبح ارتكاب هذا الذنب العظيم فيأخذنى سفاح فلا والله لو كان الصحصاح حاضرا لم يكن على قادر هذا والصحصاح قد رفع باب الخيمه الذى فى

صدر السرادق الأكبر ورفعت ليلى رأسها وأبصرت الداخل عليها وإذا هو نجم الصباح والكوكب الوضاح وكعبه السماح والبطل الحجاج وملك العرب الصحصاح وهو يقول ياليلى قد وصلت بزعمك سالما غانما وسيكون سرورك واردا (قال الراوى) فلماسمعت كلمته وتحققته صرخت صرخةعاليه وقد غابت عن الوجود ووقعت على الأرض على وجهها كما يقع الانسان فى السجود فجلس الصحصاح عند رأسها وتحير وبكى وليلى قد غابت فى غشوتها إلى الصباح وعرفوا الخدم ذلك فذهبوا إلى مسلمه وأخبروه بما وقع قال لا حول ولا قوة إلى بالله العلى العظيم ليتها عاشت ولو ثلاثة أيام حتى يقضى كل واحد منهما من صاحبه وطر وبقى كل ساعة يبعث بعض الخدام ويكشف الخبر والحال وهى كما هى على حالها الى الصباح ودامت فى غشوتها الى طلوع الشمس ثم إنها أفاقت وجعل الصحصاح يناديها يا ابنة العم ذهب الهم والغم إنى أنا الصحصاح بن جندبة قال فعند ذلك جلست وهى عادمة العقل تنظر اليه وتشك حتى تحققت وتيقنت أنه الصحصاح فبكت وأنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

لم أذق بعدكم لذيذ المنام ... وغرامى بعد الفراق غرامى
إذ برانى شوقا وقل رقادى ... واعترانى بعدكم كثير سقامى
وقضيت الأيام بعداً وقربا ... عدت أبكى بفيض دمع سجام
كنت أرجو رجوعكم لى سريعا ... وتعود الشهور والأعوام
ثم أدعوا بأن يردكم الله ... إلى الاجتماع والالتئام
فأتانى الله بالفرج قريبا ... جل ربى المهيمن العلام
وبدا لى وجهك يا صحصاح ... وهو كالبدر فى دياجى الظلام
ومضى مالقيت من زمن السو ... ء لما رأيت بدر التمام
غير انى أقول مثل الذى قال ... وقد قيل فى سالف الأعوام
ما أظن الزمان يأتى بهذا ... غير أنى رأيته فى المنام

قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ماقالت ليلى بكى من قولها وأنشد يقول

سأحمد ربا ليس يحمد غيره ... إلها عظيما لا يزال موافيا
أشكره منى فالشكر واجب ... ومازال رب العرش بالشكر جازيا
له الثناء الجميل دوما سرمدا ... ما تعاقبت الأيام بالليالیا
قد من علينا بالجمع بعدما ... قطعنا شهورا فى دوار خواليا

وصرنا ملوكا بعد فقر وذلة ... وقد حزت ملكا لم يكن حسابيا
وفزت بليلى وهى عندى عزيزه ... وصار عدوى لى مدى الدهر صاليا
وقد جمع الرحمن شملى بشملها ... وفزت بذاك الحسن والقلب آويا
تمثلت بيتاً كنت قد ما حفظته ... عجيبا وقد حاز المعانى كما هيا
وقد يجمع الله الشتيتان بعدما ... يظنان كل الظن ألا تلاقيا

(قال الراوى) ولما فرغ من إنشاد الشعر جعل يصف اليها حاله وما قد جرى له ويسألها عن أبيها عطاف وعن أمه وأهل قبيلته فأعادت عليه حديثهم وأطلعته على جلية الحال وكيف زوجها أبيها إلى حريث بعد أن أسره وقد أشرف على التلاف هو وقومه (قال الراوى) وما زال الصحصاح يتحدث مع ليلى إلى أن أصبح الله بالصباح ثم أن الصحصاح خرج إلى باب السرادق فصلى الصبح فتعجب الأمير مسلمه من كمال عفته مع شدة محبته فعظم الصحصاح فى عين مسلمه (قال نجد) ثم ان الصحصاح قصد إلى مسلمه فقام مسلمه وهناه ببلوغ الأمل وجمع الشمل بعد الهمل ثم أمر الأمير مسلمه فدقت الكاسات ونعرت البوقات فركب وركب الصحصاح وقد أحدقت به المواكب والكتايب وأمر أن يقدم البعير والهودج فألبسه الحال والرصافيات التى لهودج الملكه مروه بنت عبدالملك بن مروان وركبت ليلى وقد أحدقت بها الجوار فلما نظرت ليلى إلى ذلك قالت اللهم لك الحمد من قبل ومن بعد (قال الراوى) فساروا الناس على مهل لأنهم قد تعبوا من المسير الأول فساروا مقدار أربعة فراسخ وإذا بغبار قد تار حتى سد الأقطار فقال مسلمه لما رأى الغبار وقد تحير ايش هذا الغبار فقال الصحصاح لا شك أن حريث قد استنجد ببعض العرب ولو عرفنا كنا سقيناه كاس العطب فقال مسلمه ما أظن أحدا يتقدم إلى هذا العمل لأجل ثلاث وجوه الأول أن معنا خمسة عشرة ألف فارس ويتبعها مثل ذلك والثانى لهيبة أمير المؤمنين والثالث قد سمعوا أنى كنت معك وجئت وإياك وقد عرفوا أن الشجاعة معك فقال الصحصاح هذا لا يصح إلا لأرباب العقول وأما عرب الحجاز لا يفكرون فى عاقبة الأمور بل يرمون أنفسهم فى كل نائبة ولا يعرفون من هو أمير المؤمنين وهـــذا من قلة عقولهم وأما قولك لكثرة شجاعتى فالأرض ولاده وربما يكون فى قبائل العرب من هو أشد منى بأس وسوف ترى إن لم يكونوا أعدا (قال الراوى) فقال مسلمه وربما يكون مروان بن الهيثم حين سمع بعزله وولايتك جاء لخدمتك ليكون فى صحبتك وذلك طاعة لأمير المؤمنين يريد بذلك حسن الظن فى حقه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك

أن الأمير جفال سيد بنى مخزيه والمقدم على ملوكها وكبرائها لما جرى حديث مروه لم يكن حاضر فى حلته بل كان غائب وكان لغيبته سبب نحب أن نذكره وذلك أن بنى مخزيه كانت عشرة حلل وفى كل حلة منهم أمير وكانوا الجميع كلهم تحت يد جفال وكان فارس لا يطاق وعلقما مر المذاق وكان صديقا للملك فاتك ابن معدى ملك اليمن فخطب جفال بنت فاتك فأجابه إلى ذلك وحمل جفال الأموال والنوق والجمال وما تعجز عن وصفه الناس وسار فى خمسة آلاف فارس إلى أن وصل إلى أرض اليمن ووصل خبره إلى فاتك فاستقبله وأكرمه غاية الاكرام وأقام عنده شهرا كاملا ثم زف ابنته عليه وأقام بها عنده سبعة أيام وطلب من فاتك الرجوع إلى دياره فشق ذلك على فاتك فحلف قسما بالله لا مكنتك من الرحيل إلى سنة كاملة أنت ومن معك فلم يجد سبيلا إلى الخلاف لفاتك لأن فاتك كان فى الكرم فاتك وكان اليمن كله تحت يده إلى أطراف البحار والجبال فأقام جفال ومن معه فى أطيب عيش وإنعام وأطيب مقام وفى كل يوم يتجدد عليه الخير والانعام وفى أعقاب السنة وصلت اليه الأخبار بما جرى لبنى مخزيه من القتل والسبى وما صنع بهم مروان بن الهيثم فقامت على جفال القيامة وبكا على قومه فقال له فاتك اصبر أيها الأمير فإن الأشياء بقضاء الله وقدرته فقال الأمير جفال لا صبر لى على ذلك الأمر المنكر ولا بد لى أن أرمى روحى على بنى سليم وأقتل مروان بن الهيثم فهو الذى فعل هذه الفعال وبعد أخذ قومى وأغزو على بلاد الشام وأحرم مروان أن ينام وأجمع العرب وأعطيهم الفضة والذهب ولهم الأموال ولى سفك الدما وان لم أفعل ذلك ما يرتفع العار عن بنى مخزيه فقال له فاتك اصبر وتمهل فان العجلة ترث الزلل وأما أنك تجمع العرب فلا حاجة إلى ذلك لأن تحت يدى ماية ألف عنان ولى عبد يقال له عملاق لو عاين عنتر بن شداد جعله له غلام وأنا أقدم عليهم عملاق وأمرهم بالمسير تحت طاعتك وتأخذ التار ممن قصد حلتك وان عزمت على المسير إلى بلاد الشام فأنا أمدك برجال يكون أولهم فى الشام وآخرهم فى بلاد اليمن وأصبر جفال وهو فى قلبه النار وبعث يكشف الأخبار واجتمعت بنى مخزيه من سائر الأقطار وساروا طالبين اليمن إلى أميرهم جفال فلما وصلوا اليه وقع البكا والنحيب على من قتل منهم وأخبروا جفال بجلية الحال وحديث مروة ابنة عبد الملك بن مروان فعظم عليه ودخل على فاتك وقال له أعطنى الاذن بالذهاب إلى حلتى فعندها علم فاتك ما فى نفسه فأذن لجنده أن يتفرقوا فى سائر بلاد اليمن ويستخرجون له الأبطال المعدين للقتال فلم يكن إلا القليل حتى حضر قدامه

أربعين ألف مدرع وقدم عليهم عبد له يقال له عملاق وكان كأنه من أولاد الجبابرة وهو أطعن أهل زمانه بالرمح وأضربهم بالسيف وكان جبار عنيد وشيطان مريد وهو جسور على قتل الشجعان وكان يقول إن مافى الدنيا من يلقانى فى حومة الميدان. وهو الذى مدح نفسه بهذه الأبيات حيث يقول :

لست أبالى بكثرة العدد　　　وما كلى من مراعى الأسد
لو أن للأرض قبضة عرفت　　　علقتها من أصلها بيدى

(قال الراوى) وسار عملاق وجفال من أرض اليمن وقد أرادوا نهب أموال ملك العرب مروان ابن الهيثم وتبعهم خلق كثير من الطماعين مثل عددهم أضعاف ونظر جفال الى ذلك فأقسم أن لابد له من المسير الى دمشق (قال الراوى) وجد فى سيره ليلا ونهاراً طالب بنى سليم فوقعت طريقهم على بنى كنده فلقيهم حريث فى جيشه وهو منهزم فلم يشعر إلا وقد أحاطت به الكتائب من كل جانب فقال مزاح ما رأيت سفرة أيشم من هذه السفرة ولا عروس أيشم من هذه العروس وهذه النوبة مافيها إلا هلاك النفوس ثم أقبل مزاح على حريث وقال له : العزوبيه قتلتك حتى أوقعتنا فى هذه البليه فقال له حريث ويلك خلينا من هذا المزاح فى هذا الوقت فهم فى الكلام وإذا بالرجال قد أحدقت بهم من كل مكان ثم قالوا لهم من أين أنتم ومن أى العرب تكونوا والى أين أنتم طالبين فقال حريث وقد راعه ذلك العسكر العظيم ماهذا إلا يوم عبوس ثم تقدم الى أميرهم فعرفه وعرف جفال أمير بنى مخزيه فرمى نفسه بين يديه وقال يعز علينا ماجرى أيها الأمير على قومك وما كان هذا إلا لغيبتك فالحمد لله الذى نظرت الى طلعتك ولو كنت حاضرا كنت أول من بادر الى معاونتك وأنا خادمك حريث فقال له أبوك كان لى صديقا فقل لى عندك خبر من ملك العرب مروان ابن الهيثم فان فى قلبى منه النار وأريد أن آخذ منه التار (قال) فلما سمع حريث منه ذلك قال له ياملك ومروان بن الهيثم عظم عليه الهم وظهر لنا من هو أعظم منه همة وهو الصحصاح ابن جندبة الكلابى ومعه من الأموال ماقد سد الفضاء ومعه مسلمة بن عبد الملك بن مروان وهو الذى أباح دماء بنى مخزيه وعزل مروان ابن الهيثم وقدم الصحصاح وبئس ما قدم فأدركه قبل أن يصل الى بنى كلاب ويملك الأمارة على العرب وتأتيه الطلاب فقال جفال وا برداه على كبدى مما أصنع به أيها الأمير وأى وقت أجتمع وإياه وأريك ماأصنع به فقال له حريث يقبل عليك نصف الليل بما معه من الأموال والتحف فلما سمع جفال ذلك الكلام قال هلموا واقصدوا بنا نحو الغريم فقال حريث

أطلبهم قبل أن يصلوا إلى حلة بنى كلاب فقال الشيخ مزاح نعم يا قرنان لأجل لا تفوتك العروس وتظن أن الصحصاح قنع بالأموال وإنما من نصف الليل تمتع الصحصاح بالعروس ومن تلك الساعه قد أخرب السرايات وملك الحصون ولا تظن أن العروس قاعد ملك وأنه دخل عليها ومن موضعه ما برح غير أنه اصطبح بالعروس وإن كان الشوق غره وقد برح فارجع معهم فانك تربح قال جفال لحريث ايش معنى هذا الكلام قال له هذا شيخ أحمق ثم أعاد القصة من أولها إلى آخرها عليه وما فى الاعادة إفادة إلا الصلاة على النبي (يا ساده) فقال له جفال أبشر يا حريث فانها مردودة اليك أى ليلى وكلما وصل اليها من الصحصاح فهو لك (قال الراوى) فقبل حريث الأرض وبكى وتعلق بركاب جفال فأعطاه يده على ذلك وكان عملاق قد سمع بكاه فناداه بصوت مثل دوى الرعد القاصف يا هذا خل عنك البكا فانى أرد ليلى اليك هنالك تقدم حريث وقبل قدم العملاق فى الركاب وقد طار عقله من الفرح وقال ما للصحصاح إلا هذا البطل الجحجاح (قال الراوى) وتقدمت الأبطال وحريث يظن أنه قد بلغ المراد وأما الشيخ مزاح فانه قد أقبل على حريث وقال له اعلم يا مولاى أنى شيخ كبير وما بقالى جلد على القتال وقد عولت أن أمضى إلى الحى وأطيب قلوب الناس لأنك قد أبطأت عن الحلة ولا يعلمون ما كان منك وأنا رايح أعلمهم بصحة السلامة وسوف تعود اليك الغنيمه فقال له حريث لا وذمة العرب لاخليتك ترجع حتى تنظر ما أصنع بالصحصاح ومسلمه ولو كان عبد الملك بن مروان حاضر فيهم لحل به الذل والهوان قال فلم يقدر مزاح على مخالفة حريث (قال الراوى) ثم شالوا وساروا إلى وقت العصر فلما كان وقت العصر أشرفوا على عسكر الأمير مسلمه بن عبد الملك ابن مروان كما ذكرنا هنالك صاح حريث وصاحت بنى مخزية حالتارات الغضبان وشوم الزمان فعند ذلك ارتجت الأرض فى طولها والعرض وجرت السيوف الصقال ومدت الرماح الطوال وأوترت القسى واعتدلت السهام واقترب الحمام وصاح الفريقان ودنت الشجعان من الشجعان وأخذت العسكران الأهبة فى الميدان وأبصر مسلمه ذلك العسكر وهم خمسة وأربعين ألف مدرع ولابس وقد أحدقوا بهم كما يدور السواد فى بياض الحدق قال مسلمه يا ملك العرب ما أظن أن هؤلاء القوم يعرفونا فقال الصحصاح أنا أقول انهم من بنى مخزية وقد كان ملكهم تزوج فى بلاد اليمن وأنه وصل اليه ما جرى على قومه وأظن أن فاتك ملك اليمن قد أنجده بهذا العسكر وأيضا الأمير جفال موصوف عند الشجعان وقد كان عبدى نجاح يقول

يامولاى مالك شبيه إلا جفال أمير بنى مخزيه وأنا أشتهى أن التقى أنا وإياه فقال مسلمة اعلم ياصحصاح أنه لايحل لنا أن نقتل من يقول لا إله إلا الله إلا بعد الانذار فقال الصحصاح الأمر لله ولك ولكن ما عندى غير الحملة عليهم وأيضا الأذية لهم ثم ان مسلمة أرسل اليهم رجل من أهل الشام يقال له الصامت مجاهد وكان مؤدبا بالزمان يصلح للرسائل والانذار والاعلام بين القبائل وقال له اذهب الى هؤلاء وقل لهم ان هذا ولى عهد أمير المؤمنين وولده إمام المسلمين يسأل عنكم وأين أنتم ذاهبين ومن أين جئتم والى أين تريدون أخبرونا وأوجزونا فان معى قوم من عسكر أمير المؤمنين لايخافون من كثرة الأمم كما لايخاف الذئب من الغنم وما هو إلا ملك عظيم ولربما يرميكم بجمرة من ناره وقطرة من بحاره فتصبحوا اعامدين وفى قاع الصحصاح خاسرين ولا ينزعجون عند كثرة المواقع فبادروا اليه بالطاعة أحب اليكم من الهلاك بالسيوف القواطع . وقد قال بعضهم : ٭ وتضرب أرقاب الرجال المطامع ٭ وان أنتم بيتم فدونكم والقتال ودنو الآجال قال فمضى الرسول وأعاد ماسمعه عليهم وكان المخاطب له جفال فصاح عليه بعد أن سمع الكلام وقال له لولا انك رسول لقطعت رأسك بهذا السيف ارجع الى مسلمة وقل له ان كان أبوك حلف أنه مايترك من بنى مخزيه أحد فأنا أقسم بذمة العرب وشهر رجب والرب الذى اذا طلب كل عباد غلب لاتركت من بنى أمية أحد ومن بعده صاح عليه حريث وقال له ياويلكم أنتم ظننتم أنكم تخرجوا الى أرض الحجاز سالمين لا ورب العالمين (قال الراوى) ورجع الرسول إلى الأمير مسلمة وأخبره فغضب وأمر بضرب الكاسات ونعر البوقات فصاح عملاق وجفال واشتد القتال بالسيف الفصال طول النهار وما فصل إلا الظلام . هذا وقد طمعت العرب فى الأموال وكان الصحصاح قد قاتل قتال يقصر عن وصفه اللسان . فلما نظر مسلمة إلى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال ياملك العرب اعلم أن هذا عسكر كبير ونحن فى أرض الحجاز وسوف يأتى الينا كل قاطع طريق فيحتاج تبعت عبدك نجاح الى حى بنى كلاب يأتى بهم الينا يكون ذلك أصوب فقال الصحصاح أيها الأمير سوف ترى فى غداة غد مايسرك إن شاء الله تعالى ولا تحتاج إلى بنى كلاب ولا الى غيرهم (قال الراوى) ولما أصبح الصباح واصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف ولمعت السيوف وهمت الرجال أن تحمل واذا بفارس ظهر بين الصفين ولعب بالرمح بين الفريقين وكان عليه درع مضايق العدد كأنه عيون الجرد لا يعمل فيه السيف المهند معتقل برمح وعليه سنان كأنه كوكب أو نار ذات لهب ثم انه نادى

بصوت يسمعه القريب والبعيد من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا الصحصاح ابن جندبة الكلابى ملك العرب ومن حوى الرتب وقاتل أبطال بنى مخزيه فما لجفال تار إلا عندى فان قتلنى فقد خلصتم من القتل ويظفر بما طلب من التار وكشف العار وان أنا قتلته فقد ألحقته ببنى مخزيه ومع ذلك ان لم ينزل لى جفال فأنا أحمل عليكم أنا ومن معى حملة واحدة وقد أصبحت الدنيا منكم خامدة وبعد ذلك أنشد يقول :

فوحق من بعث النبي محمدا ... بالحق والقول الصحيح الأفصح
انى لاخلى الارض حتى لا أرى ... منهم لئيم من رجال الاوضحى
أبناء مخزية الكلاب ومنهم ... خانوا الصديق من السلال الاوضح

(قال الراوى) لذلك الكلام هنالك برز جفال وقد زال عنه السعد وأتاه الوبال وهو على جواد عالى من الخيل الجياد أدهم أسود بغرة كالدرهم مليح الخطره وعليه درع مانع ومتقلد بسيف قاطع وصال وجال وطلب القتال والنزال (قال الراوى) فحمل عليه الصحصاح فكانا كأنهما أسدين زائرين أو كبشين متناطحين أو بحرين متلاطمين وتطاعنا بالرمحين حتى شهدت لهم بالشجاعة الفريقين ولم يزالا فى قتال ونزال حتى حارت عقول أولى الالباب من الشيوخ والشباب (قال الراوى) فاختلفت بينهما ضربتان قاطعتان صائبتان كان السابق بالطعنة جفال فوثب الصحصاح فصار على وجه الارض وضيع الطعنه بالعرض ثم وثب الى حصانه عجلا وأوسع فى مجاله وعاد مصمما وطعن جفال فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره هنالك زعقت الابطال وهمهمت الاقيال وجرى الدم وسال ولما نظرت بنى مخزيه الى أميرهم وقد وقع على وجه الصحصاح أطلقت الاعنه وقومت الاسنه وحملت فعندها أشار مسلمه الى عسكره فحملت وتواثبوا الشجعان وجرى الدم وسال وساءت الاحوال وصارت الجماجم للخيل نعال وتولت السيوف على الاعناق الطوال وعملت مالم تعمله الصواعق وذهب المزاح وظهرت الحقايق ولم يبق الا صاحب قلب خافق وأظلمت المغارب والمشارق وعجل كل من كان بشجاعته واثق فيالها من ساعة قطعت فيها الايدى وأوصالها وحملت فى الآلاف وصالها (قال الراوى) فلما الليل أقبل والظلام انسدل افترق الجيشان وتحارس الفريقان وعاد كل منهم الى مكانه وقد قتل منهم خلق كثير لا يعلم عددهم الا الله تعالى اللطيف الخبير فلما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح وذكرت قامة سيدنا محمد زين الملاح فنادوا الناس من بعد صلاة الفجر الى ركوب

الخيل ثم اصطفت الصفوف والمواكب وهمت الكتائب أن تحمل على الكتائب وإذا بفارس قد طلع من العسكر كبير كأنه البعير والزبد على أشداقه يطير ومن عيناه يقدح الشرر وفى يده صاعقة للأسماء ماحقة وهو على جواد عالى من الخيل الجياد منسبل الذيل غليظ القوائم كأنه الدعائم مصادم الخيل الصدائم كأنه الرعد القاصف أو الريح العاصف والعسكرين قد ذهلوا من عظيم شكله وانهم ما رأوا مثله ثم انه قال يا معاشر العربان من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى ما بى خفى أنا العملاق أنا الذى للرجال محاق أنا المسمى فاتك وسيد الأبطال فى المعارك وقاتل الفرسان وقائد العساكر من اليمن على نية الغزو الى بلاد الشام وأقلع دولة بنى أمية من مرتبة الاحترام حتى لا يبقى فى الأرض الا فاتك ومن لا يطيعه أصبح هالك ثم نادى أين الصحصاح فقد أعجبنى البارحه طعناته بالرمح فليخرج إلىّ بمائة من الأبطال لأنه ما هو من رجالى أن يبرز لى وحده فلما نزل وهم بالنزول اليه فتعلق به مسلمه وقبض عليه وقال من هذا العبد ولد الزنا وتربية الخنا أن يبرز مثلك اليه وقد قيل فى المثل الحرب سجال يوم لك ويوم عليك ومن ظن أنه يصيب ولا يصاب فقد ظن عجز ثم نادى مسلمه فى عساكر الشام واحد يخرج لهذا العبد ولد الزنا هنالك خرج اليه فارس فى الحديد غاطس كبير الهامه عظيم القامه ثم انه حمل عليه فلم يطل بينهم المطال حتى صاح به عملاق ثم انه قاربه وضربه بالسيف على هامته طلع يلمع من نصف قامته فخرج اليه أخو المقتول فقتله والثالث فجندله والرابع ما أمهله هنالك وقفت الناس عن قتاله خوفا ورعبا وان حريث نادى برفيع صوته ما بال الصحصاح لم ينزل إلى هذا الفارس الجحجاح حتى يتركه مرمى على البطاح (قال الراوى) يا ساده يا كرام فما فرغ حريث من كلامه حتى خرج اليه الصحصاح من غير اذن مسلمه وهو راكب على فرس أبوه مزنه وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

دونك يا عملاق والقتال ودونك الطعن فى المجال
فالأسد ما تستعظم الجمال وإنما تستعظم الأبطال

(قال الراوى) وان عملاق صاح فى حصانه فخرج من تحته كالبرق الخاطف أو الريح العاصف وصاح بصوت كالحمار إذا نهق وصرخ وزعق وعلى الصحصاح انطبق فقال له الصحصاح ويلك النهيق للحمير فدونك القرب والثبات فقد طاب الممات ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فكانا كأنهما بحرين التطما أو جبلين

اصطدما وعلا الغبار عليهما وغاب عن الأبصار وعليت صرخات عملاق وهى تسمع من تحت العجاج وقد تطاولت اليهما الأعناق وانفتحت اليهما الأحداق هذا ومسلمه قد وقع فيه القلق خوفا على الصحصاح وقال والله ما هو صواب أن نتخلى عن ملك العرب وهو فى مقام الخطر مع هذا الجبار وقالوا له جميع العساكر يا مولانا ملك العرب بأرواحنا نفديه فان أمرتنا بالجملة حملنا كلنا وإلى عنده وصلنا قبل أن يقع فيه أمر من الأمور فهو بالحمله وإذا بغبار قد انكشف وخرج من تحته جواده وصاحبه قدوقع وهو كأنه نخلة انحدرت من الجبال فلم يبق أحد من العسكر إلا وقد انحدر خوفا على صاحبه من تلك الفعال فتبينوا الناس المقتول وإذا هو عملاق على الأرض مجزول وإذا بالصحصاح وقد خرج على مزنه وهو مبتسم وسيفه يقطر الدم وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

ما زلت فى يوم الهياج مقدما وعلى أبناء القتال مصمماً
شهدت لى الأبطال فى يوم الوغا أنى مقدمها إذا جرى الدما
ألحقت عملاق بجفال كما نادى حريث لم أكن مقدما
لو أنهم عدد النجوم تركتهم فى القاع طمعاً للسباع وأعظما

(قال الراوى) فلما نظر مسلمه إلى عملاق جديل فرح فرحا شديداً وأمر بالجملة فحملوا فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من المزاح فانه أتى إلى حريث وقال له يا قرنان ويلك قد صارت ليلى أرملة إن كنت تريد أن تخطبها فقم اليها وإن العرب لما قتل عملاق وعامر بن الملقب بجفال بقيت مثل الغنم بلا راعى فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وانهزم حريث مع بنى كنده والمزاح يقول لحريث أمهل يا قرنان فلا زلت تطمع فى ليلى حتى تهلكنا وتهلك هذا العسكر الذى ألفتك وصارت العسكر تنهب بنى كنده وقالوا ماهان علينا فى المجىء ههنا والمزاح يقول يا قرنان هذا أيضا من بقية الذى لليلى علينا وميا لنا ألا نمضى إلى مروان بن الهيثم ونخدمه على خراب بيته لعل ليلة تحصل لك فضحك حريث من الغم الذى هو فيه وهو ماشى عريان هو وأصحابه كذلك وهم من حوله مشاة ومزاح فى أوائلهم وهو يضحك ويتمسخر على حريث وينشد ويقول

أقسمت بالمهيمن الرحمن أن الزواج أفسد الانسان
بلية الرجال فى النسوان ولكننا فى قبضة الخذلان
ما بين مصروع إلى عريان من أجل ليلى أخذوا حصانى

وعدت فى ثوب من الهوان لا يبتلى المؤمن يا إخوانى
فى موضعين فاعرفوا بيانى فأدرجن عهدها يرانى
فاننى نســـل بنى الزوانى يكفينى الصك الذى لهانى
فلست أنساه إلى الأكفان شيخ لئيم داهى الجنان
أمشى على رجلى فى القيعانى جدوابنا الآن بلا توانى
واقصروا من طلب الغزلان فليس الريح كالخسران
وكل يوم نحن فى خسران إن عدتموه يوما إلى الطعان
وعدت معكم فاعرفوا أذانى رضيت من ربى بما عطانى
من زوجتى سلما ومن إخوانى ولست كالصحصاح فى زمانى

(قال الراوى) فلما سمعت بنى كندة كلامه ضحكوا حتى انقلبوا مما سمعوا من كلامه وأما حريث فانه أضمر إذا وصل إلى الحجاز يضرب رقبته هذا ما جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من ملك العرب الصحصاح فانه لما نصره الله على عملاق وجفال وانهزمت العربان إلى كل مكان وغنموا الناس أموالهم وجميع ما كان معهم وعظم الصحصاح فى عين مسلمه فقال له حقيقاً ملكت العرب بسيفك وشجاعتك فقال الصحصاح هذا كله ببركتك وموالاتك لى فى الابتداء والانتهاء فلا عدمتك من صديق ولا عدمت همتك العالية وأقاموا العساكر بقية يومهم للراحة وأصبحوا راحلين وما لهم حديث إلا فى الصحصاح وكيف قتل جفال والعملاق وكيف نصره الله وساروا طالبين أرض بنى كلاب فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من حديث أم الصحصاح فانها كانت كثيرة البكاء دائمة الاشتكا وقد أيست من الحياة وكان ذلك اليوم عطاف راحل إلى بنى كندة لأجل العرس لحريث فلما سمعت بذلك ازداد همها وكثر غمها وعظم بكاها ونداها وصارت تقول يا بنى هذا عطاف سائر الى زفاف ليلى وأمك تبكى وتتقلا ثم أنشأت وحنت وبكت وجعلت تقول

الخيــل تسرح للرحيل وتلجم والنار فى كبـدى لذلك تضرم
يا واحدى عظم المصاب وخاننى جلدى ودمعى قد جرى مثل الدم
أتراك يا ولدى فديتك سالما أم أنت فى دار المهالك مخيم
أو أنت من بين الورى مجندلا بين الربايا واحدى أو مغرم
لم يبق لى صبر وقد شاع الذى قد كنت من قبل المصيبة أكتم

جهدى أنوح عليك ما طال المدى ... وأدق صدرى للفراق وألطم
يا غائبا جوا الفؤاد مغيبا ... قل لى بحقك هل تعود وتقدم
أحمامة الوادى بحقك خبرى ... ولدى بحالى انه لايعلم
ان كان يفهم مايقول الطير فى ... وكره فنوحي بقصتى وترنمى
صم الصخور لانت لوجدى والأسى ... لمصيبتى وأنت لى لم ترحم
أغراب كم تأتى الربوع مناديا ... بفراقهم وبجمعهم لا تعلم
أترى يعود الدهر يجمع بيننا ... ونلذ فى دار السرور وننعم
أتراك ياصحصاح تقدم سالما ... فيسر منا ثا كلا ومتيم

(قال الراوى) فوالله لقد كان هذا البيت الأخير من أعجب الحديث لأنها ما فرغت من هذا البيت إلا وقد صاح صايح : الخيل الخيل يابنى كلاب قدأقبلت عليكم عساكر سدت الفضا وملأت المستوى ولم نعلم ماهى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن مسلمة أقبل على الصحصاح وقال له ياملك العرب الصواب عندى أن تسبقنا الخيل والفراشين يضربون المضارب والسرادقات فقال له الصحصاح الأمر أمرك ياملك الزمان فأمر النجابة والخيانة وأربعمائة حصان بمراكب الذهب والفضة وعليها الأعلام المذهبة حتى تذهل منها بنى كلاب فاذا نزلوا وقربوا منهم يضربون الغلمان فى وجوه خيولهم فيكون ذلك أعظم هيبة فى قلوبهم ويرون خلاف ما كانوا يعهدون منك فان الملك يحتاج الى سياسة فقال الصحصاح لاعدمتك من مشير (قال الراوى) فبينما بنى كلاب على غفلة منهم إذ وصلوا الخدم والفراشين والحجاب فنصبوا الخيام والقباب ونصبوا بينهم السرادق الأحمر المرصع بالجوهر فعاينت العرب ذلك فانذهلت عقولها فقال عطاف ويلكم أنتم منا فى مكم هذه خيام الجنان الموصوفة فى القرآن وهذه الغلمان لاشك أنهم الولدان ياويلكم اسألوا عن من نزل بهذا المكان فتبادرت الشيوخ منهم وقالوا حيا الله الأمراء والسادات الكرام فصاحت الغلمان عليهم ياويلكم ما أعمى قلوبكم أما وصلت اليكم الأخبار والأقطار بأن هذا ملك العرب العربا شرقا وغربا المقدم على الأمم من العرب والعجم هذا الصحصاح بن جندبة بن الحارث الكلابى أشجع الشجعان وعقدة سلاطين الزمان فلما سمعوا بنى كلاب ذلك تحيروا ورجعوا الى عطاف وأخبروه بما سمعوه فقال لهم ياويلكم لعل الاسم يكون قد وافق اسمه اسم الصحصاح بن جندبة فلو كان حياً ما طمع فينا أحد فوا أسفاه على الصحصاح وا لهفاه عليه فوالله لا تزول عنى صورته لا فى المساء ولا فى الصباح

والناس فى الأسماء مشتركين ثم رجعوا اليهم وقالوا لهم كيف نزل ملك العرب فى هذه الحلة وكيف قصدها من دون الحلل نحن كنا أولى بالمشى الى خدمته فأجابتهم الخدم : ياويلكم ألم نقل لكم انه الصحصاح بن جندبة الكلابى وقد أتى ابن الخليفة أمير المؤمنين فى خدمته ليحضر عرس ابنة عمه ليلى فلما سمعوا ذلك رجعوا وهم مستبشرين وقالوا لقد عاد الملك فى بنى كلاب دون غيرهم من الأعراب وكثر رزق الصحصاح بعد فقره (قال الراوى) فلما أخبروا عطاف بذلك ترجل وقبل الأرض شكرا لله تعالى إلا انه قد تغير وقال لقومه كيف يكون حالة الصحصاح اذا سألنا عن زوجته وابنة عمه ليلى وكيف نرد جوابه اذا سألنا نقول له اننا زوجناها ومن الحى أخرجناها ولكن عذرنا واضح لأنه قد انقطعت أخباره عنا وعدمت آثاره منا ونزل بنا القتل والبلا الذى لم ينزل على أحد وقد يكفر الانسان من خوف السيف ثم بادر عطاف بنفسه الى الخدم والحجاب وسألهم عن خبر الصحصاح فأخبروه عن جميع ما سألهم وما وصل اليه من الملك والنعمة فقال الحمد لله على نعمه وإحسانه وجوده وامتنانه ولكن ما نقول للصحصاح فى ابنة عمه ليلى وانها ما قد تزوجت إلا قهرا وزوجتها وأنا تحت السيف ورحلت من هذه الحلة الى حلة أخرى وهى باكية العين فقالوا الخدم أليس تقول فى ابنة عمه ليلى قال نعم فقالوا له انه قد لقيها فى طريقه وخلصها وأخذها من حريث وأعادوا عليه القصة من أولها الى آخرها فوقع مغشيا عليه ثم أفاق وقد انشرح صدره وصار يتعجب من هذا الحديث العجب الذى يجب أن يكتب بماء الذهب وأيضا حدثوه بما قتل وما أسر وما فعل وكيف قتل جفال وعملاق وكيف كسر فى ساعة واحدة خمسة وسبعين ألف فارس وقوم حريث وبنى كنده وبنى مخزيه وعساكر اليمن وأوباش العربان ففرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد ورجع إلى بيته وأخبر زوجته برجوع ابنتها وجميع ما كان معها من الهدايا والتحف فحمدت الله تعالى على ذاك وقالت ما بقى الآن إلا عتب الصحصاح علينا ولكن العذر واضح (قال الراوى) ووصلت العساكر والرايات والأعلام ودقت الكاسات وزعقت البوقات وماجت الدنيا بأهلها وسهلها ووعرها وخرجت نسوان بنى كلاب والأطفال والبنات وكلهم عطاف وبنى كلاب أن يبرزوا الى اللقاء فتمنعهم الخدم وتضرب رؤوس خيولهم فقال عطاف لقومه إن كان النادم الصحصاح فما نلقى منه خيرا لأنه غضبان علينا وربما يوصل الأذية الينا ولكن الحمد لله على لم الشمل ولو فعل بنا مافعل (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك إلى أن وصل الموكب الكبير الذى

فيه الصحصاح ومسلمة وهم فى ذلك الملك العظيم فصاحت الخدم ببنى كلاب وعطاف ترجلوا عن الخيل فقد وصل ملك العرب واسعوا اليه مشاة فسمعوا وترجلوا فلما رآهم الأمير مسلمة قال ياملك العرب . هذا عمك عطاف قد أقبل فى قومه ولابد أن يقبل الأرض بين يديك حتى تقع الهيبة فى قلوب العرب فان الملك يحتاج الى السياسة لأن فيهم من ربيت أنت وإياه وفيهم من رافقته وهو يراك بعين النقص فاذا فعلت بهم هكذا صرت كأنهم لم يروك إلا فى هذه الحالة لأجل الهيبة التى تقع لك فى قلوبهم والثانى يعلموا أنك عاتب عليهم بما فعلوا ولو لم يتفق هذا الاتفاق لك ووافق طريق ابنة عمك فى طريقك ولقيتها وإلا كان حسرتها تدوم فى قلبك فقال الصحصاح يامولاى لاعدمت هذا الاتفاق والهمة ثم وصل عطاف وبنى كلاب فصاحت فيهم الحجاب الأرض فوقعوا الكل على وجوههم يقبلون الأرض والصحصاح معرض عنهم غير أنه قال (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ) وقد وقفوا بعد تقبيل الأرض فصاحت فيهم الخدم ارجعوا يابنى كلاب إلى بيوتكم لايحضر أحد منكم إلا باذن ملك العرب وإلا تعطبوا غاية العطب (قال الراوى) فرجعوا الناس وقد ملئوا خوفا ورعباً . هذا جرى هنا وقد وصلت العماريات والقباب والرصافيات التى فيها ليلى وضربت لها الخيمة التى كانت لمروة وسى بأهلة الذهب والبساط الأحمر وفرش الابريسم المصور وسأل عطاف عن تلك الخيمة فقالوا الخدم هذه للملكة ليلى بنت عطاف فقال سبحان الذى أعطاها هذه النعمة ولكن أقول أرسل زوجتى إلى ليلى فى نسوان الحى تقول لها يابنتى لقد علمت كيف كان السبب فى ذلك الأمر الذى جرى علينا وأن أمها وصلت مع النسوان إلى سرادقات ليلى فقالوا لها الخدم اصبرى حتى نأخذ لكم الإذن من مولاتنا ثم دخلوا الخدم وأخذوا الاذن وخرجوا وهم ينادون قد أذنت لكم الملكة بدخولكم (قال الراوى) فدخلوا على ليلى وهم فى تلك الخدم والنعمة وعليها بدلة من الجوهر واليواقيت وقد أشرق السرادق من نورها فذهلت النسوان مما وصل اليها من الخيرات والنعم والغبطة والسرور وجمعها بابن عمها (قال الراوى) فبكت ليلى وقالت الحمد لله الذى تفضل وأجاد وساق لنا هذه النعمة على رغم العدا والحساد وملكنا البلاد والعباد ثم انها أنشأت وجعلت تقول :

أنسيتموا وضعى إلى الأعداء ... وتذللى وتململى وبكائى
وتقلقلى وتلهفى بدنوهم ... وتحرقى وتشرقى بالماء
وأبى يسلمنى إلى أعدائه ... تبا له من سائر الآباء

دفع البنات بلا نكاح صادق ولسيما هذا الى الأعداء
ضرب الرقاب على الأكابرهين من دفع محصنة الى الأعداء

(قال الراوى لذلك الكلام) فلما سمعت أمها منها ذلك الكلام قالت لها يا ابنتى قد علمت ما حل بنا وما وصل الينا ولولاك ما سلم أبوك فاجعلى شكر ما وصل اليك إلى اصلاح ما وصل الينا واصلاح أبوك مع ملك العرب فقالت والله يا أمى مالى قدرة على مخاطبته لأجل الهيبة التى له فى قلبى وما هو كما أعهده ووالله اننى أشتهى إصلاح نوبة أبى معه وإن كان أخذ على خاطره منكم فلا يبقى منكم ديار ولانافخ نار فقالت لها أمها ياليلى إن لم يكن ذلك على يديك وإلا من يصل اليه أو يكلمه أويخاطبه فقالت لهم ليلى عليكم بأمه ادخلوا عليها فانكم إذا دخلتم عليها قضيت حاجتكم على يديها وحق الوالدة لاينسى وهى عنده أجل وأسنى (قال الراوى) وأن أم ليلى خرجت ومن معها من نسوان الحى وهى تتعثر فى أذيالها حتى وصلت الى عند بعلها عطاف وأخبرته بذلك وبما جرى فازداد به المحاق وقال أنا أسيرالى أم الصحصاح وأسألها العفو والاصلاح ثم انه سار الى موضعها فلم يجدها (ياسادة يا كرام) وكان سبب غيبتها أنها لما سمعت برواح عطاف إلى ليلى لأجل زفافها على (حريث) فتجددت أحزانها وهاجت نيرانها فخرجت على وجهها الى قبر جندبة وبعد خروجها وصلت طلائع عسكر الصحصاح وقد انقلبت بهم الأرض والبطاح وهى لاتعلم ما فى الدنيا ولا تظن إلا أن عطاف يريد الرحيل الى بنى كنده (قال الراوى) فهى كذلك فى تعديدها واذا بعطاف قد وصل اليها ودخل عليها وسمعها وهى تقول هذه الأبيات :

عز االمصاب فما المصاب قليل فعليك أبكى دوماً دماً مهطول
فما طال ما تجرى دموعى أعينا ويذوب جسمى رقة ونحول
ياغصن بان قد دوت حركاته يانجم زاهر قد عراه أفول
لوكان هذا الموت شيء يفتدى وله حسام للقا مسلول
ا فدتك ياصحصاح أبناء الورى ومضى الحمام وسيفه مفلول
ـكن قضى الرحمن ليس يرده بطل بحد المشرفى ويصول
لـكن لنا فيه أسوة بمحمد وهو الذى للعالمين رسول

قال الراوى) رحمه الله تعالى فقال عطاف سبحان من جاد بالألطاف وأعطاك فوق هذه الأوصاف أبشرى ياوالده بالولد بقدرة الفرد الصمد فقد قدم الصحصاح

ومن خوله جنائب النجاح وهو اليوم ملك العرب والسودان وملك الأموال والأرواح وقد أخذ ابنة عمه من الطريق وزال غنه الهم والتعويق وقارنه السعد والتوفيق وقد قدمت عليك وشكوت حالى اليك أن تكونى سبب الاصلاح بيننا وبين الصحصاح . ثم حدثها بحديثه وما جرى له مع غانم فلما سمعت كلامه اتسع صدرها وانشرح وكادت روحها تزهق من الفرح ثم قالت ايها السيد مثلك من يحتاج الى شفاعة مثلى ونحن تربية بيتك وتحت أمرك وانك لو لم تكن مقهور وفى يد حريث مأسور ما كنت فعلت هذه الأمور فهل يامولاى صح عندك هذا الخبر وان ولدى الصحصاح قد ظهر فقال نعم قد ظهر وهذه الخيمة خيمته وهذه الجيوش جيوشه وهذه العساكر عساكره ونجاح مقدمه وصحبته الأمير مسلمة ابن أمير المؤمنين فلما سمعت أم الصحصاح ذلك غشى عليها ساعة زمانية ثم أفاقت وعقلها مذهول فأنشأت وجعلت تقول :

إذا كان صدقا ما تقول البشائر ... فهل هو اعلاما أم الظن زاجر
تبشر بالصحصاح ياصاح معلنا ... بأن له دون الأنام مآثر
وقدعاد من ارض الحجاز بجحفل ... هو البحر لادونه للبحر زاخر
وقدحاز ملكا يعجز الوصف شرحه ... وخيل جمال دونه ثم عسكر
وقدحل وادى الشعب فى خير طالع ... وصادف ليلى فهو للكسر جابر
وخلصها من آل كندة بعدما ... أغاروا عليها غائر ومغادر

(قال الراوى) فتعجب عطاف من نظمها ونثرها وشرح لها القصة التى جرت للصحصاح فى طريقه ثم قالت ياعطاف بالله هذا منام أم يقظة بأن ولدى وصل الى هذا المقام فأخذ بيدها وسار الى سرادق ليلى وعاينت ذلك الملك العظيم فلما نظرتها ليلى قامت لها إجلالا وقبلت رأسها ويدها وقالت يهنيكى قدوم ولدك بالسلامة فقالت أين هو ولدى الصحصاح قالت هو فى السرادق الأكبر الذى فيه العساكر وحوله الأمم ولكن حتى يأتى إلى ههنا وتكونى لأبى عطاف شافعه وقد بلغ المنى فقالت لا والله ياليلى مابقى لى صبر ولا جلد ولا قرار وقد دنت الديار من الديار ثم خرجت طالبة سرادق الصحصاح وهو جالس على سرير من الذهب والأمير مسلمة إلى جانبه وهما كأنهما قمرين طالعين والناس قيام وهم صفوف صفوف وبأيديهم الأعمدة والسيوف فأخرقت أم الصحصاح للمواكب والكتائب إلى أن دنت من السرادق كأنها يعقوب زمانها حين رأى سيدنا يوسف ولده عليهما

السلام فى أرض مصر وجعلت تصتصبح الوجوه والاحداق وتطلب مايسكن الألم الذى بقلبها من الفراق وحلاوة التلاق حتى وقعت عينها عليه أى على ولدها الصحصاح ومسلمة بجانبه فصرخت ولم تطق الصبر فصاحوا عليها الخدام ارجعى فلم ترجع بل تقدمت الى قدام ودموعها سجام وهى تبكى وتنشد وتقول :

يا عازلى كف العزل كفى بقلبى ماحمل لم أطق الصبر على
مابى ولو كان جبل دعنى فان الوجد إن زاد على مابى قتل
والدمع من فرح السرور من فوق خدى قد هطل
أملت ذى اليوم وقد واليوم قد صح الأمل

(قال الراوى) ثم صارت تدفع للناس فى صدورهم وهى تتقدم فوقعت عين الصحصاح عليها وكذلك مسلمة التفت إلى الصحصاح لينااله فوجد دموعه قد انحل نظامها وجرت سحائب سجامها فقال له مسلمه ما الذى أبكاك ياملك العرب لا أبكى الله لك عينا فقال يامولاى هذه والدتى وأنا أعلم ماجرى عليها من فقدى ومن بعدى وأريد أحلى ناموس الملك وأنهض اليها فقال له مسلمة اصبر تنال المراد وأشار إلى الخدم أن يوسعوا لها فتواثبت اليها وقبلوا ايديها وصعدوا بها إلى أن وصلت إلى الصحصاح فوثب مسلمة قائما والصحصاح معه والعجوزة تنادى وتعلن بالصياح وتقول أنت الصحاح فيقول لها نعم أنا الصحصاح وقد فتح الله لى باب النجاح والفلاح قال فلما تحققته انكبت عليه واعتنقته فلما صار بعضهما عالق ببعض واقعا اثنينهما على وجه الارض وهما يبكيان وكذلك الأمير مسلمه بقت دموعه منسجمة وما بقى أحدا من الذين هناك إلى وبكا على حرقتهما من كثرة مارأوا من وجدهما وتلهفهما فلما أفاقت من غشوتها أنشدت تقول هذه الأبيات :

لاحت بشائر فرحتى وفلاحى لما نظرت لغرة الصحصاح
وجعلت ألثمه وقد جعل البكا من شدة الفرح الشديد يباح
ورأيت مسلمة الأمير وإنه لمصالح الأحوال فى إصلاح
نجل الخليفة وابن مروان الذى أنوار غرته كضوء صباح
يعطيك ربى ماترجوه من المنا بدوام عز دائما وفلاح

(قال الراوى) فلما سمع الأمير مسلمة نظامها شكرها على حسن كلامها وقال لها أبشرى ياوالده بهذا الملك العظيم وقد قدم ولدك خير مقدم ثم ان الصحصاح بعد ذلك أمرها بالدخول إلى الخيمه التى فى صد السرادق لتستتر عن أعين الخلائق فعند ذلك أخذها الصحصاح بيده ومضى بها الى الخيمة ودخل معها فسمعه مسلمة وهو

يقول لها يا أماه ما وصل إلىّ هذا الملك والجاه الذى أعطانى إياه ربى إلى كله ببركة دعاك لى والحمدلله على لقاك قال فلما سمع مسلمة مقاله علم أن طاعة الوالدين تقضى إلى قرة العين (ياساده) ثم إن الصحصاح سأل أمه عن البازين وعن حالهم وعما فعل الله بهم فقالت له يابنى على وصف السلامة وبالله أقسم لما ملكت بنى كندة الحلة وأنزلوا بكل من فيها الذلة ما كان لى همة غيرهم عن عين كل أحد أخفيتهما وإنى رأيتهما وهى قد وقع ريشهما وبقوا لحم أحمر ثم عاد طلع لهما ريش أحسن من الأول وأكثر وأطول وهما عندى الآن فى أحسن حال قال فلما سمع كلامها قبل الأرض شكرا لله تعالى ثم انه خرج من عندها إلى عند الأمير مسلمة فقام له قائما هو ومن معه ثم إن الصحصاح قال لعبده نجاح اركب وأتنى بالبازان بسرعة فقال سمعا وطاعة وخرج نجاح فى خمسه من المماليك والنقباء والأمراء يمشون فى خدمته إلى أن وصل الأبيات وأخذ البازان منها وأتى بها إلى الصحصاح فسلمهما إلى ابن الخليفة فلما رآهما هلل وكبر لله تعالى ورآهما قد تغير ريشهما وطلع لهما ريش آخر أحسن من الأول والدرتان ما تغير عليهما شىء وهما فى غاية الحسن (قال الراوى) ففرح مسلمة بذلك حتى كاد عقلة أن يذهب وقال سبحان الله الذى جعلك فرجا لأمير المؤمنين قال ولما أتى الليل جلس مسلمة والصحصاح على مائدة الطعام وقد مدت لهم الخدم موائد الاحسان وأطعمة تشفى الأبدان وأقبل مسلمة على أم الصحصاح وقال لها ياملكة العرب تقدمى معنى على الطعــام وكلى لما يشفى الكبد ويبرى الخفقان فقالت ما آكل حتى تقضوا حاجتى فقال لها مسلمة حاجتك مقضيه وحق رب البرية فما حاجتك فقالت ياصحصاح غا الذى منعك أن تدع عمك يسلم عليك فقد قبلت الدخول وتولك عندنا مسموع فانه معذور إن كان لأجل ليلى لا يلومه إلا كل طلوم لأن حريث أسره رأسر قومه وأشرفوا على الهلاك وسوء الارتباك فقــال لها مسلمة أيتها الملكه إنه لدينا مكين أمين ولكن له أسوة بملوك العرب إذا وصلت الينا نفضله عليهم (قال الراوى) فقدموا موائد الطعام صنوان وغير صنوان لا نعرفه ولاشىء لانقدر نصفه وهى تأكل وتبلع ولا تكاد أن تشبع وكانت المائدم عليها أربعون زبديه من الفضة والذهب والبلخش والعقيق وان أم الصحصاح أكلت واكتفت وقبلت شفاعة عطاف وفرحت وانصرفت (قال الراوى) ثم أن الأمــير مسلمة أحضر الكتبة وأمرهم أن يكتبوا مراسيم إلى سائر الأقطار وأول ما كتب إلى مروان بن الهيثم كتاب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) وبه نستعين ولا عدوان إلا على

الظالمين هذا كتاب من عبد الله مسلمه عمدة الدين وولى عهد أمير المؤمنين عبدالله بن مروان خليفة العصر والزمان الى مروان بن الهيثم أدام الله تمكينه وجعل السعد والتوفيق قرينه ان ملك العرب وسيد المناصب والرتب الذى اختصه أمير المؤمنين وأصبح لديه مقرباً ولجميع العرب حاكما لا يخرج عن حكمه أحدا فيكون ذلك لخراب دياره سبباً إلى حد البحرين والشام والعراق وأرض الحجاز أجمع ولكل من ضرب فى البيدا وتداو فى البلقع وكل ذلك لما عرف من كفايته وحسن سيرته ولجميل درايته وكريم عنصره وطيب خلقه وأوصاه أن يلبس ويلبس وفى كتاب أمير المؤمنين مايغنى عن شرح الولاية فساعة وقوفك على هذا الكتاب الموصوف لا يكون جوابك الا الركوب والعودة الى الطاعه ووطىء البساط وقد أنذر من حذر وأعذر من أنذر وقد كتبنا الى سائر الملوك بالحضور ولكن تكون أنت أول قادم فان الاكرام للسابق والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردا وأطاع الملك الأعلى ثم طوى الكتاب أوعطاه الى النجاب وأرسل سائر الكتب الى سائر الناس على قدر مراتبهم وساروا بهم النجابة الى سائر المحلات (قال الراوى) وان النجاب الأول وصل الى مروان بن الهيثم فاستقبله حسن استقبال وأمر أن يفردوا له بيت ونقل اليه جميع ما يحتاج من طعام وشراب وفراش (يا سادة يا كرام) وان مروان أخذ الكتاب وجمع جميع بنى عمه وقبيلته وسائر من يلوذ به ووجوه عشيرته وقال لهم اسمعوا ما فى هذا الكتاب وددوا علىّ الجواب فلما قرأ عليهم الكتاب قالوا له أيها الملك المطاع والقرم المناع منك الأمر ومنك الطاعة وما منا الا من يقاتل حتى يقتل وأنت تعلم أن الملك ماكان من قديم الزمان الا فى بنى سليم الكاشفين الضر والضيم وبعد فقد جاء الخليفة فى هذا الأمر بشىء لم يكن فى الفكر ولا تطيعه وتعصيه فى الأمر والفعل وان غدر بنا فنحن نحاربه فقام له من بينهم رجل يقال له صفوان بن دغفل وقال يا ملك العرب اعلم أن مثلك يقول لنا هذا القول المنكر وأنت تعلم أن العذل هو الموت الأحمر ثم أنشد وجعل يقول هذه الآبيات

أمروان ان العذل من الأمردان ... قديماً فالبس ثوب خذل وعصيان
ونادى بنا حتى نثور كأننا ... شباع الفيافى بين خيل وفرسان
ونطعن بالعسال كل مقدم ... ونضرب بالقرضاب كل فتى عان
ونأخذ بالثار الذى آل ملكنا ... اليه ونسعى مع عبس وذبيان
وتملك للأقطار شرقا ومغرباً ... وتحيرهم ما بين عجم وعربان

أليس لنا الفخر القديم على الورى ... ومالك يا مروان فى الخلق من ثان

(قال الراوى) لهذا الكلام لجزاهم مروان خيرا وأوسعهم شكرا وكان له فارس من أبطال عشيرته وهو بطلا لا يقاس به أحد من الناس طول عمره يكبس الأحيا وحده ولا يأكل الا من صيد كفه أو بقائم سيفه وكان يلقى ألف فارس فى الميدان وكانت العرب تسميه آفة الدنيا وشيطان الانس فعندها أحضره مروان ابن الهيثم وأعلمه بما جرى وكان فغضب غضباً شديداً وقال أيها الملك كيف تذل لبنى كلاب ونحن أسود الغاب وان كنت على وجل من هؤلاء القوم فدعنى أسير وحدى من القوم وأكبس حلل بنى كلاب فقال له مروان الصواب ان تفكر فى العواقب وقد قيل فى المثل من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وقد قيل من لم يطمع فى العواقب فما له بطامع وقد وصفوا الناس بشجاعة هذا الصحصاح الذى عجزت عن لقائه الابطال فى الكفاح وبالامس قتل فرسان بنى مخزية وتركهم طعاما لوحش البرية وقصة غانم وعمه عامر وقتل السفاك ابن عامر والعملاق والامير جفال وملوك اليمن وتلك الابطال وفى صغر سنه خرب ديار بنى طى وبنى كندة وقتل الغطريف بن مالك وحده واليوم قد انضافت اليه الملوك والعساكر والامير مسلمه ولد الامام وقد سا فى خدمته اجلالا له واكراما واعظاما وما الدوم على الاهوال بغير كشف الاحوال الا فعل الجهال والصواب أننا نجمع بنى سليم عن بكرة أبيهم ونبعث الى حللها ونسير اليهم فى ستين ألف عنان من الابطال والاقران بالعدد الكاملة والسيوف القاطعه الفاصلة والرماح الواصلة ونرحل بجمعنا حتى لا يبقى بيننا وبين بنى كلاب الا مقدار عشرة فراسخ وتتفرق منا ثلاثين ألف فارس ونكمن لهم فى ثلاث مواضع ونسير نحن لهم نحن فى ثلاثين ألف ونقف على باطن ما جرى فان لم يكن لنا بهم طاقة أعطيناهم عنان الطاعه ولا نؤذى الجماعه ولا شك أنهم قد كتبوا الى سائر ملوك العرب وننظر من يجىء منهم ومن يتأخر والعاقل يتحقق النظر وقد قيل لا نظر الا بعد عيان وان كان الامر بخلاف ما قيل لنا وعسكره مزوق ومن جميع البلاد ملفق هنالك نطبق عليهم ونبعث الى الكمناء تخرج عليهم من سائر الجهات فلا نترك منهم أحد من عساكر الشام ولا من بنى كلاب اللئام ونتركهم رهاين الفلا وأحدوثة فى الملا فتكون لنا الهيبة فى قلوب العربان والقبائل والفرسان ولا يقدر أحد يخرج عن الطاعة الى قيام الساعه فقال آفة الدنيا وشيطان الإنس وجماعة من بنى سليم . هذا هو الصواب ولقد أتيت بفصل الخطاب (قال) فعند ذلك جمع مروان من يعتمد عليه وهم ثلاثون ألف فارس وضم اليهم

شيطان الانس وجماعة من بنى سليم فأخذوهم وسار فى مقدمتهم وهو ينشد ويقول :

إذا لم أروى من دما العدا نفسى | فما أنا شيطان الدنيا ولا آفة الانس
ولا بطل الدنيا ولا أسد الثرى | ولا حامل سيفى ولا قابل ترسى
إذا لم أخلى كل ليث مشوش | ينوح على ربع ويبكى على أنس
ولا كنت معروفا إذا الخيل حمحت | تروم دم الأكباد بالسيف والترس
فلابد للصحصاح من يوم معرك | وأتركه ملقى على الأرض فى الرمس
يقولون لى الصحصاح أضحى أميرهم | وكيف أرى هذا وما هو من جنسى

(قال الراوى) ثم انه سار بالثلاثين ألف إلى أن قربوا من أرض بنى كلاب فاكمن بهم هناك . وأما مرون بن الهيثم فانه لما مضى شيطان الانس أحضر النجاب وأخلع عليه وشرفه وقال سر وخبر بأننا واصلين طائعين ولأمر أميرالمؤمنين سامعين وأمر أمير المؤمنين طاعه ولا نتأخر فى هـذه الساعه فخرج النجاب فرحان بذلك وأخذ الامير مروان فى أهبة الرواح على ما وصفنا فى أول الكلام هو وابن عمه صفوان (ياساده) وكان الصحصاح بالأكل والشرب مشغول والفرح مع ابنة عمه ست البدور فى طول ليله الديجور والنهار كله مع مسلمة يكون والدنيا قد انبسطت له ودانت له الأيام وصفت وما خابت فبينما هو كذلك إذ دخل عليه عبده نجاح وذكر أنه قد جاء جاسوس إلىّ وقال لى واعلمنى بجميع الحال الذى بينهم من أوله الى آخره وقد أفرق شيطان الانس فى جماعة وهم ثلاثين ألف عنان وقد أكمن بهم وقد ضمن قتلك يامولاى ومروان فى نفسه الغدر والشر فلما سمع الصحصاح ذلك من عبده نجاح دخل على الأمير مسلمة وقال له يامولاى لى اليك حاجة ومالى بد منها وما أغيب غير ليلة واحدة وأريد من صداقتك أن تقيم فى سرورك ولذاتك ولا تعلم أحداً بى أين مضيت فقال له مسلمة ولم ذلك ياأخى والله اننى ماآمن عليك فى أمر من الأمور إلا أن أكون معك بنفسى أفديك فقبل الأرض الصحصاح وقال ماهذا أمر تخشى علىّ منه إن شاء الله تعالى لأننى سائر فى سبب وسوف تعلم ذلك ثم انه صبر الى أول الليل وخرج من ظاهر البيوت وركب هو ونجاح جوادين سابقين وساروا يقطعان الأرض الى تلك المواضع الذى نزل فيها شيطان الانس هناك فلما خرجوا وساروا قال نجاح لمولاه اعلم يامولاى على ماذا عولت أن تفعل أتطمع أن تلقى نفسك فى هذا الجيش قال لا ولكن فى قلبى من هذا الشيطان حسرة عظيمة وقد سمعت عنه أنه لايأكل إلا من صيده وأكثر رميه السباع ولابد له من الخروج فى هذه الليلة

يطلب سبع يقتنصه لأن السباع تدنو فى الليل على ضجة العسكر ولابدلى من ملاقاته فقال له نجاح يامولاى المخاطرة مذمومه وإن كانت عاقبتها سليمة محمودة فلما سمع الصحصاح ذلك قال اقصر يانجاح ثم تباعدت العسكر مقدار سهم وقعدوا إلى أن طلع الفجر واستيقظا وإذا هم بفارس قد ظهر وقدامه عبد وهما يتحادثان ان لم أقتل الصحصاح ومسلمه وأسلم الملك إلى مروان بن الهيثم وإلا ما أنا شيطان الانس وجعل يقول هذه الأبيات :

أنا آفة الدنيا وشيطانها الانسى وأكل لحوم الأسد طابت به نفسى
عرفت بصيد الأسد ودحلاتها وتشهد لى مقانب العرب والفرس
ولا لى من المأكول إلا لحومها ولا أنا بالوانى ولا أنا بالنكس
وما كان ذا الصحصاح ما بين قومه يتيما فقيرا جاحد الذكر والحس
يقولون لى الصحصاح أضحى أميركم وكيف أرى هذا وما هو من جنسى
ولا بد ما أسقيه كاس حمامه ولو أنه فى الحرب عنترة العبسى
ولا بد ما أفنى برمحى وصارمى لمسلمة الجانى إلى ذلك الجنسى
ولا بد من كر وفر وحملة أصول على الأبطال بالسيف والترس

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك علم أنه مطلوبه فقال لنجاح اتبعه حتى يبعد عن العسكر فلم يزل نجاح يتبعه الى أن نزل إلى وادى الذئب هنالك خرج الصحصاح وقال اقلع ثيابك يا وجه العرب وسلم حصانك واللبب فضحك شيطان الانس ثم حمل عليه فتطاعنا حتى شهد كل واحد منهما لصاحبه بالفروسية وعرق موضع مضاربه وكان القمر فى وسط السما وقد سار الليل والنهار بالسوى فصار الملعون يشخر كأنه الجمل الهايش وصرخ على الصحصاح صرخة عظيمة نفر منها نجاح أربع قصبات وهو متأخر وكذلك عبده الآخر ولم يبق إلا هو والصحصاح ودخل فى الحرب والكفاح فيالها من ساعة ماكان أيشمها وذلك أن شيطان الانس هز الرمح فى يده وضرب به الصحصاح فى صدره فالتقاها بالترس وبطلها وما كان مطاوله الصحصاح إلا أراد أنه يأسره وما أراد قتله ثم انه أتعبه وحيره وطعنه بعقب الرمح فى صدره ألقاه على ظهره ونزل أوثقه كتاف وكذلك فعل عبده نجاح بعبد شيطان الانس ورجعوا بهما فى باقى ليلتهما مجدان فى سيرهما حتى وصلا إلى المضارب والخيام ودخل الصحصاح على مسلمة فنهض له قائما وقال له ياملك أين كانت الغيبة فقال الصحصاح أنا كنت قد سمعت بحديث شيطان الانس وانه شيطان لا يطاق وعلقما مر المذاق

فقال له مسلمة وما الذى فعلت فى ليلتك هذه (قال الراوى) فأعاد عليه ماجرى
وانه أتى به أسير وقاده ذليل حقير فعظم الصحصاح فى عين مسلمه وقال له لله درك
ونفسك الشريفة وهمتك المنيفة غير أن الملوك لا تفرط فى نفوسها فقال الصحصاح
يامولاى لكل منية سبب ولابد مايصل مروان بن الهيثم فى يومنا هذا ويدخل علينا
فينظر الى شيطان الانس وهو مقيد بين الكلاب ومرمى بين الأطناب وهو على
طريقه حتى تتصرف عصبته وينشف ريقه ويكون مقرون مع كلب فى سلسة واحدة
ليكون ذاك وبال عليه فقال مسلمة لله درك ياصحصاح والله ان الثلاثين ألف الذين
فى الكمين إذا فقدوا المقدم عليهم بقوا مثل الغنم بلا راعى وان مروان بن الهيثم إذا
رأى هذا الشيطان يخشى أن يفعل به مثله ثم فعلوا بشيطان الانس ماذكرناه وجعلوه
بين أطناب الخيام وهو لا يعلم أحدا من عسكر الشام وشدوا فى رقبته كلب مثل الأسد
الضرغام فصار الكلب ينهشه بأظافره ويهمز عليه وكلما تحرك نهشه وهو يعاين البلا
ولا يعرف الفارس الذى أسره (قال الراوى) ولما كان وقت الصباح طلعت غبرة
بنى سليم وارتجت الأرض فقال الصحصاح لمسلمة يامولاى ما الذى نصنع نركب
نلقاهم قال لا والله ولا نرفع لهم راس إلى أن ينزل مروان ابن الهيثم ويمشى الينا
اجلالا ولايخرج أحد حتى يكون هذا كسر هامته وهوانا به فقال الصحصاح هذا
هو الصواب فلا زلت موفقا لكل خير ولقد أسعدنى الله بعنايتك (قال الراوى)
وأشرفت بنى سليم على الخيام فلم ينظروا أحدا خرج اليهم فعظم ذلك على مروان وقال
هذا يدل على قوتهم لأن هذا الرجل جبار مافى عينه من أحد شىء ثم نزلت بنى سليم
وجلست تنظر الى بنى كلاب وخيامها وهى تلمع أهلة الذهب فيها ونظروا ملك لايحصى
عدده إلى الله فقالوا هذا هو الملك العظيم وهكذا تكون الملوك ياكرام وان مروان
ينتظر إن أحد يخرج اليه فلم يقدم اليه أحد ولم يزل على حاله حتى قرب الظهر ودقت
الطبول للنوبة وزعقت البوقات وارتجت الأرض ذات الطول والعرض ولما كان وقت
العصر ركب من العسكر عشرة آلاف فارس مجحفة كأنهم سكبوا من حديد بمراكب
من ذهب ومعهم القنطاريات وفتحوا الأرض ميدانا ولعبوا حتى حيروا الشجعان
ساعة ورجعوا ثم أتت بعدهم خمسة آلاف أخرى وبأيديهم السيوف المحدده
والقنطاريات المحدمة واللتوت المذهبه ولعبوا ساعه وعادوا فلما نظروا نبى سليم
الى ذلك قالوا لا ملك إلا لله رب العالمين وان هؤلاء يساوون كل من فى الحجاز واليمن
ولا سيما أصحاب اللتوت المذهبة والرماح المشطبة ولا يلتقى هؤلاء إلا من دنا أجله (قال

الراوى) ولما أقبل الليل ادعى مسلمة ببعض الحجاب وأضاف اليه مائة خادم بأقبية الديباج المنسوجة بالذهب الوهاج والمناطق المرصعة بالجواهر المثمنة وخمسمائة بالثياب الزيبقى المذهب العراقى وبين أيديهم الشمع المكوفر فى أثوار الذهب والفضة فلما وصلوا الى خيام بنى سليم فظنوا أنه الصحصاح قد ركب الى مروان ابن الهيثم ففرحوا بذلك مع ما كانوا فيه من ضيق الصدر وعزموا على الخروج إلى لقاه حتى علم أنه بعض الحجاب الذين للصحصاح فعاد الى خيمته وقد عظم عليه أمره ورزيته وقعد إلى أن وصل الحاجب ودخل عليه فنهض له مروان إعظاما له فلما استقر بالحاجب المقام قال له أيها الأمير ان ملك العرب قد أخبروه بوصولك وقد شكرك على مساعدتك اليه والى خدمته وقد أذن لك بالدخول عليه عند الصباح والسعى إلى خدمته وخدمة الأمير مسلمة فقام مروان قائما وأومأ الى الأرض لاثماً وخرج الحاجب من عنده وعاد الى الصحصاح وأخبره بما جرى (قال الراوى) ولما كان عند الصباح ركب مروان بن الهيثم فى وجوه قومه وأبطال عشيرته ووصل الى الخيام فتلقته الخدام وفى أيديهم الدبابيس الذهب والفضة وقالوا ترجل يامولانا هذا حرم السلطان فترجل مروان وقد راعه ذلك واستعظمه وجعل يمشى بين الخيام وقد أقبل على ابن عمه صفوان وقال له ما كان لنا فى المجىء صواب وأريد أرسل الى شيطان الانس فى يومنا هذا وآمره أن يهجم عليهم فى هذه الليلة ونحن نطبق عليهم من الجانب الآخر فاما السلامة أو الندامة فقال صفوان يامروان خلى عنك الهذيان هذا شيطان ولا يقاومه إنسان فقال مروان أما سمعت قول شيطان الانس وقد ضمن لنا قتل الصحصاح فهو معه فى الكلام وقد تواسطوا الخيام وإذا هم بشخص ملقى على التراب وهو مقرون مع الكلاب وعنده خمسة من العبيد فى أيديهم مقامع من الحديد فنظر مروان الى ذلك الانسان واذا به شيطان القرنان فقال له صفوان ويلك أما أنت آفة الدنيا فقال أجل فقال ما الذى أوقعك ههنا أوجز وأخبرنا بصحة الخبر فقال لا تسأل واسعوا فى خلاصى من هذا البلاء الذى أنا فيه فقد غل شمالى ويمينى الى حلقى وهذا قرينى ولولا هذه العبيد الموكلين بى وإلا كان افترسنى فضحك مروان وصفوان وقالوا ياويلك ماهذا الكلام والله ما كأنه إلا فى منام أليس كان معك ثلاثين ألف عنان فقال نعم ولكن خرجت مع العسكر على نية الصيد كما جرت به عادتى فلم أشعر إلا بفارس قد انقض على كأنه القضاء اذا نزل من السماء وما أدرى من أين أتى فأخذنى أسرع من البرق الخاطف ورأيت منه مالم أرمن غيره وجعلنى ههنا وقد وقعت

فى هذا العناء فقال صفوان لمروان كأنك قد أردت أن تلقى القوم بهذا الرجل فاقبل منى وسلم اليهم تسلم وإلا يربطونا مع الكلاب فضحك مروان وانكسرت نفسه وهان عليه أن يخرج الأمر من يده ووصل إلى السرادق وشاهده الملك العظيم فقال سبحان المعطى الكريم (قال الراوى) ووقف ينتظر الاذن واذا بالضجيج قد علا والكلام قد ارتفع الى السماء فنظر مروان وإذا بفارس قد أقبل على جواد ما يستطيع التحرك مما عليه من الحلى والحلل والجواهر وعلى كفله شبكة من اللؤلؤ فى سلك من الذهب وعلى رأس الحصان برقع من اللؤلؤ منظوم فى شريط من الذهب مرقوم وبين يديه أربعمائة مملوك فى أوساطهم مناطق الذهب الأحمر المرصع بالدر والجوهر والغاشية قد حملت على رأس خادم أبيض كأنه القمر والجاويشية تزعق والخزنداريه بأيديهم الدبابيس هنالك تبادرت خدام الصحصاح واستقبلوهم وقبلوا الأرض بين يديه وضجوا بالدعاء له ولأبيه أمير المؤمنين فعلم مروان أنه مسلمة فسعى اليه هو ومن معه وقبلوا الأرض بين يديه فوقف مسلمة وسلم عليه وبدأه بالكلام وساروا الكل فى ركابه الى باب سرادق الصحصاح ومروان يظن أن مسلمة يدخل ويدخل معه بغير إذن فلما وصل مسلمة الى باب السرادق ووقف ساعتين وهو واقف ومروان بن الهيثم واقف راجل فى ركابه وكذلك الأمراء والحجاب ومسلمة طلب الاذن فى الدخول على الصحصاح وإذا بخادم قد خرج وقبل الأرض بين يديه وقال لمسلمة يامولاى ما لأحد وصول إلى ملك العرب غير أنه قد عرف حق سعيكم والخدمه (قال الراوى) فرجع مسلمة ممتثلا ورجع معه مروان وقد انقطع طمعه واشتد خوفه ونزعه (قال الراوى) فلما نظر مروان ذلك نهض فى عاجل الحال كتب كتاب وأنفذه إلى بنى سليم يعلمهم بما عاين وأن الأمر عظيم والخطب جسيم وأن شيطان الانس أسير فلما كان اليوم الثانى وصل مسلمة فقالوا الحجاب الآن اصبر حتى نأخذ لك الاذن فلما سمع مروان هذا الكلام ضاقت عليه الأرض بما رحبت فعند ذلك أذن لهم ملك العرب بالدخول وكانت قدمت ملوك العرب من بعيد وقريب فلما دخلوا رأوا ملك عظيم فصاحت الشاويشيه : الأرض الأرض وأول من قبل الأرض الأمير مسلمة فباسوا الأرض كلهم ثم ان مسلمة أخذ المراسيم وصعد بهم الى السرير فعند ذلك تكلم الأمير مسلمة وقال الحمد لله الذى جعل لأمير المؤمنين الفضل على سائر الأمراء وهم الولاة الذين انتخبهم واصطفاهم وأحبهم وجعلهم أعوانه الذين يستعين بهم وقت

الحاجة اذا كثرت أعداه ثم جعل أمير العرب العربا بعدا وقربا سيد سلاطين الخافقين وحامى حوزة الحرمين وترس قبر سيد الكونين الذى كان كقاب قوسين أو أدنى من الصحصاح بن جندبة بن الحارث بن صعصعة الكلابى الميمون الطلعة والكهف الرابع والليث المانع والسيف والدرع الذى يلقى عنه الأذى لجميع الأعداء وهو الحقيق بأن يكون به أمير المؤمنين ممسكا وعليه معتمدا وبعد ذلك فانه عزل مروان بن الهيثم لابذلة سبقت منه ولا بقلة جاه ولا بقلة عبيد بل ان أمير المؤمنين رأى أن إقامة عباد الدنيا فى الملك العظيم والسيد الكريم الذى يقمع به شياطين الانس المتمردين ويضرب بسيفه رقاب الكفرة الملاعين وبعد فهذا كتاب أمير المؤمنين وهذه كرامة لم يصل اليها أحد من الملوك والسلاطين (قال الراوى) ثم انه بعد ذلك الكتاب قرأ كتاب العزل وكتاب الولاية على كل من فى ذلك المقام فلما سمعت الملوك ذلك قبلت الارض واستعملت الأدب وقالوا جميعهم سمعا وطاعة لله ولأمير المؤمنين ولملك العرب قال وأول من قال هذا الكلام الأمير مروان بن الهيثم وكذلك الملوك لما نظروا فعاله تبعوه وفعلوا مثل فعاله (قال) فعند ذلك أقبل مسلمة على الصحصاح لما نظر لاجابة القوم وقال ياملك العرب لهذا اليوم جعلت الأموال والخلع ففهم الصحصاح مراد الأمير مسلمة فأمر باحضار الخلع والأموال وخلع على مروان خلعة سنية ملوكى وأعطاه الأموال والتحف وخلع على جميع الملوك كل إنسان على قدر مرتبته وأعطاهم الاموال وأمرهم بالجلوس فدعوا له وشكروه وأثنوا عليه الثناء الجميل وأعطى الخيول الخاص بسروج ومراكب من ذهب وعطاف كان من جملة من حضر فى هذا المكان مع الملوك ولم نظر ابن أخيه إلا فى هذا اليوم فبقى حائر مما عاين وصار يقبل الأرض وينظر الى الملك الصحصاح وهو لم يلتفت اليه فعندها تقدم اليه وقبل الأرض بين يديه وقال له ياابن أخى أين حرمتى من القرابة وان لها زمام عند العرب الكرام وان كان لى ذنب أستوجب عليه القتل فهاأنا بين يديك واقف على قدم الندم وان كان من أجل (ليلى) وما تدبر فالأمر يجب أن يذكر فعند ذلك صاح فيه الأمير مسلمة وقال له : لاتستصغر ياوجه العرب الذنب الذى فعلته ولا تحتقر ما قدمته وما أسلفته بل اعترف بالخطأ إلى أن تحصل لك العناية من ملك العرب وأن الكرم سيمته ولا ترجع من بعد اليوم تقول ياابن أخى فيحل بك العطب بل قول ياملك العرب وقد كان اللعين أبا لهب عماً للنبى المنتخب ولم تنفعه القرابة ولا النسب لما كان له مخالفا ولم يكن بحقه صلى الله عليه وسلم

عارفا وبعد ذلك ما بقى ينفعك إلا الوقوف على باب هذا المحترم فى جملة العبيد والخدم فعند ذلك بكى عطاف وقبل الأرض فقال له الأمير مسلمة بالله عليك اسأل من ملوك العرب هل يعفى عن جريمتى ويجاوز عن خطيئتى فزاد عطاف فى بكاه وأسبل الدموع وكان البكاء له أعظم شافع فعند ذلك قام الأمير مسلمة قائما على الاقدام وقبل الأرض بين يدى الملك الصحصاح وقال يا ملك العرب مثله هفا ومثلك عفا وأنا جئتك متشفعا فيه وأرجوك يا ملك أن لا تردنى فيما أتيت فنظر الصحصاح إلى عين مسلمة فأشار اليه أن يقبل فيه الشفاعة فقال يا مسلمة قبلناه من أجلك وعفونا عنه ولو كان فينا عاب فنظر الأمير مسلمة الى عطاف وجذبه اليه وقال له قبل أقدام ملك العرب ويديه فتقدم عطاف وفعل ما أمره به وهو يبكى فقربه الملك اليه وخلع عليه خلعة سنية وأعطاه أوفى عطيه وخلع على بنى كلاب وقد ارتفع له الدعاء من سائر الأعراب وفرحت به جميع الملوك وانصرفوا شاكرين ولكرمه ذاكرين وفيه راغبين ولما كان فى ثانى الأيام عمل لهم وليمة عظيمة عقر فيها مائة ناقة وألف رأس من الغنم فأكلوا الناس من ذلك الطعام وأنعم عليهم غاية الانعام وأكثر لهم من الاكرام ثم انه أقبل على مسلمة وقال له أريدك يا مولاى أن لا ترحل حتى أدخل على بنت عمى ليلى فقال له ومن ذا الذى يمنعك عن ذلك افعل ما بدا لك . ولما كان فى اليوم الثالث أحضر جميع الملوك والمقدمين على العربان وخطب ليلى من عمه عطاف بحضرتهم وعقد له عقد النكاح ثم عمل وليمة أخرى لمسرته على ليلى وعقر ونحر وأعطى ووهب وفرق الفضة والذهب وعمل الأفراح والمسرات ودخل على ليلى ولما كان عند الصبح حضرت الملوك وأكلوا الطعام وهنأوه بما أعطاه الله سبحانه وتعالى فشكرهم على فعالهم ووهب لهم وخلع عليهم خلع الأفراح فدعوا له وشكروه وفرحوا بولايته وهنأوه وطلبوا منه الاذن فى الانصراف فنبه عليهم وقال لهم كل من قتل واحد من بنى مخزيه كان له عندى أجزل عطيه ولا تبقوا منهم أحدا فى البريه فأجابوه بالسمع والطاعه وأذن لهم فى الانصراف فقبلوا الأرض بين يديه وخرجوا وهم يثنوا عليه ويدعون له وما منهم إلا من فرح بولايته ومسرور بشجاعته وقد أطلق شيطان الانس وعبده وخلع عليه وأعطاه إنعام زايد وقال له لا تزعل فما أسرك رجل دون وما أسرك إلا أنا وعبدى أسر عبدك وانى سمعت شعرك ونظمك وكنت لك فى الانتظار ولما خرجت وأنت تقول الأشعار سرت خلفك وحصل ما حصل والآن انى قد عفوت عنك وأمره بالمسير بعد ما أحسن اليه فدعا له وأثنى عليه وقبل الأرض

بين يديه وخرج من عنده وترحل مع قومه وهو يذكر لهم ما لقى من شجاعته وقوته وبراعته ويقول والله ما يكون علينا سلطان إلا من كان مثل هذا فى الشجاعة والاكرام . وأما غيره لاشيء وما بقى للعربان حديث فى ديارهم إلا كرمه وشجاعته لما علموا مافعل بعربان اليمن وفرسانها وفرسان بنى مخزيه وجفال وعملاق وشيطان الانس وانه كسر خمسة وخمسون ألف فى ساعة واحدة خصوصا لما عاينوا من هيبته وسلطانه ومملكته وتواضع ابن أمير المؤمنين بين يديه ووقوفه على بابه ولا يدخل عليه إلا بعد الإذن وتقبيله الارض ووقوفه لايجلس إلا من بعد الاذن ولايتكلم حتى يسأل (قال الراوى) وكان كل ذلك بتدبير الامير مسلمة لكثرة محبته الى الملك الصحصاح حتى يلقى الهيبة فى قلوبهم وبعد انصراف القبائل بسبعة أيام طلب الأمير مسلمة الاذن فى الانصراف فقال له الصحصاح ياأميراعلم أنك إن خرجت من عندى خرجت روحى معك ولا أقدر على مفارقتك ولا ساعة واحدة فهم فى الكلام واذا بنجاب عليهم قد دخل واليهم قد وصل ووقع على الارض مقبل ثم رفع رأسه وتقدم واذا به معه كتابان أحدهم للملك الصحصاح والآخر للملك مسلمة وكان مايخص ملك العرب بالتهنئة على الملك وعلى مسرته بابنة عمه ليلى ويذكر له ماعنده من الشوق اليه على الدوام ويطلب منه الزيادة فى كل عام ولا يتأخر عن ذلك على ممر الليالى والأيام ويدعو له بالسرور ويأمره بالعدل فى الاحكام فعندها قام الصحصاح قائما على الأقدام ودعا للخليفة وأثنى على الامام ولولده أن يبقيه الملك العلام . وأما الكتاب الثانى الى ولده الاميرمسلمه وهو يحثه على القدوماليه ويكونمعه البازان (قال الراوى) فاغتم الملك الصحصاح على فراقه للأمير مسلمة وصار يبكى وينتحب واهتم الامير مسلمة فى أمر الرحيل وعزم على السفر من غير تطويل وقد قدموا الجمال وشالوا الأحمال وعزموا على الارتحال والملك الصحصاح لايقر له قرار ويقول ليتنى لم أعرفك ولا رأيتك وكنت من قبل فراقك بكيتك فشكره الامير مسلمة وقال له والله ياأخى لولا خوفى على قلب أمير المؤمنين ما كنت أفارقك بطول العمر ولكن بهذا حكم الله ولابد من الفراق من بعد الاجتماع وبكوا الاثنين بكاء شديدا ما عليه من مزيد وكانت وقعت لهم محبة ربانية ثم ان الملك الصحصاح أشار الى الامير مسلمه يودعه بهذه الأبيات :

ياهل ترى أوقات المسرات ترجع ... ويرجع شملى بالأحبة يجمع
ولعل أن يروى الفؤاد من الظما ... ويشتفى ذاك القلب الموجع

ويتواجد الوقت الذى يمنى به ... كانت بروضات المسرات ترتع
وتبيت فى نيل الوصال ولم يكن ... واش وأشكو للحبيب وأسمع
وأضم غصن قوامه وبلابلى ... تشجو على غصن الغرام تسجع
واذا تعود الروح بعد مماتها ... وتعود فى روض الجنان وترتع
وأقول لى قمر اذا نظرت الى ... أوصافه شمس الضحى لاتطلع
غصن ولكن فى فؤادى نبته ... ظبى ولكن فى الحشاشة يرتع
فالعين شوقا للحبيب قريحة ... ومحاجرى قد أحرقتها الأدمع
ومن العجائب أدمعى مع عظمها ... لم تطف نارا قد حوتها الأضلع
ليس العجيب تقطع الأحشاء بل ... عجب اذا الاحشاء لا تتقطع
ولقد صبرت على الأمور بعد ها ... لم يبق لى بعد التصبر مدفع
أمسيت لا أهلا ولا سهلا ولا ... خلا صديقاً أرجو أن يتوقع
كم لى عدا فى خفض منزلتى سعوا ... وابن الخليفة دام لقدرى يرفع
ملك اذا قامت مواهب كفه ... لم يخلو منها فى الآفاق موضع
حتى الملوك يمدها من رفده ... ولمجده العالى تلين وتخضع
وله الأصول الزاكيات لأنه ... منه المكارم للورى تتوقع
هو كعبة الآمال فى يوم الندا ... ولبابه تسعى القلوب وتسرع
وقفوا على عرفات من معروفه ... ولهم اليه فى الطريق تضرع
واذا بدا للناظرين جماله ... فرت لهيبته البدور الطلع
واذا سطا يوم الوغى بحسامه ... فالروح من أجسادها تتودع
هيهات أن تنجو العدا من صارم ... مثل القضاء إذا أتى لايرفع
واذا حطب للسيف قام مكبراً ... فالخيل تسجد والفوارس تركع
فالقوم ترعد والدما مثل المطر ... والسيف يبرق فى العجاج ويلمع
فالترك قد تركوا الديار بلاقعا ... والكرد من كاساته تتجرع
والعرب تحمى فى حماه لانه ... يلقى العدا فردا ولا يتقعقع
فهو الذى صان الحمى وحما اللقا ... وبه احتمى أهل الممالك أجمع
فى كفه بحر وفى ألفاظه ... درر ولكن فى العطاء يرصع
مولاى مثلك فى القبائل لايرى ... ضاق الفرات وبحر جودك أوسع

(قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على بدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله

العليم العلام ابن زمزم والمقام والمشاعر العظام من كان يصلى ليلا والناس نيـــام حتى تورمت منه الأقدام عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم السلام ولما أن الصحصاح تم هذا النظام قام الأمير مسلمه قائماً على الأقدام وضمه إلى صدره وعانقه وقبل ما بين عينيه وقال لا فض الله فاك ولا كان من يشناك ياملك العرب ولقد كملت فيك الفصاحة والشجاعة والبراعة والملاحه ويجب عليك أن تقبل هذه الشفاعه وتأذن لى بالمسير لأنى والله ما أنا راحل عنك باختيارى بل خوفا على قلب أمير المؤمنين فبكا الصحصاح وقال له يا مولاى افعل ما بدا لك وأمر الأمير مسلمه أن تكتب هذه القصيدة وكان يكتب جميع الوقائع وما حصل للصحصاح فى الطريق والاقامة حتى يعرض الجميع على أمير المؤمنين وكان قصده بذلك أن يورى أمير المؤمنين شجاعته وفصاحته وحسن سيرته ورحل الأمير طالب بلاد الشام وسار معه ملك العرب يودعه مسافة ثلاثة أيام وأقسم عليه الأمير مسلمه بالرجوع ونزلوا الاثنين عن الخيول وتعانقوا وشكوا الفراق وعاد أرباب منهم إلى طريقه وهو يود أن لا يفارق صاحبه ورفيقه وسار الأمير مسلمه مدة أيام حتى قرب من دمشق الشام وأرسل المبشر يبشر والده فخرج اليه ومعه كل الدولة وإخوته وأهل البلد وزينت دمشق الشام لقدومه وفرحت به كل الناس ولما وقعت عينه على والده نزل عن ظهر الجواد وقد أراد الخليفه أن يترجل اليه فسعى له وأقسم عليه وقبل فى الركاب رجليه والآخر قبل رأسه وما بين عينيه وأمره بالركوب فركب وسار بين يديه وساروا إلى المدينة وهو يسأله عن الصحصاح وما وصل اليه فأعاد القصة من أولها إلى آخرها عليه (قال الراوى) وأخبره بما فعل مع بنى كندة وبنى مخزيه وشيطان الانس والخليفه يتعجب من ذلك كله ويقول ما تحت السماء مثل هذا الغلام فالله تعالى يحفظه ويجعله معيناً للاسلام ولما وصل إلى حديث البـازان ازداد سرورا وقال له وأين هم يا ولدى قال هم حاضرين يا أمير المؤمنين فقال إنى أريدهم فى هذه الساعه قبل دخولى إلى البلد فأحضرهما بين يديه فلما رآهما عرفهما وقال الحمد لله الذى أنعم وأتم وتفضل بالنعم وفرح بما سمع من حديث ملك العرب فهذا ما كان منهما (وأما ما كان) من ملك العرب فانه أقام فى ملـكه ودانت له القبائل وجاءته العشاير وكانت كل الأمراء والسلاطين يأتون إلى خدمته ولا يخرجون عن طاعته وقد ملك قلوب الرجال بمروءته وعاش عمه عطاف فى خيره ونعمته هو وأهل قبيلته وأمنت الطرقات فى بر الحجاز ولم يقطع السبيل لـكثرة الجواز وشاع خبره فى سائر البلاد وقدمت الصعاليك من كل الجهات وهو يغمرهم بالعطاء والاحسان وقد خرج

يوما إلى مصيد والقنص ومعه من خواص دولته وبنى عمه وأهل عشيرته مقدار عشرون فارس أبطال أقيال ودخلوا إلى البرية وطاب لهم الصيد لكثرة الوحش فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر من جهة بلاد الشام ولما رآه الصحصاح بادر اليه وقال له ويحك من أين أقبلت فلما رآه النجاب عرفه فقبل الأرض بين يديه وقال له يا مولاى أنا من عند أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وقد أتيت اليك بهذا الكتاب فانظره واعمل بما فيه ودعنى أعود لأنى من أمرى على عجل فأخذ منه الكتاب وقبله وفضه وقراه وإذا فى أوله (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم أن أمير المؤمنين ذكر فيه ما عنده من الشوق ويقول حين وقوفك على هذا الكتاب لا يكون لك جواب إلا وضع رجلك فى الركاب ولا تترك فى أرض الحجاز من يركب جواد إلا ويأتى صحبتك لأمر لابد من وقوفك عليه عند حضورك والسلام فلما قرأ الكتاب قبل الأرض وقال سمعاً وطاعه لله ولأمير المؤمنين ثم رجع الى حلته ودخل على أهل قبيلته وكتب الى سائر الجهات من وقته وساعته فقدمت عليه المواكب والسادات والاقيال والأقران من سائر البلدان واجتمعت اليه الجحافل حتى سار فى مائة وعشرين ألف فارس من كل بطل مداعس وهم بالدروع الداوودية والبيض العادية والرماح الخطيه والخيول العربيه والسيوف الهندية وملك العرب قد دخل على ابنة عمه وودعها وكانت حامل وقد بقى لولادتها أيام قلائل وسارت القبائل والجحافل ومروان بين أيديهم فى ثلاثين ألف فارس والأمير غانم بن زاهر وأتوا اليه من المشارق والمغارب وجدوا فى المسير الى أن وصلوا دمشق الشام فبعث الملك الصحاح الى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأمر ألا يتخلى أحد من أهل دمشق وأن يخرجوا الجميع الى لقاه ولم يكن فى دمشق أحد الا وهو مشتاق الى رؤيته وخرجت أولاد الخليفة وفى جملتهم الأمير مسلمه وما زالوا سائرين الى أن التقوا ببعضهم البعض وترجلوا وتعانقوا وسلموا وساروا الى أن دخلوا دمشق وكان يوم دخولهم يوم عظيم وقد ركب الى لقاه أمير المؤمنين وتلقاه من خارج البلد وأكرمه وسلم عليه من بعد ما قبله بين عليه وقد ساروا ركابه بركاب الخليفه والناس قد تحيرت من هذا الملك العظيم والعسكر الجسيم وسارت أهل البلد من حوله وهو فى ذلك الموكب الى أن نزل بدار الذهب وبلغ غاية السؤل والطلب وقد أنزلوا بنى كلاب فى الدور والقصور وكذلك مروان وغانم وباقى العربان خارج البلد فى الخيام وحملت الضيافات من سائر الالوان والاطعمة الفاخرة وكان الملك الصحصاح قد عظمت فى عينه العساكر الذين معه ولما

أن أتى الى دمشق ورأى العساكر الذين للخليفة وهى نازلة خارج البلد فتعجب من كثرتهم وهم خلق لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وقد ضاعت عساكره فى عسكر الخليفه ولم بان لهم آثار وبقى الصحصاح حيران لا يدرى ما السبب فى جمع هــذه العساكر فبينما هو كذلك إذ دخل عليه الأمير مسلمه والخدم بين يديه بالشموع فقام اليه وتلقاه من الباب وقبله فى صدره ثم جلسا للحديث فقال له الملك الصحصاح يا مولاى إنى أرى هذه العساكر قد اجتمعت بخلاف ما أعهده ورأيت أمير المؤمنين ظاهر عليه الغم فقال نعم وهو أنه فى يوم من الأيام كان جالس الخليفه وأنا معه وثالثنا الوزير الأكبر وإذا بنجاب دخل عليه وقبل الأرض وسلم عليه وأعطاه كتاب وانصرف ففضه أمير المؤمنين وقرأه ثم تغير لونه ولما رأينا منه ذلك فلم أحد منــا تجاسر أن يسأله عما فى الكتاب ثم أحضر الكتاب وأمرهم بكتب الكتب إلى سائر الأقاليم والبلاد واليك ولغاية الآن لم أحد يعلم السبب ولا سألناه عن ذلك وفى غداة غد يطلعك على ما فى سره لانه ما يخفى عليك شىء من أمره ثم أنهم تحدثوا وانحرف كل واحد منهم الى مرقده ولما كان عند الصباح دخل عليه عبده نجاح وقال له يا مولاى ان الأمير مسلمه على الباب وهو يقول لك اركب الى أمير المؤمنين فركب وسار الى أن لحق بالأمير مسلمه وسلم عليه وسار فى صحبته الى دار الخليفة فترجل الأمير مسلمه عند الدهليز الخامس وكذلك اخوته وبقى الملك الصحصاح راكب الى محل ما ينزل الخليفه على حسب عادته ثم ترجل عن جواده ودخل وكان ذلك باذن أمير المؤمنين وهذه المنزلة ما نالها أحد سواه لا من العرب ولا من العجم ثم انه لما دخل الى الديوان قبل الأرض وسلم فتزحزح له الخليفة من مكانه ورد عليه سلامه وأكرمه وبجانبه أجلسه على سدة مثل سدته ثم جعل يحادثه ويباسطه فى الكلام الى أن طاب لهم الحديث فقال الخليفة يا ملك العرب اعلم أنى ما أكتم عنك شىء لأنك أنت العمدة فى كل نائبة وشدة وأنا أعلم أنى مسئول عن أمور المسلمين وواقف غدا بين يدى رب العالمين ولو ذهب لمسلم شىء غصبا أو نهبا كنت أنا المسئول والمطالب به يوم القيامة وانى قد وقعت فى أمر عظيم وخطب جسيم أسهر له الليل الطويل وأدبر فى رفع ذلك الامر الوبيل وأريد أن أبذل روحى ومالى حتى أكشف عن المسلمين ما نزل بهم وأكثر مرادى أن أفديهم بأموالى وأولادى وقد بلغنى أن كلب الروم خرج الى الثغور التى هى للمسلمين وفعل فيها فعل الطاغين وهو أنه قتل العباد وأخرب البلاد وداخله الطمع ولا يرده خوف ولا فزع وقيل أنه خرب المساجد وعمر البيع وصار ينفذ من عنده عسكر تشتت الغارات من غير أن

يكون له بذلك عادات وانى قد عولت أن أصلى بالناس يوم الجمعة وأنادى فيهم بالجهاد في طاعة رب العباد وأبعث العساكر والأجناد الى سائر الأماكن والبلاد ويقتلون أهل الطغى والفساد والشرك والإلحاد ولما سمع الملك الصحصاح منه هذا الكلام قال ياأمير المؤمنين مثلك من يشفق بالرعية وتأخذه الحمية الى الدين وأنا أقسم بحق من رفع السموات العلية وبسط الأرض المدحية على وجه البحار السفلية فتمكنت على متن الغيام لئن بعثت عبدك الى بلاد الكفار لأوقع بهم البوار وأبيد الكبار منهم والصغار وأحرق ديارهم بالنار وأنزل بهم الدمار وأفعل مايرضى الملك الجبار ويغضب اللئام الفجار (قال الراوى) ولما سمع الخليفة منه هذا الكلام تهلل وجهه بالسرور والاستبشار وأيقن بالنصر على يد ذلك الفارس الكرار وقال له أنت المعدود للنائبات والأخطار ولكشف الأهوال الكبار والصغار ثم انهم بقوا على ذلك إلى أن كان يوم الجمعة رقى الخليفة المنبر والمسجد بالناس قد انحصر وقال : « الحمد لله الذى ليس بعارض ولا جوهر الغافر لمن استغفر الذى بعث فينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة البشر » فوعظ وزجر وخوف وحذر وأنذر حتى ابتسم وجه الاسلام وأسفر وأغلظ وجه الكفار وأرغم بما ظهر ومابين من الدليل والأثر وأطلع شمس أفق السماء وأبهر وأذل به من كفر وأوعده بالنصر وأيده بأبى بكر وعثمان وحيدر قاطع باب خيبر قاتل مرحب وذو الخمار بذى الفقار المشتهر صلى الله عليه وعلى آله ماسح سحاب وانهدر . أيها الناس ان الله تعالى قدافترض عليكم الجهاد وحثكم على قتال أهل الكفر والإلحاد فقال الله تعالى « وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده » صدق الله العظيم وأنتم من خواص المسلمين وحماة الدين وقد طمع هذا الملعون كلب الروم فى بلاد المسلمين وشن الغارات على بلاد الموحدين وقد خرب بيوت رب العالمين وسطا على أهل الثغور من المرابطين وقد عزمت على أن أقدم عليكم رجل تراه المسلمين وتسر به الموحدين ويكون معكم الى بلاد الروم تخربون البلاد وتقتلون الكفار وتعلنون بتوحيد الواحد القهار وتصلون على النبى المختار وقد ناديت فيكم بالجهاد والمسير إلى أخذ البلاد فما أنتم قائلون فضجوا المسلمون وقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ولأمير المؤمنين وإمام المسلمين وخليفة رب العالمين وحامى حومة الدين ولاصبر لنا على سماع هذا الكلام ولابد من المسير لنصرة دين الاسلام وقدم علينا من شئت ونحن سامعين طائعين فعندها نادى عبد الملك لولده مسلمة فأجابه بالتلبية وقام قائما وأشار الى الارض لاثما فقال له اصعد ياولدى إلى فأنا وأنت الفدا للمسلمين وأنقذ

أباك من حر نار الموقف بين يدى رب العالمين فبكى مسلمة وبكى عبد الملك ونادى الأمان الأمان من النيران فبكت جميع المسلمين وضجت الموحدين ورقى مسلمة إلى عند أبيه فوق المنبر فأخذ بيده وقال معاشر المسلمين رحمكم الله تعالى قد قدمت عليكم ولدى هذا فأطيعوه اذا رأيتوه مستقيم غير مخالف للسنة والجماعة وهو المقدم عليكم والخليفة فيكم من بعدى ثم قال أين سيف الدين وحامى بيت رب العالمين وترس قبر محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ولدى الصحصاح فأجابه بالتلبية وقام قائما وقبل الأرض وقال لبيك ياأمير المؤمنين فقال له إلىّ ياولدى فصعد الى المنبر فأخذ الخليفة بيده وقال معاشر المسلمين وهذا أمير جيوش الموحدين وحامى بسيفه بيت رب العالمين وهو سيفنا القاطع الذى يصول به على المارقين الكافرين ثم وضع يده فى يد ولده مسلمة وآخى بينهما وأوصاهما ببعضهما ودعا لهما بالنصر والظفر وجميع المسلمين أمنت على دعائه وقال معاشر الناس السفر بعد ثلاثة أيام فأجابوا بالسمع والطاعة ونزل وصلى بالناس وبعد الصلاة خرجوا وهم مثل الجراد المنتشر وبعد ثلاثة أيام خرج الملك الصحصاح والأمير مسلمة معه الى خارج البلد وأحصوا العساكر فكان عدتها أربعمائة ألف مقاتل خلاف التوابع وخرج الخليفة لوداعهم وهو يحثهم على الجهاد فى طاعة رب العباد ويذكر لهم ما أعد الله تعالى للمجاهدين فى الميعاد وما أوعد للمقاتل والمقتول من الخيرات وأن الشهداء فى جنات النعيم يرتعون ومن أنهارها يشربون ويأكلون مما يشتهون وهم أحياء ليس يموتون وتوضع أرواحهم فى حواصل طيور خضر ترتع بهم فى الجنة كما أخبرعنهم من لايخشى ريب المنون فقال الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ثم قال معاشر المسلمين اعلموا أن الباقى خير من الفانى ولهذا قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه (ان كانت الدنيا ذهب يفنى والآخرة خزف يبقى لاخترت الخزف الباقى على الذهب الفانى) فلا ترجعوا عن بلاد الروم حتى تضربوا خيامكم على باب القسطنطونيه والله تعالى ناصر لدين الحنيفيه وسترونه بلد عجيب لأن القسطنطونيه بناها الحكيم قسطنطين وأقام فى بناها الى أن مات وهى أربعة فراسخ فى البر وثلاثة فى البحر ولما أن مات تولى تمامها ولده نوفيل وبنى بيعته سوفيا وحوطها بالأشجار المثمرة والرياض النضرة وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث فى زمن نوفيل ونشأ ذكره وعلا أمره وكثرت مفاخره وقهر الله به من يبارزه ووصل خبره صلى الله عليه وسلم إلى نوفيل فعزم على أن يبعث له عسكر عظيم ويجعل عليه مقدما فمنعوه من ذلك حكماء وكان فيهم حكيما يقال له

قيتور الأكبر وكان قد قرأ الانجيل والتوراة والـكتب القديمة وعرف صفات النبى صلى الله عليه وسلم ولما ظهر خبره سأل عن صفاته فوصفوه له بالصفات التى قرأها فى التوراة والانجيل عن صاحب التحريم والتحليل وعرف أنه هو الذى يخـــدمه جبريل ويلوذ به ميكائيل وهو المخصوص بالفضل صاحب البرهان والدليل فقال لنوفيل اعلم أن هذا الرجل الذى تريد أن تبعث اليه العساكر قد ولد فى طالع مسعود وان خالق الخلق ناصره ومؤيده ومعينه ومعاضده ومساعده ومريده وما يلقا عدو الى ويهلـكه وبلاد الحجاز كلها موعرة ومسالـكها مهلـكة ومالك أيها الملك برجل عنا بعيد ودياره كما لاتريد فقال له كيف لا أطلب رجل يقول دين النصرانية فاسد وإن الله واحد أحد فرد صمد وانه ليس لله تعالى ولد ولا والد ويستحل مالنا وسفك دمانا والصبر على هذا ليس بصواب ولا هو من شيمتى ولا بد أن أجهز اليه عسكر وجحفل عظيم يكون أوله فى بر الحجاز وآخره فى بلاد الروم وأما قولك ان البلاد موعرة قليلة الماء فلو أردت أن أجرى الأنهار مع عسكرى لفعلت لأن مالى كثير وملكى وافر فلا تعيد أيها الحكيم ولا تبدى وهذا الذى عندى فقال الحكيم أيها الملك النصيحة لا ترد عن عقيدة صحيحة ولو أن عسكرك بعدد التراب والنجوم أو قطر الغيوم لكان هذ الرجل منصور وأما عسكرك فى مقابلته مكسور وتصير ديارهم بوار وهكذا فى التوراه وانحيل مذكورا وفى الكتب مسطورا وان هذا الرجل عند المسيح موقورا وعند الحواريين معروفا ومشهورا ولما سمع نوفيل منه ذلك المقال صعب عليه وكبر لديه حيث أطنب الحكيم فى صفته صلى الله عليه وسلم وقال له يا ويلك وحق المسيح والانجيل الصحيح واهب قمامه وصنجيل وقمص والراهب ريعع ودير سمويل وماجاء به السيد المسيح من الأقاويل لأجرى دماهم مثل السيل ولاصبر لى عليه وسلم منصور قال له ابعث ماشئت ودبر ما هويت وانما أنا خايف عليك من الندامة وعدم السلامة وأنا ما قلت هذا من الهوى وطريق المخالفة ولكن قد قرأت جميع الكتب المنزله وقصص الأنبياء المرسلة والحكمة والكهانة وكل من نسبت اليه الحكمه فى ذاك الزمان فوجدت صفه هذا الرسول بأنه هو الطاهر الأخلاق المؤيد من الخلاق المنصور على أهل النفاق مع أهل الشقاق (قال الراوى) ولما قال الحكيم هذا الكلام صاح عليه بطريق جبار من جبابرة الروم يقال له فقطونس ابن جرجيس وكان كافر عنيد وشيطان مريد أوحش خلق الله خلقا ونطقا يعالج بالصخور الكبار وبالأعمدة الحديد تتعوذ الروم من مكره وتخاف من شره وتحت يده ثلاثين ألف من البطارقة كأنهم العمالقة

فقال أيها الحكيم أنا أسير الى بلاد هذا الرجل الذى تذكر انه موصوف وفى الكتب القديمة معروف وأنا أخدم الملك نوفيل فى هذه المره وأعود عن قريب ولى ثلاثة خزائن فيها ثلاثون قنطار من الذهب وقد جعلت هذه الخزاين لهذه الطريق ثم عمل الملعون جميع مايحتاج اليه وغيرا حوله وخرج وما سار أكثر من سبعة أيام حتى نزل فى مرج يقال له مرج يوشع فنزل فيه وأوقد النيران وعلا الدخان ونظر الى عسكره وقد ملئت الآفاق ففرح وأعجب بنفسه وكفر وزاد فى كفره وتحير وقال أريد أجعل كعبة العرب بيعة للروم رغما عن أنف حكيمنا المذموم ثم نام وهو سكران من الخمر فرأى فى منامه أن السما قد فتح لها بابا ونزل له شخص رجلاه بقت فى الثرى ورأسه فى الثريا وهو ينادى يا ابن جرجيس يامن لعب بعقله اللعين ابليس الشيطان النجيس حول وجهك الى الموضع الذى خرجت منه فان الذى أتيتك فى طلبه هو صفوة الله من خلقه وخيرته من عباده وهو الذى يشير به المسيح والنبيون شهدوا برسالته صلى الله عليه وسلم ثم ضربه الملك بيده وإذا برأسه دخلت بين كتفيه وصار وجهه من وراء ظهره وركبتيه فى صدره ولما أصبح الصباح دخلوا البطارقة عليه ونظروا اليه وهو على تلك الصفه وقد سود لونه بعد ماكان أبيض وصار عبرة لمن اعتبر فوقع الرعب فى قلوب الباقين وحملوا وعادا راجعين وهو من الخوف لا يبدى خطاب وان سألوه لا رد جواب ووقع فى أصحابه الطاعون ولم يبق منهم إلى القليل ولما وصلو الى القسطنطونية ورد على كلب الروم نوفيل أمر عظيم وتقدم اليه وهو مرعوب وسأله عن حاله المقلوب فقال له أيها الملك انى رأيت من الرؤيا ماهو كذا وكذا وهو الذى جعلنى كما ترى ثم نهق ثلاثة مرات مثل الحمير ومات الى جهنم وبئس المصير وكان هذا هو سبب لانقطاع نوفيل عن محاربة النبي صلى الله عليه وسلم ثم هلك نوفيل وتولى بعده ولده ثم ان الخليفة قال لولده وللرجال أرجو من الله تعالى ان يعجل لهم الشتات والانتقام والهلاك فصاحوا أالمؤمنين وقالوا ياخلفة الله فى أرضه وفى ملكه نحن لانريد الدنيا الفانية الساحره وانما نرجو من الله تعالى الدار الآخره فبكا عبد الملك بن مروان وقال ليت غبار خيل المجاهدين كحلا فى عينى وترابهم على وجنتى وانى أرجو من الله سبحانه وتعالى أن أكون شريكهم فى الثواب ان ربى كريم وهاب وهو مسبب الأسباب وودع ولده الأمير مسلمه وأيضا ودع الملك الصحصاح وهما يبكيان وهو يقول له ياصحصاح ياولدى أوصيك بأخيك والله تعالى خليفتى عليكم وما أحد من الناس إلا وودع أهله وجيرته وداع من لا يعود وسار الأمير مسلمة بمن معه من العساكر والدساكر والكل مشتاقين الى الجهاد فى

طاعة رب العباد جل جلاله وقد رموا عن قلوبهم حب الساحرة واشتد بنفوسهم حب الدار الآخرة وفى تلك الأيام وصلت الجواسيس من بلاد الروم وهم يخبرن أن اللعين مخايل مات وتولى من بعده ولده اللعين لاوون وكان هذا اللعين جبار عنيد وشيطان مريد ومن جملة تحيره لم قعد لأبيه فى الغدا وقال ان أبى كان غير ناصح لملة النصرانية وأهل ماء المعموديه وقد نذر أنه لا يترك على وجه الأرض مسلما ولا من يكون بغير دين المسيحية متكلما وقد أنفق أمواله على عساكر وقد سدت الفضا وملئت المستوى وجمع تسعة عشر ملك من جميع الأقاليم وعزم على الخروج الى بلاد الاسلام بنفسه فقال له الوزير لوقا اعلم أنك طيب العيش مستقر وقد سمعت بما حصل لجدك نوفيل لما أراد الخروج الى نبي المسلمين وفى قصة فقطونس وجرجيس ما يكفى الانسان من الاعتبار ولما أن مال محمد نبي المسلمين صلى الله عليه وسلم وان شريعته منصورة فى بداية أمرها من السعادة وقد قابلها التوفيق من صاحب الاراده وربما أن يكون لهم دوله فيأخذ منا الجزية كما كانت اليهود تحط الجزية الى النصرانية فلما سمع لاوون من وزيره هذا الكلام صاح فيه وقال له بهذا التدبير كنت تدبر أبى حتى قويت شوكة المسلمين وضعفت قوة النصرانية والآن تريد تخوفنى أتظن أنى جبان مثل غيرى وقام من مجلسه وأمر بتجهيز العساكر وهو على نية الرحيل فلما سمع الأمير مسلمة من الجاسوس هذا الكلام رحل وطلب بلاد الروم وهو يجد فى سيره ليلا ونهارا فهذا ما كان من الأمير مسلمه (وأما ما كان) من كلب الروم فانه جهز العساكر وأرسلهم صحبه ملك من كلاب الروم يقال له ارمانوس فى مائة ألف بطريق وجهز كلب آخر يقال له مقلاعوس فى مائة ألف وقد أخذ معه قطعه من حافر حمار المسيح لأن البترك قد أعطاها اليه وقال له ان وقعتم فى شده امسحوا بها على وجوهكم ثم أوضعوها على رؤسكم فانكم تنصرون وتعودون ببركة حافر الحمار ثم خلع على مقلاعوس وقال له لا تخالف أرمانوس فيما يشير به عليك وساروا جميعا إلى أن وصلوا إلى ديار بكر وضربوا فيها بالسيف فقتلوا أهلها ونهبوا أموالها وسبوا نسائها وقال أرمانوس أنا لا أحب أسارى المسلمين فانهم يفسدون أهلنا ويجعلوهم مثلهم يقولون ان الله واحد ويرجع شؤمهم علينا وان القتل هو مرادى وأما عسكر المسلمين فانهم جدوا فى سبيل سيرهم حتى وصلوا إلى نجران وبقى بينهم وبين عسكر الروم ثلاثه أيام وبلغ الخبر الى اللعين أرمانوس فأمر بقطع الأخشاب وعمل جسر على الفرات وعبروا إلى الجانب الآخر وطمعوا فى أخذ بلاد الاسلام وقتلوا الاطفال ونهبوا الأموال وغرهم ابليس اللعين ونسوا سطوة رب العالمين وقد رفعت رأسها

امرأة من الاحرار الى قبله الدعاء وهى سماء الدنيا وقالت يا ربنا هل لنا ناصر غيرك أو لنا خلاص الا بك ثم انها بكت وسألت مولاها فأجاب الله سبحانه وتعالى دعاها وتضرعها وشكواها وأنجح طلبها وأعطاها ما تمنته من مولاها واذا بغبار علا وتار حتى سد الاقطار وأظلم منه ضوء النهار وبعد ساعة انكشف الغبار وبان للنظار واذا من تحته قد ظهرت رايات اسلامية وأعلام محمدية ورجال حنيفية ومواكب خليفية والاعلام مكتوب عليها كلمة الاخلاص المنجية قائلها يوم القصاص لكل مذنب وعاص اذا تاب ورجع الى مولاه وهى قول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها ومد صوته بها غفر الله له أربعة ألف ذنب وكتب له أربعة ألف حسنة فعندها صاحت الروم بحنا ومريم والصليب الذى هو عندهم معظم واصطفت عساكر النصرانية صفوف فكان أرمانوس فى القلب ومقلاعوس فى الميمنة وبطريق آخر يقال له جرفناس فى الميسرة ولما أقبلوا عساكر الاسلام ونظروا الروم اللئام ونظر الملك الصحصاح الى ذلك أقبل على الامير مسلمه وقال له يا مولاى نحن نصف عساكرنا صفوف ومواكب ثم نقدم على كل جانب أمير يكون له رأى صائب وان التدبير يا مولاى هو نصف المعيشه فقال له صدقت أيها الملك المكرم والسيد المعظم فقال أنا أكون فى القلب ومروان فى الميمنة وغانم فى الميسرة وعمى عطاف فى الجناح الايمن وعامر فى الايسر وأنت أيها الامير تكون فى الساقه تحت الرايات والاعلام لانك حافظ الجميع والجسر المنيع والحصن الرفيع ونحن بأنفسنا نفديك وبأرواحنا نقيك فشكره الامير مسلمة على ذلك الكلام وقد ترتبت الصفوف كما ذكرنا وقد ارتفع الصياح وجردت البيض الصفاح وأرادوا المسلمين الحملة واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم وهو راكب على بغلة شهبا تنهب الارض نهبا مليحة القوائم كأنها دعائم وعليها جل صوف أبيض كانه الفجر اذا فجروا راكب عليها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف سودا مانظرت مثلها عيون وعلى رأسه برنس أسود محبوك باللؤلؤ وفى يده عكاز أبنوس منشأ بالذهب وجعل يخرق الصفوف حتى قارب عسكر الاسلام ونادى أنا رسول اليكم وأنتم تقولون وما على الرسول الا البلاغ وقد نهى نبيكم صلى الله عليه وسلم عن قتل الرهبان والنساء والصبيان وانى معى رسالة الى ملك القوم وصاحب هذا العسكر من عند الملك أرمانوس وفى ذلك مصلحه العسكرين وفائده لفرسان الفريقين فخذوا لى الامان من أميركم حتى أننى أسير اليه وأقص ما معى من الرسالة عليه فقال له الصحصاح ادخل يا شيخ ولك الامان

ثم انهم رجلوه وقلعوه الصليب من حلقه وأخذوه وساروا الى عند الامير مسلمه فقال له الملك الصحصاح هذا ابن خليفة المسلمين وولى عهد أمير المؤمنين فتقدم اليه وقبل الارض بين يديه وقل له على ما معك من الرسالة فقال الراهب أما الارض فهى بساط الله تعالى وأما السجود عندكم لا يكون إلا لله الواحد المعبود وكيف تأمرونى أن أضع جنبي على الأرض لغير الله تعالى فقال له الصحصاح ياشيخ اقصد أن يكون سجودك لله وأما هو فهو عبد مثلك وهو أيضا يسجد لله رب العالمين فقال الراهب: وأما مامعى من الرسالة والكلام فانى أشرت على أرمانوس ومن معه وهو مقلاعوس أن فساد هذه الصور والأبدان حرام من جميع الأديان والصواب حقن دماء الفرسان ونقتصر على فارسين أو أربعة فرسان من بين الملأ ويزول التعب عنا والعناء والملك أرمانوس يقول لكم أنا قد فديت عسكرى بروحى فليفعل ملك العرب مثل فعلى فان قتلنى فمايبقى من بعدى لعسكر الروم مقال وإن أنا قتلته كانت هى واقعة الانفصال وأن قوام العساكر على اثنين أحدهم ابن الخليفة والثانى ملك العرب فمن شاء منكم أن يخرج الى أرمانيوس أو الى رفيقه مقلاعوس أو اخرجوا أنتم الاثنين الى أرمانوس وحده وتفدوا جميع الخلائق والعساكر بأنفسكم فلما سمع الملك الصحصاح منه هذا الكلام قال له ياراهب أنا أخرج اليهما هما الاثنين فان قتلونى فازوا بالظفر فارجع اليه وقل له إن البراز يكون غدا ان شاء الله تعالى فرجع الراهب وهو مسرور الى أن وصل عند أرمانوس وأخبره بما وقع وماجرى من الاتفاق ففرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لاشك أن ملك العرب هو الموصوف عندهم وكان قبل ذلك سمع بخبر الملك الصحصاح وشجاعته لأن نصارى الشام كانوا أعلموه به وأخبروه عنه وعن شجاعته وقوته وبراعته وحذروه منه غاية الحذر ولكن أين المفر من القضاء والقدر وكان اللعين أرمانوس فارس شديد وجبار عنيد مغرور بما عنده من الفروسية والشجاعة وكان يقاتل بالرهق والقنطارية والسيف والمزراق وسائر آلات السلاح ويرمى بالحراب وقوس النشاب ويضرب بالعامود الحديد والسيف والقرضاب وكان يقاتل الصخور وهو مركب على خبث ولعنة وفجور ولأجل هذه الأوصاف قدمه الكلب «لاوون» على سائر العساكر والملوك الرومية. ولما سمع أرمانوس أن ملك العرب الصحصاح أجابه الى أن البراز كاد أن يطير من الفرح لأن هذا اللعين واثق بنفسه ولما يعلم من شجاعته أنه لم يقاومه أحد فى بلاد الروم من الفرسان والشجعان فباتوا تلك الليلة والمسلمين مبتهلين بالدعاء من الله تعالى أن ينصرهم على عدوهم وأن ينصر الملك الصحصاح على هذا اللعين الجبار

وقد ذهب الليل وأقبل الصباح وأضاء الكريم الفتاح بنوره ولاح هنالك خرج الملك الصحصاح الى مقام الحرب والكفاح وقد صفت الصفوف وترتبت المئات والألوف وإذا بفارس من الروم خرج من بين الصفين واشتهر بين الفريقين ولعب بالرمح حتى حير كل عين وهو راكب على جواد عالى من الخيل الجياد شديد القوة كأنه من خيل عادم له قوائم كأنها دعائم وصوارى من حداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد الصينى المطلى بالذهب الوهاج وعلى صدره صليب من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وفى يده صارم ذكر كأنه القضاء والقدر وقنطاريه خلنجية شغل من كفر ثم إن ذلك الفارس لما صار فى الميدان كشف عن وجهه اللثام وزعق بصوت كالحمار ونادى من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فمابى خفى أنا أرمانوس المقدم على هذه الجيوش وخرجت أفديهم بالنفوس وأين فارسكم المعروف وملككم الموصوف فليخرج الى اليوم أسقيه كاس الحتوف وليبرز لى بين الصفوف حتى يشهد لناكل من يشوف (قال الراوى) وكان الملك الصحصاح لما سمع كلامه خرج قدامه وكان راكب على جواد مثل الغمام وصرخ فيه أتاك الصحصاح يا كلب اللئام واليوم تشرب من يدى كاس الحمام ثم انطبقا طويلا واعتركا ميلا والفرقتين ينظرون اليهما ويتعجبون منهما وكل من الطائفتين يدعو لصاحبه وبقت الروم تقول صاحبنا فارس الزمان والاسلام يقولون ملكنا فائق الأقران وقاهر الشجعان ومبيد الفرسان وفى الناس من يقول انهم متساويين ولكن الملك الصحصاح يفوق عنه بالايمان وينصره عليه الرحيم الرحمن وقد غابا عن الأعيان ساعه من الزمان وظهرا حتى شاهدهم كل إنسان وبعد ذلك وقع بينهما طعنتان قاتلتان فكان السابق بالطعنه الملك الصحصاح ولما رآها اللعين زاغ عنها وراحت خائبه فى الميدان وعزل على سرجه وبان وقصد إلى الملك الصحصاح برأس السنان فقفز من على ظهر الجواد بقى على الأرض والمهاد حتى ذهبت الطعنة خائبه وعاد فوق الجواد من غير أن يضع رجاله فى الركاب وحمل كل واحد منهما على صاحبه ورجع إلى الحراب والضراب وقد أخذوا فى الطعن والعراك والالتئام والشباك والمشاجره والخصام والادبار والاقدام حتى كلت الناس من كثرة الانتظار فعند ذلك خرج من الاثنين ضربتين قاتلتين واصلتين وكان السابق بالضربة ملك العربان وفارس ذلك الزمان فوقعت على فارس الطغيان نزل السيف الى حنكه والأسنان وقد شق منه اللسان ونزل الى صرته حتى وصل سرج الحصان فوقع أرمانوس على الأرض

نصفين وهو قتيل بين الصفين وشاهده الفريقين وعجل الله بروحه إلى النيران فكبرت أهل الاسلام والايمان وصلبت على وجوهها الكفار أهل الطغيان ونظر مقلاعوس ماحل بأرمانوس فنزلت عليه العكوس ونظر الى فارس الاسلام وهو عبوس ثم انه حمل وحملت معه الروم فحملت عليهم الاسلام والتقت الخصوم بالخصوم وتصادمت الخيل وبقت تقع وتقوم ودارت عليهم الافلاك ووقع الارتباك ودام الهلاك وحار الجبان من الموت وبقت المؤمنين راضية بقضاء الله الى أن ذهب النهار وراح وكان الملك الصحصاح كل مازعق وصاح تقع الكفار فى البطاح وقد فتك فى الرجال وأفنى الشجعان والأبطال وأباد الأقيال وقد افترقت الروم عن القتال (قال) ورجعت الطائفتين عند اقبال الليل وادبار النهار وتحارس الفريقان وجلس مقلاعوس المنحوس محل ارمانوس المعكوس وأحدقت به الروم اللئام فقال لهم على ماذا عولتم قالوا على ماتراه لأنك أنت المقدم والبطريق المعظم فقال لهم أنى قد عولت أن أبرزا لى هذا الرجل الذى هو ملك العرب وفارس الاسلام وأفديكم بنفسى وان قتلته فما يقوم لهم مقام من بعده ولما سمعت الروم اللئام منه ذلك الكلام وجدت لها راحة عظيمة للأبدان حيث إنه ضمن على نفسه هذا الضمان وأراحهم من قتال المسلمين لأنهم كانوا منهم خائفين وقالوا له أيها الملك إن أنت ظفرت به فقد بلغت المراد ولا تبالى من بعده بكثرة الأعداء والحساد واعلم أننا نكسرهم من بعده ويكون لنا الأمر وما أنزل بنا البأس والذل والا هذا الفارس المذكور الذى له بين الرجال قدر مشهور فقال لهم مقلاعوس دعوا عنكم هذا الخوف والبؤس فأنا أسقيه من الموت أمركؤس ولا أجعل له رأس تقوم بين الرؤوس وايش هذه الاطالة والهذيان فأنا وحق المسيح ما أذكره بين الشجعان ولا أعده بين الفرسان وفى غداة غد أسقيه كاس البوار لأن معى حافر الحمار الذى بركته عمت جميع الأقطار والآن هو معى وكان أعطاه لى البترك الكبير وقال لى إن هذا حافر حمار السيد المسيح الذى كان يركبه ويسوح به فى البر الفسيح ومادام معكم فان البركه لا تفارقكم وأنا محتفظ عليه إلا أن الملك أرمانوس ما أخذه بقبول فحل به الهوان وأمسى مقتول (قال الراوى) وأن مقلاعوس أخرج لهم حافر الحمار من وقته وساعته وعلقه فى رقبته وباتت القسوس حوله وهم يقرؤن عليه الانجيل ويبخروه برجيع البترك الكبير وظنوا أنه يبلغ آماله بهذا الشيء النكير وما يعلموا مادبره اللطيف الخبير فهذا ماكان منهم (وأما ماكان) من عسكر

المسلمين وعصابة الموحدين فكان لهم جاسوس عند المشركين ونظر اللعين لما علق حافر الحمار فى عنقه وبخروه برجيع البترك فعاد الجاسوس وأخبر الأمير مسلمة بما عاين فضحك حتى استلقى على قفاه وقال إن كان يستعان بالحمار فأنا أستعان عليه بالملك الجبار الذى أمر السحاب فسار وعم الدنيا بالأمطار وأنا فى غداة غد أخرج اليه وآخذ روحه من بين جنبيه وانظر حافر الحمار أم ستر الكريم الستار الذى قدر الليل والنهار فنظر اليه الملك الصحصاح وقال له ياأخى ما هذه الأخبار فقال إن الملاعين يستعينوا علينا بحافر الحمار ورجيع البترك الغدار وإنى عازم فى غد أبرز اليه فقال له الملك الصحصاح لا وذمة العرب وشهر رجب والرب الذى إذا طلب غلب ما يخرج اليه إلا عبدك الصحصاح وأفديك بالمال والأرواح وايش هذا اللعين الذى تبرز اليه ونحن فى خدمتك وبين يديك ولاتبخل بأرواحنا عليك والله يامولاى لاكان ذلك أبدا إلا إذا شربت كاس الردا فشكره وأثنى عليه وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال له ياأخى كفاك ماقاسيت فى هذا اليوم فقال له لا بد من ذلك فقال الأمير مسلمه إن كان الأمر على ما ذكرت والحال على ماعولت فلا تخرج اليه أنت ولا أنا وها هم عساكر الاسلام كثير فليخرج اليه أحدهم وليس من الصواب أن نسمح بك فى كل وقت لأن كل ما فى بلاد الروم ما يساوى قلامة ظفرك ونحن الكل بالروح نفديك ولا نسلم للعدا فيك فقال الجاسوس يامولاى إن الروم نزل فى قلوبهم الرعب من وقت ما قتل أرمانوس وكانوا عزموا على الفرار وما ثبتهم إلا هذا النجس الجبار وأوعدهم ببركه حافر الحمار وهو عندهم أهيب من أرمانيوس لأنه فارس منجوس ولولاه ماثبتوا ساعة واحدة فنسأل الله تعالى أن تدور عليه الدائرة ولما سمع الملك الصحصاح من الجاسوس هذا الكلام قال له ياويلك والآن ما يمسك عسكر الروم عن الانهزام غير هذا الملعون نسل الحرام فقال له نعم أيها الفارس المقدام فقال فى غداة غد إن شاء الله تعالى أعرفه كيف يكون مقامه وأنزل عليه بركة حماره وأسقيه كاس حمامه وأعجل له أيامه وإنى أرجوا من الله سبحانه وتعالى أن يطرح فى قلوبهم الخوف والرعب والبؤس حتى أنهم يخرجوا إلى مقلاعوس إلى البراز ومحل الانصاف والانجاز حتى أوريه مقام البخور بالابراز وأذيقه كاس الهوان بالسيف والسنان وأكسيه من دمه ثوب أرجوان وأرحله

مثل صاحبه أرمانوس وأقطع رأسه من بين الروس ويحل به من بعد العز العكوس
ولما سمع الأمير مسلمة منه هذا الكلام ضحك وزالت عنه الآلام وبقى يدعو له
وقال نصرك الله يامالك العرب ثم قال له ياأخى أما تخاف من الحافر فقال يامولاى
أنا أستعين عليه بالملك الناصر وهوالقادر وسيد الأوائل والأواخر فقال مسلمة نحن
ما تسمح أنفسنا بخروجك الى هذا الكافر الفاجر فقال وحق البيت ومن حج ومن
لبّ وضج لاقعدت عن الخروج الى هذا الملعون كلب العلوج ولكن أظن أنهم من
وقت ما ذكروا لك حافر الحمار خفت أن يرفصنى وأنا ما أخاف من رفص البغال
أو الجمال فكيف أخاف من رفص الحمار فضحك الأمير مسلمة حتى استلقى على قفاه
وقال له ياأخى ان كان ولابد من خروجك اليه فانى أدفع لك تعويذا أعيذك به وهو
مصحف الخليفة وكان بخط أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين الإمام علىّ بن أبى
طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه (قال الراوى) ولما سمع الصحصاح ذلك فرح
واتسع صدره وانشرح ثم انه أخذه منه وقبله ووضعه على رأسه وبات وهو مسرور
الفؤاد وبقى طول ليلته قائما يصلى شكراً لله تعالى على إنعامه وكان هذا المصحف
بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان عبد الملك أخذه ميراث
أباً عن جد وهو متباشر به غاية الاستبشار ولما حصل هذا الحرب أعطاه لولده
مسلمة وذلك من شدة محبته له لأنه ما كان يخرجه إلى أحد أبدا بل كان يقرأ فيه
ويوضعه فى خزانته لم ينظر اليه ولما كان فى ذلك اليوم أعطاه الأمير مسلمة الى
الملك الصحصاح لأنه خاف عليه من ذلك الجبار . وسنرجع لما كنا فيه من الحديث
وأن الملك الصحصاح بات فى صلاته الى أن طلع الفجر فقام وجدد وضوءه وصلى
صلاة الافتتاح وركب الى مقام الحرب والكفاح وركب معه الأمير مسلمة وأبطال
المسلمين وعساكر الموحدين وركبت الروم الملاعين وقد ارتفع الصياح حتى ملأ
الروابى والبطاح وكان أول من فتح باب الحرب والكفاح الفارس الجحجاح ملك
العرب الصحصاح بعد ما اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف وجردت
السيوف وأن الملك الصحصاح خرج وهو راكب على مبر من أولاد مزنة وكان
مهر عالى غليظ القوائم مليح الدعائم كامل الصفات سريع الالتفات لايبعد عليه
قطع الفلوات كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات :

حصان كالرياح العاصفات   يطير بلا جناح فى الفلاة
كعفريت يطير الى الثريا   ويرجع قبل لمح الناظرات

يريك جحواله كبروق تبدو ويخطف بالعيون اللامحات

(قال الراوى) وكان هذا المهر أحسن من مزنة فى جميع صفاته وأن الملك الصحصاح لما بقى فى الميدان صاح بين الصفين ولعب بالرمح حتى حير الفريقين ونظرته كل عين وحمل على ميمنة الروم شتتها وقتل منها فارسين من الشجعان الموصوفين فى الحرب والطعان ورجع إلى الميسرة قتل اثنين وعاد الى القلب ونادى أين مقلاعوس الكلب المنحوس اليوم أذبحه ذبح التيوس وقتل منهم وجرح وعاد فى وسط الميدان ووقف فعلمت الروم أنه يريد مقلاعوس فتطاولوا اليه بالأعناق ونظروه بالأحداق وإذا بمقلاعوس خرج وهوفى أنحس حال وفى يده صارم ذكر قاطع للنفوس وتحته جواد أصفر كأنه عاشق توكل به السهر أو كأنه الأبجر الذى كان لعنتر أفخر خيول كسرى وقيصر كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات :

أسابق الطرف بطرف سابق يدرك ما يطلب إدراك القدر

أصفر اللون له وثبة كأنه الدينارحسناً إذا ظهر

صهيله يطرب من يسمعه كأنه الرعد إذ الرعد زجر

لو سابق الريح جرى قبله والبرق لايلحقه إذا انحدر

(قال الراوى) وعليه عدة يطول شرحها ولامة حرب يزيد وصفها ولما رآه الملك الصحصاح عرفه فحمل اليه وأطبق عليه وأخذوا مع بعضهم فى الكر والفر والمستقر إلى أن ضاق منهما الصدر ورحل عنهما الصبر إلا أن الصحصاح هاج فى مقام الخطر وأرمى روحه على خصمه وماقصر وهجم على مقلاعوس كأنه القضاء اذا انحدر وضربه بكلية يديه أطاح رأسه من بين كتفيه . ولما نظرت الروم الى ذلك المصاب الذى أصابهم فى قتل ملوكهم وأصحابهم فحملوا من حنقهم على الصحصاح وقد عولوا على تلاف الأرواح فتلقاهم بالسيف وصاح وأجرى دمهم على البطاح فعندها حمل الأمير مسلمه وحملت الاسلام وعلا الصياح وعملت الصوارم فى الأشباح وعمل الحرب والكفاح وقفل باب السلامة وضاع المفتاح وظهرعلم السعادة للاسلام ولاح وبانت الوجوه الملاح من الوجوه القباح وأعلنت المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وقد قرأ القارئ : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وقد نزل عليهم النصر والمنة وقاتلوا فى ذلك اليوم قتال من أراد الآخرة وترك الدنيا الساحرة ورغب فى الجنان العلية وأنزل الله النصر على أهل الشريعة الاسلاميه والخذلة على ملة النصرانيه ولم تزل الخيل تعض على

أجتها وتقطع الحديد من أحزمتها والشجاع غارق فى الخلائق حتى تقنطرت الابطال من على ظهور الخيل وحل بالجبان الحزن والويل وقطرت الدماء مثل قطرات السيل وثقل على الأبدان الحديد وكلت من الحرب الأبطال الصناديد وبانت أعلام ملك الموت من قريب ومن بعيد والعباد تسردق والجو غسق والحرب تسردق وناره تحرق والدروع تتمزق والدما تهرق والصحصاح يزعق والرماح تخرق والسيوف تقطع والأبدان تصرع والبنود ترفع والسنان تلسع والعيون تدمع والنفوس تجزع والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والفرسان تتجندل والعربان تقبل إلى أن ولى النهار والليل أقبل فولت الروم مدبرين وعملت فيهم سيوف الموحدين وبقوا يقتلون منهم خمسين بعد ستين وثلاثين بعد عشرين وقد قتل من الروم الملاعين خمسون ألف وغرق فى البحر عشرين وأسروا منهم خلق كثير وقد غنموا المسلمين فى هذه الوقعة غنيمة عظيمة وأموال لاتحصى وخيول وسيوف ورماح بعدد الرمل والحصى وأخذوا جميع الخيام والثقال والذى انهزم من الروم ما أخذ معاه ولا عقال وأخذوا المال الذى كان أرمانوس أعده لنفسه ولعساكره وهو عشرون قنطار من الذهب كما قيل فى الأمثال : (ويأكل المال غير من جمعه) ولقد كتب الأمير مسلمة والملك الصحصاح الكتب الى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وهم يعلموه بهذا الفتح المبين وما أعطاهم الله سبحانه وتعالى من النصر على القوم الكافرين وأرسلوا الكتب مع خمسة آلاف من فرسان المجاهدين ومعهم للغنائم والأموال التى اكتسبوها من القوم الأندال وأقاموا ينتظرون جواب الامام وما زالت النجابة والعساكرين سائرين إلى أن وصلوا دمشق الشام ودخلوا على الخليفة ونظر ماقدموا به من الأموال فرأى شيء امتلئت به الارض والأماكن ففرح بذلك الخليفة فرحاً شديدا وقرأ الكتاب الذى أرسله ولده وهو بخطه وهو يذكر فيه ماصنع الصحصاح وانه ما كسر الروم وقتل الملكين إلا هو وأعانه الملك الفتاح وانه ما أحوجنا الى قتال ولا إلى نزال وأعاد اليه كل ماجرى فى الكتاب فدعا له الخليفة عبد الملك بن مروان بالسلامه من كل نكبة وندامه وأمنت على دعائه الحاضرين وقد ازدادت له أهل دمشق بالمحبه وهم يدعون اليه فى الشوارع والأسواق . وأما كتاب الملك الصحصاح الى أمير المؤمنين بالدعاء والسلام وبث الأشواق (قال الراوى) وأن الخليفة أرسل الجوابات الى الصحصاح والأمير مسلمة وهو يقول يا ولدى أعبر الفرات وأوضع السيف فى الكبار والصغار

وكونوا فى عقب هـــذا الفتح إلى بلاد الروم وأخربوا البيع والكنائس وعرفونى بمـا يجرى لكم يوم بيوم حتى أكون من أمرى على يقين من أخبار المسلمين وأكتب لكم بما تصنعون وأن تكون جواباتك بخطك وجوابات ملك العرب بخطه حتى انى أطمأن عليكم وأصدق سلامتكم وكتب إلى ملك العرب يوصيه ويهنيه ويعرفه بالأشواق التى عنده اليه وأرسل الكتب مع الرجال الذين أتوا بالسبى فساروا إلى أن وصلوا إلى الأمير مسلمة وملك العرب ودخلوا عليهم وسلموا بعد ماقبلوا الأرض بين يديهم وسلموهم الكتب فقرؤهم وفهموا ما فيهم وعدوا إلى الجانب الآخر وساروا وهم طالبين إلى بلاد الروم وقد أخذوا ما بين أيديهم من القرى والبلاد والأعمال ونهبوا الذخائر والأموال ولم يزالوا على ذلك الحال إلى أن وصلوا الى الخليج وقد علا فى القسطنطينية الضجيج ودخلت المنهزمين على الملك لاوون وأخبروه بما جرى فقامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامه فقال له الوزير لوقه أنايا ملك الزمان ما قلت لك فما سمعت منى كلام ولكن هذا كله حتى تعلم انى ما أقول الا الحق وماأنطق الا بالصدق والآن قد حلت بالروم هذه المحنة وأن العدو على الخليج قد نزل ولابد ماهم على الغدير ومابقى لنا غير التدبير فى دفعهم عن هذه البلاد وأن غفلت عنهم أهلكوا بقية العباد من بعد خراب البلاد وليس فى إمهالهم صواب لأنهم على الروم صاعقة من عذاب وقد أفنوا الشيوح والشباب ولابد أن تكتب أيها الملك الرحيم الى سائر الأقاليم حتى تأتى اليك العساكر من كل مكان ولايرجع الى بلاد الاسلام منهم انسان ونأخذ عليهم الدروب والطرقات ونمنع عنهم الماء والعلوفات ونرميهم بصارم الآفات ويكون المسيح قد أخذ لنا منهم بالتار وينكشف عنا هـــذا العار فقال له لاوون وحق المسيح لاتركت على وجه الأرض مسلم ثم كتب الى تسعة عشر اقليما وجمع الرجال وفرق عليهم العدد والأموال وأقام ينتظر الملوك والعساكر فهذا ماكان من كلب الروم (وأما ماكان) من الأمير مسلمة والملك الصحصاح فانهما نزلا على الخليج كما ذكرنا وكان هـذا الخليج إقليما عظيما لكونه مائة فرسخ مروج وأشجار وأنهار وأثمار وأطيار تغرد بجميع الألحان من بلبل وهدار سبحان الملك الغفار الذى قدر الليل وسخر الفلك تجرى فى البحار وجعل آية النهار مبصرة للنظار وأرسل فينا سيدنا محمد المختار الذى يشفع لنا فى الزحام من عذاب النار وبه سادة أتته على سائر الأخيار وفازت منها العبيد والأحرار وفى ذلك المرج قلاع بين تلك الرياض والازهار شاهقات ليس لاحد عليها طريق

ولا يصل اليها حجر المنجنيق والروم تسمى هذه الأقاليم الفردوس وذلك لما فيها من حسن الازهار وقد وصل كتاب من عند الخليفه يقول فيه اخرج ياولدى الاموال واعمل ستمائة مركب فى البحر واعبروا فيها الى القسطنطينية وتكون أنت وأخيك الملك الصحصاح والعساكر فى البر والاحمال والاثقال وبقية الرجال فى البحر لعل أن يفتحها وقد نذرت لله تعالى نذرا صوم ثلاثة أيام وأبنى فيها جامع حتى يكون كل كافر لصوت الاذان سامع وإن تعسر عليكم ذلك أرسل الكتب حتى أجهز نفسى وآتى اليك بكل من كان على وجه الارض من الاسلام ولاخير فى الدنيا الفانية بغير دوام وسوف ياولدى أمدكم بعساكر وأموال ورجال تسد الفضا وتملا المستوى فلا تأخذكم فى الله لومة لائم وعليكم منى السلام وسلم لنا على أولادنا المجاهدين وأن يدعو لنا بخير أجمعين ولما قرأ الامير الكتاب على جميع العساكر شكروا أمير المؤمنين وصاروا يدعون له (قال الراوى) ثم ان الامير مسلمة كتب إلى صاحب قونيه يقول له انى كنت معول على خراب البلاد وقتل العباد لاجل ما سبق منكم من الفساد والعناد والآن وصل الينا كتاب أمير المؤمنين وهو ينهانا عن ذلك ويأمرنا برفع السيف عنكم مادمت تحت طاعتنا ولانطلب منكم الا السير الى القسطنطينية ولا بدلنا من اعمال ستمائة مركب ومالنا عندك سوى قطع الخشب فانى كنت عازم على أخذ قوته بالسيف وأقطع من الأخشاب ما شئت لاجل المراكب وقد شاغلنى ملك العرب وقال ان هذا ليس بصواب وان الفساد مذموم فى سائر الأديان والصواب ان تقطع الأخشاب من هذه الأشجار والمروج وتصالح أهل قونيه وتطلب من ملكها وأرباب دولتها كلما تحتاج اليه من أخشاب وحديد ونجارين وكافة ما يلزم لصناعة المراكب وندفع لكم الاجر والاثمان ونربحكم فى الدرهم دينار وان أبيتم ما قلت لكم فما لكم عندى خلاف السيف والسنان وقد حذرتكم والسلام وكونوا فى رد الجواب مسرعين وأرسلو الى الاخشاب والحدادين والنجارين والا عجلت بهلاككم أجمعين وأجعل قونيه دكادكا ليس فيها من يعتقد شركا ونأخذ ماكان فيها من الاخشاب والاسلاب ولانبقى على الشيوخ ولا الشباب وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الاعلى ولما وصل الكتاب إلى صاحب قونيه جمع أرباب دولته ووجوه بطارقته ومملكته وقال لهم هذا كتاب ملك المسلمين وقراه عليهم وقال لهم ماذا ترون من الرأى فقالوا أيها الملك من طلب السلامة أصلح وأفلح وان لم تجبهم

أخربوا البلاد ولم يبقوا على أحد من العباد فقال لقد أشرتم بالصواب ثم كتب رد الجواب بأنه لما قد طلبتم أجاب وحمل الهدايا وأرسل الاخشاب وأمر بخروج النجارين والحدادين وأهـــل الصنايع أجمعين وشرعوا فى انشاء المراكب فأقاموا على ذلك ستة شهور وذلك الشهر السابع ومضى منه عشره أيام وقد فرغت الستمائة مركب وكذلك كلب الروم اجتمعت عساكره ورتبت دساكره وأنفق أمواله وجميع دخائرة وجاء عبد الصليب وهو عند النصرانية عظيم فقال الامير مسلمة إلى الملك الصحصاح اعلم ياملك العرب ان الجواسيس أخبرونى ان النصارى لهم عيد وهو عندهم يوم سرور وشرب خمور وتلعب نسائهم وتغنى بسائر الفنون ولابد مايشتغلون بلعبهم والصواب اننا تفرق العساكر فى هذه الليلة حول البيع فانها لاتخلو من الغنائم تستعين بها الموحدين على الجهاد فى طاعة رب العباد فقال يامولاى هذا هو الصواب وهو أعظم مرادى وماتأخرت عنه الا لقلة معرفتى بهذه الارض والبلاد وخفت أن يحدث من بعد الامور أمور فأكون أنا المطالب والمسئول بدماء المسلمين وان فرقت العسكر من عشره وعشرون كان أحسن لان العسكر الكثير لايخفى على النظر وتتقلب عند رؤيته الحصون ولاتصل الى أمر من الامور فقال الامير مسلمة صدقت ياملك العرب فانك أبصر بالحرب وأخبر ببلوغ الارب ثم انهم صبروا الى االيـل وقد رتبوا جماعة من العسكر وهم بالعدد والخيل وجعلوهم سرايا وأرسلوهم فى سائر الأقطار والجهات وأما الملك الصحصاح بعـد ما وضب السرايا والعساكر اشتغـل بتوصية الأمير مروان والأمير غانم وعمه عطاف أن لايغفلوا على العساكر وأمرهم باليقظة والحرس على من فى الخيام والمراكب خوفا عليهم من الغرق والحرق ثم انه سار وقد كان انفرد بنفسه بعـد مضى العساكر وهو على ظهر جواده وقصده أن يلحق بهم وسار الى أن مضى من الليل ربعـه ولم ير أحد وقد وقع عليه سلطان الـكرى فصار يدافعه وهو لايقدر وذلك لانفاذ ما قدر الله عليه وسطر وكانت له عاده أنه ينام على ظهر جواده إذاكان سائر فى أرض الحجاز وكذلك كانت هـذه عادة فرسان العرب فنام وغرق فى نومه وقد طاب له النوم وأحس الجواد بنوم راكبه فطمع فى السير وخاف على صاحبه وصار ركضا وقطع فى الطريق طولا وعرضا وهو معرجا عن الصواب لأن الجواد لايدرى هـذه الطريق ولم يزل على ذلك الحال الى نصف الليـل ووصـل به بعض الأجامات ودخـل به فى غابة من

الغابات وكانت تلك الغابة مشبكة الأشجار كثيرة الثمار فلم ينتبه الصحصاح إلا وقد دق الحصان الأرض بحوافره لأنه سمع حس بين يديه فعندها استيقظ من نومه وانتبه من رقدته ووجد نفسه بين الأشجار والأثمار والأطيار تغرد بالألحان وأشرقت النجوم وهى محتبكة فى الليل الداج وقد أضاء النهار والروض والنرجس ينظر بأحداق زاهية كما قيل فيه هذين البيتين :

غضى جفونك ياعيون النرجس　　منك استحيت بأن أقبل مؤنس
فأجابنى من بينهن النرجس　　بفصاحة من ألسن لم تخنس
قيل حبيبك مااستطعت فان من　　عادتنا كتمان سر المجلس

(قال الراوى) والطيور فى هذا المرج كقلعة شاهقة على مدينة كأنها بالنجوم لاحقة وهى تلوح فى ضوء القمر كأنها ملاصقة للسبعة الطباق والنهر فى الوسط كأنه عامود من فضة قد انسطح على الأرض وعلى جانبيه تلك الرياض كأنها الحسام المنقض كما قيل فيه هذه الأبيات :

الظل ممدود السرادق　　والظهر مفروش النمارق
أشجاره وثماره　　شبه الترائب والبخالق
والظهر قد نقش على　　جنباته طرز الحدائق
مرج يموت به الشتا　　من حسن أنواع الشقائق
قد غنت الأطيار فى　　طرقاته كل الطرائق
من كل قمرى يصيح　　وقد أمان من البواشق
والبلبل صاح وبلبلت　　ألحانه من كل عاشق
والاقحوان غصونه　　بيض النواصى والمفارق
والقلعة الشهباء تجلى　　فى السما والنور شارق
وكأنما نيرانها　　تحكى لنا الشهب السوابق

(قال الراوى) ثم ان الملك أتى الى جانب النهر فرأى عشر جوار نهد أبكار كأنهن الأقمار وعليهن الحلى والحلل وفى أوساطهن الزنانير الابريسم وفى أعناقهن الصلبان المرصعات بأنواع الجواهر المثمنات وفى ذلك قال الشاعر بعد الصلاة على النبي الفاخر صلى الله عليه وسلم :

أشرق المرج بما　　فيه من البيض الغوالى

من كل عذراء طلوب ذات غنج ودلال
فاتنــات بعيون راميــات بنبــال
صــائبات قاتلات لصــناديد الرجال
بزنانير حـــرير فوق أرداف ثقـــال
والى الارداف قلب صار يصبو للوصال
ياهنا من ضم منهم وتهـــنى بالوصال

(قال الراوى) وكان بينهن جارية مليحة القوام حلوة الابتسام كأنها بدر بدر فى ليلة أربعة عشر لاطول لها يشينها ولا قصر يعيبها أعلاها قضـيب وأدناها كثيب معتدلة القد قاعدة الهند موردة الخد سوداء الشعر كأنها البدر دعجة العينين والحاجب مقوس أعوج والطرف والثغر نقى أفلج وهى قد أفرغت فى قالب الجمال كما قال فيها بعض النظام صلوا على بدر التمام :

للحسن فى وجنـاتها بدع مايسمح الدهر من أوصافها
تسبي القلوب بحسن طلعتها وتميت أرواحهـا ثم تحييهـا

(قال الراوى) فهى أصل الورى وفتنة أهل الدنيا ملكت الأسرار بكلامها العذب وكل قلوب الناس فى حبها قلبت قلب وهى تتباها على جميع البنات والجوار الغاليات وتميس عليهم بحسنها والجمال وقدها والاعتـدال كما قال فيها من قال صلوا على باهى الجمال .

تزهو علىّ بألحاظ بديعـات كأنها من البنات الكسرويات
تبدو غلائل خديها موردة ماحسن تلك الخدود العندميات
كان طرفها من تحت غرتها ليل الهموم على صح المسرات

(قال الراوى) وهى تقول للجوار تقدموا حتى أتصارع أنا وإيا كم قبل أن يغيب البدر فى سرادق السماء وينجلى الصباح كما قيل فيه هذه الأبيات الملاح بعد الصلاة والسلام على أفصح الفصاح :

قد غاب وجه البدر فى ثوب السماء الأزرق
وبدا الصــباح كأنه نصح الحبيب المشـفق
فاشرب عليه واسـتبق قبـل الصـباح المشرق

(قال الراوى) ثم انها صاحت على جوارها وقالت لهم هيا الى المصارعة فتقدمت اليها الأولى فصرعتها وتقدمت الثانيـة صرعتها وتقدمت الثالثة صرعتها أيضا وتقدمت

الرابعة كانت لأخواتها تابعة وتقدمت الخامسة أخذتها من غير ممارسة تقدمت السادسة أخذتها بلا مجانسة وتقدمت السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة أخذتهم مثل البروق اللامعة (قال الراوى) وما من كل واحدة تتقدم اليها إلا أن تحط يديها عليها فيصير أعلاما فيها رجليها حتى أخذت العشرة وهى تضحك وتمايل من العجب والدلال وبقت كلما صرعت جارية حلت زنارها من خصرها وكتفتها به (قال الراوى) وكان الصحصاح واقف وهو يتفرج ويعاين ثم انه قال والله ان لكل رزق سبب من الأسباب وما وصل بى الجواد ووقع بى الكرى إلا لأجل هذا الرزق الهنى الذى قد أتانى بلا تعب وهذه والله غنيمة مالها قدر ولا قيمه ثم انه عاد الى جواده وركبه وهمزه فخرج به كأنه السهم إذا برق وقدعاد اليهم وخرج عليهم وقد أشهر حسامه وأظهر صولته واهتمامه وكبر وصاح والجوار مكتفات وعلى النهر مطروحات والجارية التى كانت تضحك عليهم لما نظرت الى الصحصاح قامت وهى تضحك ووضعت أقدامها على حافة النهر وكان عرضه ستة أذرع ووثبت وثبة صارت الى الجانب الآخر وقد أمنت على نفسها ونادت برفيع صوتها : منْ أنت أيها الفارس فلقد قطعت عنا سرورنا وأفسدت علينا ما صلح من أمورنا وقد أشهرت سيفك حتى كأنك حملت على عساكر الملك (لاوون) أخبرنا من أنت ومن أين جئت لنا قاصد والى أين تريد واعلم أن الصدق من شيم الكرام والكذب من أخلاق اللئام فلاشك أنك قد تهت فى هذه الجهات وخلاصك منها أكبر القيمات وأنت صرت فى وسط هذا المرج فلو صحت صيحة واحدة لنظرت حولك من يدوروا بك على التحقيق ويأخذوك على رأس المزاريق فقل لى ماذا تريد فان أردت الطريق أرشدناك وان كان قد غرك فينا الطمع فهذا عين الهلاك . فلما سمع الملك الصحصاح كلامها قال لها اعلمى أنى فى هذه الليلة سرت بنفسى أطلب غنيمة أغتنمها فلم أجد غنيمة أعظم من هؤلاء العشرة جوار فى هذه الليلة المقمرة آخذهم بين يدى وأذهب الى أصحابى فقالت له الجارية : اعلم أن الغنيمة ماوصلت اليها بفعلك ولو أن الجوار غير مكتفات لوثبوا من فوق النهر مثلى وصاروا فى هذا الجانب وكنت رجعت عنهم خائب وكيف تقول انهم غنيمتك أما قلت لك ان الكذب شين فقال لها الصحصاح السعيد من وعظ بغيره وقضيت حاجته وسلمت مهجته من غير أن ينال تعب .

﴿ تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الرابع

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى) فقالت له اعلم ياهذا لو لا انى أخاف أن يكون هلاكك على يدى لصحت صيحة ملأت المرج خيلا ورجالا ولكن أنا من عاداتى أن أشفق على الغرباء فهل لك أن تنزل عن جوادك وتغمد حسامك وتحلف لى بدينك وحرمة نبيك أنك وماتعتقد من يقينك لاتدنو منى بسلاح وبعد ذلك أتصارع أنا وأنت فاذا أنت صرعتنى ضفنى على من عندك من الجوار وإن أنا صرعتك تحكمت فيك كما أختار فقال لها وقد فرح أنى رضيت بذلك فقالت انى أخاف من غدرك ولا تصدق فى قولك وتكون معذور فى ذاك لأن الجمال يغير عقل الانسان ويفسد الأديان فان كنت تحلف بما أقول لك عدت اليك فقال الصحصاح فى نفسه والله انى راغب فى أسرها لأنها ما تعرف من أنا ولو عرفتنى ماوقفت بين يدى ولكن أنالا أعرفها بنفسى حتى انها لاتهرب خوفا منى ثم انه قال لها : ياصاحبة الحسن والجمال ومن مالت اليها عقول الرجال حلفينى بما شئت من الأقوال انى ما أضربك بحديد ولا أستعجل عليك حتى تأخذى أهبتك للقاء والصراع وتقولى أدنو منى حتى أصارعك فان ظفرتى بى عندى من المال ماأشترى به نفسى وان كنت أنا الظافر فانى نعم الغنيمة فقالت له صدقت لأننى أعظم فقال الصحصاح وذمة العرب وحق شهر رجب والرب القديم الذى اذا طلب غلب لقد رخصنى فى القيمة لأنك خراج جميع الآفاق من حجاز وشام ومصر وعراق فقالت له إن كان ولابد احلف لى بمن نصب الاعلام وأجرى الاقلام وركب الارواح فى الاجسام وأشرع الشرائع للأنام من يهود ونصارى وإسلام والا يكون حلال المسلمين عليك حرام والا يكون ما تقول النصرانية فى الثلاثة ان تعرضت لى بسلاح والا يلزمك الطلاق الثلاثة وانما تصارعنى وان غلبتنى فأنا لك حلال فقال للصحصاح

والله ان حلفنى قاضى قضاة المسلمين ما كان يحلفنى بمثل هذا اليمين ثم انه حلف لها ما أرادت من الأقسام وقد نزل عن جواده وربطه فى بعض الاشجار وهو غارق فى بحر الافتكار ويقول سبحان الملك الغفار الذى صورها بالاقتدار وخلقها من ماء مهين ثم صاغها فى قرار مكين وجعلها فتنة الناظرين ثم انه تشدد وتحزم وأخذ الأهبة للصراع وعلم انها مادعته الى صراعها إلا واثقة بنفسها وقد ناداها الصحصاح وقال لها ياستاه اعبرى الى عندى فضحكت وتمايلت عجبا وقالت له أعبر أنت الى عندى فانى لا أعبر اليك فقال لها والله ليس لى قدرة على ذلك فقالت له كيف تكون من الفرسان الكبار ولا تقدر على ماقدرت عليه البنات الصغار فقال لها أنت ماتأتى وأنا مالى قوة على العبور فكيف يكون العمل فقال والله ان ملكتها ما أجد هدية إلى الامير مسلمه إلا هى ولا أكافئه على ماصنع معى من الجميل إلا أن يكون بهذه الجارية إن عبرت الىّ وقربت منى ثم ان الجارية نادته وقالت له أما أنت على ماحلفت مقيم فقال لها نعم وحق السميع العليم فعندها وثبت مثل وثباتها فبقت عنده فدنا منها وتبين حسنها وجمالها فعاين لها جمال وافر وحسن باهر وجبين تحير فيه النواظر كأنها من الحور العين فبقت ليلى عند صباحة وجهها واعتدال قوامها وحسنها وجمالها كأنها الليل وهى هذه النهار لأنه نظر الى صورة قد أفرغتها يد القدرة بالجمال وهبت عليها نسمات وقابلها عند خلقتها طالع مسعود فمثلها فى زمانها ليس موجود ومحاسنها على صفاتها أكبر مشهود وقد ربيت فى حجور الدلال رومية الحكمة والجنس عربية اللسان والحسن تركية العيون كأنها شققت من حد الجفون تغزر حواجبها كأنه مرسوم حوله ترسل الجنون من بنات الروم إلا انها جمعت أحسن أوصاف العرب من كمال وجمال وظرف وذكاء وأدب ووفاء ثم انها نادت يامسلم تقدم قبل أن يهجم علينا الصباح بنوره الوضاح وكان عليها قميص مقصب مطرز بالذهب ولها أربعة عشر ذؤابة تنحدر على أكتافها ثم على الكفل يذهل من له نظر وهو يحكى ظلام الليل اذا غسق ولها عنق كأنه الغزال الأحور والشعر عليه ينحدر كأنها عقارب إذا لسعت العشاق لاينفع من لسعها ترياق وتعصبت بعصابة من الجوهر وهى على جبينها تزهر والصحصاح حين نظر الى جمالها تحير لأنه رآها فتنة لأهل الأرض فى طولها والعرض فحمل عليها وهو محترس على أخذها وقد تعلقت به وتعلق بها فما هى إلا وقد وقعت يده على خصرها فغاصت أنامله فى طيات أعكانها وهبت عليه روائح المسك من أردافها واذا ببطيخة عبيدى تحت دكة سروالها عند ذلك استرخت أعضاه وقل حيله وقواه وزادت لوعته وبلاه وبقى فى مقام الحيرة والخطر وتأوه

وبان لها منه التقصير وعلمت أنه بطل نحرير ولكن ماحصل له ذلك إلا ببركة الشيخ الكبير عند ذلك أسرته وبقى فى يدها مثل الزعفة فى الريح العاصف وصار يهتز كأنه الولهان الخائف ثم رفعته وألقته الى الأرض وقعدت على صدره بكفلها فغاب الصحصاح لما أحس بذلك الكفل الذى كأنه تل من رمل أو جبل وقالت له يامسلم أنتم عندكم قتل النصارى حلال فما الذى تقول فى قتلك وأنت فى هذا الحال فقال لها يامولاتى ما القتل إلا حرام فى سائر الأديان ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتل النساء والصبيان والرهبان فقالت له إذا كان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد أوصى بذلك قم فقد وهبتك نفسك فقام من تحتها وهوخجلان فقالت له يا هذا لاتخجل ولكن من يدخل الى بلاد الروم فى طلب غنيمة ولم يكن فيه ما يدافع عن نفسه من ذات ضلع أقصر ولسان أعوج فهو الى بيته أحوج فقال لها يامولاتى فما هذه نصفه وما صرعتينى إلا بحسنك وجمالك وهذا هو الذى صرعنى وطرحنى وقد وقعت يدى على موضع ماتمكنت من القبض عليه بل تزحلقت يدى حتى وصلت اليه ولحقتنى الدهشة فان أنعمتى بدست آخر لأنى عنك غير قاصر فلماسمعت الجارية منه هذا الكلام ضحكت وقالت له قد أجبتك الى ذلك وماتريد من المرام غير أن هؤلاء الجوارقد طال عليهم الكتاف وتعبت منهم السواعد والأطراف والصواب انى أحلهم من الوثاق والآلام فلربما طال معك المقام فقال لها يامولاتى. ومن هو الذى يخالف لك كلام فدونك والذى تريديه فهؤلاء جوارك وأنا الآخرمن ضمن خدامك ولا أريد أخالف مقالك فعندها تقدمت اليهم وحلتهم من الكتاف وقالت لهم بلسان الرومية اذهبوا الى حيث تأمنوا على أنفسكم حتى ينفطر طمعه منكم فعند ذلك ذهبت الجوار من حيث أمرتهم والصحصاح ينظر اليهن ولا يبدى لهن خطاب ثم إن الجارية عادت اليه وقالت دونك وما تريد ودنا كل واحد منهم الى صاحبه ورفعت ثوبها على كتفها وأعطته وركبها وانحنت عليه فعندها ارتخت مفاصله وعجزت قوته ولما علمت منه ذلك رفعته أسرع من البرق وجلدت به الأرض وقالت له خذ كفلى فى صدرك واعرف قدرك ثم قم فقد وهبتك نفسك مرة ثانية لأجل غربتك وضعف قوتك وان كان فى عسكر المسلمين من هو أقوى منك فارسله إلىّ ودله علىّ فأنا للصراع ملاكمهو مجالده ومضاربه ومخادعه ولم رأيتك تعرف شىء من هذا فقال لها وقد غضب من كلامها والله ياهذه ماصرعتينى أولا وثانيا إلا لما ضرنى كفلك فما بقى إلا أن تنعمى بالدست الثالث فهو دست القوة والصناعة لأن عقلى رجع إلىّ فى هذه الساعة فلما سمعت كلامه قالت له

سمعاً وطاعة ثم انها انحنت فصارت كأنها خشب محراب أو مقام فتمنى الصحصاح أن يكون امام ويصلى من خلف أو من قدام وقد انحنى الصحصاح وصار فى الجد لافى المزاح ووجدت منه قوة لم تعهدها فى أحد قط ولاشاهدتها فيه لافى الأول ولافى الثانى فقالت له يامسلم قدأخذت لنفسك الحذرقال لها نعم لعلى أن مابقى خلاف هذا الدست فضحكت فى وجهه فلمع ثغرها كأنه مصباح ثم أومأت بيدها كأنها تريد كتفه فرفع يده يريد أن يردها فخطفت ركبته أسرع من البرق وعلقت رجله وألقت ثقلها عليه أرمته الى الأرض على ظهره وقعدت على صدره وقالت له رجعت قوتك اليك كما ذكرت وأخذت بثارك من النوبتين الأولتين وما قصرت الآن اذهب الى المسلمين ودل علينا غيرك يامسكين ثم انها جمعت نفسها ووثبت فعبرت الى الجانب الآخر وقالت له يعز علينا فراقك اذهب قبل أن يطلع عليك الصباح وتخرج البطارق اليك بالسلاح وأنت ما فيك قوة تدفع بها عنك النسوان فكيف تدفع الابطال الشجعان فتحير من ذلك وصغرت نفسه عنده وقال لها وقد أعرضت عنه وهى طالبة القلعة يامولاتى تمضى وتتركى هذا الغريب فضحكت وقالت له متى كانت الصحبة والمودة قبل حاجتك فقال كيف أطئ أرضك وأرجع من غير ما آكل من طعامك وقد صرت تحت زمامك وظهر لى إحسانك فاكرمينى من غداك فانى أريد أن أكون ضيفك فقالت لايأبى الضيافة إلااللئيم مرحباً بك على الرحب والسعة والكرامة اركب جوادك وسر على جانب هذا النهر فأنت فى ضيافتى ولو أقمت شهر كامل (قال الراوى) ففرح الصحصاح وبادرالى جواده فركبه ولم يزل سائرالى أن وصل الى جسر ممدود بأخشاب من الجوز فيها بكر بسلاسل البولاد وفيها أقفال وكلاليب فلما نظر الى ذلك تعجب غاية العجب ونظر واذا بالجوار الذين كانوا معها هنالك قيام فى انتظارها فكلمت جارية منهن بالرومى أن قومى اليه وخذى جواده وائتى به الى الحصن ثم ساروا والصحصاح معهم الى أن صعدوا الى القلعة فتحير الملك الصحصاح مما رأى وقال ياليت الأمير مسلمه كان معى فى هذه الليلة وقد قال لها يابديعة الجمال وقاتلة الرجال الآن قد صار لى عليك حرمتان حرمة الصحبة والأخرى سعيى الى منزلك والى طعامك وبقيت تحت حكمك والزمام فلو أنك تنعمى لى بالمسير الى عسكر المسلمين وتتفرجى على كتائب الموحدين ويبان لك من هو ضيفك ويقابل إحسانك بمثله ولو انه لم يقدر على القليل منه فلما سمعت كلامه تلألأ وجهها وأقبلت عليه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندى ذوعقل والآن قد رأيت ما فى باطنك من العناد وكيف تتكلم بكلام تنسبنى به الى الفساد

كيف كنت أصنع وأنا أعلم ان مثلى إذا حصلت عند خليفتكم لم يكف نفسه عنها وعن سفاحها وكيف إذا وجد سبيل الى التحليل والنكاح ونحن نحل لكم فى شرعكم حيث عندكم فى القرآن وما ملكت أيمانكم وكيف اننى اطمئن اليكم وأما قولك تفرجى على عسكر المسلمين فأول ما نزلتم على الخليج لم أر لكم ترتيب الملوك وانما أنتم عرب الحجاز وليس لكم رونق الملك وان كان قصدك أن أرى أموالكم فذلك فى عينى حقير والمال عندى كثير وقولك تعرفينى من أنا فانى لم افعل الجميل لاجل جلالة قدر الانسان انما أصنع الجميل لكل قاضى ودان وما كان يجب لمثلك أن يقول هذا الكلام ولوكنت الصحصاح المقدم على عساكر الاسلام فقال لها وهل سمعتى خبر الصحصاح قالت نعم وقد رأيته وهو فى لامة حربه فى مرج الخليج وكان يلعب بالاكرة والصولجان مع الأمير مسلمة ابن خليفة المسلمين وحق المسيح لولا خفت أن يسمع عنى انى جاريه من بنات الروم لخاطرات بنفسى مع عساكر المسلمين وقتلت مقدمهم وما كان علىّ عارفى ذلك وانما أخشى أن تكثر خطابى وأنا لم أرغب فى الزواج ولا فى الرجال بل يميل قلبى إلى ربات الحجال وانما أخشى أن يصير خبرى إلى ملك الروم وما أدرى بعد ذلك ما يكون لأنه كما قيل والأذن تعشق قبل العين أحيانا ولى الزواج شاغل لأنى قرأت الكتب وسائر كلام العرب وأشعارهم وملوك الروم وأخبارهم ولى فى الفروسية أكثر مما رأيت فى الصراع ولا أحب أظهر نفسى بالشجاعة وقد ظهرت لك العلامة ولو حضر الصحصاح مقامك فى هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لعجز عن ذلك الحال ولا يمكنه هذه الفعال وهل هو الاتربية البرية من العرب الذين لا لهم تجمل ولاأدب وإنما تقدم على هذه الجيوش بسبب وقد أعادت عليه قصة الأميرة مروه كانها عاينتها ولولا خوفى من الذى قلت لك عليه لمضيت اليه وآخذ روحه من بين جنبيه وانى أشتهى من السيد المسيح ان يأتى الى حصيبا حتى أخرج اليه فى زى الرجال من العرب ليعلم من الشجاع المنتخب ولما سمع منها هذا الكلام أخذته نخوة العرب لكن رده حسنها والجمال وكان لها أعظم شافع وقد أمسى الصحصاح وهو من لحظها يتألم بلا جراح وهو كما قيل

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد — جاءت محاسنه بالف شفيع

وقيل أيضا فى حق شفاعة الحسن وقوة الصراع هذه الأبيات

فى وجهها شافع يمحوا ساءتها — من القلوب وحبى لها شفعا

إذا تأملتها ناديت من عجب — البدر فى ليلة الاقبال قد طلعا

لوأن عنترة العبسى سارعها   معوصف قوته فى ساعةصرعا

(قال الراوى) ثم إنها أخذت بيد الملك الصحصاح وساروا حتى وصلوا إلى القلعة فأتوا إلى خدمتها البوابين ولم يجسر أحد أن يسأل عنه قال الصحصاح فرأيت درج فطلنا إلى أن وصلنا إلى باب عظيم بقنطرة ففتح ودخلت وأنا معها فرأيت سبع دهاليز فى كل دهليز قنديل من البلور يشعل وتلقتها الجوار بالشمع المكفور فى أنوار الذهب ثم انه قال لقد صغرت عندى كل نعمة رأيتها ثم دخلت إلى الدار فرأيتها مرسومة بأنواع الصور وسقف الدار مطلى بالذهب الأحمر والأرض بالرخام من كل لون يحير وبركة مركب عليها أربعة وعشرون أنبوبة ترمى الماء حول ذلك الرخام وفى ذلك المكان سرير عليه فرش من الحرير فقالت الجاريه اصعد على ذلك السرير فصعدت وغابت الجارية عنها فقيل انها ذهبت الى منامها لأن الليل قد اقترض والظلام قد اعترض ولا بد للعين أن تأخذ حظها من النوم ولكن هانحن برسم خدمتك ممتثلين أمرك ثم انهم حملوا اليه المائدة وفيها من غرايب الأطعمة فأكل من الدجاج لا غير وغسل يديه وبقى متفكر فى شأنها وكيف سلم نفسه اليها وهو حماية المسلمين وكيف صار فى هذه القلعة مع الكافرين فرجع على نفسه بالملامة وقال ما عذرى يوم القيامة وقد القيت نفسى فى التهلكه ويكون ذلك سببا لكسر عساكر المسلمين وكلما صنعته من الفعل الجميل يذهب به هذا الفعل القبيح إنا لله وإنا اليه راجعون ولم يتم ليلته إلا وهو سهران إلى أن طلع الفجر وظهر الصباح وقد قيل فى الأمثال لاعيش لخائف ثم ادعا بالماء فأتوا اليه بأبريق من الذهب وطست من الفضة فتوضأ وصلى صلاة الاصباح وهو متفكر فى حاله نادم على فعاله وقال لقد نفذ سهم القضاء فى مهجي وغطى المقدور على بصيرتى فما عذرى غدا إذا وقفت بين يدى الملك الجبار ويسأل كل راع عن رعيته وقال لى ياصحصاح ما الذى حملك على ترك مصالح المسلمين فى بلد غريبة البلدان مقام أهل الكفر والطغيان يعبدون الصخور والصلبان ما الذى صنعت فيما استخلفك فيه الخليفه وما رعيت فيما استرعاك ولا كافئته فيما أنعم عليك وأعطاك بعت الآخرة بالدنيا الساحرة حتى نظرت وجه الكافرة وجعل الصحصاح يتضرع ويتذلل إلى الله سبحانه وتعالى ويقول يامن صرف كيد النساء عن يوسف عليه السلام يامن لديه كل غاية ومطلوب ولم يزل كذلك قلقا مما حل به من الشدة والفكر وقد طالت عليه المدة فأنشد يقول صلوا على الرسول

لم أعدم الحزم ولكننى   ذهبت فى المأمن من مأمنى

من كان يكشف عن قصتى ۞ من بعد ذا الظفر قط مالامنى

(قال الراوى) واذاهم بصيحة عظيمة قد أقبلت وهم أكثر من عشرين جاريه كأنهن الأقمار مثل البدور وقد أسلبن الشعور وفى وسطهن تلك الجاريه وهى كانها الشمس الضاحيه فى السما الصاحيه وعليها ديباجا ملكى وفى وسطها زنار محبوك بأنواع الجواهر وضم الزنار خصرها حتى صار محبوك وردف كانه كثيب تحت قضيب ونهد فى صدرها كانه معقود يغيب العقول عن الوجود وأما الصحصاح فانه كادأن يطير من الأفراح ونسى العسكر والخليفة والكل راح ونظر إلى رأسها وإذا عليها شبكه من اللؤلؤ الرطب الكبار الذى لايوجد مثله فى سائر الأقطار ومن حوله الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق وهى تضىء كانها مرآة والجوار عن يمينها وشمالها يرفعون طرف اذيالها فوثب الصحصاح قائما وإلى الأرض لائما وكادان يطير عقله عادما ورأى ماتتحير فيه الأبصار وتدهش عند رؤيته الأفكار ولما ان رآها كادأن يصرع وجعلت الجاريه تنظر إلى الصحصاح وتكرر فيه النظر وقد أجلا النهار غوامض الأسرار إلى أن حققته وعرفته فتحيرت من هذا الاتفاق الذى تدبر باذن الواحد الخلاق فتقدمت اليه وقالت له أنعم المسيح صباح الملك الصحصاح وأصبحت بأسعد صباح كيف كانت ليلتك بعد الصراع والمزاح فقال لها وقد تحير من كلامها ياسيدتى ما هذا الكلام وأين هو الصحصاح فقالت له ان الكذب عند العرب منقصه وعار لاسيما عند الملوك الكبار وأنت أمير الجيش والمقدم على عساكر المسلمين وزخيرة أمير المؤمنين وترس قبر نبيكم محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لاتكتم حالك ولاتخفى شأنك فما أسمع محالك وأن الكذب يورث الغضب والسخط والبغضه وقد نفذ فيك سهم القضا فعليك بالتسليم والرضا فقال والله أنا والصحصاح دونك وما شئتى فافعلى لأنى بحكمك وتحت زمامك فان كنتى على العهد فانا كذلك وان أبيتى ونقضتى الذمام فانى أنقض الأمان ولا على فى ذلك ملام لأنى ما نقضت إلا وأنا فى أضرم النيران ولست والله بخائف أبدا وما أتيت معك إلى هذا المكان إلا ولى طاقة بأنى القى أهل القلعة من رجال ونسوان وشيوخ وغلمان واللهولو كانوا ألوف أسقيهم بعون الله وقوته كاس الحتوف وأملك الحصن قهرا وأقتل كل من فيه خمسا خمسا وعشرا عشرا وأنا ابن جند به المعروف بين الخلق بدوى وحضر فقالت لما سمعت كلامه وبان لها شدته واهتمامه ياصحصاح لقد وصفت نفسك بالصفات الملاح ولكن أين كان عقلك لما بدت لك ربات الحجال الذى غير راغبه فى الرجال ووقعت فى

زهق خديعتها وصرت فى قبضة حيلتها وقولك أنك تأخذ الحصن فهو كما غرك الطمع فى أخذ الجوار وكان الأمر بخلاف ما فى نفسك وما تختار فأحسن كلامك وأغمد حسامك فانى أتحمل منك أكثر من هـــذا لانك ضيفى وأكلت طعامى وتحزمت بزادى وصرت تحت زمامى وحق السيد المسيح لو أن أهل الحصن طلبوك لما قدروا عليك ووصلوا اليك إلا أن تذهب روحى بين يديك فأنت فى أمان المسيح وأمانى وقد سألتنا الضيافة فاضفناك والى العربده ما أوجبناك وانما حين نزول العسكر شاهدناك ولهذا قد عرفناك وقيل ان المعرفة نسب لاسيما عند سادات العرب وعند أهل الكرم والحسب (قال الراوى) ثم جلست إلى جانبه تحادثه وتضاحكه فزال غضبه ومضى وعلم أنها لو أرادت به غضبا لفعلت فى ليلتها ثم انها كلمت جاريه بالرومى فغابت ومضت وعادت ومعها قدح من الذهب مغطى بمنديل وفيه قطعة من الثلج ولبن حليب وعسل نحل قد مزج بماء الورد والسكر النبات وقالت ياملك العرب لاتلومنى على هذه الفعال لأنى سمعت عن بلاد الهندانهم يستعملون المعاجين والأطعمة مع حوز الطيب وورق الزنجبيل ومع ذلك كل من وصل إلى بلادنا كان هذا له أطيب وأحسن وأجود يزيل مابه من الأذى لأن البقاع تغير الطباع مثل الرضاع ثم ناولته الكاس وقالت له اشرب فما عليك من باس فأخذه وهو متفكر فى نفسه ويقول هذه شربة الهلاك وربما تكون رامت قتلى من غير مدافعه وأريد أجاهد فيهم بسيفى فهو أفضل مما أشرب شراب حتفى فعلمت الجاريه سبب توقفه فقالت له وحق المسيح ما الأمر كما خطر ببالك وليس لمثلى أن يميل إلى ذلك ولو أردت قتلك لكان ذلك بسيفى ولا أعجز عنك وحدى وفى وقت صراعك كان معى سكينه مسقيه بماء المنيه ولو كنت أردت قتلك لفعلت ولكن قد قيل عنكم أنكم رويتم عن نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كان الغدر طباع فالشفقة بكل أحد عجز فهات الكاس وأخذته وشربت منه ثم ناولته اليه فشرب وقد طاب قلبه فقالت له هنيا فهذا موضع قبله من فمى ثم أنها أدعت بالطعام فأتت الجوار بمائده عليها من غرائب الألوان النافعه لصحة الابدان من حلويات ولحومات ومن جميع أصناف الطعامات ثم جعلت تحادثه وتلاعبه وتقدم له لحم الخرفان الرضع والدجاج المثمن وبقى الملك الصحصاح متوقف عن أكل الطعام معرضا عن ذلك الأنعام فنظرت اليه نظرة الكرام وعلمت سبب امتناعه عن الطعام مع حاجته اليه وهو جيعان فقالت له ياصحصاح وحق فالق الاصباح وخالق الأرواح فى الأشباح الذى اختص بأنواع شتى وهو الذى يحي الموتى لا أستحل أن

أدعو مسلما إلى ضيافتي وأطعمه لحم الخنزير ولا يكون طعامه إلا فى آنية ماطبخ أحد فيها وتكون غسلت سبع مرات وعندكم تزول النجاسة من الاناء بغسله ثلاث مرات إلا ما لفق الكلب فانه يغسل سبعه مرات احداهن بالتراب ولولا أن نبيكم صلى الله عليه وسلم أغلظ عليكم فى لعق الكلب وإلا كانت العرب من حبها فى الكلاب ما تأكل إلا معهم حيث يحرسون لهم البيوت فكل الآن وطيب قلبك وأنا المتقلده فى ذلك بذنبك فلما سمع منها ذلك الكلام علم أنها قرأت شيء من العلوم والآداب فقال لها والله يامولاتى ما رأيت فى سائر النساء مثلك وما بقى يعوزك شيء سوى الاسلام ومايكون تحت السما مثلك فى سائر الأيام فضحكت وقالت كذا قولى أنا أيضا لو تنصرت أنت لم يكن فى النصرانية مثلك لأن لك شواهد تدل على انك أشجع أهل زمانك خصوصا حيث القيت نفسك إلى حصن فيه عالم عظيم وعز مملكة الروم ولو أرادوا بك سوء القيتهم وحدك وكنت بهم مليا وهذا غاية ما يكون من الأقدام فكل الآن الطعام واقبل مايكون من الاكرام فوحق المسيح انى من القوم الذين وصفهم الواصفون موائدهم لم تزل مصفوفة وأموالهم للسائلين غير معكوفة فجعلت تسايره وتحادثه وهم يأكلان وهى تقول حسن أكل الانسان يدل على بيان صفته ولاتنكر حديثى فقد قال نبيكم عليه الصلاة والسلام إذا كلتم فتحدثوا بخلاف اليهود والنصارى والعجم إذا أكلوا لزموا السكات هذا والملك الصحصاح طاب له الطعام وأفرحه هذا الكلام وهو يأكل أكل الملوك أهل الأدب وهى تتعجب من حسن صفاته وكماله ومع ذلك فهو من العرب الذى لاعندهم حياء ولا أدب وبعد ذلك قدمت الفواكه والأثمار وأنواع الحلويات والمربات فقال الصحصاح فى نفسه طعاما ماأكلته طول عمرى وبعد مارفع الطعام وضعت بين أيديهم الأباريق والطشوت التى هى من الفضة والذهب وقد أمرت باحضار الشراب الذى عتق وحير الألباب فاتوا لها بالصهباء التى قد أخذت برد الماء وخفه الهوى ولون النهار وحمرة الجلنار وطعم العسل ورائحة المسك الأزفر وسكبت منها فى الكاس ومزجته فكان كما قال القائل

لست أدرى من رقة وصفها هل هى فى الكاس أم الكاس فيها
أسقنيها صرفا ولاتمزجيها لأقتل الهم والغم فيها

(قال الراوى) ثم مدت يدها إلى الملك الصحصاح وقالت له تفضل اشرب ياملك العرب حتى اغنى لك فقال يامولاتى أنا رجل حاجى ومجاهد فى سبيل الله سبحانه وتعالى وهذا عندنا حرام فقالت اسمع ياملك وحق المسيح ما يجدشيئايدبر عامود نور

العقل مثل هـذا الذى يجرى فى الأعضاء إلى عروق الصلب وبها يذهب كل هم وغم ويجلب الفرح والمسرة ولايخرج الانسان من عقـله حتى يفعل فعلا يدل على جهـله وان لم يغلب السكر على العقل واللب فليس ذلك بعيب على أنه يغضب الرب فقال يامولاتى ليس لى بذلك من حاجة فقالت له ياملك عندى ما هو أعظم من ذلك وهو شراب التفاح الذى هو عندكم مباح وهو عندكم ليس بحرام فما قولك فى هذا فقال ان كان هذا ليس بحرام فلا بأس به ان حضر فاقبلت على جارية من بعض الجوار وكلمتها بالرومى فغابت وعادت ومعها ثلاثة جوار يحملن ثلاثة أوانى من الذهب وفى كل آنية قنانيتين وجام وطاس وجميع ذلك من البلور وفى ذلك شراب التفاح وفى الثانية مطوق السكر والعسل وماء الورد الجوزى وهو المثلث الذى طبخ على النار وقد وضعوا لجميع بين يدى الملك الصحصاح إلا أنها خشيت أنه يتوهم من ذلك مثل ماتوهم فى الأول فشربت من كل آنية قدح فأنار زنار خدها وقدح وطلع على وجهها نور الفرح ثم أخذت من شرابها قدحا قالت هذا هو الخندريس وهو الشراب النفيس لاسيما فى يوم الخميس وما قصر من أكل من ذى اللحوم وأطيبها وأصلحها وأعذبها وهو لحم الضأن وهو يزيد فى الجسم ثم انها جعلت تشرب وكلما وضعت القدح على شفتها يزيد فى حمرتها وقد اجتمع فى وجهها لونين البياض والحمره فكانت روضة للناظرين ونزهة للعاشقين ولم تزل تشرب إلى أن دبت الصهبافى رأسها وطلعت الخمرة على تلك الخدود وماست ومالت فى أعطافها إلى الحد الذى يوجب الحد فظهرت فى العيون النرجسية وتوردت الخدود المذهبه هنا لك هتكت أنامل المدام ستور الاحتشام ونادت عندذلك بجاريه وقالت لها اسرعى بعود فهو أفخر الملاهى لمن يكون بذلك لاهى ثم قالت ياصحصاح هـذا النا مباح وليس علينا جناح والله تعالى يعفو عما فوقه ويعاقب ماهو دونه فلا نقول ما اسمع الغنا كما قلت ما أشرب الصهبا فما يكره ذلك الا عديم الحس سقيم النفس لاسيما إذا كان المغنى قد كمل الملاحه وحوى فيه الفصاحه وقد قيل فى هذا البيت المفرد

ان كنت حازقا فاشرب مع مغنية فما ينطق الفن حتى ينطق العود

ثم انها ادعت بعود ناطق بلا لسان يطرب الحزين الولهان وترتاح اليه القلوب من حسن الألحان وعنـد ما أصلحت الأوتار اسرت القلوب ودب سرور الصحصاح ونسى الفرق بين الحلال والحرام وجعل ينظر اليها وإلى ما أعطاها الله تعالى من الحسن والجمال وخصها بالكمال وحسن الصوت اليها والدلال فكانت الدنيا عنده لا تساوى شيء كما قال فيها القائل هذه الأبيات

لعوبة بألباب الرجال كأنها إذا أسفرت بدر بدا فى المحامد
من البيض لاتلقاك إلا مصونة وتمشى كغصن البان بين الولايد
كأن الثريا حين بانت عشية على نحرها منظومة فى القلايد

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح قال سبحان من خلقك من ماء مهين وكونك فى أحسن تكوين وأن الجارية جست أوتار العود وضربت عليه طرايق عدة ورفعت صوت أطيب من النعيم وأرق من النسيم حلو النغمة يحكى صوتها الحمامة الولهى وتورث المسامع وتحرك الساكن الراقد ويعود العابد بوصالها عابد وتشجى القلوب وتصبح العاشق منهجرها مكروب وتستقراليها النفوس ووصلها يزيل الهموم والعكوس وان غناها كان بالرومى فلم يفهم الصحصاح منه شيئا ولكن من حلاوة صوتها ونغماتها وحسن صناعتها لعبت بالعقول وسلبت لب أصحاب المعقول وكل من سمعها سكر من غير شراب راح وطرب وارتاح وتمايل كتمايل أغصان التفاح عند هبوب الأرياح . ولما رأته الجارية قد طرب وفرح ولعب ودبت فيه نغمة الوتر حتى لم يبق له مصطبر فعندها غنت بصوت شجى ولحن ندى فصاح الصحصاح لما سمع منها الغناء العربى وقد أخذت بعقله ولبه وهى تغنى وتقول هذه الأبيات :

طلعت من مطالع الأزرار وهى شمس تعرف بشمس النهار
وقد أفرحوها بدم العشاق فصارت تحكى شقايق الجلنار
فأشارت بكلام أمضى وأنفذ من حد صارم الاقتدار

(قال الراوى) وعند ماسمع الملك الصحصاح هذا الغناء منالجارية قال وحق من بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نبيا واصطفاه بالرسالة نجيا لقد خيل لى من فرط الطرب أن الدنيا تميل من تحتى والسماء تلعب فقلت لها يامنية القلب وراحة اللب ونزهة الزمان وياقرة عين الإنسان لقد نسيت بك والله العسكر وذهب عنى الفكر وحل بى ماقد حل فقالت ياملك العرب أغنىصوت ثانى فقلت لها ومن الذى يكره العافية أريد منك ثانيا وثالثا وان زدتينى من هذه النغم فتكونى قد غمرتينى بالاحسان والإنعام فقالت صدقت ولكن والله الثالث هو شرط الكفاية من المغنى وأما غيره إذا حصلت العناية فعلنا فقال لها حبا وكرامة إن القليل منك كثير فقالت :

الزهر مثل سوالفى وخدودى والظل مثل مخانقى وعقودى
والعود قد لعبت جوانب مائه ما بين أفخاذ وبين زنود
فاشرب لمن عقد المزاح حبابها راح لفرط سلافة العنقود

(قال الراوى) ولما فرغت الجارية من هذه الأبيات نظرت الى الصحصاح فوجدته قد غاب وعدم الحركات فضحكت وقالت له يانور العين هذا الثانى وبقى الثالث وبعد ذلك انبسط كما تحب وتختار فقال يامولاتى ما ينبغى للعبد أن يخالف مولاه فيما يأمره به وينهاه فليطلب رضاه ويبلغه مناه فعند ذلك تبسمت وجعلت تقول :

لاتشرب الخمرة الصهباء يا أملى ... إلا على طفلة حسنا كما يجب
يا منشد الشعر غنى لى على قدحى ... واملا واسقينى من ابنة العنب
لما تولع منى الطرف بالوصب ... تمكن الحب فى الأحشاء والنهب
وانهل جوهر الدمع من مقلى ... يسح سحا مراميها كما الشهب
فالحب أصعب من ضرب الحسام ومن ... طعن القناة ورمى النبل فى الصعب
والبعد يمرض من لا يطيق له ... والهجر داء من أصعب الصعب
أجالساً بين هذى الغيد ينظرهم ... اشرب هنيئاً وطب يا أطيب النسب
يا ابن جندبة يامنهل الجود ويا ... من هتك الغيد راعى الله يا عربى
اصغا نظامى وكن بالله حا كمنا ... واجلى معانيها بالله وانتحب
عارضت شعرك فيما قد نطقت به ... فقلت لفظا بها من أعجب العجب

(قال الراوى) فلما سمع الملك الصحصاح فيها ذلك الشعر غاب عن الدنيا وقد زاد فرحاً وسروراً واستعذب كلامها وشعرها ونظامها وقال فى نفسه ان هذا أمر عجيب مع أنها روميه وفهما زايد فى العربيه ولكن قد أعطاها الله الحسن والجمال وأطلق لسانها بالشعر والنظام ثم أنه زاد به الشوق ورجع الى طبع العرب فأنشد

الجسم منى أورثموه الضنا ... وخلفتوا جسمى يرعى الصباح
أواه ما الصعب الا من الهوى ... على أهل العشق أهل النواح
من ذا الذى تظن الحب سهل يطاق ... أو شبه الجد مثل المزاح
من لم يكن يعشق حسان الوجوه ... ويشرب الصهبا بين الملاح
ها ذاك اتركه كذارى به ... ما ذاك بين الناس الانطاح
والعاشق الولهان مجلى الخمور ... ها ذاك عندى ما عليه جناح
ياست البنات ويامنيتى ... إنى أنا الصحصاح ليث الكفاح
يامن لها المجد على مثلنا ... وقدها قد فاق طول الرماح
أصبحت حيران كثير السها ... مضنى ولكن ما علىّ جناح
إذا صحت أو عربدت بين الورى ... وزدت بالشكوى وكثر النواح

من ذا يلومنى فى البكا والنحيب ... والقلب مأسور بيد الملاح
هم فتنة الدنيا ولذاتها ... بهم يطيب العيش والانشراح
كم أهلكوا شخصاً وكم قد غدوا ... ومنهمو من قلبه فى العشق راح
فاختر لنفسك فى الهوى جويرة ... واعكف بها جهدا على شرب راح
واشرب شراب الخمر بين الورى ... واستنشق السوسبان بالعبق فاح
والورد فى الأزهار سلطانها ... والآس والمنثور لبسا الوشاح
والزهر والنسرين ثم العنبر ... والياسمين قد زاد حسنه الاقاح
وانظر الى النور قد صار لونه ... أصفر وأخضر ثم أحمر فراح
بالله ياساقى المدامة أدر ... خمر القنانى بين أهل السماح
وقل لقضاة العشق ياظلما ... لو كان حرام العشق ما كان صلاح
فالعشق فى الأصل شرب الخمور ... هذا وإن شئت فعند الصباح
ما حكم الأقدار بأشعارها ... بنت المغانى هى قهوة الاصطباح
وأنا فارس الأبطال عند اللقا ... فاصغى الى حسن المعانى الصحصاح

(قال الراوى) فلما سمعت الجارية من الملك الصحصاح هذا الشعر والنظام هاج بها عند ذلك الغرام وزاد فى قلبها الاضرام وقالت والله هذا هو الكلام ثم انها أخذت العود وضربت به الى أن رقص المكان طرباً وأشارت تقول :

يانسيم الصبح قد هيجت بلبالى ... ولم تزل نغمة الأوتار الحلال
مدامة بكر فى دجاجتها ... كأنها الشمس فى نور وإشعال
فى أول الصبح ما أحلى مذاقتها ... وآخر الصبح قد تبدو بترحال
بديعة القد تغدو والجمال لها ... عم أعم بها والحسن فى الحال
الله أكبر وا غوثاه يا أملى ... مثلى بعين على حالى وترحالى
والله ما كنت عنكم فى الهوى سالى ... لو سال دمى ولو أن الحشا سالى
وكيف أسلوكم ياسادتى وبكم ... يطيب عيشى ولا بالوصل أوصانى
فكيف لاترحموا صباً يهيم بكم ... ودمعه فوق صحن الخد هطال
أصبحت زائد وجداً ووهانا ... ولو رآنى عزولى اليوم أرثا لى
قلبي قريح وفيه النار ساكنة ... معذب نيران بين الضنا حالى
ياويل من ملك المحبوب بهجره ... وسلوه لمن فى حبهم سالى

(قال الراوى) فلما سمع الملك الصحصاح منها ذلك الشعر والنظام قال لها والله

يامولاتى انى لم أزل طول عمرى مشتاق وداعى لعمرك بطول البقاء وقد ذكرتينى بأيام الصبا والانشراح وجلبتى إلى السرور والافراح وقد زاد بى البسط والانشراح وإنى لا أريد فراقك لا فى المسا ولا فى الصباح وان قدر المولى علينا بالفراق فياطول بكايا والنواح وإنى أسأل الله تعالى أن لا يفصل لى منكى جناح ويعطف قابك علينا وتسمحى مع بالرواح ولا يكون عليك فى ذلك جناح وان كان غير ذلك فانى أسأل الله تعالى الملك الفتاح أن يصبرنى على فراقك فى الغد والرواح فلما سمعت منه الجارية ذلك الكلام ضحكت وقالت ان كان لك نصيب فى ذلك يكون لله الأمر الذى يقول للشيء كن فيكون فلما سمع الصحصاح ذلك الكلام طمع فيها وقال ياهل ترى رق قلبك إلى دين الاسلام وان كان كذلك فما بقى على ملام وان ملكتها أخذتها إلى ابن أمير المؤمنين فى الخيام فبينما الصحصاح والجارية فى ذلك الكلام وإذا بضجة عالية وجلبة نامية ورجال عليهم هاجمة وهى زاعقة وبأيديهم السيوف بارقة وهم مايه من البطارقه ومع كل واحد منهم حربة وطارقة وهم ينادون بالروميه ويقولون وقعت ياخبيث فى ذلك الأسر وغلبة القهر ياكلب العرب قد نزل بك الهلاك والعطب ولا بقى ينجيك من هذا المكان الهرب ولما نظر الصحصحاح إلى ذلك أيقن بالهلاك وسوء الارتباك وذهب ماكان فيه من السرور والطرب وقال لقد عملت على هذه الجارية الحيل وما كانت أمهلتنى فى هذه الأيام وشغلتنى بالغنا والأشعار وشرب العقار إلا زورا منها ومحال وقد خدعتنى بحسن المقال وما فعلت معى هذه الأفعال إلا حتى وصلوا اليها هؤلاء اللئام ولقد أوردت نفسى موارد الهلاك والانتقام ثم انه التفت إلى الجارية وأراد أن يوبخها على غدرها فوجد وجهها قد تغير وعلاه الغتام وقد ركب عليه بعد الحمرة الاصفرار بعد ماكان مثل الجلنار وقامت على الأقدام وبقت فى وجه هؤلاء البطارقة الاجرام وقالت لهم ياويلكم من أنتم ومن أين أقبلتم يانسل الحرام فقال لها البطريق المقدم عليهم وهو المشار اليه فيهم أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفى من هو الذى عندك هذا هو مخرب البلدان ومذل الشجعان ومبيد الأقران وخارب بيوت الأصنام والصلبان هذا المقدم على عسكر خليفة الزمان هذا نار الملة الحنيفية هذا مفنى أهل ماء المعمودية هذا الذى يتم أولاد النصرانية هذا قاتل الملك أرمانوس ومهلك البطريق مقلاعوس هذا الذى لاقت منه الروم الذله والبؤس ورأينا منه كل يوم معكوس هذا هادم البيع وقاتل الرهبان والقسوس وقد أوصلت الينا أخباره مع الجاسوس وتحدث معى الملك لاوون بأمر هذا المنحوس ولما سمعوا الروم أنه عندك

فرحوا بذلك لأنه ياملكة كانت جواسيس الروم فى عسكر المسلمين فلما كانت ليلة عيد الصليب خرجت سراياهم وما خرجت سرايا وإلا ومعها جاسوس يكشف حالها ويعلم الملك بفعالها إلى أن خرج هذا المقدم على جيوش المسلمين والجاسوس يتبعه إلى أن وصل به الجواد ودخل به وسط الأشجار ثم خرج ووقع بجوارك وحصل بينك وبينه ماهو كيت وكيت والآن هو تحت يدك وقد احتويتى عليه بصولتك عندها أتى الجاسوس وأخبر الملك بذلك وانه قد أرسلنا وهو يسلم عليك ويقــول وحق المسيح ان القلعة التى أنتى فيها والعشير التى يليها اليك مسلمة فان الذى حولها جميعاً قد أصبحوا عتقاك من هذا المسلم الذى احتويتى عليه فالمسيح يطول عمرك ويمتعنا ببقاك قد نصرتى عسكر الروم بأخــذك لهذا البطل الهجوم وأرحتيهم من القتــال والحرب والنزال وعندما سمعت منه هذا الــكلام تغير لونها وقالت له من أنت أيها البطريق فقال لها أنا عبدك جرفناس بن بولص بطرق البطارقة فقالت وكيف دخلت من باب القلعه من غير إذنى فقال ياملــكة وصلت إلى الباب فما منعنى أحد وما جرت العادة بأن رسول الملك إذا جاء يقف على الباب وليس هذا موضع الاطاله لأن الوقت ضيق والملك منتظر وصول هذا المسلم اليه الذى أمرنا بأخذه حتى ترحل عسكره عنا وينقطع طمعهم منا (قال الراوى) ولما سمعت الملــكة ألوف منه ذلك الــكلام تغير لونها واضطرب كونها وقالت اسمع منى ياهذا اعلم ان هذا الرجل مادخل قلعتنا وألقى نفسه بيننا إلا وهو واثق بنفسه أنه يلقى ألف فارس من أبناء جنسه وحق المسيح ان جندى وعساكر أبى كلهم فى القرى متفرقين يحفظون مافيها خوفا أن تغار عليهم عسكر المسلمين وكنت سألته عن اسمه فأخبرنى على أنه هو الصحصاح وما أتى إلا فى أخذ الحصن فجعلت أسايره خوفا على نفسى منه وان رمت أخذه فهاهو أمامك وبين يديك وسيفه وعدته بين يديه لا يفارقهم أبدا فقال اللعين جرفناس إذا أمنت من غضبك وسخطك فانى آمر المائة بطرق يهجموا عليه ويأخذوه أسير فقالت لا كرامة لــكم فى ذلك ليس هو إلا فارس واحد وأنتم مائة بطريق ومن ذا الذى يرضى بهذا الذل والغدر إنما انصفوه واحد لواحد حتى ننظر من منكم يأخذه ليكون له عند الملك الشرف الزائد ويشاع خبره بين الأماجد فقال جرفناس وحق المسيح لقد أشرتى بالصواب والأمر الذى لايعاب ثم قال البطريق لا يخرج اليه غيرى فقالت الوف اصبر حتى أعرفك بما يجرى بيننا من الخطاب فان أجاب كان هو الصواب وإن أبى فلا سبيل لــكم اليه ولا قدرة لــكم عليه وأنا وكل من فى الحصن نفديه وبأنفسنا

نقيه ثم انها أقبلت على الصحصاح وأخبرته بما قال البطريق وماقالت له فتبسم من قولها وعلم أن ذلك ليس بمرادها فرجع على نفسه باللوم وكيف ألقى روحه فى بلاد الروم وهو وحيد فريد ثم أقبل على الجارية وقال لها يامولاتى مالنا ولهذه المطاوله أنا ما أريد أن أبرز لواحد واحد حتى يطول علينا الأمر وإنما أريد أبرز اليهم مرة واحدة وأقطع منهم النحور كما انهم قطعوا ماكنا فيه من السرور وأنا لوكان معى خمسه أنفار من عسكر المسلمين يحمون ظهرى كنت ألقى ألفا بعون الله تعالى من هؤلاء وخمسون ألفا ولا أبالى بهم وكنت إذا أقمت اليهم وأنا عطشان ظمآن لاأشرب الماء حتى أفرغ من آخرهم فقالت له والله ماأتركك تخاطر بنفسك وقدقال القائل

أمريض الأجفان عذبت قلبا ... كان قبل الهوى قويا سويا
لاتحارب بناظريك فؤادى ... فضعيفان يغلبان قويا

(قال الراوى) فعند ذلك وثب الصحصاح بوجه أنور من المصباح وامتضى سيفه وجمع أذياله فى دور منطقته وهجم على البطريق وهو كأنه العتيق وحمل عليه وهو مثل الزنديق وكان الملك الصحصاح يهمهم ويدمدم ورجع الى طبع العرب وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ستعلم اليوم ياجرفناس ... بأننى أشجع أهل الزمن
ألفت ألوف بما قدمت ... إلى الفداء وفعل حسن
وروحى الفداء لمعروفها ... لقد غمرتنى بهذى المنن
ولولا شوقى وألفى بها ... لما كنت عندها أنا مرتهن
وسوف ترى عقب ماقلته ... إذا صادفتك صدوف المحن

(قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على بدر التمام ثم انهم حملا على بعضهما وأعلنت الحروب بينهما وقد اشتعل شرارهما واحمرت الحدق مماجرى لهما فاستعجل البطرين بالضربه ثم سرح وصاح فخلا منها وبطلها الملك الصحصاح وعاجله بصيحة أعظم من صيحته وضربه بالسيف على رأسه فشق حنكه وأضراسه حتى قطع دكة لباسه فوقع على الأرض شطرين وانفلق على الأرض نصفين ولما نظرت الملكه ألوف الى ذلك عظم الصحصاح فى عينها وعلمت أنها ما صرعته إلا بجمالها وحسنها واعتدالها مع قدها ثم إنها أقبلت على البطارقة وقد تحيروا من هذه الضربة وعظم عليهم مانزل بصاحبهم فقالت لهم ياعباد المسيح خذوا بثار صاحبكم

وليخرج اليه أحدكم فما هو ضيفى بعد هذا اليوم فخرج اليه أخو المقتول فحمل على الصحصاح وتقدم اليه وصاح وأشار الى قوائمه بالسيف فقفز الصحصاح أكثر من خمسة أذرع فى الرياح ثم عطف على البطريق ونادى حى على الفلاح وضربه بالسيف ألقى رأسه فى البطاح فنادت ألوف : يخرج واحد منكم فخرج واحد ألقاه والرابع على الارض أرماه والخامس ألحقه برفقاه حتى قتل منهم سبعة عشر والجارية تنظر اليه بعين العجب وقد ألقى الله تعالى محبته فى قلبها زيادة عما كان عندها وقد وقع الرعب فى قلوب الباقين ولم يجسر أحد منهم يخرج اليه بل أرموا أنفسهم عليه وطمعوا بالوصول لديه فوجدوه ذوقوة وشان فى موقف الحرب والطعان سفاك للدماء صابر على النضاء وهو معود للقتال وشدة النزال كأنه الجبل الصدوم أو الأسد الهجوم لباسه درعه وصارمه قلبه وترسه وجهه وقد طير الروس واختلس النفوس وطحنهم طحن الرؤوس وكان ذلك اليوم عليهم عبوس أفنى فيه الأبدان وقطع الروس ومن ضربه على رأسه خلع منه الضروس وكانت الملكه ألوف لما نظرت الى القوم وقد هجموا عليه صاحت بالجوار وقالت من عندكم فى الحصن من الرجال فقالوا ما فيه غير البوابين فأمرت الجوار أن يلبسوا عددهم ويأتوا يساعدوا الملك الصحصاح على قتل هؤلاء الأنذال فمضوا وهم من أمرهم على عجل وهى مضت ولبست عليها صدرة زرد وأخذت فى يدها صارم مهند وقالت وحق المسيح لا بخلت بروحى على ضيفى ولو صرت معيرة فى بلاد الروم ولو عاديت أهلى وقومى فما رجعت اليه إلا والقوم قد انهزم منهم أربعين ومات ستين وقد أتت جوارها وهم لابسين الزرد وبأيديهم السلاح وهم من خلفها وهى من أمامهم مثل المصباح . ولما رأتهم وهم مجندلين وقد نزل عليهم عذاب رب العالمين فرحت ألوف وقالت له بمثلك نفتخر فلله درك يا صحصاح . وكانت جاءت وهو يقول هذه الأبيات :

فعالى هكذا يوم القراع ... وكم أرديت من بطل شجاع
وكم فرقت فى الهيجاء جيشا ... وأتركها طعاما للسباع
تركت ليوثهم فى الأرض صرعى ... على الرمض وفى تلك البقاع
وعملاق وجفال حسامى ... أبادهمو غزاة الامتناع
وأرمانوس أصبح فى الفيافى ... بسيفى وهو يخبط بالزراع
ومقلاعوس أصبح وهو مثله ... قتيل السيف من بطل شجاع
ولم أغلب ورب البيت يوما ... على رغمى سوى يوم الصراع
ونور البدر أدهشنى وأضحى ... قيادى فى يدى ذات القناع

نزلت ديارها فى طيب عيش وفضل جازل بالاصطناع
سأذكر فعلها ما دمت حيا وأدعو ما دعا لله داعى

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره نظرت اليه نظرة المحب الى المحبوب وقد تعجبت من فصاحته وحسن شجاعته وقالت لا ردك الله ولا كان من يشناك ولا شمتت بك عداك وكان الله ناصرك على أعداك ثم انها خلعت ما كان عليها من الزرد والى صدرها ضمته وبين عينيه قبلته ومع كثرة محبته فما يفعل شىء من ذلك لأنه ما كان يريدها إلا للأمير مسلمة ولما نظرت منه ماهوفيه من العقل والأدب والدين زادت فيه محبة ومودة (قال الراوى) ثم ان الملك الصحصاح نظر الى الملكة ألوف والى الجوار وجد الكل مقلدات فى ملبوس الزرد والسلاح وهم قادمين من كل مكان فقال ماهذا يامولاتى أتاكم جيش من عسكر الاسلام أو أتاكم جيش لاوون أما إن كان جيش الاسلام فانى أرده بأحسن كلام . وأما ان كان جيش لاوون فأنا بالله أقسم ماخليت أحدا منكم يطلع الى لقاه مادامت روحى فى الجسد بل انى استلقاه هو وجيشه ومن كان معه ولما سمعت منه هذا الكلام قالت له تسلم ياقرة العين أما والله مالبسنا الزرد إلا من خوفنا عليك وقد أتينا لمساعدتك وما كان مجيئنا إلا عند قضاء الحاجة وانتهاء الشغل وقد سرنا الله بسلامتك ثم انها دعت بالبوابين وقالت لهم كيف تركتم هؤلاء القوم يدخلون علينا بلا إذن فقالوا لها أيتها الملكه فما جرت العادة أن نأخذ الإذن الى رسل الملك فقالت لابل أردتم بذلك قتلى ثم انها أمرت الصحصاح أن يضرب رقابهم فكان لهم شافعا وقال يامولاتى العفو من شيم الكرام وهؤلاء ماجنوا ذنب يوجب القتل فقالت له هل أكثر من ذلك يكون ذنب وانى لا آمن على نفسى منهم مرة أخرى لأن هذه الفعال قد جعلت الروم لى أعداء فقال لها اتركيهم من أجلى ومن خصوص الروم فما تفكرى فيهم فأجابته وتركتهم وهذا على غير مرادها وانما عفت عنهم من أجل خاطر الصحصاح ثم جلسوا على ما كانوا فيه من الانشراح وقالت انى قد سمعت شعرك وافتخارك ولكن ما كان وقت للجواب وقد صبرت لما هدأ غيظك وان شئت المبارزة دونك فضحك الصحصاح وقال لها يامولاتى وهل يبارز العبد الى مولاه ويخرج الى مقام الحرب ويلقاه أويشهر فى وجهه حسام فما يكون ذلك إلا من أولاد الحرام ولاسيما إن كان بالجميل قد أولاه ولما سمعت منه ذلك قالت له والله ياملك العرب أما المولى فهو أنت وأما أنا فلك أمه وأما الشجاعة فهى كلها إليك نسب وأما الجميل فهومن بحرجودك يستعار

وما القلعة إلا قلعتك ومن فيها فهم لك تبع فشكرها على ذلك الصحصاح ودعا لها وبات تلك الليلة عندها على ما جرت العادة . ولما أصبح الله بالصباح فقال لها الصحصاح أنا فى قصدى أن أسير الى عسكرى ولابد أن كلب الروم يطلبنى منك فتكون حجتك أنك مافعلتى ذلك إلا بغير اختيارك وتقولى أنا ماقدرت على خلاص الحصن منه إلا بالاحسان اليه والتلطف بين يديه وكيف الذى عجز عنه مائة بطريق هل كنت أنا له أطيق وهذا القول يقيم لك العذر عند ملك الروم ومع ذلك فانى أنا وجميع عسكر الاسلام طوعا لك فيما تريدين ولو شئت لفتحنا القلاع والحصون وسلمناهم اليك وأيضا نسلمك بلد القسطنطينية فشكرته على مقاله وقالت له ما على بالى من ملك الروم وزن حبة وانما أنا ما فكرى إلا فى غيابك عنى وقد أخذت روحى معك ياليتنى لم أعرفك وأما عذرى الى ملك الروم فهو واضح إن كان عنده ناصح وكانت هذه القلعة التى هى بها مانعة ولها رساتيق عامرة ولها ثلاث فراخ الى بلاد الروم وكان الجاسوس قد مضى وخبر عن السرايات الذى سير الأمير مسلمة والملك الصحصاح الى بلاد الروم فبعث هؤلاء القوم من البحر الى هذا الحصن ولما هرب منهم من فسح الله فى أجله ساروا الى المراكب التى كانوا أقبلوا فيها وبقوا مجدين ومن الموت هاربين ثم انهم دخلوا على الكلب (لاوون) وأخبروه بالحال فقامت عليه القيامة وقال وحق المسيح لأحرق الجارية بالنار وأرمى حجارة القلعة فى البحار فقال له وزيره (لوقه) ما هذا بصواب لأنك اذا بعثت عسكرك إليها والمسلمين نازلين بالقرب منها وملكهم عندها فيحملها الخوف والانزعاج فتلجأ الى الأعداء وتبقى عسكر الاسلام لها عونا ويستلمون عند ذلك قلعتها وتصير لهم مكانا ومنزلا وفيها مال عظيم يستعينون به علينا ويصلوا بالأذية إلينا والصواب اننا نمهل أمرها حتى يعودوا عسكر المسلمين عنها ويرحلوا من ديارها تبقى تفعل بها ماذكرت وتبلغ منها جميع ما أردت . ولما سمع (لاوون) كلام الوزير علم أن كلامه حقاً ونصيحة صدق . فهذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من أمر الملك الصحصاح فانه لما طلب الرواح فقالت له والله انى ما أريد فراقك بعد هذه الصحبة فقال لها وأنا والله كذلك إلا ان قلبى خائف على الاسلام من فكر كلب الروم فقالت إن كان ولابد من ذلك فلاتنقطع عنا فأجابها بالسمع والطاعة فودعها وهى ودعته وقالت له تكون فى حفظ الله تعالى وهو خليفتى عليك وبعد خروجه فما هان عليها بل خرجت خلفه الى خارج القلعة وأراد أن يركب ويسير فتقدمت اليه وعانقته وقبلته فبقى الصحاح

من غير عقل وتلجلج لسانه عن الكلام وتقدم إليها وودعها مرة أخرى وبكى وأنشد يقول :

لا أبلى الله عاشق بالفراق　　إن يوم الفراق مر المذاق
لو وجدنا الى الفراق سبيلا　　لأذقنا الفراق طعم الفراق

(قال الراوى) فلما رأته يبكى رثت له وبكت وقالت له لاتبكى ياملك العرب وإنى ما أريد فراقك ولو خاصمت أبى وإخوتى وعود معى الى القلعة ونكون كيف شئت ولا تبالى من أهل الدنيا فقال لها يامولاتى سأعود إليك إن شاء الله تعالى ولا أغيب عنك إلا حتى أنظر ما الذى حصل لعسكرى فى غيبتى فقالت له إن كان ولابد من الرواح اليهم فلا تبكى لأنك فكرتنى بقول القائل :

مضى ذهب الخدين مع بياضها　　بياقوت دمع المقلتين مودعا
فكادت له روحى تقطع إن بدا　　على خده سيل الدموع مقطعا

(قال الراوى) وقد سارالصحصاح ومعه ثلاثة غلمان من غلمانها وهم يدلوه على الطريق فهذا جرى لهؤلاء . وأما ما كان من الأمير مسلمة فانه لما افترقت العساكر فى ليلة عيد الصليب كان يظن أن الملك الصحصاح معهم ولما كان من الغد رجعت السرايات من كل جانب ومكان ولم يرجع الملك الصحصاح وقد سأل الأميرمسلمة عنه فلم تذكر طائفة أنها رأته فقامت عليه القيامة وأدعى بغلمان الملك ومعهم عبده نجاح وقال لهم هل معكم خبر من مولاكم فقال نجاح يامولاى أعلم أنه كان تخلف عن العسكر حتى مضى من الليل شطره ثم انه ركب وتبع منهم الآثار وهو وحده وهو آخر العهد به فقال الأمير كلمة لايخجل قائلها : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تقتل الأرض جاهلها ويقتل الأرض خابرها وهو رجل غريب فى هذه الأرض والديار وقد سار فى الليل وحيد فريد وأنا أعلم أنه لم يتأخر إلا لأمر عظيم وخطب جسيم ولكن أرجو من الله سبحانه وتعالى أن تكون عاقبته خيرا وقد أرسل الخيل فى طلبه الى سائر الأقطار يقتفون منه الآثار ويستنشقون عنه الاخبار ولايرجعون إلا بحقيقة الاختبار وقد رجعوا الكل الى الامير مسلمة وأخبروه أنهم لم وجدوه ولا رؤى له آثار ولا سمعوا عنه أخبار فقلق لذلك الأمير قلقا كبيرا وبات طول الليل فى هيام ولا تلذذ بطعام ولا منام بل انه باكى العين حزين القلب سهران بغير مدام كأنه سكران وتشوش العسكر ولحقهم الضجر وكثرت عندهم الفكر وخافت بنى كلاب على أنفسها من الأعداء وفرح مروان بن الهيثم إلا أنه أظهر الحزن . ثم انه دخل

عل ابن أمير المؤمنين وهو باكى العينين ظاهرا وقبل الأرض وقال يامولاى لاتخاف على ملك العرب وأن الأعداء إذا ظفر وأنه لم يقدر أحد منهم أن يفرط فيه وذلك طمعا منهم أنهم يصالحون به عسكر المسلمين فقال له يامروان كيف لا أبكى على ملك العرب ومفرج الكرب الفارس الحجاج فانا والله إذا فقدت اخوتى ما أبكى عليهم مثل ماأبكى على الصحصاح لأنه حامية المسلمين ونقمة على القوم الكافرين وله اليوم ثلاثة ماسمعنا عنه أخبار ولاعرفنا له آثار وما هو إلافى شغل شاغل وإلا ماكان عنا بغافل وأنا لا أكون عن بلاد الروم راحل حتى يظهر لى خبره والدلائل وها أنا صابر لأنى على فراقه لست بقادر ولاخيرفى اذ لم أفديه من المنيه بروحى ومالى وجندى مع رجالى ولا تلذلى بعده حياة ثم أنه أقام الليلة الرابعة وقد ضاقت عليه الأرض الواسعة وهو تارة ينوى الرحيل وتارة يصبر نفسه بالتعليل إلى أن أصبح الله بالصباح وهو على مقالى النار حتى تضاحى النهار فبينما هو كذلك وإذا بالصباح علا وملا الأرض والبطاح وخاف الأمير مسلمة على العسكر وقام ينظر ما الخبر والمنادى ينادى بالفرح والاستبشار والصلاه والسلام على النبى المختار فسأل الأمير عن ذلك الصياح فأخبروه بقدوم الملك الصحصاح فلم يلبث دون أن ركب على جواده وخرج بنفسه إلى لقاه ولما أن وقع بصره عليه ترجل الأمير مسلمة عن جواده وكذلك ترجل الصحصاح وتلقاه وقد اعتنقا وسلما على بعضهما البعض وكان اجتماعهما عند أطراف الخيام وقد مشى على الأرض من غير ركوب وفرح كلا منهم بصاحبه وساروا الاثنين وهم يتحدثون فقال له الأمير مسلمة أين يا أخى كانت غيبتك عنا فقدشوشت خاطرنا وكدرت عيشتنا والحمد على سلامتك فقال الصحصاح لقد كنت فى شىء لم يسمح الزمان بمثله وما أقول أنه فى سير المتقدمين والمتأخرين أعجب من هذه السيرة والله انى قد كنت نسيتكم حتى كأنى ما رأيتكم وغبت عن نفسى ورأيت ما لم يره أحدمن أبناء جنسى وسوف أحدثك به فقال له هات ماعندك يا أخى ومارأيت وماشاهدت من عجائب الأمور فقال الصحصاح اصبر يامولاى حتى أصل الى قومى وعشيرتى وينظرون الى وأعود اليك والى خدمتك وأحدثك بما يرتاح اليه خاطرك فتعلق قلب الأمير مسلمة بما سمع ورجع الى سرادقه وأما ملك العرب فانه وصل إلى الخيام فوجد بنى كلاب وهم قادمين اليه وفى أوائلهم عمه عطاف وكذلك غانم وقومه وبنى سليم ومروان ابن الهيثم وهم جميعا قادمين اليه وكل من لقاه وقف وقبل يديه وهو يسلم على الناس ويقول لهم ماكان علينا ناس وما أقام الا بمقدار ما غير ثيابه وقد أرسل اليه الأمير مسلمة فسار اليه

ودخـل عليه فقام له قائما على الأقدام وأخذه ملء الأحضان وأمر باخراج من كان فى المجلس فخرج من كان حاضر ثم ان الملك الصحصاح عاد عليه كلما حصل وسمعتوه من حديث الملكة ألوف ولمـا فرغ قال له الأمير مسلمة ياأخى عيد على الحديث ثانيا لأنى كنت غائب القلب فأعاده عليـه فلما فرغ قال له يا أخى عيده ثالثا فانى لا أعى ما تقول فأعاده وهكذا إلى أن عاد عليه عشر مرات فرفع رأسه الأمير مسلمة وقال له يا أخى ياصحصاح عيد على ست الملاح لأنك قد أكدتنى بالجراح ولابقى منى غير الافتضاح فأعاد عليه الحديث احـدى عشر مرة وهو لايزداد الا أسفا وحسرة ثم انه قال ياملك العرب اجمعنى عليها فانى اشتهى أن أنظر اليها لأن القلب مشتاق إلى رؤيتها ومشاهدتها وحسن طلعتها فقال اعـلم يا أخى ياصحصاح ان الجـد ليس مثـل المزاح وقد أوقع الله فى قلبي حب هـذه الجاريه ولابد لى من المسير اليهـا والقدوم عليهـا لأننى كنت أتعجب على من يعشق بالسماع وأوجبه إلى فساد العقل فى جميع الحالات وأنـكر قول القائل الاذن تعشق قبل العين أحيانا ولما سمع الصحصاح منه ذلك تندم غاية الندم على كونه أحكى له وقال والله لقد ظلمته وظلمت نفسى وما كان بصواب أن أعلمه بما رأيت وأنا سرت وهو معى فيكون الأمر قد بلغ منتهاه وينال الحاسد فيناما يتمناه وإن كنت سلمت فى المرة الأولى فما أكون فى الثانية الاعلى خطر وتتم الحيله على الملكين وتملك عسكر المسلمين ويتفرق حيش الموحدين وان العاقل من نظر وتفكر وأبصر وتدبر لأن المخاطرة مذمومة عند سائر البشر ثم انه أقبل على الامير مسلمة ولاطفه وقال له كم فى بلاد الروم أحسن منهاولابد مانفتح البلاد وباجمله حصنها فضحك الامير مسلمة وقال له يا أخى فان الصيد لمن اثاره ومن كسرقلبا فعليه اجباره فـكن لى طبيب واجعل لى مثلك نصيب فان ما بقى لى اصطبار وقد اشتعل فى قلبي لهيب النار وأنت كنت سببا لنجاة أختى مروه وسبب عودة البازان إلى أمير المؤمنين وأريد من فضلك واحسانك أن ترد على قلبي فانك أنت الذى سلطت عايه العشق بوصفك لى هذه الجاريه كما قيل

ياقلب مطلب غرامك زادنى مهلك فارجع وروح ولاتمشى على مهلك

والعشق كم رسم أفنى وسار مهلك وأنت قصدك على انى معك أهلك

(قال الراوى) ثم انه قال اعلم ياأخى أنه كان ماكان ولابقى غير مساعدة الاخوان على نوائب الزمان واجعلنى من جملة من أوليته منك بالاحسان واعلم انى ماقلت لك هـذا المقال الا من قلب مكروب وجسد يذوت فان قلت لا فهو سبب هلاكى وعلى

الدنيا السلام وإلى الله ثم اليك المشتكى ومن الصواب اننا نسير اليها فلعل الله عز وجل أن يسهل لى أن أراها فان كانت بخلاف ما وقع فى قلبي فقد زال كربى وإن كانت كما ذكرت رويت قلبى بالنظر وصبرت إلى أن يمن الله عز وجل باللطف والتدبير فى هذا الأمر النكير فقال له الصحصاح يامولاى أنا عبدك وبين يديك وما قلت ذلك الا من الاشفاق عليك وإذا كان ذلك الأمر قد أصابك من الوصف فسوف تراها عند الكشف اذا رأيت حورية الجنان فى صورة إنسان ثم قال له إذا كان غداه غد اركب بنا منفردين والله تعالى يستر علينا بجميل ستره الحصين ويغمرنا بفضله المبين ولكن قد قيل استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان لأنه لايخلوا أن يكون عندنا جاسوس يعلم الروم بحالنا إذا سرنا إلى هذه الجاريه وما نكون إلا مخاطرين فى دمائنا ودما المسلمين فقال له مسلمة أما أنا فقد هانت روحى على ولما سمع منه ذلك قال والله يامولاى فما أبخل بروحى عليك وها أنا بين يديك وأكون لك الفدا من سائر الردا ولكن الليلة نسير عند طلوع الفجر فنصل إلى القلعة ضحوية النهار ويكون الأمر إن شاء الله تعالى كما تحب وتختار فقال له ياأخى هذا انعام منك لأنك لم تزل محسن وباتوا تلك الليلة على نية المسير إلى الجاريه وأما الأمير مسلمة فانه لم ينام فى تلك الليلة بل أنه بات يرعى النجوم ويساهر القمر كما قيل

طال ليلى حتى تخيل طرفى   أنه ليس يلتقى بالنهار
طال اذ بت ساهر الطرف ليلى   بين مواعيد وبين انتظار

(قال الراوى) ولما سمع الملك الصحصاح أذان الصبح ركب وسار إلى الأمير مسلمة ودخل عليه فوجده سهران لم ينام وهو قاعد فى انتظار الوعد ولما دخل عليه قام له قائما وخرجوا من السرادق وركبوا على الخيول وأخذوا معهم خمسين فارس وساروا مقدار فرسخين والعسكر من حولهم فعند ذلك أقبل الملك على العساكر وقال لهم ارجعوا بارك الله فيكم فنحن سائرين فى أمر سيظهر لكم إن شاء الله تعالى واعلموا ان الأمير غانم هو صاحب العلم وعمى عطاف صاحب الشورة ومروان ابن الهيثم موضعى على جميع العساكر وإن غبنا عنكم يومين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك فلا تشغلوا قلوبكم علينا ولا تظهروا فى العسكر اننا غبنا فقبلت الأرض العسكر ورجعت من وقتها وساعتها وأما الملك والأمير فما زالوا سائرين إلى أن أشرفوا على القلعة وإذا هم بالجوار على ظهر القلعة والحراس يضجون القلعة شاهقة كانها متصلة بالسماء والجاريه الوف فى أعلاها كانها الشمس فى سماها وعليها ثوب

ديباج ملكى أحمر وهو مطرز بالذهب والجوهر ولما نظرت الجاريه إلى الصحصاح أشارت إلى الخدم أن يكفوا وهى قد بلغت أنوارها إلى الآفاق والصليب على صدرها من الجوهر والزنار فى حصرها حرير أخضر وعلى رأسها شبكه من الجوهر وبين عينيها ياقوته حمراء وزنها عشرون مثقال تساوى خراج الروم وهى من أنوار النجوم كما قيل

عادت من الدير إلى الدار وحسنها عار من العار

فقلت إذ لاحت على قصرها أعيذها بالخالق البارى

طوبى لاهل النار إذا أصبحت تكفرها فى وسط النار

(قال الراوى) وكان فى يدها منديل حرير مطرز بالذهب ولما عرفت الصحصاح نادت بأعلا صوتها ياملك العرب فقال لبيك لبيك ها أنا عبدك وخادمك الذى غمرتيه باحسانك ومكارمك فقالت له كيف أنت وكيف كنت وهل شوقك مثل شوقنا والله انى رطبة اللسان مما أوليتنى من هذا الاحسان ومن هذا الفارس الذى معك وأراه قد وقف بالبعد منك وحق المسيح ان الرياسة تلوح من شمائله وأنفاسه من بعض شهوده ودلائله كانه من ذوى الاقدار وأصحاب الأخطار فقال الصحصاح أعيذك يانور العين بالواحد الغفار وأرجو من الذى أعطاكى هذه الفروسية ونور المعرفة أن يمن عليكى بالاصل وهو الايمان ويحق فيك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد خلق اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم انه قال لها يامولاتى هذا مولاى وأنا عبده وغرث نعمته وبعض خواص دلته هذا ولى عهد خليفة المسلمين وابن أمير المؤمنين وانى لما وصلت اليه سألنى عن غيبتى فأخبرته بما لاقيت من أنعامك وحسن عقلك ومعرفتك بأشعار العرب وأحاديث أهل الادب فعظم ذلك عليه وتعجب وقال ان هذا لا يكون فى بلاد الروم وكيف يكون الجوهر فى غير معدنه والمسك فى غير مسكنه فقلت ان الذى جعل فيها الذمام وحسن الجار وضع فيها حفظ جميع الفنون وغرائب الاشعار وقلت والله لقد كان لها من الحميه والذمه ما خرجت به عن فعلك وحكمك وقومت ملك الاسلام وصاحب الارض من أجلك ومما أطنبت فى وصفك بعض ما خصك الله تعالى من الحسن والجمال والاحسان فلم يطق الصبر عما شرحت له وقد توسل بى اليكى لانى رضيع احسانك وأنا أتضرع إلى عواطف كرمك ونعمك أن تجيبه إلى ماطلب (قال الراوى) فلما سمعت الوف

كلامه ضحكت ضحكا رخيم ولمع ثغرها مثل الصباح مع طلاقة وجهها وهى توقفه الواصف عنها معترفا بالتقصير ورجع الطرف خاسئا وهو حسير فقالت له يامللك العرب حبا وكرامه ولو طلبتما عندنا الاقامة ولكن بشرط أقول لك عليه فقال لها وماهو الشرط يامولاتى فقالت له يتقدم هذا الذى تقول انه ابن خليفتكم والمتقدم على أهل قبيلتكم ولعمرى أن جلالة القدر تنطق عليه وشمائله الحلوة تشهد له لا عليه فيحلف لى بالله ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ودينكم أنه لا يغدر بى ولا يضمر لى غدرا فقال لها الصحصاح سمعا وطاعة وأشار إلى مسلمة متحير مما أبصر فقالت حسبك ان قولك فيه الكفاية غير أن الانسان لابد له من الاحتفاظ (قال الراوى) ثم إنها قالت اعلم انى الآن على صفة اختباركم فان شئتم أن تدخلوا الى البلد فهى لكما وان شئتما ضربت لكم سرادق على هذا المرج الأخضر وبركه النوفر والبستان المشبك بالأشجار الذى فيه غرائب الأثمار فقال الصحصاح يامنية الأرواح إنا لانريد المروج والبساتين وأنواع الرياحين ولا نحب القلاع ولا الحصون وانما النظر اليك فهو أحسن مايكون ثم أقبل على مسلمة وقال له الصواب أننا نكون فى هذا المرج ونحن مالكين خيولنا والأسنه فلما سمعت ألوف كلام الصحصاح وانه الى المرج قد ارتاح أمرت غلمانها فأتوا بخيمة كبيرة وهى من الديباج الملوكى المنسوج بالذهب وفيها تصاوير الأفيلة والأسود وسائر الوحوش لم تنظر الناس أحسن منها وهى مكللة بالدر والجوهر ومفروش فيها البسط الحرير المقصبة ثم انها وثبت على أقدامها وأخذت مروحة من بعض جوارها وجعلت تروح بها على الأمير مسلمه والملك الصحصاح فقال لها الأمير مسلمة يامالكه النفوس وراحة الأرواح اننا غير محتاجين لهبوب الأرياح وقد أعتقتينا عن الاصطباح وعجلى لنا بالمدام والراح فانى مشتاق الى ما وصف لى أخى الملك الصحصاح من حسن غناك ياست الملاح الذى ألذ من نظر العين الى أعضائها الصحاح فقالت له سمعاً وطاعة ثم انها أمرت بمائدة الطعام فحضرت وأكلو على قدر الكفاية ورفعت الزبادى وغسلت الأيادى وأمرت بتحضير آنية المدام فنظر الأمير مسلمة اليها فانبهر ولم أمكنه أن يحقق فيها النظر لأنها من الذهب والجوهر والياقوت والزمرد الأخضر ومكتوب عليها بالذهب أسطر وقدمت المدامه والسلاف وهى أرق من الهوى ونظر الى الجامات وهى من الياقوت لا توجد عند ملك من الملوك فقال الأمير مسلمه سبحان من أعطى هذه الجارية من كل شيء أحسنه حتى كأنها بلقيس عصرها مع جمال وكمال حسنها وحسن أدبها وتمام عقلها ونظرت ألوف الى الأمير مسلمة وحققته

ولى أنه فى عصر يوسف قطعت   قلوب الرجال لا أكف النسا

(قال الراوى) ونظرت الى حسنه وكان يفوق أعنة الحدق ونور وجهه مثل البدر اذا أشرق وقد نظرت الى حسن ثيابه وجماله وهو منير ونظرت الى مبسمه وملاحه ثغره وهو كما قيل فيه

أحور لو لاحظته حورية   تحيرت من طرفه الأحور

(قال الراوى) فكانت كلما نظرت اليه تحيرت من حسن خلقته ثم انها ناولته تفاحة نصفها أحمر والآخر أصفر فأخذها ونظر ما قبلها فوجدها مكتوبة

تفاحة جمعت لونين خلقتها   خد محب مع محبوبه التصقا

(قال الراوى) وبعد ما قرأ ما على التفاحة قبلها ثانيا وقد دارت الكاسات وأخذت الجارية العود وحركته فأكمدت كل حسود وضربت على نغمة عربية وأنشدت تقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

يامن له منن لا تحصر   وأنعمه البيض الزهر   اشرب من راح ريمها
تبدو مثل العنبر   بين البساتين التى   ثمارها كالجوهر
اليوم يوم ظله   حسن الابتداء والآخر

(قال الراوى) وغنت بصوت كأنها العافية على بدن العليل فألقت الطيور نفوسها عند سماعها الأوتار من جو السماء الى الأشجار وكادت أن تسقط الأغصان والأثمار فصاح مسلمة ياملك العرب نحن فى اليقظة أو فى المنام أو هذا أضغاث أحلام والله لقد عرفت الجد منك من المزاح وانك ما أنصفت هذه الملكه ياصحصاح فى وصفها ولا بلغت بعض معانيها ولما سمع كلامه ضحك فقالت الجارية ياسيدى لا تلومه من عجزه فى وصف خلقة الخالق وان أحسن الخلق بعد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول العجز عن طلب الادراك ادراك فتحير الصحصاح ومسلمة عند سرعة رد الجواب فقال لها أراكى تحفظى الأشعار وتروى الأخبار فقالت له نعم ياملك الزمان واعلم أن الأصل فى ذلك كان وصل الينا مركب من بلاد الغرب وفيها مائة أسير من الرجال وألف من النساء والصبيان فوقع فى قسمنا جماعة وفيهم بطلا يقال له عبد الله بن حماد المغربى فأخذناه وطرحناه فى مطمورة على نية هلاكه وكنت أسمعه يتلو القرآن فلا أعرف مايقول فاشتهيت أن أتعلم العربية فأخرجته من تلك المطمورة وأنعمت عليه وتعلمت منه العربية والنحو والغنا والأشعار فى مدة سبعة سنين ولا يمضى يوم الا وكنت أتعلم فيه روايات وأخبار وأشعار وحكايات.

حتى صرت كما ترونى وكنت أكرم ذلك المسلم غاية الاكرام حتى خاف على أبى من دين الاسلام وأراد قتله فمنعته من ذلك وأطلقته وأوصلته إلى بلاده ومعه مايكفيه إلى آخر عمره فقال لها الصحصاح مازلتى محسنة فقالت له إن مولاك مسلمه شرب المدام وأنت تمتنع من خوف الحرام فقال انى أمتنع منه خوفا أن يطرقنى طارق وان مولاى هذا هو الامام المقدم على المجاهدين فلو تم علينا أمر كان سبب لهلاك الجميع فقال له مسلمه ياملك العرب كل مقدر كائن أيما أحب اليك تقيم هنا يومين أو ليلتين أونذهب الى عسكرنا فقد جرى على مانسانى أمى وأبى فقالت الجارية يامولاى كونوا عندى وعساكركم لاخوف عليهم من شيء وان شئتم أرسلت من عندى من يكشف الأخبار فنظر الأمير الى ملك العرب وقال له يا أخى نكون ليلتنا هذه هنا عند هذه الملكة فقال له يامولاى شأنك وما تريد فقال الأمير اليوم نقيم هنا ولكن يا أخى لا تنغص علينا عيشنا ولا تكون مخالفا لنا واشرب مثلنا فقال لا أشرب الا من الذى عندها وأراد بذلك الأشربة المطبوخة فعرفت الجارية ما ذا أراد فأمرت الجوار أن يأتوها بشراب التفاح كما أشار الملك الصحصاح وملأت الكاس وناولته فقال أنا لا أشرب هذا حتى أسمع عليه صوت من الغنا فقالت سمعا وطاعة يا ملك العرب وأخذت العود وجعلت تقول

يالقــومى أما لقتلى تار ... يالقــومى أما فيكم أنصار
وانظروا الى دمى فهاهو رطب ... فوق خـدودى كأنه جلنار
قاتلى ظبية روض خــدها ... فيـه نار أحرقت أبصار

قال ثم ان الأمير مسلمة نظر الى الملك الصحصاح وقال له يا أخى قد صدقت فى كل ما وصفته وما بقا إلا الصراع وكان قصد الأمير يعانقها فقالت سمعا وطاعة وقامت على أقدامها وقد رفعت سراويلها وأدارت أذيالها فى دور زنارها فبان لها كفل مثل الجبل وقالت له دونك ياأمير مسلمة لأن أوقات السرور منعمه ولو أنكم أقمتم فى الصحراء ألف ســنة ما فرعت منكم وأسرت فرسانكم وشجعانكم فقدم مسلمه وكان قويا وفاق أقرانه وأصحابه فلما لاصقها وعانقها وقعت يده على خصرها فارتخت منه القوى وبقى حاير من شدة الجوى وأرادت أن ترفعه وتلقيه بلطف فلما عاين ذلك الصحصاح خاف على الأمير مسلمه أن تلقيه إلى الأرض وهو قائد الجيش وأمير جميع العساكر فقام على قدميه ودخل بينهما وقال للأمير مسلمة ماالذى تريد تفعل معها تريد أن تسطو عليها بقوتك بعد ما فعلت معنا هذا الجميل والاكرام فعلمت

الجارية ما أراد به الصحصاح من الكلام وهو أنه خشى عليه من مسلمة أن يخجل فضحكت وقالت له ماعدمت شفقتك ياصحصاح لأنك لاتريد إلا الاصلاح ثم أنها قعدت وقد احمرت وجناتها وعملت فى القلوب لحظاتها وأرادت أن تغنى بصوتها وإذا بغبار تار وغار حتى لحق بعنان السما ثم انكشف وبان واذا من تحته رايات اسلامية وأعلام محمديه ومجاهدين حنفيه ولما نظرت ألوف الى ذلك اصفر لونها واضطرب كونها وصاحت ياصحصاح خنتما عهدالله والميثاق وأوعدتم الرجال حتى تأخذونى بالوثقاق فوحق المسيح ان كان الأمر كما خطر ببالى لأقتل روحى ولا أحد ينظرنى وأنتم تعايبون على مذهبى وقدوفيت بعهدى لك وأبغضت ملك الروم من أجلك ثم أنها أخرجت خنجر ماضى الى قطع الرجال قاضى وأرادت أن تضرب نفسها فوثب اليها الصحصاح ومسلمة وجعلوا يحلفون أن ماعندهم من ذلك خبر ولا أثر وسوف يبان لكى ذلك ويظهر ولاخوف عليكى ولاضر وقال لها الصحصاح اجلسى يامولاتى حتى أنظر ما الخبر ولابدأن يكون حصل حاصل فى الاسلام وأن غيابنا قد اشتهر ثم أن الصحصاح خرج واذا برجال المسلمين منهزمين فتغير لذلك وانحصر وقال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم والله ان هذا جيش المسلمين وقد انكسر ثم أنه ركب جواده وسار وعارض بعض المنهزمين وقال لهم من بشره رماكم وما الذى حصل فلما نظروه عرفوه فترجلوا اليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له ياملك الزمان أدرك الأمير عطاف ومن معه من الرجال وهم مائتين من عسكر المسلمين وفرسان الموحدين والكل مأسورين فقال لهم وكيف حصل دلك فقالوا اعلم أيها الملك أنك حين غبت وأوصيت الى مروان بن الهيثم أن يكون فى مقامك فأتى الينا جاسوس وأخبر أن ألف دابة محملة دقيق وسمن وعسل وهم سايرين الى القسطنطونية ومعهم مائة فارس ولما سمع مروان من الجاسوس ذلك الكلام قام ودخل عل الأمير غانم وأخبره بذلك وتشاور فى أخذها فقال غانم هذا هو الصواب لأن هذا من جملة الغنيمة ونحن محتاجين اليه أكثر من المال وقام من وقته وركب هو والأمير عطاف فى ألف فارس فقالوا للجاسوس من أين الطريق فقال ان الطرقات اثنين أحدهم الى مرج الرياحين والآخر على يسارها فالنصف يسير من هذا الطريق والنصف الآخر يسير من الطريق الاخرى فما تفوت أحدكم فسرنا نحن مع الأمير عطاف الى الطريق الذى على اليسار ولم نزل سائرين ونحن آمنين حتى وصلنا إلى المكان الذى قال لنا عليه الجاسوس فلم نرى أحد فنزلنا من على الخيول وتركناها سارحه ونام أكثرنا فما حسينا إلا والخيل

طلعت علينا من كل جانب ومكان وملكوا علينا الطرقات وعوقونا عن الخيل كل التعويقات وأكثر الرجال كما ذكرنا نيام ونحن وجدنا سبيل للهرب (قال الراوى) ولما سمع الملك الصحصاح منهم هذا الكلام عظم عليه وكبر لديه وقامت عليهم القيامة ودخل على الأمير مسلمة وأخبره بالحال وقال قد عولت أن آخذ المنهزمين وهم أكثر من ثلثمائة فارس وادرك عمى عطاف قبل التلاف وابعث الى مروان بن الهيثم يسير لنا خمسة آلاف فارس الى مرج الرياحين فقال الأمير مسلمة ياملك العرب افعل مابدا لك وأما أنا يا أخى دعنى فى شغل قلبى فقال الصحصاح كلمة لايخذل قائلها : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قم يا ملك الى العسكر فأنا اليوم أقبض على ملك هذه القلاع وآخذ لك هذه الجارية وجميع ما كان تحت يدها فقال ياأخى أنسيت قول القائل إن للتأخير آفات وأنا أقيم بقية هذا اليوم مع الملكه ألوف وأنا فى أمان الله تعالى وأمانها فما هى ممن تنقض العهد فقالت لا وحق المسيح ولو فارقت أهلى ودينى وإن كنت خائف فاصعد بنا إلى القلعة فبينما هم فى الكلام واذا بصراخ علا وصياح نما فظن الصحصاح أن عسكر الروم الذين أسروا عمه عطاف هم القابلين فخرج وترك الأمير مسلمة لأنه وجد كلامه معه مثل الماء البارد اذا صب على الحديد وعلم أن قلبه مع ألوف لايحيد فرق له وتركه وانصرف الى الغبار وقال إن كانوا هم الأعداء لا بد أن ألقاهم وأخلص عمى عطاف منهم ومن معه وأرسل عشرة من الفرسان يكشفوا له الخبر فذهبوا وعادوا وهم مسرعين وينادوا : الله أكبر الله أكبر البشارة ياملك العرب فقال لهم ماالخبر فقالوا يامولانا قد وصل الأمير غانم ومعه الاموال والغنايم وخلص الامير عطاف والاسارى من الاتلاف وقد أسروا عسكر الروم وعاد العسكر مسرورين من بعد ما كانوا مأسورين وانظر ياملك ما فى أيديهم من الغنيمة الكبيرة فلما نظر الملك إلى غانم قال له أحسنت أيها الأمير الآن صحت اسمك ونلت من الثواب قسمك فتقدم غانم اليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له وأثنى عليه وقال يامولاى هذا بهمتك فقال له ياولدى أنت غانم الدنيا والآخرة فسر الآن بما معك من الغنايم والاسارى حتى يراهم الأمير مسلمة لأنه فى هذه الخيمة فقبل الأرض غانم وسار فى ركاب الملك الصحصاح وقد أحدقت العساكر بالأسارى (قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على بدر التمام وكان السبب فى ذلك أن كلب الروم لما وصل اليه خبر الملك الصحصاح أنه عند ألوف فعندها أدعى لاوون بأبو ألوف وكان يسمى بعبد المسيح وكان شجاع يعد بألف فارس وله عشرة أولاد كل واحد منهم أشجع منه وأقوى وما كان فى الكل أشجع من الملكه

« ألوف » أختهم وكان مع عبد المسيح ألف بطريق وأضاف اليه ألف بطريق أخرى من عنده وقال له ما أعرف الصحصاح إلا منك إن كان فى قلعتك أوخرج منها إلى عسكره لأن قلبه عند بنتك لأنى سمعت أن مافى بلاد الروم أحسن منها وان كان خرج من عندها دعها تراسله وتقول له انى عشقتك وقد عزمت على دخولى فى دين الاسلام والآن أريدك فى موضع كذا وتعين له مكان متى حضر اليكم وقدم عليكم أقبض عليه وعلى من يأتى معه وأعطيك فى مقابلة ذلك قونية وجميع مافيها وتصير ابنتك زوجتى ويبقى حكمك كما حكمى فقبل عبد المسيح وسار من ساعته الى أن وصل الى مرج الرياحين فوجد المسلمين نيام فهجموا عليهم وحالوا بينهم وبين خيولهم وقد أخذوهم أسارى ومعهم الأمير عطاف وعزموا على أنهم يرسلوهم الى القسطنطونية وقيدوهم بقيود خيولهم من بعد ماأوثقهم كتاف وأقاموا فى ذلك المكان وهم آمنين من نوائب الزمان وأكلوا ثم شربوا الخمر حتى وقعوا سكارى . ومن أعجب ماوقع فى هذه السيرة أن الأمير غانم لما انفرد بمن معه من الرجال الى الطريق الأخرى وأقام ينتظر البغال الذين أخبر عنهم الجاسوس فما لبث غير قليل حتى وصلوا فهجم عليهم وقتل الرجال والابطال وأخذ البغال بما عليها وأراد الانصراف الى عسكر الاسلام واذا ببعض المنهزمين أخبره بما جرى لعطاف ومن معه فأخذهم وسار حتى وصل محل الوقعة فوجد النصارى سكارى كما قدمنا وهم نيام فهجم عليهم وعمل فيهم السيف الهزام وأخذ عبد المسيح وأولاده وجماعة من قومه وأخذ خمسمائة فارس أسير وقتل الكثير وهرب القليل وخلص الأمير عطاف من الكتاف وحل من معه من بنى كلاب السادة الأنجاب وسار وهو قاصد الى عسكر الاسلام فوقع به الملك الصحصاح كما ذكرنا وأخذوه وساروا به نحو الامير مسلمة كما قدمنا وكان عبدالمسيح أبو ألوف فى أول الاسارى وهو مكتوف وهو شيخ مليح الشيبه حسن الهيبة ومن حوله عشرة أولادشباب كانهم الأقمار وهم أولاده وعلى أبدانهم الثياب الملكى فتركهم الملك الصحصاح وسبق إلى الأمير مسلمة يبشره ففرح غاية الفرح وشكر الله تعالى عز وجل وقال يا أخى انى أريد أخرج خارج الصيوار وانظر اليهم حتى أنه لايتغير قلب من أحسنت الينا الملكة الوف لأنها اذا نظرت أهل دينها يتغير علينا قلبها لما تراهم فى الوثاق ولما سمعت الملكه الوف ذلك الكلام قالت لا وحق المسيح أنا ما أتغير من هذا الحال لأنى أعلم ان الحرب سيجال والدهر عوايده كذا يوم لك ويوم عليك فأجلس على هذا الكرسى وكان من الذهب حتى تكون هيبتك فى قلوبهم أعظم وهم يقبلون عليك وتراهم

عينيك ثم انهم يمضوا إلى حالهم وأنت تكون عندى مع أخيك الملك الصحصاح ونرجع لما كنا عليه من السرور والأفراح وهـذا هو شرط الضيافة والاكرام فشكرها على ذلك وجلسا الأمير مسلمة والملك الصحصاح على كراسى من الذهب الوهاج ووصل غانم وعطاف وسائر العساكر ولما نظر الأمير مسلمة إلى ذلك تبسم وقد أقبلوا عليهم وقبلوا الأرض بين يديهم وهم جالسين الاثنين مثل القمرين الصحصاح ومسلمة ورفعوا أصواتهم بالدعاء اليهم وقدموا الأسارى بين يديهم ومن أوائلهم الشيخ وأولاده ورجاله وأجناده فقال الملك الصحصاح أعرضوا الاسلام عليهم فمن أسلم فقد نجا فى الدنيا من الحسام البتار وفى الآخرة يسلم من عذاب النار ومن أبى اقتلوه غصبا وفى الآخرة يكون للنار حطبا ثم نظر الأمير مسلمة إلى الشيخ الكبير واذا به يشير إلى الملكه الوف بأصبعه ويكتب على خديه بأدمعه وهى مطرقه لاترفع رأسها وقد عاد لونها الجلنار إلى الاصفرار فقال لها يامنية النفوس مالى أرى وجهك عبوس من بعـد ماكان بيننا مأنوس وأرى قلبك صار علينا معكوس أما قلت لك مايهون عليكى ان ترى أهل دينك على هـذه الحال فلما سمعت منه ذلك أشارت إلى ملك العرب تقول له اعلم يامك ان هـذا الشيخ هو أبى وما فى الروم أكرم منه نفسا ولاطبعا لانه سخى الكف فاهما واعيا وقد وقع فى هذه الأمور وأما هؤلاء العشرة الذين حوله فهم أخوتى وما فيهم إلا ماكان كامل الأوصاف وقد شق على الامر لما رأيتهم فى القيد والكتاف ومن بعد العز بقوا فى ذل وتلاف وما كامت أبى من حين أشار الى ولا نظرت اليه حين عرفته خوفا أن يفسد ماصنعت معكم من الاكرام ولايقال أنى أكرمتكم لاجل سبب وأما أن تفضلتم على وأوهبتموهم لى فيكون لكم الجميل على كل حال وإلا فأنا مالى فى أسراكم من شيء وإن شئتم فاقتلوهم أو بيعوهم أنفسهم فانى أشتريهم بما تملكه يدى وأفديهم بروحى ونفسى فلما سمع منها الملك الصحصاح ذلك الكلام قال لها يكرم أباك ويزول عنك الذى اعتراك وقال الأمير مسلمة مثل ذلك وقد أمر بحله هو وأولاده وعشيرته وجميع أهل قلعته ورد عليهم كل ما أخذه منهم وكانوا المأسورين من أهل قلعتها خمسمائة أسير فأطلقوهم عن بكرة أبيهم وقد أمر الصحصاح الى غانم وعمه عطاف أن يرحلوا بالمعساكر إلى مروان وأن يرسلوا خمسمائة فارس وينزلوا بهم عند المروج وذلك خوفا من عاقبة الأمور فأجابوه بالسمع والطاعة وقبلوا الأرض بين أيديهم وانصرفوا ثم انهم أدعو بأبو الجارية وأخوتها فوجدوهم يعرفون بالعربية وهم من أهل العقل

والفطانة هذا وعبد المسيح دنا من ابنته وقال كيف فعلت هـذه الفعال وجلست فى هذا المـكان منفردة مع الرجال وتركت منزلك والحصون والأطلال فقالت له ياأبى قد كان سببا لخلاصك من الأهوال ونجاتك من السيوف الثقال ثم انها أعادت على أبيها حديث الملك الصحصاح من أوله الى آخره وحديث الامير مسلمة وجميع الامور التى جرت بينهم فطيب الآن قلبك واعلم أن الإنسان عبد الاحسان ولم يضيع الجميل ولو بعد حين وقد صاروا كما فعلت معهم فعلوا معنا ونحن جدنا بالأموال وهم جادوا بالأرواح الغوال ولا خوف عليك ولا بأس لأن الوفاء لهم شعار والعفاف لهم آثار فلا تنـكر فعلهم فـكيف وقد حصل عندنا مثل هذا الملك الذى تخاف الجن من سطوته وهو أشجع من على وجه الأرض فى طولها والعرض وهو ملك جليل القدر وأيضا هذا الأمير وهو ملك المسلمين وقد صاروا ضيوفنا ففرح بذلك أبوها وانشرح وان الجارية قد تجدد لها السرور وأحضرت كلما تنشرح به الصدور هذا والامير مسلمه قد زاد به الغرام والهيام والوجد وألوف تباسطهم وأبوها يحادثهم الى أن وصلوا الى حديث الأديان فقال مسلمة أيها الشيخ ما أحسن هذا الوجه الصبيح إذا كان على الدين الصحيح من التوبة والتسبيح فارجع عن الاقتران بربوبية المسيح فانه من أعظم قبيح وبالله أقسم فانه أجل يمين ماثم أشرف من دين المسلمين واعتقاد الموحدين برب العالمين فـكيف من له عقل أن يعتقد فى غير من خلق السماء وعلقها من غير عمد وسطح الارض على ماء وزبد وجعل الجبال لها وتد لتمسكها عن الاطراب تشبهوه الى الصاحبة والولد ثم قرأ قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكـن له كفوا أحد ثم أنه قال أيها الشيخ الـكبير إذا أقبل لـكم أن الجاثليق الحقير أو البترك له زوجـة لقضى ذلك عندكم الى الغضب فكـيف أن ننزه البترك وهو عبد مخلوق عن الاولاد والازواج وقد صدق الشاعر حيث قال هذه الابيات

قالوا له سبحـانه زوجـة ... وما تركوا لهم عازبا
ما نزهوا الخالق جل اسمه ... ونزهوا البترك والراهبـا

(قال الراوى) ثم ان الامير مسلمة قال لقد تجاريتم على من خلق الاشياء ودبرها وأوجد عرضها وطولها وجوهرها وأطلع فيها شمسها وقمرها وامتحن الخلائق بالبلا واختبرها وحكم الاشياء وقدرها وأرسل الرسل الى الامم وخوفها ومن عقابها حذرها

قال ولو كان له ولد لكان مورثا هالك وكان له فى ملكه مشارك ولكنه الرب الأحد الصمد الذى ليس يولد ولا والد وكل شيء بوحدانيته شاهد ثم إنه أنشد :

عجبت كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شيء له آيه تدل على أنه واحد
وكيف يقول الكافر الجهول مقال يروع منه العابد
يقولون له ولد ظاهر وربى واحد ليس له والد
وحاشا وكلا فهو إله عظيم وإنى بوحدانيته شاهد

(قال الراوى) فلما سمع الشيخ ذلك الكلام أطرق برأسه إلى الأرض مليا وغاص فى بحر فكره ووزن بميزان عقله قول من كان نصرانيا وقول من كان مسلما حنيفيا فوجد من كان من المسلمين ميزانه راجحا وافيا وطريقهم مستقيما سويا فقال ساقيا الغيث فى سويد قلبه هنيئا بشراب التوحيد فانه شرابا مريا وسال دمعه على خده جريا ووقع إلى الأرض وأولاده مثله عند ذلك خر ساجدا منطويا وخروا أولاده سجدا وبكيا ثم رفع رأسه ونادى بصوت جوهريا وقال يامن أظهر من كان خفيا يارب بالاحسان فامنن على أنت قادر على كل شيء كان قصيا أو دنيا (قال الراوى) ثم زاد فى بكاه وقام قائما على قدماه وقطع زناره وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله عند ذلك بكا الامير مسلمة والصحصاح من شدة الأفراح وتواثبوا عند ذلك أولاد الشيخ ونطقوا بتوحيد الملك المجيد وشهدوا برسالة النبي السعيد صلى الله عليه وسلم ونظروا إلى ألوف وإذا رأسها مكشوف ودمعها مذروف وقلبها وجل مخوف وهى تنادى يالطيف يارؤف يامن فضله معروف قد فتحت الباب لوالدى واخوتى وهل يليق بكرمك أن تغلقه دونى وترد طلبتى وتقطع حبل رجائى ولا تقبل دعوتى وتقضى سؤلى وبغيتى ثم صاحت بصوت رفيع رخيم وهو يشفى السقيم أبرد من الماء وأخف من النسيم وهى تقول بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلا الله الملك الكريم وأن محمد رسول الله من أنزل عليه التحليل والتحريم صلى الله عليه وسلم فعند ذلك وقعوا القوم على وجوههم وهم لربهم ساجدين خوفا من الله رب العالمين وأخذهم الدمع وهم خاشعين فقال مسلمة والله مادخل على قلبى سرور مثل هذا السرور ثم وثب الأمير قائما وأخذ رداءه ووضعه على رأس الملكة ألوف وقال لها ان دين الاسلام يأمر بالستر والحجاب والقيام فى المحراب والندم والاتحاد وبعد اليوم فلا يراكى أحد غيرى وأنت المختارة لنفسك فى الزواج ثم انه قال ياملك العرب أرسل الى العسكر واحضر لنا القراء والفقهاء ففعل

الصحصاح ذلك وما كان إلا ثلاث ساعات حتى حضر جميع ما أمر به وخطب الأمير مسلمة الملكة ألوف من أبيها وأخواتها فأجابوه لما طلب وقدم المهر ثلاثون طبق من الذهب فيها ثلاثون ألف دينار وقدم الجميع قدام أبيها وقام وقبل الأرض وخطب الخاطب واحتجب الطالب وكان مسلمة وألوف كما قال القائل :

شمس النهار وبدرها طلعا بالسعد والاقبال قد جمعا
دام السرور له ولها مقيمان طول الحياة معا

(قال الراوى) وقد أسلم من كان من البطارقة فى هذه القلعة وفرحوا المسلمون بذلك وصعدت ألوف على قلعتها ومسلمة معها والملك الصحصاح يقول الله الله ماهو لمن خبز بل هو لمن قسم وهو فرحان بذلك أكثر من الأمير مسلمه لأنه لم يريد يفضل أحد عنده على ليلى بنت عمه ودخل مسلمه على ألوف فى ليلته وفاز بمنيته وأخذ منها لذته ولما كان عند الصباح دخل عليه أبوها وقال يامولاى كان اسمى عبد المسيح والآن علمت أن المسيح لا يعبد وأريد من إحسانك أن تمن على باسم خلافه فقال له أنت اليوم أصبحت مسلما مثل المسيح وهو عبد مثلك لله تعالى والآن اسمك عبد الله ففرح بذلك وقال يامولاى اعلم أن لى ثلاثة عشر قلعة ومافيها من يعبد الله تعالى وأريد أن ترسل معى بعض المقدمين حتى نجاهد فى الله ونأخذ الأموال التى فيها ونرحل إلى بلاد المؤمنين فقال له مسلمه بارك الله فيك لقد أحسنت إسلامك وسلمه المقدمين وساروا إلى القلاع وأفنوا الرجال ومن يشرك بالله المتعال واستلموا القلاع وأقامت فيها الأبطال ووصل الخبر الى كلب الروم وأخبروه باسلام ألوف وأبوها وأخواتها وجميع أهل قلعتها وباقى القلاع أخذتها المسلمين وانها قد تزوجت بابن ملك المسلمين وسلموه ما كان عندهم من الذخاير والأموال فقامت عليه القيامة وقال لوزيره لوقا لو أننا بادرناها قبل أن تبلغ مناها كنا ملكناها قبل منتهاها الى ذلك الحد أحسب أن القلعة أخذت ومن أول يوم نزلوا عليها ولكن داوى الآن الخطر وانظر لنفسك كل النظر والذى مضى ما ينفع فيه الحذر فقال له والآن ماذا أفعل بالقلاع التى كانت تحت يد عبد المسيح وهم قد خرجوا من تحت حكمى وصاروا مسلمين فقال الوزير الصواب أنك تحارب أولا هذه العساكر التى أمامك من المسلمين وإذا فرغت منهم تبقى تفعل ماأنت راغبه مع عبد المسيح وعساكره لأنه مادامت هذه العساكر أمامنا لانقدر نتعرض لعبد المسيح وقومه وإذا نظروا المسلمين أننا تقدمنا اليهم بشىء خرجوا الينا وحاربونا ولم يتخلوا عنهم لأنهم بقوا مثلهم خصوصا وقد تزوج ابن ملكهم بهذه

الجارية وربما أن الجميع دخلوا الى القلاع وحاصروا فيها وبعدها لانقدر عليهم أبدا فقال (لاوون) وكيف العمل فى هذه العساكر التى أمامنا فقال الوزير اعلم أنه عندنا ألف وثمانمائة مركب نملأها بالرجال ونجعل فى كل مركب خمسمائة رجل ويكون معهم أربعة آلاف زورق واذا وصلوا الى عسكر المسلمين فيرموهم بالنار حتى يحرقوا جميع مراكبهم التى تعبوا فيها وإذا خرقت مراكبهم ضعفت قوتهم وجانبهم وخابت مطالبهم ومقاصدهم وبعد ذلك ننزل عليهم وقد لحقتهم الحيرة والدهشة ونصدمهم صدمة رجل واحد ونستعين عليهم بالولد والوالد وهم يقولون ياواحد ونحن نقول يا الاثنين . وكان فى ظنهم أن الاثنين أو الثلاثة يغلبون الواحد لقد تجاروا على الله بكفرهم وما النصر إلا من عند الله الواحد جلّ شأنه وتعالى اسمه ثم ان الوزير قال للملك وان قاتلونا ووجدنا الغلبة علينا رجعنا فى مراكبنا وعدنا الى بلادنا ويمكنهم أن يعمروا مراكب غيرها ويطول عليهم الزمان ويضيق بهم المكان فقال له (لاوون) أأمر البطارقة تفعل كما ذكرت ولا آمر فوق أمرك والمسيح يتكفل بنصرك . فعندها شرع الوزير فيما قال ودبر وملأ المراكب بالنفط والعسكر وأمر البطريق الذى على المراكب انه لايسير إلا فى الليل الأغبر حتى لاتشعر به الموحدين ويكونوا على حذر وأخذ الباقين من العسكر وسار بهم فى البر الأقفر وأن البترك الكبير بخروه برجوعه الأغبر وصلب له مابين عينيه وعلى وجهه الأصفر وهذه عادة عندهم اذا عولوا على أمر فيه ضرر . وكان ذلك تبركا من البترك الكبير الذليل الحقير الذى لايملك لنفسه خير ولاشر (قال الراوى) وان لاوون سلم اليه سيف المملكة وقال له أنت المقدم على جميع النصرانيه والقائم فى هذه الملة المسيحيه ووكيلى على أهل ماء المعموديه وقد ركب وسار طول النهار فهذا ما كان من الوزير . وأما ما كان من الذين فى المراكب فانهم ساروا الى أن قربوا من عساكر المسلمين وعصابة الموحدين الذين فى البحر وكانوا غافلين وبغدر أعدائهم جاهلين فما يشعروا إلا والمراكب تعمل بالنار فى مراكبهم من كل جانب وقد رتبوا الزراقين النفط والنار تهب عليهم بأرياح العطب والبوار ودار عليهم الفلك الدوار وحرقوا جميع المراكب الصغار والكبار فخرجوا الى البر وقد طمعت فيهم الكفار وجاءهم لوقا من الجانب الآخر وهجموا المسلمين وقامت القاعدين وركبت المجاهدين وكانوا لايعرفون فى ذلك اليوم المسلمين من الكافرين . هذا والمسلمون يكبرون ويهللون ويسبحون ويقدسون . وأما الروم قد اشتهروا بقولهم كريالسون والقسى بسيسون ونزلت الرجال الهيجاء

وعدمت النجاه وانقطع من الجبان الأجل وطاش العقل وخاب الأمل وبطل للمزراق العمل وحامت الطيور على القتلى بالشجا ولم يجد الشجاع لنفسه فرجا ولا للجبان كهفا اليه يلتجا وقد أبقت الصوارم دوائر ولا ودجا وأقبل الصباح مبتهجا وانهزمت كتائب الدجا ورجع الفلا الواسع ضيقا حرجا وقد ذهب الليل بالدجا وكان صباح القوم صباحا سمجا (قال الراوى) وكم رأيت من رؤوس طارت عن أجسادها وبطون قد نزعت منها أكبادها وأن المسلمين لما رأوا هذا الحال ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار (قال الراوى) وبقى مروان بن الهيثم ينادى الرجعة الرجعة ياعساكر الموحدين فلم يبق أحد يلتفت اليه واذا هم بغبار قد علا ونما حتى بلغ عنان السما وبعد قليل انكشف الغبار وبان للنظار واذا من تحته رايات إسلاميه وأعلام محمديه وبنود خليفيه ورجال حنيفيه وهم ينادون بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وفى أوائلهم الملك الكبير (قال الراوى) وكان ذلك هو الملك الصحصاح والأمير مسلمة ومعهم تسعة آلاف فارس ولما رأى المسلمين قد انهزمت نادى الرجعة الرجعة ياعساكر الموحدين قد أتاكم الفرج من عند رب العالمين . ولما نظروا القوم الى هذا الجيش وأن ملك العرب قد ظهر فقويت قلوبهم ورجعوا وهم ينادون : الله أكبر ووقع الحرب وأخرق الصحصاح المواكب وفرق العساكر والكتائب وأنزل بالروم الذل والمصائب ونادى : الله أكبر فتح الله ونصر وخذل يالثام من كفر وقاتل قتال حتى بدد الرجال والأطلال وعمل الحرب وطال ووقعت الخيل فى المجال ولم يزالوا كذلك حتى ولت الروم الأدباو وركنوا الى الفرار وتبعهم الملك ومن خلفه الأبرار حتى ردوهم فى البحار وأخرجوهم من خيام الإسلام قوة واقتدار وكان قد ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار (قال الراوى) وعند ما دخل الظلام رجعت الاسلام الى الخيام وهم فرحين مستبشرين يهنوا بعضهم بعضا وقتل من الروم فى ذلك اليوم أربعين ألف فارس من كل بطل مداعس وأما الوزير فانه أحضر الملوك والبطارقة وعاتبهم على ماحصل منهم فقالوا لاتلومنا أيها الوزير فقال كيف لا ألومكم وكنتم بطول النهار منصورين من حيث أنكم كبستم الموحدين ورجعتم فى آخر النهار منهزمين مذلولين فقالوا نعم كنا بلغنا الآمال ولكن ماشتت العسكر إلا هذا الشيطان فانه ماوصل الى العسكر إلا وهم منهزمين وكنا لهم غالبين ولما حضر شتتنا شمال ويمين واعلم اننا ما نبلغ منهم صلاح إلا من بعد قتل الصحصاح وما دام ينزل الحرب والكفاح فما يبقى للنصارى فلاح ودع عنك هذا

المزاح فما منا من يلقى الصحصاح وان لم ننظر من يبارزه عند الصباح وإلا فنينا على الأرض والبطاح (قال الراوى) ولما سمع منهم الوزير هذا الكلام قال لهم فى غداة غد أخرج لكم اليه كراز وهو الذى يلقاه فى مقام البراز فما يقدر على حربه أحد غيره ولما سمعوا منه اسم هذا القرنان صلبوا على وجوههم وقالوا الأمان الأمان لقد صدقت أيها الوزير لأن هذا الفارس مافى من يلقاه فى بلاد الروم وفرحوا الفرح الشديد وقالوا مابقى فى عمر الصحصاح إلا أن يطلع الصباح ويبرز الى هذا الفارس الجحجاح وأن الوزير أدعى به إليه وأخبره بما اتفق الرأى عليه فقال عند الصباح أبرز أنا اليه وآخذ روحه من بين جنبيه فشكروه وأثنوا عليه وقد قربه اليه الوزير وسوكه برجيع البترك الكبير ولطخ له عوارضه مع شواربه وكان هذا اللعين كراز ملك الأرسن وما كان فى الروم أشجع منه ولا أرمى بالنبال ولا أضرب بالسيوف الصقال ولا أطعن بالرمح العسال ولا أوحش منه خلقة بين الرجال وكان له من الليل ظلمته ومن الأسد قوته ومن النمر وثبته ومن الحمار زعقته وكان له أنياب ظاهرة كأنها أنياب الخنازير الفاجره وله صولة يصول بها على الأسود الغائره ينظر بعينين كأنها شعل النار وهو من الكفار الفجار الذين تأكل وجوههم النار (قال الراوى) ولم يكن فى عسكر النصرانيه أفرس منه والكل يخشون صولته ويخافون من شجاعته ويستميذوا منه عند ماتذكر سيرته وكان يحدث نفسه بأنه يملك القسطنطونيه ويكون ملك على أهل ماء المعموديه وحاكم على الملة النصرانيه وكان أرسل يخطب أخت الملك لاوون فرد لاوون رسوله خائبا وقال له ماجرت العادة أن الأرمن يتزوجوا ببنات الملوك ورجع الرسول اليه وأعلمه بذلك فلما سمع كلام الرسول أمر بتجهيز العساكر وكان (لوقا) لما سمع هذا الكلام بعد مامضى الرسول قال للملك لاوون انك ما أصبت فى رد الجواب أما تعلم أن الاسلام أفنوا رجالنا وقتلوا أبطالنا وأن هذا من الشجعان والآن أرسل إليه وأدعوه اليك وعرفه فى الكتاب بما أنت فيه من الأسباب وان رد عنا المسلمين تكون أختك اليه وإلا فهو يروح مع من يروح وترتاح من شره وبجره وبحره فقال له أصبت ياوزير ياصاحب الرأى والتدبير وأرسل اليه لاوون وهو يقول له إن رمت أن تتزوج بأختى فما أريد منك صداق إلا رد الاسلام عنى وعن قومى فلما بلغته الرسالة سار اليه فى ثلاثين ألف فارس من الشجعان وقد رحل اليه وضمن له قتل الصحصاح وأن يكسر عسكر المسلمين ولما سير العساكر مع الوزير وسار معهم الى

أن وصلوا الى ذلك المكان وأحضره الوزير ونشقه وسوكه برجيع البترك الكبير كما ذكرنا ثم قال له اعلم أنى أريدك تبرز الى ملك العرب الصحصاح وأمير الجيش مسلمة وتقتلهم أو تأسرهم فقال له أجبتك الى ذلك ولكن بشرط أن لاينزل معى أحد من عساكر الروم وأنا ومن معى نقوم بعسكر المسلمين فقال له افعل مابدا لك كان البترك الكبير فى تنجيز أحوالك فقام وخرج من عنده ووصل الى صيوانه وبات الى الصباح والملك الصحصاح وعسكره فى انشراح وقد خرجت الطائفتين واصطفت العسكرين وخرج «كراز» الى الميدان وبين يديه ترجمان من بعد ما لعب بالسيف والسنان حتى حير عقول الفرسان ونادى الترجمان بالعربى : ياأمة محمد سيد ولد عدنان هذا ملك الأرمن برز للضرب بالسيف والسنان ولم يرغب فى أحد من العربان إلا أن يبرز إليه ملك العربان المشهور فى هذا الزمان ومن غلب صاحبه من الاثنين كان له التصريف على العسكران ويبقى هو المتصرف على الجيشان ولما سمعت الاسلام كلام الترجمان خرج فارس من الفرسان وإذا هم بصيحة عالية ارتجت لها الوديان فتطاولت اليها الأعناق وصغت لها الآذان وقالوا ما الخبر يا اخوان واذا هم بملك العرب نزل الى الميدان ومحل الضرب والطعان وهو ينشد يقول :

غويت ياملعون فى برازى ثم طلبت البطل الحجازى
بسك ياذا الشرك والإلحاد لا كنت بين الخلق ياكراز
وحرمة المختار طه الهادى ذو المعجزات الجم والانجاز
لتندمن اليوم إذ دعيتنى إلى مقام الطعن والبراز

(قال الراوى) وكان اللعين لم يفهم بالعربية بل انه صلب على وجهه وحمل عليه وأشار بالحربة عليه وهو يهزها إلى أن التف بعضها ببعض ثم حدفها فى الهوى ولقفها وحدفها ثانياً حتى خفيت عن أعين النظار وكانت الأرمن بهذا الكلب تتباها بين الأقطار وقدرمى بها الصحصاح فخرجت من يده كأنها الشهاب الثاقب أو الكوكب الصائب ولما رأوا المسلمين الى ذلك الحرب ضجوا من كل جانب خوفا على ملكهم من شرب كاس المصائب حتى اذا جاءت الحربة اليه وقد أيقن عدو الله أنها قاضية عليه وصبر الصحصاح إلى أن قربت وميل حتى جاوزه السنان ومد يده اليها خطفها من الهوى ولما نظرت الناس منه ذلك تحيرت قلوب الورى وقالوا ان هذا لم يقدر عليه أحد من الناس ثم انه لما أخذ الحربة اعتدل على سرجه وقام فى ركابه وقال وحق من خلق السماء وهى سبع شداد وبراها وسطح الأرض ودحاها ونصب الجبال وأرساها الذى لو توارت نملة فى جنح الليل البهيم لرآها ولو

نادت ذرة فى قرار البحر سمع نداها لجعلتك يا لعين سيرة لمن يقرأها وأعجوبة لمن يراها ثم ضربه فخرجت من يده لهـا هفيف كانه الرعد وأراد الكلب أن يفعل مثل ما فعل الملك الصحاح فلم يعى على نفسه حتى وقعت فى صدره خرجت تلمع من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ولما نظرت الأرمن إلى كرازوهو قتيل وفى دمه جديل لطموا وحملوا بأجمعهم وحملت الروم وعملت الصوارم بين الخصوم وثار غبار العجاج إلى الغيوم وخرجت الأرواح من الجسوم وحام الغراب الميشوم والطير على القتلى يحوم وعملت البواتر وقطعت الجماجم ونسخت الصور وقطعت الغلاصم وبريت السواعد والمعاصم وبقت الخيل بلا قوائم ولم يزل منادى الحرب ينادى إلى أن كلت السواعد والأيادى وذهب النهار البادى وأقبل الليل الهادى وافترقا الجيشان ونزل العسكران وبقى كل إنسان مما أصابه سكران من خمار الضرب والطعان وقد امتلأت الأرض من القتلا وأنين المجروحين زاد وعلا واجتمع الملك الصحصاح مع الأمير مسلمة وقال يامولاى ان شاء الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا ونصرنا ولقد كنا فرطنا فى أمورنا وأسأنا ولولا حلم الله تعالى ولطفه لكنا قد هلكنا بتفريطنا فى أمر المسلمين ولكن مايقدر الانسان يرد ما جرى به القلم ويمنع ما سبق فى الكتاب والحكم وتواترت علينا الأعـــداء ولقد كان حريق المراكب من أكبر الاشياء ولكن سوف نعمل عملا يكون فيه هـــلاك الكافرين والنصر للمؤمنين فقال مسلمة يا أخى لم تزل بعون الله سبحانه وتعالى تكشف الكروب وبشجاعتك يزول عنا التعب والنصب فلا أخلى الله تعالى المسلمين من حسن رأيك المتين قل وأوجزفان رأيك هو الصواب ومن كان فى اللوح مسعود فقد وفق لفصـــل الخطاب ومن كان شقى فهو كذلك لا تتغير شقاوته قط وسوف يتحدثون الناس بما صنعت فى هـذا اليوم من أخذك للحربه من الهوى وضربت بها عدو الله بين الملا فقال أين عمى الأمير عطاف فقال لبيك ياملك العرب فقال ياعم خذ معك عشرة آلاف فارس من بنى كلاب السادة الانجاب وخذ على يمين الخليج وسير مقدار أربعة فراسخ واقصد إلى الساحل بحيث يبقى بينك وبين القوم فرسخين وأكمن هناك إلى أن يصبح الصباح وتخرج الروم من المراكب ويرتفع الضجيج من كل جانب وترى قد عملت بيننا وبينهم القواضب فهنا لك احمل أنت وراءهم ولكن لاتحمل حتى ترى عسكرنا قد تقهقر كانه انكسر وهجمت الروم عليه وقد طمعت فانى قد عولت على الارتجاع فى حومة القراع مقـــدار فرسخين

حتى استجر الملاعين عن الخيام ثم أعود راجعا على اللئام وإذا رأيت المسلمين وقد لاحت ونطقت بالكلمة التى اليهـا القلوب ارتاحت وهى قول لا إله إلا الله محمـد رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا لك ارفع العلم الاخضر الذى عليه الـكتابة بالمداد بتوحيد رب العباد واحرص على المنهزمين أن ينزلوا المركب أوالى البحر من ذلك الجانب ثم نادى بالأمير مروان فقال له لبيك ياملك العرب وسيد أهل المناصب والرتب فقال له أيهـا السيد أنت المقدم ونحن العبيد والدنيا دول والسعاده لمن اليه تقبل أول كل شيء خـذ معك عشرون الف من بنى سليم الساده كاشفين الهم والضيم واقصد إلى الجانب الآخر من الخليج وكن هناك مكمن إلى الصباح وأوصاه كما أوصى عمه فقال له سمعا وطاعه ياملك الزمان وفريد العصر والأوان وأشجع الشجعان والله يا ولدى لو لا ان الخليفة أمير المؤمنين أعطاك مملـكة العرب وإلا كنت تنازلت عنهـا اليك برضـا نفسى حيث أنت لهـا كفاية وأما غيرك لاشيء والله قد أنصف أمير المؤمنين وأنت تستاهل ياولدى فشكره على ذلك المنال وقد انصرف ولما أصبح الله تعالى بالصباح رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصياح هنالك صاحت القسوس وكشفت الروس وعلقوا الصلبان فى البخور من بعد ما قبلوهم ووضعوهم على الصدور وقصدوا الساحل وأنزلوا خيولهم إلى البر وعزموا على الـكر والفر وركبت المسلمين وطلبت من الله النصر واصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف ولمعت السيوف ورنت الحتوف وقربت الجموع من الجرع ومزقت الدروع وثارت نار الميدان ودارت طاحون الخذلان وقطعت الأبدان وصاحت عسكر الاسلام بالثنا على الرحمن وضج عسكر الـكفر بالشرك والطغيان هـذا وقد تأخر الصحصاح وبنى كلاب إلى وراه وطمعت الـكفره ولسان القدرة ينادى ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عنـد ربهم يرزقون هـذا والملك الصحصاح يجرهم والقضا يغرهم ونظر الوزير لوقا الى ذلك فظن أنه للقوم مالك فأرسـل الى ملك الروم يبشره بما ظفر وأنه للقوم كسر وقهر وان الذى نصرنا كان رجيع البترك الأكبر نصرت به الـكتائب من حين لاح فى اللحى والشوارب فدرنا أولا على احراق المراكب والآن ملـكنا القوم وشتتنا المواكب وهو يحلف بحياة البترك ما يرجع حتى يقطع المسلمين ويفنى عسـاكر الموحدين ولا يبقى منهم ديار ولا نافخ نار وقد صاحت الأرمن على بعضها بعض خذوا بثار كراز من أهل الحجاز ولوقا ضرب بوقا وأقام عند الناس شوقا عندها صاح ملك العرب الصحصاح ياعساكر الملك الفتاح وخالق الأشباح

والأرواح والذى بعث محمد الداعى إلى الرشاد والفلاح صلى الله عليه وسلم ما غرد القمرى وناح اضربوا الكفار بالصفاح واطعنوهم بالرماح وعند ما سمعوا ذلك الصياح رجعوا وقد عاد الملك الصحصاح وهو على الكفار راجع معارض ومدافع وكان للاعناق قاطع والسيف فيهم واضع ولم يبق أحد من المسلمين الا وكان له تابع وقد نادى بصوت أعلا مثل الرعد إذا كان وقع ثم انه أنشد يقول

معشر الاسلام هذه الكفار أصدموهم فى طاعة الجبار
وأصدقوا فى الطعن للرسول فما خاب محبا للسيد المختار
ان رب العباد قد أوعد النصر لأهل التوحيد والاقرار
قد بذلنا نفوسنا فى رضا الله وخفنا غدا من عذاب النار
وبذلنا الأرواح فى موقف الحرب وصلنا بها على الكفار

(قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا بفارس لاح ووجهه من تحت اللثام مثل المصباح مليح الأطراف سريع الانعطاف ثقيل الأرداف قد ملا السرج بعجزه وأعجز الأبطال بعزه وفتح فى الأرض ميدانا واباد الأبطال ضربا وطعانا وفرش البيدا رؤسا وأبدانا إلا أن ذلك الفارس يحكى الغزلان وقد حير الناس من حلاوة طرفه الفتان أكثر من سيفه والسنان كما قيل فيه هذه الأبيات

فارس قد لاح فى العجاج كبدر يفتن الخلق بالجمالى افتتانا
بدوى له ألحاظ مراض فاتنات ناظراها أمانا

(قال الراوى) ولما رآه الصحصاح قال له أعيذك بالخليل فلقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل فمن أنت بارك الله فيك حتى أعرفك وأناديك فقال ذلك الفارس ما أسرع ما نسيتنى ياملك العرب ياذا المفاخر والرتب أيا صحصاح نسيتنى فى مقام الحرب والكفاح انما الصديق فى الفرج والضيق ولما سمع الصحصاح ذلك الكلام الرخيم تبين ذلك الفارس الكريم وإذا بها الملكة الوف صاحبة الجمال الموصوف الموحدة المؤمنة زوجة الأمير مسلمة فقال لها ما حالك أيتها الملكة وما الذى حملك فقالت له كيف أقعد عن الجهاد وأنا صرت للكفره فى عناد وقد أعجب الصحصاح قولها وحسن اسلامها وصدق كلامها إلا أنه خاف عليها من الازدحام وذلك ان الحرب سجال وهذا من وجهين الأول من أجلها والثانى من أجل خاطر زوجها فقال لها والله لقد خاطرتى بنفسيك ياملكة والآن فالصق جوادك بجوادى فى الميدان لأنى

لا آمن عليكى من أهل الطغيان فقالت له وأين كانت هذه الشفقة يوم النهر وأنت فى فى ذلة الأسر لكن طيب نفسا وقرعينا وحق من فتح مصاريع قلبى وعرفنى بتوحيد ربى وجعلنى من أهل التوحيد والايمان وسلمنى من وهم الطغيان ولقننى من بعد الانجيل القرآن اننى لم أخاف اليوم من كثرة الصفوف وازدحام السيوف فى طاعة الملك الرؤف وهو الحنان المنان الذى لا يشغله شأن عن شأن فطال ما قاتلت فى طاعة الشيطان والصلبان وأريد الآن أبذل ذلك بالجهاد فى طاعة الرحيم الرحمن ثم انها بعد ذلك صاحت فى الجواد وهجمت فى المجال وطحنت الأبطال وقد دخلت بين الصفوف وبددت الالوف هذا والصحصاح بطرفه يرعى ألوف ويقتل الرجال ويمزق الصفوف إلى أن غابت عن عينه وهى تجول بين الفرسان وتجندل الشجعان فخاف عليها من الهلاك وسوء الارتباك فحمل فى الجهة التى قصدتها وفرق الابطال عنها وشتتها ولم يزل يمزق المواكب تمزيق ويفرق الفرسان عنها تفريق إلى أن أشرف على جم عظيم وإذا هم مائتين بطريقٍ وهى تقاتل أشد قتال وكان السبب فى تلك المعركة ان الملكة الوف لما فارقت الصحصاح وصارت فى تلك الالوف وإذا هى بفارس بين القوم وقد عرقبوا جواده من تحته وهو يقاتل وحده ولم يعلم به أحد من قومه وجنده فتأملته وإذا هو فارس الميمنه والميسره وهو الامير مسلمه وحين وصولها كان أشرف على البوار من يد هؤلاء الاشرار ولما عرفته اشتعلت فى قلبها النار وهجمت على الكفار وفرقت عنه الفرسان بالسيف والسنان ورأته هو كأنه قطعة من الارجوان مما سال عليه من أدميه الفرسان حتى كلت منه اليدان فتقدمت اليه وهى خائفة عليه فسمعته يقول هذه الابيات

اليوم يوم تعلو فيه الهمهمه وتظهر الآن جميع المكرمه

قد فاز عبدفى الهيجا قد قدمه خالقه إلى قتال الظلمة

رجوت من الرحمن حسن المكرمه بنصره حتى أنول المغنمه

(قال الراوى) ولما سمعت الرف كلام مسلمه ورأت الكفرة محتاطه به فقاتلت عنه وحملت دونه حتى كشفتهم عنه فسمعت قائل منهم اقطعوا قوائم جواده وقد أخذتموهم جميعا فما لحقت تنظر اليه إلا وقوائم جوادها قد قطعت فألقت نفسها على الأرض وقاتلت وكافحت عن مسلمه وعن نفسها أشد كفاح وأسخنت القوم بالجراح فلما عقل على نفسه طمع فى الخلاص ونظر إلى فعالها وجود قتالها

فقال كم لله من ناصر فى دينه مثل الصحصاح وقال من أنت أيها المجاهد فى طاعة الملك الماجد ابشر بجنات النعيم والخلاص من نار الجحيم ومجاورة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقالت له يامولاى أنا جاريتك ألوف فلما سمع كلامها ورد عليه مورد عظيم وقال أعود بالله السميع العليم وأخذته النخوة على الحريم وعمل فيه الهوى والغرام فحمل على الكفار وضرب فيهم بالبتار وفى قلبه من خوفه على ألوف لهيب النار فتكاثرت عليهم الكفار وأحاطت بهم الأشرار فهم كذلك وقد أيقن كلا منهم أنه هالك وقد أشرف عليهم الملك الصحصاح وهم فى أشد ما يكون من الكفاح ولما رآهما عرف أنهم فوارس الاسلام وتروس قبر المظلل بالغمام محمد صلى الله عليه وسلم فحمل على القوم اللئام فما ضرب ذراعا إلا قده ولا رأسا إلا شقه ولا يد إلا أبراه فقتل الاقيال وجندل الأبطال وأفنى الرجال وهو يجول ويصول وينشد يقول

الحمد لله الذى منّ علينا بالنعم وهو صيرنا من خير الأمم
لأضربن بالبتار فى هذى الأمم وأور القوم اللئام كاس النقم

(قال الراوى) ثم انه انطبق على القوم واستقبل الخيل ونزل عليها نزول الويل وزاد عليهم غضب وحرقهم حريق الحطب وطحنهم طحن الحصيد وبددهم فوق الصعيد وجاهد فى طاعة الله الملك المجيد حتى كشفهم عن مسلمة وألوف وجزع من الأعدا الأنوف فلما رآه قال لله درك من بطل لم تزل مفرج للنوائب وكاشف المصائب أنت عمدة الاخوان وعزنا على طول الزمان ثم أنه ركبهم على خيول القتلى واصطحبوا الثلاث وضربوا فى الاعدا بالسيوف وضربوا الروم ساعة على قدر الطاقة ونظر ما حل بالروم لوقا فوجدهم قد ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وهم طالبين المواكب وإذا بالكمنا خرجت عليهم من كل جانب وان مروان قاتل فى ذلك اليوم قتالا شديدا ما عليه من مزيد وكذلك الأمير عطاف قطع الرؤس والأطراف وخمدت نيران العساكر الروميه وطلبت البحار مو خوفها من السيف البتار وقصدت المراكب من كل جانب وأرمت نفوسها عليها ففرق منهم عالم عظيم زهاء عن مائة ألف ولم يخلص سوى سبعة عشر مركب وغنم المسلمين غنيمة عظيمة ماغنم أحد مثلها وملكوا المراكب كلها وفيها من الأموال والأوانى الفضة والذهب مالا عين رأت ولا أذن سمعت وكانوا غنموا من المراكب ألف وسبعمائة ثلاثة وثمانون مركب ومن الخيل والأسلاب مايقطع عليه حساب وربحوا من الله سبحانه وتعالى الأجر والثواب بما فتح الله لهم فى الجنة من الابواب فهذا ما جرى ها هنا (وأما المنهزمين) فانهم وصلوا الى القسطنطونيه

وكان الخبر وصل من الأول أن (لوقا) هو الظافر على المسلمين فقال (لاوون) إن لوقا لو خرج يملك جميع البلاد الاسلامية ويرد أهل الأرض الى الملة المسيحية ويقابل السيد المسيح بتلك النية ثم انه أمر بزينة القسطنطونيه وزاد عندهم الفرح والسرور وشرب الخمور وظنوا أنهم قد ملكوا أعنة الأمور ولم يعلموا بما لهم في الغيب مسطور ومن وسط الأفراح أقبل عليهم الحزن ولاح ووصلت مراكب المنهزمين وأخبروا بما تم عليهم من المسلمين فعلا بكاءهم وكثر عواءهم وانقلبت بشارة البشير وأخبروا أن النصارى قد قتلت والمراكب ملكت ووصل الخبر الى لاوون فقامت عليه القيامة ورمى تاجه من على رأسه وأخذ يضرب على رأسه حتى وقعت أضراسه وانحلت من الروم العزائم وندبت النوادب وسمع البكاء من كل جانب ودخل على لاوون خادما يقال له أرمانوس وكان عاقلا وأخبره أن هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال ومابقى يصل اليك أحد من الرجال إلا من وصل اليك وقدم عليك وأن لوقا راح مع من راح فوقع على الأرض مغشياً عليه وقال لامفر من القضاء ولولا أن المسيح قد غضب علينا وإلا ما كان أرسل هؤلاء المسلمين إلينا وأقبل البترك مهموم مغموم فقال له لاوون يا أبونا ما أراك إلا أوقعت بنا الهلاك فقال البترك وحق المسيح ما كان فيه من رجيعى لاوزن مثقال لانكم أمرتمونى بما لاأطيقه وأقول إن بعضهم قد فسدت نيته ورماه من شاربه ولحيته فذهبت بركته والآن مابقينا نشتغل إلا بالدعاء فى البيع والكنائس إلى أن يندفع عنا شر المسلمين وقد خرج البترك وجميع الناس إلا واحد من الرهبان يقال له شماس إنه أقبل على لاوون وقال له أيها الملك إن العدو ماينال من عدوه شيء إلا بالخداع وقد عزمت على انى أخرج الى العساكر الاسلامية لعلى أن أنال منهم شيء بالخداح وأهلك مقدمهم وإن صحت الحيلة فيهم ومات مقدمهم بلغنا المنى ولايبقى منهم باقيه ولايقام لهم رأس بين الناس وانى أريد من نصارى بلاد الشام الذى تخرج الى بيعة سوفيا فى كل عام وبهم يتم المرام والاحكام فقال له لاوون مهما أردت من ذلك فهو بين يديك وما كان بأسرع مما حضر له مائة رجل من نصارى نجران وقال لهم لاوون أنتم تعلمون ماتم على الملة المسيحية وأهل ماء المعمودية من العصابة المحمدية وأهل الشريعة الحنيفية وهذا العبد الناجح قد وهب نفسه الى السيد المسيح وعول على الدخول الى عسكر المسلمين وهو فى زى الموحدين حتى يدبر حيلة يعود نفعها علينا ويصل خبرها لدينا ويمنع المسلمين أن ترجع إلينا فهل أنتم واهبون أنفسكم الى السيد المسيح مثله على انى أعطيكم قنطارمن الذهب الأحمر ومن

سلم له عندى كل ماطلب ومن مات له من السيد المسيح حسن المنقلب فقالوا له أيها الملك قد وهبنا أنفسنا بالكلية الى السيد المسيح ومريم الزنارية الطاهرة الزكية ونجعل أرواحنا فداك ولا نشمت بك عداك فعند ذلك أعطاهم ما أوعدهم به من الأموال وأخذ الراهب شماس جميع مايحتاج اليه من خزاين الأموال ثم انهم ساروا وفى صحبته النصارى وكان هذا الراهب شماس أكفر خلق الله تعالى من دون الناس وكان حكيما منجما متلاعبا بالاديان وكان مسافر إلى بلاد الشام ورافق الحجاج ومافعل هذا الشأن إلا لمعرفته بسائر الأديان وقد عرف مذاهب المسلمين وكتب العبرانيين وتهود مع اليهود فى بيت المقدس وحفظ كثير من التوراة وتعلم من القرآن بعض آيات وقد صار آفة الآفات وبلية من البليات وهو مع هذا الشأن لا يعتقد فى دين من الأديان وماكان سبب اقامته فى بلاد القسطنطونية إلا أنه يعشق جاريه بنت حاجب من من الحجاب الكبار وكان انطلق فى قلبه منها لهيب النار وكلما كسبه من المال يحمله اليها على سبيل الهدية ويظهر لها فى دين النصرانية وكان اسمها اشمونس وكان يقول لها إنى أعرف علم النجوم والأقوال الحنيفية وأرى أنك تملكى بلاد القسطنطونيه وكانت هذه الجارية أحسن أهل زمانها كأنها من بنات المحدتين أو القهوجية لأنها كانت مثل حوريه وهى فريدة عصرها وأوانها وكانت تحب ابن عمها وقد زاد به غرامها وطلبت أن تتزوج به ويتزوج بها لأنه هو الآخر محبا لها ولميرضوا بذلك القسوس والرهبان والبترك فان ذلك حرام لأن الروم لم يتروجوا بنات الاعمام وكانت بذلت من المال كثير الى البترك الكبير على أنه يزوجها بابن عمها فلم يرضى بذلك السؤال ولم يسمع منها مقال ولا قبل منها المال بل قال لها إن ذلك حرام ولا يجوز إلا فى دين الاسلام فقال لها شماس أنا أزوجك به بشرط اذا ملكتى القسطنطونية أكون أنا البترك على الملة المسيحية وعلماء النصرانية ثم انه أقام على ذلك الحال وكان يمضى إلى ابن عم الجاريه اسمه صلبان وكان مليح الصورة وكان شماس عايش بينهم بالكلام ويعمل لهم على بلوغ المرام وطال المقام وهم فى الانتظار إلى أن وقع الحرب وحصل ماحصل فأراد اللعين أن يصنع شيء يبيض به وجهه عند ملك الروم لاوون وعند جميع الروم حتى انه اذا طلب زواج الجارية شمونس يساعده عليها كل انسان وكان أكثر خوفه من لاوون لأنه كان لها عاشق وبحبها واثق وكان عازم على أخذها من أبيها فأتاه هذا العارض واشتغل عنها وعن غيرها . وسنرجع لما كنا فيه وان اللعين شماس سار مع الرجال وقد أشهرهم بالتجاره إلى بلاد الاسلام وأما لاوون قد دخل

عليه ولده منويل وقال له أيها الملك ماهذا شيء يجيء بالدعاء وبالحيل والآن أنظر لنفسك وعظم عليه القصة وتركه وخرج ففزع لاوون وكتب من وقته إلى سائر الاقاليم وكان أشار عليه ولده بذلك وقال له لا تترك أحد في القلاع والحصون من دين النصرانية إلا ويأتوا اليك بالنساء والعيال والزاد والأموال ولا يتخلف منهم أحد في البلاد وتقول ان عساكر الإسلام ملئت الأطلال والرسوم فعجلوا الينا بالقدوم قبل قدوم الأبطال وقتل الرجال وسبي النساء والعيال وأخذ الأطفال والأموال وخراب الحصون وقد هلك من النصرانية ما فيه الكفاية وأن مدينه القسطنطونية لا تبالى بأهل الأرض لاسيما إذا ملئت بالرجال فانهم إذا كانوا معنا فى البلد ونساؤهم وعيالهم حرصوا على القتال لأجل أموالهم وأولادهم والثانى أنهم يسلموا من العدا والثالث انهم يجيبوا معهم الزاد والاقامة ما يكفينا ولايحوجنا الى العدو فقال لاوون يابنى وفقك المسيح الى الصواب فلقد جئت فى أحسن خطاب ثم كتب إلى سائر الجهات يحث الناس بالمسير اليه والسعى لديه والقدوم عليه ومع كل كتاب كتاب آخر من البترك يحثهم على المسير ويقول كل من تأخر أخرجته من دين النصرانية وطرده المسيح من باب رحمته وغضب عليه وأخرجه من الاعتقاد الصحيح وكسر الصليب وأوقده تحت لحم الجمل فالعجل العجل قبل فوات الأهل وحلول الأجل لأن العدو قد وصل وكأنكم به فى الديار وقد نزل فارحلوا بالاموال والعيال والاهل والاولاد وأكثروا معكم من الزاد ثم ان الكتب سارت الى جميع البلاد وأقام كلب الروم ينتظر العساكر النصرانية وقد وقع الخوف فى مدينه القسطنطونية فهذا ماكان من الكلاب الارجاس (وأما ماكان) من اللعين شماس فانه لما سار بمن معه من الانجاس وأقبل على الكفار وكان ألبسهم فى زى الفجار مثل المسلمين الابرار وحمل لهم مائة بغلة من الثياب الانطاكى والاطلس الديباج الملكى وأخذ لهم كتاب من كلب الروم منويل بأنى قد أعطيت الامان الى تجار المسلمين الذين كانوا واصلين الينا من الشام فلا يتعرض لهم أحد من أهل دين النصرانيه والتابعين للملة المسيحية لان التجار عليهم عمار البلاد ولهم الامان من سائر العباد فلا يتعرض لهم أحد بأذية لئلا تمنع التجار من مدينة القسطنطونية ثم ان شماس اللعين أقبل على ما كان معه من القوم الكافرين وقال لهم عولت أن أدبر على هلاك المسلمين وعلى فارسهم الشيطان المريد ولكن حتى يتم لى ما أريد ثم انه لبس مسبح أسود وحك جبهته بالثوم حتى بقت وسمة سودة وهى كأنها من كثرة السجود والتعبد وكان الملعون نحيل البدن أصفر اللون غائر العينين ثم انه شد رجله

بحبل كان معه من ركبته الى قدمه ثم سار الى أن وصل الى عسكر المسلمين وحل الحبل من رجله من بعد ما أثر الشد على ساقيه ودهنه بدم الاخوين وأمر الذين معه أن يضربوه على بدنه حتى بقى للضرب على بدنه تأثير وكان قد ضرب ضربا كثير ثم انه قال لهم اطرحونى فى صندوق من هذه الصناديق الفاضيين وادخلوا بى على عسكر المسلمين واعلنوا بقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كلمة الملة الحنيفية ولا عليكم فى ذلك إثم ولا خطيئة لأنكم ماتعتقدوها بقلوبكم بل تقولون بألسنتكم وهذا يكون سبب وصولكم الى مطلوبكم وإن أتى أحد من المسلمين وعارضكم فسلموه جميع مامعكم واتركوا لهم البغال وما عليها من الأموال وامضوا الى ملكهم فى الوقت والحال وصيحوا بأصواتكم وأنتم مستغيثين وقولوا نحن ما أخذ لنا مال فى بلاد الكافرين وكيف ماتنهب أموالنا اخواننا المسلمين وهم مجاهدين وهانحن معنا كتاب ملك الروم لاوون بأنه لايتعرض لنا أحد من النصارى بسوء ومع ذلك فاننا عملنا فى هذه السفرة ما نستاهل عليه من الخليفة الأجرة وأن يكتب لنا كتاب إلى دمشق بالوصية ولا يتعرض إلينا أحد بأذية وإن قيل لكم وما الذى عملتوه من الأعمال فقولوا عملنا عملا يرضى الملك المتعال وخلصنا رجل من السلاسل والأغلال وهو رجل عابد زاهد والكرامات عليه شواهد وأفعاله كلها حسنة وله تحت الأرض فى مطمورة خمسة عشر سنة وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار وهو يضرب آناء الليل وأطراف النهار وهو لايزداد إلا التبصر والإجلاد فى طاعة رب العباد رغبة منه فى الدار الآخرة وحسن العاقبة ونحن ما كان عندنا من ذلك خبر ولا نعلم له أثر وإنما كنا فى مدينة القسطنطينية على ما جرت به عادتنا وقد بعنا بضاعتنا واشترينا مامعنا فلما كان الليل ونحن نازلين فى البيعة وقد انضجعنا فى مضاعنا واذا بيد صورة من تلك الصور التى فى الحائط أمدت يدها وخاطبتنا وهى تتحدث بكلام بائن مثل لغة الآدميين وتقول لنا يامسلمين هل لكم فى مقابلة رب العالمين ولما سمعنا ذلك حلّ بنا الدمع وأقبلنا عليها ووقع بنا الخوف وقلنا وكيف السبيل الى ذلك وأن نبذل المجهود فى رضا مالك الممالك فقالت لنا هذه الصورة اعلموا أن الله تعالى قد أنطقنى لكم حتى يقوّى بغيتكم فاخرجوا من هذه المدينة التى فيها هؤلاء الملاعين واطلبوا عساكر المسلمين لأن فيهم سيف الله الملك الحق المبين وقد سله على القوم المجرمين وهو الذى يفتح بلاد الروم ويملك القسطنطينية ويهلك النصرانية وقبل وصولكم اليه تجدوا فى الطريق مرج يقال له مرج سيحون فاصعدوا على لحف الجبل

تجدوا هناك دير يعرف بدير القمص وفى الدير صومعة وفى الصومعة حاجتكم وبقضاها ترضوا خالقكم ويشفع فيكم نبيكم لأن فيها مطمورة ومن داخلها رجل من عباد الله الصالحين وهو من أهل بيت المقدس واسمه عبد الله وهو من أدين الناس وأحفظهم لكتاب الله وهو من المجاهدين وله كرامات الصالحين وأن بعض الرهبان عمل عليه حيلة وأوقعه فى هذه المطمورة وله فيها سنين وهو فى الأسر والعذاب المهين يعاقب بالليل والنهار ولم يجد له أنصار فاذا خرجتم من هذه المدينة قليلة الخير فاقصدوا الى ذلك الدير واذا وصلتم اليه وحصلتم فيه فخلصوا ذلك الرجل مما هو فيه وأوصلوه إلى عسكر المسلمين وقد نلتم الأجر من رب العالمين ثم ان اللعين شماس قال لهم واذا أنا وصلت اليهم بهذه الحيلة أعرف ما أدبر وأهلك فرسانهم وأبيد أبطالهم ولما أخذوا القوم كلامه وسمعوه ساروا به وهو من داخل الصندوق. فهذا ماجرى مع هؤلاء اللئام (وأما ما كان) من عسكر الاسلام وما تم لهم من الأحكام فانهم لما نصرهم الله تعالى على أعدائهم بعد ما أكثروا عذابهم وفناهم وقتلوا منهم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى ولما استقرت قلوبهم بعد ما فرغوا من أعداءهم فعند ذلك أنزلوا جميع مافى المراكب من العدد والأوانى والأطباق والصوانى وكان ذلك كله من الفضة والذهب لأن رجال الروم ماتسير من مكان الى مكان إلا ومعهم أوانى الطعام والمدام وغير ذلك من أوانى الشراب ولما احتووا على جميع الأسلاب وتمت لهم الأسباب أخذوا من المراكب أكبرها وأجودها وقد عمروها بالرجال والزاد والأثقال والذى تبقى منهم كسروه وبالنار أحرقوه ثم ان الأمير مسلمة أقبل على الملك الصحصاح وقال له اعلم ياملك العرب بأن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على على المسلمين وأهلك طائفة من الكافرين وفتح علينا بهذا الفتح المبين وأنا والله ما على قلبى من مال ولا نوال بعد ما هلكوا أهل الكفر والضلال وأكبر الغنائم عندى ثواب الله تعالى وانى بعد ذلك أقسم بمن سطح الأرض المدحية اننى ما أرجع عن هذه النية إلا أن فتحت بلد القسطنطينية وأبنى فيها جامع يذكر فيه التهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير صلى الله عليه وسلم ويخطب فيه الخطيب على المنبر على رغم أنف من كفر وأذل الطائفة الفاجرة التى لم تزل على التوحيد لله منكره وما أبالى بعد ذلك مايجرى علىّ لأنى لا أخاف من قدوم الموت بعد إظهار كلمة التوحيد ويكون سببا لنصرة الله الملك المجيد فاما أن أبلغ ما أريد

واما أن أقتل فأموت شهيد . فلما سمع الملك الصحصاح كلامه فرح بذلك ودعا له وقال له أنا أفديك أيها الأمير بنفسى من دون الورى ولابد لنا من الجهاد فى الأعداء ولو أقمنا فى هذه الديار أبدا وقد هبنا نفوسنا للواحد الأحد الذى لاشريك له ولا ولد وهو الواحد المنان وهجرنا الأهل والأوطان فى طاعة الكريم الديان الرحيم الرحمن الذى لايشغله شان عن شان مكون الأكوان ومدبر الملك والزمان العظيم السلطان المعروف بالجود والإحسان والعفو والامتنان وقد فتح علينا بالمغفرة والرضوان وبعد ذلك أيها الأمير الكبير والسيد الخطير ان خرجوا الى قتالنا قاتلناهم وصبرنا على أذاهم وان عزموا على الحصار حاصرناهم والله تعالى يعطيك مرادك من شر أعداك أقالك والله ان الجهاد عندى ألذ من شرب الماء عند عطش الظمآن وألذ من العافية على بدن المريض وبعدها أيها الأمير فهذه المراكب بما فيها من الرجال والأثقال تسير فى البحر ونحن نسير فى البر إلى أن نصل بلاد أهل الكفر والضلال ونصبر على الحرب والقتال وشدة الطعن والنزال وقد وهبنا أنفسنا إلى الملك المتعال الذى سطح الأرض وأرسى الجبال وقد قال ربنا ذو الجلال : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) صدق الله العظيم ونحن قد بعنا نفوسنا لله ربنا وهو ينصرنا ولا يخذلنا (قال الراوى) ثم انهم رحلوا وطلبوا القسطنطينيه وهم سائرين بخلاص النية وحسن الطوية ثم جدوا فى الثرى وهم طالبين من الله حسن ثواب الآخرة و (ألوف) الى جانب الأمير مسلمة وقد أصبحت بعد الكفر مؤمنة وتجردت فى طاعة رب الأرض والسماء وهى تقول والله لقد ذهب عنى الخسران ومتابعة أهل الصلبان وأن الله قد هدانى الى الايمان من بعد الكفر والطغيان وقد وفقنا الرحيم الرحمن بفضله والاحسان ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون الآفاق حتى وصلوا الى دير القمص بالاتفاق وكانوا قدقطعوا مفاوز بعيدة وأرض صعبة شديدة وهى روابى وآكام وقد انقطع الماء عنهم ستة أيام ولما وصلوا الى تلك الأرض والأطلال ونظروا الى المياه الجارية من الجبال وهم سابحات بالماء الزلال قدرة المهيمن ذو الجلال الواحد الفرد المتعال المنزه عن الشبيه والمثال والأشجار محملة بالأثمار والأثمار من فوقها الأطيار وهى مسبحة مغردة كأوقات التلاق فى أيام الوصال المسعدة والمرج كأنه جنة من الجنان (قال الراوى) فلمانظر الأمير مسلمة والملك الصحصاح الى ذلك المرج الفياح ارتاحت منهم الأرواح وسجدوا شكراً للملك الفتاح ونزلوا فى تلك الأماكن الفساح ثم ان مسلمة أقبل على الصحصاح وقال له يعلم الله أن روضة

دمشق تقصر عن هذا المكان لأنه يحكي جنة من بعض الجنان ونحن الآن نقيم فى هذا المكان الى ثلاثة أيام ثم انهم نزلوا وضربوا الخيام وفرحت جميع الناس بتلك الأنعام إلا انهم ما استقر بهم المقام حتى سمعوا صياح قد علا وصراخ قد نما فسألا مسلمة والصحصاح عن ذلك الصياح فأخبروهم أن قافلة من التجار الذين لبلاد الشام وكانوا نازلين فى هذا المكان ولما نظروهم العسكر ظنوهم ممن كفر ولاشك انهم أخذوا شيئا من أحمالهم وهؤلاء هم أصحابهم قد أتوا صارخين وهم بكم مستجيرين فلما سمعوا بهذا الكلام أمروا باحضارهم فحضروا بين أيديهم وحكوا جميع ماأعلمهم به شماس اللعين لعنة الله عليه وعليهم أجمعين ثم بعد ذلك أخرجوا الكتاب الذى معهم وقالوا اذا كانوا الكفار قد أعطونا الأمان من أهل هذه الديار ونحن من الفجار فى أمان وكيف تأخذ أموالنا عساكر الأبرار فلما سمع مسلمة ذلك الخطاب بعد ماقرأ الكتاب قال لهم سوف نرد اليكم ماأخذ منكم ولكن كان الواجب عليكم أنكم لاتدخلوا بلاد الكفار وأهل ملة الزنار فقالوا اعلم يامولانا اننا مادخلنا باختيارنا ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى حركنا والى هذه البلاد أخرجنا وهذا من أجل شيء ظفرنا به ما ناله أحد غيرنا ولا نلتم أنتم مع هذا الغزو مانلنا وبعد ذلك فالحمد لله الذى من علينا بكم وفى هذه الأرض التقينا كم لأننا كنا تحت الخوف الشديد الذى ما عليه من مزيد (قال الراوى) فلما سمعا مسلمة والصحصاح هذا الكلام قالا لهم وماالذى ظفرتم به وغنمتموه وأنتم تقولون أفضل من هذا الجهاد قالوا مانقدرنقوله قدام أحد من جندك وما نقوله إلا فى خلوه بيننا وبينك والذى معنا نسلمه إليك لأننا قوم تجار ونخاف أن يطلع علينا أحد من هذه الديار فيكون ذلك سبيلا لهلاكنا والدمار وهلاك كل تاجر يقصد الى بلاد الكفار فعند ذلك دخلوهم الى دخل السرادق وأمروا بالانصراف الى تلك الخلائق وقد خلا لهم المكان ولم يبق هناك انسان إلا الأمير مسلمة والملك الصحصاح ومن يجرى بجراهم من أهل الدين والصلاح فعد ذلك قالوا لهم هاتوا ماعندكم من الأخبار فشرحوا ما لقنهم به اللعين شماس فلما سمع منهم الملك الصحصاح ذلك الكلام قال لهم وهذا الزاهد خلصتموه مما كان فيه أوهو باقى الآن فى الدار قالوا يامولانا قد خلصناه وخدام القمص قتلناه وفى المذبح أرميناه ومن خوفنا على نفوسنا أسرعنا فى الهرب خوفا من الموت والعطب وقد قيل لنا إن فى الدار قناطير من الذهب وصلبان وغيرها من أعجب العجب فقال لهم الصحصاح وأين هذا الرجل الآن فقالوا عندنا وهومن داخل صندوق فى زحلنا فقال لهم امضوا وائتونا

به حتى ننظر اليه ويحكى لنا جميع ماجرى عليه فعند ذلك مضوا وأتوه بذلك الصندوق وهو على حاله مطبوق فلما نظر الصحصاح اليه قام له قائما على قدميه وفتحه بيده وأخرج اللعين شماس ونظرته أعين الناس واذا هو قد علاه الصغار وكثر نحوله وزاد فى عينه الغوار ونظروا الى تلك السلاسل والاغلال التى فى رجليه ولم يعلموا أن ذلك من خبثه ولعنته وهذه الصبغة من حسن صنعته ولما شاهدوه وهو فى سلاسل حديد ومكتوف بكتاف شديد عندها تواثبوا اليه وجعلوا يبوسون يديه ورجليه وقد ارتفع الضجيج من حواليه ولما نظرهم أشار اليهم وعن البكاء سكتهم وقال لاتبكوا على مابى من البلوى لأنى ماأبديت لكم الشكوى فانى قد رضيت بما صنع المولى لانه بى أحق وأولى فيفعل بى مايشاء لأننى عبده ولايحصل الوصول الى الجنان إلا بأنواع الامتحان وقد كنت أتمنى العودة الى بلاد الاسلام وأخلص من يد هؤلاء اللئام وبعد ذلك ماكنت أشتهى إلا أن أموت تحت حوافر خيل المجاهدين لأنى راغب فى مجاورة الصالحين ومن كان من أهل الدين وحسن اليقين الذين ظفروا بمطلوبهم وفازوا بالنظر الى وجه محبوبهم فهم أهل الاخلاص والسادة الخواص فازوا بالاخلاص فهم فى حضرته حاضرون ولجماله مشاهدون وقد صاروا من الهجر آمنون فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون (قال الراوى) فلما فرغ شماس اللعين من كلامه تناثرت الدموع من الاجفان وساحت على الخدود كأنها طوفان وقام اليه ملك العرب فى ساعة الحال وفك قيوده والاغلال وهو كأنه الحلال ثم انه أحضر له شىء من الطعام فامتنع عنه ولم يلمسه وقال والله يعلم اننى بقى لى مدة خمسة وعشرون سنة ماأفطر فيها يوم من الايام كيف أفطر فى هذه الساعة وأترك الصيام بعد ماجاد على الملك الخلاق وأنعم على بالاطلاق ورفع عنى من العقوبة مالايطاق فلما أن سمع مقاله تركه على حاله الى أن أقبل الليل بالظلام ودعوه الى مائدة الطعام فأبى ولم يسمع لهم كلام وقال ماهذا وقت طعام بل هذا وقت دعاء وصلاة وقيام وطاعة للملك العلام منشى الانام ومحيى العظام ثم انه وقف يصلى طول الليل فى الظلام الى أن بدا الصباح بالابتسام ولم يزل على ذلك الحال ثلاثة أيام وثلاثة ليال لم يجلس فيها إلا وقت التحيات ولم يطلب شىء به يقتات ولما نظر الامير مسلمة إلى تلك الكرامات قال والله انه لا يكون مثل هذا الرجل بين السادات وكان الصحصاح ضرب له خيمة حتى يختلى فيها بنفسه ورتب له فيها فراش لخدمته وقد وقعت فى قلوب الناس هيبته ولما كان آخر اليوم الرابع طلب الطعام فحمل اليه شىء كثير من سائر الالوان فلم يأكل شىء منه بل أكل رغيف واحد بملح ونوى الصيام وعاد الى الصلاة والقيام ولما

نظر الصحصاح الى ذلك الاجتهاد قال ماهذا الرجل إلا من خيار الزهاد وهو من أكبر العباد وأنا والله لولا هذا الجهاد الذى نحن فيه للزمت بيتا أعبدالله فيه والله لقداشتهيت أن أخلو مع هذا الرجل وأتحدث معه ساعة لعله يدعوا لى دعوه أبلغ بها المنى فقال مسلمة والله العظيم الجواد الكريم وكذلك إنا لأننا فى غداة غد نرحل إلى القسطنطينيه وماحصل لنا معه ساعة هنيه ولاتحدثنامعه بالكلية فقالت الملكه ألوف أناقصدى أتبرك به وأسأله أن يدعو الله لى أن يغفرلى مامضى ويجود على بالعفو والرضا فقال لهامسلمه أما أنتى فقد غفر الله لك ماتقدم لقوله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ولما هدأ الليل ونامت العيون دخلوا على شماس الملعون وإذا هوقائم فى صلاته يصلى وشيبته على صدره وهو ناظر الى موضع سجوده فوقع عليهم البكا والخشوع وفاضت أعينهم بالدموع وجعلوا يكلموه وهو لايلتفت اليهم ولم يزالوا على ذلك الحال وقد كثر من كل واحد أسفه وزاد لهفه الى أن مضى من الليل نصفه وسلم من الصلاة ونظر اليهم وسلم عليهم وقال لهم متى جئتم إلى ههنا فقالوا له أما سمعت بكانا ونواحنا فقال لا وحق الواحد المنان الواقف بين يدى الرحمن لايعلم بما يكون من الأكوا فقالوا نشتهى أن تسمعنا شيئاً من حديثك حتى نلتذ بألفاظه الثنيه وندعو الكل واحد منا دعوه بصفو نيه وهى عندنا خير من ملك الدنيا ولما سمع منهم هذا الكلام التفت اليهم وقال لولا أنتم أمراء المسلمين وملوك الموحدين وأشرف المجاهدين ما تحدثت معكم ولاشرحت قصتى عليكم وذلك أننى كنت فى بيت المقدس مع بعض الابدال وأرباب الأحوال وكنت الكبير عليهم ولا ألتفت اليهم وكنت ليلة من بعض الليالى نزلت الى مصلحة فلما وصلت الى البحر وكانت الدنيا ليل ولم وجدت من يعدينى فقلت بسم الله الرحمن الرحيم ودست على الماء بقدمى فوجدته مثل الأرض تحت رجلى فسرت فوقه وقضيت ما كان يلزمنى وعدت راجعا من فوق الماء وكنت نظرت الى نفسى فأدركنى العجب لما رأيت منزلتى فابتليت فى ساعة الحال ووجدت قساوة فى قلبى وقد ابتلانى ربى بالأوهام فقلت فى سرى والله لاعدت أقيم فى بلاد الاسلام وقلبى قد تشوس بالأوهام ولا بد لى من الدخول الى بلاد الروم فلعلى أبلغ ما أروم ثم أنى تجردت واليها دخلت ودرت فى أقطارها سنة كاملة وما تركت موضعا إلا ودخلته وعبدت الله فيه وزرته ولم أزال على تلك الحال إلى أن وصلت الى هذه الأرض بالقدر المقدور وأقمت فيها ثلاثة شهور ثم أنى صعدت الى ذلك الجبل واذا أنا بدير وفيه راهب يقال له القمص فلما رآنى خرج الى وسلم علىّ وضمنى الى حضنه وقبلنى وقال إنى رأيتك من

حين دخلت الى هذا المرج وأنت تعبد الله الملك العلام وقد شوقتنى الى دين الاسلام ثم أنه أخذ بيدى وأتى بى الى الدير وأتانى بالطعام من بعد ما أكرمنى غاية الاكرام وبدأنى بالكلام فاطمأن قلبى اليه وأيقنت بالسلامة ثم أنه قام من عندى وأغلق على باب ذلك البيت وأوثقه بالأقفال العظام وتركنى أربعين يوما تمام لم أذق فيهم مياه ولاطعام وما كان قصده بذلك إلا قتلى ولما كان بعض الأيام وأنا على ذلك الحال وإذا قد وصل اليه بطريق يقال له مغلنطوس من عبدة الصلبان ومعه عشرة من الغلمان ومعه أيضا ابنة تسمى تماثيل وهى على الحقيقة مالها فى الدنيا مثيل قد اجتمعت سائر المحاسن فيها ولا فى بنات الروم أحدا يحاكيها وأبوها من مدينة تسمى المنحصره وهى على ساحل البحر وهذ الملعون أكفر خلق الله سبحانه وتعالى هو والقمص متخاوين وقد تعاملوا على قتل المسلمين فلما وصل اليه ومعه ابنته وغلمانه فأخبره الراهب بحالى وأن لى عنده أربعين يوم محبوس فقالوا له الجميع إنه الآن قد جاف لحمه فاخرجه وارميه للوحوش والطيور فأتوا الى فوجدونى قائم للصلاة فلما عاين القمص منى تلك الفعال خرج هاربا وهو يقول الحقونى لاشك أن هذا من السحرة الكبار وقد دخل الى هذه الديار فعند ذلك هجموا على الجميع وضربونى ضربا وجيع لو وقع على الجبال ما كانت له تطيع وقد اطمأنت بذلك نفسى وقلت يا نفس هذا جزاء من لبس ثياب العجب فانه يطرد عن باب الرب ويضرب فى بلاد الكفار ويسلط عليه الأشرار ثم أنه وضع فى رجلى القيود والسلاسل وفى عنقى الأغلال وردونى الى تحت الأرض وكان اللعين كل ثلاثة أيام يرمى لى قرص من الشعير وفى كل شهر أو شهرين يأتى البطريق وابنته وقد كبرت لأنى أول ما رأيتها كانت صغيرة وأقمت عندهم خمسة وعشرون سنة ومن محبة أبوها فيها لم يدخل بها الى بلد القسطنطينية خوفا من كلب الروم لاوون أن يأخذها منه لأنها قدوهبت نفسها للمسيح إلا أنها كانت تركب مع أبيها فى زى الرجال ولم يعلم بها أحد أنها جارية وأبوها قد حمل جميع مايملكه الى الدير وقد رأيت فى ذلك الدير الذى كنت فيه سرداب تحت الأرض وهو ملآن من الذهب والفضة وفيه صلبان وجواهر وشىء كثير من المال مما لا تحمله رجال ولا جمال وهذا أحق به من عسكر المسلمين حتى ينفقوه فى القتال ويستعانوا به على الجهاد فى طاعة ذوالجلال لأنكم أحق بهذا النوال من هولاء الأندال ولما أتوا هؤلاء التجار الى الدير حين كلمتهم الصورة التى فى الحائط من أجلى فكان القمص من خارج الدير ولموجدوا إلا تلميذه فأوثقوه كتاف وضربوه حتى أقر وأخبرهم عنى فأتوا إلى وأخرجونى وقتلو هذا الرجل بعد

ماخلصونى ولم يكن لهم غيرى مطلب وهربوا بى خوفا من العطب وما زالوا خائفين إلى أن وجدنا عسكر المسلمين وليلة غد فهو موسم عند الروم وكل من كان فى هذه الأرض يقصد الدير ولا بد أن تماثيل تأتى مع أبوها الى الزيارة وان شئتم أسير بين أيديكم وأسلمكم جميع ما فى هذا لدير من المال والذخاير الغوال ونقيم فى الدير حتى تأتى تماثيل ونأخذها لأنها ما تصلح إلا لخليفة المسلمين وامام أهل الدين وهى قد حازت الحسن والجمال والقد والاعتدال والبها والكمال فقالت ألوف من خصوص القمص أنا أعرفه وما أحتاج إلى أحد أن يوصفه وكنت حملت اليه شيئا يساوى ألف دينار وهو عند الروم من الرهبان الكبار وقد رأيت ماوصف هذا الزاهد من الأموال والنوال ورأيت تماثيل وهى كأنها البدر المنير وكنت لها أشاهد ولم أعلم أنها جارية وكنت أظن أنها غلام ولقد بذلت لها ثلاثة ألف دينار حتى أتزوج بها لظنى أنها من الرجال مع كونى ما كنت أشتهى الزواج ولاتعلمت طريقة الغنا إلا منها ولما سمع مسلمة ماقالت ألوف قال الصحصاح ياملك العرب هذه الجارية ماتصلح إلا لك فقال يامولاى أنا ما أريد على ابنة عمى شريكه إنما تكون هذه الجارية برسم أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين فقال شماس اللعين ياملك العرب نحن نخاف أن أبو الجارية إذا نظر كثرة العساكر يهرب هو وابنته ولايدخل الى هذا الدير والصواب نأمر العساكر بالرحيل وأنفرد أنا وأنتم وقومى وندخل الدير ومعنا مائة فارس من أبطال الموحدين وفرسان المجاهدين ويكونوا من الشجعان ويأخذوا معهم البغال والجمال لأجل حمل الأموال والأثقال لأن هذا رزقهم وقد ساقه اليهم وأما أنا فمالى اليه حاجة وما بغيتى إلا فى الجهاد فى طاعة رب العباد فلعلى أن أفوز بالشهادة وألحق بأهل السعادة فلما سمع الأمير مسلمه منه ذلك الكلام أدعى بالأمير مروان والأمير عطاف بن الحارث والأمير غانم بن زاهر وقال عند الصباح ارحلوا بالعساكر الى نحو القسطنطينيه وأنت يا أمير عطاف نائب عنى والأمير مروان نائب عن ملك العرب والأمير غانم معكم فى التدبير ولاتعلموا أحدا بأننا غبنا عن العسكر وبعد ثلاثه أيام فانا لاحقون بكم ان شاء الله تعالى ثم انتخب مائة فارس من أبطال بنى كلاب ومن أبطال بنى سليم ممن يعرف فيهم الشجاعة مع أنهم هم الثلاثة فيهم الكفاية لثلاثة آلاف وأخذوا معهم البغال والجمال والصناديق لأجل المال ولما كان عند الصباح نادى المنادى بالرحيل فعند ذلك رحلت العساكر وبقت الوحوش من كثرتهم نافرة والعساكر فرحة مستبشرة وهم يظنون أن الملك معهم والأمير مسلمه (قال الراوى) هذا ماجرى للعساكر من أمر الرحيل والرواح

(وأما ما كان) من الامير مسلمة والملك الصحصاح فانهم أقاموا بمن معهم الى آخر النهار وبعد رحيل الناس وصلت التجار وهم الكفار أهل النار أصحاب اللعين شماس وقد دخلوا اليه وقبلوا يديه فأمرهم بالانصراف بعد ما أعطاهم كتاب الى ملك الروم فساروا وهم يقطعون البرية وهو يقول أنا مابقى لى غرض الى الدنيا الدنية وقد قتلنى الشوق الى الآخرة الأبدية وهو كان يذكر فى هذا الجواب يقول لكلب الروم على ماصنع من الاسباب وقد أتى بالامراء والأصحاب والملكة ألوف الذى طردها المسيح ومعهم مائة فارس وانى سائر بالجميع الى دير القمص وآمرهم بقتل الراهب حتى يكون فداء الى النصرانية وهم أهل الملة المسيحية وان تمت هذه الحيلة فما يبقى من المسلمين ديار ولانافخ نار وأنت ترسل أيها الملك عشرين ألف فارس حتى يتم لى ماأريد من الامور النفائس وتأمرهم يسيرون الى جانب البحر ليلا خوفا أن تراهم عساكر المسلمين فيفسد مادبرنا من الامور وأرسل الكتاب كما ذكرنا وسار به حتى دخل على لاوون فأمر باحضار العساكر وكل واحد منهم بالفرس والنجيب والزاد وما يحتاج وأمرهم بالسير كما عرفه اللعين شماس فساروا وهم يقطعون البرارى والقفار فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من المسلمين الاخيار فانهم باتوا تلك الليلة إلى أن طلع النهار ونزلوا من على الخيل وتموا سائرين الى أن وصلوا الى الدير وصاحوا على القمص وأمروه بالنزول فنزل وهو مذهول وفتح لهم الباب وقال ما بالكم يامسلمين فصاح شماس اللعين وقال اقتلوا هذا ياجاهدين فان هذا هو عدو الموحدين وقد عمل على سجنى بطول السنين فعندها قطعوه بالسيوف وأسقوه كاس الحتوف ثم أن شماس قصد بهم موضع المال فأخرجوا شيئا تعجز عن حمله الجمال وقد فرحوا المسلمين بذلك ثم أنهم وضعوا ذلك المال فى الصناديق وأقاموا وهم فى انتظار البطريق ولم يأتى أحد منهم ولا من الروم وأرادوا الرحيل فقال لهم اللعين شماس انتظروا حتى يأتى البطريق نسل الارجاس حتى نأخذ ابنته ونقتله من بين الناس وكان قصده بذلك أنه يؤخرهم حتى تأتى عساكر الروم فأقاموا هناك جملة أيام ولم يروا أحدا من الروم اللئام فقال الصحصاح والله ان قلبى مع الاسلام وقد طال بنا فى هذا الدير المقام فقال ابن أمير المؤمنين اننا أخذنا هذه الاموال التى لاتحصى والساعة نسير نلحق بعساكر المسلمين فما أظن إلا أن تماثيل وأبوها رأوا العساكر فرجعوا هاربين وان فتح الله علينا وأخذنا القسطنطينيه فما يبعد علينا تماثيل ولاغيرها ثم بعد ذلك المغال حملوا الصناديق على البغال وخرجوا جهة الخيل وبلغوا السرور والآمال وساروا يقطعون القفار آناء الليل وأطراف النهار ولاعندهم خوف

ولا رعب حتى وصلوا إلى الشعب (قال الرواى) وكانت العساكر الذين أرسلهم لاوون فى هذا المكان مكمنين ولم يشعروا المسلمين حتى بقوا بين الروم الملاعين وساروا بين بحرين زاخرين وجيشين متراكمين فعند ذلك أخذهم الصياح من كل جانب وسل السلاح ونادت الروم بلسان كفرها ووقعت المسلمين فى شباك أمرها فلما نظروا المسلمين الى ذلك الجيش العظيم قالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ترى من أعلم هذا الجيش بنا وكيف كان وصولهم الينا فقال الصحصاح ماهذا وقت كلام ولا سؤال بل هذا وقت ضرب النصال فى طاعة الملك المتعال إلى هذا الشعب اسندوا ظهوركم وقاتلوا عن نفوسكم وان الله تعالى ناظر اليكم وان لم تفعلوا هذه الفعال وإلا حل بكم من المشركين الوبال وقد أفنوكم فى هذا المكان لأنه مثل الدرب له بابان وهؤلاء الملاعين مسكوهم علينا بالامكان وهذين الجبلين يمنعونا عن المجال ولو كان فيه ميدان وحق النبى المنتخب سيد العجم والعرب كنت الساعة سقيتهم العطب وأحرقتهم بالنار مثل الحطب فقال الأمير مسلمه والله لقد فرطنا فى أنفسنا لقلة الرجال معنا ولو كنا أتينا فى جيش قدر خمسة آلاف كان ينفعنا ومن هذا الشعب يخرجنا فقالت ألوف والله لقد صدقت ولكن أنا أعرف فى هذا الشعب مغارة كبيرة وكنا إذا أتينا القسطنطونية فى أيام الصيف نقيل فيها لأنها مغارة باردة فاعدلوا الآن اليها حتى نتستر من قبل أن تطلع الكفار إلى رأس الجبل ويرمونا بالأحجار فيكون ذلك سببا لهلاكنا والدمار ولما سمعوا مقالها قصدوا وإلى المغارة دخلوا فوجدوها تساع ألفين فارس ففرحوا بها وقال مسلمة للصحصاح ياليت من يعلم إخواننا المسلمين حتى يأتوا لنا أهل الدين ويمنعوا عنا المشركين فعند ذلك قال لها اللعين شماس ياقوم ماذا حل بكم من الوساس وقد سكن فى قلوبكم وأنتم قلتم انكم بعتم لله عز وجل نفوسكم والآن سلموا الأمر اليه وهو يعينكم انه قادر على نصرتكم فوالله لقد بقيت تحت الارض خمسة وعشرون سنة مأسور ولم أعترض عليه فى أمر من الامور فخلوا عنكم هذا الفزع الذى حل بكم والآن ابذلوا نفوسكم فى مرضاة ربكم فمن قتل منكم فالجنان مأواه وربه يجازيه أحسن الجزاء ولما سمعوا منه هذا المقال خفت عنهم الهموم والأهوال وخرجوا إلى الروم وحملوا عليهم من كل جانب وعملت بينهم القواضب وتراشقوا بسهام المصائب وقطعت الأيادى من المعاصم وفصلت من الخيول الجماجم وحملت عليهم الفرسان وحامت عليهم العقبان وصبرت الاسلام على قتال اللئام فى طاعة الملك العليم العلام والصحصاح

يضرب فيهم ضرب منكر ويقتل منهم خمسا خمسا وعشرا عشرا ويسقيهم من النجيل خمرا وطرحهم على جنبات الغبرا وأوردهم من الموت كاسا مرا ثم إنه أنشد وجعل يقول :

أيا معشر الكفار طرا سأبيدكم بالسيف جزرا إنى إذا فر الجبان
من المعامع ما أفرا واليوم ألبسكم ثيابا كلها بالدم حمرا
وترون منى فى الوغا خمسا وخمسا ثم عشرا
أحمى على الاسلام دوما وسط المجال بغير نكرا
وأبذل النفس فى رضا رب له فى الخلق أمرا
أرجو بذلك جنة حفت بنا سرا وجهرا
ثم الصلاة على النبى خير الورى وأجل قدرا

(قال الراوى) وان الملك الصحصاح أنشد هذه الابيات وهو فى القتال والكفاح فبينما هو فى ذلك الكلام وقد زاد بهم الحال وهم فى أشد ما يكون من القتال وأرى قد وقعت عينه على اللعين شماس وهو يحمل على الروم وتلك الاجناس ويشير اليهم بالسيف ويظهر لهم قوة البأس والكفار بين يديه يهربون والى قتال الملك الصحصاح يطلبون وكان الخبيث يقول لهم لا تظهروا أنكم تعرفونى واهربوا من قدامى ولا تحادثونى بلسان الرومى وهذا فارس القوم فان قتلتوه أو أسرتوه ملكتم سائر المسلمين إلا أنى لا أريد إلا أن يكون أسير حتى أعذبه العذاب الخطير وفى تلك الساعة رآه الملك الصحصاح وهو يحمل على الروم وهم يتهاربون من بين يديه فقال فى نفسه هذه والله هيبة العبادة لأن الروم تخاف منه ويلحقهم الوجل ويولون الادبار ويركنون الى الفرار وما زال القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار وقد أقبل الليل بالاعتكار فعند ذلك وصلت المسلمين الى المغاره وقد حلت بهم الخسارة وقتل منهم خمسة وأربعون ثم انهم افتقدوا شماس فلم يجدوه فعظم عليهم وكبر لديهم وقالوا لا شك أنه استشهد فى سبيل الله فقال الملك الصحصاح أنا رأيته وهو يحمل على الروم وهم ينهزمون من بين يديه مثل الغنم فهم فى الكلام واذا بالملعون وقد أقبل وفى يده رأس وكانت رأس البطريق المقدم على العسكر وكان أخذها من المعمعة وكان هذا البطريق جبار وقد قتله رجل من بنى كلاب يقال له الأمير عوف وانه التقى بهذا البطريق وكانت الروم تخاف وتقول انه مجنون وذلك من كثرة شجاعته وجسارته وهجومه على الأشياء الخطره وكان الأمير عوف لما التقاه كان البطريق

يظنه انه الملك الصحصاح فحمل عليه ساعة من النهار واختلف بينهما طعنتان وكان السابق الأمير عوف فوقعت الطعنة فى صدره خرجت من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما نظرته الروم وقد قتل أميرهم حملوا عليه وحمل عليهم حتى استشهد رحمة الله تعالى عليه وعجل الله بروحه إلى الجنة ونعم الدار وان الملعون شماس قطع الرأس عن البدن وأخذها فى يده ودخل على المشركين وقال لهم لا بد ان أدخل على المسلمين بهذه الرأس لتتم حيلتى وأنظر من بقى منهم وفى غداة غدان خرجوا إلى القتال ما يبقى منهم خيال وان لم يخرجوا أمرتكم بحرق باب المغارة بالنار ونفعل بهم مانحب ونختار ثم أخذ الرأس ودخل بها على المسلمين فلما رآها الصحصاح وثب له قائما وقال الحمد لله الذى رأيناك سالما فقال الملعون والله ياولدى لقد طلبت الشهادة اليوم فلم أنولها وصرت أرمى روحى بين أيديهم وهم يهربون منى واننى لما انفصلت أخذتنى الغيرة الاسلامية فهجمت على البطريق المقدم عليهم وهو يعد بالف فارس فضربته أطحت رأسه وقد أتيت بها اليكم لتطمئن قلوبكم وتعود عزيمتكم على الجهاد وأريد فى غداة غد أمضى إلى عسكركم ولو كانوا على باب البلد وآتيكم منهم بعشرون الف فارس يهلكوا هؤلاء الملاعين فقال الصحصاح كيف تمضى وباب الوادى مسدود من كل جانب عندها ضحك اللعين وقال اعلم ياولدى ان الله تعالى قد أوعدنى بالستر فالله يسترنى عن اعينهم فلا يرونى ومن رآنى منهم فلا يقدر يقف بين يدى فقال له والله لقد صدقت وأنا قد رأيت ذلك ولكن ان كنت تقدر أن تمضى فى أول الليل فهو أجود فقال شماس أنا أمضى فى هذه الليلة وآخذك معى وان كان الأمير مسلمة يأتى معك فانه لم يراكم أحد لأن ظل الولى يظل اثنين فقال له أما أنا فلا أقدر أفارق أصحابى ولكن خذ معك من إذا خلص كانت سلامته سببا لسلامة المسلمين فاذا وصل أميرنا وهو سالم فيكون هذا مقصودنا من الله تعالى وهو يرسل لنا مروان بن الهيثم ومعه عشرة آلاف فارس من رجال المسلمين وأبطال الموحدين وقد فرغنا من هؤلاء اللئام فقال شماس دعونى حتى أمضى أمامكم وأنظر ان كان الاستار باقى على أم لا حتى أخرج بكم وأنا على حذر منهم لأن هذا عمود الدين وابن خليفة المسلمين ثم ان الملعون قد خرج وغاب ساعه وعاد والملكه الوف تقول ياقوم ماتم شر ولاخوف والله لو لم يكن له كرامات ما كان قتل ذلك البطريق الجبار ولقد انكسرت من بعده الكفار لأنه كان مقدما على هذا الجيش المغوار وكان شجاعا من الشجعان الكبار فهم فى الكلام وإذا باللعين داخل عليهم وهو يقول ان الله سبحانه وتعالى

لايضيع كرامات الأولياء وعند خروجى وجدتهم نيام وذلك ببركة الجهاد فقوموا بناحتى نسعى للمسلمين فى صلاح أحوالهم فنهض للامير مسلمة وقال له الملك الصحصاح يا أخى خذ معك ألوف فأخذهم وقال لهم كونوا سائرين من خلفى وأنتم آمنين وكان شماس اللعين لما خرج ينظر الكرامه مضى إلى الروم وأخبرهم بما دبر من الحيل فلما سمعوا الروم الاندال من شماس ذلك المقال فرحوا وزال ماكان عندهم من الخيال وقالوا ما بقى يجبر خاطرنا بعد قتل أميرنا الا هذه الفعال ولا يقام عذرنا عند الملك لاوون إلا بهذه الأعمال ثم انه دبرهم على مايريد ورجع وأخذ مسلمة والوف وساروا وهو قدامهم وقد نفذ فيهم سهم القضا المقدور غير ان الله سبحانه وتعالى ينجيهم بحسن اعتقادهم ويجزيهم على قدر نياتهم وأما شماس فانه ضامر الشر لهم والأذيه وناوى لهم على كل نية رديه وهو كما قيل فيه

وساع سعى فى ختفه وهو لايدرى ... بأن قضا الرحمن فى خلقه يسرى
مضى حتى ما يرجوا الخلاص لنفسه ... فعاجـله أمر المدبر للامر

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى بقوا بين الكافرين ولما نظر مسلمة والوف إلى اللئام وهم يبصروهم ولا يكلموهم قال مسلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان من خص أوليائه بالكرامات وقالت الوف هذا شيء لم يدخل عقلى ولم أصدق حتى أنظر الفرج وأخرج وأحققه فهؤلاء عميان حتى نمر بينهم ولم يرونا فما تمت كلامها إلا والرجال هجمت عليهم وقبضوهم قبضا باليد وقالوا لمسلمة والوف كيف تمروا بيننا ولم تخافوا فقالت الوف خذوا أيضا هذا الزاهد لأنه هو سبب وقوعنا فقالوا وحق المسيح والمذبح والذبيح اننا لم نر أحد غيركم فقالت لهم هاهو أمامنا فقالوا لم نرى سواكم فقال لها مسلمة اسكتى لعله أن يمضى إلى عساكر المسلمين وكان هذا بتدبير اللعين شماس وصادفت المقادير بانكار الوف عليه فظن مسلمة أنهم ما وقعوا الا بتغير نية الوف زوجته وأقبل عليها وقال لها انك أوقعتينا فى الشدائد بما تكلمنى فى حق هذا الشيخ الزاهد فقالت الوف اننا وقعنا فى القضاء والقدر وهذا ما للعبد منه مفر لأن العبد أسير القضا ان كان سخط أو رضا لاتقل فيما جرى كيف جرى كل شيء بقضاء وقدر ثم قالت الوف ياسيدى توكل على الله عز وجل فانه نعم المتوكل عليه ثم إن الروم ضربوا الوف ضربا كثيرا حتى غشى عليها من الضرب ولم يتعرضوا للامير مسلمة وذلك لأجل هيبة الملك والسلطنه فهذا ماكان منهم (وأما ماكان) من الملك الصحصاح فانه صبر حتى طلع الصباح فخرج هو وأصحابه يطلبون الحرب والكفاح

فنادوهم الكفرة على من تقاتلوا يامسلمين وقد أخذنا ابن خليفتكم والحاكم عليكم وزوجته الوف وقطعناهم بحد السيوف وان أنتم سلمتم لنا أنفسكم فقد سلمتم وأبقيناكم وإلى عند الملك أرسلناكم وعلينا اننا ندع الملك يصالحكم ويطلقكم ولكن بشرط انكم ترحلوا عن أرضنا إلى دياركم ولما سمع الصحصاح هذا المقال أيقن بالفنا والزوال وهمدت قوته على أعز رفقته وقاتل هو ومن معه بنية صادقة وقلوب على الموت فى سبيل الله موافقه إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وافترقوا عن عسكر الكفار وكانوا قد أيقنوا بالدمار فدخلوا إلى المغار وبقى مع الملك ثلاثون فارس وهم مسخونين بالجراح وباتوا تلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح وأقبل الملك الصحصاح على العسكر الذين معه وقال لهم ان خرجنا فى هذا اليوم الى الروم أوردونا موارد الهموم والرأى عندى اننا نجرد سيوفنا من داخل الباب ونبيع لله نفوسنا فى طلب الثواب ونمنع كل من قصدنا من الكفار وعندنا الزاد والماء ونتوكل على رب السماء ولعل الله تعالى أن يكون أخفى العابد عن أعين الكفار لانى سمعت الروم وهم يذكرون الأمير مسلمة وزوجته الوف ولم يذكروا الزاهد فعسى أن يكون لم رآه منهم أحد وهانحن منتظرين من عند مولانا الفرج والقائل يقول

كم فرحت مطوية ما بين أجنحة النوائب
ومسرة قد أقبلت من حيث تنتظر المصائب

(قال الراوى) ولما سمعت القوم كلام ملكهم قالوا هذا هو الصواب ثم انهم أقاموا وهم فى باب المغار يقاتلون الكفار الى أن أمسى المساء ورجعت الروم عن القتال وقالوا لبعضهم ان هذا شىء يطول بيننا وبين المسلمين لانهم ماداموا هكذا فلم نقدر عليهم بشىء من الأشياء ونحن الآن مستعجلين وقصدنا ان نسير يا ابن أمير المؤمنين الى ملك الروم ونستريح من التعب هيا قوموا بنا الآن الى المغار ونوقد فيهم النار فان خرجوا قبضناهم باليد وان لم يخرجوا فانهم يحترقون بالنار ويموتوا من الدخان فى الحال فقاموا وجمعوا الأحطاب وعند الصباح أتوا الى المغار وأضرموا فيه النار فايقنوا بالموت فقالوا كلمة لايخذل قائلها لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم فهم كذلك واذا بمنادى يقول معاشر المسلمين سلموا أنفسكم والا حرقناكم أجمعين وبعدها ضربنا رقبة ابن خليفتكم وزوجته وان سلمتم أنفسكم سلمناكم جميعا الى الملك لاوون ونصالحكم على انكم عن بلادنا ترحلون ثم انهم قدموا الأمير مسلمة وقالوا له قل لقومك يسلموا أنفسهم الينا والا قتلناك أنت وزوجتك وبعدها

بحرقهم بالنار فناداهم الأمير مسلمة وقال ياقوم سلموا أنفسكم فان الحى يرجى وان تأخرتم فهم يقتلونى وبعدها يحرقوكم بالنار ومن مات لاتعود له آثار فلما سمعوا مقاله علموا أنه صواب ونادوا على الكفار وقالوا لهم اخلوا لنا الطريق وارفعوا النار من قدام المغار حتى نخرج إليكم ونسلم أنفسنا إليكم . ولما سمعت الروم هذا الخطاب وضعوا على النار التراب وخرجوا المسلمين وهم لأنفسهم مسلمين وممتثلين لقضاء رب العالمين ونزلوا الروم وأخذوهم أجمعين وصعدوا بهم فى الحال وربطوهم بالعرض فوق البغال مع صناديق المال ثم انهم خرجوا من ذلك الشعب والوهاد وساروا وجدوا فى المسير باجتهاد ولم يزالوا سائرين طول النهار باهتمام الى أن أقبل الليل بالظلام ونزلوا للراحة وأكل الطعام فأقبل الملك الصحصاح على الأمير مسلمة وبشره على صبره بالجنة ثم سأله كيف جرى له مع العابد الزاهد فأخبره بما جرى وأن (ألوف) أنكرت عليه فوقعنا بذلك السبب فى موقع العطب وأما هو ما أحد من الروم رآه فقال الصحصاح هذا أمر مقدر ولكن نطلب الأمان ونرجو الخلاص من الله عز وجل واذا بالصحصاح وجد راحة فى نفسه فتمطا فى الكتاف قطعه ثم عالج القيد حتى كسره وفعل مع الأمير مسلمة كذلك وأيضا ألوف وقال انى أريد أقتل ثلاثة من الموكلين بنا ونأخذ ثيابهم ونلبسها وندور على إخواننا ونفعل بهم مثل مافعلنا بأنفسنا وبعدها ندور السيف فى القوم اللئام فقال مسلمة ياأخى ان هذا ليس بصواب لأنهم اذا سمعوا شخير المقتولين يقوموا إلينا ويردونا كما كنا والرأى عندى أننا نسير ويستر علينا اللطيف الخبير فعندها قام الصحصاح وحل جوادين ملاح وأعطاهم الى الامير مسلمة وزوجته وقال لهم سيروا كأنكم طالبين الماء واذا خرجتم من العسكر انتظرونى حتى ألحقكم وأنا أدبر إن شاء الله تعالى على خلاص أصحابنا لأنه مايهون على أن أسير وأتركهم فى يد الكفار ربما انهم اذا افتقدوا عند الصباح ولم يجدونا فيقتلوا أصحابنا وأعطى لكل واحد منهم سيف وطارقة ومايحتاجوا اليه وذلك من أسلحة الموكلين بهم لأن جميع القوم كانوا سكروا وناموا وقال لهم سيروا الى عند الجبل وانتظرونى فساروا وعاد الصحصاح وبقى يتام بجانب الرجل من المأسورين ويحل كتافه ولم يزال الى أن حل كتاف الجميع وكسر قيودهم وأتى لكل واحد بعدة جلاد وآلة حرب وطراد وسل له جواد وقد طرح الله تعالى النوم على الأوغاد وسارت المسلمين وستر عليهم رب العالمين الى أن وصلوا الى مسلمة وألوف فوجدوهم لهم فى الانتظار وهم خائفين أن يفطنوا بهم الكفار فقال لهم الصحصاح

قروا أعينكم ولا تخافوا على نفوسكم واعلموا أن الله سبحانه وتعالى هو الذى أوقعكم وهو الذى خلصكم وما بقى إلا المسير والاتكا على اللطيف الخبير ولكن مافى قصدى إلا أن تجيبوا طلبتى وتقضوا الى حاجتى فقالوا ماهى حاجتك ونحن الكل عبيدك ولا نخالف مقالتك قل ماشئت ياملكنا فأنت حاكمنا وسيدنا فقال ان حاجتى أننا نصعد فوق هذا الجبل وننادى ياعسكر النصرانية قد أتتكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا فى صوت واحد الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وخذل يالشام من كفر ونسأل بعد ذلك مولانا المعونة وأظن أنهم اذا سمعوا الصياح فى هذا الظلام يتوروا ويقتلوا بعضهم ويتفرق شملهم وإذا دروا علينا ولم يجدونا يقولوا إن عسكرنا كبسهم بعدما خلصنا ويعمل السيف فيهم الى الصباح ونفوز نحن بالسلامة والنجاح فقالوا ياملك افعل ما بدا لك بلغك الله آمالك ونحن سامعين مقالك فعندها صعدوا إلى ذلك الجبل وأعلنوا بذكر القديم الأزل وزادوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير ولما سمعوا الروم ذلك الصياح تواثبوا ولبسوا السلاح وقالوا كبسونا الأعدا فى الاعكار وحق المسيح وبمن لبسوا الزنار وافتقدوا الأسار فلم يجدوهم فعولوا على الفرار والرجوع الى الديار فقالوا لهم المقدمين لا تنهزموا فما فعل هذه الفعال غير الاسارى الذى كانوا عندنا وقد هربوا دونكم وإياهم ولا تخافوهم أولاهم ثلاثين والثانى أنهم تعبانين وهم أكثرهم مجروحين ومن قلة الاكل مرضانين ونحن عالم كثير وان لم نمسكهم فى هذه الليلة وإلا فهم منا هاربين وإذا بقوا فى وسط عسكرهم فما أحد يقدر عليهم فعادوا الملاعين واحتاطوا بهم الشمال واليمين بعدما كان ولوا مدبرين فقال مسلمة هذا الذى كنا نخشاه فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما بقى إلا الجهاد فى طاعة رب العالمين فلما سمع الصحصاح مقاله أظهر بلباله وانحدر من على أعلا الجبل وكبر وهلل وانحدرت بعده الرجال وعولوا على القتال فبينما هم كذلك وإذا هم بصيحات عاليات وصرخات ناميات أقبلت من تلك الأرض والفلوات وهم يصلون على سيدنا محمد سيد السادات وصاحب المعجزات صلى الله عليه وسلم وكان ذلك العسكر هو عسكر الاسلام وقد وصل فتخيل للروم أن البر تزلزل وصح عندهم أن عسكر المسلمين هو الذى كبسهم وأيقنوا بالعدم ولما رأو عسكر الاسلام عليهم هجم وعمل السيف فى رقابهم وحار من كفر وطارت رؤسهم كالاكر ووقعت كفوفهم كأوراق الشجر وطعن الصحصاح فيهم بالرماح وهو متعلق القلب بادراك الصباح وإذا بعسكر بنى كلاب ومقدمهم الأمير عطاف المهاب وهو ينادى باسم رب الأرباب معتق الرقاب

ومسير السحاب جل شأنه هو مسبب الأسباب ربى أسألك التوبة وحسن المآب وقد فرح الصحصاح بما ظفر وحكم السيف وعدل فيمن جحد وكفر حتى بان الصباح وظهر الفجر واشتهر وعرف الخصم خصمه بحقيقة النظر وتعجب المسلمين من هذا الاتفاق الحلو المذاق وأقبلت القوم على مسلمة والصحصاح وهنوهم بالسلامة والنصر من الكريم الفتاح وكان السبب فى قدوم هذا الجيش سبب عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نسوقه على الترتيب حتى المستمع يلذ ويطيب بعد ألف صلاة على النبي الحبيب الذى من كان يصلى عليه يكسب لا يخيب وهو لما الأمير عطاف والأمير مروان ساروا بالعساكر ورحلوا طالبين القسطنطونية فلم يزالوا كذلك إلى أن قاربوا الديار وإذا بالروم من فوق الأصوار والابراج وهم فى فرح وابتهاج وقد رفعت الكفار صلبانها وعصت بزورها وبهتانها فنزلت عساكر الاسلام وضربت الخيام وقد ملأوا الأرض فى طولها والعرض ولما استقر بهم القرار نظر عطاف إلى أبراج المدينة وجدها كلها مزينة بالعدد والرجال وآلة الحرب والقتال فأقبل على مروان وقال له اعلم أيها الأمير اننا على أخطار من هؤلاء الملاعين الكفار ونحن ننظرهم من فوق الأصوار وهم أضعافنا عشرات المرات ونخشى من جاسوس يأتى الينا ويمضى يعلمهم بغياب الأمراء فيطمعون فينا وأنا أخاف أن يرسلوا للامراء جيش ونحن ها هنا لا نعلم بهم وأنا عولت أن آخذ عشرة آلاف فارس وأعود اليهم ان وجدت الذى خطر ببالى صحيح ساعدتهم والمعين هو الله وإن كان غير ذلك استعجلتهم على الحضور الى هنا ولا يبق علينا عتب ولا عندنا ندم لأن الحزم سوء الظن والقائل يقول

لا يكن ظنك الا سيأ ... ان سوء الظن من أقوى الفطن

(قال الراوى) ثم ان عطاف قال لمروان التى بالك على العسكر إلى أن نعود اليك وانتخب من العسكر عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس وسار طالب الأمراء فهذا ما جرى هاهنا وأما ما كان من أمر شماس فانه لما أوقع مسلمة وألوف فى يد الكفار حسب لهم ألف حساب ميشوم وأخذ جواد من خيل الروم وسار طالب عسكر الاسلام وهو يقول لابد ما أشتت جمعهم وأخبرهم بما جرى لأصحابهم ومتى سمعوا ذلك انكسر قلبهم ويتفرق شملهم ولم يزل ساير بطول الليل إلى الصباح وإذا هو قد نظر من بعد عسكر الأمير عطاف ولما رآهم دخل بعض الشعاب وحسب فى نفسه الف حساب وأخفى الجواد ووقف الى أن ظهرت الرايات الاسلامية والأعلام المحمدية فعرف أنهم خافوا على أصحابهم فخرج من الشعب من غير حصان ومروهو

كأنه شيطان الى أن وصل عند أهل الايمان ورفع صوته وقال لهم العجل العجل يا عبد الرحمن ولما رآه عطاف ترجل اليه وقبل يديه وقال له يا ولى الله قل لى ماوراك فقال لاتسأل عن الحال فان الامراء دخلوا الى الدير وأخذوا كل ماكان فيه من الأموال وحملوها على ظهور البغال وساروا وهم طالبين الوصول اليكم والقدوم عليكم فخرج اليهم عسكر كبير وأخبرهم بما جرى من أوله الى آخره فقالوا كلمة لايخزل قائلها لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ومتى فارقتهم ياولى الله قال فى ساعتى هذه فقال عطاف ان الله سبحانه وتعالى طوى لك البعيد وأعطاك كلما تريد ولاشك انك من عباد الله الصالحين ثم انه قال له أما تعود معنا فقال أنا ماضى الى العسكر ربما يطمعوا فيهم القوم اللئام فأكون عندهم أعظهم وأحرضهم على القتال فالحقوا أنتم بالأمراء الله يكتب لكم ولهم السلامة ثم عاد الى جواده بعدما مضى الأمير عطاف وشار يقطع الأرض فى طولها والعرض حتى أشرفوا على المسلمين وهم فى شدة الالهاف فعندها جميل عطاف وحملت رفقته وأيد الله تعالى المؤمنين بالنصر على القوم الكافرين وفرح الصحصاح فرح شديد ما عليه من مزيد بهذا النصر الذى لم يكن له فى حساب ورفع صوته من فرحته وأنشد يقول

لك الحمد يامستوجب الحمد والشكر	فما زلت لى ياذا المحامد فى أمرى
ربيت يتيم فى الحجاز وكنت بى	كفيلا معينا لى على اليتم والفقر
وأعطيتنى مالا وجاها ورفعة	وقلدتنى سيف الشجاعة والنصر
وخولتنى ظل الخليفة منعما	وغرقتنى فى بحر أحشائه الضمر
وسلمتنى من كل خطب حذرته	بمولايا مسلمه فريد بنى الدهر
ثم الصلاة على النبى محمد	أزكى البرايا وهو صاحب الفخر

(قال الراوى) هذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من اللعين شماس فانه ما زال سائر الى أن وصل عسكر المسلمين ونزل عن الجواد وأخفاه فى بعض الأماكن وطلب سرادق مروان بن الهيثم ولما رآه قام له قائما وأجلسه بعد ماقبل يديه وأكرمه وسأله عن حاله فأخبره وأعاد عليه ماجرى من أوله الى آخره ثم انه أخبره بعطاف وقال يامولاى أنا لا آمن على عطاف لأنه فى عشرة آلاف والعدو شىء كثير لايحصى والصواب أننا نرسل لهم جيشا يعينهم لأنى أظن أنهم قتلوا مسلمة وألوف والايكونوا أرسلوهم الى القسطنطينية وربما أن يكونوا حرقوا باقى الرحال بالنار فعجل أيها الأمير بارسال العساكر وكان قصده بذلك الكلام أن يحل عزايم الاسلام

ويشتت العساكر الاسلامية عن باب القسطنطينية وقد حصل للرجال الخوف الشديد وضعفت قوتهم من شدة الخوف والفزع على حماته وملوكهم ثم قال لهم اعلموا أيها المجاهدين أن مسلمة والصحصاح إن كانوا ماتوا فى الكفاح فأنتم سلموا الأرواح الى الملك الفتاح واستعينوا بالله وبضرب السلاح وما النصر إلا من عند الله لا من الصحصاح وذلك لقوله تعالى : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وأنتم ماوصلتم الى هنا إلا على نية الجهاد والجنة وقصورها المزينة وأنا أول من يصطلى الحرب معكم وكان قصده بهذا الكلام انهم لايهربوا الى بلاد الاسلام وينجوا من الروم اللئام بل كان يريد أنهم من بعد مايرسلوا جيش الى الصحصاح ومن معه فيبقى منهم قدر نصفهم فعندها يرسل يعلم ملك الروم حتى يخرج عليهم بعسكره المذموم ويفنى مابقى من الموحدين وأما الامير مروان فانه ادعا بالأمير غانم وقال له أنت تعلم ما صنع الملك الصحصاح معك من الجميل وماله عليك من التفضيل والآن هومأسور فاجتهد فى خلاصه حتى تكون بذلت مهجتك فى خدمته وخذ معك عشرة آلاف فارس فقال سمعا وطاعة وتجرد من وقته والساعة فى عشرة آلاف فارس وهم للحديد لوابس وسار حتى أشرف على عسكر الاسلام . ولما رآهم الصحصاح فزع وخاف أن يكون حصل للاسلام شىء فى غيبته وحرك جواده وترك الأعلام ولما قرب من الأمير غانم ناداه فأجابه بالتلبية فقال له أخبرنى ياولدى ما الذى حصل فى عسكر الاسلام فقال يامولاى انهم بعافية من الله وما عندهم شاغل سواك ثم انه قال له يامولاى كيف حال مولاى الأمير مسلمة فقال له هو سالم وهاهو قادم فى مقدمة هذا الجيش فقال يامولاى نحن أتى الينا العابد الزاهد وأخبرنا بما هو كيت وكيت وقد وجدنا الأمير بخلاف ماذكر فقال الصحصاح وأين الزاهد فقال تركته عند مروان وأهل الايمان وهو يحرضهم على القتال (قال الراوى) ثم انهم ساروا قاصدين الى القسطنطونية والصحصاح يقول للأمير مسلمة يامولاى أنا خايف على الاسلام لأن العساكر تفرقت واذا أتى جاسوس من عسكر الروم ونظر الى ذلك فانه يعود ويخبر الروم فتركب على الاسلام ومازالوا سائرين وهم فى مثل هذا الكلام إلى أن قربوا العساكر وقد رأوا غبارعالى وصراخ نامى وإذا هم بشيخ فأقبل وهو يقول أدركونا ياأبطال الموحدين لقد خرج علينا كلب الروم وعسكرالكافرين ولما رآه الصحصاح ترجل اليه وكذلك مسلمة إلا ألوف فلم تترجل بل قالت والله إنقلبى نافر من هذا الرجل الفاجر لأنى لم رأيت له بركة ولاكرامة إلا ضربى والندامة فخلوا عن كلامه

واقصدوا بنا عسكر المسلمين فانى خائفة أن يكون هذا الرجل من المطرودين عن باب رب العالمين وما هو إلا يحرض علينا الكافرين فقال الصحصاح ياألوف ماأخذتكم الكفار إلا بهذا الظن المتلوف إن الغيبة مذمومة وهذا رجل صالح أما تنظرى من شفقته علينا فهو تارة يغدو الى مروان وتارة يأتى الينا ولولا أن الله تعالى ما يطوى له البعيد ما تم له ذلك ثم انه قدم له بغلة بركاب الذهب فقال له اركب يامولاى فلم يركب بل انه صار بجانب الملك الصحصاح وهو كأنه من فرخ الجان وقد رفع صوته بقراءة القرآن حتى أشرفوا على عساكر الإيمان وجيش الرحمن فرأوهم وقد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولعبت فيهم سيوف الكفار وكان السبب فى ذلك هوشماس اللعين وهو انه لما رأى عطاف وقد انفصل بعشرة آلاف وغانم كذلك وبقيت المسلمين بلا راعى فأرسل كتاب الى ملك الروم وأعلمه بذلك وبما دبر من أسر مسلمة وألوف والصحصاح وكونه شتت العساكر وكثرت نفوس الباقين بهذه الفعال والآن بقى عسكرهم مثل الغنم بلاراعى فاخرج أنت وعسكرك واكبسهم فى هذا الوقت فان المسيح قد نظر اليك بعين الرحمة وأمطر عليكم مطر النصرة وكل من تأخر يغضب عليه السيد المسيح والبطرك الكسيح ولما وصل الكتاب الى كلب الروم وعلم مافيه فرح وصلب على وجهه وقال إن السيد المسيح مايترك دينه بلا أنصار وقد جعل لنا هذا العبد الصالح والنصر على يديه ثم انه نادى بالنفير وخرجت الروم حاملين العدد والسيوف اليمان وقد كفروا بالواحد المنان ولما نظر الأمير مروان الى ذلك قال لاشك أن الخبر وصل الى الروم بغياب الأمراء ثم انه نادى فى عسكر الاسلام وقال ياقوم إن هربتم ندمتم وإن صبرتم نصرتم فاحملوا بارك الله فيكم وانصروا دينكم فعند ذلك كبرت المسلمين وضجت الموحدين بالتهليل والتكبير لرب العالمين وفى ذلك الوقت طارت الرؤوس عن الأبدان وفتحت أبواب الجنان وأسرعت النيران والأمير مروان يحرض المؤمنين على قتال الكافرين وهم مولين وهو ينادى : الرجعة الرجعة ياأمة المختار ولا تولوا الادبار وتقصدوا الفرار تحرمونا من دار القرار وتحشرون مع الكفار من داخل النيران وهو يخوفهم بمثل هذه الأخبار (قال الراوى) ومازال السيف يعمل والرجال تقتل ونارالحرب تشعل وفى هذا الوقت السؤال لايقبل وتأخرت المسلمين عن بعض الخيام وملكتها الكفار وخرجت من القسطنطونية القسوس والرهبان وقالوا للبطارقة دعوا عنكم الأموال وعليكم بالقتال فقد رضى عنكم المسيح ونصر دينه الصحيح فبينما هم فرحين مسرورين واذا هم بعسا كر

المسلمين وقدامهم الملك الصحصاح وهو ينادى الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر وكذلك الأمير مسلمة والأمير عطاف والأمير غانم وباقى الأمراء وهم من خلف الملك ينادون حاس الله أكبر ومن خلفهم عشرون ألف فارس من كل بطل مداعس فلما عاينوا الكفار الى ذلك ارتاعت قلوبهم وارتخت عزايمهم وزادت حسرتهم وكبرت بلوتهم وحملت بنى كلاب وبنى سليم وكشف الله عن المسلمين الضر فعندالمساء افترق الجمعان ودخلت كلاب الروم إلى البلد وجمع الملوك والبطارقة وقال لهم شيروا على بالرأى السديد لقد كنتم نلتم من السيد المسيح المراد ولولا وصول هذه العساكر ما كان بقا من الأعدا أحد وكان شماس قد كتب الينا أنه قبض على هؤلاء القوم وما أدرى كيف كان هـذا الأمر والعشرين الف فارس الذين أرسلناهم ما جاءنا من عندهم من يخبر بخير فقال بعضهم أيها الملك اعلم انه قد أتانى بعض البطارقة أخبرونى أنهم كانوا أخذوا المسلمين ولما دخل الليل ناموا وهم مطمئنين فقاموا المأسورين وحلوا بعضهم البعض وعمل السيف فى قومنا حتى ما بقى منهم إلا القليل وقد هربوا خوفا من سطوتك وان المسلمين أخذت جميع الأموال التى كانت مع الرجال وأتت لنا من أجل القتال وهـذا ما جرى والسلام ولما سمع الملك لاوون ذلك صار الضياء فى وجهه ظلام وقال مابقا الا الحصار حتى يرضى المسيح وتخرج المسلمين من هـذه الديار فبينما هو فى ذلك الكلام إذ وصل اليه كتاب من شماس نسل الأرجاس وهو يعرف لاوون بما صنع ويقول له لاتعتب على ولاتلومنى لأنى أخذت المسلمين وسلمتهم إلى عسكرك وهم الذين حصل منهم التفريط وأهملوا أمرهم حتى حصل ما حصل وذلك كله بارادة السيد المسيح وأنا باقى عندهم حتى أدبر أمر آخر والسلام فلما سمع الكلب لاوون ذلك الخطاب تحير ولم بقا يعرف يرد جواب فهذا ماكان منهم وأما ماكان من ملك العرب الصحصاح فانه لما أصبح الله بالصباح نادى فى الرجال وقال لهم ازحفوا إلى الأصوار واطلبوا القتال وكل محصور مقهور وعن قريب يكون مأسور فركبت الناس واشتد الباس وعظم المراس فرمت الافرنج بالأحجار والصخور الكبار وترشقت الاسلام بالنبال وتصايحت الأبطال وعظم الوقت واشتعلت النار فصاح عند ذلك الملك الصحصاح ورد الناس عن المدينة وقال هذا قتال الغبينه وقد قال صاحب العظمة والمملكة ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة والصواب البعد عنهم ولاتصل الينا الأذية منهم وأنا أقسم بحق من أولانى الجميل ونصرنى على الكثير بالقليل لارجعت الى البريه حتى أفتح بلد القسطنطونية وابنى فيها جامع تصلى فيه المؤمنين

يتواضع ويكون كل انسان للاذان فيه سامع وأوطىء برجلى رقبة ملك النصرانية وأذل أهل ماء المعمودية ولا أرجع عن هذه النية حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وان كانت الآخرة وقتلت فى هذه البلاد فيكون ذلك من رضا رب العباد انه كريم جواد ويفعل بنا كيف أراد وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وما أنا أول من طلب أمر ولم قدر عليه ومات ومن لبس ثياب التقوى فانه يقوى ومن أراد عظيم خاطر بعظيم فقالوا المسلمين هذا هو الصواب ونحن بين يديك ولا نراجع كلامك عليك بل كل ما أمرتنا به امتثلناه وكانت جميع الناس مالت اليه بالمحبه حتى مروان ابن الهيثم وكان يقول منذا الذى يعاند من رب السماء أعطاه وهو والله يستاهل كلما أعطاه وأقاموا عشرة أيام ولم يجدوا للراهب شماس أثر فقال الصحصاح لاشك أنه قتل فى الميدان وقد رضى عنه الملك الديان لأنى نظرته حرضنا فى الجهاد وأظن أن قلبه نفر من ألوف وحس منها بالانكار وغاب ولما كان فى اليوم الحادى عشر اوإذا بغبار قد علا وثار وسد منافس الأقطار وارتفعت الأصوات وكان السبب فى ذلك الغبار أن الملك عملاق ملك الافرنج خطب أخت الملك لاوون وطلبها للزواج فأجابهم بذلك وقال له ان المهر رد المسلمين عنا لأننا معهم فى القتال وإن كنت تريد الزواج فدونك واقصدنا بالعساكر والاجناد لأننا معهم فى أكبر جهاد (قال الواوى) ولما علم عملاق بالاجابة فما ترك فى بلاد افرنجه غير النسوان وسار فى البر بمائة ألف فارس خلاف ستمائة قطعة فى البحر ملآنة بالرجال وأمر قبطان المراكب أن يهجم على مراكب الاسلام فما كانت إلا أيام قلائل ووصلت مراكب الكافرين وانطبقت على مراكب الموحدين وتناطحت تناطح الكباش وكثر الهواش لهم معنى كلام وأما العساكر الذين فى البر فانهم أقبلوا على عسكر الاسلام ولما رآهم الملك الصحصاح أمر العساكر بالركوب فركبوا وركب الصحصاح وأشهروا السلاح وآلة الحرب والكفاح وحمل ملك افرنجة فى مائة ألف خلنجية واستقبلتهم العرب بالرماح الخطية وضاقت الفلوات وكثرت الزعقات وارتفعت الأصوات وزادت الضجات وكفرت الافرنج برب الارض والسموات وصاحت الكفار من فوق الاصوار ورموا الابرار بالاحجار والمؤمنون يقولون يا أمة محمد المختار جاهدوا فى الكفار الفجار وقد عمل الحسام واشتد الزحام وكثر النقض والابرام ولم يزالوا على ذلك المرام إلى أن أدبر النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام وانفصلت الطائفتين ورجعت الفرقتين وأقبل الصحصاح على قومه وقال لهم والله مارأيت مثل هذا اليوم ولقد رأيت فيهم فارس مارأيت قط أشجع منه فقالت القوم والله ياملك لقد قتل منا خلق

كثير فى ذلك اليوم ولكن نستعين عليهم باللطيف الخبير ونتوسل اليه بالبشير النذير صلى الله عليه وسلم وباتت الناس وأكثرهم يئن من الجراح الى أن أصبح الله بالصباح وارتفعت الضجات من كل مكان وخرجت البطارقة وظهرت العمالقة وخرج كلب الروم وبين يديه مباخر من الذهب والفضة وفيها العود القمارى والند والمسك الأذفر وقدامهم البترك الأكبر والكلب الأحقر وقد أشارت جميع الروم اليه وبجلوه وجميع الرهبان يكرموه ولم يزالوا بالموكب الى أن وصلوا الى الكلب عملاق فلما رآهم وقد وصلوا اليه ترجل لهم وسقع للبطرك وأخذ من البخور المخلوط برجيعه وتسوك حتى سالت الدماء من فمه ولطخ بذلك الرجيع شواربه ولحيته فقال له البطرك اعلم أن السيد المسيح قدمك على جميع النصرانية وقال انك تنصر الملك لاوون لأنك سيفه المسنون فقال له سمعا وطاعة ياأبوناسوف ترى مايسرك فى هذه الساعة ثم صاح بجواده فخرج من تحته مثل البرق الخاطف وكان جواد منسوب من الخيل الجياد وخرجت من حوله البطارقة والرهبان والقساوسة والمطارنة وكان الملك لاوون خلع عليه وتوجه وقبله بين عينيه وقال له أيها الملك لابدما آتيك بالصحصاح وأزيل عنك الهم والأتراح وحق المسيح والمذبح والذبيح لابد ما أبلغك من أعداك كل ماتريد فقال له البطرك ياملك كفاك تحلف لأنى أنا أعرف من شجاعتك مالايوصف خصوصا لما تسوكت بباقى رجيعى اذهب بارك المسيح فيك فخرج وحمل على ميمنة العسكر وطعن فارس قتله وأراد أن يحمل على الميسرة فما مكنه ملك العرب بل تعرض له بكل سبب وأراد أن يسقيه كاس العطب فرجع على عقبه من الميدان وخرج الترجمان ونادى باللسان العربية وقال يا أهل ملة الاسلام اعلموا أن هذا الملك عملاق وهو ملك الافرنجية وأيضا انه نائب السيد المسيح على جميع النصرانية وهو يريد فارسكم الجحجاح والبطل فى يوم الكفاح والضارب بالسنان والصفاح فارس العرب والعجم الملك الصحصاح فلم يتم الترجمان كلامه حتى ان ملك العرب خرج قدامه نادى وصاح وقال أنا الصحصاح اليوم تعدم الأرواح وأنشد يقول

أقسمت بالمهيمن الفتاح ... وخالق الأرواح فى الأشباح
لأضربن اليوم بالصفاح ... فى طلب النجاة والأفراح
انى أنا المعروف بالصحصاح ... أجندل الأبطال فى الكفاح

(قال الراوى) وماتم الملك الصحصاح هذه الأبيات إلا وخرج فارس آخر من الروم وكان جبار عنيد وشيطان مريد وأمر الترجمان أن ينادى باسم ابن خليفة المسلمين

وهو الأمير مسلمة ففعل ذلك وإذا بفارس من عساكر الاسلام خارج وظن الصحصاح أنه الامير مسلمة فقال له ارجع يانورالمين وأنا أكفيك شرالاثنين بعون الله رب العالمين واذا بالفارس قال له ياملك العرب كن أنت مع خصمك فتأمل الفارس فوجدها (ألوف) فقال لها ولم خرجت الى الميدان ارجعى وأنا أكفيك شر الفارسان بعون الحنان المنان فقالت له لابد من الميدان لأنى مانزلت إلا حتى تمنيت على الأمير أن يتركنى أنزل الى هذا الفارس فكيف انك تريد أن تحرمنى من الجهاد فى طاعة رب العباد ولكن كن أنت لخصمك وأنا لخصمى وكل من سبق رفيقه كان له على الآخر خلعة سنية ومائة ألف دينار فقال لها دونك وماتريدى وحمل كلا منهم على خصمه وطلع عليهم الغبار وغابوا عن النظار وخفى عن الأبصار وأوسع الصحصاح على خصمه فى الميدان وجاوله فى الجولان قال الصحصاح مارأيت أضرب منه بالسيف ولا أطعن بالسنان ولو لم أكن محصن بالله رب البرية وإلا لم أقف بين يديه ساعة وبعدها رمى قنطاريته وجرد حسامه وتضاربا بالسيفين حتى لم يبق منهم غير المقابض ولما انكسرت السيوف أيقن كل واحد منهم بشرب كاس الحتوف وصاح به الصحصاح صيحة أدهشه وأرعشه وفى دهشته مد يده اليه اقتلعه من بحر سرجه أسرع من البرق الخاطف وصار وهو فى يده ولم يزل يعاركه حتى وقعوا الاثنين الى الأرض ولما رأت الإفرنج الى ذلك لم يطيقوا الصبر دون أن حملت تطلب الخلاص لملكها غير أن الافرنج ما وصلت اليه إلا والصحصاح كان أخذ رأسه من بين كتفيه عندها حملت الطائفتين أسرع من طبق جفن العين وصبرت الكرام والتقى الامير مسلمة بالملك الصحصاح وهنأه بالسلامة وقال له : أخبرنى ما كان من (ألوف) فقال والله ماعندى منها خبر لأن العساكر لما حملت على بعضها البعض غابت عن عينى فى تلك الأرض وطلبتها فلم أجدها ولم أعرف لهاخبر ولا جلية أثر وما زال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونارالحرب تشعل الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فافترقت الطائفتان وتحارس الفريقان وفى قلب مسلمة نارالاشتعال على «ألوف» ذات الجمال (قال الراوى) وكانت ألوف لما حملت على ذلك البطريق رأت منه طعان أمر من نار الحريق ولكن كانت هى أرجح منه فى الجولان وقد أشرف منها على التلف فهرب بين الصفوف وتبعته الملكة ألوف وما زالت خلفه إلى أن أخرجته من المعمعة فالتفت وهى خلفه تدور مثل الباشق على أضعف الطيور وقد هجمت عليه وضربته على وارديه أطاحت

رأسه من بين كتفيه ثم أنها أخذت الرأس وعادت الى قومها ودخلت عليهم وكان الأمير مسلمه والملك الصحصاح فى قلق عظيم من أجل غيابها وكان حضورها بعد العشاء الاخيرة وهى معلقة رأت البطريق من ذقنة فى يدها ولما رأتها المسلمين ضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير صلى الله عليه وسلم ولما سمع الملك الصحصاح والأمير مسلمة ذلك الصياح سألوا عن الخبر فقيل لهم ان الملكة ألوف أنت ومعها رأس البطريق فقاموا اليها واستقبلوها أحسن استقبال وهنوها على سلامتها وسألوها عما جرى لها فأخبرتهم بالحال فقالوا لها اعلمى ياملكه أن المخاطره مذمومه فقالت لهم نعم إلا فى الجهاد لأنى إذا مت أموت شهيدة واذا عشت أعيش سعيدة فباتوا تلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح وقد ارتفع الصياح من الكفار القباح فركب الصحصاح وركبت أهل الفلاح وصاحت القسوس والرهبان من كل جانب ومكان وتقدمت الرجال الابطال ووقع الطعن والقتال وما كنت ترى إلا رأس طاير وجواد غاير ومافى الاسلام إلا كل رجل صابر وطلب الملك الصحصاح الأعلام وهو يضرب فى الكفرة اللئام ولم يزل فى حملته الى أن لحق كلب الروم لاورن ولما رآه خاف على نفسه من شرب كاس المنون فولا هارب وأرباب دولته وراه وكلا منهم طالب هواه ولما رأت الافرنج هذا من الروم قالوا نحن ملكنا قد قتل وان قمنا هلكنا وهذا كله من طاعة الروم وهم يراعون لنا ذلك بل تركونا وساروا الى ديارهم والآن ما لنا إلا الهرب وإلا وقعنا فى العطب وقد ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار حتى وصلوا الى الديار (وأما ما كان) من مراكب الكفار فانهم أتوا الى الاسلام وهم كما نرا يريدون أن يكبسوهم فى المنام وكانوا المسلمين يقظانين غير نائمين فاستقبلوهم وظفرت الأبرار بالكفار وقتلوهم وحرقوا مراكبهم بالنار وأفنوا رجالهم بالسيف البتار ونصر الله المؤمنين وأهلك الكافرين وقد حرق من مراكب الكفار مائة وثلاثون وهربت باقى المراكب خوفا من الوقوع فى المعاطب وبات لاوون تلك الليلة بأيشم مبيت وقال مابقا لنا فرج إلا الحصار وإلا مايبقى من الكفار ديار فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من المسلمين فان الأمير مسلمة علم أن النصارى مايعودوا إلى القتال فقال ياقوم اعلموا أن هذه البلد ليست كالبلاد وأن فيها عالم لايحصيه إلا رب العباد وان قاربناها مالنا إن أن نحاصرها ونصبر عليها لأن الصبر عاقبته محمودة كما قال بعضهم :

صبرت والصبر محمود عواقبه ليقضى الله أمرا كان مفعولا

عسى يسهل الله لنا فتحها بشىء لم يكن لنا فى الحساب وعندى من الرأى الصواب أننا

تنادى فى سائر الأقاليم الرومية أن أمير المؤمنين أعطاكم الأمان على أنفسكم وأموالكم وعيالكم ازرعوا واقلعوا وما نأخذ منكم إلا العشر بالشريعة الاسلامية ولا نضر أحد من الملة المسيحية إلا ان ظهر منكم منكر أوجب الأذية وقروا فى أماكنكم وبيعوا على المسلمين من أموالكم واجلبوا لنا الأمتعة حتى يحصل لكم الخير والمنفعة. ولما سمعوا المسلمين ذلك الخطاب وجدوه صواب وأرسل الأمير مسلمة ينادى فى تلك البلاد بالأمان فما مضى على ذلك الحال شهرا حتى عمرت القرى والبلدان ولما طال الحصار أمر الأمير مسلمة باعمال مدينة قبال القسطنطونية وأعطى كل طائفة من العساكر جهة منها ولا أستعمل أحد فى عمارتها إلا بالأجرة وجاءوا اليها بالخشب الرومى وعيدان الجوز وغير ذلك وأقامت فيها العمارة أيام متوالية إلى أن تمت وكملت وعملت عالية الأصوار واسعة البنيان مليحة الأركان كأنها مدينة سيدنا سليمان ابن داود عليهما السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام وزرعت من جميع الفواكه والأثمار والمشمومات والرياحين وغنت الأطيار على الأشجار توحد الملك الغفار ونبتت الأرض جميع الألوان المختلفات وعمرت المدينة بالأسواق والحارات وعمرت الحمامات وبالرخام تزينت والمياه فى جميع أماكنها جرت والمسلمين بذلك فرحت والكفار أيضا قد انشرحت ووقع البيع والشراء والأخذ والعطاء بالأمن والأمان وبنيت الجوامع وسمع الأذان ونقل اليها أنواع الملابس مع التجار والسفار وسميت بالمدينة المستجدة وطال الحصار على أهل القسطنطونية وزادت عليهم البلية ووصلت اليهم الأذية ودامت عليهم الرزية وما وجدوا لهم ناصر ولامعين بالكلية وأما اللعين شماس فانه بقى يتردد على الاسلام غير انه لايأكل ولايشرب من عندهم إلا فى كل ثلاثة أيام أو أكثر وهو ملازم على العبادة وإقامة الليل وفى بعض الأيام يغيب ولم يروه الى أن طال عليه الحال ولم تجد سبيل لأذيته أبطال المجاهدين فعاد الى القسطنطونية ودخل على لاوون متنكرا وسلم عليه وجلس بين يديه وقال له اعلم أيها الملك انى كنت دبرت الحيلة على المسلمين ولكن الاهمال حصل من عسكرك والآن أريد هلاكهم أجمعين ونرتاح منهم وهوانك تحضر لى شيئا من السم القاتل لأن الأمير مسلمة كل يوم يعمل ثلاثة سماطات ويحضر عنده جميع الأمراء ويأكلون وأريد أن أوضع لهم السم فى ذلك اليوم فى الماء وفى الطعام فقال كلب الروم ما بقى لنا أوفق من هذا الحال ونبلغ من الأعداء الآمال وحق المسيح عندى سم قاتل اصطنعته الحكماء الأوائل ولو وضع منه

قيراط فى مائة قدر من الطعام وأكلوا جميع الاسلام لماتوا جميعا والسلام فقال اللعين شماس بهذا تهلك الأعداء والحساد ونبلغ القصد والمراد ثم أنه أخذ ذلك السم وخرج وهو فرحان وظن اللعين أنه بلغ الأمان ولا يعلم ما دبر الملك الديان ومازال ساير إلى أن وصل المدينه المستجدة ونزل فى دار الصحصاح الذى يثبت له خاصة لأن كل أمير من الأمراء بنيت له دار بخصوص نفسه خلاف دار حكمه وامارته وكان اللعين شماس لاينزل إلى فى دار الملك وذلك من يوم ما أنكرت عليه ألوف وبقى خايفا منها وكان اذا دخل على الملك يفرح به ويرسل إلى الأمير مسلمة يحضر عنده ليلا وينظر إلى عبادته وخشوعه وتهجده وجريان دموعه ويعود من عندالملك يخبر ألوف بذلك فما تزداد فيه إلا بغضة وتقول وحق من هدانى إلى دين الاسلام وأنقذنى من عبادة الأصنام ان قلبي منه نافر كما ينفر المسلم من الكافر وحق الاله القادر المطلع على السرائر لاأدرى ان كانت فى قساوة النصرانية أم أصابت منى الفراسة الاسلاميه ولكن اسأل الله سبحانه وتعالى ان يعطينا خيره ويكفينا شره ومكره وغدره واسال الله المتعال أن يظهر الصدق من المحال وكان مسلمة يلوم ألوف على هذا المقال وأقام شماس عند ملك العرب من يوم السبت إلى يوم الثلاث وحضر السماط عند مسلمه وقد عزم أن يسم الجميع ولما أتت ليلة الثلاث دخل شماس عند الملك وقال له اعلم أيها الملك المجاهد والسلطان الماجد الحامى عن دين الملك الواحد ان نفسى تطلب الحضور بين يدى الأمير مسلمة كى أتحدث أنا وإياه وأسمعه شيأ ينفعه فى دينه ودنياه وبعد ذلك أطلب بيت المقدس حتى أزور الأماكن الشريفة وقد طال مقامى فى هذه الديار التعيسة والقائل يقول حب الوطن من الايمان ولى هناك تلامذه وخلوان وبقى لى مدة من الزمان مارأيت منهم إنسان خصوصا بيت المقدس وهو محل الشهداء وآثار المتعبدين والسعداء واجتمع هناك بالصالحين وأدعو لكم بالنصر على الكافرين ولما سمع الملك الصحصاح ذلك المقال فرح واستبشر بهذا السؤال لأنه كان يتمنى منه الكلام وهو لا يفعل بل مشتغل بالعبادة وحسن المحال ولما كان بعدصلاة العشاء الأخيرة خرج الملك ومعه غلام والزاهد شيخ الشام وما زالوا سايرين إلى أن وصلوا دار ابن أمير المؤمنين ودخلوا عليه فقام قائما على الأقدام وأخذ الملك بملء الأحضان وضمه ونظر الى العابد وفرح بقدومه وأقبل عليه وصافحه وجلسا جميعا ثم قال شماس اللعين اعلم يامولاى انى أتيتك مودعا لأنى عزمت على السير الى بيت المقدس ولى حافظ يحفظنى وبعنايته يساعدنى فان شئت جعلت طريق من

دمشق أو الى الحجاز أو من غيرها لأن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ثم أنه جعل يحدثهم بأخبار الصالحين وكرامات الأولياء المتقدمين وكلما تحدث بشيء يبكى الملك الصحصاح وكانت ألوف حاضرة ولكن أعضاها منه نافره ولما رأته فى تلك الليلة وهو ناوى على السفر تقدمت اليه وقالت له اجعلنى فى حل منك فقد كان قلبي نافر من قبلك فقال لها يا بنتى أننى فى حل مما دخل بك وما حصل فى حقى منكى ومن أسعد منكى وقد غفر الله لكى لانك من حين أسلمتى فى جهاد الكافرين وما زال معهم فى حديث وكلام الى أن مضى نصف الليل وطلع نجم سهيل فنظر اليهم وقال لهم ان الليل ما بقامنه الا القليل وهذا وقت التهجد والاستغفار والخلوه بالملك الواحد الستار فليدخل كل واحد منكم الى منامه فقالوا سمعا وطاعه ثم تركوه فى المكان الذى هو فيه ومضى الملك الصحصاح إلى مكان ثانى برسمه وغلامه أيضا الى مكان آخر وأما مسلمة وألوف دخلوا محل مبيتهم وكانت ألوف لم تفعل مع اللعين هذه الفعال ولاقبلت يده إلا من عتاب ملك العرب الصحصاح والأمير مسلمة لأنهم لاموها على انكارها لهذا العابد الزاهد وقالوا لها اننا ما بقينا نراه ولا يأتى الينا إلا فى هذه الليلة فقالت لهم إن قلبي نافر منه ولكن من أجل خاطركم أنا أقبل يديه وأطلب منه المسامحة وفعلت ماقدمنا وتحللت منه ودخلت مع زوجها إلى الفراش كما ذكرنا وأما شماس صبر ساعة إلى أن عرف أنهم ناموا فقام وقصد المطبخ فوجد الطباخين كلهم نايمين فهجم كانه شيطان من الشياطين ووضع السم فى قدر الطعام أجمعين ورجع مكانه وأيقن بهلاك المسلمين وجيوش الموحدين وقد خاب فيما أمله اللعين وفى الغيب عجب

(تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الخامس

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفي
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوق بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى لهذه السيرة العجيبة) ولما أصبح الله بالصباح جاءت الأمراء من بنى كلاب يقدمهم الأمير عطاف على ماجرت به عادة الحضور على السماط وأرسل الأمير مسلمة للملك وهو يقول ان الأمير يدعوك الى الطعام ويكون الزاهد معك لعله يوافقنا الى الطعام قبل ما يسافر الى بلاد الشام وما ندرى هل نجتمع به فى الدنيا أم يكون اللقاء بين يدى الملك العلام وقد ورد فى بعض الاخبار أنه من أكل مع مغفور غفر له فلعل الله تعالى يغفر لنا ببركته ولما وصل الخبر الى الملك بما قال ابن أمير المؤمنين دخل على البيت الذى فيه الشماس فلم يجد له خبر وكان بعد ما وضع السم أقام مرتقب إلى أن فتح باب القصر فخرج متنكراً وطلب القسطنطونية ودخل على لاوون وأخبره بما دبر الملعون ففرح لاوون بذلك وأرسل جاسوس يكشف الاخبار . وأما الملك الصحصاح فانه طلبه ولم يجده أرسل خلف البوابين وسألهم عنه فقالوا ماعندنا منه خبر ولا خرج علينا أحد فقال عندها الملك الله فى عون عباده الصالحين وهو يحجبهم بالأستار عن أعين النظار ثم انه دخل على الأمير وعرفه بما كان وما صار فبكوا على فراقه بالدموع الغزار ثم ان الطعام قد حضر عند ما اجتمعت الناس ودخلت الفراشين بالطعام الخاص وجلس الأمير مع الملك والملكة ألوف وجلست باقى الأمراء على الموائد والعساكر والرجال على حسب المراتب وأن الأمير مسلمة مد يده الى الطعام وأخذ لقمة وأراد يرسلها إلى فمه وإذا بالخاتم الذى فى يده يقطر ماء أصفر قطرات متداولة مثل المطر فصاح على الملك وقال له اصبر ياملك العرب لاتأكل شىء من الطعام لأنه مسموم ونادى فى بقية الحاضرين أن لايأكل أحدا منكم من هذا الطعام وكان فى يد الأمير مسلمة خاتم له فص من قرن الحية وكانت أحكمته الحكماء

الاوائل ومكتوب عليه أسماء وطلاسم وكان هذا الخاتم لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ولما أرسل الأمير مسلمة الى هذا المكان خاف عليه من هذه الأحكام فسلمه اليه وعرفه عن منفعته ولما رأى ماحصل فى هذا اليوم علم أن الطعام مسموم وأمر باحضار الطباخين فمضوا اليهم الفراشين فوجدوهم كلهم ميتين وهم نائمين نومة لايقوموا منها إلا يوم الدين فقال الامير ادركوا العوام وامنعوهم عن أكل الطعام فأدركوهم وقد شرعوا فى الأكل فمنعوهم وأما الامير مروان فانه كان بالأمر المقدر أخذ لقمة ووضعها فى فمه وقد سمع النداء فرماها من وقته وساعته ولكن من بعد المضغ فوقعت أسنانه وطبق فمه ولم يقدر يفتحه وبلع ريقه فكاد أن يهلك ومات من عوام العرب مائة اثنين وعشرون رجل وزاد الناس فيهم النداء : كفوا ياعسكر الاسلام عن أكل الطعام ووصل الجاسوس الذى أرسله لاوون ورجع اليه وأخبره بالحال فضربت البوقات ودقت الطبول والكاسات وفتحت أبواب البلد وخرج (لاوون) ومن معه من العساكر وخواص دولته وبطارقته وركبت سائر أجناس الروم وكان يوم معلوم وركب الامير مسلمة وملك العرب وسائر عساكر الاسلام والملكه ألوف معهم وهى تقول وحق من هدانى الى دين الاسلام وأنقذنى مما تعتقده اللئام ما وضع لنا هذا السم فى الطعام إلا هذا الكافر الفاجر الذى تقولون عليه انه عابد زاهد وما أراد فينا إلا الدمار وخراب الديار ولكن ماهذا وقت كلام وسوف يظهر لكم الخبر والشان إن شاء الله الملك الديان وبالله أقسم ماهو إلا نصرانى كلب مذموم من جملة حكماء الروم وحق البشير النذير انه هو الذى دبر هذا التدبير وسوف أنظر حالته وأبحث على قصته وانى أقسم بالله العظيم إن طالته يدى لأعجلن على منيته وبعد ذلك التقت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب وزحفت الجنائب وأظهر الملك الصحصاح العجائب وحمل جيش الأبرار وضرب فى الكفار بالبتار ضربا شديدا أمر من حريق النار وطارت الرؤوس وزهقت النفوس وكان على الروم يوم عبوس وأبلوهم المجاهدين بالنحوس والعكوس ودارت طاحون القضاء والاقدار ونصر الله أمة النبى صلى الله عليه وعلى آل بيته الاخيار آناء الليل وأطراف النهار وطلبوا المشركين الفرار لما نظروا مالحقهم من الدمار ورجعوا بالذل الى الحصار وطلب لاوون الجاسوس وأمر أن يقطع منه الروس ويخلعوا له الضروس من بعد ما قال له ياويلك أما تقول إن المسلمين هلكوا فقالوا البطارقة يجوز أن يكون لسلامتهم سبب من الأسباب فقال لهم لاوون ما رأيت السم أثر إلا فينا وأقل ماقتل منا فى

هذا اليوم نحو عن عشرة آلاف فارس أو أكثر (قال الراوى) ورجعوا المسلمين من الحرب والقتال بعد السلامة والانفصال والأمير مسلمة بجانب الملك ومن حولهم الابطال وهو يقول الحمد لله الذى نجانا من هذا السم القاتل فقال الملك والله لايجب الاهمال عن فعل معنا هذه الفعال لأننا لانأمن منه أن يفعل بنا ذلك مرة أخرى وتصبح أبطالنا فانية ولكن قد سلمنا هذه المرة ببركة هذا العابد الزاهد فضحكت الملكة ألوف وقالت له ياملك العرب أنت رجل مبارك على نياتك ومانفعنا ونفعك إلا سلامة سريرتك وأنت تربية البر وما عندك خبر من الحيل والمكر وأما هذا الذى تقول عليه زاهد ماهو إلا كهين جاحد يشرك بالله الملك الواحد وهو حكيم من حكماء الروم وقد قرأ سائر العلوم وعرف سائر الأديان واطلع على كتاب علماء اليونان ولابد لى وحق العزيز الديان أن أكشف خبر هذا اللعين الشيطان وأظهر سره وأكشف ستره وأعرف حقيقة أمره وأسمع مقاله وأعاقبه على فعاله حتى أظهر أعماله فضحك الملك وقال لها والله ياألوف لقد نصحتك حتى تحللت منه النوبة الماضية ولا تعودى ترجعى بالاعتراض على هذا الرجل الصالح فقالت والله ماتحللت منه ولا تقدمت اليه ولا قبلت منه يديه إلا خوفا على قلبك وقلب الامير مسلمة وذلك انى سمعت منكم أنه مسافر الى بيت المقدس ولم أعلم أنه يفعل ذلك ويذهب الى بلاد الروم فقال لها ياألوف لاتقولى هذا القول المذموم فقامت من عندهم مغضبة ودعت بأخيها عبد الله فحضر بين يديها وهو الذى كان قبل الاسلام عبد الصليب وقالت له ياأخى ما يكشف لى عن هذا الأمر إلا أنت ولا يجسر عليه سواك اظهر ياأخى للمؤمنين خبر هذا اللعين فقال لها قولى ياأختى ماتريدى وأنا فى خدمتك لاأخالف لكلمتك فقالت تأخذ رؤوس هؤلاء المسلمين ولا تقصد بها إلا بلاد المشركين وتدخل بلد القسطنطونية وتتوصل الى كلب النصرانية كأنك منهزم منا ومنكراً علينا وترى الرؤوس قدام لاوون وتقول له لى عليك البشارة يقول لك فيما هذه البشارة فقل له إن ملك العرب أشرف على الهلاك والعطب وكذلك الأمير مسلمة وأختى ألوف التى طردها المسيح عن باب رحمته وقد قتلت هؤلاء الثلاثة وهم أمراء العرب وقدمت اليك بهذا السبب والصواب أن تخرج اليهم فى غداة غد فانهم ما يثبتوا قدامك ولا ساعة لأنه مايصبح الصباح إلا وقد هلك مسلمة والصحصاح وألوف لأن السم قد تحكم فيهم وجميع العساكر معولون على الهرب لأن ما كان يمسكهم إلا مسلمة وهيبة الملك الصحصاح وشجاعته فلابد ياأخى ما يفرح لاوون بهذا المقال ثم انك تكشف لى خبر هذا الزاهد فما

أظنه إلا لعين جاحد وان رأيته عند لاوون يكون الامر كما خطر ببالى وأنا بعد ذلك أعمل عليه وأفرجك ما أصنع به . فلما سمع عبد الله من أخته هذا المقال فما أمكنه المخالفه وقد رأى قولها صواب فعندها بالسمع والطاعة أجاب وخرج من وقته من الابواب (قال الراوى) وأخذ ثلاثة رؤوس من رؤوس المؤمنين الاحباب وقصد الى القسطنطونية بحسن سريرة ونية إلى أن وصل الى الاصوار وزعق الى الحراس فقالوا له من أنت وماذا تريد ؟ قال الى الملك وله عندى نصيحة وأنا أخو ألوف القبيحة التى مرقت من دين المسيح وعملت كل عمل قبيح فلما سمعوا الحراس كلامه مضوا الى ملكهم وأخبروه بسؤاله فأذن له بالدخول حتى يسمع ما يقول فعادت اليه الحراس ورفعوه بالحبال وأتوا به الى لاوون كلب الانذال فلما وصل اليه أخبره بموت المسلمين بعد ماسلم عليه فقال لاوون اليوم كانوا فى القتال وأفنوا منا الرجال وجندلوا الابطال فقال عبد الله : اعلم ياملك أن السم كان ماتحكم فيهم إلا فى هذا اليوم وقد عولوا على الهرب لما أيقنوا بالعطب ووقع بينهم الخلاف قوم يقولون نرحل وقوم يقولون لانرحل وإن خرجت لهم غداة غد ملكتهم بالسيف والقنا وأخذتهم قهراً وأسقيتهم كاساً مراً وأظن بعدها مايسلم منهم ديار ولا نافخ نار ولما سمع منه لاوون ذاك الكلام فرح واستبشر وقال الشكر يامسيح على هذا النصر المليح ثم انه سأل عن شماس ولد الارجاس فأخبروه الحجاب أنه عند ابنة الحاجب الا كبر وهى (أشمونيس) وقد أخبروه على أنه يحبها فقال وحق المسيح لابد أن أزوجه بها فقيل له ياملك انها تحب ابن عمها فقال (لاوون) هذا لايجوز شماس أحق بها منه ومن كل أحد لأنه فعل معنا جميل مافعله أحد وهذا الامر ما لأحد عليه من سبيل ثم أمر البطارقة باحضاره حتى يعلمه بأحواله ويعرفه بما قال أخو ألوف فغابوا الغلمان ساعة وعادوا ومعهم شماس وهو سكران ورؤيته مثل شيطان ولما رآه عبد الله عرفه وجعل يسبه ويلعنه وأن لاوون أمر له بالجلوس بعد ما قام اليه واستقبله وسلم عليه فجلس حتى استقر به الجلوس فقال له ياحكيم الزمان أراحك الله من ملك العرب والامير مسلمة وألوف وهذا أخوها قد أتى مبشرا الينا وفى غد نخرج المسلمين ونقتلهم أجمعين ويذكر أنه قتل ثلاثة من الامراء المعدودين ثم ان شماس نظر الى عبد الله فأنكر أمره وقال أين هى الرؤوس التى وصلت بها فقال عبد الله هاهى ياحكيم الزمان وأحضرهم بين يديه فقال اللعين ياملك هذا ما أتى إلا جاسوس وأما هذه الرؤوس ماقطعت إلا بعد الموت انظر ياملك كيف هى من تأثير السم

وبعد القطع ما نزل لها دم وأنا خائف تكون أخته قد علمت بما كان منى فأرسلت تنظر خبرى وتطلع على أثرى فقال له لاوون وما التدبير الآن ياحكيم الزمان فقال له الرأى عندى أن تقبض على هذا الغلام وتأمر البطارقه أن يضربوه الضرب الوجيع وهو يقر على ماجاء فيه ويظهر لك منه ماكان يخفيه وأما خروجك ان كان الملك الصحصاح والأمير مسلمة سالمين فما فيه إلا هلاكك وهلاك قومك أجمعين فقال لاوون افعل ما شئت ومالنا إلا الحصارحتى يرضى علينا المسيح ويرزقنا النصر على المسلمين ونحن عندنا الطعام والشراب كثير والسيد المسيح لنا معين ونصير وان كان المسيح غضب علينا بسبب من الأسباب وسلط علينا هؤلاء الأعراب فسوف يعود علينا نصره ونحن تحت شكره وعندى رأى وهو أنى أكتب إلى ملك الكرج عسى أن يكون لنا على يده فرج ويزول عنا الضيق والحرج ومالنا إلا الصبر فيما وقعنا فيه من هذا الأمر لأن الصبر محمود العاقبه فقالت الحاضرون هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب والساعة يبان لك أخو ألوف ان كان صادق أو كذاب ثم ان الملعون بطح عبد الله حتى أشرف على الموت والهلاك وأيقن بسوء الارتباك وقر بما جاء فيه وأخبر شماس بما ندبر وأن أخته ألوف دبرت هذا التدبير ولكن ما ساعدتها المقادير فعندها قال شماس كيف رأيت ياملك قول الحكيم الخبير احسبها عندك واكتبها فى ديوانك حتى أريك العمل وما أدبره من الحيل ثم أمروا بحبس عبد الله فى بعض المطامير والله تعالى لطيف خبير يهون عليه كل أمر عسير ويلطف بنا وبه من كل المقادير (قال الراوى) وبات الخبر إلى اشمونس بنت الحاجب ان لاوون علم بحالها وانه يريد يزوجها الى اللعين شماس وهى ما تحب إلا ابن عمها وأنه لا يريد سواها والقائل يقول لكل نفس ماتهوى ولما بلغها ذلك الخبر عظم عليها وكبر لديها ومضت الى ابن عمها وأعلمته بذلك الحال وان لاوون يريد أن يزوجها بشماس ابن الأنذال فقال لها الغلام وماذا ترى من الرأى قالت الرأى ما بقى لنا مقام فى هذه الديار بعد الفضيحة والعار عند البطارقه الصغار والكبار وان فرقوا بيننا هلكت أنا وأنت فقال الغلام صدقتى وحق المسيح وقد علمتى ما دفعت أنا من الأموال الى البترك لأجل الجواز وهم يقولون هذا عند النصارى حرام ولا يجوز إلا فى شريعة الاسلام لأن جواز ابن العم لبنت عمه عندهم حلال كما قال نبيهم المفضال عليه الصلاة والسلام فقالت أشمونيس ان كان هذا حلال عندهم فما بقى لنا إقامه إلا معهم فدعنا نترك هذا الدين ونمضى إلى المسلمين ونلتجىء

الى قوم مكرمين فقال عبد الصليب نعم ما أشرتى وبالصواب نطقتى وهذا هو الرأى الحسن ولكن بقى فى الأمر شىء واحد وهو الذى نبلغ به كل المقاصد قالت ماهو يابن العم قال لها نحن نخلص أخو الملكة ألوف زوجة ابن سلطان المسلمين وأمير المؤمنين ونأخذه معنا حتى يكون لنا عند المسلمين اليد البيضاء ونتصل اتصال مابعده انفصال فقالت والله هذا من تمام سعدنا وحسن سريرتنا ثم إنهم اتفقوا على هذا الحال وانهم ينزلون من الأصوار بالحبال وصبروا ولما أقبل الليل بالظلام وهجعت البطارقة اللئام وخرج عبد الصليب من عند ابنة عمه وكان عارف بالمكان الذى فيه عبد الله وقصد إلى المطموره التى هو فيها فوجد البطريق الذى موكل به نائم وغطيطه عالى فهجم عليه وذبحه وأخذ المفاتيح وفتح باب المطمورة ودخل على عبد الله فسمعه يقول سبحان من سلط الأشرار على الأخيار حتى يمتحنهم بالاصطبار يامولاى افعل ما تشاء فانى لا أعبد غيرك ولا أركن الى سواك فقال له عبد الصليب ابشر ياسيدى بالفرج القريب من السميع المجيب وأعلمه بالحال وفكه من القيود والأغلال وسار به الى أشمونيس وقال لها قضيت الحاجة بعون الله وقد فرغت اللجاجة فأخذت أشمونيس مماخف حمله وغلى ثمنه وأخذوا الحبال ووصلوا إلى الأصوار وتوكلوا على الواحد القهار وكان برج باب الذهب مسلم اليهم لأن أبو الجاريه كان كبير الحجاب وكذلك أبو الغلام من خواص البطارقة والحجاب وربطوا الحبال ونزلوا وطلبوا عسكر المسلمين وهم على ربهم متوكلين فوصلوا اليهم عند الصباح وأخو ألوف يبشرهم بالفوز والنجاح من الكريم الفتاح ثم أخذهم وسار إلى قصر الأمير مسلمة ودخل عليه وكان يصلى الصبح وسلم وجلس إلى قراءة الورد فما يشعر إلا وعبد الله نسيبه بين يديه وسلم عليه ومعه تلك الجارية والغلام وهى مثل بدر التمام فلما رآه هنأه بالسلامه وسأله عن حاله فأخبره بجميع ماجرى له من أوله إلى آخره ثم أعلمه بحديث الجارية وابن عمها وكيف ضربه شماس وحبسه نسل الارجاس وكيف تسبب له الخلاص من القريب المجيب فقال مسلمة لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبحان من ضل هذا اللئيم مع هذا العلم والزهد وصدق فى ذلك الوقت قول ألوف وقال لله درها لقد كملت بالجمال والفطنة وحسن الفعال وفراسة الايمان والاسلام فهم فى الكلام وإذا بالملك داخل عليه فقام واستقبله وسلم عليه وجلس ونظر إلى هؤلاء الوقوف ومعهم أخو ألوف فسأل عن حالهم

فأخبره الأمير مسلمه عن السبب فتعجب غاية العجب وقال والله ان هذا شيء من أعجب العجب وان وقع هذا الملعون فى يدى لأورده موارد العطب وبعد ذلك شرع مسلمه فى زواج الغلام بالجاريه بعدما قطع زنانيرهم ورموا الصلبان وأقروا بالوحدانية للملك الديان وبالرسالة لسيدنا محمد سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للانس والجان ونادى لهم منادى السعادة بلسان الارادة وحلى لهم دين الاسلام كما أراد الملك العلام وما أمسى المساء إلا وقد بلغوا من بعضهم المرام كما أمر النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وصاروا من الأحباب وعند المسلمين أعز الأصحاب وامتلأ قلب ألوف فرحا وسرور الذى اطلعت على تلك الأمور فهذا ماكان ههنا (وأما ماكان) من كلب الروم فانه لما أصبح الصباح كتب كتاب وأرسله إلى ملكة الكرج يطلب منها النجدة ويخبرها بما جرى وماهو فيه من الشدة فهو كذلك وإذا قد دخل عليه شماس ابن الارجاس وهو يقول ياملك هربت اشمونيس وابن عمها لأنى مضيت اليهم عند الصباح فما وجدت لهم أثر ولا سمعت عنهم خبر وماخوفى إلا أن يكونوا خلصوا أخو ألوف وحملهم على ذلك العشق والهوى وإن كان ذلك جرى سوس يطلعوا ا السلمين على أمرى فعند ذلك عظم ذلك الأمر على لاوون وأرسل إلى السجن يكشف خبر عبد الله فغابوا الغلمان وعادوا يخبروا أنهم ما وجدوا فى المطمورة أحد وقد وجدوا الموكل بها مذبوح وهو جسد بلا روح فهم كذلك وإذا دخل عليهم أبو أشمونيس وهو باكى العين وكذلك أبوا الغلام فعظم ذلك على لاوون وقال لهم ياقوم عندنا ماهو أهم من ذلك ونريد ندبر أمورنا فى خلاص أرواحنا وتركهم ولم يلتفت لهم فخرجوا من عنده وهم مهمومين وأقاموا تحت الحصار والذل والوبال بقية عامهم وقد قل من عندهم الزاد وقلقوا ولم يأخذهم هدو ولا قرار إلى أن ذهبت أيام الشتاء ودخل الربيع بعطره وطيب نشره ونباته وزهره وهم صابرين على الضيق متيقنين بالهلاك وقلة التوفيق لهم كلام (وأما) الأمير مسلمه والملك الصحصاح وعساكر الاسلام أهل الوفا والسماح فانهم مقيمين فى أطيب عيش وأهناه ونال كلا منهم ما يتمناه لهم كلام (وأما ماكان) من نساء بنى كلاب وبنى سليم الذين فى بر الحجاز فان ليلى زوجة ملك العرب كانت حامل وعند ماسافر الملك كان باقى لها على الوضع أيام قلائل فأرسلت إلى جميع النساء الحوامل من بنى كلاب وبنى سليم وجمعتهم عندها وقالت لهم اعلموا يابنى الأعمام أن الرجال إذا غابوا عن النساء يحملهم سوء الظن من الغيرة على حريمهم فاكتبوا تاريخ

حملكن وادخروه عندكن ربما طالت غيبة الرجال فى بلاد الروم والذى أشرت به عليكم هو صواب وأنفع وأبرأ للتهمة بين الخلق أجمع فقبلوا منها ذلك ورأوه صواب وشكروها على قولهـــا وكانت ليلى مقاربة على الولادة فلما أن آن أوان الطلق . كما شاء رب الخلق وأقامت ليلتها ويومها فى أشد مايكون من الكرب إلى الليلة الثانية نصف الليل وهى لا تقدر تنام من ألم الوجع ولا تقر ولا تهجع فلما اشـــتد بها الحـال قالت أقول كما قالت أمة الرحمن مريم ابنة عمران ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وجعلت تسأل الله سبحانه وتعـالى أن يسهل لها خروج الجنين وهو يتقلب فى بطنها شمال ويمين وهى تنتظر الفرج من رب العـالمين الى أن سكن طلقها وكحل الكرى عينها بمرود الرقاد كما شاء رب العباد فرأت فى منامها ولذيذ أحلامها كأن السماء قد فتحت أبوابها وخرج منها شخص له جناحان أخضران بالدر والجوهر منتظمان كأنه من الاملاك ودخل عليها من باب السرادق وهو متكلما وقال الله تعالى يهـــون عليكى الطلق ويخرج الولد أسرع من البرق غير أنه ذميم العاقبة ميشوم الناصيـة مفسـد فى الأرض غاية الافساد ولا بد ما يرى الفتن والعـداوة فى العبـاد وإنه يكون سـببا لسفك الدما واشـعال نار الحرب والبلا ولكن كان ذلك فى الـكتاب مسطورا فسميه ظالم ليكون اسمه موافق معناه لان ظلمه ماسبقه اليه أحد سواه ثم أنشد يقول :

انتبهى من رقدة النائم ... واسمعى قول مخبر عالم
لا تفرحى بالولد القادم ... فانه أشـــر بنى آدم
يلبس لباس الرجل الظالم ... وهو مثير الحرب بين العالم
عن الفساد لم يكن بنائم ... فأنسبيه الآن باسم ظالم
قد سبق الحكم من الحاكم ... فلا مرد للقضاء المبرم

(قال الراوى) ثم إن ليلى انتبهت من منامها مرعوبة وصاحت صيحة عظيمة فتواثبت اليها خدامها والجوار وجعلوا يعيذوها من الشيطان بالقرآن وقرؤا حولها سورة الفلق فسكن فؤادها من الخفقان وتقعقع ظهرها وبرق وإذا بها التقت الولد بقدرة الفرد الصمد وهو ولد ذكر مثل فلقة القمر فلما رأوه النسوان قالوا نعيذك بالملك الديان ثم قالت بعضهن والله ما رزق أحد مثل هذا الولد فانه بدر التمام يوسف عصره وفريد دهره هذا كله يجرى من النسوان الحـاضرين وليلى عليها حزن الاولين والآخرين ولحقهـا ماالحقها من الهم والترح وبذلك الغـــلام لم يكن عنـدها

فرح وذلك لما سبق فى الغيب من أفعاله وما رأته فى المنام ومن الهاتف وما قاله فقالت لها أمها ياليلى قالت لبيك يا أماه قالت يا لله العجب الله تعالى يرزقك بهذا الولد الذى لم رزق أحد مثله وقد من عليكى بالسلامه وخصك بهذا الولد الذى كانه القمر فوق غمامه وأنتى أظهرتى الهم والغم والندامه فقالت يا أماه اما أنا فضعيفه مما لاقيت ومهمومة مما قاسيت وأيضا من فراق ابن عمى قد نحلت وخائفه من طوال المده فلم تصدقها أمها فيما قالت بل لحت عليها فى المقال فقالت لها اصبرى حتى يفضى المكان وأحدثك بما جرى من الأمر والشأن فصبرت أمها لما خلى البيت من الزائرات ولم يبق عندهم أحد فقالت تقدمى الآن لما أقص عليكى قصتى وما رأيت فى المنام ولذيذ الأحلام وقد أسبلت ليلى عبرتها وتوقدت نيران حرقتها ثم أخبرت أمها بجميع ما رأت فى المنام وختمت كلامها بهذا النظام صلو على بدر التمام

كنت أرجو من المهيمن يرزقنى ... بغلام يسرنى مع الغلمان
فجاءنى بأيشم الناس وجها ... ثم فعلا موافيا شيطان
وافق الاسم فعله فافهمى ... الآن ولاتنكرى العقل والشان

(قال الراوى) ولما سمعت أمها منها ذلك الكلام بكت بكاء شديد ما عليه من مزيد وقالت يابنتى لعله يكون أضغاث أحلام وقليل ما تصادف الرؤيا فى هذا المقام فسكتت ليلى على مضض وهى مكسورة الخاطر وتوالدت النساء وبعدها النساء العامريات وكانوا مائة واثنين وعشرون امرأه الحوامل فوضعت منهن ثلاث وثمانون ذكر وتسعة وثلاثون أناث وولدت زوجة مروان ذكر فسموه عبدالله وكان موجودا امرأة اسمها غاليه ولها زوج اسمه مصعب بن الوليد وكانت الأخرى حامل فنامت ورأت فى منامها ولذيذ أحلامها كأن الأرض تزلزلت وخرج من الأرض شخص أعور يطير من عينيه الشرر شنيع المنظر وعلى وجهه حية رقطا وان ذاك الشخص أقبل على غاليه ومديده إلى بطنها وقال ان تقربه عين ابليس عند قدومه ويفرح الكفر بحضوره فلقد تعكست الأرض عند نزوله ولقد سمعت من الذين يسترقون السمع بأنك ألعن أهل زمانك وأخبث أهل الأرض وان ابليس مشتاق اليك وسيطرح مصائبه عليك وهو ينادى واشوقاه إلى الخناس فتنة الناس الوسواس ثم نادى ياغاليه أكرمى مثواه فانه قرة عينى أيها الحره وهو شريك أبو مره ثم أشار اليها بالنظام ونحن وأنتم نصلى على بدر التمام

سميه عقبه انه شر الخلائق ... أضحى لعينى قرة فى العواقب

ومشاركا لى أنا وجندى وله حديث بين المشارق والمغارب

(قال الراوى) ثم نادى ياغاليه اعلمى ان الذى يكلمك هو الشيطان وأن أعوانه أخبروه ان ملكين التقيا فى الهوى بين الأرض والسما فقال أحدهما للاخر الا أخبرك عن امرأة من بنى سليم يقال لها غاليه زوجة مصعب بن الوليد تضع ولد يقال له عقبة وهو عقبة زمانه فلا أحسن الله اليه عاقبه وهو ولد مفتون ملعون ابليس زمانه شيطان وقته وأوانه لابلغه الله مآربه فهو آفة المحن وصاحب المكر والحيل ولاتفزعى من ذلك فأتى سالمه ثم وضع يده على بطنها وقال أودعتك شرى ومكرى وغدرى فغاب عنها فانتبهت وهى مرعوبة ومن ذلك المنام مكروبه ولم تزل كذلك حتى أتاها الطلق باذن خالق الخلق فولدت ولدا دميا شيطانا رجيما وكتبوا النساء من بنى كلاب وبنى عامر وبنى سليم لأزواجهم يخبروهم بما ولدوا من الأناث والذكور وكان أول من كتب الكتب ليلى وزوجه مروان وغاليه وأرسلوهم مع النجابه إلى دمشق ومن دمشق أرسلها الخليفة مع رسائل دمشق صحبة النجابه إلى بلاد الروم ولما وصلت النجابه إلى المدينه المستجده ورأتهم العرب أخذوهم وساروا بهم إلى الملك ووقفوا بين يديه بعد ما قبلوا الأرض وسلموا عليه عندها أخرجوا الكتب وسلموها اليه وهنوه بالولد ففرح وحمد الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد وخلع على النجابه وأحسن اليهم ودخلوا عليه الأمراء وهنوه فشكرهم وهناهم وقال الحمد لله الذى رزقنا الأولاد وسمع الأمير مسلمة ان الملك رزق ولد ذكر ففرح واستبشر وأقبل اليه ودخل ثم سلم عليه وهناه بالولد القادم رضيع لبن المكارم فشكره وقال له العاقبة عندك يامولاى أن ترزق من الملكة الوف ولد ذكر ان شاء الله وتقر به عينيك وفرح ملك الاسلام بذلك الغلام ولا يعلم بما غاب عن الأوهام وفرحت بنى كلاب وبقية العربان بسلامة أهاليهم والاخوان وطاب لهم المقام فى طاعة الملك العلام ونصرة دين الاسلام على الكفرة اللئام عابدين الاوثان والصلبان والاصنام ومضى على ذلك شهور وأعوام وهم فى ذلك المكان لهم كلام (وأما ما كان) من كلب الروم ونسل اللئام فانه أرسل إلى الكرج يطلب نجده كما ذكرنا وأقام لهم فى الانتظار وكان للكرج ملكه يقال لها بخطوس وكانت أقبح الناس وجها وقد قتلت الرجال وأبادت الابطال وقهرت أهل القوة والشجاعة والفروسية والبراعة وغارت على بلاد الترك والتركان وطحنت الروم وعبدة الصلبان ووصل شرها إلى جميع البلاد وذلت كل العباد وكان عندها قس كبير وهو عندها مقدم وأمير على جميع البطارقة والكفرة

الزنادقة وفى بعض الأيام نهاها عن غزاها لأهل دينها وقال لها أن تغزو بلاد الاسلام فصرخت عليه ونهرته وأمرت من عندها من الخدم والحشم أن يقبضوا عليه فقبضوه واليها سلبوه فسلخت وجهه وملأته مشاق وقطن ووضعته على باب البيعه وقالت كل من خالفنى وادعى أنه ينهانى وينصحنى فعلت به مثل هذا فلم يجسر أحد بعد ذلك يراجعها فيما تريد خوفا من شرها ومكرها وكانت كبيرة السن خبيثة الطلعة لا تهجع ولاتنام عن ضرب الحسام سفاكة الدما على الكفره والبرره ولاتراقب ملك القدره مدمنة على شرب الخمره ولايأخذها فى ذلك فترة اليوم والاثنين والعشرة تحب النكاح من المغرب إلى الصباح وان كان الرجل معها وأرضاها أكرمته وحبته وأظهرت له العز والاحسان وشغلته فى كل وقت وأوان وإذا أخذه التقصير يبقى عندها طنجير وتأخذ رأسه تضعها تحت أبطها وتعصر عليه بقوة حيلها تخرج عينيه من حدقيه وتسحق عظم صدغيه وهابتها جميع الملوك والسلاطين وكانت جريدة عسكرها تزيد عن أربعمائة الف كلهم بالزرد والخود معدودين للقتال فرسان عند النزال شجعان الحرب والمجال وكان كلب الروم لما أرسل لها الرسول خرج معه شماس اللعين لما رأى ان حيله لم تتم على المسلمين وكان له معرفة بهذه اللعينة ولما ضاقت بهم الحيل قال لملك الروم على أنه ما بقى يدفع عناشر المسلمين الا ان كان هذه الملكة وأنا أكون لها رسول لأنه كان اجتمع عليها سابقا وسألته عن خلوتها مع الرجال وقالت له يا أبونا أنا ما يكفينى رجل واحد فهل يجوز لى فى مذهب المسيح ان أخلو مع من أريد من الرجال فقال الملعون ان أنكرت عليها قتلتنى كما قتلت ماهو أكبر منى ومالى بذلك الانكار من حاجة (قال الراوى) وقد قدمنا ماهو فيه من الخبث واللاهنة وهو لايعتقد فى شىء من الأشياء لأنه كان حكيما فيلسوف وماله دين يدان به فقال لقد أجزت لكى فى ذلك ويكون لكى فيه الثواب من السيد المسيح إلا أنك لاتسلمى نفسك إلا لمن كان فقيرا محتاج أو راهب كثير الاحتياج فلما سمعت كلامه قالت لعل أن تكون أنت ذلك المحتاج وما قلت ذلك المقال الأرغبة ومحبة فى ذلك الجمال وعند ما سمع منها هذا المقال حار فى أمره وخاف من شرها واحتار فى رد الجواب ولما رأته ساكتا قالت له ما هذا السكات قال لها نعم انى راغب فى جمالك الا انى خائف من سؤالك فأخذته وسارت به (قال الراوى) ولقد سألت عن عمر هذه الملعونة ممن أثق به فقال انها بلغت من العمر مائة وثلاث وستين عام وكانت تأكل فى غداها خنزيرا وفى عشاها كذلك وانها ماتشبع من النكاح فمكث اللعين شماس معها شهر كامل وبان له من نفسه

التقصير فخاف أن تصنع به مثل ما سبق لغيره فهرب منها ولم تعلم مكانه إلى ان كان في ذلك اليوم ودخل عليها مع الرسول ولما رأته سألت عليه وهي طمعانه في الزمن الماضي وسألته في ماذا أتاها ودخل عليها فقدم لها الكتب التي معه من عند لاوون والبترك وأخبرها بما حصل بينهم وبين عسكر المسلمين وقال لها اسرعي ياملكة لنصرة النصرانية وأهل ماء المعمودية وربما ملكتي القسطنطينية وأزوجكي بملكها لأنه صاحب شجاعة مثلك فقالت له اعلم ان المسيح وهب لي جميع البلاد وما فيها من العباد وما أريد زوجا ولكن سوف أرحل معك وأنظر هؤلاء القوم الاسلام الذين جزعتم منهم ولا أبقي منهم لا كبير ولا صغير ولكن في هذه الليلة يكون بياتك عندنا فقال لها نعم ما أشرتي وبات عندها تلك الليلة بيات أهل الشرك والطغيان إلى أن ارتفعت أجنحة الظلام ونادت في العساكر بأخذ الأهبه ثلاثة أيام فأجابوها بالسمع والطاعة وأخذوا أهبتهم إلى اليوم الرابع وسارت الملعونة بمن معها من العساكر وجدت في السير لهم كلام (وأما ما كان) من عساكر الاسلام فانهم لما طال عليهم المد أقبل الأمير مسلمة على الملك الصحصاح ودخل عليه وقال له يا أخي هل لك مرام في الصيد والقنص فقال له يامولاي نحن في بلاد الأعدا ولا نأمن على أرواحنا من الردا فقال الأمير دعنا من هذا الكلام ياملك العرب اعلم ان الله سبحانه وتعالى قال قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولابد من الصيد والقنص فقد ضاقت صدورنا إذا كان عدونا محصور وجيش الشرك مكسور ايش علينا نحن من بأس فقال الملك الصحصاح الامر أمرك يامولاي ثم انهم انتخبوا من العسكر خمسمائة فارس وخرجوا من العسكر ليلا ومعهم آلة الصيد ولم يزالوا سائرين إلى وقت الضحى فأشرفوا على أرض قد أشرفت أزهارها ورياضها وامتلأت حيضانها بالماء وأعشبت خلواتها وتلونت جنباتها وكلت صفاتها هنالك فرت منهم الوحوش لما سمعت صهيل الخيل فأطلقوا الفهود والسلاقات وانفردوا في الخلوات من كل جانب ومكان وسار الأمير مسلمة والصحصاح وأوسعوا في تلك البطاح ونفرت منهم الوحوش في البر والسبب وأخذوا خلفهم في الطلب ولم يزالوا كذلك إلى أن وقعت الشمس في قبة الفلك فوقعوا في أرض كأنها فرشت بالزعفران وتلك الأرض ممطوره ومن قطر الغيوم مخمورة فرحلت فيها الخيل حتى ان الحصان بقا يغوص فيها لإبطه فترجل الملك من على الحصان وكذلك من تبعه من الفرسان وما ترجلوا عنهم حتى غاصوا إلى أوساطهم

فقال الملك كلمة لايخزل قائلها لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فهم كذلك إذ أشرفت عليهم عساكر الكرج وأظلم الجو فقال الملك هذه والله نصرة أتت لكلب الروم وماكان خروجنا من المدينة إلا فى طالع مذموم ولما نظرت عساكر الكرج إلى المسلمين وهم على تلك الحالة انقضوا عليهم وهم كأنهم العقبان فصاروا يطلبون إلى أنفسهم النجاة فلم يجدوا إلى ذلك من سبيل فهجموا عليهم العساكر وقبضوهم قبضا باليد لابطعن ولابضرب ونزلت العساكر بالقرب من ذلك المكان ولمانظرت بخطوس إلى مسلمة والصحصاح وهم بين يديها فعرفت أنهم مسلمين وقد خرجوا للصيد فقالت لقومها اعلموا ان هؤلاء ما خرجوا للصيد إلا ومعهم عالم عظيم لأنهم مسلمين وهم فى بلاد الروم ولاشك أنهم سبقوا أصحابهم فليركب منكم ألف معى حتى تنظر ان كان رفاق أم لا ثم انها ركبت وقالت لباقى قومها انتظرونى حتى أعود لكم وسارت لوقت العصر فاشرفت على عسكر المؤمنين وكان خيولهم قد تعبت من شدة الركد والطرد خلف الصيد وكانوا تركوهم فى الأرض يرعوا من النبات وأغلبهم نام مما قاسا من التعب فما يشعروا إلا والعساكر هجمت عليهم وحالت بينهم وبين الخيل وقبضوهم قبضا باليد ورجعت إلى قومها والاسلام مشدودين من خلفها فى الحبال ولمانظر مسلمة إلى ذلك علم أنه هالك وعض على أصابعه أسفا وندما ولهفا وقال والله الحق كان مع الملك (قال الراوى) ثم ان الملعونة جلست على سرير من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وأحضرت المسلمين بين يديها وقالت لهم بلسان عربى فصيح ويلكم من أجراكم يا كلاب العرب وحمالين الجلة والحطب على بلاد النصرانية والغزو على أهل ماء المعمودية وحق المسيح لاذيقنكم المنيه ثم قالت أنا أسأل المسيح ان يوقع فى يدى هــذا الشيطان والكلب النباح المسمى عندكم بالصحصاح ومسلمة ابن الخليفة حتى أقطعهم بالســلاح وآخذ منهم الأرواح ثم انها صاحت عليهم بصوت كانه الرعد القاصف او الريح العاصف فاذهلت من كان بين يديها واقف وقالت أين الراهب شماس يقتل هؤلاء الأنجاس (قال الراوى) ولاجل طولة أجلهم كان الراهب شماس تركهم وذهب إلى القسطنطونية يبشر الملك لاوون بقدوم اللعينة وعسكرها حتى يقوى قلبه على قتال المسلمين ولما سألت عنه أخبروها انه ذهب إلى القسطنطونية يبشر الملك بقدومك قالت سوف أبلغه مراده من هؤلاء المسلمين ثم أنها أمرت بضرب رقابهم فاخذوا واحد وضربوا رقبته ومات إلى رحمة مولاه وقدموا الثانى وكان رجــل شجاع وبطل من الأبطال ويسمى مدلاج ابن فهر

والأصل فيه من أرض حوران وكان أطول الرجال وهو على صفة البعير أوالعجل الجاموس الكبير وكان فى أول زمانه يقطع الطريق ويخوف الرفيق وينهب القوافل والتجار وأصحاب القرى والمحافل فبلغ خبره إلى الخليفة فأرسل إليه ألف فارس فكسرها فأرسل اليه الخاتم وألف دينار وأحضره بين يديه وتوّبه واستخدمه وأعطاه خراج الارض التى هو فيها وجعله مقدم على عشرين ألف فارس ولما كان فى هذه الغزوة حضر مع عساكره فقدموه فى هذه الساعة الى ضرب الرقبة فتفكر وقال كيف انهم يقتلونى ولم آخذ بثارى وأنا بطل من الأبطال وكيف أموت مثل الانذال ولا آخذ لنفسى قبل الموت بالثار وتمطأ فى الكتاف قطعه ولما رآه قطع كتافه داروا به من كل جانب ومكان فصار كل من تقرب اليه فيهم لكمه وأقلبه الى أن قتل منهم نحو عن عشرين كلب ولما رأت اللعينة إلى شجاعته قالت خلوا عنه وحق المسيح لقد أعجبتنى شجاعته ثم انها وثبت اليه وعاركته وهو يدمدم عليها مثل الأسد فعندها مكنت يدها من رقبته وجلدت به الأرض وقد انكشفت عورته وكان له سروال قد (عتّ) منْ تقادم السنين وطول السفر فبان لها شىء هائل فلما رأته سالت ريالتها وتحركت شهوتها وفى الحال أمرت برد الاسارى الى الخيام وقالت لمقدمين عساكرها نحن مقيمين ههنا الى أن يأتى شماس ويعرفنا عن هؤلاء الناس ثم انها أمرت للأسارى بالأكل والشرب وأجلست مدلاج الى جانبها ولاطفته وسايرته وقالت له وحق المسيح إن تنصرت لأجعلنك موضع ملك الروم وأكلت معه ثم رفع الطعام وقدم المدام وملئت القدح الاول وشربته وملئت الثانى وناولته الى مدلاج فقال لها أنا رجل مجاهد وحاجج بيت الله الحرام وهذا على حرام فقالت له دع عنك هذا الكلام فانى قد مننت عليك بروحك وكنت السبب فى نجاة قومك وحق المسيح إن لم تشرب وتطيعنى فيما كنت أطلب وتعطينى مارأيت من متاعك لأقتلنك أنت وأصحابك ولما رأى مدلاج منها عين الجد لم يقدرعلى التأخير خوفا على نفسه وأصحابه فأخذ القدح منها وشرب الى أن سكر وطلبته للجماع فلم يقدر على الامتناع فوثب اليها وناهيك بشىء جيد وله عن أهله مدة غائبا فوقع عليها مثل الحمار وأوراها طعن صاحت منه : زنهار زنهار وما زالوا على ذلك الوضع طول الليل الى قرب النهار وهم تارة للشرب وتارة للجماع وتارة للأكل الى أن استكفت ولابقى لها جلد ولا نفس وقد أظهر لها المحبة والوداد وهو يتمنى لها الرقاد حتى يبلغ منها المراد ويستعان عليها برب العباد وقال اعلمى أنا ما بقى لى رغبة فى دين الاسلام

ولما سمعت منه ذلك صدقته وفرحت فرحا شديد وقالت فى نفسها أنا ما يكفينى إلا
هذا المسلم الحورانى لأنه من الأسقام قد شفانى ومن بعده ما أريد عليه ثانى وقد
غلب عليها السكر فنامت وعلا غطيطها فقال مدلاج فى نفسه هذا وقت الفرصه
والغنيمة وتكفير هذه الخطيئة العظيمة ثم انه وثب اليها وجذب سيفها وكان معلقا
فوق رأسها وقد وضع زبابته على صدرها وهمز عليه بقوته فخرج من ظهرها وغاص
فى الأرض نحو شبر وأكثر ثم نزعه وخرج من جانب الخيمة وقصد إلى نحو إخوته
المسلمين ولم يزال يخفى أمره إلى أن وصل اليهم ودخل عليهم فلما رأوه خافوا منه
فقال لهم لا بأس عليكم قالوا من تكون أنت قال أنا مدلاج قد أرحتكم من
هذه اللعينة بنت الأوغاد وان قتلها سببا لتفريق عساكرها ثم تقدم اليهم وحل
كتافهم ولم يجد الملك والأمير مسلمة معهم فسأل عنهم فقالوا ماهم عندنا بل هم فى
الخيمة الحمرا الكبيرة التى بجانبنا فلما سمع مقالهم مضى اليهم ودخل عليهم وكانوا
أحزانه على ما أصابهم وأصاب الاسلام من هذه اللئام وقالوا والله لقد خرجنا من
عسكرنا فى وقت ذميم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وكان الملك الصحصاح
قطع كتافه وكتاف الأمير مسلمة وكسر الحديد وقال له قم بنا نمضى إلى الخيام وننظر
عساكر الاسلام ونخلصهم من هذه الأسقام ونأخذهم ونمضى فى الظلام حتى نصل
إلى العسكر ونخبرهم بهذا الأمر المنكر الذى ما رأينا أقوى منهم وإذا وصلوا عندنا
فى غيابنا تنكسر قلوب العساكر ونحن نكون السبب فى ذلك لأننا ما خرجنا
لانتزه نفوسنا فقال له مسلمة نعم يا أخى قد أشرت بالصواب وهموا للخروج ومدلاج
قد دخل عليهم وقال قد أتاكم الفرج وجعل الله لكم من الضيق مخرج فقالوا
وكيف لنا بذلك فقال يا موالى اعلموا أنه حصل من الأمر ماهو كيت وكيت وقص
عليهم قصة الرمح القصير وما صنع وان له ضربات أعظم من الرمح الطويل ولما
سمعوا منه ذلك ضحكوا ثم انه قال وهذا سيفها وبه قتلتها وسلمه الى الملك الصحصاح
وقال الرأى عندى أننا نأخذ من هذا العدد ما يكفينا نحن وأصحابنا ونقصد إلى
السرادق ويفعل الله بنا ما يشاء فقالوا له لقد أصبت فيما قلت وفعلوا ذلك وأخذوا
العدد وفرقوها على جميع أصحابهم فلبسوها وتمكنوا من عسكر الكفار وصاحوا فى
صوت واحد الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر بالدين النبى خير البشر وقالوا
للملاعين أين تنجوا قد قتلنا ملكتكم بخطوس وحل بكم كل أمر معكوس
وجاءتكم عساكر المسلمين ثم أوقعوا السيف فى أول من وقع نظرهم عليه وتفرقوا

من كل جانب ومكان حول الاربعمائة وثلاثون ألف فارس تمام وداروا بهم فى جنح الظلام ونادوا باسم الملك العلام فكبرت معهم الأملاك فى الأفلاك والحجر والمدر بتوحيد العالى المقتدر فثارت الكرج من موضعها وخرجت من خيامها قاصدين إلى سرادق كبيرتهم فوجدوها قد وقعت فى الهلكة فاندهشوا من تلك الأمور هذا وقد هجم الملك الصحصاح هو ومن معه من الأبطال وأوقعوا الضرب والصياح وثارت نار الحرب واتصل الطعن والضرب وزاد البلا واشتد الكرب وكانت الكرج لما رأت الملكة قتيلة انحلت عزايمهم وطمع كلا منهم فى المملكه وأن يكون ملكا موضعها ووقع السيف فيهم من بعضهم البعض فى ظلام الليل وحل بهم من المسلمين الويل لأنهم كانوا خمسمائة من عسكر الاسلام ما منهم إلا كل بطل ضرغام وفارس مقدام ولما رأت عباد الصلبان إلى أهل الايمان وقد أوقعوا فيهم السيف والسنان من كل جانب ومكان وهم أفنوا أنفسهم فى جنح الظلام وتوهموا أن الدنيا انطبقت عليهم إسلام وكلما كبرت الموحدين يدوى البر عند تكبيرهم وتنزعج الكفار عندما تسمع تهليلهم ويقا الكافر ينظر أخاه يظنه من أعداه يضر به ويقتله ويولى منه فما كان لهم دأب إلا الهرب وكل من كان له جواد سابق أطلق عنانه وطلب الهرب خوفا من الوقوع فى العطب وتركوا أموالهم ونوالهم وأثقالهم وخيامهم غنيمة للسلمين وما أصبح الصباح وفى تلك الأرض والبطاح ديار ولا نافخ نار إلا من هو مرمى فى القفار قتيل ونظر الأمير مسلمة إلى خزائن الملكه وما فيها من الاموال التى تعجز من حملها الجمال ولا يحصى لها عدد إلا الملك المتعال فقال عسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم فلقد رزق الله الاسلام بنصر لم يكن فى الحساب وأنا أقسم بالله أجل الأقسام لو وصلت هذه العساكر الى القسطنطونيه وخرج لنا كلب الروم معهم بعساكره فما كنا ندرى على من تدور الدوائر ولا كنا نرى هذه الاموال لاننا إن كنا لهم غالبين فمن أين نتحصل على هذا المال وأقل مايكون كانوا يفنوا منا عساكر بعدد التراب فقال مدلاج صدقت يامولاى وما كان هذا النصر الكبير إلا ببركة رحى القصير فضحكوا الحاضرين وقالوا صدقت يامدلاج فقال له الأمير مسلمة من جود الطعن والضرب كان سببا لفك الكرب وقد أخذوا ستة آلاف جمال وبغال وهى محملة أموال وذخائر غوال وساروا الى أن وصلوا إلى عساكر الاسلام وكان وصولهم سببا لقطع ظهر

الكفار وظهر (لاوون) لأن شماس كان وصل اليه وأخبره بوصول ملكة الكرج ففرح بذلك وأخذ الأهبة الى لقاءها فلما كان فى ثانى الأيام ووصلت عساكر الاسلام بتلك الأموال وهى محملة على البغال والجمال ومدلاج فى أوائلهم وهو راكب على جواده وينشد ويقول :

أطعن بالرمح القصير مرادى ... إذا كنت راكباً فوق الجواد
لكن هذا الطعن كان وحقكم ... من بعد أسر السادة الأجواد
فطعنت بالرمح القصير محارباً ... فى الليل حتى بلغت كل مرادى
لاوون أبشر بالمذلة دائما ... من أمة المختار طه الهادى

(قال الراوى) ولما وصلوا الى المدينة المستجدة نادى الملك وقال لاتبق دابة حتى تمضى الى نقل الأموال وأقامت المسلمين ثلاثة أيام وهم ينقلون الأموال التى كانت للشام ودخلت الجواسيس على لاوون وأخبروه بما جرى على الكرج فكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه ولا بقى ينظر ما بين يديه وتاهت بصيرته وعميت عينه وقال ما المسيح إلا مسلم كما يقولوا المسلمين وإلا ما كان نصرهم علينا مرة بعد مرة وما هذه إلا مصيبة عظيمة نزلت على النصرانية وأهل ماء المعمودية فقال له البطرك ياملك لاتكفر فسكت وهو لايطيق السكات (قال الراوى) وأما المسلمين فانهم نصبوا خيام الكرج أمام مدينة القسطنطونية وكانت أغلبها من خاص الحرير والجوخ والأطلس وقد ملأت الفلا وسدت المستوى ولما نظرت الكفار الى ذلك انتهى بهم الأمر وقل منهم الصبر وضاق عليهم الحصر وماتوا من الجوع وملئت الأزقة من جيف الرجال والنساء والعيال فقال لاوون أنا عولت أن أفدى ما بقى للنصرانية بروحى وأخرج الى المسلمين فى زى رسول فما أنتم قائلون ؟ فما قدر أحد أن يخالفه فى الصلح ثم انه جمع وجوه البطارقة والقساوسة والرهبان وقال لهم أنا عولت أن أخرج إلى المسلمين وأكشف ما فى نياتهم إن كانوا يريدون الأموال عندنا من الاموال ما يكفيهم وإن كان قصدهم القسطنطونية سلمناها اليهم وبلاد الروم واسعة لنا ونخلص أمة عيسى من هذا العناء فقد أكلوا الكلاب والقطط وفى الآخرة نموت غلط استوى والله عندنا الفقير وأصحاب الدنانير وأنا أعلم أن المسلمين لايقيمون فى بلادنا لأنها لاتصلح لهم خصوصا وهؤلاء العرب الذين تعودوا الفلوات وبر الحجاز فقالوا له افعل مابدا لك بشفقتك على رعيتك فقال ائتونى بملبوس مثل ملبوس البطرك لاتخفى عليهم أمرى فما بقى يكشف هذه الغمة أحدا غيرى ثم انه لبس ثياب البطرك

وقدموا له محفه وشدوها بحبال الصوف وأمر الروم أن ترفع أصواتها بقراءة الإنجيل من فوق الاصوار فنظروا الاسلام الى ذلك واذا بالمحفه أقبلت وفيها (لاوون) ونادوا بالمسلمين وقالوا هذا رسول قادم عليكم ففرحوا الاسلام بذلك وأخبروا الأمير مسلمة والملك الصحصاح فقالوا لاشك انهم أرسلوا البترك وهو أكرم من عندهم فأكرموه وهذه بغلة النوبة عليها أركبوه لأنى سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا أتاكم عزيز قوم أكرموه) فعندها سارت الخدم بالمركوب الخاص الى الرسول واستقبلوه وعلى بغلة النوبة أركبوه ومشوا بين يديه وأكرموه لأن الاسلام مافيهم إلا من تمنى الصلح لأجل طولة غيبتهم عن أولادهم وحريمهم وديارهم ولما قرب الرسول الى السرادق تأهب له الأمير مسلمة وأجلسه على سريره وجلس ملك العرب بجانبه ووقف على رؤسهم الحجاب والمماليك بمناطق الذهب وبأيديهم السيوف مجذوبة ووضع بين يديه كرسى ليجلس عليه الرسول . هذا وقد وصل لاوون الى باب السرادق وطلبوا له الإذن فى الدخول فأذن له ودخل حتى صار بين يدى الأمير مسلمة والملك الصحصاح فعندها صاحت عليه الرجال : الأرض الأرض لخليفة الله فى طولها والعرض فلم يعبأ بهم ولم يلتفت اليهم حتى صار الى الكرسى الذى وضع لجلوسه فأشاروا اليه أن يجلس عليه فلم ينظر اليهم بل تقدم حتى وصل الى الذى عليه الأمير مسلمة والملك الصحصاح وجلس بجانب الأمير مسلمة فعندها صاحت الحجاب والخدم والغلمان فقال لهم الأمير دعوه فما جلس إلا مكانه وأراد أن يعرفنا بنفسه ومافعل هذا الفعل المفهوم إلا وهو ملك الروم ثم قال له اجلس بحق ماتعتقد من دينك ماأنت لاوون فلم يقدر يخالف اليمين فالتفت للامير وهو مبتسما وقال له وحق المسيح مثلك من يكون ملك وسلطان نعم أنا لاوون وقد أتيت اليك وأرميت سلاحى عليك وأنتم تقولوا من رمى سلاحه حرم قتله ثم قال له اعلم أيها السيد أنه ما أخذ من الأنبياء أمر بقتل العباد ولا بخراب البلاد وقد طال حصاركم لنا فان كان قصدكم المال لكم علينا الرضا وفوق الرضا ونعطيكم من المال ما يسد الفضاء والصلح خير ونترك ماقد مضى لأن هذا البلد لاتصلح إلا لأهلها وان كنتم تطلبوا القسطنطينية سلمنا لكم المفاتيح مع طاعتنا لكم وتسليمها فلا يسوى مقامكم علينا يوم واحد واعلم ياسيدى أن الناس هلكوا من الجوع والغلاء وأنت أول من يرحم الضعفاء من الرجال والنساء وان كانت الأديان مختلفة والرب واحد وهو العلى الكبير ونعم المولى ونعم النصير رب إبراهيم ونوح جعل المسيح روحا وانى ماخرجت إليك وألقيت

وحى بين يديك إلا حتى أعلم ما فى نفسك ومرادك وسبب غيبتك عن بلادك وعلى أن أبلغك آمالك وأنت المفضل المالك ثم سكت ينتظر الجواب فسكت أيضا مسلمة عن الخطاب لأنه اندهش من هذا الأمر العجيب وتعجب من شدة جنان عابد الصليب كيف خاطر بنفسه وسلم روحه الى أعداءه ثم انه أراد يستشير الصحصاح فى رد الجواب فعلم الصحصاح بما فى نفس مسلمة فبادر الى الملك برد الجواب ولسان كأنه جلاب وقال الحمد لله مرسى الجبال ومنشى السحاب الثقال ومقدر الأرزاق والآجال الذى انفرد بالبقاء والكمال وخلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار لا إله إلا هو الكبير المتعال أحمده على فضله ونعمه وما أولانا من الكرم والافضال والنصر على أهل الكفر والضلال المشركين الجهال وأمكن من رؤوسهم البواتر الصقال وجعلهم محصورين من وراء الجدار والأطلال وفى الآخرة لهم السلاسل والأغلال حيث أنزل فى كتابه وقال (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال) ولقد كذب من تجبر على الكبير المتعال وقال إن له ولد أو صاحبة أو شبيه أو مثال ! تعالى ربنا جل وعلا عن قول أهل الضلال وأشهد أن لاإله إلا الله واحد لاشريك له شهادة نافية للشرك والشك والضلال ومنجية لمن قالها بالخلاص من الأهوال يوم حمل الأثقال يوم تساق المجرمون الى جهنم فى السلاسل والأغلال ويزاد عليهم بالعذاب والنكال وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم كلما أضاء الهلال الذى من آمن به نجا من الأهوال وقد أرسله على فترة من الرسل والارسال وكان لسان الكفرة قد نطق وقال وبالزور والبهتان قد استطال فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادل بأحسن جدال وأعذب مقال حتى أزال الاختلاف والاعتلال وأعادت قناة الدين معتدلة كالهلال صلاة الله عليه وعلى أزواجه وذريته والآل ما بسطت الأيدى والابتهال فى حمية فى الجهاد وطاعة لرب العباد وغيرة منا على الدين وحمية على الحقيقة لدين سيد الأنبياء والمرسلين وتنزيها للملك الحق المبين المقدس تقديسا وابراهيم وموسى خالق مريم وعيسى ومن أوصل الينا فضله ونصرنا على أعدائنا من عدله فله الشكر على ما أنعم به علينا وذلك فضلا منه لدينا وبعد توحيد الملك العلام والصلاة والسلام على المظلل بالغمام ولابد من فتح هذه المدينة على وغم الكفرة اللئام ولو اننا أقمنا شهوراً وأعوام لأنها أظرف من بلاد الشام لسعة مروجها وكثرة مياهها وأما قولك أيها الملك عن الصلح نعم الصلح خير ونحن نرعى حق وصولك الينا وانطراحك

علينا احتراما لشيبتك وان كانت لا تحترم بل نظرا منا الى ما أنت عليه من العز والشيم ونحن كلنا بسيوف مجذوبة ودرق مكوكبة ولابد لنا من فتح البلد وتنادى بتوحيد الفرد الصمد ونصلى على النبى محمد ونبنى بها جامع أكون أنا الذى أرسمه وأقرره وندخل راكبين بيت المذبح والأذان فيه يوم الجمعة ونصلى فيه جماعة ونريد بعد ذلك جميع ما أنفقناه من المال على أنفسنا من تسع سنين الى تاريخ يومنا هذا كل واحد منا على قدر ما أنفق على نفسه ودوابه وغلمانه وبعد ذلك يضع الأمير مسلمة نائب أمير المؤمنين بقدمه على عنقك إعزازاً لدين الاسلام وإذلالا للروم اللئام فاذا أنت فعلت ذلك قررنا عليك مالا تتحمله فى كل عام ورحنا الى بلادنا بشرط تكون المقاطعة عن كل من فى بلاد الروم وتلك الأطلال والرسوم فانظر الآن ما يكون الجواب لهذا الخطاب والصلاة والسلام على سيد الأعراب . فلما أن سمع الملك لاوون ذلك المقال ضحك ثم قال أيها الملك أجبناك إلى ما تريد ونزيدك أوفى مزيد وأموال فوق أموال على ما اتفق عليه الحال إلا روث الدواب ببيت المذبح تعفونا منه فان الروم يرونه مذموم وما أقول انهم يجيبونى الى ذلك وأما وطىء عنقى ماجرت بهذا عادة الملوك الكرام ولكن أعفوا عنى من هذين الأمرين وأنا أجيبك عن كل ما تريد فقال أما وطىء عنقك فقد أعفيناك منه لأنك جالستنا ونحن لانهين جليسنا وأما الدخول فى بيت المذبح وروث الدواب فيه لابد منه فقال الملك لابد ما أشاور أصحابى فى ذلك وأهونه عليهم لانه أمر علينا فيه مشقة وعلى جميع النصرانية وأنا واحد منهم ولابد ما أشاورهم لأنى لا أعمل عملا إلا برأيهم ولكن مرادى أعرف قدر الجامع ما يكون فقال الصحصاح يكون قدر جلد البعير قال الملك أمر سهل سمعا وطاعة لاخلاف فيما تريدون وقد لزمكم إكرامى واحترامى لأجل دخولى عليكم وحسن ظنى فيكم عندها ادعى الأمير مسلمة بخلعة سنية فاخرة تصلح للملوك الأكاسرة وخلعها عليه وأمر له بجواد من خيار خيله وعليه من الجوهر والذهب مالا يوصف ولا يكيف ومنطقه وتوجه كما تفعل الملوك ثم أمر الغلمان وساروا بين يديه للخندق فلما رأوه الروم عاد اليهم فى ذلك التجمل ففرحوا به وضربوا له البوقات والطبول والنقاريات وفرحا باجابة السؤال وارتفعت الأصوات وعلت الضجات بعودة الملك اليهم وهو قاعدة الصلح والاكرام وفتح باب القسطنطينية ودخل الملك واجتمع بالملوك وأخبرهم بما جرى من أوله الى آخره فصعب عليهم حديث المذبح وبول الدواب فيه وقالوا أيها الملك هذا أمر عظيم ولكنه سهل

وهذا أهون من قتل النسوان والرجال والأولاد ونهب الأموال وخراب الديار وأما حديث المذبح هذا أمر سهل فى ساعة واحدة يتنظف ويغسل بماءالورد والعنبر ونبخره بالمسك الإزفر ولو كان بول كثير يزول بالتبخير والاثم ما هو علينا إنما هو عليهم فقالت الملوك أيها الملك الأمر أمرك افعل ماتريد عندها كتب الملك لاوون إلى الأمير مسلمة وسائر المسلمين بذلك الاتفاق ثم إن مسلمة أقبل على الصحصاح وقال ياملك العرب كيف انك اخترت الجامع قدر جلد جمل فقال له الصحصاح سوف ترى يامولاى ما يسرك ثم امر الغلمان أن ينحروا له بعير يكون فى الخلقة عالى كبير ففعلوا ذلك وأخذ الصحصاح جلده وقده ودوره على هيئة الحيل بالطول فى عرض قيراط فكان بالتقدير ربع المدينة ثم أرسله إلى الملك بحضرة الملوك والبطارقة فلما رأوه تعجبوا من ذلك وقال لهم الملك ترون فقالوا وما نرى هذا نحو ثلث المدينة وأكثر وكيف أجبتهم إلى ذلك فقال أنا علمت أن هذا الشيطان يفعل هذا ويعمل هذه الهندسه انما قلت يعمل على قدر جلدا الجمل ويكون جلدا الجمل يسع خمس رجال أوسته وأما هذا الأمر ما كان لى على البال لأن هذا يسع عشرة آلاف ولكن ما بقى إلى النجاة سبيل ولانقدر على المخالفة لأن البلد صارت فى أيديهم وما بقى لنا يد على الحصار وقد هلكت منا الكبار والصغار فسكتوا الروم عن رد الجواب وأرسلوا للاسلام بالاذن فى الدخول فدخل الأمير مسلمة ووضع الأساس وقد أحضروا له الصناع من من القسطنطينية ومن حولها من الضياع ومن كان فى عسكر الاسلام وأحضروا لهم الأخشاب والأحجار وغيره واستعملهم مسلمة ليلا ونهار مدة تسع شهور تمام إلى أن تمموه وأقاموا البنا وعولت الاسلام على الدخول يوم الجمعة وقد فرشوه بالبسط الملونة والحرير المنقوش وأرادوا المسلمين الدخول حتى يصلوا فيه الجمعة بعد الخطبة فتقدمت الملكه الوف إلى مسلمه والصحصاح وقالت لهم على ماذا عولتم فقالوا ندخل القسطنطينية ونصلى الجمعة فى الجامع خلف الإمام فقالت الوف اعلموا ياموالى ان هذا الأمر ليس بصواب لأن الروم معروفين بالغدر فكيف تطيب قلوبنا أن نسلم أرواحنا إلى أعداء الدين فالرأى عندى انك تطلب منهم رهاين من أولاد الملوك فان فعلوا دخلنا ونحن مطمئنين فقالوا لها نعم ما أشرتى به وعلموا ان قولها صواب فأرسلوا إلى الملك لاوون بذلك فأجابهم وأنفذ الرهاين اليهم وركب مسلمة والصحصاح والوف ومروان بن الهيثم والامير غانم وعطاف وكل أمير ومقدم من الامراء الخواص وأخذوا معهم خطيب فصيح اللسان وتجملوا

بالملبوس والعدد والزرد ودخلوا من باب الذهب وهم فى موكب من العجب مهللين ومكبرين والسيوف مجردين وهم ينادون الله أكبر فتح ونصر نصر من الله وفتح قريب وهزوا سيوفهم فى وجوه الكفار وهم يصلون على النبي المختار إلى أن وصلوا الجامع وصعدت منهم جماعة على المنابر وكبرت لله الواحد القهار وسلموا على النبي المختار فضجت الملائكة معهم والهوام والوحوش والأطيار بلسان الاعتبار ونادت الملائكة فى السما إلهنا ومولانا تعهدت فى هذه المدينة أصوات منكرات وعن التوحيد منكرات والآن فاننا نسمع أصوات التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فسبحانك انك على كل شيء قدير هــــذا ومسلمة يقول ما بقيت أبالى بأى موتة أموت بعد هذا النصر والفتح وأذان المؤذنون فى بلاد الكفر بعد سبع سنين قتال واثنين حصار وبنيت لله تعالى المنابر وعمرت الجامع فليصنع الدهر ما هو صانع لوقت الظهر والخطيب تقدم ورقى للنبر بعد مارقى المرقى وخطب خطبة بليغة وحمد الله فيها وأثنى عليه وذكر محمدا صلى الله عليه وسلم وصلى عليه وقال الحمد لله الذى جعل الحمد لرزقه ثمنا وأخرج لنا من بين لحم ودم لبنا وعمر بالاطلال اطلالا ودمنا فله الحمد على ما أولانا بفتح بلاد أعدانا حيث نطق بذلك محكم كتابه المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين ونزل بعد ذلك وقام بالناس وصلى بهم صلاة الجمعه وأخذوا فى الدعاء وتمت لهم الصلاه وفرحوا بالنصر من عند الله وخرجوا من الجامع ودخلوا إلى بيت المذبح ووقفوا بالدواب حتى زالت وبالت ثم خرجوا بعد ذلك وهم فرحين مستبشرين مهللين ومكبرين إلى أن وصلوا للخيام وحسب لاوون الأموال التى طلبوها وفتح الخزائن وحمل منها مائة بغل من الذهب ثم نزل لمسلمة والصحصاح غير ذلك عشرين بغل تحف ونوال وجواهر ولآل وألف ثوب من الأطلس والحرير خاصة لهم عن مال العساكر وأرسل ذلك كله مع الغلمان للأمراء فى الخيام فلما رأى مسلمه ذلك شكر الله تعالى وأمر العساكر بأخذ الأهبة للرحيل والعبور للجانب الثانى فحملوا الأموال والأثقال للمراكب فى الحال فلم تسعها المراكب لأنها أموال ليست بقليل فأخذوا من مراكب القسطنطينيه ثمانين مركب ثم ان الصحصاح قال لمسلمه اركب يامولاى أنت مع الأموال وخلى عندنا ألفين من الرجال مجهزة للقتال لأننا لانأمن غدر هؤلاء الأنذال فاذا سرت أنت فى الجانب الثانى بالأموال وأمنت عليك أطلقت لهم الرهاين وسرت بعدك فعلم مسلمه أنه فداه بنفسه وبذل مهجته دونه وقد خشى عليه من مكايد الملاعين فشكره على ذلك هو وسائر المسلمين وقال له يامالك

العرب لقد علا فضلك على سائر البشر ولكن جزاك الله خيرا كما أنت أهلا للخير ثم أنه اهتم فى أمر السفر واذا قد قامت الملكه ألوف صاحبة الجميل والمعرف وقلبت يديهما وقالت لهما أنتم قد قضيتم شغلكم قالوا نعم قالت ومابقى إلا مايتعلق بى أنا من الحصون والقلاع التى كانت لأبى وأمرها الآن صارلى وفيها من الأموال مالا يوصف ولا يعد ولا يحصى بعدد الرمل والحصى فننقل جميع مافيها ونرسل بعد ذلك الى ملك الروم يشتريها وإلا أخذتها وأيضا أطالبه باللعين شماس الذى عمل معنا مالا يعمل مع أحد وكان مراده يضرب عنق أخى ولولا من الله عليه بالخلاص على يد أشمونيس وإلا كان هلك وقدرأيتم مافعل يوم السماط وما أتانا بملكه الكرج أحد سواه ولولا العنايه من رب العالمين وإلا كنتم هالكين وإن رحلتم وهو فى قيد الحياه يحرض علينا الروم وأنا أقول لابد من صلبه والقدور معلقة فى رقبته فلما سمع مسلمه ذلك علم أن قولها على صواب فكتب إلى ملك الروم كتاب بذلك الخطاب ومن جملة ما قال فى الكتاب حلف مسلمه والصحصاح وسائر المسلمين أنهم لا يرحلوا ويطلقوا الرهاين حتى يصلبوا شماس لأجل مافعل فى حقهم من الفعل الذميم وان أبيت ذلك لايرحلوا وينقضوا ماوقع بينكم من العهد والميثاق والسلام على من ظللته الغمام وأرسل الكتاب مع بعض الغلمان الى لاوون فلما وصل اليه وقرأه عرف معناه علم أنه ان قصر يضيع جميع مادفع من الأموال لأجل شماس فأنفذ فى الحال اليه وقبض عليه وقال نفدى به ملة النصرانيه وله أسوة بالمسيح لما صلبوه اليهود وهو أعلا مقام من هذا ولدالزنا ثم ان الملك حمل مائة بغل قماش ورحال وهدايا وتحف وأموال وقال للرسول قل لهم هذا الكلب شماس سلمه اليكم افعلوا به ماتريدون لأنه منجوس ورأيه معكوس ولو كان له بركة لظهرت لنا لكن بشرط أنه لايعدم من القلاع حجرا واحدا وخذوا هذا الكلب اعملوا فيه ماتختاروا فعاد الرسول الى عسكر الاسلام بالاموال وشماس على بغل بين البغال وهو مكتوف اليدين مقيد الرجلين وفى رقبته حبل وهو يبكى ويصيح وينادى بالمسيح والروم يبكون لبكاه ويقون يعز علينا صلبك أيها الرجل الصالح ولكن لك أسوة بالمسيح فانه لولم يقبلك ما كان سلم فى قتلك ولم يزل الرسول سائر الى أن وصل الى الاسلام فلما رأوا شماس بصحبته ارتفع منهم الصياح ونادوا بالأفراح فلما وصل اليهم أخذه اللطم من كل جانب ومكان وبلغ خبره الى الأمير مسلمه فقال لاتأتونى به لأنى أخاف مكره وحيله بل اصلبوه على مدينة النصرانية وعلقوا القدور التى عمل فيها السم فى رقبته ولطموا قمتة فعندها نصبوا له خشبة ببكر وحبال وعلقوه

فيها فى الحال والوف تقول له ياشماس من وقت ان قلت انك تمشى على الماء عرفت انك ماتفلح ومن أشرت عليه برأيك ما يفلح ثم أنهم دفعوه وتقدمت له ألوف وقد أوترت القوس نحوه وضربته فارتفعت نحوه فى ذلك الوقت النشاب والحرب ورشقوه الى أن بقى مثل القنفد وكان يوم صلبه يوم مشهود وضربه بعض العربان بقارورة ملآنة نفضا وكبريت فاشتعلت فى جسده بنار ومضت روحه للدرك الأسفل من النار وبئس القرار وبعدذلك قدم مسلمة الى المراكب وملاها بالمال ونزلت فيها الرجال وأقام بعدذلك ثلاثة أيام وعدوا الى الجانب الآخر وبعد ذلك أقام الصحصاح لم يعدى الى الجانب الآخر حتى أنه لايترك شىء فأرسل له ملك الروم يقول ياملك العرب ما هذا المقام على البلاد بعد ما بلغت المراد وان كان بقى لكم حاجه اخبرونى حتى نقضيها ولاتتهاون فقدطالت الأيام فأرسل له الجواب يقول نحن راحلين ان شاء رب الأرباب وأقاموا على ذلك سبعة أيام لما نقلت ألوف جميع ما كان فى قلاعها من الأموال ولم تركت فيها حبة واحدة وأطلقوا الرهاين ورحلوا بعد ذلك طالبين الديار والأهل والعيال وعدوا للجانب الآخر واجتمع مسلمه والصحصاح وكملت الأفراح وباعوا مراكبهم واشتروا عوضهم جمال وبغال وحملوا عليها الأموال وساروا والصحصاح فى أوائلهم وقدنظر إلى تلك الغنائم التى ملأت الفلا وسدت المستوى وتذكر بنت عمه ليلى وأهله وأوطانه فهاج به الغرام فأنشد وقال :

يزيد الغرام بذى المستهام	لأرض الحجاز ولأرض الشآم
فتحنا الجهاد فى كل البلاد	ورب العباد نصير الأنام
أقمنا السنين على أرضهم	وكان الحصار كطيف المنام
عملنا بها جامعا واسعا	لأجل الصلاة وأجل القيام
وقمنا به بعد كون الخطيب	على منبر عالى وصلى الامام
وكانت لنا جمعة لم تكن	لأهل البلاد بطيب المقام
وقد بالت الخيل فى مذبح	تراه النصارى عظيم المرام
وقد رضى الله عنا بذاك	وحزنا ذخائر قوم اللئام
وننشد فى سيرنا بالسرور	ونهدى مع الريح طيب السلام
أياحادى العيس نحو الشآم	ترفق على الهائم المستهام
وعرج على الرمل من عالج	ونح بالحما مثل نوح الحمام

إلى الديار وأرض الحجاز وباد إلى ساكنين الخيام
ولم أنس بالأمس توديعها وأدمعها هاطلا سجام
رجونا نعود على سرعة ونشفى منهم غليل المرام
قضينا السنين بكثر الجهاد وعام تطاول من بعد عام
ومن أجل ليلى أحب الحجاز وجيران ليلى هموفى زمامى
ومن أجلى ليلى أنادى بهم أجيران ليلى عليكم سلامى

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع مسلمة شعر الصحصاح علم أنه زادبه الاشتياق إلى بنت عمه فأخذ يحادثه وجدوا المسير ولله المشيئة والتدبير هذا جرى ههنا (وأما ماكان) من حديث الخليفة عبد الملك بن مروان فانه كان فى كل جمعة يكاتب ولده ويأمره بالجهاد إلى مدة أربعة أعوام وفى العام الخامس عرض له عارض الحمام فأشغله عن ملكه والأحكام فلما أيقن بالموت جمع أولاده وقال اعلموا يا أولادى ان الذى حكم به رب البشر قد حضر والوقت قد اقترب ولا بقى ينفع لا فضه ولا ذهب ولا ينفع العبد إلا ماقدمت يداه ولكن الحمد لله الذى أخرج من ظهرى مثل ولدى مسلمة الذى أخرب القسطنطينية وأذل أهل ماء المعمودية وأنا أرجو من الله أن يكون ذلك سبب الخلاص يوم العرض والقصاص واعلموا أن ولدى مسلمة يكون ولى عهدى وهو الخليفة فيكم من بعدى فاخطبوا له بذلك وكاتبوا له بالخطبة جميع الممالك ولا يخرج أحد منكم عن خلاف والله تعالى خليفتى فيكم ثم أنه بعد الوصية أنشد وقال بعد الصلاة على النبى المفضال

سلام عليكم اننى لمودع وعيناى من خوف التفرق تدمع
فان نحن عشنا يجمع الله بيننا وان نحن متنا فالقيامه تجمع

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فبكا ولده الوليد وكل من حضر من خواص دولته وأرباب مملكته ثم انه بقى كذلك إلى ثلاثة أيام وقضى نحبه ولحق بربه وأصابه من الموت ما على كل مخلوق قضى وجاد عليه المولى الكريم بالرحمة والرضا وواروه التراب إلى رحمة الله تعالى وبعد ذلك أقبل الوليد على اخوته وقال لهم اعلموا أن أخينا مسلمة الآن على القسطنطونية ونحن نعلم مايكون منه ومن عساكر النصرانيه وان سمعت الروم بموت أبى قويت عزائمهم وطمع فينا طامعهم وربما تتفرق المسلمين ويكون ذلك سببا لكسرة المجاهدين والذى أرى من الرأى المعقول وأنتم تجيبونى لما أقول وهو انى أكاتب أخى فى كل حين على

لسان أبى ولا نخبره بموت أبيه ولا نعلمه بالخلافة الذى نصب بها أبيه اليه وأنا أحكم فى الرعيه بالعدل والانصاف كما أمر سيد الاشراف إلى أن يقدم أخى من بلاد الكفار فاذا هو عاد مع المشيئة بالسلامة كنت قادرا ان اخلع نفسى من الخلافة وأسلمها اليه ولا أبخل بها عليه لأنى أعلم انه يستحقها من دونى ويكون ذلك حفظ لنا وله وللمسلمين لأن الرأى السرى أنفذ من الريح السمهرى فقالوا له اخوته لقد رأيت الصواب وأتيت بالأمر الذى لايعاب ثم أنهم خاطبوه بأمير المؤمنين وبايعوه على الخلافة بتمكين (قال الراوى) وكان الوليد دون مسلمة فى العمر إلا أنه كثير الدهاء والحيل والمكر والخداع فأقام يكاتب أخيه على لسان أبيه أربع سنين كوامل وفى العام الخامس عاد مسلمة بالعساكر وهو فرحان بما فتح الله عليه وأقر بالنصر عينيه ولما قرب من البلاد أرسل النجابة إلى أبيه ثم إن النجابة مازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى دمشق الشام ودخلوا عل الخليفة وهم يحسبوه عبد الملك فوجدوه الوليد ولما استأذنوه ودخلوا قدموا الكتب الى بين يديه فأخذها وقرأها وعرف رموزها ومعناها وأظهر الفرح وفى قلبه مافيه من الحزن والترح ثم انه احتجب بقية يومه والثانى والثالث عن الديوان فانكرت عليه ذلك الخواص ودخلوا عليه فى اليوم الرابع بعد الاذن وقالوا له ما السبب الموجب فى احتجابك عنا فقال لهم اعلموا ان أخى مسلمة قد فتح القسطنطينية وأخذ منها أموالا بعدد الحصا والرمال ومعه من العساكر مالو أرادان يفتح بهما الأرض فى طولها والعرض لفعل ذلك ومالى بحربه طاقة ولا على دفعه استطاقة ووالله انى أحبه ولكن ما أحب أن أزول عن الخلافة وقد سمعتم ان معاوية قاتل عليها على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأخى أقل ما يكون معه الآن عشرة آلاف فارس وأنا ما عندى خمسة آلاف ولم يكن أحد أجل قدرا من الحسين بن الامام على كرم وجهه فى شرف المناقب قهره يزيد بكثرة الأجناد والعبيد وقد قيل فى الأمثال العزل هو الموت الأحمر وان دمت على ما حل بى لحقت بأبى لا محاله وأنا قد أحسنت وعدلت فى الرعية ولا يسهل بى الآن ان اخلع نفسى من الخلافة ولكن لابد ما أطلب المشورة من أرباب الدولة ثم انه خرج فى اليوم الرابع الى كرسى سلطنته واجتمع بأرباب دولته وخلا بخواص مملكته بعد ماصرف العوام وأخبرهم بما فى مراده من أمر أخيه وبما فتح الله عليه وقال لهم لابد اذا أتى أن يطلب الخلافة وأنا ان نزلت عنها كان الموت بعينه وان أنا حاربته كان سبب لهلاك المسلمين فانظروا ما عندكم من الرأى الصواب فما خاب من استشار وقد قال الله تعالى لنبيه

صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الأمر فاذكروا لى ما عندكم من الرأى بارك الله فيكم (قال) فلما سمعوا مقاله جعل كل واحد منهم يقول ما عنده إلى أن تكلموا جميعهم ولم يبق أحد إلا وقال على حسب معقوله إلا رجل يقال له عبد الله بن أنس فانه لم يتكلم ومع ذلك أنه كان معروفا بالعقل والتدبير وفى الرأى خبير فأقبل عليه الوليد وقال له أيها الصدر الكامل المشار اليه إذا سكت كل قائل مالى أراك ساكتا ماسكا وما كنت فى مسلك الرأى إلا كاملا ماعندك فأنا أتبع رأيك وأعرف قصدك لأنى أعرفك صاحب لسان كانه لسان سحبان عند ذلك قام عبد الله وقبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين إذا مدح المولى عبده دل ذلك على زيادة فضله كما مدح الله تعالى عباده حيث قال فى كتابه المبين التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله فهذا فضلا منه وانعام وبعد فان العبد يرى الكلام فى موضعه ضايع لأن كل مقام عند العقلاء وله كلام وقد قيل عند العلماء ما عدم الصواب بين أربعة من المسلمين خصوصا السادة الحاضرين والصواب ما يراه مولانا أمير المسلمين لانه من السادة الأماجد (قال الراوى) ثم أنه قال يامولاى ومن هو عبدالله بن أنس حتى انك تستشيره وأنت أولى بالرأى الصواب والناطق بالنيه وما فى الكتاب غير أن أمير المؤمنين قد اقتدى بسيدالمرسلين ويقول رب العالمين حيث قال وهو أصدق القائلين وأمرهم شورى بينهم ولكن اليوم قد مضى وما فى الأمر إلا أمير المؤمنين يعبر لما يهجم الظلام فان الليل فيه تروق الاذهان ويصفو خاطر الانسان فاذا خلى أمير المؤمنين بنفسه يعرض كلام كل من كان عنده اليوم على مكنون قلبه فاذا وقع خاطر المولى على كلام انسان يدعوه إلى حضرته فقد قيل فى بعض الأخبار عن النبى المختار استعينوا على أموركم بالكتمان (قال الراوى) فلما سمع الوليد كلامه على أنه صاحب رأى سديد وقول رشيد وفى مراده أن يجتمع به فى الليل فوثب من مقامه وقد اعتمد على كلامه ولم يصدق متى يرحل النهار ويقبل الليل بدياجى الاعتكار حتى أنفذ خلف عبد الله فلم تكن الا ساعة حتى حضر بين يديه فأمره بالجلوس فجلس قدامه وقال لها هات ما عندك من الرأى أنا أعرف انك ما سكت بالأمس من دون الجماعة الا ومرادك الكلام فى تلك الساعة فقال عبدالله اعلم يا أمير المؤمنين ان العارفين قالت من لم ينظر فى العواقب فما الدهر له بصاحب ومن أراد عظيم خاطر بعظيم وقد قتل قابيل أخاه هابيل لاجل الأمر والنهى وحظ الدنيا فكيف محاربتك أخيك لانه أقل ما يكون

فى خمسمائة فارس من الأمراء الكبار الألفيه المشهورين وجمع العساكر غير قليلين ومعه من الأموال بوزن الجبال مالو أراد أن يستخدم به أهل الأرض لفعل ذلك وكان عليه سهلا وهو بالخلافة أحق وأولى لأن أباك أوصى بها اليه ومنّ بها عليه وليس عندى من الرأى غير قص جناحه الذى به يطير وعقر فرسه الذى يحارب عليه وبه يغير واعلم أن أخاك ماوصل الى ماوصل اليه إلا بملك العرب وهو الصحصاح لأنه كان له باب النجاح وكان لباب القسطنطونية مفاح والرأى عندى أنك تفتح خزاين أبيك وتظهو مافيها من الذخائر والدر والجوهر ويهون ذلك عليك إذا حضر بين يديك إن أردت أن تكون أعز قومك يكون بمالك وتضيق على من يعاديك المسالك لأن من عرف مايطلب يهون عليه مايبذل وتكتب لأخيك كتابا تهنيه بما فتح الله عليه وتعزيه فى أبيه وتعلمه بموته من حيث مات ثم تخبره أنك ماكتمت موته إلى الآن إلا اشفاقا على عساكر الايمان حتى يتشوش قلوب المجاهدين وربما كانت تطمع فيهم الكفرة والمشركين وترسل له انى جلست فى الخلافة من وصية أبيك حفظا للبلاد واطمأنانا بالعباد وقطعا لمطامع أهل البغى والفساد وإنى منتظر قدومك فى طالع السعود ويجرى الماء فى العود ويعود الزمان إلى الشباب إذا حضر السيد المهاب وتختم الكتاب بهذه الأبيات :

الحمد لله هذا غاية الأمل　　　بدولة عدلت عن سائر الدول
جاهدت فى الله حتى نلت جنته　　　وفزت بالاجر فوز السادة الأول
وعدت فى حلة الاقبال متصلا　　　عن العدو بعزم غير منفصل

قال ثم انك بعد ذلك تكتب كتابا للصحصاح تهنيه بقدومه سالم غانم وتشكره على أعماله وحسن فعاله ونصيحته للمؤمنين وقتاله للكافرين وتختمه بهذه الأبيات تقول بعد الصلاة على الرسول :

طار طائر السرور بالأفراح　　　يخبر بالمنا ونجم الفلاح
ويقهر العدا من كل كلب　　　ويفتح البلاد بالصحصاح
هو سيف المسلمين بغير شك　　　وجناح الامام نعم الجناح
دام فى نعمة وملك عظيم　　　وسرور ونعمة ونجاح

ثم تكتب كتاب آخر بخطك بأنك تعطية جميع ماطلب وتبلغه ما أحب وتعطيه الذخائر والذهب وتعطيه من دمشق إلى حلب امرة العرب ومن الحجاز وتكتب له من صنعاء الى عدن وتزيد له فى النعم وتجعله مقدم على سائر العوب والعجم وتعلمه

أن جميع ما وصل اليك من وصية أبى حتى أنه يزداد رغبة فيك وأنا أزور لك كتاب عن خط أبيك حتى أن أبيك لم يشك فيه وتذكر فيه أننى قد كنت جعلت مسلمة ولى عهدى ورجعت عن ذلك ورأيت المصلحة فى الوليد لأنه أولى بذلك وأصلح لتدبير الرعايا والمملكه والسبب فى ذلك أنه بلغنى عن مسلمة أنه ترك عسكره وصعد الى قلعة مع صبية من الرروم تسمى ألوف وكان لها محبا والوف زائدة فتون بتلك العيون التى لايشتغل بها المجنون ولولا فتح الله على المسلمين بالنصر على الأعداء الكافرين لكانوا شربوا كاس الردا ومن فرط فى نفسه وفى عساكر المسلمين لا يصلح أن يكون إمام ولا خليفة للاحكام وإنى رأيت المصلحة فى الأمام المشفق البازل المنفق ولدى الوليد فان له عزم شديد وأنت سيفه القاطع ودرعه المانع وقد أوصيته أن يلتقيك بجميع ذخائرى وأموالى لتعلم صدق مقالى وعلى الله تعالى وعليك اتكالى فى حال ولدى الوليد وإن شاء الله تعالى ينال بك مايريد وقد كنت اتخذتك فى حياتى ولدا وسيفا على الاعداء مجردا فكن لولدى بعد موتى ناصرا وسندا ثم تضمن الكتاب هذه الابيات

قد كنت ياولدى عليك معولا إذ كنت سيفى فى زمان حياتى
فاجعل مكافأتى وحسن صنائعى نصر الوليد يكون بعد مماتى
يوم القيامة تلتقى لا تستحى منى إذا سارعت فى طلباتى

ثم قال ياأمير المؤمنين وينبغى للرسول أن يكون حاذقا أوفى نصيحته صادقا حتى اذا وضع المال بين يديه أخذ يده للمبايعة فان الصحصاح ان بايعك فالموضع موضعك ولم يبق لك منازع وان لم يبايعك فقد منعتك الموانع فانظر يا أمير المؤمنين من تثق به ويعول عليه فقال الوليد والله لقد أشرت فنصحت وسوف أفعل ماالیه أشرت وأخرج أموال وذخائر إذا رآها الصحصاح لان ولو كان قلبه صوان ولكنى أعلم أن مالهذه الرسالة سواك ومايضيع عندى تعبك ولاعناك فسر فى هذا الأمر ودبره ورتب كلامك وقرره وما أعرف هذا الأمر إلا منك فعند ذلك أطرق عبد الله رأسه إلى الارض مليا ثم قال يا أمير المؤمنين أنت تعلم أن هذا الامر الذى نحن فيه ان لم يكن عاقبته الاجابة الى ذلك والا فانك لاشك هالك فاذا اتفق رأى مولانا أمير المؤمنين أيده الله تعالى ان يستندب فى هدا الامر غيرى فليفعل ويعافينى من هذا الأمر المعضل فقال الوليد والله ياعبد الله ماعندك محيد ولم يقوم أحد مقامك ولا يقدر غيرك يرتب كلامك فشمر عن ساعد همتك فمالى غنى عن مشورتك فعاونى على الشدائد

وساعدنى على هذه الاوايد فقال عبدالله السمع والطاعة ياأمير المؤمنين أنا كما قال بعضهم

إذا لم يكن المرؤ للسفينة راكبا فليس من الانصاف الا ركوبها
وصمت الفتى خير له من كلامه اذا النفس يوما أولغتها ذنوبها

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان الوليد فتح خزائن أبيه عبد الملك بن مروان التى من قديم الزمان وأخرج منها اليواقيت والجوهر ومن كل شىء فاخر مالا يقدر ملك على مثله ولا رأى أحدا شكله ومن جميع أصناف الجوهر الرطب الكبار التى ليس يوجد مثلها فى سائر الاقطار وسبائك الذهب ومن أوانى الاطباق وعصائب الجوهر فقال له الوليد ان هذا ملك جليل المقدار ولا يقع عليه عيار فان تم لى هذا الامر الذى أريد وأختار والا دبرت على هلاكه عند الفراشين والجزار فانه يقال فى الامثال النار ولا العار ولا يسمع فى الآفاق انى كنت خليفة بلا استحقاق ويكتب فى التواريخ انى عزلت عنها وخلعت منها والله ان الموت والمهالك أهون على من ذلك فقال عبد الله بن أنس الاموى الامر أقرب من ذلك وها أنا باذل نفسى فى خدمتك وأجهد فى بلوغ أمنيتك مع طلبتك فشكره الوليد على ذلك القول الحميد وفرح عبد الله بن أنس وجهز أمره وعمل شغله باهتمام وتجهز فى ثلاثه أيام وخبا جميع ماعنده من الهدايا الظاهرة إلى الامير مسلمه والباطنه الى الامير الصحصاح بن جندبه الكلابى وقد كتب كتاب على لسان عبد الملك بن مروان كما قد ذكرنا خطه وكتب باقى الكتب كما وصفنا ورفعت الصناديق الرجال على ظهور الجمال وفيها من الاموال والهدايا والتحف التى قد ملأت الفضا وسدت المستوى (قال الراوى) فهذا جرى مهنا وأما الامير مسلمه فانه وصل الى مرج يقال مرج العيون وقد شاع موت أبيه فى سائر الآفاق والركبان وسمع أيضا الامير مسلمه بهذا الشأن فاجتمع بالامير الصحصاح وانفرد به عن المسلمين فى مكان خال من الناس وقال له يا أمير انى قد سمعت بموت والدى أمير المؤمنين فقال له الصحصاح والله ياسيدى انى سمعت ذلك من مدة ثلاثة أيام وكتمت عنك ذلك اشفاقا على خاطرك الكريم فان كان هذا الامر صحيح فهذا شىء لابد منه لكل أحد ولا يبقى الا الله تعالى كما قال فى كتابه العزيز كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وما مات من تكون أنت ولى عهده ولا يموت من أصبحت أنت الخليفه من بعده ثم إن الامير الصحصاح قام من وقته وساعته وقال بلسان طلق مبين السلام عليك يا أمير المؤمنين أنت خليفة الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه ثم أشار يقول

لقد زاد فى خاطرى بهجتك وقد أشرق البدر من طلعتك
فأنت الإمام وابن الهمام وعز الشريعة من دولتك
وإن منابر جميع البلاد تحن اشتياقا إلى رؤيتك
كذلك عيون جميع الأنام تحن وترغب فى خطبتك
وإن رامها فى البرايا سواك يكون قتيلا غدا نقمتك
وانى عبيــــدك لا أنثنى الى أن أرى الأرض فى قبضتك
وما زلت تغمرنى بالجميل وإنى غريز يدى نعمتك
ورحمة ربى على من مضى ويفتح ذا العرش فى مدتك

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الأمير مسلمة كلام أمير العرب الملك الصحصاح وشعره شكره على ذلك ثم بكا وقال ياصحصاح لا خير فى الدنيا لأنها دار غرور ثم أنه أنشد يقول هذه الأبيات :

صبرنا على نائبات الزمان وكل ما سوى الله لاشك فان
قضى والدى نحبه بعدما رأى عزه مع بلوغ الأمان
وأعرض عن قصره والديار بظلمة لحد وضيق المكان
مضى آدم قبلنا ثم شيث ونوحا من بعده فى الزمان
وموسى وعيسى ومات النبى شفيع الانام قسيم الجنان
ومات الصحابة والاقربون ومن قبل قدمات عبد المدان
ومات أبى وانقضى مجده بهكنت أدفع صروف الزمان
فمن كان ذا فطنة لايسير بموت أبيه وذكر التهان
ولست أهنأ بغير الذى يخلصنى من عذاب دهان
وأرجو من الله غفرانه فقد أغلقت فى الخطايا يدان

(قال الراوى) لهذا الكلام ياساده يا كرام وأقام الأمير مسلمة ليالى وأيام شاكية بلواه باكيا من عظم مادهاه وهو يقول اذا مات أحد الوالدين فقد أغلق أحد أبواب الجنة فى وجه الولد ويبقى عيشه منكد وقد أنشار يقول

حقيق لعينى أن لا تناما وقد صحب الجسم منى السقاما
رمتنا الحوادث من قوسها بأسهم حنق وتسبى الكراما
ومن شأن ذا الدهر يبدى الذى تراه من الانقلاب الهياما
لقد مات كهف اليتامى الذى شفوقا على قومه واليتامى

ومات الذى كان يعطى الجزيل ويأوى الغريب ويكفى اليتامى
ومات الذى كان للمسلمين ومات الخليفـة عاما فعاما
لقد أوحش الأرض لما مضى وأبكى الحجاز نعم والشآما
فياليتنى كنت عاينتـه ووافقتـه بشرب الحماما
إذا مات والدى المرتجى قرأت على العيش منى السلاما

(قال الراوى) وكان ملك العرب الصحصاح يسليه ويذكره فضل الله تعالى الذى هو فيه وبأمير المؤمنين يناديه وبخلافة الدنيا يهنيه (قال الراوى) فهو كذلك وإذا بغبار قد ثار وسد الأقطار من نحو بلاد الشام وقد طلع كأنه آكام أو غمام وقد وصل فارس يركض ويخبر أنه وصل رسول من دمشق الشام من عند الوليد الى الأمير مسلمة يعزيه فى أبيه وبخلافة المسلمين يهنيه التى نص بها أبوه فيه فهاجت بقلبه بحار الأحزان وتذكر الأمير مسلمة ما جرى له من العيش اللذيذ من قديم الزمان وأنّ أنين المشتكى من ألم الفراق وأنشد يقول هذه الأبيات :

وقلب حزين لأجل الفراق وصب ينوح كنوح الحمائم
لقد نغص العيش فقد الامام وصغر عندى جميع الغنائم
وما الموت فى الناس إلا سوى يموتون قهرا بشرب السمائم
وقد كنت أرجو رجوعى الى معالى أبى بجمع الغنائم
وما كنت أحسب هذا الحساب بأن قد تقوم عليه المآتم
أتانا الفراق بما لايطاق وطارت بذكره طيور الأشائم

(قال الراوى) ووصل عبد الله بن أنيس ومعه الهدايا الكثيرة من أنواع الاموال التى لاتعد ولا تحصى إلا انه قد أيس من الحياة وأيقن بالوفاة ولايدرى على ماذا يقدم فهو أسير الفكر والندم ومتحير من عاقبة ما عليه عزم ثم انه فى ساعة الحال نزل وضربت له الخيام وبعث الى الامير مسلمة تلك الهدايا التى أتى بها صحبته وحضر الى بين يديه وألقى كتاب العزيز اليه ثم انه قرأ الكتاب والآخر بالتهنئة بالخلافة ثم وثب بعد ذلك باكيا وأشار الى الامير مسلمة يقول ونحن وأنتم نصلى على طه الرسول

ألا ان ليلى ليل حالك ومن جور دهرى أنا مرتبك
اذا كان خير الورى فى الثرى وكل على أثره قد هلك
فكم ملك بات فى ملكه وأصبح أسير الردى قد هلك

وما الأرض إلا كنار الجحيم   وكل بهـــا صاغرا قد سلك
فلا زلت فى نعـــمة جمة   ومن ضلّ فى ملكنا يهد بك

(قال الراوى) فشكره الأمير مسلمة على ذلك وقال له ياعبد الله لا زلت محسنا الى الآباء والأجداد والاخوة والاولاد ولك معنا السهم الوافر من غنيمة الكفار ومافتح الله عز وجل به على المسلمين الابرار (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم رجع عبد الله الى خيمته وهو متفكر فى قصته حيران فى عاقبته ولم يزل فى فكرته ساهياً إلى أن ذهبت عساكر الضيا وأقبلت عساكر الدجا وكان قد حمل الى الأمير الصحصاح ما أعد له ظاهر فى النهار ودفع اليه الكتاب جهرا وبعث الرسالة الأخرى فلما انسدل الظلام خرج عبدالله بن أنس من مضربه ووقف على سرادق ملك العرب الصحصاح فاستأذن له الخادم نجاح فأذن له بالدخول فدخل فوجد الأمير الصحصاح جالس ليس عنده أحد يتهجد ويتعبد فقبل الأرض بين يديه وقال له اعلم ياملك العرب انى ما جئت فى هذا الوقت إلا لأمر سعده راجع اليك وبركته واصلة اليك كتب عبد الملك بن مروان قبل موته وهو يأخذ عليك العهود والمواثيق بأن تكون لولده نعم الصاحب الشفيق والخليل الصديق ويقول لك يابنى قد علمت ماتقدم لك عندى من الود والفعل الكريم وليس للوليد من الخلافة غير الخطبة ولك التبرك والرتبة وله الأمر فى المؤمنين وأنت المحكم فى البلاد أجمعين وله الاسم ولك المعانى وأنت سيفه وصارمه اليمانى وله دمشق بالحق ولك أنت الغرب والشرق والترك والعرب والديلم وقد حمل اليك جميع مافى خزائنه عن وصية أبيه وملك بنى أمية كله عن بكرة أبيه ومثلك من يقربه ويعطيه وأنت تعلم أنه قد جلس فى دست الخلافة وأحسن الى جميع الرعية وخطب له على رؤوس الاشهاد فى هذه السنين بأسرها وعرف حلوها ومرها والعزل هو الموت الاحمر وهو فى ثلثمائة ألف فارس وراجل وقد أحسن الى الارامل والأيتام والناس بولايته فرحين مستبشرين لايرون سواه ولا يريدون إلا إياه وهو إمام عصرك وقد جعل الله أمره فوق أمرك ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وأنا الرسول فى هذه المادة فأحسن الخطاب فيما تقول ثم نادى فى غلمانه فدخل أربعمائة غلام يحملون الاموال والذخائر والدر والجوهر مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (قال) ومن جملة ماحمل من الهدايا طاووس من الذهب الاحمر وقوائمه من الزمرد الاخضر يمشى على بكر من الجوهر فاذا استكمل عشرين خطوة يرتفع جناحه وينفتح باب من الزمرد الاخضر له مصاريع ياقوت أحمر

يرمى بعشرة بنادق وهى عشر درات كل درة تساوى خراج الدنيا (قال الراوى) وطرح بين يديه الشباك التى هى من اللؤلؤ وقطع الياقوت البهرمان وعشرين صندوق فيها عشرين حق من الاحقاق الذى ليس مثلها فى الآفاق كل حق منها يساوى ملك العراق فلما نظر الأمير الصحصاح الى ذلك طاش عقله وتحير لبه فعرف عبد الله بحاله فطابت أحواله وقبل الأرض وقال له يامولاى ومع هذا الانعام كله أنت تكون الامير والملك والمشير والصاحب والوزير ولا يقطع أمير المؤمنين أمرا دونك ولا يثبت حكم إلا بك ثم انه أشار إليه يقول :

هل أنت كهف للوليـد مانعا　　وأنت الصديق مابرحت صادقا
له دمشق وحـــدها مفردة　　وقد ملك للغــــرب والمشارقا
فـلا تخالف من غدا خليفة　　قام بأمر الله يرضى الخالقا
قد أنصف المظلوم فى قضائه　　وعدله قد شمل الخــــلائقا
وجوده قد طبق الارض وقد　　أصبح فى أكمل نداه غارقا

(قال الراوى) ثم انه مد يده الى ملك العرب الصحصاح وطلب منه المبايعة وقال لا تخرج الى المراجعة فقال الأمير الصحصاح وقد بهت من كلامه وماقد وضع بين يديه وماقد أنعم به الوليد عليه اعلم أيها السيد أن الصبا نوع من الجنون والأمير عطاف عمى وهو صاحب الرأى السديد ولابد من رأيه وهـذا مال مايرده ذو عقل فـكن مكانك لما أعود اليك وأنا ماضى لاغلام ولا حاجب حتى يكون سرك ذايع (قال الراوى) ثم وثب الأمير الصحصاح وأيقن عبـد الله بن أنيس الاموى بالنجاح وقال ان المـال فضاح ولاسيما هذه الدنانير الصحاح ثم ان الصحصاح سار طالب سرادق مسلمة بن عبد الملك بن مروان ودخل عليه من غير استئذان فتلقاه مسلمة وقد تعجب من قدومه فى تلك الساعة المظلمة وقال له ما الذى أتى بك فى هذا الليل الذى قد أقتم بظلامه فأعاد عليه جميع ما سمعه من عبد الله وأسلمه بمـا قدمه اليه وبمـا أتاه قال فعند ذلك تغير لون مسلمة من الاحمرار الى الاصفرار وصار كالبهار بعد ما كان كالجلنار ثم انه أقبل على الصحصاح وقال له ما الذى ترى فقال وما عسى أن أرى وحصان سعادتك فى ميدان إرادتك قد جرى ثم انه أشار اليه بهذه الابيات :

حلفت بمن نصب الراسيات　　وشق العيون وأجرى البحارا
ومن خلق الجن من مارج　　وآدم ذو الفخر حقا جهارا
وحق النبي رسـول الإله　　ومن فاق كل البرايا افتخارا

لو انى أعطيت ملك الملوك   وما ملكوا قدرة واقتدارا
وانى عبدك طول الزمان   وأبذل نفسى إليك انتصارا
وأضرب بالسيف صحب الولىٰ   وأقتل فيهم نارا جهارا
الى أن أرى لك ماقد رجوت   إماماً ومحترماً لن تبارا

(قال الراوى) فلما سمع مسلمة ذلك الكلام من الصحصاح وثب اليه وضمه الى حضنه وقبله بين عينيه فقال له الصحصاح قم يامولاى معى وتزيا بزى عمى عطاف واسمع مايقول ذلك الشيخ من المقال وانظر ماأتى به من المال (قال الراوى) فعندذلك قام مسلمة وقد تعمم وتلثم وسار ويده فى يد الصحصاح الى أن وصلوا الى السرادق فلما رآه عبد الله أيقن ببلوغ مناه وقال لاشك هذا عطاف وقد حصل لى فى هذه الليلة الاسعاف ثم انه قام لهما قائما وأشار الى الارض لاثماً فلما استقر بهما الجلوس أقبل الصحصاح على عبد الله وقال له أعد على عمى ماقلته حتى يسمعه (قال الراوى) فعند ذلك أعاد عبد الله كلامه جميعه ثم قال فى عقب ذلك وأنت ياعطاف لابد ما يشملك من الخليفة الانعطاف ويحصل لك الغناء والاسعاف ويعطيك مثل ما أعطى الصحصاح وأضعاف فمد يدك للمبايعة والائتلاف وأشر على الصحصاح بترك الخلاف (قال الراوى) فعند ذلك عقد مسلمة القاف مع الكاف وقال له يا وجه العرب ليس الخيانة من شروط الأمانة وكيف يخاف الأمير مسلمة ومنزلته عند كل ملك معظمه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عبد الله ذلك أيقن أنه مالك ثم انه قال للصحصاح فما الذى تقول أنت فى هذا الكلام أيها الفارس الهمام فقال الصحصاح أما ماذكرته فلا نفعله ولا نسمع هذا القول ولا نمتثله وأما سرك فلاندعيه ولا نعلم به مسلمة ولا نسعى فى الفساد قال فلما علم عبد الله بذلك قال مالى إلا أن أسقيهما المهالك ثم أقبل عليهما وقال لهما اعلما أن عندى شىء يساوى هذا المال جميعه ومثله أضعاف واذا رأيتما ذلك ما يسعكما خلاف (قال) فلما سمع الصحصاح ذلك المقال ظن أنه قد بقى عنده شىء كثير من المال فقال له ياوجه العرب قوم وبينه وعجل واعلم أن خير البر عاجله فاذا أردت رغبتى أجبتك الى ماتريد وليس على ماحملته من مزيد فقال يامولاى خذ هذه التفاحة وخرج له تلك التفاحة وطاب منه بذلك الراحة حتى يكتم أمره ويستريح من شره (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندذلك مد يده الصحصاح ليأخذها منه فصاح عليه مسلمة إياك يا صحصاح أن تأخذها منه وتشمها فتهلك ويقتلك سمها ثم انه كشف اللثام عن وجهه فعرفه عبد الله فغاص فى الأرض ودخل فى بعضه البعض وحل به الارتباك وأيقن بالهلاك هذا

والصحصاح قد ألقى التفاحة من يده وقد كثر على عبد الله غيظه ثم ان مسلمة أخذ تلك التفاحة التى من العنبر واذا بالخاتم الذى فى يده يقطر مثل ماء المطر ثم انه أقبل على عبد الله وقال له ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة لولا تلومنى فى ذلك جميع البرير لكنت أهلكتك ولقد قدمت على أمر عظيم ولولا ما بينى وبينك من النسب لكنت أسقيتك كاس العطب (قال الراوى لهذا الكلام) هذا وعبد الله ما بقى فيه حس ولا حركة وأيقن بالقتل والهلكة وغاب عن الوجود وقد تخبل وعلم أن ذنبه الثانى أعظم من الأول وندم حيث لاينفعه الندم وأيقن بالهلاك والعدم وأنشد يقول من كبد محزون :

ندمت على ما كان منى جهالة ... ومن يتبع ماتشتهى النفس يندم
وقد قيل يسعى المرء يوما لحتفه ... ويمشى برجليه لما ليس يعلم

(قال الراوى) ثم انه بقى مطرقا الى الارض بحدقته وهو متوقع وقوع الصارم فى قمته فقال له مسلمة ما هذا الاطراق ياشيخ النفاق فلقد علاك الخجل وحل بك الذل والخبل قال فعند ذلك وثب الصحصاح وجذب سيفه وأراد أن يضرب به عنقه فمسك مسلمة يده وقال له اصبر أيها الأمير حتى نسمع منه مايقول وان لم يقل الحق تركته مقتول ثم انه أنشد يقول :

أيامالك العرب كن صبورا ... فصبر الرجال دليل السداد
ومن كان ذو عجل فى الامور ... فذاك دليل لقرب الفساد

(قال الراوى) فامتثل الصحصاح ما أمره به الأمير مسلمة وقال له اعلم أيها الأمير أن أخى الوليد فعل فعلا ما فعله أحد من قبله وهو لايليق بمثله لأنه قد بعث جميع مال أبيه وهذا يدل على فساد النية وما كفاه هذا الذى فعله من الفعل حتى عزم أن يكون لى محارب فقال الصحصاح يامولاى أنا أكفيك أمره وأمر من بغى عليك ثم انه أنشد يقول :

أمير المؤمنين قد بقيت فينا ... مطاعاً يا أمير المؤمنينا
ومن عاداك يلقى كل نكبة ... واتركه على الرمضا رهينا
وأترك جيشه فى كل قفر ... حيارى فى القفار معفرينا
وأقهر حزبه حتى يدانى ... عدوك اننى بطلا رزينا
سأجعله على البيداء ملقى ... ويبقى عبرة للناظرينا
وأنت العروة الوثقى علوا ... وأنت خليفة الرحمن فينا

(قال الراوى) فعند ذلك قال له مسلمة على مهلك يا أخى حتى أخبرك بما فى سرى وعلى نيتى فأنت بعون الله عدتى وعمدتى فقال له ما الذى تريد يامولاى قال أريد تستدعى أقوام العرب الذين معنا وتدعهم أن يأتوا إلى ها هنا قال فعند ذلك أرسل الصحصاح خلفهم فحضروا كلهم فلما استقر بهم الجلوس أقبل مسلمة على عبد الله ابن أنس الأموى فعند ذلك أيقن بعظيم البلاء وقال له قم قائما على رؤس الاشهاد وقل ما جئت به بلا زيادة ولا نقصان قال فعند ذلك قام عبدالله على قدميه والناس جميعا ينظرون اليه وقال يا معاشر الأصحاب قد أمرنى أمير المؤمنين ان أقول ماجئت فيه وأبدى جميع معانيه والله انى كاره عبادته فى البداية والنهاية ولكن كلام أمير المؤمنين لايقابل الا بالسمع والطاعة وأما مولاى الصحصاح فمثله من تكاتبه الملوك وكل أحد يحدث نفسه بالصلاح وإن كان الوليد قد اختار لنفسه الخلافة دون أخيه فما هذا غدرا فيه لأن طلب العلو فى الدنيا من غرض الطباع وما زالت الدنيا توقع الكدر بين الوالد والولد وماحلى جسده من حسد وأهل العفو بالعفو يغفرون ثم انه قص جميع ما أتى فيه وأظهر للحاضرين سره وماكان يخفيه وأنشد يقول

ان الكرام اذا ما استعطفوا عطفوا   الا اللئام إذا ما استعطفوا سرفوا
لقد وقفت وقوف الذل معترفا   وقد تعين لى من مقلتى التلف
فان عفوت فعفو الله تدركه   يوم القيامة والاشهاد قد وقفوا

(قال الراوى) ثم ان عبدالله سكت فأطرقوا الحاضرين وهم فيما قال عبد الله متفكرين هذا وقد أيقن عبدالله بالعطب وعلم أن زوجته فى تلك الساعة تذهب فعند ذلك قال الامير مسلمة كيف ترون هذه الطائفة الباغية وان أبى عبد الملك قبل موته جعلنى ولى عهده وأن أكون الخليفة من بعده وقال هذا أكبر أولادى وأكثرهم رشد وسداد وأخبر منهم بمصالح العباد وقد بعثنى الى مقام الجهاد وافتخرت بذلك على الآباء والأجداد وقد فتح الله على أيدينا البلاد وبلغنى غاية السؤال والمراد وقد أغصبنى على منصبي أخى الوليد وجلس عل كرسى الخلافة بفعله العنيد وقد استطال الخلافة والمقام ورفعت على رأسه الرايات والأعلام وخاطبوه بأمير المؤمنين وخطبوا له على المنابر المسلمين وها هو بذل هذه الأموال لأجل مبايعة الصحصاح وطلب بذلك أن تكون الخلافة مبالغ ولا بد أن يكون الوفا من الوفا وأكون قد أحببت الآخرة على الدنيا بل أقول وأبين لكم مقالى بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى أشهدكم انى قد نزعت الخلافة من قلبي وهى التى نص بها أبى لى وقد جعلتها فى أخى الوليد

وأنا من جملة لعبيد ولا أخالفه فيما يريد وهذا عبد الله قد وهبته نفسه وذنبه وبلغته قصده ثم انه أنشد وجعل يقول

الا فالعفو من شيم الكرام ولاأصغى إلى فعل اللئام
وان أخى الوليد كما زعمتم وقد بابعته نعم الامام
وهذا الشيخ ان له حقوقا على عنق على رغم اللئام

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان مسلمة قال لعبد الله قم ياشيخ مديدك فهذه مبايعتى لهذ الامام امام هذا العصر والاوان الخليفة على كل مسلم فى هذا الزمان وهذا اعتقادى ودينى وها أنا قد مددت اليك عينى فلما سمعوا الحاضرين كلام مسلمة تعجبوا من تلك الفعال المكرمة قال وكان عبدالله قد أيقن بالهلاك والعدم فلما سمع من مسلمة ذلك الكلام أخذه الفزع والهيام وظن أنه فى منام وعلم أنه قد أدرك المقصود المرام وبادر إلى القيام وقبل موضع الأقدام وقال هذا مقال الكرام المؤيدون بالانعام ودام الله أيام الامام (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما بايعه مسلمة أقبل على الصحصاح وقال له يا أخى بايعه فأنت أهل الدين والصلاح والخير والفلاح وقد تاب هذا الشيخ عن هدية التفاح فبايعه وأقبل عليه وقال من اليوم لايهادينا ولانهاديه قال فعند ذلك ضحك الصحصاح حتى غشى عليه وقال سبحان من يزيد فى الخلق ما يشاء فلقد أعطاه الله الآمال وحصل له السعد والاقبال ثم ان الصحصاح بايع لعبد الله وأطاع مسلمة فيما دعاه قال ثم ان مسلمة أقبل على الصحصاح وقال له خذ هذا المال والغنايم كلها لك فعند ذلك نهض الصحصاح وأخذ تلك الأموال ومضى مسلمة إلى سرادقه وقد زاد بهم الشوق وطال عليهم الطريق كما قال بعضهم

بنتم فما نظر الولوع بكم شيأ يسر به يوما ولا فرحا
والشوق نحوكم ما زال يقلقنى حتى بقيت أسير الشوق والترحا

(قال الراوى) فعند ذلك كتب عبد الله الأموى الى الوليد يخبره بما جرى وما كتمه شيأ ويبشره ببلوغ الآمال والمنا وختم الكتاب بهذه الأبيات

امام المسلمين هناك يوما طلعت به على الخلق السعود
بلغت بنعمة الرحمن منها مرامك ثم عزك ماتريد
وزادك ربنا فى كل خير وشكر الله يتبعه المزيد
وقد لاقيت فى سفرى أمورا شدادا بعضها صعب شديد
وقدمنى على الصحصاح جهلى وحسبك كل جبار عنيد

أتانى بمسلمة حقيقا وسر الى وقدأخفى الوعيد
ومسلمة يقول أتيت نكرا ولولا العفو حل بى المبيد
وجاد على احسانا وعفوا وبايع وهو مطواع ودود
وبايع بعده الصحصاح أيضا فابشر بالسعادة ياوليد
وقابل فعلنا بفعال خير فمسلمة هو الأخ الحميد
فلا زلت سعودك طالعات ولاشمت المعابد والحسود

(قال الراوى) ووصل الكتاب إلى الوليد وهو على مقالى النار فى الانتظار يسيح فى بحور الافتكار لايدرى ما يكون ولما وصل الكتاب فك ختمه وقراه وهو خائف وجل فلما قرأه وعلم ما فيه سجد شكراً لله تعالى وعاد عسره يسرا وفرح الناس وأمر ان تزين المدينة وأن يأخذوا الأهبة للملتقا وأخذ على رأسه الأعلام الذهب وقد خرجوا النساء والصبيان ولم يبق فى المدينة لامخبيه ولامخدره وكان بلا تشبيه مثل يوم العيد الأكبر واقبل المبشر بالقدوم ونظر مسلمة إلى الرايات والأعلام والخليفة والالوية المحمدية على التمام والدنيا منقلبه باسم الامام فنظر اليه الصحصاح وقال يا مولاى لا تشغل قلبك وان أردت هذا الأمر يكون فى هذه الساعه ويجيبون لك بالسمع والطاعه فضحك مسلمة وقال ياأخى أو ما علمت انى قد بايعته فقال الصحصاح يامولاى نحن لابعنا ولاشرينا فضحك مسلمة حتى مال على سرجه وقال ياصحصاح أنت رجل بدوى ما تلام وقد قال الله تعالى قضى الأمر الذى فيه تستفتيان وما بق إلا السمع والطاعه ثم إن مسلمة ترجل وترجل الصحصاح وصاحت الغلمان على الناس أن يفسحوا لهم حتى يصلوا إلى الوليد فأفرجوا لهم فلما وصلوا اليه قبل مسلمة الأرض للوليد وتقدم إلى الركاب فمنعه من ذلك وقبل رأسه وبين عينيه وكذلك فعل الصحصاح عن يمينه ومسلمة عن شماله هذا وقد فرشت الأرض بالثياب الحرير الأحمر والأصفر والأخضر وأشرقت الأرض بالزهور ودوام السرور ودمشق ما تحتاج إلى زينة بأنهارها وأزهارها وأثمارها ورقة بشرة نسوانها وصفا صباها ورستاق بساتينها وهى كالجنة تزهر أفنانها وكان يوم يعجز عنه الواصفون والوليد يقول لأخيه مسلمة ياأخى ان أردت أن أترجل وأمشى فى ركابك فعلت فلما سمع مسلمة ذلك قال معاذ الله أنت الامام وابن الامام ثم انهم دخلوا القصر وجعل يخبرهم الصحصاح عما جرى لهم فى بلاد الروم ومسلمة يحدثه بجميع الأمور ثم قال ومعنا من الأموال ما تعجز عن حمله الجمال والبغال فاحكم فيه بما شئت فقال الوليد لمسلمة ياأخى يرفع الخمس

إلى بيت المال للمسلمين وما بقي يقسم ثلاث أقسام الثلث لك والثلث للصحصاح والثلث للمجاهدين فشكره على ذلك وقد اشتغلوا الناس بنقل الأموال عشرة أيام هذا وقد أقاموا الناس على ظاهر دمشق الشام ثلاثة شهور وطلبوا الرجوع إلى بلادهم فأذن لهم الوليد بذلك وكذلك الصحصاح استأذن فى ذلك فقال له مسلمه اختيارى ان لا أفارقك الدهر ثم قال يا أخى أن الوليد قد أمرك بالرحيل وأنا قد وقع فى قسمى سهم من الذهب والفضة وأنا أشتهى بحق مابينى وبينك من الصحبة أن تقبلها منى ولا تردها فقال الصحصاح والله لولا ماحلفت على من الايمان أن لا أخالفك فيما تأمرنى به لما قبلتها لكن أحتاج لأجل قلبك أخذها فان معى أموال ما تنقلها الجمال فضحك الأمير مسلمه من كلامه وقال ما تبالى خذها واستعين بالله ثم أمر مسلمه بنقلها الى خزانة الأمير الصحصاح وباتوا الناس على نية الرحيل والرواح ولما أصبح الصباح دقت الكؤسات وزعقت البوقات وخرجوا الناس للوداع وكذلك مسلمه وأخوته إلا الوليد فانه لما دخل الصحصاح عليه ليودعه فقبل الصحصاح الأرض فقال له الوليد والله العظيم لولا نامرس الخلافة ياملك العرب لخرجت فى خدمتك ولقد توحشنا طلعتك ويوحشنا بعدك فلا أذاقنا الله تعالى فقدك فعندها قبل الأرض ثانيا ورفع صوته بالدعاء متواليا (قال الراوى) فعندها خلع جميع ما كان عليه وأركبه على مركبه وصار الأمير مسلمة معه فقال الأمير الصحصاح لا والله يامولاى لابد من الرجوع من ههنا فعندها عانقه الأمير مسلمه وقال له يا أخى ترى بعد هذا الفراق يكون لنا تلاق والله ان فراق الدنيا على أهون من فراقك ثم أنه أشار اليه يقول:

فوالله ما للعين بعدك لذة ولا للدار بعد بعدك نور
ولا طاب لى وقت ولا أزال منكدا ولا كان لى بعد الفراق سرور
يا راحلين متى يكون الملتقى ويكون قلبي باللقا مسرور

(قال الراوى) ولما أنشد الأمير مسلمة هذه الأبيات بكى ملك العرب الصحصاح بكاء شديد ما عليه من مزيد وقد ودعه وداع الأحباب ورجع الأمير مسلمة وسار الأمير الصحصاح يقطع البرارى والبطاح وقد هبت عليه نسائم الأفراح ثم انتشق روائح العرب والملتقى فحن فى اللقا وبكا بعد ذلك بدمع منطلقا فأنشد وجعل يقول بعد الصلاة على الرسول

أقول وقد زاد اشتياقى اليكمو شجونا وان الشيب جاء يحكى الفجرا
ترى تجمع الأيام بينى وبينكم وشوقى اذا وافى لقائكم البدر
وأبرح ما يكون اشتياقى اليكمو إذا ما قطعنا نحو أرضكم شبرا

(قال الراوى) وقد وصل مسلمة إلى داره وهو كثير الاشفاق والنواح على فراق الصحصاح فانه قد أرسل النجابة أن تسبقه الى الحلل تخبر بقدومه فسارت النجابة ولم يزالوا سائرين وهم مجدين إلى أن وصلوا إلى حى بنى كلاب وقد أعلموهم بقدومه بعد الغياب قال فلما سمعوا بوصولهم فرحت أهل الحى وقد جمعت ليلى نساء الحى وقالت لهم اعلموا يابنات عمى أننى أريد أن أزين ولدى ظالم وأخرجه الى لقاء أبيه فافعلوا كما أفعل وزينوا أولادكم واخرجوهم فعندها زينوا النساء الصبيان وكانوا أربعين صبيا وكان ظالم كأنه القمر المنير فى ليلة أربعة عشر ولما أن علمت ليلى أن القوم قد بقى بينهم وبين الحى يوم واحد أركبوا الصبيان على الخيول وساروا موكب واحد وقد خرجوا الى ملتقى آبائهم وكان الصحصاح وقومه قد باتوا قريبامن ديارهم ولما أن أصبحوا ارتحلوا وقت السحر وساروا لما أن طلعت الشمس ووقعت العين على العين وقد نظر الصحصاح إلى موكب كله جرد مرد وفى أوائلهم فارس مثل بدر التمام ونظر الشجاعة لاحت عليه فتحرك الدما فقال ولدى وحق محمد ثم تقدم اليه وأخذه من سرجه واجتمع المحب بالمحبوب وسجد شكرا لله تعالى على الرمال ثم رفع رأسه الى السماء وقال إلهى أنت الله العلى الأعلى نظرت الى وأويتنى وإلى فقرى فأغنيتنى فلك الحمد على ما أوليتنى (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأقبل كل والد على ولده وأخذه بيده وضمه الى صدره كما فعل الصحصاح ونزلوا فى الخيام كأنهم ما برحوا منها (قال الراوى) ثم دخل الصحصاح إلى سرادقه فلقيته زوجته وقبلت يديه ورجليه وشكت اليه بعده عنها فقال لها عندى أضعاف ذلك واستقر المقام ورأى الصحصاح ولده ظالم فأحبه حبا شديدا بحيث أنه ما عاد يصبر عنه ساعه واحدة (قال الراوى) وان ليلى أقبلت على الصحصاح وأخبرته بما رأته فى منامها وكيف قال لها الهاتف ذلك الكلام وأمرها أن تسميه ظالم حتى يوافق الاسم المعنى فقال لها يابنت العم هل سمع أحدا قالت أمى لا غير فقال لها أوصيها تكتم أمرها ولا تفشيه حتى لا يتكدرو الناس من رؤيته (قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا وأما مروان بن الهيثم سيد بنى سليم فانه أيضا فرح بولده عبد الله وكذلك سائر بنى سليم وأن مروان كان جالسا ذات يوم من الأيام اذا أقبل عليه رجل من سادات قومه يقال له مصعب بن الوليد وقال له أيها الأمير اسمع كلامى فانه عجب عجيب ثم انه قص عليه القصة وما رأت زوجته فى المنام قبل ولادتها الغلام وكيف خاطبها ابليس لعنة الله تعالى وانها مضت الى شيخ العرب ومشايخ الخفر فقالوا لها إن هذا الولد يكون ميشوم

على الخلق أجمعين نصارى ومسلمين وقالت لهم ما أسميه فقالوا سمية عقبه لأنه ذميم العاقبة ثم قالوا لمروان ايش فى الرأى فى أمر هذا الولد الشيطان فقال له مروان اتق الله فى ولدك ولا تقص جناحك بيدك واترك حديث النسوان فانهن ناقصات عقل وايمان ولعل يكون المنام تخيلات شيطان فسكت مصعب على مضض هذا جرى ههنا (وأما ماكان) من الصحصاح فان كتبه مازالت متصلة الى مسلمة والوليد فهو جالس فى يوم من الأيام وإذا دخل عليه نجاب بكتاب وفيه نعى مسلمة بن عبد الملك أنه انتقل بالوفاة الى رحمه الله تعالى فورد عليه من ذلك أمر عظيم وصار عنده الهم المقيم وامتنع من أكل الطعام والشراب وهجر النساء والمنام حتى أشرف على الموت وأيقن بالفوت وجلس له بالعزاء مدة سبعة أيام وتيقن أن نعمته وأيام ولايته فاتت لخرم اللذات (قال الراوى) وأقام على ذلك سنة كاملة وبعد ذلك خرج الى الصيد فلاحت له ظبية من الغزلان فأعجبه حسنها وكان تحته جواد سابق الخيل شديد الحيل استولده من مزنة فأخذت فى الهرب وجد لها فى الطلب الى ان لحقها آخر النهار بقرب حله من حلل العرب يقال لهم بنى الوحيد فرماها أقلبها وكان غاب عن عسكره وقرب من الحى وإذا بعجوز خرجت من البيوت ونظرت اليه وشمت طيب رائحته وحسن حليته وفرسه ورائحته عطرت جميع الاماكن مع ماعليه من الملبوس الفاخر والذهب الباهر فقالت العجوز يافتى أقسم عليك بمن رفع السما وسطح الأرض على الماء اسمح لنا بهذه الظبية وان شئت خذ ثمنها ونادت العجوز ياامامه قومى انظرى شبه عينيكى ساقها القضاء اليكى فخرجت من الخبا جارية بوجه كالشمس فى الاشراق والقمر سبحان الخلاق وقد أنار من وجهها الآفاق لم يرى الصحصاح مثلها ولا فى بنات الروم شكلها فقالت ياأماه لقد قلتى الباطل من أين للظبى أن يكون له خد مثل خدى أو قد مثل قدى وعقدى ونهدى وفمى وعطفى وخصرى وردفى وحسن قوامى ونعومية كفلى وعذوبة ريق الذى يشفى العليل ويبرى السقيم الذى له من المرض شهور أو سنين وأنشدت تقول

ومن أين للظبى طرفى الكحيل ووجهى الجميل وحسن القوام
لقد قلت يا أمى غير الصواب مقالا يحيد بغير المرام
فهذا جمالى وهذا كمالى وهذا حديثى وهذا نظامى
أشبه للظبى فى خلقتى وإنى قد فقت بدر التمام

(قال الراوى) ثم إن الجارية بعد نشيدها تلك الابيات تبسمت عن لؤلؤ منظوم

وهى تتلفت لفتات الغزال الأخيل وقد مالت كغصن البان اذا نام وضحكت فلمع برق ثناياها فصيرت قلب عاشقيها برمد وقد رأت خدودها الموردة فكانت كما قال فيها بعض واصفيها

نظرت لسيفين أغمادها هدب تبدى من قسى الحاجب
فكم أصابت عاشق مغرم وعدت الخد مع الحواجب
لولا شفيع الحسن فى وجهها كم مات من أسيافها ضارب

(قال الراوى) ولما أن تبسمت الجارية عن ذلك اللؤلؤ المنظوم ورأى ذلك الصحصاح فسكر من غير راح وقد تمنى لو شاهدها مساء وصباح فقالت له ياصاحب الطرف الفضاح هل لك فى القرى ان أحببت لتطعم الزاد فانك تستاهل النعم ودع الغزاله من أسرك فانى أبحت لك ما أبحت من النعم وأريد قبل ذلك أن تجبنى فقال لها الصحصاح ياصاحبة الجبين الوضاح انى أجبت الى ما أبحتى من النعم ولكن أريد قبل ذلك شربة من الماء فانى قد زاد بى الظمأ ولسان حاله يقول

عجلى بالماء لتطفى جمرة فى فؤادى وهى عاجلة
بردى جرح حشاى فلقد صابنى منك سهام قاتله

(قال الراوى) فلما سمعت الجارية ما أبداه من الخطاب عادت ودخلت إلى الخبا فتلاطمت أمواج أردافها فظنها سيحون أو نيل مصر فعند ذلك تمنا لو ركب سفن المنايا وأقلع بين ذلك الجبلين وقد أخذه من لمع العين خفقان الكليتين كما قال من له فى المعنى يدين

وردف بجارية قليل مثاله فذاك يمين ثم ذاك يسارا
تخالهما زقان خمر تلاطما وهزهما ماتحتهن فسارا

(قال الراوى) ولما أن رأى الصحصاح ذلك ترنم وأنشأ يقول

صادنى الظبى وقد صدت الأسد وبهذا ما على الدهر حدد
كم رميت كل ليث أغلب وظلمت الليث ظلما مقتصد
ورمانى الظبى اسعاد الأبد ما خطانى الرامى فيما اعتمد
حيرتنى من لقلبى أسرت بل لحربى قصدت كل النكد
حار طرفى إذ تبدى وجهها بين ورد تحته كفل سرد

(قال الراوى) فلما أن سمعت الجارية كلامه وما أبداه من نظامه تبسمت من خطابه وقد لاحظته ملاحظة أحبابه فجرى دمع غرامه على وجنات اجتيابه

وقد نسى عزه وملكه وأهله وأصحابه فلما ان زاد التهابه قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله لقد وقعت فى بحر الغرام ومالى عنه ملتوى وقد عاد الزمن القديم وزاد الجوى ثم ان الصحصاح قد حار وعلى قلبه العشق قد احتوى هذا وقد بسطت له الجارية بساطا من الارجوان فجلس عليه الصحصاح وغابت الجاريه عنه قليل وعادت اليه ومعها شربة من الماء فسقته وجلست معه وصارت تحادثه وقدخامر الهوى عقله فتملق قلبه ولبه ونسى دمشق وخراسان والحجاز وهمزان وسائر البلدان (قال الراوى) فبينما الصحصاح والجارية فى الكلام وإذا هم بشيخ قد أقبل عظيم الهيكل بشيبة كالثلج المجدل على جواد أشعل وقد سمط على كفله شيء من الغزلان فلما نظر إلى ذلك عرف أنه جواد الصحصاح وكانت الجاريه لما أن رأت ذلك الشيخ قامت من عند الأمير الصحصاح وعجلت الرواح فلما دنا منه وحققه نادى ما أبركه من صباح زارنا فيه القمر الوضاح إذ بيننا الملك الصحصاح فلما أن سمعت كلامه العجوز قالت هو والله كما تقول يافهيم هذا ضيف كريم فقال لها ويلك هذا ملك العصر والأوان الحاكم على العجم والعربان وسيف دولة بنى أمية ومروان ثم أنه ترامى على قدمى الصحصاح يقبلها فمنعه من ذلك فعندها قام الشيخ قامته وتمثل وأنشأ يقول

لو تعلم الدار من زارها فرحت واستبشرت ثم باست موضع القدم
وأنشدت بلسان الحال قائله أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم

(قال الراوى) ثم ان الشيخ عيط على العبيد وقال لهم خذوا هذا الصيد وقال للعجوز عجلى انضاجه وقد نادى يابنيه اخرجى إلى خدمة ملك العرب وسيد من ضرب فى البيد أطنب فخرجت اليه أمامة وأقبلت بين يديه فقال الصحصاح للشيخ ما تكون هذه الجارية منك قال هى ابنتى يامولاى فقال له هل هى ذات خدر أم ذات بعل فقال له بل ذات خدر فقال له ياشيخ هل تزوجنيها فقال يا ملك العرب وهل هى الا امتك اذا أردتها لخدمتك فقال الصحصاح ان أردت افعل فعندها قام الشيخ من وقته وساعته وجمع جماعة من مشايخ قومه وقد ذكر له الخطبة والنكاح وأنه يزوج ابنته أمامة إلى الصحصاح (قال الراوى) فلما سمعوا من الشيخ ذلك الكلام فرحوا بذلك غاية الأفراح هذا وقد تقدم شيخ وخطب وقال الحمد لله الذى حلل الحلال وحرم الحرام ثم انه حمد الله وأثنى عليه وذكر محمد صلى الله عليه وسلم وقد انتهى الكلام فى خطبته وقال كم تقرر

المهر فقال أبو الجارية والله ما أقول شيئا فقال الصحصاح اكتب عشرة آلاف من الذهب الأحمر وخمسة آلاف ناقه وجمل ومائة أمه ومائة عبد ومائة حصان ومائة حجره وخمسة آلاف رأس من الغنم فكتبوا ذلك كله وقد تقرر الأمر وأخذ يده على الزواج وتصالحا هذا وقد راجت الأمور وتمت الأفراح وكثر المنا والسرور وقد أنشد الشيخ وجعل يقول

لم تزل فى سعادة وسرور ضاحكا يعجبوا بك الأملاك
جمع النيرين فى يوم سعد خدموهم بذلك الافلاك

(قال الراوى) ثم قال يامولاى لو علمت الطيور بذلك السرور لجاءت مهنيات باختلاف اللغات والطائر الميمون والعاقبة للبنات والبنلون وهذا كان كله كلام القاضى فوعده الصحصاح بألف دينار وعشرة من العبيد وعشرة من الجوار هذا وأبو الجارية قد نحر فى ذلك النهار ما أمكنه من النوق والجمال والأغنام وقد روج الطعام وبالغ فى الاكرام وقد أكل من ذلك الخاص والعام ولما ان كان وقت المساء وأقبل الليل دخل الصحصاح بالجارية فورد على بلد طيبة وماء طهور فزال بكارتها وتملأ بحسنها وجمالها وجنا ورد الخدود ورقد من فوق تلك النهود ولم القدود ومازال معها فى هناء وسرور وانشراح إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد أصبح الصحصاح فرحان بها مسرور وقد أقبلت اليه مشايخ الحلة يهنوه بالسرور (قال الراوى) هذا وقد أقام عندهم ثلاثة أيام ولما ان كان فى الليلة الرابعة بات تلك الليلة يودعها إلى الصباح ولما أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح طلب العودة والرواح فتعلقت به أمامه وقالت له والله ياسيدى ما أدعك تمضى من عندى فى هذه الأيام وما يكفينى مثل هذه الثلاثة أيام بل أنك تقيم عندى تمام السبعة أيام ثم باست يده وقبلت ثغره وصدره فقام عندها بقية تلك المدة وبعد ذلك طلب الرواح وكانت قد علقت الجارية للقضاء المقدور والأمر المدبر المحتوم (هذا) ولما ان كان فى اليوم الثامن سار عند السحر يطلب الرواح ثم قال لأبو الجارية كن مرتقبا ما أسيره اليك سرا ولولا خوفى أنهم يتغلبون لفقدى لا قمت عندك شهرا ثم ان الصحصاح ودع الشيخ والجارية وسار طالب حى بنى كلاب (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ماكان من الصحصاح (وأما ماكان) من أصحابه الذين خرجوا معه للصيد والقنص فانهم قد انتظروه إلى المساء فما رد عليهم فساروا على أثره فما وجدوا له أثر ولا وقفوا له على خبر فقعدوا ثلاثة أيام فى انتظاره فما رجع فعندها رجعوا إلى الأحياء وأخبروهم

بما جرى فاشتغل قلب ليلى وكذلك أبوها أيضا وكان وسواس ليلى يحدثها بكل أمر وقد قيل ان المحب مولع بسوء الظن هذا وقد وصل إلى عطاف بما قد جرى لابنته من شأن ابن عمها فأرسل اليها يصبرها ويقول ياست العرب لاتستعملى سوء الظن وعسى أن يرجع عن قريب وكانوا أهل الحى والأمير عطاف قد خافوا عليه من التلاف وخرجوا من الأحياء وساروا يفتشوا الجبال عليه والأوية والتلال ثلاثة أيام فما وقعوا له على خبر ولا على جلية أثر ولم يزالوا فى هموم ذلك ثلاثة أيام وهم فى بكا ونواح ومن اليوم الرابع عادوا وما أقاموا غير قليل حتى أشرف عليهم فى ذلك النهار الصحصاح فنظرته الرجال وتصايحت لقدومه الأبطال وانقلبت الاحيا يمين وشمال ثم تقوموا بالخيل وقد أشرفوا عليه وترجلوا له وقبلو الارض بين يديه ثم أنهم داروا من حواليه وقد ذكروا أنهم خائفين عليه ويسألون عن حاله فقال ما كان الاخير هذا وقد خرجوا النساء له والبنات إلى بين الابيات وهن ضاحكات مستبشرات وقد انصرفت الحسرات (قال الراوى) فدخل الصحصاح إلى خيامه ونزل عن جواده ودخل إلى سرادقه فقامت اليه ليلا فضمها إلى صدره وقد سألته عن غيبته فقال لها ان العرب قد وقعوا بى فى ذلك البر فحلفوا على أن أنزل عندهم وأضيفهم فأضفتهم تلك المدة وقد أكرمونى (قال الراوى) فلما أن سمعت منه ذلك الكلام قالت له والله ياابن العم روحى تحدثنى بأشياء ولايخفى منها شىء فى الدنيا ولو كان يخفى لكنت أتوسوس بتلك الخيالات ثم أنها أشارت تقول

أقبل اليـــك عن ود قريب ... فتقصينى على النسب البعيد
وتؤيسنى وأنت ابن عمى ... وعودك فى التناسب فهو عودى
وفى عينيـــك حمرة قد أراها ... تدل على التفاسخ للعهود
ومالى قدرة أنهاك عنها ... ومالى غيركم ركن شديد
وقربك جنتى والبعد نارى ... فزلى من وصالك أو صدودى
سأحفظ منك ماضيعت منى ... على رغم المعاند والحسود

(قال الراوى) هذا كله نطقت به ليلى وما عندها بما جرى خبر ولا اطلعت له على أثر فلما أن سمع الصحصاح منها ذلك ضمها إلى صدره وقبلها وقبلته وقال لها يا ابنة العم ما عاقنى عنك هذه الايام لا قوم من العرب أضافونى فقبلت الاكرام وخفت أترك ضيافتهم فيرمونى بكل مقام فقعدت عندهم هذه الأيام وقد فعلت فعل

الكرام وبعد ذلك قد رحلت عنهم بسلام ثم انه طيب قلبها بالكلام وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

وإنى وإن لم آت ليلى وقومها لكان على الليل المظلم نائم
وهجرك أياماً يزدنى لوعة وانى لأيام التباعد نادم
وانى وذاك العمر لو تعلمينه كذاهبة عن طفلها وهو راغم
وأعظم شوقى نحوكم وتلهفى عليكم وكبدى منية القلب ظالم

(قال الراوى) هذا وقد بات عندها تلك الليلة ولما أن كان عند الصباح خرج من عند ليلى الى سرادقه فأحضر أثواب ملاح مثمنات وحلل رفاع ملونات وبيوت من الأطلس واسعات وثلاثين ألف دينارخليفيات وجواهروخزائن من القيصريات وألف من النوق السود الأحداق أبكار الأمهات ومثلهم جمال بالتحف محملات ومائة رأس من الخيل العتاق الصافنات ومائة من الحجورة الزايدات ومائة أمة وعشرة آلاف من الغنم وخمسة آلاف من الإبل والنياق ثم انه أخذ غفلة من أهل الحى وقد سير ذلك جميعه مع رجل يقال له شاكر بن سليم وقد أطلعه على سره الجديد والقديم فعندها سار بهذه النعمة العظيمة والسعادة الجسيمة الى أن وصل الى حى بنى الوحيد (قال الراوى) وكان أبو الجارية على مقالى النار من الانتظار حتى وصل اليه مايحيرالانسان ويكل عن وصفه اللسان فلما رأىذلك كاد أن يطيرفرحا وسرورا وقد أمر بالجمال والخيل والأنعام وسائر الأغنام الى المراعى هذا وقد ضرب بيوت الأديم والديباج الأحمر ونصب بيتا من الأطلس المدثر على رأسه هلال من الذهب وتمثال من الياقوت الأحمر بحبال من الابريسم الأخضر وقد تركه برسم ابنته وأقام لها عشرة جوار لخدمتها ثم انه أولم وليمة لها قدر وقيمة أشبع فيها الجيعان وأكسى العريان . هذا وقد فرحوا بنى الوحيد باتصال ملك العرب الصحصاح إليهم هذا وقد بات شاكر عندهم الى الصباح ومن الغد سار طالب الديار وقد دخل على الصحصاح وأعلمه بالحال فقال له الحذرالحذر أن تبيح بسرنا الى أحد من البشر (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان الصحصاح بعد ذلك أقبل على ليلى وقال لها اعلمى أنى قد عزمت على زيارة الأمير غانم فلو أقمت عندهم شهرا لاتشغلوا لكم سرا ثم انه ودعها وركب وسار الى أن بعد عن الحى وصوب الى أرض بنى الوحيد وما زال الى أن وصل اليهم فتلقته الأبطال وسارت فى ركابه الرجال الى أن وصل الى الأبيات ودخل

على امامه فلما رأته فرحت به غاية الفرح وقدزال عنها الهم والترح وتعلقت به فانحلت عزائم الصحصاح عندها عانقها وقبلها فى ثغرها وأشار يقول :

الله يعلم انى ما تركتمو | إلا مخافة أعداء وحراس
ولا جلست فى قوم أحدثهم | إلا وكنتم حديثى بين جلاسى
ولاهممت لشرب الماء من عطش | إلا وجدت خيالا منك فى الكاس
ولا قدرت على الأيام نحوكمو | سحباً على الوجه أو مشيا على الراس
وكنت عندكمو عمرى بأجمعه | لا أكتفى بدلا عنكم من الناس

(قال الراوى) ثم انهما قد تشاكيا مايجدان من الهوى وما حل بهما من الجوى هذا وقد أقام عندها عشرة أيام وقد ودعها وعاد الى ابنة عمه ليلى . هذا وقد كان الصحصاح يتردد الى الجاربة الوحيدية كلما رأى فرصة نهارا أو ليلا وسره مكتوم وحاله غير معلوم هذا والعرب تخافه وتخفى حاله فلا يقدر أحد يظهره ولا يفشى أمره هذا وليلى ما عندها من هذا خبر لعلمها أنه مايريد غيرها ولا يحب سواها ولا يختار عليها غيرها . هذا وكان وصل من بنى الوحيد رجلا يقال له عامر بن سعد وكان يهوى (امامه) وأن الفقر منعه أن يتعرض لها ولا له حيلة أن يخطبها من أبيها وكانت نفسه تحدثه أن يكسب المال وأن يبلغ بها الآمال وهو من حبها فى نار لاتطفى ولهيب لايخفى وهو ينتظر الفرج أن يأتيه من رب السما فلما أن تزوجها الصحصاح خابت أعماله وانقطعت حبال آماله ووقع به الوسواس ولم يظهر ما به لأحد من الناس مخافة من الصحصاح أن يقتله فبقى على حاله إلى أن مرض وتغيرت أحواله وزاد به بلباله حتى انه انطرح وزاد سقامه من عظيم غرامه ولم يزل كذلك إلى أن نحل جسمه وزاد جواه وكمده وقد أهلكه حسده ولم يفق مما به حتى مضى عليه عشرة أشهر وقد رزقت الجارية (امامه) من الصحصاح ولدا ذكرا كأنه القمر ففرح به الصحصاح غاية الفرح . هذا وقد قالت له امامه والله ما أسميته إلا مظلوم لأجل أن سره مكتوم فقال لها الصحصاح لعل أن يكون خير فى المولود وصلاح فالولد الواحد ظالم والآخر مظلوم والله انهما اسمين عجيبين ولكن لهما سيرة عجيبة وأحاديث غريبة كيف اتفقا على هذين الاسمين وانى أخشى عليهما أن تصيبهما العين أو يفرق بينهما غراب البين لأنه والله ما اتفق قط مظلوم مع ظالم ولا جاهل مع عالم (قال الراوى) هذا وقد نشأ مظلوم وكبر وكان الحياء ينطق من بين عينيه

والصلاح لائح عليه وعلى جبينه ثم أمر الناس أن يخفوا أمره ويكتموه والى ليلى لايوصلوه فقال عامر والله لأمضين اليها وأعيد سرى عليها وأخبر ليلى بما جرى ولو أموت متلهبا بنيران الجوى ثم انه قد رصد الصحصاح الى أن رآه قد أتى الى زيارة (امامه) كما جرت عادته فوثب عامر من وقته وساعته وسار حتى انه وصل الى بنى كلاب وقد أخبر أهل ليلى بأن لها ضرة من بنى الوحيد وأخبرهم باسم أبوها وقد عرفهم بالحال الذى جرى . هذا وأن الصحصاح يأتى اليهم فى كل شهر وقد رزق منها ولد وسماه مظلوم وهاهو عندها الليلة فلما أن بلغ الحديث الى ليلى صاحت وغشى عليها ساعة ولما أن فاقت من غشوتها مزقت ثيابها وخرجت من عقلها وقد أمرت لعامر بخلعة وشىء من الذهب لإعلامه لها بحديث ضرتها وقالت والله لو بشرتنى بخير لكنت أغنيتك الى العاقبة فأخذ عامر ما أنعمت عليه به وعاد الى أن وصل الى قومه وهو فرحان بما جرى على ليلى وبما عملت بنفسها فى تلك الليلة مالاتفعله امرأة فى حزنها : هذا وقد دخل عليها قومها وجعلوا يسألونها ويقولوا لها ان هذا أمر قد فات وصار له منها ولد فلا تخاطبيه فى هذا السبب فانه على كل حال ملك العرب وسيف الاسلام ومالك رقاب الخاص والعام ولا يقدر أحد منهم على مقاومته فاكتموا هذا فلا بد أن يبلغه الخبر أنك قد عملت بروحك هذا العمل ويمنعه الحياء والكرم أن يرجع يلم بها وفى ماله سعة لك ولولدك ولها ولولدها فقالت ليلى هيهات أن أسكت عن ذلك أبدا الى أن يسلمنى ضرتى أفعل بها ما أريد أما هو وقد تربى فى دار أبى وأمى . أما أمه فقد عاشت فى نعمة أبى ثم انها خرجت من وقتها وساعتها من خيامها وقد سارت تطلبه فى سرادقه فلم تجده فجعلت تنادى : واقوماه وا غوثاه هذا والخدم يسألوها ويمسكوها . هذا وأبوها عطاف يقول لها يابنية مابقى ينفع فى هذا إلا الصبر والأمراء يكون لكل واحد ثلاث نساء وأربعة وللرجال أغراض وسوف يفرغ عزمه منها . هذا وقد جعل يسليها الى أن ردها الى مضرب انفردت فيه وحدها وقد تذكرت الصحصاح ولعبه معها وخلوته بها فتصور بين عيونها انه جالس مع غيرها فبكت وأنشدت تقول :

تباريح دهرى بالفراق تحكما ... وساعده فينا القضاء من السما
نظرت عيون الحاسدين ففرقت ... ما بيننا ياليتها كحلت عما
ولقد بكيت على فراقك حسرة ... ومزجت دمع العين بعدك بالدما
ياليت شعرى من دعا بفراقنا ... ودعا علينا بالشتات وأرغما

يا ليتـــه يبـلى ببعض بليتى ويبيت من كمد الفؤاد متيما

(قال الراوى) هذا وقد أزعجت الخواطر وأسهرت النواظر ولم يلتذ أحد معها بمنام . فهذا ما كان منها . وأما ما كان من عامر بن سعيد فانه سار تلك الليلة حتى وصل إلى حى بنى الوحيد وقد سار وقت الضحى وقد أخذه الحسد والبطر مما قد دبر من مكره الذى اعتراه فأنشد وجعل يقول :

سعيت إلى ليلى وخبرت أنها لهـا ضرة كالبدر فى ليلة التم
وأشفيت قلبا مات من عظم ما به فأحييته حـتى أفاق من الغم
وفزت بأموال وجئت بخلعة وغرقت ليـلى فى بحار من الهم
ولم يعلم الصحصاح ماقد جنى له من العتب والتوبيخ والشتم والذم
وأما أبو ليلى فأخربت بيته ولابد بعد المـال يرجع الى عدم
وابنته ماتلتقى بعـــد عزها الى الدهر ان عاشت سوى الضر والسقم
وقد بردت نارى بتنغيص عيشها ومن بعد هذا سوف تهلك بالغم
وان أمكن الدهر المشوم فاننى سأهلك الصحصاح بالمكر والسم
فلا كان من ولاه ملك رقابنا ولازال ملعونا من العرب والعجم
وقد عولت روحى اذا لم أنالهـا أعود الى دين الصليب من الظلم
ولا يعترينى الذل من وغدقرمها ويقهرنى من كان فى ذلة اليـتم

(قال الراوى) وكان يترنم بصوته وينشد عاليا فمـا فرغ من هذه الأبيات حتى سمع حس حوافر فرس وفارس قد أدركه وصمم عليه وطعنه فى جنبه صلب الرمح فى قلبه وقد أرماه من على مركبـه الى الأرض ورضه فى بعضـه رض وكان الذى طعنه الصحصاح وكان السبب فى ذلك أنه كان قد بات عند زوجته امامه الى ذلك الوقت وهو وقت السحر فقام من عندها ليصبح فى بنى كلاب خوفا من انكار ليلى عليه فما هو إلا أن قارب الأبيات إذ سمع صوت عامر بن سعيد وهو ينشد الـكلام ويلعلع بصوته فتألم قلبه وزاد حقده لمـا أن سمع مقاله وقال لقد سعى هذا الملعون فى تنغيص عيشى ثم عمداليه وطعنه فقتله وبقى بعدذلك حائر فى أمره لا يدرى مايفعل ولا يستحسن المضى الى بنى كلاب من حيائه من ليلى فمـا لى إلا أن أمضى الى الأمير غانم بن زاهد وأعلمه بقصـتى وأتركه يمضى الى عمى يطيب قلب ابنته ليلى ثم انه سار على وجهه فى البر الأقفر نهاره أجمع وقد عرض عن الطريق المسلوكة حتى لا يصـدفه فيها أحد . هذا ولم يزل سائر الى آخر الليل الى أن أضاء نور الصباح وكان قد سار وحده حتى

يكتم سره ولا يطلع أحد على أمره ولم يصحب معه غلام حتى لايطلع له على كلام فبينما هوكذلك إذ نزل بمرج أفيح وعيون ماء تنزح وهو مزهر الجنبات كثير النبات عالى المسرات يانع الثمرات أطياره متجاوبات وغزلانه متلاعبات وظباؤه سارحات ومياهه متدافقات يذهل كل من تمناه ويعجب من رآه (قال الراوى) فلما رآه أعجبه غاية العجب وقد انفرج عنه الهم والكرب واذا به قد سمع هاتف يهتف ويقول :

هل لنا من زماننا مرجع ... قد مضى ذلك فهل يرجع

فعلى ذلك الزمان من ... كل وقت سلام صب مودع

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك الشعر بكى وقد طلب الذى قال فلم يره فزاد تعجبه ونزل من ذلك المرج وتوضأ وصلى الصبح ونظر يمين وشمال ينظر من يحادثه أو أنيس يكلمه فلم يجد فى ذلك المرج أحد فطلع على رابية عالية ومد نظره واذا هو بدير عالى وشراريف البنيان يانعة وهو شديد الأركان شاهق فى الهوى ظريف بأعمدة وشراريف بأحجار ثابتة وصخور نابتة قد عليت أعلاه وقسمت أرجاه أبوابه ملوحة وبالحديد مصفحة . هذا وتقديس الرهبان قد أراج به المكان وضربت الأجراس والنواقيس وقرأ كل راهب وقسيس (قال الراوى) وكان الصحصاح قد كل من السير وقد فرح قلبه بنظره الى ذلك الدير وقال فى نفسه لعلى أجد عند بعض الرهبان فرجا مما أنا فيه ويفرج عن قلبي ما أعانيه (قال الراوى) ياسادة ياكرام . فبينما هو يحدث نفسه بالمسير الى الدير واذا هو بغزالة حسنة المنظر مليحة الزى وهى سائرة تتمخطر وعيناها تتوقدان كأنهما ياقوتتان ، وحولها جماعة من الغزلان وهم خلفها كأنهم غلمان وهى أمامهم كأنها ملك وسلطان وعن يمينها وشمالها غزالتان كالأتراك كأنهما لها حجاب وهى تتحدث معهم وكان الوقت عند غروب الشمس وقد اصفرت أرجا واسودت فمد الصحصاح اليها أسنانه وأطلق نحوها عنانه فجرت الغزالة قدامه وقد لحقتها تلك الغزلان وهى تجد والصحصاح لها فى الطلب . هذا ولم يزل خلفهم حتى غسقت الأرجا تطلب دخول الليل وقد مدت على الأرض طنبا وذيل هذا وقد دخلت الغزالة الى غار فى الجبل وتبعتها الغزلان وقد بقى الصحصاح حائر ولهان وعليها ندمان فأراد أن يدخل خلفها الى ذلك المكان فخاف على الجواد يشرد منه فى ظلمة الليل ويبقى حاله بعده بالويل فرجع طالب الدير واذا قد اعترضه أسد ومعه شبلين كأنهما شيطانين وكان الأسد طويل

القامة عريض الهامة أحمر أغبر قد جلله الوبر وهو يتمخطر على الحجر وهو أفطس المنخر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى اذا زعق وزمجر وله أنياب أحدّ من النوائب ومخاليب أشد من المصائب صدغه عبوس ضيغم أفطس أدغم وفيه تسمع منه الرعد اذا همهم ويبصر من عينيه البرق إذا الليل أظلم واعتكر كأنه القضاء المبرم والأجل المحتم هـذا وقد وقف الأسد وصاح ثم تقدمت عند ذلك الشبلين الى الصحصاح وهما أن يبتلعانه ويرميانه عن جواده الى وجه الأرض والبطاح فما كان إلا أسرع من البرق حتى ضربهما ضربتين قسم بهما الشبلين كل واحد نصفين فصرخ عند ذلك الأسـد وهمّ بقتله وقد صاح وهجم على الصحصاح فهجم عليه الصحصاح عندها صرخ الأسـد على الصحصاح صرخة قوية أقلب منها البرية وقد هجم عليـه ولطمه بيديه فأرماه تحتـه فبينما هو والأسد فى ضراب وقراع ودفاع وقد صارت روح الصـحصـاح فى النزاع وإذا بجارية حسنة القوام مليحة الابتسام كأنها البدر التمام قد أقبلت وصرخت على الأسد فارتجع عن الصـحصـاح وخلاه وراح فنظر الصـحصـاح الى وجه تلك الجارية فوجدها مبدعة للناظرين ونزهة للمتأملين فقدم اليها وقبل يديها وقال لها أنت إنسية أم جنية فقالت له ايش لك بى وايش لك بهذه القضية لا إنسية ولا جنية أنا فاعلة خيرساكنة بجوارأهل هذا الدير فقال الصحصاح فهـل أنت ذات خدر أم ذات بعـل فعند ذلك قالت له الجارية ما أنت إلا طماع ياصحصاح وسبب طمعك لما أن طردت خلف الغزالة واصطدتها ورأيت الوحيدية وهويتها ونسيت بنت عمك ليلى وفى هذه النوبة قد طردت خلف الغزالة الأخرى وسلمت من الأسد سلامه ولولا أن من الله عليك بى لـكان حل بك النـدامة وما كان لك كلام الى يوم القيامة وبعد هذا كله تسألنى أنا ذات بعل أو ذات خدر وتريد أن تطمع روحك فى زواجى فليت شعرى أى شيء تدل به حتى تخطب البنات والنساء ان كنت أنت تدل بكثير أموالك المـال عندنا كثير والمـال غزيرا وتدل بكرمك فأنت ما أطلقت الغزالة للوحيـدية حتى تعلق قلبك بحبها ومحاسـنها البهية وأخلاقها المرضية العلية وان كنت تدل بشجاعتك وقوة براعتك فهذا وحش قد كسرك وأسرك وطلب قتلك ولولا انى جئتك وخلصتك لـكان قضى عليك وما أظهرت فعلك إلا فى الجروين وان كنت تدل بفصاحتك فأنا أفصح منك وان كنت أنت مدحت الأمير مسلمة وأبيه عبـد الملك ابن مروان فأنا مدحت النبى صلى الله عليه وسلم سيد ولد عدنان وأسلمت على يديه وأبى الآخر أيضا مدح رسول الله صلى

الله عليه وسلم بقصيدة عجزت عنهافصحاء العرب وقصرت عنها أصحاب القول والأدب وعجز عنها كل لسان وقر لها حسان شاعر النبي المختار بالفخر والفصاحه فقال لها الصحصاح وقد حار من كلامها ولحقه الانبهار وقد غاب عن الوجود من طيب ألفاظها وصار بحبها نشوان والله انك لفصيحة اللسان قوية الجنان إلا أن عندك زور وبهتان فقالت له وماهو الزور والبهتان الذى بان لك منى حتى قلته عنى فقال لها هو قولك أنك مدحت النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وحنين وفى غزوة الأحزاب وهذا له اليوم ماينوف عن مايةسنة وانك أكثرها ما يكون عمرك عشرون سنة وقولك ان أبو كى مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة وأناوالله أحفظها كاملة وأحفظ شرحها وهى لملك الجن عقهق الذى آمن على يد النبي صلى والله عليه وسلم فقالت له الحمد لله الذى كان تكذيبك لكلامى تصديقك لنظامى صدقت والله يا صحصاح أنا بنت عقهق الجنى ملك الجان وان بنات الجن مايتغير حسنها ولا ينقص جمالها الا المليحة مليحة والقبيحة قبيحة وفينا من تتزيا بمهما أرادت من الصفة الوحشية وصفة الطير وغيره وفينا للشر وفينا للخير ولما امن أبى نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم سورة قل أوحى الى قوله أنه استمع نفر من الجن (قال الراوى) فلما أن سمع منها الصحصاح ذلك للكلام بهت اليها وحار وصار يتعجب من حسنها وفصاحتها وملاحتها وكمالها هذا وقد افتتن بحبها واعتدال قامتها وعلمت الجارية منه ذلك فتصورت فى صورة غزاله كما كانت فى الأول ودخلت الى وراء الجبل وبقى الصحصاح واقف بعدها على وجل وعقله فى خبل وقد طلب الدخول خلفها فما استطاع ولا قدر ورجع تعلق بها قلبه واشتغل بحسنها سره وسار الى أن وصل إلى الدير التى كانت تحته فسمع الرهبان تضرب النواقيس وكان إلى جانب الدير أشجار وعليها طيور تسبح على الغصون الواحد القهار فوقف الصحصاح إلى جانب الدير ثم أنشد يقول

شجانى حمام الأيك عند الترنم ... على فنن عالى من الليل مظلم
فأزعجنى بالنوح وهو مغرد ... وضرب ناقوس وصوت مرخم
أياراهب الدير الذى حسن صوته ... يقطع قلب المستهام المتيم
بحق الحواريين جمعا وما قروا ... بانجيلك المقرا عليك باقسم
بحرمة تفضيل المزامير جملة ... بما نص فى الانجيل عيسى ابن مريم
بحق الذى أبدى العجايب للورى ... وما قاله فى المهد عند التكلم
أجبنى فنى قلبي لهيب مشعشع ... إذا ما ذكرت الأهل زاد تضرم

وفى مقلتى بحر من الدمع فائض ... وفى كبدى نار كوهج جهنم
فراق وإبعاذ وهجر ولوعة ... وشوق شديد زائد وتندم
لحا الله من أفشى بذكر امامة ... وأعلم ليلى بالحديث المكتم
فبالله يا ريح الشمال تحملى ... غرامى وان جزتى بهن فسلمى
وعيدى لهم شوقى وقولى لظالم ... ترفق بمظلوم الطفيل المتيم
فيا حسرتا ان مت دون خيامهم ... ولم أرهم قد زال كل التنعم

(قال الراوى) وما فرغ الصحصاح من شعره ونظامه حتى سمع هاتف يهتف به وقد أجابه على عروض شعره ولم يرى شخصه يترنم بهذه الأبيات يقول

ندمت ولا يشفيك فرط التندم ... على ماسعت رجلاك فى الحى فاعلم
أخذت على ليلى امامة ضرة ... فضرتك الأيام من غير مغنم
فأبكى كما أبكيت ليلى وأهلها ... وخلفتها فى الحى تبكى وتلطم
وأبكى فريدا بعد أنس وفرحة ... فهذا البكا حقا بعيد التبسم

(قال الراوى) فلما أن سمع الصحصاح ذلك الشعر ونظر عن يمينه وعن شماله فما رأى أحدا فاشتغل قلبه وذهل لبه وتبلبل لسانه بعد قوة جنانه وصاح من هيمانه وسار إلى أن وصل إلى باب الدير فوجد الرهبان قد سمعوه فنزل راهب منهم وفتح له الباب (قال الراوى) وكان الهاتف الذى جاوبه على شعره هى الغزاله الجنيه لأنها لما رآها واختفت عنه وفارقته نخافت عليه من الوحوش لا تؤذيه فمشت من خلفه وسارت تحاديه وهى تحرسه وتراه وهو لا يراها الى أن وصل الى باب الدير وأنشد الشعر كما قد ذكرنا وأجابته كما وصفنا وكان قصدها بذلك أن تسوقه إلى أهله وتوبخه على فعله لأنها تعلم ما عنده من الهموم لفرقته وما أصابه من شغل مقلب لاجل غيبته هذه ولما أن أجابته رجعت من خلفه وتركته ودار الصحصاح من خلف الدير إلى أن وصل الى بابه وهو مهموم القلب جزع اللب فوجد بعض الرهبان وقد فتح باب الدير وهو يصيح من الطارق فى هذا الليل الغاسق فقال الصحصاح أنا يا راهب ضيف وارد مصاحب السلامة فقال له الراهب ادخل على الرخب والسعة والكرامة فدخل الدير وقد أخذ الراهب جواده ومضى به الى دار الدواب وأخذ لجامه وخلع سرجه وعلق عليه هذا وقد دخل الصحصاح إلى داخل الدير فوجده مأنوس معمور بالرهبان والقسوس وهم قد كشفوا له الرؤس وفى أيديهم عكاكيز الأبنوس وفى وسطهم صلبان من الذهب الأحمر مكللة بالدر والجوهر فلما أن صار الصحصاح عندهم تقدم اليه صبى أمرد

أجرد كانه صارم مهند من أولاد تلك القسوس يمشى كأنه طاووس ومعه قعب فيه لبن وعسل فتناوله الصحصاح وشرب منه حتى اكتفى (قال الراوى) فلما نظر الصحصاح إلى ذلك الصبى ووجهه يضىء كانه المصباح وقد تأمل ملبوسه محتشم وهو بالذهب معلم فعلم أنه من أولاد الملوك فتقدم اليه وقبل الأرض بين يديه وأعطاه خدمته ثم رجع بعد ذلك إلى صومعته وتعلق بقلاويته وقد أنفذ الصحصاح ما يسد به رمقه هذا وقد بقيت النصارى من الصحصاح حيارى اذ نهضوا بأجمعهم عليه فقبلوا رأسه ويديه وتراموا على رجليه هذا وقد تقدم اليه أكابر النصارى وأكبر الرهبان وقد أجلسوه فى أعز مكان وقد تمكن من الجلوس غاية الامكان وسألهم عن الدير وبما يعرف فقالوا هذا الدير يعرف بدير بأرض الرياحين وأن النصارى فى هذه الأيام مجتمعين إلى زيارته فى عيد الشعانين ولهم ترنم وحنين فطرب قلب الصحصاح ومال من الطرب وقد زاد به العجب وإذا بالغلام قد نزل من قلايته ومن حوله الأصوات مرتفعه وفى وسطه زنانير فوق المدرعه وردفه من تحته كالجبل الهايل أو البرج المايل بوجه كانه القمر الزاهر أو الغصن المائس يتشوق له الناظر بشارب أخضر والعذار وقد تذردو الخد قد توردو الشعر قد تجعد يدهش النواظر ويحير الخواطر كما قال فيه الشاعر حيث يقول

شد زناره على أهيف الخصر   فشد القلوب فى الزنار
وادار الأصداع فوق عذار   أنا فى حبه خلعت عذارى
وتعجبت جنة الخـــلد لما   صح عزمى على دخول النار

(قاو الراوى) فتعجب الصحصاح من صفته وتحير من حسن صورته وقال سبحان الخالق هـــذه الصورة كانها بدر بادر أو نجم زاهر والله انه لاجمل من الكواعب الاترام ويحير بحسنه عقول ذوى الألباب (قال الراوى) هذا وقد طالب له معهم الكلام وزال عنه الاحتشام وسألهم عن الدير فقالوا له يامولانا هذا قد كان بناه أو قدرى ملك روميه ومات وصارت عظامه رفات وقد دفن فيه ولقى خالقه وباريه وهو يسمى بدير مسكون الذى بارض البحيره وهو يزار من جميع النواحى والأقطار وفيه قصر أبيض ينال صاحبه منه الغرض ويخرج منه اسقفهم وهم من حوله فرحين حتى يصلوا عيبنات الشعانين وبرؤيته مستبشرين (قال الراوى) فلمارأى الصحصاح ذلك تذكر أهله ومملكته وفراقه منهم وغيبته عنهم فبكا وزادالأمرعليه وقلق وتأسف وخرق ماكان عليه وبقى فى قلبه أمر عظيم من الغزالة التى وقع بها وكلما قال للصبى

والرهبان حدثونى وأنشدونى فما يزيده أحد عن حديث الدير وما قصد بتلك الاعاده إلا أن يسمع من بعضهم حديث عنها أو خبر منها فبينما هم فى الكلام إذ دخل عليهم شيخ نقى الشيبة كامل الهيبة فقاموا الحاضرون واجلسوه وبجلوه وعظموه وكذلك فعل الصحصاح (قال الراوى) وكان هذا الشيخ أبو الغلام فقال لولدة ياولدى احضر ضيفك شراب من شراب القسوس الذى تطيب به النفوس فقال الصحصاح مالى اليه من حاجة ولا تقول به وحاش لله أن يكون ذلك وقد كان منى من الجهاد ما كان فقال يامولاى عندنا من الشراب المطبوخ المثلث الذى يشربوه الخلفاء والفقهاء وهو يجلب الشرح ويذهب الترح ولا يوجد عندنا فى كل الأوقات وليس له نظير فى الآفاق من شام وعراق ويجلب الشهوه والسرور والقبله والحبور ويطرب الحضور ولا يلحقك منه سكور ولا خمور ولا كسل ولا انهام فهل لك فيه ياسيد الاحبار فقال الصحصاح افعل مابدا لك ياشيخ الدير فما يكون ان شاء الله تعالى الأخير فعند ذلك أحضر له شراب أصفر يأخذ نوره بالبصر وقد أحضر له اقداح فطاب قلبه وانشرح صدره واطمأن فى أمره سروره وقد رأى ذلك القس منه ذلك فقال لولده ياولدى أكرمه فان الكرامة فى طلعته لائحة وتجارتنا معه رابحة وسوف تجنى ثمرة هذا الغصن النضير فانه لاشك ملك كبير وآنسة بالجارية شمس النهار صاحبة المعانى والفنون تغنى له قصيدة الصوفى التى هى وزن سكيك دير طبون فانها جيدة المعنى والايقاع مطبوعة الطباع فعندها اشتاقت نفس الصحصاح الى سماعها وحسن ايقاعها فوثب الغلام وكان اسمه اسمين وقد غاب وحضر ومعه الجارية الرومية وهى كالشمس المضيه ومعها عود كبير وأوتاره حرير ثم قال الصحصاح يامولاى أتدرى لمن أحضروا هذا الشراب فقال لا والله فقال اعلم اننى أريد بذلك أحدثك ما عندى من حديث الديوره وسكانها وصفاتها المأنوسه المعموره وأشعار العرب وما جبلوا عليه من الأدب فشكره على ذلك الصحاح وقد أوهبه سيف الركاب مطلى بالذهب وغمده مكلل باللؤلؤ والجوهر وكان قد أوهبه له الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان فأعطاه له لاجل اكرمه له واعتذر له (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انهم بعد ذلك دارت بينهم الكاسات والطاسات بالمدام فعندها قدموا إلى الصحصاح فقال هذا شىء مالى فيه الا السماع فاجعلوا بينى وبين الخمره ساره فقد اتصل إلى عندى ذلك السرور وغاب عنى كل محذور ففعلوا وذاك وقد زاد سرورهم وصلحت أمورهم وقد سارت الجارية تدخل من داخل الستاره وتشرب الخمر وتخرج إلى عند الصحصاح

هى والغلام وتغنى عنده حتى زاد طربه وبلغ مأموله وأربه فقال له الغلام بحق دينك من تكون أنت من العرب الكرام بحق الصفا والمقام فقال له الصحصاح لقد أقسمت على بعظيم الأقسام اعلم اننى الصحصاح ابن جندبة الكلابى صاحب أمير المؤمنين وغرز نعمته وسيف نقمته وصاحب ولده مسلمة (قال الراوى) فلما أن سمع الغلام مقالته وثب قائما على قدميه وقبل الأرض بين يديه وقال يا ملك العرب وسيد أهل الرتب والله ماعرفت قدرك الجليل والحرمة والانجيل ثم انه اعتذراليه وعاد مرارا يقبل الأرض بين يديه فقال له للصحصاح اجلس ياغلام فقد عرفت لك هذا المقام فقال الغلام وحق دينى مابقى لى سبيل الى الخلوى وقد زال عنى برؤيتك كل وهم وبؤس ثم خرج الغلام وأخبر أبوه بهذا الكلام وكشف له عن أمر الصحصاح من بعد الابهام فقال الشيخ ياولدى والله هذاملك الداهيةالدهيه الذى أخرب بيوت النصرانية وفتح القسطنطينية وأذل أهل ماء المعمودية واستملك رقاب الروميه وأهلك الطائفة المسيحية وما هو إلا اضاع من عسكره وتاه من معشره ولولا أن نفسه تحدثه بأخذ الدير وهلاك كل من فيه لما كان وصل اليه وحده وهو يلقى ألف فارس بصدره لعلو همته والساعة يخرج الدير من أيدينا وحق المسيح اننى قد رأيت فى النوم كأن الدير قد سار جامع ونحن نصلى فيه فوثبت مرعوبا من أول الليل وما أخذ عينى بعد ذلك منام وقد قدم علينا هذا الهمام فقال له ولده اسمين قلل من هذا الكلام ودع عنك هذا المنام وقربنا الى هذا الملك الهمام وأقف فى خدمته وأعتذر اليه وانبسط بين يديه فكأنك بالعرب والغلمان قد أتيت اليه ودارت المواكب من حواليه (قال الراوى) فلما أن سمع الراهب من ولده ذلك الكلام فقام الراهب وقاموا معه القسوس والرهبان والشمامسة والمطارنة ولما أن أقبلوا أومأوا الى أقدامه وزادو فى إكرامه وتبجيله واعظامه وقد وقفوا فى خدمته فقال لهم الصحصاح اجلسو يامعاشر الرهبان وعليكم واقية الرحمن ولكم الكرامة والزمام من جميع أهل الأرض من الأنام ومن سائر الاسلام لأنكم بالجميل غمرتمونى وأكرمتونى من قبل أن تعرفونى فلا تنغص عنكم عند المدام واعلموا أن قد زال مابيننا من الاحتشام (قال الراوى) فلما أن سمعوا منه الرهبان ذلك الكلام شكروه على ما قال وقد أخوجوا له الهدايا الفاخرة والتحف الباهرة والجواهر الزاهرة وقد قدموا له الغلمان الذين كأنهم البدور ودارت أقداح السرور ثم انهم جلسوا على المدام وقالوا للجارية غنى لنا فأشارت تقول :

شربنا فى الرياحين على تلك الميادين على ضحك المزارات
على نوح الشعانين على ضرب البلابيل وترجيع الوراشين
على الأزهار والأثمار فى حسن التزايين كأذناب الصوانيس
وأعناق الجوابين شربناها قم واطرب على ضرب وتلحين
على شرب العقارين على شرب الشياطين إلى أن يمشى السكر
بنا مشى الورادين تمايلنا من السكر كأغصان البساتين

(قال الراوى) فلما أن سمع الصحصاح من الجارية هذا الشعر والنظام طرب لذلك طربا شديدا وزاد به الطرب وقال ما رأيت أطيب من هذه الساعة ولا أحسن من هذه الجارية لجل الواحد الخلاق فقال له أين أنت من قول الشاعر فى هذه القصيدة حيث يقول هذه الأبيات الحسان :

فياله يوم بالأركان منه والأوابين وبالهيكل والمذبح
وبالإبل والقوانين وبالسر الذى يتلى بترجيع وتلحين
وبالبطرك وبالأسقف منكم والمطارين
وبالقسيس وبالشماس أيضا والرمابين

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك الشعر والنظام لم يبق فيه جارحة إلا واختلجت من الطرب والسرور وخالط أعضاه النغمة وزال عنه الهم فانحلت مفاصله وماجت بلابله وانهملت دموعه وزادت لوعته ومن عظم مازاد بالصحصاح بكى وناح وقال ابصروا لى مكان أبكى فيه ثم انه بكى ساعة ولم يقعد مع رائحة الخمر فقالوا له اجلس أنت ونحن نمضى عنك الى مكان آخر فقال لهم والله ماأنكد عليكم ولا أقيمكم عن مكانكم فقال الغلام اطلعوا به الى عند الأسقف الآخر فانا ما رأيناه قط حضر على خمر فطلب الصحصاح الطلوع الى الأسقف والاجتماع عليه فطلعوا به الرهبان إلى قلاية الأسقف فوجدوه قائم يصلى وهو يقرأ القرآن فبهتوا الرهبان من فعاله ثم انهم بهتوا مما عاينوا . هذا وقد تقدم الصحصاح اليه واذا به الأسقف الذى كان فى القسطنطونية وكان هذا الأسقف قد بذل الأموال على الجامع الذى بناه الأمير مسلمة والصحصاح لأجل أن يهدمه فلم يقدر على ذلك فبهت الصحصاح فيه وبهت الأسقف أيضا الى الصحصاح وقد وثب وقال ماأبركه من صباح وقبل رأسه وبكى وناح فمسح الصحصاح دموعه من على خديه وقال له كأنى عرفتك ولا نكران فى معرفتك أليس أنت الأسقف الذى كنت فى القسطنطينية

وحاربت الملك على بناية الجامع وبذلت الأموال على هدمه ولما أن أتى الملك من ذلك أخذت أموالك وعرجت من القسطنطينية فقال له نعم أنا هو فقال ما سبب إسلامك ؟ فقال حديثى عجيب وأمرى غريب والله مايصلح إلا أن يكتب بالذهب على آماق البصر فان فيه عبرة لمن اعتبر فقال الصحصاح بالله عليك إلا ماحدثتنى بخبرك وأطلعتنى على أمرك فقال له اعلمك ياملك العرب وهو أنه لما فتح الله على أيدى المسلمين القسطنطينية وبنوا فيها الجامع وجرى لى مع الملك (لاوون) ما جرى وبذلت لكم الأموال على هدمه وصرتم أنتم تؤذنون فيه فكنت أنا لما أسمع الأذان أسد أذنى بالقطن حتى إنى لا أسمع الأذان وقد طال على الحال فأرميت روحى على الهلاك وأخذت عند ذلك أموالى وأولادى وجميع مالى من المتاع وقد طلعت فى سنين عظيمة وطلبت داخل البحر بلاد الإفرنج لأستنجد بهم عليكم وأنفق عليهم أموالى وآتى بهم إليكم وأستقيل القسطنظينية من بين أيديكم فان لم أقدر عليكم وإلا أقمت فى بلاد الروم وأدبر عليكم كل أمر ميشوم فلما أن سرنا إلى وسط البحر قامت علينا الأمواج والرياح فانكسرت المركب وغرق كل من فيها وتبدد شمل القوم وراحت أموالى وعيالى وأولادى وقد تعلقت على لوح من ألواح المركب فلم يزل اللوح يسير بى شهراً كاملا وأنا لاأدرى أين يتوجه بى فى بلاد الله تعالى ولم يكن لى قوت إلا مخلات يقصماط كانت الى جانبى فكنت آكل فى كل يوم كعب وكان معى قربة من الماء كنت لقيتها عائمة فى البحر فكنت أشرب منها فى كل يوم شربة ومازلت على ذلك الحال إلى أن طرحنى البحر المالح إلى جزيرة كبيرة خضرة نضرة ذات أشجار وأنهار وفيها شجرة كبيرة على هيئة النبق وطرحها أحلى من التمر فشربت من تلك العين وقلت وحق المسيح لابرحت من هذا المكان إلا أن أموت أو يأتينى الفرج . ولما أن ذهب النهار وأتى الليل وأنا فى تلك الجزيرة خائفا وجلا لا أجد جليس ولا أنيس فبينما أنا متفكر وإذا أنا بصوت جهورى مثل الرعد القاصف أو أشد وهو يقول لاإله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله وهو ولى من والاه وعدو من عاداه (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انه دخل وخفى على فلما أن كان نصف الليل أعاد الكلام بذلك الذكر المبارك ولما أن كان عند السحر أعاد الذكر فعندها طار النوم من عينى وانخلع قلبى وذهب لبى ولما أن كان عند طلوع النهار وطلعت الشمس وإذا أنا بجارية حسنة لم أرى أحسن منها وجها وشعرها قد جللها منسحب على الماء وهو خلفها وهى تقول : لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى

الله عليه وسلم ورضى الله عن على المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن والحسين شهيد كربلا ثم انها خرجت من الماء وإذا رأسها رأس جارية وعنقها عنق نعامه وبدنها بدن سمكة ولها ساقان مثل الثور فجاءت الى عندى وقالت لى اسلم ثكلتك أمك وعدموك قومك واعلم أنك قد حللت بجوار قوم صالحين لا ينجو منهم إلا من كان على دين الاسلام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقلت لها وما دين الاسلام فقالت تشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون حب محمد فى خاطرك ولبك ولايتم لك محبة محمد إلا بمحبة أهل بيته الطيبين رضوان الله عليهم أجمعين ويكون قلبك صافى لمن صافاهم ووليا لمن والاهم وعدوا لمن عاداهم وأنت تسلم الساعة وإلا ابتلعتك من قبل أن تنتقل من موضعك فقلت لها والله ما أحوجك أن تبتلعينى وتؤذينى ومن تكن دواب البحر تنطق بنبوته ومحبته ومحبة أهل بيته ماأكون أنا له مخالف ولأعدائه موافق أنا أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله (قال الراوى) ولما أن أسلمت وسمعت منى ذلك غطست فى البحر ثم انها طلعت بخمس صدفات ما لها قيمة ودفعت لى ذلك فرأيت فيها جواهر عظيمة وقد بذلت أموالا عظيمة فى القسطنطينية على أنى أجد حبة من تلك الجواهر عند أحد حتى أنى أشتريها وأجعلها على هيكل الانجيل فلم أقدر عليها ثم إنها قالت لى اصعد على هذه الشجرة فاذاكان عند إقبال الليل يقبل اليك طائر عظيم يبيت على تلك الشجرة فأقر له حتى ينام ويقرب الصباح فتعلق فى رجليه فانه يوصلك الاعامرة لأنه يسرح إلى بلاد العمران ويشرب من ماء الغدران فاذا نزل يشرب انزل أنت من رجليه وسير فى دعة الله تعالى وحفظه لأن هذا الطائر يأكل من ثمار بلاد الهند ويشرب من غدران السند ويبات عندنا فى هذه الجزيرة وحرم عليه لحوم بنى آدم الى اذا كان ذلك كافر جاحد يهلك ويأكله وكل من كان مؤمن مسلم فانه يسلمه إلى بلاد العمران ويوصله وقد وكله الله تعالى بالغزاة والغرقاء من المؤمنين ينجيهم من المهالك العظيمة ولولا أنك أسلمت لكنت هلكت منه وكان أعدمك الحياة وأدنى منك الوفاة وقد جعلنى الله سببا لحياتك ونجاتك ولمحبة أهل الله الأخيار وخروجك من ملة الجهالة الجاحدين الكفار أهل الصليب والزنار وانقاذك من النار حيث أقررت برسالة محمد المختار ثم انها مضت وتركتنى فلما أن جن الليل فعلت جميع ما أمرتنى به ثم تعلقت فى رجلين ذلك الطائر وقد طار بى وهو يسبح الله عند الصباح ويقدسه

الى أن رمانى فى بلاد السند فبعت ماكان فى عبي من تلك الصدفات وبقى بعض ماكان من تلك الجواهر ودخلت فى بلاد الاسلام فسمع بى ملك الهند فدعانى فتقدمت اليه وحدثته بحديثى فتعجب منه غاية العجب وقد أسلم على يدى وكان يحكم فى اليهود ويظهر أنه منهم وهو مؤمن مسلم فى الباطن والظاهر لهم أنه كافر فأعطانى مالا عظيما وكان يخدمنى لأنه عرفنى لأن خبرى وصل اليه من القسطنطينية لأن التجار التى كانت تسافر بأموالى كانوا يخبروه بمالى وهذا الذى كان سببا فى إسلامى وسلامتى ثم اننى أخذت جميع ما كان حصل معى من المال غير الجواهر فتصدقت به على ضعفاء المسلمين وقد خلصت ببعضه أسارى من بلاد المشركين وتركت الدنيا وزهدتها لعلمى أن كل شيء فان إلا وجه الكريم ثم إنى ما زلت أسعى الى أن توصلت الى هذا الدير لأعبد الله فيه منفردا عن الخلق ثم أنه بكا وقال الحمد لله الذى اصطفانا الحمد لله على اسلامنا الحمد لله الذى اجتبانا وهدنا لهذا الكلام ياساده ياكرام (قال الراوى) فلما أن سمع الصحصاح من الأسقف هذا الكلام غاب عن الوجود وصار فى صفة مفقود وقال والله فرحت قلبى باسلامك فقال الأسقف والله لولا أن الله هدانى ياقوم لما كنت عرفت اليه الطريق ثم انه بعد ذلك أشار يقول:

إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها — فاجعل جهادك فى الدنيا لابليس
وقم لربك طول الليل مبتهلا — وجامعا بين تسبيح وتقديس
وقل الهى ومقصودى ومعتمدى — أمنن علىّ بتقريب وتأنيس
أنا الفقير ومنك الجود يشملنى — وأنت مولاى ومغنى للمجاليس
ان كنت أخطأت بميلى لمعصية — بالشرك فى القول مع أهل النقاويس
فانى اليوم من أهل اليقين ولى — فى المسلمين هدى لا فى الشماميس
فاغفر ذنوبى وتغفر ربى سيآتى — فجانبى بهداك اليوم مأنوس

(قال الراوى) فلما أن فرغ الأسقف من شعره ونظامه تعجب الصحصاح وقد تعجبت الرهبان من ذلك قال ياصحصاح أنا ما أتعجب الا من هزوى من القسطنطينية وكنت أسد آذانى بالقطن اذا سمعت حس الأذان والتسبيح للملك القدوس وأنا اليوم أسد الآذان بالقطن اذا سمعت حس الناقوس ثم انه خلع من آذانه قطعتين من القطن وقال ياصحصاح من يوم دخلت الى هذا الدير ما صليت الا سرا ولا قرأت القرآن جهرا الا فى هذه الليلة التى رأيتنى فيها ورأيتك وقد جمع الله فيها بينى وبينك

لانى كنت نائم وإذا بالنبي صلى الله عليهوسلم وهو يقول لى كم ياهذا تقرأوتصلى سرا
لاترجع نصلى وتقرأ الا جهرا لأننا سقيناه الرهبان بالكاس الذى سقيناك وقد أرويناهم
كما أرويناك فوجهت وجهى للقبله وفتحت بابى وما كنت أصلى إلا وهو مغلوق إلا وهو
مغلوق إلا فى هذا الوقت الذى وصلت إلى فيه وأنا فى المحراب أتلو القرآن جهرا وأصلى
(قال الراوى) فلما أن فرغ الأسقف من هذا الكلام مدت الرهبان كلها أيديهم وقالوا
نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره الكافرون ثم قال كل واحد من ذلك الرهبان والله ما منا أحد إلا
وقد رأى فى منامه الليلة ما قد أهاله من الخوف والحساب والعناد والعذاب والقيود
والأغلال وكان هذا الأسقف قد تقدم الينا ومسك بأيدينا وقد أنقذنا مما كنا فيه من
العذاب والعقاب والساعه كنا نقول انه على ديننا وما نراه إلا على غير الدين الذى
كنا عليه ومن يكون بشفاعته أنقذنا من الحساب والعذاب والعقاب فى المنام فلا بد
أن يكون شفيعا لنا فى اليقظة ويخلصنا من أليم العذاب (قال الراوى) ثم أسلموا الجميع
قدام الصحصاح والأسقف ثم أنهم جلسوا للحديث وفى قلب الصحصاح من الغزالة
من عظيم وخطب جسيم ووجد متيم ولم يلتق أحدا من الرهبان يحدثه بحديثها ولا يخبره
بخبرها ولا يطلعه على سرها وأمرها فقال للرهبان والأسقف أنتهى فى هذه الساعة
التى بقيت من الليل أن يحدثنى كل واحد معكم بأعجب ما جرى له فقالوا له حبا وكرامه
هذا وقد ابتدأ كل واحد من الرهبان يحدثه بعجائب الأخبار وغرائب النوادر
الأشعار والصحصاح لا يزداد إلى كمدا ولا يقر له عين أبدا ولا يضحك له سن
على المدا بل غاب فى فكره مشتغل ما يرى فى أمره فعند ذلك أقبل عليه الأسقف
وقال له ياملك العرب والله الذى لا إله إلا هو مايعجبنى حالك ذلك فقال له الصحصاح
لأنه قد جرى لى حديت من أعجب الأحاديث وما أقول قط انه جرى لأحد من
البشر بأعجب مما جرى لى وما قلت لهؤلاء الرهبان حدثونى إلا أقول عسى أسمع
خبرا كخبرى وأقع على أثر كأثرى أو يكون جرى لاحد مثل هذا الذى جرى لى فقال
الأسقف والله ما منا الا من جرى له حديث عجيب وأمر غريب وقد أخبرتك به
وأولهم أنا ولكن أشتهى أن أسمع حديثك أنت فقال له الصحصاح والله لقد نظرت
موضع النظر اعلم ان الهوى قد حملنى مالا أطيق فقال له الأسقف ولم ذلك ياملك
العرب على انه والله عندك كل الأمور العجيبة والأخبار والأحاديث الغريبه والشجاعة
والبراعة والشهامة والفصاحة والسخاء والقوة والوفاء وان هؤلاء محبوسين فى هذا

الدير لايرون ما رأيت من عجائب وغرائب (قال) ياساده ياكرام فعند ذلك قال الصحصاح والله لقد عاينت عجبا عظيما وخطبا جسيما قبل قدومى إلى هذا الذى أنتم فيه فقال له الاسقف حدثنا يا ملك العرب بهذا السبب فعندها ابتدأ الصحصاح يحدثهم بما جرى له مع ابنة عمه ليلى وما جرى له مع الوحيديه وكيف سمعت ليلى بزواجه وخروجه هاجا على وجهه وكيف رأى سعدين عامر وهو ينشد الشعر وقتله وخرج وما زال إلى أن وصل إلى الدير ورأى الغزالة الجنيه وكيف خلصته من الاسد بعد أن قتل الشبلين وما جرى له معها من الاخبار والاشعار وكيف افتتن بحسنها وجمالها وطرفها وقدها واعتدالها وانه لها عاشق وبها واثق ولا قدر أحد يسليه عن ليلى والوحيديه إلا ان كانت هذه الغزالة الجنيه وأنه يريدأن يقف على أثرها ويطلع على خبرها (قال الراوى) فلما أن سمع الاسقف من الصحصاح هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال وحق من هدانى إلى الايمان بعد الكفر والطغيان لقدسافرت وسعيت فى البرارى والقفار ماسمعت ولا رأيت أعجب من هذه الاخبار ثم انه التفت إلى من كان بجانبه جالس من الرهبان الذين أسلموا وساروا من أهل الايمان وقال لهم هل سمعتم قط بهذه الغزالة فقالوا له لا والله ماسمعنا قط بهذا الحديث بل ترفقوا علينا حتى نسأل الراهب اصطفانور فانه أقدم منافى هذا المكان فذهب بعضهم إلى عنده وأتى به إلى عند الصحصاح فسأله عن ذلك فقال نعم ثم انه ضحك فقالوا مم ضحكت ياراهب فقال اعلموا انه قد جرى لى معها حديث ما أقول انه قد جرى على وجه الارض أعجب منه فعندها فتح الصحصاح أذنيه وكل من حضر وقالوا له بالله عليك ياراهب ايش هو الذى جرى لك معها من الخبر فقال لهم وحق من رفع السماء بقدرته وأجرى البحار بحكمته لولا أنكم بدأتم بحديثها وضاق منى المصطبر ما قدرت أحدثكم به الى المحشر لاننى معاهد معها ومحالف وانى منها على وجل خائف فقال له الصحصاح حدثنا وما عليك بأس فقال لهم اعلموا ياسادات اننى كنت فى مبتداى رجل صياد وكان لى من العمر فى ذلك الزمان مائة وثلاثون سنة وأنا من جملة الصيادين المذكوره وصنعتى بصيد الوحوش مشهوره وقد كنت خرجت فى بعض الايام إلى الصيد ونصبت شركى ومديت شباكى وإذا أنا بهذه الغزالة قد أقبلت وهى تتمخطر ومن حولها عشرة من الغزلان وقدامها غزالين وباقى الغزلان على صفة الغزلان كانهم غلمان ولم تزل تسير إلى أن وصلت إلى عند الشرك وقد نظرتهم وكنت قد

ضربت شركى على عين ماء فتركت الغزلان واقفين وانفردت عنهم وقصدت إلى نحوى ووقفت على رأسي فى المكان الذى أنا فيه مستتر وقالت لى ياصياد قلت أنا لبيك وقد اقشعر منها جسمي وقلت سبحان الله غزاله تتكلم بكلام آدميين فقالت لى لا لبيك ولاسعديك أنت أتيت بشباكك ونصبت حيالك واشراكك تريد أن تصيدنا فقلت لها والله مالى معيشة قط الا صيد الوحوش والغزلان والتغيب فى كل مكان وإذا كنت علمت أنكى تأتى إلى هـذا المكان ماكنت جئت اليوم اليه ولا كنت نصبت أشباكى عليه ثم تأملتها وإذا هى خلقة عظيمه مليحة صبيحة الوجه وعينيها مكحوله وهى مثل عيون الآدميين بياض وسواد وكان صانع عملهم باسفيداج ومداد ولها نور عظيم يأخذ الابصار وعلى حسمها جل أطلس مدثر وقرناها من الذهب الاحمر مكللة بالدر والجوهر المدور يأخذ نوره بالبصر ثم دنت منى وقالت لى ياصياد أنت طماع ثم انها ضحكت وتكلمت بكلام لا أعرفه ولا أفهمه فأقبلت تلك الغزلان إلى وقد نزلوا على وسارت كل واحدة منهن تنطحنى من جانب وهى تضحك على وتقهقه وتتعاجب ثم أنها قدمت أربعة من الغزلان إلى شباكى واشراكى فقطعوهم قطعا وأرموهم فى تلك العين وهى تنظر إلى ولا تزداد إلا ضحكا فقلت لها بالله عليكى أيها السيده الجليلة ارفعى عنى هذه الغزلان والا قد هلكت فى هذا المكان وأنا شيخ كبير وضعيف الحيل وما لى طاقة برد واحدة فكيف بعشرين فما هى إلا أن سمعت قولى حتى صاحت صيحه عظيمة فما أدرى الا ومقدار خمسمائه غزالة أقبلوا من كبد البرالى وهجموا على وجعلوا ينطحونى ويرفصونى وما بقى فى عظمة الا طحنوها ولا لحم ولا عصب الا وهشموه فصرت أصرخ وأصيح وهى تضحك على ولا أعرف لمن أدفع ولا لمن أضرب وكلما أردت أن أهرب دار وانى فلما علمت الغزالة أنهم أشبعونى ضربا وهشما وأنها قد اشتفت منى وهم قد قطعوا أشباكى واشراكى وأنا منهم قد أشرفت على هـلاكى فعندها خاطبتهم بلسان لا أعرفه ولا أفهمه فتركونى مرمى لا أعقل على نفسى مما حل بى وصبرت على قليل الى أن رجعت الى روحى وجاءت الى عندى ووقعت على رأسى وقالت لى قم باشيخ فلم أستطع النهوض فكلمت تلك الغزلان فنهضوا الى وقد ملؤا أفواههم من الماء وأتوا به ورشوه على وجهى فأفقت من غشوتى وصحوت من سكرتى ولم يزالوا يقومونى بقرونهم حتى اننى قد وقفت وصحيت وأفقت ووقفت وأنا دايخ الرأس خامد الانفاس بارد الحواس فقالت

الغزالة ياشيخ ما اسمك فقلت لها ياستى اسمى عطايا فقالت لى أعطاك الله صيدا مثل هذا اليوم فقلت لها ان كانت إلى خير وسلامه فما ثم ندامه وبعد أن تسلم حشاشة نفس الانسان فما يبالى بطوارق الحدثان والله لو وقع فى شركى بعض الذئاب والضباع والفهود والسباع وأقاسى منهم شدة عظيمة ما قاسيت أعظم من هذا اليوم والمثل يقول إذا تكاثرت الناموس أهلكت الجاموس وأنا طول عمرى أصيد الغزلان واليوم قد صدتونى أنتم فما على فى هذا عتاب فقالت لى ما عليك بأس ياشيخ عطايا اعلم اننى يقال لى ست الغزلان وما وصل إلى قط انسان ولو طاف على طول الزمان فقلت ومن هو الذى يطوف عيك ويطلبك ومن الدى يتحدث بمثلك فقالت لى ياعطايا ان حديثى عجيب وأمرى غريب هذا وقد أخذتنى وتمشت بى الى كهف فعبرنا فيه (قال) ولما أن دخلنا إلى ذلك الكهف واذا بباب من الذهب الوهاج ودهليز أرضه مطرز بالرخام تطريز وثانى باب ودهليز أحسن من الأول ولا زالت تدخل بى الى ان عديت سبع دهاليز وسبعة أبواب كل دهليز زى وصنعة وكل باب صنعة تحير الواصف وقد دخلنا الى قاعة بأربع لواوين ومصطبة ليوان قصاد ليون وقيعه وشاذروان والكل من الجوهر والمعادن واللالىء والياقوت والذهب والفضة وفيه ما يحير الناظرين ويدهش عقل الواصفين وفى الصدر ليوان عليه فرش ومقاعد ومساند وسخانات ومخدات ودائر مزركش وسرير من المرمر مصفح بالذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر ومراتب فجلست هى وجوارها وقد صارت مثل الغزال العطشان تفتن العباد بخد أحمر بطرف أكحل بحاجب مقرون بخصر فى العيون تهيل وتميل وتخلى العاشق خاضع ذليل (قال الراوى) فلما ان استقر بى الجلوس فى هذا المقام مدوا لنا سفرة الطعام فيها من كل ماتشتهى الشفة واللسان فأكلنا حتى شبعنا ثم أنهم شالوا الطعام فيها وقدموا لنا سفرة المدام وفيها متطاولات ومتقاصرات وأوانى وصوانى وشمعدانات والخمر فى قنانى وكاسات ومشموم وفاكهات ودارت الكؤسات فشربنا وقد سقتنى وغنت الجنكيات والعوديات الى أن سكرنا فقالت ياعطايا اسمع حديثى فهو عجيب وأمرى أنه غريب هذا وقد تمكن الشراب منها وغزلت عيونها وتمايلت معاطفها وصار كلامها فيه غنه فقلت لها ياستى حدثينى بهذا الحديث المليح فقالت ياشيخ اسمع حديثى واعلم أنه عبرة وفكرة لمن افتكر والله مايصلح الا أن يكتب بماء الذهب لما فيه من العجب اسمع ياشيخ واعلم اننى أناست الظباء بنت ملك الجن ولما أن كنت

طفلة صغيرة السن لى من العمر عشر سنين وكنت مشغولة بالفرح واللهو واللعب وطيب العيش والشراب وكنا بأرض اليمن فبينما أنا يوم من الأيام وجوارى وخدمى بين يدى يضربن بالدفوف ويزعقن بسائر الألحان والضرب وكان فى ذلك اليوم فرح للأنس وزفاف امرأة فدخلت الى ذلك الفرح من غير أن يروتى فلما أن توسطت مجلسهم وإذا بى أسمع بعض النسوان يقولون إن زوجة المبرقع أتت ببنت لم ولدت مثلها أنثى فلما سمعت ذلك سرت الى بيت تلك المرأة ونظرت الى البنت وإذا بها بنتاً مافى الأرض أحسن منها والبيت قد امتلأ نوراً من وجهها حتى ظن كل من فى ذاك المجلس أنه برقاً فبقيت أنامتعجبة من نور وجه تلك الصبية وحسنهاوجمالها وإذا بواحدة من تلك النساء تقول لهم أنتم تتعجبوا من حسن هذه الصبية والله إن أبوها ما يقدر أن يكشف البرقع عن وجهه لئلا يخطف نوره الأبصار ومايمشى فى الطريق إلا بسبع براقع فتأملت فى وجه الصبية وأبوها فوجدته أحسن أهل زمانه وقد فاق على أهل عصره وأوانه وهو من أولاد ملوك اليمن وكان إذا عبر على الأسواق افتتنت النساء به فوقع أنا فى قلبى حب الصبية فصرت أتعاهدمنزلهم وأجلس الصغيرة فى مجلسها وهو مهدهاوأبوها وأمهامن حولها وهم لايرونى هذا وقدافتتن الناس بحب أبوها فأمر الملك بخروجه من المدينة فصار الرجل كلما كشف وجهه يبقى كل أحد شاخص باهت وهو أخرس اللسان عادم العقل والجنان مهبول ما يعرف ما يقول (قال الراوى) فلما أن زاد الأمر أخذ امرأته وبنته وبعض معارفه وقصد الى هذا الوادى فما أمكننى الصبر بعده لأجل حبى فى ابنته وقد سكن هو فى هذا الوادى وبعد عن الناس لأجل صداعهم هذا وقد تبعتهم أنا وأمى وأبى وأختى وبنت عمى وابن عمى وهويحبنى وأنا ماأحبه فتقدم ابن عمى وقال لأبى ابنتك ماتبعت هذه الصبية الانسية إلا لأجل أبوها المبرقع لأنها تعشق ابنته والمرأة كيف تعشق امرأة مثلها فتقدم الى أبى وقال لى ذلك وحلفنى بجميع الأيمان على ذلك فقلت لها والله ما أحب إلا الصبية ولو أنكم تقطعونى قطعة قطعة ما قربت من هذا ابدا ولو شربت كاسات المنون وكان أخى يحب ابن عمى لأنه كان ينكح معه البنات الانسية ويعملوا كل داهية وبلية وما يغضب ابن عمى إلا لأجل ذلك لأنه ينكح المرأة قبل زوجها فى طرفة عين فبغضته لأجل ذلك لأنى أنا طاهرة الذيل عفيفة الفرج وهو فاسق زانى فطلب ابن عمى أن يقتل أبو الصبية ألف مرة وأنا امنعه من ذلك فلما ان كبرت الصبية صار جسمها يتكاسل عليها ويتدرن منها وتنظر الى جسمها تجد فيه أثرقرصات شبه ورق

البنفسج فسألت الأطباء عن ذلك فعالجوها بجميع الأدوية فلم تبرأ من ذلك ومازالت إلى أن قصدهم معلم معزم من هذا الدير وهو راهب وقال لهم إن أبرأتها مما هى فيه ما يكون لى فقالوا له على رضاك فضرب مندل وأحضر القرائن وجمع الأعوان مثل طارش ملك العمار وديباج ملك القرناء وملوك الجان والأرهاط والأعوان ومن جملتهم أنا وأمى وأبى وأختى وابن عمى وجميع ماعندنا من الجان وقد أخذ علينا العهود والمواثيق والأيمان وكتب لها حجاب وهيكل وعلقهما عليها فامتنعت أنا من الدخول عليها فاشتفى منى ابن عمى فحلفت اننى لا آوى عندهم مدى الدهر وقد أمرت بعمارة هذا القصر وانتقلت فيه بجوارى وخدمى وأموالى وغلمانى وما فى قلبى حسرة إلا اننى أنظرها نظرة أو يقع لى هذا المعزم القرنان ولا يكون معه حجاب حتى كنت أوقعه فى أشد العذاب كما فرق بينى وبين الأحباب وأنا والله ما أدور بطول الليل والنهار من حول الدير إلا لعل أن أقع برؤيته حتى أعمل على أذيته فلما أن سمعت منها ذلك الكلام فقلت لها أنا أعمل لك على إبطال الحجاب اللى على تلك الصبية وتجتمعى بها فقالت لى والله إن فعلت هذا فأنا أغنيك وأغنى فاقتك لعاقبة عاقبتك لأن عندى أموالا عظيمة وأنعام جسيمة ثم انها مدت يدها الى كيس فيه ألف دينار أعطتنى إياه وقد أعطتنى عقد جوهر وقالت هذه هدية إليك ولاأبخل بها عليك ولا هذا الذى أعطيتك حق الذى تفعله معى وان حق الذى تصنعه عندى لأنى منذ فارقت الصبية عشر سنين لاطاب لى عيش ولاهنأ لى وقت غير البكاء والتعب والعناء فقلت لها الله يجمع بينكما عن قريب ان شاء الملك المجيب ثم انها أخذت على العهود وقد خلعت على وأحسنت إلى وكان السكر قد لعب بها فنامت ونمت أنا الآخر فلم أفق من نومى إلا وهى واقفة قدامى فقمت وأنا مرعوب (قال) ياساده فلما أن رأيتها على ذلك الحال فقالت لى لاتخاف ماتم إلا الخير إيش سمعت منى البارحة فخفت أن أقول لها الكلام فقلت ياستى ماسمعت شيئاً أصلا فقالت أصلا قلت لاأصل ولافصل ولاجور ولاعدل إلا انها كانت ليلة حسنة بمعرفتى لك أيتها السيدة الجليلة فقالت لى ومن أعطاك هذه الخلعة وهذا المال فقلت لها انت أنعمت على بهم من إحسانك ومن بعض فضلك وامتنانك فقالت ياشيخ عطايا تستاهل من هو أعظم من هذا ولكن عليك بالكتمان ولاتطلع أحداً على حديثى وحديث الغزلان فيرجع ربحك خسران وتدرج فى الأكفان وان عشت تعيش ندمان والسلام ثم انها زعقت على بعض جوارها وقالت لها هاتى ما قلت لك فغابت وأتت بثلاث بدلات صغار وبدلتين كبار وألفين دينار

وقالت ياشيخ عطايا خذ هؤلاء لك ولزوجتك وأولادك وهذا الذهب انفقه على زوجتك وأولادك فالمـــال مالك فدبر حالك فقلت لها ياستى لقد وصل الى من نعمتك مايكفينى لأبد الآبد وعاقبة الولد (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمعت منى ذلك فقالت لى اعلم ان هداك كان فى سكرتى وهذا فى صحوى فأخذت منها المال وأخذت جميع تلك النعم وقبلت أقدامها وودعتها ورجعت طالب أهلى وأولادى وهى تقول لى أوصيك أوصيك الحذر ثم الحذر أن تفشى لى سر أوتظهر لى أمرا وأنا أقول لها والله لا كان ذلك أبدا ولو شربت كاس الردا ثم إنى سرت ولم أصدق بالنجاة إلى أن أتيت الى بيتى فوجدت زوجتى وأولادى الـكل مجتمعين وقد أقاموا على الصياح والبكا والنواح فلما أن رأونى فرحوا بى الفرح الشديد وقالوا والله ما ظننا إلا أن الوحش أكلك وان الصيادين قالوا لنا انهم وجدوا شباكك مقطع مرمى فالحمد لله على سـلامتك ثم انقلب الترح فرح وقد أقمت عند أولادى فى طيب عيش فلما أن زوجت بعض بناتى فهى فى جلاها واذا بالبيت قد وقع على كل من فيه فهلـكوا بأسرهم فأقسمت بالله أننى لا أتزوج أبدا وقد أخذت ما كان قد بقى من المال وقصدت هذا المـكان وقد قلت للرهبان انى نصرانى واسمى أصطفانوز وقد صرت فى كل يوم أخرج من الدير وقلت عسى أن أقع بتلك الغزاله فما رجعت وجدتها ولا أبصرتها فهذا ما جرى لى معها ولولا أنـكم بدأتمونى بذكرها ما كنت حدثتـكم بهذا الحديث أبدا فتعجب الصحصاح وقال والله لا بد لى من هذه الصبية الذى قد ذكرتها وأخطبها من أبيها ان كانت إلى الآن عازبه ثم انه أقبل على الأسقف وقال له أحضر لى عشر جواهر وكيسين من الذهب وقم معى الى عند أبيها ونأخذ معنا هذا الشيخ عطايا فأجابه إلى ذلك وساروا إلى أن وصلوا الى عند أبو الصبية محبوبة الغزالة الجنية فتقدم الصـحـصـاح اليه وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له عسى من حاجة تقضى فقال له الصـحـصـاح اعلم أننا قد جئنا نطلب القرب من المولى الكبير لما سمعنا بعفته وصيانته وحسنه وجماله واذا زوجـنى المولى ابنته ما أخرجها من تحت كنفه بل انى أسكنها فى دار مليحة فى هذا الدير فى سفح هذا الجبل بالقرب منك وتبقى تزورها وتزورك وان أردت تسكن عندنا فى الدير كان ذلك خير على خير فقال والله ما تستغنى أرض عن مطر ولا عين من نظر ولا أنثى من ذكر وقد أجبتكم فقال له الصـحـصـاح ماذا يكون من المهر يحمل الى المولى فقال الاسقف للبرقع اعلم أن هذا الأمير الصحصاح ابن جندبة الـكلابى ملك العرب صاحب الحسب والنسب

الذى فتح القسطنطونية وأذل أهل ملة النصرانيه وبنا فيها جامع الملة المحمدية وقد هجر زوجته وجاء اليك طالب زواج ابنتك راغب ولها خاطب فقل ماشئت واطلب ما هويت من المهر (قال الراوى) فقال المبرقع والله ما أقول لكم شيء مشافهة وأنا أقدمها لكم ضيافة فقال الصحصاح وأنا قبلت وهذا مهرها ألف دينار وعشرة جواهر كبار فقال لهم سيروا أمامى إلى الدير فان فى بقية هذه الليلة أعود وأجيبه وأجيء لكم الى الدير فساروا الى الدير وقعدوا فى انتظار الصبية الى ثانى يوم واذا قد سمعوا صراخ وصياح وبكا ونواح فحرج اليهم الصحصاح وقال لهم ما بالكم فقالوا له أيها الملك قد أخذنا زوجتك وزيناها بالحلى والحلل وسرنا بجملتنا الى هذا الدير ونزلنا هناك على الغدير للراحة من شدة الحر فنزلت مع البنات للغدير تتبرد لأجل ما حميت من جهة المسير وثقل الحلى والحلل الكثير فاختطفت من الغدير وما ندرى ما كان منها وما أصابها (قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على بدر التمام وكان السبب فى ذلك الغزالة الجنية فانها كانت أقامت تلك المدة محجوبة عنها وهى لا تصل اليها ولا تقدر عليها من الأقسام فلما أن وصلت الى الغدير وكانت الغزاله وراءها وهى لا تراها فوجدت فى ذلك الوقت الفرصة والغفلة فانقضت عليها وأخذتها وطارت بها إلى أن دخلت الى قصرها وهى معها وقد أجلستها على سرير ملكها ثم انها أحضرت الملاهى والمغانى والأموال والتحف والجواهر بين يديها ثم قالت لها ياستى أتعرفينى من أنا فقالت الصبية وهى خائفة منها لا والله مالى بك معرفه أنا امرأة مثلك بنت عذراء وأنا أحبك محبة ومودة عظيمة من يوم ولدتى وكنت أتولع بك وأعبث عليك وأقرصك حتى تتكلمى فألتذ بكلامك ثم أتنزه بجمالك وقد أحضروا أهلك المعزمين فنظروا الى القرص فعرفوه فحجبونى عنك وانقطع اياسى منك وما قصدت بهذا اليوم وصدقت أن أراك فى الماء وقد أماطوا الحجب عنك ولولا الحجب والأقسام كنتى عندى من زمان وأنا ماقصدى منك غير المشاهدة والنظر ولا يصل اليك منى بأس ولا ضرر (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن علمت الصبية من أين دهيت وقد صارت تنظر الى وجه ست الغزلان بنت ملك الجان وتتعجب من حسن صورتها وجمالها وملاحتها واعتدال قامتها وتقول والله انك لصورة مليحة وقامة رجيحة والناس يقولون ان الجن يفزعون هذا وقد أنستها ست الغزلان وحادثتها وتمات بنظرها ورؤيتها ومنادمتها وقالت لها يا أختى لاتضيق صدرك فما تباتى الليله إلا عند أهلك وعند بعلك وانى مكرمه وأعطيك هذه

الجواهر المثمنة هـذا كله أفعـله معكى ان كانوا أهلك ما يمنعوكى عنى ولايحجبوكى وان هم فعلوا مالا أريد قتلتك وقتلت روحى معك واعلمى اننى أحجب عنكى كل من يريد بكى سوء من رجال الجن فانهم لايقدرون أن يصلوا اليك اكراما لى وإلا كانوا يشاركوا زوجك فى أخذ وجهك واعلمى ان ابن عمى يحبنى محبة عظيمة وأنا قد تركته من شأنك وان بينى وبينه الدم الأحمر والسيف الأبترا وأنه هو وأخى يريدوا أن يؤذوكى وأنا لا أمكنهم منكى وأنهم الاثنين متفقين على هتك البنات والفساد بالمحصنات الخيرات الطاهرات (قال الراوى) فلما أن سمعت تلك الصبية منها ذلك الكلام علمت صحة قولها وصدقتها فى مقالها وقالت لها والله الذى لاإله إلا هو من يومى هذا لوجانى أبى وأمى يطلبونى ماوافقتهم الا بمشورتك وما أفعل شىء الا بأمرك والذى لا تريد به ما أفعله ولا أقر به (قال الراوى) لهـذا الكلام فبينما هم على ذلك الحساب وإذا بالصراخ قد علا والعياط قد نما وقد وقع التشويش فى القصر من كل جانب فخرجت ست الغزلان تكشف الخبر واذا هى بالمعزم على الباب الذى يليها وهو يعزم ويتكلم ويهمهم (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب فى ذلك وهو أنهم لما أن أتوا الى الصحصاح وهم على تلك الحالة والبكا والنواح وأعلموه أن الصبية خطفت فدخل وأعلم الرهبان بالخبر فقال له الذى عنده علم بالعزيمه لولا أن الحجب قلعت منها لما كان جرى عليها شىء فقال عند ذلك الصحصاح فما تكون الحيلة فى هذا الأمر فقال تلميذ الشيخ ووصية لاتعرف ياملك العرب حضورها الا منى فان شيخى مات وعلمنى كل ما كان عنده من العزايم وما كان يصنعه وقال له نحن ما نفعل الا على سبيل الصحبة وليس لنا فى المال من رغبة فان عندنا المال كثير وأنت نعم الصاحب والأمير ثم أنه نهض وأخذ معه معزم والأسقف وأهل الصبية والصحصاح ثم أنهم ساروا ولم يزلوا سايرين الى أن أتى بهم الى باب مفتوح فى الجبل فقال لهم اجلسوا هاهنا هنا وقد جلسوا والمعزم يعزم وهم جلوس ينظروا الى العزايم والطلاسم الى أن حضر كل من كان فى ذلك الجبل من الشياطين والجان وقد بلغ الخبر الى سيدة الغزلان بنت ملك الجان فضمت الصبية الى صدرها وقالت لها والله ان احراق النار أهون على من الفراق هذا والمعزم قد قرأ عزيمته وهو يقول للغزلان أحضروها والا هلكتكم عن آخركم (قال الراوى) هذا وان المعزم أورى أبو الصبية ما كانت ابنته فيه وقال كلموا هذه الجنيه وقولوا لها ماذا تريدى من ابنتنا فكلموها وقد قالوا لها لاى شىء

تفعل مع ابنتنا هذه الفعال وأى شيء تريدى منها فقالت والله ما أريد غير النظر اليها فانى محبة لها من غير فحش ولاخنا وانى قد تولعت بحبها من صغرها الى كبرها فقال لها أبوها وايش الذى تريدين منها فقالت أريد أن أكون معها أينما كانت وأتوجه معها أينما توجهت فقال لها المعزم اذا كنتى لاتشتهى فراقها فعندى رأى سديد وهو أحسن ما يكون من الأمور وبه يتم لكى السرور فقالت وما هو فقال لها هو أن تتزوجى بهذا الملك العظيم والسيد الكريم صاحب الصفة الجميلة والأخلاق الجليلة وأنتى قد عاينتى جماله وعلمتى فضاله وأنه خير لكى من الجان وأن له الاحسان والامتنان فقالت ست الغزلان ان أبى لايفعل (قال الراوى) ياساده يا كرم فعندها استحضر أبوها ملك الجان وقال له اعلم أن الأشياء لاتؤخذ إلا إن كان بالمعقول والرأى وأنت ملك عاقل وهو أن ابنتك قد ألفت هذه الصبية وهى محبة من غير شك وهذا ملك العرب وهو من ملوك الانس قد تزوج بهذه الصبية وأن ابنتك قدأخذتها وأعاقتها عن بعلها وأنه يريد أن يأخذ زوجته وهى لاتتركها وأنا قد أحضرتك لشيء فيه الصلاح لك ولابنتك إذا أنت فعلته وان لم تفعله أحرقتك وجميع من يلوز بك فقال ملك الجان وماهذا الذى تريد منى فقال له المعزم اعلم أننى أريد منك أن تزوج ابنتك ست الغزلان الى الصحصاح ملك العربان فقال عقهق ملك الجان السمع والطاعه وان أردت فى هذه الساعه ثم أن عقهق تقدم الى ابنته وقال لها يا بنية اما أن تطلق هذه الصبية وإلا فقد سمعتى ما قال من القضية فقالت له يا أبتى زوجنى به بشرط أن أكون أنا وهـــذه الصبية فى فرد بيت واحد ولا أبالى بعدها ولا حساب فقال الصحصاح قد قبلت ذلك وأنا ما أفرق بينكما أبدا (قال الراوى) فعند ذلك أحضر ملك الجان أكابر قومه وقد كتبوا كتاب الست غزلان على الصحصاح فعند ذلك فرحت قلوبهم واطمأنت نفوسهم وأخذ عقهق فى جهاز ابنته وسيرها مع الصحصاح ومن حولهـــا الجوار الملاح وهم بأنواع الملاهى سائرين ولا يزالوا كذلك الى أن وصلوا إلى الدير فلما أن استقر بهم الجلوس أمر الصحصاح بالولائم وأقاموا الأفراح للانس والجان وقد أجلوا عليه بنت ملك الجان وابنة المبرقع إلى أن تم الجلا وقد اختلى الصحصاح مع بنت المبرقع إلى آخر الليل وأراد أن يختلى بست الغزلان واذا بصيحة عظيمة قد ملأت الآفاق ورجم عظيم من خلف الدير وأهوال مختلفات فلما أن علمت بهم ست الغزلان قالت هذا ابن عمى وأخى وأعوانهـــم وقد أتوا يريدوا أن يأخذونى فان ابن عمى قد خطبنى فأبيت أن أتزوج به فأخذته

الغيرة والقلق والحمية وقد تصادف هو وأخي وأنا لو قتلت روحي ماتركته يملكني أبدا ولو شربت كاس الردى (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم إن الصحصاح بات تلك الليلة مع بنت المبرقع فى أطيب عيش وألذ سرور فلما أن اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وكان الرجم بطل عن الدير من وقت قام الصحصاح عن الجارية وقد قالت له ست الغزلان : دع دخولك على فى هذه الليلة واصبر الى الليلة الثانيـة حتى اننى أمضى الى أبى وأعلمه بما فعل أخى وابن عمى ويكون بعون الله كل خير (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن ابن عم ست الغزلان كان يحبها حباً شديدا ما عليه من مزيد وهى تبغضه بغضة قوية وكان كلما طلب قربها طلبت بعده فلما أن جرى ماجرى زاد به الوجل وسافر الى أرض السند وقد قال فى نفسه : البعـد عنها أصلح فأقام هناك إلى أن سمع برجل إنسى انه تروج بها فانطلق عنـد ذلك وفى قلبـه النار وغاب عن رشـده ثم انه سار من السند فى تلك الليـلة وأتى اليهم فوجدهم على تلك الحالة فخافت أن يهلك الصحصاح أو واحد من اهـل الدير فسار طول تلك الليلة يطوف من حول الدير ويهمهم ويهدر ويرجم وقد أكثر الصياح والصراخ ونفخ النار فثار من أشداقهما الشرار وقد سارت ست الغزلان إلى عنـد أبيها وأعلمته بالحال وبمـا قد جرى من ابن عمها فأحضره اليـه ووقف بين يديه وقال له ما تريد من ابنة عمك فقال أريد أن أتزوج بها فقال يابنى انها قد تزوجت بغيرك وهذا أمر قد فات وان كنت ما ترجع عنها فها أنت وهى فقالت ست الغزلان والله ياابى ان لم ينتهى عنى لأثورن الحرب بينى وبينه لأنه قد تركنى البارحة مع زوجى ومحبوبة قلبى واتى من خلف الدير وصار يكثر الارجاف والأذيات وينفخ النيران ويكثر الصياح والعياط والأنين فهل يفزعنى ذلك وهل هو يعتقد اننى أخاف من هذيانه أو أخشى من شروره ونيرانه فقال لها ابن عمها والله ماسـير النار إلا أخوك شمواخ فقالت له لولا أنت ما كان أخى يتـكلم وما أنت وإياه إلا متفقين فى الفساد وعلى أذية الخلق والعباد ثم انها أشارت اليه تقول هذه الأبيات :

دعوا عنـكم ياقوم هذا التهدد ... ولا تجلبوا لى من جميع التمرد
تزوجت الصحصاح والحى حاضر ... وبعض شيوخ الجن والانس تشهد
زواج صحيح العقد ما فيه رهبة ... على نص شرع الهاشمى محمـد
ولا تلزمونى فى الزواج بغيره ... فليس يريد القلب من كان مرتدى

وزوجين فى الاسلام ليس بجائز ... ولا بحلال فاسألوا كل سيد
وان لم تخلونى وتمضوا سبيلكم ... وإلا سأقيكم بحد المهند
وعندى رجال لاتقاس بغيرها ... تفرقكم فى كل فج وفدفد
وتبقون بين الجن والانس عبرة ... لكل الورى فى كل أرض ومشهد

(قال الراوى لهذا الكلام ياساده يا كرام) فلما سمع عقهق من ابنته هذا الشعر التفت اليهم وقال لهم اعلموا أن هذا الأمر قد فات ولا يتعرض فى هذا الأمر إلا كل سفيه ولا يحل لى أن أمكنك منه ولاسيما وعنده قصد وهوى وغرام وجوى (قال الراوى) ثم ان الملك عقهق دخل قصره ورجعت ست الغزلان من عنده وعادت طالبة لزوجها الصحصاح لتعلمه بما جرى فهى فى نصف الطريق وإذا هى بأخيها شمراخ هو وابن عمها قد لحقوها وقد تعرضوا لها فتقدم اليها أخوها شمراخ وكان أكبر منها وهو أكبر أولاد الملك عقهق وكان شيطان جبار لايصطلى له بنار فقال لها ويلك ياست الغزلان ارجعى عما أنت فيه وطلقى هذا الانسى وتزوجى بابن عمك وارجعى إلى قومك وأهلك وإلا فانى الساعة أعدمك نفسك وأمكنك رمسك ثم انه أشار يقول :

دعى عنك الهذيان وانصفى ... فنى الحق تبيان إذ الأهل أشرف
أبيك ملك الجن سيد قومه ... وأنت ملكة الجن والانس فاعطفى
ولا تتركين الحرب تضرم بيننا ... وان لم تطفى نارها ليس تنطفى
أطيعى لنا فيما نقول لتسلمى ... وإلا فأنت اليوم حقاً فتتلفى

(قال الراوى ياساده يا كرام) فلما أن سمعت ست الغزلان من أخيها هذا الكلام زعقت وأبرقت ثم شخرت ونخرت وقد صرخت فى وجهه صرخة عظيمة امتلأت البرارى من أجنادها وعساكرها وغلمانها (قال الراوى ياساده يا كرام) هذا وقد صرخ أخوها أيضا فأتته أجناده من الجن المتمردين وقد عضده فى ذلك إبليس اللعين ثم ان ست الغزلان تقدمت إلى أخيها وقالت له ارجع عما أنت فيه وإلا تعدم نفسك وتسكن رمسك ثم انها أشارت اليه تقول :

أياشمراخ دع عنك كلام المخوف ... فما أنا ممن يرتعد من التخوف
ولا تعتقد أنى أخاف جموعكم ... فجيشى عظيم فاتقى حد مرهفى
ودع ابن عمى وارجع اليوم سالما ... فما أنا ممن يخشى لصولة مرجف
فان كنت تأبى ما أقول معاندا ... ولاتخش من حزبى ولم تك منصف

فسوف أفرق جمعكم وصفوفكم وأفنيكمو جمعا بغير تكلف

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمع أخوها أبياتها غضب غضبا شديدا وصاح فى كل جبار عنيد وشيطان مريد هذا وقد صاحت هى أيضا فى عساكرها وجنودها وقد التحم الجيشان من أبطال الجان من كل مارد وشيطان وتراشقوا بنبال النيران وعظم الشان وكثرت الضجات وعلت الزعقات وهاجت العفاريت وتوقدت أعينهم توقد المشاعل . هذا وقد صعد الملك عقهق الى أعلى القصر المشرف وجعل ينظر ويتأسف وصار يقول : االهم ارغم أنف الظالم وقد ثار بينهم العجاج وكثر الانزعاج . هذا ولما أن علم عقهق ان القوم قد هلكوا من شدة القتال نزل اليهم فى جماعة من خواصه وقد فرق بينهم فرجعوا عند ذلك عن القتال وأقبل على ولده شمراخ وقال له ياولدى لاتفعل وارجع الى الله تعالى لاتهلك واعلم أن النفس عند هواها فقال شمراخ لو أن روحى ما تركتها برأيها تفعل ماتريد وأن المرأة ما تغلب الرجل فقال له عقهق نعم تغلب الرجل إذا كانت على الحق ويكون هو على الباطل وأن كلامك كلام رجل جاهل فصعب على شمراخ وغضب على أبوه وتركه وطار فى الهواء حتى لحق بعنان السماء وقد سمع به جميع المتمردين من جنود إبليس اللعين وجاءت الجميع حتى يعينوه على قتال أخته (قال الراوى) ثم ان اللعين إبليس لاقاه وقال له ياشمراخ أنت تضرب فى حديد بارد ولكن أنا أدلك على شيء إن فعلته نجحت أمورك ويتعجل سرورك ويزول عنك محذورك واعلم ياشمراخ أن أختك ما تزوجت بهذا الانسى إلا من أجل الصبية الإنسية بنت المبرقع فاذا أردت أن تطيعك فاقتل أنت الصبية واعلم أنك إن فعلت ذلك رجعت أختك عن الانسى ولا يبقى لها فيه نية بالكلية فقال له سمعا وطاعة ثم انه انقض من عند إبليس اللعين طالب الدير ليؤذى الصحصاح وزوجته فأتى الى الدير فلم يجدهم ولا وقع لهم على أثر فى ذلك الدير (قال الراوى) وكان السبب فى خروج الصحصاح من الدير فى تلك الليلة أن الجارية بنت المبرقع قالت له ياملك العرب ما أنا معوده بسكنة جيران فقد ضاق صدرى مما أنا فيه من ضيقة هذا الدير ولكن أشتهى أن اخرج أنا وانت إلى الفلاة لبعض المتنزهات ليزول عن قلبى الهم وينجلى عنى هذا الغم الى أن تجىء إلينا ست الغزلان التى تهوانى من قديم الزمان فهى تجىء إلينا أينما كنا فما يخفى عليها مكان (قال الراوى) فلما أن سمع منها ذلك الكلام أركبها الصحصاح دابة من دواب الدير وقد ركب هو جواده فطلب الخروج فقال الراهب الذى عنده

علم من الجن والعمار والأعوان الذين يلوذون بست الغزلان ماعلى بأس ما دمت أنت فى عنايتى وانى أشتهى من انعامك أن تسير معى فى هذه النوبة فقال له نعم هذا وقد اخذه معه وسار الى أن وصل الى روضة من الرياض طويلة عريضة فى أرض كافورية كأنها الفضة المجلية فائحة الأزهار كثيرة الثمار متدفقة

الأنهار وياسمين كالجمار ووردها كالدهان ونرجسها مفتحة الأجفان
والأغصان والأرض قد فرشت ورد وريحان وقد تدبجت
بسائر الألوان والسحائب تبكى على الضباب بدمع هتان
وقد كتب بقلم الاعتبار على ورق الأشجار
تبارك خالق الوقت والزمان فالطير
يصرخ بأطيب الألحان
كأنها صوت
انسان

﴿ تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر
مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كلوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وقد نظر الصحصاح إلى زوجته بنت المبرقع وقدها وقامتها فافتتن بظرفها وملاحتها وصار متشوق إلى زوجته الأخرى من أين تقبل وتصل إليه وقد افتكر أهله وبنت عمه ليلى وزوجته الوحيدية أمامه وأولاده ظالم ومظلوم وتذكر المعالم والأطلال والديار فأشار يقول :

أمامه قلى من ملامك والعتب ... ولا تزكيتى فى بكاء ولا ندب
سلوت بحمد الله عنكى وقد ضحى ... فؤادى من جمر الصبابة والكرب
وأقسمت بالله العظيم ومن له ... تتلو الورى بالملك فى الشرق والغرب
وبالمصطفى المبعوث من آل هاشم ... نبى الهدى المبعوث للعجم والعرب
تسليت عن ليلى بسعدى ولم أجد ... لليلى بقلبى قط شيئاً من الحب
« فلو نظر البدر المنير لوجهها ... لغاب حياء أو تستر بالحجب »
ولو نظرت شمس الضحى لجمالها ... لما طلعت حتى تجىء من الغرب
ولو نظر الغصن النضير قوامها ... لما كان بدعا قط بالأميد الرطب
تزوجت بالاثنين حتما ولم أجد ... عليهن حربا منه طعنا ولا ضرب
كأنهما الاثنين أختين كلفا ... على طيبة الأخلاق فى البعد والقرب
فلا تذكرينى ما حييت فاننى ... تسليت عنكم بالجمال الذى يسبى

(قال الراوى) لهذا الكلام يا ساده يا كرام فما فرغ الصحصاح من شعره حتى سمع هاتف يقول

ألا أيها الصحـــاح قل بن العتب ... وابعد عنا ثم لا تطلب القرب

ولا تطلب الغزلان ما عشت دائماً ولاتحظى فى الدنيا بقرب من الحب
أنا الفارس المذكور شمراخ فى الوغا أبيد الأعادى فى الطعان وفى الضرب
فدعنا واقصـــد نحو قومك راجعا لتنجو من الهم المبرح والكرب
فنحن شياطين الفلاة فلا تكن جسورا علينا بالحروز وبالكتب
نصول عليك الآن صولة مغضب ونرمى منك العظم بالصارم القضب
وإن لم نطق حمل الحديد فاننـــا نمازج منك الدم فى الأكل والشرب
وعما قليل ثم تعدم من بهـــا تملكت أختى بلا طعن ولا ضرب
وإن لم تدعنا ثم تمضى ســـالما هلكت وتبقى اليوم ملقى على الترب

(قال الراوى) فلما أن سمع الصحصاح ذلك الشعر فبهت ومن معه كذلك بهت إلى جهة الصوت وإذا به قد انقطع ساعة وإذا برأس قد طارت قدام الصحصاح فالتفت وإذا بها رأس امرأته بنت المبرقع فاقشعر جلده من ذلك وقد التصق بجانب المعزم وقال له أما تنظر ما حل بهذه الجارية المسكينة والله لاقعدت بها عندكم ولا سكنت بجواركم ولا رجعن إلى أهلى شاكر الآن هؤلاء لو أرادوا أن يفعلوا بى سوء لفعلوا وما هم من الانس حتى إننى أجالدهم وأقاتلهم وبعد أن قتلت هذه الجارية ما بقيت بنت ملك الجن تأتى إلى ولا تنظرنى ولا تعد على لأننى ما كنت ملكت قيادها إلا لمحبتها هذه الجارية والساعة أشتهى من إحسانك أن تكتب لى كتاب جامع المحبة والقبول لزوجتى وابنة عمى ليلى لأن لى غائب عنهم مدة أربعة أيام وما أدرى ما جرى عليهم من بعدى وأنا أستحى من ابنة عمى كثير وأخاف أن يقع بينهم الحرب أو الطعن والضرب والذى كنت خائف منه وقعت فيه ولا بد لى من الرجوع إلى أهلى وأجمع بهم شملى (قال الراوى) يا ساده يا كرام فكتب له الراهب كتاب وأعطاه له وودعه ومضى هذا وقد حمل الراهب الصبية وأراد أن يدفنها واذا ببنت ملك الجن قد أتت وأرمت روحها عليها وقد بكت بكاء عظيما وانتحبت وشكرت الراهب على فعله وقد أعلمها بسفر الصحصاح فقالت فى وداعة الله ما أسنى إلا على مهجة قلبى ومالكة لى التى جمعت بينى وبينه ولا يزال الحرب بيننا إلى يوم القيامة ولا ملكته روحى ولو شربت كأس الردا ثم لم تزل واقفة حتى دفنتها هى والراهب وقد انصرف الراهب طالبا الدير ومضت ست الغزلان وهى تبكى على تلك الصبية وهى تقول هذه الأبيات :

أجريت يا يوم الفراق دموعى من مقلتى ممزوجة بنجيعى
وأويت لى كل صعب مكره وأذقت قلبى لوعة التوديع

أحسبت لى جلدا على بعد الذى ... ما زال بين جوانحى وضلوعى
لا والذى جعل البكا رفقا على ... جفنى الذى لم يتكحل بهجوع
ولا هجرن العيش بعدك فى الوغا ... ولابدين صبـــابتى وولوعى
يا شمس أفراحى الذى كسفت فلا ... بقيت ترى من بعدها بطلوع

(قال الراوى) ثم مضت إلى أهلها وقد زاد وجدها فهذا ما جرى لها وأما ما كان من الصحصاح فانه سار يقطع البرد وهو متأسف على ما جرى وجعل يقول مالى إلا أسير إلى أهلى وأدخل فى الليل على عمى عطاف وأسأله أن يصلح حالى مع ابنة عمى ويطفى الشر وأفارق الوحيديه ثم سار يقطع البرارى والقفار والأودية وهو عادم الاصطبار ولا يقر له قرارا إلى أن توسط البرية فهاج به الشوق إلى زوجته الوحيدى فصار سائر وهو لا يدرى ما يصنع من الشوق والعشق فأنشد وجعل يقول :

أسيرا إليكم قاصدا لأزوركم ... وقد قصرت فى السير أيدى الرواحل
إذا مر عام لا أراكم فإننى ... أعلل قلبى زورة عنـــد قائل

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما أنشد كلامه وعبرته تزيد أذاه وغرامه فسار الصحصاح نهاره إلى أن أمسى عليه الليل فنزل عن جواده وأطلقه فى المرعى ونام على الصعيد فما استفاق من منامه إلا ونموره ثلاث هجموا عليه وصاحوا حواليه فمد يده إلى أحدهم فمسكه بيده لأنه ما لحق يجرد سيفه وضرب به الأرض قتله فوثب النمر الثانى إلى وجهه واهراه وسال دماه فمسك الصحصاح من خناقه بخلابه وقد غاب منه صوابه وضعفت قوته وإذا بالنمر الثالث قد وثب من وراء ظهره وعضه فى رقبته فغشى عليه وقد مسك بخناق النمر الذى هشمه فى وجهه فلم يتخلى عنه حتى خنقه وبقى الثالث فدق فى خصى الصحصاح فأهراه وقعش بيضه بأنيابه فغشى عليه ثانى مرة وأيقن بالوفاة وفتح عينيه وأيس من الحياة فرأى جواده جافلا وهو يصرخ وهو طالب نحو بنى كلاب وهو مثل المفقود فجعل الصحصاح يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله عليها خلقت وعليها أموت وعليها أبعث إن شاء الله وهو يعالج خروج روحه ويقول والله ما أسعى إلا على أولادى ظالم ومظلوم ثم نادى وقال يا رباه أقبل بوجهك الكريم إلى ولا تكون ساخطا على ثم قضى عليه ولحق بربه رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من ليلى ابنة عطا زوجته فانها لما سمعت من سعيد الوحيدى ذلك الكلام فلم يأخذها تلك الليلة منام بل باتت فى كرب وأوهام إلى أن أصبح الله بالصباح وانتظرت ذلك اليوم والثانى

فلم يأتى فلما كان ثالث يوم انتظرته فلم يأتى فهمت أن تمضى إلى بنى الوحيد تفعل بالصحصاح ما تريد فقال لها أبوها يا بنيه أنا أمضى وأكشف الخبر وأبصر هذا الأمر الذى ظهر وآتيكى بالخبر وجلية الأثر ثم ركب فى وجوه بنى كلاب وسار حتى أشرف على بنى الوحيد ورأى سرادق أمامهم واجتمع بأبو الجارية وسأله عن صحة الحال فأحضر وقت الصباح مشايخ الحله فحضروا إلى بين يديه وشهدوا له بما جرى من زواج الصحصاح وأنه تزوج ابنته وزوجته لا مخفى ولا مكتوم وهذا ولده مظلوم فقال عطاف مبارك يكون الرجل له الزوجه والإثنين والثلاثه والأربعه وغير ذلك مما اشتهى ثم أنه سألهم عن خبر الصحصاح فقالوا له والله أنه تركنا أمس وسار طالب الأمير غانم ومعه عبده نجاح فعاد الأمير عطاف بعد أن أضافوه بنى الوحيد (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عبده نجاح فانه كان قد سبق الصحصاح إلى عند الأمير غانم أعلمه أن مولاه عليه قادم ففرح وقد جهز له الضيافة وانتظروه ثلاثة أيام فلم ياتى ولما إن كان فى اليوم الرابع ركب الأمير غانم فى مائة فارس وساروا يقتفون أثر الصحصاح ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الأجمه ونجاح بين أيديهم إلى موضع مولاه فلم يروا موضعه إلا أثر حوافر جواده وقد رأوا خرجيته التى كانت عليه فوق أثوابه مرمية فى ذلك المكان فانكر ذلك وقد فرق الأمير غانم الرجال فى الأجمه فعادوا وهم يتصايحون وقد سودوا العمائم وحملوا الصحصاح وهو قتيل مرمى فى الفلاة ووضعوه قدام الأمير غانم فلما أن رآه كاد أن تخرج روحه من بين جنبيه (وأما نجاح) فإنه لما عاين مولاه على تلك الحالة جعل يدق على صدره بالأحجار حتى مات رحمه الله تعالى عليهم اجمعين هذا وقد أمر الأمير غانم بحمل الصحصاح وقال لهم سيروا به إلى ولده الأمير ظالم فتناولوه وعبده نجاح وساروا به طالبين ديار بنى كلاب فكان عبورهم على بنى الوحيد (قال الراوى) فبينما بنى الوحيد فى خيامهم وإذا قد أقبل الأمير غانم والمائة فارس فخرجت بنى الوحيد ينظرون إليهم فعند ذلك أبصروا الصحصاح وهو على جواده مربوط فارميت بنى الوحيد عن بكرة أبيهم وأما أمامه فانها جرى عليها ما لم يجر على أحد (وأما ليلى) وبنى كلاب فانهم كانوا فى مضاربهم وإذا قد وصل اليهم الأمير غانم وأعلمهم بما قد جرى على الملك الصحصاح فتهتكت الحريم وتشمت الحاسد اللئيم وقد صلبوا خيولهم وقطعوا شعورهم وقد دفنوا ملك العرب الصحصاح بن جندبة الكلابى وقعد ولده ظالم للعزاء هذا وقد وصلت العرب من كل فج عميق وقد وثب رجل شاعر من بنى ذبيان يقول له خثعم فاشار يقول بعد الصلاة على الرسول ·

من يجرنى من نائبات الخطوب ... مستهاما فؤاده فى لهيب
عز عندى المنا وانتقل الحزن ... فوا لهف قلبى لفراق النجيبه
نحن ما بين زفرة والتهـاب ... وانتحاب ولمـة لحبيب
عز وجدى على ابن جندبة الكلا ... بى بدمع مستهل ومسكوب
يا بنى عامر والبدر قد غاب ... بقرب الوجد عنـد الغروب
قدر رمانى الزمان ببين ... حال ما بينه وبين الحبيب

(قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا وقد أقاموا عليه العزاء عشرة أيام وأن أمه رمت روحها عليه ثم أنها بكت وأشارت تنعيه بهذه الأبيات .

أيا ولدى حقا أراك مؤيدا ... وبدلت بعد المراتب بالقفر
أيا ولدى ما للخيول كأنها ... حزانا عليك الآن تشكى الضر
أيا ولدى لا زلت دهرى بحسرة ... عليك من الأيام مع طولها الدهر

(قال الراوى) وكان الأمير غانم بن زاهر حاضر فوثب على قدميه وبكا وأنشد وقال هذه الأبيات الحسان .

لو سكبنا نفوسنـا عوض الدمع ... على فقده لما كان غالى
لو شققنـا قلوبنا فى عزاه ... عوضا عن جيوبنا فى المثال
لو قدرنا على الدفاع دفعنـا ... ببيض القنا وسمر المعالى
لو يكون الفدا يقبل لفديناه ... بارواحنـا وسائر الاموال
غير أن الحمام ليس بمدفوع ... بمـال كلا ولا برجال
أين من كان قبلنا نافذ الأمر ... مطاعا بالمـال والأبطال
أين كسرى وقيصر الروم ... والنعمان زالوا بسرعة الأثقال
هذا الدهر لا يزال مجدا ... عاملا فى تغير الأحوال
يا فقيداً قد أنفذ الناس جمعا ... حسن الصبر فالتصبر غالى
جمع الله فيك مشاهد العقل ... بما حزت لنا من جميل الفعال
كنت ليث الحروب فينا مهابا ... عند ضرب العدا ببيض النصال
رحمة الله لا تزال على قبرك ... موصولة بغير انفصـال
وعليك السلام غير ملول ... بل مشوق طول المدا غير سالى

(قال الراوى) فلما أن فرغ الأمير غانم من شعره بكا بكاء شديد وأبكى جميع

الحاضرين ثم قام من بعده الفقيه عقبة وبسط كفيه وبكا وترحم على الصحصاح وختم دعاه وانفصلت الناس وتفرقوا وقد مضى كل واحد إلى وطنه هذا وقد قعد ظالم فى مرتبة أبيه ومضى الصحصاح كأنه ما كان بل ذكره ما ينقطع بطول الدهر والزمان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أم الصحصاح فإنها لم تزل فى بكاء ونواح وعويل وصياح مدة سبعة أيام ولحقت بربها ودفنت بجانب ولدها (قال الراوى) وقد مات الصحصاح وعمره ثمانية وثلاثون سنة تمام هذا وقد حزنت عليه العباد فى سائر الأقطار والبلاد وقد صار ظالم يجلس مكان أبيه فى عز وشأن ويحكم بين سادات القبائل والعربان وكان ظالم جبار من الجبابرة إلا أن الشجاعة لائحة بين عينيه والشجاعة شاهدة على عطفيه والشرر يقدح من عينيه وهيبته قد وقعت فى قلب من نظر إليه وكانت العربان قد اجتمعت عليه من كل جانب ومكان وعزوه فى أبوه وهنوه بما هو فيه وهو يفرق عليهم الأموال ويستميل قلوب الرجال وقد ورث أموال تعجز عن حملها الجمال وقد سمع أن الوحيدية تريد أن ترسل له أخوه مظلوم يطلب منه وراثته من أبيه فزفز ونخر وطار من عينيه الشرر وقال أن أتت به ذبحته على صدرها وأهتكت سترها وإن أبى ما كان له زوجة غير أمى ليلى ومن شهد بغير ما ذكرت ضربت رقبته (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وقد بلغ الخبر إلى بنى الوحيد ففزعوا ثم تباعدوا عن أمامه وأبيها وقد قل صبرها وخافت من تجبر ظالم فاحتسبت عليه بالملك العالم ثم أنها أقامت تربى مظلوم فى اليتم والبكا ليل ونهار وأقامت على هذا مدة من الزمان إلى أن جاء الأوان وأن ظالم قد جمع خمسة آلاف من العرب وساروا إلى دمشق ليجدد امارته من الوليد ولم يزل يقطع الأرض والبيدا إلى أن قارب دمشق والشام فسمع أن الوليد قد مات وولى بعده أخوه سليمان ابن عبد الملك بن مروان فصار ظالم بمن معه من العربان حتى وصل إلى دمشق وقد وصل خبره إلى الإمام سليمان وأعلموه أنه ولد الصحصاح فأمر أن تخرج أرباب دولته إلى لقائه فخرجت الناس إليه وقد تذكروا أبوه فترحموا عليه وكان دخوله يوم مشهود مصطلح وحضر بين يدى الخليفه فأحسن اليه وأخلع عليه وعلى أصحابه وقد كتب له المنشور بالولاية والامارة وسار ظالم إلى حالته وأقام بين أهله وعشيرته وتسامعت العرب بذلك فجاءوا إليه من كل مكان وكان مروان بن الهيثم قد مات وولى بعده على بنى سليم ولده عبد الله وكان ذو عقل وسداد فأتى إلى خدمته وقال لبنى سليم يا بنى عمى لا تركت موضع أبى ولابد ما أعمل عملا حتى أعيد الامارة الى بنى سليم ونحن الآن نداري هذا الرجل حتى نرى لنا منه فرصة ونعيد الامارة الى أهلها

(وأما أم مظلوم الوحيدية) استجمعوا العرب واتوا اليها وأخبروها أن ظالم أخذ موضع أبيه فأشاروا عليها مشايخ الحلة وقالوا لها خذى ولدك اليوم واقصدى به الى أخيه ظالم وادخلى عليه وهنيه بالملك فلعله أن يحن على مظلوم أخيه ويعطيه بعض حقه ويوفيه (قال الراوى) ففعلت ذلك بل زينت مظلوم بكل ماتقدر عليه وكان له من العمر يومئذ خمس سنين وقد أتت الى ظالم ودخلت عليه ووضعت مظلوم بين يديه ثم أنها جعلت تبكى فقال لها ويلك مالك ومن هو هذا الولد فقالت له يا ملك العرب بحق النبي المنتخب لا تقطع ما بيننا من النسب ولا تخيب أملنا فيك والطلب شهدت لك مشايخ العرب فلا تخرج عن السنة والجماع واتبع الشريعة والطاعة فلما أن سمع منها ذلك قامت عيناه فى رأسه وقد لطم الصغير على رأسه كاد ان يطير أسنانه من فمه فوقع الى الأرض فقامت أمه لتأخذه فرفصها كاد أن يقضى عليها وقال لها ياذات الخنا لان عدتى الى ثانية لأذيقنه فقدك وأذبحنه على صدرك وأهتك سترك (قال الراوى) يا ساده يا كرام فعندها أخذته وخرجت وهى باكية تنادى يا رباه يا من هو بالأسرار عالم خذ لولدى حقه من أخيه ظالم ثم أنها بكت وانتحبت وأشارت تقول :

يا معشر العربان ما ثم ناصر لطفل صغير قد بلى بالمظالم
أما راحم يبكى عليه برقة وما أبيه فى خزائن ظالم
فإما يواسينا ببعض حقوقنا وأما يماشينا الى عند حاكم
فلى نصف ثمن المال عدا جميعه أشاطر ليلى فيه غير التقاسم
فإن دفعونا عنه فالله بيننا غداة اللقا يقضى برد المظالم
أتيناه نشكو حالنا ومصابنا فكان تذللنا الى غير راحم

(قال الراوى) فلما أن سمعوا منها بنى كلاب ذلك لم يبق منهم أحد الا ورق وبكا عليها وعلى ولدها وقد حزنت النساء على الغلام وسمع ظالم الأبيات فجرد سيفه وخرج وهو يهدر مثل الأسد وهو ينشد ويقول :

وحق رسول الله من آل هاشم ومن حج بيت الله من كل صائم
لأن عدتما تأتوا تريدون حبة ضربتكما فى القمتين بصارمى
ألا يابنة الصياح عودى بخيبة ولا تطمعى مظلوم فى مال ظالم
فهيهات أين الاعتراف بمثله يرجى رجاء أن يكون مقاسم

(قال الراوى) ثم ان ظالم طالها ليقضى عليها فنعوه مشايخ بنى كلاب وقد رقت

قلوبهم للصغير مظلوم ورجعت أمامه الى بنى الوحيد وأخبرتهم بما كان وما جرى لها فجعلوا يترفقون وهى تربى ابنها الى أن كبر ومشا وتبع والده فى الفعل والعقل والبلاغة والملاحة والشدة والفروسية والنجدة والبأس والقوة لأنه ما كان ينزل عن ظهر الحصان فى الليل والنهار حتى اشتد عظمه وقوى جسمه فقال لأمه أريد حصاناً مليحاً يكون بحكمى وملكى فقالت له يا ولدى قد بقى لنا ثوب أطلس خذه يا ولدى بيعه واشترى ماأحببت (قال الراوى) فأخذ من أمه الثوب وأتى به لمشايخ بنى الوحيد فباعوه واشتروا له بثمنه خمس رؤس من الخيل وعشر جمال وخمسة من النوق ومائة رأس من الغنم وقد لموا له من بعضهم ألف مثقال من الذهب وقد أعطوه جميع ذلك فأخذهم وفرح مظلوم هذا وقد اكتسى الثياب من الفاخر وأولم وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وأطعم الناس وصار فى كل يوم يركب الى الصيد وتركب معه فرسان الحى ويوسعوا معه فى البرية ويطردوا بالرماح الخطية هذا وقد اتفقت معه سائر الشباب وصار له منهم أصحاب واخوان ولم يزل الى أن اشتدت أوصاله وطاعوه أصحابه وقالوا له نحن معك وبين يديك ونفوسنا كلها فداء لعينيك لأننا ما نسينا فضل أبيك ولا نرى فى حينا طاعة لأخيك لأنه جبار غاشم وهو مثل اسمه ظالم وكانوا بنى الوحيد خمس آلاف فارس صناديد شجعان وكان الصحصاح يتقوى بهم على العرب الذين فى البطاح وكان فيهم دين وصلاح وأكثرهم قدر بقى فى زمان الصحصاح (قال الراوى) هذا وظالم لما أن سمع أن بنى الوحيد قد أطاعوا أخوه وجروه خاف على ملكه فقال والله قد غفلت عن هذا ابن الزانية حتى قويت حواسه وعظم بأسه ورفعت بنى الوحيد مكانه وعظموا شأنه ولا بد ما أضع السيف فيهم وأصلب هذا الذى يدعى أنه أخى من أبى مظلوم وأقام يدبر فى ذلك فوصل الخبر الى حى بنى الوحيد فاجتمعوا وقد أعلموا بما ضمر لهم ظالم من التهديد والوعد والوعيد فقال ياقوم أنا والله إن بدأت به قبل أن يبدأ بى ويعلم الله ما بى وهو أعلم بالمظلوم من الظالم وما بقى إلا قوة العزائم وإلا فتك فينا هذا الظالم الغاشم فقالوا له افعل ما بدا لك فكلنا مساعدون لأقوالك (قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم أنهم تأهبوا وساروا وهم فى خمسة آلاف فارس ومظلوم فى أوائلهم كأنه الليث العابس وهو يقول أنا أول من يأخذ نوق أخى وجماله لأنها من بعض حقى من أبى وان ركب إلى توكلت على الله فى إسكانه رمسه وأجعل يومه كامسه إن شاء الله تعالى ثم أنه سار وغار على أموال الظالم فأخذها عن آخرها فوقع الصوت فقال ظالم ويلكم ما الخبر فقالوا له أن مظلوم قد أتى فى سائر بنى الوحيد وقد أخذوا أموالك من المراعى وقال هذا بعض حقى فلما سمع ظالم ذلك الكلام قام مثل الأسد الغضبان حتى كاد أن يتمزق من

الغيظ والحرد وقال أحسنت والله يا ابن الزانية سبقتني إلى ما كنت اليوم أريد من إتلاف بني الوحيد ثم صاح في بني كلاب هنالك ركبت الفرسان الصناديد وغاصوا في الزرد النضيد وصاحوا يال كلاب ففي دون ساعة اكتملوا عشرة آلاف فارس أبطال ورجال قد ربوا مع ظالم ما فيهم إلا من هو قرينه إلا أنهم جهال أنذال وأما مشايخ الحي المعروفين الذين كانوا مع الصحصاح قالوا والله لا خنا العيش القديم ولا مكنا هذا الجبان يظلم هذا مظلوم لأنه أشبه الناس بأبوه ولا بد ما نعينه عليه ونسأل منه ما خلف أبيه ثم أنهم ركبوا في خمسة آلاف فارس ما بين شيخ وعابس فوجدوا الرجال قد اختلطت بالرجال والأبطال قد اختلطت بالأبطال وهم يصيحوا وهو ينادي في بني الوحيد يا من يعلم ما تحت التخوم ويرفع سرادق الغيوم وزين السماء بالنجوم أنظر إلى ضعف هذا اليتيم المظلوم ثم أنه صار يحمل ويكشف بني كلاب هو كأنه أبوه القاطع الناطق في فعائله وشمائله هذا ولما أن علمت المشايخ هذه الأشياء وسمعوه وهو ينادي يال كلاب أين من يريد العهد القديم أين من يراعي الصحصاح وينظر إلى حال هذا اليتيم وينصره إلى هذا الظالم الغشيم هنالك أجابوه الخمسة آلاف فارس وقالوا له لبيك لبيك يا أمير ها نحن بين يديك وفي طوعك ونعينك على هذا الجمع الكبير وتعلم أن لنا ذلك الثواب الجزيل ثم أنهم حملوا على أصحاب ظالم وكان أكثرهم أولادهم فاستحوا من قتالهم لأجل ما أطاعوا الظالم وأخاصوا رب العالمين (قال الراوي) فلما أن نظر ذلك ظالم وقع به الانبهار ونادى ايس هذه الفعال وقد تركت وتخليتوا عني وتريدوا تقاتلوا أولادكم وتعينوا هذا الولد الزنا فقالوا له والله ما هو ولد زنا ولا عنده شيء من الخنا وحاشا أبوك الصحصاح من هذه الفعال لأنه كان لا يفعل إلا الحلال على أن الخير كان نطق بين عينيه وإن شمائل أخوك كشمائله وعطفه مثل عطفه وكل مشايخ بني الوحيد قد شهدوا الزواج الذي أمر به صاحب المعراج فأخرج من حق مظلوم ودع عنك التعلل والاحتجاج والا دم العشيرة يجري كالبحر العجاج ونهجر النساء والأولاد ونطيع الملك الجواد فلما سمع ظالم منهم ذلك الكلام عاد راجعاً والغيظ كاد أن يقطع أزياقه وقامت أوباره وقطر الدم من خناقه وشرار النار يتطاير من أحداقه هذا وقد رجعوا إلى نحو الشام وبكا مظلوم من شدة الوجد والغرام فسكتوه مشايخ بني كلاب وقالوا له لا تبكي فنحن نبلغك الأرب ولا يفرق بينكم في النسب ونجمع بينكما القبيلتين لأنك أنت قوة العين ونحن ما كنا سكوت عن حقك هذا الزمان إلا لكونك طفل صغيرا وكان أخوك ظالم الكبير وما دام أنك طلبت حقك فارجعت عن الشريعة ونحن لك وبين يديك إلى أن تنال الدرجة الرفيعة هذا ولم يأت

المساء حتى أنزلوه هو ورجاله وقد رثوا لحاله وما جرى عليه (قال الراوى) ولما أن استقر بهم القرار كلفوا ظالم أن يخرج من حقه وقسمه ولا يقطع من أبيه رزقه وقالوا له أرح نفسك من الطلب ولا تقطع ما بينكما من النسب وإياك أن تسن سنة مذمومة بين العرب وشد بأخيك مظلوم ظهرك فما هو أخ يشين بل والله يزين ومافى العرب إلا وشهد له بالخير والدين ولعلك سمعت قول رب العالمين اخباراً عن موسى وهارون قوله عز وجل واجعل لى وزيراً من اهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى امرى واعلم أن الأخ هو احد الجناحين ولقد قال الشاعر حيث يقول

أخاك اخاك من لا أخا له   كساع الى الهيجا بغير سلاح

(قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا ولم يزالو القوم يوبخوه باللوم والعقاب إلى أن لان وأجاب وقال لهم افعلوا انتم ما تريدون وتشتهون فعند ذلك نحرت العرب النوق والجمال وقد انصلح الحال واكثروا فى اليوم الثانى من الولائم وأتوا بمظلوم فقبل رأس أخيه ظالم وقد وقف له فى الخدمة فاستحسنوا العرب هذه الاخلاق وحسن الشيم وعلموا انه من الجود والكرم واجتمع الشمل واتت الافراح وذهبت عنهم الأتراح وفرحوا القبيلتين بصلح اولاد الصحصاح واقاموا كذلك اربعه أيام وثلاثة بعدها وهم فى اصطناع الولائم وفى كل يوم يعانق مظلوم بظالم وبعد ذلك اخرج ظالم لأخيه مظلوم مائة بيت من الأطلس والديباج وألف بيت من الشعر والسرادق الكبير الحرير الأحمر والأصفر وعشرة بغال محملة من الثياب الملكى المدثر وثلاث صناديق مصاغ وجواهر واموال وذخائر ثم اخرج له خزانة سلاح وقال له يا أخى هذا الذى بقى من مال ابى فاقسمها أنت كما تريد فقال له لا والله الملك المجيد يا أخى انت المولى وانا من جملة العبيد وكلما تيقظنى فهو سديد (قال الراوى) فعند ذلك قسمت مشايخ العرب الاموال كما امر الملك المتعال واتت أمامه ام مظلوم وأخذت نصف ثمنها وما حصل لابنها فكان ذلك مال عظيم هذا وظالم يذوب من الحسد ولا يقدر يبين لعشرته لأنهم أصلحوا الأمر له وبهم قد ساووا واصطلحوا صلح على فساد وبقيت الحزازات فى الاكباد وكان ظالم له زفرة من زفرات النار وكان مكار جبار وكانت اخلاقه مستترة مخفيه إلى ان تنفذ المشيئة الربانيه وياتيه الوقت المعلوم ويظهر القبائح وتكون عليه مقضيه وكان مظلوم حسن الخلق سليم القلب طريقته نقيه صادق النيه صاحب اخلاق مرضيه لأجل ما فيه من الودائع الخفيه وما يريد الله ان يظهر من ذات الهمة الزكيه المباركة النقية ويفتح صدقه

بشرطه عن الجوهرة العامرية والمرأة المجاهدة الحلاجلية الحامية عن شريعة خير البريه
(قال الراوى) يا ساده ياكرام ثم انهم اقاموا مدة من الزمان وطلبوا الزواج كما امر صاحب المعراج فخطب ظالم جارية يقال لها ابنة عامر وقد خطب مظلوم ابنة سيار ابن يخطب الوحيديه وكانت من البنات المرضية هذا وقد حمل كل واحد منهم مهر زوجته إلى اهلها وطلبها فزفت عليه من ليلته ودخلا الإثنان بزوجاتهما فى ليلة واحدة هذا وقد انقلبت الدنيا من الولائم والذبائح ولعبت العبيد والاماء بالدفوف والمزاهر وفرحوا الأكابر والصغائر واقبلت أمراء العربان واقاموا كذلك عشرة ايام فى العيش الهنى ولم يتفرقوا الناس من عند اولاد الصحصاح حتى علقت زوجة مظلوم وظالم لما يريد الملك القادر العالم من اظهار الاميرة الحره (ذات الهمة) المرأة المجاهدة العاقلة (قال الراوى يا سادة ياكرام هذا وقد صارت الأشهر تنقضى والأيام والليالى تمضى وظالم فى قلبه نار السموم من الحسد لمظلوم وقد سار يستميل قلوب العرب وانتهى من النوبة الأولى وتندم إلى ان مالت قلوب الناس اليه وانعطفوا عليه وكثرت محبتهم لأخيه مظلوم لأنه كان كريم فهيم وكان من أهل القرآن والدين المعروفين بحسن اليقين هذا وقد التمت اليه كبراء الحله وهم العقلاء والفطناء والفضلاء مع مظلوم وصاروا يميلون اليه واهل الشر مائله الى ظالم وكان ظالم لما رأى العرب تميل الى اخيه مظلوم ذاب وحل به المصاب فقال فى نفسه أنا أعلم ان اخى يستميل قلوب الرجال بالزور والمحال وتسير له الناس من دونى وربما جفونى العرب وأبعدونى وذمة العرب لأقتلنه أشر قتله ولأمثلن به أقبح مثله وان لم افعل ذلك وإلا ما أنال بركه مادامت الامارة بيننا مشتركة فجمع الجهال واوباش الرجال الذين ما منهم الا كل زنديق أو شيخ قاطع طريق وقال لهم اعلموا أن أخى مظلوم قد استمال قلوب الرجال وبناموسه ملك الفضل والأدب وان لم تعينونى عليه ملك الأماره ومضت فى حسن عبارة فانى أريد منكم اذا رايناه على الغدير واجتمعنا تضربوا الى اصحابه بالسيوف وتكسروا منهم الانوف واول ما تبدءوا بأخى مظلوم وتقتلوه لانكم اذا قتلتموه وأنا معكم مايبقى احدا يقدر ان يجرد سيفاً فى وجوهكم وترون بعد ذلك ما اعمل معكم فقالوا له اعلم انه لو امرتنا ان نكبسه فى بيته لفعلنا ذلك ثم انهم اتفقوا على ذلك الى الليل وقد أضمروا لى مظلوم الغدر والويل وكان لهم عادة يتمسون فى كل ليلة على الغدير مظلوم وظالم وسادات القبيلتين الى ان يمضى من الليل هجعه لان الكل نزول على ماء واحد والمسافة بينهم قريبة ولما كان فى تلك الليلة خرج ظالم وقومه متهيئين للشر وقوم مظلوم

من أهل الصلاح والخير إلا أنهم ما كانوا يخرجون إلا مستعدين من غير أن يوصيهم مظلوم لأنه كان سليم القلب وكانوا هم يخافون عليه من شر أخيه (قال الراوى) وما هو إلا أن تقاربوا حتى تصايحوا أصحاب ظالم وقد وضعوا فيهم السيف فرأى مظلوم هذا الحال فتأخر وقد مانعوا أصحابه عنه وعن نفوسهم بالصدام هذا وقد كثر فيهم ضرب الحسام واختلطت أهل الدين بأكل الحرام وفزعت النسوان والصبيان وركبت اليهم الفرسان وساروا إلى أن وصلوا إلى القبيلتين ودخلوا بينهم حتى فصلوهم عن بعضهم وقد علموا أن ظالم هو الظالم فلاموه وعنفوه وقالوا له ما الذى أحلك على هذا الحقود بعد الصلح والعهود والرضا والشهود فقال لهم قد جاءنى بعض العبيد وذكرلى أن مظلوم يريد عطبي فطلبت أنا أبدأ به من قبل أن يبدأ بى (قال الراوى) ولما أن سمع مظلوم ذلك الكلام خاف أن هذا شيء ما له علم به ولا دخل فى قلبه ولا خالطه فى سره ولبه ثم انه قال لقومه مضى ما مضى قام عذر أخى عندى وربما يكون هذا العبد الذى يسعى لخدمته حاسد لنا على ما أولانا الله من نعمته وما خلا جسد من حسد هذا وقد رجعوا القوم إلى الديار وفى قلب ظالم لهيب النار كيف ما يبلغ من مظلوم ما يختار (قال الراوى) فلما ان كان بعد ذلك بأيام جلسوا بين المشايخ الكرام فقال ظالم لمظلوم اعلم ان زوجتك وزوجتى حامل وأنت أمير وأنا أمير فاجعل الشرط بيننا ويشهدوا هؤلاء المشايخ علينا من جابت زوجته ولدا ذكرا كان الملك له والامارة من دون الآخر ويكون الأمر والنهى فى العرب له فقالوا مشايخ بنى الوحيد وترضى أنت بهذا الأمر فقال أى والله العظيم وان جاءنا ذكرين بقيت الامارة على حالها مشتركة بين الاثنين فشهدوا العرب بعد أن رضيوا بذلك الحد لأنهم تربية البر وهزلهم جد هذا وقد عاد كل واحد منهما إلى زوجته وقال لها ابصرى كيف تعملين فقد حصل من الأمر ما هو كذا وكذا فقالت المرأة مالى فى هذا الأمر تدبير لكن الذى يرزق به الخالق نحن به راضيين ولا نخالف أمره (قال الراوى) وبعد حين أخذا المرأتين الطلق بإذن خالق الخلق فوضعت زوجة ظالم ولدا ذكرا كأنه فلقة قمر ففرح به واستبشر وقد سماه الحارث وقال للداية اذهبي وكونى فى بيت أخى فإنى أخاف أن يكتمون ما يرزقون عند الولادة من خوف الشهادة فقالت له دع عنك المنافقة والشين كيف يكون هذا وأنتم أخوين فقال لها دعى عنكى هذا الكلام واذهبي إلى بيت أخى بسلام فإنكى إذا حضرتى عندهم ما يقدروا يخفوا أمرهم وأنا ما أثق إلا بكى ولا أعتمد على أحد سواكى فعندها ذهبت الداية إلى بيت مظلوم

وكانت تحبه أكثر من ظالم لما فيه من الدين والخير وجودة التمكين فلما ان دخلت قالت لمظلوم اعلم ان أخاك قد بعثنى اليك لأجل كذا وكذا ثم انها جلست ساعة وزوجة مظلوم تطلق فولدت جارية كأنها البدر قوية السواعد والأطراف هائلة الأكتاف فوقعت على أمها الخمدة والهموم والغموم وقد فزعت من زوجها مظلوم فقال لها وعسى أخلى عن الامارة بحسن عبارة وان شئت قبلتها وتقول للعرب والسادات قد جاءنا ولد ومات فقالت الداية يا قوم لا تفعلوا هذه الداهية وتدخلوا فى خطيئة هذه الجارية واقبلوا رأيي واعطوها لبعض امائكم واوهبوها شيأ من أموالكم حتى تربيها لكم ولا تتأسفوا عليها ان تشم الهوى فى دار الدنيا وربما أن يكون لها سعادة تحمدوا عاقبتها لأن الواحد المنان أسعد مريم ابنة عمران وقد جعلها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنان وأما أنا فوحق المضطجع بيثرب انى أقول لسائر العربان ان زوجة مظلوم ولدت ولدا ذكرا ومات ودفناه ومات الذى مات وان ظالم يثق بقولى وأنا أمينته فى قولى وفعلى (قال الراوى) فقال لها مظلوم افعلى ما بدا لك فإنى موافق لأفعالك ثم أنه استدعى بأمة له باذلة تركية قد خدمت الملوك والأمراء بحسن اعتقاد ونية وهى يقال لها سعدى ولها ولد على الرضاع قد سمته مرزوق فسلموها اليها وأوصوها بكتمان أمرها ولا تطلع أحداً على سرها هذا وقد عادت الداية إلى ظالم وقالت له أبشر بالفرحات فإن أخاك قد جابت زوجته ولداً ومات فقال لها وإيش فى هذا من البشارة فقالت له تكون أنت بالبنين وغيرك انفرد بلا ولد يذكر ففرح بقولها وقال لها ما كان الشرط بيننا على الموت والحياة وإلا كنت قد أخذت الامارة دونه (قال الراوى) هذا وقد واظبت أم مرزوق فى رضاعة الجارية وسرها مكتوم وكانت سعدى تأتى بها إلى أمها سرا فى الليل فترضعها وتحن عليها وقد سمتها فاطمة هذا وأبوها مظلوم لا يقربها ولا يشتهى أن يراها لأن البنت مكروهة بين الرجال ولا سيما بإزالة نعمة. هذا وفاطمة تتربى وتنشر والحق ينفذ فيها أمره إلى أن صار لها من العمر خمس سنين وهى فى قدر من لها عشر سنين وقد أعطيت من الزكاء والأفضال ما يزيد عن الحسن والجمال فسبحان من خلقها على هذا المثال (قال الراوى) ولما ان دخلت فى سادس سنة حمل أبوها همها وخاف من فضيحته فيها وهى لا تظن ان لها أم غير سعدى وفى بعض الأيام وصلت الأخبار إلى ظالم ان بنى طى قد جمعت قبائلها واستنجدت بعرب اليمن عن آخرها ويريدون أن يقصدون أرضكم ويغزوكم لأجل ما لهم من الدماء عليكم من عهد جدك جندبه فما أن سمع ظالم ذلك صعب

عليه وقال لقد منت بنى طى نفوسها بالمحال وهذا يكون سبب هلاكها من بين الرجال أتظن بنى طى أن الصحصاح قد مات ثم أرسل إلى خلف أخوه مظلوم فلما ان حضر أطلعه على ذلك فقال له يا أخى لاتغتم عند ملتقاهم ولا تحمل هم فنحن أيضا نجتمع ونلقاهم ونتوكل على الله عند ملتقاهم ثم انهم قد جمعوا بنى كلاب وبنى الوحيد وتشاوروا فاتفق رأيهم على السير اليهم وهم فى ديارهم (قال الراوى) فتجهزوا وساروا وأما ظالم فانه قد سـار وهو مقدم بنى عامر وبنى كلاب ومظلوم بعده مقدم على بنى الوحيد وما زالوا سائرين وهم يقطعون البيداء إلى ان وصلوا إلى حى بنى طى فوجدوه خالى من الفرسان ما فيه إلا الأولاد والعبيد والنسوان والغلمان فتبادروا ونهبوا الأموال والحريم والعيال وقد ساقوا الجمال والمواشى بعدد الرمال ورجعوا قاصدين ديارهم والاطلال (قال الراوى) وكان السبب فى غياب بنى طى انهم قد اجتمعوا وساروا الى بنى كلاب فتحالفوا فى الطريق وقد ساروا بجموعهم الى الحى فرأوه خالى من الشيوخ والشباب فهتكوا النساء والبنات وملكوا الهوادج والحلل وعادوا فرحين ببلوغ الامل وانقسموا قسمين وافترقوا فرقتين فرقة ساقت الجمال والعبيد والاماء وفى الجملة أم مرزوق والجارية فاطمة بنت مظلوم والفرقة الثانية ساروا بالحريم والصغار والبنات الاكابر وقد سار كل فريق منهم فى طريق فالتقت بنى كلاب ومظلوم وظالم فى ظلام الليل ببنى طى وتعاركوا وتصارخوا وتواقدوا وتكافحوا ودارت بينهم طاحون الحرب واختلف بينهم الطعن والكفاح وتصادموا الابطال والرجال فى الدجا وانقطع الامل والرجا وأرملت النساء وخسر من خسر وأسى كل خصم على خصمه وقسى ومنى الشجاع نفسه بلعل وعسى وعملت الصوارم فى الأبدان والمعاصم وفترت المعاجم وأنسبت المـكارم ونادت بنى طى يالثارات الغطريف هذا ولم يزالوا الى أن أصبح الصباح فقاتل مظلوم وظالم فى بنى طى وقد قتلوا أبطالهم وخلصوا منهم أموالهم وعيالهم وانهزموا بنى طى من المعمعة ورجعت بنو كلاب تطلب ديارهم ومعهم من الأموال أضعاف ما أخذلهم (قال الراوى) ولما أن وصلوا الى الديار فقسموا الأموال بين الفرسان والشجعان ونزلوا فى الأوطان ولقد حزنت أم فاطمة على ابنتها لما ان فقدتها وأما مظلوم فانه خف عنه ما يجد من الهموم وقال مضت ابنتى ولم يعلم أحدا ببليتى ولا عرفوا ان لى ولدا ولم يعزونى فيه الابد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من فرقه بنى طى الذى سارت بالجمال والأماء والعبيد والرجال فانها سلمت وما زالت سائرة وهى طالبه ديارها ومعهم

الآماء سعدى وفاطمة ومرزوق وهم يظنون أنها بنتها فقالوا لها ما اسم ابنتك فانها غير خلقتك لانكى لستى لها بشبيهة فقالت لهم انها ابنتى ولكن مالها اسم خفيف فسموهاأنتم ما تريدون وادعوها بما شئتم فقالوا نسميها شريحة فقالت لهم الأمر اليكم وأنا وهى فى جواركم اليوم فلما ان سمعت فاطمة ذلك ولم يكن لها صبر على الذل فقالت لسعـــدى أسكتى عن هذا الكلام وإلا وذمة العرب الأجواد وحق رافع السبع الشداد باعث من فى القبور والالحاد قتلت نفسى بيدى لأننى ما أنا جارية ولا خادمة وكيف يجوز للعبد أن يخدم عبد مثله قال وكانت تشد البرقع على وجهها بخلاف زى الأماء فما كانت الشمس تراها ثم أنها قالت لسعدى لئن رجعتى إلى مثل هذا قتلت روحى وأنا ماأخدم الاالبارى جل وعلا ولا بد لقومنا أن يخلصونا من النوائب ويرمون بنى طى بالمصائب ثم أنها بكت وأنشدت تقول بعد الصلاة على طه الرسول ·

ستعلم أهل البغى بين الأعارب ... اذا ما ضربناهم بحــدا القواضب
يودون أنا ليس يذهب تارنا ... اذا ما اتتهم خيلنا كالسلاهب
وحق النبى المصطفى خير خلقه ... من الناس جمعا تركها والأعاريب
لئن لم يردونا الى نحو قومنا ... كراما عزازا بل حسان المناسب
والا يروا من قومنا مالا يسرهم ... ويسقوهم بالضرب كأس المعاطب
فلا أصاحن الدهر من كان ذاما ... ولا كل مخلوق الكلام بكاذب

(قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا ولما أن سمعوا أهل الحى منها هذا الشعر والنظام قالوا وحق ذمة العرب ما هذا الا قول بنت عربى شجاع وبطل مناع وانهم لما فرقو القوم تفرقوا المال والعبيد والأماء فوقعت فاطمة هى والأماء سعدى ثم ولدها مرزوق فى قسم امير يقال له الحارث بن مشير وكان نازل بأرض يقال لها الايله فسار بهم ونزل بأرضه وقد ترك سعدى وابنتها ترعى الجمل والخيل بعد أن أكرمها غاية الأكرام وكانت الجارية فاطمة تخلو بنفسها وتركب الخيل وتتعلم وحدها الكر والفر والنزال والطراد وقطعت ورق الشجر والقصب وتتعلم المرافعة والممانعه واذا عصى عليها الفحل من الإبل تصيح عليه فترجفه ثم تتعلق برفيقه فترده وتوقفه والعبيد يتعجبون منها وكانت فاطمة قد قامت لحب ربها وأرمت الدنيا عن قلبها وصارت تصوم النهار وتقول الله حتى شاع خبرها فسميت شريحة العابدة ولما أن رأوا صلاحها اذ خلت بنفسها أحبوها القوم وكانت غارقة فى عبادة ربها وتنشد فى الزهد وتقول :

نحن نطوى الأيام بالجهد منا ... وهى فى حال طيها تطوينا
فافعل الخير ما استطعت طباعا ... قبل أن تضحى بما فعلت رهينا
قبل تعرض غدا على خالق الخلق ... لعل تنجو وتكن من الفائزينا
أين عاد وثمود وأين تبع ومن ... ملك الأرض أصبحوا هامدينا
لا يغرنك المحاسن منها ... كم وجوه سارت على الطاين طينا
ليس ينجو من الحساب كريم ... قد غدا محسنا من المحسنينا
لا يوقا من العذاب سوى من ... ان بكا من ذنوبه محزونا

(قال الراوى) وهى من حياها وما أعطاها الله تعالى من الجمال قد شدت البرقع على وجهها كما ذكرنا وقد ألبستها الأيام ثوب الجمال والكمال والفصاحة والمقال الى أن بقت كالشمس المضيئة وقد اكتمل لها من العمر سبع سنين هنالك طمحت بنظرها الى الفرسان وهم يتطاعنون فى الميدان فاشتغلت بذلك همتها من شدة حميتها ونخوتها وسارت تقطع أصول القصب الفارسى وتركب من خيول مولاها فى بعض الأيام فهى على عادتها فى المرعى اذ أشرف عليها فارس من فرسان بنى طى يقال له قريح بن قابوس الطائى وكان فارسا شجاعا لا يبالى بالرجال ولا بكثرة الأبطال فبينما هو سائر ذات يوم فرآها فى المراعى فدنا منها وجعل يتعرض لها ويداعبها ثم يراودها عن نفسها ويطلبها ويثقل عليها فلما ان تحققت ذلك منه نفرت أوداجها وكثر انزعاجها وصاحت فيه اذهب لا كنت ولا استكنت يا ندل العرب فلح عليها فسبته وشتمته وكلمته بأغلظ كلام ولعنته فانصرف عنها وفى قلبه من هواها أمر مبرح هذا وقد انصرفت إلى بيت مولاها الحارث فرآها وهى باكية العبرة ثم تنفخ كأنها الحية البترة فقال لها يا فاطمة ما وراكى وما الذى دهاكى قالت له يا مولاى قريح بن قابوس قال لى كذا وكذا وقد طلب منى الفاحشة والأذى فانهاه عنى وإلا هلكته وقتلته وعلى الأرض جندلته فصعب ذلك عليه وسار إلى قريح بن قابوس وقال له وكان جالسا بين جلسائه وقال له يا قريح إن أمتى فاطمة قد أقبلت إلى وشكت منك الخنا وتذكر أنك طلبت منها الفاحشة والزنا فإياك أن تعود فتسكنك رمسك وتلحق يومك بأمسك فإن كنت تريد فأمهرها وتزوج بها (قال الراوى) فلما أن سمع منه قريح ذلك الكلام قال له يا حارث لا كرامة ولا عزازة أتريد منى أن أتزوج بأمتك لا كان ذلك أبدا ولو سقيت كأس الردا وأنا من اليوم ما عدت أخاطبها فرجع الحارث إلى منزله وقد أخبر فاطمة

بالمقال ولما أن كان من الغد خرجت فاطمة وقد جمعت المواشي وسارت المراعى وهى طيبة القلب بما أخبرها مولاها وبعد ساعة أقبل قريح وقد زاد فى حبها فقال لها يا لخنا شكيتيني لمولاكي أتظنيني أنى أخشى منه أين هو الساعة يخلصكي منى فقالت له يا ويلك اذهب عنى وقد رجمته بالحجارة فانصرف وهو يقول والله لا بد منكي فعادت لبيت مولاها وهي ترتعد مثل السعفة وقالت يا مولاى قد عاد اللئيم وتعرض لى اليوم وإن لم ينتهى أخذت رأسه وأخمدت أنفاسه (قال الراوى) فلما ان سمع منها مولاها ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال فى نفسه هذا جاهل وهذه حرة وصاحبة نخوة وحمية والرأى عندى أنى أعلم الملك بالأمر على جليته فأتى إلى الملك وقال له أيها الملك إن أمتى فاطمة قد شكت إلى من قريح بن قابوس وإننى أخاف أن يلح عليها فلما أن سمع ذلك منه بعث اليه وأحضره وقال له يا قريح مالك وأمة هذا الرجل لا تتعرض لها يكون دمارك أو تزوج بها والا أخمدناك فقال أيها الملك إنما كان ذلك منى ملاعبه وإلا فما نفسى لها بطالبة وكانت فاطمة حاضرة فقالت يا مولاى ان عاد من اليوم يتعرض لى قتلته فقال لها الملك يا داهية ان بقا يتعرض لكى شأنك واياه فقالت سمعاً وطاعة وانصرفت وقد باتت ليلتها فلما ان كان من الغد خرجت الى المراعى على جرى عادتها وسرحت مع الجمال والرعيان حتى علا النهار واذ اقبل قريح وفى قلبه لهيب النار وتحته جواد من خيار الخيل كأنه من سواد ظلام الليل وهو مدلل بشجاعته وقوته فطلبها بالجواد فلما أن رأته قاصدها هربت منه وسارت بين يديه وقد أخذت فى عرض البرية وقد رأى عزيمتها فطمع فيها وركض بجواده من ورائها وهي تجرى أمامه حتى غابت عن الرعيان فلحقها فلما ان صار بالقرب منها أقبلت بوجهها عليه وقالت له يا مولاى ما حملك على هذا اللجاج فقال لها هواك وشكواك لمولاكى فقالت له والله أنا ما منعتك عن نفسى بغضة فيك ولكن خفت أن تنال منى غرضك فتقع بقلبي ولا يكون لى اليك سبيل فأموت بحسرتى وأهلك بلوعتى فإن كنت لا تخون فأنا أمكنك من نفسى وها أنا بين يديك ولا أبخل بروحى عليك (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما ان سمع كلامها لانت حميته وانكسرت همته فقال لها معاذ الله ان يكون ذلك وهل يمكن الإنسان ان يبعد روحه عن جسده ويذوق الآلام ويتخلى عن ذلك الجمال فقالت له ان كان الأمر كذلك فاعطنى يدك انك لا تغدر بى وها انا بين يديك بطيبة قلبى ففرح بذلك وقال لها هذه يدى فدنت منه وتناولت يده وتمكنت منه ثم جذبته بقوة ساعدها واذا به ملقى على الأرض فوقع سيفه من جفيرة عرض فتناولته اسرع من البرق وضربته به

قبل ان يقوم من الأرض على راسه فنزل السيف الى صدره فلطم الأرض بيديه ورجليه ساعة وقد خمد حسه فنظروا الرعاة إلى ذلك والجواد شارد فأتوا إليه فرأوه قتيل وفى دماه جديل فنادوا بالويل الطويل وقد شالوه على جواده وساروا به إلى الحى وعادت فاطمة لبيت مولاها وهى تنفخ كالأفعى فقال مولاها مابالك وما دها كى ياداهية النفوس فقالت يا مولاى إنى قد قتلت قريح بن قابوس (قال الراوى) فلما أن سمع مولاها منها ذلك الكلام ضاقت عليه الدنيا وأيقن بالرداوزاد فى الاهتمام وقال لها يا لخنا أرميتينى فى البلاء يا بنت اللئام ثم أنه قبض عليها وطلب بها أبيات ملك الحى وقال له يامالك من هذا كنت خائف مستهام واعلم أنه جرى من الأمر كذا وكذا فتعجب الملك من ذلك وقال له لا خوف عليك ولا عليها فجاءت إخوة قريح اليه وهو معهم قتيل وقالوا له من قتل أخانا من أهل الحى وكانوا قد سألوا من العبيد عمن قتله فقالوا لهم قتلته داهية بنى طى فعندها أشهروا سيوفهم وطلبوا مولاها يسقوه كأس الردا لأن العرب مذهبها إن العبد إذا قتل حرا مايفاديه إلا مولاه فلما إن عزموا إخوة قريح على قتل الحارث قيل لهم إنه التجأ إلى سيد القبيلة فأتوا الى الملك والحارث عنده كما ذكرنا وقالوا من المقال ثم قالوا يا حارث نريد منك دم أخانا فقال لهم خذوها هى قاتلة فاقتلوها بناره فقالوا له نحن مابيننا وبينها دم مسكوب ولا قل مطلوب وماقتلته الا برضاك هذا وقد زاد بينهم الكلام ثم أنهم انقسموا فرقتان وصاروا شطرين شطر مع اخوة قريح وشطر مع الحارث ولم يزالوا كذلك حتى حكموا المشايخ أن يؤدى ديته الى اخوته ألف بعير وعشرون رأس من الخيل وعشر دروع وعشر سيوف وعشر رماح (قال الراوى) فحمل له جميعها ولم يبق له ساعية ولا راعية وقد طابت قلوب اخوة قريح بالمال بحكومة المشايخ لكن القوم أيقنوا بأن الحارث يقتل فاطمة فلما انفصل الأمر دخل عليها مولاها وهى مربوطة بالسلاسل وبيده سوط من جلد بعير مدبوغ وقال يا لخنا قد كنت ميشومة على ولقد أفقرتينى والفقر يضر بحالى ولم يبق معى ما أطبخ به وأسد به أكلكم وهم أن يضربها فقالت له يا مولاى لا تعمل على واسمع منى ما أقول فقال قولى فقالت له على ان أحضر لك ما غرمت من المال وهو ان تعطينى جواد وسيف وخوذة ودرع وحجفة ورمح واجعل ذلك بجملة ما اخذ منك فقال لها وما تصنعين فقالت اركب الجواد والبس العدة وأخرج وآتيك بأموال العرب واعلم اننى قادرة على اموال العرب وحرب الرجال ومكينة من اخذ مهج الأبطال والله لآتينك باضعاف ما غرمت من اجلى فعند ذلك اطلق سبيلها

وأتى إليها بما طلبت فغاصت فى العدة وقد تلثمت على البيضا بعد ان تعممت وسارت وقد تبعها مرزوق عبدها وسارت فى تلك الأرض سبعة ايام حتى اذا كان اليوم الثامن اشرفت على ارض خضرة نضرة كثيرة العشب والنبات تتجاوب فيها الاطيار بسائر اللغات فسبحان من زانها وانشاها وبتلك الأزهار قد كساها وفى جنب تلك الأرض اموال ومواشى سارحة مع الرعاة يكاد ان ينشق شحمها ولحمها لخصب الأرض وكثرة المياه وكانت تزيد عن الف ناقة وجمل ومن الخيل والغنم غير قليل والعبيد فى غاية الامان (قال الراوى) وكانت هذه الاموال لفارس من فرسان العرب يقال له ضرمه بن ضرغام السعدى وقد انفرد فى تلك الارض بنفسه وكان يعد بالف فارس فلما ان نظرت فاطمة الى تلك الاموال فرحت فرحا شديدا وحملت على العبيد واحتوت على الاموال جميعها هذا وقد ساقت العبيد والاموال قدامها وكل منهم يظن انها رجل من الرجال وبطل من الابطال فقال لها احدهم يا غلام اعلم ان اجهل الناس من سلك غير مسلكه وطلب مالا يدركه اتدرى لمن هذه الاموال هذه اموال ضرمه ابن ضرغام السعدى وهو البلاء الذى لا يصرم والقضاء الذى لا يرد فامضى الى حال سبيلك ولا تتعرض بنفسك الى المنية فتهلك وتبقى فى الرزية (قال الراوى) فلما ان سمعت كلامه عطفت عليه وقد ضربته بالسيف على عاتقه فطلع السيف يلمع من علائقه فوقعت هيبتها فى قلوب الرعاة وهابوها فساقوا الاموال قدامها وسارت فبينما هى سائرة واذا بصرخة عظيمة جسيمة فتأملت ذلك واذا هى بفارس قد غشيها كانه طود أو بعير حل من قيود بهامة هائلة واحداق كالمشعل وقد انقض عليها كانه الليث او نزول الغيث فعلمت فاطمة انه ضرمه صاحب المال فعطفت نحوه وهاجته ولاقت وتعرضت له فقال لها ويلك يا غلام لقد قدمت على امر عظيم اذهب بروحك ودع عنك الطمع ولا تخاطر بنفسك تقع فلم ترد عليه جواب ولا خطاب دون ان هجمت عليه وصرخت فيه اذهلته وقد طعنته فى صدره اطلعت السنان يلمع من ظهره فوقع على الارض يخور فى دمه فتركته وهجمت على الخيام والمضارب وقد نهبت ماوجدت من الأموال ولحقت بأخيها مرزوق وسارت تطلب الاطلال ولم تزل تطوى الارض فى الطول والعرض حتى انها وصلت الى ديار بنى طى فنظرت الرعاة الى اموال قد ملأت الارض فى طولها والعرض فتأملوا من اين هذه الاموال واذا هى مع فاطمة فقالت لها الرعاة قد اقبلت داهية غانمة فتبادروا الى الحارث وهنوه بقدوم امته عليه وماوصل معها وما اتصلت اليه ففرح بذلك فرحا شديدا وركب وخرج للقائها (قال الراوى) فلما ان وقعت عينها عليه ترجلت له واقبلت عليه

وقد قبلت ركابه وقالت له يا مولاى ان كان اخذلك الف ناقة فهذه اربعة آلاف ناقه وجمل ومعها من الاسلاب والعبيد والاماء والدواب ما يملأ الرحاب فتعجب من ذلك وقد احتوى على المال وسار به الحارث وتحدثوا الناس بفعلها وعجبوا من اعمالها فقال لها مولاها من اين اكسبتى هذه الاموال والنوق والجمال فقالت يا مولاى هذه اموال ضرمه بن ضرغام السعدى وقد قتلته بقوة ساعدى فاستعظم فعلها واستهول قتالها وعلموا الناس بذلك فتمكنت فعالها وهيبتها منهم هذا وقد ظهر اسمها وكثرت سمعتها وخف اسمها على السنة الناس فصاروا يسمونها ذات الهمة وصار لها مضارب وخيام وقد أقامت بعد ذلك عشرة أيام ودخلت على مولاها وقد غصت فى عدتها وأخذت للسفر اهبتها فقال لها مولاها إلى أين يا فاطمة فقالت له يا مولاى قد عزمت على الغزو وتحصيل الغنيمة فقال لها يا بنتى إياك والتعرض لأموال العرب فما كل وقت ينجح الطلب فقالت يا مولاى لا تخف على أمتك فانها لا تبالى بالرجال ولا بكثرة الأبطال ثم أنها ودعته وخرجت من عنده وركبت جوادها وسارت ومعها مرزوق وهو أخوها من الرضاع ولم تزل سائرة تجد السير سته أيام وهى تقطع الربا والآكام وفى اليوم السابع أشرفت على مرج واسع ذات مياه ومنافع ومروج ومواقع وقد سمعت رغاء الابل وصياح الغنم والاماء والعبيد فهزت الجواد فخرج من تحتها كأنه الريح الهبوب حتى صارت فى وسط المرج فنظرت إلى الاموال وهى تسرح والنياق تمرح وقد رأت العبيد والموالى يمرحن فى الرياض فحملت على الأموال كيما تحويها برمحها فصدمتها العبيد وقالوا لها أيها المغرور عرضت نفسك للحمام أما علمت لمن هذه الأغنام اعلم أن هذه للفارس الضرغام مجندل الفرسان حسان بن جعفر (قال الراوى) فلما سمعت من العبيد هذا الكلام رمتهم شذرا ونظرتهم حقرا ونذرا وقالت يا ملعون ومن هو حسان لا كان ولا استكان وقد ضربت العبد على عاتقه أطلعت السيف من علائقه فعندها طلبوا الرعاة الأمان فقالت لهم كونوا لى غلمان فإن لحقوا بى أصحابكم وأخذوكم من يدى فما يضركم شيء وان نصرت فكونوا طائعين أمرى ففعلوا أن كلامها حق ولفظها صدق فعندها ساقوا المواشى قدامها وما فيهم من عصى لها مقال فتأملت فى جملتهم عبد صبيح الوجه والكون صافى اللون فقالت له ما اسمك فقال لها مبارك فقالت مبارك إن شاء الله تعالى اركب يا مبارك من هذا الخيل وتولى سوق المال والرعاه وسوق بهما قدامى فى الفلاه فقال لها السمع والطاعة ثم أنه ركب جواد من الخيل الجياد وصاح فى العبيد سوقوا الأموال والنوق والجمال فهجوا بالسير وإذا

بفارس قد أقبل كأنه القضاء المنزل وهو ينادى إلى أين تذهب يا اخس العرب وأخس من ركب سرج وقتب أى سماء تظلك وأى أرض تقلك أتظن أنك تسوق الأموال وتروح سالما من الردا لا كان ذلك أبداً لقد ساقك القدر على رغم أنفك لصرعك (هذا) وفاطمة لا تلتفت له ولا ترد عليه ولم تزل كذلك حتى ناداها مرزوق غشيك الفارس هنالك فركبت عنان الجواد فحمل عليها وقد. طعنها طعنة هايلة فسحبتها على طرف جحفتها وقد طعنته فضيعها أيضاً ولم يزالا يتطاعنا بالرماح حتى علا عليهما النهار ودارت الأفكار وتكسرت الرماح وانمشقت الصفاح وتجالدا وتباعدا لأن الداهية انقلبت عليه فأدهته وضايقته حتى التصق الركاب بالركاب وشارت إليه بضربة من حسامها وقد طلبت بها رأسه فرفع الجحفة يستتر بها رأسه فأقبلت يدها أخف من الهواء وضربته على صدره طلع السيف يلمع من ظهره فوقع إلى الأرض شطرين وانقسم نصفين فلما أن رأت العبيد والعبد مبارك ذلك وقعت الهيبه فى قلوبهم وارتعدت فرائصهم ثم أنهم أقبلوا عليها وصاروا يقبلون يديها ورجليها فصاحت فى العبد مبارك سوق المال وقد شتمت العبيد والموالى (قال الراوى) يا ساده يا كرام فقالت لهم الداهية اهجموا بنا يا بنى حام بقية ليلتنا فى موضعنا هذا إلى أن يطلع الصباح فقالوا لها سمعا وطاعة ثم أنهم نزلوا واضرموا النيران وعقروا من الأغنام هذا وقد نزلت الداهية فى موضع عالى وترجلت عن جوادها فأتاها واحد من العبيد ومعه شيء من الزاد فأخذت بعضه وقالت له اذهب إلى أصحابك وقد تقدمت إلى الزاد وأكلت على حسب الكفاية وشربت قليل من الماء ونامت حتى مضى من الليل الثلث واستيقظت وسيفها مسلول بين يديها وأخوها مرزوق يحرسها خوفا عليها ولما ان أفاقت من المنام جعلت تحادثه والخدم والعبيد إلى أن ذهب من الليل ثلثيه فنهضت ودخلت فى لامة حربها وشدت جوادها ونادت فى العبيد بالمسير بقية الليل فساروا بين يديها وسارت تقطع البرارى والقفار إلى أن وصلت إلى أرض بنى طى ونظرتها الرعيان فدخلوا الحى وأعلموا الناس بقدومها فرفعت الزعقات وخرجوا لها جميعا وشاهدوا بنو طى ما معها من الأموال ما يحير الناظرين فذهلوا من فعالها وقد خرج الحارث إلى ملتقاها وهو مولاها وهو لا يصدق أن يراها فما نظرته ترجلت وسلمت عليه فرد عليها السلام بأحسن رد وسار بين يديها لابياتها فنزلت المال وقسمت الأموال شطرين فحمل لمولاها النصف وتركت النصف الثانى لنفسها وضربت لها الأبيات والقباب العاليات وقد صفت الخيول على الطوالات فقال لها مولاها يا بنية من أين هذه الأموال فقالت له يا مولاى هذه أموال حسان بن

جعفر الفزاري (قال الراوي) فلما ان سمع مولاها منها ذلك الكلام وقعت هيبتها في قلبه وقال في نفسه الرأي عندي أن أتزوج بها وأعيش برأيها هذا وقد نظرت العرب من بني طي إلى نجابتها فانضافوا اليها جماعة وصاروا يركبون لركوبها وينزلون لنزولها وقد شاع خبرها في جميع الآفاق وسار بحديثها الرفاق واحترزت منها العرب ودخل في قلوبهم الرعب ولم تزل تأخذ في الغارات وتنهب أموال السادات وتغار على القبائل وتهجم على الأموال والمناهل حتى أغنت مولاها بالأموال وضربت بها الأمثال (فلما أن كان) في بعض الأيام وقد أصبحت جالسة على باب مضربها وإذ بمولاها أقبل عليها ومعه وجوه بني طي فلما ان نظرتهم أقبلوا اليها نهضت لهم قائمة على قدميها وقد استقبلتهم بالترحيب والبشر وعقرت لهم ثم فرحت بهم فلما ان أكلوا ناداها مولاها فأقبلت عليهم وقالت لهم يا سادات بني طي هل من حاجة فتقضى أو وسيلة فتمضي فقال لها مولاها يا بنيه ان في قلوب بني طي من بني عامر وبني كلاب حزازات لا تخفى ونيران لا تطفى لأنهم قتلوا ساداتنا وأبادوا أبطالنا وحماتنا وقد سمعت بما تفعلي وقد سمح الزمان لنا بمثلك وصار لنا الفخر على العرب بفعلك ونريد تجعلي غاراتنا وغزواتنا إلى بني عامر وبني كلاب فتأخذي لنا بالثار وتكشفي عنا العار (قال الراوي) فلما ان سمعت كلامهم قالت لهم أما والله لو كنت ملكت بكفي الكواكب السائرة ماكنت إلا لكم ناصرة وسوف ترون من اليوم فعلي وما أصنع ببني كلاب وما أنزل عليهم من العذاب فشكروها على ذلك وباتت إلى أن مضى الليل وأقبل الصباح الضاحك فقامت إلى عدة جلادها وركبت على جوادها وكان من الخيول الحسان وقد نادت في رجالها الذين يلوذون بها وسارت بهم تطلب ديار بني كلاب وهي تقطع التلال إلى أن وصلت إلى الحي ووقعت في القوم وكان من أعجب الاتفاق أنها نظرت إلى أربعة آلاف ناقة كأنها العقبان وهي حمر الوبر كثيرة اللحم وموسوقة شحما وكان بالقضاء والقدر ان تلك النياق لأبيها مظلوم فقالت لرجالها دونكم وهذه الغنيمة وساقت جوادها وتبعوها أجنادها وساقوها عن بكرة أبيها وعطفوا بها آمنين وإلى ديارهم طالبين وكان ذلك الوقت آخر النهار وقد سارت الشمس في الاصفرار هذا وقد أرسلت الداهية وأجنادها في القفار وكان مظلوم ذلك الوقت في خباه وهو ينتظر إلى الرعاه مقبلين فقال لهم يا ويلكم ما وراكم ومن بشره رماكم فقالوا له قد ساقت أموالك داهية بني طي فلما ان سمع منهم ذلك صاح في رجاله وقد ركب في أبطاله وركضوا وراها على الأثر هذا وقد أظلم الليل واعتكر فلم يعرف مظلوم في أي طريق يذهب ولا إلى أي جانب يطلب

وأيس من الضيعان فقال لنفسه ينبغي أن نعود إلى ديارنا ولا نجازف بأرواحنا فقالوا له أصحابه افعل ما تريد فلقد صدقت وقد عادوا خائبين وخافوا أن يكونوا من الهالكين (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ماكان من الداهية فإنها لم تزل سائره بما وصلت اليه فلم يبق صغير ولا كبير إلا وخرج اليها ليلتقوها وسلموا عليها فكان يوم قدومها يوم مشهود ومزح الصديق وكمد الحسود هذا وقد نظروا بنى طى إلى أموال مظلوم ابن الصحصاح ففرحوا بذلك أجل الافراح وقالوا لها صولى على الزمان ما شئتى فقد سدتى على الاقران وافتخرتى على سائر الفرسان فشكرتهم وقد نزلت وعقرت لهم ونحرت وأحضرت الرجال فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا ومولاها يقول فى نفسه يا ليت شعرى بنت أى شيطان هى ثم قال لها يا بنيه ان ظفرتى بأى الرجلين ظالم أو مظلوم أولاد الصحصاح فلا تغفلى عنهم اما قتلا واما أسرا فانكى ان ظفرتى بأحدهما ظفرتى بالشرف البارح فانهم المراد ومسرة الفؤاد فقالت لهم لابد ما تنظروا ما يكون ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ثم انها أقامت أيام قلائل وركبت وعادت إلى ديار بنى كلاب وطرقت أموال أبيها ثانيـــة فركب فلم يلحقها ولا وجدها فضاقت على مظلوم الأرض ولم تزل فى كل حين تتصيد أموال بنى كلاب وتنزل الغدران حتى أحرمت أموالهم المرعى والنبات وعادت لهم مفزعة وفى أموالهم طامعة فما ان نظرت سعدى أم مرزوق ذلك حارت من فعالها وأعمالها فقالت سبحان الله ما هذه إلا نجابة عظيمة ان أعلمت هذه البنية وقلت لها ان مظلوم أبوها وبنو كلاب أهلها فتقول لم لا أعلمتينى وتأخذها بنى طى فى العداوة ثم انها افتكرت فرأت الصمت أوجب لها (قال الراوى) هذا وان الداهية انقطعت عن أرض بنى كلاب مدة سنة كاملة وهى لا تلم بأرضهم بالكليه حتى أيسوا منها وقد اطمأنت قلوبهم ثم انها ركبت فى خيلها وسارت نحو اطلالهم عازمة على اخـــذ أموالهم ولم تزل تجد السير الشديد حتى وصلت إلى بنى الوحيد وهى من ناحية بنى كلاب فنظرت إلى الأموال تسرح وتمرح فى البيدا وكان بالاتفاق أموال جـــدها أبو أمها فحملت وهى تنادى الغنيمة الغنيمة فاحتوت على الأموال وساقتها هى وأصحابها وعادوا طالبين أرضهم والرجال تطردها بين يديهم فعادوا بعض الرعاه ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور فسمع مظلوم صياحهم فنهض وقال لهـــم ما وراكم فقالوا داهيـــة بنى طى احتوت على الأموال ورجعت فنادى الأمير فى الرجال فتبادروا مثل الأسود الضارية أو السباع العاديه وأشهروا الصفاح واعتقـــلوا بالرماح

وساروا ومظلوم فى أوائلهم لابس الحديد والزرد النضيد فبينما الداهيه وصلت إلى أرض فسيحة الأرجاء إذ سمعت صهيل الخيل وقعقعة اللجم وحس الحديد وصياح الرجال وصراخ الأبطال ومظلوم ينادي يامخذولة أي سماء تظلك أو أى أرض تقلك فلقد خاب أملك واستد سبلك وساقك الحين إلى مصرعك ورغم أنفك (قال الراوى) يا ساده ياكرام فما هى إلا أن سمعت كلامه حتى أنها لعبت بالرمح فى يدها ثم أقبلت على أخيها مرزوق وقالت له ويلك يا ابن أمى قم ورائى واحمى ظهرى ثم تركت الرجال الذين معها يحفظون الأموال وقد عادت للقوم وحملت على أبيها وعلمت انه المقدم عليهم فى ذلك اليوم فطلبت بجاله من غير إطاله ورآها مظلوم وقد طالبته فحمل عليها وعلم أنها داهية بنى طى فكان فى قلبه منها نار لكونها آذته مراراً ومراده أنه لو ظفر بها حتى انه يأكل لحمها أكلا وينهل دمها نهلا حتى إذا وقعت عينه فى عينها فحب أن يعلم ان كانت هى داهية بنى طى أم لا فناداها هلمى إلى الميدان قد جمع بيننا الزمان فقالت له أنا داهية بنى طى فدونك والنزال والضرب بالنصال ثم أنها ألوت العنان وقومت السنان وحرصت على نفسها وقالت له أنا الذى أخذت أموالك على ممر الزمان والايام فدونك والضرب بالحسام فعندها نزلا فى الميدان وأخذا فى الضرب والطعان فرآها كلما طال قتالها نصلت واشتدت وعظم نضالها فتضاربا بالرمحين حتى لم يبق فى أيديهما غير العقبين ثم أشهروا السيوف وتضاربوا بهما حتى ملاهما الغبار وطلع النهار وازورت الأبصار وحارت الافكار وكان مظلوم كلما انقض عليها يرجع نفسه عنها بالمحبه والشفقة فصارت تلعب به فى الميدان كما يلعب الولد الصغير بالعصفور ولم يزالا كذلك إلى أن أقامت الشمس فى قمة الفلك وقد ظن مظلوم أنه هلك وضاق منه الصدر وقد بان لذات الهمة من ابيها القوة وعرفت منه ذلك معرفة خبير فعند ذلك انطبقت عليه وقبضت على أطرافه أقلعته من سرجه وأخذته أسير وملكته ذليل حقير وجلدت به الأرض وأوثقته كتاف فعندها حملت عليها بنى كلاب تروم خلاصه وقد اصطفوا المواكب بالمناكب وانطبقوا عليها من كل جانب فهنالك حملت عليهم وصاحت رجالها وعملت فى الحرب اهوالها (قال الراوى) هذا ولم تنكف ذات الهمة عن أبيها حتى شدته على ظهر الجواد وسلمته لمرزوق وعادت إلى القتال وسقت الرجال كؤس الحمام ونثرت بنى الوحيد نثرا وهبرتهم هبرا فولوا منها منهزمين وقد لقيهم رجال الدلهمة وتركوهم على التراب وقد داسوهم بحوافر الدواب وما زالوا خلفهم حتى قاربوا الابيات التى لهم وعادوا عنهم وقد أخذوا الاموال والعبيد

وتبادروا إلى ديارهم راجعين يقطعون البطاح وفرحوا بأسر مظلوم ابن الصحصاح وقد سبق المبشر إلى ديار بنى طى وقد خرجوا لقدوم الدلهمة فوقع فى الحى الصياح والأفراح وخرجوا الناس وفى أوائلهم مولاها فلما ان وصلوا اليها سلموا عليها ونظروا إلى مظلوم وهو موثوق على ظهر جواده ففرحوا الفرح الشديد فلما أن نزلوه افردواله بيتاً وأمرت بوضعه فيه كيما تضرب عنقه فى غداة غد فقال لها مولاها يابنية لا تتعجلى عليه بالقتل حتى نكاتب سائر بنى طى ليحضروا قتله فإذا صاروا عندنا نخرج ذلك الوقت مظلوم وتبصره الامراء والعساكر والعشائر ونضربه بسيوفنا ونكون قد اخذنا ثارنا وكشفنا عارنا (قال الراوى) لهذه الاخبار فلما أن نظرت سعدى إلى ذلك الحال ورأت مولاها فى ذلك الرثاق قالت إنا لله وإنا اليه راجعون إن لله فى هذا تدبير وهو على كل شىء قدير والله لو علمت هذه الجارية أن مظلوم أباها لعز عليها أن تهب عليه الرياح فواعجبا كيف وصلت اليه وقدرت عليه مع ما قد أعطاها الله من شدة الباس وقوة الراس ثم أنها سبلت البرقع على وجهها ودخلت اليه وسلمت عليه فرد عليها السلام فجلست عند رأسه وهو موثوق وقالت يا مولاى وكيف وصلت اليك هذه الجارية وأنت الليث الهمام والأسد الهجام فقال لها إذا نزل القضاء عمى البصر وما بقى له عمل فوالله لقد نظرت من هذه الصبيه ما لا شهدته من رجال ولا عاينته من ابطال ولا رأيت اشد من هذه الداهية بأساً ولا اقوى منها مراساً وكنت كلما هممت بها لا تمتد يدى نحوها بسوء وكأن يدى شلا (قال الراوى) يا ساده ياكرام فلما أن سمعت سعدى من مظلوم ذلك الكلام بكت ونهضت من عنده ودموعها تتحادر وعبرتها تتقاطر ثم افتكرت فى نفسها وقالت إن لم اعرفها انه ابوها وإلا هلك لامحاله واكون خسرت الدنيا والآخرة ثم انها جلست على باب ابنتها تبكى فسمعتها الداهية وقالت لها يا أماه ما ابكاكى لا أبكى الله لكى عينا ابداً فقالت لها يا بنتى أما تعرفى هذا الرجل الذى قد أسرتيه فقالت لها وكيف لا أعرفه إنما هو مظلوم بن الصحصاح بن جندبة الكلابى فقالت لها بلى والله يا بنية غير أنه اقرب الناس اليكى حسباً وأدناهم نسباً فقالت لها وكيف يا أماه ذلك الكلام وما يكون هذا منى فقالت لها والله يا بنية هذا هو ابوكى وانت ابنته من ظهره فلما أن سمعت كلامها الداهية قالت لها صدقتى وحق عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال فقالت سعدى وكيف علمتى أننى صادقة فى هذا المقال فقالت لها يا أماه انى كنت كلما هممت أن أضربه فى بعض المقاتل يخفق قلبى من الاشفاق وترعد منى المفاصل و

ترتخى وقد بان لى منه ذلك أيضا فدل ذلك على صدقك (قال) ثم أنها نهضت من وقتها وساعتها ودخلت سعدى إلى بعض الأبيات وقالت اخبرينى بالأخبار واطلعينى على جلية الحال وكيف هذا واوضحى لى نسبي فلقد كانت همتى تسمو فى يد المراتب العالية وما أنا من نسل العبيد الدانية فاكشفى لى عن هذا الحال وأوضحى لى وأصـــدقى فى المقال فعند ذلك أخبرتها بالحال من أوله إلى آخره وما أخفت عنها شيء (قال الراوى) فلما أن سمعت منها ذلك سجدت شكراً لله تعالى إذ كانت من أولاد الملوك ملوك العرب أهل الحسب والرتب فصبرت إلى أن أرخى الليل ستوره وأزهت نجومه ودخلت هى وسعدى إلى أبيها فخات وثاق يديه ورجليه فصار باهت فيها لا يعلم الموجب لذلك فقال لها يا ستاه بماذا استوجبت ذلك منكى وما سبب ذلك فقالت له استوجبت بالشرع والدين والتمس رضا رب العالمين ثم أنها قالت لسعدى اخبريه بمكانى منه ولا تكتميه فعندها قد أسفرت سعدى عن وجهها فعرفها فى الحال فقال لها ما أنتى سعدى فقالت أجل وحق الملك المتعال وهذه ابنتك فاطمه من ظهرك بفخرها موصول بفخرك وقد أخبرته كيف سلمتها أمها اليها وصارت ترضعها بالخفية من ظالم فلما أن سمع مظلوم من سعدى هـــذا الكلام سجد شكراً لله تعالى وقال الحمد لله الذى أخرج من ظهرى هذه اللبوة فله الحمد على تلك المنة (قال الراوى) ولما أن تحققت الأميرة انه ابوها حقا قامت وأخذت تقبل تديه ورجليه وصدره وبين عينيه (وأما مظلوم) فإنه ضمها إلى صدره وجعل يقبلها بين عينيها ويقول لها عفى الله عما مضى يابنية والحمد لله على معرفتنا بعضنا البعض وهو يبكى من الفرح ثم قدمت لأبيها درعه وعـــدته وقالت له البس يا أبى وقد لبست هى ايضا عدتها وأشارت الى اخيها مرزوق والعبيد وقالت لهم ارفعوا الاموال والرجال على الجمال وسيروا إلى ناحية بنى كلاب فقالوا سمعاً وطاعة ثم أنهم رفعوا البيوت والأموال والرجال على ظهور الجمال من غير ضجيج ثم انها ركبت وقد ركب ابوها معها وأخذت كلما كانت غنمته من طول الايام وساقته بين يديها وتعجلت فى المسير فعلم بها بعض الناس أنها رحلت فأتوا الى بيت سيدها وأعلموه بذلك فقال لهم لعل أن يكون ضاق عليها المكان والمرعى وتريد تنفرد بأموالها فى البيدا (قال الراوى) لهذا الكلام هذا وقد سارت الدلهمة طول ليلتها الى الصباح فنزلت للراحة وقد صلت صلاة الصبح وسارت فى أواخر النهار وإذا بنواصى الخيل قد اقبلت والأســـنة شرعت وبنى طى قد لحقتها ولما ان رأتها أطلقت أعنة الخيل وتسارعت (قال الراوى) يا ساده ياكرام وكان

وكان السبب فى ذلك أن بنى طى لما طلع الصباح شاهدوا مكان الأميرة الذى كانت بخيامها نازلة فيه وهو خالى منها ومن اموالها فماجوا كما يموج البحر وقالوا لا شك أن مظلوم قد أرغب الجارية بكثرة الأموال والنوال فخدعها فانخدعت له بالمحال وقد اطلقت سبيله من الاعتقال وسارت معه الى منازله والاوطان ثم أنهم صاحوا فى منازلهم فغاصوا فى العـــدد وفى اوائلهم الحارث ابن شريك والقوم فى ستمائة وخمسون فارس كالليوث العوابس وقد جدوا فى السير إلى أن لحقوا بالأميرة الداهمة عند الصباح كما ذكرنا وشاهدت الأميرة الخيل وقد اقبلت وكأنها السيل فقالت عند ذلك لابيها ياأبتاه أدركتنا الخيل وقد صعب عليهم خلاصك من أيديهم فكن انت مع الاموال والنوق والجمال واخى مرزوق حتى ارجع انا الى القوم وانفذ اليهم بالاعتذار من قبل الطعن بالخطار والضرب بالبتار وأخاطبهم بلين الكلام لما لهم على من الحقوق والاكرام ، فإن رجعوا فهو المراد ومسرة الفؤاد وان أبوا قلدتهم بقلائد البغى وألبستهم الندم فقال لها مظلوم لله درك يا بنية بلغك الله الامنيه ثم أنها عادت إلى الخيل ولحقتهم فلما ان رآها الحارث بن شريك وقد عادت اليهم واقبلت عليهم وتركت سنانها بين ايديهم فوقف بالحصان عن المسير وقال يا آل طى ارفعوا أسنتكم واجمعوا أعنتكم واعلموا إن الداهية قد أتتكم وعادت اليكم واقبلت عليكم (قال الراوى) فلما ان سمعوا منه ذلك الكلام تطاولوا عليها بالأعناق وشخصت لها الاحداق حتى أنها قربت منهم وأشارت لهم بيدها بالسلام وقالت لهم يا وجوه العرب ويا سادات اهل الرتب ومن انتم اعرف الناس بها بالضرب والطعان فى حومة الميدان ومنازلة الاقران والشجعان قد خطر لى كلام فهل أنتم من نفوسكم منصفون حتى أقول لكم وتسمعون فقال الحارث مولاها يابنى طى اعلموا أن هذه مقومة فى الحرب بألف فارس فاسمعوا ما تقول ولاأحديتكلم بغيرها يكون (قال الراوى) فقالوا ها نحن سكوت وقولى ما عندك يا داهية واسمعينا قولك فقالت لهم يا وجوه العرب اعلموا ان الله تبارك وتعالى يسوق المقادير إلى العباد ليفعل فى ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد وله فى خلقه تدبير هو على كل شىء قدير وبعد هذا من عرفنى منكم فقد عرف ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا فاطمة ابنة مظلوم ابن الصحصاح ابن جندبه بن الحارث الكلابى ملك ملوك بنى كلاب ذو الحسب والنسب صاحب القول الصواب والصدق فى الضراب والأصل فى حديثى كذا وكذا وقد جرى عليهم ما جرى ثم قالت ومرزوق هذا أخى من الرضاع ومن مظلوم خرجت واليه رجعت فهل فعلت

يا بنى طى غلط أو عملت شطط فمن كان منكم شرب لبنا فائر أو قام عنه ذيلا طاهر فليرجع عنى فانى كارهة لحربكم بعد ما ربيت فى حيكم وبأرضكم نشئت (قال الراوى) فلما ان سمعوا منها ذلك الكلام فكان أول من ناداها من القوم مولاها وقال لها والله قد أحسنت فيما قلتى وذكرتى ولله درك والله ما دعينى إلا بالشرف وانكى لمن خير سلف وانه خير خلف وأنتى كنتى كما شاهدت منكى كبار الامور والأفعال التى ما يقدر عليها ملك ضرغام أقول يا ليت شعرى هى بنت أى سيد مجيد وتحدثنى نفسى انكى لست من العبيد وبعد هذا وحق سيد الورى وأجل من وطىء الثرى لولا ثقل ظهرى فى بنى طى وكثرة العائلة وما تعرفين من محبة الوطن لكنت أسير فى خدمتك وفى صحبتك موافق لكى على هجرتك وأنزل من حيث تنزلى وأغرس حيث تغرسى وأنا استودعتك الله سبحانه وتعالى ثم انه ألوى عنان جواده راجع إلى الحى ونادى ارجعوا يا بنى طى وإلا دونكم وإياها فإنى أرى النجابة فى جبينها لائحة فتواتروا القوم على الرجوع ولم يبق إلا فارس واحد يقال له طمعان ابن فاتك وكان يحسد الأميرة على ما أعطاها الله من الشجاعة وشدة البأس وقوة المراس وكان معه من قومه مائة فارس فقال لهم ان رجعنا بلا قتال حل بنا العار وأى عار أعظم عاراً من ذلك ويشاع عنى فى الأقطار أن بنى طى عجزوا عن ربات أحجال وذات الخمار سيمتها رعى الجمال فى القفار ومعها ملك الابد وعز السرور خذوها على أطراف الرماح وشفار الصفاح وقد حمل وفى قلبه الكمد ببغضته لها والحسد وأرمى نفسه عليها وهجم فجالت وناصلت فلله درها لقد أعطت السيف حقه هذا وقد طال لها الحرب وحميت فى الطعن والضرب فنظرت إلى فارس كأنه الليث الطلوب الممنوع عن أكله وشربه وهو يجول عليها فتبينته وإذا هو طمعان بن فاتك فانقضت عليه انقضاض الباشق وحملت عليه وطعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره فوقع إلى الأرض يلطمها بيديه ويفحص برجليه ثم أنها هجمت على الأبطال وحملوا عليها وقد كاثرتها الفرسان وكان أبوها وأخوها مرزوق قد أبعدوا بالأموال ووقفوا على رابية عالية ينظرون إلى فعالها فى القتال فلما ان شاهدوا الرجال وقد ضايقوها والفرسان وقد كاثروها حملا كحملاتها وصدما كصدماتها فما كانت إلا ساعة حتى عادت الخيل هزائم وقد ملكت أسلابهم والغنائم وعادت إلى أبيها وصاروا طالبين الديار وهم فى غاية من الاستبشار (قال الراوى) فهذا ما كان من مظلوم وابنته (وأما ما كان من ظالم وخيبته ولعنته فإنه لما ان وصلت اليه الأخبار بأن أخيه مظلوم أسرته داهية بنى طى دخل فى

قلبه الفرح وجمع أصحابه وقال الحمد لله الذى كفانا أمر أخى مظلوم فو الله لا يتخلص من هذا أبدا لأننى أنا أعلم أن بنى طى لو ظفروا بعبد من عبيد بنى كلاب لم يبقوا عليه ساعة فكيف مظلوم بن الصحصاح ولا بد أن يقطعوه بالصفاح وقد عزمت على الزينة وإظهار الذخائر الثمينة السامة ونحر النحور وعقر العقور وسكب الخمور ثم أنه أظهر من أموال أبوه ماكان عن أخيه مظلوم مخفيه من أوانى الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وفصوص الزمرد والزبرجد الأخضر (قال الراوى) رحمه الله يا ساده يا كرام صلوا على بدر التمام هذا وقد كان نشا الحارث بن ظالم وكان قرين الداهية فى الشجاعة ومبارزة الأقيال وملاقاة الأبطال وخوض الأهوال حتى أنه لم يكن فى قبائل العرب أشد بأساً منه ولا أقوى مراساً وقد صاروا هؤلاء فى الفرح واللذة وبنى الوحيد فى الترح والملاله وقد أرموا البيوت وأكبوا السروج وهلبوا أذناب الخيل وكسوا السواد وأقاموا فى الذل والويل فما كنت تسمع إلا ندب نادبه وقد أيسوا من مظلوم وأيقنوا بشربه كأس المنون المحتوم هذا وسلام زوجته تندب وتبكى وقد أظهرت الأحزان والهموم وأما فاطمة الداهية ووالدها ومن معها فإنهم لم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بنى كلاب فنظروا الرعاة إلى الأموال التى كانت معهم قد أقبلت وقد ملأت الأرض والفضا فتعجبوا من كثرتها وقد أرادوا أن يعلموا لمن تكون ومن معها من الرجال إلى أن قربوا منها فعاينوا مظلوم فى أوائل المال فلما أن رأوه طلبوا الحى وقد ألوحوا بالعمائم ووقعت البشائر والضجات فى الديار والأطلال هذا وقد سمعت سلام ضجات العالم فقالت يا قوم ما هذه الضجات فقالوا لها بعض العبيد لكى البشرى فقد وصل الأمير مظلوم سالم من النائبات (قال الراوى) فلما ان سمعت من العبد ذلك الكلام كادت أن تطير من الفرح والاستبشار وأما والدته أمامه فمن منذ أسر جعلت تضرب برأسها الأحجار إلى أن قضى نحبها ولحقت بربها رحمها الله (فلما) ان وصل مظلوم أرادت زوجته سلام أن تخرج إلى لقاء بعلها فلم تشعر إلا وهو معها فى الأبيات وابنته الداهية وراه وهى فى زى الرجال على ما ذكرناه فأرادت أن تحتجب فتبسم مظلوم وزاد تبسمه وقال لها أما تعرفى هذه المتعممه فتأملتها طويلا فتحرك الدم إلى الدم وقالت له يا ابن العم أما قولك تعرفى هذه فعلى وجه الحقيقة لا معرفة به ولكن تحرك دمى له فقال لها ما هذا غلام بل هى ابنتك فاطمة ثم أنه نادى إلى سعدى فأتت سعدى فهنالك دخلت وعرفتها وحدثتها فلما عرفت أن هذه ابنتها أخذت تقبلها وهى تبكى فرحا بلقاها وقد قالت سعدى أنظرى يا مولاتى ما ربيت لكى من هذه اللبوه الضارية سيدة النسوان ومالكة

الفرسان فى يوم الطعان فشكرتها فى قولها وهى تبكى فرحا بلقائها وقد حمدت فعلها (قال الراوى) هذا ولما ان استقربهم الجلوس قال مظلوم لزوجته سلام قد سعدتى أتى بداهية بنى طى فقالت نعم وانى كنت أسمع الناس يصفوها فى الحى فقال لها هى ابنتك هذه فزاد تعجبها وسرور قلبها هذا وقد نظروا الناس إلى كثرة الاموال التى أتت مع الاميرة ووالدها مظلوم ففرح بذلك الحبيب وصار العدو مهموم هذا وقد رفعت الابيات وضربت البوقات والطبول وخفقت الرايات وزاد السرور وقد وصلت الاخبار إلى ظالم برجوع أخيه مظلوم سالم وكان ظالم أفرح الناس بما جرى على أخيه مظلوم وكان يقول فى كل وقت لقد كنت أحمل من همه وكربه ما لو وضع على الجبال ما سارت فسبحان من أراحنا فقال له الحارث والله يا أبى لولا أنى أخشى سطوتك لكنت أنا توليت ضرب رقبته فقال له يا بنى إن الله قد كفانا شره وأراحنا من طلعته (قال الراوى) فبينما هو فى ذلك الكلام اذ دخلوا عليه جماعة من مشايخ العشيرة الكرام وقالوا له أيها الامير ما أغفلك عما أنت فيه من المرام قم واستقبل أخيك وسلم عليه وبالسلامة هنئه فقال لهم إيش تقولوا فى هذا الكلام فقالوا له هذا الذى قد سمعناه وأن داهية بنى طى هى ابنته وقد جرى من الامر ما هو كذا وكذا وأخبروه بالخبر حتى كأنهم حاضرين فبينما هم متفكرين فى ذلك وهو يقول هذا صحيح أو غير صحيح وإذا شيخ آخر دخل عليه وقال له كما سمع فى الاول ثم قال أيها الملك هل سمعت بداهية بنى طى فقال نعم قال هى ابنة مظلوم (قال الراوى) فلما ان سمع ذلك شخص الى الشيخ وقال له يا شيخ اعلم ما تقول فكيف هذا الحديث فقال له أيها الملك داهية بنى طى ابنة أخيك مظلوم وقد وصلت صحبته وهى التى كانت أسرته وقد قص عليه حديث مظلوم مع زوجته عند ولادتها وما جرى من الحديث فلما أن سمع ظالم ذلك ضاقت عليه الارض بما رحبت وقال والله لا زالت عن قلبى الهموم ثم أنه أحضر المشايخ وطلب منهم الرأى وكيف يعتذر لاخيه مظلوم فقال له رجل منهم اعلم أنك تقول له اننى ما فعلت وأظهرت الفرح الا حتى أطيب قلوب الناس وأزيل عنهم الترح واليأس هذا وقد اعتمد على ذلك فاقبل عليه ولده الحارث وقال له ياأبت لا تحمل هم على قلبك فإن شئت قتلته وقتلت ابنته فتبسم ظالم من مقالته وقال له والله يا ولدى أخشى نوبته ثم أنه ركب من وقته وساعته وقد اخذ معه مائة فارس من بنى كلاب وقد سار يطلب بنى الوحيد وما زال سائر الى ان وصل الى اخيه مظلوم فقالوا له قد وصل اخيك وابنته بصحبته وكانوا قومه قد اخبروه بما فعل وكيف اظهر الفرح فى غيبته فقال

لا كان ولا استكان فما احس اخويته هـذا ولم يحس مظلوم الا وهو معه فى سرادقه وخيمته فلما ان راى مظلوم اخيه ظالم وثب عليه وضمه الى صدره وقد اقبل كل واحد منهما على صاحبه وجلسا يتحادثان بعد ذلك فقال له مظلوم ويلك يا اخى فرحت لمصابى وسررت بذلك فقال ظالم والله يا اخى ما فعلت ذلك إلا تسكينا للناس وتطمينا لقلوبهم ولعلى ان بنى طى لا تقدر على قتلك ووراءك مثلى ومثل ولدى الحارث وقومى وقبيلتى جميعهم وما كان قعادى عنك إلا حتى أعلم أين أنت وأبادر الى خلاصك بحد المرهف وصدر السنان المشقف فعلموا الحاضرين انه كاذب فقال له يا أخى قد قبلت عذرك وسامحتك فى هذه القضية والله لا زلت تغضب الله فى أمرى وأنا أطيعه فيك إلى أن ترجع إلى الطريق المستقيمة ثم أمر مظلوم باحضار الزاد فأحضروا الاطباق وعليها غرائب الألوان الشهية فقال ظالم يا أخى أين ابنتك فاطمة فاننا نحب ان تحضر تأكل معنا الزاد ولا تكن مستحية فما هذا إلا نحن وأنت وولدى كأخيها فقال مظلوم انها عند والدتها سلام فكل وان أردت أن تحضر تكون عندك فسكت ظالم ومد يده وأكل وتموا فى الحديث إلى أن جن الليل وبات هو وولده فى سرادق مظلوم حتى إذا كان من الغد نحر مظلوم وعقر وأولم وليمة عظيمة حضرها أهل الحى جميعا فأكلوا حتى اكتفوا ثم تفرقوا ولم يبق إلا ظالم وولده الحارث فى الخيام فقال ظالم والله يا أخى لو أقمنا عندك سنة كاملة لم أمضى حتى أنظر ابنتك وأسلم عليها فقال له مظلوم إذا شئت ذلك فأنا أدخل عليها وأعلمها بذلك الخطاب ثم اسمع منها الجواب هذا وقد مضى مظلوم ودخل على ابنته من وقته وساعته وقال لها يا بنيه ان عمك يشتهى أن يراكى وهو عندك فى منزلة الوالد فانعمى متفضلة عليه فقالت سمعا وطاعة ها أنا ماضية اليه وكانت والدتها شرحت لها جميع ما جرى لهما وأبيها من المبتدأ إلى المنتهى ولم تترك شىء إلا وذكرته لها (قال الراوى) يا سادة ياكرام فلما ان سمعت الذلهمه من أمها ذلك الكلام انغرس فى قلبها من أمها البغضة لعمها وابنه الحارث وقد علمت ان لابد من الخروج اليهم فلبست أثوابها وتزينت بزينتها وجلبابها وكانت من يوم ما قتلت قريح بن قابوس وركبت الخيل ونازلت الأبطال قد نزعت أثواب النساء ولبست لبس الرجال فدخلت وعليها ثوب قباطى من الابيض مرقوم بشرائط من الذهب من صناعة مصر وعلى رأسها عمامة وقد أخفت شعرها من تحت العمامة وتقنعت بطرف العمامة على صدرها وتلثمت وضيقت لثامها وأسبلته على حضرها ولم يكن منها بابن غير حماليق البصر وأقبلت على عمها وأشارت اليه

ثم قالت حياكم الله بالتحيات وعمتكم البركات فوثب عمها عند ذلك اليها وخاطبها وخطا نحوها وقبل رأسها وبين عينيها وكذلك ابن عمها الحارث وتقدم اليها وسلم عليها وأكلوا الطعام والأميرة قاعدة لم ترفع رأسها فقال لها عمها يا بنية قد حضرتي وماحضرتي بكليتك انما أردنا بحضورك كيفما نتمتع بالنظر إلى وجهك ثم انه مديده وقدرفع اللثام عن وجهها وقلع العمامة عن رأسها فبان الشعاع الأدعج الجبين الأبلج والخد المضرج هذا وقد أشرق البيت من ضياء وجهها كالبدر ليلة تمامه وقد نظرها الحارث فسلبت مهجته وفؤاده وغاب عقله وصوابه من دهشته هذا والأميرة قد استحت من عمها وأعادت العمامة واللثام على وجهها وأكلوا القوم الطعام وشملهم الاكرام وقضوا يومهم فى الحديث والكلام إلى أن أقبل الظلام ومضت الأميرة إلى والدتها ودخلت عليها فضمتها إلى صدرها ثم قبلت بين عينيها وقالت يا بنية لا أوحش الله منك لقد غبتى عن البيت فأوحشتى وقدمتى فأدهشتى فدعت الأميرة لأمها وقبلت يدها وقدمها وباتوا تلك الليلة إلى أن أصبح الله بالصباح فركب عمها وابن عمها وطلبوا الرواح لديارهم وفى قلب الحارث من محبة بنت عمه ما لو وقع على الجبال ما سارت به ولا زالا حتى وصلا إلى الحى ودخلا الخيام وقد أتى الحارث إلى والدته وأخبرها بما رأى من ابنة عمه وسألها أن تتوسط فى الحال مع أبيه فى جمع شمله بها (قال الراوى) فلما ان رأت أمه منه ذلك الكلام قالت له يا بنى طب نفسا وقر عينا فسأفعل ما يحصل به المسرة ويدفع عنك المضرة ثم انها صبرت إلى أن دخل الليل واجتمعت ببعلها ظالم وقد ذكرت له ما كان من ولدها الحارث وانه بابنة عمه هايم فقال لها والله ما حصل ولدك نصف عشر معشار ما أعطيت من الحسن والجمال والبها والكمال وفصاحة اللسان وانها تشاكله وهو من أشكالها وما تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها وقد عزمت على انى أزوجه بها لوجهين الأول لجمالها والثانى انها إذا صارت له انكسرت حرمتها وقل نشاطها وذهبت قوتها فإن مظلوم قد استطال بها إلى الغاية وبانكسارها نحن نبلغ من أبيها سائر الأغراض فقالت له زوجته نعم ما رأيت فكيف يكون التدبير فى هذه الامور فقال لها سوف ترين ما أصنع ثم انه صنع وليمة نحر فيها وعقر وبعث إلى أخيه مظلوم وقال له تحضر ومعك الدرة المصونة والجوهرة المكنونة سيدة النسوان ومالكة الفرسان فسار الرسول إلى حى بنى الوحيد ودخل على مظلوم وأخبره بالرسالة فدخل مظلوم على ابنته وقال لها يا بنية هذا رسول عمك ظالم قد وصل إلى يأمرنى بالمسير اليه

وأنتى بصحبتى (قال الراوى) يا سادة يا كرام فيما ان سمعت الأميره من أبيها ذلك الـكلام وما أشار به اليها قالت له يا أبتاه اذهب أنت إلى حال سبيلك وما قد دعيت اليه فليس لى حاجة فى المضى اليهم ولا القدوم عليهم فلماان رآها مظلوم تمنعت فلم يقدر ان يراجعها فخرج من عندها وقد ركب فى نفر قليل من خواص أصحابه وسار حتى قرب من حلل أخيه فاتصل لظالم الخبر فخرج هو وولده الحارث وأستقبلوه من أطراف البيوت فلم يرى الحارث ابنـة عمه فى صحبته فـكاد أن يموت بحسرته ولمـــا ان نزلوا القوم واستقر بهم الجلوس فقال ظالم يا أخى أين الشمس المنيرة والظبية العزيزة فلا أوحش الله منها فما لنا صبر عنها فشرح مظلوم امتناعهاعن القدوم ثم قال له ياأخى أرسل أنت اليها لعلها أن تستحى منك وتأتى برضاها فأمر ظالم من وقته وساعته لخادم أن يركب فى الف فارس ويكون معه جميع الصناجق والأعلام وقضب الذهاب والفضة وقال ظالم للخادم خص ابنة أخى بالسلام عنى وقل لها عمك يقول لك يا بنية الاخ بالله عليكى لا تنغصين علينا مانحن فيه من لذة العيش وتصدقى بقدومك الينا فانـكى ان امتنعتى عنا احتجنا ان نركب عن بكرة أبينا ونسير اليكى فلذلك لا تحوجينا فسار الرسول حتىوصل إلىسرادق الأميرة الذلهمية وترجل عن جواده ودخل اليها وخدمها وقبل الأرض بين يديها وبلغها سلام عمها فلما ان سمعت كلام الخادم أطرقت وغضبت فقالت لها أمها يا بنية الرأى انـكى تسيرى إلى عمك ولا تحوجيه أن يركب الينا بسببك فقالت يا أماه ان كان ولا بد فامضى أنا وأنتى واسأل الله أن يكفينا شر الندامة فقالت لها أمها إذا أردتى ذلك حبا وكرامةهذا وقد أصلحوا أمرهم فى ساعة من النهار وقد جلست سلام فى الجحفة وركبت الأميرة الذلهمه جوادها وقد قدم لها الخادم عشرين من الخيل بإجلال الحرير الأخضر المـكللة بالدر والجوهر بمراكب من الذهب الأحمر والفضة المرصعة فقالت لها يا بنية هذا كلهمن مال جدك الصحصاح أخذهم عمك وتغلب على أبيك وقد احتوى على الميراث جميعه فقالت الذلهمه يا أماه سوف نبلغ ما نريد إن شاء الله المجيد (قال الراوى) هذا وقد ساروا إلى أن قربوا من الحلل وقد سبق الخادم وأعلم بقدومهم مولاه ظالم فخرج فى جميع الناس وفى جملتهم الحارث وهو لا يصدق ان يراها بالنظر ولما ان التقوا فرح بها ظالم وقد ترجلوا لها وسلموا عليها وساروا الى أن وصلوا الى الابيات ثم أنهم نزلوا وترجلت الأميرة الذلهمه وأمها سلام ودخلت الى بيت عصام فلما ان نظرت عصام الى الأميرة الذلهمه ضمتها الى صدرها وقبلت ثغرها بعد ماكشفت عن وجهها اللثام فعاينت بدر التمام

فقالت فى نفسها والله يحق لولدى الحارث أن يكون بمحبة هذه الصورة عابث هذا ولما ان استقربهم الجلوس أقبلت عشرة من الخدم من عند ظالم يامرون الأميرة بالمسير اليهم فنهضت تسعى بين أيديهم ودخلت على أبيها وعمها وابن عمها وسلمت عليهم فوثب إليها عمها وإلى صدره لمها وقبل وجهها وصدرها ورأسها وكذلك ابن عمها وقد جلسوا القوم فاكلوا وشملهم الاكرام وقصدوا بعد ذلك الحديث والكلام (قال الراوى) هذا والحارث زاد فى قلبه الوجد والغرام وهو لا يطرف نظره من الأميرة طرفة عين وقد زاد به البلا والغرام فلاحت من الأميرة التفاته فنظرت اليه وهو ينظرها شذرا ويرمقها حذرا فقالت فى نفسها أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نظرة هذا اللئيم وجلست مع القوم إلى اصفرار الشمس وقد نهضت بعجلة وفى قلبها من الغيظ ما لا تحمله الجبال ودخلت فى بيت خالتها وقالت يا أماه ما الذى يقعدك فقد قضيت الحاجة لعمى وأبى وأطعتهما وأتيت فإن كان لك نية فى المقام فانا ماضية للحى قاصدة للبيت فقالت لها خالتها يا منية القلب ما وراءك وما سبب عجلتك وعناك فقالت لها يا خاله لى عذر وما يمكننى المقام وقامت من عندها فلم ترادها فى الكلام فركبت الأميرة وأخذت الدتها من وقتها وساعتها وسارت الى ان وصلت الحى والى حللهم وفى خيامهم نزلوا (وأما الحارث) فإنه لما علم أن الأميرة مضت الى حللها ورحلت ضاق صدره وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وأقام يتقلى بكثرة الاشتياق ولوعة الفراق فلما ان كان فى اليوم الثانى دخل الحارث على والدته عصام وبكا بين يديها من لوعة الغرام وسالها السؤال لأبيه أن يسال عمه فى اتصاله بالأميرة الذلهمة فقالت حبا وكرامة ثم أنها نهضت من وقتها وساعتها وطلبت بعلها ظالم وقد ذكرت له ما فى قلب ولده من الذلهمه وما ذكر ولدها الحارث فى خطبتها فقال لها يا ويلك ومن هو أحق بها منه ومن يحجبها عنه ثم اجتمع باخيه مظلوم وقال له يااخى ان الله لم يعطى ابنتك شىء إلا وقد اعطى ولدى الحارث مثله من الحسن والجمال والفروسية والنجدة وانى اسالك ان تجمع شملهما ببعضهما وتجمع بينهما فى الحلال كما امر الملك المتعال (قال الراوى) فلما ان سمع مظلوم من اخيه ظالم ذلك الكلام اطرق راسه إلى الأرض ساعة ورفع راسه وقال له يا اخى لو كان الأمر الى اجبت بالسمع والطاعة غير انك تعلم ان الأمر يتعلق بها وانا امضى اليها واقص ما ذكرت عليها واعد عليك الجواب وما تبدى من الخطاب فإن كان الحديث من عندك من غير ان يعلم الحارث فلا تعلمه بذلك لئلا يتعلق قلبه فإنى اظن انها لا تنعم بذلك فتقع الفتنة فقال ظالم سمعا وطاعة

وقد ودع مظلوم اخاه وركب جواده وعاد راجعا يطلب حلته وسار إلى ان وصل الى قبيلته ودخل على زوجته سلام واخبرها بما جرى له مع اخيه من الكلام فلما ان سمعت كلامه قالت له يا ابن العم فما كان جوابك فقال لها قلت كذا وكذ ولم اجبه بشيء خوفا من امتناعها وبعد هذا فوحق عالم الغيب والشهادة ما احب ان يعلوها رجل لان يقل نشاطها وتنكسر بين الفرسان وينحط قدرها بين الشجعان فقالت له يا ابن العم على كل حال لابد من اطلاعها على هذا المقال فنهض مظلوم من وقته وساعته ودخل على بنته وأخبرها بما جرى بينه وبين أخيه فى معنى ولده الحارث وزواجه بها وكانت الاميرة الذلهمة ضاحكة إلى أن سمعت كلام أبيها تمرمرت وصارت عيناها كالنار وعروقها كالاوتار وقالت أقسم بالله تعالى لو واجهنى كسرى صاحب الايوان بهذا الكلام لكان سيفى أقرب إلى هامته من كلامه ووالله يا أبتاه مالى حاجة ببعل وما خلقت الا للهراش لا للرجال ولا للفراش وليس يضاجعنى غير سيفى ودرعى وعدة جلادى ولا يكن حذرى إلا مهرة جرادى وكحل غبار النقع مرادى وأقسم بالله لئن راجعتنى فى هذا الامر لارحلن من خبائك ولانزلن فى القفار واسكن فى السهول والاوعار (قال الراوى) فلما سمع أبوها منها هذا الكلام نزل عليه الخجل ونهض اليها وقال يا بنية ما أكره إلا الذى تكرهين وما احب إلا ماتحبين ثم أنه قبل ما بين عينيها وقد اعتذر لها وقال يا حبيبة القلب ما أريد إلا ما تريدين (قال الراوى) فبينما مظلوم مع ابنته فى الكلام إذ دخلوا عليه الخدام وقالوا له قد وصل اليك هدية من أخيك فنهض مظلوم وخرج من السرادق وإذا هو بعشر أفراس سوابق بمراكب الذهب مرصعة وعشرة من الدروع المانعة وعشرة أسياف ومثلها من السمهريات وعشرة ابغال محملة تحف وأموال وجواهر ويواقيت وفصوص فواخر ثم دنا منه أحد الغلمان وقبل يده وقال له يا مولاى هذه هدية من اخيك ظالم وولده وهم يسلمان عليك ومشتاقين اليك (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان السبب فى ذلك أن ظالم أقبل على مشايخ العشيرة بعد ما سار مظلوم وقال لهم يا بنى الاعمام إيش التدبير فى ايصال هذه الجارية الذلهمة بولدى الحارث لينال منها قصده فقال له بعض مشايخ العرب الرأى ان تبعث إلى أخيك هدية نقية فإن الهدايا تقرب القلوب وتبعد الذنوب ففعل ذلك وأرسل ما قد ذكرنا فلما ان نظر مظلوم الهدية دخل على ابنته وأخبرها بما أحضر من عند أخاه فقالت له يا أبتاه أقسم بالله تعالى لو جاء بجميع ما على وجه الارض من ذهب وفضة وأموال وسلاح وخيول وسيوف

ورماح ما أردت زوجا قط ولا مكنت من نفسى بعلا اصلا فاردد عليه هديته واكفينا
شوبته فقال لها رأيك أعلا ولم يرد الهدية بل أخذها وقال هذا من مال أبي الذى أنكره
منى وأخفاه عنى وأنا أحق به (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من
الحارث فإنه قام ينتظر الجواب من عمه وهو يقول عسى جواب يطيب به القلب فلم
يرى من ذلك شيئا فالتهب ناراً وقد قال لأبيه ما أرى لكلا منا مع عمى تأثير ولا رد
علينا جواب فقال ظالم والله يا ابنى ما عند عمك وابنته منا خبر ولو كان كذلك لردوا
علينا الجواب فتنغص الحارث وكاد ان ينشق منه صدره وحمل على قلبه الهم فمرض
مرضا شديداً أشرف منه على الموت وضعف حاله فركب ظالم إلى أن دخل على أخيه
مظلوم حلته فلم يشعر مظلوم الا وأخيه وجماعة من وجوه عشيرته فى سرادقه فلما ان
رأى أخيه وثب اليه وقد ضمه إلى صدره وجلسوا جميعاً فلما أن استقر بهم الجلوس قال
ظالم لأخيه مظلوم ما كان من وعدك ومقالك فقال له والله يا أخى لقد جرى لى معها
شيئا كثيراً ومن جملته كذا وكذا فلما ان سمع ظالم ذلك علم ان ما عندها خبر من ولده
فعظم عليه ذلك وأقام عنده ساعة ونهض وعاد الى حلته فلما ان وصل دخل على ولده
الحارث وقد زاد جواه وعظم بلواه وهو ينظر ابيه فلما ان حضر وجلس عند رأسه
فقال له ويحك يا ولدى بعد قتل الأقران وتنكيس الفرسان وصيد الاسود من الدحال
ترغب فيمن لا يرضاك وتهوى من لا يهواك ووالله يا ولدى ما عند هذه الجارية مما
أنت فيه خبر ولا تصل بالنظر ولا تتصل بها الا بحد المرهف والسنان المثقف فنظر
اليه وتأسف وكانت أمه حاضرة فخشيت على ولدها من التلف وقالت لأبيه ويحك ياظالم
أما ترى ولدى وحالته فما الحيلة فى أمره فقالت له الصواب ان تعود الى اخيك ويكون
معك وجوه العشيرة والعرب وكل ذى حسب كريم ونسب وتقصد أخاك وتنزل عنده
وتطرح نفسك وتخبره بولدك وما وصل اليه ففعل ذلك ووصل الى أخيه فوجد عنده
رجل يقول قد رجت الأرض ونفرت الأمم واستعدت الخلائق من العرب والعجم
وما منهم الا من أجاب دعوتى ولبى كلمتى فقال ظالم ومظلوم أيها الرجل عرفنا ما أنت
فيه من الأمر العظيم وبين لنا الخطب الجسيم فقال لهم اعلموا يا وجوه العرب أن
الخلافة قد وصلت الى بنى أمية إلى رجل يقال له مروان وهو ظالم غاشم معتدى متكبر
على الملك الجبار وقد رفض طاعة الله وعطلت سنة رسول الله ﷺ وقد أوقع السيف
فى بنى العباس وبنى على بن ابى طالب وقد استأصل مكانهم وشتتهم فى المشارق والمغارب

والدنيا قد انقلبت عليه والأمة قد انقسمت قسمين على يديه شـــطر منهم مع مروان وشطر منهم مع الهاشمية والعلوية والأرض ارتجت من البدو والحضر وأنا لله تجردت لهذا الأمر والخطار وآخر مثلى قد أخذ هدية ومضى يستنفر الناس من خراسان ويحثهم لنصرة اهل الرسول المختار من عدنان وكأنكم بتلك الامم اقبلت من كل مكان وانتخبوا يا أولى النخوة واعزموا يا اهل المروءة (قال الراوى) وكانت الاميرة الذلهمة فى خباها تسمع هـذا الـكلام فعظم عليها وكبر لديها وقالت لبعض جواريها ابصرى ان كان ابن عمى الحارث حاضر مع من حضر فخرجت وغابت ساعة وعادت وقالت يا مولاتى ما له حس ولا خبر فنهضت الاميرة الذلهمة وتعممت وتلممت وخرجت وأشارت بيدها للناس وكانت هرجت ومرجت ثم قالت لذلك المتـكلم ايها الانسان عن حقيقة تتكلم فقال الرجل نعم والله فقالت له فإذا كان الامر كذلك على ذلك فإننا لا نطيع خلافته ولما تقبل الامم نسير معهم وبالله اقسم لو كنت اعلم كيف الطريق اليه لـكنت اول قادمة عليه وانا أعلم انه قدقرب زوال بنى امية وقربت الدولة العباسية فمضى الرجل يستنفر الناس وخاضوا الناس فى ملك بنى العباس هذا وقد انفسد على ظالم ما كان عليه عازم وانفصل المجلس ولم يمـكنه ان يعيد كلاما ولا يبدى نظاما وقد سار ظالم الى حلته فى رجاله فلما ان وصل الى حلته دخل على ولده وقال يا ولدى جرى من الامر ما هو كذا وكذا وقد أخبره بالامور والحوادث والناس فى شغل صعب على هذا الامر الذى تجدد ولـكن الصواب انك لا تشغل قلبك بمثل هذا الامر ولا ترغب فيمن فيك يزهد وقال له على الذى تجدد فـكان ذلك على الحارث أصعب من القتل لأن المحب لا يصـغى إلى العذل (قال الراوى) يا ساده يا كرام وكان السبب فى اختلاف الدولة وظهور الفتن فى الاقطار أن سليمان بن عبد الملك بن مروان قد مات ثم تولى من بعده مروان وكان منهم فى عقله زائد فى حنقه وجهله فلما ولى الخلافة سأل عن بنى العباس بن عبد المطلب فقالوا له ليسوا بدمشق وكتب إلى سائر أعماله فى سائر البلاد يطلبون بنى العباس ويرمونهم بالقتل والمهالك والمحق وقد أنفذ الـكتاب إلى سائر الأقطار بمثل ذلك فشاع الخبر فى المهالك وقد صعب على المسلمين ذلك ونفرت الامم وقد توجه كل منهم إلى طريق يستنفع أهله كما ذكرنا وكان مروان قد أخذ إبراهيم ورماه فى المطمورة ثم أن أخوته اجتمعوا النساء والبنات وساروا إلى دمشق ووقفوا لمروان فى الطريق فلما أن ركب تقدمت إليه النساء الهاشميات والبنات الطيبات ثم قبلوا الأرض بين يديه وأشرن بالدعاء إليه وقالوا له يا أمير المؤمنين أنعم

علينا باطلاق إبراهيم وراعى قرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت لهم بل تجبر وتكبر عليهم وأمر الخدم أن يخرجوهم وهن باكيات والخدام يطردوهن فلما أن أيسوا من خلاصه قالوا يا مروان أحوجك الله إلينا مثل ما أحوجنا إليك ونزع منك ما أنعم به عليك (قال الراوى) وكان للإمام إبراهيم رجل من بعض جماعته يقال له أحمد ابن صالح من أرض بلخ وكان يخدم الإمام إبراهيم فى كل عام وكم أخذ له من بيعه على الإسلام ويدعو له فى سائر الأقطار ويحصل له الشيعة والأنصار ويبايعهم على الخلافة له ويأخذ عليهم العهد بالبيعة وكان فى كل عام يتردد إلى الإمام بجريده بلد بلد ومن حصل فيه من الشيعة حتى حصل له على غالب أهل خراسان ثم عاهدهم على ما ذكرنا وما زال كذلك إلى أن حضرته الوفاة فأخذ أحمد بن صالح العهد على تلاميذه وعلى واحد منهم يقال له أبو مسلم فى عقد البيعة لبنى العباس على أهل خراسان فتجرد أبو مسلم وجدد البيعة على الأمم وأوعدهم بالخروج يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة مائة وثمانون وأن يصلوا الجمعة ويخرجوا بثياب سود مثل الظلام وقد أراد بهذه العلامة أنهم ليسوا على الدين والإسلام فلما إن كان فى ذلك اليوم المذكور فى الوقت المعلوم خرج أبو مسلم الخراسانى ومعه مائة وعشرون من النفر الذين قد اجتمعوا عنده بثياب سود ومعهم السيوف الحداد وذلك فى مدينة مرو وخرجت الأمة بها وكسروا باب الجامع نهارا جهارا وقتلوا الأمير المتولى بها من قبل مروان ثم دخل أبو مسلم دار الإمامة ومعه ما ذكرنا من الأمه والجماعة وكان واعد الأمم فى بلاد خراسان بالخروج فى ذلك اليوم وتلك الساعة فتفرقت الأمم فى سائر البلاد وخرجوا على عمال مروان فقتلوا كل من كان فى بلاد خراسان من الأجناد والأنصار وقد أقبلت الأمم تهرع إلى أبو مسلم الخراسانى من كل مكان حتى بقيت جريدته مائة ألف من الفرسان وقد اتصلت الأخبار فى سائر البلاد إلى أن وصلت إلى مروان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من مروان لما أن أخذ الإمام إبراهيم وحبسه وضيق عليه وطرده لبنى العباس وانهزامهم منه وقد جعل عليهم العيون والارصاد والجواسيس وأخذهم من المواضع الذى اختلفوا فيها بالمكر والحيله (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما سار أبو مسلم من مرو طالب العراق من غير مهل وكان لما اتضح الخبر وثبت عنده أخذ إبراهيم ارتبك فى أمره فقال هذه الأمة لا يمكن اجتماعها إلا على صاحب البيعة ولا أعلم هل هو حى أو ميت ولا أتحقق له خبر وإن كان حى وسمع مروان بخروجنا من أجله أهلكه وجعله كمن لم يذكر فلعل أن نظفر بمن نبايعه ونقاتل

بين يديه ثم أنه نزل بطلقان فلما أن استقر به المكان أحضر اثنى عشر رجل من خواص أصحابه وهم مرتجين الدولة العباسية وكانوا موصوفين بالحزم والتدبير والفروسية فقال لهم يا قوم قد عرفتم ما نحن فيه من المصلحة والرأى أن يأخذ كل واحد منكم قطر من الأرض والمسالك وتقصدون أخبار الإمام ومن هو سالم من سلالته واجتهدوا فى ذلك فان لم يحصل لنا من ولد إبراهيم أحد فعسى نجد من أولاد بنى هاشم (قال الراوى) فلما أن سمعوا منه ذلك الكلام تفرقوا الاثنى عشر فى البلاد وكان فيهم رجل يقال له قحطبة من أهل الخير والتدبير والفصاحة وجودة الدين فسلك جانب العراق وسار يقصد المدن والبلاد ويتجسس ويسأل عن أولاد بنى هاشم فلم سمع لهم خبر وما زال إلى أن وصل إلى سامر وهو بالغرب من بغداد فأقام فيها مدة من الأيام يستخبر فلم يجد ما يرتجيه فصادف فى الجانب الشرقى إنسان يعرف بسعيد بن على الأموى وهو من جملة رعاة بنى العباس القديمة وقد دخل مسجدا وصلى فيه وكان قحطبة دخل المسجد لينظر إن كان فيه أحد من الغرباء لعله يسمع خبر ويرى أثر فصادف سعيد بن على الأموى وقد فرغ من صلاته وهو يدعو ويقول اللهم اقمع أهل البدع واظهر آياتك فيهم واظهر الحق وانصرنا عليهم إنك على كل شىء قدير يا نعم المولى ويا نعم النصير فتبسم قحطبة إليه وعلم أنه من بنى هاشم فجالسه من بعد ما سلم فرد عليه السلام وقال له يا أخى إنى أرى عليك آثار السفر فقال له من أين طريقك فقال من خراسان فقال إنى أرى الناس يتحدثون بأن رجل يقال له أبو مسلم الخراسانى قد ملك خراسان نهبا وقتلا واستنفر العالم ليقيم دولة بنى العباس أصحيح ذلك فقال له سمعت كما سمعت غير إنى اجتزت ببلد السرو فصادفت بطلعات عساكر عظيمة فسألت عنها فقيل لى هذه عساكر أبو مسلم الذى انتصب لدولة بنى العباس وقد سمعت أن الذى يدعو له مسجون بمدينة دمشق عند أمير المؤمنين مروان فقال سعيد ابن على يا أخى لا تقول أمير المؤمنين فالبدع قد ظهرت فى بلاد الشام وأولاد محمد ابن على بن عبد الله بن العباس مهججين فى البلاد ومن وجد منهم هلك وقتله العناد والأمير إبراهيم فى مطمورة ذليل حقير فمن يفعل هذه الفعال يدعى بأمير المؤمنين لكن لله تعالى فى قضائه تدبير فنهض وأحضر من المسجد قفة وفيها مصاحف وقال لى يا أخى احلف لى على هذه المصاحف إن كلامك حق وأنا أرشدك إلى حاجتك وأدلك على طلبك فحلف له على ذلك سرا (وقال الراوى) فلما أن تحقق ذلك سجد شكر الله تعالى وقال له يا أخى اعلم أنى من شيعتهم ومعين بدينى إلى الله تعالى بطاعة الإمام إبراهيم كما علمت فى مروان

ولا نعلم إن كان مات أم لا فظاهر الحال أنه فى الحياة لأن جماعة من الذين كانوا لهم عنده ودايع حيث أخذ وعلموا أن مروان أخذه وموضعه فى السجن ترددوا إليه وكلموه فيه وأما أولاده فسمعت أنهم فى الكوفة عند إنسان يقال له أبو مسلمة فطالبك هناك إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق فإن شئت ان تعود من ههنا إلى صاحبك وتعرفه بذلك فافعل وإن شئت أن تدخل الكوفة وتحقق الأمر لتكون على يقين من أمرك فهو أجمل فقال له قحطبة مالى إلا أن أقصد الكوفة وأشاهد ما قلته بيانا فليس الأمر هينا وإذا حققت الخبر حدثت بالخبر عن يقين (قال الراوى) فودعه وسار عنه وعبر الى المدائن وسار يطلب الكوفة وما زال الى أن دخلها وسأل عن دكان أبو مسلمة الخلال فدلوه عليه فلما ان أقبل عليه رآه شيخ كبير طويل اللحية وهو يبيع الخل والبقول فدنا قحطبة منه وسلم عليه فرد عليه السلام وقد وادده الوداد المتعارف ووقف حتى انصرفت جميع الناس الذين عنده ثم أقبل عليه وقال له يا أخى اعلم أنى قد جئت من مكان بعيد موصل اليك ومتوجه نحوك لاجتمع بك فى أمر لله فيه رضى وللمؤمنين فيه صلاح على يديك فتأمله أبو مسلمة الخلال مليا وقال له يا أخى اجلس على هذه الدكة ففعل ذلك وجلس على باب الدكان ثم قدم له قصعة وقد ثرد فيها خبز وسقاها من ماء الباقلا والسمن والسماق وقدمها الى قحطبة فأكل حتى اكتفى هذا ولم يزل أبو مسلمة يبيع فى دكانه الى أن فرغ ثم قدم قصعة كبيرة وثرد فيها خبز وحط فوقه سمن وسماق وخل وحملها على رأسه ثم غلق دكانه ونزل وقال لقحطبة يا أخى اتبعنى الى المنزل وقد صار يتبعه حتى وصل منزله وحط عن رأسه تلك القصعة وقال يا أخى اعلم ان عندى ضيوف عن اذنك ادخل بهذا اليهم وأعود اليك فقال قحطبة بسم الله عرفت لمن يمضى بها فعبر ثم لبث قليلا وعاد اليه وقال بعد السلام يا أخى انى أنا رجل أعرف بقحطبة من غلمان أبو مسلم الخراسانى وقد جرى وجرى ما هو كيت وكيت وان الجيوش مقيمين ينتظرون عودتى ووعدوه عشرة رجال أخر مثلى حتى يعود أحدنا اليهم بالغرض والآن فإن الله تعالى قد نظر الى صالح فهمى وصدق رأيى ومحبتى لهذا البيت المطهر وحرضنى على وصولهم الحق فعندها وثب أبو مسلمة ودخل الى بيته وأخرج مصحفاً واستحلف قحطبة على صدق ما ذكر انه من أصحاب أبو مسلم الخراسانى وانه غير باغ عليهم ولا يريد لهم سوء وان جميع ما تلفظ به صحيح واضح البيان والخبر (قال الراوى) فحلف له على ذلك ولما عرف أبو مسلمة صحة قوله سجد لله شكرا ثم قال له يا أخى بسم الله وقد نهض بين يديه ودخل به الى حجرة فى وسط الدار وفى

مصدر الحجرة خرق ففتحه واذا هى مظلمة مثل الليل فاشعل شمعة وتقدم الى داخلها وقد فتح أربع طوابق فبان من تحتها ممرق فقال بسم الله يا أخى انزل خانى واغلق الطابق قال قحطبة فنزلت خائفا فى اثنى عشر درجة واذا بسرداب كبير مددت عينى وفى جانبه اثنى عشر نفر قال قحطبة فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقد تواثبوا اليه وسلموا عليه فقال الخلال يا قحطبة اعلم أن هؤلاء الأئمة أولاد ابراهيم الإمام المظلوم هذا أبو العباس السفاح وهذا أبو جعفر المنصور (قال الراوى) فلما ان سمع قحطبة ذلك الكلام تقدم منهما وقبل أيديهما وبشرهما بقرب الفرج فشكروه وقالوا له ما عندك من أخبار الامام ابراهيم فقال لهم انه فى سجن مروان بدمشق وهو يؤذيه بالجوع والعطش والعذاب الأليم فقالوا له وفيما جئت فيه فعرفهم فيما جاء فيه قال قحطبة وقد مددت يدى وقلت يا سيدى أيكم يصلح للإمامة والمبايعة لله تعالى ويتقلد الأمر فيها فوثبا كليهما ومدا أيديهما فى طلب المبايعة ثلاث مرات وأنا أدفعهما عنى قال قحطبة فقلت فى نفسى ما هذا الأمر يا نفس قليل ولا وروده سهل ولاحظ لى فى العجلة والمبايعة لاحد هما من غير علم بطريقة تدبير ذلك ولا شك أن الامام ابراهيم عهد إلى أحدهما هذا الأمر وقلده إياه وعرف أنه يصلح للامامه والرأى عندى أنى أسير إلى دمشق وأتوصل بالحيلة له وهو الامام إبراهيم وأستفهم منه عن الأمور كلها ومن الذى يصلح للمبايعة فهو الذى قد تقلد لهذا الأمر مدة على وهو حى يرزق فأقلده الأمر ولا أدخل فيما أعرفه فيه عاقبة الأمر (قال الراوى) وبعد ذلك تقدم إليهما وقبل أيديهماوقال يا مولاى ما لفائدة فى تعجيل مبايعتى والمصلحة عودنى إلى أبو مسلم وأعرفه بمكانهما ونسير بالجيوش والأمم إلى خدمتكما وما يتأخر عنكما والفرج قريب وسامع الدعاء مجيب ثم خرج وقد علم أبو مسلمة الخلال بما جرى منهما وبما عولوا عليه فقالوا له سير قوى الله عزمك وشد وزرك وأجاد أمرك فمثلك من يتولى هذا الأمر ويعرف كيف يدبره ثم أن قحطبة سار من وقته وساعته ولم يزل يقطع البلاد والقفار وقد تزيا بزى التجار وما زال إلى أن وصل إلى دمشق ودخلهاضحى النهار فصادف خروج الموكب والعساكر ومروان وقد خرج فى موكب يريد المسير إلى الميدان فترجل قحطبة عن جواده وسلمه إلى بعض أصحابه وقد وقف إلى أن جاز الموكب الخاص ونادى السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاتهأغثنى أغاثك الله أجرنىأجارك الله يوم القصاص (قال الراوى) فلما إن سمع مروان من قحطبة ذلك الكلام أوقف موكبه ومسك عنانه وقال لبعض حجابه على بذلك الشيخ فأحضر بين يديه فقال له ما بالك أيها الشيخ فقال

يا أمير المؤمنين أنا رجل تاجر من أرض العراق وقد كنت عزمت على الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ومالى غير ولد واحد وكان غايب معى شيء من الأموال فأخذت منه ماكفانى فى حجى ثم ودعت البقية عند إبراهيم ابن محمد وسافرت إلى الحجاز وعدت وأنا محتاج إلى اليسير منه لأنفق به على نفسى فطلبته فقيل لى أنه فى سجن أمير المؤمنين بدمشق فسرت وأتيت إليك وأنا أسألك لوجه الله تعالى الاحسان إلى أن تجمع بينى وبينه وأسأله عن مالى ليرشدنى اليه ومولانا أمير المؤمنين دام محله وعاش أبداً مسروراً ليس له رغبة فى مالى وأنا فقير لا مال لى إلا ذلك القدر اليسير فهو حياة نفسى فخذ بيدى ياأمير المؤمنين أخذالله بيدك يوم الدين ثم أن قحطبة أتبع الكلام بالبكاء والأنين (قال الراوى) فلما ان سمع مروان هذا الكلام أشار إلى بعض خدمه وقال له تمضى بهذا الشيخ للو السجن وتأمر السجان ان يوصله إلى إبراهيم بحيث يسمع كلامه فيسأله الوديعة ويخبره عند من هى فما قصدنا منه مال بل قصدنا هلاكه قال قحطبة فسرت مع الخادم وأنا أشيعه بالبكاء أعرفه ضعف حالى وإن ذلك القدر هو حياتى هذا ولما إن وصلت الى السجن استحضر السجان وقال له ان أمير المؤمنين رسم أن تجمع بين هذا وبين ابراهيم ابن محمد العباس حيث يسمع كلامه ليسأله عن وديعته عند من هى من الناس ثم مضى الخادم وقد وصى عليه السجان بالاحسان فقال قحطبة فأخرجت درهمين كانت معى وأدخلنى الى دكة فيها بيت مظلم وفى وسطه مطمور فكشف عن رأسها طاق محكم فعندما كشفها صعد منها وهج وبخار فقال قحطبة فتطلعت فلم أرى قعرها ولم أرى شيء الا صوت خفى فقال لى السجان كلمه فهو يسمعك فقال قحطبة السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته اعلم أنى أنا من أنت تعرفه وأعرف الناس به صاحب الوديعة فالوديعة التى عندك ان أجلها قد آن فقل لى عندمن هى حتى أمضى أطلبها فقدقطعت البلاد وتعبت غاية التعب من أجلها والله بينى وبينك فيما فعلته فعجل بالقول عند من هى لأمضى اليه وأعطينى علامة لكى لا يضيع تعبى وقال قحطبة فسمعته وهو يجر فى قيوده وصوت الحديد يتجلجل فى رجليه وقد فهم كلامى وعرفه وأنكر ساعة وقال يا هذا اعلم أن وديعتك عند ابن الجارية صاحب العلامة فاقصده وخذها منه وامضى مصحوبا بالسلامة ولا تقصد غيره (قال الراوى) قال قحطبة فخرجت من ساعتى ولم أبيت الا على فراسخ وجعلت أسير الليل والنهار حتى وصلت الى مدينة الكوفة فى ثلاثين يوما وقد قصدت دكان أبو مسلم الخلال فساعة ما رآنى عجل فى اصراف الناس من حوله وقد أوجز فى بيع الناس عاجلا

وأغلق الدكان ومشى ومشيت وراءه فلما ان صرنا فى الدار ضمنى الى صدره وسلم بعضنا على بعض بالاستبشار وعرفه قحطبة الحال فظن المقصود أبو جعفر المنصور وفتح باب السرداب ونزل فسلم قحطبة على الجماعة والتفت الى أولاد الامام وقال أيكم صاحب العلامة فليبينها فى هذه الساعة فوثب السفاح وتأخر المنصور لعلمه أنها قد خرجت من يده فقال له السفاح أنا ذلك الرجل فقال له قحطبة يا مولاى وما هى علامتك فقال له ها هى ثم كشف عن خاصرته اليمنى واذا عليها شامة سوداء فعند ذلك وضع يده فى يده وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وقد بايعه على الخلافة وكذلك أبو مسلمة بايعه وبايعه أخوه جعفر المنصور والاثنى عشر رفقتهم وخرج قحطبة من وقته وساعته يطاب الربا ويطوى الأرض طى (قال الراوى) هذا ما كان من قحطبة (وأما ما كان) من أبو مسلمة الخلال فانه قد دار فى الكوفة على موالى بنى هاشم وأعلمهم بالحال واجتمعوا الى الوليد بن سعيد وكانوا أربعين رجلا وقد نقلوا السفاح الى منزل الوليد بن سعيد ليلا وبايعوه وأما قحطبة فانه لم يزل سائر حتى أتى الى أبو مسلم الخراسانى وأخبره بجميع ما جرى له فخر الى الارض ساجدا شكرا لله تعالى على بلوغ الأمانى وقد شكر قحطبة وخلع عليه وأحسن اليه وزعق النفير للرحيل وسار من وقته طالب العراق هذا وقد تكملت جريدته مائة ألف من الرفاق ولم يزل سائر الى أن وصل الى الدجلة وعبر المدائن وتوجه الى الكوفة بورود العساكر ولما ان وصل الى الكوفة نزل فى الجيش العرمرم وكان عسكره خمس فراسخ طولا وعرضا فلما ان شاهدوا أهل الكوفة هذه الأمم حاروا من كثرتها لانها قد ملأت الأرض والفضا هذا وقد أقبل أبو مسلمة على قحطبة وقال خذ معك بغلة النوبه وأتينى بمسلمة الخلال ففعل وقد ركب فى جماعة ومعه بغلة النوبة وعليها مركب ذهب مرصع بالجوهر فلما ان أقبل على الدكان ترجل وقد سلم كل منهما على صاحبه وأخذه وأركبه البغلة بعد ان غلق دكانه فلما ان رأوه أهل البلد عرفوا ان له معهم باطن مكتوم هذا وسار ومازالوا سائرين وقد قصد قحطبة سرادق أبو مسلم فلما ان رآه وثب له وسلم عليه وقال له يا أخى ارجع الى أمير المؤمنين وقبل بين يديه الأرض عنى وقل له يا أمير المؤمنين ماذا تأمر تخرج الى الجيش فى ظلام الليــــل بحيث لا يراك أحد أو تخرج نهارا جهارا على رؤوس الاشهاد واعلم انى قد جئت بجيش نجدة على أعداك طوله خمس فراسخ وسوف تبذل المهج بين يديك حتى يقر الله عينيك فقال السمع والطاعة لله ولأمير المؤمنين فيما قصد ثم أمر الفراشين ان يفرشوه ثياب الديباج والحرير من باب

السرادق الى الدار التى فيها السفاح فى البلد وقد ضرب له سرادق عظيم وفيه بسطا من الأطلس مفروشة ثم شد جواد أشهب عليه مركب من الذهب بحال بكواكب ذهب وسار والأمم خلفه الى الدار التى فيها السفاح والمنصور وقد وقف يطلب خروج الامام هذا وقد دخل قحطبة وقال بسم الله ياأمير المؤمنين فنهض يتوكأ على يد أبو مسلم الخلال والمنصور من وراه (قال الراوى) فلما ان خرج وشاهد أبو مسلم الخراسانى قبل الارض وسجد شكرا لله تعالى هذا وقد ضجت الامم ثم انقلبت بالدعاء له فرحا هذا وقد عضده أبو مسلم الخراسانى وأركبه وركب المنصور من بعده ودار بينهم النفس وسار السفاح وعن يمينه أبو مسلمة الخلال وعن يساره قحطبة وأبو مسلم الخراسانى ماسك الجواد ماشى وأصحاب التيجان كلهم والملوك من أهل خراسان الى أن وصل الى السرادق ودخل راكبا ونزل على التخت وأتى أبو مسلم الخراسانى يبايعه فمد المنصور يده فردها أبو مسلم وبايع السفاح فأسرها المنصور فى نفسه وبايعته الأمم وسائر الناس وقد أقاموا على ذلك ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع دخل أبو مسلم اليه وقبل الأرض بين يديه وقال ياأمير المؤمنين لا يخفى عن العلوم الشريفة ماقد صنعت بنى أميه وقد عولت على المسير إليهم وأنا أريد شتات أصلهم بالكلية فإن كان الركاب العالى معول على المسير إليهم فليفعل وان رسم مولانا للعبد بالنهوض وحده فإنه كفاية فقال السفاح تجهز للسير وهذا عبد الله ابن عمى يكون معك سائر فليكن هو صاحب المشورة والرأى وأنت صاحب الجيوش والعساكر (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم أنه أحضر ابن عمه عبد الله وخلع عليه خلعة سنيه وقال له يا ابن العم سر مع أبو مسلم إلى حرب بنى أميه فقد جعلتك صاحب الرأى والمشورة وهو صاحب العساكر والجيوش واحذر أن ترجع إلا برأس العدو وهد من دولته العروش فقال له سمعاً وطاعة وقد أخذوا فى تجهيزهم (قال الراوى) فهذا ما كان هؤلاء (وأما ما كان) من مروان فانه أمر السجان ان يأتيه بإبراهيم فأتى به فأخذ جراب أديم وملأ نصفه جير ونوره وأدخل فيه رأس الإمام ابراهيم وربطه على عنقه ولم يزل كلما يتنفس تدخل النوره فى أنفه وفمه وعينيه إلى أن مات وقضى نحبه ولحق بربه فرحمة الله عليه هذا وقد اتصلت الأخبار بظهور الامام السفاح من الكوفة وأبو مسلم الخراسانى وهم فى أمم عظيمة فلما ان سمع مروان ضاقت عليه الأرض بما رحبت فجمع اليه أرباب دولته وعرفهم بجميع ماجرى من الأخبار التى وردت ثم أنه قال ياقوم ينبغى أن نسير ونلتقى الأعداء ويعطى الله النصر لمن يشاء فقالوا له نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين فأمر عند ذلك بإخراج السرادقات والخيام وقد ضربت فى مرج الدحداح وقيل إن الوقعة كانت بنجران ثم إنه كاتب الأمم وحشر الجيوش من كل مكان هذا

وقد رحل ضمن جريدته مائة ألف وخمسين ألف من الفرسان هذا وقد رحل من دمشق وسار إلى أن قارب عسكر أبو مسلم وأهل خراسان فعادت جواسيسه وأخبرته بقرب العساكر فتأهب إلى اللقاء وسار حتى وقعت العين على العين وتصادم الجيشين فجرى بينهما القتال الشديد وقتلت الرجال وكان ذلك إلى آخر للنهار وقد انهزم مروان وتبعتهم عساكر السفاح فى أكتافهم وعمل السيف إلى أن قتل منهم خلق كثير ليس لهم حساب وأول من كان انهزم كان مروان وسار وقد طلب أرض مصر فتبعته العساكر إلى الصعيد وهى أقصى ديار مصر فتحاربا وعاد إلى القتال فجرى له فى الثانية أعظم من الأولى فى الكفاح والنزال وقاتل عبد الله بن على أشد قتال لم يسمع بمثله فى سائر الزمان وكان ينادى فى الحرب يالثارات بنى هاشم وبنى العباس الطيبين الأنفاس (قال الراوى) فبينما هو كذلك إذ نظر إلى مروان وهو كانه الأسد الهدار فحمل عليه عبد الله وهاجمه وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره ثم نزل اليه وقطع رأسه وأخذها وتركها على سنان رمح طويل فنظرته جيوش بنى أميه فوقعت الواقعة فيهم وعمل السيف والرمح فى ظهورهم وقد قتل منهم خلق كثير وقد انفصل الحال وضموا الغنائم والمال والاسلاب فكان شيء جزيل. وعادوا إلى دمشق ودخلوها بالتهليل والتكبير وقد جعل فيها نائب من قبلهم وضموا اليه عشرة آلاف وأقاموا بها عشرة أيام ورحلوا وتوجهوا الى صوب العراق وأسرعوا فى الرحيل (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من السفاح فانه رحل من الكوفة ونزل بالانبيات واقام بها الى ان يرجع ابو مسلم الخراسانى بعد الفتح والانفصال ولما ان بلغ السفاح قربه منه امر الناس بالركوب اليه وان يستقبلوه بأحسن استقبال فلما ان وصل خرجوا اليه وسلموا عليه ولما وصل الى حضرة السفاح قبل الأرض بين يديه وسلم عليه سلام الخلفاء بأحسن المقال فرد عليه السفاح عند ذلك السلام وهنأه ببلوغ الآمال واحضر ابو مسلم راس مروان فلما ان رآها فرح قلبه المحزون فامر به فألقوه فى الغارات ثم انه خلع على ابو مسلم الخراسانى الخلع السنية وقد حمل اليه عشرون راس من الخيل العربيات بالمراكب المرصعة المثمنة وخلع على ابن عمه عبد الله واعطاه البصره ودخل ابو مسلم على السفاح واستأذنه فى الرواح فعقد له الولاية وطوقه بطوق ذهب وكتب له كتاب كما هو على طول الزمان فقبل الأرض بين يديه وتوجه يقطع الأرض والبطاح واستوزر السفاح ابو مسلمة الخلال وهو اول وزير فى الدولة العباسية ودام فى الوزارة حتى مات وقد استوزر بعده ابو ايوب الخراسانى وسار فى

الوزارة احسن سير وكانت سيرته مرضية هذا وقد اقام السفاح فى الخلافة اربعة سنين وسته اشهر كما شاء الله رب العالمين وكان قد وصلت الأخبار بالرضى من جميع البلدان وكانت خلافته فى ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين ومائة ومات فى سلخ المحرم سنة ست وثلاثين ومائة وكان له من العمر ستة وثلاثون سنة وقيل ثمانية وثلاثين سنة وكان موته بالدم الرصاصى وانتقل الى رحمة الله تعالى ثم جلس المنصور فى الخلافة وقد بايعوه العالم ولم يختلف عليه غير اثنين لما اراد الله وكانت له علامة اعظم من اخيه وهم مطيعين له مثل العبيد فركب يوم الى الصيد والنقص وخرجت قدامه الطيور والفهود والأمراء ومن حوله الوزراء والكبراء وارباب الدولة ولم يزل سائر يتفرج فى الأرض وينظر الى ماكساها الله تعالى من الوان الزهور الى ان وصل الدجله وارض بغداد ولم يكن هناك يومئذ بلدولاعمارة سوى ديروفيه راهب وطلب فطلبه المنصور الى بين يديه فلما ان حضر سأله عن اسمه فقال له باغ وهذه الأرض اسمها داد وقد قرات فى كتب الحكماء واطلعت على الملاحم فرأيت فيها أنه لابد أن تعمر هنا مدينة مذكورة الى آخر الزمان (قال الراوى) فقال له الخليفة كيف تبنى المدينة ههنا وهذه الأرض ملآنه ماء فقال له الراهب لاتعرف قطع الماء إلامنى فقال له فعل الاتريد فمضى إلى مكان يعرفه وسد الماء فانقطع ونزل المنصور على الدجلة ثم أمر بعمارة المدينة وأمر باحضار البنايين من سائر البلاد وقسم لكل طائفة من العسكر ناحية وأعطى السواد المال وعملوا فيها بالأجرة ثم جلبوا اله الصوارى والرخام والأخشاب الجوز والرمى وغيره وعمرت المدينة فكانت عالية البنيان مليحة الأركان كانها مدينة نبى الله سليمان وقد شق اليها عند ذلك الانهار والجداول وعمل مالايقدر عليه الأوائل ونصب الاشجار وكان شجرها من سائر الافنان والثمار من التفاح المخطط والسفرجل الملعب وقد نشر بينهم أنواع المنثور والبنفسج المعطور والياسمين شبه الكافور هذا وقد تناغت الطيور على أرض فيها شقائق النعمان ومنثور واقحوان وقد عمرت فيها الأسواق والمربعات والجوامع والموادن والقصور والحمامات كأنها الجواهر المضيئة من سائر الألوان والبرك والشاذروانات والصور والحركات فالمياه فى خيطانها دائرة ونجومها زاهرة وقد عمر قصر الخلافة وأمن من كل طارقه وآفه هذا ولما ان كمل بنائها وعمارتها دخل اليها المنصور بعد ما خلع على الصناع وأوهبهم المال والخلع وقد أمر بنقلان آلة السكن اليها وجعل آلة الخلافة والمقام فيها وسماها بغداد باسم الراهب والأرض (قال الراوى) فلما أن استقر المنصور بها وصلت الأخبار اليه من ابن عمه عبدالله بن على خرج من البصرة ودعا الناس إلى طاعته وقد بايعوه أهل دمشق ودخلت الخلق تحت طاعته فلما ان سمع المنصور ذلك ضاقت عليه

الأرض بما رحبت والمساكن والمسالك وكره الحياة فادعا بالحسن بن قحطبة وخلع عليه وقد ضم اليه من العسكر عشرين ألف فارس ونشر على رأسه الرايات والصناجق وأمره بالمسير اليه فسار اليه من وقته وجد فى السير إلى أن ظهر إلى حوران فظهرت عليه عساكر الشام مع عبد الله بن على وقد التقيا واقتتلا قتالا عظيما إلى آخر النهار فكثرت عساكر عبدالله على عساكر الحسن فكسروهم فولوا منهزمين وحل بهم الهوان والتدمير ولم يزالوا سائرين فى هزيمتهم إلى أن وصلوا الرحبة وقد تواترت الاخبار إلى المنصور بذلك فعظمت عليه النوبة فأحضر معن بن زائدة الشيبانى وكان من الفرسان وأعلمه بما قد جرى على عساكره من الكسره فقال له وما تريد فقال له اننى اريد ان أوجهك إلى هـذا الأمر لتزيل هذه الرعبه فقبل من الارض بين يديه ثم طيب قلبه وقال له وعيشك يا أمير المؤمنين لأبذلن مالى ونفسى بين يديك وأملكك أعداك برقابهم (قال الراوى) فشكره على ذلك الخطاب وأمره بالمسير بعد ما خلع عليه وضم اليه أمم كثيرة وساروا فالتقوا بهم فوق حوران بمرحلتين وقد وقعت العين على العين وعظم القتال واشتد النزال وقاتل معن بن زائدة قتال جسيم فلما ان رأى عبد الله بن على ذلك القتال العظيم أخذ ذوابتاه بيده وقال يا أهل الشام هـذه ذوائب بنت نبيكم سيد الانام فعنه قاتلوا بارك الله فيكم يا بنى الكرام فلما ان سمعوا أهل الشام ذلك الكلام شدوا فى الصدام وحملوا على رجال معن بن زائدة بعد ما جرح جراحات نافذه ونزل بنجران بعد القتال حتى اجتمعت المنهزمين اليه وساروا يطلبون العراق وقد نزل الذل عليه (قال الراوى) ولم يزل سائر إلى أن قرب من بغداد وسمع المنصور به فعميت عليه الأمور فهو كذلك إذ دخل عليه وزيره أبو أيوب فرآه يموج فى بحر الافتكار فقبل الأرض بين يديه وقال يا أمير المؤمنين ما هـذا الهم الذى نزل بك فقال له يا أبا أيوب اعلم انه قد جرى على العساكر من الانكسار ما جرى وعدمنا الانصار فقال له يا أمير المؤمنين أين انت من النور الواضح والميزان الراجح الذى قام به عمد الخلافه العباسية وقمع به الأمة الأموية أبو مسلم أمير خراسان فقال له المنصور لعن الله من ذكرت فقال له لابد لك منه وما يبلغك أربك غيره وكان المنصور حاقد على أبو مسلم لما ان بايع أخيه السفاح دونه أولا ولما ان أخذ الخلافة ما عبأ به ولا رفع له شأن ثم رأى فى الأمر انه لم يجد له بد من مكاتبته فكاتبه يأمره بالوصول والقدوم عليه وقد بعث له الكتب مع النجابة وأقام ينتظر جوابه هذا وعبد الله بن على قد زاد طمعه فى العراق وسولت له نفسه أن يقتل بنى العباس ويملك

الآفاق (قال الراوى) هـــذا وقد وصلت النجابة إلى أبو مسلم الخراسانى ودفعت اليه الكتب فقرأها وفهم معناها فشاور وزيره فيما يفعل فقال له اعلم أن الرأى عندى ان لا تدخل بين هؤلاء فأنهم أولاد عم على والعباس وكان قصدك فى الأول ازالة البدعة وقلع دولة بنى أمية وقد نلت ذلك وبلغت الأمنية والذى فعلت معه الجميل مضى إلى رحمة الله تعالى وهـذا الرجل ربما يكون فى قلبه أمر عليك من البيعة لأخيه فى الأول فلا تأمن سطوته ولا تركن إلى خيبته فقال له جميع ما قلته صحيح ولا بد لى من المسير إليه ثم أمر بالتبريز من ساعته بذلك العساكر والأمم وفى الشهر الثانى توجه إلى العراق وسار إلى أن وصل اليه وقدم عليه فخرجت كبار الدولة إلى لقاءه ولما ان صار قدامه قبل الأرض بين يديه وسلم فرد عليه بأحسن رد لما ان سلم عليه وقال له يا أبا مسلم اعلم انه قد خرج علينا من الشام خارجى وقد كسر لنا جيشين وهزم لنا عسكرين وكنت نزهت سرك فى هذه النوبة فأبى الله أن يكون الفتح الا على يديك من دون جميع الأمم والآن فقد وصلت ولا بد من المسير إلى هـــذا الطاغى الباغى الذى بغى وظلم (قال الراوى) فلما ان سمع أبو مسلم ذلك الكلام من المنصور قبل الأرض بين يديه وخدم وقال أنا عبد الطاعة فيما أمر به المولى ورسم فهنالك خلع عليه وعلى عساكره الأمراء وأصحابه وأنعم وأمر الجاويشية ينادوا فى عسكره بالأهبة للمسير بعـــد ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع توجه أبو مسلم فى عسكره ولم يزل يجد السير إلى أن قرب من حوران فتواترت الاخبار إلى عبد الله بوصول أبو مسلم بعساكر خراسان فاعتد ولم تمض أيام حتى التحم القتال وقاتلت عساكر عبد الله عساكر ابو مسلم وفى تلك الليلة قد انطبقت عساكر ابو مسلم على عساكر عبد الله فى الليـــل المظلم وفيهم وقعت الطعن فركبوا الخيل وقد استيقظوا ليلا وما زال القتال الى أن طلعت الشمس فتفرقت عساكر الشام وانهزموا بعد ما قتل منهم عالم عظيم وجمع أبا مسلم الخزاين والغنائم وعاد راجعاً يجد السير حتى انه وصل الى المنصور وبشره بالنصر على الأعدا فأظهر له السرور وشكره على ذلك وخلع عليه وتوجه بتاج الحبور وكان المنصور يفعل ذلك فى الظاهر ويدبر على قتله فى الباطن ثم انه بعد ذلك أذن له فى المسير الى خراسان فسار من وقته وهو فرحان وكانت عساكره على باب المدينة فى الأمم لا يقع عليها عيار ولا قياس ولا يحصيها ديوان فخاف المنصور إن به أمر لم يأمن جنوده والأعوان فسار أبو مسلم مرحلتين فلما أن أبعد ارسل المنصور اليه بعض خواصه يستدعيه من ذلك المكان البعيد ولما أن وصله

اليه قبل الارض بين يديه وقال ولدك أمير المؤمنين يقول لك أجبه واعلم أنه قد عرضت له أموراً مهمة لا بد من اطلاعك عليها (قال الراوى) فلما أن سمع ابو مسلم من الرسول ذلك الكلام استدعى بوزيره وعرفه ذلك فقال له ما تريد من المصالح فقال له ما عندى أصوب من المسير الى بلادنا واعلم انى لست آمن عليك لأن الشر لايح فى وجهه فقال له أنت قد أشرت بذلك فى الأول ولا بد من العودة إليه ولا أخالفه ولو أراد بى سوء لكان قبل خروجى من عنده وإيش فعلت أنا من القبيح معه وليس يصلح جزائى منه ما تقوله والمصلحة أن تقيم أنت بالعساكر ها هنا الى أن أعود اليكم والسلام هذا وقد رجع ابو مسلم الى ان قرب من المنصور فسبق الخادم اليه وعرفه بتلك الأمور فعند ذلك أستدعى بعشرة خدام وأمرهم أن يقفوا خلف أبو مسلم الخراسانى من وراء الستور بالسيوف المجذبة الحداد وقال لهم إذا دخل أبو مسلم وحدثنى حديثه وبما يتفق من المراد ورأيتمونى دقيت بيدى على يدى دقاً خفيفاً ثلاث مرات فأخرجوا اليه وقطعوه بالسيوف (قال الراوى) ثم أذن له بعد ذلك بالدخول فدخل وخدم وقبل الأرض وسلم فرد عليه السلام بفرح وقبول وقد أمره بالجلوس فجلس وقال له يا أبامسلم أنا أعلم أنك أخبر أهل الأرض فى السيوف القواطع والنصول الموانع فقال له نعم يا أمير المؤمنين وهو كما قيل فقال لبعض الخدام أحضر الثلاث سيوف التى دخلت الى الخزانة من أمس مع ذلك الرسول فغاب الخادم وعاد معه ثلاث سيوف فوضعها بين يديه فامتضا أبو مسلم بعض الاسياف وقال يا أمير المؤمنين هذا النصل ليس له مثال وغاية الآمال وجعل يستخرج كل سيف من غمده ويهزه إلى أن رأى الثلاث نصول فقال ليس لها قيمة يا أمير المؤمنين فقال ماذا تقول فيمن جذب سيفاً فى وجه إمامه ونافسه فى المقال فقال يا أمير المؤمنين تضرب رقبته فعندها صفق المنصور بيديه ثلاثاً فخرجت الخدم من وراء الستور وفى أيديهم السيوف المرهفات ونزلوا بها الجميع على أبو مسلم الخراسانى فقتلوه ثم أخذوا رأسه ورموا جسده وقد فات فيه الفوت (قال الراوى) يا ساده ياكرام ثم إن المنصور أحضر حسن بن قحطبة وقال له اركب فى عشرين ألف من الفرسان والحق عسكر خراسان فلا تدعهم يحسوا بك إلا وأنت عندهم وأرمى الرأس بينهم حتى أنهم يشاهدوها عيان وقد وليتك أنت مكانه أمارة خراسان وكتب له المنشور ووقع عليه بخطه وطلع من وقته وساعته هذا وقد استقر المنصور فى الخلافة وآمن من المخافة وبلغ المراد من الأعدا والحساد ودانت له العباد (قال الراوى) لهذا الديوان فبينما المنصور يوما من بعض الايام إذ دخل عليه بعض خواصه وقال له يا أمير المؤمنين قد وصل من عرب البرامير

ومعه عشرة آلاف فارس يسمى عبد الله بن مروان بن الهيثم وكان أبوه ملك العرب فى الزمان المتقدم وهو من قبيلة يقال لها بنى سليم وكان عبد الملك بن مروان نقل الملك منهم وأعطاه للصحصاح بن جندبة الكلابى الذى فتح بلاد القسطنطونية وحين سمع عبد الله ابن مروان ابن الهيثم بخلافة أمير المؤمنين وانقراض من دولة الأمويه واصل إلى الكوفة وأقام هناك وأرسل يطلب إذن فى الحضور بين يدى أمير المؤمنين ليهنئه بالنصر وبلوغ الأمنية ويطلب منه أن يعيد ولايته على القبايل العربية فقال المنصور دعوه يقدم على الرحب والسعة والحاجة مقضية (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن عبد الله بن مروان بن الهيثم لما ان وصلت اليه الأخبار بانقراض دولة بنى أميه فى ذلك الزمان وتجديد دولة بنى العباس وحكمهم على سائر الناس وكان قد نشأ فى بنى سليم رجل يسمى عقبه بن مصعب وكان قد تفقه فى الدين وقرأ جملة كتب وصار يقضى ويحكم فى العرب وكان يجالس عبد الله بن مروان ابن الهيثم ويشير عليه بالرأى الصواب فلما ان بلغهم خلافة المنصور أشار عقبة على عبد الله أن يقصد اليه ويدخل عليه ويدخل تحت طاعته ويسأله فى ولايته للعرب فقال له لا شك أن بنى كلاب حسبوا ما حسبنا فيصلون اليه قبلنا ويظفرون بالسبق وينالون المنا فلم يزل عقبه يحسن له الأمر حتى عرف صحته فأصاح أمره للمسير فى وجوه قومه وعشيرته وقد أخذ معه الخيل العربية والفهود الوحشية والتحف البرية وسار فى عشرة آلاف فارس الى ان وصلوا إلى الكوفة واتصلت أخباره للمنصور وأعرضت أحوالهم فأمر صاحب الكوفة بإخراج العلوفات والاقامات وأكرامهم غاية الاكرام وسار معه حتى قرب من مدينة بغداد وقد اتصلت الأخبار إلى المنصور فأرسل سائر ارباب دولته إلى استقبال عبد الله ومن معه من السادات فخرجوا اليه واستقبلوه أحسن استقبال بالأفراح ونزل على باب المدينة وأراح يومه واستراح وفى اليوم الثانى خرج اليه موكب عظيم وقد قصد مضارب عبد الله (قال الراوى) فلما أن علم بهم ركب وسار فى جملة المواكب إلى دار الخلافة فأذن له المنصور فى الدخول فدخل عليه وقد جلس له جلسة الملوك فلما إن دخل إلى الستر الخاص استوقف ثم استأذن له فى الدخول فدخل فلما إن صار بين يديه قبل الأرض وسلم ودعا وابتهل فرد عليه السلام ورفعه وأعلاه وقد أجلسه على كرسى من الذهب وقربه وأدناه فلما أن استقر به الجلوس نهض قائماً فقبل ٥ الارض بين يديه ثانياً وقال يا أمير المؤمنين أنا أشكر الله تعالى خالق البرية حيث رأيت نفسى فى ظل هذه الدولة العباسية وقصدت الأبواب الشريعة لأعرض نفسى وقصدى على

الخدم المنيفة فإن صادف ذلك قبول فهى فرحة فيالها من فرحة تزيل كل البؤس فلما سمع المنصور كلام عبد الله تبسم ثم قال له نزلت أكرم منزل وصادف وصولك قبول وأنت بمنزلة الأخ الشقيق والصديق والرفيق وهؤلاء الأمم بين يديك تصرف فيها تصرف المالك ولا اعتراض عليك فى ذلك (قال الراوى) فلما سمع عبد الله من الامام ذلك الكلام قبل الأرض بين يديه وأطنب فى الدعا اليه ثم استأذن فى الانصراف فأمر المنصور أن يخلع عليه وعلى وجوه أصحابه بخلع على القوم الخلع السنية وأركبوهم على الخيول العربية بمراكب الذهب البهية ونزل عبد الله إلى خيامه وأخرجت له العلوفات والاقامات وأكرمه غاية الاكرام (قال الراوى) لهذا الكلام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الحارث بن ظالم وابنة عمه الدلهمة فانه كان كلما طال به الأمر زاد عشق وهوان واشتعل بقلبه النار وشكا لأبيه ما يقاسيه فقال له أبوه ويحك يا حارث وما حيلتى فى هذه الجارية فقالت له زوجته الصواب أن تراجع أخاك وتسأله فى المساعدة على هذا المقال فقال لها حبا وكرامة أنا غدا أكلمه فلما إن كان من الغد ركب ظالم فى وجوه قومه وقصد أخيه فلم يشعر بهم مظلوم إلا وقد وافوا حلته فاستقبل أخيه وسلم عليه وبجله ودخل ظالم إلى مجلس أخيه وقد جلسا جميعاً فى مجلس واحد فلما إن استقربهم الجلوس أمر مظلوم بإحضار الطعام فحضر فقال ظالم أين سيدتنا ونورنا وجمالنا لقد أوحشت علينا الدنيا فلا أوحش الله منها الأحيا ثم أمر بإحضارها معهم على الطعام فجاءوا إلى الأميرة وسألوها فى المسير إلى والدها فسألت عن الحارث فقالوا لها أنه لم يصل مع أبيه فطابت نفسها فلما ان سمعت ذلك أقبلت عليهم وسلمت فلما إن شاهدها عمها وثب لها وضمها إلى صدره وقبل وجهها وعينيها وسلم عليها واستوحش لها فدعت له وشكرته على قوله وقد جلسوا بعد ذلك وأكلوا من الزاد على حسب الكفاية فقال عمها ظالم يا بنية اعلمى أن الله تعالى حسن خلقتك إلى حد النهاية فينبغى أن يكون خلقك أحسن إلى الغاية واعلمى يا بنية أن ولدى مشغول بكى وقد رددت اليكى أريد أسالك فى معناه وأريدك تقبلى سؤالى فلما أن سمعت كلامه وما أبداه قالت له يا عماه والله ما رددت ولدك زهدا فيه ولا رغبة فى سواه ولولا إن الانسان يطلع إلى نفسه وقت فعله كره الحياة ولكن لست أريد بعلا إلا سيفى الذى أهواه ولا ملبسا إلا ظهر جوادى الذى أعلاه ولا معزلا غير سنان القناه ولا قناعا سوا الخوده والوطاه وإياك أن تعاودنى إلى مثل هذا الكلام فليس عندى غير ما سمعت والسلام فقال لها ويلك وما تكرهين من ولدى ولم يكن لكى فيه إرادة وما أعطيتى

شيء إلا وقد أعطى الحارث مثله وزيادة وإن كان المال فماله كثير وإن كان الجمال فهو والله منكى أجمل وإن كانت الفروسية فانه أكثر فروسية وشجاعة (قال الراوى) فلما إن سمعت منه ذلك الكلام فقالت له واعجباه منك يا عماه كأنى فاخرتك بالحسن والجمال والمال وإن كان ولا بد من القتال فدعه يبرز إلى الميدان وموقف الحرب والطعان فان هو وصل إلى وقدر على كان ذلك مهرى عليه فقال لها لقد نطقتى بالثواب وأتيتى بالأمر الذى لا يعاب غير إنى أريد منكى إن تعاهدينى على ذلك كى تطمئن نفسى إلى وعدك فوضعت يدها فى يده وعاهدته على براز ولده فلما إن استوثق ظالم العهد على ابنة أخيه شكرها ودعا لها وقد طابت نفسه بوعدها ومقالها وكان يظن أن ولده الحارث يقهرها فى الميدان ويعتقد انه أقوى منها جنان وكان الحارث فارس مغوار وبطل كرار ثم ودع ظالم أخاه وقد رجع إلى حلته فرأى الحارث منتظر الجواب وما يرجع به أباه بعد غيبته فلما ان دخل على الحارث من ساعته شرح له ما قالت الأميره وما ذكرته فكاد أن يطير من الفرح وطابت مهجته ولم يمضى عليه أيام قلايل حتى عادت اليه صحته فطالب أباه بما ذكر له من قضاء حاجته فعندها بعث إلى الأميرة يقول لها أنا عندك فى غداة غد أنا وولدى واصلين اليكى وقادمين عليكى فتأهبى لقدومنا وتجهزى ولما ان كان من الغد أخذ ظالم ولده وسار حتى وصل إلى أخيه مظلوم فخرج اليه وخدمه وسلم عليه (قال الراوى) هذا وقد نزل ظالم وولده وجماعة من بنى كلاب وقد حضروا الجميع ينظاروا النصر لمن يكون بين هؤلاء الأنجاب فاقاموا يومهم وليلتهم وفى قلوبهم من القلق والنار ذات الالتهاب فلما إن أصبح الله بالصباح ركبت الفرسان ميمنة وميسرة وكانوا بنو عامر وبنو كلاب فى الميمنة وبنى الرحيد فى الميسره هذا وقد ترتبت الأبطال والفرسان وبرزت الأميرة وسط الميدان ونادت برفيع صوتها فاسمعت القاصى والدان وقالت يا معاشر العرب من بنى كلاب وعامر يا أهل الجود والمفاخر بذمة نزار ومعد بن عدنان ويعرب وقحطان قد جعلتكم حكما لى وعلى تحكموا بيننا بالحق وتقولوا الصدق واشهدوا بما جرى لى مع ابن عمى وما ترا الحارث فقد جعلت وصوله الى هو مهرى عليه والصداق وليس لى عليه غير هذا الاتفاق (قال الراوى) فلما ان سمعوا منها ذلك الكلام قالوا لها والله لقد أنصفتى من نفسك وما تعديتى فى حكمك ثم خرج الحارث وهو فى الحديد غاطس وهو راكب على جواد كأنه البرق اذا برق فلما أن صار معها فى الميدان قالت له يا حارث أنت راضى بالشرط الذى سمعته الفرسان فقال لها نعم رضيت بذلك يا بنت العم ثم أنه صرخ بها

صرخة الأسد الغضبان وقد طمع نفسه باخذها أسيرة فتقاتلا وتطاعنا ساعة وقد اختلف بينهما طعنتان ولم يزالا كذلك حتى علمت الاميرة أن ابن عمها تلاشى حيه وكانت همته وقوته هنالك حملت عليه وصرخت فيه أدهشته وحيرته وبلبلته وقد أدارت الرمح وجعلت السنان إلى الوراء وطعنته فى كتفه بعقب الرمح أقلبته من على ظهر الجواد إلى الارض على أم رأسه فغاب عن الدنيا وصار لا يعى على نفسه فهنالك حملت رجاله على رجال مظلوم فدخلت بينهم المشايخ وافترقوا الخصوم وقد شال ظالم ولده من الميدان وقد انهد منه الاركان وأركبه جواده وسنده رجلان وهو لا يعلم ما هو فيه من الهوان وصاروا به إلى أن وصلوا إلى حيه ونزل فى سرادقه وقد وقع عليه الخجل وزاد به العشق والخبل (قال الراوى) لهذا الكلام فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهما وأما ما كان من الخليفة المنصور بالله فانه كان جالسا فى يوم من الايام فى خلوته اذ دخل عليه عبدالله بن مروان بن الهيثم ثم استأذن عليه فى الدخول فأذن له فدخل وقبل الارض وسلم فرد عليه السلام وأمره بالجلوس فجلس قال له المنصور يا عبد الله لقد كنت أظن أن العرب حفاة عراة ساكنين فى الفلاة ولم أعلم أن بينهم الملوك وأصحاب المال والجاه ومنهم من اذا ركب ركب لركوبه عشرة آلاف وأكثر وقد سمعت عن بنى كلاب وبنى عامر شيء عجيب الخبر قد ذكر لى رجل صادق فيما ذكر أن ليس فى ولد معد وعدنان ويعرب وقحطان أكثر منهم مال ولا أحسن حال ولا أشجع فى القتال فقال له الامير عبد الله وعيشك يا أمير المؤمنين لقد أصدقك من خبرك وما كذب من حدثك (قال الراوى) ثم أنه شرح للمنصور حال بنى كلاب وملكهم وسعيهم ولبسهم حتى أدهش المنصور وتعجب مما سمع فقال أيها الامير أحب أن أرسل إلى هؤلاء القوم وآمرهم بالدخول تحت طاعتى فقال عبد الله يا أمير المؤمنين إن هؤلاء قوم وحشيون صعبون وأخاف أنك ترسل لهم ولا يجيبون فقال المنصور أن أبوا ذلك أرسلت لهم رجال جلاد أنجاب بسيوف حداد ورماح مداد وسواعد شداد (قال الراوى) ثم أنه كتب كتاب الى مظلوم ابن الصحصاح يأمره بالمسير اليه والقدوم عليه وختم الكتاب وأعطاه لنجاب فسار يطلب البر وما زال الى الحله التى لظالم ودخل عليه وناوله الكتاب فنظر ظالم الى النجاب وقال له من أين هذا الكتاب فقال له هذا كتاب المنصور أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ففضه وقرأه وعرف مضمونه ومعناه وعرف ما فيه ووعاه فقال للنجاب يا شيخ ما الذى كان بيننا وبين المنصور حتى أنه عزلنا عن الملك وإنما كان أبانا محبا لبنى أمية وقد هلكوا الجميع

وصاروا فى القبور فأرجع الى صاحبك وقل له عرب البر لا يدخلون تحت طاعتك ومن جاء الينا كانت سيوفنا اليه أقرب من كلامه ا (قال الراوى) فخرج النجاب من حضرته وهو لا يصدق بخلاص مهجته وكان مظلوم عند أخيه ظالم فى حلته فلما ان رأى ذلك عاد من وقته وساعته الى حلته واجتمع بابنته وقد عاد اليها ما جرى لاخيه ظالم مع الرسول الذى أرسله المنصور الخليفة عند سماع مكاتبته فعظم ذلك على الاميرة وقالت والله لقد أخطا عمى فيما فعل مع رسول امير المؤمنين بجهالته وأنا قد عولت على المسير الى عمى كى انذره وارده الى الطرق الواضحة فواعجباه لما ان كان الامر لبنى اميه كنا أقطع صفايحهم وأنفذ رماحهم فلما ان صار الامر إلى بنى العباس عدنا عنهم وبعدنا منهم والله لقد عدلنا عن الطرق الواضحة والميزان الراجحة ثم أنها ركبت وسارت إلى ان وصلت الى حى عمها وقبابه فسلمت عليه وعلى اصحابه (قال الراوى) فلما ان رآها عمها وثب لها ورد عليها السلام ثم انها جلست واطمأنت ثم قالت لعمها يا عماه بلغنى انه وصل اليك كتاب امير المؤمنين المنصور بالله قاصد اليك فلم ترضى اهو صحيح ما ذكروه فقال لها كان ذلك يا بنية اخى وفطناه فقالت له يا عماه لقد بالغت فى الخطأ لما ان كان الامر لبنى اميه كنت فى حقهم مليح ولما ان رجع الأمر لاهله عدلت عن الصحيح والصواب ان تنهض بقومك وتسير اليه وتعذر فيما جرى منك وتعرض نفسك عليه وعلى خدمته لان لك فى ذلك الشرف (قال الراوى) ولم تزل الاميرة تعد له حتى لان وقال يا بنية والله ماقعدت عنه الا انه سبقنى اليه عبد الله بن مروان وأعطاه ملك العرب والآن فانه عاد الرسول اليه بغير فائدة فان ارســـل الى ثانى سرت اليه مع القاصد (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء واما ماكان من رسول المنصور فانه رجع الى المنصور وقد شرح له ما جرى من ظالم فثار غيظا وعزم ان يسير له الجيوش فقال عبد الله مهلا يا امير المؤمنين فانا اسير الى هؤلاء واسوقهم اليك طائعين ولكن اريد لهم الخلع والاموال فقال له هذه الخزاين بين يديك خذ منها ماهويت وما اردت ثم بذل له عند ذلك المنصور المال والنوال والصناجق والاعلام والخيل المسومة والخدم فتجهز عبد الله للسير إلى أرض بنى كلاب وسار يقطع الأرض والرحاب وكان ظالم رجع إلى ابنة أخيه وعقلها الوافر وأرسل إلى قبائل العرب من بنى كلاب وبنى عامر وبنى الوحيد يأمرهم بالمسير إليه والقدوم عليه وسارت الاخبار إلى سائر القبائل بما عليه ظالم فتقاطرت العرب والأمم من سائر الوديان وبقى ظالم ومظلوم وسائر الأهل والوطن والرفاق يصلحون أمورهم للسير إلى العراق (قال الراوى)

يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عبد الله فإنه ما زال سائر إليهم يقطع الآفاق إلى أن قارب القوم فعند ذلك أنفذ إليهم يعلمهم بقدومه فلما أن بلغهم الخبر ركبوا إلى ملتقاه بالخيل العتاق وقد التقوه أحسن ملتقا فرأى عبد الله فى أوائل القوم فارس كأنه عقاب وقد أقبل وهو يجد يطرح نفسه على عبــد الله فالتى رمحه من يده وأتى إليه فقال له حياك الله من تك يا فارس فقالت له الأميرة أنا دلهمة ابنة مظلوم فقال لها أهلا وسهلا بهذه الطلعه الكاملة الحميدة فدنت منه وقبلت يده فقبل رأسها (قال الراوى) هذا وقد تقاصدوا الامم بعدها وقد ساروا يأتون أول بأول ويسلمون عليهم ثم أنه نزل وضرب الخيام والسرادق فلما أن استقر بهم القرار والجلوس هناهم عبد الله بقربهم من المنصور ثم بشرهم بالمسرات والحبور ودعى بالخلع وخلع على القوم الخلع المثمنات وأنعم على الأميرة الدلهمة بالنعم الوافرة وقد شكرها على فعلها لما أن علم أنها هى التى حملت القوم على المسير والطاعة للأمير وأكرم ظالم ومظلوم وسلم إليهما خاتم الامارة ونشر على رؤسهما الأعلام والرايات وضربت الطبول ونعرت البوقات وقد أخبر ظالم عبد الله أنهم كانوا فشكره عبد الله ثم خلا بنفسه وكتب لأمير المؤمنين عازمين على المسير إلى أمير المؤمنين يخبره بما جرى من الامور وأن الأميرة الدلهمة هى التى حست القوم على الطاعة وترك الفجور والشناعة وطوى الكتاب وأعطاه لنجاب فأخذه وسار طالب أرض العراق ولم يزل يجد السير إلى أن وصل إلى الخليفة ودخل عليه وعرفه الأسباب وقد سلمه الكتاب فلما أخذه فضه وقرأه فحصل له الفرح والانشراح وكان يظن أنهم لا يأتوا ولا يجيبوا بجواب فلما سمع بالأميرة الدلهمة أنها هى التى حست على الطاعة تبسم وقال والله قد بالغت هذه الصبية فى النصح والكرم والشجاعة وقد أقام فى انتظار القوم (قال الراوى) فهذا ما كان من المنصور وأما ما كان من الأمير عبد الله فإنه انقضا شغله وانبرم أمره وسار متوجها الى نحو العراق فى جيش عرمرم وكان عن يمينه ظالم وعن يساره مظلوم والاميرة الدلهمة فى أوائل القوم كأنها أسد كاسر وقبائل بنى كلاب وعامر على طبقاتهم فى أحسن زينة وأعظم مفاخر فأمر عبد الله بحصرهم فكانوا عشرين ألف فارس ففرح بذلك وقد غلبه السرور ثم أتى الى بنى سليم يأمرهم بالمسير الى أبواب أمير المؤمنين فوصلت بنى سليم اليه فى سبعين ألف فارس هذا ولم تزل العساكر سائرة الى أن وصلت الكوفة وقد كتب متوليها يعرف بذلك الخليفة هذا وقد نظرت الأميرة الدلهمة الى ذلك البنا والحيطان فتعجبت من ذلك ولم تكن قط رأت قائمة ولا جدار ولا عقار فدخلت الكوفة وتفرجت فرأت الدور والقصور والعمران وقد دخلت الجامع فرأت الستور والقناديل مختلفه الالوان فعادت الى خيامها وقد تعجبت من ذلك الشأن هذا وصاحب البلد أخرج

لهم العلوفات والاقامات وأقاموا لأخذ الراحة ثلاثة أيام وساروا بعد ذلك يطلبون العراق الى أن قربوا منها وقد قطعوا الفلوات وعلم المنصور بقدومهم فأمر أرباب الدولة بلقائهم فاستقبلوهم بأحسن استقبال وأكرموهم أحسن اكرام وقد خرج الى لقائهم أبو أيوب الوسنانى والربيع بن أحمد المدنى وعبد الملك بن صالح الهاشمى وأرباب الدولة السادات والتقوهم وأقاموا عليهم ودخلوا بغداد ونزلوا القوم وضربوا الخيام والقباب والسرادقات واركزت الأعلام والرايات ودخل عبد الله على المنصور وقبل الارض وسلم فرد عليه السلام بأحسن رد وقربه اليه وادناه وأمره بالجلوس فجلس قريبا من السدة بين يديه وابتدا المنصور يسأله عن أمور القوم وهو يشرح له حديثهم من أوله الى آخره فقال هذا كله بسعادة أمير المؤمنين وعلو بجده وكنت أشتهى أن مولانا أمير المؤمنين يشرف عليهم من أعلا السرادقات وينظرهم بعينه فأجابه الى ذلك ثم صعد ونظر الى السرادقات والأعلام وقد ملئت الارض والفلا فسجد شكرا لله تعالى على ما أولاه من جميل صنعه وقد بات تلك الليلة وهو فرحان مسرور حتى اذا كان من الغداة ركبت الأميرة الدلهمة وأبوها مظلوم وعمها ظالم وولده الحارث فى وجوه قومهم الأصحاب والفرسان الحماة وقصدوا دار الخليفة المنصور بالله وقد استأذنوا فى الدخول اليه فأذن لهم فدخلوا وقبلوا الأرض بين يديه وكان المنصور قد جلس لهم فى زى عظيم يذهل من رآه فأكرمهم ورفع قدرهم وأجلسهم وقد أعطى كل واحد منهم ما تمناه (قال الراوى) ولما أن استقر بهم المكان أمر لهم بالخلع فحضرت فخلع عليهم الخلع الزاهرة وقد سمح لهم المنصور بما لا يسمح به لأحد غيرهم وقد أكرم الأميرة الدلهمة أكثر من كل من حضر لأجل ما أثنى الأمير عبد الله وشكر وبعد ذلك خرجوا من عنده الى المضارب والخيام وهم فرحين بالمال والحارث كلما نظر الى ابنة عمه يزداد به الغرام ويقلقه الهيام فشكا الى أبيه ما يلاقيه من الترح وما يقاسيه من الكمد وتنفس صعدا وقال

خليلى انى لم أفيق من الصبا ... ولا يعتنى قلبى بلوم فاكمدا
وليلى نهارى لم أفيق من العنا ... فلا القلب يسلاهم ولم أجد الفدا
فإن لم أجد للقلب منهمو دوا ... فإنى أموت من الشوق اذا بدا

(قال الراوى) فلما أن سمع ظالم من ولده ذلك الشعر بكا لبكائه وقال يا بنى كيف الحيلة فيها حتى تزول أعلالك فقال له يا أبت توصل فى الاجتماع بها والا فأنا هالك فدبر الامر كذلك ما دمنا فى أبواب أمير المؤمنين فقال له السمع والطاعة يا بنى قد بان لى

وجه يجمع الله به شملك وتبلغ منه أملك فقال لى ومن لى بهذا الامر ولو كان فيه مفارقة النعيم وخوض نار الجحيم فقال له نقصد الامير عبد الله ونتعلق بأذياله ونطلعه على ما تجده من الغرام ونسأله مساعدتك على قضاء حاجتك فهو يوصلك لأغراضك ويزول عنك أمراضك (قال الراوى) فذهب الحارث من وقته إلى أن وصل الى سرادق الامير عبد الله ودخل اليه وسلم عليه وقبل الارض بين يديه فرد عليه السلام وأكرمه غاية الاكرام ونظر اليه واذا بدموعه تتحادر وعبراته تتقاطر فقال له ماحالك أيها الامير وما أبكاك لا أبكى الله لك عيناً فقبض الحارث على ذيله وقال له أيها الأمير أنا بك مستجير ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره وكان الأمير عبد الله قد عرف حديثه من قومه فقال له يا حارث طب نفسا وقر عينا واترك عنك الامر فأنا أعيد حديثك على الوزير أبو أيوب واسأله فى ذلك فإن رأى أن يحدث أمير المؤمنين بحديثك كان خيرا وان لم يفعل ذلك أعدنا الحديث على غيره ثم نهض عبد الله وقام الحارث معه ودخلا الى دار السلام وقصدوا دار أبو أيوب وزير الدولة فاستأذنا عليه فى الدخول فأذن لهما فدخلا وقبلا الارض بين يديه وقد أدناهم (قال الراوى) فلما استقر بهم الجلوس قال لهم ما الذى أتى بكما فى هذا الوقت فابتدأ عبد الله يشرح له الحال الذى جرى للحارث وابنة عمه وقال قد أتيناك يا مولانا نسألك المساعدة للحارث على عمه وتشفع فيه عند أمير المؤمنين لعل أن تكون له عروس وما قصدنا بهذا الاطفاء نار الفتنة فقال أبو أيوب السمع والطاعة ثم أقبل على الحارث وقال له طب نفسا وقر عينا سوف أفعل فى هذه النوبة ما يعود صلاحه عليك فدعا له الحارث وانصرف وقد زال همه والاسف وبات أبو أيوب تلك الليلة حتى كان دخل على المنصور وقبل الارض بين يديه ولما أن استقر به الجلوس قال الصباح يا أمير المؤمنين ان الله قد جعلك اماما للمسلمين الموحدين كى تحكم بينهم بحكم رب العالمين وقد جرى من حديث الحارث بن ظالم الكلابى مع ابنة عمه الدلهمة كيت وكيت وهو طالب زواجها وهى طالبة بعده وتخشى من الفتن والحروب بين العربان وقد رأينا من الرأى اطفاء هذه الجمرة من بين المجاهدين ونتوصل الى جمع الشمل ليكون لها بعلا وتكن له أهلا فلما أن سمع أمير المؤمنين المنصور كلام وزيره قال له نعم ما رأيت من التدبير وسأفعل ما يعود به الصلاح وأعظم النجاح هذا وان الحارث أقبل على أبيه وعرفه جميع ما جرى وما أوعده به أبو أيوب حتى كأنه كان حاضر فقال له والله يا بنى قد وصلت اليها وقدرت عليها وأمكنك الدهر منها وبلغك مقصودك وأنا أحضر غدا معك وأساعدك (قال الراوى) ولما ان كان من الغد ركب أبو أيوب ودخل على المنصور فجلس فى مرتبته وأتى عبد الله

فى وجوه عشيرته وأقبل مظلوم وابنته من بعده وكذلك ظالم وولده الحارث ومن خلفهم السادات من بنى عامر وبنى كلاب وكل منهم قد اظهر زينته فلما ان رأى الامير عبد الله الاميرة الدلهمة وثب اليها وقبل رأسها فقبلت راحته ودنت من الخليفة وقبلت جانب سدته وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فرد عليها السلام وقد أذن لها ولوالدها بالجلوس فأخذوا مراتبهم وزال عنهم البؤس واحضرت لهم الاطباق والسماطات وفيها غرائب الالوان وقد احب المنصور ان ينظر اليهم ويتعجب من كلامهم ويضحك على اكلهم ضحك المسرات فأكلوا الى ان اكتفوا ورفع بعد ذلك ما بين أيديهم فاقبل ابو ايوب على المنصور وقال يا امير المؤمنين معلوم أن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى المعظمات لما أن نظر آدم وهو فريد خلق له حوى من جانبه الأيسر وزوجه بها وقد حث ربنا على الزواج وذكره فى مواضع كثيرة من القرآن والآيات فالزواج أمر خالق السموات وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث كثيرة وهذا الحارث بن ظالم بن الصحصاح بن جندبة الكلابى ملك العرب يحب أن يتزوج ابنة عمه هذه الأميرة التى تعد من النساء الظاهرات فقال المنصور ومن يمنعه من ذلك وهو أحق بها من كل العباد فقال أبو أيوب هى يا أمير المؤمنين كارهة لذلك مظهرة العناد وهو بها مشغوف ولأجلها ملهوف وما غرضنا بذلك إلا التألف للقلوب فقال المنصور وما أظن أن الأميرة تكره ذلك وقد أمر به علام الغيوب ثم قال لها يا فاطمة قالت له لبيك يا أميرالمؤمنين وقد وثبت على قدميها وقد فهمت المطلوب فقال لها ما موجب طردك لابن عمك وزهدك فيه مع رغبته فى زواجك وهو أقرب الناس اليكى حسبا ونسبا فقالت وعيشك يا أمير المؤمنين ما أرده ابن عمى وأريد غيره لى محبوب ولا اخترت ابعاده ورمت وصال غيره من العباد وحق علام الغيوب إلا انى أنا امرأة لا أحب قرب الرجال وقد بغض الله لى أخبية النساء وربات الحجال وقد حببت ما ترى من القتال والتقلد بالسيوف الصقال والرماح الطوال ولست أعد من جملة النسوان يا خليفة الرحمن وأن سيفى حجلى والغبار كحلى والحصان أهلى فما الذى أصنع يا أمير المؤمنين بالحارث وبغيره من العالمين (قال الراوى) فضحك أمير المؤمنين من ذلك الكلام فعند ذلك وثب الحارث قائما على قدميه وقال يا أمير المؤمنين اشهد على انى أتزوج بها على شرط يكن فيه رضاها وذلك انها تكون سماء أراها ولا تكون أرضا أطاها فقال المنصور لها اعلمى ان الله عز وجل خلق النساء للرجال حتى يتناسلوا حكمة قضاها ولا للمرأة إلا بعلها

حتى يسترها عمن يراها وهــذا ابن عمك وقد شرط على نفسه ما سمعتى فارجعى إلى ما يأمرك به امامك فأمره فرض فرضه الله على الأمة فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وأنا أعقد عقدة النكاح بنفسى وأكون متولى قضاها (قال الراوى) فسكتت الأميرة من حياها فقال عمها سكاتها اقرارها ورضاها فالتفت الإمام إلى القاضى وكان ابن حفصة السلمى وهو جالس وعقبة بن مصعب إلى جانبه وكان عقبة قد اشتغل بالفقه والعلم والجدال فقال المنصور أيها القاضى اعقد عقدة النكاح على الحارث بابنة عمه ذلهمة فاعزم وتوكل فأجابه بالسمع والطاعة هذا والأميرة الذلهمة دموعها كوابل المطر إذا انهمل وهى تأبى ذلك والمنصور بالله قد أكرهها على عقد النكاح ثم قضى الأمر وانفصل وأمر المنصور الخدم أن تنثر من الذهب والجواهر على أرباب الدولة وكان يوم مشهود وقد أقاموا على ما هم عليه على باب المنصور بالله وقد مضت من قلوبهم الحقود والأميرة الذلهمة فى سرادقها والحارث فى سرادقه وهو لا يقدر أن يملأ عينيه منها بالنظر ولا نال مقصود (قال الراوى) وقد مضى على ذلك أيام قلائل حتى تواترت الاخبار إلى المنصور بأن الروم تكاثرت على بلاد الاسلام والمسلمين وقد خرج من القسطنطينية عساكر تزيد عن سبعمائة ألف فارس من الكفرة اللئام (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك لاوون قد نشأت له بنت اسمها ملطيه فنشأت ماهرة فى الشجاعة والفروسية كما نشأت الذلهمة العامرية وكانت فى الحسن إلى الغاية وفى البراعة إلى النهاية لم يظهر فى بلاد الروم أحد أمثالها قادرة على القتال والحرب والنزال وقوة الاعوال ومقاومة الاقيال وكانت تحضر فى كل يوم مجلس أبيها وتجلس من وراء الشباك وهى بعمامة كبيرة من القطن الابيض لأن النساء فى بلاد الروم يتعممون بخلاف الرجال فلما ان حضرت فى بعض الأيام على هذه الشاكله والمجلس محتفل بالعالم غاية الاحتفال فجرى ذكر المسلمين وما فعلوا من الفعال ونزول مسلمة بن عبدالملك بن مروان على القسطنطينية وكيف بنوا الجامع وأذانهم على أعلاه وصلاتهم فيه وجميع ما جرى عليهم من الوبال فلما سمعت ملطيه ذلك نالها أعظم منال وأقبلت على أبيها لما انفصل المجلس وهو خال وقالت له ايها الملك هذا كله جرى وكنتم عاجزين ان تسيروا إلى هؤلاء ولكن حيث علمت ذلك فقد جاءكم الأمر على ما تحبون وتريدون وينبغى ايها الملك ان تجرد عساكر وجيوش وتسلمهم لى مأمورين حتى اسير الى بلاد المسلمين وافعل بهم فعال تؤرخ فى الكتب وحق الانجيل وما فيه من تحريم وتحليل لئن نهضت وسرت اليهم لآتينك بملك

الموحدين تحكم فيه ما تريد فتبسم لاوون وقال وحق المسيح يا بنيه اننى اعلم انكى قادرة على ذلك بلا اشتباه ولوان راعى من رعاة الخنازير تحرك من بلادنا لاخذنا بلادهم لأن الفتن سارت بينهم والملك قد وصل الى رهط غير الرهط الاول والدهر قدامكن منهم فإذا عزمتى على ذلك فأنا مظهر الاموال والذخائر ومسلم إليكى أمر العساكر (قال الراوى) هذا وقد باتت ليلتها الى الغد ونادت فى القسطنطينية الا ان من اراد الغزوة فى بلاد المسلمين فليسير فى صحبة المالكة ملطية ثم انها امرت باخراج السرادقات والخيام فأخرج لها سرادق من الديباج الرومى فلما ان نصبوه احتوى على قطعة من البرية من عظمه وقد ضربت له الطوائل الابريسم عليها الخيول العربية وأخرجت خزائن السلاح والثياب وأخرجت الطبول والأعلام والرايات الحرير وأحذوا الناس فى التدبير واجتمعت البطارقة وسائر ملوك النصرانية ودخلوا على الملك لاوون وقالوا تهيأ للرحيل فقال لهم اعلموا ان هذه ابنتى ملطية تجردت للمسلمين بأن تسير اليهم وتغازى فيهم وهى تقوم فيكم مقامى وتروم مرامى فمن أطاعها فقد أطاعنى ومن خالفها كأنه خالفنى ثم انه فرق عليهم الاموال والسلاح والعدد وقال لهم تأهبوا الى بلاد الاسلام واعلموا ان المسير يكون بعد ثلاثة ايام هذا وقد خرجت ملطية من قصر المملكة ودخلت بيعة سوقيه بين يدين البترك فقرا عليها فصلا من الانجيل واجتمعت الشمامسه فقرؤا عليها وصلبوا عليها اولاد اللئام وقد كفروا بالملك العلام وخرجت من البلد الى الخيام ونزلت فى سرادقها بمكان يعرف بالقناطر العظام وهو اربع فراسخ من القسطنطينية فأقامت فيه اربعة ايام حتى اجتمعت الامم من سائر الآكام (قال الراوى) ثم ان اباها استعرض عساكرها واجنادها التى اجتمعت واذا هى سبعمائة الف مدرع غير الغلمان والعوام ففرح ابيها بذلك وقد استحضر بطريق من البطارقة الكبار اسمه ارمويل وكان شجاع فى الصدام فقال له انت تكون مع ابنتى ملطية تحفظها من حوادث الدهر لان حوادث الدهر غير مأمونة فى الايام فإن حدث عليها حادث من مرض او غيره فتكون بيدك العساكر ثم انه ركب وقد سير معها اختها وكان اسمها باغة وكانت دونها فى الشجاعة وقال لهما استودعتكما المسيح صاحب الدين القديم ثم ان ملطية سارت فى امم متكاثرة وهى سائرة وخيلها تضرب ميمنة وميسرة وكانوا سمعوا الروم ذلك اتوا اليها وانقادوا معها هذا والمسلمون ينهزمون الجميع من قدامها حتى وصلت نهر البدنون وعبرته ووصلت الى مرج كبير فسيح فيه المياه تسرح وزهره مفتح وكان قد اقبل فصل الربيع فلما ان نظرت ملطية الى تلك الارض اعجبتها رياضها

فأقبلت على من كان حولها من البطارقة ووجوه العساكر وقالت لهم انى قد عزمت أبنى ههنا مدينة تسمى بى على طول الزمان كما بنى جدى القسطنطينية وقد سماها باسمه فسارت مثلا فقال لها وزيرها نعم ما رأيتى وهذا المال بين يديكى وفى حكمك (قال الراوى) فركبت وسارت وخطت بالسنان وقالت على بالصناع وهى على ظهر جوادها فحضروا وأمرتهم ببناء المدينة كما أرادت فشقوا الاساس ودكت الاحجار وقد أخذت فى بنائها وأقامت فى المواضع مع كثرة الخلائق المتكاثرة فبنت هذه المدينة فى خمسة أشهر وصنعت لها الأبواب الحديد والمسامير ثم انها عمدت إلى أعلا مكان فى ظاهر البلد وبنت فيها قلعة عالية حصينة ونصبت شراريفها وأدارت حولها المجانيق والطلاقات وقد بنت من داخلها قصر مملكتها وجعلت فيه خزائن المال وسمت المدينة باسمها ملطية وكانت أختها باغة فعلت مثل فعلها وأمرت فبنوالها ثلاث قلاع من حول ملطية وسمت احداهما باغة فأقبلت ملطية على البطريق ارمويل وكان ابن عمها وقالت له كن فى هذه القلعة والبلد مسلمة إليك فعليك حفظها حتى أعود فأنا سائرة إلى بلاد الاسلام أسرع همها وكلما أرسلت إليك أموال اجعلها فى هذه المخازن فها أنا آخذ البلاد على رغمها فقال لها سمعا وطاعة ثم انها سارت متوجهة إلى آمد لتملكها وقد خلفت مع البطريق أربعة آلاف فارس وكذلك أختها تركت فى القلاع ثلاثة آلاف فارس وسارت بتلك العساكر فسمع صاحب آمد الخبر فكاتب المنصور يعرفه بالاحوال والامور وقال يا أمير المؤمنين الأمر جل عن الوصف والجيوش التى معها سبعمائة ألف فارس فإياك أن تغفل عن الاسلام وآمد فى الحصار والعدو لا يقع عليه عدد (قال الراوى) فلما ان نظر المنصور إلى الكتب بهذه الاحكام ضاقت عليه الأرض بما رحبت وقد ناله أمر عظيم وقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أقبل على وزيره أبو أيوب وقال له هذا أمر عظيم ولئن غفلت عن هذه الملعونة أخربت البلادوأهلكت العباد والرأى أن تدبر هذا الامر قبل أن يحل بالمسلمين الفساد فقال له أبو أيوب يا أمير المؤمنين على أبوابك اليوم من بنى كلاب وغيرهم مائة وستون ألف فارس أنجاد والرأى أن تنادى بالجهاد وقتال هؤلاء الروم الاوغاد فقال له نعم ما رأيت ثم أنه أحضر ظالم ومظلوم والاميرة الدلهمة وقال لهم اعلموا أيها السادات إن والدكما الصحصاح كان فى زمان بنى أمية مقدما للروم

وأهل العناد وهو الذى جندل أبطالهم وأهلك أقيالهم وإن الناس تقول فى أمثالهم من شابه أبوه ما ظلم واعلموا أن الأخبار تواترت بأن ملطية بنت ملك الروم صاحب مدينة القسطنطينية وصلت فى جيوش كثيرة من بلاد النصرانية إلى البلاد الاسلامية وقد قربوا من آمد فبادروا بأهل ملة الحنيفية وسارعوا إلى الجهاد فى أهل دين النصرانية وقد فضل الله المجاهدين على القاعـــدين وقد ورد فى الحديث الشريف أن الجنة تحت ظلال السيوف ووعدكم بالنصر العزيز الرؤوف فقال تعالى فى كتابه المبين وكان حقاً علينا نصر المؤمنين فما تقولون فى كلامى رحمكم الله يا أهل الايمان (قال الراوى) يا ساده يا كرام فما استتم منه الكلام حتى علا من الناس الضجيج لكلامه وخطابه ولانت قلوبهم وجرت دموعهم ونهضت الأميرة الذلهمة قائمة وقبلت الأرض وقالت أما قول أمير المؤمنين ماذا ترون أى مصنوع مع من لا يصلح أمورنا الا سديد رأيه وجميل ولائه وإذا أمر أمير المؤمنين بالمسير لأعدائه كان من وجه الدين والشرع القويم ان لا نقعد عن نصرة الامام وحمايته ولا نتخلف عن حرب المارقين الملاعبين وحقك يا أمير المؤمنين ما غرضنا فى المال وما مرادنا إلا طاعة الله ورسوله ونحن فى غداة غدان شاء الله تعالى سائرين وتأتيك الأخبار إن شاء الله تعالى يا خليفة الجبار بما يحير الأفكار ونحارب عن دين الملك القهار وشريعة محمد المختار صلى الله عليه وسلم فهو أعظم الأنبياء شرفا ومقدار وأكثرهم أنوار الشفيع فى العصاه من النار (قال الراوى) فلما ان سمع المنصور من الأميرة الذلهمة ذلك المقال تبسم فى وجهها وقال لله درك ما أعظمك فخار فبادروا رحمكم الله إلى الجهاد فى الكفار فان الأمر أعجل من الصبر ثم خرجوا القوم من حضرته لاصلاح أمورهم وقد نودى فى عساكر العرب بعد ثلاثة أيام السفر عند طلوع الفجر فمن عزم على قتال أعداء الله فليتأهب للجهاد فى طاعة الله (قال الراوى) هذا وقد أخذوا القوم التأهب بالسلاح والعدد وقد أقاموا على ذلك يومين وفى اليوم الثالث دخلوا على المنصور للوداع فأخلع عليهم وأمرهم بالمسير للجهاد فساروا يجدون السير طالبين ناحية آمد (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملكة ملطية فانها لما خرجت من مدينتها ملطية وسلمتها إلى ابن عمها اللعين أرمويل وقالت له إياك ان تفتح أبواب البلد لاجل شيء إلا أن ترى صليبى هذا الذى لا له نظير ولا مثيل

فقال سمعا وطاعة وسارت إلى أن وصلت آمد وأهلها قد أخذوا حذرهم وقد تأهب الكبير والصغير ونصبوا على أصوارها المناجق والطلاقات وأهل آمد قد ركبوا الأصوار فى هرج ومرج فى الحصار وأقبلت عليهم عساكر الروم وتفرقوا فى سائر الأقطار وأخربوا المنازل والديار والعيال والنسوان وقد نهبوا أرض سيمان ووصلوا إلى سيدين (قال الراوى) فلما ان نظر صاحب آمد الى ما قد حل إلى بلده من كثرة العساكر والأمم فأقبل على أهل البلد وقال لهم اصبروا على ما بلاكم الله وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم والبنات والعيـــال وكانكم عساكر الاسلام قد أتتكم فانى كاتبت الخليفة بهذه الرزايا فعندها التجؤا الى الله تعالى وصبروا على النائبات هذا والملكه ملطية وصلت الى آمد ونظرت إلى منعتها وشدة الاحتراز وحسن السلاح وقد زينوا الأصوار بالدرق الخشبية والعدد المجلية والسيوف الهندية وأهل البلد من فوق الأصوار وينادون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عند ذلك الغيظ على ملطية لأجل مخاطبتهم لها بكلمة التوحيد ثم أنها أمرت أصحابها ان يهجموا على البلد ويهدموها جميعاً فما هو إلا ان وصلوا من الصور حتى أخذتهم الأحجار والمنجبيقات والطلاقات فرجعوا ولم يقدروا ان يدنوا من البلد وأخذتهم الدهشات فأشارت ملطية إلى عسكرها ان يدوروا بالبلد فداروا بها كما يدور البياض بسواد العين وقد أتاهم من الأصوار سهام وأحجار وحدافات حتى سدت عين الشمس وملأت الطرقات وعادت الملكة ملطية عند المساء وقد جمعت أصحابها وكبراء البطارقة وقالت لهم اعلموا أن الرأى عندى اننا نلازمهم بالحصار أيام متواليات ثم أنها أخذت على أهل البلد الطرقات واستعدوا لانفسهم بالمآكل والعلوفات وقد أقامت ملطية على امد ثلاثون يوماً فكانت كأنها يوم واحد لاشتغالها بالمحاصرات (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عساكر الاسلام فانها لما ان خرجت من بغداد وسارت يتبع بعضها بعضا إلى ان وصلوا الى نصيبين فرؤا الناس على خوف عظيم فسألوهم عن الحال فأخبروهم عما لاقوا من الروم وقالوا كل يوم يقصدون الغارات ويرمون بالبليات ونحن معهم فى أسوأ حال وقد أهلكوا منا الرجال وسبوا النساء والأبطال والاطفال والبارحة وصلوا لنا الجواسيس من عسكر الروم وأخبرونا أن امد أشرفت على الاخذ من قلة رجالها وان الملكه ملطية

جمعت سبي البلاد وأضافت اليهم شيء عظيم وقد أنفذتهم مع أختها باغه الى عندملك الروم لاوون والجيش الذى مع السبي عشرة آلاف لأنها سمعت بكم من حين خروجكم من العراق وعولت أنها إذا كسرتـكم تملك البلاد ونحن فى نصيبين لأجل انتظاركم لعلـكم تـكشفون عنا هذه الـكربه وإلاكنا خلينا البلد ورحلنا (قال الراوى) فبكا الأمير عبد الله وسائر المقدمين على من قتل من المسلمين لما ان سمعوا ذلك الـكلام فقال منهم شيخ من مشايخ بنى سليم وكان ابن عم الأمير عبد الله وكانوا يسمعون منه أكثر الأوقات ويرون فى مشورته البركات وكان اسمه الحصين بن ثعلب وقال لهم يا قوم اسمعوا منى وخذوا برأيي فقالوا أيها السيد قل حتى نسمع فقال لهم الرأى عندى تقسموا أنفسنا من هنا قسمين وتسيروا فرقتين الفرقة الأولى تسير الى آمد والفرقة الثانية أسير انا بهم وآخذهم على اقرب الطرقات فعسى ان نلحق السبي ونخلصه من الملعونة باغه قبل ان تصل بهم الى البلاد واذا بلغت ذلك وسهل الله رب العالمين علينا عدت الى آمد من خلف العساكر ونضع السيف فى المارقين ونكون قد ملكنا عليهم طرقات بلادهم واحتوينا على اثقالهم واموالهم ويعطى الله النصر لمن يشاء والمستعان بالله فى جميع الأشياء (قال الراوى) يا ساده ياكرام فلما ان سمعوا العرب كلام الحصين فقالوا له والله لقد اشرت بالصواب والأمر الذى لا يعاب فعند ذلك قال الأمير عبد الله لا تقعد عن هذه الفعال فمن تريد معك من الأبطال فقالت الأميرة الذلهمة نحن يا أمير المسلمين نسير معه وكلما تأمرنا به نفعله فقال لها الامير بارك الله فيكى يا ذلهمة خذوا اهبتكم حتى ارسل معكم من شئتم فقالت الاميرة ما اريدك ان ترسل معنا أحد سوى ابي مظلوم وعمى ظالم وولده الحارث وبنى كلاب السادات الانجاب فإنى القا بهم بعون الله العشرة آلاف الذين مع باغه ولو انهم سباع الارض بددتهم طولا وعرضا ولكن بقى لى امر واحد فقال لها الامير عبد الله قولى ما بدالك فقالت يكون سيرنا ليلا حتى لا يعلم بنا احد فان العسكر لا يخلو من الجواسيس ونخاف ان يمضوا ويعلموهم بما عملنا فينفسد علينا ما دبرناه (قال الراوى) فلما ان سمع الامير عبد الله منها ذلك الـكلام تعجب من فطنتها وقال لها ان هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب خذوا اهبتكم الى الليل وسيروا مع ابن عمى الحصين

وانا فى عساكر العراق وسائر العربان نمضى الى آمد ونطلب النصر من الملك الواحد فعادت بنى كلاب إلى خيامهم وأداروا فيما بينهم الحديث سرا وعبوا أشغالهم وأخذوا الأهبة للمسير وأقاموا الى أن أظلم الليل ورحل بهم الحصين يطلب السبى الذى مع باغه الملعونه الغدارة فلما ان أصبح الصباح رحل الأمير عبيد الله يطلب أمد والجيوش معه والقبايل وقد ساروا بنيات صادقة وقلوب بالله واثقة (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملكة باغه فانها سارت بالسبى والثقل معها تطلب بلاد الروم وكانت تسيرهم سير الرفق لأجل السبايا والأثقال والأموال والنساء والأطفال مربوطين فى الحبال إلى أن وصلت إلى أنوش هنالك نزلت وأقامت فى ذلك المكان ثلاثة أيام لأجل الراحة وفى اليوم الرابع رحلت وقد سارت فبينما هى سائرة وإذا بغبرة قد ثارت من بين يديها وعسكر قد ملأت الأقطار وأظلم من كثرتهم النهار وعليهم الدروع الداوديه والبيض العادية والسيوف الهندية والرماح الخطية وتحتهم الخيول العربية وهم كأنهم جمرة نار فى البريه فلما ان نظرت باغه الى هذه الرزيه قالت وحق السيدة الزكية والملة المسيحية هذه العساكر نجدة لنا بالكلية وقد أتوا يعينونى على فتح البلاد الاسلامية والملة المحمدية (قال الراوى) فما استتم كلامها حتى انكشفت الغبار وبان عن فرسان بنى كلاب الأنجاد الموصوفين فى اللقا بطعن الصارم البتار ويقدمهم الأميرة ذالهمه كانها أسد الغاب وكذلك الحارث ابن عمها وأبوه ظالم وهم فوق الخيول مثل الليوث القشاعم وقد انقلبت البرية من كثرة صياحهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم فلما نظرت الروم إلى ذلك تحيرت واندهشت ثم ان باغه قالت لهم ويلكم هؤلاء مسلمين كيف أتوا إلى هذه الأرض ووصلوا وظهروا من بين أيدينا مثل الشياطين فقالوا لها وحق المسيح ما ندرى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن المسلمين أخذهم الحصين بن ثعلب وسار يقطع القفار ليل ونهار ولم يكن استراح بل أراد أن يدرك السبى من قبل أن يفوته الأمر فلم يرى لعساكر الروم أثر ولا خبر ولا رأى أحدا منهم ظهر فتحير فى أمره فبينما هو كذلك وإذا بعشرة بطارقة على شاطىء الفراة وهم قاصدين اليهم فقال لبنى كلاب هذه جماعة واردة نحونا وما يخلو حالهم من أمرين أما أن يكونوا من القسطنطونية ومعهم من السبى خبر واما أن يكونوا طليعة عسكر فدونكم وإياهم على كل حال فلنا فيهم بلوغ الآمال فعندها صاحت ذو الهمة فى جوادها وحملت عليهم مثل العقاب الكاسر وقد تبعها

ابن عمها الحارث وتبعتهم فرسان بنى كلاب وقد داروا بالعشرة مثل الذئاب فقتلوا منهم ثمانية واخذا اثنين اسارى فى طرفة عين وقد جاؤا بهم الى عند الامير الحصين فسألهم عن حالهم فقالوا نحن ههنا مقيمين على شاطىء الفرات مجردين من حين عبور ملطية الى بلاد الاسلام لانها قد وكلتنا بالمعابر التى عبرت فيها الى حين تعود من جهادها وتعبر الى بلادها وانما سبب ركوبنا ومجيئنا اليكم لان قد عبر منا عابر البارحة وهو بطريق من عسكر الملكه ملطيه فسألناه عن حاله فاخبرنا انه سائر الى مدينة ملطية يبشرهم ان السبي واصل مع الملكه باغه وحريم المسلمين ومامعها من الاموال التى مالها اول ولا آخر ويامر البطريق الذى فى ملطيـــة وجميع العسكر بالخروج الى لقائها فلما ان سمعنا ذلك ورأيناكم جئنا اليكم وقد حسبناكم الملكه باغه وعسكر الروم فاتينا نحوكم فجرى علينا ما جرى (قال الراوى) فلما ان سمع الحصين ذلك فرح فرحا شديدا وقد علم انهم ما وصلوا بالسبي فقال لبنى كلاب ابشروا فإننا قد سبقناهم ولكن عودوا بنا الى الطريق التى تمضى الى جهة برت فإننا نلقاهم عند ضحا النهار لان سيرهم قليل لاجل ما معهم من السبي والاموال ونحن والسبي جريدة ونريد من يتوكل لنا بالمعابر ويحفظها ولا يترك احدا يعبر لنا من بلاد الروم لاننا ما نعلم كم نبقى فى القتال وربما طال من القوم المطال على السبي وعلى البطريق الذى فى ملطية لانه سار اليه البشير فإذا كان ههنا فى المعابر احـــد منا يمن يعبر لنا من ههنا فقالوا بنى كلاب هذا هو الصواب افعل ما بدالك ياسيدالقوم فعندها وكل الحصين بالمعابر خمسين فارس من بنى كلاب وقدم عليهم رجل يقال له سيد بن الفرج وكان من شجعان بنى كلاب المذكورين وعادوا طالبين جهة برت ذلك اليوم ومن الغد باكر النهار اشرفوا على السبي كما ذكرنا وظهرت الاعلام العباسية وقد سمعت المأسورين بالتهليل والتكبير ففرحوا بذلك وترجوا الخلاص بامر مالك الممالك هذا وقد تاهبوا الروم للصدام لما ان علموا انهم من عصابة الاسلام فقالوا يا ترى من اوصل هؤلاء الى هذا المكان (قال الراوى) هذا وان بنى كلاب حملت على الروم من شوقهم الى الجهاد فى طاعة رب العباد وجودوا الطعن بالسيوف الحداد وقد صدموا الروم بالخيل الجياد فتلقتهم البطارقة كالرعد القاصف وحملت الملعونة اغه وهى صائحة زاعقة فالتقاها عطاف بن الحارث فتجاولا وتصادما ولم تكن الا ساعة من النهار حتى حملت عليه الملعونة باغه وضربته بالسيف

على هامته نزل السيف إلى نصف قامته فوقع إلى الأرض قتيل وعجل الله بروحه الى الجنة وأما الأميره ذو الهمة لما ان نظرت الى ذلك أخذتها نخوة العرب فحملت عليها مثل النار فى الحطب وجاولتها وضايقتها ساعة من النهار حتى خذلت منها المناكب وضربتها الأميرة بالسيف على عاتقها أخرجته يلمع من علائقها فكبرت لذلك المسلمين وسبحت لله رب العالمين فوقع فى الروم الفرار والذهاب وقد وقعت فيهم سيوف بنى كلاب وأخذوا عليهم الطرقات والمذاهب حتى لا ينجو منهم هارب ولم يأتى آخر النهار حتى هلكوا جميع الكفار ولم يسلم منهم من يرد الجواب وقد خلصوا الأسارى من الحبال وملكت بنى كلاب الأثقال والأموال وما بقى من رجل إلا وهو يتحدث بما فعلت ذو الهمة من الفعال وهى كأنها اللبوة المهمهة وكلما راها الحارث زاد به الغرام والجد والهيام وباتت الناس بما قاسوا من القتال بأسوأ حال إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر سيدنا محمد سيد الملاح فقال الأمير ظالم اقصدوا أمر خلف أصحابنا لعلنا نلحق الجهاد ونعين الأمير عبيد الله على قتال الأعداء فقال الحصين يا وجوه العرب تمهلوا على قليل ودعوا عنكم التعجيل فقد انفتح لى مراد فيه بلوغ الآمال فقالوا له وما هو الرأى أيها الأمير المفضل واعلم أن ما فينا أمر يعلى على أمرك فقال لهم اعلموا أننى قد عولت إلى أن أترك هذا السبي على حالته فى الحبال ونلبس ثياب القتلى من الروم الذين أخذناهم ونلبس الأميرة ذات الهمة ثياب الملعونة باغه وجميع عدتها وهى من الساعة تحكمنا ونسير من ههنا إلى ملطية لعلنا نملكها فانهم إذا نظروا السبي بين أيدينا اخرجوا الى لقانا لأن الخبر عندهم من البطريق الذى عبر لهم فاذا لاقونا بذلنا فيهم السيف وبعضنا يقصد باب البلد وبعضنا يقاتل فما تشعر وإلا وقد ملكنا المدينة وكبرنا من كل جانب ومكان لأن البطارقة لا يخرجوا إلا للقتال وإلا للحرب والنزال ونكون قد ملكنا الباب بقدرة الملك العلام ونبذل المجهود فى المشايخ والشباب ويصير لنا الذكر فى جميع الاعراب (قال الراوى) فلما سمعوا بنى كلاب هذا الكلام رأوه عين الصواب وتعجبوا غاية الاعجاب ثم إنهم قلعوا ما كان عليهم ولبسوا زى الروم والبطارقة والأرجاس كأنهم خرجوا من القسطنطونية وأما الأميرة ذات الهمة ألبسوها ما كان على باغه من الملبوس فصارت كأنها البدر إذا بدر فلما ان فرغوا من ذلك قدموا السبي بين أيديهم وقد شدوهم

شدا خفيفا وساروا إلى ان أشرفوا على المعابر رآهم سعيد بن الفرج وهم فى زى الروم والرجال مشدودين على الخيول فقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم ان سعيد بن الفرج تأمل أحوالهم وقال لمن معه لو كانوا بنى كلاب فى الحياة ما عبروا هؤلاء بالسبي والأسارى إلى هنا وان كان الأمر كذلك فقد دنت وفاتهم فى الجهاد لأنهم جاهدوا وقتلوا على دين الاسلام إلا انهم ثبتوا إلى أن قربوا منهم فعرفوهم فحمدوا الله على ما أولاهم من الجميل لأنهم أعلنوا بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير سيدنا محمد صاحب الوجه الجميل وقد نظر سعيد بن الفرج إلى الحصين وعلى وجهه لحية شقراء من لحا البطارقة فتعجب من ذلك وقال والله ما سبقكم إلى هذه الحيلة أحد ثم انهم رجعوا إلى المعابر فقال الحصين للجماعة الذين أوقفهم على المعابر هل مر عليكم من المنهزمين أحد فقالوا له ما رأينا أحد ظهر ثم انهم عبروا إلى الجانب الثانى وساروا إلى أن أشرفوا على ملطيه فرأوا الأبواب مفتحة والبطارقة على الأصوار ينظرون السبي لأن البشير سبق اليهم وأعلمهم بذلك فخرجوا حين رأوا الملكة باغه وفى مقدمهم البطريق أرمويل الموصوف بالشجاعة فلم يدروا وإلا وأبواب المدينة ملكت وبنى كلاب معهم فى البلد قد حصلت هذا وقد ضربوا البطارقة بالنعول وأرموا أجسادهم عرضا وطول حتى ملؤا بهم البلد وكان يومهم يوم مخذول (قال الراوى) هذا ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل إلى ان أمسا المساء وأقبل الدجا وقد قتلت البطارقة ولم يبق شيخ ولا غلام واحتوت بنى كلاب على البلد بما فيها من الاسلاب والأموال ودخلوا بالأسارى والأثقال الذين كانوا فى الحبال وقد امتلأت بهم ملطيه وقد باتوا فرحين مسرورين ولما ان حازوا الأمم والملك المحتشم تشاوروا فى العودة إلى نصرة الاسلام وعصابة الإيمان قالت ذات الهمة يا بنى عمى ما فى الأمر إلا اننا نحصن هذه المدينه التى ملكناها ولا نرجع نمكن منها أحد من الكفار بعد ما أخذناها ونخلى فيها من يحرسها من الفرسان ونعود إلى نصرة الاسلام وقتال الكفرة اللئام فإذا قهرناهم رجعنا إلى البلد ثم نجعلها لنا وطنا ونكون فى وجوه عباد الصلبان ونجاهد فى عبادة الملك الديان فقالوا لها والله يا بنت العم ما أشرتى إلا بالصواب لأن هذه البلد أطيب من بلاد العجم والعراق لأنها تفرح الفؤاد قريبة من الحجاز فقال ظالم ومظلوم وجميع بنى كلاب نعم ما رأيتم وهو الصواب ونحن إذا سرنا

ومضينا إلى نصرة الاسلام والمسلمين وعدنا ان شـــاء الله آمنين سالمين أنفذنا من ينقل لنا الأهل والأولاد والحريم فى هذه البلاد ونقاتل فى طاعة رب العباد وتفرغ لفتح القلاع التى فى هـذه البلاد ولولا العجلة على العودة لنصرة الاسلام لكنا فتحناهم ولكن إذا عدنا مع النصر من الله وجاورناهم قطعنا عنهم الاقامة من القسطنطونية فهم يسلموها لنا بالأمان ويهربون فى الليل من هـــذا المكان (قال الراوى) فلم يزالوا كذلك إلى ان أصبح الله بالصباح فركبوا وجعلوا يدوروا فى البلد فرأوا عمايرها هائلة وأصوارها مشيدة عالية وقد وجدوا فى وسط البلد بيعة هائلة كبيرة وقد أنشئت وتمت فقالوا هـذه البيعة نجعلها جامع هـذا وقد وجدوا فيها خزائن نفط قد تركوها الروم ذخيرة فيها قبل دخولهم إلى بلاد المسلمين إلى وقت حاجتهم اليها فقال الحصين الذى هو أزرق العينين خذوا هـــذا النفط معكم فإن احتجنا اليه كان وانه ما يضرنا واتركوا فى البلد من يحفظها وعولوا على المسير فإن قلبى خائف على ابن عمى عبيد الله وما أدرى ما يكون منه مع حصار ملطيه فى آمد فعند ذلك تركوا فى البلد الأمير سعيد بن الفرج فى ألف فارس من فرسان بنى كلاب المذكورين وأبطالهم المشهورين وقد ترك عندهم من السبى ما أخذوا وأخذوا ما يقوم بهم من الزاد وأوصوا الأمير سعيد بالبلد وقلة المنام وقد رجعوا من وقتهم طالبين إلى آمد وساروا فى تسعة آلاف من بنى كلاب ومن السبى الذى خلصوه خمسة آلاف فارس وقد ساروا وحملوا النفط معهم ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى خرتبت وإذا قد أشرفوا على ثلاث بطارقة من صوب آمد وهم قاصدين إلى ملطيه فأخذوهم وعن حالهم سألوهم وعن عساكر الاسلام استخبروهم فقالوا لهم نحن نقول لكم الحق وافعلوا بنا ما شئتم أما عسكر الاسلام كسرتهم ملطيه وما دخل إلى آمد إلا القليل مع ملك من ملوكهم يقال له عبد الله وأما نحن أرسلتنا الملكة ملطيه نأتيها بخزائن النفط لأجل آمد لأنها قد تعسر عليها فتحها لأن البلد قويت بالعساكر التى قد دخلت اليها والملكة خائفة يطول عليها المطال وأيضاً خائفة أن يأتيها خليفة الاسلام من بين يديها وأيضاً معها رجل حكيم من حكماء الروم يقال له شادلوخ وهو قد أوعدها بأنه يأخذ لها آمد فى يومين إذا جابت له النفط قال وكان مع هذا الحكيم كتاب فيه تاريخ امد من حين بنيت ومن أين يجيء لها الماء ومن أين ينبع فى هذه الايام لاشك انه يقطع عنها الماء ولا بقى بعده

إليها قطرة وأن الملكة الآن فى الانتظار إلينا لنعود إليها بالنفط ليتم للحكيم الحيلة على جميع المسلمين الذين فيها لأنهم قنعوا بالآبار التى عندهم وقد صبروا وتجلدوا على الحصار وقد خافت الملكة أن يطول عليها المطال (قال الراوى) فلما أن سمعوا بنى كلاب ذلك الكلام والخطاب صعب عليهم وكبر لديهم وقالوا لقد أبطينا حتى انكسرت المسلمين فقال الأمير حصين ابن ثعلبة معلوم يا وجوه العرب أننا قد كنا أيضا فى جهاد الأعداء وما مضت أيامنا إلا فى الجهاد وفى طاعة المولى وأنا وحق الذى أجرى الماء من الجماد وسخر البحر كما أراد لا بد لى ما أحرقهم بالنار والنفط الذى أرسلوا يطلبونه واقطع رجاهم من كل ما أملوه فجدوا أنتم بنا فى المسير وتوكلوا على الله اللطيف الخبير (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها ساروا بنيات صادقة بعد قتل الثلاثة البطارقة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الله فإنه سار من نصيبين فى عساكر العراق والعرب وجد هو ومن معه فى المسير حتى أشرفوا على آمد فرأوا عساكر الروم قد ملأت الأرض فى طولها والعرض وأشرفت امد على الأخذ والاكراد من فوق الاصوار وقد صبروا على الحصار وأهل البلد يستغيثون بالملك الجبار أن يرد عنهم كيد الأعداء الفجار فلما أن رأى الأمير عبد الله إلى ذلك أخذته نخوة العرب وصاح فى الموحدين المجاهدين اكشفوا عن اخوانكم المؤمنين وجاهدوا فى سبيل الله رب العالمين فهذه الجنة مفتحة الأبواب وهذا يوم تكسبون أيضا فيه الثواب من رب الأرباب (قال الراوى) فعند ذلك ضجت جيوش العراق و دفعوا نحو الروم الخيل العتاق وجردوا فى أيديهم السيوف الصقال (قال الراوى) وكانت الروم لما رأوا ذلك الغبار بعدوا عن البلد فى الحال حتى يتسع عليهم المجال وتأهبوا للقتال والنزال فلما تأهبت النصرانية حملت عليهم العساكر الإسلامية وصدموهم صدمة واحدة تزعزعت لها الجبال واختلطت المسلمين بالكفار وقد احتجبت الشمس من كثرة الغبار وعمل بينهم السيف البتار وبقيت الجماجم منثورة والأيادى مقطوعة والبطون مفجورة والدماء من الاوداج منهمرة وعقبان المنايا عليهم طائرة هذا وصاحب آمد قد خرج إليهم فى اثنى عشر ألف من الاكراد وحمل يطلب الجهاد وهم فرحين بذلك

العسكر الذى أتى لخلاصهم من الحصار وأتوا لهم أنصار هنالك عمل بينهم البتار وقصرت الأعمار وتلاطمت العساكر كتلاطم أمواج البحار والقسوس قد كشفوا الروس وكفروا بالملك القدوس ودوت أصواتهم بالإنجيل وكفروا بصاحب التنزيل وحثوا البطارقة على الجهاد وانتشروا كأنهم الجراد وفتكوا فى عسكر المسلمين وقد تكاثروا على الغزاة المجاهدين واندفعوا عليهم مثل البحر العجاج الواسع الفجاج ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل والسؤال لا يقبل حتى أشرفت المسلمين على الهلاك ونادى الأمير عبد الله يا معاشر الموحدين الأبرار اثبتوا ولا تولوا الأدبار فتحرموا من شفاعة النبى المختار صلى الله عليه وسلم وتبدلوا قصور الجنة بالنيران واعلموا أن الله تعالى ينصر المسلمين والمؤمنين فبيعوا نفوسكم ما دام البيع والشرى والمشترى يسمع ويرى ولا تحدثوا أنفسكم بالهرب تبقوا معيرة بين العرب ثم أنه حمل فى بنى سليم وتبعتهم بنى كلاب والأكراد الذين كانوا فى آمد وفى أولهم غشم مقدمهم وحملت العساكر الاسلامية كالليل ووقعت من تحتهم الخيل وحل بالناس الويل والملوك تصيح بالرومية يا ويلكم لا تفترون عنهم بالقتال ففى هذه الليلة يكون الانفصال وحصلوهم قبل أن ينطووا إلى البلد ويطول الحصار والأمد وها أنا فى أوائلكم أقاتل وأناصل فهجموا الروم على المسلمين وطووا الليل مع النهار ولم يحصل انفصال لما ان سمعوا كلام ملكتهم فلما ان رأوا المسلمين إلى ذلك قاتلوا حتى الباب وكان أول من ترجل من العسكر كان الأمير عبيد الله وقال لا تحدثوا نفوسكم بالهرب فيحط بكم العطب فهذا يكون سبب وابشروا فقد قال من لا تراه العيون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فعندها جثت الأبطال على الركب وقد أرموا الروم بسهام العطب وتناخت العرب هذا ولم تزل الأرواح ترهب والدماء تسكب حتى دنا الصباح وولى أكثر الغيهب ورأت الناس أنفسهم فى النقصان فتراجعوا يطلبون باب البلد وقد علموا أنهم إذا أصبح الصباح ما بقى منهم أحد فدخلوا إلى باب البلد فتراجعوا فى الأبواب وقد حمتهم الأكراد من أعلا الأصوار بالنشاب حتى دخلوا المدينة وأغلقوا الأبواب (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وقد ملكت الروم الأثقال والأسلاب والأرض ملئت بالقتلى وقد نظرت الملعونه ملطية عند الصباح إلى أصحابها وهم موثوقين

بالجراح وقد عدم منهم عالم عظيم وأكثرهم من سهام الأكراد العارفين برمى النشاب (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من المسلمين الذين دخلوا البلد فانهم ماكان أحد يقدر يرفع يده من شدة الجراحات والتعب والسهر وما قاسوا من الآلام لأن هذه الوقعة كانت مذكوره وفى التواريخ مشهورة وقد سموها الروم وقعة المعامع لما فيها من المقامع التى لم يذكر مثلها فى جميع الوقائع فلما ان رأى الأمير عبيد الله ذلك ضاق صدره ولما رأى أصوار امد عالية طاب قلبه وقد شكره الأمير غشم على فعاله وقال له أيها الأمير والله ماكنا إلا أشرفنا على الأخذ لأن بلدى كبير والأجناد قليل وان أكثرهم هرب والساعة قد شد الله ظهورنا بكم وما بقينا نبالى بمن فى الأرض من بلاد الروم لأن عندنا الغله والعيون والطواحين والكروم فقال الأمير عبد الله بلدك حصين ونبقى خلف الأصوار محصورين ولا بد ما ندبر أمرا يعود صلاحه على المسلمين فان الحصار ذل وشنار ثم أنهم أقاموا يدبروا فى أحوالهم (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ماكان منهم (وأما ماكان) من الملعونة المنجوسه ملطية فإنهـا أقامت بقية هذا النهار والثانى والثالث ما قالت فجمعت البطارقة وحكماء الروم وقالت لهم أريد منكم أن تدبروا لى المرة فى امد فقد أعيتنى فيها الحيل وهذه بالحصار ما تؤخذ فلما ان فرغت من كلامها قام اليها رجل شيخ من مشايخ الروم اسمه شدلوخ وقال لها أيها الملكه اخلى لى المكان حتى اننى أحدثك بحديث عجيب أفتح لكى به البلد فلما ان سمعت منه ذلك فرحت وقد صرفت الناس الذين حولها ولم تترك إلا خواصها الذين تعتمد عليهم ثم قالت له قل ما عندك وان فتحت البلد بلغت امالك وجعلته مسلم لك ولا يتقدم أحد عليك فقال لها أيتها الملكه اعلمى أن عندى كتاب عتيق ورثته من أبى وأبى ورثه من جدى شالوخ وقد ذكر أنه من الحكيم أرسطاليس وفيه عـدد الاقاليم التى للأرض العامره والخراب وحدود سواحل البحر وحدود عماراتها والامصار وطول ساحاتها فى الليل والنهار وذكر امد ومن أين جاء اليها الماء حتى صار ينبع من وسطها وهذه من هذا الجبل الاسود وأنا أقطع الماء عنها من مكان أعرفه وأهل امد لا يقدرون على قلة الماء فيسلمون اليك البلد فى عشرة أيام فلما ان سمعت كلامه فرحت وقد قال لها اعلمى أنى أريد أن يكون هذا الأمر عندك مكتوم حتى لا يأخذوا أهل البلد

حذرهم ويعرفوا خبره وانهم ان منعت عنهم المـاء يسلموا لنا البلد فى عشرة أيام ويهلكوا وان كان عندهم من المياه التى فى الآبار ما يمسكون به رمقهم فيكون انقطاع الماء عنهم ينفعنا لأننا نجعله لنا طريق وندخل إلى البلد ونريد أن يكون عندك شىء من النفط حتى إذا امتنعوا أهل البلد من التسليم أأمر البطارقة أن يدخلوا من السرداب وينصبوا الســـلالم التى صنعتموها على الحصن وتطاعوا تقاتلوهم وتشغلوهم عنا حتى نعبر عليهم ويصيروا بين أمرين ان هم نزلوا لنا ملـكتم الأصوار وان اشتغلوا بقتالـكم ملـكنا نحن البلد والليل له هيبة (قال الراوى) فلمـا ان سمعت الملـكة ماطية كلام الحـكيم فرحت وقالت وحق المسيح تقعد عندنا فى ماطية وأنا أرسل من يأتى به لأننى قد تركت عشر خزاين ملآنه نفط إلى وقت الحاجة إليها فى دخولنا بلاد الاسلام ثم قالت له متى تقطع الماء فقال لها فى ليلتى هذه فقالت له مهما شئت أن تصنع أأمر نابه واطلعنا عليه فنحن نفعله ثم أنها أرسلت من وقتها وساعتها ثلاث بطارقة الى ملطية بسبب النفط وهم الذين التقوهم الأمراء والحصين وقتلوهم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الحـكيم شدلوخ فانه أقام إلى الليل فلما ان أظلم الظلام أخذ معه عشرة من البطارقة والملـكة ماطية وقد خرجوا من الخيام تحت الليل ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى عند صخرة كبيرة فجعل الحـكيم يدير نظره من حولها ثم قال لهم أحفروا ههنا وارموا التراب بعيد فتقدموا البطارقة وحفروا ساعة جيدة فظهر لهم طابق كبير من الرخام الأحمر فسمعوا دوى الماء من تحته وهو يهدر قال لهم الحـكيم اقلعوا هذه الرخامة فهى المقصوده ففعلوا ذلك واذا وقد ظهر المـاء من تحتها فقال لهم جعفر احفروا يسار الماء فحفروا فرأوا حجرا فتعاونوا فيه حتى قلعوه وإذا تحته جورة تبلع البحار وهى تسير من تحت الجبل فلما ان رفعوا ذلك الحجر نزل الماء جميعه فيها فقال لهم الحـكيم اطلعوا الآن وخلوا الماء على حاله فما بقى يدخل المدينة نقطة واحدة وهذا موضع لا يعبر اليه أحد والماء قد راح تحت الجبل

وإن لم يسلموها لنا وإلا فما يحسوا بنا ونحن عندهم فى وسط
البلد من هـــذا السرداب الذى كان الماء يدخل منه

(تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج وفيها من الفتوحات مايبهر العقول .

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السابع

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كلوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقالت الملكة ملطية وحق المسيح لو أراد الحكيم أن يعبر بنا وجميع الجيش من هذا المكان لفعل ثم أنهم عادوا إلى الخيام قبل الصباح ثم ان الملكه قالت لخواصها وحق المسيح لقد أبطأ خبر أختى باغه لانى قد قلت لها أرصلى السبى والمال الى ملطية واكتبى للملك كتاب بما جرى وبما فتح علينا المسيح وبما أخذنا من السبى والمال وان كانت مضت إلى القسطنطينية فما تعود إلا ومعها عساكر كثيرة ولله فى خلقه أسرار لا يعلمها إلا هو وهو بكل شىء لطيف وبالعباد رحيم (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من أهل امد والامير عبد الله وبنى سليم وعساكر العراق فانهم لبثوا ثلاثةأيامالى أن استراحوا وفى اليوم الرابع انقطع عنهم الماء فوجدوا ولذلك شدة عظيمة فقال عبد الله لصاحب امد تعرف من أين انقطاع الماء عن البلد فقال لا والله يا مولاى لان هذا المكان ما يقدر أحد أن يقطع الماء عنه وان تم الماء المقطوع عنا عشرة أيام هلكنا نحن والدواب لان هذه البلد قليلة الآبار لاجل أن الماء كثير ما يحفروا أبيار وهذا الشىء ماكان فى حسابى فقال الامير عبد الله عند ذلك كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أنهمأقاموا على ذلك الحال أول يوم وثانى يوم فنشفت العين وقد أشرفوا الخيل على الهلاك وكذلك المواشى فبقوا

كذلك ستة أيام فكادوا أن يهلكوا فقال الأمير عبد الله لاصحاب امد افتحوا لنا الابواب حتى إننا نخرج ونجاهد الكفار لعلنا نملك الماء الذين هم عليه فان ذلك أسلم لنا ولدوابنا ويكون يخرجوا منا قوم ينقلون الماء على الدواب (قال الراوى) ثم أنهم أقاموا على ذلك الكلام ويحسبون ما يريدوا أن يفعلوا إلى أن أظلم الظلام فعندها قال الامير عبد الله لاصحاب امد هل عندكم شيء من النفط فقال صاحب امد نعم أنا عندى نفط لا يقدر عليه أحد فقال له الامير أحضره لى حتى انني أفرقه على الرجال فاما أن ننال المقصود وإما أن نموت بسيوف الروم أهل الجحود ولا نموت موت الغبينه فنخسر الدنيا والآخرة فقال له الامير غشم افعل ما بدالك وأنا ورجالى تابعين مقالك ثم أنه أمر بحضور خوابى النفط فأحضرت فملأت القواوير وتسلمتها الرجال من العرب والاكراد المعده للجهاد وقد استكثروا من العده وخرج عبد الله فى بنى سليم ورجاله وعسكر العراق مع كل واحد قارورة نفط وبعضهم باثنين وثلاثة وساروا رجاله وقد اختلط الظلام وصاحوا الله أكبر فتح الله ونصر وكان أول من بدا لهم البطارقة التى على الحرس وسمعت الروم ذلك من الخيام فثاروا نحو الصياح وأقبلت الملكة ومعها من البطارقة رجال وركاب ولم يبق فى الخيام أحد إلا وركب وطلب الصياح والملكة تقول لا يهولكم أمر فهم بقية سيوفكم الذى دخلوا البلد ولو ثبتوا لم ينجو منهم أحد ولم يزالوا حتى قربوا من المسلمين وهموا أن يختلطوا بهم فما كان منهم إلا أنهم رموهم بقوارير النفط فى وجوههم فالتهبت الروم بالنار كأنها السحاب فتعلقت بلباسهم فعادت الروم إلى ورائهم فزعا مما أصابهم من الحريق وإذا بالصياح فى الخيام التى للروم ونداهم يا آل كلاب (قال الراوى) يا ساده ياكرام فكانت هذه أصوات بنى كلاب الذين كانوا فى ملطية كما ذكرنا فساروا حتى أشرفوا على امد فرأوا عساكر الروم فى هذا الحال وخيامهم خالية من الرجال ففى هذه الساعة أوقد فيها النار وزعق الحصين وقال يا بنى عمى دونكم والنفط فاحرقوا الخيام والحقوا أصحابكم أهل الاسلام فما هم إلا فى شدة عظيمة وإلا ما كانوا خرجوا فى ظلام الليل ثم أنه فرق عليهم النفط وأمرهم بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وضربوا النفط فى الخيام من كل جانب ومكان ففى تلك الساعة عادوا الروم فزعين من النار من أهل البلد فرأوا النار فى الخيام فاندهشت عقولهم وتحيروا وساروا بين

بحرين زاخرين وقد أخذهم الصياح من الجهتين فوقع بهم الانبهار هـذا وقد فزعت الخيل من النار فطلبت الفرار فكان بعضهم لا يعرف الثانى من التهاب النار فى الفارس والفرس ومن وصل منهم إلى الخيام أخذوه بنى كلاب ومنهم من يرمى نفسه إلى البلد من حلاوة الروح وكان بالأمر المقدر أن تلك الليلة كانت كثيرة الأرياح كما يشاء الملك الفتاح فصارت النار تلتقطهم وتتعلق بأجسادهم وثيابهم والأرض عليهم ضاقت وهم يتجرعون كاس المنون والمسلمون وقد اشتفت منهم الصدور وتوسلوا بالملك الغفور وكلما طال الليل زاد لهيب النار وقد غضب عليهم الملك الجبار (قال الراوى) فوالله ما طلع النهار وبقى من الكفار ديار ولا نافخ نار وقد احترقت الملكة ملطيه وجميع ما معها من البطارقة والذى سلم منهم أسروه بنى كلاب فكان جملة الأسرى عشرين ألف أسير وبقيت النار تلتهب إلى ضحى النهار فتبادروا لها الناس بالطفى وقد انطبقت الجبال والأحجار وصارت البريه من حول آمد كأنها غمامة سوداء هذا وقد أقاموا فى طفى النار يوم وليلة حتى عبرت لهم بنى كلاب واجتمعت الأحباب بالأحباب ودخلوا البلد فرحين بالنصر وشكروا الله تعالى على النجاة وقد حدثوا بنى كلاب الأمير عبد الله بقتل باغـه وخلاص السبى وفتح ملطيه وقالوا اننا قد عولنا على الاقامة فيها ونأكل حلال طيب من أموال الروم ونعبد الحى القيوم فقال لهم الأمير عبد الله هذا. هو الصواب وما فى الأمر إلا اننا نكاتب أهلنا والأولاد ونرسل من يأتى بهم إلى ههنا من أرض الحجاز فقال الأمير مظلوم أنا أمضى فى نفر من بنى عمى وآتيكم بكل ما يتعلق بكم وبنا وخلفائنا وخلفائكم ولكن أريد الكتب إلى سائر بنى سليم فقال الأمير عبد الله أنا أفعل ذلك (قال الراوى) ثم بعد ذلك تركوا البطارقة فى الحبال وقد أعرضوا عليهم الاسلام والفدا فمن أسلم أطلقوه ومن أبى قتلوه ومن اشترى نفسه بالمال أبقوه هذا وقد جمعوا الغنيمة وأخرجوا منها الخمس لبيت مال المسلمين وعزلوا للخليفة قسم وقسموا الباقى على جميع المجاهدين بالسوية وكتب الأمير عبد الله الكتب إلى سائر بنى سليم يأمرهم بالرحيل وقد كتبوا إلى المنصور يبشروه بالنصر ويعرفوه بما جرى وكيف ملكوا ملطيه على يد الأميرة ذات الهمة وبنى كلاب وقد تجهزوا جماعة مع الأمير مظلوم وهم مائتين فارس وسار طالب العراق ومعه التحف والأموال والخمس من الغنيمة وبعد مسير

مظلوم خرج الأمير عبد الله ومعه الأمير غشم صاحب آمد وجعلوا يدورون على المكان الذى قطع منه الماء فما وقعوا به ولا استدلوا عليه فعندها ضاقت صدورهم وبقوا مهمومين وباتوا ليلتهم فقال الأمير الحصين للأمير عبد الله إننى رأيتكما وقد رجعتما وأنتما ضيقان الصدر فقال له عبد الله يا ابن العم أما حدثناك أن الماء قد انقطع عنا ونحن محصورين فى الحصار وكنا أشرفنا على الهلاك ولما ان فرج الله عنا خرجنا ندور على الموضع الذى انقطع منه الماء فما وجدناه إلى الآن فضحك الحصين وقال له قم أنا وأنت يا ابن العم وصاحب البلد حتى ندخل فى السرداب ونمشى فيه الى أن نقف على المكان الذى يأتينا منه الماء (قال الراوى) لهذا الكلام (يا ساده يا كرام) فلما إن سمع الأمير عبد الله ذلك الكلام تعجب من فطنته وقد أعاد على الأمير غشم ما قال الحصين ففرح الملك ثم أنهم من وقتهم وساعتهم وساروا إلى العين وأخذوا معهم ثلاثة من الأرض الرومية ومشاعل قدامهم ونزلوا فيه وكان سرداب عظيم ولم يزالوا سائرين فيه إلى أن سمعوا حس الماء وهو نازل فى تلك القناة ثم خرجرا من ذلك المكان الذى فيه الحفر فأمروا الارمن بسد ذلك المكان الذى فيه الماء نازل بالصخر والاحجار وعادواوقد ردوا الطابق الرخام إلى مكانه وعملوا الصخرة الكبيرة كما كانت أول مرة وقد أخفوا أمرها ولما فرغوا من أشغالهم هموا بالعودة فأخذ غشم البطارقة وضرب رقابهم وعادوا إلى البلد والأمير عبد الله يقول للأمير غشم والله لقد أصبت بقتلك الارمن ثم أنهم دخلوا امد فوجدوا الماء سبقهم وعاد كما كان عليه أول فشكروا الله تعالى على ذلك وعند الصباح وصل الأمير عبد الله فى بنى كلاب وبنى سليم إلى أمتعتهم وأمر بتحميل الجمال والمسير إلى ملطية وصارت ذو الهمه أقرب الناس إلى الأمير عبد الله وقد أحبها محبة عظيمة لأجل ما فيها من الفروسية والشجاعة ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ملطية فرأوها بلد كبيره وأصوارها حصينة مشيدة الأركان والابراج كأنها القمر الوهاج ففرحوا بذلك وخرج الأمير سعيد بن الفرج إلى لقائهم وبالنصر هنأهم هذا وقد ضربت الأميرة ذو الهمة خيامها بظاهر المدينة على نهر اسمه البدنون ثم قالت لمن معها إن هذه بلد مليحة وما لنا إلا نجعل مقامنا ههنا ونكون قريبين من الجهـــاد فى الروم (قال الراوى) ثم أن بنى كلاب تقاسموا البلد وتلك الارض ودخلت ذو الهمة إلى البلد وأمرت أن تبنى البيعة جامع

كبير ودار كبيره برسم الاماره وأمرت بعمارتها فلما إن كان من الغد ركب الامير عبد الله وخرج إلى ظاهر البلد وركبت ذو الهمه وابن عمها الحارث وأبوه ظالم وسائر بنى كلاب وساروا حتى أشرفوا على القلاع يدبرون فى أخذها فلما أن وصلوا اليها رأوها خالية وخاوية عروشها والبطارقة الذين كانوا بها هربو بالليل لانهم كانوا قويين القلب بالملكه ملطية ويقولون أنها تعود اليهم من بلاد الاسلام فلما إن سمعوا بهلاكها وهلاك أختها وهلاك عساكر الروم وان المسلمين عولوا على الإقامة فى ملطية فعلموا أنهم ان أقاموا هلكوا لاجل المؤنه وقرب المسلمين منهم فنزلوا من قلاعهم من أول الليل وطلبوا بلاد الروم فلما ان نظرت الاميره إلى القلاع خاوية قالت والله هذا الحساب الذى حسبته وقد علمت أنهم يهربون ففرح الامير عبد الله بذلك ثم قال يا أميره هذه القلاع صارت برسمك وفيها يكون مقامك فشكرته على ذلك وغيرت أساميهم قلعة المشرفية وقلعة الحكم وحصن المنشار وقلعة الكوكب وقلعة المنجنيق وكانت أكبر القلاع ثم أنها قال للأمير عبد الله نحن نكون عندك بظاهر ملطية فى الخيام لاننا تعودنا البر والقلاع وتكون عدة لنا إذا أدهمنا أمر من عدو ثم إنها سكنت فيها من بنى كلاب من يحفظها وعادت مع الامير عبد الله إلى ملطية ونزلت فى الخيام (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الامير مظلوم فإنه لم يزل سائر إلى أن وصل إلى بغداد فوجدها منقلبة والإمام المنصور قد توفى وقد تولى بعده الامير الهادى بالله والولاه قد أتت اليه من سائر الاقطار يهنوه بالخلافة فدخل مظلوم على الهادى مع جملة الامراء فكانت هيبته عظيمة ومرتبته جسيمة فقبل الارض مظلوم بين يديه وقد سلم الكتب التى معه للخادم فسلمهم الخادم إلى الهادى بالله فلما أن قرأهم وفهم مضمونهم وجد فيهم مدح ودعاء للمنصور فقال القوم ما عندهم خبر من موته فعذرهم فى ذلك وقد قرأ الكتب إلى اخرها فسمع بكسر الروم وأخذ ملطية والثغور وإقامة المسلمين فيها ففرح بذلك وأعجبه ما سمع من وصف الاميره ذو الهمه وقد قاد مظلوم السبى الذى معه والبطارقة فى الحديد والمال فسر قلب الامير الهادى بذلك سرورا عظيما وأمر أن يعرض على البطارقة الاسلام فلم يجب منهم أحد فأمر أن يضرب رقابهم فضربت ورفعت الاموال إلى بيت المال وقال هذا يكون للمجاهدين وقد خلع على الامير مظلوم وأرسل الخلع إلى الامير عبد الله

وكتب له المنشور بالولاية وبالامارة وقد أنفذ لذو الهمة وبنى كلاب وبنى سليم الخلع السنية فقبل مظلوم الارض وودع الخليفة وسار إلى أرض الحجاز ولما ان عبرها أوصل الكتب الذى أرسلها الأمير عبد الله إلى بنى سليم فأجابوا بالسمع والطاعة وقد حكى لبنى كلاب بما قد جاءهم من الغنيمة ففرحوا بذلك وقد رحلوا من يومهم ثم شدوا الهوادج على الجمال وساروا بالأهل والعيال والأولاد وبنى سليم قد اجتمعوا فى خلق لا تحصى بعدد الرمل والحصى وساروا يقطعون المنازل والمناهل ليلا ونهار إلى أن أشرفوا على ملطيه وقد سبق البشير إلى البلد فركبوا الناس إلى لقائهم والأمير عبد الله وظالم وولده الحارث وذو الهمة فى أوائل القوم فأعطاهم مظلوم الخلع التى قد سيرها معه الخليفة وأعطى المنشور للأمير عبد الله والخلع للأميرة ذات الهمة وظالم والحارث وجميع الأمراء من القبيلتين ففرحوا بذلك واجتمعت الأحباب بالأحباب ونزلت الناس بأهاليهم واولادهم ودخلوا بنى سليم إلى ملطيه وقد نزلوا بنى كلاب بظاهر البلد فى الأبيات (قال الراوى) هذا وقد علمت الناس بعمارة ملطيه وبلاد الثغور فقصدوها من كل جانب ومكان وقد صار فيها من النصارى ومن الأرمن ناس كثير وعمرت الضياع والبساتين وعملوا داخل البلد الدور والمساجد والمدارس والأسواق وساروا الناس فى الأخذ والعطا والبيع والشراء والرخا والامن هذا وفرسان بنى كلاب وبنى سليم كل يوم يركبون ويلعبون ويتطاعنون بالرماح وفى تلك الأرض يتنزهون وكذلك ذو الهمة والحارث فى قلبه منها نار لا تطفى واهيب لا يشفى وهى مكتوبة الكتاب عليه غير انه لا يقدر يتقدم لها ولا يسألها وهو يشكو حاله لكل من لقاه من بنى سليم وبنى كلاب فأشار عليه شيخ من بنى سليم وقال له أنا أدلك على من يقضى حاجتك ويبلغك إرادتك وهو غلام من بنى عمنا يقال له عقبة بن مصعب فهو مفرد زمانه فى هذه الامور وأعرفهم فى الحيل لانه منذ نشأ ما له شغل إلا القراءة فى الكتب المتقدمة من كتب الحكماء المعروفين فهو يبلغك غرضك اما بكتاب يكتبه أو شيء يعطيه لك تسقيه لابنة عمك فتنال مقصودك منها بذلك أو بغيره (قال الراوى) فلما ان سمع الحارث من ذلك الشيخ هذا الكلام تعلق قلبه بالوعد ثم انه رجع إلى مضربه وهو يقول لابد لى أن أجتمع بهذا الرجل لعله يكشف عنى بعض ما بى

من الغرام (قال الراوى) وكان عقبة قد نشأ فى بنى سليم نشو العرب وما كان أحداً يقع له على مذهب وقد ذكروا المنام الذى رأته أمه لما ان كانت حامل به وانها قد فسرته على الحكماء فقالوا لها يأتيكى ولد شرانى يلقى الفتن بين الناس من النساء والرجال ويكون سفاك الدماء كثير الحيل والزنا مفسد فى الدين عاصى لرب العالمين فاحفظى سرك ولا تشيعيه واكتميه وإذا رزقتيه فاهجريه فعندها كتمت عاليه أمر عقبة ولم يطلع على هذا الكلام أحد ولما ان ولدت عقبة لم تجد له فى قلبها حلاوة الاولاد لانها رأت آثار العلامات عليه وظهرت فيه من الصغر لانه مايخطى بين يديها إلا ويفسد كل شىء حواليها إلى أن كبر ونشا فكان يلقى الفتن والشر بين النساء فى الحى وهم لا يؤاخذوه لصغر سنه فلما ان كبر صار كل يوم يتولع بالخط ويدور على أصحاب الاقلام حتى استوى فسار فى الأرض وترك الحال والأوطان وجعل يدور البلدان ويدخل المدارس ويخالط العلماء وكان معروفا بالزكا والفهم ولا يسمع شىء قط إلا حفظه حتى صار حكيما فيلسوفا ثم ذهب وفتش إلى أن قرأ التوراة والإنجيل والقرآن وحفظ الجميع وقد اطلع على كل علم ومذهب وكان فى العرب من يقول انه دهريا لا يميل إلى شىء من الأديان وهم يقولون انه زاهد وعابد ويتوسمون فيه الخير والدين وهو فى الباطن مفسود اليقين (قال الراوى) هذا وقد كان الحارث لما ان عاد إلى مضربه عمل شىء من الحلاوات وأنفذ خلف الفقيه عقبة فأتى اليه وهو خالى من الناس فى مضربه وقدم اليه الحلاوة فأكل هو والذى دله عليه ثم أقبل الرجل الذى أعلم الحارث بحديثه على عقبة وقال له يا ابن العم اعلم ان الحارث قد أعلمته بمقامك وجمعت بينك وبينه وان له حديث يريد أن يطلعك عليه الساعه فساعده على مطلوبه فقال سمعاً وطاعة فعند ذلك بكا الحارث وشكا لعقبة من هوى ابنة عمه وقال له الحارث وحق الرب فالق الحب ان أنا وصلت إلى ما أريد فلك عندى مائة دينار وثوب ديباج وعمامة وفرس من جياد خيلى إذا أنت قضيت حاجتى (قال الراوى) فلما ان سمع عقبة ذلك من الحارث قال له يا أمير اعلم ان هذا الأمر أريد اخفاه وكتمانه وما أريد أحدا يشيع عنى هذا الحديث ثم انه قال اعلم ان هذه ابنة عمك من يقوم بها فقال له يا أخى ما عندها أحد أحظى من أخيها فى الرضاع مرزوق الذى تربا معها على ثدى واحد وهو يصحبها فى السفر والحضر فلما ان سمع منه ذلك قال له عقبة قد قضيت حاجتك ثم انه أخرج له من تحت ابطه صرة وأخرج منها شىء معجون

وأعطاه منه وزن دانق وقال يا أخى احتفظ على هذا معك فاذا خرجت أنا من عندك فاستدعى بأخيها مرزوق وأعطيه شيء من المال ورغبه وقل له يا أخى أنى اريدمنك أن تضع هذا لسيدتك فى الطعام أو فى الشراب حتى أبلغ منها مرادى وأنت تعلم أنها بنت عمى وحلالى وما نعمل فيها شيء حرام ولا معصية فإن رضى وأخذ منك شيء وأخذ الدواء وأطعمها إياه فقد بلغت مناك (قال الراوى) يا ساده يا كرام وكان هذا الدواء الذى أعطاه له عقبة بنج طيار اقربطشى مصحون بالكبريت الأزرق لو طعم منه حبة لجمل لغاب عن الوجود جمعة وكان عقبه يعمله ويجيبه معه لأنه فاسق يهوى النسوان وكان إذا مرت به امرأة جميلة لزيارته لما تسمع عنه من الديانة والصلاح فيبنجها ويفسق بها هذا كان حاله لعنه الله ولما ان أخذ منه الحارث البنج أرسل خلف مرزوق وقال له يا أخى أنت تعلم أن ذات الهمة ابنة عمى وكتابها مكتوب على من أيام المنصور وقد رأيت ما جرى لنا وما قاسينا من شأنها وإنى أريد منك أن تعاونى عليها وهذه ألف دينار منى اليك تقضى بها حوائجك فقال مرزوق وما الذى تطلب أن أفعله لك أطلعنى على سرك وأوضح لى أمرك فاعلمه الحارث بالحال وقال له أريد منك يا أخى تأخذ هذا الدواء وتلقيه لها فى القدح الذى تشرب منه عند نزولها من الصيد أسقيهـــا الدواء فى الشراب وهذه ألف دينار حلال لك فقال له مرزوق ما أخذ منك شيء إلى أن تنقضى حاجتك لانها ابنة عمك وحلالك (قال الراوى) هذا وقد أخذ مرزوق منه الدواء وخرج من عنده وقد أقام الحارث إلى الغد وركب وطلب الصيد وركبت ذات الهمة معه تجولوا فى البر والوحش ينفر من بين أيديهم وهم يطردوا خلفه وقد أبعدوا فى البر وبنى كلاب يطردون خلف الوحش حتى حمى الحر فقاموا يطلبون ملطية فعادت ذات الهمة وهى عطشانه مما قاست من شدة الهجير فلما إن أقبلت تلقاها مرزوق بالقدح والشراب وقد أجاد الحيله ودبر المكيده وحط الدواء فى القدح ولاقاها به فأخذته منه لثقتها به وعلمها أنه ألا يخونها ولا تبلغ منها أحد أمل فشربته بعد ما نزلت عن جوادها فما هو إلا أن استقر فى جوفها حتى مالت على فراشها لا تعلم الليل من النهار وكان الحارث أوعد مرزوق يأتى إليه ويعلمه أنها شربت فلما تمكن منها الشراب وصل للحارث وقال له هلم إلى ما أنت طالب فقال له الحارث فعلت يا مرزوق فقال نعم ادخل اليها فقد أمكنتك القدرة منها فلما أن سمع كلامه قال له ادخل قدامى أنت وحرك يديها حتى

أنظر كيف تعمل (قال الرزوى) فدنا منها مرزوق وحركها وإذا هى كالخشبة فلما ان رآها مرزوق على هذه الحالة ندم على ما فعل وقال يعز على والله ما جرى غير أن الشرع حكم بذلك الامر وحلله هذا والحارث قد أقبل عليها وقلبه يخفق وهو يظن أنه فى منام أو أضغاث أحلام ثم حل سراويلها ثم لقى تحته سروال من الحلل الاديم الطائفى محبوك الساق لانها كانت عليها صيغتها فتحير الحارث وهو يتعجب من تحرزها على نفسها ولم يدر ما يفعل فأخذ سكين وقور مكان الحاجه من سروالها وواقعها إلى أن نزل دمها وبعد فراغه من قضاء حاجته تركها على حالها وخرج وهو فرحان ببلوغ الآمال وطفا ناره واستراح فؤاده فعندها أنشد وقال :

نلت الوصال وقد بلغت مرادى ممن أحب وكان ذا أعيادى
وبلغت قصدى بالذى من دونها طعناً يفك علائق الاكبادى

(قال الراوى) وكان ذلك بقدرة الله وحلمه لما يريده الله من إظهار ترس قبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الانجاب وهو الليث المهاب والاسد الوثاب والبطل المهاب الامير عبد الوهاب قال ياكرام فما قام الحارث عنها حتى علقت منه بإذن الله تعالى لانفاذ الارادة والقدرة فلما إن رآه مرزوق خرج من عندها وهو ينشد الاشعار علم أنه نال غرضه فقال له اهرب ياحارث وإلا والله إن وقعت تحت يدها لقتلتك أشر قتله فمضى الحارث وقد أعلم أبوه بما فعل فاعلم ظالم أخاه مظلوم وقد قال الحارث لعمه مظلوم أنا عولت على الهروب فقال له عمه ولاى شيء تهرب عن أهلك فما فعلت إلا خير فابشر بزوال الهم والصبر ثم أنه سار إلى مضرب ابنته ذو الهمة وقعد على الباب ولم يزل يحرسها إلى أن أفاقت وقد تقايت البنج من جوفها هذا ومرزوق ندم ندامة عظيمة من إساءة التدبير وبما عرض عليه الحارث من المال ولم يأخذه (قال الراوى) يا ساده ياكرام ولما إن أفاقت ذات الهمه ونظرت إلى نفسها فى ذلك الحال أرادت أن تقعد فلم تستطيع من شدة البنج ثم أنها تقايته مثل قوالب الجبن فعلمت أن الحيلة تمت عليها فصاحت فى مرزوق وقالت له يا عبد السوء يا خائن هل يليق بك هذا العمل بعد التربية والامن يا خوان تملك منى الاعداء لاكنت ولاكان ولا عمرت بمثلك أوطان ثم وثبت عليه وجردت الحسام وأرادت أن تعلوه بالسيف فقام لها أبوها ومنعها عنه وقال لها يا بنية لاتفعلى ولاتخرجى من شريعة النبى محمد صلى الله عليه وسلم فما فى الحلال من عيب وما هذا ينقص

قدرك فدعى عنكى هذه النفس فقد رغم الشرع أنف الغير واعلمى أن الله تعالى ما خلق النساء إلا للرجال فارضى بما قضى الله وحكم به عليكى وخذيه يا بنيه بقبول (قال الراوى) فلما ان سمعت كلام أبيها أطرقت إلى الارض براسها من الخجل وقد رمت بالسيف من يدها وقالت وحق نبي الرحمة وسراج الظلمة ومصباح الامة لان رجع الحارث ووقع بين يدى لاقتلنه أشر قتله ودخلت النار بسببه ثم أنها ألزمت البيت وحرمت الركوب واحتجبت وأظهرت المرض والكسل وكانوا جميع الامراء يأتوا اليها والامير عبد الله يأتى اليها زاير ويتوجع لوجعها هذا كله يجرى وسرها مخفى غير معلوم والايام تمضى الى أن آن أوان الولادة بقدرة صاحب الارادة وجاءها الطلق بإذن خالق الخلق وقد آن ظهور الولد كما يشاء الفرد الصمد وسبقت المشيئة والارادة فى علم غيبه المكنون الذى يقول للشىء كن فيكون بأن يكون هذا المولود سيف الله المسلول وترس قبر النبى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فعندها أخفت ذات الهمة الوجع وتجالدت وأعانها على الولادة صاحب الارادة فولدت غلام عند السحر ولونه مثل الليل المنعكر أسود أغبر مفتول الذراعين أسود العينين أزج الحاجبين (قال الراوى) فلما ان رأته النسوان وقعت عليهم الخمده وقالوا لها يا ستى ذات الهمة قد جاء منكى ولد أسود وأنتى وأباه أبيضين فحزنوا النسوان من ذلك الشأن وبكين فى وجه ذات الهمه وقالوا لها يا أميره ما هذه الأمور التى تمت عليكى ونحن لا نعرفك إلا طاهرة الذيل برية الشك والميل فما هـذا الأمر الذى تم عليكى اعلمينا بقصتك فقالت لهم ذات الهمـه أعوذ بالله أن يكون لامرى باطن وظاهر وهذا الولد صنعة الملك القادر الذى يضع الأكابر ويرفع الأصاغر وهو الأول والآخر يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويخرج الابيض من الاسود ويخرج الاسود من الأبيض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وما أعرف غير هذا فقالت بعض النسوان العواهر دعى عنكى يا فاطمه هذه المحاججه فليس فى كل وقت ينجح الطلب وأنا عندى من حسن رأى أن تقطعى سرة هذا الغلام وتخفى أمره لئلا يبقى معيره إلى يوم القيامة وهو يوم الدين وتفضحى بين يدى رب العالمين والصواب قتله وإلا هلكتى بسببه فقالت لها النسوان والله لقد قالت الصواب أختنا لئلا تفضحى بين الأعداء فزعقت فيهم ذات الهمة وأمرتهم بالخروج ثم أنها قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبحان الذى صوره فى

ظلمات الأحشا ولا أخاف من الحق ولا أخشى ولا أقتل نفسى طاهرة من زواج صحيح وعقـد رجيح عقده خليفة الله المنصور ثانى خلفاء بنى العباس المبرئين من الأدناس وأنا امرأة قد اشتغلت بالآخرة عن الدنيا الساحره ومالى حاجة فى زواج ولا فى غيره وإنما أريد وجه الله العلى الأعلى فمن شاء أن يغضب ومن شاء أن يرضى ولله فى هذا ارادة وليس للعبد تصريف مع مولاه ثم أنها أشارت تقول :

لقد نفذ المقدور فى أهل منصب ... لهم شرف عن قول واش وكاذب
وقد علم الرحمن أنى بريه ... أروم قتال للعدا بالقواضب
وكان بأمر الله ما تعلمونه ... وما نلته حتى عـدمت مطالبي
وأوقعنى بالبنج حتى تغيرت ... خواطر عقلى مع رشيد مذاهبي
وكان الذى قد خط فى اللوح كائن ... وان قضاء الله غير مغالب
ليأت لنا هذا الذى قد رزقته ... يحاكى الدجا فى لونه والغياهب
لقد عظمت هذى الرزية اذاغدت ... تفوق على آفاقهـا بالمصائب
ولست وبيت الله أطلب قتله ... وما القتل فى شرع النبى بواجب
وما هو الا ابن من تعرفونه ... بحق وصدق ظاهر غير كاذب
لعل له شأن من الشأن كامن ... ومن ذا يريد الحكم عن قصد غالب
وقد علم الخلاق أنى برية ... مطهرة عن قبح فعل المعايب
بريت من الاسلام ان كنت أبتغى ... سوى الله محبوبا لقلبى وقالبى

(قال الراوى) فلما أن سمعت النسوان قولها صدقوها وقالوا لها يا أميره ان عذرك قبلناه ولكن من يراه غيرنا لا يصدقك فان كان ولا بد فاعطيه لنا نقتله ونشيع نحن فى الحى أنكى قدرزقتى ولد من الحارث ومات ورماه الزمان بصروف الآفات لأن الخلق ما خلقوا الا للموت والموت عام على الناس من صغير وكبير كما قيل .

وكم رأينا وليـد قوم ... قد مات اذا حانت الأمور
سبحان من قضى بهـذا ... فهو على كل شىء قدير

(قال الراوى) فلما سمعت ذات الهمة من النساء هذا الكلام قالت ما قلتم يا بنات العربان الكرام فى هـذا الكلام فاما قتله فلا يجوز فى دين الاسلام فكفوا عن هذا الكلام وارجعوا الى الملك العلام خالق الضيا والظلام ثم أنها أمرت بتسليم الولد الى بعض الحواضن وقالت هذا وهبة من الله وودعته الى أن كبر فسموه عبد الوهاب

فتسلمته الحاضنة وقد زعموا النساء أن يكتموا هـذا الأمر الذى جرى ولا يخبروا به أحداً من الورى هذا وقد شاع فى الحى ان ذات الهمة رزقت ولداً من الحارث ومات فعظم على أهل الحى ذلك وقالوا حـين سمعوا ذلك المقال والله لو عاش كان يحى حينا هـذا وقد بلغ الخبر أبوه الحارث فصعب عليه وقد سمع بأنها حلفت ان وقع فى يدها تقتله نخاف على نفسه وصار أكثر اقامته فى القلاع وصارت الأميرة كل يوم تركب وتسير فلا تراه ولا تقع له على أثر وان الحارث دخل على الأمـير عبد الله فى الخفية وأعلمه بالقضية وان ذات الهمة جابت ولد ذكر ومات وقد تحلفت لى فى القتل وأنا خائف منها وتقع الفتنة فلما ان سمع الأمير عبدالله ذلك تعجب وقال يا حارث الله يعلم انك أخطأت على نفسك وان كنت ما تجاوزت الشرع ولـكن أنا اركب غد وأصلح بينكم ففرح الحارث بذلك وباتوا تلك الليلة ولما ان كان عند الصباح ركب الأمـير عبد الله فى وجوه بنى سليم وركبت ذات الهمة للسلام على الامير فلما ان رآها ضحك فى وجهها وقد اعتزل بها عن المواكب وأعلمها انه علم بالقضية التى جرت ثم انه سـألها على ذلك وان تـكف الفتنة وقال لهـا لا تظهرى ما انـكتم لأن هـذا جرى به القـلم فاستحت الأميرة من ذلك وقالت له قد أجبتك إلى سؤالك وما أساء إلا ابن عمى ولـكن ما أريد أن يلم بى فقال لها الأمير عبد الله وأنا أمنعه من ذلك ثم انه عاد إلى الحارث وأعلمه بما جرى فصبر الحارث وفى قلبه النار وأقاموا على المبـاعدة أيام وشهور حتى صار عبد الوهاب له من العمر أربع سنين وصار يلعب بين الاطناب ويصارع الصبيان وصارت تلقنه القرآن وتعلمه الفرائض والسـنن والطهارة وهو ينشو وأمره مكتوم غير معلوم إلى أن صار له من العمر ست سنين وهو يظن انـ أمه هى التى تربيه فقال يوم من الأيام يا أماه اشترى لى فرس أتفرس عليه بين الأبطال فانى إذا كبرت نفعتك فقالت له وقد تعجبت من مقاله يا بنى أنا امرأة صعلوكة ولا بد لى أن أطلب الذى قد طلبت منى من الاجواد ثم انها أتت إلى الاميرة ذات الهمة وأعادت عليها قول عبد الوهاب ففرحت به وقالت لها يا أختى احمليه الى فى الليل وخذيه فى النهار حتى أبصر فضائله وأتأمل دلائله فقالت لها سمعاً وطاعة (قال الراوى) يا سـادة يا كرام ثم انها صارت تأتى لها به بالليل وتأخـذه بالنهار وما زالت كذلك الى أن حنت عليه الاميرة ذات الهمة وقد قطعته عندها ليـــلا ونهارا وقد فرحت بنظره وصارت لا تصبر عنه ساعة واحدة وكانـ للأميرة ذات الهمة جارية يقال

لها سعدى وكانت تحب بعض غلمان الحارث فاطلعته على القضية وكان اسم الغلام سعد وكان قد خلا بسعدى ذات ليلة فقال لها أن مولاى الحارث فى قلبه النار من جهة الاميرة ذات الهمة وهو يراها اسفا فى الحياة فقالت له الجارية ياسعد انى أحدثك بحديث يكون سبب قتلها وتفتضح به وتنكس نفسها وربما أن تقوم نفس مولاك منها ولا يرجع يراها وقد عادت عليه القضية وقالت أن الأميرة ولدت مولودا اسود وهو من بعض العبيد وقد اخفته من الناس حتى لا يتهموها بمرزوق وهى تدعى انه ولد الحارث فلما أن سمع العبد ذلك وثب مسرعا إلى الحارث وأبوه ظالم وقد أخبرهما بما سمع من الجاريه فكادت عقولهما تختل فقال له الحارث ياسعد ائتنى بالجارية فعند ذلك عاد العبد راجعا وعاد بالامة فسألوها عن القضية فاعادت عليهم خبر عبد الوهاب وكيف هو مخفى من سواده وهو ولد زنا وقد هجرتك ايها السيد العميد واختارت لها بعض العبيد لانها تربت معهم ولا تميل الا اليهم ولا تطرح نفسها الا عليهم فقال ياسعدى يالهذا العجب كيف تطلعينا على هذا السبب حتى نعلم صدق قولك فقالت يا مولاى اخبرك اذا جاء الليل خذوا معكم بعض المشايخ حتى يروا ويشهدوا واهجموا على الغلام تجدوه الى جانبها وهو أسود وهى تخفى مصايبها فلما أن سمع الحارث وظالم كلامها شكروها وقالا لها ياسعدى ماننكر لكى هذا الجميل أبد فاذا رأيتيه نايم بجنبها تعالى واعلمينا فقالت سمعا وطاعه ثم انها مضت الى المنزل وصارت ترقب الى أن أقبل الليل الداجى فجمع الحارث وأبيه جماعة من أكابر الحى وقد حدثوهم بالقضية فقالوا لهم اغتنموا الفرصة (قال الراوى) فاجتمعوا من حوله كثير من الشياطين مقصودهم هتك ستر الأميرة ذات الهمة حسدا منهم لما أعطاها الله من الشجاعة فلما أن مضى قليل من الليل أتت سعدى تجرى وتشيرلهم بهذه الابيات .

استدركوا ابن الزنا فى صدرها ☆ واهتكوا بين الأنام سترها
فقد بدا فى الناس حقا سرها ☆ ولاح فى هذا الظلام امرها
وابنها قدامها يسرها ☆ فاقطعوا لى بالحسام عمرها

(قال الراوى) فلما أن سمع الحارث وظالم منها هذه الأبيات وثبوا الى ذات الهمة يريدون قتلها فلمان أن وصلوا الى مضربها كان أول من هجم عليها الحارث وزعق بها ظالم يا فاطمه أورينا ولدنا عبد الوهاب الولد المبارك فلا تخفيه عنا يا كريمة العرب

ويا سيدة النسب ولم تنزكيه وكان قصد ظالم انها تعرفه به ولا تنكره ليكون لهم به حجة عليها فتقدم اليها وهو يقول

أرينا حبيب القلب لو كان لونه كلون ظلام أو طلعة أسود

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما ان سمعت الأميرة كلام عمها انخدعت له وظنت ان كلامه صحيح فنبهت عبد الوهاب وقالت هذا ولدكم فانظروه ثم انها التفتت وإذا بالجمع العظيم قد غشيها فانقلبت عينها فى أم رأسها ثم قالت ما أخبـاركم يا أهل الحى أراكم اجتمعتم وجئتم فقالوا لها أورينا هذا الغلام الاسود فقالت لهم هذا ولدكم عبد الوهاب وما كتمته إلى الآن إلا حتى يطمع فيه الحارث ويجتمع به ويطلب القرب منى حتى يتقرب إلى به وحق من خلق الحبـة وبرأ النسمة وتردى بالعظمة لايحظى بى زوج بعدها أبدا لاهو ولاغيره وذلك ان الموت أقرب من الحياة فقال لها ظالم صدقتى يا أميرة كلنا إلى ما قد ذكرتى سائرين وإلى الموت واردين وقد علمنا ان سيد المرسلين انتقل بالوفاة وقربه اليه مولاه ولكن أين ولدنا يا أميرة العرب فقالت له هذا ولدكم فتأملوه وإذا هو له لون عجيب وذلك ان ذات الهمة كانت أجمل النساء وجها وأصفاهن بياضاً ساطعة لامعة وكان الحارث أبيض اللون حسن الوجه وكان عبد الوهاب أسود عميق السواد كأنه بعض أولاد النوبة ولكن له قلب لو وضع منه وزن درهم على قلب اسود فى الدنيا لكان يرى أبيضاً نقيا (قال الراوى) فسوف يكون لهذا الغـلام الاسود أحاديث عجيبة وأمور غريبة نذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى هذا وان عبد الوهاب لما أورته أمه للناس ورأوا سواده ضحك ظالم حتى استلقى على قفاه وقال واطيباه يا ذات الهمة من أين هذا الولد الذى له فرطوسه كفرطوسة العجل فقد انهتك به سترك وبان للخلق أمرك ولأجل هـذا قاتى ما أريد الحارث حتى انكى تختلين مع العبد مرزوق ثم ان ظالم امتشق السيف وهجم على الأميرة ذات الهمة وعاجلها وضربها فجرحها جرح فضيح فعند ذلك زعقت بالدين الاسلام وقد وثبت إلى سيفها وأشهرته وقالت يا كاب العرب ما هذه الفعال يا أخس الرجال هذا وقد رفع الحارث سيفه وضرب به عبد الوهاب فلولا انه كان انهزم من قدامه كان أمضى عليه إلا ان السيف لحقه فجرحه وسال دمه من رأسه فصرخ عبد الوهاب وقال واقوماه والله لئن كانت لى حياة لكان قتلك على يدى هذا وقد تزاعقت العرب وبلغ الخبر إلى الأمير مظلوم فجاء فى جماعة

من رجاله ووقع السيف بينهم إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ولم يبق فى البلد أحد إلا وسار اليهم ودخل عليهم وقال أعيدوا علينا هذه القضية حتى نقضى بينكم بالسويه فقالوا للأمير عبد الله اعمل لنا مجلس حكم وافصل لنا فى هذه القضية فجلس الأمير عبد الله على كرسى من العاج وهو مصفح بالذهب الوهاج وقد أحضر القوم بين يديه فوثب الحارث كأنه مجنون وعيناه تقدح شرار وشخر ونخر وقال أيها الأمير والسيد النضير الخطير أتتم تلومونى على ذات الهمة وعلكم أنها ابنة عمى وعارها وشنارها على وواصل إلى وإن بغضتها لى زهدا فى وإنما كان لها سبب عظيم عجيب وذلك أنها تميل إلى العبيد وقد حملت منهم وجابت ولدا أسود ولد زنا وادعت انه ابنى وقد سمته عبد الوهاب وهو أسود من الليل البهيم وذلك أن القدر غرها وانقضى حتى قرت انه ابنها وأنا أبيض وهى بيضاء فمن أين يأتينا السواد وكيف هذا الأمر يا أجواد ثم أنه أنشد وجعل يقول :

عبيد الله قد عظم اللهيب	بقلبى حين قد بدت العيوب
وقلبى كان يعشقها قديما	على صدق وقد قست القلوب
أتت بابن الزناء وليس منى	وقالت انه ولدى كذوب
ولونى أبيض حسن جميل	وهذا لونه حلك مريب
يحاكى رزق قطران للعرب	ولونى أبيض هذا عجيب
رأيتم نخل تحمل قط قتى	ونيران لها رطب رطيب
دعوا هذا المحال فلست أرضى	مقالكمو ولا أبدى المعيب
لقد زنت اللعينة ثم جاءت	بأمر ظاهر كله عيوب
فاحكم بيننا يا خير عدل	فقد حل المصاب بما يصيب
وإلا سرت نحو الكفر أبغى	مقالهمو ويعلوه الصليب

(قال الراوى) لهذا الكلام هذا وقد شخصت اليه الأحداق وامتدت له الأعناق وقامت الدنيا على قدم وساق واشتد الزعاق هذا والسيوف تلمع والأرواح منهم تفزع ومظلوم واقف يسمع وظالم فى ذات الهمة يأخذه الطمع وسائر العرب الخلاف بينهم وقع فواحد يقول هذا الحال لا ينفع وآخر يقول هذا القول لايسمع أرأيتم مولود أمه بيضاء تسطع وأبوه أشقر أبقع يأتى لونه أسود أزلع وآخر يقول دعوا عنكم كلام لا ينفع وخافوا ظلمة القبر والمضجع ولا تكونوا

ممن لا يتكلم فى الحريم بكلام لا يسمع ألم تعلموا أن الله تعالى هو الذى يضر وينفع ويعطى ويمنع ويضع ويرفع بين الأحكام وشرع وخلق الأبيض والأسود والأبقع والعقول لا تهتدى إلى ما يريد أن يصنع أما رأيتم الزرع كيف تأتى سبلة بمائة حبة وأخرى تفسد ما تطلع وهــذه الأميرة الزاهدة قد عرف كل احد منكم ما تصنع وكيف تسجد وتركع وتدافع فى سبيل الله وتمنع ولا تقرب الفجور الأشنع ومن قال اليوم كلاما يبتدع ان هــذا الولد ما هو من الحارث يجب أن يصفع (قال الراوى) يا ساده يا كرام فبينما القوم فى ذلك الكلام إذ أقبل مظلوم على ابنته وقال لها يا بنية انفضحنا بين العرب وأصبحنا شهرة بين ذوى الرتب فانطلق بما عندكى فليت الموت غمركى ثم أن مظلوم بكى من شدة غيظه لأنه كان قد انقطعت حجته ودامت حسرته وهتكت ابنته وزادت لوعته وانحطت كلمتــه فأشار يقول :

بنت مظلوم قد أطلت بكائى	ومزجت مدامعى بدمائى
بعد عز مع قدرة وســداد	واقتــدار بحومة الهيجاء
صرت ترمين بالزنا والتعدى	من أهيل الفجــور والفحشاء
كيف تأتى بأسود الجنس عبدا	أغــبر لونه بغــير خفاء
أى عذر لنـا وقد افتضــحنا	عنـد أهل الأنساب والأقرباء
فاصــدقينى بما بليتى فإنى	شبه ميت مجلل بالبــلاء

(قال الراوى) يا ساده يا كرام وكانت الأميرة ذات الهمة لها سـنين ما نامت بالليل ولا أفطرت بالنهار بل صوامة قوامة خوفا من هول يوم القيامة فلما أن سمعت من أبيها ذلك الشــعر صرخت صرخة عظيمة أجزعت الحاضرين ونادت وامصيبتاه إيش هـذا الكلام يا أبتاه أتسمع كلام هـذا الباغى الظالم الذى هو كاسمه ظالم وابنه الحارث الخائن وعزة الله ما بقى بيننا إلا السيف أقتل به روحى وفى الآخرة الملتقى عند العلى الأعلى ثم أنها أنشدت تقول :

تحيرت والرحمن لاشك فى أمرى	وقد ضاق مما قد دهيت به فى صدرى
وحق الذى أنشأ السحاب ولم يزل	عليما بما قد دار فى غامض السر
وحق الذى أحيا وما زال قادرا	رحيما عظيما دافع البؤس والضر
وحق رسول الله والصحب كلهم	وأولهم يعنى العتيق أبى بكر

ومن بعده الفاروق والسيد الذى يليه من الأصحاب عثمان ذى السر
وحق على ابن عم محمد ومن هزم الأحزاب فى موقف الكر
وحرمة بيت الله والموقف الذى به الخلق قد ضجوا على ذلك الذكر
وزمزم والركن اليمانى وبعده مقام كريم قد تسمى بالحجر
بأنى قد أدركت عقلى نقية وقد كان عمرى دون ستة والعشر
ولا أبتغى غير الصلاح مطية إلى أن أوارى بعد ذلك فى قبرى
وإن كان هذا الطفل قد جاء أسودا فصنعة ربى عندها يوقف الفكر
ومن جعل الأزهار تزهو تلونا بكل عجيب يشرح القلب والصدر
ومن جعل الشعر السواد كأنه بياض صباح إذ بدت غرة الفجر
وهل سمعتم أن خالقا بصنعه أعاد سوادا أبيضا أبد الدهر
فلا تدخلوا فى باطن القول تهلكوا إذا ما وقفتم فى مقابلة الحشر
وهذا الذى قد كان منى اليكموا تريدون قهرى عند مكتتم السر
وإلا اقتصار الحكم أسللت صارمى لأعناقهم حتى يقيمون فى القفر
ولكن أخاف القوم ان قال قائل لقد دفعت عنا المصيبة بالشر
وقد عزمت روحى على سفك دمها فلا خير فى الدنيا إذا خاننى صبرى

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم ان الأميره ذات الهمة بكت وانتحبت فوثب عقبة السلمى وكان الملعون طبعه أن يسىء الى من احسن اليه فالتفت إلى الأميرة وقال لها يا ذات الهمة لاتقتلى نفسك فإن القياس الصحيح أن الحارث لما واصلكى وفرغ منكى وبقيتى انت مبنجة مكشوفة على حالكى ولم تعلمى ما يراد منكى جاء مرزوق ابن الأمة الذى تربى معكى وهو عبد على كل حال ولد زنا فرآك مكشوفة فى غير وعيك فافترسك لأن هذه شهوة اذا ثارت فى الإنسان ما يقدر على ردها لحملتى منه بحيث انه كان آمن والحارث خائفا فيكون الولد ولد مرزوق وما عليكى فى هذا عار ولا شنار والذنب على الذى اسقاكى البنج (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما ان سمعت الأميرة من عقبة هذا الكلام كادت أن تخرج من عقلها وقد رفعت السيف وقالت له ويلك يا كلب بنى سليم ما هذا الكلام إلا من حسدك لبنى كلاب تطلبون لنا العيب وانا اقسم بالله لابد لى من قتلك ثم انها وثبت اليه فزعقوا بنى سليم بمن يتعصب لعقبة وقالوا ارواحنا فداه

لأنه فقيهنا (قال الراوى) وقد قصد عقبة بذلك التعصب للحارث ليميل طبعه اليه لأن اهل البلاد يعرفون بعضهم بعضا هذا وقد تعصبت للأميرة جماعة من اصحاب ابيها واشهروا سيوفهم المشرفيات وقد هطلت سحائب المنيات وماجت الأرض من السادات وانتشبت انياب النائبات ودنت الانفس من الهلكات ونادى مظلوم اين من يغار على البنات اين من يخشى العواقب فى فضيحة الحريم اين من يقوم فى مقام التعصيب والغيرة لرب السماء اين من يعلم ان ذات الهمة من الصالحات القائمات المصليات أما سمعتم ما قاله عالم الاسرار والخفيات ان المسلمين والمسلمات ثم انشد يقول :

لقد عظم المصاب على السراة ... لما قد قيل من رجم البنات
ولا سيما وفاطمة وما قد ... حوته من فعال الصالحات
وحاشا مثلها يبدى قبيحا ... ويقرب فاحشات منكرات
وتقنت فى الصلاة كما أمرها ... إذا قامت بحب القانتات
وكم دفعت شرار الناس عنكم ... ولم تخشى صفاح المرهفات
وكم قامت بجنح الليل تدعو ... وتسأل ربها فى المغفرات
وذو الهمة لها شرف وفضل ... علا فى السابقات الاولات
ورب العرش يخلق كل لون ... عجيب للعيون الناظرات
وذوالهمة أتاها اليوم حكما ... تضيق به الصدورالواسعات
بعبد الوهاب الولد الذى ... دلائله امور هائلات
وان يك اسود افلعل ربى ... سيظهر منه بيض المكرمات
فدونكمو قتال ليس فيه ... علينا إثم قوم عاديات
لان الحق معنا فاسمعوه ... ولا تتعرضوا قتل السراة
فإن الله يغفر كل ذنب ... سوى قتل النفوس المسلمات

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فتعجبوا الحاضرين من فصاحة مظلوم هذا وقد ركب الامير عبد الله أمير بنى سليم وقد اجتهد أن يحول بين الفريقين فما قدر وبقى النهار كله فى ضرب البتار ولم يزالوا كذلك وهم على هذا الحال إلى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وكان من لطف الله تعالى قد نصروا اصحاب مظلوم وذات الهمة وكسروا اصحاب ظالم وبنى سليم إلى ان فرق بينهم الظلام وقدرجعت كل

طائفة إلى خيامها (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وان الأميرة قد دخلت إلى مضاربها وقبلت بين عيناى ولدها ثم انها وضعته على ركبتها وقالت يا بنى سبحان من خلقك وصورك وعلى هذا المراد كونك ومن أجل هذه الفتنة ندعوه ان يصبرك فياليتى لم أرزقك ويا ليت إذ رأيتك لم أعدم نظرك فعندها رفع عبد الوهاب رأسه لها وقد نزلت الدموع من عينيه وكان من صغره عاقلا وفى كبره عاملا له همة عالية ونفس شريفة شافية وهو يومئذ ابن سبع سنين ويبكى من خوف رب العالمين وكان إذا رأى أمه تقوم وتقعد يطاوعها فى كل ما تريد وكان إذا قبض بيده ساعدها تحس به جبلا عظيما فتفرح به وتقول يا ولدى ان هذه الايادى تكون مجاهدة فى سبيل الله تعالى فيقول لها اعلمى ان الله قد خلقنى أسود اللون لأمر قد سبق فلا اعتراض عليه فيما خلق لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ثم ان عبد الوهاب بكا بكاء شديد ما عليه من مزيد وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

فإن أك أسوداً فالقلب منى ... عليه من البياض ضيا نهار
وليس اللون فى الإنسان عيب ... إذا ما كان فى فعل الفخار
وليس الفخر إلا فى صلاح ... ليوم البعث فى يوم القرار

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة شعر ولدها عظم فى عينها وعلا قدره عندها وقالت له لله درك بين الأولاد والله انك ولد سعيد ولابد أن يكون لك شأن وأى شأن وقالت له يا ولدى لاتسأل عما جرى على ولابد ما احتمل هذه الأمور حتى أرى ماكان وما يكون وأشارت تقول هذه الأبيات

أيا خالق الأشياء أنت الممجد ... وأنت إله العالمين الموحد
تعاليت يا رب العباد ولم تزل ... قديما عظيما أنت تخشى وتعبد
لا صبر يا أزلى لحكمك دائما ... لعل اصطبارى بعد ذلك يحمد
سأحمل فيه الضيم حتى يعيننى ... بما فيه من نجح وسعد وسودد
سألتك خلصنى بجاه محمد ... فإن شفيع العالمين محمد

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما أصبح الصباح ركب الأمير عبدالله ومعه أبطال قوم بنى سليم وسادات بنى كلاب وأحضروا الحارث وأبوه ظالم والمشايخ من الفرسان الأنجاب وقال لهم اسمعوا ما أقول لكم ولا تخالفونى فى الخطاب ثم ان الأمير عبيد الله أحضر الأميرة ذات الهمة فلما حضرت قال لها انى أريد أن أفصل

بينكما فقالت أيها الأمير وحق من يعلم السر وأخفى وهو الباعث الوارث أن هذا الغلام ولد الحارث فقال الأمير عبيد الله وانا أقسم بالله انكى لصادقة وقد شهدت تلك القلوب بذلك لما رأينا فيك من الصلاح والرشاد فلا تحملى على قلبك هم ولاغم ولا بدلى ما أصلح بينكما ويزول هذا العناد والزمة أن يقر على هذا انه ولده على مافيه من السواد فقالت له أيها السيد ماتريد وانا أقسم بمن لايغيره الزمان ولا يعتريه الحدثان المعبود على طول الزمان العالم بما يكون وما كان لاضمنى أنا والحارث شقفا أبدا ما قام قائم وقعد وانا أريد منكم أن تخلوا بينى وبينه حتى أخمد أنفاسه وأهد أساسه وأسكنه أرماسه وأنا ما كنت أريده قبل التشنيع والاعتدا أرجع اليه وقد نادى على بالزنا بين الرجال والنساء وهذا لايكون أبدا ولوشربت كأس الردى فقال الأمير عبيد الله أن كنتم لاتسمعون ما أقول لكم فأنا عندى رأى حسن فقالوا له وماذلك الرأى ياأمير قال نحمل هذا الولد الى مكة شرفها الله تعالى ونقصد به الى القافة ينظرون لكم وله قالوا هذا ولدكم لزمكم وتنطفى هذه الفتنة من بينكم وأن قالوا هذا الولد ليس منكم ندبر تدبير آخر يرضى به الكبير والصغير فقالوا قد رضينا الى ذلك أيها الأمير هذا وقد نادت العرب لقد أرضى الأمير عبيدالله وقال الحق ومافيه ومن لم يرضى بذلك فهو ظالم وعقبه فأجاب مظلوم وابنته لما سمعوا ذلك الكلام وقالوا لعل الله يكشف كربنا ويزيل ظلامتنا هذا وقد جرى الشرط على ذلك ثم أن الامير مظلوم انتخب من أصحابه خمسمائة فارس وانتخب ظالم وولده ألف فارس وأخذ الامير عبيد الله من بنى سليم ألف بطل وقد ساروا الجميع طالبين البيت الحرام وزمزم والمقام وهى فى جد وكد واهتمام يطلبون الحكومة من القافة هذا والامير مظلوم قد تقدم وهو مغموم مهموم وقد توكل على الحى القيوم الذى يعلم القضايا والحكوم وما يجرى بين الخصوم وصار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

نسير الى البيت العتيق الممجد	ونسأل بخير الانبياء محمد
بان يكشف الغمه الينا وما جرى	علينا بما قد كان من ظلم معتدى
وقد نالنا لما اتانا بحكمه	من الولد الصالح المستولد
وقد انكروه حتى جاء ولونه	ظلام على انا رأيناه اسود
سأمضى الى عند الحطيم وزمزم	الى الركن والحجر الشريف المسعد

فان انكروا هذا فلله حكمه سيقضي على بنتي بسيف مهند
واقتل نفسي بعد ذاك لانني ارى القتل خير الى من كل مقصد
وان صدقوا بنتي فلله درها فذاك الذي ارجوه من لطف سيدي

(قال الراوى) هذا وقد ساروا مجدين والى نحو البيت قاصدين الى أن بقى بينهم وبين مكة ثلاثة أيام عندها أشرفوا على مرج أفيح وماء يشرح وزهر قد فتح وفى وسط ذلك الوادى قباب من الديباج منصوبه وقباب مضروبه ورماح مركوزه وكانت هذه الحلة لعرب يقال لهم بنى حرب وكانوا كثيرين العدد عزيزى المدد والمقدم عليهم رجل جبار وبطل مغوار يقال له غاشم ابن عامر وكانت العرب تسميه شيطان الحجاز وعفريت البر والمغار عندها سار ظالم وولده الحارث اليه وسلما عليه وأعادوا قصتهما عليه وما جرى لهما من أول الكلام الى آخره وأطلعوه على باطنه وظاهره وانهم رحلوا من بلادهم وأتوا الى مكة المشرفة لاجل الحكومة مع القافة فلما سمع غاشم حديثهم قال لهم أيهم أحب اليكم قتلها أم ابنها فقال له ظالم ان قدرت على ذلك فلا تبقى منهم أحد وكان ظالم قد ساق قطعة جيده من النوق والجمال وقدمها لغاشم ورجع الى خيامه عند المساء وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

أيها الليل قد ظفرت بقصدى من بنات العجوز والعدوان
كيف ياتى من اسود الوجه خيرا ابن هذا من طارق الحدثان
سوف أبليهم بغاشم ذو المجد فى حربه يوم الطعان طعان
حتى ياتى الهو فى محال فتراهم أرؤسا بلا أبدان

(قال الراوى) هذا وظالم يقول لاصحاب غاشم وذمة العرب والنخوة والحمية لاتركت من أصحاب مظلوم من يخبر بخبر ولا من يصل الى مكة بشر ولو اجتمعوا لهم بنى سليم الاخر قطعتهم قطع النبات الاخضر (قال الراوى) وكانت ذات الهمة لما نزلت فى تلك الارض أقبلت على أبيها وقالت له اعلم يا أبتى أن هذا الملعون الحارث واخيك ظالم لايتوانوا عن شىء يفعلوه فى حقنا فاياك أن يغتالوك على غفلة فقال مظلوم وأنا أسأل الله تعالى ان يكفينا شرهم والله يا ابنتى أنا ما فزعى إلا عليكى فقالت له والله لو أنى اريد ابرىء ساحتى بين الانام فما كان لهم عندى جواب الا الضرب بالحسام وأنا عولت ان اكون راكبه وادور حولكم لان قلبي يحدثني بغدرهم ومكرهم وشرهم فقال مظلوم هذا شىء لا يكون ابداً ولا يفعله أخى ظالم هذا ولا

يسفك دم عشيرته ولا سيما ونحن عند البيت الحرام وزمزم والمقام ولولا هذه القصة التى جرت لكان اخى يطلب لى الراحة وكان يقول ذلك وهو سليم القلب لانه طيب الاصل فلا يظن بأحد الاخيرا وباتوا باقى ليلتهم آمنين ولما كان من الغد واذا بالصياح قد اخذهم من كل جانب ومكان والخيول قد اقبلت تخب بالفرسان ونادى منادى يابنى سليم لابأس عليكم انعزلوا عنا فما اخصامنا الابنى كلاب فلما سمع الامير عبيد الله ذلك قال لقومه ياويلكم دعواعنكم هذا المقال (قال الراوى) واذا بفارس قد اقبل وراكب جوادادهم بغرة مثل الدرهم وراكبه كانه طود من الاطواد ومن ورائه اكثر عن خمسمائة فارس وهم على الخيول العربيــة ولم يزل سائر حتى وقف قدام غاشم ونادى ايها الملك الهمام والسيد الضرغام اتق الله فى دماء المسلمين واعلم ان الدنيا ليست باقية وكل نفس مسئولة عن فعلها ونحن اقبلنا إلى مكة إلى الخصوم مع الاخصام حتى نتحاكم بين يدى الحكام وهم القافة والحكماء والعلماء وانا وحق رب البرية العالم بكل سر وخفية تقية نقيه ولكن ما اقدر ادافع الاقدار والمشيئة لان الخالق يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو على كل شىء شهيد ثم انشدت تقول صلوا على طه الرسول

اغاشم هذا الظلم حقا بعينــه	وما الظلم الا مهلك أبد الدهر
تعديت حتى قد قتلت رجالنــا	بكثرة أندال مجممة القفر
ولو كان انصــاف المساواه بيننا	لصرتم طعام الوحش فى المهمة الوعر
وقولك انى قد فجرت تعــديا	على وهذا القول من اعظم الامر
ستاتى من الرحمن نار جهنم	مجازاة قول الزور ياملك العصر
اليــك ترى طير الحمام ملونا	على سائر الاجناس فى البحر والبر
فهذا له من اسود اللون خلقة	وهذا إلى حمر وهذا إلى صفر
وهذا له لونا يخالف جنسه	وهذا بتقدير العليم بما يجرى
وقولك هذا الحارث الزوج سلموا	له بنت مظلوم على الظلم والغدر
فان كنت ذا عدل وتعرف منصفا	فابرزه نحوى للضــارب بالبتر
والا فهذا الظلم حقا بعينــه	ولا تأمنن الدهر فى السر والجهر
وحــق النبى الهاشمى محمد	ومن خصه الرحمن بالعز والنصر
حلفت يمينا لا تعاطيت منكرا	ولا كنت الا ذات دين وذا ستر

(قال الراوى) فلما سمع غاشم تلك الابيات سال عن قائلها فقالوا له هـذه الاميرة ذات الهمة بنت مظلوم فتعجب من قولها ورق قلبه اليها وقال للحارث اخرج اليها فان كانت مظلومه فان رب الكعبة لا ينصرك عليها وان كانت ظالمة كاذبة فانت تنصر عليها فلما سمع الحارث من غاشم ذلك تحير وتخبل وحار فى امره وعلم ان هو خرج اليها قتلته فقال يامولاى نصطلح وندع المحاكمة فقال له غاشم لابد ان تبرز اليها فقال له ايها الامير لاتحسبن هذه المرأة مثل غيرها من النساء التى تعرف هذه ذات الشجعان والاقيال واحالت بين الاسد والاشبال ولاتكون بمجرد ماتقربت اليك بالمحال ان تعرضنى للوبال والخبال فضحك غاشم وقال إلى هذا الحد هذه المرأة فقال نعم فقال اقطع على نفسك قطيعة حتى آمر عبد إلى يقال له الكباش يأخذ رأسها فقال الحارث على هذا المركوب الذى تحتى فهو بخمسمائة دينار فعندها صاح ياكباش واذا قد خرج اليه عبد كانه طود أو بعير حل من قود وهو راكب على جمل حجازى يسبق الخيل وفى رأسه سلسلة حديد وهو كانو شيطان مريد فقال يامولاى ما تشتهى فقال له أريد منك رأس هـذا الفارس الساعة فقال سمعا وطاعه ثم حمل على الاميرة وهو ينشد يقول :

وما النسوان أقرانى ولكن ... رأيت مقالة المولى صوابا
انا الكباش كباش المنايا ... وليس الحرب ضراب الرقابا
فدونك شبه مرزوق فانى ... أحب أتيك ان شئت الضرابا

(قال الراوى) ومراده كان فى البيت الاخير ثم انه حمل عليها وكان هـذا الكباش موصوفا فى بلاد الحجاز فلا والله ماكان الاشى بيضه حتى صاحت الاميرة فادهشته وطعنته بالرمح فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره فقال غاشم وذمه العرب ماأرادت قتله ولكن حسنها قتله ثم انه أقبل على الحارث وقال له ويلك ياحارث لقد أعجبنى فعالها وقتالها وأريد أن تكون لى قرينه فطلقها والا أخذت روحك فقال الحارث وقد علم أن حب ذات الهمة قد تمكن من قلبه وانه أن قاومه فى ذلك كان سببا لقتله فقال فى نفسه ويلك يا ابن ظالم قد وقعت مع هـذا الظالم الغاشم ومالك الا المداراه والاشتوابك الاعدا وسقيت كؤس الردا فقال له أيها الامير الهمام والاسد الضرغام ان الله قد طلقها منى لان رأسى ما اجتمع مع رأسها على وسادة أبدا فقال غاشم هـذا ما أعرفه أبدا ولكن انطق بطلاقها واعلم ان هـذه

ما تصلح لك زوجة ياابن ظالم وإنما تصلح لأمير العرب غاشم ذو الفخر والمناقب والمكارم ومهلك الأبطال يوم التصادم ثم أنه أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

أحارث طلقها فقد عظم الأمر ... وما لى عنها بعد ما فعلت صبر
وليس سواد الإبن مما يعيبها ... وما هى إلا حرة ظاهرة الطهر
شهدت لها انى أراها نقية ... وما هى إلا حرة وابنها حر
فطلقها إن الفؤاد يحبها ... ومن هى لدنياها نريد بها فخر
فإن لم تطلقها ضربتك ضربة ... حواك بها من بعد منزلك القبر

(قال الراوى) فلما سمع الحارث ذلك من نظمه ونظر إلى غاشم وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه خاف على نفسه من باسه وقال له أيها الأمير دونك وإياها فإن ظفرت بها فهى منى طالق وإن لم تظفر بها فأنا وإياك فى العجز سواء فقال غاشم الآن أنصفت ثم أنه اقبل على شيخ من عشيرته يقال له عاصم بن قاسم فأجابه بالتلبية فقال له عجل إلى أبيها مظلوم وقل له أن الأمير غاشم قد طلب كريمتك وهو راغب فى صحبتك وأقل ما فى الأمر أن العرب تقول لولا علم الأمير غاشم ان ذات الهمة برية عما رميت به من الزنا وأنها منزهة عن الفحشاء حتى انه طلبها لنفسه والثانى أنه ملك من الحجاز إلى اليمن فتنضاف العرب اليك لأنك أمير العرب بالعراق والشام وتصير عرب اليمن والحجاز بأمرك وتحت حكمك وتملك رقاب الأمم وكل ما شئت من المال والأموال فإنك إذا خاطبته بذلك أجاب فاقصد إلى ذات الهمة وقل لها قد سعد نجمك وعلا عزك حيث الأمير غاشم قد طلبك له زوجة وطلقك من الحارث وقد بذل لك من الصداق ما شئتى ويسلم اليكى اعداكى وإن شئتى ضرب رقابهم بين يديكى وتصيرى ملكة العرب والسادات من ذوى الرتب وإن أبيتى خرج اليكى وأخذكى قهراً فانظرى ماذا أنت قائلة قال فخرج عاصم وقصد الأمير مظلوم وسلم عليه فقدمه وأدناه إكراما لمولاه وقال له خيراً ان شاء الله فقال له ماتم الا الخير وأعاد عليه القصة وقال له انظر ما أنت قائل ولا تكن لغاشم الا مجامل فقد أنصف من حذر وما قصر من أنذر فقال مظلوم وقد تحير وحق البيت المطهر والركن والحجر ومن طاف واعتمر انى أحب ما ذكر وأريد أن تكون ابنتى وزوجته فانه من أعظم السرور الأكبر إلا أنه ليس لى من أمرها شيئا فامضى اليها وأعد القصة عليها فقال عاصم وأنا معى رسالة اليها ثم قصد الى الأميرة وهى راكبة على جوادها

فسلم عليها فردت عليه السلام فقال لها ايتها الأميرة ان الأمير غاشم قد أعجبه فعالك وذكر زيادة جمالك فتمنى فضلك وإحسانك وزوجيه نفسك ولكى عنده من الصداق عشرة آلاف ناقة ومن الأغنام والخيل ما ليس له عـــدد وقد طلقك من الحارث بحضور جماعة من مشايخ العرب وإن شئتى ضرب رقبته وان شئتى عفا عنه وإن شئتى حمـــله اليكى وجعل أمره فى يديكى وزواج الأمير غاشم بكى يطهر ويذهب الظن الردى فانظرى ما عندك فقالت ذات الهمة اعلم أيها الشيخ المجمل فى الخطاب المنتظر رد الجواب وفقك الله للصواب انى لو كنت ممن يرغب فى الرجال كنت أحق بهذا الأمير والسيد الخطـــير ولكننى قد تفردت بخدمة ربى وطلبت الآخرة وما أركب هـذه الخيل لطلب فخر ولكن للجهاد فى سبيل رب العباد فلما سمع عاصم ذلك قال لها اعلمى أن زواجك بهذا الأمير ينفى عنك هـــذه التهمة وتنكشف عنك الغمة فقالت له يا هذا ما يكشف غمتى الا عالم سريرتى ولا أبالى اذا كان ربى عالم بحالى فقال وقد ذكر الأمير غاشم ان لم تجيبيه الى الزواج والا أخذك غصباً واباد اهلك طعنا وضربا فقالت والله ما يقدر على ذلك ابداً ولو علمنا ان فى الحجاز من يقطع علينا الطريق كنا قد اصطحبنا من قومنا من يدفعكم عنا ولولا خلفنا ما دخلكم الطمع فينا وان كان ولا بد من زواجى فأريد صداقى وهو من يقهرنى فى الميدان وموقف الحرب والطعان ثم انها أشارت تقول :

ارجع اليه وقل له يا سـيدى ... ان الصداق لها براز الأمجد
فإذا أردت جمالها فابرز لها ... يوم الهياج بضرب ذاك الأملد
فلئن ظفرت بها فأنت محكم ... ولإن قهرت رجعت غير مسدد
فوحق من رفع السماء بقدرة ... ودحا البساط بكل بحر مزبد
وبحق خير الخلق أعنى أحمد ... قسما عنيت به النبى محمـد
لا كان زوجى غير من يغتالنى ... فى الحرب فافهم ما أقول بمقصد

(قال الراوى) فلما سمع عاصم ذلك الكلام رجع الى غاشم واعاد عليه جواب الأميرة فقال وحق ذمة العرب ما ارادت بذلك الا تختبرنى وتنظر افعالى وخلاقى ثم انه بادر الى هدية سنية وأرسلها اليها فأخذتها وكانت تلك الهدية مما كان ينهبه من مال الحجاج والمسافرين لأنه كان دأبه ذلك الفعل العنيد وكان قبض على ظالم والحارث وأوثقهما كتاف وارسلهما اليها على تلك الحالة وفى ثانى الأيام أرسل الى

الأميرة ذات الهمة يطلب منها الزواج فردت الرسول خائب من بعدمانهرته وأرادت قتله وبعد ذلك نزل اليها غاشم وصار بينهما حرب وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه وقد ثار عليهما الضباب هذا والحارث وأبوه ظالم يتأملان إلى الأميرة وإلى غاشم وإلى فعالها وقد تعجبا من قتالها وما زالا على ذلك العيار حتى ارتفع على رؤوسهما الغبار وغابا عن الأبصار وزاد بينهما الكر والفر والأخذ والرد والهزل والجد وقد رأى غاشم من الأميرة ما هاله فأنشد يقول :

أذلهمة لكى فعل شديد ... وعزم كما عزم الحديد
قدرأيت العجب فى يوم حربك ... وإنى فارس بطل شديد
ولكنى أريد اليوم هذا ... لاحويكى وأبلغ ما أريد
وهذا اليوم أعجبنى قتالك ... شديد من شديد من شديد
وإنى قد فهمت اليوم قصدك ... ومطلوبك وسائر ما تريدى
أأنتى لا تحى من يصونك ... ويعلو ذكركى يوم الوعيد
ولكنى أريد طبعك وأصلك ... فدوماً لا يميل إلا للعبيد
وإن رأيت العبيد أتوكى جمعاً ... أجبتيهم وجولك بالمزيد
ولكنى بهذا اليوم أردى ... اليكى وأجعلك فوق الصعيد
يكون الحارث أبيض وأنت مثله ... ونسل البيض مايبدل بسود
وقد عرف الأنام بأن قولك ... على البهتان والفعل العنيد
وقولك ما له أبدا حقيقه ... وليس البيض حقاً مثل سود
وإنى غاشم باطل مسدد ... وإنى فارس بطل شديد
فدونك فى ذا اليوم حربى ... وطعنى إننى قرن عنيد
دونك يا بنت مظلوم نزالى ... تريني من قتالى لا أحيد
وإنى فارس الفرسان حقا ... وأنتى ما تهوين إلا العبيد
فلو أننى كمرزوق هويتى ... وكنتى لى وما أهوى تريدى
وفى ذا اليوم اقتلكى جهاراً ... وأروى من دماك سنان عودى
وفى ذا اليوم أشبعكى طعانا ... وأفنيكى وتضحى فى عديد
وإنى غاشم قد شاع ذكرى ... مع الأبطال جبار عنيد

(قال الراوى) ولما سمعت الأميرة منه ذلك الشعر والنظام وما أبدى من التهديد

والكلام صار الضيا فى عينيها ظلام ولا بقت تنظر تضع الأقدام وقد أشارت إلى غاشم تقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

أيا غاشم دونك لحربى وموقفى ودونك ولقائى يالعين وانصف
فنى مثل هذا اليوم القيك فى الثرى واجعلك فى ذا البر ملقى ومتلف
وأفنى لقومك يا لئيم بصارمى واخلى الدما تجرى كسيل ترادف
وخلى نساك اليوم عندى يا فتى ينعوا عليك بالدمع فى كل موقف
وأريح منك الحج فى البر والفلا وتهدى عيون الناس من كل مسرف
ومالك من حربى وطعنى مخاص ولا مهرب من طعن رمحى ومرهفى
ووالله والله العظيم وحق من بمكة والبطحا وذيك المواقف
فلا بد فى ذا اليوم أفنى جموعكم وأخليكمو فى البر رمم تجيف
ويا رب صلى على النبى وآله من كان فى الأحكام والحق منصف

(قال الراوى) ولما سمع غاشم منها ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وحمل عليها وقد أخذه الغيظ والحنق وكل منهم على خصمه قد انطبق وعلى رفيقه قد زعق وازور الحدق وسال العرق وأخذ القوم عليهم القلق وقد أخذا فى الكر والفر والأخذ والرد والهزل والجد والمصادمة والمكافحة والملازمة ولم يزالوا الإثنين فى قتال وجدال وصدام وخصام والتصاق والتزام وضرب حسام حتى بدا الليل بالظلام وولى النهار بالابتسام ونادى المنادى بينهما بالانفصال وفى غداة غد يكون القتال والنزال والضرب بالنصال وانفصلوا على ذلك الحال وباتوا طول الليل يتحارسوا إلى أن أصبح الصباح وصلت الأميرة صلاة الصبح وركبت ظهر جوادها وكذلك قومها وبنو عمها وارادوا أن يحملوا معها ويساعدوها فلم ترضى بذلك بل منعتهم من الحملة فبينما القوم كذلك وإذا بغاشم قد خرج إلى الميدان وموقف القتال والطعان وحملوا على بعضهم البعض واوسعوا طولا وعرض وما زالوا فى عراك وشباك حتى أشرفوا على الهلاك وسوء الارتباك إلى نصف النهار وقد ارتفع على رؤوسهما الغبار وغابوا عن الأبصار وكانوا من ضرب الصارم البتار وقد مل غاشم وكل واحتار وأخذه الانبهار فاستظهرت عليه الأميرة غاية الاستظهار وضايقته فى المجال تحت الغبار وزعقت عليه زعقه تفلق الأحجار وقد قالت له يا لعين يا غدار اليوم أقتلك بحد البتار وأخليك مرمى فى القفار وأريح منك الصغار

والكبار واجلى بقتلك عنى العار والذل والشنار فلما سمع منها ذلك المقال كان عليه أمر من ضرب البتار الا انه أظهر الجلد والاصطبار وهجم عليها بقوة واستظهار وهذا وقد أخذه الانبهار وصار فى أموره محتار وقد قصد صدر الاميره بطعنة والأمير مظلوم قد قاق على ابنته وكذلك الأمير عبد الله وأهله وعشيرته الا ان ظالم والحارث ولده فانهم كانوا فرحانين بما جرى بين الاثنين وظالم يقول لولده يا ولدى هذه آخر أيام ذات الهمة من الدنيا وعمرها لم بقت تشم نسيم الهوى ولقد مل منها الحيل والقوى وأشرفت على الهلاك والفنا ولا بقى لها من هذا المكان براح ولا فكاك واليوم الأمير غاشم يوردها مورد الهلاك وترتاح منها ياولدى وتقر بذلك عيناك هذا والأميره لما قربت منها الطعنة انقلبت مثل اللولب وصارت للحصى يهالب وقد بطلت الطعنة وسلمت الأميره من الافات والمحنة وبعد ذلك عادت إلى جوادها واعتدلت فى محل ركوبها ونادت بأعلا صوتها لمن يعلم سرها ولغاتها وقد توسلت وزاد بها ابتهاجها ودعت من جعل الليل سكنا وجعل القمر سراجا وقالت يا من يرى جريان الماء فى العود والدم فى الاوداج وخص بالشفاعه صاحب المعراج انصرنى على هذا الظالم الغاشم قاتل الحجاج يامن بيده النصر والابتهاج والخوف والانزعاج ثم قامت بعدذلك الدعاء والابتهاج وقد نظر اليها الحق جل وعلا بعين قدرته وقدر لها النصر من عنده وأعانها على ذلك الظالم الذى هو كاسمه غاشم وقامت فى الركابين وتمطت فى البدادين واعتدلت على خصمها وطعنته بحيلها وعزمها وقالت خذها يا ظلوم وأنا فاطمة بنت مظلوم أمة الحى القيوم مطيعة لرب العالمين فوقعت الطعنة فى صدره خرجت تلمع من ظهره فكبر عبد الله ومن معه من بنى سليم وأشار على العرب بالجملة أجمعين وقال يابنو عمى دونكم وأعداكم مكنوا منهم الصارم البتار وعجلوا لهم الهلاك والبوار وارضوا بفعلكم ربكم الذى على الأعداء ينصركم فعندها أكبوا رؤوسهم فى قرابيص سروجهم وأطاعوا كلام أميرهم وحملوا على أعدائهم وعولوا على هلاكهم وفناهم وحملوا الكل حملة واحدة على عسكر غاشم وكانوا بعد أميرهم كالبهائم وانحلت منهم العزائم وبقوا فى كل طريق هزائم وصار العاطب منهم أكثر من السالم وقد فلقت منهم الجماجم ومظلوم ومن معه قويت منهم العزائم وعاد الدم

ساجم وقطعت الغلاصم وبريت الاكف والمعاصم وعاد الراقد أكثر من القائم وأرملت النسا وبقوا بين لعل وعسى وتشتتوا فى الفلا والرمال والاودية الخوال ونزل عليهم الذل والخبال ولم يطيقوا القتال غير ساعه واحده وصارت الأرض منهم خامده وتاهوا فى الخلوات وعاد جمعهم إلى شتات وتركوا البنين والبنات فأخذوا بنى كلاب النوق والجمال والغنائم والأموال وأخذوا أموال ظالم الذى كان أهداها لغاشم ثم حصل للاميره من الأموال ماتعجز عن حمله المواشى والانعام واستغنت بنى كلاب ونهبوا كثيرا من الأموال وقد وهبت الأميره لرجل يقال له أبو الصلت شيء كثير وصار من أصحابها وكان اذا ارأى أحد من المنهزمين يقول اقفوا يابنى عمى حتى تأكلوا حلاوة الزواج فيقول مانابنا الا السلامه من ضرب الرقاب وقطع الاوداج وقد ضحكت بنى كلاب من هذا الجواب فهذا ما جرى ههنا وأما الأمير عبد الله فانه أقبل على ظالم وعلى ولده الحارث وقال لهما اسمعا منى واعترفوا بهذا الولد ودعوا عنكم الخلف والنكد فلعلها يا حارث ترجع إلى ودادك وتطاوعك على مرادك فقال الحارث هيهات ان أعترف انه ولدى فهذا لا يكون أبدا ولو شربت كاس الردا فقال ظالم لابدلنا من الدخول إلى بيت الله الحرام حتى ينفضح أحدنا فى الاحكام ويصير مثلا بين الانام فقال عقبة يا أمير بعدان وصلوا إلى هذا الجناب لايكون فى رجوعهم صواب فقالت ذات الهمة مالنا الا ظهور الأمر الواضح ويهتك الله أصحاب الفضائح (قال الراوى) ثم انهم رحلوا وساروا ان وصلوا إلى مكة شرفها الله تعالى وعظمها وشاع الخبر فيها بهذه الحكومة والناس لايدرون فاطمه ظالمة أو مظلومة بل ينظروا فى وجهها ويقولوا وحق الكعبة المبنية ماهذه الا امرأة صالحة نقية وينظرون فى وجه عبد الوهاب ويقولون ما هذه الاصوره عجيبة وأحوال غريبة وقد اختلفوا الناس فى الكلام وباتوا ليلتهم هذا ومظلوم قد اختلا بابنته وقال لها يابنتى أنا أعلم ان مافى قلبك من الوقوف عند المحاكمة قدام أهل الحجاز والعراق وما ندرى ما نقدم من الفضيحة طول الابد فاطلعنى على أمرك فان كنتى تعلمى ان أحد أراد لكى الفجور وعدا عليكى بأمر من الأمور فقولى حتى اننى أهج أنا وانتى على وجوهنا فى القفار ونتزل على بعض قبائل العرب من قبل ان ننفضح بين سادات مكة والحرم ثم انه أنشد اليها وجعل يقول :

ابنتى ان الحكم يصبح واثق وقلبى من خوف الفضيحة خافق
ولمة أبا كى قد دهته عيوبها فقولى اذاقد كان نالك طارق
فو الله قد أضحى فؤادى مولم وقلبى اليكى بالمحبة واثق
فقولى لعلى ان ادارى بعض من يكون لى عونا فى المحبة حاذق
وان كان هذا الابن قد جاء لونه يشبه ظلام الليل والليل غاسق
وقد اتهمونا منه حتى بأننا بقينا حديثا سائرا وحقائق
ويااليتنا متنا ولا كان هكذا فللموت سهل والزمان موافق
والموت أهون من فضيحة سيد يصول به فى الاهل أيشم طارق

(قال الراوى) فلما سمعت الأميره كلام أبيها بكت حتى كاد ان يغشى عليها ثم انها رفعت رأسها وقالت له يا أبى حتى انت الآخر داخلك الشك فى أمرى فلا ألوم أحد ثم نادت وافضيحتاه هذا لم يكن فى الحساب ثم انها جذبت حسامها ووقفت قائمة على قدميها ووضعت ذبابه بين ثدييها وقالت يا أبى هذه ساعة الوداع فأحوجتنى ان أقتل نفسى وأكون من أهل النار انى أقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين وجعلهما سراجين ولايخفى عليه من الاشياء طرفة عين الذى بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين وعرج به إلى قاب قوسين ماكان هذا الا ولد الحارث وحق الذى خلق الخلق ما شاركه فيه مشارك ولا عارضه معارض والان فقد قطعت ظهرى وهديت عمرى ثم انها أشارت اليه تقول ·

رزقت وليدى للمقادير أسود وباكتتنى الاعادى وكان افتضاحيا
وما خلق الرحمن فهو مصور بحكم وتقدير ولون مراديا
وبعد صلاتى فى الدجى ومواقفى على عرفات فى ليالى مقاصيا
وبعد صيامى فى الهجير وبعدما غزوت وقد قضيت حمل حيائيا
أميل إلى العصيان والفسق اننى معاذ إلهى عالم باقتضائيا
فو الله ثم الله لاشىء غيره وحق رسول الله أكرم هاديا
اذا أنت تهمنى فو الله اننى لاقتل روحى بعد قتل مصابيا

(قال الراوى) فلما ان فرغت الأميره من شعرها ونظمها همت ان تطرح روحها على الحسام فوثب اليها أبوها مظلوم ودمعه مصبوب وقلبه مكروب وقال يا بنيه

بطيب اصلك وقلبك حتى اقول لك افعلى ما بدا لك فقالت ذات الهمه قل ما بدا لك فأخذ الحسام منها وقال لها يابنيه وحق من فى علم غيبه احتجب وذمة العرب وشهر رجب انى قد انصدع قلبى مما جرى على من الاعداء وانا وانتى فى المصيبه سواء وان قتلتى روحك قتلت روحى معك ولا اطيق الصبر عنكى واقول ان الصبر اجمل واولى وايضا ان انتى قتلتى نفسك يقول الناس لولا انها فعلت تلك الفعال مع مرزوق ما قتلت نفسها ولكن نصبر ونحتسب بالله ونحضر غدا عند القافه ونحتكم عند من يحكم بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلما ان سمعت الاميره قول والدها علمت ان قوله صواب فصبرت ثم انها خرجت وجعلت تطوف بالكعبه وهى تتضرع الى الله تعالى ان يبين الحق ويظهره وما زالت كذلك الى ان اصبح الصباح وخرجت المخبات من الخدور وسارت العربان يهرعون واهل مكه يتجارون حتى وقفوا الناس بازاء الكعبه وهم عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى هذا وقد حضر الامير عبد الله فى بنى سليم وظالم وولده الحارث وجميع بنى كلاب والامير مظلوم والاميره ذات الهمه وسائر الاصحابه وقد أتوا بالقافه وعلى اكتافهم الابراد اليمانيه (ياساده) وبعد ساعة اقبلوا جماعة يحملون الامير عبد الوهاب وقد نصبوا له كرسى من خالص الاخشاب وجلسوه فوق الكرسى حتى صار مساويا للناس هذا وقد رمقته العيون وبكا الامير مظلوم وقعد منه القوى والحيل ونادى يامفرج عن ذا النون لا تفضح شيبتى ولا تفضح ابنتى ثم انهم ارسلوا خلف الاميره ذات الهمه فأتت وقد التفت فى أزار واخذت سيفا ولفته فى ازارها وخبته بين أثوابها على انها متى ماهتك القافه سترها تخاف ان يهم ظالم والحارث بقتلها وربما انها تدافع عن نفسها ولا يبلغ منها عدوها مراد ولا يشمت بها حساد (قال الراوى) ولما حضرت الاميره مالت اليها الاعناق وشخصت لها الاحداق وصار على القدم ألف قدم من ازدحام الخلائق والامم ورمقوا بأبصارهم من حول الكعبة اليهم وقد وقع البكا عليها فلما رأت إلى ذلك اشارت تنشد وتقول

ياكعبة فضلها ربها بالذكر ... فى نص كتاب الله الحكيم
وقال حجوها فمن حجها ... كان له فى ذاك أجر عظيم

تغاسلت بالحج اوزاره ... ولا يرى من بعد ذا نار الجحيم
جئناك امن بعد على ما بنا ... من شدة الأشواق نرجو النعيم
بكا عليك المصطفى عندما ... هاجر رجا عنكم أن يقيم
لكنه قد أخرجوه ضحى ... والقلب منه فى هواكى يهيم
أعادنى الله اليكى غد ... فى غاية العز وملك عظيم
ناداه مولاه كذا قد قضى ... واصبر فللصبر محل كريم
يا ربنا يا مالكا للورى ... بجاهه عندك فهو الحكيم
جئت الى بيتك متوهمة ... لكن هذا القلب منى سليم
خلصنى من عصبة قد رموا ... عرضى واسلكنى سلوك القويم
يا من يرى فى النمل تحريكها ... فى وسط ليل مظلم بهيم
بين خلاصى بين هذا الملا ... فإنك أنت العلى العظيم
وصل يا خالق هذا الورى ... على الرسول الصادق المستقيم

(قال الراوى) ولما ان سمعوا الناس شعرها وما أبدته من نثرها أمنوا على دعائها وقد حنوا عليها ودعوا اليها وشكروها على مقالها ومال خاطرهم اليها وقالوا اصحابها وأقاربها وبنو عمها كلمة قالها المقربون انا لله وانا اليه راجعون وقد قام الحارث ابن ظالم من بين الخلائق والأمم ورفع صوته وأنشد يقول :

معاشر القافة بينوا لى الامور ... قد غدرت بى زوجتى عامدة
فكان ظنى انها حرة ... قد ظهرت خائنة فاسدة
هل يخرج الاسود من أبيض ... هيهات هذى حجة باردة
فاحكموا ما بيننا انها ... جارية لفعلها جاحده
من ابن مرزوق لها شبيه ... بلى والا فاظهروا الفائده

(قال الراوى) ولما ان فرغ الحارث من شعره ونظمه صاحت الناس من كل جانب لأحل الأميرة ذات الهمة وقالوا ادعوها تتقدم وترد عن نفسها فعندها قامت الاميرة ذات الهمة ودخلت بين الناس وهى تدافع الخلائق عن نفسها وأشارت الى القافة وقالت لهم نعمتم صباحاً ولقيتم نجاحاً ولا عدمتم أفراحاً وبعد ذلك قالت الحمد لله الذى خلق الإنسان وكون الاكوان العالم بما قد كان حتى يظهر علم القدرة والسلطان اما بعد فإنى امرأة لا اركن الى الذل والهوان ولا

أفوز الا بالعمل الذى يدخلنى إلى الجنان ودار المغفرة والرضوان واعلموا ان هذا الولد ولد هذا الأنسان الذى قد رمانى بالغرور والبهتان وأنتم أصحاب التبيين والبرهان فاحكموا بيننا يا أهل الايمان ثم انها أنشدت تقول :

قد قال انى امرأة فاسدة وانى خائنـــة جاحده
والله ما أبغى سوى خالقى يكشف عنى الشدة الزائدة
وان كنت قاربت فجورا فلا أصرف عنى علة واكده
وانى والله صوامة فى ليلتى راكعة ساجدة
فاحكموا بالحق ما بيننا وراقبوا من أنزل المائدة

(قال الراوى) ولما ان فرغت الأميره من شعرها ونظمها قال شيخ القافة والله لاحكمن اليوم بالحق ولا أستعمل الا الصدق ثم انه قال الحمد لله المتعال عن الشبيه الذى ليس له عديل ولاشبيه معاشر الناس قال رسول الله صلى عليه وسلم الولد للفراش وهذا الولد لابيه الحارث من جهة هذا الوجه وانه دخل عليه الافكار لاجل سواده وتغير لونه واضطراب كونه وبالله العظيم ان هذا الصبى ولد الحارث لان عيناه كمثل عيناه وكذلك المعاصم والشمائل والكفوف والاطراف والانامل وانى أقول مقالة صادق غير جاهل فيما أنا قائل فانظر ياحارث ما أنت قائل (قال الراوى) ولما ان سمع الحارث من القافة ذلك زعق وقال اسكت أيها الشيخ ليس عندك صدق واعلم اننى أنا ما يدخل على قول الزور والبهتان وما أنت الا خرفت من كثرة السنين وطول الزمان واعلم اننى أقول القول الواضح كالدليل اللائح فقال له الشيخ وكان اسمه الكامل وهو شيخ نقى الشيبه أيها الناس ابسطوا لى بسط من الرمل واحضروه عاجل الحال ففعلوا ذلك وقال للحارث أنت وعشره امشوا على هذا الرمل والصغير معكم من غير ان أراكم وأنا لمايتم أمر مشيكم أجىء وراء الرمل وأقول لكم هذا قدم الصغير وهذا قدم أبيه من بين أقدام العشره فقالوا الحاضرين وحق السميع المجيب ان هذا الذى ذكرته أمر عجيب قال فعند ذلك مدوا الرمل الاصفر وداسوا عليه عشره من الرجال ولم ينظرهم الشيخ الكامل ولما ان فرغوا من فعلهم دعوا بعبد الوهاب ومشوه بينهم على الرمل وأقبل الشيخ القافه ونظر إلى الاقدام بعد ما حرك رأسه وقال لاإله الا الله محمد رسول الله وحق الاله انه ولده بلاشك ولاريب فمن بدله بعد

ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وقد قال لأهله وجميع من حضر ثلاث مرات الله اكبر فقد بان الحق وظهر وما بقى أمر ينكر ففرح المتعصبون بذلك للأميرة ذات الهمة وفرح أبوها مظلوم وقد صاروا يشكرون الحى القيوم (قال الراوى) وأما ظالم والحارث فإن وجوههم اسودت وزعق الحارث زعقة عظيمة ووقع إلى الأرض وغشى عليه وهمدت أخلاقه وقد تمرر مذاقه ولما أن فاق من غشيته تقدم اليه الأمير عبد الله وقال له اعلم ان الذى جرى منكم كله شك فقال له عقبة وقد نطق وقال كيف يكون السودان يخرجون من أصلاب البيضان ولا يتم هذا البيان واعلم ان هذا كلام لا يسمع فى مثل هذا الزمان فقال الحارث وهذا لاجنسه جنسى ولا يشابهنى ولا يقاربنى ولكن من الرأى أنكم تسلمونه هو وأمه حتى انى أذبحهما بيدى وهذا غاية مرادى وقصدى . ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

افهموا قصتى وحسن نظامى ... شبهوا لى الرجال بالأقدام
فدع الرمل والزخاريف فى القو ... ل ان هذا لقول ناس اثام
ليس لى صبر سوى أن أسق ... لابنها بالسيف كاس الحمام
بذلت نفسها لمرزوق حتى ... جالها أسود كلون الظلام
فافضحوها جمعاً ولاترحموها ... فهى خوانة يا بنى الأعمام
وأجيبوا بالصدق إن كان فيكم ... صدق دين ونخوة الإسلام

(قال الراوى) ولما فرغ الحارث من هذه الأبيات قعد وقام بعده قاضى العرب عقبة بن مصعب وأشار إلى اهل القافة بهذه الأبيات :

أيا شيخ قد سمعنا الكلاما ... وفهمنا ما قلته والسلاما
هل رأيت الصباح فى لون شمس ... يشبه الليل خلفه أو ظلاما
نحن لانرتضى بقولك هذا ... ولاشىء بالرمل فيه والاقداما
ليس هذا يجوزه الشرع ... ولا يرتضى بذلك اماما

(قال الراوى) ولما ان فرغ عقبة من هذه الأبيات قام على حيله ظالم من بعده وأشار ينشد ويقول :

الا فاسمعوا يا جملة الأحباب ... ومعشر الخلان والأصحاب
كلام صحيح واضح مفيد ... فافهموا منى يا أولى الألباب

ليس عبد الوهاب منا بشيء فاسمعوا أنتم بقول الصواب
فقد صح عندى أنه لقيط بين الأصل مثله كالكلاب
وما هو الأصل وغد لئيم لأنه قد أتى كمثل الغراب
فارشدونا لغيركم للحكم نطلب وإلا فاليوم يوم الضراب

(قال الراوى) ولما أن فرغ ظالم من شعره قام الضجيج وقد علت الضجات من كل جانب والأصوات فى الفلوات فقالوا الحكماء أنتم ابيتم حكمنا وما سمعتم لنا فعندنا من يحكم بينكم بهمة علوية وهو قد ورث القضاء من إمام قد أظهر العجائب الذى شرب من عين اليقين على بن أبى طالب ابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعقد له اللواء أمير المؤمنين وهو البطل وهو باب عنايته جعفر بن محمد الصادق إمام الحقائق وهو فى جميع القول صادق وبحكم رسول الله ناطق فاذهبوا بنا كلنا اليه وقصوا القصة عليه فهو اهل بيت معروف ويفك كرب كل مكروب وملهوف وهو عقد لواء المؤمنين ويعسوب الدين الانزع البطين ليث بنى غالب صاحب المناقب والمفاخر هذا ولده جعفر الصادق وهو بالصواب ناطق يقول حدثنى أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذهبوا الآن اليه وقصوا قصتكم عليه فهو أهل بيت النبوه ومعدن الفتوه ويأمر بالمعروف ويكشف الكروب ويغيث الملهوف وهو لكل صلاح وفى وقد ورث ذلك عن محمد المصطفى ﷺ (قال الراوى) فلما سمعوا أهل مكة ذلك كبروا بأجمعهم وقالوا والله ما لهذه القصة إلا هذا الامام نسل الكرام عليه السلام وعلى آبائه الغر الكرام فاذهبوا اليه فهو الذى يكشف اصعاب الأحكام ويبين النور من الظلام قال فرضوا الجميع بذلك الكلام وحملوا عبد الوهاب الى دار جعفر وقد جردت القواضب من كل مكان وجانب هذا ومظلوم بجانب ابنته ذات الهمة ويقول يا بنتى صبرا صبرا لأحكام الله تنالين أجراً كثيرا من الله (هذا) والأميرة صابرة على الاحتكام محتسبة بالملك العلام الى ان ظهر الإمام جعفر الصادق وظهرت على الناس هيبته والفتوه من طلعته البهية العلوية والسلالة الهاشمية فسكتوا الناس ولم يقدر أحدا يتكلم وقدم له العرنوس وصعد عليه فلما أن رأت ذات الهمة إلى ذلك فاضت عيناها وتحدرت عبراتها وزادت عليها حسراتها فقال لها أبوها يا بنية دعى البكا فى هذه الساعة وقومى ارمى روحك على صاحب هذا

الوجه البهى والإمام الرضى فقلبي الآن قد أحس بالفرج إن شاء الله تعالى على يديه فعندها أرمت الأميرة نفسها تحت الفرس ونادت بصوت محزون وفؤاد مشجون يا ابن المشاعر الحرام والصفا والمروة والمقام الأعلى يا ابن الامام المرتضى يا ابن العروة الوثقى يا من حبهم شفا على طول المدا خذ بيد متهومة مظلومة قل ناصرها وكثر حاسدها وشك فيها أبوها ثم انها تنفست صعدا وأظهرت كمدا ووجداً وأنشدت تقول :

يا إمام الهدى وابن الطهرا ... ويا خير حاكم فى الأنام
أنت اليوم عدتى فى انكسارى ... وافتضاحى يا أكرم الحكام
بعد فخر وقدرة واعتزاز ... فى مقام الأبطال والأقدام
نظرت فى موضع الفضيحة والتهمة يا خير ملتجأ وإمام
قيل عبد الوهاب أسود بصاص ... وما ذاك غير نسل حرام
فوحق البيت الحرام مع الركن ... والحجر ثم المقام
مادنانى سوء ولا هم قلبى ... بارتكاب الذنوب والآثام
يا ابن بنت النبي قد عظم الأمر ... وقد خنا مقام الخصام
فاحكم اليوم ما تراه وإنى ... فى لهيب وشدة وغرام
وعليك السلام ما دمت حياً ... أبد الدهر مع مدا الأيام

(قال الراوى) ولما انتهت الأميرة من شعرها وفرغت من نظمها ونثرها قام الحارث بن ظالم وقد فرق ثيابه وعلا بكاه وانتحابه ونادى وامصيبتاه واذلاه ثم أنه انشد وجعل يقول :

مولاى قد غدرت عرسى وقد فجرت ... وقد أتت بغلام يشبه الظلم
ونحن بيض فمن أين السواد لنا ... دعوا المحال وقد مالت الى الخدم
حتى اذا ما بدا هذا الغلام لنا ... بشبه أقدامه يمشى على قدم
وليس أسمع من هذا الكلام لنا ... الا بقول صحيح واضح الفهم
فإن حكمت بجور انى رجل ... أمضى الى الروم مرتد عن النعم

(قال الراوى) فلما فرغ الحارث بن ظالم من شعره وثب أبوه ظالم على قدميه وأشار بيده نحو الامام جعفر وقال هذه الابيات :

يا سيدى اسمع مقالة واحد ... واحكم بفضل للخؤون الفاسد

جاءت به مثل الظلام ومن يرى ابن يحى بالضد يا ابن الأماجد
وإن هذا ما رأيناه عمرنا والبيض تأتى بوليد أسود
فإن حكمت لها فسوف نذيقه كأساً من الموت الذى هو وارد
ولئن حكمت لنا فنحن بأسرنا نمضى نصارى بعد ظلم زائد

(قال الراوى) ولما أن فرغ ظالم من شعره وثب الفضولى المرتاب عقبة الكذاب وابدى ما عنده من الابيات وانشد يقول :

حق الكلام عليه فكن حافظا رعاك الله واحكم بحكم واضح
ما أسود كالليل يحكى ابيض كلا ولا قس يشابه صالح
ولا ضوء النهار كحندسة الدجا كلا ولا عذب المياه مثل المالح
هذا عبيد الله سيد قومه وسليم مع ابطالها يا ابطح
يبغون حكمك للصواب فما أرى جنح الظلام مثل صبح واضح
فانظر رعاك الله للحكم وانتبه ووضح له التبيان يا خير ناصح

(قال الراوى) فما بقى منهم أحد إلا وأنشد شعر ونظم نثر ثم قام بعد ذلك الامير مظلوم وقلبه مهموم وأشار يقول هذه الابيات :

إن المصيبة بينكم يا إخوتى قد آلمتنى فاسمعوا لبليتى
ويلاه مما نالنى من بعد ما قد كان منى إذ رمانى بنكبة
يا ليتنى من قبل يومى ههنا لقيت يوما كان فيه منيتى
ولا شاع هذا الامر من بين الورى ولا نشأت عنى هذى القصة
احكم علينا أو لنا ياذا العلا فلأصبرن على جميع بليتى

(قال الراوى) وما انتهى الامير مظلوم من هذا الكلام حتى قام الامام جعفر رضى الله عنه قائما على الاقدام وحمد الله تعالى وأثنى بسوابغ الانعام وصلى على سيدنا محمد وآل بيته الغر الكرام وقال الحمد لله منشى الايام وخالق الخلق بقدرته ومحيي العظام برحمته الدال بلطف حكمته على وحدانيته وصور الانسان من نطفة أمشاج وقدره فى قرار داج وجعل ضلوعه وعظامه مستوية حتى قدره تقديرا وجعله سميعا بصيرا أظهره فى أحسن تقويم ذلك تقدير العزيز العليم اعترفت المخلوقات بربوبيته وقد خضعت رقاب الجبابره لقهر عظمته ثم بعث لخلقه برحمته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بشير الهم ونذيرا صلى الله عليه وعلى آله وجميع صحابته ثم رود جعفر كلامه

والخلائق خلقه وأمامه وقد علمت الأميرة ذات الهمة ان كلامه شريف فطمعت فى براءتها ووقع ذلك فى خاطرها وحدثتها نفسها وسرائرها فعند ذلك أقبل الأمام جعفر بوجهه عليهم وقال معاشر من حضر أما نزل حكم الله ان الابيض من الاسود والاسود من الابيض ليس يصعب على الله ولا ينفد من قدرة الله كل أحد يقدر يضع الابيض أسود والاحمر والاخضر ولا يقدر يضع الابيض أسود الا الله والله سبحانه وتعالى قادر ان يقول للشيء كن فيكون وأمره بين الكاف والنون خلق عيسى بن مريم من غير أب ومع ذلك أخبركم ان الرجل اذا جامع زوجته وهى حائض جاء الولد أسود لان الله تبارك وتعالى خلق الانفس على جلالتها من النطفة كما بدأ الاشجار على منابتها والتحف وركب هذا الجسم الابيض الوسيم الكريم من هذا النطفة الحقيره فى ظلمات الاحشاء وهو يديرها كيف يشاء قال فعندها ضجت الناس بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم انه أقبل على الحارث وقال ياحارث انت لما دنوت من زوجتك كانت حائض قال نعم فضرب الامير جعفر كف على كف وقال صدق الزاجر وما كذبت الضمائر اعلموا يا معاشر وأصحاب المناصب والرتب ان مثل هذه الحكومة جرت بين يدى جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل اليه مثل هذا الغلام أسود وأمه وأبيه أبيضان فحكم انه ولدها لانه اتى فى زمن الحيض وقال ان الرجل اذا واقع زوجته والدم أسود مختنق فى أول الحيض جاء الولد أحمر اللون وان واقعها عند انتهاء الحيض وصفاء الدم جاء الولد شبيها لابيه وهذا حكم جدى وأنت ياحارث واقعت زوجتك وقد لحقها مايلحق النساء من الحيض والمستحاضه دمها أحمر والحيض أسود والنطفة بيضاء ودم المرأه أغبر فاجتمع أحمر وأبيض وأسود وأغبر وخلق الخالق ودبر وهذا الرجل قد اعترف انه قد استقضى زوجته وهى حائض والولد ولده فان شاء يقربه وان شاء يبعده ثم ان الامام رجع وكرر النظر فى وجه عبد الوهاب وقال والله ليكونن هذا الولد مجاهدا فى سبيل الله تعالى وركنا للأسلام ثم دعا له بالبركه فى حياته والذكر الجميل بعد مماته وشهد للأميرة انها برية من الزنا فعند ذلك فرحت بقوله وأشارت اليه تقول هذه الابيات :

كم للإمام أبو الرضا من قصة ... مشكلة حل لها إشكالها
حتى أقرت ألسن القوم أنه ... لولاه ماحـــل بها كمالها

قد ضعضعت منبرها وكركرت بشعرها لولاه فى أمالها
قد اضمروا ياصاح قتلى معشرى وأوعدونى بالردى أقيالها
وعايرونى ان لإبنى أسود ثم رمونى بالخنا انذالها
ياجعفر الصادق قد نلت المنا ورد اعداء العدا اضلالها

(قال الراوى) ولما سمع جعفر الصادق رضي الله عنه ما نطقت به الأميره من فصاحة اللسان واللفظ البليغ تعجب منها ومن قوة جنانها ثم دعا اليها ومد يده المباركة على رأس عبد الوهاب ودعا له بالسلامة والنصر على الأعداء وشهد له أن يكون ترس قبر النبي صلى الله عليه وسلم الا أن الحارث لما نظر إلى ذلك الحال الذى جرى قام من المجلس وخرج من المكان الذى كان فيه انينه وتقطعت مصارينه وخرج أبوه ظالم من خلفه وهو نادم ودمعه دافق ولم ير هذا الكلام له موافق ثم تبعهم عقبة المنافق وكان الأمير مظلوم صافى النيه ففرح بما جرى فى تلك القضية وقال لأخيه ظالم ما بقى من هذه العلائم ايضاح وحق الكريم الفتاح فقال ظالم ما يكون الإ الصلاح الاانهم اخفوا الكمد ولم يعجبهم ما تجدد ولم تطب قلوبهم بهذه الحكومه وقال ظالم وحق من له الملكوت والظلمه ما أجعل أولاد الزنا منا هذا والأميره ذات الهمة قد ودعت جعفر الصادق وخرجت من عنده فوقع كلام الحارث فى مسامعها فجردت سيفها وقالت يامعاشر الحضار ما بقى بعد هذه الأخبار التى تلقنت عن النبي المختار الا الهلاك والدمار والله لان لخشتم فى الكلام لامكنن منكم الحسام ولما ان سمعوا ذلك الكلام وضعوا ايديهم فى مقابض سيوفهم وأرادوا ان يوقعوا الحرب بينهم واذا بالامير عبد الله قد حضر وقال والله لقد اخطأتم فى ذلك التدبير الآن بعد ان اتضح البرهان وظهر الحق وبان اتريدوا أكثر من هذا البرهان بعد ان نطقت أنت يا حارث امام الأقوام باللسان وأنا بعد ذلك اعلم انكم ما عدتم تجتمعون أبداو أنا كل يوم معكم فى عناء ثم أقبل على ذات الهمة وأبيها وقال لهم الرحيل من أين والمسير إلى أين وأن راعى مكة أرسل معهم جماعة لاجل وداعهم (قال) وصاروا القوم يجدوا فى مسيرهم وذات الهمة فرحانه بما وصل اليها وانعم الله به عليها وهى تقول ياذو الجلال والاكرام يارب السموات والأرضين اتمم هذا الأمر والبرهان فان التمام بالأحسان ثم انها لكزت جوادها فى مقدمة قومها وأشارت تقول :

الحمد لله كم من غمة كشفت عنى وزالت بتحقيق وتبيين

الحمـــد لله ربى لاشريك له   فهو ربى ومعبودى له دينى
الحمـــد لله مظهر الحق على   أعلا المقـامات تشريفاً وتزيين
سبحانه من عظيم واحـد أحـد   منزه عن مقالات المـــلاعين
سبحانه من رحيم راحم صمـد   كريم وجابر جميع المساكين
سبحانه هو المقصود لكل من   قصده فهو خالق الخلق من طين

(قال الراوى) ورحلوا من مكة طالبين أرض بغداد وعقبة الملعون يوقع الفتنة بين ظالم ومظلوم ويقول ماهذا الحديث والكلام وحق الملك العلام أن هذه تكثر فى حقكم الكلام بين الأنام وهو لايفارق الحارث ولا أبيه وهو بطول الطريق يحرضهم على ذات الهمة ويقول للحارث يا أخى لا تقبل هذه الحكومة ولا تقر قدام الخليفة بهـذا الولد الزنا الذى حكموا به أنه ولدك وأكلوا عليـك الرشا وهـذا شيء لايوافقه شرع لأنى أنا قد قرأت سائر الكتب وحفظت سائر العلوم وهذا الذى قالوه من طريق النجوم وما يمكن الإنسان يتكلم إذا كانت أهل الظلم أكثر من أهل العدل ووالله أن شد الزنار والمقام فى بلاد الكفار خير من الذل والشنار قال وكان قول عقبة بن مصعب طعن فى قول جعفر الصادق حتى يكذبه ولا يصـدقه ويرغب ظالم وولده الحارث فى الزنار ودين الصليب فقال الحارث والله يا فقيه ما أنا رايح بغـداد إلا لأجل هذه العاهرة الفاجرة ولأجل هذا الولد الزنا الذى تنسبه إلى ولعلى أجـد فرصة قبل أن تدركنى الغصة فأقتلها وأقتل ولدها معها أما فى الطريق وأما فى ملطيه وإلا ما كنت سرت أنا وأبى إلا على القسطنطونية قال ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بغداد وضربوا خيامهم على الدجلة وعلم الخليفة بهم فأخرج لهم الضيافات والعلوفات وأكثر لهم من الإحسان والكرامات ومن الغد ركب الأمير عبد الله فى وجوه بنى سليم وركبت الأميرة وأبوها مظلوم فى وجوه بنى الوحيد وبنى كلاب وإلى جانبها الأمير عبد الوهاب على بغلة هينة الذهاب وركب ظالم والحارث إلى جانب أبيه فى عشرة رجال وساروا جميعهم إلى باب القصر الشريف ثم استأذنوا فى الدخول فأذن لهم فترجلوا عن الخيول ودخلوا على أمير المؤمنين المهـدى وهو جالس على كرسى خلافته والموضع هامد من هيبته والأمراء والوزراء وأرباب الدولة قيام على الأقدام هذا والمجلس قد شملته الهيبة وجللته السكينة والوقار والخليفة مطرقاً برأسه كثير الأفكار قال فتقـدم الأمير عبد الله بعد ما قبـل الأرض وخـدم

وكذلك فعلت ذات الهمة والأمير مظلوم وبعدها تبادرت أمراء بنى كلاب وقبلوا الأرض بين يدى الخليفة ووقفت الأميرة ذات الهمة وبين يديها ولدها عبد الوهاب والمجلس ساكت وكل أحد قد شملته هيبة الخلافة والناموس قال فعندها رفع الخليفة رأسه إلى عبيد الله وقال له يا أمير ما السبب الذى أخرجكم من ملطيه وكيف أنت فى أمارتك فى تلك الأطلال وإيش تجدد عندكم من بلاد الروم وأخبارها فقال عبيد الله وحق أنعامك علينا يا أمير المؤمنين عندى شغل قد أشغلنى عن بلاد الروم وقد عجزت عن هذه الخصوم وما حضرت هذه الحضرة النبوية إلا لأجل أن نفصل هذه القضية فقال الخليفة وما هو الامر فابتدأ الامير عبيد الله على أمير المؤمنين قصته وقصة عبد الوهاب وأبيه الحارث وما جرى له فى مكة فبقى الخليفة حاير وأدار عينه بالوقوف فوقفت عينه على عبد الوهاب فجعل يمعن اليه طويل وبهت اليه غير قليل وقال لعبيد الله اشرح لى قصته فقد سمعت من غيرك قضيته ثم قال لعبد الوهاب أدن منى ياترس قبر ابن عمى فعندها دنا عبدالوهاب بعد ما قبل الارض بين يديه وأخذه وقبله بين عينيه بعد ما أجلسه على ركبتيه والناس قد داخلهم العجب وهم ناظرين اليه فلما فرغ الخليفة من ذلك أقبل من وقته على الحاضرين من العلماء والفقهاء والقضاه والاشراف والامراء وأرباب الدولة وقال لهم فى أى شيء أحضرتكم فقالوا يا أمير المؤمنين أحضرتنا تقول إنك رأيت مناماً وتريد أنك تقصه علينا ثم قلت لنا فى المنام شريك ونحن فى انتظاره وهؤلاء قد دخلوا علينا فقال الخليفة الله أكبر الله أكبر وحق النبى المطهر فخر ربيعة ومضر هذا الصبى الذى كان شريكى البارحة فى المنام وهو كأنه البدر التمام والسبب فى ذلك إننى كنت فى ليلة من الليالى قد صليت العشاء الاخيرة ونمت فرأيت إبن عمى محمد صلى الله عليه وسلم فى المنام وفى يده عرق رطب جنى فقلت يا رسول الله قتلنى الشوق اليك وقد أحببت السلام عليك صلى الله وسلم عليك فقال ها أنا جئت اليك وجئت لك من الجنة بهدية وأريد أوصيك بوصية فقلت وما هى الوصية يا رسول الله فلم يرد على بل صار يلقمنى لقمة ويطعم هذا الغلام أخرى فلما نظرت إلى ذلك قلت يا رسول الله من هذا الغلام الذى تقسم بينى وبينه هذا الرطب وقد سبب الله تعالى هذا السبب فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا غلام مظلوم متهوم بالزور والبهتان والعدوان وقد نظر الله تعالى إلى كسر قلبه فعوضه

من شقاء الدنيا بنعيم الآخرة وهو من يطلب نصرتى وبه تسير فى الدنيا كلمتى يبذل نفسه فى طاعة الله وطاعتى فلما يحضر بين يديك فانصره على عدوه فلما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الكلام ميزت وجه الغلام فعرفته فقلت يا رسول الله ما سبب قهره والعداوة التى بينه وبين أقرباه فقال صلى الله عليه وسلم اعلم أن أباه قد افتض أمه وهى حائض فجاء هذا الولد أسود والنطفة جاءت بما عليها من الدم فخالط الغلام فصار كما ترى عيناك ثم انتبهت فوجدت حلاوة الرطب فى قلبى إلى الآن وهذا الذى قد رأيته فى المنام وقد جمعتكم لاجل تفسير ذلك وقد تفسر منامى وزال كربى وآلامى وهذا الشخص قد حضر وصدق قول سيد البشر الذى من صلى عليه لم يخسر قال فلما سمعوا الحاضرين ذلك الكلام أقشعرت منهم الابدان وتغيرت منهم الالوان ووثبوا فى الحال إلى عند الامير عبد الوهاب ورفعوه على لايدى والرقاب وقبلوه وقد علا فيهم فى ذلك الوقت البكاء والانتحاب وأقبل عبيد الله على الحارث وقال له يا وجه العرب تريد أكثر من هذه الشهادة فاشكر الآن ربك على هذه السعادة وما بقى بعد ذلك إلا أن يخاطبك ربك مثل موسى عليه السلام قال الحارث وذمة العرب لايميل طبعى إلى هذا السبب (قال الراوى) وقد سمع أمير المؤمنين المشاجرة بين عبيد الله وبين الحارث فقال له ما حالك وقد صح البرهان وقد شهد لعبد الوهاب سيد الاكوان فقال الحارث يا أمير المؤمنين لو قطع جلدى بالحديد ما قربت أولاد الزنا والعبيد قال فلما سمع الخليفة من الحارث هذه الكلمة التى هى غير مرضية قال هذا الكلام كلام من طغى فى الشريعة المحمدية ثم قال خذوهم فوثبوا اليهم الخدام والعبيد وضربوهم بالاعمدة الحديد وقد أمر الخليفة بسجنهم فجروهم على وجوههم فى التراب وعذبوهم بأنواع العذاب فصعب ذلك على الامير عبيد الله أمير بنى كلاب قال ولما نظر عقبة إلى المجلس وقد صفا قام قائماً على قدميه وقال الحمد لله الذى شد أزار المسلمين بمولانا أمير المؤمنين الولى المجاهد المجتهد الماجد من أوقدت به مصابيح الإسلام وأظلمت به ربع الكفرة اللئام ثم حمد سلالة العباس المطهرة من جميع الادناس بالخليفة الإمام أهل العزم والوقار والهيبة والاهتمام من طاعته فرض على جميع الانام ثم أنشد وجعل يقول :

أمير المؤمنين هناك دهراً ... أنارت فى مطالعه السعودا

تدوم ما غدت فى الايك طيراً ... وأورق من رياض المجد عودا

أدام الله عزك فى رضاء أدام لك البقاء وأفنى الحسودا
فأنت مقيم العدل فى الناس حقا وأنت بين الورى أصيل الجدودا

(قال الراوى) ثم نثر بعد نظامه نثراً حسناً فأعجب الخاص والعام وفرح به أمير المؤمنين الإمام وسأل عنه من يكون من العرب الكرام فقال الامير عبيد الله يا أمير المؤمنين هذا ابن عمنا وإمامنا وفقيهنا واليه تلى أحكامنا فقربه الإمام وأدناه وأمر له فى عاجل الحال بخلعة وهى أول خلعة خلعت وأخذت من بنى العباس وطابت منه الانفاس ثم أمر الامام الأمراء بإكرام عقبة بلاه الله بألف نكبة وخلع على الامير عبيد الله وخلع على ذات الهمة وعلى مظلوم وعبد الوهاب ولما هموا بالعودة إلى الخيام أمر الخليفة عبد الوهاب ببغلة النوبة بمركب ذهب مرصع بالجواهر والياقوت الأحمر يأخذ بالبصر ووهبه عشرين عبد سودان من أولاد حام وأوصاهم بخدمة الأمير عبد الوهاب فى الليل والنهار وكانوا عبيد أجلاد شداد أنجاد وفيهم عبدين هائلين أحدهما إسمه نافع والآخر ميمون الجماس وما سمى الجماس إلا أنه كان فى قدر الجاموسة وباقى العبيد كذلك قال وركب عبد الوهاب والسودان فى ركابه وقلبه قد مال اليهم وأمه إلى جانبه بالخلع السنية والتشريف وقد وقع لهم توقيع بالقلاع التى عند ملطية توقيعاً صحيحاً وأمروا عليهم عبد الوهاب على بنى كلاب كما أن الأمير عبيد الله مؤمر على جميع بنى سليم إلا أن الأمير عبيد الله رجع إلى الخليفة وقبل الأرض وخدم ودعا بدوام العز والنعم وشفع فى الأمير ظالم وولده الحارث فقبل الخليفة ذلك وأمر بحضورهم إلى بين يديه وكل منهم حضر وهو خائف وجلان بما جرى عليه من خليفة الزمان من الذل والهوان فأمرهم الأمير عبيد الله فى طاعة عبد الوهاب وأمه الاميرة ذات الهمة فأجابوا الى ذلك ثم عادوا الى الخيام فأمروا الناس بالرحيل فرحلوا من وقتهم طالبين ملطيه ونحن نصلى على خير البرية هذا وقد انفرد ظالم بابنه على العساكر ومعه ألف فارس والفقيه عقبة السلمى وهو يتوجع لهما لما نالهما ويقول لظالم يا أمير على أى شيء قد عولت الساعة أن تعمل قل لى حتى دبر برأيى السعيد الذى هو عن طريق الخير يفيد فقال ظالم والحارث إيش بقينا نعمل يا فقيه هل بقى لنا رأس تشتال بين العرب أو كلمة تسمع بين أهل الحسب بعد ما تم علينا من الخليفة ما تم من الاخراق وقلة الأدب وما بقى بعد اخراقنا بين تلك الامم إلا حنا ومريم والصليب لا بد لنا

ما نسوق العرب من الحجاز والروم والاهواز واجعل بلاد الحجاز فى هذا العام كلها دكا وأسفك الدماء سفكا وما أريد منك أيها الشيخ إلا كتمان الحال حتى نبلغ من الأعداء الآمال فقال عقبة لك على ان أكتم حالك وأجتهد فى بلوغ آمالك لأنك لا تلام على ما تفعل ولا ترضى بالذل نفس أبية ونخوة عربية وأما دخولكم إلى بلاد الروم فما هو مذموم فإن أقمتم على دينكم فما يكرهكم أحد وإن شئتم أن تتنصروا فما عليكم جناح بل تكونوا عندهم أعز من الأرواح وبعد ذلك فإن الأديان من بعضها متقاربة كما أن الخلق متناسبة وها أنا لكم فى ملطيه أكاتبكم بما يجرى من الأسباب فشكره الحارث وظالم على ذلك (قال الراوى) كل هذا وهم سائرين فى الطريق يقطعون الأرض فى طولها والعرض إلى أن وصلوا الثغور ووصل الأمير عبيد الله إلى ملطيه فرحانا مسرورا ونزلت الأميرة ذات الهمة إلى خيامها وقد زال عنها المحذور وسار ظالم والحارث وهم راكبين حتى وصلوا قلعة المنجنيق قال وكانت هذه القلعة قريبة من بلاد الروم هذا وقد شاع الخبر فى سائر البلاد بما جرى لذات الهمة وولدها عبد الوهاب فى الحكومة فى بيت الله الحرام مع ظالم والحارث وعودتهم إلى بغداد فعلموا أن القبيلة دخل فيها الشك فدخل مع ظالم الذين يبغون الحرام ويقطعون الطريق حتى اكتمل عنده اثنى عشر ألف زنديق أو يزيدون ففرح بهم ظالم وازدادت فرحته وقص عليهم قصته وقال يا بنى عمى أنا ظالم ابن الصحصاح الضارب بالصفاح الطاعن بالرماح نفسى شريفة وهمتى منيفه وكيف أصبر على الضيم والذل والهوان والاخراق وقد سمعتم ما جرى على فى بلاد العراق وما جرى لى من الاخراق وبعد هذا فما اقعد عن هذه العاهرة وولدها الأسود الزنيم الوغد اللئيم حتى انى اعدمهم الحياة واسقيهم شراب الوبال فهل أنتم لى سامعين ومساعدين على ما أفعل وإلا امضى وارحل عنكم فقالوا كلهم أيها الأمير نحن فى خدمتك وبين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ونحن إلى خدمتك أسبق من الفرس فى جريانها والطير فى طيرانها فلما ان سمع ظالم منهم ذلك الكلام فرح غاية الفرح وقال لهم اعلموا انى قاصد بلاد الروم إلى القسطنطونية من دون البلاد واجلب العرب من الحجاز وتلك المهاد وابلغ ما أريد من الأعادى والحساد واملك الروم وبلاد العراق وبغداد حتى يعلم الخليفة ان مثلى ما يهان ولا يفعل فى حقه هذا الهوان فقالوا له رجاله أيها الأمير افعل ما تريد فنحن لك مثل العبيد فقال الآن خذوا

الاهبة حتى نسير فى أول الليل بالظعن والمال والحريم ولا يصبح الصباح إلا ونحن فى بلاد بعيدة وأن من لحقنا ضربناه بالسيوف وسقيناه شراب الحتوف فأجابوا بالسمع والطاعة وأخذوا أهبتهم من تلك الساعة وصبروا إلى أن أظلم الظلام وقوضوا المضارب والخيام وشالوا الحريم والعيال والمال واستقبلوا الربا والوهاد ولم يشعر بهم أحد من الخلق والعباد حتى دخلوا فى القفار فاتصلت الأخبار إلى الأمير عبيد الله من الرستاق بما عمل ظالم فاغتم غما شديد ما عليه من مزيد وأحضر وجوه بنى سليم وبنى كلاب وأطلعهم على تلك الامور والأسباب وكتب إلى ظالم فى عاجل الوقت كتاب يخوفه من الله تعالى وينهاه عن التنصر واتباع هواه ويسأله العودة إلى بين يديه حتى يوصل احسانه اليه ثم أرسل الكتب مع نجاب من بنى سليم الأخيار وأوصاه أن يجد فى القفار ويرجع سريعا فسار ليلا ونهار وغدوا وابكار حتى انه لحق ظالم وأوصل الكتاب اليه بعد أن قبل الأرض بين يديه فأخذ ظالم الكتاب وفكه وقرأه وعلم ما فى بطنه ومعناه ورد الجواب يقول أما بعد فقد وصلنى جوابك أيها الرجل الفاسق الجاهل المنافق لأنك صدقت امرأة فاجرة وعاونتها علينا وقد وقفت على كتابك وشقشقة لسانك فإن كنت تريدنى إلى خدمتك ووطىء بساطك فاقبض على ذات الهمة وولدها وأنفذهم إلى حتى أجيب مقالك واسمع كلامك وان لم تفعل ذلك ففى هـــذه السنة اطمس اسمك وامحى رسمك وادرى عظمك مع لحمك واجعل منازلك خراب يأوى فيها البوم والغراب لأنك قد بعت مثلى وأنا ظالم بن الصحصاح ومعى اثنى عشر ألف فارس شجعان بامرأة فاجرة عاهرة ما لها قدرولاقيمة ثم انه أعطى الكتاب للرسول فعاد حتى وصل إلى ملطيه وأوصل الكتاب إلى الامير عبد الله فأحضر الناس من بنى سليم وبنى كلاب وقرأ الكتاب على رؤس الاشهاد وما فيه من الخطاب فكانت الاميرة حاضرة بين الخـــلائق (قال الراوى) فلما سمعت الاميرة ذلك الخطاب نهضت قائمة على الاقدام والمجلس بالناس ملآن ونادت أيها السيد الرئيس والامير النفيس لا تضيق صدرك ولا تشغل سرك من أجلى أنا وولدى فإن كنت ترى فى تسليمنا إلى هذا الظالم اصلاح لشأنك فافعل ما بدالك وأنا طيبة القلب بأفعالك ثم انها بكت حتى أبكت الناس لبكاها وشكروها على فعالها ومقالها فقال الفضولى عقبة قاتله الله وقد قام على قدميه وشخصت الناس اليه ونادى أيتها الاميرة المصونة والجوهرة المكنونة والله ما سلمنا كى إلى أعداكى أبدا

ولو شربنا الردى وكيف نسلم ولدك وقد بدت نجابته وثبتت على بنى كلاب أمارته وشهد النبي صلى الله عليه وسلم ببراءته وأنه ترس لحجرته بل خدمتكم واجبة على كل أحد لانكم على المنهج الصحيح والحق المبين الواضح قال فعندها شكرته الاميرة على ذلك وقال له الامير عبد الله جزاك الله خيرا أيها الفقيه الأجل والكهف الأطل الرفيع المحل لأنك ركن الإسلام والمسلمين والعلماء والزهاد والعابدين ولا بد ما ندبر على هلاك ظالم والحارث قبل أن يدخلوا بلاد الروم ويكفروا بالحى القيوم لانه ماأنفذ لنا هذا الكتاب وخاطبنا بغليظ الجواب إلا وقد عزم على سبب من الأسباب (قال) وأما الفقيه عقبه فما بقى أحد من الحاضرين إلا وشكره على مقاله وتقدم الحصين بن ثعلبة الى بين يدى الأمير عبد الله وقد قال أيها الأمير قد خطر لى كلام وأريد أن أبديه اليك فإن رأيته صواب فافعله وإن كان خطأ فاتركه واهمله فقال الأمير عبد الله قل أيها الأمير الصواب فقال تنادى فى بنى كلاب السادات الأنجاب وبنى سليم الكاشفين الضيم وتأخذوا الأهبة فى المسير فى غداة غد من أول النهار حتى نكبس ظالم ومن معه من الفرسان قبل ما يدخلون بلاد الروم ويعظم الامر والشان وينفروا علينا بلاد الروم وأهل الطغيان فقال عبيد الله والله لقد نظرت فى موضع النظر ومثلك يكون أمير مفتخر وإن لم يقتل ظالم بقينا كل يوم وساعه فى خطر ثم أنه أمر العساكر أن يبرزوا إلى ظاهر ملطية فلما كان عند الصباح رحل بالعساكر فى تلك البطاح ولم يزل سائر إلى أن أشرف على المكان الذى كان نازل فيه ظالم فلم يرى خبر ولم يقع له على أثر قال وكان الخبر قد وصل الى ظالم قبل قدوم العسكر لان عقبة لما نظر إلى تلك الامور انفطرت مرارته وخاف على ظالم أن يكبس وتتلف مهجته ويشفى غليل ذات الهمة منه فدخل فى عاجل الحال الى منزله وكتب كتاب إلى ظالم وشرح فيه جميع ما جرى فى ملطية ويقول إياك ثم إياك أن تبيت فى مكانك فتهلك أنت ومن معك من العساكر ثم استدعى من وقته وساعته بغلام كان عنده يدخره للشدائد وأمره بجد المسير فسار فى عاجل الحال يقطع الأرض فى طولها والعرض وطلعت من بعده العساكر وقد ملأت الأرض وكان الامير عبيد الله يسير بهم الليل ويكمن بالنهار حتى لا يعلم بهم ظالم الغدار ثم أنفذ بين يديه جواسيس ثلاثة وكان ظالم لما وصل اليه كتاب عقبة كان ظنه أنهم يرسلوا له ذات الهمة وولدها ليقتلهما فلما وصل اليه كتاب عقبة مع الغلام ففكه وقرأه

وفهم معناه فرحل من وقته وساعته وهو يقسم بأعز الأقسام ليريه من يكبس صاحبه
وما زال سائر إلى أن وصل إلى سرج الديباج وبقى بينه وبين القسطنطونية سبع أيام
وكان كلما عبر على قرية من قرى الروم يخرج مقدمها اليه وهو فى ذلك العسكر
الغزير وهو لا يؤذى أحد وكل من سأله عن حاله يقول أنا سائر الى ملك الروم لنصير
فى ديوانه فيخرجون اليه بالإقامات والعلوفات حتى نزل سبعة أيام وعلم أنه قد
انقطع عنه الطلب أرسل إلى ملك الروم رسول من عنده يقال له ذو عقل يشرح له
قصته واقام ينتظر رد الجواب (فهذا) ماكان من هؤلاء ٭ وأما ما كان من الأمير
عبيد الله والعسكر فإنهم ساروا كما ذكرنا فما وجدوا أحد كما وصفنا لأن الجواسيس
عادت وأخبرتهم أن ظالم رحل إلى القسطنطينية فاغتم الامير عبيد الله وصعب عليه
وكبر لديه وقال والله لقد ضاع تعبنا وما وصلنا إلى طلبنا فقال له الحصين والله
ما رحل ظالم إلا والخبر وصل اليه من عندنا فقال الأمير عبيد الله صدقت ولكن
الصواب أن نرحل من قبل أن يعلموا بنا بلاد الروم ويملكوا علينا الدروب ثم
رجعت العساكر طالبة ملطية (فهذا) ماكان من هؤلاء ٭ وأما ماكان من ظالم فإنه
لما وصل اليه الخبر بأن العساكر قد ساروا فى طلبه فقال والله ما أرحل إلى بلاد
الروم حتى أؤثر أثر ثم أنه أوصى ولده الحارث بحفظ المال والحريم والعيال وأخذ
ألف فارس أبطال قناعس حتى قرب من ملطية فلما وصل الى الدروب أكمن هناك
ونظر بعينه وإذا قريب من قلعة المنجنيق خمسين فارس يتراكضون فلما رآهم ظالم
ورجاله قال لهم إياكم وهذه الفرقة لا ينجو منهم أحد إلى ملطية فربما يكون
منهم ذات الهمة أو ولدها عبد الوهاب وقد قوموا رجاله الأعنة واطلقوا الأسنة
وانطبقوا عليهم مثل العقبان وسدوا عليهم الطرقات من كل جانب ومكان فلم تكن
إلا ساعة حتى أخذوهم عن بكرة أبيهم ولم ينجو منهم من يخبر بخبر وأخذوهم إلى
بين يديه وإذا فيهم عمرو بن عبيد الله وكان له من العمر سبع سنين ومعه خادمه فائق
وكان عمرو خرج يتفرج على الصيد والقنص ومعه رجال من بنى سليم فلما رآهم
ظالم فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال هذا ولد الذى أراد أن يكبسنى وبه
أنال من ملك الروم كل ماأريد ثم شد الكل على خيولهم وسار يطلب ولده الحارث
وهو يكد الخيل ويسير سير الخائف الفزعان (قال) فهذا ما جرى هاهنا وأما ماكان
من الامير عبيد الله فإنه عن هذا الأمر غافل ولم يدرى ما جرى على ولده حتى جاء

وقت المغيب وصلت اليه الرعيان وأعلموه بهذا الشان فلطم على وجهه وخرق أثوابه وبكا فبكوا الناس لبكاه وانتحبوا لانتحابه وأمر بنى سليم بالركوب والمسير اليه فقال له الحصين لاتتعب سرك أيها الأمير والسيد الخطير لأن الذى أخذ ولدك سار سير الخائف الفزعان وقلبه طائر من الخفقان فبينما هم فى ذلك الكلام وإذا بالأميرة دخلت اليه وسلمت عليه وتوجعت مما جرى عليه وقالت بعد ذلك يا أمير ما بقى غير جمع العساكر والمسير إلى بلاد الروم قبل أن يحثهم ظالم علينا ويأمرهم بالمسير الينا فقال والله يا أميرة ماكنت بالذى أتخلى عن ولدى وهو واحدى ومعتمدى ولا بد فى غد اكتب الى بلاد الحجاز وأسوق كل من فيها من العرب وأغزو بلاد الروم وأخرب الأقاليم والرسوم حتى يخلص ولدى فقالت الاميرة ذات الهمة وأنا والله أكتب إلى بنى كلاب واسيرهم بين يديك وما نرجع ان شاء الله تعالى الا ان يرجع ولدك اليك فشكرها على ذلك واقاموا يجمعون العساكر من كل بر وسبب هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من ظالم فإنه سار بعمرو بن عبيد الله حتى وصل الى ولده الحارث فوجد عنده وزير الملك لاوون لأن كتاب ظالم لما وصل الى الملك لاوون وسمع ان اثنى عشر الف فارس سايرة اليك لتكون من جملة خدمك وجندك ففزع من ذلك وخاف أن تكون هذه حيلة من الحيل فقال لوزيره وكيف ذلك إذا دخل اثنى عشر الف فارس من المسلمين مانؤمن على البلد منهم فقال الوزير اذا تنصروا وخرجوا من دينهم وأكلوا لحم الخنزير فادخلهم حينئذ وأمنهم إذا كانت نياتهم خالصة للدين العتيق فإنهم ما أتوا إلى بلادنا إلا من شدة او ضيم قد نالهم لأنى سمعت ان العرب الذين فى ملطية قد اختلفوا وقد وقع السيف بينهم ولا أظن هؤلاء دخلوا الينا إلا من أمر جرى لهم فقال الملك إذا كان الأمر كذلك فسر أنت أيها الوزير اليهم ولما تبقى عندهم اشرط عليهم ما تريد من الشرط إذا سمعوا كلامك ودخلوا تحت الشرط كان هو الصواب وإن لم يرضوا هذا والا أمرت عساكر القسطنطينية أن تخرج اليهم وأكتب الكتب من عندى الى بطارقه الروم أن تمسك عليهم الدروب ولا تدعهم يخرج منهم أحد (قال الراوى) فقال الوزير السمع والطاعة أنا أسير أيها الملك اليهم فى هذه الساعة ولا تعرف تمام هذا الأمر الا منى ثم أنه قام من وقته وساعته وسار اليهم فى خمسين بطريق من خواص الملك لاوون بالزينة البهية والثياب الرومية والزنانير الابريسمية وأخذ معه عشرين قس وراهب من علماء الملة المسيحية

وسار بهم الوزير الى أن وصل الى بنى كلاب (قال) ولما أن وصل الى عسكر بنى كلاب وسمع الحارث به استقبله أحسن استقبال فقال له الوزير يا ولدى أنت المقـــدم على هذا العسكر فقال له أنا ولد المقدم على هـــذا العسكر وان أبى قد سار الى ملطية ليغزى عليها ويقتل ابطالها ثم حدثه بما جرى من أوله الى آخره فطاب قلب الوزير بذلك وقام حتى عاد ظالم كما ذكرنا ومعه عمرو كما وصفنا ورأى الوزير فى انتظاره وان ظالم سأل الوزير عن قدومه فقال أيها الامير ان كتابك قد وصل الينا وفيه شرح ما أنت فيه فقال الملك نخشى أن تكون حيلة علينا من المسلمين ولا نأمن اليهم الا أن يبرؤوا من دينهم ويأكلوا لحم الخنزير ويشربون الخمر العصـــير فإذا فعلوا ذلك أمناهم وادخلناهم فى بلادنا وأقطعنا لهم قطاع من ديارنا وامصار من أمصارنا ما لم يقدر عليه خليفتهم فقال ظالم يا شيخ ما دخلنا إلى هذه الديار الا لشد الزنار وسائر ما قلته نفعـــله ونأكل كما تأكلون ونشرب كما تشربون ونجاهد كما تجاهدون وها أنا كما ترى عدت الى بلاد المسلمين وقد أسرت ابن أمير العرب جمعا ومعه خمسين فارس والكل يحضرون بين يدى الملك وان امرنى بقتلهم ضربت رقابهم بين يديه ولا يضيق صدره على ذلك حتى يعلم الملك أن نيتى خالصة الى دين المسيح وانه الدين الصحيح (قال) ولما سمع الوزير ذلك بان له صحة قوله ورد الرجال الذين معه وقال لهم ارحلوا بارك المسيح فيكم الآن نجوتم من النيران والعذاب الأليم وأبشروا بالغنى من الملك الرحيم فعندها رحل الحارث برجاله وأبطاله وساروا حتى بقى بينهم وبين القسطنطونية يوم واحد وسبقهم الوزير الى البلد واعلم الملك بما جرى وان ظالم عاد وعادوا على بلاد الثغور وأسر ابن امير العرب وخمسين فارس فقال الملك اخرج ارباب الدولة الى لقاهم وطيب قلوبهم لانهم رجال امجاد وابطال شداد فقال الوزير لو اردت ياملك ان تفتح بهم بلاد الإسلام لفعلت ولقد تحدثت مع مقدمهم بكل ما تريد فأجاب فلما سمع الملك ذلك فرح فرحا شديدا وأمر ارباب الدولة أن يخرجوا اليهم فخرجوا ومعهم عالم عظيم من العوام وغيرهم وزينوا البلد لقدومهم حتى عاد كأنه العروس وخرجت بنات البطارقة مثـــل الشموس وقد تفاخروا فى الزينـــة والملبوس وأشرف ظالم على القسطنطونية فرأى البلد قد انقلب لقدومه ففرح فرحا شديدا وقال لولده الحارث مانكون ههنا الا ملوك وأما يا ولدى الاديان فهى متقاربة كما قال عقبـــة مع علمه وخبرته بالاديان انها متقاربة

ببعضها البعض الانى رأيته يشكر فى دين النصرانية والصليب ويذكر انه هو الدين العتيق ومابقى إلا الدخول فيه فقال الحارث ياأبتاه أفعل ما شئت فأناما قصدى سوى قتل ذات الهمة وولدها ودع يجرى ما يجرى (قال) وساروا حتى وصلوا إلى باب البلد فالتقتهم خواص الملك بالخع والنثار والهرج والاستبشار وأنزلوهم ظاهر البلد وأخذوا ظالم والحارث وعشرة من أمراء العرب وأدخلوهم قدام الملك فلما رأوه قبلوا الأرض بين يديه وقد هالهم مارأوا من ذلك الملك العظيم هذا وقد فرح الملك بهم وقربهم وأدناهم وبشرهم ومناهم فقال ظالم أيها الملك ما جئنا ههنا الا لنبذل أنفسنا فى طاعة المسيح وطاعتك وقد علمنا أن دينكم هو الدين العتيق ولا بد لى ما أفتح بين يديك البلاد وأهدم الكعبة الحرام وأخرب الجوامع وأهتك النسوان وأذبح أولاد أهل الإيمان وهذا ولد الأمير عبيد الله أمير العرب ومعه خمسين فارس من وجوه بنى سليم ولو أمرتنى أن أشرب دماهم لشربت حتى يعلم الملك أن نيتى صادقة فسر الملك بذلك وقال ما يحوجك إلى تلك الفعال حتى نبلغك الآمال فبينما هم كذلك وإذا بالبترك قد أقبل عليهم وقال لهم أن المسيح اصطفاكم له أنصار وهداكم إلى الدين العتيق ثم ان الملك خلع على الحارث وظالم ومن معهم من الفرسان وأوعدهم بالمال الجزيل وأمر لعمرو ابن عبيد الله ومن معه من الفرسان أن يرفعوا إلى المطامير بعدان عرض عليهم التنصر فقال عمر وعلى صغر سنه كيف نبيع التوحيد بالاشراك وذاك النعيم بهذا الهلاك فأمر الملك ان يغلوا بالقيود فى أرجلهم وقد غضب من كلامهم وعاد ظالم ومن معه طالب إلى الخيام التى ضربت لهم فى ظاهر البلد ونقلت لهم الاقامات والعلوفات فلما كان من الغد ركب الملك فى خواص البطارقة وخرج فى كبار الأساقفة إلى ظاهر البلد وعمل سماط عظيم وأحضر ظالم وولده الحارث وبنى كلاب ونقل لهم الطعام من سائر الالوان ومن الكباب وغير ذلك والكل من لحم الخنزير فأكلوا ما نقل اليهم من سائر الالوان وأغضبوا الملك الديان وانسلخ من قلوبهم الإيمان اللهم انا نسألك ونعوذبك من نزغات الشيطان من كل عمل يغضب الرحمن فلما فرغوا من الطعام ساقوهم القسوس والرهبان إلى البيعة وقد أمر الملك لهم بالاموال والخلع وانزلوهم فى ماء المعموديه وتبرؤا عن محمد خير البرية وعلقوا فى حلوقهم الصلبان وسجدوا للصور المصوره فى الحيطان وشدوا الزنانير فى الخصور وتكلموا بكلمة الفجور والزور وعادوا إلى بين يدين

الملك المذموم وقد طردوا عن باب الحى القيوم وجلسوا فى مجلسه وهم يتمايلوا فى حلل الفخار وقد نظروا إلى بنات البطارقة وهم مثل البدور وعليهم من الديباج ألوان السرور فافتتنوا بهم غاية الافتتان ونفخ فى معاطفهم الشيطان فأمر الملك أن يدخلوا إلى القسطنطونيه وقد أخلالهم محل فى جانب البلد فلم يجيبوا لذلك وقال ظالم ياملك نحن معودين بالبرارى والقفار والمقام فى الفلوات والخيام ومالنا جـــلد على الحيطان والمكان الذى نحن فيه أريح لقلوبنا فقال الملك افعلوا ما تريدوا ودبروا ماتشتهون ثم رتب لهم الجرايات والعلوفات والقطاعات وفى كل يوم يحضروا فى ديوان ملك الروم ويخلع عليهم ويزيدلهم فى الاكرام والانعام وقد زوجهم من بنات البطارقه فزوج الحارث بنت بطريق من الخواص وكانت أحسن بنات الروم ففرح بها الحارث وسلا بها عن ذات الهمة ولا عاد يذكرها لانه رأى من النعمة والكرامة شىء مارآه قط وأقاموا بظاهر البلد فى خيامهم وقد بلغوا غايه الآمال وجعل الملك يكاتب الأقاليم والجواير وجميع البطارقة والعساكر وقد عولوا أن يعبروا إلى بلاد الإسلام وظالم يوعدهم بفتح بلاد المسلمين وهلاك العباد المؤمنين (قال الراوى) ابن هشام وهو الناقل لهذا الكلام فهذا ماجرى ههنا وأما ما كان من عبيد الله فانه بقى على ولده قلق حيران ولاصبر له ولا جلد لانه ما كان له غيره وكلما رأته ذات الهمة على هذا الحال يزدادبها الغيظ والنكال لان هـذا كله من أجلها وسببها وسبب عبد الوهاب فلما أشتد بها الأمر أرادت التخفيف عن قلب الأمير عبيد الله فركبت فى خمسمائة فارس من أبطال بنى كلاب وأظهرت انها سائره إلى بلاد الحجاز لتجمع العرب ثم أخلفت الطريق وسارت طالبه بلاد الروم وقد أخفت نفسها حتى عبرت الدروب ولم تزل سائرة حتى بقى بينها وبين البلد أربعة أيام وكل من رآها يظن انها من فرسان ظالم والحارث الذين تنصروا وهى ممكنه قريبـة من البلد لعلها تجد ظالم أو ولده تشفى غليل قلبها لاجل ما فعلوا بعمرو بن عبيد الله ولاجل قلب والده (قال) فبينما هى كذلك وإذا بغبره قد طلعت وعجاجه قد ارتفعت فوقفت الأميره تنظر اليها حتى انجلت وظهر من تحتها خمسين فارس بالرماح المقومه والخيول المسومه وعليهم شباك اللؤلؤ المنتظمة وبين أيديهم غلام أمرد كانه حسام مجرد وعلى جسده بدلة من الجوهر وعلى رأسه تاج من الذهب الاحمر وهو أبهى من القمر فلما نظرت ذات الهمة اليه قالت لمن حولها يابنى عمى تفرقوا على هؤلاء

الخمسين فارس فما يخفى انهم من الملك أصحاب (قال الراوى) وكانوا هؤلاء الفرسان والبطارقه من بلاد الروم ومعهم منويل بن نوفيل وكان عليه نذر لبعض الديور يحمله اليه كل قليل وقد رأى من ذلك البركة فسار فى هذه النوبه مع هؤلاء البطارقة على سبيل الفرجه وحمل النذر والتقرب الى الدير وعاد راجع الى القسطنطونيه فالتقت به الاميره كما وصفنا وصاحت فى رجالها فصاحوا فيهم من كل جانب وبذلوا فيهم القنا والقواضب وكان وقت العصر فما أمسى المساء حتى قتلوا منهم عشرين وأسروا ثلاثين واحتوت الاميره على منويل ابن الملك وكان أكبر أولاده وهو الموصى بالملك من بعده ثم قالت لاصحابها سيروا بنا مادام الليل فى أوله حتى اذا طلع علينا النهار نكون فى بلاد بعيدة ثم عادوا راجعين فقال لهم منويل ماقصدكم يا مسلمين فى حملى الى بلادكم بيعونى نفسى بما أردتم من المال حتى أحمله اليكم فقالت له ذات الهمه يا غلام مادخلنا وخاطرنا بأنفسنا لاجل مال أو غنيمة وانما لنا عندكم غلام أسير وهو ابن أميرنا يقال له عمرو مادخلنا بلادكم الا من اجله فقال منويل للاميره وقد علم انها رئيسة هذه الخيل ردينى الى بلد القسطنطونيه وانا أحلف لكم وأرهن دينى عنــــدكم واضمن لكم خلاص ابن أميركم وأخلع عليهم الخلع السَّنية واسيره معكم على أحسن قضية ثم حل الزنار وأعطاه للأمير وقال هاهو رهن على ماذكرت فلما سمعت الاميره مقاله ضحكت على فعاله الا انها اعلمت صدق مقاله فاستوثقت منه باليمين وعادت معه طالبة البلد ومنويل معهم حتى وصلوا اليها فرأوا البلد قد انقلبت والعساكر على ظاهرها قد همت تركب والملك لابس السواد على ولده وقد تفتت لاجله كبده وكان الخبر قد وصل اليه قبل وصول الاميره بيوم فارتج غاية الارتجاج وعولوا على الرحيل والانزعاج وإذا بالاميره ذات الهمة قد أشرفت وابن الملك معها فوقع الفرح والاستبشار وعادوا وأخبروا الملك بسلامة ولده ففرح واتسع صدره وانشرح وخلع ثياب الحزن والترح ولم يكن الا مقدار ساعة حتى حضر منويل والاميرة بين يديه وحدث منويل أبوه وأعلمه أنه رهن عند القوم دينه فقال أبوه ياولدى كله هين بعدان ردك المسيح ثم أمر الملك باحضار عمرو بن عبيد الله والخمسين فارس الذين معه وخلع عليهم ورد عليهم خيلهم وسلاحهم وخلع على الاميرة ذات الهمة وأنزلها فى دار الضيافة وأوعدها

بكل جميل ولما نظر الحارث وأبوه ظالم ما جرى تفتتت كبودهم وتجددت منهم الأحقاد وقال الحارث لأبوه ظالم وحق المسيح ان رجعت هذه العاهرة سالمة انفطرت مرارتى وتفتت كبدى فقال ظالم وأنا كذلك ولا بد من هلاكها ونبلغ من قتلها المراد والصواب نصبر حتى تعزم على المسير وأدبر ما أرى من التدبير (قال الراوى) هذا والاميرة عند الملك فى أحسن عيش وأرغده وفى كل يوم تظهر إلى الميدان وتبارز البطارقة والشجعان قدام ملك الروم وهو ينظر إلى فعالها بالفرسان فى ساحة الميدان ويخلع عليها الخلع الحسان وهى كأنها الأسد الغضبان وينظر الى حلاوة انعطافها وحسن أعطافها وهى لا يقدر أحد يصل اليها بسيف ولا سنان والملك قد فرح بها وفى كل يوم تحضر مجلسه ويخلع عليها ويوهبها فلما كان يوم من الأيام والاميرة جالسة فى مجلسه وقد عولت أن تسأله فى الرحيل واذا ببعض الحجاب قد دخل عليه وقال أيها الملك ان ملك البرغل قد نزل على باب الذهب وقد حلف بالمسيح والصلبان والحواريين والمطران بأنه لابد له أن يملك بلاد الروم بكل مكان ويضيفها الى بلاد الافرنج واليونان وكان هذا ملك البرغل فارس لايطاق وعلقم مر المذاق وليس له فى بلاد الروم مثال وتحت يده من الفرسان مائة ألف من الأبطال وأنه لما قوى سلطانه وكثرت فرسانه وشجعانه حدثته نفسه أن يملك القسطنطينية ويصير ملك على عباد الصلبان ثم أنه جمع عساكره ورجاله ونزل على القسطنطينيه فى تلك الجيوش والفرسان فلما نزل عليها فى عاجل الحال طلب الحرب والقتال ونزل ملك البرغل إلى الميدان ومحل الطعان ونادى بأعلى صوته حتى سمعه كل من فى ذلك المكان وقال اعلموا ياعباد المسيح والصلبان إننى مالى رغبة فى مال ولا فى قتل رجال وما قصدى إلا ملك المملكة لاغير وبعد ذلك أجاهد فى طاعة المسيح ومارى حنا المعمدان فدعوا الملك يخرج إلى ويلتقينى فى الميدان فان قتلنى فهو يأخذ ما فى يدى من البلدان وإن أنا قتلته أكون ملك على جميع الملوك الذين فى كل مكان فدخلوا الحجاب على الملك وأخبروه بذلك الخبر والشان وقد شاع ذلك الخبر فى المدينة فماجت كما يموج البحر العجاج وقد صارت الأميرة حائرة فى نفسها ولم تعلم إيش السبب فلما سمع الملك ذلك خاف على ملكه من الزوال ولما نظرت الأميرة إلى البطارقة وهم يموجون مثل البحار الزواخر وقد صاروا فى أمورهم حائرين أقبلت

على الملك وقالت أيها الملك ما سبب اضطرابكم فقال أيتها الأميرة ان ملك البرغل أتى يريد حربي وما أتى إلا ليقتلني ويأخذ الملك منى لأنه جبـــار عنيد ثم أعاد عليها الحـديث من أوله إلى آخره فقالت له الأميرة أيها الملك طب نفسا وقر عينا واشرح خاطرك وارسل إلى ملك البرغل جواب وقل له غـد تـكون المبارزة وأنا أيها الملك أخرج اليه فى زيك ولبسك وتخرج قدامى القسوس والرهبان كما جرت عادة الملوك وأنا أقتله وأريحك منه فلما سمع الملك كلامها .فرح بمقالها وقلع جميع ما كان على جسده وخلعه عليها وبعد ذلك أمر الحجاب أن يخرجوا إلى ملك البرغل ويعلموه أن الملك لاوون أجابك إلى ما تحتاج اليه وما تختار فأعلموه فرجع إلى أصحابه وأمرهم أن يركزوا أعلامه وينصبوا مضاربه وخيامه وأقام ينتظر الصـباح (قال الراوى) وكان ظالم وولده الحارث من يوم دخلت الأميرة إلى البـلد وجلست فى مجلس الملك ما جلس عند الملك من بغضته لهـا بل مقيم برا فى المضارب والخيام التى بظاهر البلد فلما ان كان عند الصباح ركب ملك البرغل الملعون وأما الاميرة فإنها ركبت وسارت إلى قصر الملك لاوون فوجدته قد ركب فى حجابه وخواصه فلما رأته الاميرة أقبلت عليـه وقالت له هات لى ما ذكرت لك فأخرج لها عدته التى يدخرها لشدته فلبستها واحترزت على نفسها ثم ان الملك ســـار فى حجابه ونوابه والاميرة سائرة قدامه هذاوقددارت بهاالهياقرة والقياصرة والبطارقة تمشى بين يديها ورفعوا القساقسة أصواتهم بقراءة الانجيل والخيل قد أقبلت اليهم بالصهيل هـذا وقد ركب ملك البرغل وتقدمت قدامه خواصه والسادات ونشرت على رأسه الرايات ثم انه طلب الميدان وكان راكب على جواد من الخيول الاصال يفوق خيول البحار وعليه درع من الزرد ضيق العدد وبيده سيف مهند وبيده قنطارية سنانها كأنها جمـة عفريت وطلب البراز والنزال فعندها نزلت اليه الاميرة وهى كأنها اللبوة المصممة وهى كما ذكرنا فى صـــفة الملك لابسة عدته ولبسه والقسوس بين يديها وظن ملك البرغل انها ملك الروم فحمل عليها كأنه الاسد الهجوم وصاح بها صيحة تقلقلت منها النخوم فصاحت الاميرة عليه صيحة أعظم من صيحته وحملت عليه والتقته ثم جالت عليه بقلب ما فيه إلا ذكر الحى القيوم وأرادت أن تترك أنفه مرغوم وتوقع هيبتها فى قلوب الروم لأنها سمعت ان ما فى بلاد الروم أشجع منه فحملت عليه ومدت رمحها اليه فالتحما لما تهاجما

وطلع عليهما الغبار وحجبهما عن أعين النظار وزاد عليهما الأمر وقل الصبر وضاق الصدر هذا والأميره حملت عليه وهو قد هدر وزجر وحمل عليها بقلب أقوى من الحجر فتلقت حملته كما تلتقى الأرض العطشانه اوائل المطر وتصيح عليه كأنها الأسد إذا هدر فكاد قلبهما أن ينفطر وجرى بينهما حرب يؤرخ ويذكر ويبقى من بعدهم سير وكان ظالم الذى كفر حاضر فى ذلك المحضر مع من حضر فرأى ما أبهره وحير بصره والناس كل منهم إلى هذين الفارسين قد نظر وإذا بالأميرة هاجمت خصمها وصاحت الله أكبر وزعقت فى وجهه بصوتها المشهور فانذعر من ذلك وتحير ثم أنها ضربته بالصارم الذكر فوقعت الضربة على كتفه الأيمن طلعت من تحت أبطه الأيسر فارتفع الصياح من بنى الأصفر ووقع الذل على البرغل وما منهم إلا من ولى ونفر وانهزم جيشهم وانكسر وقتلوا الروم منهم عالم بعدد المطر وغنموا منهم أموال تسد الأفاق وأما الأميرة فإنها رجعت إلى لاوون ففرح واستبشر ونظر ظالم إلى ذلك فتحسر ثم أن الملك دخل القسطنطينية وقد زال عنه الخوف والحذر وجلس على سرير ملكه واستقر وصارت الأميرة عنده أعز من سمعه والبصر (قال الراوى) ولما راى ظالم ذلك زادت حسرته وقال لولده لابد من قتل هذه الفاجرة ولابد ما أدبر على قتلها فقال الحارث وكيف ذلك فقال تأخذ أنت الليلة ألف فارس وتسير تحت الليل وتكمن فى المضيق فإذا خرجت من القسطنطونية وعولت على المسير خرجت أنا خلفها فى ألف فارس ولا أظهر عليها حتى تشرف عليك فان أشرفت عليك أطبق عليها من أمامها وأنا من خلفها ونهبها هى وأصحابها بأطراف الرماح وشفار الصفاح ولكن يكون أمرنا مكتوم عن ملك الروم لأنها لا تروح من هنا إلا ويعطيها الملك أمانة وإن نحن قتلناها يعتب علينا ونخاف من سطوته فقال الحارث هذا هو الصواب ثم صبر إلى الليل وأخذ معه ألف فارس من بنى كلاب المتنصرة وسار بهم فى ضيق الدروب ولم يطلع على أحوالهم أحد من الروم وأقام أبوه من بعده ينتظر عودة الأميرة هذا والأميرة ما عندها من ذلك خبر وصاحب الغيب يدبر كيف يشاء وهى مقيمة فى دار الضيافة سبعة أيام وفى اليوم الثامن أتتها التحف والهدايا من الملك وأعطاها الاذن فى المسير إلى بلادها وقد طلب أن يسير معها قوم فى خدمتها فأبت وقالت أيها الملك أنا ما أريد غفير وكان معها مائة فارس غير الخمسين الذين صحبوها والخمسين الذين

مع عمرو ولم تزل سائرة إلى أن وصلت الدروب وكان ظالم قد خرج خلفها كما وصفنا ولم يظهر لها إلى أن وصلت الى الدروب والمضيق فظهر عليها الحارث عند الصباح وأمر أصحابه وقد رفعوا الصلبان والرماح ونادوا عيسى ومريم والصليب ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أطبق الى الأميرة وقد نظرت اليهم فقالت لأصحابها هذا ظالم تبعنا بالعرب المتنصرة وما أظن مسيره خلفنا إلا بأمر الملك وقد غدر الملعون معنا وإلا ماكان هذا الشيطان يجسر يتبعنا ومعنا أمان الملك وزمامه والساعه مابقى عندنا غير القتال والاتكال على الملك المتعال فقالوا لها أصحابها من بنى كلاب والله ياأميره ما نسلم أرواحنا وفينا عين تطرف وكذلك قالت بنى سليم الذين كانوا مع عمرو بن عبيد الله وقالت ذات الهمة ياقوم أحموا أنتم ظهرى وأنا ألقى لكم الألف فارس بصدرى فما أحلى القتل فى سبيل الله تعالى ثم عادت تطلب الخيل وانقضت انقضاض السيل وهى تقول خاب والله آمالكم وخابت ظنونكم يامطرودين عن باب الجبار اليوم آخذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالبتار ثم نادت ياظالم نفسه وعادم عقله تبعتنا بغدرك من بعد ماأعطانا الملك الامان وسرنا ومعنا علامه الى سائر الحصون والبلدان فصاح ظالم وقال والله ياعاهرة لو كان الملك بنفسه معك ماتركتك تعودى سالمة فعندها امتزجت الاميرة بالغضب ولحقتها نخوة العرب واشتد الكرب وحمل ظالم والالف فارس وتصايحوا كأنهم الابالس والاميرة تنثر الفرسان بحسامها وقد أضجرتهم بطول فعلها حتى وقعت بظالم فى الميدان فصرخت فى وجهه صرخة الاسد الريبال وصمصمت بالطعنة عليه واذا بالصياح قد علا فى وسط الدروب والصلبان بانت والحارث ينادى هذا اليوم الذى كنت أشتهيه وأنتظره لأشفى فؤادى منك ثم انه أطبق عنانه وقوم سنانه والالف فارس معه وكانت الاميرة قد أشرفت على قتل ظالم فصاح الخارث فى رجاله دونكم واياها فلما نظرت الاميرة الى ذلك الحال رفعت وجهها الى الملك المتعال ثم نادت فى رجالها أتبعونى بحملتكم وأصدقوا فى مقالة ربكم حتى نخرق أصحاب ظالم الذين بين يدينا ونسند ظهرنا الى الجبل ونجعله حصناً ونتوكل على ربنا والا هلكنا (قال) ثم أن الاميرة حملت على ظالم وجعلت تشق الرجال شقاً وتفرق الابطال عنها شرقاً وتدقهم بين أيديها دقاً وأصحابها من وراها يمنعون عنها وقد أقلبوا الدنيا

بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير الى أن وصلوا الى الجبل وقد قتل منهم أربعون فارس وبقى ستين والامير عمرو بن عبيد الله خلف الاميرة لايفارقها وجواده خلف جوادها وهى تحميه بقوة جلادها الى أن صاروا الجميع فى لحف الجبل وباعوا النفوس بجنات النعيم ووصل الحارث الى أبيه وزحفوا الجميع الى الجبل وزاد الخطأ والذال وقصدوهم بالرماح والنبل والمرهفات على أعلا القلل والاميرة رضى الله عنها تبرى الرماح بحسن خبرتها وتحث الرجال على القتال الى أن كات الخيل وقل القوى والحيل وقد فنيت بنى سليم وظنت أنهم الجميع هالكين فنادت يا قوم ترجلوا واصعدوا الى هذا الجبل ودحرجوا عليهم الاحجار من هذا المسلك لانهم مالهم وصول الا منه لانهم اذا منعوا من ههنا امتنعوا عنا ولا يصلوا الينا ونحمى نفوسنا الى أن يفرج الله عنا وقد وجدت لذلك راحة عظيمة وطلبوا الى الجبل وأراحوا أنفسهم ثم صرخت فى وجوه القوم فأرجعتهم بصرختها وجعلت بين يديها الخيل ومن حولها وأرخت رجلها من على الجواد وتعلقت بالجبل وأحمت نفسها الى أن لحقت أصحابها فنظر ظالم الى ذلك فنادى فى الرجال ياويلكم ياويلكم ترجلوا خلفهم واسقوهم كاس الحتوف وقطعوهم بالسيوف فعندها ترجلت الابطال وصعدوا خلفها الرجال فلما رأت الاميرة ذلك صاحت بالرجال ياويلكم ادفعوا عليهم الصخور والاحجار واطلبوا بها صدور الرجال فعندها دفعت الرجال عليهم الصخور من رأس المضيق وقد هشمت أصحاب ظالم هشما وطحنتهم طحناً ولم يرجع مما صعد اليهم أحد وفيهم من نقصت ساقيه من الركب ومنهم من شرب شراب العطب ولم تزل الرجال تصعد إلى الجبل والحجارة تنزل اليهم مثل المطر الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونادى ظالم ياقوم خذوا عليهم الطريق والمذاهب ودوروا حولهم من كل جانب وامسكوا عليهم الطرقات والمذاهب فهذا جرى ههنا ﴿ وأما الأميرة ذات الهمة ﴾ وأصحابها فإنهم رجعوا وهم مثخنين بالجراح وهم من التعب قد خفت منهم الارواح وكانت الاميره أيضاً مجروحة ثلاث جراحات وبها من العطش والظمأ ماغير زندها فقالت لاصحابها ياقوم لو أن عندى شيء من الزاد والمال لكننا نستعين به لأن المكان حصين وليس لنا طريق إلا أن لابد لنا من الموت إن طالت المدة أو قصرت وما بى موتى مثل ما بى على ولدى عبد الوهاب لأننى ماشبعت منه بالنظر

وأنا أعلم أن هذه الموتة التى كتبت لنا وهذه الليله آخر ليالينا من الدنيا فقوموا بنا نقطعها إلى الله تعالى لعند الصباح ونرمى أرواحنا على هؤلاء القوم الكفار ونجاهد إلى ان نموت فى الجهاد ونلق الله من تحت سيوف الكفار فقالوا لها أصحابها ياأميره وكيف نصلى وما عندنا مانبل به حلوقنا فقالت الأميرة ياقوم تيمموا بالتراب فلما سمعوا كلامها تيمموا بالتراب وصفوا الأقدام قدام الملك العلام وخطت الأميرة لهم فى الأرض محراب ووقفت للصلاه ودموعها تجرى مثل قطر السحاب لاجل ولدها عبد الوهاب ومنهم من كان يصلى وهو جالس مما ناله من التعب والنكال وما منهم الا من أسلم نفسه إلى الكبير المتعال هذا والأميرة تسجد وتركع إلى أن هوى الليل وزاد بها القلق إلى ولدها فبسطت يديها نحو السماء وجعلت على الله تبارك وتعالى معتمدها ونادت يامن بدأ الارواح من العدم وأوجدها فى الأجساد وردها وسطح الأرض ومدها وبالجبال الشامخات ثبتها وعالم وزنها وعدتها ورفع السماء بغير عمد وعلقها ونظر إلى الليالى الدهما بنظر الغضب فأحلك سوادها وكسى الشمس من نور وجهه فزاد توقدها أسئلك يارب القدرة الذى خلقت آدم من تراب من حماسنون وبالعظمة التى تجيب بها ذا النون أن تجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا وكف عنا كيد الأعداء وردعنا الردا فان عنايتك أكثر من كثرة الأعدا ومشيئتك ما يخلو منها مكانا أبدا (قال الراوى) ولم تزل الأميرة تتضرع إلى الله تعالى بالدعاء والابتهال فى هدو الليل وتتوسل اليه بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ان شق ذيل الدجا وبدأ نور الفجر مبتهجا وقامت إلى أصحابها فوجدتهم من شدة التعب نيام فنادتهم الأميرة وأيقظتهم وإلى قتال الأعداء حثتهم فرأت أكثرهم لايستطيع القيام على قدميه من ألم الجراح التى بردت عليهم فقالت لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم هذا والله يوم اللقاء ثم أخذت معها من فيه نهضه وسارت إلى أسفل الجبل وهى طالبه الأعداء ونظرت إلى ظالم والحارث وأصحابهم وهم صاعدين الجبل وهم فى غاية من العجل وفى أيديهم السيوف تلمع والصياح منهم قد ارتفع فنزلت الأميرة فى خمسه وأربعين نفر وجعلوا يمانعون عن أنفسهم حتى أشرفوا على العطب واسترخت منهم الركب وتوقد الحر فى وجوههم والتهب وطمعت فيهم الأعداء وصاح صايح الكفار علا وقل من المسلمين رمى الأحجار وصعدوا اليهم من سائر الاقطار وداروا بعصابة

الإسلام واذا بغبار من نحو الروم قد تار حتى ملأ الأقطار قدر ساعه بان للنظار وقد اشتغلوا به المؤمنين والكفار واذا هو قد بان عن قنطاريات وأعلام وصلبان والبطارقة على الخيول وهم سائرين على عجل وإلى العساكر قاصدين ولما رأوا القتال بين الطائفتين صاحوا بأصوات منكرات وحملوا على العرب المتنصره وكانو خمسه الآف يقدمهم بطريق طويل فى تقاطيع الفيل فلم تكن الا ساعه حتى قتلوا من اصحاب ظالم جماعة ونظر ظالم إلى ذلك فصاح بولده عد بنا إلى ظهور الخيل حتى نطلب النجاة قبل الليل فلاشك ان هؤلاء البطارقه مع أبو ذات الهمه مظلوم وقد دخلوا هذه البلاد فى زى الروم ووقعوا بنا فى ذلك الوقت المذموم فاركب واطلب بنا العرب الا وقعنا فى العطب (قال الراوى) فعندها رجعوا إلى ظهور الخيل فركبوها وطلبوا الهرب هذا والأميرة إلى فعالهم ناظره وهى باهته حائره وهى تقول يامن يأتى بالفرج بعد الشدة اجعل لنا من أمرنا فرجا فانك أنت المأمول والمرتجى (قال) ولم تتم الاميرة دعاها حتى فرغت البطارقة من قتال العرب المتنصره وعادوا كلهم نحو الأميرة ووقفوا قدامها ونادى المقدم عليهم يا حملة القرآن وعباد الرحمن ابشروا من الله بالجنة والغفران وأورونا من هى فيكم الأميره المجاهده التى باتت لربها قائمه راكعه ساجده وقضت لياليها بالدعاء والابتهال وكان سبب نجاتنا من الضلال قال فعندها نزلت المسلمين من الجبل إلى الواطى وكل منهم لايصدق بالنجاه وتقدمت الأميرة إلى عند المتكلم وقالت له أيها البطريق أنا المرأة التى طلبتها المصره على الطاعه لربها فمن الله سبحانه وتعالى علينا بعد الاياس وفرج الله عنا على يديك دون الناس قال فلما سمع البطريق كلامها ترجل وجعل يقبل صدرها وأقدامها وترجلت البطارقة وجعلوا يفعلون مثل فعاله ويقولون ياأميره بسبب دعاكى وابتهالك عرفتينا الإيمان وأهديتيا إلى عباده الرحمن فأنا ابن بنت الملك لاوون وأسمى ياس المتعرب وهؤلاء الذين تريهم فى آخر الدروب فهى قلعتى أعطاها لى جدى وأما هؤلاء الخمسة آلاف بطاعتى وسبب مجيئى اليكم سبب عجيب وأمر غريب وذلك انى كنت البارح نائم فى الحصن فرأيت فى منامى كان على الحصن رجل قائم وهو يؤذن مثل أذان المسلمين وكلما قال الله أكبر ضجت الاصوار والابراج وقد أجابته بالتكبير سائر الأحجار ولما قال أشهد أن لاإله الا الله واشهد أن محمد رسول الله انزعجت الاطيار والابصار من

جميع الديار وصاحت عليه بلسان الاعتبار ثم نادى من بعد ذلك الاذان يا أهل هذه الديار انتبهوا من سنة الغفله وبادروا إلى الله سبحانه وتعالى قبل النقله فقد بعث اليكم منذر فاتبعوا الدين القويم الصحيح ودعوا عنكم التلويح واركبوا غدا لمن زعجت الليل بدعائها وابتهالها وأبكت السماء لبكائها انصروها على اعدائها الكفار عباد الصليب والزنار واتبعوا دينها تنجو من عذاب النار واعلموا أن الله تعالى قد اصطفاكم من دون سكان هذه الديار فلما أن سمعت من القائل ذلك الخطاب وأنا فى المنام انتبهت وأنا مرعوب وجعلت أدعو أصحابي هؤلاء إلى عندى وقصيت عليهم قصتى وما رأيت من منامى فتعجبوا من كلامى وتبسموا من أحوالى وقالوا ان كنت سمعت أنت فى المنام فنحن سمعنا فى اليقظة ورب الانام فقم بنا الآن نمضى إلى تلك المرأة التى قد ذكرتها لنا ونعينها على أعدائها وننصرها على من سواها وانى لما سمعت كلامهم ركبت بعد ان أيقنت بصحة ما سمعت وأتيت بهم اليكى وهلكت الأعداء وسقيتهم شراب الردا فدلينا الآن ماذا نقول حتى نصير من أهل القبول فان دعاكى عند الله مقبول (قال الراوى) فقالت الأميره بعد ما بكت وانتحبت الحمد لله الذى جعل دعائى مقبول وله الشكر الذى هداكم إلى دين الإسلام بعد الكفر والقتام فأول مايجب عليكم الآن أن تقروا بالكلمتين الخفيفتين الهينتين الليتين على اللسان الثقيلتين فى الميزان الحبيبين للرحمن المغضبتين للشيطان اشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله قال فما استتمت الأميرة كلامها حتى ضجوا البطارقة بالتوحيد للملك المجيد وأوحى الله إلى الملك الموكل بالقلوب ففتح اقفال قلوبهم باذن علام الغيوب فقالت الامير قد ختم الله لكم بالخير ونلتم السعادة والسيادة بكلمة الشهاده ثم سارت من وقتها وساعتها مع القوم إلى حصنهم وركبوا من خيل العرب المتنصره وأخذت جميع ما كان معها الذى أعطاه لها الملك لان ظالم لما انهزم لم يلتفت إلى شيء من ذلك ولما وصلت الامير إلى حصن يانس المتعرب اقامت عنده عشرة ايام تعلم القوم حدود الإيمان وشرائع الإسلام وتحفظهم سورة الفاتحة وقل هو الله أحد والمعوذتين والتحيات والقنوات وما تحتاج اليه الصلاة ثم قالت ليانس المتعرب أحب أن تسير معنا إلى بلاد الاسلام وتتعلموا العلوم وتعبدوا الحى القيوم وتستريحوا من بلاد الروم وذلك الاسم المذموم فقال لها يانس ياأميره انى أرى المقام

ها هنـــا أصح وأنجح الاسـلام على طول الايام لأنى كلما يجرى فى بلد القسطنطونية وغيرها من بلاد الروم أعلمكم به لأن جدى لايخفى على أمر من الأمور ومنزلتى عنده عالية ورتبتى غالية لأنى كنت عنده مدة وأنا أشدد فى دين النصرانية وعبادة الصلبان وأيضاً باغض للنسوان وكنت قد عزمت أن أصـير من بعض الرهبان وما تبغى من البطارقة إلا مـن نيتـه مثل نيتى وبغضته للنسوان مثل بغضتى ولأجل ذلك سمونى يانس المتعرب والآن فإن القلب عن الـكفر قد انقلب ولابد لنـا من الزواج كما أمر محمـد سيد العرب والعجم ومقامنا هذا صواب ولـكل أمر سـبب (قال) فلما سمعت الاميرة من يانس ذلك الـكلام قالت له بلغك الله الـكريم آمالك واستأذنته فى المسير فأذن لهـا بعد أن أعطاها من الهدايا والتحف ما تـكل عنه الواصفون ثم انها ودعته وسارت طالبة بلاد الاسلام وهى سالمة من كل أذية ومعها عمرو بن عبد الله ومن بقى من أصحابها وما زالت سـائرة حتى عبرت الدروب وقربت إلى ملطيه فأرسلت رسول يبشر الأمير عبدالله بولده عمرو فسار البشير يجد فى المسير ليلا ونهار إلى أن وصل إلى البلد وأخبر الأمير عبدالله بذلك فـكاد من الفرح أن يطير وكان قد حزن على الاميرة أكثر من ولده عمرو وكانت الأميرة قد تركت ولدها عبدالوهاب عند الامير عبدالله لمـا أظهرت انها سائرة إلى الحجاز وأخلفت الدروب كما وصفنا فـكان الامير عبد الله يركب كل يوم إلى الميدان والامير عبد الوهاب بين يديه ومعه السودان الذى أعطاه إياهم خليفة الزمان ويطاعن الفرسان مع جملة الابطال والشجعان والامير عبد الله يعلمه الطعن والضرب واختلاف الانداب وهو أفرح به من سـائر الاصحاب فلما أتى البشير اليه وبشره بقـدوم ولده والاميره ركب من وقته وساعته فى سادات بنى سليم وركب الامير عبد الوهاب فى سادات بنى كلاب وميمون الجمـاس ونافع وحوله بقية السودان وما سار غير قليل حتى اشرفت الاميرة عليهم وهى لا تصدق انها ترى ولدها فلمـا رأته ورأت عبد الله ترجلت وترجل الأمير عبد الوهاب وجميـع السودان واعتنق أمه وكذلك عبد الوهاب اعتنق ولده عمرو وتباكوا الجميـع من فرح التلاق وأما الاميرة فإنها ضمت ولدها عبد الوهاب إلى صدرها وهى ما تصدق بسلامته وتشتكى ما لاقت من ألم الفراق فبـكوا الناس لبـكاها ولا بقا أحد من بنى سليم ولا من بنى كلاب إلا وقد تقدم وسـلم عليها وقبل صـدرها ويديها ثم أقبل أبوها مظلوم وكان قد خرج مع القوم من عظم حرقته وهو يقول لها ما يحل لـكى أن تقتلينى بهجرتك

وبعدك عنى عند الكبر وتذيقينى فقدك عند نزول القبر ثم انهم عادوا من ساعتهم على ظهور الخيل ورجعوا طالبين ملطيه والاميرة ذات الهمة والامير عبد الله والامير مظلوم بجانب بعضهم البعض وهى تحدثهم بما جرى لها فى بلاد الروم وكيف أخذت ابن الملك وكيف خاصمت عمرو وكيف أكمن لها الحارث فى الدروب وكيف لحقهم ظالم وما جرى عند الجبل وما قاسوا من السوء والوجل وكيف أغاثهم الله تعالى فقال مظلوم يا بنية ما يلقى الانسان إلا على قدر نيته لأن الله تعالى يعلم ما فى الضمائر وما تكن به السرائر قال ولم يزالوا فى حديث حتى وصلوا إلى ملطيه وقد التقوهم بالفرح والاستبشار ونثروا على رؤوس القادمين النثار ونحر الامير عبد الله البقر والنوق والجمال وأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا فلما كان من الغد ركبوا إلى الميدان ومحل الطعان وعبد الوهاب فى عبيده السودان فقالت الاميرة ما ورد عليك أحد من أهل الحجاز وما نفعت الكتب التى أرسلناها للعرب وأنا رأيت ملك الروم عازم على الخروج إلى بلاد الاسلام وقد جمع العساكر والعشائر من سائر اقاليم الروم وما يعيقه إلا ملك الجزائر وهو اسمه جرجيس لأنه أنفذ اليه كتاب يأمره فيه أن يجمع العساكر من الجزائر جميعها ويأتى بها اليه هو فى انتظاره حتى يأتوا اليه من البحر واما عمى ظالم فإنه أيضاً كتب الكتب إلى بلاد الحجاز ويصف لهم ما هو فيه من النعمة ويضمن لهم التحف والاقطاع فى سائر البلاد والضياع فلما سمع الأمير عبد الله من الاميرة ذلك قال لها يا أميرة أما الحجاز فقد تواترت أخباره علينا ووردت علينا الآثار ان الاعراب خربت بهم الديار والحلل وقد تجمعوا من سائر الاقطار وأتوا كالبحر الزخار وعن قريب يكونوا الينا واصلين ومن قبل قدومك بعشرة ايام ارسلت اطلب من الخليفة عساكر وأبطال وأجناد وكان نيتى ادخل بلاد الروم على نية الجهاد وما عوقنى إلا هذين الجهتين فقالت الاميرة إذا كان الامر على ما ذكرت فالصواب ان يكون لنا جواسيس من بلاد الروم يخبرونا بالذى يجرى وقت بعد وقت حتى نكون فى أمورنا على حذر ولا يفوتنا شيء من أمور الكفار فقال عبد الله ما هذا إلا نعم الرأى ثم انه أرسل من يومه جواسيس إلى بلاد الروم تخبرهم بخبر ما يفعلون فى بلادهم ويأتوا له بالخبر. فساروا فى زى الارمن طالبين مدينة القسطنطونية ثم ان الاميرة وثبت على رأس الدروب ديار به وان الامير عبد الله صنع وليمة عظيمة وأحضر فيها سادات بنى كلاب وبنى سليم ونقلت لهم الطعامات والحلوات ولما اكتفوا من

الطعام قام على قدميه الامير عبد الله وأخذ بيده ولده عمرو والامير عبد الوهاب ونادى معاشر العرب اشهدوا على انى قد جعلت هؤلاء بمنزلة الاخوة عندى وقد اشركتهما فى نعمتى وفى الامارة من بعدى وما فيكم من يعصى لهما أمرا وما يكتم عليهما سراً فقرعت الناس بالطاعة وشهدت عليهم تلك الجماعة وقد شكرته الاميرة على ذلك شكراً عظيما وصارت الاميرة كل يوم تقصد هى وولدها وعمرو إلى الميدان وهى تفرسهم فى مقام الجولان وتفتح لهم أبواب البحر وتعلمهم الزيادة والنقصان فى حومة الميدان فطلع الأمير عبد الوهاب اجرى جنان وأشد أركان واصبر على ملاقاة الفرسان فحمدت على ذلك الملك المنان ورأى الأمير عبد الله ولده عمرو وهو ما يلحق بعبدالوهاب فظن عبدالله أن الاميرة تعتنى بولدها عن عمرو ولده فأنفذ من وقته وساعته خلف الامير داود النجار بن محمد الذى ألف كتاب الفروسية ولم يكن قط فى ذلك الزمان أفرس منه ولما ان حضر بين يديه ضمن له مالا جزيلا على تعليم ولده عمرو واخلاله دار ملبحة فى ملطيه ونقل له كلما يحتاج اليه من الفرش وغير ذلك من المأكل والمشرب وسلم اليه عمرو بعد ما أحسن اليه احسانا زايداً وصار كل يوم يخرج به إلى الميدان ويعلمه خدائع الحرب وتفرغت الاميرة لولدها وكانت تبعد به عن البلد وتجول معه حتى يتعب ويقل منه الجلد وفى الليل تسأل مولاها الواحد الفرد الصمد أن يشد منه العضد حتى يكون ركناً لدين النبى محمد فاستجاب الله دعاها لما سبق فى أم الكتاب من الارادة وصار كل يوم فى زيادة حتى قوى عزمه واشتد حزمه فقالت له الاميرة يا ولدى والله ما أنت إلا قد كملت فيك الفصاحة والفروسية وهى بضاعة مكتسبة مثل البضاعة وأما الحيل وقوة الساعد فهو هدية من الملك الواحد فقال لها يا أماه والله أنا أحسب نفسى فى طبقتك من الشجاعة فضحكت من قوله وقالت هكذا تكون ان شاء رب العالمين ثم انها ناسته مدة من الايام وتفكرت ما قال لها وكان فى كل ليلة جمعة يزورمسجد يقال له مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت له يا ولدى ان فى الطريق قوم أشرار قطاع الطريق وحرصته على نفسه منهم وتركته وقد أكمنت له فى الطريق إلى أن أقبل ومعه عبده ميمون الجماس فخرجت اليه وهى مغيرة زيها ولبسها ومضيقة النقاب والطيلسان وقد أطلقت لجوادها العنان وقومت بين أذانه السنان وقالت إلى أين يا ابن البدوية اليوم أسقيك شراب المنية ثم هجمت عليه وضايقته ولاصقته وتعلقت

بأذياله وهزته وأرادت أن تقلعه من بحر سرجه فوجدته مثل الصخرة الصماء التى لاتزول ولا تحول من مكانها فلما رأى الامير عبد الوهاب ما حل به ثبت جنانه ومسك على ذراعها وعصر يدها فكشفت عن وجهها وضحكت فلما رآها خجل وقال لها يا عجوز كأنكى أردتى أن تختبرينى تحسبينى كما تعهدينى قبلا فقبلته بين عينيه وتمت معه إلى مسجد الرسول وزاروا ورجعوا الى البلد فتصدقت عنه بمال كثير وأخرجوا النذور لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان من الغد ركبت الاميرة ذات الهمة هى وولدها عبد الوهاب إلى الميدان فوجدت الامير عبيد الله وسائر بنى سليم واقفين قيام والامير عبيد الله ركب يتفرج على عمرو وما جرى له مع أستاذه داوود ابن محمد النجار فتقدمت الاميرة وسلمت عليه وتقدم الامير عبد الوهاب وباس يده ووقف الى جانبه ونظر الى الامير عمرو وداود وهما يتجاولان بالرماح وبالاسنة يتطاعنان وقد أطلقوا الاسنةوقوموا الاعنة (قال الراوى) فلما نظرهم الامير عبد الوهاب قال لأمه يا أماه انى اشتهى أن أجرب روحى مع هذا الرجل أستاذ عمرو وأنظر حالى معه فقالت يا ولدى هذا فارس الارض فى طولها والعرض وهو الذى ألف كتاب الفروسية وأخاف أن يجد معك فيؤذيك حتى لا تنقص منزلته عند الفرسان فقال لها يا أماه دعى عنكى هذا الهذيان لأن الانسان اذا خدمه السعد نال المنزلة العالية وأنا لابد لى أن أخرج اليه وأجرب روحى معه (قال الراوى) هذا وقد نظر الامير عبيد الله وقال للأميرة ماحالك أيتها الاميرة فحدثته بالحديث فتبسم ضاحكا وقال لها دعيه يفعل ما يريد لأن الرجل إذا كان فى رأسه نخوة وحمية يطلب المنزلة العلية ثم أرسل وراء ولده عمرو ورده عن المجال وقال لعبد الوهاب دونك يا ولدى وما تطلب (قال) فعندها خرج الأمير عبد الوهاب وكان تحته جواد مثل السحاب أسود فى لون الغراب قوى الأعصاب فجال فى الميدان وتقلب على ظهر الحصان حتى أذهل الفرسان وحير الاذهان ولعب بالرمح وقد قلع السنان وحمل على داود ابن محمد النجار فجال معه وأوسع فى المجال واختبره فى خدائع الطعان والقتال فوجده يفوق الفرسان وصار فى طبقة الشجعان (قال) ثم أن داود حمل عليه وزعق فيه فوجده ثابت الجنان فتعجب منه غاية العجب وحكم له بالفروسية من بين سائر العرب وقال يهنيك يا ذات الهمة بهذا الفارس الأمجد فوالله ليكون له شان وأى شان ولا يوجد مثله

فى هذا الزمان (قال الراوى) فعندها قبلت الاميرة صدره وشكرته وصاحت فى ولدها فترجل وقبل يديه واجتمعوا حوله الفرسان يدعوا له بطول البقاء والنصر على الأعداء وفرح به الامير عبيد الله غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وأطاعته سائر القلاع ومن حولهم من الضياع وكثر ذكره والخبر شاع فى سائر البرارى والبقاع (قال الراوى) وصار الامير عبد الوهاب يركب كل يوم هو ووالدته فى مركب الأمير عبيد الله فى جماعة من بنى كلاب ويتصيدون فى البر والآكام وهم فى الصيد والقنص إلى أن كان يوم من ذات الايام طلعوا الى الصيد والقنص وقد أوسعوا السادات الكرام فى البر والآكام حتى حمى الحر وكان الامير عبد الوهاب مع عبيده السودان واصطادوا من الوحش والغزلان ما عجز عن حمله الخيل والفرسان فبينما هم كذلك وإذا بالخيل قد تفردت وتفرقت ومن تحت ركابها تقهقرت فركض عبد الوهاب بالجواد فما سار غير قليل وتقهقروا الى وراء تأخر فنظر عبد الوهاب أمامه وإذا بأسد عظيم قد ظهر بين تلك الشجر ولونه أغبر وهو أفطس المنخر يطير من عينيه الشرر وتدوى الجبال كلما زجر وهدر يظلم الجو كلما دمدم أبخر الفم له أظافر تفلق الجنادل وأنياب كأنها مناجل وله حنك كأنه قليب وأنياب كأنها كلاليب يمشى يتمختر كأنه ثور كبير وأكبر ولما عاينه الامير عبد الوهاب همز على جواده وحسامه فى يمينه مشتهر ودرقته فى يساره يمنع بها الضرر وتقدم له بقلب أصلب من الحجر فلما رآه الأسد زأر كأنه الرعد اذا هدر وضرب الارض بثدييه وشخر بمنخريه وبان الشرر من عينيه واجتمع حتى عاد كمثليه وامتد حتى عاد كمثليه وهمز على عبد الوهاب فضربه عند جبينه بالحسام فشقه من بين عينيه الى عند الاقدام وكانوا السودان من حذرهم عليه ركض بعضهم الى عند الاميرة وأعلموها بالخبر وهم يصيحون بالله يا أميره ادركى ولدك فإنه على غاية الخطر مع سبع غضنفر فلما سمعت الاميرة ذلك أطلقت عنان جوادها أسرع من لمح البصر وأيضا الامير عبيد الله وولده عمرو وباقى الفرسان والشجعان فوصلوا الى عبد الوهاب فوجدوه قد هجم على الأسد وضربه هذه الضربة شقه نصفين فتحيرت الفرسان من تلك الضربة وأيضا من كبر جثة ذلك الاسد وعوذوه من العين وأرادت الاميره أن تشجع ولدها وتشد عظمه فقالت له يا ولدى لا يأخذك العجب مما فعلت فما قتلت إلا كلب من كلاب البر وقتال الفرسان وملاقاة الاقران أشد من قتال السباع فى

الدحال فتعجبوا الناس من تلك اللبوة التى تقوى شبلها وقالوا والله ليكونن له شان وأى شان وليفوقن على الفرسان والاقران وصدقوا ما قال خليفه الزمان أن الامير عبد الوهاب هو ترس النبي الاواب صلى الله عليه وعلى آله والاصحاب (هذا) والامير عبيد الله انكب من على فرسه وقبل الامير عبد الوهاب وكذلك عمرو ترجل اليه وقبله بين عينيه وقال له يا أخى لقد أرعبت قلوبنا عليك فالحمد لله على سلامتك ثم عادوا من وقتهم وساعتهم فرحين مستبشرين ووصل خبر عبد الوهاب الى عند الروم وسمعوا به وبفروسيته فقال ظالم هكذا تكون أولاد الزنا الفجار وكان قد قدم على ظالم أمير من أمراء العرب يقال له حرب بن شيبان أكال الحرام قليل الدين كثير الآثام يقطع الطريق فى كل الفجاج ويأخذ أموال الحجاج قد ربى وسمى على أكل الحرام وكان قد أتى ومعه خمسة آلاف فتاك وما فيهم من يعرف له دين ولا مذهب فلما دخلوا على ظالم دخل على ملك الروم بهم ونصرهم عن بكرة أبيهم وخلع عليهم الخلع السنية وأقطعهم الاقطاعات حتى نسوا ما كانوا عليه واشتد ظهر ظالم بهم وانضافوا اليه وصارت خيامهم فى ظاهر البلد وفيها البيع والشراء والأخذ والعطاء وان ملك الروم قد تعوق عن الخروج الى بلاد الاسلام لأنه وصل اليه خبر العساكر التى خرجت من الجزائر وهم عازمين على ملك النصرانية فتغير معهم الريح وغرق أكثر المراكب وعاد باقيهم الى الجزائر فأقام ملك الروم حتى يجمع عساكر غيرهم من الاقاليم ورأى ظالم الى ذلك فأقام يدبر على هلاك عبد الوهاب وأمه فقام من بين العرب رجل يسمى دويب وكان أتى مع حرب بن شيبان وكان تحت يده ألف فارس موصوفين بالقوة والشجاعة ودويب يعد بألف فارس فى الحرب والقتال فقال يا أمير أنا آتيك بعبد الوهاب وأمه أسرى أو قتلى فقال له ظالم اسرع أيها الفارس الجليل ولك على كل ما تريد فقال له لابد من ذلك وأسير قريب من الدروب وآتيك بهم وحق المسيح وإن فطن بى أحد أقول أنا أتيت من الحجاز أطلب الجهاد فى طاعة رب العباد وفتح البلاد ولما سمعنا ما فى الكتب بادرنا اليكم فلما سمع ظالم كلامه شكره وأثنى عليه وقال له سر بارك المسيح فيك فعندها سار هو والالف فارس الذين معه فى زى عرب الحجاز وطلبوا ملطيه ليدبروا على عبد الوهاب وأمه أمر من الامور (قال الراوى) فهذا جرى هجنا وأما ما كان من أخبار ملطيه والامير عبد الوهاب فإنه ضاق صدره فخرج للصيد

والقنص وأما عبيد الله فإنه قلقان لأجل عرب الحجاز وأيضاً عساكر العراق وقد عول أن يوصى الأميرة على الثغور ويسير بنفسه يجمع الجيوش وهو فزعان من ظالم وملك الروم فبينما هو كذلك وإذا بالنجابة الذين أرسلهم إلى الحجاز قد أتوا وقالوا أيها الأمـــير قم واخرج الآن إلى لقاء العرب فلو أردت أن تفتح بهم بلاد الروم لفعلت وأكثرهم من بنى عمك وأقاربك وهم من بنى سليم وبنى كلاب فعندها فرح الأمير عبيد الله بتلك الأسباب وركبت الأميرة فى بنى كلاب وركب الامير عبد الوهاب فى السودان الأنجاب وساروا فى لقاء من ورد من القبائل وكان قدوصل من بنى سليم وخلافهم ومن يقارب فى الحسب والنسب عشرين الف مع أمير يقال له محمد بن أبان السلمى وأتى أميرين آخرين أحدهم يقال له راشد بن ضمرة والآخر يقال له برد بن الأزهر ومع كل واحد منهم خمسة آلاف فارس أقيال أشاوس سوى من أتى يطلب الجهاد فى طاعة رب العباد والجميع قد عولوا أن يقيموا فى الثغور ويكونوا مع القوم على ممر الأيام والشهور وانهم لم يزالوا سائرين حتى التقى بهم الاميرعبيد الله والأميرة ذات الهمة فسلموا على بعضهم البعض وركبوا. وعادوا الى ملطية وضربت لهم الخيام وقر بهم القرار فخلع الامير عبيد الله على بنى سليم وكذلك الامير عبد الوهاب على بنى كلاب (قال) ولما كان من الغد أتى البشير يخبر بقدوم بلاد العراق وعساكره فركب الامير عبيد الله وذات الهمة واستقبلوهم وكانت هـــذه نجدة وصلت وعدتها عشرون الف فارس من كل مدرع ولابس كلهم أشراف مجاهدين مع غلام من أولاد الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وهو أطيب الناس غرساً وأسمحهم نفساً وأكثرهم من الله تعالى خوفا وأحسن الناس وجهاً يقال له هارون العلوى له اتصال بالنبى صلى الله عليه وسلم ومنهم خمسة آلاف أسود من البصرة يحاكوا الاقيال ولهم مقدم عليهم طول قصبه وغلاظ مصطبه غليظ السواعد لا يخشى من الأوائل اسمه سماق كأنه الليل اذا غسق وله صوت كأنه الرعد اذا خفق فاستقبلهم عبد الوهاب أحسن استقبال وأنالهم أحسن منال ونظر الى هارون العلوى وحسن وجهه وذوائب الشرف على أكتافه وصدره فعلم أنه مقدم القوم فترجل عبيد الله اليه وسلم عليه وقال له كيف خلفت أمير المؤمنين المنصور بالله تعالى فقال هارون العلوى ياأمير اعلم ان المنصور بالله انتقل بالوفاةومالنا خليفة اليوم الا الهادى بالله وهذا هو السبب الذى أبطأ العساكر عنكم هذه المدة الطويلة

حتى تمهدت الأرض بالخلافة واطمأن الهادى بالله وأطاعته العباد فى سائر البلاد وقد أرسل لكم معى منشور بولاية الثغور وللأميرة ذات الهمة أيضاً وصية على عبد الوهاب ولدها لأن أبا محمد المهدى أوصى عليه عند مماته للهادى بالله وقال له بهذا أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء معى خلع وتشاريف كما أمرنى وأريد أن تورونى إياه حتى انى أقبل وجهه كما أمرنى لأنه قال لى إذا رأيت الأمير عبد الوهاب قبله عوضى كما أوصانى المنصور بالله ولقبه بترس قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلع عليه هذه الخلعة وإذا عدت فائتنى به معك بعد الغزاة حتى إنى أراه وأقلده أمارة بنى كلاب السادات الأنجاب (قال) فلما سمع الامير عبيد الله ذلك فرح فرحاً شديداً وزادت منزلة عبد الوهاب عنده وتقدمت الاميرة اليه وسلمت عليه وقدمت عبد الوهاب بين يديه وأمرته أن يترجل ويقبل ركابه فأقسم هارون العلوى عليه وتقدم وقبله بين عينيه ونثر خلع الخليفة عليه وخلع أيضاً على الاميرة وعلى الأمير عبيد الله وأوصل الكتب اليهم ونظر سملق وسودانه إلى الامير عبد الوهاب فرأى سواد لونه وملاحة كونه ورأى منزلته عالية ورتبته سامية عند الناس وعند الخليفة ونظر الى السودان الذين حوله بثياب الحرير الرومى والديباج الملكى فحن الجنس الى الجنس وانعزل سودانه اليه وقال انى أريد أن أكون مع رجال هذا الامير الهمام والبطل الضرغام أضرب بين يديه بالحسام ولا نبرح من هذه الامصار ونأكل من هذه الثمار ونشرب من هذه الانهار وننهب بنات الكفار ونحظى بالاكفال الثقال وتلك الاخصال فضحك الامير عبيد الله وجميع الحضار وفرح الامير عبدالوهاب وسودانه وخلع عليه الثياب التى كانت عليه ولبس خلعة الخليفة ولما عادوا الى ملطيه خلع عبدالوهاب على باقى السودان الثياب الحسان من سائر الالوان فطارت عقولهم مما رأوا وحلفوا بالايمان أن لايموتوا إلا قدام عبد الوهاب ونزل هارون العلوى فى خيام بنى كلاب وامتلأت بالناس الاقطار والشعاب ونقلت لهم الضيافات والعلوفات والاقامات وأقاموا بعد ذلك يأخذون أهبتهم للمسير الى بلاد الروم والكفار وجميع العساكر والمجاهدين تأتى من سائر الجهات والاقطار وكان الامير عبد الوهاب كل يوم يركب الى الصيد والقنص فى مقدمة السودان وهو أفرح الخلق بهم وأمه قد أمنت عليه لأجل سملق وميمون الجاس والسودان الى أن كان يوم من بعض الايام خرج الى الصيد والقنص ولم يبق معه غير سملق لأنه

كان وقع له محبة عظيمة فبينما هم سائرين والى الصيد منتظرين واذا قد أتى بين أيديهم ذكر نعام فركض خلفه عبد الوهاب وتبعه سملق وجعلوا يطردونه الى أن حميت الرمضا وأوهج البر وتوقد الحر وصار بعدالظهر واذا قد خرج عليهم أبو دؤيب فى الالف فارس المتنصرة لأننا ذكرنا أنهم ساروا من عند ظالم وكانوا لما خرجوا من القسطنطونية ساروا حتى قربوا من الدروب فرأوهم الديادبه الذين على الدروب فسألوهم عن حالهم قالوا نحن أتينا من الحجاز فى طلب الجهاد فوصلنا الى الحارث وظالم فقالوا لانعطيكم شيء من عندنا إلا إذا دخلتم ديننا وتنصرتم فشق ذلك علينا وما رأينا أن نبيع الآخرة بالدنيا ونحن أتينا الى الامير عبيد الله ثم ساروا من عند الديادبة وأكمنوا قريباً من الثغور وتركوا لهم عيون على عبد الوهاب حتى يخرج يعلموهم فلما كان ذلك اليوم وقد عاينوه وهو خارج الدروب خلف النعامة خرجوا عليه القوم وفى أوائلهم أبو دؤيب وهو ينادى الى أين تمضى يا ابن مرزوق فى هذه الفلاة اليوم تبقى بجندل على الوطاة وقد تفرقت عليه الفوارس من كل جانب ومكان فلما رأى عبد الوهاب الى ذلك تمرر مذاقه وانقلبت أحداقه وضاقت أخلاقه حتى كاد أن يمزق أطواقه والذى ينظره يقول سبحان خلاقه وامتشق السيف من قرابه وحمل على الخيل بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر وتبعه سملق وهدر وزجر وحمل مع عبدالوهاب على عجل وقد زعق كان صوته مثل صوت الحمار اذا نهض وحمل على الخيل وانطبق ولسيفه امتشق والزبد على أشداقه قد ظهر الا أن عبد الوهاب استقبل أبو دؤيب وعليه طبق وكان أبو دؤيب قد همهم عليه بالطعنه من أول ما رآه وقصده فضرب عبد الوهاب رمحه أبراه مثل ما يبرى البارى القلم وهجم عليه وضربه بالسيف بكلية يديه فجاءت الضربة فى كتفه الايمن شقته نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وزود آخر بضربة على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وضرب آخر على رأسه نزل السيف الى أضراسه والتقوا الفارسين بالالف فارس وقد تمرمر منهم المذاق وكثر الصياح والزعاق ووصل الخبر الى ملطيه من الرستاق فركب الامير عبيد الله والاميرة ذات الهمة فى أوائل القوم وقد طار فؤادها والسودان تتجارى خلفها وأمامها الى أن أشرفوا على المعمعة فوجدوا الغبار عالى والنقع نامى الا ان الامير عبد الوهاب وسملق قتلوا سبعمائة وسبعين والباقى قدامهم منتبتين وجرح الامير عبد الوهاب

جرحين الا أنهم سالمين وهو يضرب ضربات واصلات وطعنات متداركات والأمير سملق يصيح فى وجوه الخيل فتنفر من بين يديه وتنفر بأصحابها فتوقع الركاب ويهجم على الابطال ويفرقها يمينا وشمال قال فلما نظرت الأميرة إلى ذلك قالت واولداه وصاحت وحملت وحمل معها السودان فقتلوا من تبقى من الفرسان وشالوهم على أسنة الرماح وأقبلت الأميرة على ولدها وقبلته بين عينيه وكذلك الأمير عبيد الله وما من الأمراء الا وقد هناه بالسلامة وقال له هارون العلوى لله درك أيها الأمير ما أنجبك من بطل نحرير فشكرته الأميرة على ذلك وشدت جراح ولدها وعاد إلى ملطيـــة وقد نوت الأميرة أن تزوج عبدالوهاب قبل أن يسير إلى بلادالروم (وقال) فلما برىء من جراحاته خطبت له أخت الأمير راشد ابن ضمرة وكان أجل بنى كلاب وكان من الفرسان المشهورة والأبطال المذكوره وقد نحرت النحاير وأولمت الولائم سبعة أيام ودخل بها الأمير عبد الوهاب فى الليلة الثامنه وبعد أيام قلائل وصلت جواسيس الأمير عبيدالله يخبروه أن ملك الروم برز خارج القسطنطونية بعساكر لا تحصى بعدد الرمل والحصى وظالم وولده وحرب بن شيبان فى ثلاثين ألف من متنصره العربان وأن ظالم قد أوعد الملك بفتح البلاد الإسلامية فعند ذلك جمع الأمير عبيد الله سادات العرب وأهل المنازل والرتب واستشارهم فى هذا الأمر فقال هارون العلوى ما فى الأمر الا اننا نسير اليهم قبل أن يقدموا علينا ويطوون أرضنا وبلادنا فقالوا له والله نعم ما أشرت ياأمير ثم أمر المنادى ينادى فى العسكر وفى ملطية معاشر الناس كل من أكل خير السلطان لا يترك السفر بعد ثلاثة أيام فشرعوا الناس فى أهبتهم إلى الجهاد (قال الراوى) وأن الحصين بن ثلعبة السلمى الذى ذكرنا حديثه فى الأول وسقناه كان له ولد أسمه عبيد الله ولقب بأبى محمد وكان والده الحصين قد كتبه فى ديوان المجاهدين وكان له فى كل سنة خمسمائة دينار على الأمير عبيـد الله وكان هذا عبد الله ما يحضر قط لا حرب ولا طعن ولا ضرب لأنه كثير الفزع والهرع زائد القذارة والكسل مقعد لا يقدر أن يقوم على قدميه وأن أكل يكسل أن يحرك فمه وشفتيه وان بال بال على أدياله وان تكلم سال رياله يفزع من الماء اذا سر ومن الثور إذا هر وكلما زقزق الفار فى الدار يهرب فى ثياب أمه ويقول هذا من العيار ومن جملة كسله أنه اذا كان نصفه فى الظل والنصف الآخر فى الشمس وهو نائم يكسل أن يزحف الشمس إلى الظل وقد

اقتصرنا فى الكلام فى وصفه والسلام وكان أبوه الحصين ابن ثعلبة من حين نظره على تلك الحالة ضاق صدره وعيل صبره وتحير فى فكره وكلما رأى الفقيه عقبة وما قد أعطى من العلوم والمواعظ والآداب وصحـــة النثر والنظام يحسده ويتحسر على ولده وخيبته وكسله (قال) وكان الحصين يقول ما أظن ولدى أن يكون فارس أبدا ولا له جسارة يحضر قتال ولا حرب ولا نزال ومالى الا أوديه إلى الفقيه عقبة ابن مصعب لعل أن يعلمه شيئاً من القرآن العظيم ينتفع به على طول الأيام والسنين (قال) فعزم الحصين على ذلك ثم أنه أحضر للقاضى عقبه من يومه هدية سنية لها قدر وقيمة ومن جملتها خمسمائة دينار وغير ذلك ثم أنه أخذ ولده عبد الله بين يديه وسار إلى الفقية عقبة بن مصعب حتى وقف على بابه وطرق الباب فخرج اليه الخادم وسلم عليه وقال له ما تريد فقال الحصين قول للقاضى عقبة ابن عمك يريد أن يجتمع بك فدخل الغلام وعاد وقال بسم الله ياسيدى فدخل الحصين على الفقية عقبه وسلم عليه وقدم له ما كان معه وحدثه بحديث ولده وما هو عليه من الكسل وقال له فى الكلام افعل من هذا الولد الصغير ما يشكرك عليه الأمير والحقير والصغير والكبير وعلمه من بعض علومك الفاخرة شىء تنتفع به أنت وإياه فى الدنيا والآخرة فقال عقبة سمعا وطاعة وحبا وكرامة فما اسمه ياحصين فقال اسمه عبد الله ويكنى بابا محمد فتسلمه عقبه منه ورجع الحصين إلى منزله وكان عقبـــة يعنى به ويجتهد فى تعليمه واتقانه والاعتناء به ليلا ونهارا وغدوا وابكارا من دون الأولاد والتلامذه الذين عنده كلما استقضاه فى حاجة أفسدها أو زبدية كسرها ومع هذا كله زايد القزارة والساخة يمخط فى كامه وان تكلم سالت رياله ولا يحب سوى البطالة فسماه البطال وكان الحق سبحانه وتعالى قد أمات نفسه الحيوانية واحيا نفسه الروحانية فكان كلما لقنه الفقيه عقبة شىء يحفظه والذى يحفظوه الأولاد فى شهر يحفظه هو فى يوم واحد وألقى الله فى ذهنه الفهم والفطنة وكان يقرأ على القاضى عقبة جماعة من الرجال من سائر الأقطار فى سائر العلوم فى النحو واللغة والفريضة والتفسير وغير ذلك من جملتهم رجل يقال له قليح بن قابوس وكان من أرض اليمن وجاء إلى الثغور فى طلب العلم وأيضا كان معه كتاب يسمى ينبوع الحكمة لا يوجد الا فى خزائن الملوك وفيه من جميع الحكم المشكلات والمسائل الشرعيات والأبواب النارنجيات وفيه لغات مختلفات وكان ذلك الرجل يصحح على القاضى عقبه منه المسائل المشكلات لأنه كان

فى سائر العلوم ماهر وقيل كان يحفظ اثنى عشر ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواياتها واخبارها وصفاتها لان الله سبحانه وتعالى جعله من أهل الشقاء لما سبق له فى الاراده (ونرجع) لما كنا فيه من حديث قليح بن قابوس وان عقبه دخل يوم من الايام على اخته وقال لها ياأختاه لو ملكت الكتاب الذى مع قليح كنت فتحت مطالب العلوم واطلعت على كل امر مكتوم ومن اعجب ما فى هذه السيره كان عبدالله ابن محمد يسمع كلام عقبه لاخته فاسر ذلك الكلام فى خاطره وسره وخرج من وقته وساعته من منزل عقبه وقصد الى بيت ابيه وأخذ ازار بغدادى وتنقب بعد ان التف فى الازار وتشعر وتقصب وخرج من وقته وساعته طالب بيت قليح وكان البطال قبل خروجه فى هذه الصفه اخذ أوراق ومسودات وحكايات واشعار وغير ذلك والكل فشار فى فشار فلما طلع فى زى النساء أخذ معه الكتاب وقصد الى بيت قليح فلما وصل الى باب المنزل طرق الباب فقال قليح من بالباب فخنث البطال كلامه وتوقع لسانه وقال انا كريمة القاضى عقبه فقال قليح وما تريدى فقالت القاضى عقبه يسلم عليك ويقول لك قد تجدد عليه مرض القولنج فان كان عندك شيء من الترياق كما وصفت فى حضرته فقال قليح حبا وكرامه وسمعا وطاعه ثم حط الكتاب فوق المخده وقام الى عند خزانة الترياق وفى دخوله الى الخزانة وتمام الارادة أخرج البطال المجلد الذى كان معه وحطه وأخذ الكتاب أسرع من البرق إذا برق وخرج قليح بالترياق وأعطاه إياه فشكره ودعا له وخرج من بين يديه وهو يهز عطفيه ويقصع ردفيه وكل من رآه لا ينكر عليه ولتمام السعادة وقضاء الارادة عرض لقليح حاجة من حوائجه فاخذ الكتاب وحطه على الكتب إلى ثانى يوم (وأما البطال) فانه لما خرج من عند قليح ونزع ما كان من ثياب النساء ونظر إلى ذلك الكتاب فنظر غوامض العلوم وكل سر مكتوم ففرح البطال بذلك الكتاب حتى كاد عقله أن يطير من الفرح والسرور (قال) لما كان من اليوم الثانى صلى الأمير قليح الصبح وأخذ المجلد وأراد أن يمضى إلى عقبة يصحح عليه المسائل على جارى العادة فوجد أشعار وهزيان فطاش عقله وذهب لبه وعلم أن الحيلة تمت عليه من أخت عقبة فسار من وقته وساعته إلى القاضى عقبه وهو يتعثر فى أذياله إلى أن وصل إليه وهو جالس وحوله جماعة كثيرة يقرؤن عليه فى العلوم من الأخبار والآثار وغير ذلك قال فعندها دخل قليح وقال ياقاضى لما عملت

هـذه الحيلة حتى أخذت منى الـكتاب فهل تـكون هـذه فعال الأصحاب كنت قلت لى انك تريد تنسخه وأعجبك فيه شيء تفعله وأنا كنت ما أبخل به اليك وإلى بيتك كنت أحمله اليك فقال عقبة ما هو الـكتاب الذى يستحق هذا الجواب قال كتاب ينبوع الحـكمة فإن اختك جرى معها كذا وكذا وقت القولنج وجاءت اختك وأخذت منى الترياق فقال عقبة ما هـذا صحيح وهـذا القول منك غير مليح فقال قليح أبصروا اللص المحتال يعمل على الحيلة ويتم على المكيدة وبعدها يـكذبنى ثم ان قليح أمر غلمانه أن يضربوا عقبـة فضربوه حتى غاب عن صوابه وأحرقوا طيلسانه وحملوه إلى الأمير عبد الله وكان عنده سائر الأمراء فصاح عقبة هكذا يفعل يا أئمـة الدين وعلماء المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم يقول العلماء ورثة الأنبياء قال فلما نظر هارون العلوى إلى ذلك الحال صعب عليه وكبر لديه وقال ما يحل أن يفعل بالعلماء هذه الفعال واغتاظ الأمير عبد الله وأمر بضرب رقبة قليح ونهب ماله ودياره وما كان لعقبة داب إلى التفتيش على الكتاب فلم يجـده ولم يقع له على أثر فتحير عقبة وتحسر وحسب ان مرارته تنفطر ومضى الأمر على ذلك وراحت على من راحت وصح الكتاب للبطال واكتسب من غرائب الفعال حتى كان يتكلم فلا يجبه إلا البطال من دون الذين حوله ويقول هـذه المسئلة باطـلة من ثلاث وجوه كذا وكذا وصحتها من ثلاث وجوه كذا وكذا فتحير عقبة من ذلك واندهش ويقول من أين لك هـــذا يا شيطان فيقول له البطال ان أنا إلا تلميذك وتربيتك وخادمك فيفرح عقبة بذلك الـكلام وهو كله ضحك على لحيتـه (قال الراوى) وسنرجع إلى ما كنا فيـه من الحديث وان الجواسيس لما قدموا من بلاد الروم وأخبروا الأمير عبد الله كما ذكرنا بالمسير وشاع الخبر كما وصفنا فما أمكن الأمير الحصين ان يخلى ولده بعد العسكر عن الغزاة وقد أخـذ له ديوان أربع سـنين قبل تلك السفرة فأحضره بين يديه وقال له يا ولدى أنت تعـلم انى كتبت اسمك فى ديوان المجاهدين وأخذت معلومك أربع سنين ولا غنى عن خروجك مع المجاهدين إلى القتال فعند ذلك بكا البطال وقال يا أبتاه ومن قال لك انك تـكتب اسمى فى الديوان ومن هو الذى يقدر يركب حمار فضلا عن الجواد وأنا من أيام كنت قد ركبت حمار ورمانى ثلاث مرات قال فأخذه أبوه وأتى به إلى عند عمه يشكو اليه حاله وأعاد عليه كلما جرى فلما سمع عقبة من الحصين ذلك الـكلام قال للبطال يا ولدى ما نأخذك فى هذه الغزوة لا لأجل قتال ولا حرب ولا نزال إلا انك

تلبس عدة الحرب وتكون واقف لما نعرف حالك ويكون مالنا مثل مالك لأنك قد أكلت خير السلطان أربع سنين وغالط بك أبوك ذلك الزمان الطويل فلما سمع البطال ذلك الكلام بكى الى أن غشى عليه وقال يا سيدنا ومن أشار عليك بهذا الشان حتى انكم تأخذوا لى ديوان وتنزلوا اسمى مع جملة الفرسان وأنا إذا سمعت قرقرة الفيران أو صياح أبو قردان فى البرك والغدران أقول قد كبسونا الروم فى ذلك المكان وأنا وحق الملك الديان خالق الإنس والجان الرحيم الرحمن من حين سمعت أن ملطية سكنوها سودان المتشبهين لجن ابن داود سليمان ماعدت خرجت من البيت ولا من الجدران ولا لعبت مع الصبيان فمن هذه الصفة صفته كيف يكون له جنان أو يركب حصان أو ينظر الى فرسان فى معترك الضرب والطعان وكيف حالى يا سيدى إذا اصطفت الفرسان فى حومة الميدان وتشابكت الرماح ثم أين أجد رجلان يحملانى فى ذلك المكان أتريدون أن تجعلوا من بول لتيوس خبيص أو تفصلون من الهوى قميص فبالله عليكم لاتدخلون فى خطيتى وتتركون الروم يسبحون بأذيتى ويسمعون الناس زعقاتى فما الحرب من اسمى ولا الطعن والضرب من سيمتى ولا النزال من أخلاقى فلما سمع الفقيه عقبة بلاه الله بكل نكبه من البطال ذلك الكلام ضحك حتى دمعت عيناه واحمرت الآماق والجفون وقال لا تفعل فهذا الحديث لو سمعوه الناس من فيك لضحكوا على أبيك وأنت ما تكون إلا فى موكب الفقهاء والقراء وإذا رأيت الروم انكسروا فكبر فى ذلك الوقت ونفض أكمامك وجنح طيلسانك وان كانت علينا والعياذ بالله فكن أنت أول من يطلب الهرب والهزيمة والرواح فى البر والسبسب وأنت تقول حى على الفلاح فعند ذلك قال البطال يا سيدى ان كانت الكسرة على المسلمين وكنت انا فى أول المنهزمين ويكونوا الروم قدامنا كمين كيف يكون حالى وفى وسطى سراويلى يا مسكين أليس أكون انا أقرب الى الهالكين قال فضحك عقبه من هذه الأقاويل حتى انه بال فى السراويل ثم قال يا نحس الأولاد يا ميشوم الخاطر مالك أسوه بهذه العساكر الحنيفية الذين خرجوا الى الجنود النصرانية فقال البطال يا سيدى لم تكن أسوه الا القعود فى ملطيه وأريح نفسى من تلك القضية وآكل من تلك المقمحيه فدع عنك الكلام الذى لايسمع والقول الذى لاينفع فإنى لا أبرح من عند الصخور وكلامك فى أذنى

لايجوز ثم أنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

يا عم دعني لا تطيل عتابي ... لا تقصدون بليتي وعذابي
من اين تثبت همتي عند اللقا ... وأنا افزع من صرير الباب
واذا سمعت الباب ارعد خيفة ... وابول من جزعي على اثوابي
وأقول هذا القول يقتل جمعنا ... وتحن آذاني الى الأثقاب
لا تذكرون الطعن في يوم اللقا ... فأموت من جزعي بغير حساب
أنا لا أحب الطعن الا خلوة ... في البيت بين كواعب الأتراب
واذا اتى وقت الطعام رأيتني ... دنيت سحقته بحدة نابي
واذا اردت الطعن صدر دجاجة ... وإذا ضربت ففي رغيف رابي
املا من اللحم السمين ضمائري ... وادور اكرم بعد ذا أصحابي
هذا هو العيش السليم فلا تكن ... شيخاً قليل العقل يا كذاب
واني لا اصغى للعدو وقوله ... انى أراه بقوله مرتاب
ان قدم الله العظيم بعزمه ... وبقوته سأكون في محراب
اتلو الكتاب بحسن صوت جيد ... واسال اله العرش حسن مآب

(قال الراوى) فلما سمع عقبه بلاه الله بكسر الركبه من ابى محمد ذلك الكلام قال ما هذه الا طريق السلامة لاوهبك الله عافية فما والله طلعتك الا واهيه ثم قال للحصين جهز الألفين دينار والذى اخذتهم لولدك من الأمير عبد الله فولدك ما يفلح قط ولا ينصر به على الاعداء كذب والله اللعين عقبه جاء له علة وضربه فقال الحصين يا ولدى لا تفعل وانا احلف لك وحق من مرج البحرين وانار القمرين ما ادعك تباشر حرب ولا قتال بل اركبك جوادى السحاب الذى ادخره للأمور الصعاب ولا تبرح عيني تراعيك وان جرى على الناس امر والعياذ بالله اخذتك ونجوت بك في اماكن ما تهتدى اليها العرب ولا الروم ولا تحوجني ابيع ما ورائى وما قدامى من شانك وادفع الذى اخذته على اسمك من الديوان ويضحكون الناس على ويشمتوا بى الحساد ويقولوا الحصين له ولد مطنجر مخنث بين الاولاد وما يحسن اصلا يركب جواد ولا يحسن ينظر بعينه الى مقام الجلاد فعند ذلك قال البطال والله يا أبتاه اعلم انى قد ضاقت على ملطيه وتريدون تخرجونى منها بالكليه فافعلوا ما قد بدا لكم بها انا مطيع لأحوالكم قال فعند

ذلك فرح الحصين بمقاله وأخذه معه وهو يدعو بالفرج ويطلب له من عالى الدرج ويقول يا مفرج فرج المهج ولسان الحال يقول فى سره يا مغير حال بعد حال غير طباع ولدى البطال قيل كانت أبواب السماء مفتحة باتفاق من الله الواحد الخلاق فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاء الحصين لما سبق فى الكتاب المبين وما قد كان من القدم وما قد كتب بالقدم هذا والناس قد أخذوا أهبتهم فى الجهاد الى سبيل الله ورحل بهم الأمير عبد الله طالب بلاد الروم فى خمسين ألف ومائة ألف فارس من كل مدرع ولابس مابين رامح وتارس وكل طائفة صارت خلف مقدمهم والأمير عبد الوهاب دارت به السودان من كل جانب ومكان وهو مسرور فرحان وهم أبطال بنى كلاب والجميع سائرين سير السحاب وهم بالسيوف الضوارب والرماح الكواعب (قال الراوى) وكان الأمير عبد الله فى الساقه وهو سائر تحت الرايات والأعلام وإلى جانبه هارون العلوى مقدم عساكر العراق والفقيه عقبه كلما نظر الى الكعبة وهو راكب على بغله زروريه تساوى من الذهب ألف وميه وقد جنح الطيلسان وأرخى الاردان وتلاميذه من حوله وناس من أرباب المدارس وصدور المجالس وهو يحث الناس على الجهاد فى طاعة رب العباد ويوعدهم بجزيل الاحسان من رب الارباب ويقطع الطريق بقراءة القرآن واحتوى على قلوب الفرسان والاقران بحلاوة اللسان والامير عبيد الله رآه فى ذلك العزم والاجتهاد فقال فى نفسه ماأسعى للقاضى إلا فى قضاية بغداد (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى مرج العيون فنظر الامير عبد الله الى مرج واسع منبسط أفيح فيه عيون تجرى ومنابع تسرى وهو يصلح للحرب الطعن والوقائع فنزل فيه الامير بالعساكر وقال هارون العلوى ما نبرح من هذا المرج أيها الامير حتى تصل عساكر الروم الينا ويقدموا علينا ونكون قريب الى بلاد الاسلام ولما نظر الامير عبد الله الى ذلك الكلام نزل وضرب الخيام وركز الاعلام وأقاموا ذلك اليوم وثانى الأيام الى نصف النهار وإذا بالدنيا من صوب بلاد الروم قد اسودت والغبابير قد امتدت والزوابع الى السماء صاعده وعساكر الروم وارده وضجيجهم الى عنان السماء صاعده وقد بدل ضوء النهار بالظلماء فلما رأوا المسلمين ذلك ضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وتقدمت الامراء فى أوائل الناس وقد ظنوا أن الروم عند

قدومهم يقاتلون فاصطفوا وترتبوا وما كانت إلا ساعة حتى انكشف الغبار وبان للنظار وأقبلوا كأنهم البحر الزخار أو قطرات الامطار وقد لمعت القنطاريات والبيارق وامتلأت المغارب المشارق وتزاحمت الروم حتى بقى على القدم ألف قدم ونظروا الى المسلمين فصاحوا حنا ومريم والصليب ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى ذلك الوقت قامت الدنيا على ساق وقدم وخيل للناس أن الدنيا تتهدم ولما قربوا ابتدأوا فى ضرب الخيام ولا فيهم من طلب حرب ولا صدام (قال الراوى) ولم تزل طوائف الروم تنزل وتطلب النزول حتى ملأت الارض عرضاً وطول ونزلت العرب المتنصرة ميمنة وميسرة فى جوانب عسكر الروم والمقدم عليهم ظالم وولده الحارث وحرب ابن شيبان فى ستين ألف عنان من متنصرة العربان وأشرف الملك نوفيل وهو كأنه درفيل وعلى رأسه صليب موثوق بحبال الابريسم ولم يزالوا يضربون الخيام ويركزون الاعلام وعساكر الإسلام على ظهور الخيل قيام وما فيهم إلا من رأى ما أبهره ونظر من طوائف الروم ماحيره ولما أقبل الظلام رجعوا الى المضارب والخيام ورتبوا للحرس ألف فارس همام من كل بطل ضرغام مع الأميرة ذات الهمة لأنها طلبت بذلك الاجر والثواب وأيضاً لأجل ولدها عبد الوهاب هذا وعساكر الروم متواصله وطوائفه متقاطره والى الخيام نازله هذا وضجيجهم قد ملأ الاقطار وزاد الليل اعتكار ولما أقبل الظلام جلسوا المسلمين لأجل الطعام فطلب الحصين ولده فلم يجده فضاق صدره عليه وسأل عنه فلم أحد أرشده فمضى الى فقيهه وساله عنه فقال له والله ما معى منه خبر فضاق صدر الحصين على ولده أبا محمد وتحير وأرسل الغلمان يفتشون عليه وهو كثير الشوق اليه (قال) وكان السبب فى غياب البطال أنه لما رأى عساكر الروم أقبلت والضجات قد علت والابطال قد تزاحمت أيس من الحياه وأيقن بالوفاه وطلعت الى حلقه خصيتاه وصار عبرة لمن يراه ودخل الى الخيام لعله يجد مكان يتخبا فلم يجد إلا خيمة الطباخ فدخل ونزل فى صندوق الزبادى وأطبق عليه الغطاء وهو مثل السعفه فى يوم ريح عاصف (قال الراوى) وأتى الطباخ بعد وقت من الليل وقد فرغ شغله فنام الى جانب الصندوق وكان الطباخ الآخر أذل من البطال فعطس أبو محمد البطال وهو فى الصندوق فقال الحمد لله فقال الطباخ يابه يامه وإيش

القضية بس ياويلكم القطط معنا فى البرية ثم مد يده فى الصندوق فجائت على أبو محمد فصاح الطباخ الآخر ووقع مغشيا عليه فدخلوا الغلمان وجعلوا يدورون حواليه ويقرؤن المعوذتين عليه حتى أفاق وقال ياقوم أن فى الصندوق واحد من العمار فانظروا كيف عينيه تبصبص من الشقوق فقال البطال وقد صاح وعرف أنه الطباخ أذلك الله ياجبان ياذليل يامهان وايش هذا الهزيان فقال الطباخ وأنت يعنى عنتر عبس يخرب بيت الذى جابك انظر الى الذى ملا ثيابك قبل أن تتكلم فقال البطال يامرتاب فزعتنى بذقنك حتى اننى بليت الثياب والصندوق وانظر الى الذى نازل من الصندوق فضحكوا الغلمان حتى انقلبوا وصاحوا وجلبوا وقال الطباخ بعد أن أفاق من هو أبوك يامقصوف فقال الحصين بن ثعلبة صاحب الأمير عبد الله أمير الأمراء ووزير الوزراء فنادى الطباخ الأمير الحصين وأعلمه بما جرى من ولده قرة العين فأتى اليه والده وأخرجه بعد أن أخذ بخاطر الطباخ وقال ايش هذه الفعال ياولدى فقال ياأبتاه الذنب للطباخ الذى خوفنى بذقنه ولكن أنا ما قلت لكم خلونى عند أمى ما سمعتم ولم يزل الحصين يترفق بولده حتى أتى الخيام وأطعمه شيئاً من الطعام وجاء وقت المنام وقد طبق وسيع الفلا فى الظلام فنظر الحصين إلى ولده وقد حان حينه وتغير لونه فقال انا لله وانا اليه راجعون الذنب على القاضى عقبه الذى أشار على به ثم أخذه ودخل على القاضى عقبة وقال له ياقاضى لقد أبليتنا بهذا الولد فقد بلينا من أجله بالنكد وقد فرغ منى الصبر والجلد وحدثه بجميع ما جرى فقال عقبة ياولد النحس ما هذا الخوف العظيم والجزع الجسيم ولم لا تنام عندى وتهجع فقال بالله عليك نيمنى عندك فى هذه الليلة فضحك عقبة وقال له نام عندى فدخل البطال الخيمة وتركه أبوه وقام على باب الخيمة وهو مقهور مما جرى وأما البطال فانه نام جنب عقبة على فراشه وكان القاضى عقبة متكىء على مخده وعليه أصوافه التى يتجمل بها فنام وكان عقبة نومه خبيث تكون رأسه للشرق يجعلها للغرب ففى نومه على المخدة انقلب جاءت رأسه عند بطن البطال وكان له شوشة كبيرة وكان البطال قبل ما نام عشاه أبوه خبيص فثار عليه الشغل فانتبه فرأى الخيمة ظلام ويحسب أنه عند أمه فوقف على حيله وحط رجله الواحدة جاءت على رقبته فحسب أنها رجل المرحاض فعمل الشغل فجاءت

على أثوابه وأصوافه ووجهه أيضا والفراش وكانت الخيمة ظلام فبقى المكان كله غائط وجاءت رجله على شوشته فصاح من خوفه وجزعه فنزل ما بقى فى بطنه فملا لحيته وعوارضه وأتلف أصوافه وتركه عبرة لمن نظره فانتبه من نومه فرأى ذلك الحال المهول وكان أول من وصل اليه الحصين أبوه خوفا على البطال فراى هذا الحال ورأى ما حل بعقبة من الامور الصعبة فقال لولده ايش هذا يا ابن الحرام فقال القاضى عقبة ياحصين ما تنظر الى ما فعل ولدك بثيابى وقد عمل أعلى لحيتى العمل ووجهى وأطال فى ذلك عذابى فبالله وتالله ووالله لازم مضى إلى السلطان وأحكى له ما بى أو تقوم بثمنهم ياحصين فقال الحصين لولده ايش هذه الفعال فما أبشعك بين الناس ثم ضربه على نافوخه والرأس وقال له ايش هذه الفعال بقاضى قضاة المسلمين وأهل الدين فبكى البطال وقال يا أبتى الفزع أحوجنى الى هذا لانى حسيت بنفسى كانى فى بيتنا على المرحاض فجلست فجاءت رجلى على شعره فنزل العمل على وجهه مع نحره وأيضاً انى متعجب فى أمرى كيف جاءت رأسه عند رجلى فقال القاضى هذا جزائى وجزاء صبرى وطبعى فقال البطال جاء طبعى فتوفقوا الطبعين فى وجه سيدنا والعين والعنفقة والشاربين فقال له القاضى الساعة أنا الآخر اشيلك وأخبصك تحت الرجلين وأضربك ألف ومائتين فتبسم من ذلك الكلام الحصين وقال له يافقيه أنت كنت السبب فى مجيئه وانا أقول ما ينفع وأنت تقول لعله ينفع فقال البطال وان كنتم ماتريدون أن أرجع أنام كل ليلة عند الفقيه عقبه فى المضجع وتروا ماأفعل وأصنع

(قال الراوى) وهذه أحوال البطال فى بدايته وبعدها تأتى
الشجاعة والبراعة والحيل ويخاف منه الموت
المعجل وأما كفارة الضحك والهزل والمجون
فالصلاة على سيدنا محمد المبعوث للابيض
والاسود وهو سيد العرب والعجم
صلى الله عليه وسلم

﴿ تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن

يطلب من

مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كلوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح نعرت بوقات الروم وخفقت ودنت الجموع وهربت الجن من الاوطان والربوع وصهلت الخيل وطلبت القتال والحرب والنزال وحن السيف إلى القتال وحملت ذلك الوقت الكتائب وحطمت المواكب على المواكب وانقضت السهام مثل النجم الثاقب وحمل الجيش على الجيش وكثر من الجبان الطيش ولم يزل السيف يعمل عمل النار فى الكبريت هذا والبطال قد أخذه الدمع وبقى يقوم ويقع وكان أبوه من أول النهار ألبس صدره زردية مضاعفة العدد وسلمه سيف صقيل وأوقفه على رابية عالية بعيد عن القتال وقال له قف ههنا يا ولدى ولا تخف فها عينى تنظر وتراعيك ولما رأى البطال إلى ذلك اشتكت اضراسه وعدم حواسه ولا تسأل عما جرى فى لباسه وصار كل من رآه يظن انه اليه قاصد وإذا برجل اقبل على البطال وكان ذلك الرجل اكثر خوف منه وهو يلتفت الى وراه فلما أقبل على البطال قال له نح عنى يا قرنان والا اقطع بهذا الحسام منك الاودان فقال الرجل لا تخاف فأنا الآخر مثلك فزعان فقال البطال من تكون يا جبان وإيش اسمك يا ذليل يا مهان فقال اسمى مضمار ولى ولد شجاع فى الحرب والقراع ولم يخلق الله تعالى أذل منى ولا من يخاف قدرى وانى خفت من الموت وخشيت من الفوت ومن هو القرنان الذى يكره الحياة

فإنى أتيت اليك لأتشاغل أنت وأنا فى هذا المكان لأنى مذ رأيتك عرفت انك مثلى جبان مهان فقال البطال تقرب الى ههنا فأنا وأنت فى المصيبة سواء ثم انه وقف يتحدث هو وإياه فى أمر القتال وتراودوا فى القيل والقال وإذا بسهم جاء من غمض علم الله ودخل بين الإثنين وطش ريشه فى وسط الجبانين القطيعين ودخل من بينهم يطش طشيش ونزل قريب منهم فى الارض وغاص (قال الراوى) وان البطال فى ذلك الوقت غشى عليه وصار لا يعرف ما بين يديه من كثرة الخوف والفزع واما الآخر فانه صاح ووقع وبعد ساعة أفاق وقد أفاق الضمار فقال له البطال ويلك يا أخى انظر ان كنت يا أخى سالم بالله عليك فقال الآخر انظر الى وجهى ان كان صحيح لأنى والله زاد هلوعى ووقعت على ضلوعى وصار البطال واقف ساعه وهو ينظر إلى نفسه ويهز جثته ويقول يا هلترى أنا سالم أم لا ونظر الى الارض بعد ساعة فرأى السهم وهو يتحرك فى الأرض فنظر البطال الى ذلك فتعجب غاية العجب وقال يا هلترى ايش يكون سبب هذه الفعال ثم قال للضمار يا هلترى ايش هذا والله لاسير وانظر حال هذا السهم ثم انه سار البطال وكان ذلك سعادة وإقبال وكل هذا بإرادة مسبب الاسباب (قال الراوى) نرجع لما كنا عليه من الكلام بإذن محى العظام ولما تقدم ابو محمد البطال الى السهم الذى يتحرك فى التراب فجذبه بكلية يديه فلم يقدر فجذب السيف الذى معه وحفر حواليه الى ان وصل الى آخره واذا بذلك السهم قد وقع فى ثعبان عظيم ارتمى وهو ملبط بالدم وذلك الثعبان من حلاوة الروح قد انقلب ودمه قد انسكب ولما رأى البطال إلى ذلك تحير فى امره وقال الله أكبر بان الحق وظهر وزال والله الخوف والحذر وخجل من جعل مع الله إلهاً آخر فلا مفر من الموت ولا مهرب من القوت ثم انه فى ذلك الوقت هاجت به السريرة المخفية الذى أودعها فيه رب البرية وعصفت فى رأسه نخوة العرب أهل المعالى والرتب اهل الحسب والنسب لأنه من أصل قوم مفاخر أطايب معودين بالعطا والجود والمواهب ونزل من على تلك الرابية وجذب الحسام وحمل فى اوائل القوم وهو راكب على جواد من الخيل الجياد فكر على الروم فى المجال وتندم وضرب أول فارس اقلبه وضرب آخر جندله والثالث أهواه والرابع أعدمه الحياه وقد نظر إلى بطريق عظيم راكب على جواد جسيم وفى صدره صليب من الجوهر وهو يجول مثل الغضنفر

فأرمى البطال نفسه عليه وتجاولا ساعة من النهار وقد عـــلا عليهما الغبار ثم أن البطال ضربه بالسيف على صدره وكان سيف صقيل فطلع من فقار ظهره فوقع على الأرض نصفين وارتمى قطعتين فنهض البطال إلى ذلك الجواد وكان جواد سابق فنظر أبوه اليه وهو فى القتال فبقى بين المصدق والمكذب ويقول ياهلترى هو والا غيره ولكن الله على كل شيء قدير فثبت الحصين جنانه وجاء إلى عنده فوجده يقول انتهوا يا أولى الالباب ولاتختلفوا واصطلوا ولا تتفرقوا والزموا تقوى الله تعالى فانه يعلم سركم وجهركم ونجواكم وعلا نيتكم ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجع أبو محمد إلى أبيه وقال له ياأبى أنا اليوم اشجع خلق الله تعالى ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره ففرح الحصين بولده فرحا شديد وقال يا ولدى ان عشت عشت سعيد وان مت مت شهيد وجاءت بنى سليم إلى عند الحصين وقالوا يهنيك هذا البطل الشجاع والقرم المناع والله لقد أرضى الملك الجليل وأشفى القلب العليل ففرح الحصين بما قد سمع عن ولده وشكر الله وأثنى عليه وزال عنه ما كان اعتراه من بلواه ورجعت العساكر وقد لقوا من القتال فى ذلك اليوم كل أمر مهول وباتوا الناس فى خوف شديد من الروم وتلك الجموع التى لاتحصى بعدد الرمل والحصى وقد أقبلت الأميره على الأمير هارون العلوى وقالت له أيها الأمير انى فزعانة من هؤلاء الملاعين على المسلمين وقد رأينا البلاء العظيم فى اليوم الذى مضى ورأيت الناس متفرقين وأريد أجمعهم وأنزل الوعاظ يعظوا الناس لعل الله تعالى ببركة العلماء وأهل الفضل وبركة القرآن المجيد ينصر المسلمين وأرادوا أن يعقدوا مجلسا واذا بالامير الحصين وقد أقبل ومعه الأمير أبو محمد البطال وكانت الأميرة تعرفه فقالت له أهلا ومرحبا بقرة العين الأمير الكبير الحصين من هذا الصبى الذى معك فقال لها ولدى وكان قد فقد من أول الليل والساعة قد اتى الى بعد الاياس منه وقال سر بنا الى عند الأميره فانى اقول لهم أمر يفرقون به هذه العساكر قال فلما سمعت الأميرة ذلك قالت ان شاء الله تعالى يكون فيه نصرة المسلمين قل أيها الفتى مامعك من الكلام فقال أبو محمد أيها الأميرة انى لما رجعت وقد رأيت ضعف المسلمين وقوة الروم الملاعين أخــذتنى الغيرة على الدين واختلطت بعسكر الملك نوفيل وأنا

ما عندى من خوفهم لا كثير ولا قليل فأتيت الى خيمة الملك والعساكر لا ينكرون على لاننى فى صفتهم وزيهم وأعرف بهم وإذ بحرب بن شيبان عند عمك ظالم ومعه ابن عم يقال ثابت بن ربيعة وهم يقولون عن ثابت هذا لم يركب جواد أشجع منه وهم دبروا أن يرسلوه فى ألف فارس من العرب المتنصرة المعودين للقتال والحرب والنزال وهو يقول لكم أنه أسلم وعلى ما فعل ندم فاذا أصبح الله بالصباح يكون هو وأصحابه كل مائه رجل فى خيمة ملاصقين اليها ويكبسوكم عند الصباح ويأخذوكم قبضا باليد وكانكم بهم وقد وصلوا اليكم وانى لما سمعت منهم هذا الكلام أسرعت بالمجىء اليكم والرأى عندى انكم تحسنوا لهم الكلام وتقدموا لهم الطعام فاذا فعلتم ذلك خذوا هذا حطوه لهم فى الطعام ثم انه أعطاهم سما كان قد اصطنعه من قبل أن يخرج من ملطية وكان خارق لو وضع منه خردلة لألف رجل لهلكو من ساعتهم فلما سمعوا الأمراء ذلك الكلام كانوا كانهم أموات وأحياهم الله وصاروا يتحدثون وفى أمورهم يتعجبون فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من البطال فانه قال للاميرة هل بقى شىء من الطعام قالت نعم فأمرت أن يرفع اليه الجفان ويوضع فيهم السم الذى كان معه كيف يشاء ويختار وكانوا مائة جفنه فما فرغ من شغله حتى أقبل ثابت بن ربيعه فى ذلك الجحفل العظيم وهو الألف فارس وصاحوا إلى أن وصلوا الى الخيام فزعقت عليهم الحراس (قال الراوى) فعند ذلك قال ثابت بن ربيعه أريد الأميرة لأجل مصلحة فأخذوه الحراس وساروا به إلى الأميرة ذات الهمه والامير عبيد الله والامير هارون العلوى والامير الحصين وكانوا الجميع فى انتظار كلام البطال فلما رأوهم سلموا عليهم وقالوا لهم أهلا وسهلا بالقوم الذين ساقهم الله تعالى للمسلمين وجعلهم من جملة الموحدين ثم أخلعوا على المقدمين وقد نطقوا بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما استقر بهم الجلوس حتى قال هرون العلوى لبنى سليم كل أمير منكم يأخذ مائة رجل من هؤلاء الفرسان القادمين ويكون فى ضيافته هذا والبطال قدم ذلك الطعام المشغول الذى فى الجفان وصار يدخل قوم بعد قوم ويقول لهم اعذروا هارون العلوى وكانوا تسعمائة وثمانين الذين أكلوا من الطعام فماتوا جميعهم وأما العشرين الذين بقوا فإنهم كانوا مقدمين الفرسان فأخذتهم الاميرة الى عزومتها وأشغلتهم بالحديث واذا بسملق قد وثب ولكم واحد على رأسه

طير أضراسه وثانى هشمه وثالث وسطه ورابع لرفيقه أخلطه وأما الأمير عبد الوهاب فانه ضرب واحد وثانى دنى وباله وميمون الجماس كان معود على النطاح فى المراح لأنه كان إذا تعاصى عليه الفحل من الجمال لكمه أتلفه فأرمى السيف من يده وصار كل من لكمه عجل تلفه الى أن قتلوا الجميع وماتوا عن آخرهم وقد أقبل الأمير ابو محمد وقال ما الذى فعلتم من الفعال فقالت الاميرة لا عدمناك ولا عدمنا مشورتك لأن الجميع ما هلكوا الا ببركتك فلا كان من من يشناك وهذه أول حيلة صنعها البطال وبعدها جود الأعمال حتى بقى يضرب به الامثال فقام فى ذلك الوقت الامير عبد الوهاب وقال يا سادات العرب وذوى الرتب اشهدوا على اننى خاويت ابو محمد البطال وانه اخى فى الدنيا والآخرة بعد ما تصالحا وانى اولى به من غيرى لانه والله العظيم وقعت محبته فى قلبي فقال البطال ايها الامير السعيد انت المولى وانا لك من جملة العبيد فقال الامير عبد الوهاب خذ ما تشاء من مالى فقال ما اريد الا سلامتك يا امير وبعدها تعاهدوا وشهدوا عليهم الحضار من العربان فعندها قال الامير ابو محمد الرأى عندى ان تقطعوا رؤوس هؤلاء الملاعين وتجعلوهم على أسنة الرماح فإذا أشرق الصباح وركبت الأبطال وطلبوا الكفاح ارموا لأصحابهم رؤوسهم فيكون ذلك سبباً لقطع ظهورهم (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من امر ملك الروم فإنه بات ينتظر وعد ثابت وما صدق ان يصبح الصباح حتى اعتدل للحرب والكفاح وركبت عساكره وهو يوصيهم عند الحملة أن يكونوا متأهبين وعند الصباح يكونوا حاضرين هذا وقد ركبت ابطال المسلمين وفرسان الموحدين وساروا فى صدور الروم والرؤوس على أسنة الرماح فلما عاينوا الروم إلى ذلك الاثر ولم يعلموا ماكان من الخبر ولوا من الصياح ونكسوا صلبانهم وعادوا راجعين على اعتابهم وعاين ملك الروم وظالم والحارث وحرب بن شيبان إلى ذلك فغابوا وذهلوا وتعجبوا وقال ظالم يا حرب قتلوا بنى عمك وذمة العرب ولحقهم العطب ثم هم أن يحمل وقد أخذه الغيظ والحرد فبينما هو كذلك واذا بالامير مظلوم قد ظهر بين ذلك الجحفل واشتهر وعلى سنانه رأس ثابت بن ربيعه ثم انه همز بالجواد إلى ان صار فى وسط الميدان ومقام الضرب والطعان ونادى وقال ان الحياة ذميمه بغير الطاعه وما جرى به القلم حارت فيه أفكار الامم ثم انه

صال وجال فى حومة الميدان حتى هدى عريكة الحصان وقال ياظالم ماأنت ابن الصحصاح صاحب المقامات الملاح وأنت تعلم مافى بيتى حسب ولانسب غير الحرب والقتال والطعن والنزال فابرز الآن فى الميدان حتى أريح منك الارض أو تقتلنى وتروح على الشهاده وتكون سببا للسعاده وبعد ذلك الكلام سبه وشتمه فلما سمع ظالم كلام أخيه مظلوم أوقد فى باطنه نار السموم وزادت همومه وكثرت غمومه وقفز فى الحال الى حومة الميدان وكان تحته جواد من جياد الخيل ينقض مثل نجم سهيل وعلى رأسه تنورة ذهب أحمر متقلد بسيف أبتر معتقل برمح أسمر سنانه كانه جمة عفريت وعلى ذلك التنور الذى على رأسه ثلاث درر تضىء كانها سراج يتوقد ومن خبثه وغضبه ما تكلم بل حمل عليه واطبق وزاد على بعضهما الحقد وتضاربوا على الجوانب والدرق وطلع عليهما الغبار وتمزق ساعه من النهار وإذا بالغبار قد انكشف وتفرق ونظروا الناس اليهم بالحدق واذا بظالم على صدر مظلوم أخيه وقد ذبحه من الوريد الى الوريد وأخذ رأسه وعاد الى ظهر جواده فصاحوا الناس وبنى كلاب وقع بهم الاياس وأما الاميره فانها غشى عليها وغابت عن الدنيا وهمت ان تحمل على عمها واذا بعبد الوهاب اليه سبقها ونادى وقال اليوم أقتلك ياأخس الاجداد قاتلك الله كما قتلت الزاهد العابد المجاهد فى دين الواحد الماجد ابشر اليوم بالموت والعدم وفى القيامه فى جهنم ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الابيات ·

أسرفت فى العصيان ياكلب غبي	حتى طردك الله عن باب النبي
وجعلك فى الاشرار اشقى خلقه	وسلبك من نعـــمة لم تسلب
وكساك من نقماته وعذابه	ثوب ذميم مثل ثوب الاجرب
وكفرت بالله العلى ســـفاهة	وقتلت فى الهيجاء ليث أغلبي
قد كان قرنا فى الوغاء مبادرا	ولقد ثوى تحت التراب مغيب
ومضى الى جنات عدن زخرفت	ويرى النبي الهاشمى اليثربى
ياظالما وقد هوى فى ظلمه	هاانت من ابليس حقا أقرب
الله ربى والنبي محمد	وهو شفيعى ثم غاية مطلبى

(قال الراوى) ولما سمع ظالم كلام الأمير عبد الوهاب تبعه فى الميدان وشخر ونخر

وطغى وتجبر وفرح بملقاه واستبشر وقال يانسل الانذال وولد غير حلال اليوم ألحقك بمظلوم وأزيل عن قلبي الهموم ثم انه أجابه على عروض شعره يقول

ابشر فهـذا اليوم غاية مطلبي يانسل نذل من عبيد الاعرب
يامن دهتـــه امه بفعـــالها حتى أتى نذل رديء النسب

(قال الراوى) فلما فرغ ظالم من ذلك الشعر والنظام انطبق على عبد الوهاب ولم يمهله ان يجاوبه بجواب فاستقبله عبد الوهاب ولم يمهله الآخر دون ان اخذ معه فى الضراب والطعان والاقبال والابعاد وجرى بينهـما مايشيب الشباب ساعه من النهار وضايقه ولاصقه وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيل وفى دماه جديل وعجل الله بروحه الى النـار وبئس القرار ونادى فى عقب الضربه الله اكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر الا ان الحارث قد اخذه الغضب وصاح واأبتاه يا طلعة الغراب اليوم يفارق الاحباب ثم انه قفز الى الميدان ومحل الطعان وأنشد وقال هذه الابيات . .

فواعجبا قد أشمتوا بى الاعاديا بقتل الامير الفارس الجواد
ومن كان لى حصنا منيعا مشيدا فأضحى ركـنه واهى العمـاد
وقد أبكا الصليب وكل قس عليه ينوح مقروح الفؤاد
وناحت عليه الزنانير جمعا بدمع صيب كثير ازدياد
فدونك يابن مرزوق قتالى لابلغ بالقتـل منـك المراد

(قال الراوى) فلما فرغ الحارث من شـعره اطبق على عبد الوهاب ولم يمهله أن يجاوبه بجواب دون ان اخذ معه فى الطعان والضراب وجرى بينهـما ما يشيب الشباب ونادى الحارث يا مسيح اعنى على البغل الاسود الذى يزعم انه لى ولد ولما سمع عبد الوهاب ابيه ورأى الـكفر والطغيان قد استولى عليه زاد به الغضب ونادى يا من فى ملكه قد احتجب ورفع السماء بغير عمد وأرسى الجبال بغير مسند وليس له صاحب ولا ولد اللهم انى أسألك بحق من ركع لك وسجد جدد لعبدك الحيل والقوه والجلد (قال الراوى) ثم انطبقا بعد ذلك انطباق الغمام وارتفع صياحهم حتى أذهل الانام ثم احتلفت بينهما طعنتا ن قاتلتان واصلتان صائبتان نافذتان فاما طعنة الحارث فانها وقعت فى خاصرة عبد الوهاب الا انها كانت فى الجلد واما طعنة عبد الوهاب فانها جائت فى صدر الحارث خرجت من ظهره فمال الحارث قتيل

وعاد عبد الوهاب من الميدان ودمه يسيل وقد مسك جرحه بيده فتلقته والدته وقد كاد ان يخرج عقلها واخــذته وعادت الى الخيام وقد طلبت الجرايحى لخيط جرحه فى الحال والأمير عبد الوهاب فى غمرات الموت من ذلك الجرح وصار لا يتكلم إلا بالاشاره هذا وملك الروم صعب عليه قتل ظالم والحارث فصاح فى الابطال فصاحت الاقيال الروميه والفرسان النصرانيه ونادت بالصليب ومريم البهيـــه والمسلمين ينادون بالواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد واشتد فى ذلك الوقت القتال وكثر الصدام والانزعاج ولم يزالوا على ذلك الاحتجاج الى ان أقبل الظلام وولى النهار بالابتسام ورجعت الطوايف عن الحرب والصدام ونزلوا فى الخيام وقد وقع النقص فى عساكر الاسلام وتبددوا فى سائر الآكام وكانت هذه الوقعه مشهوره وقعد الامير عبد الله فى ذلك اليوم وأصابه أمر عظيم وخطب جسيم وأما الاميره فانها جاءت الى الامير هارون العلوى لأجل ولدها وقل صبرها وجلدها تشكو اليـه ما أصابها فقال لها يا أميره لا تتخلى عن المسلمين فان الله هو النصـــير والمعين فقالت له أى وأبيك أيها الامير فبينما هم فى الكلام وإذا بالامير عبد الوهاب أفاق على نفسه وقال لهم كيف حالكم اليوم فى القتال مع هؤلاء الكفرة الانذال وكيف جرى بين الطائفتين فقالت له يا ولدى كان يوما عبوسا قمطريرا وكان على الفريقين عسيرا فقال عبد الوهاب واأسفاه كيف تخلفت اليوم عن القتال وكيف قعدت عن طاعة الملك المتعال فقالت له يا ولدى عذرك واضح فبينما هم فى الـكلام واذا بالحصين بن ثعلبه قد دخل عليهم وهو باكى العين فقالت الاميره لا أبكى الله لك عينا فقال لها يا أميره ولدى البطال كان اليوم عندى فى المضرب الى ان قتل ولدك والده الحارث وجده فخرج فى ذلك الوقت وقد رأيته قبل خروجه من عندى وقـد أحضر دواه وورقه وقعد يكتب كتاب لا أعلم مافيه فقالت الاميره لعله طلب بذلك شغل يسليه عن الهم والغم فقال الحصين أيها الاميره ما أقوله الا انه ركب بعدى الى القتال فقتل من جملة من قتل من الرجال فقالت الاميره يا ابن العم ان كان أجله قـد حضره فلا يتقدم ولا يتأخر وان كان فى أجله بقا فما عليه بأس ولا شقا ولا بد من الاجتماع به ولعله فى عسكر الروم يدبر شيء قد خطر بباله لانه قد سبق له بذلك سابقة فلما سمع الحصين كلامها سكنت حرارته (ياساده) ثم ان الاميره ركبت للحرس هى والامير الحصين وهو يبكى على ولده البطال وكان الامير هارون العلوى قـد تولى الحرس

بنفسه ولما وصلت سلمت عليه وأرادت ان تقسم عليه وترده الى مكانه واذا بالصيحات من نواحى الروم قد علت والزعقات قد نمت والروم والعرب قد تقاتلت فقالت الاميره للامير هارون العلوى يا شريف النسب ما هؤلاء الكلاب فقال والله ما أدرى ما هم فيه ولا أعلم ما السبب وما أرى وصياحهم قد ارتفع وأرى العرب المتنصره والصوارم بينهم مشتهره وما اظن الا انهم قد وقع بينهم وبين الروم حرب ان كان كذلك فهذه ليله الانفصال وفيها نبلغ الآمال ولكن نريد حقيقة الحال (قال الراوى) فبينما هو والاميره فى الكلام واذا بفارس قد أتى من نحو عسكر الروم فتبادرت اليه الخيل ودارت حواليه وقالوا له ايش تكون من الرجال فقال أنا أبو محمد البطال وقد فعلت فعال تعجز عنها الابطال وأتيت ببشارة الى المسلمين تسر قلوبهم وآمرهم بما يفعلوا من الفعال وأصبحت الدنيا خالية من هؤلاء الملاعين خاويه فعندها أخذوه وأتوا به الى عند الاميره ذات الهمه فقالت له أهلا وسهلا بك يا ابو محمد يا بطال يا من كان بطال وصار اليوم عمال وتقلبت به الاحوال فقال يا أميره دعينا الآن من مقال البطال واسمعى منى المقال فقالت له قل يا أمير وأوجز فى المقال فقال لها أيتها الاميره احملى الآن فى سائر الابطال واقصدى تلك النيران التى فى صدر العسكر الذين للروم فانى فعلت فعلا ما سبقنى اليه أحد وقد ألقيت الفتنه بين العرب المتنصره وبين الروم والبطارقه وما أقول ان يصبح من يحمل منهم طارقه (يا ساده) ولما سمعت الاميره مقالته صاحت فى الابطال وحملت تطلب النار التى وصفها لها أبو محمد البطال (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الامير أبو محمد لما ان رأى الامير عبد الوهاب جرح من بعد ما قتل أبوه وجده وحملت عساكر الروم على عساكر الاسلام ورأى المسلمين معهم تحت النقصان فانفتح اليه شيء ماسبقه اليه أحد وكتب كتاب مزور عن لسان العرب المتنصره الى الاميره ذات الهمه وعبد الوهاب وسائر بنى كلاب وهم يقولون أما بعد فاننا رجعنا الى الله تعالى وقد أسرفنا على أنفسنا وما كان يرضا بهذا الا ظالم وولده الحارث وقد اتفق حرب بين شيبان وسائر العربان ينفرق على عسكر نوفيل وعسكر الروم يمينا وشمال ونحمل اذا وقع العويل على الملك ونقتله فى الحال فكونوا احملوا صوب الملك اذا وقع الصياح وضربات الصفاح وقد أصبحت الدنيا منهم خاليه ثم أخذ الكتاب وتزيا بزى العرب المتنصره وسار طالب عسكر الروم وطالب الملك نوفيل فوجده جالس على كرسى الملك وحوله الملوك والبطارقه

قيام بين يديه بالمناطق والشموع تتوقد فى السرادق والملك جالس على سريره والملوك حوله وهم يتحدثون بما جرى من أمر القتال فقال الملك وحق المسيح ماقلت ان هذا اليوم ما يكون مع المسلمين الا يوم الانفصال الا اننا أخطأنا فى الاول لاننا قضينا نهارنا بين ظالم والحارث الى ان نقلهما المسيح الى دار قدمه واصطفاهم من دوننا لنفسه ومع ذلك فان قلبي خائف من العرب المتنصره ان تتشوش وتعود الى دينها ولا تقيم تحت يد حرب بن شيبان وعولت فى غداة غد أحضرهم واخلع عليهم وأقدم عليهم من يريدون (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك وافق مراده وشكر الله تعالى وتقدم الى الملك لاوون ابونوفيل وخدم وتكلم بالرومى فقال له الملك ما حاجتك وأراك تعرف بالرومى مليح فمن انت فقال من عباد المسيح وانا من أصحاب الشهيد ظالم والعرب الذين قد عمروا بالمكارم قد تشاوروا الجميع فى غداة غد ان يقتلوك ويبيضوا وجوههم عند الاسلام بهذا الفعل وقد اختارونى ان اكون لهم رسول من دون الفرسان وما ساعنى من المسيح أن أخفى عليك هذا الحال لاجل ماأوليتنى من الانعام وقدمتنا على عبادة الصلبان وهذا الكتاب يصدقنى فى حديثى ويبعدنى عن الملام وقد نصحتك والسلام (قال الراوى) فلما سمع ملك الروم ذلك الكلام أخذه الرعب وقال هذا الذى كنا فيه من ساعة ولولا العنايه من المسيح ماأصبح من الاكل ذبيح ثم رفع الكتاب الى الوزير ففكه وقرأه فلما سمع الملك ذلك عظم عليه وكبر لديه وقامت عيناه فى ام رأسه وقال وحق المسيح ان تقدم أحد من العساكر المتنصره ضربت رقبته وعجلت منيته ثم ان الملك صاح فى البطارقه دونكم وهذه الشرمزه المنافقه ✡ وكنا ذكرنا فيما تقدم ان فى قلوب الروم من أجل العرب المتنصره وتقدمهم عليهم فى القتال النار المضرمة لاسيما يانس المتعرب الذى أسلم على يد الامير مع خمسين الف فارس من كل بطل مداعس وهم على صورهم مثل البطارقه فلما ان كان فى هذه الساعة صاح فى أصحابه وكبس العرب المتنصره فى الخيام ووضع فيهم الحسام ودارت بهم النوائب واخذتهم الصيحه من كل جانب فقاتل كل احد عن نفسه من خوف المعاطب وركبت العرب على ظهور الجنائب فلما نظر البطال الى ذلك ركب هو جواده وجد فى سيره وكانت لباله مظلمه ودخل الى الاميره واعلمها بما جرى من هذه القصه فصاحت الاميره يال سليم يالكلاب وركبت السودان الانجاب وفى مقدمتهم الامير عبد الوهاب فارس

الفرسان والشباب ووصلوا الى مكان الضراب (قال) وكان السيف يعمل فى الروم عمل النار فى الحطب وركب القوم جميعهم وصاروا يضربون فى الروم بعد ان أفنوا العرب المتنصره وصاروا محتاطين بهم من سائر الجهات وقد ضاقت عليهم الطرقات ليلا ونهارا مدة ثلاث أيام حتى ماشت من عساكر الروم الارض فى طولها والعرض والمسلمين مؤيدين بالنصر هذا وقد عولت الروم على الهلاك والهرب فنهم من فات ماله وهرب ومنهم من أسلم ودخل فى حزب المسلمين ومنهم من بقى عشا للعقبان قتيل البرارى والقيعان وأما المسلمين فانهم لموا الاسلاب والنهب والدواب والخيول والدنانير وغير ذلك من العدد والسلاح والملابس الملاح وأقاموا الراحه ثلاث أيام وعولوا على الرحيل الى ملطيه وتركوا مدينة القسطنطونيه وعلموا انهم أخذوا الذخائر المخبيه وتحسرت الروم على ذلك وكفروا بالملك الجليل (وأما المسلمين) فانهم ساروا حتى أقبلوا على ملطيه ونزلوا وضربوا الخيام وأمرت ذات الهمه ان تعمل لمظلوم عزاء وبعد ضرب الخيام جلست الرجال الكرام فقام من بينهم رجل يسمى الحارث بن يوسف وكان فصيح اللسان ثابت الجنان وأنشد يقول

سنتبع من الاولون والاواخر ... الى سفر ما جاء منه مسافر
ونبصر مايقضى الاله وما بنا ... تكابده الايام وتعمى البصائر
ألا هل ترى فى القبر نلقى منازلا ... وناقى قصورا عامرات العساكر
وكل عظيم كان يحلو حديثه ... فصار حديثا راسخا فى الدفاتر
زمامى أرى الدنيا تريح زمامها ... وكل امرىء أضحى له متبادر
ترى هل يرى فيها عزيزا محكما ... على نفسه الا العزيز الصابر
فكم من عزيز خليته برأسه ... على رغمه قد أسلمته البشائر
وشخص أطاعته الملوك ولم يدع ... لهن كلام عند كثر العساكر
ولا تأته فى عامر الشيخ مثلها ... ولا رامه فى غابر الجو طائر
لهفى على مظلوم ذو الفخر والسنا ... ومن هو من أهل العلا بالمفاخر
سأقسم بالبيت العتيق ومن سعى ... وطاف ولبى فى منى والعشائر
لقد جزعت أهل الديار جميعهم ... عليه وتبكيه السيوف البواتر

(قال الراوى) ولما ان فرغ الحارث بن يوسف من ذلك الشعر والنظام حزن كل من كان حاضر فى ذلك المكان ثم انه قال ان فى الاوائل معتبر وفى الاواخر عبر

ولا يعتبر الا أولى الابصار ونحن فى أثره لاحقون فانيبوا الى ربكم واسلموا له أيها السامعون واعلموا أنكم اليه راجعون واياكم بغير الله تشتغلون ولم يكن أجل قدرا فى الدنيا ولا فى الآخره من سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أنزل الله تعالى فى كتابه المبين المنزل على خاتم النبيين انك ميت وانهم ميتون ولما قال ذلك القول الحارث بن يوسف اقشعرت من قوله الابدان وخضعوا جميعا للملك الديان وصدقوا قوله جميع الاخوان وآمنوا وامتثل كل من كان حاضر قوله من الفرسان وقام أبو محمد البطال من بين الرجال وقرأ الخطبه وذكر فيها الوعظ وأمور الآخره وحمد الله واثنى عليه وعرفهم بالصبر على اليقين ثم قام عقبه بن مصعب وحمد الله واثنى عليه وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس عزوا الاميره ذات الهمه بموت السيد الطاهر الذى نور الله ضريحه بين المقابر ثم قرأ قوله لقد كان فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ثم أنشد يقول

لهفى على مظلوم ويا أسفى عليه ... قلبى وأكبادى لقد حنت اليه
لقد كان فارسا بطلا شجاعا ... يبيد العدا اذا مالت عليه
ولا يبالى فى الحروب بكل قرم ... وينصر المظلوم اذا اشكى اليه
فيا ويلاه على من أضحا قتيلا ... قلبى لقد كان شفوقا عليه
فرحمة الله على قبره ... والنور والاحسان فى جانبيه

(قال الراوى) ثم جلس عقبه بين السادات الكرام بعد ما فرغ من الكلام وتفرقوا الناس بعد ذلك فى الخيام التى للعزاء وأقبل هارون العلوى على جميع الاموال وأحضروا المال والبغال والاحمال وذخائر ملك الروم مع الجوار الحسان وأخرجوا الخمس لبيت المال فكان ثلثمائة ألف دينار غير الثياب والخيل والجوار وأقبل هارون العلوى على الناس وقال يا معاشر المسلمين ما كسرت عساكر النصرانيه الا ببركة البطال وحيله فالواجب ان نجعل له عشرة أسهم فقالوا الحاضرين يستاهل أكثر من ذلك ثم أخرج له من المال شيء كثير وأصبح البطال غنى كثير المال ذو درهم ودينار وأما عقبه فانه من المال ماصح له ولا حبه سوى أن الاميره خلعت عليه وعلى من كان فى القرى وأما البطال فانه اشترى له دار فى ملطيه بعشرة آلاف دينار وأخذ عشرين صغار من الارمن واستلمهم واركبهم الخيل بمناطق الذهب والقصب والديباج وسارله حجاب ونواب وأصبح يخاطب بالامير الاجل وعقبه كلما

رأى ذلك زادت حسرته وعظمت بليته وقال أنا ما بقالى مقام بعد ارتفاع الاميره ذات الهمه والبطال * وأما عبد الوهاب فانه لما جاء السبى أخذ زوجة والده وزوجة جده وكانت كل واحده رزقت ولد وسمته باسم النصرانيه وكان اسم أخيه عبد المسيح والآخر عبد السيد وكان هارون العلوى سمع بحديثهم من وقت ماسباهم وقا كرمهم بطول الطريق ولما وصل إلى ملطيه سلمهم للامير عبد الوهاب ففرح الامير عبد الوهاب وسمى أخيه عبد الله وعمه سماه مدركه ورتب لهما من يعلمهما القرآن بعد ما فرق بينهما وبين أمهاتهما (قال الراوى) هـذا وقد اعتنت ذات الهمه بالبطال وأعطته مال جزيل وأعطته ثلاثة أسهم فحبها حبـا كثيرا وصار لا يحلف إلا بحياتها وحياة ولدها وأما الامير هارون العلوى فانه أقبل على ذات الهمه وقال لها أريد أمضى إلى العراق وآتى بمالى وأهلى وأقيم عندكم باقى عمرى فقالت له الاميره ان أتيت عندنا فلك مالنا وعليك ماعلينا ونحن لك غلمان ولا نخالف أمرك فقال لها والله أنا لم اطلب المقام إلا لاجلك ولاجل ولدك لان النظر لكم عباده والمقام عندكم سعاده ولاجل عبد الوهاب يكون القتل بين أيديكم شهادة ولى أخت اسمها علويه وقد طلبوها الطلاب وأنا أريد أن أزوجها لعبد الوهاب فقالت الاميره أيها الامير ان فعلت ذلك فعلى سبيل الانعام فاننا باسمك نتوسل إلى الملك العلام فى وقت الحاجات والامور والمهمات فشكرها الامير هارون العلوى وسار يطلب العراق ومازال سائر إلى أن وصل إلى بغداد فالتقته أرباب الدولة ودخل على الخليفه بتلك الاموال فاندهش واندهشت أرباب الدولة وحدث الخليفة بما جرى وبمن قتل من الكفار وأخبره بموت عبيدالله وكيف جعلوا ولده مكانه وموت مظلوم وكيف ولد بنته الامير عبد الوهاب وكيف قتل أبوه وجده الافيال وما ظهر من البطال من الاحتيال وما عمل من الاعمال ففرح المهدي بذلك وأخرج الخلع للأمراء ولقب الاميره بأم المجاهـدين وأخرج للبطال خلعه مكلله بالذهب مثمنه مرصعـه معلمه وطلب الامـير هارون العلوى الاذن بالنقله هو وأهله والقيام فى ملطية حتى يكون قريبا للجهاد فى طاعة رب العباد فأذن له الخليفة بعدما أوصاه أن يكون على حذر فأخذ أهله وسار إلى الثغور ومعه أخته علوى نزهة العاشقين فى السر والنجوى وسـار إلى أن وصل إلى ملطيه وخرجت الناس إلى لقاه وأخرج الخلع للأمراء وكانت خلعة البطال أحسنهم فلحق عقبه هم عظيم وغم وسقى كؤوس من السم ولما وصلت الخلعه

إلى البطال فرح بها فرحا شديد ما عليه من مزيد وفرح بوصول خبره إلى الخليفة وكيف ساد على أبناء جنسه وركب المماليك الحسان بجنبه وكثر منه الكلام وحسده عقبة وبعد أيام خطبت الاميرة ذات الهمة أخت الأمير هرون لولدها عبد الوهاب وعملت الولائم ودخل عليها الأمير عبد الوهاب فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت وأقام فى عمل المهرجان وهو مع علوى فى سرور وهجر زوجته أخت راشد واستولد منها ولدين ذكور سماهما ضيغم والآخر قشعم ولما تزوج بعلوى فهجرها وكانت حاملا بصيغم فولدته وماتت من شدة الغيرة وتأسف عبد الوهاب على هجرها لكنه تسلى بعلوى عن ذلك (فهذا ما كان) من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من أمر خليفة الله فى أرضه رابع دولة بنى العباس فإنه لما انكسرت الروم ودانت له البلاد وكان له وزير يقال له الربيع بن سهيل وكان رجلا عاقلا ففى يوم من الأيام استدعى بالربيع بن سهيل وقال له يا ابن سهيل أريد أن أتزوج بامرأة ذات حسن وجمال وقد واعتدال فقال له يا مولاى قد جعل لك والدك أربعمائة جارية أو يزيدون فاستحضى منهم بواحدة أو أكثر من ذلك فعند ذلك أمر بإحضار الجوار فأعرضوهم عليه فلم يعجبه منهم واحدة فقال الربيع يا أمير المؤمنين ان كان ولابد فأسير إلى جميع البلدان والوديان وأدور فى كل مكان فقال يا ربيع أخاف ما يأتى الغرض ويتولد على المرض فقال يا أمير المؤمنين مالك الا أن ترسل إلى المدن الكبار ويكون رجل نحرير وبالموقف خبير ما يدخل عليه الزلل ولا يعتريه خبل (قال الراوى) فعندها سكت ساعة وقال والله ما رأيت لهذا الشغل إلا رجل يقال له عبيد الله بن جرير فقال الوزير افعل ما تريد فقال المهدى على به فأسرعوا الغلمان وأحضروه فلما حضر بين يديه قال له يا عبيد الله انى أريد ان أرسلك فى حاجة تنظر فيها بعين عقلك ورأيك وميزانك فقال عبيد الله قل ما تريد يا أمير المؤمنين فقال أريد ان تشترى لى جارية ما على وجه الأرض مثلها ولا أحسن منها فقال سمعاً وطاعة سوف أبصر وإلى بين يديك أحضر وأنا لى نظر فقال المهدى جزاك الله خيراً وفرح بقوله وأعطاه عشرة آلاف دينار برسم الجارية ومثلها برسم النفقة ورتب له غلمان برسم خدمته وكتب له الكتب بالمراعاة فى جميع البلاد والأماكن وأخذ عبيد الله الأموال والكتب وسار إلى أن وصل إلى حلب فدخل وسأل عن محل الجـ

فأرشدوه اليه فسأل السمسار عن ما عنده من الجوار الحسان فأعرضهم عليه فلم يعجبه منهم أحد فأقام فى حلب ثلاثة أيام وسار إلى دمشق ولم يزل إلى أن وصل إلى مدينة بالقرب من دمياط يقال لها تنيس فلما وصل اليها دخل على دار المتولى عليها وسلم عليه وناوله كتاب الخليفه فأخذه وقرأه وباسه ووضعه على رأسه وأمر له بدار حسنة وأرسل له الضيافات والإقامة مدة أيام وأراد عبد الله يتفرج على تنيس ويلتمس الأخبار فأشرف على سوق الجوار ووصل إلى دار المتولى على الجوار وخرج بعد ذلك وسار فى البلد فرأى بحيرة وفيها شموع كثيرة فسأل عن ذلك من غلام فقال له يا مولاى هذا يوم النيروز تقيد أهل البلد هذه البحيرة بالشموع ثلاثة أيام فقال عبد الله أريد أتفرج فيها وأجول بعينى فى نواحيها فقال الغلام سمعاً وطاعة ثم انه أخذه وفرجه عليها فانقضت مدة البحيرة وبعد ذلك أتى عبد الله إلى والى البلد وقال له انى أريد اتفرج على البلد والشوارع والأسواق والدروب لعلى أقع بالمرغوب وأظفر بالمحبوب ثم انه سار من شارع إلى شارع إلى أن نظر إلى دار عالية البناء واسعة الفناء بمساطب عاليه وأركان ناميه فنظر اليها وإلى ارتفاعها وحسن صفاتها وقد ظهرت من تلك الدار روايح طيبه فايحه كرائحة المسك والعنبر والند والكافور ونظر للدهليز وإذا من داخله مخدتين وشورتين من الذهب والشمع المكوكب والدار بتلك الروايح قد فاحت والقلوب اليها قد ارتاحت كأنها روضه من رياض الجنان قد لاحت فتقدم عبد الله إلى الباب وإذا بخادم جالس فقال له أيها الأستاذ لمن هذه الدار فقال له للغلام الذى كان معك بالأمس فى البحيرة فبينما هم فى الكلام وإذا بالغلام خارج من داخل الدار فنظر إلى عبد الله وقال مرحباً بالضيف الوارد من أتى من غير ميعاد ولنا قاصد فتأمله عبد الله وإذا هو الغلام الذى كان معه فى البحيرة وعلى رأسه منديل وعمامة شرب وقميص دمياطى مطرز فقال له مرحباً باسم الله على الرحب والسعة والكرامة فدخل عبد الله فرأى دار الاقبال فيها قد دار وحالت عنها النقم وحلت بها النعم بأبواب وخرسانات تقصر عن وصفها الواصفات وفى المجلس الوسطانى عشر ندمى مثل الاقمار فى ليل الاعتكار بين يدى كل نديم باطيه من ذهب وكأس من بلور وأمير مجلس قائم فملا وشرب وسقى الندمان وأقبل عبد الله فقام سريعاً اليه وملأ ستة أقداح بلور وقال له

أيها السيد الظريف هذا حاضر فى ذلك الوقت بلا تكليف واعذرنا فى التكايف فقال عبد الله ما هو إلا غاية ونهايه وقد دارت الاقداح وزادت الأفراح فقال عبد الله يا أمير السعاده تقول الشرب بلا سماع الدن أولى به فان كان عندكم سماع فلينعم المولى به فقال سمعا وطاعة ثم أنه أخذ قضيب بين يديه وضرب به بجانبه وإذا بستر ديباج أخضر معلق بحبال ابريسم ببكر صندل فجذبه فارتفع فدخل الفتى رأسه وقال قد سمعتى ما قال هذا الضيف النازل صاحب المحل الشامل هات ما عندك فما تم الفتى كلامه حتى سمع عبد الله من داخل الستاره صوت بنغمة وترخيم ألذ من النعيم وأحلى من النسيم وأنشدت تقول

أقول وقد ساقت من الدار نوقها وجرى السرى من لوم بختى سوقها
ترفق بها يا حادى العيس ساعة على لمحة لم يبق إلا بروقها
وعد بالمطايا نحو رملة عالج فالشوق فيها مطلق ويروقها
وبين ضلوعى من فراق أحبتى جحيم تلظى حرها لا أطيقها
عليكم سلام الله ما دام بارق وما لمعت فى الخافقين بروقها

(قال الراوى) فقال عبد الله لقد تخيل لى من حلاوه الايقاع والطلب أن المكان قد مال بى واضطرب ولم نزل على ما نحن عليه إلى أن نام كل واحد منا مكانه ولم ينتبه إلا على صوت الجارية وهى ترد الروح فى الجسد وهى تغنى وتقول

لم أنس يوم فراقكم ما نالنى وجرى دمعى لفقد من أحببته
لا تطلبوا قلبى فما قلبى معى القلب عند خيامكم خلفته

(قال الراوى) فلما سمع عبد الله منها هذين البيتين حفظهم من شدة لذة العود وأقام عندهم ثلاثة أيام وبعد ذلك انصرفت الندمان فقال عبد الله وبقيت أنا واياه وحدنا فقال الغلام لعبد الله من أين أنت وما سبب مجيئك فقال له أنا يقال لى عبد الله بن جرير صاحب أمير المؤمنين المهدى بالله فقال له وفى ماذا قدمت إلى مدينتنا فقال قدمت فى طلب شراء جارية لأمير المؤمنين المهدى بالله تكون لفراشه وقد درت سائر البلاد فما وجدت شيئا يصلح لفراشه إلا هذه الجاريه وبهذا ما يتم شيء يروعك فانى أصفح عنها لأجل دخولى منزلك فقال الغلام ومن أين علمت أنها ظريفة وأنها تصلح للخليفة فقال عبد الله انى استدليت على ذلك بحسن صناعتها واستماع نغمتها تدل على ملاحتها فقال الغلام يا مولاى قد

يمكن أنها تكون سوداء وتغنى مليح فقال عبد الله اقصر كلامك ولا تطيل على فقد صح عندى وفى معرفتى وفراستى انها مليحه ولا على وجه الأرض أفصح منها ولا أحسن ولا أجمل من طلعتها فضحك الفتى وقال والله لقد صدقت فيما قلت وأحسنت فيما تكلمت ثم أن عبد الله شال الستارة ونظر إلى الجارية. فرأى الجارية مثل القمر وقد صاح الفتى يا غادره أبرزى من الخبا حتى ينظر هذا المولى فخرجت كأنها غزال عطشان أو غصن بان أو بدر طالع من السماء ساطع فقال الغلام يا غادر وحق الذى على كل شىء قدير وهو رب العالمين انكى هبة منى لأمير المؤمنين وانكى يا غادر تعلمى غاية محبتى لكى فانك غاية مرادى من كل الأنام وانما يقول القائل كل من يصلح للمولى فهو على العبد حرام فقال عبد الله اهتدى وتأنى على أمرك فانى دخلت منزلك وأكلت خيرك وان كنت تخاف منى أن أذكرها لأمير المؤمنين فانى وحق أسماء الله الحسنى لا أذكرها لأحد من خلق الله فقال الفتى وحق رب العالمين اننى بها مغرم وضنين ولكن أنت لا تشدد فى اليمين فانى وهبتها لامير المؤمنين وان لم تأخذها وتكون أنت عليها أمين وإلا ارسلتها لامير المؤمنين وانى نظرت بعين المعرفة واليقين فلم وجدت لها سواك أمين فقال عبد الله فلما سمعت منه هذا القول والتمكين أخذتها إلى الدار التى كنت فيها فى تنيس واذا بالمتولى قد أتى كما جرت له العاده بالتقدمة والطعام والاموال فحدثه عبد الله بحديث الجاريه والفتى وما رأى من حسن شأنه وسيمته فقال المتولى يا سيدى لا تعجب فى هذا الحديث فما جرى لك معه إلا القليل والله لقد غمر هذا الفتى أهل تنيس بجميله وكرمه لانه ورث الكرم من أبيه وجدوده وهم أكابر وأكارم من أكارم ثم أن عبد الله جهز له المتولى مركب حسن ونزل فيها هو والجارية وجميع ما معها من الاموال والمصاغ والجواهر والتحف وكان الفتى أعطاه أقمشه وهديه وساروا والريح طيب إلى أن وصلوا إلى ترابلس وقصدوا إلى حلب وانحدروا فى الفرات وقربوا إلى البلاد ودخلوا بغداد ودخل عبد الله على الربيع بن سهيل فلما رآه فرح به فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال ايش معك من الاخبار وهل وصلت إلى غرض الامير فقال نعم فقام الربيع من وقته وساعته ودخل على المهدى بالله وكان فى البستان محل نزهه وقد بنى فيه قبه على ثمانية أساطين يصعد عليها باربعة درج والقبة اربعة ابواب من الأربع جهات

باب إلى الجنوب وباب إلى الشمال وباب إلى الدبور وباب إلى الصبا وهذا التبيان موجود الى يومنا هذا وكان المهدى فى تلك القبه جالس فدخل عبد الله بن جرير الربيع بن سهيل عليه وقبل الأرض وقال يا مولانا قد وصل عبد الله بن جرير بغرض أمير المؤمنين فقال بسم الله يحضرها فلم تكن إلا ساعة حتى أحضر عبد الله الجارية فلما قدمها بين يديه ونظر صورة الجاريه فافتتن بها وبحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فقال الخليفة يا بن جرير من أى صوب هذه الجاريه فقال يا سيدى من تنيس بعد ما حصل لى مع سيدها كذا وكذا وحدثه بما جرى له مع الفتى من أوله الى آخره ومن جملة ما قال لى ان لم تأخذها من وقتك هذا والا أرسلتها لأمير المؤمنين فقال المهدى لولا أرسلها كنت ضربت رقبته وجعل الخليفة ينظر اليها فرآها ذات حسن وجمال فقال يا بن جرير لقد سمحت نفس هذا الفتى الذى رفع لنا هذه الدرة اليتيمه التى لا لها قدر ولا قيمه وقد زرع زرعه فى أرض طيبه ثم التفت الى الربيع وقال له اكتب لهذا الفتى تنيس زرع وحرث وخراج فقال الربيع كل هذا من أجل هذه الجاريه فقال الخليفه نعم لأنه تفضل علينا والفضل للمتقدم ولو كان قدم علينا لكان له مالنا وعليه ما علينا (قال) ثم أن الجاريه أنشدت للخليفه بعض أبيات فتخيل له أن المكان الذى كان جالس فيه يرقص ويميل ذات اليمين وذات الشمال وخرج من حال إلى حال وتعجب من اتفاق حالها وقال للخدام فضوا لها مقصوره فى القصر تكون مرخمه بالذهب واللازورد ومن الفراش والآلات ما يناسبها فامتثلوا ما أمرهم به الخليفه ثم أن الجاريه صارت نزهة للخليفه وهو يجتمع بها شهرا كاملا وبعد ذلك قال للفراشين افرشوا لى البستان وزينوا الشجر بشقائق النعمان والديباج الاحمر وسائر الألوان ففعلت الفراشين ما أمر به الخليفه ودخل هو والجاريه وجلسوا فى تلك القبه وشرعت شبابيكها وأشعلت الشموع ثم أمر الخليفه بالشراب وآنية المدام فوضعت الأوانى والقنانى على الألوان المختلفه ثم قال الخليفه يا نزهة النفوس ما تريدى من يكون معنا ثالث فقالت يا مولاى كنت أسمع فى بغداد قديما رجل يقال له اسحاق لا يوجد مثله فى سائر الآفاق ولا يطيب وقتنا إلا إذا كان ثالثنا فقال الخليفه والله لقد خطر ذلك فى خاطرى وان كان هذا غاية أملى ثم أن الخليفة أرسل خلفه فحضر فى الحال بين يديه وقبل الأرض وخدم فأمره بالجلوس فجلس

وجعل ظهره الى الجاريه فقال له الخليفه يا بن ابراهيم أنا ما حضرتك فى هذا الوقت لتعطى ظهرك لجاريتى وما أحضرتك إلا حتى تسمع نغمتها فلما سمع ذلك اسحاق باس الأرض وخدم واعتذر وقدم له الخليفه شىء من الطعام فأكل وقدم له شىء من الشراب فشرب وتناول العود وضرب وأنشد يقول

أبيت ونجم الليل أقلق مقلتى ... وجسمى وطرفى للسهام نديم
وما ناظر ينظر الى برحمة ... أما شفق أشكو اليه كريم
وقائلة لى لم تنام أجبتها ... بعينى وهل قد ينام سقيم
ألا منصف أشكو اليه صبابتى ... أما شفق أبكى اليه رحيم

(قال الراوى) فغابت الجاريه من الطرب ومالت وأخذها العجب وقالت له وحياتك أن هذا صوت مليح يا سيدى طيب الله أوقاتك ودامت لذاتك ثم أنها أخذت العود وحنت وأنشدت تقول

اسمعانى وبلغا التسليما ... لديار بها الحبيب مقيما
كان قلبى يهواه ثم عيونى ... يا نسيم ان حزته يا نسيما
بلغ السلام منى اليه ... فعلى العهد لا أزال مقيما
قل له يا نسيم ما بال قلبك ... قاسيا وأنت مشفق رحيما
فارحم محب قد عارضه التجافى ... وأضحى سقيما بعد أن كان سليما
فأنت حبيبى وبغيتى ومرادى ... وضيا عيونى فكن لى رحيما

(قال الراوى) ولما فرغت الجارية من هذه الأبيات اهتز اسحق النديم طربا ولعب بيده ورجله تعجبا من قوة السماع والطرب وأخذه العجب وقال يا أمير المؤمنين ما هذه الا ست دهرها ووحيدة عصرها وفريدة وقتها فى الغناء وأنا أقسم وحق آبائك الطاهرين واتصالك بحمزة وعقيل ومحمدا صلى الله عليه وسلم سيد النبيين أنى أعجب من ادراك ضربها وحسن نغمتها ولم يزالوا كذلك إلى أن هوى الليل وطاب لهم السهر فأخرج الخليفه رأسه من الطاقه فرأى أشباك الشجر ولمعان القمر وجرى الماء من تحت الشجر وقد ترفرف ودب والنسيم قد سرى وهب فقال الخليفه فى نفسه وا أسفاه على هذه النعمة لو كانت تدوم فانما كل ما فيها معدوم والرزق مقسوم والأجل معلوم ولا يبقى إلا الحى القيوم (قال الراوى) وكان أبو موسى الهادى قد أوصى بالخلافه من بعد المهدى للرشيد

أخيه وكان معه فى القصر فخاف ان يعمل عليه فى الخلافه ويأخذها منه ويسلبه هذه النعمة ويحتوى على المملكة دونه ووسوس له الشيطان ذلك وكان قبل هذا الحديث بأيام رأى المهدى منام كان الرشيد جالس فى هذه القبه وهو واقف فى خدمته من خارج القبة فخيل له فى قلبه أشياء شتى من أجل هذه الرؤيا (قال الراوى) ثم أنه صاح بمسرور وكان سياف نقمته وقال له امضى من وقتك هذا وساعتك إلى مقصورة الرشيد وأتنى برأسه فلما سمع مسرور ذلك ارتعدت فرائصه وقال إنا لله وانا اليه راجعون وصار فى نفسه حاير لا يدرى ما يعمل وما يصنع فما كان منه إلا أنه قصد إلى الست خيزران وهو حيران فزعان فلما أبصرته قالت له ويلك ما بالك وما الذى نالك وقد أتيت فى هذا الوقت فقل لى ما شأنك فقال يا مولاتى سيدى المهدى قال لى كذا وكذا وقد أرسلنى أن أقتل سيدى الرشيد فلما سمعت ذلك الكلام هاجت واصفرت واضطربت وضاقت عليها الدنيا وقالت يامسرور امضى الى ولدى الرشيد وأتنى به فقال سمعا وطاعة ومضى مسرور إلى حضرة الرشيد فوجده يطلب ينام فقال له يا سيدى ان مولاتى خيزران تدعوك اليها قال وكان الرشيد خلع ثيابه ودس رجليه فى الفراش لينام فقام ولبس ثيابه وسار مع الخادم الى دار الست خيزران فلما أبصرته قالت ادخل الى هذه الخزنة فدخل واغلقت عليه الباب وأرسلت الى كبار الدوله فحضروا الى بين يديها فقالت لهم من وراء الستاره سألتكم بالله العظيم وبنبيه الكريم هل سمعتم ان الرشيد كاتب أحدا من الخوارج أو أحدث حادث فى الدولة فقالوا لا فقالت لماذا أرسل المهدى يقتل أخاه الرشيد فعندها قال الربيع بن سهل امضى أنت الساعة يا مسرور وادخل على أمير المؤمنين فاذا ابصرك وقال لك ما صنعت فقول له يا سيدى ان الست خيزران أبصرتنى وأنا طالب الهجوم على الرشيد فمنعتنى عنه واهانتنى فمضى مسرور ودخل على المهدى فلما رآه قال ويلك أين الذى قلت لك عليه فقال مسرور يا مولاى الست خيزران أبصرتنى وأنا هاجم عليه فمنعتنى (قال الراوى) فلما سمع كلامه قال لاسحاق النديم كن أنت مقامك حتى أعود اليك ثم خرج من القبه يتوكأ على مسرور حتى أتى إلى دار الخيزران فلما أبصرته قامت له وقاموا أرباب الدولة فقال لها الهادى لأى شيء اذا أردت أمرا تمنعينى منه فقالت حاشا يا أمير المؤمنين ان أمنعك بل أشتهى منك أن توقفنى على السبب الذى طلبت فيه قتل أخيك الذى هو

قطعة من كبد أبيك قال لأجل منام رأيته أهالنى وأزعجنى فى دست الخلافه وهو مع جاريتى يشرب المدام وأنا أحبها فاشتهيت قتله ولا يفعل هذه الفعلة فقالت له الست خيزران يا مولاى هذه أضغاث أحلام وفى النادر أيها الامام أن يصح لأحد منام من بخارات الطعام وكل أحد من الجماعة تكلم بكلام فسكن عن المهدى روعه وجزعه وأتوه بالرشيد واستحلفوه ان هذا ما كان فى حسابه ولا يفعله فهدأ من المهدى غضبه ومضى إلى قبته واختلى مع جاريته ومضى الرشيد إلى فراشه وهو خائف وجلان لهفان حيران (قال الراوى) وجلس المهدى على مرتبته مع غادر فى شربهم ولهوهم وطربهم وهم فى أطيب عيش وأهنؤه واذا بالمهدى قد التدع فى رجله من تحت بطن قدميه فحك فى رجله وصارت مثل البندقة وقد صار مولع فيها وفى حكها حتى صارت قدر الجوزه واتسعت ثم انفقعت فوقع ميتا لوقته وساعته وقيل أنه شرق بقدح خمر وقيل ان الست خيزران أشغلته (قال الراوى) فعاد مسرور من وقته وساعته الى الست خيزران وهو يقول يا مولاتى يطيل الله عمرك قد مات سيدى فقالت يا مسرور دونك الساعة هذا القول والغرور امضى وأتنى بالرشيد المذكور فمضى مسرور وهو مسرور فرأى الرشيد قد انضجع لينام فدخل عليه مسرور وقال يا مولاى ستى خيزران تدعوك فقال والله ان أخى المهدى تكلم بشىء ما كان لى حساب ولا خطر لى على بال فقال مسرور ولا بد من قيامك معى وهو خير وان شاء الله تجد السرور فيه فلبس ثيابه وقام عند ذلك قبل الأرض مسرور بين يديه وقال السلام عليك ياأمير المؤمنين وامام الراشدين ومن هو خليفة الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه فقال الرشيد مالى اراك يا مسرور من ساعة تنادينى ياهارون والآن تنادينى يا أمير المؤمنين ان هذا العجب عجيب فقال يا مولاى لا تعجب كل شىء له وقت وسبب يطيل الله عمرك فى اخيك توفى الى رحمة الله تعالى فلما سمع الرشيد ذلك أسرع فى مشيته وقد زالت عنه جميع الأحزان ودخل على الست خيزران فقالت له أهلا وسهلا بالخليفة النجيب ثم ناولته البرده والقضيب والخاتم وألبسته خلعة الخلافة وعند الصباح جلس على سرير الملك وقد علت الأفراح ودخلت عليه أرباب الدولة وهم يظنون أنه المهدى فرأوه وقد قضى نحبه فبايعوا الرشيد وبينما هم فى المبايعة واذا بخادم قد أقبل وقال أيها الخليفة النفيس ابشر بالولد الانيس من سريتك مراحيل فى هذه الليله التى مات فيها المولى فقال

سموه عبد الله ولقبوه بالمأمون ولما تعالى النهار شاع فى المدينه موت المهدى وخلافة الرشيد وجلس فى دست الخلافة ودانت له الناس كافة واستوزر جعفر بن يحيي البرمكى وأخوه الفضل وقد دانت له البلاد وطاعته جميع العباد من العرب والعجم والترك والديلم وكانت له أمة زاهرة وسمعت به الامراء فى ملطية فأتت إليه وعزوه فى أخيه وهنوه بالخلافه فشرفهم وأعطاهم وخلع عليهم وردهم الى مكانهم واستقر الرشيد فى ملكه وعزه وبعد مده اراد الرشيد ان يتفرج فى بستان أخيه فخرج وخرجت الغلمان وراه وورد الى البستان فرأوه بالديباج الملون وأرسل خلف غادر وقال لها أريدك أتفرج أنا وانتى واعلمى ان بنى العباس كالنجوم كلما ذهب كوكب بدا كوكب فعند ذلك لبست ثياب الافراح وخلعت ثياب الاحزان والاتراح وخرجت مع الخادم الى الرشيد وجلست فى القبة فدخل الرشيد عليها فقامت له وقبلت الارض بين يديه فنظر إليها وتعجب من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وظرفها وكمالها وفرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وأكلوا الطعام وقدموا المدام فكان الرشيد يشرب المطبوخ من الشراب فأراد ان يسقيها فامتنعت فقال لها لماذا فقالت أريد ان يحضر فى مجلسنا اسحاق النديم فأمر الرشيد مسرور فأحضره فلما حضر قبل الارض وسلم وجلس ودارت بينهم الكاسات وفصلوا الاقداح الى ان تهور الليل وراح فعندها قال اسحاق ابن ابراهيم سبحان مغير الحالات الذى حكم على خلقه بالممات فقال الرشيد ياابن ابراهيم ايش تذكرت فى هذه الساعة فقال يامولاى فى مثل هذه الساعة طاب أخيك قتلك وسفك دمك وكان قد أخرج رأسه من طاقة القبة ونظر الى القمر وقد رأى نوره على الاشجار وتشعشع ضياءه حتى بقى كانه فى نهار وقد فاحت رائحة الازهار وتصور له ضوء القمر كانه الفضة البيضاء وعاد ونظر الى جريان الماء مثل أصوات الغانيات ورأى أشجار البستان وعليها نسيم فنظر الى هذا اللذيذ وخاف من نوائب الزمان وأراد ان يسقيك كاس الهوان وما كان الا ما أراده الملك الحنان فسبحان الحى الذى كل يوم هو فى شأن فعندها قال الرشيد ياابن ابراهيم يحق لاخى ان يخاف على هذا العيش والنعيم لكنه لايدوم ولايقيم فلما سمعت الجاريه ذلك الكلام أخذت العود وأنشدت تقول بعد الصلاة على طه الرسول :

الدهر يوما ذا من وذا قـدر والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر
قل للذى بصروف الدهر عايرنى هل عاند الدهر إلا من له قدر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف وتستقر بأعلا قاعه الدرر
وكم على الأرض من خضراء مورقة وليس يرجم إلا من له ثمر
كذلك الريح إذ هبت عواصفها فليس تقصف إلا عالى الشجر
وفى السماء نجوما لا عداد لها وليس يخسف إلا الشمس والقمر
لا تأمنن إلى الدنيا وزينتها فعند صفو الليالى يحدث الكدر

(قال الراوى) وان الجارية لما فرغت من هذه الأبيات غشى عليها وقد انكبت برأسها إلى الأرض ووقع العود من يدها وخبطت برجليها واندفعت تهبط الأرض بيديها ورجليها فاشتغل قلب الرشيد عليها وصار لها ناظر ساعة وما زالت حتى أفاقت ورأت الرشيد جالس عند رأسها فاستحت منه فسألها عن حالها فقالت يا أمير المؤمنين اعلم انى لما تناولت العود وقلت انى أغنى أبيات فغمى على ووقع العود من يدى وقد صرت غائبة الصواب فأخذتني سنة من المنام فرأيت سيدى المهدى وهو داخل على من باب هذه القبة وهو يعاتبنى وأنشدنى هذه الأبيات :

أنسيت عهدى بعد ما جاورت سكان المقابر
عودتنى وحلفت لى إيمانك الكذب الفواجر
وأقل ما تبقى المودة عند ربات المحاجر
وعلمت أن أخى الرشيد معانقاً منك الضفاير
لا يلهك الإلف الجديد عن الذى فى الترب داثر
وتفكرى ما قد جرى من حكم رب الخلق قادر
لا يهنك العيش الهنى فالدهر حقاً غير صابر
وعن قليل ينقضى دولاب هذا الدهر داير
بل تلتقى بين الملا مثلى وسرتى للمقابر
وسقيت بالكاس الذى أسقيت منه بإذن قادر
وغدرت بى بعد الوفا صدق الذى سماك غادر

(قال الراوى) ولما وصلت الجارية إلى هذين البيتين الأخيرين شهقت شهقة وغشى عليها فحركوها وإذا قد ماتت وفارقت الدنيا فحزن عليها الرشيد حزناً زائداً

وأمر بغسلها ودفنها فى قبر أخيه المهدى (قال الراوى) هذا ما جرى للرشيد والجارية (وأما ما جرى) من حديث ملطية فإن بنى كلاب وبنى سليم قد فرحوا بدولة الرشيد وصارت الأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال فى غاية السعادة والقاضى عقبة كلما بصر ذلك زادهما وغماً وحسد وتفتت منه الكبد فلما زاد به الأمر كفر بالواحد الأحد فجمع أولاده كلهم اليه وأحضرهم بين يديه وكانت أولاده ذكور وأناث فأما الذكور معقب وقصليب ورقيم وحصيصه وكليب ومصعب والوليد وكان الوليد مسلم زاهد دين عابد فتنصروا الجميع إلا الوليد لم يتنصر وصاروا الكل من حزب الشيطان ومن عبدة الصليب والأوثان إلا الوليد فإنه كان أعلاهما عقلا وأوفرهما ذهنا فلما دعاه لم يحضر فلما تنصر خشى عليه أن يطلع على حاله فيكون سبباً لوباله وهذا الوليد يكون سبب صلبه بعد ما يجرى له من العجائب وفنون الغرائب (ثم ان عقبة) عمل له بيعة تحت الأرض وكان صح له من المهدى جملة من المال فاتفق الجميع على البيعة وصار ينزل اليها كل أحد مع نهار الأحد هو وأولاده وغلمانه ويعلق فى طوقهم الصلبان ويكفرون بالرحمن وأقام على ذلك سنة من الزمان وهو يحكم بين بنى سليم وبنى كلاب وقد علت عندهم كلمته وارتفعت درجته فقال فى نفسه يوم من الأيام لابد ان أمضى إلى القسطنطونية واعبر على الملك منويل واطلعه على اعتقادى وأسير به إلى أعدائى وحسادى وإلا فما أبلغ مرادى ثم انه رجع نفسه وقال قبل ما أسير وأقدم بين يديه أرسل له كتاب ثم انه كتب كتاب يقول فيه أيها الملك الرحيم والسيد الكريم اعلمك انى رجل حفظت الأخبار وعرفت الأنشار وقرأت الكتب اليونانية والصحف العبرانية فلم أرى أصح من دينكم ولا أحسن من نيتكم فدخلت فيه من غير ان يدعونى أحد اليه ولا أحد عرفنى الطريق لا قس ولا راهب ولا بطريق ولا جاثليق ولا افعل ذلك رغبة فى مال ولا جاه ولا نوال لانى قاض المسلمين وعالم الموحدين ولى من المال ورفعة المكان ما لا يقدر عليه أحد فى هذا الزمان وما فعلت ذلك الا حتى أملكك البلاد أذل لك العباد وأملكك الامصار وأطلعك على ما يكون من الاخبار وأبلغك المراد ومن خليفة بنى العباس وأترك الرهبان تدق النواقيس فى جميع البلاد (قال الراوى) وسلم الكتاب إلى بعض غلمانه وقال له أريدك أن تسير بهذا الكتاب إلى بلاد الروم ولا تسلمه إلا الملك منويل من يدك إلى يده وتعود إلى بالجواب فقال

الغلام السمع والطاعة وأخذ الكتاب وسار يقطع البرارى والقفار والسهول والأوعار بنية قوية إلى أن وصل إلى القسطنطونية ثم استأذن وقال رسول من بلاد الاسلام ومعى نصيحة وما هى بالقليل فحمل إلى بين يدى الملك منويل وقدم له الكتاب ففضه وقرأه وعرف رموزه ومعناه وخلع على الغلام وقد أظهر الفرح والسرور والابتسام ثم كتب جواب الكتاب بحضور البترك وهو يقول وصل كتابك أيها الشيخ الصالح الجهنم ومن هداه المسيح الناصح فعجل بالحضور فالدولة دولتك والمملكة مملكتك ولا تفعل شيء إلا بمشورتك ورد الجواب إلى عقبة فلما قرأه فرح الفرح الشديد واتسع صدره وانشرح وقال الآن بلغت مرادى ونلت مسرة فؤادى ثم انه أقام لعنة الله عليه يدبر أمره إلى دخول القسطنطينية وقد علم أولاده الانجيل وأخرجهم عن الحق إلى دين الأباطيل وقد ذكرنا ان الأمير عبدالوهاب فى قلعة الكوكب وكان الأمير أبو محمد البطال الفه لا ينام إلا عنده ليوم من بعض الأيام ورد عليهم جاسوس من بلاد الروم وجلس يحدث الأمير عبدالوهاب على ما جرى عند ملك الروم وما اتفق من الأموال للبطارقه والعمالقة وما جمع من الأبطال والرجال ومن جملة ما قال ان ملك الروم جمع الحكماء وقال لهم أريد ان تصنعوا لى شيء أفتخر به على طوايف الروم والملوك من بعدى فصنعوا له باب بيعه من الصندل بباب مرمر ولها باب سر من بيته يدخل اليها من يريد وصنعوا لها قنديل من الجوهر مركب فيه ثلثمائة ستة وستين فتيلة تقاد يوم بعد يوم عدد أيام السنة بنور عجيب كل نور لا يشابه الآخر وعلق ذلك القنديل فى البيعة وصار مغرم به وأوصى عليه جميع القسوس والرهبان ينوروه فى الليل والنهار وقد أقسم بالمسيح انه ان عدم أو جرى عليه أمر من الأمور حلق دقن البترك والرهبان ولا يبقى على قس ولا على مطران وليس للناس اليوم فى القسطنطينية حديث فى ذلك القنديل (قال) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب قال والله ان هذا الشيء عجيب ولابد ان شاء الله تعالى فى ذلك العام من التوجه إلى القسطنطينية وأعلق هذا القنديل فى بيت الله الحرام وكان البطال يسمع الحديث مع جملة الناس فدخل فى قلبه من ذلك القنديل وسواس وقال فى نفسه ان قدرت على أخذ هذا القنديل صار لى الذكر الجميل هذا والأميرة تقول والله ما هذه إلا حكمة عجيبة ما لها ثمن ولا قيمة وما كنت اشتهى إلا أن الله تبارك وتعالى يكرمه بوقعه فى أيدينا ونحظى به من بين الأنام ونعلقه فى البيت

الحرام (قال) وأما البطال لما سمع هذا المقال رجع الى بيته وتفكر طويل وقال وحق الملك الجليل لا بد من الوصول الى هذا القنديل ثم انه عزم على المسير والدخول الى بلاد الروم ولم يكن له فى ذلك الوقت مساعد ولا معين وكان له عشرة غلمان رباهم صغار فكانت اسماهم لؤلؤ وسيك ونافع وبديع وأبو الليل وسعد وسعيد ولكن ليس لهم جسارة على شىء وكان أصغرهم لؤلؤ واكبرهم أبو الليل إلا ان البطال أخذ معه كتاب ينبوع الحكمة وطالع فيه ثلاثة ايام ثم أخذ له برنس طويل اسود كبير ولم يعلم بقصته أحد وركب على وجهه لحية بيضاء كبيرة نقيه وأخذ عكازا اسود وجعل فيه صليب من الفضه وصار فى الأرض سايح يقصد الرهبان فى الصوامع وفى كل مكان ويباحث كل قس ومطران ويسألهم عن علومهم ولم يزل سائر بلا تطويل لما وجد نفسه أعلم من كل من يحفظ الانجيل ثم صار الى ان وصل الى القسطنطينيه وكان وصوله ضحوة نهار فعول على الدخول واذا هو برجل جليل المقدار وحوله جماعة من أولاد الروم الكبار وعليه بدله من الجوهر تأخذ بالنظر فلما ان رآه البطال هابه وداراه واذا بذلك البطريق قال لغلمانه ائتونى بذلك الراهب فاحضروا البطال الى بين يديه فنظر اليه ساعة زمانية ثم قال لغلمانه امضوا به الى الدار الى ان أعود اليكم آخر النهار فداروا بالبطال فى عاجل فى الحال فقال البطال طيب لا طيب الله لكم أوقات هذا من فعل ابليس وهفواته فقد قالوا فى المثل السائر من أول غزاته كسروا عصاته ثم قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم متنا كمدا لم يدر بموتنا أحد ومالى فى الأمر من حيله ثم سار مع الغلمان الى ان وصلوا به الى الدار وقد ضيقوا عليه ومازال الى أن أقبل البطريق ودخل من باب الدار وجلس فى ايوان كانه ايوان كسرى وجلس على كرسى من الذهب وأقبل على البطال وقال له من اين أقبلت وأى شىء تريد فبكا البطال وسالت دموعه على خدوده وقال أيها البطريق أنا من رهبان نجران خرجت أزور بيعة من الأطراف وما قصدت هذه إلا لأجل بيعة سوفيا ومالها عندنا من الذكر الرفيع فوقعت بى أنت وأنا فى الباب واحرمتنى من الزيارة والثواب فضحك البطريق من كلامه وقال له يا ابا محمد لولا انك تقول هذا المقال ما كنت تعرف تحتال ويلك قل لى فى أى شىء أقبلت الى بلادنا وعلى ماذا عولت ولا تكثر كلام ولا تطيل على ملام فلما سمع البطال منه ذلك الكلام حار ووقع به الانبهار وكيف وهو فى بلاد الروم فقال أيها السيد ومن هو أبو محمد البطال وكيف بان لك ذلك انني

محتال فزاد تعجب البطريق وقال له بحق الملك المتعال أنت أبو محمد البطال فقال نعم أيها السيد المفضال أنا البطال وافعل بى ما شئت من الفعال فما انتهى من كلامه لما زاد بالبطريق ضحكه وابتسامه وقام وخلع عليه وقبل عينيه والبطال قد حار وأخذه الانبهار والبطريق يقول لبعض غلمانه امضى واسرع بحضور أختى وأخى وقد صح المنام وبقينا من عسكر الاسلام فقال له البطال أيها السيد المفضال ان حالك حال عجيب فبحق الذى عرفك طريق الإيمان وأنت فى بلاد الشرك والطغيان ألا ما أخبرتنى وأطلعتنى على سريرتك فقال يا أخى أنا يقال لى مارس وأنا صاحب الحجاب عند الملك ولى أخ يقال له دارس ومنزلته عند الملك بمنزلتى ورتبته مثل رتبتى وكذلك أختى أيضا هى محضية الملك وصاحبة أسراره وركبت اليوم لباب الذهب حتى أنظر صحة المنام وما رأيت فى الأحلام والسبب فى ذلك أننى رأيت البارحة كأننى أصلى صلاة الإسلام وفى هذه البيعة التى فى الدار واذا أنا بشخص قد مسكنى وهزنى حتى كدت أن أقع وقال قد هداك الملك العلام فحول وجهك نحو البيت الحرام ودع عنك الاشراك وكن موحدا تنجو من الهلاك فقلت وقد خشع قلبى من هيبته وكلامه ورأيت الأنوار تلمع بين يديه وأمامه فقلت له ياسيدى من أنت الذى تأمرنى بما يغضب المسيح بن مريم ويعاتبنى اذا حشرت الأمم فقال لى يا هذا دع عنك المحاججة والجهالة وقر لى بالرسالة فانا شفيع الأمه ونبى الرحمة وسراج الظلمة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان فزعك من المسيح فدع عنك الجهل وعد إلى الدين الصحيح ثم أومأ بيده إلى وراه فرأيت شخصا من وراه أزرق العينين وعليه حلل الأنوار وهو يقول ويلك اتبع هذا النبي المختار فأنا عيسى بن مريم وهذا النبي المكرم ولو أدركت زمانه ما كنت إلا معه فقلت يا سيدى كيف أقول حتى أكون من جملة اتباعه وأرضا بما يرضاه فقال افتح فاك لأن الله قد هداك فعند ذلك أعلنت بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال لى قد فزت مع الفائزين وما فتح الله عليك بهذا الدين إلا وقد أضل عالما من المسلمين ليظهر الله قدرته فى عباده لأنه يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وفى غداة غد يقبل عليك رجل من أمتى وهو ممن تشمله عنايتى ويدخل فى حاجة لله تعالى فيها رضا فعاونه عليها فانها بك تقضى وبها يتم لك البرهان ومنها تتعلم حقيقة الإيمان وقد خلانى ومضى بعد ما وصف لى صفتك وعين لى رسمك وصورتك وسمى لى

اسمك فانتبهت وأنا مرعوب متفكر وما صدقت بالفجر ان ينفجر حتى ادعيت بأخى مارس وأعدت عليه جميع ما جرى وما سمعت من رسـول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فى وجهى وقال لى والله يا أخى ما جئت اليك إلا وقد شرح الله صدرى للاسلام وملأ قلبى بالإيمان وكلما حدثتنى به أنت رأيته أنا الآخر فى المنام ومابقى إلا أن يقبل هذا الرجل المسمى بأبى محمد البطال إلى هذا المكان وقد صح المنام ونحن يا أبا محمد فى الكلام وأختى قد دخلت علينا وهى تبكى فسألتها عن حالها فقالت يا أخى رأيت البارحه كأن القيامة قد قامت واجتمعت الأمم بين يدى الملك الأعظم فقضى بينهم وحكم وسار فريق الى الجنة وفريق الى النار وقد رأيتكم أنتم من الفريق الذى سار الى الجنة وأنا مع أهل النار وعلى وسطى زنار وعلى صدرى صليب فجعلت استغيث بكما وأبكى على فراقكما واذ أنت يا اخى يا مارس قد أتيت إلى وقطعت الزنار من وسطى وألقيت الصليب من صدرى وقلت لى قولى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمد رسول الله حتى تحظى مع الحور العين فى الجنان فقلت له تلك الكلمة بلسانى ولم أنتبه حتى حفظتها بقلبى ومن شدة ما صحت لا إله إلا الله محمد رسول الله انتبهت وأنا أقولها فى اليقظة كما كنت أقولها فى المنام فلما سمعت ذلك قلت سبحان الذى إذا فتح باب الهداية لا يغلقه فى وجه أحد ثم كتمنا ما نحن فيه ولا أمكننا أن نقصه على أحد وقد أسلمت مثل اسلامنا وقالت لنا قوموا بنا الساعة على الأبواب وكل واحد منكم يركب فى جماعة من الأصحاب وتفرق وانظروا لنا هذا الرجل البدوى حتى أنه يوضح لنا البرهان فركبنا وقد أسلم معنا ثلاثون من الغلمان وحلا لهم دين الإسلام وتفرقنا على أبواب القسطنطينيه فى انتظارك إلى ان وقعت أعيننا عليك فى هذا اليوم ونظرت الى صورتك وصدقت قول النبى صلى الله عليه وسلم وقوى دينى وها أنا قد قصصت عليك قصتى وسوف ترى أخى وأختى قد أتوا اليك وحضروا بين يديك (قال) فلما فرغ مارس من كلامه إلا وقد غشى على البطال وفاضت دموعه والعبرات وانتبه من وقته وساعته وهو يقول اللهم لك الحمد والشكر الذى ارتضانى من جملة الاسلام والمسلمين وجعلنى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين وامام المتقين ورسـول رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) ثم قال الحاجب مارس ايش الحاجه التى جئت فيها فقال له ماقال الجاسوس فى القنديل وأعاد الكلام عليه فقال مارس ياأبامحمد هذا أمر صعب لا بد فيه من التعب

لأن البيعة فى دار الملك وعليها حراس اشرار يحرسونها بالليل والنهار ولا يغفلون عنها ساعة واحدة والقنديل له سلاسل معلقة بكلاليب من الحديد وهم فى الحائط فى زرد معقود من أسفل الأساس الى فوق فقال البطال وحق الملك العلام الذى هداك الى دين الاسلام وجعلك من أمة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ان هذا الأمر عندى أقرب من ذلك وأسهل من ضحكة الضاحك فهل تقدرون يدخلون بى الى البيعة فقال مارس لو شئت لأدخل بك دار الملك فقال البطال انا أدخل معكم مرة أو مرتين فقال مارس وان رآك الملك وسألنا عنك ما الذى نقول فقال لهم قولوا له ان هذا راهب كنا نعرفه من قديم الزمان وأتانا زائر من قدامه وان سألكم عن اسمى فأنا أسمى بطلون الراهب (قال الراوى) فضحك مارس وأخيه دارس فقال البطال وذمة النبي المنتخب لا بد ما أسرقه وترون العجيب لأنكم ما عرفتمونى بهذا السبب فقالوا بارك الله فيك ثم قدموا له ما راج من الطعام وأكلوا هم وإياه بقدر الكفايه وبعد ذلك سار يقريهم الفاتحة وقل هو الله أحد والمعوذتين ولما كان يوم الأحد خرج مارس ودارس والبطال معهم إلى ان وصلوا البيعة والبطال لابس زى رهبان الشام فدخل مارس ودارس وهم البطال بالدخول فمنعه البواب وقال قف حتى يأتى الملك فقال الحاجب يا ويلك أنت تمنع ضيفى بطلون وأنتم الساعة بين يديه تتقربون فاعتذر البواب من ذلك وقبل يديه ودخل البطال ونظر إلى البيعة والتماثيل وفيها من الصور والقناديل من اللؤلؤ والبلخش واليواقيت ونظر إلى القنديل الذهب ونوره ألوان مختلفة من تلك الجواهر المؤتلفه والمكان قد التهب من أنواره وتجاب عليهم بدائع أسراره والرهبان والقسوس مكشوفين الرؤوس وهم يقرؤون الانجيل باختلاف الألحان وقد طاب لهم الوقت مع الزمان فرفع البطال صوته بقراءة الانجيل وكان له صوت حنون يوقف الطير عند ترسيله ويبكى كل من يسمعه من حسن تنغيمه قال فأقبل الملك منويل وهو بدمع يسيل وكشف رأسه ووقف بين يديه فجعل البطال يمسح عينيه ويقول له المسيح يبارك فيك وما زال يقرأ حتى وقع من هناك بالدهشة وأخذت القوم الرعشة فهنالك حسن البطال صوته وحن وأن وأسبل الدمع وصار يقرأ ويرجع الى التفسير الى ان أبكى الصغير والكبير ووقع كل من هناك برأسه يمرغها على قدميه ويتبرك به ويميل اليه

والقسوس يقولون له اغفرلنـــا وارحمنا وهو معرض عنهم ولا يلتفت لهم بل ينظر إلى منويل ويقول له المسيح جعلك من خيار أمته وتقوى بك كلمته ثم رفع صوته وتلا فصلا من الانجيل والبطارقة والرهبان ينصتون له إذا تكلم وهو معهم مبجل مكرم وقد عظم فى أعين الملك وقال للبترك يا أبونا ما تقول فى هذا الراهب فقال وحق المسيح ما هو إلا أعجوبة الدنيا وأريد منك تدعوه أن يقيم فى بلادنا قدر شهر من الزمان يعلمنا الانجيل وعبادة المسيح فقال الملك على به فأتوا اليه به وهو فى وجد وحال فصبر الملك عليه إلى ان أفاق وقال يا أبونا أريد منك أن تقيم عندنا ولو شهر حتى تعم بركتك علينا سراً وجهراً وأنا أسلم اليك البيعة وما فيها من الأموال فقال له البطال ان الدنيا دنيه والدنيا جيفه وطالبها أحقر البرية وأما القيام عندكم فأنا أقيم لكن بشرط قال وما هو الشرط قال له تدعنى أقيم عند الحاجب مارس لانى من قديم الزمان عرفته وقبل اليوم أبصرته فبكا الملك من الفرح وقال سمعاً وطاعة الا انى أريدك أن تنزل بنا إلى نحو هؤلاء الشهداء ونبصرهم فقال البطال سمعاً وطاعة وقام الملك وســـار هو والبطال إلى نحو النواقيس ونظر إلى أموال وجواهر غوال ونواقيس طوال ونظر جيـــدن كبير من الرخام الأحمر وعند رجليه قنديل من الجوهر يقاد فيه الشمع المكوفر مسكوب فيه دهن بنفسج وعند رأسه مصورين بيت المقدس لأجل البركة فضمه البطال إلى صدره وبكا بكاء شـــديد ما عليه من مزيد وجعل يتلو الانجيل بترجيع وترتيل وبين أحوال الشهداء والحواريون حتى أدهش العقول وانسكبت الدموع وأكثروا الهلوع والركوع وبكى البترك والملك والبترك يقول لا شك ان هذا من حوارى المسيح هذا والبطال نظر إلى العظام وقال طوبى لأرواح نقلت من العالم السفلى إلى العالم العلوى فى روضة التقى مع حواريين المسيح المخلص من التبعات المطهر من الخناوخيل ما جرى لمريم وانتقل إلى ذكر هرون وموسى فأخذ بالمسامع والبصر وغشى على كل من حضر ثم خرج البطال والناس بين يديه يهرعون اليه وهم يقبلون بين يديه ورجليه والملك يود لو ان يكون عنده زمانا طويلا وقد قال لمارس اسأل لنا صاحبك يدعو لى ويقبلنى ويذكرنى عنده صلاته ولا ينسانى وسار بعد ذلك البطال راكب والناس منكبة عليه وجميع من فى المدينة يترامو عليه وأما مارس ودارس فعجبا عجباً عظيما وقالوا لو لم يكن له شأن عند

الله لما نال هذه المنزلة الرفيعة فى الأديان وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى منازلهم وقضوا ما عليهم من الصلوات ثم قال مارس للبطال هل عندك شيء من التدبير أو وجدت سبيل إلى أخذ القنديل فقال البطال وسيلتى محمد بن عبد الله النبى المفضل صاحب القــدر الجليل المبجل الممدوح فى القرآن والتوراة والانجيل صلى الله عليه وسلم فقال مارس ودارس والله يا أبا محمد لو قلت لنا خوضوا البحار لخضناها أو اقتلوا أولادكم لقتلناها فقال البطال الأمر أقرب من هذا وأنا ما فعلت هذه الفعال إلا حتى احتوى على قلب الملك ويوم الأربع نفعل مثل ذلك فإذا كان يوم السبت ادخلوا أنتم على الملك منويل وقولوا له أحسن الله عزاك فى الراهب بطلون فإنه شرب كأس المنون ولا تدخلوا عليه إلا وأنتم تبكون فإذا رأيتموه قد صعبت عليه وسألكم عن سبب موتى فقولوا له أيها الملك اننا لما فارقناك البارحه ما زال الراهب يتلو فى الانجيل إلى وقت السحر فقمنا اليه فرأينا النور قد تغشاه فقلنا له ما حالك وإذا قد وقع على قفاه مقــابل الشرق وقــد شخص ببصره إلى السماء وفتح عيناه وهو يقول السماء الرابعة السماء السابعة ويقدس ويهلل وينادى وا فرحاه وا طرباه فبكينا عليه وقلنا له يا أبونا مالك وما الذى أصابك فقال ان المسيح قد أرسل خلفى فى هـذه الساعة وقد نقل روحى إلى أعلا عليين فاقرأوا عنى الملك السلام ويقول لك ادفنه فى بعض النواقيس حتى يكون بجاور الشهيد بركيس لعله ينال بركته وينتفع بمجاورته هنالك أدبر على خلاص القنديل وأقلعه من مكانه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع مارس تعجب من ذلك وقال وحق من أرسى الجبال هذه حيلة ما يهتدى اليها إلا ابليس وأقام البطال يبرم حبال الاحتيال وينظر ما يتجدد من الأحوال إلى ان كان يوم الأربع وقد خرجت القسوس وأيضاً الرهبان واجتمع كل قس ومطران فى بيعة الملك وما جسر أحد ان يفتح فاه ولا ينطق بحرف واحد إلى ان دخل البطال والناس دونه من كل مكان فتبادروا اليه القسوس والرهبان وصار كل منهم يقبل منه الاقدام إلى ان صعد المنبر وانتصب للقيام وجعل يقرأ لهم الفصول ويبين لهم الأمور والملك يتعجب من ذلك التكرار ويبكى بالدموع الغزار إلى ان انقضى النهار وقدموا للملك البغلة وركب وسار إلى قصره وسار البطال مع أخيه مارس ودارس هـذا والملك يقول لخواص مملكته وكبراء دولته

وحق المسيح لو كان لهذه الرعية والمملكة من يسوسهم لكنت انقطعت أنا وهذا الراهب بطلون فى البيعة إلى أن كان يوم السبت وإذا بمارس ودارس أقبلوا على الملك وهم يبكون فقال الملك ما حالكم فقالوا أيها الملك أحسن المسيح عزاك فى الراهب بطلون (قال الراوى) فبكا الملك وتحسر وجرت دموعه مثل المطر وقال لقد وقع بنا النكال ونحن فى كسب المال ثم قال وحق المسيح لا أدفنه إلا عند توكيس وأخذ معه كل راهب وقسيس ثم قال الملك وبين يديه الحجاب والبطارقه لدار الحاجب مارس وطل فى وجه البطال وكان الامير أبو محمد البطال قد حسن نفسه ولزم حسه وكان معه دهن يقال له دهن بارق فدهن به وجهه الى ان صار يلمع مثل الحسام فلما رأى الملك ذلك رمى نفسه عليه وصار يقبل يديه ويقول طوبى لهذه الطلعة التى نالت بها الناس الرحمة واشتغلت بالمسيح عن أهلها ومالها حتى كشفت عنها الغمة وكان أفرح الخلق فى موت البطال البترك لانه رأى الملك قد مال اليه فخاف ان يقلعه من بين يديه وتقدموا الناس إلى تابوت البطال فمنعهم مارس ودارس وقالوا نحن أحق بضيفنا هذا وقد اوقدوا الشموع وبطلت ذلك اليوم أهل القسطنطينيه من البيع والشراء والاخذ والعطاء وكان عندهم ذلك اليوم يوم عظيم ما رأى أحد مثله الى ان خرجت البنت من خدرها وصاروا يشيلون التراب من تحت مواطىء الأقدام إلى ان أدخلوا البطال إلى الكنيسة وتقدم مارس ودارس واطبقوا عليه طابق صغير وقد خافوا ان يكون قد خنى حسه وقل حيله من كثرة العالم عليه فداروا به وقد أمر الملك ان يغلقوا باب البيعه وأخرجوا الناس فعند ذلك تحرك البطال فى صندوقه وخرج بعد الى خروجهم الى باب المذبح وإذا به مغلوق وبالأقفال الفضه موثوق فأخرج البطال مبارد كانت معه مدخرة لوقت الحاجه اليها وبرد القفل فى أقل من لمح البصر وميز بعينه إلى داير الحائط وكان مارس قد قال له على بلاط تحت الدرج فاذا قلعه يطلع فى سرادق وسلالم من الحائط الى الهيكل وهى سلاسل القنديل فأول ما رفع البطال البلاطه وطلع فى السرداب فرأى بطريق المعرفة صناعة أرق من الشعر فأدخل يده فى حق هناك واذا هو بلولب فى الحائط فغلقه فانفتح له باب فدخل فيه الى أواخر سلاسل القنديل فى أعلا ذلك البيت فتساق الحائط وطلع على خشبة من الصندل وقعد عليها كأنه فار من بعض الفيران وأراد ان يخص القنديل واذا بالباب قد انفتح ومشاعل

وشمـــوع أقبلت والملك داخل بين يديه الحجاب والنواب والبطارقه والشموع توقد بين أيديهم فى أنوار الفضة وكان أول من دخل قدام الملك مارس ودارس فلما رأى البطال إلى ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم ان البطال مد بصره فرأى عقبه بن مصعب ويده فى يد الملك منويل وعليه خلعة تشعل بالذهب والفضة وفى وسطه زنار من حرير أصفر ليس له مثيل وفى حلقه صليب من خالص الذهب والجوهر الذى لا يعادله مثيل فلما رأى البطال ذلك وحققه بالنظر بهت وتخبل وتحير من ذلك الأمر وتفكر ونادى فى سره وضميره لمن يعلم ما فى صدور البشر والحكم بالقضاء والقدر على هذه الصورة يا من يسبل الستر اسبل على سترك واسترنى من بنى الأصفر هذا وقد كثر الشمع المكوفر وصار الليل أضوأ من النهار وأزهر (قال الراوى) يا سادة ياكرام ومارس لما رأى البطال على تلك الخشبة بهت وتحير وصار يقف فى ضوء الشمع والإنسان فى هذا الوقت لو وقعت منه ابرة لرآها هذا والبطال قوى جنانه والتصق بالخشبة وقال اللهم انى أعوذ بك من كشف الستر والغلبة ثم قال فى نفسه يالله العجب ايش الذى جاب هذا الملعون عقبة بن مصعب إلى ههنا وحصل فى هذا المكان ويا ترى ايش السبب والشأن وما دخل ههنا إلا لاحد الحالتين أما أنه قد أتى يأخذ القنديل واما نه كفر بالملك الجليل ويكتب من الغافلين أهل الأباطيل ثم أنه بهت ينظر ما الخبر واذا بالكلب عقبة يقول أيها الملك أنا ما فعلت ذلك وأكلت لحم الخنزير وشربت الخمر العصير وغسلت به مصحف المسلمين إلا لاجل ما أبلغ عزمى وأشفى مرضى من أعداء الدين ولا بد ما أولهم اليك واضيفهم الى خدمتك وأولهم عبد الوهاب والثانى البطال ولا بد ما أشفى فؤادى بقتله سرا وأشفى فؤادى منه وافجع فيه أمه فقال الملك طب نفسا وقر عينا فأنت تكون لنا عمدة فى بلاد الاسلام فقال يا ملك ان طول المسيح فى عمرى لا أبقى منهم باقية فلما سمع البطال من عقبه ذلك صح عنده الخبر وعرف ان عقبة ما دخل القسطنطونية إلا ليثبت تنصره وكان الملعون عقبة من شقاوته لما يريده الله تعالى قال للملك منويل أعدائى جماعة منهم ذات الهمه وولدها عبد الوهاب والمسمى بأبى محمد البطال اللص المحتال فلما سمع الملك ذلك المقال قال للبترك ما تقول يا أبونا فى ذلك الأمر والحال

فقال البترك وما عسى أن أقول والمسك يقذف من أماكنه والذهب يدل على معادنه فظاهر هذا الرجل يدل على باطنه ثم أقبل على عقبة وقال له أنا أعلم أن قلب الملك نافر منك ويقول لك ما أنت صادق فى المقال وما فعلت هذه الفعال إلا لأجل حال من الأحوال فقال عقبة لعنه الله هاتولى لحم الخنزير حتى آكله والخمر حتى أشربه وإن كان عندكم أسير موحد أقتله فلما قال ذلك زال الشك من قلب الملك منويل وأمر بمد السماط فمدوه وأكل عقبة وجعل يفسخ لحم الخنزير ويأكل ويقول ما أقل عقول المسلمين لأنهم لا يأكلون هذه الشحوم ويتركون لحم الخنزير وهو الذى يؤكل وبعد أن أكل شرب باطية من الخمر حتى سكر وصاح وزادت به الأفراح وقال أنا أريد أن أحرق هذه الثياب بالنار لأننى كنت ألبسها وأحكم بين اهل التوحيد هذا والملك يقول له لاتفعل وأنت عندنا مكرم مبجل فقال وحق المسيح لا بد من ذلك وقام من وقته وساعته وأمر أن يحضروا له النار فحرق ثيابه وطيلسانه وغضب عليه الجبار وأعد له عذاب النار (قال الراوى) فهجم الظلام وطلبت الأعين المنام وأراد الملك يقوم ويستريح فقال عقبة لا وحق المسيح ما أقوم هذه الليلة حتى أغطس فى جرن ماء المعمودية ويتبرأ عقبة من دين الحنيفية فعندها أمر الملك أن يفتحوا له الباب الذى فى الكنيسة ففتحوا بابها ودخلوا إلى المذبح الكبير والبطارقة من حوله وغطس عقبة فى جرن ماء المعمودية سبع مرات وهو يقول حنا ومريم والصليب ومارس ودارس قدام الملك وكانوا أعز أصحابه وحجابه وعادوا إلى أن حصل الملك باب حجرته ورجع مارس ودارس وقلوبهما عند البطال ودخل البيعة هو وأخيه وإذا هم وجدوا البيعة مفتوحة والحراس فيها يفتحون على الاقفال التى بردها البطال فهموا أن يدخلوا وإذا هم بشيخ من صدر البيعة قد أقبل وهو يمشى على عجل فقال مارس وحق النبي المنتخب ما هو إلا أبو محمد البطال فقال البطال من تكونوا فقال مارس أبشر بالسلامة من المعاطب فأنا مارس الحاجب فقال البطال سر قدامى فما هو وقت كلام فتعجب منه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن البطال لما نظر إلى عقبة وهو يتنصر بكى عليه وقد علم أن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذا وقد اشتغلوا بعقبة لما غطس فى ماء المعمودية فخرج البطال وقد ستر عليه الستار الكريم المتعال وزحف قليل قليل الى أن أمسك سلسلة القنديل

وصارت فى يده وركب عليها خنجر أمضى من القضاء والقدر فقطع السلاسل أسرع من لمح البصر وحط رجله فى أرض الحائط ونزل الى ان وصل الى الراهب الذى عنده المفاتيح واخذهم وكان ذلك الراهب شيخ كبير قد ربى الملك وهو صغير واذا بالرهبان قد أتوا اليه وطلبوا المفاتيح وقال لهم أنا ههنا وضعتهما وقد اشتغلنا لما تنصر هذا الرجل فى الليل وما عرفت أين وضعتهما وكان البطال هو الذى أخذهم ففتح الباب وإذا بمارس قد أقبل كما ذكرنا وسار معه الى ان وصل الى الدار كما وصفنا وأخبره بالخبر وقال اريد الساعة ان تخرجى الى خارج القسطنطينية قبل أن يعرف الملك بأخذ القنديل فأمر مارس بعض الغلمان يشدوا له بغلة وخرج أبو محمد فى زى مكارى من باب الذهب وكان البطال جعل القنديل فى عدل سنجارى وشد وسطه مثل المكارى وخرج إلى أن نفذ من القسطنطونية وطلب طريق ملطية (فهذا ما كان) من البطال (وأما ما كان) من الحراس والأمناء الذين على البيعة فانهم قاموا يفتشون على المفاتيح إلى أن أصبح الصباح فقال بعضهم أظن الأقفال قد سرقت لا أحد يظهر للملك هذا الأمر الوبيل فانه اذا سمع بذلك يقول إلى أين أخذت منكم المفاتيح فكيف كنتم تحرسون القنديل الذى هو روحى التى بين الجنبين ونور عينى والذى أظن أن الذى أخذ المفاتيح نسى أخذ القنديل ولا بد للملك ما يبلغه ذلك ويسأل عن القنديل ثم أن القوم ناموا من كثرة السهر إلى وقت الاصفرار مما حل بهم من التعب وهجم عليهم سلطان المنام وكان أول من انتبه المقدم على القوم فقال وحق الصليب والزنار أخذنا المساء ونحن نيام إلى آخر النهار ثم قال لهم قوموا الآن وقدموا الزيت والأدهان فان الملك ما أعاقه اليوم عن المجيء إلا ما حصل له من السهر ثم أنهم قاموا وشرعوا فى وقد الشموع وتعمير القناديل ودخلوا بالشموع يفتشوا على المفاتيح والقنديل فما وجدوه وما رأوا له أثر فسأل مريح لعبد المسيح وسأل عبد المسيح لجرجيس وسأل جرجيس لشمعون وسأل شمعون لسرجون وسأل سرجون لحزقيل وسأل حزقيل لميخائيل فقال ميخائيل ما لكم يا مهابيل قالوا قد عدم القنديل فقال لهم اسألوا عليه عبد المسيح فقال عبد المسيح يا بارد الطبع يا قبيح بحق المذبح والذبيح أنا كنت واياك نشخر مثل الذبيح فقال اسألوا جرجيس فقال جرجيس يا تعيس أنا مخاوى ابليس اسألوا عنه شمعون فقال شمعون هذا أمر لا يكون وكثر بينهم الكلام

والخصام فقال مقدمهم ما لكم فى أمر وبيل وقال وقيل فقالوا له قد سرق القنديل فوقع مغشيا عليه ولم يبق يعرف ما بين يديه ولما أفاق قال وحق الانجيل المطهر ان وما سرقه إلا الذى جاءنا البارحة وتنصر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان عقبة لعنه الله قد طلب العودة لبلاد الحجاز فجهزه الملك مع تاجر طالب الديار المصرية وأتحفه بالهدية وأجزل له العطيه فسار من أول النهار وطاب له الريح فى البحار وقد كفر بالخالق الجبار ومحى من ديوان الأبرار ولما أفاق الراهب قال لهم وحق المسيح قد راحت أرواحكم وانقطعت رؤوسكم ثم دخل المذبح فرأى البلاطة مقلوعة والستور مرفوعة فقال يا ويلكم ما أخذ القنديل إلا الذى تنصر البارحة وهذه دلائله علينا لائحة ثم انهم دخلوا على الملك وهم صارخون فقال لهم ما حالكم فقالوا له اقبض على الذى تنصر البارحة فإنه سرق القنديل فلما سمع الملك ذلك اسودت الدنيا فى وجهه ولم يبق يعرف ما بين يديه ومن شدة الغيظ قال والله ما جاءنا هذا القرنان إلا ليخرب المكان فوحق المسيح لأقطعن لحمه وأسفكن دمه وأجعله قربان فى البيع ثم انه قدم عريف المراكب وقال له أريدك تأتينى به أينما كان فإنه قد مضى إلى مصر وأوسع فعندها رفعت البطارقة القلوع إلى رؤوس الصوارى وخرجت الحرائق من المدينة مثل البروق وما زالوا إلى الصباح وإذا بمركب قدامهم لطيف فأدركوه مثل لمح البصر وأشرفوا عليه وقربوا الحرائق اليه وانقضوا على عقبه قبضوه وما كلموه حتى صكوه على عينيه ورأسه ويديه حتى أعموه ونتفوا شعر رأسه ولحيته حتى أعدموه حواسه وقد انذهل مما رأى وطار قلبه وتخيل فى نفسه وزاد به الخوف والوجل ولم يعلم ماذا يكون الخبر فمن وهرته بال فى ثيابه وبقى عبرة لمن اعتبر وهو يقول يا ويلكم ما الخبر اكشفوا لى عن هذا الحال فقالوا له يا ديوس يا قرنان أنت تظن أن حيلك تتم علينا وانك تنجو من بين أيدينا وتأخذ القنديل وما هذا عمل قليل ثم أنهم فتشوا فى المركب فما وجدوه فعادوا وعقبة معهم وقد بقت رقبته مثل الطبل مما لطموه حتى كادوا ان يهلكوه (قال) وما أمسى المساء حتى وصلوا المينة وأرسلوا يعلموا الملك منويل وهو لا يصدق أن يراه من شدة قلقه على القنديل فلما رآه قال له يا قرنان يا قرد أسلمت أغضبت ابن مريم حتى أوقعك فى العدم يا كلب العربان ما لقيت لك حيلة تنال بها غرضك إلا تلاعبك بالأديان وهزوك بعباد الصلبان رد القنديل يا قرنان وإلا عذبناك عذاب ما نظره انسان

فلما سمع عقبة من الملك ذلك الكلام علم انه دهى بشيء ما كان له فى حساب وعلم انه إذا لم يتراجع عن نفسه ويدبر أمره وإلا ضرب عنقه وأتلف مهجته فقال أيها الملك تأنى على روحك ولا تريع أمرك ولا تشغل سرك ولا تضيق صدرك واعلنى بما تم عليك حتى أدبر لك تدبير يعود نفعه عليك ولا تجهل بأرباب القدر والتعظيم ولا تأخذ البرى بالسليم يضيع مالك ويسوء حالك فقال الملك أقول لك انه قد سرق القنديل وكان هذا القنديل عندى أعز من مهجتى وما سرق إلا عند دخولك عندى لأن خبره قد شاع فى البلاد مع الأقطار وما له سارق إلا أنت يا غدار وأنت ما وصلت إلى هذه الديار ولا تنصرت ولا علقت صليب ولا زنار إلا لأخذ القنديل فقال عقبة يا ملك المسيح يعلم ما فى صدرى من التلويح انى ما دخلت دينكم إلا باعتقاد صحيح وأما هذا القنديل فما أخذ إلا بتدبير عجيب وسبب غريب والذى أخذه فما خطابه إلا إلى بلاد الاسلام فإنه يقول انه ما يصلح إلا للبيت الحرام وان صدقنى حذرى فى هذا الحال ما فعل هذه الفعال إلا غلام يسمى أبا محمد البطال لانه خرج أقدر أهل الأرض فى المجال وما أشك إلا وهو الذى أخـــذ القنديل وان صح حذرى فهو قد حمله إلى عبد الوهاب ليأخذ عنده المنزلة العليـا فاقبل رأيي أيها المـلك الجليل واقنع منى باليمين وحلفنى بدين النصرانية ودين المسلمين حتى تعلم انى صادق أمين واتركنى أسير إلى بلاد الثغور وأدبر لك على هذا الأمر المذكور ولا تحس بهم إلا وهم عندك أجمعين اما فى الصناديق محمولين أو بالحبال مكتفين ومعهم القنديل الذى ذكرته وإلا فها أنا بين يديك مثل العبد افعل بى ما تريد فهذا أمر ما اطلعت عليه إلا فى هذه الساعة فإذا وافقتنى دبرته بمعرفتى وخبرتى فلما سمع الملك هـــذا الكلام الذى حسبه خاف من فواته وبقى متفكر فيما يفعل فقال مارس أيها الملك ما بقى هذا الرجل الصالح يلام وما قوله إلا صحيح والرجل ليس له مكان يخبيء فيه القنديل وهم قد قصدوا المركب وفتشوه فاطلقه أيها الملك لعل أن يكون لخلاصه سبب لأن العرب تعرف حيل العرب وقد قال القول الذى عليه وجب وان كنت تقبل نصيحتى فأنا أضمنه بعد اليمين فطاب قلب الملك بهذا الكلام الذى سمعه من مارس وأطلق عقبه بعد ان خلع عليه وحلفه وأرسله فى بعض المراكب إلى اسكندرية فلما وصل عقبة رأى الناس طالبين الحجاز فأكرى بمائة دينار لمن يلحقه بالحجاز إلى مكة فلما وصل اليها بذل المال وكسى عريان من الارامل والأيتام هـــذا والناس يدعون له من كل جانب ومكان

ويظنون انه على بصيرة من الإيمان وما كل من حج واعتمر وقد خاب عقبة فيما اضمر وأعماله لاتقبل لأن الله تبارك وتعالى يطلع على مافى الضمائر ويعلم ما تكنه السرائر وإنما هو حليم لا يعجل ثم رجع اليهم من الحج وهوكما قال حج اللئيم فقبحت أوزاره * وازداد سوأ للأنام بما فعل وقد ظن ان الحج يغفر ذنبه والكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى ملطيه والثغور العراقيه ولما علمت الناس بوصوله خرجوا يهرعون اليه ويقبلون قدميه وهو يبكى والدموع تتحادر من عينيه وهو يقول والله ما قدرت أن أفارق تلك الاماكن فيا فوز من يكون بها قاطن (قال الراوى) ومن جملة من خرج اليه عمرو بن عبيد الله وهو يقول ادع لنا يا أخينا فى الله وأما أبا محمد البطال لما رأى الناس يهرعون سأل عن ذلك فقال له بعض الأخوان فاز بالسعادة من فاز هذا القاضى قد قدم من أرض الحجاز فسار أبو محمد البطال من جملة الناس إلى ان وصل اليه فرآهم يقبلون قدميه والشاطر من يصل اليه وهو يبكى فما زال البطال يضحك إلى ان قرب منه ووقعت عينه عليه فقال عقبة يا ولد يا بطال العاقبة اليك تزور البيت العتيق وتزول عنك الذنوب ويصل اليك التوفيق وتعاين ذاك المكان تحقيق فقال البطال والله يا قاضى ما أنا إلا زرت البيت الذى كنت فيه لكن ما غطست فى جرن البركة الذى أنت غطست فيه فقال عقبة وقد عدم رشاده وخفق من ذلك فؤاده ويلك يا بطال ايش هذا الكلام وهذا الفضول الذى تقوله وإذا بالأمير عمرو بن عبيد الله قد وصل فقال يا ولدى يا عمرو والله يوصل اليك ما دعوت لك فى صحيفتك من الدعاء فى البيت الحرام وزمزم والمقام ثم ركب على ظهر بغلته بعد السلام والناس من وراه منقلبه وكان البطال لما وقع بالقنديل قدمه للأمير عبد الوهاب ففرح به فرحا شديدا ما عليه من مزيد وكان البطال كره المقام بين بنى سليم وقال وحق المصطفى لا أقمت فى مكان فيه عقبة بعد ان رأيت بعينى ما فعله ولا بد ان أكون لهلاكه سبب وأنحره كما أنحر الغنم ثم طلع الى قلعة الكوكب وأطلع الأميرة على القنديل وقال هذا الذى تأسفتى عليه وطلبتيه من الملك العلام بأن يكون معاق فى البيت الحرام ثم حدثهم بحديث عقبة وما جرى له فقالت الأميرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصعب على الأمير عبد الوهاب وقال للبطال على ماذا عولت ان تفعل فقال انتقل من عندكم وأجعل معولى على الله ثم عليكم وأنحر هذا اللعين فانى سمعته يوعد كلب الروم بهلاكك ويجعل بلاد الإسلام الروم الكفرة

الشام ويملك البيت الحرام فقال عبد الوهاب ساءت ظنونه وأعماله وقطعت أوصاله ولا بد لى ان شاء الله ان أصابه على باب الذهب الذى تنصر فيه ولو احتمى بكل من كفر وايش قدر هذا الكلب إلا كالب حتى يذكر بيت الله الحرام وزمزم والمقام وأنت أخى من الدنيا والآخرة لك ما لى وعليك ما على ثم أنه أمرغلما نه انهم ينقلون أسباب البطال من ملطيه إلى قلعة الكوكب وكانت ثلاثة جوار روميات وعشر غلمان والكل علمهم الاحتيال والخداع وجرأهم على الأهوال وأقام البطال فى قلعة الكوكب وأعلم الأمراء باسلام مارس ودارس وأختهم أرمانوسة ففرحوا بذلك فرحا شديد ما عليه من مزيد وقالت الأميرة سبحان الله من أيقظ هؤلاء من سنة الغفلة وأضل عقبة مع علمه وفضله ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولم يزل البطال فى قلعة الكوكب الى ان سمع وصول عقبة فقال لا بد لى من الخروج اليه ثم أنه خرج كما ذكرنا وكلم عقبة بما وصفنا وعاد البطال الى قلعة الكوكب وأعلم الأمير بقدوم عقبة وكيف وصل من الحجاز فقالت الأميرة انقتله عندالله أعظم أجرا من فتح القسطنطونية لأنه يلعب بالأديان ويكفر بالرحمن ثم أقاموا إلى أن أصبح الله بالصباح وإذا برسول الأمير عمرو وصل اليهم يطلب الأمير أبو محمد البطال وأيضا يطلب القنديل ويأخذ من البطال حق القصاص بما يتكلم فى حق عقبة ويقابله بما يستحقه وأما القنديل يوصله إلى الامام فانه ولى الأحكام (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الملعون عقبة لأنه لما وصل إلى ملطيه وعلم أن البطال شنع عليه بهذه الأقوال الرديئة وأيضا بالغ فى تشديد هذهالقضية وانه اطلع على تنصره فقال أناأعلم أن هذا الصبى يكشف سرى بما رأى منى فلم تنم تلك الليلة حتى ملأ قلب عمرو بن عبيد الله وقال له يا ولدى أنت ههنا ملك العربان وأمير الثغور فى كل مكان وما نريد يتم أمر إلا ونعلم به الخليفة أمير المؤمنين وإلا ان دمت هكذا انقصت منزلتك عند الأمراء وعند الخاص والعام وأيضا تستطيل بنى عامر وبنى كلاب على بنى سليم وما ينبغى أن تكون بنى سليم تحت الذل والضيم وينبغى انك ترسل تطلب القنديل لأن البطال دخل الى القسطنطونية وسرق مالا جزيلا ومن جملته ذلك القنديل وهو من الصواب انك تطلبه وتطلب أيضا البطال حتى أنه يقوم إلى ذليل وأقبح بما قال فى حق لأنه رمانى بالزور والبهتان وتكلم فى حق بالكفر والطغيان وسوف يكون هلاكه سبب وإذا لم نقيم ناموس الامارهوإلا حلت بنا كل الخسارة (قال الراوى)

فلما سمع عمرو ذلك الكلام امتلا غيظا واشرار وما صدق ان يطلع النهار ويصبح الصباح حتى أرسل ذلك الرسول كما قد ذكرنا وخاطب الامير بما وصفنا عندها قال الامير عبد الوهاب للرسول ياأخى عود الى عمرو وقل له يلزم ناموسه ويترك ذلك الامر ولايسلكه ولا يسمع تلك الاقوال وينطلى عليه المحال ولايترك الحق ويتبع الضلال فنحن قد ثبت عندنا كفر عقبة ولابد ما ننكبه فى نفسه نكبه واى نكبه وقل له يسلمه الينا حتى نقيم عليه الدليل قبل ان يصلب ويصير قتيل وروحه تسلب وهذا ما عندنا فلما ان سمع الرسول ذلك الجواب رجع واعلم عمرو وعقبة بجواب الرسالة ومابدوه من المقاله فقال عقبة يابن العم كنت انا من هذا فزعا عليك وقلت لك لا تخفض منزلتك بين الكبير والصغير وان الاماره لها شروط وان لم تقيم الهيبه والحرمه والاصار قدرك مهبوط قم ايها الامير انتخى نخوة العرب واركب فى سادات بنى سليم الى قلعة الكوكب واضرب فيمن حولها من السودان والعرب ولا تترك احدا يهرب حتى مايبقى فى الثغور الا أنت وحدك وانا آخذ لك منشور من الخليفه بأنك أمير الامراء من الكبير منهم والصغير وتبقى كبير الكبراء من حد الشام الى حد العراق وجميع الآفاق فلما سمع الامير عمرو كلام عقبه اللعين الغدار قام ركب من ساعته وتعمد الى قلعة الكوكب وترك السودان السيف يعمل فيهم ويضرب ولا ترك احدا يهرب الا وسقاه كاس العطب ولما ان رأى سملق الى ذلك صاح فى سودانه وميمون الجماس فى أقرانه وصاحوا يا آل عامر ياآل كلاب يالون الظلام فحملوا بأجمعهم على القوم وهم مكشوفين الرؤس ومكنوا من بنى سليم السيوف وسقوهم كاسات الحتوف ولولا سادات الاعراب ماتركوا منهم لاطفل ولا شاب وركبت الاميره ذات الهمه والامير عبد الوهاب سحب سيفه وأراد ان يبطش فيهم فتعلقت به الاميره وقالت ياولدى بالله عليك ترفق على نفسك ولا تعجل ولا تسفك دماء المسلمين واصبر على قليل وكانت بنو سليم لما وصلت طرحت السيف فى السودان قبل ماتركب واوردوهم موارد العطب لاجل ما فى قلوبهم من الاحقاد فقال عبد الوهاب ياأميره كيف أتخلى عن سودانى حتى يخرجوا من تحت طاعتى فقالت يا ولدى اصبر قليل وتسأل الله ان يفصل بينهم بجميل فوقف الاميروهو مثل الاسد اذا هدر فبينما هم كذلك واذا بغبار من ناحية العراق قد تار وكثر وزاد حتى طبق الآفاق وبعد ساعة انكشف الغبار وبان عن بيارق اسلاميه ورايات حنيفيه

واعلام عباسيه وجيوش يوحدون رب البريه وهى طالبة الى صوب ملطية ورجال ينادون من تحت الغبار ياويلكم كفوا عن الشر والقتال والعناد وعودوا الى طاعة خليفة الله فى البلاد فهذا الرشيد بالله القائم بحدود الله (قال الراوى) وكان هذا الرشيد هارون احسن بنى العباس خلقا واطيبهم خلقا وانما لما تولى الخلافة وجد توقيعا صحيحا بيد أخيه المهدى بالله بالوصية على عقبة القاضى بلاه الله بكل نكبة وان جميع ما يفعله ماض وتؤخذ جميع افعاله واحكامه بالقبول والرضا وان لا أحد يغير عليه ماهو فيه من القضاء وهو صاحب مكارم واحكام وعلوم وانه لايعزل عن القضاء طول الايام فلما قرأ الرشيد ذلك التوقيع أحضر العلماء والقضاة وأهل الدين والزهد واليقين واشهدهم على نفسه ان عقبه قاضى قضاة الاسلام وهو نائبه فى بغداد وهو على حاله فى ملطيه مقيم وحكمه نافذ وامره سارى على جميع العباد (قال الراوى) وكان الرشيد اشجع بنى العباس وأقواهم قلبا وأوفرهم فهما واستوزر جعفر ابن يحي البرمكى والفضل ابن الربيع وأمر بجميع العساكر والاجناد وقال أنا أريد بنفسى ان أتولى الجهاد لان ابن عمى محمدا صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله وانا لا بد ما ادخل بلاد الروم واحثهم على القتال حتى يزنو الجزيه والمال كما امر الملك المتعال فعندها جمع العساكر والاجناد وقامت الدنيا على ساق وقدم وسار الرشيد بعزم ونيه الى ان وصل الى ملطيه (وعدنا) الى سياق الحديث العجيب بعد الصلاة على النبي الحبيب ولما انكشف للفرسان الحال انكفوا عن القتال وترجلت الأمراء والرجال وكان اول من تقدم كان عقبه الغدار ابن مصعب اللعين المكار ولما تقرب من الامام قال السلام على الحضرة الشديدة العزة الحميدة السعيدة والسلالة الهاشميه والروح العلوية والطلعة البهيه أدام الله على الخافقين فضلك ونشر فى المشرقين والمغربين علم مجدك ورفع قدرك وأهلك ضدك واظهر فيه عدلك وعلا اسمك ولا زالت سيوفك فى رقاب الاعداء أجمع الاعداء بين يديك تخضع فانت الحجة الواضحة والشريعة الصالحة الناجحة وانوار أعلام النبوة عليك لائحة وأنت الباب الذى فى أعلى عليين مفتوح ونجم سعدك على جميع الناس يلوح ومازال الملعون ينشر من جواهر الكلام حتى تعجبت جميع الانام فقال الامام للفضل بن الربيع من يكون هذا الرجل الفصيح اللسان القوى الجنان صاحب الكلام البديع فلا شك ان قدره رفيع فقال الربيع يا أمير المؤمنين هذا

القاضي عقبه فقربه الإمام وأدناه وأكرمه وأرضاه وحادثه وفي موكبه سراه وصاح الرشيد للفضل بن الربيع قل لهؤلاء القوم يركبون الخيول وأعرف هذه الفتنة المتحددة ومن سبب هذه ومن سل هذه السيوف الهندية فتقدم الفضل بن الربيع إلى بني عامر وكلاب وبني سليم وأمرهم أن يركبوا الخيول وسألهم عن سبب هذه الفتنة وما أصل هذه المحنة فتقدم الامير عمرو بن عبيد الله وقال اعلم أيها المولى أن هذا القاضي عقبة ابن عمنا واليه ترجع أحكامنا وهذه الفتنة من أجله والسبب في ذلك انه ربى غلام وعلمه وأحسن اليه وعلمه فنون العلوم وكان عنده عزيز فخده حتى قال انه تنصروا كل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير لأنه رباه ولما كبر وانتشا صار يحسد القاضي عقبة وقال في حقه ماقال بما لا يرضاه مخلوق ولا يصبر عليه صغير ولا كبير ولا جليل ولا حقير ومن جملة ماقال أنه مضى الى القسطنطينيه ودخل إلى دين النصرانية وهو كان مع جماعة في بيت الله الحرام وكسى الأرامل والايتام ولما رآه عاد سالم التجأ إلى بني عامر وكلاب فأرسلنا خلفه ننهاه عن ذلك الكلام الشنيع في حق القاضي فحموه بني عامر وذات الهمة وولدها عبد الوهاب فجرى بيننا الذي تراه (قال) ولما علم الفضل بن الربيع بذلك الأمر وعرف ما قال الأمير عمرو وعاد الى الرشيد وأعلمه بذلك الأمر فقال الرشيد هؤلاء القوم ما كان لهم خليفه ثم أنه نزل على نهر الدنول وجلس في السرادق الأعظم ودارت به الغلمان والخدم والترك والديلم ودعا بعقبة اليه واجلسه الى جانبه ورفع شأنه وعلا مكانه فلما رأى البطال إلى ذلك وذات الهمة وعبد الوهاب وسمعوا ذلك الخطاب ما أحد منهم أبدا جواب وفي عاجل الحال أحضر الإمام مقدمين الاعراب من بني سليم وبني كلاب وأصلح بينهم ونهاهم عن العناد وقال أنتم في أرض واحدة وما يصلح منكم الفساد وقال أنتم من الواجب عليكم أن تكونوا مثل الاهل وتتركون المنكر والجهل وتتأهبوا للقتال والجهاد في طاعة رب العباد ولا يعود أحد منكم يجاب مضرة أكون أنا خصمه وأهلكه في كره وأما الشيخ عقبه يجب عليكم أن تكرموه لأجل علمه وما هو فيه من العلم وحسن الشيم والفضل والأدب والعمل وان كان تكلم البطال بكلام او نطق بحرف واحد وقال مقال الحاسد قطعت رأسه واخمدت أنفاسه فتأهبوا الآن إلى بلاد الروم حتى يؤدوا الجزية وهم صاغرين (قال) فقام القاضي عقبة بن مصعب على قدميه وأشار بيديه وقال يا أمير المؤمنين ان ابن عمك النبي المختار ما كان يطرق بلاد قوم الا بعد الإعذار والإنذار ومن الرأى الصائب أن مولانا يرسل إلى

الروم ويحذرهم وينذرهم فإن اجابوا والا فليقاتلهم ويحاربهم فقال الرشيد ان كلامك سديد ياأخى لانك لا تتكلم الا من الكتاب والسنة ثم أمر الوزير جعفر أن يكتب الكتب بالتهديد والوعد والوعيد ويأمرهم بالجواب ففعل ذلك وأخذ الفضل بن الربيع الكتب وأرسلهم مع نجاب وأمرهم برد الجواب وأعطاهم للنجاب ومعه رجل كبير وجملة من الغلمان والدواب (قال الراوى) فهذا جرى ههنا اسمع ماجرى من القاضى عقبة المرتاب فإنه من يومه اختلى بنفسه وكتب الى ملك الروم يقول فيه كلمة كفرهم ونحن وأنتم نقول لاإله الا الله محمد رسول الله ﷺ أما بعد اياك ثم اياك ان تحرك ساكن او ياحمقك توان فى حمل المال وتسرع به فى عاجل الحال فإن خليفة الإسلام فى تلك النوبة لا يقابل بمن معه من الجيش العظيم فارسل المال فى عاجل الحال ولا تندم فسوف أملكك البلاد بعد أن ارسل اليك الابطال وهم فى القيود والاصفاد واما القنديل فقد وجدته عندنا والذى سرقه ابو محمد البطال ولا بد أن أرسله اليكم فى القيود والاغلال فى عاجل الحال ثم ان عقبة طوى الكتاب وارسله مع بعض غلمانه وامره بسرعة العودة والجواب وأقام عقبة فى مجلس الخليفة وهو فى كل يوم يقرأ الآيات فى كتاب الله ويشرحها ويجيب عليها دلائل وبرهان ويتكلم فى الغوامض بكلام احسن من الجوهر والبطال كلما رأى ذلك يتحير ويقول فى نفسه لا بد لى من إعدام مهجته وبعد قليل اتت الأموال من ملك الروم وكان مالا جزيلا فلما رأى الرشيد ذلك فرح فرحا شديد وقرأ كتاب منويل واذا فيه بالسمع والطاعه وفى آخره يقول أيها الأمير والملك الافخم والسلطان الأعظم ان الشرط بيننا على الهدنة والمصالحة على حفظ الدماء وصيانة الأموال وان ما أحد يسطو علينا منكم ولا أحد منا يسطو عليكم بسوء ابدا ونعلمك قد نشأ عندكم عيار يسمى ابا محمد البطال أتى الى ارضنا وعمل علينا حيله واتقن المكيده واخذ من كنيستنا قنديل من الجوهر ولا يقدر عليه احد من البشر لانه لا يقاوم عليه مال ولا نوال فلما سمع الرشيد ذلك ادعى بالأمير عبدالوهاب وقال له أين البطال قال يحضر ياامير المؤمنين ففى عاجل الحال مثل بين يديه وخدم ودعا بدوام العز والبقاء قال خلد الله ملك مولانا الامام الذى أنار الظلام فقال الرشيد يا ابا محمد اين القنديل الذى سمعت بخبره وارسل ملك الروم يقول أنه عندك وارسل يعاتبنا عليه من أجلك فقال يا أمير المؤمنين القنديل عندى ولا أعيد فيه ولا أبدى فقال الخليفة لماذا عندك فقال الأمير عبدالوهاب نحن أردنا أن نعلقه فى البيت الحرام ونطلب بذلك الثواب من الملك العلام فعند ذلك

قام القاضى عقبة من الجلسة قائما على الأقدام وقال وحق الملك العلام ما أردتم بذلك إلا افساخ الصلح والهدنة فقال الرشيد على به فقال البطال السمع والطاعة ومضى يأتى به من بيت الأمير عبد الوهاب فلم يجد له خبر ولا جلية فانقادت فى أعضائه النار فرجع وهو يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (قال) وكان عقبة لما مضى البطال ان يجيب القنديل قال للرشيد وحياة مولانا الساعة لم يجيبه إلا أنه يأتى ويقول أنه سرق لأنه عيار محتال وأنا أخبر به من كل انسان لأنى ربيته وأعرف صفته فقال ولا على كل الناس يا قاضى وحق اتصالى بحمزة وعقيل لئن أتى بلاه لأقتلنه وبينما هو وإياه فى الكلام وإذا بأبا محمد قد أتى لم يكن معه شىء وقد أيقن بالبلا فقال الرشيد أين القنديل يا أبا محمد فقال يا مولانا كان فى دار الأمير عبد الوهاب ولما طلبه مولانا رفيع الجناب طلبناه ما وجدناه فتبسم الرشيد تبسم الغيظ وقال على أنا الآخر يتم محالك والله لقد ذكر لى عقبة ذلك وأنت قو زادت فيه أطماعك وان حلفت فما تصدق فى إيمانك ثم سكت الرشيد ساعة وقال وحق آبائى الطاهرين الكرام واتصالى بالنبى عليه الصلاة وأتم السلام لئن لم تأتينى بالقنديل لآخذن رأسك من بين كتفيك فقال الأمير عبد الوهاب يا مولانا يحضر القنديل ويأتى بين به يديك بعد قليل ثم خرج ويده فى يد البطال وقد زاد بهما الانذهال وساروا إلى الدار وأقلبوها غاية الانقلاب فما وجدوا له أثر ولا وقعوا له على خبر فقال البطال للأمير عبد الوهاب لا شك أن عقبة أخذه والدليل على ذلك أنه قال للخليفة ما يأتى به وأنا والله ما بقيت أقع فى يد الخليفة فى ذلك النهار حتى يزول غضبه ويرضى على ثم أن البطال غطس فى بحر الافكار ودخل إلى بعض الأماكن ورجع الأمير إلى الرشيد فوجد عقبة قد ملأ قاب الامام غيظا وحنقا فقال يا مولانا القنديل عدم وأنا وحق الله الذى لا إله إلا هو ولا معبود سواه كان القنديل عندى فى دارى ولما طلبه مولانا أقلبنا عليه الأرض فما وجدناه ولا وقعنا له على أثر من منذ ثلاثة أيام فقال الرشيد وأين البطال فقال الأمير يا مولانا من الخوف أوسع فى الهرب من قدام الملوك طاعة ولا تدعه هيبة مولانا يحضر إلا بالغرض وقد مضى يفتش فى أشغاله وينهض والمطلوب لمولانا يحضر بين يديك بعد ما أعدم وعليه الأمان فشد الرشيد فى طلبه فما وجده وقد خفى وكان هرب فى بعض الأماكن لأنه خبير بكل أرض ولما ايس منه عبد الوهاب أعلم الرشيد فاغتاظ غيظا شديد وناله أمر جسيم وقام وقعد وارغا وازبد وابرق وارعد ولم تزل الوزراء والنواب وعبد الوهاب مع الرشيد حتى سكن روعه وغيظه الذى

هو فيه فقال عبد الوهاب أمهلني فى هذه الاشغال حتى آتيك بالقنديل والبطال ولو تعلق فى السماء ولعله قد سار فى طلبه وطلب اللص الذى قد أخذه وسوف يحضروا الكل بين يديك يامولانامن غير تطويل فقال الرشيد قد أمهلتك سبعة أيام فقال الامير لاسبعة ولا عشرة وحق المصطفى ما تقع يدى عليه إلا وقدأحضرته بين يديك ولعل بسعادة مولانا يأتى والقنديل معه ونأتى اليك ثم أقام الرشيد بعد ذلك سبعة أيام وهو على مقالى النار ولم تظهر لابى محمد أخبار ولا وقع له أحد على آثار وبعد ذلك أمر الرشيد بالرحيل إلى بغداد وقال لعبد الوهاب والامير عمرو أى وقت وقع البطال أرسلوه إلى فى الاعتقال فقالوا سمعا وطاعة ثم رحل الرشيد وعقبة صحبته وودعوه الامراء ورجعوا وهو سائر طالب العراق (قال) وكان لعدم القنديل سبب عجيب نحب أن نسوقه على الترتيب حتى ان المستمع يلذ ويطيب بعد أن نصلى على النبى الحبيب وذلك ان الملعون عقبة وهو الذى دبر ذلك التدبير ورتب تلك الحيلة وجعلها لأخذ القنديل وسيله وذلك انه كان له جاريه من جواره وعلمها الخط بالاقلام والحساب والغناء وجميع الآداب وسائر الاشياء التى تصلح وكان يقول فى نفسه أنه يقتل بها بعض الخلفاء اذا ألجأه الامر الى ذلك فلما حصلت تلك الكائنه قال مالهذا الامر الا هذه الجارية وكانت تسمى نرجس وكانت تحب مصعب بن عقبة فقال لها عقبة تريدى ان أزوجك بولدى وتصيرى أحظى من عندى فقالت وتريدمنى فقال تأخذى لى القنديل الذى عندعبدالوهاب فقالت يا سيدى وأين الوصول اليه وهو من خلف الابواب وعليه الاقفال فقال لها أنا أعطيكى للدلال وآمره أن يبيعك ولا يبيعك الا لعبد الوهاب فاذا هو اشتراكى وشاهد أعطافك فلا بد ان تصيرى عنده أحظى الناس ولا بد ان يسلم اليك امواله وذخائره وما تحتويه يده فاذا صرتى عنده فى تلك المرتبة أرسل اليكى عجوزكبيره فتأخذى القنديل وتجعليه فى طشت وغطيه بشىء من القماش وسلميه اليها وهى توصله الى وبعد ذلك اظهرى الجنون فيردكى الى الدلال ويأتى بكى الى وانا بعد ذلك أزوجك لولدى وتبقى أعز الناس عندى فقالت حبا وكرامة ثم أرسل الى دلال من بعض الدلالين وقال له بيع هذه الجارية ولاتقول انها من عندى فقال سمعا وطاعة وأخذ الجارية ونادى عليها وعرضها على الامراء واصحاب الاقدار وايضا عرضها على الامير عبد الوهاب فنظر فى محاسنها ودلالها فاشتراها بخمسمائة دينار ولما صارت عنده ونظر الى جمالها وكمالها وعطفها الرجيح فجعلها خازنه ويسلمها المفاتيح وجميع الاموال فلما صارت حاكمة على الذخائر

وبقيت عنده الى ان جرت هذه الفتنة بين بنى عامر وبنى سليم وحضر الرشيد ففى
تلك الأيام تم لها ما تريد ووصلت لها العجوز وكانت حصلت القنديل كما علمها عقبة
وجعلته فى طشت وغطته بشيء من القماش وسلمته الى العجوز فاخذته وخرجت وتم
لها ما تريد ولما صار القنديل فى يد عقبة بلغ ما يريد وجعله فى حق والحق فى صندوق
وانزلهم فى سرداب واطبق عليهم طابق من الرخام ثم ان الجارية اقامت بعد ذلك ثلاثة
أيام وأظهرت الجنون وصارت تتكلم بكلام قبيح وتفرش طرحتها وتبول عليها وتشتم
الناس وتلعن والديها وتخرق اثوابها وزاد مصابها فاعلموا بذلك الأمير عبد الوهاب
فأرسل خلف الدلال وامره ان يردها على صاحبها فأخذها الدلال وردها الى عقبة
وتمت الحيله ووصل الرشيد الى ملطيه كما ذكرنا واشتغل عنها عقبة بالرشيد وطلب
ايضا القنديل والبطال فلم يجدهم وهرب البطال وهو فى ملطية مختفى كما ذكرنا وتوجه
الامام الى أرض العراق ومعه عقبة يسامره ثم بعد ذلك خرج البطال من المكان الذى
كان مختفى فيه وأتى الى عبد الوهاب سرا وقال يا أمير ما تعلمنى بهذا وتخبرنى ان كان
حدث عندك حادث ودخلت اليك امرأة غريبة فهو سبب تلك المصيبه فلما سمع
الأمير عبد الوهاب كلام البطال تذكر فى ذلك الوقت الجاريه التى اشتراها فقال مادخل
الى عندنا الا الجارية التى كنت اشتريتها ومادخل غيرها وأعلمه بماجرى لها وما أصابها
وكيف أمن اليها وسلمها المفاتيح وجعلها أمينة على الجواهر واللؤلؤ فقال البطال وحق
النبي المنتخب ان كان هذا الا شغل عقبة الغدار وان هذه الصفة صفة جاريته لا أعقبه
الله خير وساط عليه كل هم وضير ولا دبر هذا التدبير الا هو وهو الذى علم الجارية
سرقة القنديل وقال لها اذا تم لكى ما اريد اظهرى الجنون حتى انها ترجع اليه ولا
يكون فى تجارته مغبون فاذا خرج عن الاثنين ما أكون أنا البطال بن الحصين ثم أنه
جعل يقصد دار عقبة مرة بعد مرة وهو يدبر الحيل فى موضع يصعد منه الى دار
عقبه فما وجد لذلك سبيلا الى ان كان فى بعض الليالى تسلق فى موضع احتكره ونزل الى
دار عقبه وأخذ حذره ونظر فى الدار واذا هو بطاقة فتحت منها جارية وقالت من
أين أتيت فى ظلام الليل أيها اللص فقال لها البطال أنا حقيق اللص المحتال أبو محمد البطال
وأنت أخبر بى من كل الناس وما أعمل من الأعمال فقالت له وفيماذا أتيت يا صاحب
التفضيل فقال لها جئت فى طلب القنديل وأنا أطلب من أنعامك وفضلك واحسانك
الى تقضى لى حاجتى وتبلغينى أمنيتى حتى أعزك أنا الآخر باقى عمرى فقالت الجارية

وحياتك يا أبا محمد ما أنا الا فى انتظارك فاقصدالباب واسمع منى ماأبدى لك من الخطاب فأتى البطال الى تلك الطبقة واذا بها قدفتحت الباب وقالت يابطال أنا نرجس التى كنت عند الأمير عبدالوهاب الأمير النجيب وأنا التى دبرت على أخذ القنديل وكان عقبة قد وعدنى بوعد ولم يوف بقوله ولم يبلغ قلبى مأموله وانه لما أخذ القنديل جعله فى حق والحق فى صندوق وجعلهم تحت ذلك الطابق المطبوق فامضى اليه وخذ منه حاجتك فانها فيه وقد وصلت الى أمنيتك واعمل معى بعد مروءتك فى ردى الى مولاى الأمير عبد الوهاب فخاف البطال أن تكون حيلة وتبلغ بها عند عقبة الوسيلة وتكون عليه ليلة طويلة فقال لها يانرجس أنا محتال الشرق والغرب ولى فى اللصوصية أوفى قسم وقد غلبت كثير من الناس وانتى تريدى ان تغلبينى فقالت لا وحق الفضيل محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ومن هو صفوة الملك الجليل ليس الأمر كما خطر ببالك الا أننى لما رأيت حرقتك وشغل قلبك بما قد جئت فيه ولا بقى لى نية فيه وأريد أن أشغل قلبه كما اشغل قلبى وزاد على همى وغمى وجعلنى فى هذا الليل فى كربى وغمى وان كنت فى شك من قولى ها أنت أخبر الناس من كل أحد بدار عقبة وها أنا بين يديك أوثقنى كتاف وادخل أنت واقضى حاجتك كرامة لخاطرى وخاطر الأمير عبد الوهاب الذى كنت عنده أعز الخدم والأصحاب وأنا دليتك على الموضع بحسن الطوية فاذهب اليه وابلغ الامنيه وقد نصحتك وحق دين الحنيفية ومحمد خير البرية فعند ذلك علم البطال ان كلامها حق ونطقها صدق فدخل الى الدار وهى معه وأورته الطابق فشاله ودخل فيه واخرج الصندوق واذا فيه أربعة أكياس كل كيس فيه ألف دينار كانوا لعقبة الغدار فأخذهم البطال وأراد ان يعطى للجارية شىء من المال فقالت له أنا مالى حاجة بمال ولا نوال بل اشتهى منك ان تردنى الى خدمه الأمير عبدالوهاب فأخذها وأخذ المال وقد خرج من الدار وقد بلغ ما يتمناه وما يختار وأتى الى الأمير عبدالوهاب وأعلمه بالخبر وان الجاريه كانت لعقبة وما باعها الا أنه دبر الحيلة فى أخذ القنديل وها أنا قد أخذته وأخذت أربعة أكياس كل كيس فيه الف دينار حق طريقى وارقعت عقبة فى بحر ماله قرار (قال) فتقدمت الجارية وقبلت يد الأمير عبدالوهاب واعتذرت اليه فقبل عذرها وتركها بين جواريه ولم يعلم عقبة ما ناله (أما البطال) فانه ودع الأمير والاميره والرجال والأصحاب وأخذ القنديل وعول على الرحيل وصار يقطع الآفاق حتى وصل الى أرض العراق ودار السلام بغداد وطلب الى دار الخليفه وأمن

من كل خيفة فاول من التقاه كان القاضى عقبة فقال له يا شيطان تتكلم قدام الخليفة بالزور والكذب والمحال فقال يا قاضى قد عدم القنديل وفتشت عليه فما وجدته وقاسيت من أجله كل أمر جسيم فقال عقبة ومع هذه الغيبة وتدويرك الأقاليم ما وقعت به ولا بمن أخذه وان كان الأمر كذلك فانا أنصحك لا تدخل على الخليفة فيحل بك العذاب الأليم فقال البطال ها أنا متوكل على الله ومهما قضاه امضاه وما للعبد مفر من حكم مولاه فتقدم القاضى عقبة الى البطال كانه يصالحه وقال له يا قرد لوادرت عليه مشارق الارض ومغاربها ما تقع له على خبر وهو معلق على كنيسة سوفيا وسوف يظهر خبره وقد حلف الامير عبد الوهاب أنه سرق من داره ولم يعلم له خبر فعند ذلك سمع البطال من عقبة ذلك المقال قال له يا شيخ الفسقة والزنادقة ما حل لك تصل الى هذه الطبقة وأما عبد الوهاب فان يمينه صادق غير كذاب وأما القنديل فقد وقع فى يد من هو أسرق منك وأمكر وأحيل من الذى سرقه وقد أخذه وتمت القضية وأخذ نرجس البهية الانوار وأخذ معها أربعة آلاف دينار فلما سمع عقبة ذلك من ابو محمد البطال ارتعدت فرائصه وانخفض علوه ودهش لبه وأخذته الحمة الباردة وقال فى نفسه ان كان صادق فى قوله فما هو الا شيطان فى صورة انسان وسوف يجرى لى معه أمور عجيبة وتكون أعجوبة الى آخر الزمان ثم سبقه وجلس عند الخليفة قريب من السدة بعد ما سلم فما استقر به الجلوس واذا بالخادم يستأذن على البطال فى الدخول فقال الخليفه على به فلما دخل خدم وسلم وللأرض قبل ودعا له بدوام العز والنعم فقال الخليفة أين القنديل الذى فقدته فما وجدته فسرت فى طلبه فما عدت به أو عرفت الذى سرقة بعد طول هذه الغيبة فقال البطال أنا عرفت الذى سرقه وها أنا بسعادتك قد احضرته فقال الرشيد على به فاخرجه البطال وقدمه بين يديه فما زال الخليفة ينظر فى جواهره وهو فيه باهت لأنه من جوهر شفاف مركب فى ذهب أحمر فتعجب من صناعته لانه من العجب وبعد ان تأمل فيه ناوله للخازن وقال له احتفظ عليه الى أيام الموسم نأخذه ونجعله على البيت الحرام والا نجعله على قبر المظلل بالغمام (قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا اسمع أنت ما جرى من القاضى عقبة لانه لما رأى القنديل فى يد الخليفة علم ان الامر قد تم عليه وان الجارية راحت والاربعة آلاف دينار التى كانت فى الدار فأتى الى ناحية البطال وأخذه بعيد من الناس وقال له يا أخى كيف كان الامر فقد كويت قلبي وتركتنى ميت فى صفة حى

فتبسم أبا محمد البطال من كلامه وأخبره بالحديث على كماله فقال له يا ولدى أعطينى الأربعة آلاف دينار ولا يسمع أحد ولا يرى ولا يدرى (قال الراوى) ثم قال البطال وحق صاحب العظمة والقدرة ما بقيت تنظر من الأربعة آلاف دينار ولا درهم ولا غيره فذوب كمدا وحسرة وان كنت تموت موت ودع تنفطر مرارتك وتذوب بحسرتك ثم زاد بينهم الحديث فقال الخليفة للقاضى مالى أراك مع أبا محمد البطال فى حديث طويل من حين أتى بالقنديل فقال عقبة للبطال انصفنى من نفسك وإلا ادعى عليك دعوة قدام أمير المؤمنين فقال له البطال أى معاملة بينى وبينك تدعى بها وأى دين لك على تطالبنى به فقال الخليفة ايش القضية فقال عقبة ياأمير المؤمنين استحق بذمة ولدى البطال أربعة آلاف دينار اقرضته إياها وقد أنكرنى فيها فقال الرشيد هل معك بينة تشهد عليه قال يا مولانا ولى عليه دعوة أخرى وأراد ان يتكلم واذا بخادم تقدم من الخليفة أتاه من عند الست زبيده بنت القاسم فتركهم وانتهى الى القصر فقال عقبه ويلك يا بطال هذه حق التربية عليك تسرق القنديل وتأخذ مالى وتحسرنى على جاريتى (قال) وكثر بينهم الكلام والخصام فقام البطال وخلع فردة خف قديم ونزل بها على قفاه حتى أعماه وأورم قفاه ولم يكن عندهم أحد حاضر غير شخص واحد كان أبغض الخلق فى عقبه الجاحد الفاجر ويحب أبا محمد البطال الزاهد المجاهد الفاضـــل العابد فدخلت الخدم وفرقوا بينهما ونهوهما عن الخصام ولما عاد الرشيد من عند زبيدة وسمع بقصتهما أحضرهما بين يديه وأعطى لعقبة أربعة آلاف دينار من ماله وصح المال لأبى محمد البطال ثم ان الرشيد قال بالله يا أبا محمد من سرق القنديل قال يامولانا سرقه بعض اللصوص الذى يتشبهون لى فى شغلى فقال عقبة يامولانا ما سرقه غيره وما كان قصده إلا ان يكسره ويبيعه للجوهريين فقال ياقاضى ما يكفيك منى السكوت فقال عقبة يا مولاى لولا أنى عندك فى العراق لكان يقول أنا الذى سرقته كما كذب على وقال تنصرت وأنا كنت فى بيت الله الحرام فقال الرشيد حاشاك ياقاضى من ذلك الكلام ثم أنه أصلح بينه وبين أبا محمد البطال وأبا محمد ساكت على مضض إلا أنه فرحان بما وصل اليه وأما عقبة فانه تفتت كبده من الغيظ وزادت حسرته من شدة الحسد وصار يعمل على القنديل وأخذ بكل سبب (قال) ومضى على هذا الحديث مدة من الزمان وسافر أبا محمد الى ملطيه بعد ما خلع عليه الرشيد وأكثر العطية (قال) ومن الأمر العجيب ان زبيدة رأت للرشيد مناما أراعها ثم أنه لحقه مرض شديد

وعافاه الله منه وكانت زبيدة قد نذرت نذورا كثيرة ومن جملتها اطلاق المحابيس فلما عوفى الرشيد قال للقاضى يا قاضى اعلم أنه جرى من الأمر ما هو كذا وكذا فلما سمع عقبة ذلك الكلام بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وأجرى الدموع الغزار وقرأ قوله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ولما فرغ من قراءة الآية أمره الرشيد ان يمضى الى السجن ويطلق المحابيس ففعل ذلك وصار يطلق المحابيس واحد بعد واحد حتى لم يبق فى السجن أحد فقال عقبة للسجان هل بقى عندك أحد فقال يا مولاى عندى واحد من الجبابرة الكبار وهو عيار مكار غدار لا يصطلى له بنار وهو للناس ألهب ويسمى الباز الأشهب يسرق الكحل من العين نقاب فوقانى ويتعلق تحتانى ويأخذ أموال الناس غصبا وينهبهم نهبا فقال عقبة للسجان أخرجه فقال ماأقدر أيها القاضى على ذلك فقال له لماذا فقال لأن مولانا السلطان أمير المؤمنين قد أوصانى عليه ولا أقدر أخرجه إلا باذنه فعاد عقبة واعلم زبيدة بذلك وقال مايسوى ماعملتيه شيء لأننا قد أخرجنا الذين كانوا فى السجن وما بقى إلا شيخ كبير وهو رجل فانى عريان جائع الكبد وهو أمر ما يرضى أحد وأردت ان اطلقه من وثاقه ما رضى السجان بل ضيق على خناقه وأنا والله خائف على أمير المؤمنين ان يدعى عليه هذا الرجل دعوه فى غسق الليل وداجى الظلام فقالت زبيدة لما سمعت ذلك الكلام هذا والله الجور فى ملة الاسلام وقامت ودخلت على الخليفة وسألته فى الباز الأشهب فقال لها لا سبيل الى خروجه لأنه ان خرج ما بقى لأحد قرار ولا مقام ولا يلتذ أحدا بمنام ولا بطعام فقالت يا أمير المؤمنين وكم جهد هذا ان يفعل وقد بقى شيخ كبير وهو معتقل ولم يبق له نهوض ولعله يكون قد تاب ورجع عن هذه الأمور الصعاب وقد تاب عن ما كان عليه لكبر سنه ولم تزل زبيدة تراددالخليفة وهو معرض عنها وهى تلح عليه الى ان أمر بخروجه فأخذت ختام الملك وأعطته للقاضى عقبة وقالت له يا قاضى خذ هذا الختام وامض به الى السجان ودعه يخرج الباز الأشهب فعند ذلك خرج القاضى عقبة وأتى الى السجان وأرمى له خاتم الرشيد فلم يمكنه المخالفة ثم ان عقبة أقبل مع السجان الى المطموره ودلى له حبل وقال له قم يا باز اصعد فقد آن أوان خروجك يا آفة على عباد الله فطلع من تلك المطموره رجل قد طالت أظافره وحاجبيه وقد نزل شعره على عينيه والوسخ قد علاه والقمل والذل اعتراه

وعيناه تدور فى رأسه كانهما كوكبان ولما خرج هم بقتل السجان فأخذه عقبة فى حضنه وخرج وسلمه الى الغلمان وقال لهم امضوا به الى الدار واحتفظوا عليه الى ان أعود اليكم ثم أنه عاد الى الرشيد وزبيده وكان يدخل عليهما بلا استئذان وقال أيها السيدة لو رأيتيه لرحمتيه وجرت دمعتك عليه لما هو فيه فاعطت له شيء من المال وقالت له يا قاضى خذ هذا واكسيه ببعضه واعطيه الباقى ودعه يخرج من البلد الى حال سبيله فخرج من عندها ومضى الى داره فوجد الغلمان فى انتظاره والباز الأشهب معهم فقال عقبة أيها الشيخ أتعرفنى قال لا فقال له انا القاضى عقبة قاضى المسلمين وقد سعيت فى خلاصك من سجن أمير المؤمنين ولى اليك حاجة واريد منك أن تقضيها لى ولك على فيها خمسمائة دينار من مالى ويكون لك على اليد البيضاء ما أظلم الظلام وأضاء النهار فقال انى والله أقضيها لك يا مولانا ولو تكون فى خزانة السلطان أمير المؤمنين أتيتك بها ولو كانت الجن والشياطين تحرسها فقال عقبة اعلم يا أخى انى رجل مؤمن مسلم أقر لله بالوحدانيه ولمحمد بالرسالة ولى رجل صاحب فى بلاد الروم وهو لى صديق وخل ورفيق وهو يهادينى بالتحف والدنانير وأنا الآخر كذلك أهاديه وان كانت له حاجة سارعت اليها ولو كان فيها اتلاف روحى لما له على من الاحسان المتدارك وأناله عونا له فى بلاد الاسلام أطالعه بالاخبار على التمام وجملة الأمر انه كان له فى كنيسة سوفيا قنديل وذلك القنديل يساوى ملك كسرى وقيصر فسلط عليه الرشيد أبا محمد البطال العيار المحتال فسرقه وجاء به اليه وتركه فى خزانة الجوهر وغرضى ان تأخذه من خزانة الجوهر وتأتينى به فان كنت تقدر على ذلك والا اكتمه عنى فقال الأشهب وهذه حاجتك لا غير قال نعم فوثب من بين يديه وعمد الى مكان فى ظاهر بغداد وحفر حفيره وأخرج منها عدة كانت له فيها مخبيه من قديم الزمان وهى منقبين وسلم تسليق ومعول وعقله وصدره لباد وكلما يحتاج اليه ثم انه لبس الصدره اللباد وقصد الى دار الخليفه وأتى الى جانب البدنه التى على بيت المال وخزانة الجوهر وأخرج مخلاة العده ورفعها بين يديه وأخرج السلم وفكه على يديه ورمى به فى الهوى فتعلقت الكلاليب ودق السكك من أسفله بعد ما هزه فرآه قوى وحط رجله فيه بعد ما لبس الكفين فكان أسفل بقى أعلى المكان ونزل من أعلى المكان صار فى القصر ومشى الى ان أتى الى خزانه الجوهر ثم أخرج العقله ونقب ففتح نقب يسع الجمل الكبير وعبر الى الصناديق وجعل يفتح واحد بعد واحد الى ان أتى الى صندوق وفتحه فوجد القنديل

فيه فى صفط من أديم محلى بالذهب الأحمر ففكه وفتحه واذا بالقنديل من داخله وثلاث ستور من الحرير فأخذ الصفط وعاد على أثره خارجا واذا بخادم الخزنه نائم على الباب ففتح عينيه فرأى الباز الأشهب واذا به رجل طويل ورأسه مكشوفه وكانت ليلة مقمره فلما رآه الخادم تغير لونه واضطرب كونه وقال بسم الله الرحمن الرحيم ياعمار هذه الدار لاتؤذونا ولا نؤذيكم فلما سمع الباز الاشهب كلامه علم انه فزع من الجن العمار فسار حتى وصل اليه وبرك على صدره ونفش لحيته على وجهه فغشى على الخادم فكتفه وسد فمه وتركه ورجع الى موضع طلع منه ونزل وقلع السلم وأتى الى دار القاضى عقبه فلما رآه قام قائما على الأقدام وهناه بالسلامه فوضع الباز الاشهب الصفط بين يديه ففتحه فرأى القنديل بالستور فبهت عقبه الى تلك الاعمال وحار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح ثم أخرج له ثلاثة اكياس من الذهب الأحمر تلتهب وسلمها الى الباز الأشهب فلمااخذها عول على الخروج فقال له القاضى عقبه يا أخى من الواجب ان لاتخرج من عندى وما أكلت طعامى فامر بقدوم مائدة من الطعام وقال له كل على سبيل الأكرام (قال الراوى) لم يأكل الا لقمة واحدة واراد ان ياخذ الثانيه واذا بالحمه وقعت فى عظمه فمات فى وقته فوثب عقبه وغلمانه وأرموه فى سرداب كان فى داره وخفيت آثاره وأخذ القنديل عقبه وجعله فى مزود لطيف طايفى وحط الثلاث عقود وأوثقه وأحكمه وكتب كتاب الى ملك الروم يذكر فيه ما قد صنع وقال لولده مصعب ياولدى خذ هذا القنديل معك وهذاالكتاب صحبتك واسرع به الى القسطنطينيه وادخل على ملك الروم وسلمهم اليه من يدك الى يده فقال السمع والطاعه وشد الجميع على بغل كما يعرف واركبه بعد ما ودعه والى بعض الطرق شيعه وسار مصعب الى القسطنطينيه ولم يزل سائر ليل نهار حتى وصل اليها واستأذن على الملك فى الدخول عليه فاذن له فدخل والارض قبل ففرح به الملك وأدناه وقربه وحياه وسأله عن احوال أبيه الشيخ النجيح فاخرج اليه الكتاب فلماقرأه وقع مغشى عليه من الفرح ولما أفاق قال له واين القنديل والستور فأخرجهم فلما رآهم فرح فرحا شديد ماعليه من مزيد وقال وحق المسيح ما فى الوجود مثل الشيخ النجيح ثم انه جهز مصعب بعد ما خلع عليه وأحسن اليه ففرح بما أعطاه (قال الراوى) هذاما كان من هؤلاء واما ما كان من الرشيد فأنه لما أصبح الله بالصباح وقع الصوت بعدم القنديل والستور فعظم ذلك عليه وكبر لديه وأحضر أرباب دولته وقال لهم ماعندكم من الرأى فقال الوزير جعفر يامولاى ما فى الامر الا انك تكتب كتاب الى ملطيه الى عبد الوهاب والاميره

ذات الهمه تأمرهم ان يرسلوا اليك أبا محمد البطال أو يرسلوه الى القسطنطينيه فان ما يكشف خبره غيره فلما سمع ذلك انكشف عن قلب الرشيد الهموم والغموم وأمر ان يكتب كتاب الى الأمير والأميره بما ذكرنا فنى ذلك الوقت كتبوا الكتاب وأرسلوه مع نجاب فأخذه وسار الى ان وصل الى الامير عبدالوهاب والأميره ذات الهمة فلما وقفوا عليه أحضروا الأمير ابو محمد البطال وأوقفوه على تلك الأحوال فقالت الأميره ما تقول يا ابا محمد فى تلك القصة فقال لها وماذا اقول ومالى الا ان اسير واتوكل على اللطيف الخبير فو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهاده وهو الرحمن الرحيم ان كانت هذه النصبه الا من القاضى عقبه ولا بد لى ان أسير فى طلبه ولا ادع عقبه يبلغ امله فجهز روحه وسار وكان عقبه قد سمع بتلك الأخبار فكتب الى ولده حصيصه كتاب يذكر فيه ساعة خروج البطال من ملطية فسافر وراه والكتاب الذى أرسله اليك تأخذه وتسير إلى القسطنطينية وتسلمه للملك وقل له هذا الكتاب من عقبة يسلم عليك والملعون كاتب له فيه يعلمه بما جرى فى بغداد ويحرصه على نفسه وعلى تغييب القنديل عن أعين الناس وعن عين البطال لأن البطال واصل إلى تلك الديار فلما وصل الكتاب كان حصيصه من حرصه سار قبل البطال بأيام يقطع القفار وأبا محمد سائر يقطع البرارى والسهول والأوعار وهو يوصل سير الليل بسير النهار ليوم من بعض الأيام وصل إلى دير عالى البناء واسع الفناء ففرح البطال بذلك الدير حين رآه وتقدم اليه وطرق الباب فطل راهب اليه من ذلك الدير وقال له من الطارق فقال عابر سبيل من عباد المسيح أمرت بالسياحة فلما وصلت إلى هذه الساحة أتيت اليك لأجل التبرك بك وبديرك فنزل له الراهب وقال له ادخل يا بطال يا كثير المكر والاحتيال حاشاك أن تكون عابد المسيح فقال له وكيف فقال له اعلم انى صديق مارس ودارس وكلما أتوا عندى يوصونى عليك لأنهما أسلما على يديك بأمارة كذا وكذا وأنا أشهد أن لا إله الا الله محمد رسول الله فطاب قلب البطال وتقدم اليه وقبله بين عينيه فقال له الراهب يا مولاى لو كنت تقدر على ما اقول لك عليه لكان فيه الصلاح فقال وما هو يا أخى فقال اعلم أن وراء هذا الجبل حصن منيع عالى وفيه جارية اسمها مارية وفيه أموال كثيرة فلو قدرت عليها بحيلة أو توصلت اليها بمكيدة كنت تنال منها منال عظيم مع مساعدتى لك فإن الستور والقنديل فاتوك والمثل يقول أين البادى من الغادى ولو أنك تطير مع الأطيار ما بقيت تلحق له آثار فقال البطال للراهب سوف أوريك ما أفعل

وما توفيقي الا بالله ومع ذلك فوالله لقد أطلقت فى قلبي نيران من اجل هذه الجارية التي وصفتها لي وإني ان اشتغلت بها فاتني القنديل والستور ولكن في الرجعة إن شاء الله تعالى أعود اليـــك وأوريك ما تقر به عينيك ثم ودع الراهب وسار طالب القسطنطينية وهو يسير الليل ويكمن بالنهار (هذا) وحصيصه سبق البطال ودخل على ملك الروم وسلم له الكتاب وأعلمه بما أوصاه أباه وأمره أن يحترز من البطال فلما سمع الملك ذلك خاف على الستور والقنديل من البطال أن يدبر عليهم ويأخذهم بالاحتيال فأمر أن يجعلوهم فى الخزنة من داخل قصره ويرموا عليهم أقفال كبار فقال له الحاجب أيها الملك إذا أنت شلتهم فبأى شيء تفتخر على ملوك الأرض فى طولها والعرض فالصواب أنك تعلقهم فى الكنيسة كما كانوا فقال اخاف يرجعوا كما رجعوا أول ويروحوا فقال مارس ومن يأخذهما فقال الملك يأخذهم اللص المحتال أبا محمد البطال لأنه بدعت له الحيلة علينا ويصل بعيارته الينا فقال له الوزير أيها الملك المسيح ينقذنا منه ومن شره ومكره ولكن الرأى عندى أن تعلقهم على رأسك فى مجلسك لأن هذا المكان لايصل اليه إنسان لا من الإنس ولا من الجان فقال الملك هذا هو الصواب ثم أمر الفراشين فجعلوا الستور فى مجلسه والقنديل على رأسه فوق السرير موضع مايدخلو للسلام عليه ويقبلون الأرض بين يديه (فهذا ماجرى لملك الروم) اسمع أنت ماجرى من أبي محمد البطال رضى الله عنه فإنه لما ودع الراهب كما ذكرنا وسار الى بلاد الروم من أجل القنديل والستور فلقيه قوم من الروم فى ظلمة الديجور فسلم عليهم وسلموا عليه وسألهم عن طريقهم فقالوا نحن من القسطنطينية فقال لهم وكيف تركتم البلد وأهله فقالوا وحق المسيح ماهى إلا طيبة إلا أن الملك أوثق الابواب بالرجال وأوصاهم عليها ونادى بالحرس فقال البطال ولم ذاك فقالوا لأجل محتال يقال له البطال وهو من أجله قد طرد الغريب وأبعد كل محب عن حبيبه وقبضوا على كل غريب ولم يدعوا من راهب يدخل عندهم الا ان أن له عندهم سند فإن كنت طالب البلد وأنت غريب فارجع من قريب فقال البطال ما أنا غريب أنا رجل قريب وودعهم وسار وهو متوكل على الملك الجبار فوجد جماعة من الثغور فاختلط بهم وتزيا بزيهم وعبر بجملتهم فلم ينكروه ولا سأل أحداً عنه ولا فتشوه ثم أنه سار الى بعض الكنايس واجتمع براهب كان بينه وبينه أنس من زمان فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ولما ان كان

ثانى ليله ودعه وسار من عنده إلى أن دخل إلى بيت مارس وسلم ففرح به فرحا شديداً وسأله كيف كان سبب قدومه فأخبره بالستور والقنديل وما جرى عليهم من الأمور فقال مارس يا أخى تغر بروحك وتحملها على الأهوال وترميها فى البلاء والنكال فقال ما بقى بعد هذه النوبة لاشر ولا ضرر فقال له مالك وصول الى القنديل والستور إلا ان كنت طير تطير مع الطيور وتقعد مع العقبان والنسور فربما ذاك الوقت تقدر على القنديل والستور فقال البطال ماأعرف ماتقول ولكن أريد أن تشاركنى فى تلك النوبة وتساعدنى فى هذه المرة فقال حباً وكرامة ولو ذهبت روحى بسببك ياأخى ما كان الملك معول إلا على دخولهم الى خزنة الجوهر وأنا الذى أشرت عليه أن يعلقه فى مجلسه على رأسه (قال الراوى) وكان للحاجب أخت كما ذكرنا سابقاً وكانت بدار الملك كما وصفنا وكانا مؤتلفان عليها ولا يقدران على فراقها وكانوا ينادونها الست ارمانوسه لكونها وافقتهم على الاسلام فلأجل ذلك كانوا يعزونها ويوقرونها فأرسل لها مارس أخيها فأتت اليه فأعلمها بوصول أبا محمد البطال فقامت اليـــه وسلمت عليه فقال لها أخوها اعلمى أيتها الملكة ان أبا محمد أخينا فى الاسلام وانتى تعلمى محبتنا له وقد أتى من بلاد الاسلام فى طلب حاجته ولم نعلم قضاها إلا منك فقالت يا أخى وما تكون الحاجة فوحق من هدانى إلى دين الاسلام وعرفنى الحلال من الحرام وجعلنى من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لو أن حاجته التى يطلبها حدقة الملك التى بين جبينه قدرت بعون الله أوصلها اليه (قال الراوى) فلما سمع البطال كلامها قال لها أيتها الأخت المحفوظة جئت فى طلب القنديل والستور كيف يكون فيهم التدبير حتى آخذهما فقال مارس لأخته ان من الواجب علينا مساعدة أخينا فى كل الأمور فقالت أختـه سلمه أنت إلى ولا تعرفه إلا منى فقال سلمته اليكى واتكلت فى أمره على الله ثم عليكى فعند ذلك أخذته الست أرمانوسه وزيرته فى زى النسوان وأدخلته القصر ولم يزل عنـدها إلى المساء فلما جن الليل وأرخى على الآفاق طنبا وذيل قام البطال ولبس اللبس الذى يعتـــد به إلى هذه الأشغال ثم لبس على رأسه ورساتة من الوبر وهو وبر الجمال وأخرج من على وسطه خنجر ينفذ من الحديد والزرد النضـيد وخرجت أرمانوسه تجرى قدامه وهو خلفها فقال يا أختى إلى أين تريدى تمضى فقالت إلى المكان الذى فيه الستور والقنديل الذى طلبته وان ما كان فيك لأخذهم قوة اخرج وامضى وأنا آتيك بهم ثم أنها صارت إلى مكان عالى وأوقفته هناك وأخبرته ان خلف ذلك المكان باب

وان حاجتك فيه وأمرته بالتسلق وهى تسأل الله العناية له والستر والتوفيق (قال) فما كانت إلا ساعة وقد تسلق أبا محمد البطال ودخل المكان الذى وصفته أرمانوسه واذا بالستور والقنديل وتاج الملك وثلاثة عقود من الجوهر المثمن يساوى اخراج بلاد الروم وبلاد الاسلام عشر مرات فلما نظرهم وهم أن يتقدم يأخذهم واذا هو بحس خطيط فتأمله وإذا هو بشخف نائم تحت الستور وهو يخور كأنه ثور وكان تركه الملك برسم حراسة ذلك المكان فدنا البطال اليه كأنه الأسد الغضبان وأقلب الخنجر الذى فى يده وقال باسم الله وذبحه من الوريد إلى الوريد ثم شق جوفه حتى لا يخور وأخذ القنديل والستور والعقود وعزم على الخروج من ذلك المكان الذى نزل منه فما هو إلا أن وصل إلى الباب ويد مسكت فى يده فبادر بالخنجر وأراد أن يقطعها فقالت له امسك يدك أنا أرمانوسه فلا زالت مهجتك محروسة فقال لها وما الذى حملك على ذلك ولقد غررتى بنفسك ولولا أنى حسيت بنعومة يدك كنت قضيت عليكى ولقد عرضتى نفسك على مركب الخطر ولكن الحمد لله على السلامة من الضرر فقالت والله يا أخى ما حملنى قلبى أقعد بعدك ساعة ولم يطيب خاطرى بعد مضيك لأنى خفت فرميت روحى على الأهوال وأتيت اليك ثم أنها دخلت به إلى مكان تعرفه قريب من الطريق وأخرجته منه وسار إلى مارس فلما نظر ما معه أخذهم الجميع وحطهم فى مطموره وبلط عليهم بالبلاط وفرش فوقهم بساط وأقام أبا محمد البطال مخفى فى مكان آخر (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا جرى لمارس والبطال وأرمانوسه (وأما ما كان) من الملك منويل فانه لما أصبح الصباح دخل عليه متولى القصر وأخبره ان الحارس الذى برسم خدامة القصير قد ذبح ذبح الفرود وأخذت الستور والقنديل والتاج والعقود وقد انتقب نقب يساع الجمل الكبير فلما سمع الملك ذلك صاح ولطم على وجهه وخرق لباسه وعظم مصابه وتقدم إلى الخادم فرآه مذبوح وهو مشقوق المناخير لئلا يعلموا منه الخبر فقال وحق المسيح ما فعل هذه الفعال إلا أبو محمد البطال ثم أنه جمع البطارقة وأولاد العمالقة وقال لهم ويلكم دونكم لا يفوتكم الغريم فخرج منهم ثلاثمائة بطريق وتفرقوا فى سائر الطرقات وأيضا اقلعت المراكب فى البحر وأرسل الملك إلى سائر الاماكن وبعد ذلك بايام رجعوا وهم خائبين هذا وملك الروم قد أضرمت أحشاه بالنار لأجل ذلك الحال الناكث (وأما البطال) ومارس فانه صبر لما خف الطلب من هذا الامر وجهز له مارس بغل مكارى وحملها له كما فعل فى

الطريق الاول وخرج معه ذلك البغل والستور والقنديل والتاج والعقـود وهو فى فرح كثير وطلب الطريق يسير الليل ويكمن النهار ولم يزل سائر إلى ان وصل إلى دير الراهب ونزل فى الامن إلا ان قلبه مشغـول بالحصن والجارية ماريه والدير ولما دخـل هناك هنـاه بالسلامة وسـأله عن حاجته فقال قضيت بحمد الله تعـالى وعـونه ثم أعطاه من الهـدايا التى أتحفـه بها مارس ثم قال له هل جاز عليك ابن القاضى عقبة أم لا فقال له مر على منذ خمسة أيام وهو فرحان مسرور بوصول القنديل والستور إلى الملك لاوين وقـد كنت والله يا أخى حامل همك فما الذى تم عليك فقال أخذتهم من تحت رأس الملك وها هم فى الخرج الذى تحتى وببركتك قد قضيت الحاجة وبلغت أمنيتى فاتركهم عندك فى مكان محفـوظ حتى أمضى إلى الجارية التى أخبرتنى عنها وأعود فإن قلبى متولع بها من منـذ وصفتها لى وفى فؤادى لهيب لا يطفأ ثم ان الراهب أخـذ القنديل والستور والتـاج والعقود وأتى بهم إلى مطموره فيها ذخائر الدير لا يعرفها أحـد غيره وقعد البطال لما أخذ له راحه وغير حيلته وقال للراهب دلنى على الطريق الذى للحصن قال له لك على ذلك وعلى ان أساعدك على ما تريد من الأحوال ثم انه غلق باب الدير وخرج مع البطال ونزلوا من ذروة الجبل وساروا إلى أن وصلوا بطن مرج الوادى فنظر البطال إلى وادى فسيح كثير الأشجار جزير الانهار مليح النبات والأثمار والأزهار قد فرش فيه من الزهر ألوان وتدبجت ربواته والكثبان تحن اليه النفوس وتصبو اليه القلوب ويباح لدحب والمحبوب فلما رآه أبا محمد البطال قال للراهب والله ان هذا المكان مليح فقال له الراهب أى والله مليح لكن الحصن أحسن وها هو بين يديك وبينما هم كذلك وإذا هم بصهيل الخيل فى ظلام الليل فقال البطال للراهب كن هنا إلى ان أعود اليك (قال الراوى) يا سادة وكان ذلك المرج يعرف بمرج الأسقف فجلس هناك الراهب مكانه وسار البطال حتى أبعد عن عينه ونظر إلى أمامه فما رأى شىء فنزل عن جواده وتوضأ وصلى ركعتين على قارعة الطريق وصبر قليل وإذا هو بشبح يلوح فتأمله وإذا هو فارس على جواد أشهب عالى بمركب ذهب وعليه ديباجة قسطنطينى وعلى رأسه برنس وهو سائر على عجل فقال البطال وعزة ربى ما هذا إلا رسول ولم يزل مكمناً إلى ان قرب منه فوثب اليه وقد استقبله وجذبه من سرجه وجلد به الأرض وجلس على صدره فقال الرومى يا أخى من أنت فقال له ويلك أنا

الأسد الهجام والليث القمقام أنا أبا محمد البطال فلما علم البطريق ذلك وعلم انه البطال ارتعدت فرائصه وأعضاه وغاب فى ذلك الوقت عن دنياه وأيقن بمماته وحرمانه وقلت همته وبطلت حركته حتى أيقن انه قد مات وانقضى أمره وفات وكان البطال فى خاطره أن يسأله عن أمور مخفيات فلما أيقن بموته وفناه أخذ قليلا من الماء ورشه على وجهه ويداه ورجلاه فعادت اليه روحه وفتح عيناه وقال له يا أبا محمد لا يغرك ما رأيت منى فكل من على وجه الأرض من رومى وأفرنجى وأرمنى وكل من يحمل الصليب ويركب الخيل ويضرب ويطعن بالرمح الكل يخافون منك ويهبوك حتى ان الصغير إذا كان فى حجرأمه وعيط تقول له اسكت والا يجيك أبا محمد البطال فيسكت من وقته وساعته ويلحقه الانذهال فلما سمع أبا محمد البطال كلام البطريق ضحك وقال له دع عنك كلام المحال والكفر والضلال وأطعنى وقول لا إله إلا الله محمد رسول الله تنجى بها من النيران فلما سمع كلامه غمض عيناه وأشبك يداه وقال له يا بطال ان كنت تقتل اقتل وان كنت تبقى ابقى ولا أقول تلك الكلمة أبدا ولو سقيت كأس الردا وان كنت عزمت على قتلى فابقنى حتى أقول لك على ما جئت به فقال البطال يا هذا ان قلت ذلك فقد أمنت من الهلاك وهذه يدى لك بالوفاء فقال اعلم انى أرسلنى الملك إلى الملكة صاحبة هذا القصر والحصن الفسيح ومعى اليها كتاب وشرحه لهاإذاأنت أتيت تقبض عليك أنت ومن معك من الأصحاب ثم تعذبك أشد العذاب وبعدها يوصلوك اليه وقد ضمن لمن يأتيه بك يعطيه قونيه وأعمالها ويقربه اليه ويبلغ نفسهآمالهافقال له البطال ومتى خرجت من القسطنطينية فقال من خمسة أيام بهذا النهار فقال البطال وهذه الملكة التى أنت واصل اليها قوية السلطان فقال نعم وشديدة الأركان وهى التى أخذت ذلك الحصن قوة واقتدار بقوتها وشجاعتها ولها أربعين جارية يحجبوها ولا يقدر أحد يدخل اليها إلا بإذنها وذلك خائفة على مطموره عندها ملآنة من التحف والأموال والجواهر الغوال لأنها ما هى قليل وأبوها كان ملك قبلها وله فى هذا الاقليم دير عظيم وكان يأتيه من الصلبان الذهب والفضة شيء كثير ولما مات أبوها ملكت الجميع وتحصنت فى ذلك الحصن المنيع وكل الملوك يكرموها لأجل أبوها لأنه كان فيه خير ومعروف إلا ان ابنته تعلقت بالقوة لأنها كل من قدرت عليه أصبح هالك فإن كنت تريد الدخول عليها فأنا ما أشير عليك بذلك لأنها جبارة ملعونة وبقتل الرجال مفتونة فلما سمع البطال كلامه أوثقه كتاف وقوى منه

السواعد والأطراف وعارضه على جواده وركب وسار به يطلب الراهب صاحبه إلى ان وصل اليه وسلم عليه فقال يا أبا محمد ما هذا العلج فقال يا أخى هذا دلنى على أموال كثيرة وأمور غزيرة وان أصدقنى أطلقته وان كان كاذبا قتلته ثم انه التفت اليه وقال له ويلك اخلع هذه الثياب التى عليك وخذ ثيابى البسهم فقال له سمعاً وطاعة ومن هو الذى يقدر يخالفك ثم انه نزع ثيابه ودفعهم اليه ثم انه أعطاه الكتاب الذى كان معه وقال أبو محمد لصاحبه انتظرنى حتى أعود اليك فإن سلمت فهو المقصود وان كانت الأخرى فخذ هذا العلج واضرب رقبته وعجل منيته وخذ ما كان معى من الأسباب وامض إلى ملطيه وسلم الجميع للأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب وأقريهما منى السلام وكذلك سائر الأمراء الكرام وكذلك المسلمين الأجواد أهل الأدب والاحتشام (قال) وودع البطال الراهب وسار إلى ان وصل إلى الوادى وانتهى إلى الحصن فى الليل الدامس فبينما هو سائر وإذا قد استقبله ثلاثين فارس كلهم بالدروع الداودية والخود العادية والخيول العربية والجواشن الرومية والسيوف الهندية فلما رأوا البطال تبادروا إلى نحوه الجميع وكلموه بالرومية وقالوا له من أنت ومن أين أتيت وإلى أين تريد قل وأوجز وإلا هلكت فقال لهم أنا رسول الملك فقالوا له وما تريد قال أريد الملكة مارية فقالوا له ما لك وصول اليها ولا تقدر على الدخول عليها إلا بأمرها لاننا ما نقدر نخالفها وما نأمن من شرها فقال يا قوم أيهما أحب اليكم مارية أو الملك فقالوا له الملك أحب الينا لكن نحن الآن بحكمها ونأكل من خيرها وما ندعك تدخل حتى نستأذنها عليك ثم انهم أرسلوا اليها من يطلب منها الإذن فذهب منهم خمسة وصاروا الباقين عنده يحفظونه وعن عودته يمنعونه وعن أخبار الملك يسألونه ويجيبهم عن كل ما سألوه وهم يظنون انه حقاً وان كلامه صدقاً ثم بعد ذلك أتاه الإذن بالدخول عليها والوصول اليها فدخل إلى ان انتهى إلى الحصن فأبصره حصناً عالى البناء رفيع الجدران قوى الحيطان وحوله خندق وهو بالحصن محدق وعملت على بابه العرادات والمنجنيقات وحوله حرسا عظيما فلما قرب البطال من باب الحصن التقته أربعة من الغلمان فإثنين أخذوا بيده وإثنان مشوا خلفه ودخل من باب حديد وعليها الخدم والحشم والعبيد ولما بقى فى وسط القصر ابصر إيوان كسرى انوشروان وفى صدر ذلك الإيوان سرير عليه فرش من الحرير وهو من المرمر يلمع بالذهب الأحمر والملكة على يمينها وعلى شمالها أربعين جارية كل واحدة

منهن كانها البدر المنير وهن مختلفات الملابس كأنهن عرائس وفى زهر ورد خدودهن البديع وملابسهن كانها زهر الربيع وقدامها عشرين صينية من الذهب الأحمر فيها صلبان من الجوهر شعاعهم ياخذ بالبصر وحولها أوانى بلور ووجهها يحاكى الدر بين البدور فالتفت اليه وأشارت بطرفها عليه وقالت له من أنت أيها الانسان ومن أين أتيت إلى هذا المكان فقال لها يا ملكة ما تعرفينى من أنا فقالت لا وحق المذبح والذبيح والسيد المسيح ومن أين لى علم بك الرجال لا يعرفها إلا الرجال والنساء لا يعرفها إلا النساء ولكن من أنت فقال لها أنا مطاطم رسول الملك فقالت وفيما قصدت الينا وقدمت علينا فقال اعلمى أيتها الملكة ان الملك الرحيم دخل يوم الأحد إلى الكنيسة ورفعت اليه سبعين قصة فى رجل قد انتشا فى ثغور الموحدين يقال له أبا محمد البطال وقد قتل الرجال وأباد الأبطال وأخذ الأموال وأخرب الكنائس والصوامع وعمر بأموالهم مساجد وجوامع فعظم ذلك على الملك وكتب الكتب إلى جميع القلاع والمداين ان ظفروا بالبطال يوصلوه اليه ذليل حقير فى ثياب الذل والتعبير وأنفذنى اليكى بهذا الكتاب ولا تعلمى ما فيه من الخطاب إلا انى أقول انه أوصاكى كما أوصى غيرك من النصرانية وأهل ماء المعمودية (قال) فلما سمعت الجارية بذكر أبا محمد البطال وما فعل بأهل النصرانية من الأهوال قالت وا أسفاه على قطعة من لحمه أو شربة من دمه ولا أغسل فمى منها إلا بالخمر إذا قدرت على ذلك الأمر فقال لها وأنا الآخر وحق المسيح قصدى لو نظرته كنت أذبحه بأسنانى وألحس دمه بلسانى وأنا أرجو ان يغضب عليه الصليب ويرميه فى الكلاليب حتى نقطع لحمه فى الأطباق ونجعله مثلا فى الآفاق ثم قالت لبعض الجوار خذى منه الكتاب حتى أقف عليه وأبصر معانيه فتقدمت اليه الجارية وأخذت من البطال الكتاب وقبلته وفكت ختمه وقرأته فلما قرأت الرسالة وعرفت ما فيها وعلمت معانيها أقبلت على البطال وقالت له كم لك منذ خرجت من القسطنطينية فقال منذ خمسة أيام فأمرت الملكة بإحضار الطعام فحضرت الجوار بمائدة من الطعام وعليها خنزير مشوى وقالت الجارية لا بامحمد هلم إلى الطعام فلما رأى البطال إلى ذلك كادت أمعاه أن تنقطع وبقا حائر لا يدرى ما يصنع وان امتنع انكرت عليه وان هذا مما حرمه الله عليه فقال مالى إلا الحيلة فبينما هو كذلك إذ نظرت اليه وقالت مالى أراك ساهى متفكر فى نفسك فقال اعلمى أيتها الملكة انى شرطت على

نفسي وجماعتي من الرسل أننا لا نأكل طعام ولا نشرب مدام بالايمان والأقسام إلا أن ظفرنا بالبطال ونحن عشرين بطريق أنذرنا على ذلك الحال واتفقنا أننا لا نأكل لحم إلا لحم البطال ولانشرب خمر قبل دم البطال صاحب المكر والاحتيال (قال) فلما سمعت الجارية منه ذلك الكلام أمرت الجوار برفع الموائد وأمرتهم أن يأتوا بغيرها فرفعوها وأتوا بمائدة غيرها واذا عليها بوارد الزيتون وعسل وخبز وليمون فأكل البطال من ذلك وملا بطنه فقالت له الجارية ان كنت تريد النوم فقم الى بعض هذه البيوت ونام فقال سمعا وطاعة وهذا مرادي ومسرة فؤادي لأني تعبان من السفر ثم تقدم الى خابيه الماء كأنه يشرب ورمى فيها قطعة من البنج الأقريطيشي الأزرق الذي لو شربوا منه أهل بغداد جرعة لناموا جميعا ثم دخل الى مقصورة فرأى فيها ما يقصر عن وصفه اللسان فعند ذلك سمي ونام وبقيت الجارية مع جواريها في أكل وطعام وشرب مدام الى ان اعتراهم الظمأ فشربوا جميعا من ذلك الماء فما وصل الى بطونهم حتى طرقوا الأرض برؤوسهم فلما علم البطال بذلك فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقام قائما على قدميه وأخذ في يده خنجر أحد من البولاد وقصد أبواب الحصن فوجد البوابين نائمين فطاف عليهم البطال طوفان المسحر في ليالي رمضان وعزل رؤوسهم عن الأبدان ثم أنه طالب مفاتيح الحصن فوجدهم تحت رأس أحدهم فأخذهم وفتح الباب وقصد الى الراهب الذي ترك عنده البطريق ومازال الى أن وصل اليه وقال له قم فهذا وقت الفرصة والامكان فقام بعد مارمى عنق البطريق الذي دله على الطريق وأتى الى الحصن واذا به مفتوح فدخلا اليه واذا بالبوابين مطروحين شمالا ويمين فكشف البطال وجه الجارية وسد فمها وأخرج البغال وحمل عليها من تلك الاموال وسفط الجارية على بغل من بعض الدواب وهي مغطية بعد أن ألفمها الأكره وسار في الليل طالب الدير وقد وقع بيده كل خير وأما الراهب فانه خر ساجد لله تعالى وقال للبطال الحمد لله على سلامتك أيها الأمير وأشكر الله الذي سهل عليك كل أمر عسير وجعله عليك يسير وسارا مجدين الى ان وصلوا الى الدير فوجد لؤلؤ غلام البطال هناك لاننا ذكرنا أن البطال له عشرة غلمان اشتراهم صغار من أولاد الأرمن واسلمهم ورباهم فخرج كل منهم مثل النار المحرقة أو الصاعقة المبرقة وكان لؤلؤ هذا اشطرهم فلما طالت عليه غيبة البطال خرج طالب القسطنطونيه فلما وصل اليها سأل عن دار مارس ودارس فارشدوه اليها فلما وصل اليها دخل وسلم

وقال لمارس يامولاى أنا من غلمان أبا محمد البطال وقد صار عيشنا من بعده متكدرا وكان قصد اليك من أجل الستور والقنديل ولا نعلم ما كان منه فهل عندك منه علم أو خبر أو عليه أثر فقال مارس نعم أمس رحل من عندى عشيه وبلغ من أخذ القنديل الامنية ففرح لؤلؤ بهذه القضية فقال له مارس أطلبه فى طريقك الى الدير الفلانى فرجع لؤلؤ الى الدير وعند وصوله اليه نظر مولاه فسلم عليه وفرح بلقياه وقال يا مولاى الامراء كلهم مشتاقين اليك فلما دخل البطال الى الدير قال للراهب اعلم يا أخى ان غيبتى قد طالت ولا شك الامراء فى الثغور ضاقت صدورهم ولولا ذلك ما أرسلوا إلى غلامى ثم أوصى له بشىء من المال فلم يقبله بل قال يا أبا محمد أنا عندى من المال مالا أعيش ان انفقه وقصدى انفقه على المجاهدين من الرجال يوم الحرب والنزال والحمد لله الذى ملكت هذه الملعونة الكافرة المفتونة وكان البطال قلع الاكرة من فمها ليطعمها من الزاد ما يمسك رمق الفؤاد فلما سمعت الكلام من الراهب قالت الذى ارمانى فى يده قادر على خلاصى منه فقال الراهب والله لقد أراد الله بكى خيرا بخروجك من بلادك إلى بلاد المؤمنين الابرار ثم أن البطال ألقمها الاكره بعد ما أكلت وأخذ الستور والقنديل والعقود والتاج وسار مع السلامة فى زى المكاريه الذين يدخلون إلى بلاد الروميه إلى أن وصل إلى ملطيه فكان الأمير عبدالوهاب عند الأمير عمرو بن عبيد الله فى ذلك الوقت فدخلوا المبشرين يبشروا بقدوم الأمير أبا محمد البطال فخرج وهو فرحان وكذلك الأميره وجميع بنى كلاب والسودان الانجاب وسلموا عليه وفرحوا بما وصل اليه وحدث الأمراء بما جرى عليه وأما الأمير عمرو لما صحت عنده الأخبار بوصول البطال وما وصل اليه من الأموال كتب إلى الخليفة كتاب بشرح الحال وعرفه بجميع القصة وعلقه على جناح طائر من الطيور وأطلقه من ملطيه لما قد دخل على قلبه من البليه (قال) وكان عند الرشيد عقبة فلما سمع هذا الخبر أكادت روحه ان تخرج وانفطرت مرارته وصار فى نفسه متفكر ويقول يا ترى الكلب العقور رجع وأخذ القنديل والستور فاذا فعلها فقد زادت همومى وطالت غمومى (قال الراوى) ولما كان من الغد وصل الجواب بان الخليفة طلب البطال فتجهز من يومه وسار إلى ان وصل إلى بغداد فزينت لقدومه المدينة ولما دخل البطال إلى المدينة ودخل على الخليفة قدم الستور والقنديل والتاج وأخفى العقود وذلك المال الممدود فلما رآهم الرشيد فرح بما

وصل اليه وكسر القنديل واخذ منه جواهر عظيمه لها قدر وقيمة ثم انه فرق بقيته على الامراء واما التاج مع الستور فانه تركهم فى خزانته وعقبه يقول اذ لم ارجع بلاد الروم مرة اخرى والا ما أكون عقبه بن مصعب قال ثم ان البطال قدم ماريه الى بين يدى الرشيد فلما ان رأى الى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها افتتن بها وأمر فى عاجل الحال ان يمضى بها الى دار الحريم وقلبه بها مغرم والقاضى يقول فى نفسه لا بد لى ان اتقن الحيله وآخذها والى بلاد الروم أوصلها ثم ان الرشيد سأل البطال وقال له يا أبا محمد ما علمت ما كان السبب فى وصولهم الى بلاد الروم فقال البطال يا أمير المؤمنين أخذهم بعض اللصوص الذين لا يعتقدون لا فى الدنيا ولا فى الدين ولا لهم مذهب فعليهم لعنة رب رب العالمين ولم يقدر البطال ان يذكر عقبه خوف ان تقع الفتنه بين بنى سليم وبنى كلاب وكان ذلك من الاميره ذات الهمه لانها أوصته بذلك هذا وأرباب الدوله كلهم متعجبين من البطال وماحواه من المكر والاحتيال وبعد ذلك أصلح الامام بين البطال وبين عقبه وخرجوا الاثنين من عنده عليهم الخلع الحسان ثم ان البطال ودع الرشيد ورجع طالب ملطيه حتى وصل اليها ودخل على الأمير عبد الوهاب وذات الهمه وسادات بنى كلاب واخبرهم ان عقبه عند الرشيد فى المرتبه العاليه فصعب ذلك على الأمير عبد الوهاب بما سمع فى حق عقبه ولام الرشيد وأما الاميره ذات الهمه فانها قالت أنا والله كرهت المقام هاهنا وأنا أقسم بمن انشأ الانام وفرض الحج والصيام لولا خوفى على ثغور الاسلام من الكفرة اللئام لرحلت الى اى موضع كان ولا أصبر على الذل والهوان فقد قال بعضهم

واذا الديار تنكرت من أهلها فدع المقام وأسرع الترحيلا
ليس المقام عليك فرض لازم فى بلدة تدع العزيز ذليـــلا

(قال الراوى) فقال البطال ان البعد عن الاوطان شماته للأعدا فعليكى بالصبر تنجى من الردا وتفوزى بالذكر الجميل عند كل أحد واما الذى هو سبب كل فتنه وسبب هذه المحنه فهو القاضى عقبه وانا والله لا بد لى من طلبه ولو نزل الى التخوم او تعلق بالنجوم فقالت الاميره اذا كان الامر كذلك فنحن نسير من هاهنا الى ملطيه ونجمع من نقدر عليه ونصعد الى بعض الابراج التى للثغور واتسلق انا الى دار عقبه ونكبس عليه ونقيله ونستريح مما ياتى منه ومن شره فقالوا جميع القوم لقد قلتى الصواب ثم انهم صبروا حتى قدم عقبه من بغداد وأتى عند أهله والاولاد فعندها طلبت الاميره لسعيد بن الفرج وكان له فى ملطيه دار وهو ساكن فيها وهى على حافة الصور

فسارت الأميرة هى والبطال والامير عبد الوهاب ومن معهم من الرجال الأنجاب وما زالت إلى أن وصلت إلى دار سعيد بن الفرج وطرقت الباب فخرج إليها الخادم وأمرته أن يأخذ لها الاذن فدخل الخادم إلى مولاه سعيد فأخبره بالحال فأذن لهم بالدخول فعاد الخادم وأمرهم بالدخول فدخلوا عليه وتقدمت الاميرة وشرحت له القصة من الاول إلى الآخر وأقاموا عنده إلى أن دخل الليل فساروا هم واياه إلى دار عقبة فعند ذلك تسلق أبا محمد ونزل الدار وفتح لهم الباب وقال لهم ادخلوا وتوكلوا على الله فدخلوا الجميع ولما توسطوا الدهايز وإذا هم بالواح مسندين إلى الحائط من خلف الباب فوقف البطال على لوح منهم وإذا به يتحرك فقال البطال لأصحابه تعالوا فان هنا شىء يتحرك فاتوا اليه وتعاونوا الجميع فى تلك الخشبة وشالوها من مكانها فنظروا خلفها باب لطيف فقالوا ربما يكون هاهنا الخبيث وفتحوا الباب فرأوا درج فاوقد الشمعة ونزل البطال والاميرة خلفه وولدها عبد الوهاب إلى ان انتهوا إلى قاعة حسنة وفيها بيعة وصلبان وأناجيل وهياكل ومباخر وكراسى منقوشة وحصر مفروشة وفى تلك البيعة ملك عظيم فقالت الاميرة لاتحركوا ساكن فان هذه البيعة سبب ضرب رقبة اللعين عقبة وأولاده بين يدى الرشيد فقال البطال والله لقد قلتى والصحيح ثم انهم لم يغيروا شيئامما رأوه وخرجوا ولم أخذوا معهم شىء وكان فيها أموار جواهر غوال وردوا الباب والاخشاب وصفوها كما كانت وخرجوا من دار عقبة طلعوا الصور ونزلوا من موضع طلوع البطال وساروا حتى وصلوا قلعة المنجنيق عند الصباح ولم يبدوا خبر (قال) وكان عقبة ساعة ما ودع الرشيد أبا محمد البطال وسار خرج عقبة خلفه يقص الآثار ويقتفى منه الاخبار لعله يظفر به ويطفى ما بقلبه من النار وكان أبا محمد يسير بالليل ويكمن بالنهار فلم وقع له عقبة على أثر ووصل إلى ملطيه ودخل على الامير عمرو وسلم عليه وتحدث عنده ساعة وأتى إلى داره فلم يقر قراره لانه علم ان الاميره ذات الهمة والامير عبد الوهاب علموا انه تنصر فلم يجسران يقيم فى داره خوفا أن يتم عليه أمر من الامور من قبلهم فبات فى مكان يخفيه لانه لا يعلم أحد بدواهيه ولما جرى الامر فى داره كما ذكرنا ركبوا من الغد وركبت الاميرة فى بنى كلاب والامير عبد الوهاب فى سودانه وأبا محمد البطال وهو يقولهم والله لا بدلى من الانحدار إلى بغداد لا علم الخليفة بما رأيت فقالت الأميرة يا أبا محمد أنا كنت أوصيك فى ابتداء الأمر ان لا تعلم الخليفة ولا تطلعه على شىء من أمر عقبة مخافة ان

ينكر عليك بسببه إلا فى هذه النوبة أنا آمرك ان تعلمه بكلما رأيت وتشرح له الجميع عيان من غير زيادة ولا نقصان وهى تكون نوبته صعبة مع الرشيد لأنه إذا ثبت عنده قولك فهو يضرب رقبته فقال البطال السمع والطاعة لله ولرسوله ولكى يا أميرة وركب من وقته وساعته فى خيل البريد وقصد العراق ولم يزل يقطع الآفاق إلى أن وصل إلى دار السلام بغداد ودخل على جوهر وسلم عليه وقال له استأذن لى أمير المؤمنين بالدخول عليه فدخل جوهر واستاذن للبطال فاذن له فلما وصل بين يديه قبل الأرض وسلم عليه فقربه الخليفة اليه وأمره بالجلوس فجلس بين يديه فلما استقر به المقام سأله عن حاله وما سبب مجيئه فاخبره أبو محمد البطال باخبار السادات الصالحين وصار يجيب له النوادر والحكايات إلى ان صار الرشيد متبسم وانبسط معه فقال له يا مولاى كنت ذكرت لك عن عقبة انه كافر مرتد فلم تصدقنى والآن فقد أتى الملوك بحجة واضحة فقال له وكيف ذلك فشرح له البطال حديث البيعة فقال الرشيد لجعفر انى أريد السنة ادخل بلاد الروم وأغزوها وانظر ما ذكر البطال فإن كان حق ضربت رقبة عقبة وان كان كذب ضربت رقبة البطال فقال أبو محمد رضيت يا مولاى فامر الرشيد جعفر أن يكتب الكتب إلى سائر الآفاق فكتب الوزير جعفر إلى سائر الآفاق (قال الراوى) فجاءت العساكر كانها السحاب الزاخر وكتب إلى الامير عمرو أن يرسل له عقبة على خيل البريد فلما وصل الكتاب إلى الامير عمرو أمر القاضى بالمسير الى الخليفة فاجاب بالسمع والطاعة ثم ركب خيل البريد وسار عقبة فكان البطال قد قال للرشيد لما ياتى القاضى عقبة قيدنى أنا واياه (قال الراوى) فلما وصل عقبة الى حضرة الرشيد أمر بتقييده وكذلك أبو محمد البطال ووضعوهم الاثنين فى قيد وحملوهم فى محفة وسار الخليفة الى ان وصل الى ملطيه فنزل بها الرشيد ومعه عقبة والبطال فى القيود والاغلال (قال الراوى) ولما كان عند الصباح ركب الرشيد وقصد الى دار القاضى عقبة وقصد الى المكان الذى وصفه له البطال وفتحه ونظر الى سرداب فنزلوا فيه فوجده مسجد قد فرشت أرضه بالحصر الشامية وقناديل من الذهب والفضة وهم معلقين وقنديل من الذهب معلق فى وسط القبة وقبلة مليحة محررة المحراب مزينة بالرخام الابيض (قال الراوى) فلما نظر الرشيد الى ذلك رآه ضد مقالة أبو محمد البطال فالتفت الى جعفر وقال ما ترى ما وقع لهذا الشيخ العالم المسكين كيف يتهموه بالكفر وهو مظلوم ويكذبون عليه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم استغفر الله العظيم عما سمعته فى حق هذا الشيخ

العالم الزاهـــد فقال جعفر البرمكي والله ما سمعت قط ان مسجد تحت الارض فى سرداب فى بلاد الاسلام إلا فى هذا المكان فقال الرشيد لمسرور امضى اقلع القيد الذى فى رجل عقبة وضعه فى رجل البطال وتوكل أنت بحفظه فخرج مسرور وهو غير مسرور بهذا الكلام وخاف على البطال وفعل ما أمر به أمير المؤمنين الرشيد (قال الراوى) ولما وصل عقبة الى قدام الخليفة قال يا أمير المؤمنين بتربة آبائك الطاهرين ألا ما أخذت حتى ممن ظلمنى فقال الخليفة ارجو ذلك ثم انه التفت الى جعفر البرمكي وقال له ما تريد فى هذا الامر فقال له الرأى عندى ان نرسله الى العراق حتى نعود من الغزاة فعندها قام الامير عبد الوهاب وسال فى حال البطال وتشفع فيه ثم قال يا أمير المؤمنين ان أبا محمد ما لنا رواح بلاد الروم إلا به يتحايل على أخذ القلاع والبلاد فقال الخليفة يا عبد الوهاب ما يكفيك منى ان تركت البطال بالحياة وأرسلته إلى العراق وحبسته وما قتلته وقد وقع فى حق القاضى عقبة ويذكر لى أنه تنصر من زمان وما كفاك ان تسألنى حتى أطلقه فقال عبد الوهاب يا أمير المؤمنين وأنا ما أسافر وأحضر هذه السفرة والغزاة إلا وأبو محمد البطال معنا فعندها صاح على الحجاب ان اخرجوا هذا الأسود الذميم من وجهى (قال) فخرج الامير عبد الوهاب ودموعه تجرى على خديه واجتمع بالاميرة ذات الهمه وحكى لها ماوقع وقال لها انى عولت ان أمضى إلى ارض غير هذه الأرض ولا اقعد فى القهر والذل أبدا فقالت ان كلامك ولا بد يا بنى فاصبر حتى يدخل الليل ونسيروما يصبح الصباح إلا وقد قطعنا بلاد بعيدة (قال الراوى) هذا ما جرى ههنا وأما ما كان من عمر المسجد وسببه من بعد ان كان بيعة وذلك ان عقبة لما نزلوا إلى داره ليقتلوه فما وجدوه فلما وصل من الغد إلى داره ونزل إلى البيعة فنظر أثر الشمع على الحصير وقد قطر قطرات متداركات فقال فى نفسه الذين نزلوا هنا ما كانوا قصدوا إلا قتلى ولو كان قصدهم مال كانوا أخذوا من هذه مهما أرادوا وما أخشى إلا من الأميرة ذات الهمة والأمير أبو محمد البطال وانهم قصدوا قتلى فما رأونى ورأوا هذه البيعة فقصدوا هتك سترى عند الرشيد ثم أتى بقوم نصارى وبذل لهم الأموال وجددوها مسجد وأقام ينتظر إلى أن أتاهم كتاب الرشيد فانحدر اليه وهو مطمئن القلب وقبض الرشيد عليه وأتى إلى ماطيه وهجم على داره ونزل البيعة ونظر إليها وقد صارت مسجد أو جرى ماذكرنا (قال الراوى) فهذا جرى هاهنا وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وبنى كلاب فانهم لما دخل الليل رحلوا بمن معهم

من العساكر فقال عبد الوهاب للاميرة أين تذهبين بنا فقالت له إلى حيث أردت وكان عبد الوهاب متعلق القلب بأبو محمد البطال وطالب يمضى إلى بغداد ويخلصه فقالت له الأميرة فى ذلك كسر حرمة الامام الخليفة (قال الراوى) فلما سمع هذا الكلام رجع عنه وأمر الناس بالرحيل إلى ناحية حصن يانس المتعرب (قال) وكان الرشيد وثق بكثرة العدد والروم قد تزايد عليهم المدد وكثر عليهم العدد ونادى فى العسكر بأخذ الأهبة والرحيل من اليوم إلى مثله وعرفت بنى سليم برحيل عبدالوهاب وأصحابه فكادوا يطيرون من الفرح وأقبل الرشيد على الأمير عمرو بن عبيدالله وقال له أيها الأمير إلى أين تقصد بهذه الغزاه فقال له يامولاى نطلب عموريه إلى مرطادس ابن عفر الملك الأكبر نوفيل فقال نعم ماأشرت به أيها الأمير (قال الراوى) فتأهب الجيش إلى المسير (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من عقبة فانه انفرد بنفسه وقال لابنه مصعب ياولدى إن الخليفة طرد الأسود وأمه وذات الهمة وكذلك البطال الميشوم الناصية وبنى كلاب والسودان الأنجاب ولم يبق إلا بنى سليم وجملتهم خمسين ألف فارس وعساكر الخليفة وخمسمائة ألف وأنا عزمت أن أعلم الملك منويل وأكاتبه وأعلمه بهذه النوبة وبركنها على النصرانية وشؤمها على الخليفة فقال مصعب افعل ما بدالك يا ابتاه وما تراه فكتب عقبه إلى منويل كتاب يعلمه يقول فيه الذى أعرف به الملك منويل أن ملك الإسلام قد نهض بعسكره وجيوشه يريد عمورية والذى تخشى جانبهم وهم عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وأبو محمد البطال العيار المحتال وجملة السودان وبنى كلاب الأنجاب قد وقع بينهم وبين الرشيد والمسيح فرق بينهم لينصر النصرانية وساق الباقون إليكم لاتخشون منهم الصدود وليس مع عسكر الإسلام أحدا من الأنجاب غير عسكر العراق وبنى سليم الذين لم يرفعوا ضيم فلا تخشاهم واخرج بعساكرك والقاهم فهم طعاما لسيوفكم وقد ساقهم المسيح إليكم فإنى قد عرفت الملك بالحال على التمام والكمال وعليك من المسيح السلام وبعث الكتاب مع غلامه خالد وأمره بالجد فسار يجد فى سيره (قال الراوى) فهذا ما جرى هنا وأما عسكر الرشيد فإنها لم تزل سايرة حتى وصلت مضيق الجبل وكان هذا الجبل جبل عظيم وهناك ضرب آخر يخرج عن الجبل ويلتقون فى عمورية فلما دنت العساكر من ذلك الجبل قال الرشيد للأمير عمرو بن عبيد الله الرأى أن تسير أنت أيها الأمير فى مضيق درب الجبل ومعك مقدمة الجيش وأسير أنا خلفك فتكون أنت أسبق

للروم وأخرج أنا من ورائهم ونطلب النصر من الله فقال الأمير عمرو نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين ثم إنه توجه نحو الدرب إلى مضيق فى أربعين ألف من بنى سليم وعساكر العراق ومضى الرشيد إلى الضرب الأيمن وكانت الأخبار وصلت إلى مرطاووس فارسل كتاب إلى الملك منويل يعرفه بذلك فاتفق كتاب مرطاووس وكتاب عقبة سوى فلما وقف منويل على الكتب أمر العسكر بالرحيل فرحل فى عساكر لا تحصى وأقبل منويل على أخيه الغيطفور فقال له يا أخى إن سرنا على الدروب ومضيق الجبل تخالفنا المسلمين على الطريق الاخرى والرأى عندى أن تأخذ أنت بعض العسكر وتسير على المضيق وأسير أنا ببقية العساكر على هذه الطريق الأخرى فقال نعم ما أشرت به من رأيك وها أنا أفعل ما بدالك وأخذ الغيطفور من العرب المتنصرة عالم عظيم وسار إلى مضيق الجبل فلم يجد حس العساكر ولا يشاهد لهم خيام ولا سرادقات ولا أعلام فعلم أنهم لم يصل منهم أحد فأمر العسكر بالنزول على رأس المضيق ويمسكوا رأس الطريق فأرسل يعلم الملك منويل بذلك وأقاموا ينتظرون وصول المسلمين فى ذلك الطريق ومضيق الجبل هذا وعمر وسائر فى أربعين ألف فارس من بنى سليم لابسين عليهم الزرود والدروع الداودية والخلود العادية حتى وصلوا إلى المضيق ودخلوا فيه ونزلوا بين الجبلين ورآهم اللئام فاطبقوا عليهم وأوصلوا القنطاريات اليهم ولما رأت المسلمين إلى حملة الكفرة الملاعين كبروا وحملوا واستغاثوا برب العالمين وقاتلوا قتال شديد وكان لهم مع الروم وقعة شابت فيها اللمم وعاد وجود القوم عدم وقد سقط الرامى تحت القدم وجار السيف فى حكمه وظلم وانصبغت الأرض بالدم واستوفوا بنى سليم ماخط عليهم بالقلم من القدم على القمم هذا والأمير عمرو يحمل ويجول ويزعق على بنى سليم الرجعة الرجعة لمثل هذا فليعمل العاملون فبينما الامير عمرو يحرض أصحابه للقتال وإذا بالغيتفورس أخو الملك منويل هجم على عمرو خطفه من سرجه أسير وأخذوا اثنى عشر أمير وأحاط بهم الغم والهم فتشتتوا طالبين ملطيه (هذا ماكان من هؤلاء) وأما ماكان من الرشيد أمير المؤمنين فانه لما سار من الطريق بعساكر العراق فبينما هو كذلك واذا بالملك منويل أطبق عليه وكان فى مقدمة الجيش مائة ألف من الافرنج كبار الاجساد كأنهم ن بقايا قوم عاد بالقنطاريات المداد والسيوف الحداد ومائة ألف من الدوقس ومائة ألف من الارمن يرمون بالقسى والنبال ومائة ألف من البنجاك ومائة ألف

من الزغاورة وأشرف الملك منويل على رأسه الصليب الجوهر وتبعته بقية الملوك والروم ولا يعلم عددها إلا الحى القيوم فحملت على عساكر الرشيد طحنتها طحن الحصيد ولم تزل تقتل وتأسر إلى أبواب ملطيه وكان عسكر الرشيد سبقوه بنى سليم بنصف يوم فثار غبار القوم فعلموا انه الرشيد أتى مكسور فنزل فتح الباب ودخل الناس وكان أول من دخل الرشيد وهو يعض كفيه ندما على الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب وهو يقول ما كانت دولتنا إلا بعبد الوهاب وبنى كلاب وأمر الرشيد بغلق الأبواب والقتال من وراء الاستار والاصوار والحصار إلى ان الامر قد ضاق وأقام القتال ثلاثة أيام ورأوا المسلمين ما لا رأوه منهم فى القتال قديم الزمان لأنهم نقبوا أكثر الاصوار وانزلوا بعسكر العراق البوار وما بقى إلا أخذهم وأموالهم وعيالهم واذا بضجة عظيمة قد وقعت فى عسكر الروم ورجعوا عن حصار ملطيه باذن الحى القيوم وبطلوا القتال بقية النهار وقد زادت الافكار وعند دخول الظلام رحلوا طالبين بلادهم فلما رأوا المسلمين ذلك الحال اندهلوا غاية الاندهال وفرحت النساء والرجال وأما الرشيد فانه زاد به الفرح وزال عنه الترح ثم تصدق وأوهب وفرق الفضة والذهب وقال لله على نذر ان أحج الى بيت الله الحرام وأتصدق هناك بعشرة الاف دينار على الفقراء والارامل والايتام لأجل ما فرج الله عن الاسلام وبقى يشتهى ان يعرف السبب الذى رحل الروم من الثغور وجلب به الفرح والسرور وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وأمر غريب وذلك ان ذات الهمه وعبد الوهاب لما رحلوا من قدام الرشيد تشاوروا أين ينزلون فقالت الاميرة ان من الرأى الصواب اننا نتمهل قبل رحيلنا إلى ان ننظر ما يجرى بعد رحيلنا وبعد ذلك نعمل على الصلاح لامورنا فقال الامير عبد الوهاب هذا هو الرأى الصواب ثم انهم وصلوا وعلى الدخول الى بلاد الروم عولوا الا انهم انعزلوا عن الطريق السالكة الى بلد القسطنطينيه وأقاموا ينظرون ما يكون من اتمام الامر فما مر عليهم إلا أيام قلائل ووصلت اليهم الاخبار بما جرى على عسكر الرشيد ثم رجعوا من قدام الروم منهزمين بعد ما أسروا الأمير عمرو ومن ذكرناه من بنى سليم وغيرهم من عساكر العراق فكثرت عليهم الأحزان وخافوا على المسلمين فقالت الأميرة ذات الهمه لولدها عبد الوهاب يا ولدى ان غفلنا عن الثغور أخذت وتملكها الروم فقال لها يا أماه وكيف الحيلة ان من الرأى الصواب أن نسير قبل كل شىء ونقصد بلاد الروم ما دام انها خالية من العساكر ونجزر كل

من عارض بالسيف الكبير والصغير واذا فعلنا هذه الفعال يسمعوا بذلك أهل الضلال فيرجعوا كلهم عن الثغور وقد بلغنا أحسن الأمور ويخف الجمع عن الاسلام وربما سلم بذلك الامام ونسير من ههنا على طريق خرشنه ونقاتل أهلها ولو أقمنا عليها سنة والصواب أننا نرحل من ههنا ونسير إلى القسطنطينيه فلعل نقع بأحد من الماسورين فنكون لخلاصهم سبب وننال بذلك الأجر ونغزى بهم على القتال ففرحت الأميرة بكلام عبد الوهاب ورحلوا طالبين القسطنطينيه حتى لحقوا البطريق الذى معه الأسارى الذين من بنى سليم وعمرو بن عبيد الله ومن معه فقتلوا البطريق وخلصوا الأسارى وعانق الأمير عمرو الأمير عبد الوهاب واعتذر اليه وأقاموا هناك للراحة ثلاثه أيام ثم انهم ساروا فى مائة وعشرين ألف عرب وأكراد وسودان وساروا إلى أن نزلوا على بحيرة خرشنه وامتدت العساكر على سواحلها فلما رأى صاحب خرشنه الى العساكر وهم على السواحل أنفذ إلى الملك منويل يعلمه بهذا الأمر ليكون عنده من ذلك علم ويقين وقال له ان لم تاتى الينا وإلا تنفذ لنا نجدة تعيننا على قتال الموحدين وأعطى الكتاب لبطاريق من أصحابه الكبار وقد أخذه الانبهار وخرج من خرشنه وسار إلى ان وصل إلى الملك منويل وأعلمه بهذا الخبر وأعطاه الكتاب فلما تحقق الأمر اصفر لونه وتغير كونه وقال وحق المسيح لقد تعجبت من هذا الزمان الخوان ثم أساء الملوك والوزراء وقال لهم أما ترون لهذا الامر الذى قد جرى فقالوا أيها الملك ما لنا أصوب من الرجوع إلى بلادنا لئلا تخرب البلاد ولولا رجوع ذات الهمه كنا أهلكنا المسلمين وقتلناهم أجمعين فارجع اليها لعل المسيح قد ينصرنا ونقتلها هى وابنها فلما سمع الملك كلامهم رحل وعند الصباح أشرفت عساكر المسلمين من على الاصوار فلم يروا لعسكر الروم خبر فعرفوا الرشيد عن ذلك فقال هل تعلمون لهذا سبب فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين فتعجب الرشيد من ذلك وفتحت ابواب ملطية وخرجوا المسلمين ونزلوا موضع المشركين وسار منويل طالب الأميرة ووصلت إليها الجواسيس فأعلموها بأخباره فادعت بمرزوق ونافع وميمون وطحاطم ودينار وجماعة من السودان أولى الشدة والبأس وقالت لهم أنتم تعلمون مواضعكم عندى وعند ولدى عبد الوهاب وتعلمون أن بنى كلاب وبنى عامر يريدون أن يأخذوا عليكم الطبقة فى القتال وأنا أريد فى هذه النوبة أن الذكر لكم فماذا أنتم قائلون فقالوا أيتها الأميرة جميع ماتأمرى به نفعله فقالت لهم الأميرة بارك الله فيكم وعليكم ثم ان الأميرة ادعت ببنى

كلاب وقالت لهم معاشر المسلمين من بنى كلاب أنتم بنى عمنا وأمركم أمرى وعاركم عارى وما يلزمكم يلزمنى فقالوا لها ما يكون إلا ما يسرك ففرحت بذلك وقالت ان ملك الروم قصد الينا فكونوا على أهبة من أمركم وادعت بسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر وراشد بن ضمرة وهرون العلوى وقالت لهم مثل ذلك فأجابوها إلى ما طلبت وعادت كل فرقة وعولت ان ترمى روحها فى الهلاك لأجل كلام الأميرة وأقاموا ينتظرون عسكر الروم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الملك منويل فإنه سار إلى ان قارب عسكر الأميرة ذات الهمة وبقى بينه وبينها ثلاثة أيام وصح عند الأميرة قدومه فقالت الأميرة لسعيد بن الفرج خذ عشرة آلاف فارس واطلب وادى البنت وأقم فيه إلى أن يصلوا الكفار الملاعين فإذا وقع بيننا وبينهم القتال أخرجوا عليهم من اليمين ثم أدعت بسماق وقالت له خذ معك عشرة آلاف فارس من العرب والسودان وكونوا خلف الجبل وشعاب التلال وإذا رأيتمونا وقد التحم القتال بيننا اخرجوا عليهم من الشمال ثم أدعت بسنان بن حوران وأضافت اليه عشرة آلاف من بنى كلاب وقالت لهم اقصدوا ضرب الحصى وأوصى أصحابك باليقظة فى أموركم وإذا رأيتمونا التحمنا فى الحرب نحن والكفار احملوا من خلف ظهورهم ورتبت العساكر على هذا الترتيب وتوكلت على من هو حاضر لا يغيب وسار الملعون بعسكره حتى وصل وعلمت الأميرة بوصوله فصاحت بأصحابها اركبوا الخيل يا أرباب الخيل فركبت الفرسان ولبسوا الدروع ووصلوا وطلبت كل فرقة مكانها الذى عينته لها ولم يزالوا كذلك حتى طلعت الصلبان ونشرت المسلمين الأعلام وعبوا صفوفهم وأشهروا سيوفهم فما صبروا دون ان حملوا على الروم وحمل الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة ومالك بن طوق وهارون العلوى وراشد بن ضمره ومن معهم من أصحابهم وكبروا بأعلا أصواتهم وغاصوا فى أوساطهم فعندها خرجوا السودان من أماكنهم واشتهروا مثل مردة الجان وتعصبوا بعصائب القطن والكتان وضربوا بالفريد من كل جانب ومكان وبربر طمطم وطماطم ومرزوق وزقزوق وأبو القرون وميمون وأبو الزلازل وأبو المغازل وأبو نازل والقاتل وناب الفيل وتم الزبيل وكاره الحياة وعفريت الغلمان وحملوا على الروم ودعسوا فيهم دعس الفحول وخرج كمين سعيد بن الفرج وسنان حوزان واختلط الجمعان وتصايحت الفتيان وتصاولت الأقران وتقدمت الشجعان وتأخر الجبان وسال العرق وازور الحدق وزاد القلق وأظلم الأفق وتعلقت

الجماجم وتقطعت المعاصم واسودت العمائم وتثلمت الصوارم واستوى فى الحرب المظلوم والظالم فما كنت ترى إلا فارس طريح أو بطل جريح وظهرت عساكر الاسلام على الروم اللئام وحلت بهم الرزية وأخرجوهم من الديار بالكلية بفضل رب البرية وتدبير المشيئة فولوا منهزمين ولعبت فى أقفيتهم سيوف المسلمين فأول من انهزم كان الملك منويل وأخوه ومارس ودارس وأسروا المسلمين من الروم خلق كثير ولعبت فيهم سيوف المسلمين ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع عادوا إلى المواضع والمضارب وملكوا من الأموال ما لا يعد ولا يحصى له عدد بقدرة الواحد الأحد الفرد الصمد الذى بسط الأرض على ماء جمد (قال الراوى) وقتلوا جميع ما أسر من الروم فكانت عدتهم خمسة عشر ألف وخمسمائة ثم قالت الأميرة معاشر المسلمين اقطعوا رؤوسهم وعلقوها على الرماح فإنى ما أجد شيئاً اتحف به الرشيد إلا هذه الفعلة ففعلوا ما قالت الأميرة فقطعوا الرءوس وعلقوها على أعلا الرماح وجمعوا الغنائم والاسلاب وسارت العساكر تطلب ملطية ووصلت الاخبار للخليفة بذلك فلم يصدق من شدة الفرح وأرسل نجاب وأقام فى الانتظار لرجوع النجاب ليسمع منه صحة الاخبار حتى أشرف العسكر وأبصر الرؤوس فرجع وأعلم الرشيد بذلك فقال جعفر لقد سعد جيشاً يكون فيه الأميرة وولدها يا أمير المؤمنين والرأى عندى ان نركب تلتقى القوم فقال الرشيد نعم ما رأيت (قال الراوى) وأما القاضى عقبة لما ان نظر إلى ذلك انفطرت مرارته وزادت حسرته وأبدى لوعته وقال آه آه آه ما أظن المسيح إلا انه يحب المسلمين أو يخاف منهم أو هو أسلم لانه ما نصر أهل شريعته ثم ان الرشيد سار حتى أشرف على القوم ونظر رؤوس القتلى كانها رؤوس الشياطين والرماح مثل آجام القصب فسجد شكراً لله تعالى وهو على جواده وأما الأمير عبد الوهاب والأمراء لما نظروا إلى الرشيد ترجلوا ونزلوا إلى خدمته فلما قربوا منه ترجل لهم الرشيد وفرح بهم الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد ونزلوا فى ذلك المكان للراحة أربعة أيام ثم قالت الأميرة يا أمير المؤمنين نحن نريد تنزل على باب القسطنطينية ونوقع الرعب فى قلوب النصرانية فقال الرشيد نعم ملو أيتى وأشرتى ثم انهم فى اليوم الخامس رحلوا يطلبون الروم والعساكر تتبعهم وكان الملك منويل لما انهزم ووصل إلى القسطنطينية فوجد مضارب وخيام وصلبان وأعلام فقال لواحد من البطارقة امضى وأتنى بخبرها فمضى وعاد قال أيها الملك لما سرت تطلب الاسلام وصل إلى هنا ثمانية ملوك من ملوك النصرانية يطلبون نصرتك فوجدوك رحلت فأقاموا

هنا حتى يعلموا أى مكان أنت فيه فلما سمع الملك ذلك فرح فرحاً شديد ما عليه من مزيد وركبوا ملوك الروم لخدمته ولما قربوا منه ترجلوا اليه وقبلوا الأرض بين يديه وسلموا عليه فرحب بهم ودخل إلى القسطنطينية وجلس على سرير ملكه وكانوا أهل البلد سمعوا بما جرى على أهلهم فبكوا وعلا صياحهم فأمر الملك فارس أن يدورعلى المملكة ويمنع الناس من البكا ثم اجتمع بالوزير والبترك الكبير وقال لهم إيش ترون من الرأى فقال الوزير أيها الملك ان قنعوا المسلمين بما جرى وعادوا عنا فهوالمرادوان دخلوا الينا قتلناهم ورددنا عن الحريم والأولاد فقال الملك هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من المسلمين فإنهم جدوا المسير حتى وصلوا إلى مرج الأسقف فنزلوا هناك وبقى بينهم وبين القسطنطينية مرحلة واحدة فاخذوا الراحة من التعب وساروا حتى طلع غبارهم وظهرت للناس أخبارهم فعلت الضجات وارتفعت الأصوات وجعلوا كانهم الدبابير هذا والمسلمين ضربت الكاسات ونعرت البوقات واصطفت السادات وترتبوا ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وضجت الموحدين وجعلوا يقرؤون القرآن ويعلنون باسم الديان ووقفت الروم وعلى رؤوسهم الصلبان وضجوا الشمامسة والرهبان ساعة من النهار واذا قدخرج من صفوف المسلمين فارس على فرس أدهم كانه شعلة نار وعليه درع منسوج بالذهب مقلد بسيف بجوهر وفى يده رمح معقب وهويقول هذه الأبيات

لقد علموا الكتائب بافتخارى ... ولا خيل تدوم ولا سلاح
وانى من أناس فى المعالى ... لهم شرف على كل النواحى
بحار عندهم بذل العطايا ... ليوث عند مختلف الكفاح

(قال الراوى) فطلع اليه فارس من الروم وكان الذى برز توفيل ابن منويل والفارس الذى من المسلمين اسمه ابراهيم الخصيب وكانوا الاثنين فى الصف سواء وفى القد أيضاً فلما نظر توفيل الى وجه ابراهيم أعجبه حسن خصمه ونظر ابراهيم الى وجه خصمه أعجبه لأنه لم يكن فى بلاد الكفر أحسن منه فقال له ياويلك بين لى حسبك ونسبك فانا قوما لا نقاتل ولا نقاوم إلا كريما فقال له الرومى أنا من لا تخفى شمائله ولا تنكر غائلته أنا توفيل ابن منويل ابن لاوون ملك القسطنطونيه فمن أنت من المسلمين فان كان لك نسب مثلى وإلا عدت أيضاعنك فقال أيها الملك أنامن لا يفزع إذا قال ولايخشى إذا جال أما الصدق فى المقال واجابة السؤال فأناالبطل النجيب ابراهيم ابن الخصيب صاحب

مصر والصعيد فقال توفيل سيد كريم وأمير عظيم وبطل مشهور وملك مذكور فحمل كل واحد منهم على صاحبه وأظهر أهواله وعجائبه وتطاعنا بالرمحين حتى تكسرت وبالسيفين إلى ان تثلمت وتقاربا وتطابقا بالأطواق وزاد بينهما الأمر حتى وقع الجوادين من تحت الاثنين وجد الأمير ابراهيم على توفيل أرماه الى الأرض وجلس على صدره وأراد ان يذبحه فنظر الى حسنه وجماله وصورته فاستحى ان يفسدها فقام عنه وقال له قم اذهب الى أهلك فقد وهبتك نفسك فقام توفيل وقد علاه الخجل وطلب عسكر أبيه فلما رآه فرح بسلامته وقال له ياولدى من هذا الفارس الذى فعل معك هذه الفعال وجاد عليك بالاطلاق بعد الاعتقال فلقد غمرنا بجميله والاحسان والافضال فقال ابنه يا أبتاه هذا ابراهيم ابن الخصيب صاحب الديار المصرية (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان الرشيد راكب فى القلب فقال لخادمه ائتنى بهذا الفارس أبصر من هو فعندذلك مضى الخادم وأحضره بين يديه فلما رآه الخليفة عرفه فقال أيها الأمير من هذا الفارس الذى أسرته وأطلقته فقال يا أمير المؤمنين هذا توفيل ابن منويل فقال ولم أطلقته فقال أطلقته لحسن صورته (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بفارس الروم قد أقبل بالحديد مسربل على جواد أشقر عالى المنظر إلا أنه فى زى الملوك مليح القوام له هيبه وهندام فوقف قدام عساكر الاسلام وطلب الامام وقال أنا رسول الملك منويل فاحملونى الى الرشيد فعند ذلك أحضروه الى أمير المؤمنين فلما صار بين يديه سلم وترجم وأحسن فيما تكلم فقال له الرشيد أظنك وزير الملك فقال نعم ولك معى رساله فقال الرشيد تكلم ولا تخف فقال له ان الملك لما رجع له ولده سالم نوى أنه لا يحارب المسلمين فى هذه النوبة ويفعل كل ما تريدون وطالب الصلح منكم فما أنتم قائلون (قال الراوى) فأطرق الرشيد رأسه ساعة وقال للجماعة ما تقولون فقال عبد الوهاب إذا كان طالب الصلح والهدنة فيحمل الينا دية من قتل من المسلمين فى مضيق الجبل فقال الامام نعم ما أشرت به من الكلام ورجع الرسول إلى الملك وأعلمه بما اتفق عليه الحال وما أبدوا من المقال فقال سمعا وطاعة ثم أنه حمل للرشيد المال والنوال والتحف والهدايا ورجع الخليفه الى ملطيه وهو مؤيد منصور متوجا محبور وفرق الأموال على الرجال وأنفذ الى بغداد وأحضر أبو محمد البطال وخلع عليه بالعطايا وأراد الرشيد الرحيل الى بغداد وفى قلب الأمير أبو محمد البطال الحرارات والأحقاد وكذلك الأمير عبد الوهاب فى قلوبهما الغدر للقاضى عقبة وأضمروا له على كل نكبة وعلم عقبة بذلك فرفع صوته وقرأ عشر قرآن وقال يا أمير المؤمنين أما

تنظر إلى بعين الرحمة لتحل بى كل نعمة فان البطال نقل عنى حديثا زور ومحال ووقع بينى وبين الأمير عبد الوهاب وبين عمرو بن عبيد الله الخصام وهذا آخر الكلام فلما سمع الرشيد ذلك الكلام من القاضى عقبة قال للجماعة ما تقولون فقال الأمير عبد الوهاب وما تقول ياأمير المؤمنين فان الأمر لله ولك ياأمير المؤمنين فقال له الرشيد طب نفسا وقر عيناً وطيب قلبك يا قاضى فما أرحل إلا والبطال عنك راضى وكذلك عبد الوهاب وأصلح بينهم وخلع على البطال وعقبة وعبدالوهاب وأوصاهم على بعضهم البعض وودعهم وسار الى بغداد فزينت البلد ونثروا عليه النثار وأقام فى مدينة بغداد دار السلام وأطاعته العرب والأعجام (قال الراوى) فهذا ما كان من الرشيد وأما ما كان من بنى سليم و بنى كلاب والأمير عبدالوهاب والبطال فانهم كانوا يخرجون الى الميدان ويلاعبون بين أيديهم الصبيان ليوم من بعض الأيام خرج الأمير أبو محمد وهو بجانب الأمير عبد الوهاب والأمراء من بنى كلاب بين يديه وجميع السودان حواليه وكذلك الأمير عمرو بن عبيدالله فى بنى سليم وعقبة بازائه فتقدم عقبة الى الأمير عبد الوهاب وقال أهلا وسهلا ومرحبا بحامية المسلمين وسيد المجاهدين وعمدة الدين أدام الله لك النصر والتمكين وحشرك فى زمرة محمد خاتم النبيين ولا ينبغى الدعاء إلا لفارس هذه الأمة وحاميها والمحامى عن كمامها وأبيها فقال له الأمير أبو محمد لا بد لنا يا قاضى ما نستحق من بركة دعاك رماك الله يا قاضى وخزاك ومن النار لا نجاك وتعلم نحن والحاضرين ان دعاك مقبول وكلامك محمول وأنت مقبول فيما تقول فسمعه الأمير عبدالوهاب فضحك عليه ضحكا عاليا وبينما هم كذلك واذا قد أقبل رجل من صدر البرية وعليه أثر السفر وهو طويل القامه عظيم الهامه وما زال يخترق الصفوف صفا صفا حتى وصل الى الامير أبو محمد البطال وأسر اليه كلام فتغير وجهه وأقبل على الامير عبد الوهاب وأعلمه بالخطاب فهمهم وهندم ودخل البلد وأظهر الجلد وأمر حامية من الرجال فأخذوا الأهبة للقتال واعتد الاربعه آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيول السوابق والسيوف المواحق والرماح الحوادق والرايات والبوارق والرجال الانجاد المعمودين للطراد ورحلوا القوم والامير أبو محمد البطال أمامهم ودليلهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما ما كان من القاضى عقبة فانه لما رأى ذلك الحال المنكر تحير ولم يعلم ما الخبر وأقبل على غلام له اسمه ديار وقال له ويلك ديار اتبع من القوم الآثار واسلك أى طريق يسلكون وأى موضع يمضون وعود الى بالخبر فسار ديار حتى لحق بالقوم فقال واحد من بعض السودان ان

الامير سائر الى أرض حوران الى بنى تميم وبنى النضير فقد وقع بينهم الشر فرجع دبار وأخبر مولاه عقبة بذلك فقال أرجو ان ينقلب الدست عليه ولا يرجع الى الثغور ويلحق به البطال العيار المحتال (قال الراوى) فهذا جرى لعقبة وأما ما كان من الامير عبد الوهاب والبطال ومن معهم من الرجال فانهم ساروا الى طريق حوران حتى تنصف النهار وعادوا من ذلك الطريق الى بلاد الروم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الرجل الذى أتى الى أبو محمد البطال وساره فى أذنه كان من غلمان البطال وأرباب الاحتيال وكان يقال له أبو الليل وكانت غيبته فى بلاد الروم لانه أقبل يعلم مولاه بأخبار الروم فى البلدان وكان لهعليه اقطاع وديوان ولما وصل اليه فى هذه النوبة أعلمه بأن بنت البترك الكبير تزوجت ابن ملك البرغل وانقلبت لذلك بلاد الروم والجاريه اسمها جبرونه وهى كانها الدره المضيئه المكنونه وقد خرجت من القسطنطينيه فى أكمل زينه وفى أفخر هيبه واحسن جمال وكان جهازها على أربعمائة بغل محمله من أنواع المصاغ والحلى والحلل والديباج ومعهم من الجواهر مايقصر عن وصفه اللسان ومن الهدايا التى كانت تحمل للكنائس وكان أبو هادق لها جهاز جميع ذلك وأخرج معها مائة جاريه ملك يدها مثل الأقمار ومعها من بنات البطارقه أكثر من الف جاريه مثل الأقمار لطاف الأقدام ظراف الأجسام كل واحده منهن تكسف بدر التمام ومافى الكل مثل ميرونه لانها درة الغواص أو ظبية القناص وكانها الشمس الضاحيه فى السماء الصاحيه وانضاف الى حسنها من الشجاعه مالا يصفه لسان ولا يحصره انسان قد هابتها الأقران وخافتها الشجعان وخرج بين يديها ألف بطريق مع القسوس والرهبان وخرج الجالوت وبين يديه ابن ملك البرغل وهو العريس فى خمسمائة فارس لانه لها عاشق وفيها محب ورامق وملوك الروم تفزع من شره وكان يصطاد حول مدينته السباع فشردوا منه الى جميع البقاع (قال الراوى) وأن البطال لم يزل سائر الى ان وصل الى أرض تعرف بالعيون واذا بجبرونه ومن معها هناك نازلون فامر أصحابه بالحمله عليها فلما حملوا المسلمين وكبروا والأمير عبد الوهاب صاح وحمل والغبار قد اشتد ونار الحرب تشعل فحملت الروم وبينما الأمير عبد الوهاب فى تلك الوقعه مثل الجمل الهايج اذ لقيه عامر بن طلحه وهو طائر العقل حائر فقال له ماوراك ومن بشره رماك فقال له ورائى الموت الأحمر والأسد الغضنفر وقد لقينى المقدم على هذه الطائفة وهو مثل الأسد العبوس ولولا الأمير ضيغم كنت هلكت فادركه ايها الأمير واذا بضيغم أقبل مصفر اللون فقال له الأمير ماوراك

قال ورأنى الليث الطالب والأسد الغالب لانى حملت على فارس فحمل على كاد يقتلنى ولولا أدركنى مالك ابن طوق كان قضى على فادركه أيها الأمير واذا بمالك بن طوق أقبل وهو مجروح فناداه الأمير ماوراءك فقال أيها الامير ورأنى الموت الاحمر والاسد الغضنفر حمل على فكاد ان يقتلنى لولا طمطم وغيدم والا كنت لبست ثوب الهوان فحمل طمطم وغيدم وعامر وشاهر وكاره الحياة وحامض الحلق وأسمج الخلق وطماطم وملاطم وملاكم وشراكم وحملوا من كل جانب فادركهم ايها الامير والا ماندركهم والعجل العجل فقد لقاهم بطل وأى بطل فسار الامير الى ان وصل الى السودان فلما وصل اليهم خف عنهم أنواع العذاب ونظر الى الفارس وهو تاره يجمعهم وتاره يفرقهم فلما رأى الامير عبدالوهاب الى ذلك الفارس رأى غلام مليح القوام رائق الكلام حلو الاقسام فحملا على بعضهما البعض واخذا فى الابرام والنقض وحجبهما الغبار عن اعين النظار ورأى ذلك البطريق الى الامير عبد الوهاب واذا به رجل لا كالرجال وبطل لا كالابطال فعند ذلك صلب على وجهه وقال وحق المسيح والدين الصحيح ما كنت أقول ان فى الملة الاسلاميه والعصابه المحمديه مثل الامير عبد الوهاب وكنت اتمنى أراه واشتهى لقاه فقال الامير عبدالوهاب ياغلام اذا رأيت الاسود تعرفه فقال له لا لانى قط ما رايته ولكن سمعت به وليس لى به معرفه فقال الامير عبدالوهاب ياغلام أنا هو عبدالوهاب وترس قبر النبى الاواب فلما سمع الغلام بانه الامير عاد الى وراه وخفف لباسه بعد ان غاب عن حواسه فبان له نهدان مثل احقاق العاج وهما معلقان فى أعلى صدر كالمرمر على طيات الحرير الابيض فى أعاليه خصر نحيل هذا والفارس أشهر سيفه وحمل على الامير عبد الوهاب بقلب اقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر فلم يعتنى به الامير عبدالوهاب فلما رأى البطريق الى ثبات الامير عبدالوهاب بهت وانبهر ووقف وتحير ورمى ما كان عليه من

اللباس وصار فى غلاله بندق رقيقه فبان من تحتها الاعطاف تنطوى بخصر نحيل وأشياء تذهل عقول الناظرين وتترك الخلق باهتين فتعجب الامير من ذلك واذا بالفارس هاج وصاح وقال أيها البطل المعروف والفارس الموصوف أما تستحى ان تكون فارس الزمان وجبار الاقران واوحد الشجعان ويأخذك التعب من ربات الحجال

﴿ تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

علي بن موسى المقاني وابن بكر المازني وصالح الجعفري ويزيد بن
عمار المزني وعبد الله بن وهب اليماني وعرف بن فهد
الفزاري وسعد بن مالك التميمي وأحمد الشمشاطي
وصابر المرعشي ونجد بن هشام العامري

الجزء التاسع

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر
مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كلوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فضحك الأمير عبد الوهاب من ذلك الكلام العذب الذى كأنه الماء الزلال ونظر إلى أربعة عشر ذؤابة مطرزة بالجوهر منظومة فرجع إلى وراه فقال أبو محمد البطال ما هذه المحاورة فابتدأ يحدثه بما جرى وقال يا أبا محمد انى أخاف من الله سبحانه وتعالى أن يرانى وقد قاتلت لأجل شهوة من شهوات الدنيا وقد كنت فى الأول أقاتل لوجه الله فتعجب أبو محمد من اصلاح نيته وحسن سريرته وبينما هو فى حيرته وإذا بفارس قد شق الصفوف وفرق الألوف من بنى كلاب وهو مثل الأسد الوثاب وما زال حتى وصل الى الميدان وحمل على الفارس المقدم ذكره حملة الغضب وقبض على ذراعه وهزه كاد أن يخلع قلبه وجذبه أقلعه من سرجه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وسار به الى بعض الجهات فقال الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد اذهب الى هذا الفارس فإنه نعم الصاحب والخليل عندها تقدم أبو محمد وقال أيها البطل الحلاحل والفارس المنازل قد أرضيت الملك الجليل وفعلت الفعل الجميل فانت من أى العرب أصحاب الحسب والنسب فقال الفارس ايش فى الفضول لك خلى فضولك عليك قبل أن أرجع اليك آخذ روحك من بين جنبيك فقال البطال أنا رجل مؤمن موحد بالله ولا أكلمك الا بالتواضع وقد جئت اليك أبشرك من الأمير بالخلع الجزيلة والأموال الجليلة والجواهر التى

غير قليلة والخيل والمهارة فقال الفارس ما أسرع ما نسيتنى يا أبا محمد أنا فاطمه بنت مظلوم أمة الحى القيوم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وهو أن الأميرة كان لما فارقها ولدها الأمير عبد الوهاب وسار إلى عساكر الروم فكانت هى تزور المسجد الذى بازاء ملطيه الذى كل من بات فيه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فلما عادت فلم تجد عبد الوهاب فالتهب قلبها عليه وطلبته كما تطلب اللبوة شبلها وكانت غابت من ملطيه فسارت تقفو أثر القوم وقد علمت أنه مايخطىء أرض الروم وما زالت إلى أن وصلت أرض العيون فوجدت القوم هناك والأمير عبد الوهاب قد وقف عن قتال ميرونه فحملت هى عليها وأخذتها كما ذكرنا فعندها رجع الامير أبو محمد البطال واعلم الأمير عبد الوهاب بذلك فاطمأن قلبه وحمل وأثار الغبار وضرب بحساهه فى قمم الكفار فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وغنموا المسلمين الأموال والجوار النهد الابكار وأرادوا أن يرحلوا إلى الديار وإذا بجالوت قد حمل فى خمسمائة بطل من كل ليث أغلب وفارس شهلب وكان السبب فى ذلك أن الروم لما طلبوا الأمير عبد الوهاب وقد حمل عليهم انهزم منهم جماعة وكانوا عرفوا أنهم لا يفلحوا معه فمضوا إلى الديار ديار جالوت ونادوا بالصياح فعلم جالوت فسار له فى الخيل والعبيد والبطارقه فى الحديد إلى أن أشرف على موضع القتال ورأى محبوبته فى أيدى المسلمين فخشى عليها من التلف وأمر الابطال أن تدور بالموضع الذى فيه الفرسان والاقيال إلى أن أصبح الصباح فركب الامير عبد الوهاب وأمه والسودان الانجاب ونادى يا آل حام يا شبه الظلام بادروا إلى ضرب الحسام وابشروا بالآخرة فى الجنان والحور الحسان فعندها ركبوا السودان الأنجاب وطلع الغبار وسارت الرؤس بلا أبدان وقد تقاتل الجيشان وهاج الشوق بجالوت فحمل مثل الأسد وشق بسيفه أبطال العرب وما زال كذلك إلى أن أتى وقت النخير ووقع فى طائفة الروم التعتير وهموا أن يولوا الأدبار وإذا بغبار قد ثار وسد الأقطار وانكشف وبان عن ألف فارس كرار من أبطال القليط فشنوا الروم وقاتلوا قتال الخصوم وافترقوا عند القدوم وصاح الأمير عبد الوهاب معاشر المسلمين الاجواد أن الله فرض عليكم الجهاد والجنة تحت ظلال السيوف وها أنتم الساعة صفوف فاعتدل الصفين وتأهب الفريقين وإذا بفارس من عسكر الروم ظهر على جواد أصفر وعليه درع داودى ضيق العيون كعيون الحدد مضايق العدد لا يعمل فيه الصارم المهند

فبرز اليه الأمير ضيغم ابن الامير عبد الوهاب فأشار عليه الاميران يرجع فلم يردولم يسمع وحمل على الفارس ومازال فى غراك وشباك إلى أن ضاقت الصدور وعظمت الأمور واختلف بينهما طعنتان هائلتان وكان السابق بالطعنة الامير ضيغم فوقعت فى صدر البطريق مرقت تلمع من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وانشد يقول صلوا على طه الرسول .

أنا ضيغم المعروف فى حومة الوغى   واضرب فى أعدائنا بحسامى
أقاتل عن دين النبي محمد   وأبلغ من أعداه كل مرامى
فان نلت ماأرجوه غدت مسلما   وان كانت الأخرى عليه سلامى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فخرج اليه ثانى قتله وثالث ما أمهله والرابع زمله والخامس عجل مرتحله وما زال إلى أن فنى عشر فوارس فصلبت الروم على وجوهها وحملت تطلب ضيغم فصاحت الاميرة فى أصحابها وحملت وحمل الأمير عبد الوهاب وزاد الطعان والضراب وحمى الوطيس وقل الانيس ونفخ اللعين ابليس وقل الصبر وعظم الأمر وأدار الامير عبد الوهاب عينيه فرأى حصان البطال خالى منه فى وسط المعمعة فبكى واشتد به الخوف وعدل عول أن يحمل على الملك جالوت ويأخذه فداء أبو محمد فكبا به الجواد باذن رب العباد وانكشف عليه الجياد ومدت اليه المداد فما قولكم يا أجواد فى خمسه آلاف فارس تحمل بجملتهم على رجل واحد أخذوه أسير وكانت الاميرة نظرت اليه فاحترق قلبها عليه وحملت تطلبه فما وجدت اليه سبيل ولا وصلت إلى موضع المعمعة إلا وقد حمل الى الخيام هذا والسودان قد قتلت منهم جماعة وقد قلت هممهم لفقده وانحلت عزائم بنى كلاب والسودان الانجاب وقالت لهم ان الله سبحانه وتعالى يبلى المؤمن لينظر الى صبره ويأتيه بعد ذلك بالفرج عند الشدة ويرزقه بعد العسر باليسر (قال الراوى) يا ساده يا كرام وصبرت الناس على ماهم فيه ورجع جالوت الى قومه وأحضر الامير عبد الوهاب وسبه وشتمه وقال له الى كم يمهلك المسيح وأنت تتجبر فى البلاد وتقتل العباد ولا بد لى أن أقتلك يا كلب العرب فقال عبد الوهاب ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه وان الله ابتلانى وكبا بى حصانى والا ما كان أحدا يقمعنى من طول سنانى (قال الراوى) يا ساده يا كرام فصاحت البطارقة وشتموه وهموا ان يضربوا رقبته واذا ببطريق دخل على جالوت ومعه عشر غلمان بالمناطق الذهب والثياب الاطلس

فتعجبوا القوم من زيهم وهموا أن يسألوهم عن حالهم واذا بالبطريق أطلق لسانه بالشكر والدعاء وقال أيها الملك قد أرضيت المسيح ووصل الخبر الى الملك والبترك وقد خرج الملك الى مساعدتك بنفسه فاركب الى الملك والبترك صهرك وهذا خاتم الملك والبترك وأرى خاتمين بفصين جوهر فلما رآهم جالوت قبلهم ووضعهم على رأسه وأقبل على البطريق وقال له يا أبونا هاأنا قدبلغت المنى بأسر هذا الأسود فقال هذا أسرته قال نعم قال على به فلم تكن إلا ساعة واحضر عبد الوهاب فقبض عليه البطاريق وجعل الوهق فى حلقه وقال اعزم على المسير حتى تلتقى بالملك قبل أن يقدم فعند ذلك ركب جالوت فى مائة بطريق وأوصى أصحابه يحفظون ارواحهم وساروا وتخلف البطاريق يحفظ الامير عبد الوهاب فلما علم البطريق ان الملك غاب عن الخيام تقدم الى الامير عبد الوهاب وقد أيقن بالعطب وقبض على أطواقه وقال له يا أمير اعلم انى أنا الامير أبو محمد البطال وقد تركت ضيغم وهو فى مائة فارس على طريق جالوت فاركب على بعض هذه الخيل التى للملك والحقهم على عجل فقال الامير عبد الوهاب عجل بنا يا أخى لحل كتافه وأعطاه أبو محمد سيف قاطع وساروا خلف الملك ركد وخبب فوجدوا ضيغم خرج على الملك فى مائة فارس من بنى كلاب والسودان الانجاب فلكوه وكان جالوت سائر وهو على غير أهبة واذا بالخيل خرجوا عليه وداروا به وبمن معه ولحق بهم الامير عبدالوهاب وحمل على الملك جالوت وقبض على أطواقه وجلد به الارض وجذبه أرماه على وجهه وأخذ أصحابه كلهم أسارى حتى وصل الى الخيام فالتقته الاميره ذات الهمه وضمته الى صدرها وفرحت بنى كلاب واطمأنت قلوبهم وباتوا الى ان اصبح الصباح وركب الامير عبد الوهاب ووقف فى وجوه الروم وأمر ان يحضرجالوت فأحضروه بين يديه فاعرض عليه الاسلام فابى فضربت رقبته ولما رأت الروم الى عبد الوهاب قد خلص من قبضته فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتركوا الخيام والاثقال والرجال وتفرقوا فى القفار وأخذوا المسلمين الخيل والاسلاب والخيام شىء يقصر عن وصفه اللسان وفرح الامير عبد الوهاب بسببه لبنت البترك وزاد طمعه فيها وسار الى نحو ملطيه هو وعساكره (قال الراوى) يا ساده ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من اللعين القاضى عقبه بن مصعب فانه لما أبطأ عليه خبر الامير عبد الوهاب والامير أبو محمد البطال فقال وحق المسيح

ما خبرهم خير أبدا وما ساروا إلا ليفسدوا فى بلاد الروم ثم أنه كتب كتاب وسلمه الى غلامه دينار وقال له أريدك تمضى بهذا الكتاب الى بلاد الروم وتعطيه للملك منويل وتعجل بالجواب وكان الكتاب فيه أما بعد أيها الملك ان البطال وعبد الوهاب وامه عدموا من الثغور وما عدموا الا ليدبروا بعض الحيل على الروم فالملك يحفظ بلاد المسيح وتجلب العساكر والاجناد الى ان اقول لك ما تفعل فى البلاد (قال الراوى) فاخذ الكتاب الغلام دينار وسار الى ان وصل الى منويل واعطاه الكتاب فلما قراه وعلم ما فيه قال لا عدمنا بركة الشيخ النجيح وحجة المسيح وكانت القسطنطونيه فى ذلك الوقت مقلوبة بوصول الخبر وأسر ميرونه واما البترك فانه انهتك ستره لاجل أسر بنته فان قوله مسموع أكثر من ملك الروم فبلغ ذلك الامر عنده مبلغ عظيم وقال الملك لدينا ربلغ سلامنا على الشيخ النجيح وقل له ان الملك اقسم بالمسيح والمذبح والذبيح ومزمار السليح لا بد فى هذه السنة ان يجمع عباد الصلبان من البر والبحر لغزو المسلمين ثم خلع على دينار ورده بالرسالة واما الغدار رأس الفجار وحطب النار فانه ما زال يرتقب الاخبار واذا برايات قد اشرفت واعلام ظهرت ورجال اقبلت فسأل عقبة عن الحال فقالوا له قد اقبل الامير عبد الوهاب ومعه الغنائم والاموال من بلاد الروم الكفار فكادت روح عقبة ان تزهق ومرارته ان تنفطر وخرج الى لقاه الامير عمرو بن عبيد الله والى جانبه عقبه واذا بالامير عبد الوهاب اقبل فترجل عمرو وكذلك عبد الوهاب واعتنقا وركبا الاميرين واقبل القاضى عقبه على الامير عبد الوهاب وقال مرحبا بالسيد المسعود والامير المقصود واشجع من قاد العسكر والجنود فقال البطال كيف لا يكون مؤيد مسعود وبركات القاضى عقبه عليه تعود فتبسم الامير من بلاغة أبو محمد البطال ولطف خطابه ونظرت الابطال من بنى سليم الى ما وصل مع بنى كلاب من الاموال فثارت فيهم الاحقاد وعمل بينهم الحسد والفساد وحل بهم البلا والهم والغم ولما اصبح الله بالصباح واضاء الله بنوره ولاح ركب الامير عبد الوهاب الى الميدان ودارت به الشجعان وقدموا تلك الاموال والتحف والجواهر ونادوا على كل شىء بقيمة بعد ما اخرج الخمس لبيت مال المسلمين الى ان وصلوا الى ميرونه فاحضروها هى والجوار الذين معها وكانوا اربعمائة جارية نهود أبكار مثل الاقمار فقال القاضى عقبه

عن ميرونه هذه الجاريه ما تصلح الا للخليفه لأن القائل يقول لا تقاس الرتبة العليا بامثال العوام كل ما يصلح للمولى فعلى العبد حرام فلما سمع أبو محمد البطال التفت الى الامير عبد الوهاب فرآه قد تغير لونه فقال له يا عقبة ما كلامك كلام من يصطلى الهياج والخليفة ادام الله ايامه الى هذه الجارية غير محتاج ولا يظلم من بذل نفسه فى الدين وقاتل عن المسلمين كما فرض رب العالمين واما من جحد وكفر وعصى وما شكر واستولى على قلبه العجب والبطر أخذه الله أخذ عزيز مقتدر وان من الرأى ان تباع هذه الجارية فى موقف الهوان ويعود ثمنها على اهل الجهاد والطعان وان كان احدا منكم يشترى للخليفة فليتقدم فاستصوب كل من حضر رأيه وما ابدى من كلامه وقالوا صدق أبو محمد فيما نظر ونادوا اكابر السودان اين كان الخليفة عن وقت ضرب الحسام والطعن بالرماح الطوال فنادى المنادى على الجاريه فقال ابو محمد بألف دينار فقال عقبة بألف ومائة قال عمرو وخمسمائة فقال البطال بستة آلاف فقال عقبة ومائتين قال عمرو واربعمائة قال البطال اقصروا الكلام فنادى عليها بعشرة آلاف فظن عقبة انه ينشرح فى هذا المقال فقال عقبة خذها ياابا محمد بارك الله لك فيها فقال حتى تبارك لى المسلمين فقالوا عن آخرهم بارك الله لك فيها ياأبا محمد فعند ذلك اخذها ابو محمد وحملها الى دار الامير عبد الوهاب ووزن المال فكادت مرارة عقبه ان تنفطر والناس يتعجبون من كرمه وكيف حملها ابو محمد البطال الى دار الامير عبد الوهاب (قال الراوى) يا ساده واما عقبة فانه كتب الى الخليفة كتاب وفى اوله (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد فانى بادرت بهذه المكاتبة الى امير المؤمنين وخليفة المسلمين لأمر لا ينبغى كتمانه وهو ان الامير عبد الوهاب سمع بخبر بنت البترك ميرونه فخرج اليها فى العسكر واسرها وجرى من القصة ما هو كذا وكذا وقد اخذ الغنائم واخفى الذى استحسنه وميرونه هى القسم وان جميع الغنائم كلها ما تساوى قلامة ظفرها ولما رأيتها قلت هذه ما تصلح إلا لأمير المؤمنين فصاح على البطال واخرق بى فى المجلس بين الناس واشار ببيعها فبلغت عشرة آلاف دينار فاشتراها البطال ووزن المال واخذها اوصلها الى دار عبد الوهاب وهى منية القلوب والنفوس فطوبى لمن كان لها بعلا وكانت له اهلا ومولاى امير المؤمنين يجتهد فى طلبها من الأمير عبدالوهاب امير المجاهدين فانها غاية القلب والسلام

على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وعلقه على جناح طائر وأطلقه فما مضى النهار الا والخبر عند أمير المؤمنين فتشوش خاطره وغاب رشده وتعلق بالجارية فؤاده وغاب رشاده وما زال الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أرسل الخليفة خلف الفضل بن الربيع وكان حاجب الحجاب وكان الفضل يتعصب لعقبة وعمرو بن عبيد الله نكاية فى جعفر البرمكى لأنه كان يحب عبد الوهاب وبنى كلاب وكان الفضل أبخل أهل الارض فى طولها والعرض والبخل أكبر عيب فى الانسان لان بعض السادات قال كل عيب الكرم يغطيه وقال بعضهم الكرم شجرة فى الجنة يتظلل بها اهل الكرم والكرم اسم من أسماء الله وقيل الكريم مكروم والبخيل مذموم والرزق مقسوم والنعمة لا تدوم والاجل محتوم ولا يدوم الا الحى القيوم وقال بعضهم :

كن كريماً وكيساً وكتوما واكتسب مكرمات كل كريم

(قال الراوى) يا سادة فلما قرأ الفضل كتاب عقبة قال والله يا أمير المؤمنين لقد ظهر من عبد الوهاب ما لم يكن فى الحساب وانا أخاف أن يخرج على الدولة العباسية خارجا ويتجرأ عليها أمثاله فقال الرشيد دع عنك يا فضل هذا الكلام واكتب له كتاب بلطف و حتشام وأمره ان يرسل الجارية ويكون له علينا الفضل والانعام واكتب كتاب لعمرو بن عبيد الله بانه ان تاخر عن ارسالها تقبض عليه وترسله الينا هو واللعين ابو محمد البطال وان عجزوا عن ذلك الامر والشان سرت أنا بنفسى اليه واجعله كامس مضى ماله عوضاً فقال الفضل يا مولانا المثل يقول :

لا يخرج الانسان عن طبعه حتى يعود الدر فى ضرعه

(قال الراوى) فقال الرشيد دع عنك هذه الامثال واكتب الكتاب فكتب الفضل كتاب بما ذكرنا وكان البطال قبل ما يسير عقبة ذلك الكتاب قال لعبد الوهاب يا أبا ضيغم انا اعرف ان عقبة فى هذه النوبة يكاتب الرشيد من أمير تونة ولا بد للخليفة ما يرسل يطلبها ولا يغفل عنها أبدا وان من الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب انك تقوم تدخل عليها من ليلتك هذه من كل بد وسبب واذا بعث الخليفة اليك بعد ذلك يطلبها يبقى لك عذر واضح وتقول له أنا ما علمت ان الخليفة يرسل يطلبها ولا له مراد فيها وها أنا قد دخلت بها ولا أدرى ان كانت علقت أم لا فقال الأمير عبد الوهاب والله ياابا محمد لقد قلت الصواب واتيت بالامر الذى لا يعاب ثم

قام من وقته وساعته ودخل على ميرونة وافتضها وبات تلك الليلة عندها فى أطيب عيش وأهناه وأرغده وأسناه (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أتت الكتب إلى عمرو على جناح الطائر فلما رأى الكتب أنفذ وراء عقبة وأوقفه على ذلك الأمر وعرفه بمطالعة الامام فضحك عقبه وقال سبحان الله ما أظن أن يخفى عليه شىء فى الدنيا من الأمور ومن هذا والله كنت خائف على عبد الوهاب وقد أشرت عليه فأخذنى فى عين العداوة ولقد نهرنى البطال فقال عمرو وكيف العمل يا قاضى فقال له عقبة وأى شىء تعمل إذا لم يسيرها وإلا اقبض عليه ولا تدع أمر الخليفة يضيع سدا ويبقى يراك بعين النقص والهوان ثم أن عمرو أرسل كتاب إلى عبد الوهاب فى الحال وكان عنده فى ذلك الوقت أبا محمد البطال فلما قرأ الكتاب قطب حاجبه بالغضب وغضب وجهه وعبس وقال لله درك يا أبا محمد ما أبصرك بالأمور وأنا لا بدلى من الرحيل من هذه البلاد ثم أنشد يقول هذه الأبيات :

ألا أنه عار على وشـــنعة ... أسلم من أهواه وهو بمنزلى

نفيت من القوم الكرام ولم يكن ... لنا شرف فى كل ربع ومنزل

(قال الراوى) ياساده يا كرام فتعجب البطال لحدة قلبه وقريحته فقال له يا أميره ما يكون إلا الخير أنا أمضى إلى بغداد وأسرق الخليفة وأضيمه اربعين يوم وأضع فى رجليه القيود ولا يعود حتى يحلف لى أنه لا يتعرض إلى ميرونه فقال الأمير عبد الوهاب وقد ضحك والله يا أبا محمد يقع فى ذلك وهن فى الدين وا أسفاه فى حرمة أمير المؤمنين ثم قال ما الأمر إلا أنى أعاتبه واذكر له أنى دخلت بالجارية فان هو رجع عنى وإلا دبرت أمر آخر ثم أن الأمير كتب كتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين إنى دخلت بالجارية وما كنت أقول أن أمير المؤمنين يطلبها ولا ينظر إلى مثلها وإلا ما كنت دخلت بها وأنا أسأل أمير المؤمنين لا يسقط حرمتى ولا يحقر ذمتى فانى عبد هذه الدولة ولى عليها حق الخدمة وأمير المؤمنين أولى من عفى وإن كان مولانا يكره أن نقيم فى البلاد فالمملوك يرحل والسلام ثم قرأ الكتاب على البطال وربطه على جناح طائر قبل طلوع الشمس فما بات إلا فى بغداد فأخذه البراج وأخذ الكتاب ودخل على الرشيد فلما قرأه غضب ووقع به الغضب وصاح على الفضل وقال وأى قدر لهذا العبد الأسود الذميم حتى أنه يقابلنى بمثل هذا الكلام أكتب إلى العساكر

تأتى من كل جانب حتى أخرج اليه واجعل دياره خراب ينوح عليها البوم والغراب فقال الفضل وما تقول ملوك الزمان إذا أنت سرت بنفسك إلى واحد من رعيتك ولكن أكتب إلى عمرو ودعه يسير اليه ويقبض عليه ليسيره اليك وقد انفصل الحال فقال انظر ما تريد وإن عجز عمرو لا بد لى من المسير فعند ذلك كتب الفضل كتاب يقول له أما بعد يا عمرو فان أمير المؤمنين قد أنكر عليك فى قصة عبد الوهاب وأفضى به الأمر إلى نقل الركاب فان كنت عجزت عن الامارة فدعنا نولها خلافك ممن يكون ناهض فى مكانتك ولاجواب هذا الكتاب إلا عبد الوهاب وأبو محمد البطال والسلام (قال الراوى) فهذا جرى هاهنا وأما حديث الفضل فانه كتب للأمير عبد الوهاب كتاب يقول فيه أن الجارية لك وقد أنعمنا بها عليك وما قدرهذه الجارية حتى نبخل بها لديك وقد أنعمنا بها عليك ومن هذا الكلام ولما وصل الكتاب إلى الأمير عمرو أحضر القاضى عقبة وقال له أنظر كيف ترى فى هذا الأمر فقال وكيف ذلك تسير اليه الكتاب يطيب خاطره من جهة الكتاب الذى زوره الفضل وبعد ذلك أصبر ليلتين وسير خلفه فى الليل وتقول له انه وصل الينا رسول من عند الملك منويل ومعه كتاب وما ندرى ما فيه فاحضر حتى تقف عليه فاذا دخل عليك تكون أنت قد أكمنت له خمسين غلام بالسيوف الصقال فيأخذوه قبضا باليد فلما سمع عمرو هذا الكلام قال هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم بعث إلى عبد الوهاب الكتاب ففرح وبعث إلى أبو محمد البطال اعلمه بذلك فقال له يا أمير أحذرهم فكل هذا نصب ومحال (قال الراوى) وأقام الأمير عمرو بعد ذلك أربعة أيام وفى الليلة الخامسة أكمن القوم خلف الأبواب وإذا بالقاضى عقبة قد دخل فأعلمه بما فعل فقال عقبة أرسل إليه بعض الغلمان فقال عمرو لواحد من أصحابه اذهب إلى عبد الوهاب والبطال وقل لهما أن عمرو قد وصلت إليه مكاتبه من ملك الروم ولا يعلم مافيها ويريد أن تقف عليها فلما وصل الرسول بهذه الرسالة قال الأمير عبد الوهاب السمع والطاعة وأما البطال فانه قال أنا والله نفر قلبي من هذا الحديث وأنا أسأل الله تعالى أن ينجينا من هذه النوبة إننى خائف من تدبير هذا الملعون عقبة فقال عبد الوهاب اتق الله يا أبا محمد ودع هذا الخطاب فان الخليفة قد صفح وبكل خير سمح فعند ذلك ركب الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وهو فى سيره مقدم ومؤخر وأحسن قلبه بالبلا ولكنه لأجل عبد الوهاب ساكت وساروا إلى أن وصلوا إلى الأمير عمرو بن عبيد

الله فقام لهم الأمير قائما واذا بالغلمان خرجوا بالسيوف المجذبه فقبضوا على الأميرين فقال ابو محمد البطال يا عمرو ماهذا الحال وما هذه الفعال فقال أتعتب على يا أبا محمد فهذا كتاب أمير المؤمنين أولا وهذا كتابه ثانيا فقال أبو محمد ولم لا أعلمتنا كنا رحلنا من ملطيه وقصدنا بلد غيرها فقال الامير عمرو والامر أقرب من هذا وسوف أتلطف بأمير المؤمنين وأسأله وبكى فقام القاضى عقبه قائما على الأقدام قال يا أبا محمد أعزز الأمير عمرو فى هذه النوبه وهذه الحاله فان يد الخلافه لا يطاولها يدوها أنا أكتب كتاب لأمير المؤمنين أخوفه من الله سبحانه وتعالى فيكما فنظر له الأمير عبد الوهاب شذرا وقال يا معاشر الاصحاب ألا تنظروا الى اعز من هم أعدائى فى الظاهر والباطن والله لم أعدم الحزم ولكنى دهيت (قال الراوى) ثم ان عمرو دعا بصندوقين وجعل كل واحد منهما فى صندوق وكان ذلك تدبير عقبه اللعين وكانت الأميره ذات الهمه فى قلعة الكوكب هى وضيغم والسودان وكانت بنى سليم كلما صح لهم شيء ينقلوه الى ملطيه ولم يشعر بهم أحد وهجموا دار الامير عبد الوهاب وأخذوا ميرونه وجعل عقبه يلاطفها حتى اطمأنت فقال لها بالرومى أبشرى فانى انا الشيخ النجيح وحجة المسيح وانا الذى عملت على خلاصك فقالت وكيف الخلاص وانا أحمل الى الخليفه فقال ادعك تمضى الى الخليفه وقد رتبت لك خمسة آلاف فارس ياخذوك ويقتلوا اعداك اللئام وسوف يصل اليك ملك المغلبيط فى خمسة آلاف فارس إلى ارض سجستان ووعدته ان يكون لكى بعلا وتكونى له أهلا فطاوعيه على هذه الفعال ولا تخالفيه فى المقال وياخذ معك الاسود الذميم والوغد اللئيم واللص المحتال ابو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمعت ميرونه ذلك المقال طاب قلبها وزاد تعجبها ثم انهم حملوها على البغال وسيروها مع خمسة آلاف فارس من بنى سليم والاميرين فى الصندوقين وقد أيسوا من الحياه فقال عمرو أى طريق ياخذون قال عقبه ياخذون على ملق وشمشا الى سجستان الى ان يخرجوا الى آمد لانى لا آمن من ذات الهمه ان تلحق بالقوم ومعها سماع بنى كلاب وسملق فى فرسانه الذى كل واحد مهم يعد بالف من بنى سليم فهو فى الكلام واذا بنجاب قد وصل من عند الفضل بن الربيع لانه كان يشد من عقبه والسبب فى ذلك انه قال للرشيد يا مولانا لا نامن ان يخرجوا بنى كلاب وياخذوهم ولا نرجع نراهم أبدا فقال الرشيد افعل ما بدالك فسار فى الف فارس على الموصل ونصيبين لانها اكثر عمارة

ويكون الملتقا على ارض سجستان وكان ذلك كله تدبير القاضى عقبه لان الرسائل كانت تختلف بينهم على أجنحة الطيور وسار الفضل بذلك الجيش فصعب على جعفر وعلى مسرور وقالوا والله ان ظفر بهما لم يبقهما وينهدم ركن الدين وهذا كله بتدبير القاضى عقبه ودخل مسرور على الست زبيده وقال لها هذه هدية عقبه ومشورته على الخليفه فقالت يا مسرور هذا كتاب عقبه يتوجع من أمر الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وانه يسير فى كل وقت جاريه ويهديها لامير المؤمنين وان عدمهم أحسن من بقاهم واريح لقلوب السلاطين فلما سمع مسرور ذلك الكلام قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ذهبوا والله الامراء (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأميره ذات الهمة فانها لما سمعت بخبر الاميرين أتت كانها اللبوه مهمهمه فرأت الديار بلاقع كما قال القائل

أحب منازل الاحباب ان غابوا وان حضروا
وأسقيها بماء الدمع اذا لم يسقها المطر
ولولا كثرة السلوى لكان القلب ينفطر
وانى انتظر فرجا بامر الله والقدر

(قال الراوى) فعند ذلك صاحت الأميره ذات الهمه وقالت يال كلاب يال حام فاجابها عشرة آلاف من بنى كلاب وخمسة آلاف من السودان يقدمهم سملق ونافع وميمون الجماس وارسلت خلف عمرو بن عبيد الله وقالت له ياعمرو هذه فعالك مع ولدى مرة بعد أخرى فقال أيتها الأميرة انا مالى ذنب وهذه كتب الخليفه فقالت له يا عمرو والله إن ولدى لا يضيع أبدا ثم تمثلت تقول هذه الابيات

ستعلم ليلى أى دين تداينت وأى غريم للتقاضى غنيها
ومن قال ان الدهر يبق بحالة سيبقى من الايام اردى سمومها

(قال الراوى) ثم قالت لاصحابها وحق عالم الأسرار ومن احتجب عن الأبصار لاطلبن ولدى ولو كان فى حجر الخليفه ولاأصبر عنه الا ان أعدم القوى وبعد ذلك أنشدت

ترحلتموا عنى وأنتم مهجتى وخلفتمونى فى الديار رهينا
تركتم عيونى لاتمل عن البكا لفرقتكم أضحى الفؤاد حزينا
أيا غائبا عنا ملكت قيادنا وأسقيتنا كاس الفراق مهينا
وصار فؤادى للفراق معذب يذوب من الهجران وهو حزينا

وعاد اشتياقى والغرام مع الحشا مفاداة قلبى فيه مجتمعينا
تحالفت الهجران والصد والجفا على مقلتى ووفوا بذاك ضمينا

(قال الراوى) وبعد ذلك أجرت الدموع وأفاضت فوات موقوع حتى أبكت القلوب وتركت القلب مكروب وأنشدت تقول :

لقد صرت مضنا وقلبى رهينا ودمعى سفوحا على الغائبينا
يهان الأمير على ذلة سوى أن يجاهد فى الكافرينا
واقبل فى أرضكم غازيا وإن كنتمو عنه لا تصبرونا
سأبذل روحى فداء له كذا الأمهات تفادى البنينا
وإن شئتمو نصرة فاعزموا فلا زلتمو أبدا ناصرينا
وان خفتمو من نكال الرشيد فانكم عندنا غادرينا

(قال الراوى) فصاحت بنى كلاب لما سمعت من الأميرة هذا النظام وقالت ماهذا المقال أيتها الأميرة أرواحنا فداء الأمير عبد الوهاب ولو أمرتينا بخوض البحار خضناها أو النار ولجناها وقالت السودان وما نصنع نحن بالحياة بعد مولانا فاجازتهم الأميرة خيرا وسارت بهم وهى تحثهم فى المسير (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فان الفضل بن الربيع التقا بهما وأخذهما وسار الى ان وصل إلى سجستان وهم أن يحط بالرجال وإذا بغبرة طلعت وعجاجة قد ارتفعت وتزوبعت وظهر من تحتها أعلام روم القسطنطونية ولهم ضجيج وعجيج مثل البحر العجاج الواسع الفجاج وأقبلوا على عجل وتدارك الطعن بالاسل وقل من الفضل الحيل واتته الأبطال بلا مهل ولم يكن الا مثل لمح البصر حتى أخذوا الفضل بن الربيع ووقع القتال فى الجميع فقال البطال للأمير عبد الوهاب اتسمع مانسمع قال نعم ثم قال البطال هلكوا والله الجميع فقال البطال لاسلم الله منهم وقت قال الأمير عبد الوهاب وأنت يا أبا محمد أنجس منهم فضحك من كلامه (قال الراوى) وأما ما كان من بنى سليم فإنه قتل أكثرهم وأسر أشهرهم وهرب الهم وأخذوا الفضل بن الربيع والأمراء ورجعوا طالبين القسطنطينية وهم يجدون السير والفضل مقيد فقال له البطال من حفر لأخيه المسلم قليبا أوقعه الله فيه قريبا وسارت البريد تعلم ملك الروم وخرج ومعه أرباب دولته وهو راكب والروم فى خدمته والبترك افرح الخلق بابنه وخرج الخاص والعام ووصل إلى الملك المغلبيط

فترجل له وقبل رجله فى الركاب فخلع عليه وأعطاه أقطاع مثل بلاده وكذلك ميرونه ترجلت لأبيها والملك منويل ثم اخرجوا الاميرين وأركبوهما على جملين عرى وألبسوا كل واحد طرطور بجلاجل فصار البطال يضحك والأمير عبد الوهاب يقول ماهذا وقت الضحك يا قليل المروءة فقال البطال يا قليل العقل وإيش نجد للضحك أحسن من هذا الوقت ونحن راكبين والناس فى خدمتنا ماشيين فقال عبد الوهاب ولعله خير إن شاء الله تعالى وجعلوا الناس يبصقون عليهما من كل جانب إلى أن وصلوا إلى باب الذهب فأمر الملك أن ينزلوا بهما إلى دار البلاء ووصل إلى قصره بعد ما كتب إلى سائر بلاد النصارى يأمرهم بالحضور وعول على صلب الأميرين بحضور الناس (فهذا ما كان) من هؤلاء وأما ما كان من أم المجاهدين ومن معها فانها سارت إلى آمد ومن هناك علمت بخبر الوقعة التى جرت بسجستان فقالت والله مابقى لى قلب يطاوعنى على الرجوع إلا ملطيه لأن الديار بسكانها والأحباب بخلانها ولقد أحسن القائل حيث يقول :

أمر عن الديار ديار ليلى   أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبى   ولكن حب من سكن الديارا
ولولا حبهم ما كنت يوما   أسائل أربع أضحت قفارى

(قال الراوى) ثم أن الأميره قالت أنا لا بدلى من الاقامة هاهنا حتى أسمع خبر ولدى وأعمل على خلاصه وان تكن الأخرى رحلت إلى أرض الحجاز فمن أراد منكم أن يوافقنى ويرافقنى يوافق ومن اشتهى الفراق فلا ألومه فقالوا والله مافينا من يفارقك وقال الأمير ضيغم معلوم انك لم تعدى من الأمير غير النظر وأنا أقسم بسيد البشر فخر ربيعة ومضر ما أدع دم والدى وأبو محمد البطال هدر ولا بد ما أمضى الى ملطيه وانزل بكل من فيها الرزيه وأسقى عقبة كاس المنيه وأخرج بنى سليم من البلد بالكلية وأضرب فى وجه الخليفه بالسيف ولا أدع لأهل العراق نومة هنية ثم انه بكى وأنشد يقول :

لئن صبرت نفسى وصارت جليدة   على الضيم أنى لست أرضا مقالها
سأهدم دار المجد من ملطيه   وأخرج منها أهلها ورجالها
وأشفى فؤادى بعد قتلى لعقبة   وأقتل عمرو ثم أنهب مالها
وأضرب أرض الروم من بعد والدى   وأفنى بسيفى من يروم نزالها

وأتلف اعمال الرشيد بأسرها ويطلب منها ذرة لا ينالها
كذا عمى البطال آخذ بثاره ولو فنيت ارماحنا ونصالها

(قال الراوى) فبكت الأميرة ذات الهمة وقالت كانى أسمع همهمة الاميرعبدالوهاب وأما ما ذكرت من قتل عقبة فإن أبوك وابو محمد البطال فى أرض الروم سالمين ومتى ما تحققت الروم قتل عقبة قلوهم لأجله فلا تؤثر أمراً حتى أبصر ما يكون وها أنا أدع الثغور لأجل اليمين الذى أقسمته وأقصد أرض حلب والطائفية واعمل على قدر ما أرى ثم قالت لبنى كلاب وأنتم تمضون إلى أماكنكم إلى وقت الحاجة اليكم ولا ينبغى إلا من ليس له زوجة ولا أولاد وهؤلاء الأربعة آلاف السود عليهم بعد الله المعتمد فشق ذلك على القوم وأخذهم البكاء والنحيب فقالت الأميرة أنا أؤمل من الله الفرج القريب فأنا ما أقيم فى أرض الشام إلا بقدر ما أسمع أخبار ولدى والبطال ان كانوا بالحياة وإلا هلكوا فإن كانوا هالكين أخذت ثارهم وان كانوا بالحيا اسعى فى خلاصهم (قال الراوى) فعند ذلك انفصل معها خمسمائة فارس من بنى كلاب الأنجاب برماح مداد وسيوف حداد وسواعد شداد ويقدمهم ضيغم ومالك بن طوق راشد وبقى الثغر متوحشا وتفرقت سادات بنى عامر وكلاب كأنهما غنم بلا راعى وعلمت الناس برحيلها وفرحوا السفهاء واغتموا العقلاء ووصلت الأخبار إلى أرض العراق فقامت الدنيا على قدم وساق وعظم على الرشيد وأرسل إلى ملك الروم مع خيل البريد أعلمه بذلك وكتب الكتب وعلقها على أجنحة الطيور إلى سائر الاقاليم والامصار وأمر ان يخرج الخيام والسرادقات ونادى فى بغداد بالغزاة والجهاد فهو كذلك وإذا بالأخبار وصلت اليه من خراسان انه خرج عليها خارج اسمه جرهم بن جرهمان وقتل هرمز ملك البطم واحتوى على البلاد وأكثر الفساد وغزا على العجم وقتل اسماعيل وملك غزته وأهل تلك النواحى أقر عن حمل الخراج وكان الإمام قد سمع بأخباره قبل تاريخه ولم يحتفل به وترك أمره وأمر الولاة ان تقصده وتقبض عليه فلم يقدروا على ذلك حتى زاد شره وكثر مكره وقوى أمره وأوى اليه كل جبار وقليل الدين وملك الديار واحتوى على الامصار واتصل الخبر إلى الخليفة لما بعث يطلب العساكر فرجع اليه الجواب ان ما بقى للعجم والديلم ملك غيره وقد طرح عن الناس الخراج واستمال القلوب من سائر الأقطار وعنده ناس كثير

من الترك وصاروا له أجناد ولا يحمل الخراج إلا اليه ولما سمع الرشيد تلك الأخبار صعب عليه وكبر لديه (قال الراوى) فبينما هو كذلك إذ دخل عليه البراج يطير حمام قال من أين هذا قال هذا يا مولانا من ملطية فأخذ الكتاب وفتحه وإذا فيه العجل العجل فإن ملك الروم نزل علينا بألف ألف وأربعمائة ألف والبلد أشرف على الأخذ فأدركنا قبل فوات الأمل وخيبة العمل فارحم النساء والأطفال فقد انقطعت بنا الأسباب وغلقت الأبواب لأن ما عندنا أحد من بنى كلاب ولا من السادات الأنجاب فعند ذلك ندم الرشيد حيث لا ينفعه الندم وقال لعنك الله يا عقبة ولعن تلك الجارية الميشومة وبقى الرشيد كانه طير مقصوص الجناح لا يدرى ما يعمل والسبب فى ذلك ان الأميرين لما دخلوا البلد وهم مشهورين على الجمال حبسهم ملك الروم وكتب الكتب إلى سائر الأقاليم وملوكها وقال لابد من صلبهم وإذا بكتاب عقبة وصل عنده يقول أما بعد أنا أريد أحضر صلب الأسود والبطال حتى أشفى منهم غليل قلبي وابلغ غاية مرادى فكف ملك الروم عنهم وجعل ينتظر قدومه (وأما) القاضى عقبة فإنه جهز أمره وهيأ أشغاله وأظهر انه سائر إلى بيت المقدس وكل من رآه يقول له أنا ماضى أقيم هناك سنة وودع عمرو وسار إلى ان وصل إلى وادى الحجل إلى ان قرب من أرض قونيه وهو يسير الليل ويكمن بالنهار وإذا هو بجماعة من الروم وهم يقولون لبعضهم جدوا فى مسيركم حتى نصل إلى القسطنطونية حتى نحضر صلب الاثنين ونشتفى من الكلبين لا سيما الذئب الأمعط والثعبان الأرقط والبلاء المسلط صاحب الاحتيال أبو محمد البطال والأسود الزنيم والوغد اللئيم فإن المسيح قد أوقعهم فى يد الملك وما وقعوا إلا بتدبير الشيخ النجيح وحجة المسيح وكان عقبة قريب منهم فقال لغلامه إصحا يا ولدى ألم أقل لك ان ذكرى سار إلى سائر الامصار ولكن امضى إلى هؤلاء وقل لهم لا تستعجلون فإن الملك ما يقدر يمضى فيهم أمر من الأمور حتى يصل اليه أبى الشيخ النجيح فعند ذلك مضى الغلام إلى ان وصل اليهم وقال لهم تمهلوا على أنفسكم فإن الملك ما يقدر يمضى فيهم أمر من الامور إلا بحضورنا فقال له واحد من الجماعة اننا ما نعرف من هو بهذه الصفة إلا الشيخ النجيح وحجة المسيح فقال الغلام هو أستاذى بركة المسيح فى بلاده فقالوا الجماعة ها نحن معكم لاننا أشوق الناس اليه وأعظام لديه وكانت هذه هى ذات الهمة وهى

عليه مصممة وهذا ضيغم وهو على قتله مصمم وهــذا لؤلؤ غلام البطال وهو مشتاق إلى صفعه بالنعال وهذا جوهر وهو عليه يدور وهذا بقيع وهو قد أتاه سريع فعند ذلك صاحت الأميرة ذات الهمه ومسكته من عظمة قفاه كادت ان تعدمه الحياة وقالت وقعت يا ملعون يا كافر يا مفتون قد حل بك البلاء ولا بد ما أسقيك من الموت جرعة ووثب لؤلؤ غلام البطال وقبضــوه الاثنين وأوثقوه كتاف وقوروا منه السواعد والاطراف وقالت الأميره ياقاضى من يقلب الدول ويتقن الحيــل يمشى هكذا فى السهل والجبــل فقال لها ما علمت يا عاهرة انك فى كل مكان حاضره فقالت يا مرتاب يا كلب ياغدار أنا أعقل عن أبا محمد البطال وعن ولدى الأمير عبد الوهاب وحق رب الارباب سوف تظر منى عذاب ما تطيقه الكلاب من الطعان والضراب ولكن ما هذا موضــع كلام ولا عتاب (قال الراوى) يا ساده يا كرام وكان السبب فى مجىء الأمـيرة إلى تلك الأرض والمكان وأخــذ عقبة شيخ الكفر والضلال كان لؤلؤ غلام البطال لأن لما جرى ما جرى على الأميرين سارسبك ويانس وبديع غلمان البطال ســاروا دائرين يلتمسون الأخبار لعلهم أن يقدروا على فرج أو يسمعوا أخبارهم من السفار فتنكروا فى زى البطارقة وتوصــلوا إلى القسطنطونية وصاروا فى كل يوم يحضروا بمجلس الروم إلى يوم من بعض الايام وإذا بغلام عقبة دخل على ملك الروم ومعه كتاب يأمر الملك لا يحدث فيهم أمر حتى يأتى القاضى عقبة فخرج لؤلؤ وجميع الغلمان وقصدوا إلى الأميرة وما زالوا ســائرين الليـل والنهار حتى وصلوا إلى أطراف السويدية فرأوا هناك الأميرة فاطمة العامرية فاعلموها بالقضية وقال لها لؤلؤ أيتها الأميرة سيرى بنا على عجل بلا تعويق لعلنا ندرك عقبة فى الطريق واغتنمى الوصية قبل حلول القضية وأنا أسير بكى فى أماكن لا تهتدى اليها الجن فقال ضيغم وأنا أكون معكما فمعاذ الله ان اتخلف أنا بعدكما فى الديار والأميرة داخلة الى بلاد الكفار ولا بد لى ان أكون بين يديها أضرب بالصارم البتار فقال راشد بن حمزة وأنا ثالثكما فى تلك المرة ولاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم (قال الراوى) فصلت الأميرة فى تلك الليلة صلاتها وقرأت وردها وقضت ما عليها من حقوق ربها وقدمت على بنى كلاب مالك بن طوق وعلى السودان سمق ونافع وسارت الاميرة وقد ألبسها لؤلؤ لبس الصقالبة وساروا يكمنون

النهار ويسيروا بالليل إلى ان وصلوا إلى وادى صفوان والتحقوا بالشيخ القرنان ثم مسكته الاميرة كما ذكرنا وقدموه قدام السودان وصار الصك يأتيه من كل جانب ومكان ثم قالت له الاميرة اكتب الآن إلى الملك واعلمه بأنك قد وقعت فى قبضتى وان أصاب أحدا من الامراء مكروه عذبتك العذاب الاليم واصطنع لك العقاب واسلمك الى بنى كلاب والسودان الانجاب وان اردت سلامة نفسك فأمر الملك لا يبدى فى الامراء أمر من الامور ومهما أمرتك افعل وإلا تكون أنت فداهما فعندها أمر عقبة أنهم يحضروا له دواة وقرطاس فأتاه لؤلؤ بذلك فكتب الى الملك كتاب أما بعد أيها الملك فان المسلمين قد مسكونى وحل بى منهم ما حل من العذاب الاليم والفعل الذميم وسبب ذلك انى كنت متوجه اليك أقطع الفيافى والقفار وأسير الليل وأكمن بالنهار إلى ان وصلت الى وادى صفوان فما علمت حتى تواثبـــوا الى غلمان البطال وذات الهمه وضيغم فى زى صعاليك الرهبان فمسكونى وسقونى من العذاب ألوان وأنا على ذلك فى الذل والهوان والذى أريد منك لا تمكن أحدا من عذاب البطال ولا عبد الوهاب واذا علمت ما فى كتابى عجل برد جوابى وتحلفهم لا يتعرضوا الى بسوء أبدا ويحضرونى الى عندك ســـالم وتحلف الامير عبد الوهاب فانه إذا حلف لا يحنث أبدا ولا يصعب عليك اطلاقهما فان جميع الآفاق وملطيه والعراق لا بد لى ان اسلمهم اليك فى هذه السنة من غير ضرب ولا ضراب فتجاوز عن السيئة والحسنة لأن عندك حماة الاسلام وأبطال أهل الايمان وقد أوقعت بينهم وبين خليفتهم وشتتهم عن الاوطان كلهم والخليفه قد خرج عليه خارجى من خراسان يقال له جرهم المجوسى وسمعت انه من بلاد العجم وانه على دين عيسى بن مريم وقد احتوى على بلاد الخليفة وهو لم يجد له نجدة ولا انسان وسير أنت والعساكر واطلب النصره من المسيح فى هذه الغفلة على بلاد الاسلام ما دامت الامور تواتيك ولا يصعب عليك اطلاق ما فى يدك من الاصفاد فانى لهما بالمرصاد ثم سلم الكتاب للأميره ذات الهمه وقال لها ان شئتى ان تقريه وتعرفى معانيه وتظهر لكى الاخبار فقرأته الاميرة وعلمت ما فيه فقالت قاتلك الله ما أخبرك بالمكر والحيل وما يهتدى أحدا الى ما تعمل فقال وأنتم حاشاكم من هذا الآن مافيكم شيطان ولا عيار ولا محتال وبعد مايخلص ولدك من الاسر وشدة التعب دع الدنيا بعده تنقلب ولولا

إنى أطمع الملك بهذه الأمانى لكان فى أيديكم خلانى فضحكت الأميرة منه وأرمت الكتاب إلى غلامه وقالت له يا شيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهاله ما أحكم حيلك وما أخبث عملك فمسك الملعون لحيته وقال أيتها الأميرة أما تستحى من شيبتى كم توبخينى فقالت الأميرة يا كلب يا غدار والله لابد أن الله يعذبك بالنار ويعقبك سوء الدار لأنك كلما طال عمرك زاد كفرك ثم قالت هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

كلما عاقبه واعظ الشيب على دينه عصى واستمرا
فهو كالطفل من بنات الأفاعى كلما طال عمره زاد شرا
وكذا أنت كلما عشت يوما زدت شرا ولعنة ثم كفرا

(قال الراوى) فتأسف الملعون عقبة وقال آه آه آه ما المسيح إلا مسلم ، كادت مرارته ان تنفطر فعند ذلك زعق على غلامه أتى اليه فأسر اليه كلاما وقال له قل للملك لا يخرجهما من حبسه حتى يحضرونى اليه ولا يحلف إلا عبد الوهاب ولا يغتر بكلام البطال لأنه لايضبط على إيمان فأخذ غلام عقبة الكتاب وسار يقطع البرارى والقفار حتى وصل إلى القسطنطينية ودخل على الملك بغير استئذانه وهذه عادته لأن الملك يعلم أنه ما يبعث أحدا فى رسالة الا تكون نصيحة للروم فأوصى البوابين اذا وصل أحد من عند عقبه يخلوه يعبر من غير استئذان (قال الراوى) فلما دخل غلام عقبة فى ذلك اليوم قبل الارض قدام الملك وسلم الكتاب اليه وحدثه بما جرى عليه وعلى مولاه فى الطريق وكيف قبضت عليه الأميرة ذات الهمه فعندها التفت الملك منويل إلى الملوك الذين بين يديه ووردوا عليه لينفرجوا على صلب البطال وعبد الوهاب فحدثهم بما جرى على الشيخ النجيح وقرأ الوزير على الملوك كتاب عقبة فقال الملك لهم ماذا تشيرون قالوا أيها الملك نشير عليك بصلب الرجلين وتريح النصرانية من ذلك الشيطانين ونسير نخص الشيخ النجيح وحجة المسيح بسيوفنا فقال الملك ما هذا صواب لأن فى هذا يغضب المسيح علينا لأن ما فى ملتنا أكبر خدمة للمسيح من الشيخ النجيح عقبه وإن فعلتم ذلك قتل بلا محالة وتعمى أخبار بلاد الاسلام علينا الى أبد الابد ولا يقوم مقامه أحد فقالوا ان جميع النصرانيه قد اجتمعت لتشفى غليلها من قتل أبو محمد البطال الذى تفزع منه الرجال ثم الأطفال ولا يؤثر فيه أثر حتى يعرف فى بلاد

الروم فانه متى عرف فى بلاد الروم مسك وقد اتفقوا الجميع على قطع يد البطال وقطع ابهام عبد الوهاب حتى يبطل عن ضرب السيف واتفقوا على ذلك وغصبوا الملك على ذلك وأمروا البطارقة أن تظهر النداء وجميع أجناس الروم فلم يقدر الملك أن يمنعهم وأمر باخراج الأميرين فصعب على مارس ودارس وقالوا لنا أسوة بهما واذا رأينا الملك عول على أذاهم أظهرنا دين الاسلام ونموت كرام ولا نموت لئام فلا بد لنا من الموت بعد الأميرين ولا نريد الحياه بعدهم أبدا ثم تقدم مارس ودارس الى الملك وقالوا له أيها الملك انا نخاف أن كل شىء فعلناه فيهما فعلوا فى الشيخ النجيح مثله ويطالبنا المسيح بسببه وهؤلاء العرب لهم عوض والشيخ النجيح ماله عندنا عوض فقال الملك وحق المسيح لقد نطقتم بالصحيح ولكن لابد من احضارهما حتى أسمع كلامهما (قال الراوى) يا سادة فوثب خمسين بطريق بالسيوف المجذبة والعمد المذهبة حتى أتوا الى دار البلاط وقالوا للسجان ارفع الطابق فان الملك أمر باحضارهما فقال نعم فقام لهم الطابق وقال لهم دونكم وما تريدون فنزلوا الجماعة يخرجوا الاميرين من السجن (قال الراوى) لما نزلوا البطارقه الى السجن يخرجوا أبو محمد البطال والامير عبد الوهاب فلم يجدوهم ولم يجدوا سوى القيود مكسورة ومرمية وما ثم أحد فى المطمورة من المحابيس أبدا فعند ذلك اندهشت البطارقة وصلبوا على وجوههم ورجعوا الى الملك وهم صارخين فقال الملك ما حالكم وما الذى أصابكم أخبرونى بما جرى لكم فاطلعوه على الخبر فقامت عليه القيامة وقال وحق المسيح مابنا خلاص المسلمين وانما خوفنا على الشيخ النجيح من العذاب المهين ثم قام الملك بنفسه والملوك بين يديه وجاءوا الى المطمورة ما وجدوا فيها نقب ولا تسليق فسأل السجان فقال أيها الملك وحق المسيح ما نعلم سبب هروبهم فأمر الملك بضرب رقابهم فقام السياف وأراد أن يرمى رقابهم واذا بعجوز قد أقبلت وقالت أيها الملك ان اذنت لى أخبرتك وأوقفتك على جلية الاثر وعلى جميع السبب وعلى الهارب كيف هرب فقال لها الملك قولى وأوجزى فقالت أيها الملك أعلم أن ميرونه بنت البترك لما تخلصت دخل اليها بنات الملوك وهنوها بالسلامة وسألوها كيف كان أخذها وخلاصها وما لقيت فى بلاد الاسلام فحدثتهم بحديث البطال وكيف يعمل بالرجال والابطال فقالوا كنا نشتهى نراه حتى تصوره كل واحدة منا عندها فى مجلسها فقالت لهن مليكه ابنتك قوموا بنا

إلى دار البلاط حتى ننظر اليها فقامت معها بنات البطارقة وما أعلم بعد ذلك ماجرى (قال الراوى) فقامت على الملك القيامة ورجع على نفسه بالملامة فقالوا له الملوك أيها الملك دع عنك التعب والملام فقد كان الذى كان واطلب الغزاة واخرب بلاد الاسلام واغزو بنا على العراق وجميع الآفاق فان العرب وقع بينهم وبين السلطان وسمعنا أنه خرج عليه خارجى من خراسان فاستدرك الفرصة ما دام الأمر كذلك فعند ذلك أمر المنادى أن ينادى فى الروم بالغزو فلم يتخلف غير النسوان والشيوخ والرهبان واجتمع على باب القسطنطونية ألف ألف وثمانمائة ألف ورحل طالب ملطية فتزلزت الارض من شدة الركض والملك متفكر فى هروب الاثنين ولم يزل يجد المسير ويسرع التشمير إلى أن وصل إلى ملطية ونظرت الديادبة اليهم فاعلموا عمرو فركب فى سبعين ألف من بنى سليم وقال يا بنى العم اليوم أريد تبيضوا وجوهكم عند الخليفة وتنصروا دين الاسلام حتى لايقولوا الناس إن ماكان يمسك الثغور إلا الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب فقالوا كلهم طب نفسا وقر عينا وسوف تنظر منا رجال وأى رجال فبينما هم فى الكلام وإذا بالدنيا اغتمت وأظلمت جنباتها ونفرت الطيور من أوكارها والوحوش من فلواتها وأظلم الجو من غبارها وأظلمت الأرض من أقطارها وأقبل الجيش مثل السيل المتحادر والمطر المتواتر فوقعت العين على العين وزال الشك والمين وتقابل الاعلان وظهر الكتمان وفى أوائل الجيش أربعين ألف من الافرنج وهم كبار الأجساد كأنهم من بقايا قوم عاد وقد حلقوا اللحاء ونشروا النشور وكفروا بالملك الغفور وأقبل الصليب الاخضر وعلى رأسه رمانة من الجوهر وأشرف الملك منويل وعلى رأسه الاكليل ويحجبه ألف غلام أجرد مرد بمناطق الذهب وبين يديه ألف من الشمامسة والقساوسة ونظروا بنى سليم إلى هذا الامر العظيم فقالوا لعمرو الصواب أننا ندخل البلد ونغلق الابواب ونجعل القتال من فوق الاصوار ونكاتب الخليفة على أجنحة الطاير لعله أن يلحق البلد قبل أن يأخذوها فما لنا بهذا العدو طاقه ولا نجد فيهم استطاعة فقال عمرو لا يمكن أن ندخل البلد بلا قتال بل إننا نقاتل فقالوا له الجماعة افعل ما بدالك فلا نخالف مقالك وها نحن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا بالملك الغيطفور حمل فى أربعين ألف فارس وتبعه ملك البرغل فى عشرين ألف وهو لابس السواد على ولده الجالوت وتبعه ملك المغلبيط فى خمسين

ألف وتتابعت العساكر مثل البحر الزاخر وارتفع القسطل وحمى الموجل وغلت نار الحرب لغليان المرجل وكثر الخطا والزلل وبطلت الحيل وكلت من الرجال عزائمها ولبست الأرض حلل أرجوانها من دماء الفرسان وانقطع طمع المسلمين من الحياة وانتظروا الفرج من عند الله ورمت الافرنج فى أعناق بنى سليم الارهاق وقامت الحرب على قدم وساق وعقر الجواد بعمرو بن عبيد الله فانقضوا عليه وأخذوه أسير وقادوه دليل حقير ودام على القوم شراب التعتير فولوا يطلبون الثغور بالصدور والطعن يعمل فى الظهور وتراجعوا فى الابواب فقتل منهم خلق بعدد التراب وقد حمت الاعداء والحساد من الكفار وندمت الاعداء والاحباب على فقد الامير عبد الوهاب وعلا منهم البكاء والانتحاب وأرسلوا الطيور إلى بغداد فدخل البراج على الرشيد واعطاه الكتاب فلما قرأه كاد أن يغشى عليه وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لا إله إلا الله لقد انقضت ايام خلافتى وهذا كله من تدبير القاضى عقبة ثم امر ان يكتب إلى مصر والصعيد والى حلب ودمشق الشام واعمالها وآمد ونصيبين وميافارقين واستنجد بجميع الناس واهل سبأ وحضرموت وقبائل العرب وتضمن لهم الفضة والذهب وامر ان يكتب لاهل مكة كتاب يطلبون منهم الدعاء وان يكتبوا فى الكتب اين اهل الدين والحمية للمسلمين فالعجل العجل قبل فوات الامل (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من اهل الثغور من بنى سليم فانهم باتوا على الاصوار وصار ليلهم مثل النهار وبات اللطم يعمل فى دار عمرو وامه تنعى على ولدها وأسره وعلى حصار البلد وقالت هيهات ان عاد يسمح الزمان بمثل الامير عبد الوهاب فياليت شعرى كيف حالنا لفقد عزنا ولقلة صبرنا على هذا البلاء وانشدت تقول :

الا يا دموع العين فيضى بحرقة	فان حماة الثغر عنـــا تولت
وأصبح جيش الروم من حولنا غدا	مقيما ففاضت من عيونى عبرتى
ومضى اميرا كان انجح ديارنا	اذا تعبت ابطالها واستــــتقلت
امير كلاب غاب عنا فأصبحت	جيوش الاعادى تستطيل بقسوة
وكان لنا حصنا منيعا وناصرا	اذ ما عناقيـــد المنايا تدلت
غدرنا به من جهلنا فتملكت	واعدائه قد اعطيت ماتمنت
فأصبح مأسورا بأرض بعيدة	ومن بعد هذا امه قد تخلت

(قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وجردت الصفاح وأحدق الروم بالبلد كما يحدق البياض بسواد الحدق وتقدم البترك والجاثليق الحليق ونصبوا العرادات والمناجيق وركب الملك بنفسه وزحف الى البلد فى الف الف وثمانمائة الف وصاحوا صيحة واحدة فى أهل ملطية فخيل لأهلها ان السماء انطبقت على الأرض وزادت الأهوال واشتد القتال وتقدمت الشعابين والروم بجمعهم من خلفهم وما أمسى المساء حتى أرموا برجين وبدنه فصاحت الأطفال واايتماه والنساء وافضيحتاه والسادات واسلاماه وأشرفوا ذلك اليوم على الأخذ وإذا بغبار علا وثار وسد الأقطار وعلا غتامه وتزوبع بعد ان تعلق الى كل موضع فبطلت الكفار عن القتال وأمنت العرب الخلاص من الوبال وكانت أم عمرو هتكت الستور وخرجت وقالت لبعض العرب خذ لنا الخبر فنزل من الصور الغربى فى زى أصحاب حرب بن شيبان وسارت أيضا الطلائع ساعة وعادوا للملك يبشروه بالفرح والسرور وقالوا أيها الملك قد أتى رجل ما أطاعك قط لا أنت ولا أبوك ولا أجدادك ولاوطىء بساطكم وهو الدغموس بن حرطاووس صاحب جزيرة الصخر وقلعة العمد وهو قادم عليك فى جيش عظيم وما نعلم أى سبب أخرجه من بلاده وأتى به الى هنا ففرح الملك بذلك وركب الى لقاه فى خمسين ألف فارس (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما التقاه منويل ترجل الدغموس وقبل رجله فى الركاب فقبل رأسه وسار إلى ان وصل إلى الخيام فأقبل عليه الملك غاية الاقبال وجعل الدغموس يحدثه بسبب خروجه من بلاده ثم قال أيها الملك ولكن عندى بشارة أبشرك بها فقال الملك وما هى فقال قبضت على أمراء المسلمين الذين هربوا وأهدموا ركن الدين وهما أبو محمد البطال والامير عبد الوهاب أمير بنى كلاب (قال الراوى) فلما سمع منويل بذلك كاد أن يغشى عليه فقال كيف كان السبب فى قبضهما وكان من قضاء الله وقدره ان الامير أبو محمد والأمير عبد الوهاب لما تخلصوا من القسطنطونية ساروا فى بعض المراكب حتى توسطوا بحر الروم وأشرفوا على الجزاير وعلى جزيرة الصخر وعلى جزيرة فى وسط البحر وهى اثنى عشر فرسخا طولا وعرض وهو من الصخر الاملس الصوان وهى على جبل فى وسط البحر وفى وسط الجزيرة أربعة عيون ماؤها أحلى من الشهد وأشجار عليها من سائر الأثمار وأهل الجزيرة فى قلعة مربعة على أربعة أبراج من النحاس قواعده من الرصاص منزل فى الحديد ولكل برج أربعة أعمدة

والأبواب من البرج الى البرج واذا قعد الإنسان على برج من أبراج القلعة ينظر فى البحر مسيرة أربعة أيام ومن السنة الى السنة يرسل الله تعالى طيرا على صفة الأوز يخزنوه من السنة الى السنة ولا يروح وكل أهل بلاد الى أهل هذه الجزيرة يتجرون والى أهلها يحتاجون واذا دخلوا الى عندهم التجار يربحون فى الدرهم دينار (قال الراوى) وكان خلاص الأمراء من القسطنطونية وسبب وصولهم الى هذه الجزيرة لؤلؤ غلام البطال وذلك أنه أتى الى القسطنطونية ومعه بقية الغلمان فى أثر غلام عقبة وقصد الى دار مارس ودارس وسأله عن أخبار مولاه البطال فأخبره أنه مسجون هو والأمير عبد الوهاب فى دار البلاط فقال له أريد منك أن ترسل معى من يوريني المكان من بعيد فأمر مارس بعض غلمانه أن يريه دار البلاط ويرجع فلما وصل لؤلؤ الى ذلك المكان كان وصوله مع وصول ابنة الملك وميرونه بنت البترك وجماعة من النسوان فتزيا لؤلؤ فى زيهم وتبعهم الى المطموره وتخبأ فيها فى مكان مظلم وما زال الى أن خرجوا فتقدم لؤلؤ وفك قيودهم بعد ما سلم عليهم وصبر حتى نامت العيون وخرج الى باب المطمورة ولم يزل يبرد الحلق واللوالب الى أن خلعوا الطابق ثم خرجوا فى ظلام الليل وقد سكنت الأصوات وقد وصلوا إلى دار مارس ودارس وطرقوا الباب فقال البواب من بالباب قال بعض الاصحاب فاستأذن عليهم البواب ودخلوا فلما رآهم مارس ودارس فرحوا بهم الفرح الشديد وسألوهم كيف خلاصهم فقالوا لهم ما هو وقت كلام أخرجنا من باب المينا وافتحه لنا ونزلنا فى مركب فنظر لهم مارس ما أشاروا وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا ولؤلؤ يحدث الأمراء بان عقبة عندهم تحت الضرب والهوان مع الاميرة ذات الهمه فى أرض السويديه يتنسموا الاخبار يوم بعد يوم ففرح أبو محمد وقال وحق النبي المنتخب سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم لقد نسيت الذى جرى علينا من فرحى ببلوغ أملى ووقوع هذا اللعين عقبة ثم انهم ساروا والريح طيبة ثلاثه أيام واذا قد خرج عليهم من صدر البحر مركب مشحونة بالرجال وكانوا حراميه وهم من جزيرة الصخر وقلعة العمد وكانوا خمسين مركب فى كل مركب ثلاثمائه بطريق وكل مركب يخرج من بلاد الروم يأخذوه ان كان فيه غلة أو غيره وكان الدمروس أراد أن يأخذهم فلم يقدر على ذلك فصانعهم حتى دخلوا فى طاعته وكلما أتوا بشيء يعطوه الثلث فبينما هم على جرى عادتهم إذ وقعوا بالمركب الذى

فيها الامير عبد الوهاب والبطال فأحالوا بهم فابتدر الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وغلمانه وقاتلوهم ساعة وأطبقت عليهم المراكب من كل جانب وغمرتهم الرجال وتكاثرت عليهم الأهوال فأخذوهم أسارى بعدما قتل منهم الأمير جماعة وساروا بهم أربعين يوم فشق ذلك على الأمير عبد الوهاب وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فلما وصلوا إلى الجزيرة ورأوها فلم يرون أحسن منها ولا أحصن ولا يطالع لها انسان إلا بالحبال فصعدوا بالامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وأصحابه وغلمانه وأوصلوهم إلى الملك الدمروس فلما مثلوهم بين يديه قال لهم الملك المسيح أمركم أن تسيروا بالبضائع إلى بلاد الاسلام وتقووهم على الآثام وتعملوا على عباد الصلبان فبكى الامير أبو محمد البطال وقرأ الانجيل بصوته الشجى الذى أعطاه له وجعل لؤلؤ بجاربه والغلمان تراسله حتى أبكى الملك وأبكى كل من حوله من الرهبان والقساقسه والبتاركة والبطارقة وأقبل الملك على أبو محمد البطال وقال له من أنت أيها الراهب فلما سمع البطال ذلك الكلام قال أنا راهب كنيسة قمامه المتولى على القيامة تركت موضعى الذى أعلم فيه عباد المسيح الانجيل فلما سمعت ان ميرونه بنت البترك قد خاصت أتيت الى تهنئتها لأن المسيح فرض علينا طاعة أبيها فعاقبنى المسيح الذى أديت حقوق المخلوقين وتركت موضعه فأردت ان أسير بعد التعويق فأتانى منكم مالا أطيق فقال له الملك أيها الاب الشفيق اغفرلى ذنوبى فانى ما عرفت مكانك ولكنى أسألك فى شيء واحد فقال البطال وما هو قال الملك أسألك ان تقيم عندنا اربعة ايام وترحل فانى قد اجتمعت عندى نذور للقيامة مقدار عشرة آلاف دينار خلاف الستور والقناديل الفضة والذهب واريد ان اعطيها لك فشكره البطال وقال ايها الملك انا لا ارضى الدنيا لغيرى فكيف ارضاها لى والمسيح يقول ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب (قال الراوى) ثم قال البطال ولكن ايها الملك ان كان ولا بد آخذ هذه النذور منك لاجل تلاميذى والباقى الذى خلفتهم ولولا هذا ما كنت أخذت شيء من هذه النذور ولكن نفرقهم على فقراء القمامه والذين يقيمون فيها فشكره الملك على ذلك واقام ابو محمد عند القوم ويعظهم ويذكرهم ايام المسيح حتى عزم الملك ان يترهب ويخرج الى بلاد الشام ويدع الملك والدنيا واذا بالهواء قد طاب باذن رب الارباب فتقدم البطال الى الملك فقام له قائما على الاقدام وقبل يده واجلسه الى جانبه وأخذ يسأله

عن احواله وقال له يعز علينا فراقك ايها الراهب ولكن مانقدر نشق عليك فنشتهى لاتخلينا من الدعاء فى تلك المواقف الكريمة فقال سوف ادعو لك على ممر الايام وصاح على الرجال ان ينقلوا لمركبهم الاموال فقال الملك لبعض الحجاب ازعق لنا على أبونا الراهب لوقا بترك البلاد وبركة العباد فعندها ذهب البطريق واتاه ومعه شيخ اعور ازفر كانه عفريت من عفاريت الجان وقد اعطاه الشيطان ولايته واقبل عليه الشيطان بكليته فلما رآه الملك قال له يا ابونا هذا راهب قمامه المتولى على القيامه وهو نائب المسيح على عباده وجعل يصف له زهد ابو محمد ودينه وحسن يقينه وظرف قراءته وترتيله فبقى الشيخ ينظر إلى وجه ابو محمد ساعة زمانية ثم انه صاح صيحة تخيل للملك ان المجلس انقلب وقال ايها الملك اما تعرف هذا الذى وصل اليك واقبل عليك هذا مخرب الكنائس والبيع ومعمر الجوامع بالجمع ومهزم العساكر ومبيد العشائر وممزق الجماعات وسراق البنات الذى ما دخل مدينة إلا وسرق صاحبها ولا بلد إلا واهرق دماء اهلها الذى غلب الشيخ النجيح وحجة المسيح هذا اللص المحتال ابو محمد البطال والتفت إلى عبد الوهاب وقال له وهذا سيف الإسلام والاسد الضرغام البطل الهمام سيد بنى كلاب الفارس المهاب الامير عبد الوهاب فقال الملك بحق المسيح هؤلاء مسلمين قال نعم ايها الملك فالتفت الملك الى ابو محمد البطال فرآه يضحك فقال له مم تضحك فقال ايها الملك اضحك على قلة عقل هذا الراهب المسكين ولكن صدق المسيح فيما قال ما خلى جسد من حسد وهذا الشيخ المسكين نظر الى ما اعطيتنا من النذور والمال فكذب علينا بهذا القول المحال والصواب انك تمكنى منه حتى انى ابين لك صدق هذا المقال ولاى شيء يكذب وابدى هذا السبب فقال الملك دونك وما تريد من هذا الاعور العنيد فقال لوقا ايها الملك ان كنت ما تسمع منى فمدينتك تخرب وتؤخذ نعمتك وتسلب وانا ابين لك ذلك وهو ان تأتى بكتاب المسلمين الذى عندك الى هؤلاء فان غسلوه ومزقوه فهم كما يقولون فقال البطال ايها الملك لا تسمع مقال هذا الرجل ودعنا عندك وارسل الى القمامة فان كنت كما اقول والا افعل معى ما تريد فقال الملك لابل هات المصحف الذى عندك يا ابونا فعند ذلك ارسل لوقا فأتوه بمصحف مذهب بخط واضح فقدمه إلى القوم فلما نظره ابو محمد البطال اصفر لونه وتغير كونه فقال الامير عبد الوهاب على ماذا عولت يا ابا محمد هل تجسر على كلام الواحد الاحد الفرد الصمد تمزقه فقال الملك دونكم

والذى قال عليه البترك لوقا والا أنتم كما قال فقال أبو محمد أيها الملك إن هـذا كلام الملك المالك الماجد العظيم الواحد وهذا عندنا هو والإنجيل سواء ونعلم أن فيـــه التحليل والتحريم فقال الدمروس دع عنك هذا الكلام وهذه الأمانة وخلى طريق الإهانة وصاح على البطارقة خذوهم فأقبلوا عليهم من كل جانب ومكان وقامت القيامة والدنيا على قدم وساق وكثر حولهم الصراخ والزعاق وضربوهم الضرب الشديد الذى ما عليه من مزيد هذا والأمير عبد الوهاب يقول ما أطيب الضرب فى طاعة الله تعالى فقال أبو محمد ان الضرب يعمى القلب ويحير اللب ويضيع العقل ويغم المسامع ويصير الإنسان ذاهل فقال الأمير عبد الوهاب اتق الله يابطال والله اننى أفرح بذلك وأعلم بان الله يجزى الصابرين فقال البطال والله اننى أشتهى أن تحمل هـذا الأجر وحدك فضحك الأمير عبد الوهاب ثم أنه تذكر الأميرة وأولاده وأهله وأصحابه فانشد يقول بعد الصلاة على طه الرسول :

أيها العذال كم تعزلانى	قل صبرى على خطوب الزمان
أوجعونى ضرباً فلست أبالى	بعد ضربى بطارق الخذلان
اقتلونى ولا أهين كتاب	الله ربى المهيمن الديان
فلى الأجر عند ضربى وصبرى	وبه أرتجى خلود الجنان
آه لو كنت ماسكا لحسامى	ما ثبت فارس إلى ميـدانى
كم بلى من رجال قبـلى بهذا	من ذوى الدين والتقى والأمانى
فجزاهم بصــبرهم كل خير	ثم أعطاهم جزيل التهانى
فاستمع ياأخى وكن صبورا	للقضايا تفوز بالغفران

(قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك الكلام النثر والنظام غضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد وقال للبطريق اضربه فإنه آفة النصرانية وهو الذى جرأنى على هذه القضية وعلمنى الحرام واللصوصـــية فقام البطريق إلى عبد الوهاب وما زال يضربه إلى أن غشى عليـه ثم أمر الملك بإحراقهم فأتوا بالأخشاب والنار وارتفع الدخان وسحبوهم على وجوههم وأرادوا أن يلقوهم فى النار وإذا بمركب أقبلت وقلوعها كأنها أجنحة النسور فقال الملك اصطبروا حتى يصلوا هؤلاء القادمين وينظرون اليهم فما مضى إلا القليل ووصلت المراكب الى الميناء وإذا بهم تجار ومعهم أدنى بضاعة وفيهم بطارقة وشمامسة ورهبان فقصدوا الملك وسلموا

عليه وسألوه ما الخبر فأخبرهم بالامر الذى هم فيه ففرحوا وقالوا أيها الملك لك البشرى فان هؤلاء هربوا من سجن الملك منويل وسار الملك الى بلاد الاسلام فى طلبهم وسبب أسرهم انه وقع بهم لما غضب عليهم الخليفه وأعادوا عليه جميع الامر من الاول الى الآخر وان الملك سار الى بلاد الاسلام فى ألف ألف فارس وثمانمائه ألف فارس وان حرقهم ليس بصواب لان الملك سار الى الغزاة وربما وقع أحدهم فى أيدى المسلمين والشيخ النجيح وحجة المسيح فى أسرهم فقال الملك ان كان ولابد من ذلك فأنا لابد لى من الغزو الى بلاد الاسلام وأنجد الملك منويل فى هذا العام لان البترك على غضبان ثم انه أمر بالقوم الى السجن وجعل فى أرجلهم القيود والاغلال وأعاد بولده بولص وكان جبار عنيد وشيطان مريد فقال له أبوه احفظ من فى يدك فان غفلت عنهم قبضوا عليك فقال وحق المسيح انى أتعجب من قولك ولو كانوا بغير قيود ماقدروا أن يخرجوا من هذه الجزيره فقال له يا بنى انى قيل لى عن هذا الأشقر الأزرق العينين ان له اعمال أخف من دبيب النمل على جبل الرمل وأخاف عليك منه فأمر بهم ان يكونوا فى برج الرصاص ثم قال لولده ان انا سلمت ورجعت قتلتهم أشر قتله وان أنا قتلت خذ لى الثأر منهم وان انا أسرت افدنى بهم فقبل بولس رجل ابيه (واما) الامراء فانهم فرحوا بخلاصهم من حريق النار ثم رموهم فى السجن وكان السجن بعيد القرار وحيطانه من الصخر الاملس واخذ الملك الاهبه وأرمى المراكب فى البحر وهم مائتين وخمسين مركب فخلى فى كل مركب ثلثمائة فارس ورفع القلوع وسار طالب بلاد الاسلام الى ان وصل الى ملطيه كما ذكرنا واجتمع الدمروس بالملك منويل كما وصفنا (ورجعنا الى سياق الحديث) وعاد الجاسوس الى أم الامير عمرو وحدثها بما سمع فضاقت عليها الارض بما رحبت ثم دارت بهم العساكر كما يدور البياض بالسواد فقال الملك الدمروس لابد لنا ان ناخذ البلد غدا فانها فى ايدينا وأنا أقسم بما ربحنا المعمدان وأصحابه الذين مال عليهم عامود الكنيسه فماتوا شهداء لا رجعت حتى أملك بغداد واخرب الحرم فظن الملك انه يبلغ آماله واما المسلمين فان كل واحد منهم بات يودع أهله واولاده (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من الاميره ذات الهمه فانه قد اشتغل قلبها برحيل الملك وما ورد لعقبه حواب كتابه وجاءت اليها رجال بنى كلاب حتى انها سارت فى عشرة آلاف

مارس أبطال فبينما هى متفكرة فى أمرها وإذا بجاسوس وصل اليها وقبل يديها وقال لها يا أميرة عقبة عندكم قالت نعم فقال لها احتفظى به فإن الأمراء هربوا من القسطنطينية فلما سمعت الأميرة بذلك المقال كاد قلبها ان يطير من الفرح ثم أنها قالت لعقبة يا لعين أبشر فقد أمكن الله منك فقال لها سوف يأتى من العرضيات مالم يكن لكى فى حساب فهم الأمير ضيغم أن يقتله ويعجل من الدنيا مرتحله فقالت له الأميرة اصبر يا ولدى فما هذا صواب حتى أننا ننظر ما يحل بالأمراء وأقامت الأميرة تنتظر الأخبار وكان غلام عقبة حل عليه مارس وقتله بعد هروب الأمراء وصار عقبة مع السودان فى أسوأ حال ولا وقفوا لهم على أثر وذكروا أنهم ما تركوا موضع إلا ودخلوه ولا راهب إلا وسألوه وبعد قليل وصل اليها الخبر أن الثغور قد أخذت وملطية قد ملكت بالسيف وسبيت أم عمرو وهى تنادى واذلاه بعد عزاه وافقراه بعد غناه فبكت الأميرة عند ذلك وأنشدت تقول :

ألا يا أمير الثغور لو كنت عالما ... بما قد جرى من بعدنا كنت باكيا
ولو نظرت عيناك عمرو وأمه ... وقد ملكتهم يا بنى الأعاديا
تنادى الينا يا بنى العم مالكم ... تخليتمو عنا وكنتم حماتيا
وإن غبتم عنا فيا شوم بختنا ... وإن عبيد الله كان موافيا
وكنت إذا ناديت أسرع ناطق ... فأصبحت عنا لا تجيب المناديا
بعدت عن الأوطان من غدر أهلها ... وحاشاك أن تدعى لأمك جافيا
ستبكى عليك الخيل حزناً مع القنا ... كذاك يبكيك الحسام اليمانيا
وكنت أرجى أن تعود مسلما ... فعاجلنى دهرى وخاب رجائيا
وكنت حماة الدين طرا فأصبحت ... خيول الأعادى رايحات غواديا
وكنت كسيف المسلمين وركنهم ... فاصبح ذاك الركن مذ غبت واهيا
وقد كنت تحمى ثغرنا وحريمنا ... ببيض حداد قد صقلن عواليا
فيا ولدى أخربت ما كان عامرا ... وكدرت عيشى بعدما كان صافيا
ألا يا حماة الحى أروى مدامعى ... شراب ومن أصواتكن عنائيا
ألا يا حمام إن كان فى الأسر خبرى ... بأحواله من قبل يوم وفاتيا
حمام اللوى جاءت حمامة خبرت ... بأنى مقتول وأكشف راسيا
وإن خبرت أن العدا أسرونه ... فطرفى مشـــتاق وقلبى راجيا

وإن طلبوا فيه الفداء فديته بخيلى وغلمانى وأهلى وماليا
وما تترکى البطال زهدا وانني تجنبت فى غير الحبيب مقاليا
سأبكيكما مالاح فى الجو لائح وماغرد القمرى بصوت غواديا

(قال الراوى) يا سادة ياكرام ثم رفعت صوتها بالبكاء فلم تدع قلباً إلا صدعته ولا كبدا الاجرحته ثم صاحت النار النار فى كبدى والله لا أترككن ثار ولدى ولا ركبت بعد ولدى فرس لأنى كلما سمعت الخيل تبدو الصهيل أقول عبد الوهاب يريد الركوب وتذكرت بنى كلاب أميرها ففاضت عيونها ورفعت أصواتها وقالوا لقد جرى علينا من فراقك يا أميرنا أمر مصاب وما جرى على أهل ملطيه قالوا واشوقاه اليه عند الطعان والضراب فقال مالك بن طوق والله يا أميرة لو عرفنا أين الملك منويل لكنا قتلنا هذا الملعون عقبه وسرنا اليه وأرمينا أرواحنا عليه وندع القيل والقال فقال القاضى عقبة وهو فى أسوأ حال ليس ذلك بصواب لأن القوم فى ألف ألف وثمانمائة ألف ولو رموا عليكم حجرا حجر ما قدرتم أن تمنعوا عن أنفسكم ضرر فقالت الأميرة يا ملعون أنت أشفقت علينا من الموت والبارى جل وعلا لا يفوته فوت وأنا أقسم بالله تعالى لإن عدم ولدى لما أوفى نذره غيرى وأصلبك على باب الذهب فقال عقبة أنا أسأل الله تعالى أن يجمع بينكم ويصلح حالى معكم لأنه كريم إذا وعد وفا وإذا أخطأ الإنسان عفا فأقامت الاميرة تتنسم الاخبار وهى بالسويدية (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الاميرين والغلمان فإن بولص كان إذا أراد أن يشرب ياتى إلى الجب ويشرب ويقلب فائض النبيذ على الامراء وابو محمد يسامره ويغنى له بلسانه وهو يضحك ويقول اجعلوا بالكم منى لا يسرقنى فقد ملك قلبى بحلاوة كلامه ثم يرجع عنهم إلى منزله وكان إذا جن الليل يقول عبد الوهاب لابو محمد البطال يا أبو محمد اقرأ لنا شىء من القرآن فيقرأ بصوت شجى فلا يدع للأمير دمعا إلا سفحه فإذا غلب النوم عليه يقوم ابو محمد يصلى مع عبد الوهاب وكان أبا محمد يقول لغلامه صافى يا ولدى اقرأ أنت فى النهار وأنا أقرأ فى الليل وكان صافى أحسن صوت اهل ذاك الزمان وكان شاب مليح أكحل العينين مورد الخدين بديع الصفات وكان فاضل دين لان أبو محمد البطال كان اعتنى به واجتهد فى تعليمه وكان لدمروس بنت من احسن البنات فاتفق لها يوم من بعض الايام

جازت بباب السجن وإذا بالناس واقفين يسمعون لقراءة صافى وإذا بها قصدت اليه ومعها الجوار فسمعته وهو يقرأ فالقى الله تبارك وتعالى محبة صافى فى قلبها وصارت تردد بالنظر اليه فقال ابو محمد وقد عرف بالحال اقرأ يا ولدى جعلت من الأسواء فداك فقرأ صافى وترنم فبكى البطال وتغرغرت عيناه بالدموع والجارية تنظر اليه وقد زاد بها الامر فبكت وصارت تكرر الحضور الى عندهم ليوم من بعض الايام فنظروا وإذا بها قد جاءت فقال ابو محمد لصافى اسكت فسكت فلما سكت قالت لغلمانها قولوا لهذا الصبى يقرأ فتنهد ابو محمد فقالت يا مسلم مالك تتنهد فقال اسفاً على هذا الولد الذى نقص حسنه وجماله وبهائه وكماله وانتم كل يوم تعطوا لكل واحد قرصه فينطلق الواحد منا على صاحبه ويأكل قرصته فتأسفت على هذا الولد كيف يمضى تالف من الجوع فضحكت وقالت المسيح يفرج عنكم ما انتم فيه من الضيق ومضت من عندهم وارسلت مع جاريتها خبز ودجاج محمر وسمك مقلى وصحن حلو فاكلوا الجميع واقامت لهم على ذلك الراتب عشرة ايام تمام حتى انتعشت ارواحهم وحييت نفوسهم وفى اليوم الحادى عشر اتت اليهم بنت الملك ومعها الجارية التى كانت تحمل اليهم الاكل فوجدت صافى يقرأ قوله تعالى فناداها من تحتها ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا إلى قوله ويوم ابعث حياً فقالت الجارية ما معنى ذلك الكلام فقال ابو محمد هذا قول المسيح انى عبد الله حتى يعلم الخالق انه عبد وليس بولد الله لان الله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقوله آتانى الكتاب معناه اعلمنى بالحلال والحرام والاحكام والقيام بما فيه وقوله تعالى وواوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا اى ندبنى إلى خدمته فى دار الدنيا بالصلاة والزكاة يعنى يعلمهم ان فى المال حق معلوم والسلام على يوم ولدت يعنى انه مولود لا معبود ويوم اموت يعنى ان الأنام تموت ويوم أبعث حيا يعنى انه يبعث يوم القيامة ولو كان إلهين لكانت إرادتين وبطل الحكم ونحن نرى ان الحكم واحد وان الخالق واحد وجميع ما خلق على وحدانيته شاهد كما قال القائل هذه الابيات :

فواعجبا كيف يعصى الإله ام كيف يجحده الجاحد

وفى كل شيء له آية تدل على انه واحد

(قال الراوى) فقالت بنت الملك اقسم بالله قسما صادقا ان هذا هو الاعتقاد

الصحيح فقال صافى لكن أشتهى شيء قالت وما هو قال ان تسلمى فقالت وكيف الاسلام فقال تقولى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأتزوج بكى فى الحلال وتمضى معنا إلى بلاد الاسلام ولو أسلمت تلك الجارية كنت زوجتها بابن أخى هذا وأشار إلى لؤلؤ فقالت الجاريه أنا أرضى بما ترضى به مولاتى فعند ذلك أسلموا الاثنين وأقروا بالشهادتين ثم قالت كيف بقى الخلاص من ههنا قال البطال ان طاوعتينا أيها الملكة فالخلاص حاصل فقالت ابشر ايش تريد تعمل فقال أريد مبرد وحبال فأتته بما طلب وقالت له ما تصنع بالمبارد والحبال فقال المبارد أبرد بها القيود والحبال تنشلى أنتى وجاريتك ولدى صافى حتى يساعدك فى طلوعنا وتجهزى لنا عده ونركب فى مركب حربى من هذه المراكب ونسير إلى بلاد الاسلام ان شاء الله تعالى فقالت ابنة الملك ان هذا العمل ما يعمل فى يوم ولا فى يومين ولكن هذه المبارد حصلت لكم هذه الليله وليلة غد ان شاء الله تعالى نحمل اليكم العدد والثياب لكن الخلق كثير وأخشى عليكم منهم فقال أبو محمد لا تحزنى فان الله عودنا بالنصر وهذا الاسود الذى تريه فانه يرد برأسه ألف فارس اذا اشتد المجال فقالت ان كان ولابد فأنا أفتح لكم باب المينا الذى لم يخرج منه الا ان كان أبى وفيه المراكب الحربية ففكوا القيود وانصرفت تقضى باقى الاشغال فلما كانت الليلة الثانية جاءت اليهم فوجدتهم قد أطلقوا بعضهم بعضا فأول من رفعوه كان صافى وقد تمكن حبه من قلبها وبعده لؤلؤ وبديع وجوهر ويانس وأبو محمد البطال وتعاونوا الجميع على رفع الامير عبد الوهاب ثم قال اشغلوا أياديكم بالسيوف والعدد ونقلت لهم الرماح والعدد والعمد وعشرة أكياس ذهب وبدنة أبيها الدمروس وكانت كلها جوهر وكان ورثها من جدوده وما كان الملك منويل عنده مثلها وعشرين ألف ثوب أطلس وما تنصف الليل حتى فتحت لهم الباب الذى للمينا ولا كان عندهم من يمنع ولا من يدفع ولا بحرية ولا نواتية لأن القوم ما عندهم خوف لأنهم فى الليل فمدوا سقاله وطلعوا من المينا فوجدوا مركب حربى مجهز بالعدد والآلات لأمر يحصل الملك فوجدوا فى المركب خمسين رجل نيام فقال أبو محمد لغلمانه دونكم وإياهم فصار الواحد منهم ينام جنب الرجل ويذبحه ويحدفه فى البحر الى أن أرموا الخمسين ثم صعدوا إلى المركب وكان المركب جيد القلع والصارى فطلعوا فيه وأرادوا أن

يسيروا وإذا بصوت حنون فقال أبو محمد من هذا فقالت الجارية هذا قس هذه الجزيرة واسمه لوقا عالم النصرانية الكثير الاسفار البعيد عن العمار فقال أبو محمد لا عمر الله له ديار هذا القرنان ابن القرنان الذى كان السبب فى وقوعنا فى الذل والهوان ولا بد من قتله فى هذه الليلة ثم انه أتى إلى البر وطلع وصعد إلى نحو الصومعة فطرق عليه فقال الراهب لوقا من الطارق فى الليل الغاسق فقال أبو محمد للجارية وكانت معه قولى له ان ستى زنانير بنت الملك سمعت صوتك أرسلت لك قصعة خبيص قد طبختها لك بسكر تعينك على القراءة فقال لوقا وحق المسيح صدقتى لأن المسيح يقول من أطعم راهب لقمة حلوة كفاه الله فى الموقف حر جهنم فقال أبو محمد فى نفسه انزل يا ملعون فإن هذه اللقمة توديك جهنم وإذا بالراهب فتح الباب فانقض عليه الأمير أبو محمد مثل العقاب ولقمه فى فمه أكره وشده كتاف وحمله الأمير أبو محمد وابنة الملك فتعجب من فعالهم وطلعوا المركب وشالوا آلات المركب والقلوع وكانوا أخذوا من الزاد ما يكفيهم وطاب لهم الريح وساروا بعيد وإذا بالنفير زعق عليهم وأقلب الجزيرة وكان السبب فى ذلك بولص لأنه افتقد الأسارى لاجل وصية أبيه فرأى المكان خالى فطلب المينا فوجد مقتله وغرق بعضهم فعمر المراكب وصاح فى الرجال وطلب المركب (قال الراوى) يا سادة وكان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وجاءت المراكب وكثر الصياح ولبست بنت الملك ثوب من الزرد وجعلت على رأسها خودة وتسلمت حسام أبتر وصاحت يا كلاب النصرانية أنا زنانير بنت الملك الدمروس قد ظهرت الحقائق فإن بيننا وبينكم القتال فصاحت عليها البطارقة وتقاتلوا قتالا شديد وكذلك عبد الوهاب قاتل قتال الجبابرة الأول وكان يأخذ الحربة من الهوى ويردها اليهم فلما رأوا البطارقة هذا الأمر المهول الذى حصل من الأمير عبد الوهاب من الحرب والقتال صلبوا على وجوههم وارتعدت أبدانهم وكان مركب آخر من صوب أبو محمد البطال وزنانير فقاتلوا جماعة منهم فضايقوهم وصار معهم فى المركب من البطارقة خلق كثير فصاح أبو محمد يا أبا ضيغم قد ملكت منا المركب وأشرفت على العطب فعطف عليه الامير عبد الوهاب مثل القضاء إذا نزل وقد أزبد وأرعد فضرب ضرب من لا يخاف الفوت ولا يفزع فتساقطت الرجال فى البحر كما يتساقط الورق من أعلى الشجر وحمى مركب أبو محمد البطال

كما يحمى الأسد فريسته ووقف عرق الغضب بين عينيه وهانت المصائب عليه وأنشد يقول

أيا سائرا نحو الخليفة قل له | بانى ليث الحرب فى البحر والبر
وأخبر بفعل الروم ثم مواقفى | بسيفى وترسى للعلوج على الظهر
وتحتى أمواج من الموج جمة | وامواج ما فوق مركبنا يجرى
وأرديتهم ست وعشر وخمسة | وباقيهم فى البحر يهوى الى القعر

(قال الراوى) فلما سمع ابو محمد شعره والنظام قال لله درك ايها الامير أنت والله الامير الكبير والسيد الخطير فقال الامير عبد الوهاب لو كان جنانك يمضى كما يمضى لسانك ما كان أحدا طاقك فقال ابو محمد وقد غضب من كلامه أنت اليوم قاتل فى النهار وان ما هزمت القوم انا الليله أفعل فعال تتحدث بها الناس دول بعد دول وأوريك الليله الشجاع من الجبان فضحك الامير ثم انه تاخر الى المركب واخذ رؤس بلحاكبار وسلخ اللحا على وجهه ووجوه غلمانه وكان الريح اهتدى والليل هجم والروم يتحدثون مع بولص فى أمر الأمير عبد الوهاب وهم يقولون وحق المسيح لو أن للنصرانية أربعة مثلهم لملكوا الارض هذا وأبو محمد أقبل على الامير مفروش بلحية كبيرة وشعره على صدره وكذلك غلمانه فلولا يعرفه الامير لاخذته الدهشة فقال يا أبا محمد على ماذا عولت فقال سوف ترى العجب ثم انه ارمى العشارى الذى للمركب وركب قلعـــه والمقاديف ثم لبس من الثياب الذى أخذتها الملكة وألبس غلمانه كذلك فحارت زنانير من فعله ثم قلع حبل العشارى من المركب وطلب البحر العجاج ولم يعلم احد ولما ابعد عن المركب حط القلع وعاد يستقبل المراكب بالمقاديف ورفع صوته بالرومية يغنى وغلمانه يصفقوا من حواليه حتى ازعجوا البحر فلما قربوا من المراكب سمعتهم الروم واللغة بلسانهم ولم يزالوا وإذا هو عشارى لطيف فى وسط البحر فنادوه من كل جانب فصاح أبو محمد ايش أنتم إن كنتم حرامية فنحن رسل الملك إلى جزيرة الصخر فلا تعوقونا عن أشغال الملك فصاحت بهم البطارقة عن صوت واحد قد وصلتم إلى ما طلبتم ها هو معنا وهو بولص بن الملك الدمروس فقال أبو محمد الآن ظفرنا وحق المسيح البشارة لنا فقال بولص وقد خفق فؤاده ان كان لكم البشارة تستاهلون المال الذى يغنيكم إلى الابد فقال أبو محمد وحق الانجيل

معنا بشارة تقر عينه فأين بولص فقال أنا فقال أيها الملك اعلم ان ملك الروم أخذ بغداد وملك الثغور وقبض على خليفة المسلمين وأحب الملك الدمروس على شجاعته ومن محبته فيه زوجك ابنته مليكه من دون ملوك النصرانية واختارك على أهل ماء المعمودية فابشر أيها الملك فقد أرسلني خفية وأعطاني هذا السيف وأخرج سيف خزانتي الذى أعطته زنانير لصافي ثم قال ساعه وصول الراهب اليكم سلمهم البطال حتى نفادى بهم الشيخ النجيح عقبة فقال بولص وقد فرح أيها الانسان الذى أوصاك بهم قد هربوا وقص عليه القصة فقال البطال هيهات إلى أين يهربون ونحن لهم بالمرصاد ثم ان البطال غافل القوم وأرمى فى الماء الذين يشربون منه مثقال بنج أقريطيش فما شرب أحد إلا وقع على الأرض فعندها قام البطال وغلمانه وذبحوهم مثل لمح البصر وحملوا بولص وهو مثل القتيل وأرموه فى العشارى التى لهم وساروا إلى أن وصلوا إلى مركب الأمير عبد الوهاب وهو فى حديث البطال مع زنانير وهى تقول والله لقد فعل أبو محمد معنا ما لا ينبغى أن يفعل فقال لها الأمير ما يسعه فى دينه ان يفعل ما لايخلصه من الله تعالى وانما يريد يدبر أمر يؤجر عليه فلا يكن خاطرك إلا طيب فإنه ما يختار نفسه علينا فلما سمع أبو محمد البطال كلام الأمير نادى أيها الأمير جاك غلامك البطال أدن منى فعندها تقدم الأمير عبد الوهاب اليه فناوله بولص وهو مثل القتيل وأصبح الله بالصباح وقصدوا الروم إلى مركب بولص وإذا بالبطارقة مذبوحين وبولص مفقود فصاحوا وقصدوا مركب المسلمين فأطلق البطال دخان فى أنف بولص فنقايا البنج مثل قالب الجبن ورأى نفسه على تلك الحاله فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجرت دموعه مثل السحاب فقال له الأمير عبدالوهاب يا ملعون أيما أحب اليك تقول لهؤلاء العلوج يرجعون وإلا أضربك مثل هذه الضربة ثم ضرب بعض الأسارى على رأسه فلقه نصفين فأيقن بولص بالهلاك فوثب قائما ونادى عودوا على أعقابكم وارسلوا إلى أبى لعله يجد فى خلاصى (قال الراوى) ونظروا الروم إلى أبو محمد وهو على ظهر العشارى يرقص وكذلك غلمانه فنادوا وا ابماه وا ابماه وعادوا راجعين يستغيثون من فعال البطل وسار الأمير بمراكبهم والأمير أبو محمد يدير المركب بمعرفته حتى أقبل على السويدية فلما رأوا مركب الأمير كثر الزعاق وقامت الدنيا على ساق ومركب الأمير سائر حتى وصل الميناء فزعقت الناس وركب ضيغم وبنى كلاب وركب ميمون الجاس فى السودان وثار العجاج من كل جانب

فقالت الأميرة أين عينيك يا صاحب الهمم وا أسفاه عليك يا أبا ضيغم ثم ان الأميرة صرخت بصاحب السويدية قدم مركب لطيف وخذ معك مائة أسود واقصد هذه المركب وخذ الخبر (قال الراوى) فعندها قام الأمير سملق بمائة من رجاله وركب وخرج فلما نظر الأمير عبدالوهاب إلى ذلك قال يا أبا محمد المسلمين دخلهم منا الفزع فقال أبو محمد اسمع أيها الأمير الذى أقول لك القوم يعلمون انك فارس البر وأريد أعرفهم انك فارس البحر فتنكر وتطلب القتال معهم فعندها تلثم الأمير ولبس زى الروم ووقف على جانب الحربى إلى ان أتته المركب فنزل عليها نزول السيل الساكب فسار مع القوم وحمل فى أوسطهم فلم تكن إلا ساعة حتى أخذ ولده ضيغم وسملق أسير والباقى رموا أنفسهم فى البحر فازورت من المسلمين الحدق ورأوا رجلا ما سمع أحد بمثله ورأوا شكله فلما رأت الأميرة ما جرى على المسلمين قالت ان هذ رجل لا يسمح بمثله الزمان ثم أخذت سيفها وسارت حتى وصلت إلى مراكب الأمير فلما رآها صعبت عليه وخانه الجلد وقل منه الصبر فرمى السيف من يده وكشف لثامه وقال يا أميرة هكذا تفعل الامهات فى حق أولادها (قال الراوى) فلما رأته الأميرة وتحققته صاحت ورمت نفسها عليه وقالت الحمد لله الذى جمع الشمل بعد الفراق فصاح ضيغم ونادى ورب الكعبة وتمطى فى الكناف قطعه واقبل بوجهه على أقدام والده ونادى سملق افسحوا عن مولاى هذا والأمير عبد الوهاب يضحك وجاءت بنو كلاب والسودان واتتهم الابطال من كل جانب وكادت أرواح بنى كلاب تطير من الفرح وفرحت الأميرة وسجدت لله الواحد القهار وتمثلت تقول

ما اظن الزمان ياتى بهذا   غير انى رأيته فى المنام

(قال الراوى) واتصل الخبر لعقبة الملعون المفتون فمات من الخوف وخرج صاحب السويدية ومعه رجاله ونقل اليهم العلوفات والاقامات والخيل المسومات وكان يوم عظيم وسأل الأمير أبو محمد عن عقبة فقالت الأميرة عندنا فى أنحس الاحوال فقال البطال وا برداه على كبدى ثم قال أريد أعطيه الهدية وهى خمسمائة سوط بالسوية وأقرنه إلى هذا القرنان لوقا أنحس الرهبان الذى أشار بنا إلى برج الرصاص ثم صاح لغلمانه على به فأتوه ومدوه وضربوه خمسمائة سوط وكذلك لوقا حتى وقع لحمهم عن عظمهم وعقبة يقول ويلك يا أبو محمد ولا تستعجل كما تدين تدان واعلم انه لابد أن تقع فى يدى فلم يلتفت اليه بل جود الضرب عليه فتسالوا قلعة الصخر وأقبل الأمير

عبد الوهاب وقال يا أبو محمد كف عنه يا أخي لئلا يهلك من الضرب وأنا قصدي أصلبه على باب الذهب فقال أبو محمد الله يبلغك نيتك وأنا قصدى ذلك النهار والصواب ننظر فى أمورنا وما يجرى لنا مع الخليفة (يا ساده يا كرام) فقالت ذات الهمة الله يصلح أحوال الخليفة والمسلمين ثم أعادت ما جرى على ملطية وأسر الناس من النساء والرجال فقال الأمير هذا كله بتدبير عقبة لا أحسن الله له عاقبة وأراد الأمير عبد الوهاب أن يسرع فى المسير إلى بلاد الروم وإذا ببعض الجواسيس وصل متنكر وإلى الأميرة تقدم وأراد أن يسلم وإذا به صاح ووقع مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقبل أقدام الأمير عبد الوهاب فقال له الأمير قل ما عندك فقال الجاسوس أيها الأمير ان ملك الروم اخذ ملطية وجمع ما فيها من الأموال والعيال وانحدر الى نصيبين وهو طالب الموصل ولا يشك أنه آخذها وقد ضم السبي إلى شمعون بن لاوون وكانوا يزيدون عن تسعين الف من ذكر وأنثى من فرسان بنى سليم وحولهم ثلاثين الف بطريق فقال لهم وصلوهم الى القسطنطينية وعودوا إلى من ساعتكم فقالوا سمعاً وطاعة وساروا بالسبي وجئت أنا اعلم الأميرة بهذا الحال فوجدتكم قد جمع الله شملكم فقال الأمير عبد الوهاب ووصل السبي إلى القسطنطينية فقال لا ولا بعد عشرين يوماً لأن معهم خلق كثير ومال غزير وجوارهم ينادون وا إسلاماه وامحمداه ورأيت فيهم أيها الأمير عربية جميلة الصورة وقد لطمت على وجهها وحثها بطريق على المشى فأخذها التعب فرفعت رأسها إلى السماء ونادت يا مولاى اذا تسلطت المشركين فمن يكن الموحدين وإذا كان حلمك على المشركين فماذا تصنع بالمسلمين وبعد هذا الكل اصنع ما شئت فما نعبد غيرك وما نطلب الخلاص الا منك فسألت عنها فقيل لى هذه أم عمرو بن عبيد الله ثم رفعت صوتها وأنشدت تقول هذه الأبيات .

اليوم يرحمنا من كان يبغضنا ... اليوم نتبع من كان لنا تبعا
أين الأمير الذى قد كان عمدتنا ... هو الحسام اذا نبهته قطعا
يا أبيض الفعل يا من ليس يشبهه ... يوم الحروب اذا برق لها لمعا
مذ غاب قد ظفرت ايدى العداء بنا ... وقطع الخوف أكباداً لنا قطعا
ان كنت تؤخذ عمرو من جريمته ... فلا يضيع عبيد الله ما صنعا
ان الجميل مقيم عنــد معدنه ... ولا يضيع جميلا أين ما وضعا
هيهات لو كان حيا ما أحيط بنا ... أيدى العدو ولا فى أمرنا طمعا

(قال الراوى) فبكى الأمير عبد الوهاب حتى كاد ان يغشى عليه ونادى فى الناس بالرحيل

فى عشرة آلاف من بنى كلاب وأربعة آلاف من السودان والأميرة ذات الهمة الى جانبه وترك بولس ولوقا وعقبة مودوعين فى السويدية مع جملة الثقل وساروا الليل والنهار مدة عشر أيام وقطعوا ارضا بعيدة حتى وصلوا مرج فى مضيق الجبل بينه وبين القسطنطنية ثلاثة أيام فنزلوا فى المرج وكان واسع الفضا يصلح للجولان فنظرت الأميرة وإذا على رأس الجبل هناك صومعة راهب فقالت لأبى محمد أنا فى قلبى نار من أجل السبى وحمية الدين واخاف أن يفوتنى وأريد أن تمضى الى هذا الراهب وتسأله هل جاز السبى أم لا فقال السمع والطاعة فخرج فى زى شماس وفى يده عكاز وسار حتى وقف على باب القلاية ونادى بالراهب فطل عليه فقال له ماحالك فقال له البطال كيف ترى الدنيا فقال تخلق الناس وتقرب المنية فقال ماحال اهلها فقال من نال منها شيء حسرته فقال البطال فما خير الأصحاب فقال التقوى والعمل الصالح فقال وما شر الأصحاب قال اتباع الهوى قال فما أحسن هذا الاجتهاد لو كان فى دين الاسلام والتوحيد فقال وأنا لم أعتقد غيره وقال فما تقول فى محمد بن عبد الله قال سيد المرسلين فقال جاز بك سبى المسلمين فقال لا ولكن مر بى البارحة بطريق واستقا منى الماء وسألته من أين أتى فذكر أنه وصل من ملطية وهو طالب القسطنطينية يبشر أهلها بقدوم السبى والغنيمة ثم قال انصرف عنى فقد شغلتنى عن محبوبى فانصرف البطال وجاء للأمير وعليه أثر البكا فحدثه بحديث الراهب فقال اشتهى أكن عنده اسمع حديثه وأرجو العفو عن تقصيرى ثم قال سر بنا اليه فسارا حتى وصلا اليه وسلما عليه فرد أحسن سلام وقال ماذا تريدون فقالا الوصية فقال اللهم ان كان كما تحب فزدهم وأنت مزيد الشاكرين (ياسادة يا كرام) ثم قال ولى اليكما حاجة عجيبة لله فيها رضى ولكم فيها الثواب وقد رأيت فى المنام محمد المصطفى ﷺ فهل لكما من قضاءها وتفوزون بالأجر فما يخفى على أنكما مسلمان فكاد قلب الأمير عبد الوهاب أن يطير فرحا لما قال له هو شيء فيه الثواب فقال له الأمير أيها الشيخ قل ماتريد فقال الراهب ان فى وسط هذا الجبل رجل جبار فى قرية اسمها دير المسيح وعنده رجل مسلم أسير من أربعة عشرة سنة وفى رقبته حبل مربوط الى شجرة وقد نبت العشب من دموعه حزناً على مايفوته من الجهاد وربط معه كلب وكل يوم يطلع فيه الشمس لا يأكل ولا يشرب حتى يضربه مائة سوط يبرى بها لحمه وصار كأنه الخلال من طول السنين ويقول له ماأخليك حتى ترتد عن دينك وهو يقول أحد أحد فرد صمد فقال له وحق المسيح لأقطعن أعضاك فقال له دونك وماتريد اذا كان مولاى يقطعنى فلا أبالى بمن قطعنى فلا

زال يقطع منه شيئا بعد شيء حتى قطع أصابع أيديه ورجليه وقطع أنفه وأذنيه وقلع احدى عينيه وهو مع ذلك لا يزداد الا احتراما وتنزيها وإعظاما وقد ضربه اليوم الضرب الوجيع وأقسم بالمسيح انه يقطع فى العشاء لسانه ورجليه فصعب عليه الأمر فقال إلهى وسيدى ومولاى كل الاعضاء قد صبرت عليها فلا تسلبنى لسانى فإنى أتمتع به بحلاوة ذكرك وبه استعين على تضرعى اليك عند نزول البلاء وانى كنت فى هذه الساعة نائم فرأيت النبى ﷺ وقد أتانى وأعاد حديث الرجل على فقلت يا رسول الله فما الحيلة ان أذنت لى فنزلت اليه وجعلت روحى لروحه فداء فقال لا ولكن الساعة يصل اليك رجلان أحدهما أسود اللون مليح الكون وهو يتعصب لله ورسوله وفيه حمية للملة الحنيفية فقل له ان النبى ﷺ يقول لك قد عرضت اليك حاجة وما خصصنا بها سواك وان الملائكة اعلمتنى بعذاب هذا الرجل وصياحه باسمى وأردت أن يكون شريكى فى هذا الفوز بالثواب والرجل ينفعك لجاه يوم القيامة (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك كادت روحه تزهق فرحا برسالة النبى ﷺ وحنق على البطريق ثم التفت الى أبو محمد وقال سر بنا فقال ابو محمد عد بنا الى العسكر نأخذ معنا مائة رجل لأن هذا الدير أنا أعرف الناس به وفيه جماعة من بطارقة الروم فقال الامير عبد الوهاب أنا لا أرجع لأنى أخاف أن يقطع البطريق لسانه واكون فرطت فى حاجة رسول الله ﷺ فعندها صعدوا الجبل وتوسطوا واذا بأرض واسعة كثيرة الشجر والعيون كانها البحار ودير عالى ووسطه رجال كانهم النخيل فقال ابو محمد للأمير ألم اقل لك ان الجمع كثير فقال يا أبا محمد من أراد نفيس خاطر بنفيس فهما فى الكلام واذا بالبطريق اقبل من صدر غابة ومعه أسد عظيم ثم أتى الى شجرة هائلة تظل مائة فارس وتحتها صخرة يجرى فيها عين فترجل الملعون هناك ورمى الاسد وصاح فخرجت اليه الغلمان من كل جانب ومكان فأخذوا منه الاسد وسلخوه واضرموا النيران وجعلوا يشوون له وهو يأكل ثم أمر بالخمر فشرب حتى عمل فيه ثم صاح بالرومى هاتوا العربى فاصفر وجه الامير أبو محمد البطال فقال أيها الامير على ماذا عولت فقال الأمير عبد الوهاب إنى ساكت حتى ينكشف لى خبر المسلم ثم أن بعض الغلمان أتى بالرجل بين يديه وهو على تلك الصفة فقال الملعون وحق المسيح لئن لم ترتد عن دينك وتكفر بمعبودك لاقطعن لسانك وان كنت تظن أن عسكر الاسلام يصل اليك يخلصك مما أنت فيه فهذا أمل باطل لأن عسكر الروم بعدد النجوم وان عجزت فأنا أسير اليهم وأهلكهم عن آخرهم فقال له المسلم أما ذكرك من رجوعى عن دينى فوالله لافعلت ذلك ولو شربت كاس

الردى وأما ما ذكرت من عساكر الاسلام فساعدك أقصر وأنت أذل وأحقر وقد قال رب العالمين وكان حقا علينا نصر المؤمنين فغضب عند ذلك اللعين وطلب قطع لسان المسكين وإذا بالنداء من خلفه الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر فالتفت البطريق ينظر ماالخبر وإذا بالأمير عبد الوهاب قد هدر وزجر وهو يقول حل عنه يا كلب النصرانية وأنجس من غمس فى جرن ماء المعمودية وأبو محمد يقول أدركه قبل أن يهلكه فوثب البطريق وظن أنه دهمه خلق كثير فلم يرى غيرهما فطمع فيهما وثار فى الدير النفير فخرج منهم مائة فارس فداروا بالأمير فلقيهم بصدره وأول من لقاه البطريق المقدم ذكره سافنطاس صاحب الدير المتولى عقوبة العبد الصالح فعندهما تجاولا واختلف بينهما ضربتان كان الرومى أسبق فبطلها الأمير عبد الوهاب وخرج عنها سالما وعطف عليه وقال خذها وأنا أسود بنى كلاب فوقع السيف فى أعلاه نزل الى صدره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر الامير وكبر المسلم فى قيده وهو يقول صدق الله العظيم ورسوله وفى دون ساعة ثار العجاج وقتلت الأبطال خمسة وعشرة وأتوا اليه العالم من الجبل ونزلت الأحجار من الكفار ميمنة ويسار والبطال واقف من بعيد وهو يقول له شد حيلك يا أبا ضيغم الله يعطيك الصحة والسلامة ويكفيك شر الندامة هذا وقد ارتفع الصياح وجاء الحق وذهب المزاح واقتمحت الرجال لرؤسها وسمحت بنفوسها وكلت يد الأمير مما يضرب بالسيف وجعل الجحفة بين كتفيه وامتلأ بالدماء منكبيه وقد هانت المصايب عليه وتأخرت الرجال عنه (قال الراوى) هذا وأبو محمد قصد الى الرجل المسلم وكسر قيده وحل كتافه وقبل رأسه وأزال الغل عن عنقه وعاد الى المعركة والقتال لينظر مافعل الامير بالرجال الأنذال عصبة الشرك والضلال فوجده قد ملأ الارض من القتلى وأزال الهم والبلى وقد كلت الروم من القتال وبليوا برجل ما مثله فى الرجال واذا بأصوات عاليات وصرخات ناميات حتى خيل لهم أن الارض تزلزلت والجبال تدكدكت فأحدقوا اليهم الأمراء بالأبصار واذا هم بالسودان الأنجاب قد أقبلت وفى أوائلهم سملق فى مائه فارس كأنه الأسد وفى كفه صارم مهند فصاح عليه أبو محمد أدركنا يافارس الوقايع وقاطع الأوصال دونك وهؤلاء الانذال وانهبوا بعد ذلك الاموال فقال له سمعا وطاعة لله ولك يا بطال (قال الراوى) وكان السبب فى وصول هؤلاء الرجال الأميرة ذات الهمه لأن الأميرين لما ساروا ولا أعلموها فلما علمت بها وقد طالت غيبتها وانهما قد مضيا الى الدين وسألوا الراهب فأخبرهم بالخبر وأطلعهم على جلية الاثر فساروا

على عجل الى ان تقربوا منهم ورآهم البطال وحثهم على النزال والحرب والقتال هذا وقد عمل السيف فى الهام وكثر الزحام والروم قد هد منهم الجلد والحيل فطلعوا على الأسوار ورموا على المسلمين الاحجار وكان فى الدير أموال وقناديل وصلبان ذهب أحمر وجوار نهد أبكار كانهن الاقمار فى ظلام الاعتكار ثم التفت الى الأمير سماق وقال له يامبارك دونك والدير فانك من أهل الخير فقال سملق بالسودان وأحدقوا بالدير من كل مكان وقد تقدم الأمير الى الرجل الاسير فوجده يبكى فضمه الى صدره وقبله بين عينيه وقال له ماأبكاك لاابكا الله عيناك ان كان من أجل أعضاك فان الله تعالى يضاعف لك الثواب فقال الرجل للأمير عبدالوهاب والله مابكائى من أجل ذلك وانما بكايا من قدوم الراحة فى بدنى فى هذه الساعة وصفت لى الدنيا لأنى شبعان ريان مستريح على المنهج الصحيح وماصفت أكثر من هذا الزمان وولى النهار وأقبل الليل وقدم شيئا من الزاد الذى مع سملق فقال له الأمير بسم الله كل من زادنا فانه طعام أهل الجهاد فكل قدر ماتسد به رمق الفؤاد فقال دعنى ياأمير فان نفسى طالبتنى بشهوة فمنعتها عنها عشرين سنة فلحت على حق أطعمها اياها فطعمتها فسلط الله على هذا العلج الجبار العنيد فلقيت منه مالقيت فقال له الامير أيها الفقير بحق اللطيف الخبير هل كانت بشهوتك التى هى سبب عقوبتك فقال ماكنت آكل غير الخبز عشرين سنه فطلبت منى الزيادة وأنا امنعها من ذلك ولاأطعمها ولم تزل معى النفس حتى بلغتها هواها ثم جمعت لها بين الخبز والملح المطيب بالابزار ففى ذلك الشهر وقعت فى يد ذلك الجبار فبكى الامير عبد الوهاب وقال له زلة الاحباب صعبه وقام الرجل الى ورده وكذلك الامير عبد الوهاب ساعة فغلبه النوم فنام مما لاقاه من القتال والصدام فلم يشعر الامير الا والرجل انتبه وهو يقول له اقعد أيها الامير حتى أبلغك رسالة البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم فقعد عبد الوهاب وهو متعوب مرعوب يتأمل من ايقظه وأذا به الزاهد وقد رد الله عليه اصابع يديه ورجليه وانفه واذنيه وتراكمت الانوار عليه فلما نظر الامير الى ذلك بقى ينتفض مثل السعفه فى الريح العاصف وصار عقله طاير وقلبه راجف فقال الزاهد يهدأ روعك انكشف الغطاء والذى أخذ أعطى وانى لما نمت انت جعلت أصلى ما على واتضرع الى الله تعالى فغشيت عينى النوم فنمت فرايت النبى صلى الله عليه وسلم وقد مد يده الشريفه على صدرى وعلى كل عضو عدمته فرجع احسن ماكان وذهب ماكان بجسمى من الالم ببركة سيد الامم صلى الله عليه

وسلم وهو يقول لى اقرىء عبد الوهاب منى السلام وقل له جزاك الله خيرا ولا لقيت سوء ولاضير لانك حامى المسلمين واذب عن المؤمنين وانصرف عنى فلم أره والسلام فجعل الأمير يبكى وقال ما أحسن مقامات الأولياء وما أروح قلوب الاصفياء وانتبه أبو محمد البطال على بكاء عبد الوهاب وبادر اليه وقعد بين يديه وقال له مايبكيك أيها الامير فقص عليه القصه فنهض البطال يتبارك بالعبد الصالح فلم يجده فعظم عليه وكبر لديه وكذلك الأمير عبد الوهاب وعلا منهما البكاء والانتحاب فقال البطال وددت والله أيها الأمير لو أنى سألته كم بقى لعقبه من الحياة وهل ينهتك ستره أم لا فقال الامير ياأبا محمد ماهذا وقت المزاح فاعتبر بأهل الصلاح وبعدها قال يا أبو محمد قلبى مشغول لئلا يعبر السبي ومانحن حاضرين فقال أبو محمد أن فى هذا الدير أموال تقاوم فتح القسطنطونية وإذا عبر السبي فالأميرة فيها الكفاية إذا حققوا ضرباتها تذل حماتها وتزهق أرواح عبيدها وساداتها فقال الأمير اعلم يا أخى أن الخلق كثير والجم غفير والحرب سجال يوم لك ويوم عليك فقال أبو محمد لا تطيل الخطاب فوحق النبي الأواب صلى الله عليه وسلم مانعود من ههنا حتى نفتح الباب ونقتل هؤلاء الكلاب ونسبي الكواعب الاتراب فقال عبد الوهاب وإن تعسر علينا الباب ماذا يكون الجواب فقال أبو محمد وكأنى أخليها أكثر من هذه الليلة وعند الصباح تبصر فى الدير الصياح ووثب من قدامه ودار حول الدير فلم يجد فيه حيلة لمحتال ولا تعمل فيه المعاول ولا فيه طمع لنايل فلما أيس منه قال ترى الماء من أين يأتى وجعل ينظر ويقول وهو داير شرقا وغربا وبعدا وقربا فوجد فى بعض الوداه ماء جارى يأتى من الدير فتبعه البطال الى أن قرب من الدير واذا هو ببلاطه على وجه الأرض والماء من تحتها له هدير كأنها رحاة دائرة فعاد البطال إلى الأمير عبد الوهاب وأمره بالقتال والزحف للدير فتقدمت الابطال وزجرت الاقيال ورموهم الكفار بالاحجار وأخذ أبو محمد غلمانه وأتى إلى البلاطة وتعاونوا عليها وقلعوها من مكانها وإذا هم بماء يجرى من تحتها وتارة يفلق المسمار من قوته ويدحرج الصخور من حدته ففرح أبو محمد البطال واستبشر وأيقن بالظفر وأمر بعض غلمانه بالنزول فقرأ لؤلؤ ونزل وفتش المكان واذا فيه شباك حديد ضيق العيون فادعى أبو محمد بغلامه صافى وكان رقيق رشيق ممشوق القامة لطيف الصوره فسلم اليه البطال كلما يحتاج اليه وأتى به الى الموضع الذى يخرج منه الماء وهو الشباك فقال صافى يامولاى كيف يكون الدخول من قوة الماء فقال له امسك نفسك وأنا أدفعك من رجليك فتدخل أسرع من طبق الجفن على العين ولو كنت أنا فى رقة جسمك ما كان

عبر أحد غيرى فقال له صافى ما بقى فى الأمر إلا شيء واحد وهو أن عبرت عريان أو مسلوب الثياب انفسد الأمر فأخذ أبو محمد جراب أديم طائفى وعمل فيه مزود لطيف ملآن من ثياب الرهبان وعشرين قرص من القربات وقد عفنت ولها زمان ثم جعل على فمه الشمع بعد أن أوثق رباطه حتى لا ينفذ الماء منه إلى الثياب فعبر صافى فى بعض العيون الذى للشباك وهجم بقوته على الماء ودفعه أبو محمد فسار داخل الشباك قبل أن يبلع ريقه ولا رأى شيء يعيقه وذلك من سعد البطال وتوفيقه ثم دفع الجراب اليه فأخذه ورجع أبو محمد الى قدام الدير والرجال فى قتال شديد وحرب أكيد والبطال بلغ مايريد وورد الطابق مثل ما كان واعلم الامير بما قد صنع (وأما) صافى فانه طلع من الماء والتجأ إلى مكان خراب وأخرج الجراب ولبس الثياب وركب على وجهه لحية بيضاء وقصد بيعة الدير والناس كلهم مشتغلين بالقتال لا يعقل الاخ على أخيه ولا الوالد على أبيه وبعدها رفع صوته وتنحنح وجعل يتلو الانجيل بصوته الذى يشفى العليل فقصد كل من فى الدير اليه فأبصروا شيخ ضوى الوجه وعليه آثار العبادة واستولى عليه الكبر وله شيبه كانها بياض اللبن مفروقة فرقتين كانها قضبان اللجين وهو يتلو الانجيل بالسريانى ويفسره بالرومى فحار كل من فى الدير وجعلوا يقولون طلع هذا من الارض أو نزل هذا من السماء ولم يجسر احد ان ينظر اليه ولا يسأله والقس الذى للبيعة والمطران كثرت همومهم والاحزان ودهشوا من حسن خلقته وبياض لحيته وطيب رائحته ونغمته وحسن تلاوته وتفسيره الانجيل ومعرفته بالتحريم والتحليل ثم سكت عليهم ساعة وسلم عليهم فجعلوا يقعون عليه ويقبلون رجليه وهو يمنعهم من ذلك ويقول لهم إنى من الذين استخلفهم المسيح فى الارض والهمهم الدوران فى طولها والعرض وكنت فى هذه الليلة فى القمامة نائم فأبصرت مريم المقدسة وهى تقول لى حالكم وتحدثنى بما تم عليكم ونالكم وكيف قتل مقدمكم ورجالكم وامرتنى أن اسير اليكم واقدم عليكم واصرف عنكم الاعداء وإلا اسقوكم كاسات الرداء فشكوت للسيدة بعد الطريق فقالت ماحملك مالا تطيق فاخذت بيدى من القمامة ووضعتنى ههنا ولى سبب اقضيه الليلة وبعد ذلك أخرج اليهم وأحرقهم بالنار فقالوا ياأبونا وما هو السبب فقال اعلموا ياأولادى إننى أنا اقعد أربعين يوم لا آكل ولا أشرب الامرة واحدة حتى تظهر المعونة وفى هذه الليلة افطارى فقالوا يا ابونا نأتيك بما تأكل فقال يااولادى لو كانت من زادكم لانفسد حالكم وخاب من المسيح آمالى وكنت أطلب الطعام على ممر الليالى والايام ولكن هذا طعامى وفتح مزوده ويده ترتعد واخرج منه عشرين قربانة وقال هذا خبز ختم عليه الانجيل بقمامة مائة مرة وكذلك بكنيسه سوفيا وكنيسة نصيبين

وحنطته من جبال بيت المقدس من قوت الحواريون وكل من أكل منه لقمة ذهب عنه الألم وكفى جميع السقم وكفته اللقمه أربعين يوما فبقى قس البيعة ينظره لعله يطعمه لقمة فعلم صافى مافى قلبه ومافى باله فقال للقس نحن نقضى مافى بالك فقال القس وكان هذا فى خاطرى ياأبونا وحق المسيح ان تطعمنى لقمة البركة آمن بها من كل هلكة فقال صافى ما كنت بالذى اطعمك من دون أهل الدير بل أطعمهم الكل لأن الرحمة إذا نزلت عمت الخلق ثم جعل يكسر القربان ويتقدم إلى واحد بعد واحد ويضع اللقمة فى فمه ويعكها فيه حتى لايقع منها شىء ولم يبق أحد فى الدير إلا أكل من القربان وخرج يتمايل كالسكران وكان كل من أكل لقمة يقول له صافى طوف حول المذبح سبع مرات حتى تنزل البركة فى سائر جسدك وتعود على أهلك ومالك وولدك فجعلوا يأكلون وهم يطوفون فلما استقربهم الاكل أتاهم المنام ولم يبق فى الدير من يخشى منه إلا الأطفال والنساء والعجايز فقال صافى هذه نومة القبول والمسيح أعانهم على المحصول وجعل يفتش على مفاتيح الدير فوجدهم فى اسكفة الباب فأخذهم وفتح الباب والنساء تظن انه خارج إلى العدوكى أوعدهم ولم يعرفوا ما عليه عزم ففتح الباب ونادى برفيع صوته يا عبدالوهاب دونك والباب فقد وقعت الخدعة على هؤلاء الكلاب شيوخا وشباب فلم يتم الخطاب حتى سار الامير ومعه جماعة من الأصحاب حداه وكان البطال أعلمهم بما فعل فهجموا الدير وملكوه بما فيه وأخذوا منه الاموال والاوانى والديباج ما يقصر عن وصفه اللسان وكل من أكل من القربان لقمة حلت به النقمة وخرجوا والامير يقول سيروا بنا قبل الصباح فما تعلم ما جرى بعدنا ثم حازوا الغنائم بأسرها وخلوا الدير خراب وساروا طالبين عسكر الاسلام فالتقوا بالراهب وكان على أعلى الدير ينظر إلى عسكر المسلمين فتقدم اليه الأمير عبدالوهاب وقال له فعلت ما أمرتنى به ورأيت من أمر الرجل عجب وأخذنى من حديثه الطرب فقال الراهب سمعت كلما جرى فقال الامير من أعلمك فقال العابد الذى أخبرنى انى أموت بعد الظهر وأريد منك أيها الامير تمكث عندى حتى تغسلنى وتكفنى وتجهزنى لدار الآخرة لان من زهد فى الدنيا عرف وقت سفره لمولاه فقال له الامير طب نفسا فإنى أقيم عندك حتى يقضى الله ما هو قاض وإنما كانت عجلتى خوفا على سبى الإسلام أن يجوز وأنا غير حاضر ثم نزل الامير عند الصومعة وأمر سملق ان يمضى بالغنيمة إلى الاميرة ويعلمها بقصة الراهب وما تم من أوله إلى آخره لتحضر الصلاة عليه فأخذ سملق الغنيمة وسار إلى الاميرة وأخبرها بسلامة ولدها وانقطاعه

عنها لهذا السبب فقالت الاميرة ما أنا بالى تاركة عسكر الاسلام بلا مقدم بل فى غد أسير إلى الامير وأقضى حاجتى منه (قال الراوى) ولما ان أصبح الصباح ادعت الاميرة براشد بن ضمرة وأوصته باليقظة وطلبت الصومعة وقلبها على ولدها عبد الوهاب حتى وصلت اليه فجعل يحدثها بما قاسوا وقصة العابد والاميرة تبكى ثم قالت الحمد لله الذى وفقك لما يرضيه ولم يزالوا فى حديث الصالحين وأخبار المجاهدين حتى صار وقت الظهر فتغير وجه الراهب وعرق جبينه فوقف الامير عبد الوهاب عند رأسه فسمعه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وجعل الامير يقرأ القرآن ويمجد الرحمن ثم أخرج الراهب رقعة فيها مكتوب وناولها للأمير عبد الوهاب وقال له اعلم أيها الامير انى عبد مذنب فإذا أنامت وأخذت فى أهبتى وأنزلتنى فى حفرتى فضع هذه الرقعة فى يدى اليمنى فإنها رساله منى إلى ربى عساه يغفر لى ذنبى ويكشف كربى فلما ان صار وقت الظهر فتح الراهب عينيه وغمضها وبسط يديه ونادى إلهى وسيدى عبدك سلم اليك هذه النفس الخاطئة ثم قضى نحبه ولحق بربه رحمة الله عليه وعلى اموات المسلمين فوثب الأمير وهو باكى العين واخذوا فى اهبته وغسله وتكفينه والصلاة عليه وحفر له قبر ودفنه فيه ونسى ان يضع الورقه فى يده (قال الراوى) ياسادة يا كرام فقال الأمير عبد الوهاب والله ثم والله لقد رأيته فى المنام وقد بسط يده الى كانه يطالبنى بحاجته فتذكرت الرقعة فأخذتها ونظرت ما فيها وإذا هى ثلاثة اسطر أولها ياعدتى فى شدتى والثانى يامؤنسى فى وحدتى (والثالث) ياذخيرتى يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فوضعت الرقعة فى يده وصعدت من الحفرة ورديت عليه التراب وانصرفت وكانت الأميرة صلت مع الامير على الراهب ورجعت من خوفها على المسلمين ورجع الامير بعدها واجتمع الامراء بالأمير عبد الوهاب وصاروا يحدثوا بعضهم بحديث الاولياء وقصص الأنبياء وهم قاعدين فى انتظار السبى واقبل الليل وولى النهار وطلبت الأعين حظها من المنام فرأت الاميرة ذات الهمة الراهب فى المنام وهو فى احسن زى وعليه ثياب خضر وعمامة خضراء فقالت له مافعل الله بك فقال غفر لى وفعل بى ما يليق بكرمه وقد اوقفنى بين يديه وقال لى ياعبد اقرأ مافى رقعتك وانا عالم الغيب والشهادة فقلت ياعدتى عند شدتى فقال لبيك ياعبدى ما كنت عدتك فى شدتك قلت نعم ثم قلت يامؤنسى فى وحدتى قال لبيك ياعبدى ما كنت مؤنسك فى وحدتك قلت نعم ثم قلت ياذخيرتى يوم القيامة فقال لبيك ياعبدى انا ذخيرتك يوم القيامة ابشر فقد زال عنك البؤس والندامة هذه جنتى فاسكن وهذا وجهى فانظر وأنا الغفور الرحيم

(قال الراوى) وكذلك رأى الامير عبدالوهاب ثم انتبه وهو يبكى وقد بلت دموعه لحيته فاحضر الامير أبو محمد البطال وايضا والدته الاميرة ذات الهمة وقص عليها المنام فجعلوا يبكون وعلى ربهم يتوكلون وإلى الله يتضرعون فبينما هم كذلك وإذا هم باصـــوات صهيل الخيل وقعقعة اللجم واصطفاف الرماح وضجيج الابطال وصياح المأسورات وعويل العربيات وبكاء المسلمات وندب العلويات وصـــياح الروم عليهم من خلفهم ومن بين ايديهم وهـــدير الفرسان وزمجرة الشجعان والبنات الابكار ينادون بالذل والهوان وتكاثروا الناس فى ذلك المرج حتى امتـــلأ بهم من كل فج والارض من كثرتهم ترتج والاميره ام عمرو فى اوائل السبي وهى مكشوفه الراس عادمة الحواس مأسوره مع الارجاس وقد هزمها التعب ووقع بها النصب وتمنت العطب وهى محمولة على جمل وهى تنادى بالويل والعطب وسوء المنقلب وتقول واذل فرسان العرب واذل البنات العربيات أين من يرعى الحسب والنسب فى هذا اليوم ويزيل عنا العناء والتعب واللوم ثم انها أوجزت بالشعر تقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

حل المصاب وحل البؤس والحرب ... وكل دمع على الخدين ينسكب
وماجت الأرض عما قد بليت به ... حتى توهمت ان الأرض تنقلب
واستملك الثغر لما غاب ناصره ... واستحكم الروم لما ذلت العرب
لهفى على بطل من نسل ذلهمة ... فيه العفاف وفيه الدين والحسب
قد كان عدتنا فى وقت شدتنا ... لكن فعلنا به غير الذى يجب
لو كان حيا لما شقت منازلنا ... عنا ولو صده عن نصرنا الغضب
فيه الحمية والاحسان عادته ... فيه التعصب والانصاف والادب
فيه السماح وفيه الجود قد جمعا ... وطيب أصل زكا قد زانه الادب
أقسمت بالله لو كان الامير يرى ... ذلى لكان على الاندال ينسحب
أو كان يسمع صوتى صاح لى عجلا ... مهلا فقد زال عنك البؤس والتعب

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فو الله ما فرغت ام عمرو من نظامها وما ابدت من كلامها حتى صاح بها الامير مهلا رويدك فقد زال عنكى البؤس والتعب والهم والنصب (قال الراوى) فقالت من الصايح فقال أسود بنى كلاب وصاحب الوقائع العجاب المعروف فى المعامع والضراب عبد الوهاب ترس قبر النبى الاواب عليه من الله أفضل الصلاة واتم السلام صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم المآب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما

ان سمعت الكلام عرفت انه الاسد الضرغام فنادت كرعايهم يابن الكرام وخاص من الأسر بنات الأعمام وخذ حقنا من الروم اللئام الذين انتقموا مناغاية الانتقام عندها نادى الامير عبد الوهاب يال كلاب يال كلاب يا أصحاب الطعان والضراب فأجابته عشرة آلاف عن صوت واحد فخيل للروم ان الدنيا قد انقلبت وانطبقت الارض وتزلزلت وفى ذلك الوقت طلع كوكب الصباح وارتفع الصياح من الطائفتين وعمات الصفاح وسلبت الارواح من الاشباح ونادى الفارس الجحجاح لابراح وجاء الجد وذهب المزاح وتلقت الروم بوجوه وقاح وأيقن السبي بالنجاح ونفذت فى الصدور الرماح وتقدم البطل الجحجاح وانقص من الجبان الجناح فلم يستطيع الرواح وسمحت الابطال بالنفوس بعد ما كانت بها شحاح وضاقت بهم الاماكن الفساح وخاف الشجاع من الافتضاح وانهرق الدم وساح فكم من رأس من بدنه طاح وزاد الغبار فلم تعرف الوجوه السماح من القباح وامتلات الارض من الجثث والاشباح وخرصت الالسن الفصاح وبدت العقبان فى أكل المقل الصحاح ودام الصدام ودقت الطبول وصهلت الخيول وكان يوما مهولا ودمدم كل ليث ضجور وحامت النسور وكان كيوم نفخ الصور وخروج الخلق من القبور وجرى عليهم القضاء المقدور وصارت الدما منهم تفور فكم مجندل فى دمه يخور وكان نهار مذموم على عصابة الروم وقتلت الابطال فى المجال وخاصوا الاسارى والاموال وقتل مقدم الروم وهو ملك الانجبار وكان القاتل له الامير عبد الوهاب لانه مازال يقرع بالحسام فى الروم الى أن وصل إليه وصار بين يديه وضربه بالحسام بين وريديه طير رأسه من بين منكبيه ولما قتل رأوه الروم ولوا منهزمين والى النجاة طالبين ورجعت المسلمين بالنصر المبين وهم الى الغنائم حايزين وفى تلك الساعه طلب الامير عبد الوهاب أبو محمد البطال فلم يجده ولا وقع له على أثر ولا جلية خبر فقلق عليه غاية القلق وامر الغلمان ان تفتش عليه بين القتلى ففتشوا عليه فلم يجدوه فبقى عليه مثل المجنون أو مثل الحيه على المقلا وبعدها حصر بنى كلاب فوجد قد فقد منهم مائة أمير من كل بطل نحرير مثل الامير مالك بن طوق وراشد بن ضمره وطلحه بن خزرجة وعامر بن عرفجه وصالح بن مدركة وتمام المائه أمير وهم أعيان بنى كلاب فخرج عقله وقلق الامير لفقدهم وبعدها سال عن الامير عمرو فقيل له انه مكتوف على ذاك الجمل الاحمر فامر باحضاره فحضر وهو فى أسوأ حال وكذلك محمد بن ابان والعزيز بن بكار فقطع الامير كتافهم وفك قيودهم وقبل رأس عمرو وقال له لا كان يوما يصيبك فيه سوء وأنا فى دار الدنيا وتقدم الى ام عمرو وقبل رأسها وقال لها يعز على خادمك ما وصل اليك من الهوان ولولا كنت ماسور ما وصل كلبه

الروم الى الثغور فالحمد لله الذى كانت العاقبه الى خير فبكت ام عمرو وقالت انك لم تزل كاشف الكروب ودافع العطب وناصر العرب وأنت الأمير المنتخب صاحب الحسب والنسب الذى لا يمنعك عن فعل الخير مانع الغضب ولا يردك عن الموت سبب ثم أنشدت وجعلت تقول

أيا فارس الهيجاء فى كل معرك ... سموت على كل الخليقة بالفخر
ولولاك كان الثغر قد هد ركنه ... وأضحت جيوش المسلمين بلا نصر
شرفت على فرسان عصرك مثلما ... على الف شهر فضلت ليلة القدر
وتعفو عن الجانى ولو كان مسرفا ... تقابل بالغفران من كان ذو غدر
ولولاك كان الجود قد مات شخصه ... ومات ذوى الأعلام من طلعة البدر
ولولاك يا مولاى كنا بأسرنا ... أقمنا بطول الدهر فى بلد الكفر
فعش سالما بطول عمرك مغنما ... متى صاح طير أو بدا كوكب يسرى

(قال الراوى) فلما فرغت أم عمرو من شعرها شكرها الأمير عبد الوهاب على نظمها ونثرها وجاءتها الأميرة ذات الهمة وعانقتها وبالسلامة هنتها هذا والأمير فى قلبه الخوف وفى فؤاده الحنق لفقد الامير ابو محمد البطال لأنه فقد ومعه مائة أمير وظن أنه لحق بهم التعثير فبينما هو كذلك وإذا بالغبار قد علا وانكشف وبان من تحته الامير أبو محمد البطال والأمراء المذكورين وبين أيديهم خيل بلا ركاب وهى خالية من الأصحاب وكل فارس يجذب فرسين أو ثلاثة حتى ادرك الأمير عبد الوهاب وسلم عليه وأوقف الخيل بين يديه فقال من أين هذه الخيل يا أبا محمد قال هذه خيول المنهزمين الذين طلعوا الى القسطنطينيه فقال الامير كيف اتبعت هؤلاء دون الذين طلبوا ملطية وقد علموا أننا لا نرجع عن طلب البلاد من أجل الحريم والأولاد فقال أبو محمد وهذا عقلك أيها الأمير وما الذى تصنع فى ملطيه وقد صارت عبرة لمن يراها وقد جرى علينا من الرشيد ما جرى وحالنا معه مفسود وقد أراد هلاكنا فى بلاد الكفر والطغيان وكيف نقدر نصل إلى ملطية وبين أيدينا الف الف وثمانمائة الف وقد ملكوا البلاد وأفنوا العباد وإن كان ولا بد فابعث نجاب بخبر سلامتك فيأتون اليك من كل جانب ومكان فإذا صرت فى جيش جرار سرنا الى ملطية ونلتقى جيوش الكفار ونمكن من الأعداء الصارم البتار وإن كان حالنا عند الخليفة مفسود فيكون قتالنا ناحية للواحد المعبود القادر الودود مخرج الأشياء من العدم إلى الوجود وإن كانت علينا فما نحن بأول من عطب وخرج من بلده ونهب وان كانت لنا فهو المقصود ونرد الناس إلى ثغورهم ونجمع الاخوان مع إخوانهم ولا نطيع أمره ولو كان مهما كان فقال الأمير دع

هذا الكلام كل شيء له رقت وقل لى كيف اتبعت المنهزمين دون غيرهم فقال أبو محمد لامر يدخل على قلبك منه الفرح والسرور ويكشف عن بلاد الاسلام المضرة والشرور فقال الامير وماهو يا أبا محمد فقال اعلم أيها الأميرانى مااتبعتهم إلا لما رأيت الجمجمة والرؤس مقطعة وأخذت المائة فارس وسبقت بهم قبل أن ينظرونا وينظرهم أحد ومسكت رأس المضيق فما أتى قس ولا بطريق إلا وحملته من البلاء مالايطيق وكسوته حلل كالعقيق ولم ينفلت منهم أحد من خوفى أن يصل أحد منهم إلى القسطنطونية ويخبرهم وينادى فيهم الحذر ويوقفهم على جلية الاثر وفى القسطنطونية عالم بعدد الرمل وورق الشجر قال عبد الوهاب فهل خفت أن يلحقنا منهم ضرر أو يخرج لنا منها عسكر فقال لا ولكن فى نيتى أن أفتح البلد وأملك سرير الملك وأخرب بيت منويل إلى الابد وأشوش قلوب الروم جمعا ويخافون أن تعمل بلادهم كما عملت الروم ملطية وينفذ الملك خوفا على الاولاد والبلاد فقال الامير فبأى شيء تقدر على القسطنطونية وأنت تعلم أن ما على وجه الأرض اعصى منها فقال البطال اقسم بمن نظر إلى الجبال فتطايرت أحجارها وإلى الصخور فتفجرت انهارها وإلى القلوب فتشعشعت أنوارها وصفت أكدارها لاتركتك تدخل القسطنطونية إلا برضا كل من فيها والبوقات تنفر بين يديك وأبوابها مفتحة والتجار مربحة فقال وكيف ذلك يا أبا محمد قال لأن معنا ثياب البطارقة التى أخذناها من دير المسيح وثياب هذه الوقعة فتفرقها على بنى كلاب وهم خمسة عشر ألف رجل ونأخذ الأعلام التى كسبناها ونعلق عليها الصليب وأنا فى أوائلهم على صفة المطران واذا وصلنا البلد يظنون أن السبى وصل فان عندهم خبر وصولهم من أيام فيعتقدون ذلك حقا فاذا دخلنا من باب البلد مكننا منهم الصارم المهند ونجعل أيضا مع المأسورين العدد فاذا سمعوا الصياح يرفعوا أيديهم فيمن قدامهم بالسيوف ونتوكل على من بيده مقاليد الأمور فقال الامير لاشك أن بنى كلاب تلبس ثياب الروم وجماعة السودان كيف نفعل فيهم فقال تكون أنت والسودان من بعيد عن اعين الناس مقدار فرسخ من البلد ومعك نسوة مأسورات فلايشك أحد إلا أنك من الجماعة فاذا سمعت الصياح تجىء الينا وتقدم علينا فيحسبوا أهل البلدان الجيش يتأصل فتقع بهم الخزلة ويتخلى كل أحد عن ماله وأهله فقال الأمير عبد الوهاب ماأبردها على كبدى والله يا أبا محمد إن فتحت القسطنطونية ماكنت أبرح منها حتى إننى أجيب القاضى عقبة وأصلبه على باب الذهب وأبر قسمى وأبلغ مرادى فهو أكبر اغراضى مادامت هذه الفتنة قائمة بينى وبين الخليفة وبعد ذلك نرجع إذا أحلى لنا المكان الى طاعة ملك الزمان

وخليفة الرحمن فقال أبو محمد طب نفسا وقر عينا فهذا أمر قربه الله تعالى فى يدك مادام أن هذه الفتنة قائمة فاغتنم هذه الفرصة فقال الأمير الآن وقع بى القلق وأنت تعلم أنه على ايمان مغلظة بأن لابد لى من صلب عقبة على باب الذهب لأن الملعون فى قبضتنا وعساكر الروم غير حاضره وهم على أرض الموصل ثم نادى بضيغم فأجابه بالتلبية نعم فقال له ياولدى شد عزمك وامض الى السويدية واقصد المطمورة التى لأبو محمد وخذ منها عقبه ولوقه وبولص ابن الملك الدمريس وأتنى بهم فان مرادى أن أقيم ههنا شهر وامضى الى ماأمرنى به أبو محمد البطال وأرمى روحى فى البحر الزخار وأدخل القسطنطونية أتوكل على الله وأنا أعلم أن مافتحها أحد بعد جدى الصحصاح ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون فتحها على يدى إن شاء الله تعالى ويذكرونى الناس من بعدى وعلى ماتمضى وتأتى تكون بنى كلاب اجتمعت عندنا فانى أرسلت الى الحجاز الشريف أعرفهم بسلامتى فسير وأوجز فقال سمعا وطاعة ثم أخذ مائة فارس وسار طالب السويدية وأقام عبد الوهاب وكل من وصل اليه من مدينة القسطنطونية أخذه فما بقى مخلوق وكل من مر عليه يأخذه الا أنه كان يقصد بذلك قطع أخباره (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك منويل فانه لما ملك ملطيه وبلادها ورأس العين وأعمالها ونصيبين ونزل على الموصل واجتمع عسكر الموصل وأوين والبوايرج وتركيت ومزاكر والجبال وكان عدتهم مائه وعشرين ألف والمقدم عليهم أمير يقال له غارب بن الهيجاء وكان وجهه الخليفة وكان فارس عصره ونتيجة دهره وكان يقول وددت لو وقع الخليفه بعبدالوهاب وينذبنى الى لقاه حتى أبارزه فى حومة الميدان ومقام الضرب والطعان حتى يرى فارس لا كالفرسان صعب اللقا نحرير الملتقى وكان يطلب بذلك اظهار فروسته على عبدالوهاب من غير كراهية لأن كل واحد يريد أن يكون فارس زمانه ونتيجة عصره وأوانه والمقدم على أقرانه فلما نزل الروم بهذا العدد خاف كل أحد من كثرة العدو وتزايد المدد وان غارب جمع من العساكر الأمراء وقال لهم اعلموا أن الخليفة خرج عليه خارجى من أرض خراسان يقال له جرهم وان هربتم سبيت الحريم والاولاد ومافى الأمر الا أن نقاتل عن دين الله وندفع عن ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله سبحانه وتعالى أعطى الخلق خلعة المدح واعطى المجاهدين خلعة المحبة فقال تعالى كانوا قليلا من الليل مايهجعون وقال تعالى فى حق المجاهدين ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وايضا فانكم تدافعوا عن اطفالكم ونسائكم فان العدو كثير وقد مدح الله

القليل فقال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقال تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج واعلموا أنى لابد لى ان اضرب فى الروم بالسيف وأستعين بالله فان المثل يقول :

أموت بعز لا أموت بذلة وعند الملوك القتل أعفا من الأسر

(قال الراوى) وكان الأمير غارب فارس لا يطاق علقم مر المذاق فلما ساروا قومه وعساكره قالوا أن الخليفة قدمك علينا وأنت أميرنا فاذا عزمت على الجهاد فنحن أول من يبادر فى طاعة رب العباد فلما سمع قولهم فرح وقال الحمد لله الذى لم يطرح فى قلوبهم حب الدنيا على الآخرة والرأى أن أكتب إلى الخليفة كتاب وأخبره بهذا الحال ثم أنه كتب للخليفة كتاب فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين اعلم أنه قد وصل الينا عساكر سدت الفضا وملئت المستوى وملكت البلدان والقرى وانهدمت الجسور والقناطر وانخسفت الأرض من وقع الحوافر وبلغنى أن العدو فى ألف ألف وثمانمائه ألف فلا يأخذك توانى فتأخذ الموصل وان أخذك عليها تقصير صار أطول أعمارها قصير وجملة ما عندنا مائة وعشرين ألف فارس وقد عولت أن أصافف القوم وأقاتلهم يوم بعد يوم فان أدركتنا بالعسكر رجونا النصر من الملك القادر وهذا ما عندنا والسلام وطوى الكتاب وعلقه على جناح طائر وباتوا الناس وهم متفكرين وكل واحد حائر فلما أصبح على الرشيد الصباح دخل عليه البراج بالطير والكتاب فاخذه الخليفة وقرأه وفهم معناه فقامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وأحضر أرباب دولته وقال لهم اعلموا أن الثغور أخذت وملكت والرجال قتلت وأسرت والدما سفكت وقصد العدو إلى الموصل وأحدق بها من الأمم ما لا يحد ولا يوصف وأرسل إلى الأمير غارب يطلب منى العساكر وقد بقيت حائر لأن خراسان فى يد غيرى وكان عليها معتمدى والحجاز ظهر فيه رجل يطلب الخلافة ويظهر لنا كل آفة وان أخذت الموصل قامت الدنيا على ساق وتملك العراق ثم انه أمر ان ينادى فى شوارع بغداد بالجهاد فى طاعة رب العباد واكتساب الثواب فهرعت البلاد فى ثلاثة أيام وبعد ذلك اجتمعت العساكر فكانت مائة وخمسون ألف عجم وديلم واكراد وعرب وغير ذلك ثم دعا الرشيد برجل اسمه عامر بن الحجاج المازنى وهو رجل وصل اليه من بلاد البصرة فى ألف فارس وكان جبار من الجبابرة تخافه العرب على صغر سنه وحسن همته شديد البأس صعب المراس وكان يطلب الغزاة فى بلاد الروم فيمنعه أبوه عن ذلك فلما مات أبوه تجهز وطلب الرشيد وقدم عليه فى تلك السنة لطلب

الجهاد فتقدمه الرشيد على جميع العساكر ثم اتبعه بالرايات والاعلام والبوقات والكاسات وتقدم الامير عامر بن الحجاج على العساكر وصار يجد السير ليلا ونهارا وهو يترنم بهذه الابيات

سيعلم كلب الروم انى همامها　　أبيد الاعادى بالسيوف القواضب
وأنصر دين الله منى حمية　　وأحمى الوغا يوما بفعل العجائب
وابذل نفسى عند كل كريهة　　وافعل فعل الاكرمين الاطايب
وابذل روحا ليس أملك غيرها　　وابغى جنان الخلد أعلا المراتب

(قال الراوى) وسار عامر يقطع المراحل وهو فى أمره حائر وقال لقد قدمنى الرشيد على هذا العسكر وأما الرشيد فإنه كان حامل هم لا يدرى ما يقضى الله على العسكر وبقى فى أمره حائر وقال لقد أفسد ملكنا بتدبير الفضل بن الربيع وكان الفضل أسروه الروم مع الامير عبد الوهاب كما ذكرنا وهو مسجون فى مدينة القسطنطينية فى دار البلاط وطال حبسه وندم على فعله وحلف ان عاد يخلص لم بقى يدخل بين اثنين هذا والرشيد أيس من الحياة وضاقت عليه الارض بما رحبت وقال سبحان الله ما رجعت الاميرة حنت علينا وتطيعنا كما كانت تطيع عبد الوهاب فقال مسرور على وجه المزاح وإيش فعلت أنت يا أمير المؤمنين مع ذات الهمة من الجميل حتى انها تأتى إلى الخدمة ولا شك انها مشغوله القلب على ولدها لانه ما طلع له خبر ولاشك انه هلك وانه اندثر ولا يقوم مقامه بشر فقال الرشيد والله ان كان هلك لا نشأ لنا مثله قط ولا من يفعل فعله ولقد كان له علينا خدم وأيادى جميلة ومواقف حميدة وكذلك والدته ولقد ندمت على ما كان منى وان ركن الاسلام بعده انهدم ولولا انه مات ما طلع كلب الروم إلى بلاد الاسلام وبالله اقسم انى ما أمرت بالقبض عليه إلا بتدبير عقبة لا أحسن الله له عاقبة فما كان رأيه إلا ميشوم وطالعه نحس مذموم ثم انى لم أعلم ان كانوا أخذوه الروم فى الطريق أسير أو قتيل وإذا صح انه قتل لاقعدن له سبعة أيام فى العزاء وأطلب القاضى عقبة واضرب رقبته وأطيب قلب الاميرة والدته عسى ان تعود إلى الطاعة وأقيم العذر فى عبدالوهاب فقال مسرور يا مولاى والله ان كان الامير عبدالوهاب هلك لا طاب قلب الاميرة أبدا وقد كان عقبة سبب هلاك المسلمين ورأيه سخط على جميع الانام فقالت الست زبيده يا مسرور كم تحمل قلب أمير المؤمنين ما لا يطيق وتصف عبد الوهاب وتقسى قلبه على القاضى عقبة وان كان وصل لامير المؤمنين كتاب عقبة بأخذ الجارية ما كان وقع هذا (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر الموصل

والأمير غارب فإنه زحف إلى قتال كلب الروم وصففت الصفوف واشهرت السيوف وأيقن الناس بالحتوف ورفعت الناس من الروم أصواتها وبربرت باختلاف لغاتها وارتجت الأرض عن جنباتها وأيست الاسلام من حياتها والأمير غارب بن الهيجا يطيب قلوبهم وأمرهم بالحملة والمبادرة فقالوا أيها السيد ان هذا عسكر عظيم وان نحن حملنا عليهم طبقوا علينا وأوصلوا الأذية الينا ولكن نحن بالامس كاتبنا الخليفة بأن ينفذ الينا العساكر ولكن نطاول بالمبارزة فارس لفارس إلى أن تصل النجدة من عند الخليفة فقال بعضهم هذا هو الرأى السديد دونكم وما عزمتم فهم فى الكلام وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فتطاولوا اليه بالأعناق وشخصوا نحوه بالاحداق إلى أن قرب من عسكر المسلمين وجيش الموحدين بحيث يسمعون كلامه ونادى يا معاشر المسلمين ان الملك نظر إلى قلتكم وأخذته عليكم الرحمة وأرسلنى اليكم يعلمكم انه ملك البلاد وأذل العباد وانه ما خرج من بلاده إلا حتى يجعل كرسى مملكته فى بغداد واعلموا ان الملك يقول لكم وهبت لكم نفوسكم وأولادكم ونساؤكم فارحلوا عن البلاد واحقنوا دماكم والسلام وان أبيتم ذلك أمر العساكر تطبق عليكم فلا تبقى منكم أحد وتترك المنازل خالية والاطلال خاوية والأوطان واهية وأجسامكم بالية وقد اعذر من أنذر وأنصف من حذر فأجيبوا للرحيل والاهلكتم عن قريب وان شئتم الدخول فى دين النصرانيه فينعم عليكم الملك ويوصل الكرامه اليكم ويتركـكم فى أوطانكم وتصيروا من اخواننا ونصير من اخوانكم فماذا أنتم قائلون وعلى ماذا أنتم معولون فكان الجاوب للقاصد الامير غارب مقدم جيش الموصل وقال له اسكت يا كلب الروم أما قول الملك رحمكم فدعه يرحم روحه اذ هو من اهل النار وذلك جزاء الكفار واما قولك فى عسكرنا قله فقد قال ربنا جلا وعلا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وأما قولك دعوا البلاد وارحلوا عنها فان من دون ذلك قتال يشيب الاطفال واما قولك تدخلون فى دين النصرانيه فهذا هو الجهل العظيم لانه يدعونا الى النار وكيف نشرك وربنا هدانا وفضلنا على كثير من عباده تفضيلا ولكن نقاتل فى سبيل الله تعالى فان قتلنا فلنا الجنه ونظفر بالحياة السرمديه فدونكم والقتال والحرب والنزال لتروا رجال واى رجال يرون الموت مغنما والحياه مندما ثم أنشد وجعل يقول

ألا قل لكلب الروم ان سيوفنا ... حدادا وانا لا نكل من الضرب
وانا نرجى الموت فى حومة الوغا ... نبيد الاعادى فى مجاولة الحرب

ونصر دين الله ثم محمد نبى الهدى بل سيد العجم والعرب
فان خصنا الرحمن منه بنصره فذلك معروف من الخالق الرب
وان كانت الأخرى وطالت سيوفكم علينا ظفرنا بالجنان وبالقرب

(قال الراوى) فلما سمع رسول ملك الروم ذلك الخطاب ألوى عنانه ورجع الى الملك واعاد عليه ماسمع فلما سمع الملك ذلك أمر الروم بالحمله على المسلمين جملة واحده فما قولكم يا اخوان فى الف الف وثمانمائه الف فكانت المسلمين كالشامه البيضاء فى الثور الاسود واظلمت الاقطار والجوانب من الارض ومالت وانخسفت الاشباح واختطفت الارواح ورياح الموت عصفت والكتائب بالكتائب تلاحمت والصفوف بالصفوف اختلطت والمنيه من فوقهم اشرفت وصار النهار كالليل وجرى دم الطائفتين كالسيل وغرقوا المسلمين فى كثرة الكافرين وبان منهم التقصير وجرت المقادير بما أراد الملك القدير وذهل الشجاع النحرير وطلع الغبار من المناخير ولم يزالوا الى ان اقبل الظلام وقد انفصلت الطائفتين عن ضرب الحسام وعادوا الى منازلهم والخيام وافتقدوا المسلمين اصحابهم فرأوا المعدوم منهم اثنى عشر ألف فارس ممن كان يعد فى القتال فصعب عليهم وايقنوا بالعطب واعتد الجبان للهرب ووقف الامير غارب قاتل ذلك اليوم قتال يعجز كل انسان فقالوا أصحاب المشوره اعلموا ان الامر عظيم والخطب جسيم وان العسكر كثير وان قاتلناهم غدا سقونا كاسات الردا والمنيه واحاطت بنا الرزيه ونحن مؤملين ان تاتينا عسكر العراق على الخيول العتاق والصواب نطاولهم بالبراز حتى ياتينا العسكر فقالوا هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب وباتوا على غاية الحذر الى ان طلع الصباح وتواثبت الرجال الى خيولهم وتقلدوا بسيوفهم واعتقلوا برماحهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت وترتبت المسلمين وتقلدت وايقنت النفوس بالعطب وركبت عساكر الروم وركب منويل وسائر الملوك حوله ووقفوا ورفعوا الصليب الاخضر على العلم الاكبر وكان له مائة حبل من الابريسم وكل حبل فى يد رجل وكان أول من برز رجل من المسلمين على جواد عالى نبيل وبيده رمح طويل وعضب صقيل فصال وجال وقصد صفوف الروم بقلب أقوى من الجلمود وأنشد :

ألا يا كلاب الروم هل من مبارز فيبرز نحوى بالحسام المهند
لكيما يرون الناس حربى وحربه ويوصف منا الليث فى كل مشهد
سانصر دين الله حقا وطاعة وأحمى لشرع الهاشمى محمد

(قال الراوى) وكان ذلك الفارس اسمه ثابت بن قيس العلوى فلم يتم نظامه حتى برز اليه فارس من الروم على حصان أشقر عالى من الخيل مضمر جيد المخبر وفى كف الكافر قنطاريه مذهبه

على رأسها لسان كأنه كوكب وحمل كل واحد منهما على صاحبه وجالا طويلا واعتركا مليا واختلفت بينهما طعنتان سبقه المسلم بالضربه نزلت على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعندها صلبت الروم على وجوهها وطلب المسلم البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس آخر فعاجله المسلم بطعنه فى صدره طلع السيف يلمع من ظهره ثم برز اليه فارس يونانى فقتله بلا توانى فخرج اليه فارس من الكفار أوصله الى النار وخرج اليه فارس من الدوقس أباده الى ان قتل منهم سبعة عشر فارس فخارت الروم وبطلت البراز وصلبت على وجوهها فحمل على الميمنه قتل فارس وعلى الميسره قتل اثنين وطلب القلب وقصد البراز وأنشد وقال

أنا ابن حماة الدين من آل غالب ... أبيد الاعادى بالسيوف القواضب
أبى فارس البيداء فى حومة الوغا ... على المرتضى فاق الورى بالعجائب
وجدى رســـول الله أعنى محمد ... وخير الورى ما بين ماشى وراكب
فهل فارس منكم يكن لى مبارزا ... لينظر طعنى ثم وقع مضاربى

(قال الراوى) فما فرغ من شعره حتى هاج عسكر الروم وترجل منهم الف فارس مشاة وخرجوا يطلبون ثابت العلوى وبينهم فارس على حصان أشقر وعلى الفارس تنور فولاذ محلى وتحته كبر حديد محشى زرد وعليه بيضة عادية كأنها الفضة المجلية وفى يده عامود لو وقع على جبل لتدكدك فارتاعوا المسلمين من خلقته وجميع ما عليه يشرق بالذهب الأحمر وكان هذا الفارس هو الدمروس ملك جزيرة الصخر وقلعة العمد وذلك انه لما رأى فعال العلوى تقدم الى ملك الروم وقال له أنا قد عولت على الخروج لهذا المسلم فقال الملك نحن ندخرك لغير هذا الأمر فقال الدمروس ماثم أمر اعظم من هذا ولا أكبر ولا بد من الخروج اليه والقدوم عليه فانا ما خرجت من بلادى الا لأجل الجهاد فقال له الملك افعل ما بدالك فخرج كما ذكرنا حتى ساوى العلوى فى الميدان هنالك رجعت الالف فارس الى أماكنها وبقى عدو الله مع ثابت وحده فجردوا السيوف فعندها هاجوا المسلمين وصاحوا على ثابت ان يرجع فقال معاذ الله أن أفعل ذلك فصاح به الرومى دونك والقتال ان كنت من الابطال فقد قتلت الناس واليوم آخذ منك بالثار وأكشف العار هذا وهو يقول له بالعربى بصوت كأنه الرعد القاصف فلما سمع العلوى مقاله قال له ويلك يا كلب الروم من يبارز الابطال يخرج بين يديه الف من الرجال فقال الدمروس يا مسلم هذا شأن الملوك عندنا إذا خرجوا للقتال يترجل قدامهم الابطال خدمة لهم وحق المسيح ما فيهم من يقاتلك حتى

أنفصل أنا وإياك فدونك والقتال لحمل كل واحد منهما على صاحبه وتكالحا حتى علاهما الغبار وغابا عن الأبصار ساعة من النهار واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة ثابت العلوى وقع سيفه على ترس الرومى فانقصف نصفين فرماه من يده وأخذ الرمح فعاجله الدمروس وهجم عليه وضربه بالعامود فى صدره فوقع الى الارض صريع وعجل الله بروحه الى الجنة فتصايحت الروم فرحا وبكوا المسلمين ثم أن الملعون طلب البراز فما تم كلامه حتى برز له شاب مليح له ذؤابتين على صدره ووجهه مثل القمر فتأملوه المسلمين فرأوه أخو المقتول واسمه ظاهر وقد فاضت دموعه على خده ولم يجد الصبر فوقف على مصرعه وقد سلبه الرومى ثيابه ولم يرحم شبابه فأن واشتكا وزاد فى البكا وأنشد يقول :

رياح الصبا بالله بالله بلغى سلامى الى أمى وعظم مصابيا
ويا طائرا للجو بالله تلقين رسالة مشتاق قتيل الأعاديا
وإن سألت عنى فقولى تركته يحوم عليه الطير بين الروابيا
جريح طريح فى التراب معفر قتيل جديل لا يجيب المناديا
سلام على الدنيا إذا كان قد هوى أخى بسيوف الروم هانت حياتيا

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما فرغ من شعره حمل على دمروس بدمع مستبق وحمل عدو الله عليه وتناضلا ساعة زمانية ثم أن عدو الله طبق على العلوى وضربه بالعامود عفره بالتراب بجانب أخيه فضجت المسلمين بالنحيب وجعل عدو الله كلما خرج اليه فارس قتله فتأخرت المسلمين عن القتال وإذا قد خرج اليه شيخ كبير منحنى الظهر قوى العمر وكأنه جلمود إلا أنه فاته الزمان حتى ظهرت الحدثان وهو متلثم معمم وقد شد وسطه بفوطه حمراء والشجاعة عليه لايحة وخرج من بعده من المسلمين فارس آخر وإذا هى امرأة تنادى بالعويل فقالوا لها المسلمين ماوراءك ياعجوز فقالت اعلموا أن فقد أولاد السادات يدل على الخبثات وضرب الأوتاد على الفؤاد ولا فقد الأولاد وهذا شيخى أبو أولادى ظهور وقيس بن عامر العلوى وهو رجل كبير فصاحت الناس به ليرجع فلم يسمع وقال معاذ الله أن أكون خرجت للجهاد لله تعالى ولا أقاتل وسار حتى وقف على مصرع ولديه وأنشد يقول

لقد أظلمت أطلالهم ثم أصبحت منازلهم من بعد رحلتهم قفرا
لقد قصما ظهرى وضاقت مذاهبي وبعض الذى قد نالنى يقصم الظهرا
ومن خلفهم مثلى عجوز كبيرة وما وجدت من بعد قتلهم صبرا
وقد كنت أيام الشبيبة فارس أجول ولا أخشى العدو مدى الدهرا

وعمرى وبيت الله تسعين حجه ومن قبلها قضيت من مدتى عشرا
وما هدنى الا فراق أحبتى وصير حلو العيش من بعدهم مرا

(قال الراوى) ثم نزل الى أولاده وجعل يأخذ الدم ويضعه على فؤاده ويرفع رؤوسهم ويقبل وجوههم والدمروس يتعجب منه ورق له قلبه وركب الشيخ الى جواده كانه البرق الخاطف أو السحاب الواكف وحمل على الدمروس وقال دونك والقتال يا ابن الأرذال فضحك الدمروس منه وقال وحق المسيح انك معذور لأنك شيخ كبير وقد عدمت ولديك ولو كنت علمت أنهما أولادك لكنت أسرتهم حتى كنت أعطيهم لك لأنى رحمتك لكبرك ولأجل مصابك بولديك وأعز الناس عليك فقال الشيخ لا بد أن آخذ التار وأكشف العار بالصارم البتار وأبذل النفس فى طاعة الملك الجبار فغضب الدمروس وقال ارجع ياشيخ والا خضبت شيبك بالدما فقال الشيخ خلى عنك المحال يا عدو الله حتى أموت فى سبيل الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم جال على الدمروس فلما نظر عدو الله انه لا بد من القتال حمل عليه وتجاولا حتى عقد على رؤوسهما الغبار وغابا عن أعين النظار ثم أن الشيخ قارب عدو الله ولاصقه وسد عليه طرائقه وقام فى ركابه وضربه فأخذها الملعون فى جحفته وكانت من الحديد الصينى فطار منها قطعة وانكسر السيف من شدة الضربة فعلم ان الشيخ بطل همام ثم وثب الإفرنجى على الشيخ وضربه بالعامود فخرج الشيخ عنها واختطف العمود من الهوى وعطف عليه أسرع من البرق ومد العمود بكلية يديه فلما نظر الأمير غارب الى ذلك حمل وحملت المسلمين وأشار الملك للروم فحملت وجالت الخيل وهجمت وبربرت الليوث وغمغمت حتى كلت السيوف وتثلمت وحميت الأبطال فى الهيجاء وامتلأت الأرض بالقتلى ولم يزالوا كذلك حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار هنالك افترقت المسلمين وقد قتل منهم اربعة آلاف وخلصوا الروم الدمروس ثم خلصوا المسلمين قيس والعامود الحديد معه لم يخلص من يده وباتوا الناس على وجل عظيم جسيم حتى برق الفجر وركبت الفرسان وطلبوا الطعان وكان اول من فتح باب الحرب الدمروس وهو على حصان اسود أسبق من الريح وله غرة كالصباح وعلى صدره زرد مضايقة العدد لا يعمل فيها الصارم المهند ولا الرمح المسدد وطلب البراز فبرز اليه فارس قتله والثانى جندله والثالث والرابع فوقفت الناس عن برازه وكاوا من قتاله وإذا بفارس ظهر فى الميدان واشتهر لكنه أضناه الكبر وضعف منه البصر وإذا به قيس العلوى وقد

غلب الحزن على فؤاده وأكثر البكا على أولاده فأنشد وقال هذه الأبيات :

لو كان ما بي هين لكتمته ... لكن ما بي جل عن كتمانى
يالائمى عن الخروج الى الروا ... كفا فبعض مصيبتى تكفانى
ماذا أزيد من الحياة وقد مضى ... ولداى قتلا من ذوى الطغيان
فلأحملن على العدو بصارمى ... نفسای آخذ ثارهم بسنانى

(قال الراوى) ثم حمل على الدمروس وتضاربا ضربا أحد من الجمر وأمر من الصبر واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة الشيخ فوقع السيف على عاتقه على المرآة المصقولة فلم يعمل السيف ثم عطف الملعون بضربه فوقع السيف على ساعده الأيمن براه كما يبرى القلم وثنا عليه بأخرى فوقع الشيخ صريع فأتت العجوز اليه وقالت ياقتيل الغربة وياصريع الوحدة يا أبو الأيتام العلويات هذا الفراق ومتى يكون التلاق وأنشدت تقول :

لو كنت أدرى ما الفراق وطعمه ... ما كنت فارقت الذى أهواه
حتى رمانى الدهر منـــه بأسهم ... أواه منها أسهم أواه

(قال الراوى) فما تمت كلامها حتى سمعت أنين الشيخ والروح تتردد فى جسده ودموعه تميل على وجناته وأومأ مخاطبا للعجوز بلحظاته يقول :

عليكى سـلام الله انى مودع ... وقلبى ما يرتاح الا إليكم
فإن نحن عشنا يجمع الله بيننا ... وإن نحن متنا فالسلام عليكم

(قال الراوى) ثم قال اسمعى كلامى وافهمى نظامى قبل شرب حمامى فقالت العجوز يا ابن بنت رسول الله ﷺ يعز على أن أراك مقتولا فليت روحى كانت لك الفداء ثم نادت واغربتاه فقال لاتقولى واغربتاه فالغريب من تغرب عن باب الحبيب وطرد من خدمة القريب الحبيب المجيب وأما من قتل فى طاعة الله فليس بغريب واعلمى انه ضربنى طير يدى من الزند فرأيت تحت سيف الرومى جارية عليها تاج من الذهب الأحمر لو أقبلت بوجهها على أهل الدنيا لأغنتهم عن الشمس والقمر وهى تقول لى ارفع رأسك فهذه الجنة ولما ضربنى الضربة الثانية فوقعت الى الأرض فرأيت قبة نزلت من السماء بسلاسل ذهب والقبة من الزمرد الأخضر وفيها اولادى ثابت وظاهر وهما يقولان العجل العجل يا أبتاه فهذا الكاس اذا شربت منه فلا تظمأ بعدها ابدا ثم أن الشيخ دمعت عيناه فقالت العجوز ما يبكيك فقال ذل البنات بعدى ولكن استودعتهم الله يكن لهم حافظا وعليهم رقيبا وها أنا سائر لأولادى وأجتمع بآبائى وأجدادى الاشراف

من بنى عبد مناف ثم قال السلام عليكى أيتها العجوز عليكى بتقوى الله وطاعته وأوصيكى بالبنات خيرا وفارقت الروح الجسد رحمة الله تعالى عليه وعلى أموات المسلمين وعلينا أجمعين فعندها قبلت العجوز شيبته وولت لعسكر المسلمين وعدو الله يجول ويطلب البراز وليس أحد من المسلمين يخرج اليه ولا يقدم عليه خوفا منه فعندذلك أقبل على الميمنة قتل فارس وحمل على الميسرة قتل فارس فجالت عليه الكتائب وقصدته الفرسان من كل جانب ومكان وثبت الملعون لما عليه من الحديد والزرد النضيد ونظرت عساكر الروم إلى حملة المسلمين فحملت عن بكرة أبيهم وضربت البوقات ودقت الكؤسات وحملت القواضب وظهر الذل مع الأعزاز وفاز بالسلامة من فاز ولم يبق براز وتقمقمت الأبطال وطار الغبار وشخصت الابصار وجرت الأقدام بالأقدام فكم من رأس قد طار ودم قد فار وفاضت المدامع وقطعت الاصابع وعمل الصارم القاطع وعاد النهار كالليل وقل القوى والحيل وجرت الدما مثل السيل حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار فرفع الحسام ورجعت العساكر إلى الخيام وفقد من الخلق مالا يعد ولا يحصى وباتت الناس يتحارسان إلى أن أصبح الصباح واصطفت الصفوف وتقدمت الألوف وقد تضعضعت عساكر الاسلام وخرجوا العوام من الموصل حتى يكثر السواد فكان أول من فتح باب الحرب الدمروس الملعون المفتون وقد خرج على جواد أبلق وصال وجال وطلب البراز فصار كل من خرج اليه يقتله حتى قتل سبعه من الأبطال فتوقفت عنه الفرسان فعظم الأمر على الأمير غارب وعامر بن طالحة فقال له اعلم يا أميرانى عزمت أن أخرج إلى هذا الفارس الذى أباد المسلمين وأهلك الموحدين وماقعدت عن الخروج خوفا منه وإنما خفت أن يجرى على المسلمين أمر من الأمور وربما أخذت الموصل والآن ولا بد من الخروج اليه والقدوم عليه لكن أنت مكانى ولك الأمارة من بعدى فان شئت طيب قلوب الناس وصبرهم وطول فى المبارزة فقد بلغنى أن عسكر المسلمين وصل إلى قونيا ثم أنه خرج إلى الميدان وتحته جواد كريم كالليل البهيم فجال وصال وأشار إلى عدو الله وأنشد يقول هذه الأبيات .

ألا أيها الكلب الذى زاد كفره   علينا كما قد زاد فى الخلق شره
ستلقى غلاما للقتال معودا   وليس قتال الروم أمرا يضره
إذا طال عمر المرء زادت ذنوبه   ولا خير فى عبد إذا زاد شره

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد إلى صاحبه والتقيا الخصمان وتصادما كانهما جبلان وأخذهما الدعاء من كل جانب ومكان وزاد بينهما الجولان حتى كلت الجوادان وخدلت

الميدان وتقصفت الرماح وكانا كأنهما بحرين التطما أوجبلين اصطدما وحمل كل واحد على صاحبه واختلف بينهما ضربتان واصلتان فخرجا منها الاثنين ثم تضاربا حتى وقع الجوادين من تحتهما وتقاربا إلى بعضهما فقال دمروس يامسلم هل لك أن تقلع عنا آلة الحرب لأن الرومى كان أثقله ما كان عليه من آلة الحرب فقال له غارب ذلك اليك فرميا ما كان عليهما من اللباس وكان دمروس جبار جافى الخلقة لبيد الجثة مربع القامة كبير الهامة كأنه طود أو بعير حل من قيوده وكان الأمير غارب بخلاف ذلك رشيق القدوقد أعطى حيل شديد ولم يكن فى الموصل أحد فى شدته فلما قلع ما كان عليهما قال دمروس ماتقول فى الصراع فقال غارب دونك وماتريد فعند ذلك تصادما وتعاركا فهمز الرومى على غارب وهزه فلم يقدر عليه ووجده كان قوائمه من حديد فندم على مصارعته وبان لغارب شدة حيلة فمسك الرومى وهزه وقال ياقوى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أنه حمله ومشى به فضحكت عساكر الروم من كل جانب ومكان لما نظروا إلى ذلك وحملوا على الأمير غارب يطلبون خلاص حاجبهم فلم يقدرون على ذلك وحمات المسلمين على الروم واشتهرت الصوارم وأبرق المعاصم ثم ازدادت الروم وتكاثروا على غارب فخلصوا دمروس من يده وأخذوا غارب أسير ووصل المنهزمون إلى الموصل ودخلوا البلد إلى أن أصبح الله بالصباح وثارت الروم كأنها الجراد المنتشر أو السيل المنحدر وهم بالسيوف الحداد والرماح المداد والسواعد الشداد هذا وقد أيقنت الروم بأخذ البلاد وانهتكت المخدرات وشابت ذوائب البنات وسمع الصراخ فى الموصل من سائر الجهات وأحدق بالبلد الصياح من كل مكان وفى ذلك الوقت لما يريده الله تعالى من انفاذ المشيئة وتمام إرادته أشرفت عساكر العراق على الخيل العتاق فى مائتى ألف وخمسين ألف ترك وعرب ديلم واكراد وغير ذلك فعند ذلك رجعت الروم الى مضاربها ونزل الأمير عامر بن الحجاج المازنى فى كتائبه وعساكره ومواكبه وراح عليه ذلك اليوم عسكر الموصل فسار فى تلك مائة ألف وخمسين الف واضرمت النيران وتحارس الفريقان إلى ان ذهب الليل واتى الصباح وركبت الرجال على ظهور الخيل وركب ملك الروم وتقدم ذلك اليوم بنفسه وتقدمت بين يديه الأرمن فى مائة الف كلهم يرمون بالقوس فأمرهم أن يقفوا فى وجوه الاتراك وتقدم البترك وفتح الانجيل وجعل يحثهم على القتال ويصف لهم فضائل قتالهم فى المسلمين ويشددهم فى الدين ثم بعد ذلك صلى عليهم صلاة الموت وزحف الملك بنفسه وقد ترجل بين يديه خمسين الف بطريق وقس وجاثليق حتى سدوا كل طريق وامتلأ بالخلائق كل

فج عميق وركب الأمير عامر وحمل وحملت المسلمين وكبروا الموحدون وكفرت الملحدون واشتهرت البطارقة بشرها وأعلمت العباسية بكفرها وحمى الحديد على الأبدان وتغيرت الالوان وطلع العرق على الأذقان وقضى بينهم السيف والسنان وتبرأت منهم الاكف والبنان وطارت الرؤس على الأبدان وأبصرت الروم قتالا بخلاف الذى كان وانطبق الجمعان حتى بقى لا يعرف الأخ أخيه إلا إذا قال انا اخاك وتمايل الفارس من شرجه كتمايل السكران وتقلص من العطش اللسان ثم استبشرت ارواح المجاهدين بالفوز والغفران وخرج لهم توقيع الأمان من الملك الديان ياعبادى هل جزاء الاحسان إلا الاحسان واشتهر الأمر فلم يبق كتمان وعادت زيادة العدد إلى نقصان وطلع الغبار إلى العنان واحتجبت الشمس فلم تدرك بالعيان وباتت الفئتان وما بلوا المسلمون فى ذلك اليوم مثل ما بلوا بالافرنج فى ساحة الميدان من شدة الضرب والطعان وكانوا يومئذ مائة ألف عنان ولم يزالوا على هذه الحالة وكل منهم يطلب من خصمه الاقالة حتى ذهب النهار وامتد الظلام وانقشع الغبار (قال الراوى) وفقد من عسكر العراق خلق كثير وجم غفير وكذلك من الروم الانجاس وطار النعاس وتصايح الحراس وقلق الناس وعظم المراس فهذا ما كان من هؤلاء من الأمر الجليل (وأما ما كان) من الملك منويل فانه لما نزل قال على بالملك الدمروس فاحضر بين يديه فخلع عليه ما كان عليه من الملبوس وأقطعه ثلاث جزائر فى البحر من قرب بلده وأوعده بانه يزوجه بنته وقال على بالمسلم الذى أسرته فى ذلك اليوم فانى رأيته فارس لا يطاق علقم مر المذاق فاحضروا غارب بين يديه وقد قال الملك للترجمان قل له ويحك كم لك من الخليفة فى الديوان فقال له الترجمان ذلك الكلام فقال الأمير غارب لى عليه جهة الضياع العامرة فقال ملك الروم وحق دينى لو دخلت فى ديننا وقاتلت بين أيدينا لكنت أعطيك عمورية فى بلاد الروم والموصل فى بلاد العراق فقال غارب ما كنت بالذى أبيع الآخرة بالدنيا الغادرة ولا أبغى دينا يدخلنى النار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الملك ذلك أمر بحبسه وهوانه فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الامير عامر وهو المقدم على عساكر العراق فانه تقدم وافتقد رجاله فوجد قد فقد منهم خلق كثير فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال ما لهذا القوم إلا المبارزة والمنازلة وبات على هذه النية فلما أصبح الصباح جردت الصفاح وركب الأمير عامر فى مركبه وركب منويل فى كتائبه وترتبت الصفوف وتقاتلت الجيوش وكان أول من فتح باب الحرب الأمير عامر وقد ظهر على حصان ضامر كانه الليل العاكر ثم اشتهر بين الصفين

ووقف بين الفريقين وطلب البراز وسأل الانجاز فما استتم كلامه حتى برز اليه فارس فما لبث بين يديه دون أن طعنه عامر فى صدره أطلع اللسان يلمع من ظهره وخرج اليه ثانى قتله من غير توانى فخرج اليه ثالث تركه على الأرض ناكث ومازال إلى أن قتل عشرة من البطارقة فبرز اليه من الافرنج فارس يقال له قرقياس ابن ملك أفرنجة وكان من الابطال المعروفين والاقيال الموصوفين تهابه ملوك الروم جميعا لانه كان يقتنص الأسد من الغابات ويأخذ القوافل من الفلوات وقد خافته الأمم وخلفه مائة الف فارس يسمعوا كلامه ويطيعوه وكان قد خطب بنت ملك الدوقس وكانت كاملة الملاحة والظرف والرجاحة وقد خطبها كثير من الروم فلم ينعم أبوها لأحد فلما ان خطبها ذلك الملعون لم قدر ان يرده خيفة منه أن يخرب دياره ويهد اطلاله ويمحو آثاره فما كان إلا أنه قال له اعلم أننى قد أقسمت لا آخذ لبنتى مهر لا ذهب ولا فضه ولا أريد إلا مائه مسلم تأتينى بهم أسارى حتى تفتخر بنتى على سائر بلاد الروم من البنات وكل ذلك طلبا لهلاكه لأنه كان سميا لخلقه كريه الرائحة بخيل النفس شجاع فى الحرب شديد الكفر وقد أسر فى وقعات الحرب سبعين رجلا وهو متوقف على الباقين (قال الراوى) فلما نظر ملك الدوقس الأمير عامر علم انه فارس خبير بالطعن والضرب فقال لقرقياس وحق المسيح قد اشتهيت ان يكون هذا من جملة الثلاثين الباقين فقال قرقياس سمعا وطاعة (يا ساده) وما قولكم فى أسد جبار وليث مغوار وعاشق ورامق وقد طلب منه صهره هذا الفارس فخرج اليه كأنه الاسد الزائد والقى نفسه على الامير عامر وكان عامر أكثر أيامه صائم وله كل ليله مائة ركعه غير الصلاة المكتوبه وأما فى الشجاعة فقد ثبت فى عساكر العراق والبصره الى ارض عمان وقد تجنبت قتاله الابطال والفرسان فلما برز اليه تطاولت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق وقام الروم على قدم وساق وبلغت الارواح التلاق والفارسين تارة يأخذان فى الانطلاق وتارة فى السباق وتارة فى الطلب واللحاق وتارة يعتمدا على السيوف الرقاق وتارة يظهران الزعاق والابراق وجرى بينهما ما تكل عن وصفه ألسنة الحذاق ثم تقاربا الى ان قربا من الالتصاق واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة الأمير عامر ضربه ضربة واصلة قاطعة وقع السيف على رأسه نزل يهوى الى صدره فوقع صريعا فكبر الأمير عامر وأنشد

أنا الهمام البطل المداعس ليث الحروب فارسا ممارس
قتلت كلبا اسمه قرياقس حتى بكته الروم والقساقس
تفزع منه الجن والابالس وليس لى فى الحرب من منافس

(قال الراوى) فلما نظرت الروم الى قتل ابن ملكها همت بالحملة فمنعهم الملك منويل وخرج ناشر ملك الافرنج وقال أنا آخذ بثار ولدى وحشاشة كبدى ولا بدلى أن آكل من كبد هذا المسلم قطعه والا كلت لحم الجمل فى عيد الشعانين ثم حمل على الامير عامر ولم يمده بحسام دون ان هز الحربه بيمينه وكان فيها حلق كثير فسمع لها جلبية عظيمه وسقط منها حلقتان من شدة الهزه ثم رفع يده حتى بان بياض ابطيه وزرق بها عامر وان عامر لما رآها أيقن بالبلاء لانها ماهى رمح يقصفه بسيفه ولا سيف حتى انه يلتقيه بترسه بل هى حربة نحاس و ماللخصم منها خلاص ولا يجد منها مناص غير ان الامير عامر ثبت لها ووقف وقفة الكريم للاضياف وقد أعطاها له عدو الله بكل ما استطاع من الحيل فخرجت من يده ولها هفيف حتى انها وصلت الى الامير عامر فمال عنها أسرع من البرق وخطفها من الهواء وهزها حتى انه طير طرفاها من حلقها وارماه بها وقال خذها يا عدو الله وعدو رسوله فلم يشعر عدو الله ملك الافرنج الا وقد وقعت فى لبته أخرقت قفاه وخرجت من نقرته (قال) فعظم ذلك على الافرنج وحملت عن بكرة أبيها وحمل المسلمون ولم يزل السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ذهب النهار وأقبل الليل وافترق الجمعان وكانوا المسلمين فى يومهم رابحين وباتوا وهم مسرورين (قال الراوى) وان الملك منويل جلس من ليلته وأعطى مملكة الافرنج لرجل من أكابرهم يقال له القمص الكبير وكان كافر شرير وله زمجره وهدير وهو كانه خنزير وهو كافر باللطيف الخبير وانه بعد ذلك خلع على مقدمين الافرنج وطيب قلوبهم فقالوا أيها الملك طب نفسا وقر عينا فنحن فى غداة غد نصطلى نار الحرب بنفوسنا وترى قتالنا ونكون كل يوم يقاتل فيه ملك بعسكره ليبان الفارس من الناعس فقال الملك هذا هو الصواب ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح اصطفت عساكر المسلمين ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ولم يركب فى ذلك اليوم منويل ولا احد من الروم بل ركبت الافرنج وفى أوائلهم القمص الكبير فما قولكم يا اخوان فى مائة الف عنان من الافرنج حملت بالقنطاريات الخلنجيات حملة واحدة فصاروا كانهم سد من حديد ونظر الامير عامر الى فعلهم فقدم الاتراك بين يديه وجعل الاكراد ميمنة وميسرة والعرب فى الميسره ثم برز بنفسه يطلب يكسرهم عن الحملة (قال الراوى) ولما نظرت الافرنج الى الامير عامر وقد خرج وبرز وابتدر فخرج اليه فارس أشقر من بنى الاصفر على جواد مضمر بحسام أبتر يطلب للامير عامر وتجاولا فما لبث دون ان طعنه الامير عامر فى فاه أطلع الرمح من نقرة قفاه فلم يصبر القمص دون ان حمل وكذلك العسكر بأسره (قال الراوى) فاندقت الاعراب والاكراد بين ايديهم وثبتت لهم الاتراك

وقد أشرفوا على الهلاك وقاتل الامير عامر قتالا شديدا يكل عن وصفه اللسان ويدهش من نعته الانام وطلبته الرجال والاعداء من كل جانب ومكان وجاءت لجواده طعنه فى جانبه الايمن طلعت من جانبه الايسر فوقع الى الارض قائما وترجلت من حوله العلوج فجعل يضرب ميمنه وميسره وقلب وجناحين وحرض المسلمين على الوصول اليه فلم يقدروا عليه ثم رميت عليه الطوارق والسيوف حتى لطموه وتكاثرت عليه الرجال حتى أخذوه أسيرا وعلمت المسلمين باسره فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ورموا أنفسهم على جدران البلد وتحصنوا بها وأحاطت بهم الأعداء من كل جانب وندبت النوادب وأيقنوا الناس بالعطب وعزموا على الهرب وأطلقت الطيور إلى بغداد وطلبوا الفرج لانهم وقعوا فى الحجج وبات الناس فى تلك الليلة موقنين انهم فى غداة غد مأخوذين فلم كنت تسمع إلا بكاء وأنين ودعاء إلى رب العالمين وباتت على الناس حملة الانكسار ومذلة الحصار وخوف العار وهتك الأسرار وقتل الأطفال والصغار وذبح الشيوخ فلم يزالوا على ذلك حتى أضاء الله بالصباح ومضا الظلام وراح واستبشروا الفجار واستسلم الأخيار وقاتل المسلمون على الجدران رأيقن الناس بالذل والهوان وفتحت الموصل فتحا وتعلقوا باللحا وامتثلات الامم وطبقت الغم وصبروا لما قضاه الله عليهم وحكم وبقيت الأجسام فى الأزقة مطرحة وجرت المزاريب بالدما وعضت الأنامل ندما وعلقت العلوج بذوائب المخدرات وضرب فيهم بوق الشتات وتمنوا شراب كاسات الفوات وهرب من أراد الله سلامته (قال الراوى) ووصل الخبر إلى بغداد بأخذ الموصل فقامت القيامة على الرشيد وقال هـذا أمر غير سعيد كثر والله الفساد وقتلت العباد وخرجت من يدى البلاد وشمتت بى الأعداء والحساد وما كان الاسلام إلا بعبد الوهاب فوا شوقاه إلى ذلك الوجه لقد كان الثغر به معمور والعدو به مكمود مدحور والآن بغيابه أصبحت رايات الشر مشرقة على زمن السرور والأعداء قد تسلطوا علينا بعد تمام الأمور ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطوراً ثم جمع أرباب دولته وعقلاء السادات وقال لهم أما تنظروا إلى ما قد نزل بالاسلام والمسلمين فقالوا ما الخبر يا أمير المؤمنين فقال قد أخذت الموصل فعظم ذلك على الناس وقالوا مولانا لقد فرطت فى العساكر الذين أرسلتهم مع عامر فلو كانوا أقاموا فى بغداد ووقفوا فى وجوه الأعداء ما كان جاء إلى هـذه الأرض فقال الرشيد لقد أخطأنا فى حق عبدالوهاب لعن الله عقبة (قال الراوى) ثم ان الرشيد أمر بأن يحفروا الخنادق ويدربوا الدروب وقال كأن الأمور ضاقت من كل جانب ومكان حتى كان الدولة

ما كانت إلا بعبد الوهاب فغابت من منذ غاب وأرجو من الله سبحانه وتعالى انى ما أموت حتى أسمع بخبره ان كان فى الحياة أو أدركته الوفاة فما كان أشرق أيامه وأوقاته وأحسن موافاته فلعن الله من أشار علينا بمعاداته فهو فى الكلام وكتاب الطاير وصل من قيد وهى نصف الطريق من مكة إلى بغداد يخبر فيه ان الرجل الذى ظهر بالحجاز يزعم انه المهدى وقد رفع عن الناس صلاة الصبح وصلاة المغرب وطرح عن الناس الزكاة وقد مالت العرب اليه وانه قد سار فى ثلثمائه ألف من العرب ومعه خمسة آلاف أسود قد صحبته ترغب فى النهب من بلاد العراق ولهم مقدم يقال له أبو الهزاهز كأنه الجمل الهائج وهو جبار من الجبابرة أسود من الليل الدامس يقتنص السباع بيديه ويخلع من الأسد قلبه ولم يحمل قط حديد وانما يأتى إلى الشجرة ويعلقها من أغصانها بيديه ويضرب بها الفارس يطحنه وقد أهلك بهذا الفعل ناس كثير هذا وقد اتبعه من فى بلاد الحجاز حتى صار فى عالم عظيم فقوم يتبعوه فى طلب المكسب وقوم يتبعوه خوفا من شره وانه قد وصل إلى قيد وهو طالب بغداد يريد الخلافة وان يصير موضع أمير المؤمنين الرشيد بالله (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقام وقعد وقال على هذه الدنيا السلام فإن الخليلة سوء لا يدوم خليلها ثم قال الأمر لله من قبل ومن بعد يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريدها نحن مقيمين وقد قصد الينا الكفار والخوارج الأشرار ونحن نستعين عليهم بالواحد القهار العزيز الجبار الذى لا يخلى أمة نبيه من أنصار ثم قال هذا ملك الروم يريد الخلافة وهذا الآخر يريدها وأنا بقيت من الهالكين وما بقى إلا الفرار هذا ثم خنقته العبرات فدخل إلى عند زبيده باكيا فقالت له ما الذى يبكيك يا أمير المؤمنين فأعاد عليها الخبر وقال والله ما كان رأى عقبة إلا ميشوم وما زال يبحث على هذا الرجل الذى كان سيف الاسلام أعنى عبدالوهاب حتى ترك منازله بعده خراب وانقطعت بنا الاسباب فقالت زبيده اعلم يا أمير المؤمنين ان الأمور مقدرة والأحوال مدبرة وعندى من الأمر ما ليس عندك وان فعلت ما أقول لك عليه ذهبت النكبة وانكشفت عنك الكربة فقال لها قولى وأوجزى فقالت فى الأمر شيآن أحدهما انك تنفذ إلى هذا الرجل الذى يدعى انه المهدى وتقول له اعلم انى فى هذا الأمر من قبلك وهذه الأموال التى كسبتها وجمعتها فهى لك فإذا وصلت فالموضع بحكمك ولا أخرج لك من خلاف أبداً وأكاتب لك البلاد بأن يسلموها لك وأنا أخلع نفسى من هذا الأمر الذى هو الخلافة وانسبنى اليك فيكون أروح لقلبك

واسرع لبلوغ أمرك ولكن بقى فى الأمر شىء واحد وهو ان الروم جاءت وملكت البلاد والامصار كلها ومكنوا من المسلمين الصارم البتار فإذا وقعت على هذا المنشور فسر من وقتك والتى هذا العدو وخذ الغنائم منه فإنها مثل ملك العراق ألف ضعف واطرح الكلب على الخنزير فكل من قتل منهما فيه ربح كثير وإذا التقا الجمعان وتقاتل الخصمان كل من ظفر منهما بصاحبه استراح قلبك منه وانت الى أحد الجهتين والفرج من الله قريب وسيأتى فى الأمور مالم يكن فى الحساب (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك الكلام قال هذا هو الصواب ثم قال لها وما الرأى الثانى قالت أخرج ومعى مسرور وجوهر ومائة من الغلمان فانى سمعت أن الأميرة فى عمل انطاكيه ومعها بنو كلاب والسودان الانجاب وهى امرأة مطاعة عند العرب وأيضا لها خبرة بقتال الأعراب والروم وهى أفرس من ولدها عبد الوهاب وأعتذر عنك اليها فلو إننا ذبحنا ابنها بأيدينا تجاوزت عن ذلك الذنب بمشى اليها وقدومى عليها فانظر الآن أيها الأمير من شئت فقال لها أما ماذكرتى من ذات الهمة فهيهات ان ترجع إلى الطاعة أبدا فقالت زبيدة اعلم ياأمير المؤمنين أن هذه المرأة فيها دين ويقين ولا يسعها فى دينها أن تقعد عن نصرة الاسلام فقال لها لقد قلتى حقا لكن قال بعضهم : لا تقاتل بواحد أهل بيت فضعيفان يغلبان قويا

وذات الهمة أكثر مايكون معها اليوم خمسة آلاف فارس والعدو فى بحر زاخر ليس له أول يعرف ولا آخر يوصف ولكن ننفذ الى ذلك الخارجى كما ذكرتى فى الأول (قال الراوى) ثم خرج إلى ديوانه واجتمع بارباب دولته والقضاة والعلماء واستشارهم فى هذا الأمر فلم يجبه أحد فأعاد عليهم ماقالت زبيدة فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب فعندها كتب كتاب إلى الخارجى بالوصف الذى ذكرناه وحمل له المال والهدايا والأطعمة والملابس وكذلك حمل أيضا لابو الهزاهز كبير السودان هو والذين معه وختم كتابه وبقى منتظر قدوم الخارجى (قال الراوى) وأما ملك الروم فانه رحل من الموصل طالب بغداد وسير السبى مع البطارقة إلى ملطيه وقال سيروا به إلى القسطنطونية وجد فى طلب بغداد وقد انقلبت الدنيا على ساق لكثرة الخلائق والمواكب والرجال والجنائب المعدة (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء من الأسباب (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما ملك السبى قال لابو محمد البطال ماذا نصنع ياأبا محمد قال عندى رأى أريد أن أفعله وهو أن نحضر الغنائم ونلبس ثياب الروم ونرفع الصلبان كما ذكرنا وها هو قد مضى الأمير ضيغم يأتى بعقبة ونصلبه على باب الذهب فى القسطنطونية ونأخذ سبيها

كما فعل هو بملطية ونأخذ الفضل بن الربيع من السجن ونشتفى منه حتى لا يرجع يفسد حالنا مع السلطان فقال الامير عبد الوهاب لقد قلت الصواب ولكن أقم بنا هاهنا عشرة أيام عسى أن تأتى بنى كلاب ويكثر الجيش فان القسطنطونية فيها عالم عظيم لا يحصى عددهم إلا الذى خلقهم سبحانه وتعالى فقال أبو محمد ان الف من العوام ما يساوون كف تراب فاقاموا هنالك سبعة أيام وفى اليوم الثامن وصل صابر المرعشى وأخبر أن بنى كلاب قد سمعوا بأن الامير عبد الوهاب سليم العواقب فجمعوا بعضهم وهم متوجهين اليه وعدتهم ستين الف عنان وفى غداة غد يكونوا عندكم ففرحوا القوم واستبشروا بقدوم الاحباب وباتوا مسرورين حتى برق ضياء الفجر وإذا بالرايات أقبلت والاعلام قد ارتفعت فركبت القوم والامراء إلى لقائهم فلما رأوا الامير عبد الوهاب مقبل اليهم ترجلوا أجميع وقبلوا الارض بين يديه فأخذهم بالترحيب والاكرام ونحر لهم النحاير وأوقفهم على ما هو معول عليه من المسير للقسطنطونية بالحيلة التى دبرها البطال فقالوا كلهم سمعا وطاعة ثم أن الامير أخذ من عدد الروم وأسلاب البطارقة وصلبان القساقسة وخيل البنادقة ما لا يقع عليه أحد بعدد الرمل والحصا وقال للعرب اخلعوا ملابسكم والبسوا ملابس الروم ففعلوا ذلك (قال الراوى) فلما لبسوا العرب كما أمرهم الامير عبد الوهاب بقوا كانهم البدور الطوالع ورفعوا الصلبان وساروا إلى القسطنطونية يقطعون الارض ذات الطول والعرض حتى وصلوا إلى مرج الملكة وهو مرج فسيح كثير المرعى غزير الماء واسع الفضاء دأبه الغزلان ونباته الزعفران وهو من القسطنطينية على خمسة أيام ووصل الخبر إلى البلد فزينت الاسواق وخرجت أرباب الاموال أموالها وقعدوا يطلبون البيع والشراء من السبي والعدد والخيل العربية ولبسوا البطارقة بأنواع الديباج من الرومى والملكى والمراشى المذهبة وعلى رؤسهم وصدورهم صلبان الجوهر وفى أوساطهم زنانير الحرير الاخضر ولم يبق مخدره من بنات الروم إلا وطلعت على الاصوار لينظروا أسارى المسلمين ويتفرجوا على حريم الموحدين وضربت الطبول والزمور وسكبت الخمور وفتحت الكنيسة وهى كنيسة صوفيا وعلقوا فيها قناديل الذهب المرصعة بالجوهر وصلبان الذهب الاحمر وألف ستر من الحرير الاخضر والاصفر وخرجت القساقسة والشمامسة والبطارقة والرهبان بمباخر الذهب والفضة (قال الراوى) ياسادة وهى تزيد على ألف مبخرة وفيها العود القمارى وأمروا القس الكبير أن يطلع يخطب لهم خطبة الشكر والنصر وكان يوم لا يرى مثله فى القسطنطينية وفتح باب البلد الاكبر وهو من النحاس الاندلسى كانه ذهب أحمر يتوقد من

عادة الروم نساءهم لا يسترون وجوههم وقد كحلوا أعينهم فبقوا كأنهم الشموس الطوالع (قال الراوى) وكانت جملة البنات الابكار ثمانون ألف ومن النساء مالا يقع عليه عدد كل واحدة منهن تسوى ملك الارض وركب أوسطاليس ابن جرجيس الحبيس وكان نائب منويل على القسطنطينية فى عشرين الف بطريق فوارس لأنه كان شديد البأس صعب المراس صاحب رأى جيد التدبير بعواقب الأمور وخبير فركب فى ألفين فارس وخرج يلتقى السبي وأودع باقى الفرسان فى البلد لزعمه إنه السبي حقا وكان لأبو محمد فى البلد جواسيس فأتى لؤلؤ إلى مولاه أبا محمد وأخبره أن أوسطاليس خرج يلتقى السبي فى ألفين فارس فقال أبو محمد للأمير عبد الوهاب يقولون فى الأمثال من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وأصحابنا على كل حال عرب لاتخفى من الروم والساعة يجىء هذا الملعون وأنا أخبر الناس به وبحيله ومن جملة حيلة انه ما أنفذ الينا من يستقبلنا حتى ركب الينا بنفسه والملك منويل قد استخلفه على البلد فى عشرين ألف فارس والرأى عندى ننصب سرادق عظيم ونوقف فيه خمسمائة من السودان بزى البطارقة ويضربوا هؤلاء السرادق ويقف خارج السرادق أربعة آلاف بطل وألتقى الرجل أنا وأعرفه بنفسى وإسمى وأخاطبه بلسانى وأرجله مع الالفين بطريق ويتوكل بكل واحد منهم اثنين أو ثلاثة وادخل أنا والبطريق وكل من دخل معه فاذا وقعت عينه عليك قم له قائما واعتنقه وادن منه كانك تعانقه واقبض عليه ثم يقبض كل واحد من المسلمين على من يليه من الروم قال الامير لله درك يا أبا محمد وإذا قبضنا عليهم ما نصنع بهم قال نضرب رقابهم بعد أن نعريهم ثيابهم ونلبس ثيابهم وأنا ألبس ثياب أوسطاليس وأتكلم بلسانه وندخل من وقتنا فى أبواب البلد وارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير ونتوكل على اللطيف الخبير فقال له الامير ارمينى أنا إلى البلاء وانظر العجب (قال) فعندها ضرب سرادق كبير كان سرادق عمرو قد أخذه من ملطيه ونصب فيه الكراسى وقعدوا الرجال وعلمهم البطال مايعملون من المحال ولم يكن الاساعة حتى أقبل أوسطاليس فى ألفين بطريق كأنهم الصوارى وركب أبو محمد وسعى حتى قبل فخذه وقال له لك البشارة أيها الملك فتحت البلاد وملكت رقاب العباد وقد أتى معنا ملك يسد الفضا ويملأ المستوى فقال ومن يكون هذا صاحبك فقال أبو محمد هذا ملك الانجار وإن الملك منويل لم يثق بأحد غيره يرسله مع الغنيمة وقد وصل معه من المال ألفين ألف وخمسمائة ألف دينار ترفعها إلى خزانة الملك فلما سمع أوسطاليس ذلك الكلام فرح الفرح الشديد وقال وحق المسيح أنى عارف بملك الانجار وبينى وبينه

صداقة قديمة وتم أبو محمد سائر وأرسطاليس صحبته حتى وصلوا إلى سرادق الامير وقد وقف الناس صفوف والبطريق وأصحابه يسلموا بالرومى على العرب والعرب تصقع لهم برؤسها الاغير حتى وصل البطال إلى السرادق وترجل وكذلك ترجل أرسطاليس ورجاله ودخل ودخل من معه من الخواص وبقى الباقون بين يديه قيام صفوفا وقد توكل بكل منهم اثنين ودخل الأمير أبو محمد يحجب البطريق حتى وقعت عينه على عبد الوهاب فوثب الامير قائما على قدميه ونزل يمشى إليه حتى وصل كل واحد منهما إلى صاحبه واعتنقا وكذلك الرجال الذين دخلوا معه قد أحدق بهم رجال الأمير عبد الوهاب ونظر الامير إلى البطريق والبطريق نظر للامير وكان عارفا بملك الأنجار فأنكر ذلك واراد أن يخلص نفسه فلم يقدر لأنه لما اعتنقه قبض على زنديه كاد أن يطير ذراعيه وعصر عليه فصاح البطاريق بملو بطنه قتلتنى وحق المسيح وماهذا مزح مليح وكشف الأمير عن وجهه فلما نظر البطريق إلى سواده عرفه حق المعرفة لأنه كان رآه لما أسره الملك فلما عرفه ايس من الحياة وايقن بالوفاة فصاح أبو محمد على الرجال فقبضوا على البطارقة أسرع من طبق الجفن على الجفن وخلعت ثيابهم وضربت رقابهم وكانوا عشرين ألف فهذه القيمة منهم ألفين والباقى فى البلد فامر الأمير للعبيد ان يحفروا لهم حفرة ويطرحوهم فيها ففعلوهم ذلك ودفنوا عن بكرة أبيهم فقال الامير أبو محمد بسم الله الآن البسوا ثياب الالفين فلبسوا القوم ولبس أبو محمد ثياب أوسطاليس واخرج ذقن كأنها ذقمه وركبها على وجهه حتى قال الأمير عبد الوهاب وذمة العرب لولم تفعل هذا بين يدى لم عرفتك فقال أبو محمد دعنا من هذا فان الوقت سبق إذا لم تقطعه قطعك فوثب الامير وركب وركبت معه السودان من وراء الناس والسبى بين أيديهم وأبو محمد والالفين فارس من بنى كلاب فى ثياب البطارقه (قال الراوى) فهذا جرى هاهنا (وأما ما كان) من الامير ضيغم فانه سار طالب السويدية فى طلب عقبة وجعل يسير الليل ويكمن النهار حتى وصل إلى البلد سالما وخرج أهل البلد إلى لقاه وسألوه عن الامير فأخبرهم بسلامته وإنه قد التق بسبى المسلمين وخلصهم من أيدى المشركين فدعوا له الناس ولم يكن للأمير ضيغم دأب إلا المطمورة التى فيها عقبة فمضى اليها فلم رأى للسجان خبر فخفق قلبه ونزل فوجد الديار بلاقع ولم يجد لعقبة خبر ولا لبولص ولا الراهب لوقا ولا وقع لهم على أثر وإذا فيها السجان مقتول فعظم عليه وكبر لديه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وفى هروب هؤلاء من السجن وقتل السجان لأنه كان رجل دين فلما رأى عقبة الى ذلك جعل يصوم النهار ويقوم الليل على

قدميه ويقرأ القرآن بطيب نغمه وحسن صوت ثم يبكى عند آيات الوعد والوعيد والخوف والتهديد فرق له السجان وقال ياشيخ إيش بينك وبين الامير حتى حبسك ههنا فقال ما بيننا شىء أبدا وما بيننا الا كل خير ولولا أبو محمد يرمى فى ما كنت ههنا ولا وقعت هذه الوقعة وإنما كلما أنا فيه من البطال لانى ربيته وعلمته ولما كبر نظر الى بعين الحسد لانى رجل قد أعطانى الله الدين والدنيا وأبو محمد واسع البطن لا يشبع أبدا وهو من الحسد يريد قتلى وقد سلطه الله على حتى أنه يكدر على قلب الامير عبد الوهاب حتى لو أمكنه يقول أنى نصرانى لفعل وها قد حبسونى عندك مع انى ما أفتكر فى هذا الامر أبدا لانه ورد فى الخبر عن سيد البشر أنه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ومن يكن فى الدنيا فلا يطمع فى الراحة لانه معدوم من الدنيا ثلاث خصال الاولى لا راحة فى الدنيا والثانية لا حيلة فى الرزق والثالثة لا شفاعة فى الموت وكلما يقضى به خالقى فأنا به راض ولا حكامه صابر لعلى أموت وهو راض عنى وما أريد الا ما يريد لانه السيد ونحن العبيد فلا اعتراض عليه لان الامور كلها بيديه وقد قيل فى هذا المعنى

إن كان جيران الغضا ... رضـــوا بقتلى فرضا
هم قلبـــوا قلبى على ... الهجران فى نار الغضا
أنا لهم عبـــدا وما ... للعبـــد أن يتعرضا

(قال الراوى) ياساده يا كرام ثم قال ياولدى مادام العبد فى دار الدنيا فلا يحدث نفسه براحة أبدا لانها دار المحن والبلاء والمرء فيها كثير الاعداء فهى إن أعطت أخذت وإن خلت خلت وإن أقبلت أقبلت وإن أدبرت قتلت فبالله عليك ياولدى لا يوجعك قلبك من أجلى فأنت عبد مأجور وما للعبد أن يعترض على السيد فقال الشيخ والله يعز على أن يكون مثلك محبوس وما يحبسك إلا كل قليل الدين فقال عقبة ياولدى اعلم أن لى غدا مع هؤلاء وقعة طويلة بين يدى ديان يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وان الله أحكم الحاكمين يقتص لى منهم ويخلص تارى وأما أنت ففى حل من قبلى بلى لى اليك حاجة صغيرة وأريدك أن تقضيها لى قال وما هى يا أخى قال اعلم انى قد كبرت وقد وجعنى ظهرى من أكل الخبز المشوى ولى فى انطاكية مقارض لى معه خمسين الف دينار وأشتهى منك أن تمضى بنفسك اليه لانه لا يطيب قلبى أن يمضى أحدا غيرك يأخذ منه شىء لانه ما بقى فى الدنيا أمانة أبدا وأنا أكتب اليك كتاب وأرســله معك وآمره فيه أن يســلم اليك الف دينار ذهب فإن جئت بها فلك نصفها وكتب كتاب فيـــه لا تمـــلم حامله بأنى نصرانى فإنه يوقعنى لا محاله وكنت قد دخلت الى بلد الروم طالب الملك منويل لما أسر الامير عبد الوهاب والبطال فسكت من

الطريق وانتهى بى الامر بعد الضرب الشديد إلى الحبس وأنا كل يوم أنتظر الأوقات فاذا قرأت كتابى هذا فسلم لحامل الكتاب الف دينار ذهب ولا تعلمه بأنى نصرانى فإنى ماخدعته إلا بقراءة القرآن وسلم له كسوة ولى كسوة وتكون كسوتى مطوية محزومة وفى وسطها مبرد قاطع وإذا سار من عندك من مالى ثلاث بغال وتخرج أنت وغلامك ومن معك حتى تصل الى المزرعة وهى الضيعة التى بظاهر السويدية تجدنى هناك ومعى بولص ابن الملك دمروس والقس لوقاو السلام (قال الراوى) وكان عقبة قد كتب الكتاب بالقبطى حتى لا يقرأه أحد إلا القبط وكان العامل الذى له فى انطاكية قبطى ثم سلم السجان الكتاب وسار به يقطع الارض حتى وصل إلى انطاكية ورفع الكتاب الى القبطى فأضافه الرجل أحسن ضيافة وسلم اليه الكسوة والمال وخرج السجان من عنده طالب السويدية فدخل على عقبة (ياسادة يا كرام) وخرج العامل أيضا بالكتاب والثلاث بغال فى أثره وان السجان سلم المال لعقبة فاخذه وقسمه نصفين وأعطى السجان خمسمائة دينار فلعب بعقله وأعطاه مائة دينار وقال له هذه تكون معك برسم النفقة ثم ان عقبة أخذ المبرد وبقى يبرد قيده وقيود أصحابه وهم بولص ولوقا حتى فكهم أجمعين وقال لهم عقبة الى متى هذا القعود اطلبوا بنا الهرب فقالوا كيف نعمل فى السجان فقال عقبة اعلموا أنى عولت على قتله لانى أراه شديداً فى دين الحنيفية فقالوا كيف تقتله فقال أشتهى عليه أن يطبخ لى لحم فإذا أتى به فلابد ما يأتى معه بسكين وينزل الى عندى ويقطع ويطعمنى وهو يظن أنى فى القيود فعندها تقوموا عليه وتهجموا وتقتلوه بالسكين ونقيم الى المساء ونخرج متنكرين إلى المزرعة وهى على فرسخ من البلد وقد تخلصنا من الاسر فقالوا هذا هو الصواب ثم أنه صنع الذى ذكرنا ونزل السجان وهو لا يعلم ماخبىء له فى الغيب (قال الراوى) فما استقر به الجلوس حتى وصل اليه بولس وقد ذكرنا أنه بطل شديد فقبض على فمه فلم يستطع الخلاص منه وأخذ لوقا السكين ولم يزل يضربه حتى قضى عليه وأقاموا فى المطمورة الى المساء ولبسوا الثياب التى وردت من انطاكية مع السجان وخرجوا من البلد ووصلوا المزرعة فوجدوا عقبة عامله هناك فركبوا وساروا حتى دخلوا أنطاكية وان الامير ضيغم لما وجد الحبس بلاقع رجع إلى أبيه مهموما مغموما (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا ماجرى ههنا من الكلام (وأما ماجرى) من الامير عبد الوهاب فإنه لما قبض على أوسطاليس ومن معه وضرب رقابهم وسار الى القسطنطونيه وأبو محمد بين يديه حتى وصل الى باب الذهب ضربت البوقات ودقت الطبول وجعلوا أهل الاصوار يسلموا على البطال وهم يظنون أنه صاحبهم وهو يرد عليهم وقدم الامير والكتائب والسبى والرجال مكتفين والامير

عمرو وأم عبيد الله فى أوائل الناس على جمل والروم يضحكون عليهم وأبو محمد فى ألفين فارس فى أوائل أصحابه والروم يسلمون عليه ويقبلون الارض بين يديه وهم فى أمان والناس فى جلبة عظيمة إلى أن دخل السبي من باب البلد ودخل أبو محمد البطال وخلفه عبد الوهاب والسودان الأنجاب وقد صاروا داخل البلد سبعين الف مقاتل فعطف أبو محمد اليه وقال أيها الامير ماتنظر فاعلن بالتكبير وتوكل على اللطيف الخبير فعندها نادى الامير عبد الوهاب الله أكبر الله أكبر فجاوبه كل غلام ذكر من تحت الجدران والشجر وجاء الحق وزهق الباطل واندثر (هذا) وأهل القسطنطونية سمعوا التكبير فما منهم إلا من تحير وعلموا ان الحيلة قد تمت عليهم للقضاء والقدر فرأوا أيديهم إلى السلاح المشهر (قال الراوى) وهذا البلد بلد عظيم اثنى عشر فرسخ طوله فى عرضه والعالم بعدد الرمل والحصى (قال الراوى) ثم ان الامير عبد الوهاب صاح فى رجاله السودان والابطال الشجعان فجرت الدماء مثل السيل وقل الجلد الحيل وعاد النهار مثل الليل وضربت الرقاب وعملت السيوف عمل النار فى الاحطاب ودعست السودان فى الروم كانها أسود الغاب وطاشت من ذلك اليوم العقول وجرى على القوم سحائب العذاب وتساوى فى ذلك اليوم الاعداء والاحباب وجرت الدماء من أعالى الجدران تجرى السحاب وطلع من الازقة إلى العنان الضباب واجادت الضرب بنو كلاب وتواثبت السودان الانجاب وأوصلوا الى الروم ضربات السيوف المشرفيات وسقوهم شراب المنيات من الحراب المسنونات وعلت من القوم الصيحات وجاء الموت وذهبت الحياة وطلب بنو حام من الغيظ المات ونادى عبد الوهاب يا آل كلاب فاجابوه مثل السباع الضاريات وأقام القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع نادت الروم لورك لورك يعنى الامان الامان فأمر الأمير ان يرفع عنهم السيف فرفعوا عنهم الحسام وأراد الاميرا بو محمد ان يفتح باب الكنيسة الكبيرة وإذا بها قد غلقت وطلعوا الرهبان على أبراجها وجعلوا يرمون الناس بالحجارة والسهام فنظر أبو محمد يمين وشمال فلم يجد فى فتحها احتيال وزاد بالقوم البوار وعاد الليل مثل النهار وازداد الامر حتى عيل صبر الشجاع وحار ودفع الروم السودان من أعالى الجدران بالاحجار ولما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك حار وأمر السودان يرجعوا إلى خلفهم ثم قال يا أبا محمد كيف العمل فقال أيها الأمير عليك بالصبر ولا تعجل وعليك بالتأنى فى الامور تنال الفرح والسرور وأريد أنه تمهلنى فى ثلاثة أيام حتى أتقن الحيل فعندها أمر الأمير ان تبعد السودان الانجاب عن القصر ودار أبو محمد حول القصر ثلاثة أيام وإذا به قصر منيع عالى مشيد ما لا حد

فيه مسند ولا فيه منقب ولا حيلة لمن ينصب وجعل يدور حوله وإذا بكتاب فى سهم نشاب قد وقع فأخذه أبو محمد وقرأه وأقبل إلى عبد الوهاب وقال أيها الأمير هـذا كتاب مارس وأخيه دارس قد وقع فى هـذه الساعة وهما يقولان انهما ما أمكنتهما الفرصة إلا فى هذه الساعة حتى رميا الكتاب وهما يقولان لنا لو أقمنا على هذا القصر مائة عام ما نلنـا مراد ولا شفينا فؤاد ولـكن الروم قد وقع عليهم بطاقة على جناح طائر من جزيرة أويس ان تسير إلى قرية صافورا وهى على خمسة فراسخ من البـلد وفيها خمس مراكب كبار حربية تركب فيها وتمنع من يدخل إلى القوم حتى تضعف نفوسهم ويسلمون على طول الحصار (قال الراوى) فلمـا سمع الأمير ذلك قال والله لقد أشـار مارس بالصواب والأمر الذى لا يعاب فماذا تقول يا أبا محمـد قال الرأى ان تأخـذ ثلثمائة من بنى كلاب والسودان الانجاب وآخـذ المراكب واعمل على القوم حيلة يتحدثون بها جيلا بعدجيل ثم إن أبا محمدأخذ معه لرجال الانجاد الاجلاد بالسيوف المداد والسواعدالشداد وقال أيها الامير اشغل القوم بالقتال حتى لا يطلعوا لنا على حال قال فعندها زحف الاميرعبدالوهاب للقتال وسار أبو محمدالبطال إلى أن وصل إلى الضيعة فوجد المركب فى الميناء تلعب فى مواسيها كما تمرح الخيل فى مقاودها فنقلوا لها العدد والآلات وركب ابو محمد البطال فى مركب لطيف واؤاؤ فى آخر وصافى فى آخر وضيغم فى الرابع وسملق فى الخامس ثم ساروا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرفوا على موضع يقال له الصباغ لأنه كان أسود فنظروا وإذا بالمراكب العشرة الذين هم من جزيرة أويس وكان المقدم عليهم بطال يقال أشمونين وكان شيطان مريد وجبار عنيد ليس فى الروم من يقدر أن يقاتله ولا يناصله وقدقيل أنه كان إذا ركب فى مركب واحد وخرج على عشر مراكب أخذها لانه فارس البحر وكان أوحد أهل زمانه ووحيد عصره وأوانه وكان معه الف رجل من المعودين بالقتال لانه كان لا يركب ظهر فرس أصلا وكذلك الذين كانوا معه أجمعين وانه لما رأى المراكب علم أن القوم مسلمين فأرخى اللبود ورفع الدوارق وقدم الكباشى فى مقدم المراكب واستضعف مركب ابو محمد (هذا) والرجال قد رفعوا أصواتهم بالصياح وكبروا وأجابوا سملق وضيغم معه الف بطل مافيهم إلا من همهم ودمدم وإلى القتال تقدم وصار اشمونين المقدم على الروم وهو للقتال مهموم ووقع القتال واشتد النزال وبطل القيل والقال وحمل أشمونين على مركب أبو محمد البطال

وصدمه وهو مثل الجبل العظيم فهشم المركب والقداقة وكلب الكلاليب وطلعوا أخذوا القوم أخذاً بالكف ونظر ضيغم إلى أسر البطال فصعب عليه وكبر لديه ومال له وكذلك سملق وأما صافى فانهم لما تكاثروا عليه أخذوه بعد أن القوا عليه الكلاليب والنفط فى كل جانب وأحرقوا اللبابيد والطوارق وأخذوهم بالكف وكذلك مركب لؤلؤ ونظر ضيغم وسملق إلى ذلك فأيقنا بالموت وقاتلاهما ومن معهما قتال من طلب القوت وعملوا على ذهاب الارواح وتلاف الاشباح وجرى الدم وساح وتقطعت الهياكل بالصفاح وقاتلوا ذلك اليوم والثانى وقد دارت بهم المراكب من كل جانب وفى اليوم الثالث طلعت عليهم القلوع من جزيرة أريس وكانوا قد تأهبوا لمساعدة أشمونين ورأوا القتال يعمل فداروا بمركب المسلمين والقوا النفط على الموحدين وأحرقوا الستاير والطوارق وشابت من الهول المفارق وعمل الالتهاب فى الاجسام والثياب ونادى أشمونين برفيع صوته يامسلمين وحق الانجيل انا لكم من الناصحين ولو اردت اخذتكم وانتم فى عدد قليل ولكن اريد ان افادى بكم اسارى الروم من بلاد الاسلام فاستسلموا تسلموا وإلا تندموا فصاح أبو محمد يا ضيغم استسلم ويا ولدى لا تلق بيدك إلى التهلكة ولعل الله تعالى يجعل لنا فرجا ومن هذا الضيق مخرجا فعندها استسلم ضيغم وسملق ومن معهم من الاصحاب والغلمان وثقلوا فى ارجلهم القيود الثقال وقد نفذ فيهم امر الملك المتعال وفرح الروم الفرح الشديد الذى ماعليه مزيد وسار الملعون اشمونين طالب القصر إلى ان وصلوا وامسى المساء وحندس الظلام وقبل الملعون اشمونين على الروم لقد انفتح لى باب انال به من المسلمين المراد فقالوا وماهو قال اعلموا ان القوم ماخرجوا فى المراكب الا انهم يتصرون علينا ويدخلون فى القصر الذى لنا وانا وحق المسيح افعل بهم الذى كانوا يريدون أن يفعلوه بنا ثم انه قصد إلى ابو محمد وقال يامسلم بحق النبى العربى اليس كنتم تريدون ان تفعلوا من الاسر كذا وكذا فقال ابو محمد بلى والله وتعجب من فصاحته وحذقه (قال الراوى) وقد ذكروا أن هذا الملعون كان فى الحرب بطل من الابطال وفى الحيل شاكل البطال وكان قد سكن بلاد الاسلام زمان وقرأ من الحكمة كتب كثيرة ومن الهندسة شىء كثير وكان يتكلم بسائر اللغات وانه عرى أبو محمد من أثوابه وصاح فى الروم ففعلوا مثل فعاله وقفز هو وثلثمائه رجل فى مركب آخر من مراكب المسلمين وأبو محمد قد تحير من فعله وجعل أشمونين يكبر ويهلل ويشاكل كلام البطال والليل قد أسبل على الانام سار بالمراكب إلى ان حصل كنيسة على مقدار خمسين قامة وجعل يتشهد

ويرفع صوته بالتهليل والتكبير (قال الراوى) وكان أهل القصر قد نظروا الى المراكب ففرحوا وايقنوا بالخلاص وكذلك الامير عبد الوهاب ظن فى نفسه ان القصر يكون غداة غد فى قبضته وأن أبو محمد يتقن الحيلة ولم يدرى ماجرى من الأحكام وان الامير سمع الصوت والتكبير فقال يوشك أبا محمد قد قارب البر لأمر يريد أن يوقفنا عليه ثم حرك جواده وتبعته الأميرة ذات الهمة والامير مالك بن طوق وطارق الحجازى وعمرو بن عبيد الله وتمام المائة فارس أجلاد المسلمين فنادى عبد الوهاب والبحر قد ارتفع بالهدير فى ظلام الليل يا أبا محمد فأجابه الملعون اشمونين لبيك أيها الامير قال ماشأنك قال اعلم أيها الامير انا قد نصرنا الله على الكفرة الملاعين وملكنا المراكب إلا مركب واحد ونخشى أن ينفر القوم علينا وقد قال القائل .

وما غلظت وغاب الاسد حتى   بأنفسها تولت ماعناها
فلا تبعث رسولك فى مهم   فما للنفس ناصحة سوها

(قال الراوى) وقد قيل فى المثل من لم ينظر فى العواقب ماالدهر له بصاحب وقد رايت من الرأى أن ترتموا لنا مائة رجل أجواد من فتاك الابطال يكونوا فى المراكب يحفظوها إذا دخلنا نحن القصر وقد ابرم الامر وبلغنا غاية المراد فقال الامير وقد توهم ان الملعون هو أبو محمد فقال يا أبا محمد أنا الاول و والدتى والامير مالك وبقية المائتين بطل فقال الملعون أشمونين وقد عرف أنه الامير عبد الوهاب وكان عارفا به لله درك أيها الامير الاجل فما لها سواك فعندها قرب المراكب من الساحل وقد أرمى حبال الاطراف إلى الامير وجذبوها الى قريب من البر وأقبل الامير على عمرو بن عبيد الله وقال له أيها الامير إننى عازم أن أسير مع أبو محمد فاذا سمعت أنت غدا ان شاء الله تعالى التكبير فازحف الى القصر ودعنا نفرغ من هؤلاء الملاعين ونملك سرير الملك منويل وننقل مافيه من الجواهر والمال الى بلاد الاسلام والله تعالى خليفتى عليك فقال الامير عمرو هذا هو الصواب لا أخلى الله المسلمين من هذه الطلعة السعيدة والاحوال الحميدة فجزاك الله خيرا وأوسعه شكرا وتجهز الامير فى الصعود الى المراكب وقد قربت من الميناء وقفز الامير عبد الوهاب وقد أخذ عدته وأسلمها لاشمونين وكذلك الاميره ذات الهمه ومالك بن طرق وتمام الرجال وتقدم الباقون لينقلون العدد الى الروم الى ان لم يبق مع أحد من القوم شىء من العدد وخرج عليهم أشمونين الى ان توسط المينا ودق الطبل وكانت اشاره بينه وبين المراكب فدقوا الطبول وداروا حول مركب الامير عبد الوهاب وأدخلوهم بالنفط فاندهش الامير ولم يبق

يدرى ما يصنع وعلم ان الحيلة تمت عليه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وتقدم الملعون الى المسلمين وقال لهم يا شيوخ العرب ويا حمالين الحطب قد أمكن المسيح منكم وأريد ان أفعل بكم ما أردتم تفعلون بنا وحق الرهبان والصلبان لان لم تستسلموا والا احرقتكم بالنار فعندها سلم الامير عبد الوهاب نفسه هو ومن معه للقضاء والقدر وأخذوا الامراء بالرضا وأخذوا الجميع عن يد واحده واخذوا باليد وقيدوا الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وسمع أبو محمد الصياح فقال ذهب والله المسلمون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انه التفت الى لؤلؤ يريد ان يحدثه واذا بعبد الوهاب قد طلع اليه فى قيد حديد وبعده ذات الهمه وتمام الرجال فقال أبو محمد كيف تمت عليك هذه النكبة ووصلت اليك النصبه فقال يا أبا محمد اذا نزل القضاء عمى البصر والذى جرى علينا كله بسببك وذلك انك قلت تلبس لباس الرهبان وتسوق القوم الى الذل والهوان وأتانى هذا الملعون بكلام الهذيان الى ان أخذ ما كان معنا من السلاح وأرسلنا فى الذل والخبال ثم خاطبنى هذا الملعون بكلام حتى توهمت انه كلامك على التمام وجرت هذه الامور والاحكام فقال أبو محمد لا مفر من القضا فنسأل الله الرضا ولا شك ان نكون نحن عوض كل من فى القسطنطينيه فقال عبد الوهاب قد استخلفت على المسلمين عمرو بن عبيد الله (قال الراوى) ولما أصبح الصباح دق اشمونين النوبه فى المراكب ورفع الصلبان ودخل المينا وفتح باب القصر ونزل اليه الخدام الذين للملك منويل وراءه معه الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فتعجبوا من ذلك غاية العجب وسألوه عن القصه فحدثهم بما جرى فطاشوا طربا وتمت أفراحهم عجبا وعلا صياحهم وطلعوا على الاسوار ورموا المسلمين بالاحجار وطلع أشمونين مثل الجمل الهايج وقال يا كلاب العرب ويا حمالين الحطب لقد اخذ المسيح منكم بالنار وكشف عن عباده العار وحق المسيح لئن لم ترحلوا عن القسطنطينيه وتتركوا ما فى أيديكم لاقتلن كل من عندى من المسلمين

﴿ تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء العاشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر
مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصيه ..وت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عمرو بن عبيد الله ذلك الكلام ذهب إلى القصر بالنشاب ونصب السلالم إلى الأسوار وصاح ومن معه من السودان الأنجاب وبنى سليم وبنى كلاب فقاتلوا قتال عظيم وقتلوا من الخلق كثير ونظر أشمونين إلى ذلك فغضب غضباً شديد وقال لأصحابه ائتونى بالمسلمين فعندها سحبوا الأمير عبد الوهاب وأبو محمد وضيغم وجماعة السودان وصعدوا الروم على شراريف القصر وأمر بضرب رقابهم فضربت رقاب أربعة من السودان فقال أبو محمد لا تعجل على ضرب رقابنا فتندم فان الملك يهمه أن يقع بواحد منا وربما يقع واحد من ملوك الروم فى الأسر فنكون له الفداء فقال أشمونين وحق المسيح لو وقع ملك الروم بكم لضرب رقابكم فقال أبو محمد يا ويلك قدمنى إلى رأس السور حتى أتحدث مع القوم فقدمه إلى شراريف السور فقال معاشر المسلمين اسمعوا ان الحرب سجال يوم لكم ويوم عليكم ونحن قد وقعنا فى ذلة الأسر ومتى ما تقدمتم الى القتال يكون سبب لهلاكنا وهلاك الأمير عبد الوهاب والآن تخلوا عن البلد ولا تأخذوا منها ذرة واحدة وإلا نهلك عن آخرنا فلما سمعوا بنى كلاب والسودان ذلك بكوا وقالوا يا أبا محمد ما نقبل إلا من الامير عبد الوهاب هذا الكلام فعندها قال عبد الوهاب يا معاشر المسلمين اعلموا أننا نحن قد أسرنا بالحيلة وقد حصلنا فى يد هؤلاء وهم كلاب ما لهم رأس يرجعون اليه ولا يخافون من الملك منويل فاتركوا

الغنائم واخرجوا إلى ظاهر البلد وان كسرت الروم فالرشيد يعمل على الخلاص وان كانت الأخرى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فعندها بكوا الناس وبكى الأمير عمرو بن عبيد الله وقال يعز علينا والله يا ركن الاسلام والمسلمين ان تنالك يد الزمان ونادت أم عمرو وا عمرو وا أميراه وا ركناه وا سنداه والله لا رجعنا عن مدينة القسطنطينية الا ان نأخذ لكم بالثار ونسمع الأخبار (قال الراوى) يا سادة يا كرام وخرج الناس من القسطنطونية ولم يأخذ أحد من المسلمين من مال الروم ما يساوى ذرة واحدة ولما رأى أشمونين ذلك فتح باب القصر وخرج إلى المدينة وغلق الأبواب ورجع إلى القصر وقعد وأمر بسكب الخمور واصلاح الزمور وأقبلوا على الفرح والسرور وأقبل مارس على أخيه دارس وقال له يا أخى والله لقد أشرنا على المسلمين بغير الصواب لأن هؤلاء أبطال الحرب وما لهم خبرة بقتال البحر والمثل يقول ان لكل موتة سبب ونخشى أن نكون سبباً لقتل أركان المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولابد من بذل المجهود فى خلاصهم وإذا لم نقدر على ذلك وإلا بذلنا المجهود فى القتال فى أهل الجحود ونكشف القناع ونقاتل أهل الابداع ونعيش فى بلاد الاسلام ونحن كرام ثم ان مارس وأخيه دارس دخلا على البطال فناداهم الأمير ا ومحمد من الداخل علينا فى جنح الليل فقال مارس أنا وأخى يا أمير فقال أبو محمد عسى مشورة أخرى تشيرون بها علينا تضرب رقابنا قبل نصف الليل فقال الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد دع عنك هذا الظن فما كان لهؤلاء القوم ذنب وانما أرادوا الاصلاح المسلمين وقد قيل فى المعنى هذه الابيات

المرء ليس له علم بخيرته ... وليس ينجو من الأشيا بحذقته
يسعى لنفع ولا يدرى منافعه ... جهلا لأن عماه فى بصيرته

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال مارس والله ما أردنا إلا المصلحة للمسلمين وأن يملكوا القصر الذى فى أيدى المشركين وكانت الأقدار بخلاف ما فى الضمير ولم نعلم ان هذا الملعون اشمونين فى البحر ولو علمنا انه فى البحر ما كنا أشرنا عليكم إلا بالصلاح فكيف أسرتم وأنتم الموحدين سيما وفيكم أسد الغاب مثل الأمير عبد الوهاب فقال الأمير عبد الوهاب يا أخى ما وقعنا إلا بالحيلة وقد خدعنا ونحن اليوم فى ذلة الاسر فقال مارس والله ما نعرف هذه الحيلة إلا من أبو محمد البطال فقال أبو محمد يا مارس أنت الذى أوقعتنا فى هذه النوبة وان لم تعمل على خلاصنا وإلا فبيننا وبينك ديان يوم الدين إذا تعلق الظالم بالمظلوم وحكم الحى القيوم فقال عبد الوهاب

ويحك يا أبا محمد خلى الماضى واعمل على المستقبل واعلم ان الله عز وجل لا يحاسب إلا على النية ولا يجزى إلا على الطويه والرجل ما له ذنب فقال مارس وكيف العمل قال الأمير اعمل على فك القيود وسلم الينا العدة وتوكل على الله تعالى فقال مارس أيها الأمير أما العدة فهذه عدتنا نسلمها اليكم ونعمل على خلاصكم فقالوا وباقى أصحابنا قال فى بيوت من حول اشمونين فلا نقدر لهم على خلاص لانه لو رآنا أحد ندخل إلى البيوت ونخرج لكان يسوء بنا الظنون فقال أبو محمد وأين هو اشمونين فقال فى وسط القصر قال إيش يعمل قال يشرب الخمر فقال أبو محمد البطال فلا تفك القيود حتى أعرفك الذى تعمل فقال خلف أذنى خرقة فيها مثقالين من البنج فإذا وقعت فى البحر وشرب منه مائة ألف وقعوا لوقتهم فقال مارس أيها الأمير ان الملعون عنده باطيتين الواحدة له وللخواص والثانية لسائر الناس فقال صافى خلف أذنى خمس مثاقيل بنج لو وقع منها وزن درهم فى بطن فيل رقد من وقته وساعته عندها أخذ مارس من البنج وخرج من عند القوم وهم مستبشرين وسار إلى أن وصل إلى قدام الملعون اشمونين فلما رآهما فرح بهما ووقف لهما وحلف على مارس ودارس أن يجلسا معه على الشراب فقال مارس لا وحق المسيح لا وقفت إلا فى الخدمة وقال وأنت أيضاً حفظت القصر وبنات البطارقة فقال مارس وحق الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لولاك أنت لأصبحنا فى العذاب الوبيل فأعجبه مدح مارس له ووجد مارس فرصة فوضع البنج فى بواطى الشراب وكذلك أخيه دارس فلا وأبيك ما تهنوا سوى شىء يسير حتى وقعوا إلى الأرض مثل الأموات فعندها وثب مارس وأتى إلى الاسراء إلى ان وصل إلى القصر ففتحوه وأخرجوا الأسارى عن بكرة أبيهم وفكوا قيودهم وأتوا إلى خزانة السلاح فكسروها ولبسوا العدد وتكاملوا ثلاثة آلاف بطل مثل السباع الضاريات والأسود القاتلات وصاحوا الجميع الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر ومنحنا بالظفر على رغم أنف من تكبر وضربنا رقاب من فجر هذا وقد وثب الأمير أبو محمد البطال مثل الأسد الديال إلى ان وصل إلى اشمونين فلما رآه كذلك أمر ان يطرح فى خزانة من بعض الخزاين ورسم أن يضربوه بالسوط إلى ان يصيح فرصدوه غلمان البطال الى ان أفاق من الصفع وصلبوه واعتمدوا على ضربه (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما عبد الوهاب فانه صاح وجرد حسامه المهند وضرب الرقاب وأرمى الاجساد

على التراب ووقعت الخذلة على من جحد وكفر وصاحت عليهم السودان فخيل لهم أن الارض قد انقلبت وقد أحاط بالقوم الرداو بحت السودان الانجاب على الروم الكلاب فان سواد الليل وافق أجسادهم وكان ذلك من أجل مرادهم فضربوا بصوارمهم من الاعداء جماجمهم وما أصبح الله بالصباح وأصبح السالم من الروم مثخون بالجراح وطلع على القوم عسكر العكس ولاح وطلب الامير عبد الوهاب أبو محمد البطال فلم يجده فضاق صدره وعيل صبره وإذا به قد أقبل على الامير وهو يضحك فقال الامير عبد الوهاب ماحالك يا أبا محمد فقال اعلم ايها الامير انى ماكنت إلا فى شغل اشمونين فانى ضربته الا ان صحى وهو يقول ماالمسيح إلا مسلم وهوالذى خلصكم وإلا ماكنتم تصلون إلى هذا وان الامير عبد الوهاب قام هو والامير أبو محمد البطال وساروا إلى البيت الذى فيه اشمونين واذا هو على حاله ميشومة وقد اخذه القىء وهو نازل على لحيته والدم سائل من سائر جسده وهو عبرة لمن يراه وفرحة لمن ينظره فضحك الامير عليه ورجع الى خزان المال والسلاح واخرج منها شيء كثير واخرج من الذهب والفضة والجوهر مال غزير الى ان وصل إلى خزاين منويل وخزائن توفيل وجده قسطين ومناجيل وكان مال جزيل واخذ من الجوار الابكار والنساء الاقمار والبنات الاحرار وبنات البطارقه الانوار والولدان والثياب الملكى حتى ان العرب ماعاد فيها فقير واما الاطلس والديباج والملكى والمدثر فى القسطنطونية وغير ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت (قال الراوى) يا سادة ففرح الامير عبد الوهاب بذلك وحمد الله تعالى اذ كان مملوك فعاد مالك وفتح باب القصر وخرج الى العوام فثارت اليه العوام يطلبون قتال الامير واصحابه فغضب وعند ذلك صاحت السودان وتواثبوا يطلبون قتال الروم مثل افراخ الجان كل واحد كانه مارد شيطان وصدموا العوام (يا سادة يا كرام) وهذا تفاوت كثير الا ان الروم ثبتوا ساعة وحمل الامير عبد الوهاب فاندقت العوام قدامه مثل الكلاب والذئاب قدام اسود الغاب وكثر فيهم القتل ووصل الامير إلى باب الذهب وقطع السلاسل والاقفال وحرق الباب وخرج راشد بن ضمرة وهو ينادى يال سليم يال كلاب فسمعه عمرو بن عبيد الله وكان فى الميدان الاحضر وأمه على الامير تتحسر وهو يقول والله لاخرجت حتى آخذ خبر الامير عبد الوهاب فهما فى مثل هذا الكلام واذا بالنداء قد علا والصياح قد نما فنادى الامير عمرو بن عبيد الله اكبر

الله أكبر فتح الله ونصر وأخذل من كفر وركب من وقته وساعته وقد تبعته بنى سليم وبنو كلاب ودخل البلد ووقع النهب فى أولاد النصرانية وتغيرت منهم النية ونادوا الروم فى ذلك اليوم بورك بورك يعنى الامان الامان واستسلموا للعرب والسودان ونهبت الناس تلك الأموال وأخذت الحريم والاطفال وسبوا حريم الملك منويل وقد جمعوا الاموال وحملوها على ظهور البغال من الخزاين والثياب والذخائر الغوال فكان شىء لا يحصيه إلا الملك المتعال والتقى الأمير عمرو ابن عبيد الله بالأمير عبد الوهاب واعتنقا اعتناق اللقا بعد الفراق والشقا وقال له الامير عمرو بن عبيد الله لاأخلى الله منك البيوت فشكره الامير عبد الوهاب على ذلك ورجع إلى أمه وقد تلقته الاميرة ذات الهمه ثم اعتنقا وبكيا مما جرى عليهما وصارت تدعى للأميرة ذات الهمة وتثنى عليها والاميرة ذات الهمة فرحانة بسلامتها وسلامة ولدها الامير عبد الوهاب. (قال الراوى) يا سادة ياكرام وقد نزل الامير عبد الوهاب على باب الذهب وقد نصبوا له سرادق الملك منويل والدهليز ونصبوا للأمير عمرو بن عبيد الله مثل ذلك وأتت اليه الاموال ودخل الامير أبو محمد البطال إلى كنيسه سوفيا فرأى ستورو قناديل معلقين فى الهياكل وعليهم مكتوب هذا ماعمل الا بأمر الشيخ التجيج وحجة المسيح القاضى عقبة بن مصعب السلمى عين المسيح فى بلاد المسلمين ورحمة على الروم أجمعين فعند ذلك نقلهم وفرح بهم وأطلع الأمير عبد الوهاب على ذلك فقال بهؤلاء ان شاء الله تعالى نهتك ستر الملعون عقبة (قال الراوى) هذا وقد أقام الامير عبد الوهاب عشرة أيام تنقل اليه الأموال وكان قد أمن عليها التجار وفرد عليهم الاموال وقد سلم أمرهم الى الامير أبو محمد البطال فأحضرهم وسلم الاكابر الى السودان الانجاب حتى يستخلصوا المال واستخرج من الأموال مالم يصل اليه أحد ولا يحصيه الا الله الفرد الصمد (قال الراوى) ورحل الأمير عبد الوهاب بالمال والنوال وهو حامد الله شاكرا لما أولاه الله الى أن وصل الى مرج الديباج وهو مفكر فى المسلمين وماهم فيه من الامر العظيم فقال له الامير أبو محمد البطال أيها الامير أشكر الله تعالى على هذه النعمة الضخمة فقد وصلت الى مالم يصل اليه أحد فى زمانه فعليك بالشكر حتى يعطيك الله مرادك فقال الأمير عبد الوهاب للأمير أبو محمد البطال أنا بحمد الله شاكر وفضله على متواتر وأنا قد عولت على الاقامة ههنا الى أن تصل الى الجواسيس من بلاد العراق واعمل على ذلك فقال الامير

عبد الوهاب ما عندك من الرأى فقال الأمير أبو محمد الرأى عندى أنك ترحل الى ملطية وتنظر من ملكها من الروم ومن فيها من البطارقة فتعمل على أخذ البلد و نترك هذه الأموال وراء ظهورنا وننفذالى أرض الحجاز و ملطيةوديار بنى سليم وتأتى العرب الينا من كل مكان ونهب ونخلع ونعطى الرجال والابطال فما يعود عسكر الروم إلا وأنت فى عسكر بعدد النجوم فلا يقدر عليك ولا يصل اليك ويرجع اليك ويحمل لك الخراج ويستنقذ بناته وعياله بالأموال وتستغنى أنت والمسلمين غنى لا فقر بعده فقالت ذات الهمة و الله أن هذا هو الصواب وان لم يأتى الينا من العرب أحد أتينا من وراء كلب الروم ونصبحه صباح ميشوم فقال الأمير اذا كان الأمر على ماذكرت والحال على ماقد وصفت فان الرحيل فى غداة غد (قال الراوى) ثم أن الأمير قام هناك طول نهاره الى أن أمسى المساء وصلى صلاة العشاء الاخيرة وغفلت عيناه ونام فرأى فى منامه سيد المرسلين وخاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين وهو يقول يا سيف المجاهدين ابشر بالثواب من رب الارباب فقال له الأمير عبد الوهاب يا سيدى يا رسول الله مافى قلبى حسرة الا من هذا الملعون عقبه الذى اختار دين النصرانية على الشريعة المحمدية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم طب نفسا وقر عينا فقد قرب ما تباعد فإذا أنت أصبحت فخذ أصحابك وارحل بهم من موضعك الى وادى السنديان فانك ترى العجب فاستيقظ الامير عبد الوهاب من نومه باكيا من فرحته برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم البشير النذير وأعاد ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم على أبو محمد البطال وعلى الاميرة ذات الهمه ففرحت الاميرة بذلك لولدها وقالت الحمد لله يا ولدى على ذلك الفضل من الله ثم أن الأمير عبد الوهاب أمر الناس بالرحيل فرحلوا ولم يزلوا سائرين الى أن وصلوا الى وادى يسمى وادى السندبان فأمر الناس بالنزول فنزلوا فى ذلك المكان وبالقضاء والقدر نزل الامير تحت شجرة كبيرة ظليلة لها أغصان متفرقات عن بعضها البعض وكل غصن منها يظل الفارس والمائة فنام الامير عبد الوهاب تحتها وقد غرق فى نومة فسمع للشجرة أنين كانين الثكلى وهى تقول أيها الامير صدق الله ورسوله فاذا قمت من نومك قل لأصحابك يقطعونى وبهذا حكم الله تعالى فلا مرد لحكمه ولا دافع لقضائه ثم أنك تقطع أغصانى واحملنى من مكانى فعلى يكون صلب عقبه الملعون على باب الذهب بعد أن يقتل ثلثمائة ألف

على صلبه من سائر الامم فانتبه الامير عبد الوهاب من نومه وهو فزعان مرعوب وسمع أنين الشجرة فى يقظته كما سمعها فى نومه فلما سمع ذلك قال الله أكبر الله أكبر فقال الامير أبو محمد البطال ماالخبر فأعاد عليه القصة ففرح الامير أبو محمد البطال بذلك والاميرةذات الهمة وقالوا واللههذا أحب الينامن فتح القسطنطينية لان مايجرى على المسلمين شيء أشد مما يجرى عليهم من عقبة فدونكم وقطع هذه الشجرة فقطعت ونجرت وأمر الامير أن تحمل على جمل شديد الى حصن الكوكب الى حين ينجز الله وعده ويستوفى عقبة أجله وأقام الامير هناك ينتظر قدوم ملك الروم ويشم أخبار الاسلام وما يكون من خبر الرشيد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أخبار ملك الروم فانه لما ملك الموصل واحتوى على أعمالها وقبض على عيالها ورفع الخزائن بأموالها وملكت الروم ملكا عظيما لأنها ديار ماطرقت قط ولم يزال ملك الروم سائر الى ان وصل الى ازيل واحدق بها كما يحدق السواد بالبياض (قال) وكان عليها امير يقال له هياج الكردى وهو فارس لايطاق وعلقم مر المذاق واسع الحيلة كثير اليقظة وان هياج الكردى كان بينه وبين ابو محمد البطال صداقة عظيمة من الصغر ثم وقع بينهما المشاحنة وعمل عليه الامير ابو محمد البطال واخذه وقد ضربه الضرب الوجيع ثم باعه نفسه بألف دينار ولما خلص هياج الكردى من البطال لم يزل ينصب له الاشراك حتى اخذ البطال بحيلة عجيبه وسرقه وحمله الى ارض الموصل وبلاد الهلاربة من الاكراد لان الامير هياج الكردى كان مقيما بها وكان أكثر ايامه بأرض الثغور وله ديوان جيد على الرشيد بالله فلما سار الامير ابو محمد البطال معه فى البلدعند لاكرادجعل القيد فى رجليه وتركه يخض اللبن ويطحن له الشعير ثلاثةاشهر حتى اشترى نفسه بألف دينار وجارية من بنات الروم بعدمادرى به الامير عبدالوهاب وسأل هياج الكرى فيه فعند ذلك اطلق سبيله خوفا من الامير عبد الوهاب وزاد أمر هياج الكردى فى بلاد الاكراد حتى صار معه ألف بطل من الابطال الشداد ثم قطع الطريق وخان السبيل فأرسل اليه الخليفة الرشيد عسكر فكسره ولم يكن له يدالا ان يداريه فأرسل اليه المال والخلع وأقطعه اربل وأعمالها فقويت شوكته وتضاعفت عشيرته حتى صار فى ثلاثة آلاف فارس ونزل عليه كلب الروم فى ذلك العسكر العظيم فعندها جمع هياج الكردى عساكره اليه وقال لهم ماذا عوائم فقالوا له أيها الامير إذا أردت أن تطاع فاسأل ما يستطاع وأنت تعلم أن هؤلاء خلق كثير

مايحصى لهم عدد ونحن بينهم كالعدم فقال أنا مايسعنى عنهم الإدبار ولا أنا ممن يختار الدنيا بدخول النار ولا بد لى أن ألقى روحى لهؤلاء القوم والتى نفسى عليهم فماذا تقولون فقالوا إذا كان لابد من ذلك فلنا أسوة بك (قال الراوى) لهذا الكلام (ياساده) فلما مضى الليل وأقبل النهار هنالك خرج الأمير هياج وصف عساكره وهم ثلاثه آلاف فنظر ملك الروم اليهم وصلب على وجهه وقال وحق المسيح والبيعة والمذبح ان هؤلاء ما يخافون الموت فقال البترك الكبير يا مولانا فكانك تعجب من هذا فقال أى وحق دينى فقال البترك إنى سمعت من أبى عن جدى أن نبى المسلمين كان فقيرا لامال له يتيم لاأب له فآمن ثلاثمائة وثلاثه عشر رجل ففتح بهم البلاد وأذل بهم العباد وهؤلاء القوم يفعلون مثل نبيهم فأمر بعض الملوك بقتالهم فلما سمع الملك ذلك قال يا أبونا اعلم انى على عجل من أمرى على بغداد ولا يمكننى المقام ههنا فى هذه البلاد ولا بد لى أن أحمل عليهم فى العساكر كلها وأطحنهم طحن الحصيد وأبلغ منهم ماأريد فقالت البطارقة صدقت أيها الملك فيما قلت ولكن حتى لا يطول مقامنا وتنقضى أشغالنا ثم ركب الملك وركبت العساكر على خيولها فى طلب مأمولها وأشار الملك الى الروم بالحملة فرفعت الروم أصواتها وتكلمت باختلاف لغاتها وأرخت الأعنة وقومت الأسنة وضربت بقنطارياتها وجردت مشرفياتها وملأت الجو بالبيارق والرايات وارتجت الدنيا وأظلمت الأقطار بجنباتها وهمهمت كانها وزمجرت الليوث بهدراتها ونفرت الوحوش من فلواتها والطيور من أوكارها وأكنافها وكذلك الأرض من جنباتها وحجب الغبار بين الأرض وسمواتها وحملت الأكراد على قلتها بشرف حماتها والأمير هياج فى عسكر الكفار حار لما اصطفت موجاتها فلم يجد سبيلا لكثرة الخيول التى سدت طرقاتها وصبروا المسلمين صبر الكرام على المقادير وبلياتها وثبتت فى مقام الحرب والطعان والمكافحة والضراب ورفعوا أصواتهم بالدعاء لعالم الأسرار وشكوا أمورهم الى الرحمن العلى الأعلى ما حل بهم من البليات فخرج الأمر من الرحيم جل جلاله يا ملائكتى انزلوا على معونة هذه الطائفة التى قد بذلت أنفسها فى طاعتى يطلبون الأمان من فزع يوم القيامة وروعاتها والدخول إلى طيب جناتها ومجاورة محمد خير الأنبياء وسيد ساداتها (قال الراوى) ياساده ياكرام ولم تزال الرجال تقتل والدم يبذل ونار الحرب تشعل على مثل هذه الصفة حتى أقبلت عساكر الليل وكتائب ظلماتها وولت جيوش الضياء فى غيوب مكاناتها وعادت الروم

إلى مضاربها وخيامها والملوك الى قبابها وسرادقاتها وقد رجعت الأكراد الى حصنها وهى فرحانة بنجاتها ورجع ملك الروم وقد أيس مما طلب ولم يبلغ من أخذ الحصن أرب وقد قتل من الاكراد سبعمائة رجل وقتل من الروم ستة آلاف بطل (قال الراوى) ولما رجعت المسلمين الى حصن اربل فعندها طلبوا الامير هياج الكردى فما وجدوه فأيقنوا بالهلاك من اجله وعولوا ان يطلبوا من الملك منويل فى غداة غد الأمان ويسلموا الحصن اليه ويذهبون بأهلهم ومالهم وعيالهم ويتركوه (قال الراوى) يا سادة ياكرام وكان من قضاء الله وقدره ان الامير هياج الكردى لما أن رأى الظلام قد حجز بين العسكرين ورجع كل منهم الى منازله من التعب وسوء المنقلب فترجل عن فرسه وجعل يدور بين القتلى حتى لقى بطريق قد قطعت رجليه وهو ملقى وله أنين وقد وطئته الخيل وهب عليه نسيم الليل وزاد به الويل فسلبه هياج الكردى ثيابه ولباسه وضربه بسيفه قضى عليه وعدل نحو عسكر الروم وقد حدث نفسه بأمر عظيم وقال لها يانفس اعلمى بان فى غداة غد تهتك الحرائر وتملك البلد وما يسلم منا أحد فهل لك أن تشترى الجنة وتطلبين من الله المنة وأنا قد هولت أن أفدى الكل بمهجتى وأزهد فى روحى وجثتى فإن ظفرت وسلمت فقد بلغت روحى مرادتى وان لم أسلم ادخل الجنة ببغيتى قال وهو أنى أتوصل الى السرادق الذى فيه ملك الروم لعلى أفوز بخلوة وأهجم عليه وأمكن خنجرى منه وبعد ما يهلك ما يبقى من عسكره ثبات ويرحلون فى غداة غد من هذا المكان وان لم أصل فما أنا بأول من منع عن مراده (قال الراوى) ثم أن الامير هياج سار حتى اختلط بعساكر الروم وجعل يتخطى المضارب والسرادقات حتى وصل الى السرادق الاعظم فرآه رفيع العماد يسع خلق كثير وله ستة أبواب على كل باب منهما بواب لا يقدر أحد يدخل الا باذن الملك وقد نصب للملك سرير من الذهب والملك جالس عليه والبطارقة قيام بين يديه والملك يقول ما رأيت قط مثل ثبات هؤلاء القوم فى هذا اليوم فقالت البطارقة أيها الملك اعلم ان الآجال مقدرة وان كانوا قد تحصنوا اليوم فما يتحصنوا فى غداة غد (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأما الامير هياج الكردى فإنه طاف على الستة ابواب فلم يمكنوه من الدخول فعند ذلك أتى الى الباب السادس وهو محترق القلب ودمعه مستديق فالقى نفسه على الرجل البواب كأنه يخبره بشىء فقبض بيده على رقبته ثم كبس عليه فخرجت روحه فعند ذلك سلبه ثيابه ولبسها وسحبه برجله

حتى أبعده عن الموضع الذى كان فيه وقعد بنفسه على باب السرادق وقد ستر عليه الملك الرازق (قال الرازى) ياساده ياكرام صلوا على البدر التمام عليه من الله افضل الصلاة وأتم السلام قال فبينما هو كذلك واذا هو بجلبة عظيمة وقد اقبلت وتزايدت وعلت وطبول قد ضربت وشموع قد اشتعلت وقد أتت خلق كثير الى السرادق فعندها انكر الامير هياج الكردى وخاف على نفسه وقال معلوم اننى ما دخلت ههنا الا وقد بذلت نفسى لله تعالى ومن اراد عظيم خاطر بعظيم ثم انه قد صبر واذا هو بالقوم قد اقبلوا وهم محدقين بشخص منحنى ضعيف ومعه شخصان يفدون من حول ذلك الشيخ والناس أيضا يقبلون يديه ويرمون ارواحهم على يديه وقدميه حتى انهم وصلوا الى باب السرادق وقد حققت الحقائق ودخلوا هؤلاء الرجال وأعلموا الملك منويل بدخول ذلك الشيخ فوثب الملك بنفسه قائما على قدميه وخرج اليه مهرولا وجعل يضمه الى صدره وأخذه ودخل ويده فى يده (قال الراوى) فعندها ترك هياج الكردى الباب فى هذه الزحمة ودخل فى الجملة مع الناس ثم ان الملك منويل أجلس ذلك الشيخ بجانبه على السرير وهى منزلة عالية مانالها أحد من ملوكهم ولا البترك الكبير أيضا قال فنظر الامير هياج الكردى فى ضوء الشمع الى وجهه واذا به اللعين عقبة لعنه الله وخزاه قال وكان الامير هياج الكردى عارفا به لانه كان اقام فى ملطية وكان يتعصب له فى مكايدته لابو محمد البطال واذا قال ابو محمد البطال انه نصرانى كان يكذبه الأمير هياج الكردى ويوبخه (قال) وكان يكاتب الخليفة يشكو اليه شر الأمير أبو محمد البطال وتعديه على الشيخ عقبة الملعون المفتون نسل الأندال فلما ان رآه فى هذه النوبة وعرفه عظم عليه ثم ان الملك منويل قال له من قبل ان يسأله عن حاله وعن غيبته ائتونا ويلكم بالطعام فعندها أتوه الخدام بخنزير مشوى فأكل منه الملعون عقبة والذين معه وأتوا أيضاً بالخمر فشربوا جميعا ثم ان الملك منويل أقبل على الملعون عقبة وقال له اعلمنى الآن أيها الشيخ النجيح كيف كان القدوم وكيف كان طريقك وأى شىء قطعك عنا (قال الراوى) فعند ذلك ابتدأ يحدثه بما جرى له وما تم عليه ثم انه كشف له عن بدنه وجعل يورى الملك منويل الضرب الذى أكله من الأمير أبو محمد البطال بالسياط وجعل يبكى فقالت له البطارقة والملوك أيها الشيخ أنت مجاهد فى سبيل المسيح وقد أطعته بنفسك ومالك وسوف نأخذ بثارك ونخرب المساجد ونهدم الجوامع ولايبقى على وجه الارض رجل محمدى (قال الراوى)

ثم حدثه الملك منويل بحديث فتح الموصن وسأل عن الأمير عبد الوهاب وأخبره بقصته وهروبه من جزيرة الصخر وكيف أسر بولص ابن الملك الدمروس ولوقا فلما سمع الملك الدمروس ذلك الكلام قام من بين يدين الملوك قائما وأتى إلى ولده وصار يوبخه وقد عظم عليه ذلك الأمر وقال له ألم أقل لك عليك بالحذر ثم انه جرد سيفه ليضربه فمنعه الملك منويل من ذلك وقد اشتغل قلبه جهة خلاص الأمير عبد الوهاب وقال وحق المسيح لابد أن يؤثر فى بلاد الروم أثر ويأتينا عنـــها أيشم خبر فقال له الملعون عقبة وماعسى أن يفعل والقلاع والحصون محفوظة (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الكلام شكا الى الملعون عقبة أيضا مايجده من الآلام وقال يا أبونا لقد لقينا هذا اليوم من هؤلاء الأكراد غاية الهم والعناد وماأقول انهم بقوا يباشرون الحرب لانهم اليوم قد قتل أكثرهم وبقى منهم القليل وأنا أخاف أن يطول مقامى فى هذا الحصن وأنا على عجل من أمر العراق لاننى قد أقسمت أنى لابد لى أن أضرب بالناقوس على قبة الرشيد بالله وليس ذلك على ببعيد وبعد ذلك أنفذ العساكر والدساكر الى أرض مكة وجعل كل من فيها هالك فلما أن سمع الملعون عقبة بذلك قال له أيها الملك طب نفسا وقر عينا فبعد أن وصلت أنا الى عندك لسوف أخرب ملك بنى العباس وأملك رقاب جميع الناس وتأخذ أيضا بتدبير أرض خراسان ومايبقى من أمة محمد إنسان ممن يعبد الملك الديان ثم بعد ذلك تكون بأرض بغداد وهى سرة البلاد وتجعل فيها سرير ملكك ولايبقى على وجه الارض ملك غيرك ولادين سوى دينك وتسير أيضا فى أمان واطمئنان وتسير الى مكة وتهدم البيت العتيق وتسير الى يثرب بألف بطريق وتخرب جدرانها حتى انهم يدخلوا فى الدين العتيق (قال الراوى) فلما سمع الملك منويل كلام الملعون عقبه قال أيها الشيخ اعلم ان قلبي مشغول بهؤلاء الاكراد الذين هم فى الحصن وأنا أخاف ان يطول مقامى عليهم وكل يوم يمضى على نفقة خمسين ألف دينار وأنا ان رحلت عنهم تنكر الهيبة ويقولوا الذى لم يقدر على حصن أربل وهو قليل الرجال فكيف يقدر على أخذ العراق من كثرة الخلائق الذين فيها فقال له الملعون عقبه فعلى ماذا عولت قال أنا أزحف عليهم فى غداة غد بروحى ويكون قدامى عشرة آلاف نقاب ومن خلفهم عشرة آلاف رامى فما أقول يقدر يقف قدامنا أحد فقال له الملعون عقبه انى أخاف ان يقتل رجال ويجندل أبطال ومايسوى بلد الاسلام بواحد من بلاد النصرانيه فقال له فما الرأى عندك فقال له طب نفسا وقر عينا أنا آخذ لك الحصن فى هذه الليله بلاسيف ولانصال

فقال له الملك منويل وكيف تعمل فقال له اعلم أيها الملك ان بيني و بين هذا الرجل المقدم على الاكراد صداقه قديمة لانه كان عندنا فى ملطيه وكان يتعصب لى فى كيد الامير أبو محمد البطال فعندها صلب الملك على وجهه عند ذكر الامير أبو محمد البطال وقال لاتذكره يا قاضى عقبه فانه اذا ذكر حضر قال فضحك الملعون عقبه من قوله وقال له وحياتك أيها الملك لو بقى من عمرى يوم واحد لابد ان اشفى قلبك منه ومن الاسود الزنيم عبد الوهاب ومن أمه العاهره ذات الهمة فقال الملك منويل على سبيل المزاح فان لم تفعل يا قاضى فقال له وان لم أوف بما قلته والا حشرت مع محمد بن عبد الله ولاشكر لى أيضا المسيح فعلى فقال له الملك منويل حاشاك من هذا الكلام فانت المدخر للامور ولا سيما ان انت فعلت ذلك وفتحت القلعه فى هذه الليله فقال له الملعون عقبه مايصبح عليك الصباح الا وهى فى يدك لان صاحبها يعرف مالى من المنزله عند الرشيد وعند الناس وكان الامير أبو محمد البطال اذا قال أنى نصرانى يعارضه فيما يقول ولايثبت عنده وكان أبد الدهر واقع بينهم المعاداه من أجلى فقال له الملك منويل فما الذى عولت عليه فقال له انتخب لى من العسكر قدر ألفين بطريق بالدروع الموانع وتخرج بالثياب الذى نهبت من الموصل وتفرق على الالفين بطريق فيلبسوها ولا ينكر أيضا عليهما أحد وأنا أسير معهم حتى يقفوا بازاء الحصن ثم أناديهم وأعرفهم بنفسى وأخبرهم بشأنى وقدرى وانى قد وصلت اليهم بنجده من عند الخليفه الرشيد وهم ألفين بطل من أبطال المسلمين فاذا عرفونى ماتمالك عقولهم دون ان يفتحوا لنا الباب وادخل أناو البطارقه فنملك الحصن بكل مافيه لكن على شرط أيها الملك أن تذبح الكل وأول ماتبتدى بالذبح لمقدمهم المسمى بهياج الكردى لان القوم ساعة ماتصبح فى حصنهم حنا ومريم والصليب فأيضا يعلمون ان هذه حيله منى عليهم وأنا لا آمن منهم على نفسى ولاسيما فى نفس هياج من أبو محمد البطال أمر عظيم وان لم يقتل صغيرهم وكبيرهم لا نأمن أن ينقل أحدا منهم الخبر انى نصرانى وانى اذا فعلت هذه الفعلة لا أعلم لمن يكون النصر والظافر وكان أيضا يفسد حالى عند جميع المسلمين ويصل الى طائفة النصرانيه فيحصل من ذلك مضرة عظيمة فقال له الملك نعم مارأيت أيها الشيخ النجيح وانى ان لم أقتلهم ماينستر ذلك الامر لانى الى قتلهم أشوق من العطشان الى بارد الماء الزلال ولا نبلغ ذلك الا ان فتحت لنا ذلك الحصن قال عقبه هذا الحصن مايصبح الصباح الا وهو فى يدك لانى الليلة أسير اليه فى جميع

من البطارقه منهم فلان وفلان وجمل يعدهم كانهم كانوا مكتوبين فى قايمه وهو يقرأها لانه كان كثير الحفظ وكان يحفظ التوراه والانجيل والزبور والفرقان العظيم الا ان الله سبحانه وتعالى طرده عن بابه وما هو باكثر علم من ابليس اذجعله الله من المبعودين اللهم احفظ علينا الايمان ببركة محمد والقرآن يا حنان يا منان يا عظيم السلطان يا ديان يا ذا الجلال والاكرام يا ذا الفضل العظيم (قال الراوى) فقال الملك لاعدمت هذه الهمه وهذه الشفقه يا أبونا ثم ان عقبه قال على بالقماش الابيض لبس أهل السلام مثل العمائم وغيرهم من القباطى فألبس البطارقة القباطى الطوال وقلدهم بالسيوف الصقال وقام عقبه تعمم وعمل له طيلسان وتحزم وخرج فخرج الملك من السرادق يودعه وكذلك ملوك الروم خرجوا كلهم الى وداعه وأما هياج الكردى فانه قال الحمد لله الذى ألهمنى أن أجىء الى ههنا وجعلنى فرجا للمسلمين ثم انه خرج من بين السرادق كانه يقضى حاجة وركب جواد سابق وسار الى ان وصل الى الحصن فرمقوه الحراس ورموا عليه الاحجار فكلم بعضهم فعرفه وفتح له باب الحصن وعبر وقد كانوا أيسوا منه فلما دخل غلق الباب وأعلم هياج أكابر الاكراد وأعاد عليهم أمر عقبة فقالوا وكيف العمل فقال هياج الساعه يأتى شيخ الضلال الذى كنت أعادى من أجله أبو محمد البطال ولابد لى من قتله ثم انه ادعى بجبابرة الاكراد واختار منهم ألف وخمسمائة انسان وفرقهم فى دهاليز الحصن ودوكاته وجنباته وأوصاهم بالقبض على كل من دخل وصعد هياج وباقى الرجال إلى فوق الأسوار وإذا بالخيل فى ظلام الليل وقدامهم شيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهالة شيخ الفجار وحطب النار القاضى عقبة بن مصعب المكار (قال الراوى) فلما رآى اليه هياج صاح عليه فجاوبه عقبة بن مصعب وقال له لا بأس عليك أيها الأمير المجاهد والبطل الماجد ابشر بما يسرك فإن الواصل اليك الامير عبد الوهاب وترس قبر النبى الأواب وأنا قد أتيت ومعى هذه الخيل طائعة لانى قاضى الثغور وخطيب الحضور صاحب العلم البالغ الذى كأنه القمر الطالع سيد العلماء وفصيح الفصحاء والبلغاء عقبة بن مصعب صاحبك والمنتصب لى فى كل محفل (قال) فقال له هياج أهلا وسهلا ومرحبا والله انى كنت مشتاق اليك والى لقاك وأنا أسأل الله آناء الليل وأطراف النهار ان يجمعنى أنا وإياك فمن هؤلاء الذين معك فقال هؤلاء فرسان من بنى كلاب وأسود الغاب أصحاب الطعان والضراب وقد أتيتك بهذه الخيل حتى يعينوك على

الحصار وعند الصباح يأتى الأمير عبد الوهاب ويكبس خيام الكفار وأنت من أمامهم فقال هياج اذا افتح لك الحصن فقال عقبة والآن إيش الفائدة انزل حتى ندبر أمرنا قبل أن يرتفع الضباب فنزل هياج وهو يوصى أصحابه باليقظة ثم فتح الباب وقال ادخل أيها القاضى فدخل عقبة وهو يقول ان الله مع الصابرين فالتقاه هياج واعتنقه وعصر عليه كاد أن يخنقه وعقبة يقول فى سره لاوحق المسيح ان جعلت عوضا عن هذه الحضرة الا ضرب رقبتك ثم بعد السلام عليه دخل بين يديه حتى صار فى وسط الحصن هو ومن معه وأغلق باب الحصن فدنا هياج من الروم وقبض على واحد وشاله وجلد به الأرض أدخل بعضه فى بعض ورض عظمه رض وعكس طوله فى العرض وصاح خذوا هؤلاء الملاعين الكلاب فتصايحت الأكراد وحملوا على الروم كانهم قطع الغيوم فما كانت الا ساعة حتى قبضوا أيسرهم وقطعوا أكثرهم والذى قبضوا عليه قيدوه بالقيود الثقال وأقسم هياج لا بد من قتل عقبة الفاجر الجاحد ثم طلع من فوق الأصوار وقد طلعت غرة الصباح وقعد هياج على برج الباب وكان ملك الروم منويل قد ركب فى خواصه يطلب تسليم الحصن من عقبه كما وعده (قال الراوى) فعند ذلك يا كرام صاح هياج الكردى على أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بلا إله الا الله محمد رسول الله ﷺ ثم أن هياج دنا من ملك الروم ونادى يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية لقد حدثتك نفسك يا كلب الروم بالمحال وعجزت فى أقل الأشغال أما تعلم أن الله ينصر المؤمنين على القوم الكافرين وأن حيلتكم ردت عليكم ورموهم من فوق بالأحجار الكبار والصغار وقتلوا من عندهم من الروم ورموهم برؤوسهم ورموا بالنبال فأصابوا بها مقاتل الرجال فقال ملك الروم على بالنقابين وكانوا عشرين ألف نقاب لو أحاطوا بجبل لنقبوه وأزالوه من مكانه فكيف الجدران وتقدموا النقابين الى الصور وقد حملوا الستاير والمنجنيقات وتقدمت الرماة من سائر الجهات ولما رأى هياج الى تلك البليات أقبل على الأكراد ومن عنده من الرجال وقال لهم ياقوم اعلموا ان الله وعد بالجنة المجاهدين والثواب للصابرين والأجر للعاملين ونحن قد قاتلنا بالأمس وأخذنا بالثار لأنفسنا وما بقى إلا الموت والشهادة وقد عزمت على قتل هذا الكلب المرتد عقبة فأتونى به على أقبح صورة فعندها مضوا وأقبلوا بعقبة وفى رقبته حبل من الليف وعلى رأسه طرطور لان بعض الأكراد أعجبه الذى على رأس عقبة فاخذه من على رأسه ولبس لعقبة ذلك الطرطور (قال الراوى) فلما رآه

هياج قام اليه ولطمه على رأسه أول كف وثانى كف على وجهه فسال الدم من أنفه وفاه وأرمى له أربعة أضراس من أضراسه فايقن عقبة بحلول رمسه وخمد أنفاسه وقال هياج لعقبة ياويلك تكفر بعد الإيمان وتشك بعد الإيقان فقال عقبة اتق الله يا هياج فأنا ما فعلت ذلك إلا أن الروم عذبونى بأشد العذاب ففعلت من العقوبة هذه الأسباب (قال الراوى) فقال هياج ياكلب النصرانية أنا كنت واقف على رأسك وأكلت لحم الخنزير وشربت الخمر العصير وكفرت بالملك القدير فلما سمع عقبة ذلك الكلام تحقق أنه رآه ولا بقى ينطلى عليه قوله وشكواه فقال عقبة دعنى من هذا الاحتجاج واعلم أنى أنا أخبر منك بالأديان ولو كان لى غرض مع علمى ومعرفتى لما اخترت غيره لى بدلا ولا أردت غيره لى طوية فقال هياج تكذب ياملعون وما الله إلا واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فوا أسفاه لو كان لى فى الحياة مطمع حتى كنت أحملك إلى الأمراء الأكابر وهم الأمير أبو محمد البطال والأمير عبد الوهاب ولكن لابد من قتلك فى هذا الوقت والحين (قال الراوى) فقال عقبه لا تفعل ياهياج تندم واعلم أنك ان سلمت من ملك الروم فما تسلم من الرشيد لأنك ماتنجو منه من أجلى ولامقامك عنده مثلى فقال هياج ياملعون وأين الرشيد لأنك ماتنجو بها منى أبدا وجرد الحسام وهزه إلى أن سطع ولمع وأراد أن يضرب عنقه فصاح عليه ملك الروم وكان قد فزع على عقبة وقال ان قتلت الشيخ النجيح ماتاتى النصرانيه بعده شيخ مليح وصاح فى الروم فترجلت فى الف الف وثمانمائة الف ورأى هياج إلى ذلك فأعرض عن قتل عقبة وعاد إلى القتال وأراد أن ينظر فلم يقدر من كثرة السهام والنبال وتقدمت النقابة فى أقل من ساعة علقوا أركان الحصن على الاخشاب ولطخوها بالنفط ومشاق الكتان المنقوعة فى الزيت والقطران ورموا فيها النار ففى دون ساعة طلع الدخان والنار إلى العنان فلطمت النسوان وبكوا الاطفال ونادوا المؤمنين الامان الامان اللهم أجرنا من النار وعذاب النار ومن كل عمل يقربنا إلى النار انك على ماتشاء قدير (قال الراوى) فلما رأى عقبة الى تلك الاعمال وصاح على هياج وقال له قدمنى الى رأس البرج حتى آخذ لك الامان من ملك الروم على العيال والاولاد والاموال فقدمه هياج فصاح عقبة اللعين على الملك فاقبل عليه فامر أن يعطى الامان على اموالهم والعيال فعند ذلك خاطب الملك إلى هياج وحلف له أربعين يمين وأعطاه الامان على الحريم والعيال والاموال وبعد ذلك نزل هياج من على الاصوار ومن معه من الاولاد

وأخذوا اموالهم وعيالهم وخرجوا من الحصن بعد أن أخذوا ماخف حمله وغلى ثمنه وسلموا عقبه الى منويل ففرح به وكان عند الروم أخير من الحصن وغيره وقدفتحوا لهياج ومن معه طريق واستقاموا على الطريق بالاموال والعيال هذا وعقبة أقبل على ملك الروم منويل بعد أن هدأت روحه وقال على ماذا عولت أيها الملك قال وماعسى أن افعل وقد حلفت وأزمت وأعطيتهم الامان والدنيا يا شيخ خوانه ومالها أمان والعواقب غير مأمونة وما عسى أن يقال عنى انى أزمت لقوم وخنتهم فى الامانة ولا بدلى أن أدرك القوم وأوفى لهم بالذمام والامان (قال الراوى) فقال عقبة يا شيخ أليس قد قيل اغدروا أعداء الصليب فإنهم ليس لهم عندنا أمان فقال البترك قم أيها القاضى الاجل ولم يقدر ان يكذبه ولايخالف له مقال فقال ملك الروم وأنا ماأدخل فى شيء من هذا واما أنتم علماء الدين افعلوا ماتشتهون فقال عقبة ياملك افعل ما شئت واجعله فى رقبة عقبة ثم أنه أخذ ملك الافرنج فى مائة الف فارس وسار يقتفى أثر هياج الكردى الى أن لحق به بين البورنج وأريل فالتفت هياج وراءه فرأى الغبار والقنطريات والسيوف المشرفيات فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) ثم أقبل على بناته وأصحابه وقال أن الله عز وجل خلق العباد وابتلاهم ببعضهم بعض وكل ذلك أجرا للعاملين ويزيد فى ثواب المحسنين فقال تعالى وبشر الصابرين والدنيا فانية والآخره باقية فاياكم أن تغتروا بالدنيا واجعلوا الجنة امامكم (قال الراوى) فقالت زوجته الغيداء ياابن العم لابد لنا أن نقاتل حتى تطير منا الرؤس ونذل كل بطل همرس فقال هياج والله يعز على ان اراكم فى ايدى الاعداء ويلم بكم رداء ولكن لنا اسوة بمن مضى من المسلمين مالى حسرة الاان اموت وعقبة فى الدنيا ثم ان هياج الكردى رضى الله عنه تحسر وانشد يقول

وحق النبي الهاشمى محمـد ... ومن خص بالآيات فى كل مشهد
يهون على قلبى انكسارى ولوعتى ... وضرب عدوى بالحسام المهند
ولا يهتك الاعدا بناتى ونسوتى ... ويبقوا اسارى فى يدى كل معتدى
وما كنت ادرى ان عقبة كافرا ... ظلوما ويلقـانى بحسن تودد
عليه من الرحمن خزيا ولعنة ... ومن بعدها تأتى على كل ملحد
واما بناتى اسأل الله صونهم ... بمن يأتنا ياقوم ذلك اليوم اوغد

(قال الراوى) فقالت زوجته الغيداء يا ابن العم طب نفسا وقر عينا فاننا لانطلب من بعدك الحياة وانت فى عداد الاموات ثم ان ابنته الكبرى انشدت تقول .

لقد اصبحت اطلالهم تشبه السما ولكنها مفجوعة بالكواكب
ابعد احبابى وامى ووالدى اروم حياة او انال مآربى
سأبذل روحى للرماح جمية واضرب اعدائى بحد القواضب
ولا اننى اصبح مع الروم فى الاسى ولا امى فى حال يضر حبايبى

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم انها لما تكاملت تلك الابيات بكت بكاء شديد فقالت امها لاحياة لى بعدك وانشدت تقول .

سلام على الدنيا اذا كان سيدى قتيلا جديلا لا يحجب المنايا
لقد كان هياجا اذا هاج فى الوغا يبيد الاعادى بالحسام اليمانيا

(قال الراوى) ولما تكاملوا بنات هياج وزوجته حلوا وحملت الأكراد وطالب لهياج وبناته وزوجته الطعان والضراب فى طاعة رب الأرباب حتى علا عليهم الغبار وكان غبار بلا اطناب فلم يرى الابريق الحسام وطعن الرمح الهندام وتجريع الموت للذمام وداروا بهم الافرنج وانحطوا عليهم كانهم الغمام فنى دون ساعة ملكوا الأموال والبنات وشالوا الرجال على أسنة القنطاريات ووقع بالقوم الصياح والشتات ولم يبق إلا هياج وقد طربه الانزعاج وخاض فى الهياج وهو يضرب بحسامه فى اللثام وقتل من الروم جماعة وأعجب الروم فعاله وهو يصول ويجول ويأخذ المعمعة عرضا وطول وهو يريد أن ينظر أحدا من أولاده يودعه فلم ينظر أحدا فمات كمدا وتنفس صعدا فبينما هو فى حيرته وإذا قد كبا به الجواد فوقع الى الأرض ومن شرف نفسه قام قائما على قدميه ونظرت البنات إلى ماحل بوالدهم فصاحوا على بعضهم البعض دونكم وسيدكم وصاحبكم وترجلوا من حوله البنات وقاتلوا قتالا شديد ما عليه من مزيد حتى اسود النهار من كثرة الغبار وصار كالغسق وغاب الشفق وكثر القلق وزاد العرق وازور الحدق وصارت الأرواح كأنها عاق وإذا بصياح من وسط الروم قد زعق وكان الصائح القاضى عقبة بلاه الله بكل نكبة أو بنار من داخل القبة وهو يحث الروم على القتال فما كانت إلا ساعة حتى أخذوهم عن آخرهم قبضا بالكف والأموال والنساء والصبيان وعادوا راجعين والى ملك الروم طالبين وعقبة بينهم مختفيا والفيداء زوجة هياج باكية العين حزينة الفؤاد تنظر الى بناتها وزوجها يساقون فى جملة الأسارى فبكت وأنت واشتكت وأنشدت تقول .

أما يعلموا الجيرة الغادرونا بأن قلبي حزينا رهينـا

وجار الزمان بنا بعــدما … جمعنا ليال ودهراً وحينا
وصاح الغراب بنا بعدهم … وسار الظعون بهم راحلينا
ولم يبق لى بعدهم مستقر … وسرن شمالا بهم مع يمينا
فنوحى بنا يا حمام الأراك … وزيدى العويل بهم والحنينا
عسى مخبرا يا حمام الاراك … وان مر عارف بهم عرفينا
أجاب الحمام بصوت حنون … وقلب حزين وأبدى الأنينا
وقال غدوا كلهم راحلين … سكون اللحود وهم خامدينا
وان كنت تصبر على بعدهم … والا فأنت من التابعينا

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين بهم الى ان دخلوا الى ملك الروم وقدموا هياج وبناته بين يديه فقال ملك الافرنج يحدث على ما فعل هياج فى حق عقبه فقال هياج أنا ما فعلت فى هذا اللعين الا الصواب وكان مرادى ان أقتله وأما أنت فعلت فقل ماسبقك به أحد من الناس لانك آمنتنا وخنت ولكن سيمتك الغدر لانك من أهل الكفر والضلال فلم يلتفت الملك الى كلامه بل قال لعقبه انظر برأيك فى هؤلاء فقال عقبه ان من الرأى عندى لا نبقى منهم لا صغير ولا كبير ونذبح الجميع ونذبح بعدهم هياج بعدما نهتك بناته قدامه لانى قد انكشف منى القناع بينهم ان بقى منهم أحد ما يكون لى مقام فى الثغور وان سفك دماهم يكون قربانا عند المسيح فقال الملك دونك وما تريد فما نخالف لك قولا ولا نعصى لك أمرا فعند ذلك ذبح الاكراد الجميع الكبار والصغار وهم يشاهدون وينظرون الى بعضهم البعض وعقبه لا يرحم كبير لكبره ولا صغير لصغره حتى صارت الأرض كأنها حلة أرجوان مما سال عليها من الادميه من الرجال والفرسان والاولاد والصبيان (قال الراوى) وكان عقبه أحضر هياج وزوجته وبناته وأمر بذبحهم فنظر ملك الروم الى وجوه كالاقمار فى ظلام الاعتكار فقال الملك أيها الشيخ النجيب بحق المسيح اترك هؤلاء البنات كلهم فما فى قصور الملك مثلهم فقال عقبه لابد من ذبحهم لئلا يتكلموا بحديثى ويفشون سرى فقال الملك وحق المسيح ما بقوا هؤلاء ينظرون بلاد الاسلام فقال عقبه نقتل هذا الكلب هياج الذى لطم رأسى وأرمى أضراسى فقال الملك هذا اليك افعل به ماتريد (قال الراوى) ياساده فاراد عقبه ان يقول اقطعوا رأسه وأخمدوا أنفاسه واذا بضجة وقعت فى وسط العسكر فسال الملك عن الخبر فاخبروه أن الطلائع قد بانت من نحو بلاد الاسلام وأخبروه بانه

قد وصلت عساكر تسد الفضا وتملا المستوى وهم عرب حفاة عراه كانهم الرماح الطوال كبار الاجسام غلاظ الاقدام ومعهم خمسة آلاف أسود مثل سواد الليل اذا اعتكر وأظلم مثل سودان عبد الوهاب وعيونهم حمر مثل الجمر واذا نظر الانسان اليهم ياخذه القلق وعلى كل واحد منهم خلق وعلى رأسه عويه كانها طبق ومعهم ثلاثمائة ألف بدوى على خيول تسبق الرياح ويقدمهم شخص هائل المنظر مهول شجاعة بهلول وقد سمعنا من الجاسوس يقول انه مهدى الزمان وصاحب الوقت والاوان وهو يريد الخلافه ويقول أنا أحق بها من بنى العباس وان الرشيد قد وجهه اليك فان كانت له سلم اليه الخلافه وان كانت عليه اكتفى شره (قال الراوى) فقال منويل مانحن ممن يخاف من ثلاثمائة الف ونحن ضعافهم عشر مرات فارحلوا اليهم واقدموا عليهم فاليد لمن بدر (قال الراوى) ياسادة ثم أمر بهياج الكردى أن يعقلوه بالحديد وقال إذا نصرنا المسيح فنحن نقتله وان أسر لنا أحد من الملوك نفادى به فلم يقدر عقبة ان يتكلم وسكت على مضض منه وقد امتلا قلبه غيظ وحنق حتى كادأن ينفلق لانه ماتمكن من قتل هياج (قال الراوى) هذا وملك الروم سار وهو قاصد إلى صوب العراق للقاء ذلك الخارجى وعقبة قدأخفى أمره وغير زيه وسار فى الخدمة فى المقدمة حتى عبر الجيش عن البوارنج وأشرف على أرض تعرف بالخيام ومن هناك لاحت لهم خيام الخارجى (قال الراوى) يا سادة وكان ذلك الخارجى كره المنظر كانه الجمل الهايج وصوته مثل الرعد القاصف تفزع منه الجن والابالس وتخاف منه الابطال وصناديد الرجال وكان لما وصلت اليه أخباره أرسل اليه الكتب والهدايا كما ذكرنا وكان برأى زبيدة بنت القاسم كما وصفنا وكان لما قرب من بغداد قامت الدنيا على قدم وساق وغلقت الاسواق ودربوا الدروب وحفروا الخنادق ودفنوا أهل بغداد أموالهم وخابت آمالهم ووجلت أهل البدو وازدحموا على الابواب وأشرفت الناس على النفاذ وقال الخليفة وا أسفاه على الامير عبد الوهاب فارس الجلاد ومن كان معه من الاصحاب حاميين الثغور وا أسفاه على زمان كنت فيه مسرور وكان الثغر معمور والعدو مقهور والدين منصور وعلم الخلافة على الخافقين منشور وسيف السلطنة على العدو مشهور فأصبح بعد عبد الوهاب الجيش مكسور وجيش الكفر مجبور وأقام الحرس من حول القصر وأقام الرشيد يتجرع الغصص نفس بعد نفس وإذا بثانى الجواسيس أقبل

الى بغداد وأخبر أن الخارجى بقى بينه وبين بغداد عشرة أيام وذكر الجاسوس انه قاصد إلى بغداد ويجعلها محل ملكه وتأتى البلاد بحكمه ومعه عرب وعجم وترك وديلم وسودان وشىء كثير من الفرسان فقال الرشيد فما أبقى الله نحس فى الدنيا إلا وساقه الينا وسلطه علينا ثم شال طرفه إلى السماء وتضرع إلى العلى الأعلى متوسلا إلى الله بجاه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم قال فى عقب كلامه يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه (قال الراوى) هذا جرى للرشيد (وأما ماكان) من ملك الروم منويل فان عقبه قال له أيها الامير والملك النحرير انى أريد ان أتنكر وأكون برسم التدبير فانى قد قربت من العراق وأنا معروف فى سائر الآفاق فقال الملك الذى تفعله هو عين الصواب (قال الراوى) يا سادة ولما ان وقعت عين الملك على عسكر الخارجى استقلوهم واستضعفوهم وقال الملك وحق المسيح لو أمرت أحد الملوك لكفانا شرهم وكذلك العرب لما نظرت الى الروم وأجناسها وقد تظاهرت بأحسن لباسها فصاحوا على المقدم عليهم وهو الخارجى مياس ما انتظارك فى القتال (قال الراوى) وكان هذا مياس فارس شديد وبطلا صنديد فقال ياقوم دونكم والغنيمة المباح فانى قد أبحتكم هؤلاء الاقوام المذوقين وها أنا أقاتل قدامكم فأنا ما اشتهى إلا القتال فحملت العرب والديلم ومياس فى أوائلهم وحمل أبو الهزاهز قدام سودانه (قال الراوى) وكان هذا أبو الهزاهز مايقاتل إلا بالأشجار وكان اذا ضرب الفارس يخلطه فى بعضه البعض ويخلط فرسه معه فيعجن لحمه على عظمه والويل كل الويل لمن يقف قدامه وحملت القوم على القوم وتعلقت الخصوم بالخصوم وجردت السيوف القواطع وعاد الجبان هالع وكانت طوالع عسكر المشركين عشرة آلاف وكان طوالع مياس ثلاثة آلاف ومعها أبوا الهزاهز فجرى بينهم القتال الشديد والحرب الاكيد والروم قد صلبت على وجوهها لانها رأت أقوام حفاة عراة لايضجرون من القتال ولا يملون من النزال ومقصودهم مصادمة الأبطال وظهر من العرب على الروم الأهوال فامر منويل أن يردفوا أصحابه بخمسة آلاف فصاح مياس على أصحابه وقال عينوا أصحابكم فحملت فرقة من العرب فردها أبو الهزاهز وقال وذمة العرب لا يأتينا أحد ثم أنه خلع من على جسده أطماره حتى بقى بالسروال وحمل على الروم كانه جمل من الجمال وهدر وزمجر وطار من عينيه الشرر على أنيابه كسر وحمل على الروم حملات منكرات فعلمت الروم أنه فارس الملتقى

ولا يخشى من موت ولا شقا فتضاربوا القوم طول النهار بالمرهف البتار وتطاعنوا بالرماح الخطار ولم يزالوا كذلك حتى ذهبت الارواح من الاشباح وتفرقت الوحوش من كثرة الجيوش وزاد عليهم الأمر وقل الصبر فاردف منويل قومه بعشرة آلاف أخر ومياس أردف قومه بخمسة آلاف فالتقت العرب بالروم وكان طالعهم طالع مذموم وأما السودان الذين مع أبو الهزاهز فانهم ومانزكوا جواد الاوعرقبوه ولا انسان على الأرض إلا طرحوه ولا رأس إلا وطيروه وأبو الهزاهز فى أوائلهم وفى يده سيف صقيل طويل عريض وكان ما يثبت قدامه إنسان وكان إذا ضرب بحسامه الصخرة قطعها نصفين وإذا ضرب بطل تركه شطارين فلما رأى ملك الروم أصحابه من تحت الغبار أشار إلى الروم جملا لحماة عن بكرة أبيهم وأمر للجنائب فجنبت وإلى الطبول فضربت وإلى البوقات فنعرت والسيوف جذبت والأبطال تأهبت والاعلام لشرت والعدد الجلية قد ظهرت والقسى أوترت ونار الحرب أشعلت والبطارقة أخذت أهبتها والعمالقة أظهرت زينتها والانجار تأهبت لحماتها والبرغل افتخرت بشدتها والنغليط والأرمن والابلك والزغاورة والملاطية والبنادقة وحمات القوم لفرط سرعتها واعتمدت الأبطال على مضارب عدتها وتلقتهم الاعراب بحسن صنعتها وصاحت على خيولها فخرجت كأنها الرياح وأظلم الجو من اشتباك الرماح بعد ما عدموا سلامتها وطحنت طاحون الحرب الأرواح فأضنتها وشربت الأسنة من دماء القلوب فأروتها هذه وابو الهزاهز كشر على أنيابه وأبهر الأبطال بطعانه وضرابه وهاج كما يهيج الجمل وصاح على القوم وحمل فما ابث قدامه بطريق إلا وأعدمه السعادة والتوفيق (قال الراوى) وقد ذكر لى القائل الذى رأى وعاين وهو من الثقة الأخيار أصحاب الروايات والأخبار ان أبو الهزاهز هذا عبد أسود كأنه قطعة من حجر جلمد واسع ما بين المنكبين شديد الزندين كبيرالرأس واسع المنخرين غليظ الشفتين عميق سواد الجبهتين كأنه نحت من جلود وطوله كأنه عامود وبه نال مياس ما اشتهاه ومما ذكروا الرواة الصادقين فى المقال انه ما خرج من أرض الحجاز أشجع ولا أقوى ولا أفرس ولا أصبر منه فى الحرب والقتال لأنه كان فى قدر الجمل وكان قد حل فى أرض الحجاز فى أربعة آلاف فارس وخرج منها سالم وأسر جماعة وقتل جماعة (قال الراوى) ونرجع إلى قتال الروم وقتال العرب الذين مع مياس الخارجى بانهم

قاتلوا إلى ان أمسى المساء وافترقوا الجيشين ولم أحد منهم يعرف أحسن الدهر عليه أم أساء وأضرمت النيران وتحارسوا الفريقان وكان أكثرهم حرس الروم لان أبو الهزاهز نكل بالابطال وأهلك الاقيال ولما عادوا إلى مضاربهم والخيام اجتمع مياس بأبو الهزاهز والمقدمين فقال أبو الهزاهز اسمع والحديث للجماعة باننا قد بلينا بعساكر كثيرة وجيوش غزيرة وأما أنا وان كنت مهدى الزمان وحاجب الوقت والاوان فما أنا إلا كواحد منكم ولا أريد أن أخرج عنكم وان رزقنا النصر وكسرت من قدامنا رجعنا إلى بغداد لان فيها مال يسد الفضاء ويملا المستوى ولكم فيها الغنا الأكبر إلى أبد الابد وأنا ما لى رغبة فى مال ولا نوال وما غرضى غير الخلافة فإن ملكت الخلافة أعطيتكم الاقطاعات واول ما أعطى لأبو الهزاهز أعطيه ملطية وأعمالها التى كانت مع حاجب زبيده عبد الوهاب ولعمرى انه موصوف بالشجاعة والقوة والبراعة فقال أبو الهزاهز سوف ألقاه وألقا أمثاله فقال مياس ما أنت إلا صادق فى مقالك ولكن كل شىء فى وقته مليح ونحن الآن قدام الروم وهو عسكر كالبحر الزاخر وقد عولت فى غداة غد ان أقصد إلى ملك الروم ولو كان حوله عسكر بعدد النجوم ولا أرجع حتى أقطع أوداجه والحلقوم ويصبح عزه مهدوم وبعده تفرق عساكره وجيوشه ودساكره والجنود وتنهب أمواله وذخائره (قال الراوى) فهذا ما كان من مياس المذموم (وأما ما كان) من ملك الروم فإنه لما عاد من الحرب وموقف الطعن والضرب جلس على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وقوائمه من المرمر واجتمعت الملوك والخواص بين يديه وجعلوا يصفون ما لقوا اليه وقالوا كلما أهلك المسيح أسود أتانا غيره وحق المسيح انا كنا نلقا عبد الوهاب وسودانه فما هم مثل هؤلاء فقال الملك وحق المسيح لو ان هذا الاسود يدخل فى دينى ويضرب بالسيف قدامى لاقطعه بلاد ورستاق يصل اليه منها كل يوم ألف دينار وهى عموريا فلما سمعت الروم ذلك الكلام صلبت على وجوهها وصغرت عندها نفوسها فوثب من بين الجميع بطريق جبار يقال له قرياقس بن افلاطون بن مداس الافرنجى وكان يعد بالف فارس فى الميدان وكان تحت يده ثلثمائة ألف فارس وكان ولده قرياقس أكثر منه شر ولعنة ولما تكلم ووصف الملك منويل فى حق أبو الهزاهز ذلك الكلام وقال أنا أعطيه عمورية وهى أعظم اقليم فى بلاد الروم لان على ظاهرها ألف نهر تجرى وكل نهر على بساتين وهذه المدينة أهلها أحسن الناس وجوها فقال قرياقس أيها الملك هذا القول

الذى قلته استخفافا أو احتقارا بامرنا فلو أوعدت واحد منا بهذه العطية لأهلك هذا الأسود فقال الملك وان فعلت أنعم بما تقول كانت عموريا لك على أبد الآبد وكان الملك فى نفسه ان كل من قتل فيه ربح زايد ويأتوا الناس على مثل ذلك الحال ومياس الخارجى طيب القلب بوعد أبو المزاهز ولم يزالوا إلى ان أصبح الصباح وتواثبوا الرجال لضرب الصفاح ونشرت الاعلام والرايات وأخذوا الملوك فى الاهتمام وشاب من هول ذلك رأس الغلام وركبت العرب على اعناقها وتقلدت بدرقاتها واعتقلت بدقاقها وأقبلت الروم بابراقها وعليهم الكسور الجلية من أصفر مثل شمس النهار وأسود كلون الاعتكار وذهبي لون الدينار وازرق لون السماء وقت الاسحار ولازوردى مذهل العقول والابصار وبنفسجى كانه لون المحب إذا عدم الاهـل والديار وعلى صدر كل واحد صليب جوهر بياضه ساطع يأخذ بالبصر وقنطاريات مذهبه وعلى رؤسهما تيجان نورهما يخطف الابصار وأتت الخيل بعدد الجولان وأطلقوا أعنتها الفرسان والتفت الملك إلى قرقياس وكذلك مياس الخارجى إلى ابو المزاهز يطلبون منهم الوعد الذى كان فلم يظهر أحد منهم إلى الخروج إلى الميدان بل تنكست الخاطر والأذهان وعثرت الخيل من شدة الجولان وقتك أبو المزاهز بالفرسان والعرب فرحانة بما صنع من أهل الكفر والطغيان وقرقياس قال كيف الوصول إلى هذا الأسود القرنان (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا بفارس قد اعتدل فى وسط المعمعة بعد ماترك الرؤس مقطعة وهو ينادى أنا أبو المزاهز والبطل المناهز لايقعد عن قتالى إلا كل جبان عاجز فبينما هو كذلك وإذ هو بزعقة وقائل يقول دونك يأسود وماذكرت ووقعت العين على العين وكان ذلك الفارس قرقياس وعليه عدة مامثلها انسان وتحته حصان كانه من جن سليمان ثم حمل على ظهر حصانه وتكلم بكلمة كفره وطغيانه ونادى ياأكالين خبز الدره وياجماعين الجله اليوم أعدمكم جملكم الهايج وأسودكم المعالج لتعلموا أنى أنا الفارس المبارز والبطل المناجز وسوف أترك الأرض من أبطالكم فسيحة ولا أترك فيها من يقول أنا خليفة ثم مال بحملته إلى أبو المزاهز وعليه جبة من الصوف وثوب خام ضيق الاكمام وعلى رأسه بيضة من خشب وعليها عمامة قطن وهو راكب حافى الاقدام ومعه سيف غير مصقول ورمح بالعصب موصول إلا أنه تحته حجره دهما عالية شماء كانها الليلة المظلمة اسمها بين الخيول سلما أن طلب منها الجرى عرقت وان حبسها وقفت وان همزها طارت وعليها سرج من خشب مشدود بحبل من الليف وهو على ظهرها كانه طود أو بعير

حل من القيود وكذلك الحجرة كانها ثعبان لا تمل من الجولان ثم انهم امتشقوا السيفين ورموا من أيديهم الرمحين وتضاربوا بالمشرفين فصاروا كانهما كبشين تناطحا أو جبلين تشامخا أو بحرين تلاطما ثم أن أبو الهزاهز طمع فيه قرقياس لقلة عدته وألقى نفسه عليه وضربه بكلتا يديه فبطل أبو الهزاهز ضربته وعلم قرقياس أنه محترز لنفسه ثابت لمواقع المضارب فال الرومى إلى الوهق وأبو الهزاهز يدوى ما يعرف الوهق ايش خاق الرومى وهقه فى الهوى فجعلوا الناس يصيحون على أبو الهزاهز وهو لا يدرى ما يرى فلم يشعر إلا والوهق وقع فى رقبته وجذبه قرقياس وأراد أن يقتلعه من سرجه وإذا به كانه صخرة صماء وطلب أبو الهزاهز أن يتخاص فلم يقدر لأن الوهق قد تمكن من عنقه ثم انهما تجاذبا فلم يقدر أحد منهما على صاحبه وشخصت لهما الأعيان ناظرة وبقت العقول من الناس حائرة وبينما الناس لهما متطلعة بالأحداق وإذا بصيحة من تحت العجاج فتأملوا الناس من الصائح وإذا به أبو الهزاهز وذلك انه لما تعسر عليه الوهق فى عنقه فوقع من على ظهر حجرته صار على وجه الأرض ودخل تحت الجواد الذى تحت خصمه ومسك قوائمه بكلتا يديه صار على قفاه فطلب قرقياس أن يضربه بالسيف فلم يقدر لأن حبل الوهق مشدود فى وسطه ثم ان أبو الهزاهز سار بالفارس والفرس قاصد إلى عسكر المسلمين (قال الراوى) فلما خبرنى من أثق به واعتمد عليه فى كلام الصدق أنه قال لى يا بهد عددت لأبو الهزاهز خمسه وثمانون خطوة خطاها بالفارس والفرس وهما على أكتافه وهو سائر وقد زاد نشاطه وقوته ونظرت البطارقه إلى ما حل بملكهم فحملوا فى ثلثمائة ألف بطريق فارتجت لهم الدنيا وتبدل النور بالظلام وحملت العرب وفى أولها مياس وان الملك لما نظر إلى ذلك حمل فى سائر عسكره وأشار الى البرغل والمغليط فحملوا هذا وعقبة إلى جانب العلم وهو متنكر غاية التنكر وكل ذلك من أجل قربه من بغداد لأنه كان كثير الحذر واليقظة هذا والدنيا قد قامت على ساق وعملت السيوف الرقاق والرماح الرشاق وملت الخيل من السباق إلى أن حميت الشمس واحدق الأحداق وقطعت الأيادى والأعناق وتمكنت الروم من العرب بالأوهاق وبليت العرب بما لا يطلق فهذا قتيل بسيف براق وهذا جديل برمح فراق وهذا طريح بضرب المزارق وهذا جريح بسهم رشاق (قال الراوى) لهذا الكلام صلوا على بدر التمام ونظر ملك الروم إلى صبر العرب وثباتهم فصاح على البطارقة وعلا الصياح من كل مكان وجانب وصاح مقدم العرب وقال مكنوا منهم القواضب لتفوزوا بالمنا والمطالب وتملكوا البنات الكواعب فقال له رجل

من العرب وكان قد قطعت يده وعدم صبره وجلده ونزل يريق الماء ذهب فرسه فقال له أما انك تقول انك المهدى فى هذا الزمان وخليفة العصر والأوان وكل شىء طلبته نلته فلم لا تأمر الأرض تنخسف بعبدة الصلبان وتلقى عليهم الذل والهوان وترد على يدى والحصان ليكون لك بذلك برهان وتكون المهدى على الحقيقة والبيان واذا لم تفعل ذلك فقولك كله زور ومحال وبهتان وافك وعدوان فلما سمع كلامه غضب غضبا شديدا ماعليه من مزيد وهجم على الرجل وصار يضربه ضربا غير قاتل فلما تيقن البدوى أنه هالك ولا له مجير ناداه أتركنى وأنت المهدى من غير أن ترد على حصانى ولا زندى فخلاه من بعد ماجرحه فى ثلاث مواضع غير قاتلات وخرج من المعمعة وعاد إلى الخيام وأضمر فى نفسه انه ان سلم وبرىء يقتل الخارجى ويسقيه كاس الحمام (قال الراوى) ولما طلبت الروم خلاص قرقياس من على أكتاف أبو الهزاهز صار راكلما ضربوه ضربة يلقاها به وقد تركه مثل الطارقة لملتقى السيوف فصار كلما آلمه الضرب يصيح ياويلكم خذوه قبضا بالكف وإلا قتلت أنا على هذا الحال فترجل اليه جماعة من البطارقة وبلى أبو الهزاهز بما لا يطيق وسواعده من حمل الفارس والفرس قد كلت ومناكبه انحلت وعزائمه انحطت ومنابع المنايا اليه تدلت وهجموا عليه الابطال ومدوا اليه عوامل الرماح فترجل من أجله مياس فى ألفين من السودان ولم يكن فى العرب أفرس من الخارجى مياس إلا انه كان عنده جنون فتارة يقول انه نبي وتاره يقول انه ولى ولم يزل الخارجى يقاتل حتى كشف الروم عن أبو الهزاهز ونظر أبو الهزاهز إلى السودان وقد داروا به من كل جانب ومكان فناداهم ياويلكم قد اندقت قامتى من هذا القرنان وأيضا من ذلك الحبل فخلصوه من الوهق الذى كان فى عنقه فلما عرف قرقياس أن الوهق خلص منه قفز صار على وجه الأرض وركب على بعض الخيل الشاردة وكان قد وجد الراحة وهو على أكتافه وكان الملعون فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق فطلبه السودان فصار فيهم يمين وشمال فارمى أبو الهزاهز الجراد من على أكتافه فوقع ميت من وقته وقصد إلى قرقياس والآخر قد قصد اليه وقال له ماالعجب فى حملك وإنما فى خلاصى من يدك بعدما كنت موثوق فى قبضتك فدونك الساعة والحرب وموقف الطعن والضرب (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصل ابن قرقياس وكان اسمه حنا إلا انه فارس شجاع وقرم مناع وكان الملعون عارف بصنعة الدقاف سريع الانعطاف والانحراف فعطف على أبو الهزاهز يضربه على قوائمه فسطر عنها فعاجله الملعون بضربة فجاءت على هامته قطع الرفادة

مع عمامته والبطانة ونزل السيف إلى قته فجرحه جرح وثيق وأسال دمه على وجهه ولو لم تكن الضربة قصيرة لكان قضى عليه ونظر أبوا الهزاهز إلى الدم وقد صبغ ثيابه فعظم عليه مصابه والأسد لايكسر حتى يجرح ويعقر فصار عينيه كالعلق وأرعد وأبرق وصاح وقال وكان فى الأرض من يقدر يجرحنى ثم هجم على قرقياس وضربه ضربة رجل غير عاجز بذلك السيف الخفيف والساعد اللطيف وقال خذها من أبو الهزاهز لامر تعب ولاعاجز فوقعت الضربه على نافوخه نزل السيف يهوى إلى فخذيه وقطع السرج ونزل إلى ظهر الفرس شبرين فوقع الفارس وصار شطرين وعطف على الآخر وضربه قطعه نصفين وتركه قطعتين وكان قاربه ملك من الملوك وحمل على أبو الهزاهز فعطف عليه وانكب عليه أخذه أسير وداره فى يده مثل العصفور ولوح به إلى عسكر الروم فوقع على ملك يقال له ملك قرطموس فاتا الاثنين وتهشمت عظامهما وخرجت أرواحهما وعجل الله بأرواحهما الى النار وبئس القرار فعندذلك حنقت الروم على ملوكها وصلبت على وجوههم وحملت على أبو الهزاهز ومالت عليه بكليتها وقد هاجت فهاج عليهم لما سالت دماه وتقلصت شفتاه وصار عبرة لمن يراه (قال) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل والسؤال لايقبل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل وأمسا المساء وافترقوا عن ضرب البتار فلما استقربهم القرار فى وسط الخيام قال لهم الخارجى لقد بلينا بجيش كبير وعسكر غزير فقال أبو الهزاهز لولا أنى اشتغلت بهذا البطريق الملعون واشتغلت به عن غيره وإلا كنت عملت شىء فى خاطرى فقال له مياس وماهو قال فى غداة غد ترى العجب وقد عولت أن أحمل على الصليب الذى على رأس ملك الروم ولو كان عسكره بعدد النجوم لأنه متى وقع العلم ومال صاحبه للعطب لم يبق للروم باقية بعد ذلك ومالهم إلا الهرب ولا بد ماأرمى روحى على ملك الروم واصبحه صباح ميشوم ولاأرجع عنه حتى أقطع منه الودج والحلقوم ويصير بيت عزه مهدوم وتقل عساكره وتنهقر دساكره وتنهب أمواله وذخائره (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من ملك الروم فانه جالس على سريره وكان من الذهب مرصع بالدر والجوهر واجتمعت حوله البطارقة وملوك الافرنج والعمالقة والبطارقة وجعلوا يصفوا مالاقوا من الفرسان ولاسيما من أبو الهزاهز والسودان وقالوا أيها الملك وحق المسيح لو كنا لاقينا عبد الوهاب وسادات بنى كلاب وغيرهم كان أهون علينا من هؤلاء الحاضرين لاسيما هذا الأسود أبو

الهزاهز الشيطان فقال الملك وحق ديني لو أن في عسكري مثل هذا الاسود لأعطيته من البلاد مالم يقدر عليه أحد قال فلم نطق من الجماعة الحاضرين أحد بكلام لأنهم عرفوا حربه فقال عقبة أيها الملك وحق المسيح ما أرى هذا الاسود إلا قد فتت الأكباد وأشمت فينا الأعداء والحساد ولكن أن طول المسيح فى عمرى أورينك العجب من أمرى وقد أضمرت لهم رأى خبير يزيد عندك فى قدرى وان أعمل شيء يتحدثوا به الناس جيل بعد جيل فقال الملك وماهو الرأى أيها القاضى قال انا فى غداة غد أسلم اليك هذا الاسد بحيله عجيبه فقال له أيها الشيخ بحق المسيح وماهى الحيله فقال عقبه أريد أيها الملك تحضر لى النقابين فى هذه الساعه فما أسرع كان بما حضروا بين يدى عقبه لا أعقبه الله خير وكانوا خلق كثير وغلمان العسكر جميعا فأمرهم أن يحفروا خندقا عميقا ويسقفوه بقصب البوص ويضعوا من فوقه التراب القليل وباقى التراب يخرجوه الى خلف الخيام ثم قال عقبة للملك اذا كان فى غداة غد تأمران يبرز من عسكرنا عشرة فرسان شداد يطلبون البراز والجلاد والعرب طماعه ولاغرضهم الا البراز فاذ أشعلت بينهم نار الحرب تهج أصحابنا بين أيديهم هاربين فلابد أن تتبعهم العرب طالبين ويكون فى جملتهم الاسود الذى فتت الاكباد وأحل الاجساد ونكون قد عرفنا أصحابنا الطريق السالم فاذا لقوهم العرب على قوة حملتهم فيقعون فى الخندق فنأخذوهم قبضا باليد فقال له الملك أيها الشيخ النجيح المسيح يطيل عمرك ثم قعد الملك على مرتبته وأمر النقابين أن يفعلوا ما أمر به القاضى عقبه فقالوا سمعا وطاعة أيها الملك لو أمرتنا أن ننقب من ههنا الى عسكرهم لفعلنا ثم أخرجوا المعاول والغلمان والاتباع من خلفهم يشيلون التراب (قال الراوى) يا ساده يا كرام فما قولكم ياساده فى عشرة آلاف نقاب غير الاتباع وأرض لينه فما كانت الا ساعة من الليل حتى حفروا خندق يساع أهل الارض وما تنصف الليل حتى حفروه وسقفوه وغطوه بالتراب وما تركوا فى وسطه طريقه للذهاب فلما كان من الغد وأصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا على متون الخيل القداح واستقبلوا الطائفتين بالرماح وجردوا البيض الصفاح فارتجت الارض فى طولها والعرض وجال بعضهم على بعض وتقدم أبو الهزاهز امام السودان وبرز الى ساحة الميدان ونادى يا أهل الكفر والطغيان دونكم ومبارزة أهل الايمان ثم انه حمل على الاقران وجال وصال وأنشد وقال هذه الابيات

الا يا كلاب الروم دونكم حربي	سأسقيكم كاسا من الموت بالقضب
ودونكم الليث الذى ليس مثله	شبيه ليوم الحرب فى الشرق و الغرب
أنا الاسود المعروف فى معرك الوغا	اذا ما جبان القوم فر من الضرب

رضيت وبيت الله أن يبرزن لى   ثلاثة آلاف الى ساحة الحرب
وان زدتموا ألفا فانى لجمعكم   مبيد وانى طالب النصر من ربى

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فما تم كلامه حتى برز اليه الدمريوس على حصان أصفر حسن المنظر وكان الملك الدمريوس قد تزين بأحسن الزينه ثم نادى يا أسود يا حجام تكثر فى الكلام وتطيل النثر والنظام وأنت تطلب الفارس الهمام دونك الآن وضرب الحسام حتى ترى من أصدق فى الكلام وسوف أجعلك لوحش البر طعام ثم انه اراد ان يحمل عليه واذا بفارس قد ظهر من وسط عسكر الروم كانه البدر بين النجوم وتحته جواد كانه ظلوم وفى كفه صارم ذكر معتقل برمح أسمر وعليه درع مذهب ثم نادى يا عساكر المسلمين وأبطال الموحدين هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز ثم لعب برمحه فى الميدان وهز سيفه وأرعد وأزبد وأبرق وزعق وأطلق لرأس جواده العنان وصال وجال ورد الى الميدان فبرز اليه فارس من العرب شريف النسب مليح العينين نابت العارضين وعليه ثوب خام والفارس جافى الاقدام ثم نادى أيها الفارس الضال عن طريق الهدى ودين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم دونك الحرب والقتال وهم بالحملة واذا بفارس من الروم قد برز كبير القدر عظيم الخطر على جواد أغر أشقر وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس من السودان ولم يزالوا كذلك الى ان برز من هؤلاء مائه ومن هؤلاء مائه وهموا بالحملة على بعضهم البعض واذا بالبترك خرج وعلى رأسه تنور من الذهب الاحمر وهو لابس أحسن ملبوس وله هيبه وناموس وترجل بين يديه ألف ألف وثمانمائه ألف ولم يبق راكب غير الملك فعظم ذلك الامر فى عيون المسلمين وانه خرج بذلك التنور الذهب فأشغل قلوب العرب ومن فوق ذلك برنس اسود من صوف متقلد بسيف من صاعقة وتحته جواد كالليل شديد القوى والحيل ولما خرج بين الصفين نادى برفيع صوته يا أهل الملة الاسلامية والشريعة المحمدية اعلموا ان الجهاد فرض على كل انسان ولا بد لى أن أجاهد فلم برز لى إلى المقدم عليكم الذى يزعم انه المهدى الجديد ويزعم انه أحق بالخلافة من الرشيد فما استتم كلامه حتى برز اليه فارس تام الطول كأنه غول أو بهلول بساعد مفتول فتأملوه الناس وإذا به مياس ومن تحته جواد عالى مضمر يمانى وفى يده سيف صقيل فترجلت العرب اجلالا له كما فعلوا الروم بالبترك ثم انه صاح بالبترك وهو يقول له يا شيخ الضلالة ومعدن الجهالة ها

قد خرج اليك مهدى الزمان دونك ومقام الحرب فحمل البترك على مياس وحمل مياس عليه وكذلك المائة فارس من العرب حملت على الروم المائة وأشار الملك الدمروس إلى أبوالهزاهز دونك والقتال والحرب والنزال وحمل بعضهما على بعض فتطاولت اليهما الأعناق وشخصت الاحداق وقام الحرب على ســاق وبلغت الأرواح التراق وكان أول من انهزم البترك فطمع فيه مياس لأجل التنور الذهب وتبعه وجد وراءه فى الطلب وانهزم من بعده الدمروس فطلبه أبوالهزاهز لأجل ماعليه من الزينة والملبوس وبعدهم البطارقة وتبعتهم العرب وقد ارتجت الأرض بزلزالها من شدة الركض الذى نالها حتى وصلوا إلى الخندق وقصدوا إلى طريق السلامه ولم يبق لهم طريق إلا على الخندق فما هم إلا ان سارت العرب والسودان عليه وداسوه حتى وقعوا جميعهم فى الخندق فلما رأت الروم ذلك صاحت عليهم بلغاتها وأيقنت العرب بشؤم فلاحها وحملت العربان تطلب خلاص ساداتها ورشقت بحرابها وصاح عليهم بومها وغرابها وتفطرت المرائر وأصبح الجبان حائر وبان الرابح من الخاسر ودارت على الناس الدوائر وأحاط بهم جيش الروم وأطبق وفرحوا الروم بوقوع المسلمين فى الخندق ولم يزالوا على تلك الصفة إلى وقت المساء ورجعت العرب إلى مواضعها وقد خسرت فى ذلك اليوم بضاعتها وأما الروم فإنهم أضرموا النيران حول الخندق وصاحوا على المسلمين ارموا ما فى أيديكم من العدة وإلا حرقناكم بالنار وأذقناكم لهيب الشرار وكان هذا كله تدبير عقبة رأس الفجار وحطب النار وعلموا القوم انهم ان لم يسلموا أنفسهم أحرقوهم بالنار فسلموا أنفسهم إلا أبو الهزاهز فإنه صاح احرقونى بالنار ولا أرمى عدتى وصارت الروم كل من أرمى عدته دلوا له حبل وشالوه وكتفوه ولا بقى إلا أبو الهزاهز قالوا له ارمى من يدك السلاح فلم يقدروا عليه بل قال احرقونى بالنار ولا أرمى عدتى فصاروا يرمون عليه بشرار النار وهو شديد الاصطبار فلما نظر الملك إلى فعاله وشرف نفسه وعلو همته وحسن صبره قال لهم خلوه بحق عليكم لا تحرقوه فإن مثل هذا لا يفرط فيه واحتالوا عليه عسى ان تنصروه واطلعوه واعطوه المال والذهب فقال عقبة انه ما يطلع إلا بما أقول لكم عليه فقالوا له قل ايها الرحمة الشاملة فقال تقدموا أصحابه وتقولوا له وحق المسيح ان لم ترمى ما فى يدك وتسلم نفسك وإلا رميناك برؤوس أصحابك بعد ان توعدوه بالأمان والمال (قال الراوى) ففعلوا ما أمرهم به عقبة

وقدموهم اليه فقال له مياس الخارجى يا أبا الهزاهز لا تقف فى موضع الغلبة وارحم من قدومهم إلى ضرب الرقبة فقال أبو الهزاهز لو كنت المهدى محقق لما وقعت فى هذا الخندق فقال دع عنك هذا الكلام وارمى عدتك والسلام وإلا مكنوا منا الحسام فلما سمع كلامه أرمى ما فى يده من العدة وتقدم إلى الطلوع ومسك الحبل وشالوه الرجال ولما خلص من شفير الخندق تقدم اليه واحد وأراد ان يكتفه فاعتدل اليه ولكمه لكمة طير بها قحفه لوقته وآخر طير راسه بكفه فنفرت الرجال من حواليه فنادى الملك يا ويلكم خذوه وكتفوه فهذا فعلكم وهو بلا عدة فكيف لو كان معه شيء من السلاح فتكاثروا عليه الرجال ولطموه بالدرق وأخذوه وبين يدين الملك أرقفوه وأتوا بالمال فأروه إياه ثم أتوا بالماء فغسلوا بدنه وأمر له الملك بثياب فاخرة فألبسوه إياها وأحضرت الخلع فخلع عليه وأتوا بالمال وقد أخرجوه من الصناديق فسكبوه عليه حتى انه وصل إلى صدره ووضعوا بين يديه خزانة من خزاين الملك منويل وقدموا اليه عشر جوار نهد أبكار كأنهن الأقمار وقال له الملك تمنى على أى بلد فى بلاد الروم أعطيك إياها على شرط ان تدخل فى ديننا وتقول بكلمتنا ثم تعقد على رأسك الرايات والأعلام والبنود وتركب لركوبك مائة ألف ويعطيهم الملك المال فقال أبو الهزاهز وما هى الكلمة التى تقولوا عليها قال تتبرأ من دين الاسلام وتترك دين الموحدين وتنزل فى جرن ماء المعمودية فقال لهم وإذا لم أفعل ذلك قالوا نأخذ الثياب التى عليك قال أنا أقول مهما قلتم قالوا ونحن نريد ذلك قل كذا وكذا فقال أبو الهزاهز ما قالوا ونحن وأنتم نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم تنصر ودخل فى دينهم وقال لهم لابد لى أفتكر رفيق محمد فى كل شهر مرة وأقول لا إله الا الله محمد رسول الله فضحكوا من قوله وقالوا له يا ويلك لا ترجع تقول هذه الكلمة فإن محمد مايدخل فى ديننا فقال لهم لما ذكرتم عيسى ماحددت فمنذ ذكر محمد صلى الله عليه وسلم حددتم وأنا دخلت فى دينكم ولكن يكون معى رفيقا أفتقده فى كل شهر مرة أو مرتين وأقول لاإله إلا الله محمد رسول الله فضحك الملك منويل حتى وقع على قفاه وقال لهم دعوه حتى يعود وينظر إلى عبادتكم ويدخل إلى كنائسكم فقالوا سمعا وطاعه ومانصنع بباقى المأسورين فقال عقبة احتفظوا عليهم إلى غداة غد تضرب رقابهم ونرمى برؤسهم إلى أصحابهم فقالوا هذا هو الصواب ثم جعلوا القيود فى أرجلهم وبعدها امروا لأبو الهزاهز أن يجلس فجلس لأنه جاهل بالاديان فخافوا عليه أن يهرب وقدموا اليه أطيب

المأكول من الطعام ونظر إلى الأطعمة التى ما رأى مثلها ولا أكل شكلها فأكل أكل زائد لأنه رجل بدوى وجاهل على كل حال وقد ألبسوه بعد الخشن من الصوف ألوان الحرير الناعم من الديباج المدثر وتاج من الذهب الأحمر ونظر إلى تلك الجوارى التى بين يديه لأن نساء الروم وبناتهم لا يحتجبون عن الرجال وتلك الجوار كانهن الاقمار فطار عقل أبو الهزاهز ومال اليهن وقال ما على من بأس إذا كنت نصرانيا فى النهار ومسلم فى الليل فيوم القيامة من كان معه الحق تبعته (قال الراوى) فلما أصبح الصباح ضربت الكاسات ونعرت البوقات ونشرت الرايات وركبوا الخيل العربيات واعتقلوا بالرماح السمهريات وانكسرت نفوس العرب لغيبة السادات وبربرت السودان كانها السباع الضاريات وهموا بالحملة لخلاص أمرائهم بالرماح الخطيات وانفكاك ساداتهم ذوى الرتب العاليات وإذا بالروم قد خرجوا وبين أيديهم المائة بطل المأسورين إلى بين الصفين وهم مقيدين مكتفين وضربوا رقابهم عن بكرة أبيهم وبعد ذلك خرج أبو الهزاهز ونادى أصحابه الأربعه آلاف اسود يا آل حام يا آل حام من رغب فيكم فى القماش المفتخر والأموال فليبادر إلى ويدخل فى دين النصرانية وإلا ضربته بالسيف اليمانى فلما رأت السودان أن أبوا الهزاهز على تلك الصفة مالوا بأسرهم اليه إلا باقى العرب فانهم قالوا لا كفر بعد ايمان ولا شك بعد ايقان ما لنا دين الا دين الاسلام ونجاهد فى دين الملك العلام ونموت كرام ولا نعيش لئام فحملوا الروم على العرب منهزمين طالبين بغداد وأما ملك الروم فانه خلع على السودان وأركبهم الخيل العربيات الذى كان أخذهم من الموصل وأعطى لكل واحد جارية كانها القمر فقال عقبه وحق المسيح ما فى الاسلام أفرس من أبو الهزاهز ولكن نرجوا من المسيح أن يقتل لنا عبد الوهاب اسود بنى كلاب وأبو محمد اللعين الكذاب فقال الملك ببركتك أيها الشيخ النجيح ولكن ايش تقول فى رحيلنا الى بغداد فقال رحيلنا مبارك وصواب ثم انهم أحضروا امياس الخارجى وأعرض عليه التنصر فأبى وقال لا أكفر بمن خلق الارض ودحاها وجعل الجبال أوتادا وجعل من فوقها سبعا شدادا (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع عقبة كلامه وكان كما ذكرنا الى جانب الملك وهو فى زى راهب فصاح اضربوا رقبته والا شوش قلوب أصحابه الذين تنصروا وردهم الى الاسلام فضربت رقبته فى سبيل الله وقال الملك ارحلوا بنا الى لقاء المسلمين فقال عقبة هذا هو الرأى ولكن احضروا هياج الكردى واضربوا رقبته حتى أكون قد أخذت بثارى منه وبردت بقتله غليل كبدى فقال الملك دونك وما تريد فأمروا باحضار هياج هنالك فمضوا الغلمان اليه فلم يجدوه فعادوا بالخيبة والنواح وقد رفعوا أصواتهم بالصياح فقال لهم الملك

ما وراءكم فقالوا رأينا القيود مفتحه والموكلين به مذبحة وهياج وبناته وامرأته مالهم خبر ولا جلية أثر فقالت الملوك نحن قد فرطنا فى أمره فقامت على الملك القيامة ورجع على نفسه بالملامة فقال عقبه أيها الملك قد رأيت ماسبق منه فى الحرب ومقام الطعن والضرب ولكن ماقبلت منى فقال الملك مضى مامضى ثم أن الملك رحل طالب بغداد (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص هياج وذلك أن هياج كان له ابن أخ وكان مقيم فى جبل الكهاربة وكان متعود بخوض الليل وسل الخيل وكان كثير الاحتيال وكان لا يأوى فى الديار وانه كان قد بلغه صفة جواد فمضى اليه وأخذه وعاد إلى حصن أربل فوجد الديار بلاقع فسأل عن الامير هياج فأخبروه بالخبر فسار إلى عسكر الروم ودخل فى زى الارمن وكان اسم ذلك الغلام الهجام فأتى إلى المضرب الذى فيه هياج فوجد عنده عشرة موكلين به فجعل يرصدهم إلى ان تنصف الليل وهجم عليهم سلطان المنام فعند ذلك انقض عليهم وذبحهم عن آخرهم ودخل على الأمير هياج فى قلب الخيمة التى هو فيها وعالج قيده حتى فكه من رجليه لاننا ذكرنا ان صنعته سل الخيول وفك القيود ولما فتح قيد هياج وثب إلى قيد زوجته الغيداء وبناته وأخذوا خيل الموكلين وركبوا واختلطوا بالعسكر لأنه مثل البحر الزاخر فتاهوا فى جنباته ولم يزالوا حتى خرجوا من ذلك العسكر وعرجوا عن الطريق ولم يسلكوا درب سالك وساروا فى السهول والأوعار يسيروا فى الليل ويكمنوا بالنهار إلى أن وصلوا إلى بغداد فى يوم وصول العسكر وقد نزلت عساكر الروم وضربت مضاربها وخيامها وأركزت أعلامها وعلقت صلبانها وصففت رجالها وعدلت أبطالها وطمع ملك الروم فى أخذ العراق وقامت الدنيا على قدم وساق وأقبلت عوام البلد وأخذت السلاح خوفا من الانفضاح وطاعة للملك الفتاح الذى انشأ الرياح وأسكن الأرواح فى الأشباح (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا هم بخيول تركض فى صدر السريه وهم عشر فوارس إلا انهم مثل الأسود العوابس فلما قربوا من الخيام تأملهم ملك الروم وقال لمن حوله على بهؤلاء وامنعوهم عن المسلمين وأتونى بهم أجمعين فألفت الروم نحوهم الأعنه وقومت الأسنة وكانوا هؤلاء الفرسان العشرة هم هياج الكردى وزوجته وبناته وابن عمه لأن أولاده سبعه وزوجته وابن عمه فلما نظر هياج إلى من أقبل اليه مال عن الروم وقصد عسكر المسلمين وجيوش الموحدين فرجعت الروم عنه خائبين وعن ماأتوا اليه طالبين (قال الراوى) يا ساده ياكرام وكان النهار قد مضى بأنواره وأقبل الليل بدياجى اعتكاره فقال عقبة اللعين ائتونى

بالسودان فى عاجل الحال حضروا بين يديه فقال لهم اعلموا أن ملك الروم أحضر أربعة آلاف قارورة نفط طيار وأنتم أربعة آلاف والمقدم عليكم أبوا الهزاهز يعد برجال كثيرة فيأخذ كل واحد منكم قاروره وتخرجون عند المساء وتختفوا وراء عسكر المسلمين فاذا أصـــبح الصباح فاخرجوا من خلف عسكر الرشيد وتصيحوا بالتهليل والتكبير فاذا وصلتم إلى المضارب والخيام اضربوا بالنار التى معكم كل جانب ومكان فقال أبو الهزاهز ماأبصرك بالدواهى والبليات (قال الراوى)وأما ما كان من الرشيد فانه قال على بالخيل التى أقبلت فى آخر النهار فقيل ياأمير المؤمنين انه هياج الكردى فقال على به فأحضر بين يديه فقال له أهلا بك فقبل الارض وأعاد عليه كلما جرى عليه ولا فائده فى الاعادة وقال يا أمير المؤمنين أنت تعلم تعصبى لعقبة فى كل الاوقات وهو وحق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أمر الملك منويل بضرب رقبتى بعد ماجرى من أخذ الحصن ماجرى وغيره فلما سمع الرشيد تنفس صعدا وأبدا كمدا وقال لقد صح ماقال البطال وعبد الوهاب وبات الرشيد إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الكتائب وارتجت من صهيل الخيل الارض وتبادرت الابطال وتناخت الاقيال والرشيد ضربت بوقاته وخفقت راياته ودقت كؤساته وماجت تلك الارض بالامم من وقوع الحافر والقدم وهم الامير هياج الكردى أن يفتح باب الحرب وإذا بالكتائب قد مالت والعساكر قد جالت فصعد الرشيد والبرامكة والفقهاء والعلماء على نشر عالى وأعلنوا بالدعاء للمسلمين فحانت من هياج التفاته فنظر إلى عقبة وهو تحت العلم الاخضر وهو إلى جانب ملك الروم فالتفت هياج الكردى إلى ابن عم له يقال هجام وقال له ماتنظر إلى هذا الشيخ الضال ومعدن الجهال وهو متنكر إلى جانب الملك والله لارمين روحى عليه ولا أرجع عنه ولو كان من حوله أهل الارض وآخذ للمسلمين بالثار لان فؤادى فيه لهيب النار لانه هتك الحريم وقتل الامم فقال هجام لابن عمه والله ماكنت بالذى أتخلى عنك ولا أطلب بعدك البقاء فسر بنا اليه عسى أن نأخذ روحه من بين جنبيه فجزاه خيرا وأوسعه شكرا وأرادوا أن يركضون نحو العلم وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نمى وقد امتلأت الارض بالقتلى وخيام المسلمين احترقت بالنار والعالم يشكى إلى الملك الجبار ويقولون يا ربنا أجرنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا إلى النار وكان ذلك من السودان المنتصرة وتناخت الجيشان وقاتلوا قتال من لايخاف إنسان وأوعد ملك الروم بحريق النار وصدقوا ومن خلف الخيام أطبقوا (قال الراوى) فرأيت الناس منهزمين

والرجال مندقين والفرسان مطروحين والنار قد عملت فى الخيام والمضارب ووقعت الشعلة بالاطراف وبربرت السودان وتناخت الجيشان وقاتلوا قتال من لا يخاف عواقب الزمان فلم يكن للمسلمين ثبات لأن الروم عملت بما فعلت السودان وقد رأته عيان فحملت بجملتها وصدموا الأبرار بكثرتها والسودان من خلف القوم نعرت بوقاتها وحملت بوقاحتها فرجعواالناس مندقين وإلى نحو بغداد منهزمين وطالبين ورجع الرشيد وهو لايلوى على أحد ودخل البلد ووقع بالناس الأرجاف ودربت الدروب وعظمت الخطوب وبان من الرشيد الفزع وقد أيقن بالأخذ والناس كل منهم يودع صاحبه ودفنوا مايعز عليهم من الأموال رعظم عليهم ذلك الأمر والحال وباتوا المسلمين على ماهم عليه من الوجل وزحف ملك الروم إلى بغداد وزحف السودان بعدمانهبوا مابقى من خيامهم وأثقالهم وكانوا المسلمين قد انهزموا على ظهور الخيل فنهبوا الروم سائر مالهم وقماشهم وأثقالهم ونزل ملك الروم على جانب بغداد وأحاطوا بالبلد كما يحيط البياض بالسواد وزاد الأمر والقلق وتزايد من الرشيد الحرق وعند الصباح أراد ملك الروم أن يزحف إلى البلد وإذا بغبار من نحو ملطيه فأرسل من يكشف له الخبر فغابوا وعادوا بالبكاء والنحيب ومعهم ألف بطريق عليهم آثار السفر زائدين التعس محلقين الشعور ومخرقين الجيوب من على الصدور والملك يقول ياويلكم ما وراكم ومن بشره رماكم فقالوا أيها الملك أخذت البلاد وهلكت العباد وقتلت الرجال الاجواد وهدمت الصوامع وبنيت الجوامع وفتحت القسطنطونية نهارا جهارا وقبضت البطارقة باللحى كالعجل العجل الواحا الواحا فقد نهبت القناديل والستور وأخذ سرير مملكتك ووقع بالناس الذل والهلكة وما أخوفنا أيها الملك على أقاليم الروم ان تكون أخذت فقال لهم الملك والدنيا قد أسودت فى عينيه يا ويلكم ومن فعل هذه الفعال فقالوا له اسود بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب فقلق الملك غاية القلق والتفت الى الملوك وقال لهم ماعندكم من الرأى فقالوا الرحيل من ساعتنا هذه فمابقى لنامقام وعبد الوهاب فى بلادنا يسبى حريمنا ويقتل أولادنا وينهب أموالنا ويتحصن فى القسطنطونيه ويجعلها له دار ومقام وتشتفى منا العرب ويمضى كرسى الملك منك الذهب فلما سمع الملك منهم ذلك قال مابقى غير الرحيل ورحل منويل وهو لايلوى على أحد ولا يعقل على سند خوفا من الاعداء على الاهل والاولاد واخبروا الرشيد بذلك عن رحيل منويل فلم يعرف السبب ولا الموجب لذلك وبقى من ذلك متعجب وخرجت الناس تخطف من أطراف عسكر الروم فنهبوا القوم الطماعين

ورجعت الجواسيس إلى الرشيد يخبروا بأن البطارقة أتوا إلى منويل يخبروا أن عبد الوهاب قد عمل فى بلاد الروم كل عمل وبين كيف أخرب البلاد وكيف خلص الأسارى والسبي الذى أخذوه فأدار الرشيد وجهه إلى القبلة وسجد شكرا لله تعالى وقال والله ما سرنى فتح القسطنطونية مثل ما سرنى من سلامة عبد الوهاب وان كل من فى بغداد عتيق سيفه وطليق خوفه ثم أن الرشيد أدعى بالنجابة وأرسلهم يكشفون الخبر من ساعتهم (قال الراوى) هذا جرى ههنا وأما ما كان من الملك منويل فانه مازال إلى أن قطع أرض سجستان وأخبروه بان عبد الوهاب أخذ الأسارى وهو فى ملطيه بعدما قتل كل من فيها من الروم وعادت أحسن ما كانت وعمر ما خرب من الصور والدور فجد فى تخليص ملكك وأهلك من يده فلما سمع الملك ذلك أحضر الملوك وأخبرهم بالخبر وقال لهم ما أصيب إلا أنا وأهل القسطنطينية وقد عولت أن أنزل على ملطيه وأخلص منها أهلى ومالى من يد عبد الوهاب فلما سمعوا ذلك الكلام قالوا أيها الملك لو أضرمت لنا نارا لولجناها وأمرتنا أن نخوض البحار لخضناها وقالت أيضا كافة الملوك والبطارقة ونحن أيها الملك نخاف على بلادنا وأهالينا وأموالنا والتفت إلى أمير السودان أبو المزاهز وأمير العرب المتنصرة وهو الديال وقال لهم المسيح قد فرج عنا غمه بخروج عبد الوهاب من بلادنا لأنه لو تحصن فى القسطنطونية لصعب علينا ذلك وان الجاسوس أخبرنى أن معه من السبايا بعدد التراب وقطر السحاب وقد عولت على النزول على ملطيه فما أنتم قائلون فقال أبو المزاهز لاتحمل قلبك هم ولا غم فما كان معهم فما هو إلا عيرة مستردة ولا بد أيها الملك من خراب ملطيه وهدجدرانها واخذ نسوانها وأقتل رجالها وأنهب أموالها وأسبى أطفالها وأقتل هذا الذى اسمه عبد الوهاب وأبو محمد اللص الكذاب الذى أخبرنى به عقبة قبل رواحه من عندنا وكان عقبة ملاقبله عليهم وأنا لا بد الساعة ما أسير اليهم وأقدم عليهم وحق المسيح لا أرى أحدا منكم بسهم ولا حجر حتى آخذ الأسود ومن معه من كبير وصغير فسر قلب الملك بذلك وقال له المسيح يطيل عمرك وكان عقبة لما انفصل من بغداد صبغ لحيته بعد الحمرة سوداء وطلب البصرة يعمل شيء يحله ويخلصه عند الرشيد لأنه علم لا بد لهياج ما يتحدث عند الرشيد بما جرى وبما نظر (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من كلب الروم فانه سار إلى ملطيه بجد السير ليلا ونهار وتقدمت الديادبة بين يديه وارتفع الغبار مثل الدخان وصعد نقع العساكر إلى العنان وانزعجت أهل ملطية وعلموا أن كلب الروم قد رجع خوفا على دياره والبلاد وارتجت القلوب من الفزع وبكوا الصبيان مما

قد حل بهم من الاسر والهلع وعلموا أن الروم عسكر مالهم به طاقة ولا لهم علم بأبو الهزاهز ولا من السودان الذين معه ولا من العرب المتنصرة الذين مع الديال وكان هذا الديال فارس لا يطاق علقم مر المذاق فعندها ركب الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة والأمير أبو محمد البطال وعمرو بن عبيد الله وقد قال لهم اعلموا ان الامر عظيم والخطب جسيم وهذا ملك الروم فى جميع الطوائف ومعه جمع كثير وهم عسكر جرار ليس له عدد ولا مقدار وأنتم تعلموا انه ما يتخلى عن زوجته ولا عن أولاده وعشيرته فإن رأيتم ان تصالحوه عليهم فافعلوا واعلموا ان النجدة ما تأتيكم من عند الرشيد لاننا سمعنا ان العساكر قد ملكت خراسان وهلكت جميع العساكر الذى فيها من قبله وأنا أعلم ان لو لم يعلم ملك الروم بخبر عبد الوهاب وما فعل فى بلاد الروم لما كان رجع عن بغداد حتى يأخذها فما أنتم قائلون فقال الأمير عبد الوهاب هذا الملعون فى جيوش بعدد النجوم لابد ان نقاتله ونتوكل على الحى القيوم فقال الأمير هذا هو الصواب فقالت الأميرة ذات الهمة أما أنا لو لم يكن فى البلد غيرى ووصل هذا الملعون لما خرج اليه غيرى ولاقعدت عن الجهاد وأطلب الثواب من الملك التواب فلما سمع الأمير كلامهم قال فأنا على هذا الامر وخذوا أهبتكم للنزول فنادى الأمير عبد الوهاب يا خيل الله اركبوا وابشروا بالجنة واستبشروا وأعرض الناس فكانوا ستين ألف من بنى سليم الكاشفين الضيم وكانوا من القراء أتوا خدمة للأمير عمرو بن عبيد الله لانهم سمعوا انه قد قلت رجاله فأتوا اليه طاعة ورغبة فى الجهاد وطاعة رب الأرباب وأربعة آلاف أسود مع سملق والفين مع ميمون الجاس وجاءت أربعين ألف من بنى كلاب أصحاب الطعان والضراب طاعة للأمير عبد الوهاب فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك قال وذمة العرب انى أقدر باذن الله تعالى ألقى بهؤلاء العرب كل رومى وأفرنجى شرقا وغربا وكان الأمير إذا رأى أسود يفرح به وان كان رقيق يبالغ فى شراه أو حر يحرص أن يجعله من أصحابه . فتحت الخزائن وفرقت العدد والسلاح وارتجت الدنيا من كثرة الصياح وخرج عمرو فى بنى سليم شاكين فى السلاح متقلدين بالسيوف الصقال والرماح الطوال وكذلك الأميرة ذات الهمة فى بنى كلاب والأمير عبد الوهاب فى السودان الانجاب وهم يلعبون ويمرحون ويتفاخرون وكان بوقاتهم القرون والأمير يتعجب من فعلهم ويصلح بين رجالهم إلى أن أتوا إلى موضع الجولان والحرب والطعان ثم جعل الأمير عمرو يصف الرجال ويرتب الابطال من

بنى سليم يمين وشمال والأميرة ذات الهمة تصف بنى كلاب والأمير عبد الوهاب يصف السودان وأمر الرجال بالحرب والنزال ونظر ملك الروم إلى ذلك فأمر البطارقة أن ترفع الصليب الأكبر فرفع وركبت الروم من كل جانب وتدكدكت المشارق والمغارب وضربت السودان أبو الهزاهز بالقرون فى عسكر الروم ورفعوا رايات صفر وخضر وحمر من جميع الألوان قد طلعت , السيوف اشتهرت وأربعة آلاف أسود مثل النخيل الطوال أو كأنهم فحول الجمال وعليهم ثياب الديباج الملونة والصلبان على صدورهم والأمير أبو الهزاهز فى أوائلهم كأنه طور أو بعير حل من قيوده وفى يده رمح طويل الكعوب طوله أربعة وعشرون أنبوب وهو من رماح اليمن كثير الثمن إذا وضع فى عسكر كثير العدد ما يقدر على حمله أحد من الروم يقاتل به وهو راكب على جواد فى لون الغراب وأسرع من السحاب ثم قصد إلى ملك الروم وخدم وعظم وقال يا ملك سألتك بالمسيح لا تمكن أحداً من الروم يقاتل معنا وانظر إلى فعالى التى تعجز عنها البشر فسر الملك وفرح واستبشر وقال وحق الكنائس والصور والرب الأكبر ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله لئن قتلت أسود بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب لاصبن عليك المال صبا وأملكك الأرض شرقا وغربا فقال له طب نفسا وقر عينا ثم ان أبو الهزاهز عاد إلى مكان الحرب وموقف الطعن والضرب وجعل يصف السودان ويرتب الجيشان فى مقابلة الأمير عبد الوهاب وهو ما عنده خبر ولا يبالى بأهل الأرض من البشر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما الديال أمير العرب المتنصرة فإنه صعب عليه لما قدم الملك أبو الهزاهز فتقدم الديال إلى ملك الروم وقال أيها الملك قد ظهر لك منا عجز حتى لا تبدأ بنا فى أمر من الأمور أو ما علمت ان ذكرنا فى جميع القبائل مشهور وحق المسيح لان انفرد أبو الهزاهز فى هذه الخدمة دوننا لأقطعن الزنار وأهج فى هذه الديار فلما سمع الملك ذلك الكلام أحسن اليه وخلع عليه وأمره أن يخرج من ألف فارس من المتنصرة وكان الديال من فرسان العرب المشهورة وشجعانهم المخبورة وقد هموا الفريقين على بعضهم بالحملة وإذا قد حمل من العرب المتنصرة فارس من الفرسان ثابت الأركان كأنه شيطان وكان ذلك الفارس الديال فحمل على عسكر بنى سليم فقتل فارس من خيارهم وحمل على بنى كلاب قتل فارس وحمل على السودان فصاحت عليه الأميرة ارجع يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية فرجع إلى وسط الميدان وصال وجال وطلب البراز والنزال

ورفع صوته وأنشد وقال

أنا ابن كماة المجد من آل عامر | إذا صهلت خيل وزاد قتامها
أبيد الأعادى بالسيوف وأسمر | وأثبت لما ان يفر جبانها
واحمى عن الدين القويم لانه | عزيز على كل النصارى وزانها

(قال الراوى) فما استتم كلامه حتى برز اليه فارس من بنى سليم كاشف الضيم وأنشد وقال

الا أيها الذى قد بان كفره | وأصبح ملعون كثير التماديا
تركت مقال الهاشمى محمد | كفى بك يا ملعون بالله قاضيا
فدونك حربى واعلم اليوم انى | ابيد الأعادى بالسيوف اليمانيا
ولا دين إلا للنبى محمد | نبى الهدى ما زال للخلق هاديا

(قال الراوى) وحمل كل منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه فاختلف بينهما ضربتان قاطعتان كان السابق بالطعنة الديال حتى إذا فاجأ الرمح فى صدره لفه وطعنه بعقبه فوقع المسلم إلى الأرض فانكب عليه أخذه أسير وسلمه إلى أصحابه وعاد الديال إلى الميدان طالب القتال والنزال فلم يخرج اليه أحد فحمل على بنو سليم قتل فارس وعلى بنى كلاب قتل فارس وأراد أن يحمل على السودان وإذا بالأميرة عارضته وصاحت على جوادها فخرج من تحتها كانه ريح سليمان ونظرت الروم الى ذات الهمة فصاحوا الى الديال ارجع فرجع اليهم وقال ما الخبر فقالوا أما تنظر الى الداهية الدهما والمصيبة العظمى أم الأسود الذميم فقال الديال سوف تنظرون مايجرى بينى وبينها (قال الراوى) وكان الديال فارس عظيم فتجاول هو والأميرة فى حومة الميدان واعتركا اعتراك شديد فرأى الديال من الأميرة ماحيره فخاف على نفسه من شجاعتها وفروسيتها وكان صاحب خديعة ومكر ولما قاربها زادت عليه الدرهم فنظار فرجع الى الخديعة والمكر وقال أيتها الأميرة أنا اقاتل فى طاعة الملك الغفور عمل كلامك فى قلبى وذكرتنى دينى الأول ولقد لعب المال بقلبى وعقلى والشيطان بمعاطفى بما حصل لى من الكرامة والمال والانعام فكفرت بالرحمن ولو علمت أن الله يقبلنى ويعفو عنى لرجعت الى دين الاسلام لانى ندمان على ماكان منى فقالت له الاميره ياهذا ان رجعت الى ربك عن قريب فانه هو التواب المجيب لقوله تعالى قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف فقال اعلمى أيتها الاميرة أن الذى ذكرتيه صحيح لاشك فيه ولكن فى الأمر شيء واحد قالت وماهو قال معى ألف فارس وملك الروم أنعم عليهم وأوصل اليهم مال كثير فاذا تركناهم وجئناكم فنكون قد أفقرنا أنفسنا لاننا

جئنا من بلاد بعيدة لأجل المكسب وإذا جئنا اليكم ما يصل الينا فقالت له طب نفسا وقر عينا لكم مالنا وعليكم ماعلينا ولكم علينا البلاد والاقطاع والانعام وفى الآخرة الغفران وتجاور سيدنا محمد سيد ولد عدنان فقال أيتها الاميرة اعطنى يدك لكى توفينى بما قلتى حتى أرجع إلى أصحابى وأستميل قلوبهم فلما سمعت الاميرة ذلك فرحت فرحا شديدا وأغمدت سيفها وأغمد الآخر سيفه ودنا كل واحد منهما إلى صاحبه فعند ذلك اختطف الديال سيف الركاب أسرع من البرق البارق وضربها فى مفرق رأسها قطع البيضة والعمامه والرفادة والوطاه وشق رأسها ولولا كانت الضربة قصيرة لكانت قضى عليها فوقعت إلى الأرض وانقض عليها وأراد أن يقضى عليها وكان الامير لما رأى ذلك ضرب بكعبيه إلى جانب الجواد وكان من الخيول الجياد مدخر ليوم الجهاد فقفز إلى نحو الاميرة فرأى الديال الى ذلك تأخر عن الاميرة من خوفه على نفسه وحملت السودان والعرب ورأى ملك الروم ماجرى وقالوا انها قتلت فاهتز على جواده مرحا وفرحا وقال شكرا للمسيح لقد مات ثلث الاسلام وبقى ثلثان وهو عبد الوهاب وأبو محمد البطال وأشار إلى الملوك بالحملة فحملت الروم عن بكرة أبيهم وخاضت الخيل فى الدما وارملت النسا وزاد البلا والالم وامتلأت الارض بالقتلا وعاد النهار مثل الظلام ولعبت أصوار ملطية من ركض الخيل وحمل الامير عمرو بن عبيد الله فى فرسان بنى سليم الكاشفين الكرب والضيم وقد بلغت الارواح التلاق واحمرت الأحداق وحامت العقبان بروم العيون والذئاب تروم قطع البطون والديال يصيح بالعرب المتنصرة وأبو الهزاهز صاح فى سودانه ويقول خذوا رأس هذه العاهرة ذات الهمة لأن الملك أوعدنا بوزنها ذهبا فقصدتها الابطال وتزاحمت عليها الافيال وصاروا عليها كراديس وكان السابق اليها الامير عبدالوهاب وترس قبر النبى الاواب هو وسودانه أقبلت بعده ونظروهم سودان أبو الهزاهز فاختلف بينهم الحرب وحملوا السودان على بعضهم البعض وزاد عند الاميرة الطعان والضرب ونادى بينهم المنادى وقطعت من الطائفتين الايادى وبريت المعاصم وقطعت الجماجم وجال الضجاج الحازم وترجل الامير عن جواده يحامى عن والدته وهى مرمية تحت حوافر الخيل وصار يصيح على الخيل ترد على اعقابها وترمى من على ظهورها من عظم صرخته وصار يضرب بحسامه عرضا وطولا فانكشف عنها الفرسان فانحنا عليها أخذها من على وجه الارض فصارت على أكتافه وقبض عليها بيده اليسرى وحسامه فى يده اليمنى وصار كأنه ولهان وبقى كأنه شقيقة أرجوان بما صار عليه من دم والدته ودم الفرسان وإذا بصائح يقول خذ حذرك

أيها الأمير فالتفت الأمير أسرع من البرق وإذا هو بشخص مثل الفيل وله هدير وصهيل فصاح الأمير فى وجه الفارس الذى مقبل عليه صوت مهول يفلق الحجر ويملخ الشجر فمن ذلك الصرخة تقهقر الجواد الذى تحت الفارس وكان ذلك أبو الهزاهز فترجل من عليه أسرع من البرق الخاطف وكان ذلك الفارس ما يحتاج إلى جواد لأنه كان كأنه شجرة باسقة يحاذى الفارس وهو راكب على أعلا الخيل وكان ضيغم بن عبد الوهاب مشتغل فى القتال فلما سمع ذلك الصوت الذى صرخه أبوه نادى ياويلكم أدركوا الامير والسيد الخطير هذا وقد أحدقت بالامير الروم والعرب من كل جانب ومكان فظهرت العجائب وندبت النوادب وتخلت الاحباب عن الحبائب وحمل سماق وأبو الهول وجبر الملكى وجميع السودان وحملت السودان أبو الهزاهز وهو قدامهم وصار يكرس الابطال عرضا وطول ونطحت الفرسان العجول فلله در الامير عبد الوهاب فى ذلك النهار وصبره فى ذلك اليوم على القتال وهو يكر على الفرسان ووالدته على أكتافه وتزاحمت حواليه الرجال وتناحت الابطال مثل الامير ضيغم وبرد بن الازهر وراشد بن ضمرة وسعيد بن المفرج وفرسان بنى كلاب وأبطال السودان وكانت الكل رجاله لاخياله لاجل الامير والاميرة وأبوا الهزاهز هاجم عليه وجميع الفرسان حاطة عليه وكان فى يده درقة كأنها قارب صغير وهو منحنى تحتها على طول قامته وكبر جثته والزبد على أشداقه وازدحمت على الامير الامم وصار وجود القوم عدم ولم يزالوا على ماهم عليه إلى آخر النهار وخرج الامير والاميرة من الميدان ويده اليسرى ماتت وهى على أكتافه وازد بزاقه ورعاده والاميرة لاتعقل على نفسها ولاتدرى مايراد بها ودخلوا إلى ملطيه وطرحوا الاميرة وهى غايبه عن الوجود وأدعى الامير بالجرايحى فحضر وتقدم إلى الاميرة وقال أيها الامير لك البشرى فان الاميرة خافتة النفس إلاان فيها الروح ففرح الامير بذلك وقلب فى فمها مرق اللحم المصلوق والشراب بعدما حشا جرحها بما يناسبه وقطبه فافاقت الأميرة وأحضر لها اللحم المصلوق فاكلت وقويت نفسها فكلمت من حضر عندها فكان أول ماقالت لا إله إلا الله محمد رسول الله لكل أجل كتاب اعلموا أننى والله مايسرنى تشقيق الثياب ولا البكا والانتحاب بل تحرمون بذلك الثواب واعلموا أن الآجال محتومة والارزاق مقسومة وبالله العظيم إن هذا الكلب المرتد ماوصل إلى إلا بالخديعة لما علم أنى قد استظهرت عليه وغرنى كلامه وقلت لعل أن يكون قريب العهد بالإسلام وحلاوة الإيمان ماخرجت عن قلبه فايش عندكم من أخباره فقالوا لها انه سالم وقتل من الناس خلق كثير حتى خلصنا كى ومن على وجه الارض شلنا كى

وحلنا من المسلمين ستمائة قتيل فقالت ياقوم عليكم بالصبر تنالوا الأجر ثم قالت هل قتل من الروم مثل ما قتل من المسلمين فقالوا لها أيتها الأميرة أضعافا مضاعفة فطاب قلبها (قال الزاوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من ملك الروم فانه أحضر الديال المتنصر وأخلع عليه الخلع السنية وأجازه جائزه هنيه وقال لو أعطيناك ملك القسطنطينية لكان فى حقك قليل لأنك أرحت النصرانية من الحية الرقطا واللبوة الشمطا ومن أتانا غدا برأس ولدها عبد الوهاب فله على فى كل يوم ألف دينار وأقضى له فى كل يوم ثلاث حوائج فقال أبو الهزاهز أنا أسلمه اليك فبات الملك قرير العين إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح خرجت الروم بالصفاح وعيطت بالصياح واعتقلوا بالرماح وأظهروا الأفراح واعتقلوا بالقنطاريات الملاح وقد فتحت أبواب ملطيه وخرجت الأعلام الإسلامية والريات المحمدية وخرج الامير عمرو بن عبيد الله فى جميع فرسان بنى سليم والامير عبد الوهاب فى السودان وبنى كلاب وأصبحت الاميرة فى عافية وقال لها الامير قبل خروجها ياأماه لاتخرجى فى هذا اليوم فقالت يابنى ما أشتهى أن ألقى الله إلا من تحت حوافر الخيل وبالله أقسم لابد من خروجى إلى خصمى ثم خرجت مع من خرج كما ذكرنا واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وتعبت المياه والالوف وتدانت الحتوف والامير أبو الهزاهز راكب فى أوائل الناس وكذلك الديال وقد زادت منزلته وارتفعت عند الناس مرتبته والعرب من خلفه فحانت منه التفاته فرأى الاميرة فشك فيها وحانت أيضا من الاميرة التفاتة فرأته فقالت لولدها يابنى بالله لاتعارضنى فلا بد لى اليوم من خروجى إلى ذلك المرتد فقال لها يا أماه ماكنت بالذى أمنعك إلا على سبيل الاشفاق لانك قد جرى عليكى بالامس ماجرى فالساعة أنا أحمل عليه وأنا عوضك وآتيك به إن شئتى قتيل أو أسير فقالت ياولدى أقسم بالله لابد لى من خصمى ولا يمكن أن أشفى قلبي بيد غيرى فهم فى الكلام وإذا بالديال برز على حصان أصفر عالى من الخيل مضمر وقال من عرفنى فقد اكتفى ومن لا يعرفنى فما بى خفا يامسلمين ابرزوا للقتال وصاح ابن اسود بنى كلاب ابن الاسد الوثاب الامير عبد الوهاب دعوه يبرز إلى حومة الميدان حتى ارغم انفه والوح قحفه والحقه بأمه فهم الامير يخرج اليه فقالت الاميرة ياولدى أناله ولامثاله ثم انها صاحت بجوادها خرج من تحتها كانه البرق الخاطف والسحاب الواكف فلما نظر اليها الديال على بعد فلم يعرفها فلما قاربته عرف ركبتها وشمائلها ونظر إلى المصابة وهى على الجرح ومشدودة من تحت حنكها فجعل يمسح عينيه ويقول هى ام لا فصاحت به ويلك يالعين لقد طالت يدك ان تصل إلى لولا انك خدعتنى فقال لها اليس قال

ابيكم الحرب خدعة هذا وصفوف الروم قد ظهرت فلما نظروا إلى الاميرة قالوا ان ملك الموت ماله قدره ان يدنو اليها ونظر الديال وقد حملت عليه ومدت سنانها اليه فتطاعنا بالرمحين وشخصت نحوهما الطائفتين ولم تكن إلا ساعة حتى تقصف الرمحين وتكسرت السيفين وسمع بينهما حمحمة الاسود وصيحات يدوب منها الجلمود ورای الملعون انه اشرف على العطب فناداها ياذات الهمة الغدر قبيح والانصاف مليح اليس المبارزة فارس لفارس قالت بلى قال ولما اقبل ولدك ومعه عشرة فرسان ولو أشرت إلى اصحابي ليأتى منهم عشرين فمن حرص الاميرة ان ينفلت منها التفتت على عجل تنظر من اتى فلم ترى احداً فعلمت انها خديعة فعادت سرعة اليه وكان عند انحرافها هجم عليها وقد ذكرنا ان السيفين تكسروا والرمحين تقصفوا فهجم عليها كانه برق بارق وارمى نفسه عليها وعلى كتفيها وجذب بيده البيضه عن راسها فأرمها واراد ان ينقلها من على جوادها ويمنعها من التفاوت اليه فدقت الاميرة بيدها على مرافقه كادت ان تكسرها وصاحت كانها الرعد القاصف واخرجت رجلها من الركاب ورفصت الجواد وقالت ياقوى يامتين وتعلقت به فخرج الجواد من تحته وبقى معلق فى يدها كالعصفور الباشق فى يد الكسور ولكزت جوادها فربها كالبرق وفى يدها إلى ان دخلت إلى العسكر فحملت العرب المتنصرة تريد خلاصه فلم يقدروا على ذلك وحمل عبد الوهاب فى بنى كلاب وعمرو فى بنى سليم وكذلك حملت الروم وحمل أبو الهزاهز فى السودان وحملوا جميع الطوائف وارتفع الصياح وضربت الرقاب وحارت الألباب وأحاطت بهم الأمور الصعاب ولم يلتفت الصاحب إلى الأصحاب وحام عليهم العقاب وشربوا من أمر شراب وظهرت الأبطال الأنجاب فبينما هم فى القتال والحرب والنزال وإذا قد برز شخص من السودان الاقيال عظيم المنظر على جواد أصفر وبيده صارم ذكر فجال وصال واجتمعت الأميرة بالأمير وقالت له دعنى لك الفدا وأنا أبرز إلى ذلك الفارس المعجب بنفسه ففى محاورة الأميرة مع ولدها تسابقوا اليه ثلاث فوارس كأنهم عقبان وكانوا الثلاث ضيغم وسملق ومالك بن طوق فالتقاهم وكان السابق من الميمنة ضيغم وسملق من على اليسار وكان مع ذلك الفارس سيف عرضه شبرين وطوله باعين فضرب ضيغم على رأسه بذلك الحسام ورد الضربة على سملق فسقطوا الاثنين ولو كانت صفح لقضى عليهم واستقبل مالك وخلع رجله من ركابه ورفص فرس مالك فوقع الجواد ميت وعاد مالك يغدو من الميدان راجلا (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان هذا الفارس أبو الهزاهز وانفصل الجمعان وأصبح الله بالصباح وتصففوا للحرب والطعن

والضرب ونادى ملك الروم يا أبو الهزاهز أريد الوعد الذى قد وعدتنى به وهو قتل عبد الوهاب فقال أبو الهزاهز لقد وقع فى قلبكم من الأسود أمر عظيم وها أنا خارج اليه وهاجم عليه وبعد ذلك خرج على جواد يصلح للوقائع وفى يده حسام لامع واعتقل برمح من أعالى الرماح فأحضر الملك البترك والقساقسة والرهبان وصاروا يقسقسوا من حواليه فقال أبو الهزاهز إيش هذا الذى تفعلون فقالوا نحن نصلى عليك صلاة الموت فقال أبو الهزاهز ولم لا تصلوا على صلاة الأحياء أحب إلى فقال الملك أيها الأمير ان هذا الشيخ يعنى البترك يتلو عليك الانجيل حتى ينعقد عنك الحديد فقال أبو الهزاهز ان كان الأمر كذلك وهو يعقد عنى الحديد فإنى أريد أضربه بهذا السيف الذى فى يدى فإن عقد الحديد عن نفسه فهو يعقده عنى ثم انه أهوى بيده إلى السيف وهزه إلى ان برق ولمع وأراد ان يضرب البترك وإذا به ولى من قدامه وقال يا ويلك جرب فى غيرى فخرج ابو الهزاهز (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم انه سار بين الصفين وقال يامعاشر المسلمين أخرجوا الى أميركم وقائد جيوشكم الذى تصفوه بالليث المهاب الامير عبد الوهاب حتى أتركه معفر فى التراب وان اردتم أن يساعده منكم أحد أو ألف أو عشره فما ذلك عندى هائل ولو برزتم الى جميعا كان عندى ساهل ومن كان منكم ينكر لمواقفى يبرز لكى ينظر لمناصفى ثم انه أشار يقول

ألا فاخرجوا الى الهمام الغضنفرا ... لأتركه فى القاع ماقى معفرا
وينظر منى اليـــوم شيئاً يهوله ... وأتركه فى الترب وعظا لمن يرى
ولا أنثنى فى الحرب عنكم لو أنكم ... برزتم جميعا كان عنـــدى أيسرا
ومن كان منكم منكرا لمواقفى ... فيبرز كيما ينظـــر اليوم قسورا

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ولما فرغ من شعره صال وجال ونادى هل من مبارز هل من مناجز فلم يبرز اليه أحد فحمل على الميمنه ورجع الى الميسره مثل البرق وعاد الى وسط الميدان وقد قتل سبعة من الفرسان ثم عطف أسرع من تردد النفس على صاحب العلم الذى لأمير بنى سليم فقتله بعد ان صاح فى وجهه عمرو صيحة عظيمة فأدهشه وأخذ العلم من يد صاحبه ورجع فى وسط الميدان ثانيا فصاح عسكر المسلمين وجيش الموحدين وهم الامير عبد الوهاب ان يحمل عليه فتعلقت به الاميره ذات الهمه من شفقتها عليه وقالت يا ولدى روحى لك الفداء فلا يخرج اليه غيرى أبدا فقال هيهات ان يخرج اليه غيرى أبدا وذلك من أكبر العار ان أسمح بوالدتى وأشفق على مهجتى

وأيضا لايجوزان يطلبنى رجل الى القتال ويخرج اليه غيرى فلا يغرك ياأماه زجرته وصولته فلو كان هو ومن معه من السودان لطاب على قلبي ان ابرز اليهم فقالت الاميره هذا أمر لايتم أبدا وان كان ولابد نتقارع انا وانت فتقارع هو وامه ثلاث والقرعه تقع على الأمير عبد الوهاب فلما حققت الاميره ذلك قالت الآن اخرج على بركة الله فلقد جهدت ان اكون لك الفداء فأبى الله ذلك ولا يكون الا ماأراده الله فخرج الأمير عبد الوهاب على جواد كالسحاب مكتمل بالعده والمقرؤن يقرؤن بين يديه اقبل ولا تخف انك من الآمنين ولم يزل الى ان وصل الى ابو الهزاهز وصاح به دونك يا لعين وما طابت فها انا قد خرجت اليك وأنشد يقول

أيا أرذل السودان دونك اسود ... يبيد الاعادى بالسيوف الصوارم
أنا ترس قبر الهاشمى محمد ... نبى الهدى فاق الورى والعوالم
ستعلم انى لا أبالى بجمعكم ... ومثلى لايخشى الوغا من ضراغم
وما أنت الا مثل أضعف حرمة ... يروح اليها بعلها بالغنائم
فدونك منى ضربة لا يردها ... دروع ولا زالت تبرى الغلاصم
أما سمعت أذناك انى همامها ... اذا عثرت خيل الوغا بالجماجم
أنا قاتل الاهلين فى الله عنوة ... قتلت بسيفى حارث ثم ظالم
وما أخذتنى رحمة عند قتلهم ... لتركهم الدين الذى هو قائم
فدونك حربى سوف تلقى منية ... معجلة من كف اسود ساجم
وما طلبت نفسى على الدين رشوة ... ولا نابنى فى الله لومة لائم

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمع أبو الهزاهز ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وحمل عليه مثل الاسد وقال له يا أسود يا حجام لمثلى أنا يقال هذا المقال وسوف ترى عقب هذا الكلام وأجابه على عروض شعره يقول

الا يا ابن مرزوق لقد قلت منكرا ... وما أنت عندى من شداد العزائم
وبل أنت عندى مثل أضعف حرمة ... يروح اليها بعلها بالغنائم
تفاخرنى لما قتلت لظالم ... وما الفخر عندى ويلاك قتل لظالم
أرى لك ذكرا فى المحافل طالعا ... وما أنت الا من لئام العوالم
فدونك وما قد قلت ليس بمانع ... وان شئت ان تلق سنانى وصارمى

وما أنت الا عاجز عن كفاحنـا ولا تلتقى يوما لضرب الصوارم
ومثلك لايرجى لدفع ملمـــة ولا يرتجى يومـــا اذا جار ظالم

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع الأمير ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وأجابه وأنشد يقول

أيا عبد سوء قد تجاوز حـــده وأمسى وأضحى كالعدو المياشـــم
ستعـــلم انى فارس أى فارس وانى أنا المذكور عنـــد المواسم
وانى لكشاف الكروب اذا بدت خيول الاعادى عند رمى العظائم
فوالله يا عبد اللئام ونسلهـــم ستعلم انى من سلال الاكـــارم

(قال الراوى) ولما فرغ من نظامه ونثره انطبق عليه فكانوا كانهما جبلين التطما أو بحرين تصادما وطاع عليهما الغبار وغابوا عن الأبصار وتطاولت اليهما الأعناق وشخصت نحوهما الاحداق وقامت الحرب ومالت النفوس الى الفراق وفتحا فى الارض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وقلقت الاميره على ولدها ورمقت بطرفها الى السماء ونادت يا كاشف الضر والبلوى يا من نجا أيوب من الأسواء يا دافع الكرب والأذى انصر ولدى عبد الوهاب على الاعداء وكذلك قلقوا الروم والسودان على أبو الهزاهز هذا وقد حجبهما الغبار عن أعين النظار والقساقسه والبطارقه والرهبان يضجون له بالدعاء وتقضى عليهما أكثر النهار ولما كان غروب الشمس وقفت الجوادين من تحتهما وكلت السواعد من الطعان والضراب وصاح لهما العسكران حتى انهما يرجعان وأقسما أن لايرجعان الا ببلوغ الآمال فرأى الأمير عبد الوهاب من أبو الهزاهز مالم يكن له فى حساب من شدة الطعن والضراب وعلم انه اذا لم يأخذ لنفسه الحذر مانال منه ظفر وكذلك أبو الهزاهز رأى من الامير أنه فارس عظيم وبطل جسيم فلما كان عند المساء صاح أبو الهزاهز يا ابن ذات الهمه ما أحسب قط أن يظهر منك هذا ولقد أعجبتنى شمائلك عند النزال وموقف الحرب والقتال لأن العساكر الينا ناظرين والى ما يكون منا متطلعين فقال الامير عبد الوهاب ما تريد منى فقال يا أمير ان الخيل قد كلت تحتنا وملت ونريد ننزل فى الميدان ونكون متقابلان فقال الامير عبد الوهاب يا أبو الهزاهز لايكون بيننا انفصال الا ببلوغ الآمال قال أبو الهزاهز اعلم ان الليل اسود ونحن سود ولا يسلك الاسود الا كل بطل أمجد قال صدقت وجعل الامير يلاطفه ويرجو من الله ان يكون يسعى فى ركابه يقاتل فى الكفار ثم قال له يا أبو الهزاهز اعلم ان

الشجاع اذا لم يكن فيه مروءه وذمام وصدق فى المقال والكلام والا يعد من اللئام قال له صدقت ولماذا هذا الكلام قال له اعلم ان لى ورد لابد لى منه فى الشده والرخاء وهى مائه ركعة وأريد منك تجوز لى حتى أقضى وردى وأعود اليك كما تحب وترضى من القتال فاجابه الى ما طلب وما أجابه الا ظنا منه أنه يتعب فى الصلاه وجعل له فى الارض محرابا وصلى ورده وهى مائه ركعه ودعا الى الله وختم الدعاء وكان قد تهور الليل وقال يا أبا الهزاهز هل لك فى القتال فنهض أبو الهزاهز من مكانه كانه جمل هايج حل من عقال وامتشقوا السيفين وتضاربا على الدرقتين فسمع العسكرين حس السيوف على الدرق لها أصوات كالرعد اذا خفق فأوقدوا النيران وارتفع الدخان والتهبت المشاعل والشموع قد أضاءت الاطلال والربوع ومن كثرة اللهيب أضاءت سائر الافق والسيوف تلمع فى ظلام الليل الغسق ولم ينتقل أحد عن صاحبه حتى ذهب الليل بغياهبه وهم فى أشد قتال وأقوى نزال الى أن طلع الفجر الثانى وهم فى الحرب من غير توانى وطلع عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار ونظر كل منهما الى صاحبه وحار ولحقه الانبهار وأبعدوا عن بعض للراحة وقد طلبوا لانفسهم راحة وقدم لابو الهزاهز طعام وشراب وكذلك الامير عبد الوهاب ولما أكلوا الطعام وأخذوا الراحة للاجسام عادوا الى ضرب الحسام وتغليق الهام وتجريع الموت الزؤام الى أن اختلط الظلام وقد أكدوا من الايمان والاقسام انهما لا يرجعان الا ببلوغ الآمال الى آخر النهار ودخل الليل فأوقدوا لهم المشاعل والنيران ثانى ليله الى أن أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وقد زاد بينهما الحرب والكفاح ودام الصدام والعراك الى الليل وقل منهما القوى والحيل الى أن اصبح الصباح وكان جملة القتال بينهما ثلاثة أيام وثلاث ليال وزاد بينهما القتال والصدام حتى تزلزت الارض وزاد الحرب وقل الصبر وجرعوا بعضهم كاسات أمر من الصبر واذا بأبو الهزاهز سمع فى عسكر الروم الصياح فأقبل على الامير وقال أيها الامير ان فى سودانى صياح وما أدرى ماهو وأريد أذهب أنظر ماهو وأعود فقال الامير لا وحق من أمر الغيث فهمع والبرق فلمع ونظر الى الحجر فانصدع وكلم موسى فسمع والجبل من هيبته انصدع الذى ان شاء أعطى وان شاء منع وان شاء وصل وان شاء قطع وان شاء ضر وان شاء نفع الذى أحصى عدد الرمال ويعلم وزن الجبال كم مثقال فاغتاظ أبو الهزاهز لما سمع تلك الاقسام وقال يا أسود يا حجام ثم أنه هجم عليه كالاسد الضرغام وتقاتلا قتالا تعجز عنه الاسود فى الآجام وهان على كل واحد منهما نفسه فى بلوغ المرام (قال الراوى) يا ساده يا كرام

وكان السبب فى ذلك الصياح أن السودان الذين لابو الهزاهز فإن أبو محمد البطال أقبل على سودان الأمير عبد الوهاب وقال لهم ان هؤلاء السودان من جنسكم وأريد منكم أربع رجال أجلاد بسواعد شداد فأخذهم ودخل على بعض البيوت وأوقفهم على الباب ودخل البيت وخرج كانه عبد أسود مثل السودان فتعجبوا منه جميع السودان وكان قد غلا جوجل وعمل فيه عقاقير يعرفها وتلطخ بها فسار عبدا نوبى ثم أنه أخذهم ومضى من وراء عسكر الروم واختلط بسودان أبو الهزاهز فى وقت السحر وصار يدور حول المضارب والخيام حتى عرف موضع الأسارى وصبر إلى أن جن الليل وفك قيودهم ونقلوهم السودان الذين معه إلى برا الخيام بعدما ذبح الموكلين بهم وأوصلوا الجميع إلى عسكر المسلمين فلما رأتهم الاميرة فرحت بخلاص المسلمين من الاعتقال وشكرت البطال على تلك الفعال وأن سودان أبو الهزاهز لما طلع النهار طلبوا الاسارى فلم يجدوهم فوقع الصايح وهذا كان السبب (وأما الفارسين) فانهم مع بعضهم فى صدام ولزام وعراك وخصام وترجيع الموت الزؤام إلى أن كلت من تحتهم الخيل وقل منهم القوى والحيل وقد علا صياحهم وكثر هميرهم وزاد شرهم وقل صبرهم فقال الأمير عبد الوهاب لابو الهزاهز تثبت لى ساعة وانظر العجب وسوف يأتيك سوء المنقلب فصار لهما همزات وقفزات ووثبات وعطفات وزعقات وانحراف وانعطاف وخصام ولزام وافتراق وانطباق حتى كل الساعد والساق وبلغت أرواحهم إلى التراق وافترقا بعد ذلك عن بعضهما بعض فقال أبو الهزاهز أيها الامير ان الخيل من تحتنا قد كلت وملت ومن العرق قد انبلت ووهى عزمها واضمحلت ولا بقى لها نشاط للجولان فهل لك فى الصراع وقوة الزند والباع وكان أبو الهزاهز مدل بشجاعته وقوته وبراعته وعظم هيكله لانه كان يأتى للشجرة الكبيرة ويمسكها بكلتا يديه يقلعها من الأرض بفروعها وكان الامير عبد الوهاب فى القد مثل نخذ أبو الهزاهز الا أن قوة التقوى والايمان ماهى قليل فقال له قد أجبتك إلى ماتريد فافعل ماشئت فما لى عنك محيد فخففوا ماعليهم من اللباس وتقاربوا الى بعضهم بعض فخافت المسلمين على عبد الوهاب وقالوا أن الحديد يفرق بين الضعيف والشديد وهذا الصراع يزيد قوة الزند والباع ثم انهما تقاربا وتلاصقا وتقابضا وتلاكما وأراد أبو الهزاهز يقلع الامير من الارض فوجده كانه صخرة صما لايحول ولايزول ورأى منه مالارأى من غيره ولم يزالا كذلك إلى أن وقفت الشمس فى قبة الفلك وقد شخصت اليهما الاحداق وتطاولت الاعناق وقام الحرب بينهم على قدم وساق ونظروا العالم وإذا بشخص

محمول فى الهواء على زند الحامل كانه عامود فى الارض موضوع وهو يمشى به قليل قليل الى نحو عسكر المسلمين وكان الغبار لهما حاجب لم يعرفوا المحمول من الحامل ولم تزل الناس على مثل ذلك حتى ذهب الغبار وبان ماتحته للنظار واذا المحمول أبو الهزاهز والحامل الاسد الوثاب والبحر العباب والسيف القرضاب والليث الغلاب الامير الاجل عبد الوهاب وعجلوا المسلمين بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير ونظروا اسودان أبو الهزاهز المقدم عليهم وهو أسير فى قبضه الأمير فعظم عليهم وكبر لديهم وحملوا على الامير يريدوا خلاصه من يد قناصه فعجزوا عن خلاص أبو الهزاهز وصار الجبان والشجاع عن الخلاص عاجز وصاح ملك الروم صيحة كادت معاليقه أن تنفطر وأمر الجميع بالحمله فحملوه فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى فكادت الارض بهم أن تميل وخيل للناس أنهم فى يوم الوعيد فصاحت الاميرة فى جوادها وقنعته بالصوت فطار بها فى الميدان وكانت أسبق الى ولدها من كل انسان ولحقوها الفرسان والاقران فقالت لهم احموا ظهرى من سودان أبو الهزاهز وأنا أكفيكم مؤنه عساكر الروم جميعا فقالوا سمعا وطاعة فحملوا الفرسان والعربان أصحاب النخوة العربية وتلقت الروم فاطمة العامريه وحملوا بنى سليم وأخذوا الميدان بالعرض وارتجت بهم الارض وتقطعت المعاطف وساروا بين سالم وتالف وفى الناس آمن وخائف وصار الدم من الاوداج ذالف وعملت الصوارم وقطعت الجماجم وصار الغبار كانه الغمائم وكلت من الجرى البهائم وكانت العزائم فكم من شجاع لنفسه عادم وعمت على القوم المصائب وبان الصادق من الكاذب واختلطت الكتائب بالكتائب والخبائث بالاطايب وبلغ العرق الى الذقون والشوارب وعملت القنا والقواضب ولعب فى الطائفتين السيف من كل جانب وأمسى المساء وانفصلت العسكرين من الميدان ونزلوا فى الخيام وجلس عبد الوهاب للكلام وأحضروا الطعام فجعل يأكل ويقدم لابو الهزاهز طيب اللحم وأبو الهزاهز يتعجب من سماحة عبد الوهاب وطيب نفسه وأبو محمد أيضا يقدم له أفخر الطعام وهو يأكل ويبلع حتى أكل شىء كثير من اللحم وطبقين حلاوة ثم أن أبو محمد قال للأمير لم لا تذكر له الإسلام فقال ولم ذلك فقال لعل أن يعرف الاسلام يشبع والا يأكل جميع اللحوم التى فى ملطيه فضحك الأمير من ذلك وقال من يبشرنى بأنه مسلم وأدعه يأكل من لحم أكتافى (قال الراوى) ياساده ياكرام وأبو الهزاهز ينظر الى عبد الوهاب ويتفكر فى شجاعته ثم قام الامير عبد الوهاب وقاموا الناس الى منامهم لانهم كانوا تعبانين مما قاسوا من قتال

ذلك اليوم وقام الامير الى ورده بعد ماصلى صلاة العشاء الاخيرة وصار يتلو شيئا من القرآن بعد سورة الفاتحة عقب كل ركعة وكلما قرأ آيه من كتاب الله فيها وعد أو وعيد يبكى إلى أن يغشى عليه هذا وأبو الهزاهز ينظر اليه وقال والله انه رجل صالح مقبل على الآخرة بوجهه وماهو مثل هذا الشيخ السوء الذى صلى على صلاة الموت وان من وقت ماصلى على مافلحت أبدا ولئن جمع الله بيني وبينه لابد من قتله لأنهم ماأسرونى إلا بسبب صلاته التى صلاها على وقضى الأمير تلك الليلة بالصلاة لله تعالى وأبصره أبو الهزاهز والأمير يصلى ويطيل السجود للملك المعبود وكان سيف الأمير معلق فى عامود فوسوس الشيطان الى أبو الهزاهز فوثب قائما وكان مقيدا من غير كتاف فأخذ السيف من العامود وامتضاه من غمده وهزه إلى أن سطع ولمع ودب الموت فى حافاته وتشعشع وشال يده بالسيف حتى بان سواد إبطيه وأراد أن يضرب الأمير وإذ بصوت مثل الرعد القاصف والريح العاصف وأخذ السيف منه وهو يقول ياعدو الله أما سمعت ماقال الله فى كتابه العزيز الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ويليق بنا أو يكبر منا أن يكون عبدنا فى خدمتنا ولا نحرسه بعين عنايتنا ورعايتنا ممن عاداه فرفع ابو الهزاهز رأسه ليرى من القائل وإذا بشخص واقف على رأس عبدالوهاب ورأسه عالما بعنان السماء ورجلاه فى تخوم الأرض السفلى وقد نشر عليه جناحان وبيده حربة تشعل نارا هذا وأبو الهزاهز صار حائر مما رأى وندم وقال والله ان لهذا منزلة عظيمة عند الله (قال الراوى) ثم ان الأمير انتهت صلاته ونظر السيف فى يمينه مشهر فوثب الأمير قائم على قدميه وقد ندم على إحسانه الذى أحسنه اليه وقال والله مابقى يخلص من يده ذلك الحسام حتى تقتل رجال وتحط أبطال وهم أن يقوم ويأتى بحسام آخر فناداه أيها الأمير المظفر ان الذى بيده العناية منع عنك الجنايه وكان لك كفايه فقال له الأمير وما معنى هذا الكلام فقال أيها الأمير أنى لما هممت بقتلك فرأيت كذا وكذا والآن فإنى لى اليك حاجة وأريد منك قضاها فقال اطلب ماتريد وتكلم بما تشتهى ترانى سريع الجواب وفصيح الخطاب وأنا مبادر الى جميع ماتريد فقال ابو الهزاهز أحضر لى اصحابك وأيقظ جميع النوام من أحبابك فأيقظ الأمير والدته الأميرة ذات الهمة والأمير ابو محمد البطال وجميع سادات بنى كلاب فقالوا أيها الأمير ما وراك فقال الامير ان ابو الهزاهز دعاكم اليه فقالوا سمعا وطاعة وأتوا الى ابو الهزاهز وقالوا له ماتريد وماالذى أحضرتنا له وما معك من الخطاب لنرد لك الجواب فقال لهم بأفصح لسان أسألكم أن تسألوا

هذا الأمير العلى الشان العظيم البرهان أن يقبلنى له من جملة الغلمان وأكون عنده على طول الزمان وأوقع بملك الروم الذل والهوان وأنا أشهد أن لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله فصاح الأمير صوتا عاليا من شدة الفرح واتسع صدره وانشرح وكذلك المسلمين اهتزت فرحا ونادى على بعض غلمانه ان يحضر خلعة سنية كان اخذها من القسطنطونية وكانت من ملابس ملك الروم منويل وكان لا يلبسها الا فى الزينة وهى تأخذ بالبصر منسوجة بالذهب الأحمر مكللة بالدر والجوهر فجعلها على ابو الهزاهز البطل المناجز ففرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال أيها الأمير أريد منك ثلاثة آلاف أسود من كل بطال أمجد عليهم صدور الزرد وفى أيديهم العمد فانا لى فى هذا تدبير فقال وما هو أيها الأمير فقال أريد أروح لأصحابى وأعلمهم بحسن فعالك وطيبة أعرافك وأحثهم على الرجوع الى دين الإسلام ومخالفة أهل الكفر والطغيان ونستغفر الله مما جرى وكان فإذا رجعوا الى دين الإسلام عدت إلى أصحابك أخلط سودانى بسودانك وأترك جميع السودان تصيح صيحة واحدة تهتز لها الأرض فى طولها والعرض فان سأل الملك منويل عن ذلك الأمر يقولوا خاص ابو الهزاهز وارمى نفسه من على الصور بعد ما قتل الامير عبد الوهاب وسقى أمه كاس الذهاب وإذا فتحت انا غدا ذلك البلد تخرجوا بالامير وأنتم متنكرين وتلبسوا غير لباسكم وأكون انا راكب عند الملك منويل وجميع السودان حوله دايره فإذا حملت أنا وسودانى تركب وتحمل أنت ايها الامير بمن معك (قال الراوى) فلما سمعوا الامراء من أبو الهزاهز ذلك الكلام ظنوا أنه خديعة ومحال إلا الأمير عبد الوهاب فانه قال لأصحابه لا تطيلوا الخطاب ولا تكثروا العتاب ودعوه حتى يعود الى ما قد ذكر فلا أعترض عليه فيما ذكر ولا على ما أمر فعند ذلك وثب أبو الهزاهز قائما على قدميه وأخذ من سودان عبد الوهاب ثلاثة آلاف وخرج والسودان من خلفه وسار بهم حتى صار بالقرب من عسكر الكفار وقال لهم اكمنوا هاهنا حتى امضى الى اصحابى وأحثهم إلى الإسلام فان أجابوا الى ذلك فلله الحمد والمنة وإن أغواهم الشيطان وطردوا عن باب الرحمن أعمل عملا أبطل به صفتهم وافرق جمعهم فوقفوا القوم وسار حتى وصل على أصحابه فانكروه وتواثبوا اليه ليعرفوه فكشف لهم عن سره وامره فارتفع منهم الصياح وزادت الافراح فقال لهم الزموا أنفسكم بالسكوت فقالوا له أخبرنا كيف كان خلاصك من أنياب العرب فقالوا ياقوم إنى سافرت جميع الاقطار فما رأيت قط مثل هذا الرجل الذى أسرنى فى سائر الاقطار ولا فى قوته ولا فى شجاعته ولا فى كرمه ولا فى مروءته ولا فى براعته

وهو مع هذا أحب الناس اليه السودان حتى يجاهد بهم فى سبيل الله وهو قوى فى الدين كثير الايمان تقى نقى سخى قد كمل الصلاح والمجاهدة والعبادة والصداقة الزائدة ولا يدخر لنفسه لا درهم ولا دينار وهو يعطى كل ما يكسبه للسودان حتى انى كدت أن أرجع مسلما ولولا حاجة الروم لنا ما كنا إلا مثل الغنم أو من جملة الخدم ولقد رأيت إلى سودان هذا الأمير فرأيت عليهم الاقبية المنسوجة بالذهب الأحمر وفى أوساطهم المناطق المرصعة بالجوهر فماذا أنتم قائلون فاجابوه العقلاء من قومه لما سمعوا منه ذلك الكلام قالوا له اسمع لو اننا ملكنا سائر الأنام ما بقى يطيب على قلوبنا إلا دين الاسلام ونحن بحكمك فاصنع ما شئت فشكرهم على ذلك وقال لهم اعلموا إنى ما جئت اليكم إلا وأنا مسلم وحديثى مع الأمير كذا وكذا وجرى لى من الأمر ما هو كذا وكذا ولقد أطلقنى وأنا جئتكم فارفعوا أصواتكم لتعلم الروم أنى خلصت فقالوا على ماذا عولت فأخبرهم بالقصة ثم رفعوا أصواتهم بالصياح وأقلبوا الدنيا بالافراح فانتبه الملك ولهان وقصدته البطارقة من كل مكان وقالوا يا ملك سمعنا صياح فى عسكر السودان فقال امضوا وأتونى بالخبر اليقين فذهبوا ورجعوا وهم فرحين مستبشرين فقال يا ويلكم ما وراكم قالوا يا ملك لك البشرى فقد ورد أبو الهزاهز وهو سالم قال أحق ما تقولون قالوا أى وحق الحواريون وقد تركناه على المجىء إلى حضرتك حتى يقضى واجب خدمتك وقد ذكر أن معه بشارة تجلب لك الفرح العظيم وما يقصها إلا عليك فبقى الملك على مقالى النار من أجل الانتظار وإذا بأبو الهزاهز أقبل على باب السرادق وترجل ولما وقعت عينيه على الملك وأشار إلى الأرض لائما فنهض له الملك قائما وقال للترجمان هنيه بالسلامة ثم انه خلع عليه خلعة الكرامة وقال كيف كان خلاصك من هذه الأسباب فقال اعلم أيها الملك انى بارزت عبد الوهاب فرأيته محترزا مما بين يديه فما كان لى إلا أن سلمت روحى اليه حتى تم لى هذا الأمر عليه إلا أنه فرح بأسرى وظن أنه أخذنى بقوته ودخل بى الى بلدته وقيد رجلى ولم يوكل بحفظى الا هو بنفسه فصبرت الى الليل وكسرت قيدى بما أعطانى الله من الحيل وصبرت الى أن نام الجميع تقدمت الى سيوف النوام وأخذت منها سيف وذبحته وذبحت كل من هناك وذات الهمه وأردت أن أذبح الأشقر الازرق العينين الذى يسموه أبو محمد البطال الا انى قربته وقلت هذا فى ذبحه غاية المراد فهتف بى هاتف من الهواء يقول يا أبو الهزاهز وأنا اسمعه بحق المسيح لا تخلى هذا فى الحياة الدنيا فان هذا اشرهم واخبثهم وما للمسيح عدو غيره بين العباد وهو الذى أخرب البلاد وأكثر الفساد فلما سمعت ذلك من الهاتف ذبحته وأرحت النصرانية من شره بجملته هالك فقال الملك

وحق المسيح ماقصرت فيما فعلت ولقد أقمت دين النصرانية الى أبد الابد ماقام قائم وقعد ثم قام الملك من موضعه وأفرغ ثيابه عليه وأركبه إلى عسكره وجعلت البطارقه بأمر الملك تمشى بين يديه حتى دخل أبو الهزاهز الى مضربه وعادت البطارقة الى خيامها وقد أيقنت ببلوغ مرامها ثم خرج من وقته وساعته إلى جانب العسكر وسار حتى وصل إلى السودان الذين لعبد الوهاب وبشرهم بعودة سودانه إلى الإسلام فشكروا الله على ذلك الأنعام وعرفهم بما جرى له مع الملك وإنه قد تم عليه التدبير ولم يبق إلا النصر من الملك القدير ثم شقوا معه على عسكر أهل الصلبان واختلطوا بعضهم ببعض السودان ولما أصبح الصباح فلم تفتح أبواب ملطيه ذلك اليوم ولاخرج أحد من الأبطال فظن ملك الروم أن أبو الهزاهز قد صدق فى المقال فقال وحق مريم الدراعة إننى ماصدقت الا فى هذه الساعة ثم أمر الناس بالركوب فركبوا وزحفوا الى البلد وسار أبو الهزاهز ومعه السودان ولم ينكر عليه أحد هو وسودانه بموكب كبير لأن العسكر كثير ولم يزلو حتى أحدق هو وسودانه بموكب الملك واذا بباب ملطيه قد فتح وخرج بنى سليم الكاشفين الكرب والضيم ونظروا الروم فلم يروا عبد الوهاب ولا ذات الهمة فزادت أفراح الكفار وقالوا هذا الذى كنا نؤمله من المسيح طول الاعمار (قال الراوى) وكان لامير والاميرة تنكروا فى الناس وجعل الامير عمرو بن عبيد الله يصف بنى سليم حتى يبيضوا وجوههم عند الله وعند الناس فصاح ملك الروم وعبدة الصلبان عن بكرة أبيها وكان أبو الهزاهز قد أوصى السودان الذين معه وسودان الامير عبد الوهاب حملوا على بعضهم ببعض يطبقوا على الموكب الذى فيه الملك حاضر وقال لهم اياكم ينفلت منهم انسان وذلك الشيخ الخنزير وكان يعنى البترك الذى صلى عليه صلاة الموتى وقال احرصوا عليه حتى انتف لحيته وأصفح رقبته وأنظر عرضته وأروم بالصفع رقبته كما نصرنى وصلى على صلاة الموت من دون الجماعة فقالوا سودانه السمع والطاعة فلما حملت العساكر قال بسم الله أكبر وصاح بصوته الجهر فكبرت معه السودان وهم فى عشرين ألف من الابطال فما قولكم ياإخوانى فى عشرين ألف تزعق عن صوت واحد فى وسط العسكر فارتجوا فى بعضهم بعض وضجت معهم الجبال وأجابوهم المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير واشتهر الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمة وهم يكبروا لرب الارباب فلما نظر كلب الروم الى ذلك علم أنها حيلة قد تمت عليه وأبو الهزاهز قد خان عليه فأعطوا للمسلمين أقفيتهم وطلبوا الفرار

واستغنموا السودان نهب الخيام والأموال والأثقال وأخذوا من المكاسب مالاعين رأت ولا أذن سمعت ودخلوا إلى ملطيه بالأموال العظيمة وأنزلوا أبو الهزاهز فى دار غالية القيمة وقسمت الأموال على القوى والضعيف والكبير والصغير وفرقت العدد والسلاح وقعدوا الناس فى فرح باجتماع الاحباب بالأحباب (قال الراوى) وبينما هم كذلك وإذا بالبراج دخل على الأمير عمرو بن عبيد الله ومعه كتاب مخلق بالزعفران ففضه وقرأه وإذا فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالحمد لله على خلاص الأمير الكريم الذاب عن الحريم والدين الناصر لدين رب العالمين وكان خلاصه سبب لخلاص المسلمين وأخذ بغداد من أيدى المشركين فى طول الأيام والسنين ساعة وقوفك على هذا الكتاب ارسل اعلمنا بأخبار ملطيه ان كانت خلصت من أيدى الروم الكلاب وكنا سمعنا أن مع منويل رجل شجاع مافى الارض من يقهره فى ميدان القراع وقد ارتد عن المسلمين وصار مع المشركين ومعه سبعة آلاف أسود من كل بطل أمجد وقد بقى خاطرى من ذلك منكد وما أشغلنى عن كشف أخبار أهل الايمان إلا خارجى خرج من أهل خراسان أحرب بلاد الترك والعرب واحتوى على أرض السكاسك وبلاد الديلم وهو يعبد النار دون الملك الجبار خالق الليل والنهار وجريدة عسكره ستمائة ألف من سائر الاجناس وهو موصوف بالشدة والبأس سيما وهذه العساكر معه مقبله وأكثر عسكره مايقاتل إلا على الافيلة وقيل لى أن معه ثلاثة آلاف فيل يقاتل عليهم على كل فيل أربعين رجل وقد سمعت عن هذا الملعون أنه يحمل عامود حديد وزنه مائة رطل يقاتل به قتال شديد وقد بلغنى أنه غضب على فيل من الأفيال فضربه فى جنبه بيده دخلت فى فؤاده وعجلت منيته وانه مع ذلك لم يقنع بخراسان بل خرج يطلب بغداد من دون البلاد وهؤلاء ماهم مثل الكفار لأن الترك والاعجم والديلم لايصطلى لهم بنار وإن كان الأمير عبد الوهاب والأمير عمرو قد خلصوا من كلب الروم فليعجلوا بالسير الينا والقدوم علينا ولا يؤاخذنا الامير بهذا الأمر المعلوم فهو الذى لم يزل مجملا وعلينا مفضلا وهو عندنا بعد هذه النوبة أخ من الإخوان لامن جملة الغلمان وكذلك الأمير الحسن الفعال المليح الخصال أبو محمد البطال لاأخلانا الله من طلعته وبالله أقسم قد اشتقنا إلى محادثته ولذيذ مؤانسته وحسن تدبيره ومحادثته وهما يعلمان أن ماأحدا من المسلمين له أن يخالف أمامه لأجل القرابة التى بينه وبين إمام المتقين ورسول رب العالمين محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) ياسادة ياكرام

فلما قرؤوا الكتاب وعلموا بما فيه من الاخبار قال أبو محمد البطال مانحن قط بقينا نرجع إلى خدمة الخليفة ماطرح الليل النهار فلا يطمع نفسه بذلك لأننا مابقينا نخدمه إلا بشرط ما نريد منه غير خصمنا من دون كل إنسان ويبيح لنادمه فى أى موضع كان فقد هتك الله ستره وفش أمره بالستور التى وجدناها فى كنيسة سوفيا بمدينة القسطنطونية العظمى مرقوم عليها هذا ما عمله الشيخ النجيح الناصر لدين المسيح وهو القاضى عقبة ابن مصعب فقيه العرب فلا بد لنا من قتله ونسقيه كاس الردى وإلا ما نرجع إلى الطاعة أبدا وكان هذا الكلام لايعجب بنى سليم ولحق الامير عمرو بن عبيد الله من الضيم مالحقه وقال ياأبا محمد مابلغ من قدرك أن تخالف السلطان ولا تشاققه بهذا الشأن وحاشا الأمير الاجل خادم دولة بنى العباس أن يأتيه كتاب الرشيد وهو يدعوه بالاخ الشفوق ويمتنع ولو كان قتل له ألف قتيل سيما وهو فى أموالنا وأنفسنا محكما لأن الله سبحانه وتعالى يقول ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فقال الامير عبد الوهاب مانطق الامير عمرو إلا بالحق ولاتكلم إلا بالصدق ولا يمكننا أن نشاقق السلطان خليفة الزمان ومن الصواب أن نكتب له كتاب ونذكر ماجرى لنا مع أهل الكفر والطغيان وتخبره باسلام ابو الهزاهز وجميع من معه من السودان ونخلع على الفضل بن الربيع وان كان ما صنع فى حقنا إلا أقبح صنيع لأنه كان السبب فى أسرنا وأسر كل من معنا من المسلمين ذلك مانؤاخذه ولا نؤذيه ونرسل الخمس من الغنيمة مع ما أخذنا من بلد الروم من مال وحريم وجواهر وقناديل والستور فهى باقية عندنا أن يأتى جواب الكتاب بالانحدار وآخذهم معى فى صحبتى الى العراق فاذا علم الرشيد مافيها طلبت أنا عقبة من جميع الآفاق فقال البطال لايفعل ذلك أبدا ولا يسمع فى عقبه كلام أحد فقال عبد الوهاب وإذا لم يفعل فأمر عقبة إلى الله ورسوله فانه أوعدنا بصلبه وقطع يده على باب الذهب فقال البطال اذا كان الامر على ماعرفت فدبر نفسك فانى لاأصحبك فانا قد كرهت الحياة فى رفقتك وكل يوم أقع فى بلية من تحت رأس القاضى عقبة بلاه الله بكل نكبه فقال الامير عمرو بن عبيد الله ياأبا محمد ونحن لانبالى بغضبك ولا برضاك فلما سمع البطال ذلك الكلام زاد غيظه وقال ياعمرو وأين كانت هذه النخوة والتدبير وأنت تقاد إلى بلد الروم قود البعير فلما سمع عمرو ذلك غابت حواسه وقامت عيناه فى أم رأسه وأخذ المقرعة بيده وضربه بها ثلاث ضربات متتابعات فوثب الامير عبد الوهاب وأخذ المقرعة من عمرو وقال وحياتك ياأبا محمد لابد ما أمضى إلى الخليفه واخذه من بين

يديه وان هو سلمه باختياره وإلا اخذته غصبا ويقضى الله ما هو قاض فسكت الامير ابو محمد البطال على غيظ منه وكف عن الخصام وقال فى نفسه ما بقى لى مع هذا الرجل مقام ولكن سوف ماتشوف الامر على آخره وانظر باطنه وظاهره ثم أن الامير أحضر المال والجوار واللآلىء وجميع ماغنموه وأخرج الخمس إلى بيت مال المسلمين وكان مائة بغل محملة ذهب وفضه وآنية واثقال وديباج ثم قسم على الرجال الجوار والأموال وأغنى أبو الهزاهز وسودانه من الاموال وغيرها وأعطى لكل واحد منهما جارية وشيء كثير من الانعام وأمرهم أن يبنوا على ظاهر ملطية حصار ودور وقصور ففعلوا ذلك وبقيت مدينة وجعلوا فيها الحمامات وسائر الآلات وأجروا نهرا ما بين العمارات وجعلوا فيها السوق والمتسببين والتجار وبقيت أعمر من ملطية وأكثر خيرات وأصلح وجهز الفضل ابن الربيع حاجب الحجاب وأخرج معه الجوار والاموال وكتب إلى الخليفة يتذلل له فى المقال والخطاب ويقول أنا الخادم الآيل والذى يرسم به مولانا الامير فهو الممتثل والمملوك منتظر شريف كتابه وسرعة جوابه وسار الفضل ومعه مائة فارس من سادات بنى كلاب أرسلهم معه الامير لحمايته ورعايته وخرج الفضل يجد فى المسير حتى وصل إلى بغداد فخرجوا مماليك الدار وجعفر بن يحيى البرمكى وجميع الدولة والرفاق ولاقوا الفضل بالإكرام ودخل على الخليفة فنهض له قائما على الأقدام وهناه بالسلامة وأبدى له الاعتذار وأنه لم يشغلهم عنه إلا الكفار ثم سأله كيف كان خلاصه من تلك البلية فحدثه بحديثه وكيف فتح عبد الوهاب القسطنطونية هذا والرشيد يتعجب من هذه الامور ويقول ما عبد الوهاب إلا رجل مسعود وكيف وصل اليها وبلغ منها المقصود فقيل له هذا بتدبير البطال فقال الرشيد ما هذا بطال وإنما هو عمال وله حيل كثيرة ثم أخبره بما جرى فى ملطيه من الاسباب من حديث أبو الهزاهز وكيف أسره الامير عبد الوهاب فقال والله ما فى زماننا هذا مثل هذا الرجل المؤيد الأسعد وابو الهزاهز عنده فى ملطيه وسودانه اجمعين فقال يا أمير المؤمنين وقد بنى له ولأصحابه مدينة على ظاهر ملطيه ما بنت مثلها الروم ولا الأعراب وسموها باسم الامير عبد الوهاب ولما وصل كتابك أخذه الامير عبد الوهاب بقبول واكثر ابو محمد الفضول ولولا ابو محمد ماكان عبد الوهاب يفارق الخدمة للدولة العباسية وهذا كله من مكايدته لعقبه فقال الرشيد لقد صح عندى كلما قاله فيه البطال وهياج الكردى اخبرنى بشيء من فعله المذموم وأنه هو الذى دبر على حصن اربل حتى اخذوه

الروم فقال له الفضل وكان من المتعصبين لعقبة يا مولانا لو كان الذى يقال عن عقبة صحيح لكان ظهر امره وانكشف ستره فقال له اعلم انه ظن ان الدولة قد انقرضت منها الاشجار وما يعلم أن الله ما يخلى أمة نبيه من أنصار ولا بد لى ما أطلبه أين ما كان وأسلمه إلى هذين الرجلين وأبيض وجهى معهما فانى والله مستحى منهما ثم امر جعفر أن يكتب لهما المناشير بالتشريف للأمير عبد الوهاب وأرسل له المدح والثناء والشكر والدعاء واوعدهم بكل جميل وان يسلم الذى طلبوه ذليل حقير ويأمرهم بالانحدار إلى بغداد وأن يكون عمرو مع جملة الفرسان من الرفاق ويجعل ابو الهزاهز ايضا من جملة رفاقه لأن الخليفة اشتهى ان يراه فسارت النجابين حتى وصلوا إلى ملطيه مسرعين وضربت البوقات ودقت الكوسات ونشرت الرايات وقرئت المناشير المطاربات ففرح الأمير بالخلع والثناء وجاءه كتاب سراً من بعض محبيه يذكر فيه ما جرى بين الفضل والخليفه من أجل عقبة الخنزير وقال الرشيد انه صح عنده انه من أهل الضلال فما اقع به إلا وأسلمه لعبد الوهاب وابو محمد البطال وأبيض وجهى عندهم بهذه الفعال ففرح بذلك الأمير واوقف عليه البطال فاعجبه ذلك الكلام وقد سلى عنه ما كان يجده من الغرام ثم أخذ الأهبة للمسير وكذلك البطال وسلموا أمرهم والأحوال للملك المتعال وأخذ الأمير عمرو من بنى سليم الف رجل واخذ عبد الوهاب من بنى كلاب الف رجل وقال لابو الهزاهز خذ الاهبة المسير فقال إلى أين تمشى ايها الامير فقال الى بغداد الى خليفة الزمان لاننا كاننا له خدم وغلمان فقال ابو الهزاهز ايها الامير نحن والله ما نعرف لنا خليفة سواك ولا نريد يأمر علينا وينهى سواك ولم لا تأخذ انت الخلافة بالسيف ونحن ننزل على كل من يعاديك الذل والحيف فضحك عبد الوهاب وقال له طب نفسا فما نحن عند الرشيد إلا فى المنزلة العلياء وليست الخلافة باليد القوية لانها ورثها من محمد المصطفى فلما سمع ابو الهزاهز هذا الكلام قال ها نحن بين يديك ثم رحل ابو الهزاهز وعبد الوهاب وابو محمد وعمرو بن عبيد الله وأخذ البطال معه الستور التى عليها اسم القاضى عقبة مكتوب والقناديل التى وجدوها فى كنيسة سوفيا وقد قطعوا الارض والبيداء وقد استخلف بعده امه على بنى كلاب وابو الهزاهز استخلف على باقى سودانه اسود كأنه قطعة فحم يقال له القعقاع وكان هائل المنظر جيد الخبر (قال الراوى) وان صاحب الخبر الذى فى ملطية كتب كتاب وارسله على جناح طير من الحمام يخبر بقدوم عبد الوهاب

إلى العراق ففرح الرشيد بذلك وحسب لهم الايام حتى وصلوا إلى تكريت ثم أنه أرسل لهم أرباب الدولة ليتلقوهم بالرحب والسعه وفى اوائل القـــوم جعفر البرمكى ومسرور وجوهر والاتراك والخدم ومماليك القصر والاشراف وزينت بغدادلقدوم الامير عبد الوهاب وطارت قلوب الناس فرحا ومرحا لقدومه وقالوا كلنا عتقاء سيفه نحن وأولادنا ونساؤنا واموالنا (قال الراوى) ودخل الامير يوم الخميس الى بغداد ودخلوا الامراء فى موقف يحير العباد ويكبت الاعـــداء والحساد ونشرت الاعلام وفيهم العلم الذى كان على رأس ملك الروم وقد محى الذى كان عليه من كلمة الكفر وكتب عليه لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وســـلم وأخذه الدعاء من جميع البشر والامير الى جانبه الايمن وأبو محمد الى جانبـه الايسر وابو الهزاهز وسودانه وبلغ الى الرشـــيد دخوله الى بغداد فارسل ولديه الامين والمـأمون فلما رأوا أهل بغداد الى ابو الهزاهز وكبر جثته وعظم هيكله وسواد لونه مع ما سمعوا شجاعته فسار بعضهم يقول لبعض ابو الهزاهز اشجع من عبد الوهاب وبعضهم يقول عبد الوهاب اشجع من ابو الهزاهز وتراهنوا بالدنانير لان أهل بغداد اهل خلاعة وكان جماعة متعصبين لعبد الوهاب فسألوا هل عبد الوهاب أسر ابو الهزاهز أم لا فاخبروهم أنه أسره فى حومة الميدان فسألوا بنى سليم فقالوا كذلك فصدقوهم فى الكلام وأخذوا اصحاب الرهن رهنهم ووصل الامير إلى الميدان هنالك لقاه خليفة الزمان وحوله الفقهاء والعلماء والغلمان ولما وقعت عين عبد الوهاب على الرشـــيد ترجل وترجلت معه الناس جميعا إلا ابو الهزاهز فانه لم يترجل الى الرشيد بل صاح ياصاحب العمامه الكبيرة والاودان الوسيعة لم لاتترجل لعبد الوهاب مثل ماترجل اليك وتفعل فى حقه مثل مافعل فى حقك فان كنت انت خليفة البيضان فهو خليفة السودان فصاح عليه الامير عمرو بن عبيد الله وقال له اسكت سكت حسك تخاطب خليفة الزمان بهـــذا الخطاب ترجل وقبل التراب فلما سمع كلامه انقلبت عيناه فى ام رأسه وهوى بيده إلى قائم سيفه وقال ويلك يا عمرو تحسبنى مثل الرجل الاشقر الازرق العينين أعنى البطال تصيح عليه وتضربه بالمقرعة بين الرجال فلابد لى ما أعلوك بهذا الحسام فانى لا أطيع لاخليفة ولا سلطان ولا ملك من ملوك الزمان إلا الامير عبد الوهاب الذى جاد على بروحى لما ان أسرنى فى الميدان فقال عمرو فى نفسه مليح وحق الرحمن نحن كنا بأسود واحد ولا ينخلص كيف وقد صار هذا وتلك السودان وفيهم كل واحد شيطان فلا بد

انى اعمل على تلافه وأسقيه كاس الردى لانه مجنون وما فى عينه من أحد فناداه الأمير عبد الوهاب يا أبا الهزاهز يا ولدى ما قال الأمير إلا الصواب فترجل أبو الهزاهز حياء من الأمير عبد الوهاب وهو ضامر الشر لعمرو بن عبيد الله وقبل الأرض ثم مشوا بين يدى الخليفة فى دست الخلافة حتى دخلوا القصر وجلس الخليفة فأذن لعبدالوهاب وعمرو بالجلوس والبطال أيضاً أجلسه بالقرب منه دون كل انسان وأما أبو الهزاهز فانه جلس من غير أن يأذن له بالجلوس ولا جلس إلا فى أعلى مكان فقال عبدالوهاب يا مولانا تؤاخذ أبو الهزاهز فانه تربية البر وتوصل إلى الروم وهو جاهل بالأمور وعلى كل حال لابد ما يضرب بين يدى مولاى بالحسام ويسقى أعداك كؤوس الانتقام فقال الرشيد كل ما يفعله فهو محمول فدعونا من هذا وهنا أمر آخر فقال عبد الوهاب وما هو يا أمير المؤمنين فقال صح عندكم ان عقبة كان فى عسكر المشركين فقال عبد الوهاب نعم ولما ولى عسكر الروم طالب لنفسه النجاة من حلول النقم فقال الرشيد قد وصل إلى هياج الكردى وأخبرنى بكل ما قلتم فيه فقال البطال الحمد لله يا أمير المؤمنين وانك وكل الناس يعلموا ما بينى وبين هياج من الخصام من تعصبه لعقبة وهنا شىء آخر يدل على ذلك وناوله الستور والقناديل من بعض غلمانه وعليها اسم عقبة الكفور فلما رآهم الرشيد قال فى أى مكان رأيتم هؤلاء قال يا مولانا رأيناهم فى كنيسة سوفيا لما فتحنا القسطنطونية فقال الرشيد ما بقى بعد هذا الامر أمر أبدا فقالوا بنى سليم وعمرو عن كلمة واحدة يا أمير المؤمنين اعلم ان الغائب حجته معه حتى يحضر القاضى ويترحم عن نفسه فهم فى الكلام وإذا بالبراج قد دخل ومعه طير حمام تحت جناحه كتاب فتوصل ذلك الكتاب إلى خليفة الزمان وإذا فيه ان جرهم المجوسى قد وصل فى عسكر سيد الفيعان ومعه ثلثمائة فيل وعلى كل فيل أربعين مدرع وذكر انهم يصنعون سرمد بأربع وجوه من الخشب ويقف على كل جهة عشر رجال شاكة فى السلاح ومعهم المزاريق القصار والنشاب وغير ذلك من آلات الحرب وذلك السرير مسمر بالمسامير الحديد فى جسد الفيل وأيضاً ليس له عقود ولا لجام بل له خطاف من حديد فى عصى كبيرة فيضرب فى رأسه بتلك الخطاطيف فيروح فى رأس الفيل قدر أربع قراريط وأكثر ويسحبوا به ويميلوا يمينا وشمال وقت الحرب وفى خرطوم كل فيل سيف صقيل يضرب به يمينا وشمال وقت الحرب والقتال وقد ملك الأموال وأخرب البلاد وبقى بينه وبين بغداد اثنى عشر يوما لانه يسير سير الرفق

فان عسكره صقيل ومعه من العساكر ستمائة ألف مقاتل غير الفيالة وأربعين ألف راجل يرمون بالنبال وهم لا يعبروا على مكان إلا جعلوه خراب وهم يعبدون النار وعليهم غضب الجبار فلما وقف الرشيد على ذلك الكلام صعب عليه وقال والله ما هذا مثل العسكر الاول ثم أقبل على جعفر وقال له ما عندك من الرأى فى هذا الامر الذى ظهر قال يا مولانا وما عسى ان أقول وعندك صاحب الرأى والافعال أبو محمد البطال صاحب الامر الخطير وصاحب المشورة والتدبير فقال عبد الوهاب وما يكون الجواب غير ضرب السيف القرضاب ومولانا يخرج فى عساكر العراق ويجمعهم من الضياع والرستاق وننفذ إلى ملطية يأتون الينا جميع بنى كلاب والسودان الانجاب ونسير اليهم قبل ان يطؤن العراق ونسقيهم كاسا دهاق ونستعين عليهم بالملك الخلاق فقال الرشيد رأيك سعيد افعل ما تريد فارسل الامير عبد الوهاب للاميرة والدته يخبرها بهذا الامر العظيم فى أول كتابه ان الفتن قد كثرت وان الخوارج قد ظهرت وعبدة النار بالكفر قد اشتهرت والى العراق قد طلبت والبلاد قد نهبت ولا ينبغى القعود عن دين الملك المعبود فاذا وقعتى على هذا الكتاب أيتها السيده العابده الاميره الزاهده اجمعى بنى كلاب كبيرها وصغيرها وغنيها وفقيرها وكذلك السودان لا يتخلف منهم انسان ولا تطرحى من يدك ذلك الكتاب حتى تكون رجلك فى الركاب فانا لامور قد ضاقت والعساكر قد تبادرت وكذلك عمرو بن عبيد الله كتب الى بنى سليم كتاب ياخذون لانفسهم الايهاب ويقول لهم جملوا أنفسكم عند الخليفة وعند أهل بغداد بما تقدرون عليه من الثياب فان يوم دخولكم يوم عظيم لينظرون الناس بينكم وبين بنى كلاب ولا يتخلف منكم لا صغير ولا كبير وعولوا على المسير ولا يسبقكم عسكر الامير وسارت النجابه بالكتب ليل ونهار حتى وصلوا الى ملطيه وأوصلوا الكتب الى بنى سليم والى الاميره ذات الهمه وأخذوا فى صلاح حالهم ثلاثة أيام ومابقى لاحد حاجه إلا قضاها على التمام وسارت الكتائب والمواكب وكانت جريدتهم للأمير عبد الوهاب ستين ألف من بنى كلاب وبنى سليم ومن السودان عشرين ألف ويقدم الكل الاميرة ذات الهمه أم الاشبال وهى كانها النسر المعمر وساروا يقطعون الارض فى طولها والعرض وأخذوا على الطريق وأوصلوا السير الى آمد وقد شدت عزائمهم شدوخرج لهم من أمر الضيافات والعلوفات ولم تلبث الاميرة بل رحلت وإلى الموصل وصلت والدعاء يأخذها من كل مكان من

الرجال والنساء والعبيد والغلمان ولم تزل سائرة ليلا ونهار الى ان وصل الى الخليفة خبرها فأخرج لها ولديه الأمين والمأمون وزينت بغداد وكان يوم دخول الاميره أخير من يوم الاعياد ونثر عليها الذهب نثار وأخذها الدعاء من الكبار ومن الصغار ووصلت الى محل الخلافة والرشيد جالس فى دست مملكته فقام لها قائم على الاقدام وأشار اليها مسلما وقال كيف حالك أيتها الاميره فقالت يا أمير المؤمنين كيف حال من لا يخلع عنها الحديد لا صيف ولا شتاء ولا تبرد لها لوعه ومع ذلك لى من يؤذينى فى ولدى فى كل وقت وحين وأنا ما أقدر آسى عليه ولا أمد يدى اليه ثم ان الله تعالى يمن بالسلامه على وعليه وما كل طريق يجد الانسان التوفيق من الندامه واخاف ان يتم على ولدى أمر من الامور فأهلك ولا أفرح من بعده وانكسار الناس لفقده (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع الرشيد كلامها دمعت عيناه وقال لها من الذى يؤذيكى فى ولدك قالت أنت ياأمير المؤمنين تفعل به المرة بعد المره والكره بعد الكره وتترك عينى عليه باكيه وتسمع فيه كلام الاعداء وهذا البلاء الذى نحن فيه كله من عقبه لعنه الله وأنت تعلم يا أمير المؤمنين ما نحن فيه وما نحن عليه من صدق الكلام فى كل وقت وأوان وأنا أقسم بالذى رفع السبع الشداد وجعل الارض مهاد ونصب الجبال اوتاد وجعل البحار بعد ما كانت جماد وخلق لابن آدم قلب وفؤاد وألهمه إلى الهدى والارشاد وأسعده وأشقاه كما أراد أن عقبه ابن مصعب أكل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير ويكفر بالملك القدير ويعتقد ان لله زوجة وولد ونحن نقول لا اله الا الله محمد رسول الله واحد أحد فرد صمد وكذلك الامير عبد الوهاب حلف كما حلفت وتقلد بالايمان كما تقلدت وكذلك ابو محمد البطال ونظر الأمير عمرو الى ذلك الامر وتلك الاقوال فقال قد بلغ الامر المنتهى وقد عرفت الناس ما بينكم من العداوة التى لا تزول والامور التى تحول فما تم عمرو كلامه حتى وثب من بين يدى الخليفة رجل طويل كانه فيل وصاح فى الامير عمرو وقال له اسكت أيها الامير عن هذا المقال ولا تخوضن مع الخائضين فى بحر الضلال ولا يداخلك الغضب فى طريق المحال وحق الملك المتعال أن عقبة بن مصعب كافر بذى القدرة والجلال فدع عنك الاقاويل الزائدة والحجج الباردة واذا به هياج الكردى صاحب حصن أربل ثم قال ياأمير المؤمنين انتم تعرفوا ما جرى بينى وبين البطال من الامور والاهوال على هذا الرجل المذكور شيخ الضلال

حتى رأيته بعينى عيان وهو من أهل الكفر والضلال فقال الرشيد وحق آبائى الطاهرين واتصالى بالأئمة الزاهدين لو عرفت عقبة فى أى البلاد لاجتهدت فى حضوره إلى عندى وأقابل بينه وبين هياج الكردى وأخرج له هذه القناديل والستور التى عليها اسمه مشهور وأسلمه اليكم تفعلون به ماتريدون ولكن كيف السبيل إلى موضع ذلك الملعون فوثب الامير أبو محمد البطال وقال ياأمير المؤمنين لاتعرف حضوره إلا منى من بين العالمين ولو كان فى الأرض السابعة أو السماء الرابعة فقال الرشيد يا أبا محمد اترك الساعة هذا الامر فقد طال وقد مللنا من سماعه فى سائر الاوقات فبينما هم فى الكلام وإذا بالبراج داخل عليهم ومعه طائر بكتاب وهو من البصرة قد وصل فأخذ الرشيد الكتاب من تحت جناح الطائر وفكه وقرأه وإذا فيه أن جرهم الجرسى بقى بينه وبين البصرة ثلاثة أيام وهو لايبقى على شيخ ولا على غلام بل يهلك النساء والرجال ويذبح الاطفال وينهب الأموال فاشتغل قلب الرشيد من ذلك الحال ثم التفت إلى جعفر البرمكى وقال أرسل إلى هذا الملعون وقل يعود إلى بلاده ونحن نجريه على عوائده والاسباب ونكتب له المناشير ويحقن دماء المسلمين فامتثل جعفر لما أمره به الخليفة فى الامر الجسيم وكتب كتاب يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان البغى مصرعه وخيم وان السلطان من ترك طريق العدوان ومن أراد أن يقهر كلمة التوحيد أخذه الملك المجيد وقد صح أن من دحض الحق بالباطل فان عمره وملكه زايل وقد رأيت من الرأى أنك تعود إلى بلاد خراسان كان ولا يغرك الشيطان ويعدمك نفسك بالهوان ففى ملك الجر مايكفيك عن ملك العراق وتتخلى عن النفاق والشقاق ونحن نبعث لك الخلع والمناشير وتكون عندنا صاحب وأمير والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى وصدق بالآخرة والأولى فلما فرغ جعفر من الكتاب وأراد أن يقرأه وإذا بالخدم دخلوا على الخليفة وقالوا يامولانا وصل رسول من عند جرهم الجرسى فأمر بحضوره وكان الرسول من الديلم كانه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد ومعه عشرة من الأبطال فى أيديهم الاعمدة والمقدم عليهم كانه برج مشيد يقال له شراكيل الملاكم ما الكم أحد قط إلا وكان لروحه عادم وكان يلكم الفحل الجاموس فى وجهه يخسفه ويهز الرمح الاصم يقصفه ومن قوته يقبض على الأسود فى الغابات وهو آفة من الآفات وبلية من البليات فلما مثل بين يدى الرشيد أخذ بيده الوزير وطايبه وأجلسه إلى جانبه وقال الرشيد

أطلعنى مافى الكتاب من الخبر وإذا فيه مكتوب بالنار والنور والظل والحرور ونحن وأنتم نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أما بعد فانى كتبت هذا الكتاب إلى هارون الرشيد مخبرا له بما يكون من هلاك السادات والعبيد وأريد منك أن تنزع نفسك من الخلافة وهو المراد وتؤدى إلى الخراج فى كل عام وابنى لى جامع نجعله معبد والسلام على ذات الانوار (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الرشيد ذلك الكلام ضاقت عليه الارض بما رحبت وخيل له أن الدنيا انطبقت وقال لجعفر لا ترسل اليه رسول بل أعطيه الكتاب الذى كتبته ويرجع به إلى صاحبه حتى نسمع مايقول فقال الأمير عبد الوهاب يا مولانا وما فى ذلك الكتاب قال فيه مخاطبة بألطف خطاب اقرأ يا جعفر ما كتبت على عبد الوهاب فلما قرأه عليه وفهم معناه قامت فى أم رأسه عيناه وقام وقعد وأرغا وأزبد ثم انه تناول الكتاب ومزقه وقرط على أضراسه كأنه مصاب وقال للبطال يا أبا محمد اكتب له كتاب على لسان مولانا السلطان زاده الله رفعة وامكان واذكر ماتريد من التخويف والتهديد فكتب البطال كتاب بما أعطاه الله من الفهم والعقل يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد فقد سمعنا ارعادك وابراقك وانك قد غرك شيطانك حتى طلبت محاقك وسوف نلاحمك برجال قد ألفوا الحرب والجلاد ولا يأخذهم فى الله لومة لائم وألفوا الهياج كما ألفت الديوك الدجاج وسيكون الجواب ماتراه لما تقرأه والسلام ثم قرأ الكتاب على الرشيد وعلى الامير عبد الوهاب وعلى سائر الأمراء والحجاب فأعجب الجماعة أتم الإعجاب وسر أمير المؤمنين بذلك الخطاب وطواه وإلى شرا كيل الملاكم أعطاه فسمع أبو محمد شرا كيل وهو يتكلم مع أصحابه بكلام فضحك البطال فقال عبد الوهاب مالى أراك تضحك يا أمير أبا محمد اذكره لى لا يظن أمير المؤمنين أنك تهزأ به فقال البطال أعوذ بالله من هذه الأمور ولكن هذا الرسول سمعته يقول بلسانهم لأصحابه وحق النار والنور لو أمرنى جرهم بقتل هؤلاء لقتلت كل من فى هذا المجلس وكنت أملك القصر بما فيه أسرع من تردد النفس إلى الجسد فقالوا له أصحابه نحن فى قله وهؤلاء فى كثره فقال شرا كيل وحق دينى أن هؤلاء عندى مثل الاطفال الصغار وأقل مقدار لأنى ما ألكم الواحد منهم سوى فرد لكمه وقد خرجت روحه من بين جنبيه فلما سمعت كلامه ضحكت عليه فسمع أبو الهزاهز كلام البطال فانقلب سواده إلى بياض وقال يا أبا محمد قل له يلاكمنى فان رضى فهو الغرض وإنى وحق

المضطجع بيثرب ما السكه سوى فرد لكمه فى قفاه أطير بها أضراسه من جمجمة رأسه وأعدمه بها الحياة وأهد أساسه ويسكن بها ارماسه وتبكى عليه جميع ناسه ويوحش جلاسه ويتوب عن الملائكة من يراه فضحك الرشيد وكل من كان حاضر وقال يا أبا الهزاهز ما هو من الواجب قتله وهو فى دارى فقال يامولانا وإن ماقتلته وهو فى دارك قتلته لما يخرج من دارك وان اشترط على نفسه الكلام مايبقى علينا ولا عليك ملام فاسأله ياأبا محمد انه كان يلاكم فانى على لكامه عازم فقال البطال الديلمى بلسانه قد سمعت ماتقولون وهو كذا وكذا وأنت قد قلت لى أمرك صاحبك جرم لكنت بطشت بكل من هنا ونحن عندنا فرد رجل ان أردت لكما يلاكمك وإن أردت صراعا صارعك وكان هذا شراكيل كانه الفيل فى الهيكل والقد وقد ضربوا به المثل فى بلاد العجم فلما سمع كلام البطال فرح بذلك المقال وقال فى نفسه هؤلاء جاهلين بفعالى ولابد ما أوريهم شيء من أعمالى ثم وثب كانه بعير وخلع ثيابه من على بدن كانه العاج وفى وسطه كشبان من ديباج وفى ذراعه ملج ذهب كانه خلخال ثم أنه أشار إلى البطال وقال يقوم منكم مائة رجل حتى تروا العجب فالتفت أبو محمد إلى أبو الهزاهز وإذا به قد وثب كانه بعير أسود وشق عليه من شراكيل كل الغيظ والحرد وقال قل لاصحابك يشهدون عليه فانى ما ألكمه إلا بارادته حتى لايكون على مولانا أمير المؤمنين شناعه فى قتل الرسول فقال الخليفة أنت تلاكمه فايش أوجب القتل فقال وحياتك يا مولاى ما الكمه غير لكمة واحدة إلا وقد فارقت روحه جسده فأخبر أبو محمد لما قال أبو الهزاهز هذا المقال فضحكوا الديالم لما يعرفوا من صاحبهم وقوته فى ذلك الفن هذا وأبو الهزاهز قد مشى إلى صوب شراكيل وهو كانه بعير من عظم خلقته ولم يخلع ثيابه بل شمر كميه إلى حد مرفقيه وحسر عن ساعديه وهجم عليه غير مكترث به وتلاكما لكمتين لاغير فسمع لهما دوى كدوى الرعد القاصف وكان السابق بالضربة شراكيل لان هذا من شغله فأدار أبو الهزاهز لها كتفه فوقعت فيه كانها حجر منجنيق وكان أبو الهزاهز له كتف كانه عدل ثبت وكان عليه لحم كانه سنام بعير ثم لكمه أبو الهزاهز فى صدره غامت يده فى بطن شراكيل فمات من وقته وساعته وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار واصفرت وجوه أصحابه فقال لهم البطال وأنتم تلاكموا فقالوا نحن رسل أتينا بكتاب ونأخذ رد الجواب فضحك البطال من هذا الخطاب وأعطاهم الكتاب وساروا من وقتهم وساعتهم (قال الراوى) هذا جرى هينا (وأما ماكان) من الأمير عقبة

الوهاب فانه قال ياخليفة رسول الله ماهذا الانتظار فقال ماذا نصنع قال تنادى فى العسكر بالرحيل ونرحل على أثر الرسول فما يشعروا بنا إلا ونحن قد هجمنا عليهم فأمر الخليفة النقباء فنادت فى الناس بالرحيل وقالوا كل من أكل من خبز السلطان فلا يخلى له شغل بعد ثلاثة أيام (قال الراوى) يا ساده يا كرام وبرز الخليفة من ظاهر بغداد وخرجوا العساكر وضربوا المضارب والخيام وفى ثالث الأيام تكاملت العساكر وأعرضت فكانوا ثلاثمائة ألف سوى عشرين الف أسود بصدور الزرد فكانهم قطع الجلمد وهم بالدروع والزرد وسار بهم الرشيد يقطع الأرض رفعا وخفض إلى أن بقى بينه وبين جرم مرحلة واحده ونزلوا على أرض يقال لها الهزو وكان جرم قد قدم بين يديه الأفيال فصاحت الأفيلة صيحة عظيمة سمعت من مسيرة يوم فنفرت خيل عسكر الرشيد فقال الرشيد إنا لله وانا اليه راجعون ثم بات الرشيد فى موضعه الى أن أصبح الصباح ووقعت العين على العين تقابل الفريقين عندها نزل جرم بقية يومه وأمسى المساء والافيلة تزعق فتجفل خيل الرشيد فقال لخواصه ماذا يكون عملنا وهذا المجوسى فى خلق لاتحصى ولا تعد فقال البطال الرأى يا أمير المؤمنين أن نأخذ قوارير النفط ونضرب بها فى وجوههم ترجع الافيلة على اعقابها وبالله المستعان فقال الرشيد إن هذا الرأى سديد ثم باتوا إلى الصباح فركب جرم فى مواكبه وركب عسكره يمين ويسار وقلب وجناحين وقدمت الفيالة أفيلتها وكذلك الرشيد ترتبت عساكره ميمنة وميسرة وقلب وجناحين فكان فى الميمنة الامير عبد الوهاب ووالدته وبنى كلاب وفى الميسرة الامير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم وفى الجناح الأيمن أبو الهزاهز وسودانه وفى الجناح الايسر أبو محمد ووقف الخليفة فى القلب يحرض الناس على القتال وحملت العساكر على بعضها بعض وحمل جرم وأصحابه فلم تمنع ضرباته الدرع ولا الاتراس ولا كثرة اللباس (قال الراوى) يا سادة يا كرام وحملت عساكر العراق وفى أوائلهم أبو الهزاهز والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وضيغم وقشعم وقد أظهروا الضراب وعمل السيف فى الرقاب وولى الجبان يطلب الهراب وساق الأمير عبد الوهاب العجم سوق الاجناب تقطع بسيفه الاتراس وفرق اللباس وطير من الراس الانفاس وأما الاميرة ذات الهمة فانها قتلت كل فارس دعاس وكذلك جرم ومقدم عساكر الروم وتبعتهم كفعالهم عساكر الديلم وكان فيهم كل فارس عشمشم وعباد الوجود من الطائفتين عدم ونظروا إلى ثبات خيل الرشيد

وإلى عبد الوهاب وإلى من معه من الفرسان الصناديد فخاف جرهم على نفسه وصاح في الفيالة فتقدموا ثلاثمائة فيل وعليها الرجال الأبطال فضربوا بالكلاليب في رؤسها والسيوف في خراطيمها ربطوها وبقتل أصحاب الرشيد أمروها فصاحوا وزعقوا زعقة واحدة فخيل للقوم أن السماء قد انطبقت على الأرض فرجعت الخيل على أعقابها ولم يثبت منهم واحد من الفرسان لأن الخيل ما تقبل على الأفيال وعدم الضوء وأظلم الجو وتقدم جرهم إلى أن صار قدام عسكر الرشيد وقد فرح الفرح الشديد وأما الخليفة فانه صعب عليه وكبر لديه وأيقن أن المنيه واصلة اليه وأيقن بزوال ملكه من يديه وجمع الأمراء وشكا لهم مانم وماجرى وقال والله لقد أيقنت بخروج الملك من يدى وقد قل صبرى وجلدى لأن فيل واحد ما لنا فيه كفاية ولا تدبير فكيف الحيلة وهم هؤلاء الجمع الكثير وجرهم الذى جاب لنا كل فيل فى الدنيا والله تعالى يكفينا شره ويرد مكره فقال البطال يا مولاى كم قد جاء معك من النفط قال عشرين ألف قارورة فقال البطال على بها فأحضرت بين يديه فالتفت البطال الى السودان وقال ما لهذا الأمر إلا أنتم وتكون هذه القوارير معكم تضربو بها وجوه الأفيلة والفرسان من خلفكم يضربون بالسيف فقالوا سمعا وطاعة وباتوا القوم على ذلك الترتيب وبات الرشيد وقد خف عنه بعض ما يجده ولما أصبح الصباح ركب جرهم المجوسى وقد انتظر الأمير عبد الوهاب أن الخليفة يظهر من السرادق فلم يظهر فأتى إلى السرادق وقال لجوهر الخادم ما بال أمير المؤمنين ما ركب فقال يا مولاى والله مالى به علم ودخل إلى السرادق وعاد ورجع وهو مصفر اللون فقال له الأمير ما لك فقال يا مولاى ما لقيت على السرير احد فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم يا جوهر لا تخرج هذا الكلام من فيك أبدا ثم أن الأمير أدعا بعمرو بن عبيد الله وأطلعه على القصة فبقى الأمير فى حيره وقد كتم أمره ولم يبح بسره لأحد واشتغل الأمير جرهم وصفت الصفوف وقد صاح جرهم فى الناس ودقت كؤساته وأقبلت الأفيلة كأنها الجبال وضربوها الرجال بالكلاليب الفولاد فى رؤسهم وصاروا يميلوهم يمينا وشمالا ورأى الأمير عبد الوهاب إلى ذلك الامر فترجل وترجلت الأميرة وترجلت السودان ونادى الأمير بأعلى صوته يا آل حام يا أولاد الكرام افعلوا كفعلى بالكفرة اللئام ثم أن الأمير عبد الوهاب ضرب فيل بقارورة كانت فى يده فعلقت فى السرير فكانت مثل النار فى الشموع وصاحت الأميرة وضربت فيل آخر

وكذلك فعل ضيغم وكذلك أخوه قشعم وتبعتهم السودان وقد حست الافيلة بالنار فهجمت على وجوهها واهلكت خيل عباد النار ولم تزل النار تعمل فى أجسادها إلى أن هلكت وصارت لحم أسود ولم يبق إلا دماها وحملت الخيل على الخيل وأرمى الأمير عبد الوهاب الابطال يمينا وشمال وسار يدعس فيهم دعس والتقى فى المعمعة بجرهم المجوسى وهو يسقى الناس كؤس الوبال فهاجمه الامير وقد علم أن ثبات العسكر به وضربه بالحسام على رأسه نزل السيف إلى حد أضراسه وبعده تقابلت الجيوش وبقى الجبان مدهوس والتقت الاميرة ذات الهمة بولدها عبد الوهاب وقد عاد من الميدان وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وأما العجم والاتراك فانها لما نظرت إلى جرهم لما قتل خافت على نفوسها وأرواحها وألقت السلاح وطلبت الأمان فآمنهم الامير عبد الوهاب وسيرهم إلى بلادهم وسير خمسة آلاف إلى سائر الطرقات وأمرهم أن يفتشوا على الرشيد فغابت الخيل أيام وعادت تخبر أن ما وقعت له على أثر ولا خبر فضاق صدر الامير وأمر الناس بالاقامة وصار كل يوم يدور فى الطرقات (قال الراوى) وفى يوم من بعض الايام ركب عبد الوهاب وأبو محمد البطال إلى البر على ما جرت به عادتهما يدورون بأعينهم فى الطرقات ولما أرادوا أن يعودوا وإذا بشبح يلوح اليهم فوقفوا حتى وصل اليهم وقال لهم يا وجوه العرب وأصحاب الحسب والنسب هل معكم قليل من الماء حتى أروى به الظمأ فقال البطال نعم وأخرج له قربة الماء ومن فرحة البادى أرمى نفسه من على ذلك النجيب فوقعت عمامته ووقع منها كتاب مطوى فأخده البطال وفتحه وقراه وإذا مختوم بختم الرشيد فأخذه وتقدم به إلى الامير عبد الوهاب وقال له يا أمير يهنيك خبر الرشيد وهذا خطه ولما قراه فرح وقال للنجاب من اين أتيت قال من بلاد بعيدة من بلاد السرو وهى خلف مكة بثلاثة أيام وهذا الكتاب من رجل يقال له أنه من السلالة العظمى فقال أبو محمد بعد أن قرأ ذلك الكتاب وصلت إلى مرادك ولكن ما سمعت ما اسم صاحب هذا الكتاب قال بلى يا مولاى إنه يقول إن اسمه الرشيد (قال الراوى) وكان سبب أسر الرشيد سبب عجيب وذلك انه كان فى بلاد السرو رجل يقال له الأشعث بن طومان وله أخ يقال له النعمان وكان الأشعث له ولد شجاع والنعمان له بنت تخجل الشمس حسنا وطباع وتزيد على البدر علوا وارتفاع وتفوق على النساء عقلا وقناع وقد نشأت هى وابن عمها نشوا أحسن مايكون وكان اسم الولد طارق

واسم البنت فتون ثم انهما نشآ وتربيا وألف كل واحد منهما صاحبه (قال الراوى)
يا ساده يا كرام فلما بلغ طارق من العمر سبعة عشر عام طلع فارس عظيم وتمهر وتوفى
والده وأقام له العزاء مدة ثم بعد ذلك خافته الشجعان والاقران فخطب فتون من
أبيها وهو عمه فانعم له بها من خوفه منه وقطع عليه مهر ثقيل وطلب منازل العلا
فطلب طارق البر والخلا يجيب عمه الى ما يريد فغدر به عمه بعد مضيه وزوجها الى
غيره وأخذها الذى تزوج بها وقال ما أدخل بها الى عند والدتى فصادفهم طارق فى
الطريق وسأل عن ذلك فاخبروه بالخبر فحمل على القوم فولوا الادبار بعد ما تقاتلوا
مع طارق وأخذ منهم عشرين أسير من الرجال وكان قومه وعمه قريبين منه فاقبلوا
مشايخ الحلة فسلم الغنائم والاسلاب الى قومه وعمه وأطلق الأسارى وقال لهم قد
أوهبتكم أرواحكم فاخذه الدعاء من النساء والرجال وعاد يوصل عمه الى الحى وسمعوا
باقى الرجال المتخلفين فى الحى فشكروه على ذلك ثم أن طارق اجتمع بمقدمين الرجاله
وقال أريد تخاطبوا عمى فى فتون لأنه غدرنى مرة بعد مرة وأنا أرمى روحى فى
المهالك فقالوا سمعا وطاعة ثم ساروا الى عمه النعمان وكلموه فى حق طارق وقالوا له
قد جئناك فى أمر طارق تزوجه بابنتك فتون فلم يقدر يأتى بحجة يحتج بها دون أن
قال لهم يابنى عمى حاجتكم مقضيه وسوف أبلغكم الامنية غير أن فى الأمر شىء واحد
قالوا وما هو أيها الامير قال قد علمتم أن طارق فقير من المال وان كان ولابد له أن
يأتينى بشىء أفتخر به على العربان فقالوا وما تريد من طارق قال أريد أن يأتى بطرفه
بنت الغطريف بن قيس ملك الحصون سيد بنى حمير لتخدم بنتى ليلة زفافها فلما سمعوا
مقاله ظهر لهم جماله وقالوا والله انه رماه فى بحر عظيم وكان هذا الغطريف بن قيس
سيد بنى حمير رجل مذكور تخاف العرب منه ومن شره وتحذر من مكره وكان رجل
شديد البأس صعب المراس يقبض السباع بيده وكل من تعاصى عليه خلع فكه بيديه
وهو أشر العرب خبثا قد أكل أموال الجبابرة وأذل رقاب الاكاسرة بسيوفه الباترة
وطاحون حربه على قمم الابطال دائره وغاراته على أعدائه متواترة وأسود حربه فى
وجوه ملوك العرب كاسرة وقد أصبحت الملوك من حوله ذو همم فاتره وتحت يده
خمسة آلاف فارس مثل السباع الكاسره وله ابنة مثل القمر الزاهر والفلك السائر
ومن حولها مائة جاريه مثل النجوم الزاهرة ولم يخطبها أحد من الناس خوفا من هيبة
أبيها الذى قد ملا قلوب الناس فزعا ورعبا فلما سمعوا ذلك المقال عادوا على طارق

الكلام فقال طارق وذمة العرب لأمضين إلى قضاء حاجته قالوا سمعنا أنه يقول أن في ذلك شرف لفتون وتفتخر بذلك على بنات الملوك فلما سمع ذلك قال خذوا لي عليه العهد والميثاق حتى أمضى إلى تلك الديار والرستاق فصاروا يعزلوه ومن العطب يخوفوه فما سمع من مقالهم ولا عذلهم فساروهم معه إلى النعمان قالوا اعلم أنك قدرميت ابن أخيك في بحر ماله قرار فاعطيه يدك بما تختار على أنك لاتمسك به ولا تغدر أن هو سلم من المهالك فقال لا وذمة العرب وإلا نفيت عن ظهر أبي ولا بلغت مطلوبي عند ذلك طلع طارق وودع أمه وعمه وأهله وقومه ثم جاز على بنت عمه ورفع باب الخبا وقال يا بنت العم عليك مني السلام يا ترى إن كنت أعود أو أشرب كاس الحمام فقالت وعليك يا ابن العم السلام على ماذا عولت فأعاد عليها ما قال أبوها وطلبه فبكت وقالت والله هذا يوم الفراق لأنك والله يا ابن العم قد ألقيت نفسك في المهالك فقال يا ابنة العم لاتحسبيني باول من غدر به الزمان وخانته صروف الايام فان أنا سلمت بلغت آمالي والمرام وأوقفت طرفه بنت القطريف على خبا كي من بعض الخدام وان أنا عطبت فالملتقى يوم الزحام وأنشد :

ألا يا ابنة النعمان حبك قاتلي ... وقد زاد شوقي حين زادت بلابلي
وحلني عمي أمورا ثقيلة ... ولا قصده الانصاب مقاتلي
وقد هان عندي كل صعب أريده ... وخالفت فيكي ناصحي وعوازلي
ولا بد أن أمضي إلى أرض حمير ... وأطمع أن أحظى بما أنا آمل
فان سلمت روحي آتينك سرعة ... وطرفة في حوزي وقبض أناملي
وان تكن الأخرى وأبطأت فاعلمي ... بان الرحا يا ابنة العم شاغلي

(قال الراوي) فبكت لما سمعت من ابن عمها ذلك وأجابته تقول هذه الأبيات :

يعز علي يا ابن العم أن تكن ... لأجلي رهينا في بلاد الارازل
فان أنت يا بن العم جئتنا سالما ... تسلمت مني ظبية في الغلايل
وان أنت بطلت المسير فانه ... صواب ولا ألوى على عذل عاذل

(قال الراوي) فبكا من قولها وسار ومعه عبد اسمه فلاح فجعل يقطع الأرض طولها والعرض حتى قرب من ديار القطريف وتلك الحصون واطراف بني حمير وأشرف على الحي الذي فيه القطريف بن قيس سيد بني حمير وسمع ضجيج الخلائق فقال له عبده فلاح اعلم يا مولاي أن الأمر عظيم والخطب جسيم فكيف الوصول

إلى ما تطلب فقال يا فلاح أريد منك أن تمضى وتدعنى وتدخل فى زى سائل من فقراء العرب حتى نعرف البيت الذى فيه طرفه وتعود وتعلمنى فاذا هجم الليل بظلامه وضرب على الخافقين خيامه أسعى بروحى إلى أخذها وأتوصل إلى أمرها بالحيلة فقال له فلاح أنا آتيك بالخبر ثم مضى العبد إلى الحى ولبس ثوب خلق ودخل إلى البيوت وجعل يقصد كل بيت رفيع العماد حتى وصل إلى بيت الغطريف وسأل عن بيت الحريم فأرشد اليه فقرب منه وجعل ينظر اليه ويقول أنا رجل جار على الزمان ورمانى بعد العز والحرمان ولى أولاد قد أضربهم الجوع والبرد والخزلان وجعل يبكى ويستعطى فخرجت له الأولاد وجعلوا ينظرون اليه فرفع صوته بالنحيب والبكاء فخرجت طرفه عند سماع بكاه كأنها شمس ضاحية فى سماء صاحية وجعلت تسمع كلامه وقد عرف أنها طرفة بالصفة التى وصفت بها فقال لها أيتها الاميرة اعلمى أن لى بنت وقد زوجتها وهى فقيرة ليس لها شىء تستتر به وأريد لها شىء يسر قلبى وتنالين أجرها فقالت يا هذا انى ما أنا ذات بعل أتصرف فى ماله وأبذل يدى فى رحاله ولكن ما نخيب قصدك فكون فى الحى إلى أن يظلم البيداء ويلبس الليل من السواد رداء فانى سوف أخرج ببعض أترابى من العربيات ومع بعضهم شىء من الكسوة من خليع ثيابى وتأخذها بحيث لا يراك الغطريف أبى فانه يغار على من الطفل الصغير أن يرانى فقال لها أيها السيدة وفى أى النواحى أقيم حتى تأتينى الجارية بالكساء فقالت له أما رأيت الغدير القليل الجرى البعيد من الحجر نحن نأتى هناك فدعا لها ومضى كأنه يطوف حول البيوت وهو كانه الولهان حتى وصل الى الأمير طارق فأخبره بما جرى فطار قلبه فرحا فقال له عبده وعلى ماذا عولت يامولاى قال اصبر إلى الليل ثم اكمن قريب من الغدير فاذا اقبلت الجوار وهى معهن أهجم عليهن وآخذها فقال له عبده فلاح إن كنت عزمت على هذا فدعنى أهرب من وقتى وساعتى لأن النفير يقع بك لا محالة وتطلبك الخيل تحت ظلام الليل ويحل بى إذا كنت معك الويل فقال له طارق وقد ضحك عليه ويلك يا فلاح أتظن إنى أنهزم إذا جاءت الخيل ولو كان مثل السيل وإنما أسلم اليك طرفه وهى مكتوفة اليدين وأكر أنا على الفرسان وأفرقهم فى السهل والجبل فإذا عادت تلك الأمم سرنا نحن تحت حنادس الظلام فما يصبح الصباح إلا ونحن قد قطعنا أرضا بعيدة فقال يقول الناس فى الأمثال إن أردت أن تطاع فربما يستطاع فان سلمت إلى طرفه أخاف أن ترفصنى بمداسها تصفعنى فقال يا ولد

الزنا فى الحرب ما أحلك وفى وعث الكرب ما أذلك فقال أيها الامير ها أنا سامع لك ومطيع وان قتلت فدى فى رقبتك فقال طارق طب نفسا وقر عينا ماترى بؤسا ولا شينا وأقاما مكمنين إلى أن أقبل الليل فعندها ساروا البنات حتى وصلوا إلى الغدير وطرفه بينهن كانها غزال عطشان أو ظبي ولهان فعندها وثب طارق عليها فتفرقت الجوارى من حواليها وكانت قد خرجت مع أترابها مع علمها أنه ما يقدم عليها أحد من العرب خوفا من أبيها لأنه يأخذ بخفارات العرب جميعا كما ذكرنا فانقض عليها الامير طارق انقضاض الباشق وخطفها من على وجه الأرض أسرع من البرق البارق وشدها من خلف ظهره وسار هو وعبده نجاح ورجعت النساء صارخات مولولات فنادت الرجال ما وراءكن قالوا أخذت الأميرة طرفه أسيرة خطفها رجل كانه العقاب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فانقلب الحى بما فيه من صياح الرجال وهجمت الأبطال على خيولها وسحبت الحراير من خلفهن ذيولها وركب الغطاريف على جواد خفيف جيد النسب وطىء المركب وأحدقوا به الليوث من كل جانب ولم يزالوا يجدوا فى السير من غير تقصير حتى لاح الفجر بصباحه وقد أدركوا طارق على ضامر سابق وحققت الحقائق وبان الكاذب من الصادق وبانت السيوف والطوارق فنادى فلاح يامولاى هذا الذى كنت أحذره وقد دهمك من العسكر بوادره ولحقك الغطاريف بن القيس بعساكره وقد كنت شرحت لك باطن هذا الأمر وظاهره فأرى يا مولاى طرفة فى هذا الفلاه وخذ لى ولك النجاه فقال طارق ثكلتك أمك وعدموك قومك أسكت لا ملام إنما الذئب يفرح اذا كثرت الغنم فخذ الجاريه وتسلمها وانظر كيف افاق منهم القمم واترك وجودهم عدم واخضب بالدم بيض اللمم وستعلم يا عبد السوء من أثبت منا واقدم ومن هو على الأمور مقدم (قال الراوى) يا سادة ياكرام ثم ألوى عنان جواده واستقبل القوم ونادى ما أبركه من يوم وأراد أن يحمل على القوم وإذا بالغطاريف أشرف على طارق فرآه شخص واحد فزاد تعجبه لأنه ظن أنه جيش عرمرم أو ملك مقدم فلما رآه واحد وهو صبي صغير السن قريب المهد فناداه الغطاريف خل الكريمة طرفه يا من نادى المنادى بارغام أنفه ودنو حتفه فمن أنت قل وأوجز قبل حلول المنية ووقوع الرزية فقال ماغير طارق ابن الأشعث وخطبت بامعى فتون ابنة النعمان فأبى أن يزوجنى إياها حتى تخدمها ابنتك وتقف على رأسها كريمتك فقال الغطاريف خليها وانج بنفسك سالما فقال

طارق ان من دون ذلك ضرب يفك الحديد ويشيب الطفل الوليد ويفتت الجلاميد ويعجز عنه الفارس الصنديد فقال الغطريف فى نفسه والله هـذا عاشق ولا يجوز قتله ولا سفك دماه وقد حمله الهوى على ما ليس يهوى فقال يا غلام خذ طرفه فهى لك تحفة وتكون أنت وهى عندى فى أعز زلفه فقال له طارق وقد تبسم يا غطريف أما قولك خذ طرفه فأنا ما أريد إلا فتون وأما ظرفة فما إلى تركها من سبيل فلما سمع الغطريف ذلك زاد غيظه وصاح فيمن حوله ويلكم خذوه وبأسيافكم قطعوه وبالرماح خرقوه وتحت حوافر الخيل مزقوه فحملت على طارق الخيل وانحطت مثل السيل وكان قد سلم طرفه إلى عبده فلاح وعاد إلى الخيل مثل عودة الأسد الوقاح فتلقاهم بضرب الصفاح ويرى ما معهم من الرماح هذا والخيل تصدمه والرجال تطلبه وهو يبدد فوارسها ويقتل أشاوسها ويرد عوابسها إلى أن توقد الحصى وزاد الأمر وقل الصبر وعظم الكر والفر وفزع البطل وتنحر وتقدم الغطريف إلى أصحابه ونادى أذلكم الله بين العرب وأذل لحاكم ما أقل حماكم عن الحريم يا ويلكم هذا يجرى عليكم من فارس واحد وهو يعد من الصبيان فكيف لو كان فارس مغوار أو عسكر جرار فقال رجل من القوم وقد جاءت له طعنة فى فؤاده فوقع وكره الحياة والله يا غطريف ما أراك إلا تقدمنا وتتأخر وتقول كلام ما فيه شىء مفسر ولكن نريد منك أن تحمل أنت عليه وتنظر حربه وقتاله حتى تذوق ما ذقناه وتشرب ما شربناه وتبقى بعد ذلك تعذرنا فغضب الغطريف من سماع ذلك الكلام (قال الراوى) وقال لأصحابه ويلكم يا لئام غير كرام لمثلى يقال هذا الكلام وأنا بطل همام وأسد ضرغام لا أخاف الموت ولا أرهب الفوت وأنا قلة نزولى إلى الميدان ومحل الضرب والطعان إلا خوفا تعايرنى قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب فلما سمعوا منه أصحابه ذلك الخطاب قالوا والله ما هذا إلا فارس ثابت وبطل مهاب ولا يحمل عليه إلا من هو أفرس منه فى الطعن والضراب فلما خاطبوه أصحابه بهذا الخطاب عملت معه نخوة جاهلية الاعراب وقام وقعد وأرغى وأزبد وقام الغطريف من وقته وساعته وحمل على طارق كانه السهم الخارق بقلب أقوى من الصخر والجلمد وساعد قوى على قتال الأبطال معود وفى دون ساعة عرف كل واحد منهما صاحبه وإن طارق حمل على الغطريف واستلان جانبه وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فمال عن جواده وقد عدم رشاده وبعده ولت بنى حمير من بعد

الأقدام وقالوا والله من لقى هـذا الفارس إلا وهو من الحيـاة يائس ثم لوا الأدبار وركنوا الى الفرار وطلبوا الجميع الديار ونال طارق من أسر طرفه ما اختار وسار طالب أرض السرو وهو يقطع الليل والنهار الى أن أوسع فى البرارى والقفار وهو ينشد الأشعار .

ترى غـلم النعمان أنى همامها وضرغامها فى حضرها والبواديا
وانى أجيـد الضرب فى كل معرك اذا انعردت أبطالها من طعانيـا
ولا ذنب لى الا لأنى أمرؤ رأيت سماح النعس أعلى المعاليا
والا هواى بابنة العم لم أكن طرقت ديار الحمـيريين غاريا
ولكن رأيت الحب يحمل للفتى على العشق حتى لا يجيب المناديا

(قال الراوى) يا ساده ياكرام وسار وقـد بلغ مايختار وطرفه قد خافت على نفسها وذهب عقلها وعلمت أنه فارس البيداء وإن ناره لا تصطلا ولم يزل بها فى الوادى والقفار حتى قرب من الديار فلما أصبح الصباح وطلب المسـير وإذا بهودج واموال وعبيـد تضرب بالسيوف واماء تضرب بالدفوف وهودج عالى على بازله من الجمال وهو موشح بالحرير وعلى رأسه هلال من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وخمسين فارس مثـل الليوث العوابس وفى مقـدمة الفوارس فارس من العرب كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل مفتول السواعد واسع المناكب كانه القضاء الغالب وتحته جواد مثل السرحان والقوم سائرين سير الافراح ولهم جلبة وصياح فلما رأى طارق إلى ذلك طار قلبه ولعب لبه وقال لعبده يافلاح انظر ماهذا العروس فإنى أريد أن آخذ من اسلاب هذا القوم ما يعيننى على الزفاف ومن فدية العروس مايقوم بى فى ولائم العرب تقال فلاح يامولاى قل من التعرض إلى فرسان الحجاز فقد حطت من الدماء ماكفاك فقال له يا ولد الزنا لا تراددنى فيما أقول فاقطع رأسك واخمد أنفاسك يا ويلك أما سمعت مجنون ليلى حيث يقول هذه :

ومدت عنقهـا ثم استمدت على قطع الفيافى واستقرت
ولما أن رأتنى مستهام بعيد الأهـل مشتاق لحنع

فكيف أنا وقد رأيت الهودج وقلبى تحمل مالا تحمله ركبان عالج خذ لى الخبر وعود على الأثر فعندها سار العبد يقطع الفيافى والقفار (قال الراوى) هذا جرى هينا واما ماكان من طارق فإنه تذكر ماجرى له فى ديار الغطاريف وتذكر فتوته

وحسن ذياك العيون فأن أنين وجده وكثرت أشواقه وقد تمنى أن يصل العبد بحقيقة الخبر اليه وقد زاد شوقه إلى فتون وحن إلى تلك العيون فبينما هو كذلك واذا بالعبد عاد مسرعا وهو يسعى بقوة واهتمام على وجه الأرض كأنه ذكر النعام وهو يصيح وينادي يا مولاي انظر وراك ومن بشره رماك فقال طارق دع عنك المحال فقال العبد أما تعرف صاحبة الهودج قال لاوذمة العرب فقال العبد يامولاي ما هذا إلا هودج ابنة عمك فتون وقد زفت على الخطاف بن بكر سيد بنى قحطان فلما سمع طارق من العبد ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وكان السبب فى ذلك أن النعمان لما خرج ابن أخيه طارق إلى ديار الغطريف أيقن أنه لا يرجع اليه أبدا وقال لابد أن يشرب كاس الردى وبعد مسيره بأيام وصل إلى عند النعمان شيوخ من بنى قحطان وخطبوا بنته لسيد بنى قحطان وكان اسمه الخطاف لايقاتل فى الحرب لابسيف ولا بمزراق وإنما كان إذا التقى بالفرسان يخطف الفارس من أعلى جواده ويضرب به الأرض فيرض عظامه رض وقد شاع ذكره واسمه الخطاف على ألسنة السفار والفرسان وكان إذا ركب على جواد من أعالى الخط تخط ابهاميه فى الأرض وكان أكثر العرب أموالا وأبخلهم نوالا واذا دعاه الانسان فى وليمة فرح وان طلب منه شيء وقع به الترح كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات :

أرى الخطاف يبغضنى لأنى ... وقفت ببابه عند الغداء
فلو أنى علمت أخذت حذرى ... وما يغنى الحذار من القضاء
يغار على الرغيف اذا رآه ... كما غير الرجال على النساء

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هو أن الفارس الموصوف لما خطب ابنة النعمان وبذل لها من الأموال وذلك أن النعمان قد عرف ما هو فيه من الشح والبخل والظلم وعرف أن مافى الأرض أشجع منه ولا اكثر مال منه ولا ابخل منه فأجابه الى ذلك فقالوا له قومه يا هذا الست كنت قد اخذت بيد ابن أخيك على زواجها له وان هذه الفعال التى انت تفعلها فعل اللئام الذين غير كرام فلم يلتفت الى قولهم وعذلوه فلم يلوى الى عذلهم وانه دخل على زوجته وقال لها قد زوجت ابنتى بالخطاف عين الفرسان فقالت له الست كنت قد زوجتها بابن اخيك طارق فخرج من عندها مغضب ولم يرد عليها جواب وقال للذين قد اتوا من عند الخطاف قد اجبته الى ما طلب وهو عندى اعز من خطب فردوا اليه واخبروه بخبر طارق لهم فقال انا اغتنم الفرصة ثم

سار الخطاف من يومه واخذ صحبته خمسمائة ناقة حمر الوبر وخمسين رأس من الخيل الجياد وألف رأس من الغنم ومائة ثوب من الديباج المعلم وأخذ فى صحبته خمسين فارس من الفرسان الجياد بسيوف حداد ورماح عداد وسواعد شداد وعول على أن كل من قام الى طارق فى حمايته عجل مصرعه وقرب منيته وسار الى أن وصل الى حى النعمان فخرج اليه ومعه جماعة الفرسان والتقاه وتسلم منه المال وجميع ذلك الأثاث وأخرج اليه الضيافات والعلوفات وتمت سائر الأحوال والأمور ونحرت النحور ورقوا المدام وقد ذبحت الأغنام وأخذوا فى الأكل والشرب واللهو ثلاثة ايام وبعد ذلك زوجها ابوها بالخطاف وتم الأمر وانتهى ولم يبق الا الزفاف واما فتون فصعب ذلك عليها وكبر لديها واكلت لحم زنديها وابدت تفجعها وعويلها وصارت تفعل ذلك حتى تشفى غليلها فلما علم ابوها منها ذلك دخل عليها وضربها حتى ادماها وقال لها ويلكى يالخنا أنا طالب بكى اصلاح الحال وأنتى تطلبى الفقر والاذلال ثم خرج من عندها وقد سكتت فتون وصبرت على ما نالها من تلك الغبون وفى ساعة الحال دخلوا عليها المواشط وأصحاب الفتون وقوسوا الحاجب وكحلوا منها العيون وانها كانت عن تلك الزينة فى غنى لأن الله عز وجل صورها فى أحسن صورة (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما ان فرغوا من تجهيزها من هذا الحال حملت فى الهودج فوق بازل من خواص الجمال وقد فاح من داخل الهودج المسك والعنبر والند والعود وبرق ما عليها من تلك الجواهر واللآلى وسارت وإلى جانبها المحامل وساروا كما ذكرنا والتقاهم الأمير طارق كما وصفنا فأخبره عبده كما ذكرنا فحمل على القوم شبه الأسد إذا عاين فريسته وصاح صوتاً أزعج به أوائلهم وأواخرهم وقال لهم خلوا عن الكريمة فتون وإلا وحق من لاتراه العيون ولا تخالطه الظنون أجعلكم كأمس مضى ماله عوضا فقالوا له ويلك من أنت حتى طمعت فى ذلك فقال أنا طارق ابن عم فتون قتيل هواها وأسير عيناها الذى قد أيتمتنى الفرقة واغتالتنى المحبة (قال الراوى) ثم برز اليه الخطاف إلى حومة الميدان وأخذ معه فى الضرب والطعان فوجد نفسه الخطاف يضرب فى حديد بارد فقال الخطاف ويلك يا طارق دع اللجاج فقال له طارق يا ويلك إذا كان الحبيب لى موافق فلا أبالى بعمى إن كان كاذباً أو صادقا فقال الخطاف وإن الحبيب غير موافقا والا ها أنا وأنت نمضى اليها ونخليها تختار واحد منا فقال طارق رضيت بذلك فان فيـــه حقن الدماء ثم نادى

الخطاف ارفعوا السيف فرفع وقال الخطاف لقومه قد عزمنا على كذا وكذا فرضوا بما قال وصبروا الى أن أقبلت الرجال وساروا كلاهما حتى وصلوا الى الهودج وكانت قتون قد سمعت بذلك فسألت عن الحال فأخبروها أن ابن عمها طارق منعنا عن المسير وقد طمع فى أخذك سبيا فلما سمعت ذلك كاد ان يطير فؤادها فرحا ثم خافت على طارق من كثرة الجمع وأظهرت حزنا وبقت مثل الحبة على المقلة وكلما برز اليه فارس قتله ففرحت قتون وزاد له حبها وكثر عجبها فلما انكبت عليه الخيل جرت دموعها مثل السيل وما انكشفت الغبرة الا وقد قتل من الأقران عشرين فارس فأقبل نحوها فارسين وهم لها طالبين ولما قارباها عرفت طارق فكادت أن ترمى روحها من الهودج فمنعها من ذلك الحياء فلما أن قربا نادى الخطاف بالمولدات

أن اعلموها بما جرى من الأمر وأنا قد جعلنا الأمر اليها فان أرادت
ابن عمها يتسلم زمام الناقة ويسير وما أكون قد حملت لها
لا قليل ولا كثير وإن أرادت أمير بنى قحطان
صاحب الأموال والأنعام والرجال
والغلمان فينصرف عنها هذا
الشيطان

(تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر)

سيرة الأميرة

ذات الهمة وولدها عبد الوهاب

جزء ١١ - ٢٠

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

i 237 2756 |

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الحادى عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى) ياساده يا كرام هذا وطارق فزع أن تكون ابنة عمه فتون قد تغير عهدها ودهب ودها فناداها برفيع صوته يقول هذه الأبيات :

عليك سلام الله يا ربة ويامن لها وجه يفوق على البدر
سلام محب للعهود محافظ مقيم على ماتعهدين من الأمر
له قلب محزون وقلب موله وحرقة محزون يموت من الهجر
لقى فيك كل النائبات بأسرها من الضرب بالهندى والطعن بالسمر
وقد جعلوا حكم الأمور مسلما اليك وأنت اليوم صاحبة الأمر
فان كانت الأيام تجمع شملنا شكوت لأمرى مالقيت من الدهر
وان كانت الأخرى فياطول حسرتى ويانار أشواقى تزايد فى صدرى

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمعت ذلك الشعر والنظام رفعت سجاف الهودج والبرقع من على وجهها وفتحت عينين كأنهما عيون المها ثم نادت ولم يعيقها عن كلامه عائق بل تزايد بلبالها وطاش عقلها وأرمت اليه بكفها ورفعت صوتها وأجابته على شعره تقول :

ألا ياابن العم يامنايا من العمر ويا سر سرى ياحبيبى ويا جهرى
تغيبت عنى ياحبيبى وأدمعى على صحن خدى قد جرت تحكى القطر
وحبك عندى فى فؤادى مخيم مقيم وودى لايزال الى الحشر
وقالوا أناس سوف تسلوا ابن عمها لقد كذبوا والركن والبيت والحجر

(قال الراوى) ياساده يا كرام ثم نادت ياسادات العرب هل سلمتم الأمر الى قالوا لها نعم سلمنا الأمر اليك وهذه القصة إبرامها فى يديك وكل من رضيتى به بعلا

فهو لك أهلا . هذا ونادى باسمه فقالت اعلموا أن حق القول أصدقه والأمين عند منطقه ومن كان له ألف لايشتهى إلا ألفه سيما وهو ابن العم وكاشف الغم وأنا الذى لا أحب سواه ولا أشتهى إلا إياه (ياساده) فلما سمعوا ذلك من قولها فلم يردوا عليها خطاب ولم يرضى الخطاف بقولها ثم قال ما يكون الحكم إلا على الأقران ليس هو بمشورة النسوان فقال طارق الغدر قبيح وأنت الذى حكمت على نفسك واذا كنت لاتثبت على قولك فدونك وميدان الحرب وموقف الطعن والضرب لأن الحسام يفصل الكلام فعند ذلك قال الخطاف لقد قلت الصواب فدونك والحرب ثم فتحا فى الارض ميداناً وأجادا ضربا وطعانا حتى جرى العرق وزاد القلق فكشفت (فتون) عن وجهها من خوفها على ابن عمها ونادت يا ابن العم قوى الله حيلك وأنالك مأمولك فلما رآها صاح وهبت عليه الريح الشوق والارتياح ثم هجم على الخطاف بضربة وقال خذها وأنا حبيب (فتون) فنزل السيف فى جمجمته نزل يهوى الى سرته فنظرت العرب الى تلك الضربة فقالوا والله انها سفرة صعبة فخلوا الرجل ولا تتعرضوا له فقال بعضهم لبعض : هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ثم ألووا رؤوس خيلهم وطلبوا الى أرضهم وصار طارق حتى وصل إلى (فتون) فقالت له لاشلت يداك ولا كان من يشناك (قال الراوى) يا ساده يا كرام فضرب بيده الى زمام ناقته واذا بعبده فلاح قد طلع طرفة عند سته فتون فى الهودج وسار هو وطارق وزمام الناقة فى يده وقال رضيت أن أكون لك قائدا (قال الراوى لهذا الكلام) ياساده يا كرام ولم يزل يجد السير حتى أشرف على حى النعمان وذهب المبشر يخبر بقدومه وفتون معه ففرح قوم وحسدوه قوم ودخل الحى واجتمع بعمه النعمان وسلم اليه طرفة فظن عمه بأن يكون الغطريف والخطاف بالحياة فنخرب دياره فقال هل تعرف ما كان من الغطريف قال نعم قد قتلته وفى الفلاة جندلته فقال كيف أخذت فتون من الخطاف فقال له انى قدخطفته بسيفى وأسقيته التلاف وتركته لايدرى الانصاف ياعم الست كنت أزوجتنى وفى حاجتك أرسلتنى قال نعم ولكن ما كنت ياابن أخى بالذى قد رأى دفع الخطاف وكل الملوك تخافه والحمد لله الذى ظفرت به (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان طارق التفت الى عمه وقال له قل لى ان كان فى نيتك أن تبعدنى عن ابنتك بعد أن شهدت أكابر العرب بينى وبينك فقال له أنت تسمع منى مقالة صادقة فقال وكيف ذلك فقال له عمه ان كان ولابد من الصحيح فى المقال فأنا أريد الصداق على كل حال وانى أريد منك ثلاثين ألف دينار وأربعة آلاف ثوب من الديباج

فان أتيت بذلك فأنا وحق صاحب المعراج ابنتى لك وبين يديك ولا أبخل بها عليك فعندها قال طارق ياسادات العرب اشهدوا عليه بهذا المقال فقال عمه ياوجوه العرب انتم تعلموا ان طارق فارس الحجاز وبطل هـذا الزمان وان غدرت به مرة أخرى فهو صاحب الإماره على كل حال (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعت العرب منه ذلك المقال شهدوا عليه وانفصل الأمر وتم الحال على ذلك الكلام ولما ان أمسى المساء صاح طارق بعبده فلاح وأمره أن يشد له الجواد ويصحبه بنجيب يحمل عليه الماء والزاد ثم ان طارق انفذ بعض الإماء الى ابنة عمه فتون فأتت اليه لما ان تهور الليل وهى باكية العيون فلما رأته أنشدت تقول

الا يا ابن العم لاتنسى ودادى ولا تبعد الى أقصى البلاد
ولاتركب طريق الموت حقا ولاتبغى الفساد بكل وادى
أبى وحياة عيشك شيخ سوء كثير الغدر مبعود الرشاد

(قال الراوى) فلما فرغت فتون من كلامها وما أبدته لابن عمها من نظامها قالت له يا ابن العم الى أين أنت سائر لأن ما كل طريق يرزق الشخص السعادة والتوفيق فلا تحمل نفسك مالا تطيق ولاتسمع كلام أبى ذلك الزنديق فقال لها يامنية القلب لابد ما أجيب له كلما يريد ان شاء الملك المجيد ثم انه ودع أمه وابنة عمه وسار وسلك البراوى والقفار وهو لايدرى الى أى الأماكن يقصد ولا أى المواضع يعتمد فقال للعبد يا فلاح ان عمى قد قطع على أموالا كثيرة وأرض الحجاز ما فيها شيء من ذلك والمال فى بلاد الأعجام فاقصد بنا أرض العجم ويقسم الله لنا ما قسم فقال سير على بركة الله تعالى فساروا أيام وليالى فبالقضاء والقدر التقى بعسكر السلطان ليلا وهو فى مقابلة جرهم فقال العبد فلاح ما لنا الا أن ندخل فى هذه العساكر فقال طارق أقم بنا الى الصباح فاذا اصطفت العسكرين وتقابلت الفريقان أى طائفة صففت منهم تقدمت الى عندها وأوعدتهم بالنصر وأخبر مقدمهم بحالى وما طلب عمى فان ضمن لى ذلك قاتلت خصمه وقتلته وان لم يكن ذلك عملت على قدر ما أريد فبينما هو فى المشاجرة والمحاورة واذا بشخصين قد خرجا من السرادق الكبير وفى يد واحد منهم سبية ذهب وشمعة كافوريه فمشوا فى وصف القمر وكان ذلك الخليفة ومعه خادمه صبيح وكان الرشيد خرج سرا ليتفرج فى هـــذه الأرض ففعلوا ذلك وخرج هو وصبيح وهو يقول له يا مولاى يجب عليك أن لاتضيع خدمة الأمير عبد الوهاب فانه قوام الدين وسيف المجاهدين وترس قبر سيد المرسلين فقال الرشيد أنا مابقيت أسمع فى هـذا

الرجل جواب أبدا ولا بد لى ما أعطيه من المال مايغنيه الى ولد الولد فلما سمع طارق كلام الرشيد قال وذمة العرب ان أخذت الصداق الا من هذا ثم أن طارق أمهل الرشيدالى أن انبسط فى القمر وهو آمن فلم يشعر إلا وطارق واقف على رأسه والسيف فى يده وهو يقول له أدر كتافك وإلا وحق ذمة العرب ضربتك أخت هذه الضربة وضرب الخادم صبيح أرمى رقبته فاندهش الرشيد وأدار كتافه فربطه على جواده وصاح بخادمه فلاح وصار مستقبل البرية والرشيد يقول ياهذا اعلم أن فى أسرى إتلاف المسلمين لأنى وزير أمير المؤمنين هارون الرشيد فقل لى ماتريد فقال له اعلم أنى فى عشق وغرام وقد بليت بشر الأعمام وقد طلب منى كثير من الأموال والخيل والجمال والديباج وما أشبه ذلك فقال الرشيد ردنى الى موضعى وأنا أضمن لك كلماتريد فقال ليس لى من ذلك سبيل لأنى أسير من أحب وإذا رجعت الى موضعك أصير تحت يدك وان شئت تعطينى وان شئت تغدر بى وتجفونى لأنك أيضا ان حلفت وأنت مغصوب واليمين الغصب لايجوز ولا يؤخذ له فدية فقال الرشيد فى نفسه والله مارأيت فى طول عمرى حرامى وفقيه ومفتى الا هذا الشيطان وان طارق سار يقطع الأرض فى طولها والعرض حتى وصل الى حيه ونزل فى بيته وجاؤا اليه أهل الحى وهنوه بالسلامة وسألوه عن حاله وكيف عودته فأعلمهم أنه أسر رجل يزن كلما قطع عليه عمه من الأموال فأتى عمه لما سمع بخبره وسلم عليه فقص عليه القصة فقال النعمان وأين هو الرجل الذى تقول عليه فأحضر الرشيد بين يديه فقال النعمان من أنت يامصرى فقال أنا وزير السلطان فقال له اعلم أن ابن أخى ذكر أنك تزن صداق ابنتى فقال الرشيد على كلما تريد من الصداق فأحضر لى قرطاس ودواة من النحاس فأتاه بما طلب وكتب الرشيد كما ذكرنا الى الأمير عبد الوهاب ودفع الكتاب الى النعمان وقال له ادفعه لمن شئت فأخذه النعمان ودفعه الى فلاح وقال له اقصد بغداد واستدل على قصر الخلافه وأوصل هذا الكتاب الى الخدام فأخذ العبد الكتاب وسار الى أن وصل الى عبد الوهاب وقرأ أبو محمد الكتاب كما وصفنا ففرح الأمير بكشف خبر الرشيد (وعدنا الى سياق الحديث الأول) فقال الأمير عبد الوهاب اكتموا أمركم إلى حين يفعل الله مايشاء ثم رجع الى العسكر وأقبل على الناس وقال لهم ان مولانا أمير المؤمنين بحمد الله قد عوفى من المرض وقد عول على الحج الى بيت الله الحرام ثم انتخب من العسكر ألف فارس وقدم عليهم ولده ضيغم وقال ياولدى سير بعسكرك الى أرض السرو وبلاد النعمان وأوصاه بما يفعل وقال له اذا وصلت الى بلاد النعمان انزل فى

أطرافها حتى لاينكر عليك وان سبقتك أقمت إلى حين تصل فعند ذلك رحل ضيغم وتجدد الأمير فى المائة فارس التى وصفها الرشيد وسار فلاح بين أيديهم وأخذ المال الذى طلب وأمر الأمراء من بنى كلاب وبنى سليم أن يعودوا الى بغداد مع عسكر الرشيد وساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض الى أن وصلوا إلى بلاد السرو وكان الأمير عبد الوهاب قد سبق ولده ضيغم لأن فلاح يعرف الطريق القريبه ولما أن وصلوا الى أرض النعمان أرسلوا أعلموه فلما طلع طارق والنعمان وأمير المؤمنين معهم أحضروا الأمير عبد الوهاب بين يديه فلما نظر الأمير الى الخليفة قبل الأرض بين يديه وقال ياأمير المؤمنين ماتأمر به فقال أريد أنأشفى فؤادى منالنعمان وطارق فقال الأمير عبد الوهاب السمع والطاعة وركبالأمير عبد الوهاب وركبت بنىكلاب وأبو الهزاهز وضيغم والأميرة ذات الهمة وركب النعمان فى عسكره واصطفت الصفوف وأشهروا السيوف واذا بفارس قد ظهر من عسكر النعمان ونادى برفيع صوته يامعاشر العربان دونكم والبراز فما تم كلامه حتى برز اليه فارس من بنى كلاب يقال له خابت ابن لاحق على جواد سابق فما جال معه غير ساعة واذا بطارققد طعنه أطلع السنان من ظهره ثم جال وصال وطلب البراز فخرج اليه ثانى قتله وثالث جندله فعند ذلك خرج اليـه أبو الهزاهز فلما رآه طارق ورآى الى كبر جثته وعظم خلقته فلم يهوله أمره بل حمل عليه وبادر اليه فالتقاه أبو الهزاهز بقلب قوى وجنان جرى وحمل عليه وطعنه بعقب الرمح وأرماه الى الأرض وانقض عليـــه انقضاض الكوكب وكتفه وسـاقه حقير وسلمه الى أصحابه (قال الراوى) فلمـا نظر النعمان إلى تلك الفعال حار ولحقه الانبهار وقال لقومه ماترون من الرأى فقـالوا وما عسى أن نعمل والله لولم يكن فى القوم الا هذا الفارس الذى أسر طـارق فهـــو يحل بنا البلاء المـاحق ومالنا إلا أن تطلب من أميرهم الأمان ونأخذ بأيدينا البنات والصبيان فقال النعمان نعم ما رأيتم ثم فعلوا تلك الفعال وأخرجوا البنات والنسوان والاماء والصبيان ونادوا الأمان الأمان فرق لهم قلب الرشيد وأعطاهم الامان وعفـا عن النعمان (قال الراوى) وعاد النعمان الى الحى وذبح الأغنـام وأترع الجفان فأكل العسكران وأطلق الأميرطارق فلما أطلقه قبل يد الأمير وقال يامولاى مثلك من عفا وأعاد عليه قصته وما جرى له مع عمه فتعجب الأمير من همته وهو صبى وفعل هذه الفعال وكان له من العمر عشرين سنة فلما أطلع الأمير على أحواله عاد من سـاعته بعمه النعمان وقال له أريد منك السـاعة أن تزوج ابنتـــك

لطارق فقال حبا وكرامه لله ولك أيها الأمير والسيد الخطير فقال نريد تعجيل الأمر فعند ذلك كتب الكتاب على فتون وأسره الأمير أن يدخل من ليلته فدخل طارق على فتون وزال عنه الهم والجنون وطاب قلبه وانشرح صدره ولما أصبح الصباح حضر طارق بين يدى الامير عبد الوهاب وقبل يده ودعا له وقال والله يامولاى مابقى لى عنك صبر فأريدأمضى معك الىالثغور وأجاهد بين يديك كل الكفور لأنال بذلك السرور والرضا فضحكالأمير وقال له مبجلا نعم وأهلا وسهلا ومرحباً والله تمنيت أن تكون فى سبيل الله مجاهد وقد بلغنى الله ما كنت له قاصد فلله الحمد على ماجرى من العوائد ثم قال الأمير عبد الوهاب يا أمير طارق كم قد بقى بيننا وبين بيت الله الحرام فقال يا أمير بيننا وبين مكة ستة أيام ثم ان طارق سار أمام القوم من أول ذلك اليوم ولم يزالوا سائرين فى خفض ورفع برارى وهضاب حتى أشرفوا على مكةوتلك الشعاب ونزلوا على مايقال له المغيط وسبق البشير الى أهل مكه بحمول الركاب فخرجوا الى لقاء الخليفة أهل مكة وجميع الأصحاب وترجل فى ركابه جماعة كثيرة من أهل العلم والفقهاء وصاروا يحجبوه وكذلك الأمير والأميرة ذات الهمة وأبو الهزاهز وطارق وبقية الأمراء من بنى كلاب (قال) وأن الخليفة دخل الى البيت العتيق وطاف به وفرق الأموال على الفقراء والمساكين والحجاج والمجاورين فشكروا الله تعالى علىخلاصه مما كان فيه من ذلك الضيقالى أن دعوا له كل من كان فى مكة والبيت الحرام من بذل الاموال والخيرات والانعام التى عمت على الخلائق الخاص والعام فلما أراد أن يرحل بسلام دخل عليه جماعة من مشايخ البيت الحرام وقبلوا الارض بين يديه وأشاركل منهم بالدعاء اليه وقال واحد من القوم الحاضرين إن عندنا أمر لك فيه الصلاح يا أمير المؤمنين وذلك أن عندنا شيخ من المشايخ المتمكنين وأن فيه زهد وعبادة ودين وخوف من رب العالمين وبالله لقد رأينا من بركاته شيئا كثير مع انه صائم الدهر لايفطر فى النهار وهوكثير العبادة والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار فهل لك يامولاى أن تمشى الى زيارته وتتضرّع ببركته وتعود عليك بركة دعوته فقال الخليفة للأمير عبد الوهاب ماترى فى هذا الرأى فقال له الامير ان هذا رأى صائب وفعل واجب ثم نهض الامير عبد الوهاب والرشيد والاميره وأبو الهزاهز وضيغم وقشعم وكان هؤلاء الاميرين من أخت الامير راشد ابن ضمره وهى أول نسائه ولما توجهوا الى الزيارة تبعهم جماعة منالرجال الاجواد مثل طارق الحجازى وسملق وطمطم ابطال الجهاد . هذا وساروا الى أن وصلوا الى

المساجد ودخلوا الى المكان الذى فيه العابد فتبينوه واذا به بالى الجسم أصفر اللون كأن له سنة مريض وعلى ذلك الذى هو فيه هيبة ووقار وعلى وجهه آثار العبادة ومفروش من فوق الفرش سجاده فعندها تميزوا الأمراء الى صفته وأثبتوا معرفته واذا به الشيخ المفتون الملعون القاضى عقبه قال فلما وقعت عينه على الخليفة أراد أن يقوم ولم يلحقه جزع ولا مخيفة فما قدر على القيام ووقع من شدة الضعف وقلة الامكان فأشار اليه الرشيد أن اجلس فجلس ولما رآه الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وعلاه الصفار والانتحال وقد عمل ذلك كله من زخاريف المحال فقال البطال والله ياشيخ الضلال ومعدن الكفر والمحال ويلك قد نسيت القياده وإدمان شرب الخمر على العادة والكفر بعالم الغيب والشهادة وعدت عطفت على الحقيقة فقال له بنفس ضعيف وصوت خافت كيف أنت الى الآن فى قلبك منى البلاء لكن أنا أستعين عليك برب الارض والسماء (قال الراوى) وكان السبب فى وصول هذا الملعون الى ذلك المكان لما فعل هياج الكرى مافعل ولكنه كسر له أربعة أضراس وبعض من الاسنان وفعلوا مافعلوا مع هياج الكردى من ذلك الشان الذى ذكرناه (قال) ووصل الخبر الى ملك الروم منويل بأن عبد الوهاب ومن معه من فرسان بنى كلاب قد ملك البلاد وفتح القسطنطونيه وملك من فيها من الاجناد ياساده فلما سمع ملك الروم بذلك الخبر الذى قد أتاه علم وتيقن أن الروم ماتفلح وانه ابدا مايبلغ مناه فقال دعنى آخذ بنفسى النجاة قبل أن أهلك وأعدم الحياة ثم انه عاد كما ذكرنا وتلاقا هو وإياه كما وصفنا وانكسر ملك الروم وتشتت عسكره فى الفلاة وكان الملعون عقبه لما جرت على الروم تلك الكبر عاد راجعا الى أن وصل الى مدينة البصرة وكان له فيها مقارض نصرانى يقال له اسرائيل وكان له عنده مال جزيل (ياساده) فلما أن وصل الملعون اليه وقدم عليه فقام النصرانى بواجب خدمته وقضى له حق ضيافته وأرقده تلك الليلة فى مكان عنده يصلح لمرتبته وقال له ما تريد أيها الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فقال أريد ناس من عرب الحجاز الجهوا ين يحملونى الى مكة من هذا الوقت والحين (ياساده) فقال النصرانى سمعا وطاعة ثم انه خرج من عنده وغاب أقل من ساعه وعاد ومعه كما طلب من العرب المجاهيل جماعة فأقبل عليهم عقبه وقال لهم : من أين أنتم ؟ فقالوا نحن من وادى يقال له وادى النزع وبيننا وبين مكه المشرفه مسيرة يوم (ياساده) فقال لهم أريدكم تعجلوا بى الى مكه المشرفه فانها هى المستقر فقالوا له بسم الله وقد رأوه شيخا كبيرا ولكن نريد

نفرغ من حوائجنا قبل المسير فقال لهم عقبه ماحوائجكم فقالوا نشترى أرز مقشور ونبيعه فى أرض الحجاز بين المضارب والدور فانه يستفيد كل درهم عشره ولنا على هذا الحال كذا وكذا سفره (ياساده) فقال عقبة للعامل أريدك تمضى الى السوق وتشترى لهؤلاء حوائجهم وتقضى لهم مايريدوه من الحتوق وأحضرهم الى عاجلا فقال سمعا وطاعة إلا أن معهم خمسين راحلة فقال له أوسقهم لهم ولو كان معهم مائة راحل (ياساده) فاندهشوا القوم من فرحهم وصاروا يتشوشوا لما علموا انهم قد بلغوا أربهم فعلم عقبة ذلك منهم فأمر لهم بالكسوة الخام وأمر بالخير الزائد والانعام الى أن غمر الجميع ومن عادة العرب انهم مجبولين على الطمع وبعد ذلك أقبل على العامل وقال له أريدك تحضرلى خمسة جمال جياد لأجل حمل قرب الماء وشيل رواحل الزاد ثم انه بعد ذلك طلب من العامل ألفين دينار ففعل له العامل كما أراد ورحل الملعون فى الليل الى أن تهور وطلع نجم سهيل وساروا الى أن أصبح الصباح وأضاء بكوكبه ولاح ونزلوا القوم الى بعض المياه والغدران فجعل عقبه يقرأ القرآن بذلك الصوت الذى يطرب له كل من سمعه من القاصى والدان الى أن اندهشت القوم من حسن تلك الألحان وأخرج لهم من ذلك الزاد الذى هو أحلى عندهم من قدوم الرقاد وأطعمهم من فنون الحلويات شىء لم يسمعوا به إلا فى الحكايات (ياساده ياكرام) ولما جن الليل جعل يحدى للنوق وهى تطرب على حسن صوته وتهرق فى تلك العبوق وتقطع المراحل والرمال ولو كان يمكنها الطيران لطارت فى تلك البرارى والتلال وهى تضرب بأخفافها التراب وتسير سيرا حثيثا بمن عليها من الركاب (ياساده) ولم يزالوا يواصلوا سير الليل بسير النهار حتى وصلوا الى حللهم وتلك الديار وأقام عندهم فى الضيافات ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع دخلوا به الى مكه والبيت الحرام وأكروا له بيتا فى جانب البلد وتلك الأحقاف وكانوا أهل البيت الذى سكن فيه قوم فقراء ليس لهم شىء من النوال وكانوا قوم غرباء على ذلك الحال فأبرهم وأعطاهم وقال لهم لى عندكم حاجة فقالوا له وقد أكثروا عليه اللجاجة : وحق زمزم ومنى لو أمرتنا أن نقتل نفوسنا لفعلنا مابه تأمر فقال لهم أريد منكم من الأقوال أن تشيعوا فى سائر الشعاب والتلال ان عندنا شيخ من بعض العباد لايدخل ولايخرج إلا منفرد للعبادة على حالة الزهاد وله عندنا أربعة أعوام ما رأيناه يفطر بالنهار ولا فى الليل ينام ولا له دأب إلا الصلاة والصيام (ياساده ياكرام) فانهم خرجوا الى جميع الأزقة والشوارع وجعلوا يطوفوا ويقولوا فى سائر المواضع عندنا رجل من صفته كيت وكيت وله

عندنا أربعة أعوام ما خرج من البيت ويقولون من ذلك وأمثاله من ذلك الشان وسمعوا إلى أن صارت الناس يهرعون له من كل مكان وسمعوا به أهل الرأى والمشورة والسادات الاعيان فجعلوا يدخلون على عقبه القرنان ويذكرون من كان عندهم مجاور من العلماء وأهل الفقه والايمان وعقبة يتلو بين أيديهم القرآن ويفسر لهم ماقرأ من الآيات ويتكلم معهم فى كل علم من المسائل المشكلات (ياساده) وكان الملعون عقبة عارف فى العلوم جميعها إلا أن الشيطان استحوز على قلبه ولم يزل إلى أن احتوى على قلوبهم ولعب بعقولهم وجعل يوهب ويعطى ويتصدق ويبكى ويتكلم فى المواعظ حتى تبكى الناس فى مجالسه وأوقاته حتى ان غالب أهل مكة صاروا لايحلفوا إلا بحياته ويتوصلون الى مراده وقضاء حاجته ويشاوروه فى أمور شتى ويسألوه عن كل قول كريم وقد صار عندهم فى مقام عظيم (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده وبعد ذلك بأيام وصل الخليفة الرشيد الى مكة والبيت الحرام وزمزم والمقام وسمع عقبه بهذا الترتيب ففرح بذلك الاتفاق العجيب وقال لا كتب عليه المسيح سلامه وأعقبه الذل والندامه فيالتنى كنت فى القسطنطينيه أدبر على خراب مملكته وذهاب دولته ولا كنت تصبحت فى هذا المكان برؤيته ترى أقدر أعمل على الكياد وأملك ملك الروم البلاد ويحتوى على رقاب العباد وأنا أسأل المسيح بن مريم أن يحن على بقتل الأسود الأدهم وذات الهمة وأبو محمد البطال المصمم (قال الراوى) ياساده يا كرام وأن عقبه لما سمع بقدوم الامام أقبل على مشايخ الاسلام وسألهم أن يحدثون الرشيد بذلك الكلام فأجابوه إلى ما أراد من المراد والناس لهم الظاهر ولا يعلم الغيب إلا الملك العلام ثم عرضوا ذكره للخليفة ومن معه من أمراء الاسلام حتى أنهم أتوا الى زيارته فى ذلك المقام (ورجعنا الى سياق الحديث) بعد صلاة ترضى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هذا وأن الرشيد قال للخدام والشيوخ الذين يخدموا زمزم كم لهذا الشيخ هاهنا فقالوا يا أمير المؤمنين له عندنا مهاجر أربع سنين ولم نرى أكثر اجتهادا منه (قال الراوى) وكانت هذه حيلة من عقبه حتى تكون هذه الشهاده تنفعه عند الرشيد لأنه علم أن هياج الكردى قد أتقن فيه علائمه وكان اللعين قال لهم إنى وقعت من على جمل كنت راكبه وتكسرت أضراسى وبرطل ناس من أهل مكة حتى شهدوا له فلما نظره الرشيد قال فى نفسه إن دخلت النار ما يكون إلا بخطيئة هذا الشيخ الصالح ثم أقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له أيها الأمير صح عندى الآن أن كلما يقولوه فيه زور وبهتان فلو كان نصرانيا فايش كان يعمل فى هذا المكان بل انه يكون عند

القسوس والرهبان والله ان كل ما قالوه عليه عندى كذب وبهتان فلم يقدر أحد أن يتكلم ولا يرد عليه جواب (قال الراوى) ثم أقبل الرشيد على عقبه فقام قائما على قدميه ورمى نفسه عليه فقال الرشيد يا أمير عبد الوهاب قد قمت اليك سائلا لا زلت للأثقال حاملا فقبل الأمير الأرض وقال يامولانا كيف يسأل المالك المملوك وكلامك مقبول وعلى الرأس والعين محمول فقال الخليفه هو أن تصالح أبو محمد مع الشيخ عقبه فقام عقبه وهو يرتعش خيشامنه ولعنه ودنا نحو الامير وهو يبكى فى وجهه ويقول لا أعقبك الله سوء يابنى فاعتنقه الامير البطال لاجل الخليفة ثم أقبل اللعين على الاميره يقبل يديها فامتنعت من ذلك وقالت فى نفسها لعل المشوم رجع عن كفره ثم قرب اللعين على الأمير أبو محمد حتى قرب منه وقال شهد الله تعالى يابنى انى مشتاق اليك واعتنقه وقال له فى أذنه والله يا قرد النحس لأوريتك من حيلتى أشياء كثيرة فقال البطال لا كلام حتى تسلم ولابد من أخذك ولو كنت فى حجر السلطان ثم افترقا كأنهما ما نطقا هذا وان الرشيد قال ما بقى الا الرحيل فقال الأمير عبد الوهاب إن شاء الله يكون بهمتك الرحيل فى غداة غد حتى يأخذوا الناس أهبتهم ويتمهل القاضى لأجل عقبة حتى يخف مابه من الطيش فان الدنيا الآن من أجله مستخبطه وهى تشويش (ياساده) ثم قال الرشيد للامير عبدالوهاب كيف خاطرك على محبك القاضى عقبه فقال الأمير يامولانا ومن مثل القاضى وأنت له من العصبه ولأجل المولى يحمل العبد على الرأس والعين وهو عندنا محل الروح التى بين الجنبين فقال الرشيد ما تقول يا قاضى فى مثل هذا الانعام الغزير من هـذا الأمير الكبير فقال عقبة يامولاى الأمير عبد الوهاب حامى حوزة الدين وعضـد الخلفاء الراشدين وقامع الكفرة والملحدين رفع الله به قواعد الدين والأميره ذات الهمة والبطال وأمراء بنى كلاب وجعل محله فى أعلا عليين (قال الراوى) فلما سمع الرشيد من عقبة فى حق الأمراء ذلك المدح قال شهـد الله ان هذا الكلام مليح من رجل فصيح وقد مدح وهو أولى بالمديح (ياساده) وتفرقت النـاس وهم يضجون بالقال والقيل وباتوا وهم على نية الرحيل إلى أن أصبح الله بالصباح وأضـاء بنوره ولاح ونصلى على زين الملاح فعند ذلك أخذ أمير مكه فى الضيافات والعلوفات ووقف فى خدمة الرشيد فسمع النـاس بأنهم يقولوا فى غداة غد يكون الرحيل قال فتقدم أمير مكة إلى الرشيد وقال يامولانا الامام اعلم اننا فى شدة شديدة فان تم علينا هذا وعلى أهل مكه والمدينة خربت كما خربت أرض اليمن فقال الرشيد كيف ذلك فقال يا أمير المؤمنين اعلم ان قريب منا بستة أيام جبل يقال

له الشامخ وخلفه حصن قد نقر فى الجبل ودارت به الأشجار والأنهار وقد أحدقت برياضه سائر الافنان والماء يدخل ويخرج من داخل الحصن وهو يتبع من صخرة وفى هذا الحصن امرأة وهى من أحسن الناس وجها وأطولهم قد وأقعدهم نهدا يقال لها القناصة ابنة مزاحم وقد ضربت غاراتها إلى البلاد وشتت بقومها العباد وأيتمت الأولاد وتحت يدها خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس وهى قد أباحتهم بنات العرب من ذوى الرتب وقد انضاف اليها كل طامع من العبيد وخدامها تضرب إلى أرض مصر والصعيد وتأخذ القوافل والأموال وتسبى النسا والعيال والأطفال ومع ذلك فانها إذا وصف لها فى أى البلاد شاب مليح جميل الصوره تسير اليه بنفسها وتأخذه قهرا وتقوده كرها وتسير به الى حصنها وتتزوج به ثلاثة أيام فاذا كان فى اليوم الرابع ترفعه إلى احدى الأبراج وتضرب رقبته وقد قتلت على هذه الحالة والصفة عالم كثير وقد أخذت من مكة اثنى عشر رجلا وفعلت بهم مثل هذه الفعال ونريد أن تكشف عنا هذه البلية وتنفذ الينا اذا رجعت الى العراق عسكر جوار مثل البحر الزخار فان الله تعالى قد فرض عليك الجهاد فى جميع أهل الفساد فقال الرشيد مايمكننى المقام لانى على وجل من البلاد ولأجل العباد فلا بد من الرحيل ان شاء الله رب العالمين ولكن لابد ما أبعث اليكم مع الحاج جيش عرمرم يكشف هذا الأمر العظيم فقال الامير عبدالوهاب للخليفة يامولانا الامام أرسل لنا من تريد من الأجناد وأنا أسير اليها بخمسمائة فارس أبطال جياد معدين للحرب والجلاد وأهلك أبطالها وأقتل أقيالها وأخرب أطلالها (ياساده) فعند ذلك تقدم أبو الهزاز اليه وقال له أيها الأمير أقصر عن هذا الأمر الذى قد عزمت عليه أولا تضمن للخليفة قتلها لأن معها رجال وأى رجال أبطال اقيال لايخافون الأسد فى الدحال وهذه المرأة التى هى القناصة تقتنص بيدها الأسد الريبال وتستحل دماء الأبطال وأنا أيها الأمير من جمله ما جرى لى معها شيء تشيب منه الأطفال وأسرتنى وقعدت عندها سنة أسير أطحن الحنطة والشعير وبعد ذلك منت على بروحى وأطلقتنى وقالت لى اذهب إلى حال سبيلك وتحدث بخلاص نفسك من بين أيدينا فانك فى أخذها لا تطمع فان جميع عربان هذه البلاد تخاف منها وتفزع (ياساده) فصاح الأمير عبدالوهاب وقال له اسكت لا أم لك كيف تصف بين يدى مولانا الامام وخليفة سيد الأنام وتذكر له ذات ضلع أعوج ولسان ملجلج فاعزم يا أمير المؤمنين مع السلامه ويكون فى صحبتك خمسمائة فارس وأنا آخذ معى خمسمائة وأنا إن شاء الله تعالى على الضمان بمعونة الله

الملك الديان انى أقتل رجالها وأفنى أبطالها (ياسادة) فلما سمع الخليفة من الأمير ذلك الكلام قال لله درك من فارس قمقام وليث ضرغام وفى الحرب لايرام لأنك ترس قبر سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام زادك الله من الخيرات والا كرام (ياساده) ثم ان الخليفة أقبل على الأمير عبد الوهاب وعلى الأميرة ذات الهمة بالابتسام وأكرمها أعظم الاكرام ثم قال للاميرة ذات الهمة ماتقولى معناعلى المسير فقالت يا أمير المؤمنين قد تقدم ذكر هذه المرأة وماهى فيه من الخطر وأنا أسألك من احسانك وفضلك وامتنانك أن تطلق لى المرسوم انى أمضى مع ولدى ونطلب من الله المعونة فانى أخاف عليه من شرها فقال الرشيد هذا هو الصواب وهو أمر لايعاب (قال الراوى) فعندها رحل الرشيد وسار طالب بغداد وسار معه بعض الأمراء والأجناد وسبقت قدامه البشائر بحلول الركاب فخرج الى لقائه أرباب الدولة وجميع أكابر أهل البلد وكان يوم دخوله الى بغداد يوم عظيم لم يأتى مثله فى الزمان القديم وجلس على سرير الملك وأتت اليه الولاه من سائر الجهات فصار يوهب ويخلع ويزيد فى العطايات وقد صار عقبه عنده فى أجل الرتب وقد فرق الفضة والذهب (ياساده) ولما قر قراره واستقر بكل زائر مزاره قام عقبه ودخل عند السيدة زبيده فقامت اليه وسلمت عليه فسلم عليها وزادت له فى الاكرام وجعل يحدثها بما جرى له فى البيت الحرام وما كان منه مع أهل مكة فقالت له ياقاضى لعن الله أهل الشر والضلال فلقد تحدثوا عنك بسوء المقال ونقلوا عنك مالا يقال ولابد أن أدع الخليفة أن يقابل هؤلاء الكلاب بما فعلوا فى حقك وبما نقلوا وأساؤا الأدب (ياساده) فقال عقبه بخبثه ومكره ودهاه لا بالله عليكى ياستاه لا تذكرين له ذلك فانى والله ما أشتهى أن يتأذى من جرى عصفور فكيف أحد من المجاهدين فان ذلك لا يجوز ولا يحل فى ملة المسلمين فقالت له زبيده لله درك ياقاضى ما أحكمك وما أرق قلبك وأرحمك (ياساده) فدعى لها وشكرها وخرج من عندها طالب داره التى فى بغداد فوجد ولده الصغير قد أتى من ملطيه فلما رآه أقبل عليه واعتنقه وجعل يبكى لما جرى عليه من فقده فقال له ياولدى ما أنا إلا قد جرى على فى هذه السفرة أمور وأهوال حتى انى أبريت ساحتى عند الخليفة الرشيد وقد كذبت القريب والبعيد ولابد لى ما أزال ألعب بالدول حتى انى أبلغ ما أريد (قال الراوى) ياساده ياكرام فهـذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه بعد مفارقته لأمير المؤمنين توجه للمسير الى ناحيه القناصه هو والأميره ذات الهمة ومن صحبتهم من المسلمين وقد تبطنوا فى تلك

البرارى والقفار وجعل يجد فى السير ليلا ونهار حتى قرب من الجبل الذى هى ساكنه فيه وعلمت أهل الرستقاق بقدومه الى نواحيه فجعلوا من بين يديه منهزمين والى نحو الحصن طالبين وحضروا أكابرهم بين يديها وقصوا قصتهم عليها وقالوا لها أيتها الاميرة العالية المكان العزيزة السلطان قد أقبل علينا جيش كلهم سودان كأنهم أولاد الجان الذين كانوا تحت يد سليمان (ياساده ياكرام) فهم معها فى الكلام وهم يشكوا ماحل بهم من الاوهام واذا قد بانت لهم الاعلام ومن تلك الرجال الكرام وقد دقت بين أيديهم الكؤسات وضربت السودان بالدبادب والفقارات حتى ارتجت الارض من كثرة الصرخات (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما رأت القناصة من أعلى الحصن تلك العساكر الواردة ونظرت الى تلك الغبائر العاقدة أمرت الأخرى عساكرها فخرجوا كأنهم يأجوج ومأجوج وقد اعتدوا لأجل الحروب والكفاح وعولت الطائفتين على الضرب بالصفاح والطعن بالرماح (ياساده) فلما أن وقعت على العين وتقاربوا الفريقين وحملت الشجعان وتقابلت الابطال فى الميدان فيالها من ساعة ما كان أعجبها من ساعات الزمان (باساده) هذا والأمير عبد الوهاب قد حمل وحمل معه من فرسانه كل ليث بطل وقد فرقوا الكتائب وأظهروا العجائب وفعلوا فعل كل ليث مواثب وفرقوا العساكر يمين وشمال وقتل الامير بحملاته الفرسان والابطال وكذلك الاميره ذات الهمه قد زادت فى فعلها على الرجال الثقال وصاحت فيهم وحملت عليهم ونادت يالدين محمد المصطفى أنا فاطمه بنت مظلوم بلا خفاء وتبعتها الرجال وأجادوا معها فى الحرب والقتال وأنزلوا بالأعداء الوبال وأحلوا بهم النكال ولم يكن لرجال القناصة بهم طاقه ولا بحربهم استطاقه فولوا من بين أيديهم منهزمين وللنجاة طالبين والى نحو الحصن قاصدين وهم يصيحون ماهؤلاء من البشر ولا يقف بين أيديهم إلا من دثر وانقبر (ياساده) فتلقتهم القناصة وقد وبختهم على فعالهم وقالت لهم ياويلكم مابالكم وما الذى دهاكم ونالكم فقالوا أيتها الأميره لقد جاءتنا رجال وأى رجال لايهابون الموت ولايخافون من الفوت (ياساده) فلما سمعت القناصه من رجالها ما قالوه من الكلام ضجت على ماحل بهم ونالهم وقالت لهم لقد صدقتم فى المقال لأنى كنت لكم ولهم مشاهدة ونظرت ماكان بينكم من الأحوال ولكن مافيهم أفرس من عشرة رجال وهم الذين يعتمدون عليهم فى الحرب والقتال وفيهم فارس أسمر اللون مليح الكون ظريف الشمائل مليح الأعطاف والدلائل ورأيت فارس آخر كثير الشجاعة والبراعة كأنه الأسد الضارى إلا أن ركبته كأنها

ركبة امرأة وان صدقنى حذرى ولم يخطئ زجرى فانها أفرس أهل زمانها وهاأنا الآن خارجة اليهم وقادمة عليهم (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انها دخلت فى لامة حربها وتأهبت للطعن والضرب واستوت على ظهر حصان أشقر عالى من الخيل مضمر مليح المنظر واسع المنخر يسبق لمح البصر ويفوق النظر من تربية خيول قيصر سالم القياد يصلح ليوم الطراد كما قال فيه الشاعر وأجاد :

قطعت الارض مجتازا وتحتى ... جواد لا تسابقه الصافنات
يطير الى الثريا قبل طرف ... ويرجع قبل لمح الناظرات

(قال الراوى) ثم خرجت القناصه من الحصن وقد طاب قلبها للخروج هذا وأصحابها من حولها وتبعتها الخيل مثل الليل وجالت على الحصان وصارت تقول أنا قناصة الاسود أنا ذات البنود أنا للابطال قتاله بسمر الصعود (قال الراوى) ثم رتبت أبطالها وصفت رجالها فقال الامير عبد الوهاب والله لقد رأيت الابطال وباشرت المصافات والجيوض مارأيت أحسن من ترتيبها ثم انها جالت بين الصفين حتى حيرت الفريقين من العسكرين ثم انها بعد جولاتها همزت الجواد بكعبيها كسرت أضلاعه وقفزت عنه وأشارت إلى قومها فأتوها بحصان أدهم أغر ململم بغرة كأنها الدرهم اذا صهل يكاد أن يتكلم ثم انها أدارت وجهها الى العسكر ونادت يا فرسان العرب والسادات من ذوى الرتب أخبرونى ماأنتم طالبين أماسمعتم بخبرى اننى فارسة الصدام والمعجلة للابطال الحمام بشرب كاس الموت الذؤام ثم همزت الجواد على أضلاعه فقطعت نخاعه وقفزت عنه فأتوها قومها بجواد أدهم إلا انه مجتمع ململم كأنه الليل المظلم أو الغراب الاسحم فوثبت من الارض صارت على ظهره من غير أن تضع رجلها فى الركاب ثم انها نادت يا أصحاب العساكر القادمة ياأرباب الدساكر الواردة أخبرونى من أنتم ومن أين أتيتم والى أين أنتم واردين وما الذى أنتم طالبين وعلى ماذا أنتم معولين أما سمعتم بخبر القناصه ابنة مزاحم البطل الهمام ثم انها أشارت إليهم تقول :

ألا يا أيها القوم الذى حان حتفهم ... وجرتهم الأقدام نحو المقابر
ستلقون من قناصة الأسد لبوة ... تبيد الأعادى بالسيوف البواتر
فهل فيكم قرنان يدلى بنفسه ... ويعرف من قوم كرام أطاهر
فيبرز نحوى كى يرى اليوم موقفى ... وطعنى برمحى إذ تدور الدوائر

(قال الراوى) ولما فرغت من ذلك الكلام وذلك الشعر والنظام أرادت البراز وسألت الانجاز وكان الأمير طارق الحجازى الى جانب الأمير عبد الوهاب مع جملة الأصحاب وكان أحسن الناس وجها وأبهاهم منظرا مليح العيون حسن الشمائل والفنون كأنه البدر الطالع والغصن اليانع وقد ذكرنا حسنه وجماله وشجاعته وخصاله وكان كما قال الشاعر اللبيب بعد الصلاة على طه الحبيب :

صادت فؤادى ذات الكحل   بدور تبدت لنـــا فى الحلل
وهذا الغـــلام مليح القوام   كبدر التمام مليح المقل

(ذكر المصنف ياسادة) وكان هذا طارق قد أخذ من الشجاعة قسمه ومن البراعة حفظه ورسمه وكان له شعر من طوله مشدود الى وسطه فلما نظر الى القناصة وقد فعلت تلك الفعال اشتاقت نفسه الى الحرب والقتال وحن جواده من تحته إلى المجال فتقدم الى الأمير عبد الوهاب يريد يستأذنه فى الخروج اليها والهجوم عليها وإذا به قد سبقه إليها وأراد أن يحمل عليها فتعلقت به الأميرة ذات الهمة وقالت ياولدى ما أدعك تخرج الى هذه الملعونة لأنها ان ظفرت بك فهو العار الأكبر وان ظفرت بها لاتنال فخر ولا ظفر واننى ما آمن عليك من شرها ومكرها فدعنى أخرج اليها واهجم عليها فهى معه فى المحاورة والكلام واذا بطارق قد اغتنم الفرصة وخرج اليها وهو كأنه بدر التمام وهو يقول للامير عبد الوهاب وللأميرة ذات الهمة بالله عليكما إلا ما تركتمونى أخرج اليها وأحل بها الارتباك لأن هذه أول خدمه أخدم بها الأمير عبد الوهاب (ياساده ياكرام) فقالوا له لقد أقسمت علينا بعظيم ابرز اليها وخذ حذرك منها فعندها برز اليها وهو راكب على جواد أبيض كأنه بياض النهار ويسبق الطير اذا طار وهو كما قال فيه الشاعر حيث قال

جواد العز حاز الى المعالى   ويبلغ مايريد بلا جنـاح
إذا ما رمته يوما لحرب   اطار وقد على فوق الرياح
ويسبق فى المسير للمع برق   ويقطع فى المسير الى البطاح

(قال الراوى) ياساده ياكرام وهو متقلد بسيف بارق معتقل برمح [illegible] وعليه زرديه ترد أسباب المنية ثم ساق جواده وقد اشتاقت نفسه الى حربها وجلادها حتى حتى وصل الى ساحة الميدان ولما حاذاها فى محل الطعان أنشد يقول

أرى لك فعلا زائد الجوروالقبح   كفعل لئيم زائد البخل والشح
أما سمعت أذناكى يوما بطارق   فتى يخرج الهيجاء بالسيف والرمح

فدونك منى فارس ذو حمية   غشوم هجوم لا يمل من اللفح

(قال الراوى) فلما سمعت القناصة شعر طارق ورأت حسن وجهه وسواد شعره وبياض جبينه الرائق علمت أنه صغير السن فطمعت فيه وحملت عليه ومالت بكليتها اليه ونادت برفيع صوتها أيها المغرور بشبابه البارز إلى مصابه قد خاطرت بنفسك وأرملت عرسك ثم انها أشارت اليه على عروض شعره تقول هذه الابيات

أيا من له وجه حكاسنا كالبدر   وطرف كحيل قد توهم بالسحر
ستعلم انى ليس فى الارض فارس   يقاومنى فى معرك البيض والسمر
وانى أنا قناصة الاسد فى الوغى   أبيد الاعادى بالرماح وبالبتر
ولا أرهب الابطال فى يوم معرك   ولا أنثنى فى موقف الكر والفر

(قال الراوى) ثم أنها حملت وأوصلت الطعن والضرب اليه وحمل الآخر عليها وتقرب بالهجوم اليها وأنهما لم يزالا فى كر وفر حتى علا عليهما الغبار وغابا عن الابصار ووثب عليها طارق بحملته وطلبها بشدته وهم عليها بطعنته فصبرت حتى وصل اليها السنان وقد قربوا من بعضهم بعض فمدت يدها الى نحوه وقبضت على سنان رمحة وهمزت بحيلها عليه كسرته نصفين فرمى طارق بقيته إلى الارض واعتمد على السيف وجالا طويلا واعتركا ميلا ثم انه هجم عليها وأشار بالضربة اليها فوقفت له حتى رفع السيف وقصد رأسها فخرجت عنه وقد مضت الضربة خائبة وقد بطلتها بحسن خبرتها (قال الراوى) ثم أنها هجمت عليه وضايقته ولاصقته حتى حك الركاب بالركاب ومدت يدها اليه وقبضت على مراق بطنه وجذبته اقتلعته من سرجه ورجعت به وقد انكشف الغبار وانجلى ما تحته الابصار وكان فى يدها كانه العصفور فى يد الباشق الكسور وسارت حتى أوصلته الى عند أصحابها وقالت لهم أكرموه فانه والله كريم الفضل بين شبابها وقالت له عند أخذها له ما أنت الأن تعلقت بشىء من الفروسيه الا انك تحتاج الى سواعد قوية ثم أنها أوصت عليه رجالها وعادت الى حربها ونزالها ثم أنها نادت برفيع صوتها هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز فلم يجيبها أحد فعندها حملت وأيضا حملت معها رجالها وأصحابها فأبادت الأبطال وأردت الاقبال وصرخت فى الجميع وصرعت الأبطال وضربت الرجال ضرب وجيع فهى كذلك إذ لقيها الأمير عبد الوهاب وحوله جماعة من بنى كلاب فحمل عليها وأراد أن يوصل

الأذية اليهـا وإذا بصايح يصيح من جانب المعقمة وهو يقول أدركنى الحقونى وعينونى وخلصونى (ياساده) فالتفت الأمير الى الصياح من وسط القتال وتبينه وإذا به الأمير أبو محمد البطال وهو يقول هذا المقال وكانوا أصحاب القناصة أحدقوا به وعرقبوا جواده وذلك أن القناصة لمـا برزت إلى الميدان برز الآخر مع جمـــلة الفرسان فجرى له ما جرى وصـار يمانع عن نفسه إلى أن كثر عليه العدد وتزايد المدد وأشرف على الهلاك وسوء الارتباك واستغاث بالأمير عبد الوهاب فانحرف الأمير عن القناصه ليخلص البطال وحمل على الرجال وأباد الأبطال فانعطفت عليه عند انحرافه وزاوغته وغافلته وطعنته وأرادت أن تبطل بعض أطرافه فوقعت الطعنة لمـا يريد الله من تمـام مشيئته من ظهور الولد النجيب الذى تذل الأبطال لهيبته فى الموضع الذى فى خاصرته الذى أصابه يوم وقعة الجلا الذى جرحه له أبوه الحارث وكان ذلك سبب قتله (ياساده) فتمزقت الخياطة من الطعنة لمـا وصلت اليه وكادت أن تقضى عليه من حدتها وخرجت مصارينه من بطنه فردها بيده وانحنى على سرجه شفقة على نفسه فعلمت القناصه بحاله فطعنت الحصان برأس السنان فقفز الجواد من تحته إلى وسط الميدان فلم يتمالك الأمير على روحه من شدة الطعنة فوقع فمن شدة الواقعة كادت أن ترد عظامه فعطفت عليه القناصـة عند وقعته أخذته أسير وسلمته إلى أصحابها وهو بحالة الذل والتعتير وقالت لهم يا ويلكم ما بقى بعد هذا من تخشوه فى القتال ثم انها عطفت بعد ذلك على الأمير أبو محمد البطال وضربته بالسيف صفحا على رأسه فطارت البيضه والرفاده وانشجت جبهته وجرى دمه على وجهه وجبهته ومدت يدها اليه عند دهشته أخـذته أسير وسلمته إلى رجالها ذليل حقير والأمير عبد الوهاب غائب عن الدنيا حاضر معهم فى صفـة مفقود وقد أمرت بالثلاثة إلى الحصن وكل هـذا يجرى والأميره ذات الهمة ما عندها منه خبر لأنها كانت مشتغلة بنفسها وكان قد أحدق بها الف فارس من عبيد القناصه وهى تقابلهم ساعة تفرقهم وساعة تجمعهم (ياساده) فبينما هم على ذلك الحال وهى على ما هى عليه من القتال وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما فالتفتت تنظر ما الخبر وإذا بالأمير طوق بن مالك وهارون العلوى قد أتى اليها وأخبرها بأسر ولدها عبد الوهاب ومعه أبو محمد البطال وطارق الحجازى بعد أن جرح الأمير جرحا مؤلما وهو مشرف على التلاف (قال ياساده) فلما سمعت الأميره بذلك الكلام صار الضياء فى عينيها ظلام وكاد فؤادها أن يطير مما نزل عليها من البلاء وصارت كأنها الحيه على المقلا ثم انها طلبت

طلبت القناصة وهى تشق ذلك الملا هذا وقد تبعها مالك ابن طوق وأسد ابن ضمرة وجماعة من بنى كلاب وسملق وبقية الفرسان وهم خلفها كانهم أسود الغاب وقد احمرت منها الحدق وقد طلع على شدقيها الزبد وصارت تهدر مثل ما يهدر الاسد فما وصلت إلى مكان المعمعة حتى أقبل الظلام ورجعت الطائفتين عن الحرب والصدام وطلعت القناصة حصنها ودخلت إلى قصرها وقد بلغت مأمولها فقالت الأميرة هذا لم يكن فى الحساب وكيف يكون العمل فى خلاص الأمير عبدالوهاب وفيه هـذا الجرح الذى يقولوا أنه أشرف منه على الهلاك والتلاف والذهاب (قال الراوى) هذا والأميره قد رجعت إلى الخيام وباتت طول ليلتها لم يأخذها منام وهى تقول ان لم يخلصا والا هلكت ورجعت طول تلك الليله ترقب النجم والفلك (قال الراوى) هذا ما كان من الأميره ذات الهمة وما حل بها من المصاب (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب وما جرى له مع القناصة فانها لما رجعت من الحرب والضراب قالت على يا أمير هؤلاء القوم فأحضروا لها الأمير عبد الوهاب إلى بين يديها وقد شد بطنه بعمامته لكنه فى همة الاسد من هيبته والرجال من حوله يمشوا فى خدمته فلما نظرته قامت اليه وأجلسته بين يديها وقالت فى نفسها وذمه العرب الكرام لو بليت به فى مقام الحرب والصدام لما وصلت اليه ولا فى جملة من الايام ثم قالت له من أى العرب انت ياغلام فقال لها من بنى كلاب الكرام فقالت له أنت ابن الحارث بن ظالم الذى قتلت أباك على ترك ملة الاسلام فقال لها الامير عبد الوهاب نعم لانهم كفروا ببارىء النسم ومنشىء الامم فقالت له سمعت عنك أنك أسمح الناس كفا وأنك موصوف بالشجاعة ومارأيت منها شيء فى تلك الساعة (ياساده) فقال لها الامير عبد الوهاب اعلمى ان الامور لها أسباب والمقادير لها أبواب وأنك ما أسرتينى مثل ما تؤسر الابطال وما طعنتينى الا غدرا (قال الراوى) فلما سمعت القناصة منه ذلك الكلام والمقال انقلبت عيناها فى أم رأسها ووثبت اليه بالسيف تعلوه من شدة بأسها فاستعطفها بعض أمراءها وناسها فقالت وذمة العرب الكرام ما بقيت أقتلك وأسقيك كاس الحمام حتى أبارزك واختبرك فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب ولكن كيف السبيل وأنت بهذا الجرح الوبيل فقال لها الاميران هذه الحجة تزول ابعثى إلى بعض أصحابى الذين على حصنك نزول حتى يخيطوا جرحى وبعد ذلك اذا أراد الله بالسلامة ألتق أنا وأنتى فى حصنك بشرط أن تسلمى لى عدة كاملة فان ظفرتى بى حملت اليكى ما تريدى من المال وأرحل عنكى برجالى وأبطالى وان ظفرت بك تطلقينى أروح إلى قومى

فقالت له وقد قطبت وجهها من كلامه تقول لى ارحل عنك بعساكرى فلو ان مثل عساكرك اضعاف لما حسبت لها حساب بل أنزل بها لوبال وإن لم تكن قد أنصفت فى المقال لكنت فعلت بك ما تضرب به الامثال ثم قالت ائتوه بصاحبه الذى عندكم فى الاعتقال ففى عاجل الحال مضوا ليحضروا أبو محمد البطال وقالوا له قم الآن إلى صاحبك ان كان يعز عليك وهو من أهلك وأقاربك فقال لهم سألتكم بالله العظيم لاتكون الاميره القناصة تريد تفعل بى فعل ذميم فقالوا له انما يريد احضارك لتخيط جرح صاحبك فقد طلب منها البراز مثل ما تفعل فرسان الحجاز ووقع الشرط بينهم ان ظفرت به حمل اليها الاموال وان ظفر بها أطلقت سبيله من الاعتقال فلما سمع أبو محمد البطال منهما ذلك الكلام قال ما أظن هذا الرجل بعد هذا المقال يروم أن يصل اليها وهى التى قهرت الرجال والابطال (قال الراوى) ثم ان البطال قام مع الرجال وسار الى بين يدى القناصة فى عاجل الحال ولما رأته صغر فى عينها وقدأعلموه ياساده فعندها تقدم البطال ووقف بين يديه وقال له اعلم أيها الاميران هذه المرأة جبارة لاسيما وأنت على هذه الحالة من شده الجرح الذى أنت فيه فقال له الامير يا أمير أبو محمد إذا أراد بالعافية مسبب الاسباب وملكت سيفى ودرقنى فى يدى ترى العجب ولكن خيط لى هذا الجرح قبل كل حساب (ياساد) فتقدم الامير أبو محمد وخاط جرحه ووضع عليه من الادوية والحشائش النافعة للجراح وشده شدا وثيقا فوجد الامير فى نفسه راحة وكان ذلك الوقت آخر النهار فباتوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح وعادوا الى ما كانوا عليه من المبارزة والارتياح (ياساده) فعندها وثب البطال وأشار الى القناصة وقد أمل من اطلاقه بلوغ الامل وقال لها أيتها الاميره لقد عدلت فى هذا الجاهل فلم ينفع فيه العدل وقلت له ان هذه الاميره لو اجتمع عليها كل من فى الارض يريد بها سوء لما وصلوا اليها ولا قدروا عليها ثم أنه تقدم اليها بمكره وحيله وأشار اليها يمدحها ويقول

ألا اننى قد طفت جمع العوالم ... وقد نظرت عيناى جمع المعالم
فلم أر يوما مثل بنت مزاحم ... ولا فى السخى أسخى ولا فى المكارم
أبادت سيوف الهند بالضرب فى العلا ... وقد عودت فى الحرب قطع الغلاصم
لقد شرفت قناصة الاسد فى الوغى ... وقرت بذا أهل الندى والمكارم
وقد خاب قرنا لامسته لانها ... تبيد الاعادى بالسيوف الصوارم

(قال الراوى) فلما سمعت القناصة من أبو محمد ذلك الشعر والنظام ومدحه لها وكيف خيرها على جميع الانام فأعجبها وكان ذلك عندها أمر عظيم المرام وقالت له لافض الله فاك ولا كان من يشناك ولقد أخطأنا فى حقك أيها الشاعر الأديب إذ نحن أسرناك وما كنا عرفناك وانى وتربة أبى قد وهبتك نفسك فان شئت تقيم عندنا وان شئت تعود الى قومك وأهلك (ياساده) فشكرها وأثنى عليها بزخاريف المقال ثم انه التفت الى الأمير عبد الوهاب وقال له تريد تجرب روحك مع هذه الاميره وألا تنظر لك فى نفسك عاقبة وخيرة فقالت القناصه أعطوه عده فما عسى أن يفعل وهو على ما هو عليه من الشده فأتوا اليه غلمانها بعدة جعلوها قدامه وبين يديه فقام وقد أفرغ الزرد عليه وأخذ السيف بيده فلما أن ملك العدة وصارت فى يده قال فى نفسه انه قد نجى من الشده التى كانت وصلت إليه فعندها قال له الأمير أبو محمد البطال اعلم أيها الأمير أن هذه المرأة قد وهبتنى نفسى وقد قال الله تعالى : (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) وأنت تعلم أن أمك ذات الهمه أشد منك بأس وأصعب منك مراس ولكن ماتقوم مقام هذه الاميره القناصه وهاأنا الساعة أخرج اليها وأحدثها بكل ماجرى وأضمن لها من هذه الاميره انها لاتؤذيها ولاتدع أحدا من قومها يصل اليها ولايدنو لها بسوء ولكن تنفقوا على شىء واحد وهو أن تبرز اليها أنت أو أمك رجالة أو خيالة فان ظفرت بأمك تفديها بالاموال التى لكم فى مكة وهى العشرة آلاف دينار التى ودعتوها هناك خيفة من الوقوع فى مثل هذه النوبة وأنا أضمن لكم هذه السيدة تقبض المال فانه أحب اليها من الأسر وقتل الرجال وأنا أعلم أنها ما تخالف لى قولا ولا تعصينى أبدا لما بان لها من محبتى فيها (قال الراوى) ياساده ياكرام لهذا الكلام والمقال فلما سمعت القناصه ذلك طمعت فى المال ولم تعلم أن أبو محمد قد أوقعها فى شرك الاحتيال فقالت له ياشاعر وذمة العرب لقد قلت الصواب فاخرج وعود بهذ الخطاب (ياساده) ثم ان البطال أخذ يد القناصه وعاهدها بذلك للاميره ذات الهمه على الحساب ثم قال لها ولايصعب عليك أيتها الملكة هذا الامر سيما وانه بقى لك علىّ حق العتاقه فلهذه الامور ولهذا الرجل وأمه علىّ حقوق كثيرة ومكارم غزيرة ومعلوم أن هذه المرأة الساعة مالكة نفسها فاذا دخلت حصنك صارت تحت حكمك بل أريد لها خاتم أمانك ويكون الزمام منك على ما ذكرناه من ذلك فوقع الشرط بينكما إن أسرتى هذا الامير كان لك نصف المال وإن أسرتيهم كان لك المال كله جميعه فقالت القناصه صدقت وهذا خاتم أمانى لك ولهم وأيضا لك

من المال الجائزة الحسنة على شعرك وعلى تعبك لأنك مدحتنى ولم أعطيك شىء (قال الراوى) ياساده فشكرها أبو محمد البطال ودعا لها بطول البقاء والدوام وطلب منها أن تقول لغلمانها يفتحوا له الباب فأمرتهم بذلك ففتحوا له الباب فخرج البطال وهو فرحان وسار طالب الاميره ذات الهمه فوجدها كأنها الحية على المقلة فدخل عليها فنهضت له شوقا إلى ولدها ومعرفة خبره وقالت له ياأبو محمد هل تخلص ولدى فقال يخلص ان شاء الله تعالى ثم انه أعاد عليها القصة من أولها الى آخرها ثم قال ان كنت تعلمى أن فيك كفاءة لمن فى الحصن ولا تفرطين فى نفسك وأما الامير عبدالوهاب فانه بكل عافية من رب الارباب وأنا ألعب بعقولهم وأخلصهم فى هذه الليلة ان شاء الله تعالى (ياساده) فقالت له الاميره ياأبو محمد دخلنى الحصن وانظر العجب فقال البطال إذا كان الامر على ما ذكرت فخذى أهبتك فعندها نهضت الاميره بعد ما أفرغت عليها لامة حربها وسارت مع أبو محمد وهى لاتصدق أن ترى وجه ولدها وقد أقامت مقدم على قومها مالك بن طوق وقالت له إن قصدنا نعمل على خلاصنا بالمال من غير قتال وإن كانت الاخرى فانجو بنفسك وبمن معك لان ما فيكم من يقوم مقامها ولا يروم مرامها على انى أرجو من الله النصر عليها ثم ان الامير أبو محمد البطال سار وسارت الاميره من خلفه وهى تتضرع الى الملك المتعال وتسأله خلاص ولدها على ذلك الحال (ياساده) ولما أن وصلوا الى الباب نادى البطال : افتحوا الباب فان الشاعر قد وصل بالمراد الى الملكه الكريمه والسيده العظيمه فمضت البوابين اليها وبوصول الشاعر أعلموها وانه على الباب يريد الدخول إليك والحضور بين يديك فقالت لهم خذوا حذركم أن يدخل معهم ثالث فلما عادت الغلمان وفتحوا الباب وصاروا بين يديها وسلم البطال عليها فردت عليه السلام وقالت له أيها الشاعر ذكرت لهذه الاميره ما عولنا عليه فقال نعم أيتها الملكة وقد جاءت إلى حضرتك وهاهو ذا ولدها أسير فى قبضتك فأيهما أراد أن يبرز إليك فليفعل (ياساده) والاميره ذات الهمه قد اجتمعت بولدها وجعلت تسأله عن سبب أمره وعن الجرح الذى انجرحه فقال لها يا أماه ما أنا إلا بخير من الله سبحانه وتعالى طيبى قلبك وقوى عزمك فما مضى للبطال اليك إلا من شفقته عليك لكى تحضرى ويطيب قلبك وإلا أنا كان قلبى طيب انى اذا ملكت سيفى وترسى ألقى كل من فى الحصن فقالت الاميره يابنى لاتتعب نفسك فأنا من الاسواء فداك وأنا إن شاء الله تعالى أكفيك مؤونة أعداك لأنك من ألم الجراح قد ضعفت قواك (قال الراوى) ياساده يا كرام

فالاميره مع ولدها فى الكلام واذا بالقناصه قد صاحت صيحة كأنها الرعد القاصف وقالت لهم ويحكم من هوالذى يبارزنى منكم فجاوبتها الأميره بصيحة أعظم من صيحتها وقالت لها ياويلك من انت عدموك قومك حتى يبرز إليك فارس الاسلام المذكور وبطلها المشهور مبيد الكفار وفارس الثغور الأسد الوثاب والليث الغلاب سيد أمراء بنى كلاب أمير المجاهدين عبد الوهاب ولكن أنا أفديه من الردى وبروحى أقيه وألقى عنه ربات الخرائد وأصحاب المقانع والقلائد (ياساده) فلما سمعت القناصه من الاميره ذات الهمه ذلك الكلام وثبت من على سريرها كأنها الأسد الضرغام وقد امتشقت فى يدها الحسام وأخذت فى يدها ترس من الحديد الصينى وزنه سبعين رطل تمام ثم انها زعقت على الاميره وقالت لها ياعاهره ستعلمين من عليه تدور الدوائر (ياساده) فصرخت فيها الاميره المجاهدة الطاهرة وقالت لها ويلك يافاجره يا كافره سوف تنظرين من تكون من ساعتها خاسره وحملت كل واحدة منهما على الاخرى وجرى بينهما من الحرب ما يريد يجرى وإذا وقع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن فكانا كأنهما جبلين تصادما أو بحرين تلاطما ورأت الاميره من القناصه مالاتراه من غيرها (ياساده) وكانت القناصه وزنت نفسها مع الاميره فوجدتها ترجح عليها بكل درهم دينار فندمت على دخولها الحصن وقالت ما مكر بى إلا الشاعر الازرق العينين الذى يشبه فى أمره الحصين بمكره لأنه عرف أن هذه الاميره لها شجاعة وغرّ بى حتى حل بى عطبي وان سلمت صلبتـه على باب الحصن (ياساده) ثم انهما تضاربا وتقاربا حتى ضاقت منهما الأنفاس وزاد بينهما الامر عن حد القياس وكانت القناصة قد وجدت فى نفسها تقصير وعرفت الاميره منها ذلك الخبر لانها ماضربت مضرب إلا بالعطب واستد فى وجهها كل مذهب (ياساده) ذكر الناقل أن القناصة لما رأت نفسها صاحت فى قومها أدركونى واحطموا عليها بالسيف المشطب وأعينونى عليها وقد وقعت معها فى بحار العطب (ياساده) فما انهم إلاأن سمعوا مقالها حتى زمجرت رجالها ورفعت الى الاميره أبطالها وهم خمسة آلاف فارس وهم ليوث عوابس بالسيوف الصقال والدرق الثقال (ياساده) هذا والامير أبو محمد البطال قد قصد الى النسوان وقال لهم اعطونى عدة مانعة وصمصامه قاطعه وقد ذهبت عنكم هذه الواقعة ولا تعرفون هلاك هذا الاسود إلا منى وكان الامير عبد الوهاب فى هـذه الفترة قد أخذ عدة من بعض الرجال وثار الى معاونة أمه ذات الهمة ثورة الاسد الريبال وكان الاميرأبو محمد البطال لما قال للنسوان اعطونى

عدة أساعد بها الفرسان ظنوا أن كلامه حتما وقوله صدقا فأعطوه سيفاً قاطع ودرع مانع ودرقة من الحديد لايكاد يحملها إلا الرجال الصناديد فأخذهم ومضى وهو يقول خذوهم وبالسيوف قطعوهم (قال الراوى ياساده) والقناصة تنادى برجالها وأشجع أبطالها وتندب ماجرى عليها ونالها والبطال أراد أن يبرز حجة عندها فقال أيتها الأميرة اقبلى منى ما أقول وقد بلغنى المسئول والمأمول فقالت له القناصة وما عساك أن تقول يا طالعة الشوم فما رأيناك إلا فى طالع مذموم فقال لها البطال لاتفعلى أيتها الملكه ولا تظنى إلا الرأى الحسن وأنا الرأى عندى أن تدلونى على هذا الامير الذى عندكم واسمه طارق الحجازى صاحب الوجه المليح فانه عزيز عندهم حتى انى أخرجه مكتوف اليدين مكشوف الرأس وفى رقبته حبل وعلى رأسه سيف مجرد حتى انى أوقفه قدامهم وأقول لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام إن لم ترموا عددكم وتسلمون نفوسكم وإلا ضربت رقبة صاحبكم لأنى إن فعلت ذلك فلكم الأمان فاذا سمعوا منى ما أقول طمعوا فى السلامة وربما رجعوا على أنفسهم بالملامه ويسلموا نفوسهم إلينا يبقى الأمر للملكه إن شاءت وهبتهم نفوسهم وإن شاءت أسكنتهم رموسهم فلما سمعت القناصة كلامه قالت لمن حولها ارشدوه الى مراده فسار معه بعضهم ودلوه على المطموره الذى فيها طارق ولم يكن بأسرع مما فتحها ثم تقدم الى طارق وحل كتافه وقبل أطرافه وسلم اليه عدته وكان قد أخذها البطال من النسوان فأعطاها لطارق وقال له قم وأدرك الاميره والأمير عبد الوهاب فانهم فى أشد ما يكون من الطعان والضراب وقطع الاطراف والرقاب فقال له طارق حباً وكرامة ونحمد الله على العافية والسلامة ثم انه وثب وثبة الأسد وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

قد جاء سعدى وملكت ترسى وعدت بعد الموت مالك نفسى

أنا الذى أعرف بين جنسى بطـــارق مهزم آل عبس

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان طارق صار عند الاميره والأمير ولما رأت النسوان من البطال ذلك الأمر الخطير قالوا له ويلك ياشاعر الشوم ما هذا الأمر الذميم فقال البطال وأنا إيش لى ذنب أنا عهدى بأن الأسارى لا يكونوا إلا فى الكتاف الشديد وفى أرجلهم القيود الحديد وما أنا إلا نزلت المطمورة وصرت بين يديه حتى وثب علىّ وثبة الأسد العظيم ولطمنى أرمانى وأخذ عدتى منى وطلع

الى أصحابه وكشف عنهم الشدة وحق ذمة القرب لولا ما بيني وبينه من النسب لكان أسقاني كاسات العطب وقد بليو رجالهم بما لايطاق وقد نودى فى شملهم بالشتات والفراق فقالوا له قل لنا ما نفعل وكيف يكون العمل فى هذه الأسباب (قال الراوى) ياساده فقال لهم البطال وما بقى لنا فرج إلا أنكم تفتحوا الأبواب وتأخذوا معكم ماخف حمله من الأموال ثم تتسلقوا الى رؤوس هذه الجبال والأحجار والصخور فتملكون أعلاه وتقعدون فى رباه لأنه حصنكم فى هذا الوقت لكون أن هذا الحصن قدملك وكل من فيه قدهلك وما قلت لكم هذا المقال إلا من شفقتى على الحريم والعيال وأنا أكون أولكم لأننى قدأفسدت كلمتى مع قومى ومدحت القناصة قدامهم ورجعت على الأمير عبد الوهاب بالملام وأنا فما بقى لى عندهم مقام بعد ذلك المقام فقالوا النسوان لبعضهم البعض لقد أشار بالصواب فبادروا بنا الى فتح الباب واذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما فعاد أبو محمد الى داخل الحصن وقلبه على الأمير كاد أن يطير وخاف لايكون قد أسر وهو كالحية على المقلا أو الوالهة الثكلى الى أن قرب من المكان وسمع قوم يقولون هؤلاء أقوام جبابرة وماهم من البشر ومن طلب نزالهم فقد حمل نفسه على العطب أما رأيتم هذه المرأة كيف أخذت القنا فى أسرع وقت وبقيت كأنها العصفور فى يد الباشق المكسور ثم أنها أدارتها كتاف والأسود كيف يقطع الأطراف ويرجع الى العلاج ويفلل العزائم ويقطع الغلاصم ويبرى المعاصم والآخر الذى كان عندها أسير قد قتل الرجال وطير الرؤوس والأوصال فلما سمع كلامهم البطال طاب قلبه ورجع نحو الباب والنساء قد اشتغلوا عنه بزعقات الرجال ثم أنه جعل يعالج الأقفال حتى فتحها فى الحال وخرج واذا بالأمير مالك وأصحابه قدامه يسمعون الصياح ولاسبيل لهم الى معاونة الأمير والاميره فى الكفاح فصاح البطال عليهم ادخلوا الباب فقد جزر الامير الابطال جزرا وأبادهم خمسة وعشرا هذا وقددخل الامير مالك وصاح الله أكبر وكذلك أصحابه فلما رأوا أصحاب الحصن الى هذا الفعل الفظيع والحال الشنيع قد حل بهم فألقوا العدد من أيديهم وصاحوا الأمان الأمان فرفع عنهم الامير ضرب السيف ولم تكن سيمته ظلم ولا حيف وطلبوا الرجال الباب وملك الامير الحصن والاسلاب وأحضر الامير القناصة وكانت أحسن أهل زمانها فخطبها من نفسها فتزوج بها الامير فى الحال وتولى عقد نكاحها البطال ودخل الامير بها فوجدها بكرا كما خلقها ربها فبقى الأمير متعجب من أمرها فعلمت ما فى نفسه فقالت له أيها الامير أتظن أنه قد خطر ببالك الذى سمعته عنى وأنى قد تزوجت بجماعة من الرجال ثم أضرب منهم الرقاب فقال

الامير قد سمعت ذلك وكيف كنتى تعملين فقالت كنت اذا سمعت ببطل من الابطال
أطلبه من أهله أو آخذه قنصا من الميدان أو بالطعن أو بالسنان فاذا تزوجت به
وخلوت معه أتذكرها ما كان من أمره وكيف أسرته فتنفر نفسى منه على انى أكون
له أهلا ويكون لى بعلا فامنع نفسى واضرب عنقه حتى لا يرجع إلى أهله ويحدثهم بما
كان منى فتقع هيبتى فى قلوبهم وبقيت أنا بكر كما ترانى فسر الأمير بذلك وأقام عندها
مدة أيام وكان اذا دخل أبو محمد الى عندها تقول فى نفسها هـذا الشيطان الذى ملك
حصنى وأقام الأمير عبد الوهاب عندها فى أرغد عيش هذا جرى ههنا (وأماما كان)
من الرشيد فانهم لمـا ودعوه وودعهم وسار طالب بغداد والقاضى عقبة فى صحبته
ومازال إلى أن دخل بغداد وزينت لقدومه البلاد وسائر العراق وأرسل الطيور إلى
سائر الآفاق وزينت جميع الأقاليم والرستاق ودخل عقبه على السيده زبيده فقالت له أهلا
وسهلا بك أيها القاضى أين كانت هذه الغيبه فقال لها اسألى مولاى اين وجدنى ثم ابتدأ
يحدثها كيف كانت عودته إلى مكة وكيف وقع وطارت أضراسه وهى تقول لعن الله
الناس السوء أنت كنت فى تلك المواضع الجليـلة والناس يقولوا كنت فى بلاد الروم
وأنت الذى عملت على حصن أريل حتى أخذوه الروم ولا بد ما أقول للرشيد يطرد
هياج الـكردى لأنه تكلم فيك بالقبيح وقالوا هو الذى قلع أضراسك فقال لهـا بالله
عليكى يامولاتى لا تقولى لمولاى لا خير ولا شر ولا تقطعى رزقه لأنى ما عرفت منه
الا الخير وما أشتهى أن ينقطع رزق مسلم من أجلى ومعلوم انى أنا عند الله لى الأجر
العظيم والدنيا زائله وأنا أخشى أن ألقى الله سبحانه وتعالى وفى صحيفتى ذنب واحد
فقالت لله درك ما أحلمك على تقبيح خصمك وأعظم أجرك وما أخبرك بالعلوم فلا
تبرح من عندنا فى بغداد فقال سمعا وطاعه لأمرك ياسيدتى ثم سار إلى داره فوجـد
ابنه قد اختبى ولم يكشف خبره فلما اجتمع به قال له يا بنى لقد لقيت الشدائد وبقيت
مدة فى المواضع المشاع وسأله عن حاله فاعلمه بما جرى له وقال له عولت ان
أرسلك إلى ملك الروم بكتاب وأسأله عن حاله وان كان له رغبه أن يغزو المسلمين
ويأتى إلى بلاد الثغور والخروج اليها فليفعل ذلك قبل أن يأتى الاسود الزنيم والوغد
اللئيم والعجوز العاهرة وأنا أعـلم أن البلد الذى توجه اليه ما يرجع منه وعول عقبة
أن يوجه إلى ملك الروم كتاب ويحرضه على الخروج الى بلاد الاسلام هـذا ما جر
ها هنا (وأما ما كان) من هياج الـكردى فانه لما سمع بأن القاضى عقبة قد وصل مع
الرشيد مبجلا مكرما فقال أقسم بالله لا بد لى أن أهجم عليه ولو كان فى حجر

الخليفة فما هو الا أكل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير وأشرك بالملك القدير وبات وهو قلق طول ليلته لم ينم وهو متفكر فى أمر عقبة ولعنته وحيلته ومكره وخبثه ولم يزل كذلك إلى أن أصبح الله بالصباح فهذا ما كان من هياج الكردى (وأما ما كان) من الخليفة فانه جلس على سرير ملكه عند الصباح وحوله الخواص من أرباب دولته والوزراء والحجاب والخدام والمماليك قيام متكئين على سيوفهم ودخل القاضى عقبه فتزعزع له الرشيد ولم يبق أحدا فى ذلك المقام إلا وقام قائما على الأقدام فلما جلس عقبه قال له الرشيد ياقاضى إنى قد بان لى منك فى مكة مافيه الكفاية وقد علموا الناس ذلك وكان الامير عبد الوهاب لما فتح القسطنطينيه وقد أخذ منها الستور مكتوب عليها اسمك وقناديل فما السبب لذلك فضحك عقبه وقال يامولاى مايخلو المرء من أمرين إما أن يكون مسلم والمسلم لايرى فى دينه من ذلك واما أن يكون منافق والمنافق لايعمل عملا حتى يهتك بستره وهذا من شؤم الروم حتى أنهم يوقعون بين المسلمين فلما سمع الرشيد ذلك قال يا قاضى اعلم أنى ما أقول لك هذا المقال إلا من طريق الانبساط وهذا هياج الكردى زعم أنك جئت إلى حصن أربل من بعد ما أبصرك فى خيمة الملك منويل فقال يا مولاى أنتم تقولون ان أربل خربت من مدة ستة سنين (قال) وكان الأمير هياج حاضرا فقال اعلم يا عقبة أن ما بقى بعد هذا الأمر أمر بعدأن رأيتك ياويلك فقال عقبة يامولاى أيهما أصدق عندك هياج أوأهل مكة قال أهل مكة شهدوا أن لك عندهم عشر سنين فلما سمع هياج ذلك هانت عليه الدنيا وصغرت نفسه عنده ثم امتضا سيفه من غمده وطلب عقبه فلما رآه مقبل اليه صاح بملو بطنه ردوا عنى هذا المجنون لايقتلنى فصاح الرشيد فى هياج فلم يلتفت اليه فقام عقبه يجرى طالب بيت الحريم ورفع الستور وهم بالدخول فلحقه هياج وضربه بالسيف قطع إبهامه وسال دمه فالتفت عقبه اليه من حلاوة الروح وشدة الضربه فطعنه هياج بأصبعه فى عينه قلعها فوقع عقبه الى الأرض ما فى عينه قطرة فأخذت هياج السيوف من كل جانب حتى بقى كأنه الابزار وأمر به الرشيد أن يرما الى التراب وقامت على الرشيد القيامه وعقبه مرمى كأنه الحجر الملق فأحضروا له الأطباء وقال لهم احضروا وانظروا حالكم فى القاضى عقبه وما قد أصابه من النكبة فقالوا يامولانا الجرح يداوى ولكن عينه ذهبت هذا حرى هنا (وأما هياج) فانه لما رمى على باب القصر وقد شاع خبره فى بغداد فسمعت زوجته وبناته فخرجن حافيات باكيات صارخات منشورات الشعور ولفوه فى ازار ومضوا به الى الدار وقد حملوا لهن أهل

بغداد الطعام ثم جعلن يبكين الى نصف الليل فغلب النوم على أعين الغيداء زوجة هياج فنامت فرأت فى منامها سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين ورسول رب العالمين وكان شخصه الشريف واقف بالباب فجعلت تشكوا اليه فقال لها وبشر الصابرين فقالت يارسول الله ذلت بناتى بعد العزة فقال لها العزة لله فقالت زوجى فقال لاتخافى عليه فانه حى لم يمت فاذا استيقظتى قومى الى الباب فالفرج قريب من الملك المجيب فلما انتبهت من مرقدها قالت لبناتها قوموا الى الباب وافتحوا ففعلوا ذلك وإذا بشيخ كبير الشيبة حسن الهيبة وكان يقال له طاهر بن على الجرائحى وكان ذو دين ومعرفه ويقين فلما كان تلك الليلة فى منامه ورأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له ياطاهر امضى الى هذا الرجل الذى قطعوه فهو مظلوم ويكون هذا الحديث عندك مكتوم فان لله فيه تدبير وفى أجله تأخير فقال ومن هو يارسول الله فقال هو هياج الكردى فقم إلى منزله وأنا أعلم أهله بقدومك فقام طاهر من وقته وساعته وسار حتى أتى الى باب هياج وطرق الباب فقالوا من بالباب فقال طاهر جئت لسبب من الأسباب ففتحوا الباب وأخبروه بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فازداد الشيخ يقينا وقال لهم علىّ بأبيكم فأحضروا هياج بين يديه وهو كأنه الابزار المرقده فحار الشيخ فى أمره ولم يزل حتى وقعت يده على صدره فرآه وهو يخفق فلما أحس بذلك قال الله أكبر الله أكبر صدق الله ورسوله وصار يرم العظام المكسرة ويخيط الجراح النافذة وقطر فى فمه ثلاث قطرات من الماء وقال لهم كل من سألكم عنه تقولوا له قد دفناه وأنا أتردد اليه حتى يبرأ لئلا يسمع الرشيد بخبره فينفذ اليه ويقضى عليه فقالوا سمعا وطاعه وخلاهم ومضى (قال الراوى) هذا ماجرى هاهنا من الكلام وأما ماكان من القاضى عقبه الملعون فان الرشيد أقام عليه الأطباء شهرا كاملا الى أن برىء ودخل الحمام وقد عدمت عينه اليمنى ثم دخل على الخليفة وكبر عمامته وجنح طيلسانه فخلع عليه الرشيد ودخل على زبيدة فقامت له قائمة وهنته بالسلامة فشكرها على ذلك وخرج إلى داره وكتب كتاب الى ملك الروم يقول فى أوله كلمة كفرهم ونحن وأنتم نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أما بعد فانى كتبت هذا الكتاب الى الملك أعلمه بما جرى على فى هذه النوبة وقدعدمت عينى اليمنى وساعة وقوفك على هذا المكتوب تسير بكل من فى بلاد الروم فان حماة المسلمين فى أرض الحجاز والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فى الحجاز وبنى سليم ظاهر بغداد فاذا فتحت ملطيه احرقها بالنار واخرب بلادها وأما أنا فلا بد ما أعمل عملا على باقى الفرسان والمأسورين ثم ختم الكتاب ودفعه الى غلامه وسار الغلام

يقع الأرض والمناهل وأصبح عقبة ركب الى خدمة الخليفة وأراد أن يعمل على خادم الخليفة الخاص ليخلص الستور الذى جابها البطال وكان اسم الخادم صندل فلما رآه عقبة صاح عليه وقال بالله عليك ياصندل أريد منك أن تقضينى حاجة مهمة فأجابه الخادم الى ذلك وأتى الى عقبة فقام له قائما على الاقدام وترحب به وصندل يعرف منزلته عند الخليفة فتعجب من ذلك ثم ان عقبة أجلسه الى جانبه وقال له اعلم ياصندل أن البطال أخذ الستور من بلاد الروم وعمل عليها اسمى حتى يوقع بينى وبين الخليفة وقد حصل لك عندى ألف دينار واذا أوريتنى الستور ورجعت أخذتها فى الساعة والوقت وأعدتها الى مكانها ولاينقص عليك شيء فقال صندل وقد رغب فى المال السمع والطاعة ثم خرج من عنده وغاب ساعة وعاد ومعه الستور والقناديل وأحضر الجميع قدام القاضى عقبة وطرحها بين يديه فلما رأى عقبة الى ذلك طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح فقال له الخادم يامولاى جدد نظرك اليهم وعيدهم إلىّ فانى من أمرى على عجل فقال له عقبة اجلس ياولدى حتى تأكل من زادى فان فيه صحة البدن ثم ان عقبة أمر غلامه ظاهر أن يأتيه بالطعام وما كان عقبة قد صنعه بيده لأجل هذه الاحكام فمضى ظاهر وعاد وعلى يده مائدة عليها من سائر الطعام وطرحها بين يديه فجعل عقبة يأكل ويلقم الخادم فما استقر الطعام فى جوفه حتى نزل لحمه عن عظمه فصاح عقبة بغلامه وقال له ادفع هذا الى لعنة المسيح قال الغلام وما الذى أصنع به ؟ قال اذا أمسى المساء خذه ارميه فى الدجلة يمضى الى حيث الفناء ثم انه رفع الستور الى خزائنه ولما أقبل المساء شال غلام عقبة صندل الخادم ورماه فى الدجلة وأخذ الستور والقناديل وسار من وقته وساعته (قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا من عقبة . وأما ما كان من الرشيد فانه طلب صندل غلامه فلم يجده فقامت عليه القيامة ففتح الخزائن فما وجد الستور ولا القناديل فقال عقبة يامولاى هوّن على قلبك هذا الهم والغم فلو أن أبو محمد البطال ههنا ما جسر أحد أن يفعل هذه الفعال فان ظهروا عند المسلمين فلله الحمد فلما سمع الرشيد ذلك سلا عنه بعض ما كان يجده وقال لقدانقطع عنا خبرالأميرأبومحمد والأميرعبد الوهاب (قال الراوى) هذا ماجرى ههنا . وأما ما كان من أمرهياج الكردى فانه بقى على الفراش مدة شهرين كاملين وبعد ذلك انصلح حاله ودخل الحمام سرا وقال مابقى لى فى بلاد الرشيد مقام ولابد من أخذ ثارى بيدى فهذا ما كان منه . وأما ما كان من غلام عقبة فانه سار يقطع الأرض طولا وعرض حتى وصل بالستور والقناديل الى ملك الروم منويل

ففرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد رقرأ عليه الكتاب وهو يضحك وصار يحرضه بالخروج الى ملطيه حتى يفتحها لأجل خلوها من الرجال فكتب الى سائر الأقاليم يأمرهم بالخروج الى الثغور ويخلص الاسارى من أيدى المسلمين ويقول العجل العجل قبل فوات الأمل . هذا ماجرى هنا وأما الرشيد فانه قام ينتظرأخبار الامير عبد الوهاب فبينما هو كذلك واذا بالفضل بن الربيع داخل عليه ومعه خمسة نجابين وهم ينادون أين من يحامى عن مقام أبونا الخليل ابراهيم فسمع الرشيد ذلك فقامت عليه القيامة وقال ياويلكم ما وراءكم ومن بشره رما كم فقالوا ياأمير المؤمنين أسر الامير عبد الوهاب وقتل كل من كان معه من السادات الأنجاب سوى الاميره ذات الهمة وأبو محمد البطال والبدار البدار العجل العجل فى خلاص الأمراء وإلا ما يسلم ديار ولا نافخ نار ولا سلم من الجميع سوى عشرة أنفس فانهم دخلوا الى مكة هم والبطال (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك الكلام اسودت الدنيا فى عينه ولم بقى يدرى ما بين يديه وقال لمن أتاه بالخبر ويلكم ما السبب الذى أوقع الأمراء فى الأسر والعطب قالوا له يامولانا كل الذى جرى من القناصة لأنها سارت اليهم وسفكت الدماء وبقيت الخلائق ثلاثة أيام مجاورين الحرم وقد فتحت البلد وأخذت الأموال والخدم وكان معها ثلاث آلاف فارس وهذا كتاب البطال ثم ان الرشيد تناول الكتاب وفضه وقرأه واذا فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ياأمير المؤمنين إن التوفيق عزيز واعلم أن الأمير عبد الوهاب لما وصل الى القناصة ونزل على حصنها فخرجت اليه وطحنت عسكره وأسرت الأمير وقتلت خلق كثير وسلمت أنا والاميرة ذات الهمة وسلم منا عشرة من الرجال واستجرنا بالحرم ونريد منك يا أمير المؤمنين ساعة وقوفك على هذا الكتاب تنفذ الى ملطيه يأتوا بنى كلاب والسودان الأنجاب وسائر بنى سليم وتنفذ الى الامير الذى فى ملطيه لايخلى عنده أحد من الرجال فنحن فى انتظارك (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام ثم أنفذ كتاب على جناح طائر وكاتب عمرو بن عبيد الله فلما وقف على الكتاب جمع سائر من كان عنده من الأبطال وساروا القوم مجدين يقطعون البرارى والتلال حتى وصلوا الى بغداد وكانت بنى سليم ستين ألف ولم يمهلهم الرشيد دون أن سيرهم الى مكة والأمير ضيغم فى مقدمة بنى كلاب وأبو الهزاهز فى مقدمة السودان والأمير عمرو فى مقدمة بنى سليم وتقدمت النجابة مع الناس فسمع الامير هياج الخبر فتقدم الى زوجته وقال لها لابد ما أسير مع

هؤلاء القوم إلى الأميره ذات الهمة وأجاهد بين يديها إلى أن أموت فقالت له زوجته الغيداء أنا لا حياة لى بعدك ولاصبر لى على فقدك فقال ان كنتم عولتم على المسير فبسم الله عندها حملوا زادهم وخرجوا من جملة الناس واختلطوا فى عسكر بنى كلاب ثم أطلعوا على خبرهم ضيغم فقال عليكم مطر السماء فاخفوا خبركم واكتموا أمركم وسركم عن بنى سليم لا يعلمون الخليفة هذا وقد أوغلت العساكر والكتائب والمواكب وجدوا فى المسير ليلا ونهار وغدوا وابتكار إلى أن وصلوا إلى بريه قليلة الماء فشكوا إلى الأمير العطش وشدة الظما فنزل وأمر الناس بالنزول تقدمت النجابة إلى الأمير عمر وقالوا له أيها الأمير نحن نسبق إلى مكة ونخبر بقدومك حتى تقوى قلوب المسلمين ويمسكوا المواضع فقال لهم نعم الرأى وسارت النجابة وبقى الأمير عمر ونازل إلى الصباح ثم رحل طالب مكة إلى أن وصل اليها فلم يجد أحداً نازل عليها فبقى حائر فى أمره فخرجت أهل مكة إلى لقياه فسألهم عن الخبر فقالوا له ما عندنا من هذا علم فقال فى نفسه هذه حيلة قد تمت علينا من كلب الروم لأنه علم ان السودان وبنى سليم وبنى كلاب فى ملطيه فعمل الحيلة وأخرجنا إلى هذه الأرض ثم أخبروه ان الأمير على حصن الفناصة فسار يجد المسير (قال الراوى) فهذا جرى ههنا (وأما كان) من خروج الروم فكان من تدبير عقبة المذموم لأنه لما أنفذ الكتاب إلى ملك الروم يأمره بالخروج فدبر على خروج أهل ملطيه فأمر بعض غلمانه أن يأتوه بعرب يكونوا غرباء من هذه الأرض فأتوه بعرب مجهولين فسألهم عن أرضهم فقالوا له نحن من أرض الحجاز ومعنا بضاعة نريد نبيعها فقال عقبة وما هى بضاعتكم فقالوا له أديم مكى فقال لهم كم تسوى قالوا خمسمائة دينار فقال لهم أقول لكم على شىء وتربحوا المثل مثلين وأنتم فى حل من الأديم وأعطيكم حقه قالوا له قل ياشيخ ما تريد منا فقال لهم أريد منكم تأخذوا هذا الكتاب وفى غداة غد تأتون به إلى الديوان وتدخلوا على الخليفة وتعطوه هذا الكتاب وعلمهم ما يقولون وقال لهم إذا وصل الجيش إلى مكة ارجعوا على حتى أعطيكم الجائزة فعندها ساروا ودخلوا إلى الخليفة كما ذكرنا وصبروا الى أن ساروا مع العساكر وعادوا إلى عقبة فأعطاهم الذى به أوعدهم وقال لهم ناموا الليلة عندى فأجابوه الى ذلك ولما أمسى المساء أحضر لهم الطعام فأكلوا وإذا بلحومهم قد نزلت عن عظامهم فأمر برميهم فى الجب الذى فى داره وكتب فى عاجل الحال كتاب الى منويل ملك الروم يأمره بالخروج

إلى ملطيه وقد ذكر له فى الكتاب يقول يامندويل اعلم انى دبرت وأحسنت التدبير حتى أخليت لك الأرض ولا بقى قدامك من ممانع ولا من يقاتل واعلم أن هذه الركبة آخر الركبات وانك لاتقصر فى ذلك وبعد الكلام الشكر للمسيح ثم أعطى الكتاب لولده مصعب وقال له ارحل من وقتك وساعتك الى ملك الروم وأعطيه الكتاب فقال السمع والطاعه ثم سارمن أماكن يعرفها حتى وصل الى القسطنطونيه وسلم الكتاب لمنويل فلما قرأه وفهم ما فيه أرسل من وقته وساعته يجمع العساكر حتى بقى عنده من العسكر ألف ألف فارس وقد رحل من ساعته الى مدينة ملطية فوصل الخبر الى أهل ملطية فقالوا نحن لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا وفى الحال زحفت الروم الى الخندق فدخلوا المسلمين البلد وأظهروا العدد ولم يكن لهم صبر ولا جلد وأغلقت الأبواب ونزل كلب الروم على ملطيه وأحدق بها إحداق الاكليل على رأس العروس المجلية وقد أيقن أن البلد فى يده وفى غداة غد مايقف بين يديه أحد . وأما أهل ملطيه فانهم كتبوا الكتب وأرسلوها الى الرشيد يعلموه بما وصل اليهم ونزل عليهم وأطلقوا الطيور يطلبون النجدة للثغور قبل نزول الهم والمقدور ودخل البراج على الرشيد بالكتاب فقرأه الوزير على الخليفة فقامت عليه القيامة فقالوا أرباب الدولة يامولانا ماهذا يحتمل اهمال ومافى الأمر إلا انك تنفذ عساكر العراق الى الثغور يقاتلون فى سبيل الله وبعد ذاك تنفذ الى خراسان تأتيك الجيوش من كل جانب ومكان وتسير أنت بنفسك الى بلاد الروم وتقلع آثارهم فقال الرشيد ياقاضى إيش تقول فى هذا الأمر فأنت صاحب الرأى السديد فقال أنا أشير عليك برأى فقال هات ماعندك فما فينا من يخالف أمرك فقد عرفنا نصحك الى المسلمين فقال يامولاى أما قول الجماعة من قبل إنفاذ العساكر الى ملطيه فليس لهم حصن يلتجئوا اليه ويميل كلب الروم عليهم يسقيهم كاس العطب ولا يجدون سبيلا الى الهرب ويقولون كسر عسكر الاسلام ومايدرون ما الخبر وانما الرأى الإهمال الى أن يصل الامير عبد الوهاب فى بنى كلاب والسودان الأنجاب فان كان البلد سالم فهو الذى نريد وان كان والعياذ بالله ملكوه الروم سرنا اليه وأخذناه أسرع من طبق الجفن على الجفن فقال الرشيد لقد أتيت بالأمر الذى لايعاب وأنت أهلا للخير والأسباب ثم قال للوزير جعفر اكتب الكتاب الى سائر البلاد يحضرون الجهاد فقال الوزير السمع والطاعة وكتب الكتب وعلقها على أجنحة الطيور وأرسلها الى البلاد وبقى الخليفة ينتظر العساكر هذا والعساكر

برزت الى عرقوف وطال عليها هذا الوقوف (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب صلوا على النبى الحبيب عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم هذا جرى ههنا(وأما ما كان) من أخبار ملطيه فان ملك الروم أصبح من الغد امر الناس بالزحف إلى البلد ونصب المناجيق ورمى الاصوار بالأحجار وتقدمت النقابين ونقبت الابراج وطلعت الاعلاج وما نفرت بنى كلاب وكان ملك الدوقس فى ثلاثين الف الف رامى فما تركوا أحدا يطل من الاصوار ولا يرمى بسنان ولا حجر ونصبت العرادات على الابراج وطلعت الاعلاج وما قصرت بنى كلاب فقتلوا جماعة من الروم ونصرت المسلمين على اللئام الكافرين وأمسى المساء وانفصل القتال وباتوا المسلمين على الابراج وجردت الروم الصفاح وأقاموا على حصار البلد عشرين يوم فعظم ذلك على ملك الروم فقال ياويلكم هذا وما فى الامر الا أنكم مغلوبين وما فى البلد الا نفر قليل فكيف إذا أقبل عبد الوهاب فى سودانه وبنى كلاب فما كنتم تقفون على البلد ساعة واحدة فبينما هو معهم فى الكلام وإذا بغلام عقبة قد وصل وهو متنكر ومعه كتاب وتقدم الى ملك الروم واعطاه الكتاب فأخذه وقراه واذا فيه كلمة كفرهم وبعده أيها الملك ان الخليفة أراد أن يرسل اليك عساكر فأنا عطلت عليه ذلك وكاتبك بالعساكر قد وصلت اليك مع الاسود عبد الوهاب فافعل بما أشير به عليك وهو ان كان لا سبيل لك على أخذ البلد سرعه وقد اجتمعت الرجال فأنفذ ليلا مائة الف مع بعض الملوك وتأمره أن يقصد الى طريق السويدية فى الليل ويرجع من طريق بغداد فى النهار فاذا وصل اليك العسكر ورأوه أهل ملطيه يظنون ان الرشيد قد بعث اليهم أجناد واذا رأيت أنت ذلك فافسح لهم أنت عن البلد والخيام واقصد الهرب والانهزام فان أهل البلد يخرجون وللخيام ينهبون فاذا فعلوا ذلك فارجع أنت عليهم وقد ملكت البلد ووصلت الى ما لم يصل اليه أحد (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما قرأ الملك الكتاب وفهم مافيه من الخطاب قال لا عدمنا هذه الهمة من الملة المسيحية والمشورة النجيحية ثم أقبل على الافرنج والارمن وقال لهم وحق المسيح ما لهذا الامر غيركم ثم انه انتخب منهم مائة الف وسار غلام عقبة امام الخيل الى أن سار ثلثاى الليل ورجع بهم من طريق الموصل الى ملطيه ولما أصبح الصباح قال الملك منويل يا ويلكم اشغلوا المسلمين بالقتال والحرب والنزال فرجعوا الروم من كل جانب ومكان وبأيديهم القنطاريات والسيوف اليمانيه وقاتلوا الى ضحى النهار واذا هم بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار

فلما رأوا المسلمين إلى ذلك الغبار من صوب بغداد زادت بينهم الأفراح وعلا ضجيجهم والصياح ونادوا يا كلاب الروم ويا من غضب عليهم الحى القيوم ها قد أتت اليكم عساكر الاسلام وهذه الرايات والأعلام فعندها انفرد ملك الروم وترك الخيام ونزلت الناس تنساق الى نهيب الأموال وصار الرجل يحمل ويحمل جواده حتى أنه لا يقدر يمشى من ثقل ما عليه (قال الراوى) ياساده فبينما هم على هذا الحال وإذا ملك الروم قد عاد وأقبل وانثنى بجيشه كانه الجراد المنتشر الى أن ملا السهل والجبل وأخذ على المسلمين طريق ملطيه وأنزل بهم كل بليه وملك الجميع أخذ بالكف ودخل البلد ولم يجد مانع يمنعه ولا دافع يدفعه وكثرت على المسلمين الفجائع وكل أحد بقى عقله منه ضائع وأخذت نسوان بنى كلاب وأخذت الأميره علوا ونساء السادات وأخذت زوجة عمرو وابراهيم بن عبد الوهاب وناح على ملطيه اليوم والغراب وخلص ملك الروم منهم أسارى الكفار وهدم البلد والأصوار وعاد راجع طالب القسطنطينية (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان من ملك الروم (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه أقام عند القناصة عشرة أيام ورحل طالب بلاد الاسلام وإذا بالغبار تار وانتشر ونفرت الوحوش من سائر السباسب فسأل الأمير عن الأخبار فقالوا يا أمير اننا نرى عسكر جرار فأمر الامير رجلا من بنى كلاب يأخذ الاخبار فغاب ساعة وعاد وأخبر الامير انه عسكر بنى سليم فحرك الامير جواده وسار فى أبطال العرب وأبطال السودان (ياساده) وكان هذا الجيش جيش عمرو بن عبيد الله ولما نظر الامير الى عمرو بن عبيد الله ترجل وترجلت الامراء جميعا وترجل الامير عمرو والتقى بالامير وسلم عليه واعتنقه وكذلك الامير وقال الامير عبد الوهاب للامير عمر وأيها الامير ما سبب هذا الانزعاج وقطعكم للبرارى والفجاج فقال له أنتم طلبتم نجده من الرشيد وقد قطعنا اليكم الارض والبيد وسرنا سيرا عتيد فقال الامير والله ماعندى من هذا خبر قال عمر وفهذا الكتاب بخط أبو محمد ذكرانكم فى أعظم كربه وقد نصبت عليكم القناصة نصبه وأخذتكم فى سجنها فأخذ أبو محمد الكتب من عمرو وقرأها وتبينها فاذا هى خط عقبه فقال أبو محمد والله ما كتب هذا الكتاب الا عقبة بن مصعب وفرق العساكر حتى يأتى ملك الروم ويأخذ ملطيه ويحتوى على ما فيها من الاموال والذرية ويخلص الاسارى ويأسر نساء العرب فقال عمرو وقد داخله الغضب اسكت يا أبا محمد وكف عن هذا الرجل لسانك كم تذكر بالسوء رجل مجاهد عن دين الاسلام

وترميه كل ساعة بالزور والبهتان فقال أبو محمد الساعه يبان لك الأمر والشأن ويحق الحق وتمضى منك هذه الصوله وتعلم ان كلامى صدق أو كلامه وتعرف كيف تسبي أمك ونساءك واخوتك ويبان لك حقيقة هذه الفعال فسكت عمرو وقد غضب غضبا شديد وأضمر فى قلبه الشر للبطال فبينما عمر وكذلك وإذا بزوجة هياج وبناتها قد تقدموا للامير عبدالوهاب وصاحوا بقلوب موجوعه وأكبادمفجوعة الأمانالأمان أجرنا ياسيف الاسلام فقد جار علينا الزمان ثم ان الغيداء تقدمت وقد بكت بكاء شديد ما عليه من مزيد وأنشدت تقول

أتيتك يا ابن الأكرمين الأطايب	ويا من سما فى شرقها والمغارب
ويا من له جود وفضل ومنحة	تعم الورى فى عجمها والأعارب
أجب ذات خدر قدأصيبت ببعلها	وقد قطعوه بالسيوف الفواضب
ولا ناظرا فى حاله ولقد رثت	لقتلته الأعداء من كل جانب
ولا ذنب إلا انه قال عقبة	كفور وحق الهاشمى تاج غالب
وأقسم بالبيت العتيق وزمزم	بأنى بحق صادق غير كاذب
وكان بجيش الروم يعمل حيلة	على أخذحصن والبنات الكواعب
فما صدقوه القوم فى حق عقبة	وقالوا له أخطأت يا ابن الكواذب
وزاد واباكرام لعقبة عنوة	وقد رفعوه فوق أعلا المراتب
ولما رأى بعلى الرشيد وفعله	فهان عليه الموت ضربة لازب
فجرد سيف الحرب ثم هوى به	إلى الكافر الملعون رأس المصائب
فأوثقه جرحا وأخرج عينه	وصيره يمشى على فرد جانب
وقد أمر السلطان حقا يقتله	وقد بضعوه بالسيوف النواضب
فلو نظرت عيناك يوما بناته	وقد حملوه ناشرات الذوائب
فلما أتانا الليل صارت عيوننا	لها عبرات مثل سيل السحائب
إلى أن مضى ربع الظلام وثلثه	وقدذبت مما قد جرى من مصائب
فأبصرت خير المرسلين محمدا	بوجه جميل مثل بدر الغياهب
يقول عليكم بالصبار فانه	فعال النبيين الكرام الاطايب
وبشرنا ان الطبيب ينالنا	وان أبانا سالما غير عاطب
فقمت بلا عقل فأبصرت قوله	صحيح بلا شك ففازت مطالبى
فخذ بيدى يا ابن الكرام فاننى	من البعد قد زمت اليك ركائب

وحاشاك أن تدعى لكشف ملمة ويرجع من يرجوك فى زى خائب

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم ان الغيداء بكت حتى أبكت العيون وأيضا بكت بناتها بين يدى الأمير فسألهن الأمير عبد الوهاب عن القصة والحال فأخبرته الغيداء عن الامر من أوله الى آخره وما جرى لها ولزوجها (قال الراوى) هنالك التفت الأمير عمرو بن عبيد الله الى الأمير عبد الوهاب وقال له أيها الأمير لا تسمع منها كلام وتفعل غير الصواب ان أعطيت لهم الزمام فان الرشيد طالب هؤلاء الاقوام من دون الانام على انى ما أقصد هذه المرأة فيما تقول من الكلام لأننى أول من ضرب زوجها بالسيف فى مجلس السلطان فلما فرغ عمرو من كلامه قام هياج وأسفر عن لثامه وأبدى على الامير عبد الوهاب سلامه وطلب منه زمامه فنظر الامير عبد الوهاب اليه واذا هو مشطب من الرأس الى القدم فتعجب الامير من ذلك وقال سبحان الله العظيم محيي العظام وهى رميم فلما رآه عمرو نادى بالامير يا أبا ضيغم لا تعطى له زمام فانى لابد ما أسير به الى الامام فقال الامير عبد الوهاب والله ما فينا مسلم مؤمن على الحقيقة إلا هياج الكردى لانه اختار الآخرة على الدنيا الغادرة وبذل نفسه فى طاعة الله تعالى ونحن اطلعنا على خبث عقبه ولعنته ألف مره ونسكت له لأجل الرشيد فقال عمرو بن عبيد الله هذا طلبه الرشيد فلا تعطيه الزمام فقال الامير ضيغم دعنا من هذا الكلام وأعطى الرجل الزمام فقال الامير عبد الوهاب انى قد أعطيته الزمام وهو مجار من كل الانام والله ما بقى يقدر يأخذه منى أكل الخبز وشرب الماء وعليه مطر السماء ثم ان الامير قال لعمرو ما تدرى على ماذا عولت قال لا فقال الامير على ضرب رقبة عقبه ولابد على باب الذهب من صلبه وحرمة المقام والكعبة ولو انى أشرب دونه كاس الحمام وأضرب فى وجه الإمام بالحسام فسكت عمرو عن الكلام وأراح الامير الناس عشره أيام ورحل بهم فى اليوم الحادى عشر بعد ماودع القناصة وكان سألها لترحل معه فاعتذرت اليه وقالت له يا أمير انى لا أحب الغربة عن وطنى ثم قبلت صدره ويده ورجعت الى حصنها ولم يزل الامير سائر بالعساكر الليل والنهار يقطعون الفيافى والقفار الى أن وصلوا الى الكوفة وخرجوا الناس الى استقبالهم وجعلوا يعزوا الامير فقال لهم الامير عبد الوهاب ما لكم وما معنى كلامكم قالوا أيها الامير أخذت ملطيه وما فيها من المال والذرية صارت العرب للروم خدم وجوار فغاب صواب الامير عبد الوهاب عند سماع هذا الكلام وبكى على سبى الحريم ومن قتل من الأصحاب وقال أقسم بالله الحى القيوم لاعمر ملطيه الا كلب الروم وسار الأمير وفى

قلبه على سبي الحريم نار السعير وما زال الى أن قارب بغداد وعرج بالعساكر والاجناد على منهل من بعض المناهل قليل الحصا والجنادل فبينما هو كذلك وإذا بغبار قد أقبل وهو يسير على عجل وبعد ساعة انكشف الغبار وبان عن رايات عباسية وأعلام اسلاميه وبيارق محمديه يقدمهم الفضل بن الربيع وغلمان الدار وعليهم الجميع لباس السواد وقد ظهروا للابصار وفى أولهم شيخ وعليه حلة سوداء وهو كثير البكاء والتعداد وهو ينادى بأعلى صوته وا إسلاماه وا دين محمداه فتبينه الامير عبد الوهاب وإذا هو عقبه صاحب كل حيلة ونصبه ولما رآى عقبة الأمير عبد الوهاب رمى روحه إلى الأرض وصار يحثو التراب على رأسه حتى تعفرت شيبته وأثوابه وبكى إلى أن أبكى العيون وأثار الشجون وأنشد

أين من يحمى الحريم ويرعى حرمه البيت والمقام وزمزم
أين ليث الهياج فى كل صعب صاحب الطعن بالوشيج المقوم

(قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها ترجل الأمير عمرو للفضل بن العباس وعقبه وكذلك الأمير عبد الوهاب لأجل خاطر عمرو وكذلك الأمراء وسائر الأصحاب إلا الامير هياج الكردى فانه قال معاذ الله أن أترجل إلى رجل رأيته يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر العصير ويكفر بالملك القدير فقال أبو محمد ما أتى الشيخ عقبة إلا فى أمر عظيم ونكبه ثم انه تقدم إليه وضحك فى وجهه ضحكه باردة وسلم عليه وقال له أهلا وسهلا بالشيخ المعون والكلب المفتون الذى نحن من أجله كل يوم فى غبون أيش معك من الاخبار أظنك أخربت الديار وسلطت عليها الكفار فقال عقبه يا ولدى لا أؤاخذك فيما تقول فى حقى لكن ملكت ملطية واستولت على الحريم الأمة المسيحية وقد أرسلنى أمير المؤمنين أنصر المجاهدين وادعى للمسلمين فقال أبو محمد ياقاضى اشفاقك على المسلمين نفهمه وعلمناه والذى عمل هذه الفعلة سوف نسقيه كاس الوفاه وأما ملطيه فما يعمر ما خرب منها من الابراج والاصوار وغيره إلا كلب الروم إن شاء الله تعالى وقد أعلمتك بالقضية وأما قولك أخذوا الروم أهالى الناس والاولاد فهذا شيء ما جرى على أحد وحده بين العباد وأما قولك شمتوا الأعداء والحساد فأنا والامير عبد الوهاب معتادين بهذه النوائب الشداد وأما شفقتك على أسرانا فقد صح هذا الامر عندنا فالقاضى جعل الله فى عمره النرد والشيطان يكون فى هذا الامر فى أمان (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان عقبه النفت فرآى هياج إلى جانب الامير عبد الوهاب وهو

حى يرزق فتعجب من تلك الاسباب وجعل يكذب نفسه ويمسح عينه الصحيحة وله‌ا
يرمق فساعة يكذب وساعة يصدق فقال له أبو محمد مالى أراك تطيل النظر الى هياج
الكردى فقال نعم ياولدى لانه قلع عينى وازعج مجلس السلطان غاية الانزعاج وقطعوه
قدامى بالقواضب وأراه فى هذه الساعه سالم غير عاطب فقال أبو محمد ذكروا عنه أن
النبي سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى داواه ورقاه وأبراه وشفاه
وأوعده من الله تعالى أعظم المجازاه وبشره ببشارة لا بد ما أقولها لك بينى وبينك حتى
تطمئن نفسك وتقر عينك وستقف عليه انه خبر مذموم وعلى القاضى عقبة ميشوم
وتقدم هياج الى عقبه ليخبره بحياته وقد نظره عقبه وهو متقلد بسيفه فأيقن بمماته
وظن أنه قد جاء اليه ليقطع عمره فصاح عقبه بغلمان الرشيد قتلنى هذا الشيطان المريد
فتبادروا اليه وصاحوا من حواليه وصاروا بين يديه وكان معهم الفضل ابن الربيع
وجماعة من أكابر دولة الخليفة فقالوا أيها القاضى ماعليك بأس ولا ينالك مكروه
من جميع الناس فقال عقبه يا أولادى هذا الكردى ما يخاف من الموت ولا يخشى من
من الفوت وهو الذى قد قلع عينى وها هو قد أتى ليأخذ روحى فافرقوا بينى وبينه
فقال عمرو ومن هو الذى يقدر على هذا وأنا فى حياة الدنيا فقال عقبة ماكنت
حاضرا يا أمير المؤمنين فى حضرة الخليفة وقد فعل تلك الفعلة المخيفه فقال الفضل
ابن الربيع والله لو علم الرشيد أن هذا الشيطان فى الحياة لما تركه ساعة واحدة
ولاأبقاه (قال الراوى) فلما سمع عمرو هذا الخطاب أقبل على الامير عبد الوهاب
وقال له أيها الامير ألا قد رأيت ماجرى للقاضى عقبه والرأى عندى أن تسلم
الامير هياج الى السلطان فلما سمع الامير عبد الوهاب هذا الكلام انقلبت عيناه
فى أم رأسه وقال والله لو طلبه منى كل من فى الارض فى طولها والعرض لما
وصلوا اليه ولا قدروا عليه ولكن فى الأمر شيء واحد فيه رضى للطائفتين قالوا
وما هو أيها الامير قال هل أنتم مقيمون على الكوفة ونكتب للرشيد نعلمه بذلك
وأخبره أنى قد زعمت له من كل أحد ونسأله أن يصلح بين الاثنين ويخلع على الخصمين
فإن فعل ذلك فهو المراد (قال الراوى) وكان هذا الكلام من الامير عبد الوهاب
أراد به حالين أحدهما أن يبلغ الخليفه حسن طاعته وأنه لايخالف كلمته ولا يفسخ
ذمامه والثانى كان فى نفسه أمر آخر وهو أنه إذا كتب الى الخليفة وجاء الامر منه كما
يجب وفعل فى حقه مايجب كان له سامع مطيع والجميل عند الامير مايضيع وان جاء
الامر بخلاف ذلك ويقول الخليفه لا بد من هياج فانه يتلف عقبه ويدخل بلاد

الروم ويعصى على السلطان ولا يرجع إلى الطاعة أبد الزمان هذا وقد أجابوا الأمير الى ما قد ذكر فكتبوا كتاب فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم كتبنا هذه الأحرف إلى المقام العالى والجناب الندى والمحل الهاشمى شرحه عن الأمر الخفى وهو أن الأمراء قد وصلوا الى الكوفة سالمين بعد ما قتلوا فى أرض الحجاز المفسدين وقد وصل مع الأمير عبد الوهاب الأمير هياج الكردى لما يشاء الملك العظيم محي العظام وهى رميم وقد أعطاه الزمام الأمير عبد الوهاب من كل انسان وضمن له من أمير المؤمنين الامان وان القاضى عقبة لما رأى هياج خاف منه الخوف العظيم وقال من سحب السيف فى حضرة الرشيد وأراد قتلى قدام أمير المؤمنين ومن طاعته واجبة على الخلق أجمعين فلا آمن منه أن يقتلنى اذا أمكنته الفرصة منى وقد كتبنا هذه الاحرف الصادرة ونحن منتظرين الجواب من الحضرة الباهرة أعطاه الله مأموله فى الدنيا والآخرة فاما أن يصلح بين الخصمين وأما أن يأمر بما فيه الصلاح والسلام على المواقف العلية النبوية والمقامات العباسية وعلقوا الكتاب على جناح الطير وأقاموا ينتظرون الجواب قبل السير هذا والأمير هياج خاف على نفسه فأرسل اليه الامير عبدالوهاب ليلا وأخبره بما فى نفسه فسكن روعه وطيب قلبه وقال أيها الأمير خطر لى رأى إن رأيته صواب فعلته وان لم يكن صواب تركته فقال الامير عبدالوهاب للامير هياج وما هو قال يامولاى اعلم ان من لم يسرق عندنا فما هو كرديا وقد عولت ان أسرق عقبة فى هذه الليلة وأسير به أنا وعياتى طول لياتى فما أصبح به الا فى أرض بعيده وأشفى فؤادى منه وأصلبه على بعض الشجر فقد تجارأ بكفرة على الله تعالى فقال له الامير عبدالوهاب وقد ضحك من قوله طب نفسا وقر عينا فما يكون الا الخير ولا يجب علينا أن نعمل عملا حتى يرد علينا الخليفة جوابه فما نريد منه سوى بياض وجوهنا بشفاعتى فيك ولا تشمت بك أعاديك فقال الامير هياج أيها الأمير ان رأيت الامر من الرشيد يضيق فلا تحمل على نفسك ما لا تطيق فقد فسح الله لى فى الطريق فأنا أمضى الى أرض الشام وأقصد هناك المقام وأغير حيلتى وأخلع ثياب جنديتى وأقيم أنا هناك وأولادى وزوجتى وأغتنم زيارة بيت المقدس فقال له الامير عبد الوهاب قد قلت غير هذه المرة عليك مطر السماء من كل من أكل الخبز وشرب الماء (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان الفضل بن الربيع وعقبه أرسلوا ذلك الكتاب على جناح الطائر وكتبوا كتابا ثانى يذكروا فيه ان عبد الوهاب قد أعطى هياج الزمام من السلطان ومن كل انسان وقال لو

طلبه منى الرشيد لما سلمته اليه وهذا مالايجوز لأحد أن يفعله ولا يجوز له أن يجير على إمام العصر وخليفة الدهر وأن هياج الكردى قال والله ما كنت أريد أن أضرب بسيفى إلا الرشيد لأنه كذبنى لأجل القاضى عقبة وانما منعتنى الهيبة وهذا الرجل لايأمن مولانا من شره لأنك أمرت بقتله وقدذاق من غلمانك وخدمك حدالصارم ويخشى منه أن يكون على طلب الثار عازم وان أمنته عن قريب صرت نادم وماهذا رأى حازم والسلام (قال صاحب الحديث) ووصلت الكتب الى الرشيد فقامت عليه القيامه وقال قد بلغ من قدر عبد الوهاب أن يجير علينا ما هذا غلامنا هذا خليفة مثالنا ولكن نحن بسطنا له الانس وقربناه فصار يدمم علينا فقال جعفر يامولاى اعلم أن العبد يدال على مولاه بالخدم التى قد أولاه ومن يعمل مثل ماعمل عبد الوهاب وبالأمس جعلت الروم أرض الموصل الى أرض العراق خراب ولم يبق لنا الى النجاة باب من الابواب حتى جاء الخبر بأنه فتح القسطنطونية الكبرى عين عز الروم وصيرها عبرا ورجع كلب الروم عنا خائبا والى دياره هاربا وخرج عبد الوهاب وقد عملنا فى حقه ماعملناه وفعلنا به ما فعلناه فما آخذنا بما كان منا بل سارفى الخدمة فى عساكره الى جرهم وقاتله وقطع أعضاءه ومفاصله وشتت عساكره وقبائله ومنعه عما عزم عليه وهدّ قواه وقصم ولأنفه أرغم وأذاقه هو وجيشه النقم وبعد ذلك فانك سرقت من خيمتك وسلبت من نعمتك وأبعد بك طارق عن ديار أحبتك وغيبك فى البرارى عن مملكتك فلم يكن أحد من أمراء دولتك وغرس نعمتك فعل مثل ما فعل عبد الوهاب فى خلاص مهجتك ووقع عدوك فى قبضتك فكيف انه لايدال على حضرتك وله اليد البيضاء ويحتق منك الرضاء فقام الرشيد وقد انكسر غيظه وحدته ودخل الى بيت الحريم فدخل على الست زبيده وقال لها قد جرى من القصة ماهو كذا وكذا فقالت خوشيت من هذا الكلام ومن الذى يؤمنك من هذا الكردى الذى فعل بالقاضى مافعل من غيرسابقة سبقت منه ولاسطا بأمرمن الامور عليه حتى ضربه فى مجلسك السامى فكيف يأمن منه بالثانى والرأى عندى أيها المولى أن تفعل به مثل الفعلة الاولى وأن مولانايعلم أن طبع عبدالوهاب إدلاله عليك وفى مطاوعته لهذا الامر إخراق وفساد الرعية وتطمع سائر الجند بالكلية فقال هاأنا أكتب لهم فى هذه الساعة أن هذا الكردى ليس له أمان وكل من جاره على يكون قد مرق من يدى فوحق آبائى وأجدادى لابد ما أبلغ منه مرادى وما ذلك لأجل القاضى عقبة ولكن لأجل ما فعل فى مجلسى مافعل ولم يرع جانبى فقالت زبيدة

ما هذا رأى سديد قال ولم ذلك قالت لأنك إن كتبت على انك تقبض على هياج وتأمن جانبه فيكون بغير هذا الوجه لأنك إن طلبته من عبدالوهاب وعنده الجاهل الأحمق الأزرق العينين الذى مثله فى الجبل لايلحق فيقول لعبد الوهاب ماهذا صواب أن نسلمه من بعد ما ذممت له وهذا عند العرب عار لاسيما عند ذوى الأقدار وربما جبره على العصيان ويخرج عبد الوهاب خارجيا على السلطان وربما رحل الى بعض النواحي والبلدان وما نعلم ما يتأتى منه من طاعة أو عصيان وكل ذلك بغضبه للقاضى عقبه حامل القرآن وربما يغتنم الفرصة ويقبضوا على القاضى عقبه ويرحلوا به حيث شاءوا ويقتلوه وتطالب أنت باثمه وتعاقب بذنبه فقال الرشيد فما الرأى ؟ فقالت ترسل الى عبد الوهاب تقول له أنت صاحبنا وذمامك ذمامى وإكرامك إكرامى وأنت ترسى وحسامى فساعة وقوفك على هذا الكتاب ترجل طالب بغداد والأمير هياج له منا قرب المنزلة والمكان ولمن يعاديه الذل والهوان وترسل مع الكتاب الخلع السنية لعبد الوهاب ولهياج ولعمرو بن عبيدالله والقاضى عقبة وتأمرهم بسرعة المسير الى بغداد هنالك تبلغ منهم المراد لأنهم يقدموا وهياج معهم ويكون عند حضورهم لك رجال مرتبهم انهم حال حضورهم يخرجوا على عبدالوهاب وذات الهمه وهياج يقبضوهم وتأمر بهم الى السجن ثم انك لاتعمل عملا ولا تحدث أمرا حتى تصلب هياج على باب القصر حتى يتأدب من سواه (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان كل هذا من القاضى عقبه فانه أرسل الى زبيدة كتاب يذكرلها فيه ماهوفيه من سوء الحال وأن هذا الرجل الذى يسمى هياج والأمير عبد الوهاب طالب دمى لا محالة وأنا مطالبك إن غفلت عنى وأريد منك أن تشيرى على الرشيد بكذا وكذا ففعلت زبيدة ذلك وقد وقع هذا من الخليفة بموقع حسن وخرج من وقته وكتب ماتقدم ذكره وطوى هذا الكتاب وسلمه الى النجاب وقال أريد منك سرعة الجواب فقال سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين وسار لوقته حتى وصل الكوفة ومعه الخلع الأمير عبد الوهاب ولهياج الكردى ولعمرو بن عبيد الله وقرأ الكتاب الذى ورد من عند الخليفة فكان من مضمونه الذى يريده عبد الوهاب ويشير به هوالصواب واذا أبرم أمرا فنحن أبرمناه وإذا جار خائفا أجرناه ورضيناه لنا صاحبا وأكرمناه ورفعنا منزلته وقربناه وإذا كرم صاحبا أو شخصا أنعمنا عليه وزدناه وإذا أدحض إنسانا أدحضناه وعن حضرتنا الشريفة أبعدناه وهذا كله لجميل فعله فى دولتنا فليتقدم بالحضور الينا معظما مبجلا والامير هياج صحبته مكرما ففرح الامير بذلك فرحا شديدا

وعظم هذا الخطاب على عمرو بن عبيد الله وقال مثل المؤمنين يخاطب عبد الوهاب بمثل هذا الخطاب ثم قال الأمير عبد الوهاب خذوا أهبتكم للرحيل فى غداة غد الى بغداد فقد بلغنا بحمدالله غاية المراد ومانقيم فى بغداد أكثرمن يوم أو يومين ويجرد معنا الرشيد عسكر ويسير معنا بنفسه الى بلاد الروم وأجعل معونة الله فتح ملطيه على ملة النصرانية فتحا مشئوما وما تمضى هذه إلاوقد عادت مثل ما كانت وأحسن بناء وأحصن أصواراً ودروبا وأكثر بروجا وأبوابا ثم قام الأمير عبد الوهاب إلى خيمته وكذلك الأمير عمرو (قال الراوى) فلما جلس الأمير عبد الوهاب فى مضربه دخل عليه الأمير أبو محمد البطال وهومصفر اللون مضطرب الكون فقال له الأمير ماوراءك قال له وإيش تريد أكثرمن هذا فقال له الامير وماهوقال له الامير أبو محمد البطال والله إن هذا كله من الرشيد خديعة لأنه فعل شيء ما رأينا مثله قبل اليوم وذلك انه أنفذ الينا الخلع قبل أن نصل اليه وخاطبنا بمثل هذا الخطاب من وسط الغضب لأنك قد أجرت عليه رجلا هوطالبه وهو يعرف أنالرجل من العرب إذا جار رجلا قتل نفسه عليه لاسيما أنت أيهاالأمير وقد فعل هذا حتى يقع فىقبضته ويقتل الرجل ونكون قد سقناه الى مصرعه ويشمت الملعون عقبه بنكبته فقال الامير عبد الوهاب ياأبو محمد ما أنت إلا رجل فاسد الظن والاعتقاد والذى خطر ببالك غير صحيح لأن هذا غير صحيح وهو شيء قبيح لايحسن بالعوام فكيف يكون من الخلفاء ولابد من الرحيل فقال الامير أبومحمد أنا ماأصحبك فى هذه الطريق تريد ترحل ارحل فسكت الأمير عبد الوهاب ثم قال الأمير أبومحمد وإذا كان ولابد من المسير فأنا أقيم هنا حتى أبصر ما يكون منك فان لقيت من السلطان الجود والسلامة فأنا أقصد اليك بعد خمسة أيام وإن كان شيئا آخر فأكون مخلصا من هذه النوبة وأدبر فيها ما أرى فقال له الأمير عبد الوهاب ما هذا إلا ظن باطل فاسد (قال الراوى) ياساده وبات الامير مفكر فى قول أبومحمد والأميره ذات الهمه تقول توكلنا على الله فما يكون إلا الخير فلو قتل هذا الرجل للسلطان قتيل لانرى منه إلا الجميل (قال الراوى) ياساده ورجل الامير عبد الوهاب والسودان الأنجاب وأمراء بنى سليم وبنى كلاب صحبته وقالوا لأى شيء تخلف أبومحمد البطال؟ فقال لهم الأمير عبد الوهاب تخلف فى الكوفة له فيها حاجة يقضيها وأمور يمضيها ويلحق بنا فما أعجب القاضى عقبه هذا الأمر وقال للأمير عبد الوهاب نحن نتولى هذه الخدمة عنالاميرأبومحمد فانه حقيق بأن يخدم وكيف نمضى الى الرشيد وأبومحمد

ماهو معنا لأنه ينادم السلطان بالأحاديث العجيبة والأمور الغريبة ثم ركب ومعه الفضل بن الربيع وداود الهاشمي وساروا الى أبو محمد وقالوا له ماتطيب قلوبنا بتأخيرك عنا بالكوفة وتوحشنا محادثتك المأنوسة فقال أبو محمد لى شغل مايتولاه غيرى ولا يقضيه أحد سواى ومع ذلك فانى أجد فى نفسى تضعيف ولا أقدر على السير العنيف وأنتم محثين الركاب صحبة الأمير عبد الوهاب فودع كل واحد منهم صاحبه وكان آخر من ودع صاحبه عقبة وأبو محمد البطال فقال له البطال ياقرنان ماجئت محبة وإنما دبرت مكيدة فان كنت فعلتها فأكون قد خلصت منها وأبعدت عنها فقال له عقبة وحق دينى ماعندى مما تقول خبر فلايقطعك شيء ولايقعدك عن السفر فقال له أبو محمد دع عنك الغدر فانك بيت الحيل والمكر فقال عقبه قاتلك الله فانك مكار خبيث لاينطلى عليك حديث ورجع هووأصحابه ولحقوا بالقوم وساروا وأقام أبو محمد بعدهم فى الكوفة يوم واحد ورحل هووغلمانه فقالوا له نراك تعجل فى الرحيل فقال لهم لايأتى كتاب على جناح الطائر يأمر فيه أمير الكوفة بالقبض علىّ فأكون كأنى أنا مادبرت شيء فقالوا له غلمانه ما يكون إلا الخير فقال لهم سوف ترون الأمر كيف يكون لأن عبد الوهاب ماسلم هياج وفيه عين تطرف والرشيد مايخلوه وسائط السوء أن يترك هياج ويكون هذا الأمر لهلاك عبدالوهاب سبب وقدنصحته وحذرته فأبى ذلك والمثل السائر يقول :

لقد نصحك من حذرك وما غشك من أنذرك

(قال الراوى) ياساده وجدوا الأمراء فى المسير ووصلت أيضا عساكر خراسان فى ثلثمائة ألف ترك وعجم وقنجق وديلم ونزلوا على بغداد قبل وصول العرب من بنى سليم وبنى كلاب فأمر الرشيد بقدومهم عليه ووصولهم وخلع على أمرائهم وأقر أعينهم وأخرج لهم الضيافات والعلوفات ولما كان فى غداة غد وصل الأمير عمرو والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة والأمير هياح ومن معهم من الأمراء والأصحاب والغيداء زوجة هياج وبناته وهم فى شد من الخوف والفزع لأنهم خائفين من الرشيد وقد طالت بهم الغربة والسفر البعيد والله يفعل مايشاء ويحكم مايريد (قال الراوى) ياساده وأخبروا الرشيد بقدوم الأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب كما ذكرنا وانهم فى دار الضيافة قد نزلوا فحملت اليهم الضيافة ثلاثة أيام على ما جرت به العوائد فلم ينكر الأمير عبد الوهاب من الرشيد فلما كان فى اليوم الثالث دخل الأمير عبد الوهاب الحمام هو وعمرو وأقاموا الى الصباح ودخلوا على الخليفة ومعهم الاميرة ذات الهمة هذا وعقبة لايقر له قرار

وكأنه تحته النار وهو داير على أرباب الدولة الليل والنهار ويبكى عندهم ويشكو لهم ما لاقاه من هياج ويحرضهم عليه ويحمل اليهم الهدايا والتحف والفصوص والجواهر وهو غاية قصده ومناه أن الرشيد يطلب هياج ليقع ما بينه وبين عبد الوهاب ويكون ذلك سببا للفتن وضرب الرقاب (قال الراوى) ياساده ولما دخل الأمير عبدالوهاب والأميره ذات الهمه والأمير هياج على الرشيد فرحب بهم غاية الترحيب وقال لعبد الوهاب كيف كان طريقك فقال يامولاى طريق محمودة العاقبة بسعادة مولانا أمير المؤمنين فقال الرشيد وقد نظر الى هياج ياعبد الوهاب اعلم أن من تجارأ على الملوك فى المهالك عرض نفسه للمهالك وهذا هياج قدعلمت ما كان منه ولكن لأجلك ما أقتله ولكن أضعه فى بعض المطامير وأخليه الى أن يموت ولولاك لصلبته على دجلة بغداد حتى يتأدب به أهل الفساد والبغى والعناد فقال الأمير عبد الوهاب يامولانا إن كان قصدك تعمله فى مطموره حتى يغيب عن عينك فأنا أمضى به الى قلعة الكوكب يكون هناك لاتراه ولايراك ويكون مجاهد فى سبيل الله ويحامى عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلينا ضمانه متى طلبته أحضرته لك وان حدث منه حادث كنت أنا المطالب به فقال الرشيد هذا شيء ما يكون ولا سبيل اليه وتكلموا أرباب الدولة الذين قد مشى لهم عقبه وحمل لهم الهدايا والتحف وكل منهم يقول قد تجارى على مالا يمكن رتجاسر بعظيم ويشدد فى غضب أمير المؤمنين ويحرضه إلا الوزير جعفر فانه قال والله إن عفو أمير المؤمنين مفتوح وهو للمذنبين ممنوح فان عفى مولانا أمير المؤمنين عن هذا المسكين فمثله من جاد وعفى عن الجفا بالرأفة والوفا وقالت الأميره ذات الهمه والله ان هذا الرجل هياج ما فى عسكر أمير المؤمنين خلد الله ملكه شجاعا مثله ولا أدين منه وهو لدين الاسلام عده وعلى أعداء أمير المؤمنين نقمه فمولانا أمير المؤمنين لايفرط فيه ويسمع كلام الأعداء فيه فقال عقبه أيتها الأميره ما كان على قلبك مثل ما كان على قلبى من الذى حصل لأمير المؤمنين من الارتعاب ولقد قدم على مالا تقدر عليه الأسود والابطال الصناديد وان كان قصدكم حمايته لكونه أنه ضمن لكم قتلى فقطعونى أنتم الساعه بسيوفكم فلعن الله هذه الذى شربت من أجلها شراب العطب وأمر الشراب وأنا كل يوم متوقع فى العذاب وأقرأ من الموت كتاب فاقتلونى أستريح وان كان أجرتموه وتقصدوا أن تكسروا كلمة الخليفة وتعزوا من سطا فى حضرته الشريفة فلذلك حكم آخر يرجع فيه الى أمير المؤمنين فقالت له الأميره ذات الهمه أسكت يا شيخ الفتن ومعدن الحيل لو أردنا قتلك ما احتجنا فيك لغيرنا وكنا قطعناك بسيوفنا وأما قولك

تكسروا كلمة الخليفة فهذا شيء قط ما كان ونحن عبيده والغلمان وانما تأخذنا حمية الدين والايمان والآن فقد أعطى عبد الوهاب لهذا الرجل الزمام ولا عاد يتخلى عنه ولو شرب كاس الحمام ومولانا أمير المؤمنين أكرم من أن يحقر ذمته وأجل ممن يخيب مسألته فلما سمع الرشيد ذلك قال وكيف يعطى عبد الوهاب زمامه دون مشورة إمامه فقال الأمير عبدالوهاب يامولانا أعطيته الزمام لأنى أعرف أنك معدن الجود والكرم ولى عليك حق الخدم ومع ذلك فان الرجل قصدنى وألقى نفسه علىّ وقال انك أمرت به وجرى ماجرى عليه فقلت إنما بقى فى قلبك منه شيء لأنه قدرنى له الشامت والحسود والأقارب والأجانب والصديق والمعاند وما أمكننى أن أرده خايب ولا أمنعه مما أتى اليه طالب فقال عمرو بن عبيدالله يامولانا قد كنت أشرت عليه أن لا يجيره فأبى ذلك ولم يقبل ولكلامى أهمل فقال الرشيد هذا يدل على أنه نافق علينا ولم يلتفت الينا فقال الأمير أعوذ بالله من النفاق والرياء ولكن علمت أن هذا الرجل مظلوم وأنا أقسم بمن رفع السماء وأطلع النجوم وهو الحى القيوم أن هذا الرجل هياج صادق فى قوله غير آثم فى فعله فلما سمع الرشيد ذلك من عبد الوهاب قال له على ماذا عولت فقال على أن لا أسلمه إلا أن تأمر بقتلى دونه فما بقى فىّ موضع يحمل الغبن ولا أبقى عند العرب معيرة ويقولوا عنى أن رجل قصد إلىّ وقدم علىّ وأزممت له زمامى ثم أسلمه إلى من يقتله قدامى فلما سمع الرشيد ذلك غضب غضبا شديدا وعقبه يبكى ويقول مايهون على مايحصل لأمير المؤمنين من التنفر والغبن والتعب ليت عقبه لم يخلق ثم التفت الى الأمير عبدالوهاب وقال له ياهذا الرجل سلم هياح إلى أمير المؤمنين فما يلقى منه إلا الخير إلى أن ينكسر غيظه ويعفو عنه فقالت الأميره لعقبة عليك اللعنة فما أنا لك مثل غيرى ان كان هياج قد قلع عينك وجرحك فى موضعين فأنا أضربك ضربة واحدة فما تحتاج إلى غيرها فاسكت عن هذا القول تكفى شرى فلما سمع عقبة ذلك قال قد قلت لأمير المؤمنين إن أقرب الناس اليك يتعلم من فعل هياج فصاح الرشيد بالديلم والترك وقال خذوا هذا الكلب الأسود ومن معه فخرج من المقصورة ثلاثمائة من الترك فلم يمانع الأمير عن نفسه فأخذوه وأخذوا ذات الهمة وهياج فأرسل الأمير عبدالوهاب مسرور إلى ولده ضيغم يحذره ونفره ويقول له يرحل عن بغداد هو ومن معه رحلة واحدة وكان معه أبو الهزاهز وبنى كلاب والسودان الأنجاب وقال والله لقد كان الرأى مع الأمير أبو محمد البطال فلما سمع أبو الهزاهز ذلك قال لضيغم ما الذى تريد أن تعمل قال نهجم على بغداد ونضرب أهلها بالسيوف فى الحداد ونخرب القصر

ونأخذ الرشيد قهرا فان العوام لنا محبون ولبنى سليم مبغضون فقال أبو الهزاهز الرشيد الآن قلبه من الغيظ محترق ونخشى أن نعمل عملا وهو فى شدة غيظه فيبطش بالامير ويفرط الأمر والدنيا كلها ما تسوى عندنا شعرة واحدة من شعر رأسه وأيضا عنده ثلثمائة ألف فارس من الترك والديلم والقنجق سوى عسكر العراق ويكون هذا سببا لسفك الدماء وإرمال النساء ولكن نقيم مواضعنا وننتظر ما يتجدد من الاخبار فسكت ضيغم على غيظ منه . وأما الرشيد فانه لما قبض على الأمير وأمه قالت له ذات الهمه : اعمل يامولاى ماشئت فان لنا وقفة بين يدى ديان يوم الدين . هذا وقد وضعت القيود فى أرجلهم وألبسوهم الجبب الصوف على أبدانهم وكان ضيغم لما رحل رحلت معه الغيداء وبناتها فقال لهم اصبروا فان عاقبة الصبر محمودة والمصيبة قد صارت على وعليكم أنتم أصبتم بشيخكم وأنا أصبت بشيخى وعجوزى ولكن نؤمل من الله تعالى الفرج القريب (قال الراوى) ياساده وأمر الرشيد بالأمراء الى المطمورة الكبيرة التى فى قصر الحريم وكانت مطمورة مظلمة وكان قصده أن يفرق بينهم وبين هياج وقال فى نفسه اقطع رقبة هياج وأخرج الامير وأمه الاميره واخلع عليهما ويكون قد فات الأمر من قتل هياج ثم عمل هياج فى مطمورة أخرى ثم التفت الى عقبة وقال له طب نفساً وقر عينا فالليلة اذا تهور الليل أخرجت هياج من المطمورة وضربت رقبته فلما سمع عقبة ذلك قام الى الست زبيدة وشكرها وأعاد عليها القصة وقال لها من يستحل أن يغتابنى كيف يرى وجه الله تعالى (قال الراوى) ياساده ومضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقال الرشيد لخادم له يقال له توفيق ياتوفيق قال لبيك قال له امض وخذ معك عشرة أتراك ومسرور السياف إلى المطمورة التى فيها هياج وارجع برأسه عاجلا الى عندى فقال سمعا وطاعة يامولانا ومضى توفيق هو ومن معه الى المطمورة فوجدها مفتوحة والأقفال مطروحة وطلبوا هياج فلم يجدوه فقالوا للسجانين ياويلكم أين المحبوسين وكان السجان شيخ كبير السن يقال له منجح فوجده توفيق نائم فأقبل نحوه ليسأله فوجده مكحل وثوبه معقود رمان مثل الأطفال فصاح به ويلك اقعد أين هياج فقد طلبه الخليفة فقام الخادم منجح كأنه الولهان وقال يامولانا هياج فى المطمورة مقيد فقال له ويلك إن باب المطمورة مفتوح والقيد مطروح فقام الخادم الى المطمورة فوجدها باقع ليس فيها أحد فعظم عليه وكبر لديه وأيقن بالهلاك وقال ههنا كان معى وانى كنت فى أمان من قبل هذه المطمورة لانها فى وسط قصر الخليفة ولا يقدر عليها إنسان

ولا أدرى هذه القضية كيف كانت ولاشك أن منيتى قد حانت فقال الخادم توفيق لا أقدرأرجع إلىأميرالمؤمنين إلا بك فأخذه وعادإلى الرشيدفوجده جاث على ركبتيه وعنده الفضل بن الربيع وداود الهاشمى وقداستدعا بهم الرشيد نصف الليل واستشارهم فى ترك هياح فى السجن فقالوا ليس هذا بصواب لأنك إن تركته فى السجن وأخرجت الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه طلبوه منك لأنهما يظنان أنه فى الحياة وقد أعطياه زمامهما ولايسعهما القعود عنه فاذا قتلته انقطع إياسهما منه ثم أنك تخرجهما وتخلع عليهما وتطيب خاطرهما فلا يتكلمان فى فايت ما مضى ويكون قد وقيت من عاقبة أمره وكفيت شره وحقنت دم القاضى عقبه العابد والشيخ الزاهد فان هذا الكردى فى نفسه منه أمر عظيم ولا يفكر فى الموت وقد رأيت من فعله ما قد بدا منـــه فى مجلسك فصدق الرشيد كلامهما واستصوب رأيهما وبعد ذلك أرسل خلف هياج كما ذكرنا وقعد فى الانتظار وأبطأ عليه الأمر فبعث رسولا ثانيا فمضى وعاد كل منهما بالخيبة وأخبروه بالقصة وما جرى فلما سمع الرشيد ذلك قامت عليه القيامة وقال والله مليح على هذا الحساب نريد أن نحفظ أنفسنا وإلا نقتل فى فراشنا ويحكم يؤخذ من دارى واحد محبوس إطلبوه على كل الوجوه فانقلب القصر بأهله فما سمعوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فقال له الفضل بن الربيع يامولانا إن أردت رجوع هذا الملعون فلا يخرج عبد الوهاب وأمه من قبضتك حتى يعود هياج الكردى الى المطمورة فقال الرشيد أقسم بالله وتربة آبائى وأجدادى وإلا نفيت عن المهدى ان أخرجت عبد الوهاب ولاأمه من موضعهما إلى أن يرجع (هياج) موضع ما كان فيه ولأضربن رقبة من كان السبب فى خلاصه حتى لايتجارى أحدا على قصور الملوك لا غنى ولا صعلوك والآن فما ترون فى هذه القصة فقال الفضل وداود الهاشمى والامير عمرو يامولانا مافى هذه القصة إلا انك تنفذ فى هذه الساعة الخيل يدوروا فى سائر الطرقات الى حول بغداد فى هذه الساعة فمن أنكروه قبضوه عسى أن يلحقوه فانه مابعد عن البلد فقال عمرو وأما أنا فالذى أراه من الرأى أن لايخرج خلف القوم أحد لان هذا الرجل هياج ما يتخلص ويقعد على الطريق ينتظرنا حتى نلحقه فقال داود الهاشمى فما الرأى قالوا اذا أصبح الصباح ركبنا فى عسكر العراق كله ونمضى ونقبض على جميع السودان بالخديعة وكذلك عسكر الامير عبد الوهاب معهم ولا نطلق منهم أحدا حتى نأخذ هياج من أى موضع كان

إن كان عليك عجلة يامولانا ولابدمن طلبه فهذا الليل قد منعنا من إرسال الخيل فتنفذ إلى المطمورة التى فيها عبد الوهاب وذات الهمه وتحضرهم بين يديك وتطلب منهم هياج وتقول لهم أحضروه من عسكركم وإلا ضربت رقابكم فما يستخيروا هياج على أنفسهم فهما يرسلان إلى ضيغم بن عبد الوهاب يحضروه من أى موضع كان (قال الراوى) ياساده فسار مسرور وغلمان الخليفة معه وقد ضاقت على مسرور الأرض بما رحبت لشغل قلبه على الأمير عبدالوهاب حتى وصل الى باب المطموره فوجدها من جانبها منقوبة محفورة والقيود مرميه مكسوره ومالهم حس ولاخبر (قال الراوى) ياساده ففرح مسرور فى الباطن وجعل يظهر الهم والغم فى الظاهر ثم عاد الى الرشيد وأخبره بهذا الخبر وهوفى غاية من الصراخ فقال الرشيد ما الخبر وقد احمرت وجنتيه وازورت من الحنق مقلتيه ماوراءكم قالوا قد هربوا الأسارى وكلهم كسروا قيودهم ولانعرف ما كان منهم فضاقت على الرشيد الدنيا وتفكر فى هذا الأمر وقال مابقى لى مقام مادام أن كل من أراد شيء من قصرى وصل اليه فما فى القصر إلا عاريه ومتى طلبونى أخذونى وزادبه الغضب حتى تغيرت هيئته وخاف كل من فى القصر من نقمته وانزعجوا من سطوتة فقال له الفضل يامولاى مالهذه الأمور من يدبرها إلا القاضى عقبة فأرسل اليه يأتى الساعه وقد انحلت هذه العقده ويشير علينا نفعل فهو رجل قد مرت به التجارب وتقدمت له معاشرة الخلفاء وذوى المراتب فقال الرشيد الساعة يسير له فرس النوبه ويأتينا به (قال الراوى) ياساده فأخذوا له الغلمان فرس النوبه والشمع والمشاعل وساروا إلى عقبه وطرقوا الباب فخرج اليهم ابنه مصعب مثل الفزعان الولهان وقال ما بالكم قالوا له إرجع الى القاضى عقبه وقل له يجيب أمير المؤمنين قال فلما سمع مصعب أن أباه ما هو عند الخليفة صاح وقال أبى ما هو عندكم قالوا له الخدم لا والله فقال سبحان الله والله ما مضى من الليل إلا هجعه حتى وصل الينا عشرة من الغلمان ومعهم المشاعل من عندالخليفة ومعهم بغلة النوبة فطرقوا علينا الباب وقالوا لأبى مولانا يدعوك إلى أمر يريده فى أمر هذا الكردى الكذاب وذات الهمه وعبد الوهاب فركب وساروا الغلمان بين يديه فقالوا غلمان الرشيد إن كان القاضى قد سرق فالليلة يود الخليفة لو كان ما خلق فلما سمع مصعب ذلك قال لهم قد بقى فى الأمر شيء واحد قالوا وما هو قال لا يكون ركب الى دار الفضل قالوا له الغلمان امضى معنا إلى الرشيد تعلمه بالقضية لأن الفضل وداود وعمرو الكل عندالرشيد فقال مصعب والله قد قتل أبى ودخل إلى الدار صارخا ولبس ثيابه وسار معهم إلى

قصر الخليفة هذا والرشيد منتظر قدوم عقبة اذ دخلوا الغلمان وما معهم أحد فقال لهم ويحكم أين القاضى عقبة فقالوا له يامولانا هذا ولده قد أتى الى بين يديك فقال مصعب يامولانا الأمر مهم وأبى قد أخذ حتى يكون فداء لهياج والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة فبالله عليك يامولانا لا تخلصهم حتى يخلص أبى وينكشف خبره فقال له الرشيد لا تقسم على بمالا أملكه فان القوم هربوا من المطامير وكسروا القيود والجنازير وتخلصوا وما نعلم ماسبب خلاصهم ولكن الحمد لله الذى ماطلبونى ولو كانوا طلبونى لأخذونى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله لأطلبنهم ولو كانوا دخلوا تحت تخوم الأرض فما يكون العبد الأسود عبد الوهاب أوفى منى ذمام حيث أنه أعطى هياج الزمام وما تخلى عنه وأنا أعطيت للقاضى عقبة زمامى لحفزونى وفى غداة غد أطلب القوم ولو دخلوا تحت التخوم أو تعلقوا بالنجوم وبقى الرشيد لا ينام تلك الليلة حتى برق ضياء الفجر فركب وركبت الدولة خلفه وارتجت الدنيا لركوبه فى أربعمائة ألف فارس فأخبروه أن ضيغم رحل نصف الليل فعظم عليه وكبر لديه ورجع إلى بغداد ولم يبلغ مراد وقال للناس خذوا أهبتكم فأنا قد عولت على حالين الأول أطلب الغزو إلى بلاد الروم فان كلب الروم قد طمع إلى بلاد الاسلام وبالله أقسم لا رجعت حتى أطأ بقدمى على رقبته وأخاص المأسورين من قبضته وأعمر ملطيه بخراب بلدته حتى لا يقولوا الناس إنما كان يعمر ملطيه وأعمالها ويذب عن نسائها ورجالها وبناتها وأطفالها إلا الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب والثانى أطلب هياج وعقبه فى أى موضع كان فيه (قال الراوى) وأمر الرشيد لعمرو أن يكتب كتب الى سائر العرب يأمرهم بالحضور إلى الغزو فكتب اليهم فأقبلوا هم وحلفاهم فى فى مائة ألف رامح وورد الخصيب من مصر فى مائة ألف وورد حسان بن قيس من دمشق الشام فى مائه ألف (قال الراوى) وما مضى للرشيد إلا أيام قلائل حتى صار فى ثمانمائة ألف ويتبعها مثل ذلك وأخرج لواء الحمد ورايات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبس البردة وأخذ القضيب الخيزران بيده وصحبته القضاة والفقهاء والعلماء والفقراء والصوفية والأطباء والحكماء وخزائن المال ومن الأمتعة والاسلحة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وهو مع ذلك مسلوب الفؤاد ممنوع الرقاد كثير القلق زائد الأرق محترق الفؤاد على القاضى عقبه لأنه لا يدرى ماجرى له (قال الراوى) وكان من قضاء الله وقدره أن الرشيد لما قبض على الاميرة وولدها الامير

عبد الوهاب والامير هياج الكردي ووضعهم فى المطامير وكل أرباب الدولة استصوبوا
رأى الرشيد فى ذلك تعصبا لعقبة إلا الوزير جعفر فانه ما أعجبه ذلك لانه كان أشار
الى الخليفه لا يفعل فلم يرجع اليه بل هو مصمم على ماهو معول فلما رأى جعفر أن
الخليفه لا يقبل منه قام من مجلس الرشيد كأنه يقضى حاجة وخرج من القصر الى داره
وهو فى غايه الغضت والحنق ويود لو أنه ذبح أرباب المشورة مثال الفضل بن الربيع
وداود الاديب وحازم بن شيخ الشيوخ وعقبة لان هؤلاء تعصبوا أو تحاملوا عليه
وحملوا الرشيد وأغووه وأكثروا عليه الفضول وأغروه الى أن أوقعوه (قال الراوى)
فبينما جعفر على هذا الحال واذا بالباب يطرق فقال من بالباب فأجابه قائل يقول
حبيب من الاحباب فقال لغلمانه افتحوا له الباب ففتحوا الباب واذا بأربعة من
الرجال فقال لهم ماتريدون وهو يبكى فقالوا له مايبكيك أيها الوزير فقال والله مارأيت
الرشيد اخرق بالامير عبد الوهاب مثل هذه النوبة وسجنه فى سجن قراره بعيد
وخلاصه منه صعب شديد وقد اشمت به حاسده لا سيما عقبه لا أحسن الله له عاقبه
وكان المخاطب للوزير أبو محمد البطال فعند ذلك أسفر عن وجهه اللثام وتبسم وقال
هون عليك يامولاى هذا الامر فان لنا عندك حاجة فان أنت قضيتها لنا خلصوا
الجميع باذن الله تعالى فقال جعفر هيهات فان الموضع صعب ضيق والليلة لا محاله يقتل
هياج ظلما فياليت الامير لما أتى به ال دار الخليفة فقال أبو محمد البطال اذكر لك
شيأ قريبا ان أنت فعلته فعلى الليلة خلاص الجميع فقال جعفر وماهو قال له تقوم من
وقتك وساعتك تركب الى الخليفة كأنك فى أمر من الامور واستكثر من الغلمان بين
يديك وتدخل القصر ونحن فى صحبتك حول ركابك مستترين فى جملة أصحابك
فنحن لما ندخل القصر نخلص أصحابك ان شاء الله تعالى فقال لهم احسبوا أنكم
حصلتم فى القصر فكيف تحملون هذا الامر الجسيم وما تعملون اذا دهمكم الليل
وخرجت أنا من عند الخليفة فمن يخلصكم من ذلك المكان فقال أبو محمد سوف ترى
العجب العجاب بقدرة الكريم الوهاب (قال الراوى) فركب جعفر وقت غياب
الشمس وقد تزيا أبو محمد بزى الغلمان وكان أبو محمد مادخل هذه النوبه الى العراق
الا بلحيه سوداء وكحل عينيه فلو لقيه الامير عبد الوهاب لما عرفه ودخلوا الى دار
الخلافه ووقفوا مع جملة الغلمان وجعفر يقول للرشيد يامولانا وصلت الكتب من
بلاد كذا وكذا وأجبتهم بكذا وكذا والرشيد يقول له نعم ما فعلت وأمسا المساء وهم
جعفر بالانصراف فمنعه الرشيد من ذلك وقال له ماتمضى حتى نأكل شيأ من الطعام

أنا وأنت فقال سمعاً وطاعةلله ولك ياأمير المؤمنين وكان ذلك من الرشيد يريد يطيب خاطر جعفر لانه علم أنه حصل له كسر خاطر اذ لم يسمع مشورته ولا يقبل شفاعته فتم عند الرشيد الى العشاء الآخيره ثم أنه استأذن فى الانصراف فاذن له فخرج من القصر وبقى أبو محمد وغلمانه بعد أن خرج جعفر الى ساحة القصر ثم قصد أبو محمد إلى بيوت الحرم وكان عارفا بالقصر لانه كان لا يخفى عليه فيه موضع لآنه كان ينادم الخلفاء فيه واحد بعد واحد إلى أيام الرشيد وكان خبير بجميع مساكنه وطرقاته ودهاليزه فقصد إلى بيت خادم أسود شاخ وكبره من أيام السفاح والمنصور فهجم عليه أبو محمد إلى بيته عند العشاء الآخيره فوجد عنده ضوء ضعيف قد أشرف على الانطفاء والخادم من ضعفه ما فيه مروة يقوم يصلح النور فالتصق بالباب فسمع الخادم يقول دفعت عنى شر الشياطين وكيد المرده والملاعين بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فلما سمع أبو محمد ذلك علم أنه يخاف على نفسه من الجن فصعد من الباب وتحرك له بتلك اللحية السوداء الطويلة فكاد يطير عقل الخادم وقال وحق الله ما زلت أتولع بهم وأذكرهم حتى جونى ثم أنه غطى رأسه ورقد فدخل أبو محمد وغلمانه إلى البيت ومسكوا الخادم وعملوا فى فمه أكرة جلد وأوثقوه كتاف وكلما فتح الخادم عينه وثب اليه أبو محمد وفرش دقته عليه وبحلق عينه فيغمض الطواشى عينه ويتناوم فقال أبو محمد لغلامه لؤلؤ يكون عقلك وذهنك لباب القصر إذا غلق من يعود بالمفاتيح فقال سمعا وطاعه وبقى لؤلؤ واقف حتى أراد الرشيد النوم ولم يبقى عنده أحد وغلقت الأبواب ورجع الخادم بالمفاتيح الى بيت الخادم الذى فيهأبو محمد وغلمانه قال فوثب الى الخادم الذى أتى بالمفاتيح ومسك على خناقه فلحقهسبك وبديع وعملوا أكرة فى فمه وكتفوه وأخذوا المفاتيح منه ولم يزالوا حتى نامت الأعين فنهض الأمير أبو محمد الى المطموره التى فيها الاميره وولدها عبد الوهاب ففتحها أسرع من البرق فسمع الأمير عبد الوهاب يقول لأمه ذات الهمة والله لقد كان الرأى مع أبو محمد ولقد خلصنا من الشدائد كذا وكذا مره والله ما بى روحى مثل مابى على هذا المسكين هياج فاننا سقناه الى البلاء والأذى فقالت الأميره ذات الهمة دع عنك هذا كله فانا خائفه على هياج الليلة من أن يقتله ونطالب بأثمه فقال الامير عبد الوهاب ما بقى لنا فيه حيلة فما استتم الامير كلامه حتى نزل اليه الامير أبو محمد ومعه سيف مجرد وقد فرش لحيته على صدره فلما رأى الامير ذلك أيقن بالموت وقال للاميره يهنيكى قد بعث الرشيد الينا من يقتلنا فقالت له الاميره اعلم يا بنى ان الله يعطيناالاجر

من كل جانب اذا قتلنا مظلومين وكنا عند الله من الشهداء فقال والله مابى الموت ولابى الا العربان وأهلى مأسورين وأنا لم أقبل من الامير أبو محمد ولم أبلغ من عقبة غرض (قال الراوى) فلما سمع الكلام دخل اليه أبو محمد وقال له يا أمير كيف ترى مشورة أبو محمد عليك قال (ياساده) فعرف الصوت وقال أبو محمد وكيف وصلت الى هاهنا قال ما هذا وقت سؤال ثم أخرج من وسطه مفاتيح حديد وفتح قيودهما وسلم الاميره والامير سيفين سيفه وسيف لؤلؤ وقال بسم الله قوموا على بركة الله سبحانه وتعالى وأصعدوا المطموره فقال الامير عبد الوهاب ايش عملت فى حق هياج قال تمضى اليه وتفرج عنه باذن الله تعالى وعونه قال فتعرف المطموره التى هو فيها قال نعم وكان المهدى حبسنى فيها مره ونقبتها وخرجت وسرقت ثياب المهدى من عند رأسه وخليته ومضيت ولما سألنى عنها أقررت له بها بعد أن انصلح أمرى معه وان أردت سرقت لك الرشيد الليلة وضيعته أربعين يوما ولا أرده حتى يحلف لك انه لا يتعرض لك ولا للامير هياج ويسلم لنا عقبه ونعمل فيه ما نريد فقالت الاميره ذات الهمة لا يا أبو محمد لاتفعل ذلك فان فيه اسقاط حرمة الخليفة قال وساروا الى المطمورة التى فيها هياج فنقبوها ونزلوا اليه فأيقن هياج بالعطب وقال بالله ان كنت نزلت الى قتلى الا ما حملت سلامى الى أهلى وان لى بنات عوانق قد لقين من أجلى العوائق وفرق بيننا الامر الطارق وعاقتنا عن الاجتماع العوائق فاذا بلغتهم سلامى أنشدهم عنى هذه الابيات

لقد كنت أرجو ان نعيش بجمعنا ولكننى عما رجوت بعيد
قضى الله بالتفريق بينى وبينكم فياليت شعرى ما الفراق بريد
عليكم سلام الله انى مجذول غريب ومظلوم قتلت شهيد
وقلبى على تلك البنيات طائر وشوقى مقيم لايزال يزيد

(قال الراوى) ياساده ياكرام لما فرغ من شعره قال له الامير أبو محمد أبشر فانا أخوك أبو محمد البطال ثم فتح له قيده وسلم اليه سيف غلامه سبك وصعدوا من المطموره وقصد أبو محمد الى البيت الذى فيه الخادم وأخذوا المفاتيح وفتح باب القصر وقال للخادمين والله ان خرج منكما هذا الحديث لاذبحنكما ولو كنتما فى حجر الرشيد وكانوا محبين للامير عبد الوهاب ومتعصبين له فلما رأوه قدتخلص قالوا والله ان خلاص هذا الامير عندنا أحب الينا من الدنيا وما فيها وخرجوا من القصر وغلقوا الباب وعادوا بالمفاتيح الى البيت المعروف بهما وبينما أبو محمد والامير عبد الوهاب

والاميره ذات الهمة والامير هياج وغلمان البطال طالبين الدجلة فقال الامير عبد الوهاب يا أبو محمد الى أين تمضى فقال أبو محمد سيروا واسكتوا فساروا معه حتى وصلوا الى الشط وإذا هم بمائة فارس فى السلاح غواطس وفى أولهم أبو الهزاهز وكان قد رتبهم أبو محمد وأوقفهم فى ذلك المكان (قال) فلما رأوا الأمير فرحوا فرحا شديدا بخلاص الأمراء (قال الراوى) وكانت الغيداء زوجة هياج فى جملة الناس هى وبناتها فقال أبو محمد قد عزمت على أمر قالوا وماهو قال آخذ لكم القاضى عقبه ونرحل من ساعتنا فما مقامنا هنا بصواب ولا بد للرشيد من طلبنا فقالوا يا أبا محمد كيف يكون أخذه فقال أبو الهزاهز وقعوا لى هذا الشيخ النجس فى يدى حتى ألطمه الى أن يعمى فأخذ أبو محمد غلمانه الخمسه ومضى الى جعفر وطرق الباب فخرج اليهم خادم وقال ماذا تريدون قال نريد الوزير فدخل الى جعفر وقالوا له غلمانه غلمان بالباب قال فخرج بنفسه اليهم وكان فى قلبه النار من أجل أبو محمد فلما رآه قال له كيف كان حالك قال فأخبره بالخبر وقال له اعلم أن الأميرة ذات الهمة قد أثر القيد فى رجلها ولم تقدر تمشى ولا خطوة وتريد منك بغلة من بغال النوبة وطيئة المركب سريعة المشى فقال سمعا وطاعة ثم طلب مشعلا وفانوس فأمر جعفر فى الحال باحضار جميع ماطلب فأخذه وودعه وانصرف فقصد بعض الأسواق وأشعل المشعل وأمر الغلمان أن يقودوا البغله إلى دار عقبة ففعلوا ذلك وقال لهم دقوا الباب دقا عاجلا فاذا خرج اليكم فقولوا له أجب أمير المؤمنين فانه يريد أن يشاورك فى أمر قتل هياج فلما عاد اليه ابنه وأعلمه بالقصة فمن فرحته ما لحق يلبس عمامته وطرحها على رأسه وخرج فرحا مسرورا وهو يقول فى نفسه عسى ان يكون المسيح قد رثى لحالى مما ألاقى من هؤلاء الكلاب وتورينى فيهم القدرة ثم فتح الباب وخرج فقدموا له البغلة فركب وساروا بين يديه وجعل أبو محمد يعبر به الأذقة والدروب فأنكر عقبة ذلك وقال لهم مالكم تتركوا الطريق وتمشون كذا وكذا حدثونى ماسبب ذلك فقال له بديع غلام البطال هكذا أمرنا الخليفة حتى لايجرى علينا عارض من أصحاب الأمير عبد الوهاب لانهم بعد قبض أميرهم لانأمن أن يكونوا يدورون حول البلد يطلبون من يخطفوه فيكون فدية للامير هياج فقال عقبة وقد انطلى عليه قول بديع الله يحفظ مولانا ما أزكاه وما أحسن رأيه وما أعلاه وسار معه وهم يدخلون من موضع ويخرجون من موضع إلى أن وصلوا إلى عند الأمير والأميره وأبو الهزاهز والأمير هياج فأنكر عقبة ذلك وقال ويلكم ايش هذه الأشباح التى بين أيديكم فقال له

بديع طب نفسا وقر عينا يا مولانا القاضى ماهؤلاء إلا أصدقاك وكلهم يتمنوا لقاك هذا صديقك هياج الكردى الذى هو الى لقاك محتاج وهذا صديقك أبو الهزاهز والباقى أخوتك السودان الذين هم الى لقاك أشهى من العطشان إلى الماء الزلال (قال الراوى) فلما سمع عقبه كلام بديع أيقن بالعطب ولا لقى سبيل الى الهرب وقال ويلكم لاتفرطوا فى أمرى فرأس الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة مرهونة فى يدى فقال له الأمير عبد الوهاب كذبت ياملعون وحدثتك نفسك بما لا يكون فقال له عقبة من أنت حتى تكلمنى بهذا الكلام وما الدليل على أنى كذاب فقال له الأمير عبد الوهاب هذا أبو محمد البطال وهذه الأميره ذات الهمة وهذا الأمير هياج وأنا عبد الوهاب وقد خلصنا الرحيم التواب فأيقن عقبة أنه هالك فصاح بهم أبو الهزاهز ويلكم رجلوه وألكموه حتى يتعلم الأدب قال فسحبته السودان برجليه وأرموه من على البغلة الى وجه الأرض وأخذته الكفوف بالطول والعرض ثم قال الأمير عبدالوهاب دعونا من هذا الكلام وانزلوا فى المسماريات واعبروا بنا الى ذلك الجانب قبل ذهاب الغياهب فان الرشيد لنا طالب (قال الراوى) وفى تلك الساعة قام الرشيد من نومه وأرسل خلف الفضل بن الربيع وداود الهاشمى وعمرو بن عبيد الله وطابب هياج والامير عبد الوهاب ومن معه وعبروا الى ذلك المكان والجانب الآخر وفتشوا فى المطامير فلم يجدوا أحد وأعادوا الخبر على الرشيد كما ذكرنا (قال الراوى) وأما الامير عبد الوهاب ومن معه من الأبطال فانهم عبروا من هذا المكان ولحقوا بعسكر ضيغم وفرح ضيغم بهم ورحلوا لوقتهم فقال أبو محمد للأمير عبدالوهاب أى البلاد تريد فقال الامير وهل بقى إلا بلاد الروم وأنا عزمت أن أمضى إلى ناصح الدين يانس المتغرب فأقيم فى حصنه وأشتفى من عقبه فان فى نفسى منه أمر عظيم ثم أرسل الى ملك الروم على أن يرسل لعلى نساء بنى كلاب وأموالهم حتى لايذهب لهم عقال وأقيم عنديانس فان أرضه كثيرة الأشجار والأنهار فما بقى فى عمرى مثل مامضى وسار الامير على هذه النية وركب عقبة معه على جمل وكان عديله أبو محمد وهو يقول ماسافرت سفرة ايشم من هذه السفرة فقال عقبة من وقت قلت لك يا أبا محمد تعالى مع الامير عبد الوهاب وقلت أنا مريض لاشفاك المسيح علمت أنك صادق المكر ثم عدل أبو محمد الى طرطور من أذيال الثعالب فجعله على رأس عقبه وجعل يضربه وينكيه بكل نكاية قبيحة ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى ملطية فلما رآها على تلك الحالة الذميمة بكى الامير عبد الوهاب وكذلك بنو كلاب ونظر أبو الهزاهز إلى المدينة

المحدثة وهي خراب فبكى وقال والله ان فقد الحريم هو البلاء العظيم ثم قال يابنى كلاب قد خربت لكم مدينة ولنا مدينه وقد أخذت جواركم وجوارنا الروميات فضحكوا الناس من وسط الغيظ (قال) ولما رأى الأمير عبد الوهاب البلد على هذه الحالة وهي خالية بكى بكاء شديد وأنشد وقال

سألت الدار عن الأحباب ما فعلوا أجابتنى أنا قفرا وسكانى ارتحلو
فناديت يا ترى أى منازل نزلوا شرقا وغر باترى سهلا ترى جبل

(قال الراوى) فأجابته الأميره ذات الهمه وجعلت تقول

هل علموا من ظعنوا يقينا بان قلبي معهم رهينا
ساروا شمالا أو غدوا يمينا قد صرت من بعدهمو حزينا
ويا حمامة اللوى ترنمى إن كنت للاحباب تندبينا
وها غراب البين ظل ناعقا قد كان ما خلت أن يكونا
ويارسوم الدار مذ ترحلوا ساروا شمالا عنك أو يمينا
هم تركونى يوم ذمت عيسهم أصحاب التذكار والحنينا
هم خلفونى بعدهم أبكى الدما على الزمان المسعف المعينا

(قال الراوى) ثم أنها بكت بكاء شديد وبكى كل من حولها ثم تركوا ملطيه ورحلوا حتى وصلوا إلى حصن الكواكب ونزلوا عليه فعندها نزل نافع إلى الأمير عبد الوهاب وصنع له الضيافات والعلوفات وكان قد هرب من بنى كلاب أقوام كثيرة وأقاموا فى البر فلما سمعوا بعودة الأمير عبد الوهاب قدموا عليه فصار الامير فى عشرين ألف ثم ان الأمير رحل بالناس وسار ولم يزل سائر إلى أن وصل الى حصن يانس المتغرب فلما سمع يانس بقدومه خرج اليه بكل من فى الحصن وتلقاه بالتحية والاكرام (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان الملك منويل سمع بقدوم الامير عبد الوهاب فأرسل اليه رسول ومعه كتاب فسار الرسول حتى أشرف على حصن يانس المتغرب فأخذ يانس الرسول ودخل به على الأمير عبد الوهاب فأخذ منه الكتاب وقرأه فقال للرسول إعلم انى قد خدمت السلطان الخدم التى لاتعرفونها ولا رعى لى حق الخدمه وانى دخلت إلى ههنا ومعى من المال ما يقوم بى وبأصحابى وأما ما ذكره الملك لى انى أترك دين الاسلام فهذا شىء لايتفق ولايكون أبدا ولو شربت كاس الردى ولكن ان أراد الملك ان يعاودنى على شرط أن يسلم لى نساء بنى كلاب وبنى سليم ورجالهم وصبيانهم وإن هو أبى فانا لاأقعدعنه والسلام

(ياسادة ياكرام) ومضى الرسول حتى وصل الى الملك منويل وقال له هذا الخطاب فقال للرسول لوكان الخليفة يريد أن يأتينا لكان الشيخ النجيح عقبة أرسل الينا وأعلمنا ولكن لابد لى أن أجيبه الى ما قال ويكون على وجه الخديعة والمحال وأسير اليه فى ظلام الليل فى ثلثمائة الف فارس وآخذه أسير على غرة منه وأفرق بينه وبين ذات الهمة (قال الراوى) فبينما الملك فى ذلك الكلام وإذا بجاسوس قد دخل عليه وقال له هل معك علم من أخبار المسلمين أو خبر قال نعم قال اعلم ان الخليفة قد دخل الدروب فى ألف ألف وثمانمائة ألف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس فخذ حذرك منه فانه قد أتاك فى جيش لا يطاق فلما سمع الملك منويل ذلك قال ومن أين صحبتهم فقال من الموصل فقال له هل اجتمعت بالشيخ النجيح فقال وحق المسيح ما رأيناه يا ملك وقد قيل انه قد سرق من داره من العراق فقامت على الملك القيامة وورد عليه من ضيعان عقبة أمر عظيم وخطب جسيم وأيضا من رحيل الخليفة اليه فجمل أرباب دولته وخواص مملكته وقال لهم ما الذى ترون من الرأى فقالوا وما عسى أن نقول ولكن الرأى أن نهادن هذا الرجل عبد الوهاب وترفع له الذى يريد قبل أن يصل سلطانه وينصلح معه شأنه فيهلكنا هو وسودانه فاستصوب الملك رأيهم وأرسل فى الحال الخلع السنيه والخيول العربية وبعث لهم كتاب بهذا الشرح فلما وصل الكتاب إلى الامير عبدالوهاب فرح بتلك الاسباب (قال الراوى) وأرسل الملك منويل الى سائر الاقاليم يوجهوا اليه العساكر فان خليفة المسلمين قد رحل على نية الجهاد وأرسل يقول لهم فى كتبه اننا قد اصطلحنا مع الامير عبدالوهاب وبنى كلاب على رد جميع الاسارى ولم يمضى على ذلك الكلام الا أيام قلائل حتى جمعوا أسارى بنى كلاب وبنى سليم حتى صاروا الكل فى القسطنطونيه ثم أرسل ملك الروم إلى الامير عبدالوهاب البترك الكبير الذى عندهم وكان ذلك البترك له عندهم محل عظيم وقال له الملك ياأبونا أمضى الى عبد الوهاب واستحلفه وخذ لنا عليه العهد والميثاق وتأخذ يده وتعود حتى أنفذ اليك جميع الاسارى الذين بأيدينا (قال الراوى) ووصل البترك إلى الامير عبد الوهاب وذكر له ما قال الملك منويل فقال له وحق دين الاسلام ما أفسخ الهدنة إلا أن أرى منكم شيء يوجب انفساخها ففرح البترك وعلم أنه صادق القول ورفع البترك رأسه فرأى أبو الهزاهز وهو يرمقه بعينه وقال والله هذا الذى قد غطسنى فى ماء المعمودية ونصرنى ولو خاطر الامير عبد الوهاب لكنت نتفت لحيته ولطمت قمته وقطعت رقبته (قال الراوى) ثم إن الامير عبد

الوهاب عاهد البترك عن الملك وكذلك الأميره ذات الهمة وسار البترك إلى أن دخل على الملك منويل وأخبره بما جرى فأرسل الملك اليه جميع الأسارى وقد سدوا الفضاء وملؤا المستوى من كثرتهم حتى كنت تسمع أصواتهم بالدعاء قد أقلب الدنيا من الرجال والنساء (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان عدد الأسارى عشره آلاف من بنى كلاب وبنى سليم مثلهم وتسعين ألف امرأة وصبى فلما وصلوا الى الأمير عبد الوهاب أخذه الدعاء من كل مكان فلما عاين الأمير ذلك فرح فرحا شديد ما عليه من مزيد وذبح لهم الذبائح وصنع لهم الأطعمة وقد أخذه الدعاء من بنى سليم فقال لهم اعلموا أنه قد وقع بينى وبين الخليفة الرشيد وعسكره وفيهم الأمير عمرو بن عبيد الله فانى أرسلكم اليه فشكروه على ذلك غاية الشكر وقعدوا على هذا الأمر فهذا ماجرى بهؤلاء (وأما ما كان) من أحوال الرشيد فانه وصل الى مرج وهو فى ألف ألف وثمانمائة ألف واجتمع أيضا على باب القسطنطينية عالم عظيم لايحصى بعدد الرمل والحصى فلما علم ملك الروم بأن عسكر الرشيد قد وصل الى مرج الديباج والقعود عنهم حتى يصلوا الينا مذله والرأى عندى أن نسير اليهم ونهجم عليهم ماداموا فى تعبهم فقالوا نحن بحكمك ولكن إذا كنا على باب القسطنطونية كنا آمنين على من خلفنا من أهلنا وأموالنا وأثقالنا فما ندرى من يكون منا فان كانت لنا فنحن نتبعهم الى الدروب حتى لاينجو منهم أحد وان كانت علينا دخلنا إلى بلدنا فقال الملك هذا هو الصواب فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب فانه أرسل الأسارى الى عسكر الرشيد الى أهاليهم وأخبروا الرشيد بأن الامير عبد الوهاب قد خلصنا فلما سمع الرشيد ذلك قال هذا رجل مسعود ماتوجه فى شى إلا كان فيه موفق ياترى كيف خلصهم بوزن المال أو بالقتال فقالوا له رجال بنى سليم ممن كان فى الأسر يا أمير المؤمنين ان الرجل قد هادن ملك الروم الى الابد وهو مقيم على ذلك فصعب ذلك على الرشيد وقد أخذه القلق فقال جعفر البرمكى يا أميرالمؤمنين لاتحمل على قلبك هم واحسب أن عبدالوهاب فى بلد القناصه وأنت فى عسكر كثير ولاسيما الامير عمرو بن عبيد الله معك وكان قول الامير جعفر هزؤا على السلطان وعلى العسكر حيث يفرط فى مثل الامير عبدالوهاب وفرسان بنى كلاب (قال الراوى) وتكلم الفضل ابن الربيع بمثل ذلك وتكلمت سائر الامراء وسائر أرباب الدولة وقالوا يامولانا أنت فى عسكر جرار ومعك ثلثمائة ألف رامى ترك لوأردت أن تفتح بهم الدنيا وسائر البلاد لماصعب عليك فلاتفكر فى عبدالوهاب ان أقام أوقعد أو رحل فقال الامير عمرو وذمة

العرب ما دخل الامير عبد الوهاب فى حصن يانس إلا وفى نيته يتنصر وأكثروا الناس الكلام فى ذلك فوثب مصعب ابن عقبة وبكى بين يديه وقال ياأمير المؤمنين انقطعت أخبار أبى وما هو إلا مع القوم فى حصن يانس المتغرب والصواب انك لاتغفل عنه لأنهم يعاقبوه ليلا ونهار وهذا الأمر لايسعك فى دينك أن تتخلى عنه فى هذا الوقت وهو فى الذل والهوان فقال الرشيد تسيروا الى خلاص عقبة أو الى بلاد الروم فقالوا أرباب الدولة الرأى الصواب أن تقصد عبدالوهاب قبل أن يمضى إلى كلب الروم فقال الفضل عندى رأى آخر قال وماهو قال تكتب الى عبدالوهاب تقول له إن أنت أردت أن تتنصر وتعين ملك الروم على أمير المؤمنين سعيت فى قتلك ولكن أنا أرعى لك الخدمة السالفة فاذاقرأت كتابى هذا تخرج القاضى عقبة من حبسك وتخلع عليه عسى يلين بفعلك قلب السلطان ويكون عقبة سبب الشفاعة وإن أردت المقام فى بلاد الروم فالأمر إليك وما أنا محتاج إليك فقال الرشيد نعم مارأيت ثم قال الفضل ومعى رأى آخر وهو أن تكتب الى ملك الروم كتاب تقول له فيه أنا ما دخلت الى بلادك من أجلك وما دخلت إلا من غلامى الأمير عبد الوهاب وقد أقسمت انى لا أرجع حتى آخذ رأسه ورأس من معه فلا يرتاع قلبك ولكن أرسل الى ابن أخيك يانس وقل له يخرج هذا الرجل من حصنه وإلا وحق آبائى الطاهرين اجعل الحصن دكا وأنا اذا فرغت من ذلك عدت الى مهادنتك والذى كان يوقع العداوة بينى وبينك هو عبد الوهاب وتكون تحمل الينا المال على ماجرت به العادة وترسل كتابك الى عبد الوهاب تقول له الذى أعرفك به أنك قد وقعت بين بحرين زاخرين والرأى عندى أنك تطلق القاضى عقبة وتخلص من هذه النكبة (قال ياساده) هذا ما جرى لهؤلاء. وأما ما كان من ملك الروم فانه لما وصل اليه الكتاب ففضه وقرأه على من حضر من أرباب دولته فقالوا جميعهم الرأى عندنا انك لا تتعرض لهذا الرجل وكن معه ولا تكن عليه فانه لابد للرشيد أن يصطلح معه ولاتأمن من شره ولكن ارسل الى الرشيد وقل له أنا السامع المطيع وأنت وغلامك أخبر وترسل إلى عبد الوهاب تقول له إن أردت اجتمعت أنا وأنت على عسكر الرشيد ونطحنهم طحن الحصيد (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام واذا قد دخل عليهم غلام عقبة ومعه كتاب من عند مصعب ابن عقبة يخبره بما جرى على أبيه فلما قرأ الكتاب قامت عليه القيامة وقال ما يمكن القعود عن الاسود عبد الوهاب وأمر وزيره أن يكتب الى الرشيد كتاب يقول فيه أنا بحكمك وتحت طوعك وأرسله وقام ينتظر الجواب من

الرشيد فهذا ماكان من هؤلاء. وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه وصل اليه كتاب الرشيد كما وصفنا فلما سمع ما فى الكتاب جمع الأمراء مثل أبو الهزاهز وهياج الكردى والاميره ذات الهمه وطارق الحجازى وأبو محمد البطال ويانس المتغرب ومن يحتاج الى مشورته وأوقفهم على مافى الكتاب وقال لهم ماعندكم من الرأى اعلموا أن الرشيد فى ألف ألف وثمانمائة ألف فماذا تقولون فقالوا الجميع عن لسان واحد منك الأمر ومنا السمع والطاعة فلما سمع الأمير كلامهم شكرهم على ذلك وقال إذا كان الأمر على ذلك فأنا عولت أن ألقى الكل بساعدى فقالوا جميع الناس بأرواحنا نفديك فلو أضرمت لنا نارا لولجناها ولو خضت البحار لخضناها فلما استقر الأمر على ذلك كتب أبو محمد على لسان عبد الوهاب كتاب الى الرشيد وهو يقول قد خرج الامر من يدى وكل يوم أنا فى نكبة من أجل الشيخ عقبة وأنا والله لابد لى من صلبه ولو اجتمعت على أهل المشرقين وأهل المغربين وأنا ما قبضته ولى حاجة فى خدمة الخلافة فانه عمل على قتلى ألف مرة وما كل مرة تسلم الجرة فافعل مابدا لك فانى أقول كما قال الله تعالى فى حق سيدنا يعقوب : (فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون) وأرسل الكتاب الى الرشيد فلما قرأه قامت عليه القيامة وقال الفضل ابن الربيع وعمرو بن عبيد الله وبلغ من قدر عبد الوهاب الاسود الزنيم أن يقابل أمير المؤمنين بهذا الجواب ولكن قد استحق العذاب ثم أنفذ الى ملك الروم يأمره بالرحيل على وجه السرعة إلى ما هو قاصد ثم قال قد أباح الله لى دماءهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم فلما وصل الكتاب الى ملك الروم قال الآن مابقى لعبد الوهاب من هذه العساكر خلاص ثم دق طبل الرحيل وكذلك الرشيد نادى فى الناس بالرحيل وسار حتى نزل على حصن يانس وقد ضربت البوقات ودقت الكؤوسات (قال الراوى) ياساداه ياكرام وقد أمسى المساء ولم يحصل بينهم كلام وأضرمت النيران وتحارس الفريقان فعند ذلك ادعى الرشيد بألف رامى وأمرهم أن يدورون حول سرادقه فاذا كان نصف الليل يناموا ويقوم غيرهم ويكونوا مستيقظين فقال له الفضل ابن الربيع ولم ذلك يا أمير قال من الموت الاحمر والبلاء الاكبر والثعبان الارقط أبو محمد البطال فلما سمع الفضل كلامه قال إن أبا محمد أحقر من هذا ومن أين يقدر أبا محمد علينا فلا تتحدث بهذا الحديث فيسمعون منك الملوك انك خائف من كلب لاقدر له ولا قيمة فتهون فى أعينهم ثم قام الفضل الى مضربه وباتوا تلك الليلة الى الصباح وجلس الرشيد فى دست مملكته فحضر عنده جعفر البرمكى وداود الهاشمى

وعمرو بن عبيد الله وطلب الفضل فى مجلسه فما وجده فقال لغلامه ما كان منه فقال له اعلم ياأمير المؤمنين أن من وقت دخل الى مضربه ما رأيناه خرج منه فقال الرشيد كان ذلك منه حتى يكثر كلامه بالفضول ويحتقر بالبطال ولكن كل واحد منكم يحتفظ على نفسه فقال الأمير عمرو بن عبيد الله ياأمير المؤمنين ان أبا محمد أخينا وصديقنا وهو ابن عمنا على كل حال ولا أقول عليه إلا خير أو قد خاف كل واحد منهم على نفسه من الامير أبو محمد البطال (قال الراوى) وكان الفضل بن الربيع حديث عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نذكره على الترتيب بعد ألف صلاة وألف سلام ترضى سيدنا محمد الحبيب وذلك أن أبا محمد البطال قال للأمير عبد الوهاب أنا عولت على الدخول الى عسكر الخليفة ثم انه قد تزيا بزى الأتراك وقد دخل الى العسكر وكان الأمير أبو محمد البطال يتحدث باحدى وسبعين لسان ثم انه قد توصل إلى أن وقف فى جملة الحجاب والنواب ولما أن سمع كلام الفضل ابن الربيع قدام الخليفة قال والله إن هذا أشد علينا من عقبة فصبر الامير أبو محمد إلى أن تهور النين ودخل الفضل ابن الربيع الى خيمته فما أحس بنفسه إلا والأكره فى فمه وقد أوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وحمله على كاهله وسار به حتى وصل الى عند الامير عبد الوهاب فقال الامير مامعك فقال معى الفضل ابن الربيع الذى يرمينا كل ساعة عند الخليفة فى الإذلال وقصدى أبليه بالنكال فضحك الامير عبد الوهاب وقد أرموه عند عقبة وهو فى أسوأ الأحوال فلما رآه عقبة صعب عليه (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من الرشيد فانه أمر عسكره أن يتقدموا الى الحصن ليقاتلوا الامير عبد الوهاب واذا هم بعيار ثار وعلا حتى سد الاقطار ولم يكن غير ساعة حتى ذهب الغبار وبانت العساكر فى ألفين ألف يتبعها مثلها فقال الرشيد بالله مافى الأمر إلا اننا نطلب منهم المصالحة أربعين سنة (قال الراوى) فهما فى مثل ذلك السؤال وإذا بالبترك قددخل على الخليفة الرشيد فأكرمه غاية الاكرام وقال له فبماذا أتيت فقال له جئت إليك رسول من ملك الروم منويل مشاورا لك فى أمر صاحبك فاذا أردت أن تزحف عليه الى ذلك الحصن المنيع نتركه خراب فلما أن سمع الرشيد ذلك الكلام قال انى قد علمت أن ملك الروم ماجاءنى فى هذه النوبة إلا خديعة لى وما كان يوقع بينى وبينه إلا الاسود الزنيم والوغد اللئيم المسمى بعبد الوهاب وأنا قد عولت فى هذه النوبة على مصالحته فلما سمع البترك ذلك فرح

فرحا شديدا واصطلح مع الرشيد عن ملك الروم ورجع وأخبر الملك بذلك ففرح فرحا شديدا إلا ملوك الروم فلم يعجبهم ذلك وقالوا لا بد لنا ما نرى أنفسنا عليهم فقال البترك اعلموا أن المسلمين مالهم عندنا عهد ولا زمام ولكن اصبروا حتى نبصر ما يكون من هذا الاسود فاذا فرغنا من أمره انطبقنا على الرشيد ففرحوا بذلك واطمأنوا فلما مضى البترك بالخبر كتب جعفر كتاب فى السر للأمير عبد الوهاب يخبره بالخبر وبما جرى ويقول له إذا أردت ادخل بالليل فارسل اليه الأمير يقول جزاك الله عنا كل خير ولا يضرك كثرة العساكر فان الله لنا عليهم ناصر . وأما الهرب فلا سبيل لى إليه (ياساده) ووصل الجواب الى جعفر فقال فى نفسه ما على وجه الأرض مثل هذا الرجل فلما أصبح الصباح أرسل ملك الروم إلى الرشيد يقول له أنت أذنت لى أن تقدم وأتولى قتالهم اليوم بأصحابى (قال) فهم الرشيد أن يقول أنا أتقدم الى باب الحصن واذا بالأمير عبد الوهاب قد خرج ومعه بنى كلاب والسودان الأنجاب فجعل يرتب العساكر وقد قسم عسكره نصفين النصف الأول عشرين ألف وسلمها لأبو الهزاهز وبقى هو فى النصف الآخر وقال أحدنا يكون على الكافرين والآخر ومن معه على المسلمين فتعجبوا الناس من شدة بأسه (قال) فوثب فارس من الديلم وطلب البراز وقال ياأمير المؤمنين أتأذن لى بالخروج إلى عبد الوهاب لآتيك برأسه فقال له اخرج اليه ولا تقتله وائتنى به أسير فان له علىّ خدمة كبيرة ثم خرج اليه الديلمى وطلب البراز وحمل على الأمير عبد الوهاب وحمل الامير عليه فلم تكن غير ساعة وزعق به الأمير أدهشه وانطبق عليه أخذه أسير وسلمه الى السودان فورد على قلب الرشيد أمر عظيم والتفت الى عمرو بن عبيد الله وقال له اخرج الى أسود بنى كلاب وائتنى به أسير وكان راكب بجانب الخليفة فقال يامولاى انه صديق وما أخرج اليه فقال ويلك تصادقه بعد هذا وهو قد دب فى وجهى السيف فلابد ما تخرج اليه فخرج وهو ينشد ويقول :

تلجى الضرورات فى الأمور الى ... سلوك مالا يليق بالأدب
ما أحمل نفسى على سبب ... الا لأمر يليق بالسبب

(قال الراوى) فسمعه جعفر فقال للخليفة يامولاى إن عمرو ماهو من رجاله فان عسكرك ألف ألف وثمانمائة ألف مافيهم من يلقى عبد الوهاب فاغتاظ منه الخليفة وأمره بمسكه وضربه الضرب الوجيع وقال له لابد من صلبك وصلب البرامكة معك وكان السبب فى ذلك أن عقبة قال للرشيد اعلم يامولاى أن رجلا من أولاد

الحسين يقال له الحسن بايعه جعفر فكن منه على حذر ثم ان الرشيد أحضر الأمراء والمقدمين وقال لهم أما سمعتم ماقال جعفر ما فيكم من يقدر على عبد الوهاب فلم يقدر أحد أن يتكلم فعند ذلك أمر الرشيد العساكر بالحمله (قال الراوى) فعند ذلك خفف الأمير عبد الوهاب لباسه وأرمى العمامه عن رأسه ونادى يال كلاب أجيدوا الطعان والضراب ونظرت الأميرة الى ولدها وقد كشف رأسه وانزعجت حواسه فارمت العمامة عن رأسها ونادت برفيع من صوتها اليوم بلينا بقوم ظالمين ونظرت السودان الى الأمير عبد الوهاب والأميرة فكشفوا كلهم الرؤس وجعلوا يكسرون الاضلاع والرؤس والأمير هياج وزوجته وبناته قد كشفوا المقانع وخاضوا الوقائع وأبو الهزاهز وطارق قد أهلكوا الرجال على الحقائق ونشروا الرؤس نشرا وأبادوهم خمسا خمسا وعشرا عشرا وقد تزايدت عليهم المواكب واستندوا للحصن بالمناكب وخابت الآمال ودامت الاهوال ورجفت القلوب لكثرة الزلازل وأرمت فرسان عبد الوهاب أنفسهم على الترك فبطلوا منهم رمى السهام وصبروا صبر الكرام وفلقوا الهام وهشموا العظام ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن فرق بينهم الظلام ومنعهم عن مواقف الاقدام ورجعوا الى الخيام ورجع الامير عبد الوهاب وأصحابه إلى الحصن بعد التعب الشديد وقعد يفتقد رجاله وإذا قد فقد منهم ثلاثمائة فارس وقال يانس المتغرب الصواب عندى أيها الأمير ان تغلق من غد باب الحصن ودع الأعداء يفعلون مايريدون من الامور والأسباب لأن الملك يعلم أن الحصن منيع فقال الامير عبد الوهاب والله لا فعلت هذه الامور أبدا لان كل محاصر مقهول ثم ان الامير عبد الوهاب طلب الامير أبو محمد البطال فلم يجده فورد على قلبه أمر عظيم وخاف أن يكون قتل فى المعمعة فزاد قلقه فقال هياج الكردى يا أمير أنا أخرج اليه الى مكان القتلى فأمره الامير بذلك وأخرج معه ولده الأمير ضيغم ومعهم عشرين فارس من كل بطل مداعس وخرجوا ومعهم المشاعل هذا وقد هدأ الليل فجاؤا الى موضع المعمعة ينظرون ان كان البطال قتيل أو جريح فوجدوا الارض مملوءة من القتلى والوجوه مخضبة بالدما بحيث لا يعرف الاخ أخاه ولا الولد أباه فلم يكن لهم على المقام جلد فرجعوا الى الامير وأعلموه بالخبر فكاد قلبه أن ينفطر وبقى على غايه من الحذر [illegible]) فلما تنصف الليل واعتكر سمعوا باب الحصن يطرق طرقا خفيفا فقال الامير انظروا ما الخبر فقالوا الحراس أيها

الامير إنا نرى شخصا يحمل شيئا من بعيد والحامل كأنه مغلوب فصاح الأمير عبد الوهاب وحق علام الغيوب جاء البطال وقد بلغ المطلوب فلما أن سمعوا ذلك من الامير عبد الوهاب تواثبوا الى الباب فلم يجد الأمير صبرا دون أن خرج فى أوائل الناس ونادى ياأبا محمد فقال له لبيك فقال ومن هو الذى على أكتافك فقال له اعلم أن هذا أخوك جعفر ففرح الامير بخلاصه وبادر اليه وجعل يقبل رأسه وعينيه ورجليه وهو يقسم عليه أن لايفعل هذا وقد جاءت الأميره وجعلت تهنيه بالسلامة فشكرها على ذلك فقال الأمير عبد الوهاب لأبو محمد ياأبو محمد كيف قدرت على خلاص الوزير فقال لما انفصلوا الجيوش من بعضهم بعضا رجعت أنا مع عسكر الرشيد فوجدت الخليفة على غاية من الحذرفلم أرى منه خلسة وقد سمعت منخواصه الأتراك أن مصعب بن عقبة قال للخليفة إن أردت أن يخلص أبى من يد القوم فقدم الوزير جعفر كأنك تريد تضرب عنقه فان الأمير عبد الوهاب لم يجد عنه صبرا لمحبته فيه أو أرسل رسولا من قبله وقل لهم أنا سمعت انكم قد قتلتم عقبه فاذا قالوا لك نحن ما قتلناه قل لهم أخرجوه إلى الوجود حتى نراه فاذا أخرجوه قل لهم أنا لاأعفو عن جعفر إلا به ولو كان عندهم عشرة مثل أبى سلموهم إليك فقال الرشيد لمصعب ابن عقبة هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب وأنت النجيب لأن الولد سر أبيه وقد قيل : إن عجائب أربعة حبيب قريب وحديث غريب ونديم أديب وولد نجيب (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندها اتفق الرشيد على ذلك وأرسل القاصد بذلك الأمر فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من البطال فانه لما أخذ جعفر وسار كما ذكرنا فلما أن وصل الى الامير عبد الوهاب وأعلمه بما قال الرشيد فالتفت الأمير عبد الوهاب الى أبو محمد وقال له والله لو تم هذا الامر لكنت سلمت اليهم عقبة ولوطلبنى أنا أيضا ما كنت أمتنع شفقة على الأمير جعفر والوزيرالمعظم فشكره الوزير على ذلك وقدفك الأميرالقيد الذى فى رجله وقال له لا تحمل على قلبك هماً فقال جعفر والله همى أنت فان كنت ترى أنأ كون واسطة لك فى صلحك مع الرشيد فافعل فقال عبد الوهاب مالى الى ذلك من سبيل ومابقى فى عمرى إلا القليل ولابد ماأشفى قلبى من عقبة وأعاد على جعفرماجرى فقال جعفر لافرّجالله عن هذا الملعون ولكن يعين الله عليه فقال أبومحمد والله لو رجع عبد الوهاب الى طاعة الخليفة لما رجعت أنا لانى لا آمن من عقبة أن يعمل علىّ مكيدة فبينماالقوم كذلك واذا بصابرالمرعشى وصل من عند عسكرالروم وقال أيها الأميرقد أتى فى عسكرالروم صبيمن بلدالمغليط وهوفارس

شديد وبطل صنديد والملوك كلهم يقصدون اليه ويسلون عليه وضربوا خيمته عند بستان يانس المتغرب واسمه سيف النصرانيه وما رأيت أفرس منه فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك قال والله انى أخاف أن يطبقوا علينا المسلمون والروم ولكن نتوكل على الحى القيوم ومازال الأجل محتوم والرزق مقسوم ولم يزالوا كذلك حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وركبوا العساكر الذين للرشيد ولبسوا الزرد النضيد وأراد الرشيد أن يزحف إلى القتال فأرسل ملك الروم إلى الرشيد وقال له لا تبرز فانى أريد أن أبصر فارسى سيف النصرانيه فأجابه إلى ذلك (قال الراوى) ولما نظر الأمير إلى ذلك من فوق الحصن قال لأصحابه اعلموا أن الله تعالى حكم بالموت على رقاب العباد وإذا كان الامر على ذلك فأفضل ما مات العبد مجاهدا فقالوا له أصحابه أيها الأمير كلنا بين يديك ولا نبخل بأنفسنا عليك فشكرهم على ذلك وأمرهم بفتح الباب وخرجوا المجاهدين وأبطال الموحدين وبرزوا بنو كلاب للحرب والطعان وكذلك السودان وطلبوا الحمله على الروم الكلاب فبينما هم على نية الحمله وإذا بصيحة عظيمة من عسكر الروم فنظروا ما الخبر وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم وفى ركابه وحوله ألف بطريق ماشين وهم يتلون الانجيل ولم يزالو يمشون فى خدمته لوسط الميدان ثم رجعوا عنه فلما نظره الأمير عبد الوهاب علم أنه الفارس الذى أخبر به المرعشى ونظر الامير شمائله فمال قلبه اليه لأنه كان من أظرف فرسان الروم وجال ذلك الفارس فى الميدان الى أن حير الابصار ثم قارب عسكر الامير عبدالوهاب وكان يعرف بالعربية ونادى برفيع صوته يا معاشر المسلمين وأبطال الموحدين من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا سيف النصرانية وحامى الملة المسيحية وناصر أهل ماء المعمودية وقد وصفوا لى أميركم عبد الوهاب بالفروسية وأريد أجرب روحى معه فى القتال والحرب والنزال فلا يخرج لى سواه فان هو قهرنى فيكون سبب رحيل عسكر الروم وان أسرته وقهرته فأنا وحق المسيح أطلقه وأمن عليه بنفسه لان من يكون وصفه على السنه الناس ينبغى أن لايفرط فيه ولا يرى بأس بل أريد منه اذا أسرته يقر لى بالفروسية وبعد ذلك يأخذ ماله وعياله ويريح نفسه وان أبى ما أقول فسوف يرى منى أمرا يهول فلما سمع أمير بنى كلاب أراد الخروج اليه فسبقه الامير ضيغم وأقسم أن لايخرج اليه أحدا غيره فقال الامير دونك وما تريد واحذر منه غاية الحذر (قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على البدر التمام فبرز اليه ضيغم على جواد أصفر مليح المنظر وعليه درع مانع وبيده سيف قاطع وحمل

كل واحد منهما على صاحبه ونظر الروم والمسلمون إلى الفارسين وحسن شمائلها فتعجبوا من فعالها وما عاينوا من قتالهما وسيف النصرانية ألق الله محبة ضيغم فى قلبه لما رأى من حسن شمائله وفروسيته لأنه كان فى صورة حسنة وشجاعه معروفه وقد تقدم وصفه فى غير هذا الموضع ثم ان سيف النصرانية لما طال الجولان مع ضيغم ضايقه ولاصقه ومديده إلى أطواقه وأخذه أسير وسلمه إلى بعض الغلمان كتفه وعاد الى الميدان فلما رأت الأميره إلى ضيغم وقد أخذ أسيرا أرادت الخروج اليه فمنعها أبو الهزاهز وأقسم عليها وقال لها أنا أفديكى من الردا فقالت الأميره دونك واياه واحذر منه غاية الحذر لأنى أراه فارسا جبارا وبطلا مغوارا وما عليه من الفروسية عيار فبينما هم فى الكلام وإذا قد خرج طارق الحجازى أسرع من البرق وحمل عليه وحالا طويلا واعتر كاملا وهاجمه الرومى بشدة بأسه فأخذه أسير فعند ذلك حمل أبو الهزاهز البطل المناجز وهو على حصان أدهم عالى ململم فى الخيل كانه غيم وعليه لامة حرب يطول شرحها وبيده قنطاريه قنا متقلدا بسيف من ضربه به أتاه الفنا فلما رآه سيف النصرانية ورأى عظم خاقته تحير منه ومن صنعته غير أنه لم يلتفت إلى ذلك لأنه متمكن بالفروسية وأبو الهزاهز حمل عليه (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان هذا الفارس سيف النصرانية له من العمر سبعة عشر سنه وعلى صغرسنه شديدا خبيرا بأبواب الحرب كرار فى موقف الطعن والضرب ولكن كان إذا ركب لا يقدر عليه عشرة من الرجال يرموه من على الجواد من شدة بأسه وقوة مراسه وكان أبو الهزاهز كبير الجثة إذا فصل يجي قدر سيف النصرانية خمسة مرار وأبو الهزاهز حمل على سيف النصرانية وقال ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية أنا أقسم برب البريه لأن لم تسلم نفسك والا أرمينك بالبليه وأعمك بالرزيه وأنا أبو الهزاهز المعروف عند أرباب الشجاعة بالقوة والبراعة وأنشد يقول

ستعلم ياسيف النصارى بأننى ... خلاف الذى لاقيته فى الورى مثلى
فانى همام ماجدو وحيد ... قتول الأعادى بالكعوب وبالنصل
فمن أنت ياكلب النصارى ونذلهم ... أراك تأمل أن تصول على مثلى
فسلم وكن من سطوتى اليوم سالما ... والا تيقن بالتلاف وبالقتل

(قال الراوى) ياساده ياكريم فلما سمع سيف النصرانية ذلك الكلام وانقلبت عيناه فى أم رأسه وصاح برفيع من صوته ويلك يالون الغراب وعبد الكلاب

لقد أقبحت الخطاب ومن حدة خاطر الرومى مدح نفسه وهدى شىء قط ما عرف من رومى وأشار يقول

ستعلم ياحجام فعلك من فعلى وتندم حتما إذ خرجت الى مثلى
وتعلم من يضحى ذليلا معفرا يحوم عليه الطير فى مهمه السبل
أتحسب انى مثل من قد لقيته وجاولته فى ساعة الضرب بالنصل
فدونك يالون الغراب مضاربا ندعك بلا رأس عليك ولا رجل

(قال الروى) ياساده ياكرام فجار أبو الهزاهز من حدة خاطره وعلو همته فأخذ حذره منه وحمل كل واحد منهما على صاحبه ونظر الأمير عبد الوهاب إلى سيف النصرانية وسرعة انعطافه فقال وددت من الله تعالى أن يكون مسلما ليتنى كنت أوصيت أبو الهزاهز لايطلب قتله وقلق عليه غاية القلق وقال والله ما أخذتنى قط شفقة على من يكفر بالرحمن غير هذا فعسى أن يكون من أهل الايمان (قال الراوى) ياساده ياكرام وتصادما الرجلان البطلان والتحما الفارسان فكانا مثل بحرين التطما أو جبلين اصطدما وسمع لهما صياح مثل الرعد القاصف أو الريح العاصف وتقسطل عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وتنافسا المرهفى البتار ونظر أبو الهزاهز روحه مع خصمه فالتقاه الرومى أرجح منه بكل رطل قنطار فأيقن بالتلاف وعول على الهروب والانصراف وكان تحته فرس كريم يدل بسبقه ليس لأحد مثله فجعل يطلب حيلة الهرب وأشرف من سيف النصرانيه على العطب فعلم الروم ما فى نفسه فضحك عجبا وقفز بجواده نحو عسكر الأمير عبد الوهاب فلما صار بينهما وقف وصاح يا أبى الهزاهز لاتطمع نفسك فى الهرب ولاتمنها اما تسلم نفسك وأما أسكنك رمسك وحق دينى لقد قدرت عليك مرارا وتركتك ولو كنت أردت قتلك لقتلتك ومكنت منك الحسام ولكننى أريد أقودك إلى الملك الهمام حتى لاترجع تقف فى موقف الافتخار ويطول لسانك على الكرام الأخيار فلم يجد أبو الهزاهز طريقا إلى عسكر الأمير عبد الوهاب فطلب عسكر الرشيد فخرج الحصان من تحته مثل السهم الصائب وكان سيف النصرانية له طالب وهجم أبو الهزاهز على عسكر الخليفة وهو فزعان وشاش عسكر الخليفة وأبوا الهزاهز بهم مستجير ومستنصر وأما سيف النصرانية قد ولج خلفه العسكر ولا افتكر وأبوا الهزاهز قد أيقن بالمعاطب وجعل ينادى بعسكر الرشيد ويطلب النجدة من أصحابه فحماه الصامت ونادى ارجع ياكلب النصرانية فرجع الرومى وضرب الصامت قطعه نصفين وعاد الرومى يطلب أبو الهزاهز

فتفرقوا الرجال من بين يديه وأوموا بالسيوف اليه فظن ملك الروم ان عسكر الرشيد قد قاموا عليه فلم يجد صبرا غير أنه دق الناقوس وصاح بالنصرانية والرهبان والقسوس وحمل فى ألفى ألف فقال الرشيد غدر الملعون دونكم والحملة فحملوا ألف فارس واسود الأفق وعدم الضو واسود الجو وأعتمت الأقطار وقدحت حوافر الخيل شرار النار وانحلت العواتق والأكتاف وقطعت الأيادى والأرجل من الخلاف وغرقوا كلهم فى بحار التلاف ورشقت النبال فى كبود الرجال والرماح فى مقاتل الأرواح وأما الأمير عبدالوهاب لما نظر إلى ذلك دخل الحصن وأغلق الباب وترك القوم فى بحر العذاب يشربون من الموت أمر شراب وقد قطعت الرقاب وبجرت البطون وقلعت العيون وحارت الألباب ولانت الأمور الصعاب وصار السيف أصدق جواب وأيقن الرشيد بالعطب والذهاب فقال لهمسرور أتظن يامولانا أى شيء فقدت من الأمير عبد الوهاب فقال الرشيد ويلك ما هذا النصرانى الذى بارز اليوم أبو الهزاهز أفرس وأشجع من الأمير عبدالوهاب (قال الراوى) ياساد وأما الامير عبد الوهاب فانه أيس من أبو الهزاهز وقال لاسبيل لنا عليه لانه قد حصل فى عالم لايحصى عددهم الا الله تعالى الحى القيوم من المسلمين والروم فتموا الى أن أمسى المساء وقد شربوا من الحتوف أعظم كاس وعادت كل طائفة الى مكانها وقد فقد من الطوائف ما لايوصفه الواصف وأما الرشيد فانه نزل فى سرادقه وجمع أرباب دولته وقال لقيت اليوم يوم عبوسا خطفت فيه النفوس وقطعت الرؤس وهذا كله من شؤم أبوالهزاهز وهزيمته الى عندنا وما لنا أن لانرسل الى كلب الروم نقول له انك قد غدرت وصاحبك الذى هو سيف النصرانية قد قتل منا واحدا ويضرب الرجال من طريقه بحسب أنهم يريدون تعويقه ونحن ما أتينا الى قتالك بل نريد صاحبنا فاما ان تدع بيننا وبينه وأما ان تبلغنا ما نريد من حينه فقالوا نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين فأرسل اليه رسولا بهذه العباره فلما سمع ملك الروم بذلك قال للبترك ماذا ترى من الرأى قال البترك الرأى عندى أن تصدق قوله واذا قتلت عبد الوهاب ترجع الى خليفة المسلمين فتبلغ منهم ماتريد طائعين كانوا أو كارهين فقال ملك الروم نعم ما رأيت يا أبونا هذا والأمير عبد الوهاب قد بات فى غاية من القلق لاجل من قتل من المسلمين فبينما هو كذلك واذا بصابر المرعشى قد وصل وقال يا مولاى قد علمت بخبر أبو الهزاهز قال لا قال رأيته وهو مكتوف اليدين بعمامته وسيف النصرانية يقوده قواد الدواب فبكا الامير عبد

الوهاب وبكوا السودان على فراق الأحباب فقال والله مايستبيه ملك الروم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فلما رآى أبو محمد البطال ما قد حل بالأمير من الهم والغم وثب قائما وقال أنا آتيك بالخبر على جليته ان شاء الله تعالى وخرج من وقته ودخل عسكر الروم فى صفة عوام البطارقة برجل مخلوعة وهو يمشى على عصى وقد ألصق إحدى عينيه بدم القراد فصار أعور شمال وخرق صفوف الروم ومضاربهم وسرادقاتهم حتى وصل إلى جماعة يتحدثون ويلعبون وبعضهم يقول لبعض لقد نظر المسيح الى دين النصرانية بعين العنايه وأسعدنا بسيف النصرانيه حتى قبض على أبطال الحنيفيه وقد أخذ هذا اليوم أبو الهزاهز وغدا يأخذ عبد الوهاب الأسود الزنيم فقال لهم أبو محمد بالرومى ما كنت أريد إلا قتل هذا الشيطان أبو الهزاهز لأنه قلع عينى وضربنى على وركى فأعطبنى كما ترونى فقالوا إن المسيح قد شفاك منه أما ترى تلك العين التى تخرج من ذلك البستان الذى يقال له بستان الطيور كثير الأشجار والثمار والأطيار والملك سيف النصرانية نازل هناك وهو على سرير من المرمر مصفح بالذهب الأحمر وتماثيل العنبر وياقوت وجوهر وهو يشرب هو وغلمانه وجواره وعنده أبو الهزاهز وابن عبد الوهاب الذى اسمه الضيغم ورجل فيهما موصوف بالشجاعة ولقد طلب الملك منويل أبو الهزاهز فقال وحق المسيح ما أعطيك إياه إلا وملك السودان والبطال الموصوف باللصوصية ومعد لكل بلية أبو محمد البطال فقال أبو محمد ياترى إذا مضيت ليته يدعنى أشتفى منه فقالوا له عليك بذلك الملك اذا رأى حالك وقصيت عليه قصتك يشفى منك جميع علتك ولم يزل أبو محمد سائر الى أن وصل البستان فلما توسطه وإذا بسيف النصرانية جالس على سريره ويشرب وأبو الهزاهز وضيغم وطارق بين يديه وهو يضحك عليهم ويهزىء بهم ويقلب فضلة كاسه عليهم فكانت منه التفاته فنظر أبو محمد البطال على تلك الحالة فصاح به الرومى بلغة المغلبيط وقال له ماشأنك أيها الراهب فكلمه أبو محمد بلغته لأنه كان يعرف بكل لسان وقال أنا المصاب فى نفسه المبتلى فى روحه ثم جعل يقص عليه قصته وأن أبو الهزاهز هو الذى قلع عينى وخلع وركى وقد أتيت أستوفى تارى منه وأريد من المسيح أن يحننك على حتى تمكنى منه أوجعه ضربا فضحك سيف النصرانية وقال دونك وما أردت فوثب أبو محمد الى أبو الهزاهز وجعل يعرك آذانه ويلطم رأسه وكذلك يفعل بضيغم وطارق ولم يكن فيهم من عرفه لأنه فى تلك الصفة ثم جلس أبو محمد بين يدى سيف النصرانية وجعل يحدثه بحديث المتقدمين من الروم وسير الملوك الأولين وكيف

كان بناية القسطنطينية وهو يسمع منه وقد حلى له كلامه فكان اذا شرب سيف النصرانية كاسه وثب أبو محمد الى أبو الهزاهز يحرك أذنه ويجرد دقنه فقال أبو الهزاهز لضيغم من أين جاءنا هذا الديوث فى هذه الليلة فهذا تمام التقدير فقال ضيغم كأنه صورة ابليس فما برحوا حتى تهور الليل والتفت سيف النصرانية الى غلمانه وأمرهم بالانصراف وقال لأبو محمد يا أبونا أنت الليلة تحرس خصومنا فقال سمعاً وطاعة (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم طرح تحته دورج ديباج ووضع رأسه ونام وقد عمل فيه المدام ومضوا الغلمان وكل واحد انطرح من سكره فى مكان وجعل أبو محمد يكبس فى رجليه ويقص عليه أخبار الروم حتى سمع غطيطه فقال أبو محمد ما انتظارى وقد أمكنتنى الفرصة ثم وثب الى الشمعة طفاها ووثب الى أبو الهزاهز وحل كتافه وكذلك ضيغم وطارق وقال لهم قوموا وخذوا أنفسكم فسمع ضيغم كلامه بالعربى فعرفه قال أبو محمد قال نعم ففرحوا به فقال أبو الهزاهز ذنب سبق منى اليك اطمعنى حتى أشرفت على العمى فقال أبو محمد لولا ذلك لما وصلت الى بلوغ الآمال فما هو موضع عتاب فقال أبو الهزاهز يا أبو محمد اعلم أن فى قلبى من هذا البطريق أمر عظيم وبالله أقسم ما لهذا إلا عبد الوهاب ولا يقدر عليه غيره فى الشجاعة والصواب أن أعمل عملا تبيض به وجوهنا عند الأمير عبد الوهاب قال أبو محمد وما الذى تريدون قالوا نهجم عليه ونسد فمه ونأخذه على رغم أنفه وأنا أتولى حمله فما للروم مثله وإلا أن أصبح وخرج الى البراز فتك بالرجال وأباد الابطال فقال أبو محمد ان عولتوا على عمل فعليكم بالعجل قالوا نعم فتصده أبو محمد والاكره فى يده وصعد الى السرير وصعد ضيغم وطارق وأبو الهزاهز فقعد هذا عن يمينه وهذا عن يساره وأبو محمد عند رأسه وضربوا بأيديهم على يديه ورموا نفوسهم عليه حينئذ وثب وثبة الأسد من الغاب وقبض على ضيغم وأبو الهزاهز بكلتا يديه ورفس أبو محمد البطال بإحدى رجليه كاد أن يقضى عليه وطلب أبو الهزاهز وضيغم أن يخلصا من يديه فلم يقدورا على ذلك وأشرفا من شدة حيله على المهالك وما استتم صوته حتى أجابه مائة غلام من بين الأشجار بكل صارم بتار فأخذوا أبا محمد وهو مغشى عليه من شدة الرفصة (قال الراوى) وألهبوا الشموع والمشاعل وردوهم إلى الكتاف والقيود الثقال وأمر بأبو محمد أن يحضر بين يديه فأحضروه وقد أفاق من غشوته وقال كيف ترى يالص المسلمين حسبت أنك تمضى بى والله من وقت دخلت البستان علمت أنك لص المسلمين ثم فتح عليه التصاوير وأخرج منها درجا طويلا فيه سبعين صورة لابى محمد البطال وكانت الصورة التى دخل بها أبو محمد فى هذه المرة كانت

فى آخر الدرج مخلوع الرجل أعور العين كبير الذقن فى ثوب أسود لا زيادة ولا نقصان فلما رأى سيف النصرانيه ذلك عرفه لوقته وفرق غلمانه حيلة منه حتى يبصر كيف يفعل ويتعلم منه الحيل ولم يرتاع بخلاص طارق وضيغم وأبو الهزاهز لأنه بنفسه واثق وجرى من القصة ماقد ذكرناه وبلغ الخبر الى الملك منويل ففرح فرحا عظيما وركب بنفسه فى خواص قومه ودخل البستان فقام اليه سيف النصرانية ومشى فى خدمته فاعتنقه الملك وقال وحق المسيح لقد ظفرت بالذئب الامعط والثعبان الأرقط فقال على به فأحضره بين يديه فأمر بضربه فضرب الضرب الوجيع وكذلك ضيغم وأبو الهزاهز وطارق وقال له الملك أيها البطل وسيف الملة المسيحية ان الايام غير مأمونة لانها غداره خؤنة وعندى رأى وهو أننا نقتل هؤلاء القوم لانهم نصف المسلمين فإن نحن ظفرنا بالباقى فهو المراد وإن لم نظفر بهم نكون كفينا شرهم طول الايام فهم فى الكلام والبترك قد دخل عليهم ومد بيده على رأس سيف النصرانية وقال شكرا للمسيح الذى ما أماتنى حتى أرانى ثياب العز تشرق على الروم واطلع عليهم شموس الفرح وذهبت غيوم الهموم والغموم فقال الملك يا أبونا قد عولنا على قتل أبو الهزاهز وصحبه فقال البترك متى يكون ذلك فوحق المسيح انه صواب حتى اننا نستريح من هؤلاء الكلاب وقد تقدم فى السيرة ماكان بين أبو الهزاهز وبين البترك لما تنصر من العداوة والبغضاء ثم ان البترك وثب إلى أبى الهزاهز وجعل يضربه وكذلك أبو محمد البطال وطارق وضيغم ثم ان البترك قال أول ماتبدى بقتل ضيغم بن عبد الوهاب لانه أخرب بلاد الروم ولم يدع صغير ولا كبير حتى ساق اليه التدمير (قال الراوى) ياساده ياكرام وإذا أمر البترك بشىء فهو عندهم بمنزلة المسيح لا يقدر أحد يخالفه إلا أنه يمرق من الدين فلما قال ابدؤا بضيغم سحبوه الغلمان على وجهه فبكى أبو محمد شفقة عليه فقال أبو الهزاهز يا أبا محمد أراك تبكى والله كل مانحن فيه من تحت رأسك لما أتيتنا بعورتك حل بنا ما حل فلم يجيبه وإن القوم أحضروا ضيغم أن يقتلوه فنظر اليه سيف النصرانية والى حسن شيمته وحسن صبره على بليته مع ماعرف من حسن فروسيته فى حال مبارزته رق قلبه عليه وهذا شىء لم يعهده قط من نفسه ولا رق لبشر غيره وقال لهم لا أمكنكم من هذا ولا من أصحابه فى هذه الليلة تعلمون أن فى غداة غد أبرز الى عبد الوهاب ويقال انه أفرس أهل الارض على ما ذكرتم فى الحرب أنه مثالى وأخاف أن يكون فى المقدور مالم يكن فى الحساب وما ندرى أينا يظفر بصاحبه فان أنا ظفرت به فهو الذى نطلب ونسقى هؤلاء كاس العطب وإن ظفر بى كانوا فدائى

من أيديهم فقال البترك لعمرى أنه قال الصواب وما يفوتنا قتل هؤلاء الكلاب ولكن نحتفظ بهم ولا نأمن من شر هذا الكلب اللص المحتال أبو محمد البطال فعملت فى أرجلهم القيود الثقال وفى أعناقهم الاغلال وركب الملك إلى خيمته وأرسل من ساعته الى الرشيد يخبره بأن أبو محمد أخذناه أسير والسبب فى ذلك أنه جاء يسرق سيف النصرانية ولما سمع الرشيد ذلك فرح فرحا عظيما وقال والله مانمت الليلة خوفا منه وكنا نقول أن ما فى الارض أفرس من عبد الوهاب وغد يبرز له ويأخذه أسير مثل ما أخذ أبو الهزاهز ويجعله قتيلا فقال مسرور والله يا مولانا لو تم على عبد الوهاب ذلك يغدر بنا كلب الروم وماكنا نرجع الى بلاد الاسلام الا بعد جهد جهيد (قال الراوى) ورجع الجاسوس الى الامير عبد الوهاب يخبره بما جرى فضاقت عليه الدنيا وقال والله لقد أنسانى هذا الامر ولدى ابراهيم وأمه علوى الذين مالهم خبر يسمع ولا أثر يطلع ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولم ينم باقى ليلته حتى برق ضياء الفجر وارتفع صياح الروم وركبوا البطارقة والملوك وماجت الدنيا بأسرها وفتح باب الحصن وخرج هو وعسكره وهم غائصين فى الحديد وجعل يرتب الناس ميمنة وميسرة (قال الراوى) ياسادة وركب الرشيد فى عساكره مخافة أن يغدروا به الروم فقالت الاميرة لولدها الامير عبد الوهاب اعلم أن الرشيد قد ركب وأخاف أن يكون كلب الروم لعب بعقله وأرسل اليه يقول له اطبق عليهم أنت من خلفهم وأنا من بين أيديهم فرغنا منهم فى يومنا هذا قال لها الامير عبد الوهاب فما الرأى قالت أفردنى للرشيد وعسكره فى عشرين ألف وكن أنت فى وجوه الروم فى ثلاثين ألف وتطلب المعونة من الملك الذى لا يزول ملكه قال نعم ما رأيت وقسم الجيش على ما ذكرنا ووصفنا ونظروا العساكر الى فعال الروم فقالوا مالهؤلاء القوم قلوب يفزعون بها ولا عقول يرجعون اليها والاما كانوا قدموا على ما قدموا عليه من الامر وكثر تعجب العسكرين من المسلمين والروم وإذا بعساكر الروم قد تمحضوا وترجل منهم ألف بطريق وخرج من أوساطهم فارس بزردية من ذهب مقفلة بأقفال فضية وفوق رأسه بيضة ململمة براقة فى رأسها حبة من ياقوت بهرمانى لها قيمه متقلد بسيف قاطع الثغار قاصم الاعمار قوى المسمار يخطف الارواح اذا به الضارب أشار ومعه ترس من الحديد الصينى محلى بكواكب ذهب لا تعمل فيه السيوف وهو راكب على مهر كأنه بختى قرطاسى فى لون الصباح يسبق الرياح قد غذى بلبن اللقاح فى معامع الطعان والرماح فتأملوا

الناس الفارس وإذا هو سيف النصرانية وبطل أهل ماء المعموديه والبطارقة من بين يديه رجالة اجلالا لقدره ولازال حتى وقف فى حومة الميدان فصاح بأعلى صوته يا أندال العرب وحمالين الحطب أتاكم الويل والعطب وما لكم سبيل الا الهرب فدونكم والبراز ولايخرج الا الفارس المنتخب وأنا لقطع أعماركم سبب الموصوف بكل عجب لان أجله قد اقترب (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام والخطاب قال للاميره ذات الهمة اننى قد عولت على الخروج الى هذا الفارس الذى قد رأيتم فعله ولقد رأيت البارحة مناما لا أعلم تأويله فقالت الأميره يابنى وما الذى قد رأيت قال رأيت كأن شخصين يقولان أيها المجاهد فى سبيل الله لايكون قلبك خائفا على من أخذوه الأعداء فعلينا حفظهم ولاتحمل همهم ولا هم من أتى من هـذه الأسباب حتى ترد الودائع الى أهلها والجواهر الى أربابها فقالت له والدته ذات الهمه يابنى هـذا المنـام لايدل الا على خير ان شاء الله تعالى (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب عول على الخروج الى سيف النصرانية فخلعوه الرجال فلم يلوى عليهم وقال ما لهـذا الفارس الا أنا فوالله ما بارزت أحد قط الا وحدثتنى نفسى بقتله الا هذا الشخص وما أعلم السبب فى ذلك وما هو قال وخرج فى أحسن زى وأكمل هيبة وأشرف لامه وأعلى همه وجال على جواده وأشار الى سيف النصرانية وقال دونك والذى طلبت ثم أنشد وجعل يقول

اذا كنت سيفا للنصارى فاننى حسام لدين الهاشمى محمـد
نبى الهدى والطيب الاصل رفقة عليه سلام الله فى كل مشهد
ولولا رسول الله مازال كفرنا ولا كنت بعد الجهل والغى مهتدى
سأحمى وبيت الله ما عشت دينه وأعلو بسيفى كل كلب وملحد
فدونك ياسيف النصارى مظفرا شجاعا كريما ضاربا بالمهند

(قال الراوى) فلما سمع سيف النصرانية شعر الامير عبد الوهاب وكان لذيذ الخطاب فهم بالحملة عليه وصاح بالعربيه وهو يقول ياويلك أنت فارس بنى كلاب فقـال له أنا ذلك الفارس المهاب فقال له ان لك عند الروم ذكر عظيم فان كان جوهرك مثل مخبرك فـا أنت الا أوحد المسلمين فقال له الامير عبد الوهاب سوف يظهر لك الخبر ياسيف النصرانية وعينيه تغرغر بالبكاء فنظر سيف النصرانية الى الامير عبد الوهاب فعرف منه البكاء فرق له وقال ما الذى يبكيك ان كان حذرا من الموت فارجع الى عسكرك فقال الامير عبد الوهاب والله ما الخبر على ما خطر ببالك وانما

ما بكيت إلا لأمر لا أعلم معناه فجرى دمعى كما تراه فدونك والقتال ثم أنشد وقال :

بكيت لأمر ليس أعلم معناه وهذا لعرفى فى اللقا ما عهدناه
ولا جزعت أرواحنا يوم معرك ولسنا نبالى فى الوغى من لقيناه
وان جميع الناس تشهد بأننى إذا مالقيت الخصم فى الحرب أخشاه

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع سيف النصرانية شعر الأمير عبد الوهاب غضب وصاح بصوته المعروف وكلامه الموصوف ياجلاب التبن والصوف سوف ترى هذا البطل الموصوف والهمام المعروف ثم أنشد :

يامن هو المعروف قد زاد معناه سيأتيك من صرف الزمان رزاياه
وتنظر منى ضيغماً غير قاصر يطيب عليه الموت إذ ماتلقاه

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب شعره أعجبه وحمل كل واحد منهما على صاحبه فتطاولت اليهما الأعناق وشخصت نحوهما الأحداق وبقيت الأميره ذات الهمه تطلب النصر من رب العالمين وهما قد التحما وتصادما وتضاربا وتقاربا وتباعدا وعلا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ولم يزالا فى كر وفر وأخذ ورد حتى استوت الشمس فى كبد السماء واكفهر الحصى وقويت الرمضاء وصارت الأرض كأنها لظى ولم يزالا كذلك حتى كلّ الجوادين وعطشا الراكبين ونظر سيف النصرانية من الامير عبد الوهاب ما لم يره من غيره وكلما دام قتالها زاد نشاطهما وكانا لو وزنا فى ميزان العدل لم يرجح كل منهما على صاحبه فلما عطشا وضجرا صاح بعضهما ببعض صياح الاسود وهمهما همهمة الرعود واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة الأمير عبد الاهاب سيد بنى كلاب فعلم سيف النصرانية أن الضربة واصلة اليه فأرمى نفسه الى الأرض فوقعت الضربة على سرجه قسمت الجواد نصفين وضرب الرومى جواد الامير عبد الوهاب فوقع السيف على أضلاع الجواد قدها ودخل كل واحد منهما فى صاحبه وهما رجالة لاخيالة وتضاربا حتى خدلت منهما السواعد وصاركل منهما كالجامد واختلفت الاقوال فقوم يقولون عبد الوهاب يغلب وقوم يقولون الرومى يغلب وطال الامر على الناس وتقصفت منهما الاتراس ووقف كل واحد منهما ينظر الى صاحبه شزرا ويرمقه حذرا هذا والامير عبدالوهاب متفكر فى صغر سنه وماأعطاه الله سبحانه وتعالى من القوة والشجاعة والهمة والبراعة وإذا بالرومى ضحك وأظهر السرور فأنكر الامير عبد الوهاب ذلك وقال لم تضحك

هل رأيت منى تقصير حتى تفرح بذلك فقال الرومى لا وحق دينى غير انى مفكر فى أمرك وقد نزل بقومك من عسكر الروم والمسلمين وكيف طحنوا قومك طحن الحصيد ورموهم الى خندق الحصن فلما سمع الامير عبدالوهاب ذلك الكلام ظن أن قوله صحيحا واستبعد الخديعة من الرومى فالتفت الى عسكر الرشيد فانقض عليه ذلك الرومى انقضاض العقاب الكاسر ورفع السيف بكلتا يديه وضرب الاميرعبد الوهاب وأن الامير لما نظر العسكر ولم يرى لكلامه صحة علم أنها حيلة وخديعة فرفع الترس على رأسه وأراد أن يتلقف فسبقه الرومى بتلك الضربة فوقعت على رأس الامير فقطعت الترس نصفين والبيضة ونزلت على الرفاده وكانت ضربة خائف فعلم الرومى أنها بطلت والى الرأس ماوصلت فرمى السيف من يده وألقى نفسه على الامير وقبض مناكبه مثل الاسد اذا قبض على فريسته فلما رأى الامير ذلك رمى سيفه من يده ولاصقه فأراد الرومى أن يرمى الامير فوجد بينه وبينه حاجز وهو عنه عاجز فتعاركا وتماحكا حتى جرى العرق وقل الصبر وزاد الشر وحمى الحديد على أجسادهما عند ذلك افترقا بعد ما كانا التصقا وأرمى كل واحد ما كان عليه من االباس وعادوا الى المراس فكانا كأنهما أفرغا فى قالب واحد وكان الامير عبد الوهاب على يده شامة كبيرة وكان لسيف النصرانية مثلها فحن الامير عليه وجعل يضمه اليه ويعاركه الى صدره فبينما الامير كذلك إذ نظر الى ساعد سيف النصرانية وعليه دملج فضة يجرى عليه بالسواد وفى رأسه قرن حية مقمع بالذهب وكان هذا أولا للأمير عبد الوهاب وكان فى ساعده اليمين مثله لانه صاغ الاثنين وكتب اسمه عليهما وركب فيهما قرن حية وكان من خصائصهما أنه اذا حضر الطعام المسموم تقطر الدملجين مثل وكف المطر فلما رأى الدملج فى عضد سيف النصرانية وقف عن قتاله وقال له ويحك من أين لك هذا الدملج فوقف سيف النصرانية عن عراكه ونظر أيضا فى ساعد عبد الوهاب مثله فتغير لونه ثم قال اعلم أيها الامير إنى أريد أسألك عما سألتنى عنه فقال له الامير عبد الوهاب قل ما تريد وما بدا لك فقال له الرومى اعلم أنه كانت لى أم أجل ما فى بلاد الروم وكان اسمها (ميرونة) بنت البطرك وانها تزوجت بملك المغلبيط وأنا ابن سنة ولا علم لى ولا عقل وأنا أظن أنى ابن ملك المغلبيط ورزقت منه ولداً آخر فلما صار عمرى اثنى عشرسنة سرت أقنص السباع فمات ملك المغلبيط ووصى بالملك لأخى الذى هو دونى فقلت لأمى كيف يكون يرضى الملك لأخى الذى هو دونى وأنا الكبير لايرضاه لى فقالت لى أمى اعلم ياولدى ليس الملك أبوك

وانما هو عمك فقلت لها ومن هو أبى فأخلفت قولها على المرار العديدة وكان عندنا معلم يعلم بالعربى فعلمنى باللسان العربى وعظم شأنى وصار أخى يصول بى على ملك الروم وسمانى بسيف النصرانيه وقبل خروجى فى هذه النوبة حضرت أمى أقسمت عليها وقلت لها بحق المسيح من هوأبى ؟ فقالت لى اعلم ياولدى انك قد أقسمت على بالمسيح انى أقول لك على أبيك فاعلم أن أبيك صاحب هذا الدملج وقلعت الدملج من يدها ولم ترضى تذكر لى من هو أبى وأريته لكل أحد فلم أحد يعطينى خبر ولا جلية أثر على من هو أبى فسألتنى أجبتك بالكلام الصحيح وحق المسيح ولكن انى أرى فى ساعدك دملج مثله فانى أريد أن تحدثنى من أين لك هذا فقال له الامير عبد الوهاب لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر أنت والله ولدى ومهجة كبدى ورب الكعبة وأنا أبوك واعلم أن هذا الدملج دملجى واسمى مكتوب عليه بالسريانى عبد الوهاب وأنا أبوك وأنت من ظهرى واعلم ياولدى انى قد كنت أسرت أمك ميرونة بنت البطرك من مدة تسعة عشر سنة وقد واقعتها فحملت ولم أعلم ماجرى عليها وجرى من أجلها أمور عظيمة وأخذنى الرشيد وأسرت فى بلاد الروم وأخذت من فى الطريق لانى كنت فى صندوق أنا وأبو محمد البطال وخلصنا بعد أمور عظيمة وفتحت القسطنطينية بإذن رب البرية وأنا والله أبوك وأنت ولدى لامحالة فانظر الى الشامة التى على يدى على يدك مثلها ثم انه قال ياابنى عد الى الله سبحانه وتعالى من قريب واعترف له بالوحدانية واعلم أن الدين عند الله الاسلام ولا تتبع الهوى وارجع الى المولى فان الدنيا فانية والآخرة باقية وكيف يكون المسيح إله وقد أكل الطعام ومشى فى الاسواق وركب الحمار وهذا كله فعل البشر فلما سمع الرومى ذلك من الأمير عبدالوهاب رق قلبه اليه وزرفت عينه بالدموع ومال قلبه الى الاسلام وقال كيف أعمل حتى أصير مسلما فقال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله والرومى قال امدد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله فقال الامير عبد الوهاب وقد باس الارض شكرا لله تعالى ياولدى أنت اسمك سيف النصرانية والآن اسمك سيف الحنيفية ففرح بذلك وقال له الامير مابقى معى إلا ستك ذات الهمة تقر عيناها برؤيتك فقال معاذ الله أن أروح معك وأترك أخى والمسلمين الثلاثة فى أيادى المشركين ولكن الامر شىء واحد وهو انك تنهزم إلى عسكرك وأقصر أنا عنك وعن طلبك وأعود الى

الروم لأن الملك قد أمر بقتلهم بالأمس فأخذتنى عليهم الرحمة
والشفقة ولا أعلم أن بينى وبينهم قرابة ومحبة
وإذا أطلقتهم ونقدر على فعل فعلناه ونأتى
من ليلتنا وقد كملت مسرتنا واذا كان
فى غداة غد إن شاء الله تعالى اقعد
أنت فى الحصن لانك أنت
صرت كبير السن وأنا
آخذ عساكرك
أقاتل بهم

(تم الجزء الحادى عشر ويليه الجزء الثانى عشر)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الثانى عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام ولده دعا له بالتوفيق ثم قال له اعترك أنت وأنا ثم نفترق وأنا أنهزم بين يديك والله خليفتى عليك ثم افترقا عن بعضهما بعض وتعاركا على وجه الأرض وطال على الناس أمرهما ونظروهما قائمين فظنوا أنهما من التعب وقفا يريدان الراحة وخفى عل الناس أمرهما لتمام الإرادة وتطاولت إليهما الأعناق وكثر الزعاق وقامت الدنيا على قدم وساق ثم تركا المقايضة وعولا على التفريق وصاح فيه الرومى إلى أين يا أسود ياحجام إذ لم آخذك اليوم أخذناك غدا وأكثر الصياح على الأمير عبد الوهاب من العسكرين ورجع سيف النصرانية المسمى بسيف الحنيفية الى الروم ونظرت الأميرة ذات الهمة الى مجىء الأمير عبد الوهاب منهزما فقالت لأصحابها والله ما هذا إلا أمر عظيم ثم قالت لأصحابها كونوا على حذر من قبل نزول القضاء والقدر . هذا وقد زعقت الروم ورفعت أصواتها ودقت نواقيسها وخرج ملك الروم الى استقبال الرومى وقال لأصحابه : ما كنت أقول إن فى الدنيا من يقاوم هذا الاسود ولكن لما عاين المسيح حسن صبرنا ورزقنا هذا الفارس الذى لا يلتقى ولابد مانفتح به مدينة بغداد وأنال به مسرة الفؤاد وغاية المراد . هذا وسيف الحنيفية قد طلب عسكر الروم فترجلت له سائر ملوك النصرانيه إجلالا له وتعظيما لأمره وخرجت إلى لقائه القسوس والرهبان والغلمان والشمامسة والمطران والبطارقة وجعلوا يقبلوا الأرض بين يديه ويمشون فى خدمته وهو طالب موضع الملك . فهذا جرى ههنا . وأما ما كان من الرشيد فانه نظر اليهم فلم يعجبه هزيمة عبد الوهاب وقال والله إن هذا الرومى فاق على أهل زمانه ما دام انه ظاهر على عبد الوهاب

والله مايسرنى ذلك لانه اذا كان طال على بنى كلاب فكيف بنى سليم الانذال وهذا فى هزيمته فرحا للكفار وغما للاسلام ونحن كنا نؤمل أن غلامنا يقهره بين أيدينا وتبقى همته وهيبته باقية فى قلوب الروم فلا حول ولا قوة إلى بالله العلى العظيم فقال مسرور بجوهر وبعض أرباب الدولة معلوم أن الامير عبد الوهاب أفرس أهل زمانه اذا كان راكب جواده ولابس عدته وجلاده واليوم كان رجلا ولاجل ذلك اليوم وجد فى نفسه تقصير فهم يأخذ عدته حتى لايفرط فى نفسه فقال عمرو بن عبيد الله ومحمد بن أبان السامى وجماعة من بنى سليم وكانوا فرحوا بهزيمته وانكسار هيبته عند الناس وانحطاط منزلته عند الرشيد فقالو يامولانا ما من طامة إلا وفوقها طامة أكبر منها لان الذى سرق عقبة وسرق الفضل بن الربيع وجعفر من تحت قبضتك هو أبو محمد البطال ومضى يسرق هذا البطل فلم يقدر عليه وهو عنده حقير ذليل وكذلك عبد الوهاب أراد أن يبقى سلطان الحجاز وبقى له نواب وغلمان ويضرب بالسيف فى وجه خليفة الزمان فألقى عليه الحق الذل والهوان وانما كانت شجاعته بجاه أمير المؤمنين فلما سمع أمير المؤمنين ذلك من كلام أرباب الدولة لا سيما عمرو قال أيها الأمير إن الذى ذكرته من أمر عبد الوهاب صحيح غير أن الثغور من يحميها من الروم لا سيما وقد صار لهم مثل هذا الفارس الميشوم وتمام المصيبة أننا عدمنا الوزير جعفر وإلا كان يدبرنا فيما نفعل فبينما هم فى الكلام وإذا برسول ملك الروم دخل عليه وقال له يا أمير المؤمنين إن ملك الروم ورد عليه ملك الزواوره وماله منزلة غير المنزلة التى أنت فيها فارحل الى وراء مرجلة فما لنا غير ذلك ونحن فى غداة غد نكفيك مؤنة الأسود وأصحابه حتى لا يرجع أحد من غلمانك ينافق عليك ونرجع الى وراءنا ونصل الى بلادنا ونصطلح على ستة سنين على شرط أنك تحمل لنا من المال الذى كنا نحمله اليك فلما سمع الرشيد ذلك غضب وأمر بضرب رقبة الرسول فقام اليه داود الهاشمى وجماعة من وجوه الدولة وقالوا يامولانا ما على الرسول إلا البلاغ ولا تتبع سنة سيئة بقتل الرسول وأمر به الى دار الضيافة ساعة واحدة حتى ننظر ما يكون من الجواب فأمر بحمل الرسول إلى دار الضيافة وخلع عليه خلعة سنية ثم أن الرشيد أقبل على أرباب الدولة وقال لهم ما ترون من الرأى فان هذا الملعون قد طمع فى عبد الوهاب ومن معه من السادة والاصحاب وقد وصل اليه ملك الزواوره ويريد يرحلنا من موضعنا حيلة منه إذا ظفر بعبد الوهاب لا نصبر على ذلك وان رحلنا يهلك هذا القوم وان لم نرحل غدر بنا فما أنتم قائلون فقالوا

يا مولانا إن رحلنا فهو ذل ومنقصة وإن ظفر بالأمير عبد الوهاب يجد فى طلبنا ويرسل إلى الدروب والامصار أنه ساد علينا لان الديار دياره والامصار أمصاره ومالنا الى لقاه فقال الرشيد ومالكم بكثرة الجيوش طاقة فهل لكم أن تكتبوا إلى الامير عبد الوهاب كتاب ننقم له بما جرى عليه ونقول له إن أمير المؤمنين رق قلبه لك وذكر مواقفك الكريمة وخدمتك العظيمة ورضى عنك بشرط أنك تسلم اليه القاضى عقبة والفضل بن الربيع وهياج الكرى وفى غداه غد تكون الكلمة واحدة ونلتقى بالعدو ويعطى الله النصر لمن يشاء فلما سمعوا القوم ذلك من الرشيد قالوا نعم مارأيت ياءولانا فقال عمرو بن عبيد الله لوكان القاضى عقبة عندنا فى هذه النوبة كنا نصيب خيرا بتدبيره ومشورته (قال الراوى) ياساده وان الرشيد كتب كتاب للأمير عبد الوهاب بهذا الخطاب ورد الرشيد الجواد إلى ملك الروم يقول له أمهلنى فانى فى ديارك ضيف وان الضيف يكرم وأريد تمهلنى الى غد نصف النهاروأرحل وافعل بعد ذلك ماشئت فمضى الرسول الى الملك وأعاد عليه ماذكره الرشيد ولماوصل الرسول الى عبد الوهاب وقرأ عليه الكتاب وسمع بتسليم عقبة والفضل وجعفر وهياج الكردى حرك رأسه وقال والله إن مندون تسليم عقبة ضرب بالسيف الهند وأن يشيب له المولود ويتقطع الحجر الجلمود وأما هياج فمعاذ الله أن أسلم اليه رجل مسلم مجاهد فى سبيل الله فلو أنه ماكتب فى الكتاب تسليم عقبة وهياج رجعت إلى طاعته بشرط أن أصلب عقبة وان كان يفزع من خطيئته فأنا أحملها عنه ولا يطالبه الله تعالى بهذا لان عقبة يكفر بالرحمن ويعبد الصلبان وقتل من المسلمين ألف ألف انسان ولا يحترم القرآن ولا يرجع عن فعل العدوان فان فعل الرشيد ذلك رجعت الى طاعته وان أبى فلا يخاطبنى وكتب بعد ذلك كتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعـــد فان الله تعالى لعن الكافرين وأباح دماهم وأموالهم للمسلمين وهذا عقبة قد صح عندى أنه كافر بالملك القدير ويشرب الخمر العصير ويأكل لحم الخنزير فان كان أمير المؤمنين يهون عليه صلب عقبة على باب الحصن ولى الامان للامير هياج الكردى رجعت اليه والى خدمته وإن أبيت فلا أرجع الى الطاعة أبدا والسلام وأرسل الكتاب الى الرشيد فلما قرأه صعب عليه وكبر لديه فقال الامير عمرو للخليفة يا مولانا ما أظن هذا الرجل عاقلا لانه اليوم مضى منهزم من تحت السيف ويكتب فى الكتاب غدا صدم الروم صدمة وأى صدمة لكن فى غداة غد يعطب

بلا محالة لأن الفارس الرومى لا بد له منه وباتوا تلك الليلة فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من سيف الحنفية فانه لما رجع الى الملك قال له لم لا قبضت خصمك لما انهرم فقال أيها الملك ما كان معى عده وما رأيت أن أتبع منهزم بعد ما مضى راحلا لكن غدا آتيك به أسيرا فلا يصعب هزيمته فعند ذلك خلع الملك عليه وجعل البترك يضمه الى صدره ويقول له يا ولدى اشتد بك عضد الملك ثم إن سيف الحنيفيه قام إلى البستان الذى تقدم ذكرته وحمل له الملك كل عجيبة وأوانى الشراب من الجوهر والبلور والحلوى فى أوانى الذهب وأقام مضمرا على مافى نفسه وضاقت عليه الدنيا بما رحبت وبغض المقام عند الروم لصحبته للمسلمين وما صدق الليل يأتى حتى أحضر أبو الهزاهز ومن معه من المسلمين فلما عاينوه أرسل وراءهم أيسوا من الحياة لأنهم سمعوا ما جرى له مع الأمير عبد الوهاب وقالو ما يمكن أن يكون فى هذا الزمان مثل هذا الرومى فقال البطال والله لقد رابنى هزيمة الأمير عبد الوهاب لأنى أعرف أنه لايبالى بالموت ولايخاف من الفوت وما أظنه إلا يخدع خصمه فهم فى الكلام والغلمان سحبوهم إلى بين يدى سيف الحنيفية فجعل يعبس فى وجوههم وقال فى غد آخذ أميركم فأعابه البطال وقال أيها السيد ان الانسان لا يدرى كيف يكون الحال فبحق دينك كيف رأيته اليوم وحق دينى ماهو إلا بطل شجاع وقرم مناع أوحد الزمان فقال البطال اعلم أيها السيد أن له أم أشجع منه فى اللقاء وأشد منه فى معترك الوغا فقال له دعنى من هذا ولا بد الليلة ما أسكن غضبى بقتل واحد منكم فقال البطال إن كان ولا بد فاطرح علينا القرعة فطرح القرعة فوقعت على أبو الهزاهز فقال أبو الهزاهز أنا ما أرضى بهذا والله ما يفتح لنا البطال باب خير فضحك الرومى وقال لابد ما أمهلكم لما آخذ صاحبكم فقال أبو الهزاهز نعم الرأى وأمر بربطه فى سريره وفرق غلمانه ونام الى نصف الليل ثم وثب وحل كتافهم وقبل رؤسهم وقال ابشروا جاءكم الفرج وجعل الله لكم من هذا الضيق فرج ومخرج فقالوا له من أنت فقال لهم أنا الذى حفتم من سطوته وأنتم منتظرين القتل منه غدا أنا سيف النصرانيه قديما وأنا سيف الحنيفية جديداً وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله فحمدوا الله تعالى وشكروه على ذلك وقالوا له كيف كان ذلك فأعاد عليهم القصة وقال لهم أنا ولد الأمير عبد الوهاب من ميرونة بنت البترك ثم أخبرهم بما جرى لهم هو ووالده عبد الوهاب وقال لهم إن كان عندكم رأى فيه منفعه للمسلمين فأخبرونى من قبل أن نمضى للحصن فقال أبو محمد عندى رأى

جيد لأن الرجوع بلا فائده شماتة للاعداء فقال سيف الحنيفية قل ولو أمرتنى أن أبدل سيفى فى هذا العسكر لفعلت فقال لا ولكن نأخذ كلب الروم ونمضى إلى الحصن وأمضى أنا الى عساكر الرشيد وأسرقه لأنه ما بقى عليه حرس وآمن من ناحيتى لأجل أسرى فقال سيف الحنيفة علمنى ما أصنع فعلمه البطال الحيله وما يعمل ثم ان سيف الحنيفيه قال للبطال انصرف أنت كما ذكرت فانى أبلغك مرادك فودعهم البطال وخرج وإذا هو بثلاثة أشباح فتبينهم وإذا غلمانه سبك ولؤلؤ وبديع وقد جاؤا فى طلب خلاصهم فناداهم البطال لما عرفهم فدنوا منه وجعلوا يقبلون يديه فأخبرهم بالحال فقالوا والله لقد فرجت عنا بعد ما خفنا على الأمير لما رأيناه منهزم فقال والله ما كانت هزيمته الا خديعة منه وحيله فقالوا نعم الرأى وها نحن بين يديك فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من سيف الحنيفية فانه قال لضيغم وأصحابه اعلم إنى عولت على أمر فان تم فهو المراد وان لم يتم دبرنا غيره فقال وما هو فقال يبان لكم ان شاء الله تعالى ثم انه وثب اليهم وشد أيديهم كتاف وعمل الحبال فى أرقابهم فقال أبو الهزاهز والله رجع عن دين الاسلام إلى ما كان عليه وذمة العرب فقال ضيغم لا تظن ذلك يا أبو الهزاهز فانه لايتم له حيله إلا بذلك ثم تركهم وركب من وقته الى ملك الروم فوجده قاعدا على سريره والغلمان حوله وسائر الملوك عنده وما لهم حديث الا فيه وفى انهزام الأمير عبد الوهاب منه والملك يقول أين عين الشيخ النجيح تنظر هذا اليوم ويعلم أن المسيح عنا بنا ولكن غداة غد يخرج إلى هذا الاسود الذميم ويأسره وقد انغلبت عساكره وانهزمت دساكره وبعد ذلك يهجم عليهم وعلى عساكر الرشيد ويجعلهم مثل الحصيد ولا يكفانى ذلك حتى أمضى إلى بغداد فى عامى هذا وأملك العراق وأحكم على سائر الآفاق فهم فى الكلام وسيف الحنيفية قد دخل عليهم فلما عاينوه فلم يبق أحد الا وثب اليه وسلم عليه فجعل الملك ينظر اليه بعين السرور حتى قرب منه فهنالك نهض الملك من مكانه وأجلسه إلى جانبه وقال مرحبا بالوجه الصبيح ومن شد دين المسيح ما الذى جاء بك فى هذا اليوم اليوم من التعب ومما جاهدت فى كلب العرب فقال اعلم أيها الملك ان الذى جاء بى إلى حضرتك فى هذا الوقت أمر عجيب فقال الملك ما هو فقال اعلم انى لما وصلت من عندك الى البستان كما جرت عادتى وكنت تعبان على انى غالبا ولم أكن مغلوبا الا من ثقل الحديد والحرب الشديد وما صدقت بالراحة فما غفلت عينى حتى رأيت المسيح وبشرنى ببشاره وحملنى اليك أمانة فقال الملك وقد تغرغرت عيناه بالدموع

عجل برسالتك يا ولدى فقال أيها الملك انى قد رأيته وقد أوصانى انى أجد فى قتال أعداه وقال لى أنك ما تصل الى أمير السودان حتى تقرب لنا قربانا فقلت عدا أنا أذبح مائة رأس من الخيل فقال وما ذاك طلبت فقلت ألف فقال ولاذاك فقلت وما أفعل فقال اذبح الذين أسرتهم فى مذبح شمعون الصف الذى فى دير مريم الكبرى فقلت السمع والطاعه وكان هذا الدير بينه وبين حصن يانس المتغرب ساعه واحدة والروم تحمل اليه النذور من سائر الجهات فلما سمع الملك قال وماهى الاشورة مليحة فقال سيف الحنيفية وقد وعدنى فى غداة غد بالنصر وأن أدخل الحصن وأملك عبد الوهاب وأمه وأمرنى أن أذبحهما فى المذبح الذى أذبح فيه أبو الهزاهز وأصحابه ففرح الملك بذلك وكذلك ملوك النصرانية وصلبوا على وجوههم وقالوا هذه منزلة ما نالها أحد من المسيح الا هذا الغلام ولكن من جاهد تلك المجاهده وخصه الله بهذه المشاهده فقال الملك هذه الرسالة لى خاصة والا الى الملوك جميعها فقال أيها الملك أنه قال لى أمضى الى الملك منويل وقل له خذ ملوك الروم معك وذكرهم لى فردا فردا فلما سمعوا ملوك الروم قبلوا التراب عن آخرهم ولم يبق منهم أحدا الا حمل الى سيف الحنيفية المال الجزيل والخلع والتحف حتى صار بين يديه أموال كثيرة ثم قال الملك فما الرأى قال المسير معى الى الدير ومذبح شمعون الصفا بحيث لايلحقهم سواكم الا أن يكون أبونا البترك فقال البترك أنا ما أجىء لان المسيح ما ذكرنى فقال سيف الحنيفية صاحب الدار لايحتاج الى الدعوى وأنت يا أبونا خليفة المسيح تدع الناس اليه ففرح البترك ووثب الملك من وقته وساعته والقوم معه وهم آمنين وسار سيف الحنيفية إلى البستان ودخل الى أبو الهزاهز وضيغم وطارق الحجازى وقال لهم أنا فعلت من الامر ما هو كذا وكذا والمكان الذى سائرين اليه أقرب الى الحصن من عسكر الروم وقد أخذت أربعة وعشرين ملك والبترك وهذه نوبة ما تم للاسلام مثلها وكل واحد يحمل يده الى وراه ويشك بعضه فى بعض وسأعلق السيوف فى رقابكم وأقول للملك اضرب كل واحد بسيفه واذا وصلت الى الدير وحصلنا فيه نغلق الباب وليس فيه أكثر من عشرة رهبان فيهوى كل واحد منكم الى سيفه الذى فى رقبته وكذلك أنا وان شئتم اعتزلوا فأنا لهم ولو كانوا فى عسكرهم فقال أبو الهزاهز طب نفسا وقرعينا فما فينا أحد الا هو بهذا القول مليا فعند ذلك حل كتافهم وأمرهم بتشبيك أيديهم وخرج بهم فنظر الملك الى أبو الهزاهز وقال ويلك يا أبو الهزاهز ظننت أنك اذا أسلمت يغفل عنك

المسيح بعد ما تنصرت رجعت إلى دين الاسلام ثم نظر الى ضيغم وقال له ويلك ياخبيث الساعة ينقاد أبوك الى الموضع الذى تنقاد اليه ونظر الى طارق الحجازى ولم يرى أبو محمد البطال فأنكر ذلك فقال وأين اللص المحتال الذى أحرق قلوب النساء والرجال المسمى بالبطال فقال سيف الحنيفية اعلم أيها الملك أن السيد المسيح ماأمرنى فى هذه الليلة بقتل البطال بل قال لى كيف يكون عندك حتى أنجز لك أمره ويصلب على باب الذهب حتى تشتفى منه أهل البلاد فقال الملك وحق المسيح إن هذا أكبر شهرتى ولقد علم المسيح مافى سريرتى ثم ساروا القوم حتى وصلوا الى الدير فطرقوا بابه فرأوهم الرهبان وقالوا لهم مالكم فنادى لهم البترك : افتحوا فلما عرفوه نزلوا وفتحوا الباب وجعلوا يمرغون على أقدامه ويقبلون يديه حتى دخلوا الجميع إلى داخل الدير ثم غلقوا الباب وقدمت الثلاثة الى ضرب الرقاب فأشار اليهم سيف الحنيفية بعينه وأبوالهزاهز طارت عيناه فى أم رأسه وضيغم وطارق فصاح ويلكم الساعة نضرب رقابكم فوثب أبوالهزاهز مثل البعير إذا حل من عقاله وأخذ السيف من عنقه وقال يابنى اللئام هذه الليلة عليكم أيشم الليالى فأديروا كتافكم وإلا أمكنت منكم الحسام ثم صاح ضيغم وطارق وحققت الحقائق وصاح سيف الحنيفية : الله أكبر فبقى الملك باهت وجعل يقول لهن وهم بين يديه ياويلكم إحنا فى منام أم هذه أضغاث أحلام ثم قال ياويلك ياسيف الحنيفية ماهذا الجنون فقال ياويلك يا كاب الروم فهل ثم إلا الشريعة الاسلامية والملة المحمدية وأنا قد كشف الله عنى الغطاء ونلت غاية المنى وأنا ابن عبد الوهاب وأمى ميرونة بنت البترك حملت بى من أسود بنى كلاب وهذه حالة لا تخفى على جميع الأنام فوالله إن صاح منكم صايح أو ناح منكم نايح لأتركن رأسه طايح فسلموا نفوسكم قبل أن تسكنوا رموسكم فخار الملك ومن معه من هذا الامر وقبضت الملوك على مقابض سيوفها طمعا أن يمنعوا عن أنفسهم فصاح بهم أبو الهزاهز تطمعون أن تسلمون وتحسبون أنكم تنجون ويلكم انكم سوف تندمون إذا رأيتم السيوف فى رقابكم ونواعم أبدانكم ثم ان أبو الهزاهز جرد سيفه وضرب اصطفانوس على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه فلما نظروا الملوك ذلك أيقنوا بالهلاك فأرموا من أيديهم السيوف وسلموا أنفسهم طائعين فنهض الأمير ضيغم والأمير طارق وجعلوا يكتفوهم وما كان لأبوالهزاهز إلا انه قصد الى البترك فقبض عليه ولطمه على قمته حتى ورمت رقبته فقال البترك أنا ما قلت لك إن المسيح مادعانى قلتم بل أنت صاحب الدار حتى وقعت فى البوار

وما انهزم أسود بنى كلاب إلا اخبثاً منه وخديعة وإلا لوأنه بارزه الموت ماانهزم منه (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم شدوا الكل كتاف وقال لهم سيف الحنيفية سوقوهم بين أيدينا واطلعوا الى الحصن ففعلوا ذلك وساروا طالبين الحصن وأمروا أبوالهزاهز أن يتولى سوقهم فساقهم قدامه وصاركلما وقف واحد منهم ضربه بالسيف صفحا حتى وصلوا الى الحصن (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من الأمير أبومحمد البطال وغلمانه فانهم ساروا حتى وصلوا عسكرالمسلمين الذىللرشيد وقال لغلمانه تفرقوا حول سرادق الرشيد ففعلوا ذلك حتى لايفطن بهم أحد ولازال أبومحمد البطال يتخطى المضارب ورقاب الأبطال حتى انه وصل الى سرادقالرشيد فوجد بعضالشموع موقودة والرشيد جالس وأرباب دولته حاضرين بين يديه ومالهم حديث إلا فى سيفالحنيفية وشجاعته على صغرسنه وانهزام الأميرعبد الوهاب بين يديه فقال الرشيد والله ماخذل عبدالوهاب إلا عجبه بشجاعته وبغيه على القاضى عقبه ولابد من أخذه غدا من ملك الروم وأشهره فى العراق حتى لايطمع أحد فى النفاق وان قتلتم ملوك الرومأخذت رأسه وأشهرتها فى بلادالاسلام حتى يعلموا أن هذا آفة البغى والمخالفة فانى مارأيت قط أذل منه لما انهزم وانهدم ركنه بأسر ضيغم وأبوالهزاهز وطارق الحجازى والبطال وأرسلت أطلب منه عقبة فلم يفعل إلا انه انهزم فقالوا له جميع الأمراء ياأمير المؤمنين مابينك وبينه إلا غداة غد ويسقوه الروم كاس الردى والنكد فقال مسرور والله إن كان ذلك كما ذكرتم فلابد للروم مايغدروا بكم ويطلبوا بعد ذلك حربكم فقالت أرباب الدولة والأمراء وما عسى أن يغدروا ويصنعون وفينا رجال وأى رجال بسيوف حداد ورماح مداد وسواعد شداد ونردهمصاغرين ونعود إلى ديارنا فرحين مستبشرين فقالالرشيد ياجماعة وما أمنت الروم على أنفسها من السرقة والاحتيال إلا بأسر أبو محمد البطال وبالله أقسم إنى ماأمنت على نفسى إلا من حين أسروه فعندها قال الأمير عمرو بن عبيد الله: يامولانا هون عليك الأمر فان أبو محمد أحقر الرجال وأذل الأبطال وانما لايسرق البطال إلا راهب من صومعته أو امرأة من دير أو صبى من طريق أو واحد فى بحر الكرى غريق وإلا هو أحقر من يدور بواحد منا ولا سيما أمير المؤمنين حرسه الله تعالى وأقول إن الله تعالى ما ابتلى أبومحمد بالأسر والإذلال إلا بكذبه على القاضى عقبة العابد الزاهد كما يشنع عليه بالكفر والطغيان فأخذه الله أخذ القرى وهى ظالمة ثم قام عمرو ومضى إلى خيمته وتفرقت الناس إلى خيامهم وأما

أبو محمد لما سمع من الأمير عمرو ماسمع أقبل على غلامه سبك وقال له ويلك ياسبك غير لحيتك وامضى من وقتك الى عمرو وقل له أنا رسول اليك من القاضى عقبه فانه ضمن لى بثلثمائه بطريق من بطارقة يانس مال عظيم وخلصوه من القيود وأوعدوه بتسليم الحصن الى الرشيد وقل له ان القاضى عقبة واقف على باب السر الذى للحصن ويقول لك انك تسير اليه بنفسك فى هذه الساعة العجل العجل قبل فوات الأمل فانه يريد يدبر معك الأمر فى أخذ الحصن ويكون لك المنزلة العالية عند الملك أمير المؤمنين فقال سبك السمع والطاعة وسوف ترى مايسرك إن شاء الله تعالى ثم ان سبك ركب لحية بيضاء وتزيا بزى بطارقة يانس المتغرب وسار حتى دخل الى الخيام وقصد بنى سليم وهو يقول من يدلنى على خيمة الأمير عمرو أمير الأمراء فسمعه عمرو فطلبه فأحضره بين يديه فقال له الأمير عمرو ماحاجتك أيها الشيخ فقال له ما أقول لك حاجتى إلا سرا بينى وبينك كما أمرت فانه أخذ علىّ العهود والمواثيق والايمان فعندها أمر عمرو من حوله بالانصراف فلما خلى المكان أعاد سبك عليه جميع ما قاله البطال فلما سمع الأمير عمرو ذلك الكلام كاد فؤاده أن يطير من الفرح وقال هذا هو المراد ومسرة الفؤاد وقال والله لئن فتح الحصن على يدى لأعرفن قدرى عند الرشيد فلا أعدمنى الله إحسان القاضى عقبة وقال له أيها البطريق أمهل حتى أمضى الى الرشيد وأعلمه بذلك وأشاوره فيما أعمل فقال سبك ما أوصانى عقبة بذلك فانه يريد أن يتفق معك على عبد الوهاب والى من يسلمه له فقال عمرو فهذا هو الرأى وخرج من خيمته وسار مع سبك حتى وصل الى وادى قريب من الحصن فوجد أبو محمد وغلمانه هناك فقال سبك يامولاى هاقد جئتك بالأمير عمرو فقال البطال لغلمانه دونكم وإياه أوثقوه كتاف فبهت الأمير عمرو ثم قال البطال والله يا أمير مانسرق إلا راهب من صومعته أو امرأة من دير أو صبى من طريق أو نائم فى بحر الكرى غريق وإنما الحاجة داعية اليك فقال عمرو يامولاى لاتؤاخذنى بعثرات اللسان وماهى الحاجة فقال البطال إن الأمير عبد الوهاب بذل لملك الروم فى ضيغم وطارق وأبوالهزاهز مال عظيم وهو خمسون ألف دينار فقال ملك الروم أريد على ذلك زيادة وهو أمير من أمراء العرب يكون مسموع الكلمة وقد وقع الاتفاق عليك فعند ذلك أيقن بالعطب ومد عينه فرأى معهم شخص آخر مشدود على بغل فقال من هو هذا الشخص المشدود معكم فقالوا هذا أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وقد أخذناه والآن عندنا فى الحصن عرس ونريد أن يحملنا بحضوره

ليكون له الثواب ثم ان البطال قال لغلمانه سيروا بنا على بركة الله وعونه ثم ربطوا عمرو خلف الرشيد على بغل فلما رأى الرشيد الى عمرو ضحك فقال الرشيد من يتجارى على العيارين فى مجالس الخلفاء يصبر على هذا البلاء فقال عمرو يامولانا هو أنا علمت أن هذا الشيطان قاعد بالمرصاد وكان السبب فى أخذ الرشيد أن البطال لما فارق غلامه سار إلى سرادق الرشيد وأمر غلمانه أن يتفرقوا حول السرادق فى زى الحراس ولم يزالوا يرصدوا حتى نهض الرشيد الى الخيمة الصغيرة التى فيها ينام وما نام حتى تقدم النطال ولؤلؤ الى وتد من أوتاد الخيمة فقلعاه ودخلا على الخليفة وكانوا غلمانه نيام وهم مطمئنين لأنهم فى وسط العسكر العظيم وكان الرشيد قد غرق فى نومه فما استيقظ إلا والأكرة فى فمه فكتفوه كتافا شديدا وحملوه فى الحال وخطوا رقاب النيام إلى أن أخرجوه ظاهر العسكر والخيام وهو الموضع الذى ذكرنا أنهم اجتمعوا فيه وهم لؤلؤ وسبك غلام أبو محمد البطال وساروا جميعا إلى أرض الحصن فكان بالأمر المقدر أن ساعة وصولهم الى باب الحصن كان بالاتفاق العظيم مع وصول ضيغم وسيف الحنيفية ومعه ملوك النصرانيه رالبترك وأبو الهزاهز وطارق وكل واحد من هؤلاء يسوق قدامه جماعة فلما اجتمعوا على باب الحصن رأوهم الحراس نادوهم من أنتم فقال أبو محمد البطال افتحوا الباب فقد جمع الله بين الأحباب ومنّ علينا رب الأرباب وأنا أبو محمد البطال فهنالك مضوا الحراس إلى الأمير عبد الوهاب وأعلموه بذلك الخطاب وكان الأمير لما عاد من قدام ولده من الميدان قال لأصحابه اعلموا أننى ما انهزمت من قدام هذا البطرق فزعا من الموت وانما هو ولدى وحشاشة كبدى وقد جمع الله بيننا فشاع الخبر فى الحصن إلى أن وصل إلى الملعون عقبه فقال هذا كله محال ولايدخل فى عقل عاقل من الرجال وأن الحراس لما أعلموا الأمير عبدالوهاب بقدوم الأمير أبو محمد البطال ومن معه من الأبطال فقام بنفسه وفتح باب الحصن وكانت الأميره إلى جانبه خوفا عليه من حيلة تصل اليه فلما فتح الباب كان أول من دخل أبو الهزاهز وضيغم وطارق وكل واحد منهم قدامه جماعة من الملوك يسوقهم إلى أن دخل الملك والبترك ودخل بعدهم سفي الحنيفية وفرح به أبوه وضمه إلى صدره وأيضافرح بأسر الرشيد وأسر ملوك الروم (قال) وأبو محمد قال أيها الامير أنت رجل مسعود وما يعاديك أحد إلا وينصرك الله عليه ولكن أشتهى منك أن لاترمى عينك على الرشيد حتى أقول لك ماتعمل فقال الامير سمعا وطاعة فعندها أمر الامير أبو محمد البطال غلمانه برفع الرشيد إلى بعض الاماكن وبعد ذلك قال أبو محمد

البطال أريد أمضى الى عند اللعين عقبة وأفتت كبده ولايقول أحد أن الرشيد عندنا ولا عمرو فقالوا سمعا وطاعه ثم أن البطال أمر برفع الأمير جعفر والفضل بن الربيع إلى عند الخليفة الرشيد ففعلوا الغلمان ذلك فلما دخلا على الرشيد جعلا يقبلان الأرض بين يديه والرشيد يضحك ويقول لهم والله أردت الساعة أسأل عليكما ونظر الرشيد الى تذلل جعفر بين يديه فرقّ قلبه عليه فقال أهـــلا وسهلا بالوزير الأجل الرفيـع المحـل مضى ما مضى ولا بقيت أسمع فيك كلام أحـد أبدا فقال لا كلام حتى نخلص من هذا المـكان ثم قال جعفر إنى أحدثك يا مولانا بحديث عجيب قد سمعته فقال الرشيد وما هو فقال جعفر إنى سمعت أن الفارس الرومى الذى كان هو والأمير عبد الوهاب فى الميدان هو ولد الامير عبد الوهاب فقال الرشيد أحق ما تقول فقال أى وحق رأسك يا أمير المؤمنين فقال له وكيف ذلك وما السبب الذى ظهر منه أنه ولده فقال الفضل سمعت أنه من ميرونه بنت البترك فقال الرشيد والله أنا عجبت أن يكون هذا الثعبان الأرقم إلا أن يكون من هذه الحية الرقطاء والله بعيد عن الروم أن يكون فيهم هذا الجنس وهذه الثمرة فهم فى الحديث وإذا بأبو الهزاهز دخل إلى داخل الحصن والى جانبه سيف الحنيفية فلما فتح الباب التقى بوالده عبد الوهاب فسر به سرورا عظيما وقال له أهلا وسهلا بسيف الحنيفية فقال أبو محمد أحسنت أيها الامير هذا هو الاسم الحقيق ثم ان البطال أخذه ودخل به الى الرشيد فقال سيف الحنيفية للرشـــيد يا هذا ايش عمل أبى معك من الشر حتى تجيش عليه الجيوس وتقصده بهذه العساكر تريدنى أن أعلو رأسك بهذا الحسام ثم وضع يده على قائم سيفه فمسك أبو الهزاهز يده وقال له لاتفعل يا مولاى وان كان ولا بد فاضربه بهذا العامود حتى اذا انكسر منه عضو يكون عنده من يداويه والا ان ضربته بالسيف يموت وربما يقع علينا من الامير عبد الوهاب العتب (قال الراوى) فلما سمع الرشيد من أبوالهزاهز هذا الخطاب طار الدم من وجهه وقال يا أبوالهزاهز ايش هذا القول خذ هذا العامود من يده فأنا والله أتألم من عود ريحان فلعل ينصلح الحال مع الامير عبد الوهاب فانه عندى أعز من جميـع الخلق وخرج سيف الحنيفية وهويقول وحق ذمة العرب لابدلى من قتله ودع يكون ما كان هذا والخليفة أشرف على الموت من شدة الفزع ولم أمن على نفسه قال ترى يا قوم ان ملك الروم جاءه معهم كماقالوا فهم فى الحديث والكلام وأبو محمد دخل عليهم ومعه الملك منويل وسائر ملوك النصرانيه وقصد بهم المطموره التى فيها عقبه وقعد عنـــده وقال

كيف رأيت يا قاضى عقبة وكيف أنت قال بخير إذ لم أرى شخصك فقال له البطال طب نفسا وقرعينا فقد علمنا شوقك الى ملك الروم فجمعنا شملك به وعولنا غد على ضرب عنقك وعنقه فهم فى الكلام وإذا بالسودان دخلوا على هذا المكان وهم يقودون ملوك الروم واحد بعد واحد الى أن حصلوا عنده الجميع ثم اتى أبو الهزاهز وهو يسحب بدقن البترك وهو يقول ما حملك أيها الشيخ السوء ان ترجع عمرك تنصر أحد ولكن بعد ساعة تبصر مايحل بك فلما جلسوا الكل عند عقبة كادت مرارته تنفطر وقال لملك الروم بعد ما سلم عليه كيف ما صار هذا الملعون ولد الأمير عبد الوهاب فقال الملك منويل الأمر صحيح لاخلاف فيه وأنه ولده من ميرونه بنت البترك وقد جرى علينا من الأمر ما لا أقدر أصفه فقال عقبة وحق المسيح هذا كله بغيبتى عنكم وبعدى منكم وقد ضاقت على الدنيا لاجل ما جرى عليكم ولكن أنا خائف على العساكر التى بقيت كالغنم بلا راعى ولا لها من ترجع اليه ولاتعول عليه ولا آمن عليهم من الرشيد ان يدهمهم بالعساكر والجنود ويعود عليهم بغدره مع ما عندهم من الغم من فقدكم فلا يجتمع منهم اثنان والرأى عندى مداراة القوم والدخول على الامير عبد الوهاب وأرغبوهم فى المال فانها تجتمع الا لمثل هذه الأحوال وتصالحه وتعود الى قتال الرشيد وإذا صالحتهم على قتال الرشيد جاءك الامر على ما تريد وأنت اذا وزنت المال لعبد الوهاب ولو عشرين قنطار ذهب ما هو كثير على سلامتك وسلامة أرباب دولتك واذا كسرت الرشيد أخذت منه ومن الذى عنده أضعاف ذلك ولو لم يكن من الأمر الا أنك أقل ما تقتل من المسلمين عشرين الف فيكون كل واحد مسلم قتلته بدينار وتربح النصرانية منه ولك الأجر والثواب فقال له وكيف السبيل الى الصلح مع عبدالوهاب بعد ما وصل بنا الى هذا المكان وأصابنا هذا المصاب فقال له عقبة اعلم ان المال يلعب بعقول الرجال فقال للسجان صيح على أبو محمد البطال فبادر السجان الى أبو محمد البطال وأعلمه بالحال فاتى اليهم وقال لهم ما بالكم فقال عقبه اعلم يا أبو محمد اذا قتلت أنا ما علينا من شىء وان قتل ملك الروم تبقى النصرانية بلا ملك وتشتهى منك أن تتوسط للملك فى الصلح مع الأمير عبدالوهاب والفداء عليهم كلهم وكلما يطلب من المال ونرجع الى عسكر الرشيد ونطحنهم طحن الحصيد فقال الامير أبو محمد أنتم تعلمون ان عبد الوهاب سفاك الدماء وما قصده مأسور يقع فى يده ويأخذ منه فداء وما بقى الا أن تلعبوا بعقله بكثرة المال فان أجاب الى ذلك انما

يكون لتحصين آجالكم لانى رأيت فى نفسى أنه عندالصباح يضرب رقابكم على الحصن وكذلك قال لعقبة فكم يكون لى عليك من المال لعله أن يقبل منى فيكم سؤال فلما سمع الملك ذلك قال له على كل ماتريد وعلى الملوك كل واحد خمسة آلاف دينار وعلىّ أنا قدرهم كلهم فلما سمع أبو محمد كلامه قال له ويلك أنا عفوت عنك إكراما للملوك وإلا فما الرشيد عندنا حاضر حتى أكرمك لأجله فقال عقبة لو أكرمت الرشيد ماضربت فى وجهه بالسيف وكنت تخلى الأمر بينه وبين الروم ويعطى الله النصر لمن يشاء فقال أبو محمد وحق النبي المنتخب لابد ما أسرق الرشيد ولو كان فى عمرى يوم واحد وأبيعه للروم حتى لايرجع يعمل فى حق شيء فضحك عقبة وقال ياأبامحمد من أين لك قدرة على ذلك وهو فى غاية الحفظ فقال إذ لم يكن فى هذه السنة يكون فى السنة الآخرى ثم إن الأميرمحمد خرج الى الامير عبد الوهاب وعاد عليه ماجرى وقال تأخذ منهم غناك الىأبد الابد وأى وقت أردنا أخذناهم ونخلص علوى وولدها أحب الينا من الجيش النحس فقالت الأميرة والله صدقت ياأبا محمد افعل مابدا لك ثم قال البطال اعلمى انى قد عولت على هتك سترعقبة فقالت وكيف ذلك فقال سوف ترى العجب ثم وثب وأخذ معه الاميرعبدالوهاب والاميره ذات الهمة وأبوالهزاهز وضيغم وهياج الكردى ودخلوا على الرشيد وفى أيديهم السيوف المجردة فلما أن رأى الرشيد الى ذلك وثب قائما على قدميه وقال ياأبا محمد علىماذا عولت قال قدعولت على أمر لك فيه الصلاح لأن سيف الحنيفية أراد قتلك لأنه قال ما تركنى أكفر بالرحمن وأعبد الصلبان إلا الخليفة الرشيد لأنه أراد أخذ أمى ميرونه بعدماحملت بى وقبض أبى وعمى وحملهما طالبين بغداد فأخذتهم الروم فى الطريق وجعلت فى بلاد الروم وجئت أنا فلولا كان السابق فى علم الله تعالى لما رجعت عن دين النصرانية ولابد من قتله لامحالة ولقد اشتريتك منه بمائة دينار والأمر اليك يا أمير المؤمنين فرفع الرشيد رأسه الى سيف الحنيفية فوجد عيناه فى أم رأسه قد انقلبت وهو ينظر اليه كنظرة الأسد فلما رأى الامام ذلك قال الأمر كما ذكرت ولك أنت عشرة آلاف دينار فالتفت الى سيف الحنيفية وصار يتكلم معه كلام سركأنه يدخل عليه ثم بعدذلك التفت البطال الى الفضل بن الربيع وقال له أقسم بالله لقد توسطت اليك فى خمسين ألف دينار بعد جهد لأننى لا أدرى من أعلمه انك أنت الذى جئت إلينا وأمرت بالقبض علينا وإن لم تزن بأفضى هذا المال فاعلم انك مقتول لامحالة فقال الفضل ياأبا محمد سمعا وطاعة ولك حق طريقك خمسة آلاف دينار وأعرف لك الفضل علىّ

والمنة ففرح البطال بقوله وقال هذا أمر قد انبرم وبقى حال الروم وسائر الملوك فقال الرشيد ويلك وأين الملوك فقال عند صديقك عقبة وكل ملوك الروم أتوا ليسلموا عليه فقال الرشيد إن كان كلامك صحيح فأنا أقتله ولك عندى الجائزة وأرتب لك فى كل سنة خمسة آلاف دينار وتفوز بها على حالك وأريد منك يا أبو محمد البينة تقيمها على عقبة انه كان يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر العصير ويكفر بالرب القدير وأنا ما أخرج من هذا الحصن حتى أفعل به مايغم الصديق ويشمت العدو فقال أبو محمد لك ذلك ثم ان الرشيد أعطاهم خاتم الأمان وأقطعهم أرض السويدية وسجستان ففرحوا بذلك وجعل يتحلل منهم ثم قال لهم ائتونى بالأمير عمرو بن عبيدالله حتى آخذه معى فارسلوا جاءوا به فى الحال فلما رآه قال له قم معنا حتى تشرف على فعال عقبة الذى تشد منه فقال سمعا وطاعة ثم قال بالله عليك يا أبا محمد لاتردعلى ولاتصادرنى فان أموالى أخذتها الروم وساروا الكل الى الموضع الذى فيه عقبه وملوك الروم فقال البطال يامولاى وأنت وجعفر وعمرو قفوا هنا حتى تروا ما قد قلناه ثم دخل البطال وعبد الوهاب وأبو الهزاهز والسيوف فى أيديهم مشهورة فلما نظروهم على تلك الحالة فزعوا منهم وماتوا فى جلودهم إلا اللعين عقبة فانه لما رآهم لم يفزع ولم يخاف فقالوا أيها الشيخ النجيح قد متنا من الفزع وأنت لم تفزع فقال عقبة وحق المسيح ما قصدهم منكم إلا المال وما يقتلون منكم أحد ثم جعل يظهر الفرح والسرور ويقول أنا لو ضربونى بكل خشبة على وجه الأرض ما أرجع الى دينهم ولا ألقى المسيح إلا بوجه نقى غير شقى وأما قتلى فما يقدرون عليه لأن المسيح سخر لى خليفتهم ألعب بعقله كل يوم وهو يسمع منى ولا يلتفت اليهم ولا لقول عبدالوهاب وأبو محمد البطال وأنا أعمل على خراب بيوتهم وأنا عندهم فى طبقة الأولياء وهذا كله من معونة المسيح والخليفة جالس فى موضع يشرف على الجميع فلما سمع كلام عقبة وعقبة لايراه قام شعر بدن الرشيد وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم والله جميع ما قالوه عنه صحيح وقد كنت على غاية الخطأ مع رعايتى لهذا الملعون ثم جلس أبو محمد وجلست الأمراء فقالوا الآن اقطعوا على أنفسكم المال وقد انصلح الحال وإن أردتم تشتروا منا عقبة فافعلوا وكان يعلم الرشيد انهم يشترون عقبه بالأموال لأجل رغبتهم فيه فلما قال أبو محمد ذلك قال الملك منويل ما الذى تريد من المال فقال أريد من كل واحد من الملوك مائة ألف دينار ومن الملك منويل مثلهم كلهم فقال الملك رضيت بما قلت وأوهبنا الشيخ عقبة يخرج معنا فان أراد العودة الى بلادنا وإلا وصلناه

بلاد الاسلام فقال عقبة أيها الملك وحق المسيح مابقى لى رغبة فى الاقامة فى بلاد الاسلام لأنى قد ضجرت من أكل السياط وأنا كل يوم فى عياط وأعاشر من لاأريد وهو على صعب شديد ولا أقيم إلا فى كنيسة سوفيا الى أن يأتى الموت فقال أبو محمد قد أجبناك فى القاضى عقبة بشرط أن نريد منك علوى وولدها إبراهيم فقال الملك وحق المسيح ماعندى منهما خبر فقال أبو محمد رضينا بذلك لكن نخاف أن يرجع القاضى عقبة إذا تخلص يردك عن طلب ابراهيم وأمه علوى فقال عقبة ياأبامحمد أنت تعلم أنى اذا حلفت بدين النصرانية أكون صادقا وأنا أقسم بماريحنا المعمدان ومريم والصلبان لابد لى أن أعاون الملك على خلاص علوى وولدها ابراهيم (قال الراوى) فلما سمع الرشيد كلام عقبة لم يجد صبرا عنه وهم أن يصيح فمنعه الوزير جعفر وقال يامولانا اصبر على القوم الى الآخر فهذا مايفوتك لأنك ان دخلت عليهم ينفسد الحال ولا يحصل لهم مايريدون من الحال فقال الرشيد لابد لى من الدخول عليهم حتى أوافقه على فعله وقوله فقال جعفر هذا فيه انكسار لهيبتك وانحطاط لمنزلتك لأنك مقبوض عليك وكان قصد جعفر انبرام أمر الروم وانهتاك ستر عقبة فانه رهن على علوى وولدها ابراهيم وتقرر الحال وجرى العهد على الأمير عبد الوهاب إنه متى وصل المال أطلق الملوك إلا عقبة فانه مرهون على علوى وولدها إبراهيم وطلب عقبة الخلاص فلم يقدر على ذلك وأرسل الملك خمسة أنفس من أصحاب يانس وخمسة من أصحاب عبد الوهاب وأعطاهم خاتمه وخواتم الملوك وعلامة للروم ومعهم البترك يحمل المال الذى عليهم (ياساده) فهذا ماجرى ههنا . وأما ما كان من الروم فانهم لما أصبحوا وعدموا ملوكهم صعب عليهم ذلك وكذلك المسلمين أيضا لما فقدوا الرشيد هموا بالرحيل فجاءوهم الجواسيس وأخبروهم بعدم ملوك الروم فطمع بعضهم فى بعض وامتلأت الدنيا بالركض وجردت القواضب وعمت المصائب وزحفت عساكر الروم على عساكر الرشيد وارتفع الغبار وزاد الصياح فسمعوا أهل الحصن ذلك فقلقوا على القتال وخاف الرشيد على عسكره فأدعا بالبطال وقال له الله الله فى عساكر الاسلام وكن سبباً الى طلوعى الى المسلمين كما كنت سببا فى مجيء الى هذا المكان فقال البطال والله ماجئت بك الى هنا إلا حتى أطلعك على أمر القاضى عقبة ثم إن البطال دخل الى ملك الروم وقال له اعلم أن القتال وقع بين العسكرين وأنتم فى أسرنا والمال ما وصل وماندرى يكون النصر لمن والرأى عندى أن ترسل بعض الملوك الرومية مع القوم الذين يقبضوا المال من مدينة القسطنطونية

أن نفعل ذلك وإنما كان الذى جرى بيننا على سبيل المباسطه وأنت أكرم من عفى ولا فى حكمك خفى فقال الرشيد وحق النبى المصطفى لابد من حمل المال الى الأمير عبد الوهاب والى ولده سيف الحنيفية حتى يجتمع له بها رجال ويستخدم بها أبطال ونقطع له بلاد شمشاط وأرض هيلان ويكون ركنا لنا وللمسلمين ويعز الله به المؤمنين فقال عبد الوهاب وقد فرح بكلام أمير المؤمنين الأمر أمرك يا أمير المؤمنين فانظر ماذا تعول عليه فأنا مبادر اليه فقال الرشيد أنا أمضى وأنتم مقيمون إلى أن يأتى المال وتطلقوا من عندكم من الرجال وتسلموا لى عقبة حتى أوبخه وأبصق فى وجهه وأسلمه إليكم بحيث تراه الناس وما شئتم بعد ذلك فافعلوا به فلا رحم الله من يرحمه وانى قد حسيت بالمرض الذى يأتينى كل سنة وهو الفوالنج وأريد أن أمضى الى العراق وما أدرى ما يكون فقال الأمير عبد الوهاب إذا كان الأمر على ماذكرت فنحن نأخذ المال الذى يأتينا من الروم ونرحل فى صحبتك ونخلى سيف الحنيفية يمضى ومعه من بنى كلاب ألف فارس فان فيه الحماية والكفاية ويطلب الصناع وأرباب البناية من كل مكان من السرى والبلدان ويأمرهم ببناية ملطيه الى أن أخرج أنا من بلاد الروم ثم قال الأمير عبد الوهاب تمضى معنا ياأمير المؤمنين فقال لا بل أنت تمضى معى الى العراق فقال الأمير عبد الوهاب كيف أصبر عن زوجتى علوى وولدى ابراهيم فان فى قلبى من فراقهما النار وقد انقطعت عنى الأخبار واندثرت الاثار فقال الرشيد والله ياأمير وتربة قبر سيد المرسلين لولا شدة ما أحس به من الضعف وأريد أسير إلى بلاد العراق قبل ما يثقل علىّ ويشتد بى الأمر وإلا كنت وافقتك على ما تريد فقال الأمير عبد الوهاب أنا فى بركة أسلافك الطاهرين فعندها خرج الرشيد من عنده الى عسكره والأمير بين يديه ووقعت البشائر بخلاص الرشيد من عبد الوهاب وخلاص جعفر والفضل بن الربيع . هذا وعقبة ما عنده من هذا خبر والأحكام تجرى والمقادير فى الخلائق تسرى والحق سبحانه وتعالى يقضى والعبد بين ذلك أسير سخط أم رضى وأقام الأمير ذلك اليوم فى عسكر الرشيد ثم انه رجع الى الحصن وأطلق من كان عنده من الأمراء الذين كان أسرهم من عسكر الرشيد وأقام بعد ذلك عشرة أيام ووصل اليه البترك ومعه المال فى الصناديق على البغال فقدموه الى الأمير عبد الوهاب واصطلح مع ملك الروم وسائر الملوك سنة ونصف ثم قال لهم وعقبة رهن عندى على الشرط الذى جرى فقالوا نعم وسار ملك الروم وقد افتقر وهو لايصدق بالنجاة وسائر الملوك الذين معه وأرسل ملك الروم الى الرشيد فى معنى الصلح

فأجابه الى ذلك واستقر الحال وأرسل الرشيد الى الأمير عبد الوهاب يطلب منه عقبة فلما سمع عقبة بذلك أيقن بالفرج وجلس الرشيد فى سرادقه وأرباب دولته من حوله وأقام يترقب قدوم الأمير عبد الوهاب وركب الأمير وتجمل جمال عظيم وألبس ولده سيف الحنيفية ثياب الملك منويل وجعل ضيغم عن يمينه وقشعم عن شماله والأميره ذات الهمه من خلفه والأمير هياج الكردى وأبو محمد البطال بين يديه وأبو الهزاهز وسادات بنى كلاب وأحدقوا بالقاضى عقبه وهو مطلوق غير موثوق وساروا وما زالوا سائرين حتى دخل الأمير عبد الوهاب على الخليفة فعندها نهض له وأدناه وقربه وحياه وقال له مرحبا بك أيها الأمير المسعود الناصح لدين الملك المعبود ورحب بالأميره وأقبل سيف الحنيفية على الخليفة وعلموه كيف يبوس الأرض بين يديه ففعل ذلك وجعل الرشيد يدعو له بالتوفيق بعد أن خلع عليه خلعة سنية وقاد اليه الخيول العربية وأقبل عقبه فما رفع الرشيد له رأس ولا قربه وكان عقبه أخبث أهل الأرض وأدهاهم فقال فى نفسه والله ماتعودت من الرشيد هذا الاعراض وماهو إلا من الشيطان أبو محمد البطال أتى به الى الحصن وسمع كلامى فى حق الروم وشتمى للمسلمين وإقرارى بالكفر فان كان الرشيد سمع كلامى فما يسمعه فى دينه فالساعة يأمر بقتلى فمالى إلا أن أبادره قبل أن يوبخنى وبالكلام يدهمنى ولايسمع منى كلام ولا يقبل منى نظام فهو كذلك وإذا بالرشيد رفع رأسه ثم أشار إلى من حوله من أرباب دولته وقال قوموا الى هذا القرنان الذى يكفر بالرحمن ويعمل على هلاك أهل الإيمان ويطلب أن يهدم ركن الاسلام بنفاقه والعدوان واقلعوا عن رأسه هذا الطغيان واضربوه حتى تقع أضراسه مع الأسنان حتى يعتبر به كل إنسان وبعد ذلك اقتلوه بسيف أهل الايمان (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والأمر المطرب الغريب بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (ياساده ياكرام) فعندها وثب الملعون عقبة قائما على قدميه ورفع صوته وقوله تعالى : (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) ثم انه قال ياأمير المؤمنين ارحم شيبتى واكشف ظلامتى واسمع قصتى واضرب بعد ذلك رقبتى فلما سمع الرشيد مقالته قال له ويلك ياشيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهالة كيف أسمع منك مقال وأنت بين يدى كفرت بالرحمن وعضدت أهل الطغيان فقال ياأمير المؤمنين إن الله حليم لايعجل وجواد لايبخل أما تعلم أن حاكى الكفر ليس بكافر وأنا ياأمير المؤمنين ضربت بالخشب وبالسياط

ووضع القصب حتى فى أظافرى وسقيت الخل الجيد حتى كرهت الحياة ونسيت الدين وقالوا لى قول كذا وكذا واعترف بالذى نريد منك وإلا أوصلناك بهذا العذاب الى أن تموت فما بقى لى جلد على العذاب لأنى أشرفت على العطب فقلت فى نفسى الله يعلم صدق نيتى وصفاء سريرتى وما أمرنى الله بتلاف مهجتى وأكثر مما يعملون أن يشهدون على الفضل بن الربيع ومولانا أشرف عقلا وأكثر فهم أن يصدق هؤلاء على وأنا بعد مايعلم انى بين يدى الأعداء يعاقبونى صباحا ومساء وأنا شيخ كبير ومالى صبر على الضرب فقال الرشيد ياملعون أتريد أن تأكلنى بالكلام وأنت كفرت بالملك العلام فتحقق الملعون أن الحيلة مادخلت عليه فغاص فى بحر فكره وبحر حيله ومكره ثم رفع رأسه وقال ياأمير المؤمنين بينى وبينك موقف يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم المحاسبة يوم المناقشة يوم الطامة يوم الراجفة يوم الآزفة يوم الفراق يوم البكاء يوم المآب يوم الحساب يوم يصدر الناس أشتاتا يوم لايجزى الوالد عن ولده يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة يوم تنصب الموازين يوم تنشر الدواوين يوم يقتص المظلومين من الظالمين ويتجلى رب العالمين يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب وترى القلب خائف ولهان مرتاب فاختصم فى ذلك اليوم أنا وإياك ولايكون لى خصم سواك وأقول بين يدى الحق ظلمنى الرشيد وتعود شقيا بعد ماكنت سعيدا ياأمير المؤمنين ارحم شيبتى وانظر عبرتى وارحم شيخا قد أجهده الكبير والله لتقفن بين يدى الجبار ويقول لك هذا رجل من الأبرار سلطت عليه هؤلاء الأشرار وتنظر موقفك بين يدى من أهلك من الأمم الخالية وهو الذى بيده ملكوت كل شىء تقدس عن الجهات وجل عن المخلوقات شديد البطش عظيم العرش (ياساده ياكرام) ثم انه صاح صيحة عظيمة وغشى عليه فلما أفاق قال يا أمير المؤمنين كيف تشك فى أمرى وأنا حامل كتاب الله العزيز بالروايات المختلفات وأحفظ الأخبار المرويات وما حجتى عند الله يوم القيامة إذا أقبل على بالملامه وهو يوبخنى ومن ينجينى من موقف صاحب القيامه ومن يشفع لى إذا حرمت شفاعة سيد تهامه ؟ أم كيف اختار دين النصرانية على دين الاسلام فبحق من أسبغ عليك سوابغ إنعامه وخصك بفضله وامتنانه إلا ما كشفت عنى هذه الظلامه وإن كان ولابد من قتلى فيكون بحسامك وأنت فى حل من دمى ولا آخذك الله به اذا غص المحشر بازدحامه وتقسطل دخان النار بظلامه فما بقى من عمرى إلا دون مامضى من ساعاته وأيامه ثم إن الملعون بكى وأن واشتكى وكشف للناس بدنه وقال انظروا

إلى ما قاسيت من هؤلاء الظلمة والى هذا العذاب الأليم فلما نظروا الناس وأرباب الدولة الى ذلك بكوا رحمة له فقال الفضل بن الربيع والله لقد نصبوا على هذا المسكين ومابقى لنا مقام ما دام لنا خليفتين وتكلم داود الهاشمى والرشيد قد بهت من كلام عقبة واندهش كل من كان حاضر فقال الخليفة فى نفسه : كل هذا من تدبير البطال فلا كان ولا استكان ولا كانت ساعته ولقد أردنا قتل هذا الشيخ المسكين الضعيف وندخل النار بخطيئته (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن عقبة لما علم أن سحره تمكن من الحاضرين تماوت وتغاشا ووقع الى الأرض لايضرب بيد ولا برجل فلما عاين الرشيد ذلك قال للخادم رش على وجهه ماء الوردعسى يفيق فرش عليه ماء ورد وهو كالخشبة الملقاة فقال الرشيد وا فضيحتاه من الله تعالى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون ودخل ابنه مصعب وجعل يمسك شيبته ورأسه ويقول ياقتيل الظلم فلم يبق إلا من رق ورثى وبكى الأمير والأميره ونظروا الناس إلى أبو محمد وأضمروا له الشر فقال الأمير عبد الوهاب ياأبا محمد مات الملعون وتعود الناس تلعننا الى يوم القيامة فليته عاش ويأخذه الرشيد حيا والله لقد خجلت غاية الخجل وعرق بدنى من الوجل فقال أبو محمد وأنت الآخر تظن أن الملعون قد مات هذا والله خبثا منه ولعنه ثم وثب أبو محمد البطال وقال يا أمير المؤمنين الناس لهم الظاهر والله متولى السرائر وأنا أرجو أن ينجز الله فيه وحده ويحكم فيه بعدله وأنا لا أرجع أتعرض إليه فقال له الرشيد ياأبا محمد تريد تؤذى الأحياء والأموات فقال يامولانا فكأنه مات فائذن لى فيه وهو الساعة يقوم فقال له الرشيد دونك فتقدم الأمير أبو محمد البطال الى عند رأس عقبة وأوراهم أنه يقرأ عليه وكلمه بالرومى وقال له تقوم ياشيطان وإلا والله أحمى لك المكاوى بالنار وأعملها فى فؤادك (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع عقبه من الأمير أبو محمد البطال هذا الكلام علم أنه لا قدرة له على الكى بالنار ففتح عينه الصحيحة وبقى ينظر الى الناس بطرف مكسور فوثبت اليه أرباب الدولة وجعلوا يتمسحون به وأمر الرشيد أن يحمل الى بين يديه وقال له ياقاضى عقبه أنت وأخصامك تحضروا يوم القيامة واجعلنى فى حل من هذا ثم أقبل الرشيد على الأمير عبد الوهاب وقال له أنا أسألك فى هذا القاضى عقبه بحق قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تزيد على مرضى وكربى فبكى الأمير عبد الوهاب شفقة منه على الرشيد وقال له يامولانا إن أمرتنى سلمت نفسى لعقبة فأخذه الشكر والدعاء من أرباب الدوله فقال عقبه كل ما نحن فيه من أبو محمد

البطال ثم انصلح الحال (قال الراوى) فلما أصبحوا رحل الرشيد ومعه سيف الحنيفية فى ألف فارس ومعه الأموال التى أخذها من الروم وبقى الأمير منتظر الى خبر ولده ابراهيم وزوجته علوى وأقام على ذلك مدة وهو فى شدة وأى شدة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما كان فى يوم من بعض الأيام وصل قاصد من ملك الروم الى الأمير عبدالوهاب ومعه كتاب فأخذه منه وقرأه وفهم مضمونه ومعناه وإذا هو فيه أحسن الله عزاك أيها الأمير فى الزوجة والولد وأنا أقسم بدين المسيح والا برئت أيضا من دين النصرانية ان كان لى قدره على خلاص ولدك وأهلك لأن الأمر لايدرك والطريق لاتعرف والحال لايوصف وقد أرسلت الى سائر الجهات وأخذت العهود على سائر الملوك بالكشف عن خبر ولدك وأهلك فلم أسمع لهم خبر فلما أن كان يوم من الأيام ووصلت قافلة من وادى فى السرو والمروج وهو مرج العلق وهى ديار ماوصلها قط مسلم وهم فى آخر الدنيا وما خلفهم عمران ولا بجوارهم إنسان وهم لا يحصى لهم قدر ولاعدد إلا الذى خلقهم ولايقدر عليهم بشر وهم دروب وحصون عظيمة والدروب عليها باب صغير وعليه حجر على مقداره وفى أسفله من داخله ماء بارد إذا شربت منه الدابة يجمد شحم كلاها وتموت من وقتها وساعتها وهذا الدرب مسيرة يوم كامل ثم بعد ذلك يخرج منه الى آخر الوادى ويطلع الى ضياع ورستاق وقلعة مشرفة على ذلك الوادى وفيها ملك يقال له كيدروس وعدد عساكره مائة ألف ويسمون الشمسية لأنهم يسجدون للشمس إذا طلعت ويعبدوها إذا سقطت ووراء ذلك الوادى وادى يسمى وادى العلق ويخرج منه الى قلعة القرى وهى فى الجو شاهقة والى السحاب لاحقة وفيها ملك يسمى كندروس وهو أخو صاحب هذه القلعة الاولى وعسكره مائة ألف فارس يرمون بالنشاب على الحدق وبعد ذلك يخرج الى مرج التنور فى آخره قلعة من الحجر الأسود لايدب النمل عليها إلا وقع فيها واحترق وفيها أخو الملكين الاولين ثم بعد ذلك نخرج إلى مرج وبعده درب الظلمه وهو درب ضيق مظلم ولاسبيل لأحد على سلوكه إلا بالمشاغل فى النهار ومسيرته مسيرة فرسخ كامل وتخرج منه الى وادى الجوهر وهى أرض بيضاء كافوريه كأنها الفضة النقية وحصاها مثل الزمرد والماء الجارى فى جنباتها يتكسر والدوالى على عريش مسقف وفى آخره حصن فى قدر عموريه وفيه عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى وصاحبه على دين المسيح ثم بعد ذلك أيها الأمير تخرج الى وادى السباع ولايسلك هذا الوادى إلا جيش كبير والا أكلتهم السباع وفى آخره جسر عظيم من الحديد على نهر من الماء الاحمر كأنه الدم من أصل

الخلقه وتراب أرضها مثل الزعفران وصاحب قلعتها اسمه عين المسيح لأنه أعور والملوك الذى تقدم ذكرهم هم أخوته إلا أنه جبار عنيد وشيطان مريد وبعد ذلك تخرج من تلك الأراضى والقلاع الى مرج يسمى مرج الياسمين والرياحين وفى آخره قلعة اسمها قفقف ترى العجب اذا طلع اليها الطالع من علوها يتعب ويخرج من بعدها الى مرج يسمى روضة الرياحين وهو أحسن من المرج الأول وأكثر رياحين وهى كثيرة الأزهار من ريحان مكى وبنوفر برقى وبنفسج عكاوى وفيها الأشجار بأنواع الثمار فى الصيف والشتاء من سائر الفواكه وأنهار هذه الأدوية كلها تتدفق بالماء إذا أشرقت الشمس على الأقطار والأوراق مثل الستاير على الارض قدأطبقت وهى ديار قط ماطرقت وأيضا فى آخره حصن اسمه حصن الدولاب لايدرك ولايرام ولايجد الانسان اليه سبيل كأنه لاحق بعنان السماء وحوله عالم عظيم وعسكر غزير وهم رجال طوال الاجساد كأنهم الرماح الطوال أو من بقايا قوم عاد موصوفين بالشدة والبأس ولهم ملك اسمه الأشميطش التنورى أقوى أهل زمانه وأشجعهم وفريد دهره وأوانه وأنه فى القوة والكفر يرهب الابعال ويخاف منه صناديد الرجال وهو مع هذه القوة والشجاعة محتال غدار مكار لايصلى له بنار كأنه ابليس المصور ويلبس لبس النسوان ويتزيا بزيهم ويسرق بنات البطارقة واذا ضرب بالسيف لاترد ضربته خائبة ولا طارقه ينهب أموال الروم والعمالقه وهو أيها الامير جبار لا كالجبابرة ولا يرام وبطلا قوى الصدام شديد الضرب بالحسام (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا وقد ذكر ملك الروم فى الكتاب ان زوجة الامير عبد الوهاب علوى وولدها ابراهيم فى حصن الدولاب (ياساده يا كرام) وكان السبب فى ذلك أنهم لما وصلوا الى بلاد الروم ودخلوا بهم الى بلاد اليونان فوصلوا قوم من مرج التنور ونظروا الى علوى وولدها أسارى فاشتراهما لانه قط ما دخل تلك الارض مسلم ودخلوا بهما الى الحصن الثالث وقد أيسوا من خلاصهما وبلغ خبرهم الى الملك الاشميطش صاحب الحصن السابع فأخذهما عنده وكان يتقرب الى المسيح بضربهما وهما صابران للقضاء والأحكام (قا الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الخطاب بكى بكاء شديد ما عليه من مزيد وتأسف على ما أصابهما ثم أنه التفت الى أصحابه وقال لهم اعلموا أن الانسان صنيعة الاحسان ومن لم يكن فيه غيرة على الحريم فليس هو رجل كريم وأنا لا بد لى أن أسير الى هذا المكان وأطؤه وأطلقهما وأتوكل على الكريم الرحمن فان قدرت على خلاصهما بمال وزنته وان كان بقتال قاتلت وعلى الله توكلت فمن أراد

منكم أن يعود الى ملطيه فليعود ولاعتب عليه ومن أراد الجهاد فى سبيل الله تعالى فذلك اليه (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها قالوا كلهم عن لسان واحد والله ياأمير مانسير إلا بين يديك ولانبخل بأرواحنا عليك ولوخضت البحار لخضناها ولو ولجت النار لولجناها ولنا أسوة بك فلما سمع الأمير عبدالوهاب كلامهم سر بخطابهم وقال لهم بارك الله فيكم ونصركم على أعداءكم وردكم سالمين الى أهاليكم وبالخير يرضيكم فاذا كان الأمر على ما ذكرتم والحال على ما به قد أشرتم فالصواب أن نترك الأموال هنا فى حصن الأمير يانس المتغرب ونرحل نحن الى بلاد اليونان على بركة الله تعالى وعونه فقالوا له نعم الرأى قال فعندها كتب الأمير عبدالوهاب الى ملك الروم منويل كتاب يقول فى أوله : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى قد عزمت على الدخول الى الحصون وسوف يكون إن شاء الله تعالى ما يكون من قدرة الله وصح عندى انك قد أجهدت فى خلاصهم فلم تجد لك قدرة وكان الأمير عبد الوهاب قد سأل الأمير أبو محمد البطال على ماذكر الملك منويل فقال له صدق أيها الأمير فان الأمر عظيم والخطب جسيم فهؤلاء بينهم وبين ملك الروم منويل حقود عظيمة وماهم ممن يطيعوه فقال له فى كتابه صح عندى ماذكرته وهاأنا عولت على الدخول فى هذه الأرض التى ذكرتها وسوف يصل اليك ما أعمل بأصحابها وسوف ترى إن شاء الله تعالى ما يسرك ثم طوى الكتاب وأنفذه الى ملك الروم فلما وصل الكتاب اليه وقرأه وفهم معناه فرح بذلك وأقبل على البطارقة وقال لهم وحق المسيح قد فرحت بذلك وسرنى هذا الامر لأن الكل أعداءنا ومن قتل منهما استرحنا منه إلاأن الامير اذا فتحها لايقيم فيها ويعود أمرها الينا وتصير أهلها تحت حكمى ولكن وحق المسيح لو كان مع عبد الوهاب عسكر بعدد النجوم ماوصل اليهم وماقدر عليهم ثم ان ملك الروم كتب للامير عبد الوهاب كتاب يقول فيه أيها الاميرالذى عولت عليه هوالصواب ولوكان من الامور الصعاب وان كان ولابد فعلى كل ماتريد من مال ورجال (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع عبد الوهاب مافى الكتاب قال للرسول قل للملك أنا ماأريد منه إلا رجل واحد يكون خبير بالأرض فقال البطال أيها الامير صاحب البيت أدرى بالذى فيه والله ان كل من فى الدنيا ما يعرف هذه الارض مثل معرفتى ولا يخبرها كخبرتى لأنى دخلت الى هذا المكان وأنا أخبر ببلاد اليونان فسر على بركة الله تعالى اللطيف الخبير فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يهون علينا العسير ببركة نبيه الكريم وآله وأصحابه أهل اليقين ففرح الامير بذلك الفرح الشديد لما سمع خطاب

الأمير أبو محمد البطال صاحب الأفعال الحسان وقال لأصحابه الرحيل يارجال يكون فى غداة غد انشاء الله تعالى وعليه تكالى وهو المعين ووصل الى الامير كتاب من عند مارس وأخيه دارس يعلموه أن الملك قدقال لك على الصحيح (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء ياساده ياكرام . وأما ما كان من الإمام الرشيد فانه لما سار ووصل الى ملطيه ونزل عليها أمر بعمارتها فجمعوا الصناع من سائر البقاع وشرعوا فى البناء بكل ما أمكن من ذلك الايناع وبعد ذلك سار الخليفة الى بغداد ودخل فيها وجلس على كرسى خلافته وكان عقبة حاضر فى ذلك المجلس ونظر الى جعفر بين يدى الرشيد وكل أحد يتكلم على قدرمايشتهى ويريد ومن جملتهم الوزير جعفر ابن يحي البرمكى وقد تكلم فى حق الأمير بما يليق بأخلاقه الكريمة فصعب ذلك على الملعون عقبه ولم يستطع أن يسمع المدح فى حق الأمراء فنهض من وقته من مجلس الخليفة وقصد الى داره وقد صح عنده تعصب جعفر للامراء وانه رآه يشكر لهم الاحسان ويرد غيبتهم عند السلطان فقال وحق المسيح والحواريون لابد لى ما أعمل على هلاك البرامكة أجمعين ثم إن الملعون اتفق مع الفضل بن الربيع وزوّروا كتاب على خط جعفر البرمكى حتى انه اذا رآه لايشك فيه أنه خطه بيده ولم يزل الأمر الى الرشيد . والسبب فى ذلك أن جعفر كان له مملوك جميل الصورة يحمل الدواة وكان الغلام يحب جارية من بنات البغادده وكان ذلك المملوك لاينام ولايهدى من أجل تلك الجارية وأن عقبة طلب ذلك الغلام وأحضره بين يديه وقال له ماقولك فيمن يجمع بينك وبين محبوبتك التى تهواها وأحضرها فى أسرع وقت وأعطيك ألف دينار تفتح بها دكان وتستغنى عن جعفر وغيره فقال له قل لى ماحاجتك حتى أقضيها لك فقال القاضى إن قضيت حاجتى أقمت لك بكل ماذكرته ولك الأجر والثواب ثم ان الملعون حلف الغلام على ذلك وانه لايتأخر عن قضاءها فقال الغلام أنا أعلم انك صادق ولكن ماهى حاجتك فقال ياولدى تأخذ هذا الكتاب واذارأيت مولاك جعفر نزل من الركوبة وقلع عمامته ونام تجعل هذا الكتاب فى طيات العمامه بحيث لاتظهر على ذلك أحد فقال الغلام سمعا وطاعة اعطينى الكتاب وأنا أكون عندك آخرالنهار ثم أحدثك بما تختار فشكره عقبة على ذلك وقال له اعلم انك تنال بقدر حاجتى الثواب الذى هو أعظم من المال وأنفع من الرجال ثم ان عقبة أعطاه الكتاب فأخذه الغلام ومضى فلما كان آخرالنهار رجع الغلام الى عقبة وقال أيها القاضى هاأنا قضيت حاجتك فقال له ياولدى الآن وجب علينا حقك وإكرامك ثم انه أجلسه وأحضر

له الطعام وقال له ياولدى كل من طعامى حتى يكمل لك إكرامى فما أكل الغلام أكثر من ثلاثة لقم حتى نزل لحمه عن عظمه فأمر عقبة غلمانه أن يرموه فى الجب الذى عنده فى داره وكان عنده جب أوسع من مغارة وكان الملعون رمى فيه ناس كثيرة يزيدون عن ألف مسلم فرمى فيه ذلك الغلام وما طلع له خبر ولا وقف له أحد على أثر (ياساده) وركب الملعون من وقته وساعته وسار الى دار الخليفة ودخل على الرشيد فكانوا بنو برمك كلهم حاضرين وكذلك جميع أرباب الدولة فجلس اللعين عقبة عند الرشيد أقرب من الجميع ولما استقر به المقام تحادثوا ساعة فلما وجد عقبة له موضع الى الكلام دنا من الخليفة وقال يامولانا معى نصيحة ولكن ما أذكرها إلا بينى وبينك فى الخلوة فعندها نهض الرشيد قائما وقال للحاضرين كونوا على ما أنتم عليه حتى أعود ثم ان الرشيد جعل يتوكأ على كتف القاضى عقبه حتى دخلوا الى بعض الحجر وقال هات ما عندك ياقاضى فقال أنا مايحل لى أن أسكت عن نصيحة الامام وماحملنى الى ذلك إلا دينى وشفقتى عليك وعلى حريمك ومالك على من سوابغ النعم لأنه أمر فيه خراب وفساد وسفك دماء المسلمين وهتك حريم الموحدين فقال الخليفة وقد تغير لونه وما ذاك أيها القاضى الناصح الذى دائما يستعمل النصح ويسعى فى المصالح فقال عقبة اعلم يامولاى أن البرامكه جملتهم أربعة آلاف وقد بايعوا الظافر ابن الرضا الذى بخراسان وعولوا أن يسلموا اليه قصرك وأن يزوجوه بأهلك لأنه شكى الى جعفر أن عنده من السيدة زبيدة هوى عظيم وقد أجابه الى ذلك وجعفر ضامر على أنه يقلعك من الخلافة وقد نوى لمولانا كل آفة ولى بهذا الخطاب أكبر شاهد والرأى بعد ذلك اليك وقد أعرضت القصة عليك من شفقتى وسوف تندم إذا تمكنت منك السيوف المرهفات وخرجت نساؤك مهتكات حافيات (قال الراوى) فلما سمع الرشيد كلام عقبه طار الدم من أنفه وأخذه الفزع والجزع والرجفة والرعدة ثم قال أيها القاضى وفى دولتى من يخامر على ويوصل الأذية الىّ ويقطع أثرى ويسعى فى خراب قصرى فقال نعم ياأميرالمؤمنين فقال الرشيد أوقفنى على حقيقة الأمر فقال اعلم يامولانا أن العين الصافيـة أخبرتنى أن الوزير أتته كتب من عند الظافر وقد كتب جوابها وخبأ الجواب فى عمامته خوفا من أهل داره فلما سمع الرشيد ذلك صعب عليه وكبر لديه وصار لايدرى مابين يديه وقال والله ياقاضى ان كان الأمر كما ذكرت فما أبقى على وجه الأرض من البرامكه أحدا أبدا ولا خليت منهم ولا ديار وأقطع منهم الآثار وأصلب جعفر على دجلة نهر بغداد وأخلى منهم الديار

لأننى قد خولته فى نعمتى وقلدته أمر دولتى يعمل على قتلى وهتك حريمى وعيلتى ثم ان الرشيد قال أيها الناضى ادخل بنا الى المحل الذى يقلعوا البرامكه فيه ثيابهم وعمائمهم فان كان الامر على ماذكرت فسوف ترى العجب ثم انهم دخلوا إلى الحجرة ولم يكن معهما ثالث ثم قال الرشيد لعقبه ياأبا الوليد فى أى العمائم الذى فى الحجرة فتقدم عقبه ولم يخفى عليه موضع ثم انه أخذ عمامة جعفر وفك الطيات وقال فى هذه العمامة ياأمير المؤمنين فتش هذه العمامة ثلاث أربع طيات وإذا بالكتب قد ظهرت فأخذها وخرج إلى الخادم الذى على باب الحجره وقال له إذا تكلمت بكلمة واحدة وأعلمت بنا أحدا أننا دخلنا ههنا عجلت دمارك فقال يا مولاى سمعا وطاعه وسار هو وعقبه الى أن دخل إلى مكان خلوته وفك الكتاب وإذا به خط جعفر البرمكى فقرأه وفهم معناه فلما أتى على آخره فلم بقى يعى من الخوف والفزع وسار الرشيد يرتعد مثل السعفه فى الريح العاصف وقال لعقبه يا أبا الوليد اكتم هذا الامر واحذر أن يعلم به أحد غيرك فقال سمعا وطاعه ثم ان الرشيد أتى لموضعه فنهضوا الحاضرين وجلس الرشيد وهو لايبدى جواب ولايرد على أحد خطاب وبعد قليل ركب جعفر ورجع الى داره وركب بعده عقبه ومضى الى دار الفضل بن الربيع وعرفه بما فعل فكاد أن يطير من الفرح وعلم أن عقبه قد عمل على ضرب رقاب البرامكه وكان الرشيد قد أعطى جعفر امارة خراسان يتصرف فيها كيف يشاء ويرسل اليها من أراد قال عبد الملك بن صالح رأيت هذه العطايا لانقضاء السعادة وزوال النعمه عن البرامكه ولم يطلع على سره أحد يثق اليه ولا ممن يعتمد عليه ومع ذلك فانه لم يغير وجهه على جعفر وكان يزيد له فى الاكرام ويغمره بالانعام قال سهل بن هارون كنت فى الديوان أخدم الوزير جعفر البرمكى وكنت أقرب الناس اليه وكان يفشى لى سره ولا يخفى عنى أمره فلما كان فى بعض الأيام أنفذ الىّ وأتى بى إلى داره التى تسمى دار السرور فدخلت وقبلت يده ووقفت حتى أمرنى بالجلوس فجلست وتأملت فى وجهه وإذا عليه آثار السهر ولوائح الفكر فقلت له يا مولاى زاد الله انعامك ما لى أراك متفكرا فقال والله يا سهل كأنك بدولتنا وقد انقضت فقلت يعيذها الله من ذلك فقال يا سهل اعلم أننى البارحة صليت وقرأت وردى وانضجعت على فراشى فهتف بى هاتف وقال هذه الكلمات أيا ابن يحيى تأهب للنقمة وزوال النعمة فقد انطمست كواكب السعود ومضى الملك المعهود وتقدمت نحوكم الأهوال وزال حكمكم إلى الزوال وتمثل يقول هذه الابيات :

بنى برمك ولت نجوم سعودكم فأى زمان لى يعود يطيب
بنى برمك ان القلوب تقلبت وما الدهر إلا مخطئ ومصيب

(قال الراوى) ياساده يا كرام قال سهل فقلت يامولاى هذه رسل من الشيطان وخطراته فنعوذ بالله من هذا الخاطر وادفع عنك شر هذا الشيطان قال سهل وأردت النهوض من عنده فمنعنى من ذلك وجعلت أحدثه وأسامره بقية ليلتى ويومى ذلك الى الليل فلما جن الليل نام وجعلت أكبسه ساعة من الليل وإذا به قد استيقظ وهو منزعج الخاطر فقلت يامولاى أعيذك بالله السميع العليم ماالخبر فقال ياسهل ألم أقل لك ان دولتنا قد انقرضت وأنت تقول لا ففى هذه الساعة هتف بى هاتف وهو يقول هذه الأبيات :

بنى برمك حل الفناء بجمعكم ومضى زمان العز فهو قصير
ستخلو ديار العز من بعد جعفر وتندبكم أطلالكم وقصور

فقلت يا مولاى انك قد أشغلت قلبك بهذا الكلام وهذه أضغاث أحلام والله تعالى يخلد دولتك ويديم نعمتك فقد ملأتم الأرض عدلا وأوسعتموا على الناس كرما وفضلا ثم انى قمت وانصرفت من عنده وأتيت من الغد اليه واذا به قد ركب وسبق الى الديوان قبل الناس فقلت يا مولاى أراك اليوم قد سبقت فما الخبر فقال يا سهل ما قمت الامن ضيقة حضيرتى فان الدنيا ضاقت على ولم أجد شيئا يخفف عنى ما أنا فيه وأنا قد قمت وجئت الى ما سطر على جبينى أستوفيه فلا دافعا لما قضى ولا رادا لما حكم (قال الراوى) يا ساده يا كرام وبلغنى أن جعفر البرمكى خرج يوما من بعض الأيام أن يتصيد الى ناحية الديوان فنظر أمامه الى ظبية فتبعها وانفرد عن موكبه فلما اقتنص بها سمع هاتفا يقول هذه الأبيات :

أتطلب صيدا والمنايا تطلبك اما بليل أو نهار تعطبك
بجسر بغداد بجامعه يصلبك وليس فى الناس حبيبا يقربك

(قال الراوى) فلما سمع جعفر ذلك الكلام من الهاتف سكت وانكسرت نفسه وقال والله لا أعلمت أحدا بما سمعت ثم رجع من صيده واحتجب عن الديوان وبعث الرشيد يأمره بالركوب فبعث اليه يقول انه متوعك فأقام على ذلك مدة الى أن قام وكان يوم من بعض الأيام خرج الرشيد يتصيد ومعه مائة راكب من أرباب دولته وكبراء عشيرته فجاز فى طريقه على بستان قد أينع شجره وطاب ثمره وجنت دواليه وهب الهوى فيه وفاح نسيمه وطاب نعيمه وعلت أشجاره وتجاوبت أطياره وجرت أنهاره فقال يا قاضى لمن هذا البستان فقال يا مولاى هذا للوزير جعفر

البرمكى فسكت ثم مر على قصر قد شدت أركانه وأشرق بنيانه وعلت قبابه وابتهجت أبوابه وراشته مشرقه وشرار يفه عالية ومقاصيره مزوقة قد أحاط به السرور وبعد عنه كل محذور فقال الرشيد يا هـذا لمن هـذا القصر وكان الكلام للقاضى يحي كاتب الديوان فقال يامولانا انه للوزير جعفر فسكت ثم مر على قرى عامرات وبساتين ظاهرات ودواب سارحات فقال لمن هـذا فقال يامولانا للوزير جعفر وسار قليل فنظر الى قرية عامرة كثيرة المزارع خضرة المرابع فسأل الخليفة عنها فقيل له هـذه للفضل بن يحي أخو جعفر ثم سار قليلا فوجد قرية أخرى أحسن منها فسأل عنها فقيل هذه لموسى بن جعفر فحرك رأسه وسار إلى أن أشرف على قرية فوجد جدرها خراب فسأل عنها فقال هذه لولدك المأمون فسار فرأى قرية أشعث منها فسأل عنها فقيل هذه لولدك المعتصم بالله فحرك رأسه ثم سار إلى أن وصل إلى بساتين ومزارع وقرى خراب ليس فيها أحد من الأصحاب والسواد من الناس قدخرجوا منها وبعدوا عنها فقال الرشيد لمن هـذه البلاد والقرى الخراب فقال القاضى هـذه لمولانا الخليفة فقال والله لقد أفقرنا بنى هاشم وأسعدنا البرامكة فقال القاضى للخليفة والله يامولانا هل هو إلا قادحة من زنادكم وهل للعبد الا سيده والعوارى مسندة إلى أربابها وماهم الا غرس نعمتك وعبيد دولتك وقد علمت أن الرشيد ما تكلم هـذا الكلام الا من شدة الغضب فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال الرشيد ياقاضى يحي أنتم تقولون ان البرامكة أقاموا دولتنا وشيدوا بنيانها فقلت يا أمير المؤمنين ما أقام دولتكم إلا الله تعالى فقال الرشيد يا قاضى انى أرسلت إلى جعفر مرارا وهو يقول أنا عليل فقلت يا أمير المؤمنين لقد دخلت عليه وهو متوعك البدن فقال ياقاضى أنت تدافع عنه والخرق يتسع قال القاضى فبينما نحن فى ذلك الحديث وإذا بغبرة نحو الدجلة قد قامت من ناحية نهر عيسى فوقف أمير المؤمنين لينظر ما تلك الغبرة وإذا بها قد انكشفت عن بزادره وكلابره وفهادره وصيد منقاد مع الغلمان وشىء على المناكب والجنائب قد ازدحمت بها الفتيان والمماليك والفرسان والوزير جعفر قد أقبل بجماعته والركيداريه من ورائه سائرين والناس من خلفه متقاطرين وقد انخطف لون الخليفة فقال ياقاضى أنت تحلف لى بانك رأيته متوعك البدن فقلت والله ياأمير المؤمنين ما حلفت لك الا صدقا ولعله وجد العافية وقد خرج يشاغل نفسه فقال الرشيد ياقاضى كان يجب على جعفر الخدمة والمودة أن يخرج معى ويجملنى بنفسه ومواكبه فانى والله الآن ما أجىء إلاربع ما خرج معه من العساكر والهيبة

والنظام وأنا ما خرجت الا كواحد من العالم فقلت ياأمير المؤمنين ولعله ما علم أن مولانا بركت للصيد والقنص ولو علم كان أول من سارع الى الخدمة فحرك رأسه وقال صدقت ثم ان الرشيد تم سائر على حاله قال فعلمت ان الرشيد قد تغير طبعه على البرامكة ثم انه تصيد وعاد الى بغداد ثم ان الرشيد دخل الى قصره ولم يجتمع بجعفر ولا رآه قال القاضى يحيي وبات الرشيد فى قصره تلك الليله ولما ان كان من الغد أتانى خادما وقال يا مولانا أجب أمير المؤمنين فقمت وركبت وسرت الى أن وصلت واستأذنت ودخلت على الرشيد فوجدته على ظاهر القصر على مكان عالى فأذن لى بالصعود اليه فقبلت الأرض وجلست قال لى يا قاضى اكتم هذا ولا تعلم به أحدا فقلت وما هو يا أمير المؤمنين قال كيف ان جعفر فى يوم الصيد والقنص وهو فى مقدار الف فارس وأنا فى مائة يا قاضى أما رأيت صنيع البرامكة وفعالهم ولكن اكتم فقال سمعا وطاعه وتحدثنا ساعة ونهضت وكان جعفر له على أيادى جميلة فقصدت الى داره وقلت فى سرى على انصحه وكان الرشيد أخذ على العهدانى لا أتفوه بهذا الكلام لأحد وما ساعنى السكات عن جعفر فلما وصلت الى داره فاستأذنت فى الدحول ودخلت عليه فلما رآنى نهض الى واعتنقنى وقربنى وضاحكنى وقال لى ضيف عزيز قال فجلسنا ثم أكلنا وشربنا وتنادمنا ثم قلنا كلام الناس الماضية وأحاديث الأمم السالفة فقلت لما وجدت لكلامى طريق ياسيدى لى اليك حاجة قال لى تقضى فقلت له يا مولانا أنت متوجه الى خراسان فليتك توهب لاولاد الخليفة بعض ضياعك البستان الفلانى والضعة الفلانية فيكون ذلك جميلا عنده فلما أن سمع منى جعفر هذا الكلام صار الضيائى وجهه ظلام وقامت عيناه فى أم رأسه وقال لى بالله عليك هل سمعت من الرشيد انه مد عينيه الى أملاكى وهى وقف على الفقراء والمساكين وأرباب الديوان فقلت وعينيك أيها الوزير ما عندى من هذا خبر فقال ياقاضى أظن انهقد تغير عقلك فاطرقت رأسى ولم أرد جواب ثم قال لى جعفر يا قاضى مادام ان بنى العباس يقوا يتطلعوا الى ما فى ايدى غلمانهم فمالنا حاجة بخدمتهم ولا يقينا نعاشر الا العوام ونصير تجارو بزارين ونرجع عن هذا كله ونترك لهم هذه الضياع والبساتين فقال القاضى فقلت له والله ماقلت لك هذا الا بما اعتقدته منك ومن محبتك لأولاد الخليفه ثم نهضت وخرجت من عنده وانالا أكاد أن انظر ما بين يدى وبت تلك الليلة فى بيتى ومن الغد اتانى بعض الخدم وقال لى أجب أمير المؤمنين فنهضت وسرت معه وسلمت عليه وقبلت الأرض بين يديه فرد على السلام بأحسن رد وقال ياقاضى يحيي ان الكبر قد غير عقلك فقلت لا وحياة راسك

يا أمير المؤمنين وقد علمت أن العين الصافية قد أعلمته بنا وأردت أن أجلس فى مكانى الذى هو معهود لجلوسى فيه وإذا بالرشيد حرك رأسه والتفت إلى وقال لى يا قاضى حيثما أن بنى العباس بقيت تنظر إلى مافى أيدى غلمانهم مابقى إلا عشرة العوام ونترك لهم البساتين والقرى قال فقلت فى نفسى والله إن للخليفة على جعفر عيون يحدثوه بكل ماهو فيه ثم قال لى ياقاضى تقدم إلى عندى وطل فى هذا الروشن قال فأتيت إلى عنده وطليت من الروشن فأجد بيت الوزير جعفر تحت ذلك الروشن واحدى الاسطبلات قدام روشن الخليفة فقال لى الخليفة انظر الى خيل الوزير جعفر وهى على الطوائل ورؤسهم إلى عنده وأكفالهم إلى عندى وهذا شىء لا يفعله جعفر إذا كان جاره جندى والله إنه أكثر خيلا منى وأزيد عليق بطواله زائده عنى فقلت والله يا مولانا ما هو إلا عبدك وغذى نعمتك ولو وصل الى ما وصل فانه غلامك قال فسكت الخليفة على مضض (وقال) وكان للرشيد خادما رومى يسمى قمر وكان جعفر يحبه ويقربه ويدنيه فلما علم الرشيد ذلك قال للمملوك إنى أريد أهبك للوزير جعفر لامر أريده منك وهو أنه يقربك ويدنيك ويقم بك على أبناء عمه وأقاربه وأرباب دولته فاذا سمعت شيئا من أخبارهم فارسل اعلمنى به فقال المملوك سمعاً وطاعة بسم الله يا أمير المؤمنين وهذا كان سبب نقل الأخبار قال القاضى يحى فبينما أنا جالس يوما عند الرشيد إذ وصلت اليه رقعه من قمر الخادم فلما قرأها وعلم ما فيها تمر مرت عيشته وقال ياقاضى أخرج من دارى بغير مطرود فخرجت وأنا أتعثر فى أزيالى وما أصدق بالنجاة ولم أدرى مافى الرقعة وكان ذلك فى يوم الاربع وجعفر برز خيامه وهو على نية الرحيل إلى بلاد خراسان وخيامه مضروبة على النهر فلما كان يوم الخميس قال الرشيد يامسرور ائتنى بجعفر فمضى مسرور الى أن أتى الى جعفر وقال له يامولاى أجب أمير المؤمنين فنهض جعفر وسار اليه فلما نظر الرشيد اليه قام قائما على قدميه ولم يزل يقربه ويدنيه حتى صار معه على كرسى الخلافة فضمه الرشيد إلى صدره وقبله فى وجهه وأجلسه فلما استقر به الجلوس قال يا أخى أمس ركبت الى الصيد والقنص وماكنت معى ولقد أوحشتنى لا أوحش الله منك فقال له الوزير ما منعنى إلا الكسل فى بدنى فقال الرشيد يا أخى انى اصطدت ظبية وأريد أن تذبحها فقال يامولاى أنا ما ذبحت قط فقال بحياتكم الا تذبحها بيدك فقال جعفر على بالظبية والطشت فأحضروها بين يديه فدنا جعفر من الظبية وتشهد وذبحها فضربت بيديها ورجلها فجاء من دمها نقطة على خد جعفر فنهض الرشيد من موضعه ومسح الدم بكفه وقبله موضع الدم ثم جلسا

فقال جعفر يا أمير المؤمنين قد عولت على المسير فى غداة غد فقال يا أخى لا تسافر غد فان السفر فيه صعب لأنه فيه ساعة مذمومة ولكن اصبر حتى أنظر لك طالع سعيد فقال جعفر سمعا وطاعة وتفرقت الناس وعاد جعفر الى داره فصبر الرشيد حتى جن الليل قال مسرور فدعانى اليه وكانت ليلة الجمعة فدخلت وقبلت الأرض وإذا هو فى بعض الحجر وعلى بدنه بدلة حديد وعلى رأسه تحف بولاد وعن يمينه وشماله نحو مائة مملوك من المماليك الخواص ومائة من الاتراك كلهم بصدور الزرد وبأيديهم السيوف والعمد والرشيد جالس على ركبته فلما حضرت قبلت الأرض وقد هالنى ذلك وراعنى ما شاهدت فلم أجسر أن انطق بحرف واحد فقال ويلك يامسرور انهض من وقتك هذا واضرب فى وسط القصر قبة الأديم وافرشها بالرماد ووكل بها ثلثمائة غلام من أصحاب النوبة يكونوا لابسين السلاح وعد الى سريعا فقال مسرور سمعا وطاعة ثم انه بادر الى مابه رسم من الأشغال وعاد اليه قال مسرور فلما رآنى قال لى هل فعلت فقلت نعم يا أمير المؤمنين فقال للغلمان تفرقوا من حول الحجرة ففعلوا ذلك فقال يامسرور من أنا فقلت يا أمير المؤمنين أنت هارون الرشيد ابن الهادى ابن المهدى أخو المنصور أخو السفاح بن محمد بن على بن عم محمد صلى الله عليه وسلم فقال وحق اتصالى من حمزه وعقيل لئن لم تفعل ما أمرتك به لآخذن ما بين جنبيك فقال مسرور وقد قبلت الأرض وقلت أعوذ بالله من غضبك يا أمير المؤمنين ومن مخالفتك فقال اذهب الساعة الى دار جعفر واجهد نفسك فى الاجتماع عليه فاذا وصلت بين يديه قل له الساعة قد وصل شريطة البريديه من بلاد خراسان ونريد أن تحضر حتى تنظر مافيها فاذا اعتذر اليك فتلاطف به وافتح له باب المجيء ولا تخليه يركب فأنا أعلم أنه مايجيء الا ومعه عالم عظيم من خواصه وتكون قدمت الوصية الى البوابين بأن يقطعوا قوم جعفر بين الأبواب حتى يصل الى القصر فاذا وصل اليه احمله الى القبة واضرب رقبته وائتنى برأسه واياك أن تخلى مما ذكرت لك لفظة أو تستأذن مرة ثانية آخذ ما بين جنبيك قال مسرور فابيض وجهى واستعذت بالله من الشيطان الرجيم ولا أمكننى المخالفة ولا المراجعة فخرجت من حضرة الرشيد وطلبت دار جعفر وكان الوقت بعد نيام الناس واستأذنت اليه فقيل لى أنه قد رقد فقلت لا بد من الاجتماع به ثم انى هجمت عليه وكان لى بذلك عادة عليه وهو على أى حالة كان ولما وصلت اليه وجدته نائما والى جانبه خادما كان الرشيد أهداه له وجعله عينا عليه وهو لا يعلم فسلمت عليه فرفع رأسه الى وقال ماحاجتك فقلت يامولاى أجب أمير المؤمنين فقال سبحان الله

بقينا مثل جن سليمان بن داود نخدم الليل والنهار فقلت يامولاى خريطة البريدية من خراسان وصلت وأمير المؤمنين يأمرك بالمسير اليه حتى يقف على مافيها من الأخبار ولم يشك جعفر فى كلام مسرور فنهض ولبس ثيابه ووضع عمامته على رأسه فتخبلت ثلاث مرات فقال ياترى ما هذا الفال الميشوم ثم وقعت الرجفة فى الدار فركب لركوبه مائة غلام وساروا فى خدمته فقال مسرور سبقت أنا واثنين الى البوابين وأوصيتهم بما تقدم ذكره من أمير المؤمنين وقعدت فى انتظاره ولما وصل إلى الباب الأول مسكوا من غلمانه جماعة وكذلك فى السبعة أبواب فما وصل معه الى القصر إلا ثلاث غلمان منهم حامل الدواة والذى ماسك ركابه والذى ماسك بشكيمة البغلة ونظر جعفر الى القبة الأديم والشموع والمشاعل تقاد من حولها والسيف مجرد مصلت فقال الوزير ماهذا يامسرور فقال مسرور لا أدرى يا مولاى سر بنا حتى ننظر ماهذا فأحس قلبه بالبلية وقال مالى الى ذلك من حاجة فقال مسرور يامولاى لا بد لى من ذلك ثم انى مسكت شكيمه البغلة وقدمتها الى ناحية الخيمة فقال الوزير يامسرور لى عليك حق الصحبة ولى عليك احسان وأنا أعطيك فى هذه الليلة مائة ألف دينار واذهب وخلى سبيلى فى هذه الساعة فانى ما أظن أنها ساعة خير فقال مسرور يامولاى وايش ينفعنى المال والذهب اذا شربت كاس العطب مالى الى ذلك سبيل هذا وقد تواثبوا اليه الغلمان ورجلوه عن البغلة وقبضوا على الغلمان الذين معه فقال جعفر لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون كان ذلك فى الكتاب مسطورا ثم قال يامسرور بحق الصحبة الا ما سلمتنى الى هؤلاء الغلمان ومضيت الى أمير المؤمنين وقل له يا أمير المؤمنين قد فعلت الذى أمرتنى به فان رأيت ذلك صعب عليه واسترجع فى نفسه وأمره وقد قال لك ليتك كنت أمهلت عليه فقل يا أمير المؤمنين قد فعلت ذلك وان قال أرنى رأسه فعد الى وافعل ذلك قال فعند ذلك بكى مسرور واسترجع الى الله تعالى ووكل به الغلمان وعقل السيف مكانه وسار من وقته وساعته ودخل على الرشيد وقبل الأرض وقال يامولاى قد فعلت ما أمرتنى به فى حق جعفر فقال قتلته قلت نعم قال ائتنى برأسه قال فرجعت ودموعى جارية على خدى وعلمت ان هذا الأمر لا بد منه قال فدخلت على جعفر فرأيته راكعا ساجدا يتضرع إلى الله تعالى فأتيت وراء ظهره وصبرت عليه الى أن رفع رأسه من السجود وضربته أطحت رأسه عن بدنه ووقعت مغشيا على ولما أفقت أخذت الرأس ووضعته فى طشت

وحملته الى أن قدمته بين يدى الرشيد فلما رآها صرخ صرخة عظيمة وغشى عليه فلما أفاق أشار الى الرأس يخاطبها ويقول ويلك ياجعفر ما الذى فعلت معك من القبيح وجازيتك وقاسمتك نعمتى واخترتك عن دولتى وتآمر على وتفعل كل قبيح ولكن الأمر لله من قبل ومن بعد وجعل يكرر القول فى ذلك مرارا وبعد ذلك قال يامسرور ائتنى بولدى محمد الأمين ابن زبيده فلما حضر قال له ياولدى قد أعطيتك دار الفضل أخو جعفر بما فيها ثم قال على بولدى المأمون فلما حضر قد قال أعطيتك دار يحي بما فيها ثم قال على بولدى المعتصم فلما حضر قال قد أعطيتك دار جعفر بما فيها ثم أمر بيحي والفضل أن يحبسوا فقبضوا عليهم وثقلوهم بالقيود والأغلال وأقبل على مسرور وقال ويلك اركب فى هذه الساعة واقصد الى النهر واحتوى على سرادقات جعفر وتركته وخزائنه وتقتل جميع ماهناك من البرامكة وأمر العساكر بالعودة فقال مسرور سمعا وطاعه ثم انه فعل ما أمره الرشيد ورد العساكر والرجال واحتوى على الأموال وكان الرشيد من وقت ما عول على قتل جعفر أنفذ الكتب الى سائر الأماكن أنهم فى الليلة الفلانية يقطعوا أثر بنى برمك ففعلوا ذلك ولم يأتى يوم الجمعة حتى قتلت البرامكه وهرب من هرب واختفى من اختفى ثم أمر الرشيد أن ينصب جزع خشب على طريق الجسر ويصلب عليه جعفر ويوكل به أربعة وعشرين عريفا من أرباب المصالح مع كل عريف عشرون رجل يحفظوه ليلا ونهارا وأنفذ اليهم وصية ان كل من حضر الى جعفر وبكاه أورثاه لايستأذن عليه وأمرهم أن يكونوا مرتبين نوبة بالليل ونوبة بالنهار ونادوا فى البلدان من رثا البرامكه ولو بنصف بيت من الشعر وبكى عليهم لا يشاور عليه ولو كان مهما كان فلم يجسر أحد أن يذكرهم وأقام يحي وولده الفضل فى المطمورة يتقلبان فى القيود والأغلال ليوم من بعض الأيام قال للسجان يا هذا قد اشتهيت عليك شهوة قال وما الشهوة ياسيدى قال تطبخ لى سكنبياج ثم ان السجان طبخ له سكنبياج ووضعه فى قدح وقدمه بين يديه وكانت يداه مغلولتان فمد يده وهو فى الغل وغمس لقمة واحدة فانقلب القدح فقال السجان وهو يبكى والله قد حسبت هذا الحساب لاننا طبخناه سبع مرات وهو يتبدد نوبة انكسر الماعون ونوبة وقع من على النار ونوبة اندلق فقال يحي صدقت ياهذا لأن العتب والملام على الزمن بل انى أريد من إحسانك أن تأتينى بقطعة كاغد ودواة حتى أكتب الى الرشيد ورقه فقال السجان واذا أنت كتبت الورقه من هو الذى يوصلها اليه قال

المطلوب من احسانك أن توصلها الى مسرور يوصلها الى الرشيد فقال السجان سمعا وطاعه فأحضر له ما طلب وكتب رقعتين واحده صغيرة والاخرى كبيره وسلم الصغيره لولده الفضل وقال ياولدى اذا قضيت نحبي ولحقت بربى فلا بد أن يحضرك الرشيد بين يديه ويقول لك بم أوصاك أبوك فقل له أوصانى بقول لا اله الا الله محمد رسول الله فيقول لك وبماذا تقول فى هذه الورقه فان قال لك وأين الدفاتر والذخائر فقل له لاعلم لى ثم دفع الرقعة الأخرى الى السجان فمضى بها الى عند مسرور فما وجده فجلس السجان الى أن أتى مسرور من خدمة أمير المؤمنين ولما أن أقبل نهض اليه وسلم عليه وسلمه الرقعه فقال له من أين هذه قال من والد جعفر ثم حملها الى الرشيد فأخذها وقال ما هذه يامسرور فقال يامولاى من عند يحيى بن خالد البرمكى فقرأها الرشيد واذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين وابن عم خاتم النبيين الغل قد آلم يدى والسلاسل قد أوهنت جلدى والا نتحاب قد اقلقنى لاسيما فقد الولد وانهدم ركنى والسند وأنا بقيت شيخ كبير وولدى الفضل كالغصن الرطيب وقد أصبحت بعد الكثرة قليل وبعد العز ذليل فبحق آبائك الطاهرين واتصالك من حمزه وعقيل وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما تعطفت علينا برأفتك وتصدقت علينا برحمتك وأعتقتنا وتطلقنا من سجنك حتى نسكن فى بعض المساجد فما بقى فى العمر قدرما مضى فقد أخذت المسألة حقها وعوقبت النفوس بما تستحقها وان كان ولدى جعفر قد عامل عليك فقد لقى غب ما فعل والانسان مركب على الخطأ والذلل ورثاه ببعض أبيات (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم رمى الرقعةالى مسرور وقال ردها الى صاحبها فأخذها وأتى بها الى السجان ورجع السجان بها الى يحيى فلما قرأها بكى بكاء شديدا وقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وما لبث بعد ذلك الا أربعة أيام وتوفى الى رحمة الله تعالى فطلع السجان الى مسرور وأعلمه فمضى مسرور وأعلم أمير المؤمنين بموت يحيى وأنه لحق بربه فقال اذهب الى السجن وادفنه فى المطموره بالجبة الصوف والقيود والاغلال وأتنى بولده الفضل فقال سمعا وطاعه ثم مضى الى يحيى وواراه التراب بالحديد وأقبل على الفضل وقال له أجب أمير المؤمنين فنهض الفضل فلم يقدر مما حل به من الكرب والهموم فأجلسه مسرور فى صحفة لطيفة وحملوه الغلمان ووضعوه بين يدى أمير المؤمنين فلما رآه الفضل جعل يتقلب ويقبل الأرض فقال له الرشيد بما ذاك أوصاك أبوك فقال أوصانى بقول لا اله الا الله محمد رسول الله قال وبماذا قال بما فى هذه الورقة قال وأين الورقة قال هاهى

يا أمير المؤمنين وأراد أن يخلصها من جيب الجبة فلم يقدر على ذلك من الغل والحديد فقال لمسرور تناول الرقعة منه وفتحها فرأى فيها هذه الأبيات

ألا وأبيك ان الظلم لؤم … ومازال المسيء هو الظلوم
ألا يابائعا دنيا بدين … بظلم لايدوم له نعيم
تروم الخلق فى دار المنايا … وغيرك دام مثلك ما تروم
ستعلم يارشيد إذا التقينا … غدا عند الاله من الظلوم
وينقطع التردد من أناس … أداموه وتنفصل الخصوم

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الرشيد ذلك قال يا عبد الله أما تسمع كلام يحيي بعد الكال ثم أنه أشار الى مسرور وقال اخرج بالفضل إلى برا القصر واضرب رقبته وأتيني برأسه فنهض عبد الملك بن صالح وقبل الأرض وقال بآبائك الطاهرين يا أمير المؤمنين لاتذيق الفضل طعم الحديد ورده فى السجن على ما كان عليه فعند ذلك أمر به إلى المطموره (ياساده ياكرام) الا أن الفضل ما أقام بعد أبيه إلا ثلاثة أيام ومات رحمة الله عليه فبلغ الرشيد ذلك فأمر بدفنه عند أبيه فى المطموره ومضت على ذلك أيام وفى قلوب أهل بغداد على قتل البرامكة أمر عظيم وخطب جسيم الا أنهم لايذكروهم ولايرثوهم ولا يندبوهم ولا بكلمة واحدة وجعفر مصلوب على طريق الجسر يحرسوه الرجال ليلا ونهار خوفا من سارق وإذا قد أقبل رجل شيخ مليح الشيبة حسن الهيبه طيب الرائحة عليه أثواب جميلة وتحته بغلة بمركب ذهب يقصر عن وصفها ألسنة العرب فوقف بازاء جعفر وبكا وتحسر وقال رحمك الله يا جعفر ورضى عنك وأرضاك وجعل ما نقلت اليه خيرا مما كنت فيه وكان من قطع جرثومتكم وتجارأ عليكم فلقد أساء فو الله لقد مات الفضل والجود والكرم فيجمعنى الله واياكم فى محل قدسه ورثاه بأبيات (قال الراوى) فلم يستتم كلامه حتى وثبوا اليه الغلمان وقبضوا عليه فوجدوا تحت ابطه الايسر شيء أبيض فتأملوه وإذا هو كفن فساروا به عند الخليفة ودخل بن الرضى وقبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين قد جرى كذا وكذا ثم شرح له القصه وما قاله الشيخ فقال على به فأحضروه فقبل الأرض وسلم سلام الخلافة فرفع الرشيد رأسه اليه وهو مغضب الوجه وقال ياشيخ أما سمعت النداء فى حق البرامكة ومن برثيهم بكلمة واحدة من الشعر قال بلى يا أمير المؤمنين فاغتاظ عليه أكثر من أول فقال له فما الذى حملك على ذلك فقال الشيخ والله يا أمير المؤمنين ما بقى لى رغبه فى الحياة ولا فى النجاة وقد هانت على المنيه من

بعدهم فقال الرشيد وحق آبائى الطاهرين توضح لى عن أمرك وما فعلوا البرامكة فى حقك وتوضح لى حجة تنجو بها والا ضربت رقبتك فقال الشيخ يامولاى ينبغى لك أن تخلى ثلاثة قال وماهى الثلاثة قال سمعك وبصرك وذهنك حتى أذكر لك ماجرى لى مع جعفر بن يحيى البرامكى فوالله لو كتب بماء الذهب لكان عجب فقال له الرشيد قل وأوجز ياشيخ فقال اعلم يا أمير المؤمنين انى رجل من أهل البصرة وتوفى أبى ولى من العمر عشرين سنه وخلف لى ضياع وبساتين وبضائع تساوى ثلاث مائه ألف دينار ومسقفات وشجر بخمسمائة ألف دينار وأنا مع ذلك مولع بالأكل والشرب مع الرفقاء والأصحاب والأقارب والأحباب فأقمت على ذلك مدة من الزمان ليوم من بعض الأيام وأنا جالس فى بعض القصور ومعى عشرة من أصدقائى وندمائى ونحن فى ألذ مايكون واذا ببعض الأصدقاء التفت الى وقال لى ياسيدى كنا نحب أن نصطبح فى بعض بساتينك فقلت سمعا وطاعة ثم أوصيت من الليل أن تطبخ لنا الطباخات الحلويات وأن يعملوا لنا مقام فى البستان وعلقت التعاليق فى الأشجار وزينت أبدان النخيل بأنواع الديباج وملئت البركة بماء الورد وكانت البركه طولها عشرة فى عشرة ولها أربعة أركان على كل ركن أسد من النحاس وماء الورد يجرى من أفواهها وأحداقها وآذانها ثم نظرت الى تلك البركه والأشجار محملة من الثمار والنخيل كلها كأنها العرايس المجلية والماء يتدفق من السواقى وعلى ظهر السباع أربع أساطين وعليهم قبه من الأبنوس وأخذنا فى الأكل والشرب الى أن جن الليل واشتعلت الشموع ومضى ثلث الليل الأول فأظهرت رأسى من التبه رأيت ألوانها وزرقها والكواكب وزهرتها فافتكرت قول القائل :

ياطالبا لذة هـــذه دنياكم لو أنها بقيت على الانسان

(قال الراوى) ثم قال يا أمير المؤمنين وابن عم محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين فعندها يا مولانا أخذ الفكر عقلى على عشائرى وأهلى بما أنا فيه فكرى والناس عندى أقرانى من أيام الصبا فقالوا سبحان الله ما فى الدنيا أحسن من هذا المكان إلا أن يكون فى الجنان وهل أحد مثلنا فى انتهاب اللذات واغتنام الأفراح والمسرات فقال واحد من الجماعة لو رأيت ياسيدى الى خراسان وبساتينها وأنهارها وأشجارها لنسيت الدنيا وما فيها ورفعتها بما عليها وقال الثانى وقد أسرع فى كلامه ولو ترى يا سيدى الجنة الصغرى وهى دمشق الشام وأنهارها وأزهارها وأثمارها وبساتينها لقلت ما خلق الله الا هذه البندر وليس فى الدنيا مثلها لأحد فقال الثالث فلو رأيت الى الرحبة وما فيها من المسرة

واللذة ولم يزل كل واحد منهم يصف لى بلد إلى أن وصف لى منهم تسعة أشخاص وبقى الآخر العاشر مطرق برأسه الى الأرض لايعيد ولا يبدى فقلت له ويحك يافلان أنا ما سافرت أصل فى طول عمرك فرفع رأسه وقال ل ماأقول ما سافرت وما أنا إلا سافرت وان هؤلاء ماشاهدوا مثل ماشاهدت وكلامهم كله هذيان ولكن عليك بجنة الدنيا الموجودة التى ليست مفقودة الشريفة على جميع البلاد وهى بغداد وعيشك ياأمير المؤمنين لقد نظرت الى التسعة التى وصفوا لى البلاد وهم قد أطرقوا برؤوسهم الى الأرض فقلت لهم مالكم قدأطرقتم رؤوسكم فقالوا لى نحن وصفنا البلادوماوصفنا الجنان فان العشرة وصفوا الشط والشباريات والرواشن المثقلات والبستاتين والأغانى والمطربين ودار النجار والبرامكة وعشرتهم وطيب أخلاقهم وصحبتهم للغرباء وقال أحدهم والانتفاع فى البصرة لأن فيها مائة نهر وبغداد فيها نهر واحد يقال له نهر عيسى مايرى مثله إلا ان كان بحر مصر فتعلق قلبى بذلك وقلت لهم قد تعلق قلبى بماذكرتم من بغداد وأهلها وقد أحببت أن أقيم فيها ولو شهر من الزمان فقالوا لى الجماعة ما لتقادر عذر لأن الله قد أعطاك المال وماذا يعيقك ؟ فقلت لهم اليوم مضى وغدا لله الأمر وعند الصباح شرعنا فى أمر السفر وتجهيز ما يصلح حمله الى بغداد وأحضرت الوكلاء وأمرتهم أن يشتروا لى الحبوب وغيرها من البضائع وأول الشهر الثانى نزلنا فى الشباريات وسرنا الى وادى العراق أقمنا فيه خمسة أيام وفى اليوم السادس سرنا نطلب مدينة السلام بغداد فما مضى إلاأيام قلائل حتى وصلنا الى بغداد فقلت لبعض أهلها دلونى فى أى موضع تسكن فقال إن أردت العصبة والمروءة والمكرمة ومحبة الغريب فعليك بحارة الكرج وأتوا الينا الحمالين فحملوا كل ما معنا الى الدكاكين للمبيع وقصدنا درب الزعفران أكرينا فيه منزل كل يوم بدينار واشترينا فرش وطرح لابد منها وآنية ثم أمرت وكلائى يقبضون حق ماصحبنى من البضائع وأنا وأصحابى مشغولين فى الأكل والشرب والاصطباح وبعد أن مضى علينا شهر قلت لاصحابى كأننا مابرحنا من مكاننا لأننا ماأتينا بغداد إلا لمباشرة أهلها والدوران فيها وفى حاراتها وأزقتها فقال واحد من الندماء يامولاى بعد شهر تنظر العجب قلت وما هو العجب قال لى يأتى عيد النصارى يقال له عيد أشمونيا يشربون المدام فى السفن الكبار والصغار والبنات الأبكار كأنهن الأقمار ويقعدون ثلاثة أيام فننزل نحن فى بعض ونتفرج ونتقرب فقلت هذا مايفيد كما قال القائل حيث قال :

يقولون فى قابل نلتـــقى ... فمن لى أن أعيش الى قابل

ياأمير المؤمنين ثم اشتاقت نفسى اليهم والى النظر لهم فمضيت عند الصباح الى الحمام ولبست بدلة نفيسة ومضيت الى السوق صادفنى رجل وفى يده قضيب وثوب انطاكى مشدود الوسط بمنديل شرب مقصب مذهب وعلى رأسه عمامة نهزوانى عجيب وفى يده قضيب خيزران مقمع بفضة فوقعت عينى عليه فقال لى أهلا وسهلا ومرحباً ياسيدى أبا الحسن فلقد آنست تلك الديار ياابن السادة الأخيار ثم وضع يده فى يدى فالتزمته ورديت سلامه وقلت له من تكون فقال لى أما تعرفنى فقلت له اللهم لا قال أنا غلامك أبو محمد النحاس وأنا أسأل الله وأسألك أن تحضر عندى حتى أتشرف بك وأخدمك فلقد والله شرفت بغداد بقدومك فتبينته واذا به رجل كان كل سنة يأتى الينا بالجوار ولما عرفته قلت بسم الله فسار وأنا معه إلى أن أتى به الى حجرة فى ضرب المقراطيس ودخلت الى الدرب وغلق الباب وقدم الى كرسى من الحديد الصينى مطليا بالديباج منشى بميشاق القز من الحرير فجلست عليه وأمر أن ينصب لى كرسيا ثانيا ثم أشار بيده الى خادم عنده وقال يانجاح هات ماعندك لسيدك من التحف فغاب العبد ساعة وعاد ومعه جارية تقصر الألسن عن وصفها وكمالها ودلالها وتقصر الأوهام عن بعض مافيها من الجمال والبهاء والكمال وأشارت الينا بكمها وطرفها فردينا عليها سلامها ثم جلست على كرسى من العاج مصفح بالذهب الوهاج ولم يزل اليها النحاس حتى رفعت الخمار من على وجهها فنظرت الى صورة بديعة فقال لها النحاس بسم الله ياسيدتى فوضعت أصبعها فى صماخ أذنها وغنت لنا أبيات وبعد ذلك أتاها الخادم بعود محكوك ومبرود صنعة بلاد الهند ووضعته فى حجرها ولمته الى صدرها وحبست أوتاره فأذابت القلوب والاسرار واندفعت تغنى من نغم سيكا من هذه الأبيات :

فقلت لها يا هذا البيت فنا ... إما غد أو متى أو فى غداة غد
وأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد
بدر اذا نظرت للشمس ماطلعت ... من بعد رؤيتها يوما على أحد
كأنها بين كاسات الجفون لها ... أسد الحمام مقيمات على الرصد
وخافتنى طرفا وهى قائلة ... قفوا انظروا كيف أهل الذل والوجد

(قال الراوى) ياساده ياكرام فبينما نحن كذلك واذا بالباب يطرق فنهض النحاس وفتح الباب واذا بجماعة من أهل بغداد وهم تجار ثم أن واحد منهم قال نحن من المغضوب عليهم ليتنا ماحضرنا فأخذت العود واندفعت تقول :

تذلل لمن تهوى فتكسب رفعة فكم رفعة قد نالها المرء بالذل
وأعجب من ذا عاشقاً متنكرا يخاصم من يهوى ويطمع بالوصل

(قال الراوى) فكان غناها بلذات وطرب وحلاوة وضرب أوتار فوالله يا أمير المؤمنين لقد حصل لنا من الطرب ما غيبنا عن الوجود هنالك نهض النحاس على الأقدام وقال اعلموا ياأصحاب الاموال أن هذه الجارية معها جاريتين برسم مطلوبها ومع كل جارية صندوقان متاع ومصاغ وثياب بمائتان دينار وكل ذلك معى فيه ألفين دينار فمن معه زيادة فليتكلم فقلت له ومائة فقال الآخر وأربعمائة فقلت أنا وخمسمائة دينار فقال النحاس بعتك يامولاى فقلت لعبدى امضى وائتنى بالمال فمضى فى عاجل الحال وأحضر المال فوزن له الألفين وخمسمائة دينار وفرقت على غلمانه مائة دينار وأتيت بها وجوارها الى منزلى وأنا من محبتى لها ذاهل عقلى وغائب لبى وكنت قبل خروجى من المنزل قد أمرت باحضار الشراب وأقمنا ذلك اليوم معها فى أكل وشرب وأنا فى ألذ عيش وأهناه الى أن أمسى المساء ولما جنّ الليل تقربت منها لأقضى منها وطرا فقالت يامولاى ابعد عنى واحفظ راسك فقلت لها انت مجنونة أخذتك بمالى وتقولى لى احفظ رأسك فقالت يامولاى ماأنا كارهة لك ولكن أنا أعرفك بقضيتى أنا جارية الوزير جعفر بن يحيى البرمكى وأن زوجته ربتنى وعلمتنى هذه الصناعة والأدب وقرأت القرآن وفى بعض الأيام هجم على الدار الوزير جعفر على غفلة منا فرآنى وتحقق صورتى فتعلق قلبه بى فسأل عنى فقيل له انها جارية زوجتك فأرسل اليها يطلبنى منها وألح عليها فى الطلب فنالها منال عظيم ومن غيرتها منى أرمتنى الى النحاس وأمرته يبيعنى ولو بدرهم واحد فجرى على ماجرى وهذا حديثى وأنت غلام غريب وربما الوزير مايصبر عنى فاصبر عنى شهر من الزمان فاذا لم يطلبنى فأنا بين يديك وان طلبنى ووجدنى بكر عذراء فيكون أحسن وأجمل وتحظى أنت عنده بالجميل لأن الوزير جعفر لم يضيع عنده المعروف أبدا ولو كان بعد حين فعند ذلك ياأمير المؤمنين صبرت شهرا وطلبتها فقالت اصبر شهر ثانى فصبرت فسألتنى شهر ثالث وبعد الثلاث شهور قلت لها هذا منك محال أو مكر أو لك عن اشتغال فقالت والله ياسيدى ما قلت ذلك إلا شفقة عليك منى والآن فأنا بين يديك وأنا جاريتك وبحكمك فيا أمير المؤمنين دخلت عليها فرأيتها بكرا عذراء فأقمت معها مدة واشتقت الى أهلى ووطنى فشاورتها فى

الانحدار إلى البصرة فأجابتني الى ذلك فأنزلتها فى شبارة ونزلت أنا ومن معى فى شبارة أخرى وسرنا من بغداد الى أن وصلنا البصرة فالتقونى أهلى واخوانى وصعدنا الى القصر الذى لنا وديارنا وظهر حمل الجارية ففرحت بحملها فتصدقت وأوهبت وأقمت أربع شهور أخرى واذا ببعض غلمانى دخل علىّ وقال لى يا مولاى على الباب خادم يستأذن عليك فأذنت له ولما دخل على قال لى أجب مولاى محمد بن سليمان الزينى فقلت سمعا وطاعه ونهضت من ساعتى لبست أثوابى وخرجت معه حتى وصلت الى دار المتولى فسبق الخادم واستأذن لى فأذن له ولى فدخلت وسلمت على محمد بن سليمان الزينى فرد على بأحسن رد وقال لى يا فتى قد قيل لى عنك أن معك من بغداد جارية ما فعل الدهر بها فقلت له يطول عمر مولانا نعم وصلت معى ووضعت وماتت الى رحمة الله تعالى فقال لى ارجع فى دعة الله وبعد ثلاثة أيام كبس دارى وصار معى أكثر من مائة غلام بالسيوف المجليه فوضعوا منديلى فى رقبتى وأخذوا الجارية ووالدتى وأختى وأنا وصاروا بنا الى بغداد ولم يزالوا سائرين حتى وصلنا الى دار جعفر فدخلوا بالجارية ووقفت أنا ووالدتى وأختى على الباب ولم يبق معنا من الغلمان أحد فقالت والدتى ويلك الموكلين بنا تركونا وفارقونا ونقف نحن حتى يأخذونا ويهلكونا فقلت اتبعينى أنتى وأختى على الجسر فقاموا وسرنا الى القنطرة فصادفت القافلة دخلت فى ذلك اليوم فسرنا معها وسمعناهم يطلبون الرحبة فسرنا ساعة وتوارينا معهم فحنوا علينا أهل القافلة فحملونا وأطعمونا الى أن وصلنا الى الرحبة فقلت لأمى دعينا نقيم ههنا نأخذ الراحة من مشقه التعب فدخلنا الى البلد وأوينا الى بعض المساجد ومكثنا يومنا وليلتنا لم نستطعم بطعام فقلت لأمى قد أحل الله لنا أكل الميتة قالت يا ولدى أخرج الى البلد عسى أن يفتح الله عليك بشىء نأكله فخرجت من عندهم ودرت الى البلد فلم أستحسن أطلب من مخلوق فدخلت فى بعض الشوارع واذا آخر الشارع دار حسنة وعلى بابها شيخ مليح الشيبة عليه أثواب جميلة فأردت أن أدنو منه وأشرح له قصتى وأسأله فى شبع جوعتى فلم تطاوعنى نفسى أن أذكر له شيئا من ذلك فتوسمت فيه الخير فقعدت على رأس الدرب فرأيت معلم يقرى الأولاد فطلبت منه دواة وقرطاس فأعطانى ما طلبت فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم كاتب هذه الأحرف رجل غريب ومعيل ومضيق خانه زمنه وفارق وطنه وتباعد سكنه ورماه الزمان بطوارق الحدثان فأصبح بعد العز ذليل وبعد الكثرة قليل ومعه حرمتان لابستان ثياب الذل وهن يبكين على ما فات سواكب العبرات وقد أضناهما الجرى

وقل منهما الحيل والقوى وسؤال العبد سد جوعته وروعته لتفوز بأجره ودعوته فقد بدا بين يديك وجهه فاياك ثم اياك أن تأمن الزمان الغدار كما قال القائل العلوى هذه الأبيات :

لم أبده حتى انقضت حيلتى ... فبذلته وهو الأعز الأكرم
ومن العجائب أننى فى بلدة ... ذل العزيز بها وعز الدرهم

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم انى يا أمير المؤمنين طويت الرقعة وأتيت الى الشيخ ويدى تقصر عن هـذه الاشارة اليه ثم قويت قلبي ومددت يدى اليه فأخذها من يدى وقرأها وعرف معناها ثم رفع رأسه الى وتأملنى طويلا ثم قال لغلامه خذ بيد هـذا الشاب وسر به الى دكان أبى ماجد الحداد وقل له يا سيدى هـذا غريب ما يحسن صنعه فخذه استخدمه عندك لأجل سيدى واطعمه واسقيه ثم قال لى امضى معه وسار قدامى وأنا من خلفه الى أن أتى بى الى الحداد وأعاد عليه المقال فقال نعم ودخلت الدكان فسلم لى المفتاح وعلمنى كيف الفتح وقال لى كراك درهمين كل يوم فقلت يامولاى خلفى حريم جياع عن اذنك أمضى اليهم فقال لى سير نحوهم ولا تغيب وأعطانى درهمين فأخذت بدرهم خبز ودرهم شواء وأتيت الى المسجد ووضعته بينهما فقالت لى أمى من أين لك هذا فقلت لها كان من الأمر ماهو كذا وكذا فبكت والدتى وولولت وقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا بعد الملك العظيم والحال النعيم صرت تنفخ عند حداد فقلت كان ذلك فأكلت معهم شىء يسير وعدت الى دكان الحداد ووقفت خلف المنفاخ ونفخت الى ان تصرم النهار وأقبل الليل بالاعتكار فدخل النوم على الأجير الذى يضرب قدامه بالمرزبه وغلب عليه النوم فأخذ بالكلبتين مسمار طويل غليظ وطعن به الصانع حتى انه ينهه بغاص فى أضلاعه فمات لوقته وساعته ولما رأى المعلم الى ذلك رمى العدة من يده وخرج من الدكان هاربا وبقيت أنا يا أمير المؤمنين واقف لا أدرى أين أذهب ولالى مكان أعلمه فخرجت من الدكان مهرولا واذا أنا بمشعل ورجاله وخياله داروا من حولى واذا به الوالى الذى للبلد وداروا بى الرجال وقبضونى والى الوالى قدمونى وأتوا بى الى الدكان وقد نزلت بى طوارق الحدثان ولما عاينوا المقتول قالوا ويحك أنت قتلت هذا فمن خوفى منهم قلت نعم فحملونى الى السجن أدخلونى وعند الصباح الى ظاهر البلد أخرجونى وأنا بينهم لا أعلم ما يراد بى فرجوت المولى لأنه يعلم سرى وجهرى وأمى وأختى ما يعلمون ما جرى والناس يرجمونى ويضربونى والناس يعتقدون انى قاتل هذا الرجل فناديت

فى سرى وقلت إلهى وسيدى ومولاى وسامع كلامى ونداثى هؤلاء الخلق ما يعلموا قصتى وأنت تعلم بحالتى يامن لايخفى عليه خافية فوالله ما تم كلامى وإذا بالحداد قد هجم وشق الناس وفرش ثيابه وزاد نداه ومصابه وقال بالله عليكم لاتقتلوا هذا الغلام فانه برىء وأنا القاتل بيدى وما يحل لى من الله أن أقتل واحد وأتقلد بذنب الآخر فلما سمع الوالى كلام الحداد وإقراره على نفسه خلصونى وعلى الأيادى رفعونى وضجت الناس فبينما نحن كذلك واذا بزعقة أقبلت وخيل تبادرت ورجال تصارخت وأخذونى أنا والوالى المقدم على الخيالة فبادر الوالى وقبل قدمه بعد أن قبل التراب فسأله عن الحال فحدثه الوالى عن تلك الأمور والأسباب فزاد به العجب وأخذه الطرب وقال الحداد فيشنق لإقراره على نفسه وما فعل وأما هذا الغريب فأنا آخذه معى ثم أخذونى ونصبوا لى ولهم خيام ومضارب وأرموا علىّ الخلع والمواهب وكان الذى فعل معى تلك الفعال وفى خدمته تلك الابطال كان يحيى البرمكى أبو جعفر ولما أن خلى بى قال ياغلام كأنك من أرباب النعم ولكن عد ماجرى لك على وماعملت من أعمالك عند ذلك حدثته حديثى من أوله إلى آخره حتى كأنه حاضر ولم أكن أعرفه فلما سمع مقالى قربنى وأدنانى وقام إلى وقبلنى وقال ياولدى اعلم أن جعفر ولدى فى قلبه منك حسرة ومراده لو رآك ولو قدر بروحه لفداك فلما سمعت كلامه زاد بى الخوف والفزع والوجل وكان يحيى قد لحقه مرض ووصفوا له دمشق الشام يمكث فيها مدة أيام لاجل هواها فسار اليها بالاتفاق وجرت تلك الأحكام ثم أكرمنى غاية الاكرام ومضى الى دمشق وأقمنا بها أيام حتى صلح للعافيه ورحل منها ووصلنا إلى بغداد وأنا فى كرم زائد وأمى وأختى بعد ماتعجبوا من قصتى وفرحوا بسلامتى وكان قد أفرد لنا دارا حسنة وكان يحيى عند دخولى الى بغداد التقوه البرامكه وجعفر ولده أيضا فقال له ياوالدى جارية البصرى عندك الى الآن قال نعم ياوالدى وفى قلبى حسرة على سيدها وأخاف أن يدركنى الممات ولا أتحلل منه فقال ياولدى انه عندى فكاد جعفر أن يطير من الفرح وقال على به ولما أن وصلت اليه ضمنى الى صدره وقال لى يهنيك الغلام الجديد فانه والله ولد مسعود ثم قال والله من حين غبت عن جاريتك ما رأيت لها صورة ولا قائمة وأن أموالك وأرزاقك محجوبة مضمونة مضبوطة بالقلم وغلمانك فى خدمتك وماضاع لك ولادرهم ثم خلع على خلعة سنية وحملونى الى دار السعد بها قد دار على بابها ستر من الحرير وأيضا من الخدم والحشم ولما أدخلونى الى تلك الدار واذا بجاريتى واقفة على رأسها جوار نهد أبكار كأنهن الأقمار وهى جالسة كالبدر عند تمامه وعليها

الحلى والحلل والجواهر وشىء زائد الحد ولما أن رأتنى قامت على الأقدام وبكت فى وجهى وقالت يامولاى من يوم دخلت على سيدى وحدثته بما جرى منك وانك لم تدن منى الا بعد ثلاثة أشهر فطلبك حتى يودينى اليك وينعم عليك فما وجدك فأخلالى هذه الدار وأحسن إلى غاية الاحسان ولما أن كان من الغد أتونى ببغلة بمركب ذهب وأركبونى بعد أن عضدونى وسرت الى دار الوزير جعفر ولما أن دخلت عليه قام قائما على قدميه وفرح بى فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال يا أخى هذه خمسة آلاف دينار وتجعلنى فى حل مما جرى لك من الخوف والهياج فقلت والله يا مولاى انى أعجز عن شكر ماقد أوليتنى من الاحسان ثم سرت الى الدار وقد فرحت أمى وأختى وجاريتى بالاجتماع بى ووجدت مالى تضاعف وزاد وهذا ما جرى الى مع جعفر وحين رأيت ذلك تمنيت الممات ولا أعيش بعده فان كان مولانا يقتل فليقتل وهو غاية المراد وان كان يعفو فليعفو وهو من شيم الكرام فلما سمع الرشيد ذلك من الشيخ أطرق برأسه الى الأرض وقال والله يا شيخ لقد جازيته وتفضلت عليه ولكن أنت رثيته وأنت تحت الخشبة وأنت خائف وفزعان فترثيه بين يدى ولك الأمان فعند ذلك أطرق الشيخ برأسه إلى الأرض ساعة ونبه سرائره وزاد افتكاره وأنشد هذه الأبيات :

أيا من أسهروا عينى وناموا ... فعينى لا تعاد بها منام
وما أرقى بأنى مستهام ... إذا سهر المحب المستهام
ولكن الحوادث أرقتنى ... أبت سهران إذ هجع الأنام
وكانوا فى السماء لنا نجوما ... بهم نسرى إذا اعتكر الظلام
فقلت وفى الفؤاد دسيس حزن ... ودمع العين أيسره سجام
على الدنيا مع المعروف جمعا ... ودولة برمك ألفى سلام
جزعت لجعفر مما أتاه ... وان أجزع فمثلى لا يلام
فجئت لجعفر لما دهاه ... وما عجبى اذا غضب الامام
جرى بالليل طائرهم فبلغ ... وأصبح جعفر منها مضام
أمين الله جعفر فهبه ... بجودك أيها الملك الهمام
لقد حكم الزمان بطول حكم ... وصار لنا بمصرعه انهزام
إذا ما جئت جعفر من يحيا ... مضاما لا تذل ولا تضام
وكان الوجد مستطل عليه ... فبان الفضل وانقطع النظام

فواعجباه لو عقد المنايا صنائعه الجميلة والكلام
مقامات له ومقال صدق كريم ليس يشبهه مقام
فتى يحمى الديار وكل مجد ودفاعا إذا ما القوم ساموا
أصابتنا مصائب فيه وهنا وهدتنا مصائبه العظام
هم الأبرار ان ظعنوا وساروا وهم أعلا المكارم ان أقاموا
وهم أهل المكارم والمعالى إذا ما الجو أدعته الأنام
أسفت لبعدهم والدار تنعو وليس بها لساكنها خيام
وكيف يطيب لى عيش وأدنو بعينى بعدهم دار السلام

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ولما فرغ الشيخ من انشاده قال له الرشيد يا شيخ لقد جازيته بما فعل فى حقك وأمر بدفنه من ساعته فنى عاجل الحال أنزلوه وجهزوه ودفنوه (قال الراوى) ولقد حدثنى عمرو بن موسى البرمكى أنه كان حدثه شاعر من بعض الشعراء يقصد جعفر بن يحيى البرمكى فى كل سنة ويمدحه بقصيدة من الشعر فيعطيه ألف دينار فيأكل فيها من السنة إلى السنة الأخرى ولما بلغ الشاعر قتل جعفر أقبل من بلد الكوفة وأتى الى قبره وبكى وأنشد يقول :

أفل البدر بعد ما كان تماما ومضى نوره وعاد ظلاما
وأحاط الكسوف بالشمس حتى أظلم الجو ثم عاد قتاما
ومن الحزن صارت الخلق صرعى وحيارى جهارا وزادوا سقاما
حين قالوا الوزير غدا قتيلا بسيوف الحمام من الاماما

(قال الراوى) وما زال الشاعر يرثى جعفر بمثل هذه الأبيات حتى غلب عليه النوم فسبحان من لا ينام فنام على القبر فلما غرق فى النوم رأى جعفر فى المنام وقال له يا هذا اعذرنا لأنك كنت تأتى الينا فى كل عام نغمرك بالعطاء والانعام والآن كما ترى قد سكنا بعد القصور القبور مجاور من له شهور وأعوام فاذا استيقظت من نومك فسير من وقتك وساعتك الى البصره فاذا وصلت اليها فامشى فى سوق التجار وقف على ثالث دكان على يمينك وقل لصاحبه يا صاحب هذا الدكان يقول لك جعفر البرمكى بأمارة القول اعطينى ثلاثة آلاف دينار فخذها منه واحتفظ عليها فى يدك وبيع بها واشترى وعيش فيها باقى عمرك ولا تضيق من أجلى صدرك وقد كان لى رزق وأجل واستوفيته وكذا جميع الخلائق (قال الراوى) يا ساده يا كرام فعند ذلك انتبه الشاعر من نومه وهو مما رأى حائر وقال فى نفسه

هذا منام لايصح والله لو كان جعفر يعيش على ظهر الدنيا وأرسل له خطه معى مايعطينى الرجل هذا المال ولا ثلاثة آلاف درهم فلوس جدد فضلا عن الذهب فكيف لو سمع كلامى عن جعفر بعد الممات وهو فى القبور المظلمات فهذا شىء لم يكن ولكن رحمك الله ياجعفر ياباب المكارم مكارمك تخطر على الأوهام فى اليقظة وفى المنام (قال الراوى) ثم إن الشاعر سار من وقته وساعته الى البصرة ودخل اليها وبات فيها الى الصباح قال والله لا بد لى أن أدخل السوق الذى للتجار وأنظر وأتفرج فلقى كل دكان فيها مايساوى عشرة آلاف دينار قال ثم انى عديت أول دكان وثانى دكان وثالث دكان وجدتها مردومة من أفخر الحراير والمقصب والمطاير والمرايش (قال ياساده) ثم نظر الى صاحبه فوجده شاب من أحسن الشباب وعنده مملوك برسم وزن الذهب والفضة وصاحب الدكان يبيع ويشترى والمماليك تقبض وتصرف فلما نظر الشاعر إلى ذلك هاب الدخول عليه وقال فى نفسه ان قلت له رأيت جعفر فى المنام فيضحكوا على جميع الناس وأنا غنى عن هذا الأمر والشان ثم انه قال والله لا بد أنى أقول له على ما رأيت حتى أنظر ماذا يكون من أمر هذا المنام وضع يضحك على كل انسان ثم ان الشاعر قوى جنانه وأطلق لسانه وتقدم الى التاجر وقال السلام عليك أيها التاجر فقال له وعليك السلام والتحية والاكرام ماحاجتك ياهذا فقال له الشاعر ياهذا حاجة المملوك ان تسمع منه كلام وتعطيه جواب ولا تشغل عقله فى ذلك والسلام قال له التاجر وماهو الكلام فقال له اعلم يامولاى أنى رجل شاعر وفى كل عام أمدح الأمير جعفر بقصيدة وآخذ منه ألف دينار أصرف منها من العام الى العام الآخر وأحكى له جميع القصة وقال له وقد رأيته فى المنام وهو يقول لى كذا وكذا بأمارة الفول اعطينى ثلاثة آلاف دينار فلما سمع التاجر ذلك الكلام بكى الى أن غشى عليه ولما أفاق قال للمملوك اعطى هذا ثلاث آلاف دينار فقال التاجر والله لو قلت اعطينى مائة ألف دينار لأعطيتك اياها ثم بكى بكاء شديدا ولما أفاق وجد المملوك قد كيس الثلاثة آلاف دينار فى ثلاثة أكياس ثم قال التاجر خذ يا أخى نصيبك فأخذ الشاعر من ذلك العجب وقال يا أخى والله العظيم ما آخذ منها شىء حتى تقول لى على سبب هذه الاماره وما الذى جرى لك حتى أعطيتنى هذا المال ولم يكن لى على بال فقال التاجر وما تصنع بما أبدى لك من المقال فقال الشاعر والله لابدلى أن أسمع ماجرى لك لأن هذا والله شىء عجيب يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما فيه من العجب فقال التاجر بسم الله يا أخى قم بنا الى البيت ثم ان التاجر

أخذ الشاعر وسار به الى داره وأمر الغلمان أن يغلقوا الدكان وما زال الشاعر مع التاجر الى أن دخل به الدار السعد بها دار يطول شرحها وما استقر بهم الجلوس حتى أتاهم أفخر الطعام وقال للشاعر بسم الله كل مما سهل الله به فى هذه الساعة فأكل الى أن اكتفى وأتوهم الخدم بالماء ورد والمسك والمناشق وبعد ذلك أكل من الحلوى على حسب الكفاية ثم إن التاجر ابتدأ يحدث الشاعر بحديث الفول وقال له يا أخى اسمع كلامى اعلم أنى رجل من أهل بغداد وكنت رجل صعلوك فوال لا أملك من الدنيا سوى غير نصف ويبة فول وهى رسمالى ومهما طلع من الفائده أتقوت أنا والعيال به وقد أقمت على ذلك برهة من الزمان لليلة من الليالى وكان أوان الشتاء فصادف الحال ان هذه الليلة المعلومة أمطرت فيها السماء مطرا شديدا الى ان أغرقت الأرض والتلال وأصبحت بغداد لا يقدر أحد أن يخرج من بيته لعظم ذلك المطر فلما رأيت ذلك قلت لزوجتى ان الفارس لا يقدر فى هذا اليوم يمشى بنفسه فى شوارع بغداد فكيف أقدر أنا على بيع الفول على رأسى وخلنى قاعدة جريدان هذه أحوال لا يقدر عليها مخلوق فقالت لى زوجتى ياسبحان الله تبطل اليوم ويتلف الفول ولا يبقى معك رسمال ونموت بالجوع فنوم ولو أنك تبيع بشىء نتقوت به (قال) فعند ذلك قمت وسلقت الفول وتدفيت أنا وأولادى على النار وخرجت والطبق على رأسى والمطر ينزل كأفواه القرب وأنا خائض فى الماء الى الركب وقد اعترانى الهم والغم والحزن والفكر والجوع والتعب وكان الوزير جعفر هو وزوجته بالقضاء والقدر فى هذه الساعة جالسين فى أعلى مكان فى داره وهو مشرف يتفرج على ذلك المطر والسيول وعلى ذلك الغيم والماء المهول فى مثل هذا اليوم فلما نظر الى وأنا على تلك الحالة قال لزوجته ألا تنظرى الى الفوال فى مثل هذا اليوم يبيع فيه الفول وان الخيل العتاة تعجز عن المشى فيه فقالت له زوجته لا بد ان يكون من الاحتياج فقال جعفر والله لأرسلن وراءه وأكشف خبره فان كان فقيرا باذن الله اغنيته لولد الولد وان كان غنيا وعمل على هذا الحرص للدنيا الفانية لأجعلنه عبرة لمن اعتبر (قال الراوى) ثم ان الوزير زعق لبعض غلمانه وقال اخرج مسرعا وأتينى بهذا الفوال فمضى الغلام واحضره بين يديه فى ساعة الحال فلما صار بين يديه قال له ما حملك على هذه الفعال فقال والله يامولاى الفقر والاقلال والجوع والعيال فعند ذلك التفت الى زوجته وقال لها والله لقد افرح قلبي بكلامه وما قال من خطابه ثم زعق على خادم كان قدامه وكان اسمه صواب فقال له ويلك يا صواب ازعق لى على كل ما حوته هذه الدار من مماليك وغلمان وجوار ففعل ذلك فحضروا أكثر من

ألف من كبار وصغار فعند ذلك قال جعفر من يحبنى ويعزنى منكم يشترى من هذا القول بما كان يملكه من الذهب والفضه والفصوص والمعادن فلما سمعوا ذلك الكلام من الوزير صار كل واحد يعطى ما يملك فى ذلك الوقت من الفصوص والذهب اللؤلؤ وهم يتزاحمون على والشاطر من يصل اليه وإلى الوزير والوزير يقول له بيع خلاصك فما كان غير ساعة حتى جبرت ما كان معى من الفول وقد تعرم الطبق فضة وذهب ولؤلؤ وفصوص وياقوت أحمر وقد امتلأت القاعدة من الملبوس والقماش المفتخر وكان يساول أكثر من مائة الف دينار ولما جبرت الفول الذى كان معى جميعه قال لى جعفر بقى معك فول فقلت لا والله يامولاى ما بقى شيئا قال فتش لعلك تجد شيأ فقلت لا والله ياسيدى قال فتش ففتشت ما وجدت معى غير فولة واحدة فقال لى هاتها فناولته اياها فأخذها من يدى وقسمها نصفين وقد حط قدامه نصف وقدام زوجته نصف ثم قال جعفر لزوجته كم عليكى فى النصف الذى قدامك فقالت له على بالف دينار فقال جعفر ما يخلصه بل أنا على فى النصف بتاعى ألفين دينار ولم يزل جعفر يزيد ألف فى ألف مع زوجته وهى تزيد عليه حتى بلغ كل نصف عشرين آلف دينار ووزنوا الى ذلك الذهب من تلك الساعه (قال) وبعد ذلك أذنوا إلى بالانصراف وأمر بعض العبيد أن يعاونونى على حمل ما معى من المال الى منزلى فسرت بتلك السعادة والانعام إلى أن دخلت الدار ورأت زوجتى شيء يذهل العقل فتحيرت فى عقلها وقالت من أين لك هذا فأخبرتها بما جرى على فى بيت الوزير جعفر ففرحت بذلك ثم قلت لها اعلمى ان ما لنا مقام فى هذه المدينة لأننا بعد الفقر أتتنا هذه السعاده ولو تكلمت أنا وصبى من هذه البلده يقول لى كبرت نفسك بأقواله والرأى اننا نسير الى البصره ونسكن فيها الى الممات فقالت زوجتى ما أشرت من المقال الا بالصواب فأصبحت مالى شغل الا انى اكتريت على زوجتى وأولادى مع رجل جمال وحملت ما كان حصل لنا من المال وسرنا الى هذه البلد واشتريت هذه الدار وفتحت هذه الدكان لنا فى كل عام يزيد مالى الى أن صرت فى هذا الحال وقد كثر مالى وصلح حالى وحصل لى بعد الفقر اليسر وذلك كله من فضل الله وفضل الوزير جعفر ولما سمعت بانه قتل لبست السواد أنا وزوجتى وأولادى وتصدقت بما يزيد عن خمسة آلاف دينار وأعطيتك ذلك وزودتك فى المقدار لأننى والله كلما أنا فيه من فضل الله وفضل الوزير وانى اليوم لا أعلم عدد ما معى من المال من كثرة السعاده واتساع الحال وهذا حديثى والسلام (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع

الشاعر ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال سيجعل الله بعد عسر يسرا ويجعل لكل شيء سببا ثم انه بات تلك الليلة ولما أصبح الصباح عزم على السفر فأعطاه التاجر مائة دينار وزيادة على الثلاثة آلاف دينار وسار الشاعر إلى بلده واكترى له بها كان فأقام يأكل ويشرب وقد زاد ماله وحسن حاله (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا جرى من بعض مكارم البرامكة وكان يحيي أبو جعفر صاحب مكارم جسيمه وكذلك الفضل أخو جعفر صاحب عطايا عظيمه ومكارم جسيمه فرحم الله أهل المكارم وجعل مسكنهم الجنان فى العز الدائم (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان الرشيد بعد أن أمر بدفن جعفر خاف من عتب الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه فى قتل جعفر والبرامكه وأراد أن ينفي الظن عنه فأرسل الا الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمه كتاب وإلى أبو محمد البطال والكتاب الذى زور على جعفر وكتب اليهم فى الكتابين اعلموا يا معاشر الامراء انى ما فعلت فى حق جعفر والبرامكه ما فعلت الا من أمر عظيم وخيانه وقد قابلتهم بما أرادوا أن يقابلونى به وهذا الكتاب بخط جعفر إلى ابن الرضى بخراسان وأراد أن يجعله امام العصر والزمان فأطلعوا الامراء على ذلك الكتاب وانظروه حتى يظنوا الناس بأنى ما أخذت البرامكة الا بحق واجب وسلم الرشيد خريطة الكتب الى النجاب وأمره أن يجد فى المسير ويحث الركاب فأخذ النجاب الكتب منه من ساعته وسار إلى ملطيه وخرج من هناك على الدروب وسار إلى حصن يانس المتغرب وكان ذلك النجاب أحب خلق الله تعالى الى الوزير جعفر فلبس على جسده السواد وثياب الحداد ولما وصل إلى حصن يانس وشق بين المضارب وأكثر من البكاء والنواح والانتحاب وحث على رأسه التراب وخرق ما عليه من الثياب وصاح بأعلا صوته وقال والله لقد أظلمت الدنيا وأظلمت شمس النهار وانكسف بعد كماله بدر الفخار وغاص علم القام فى الثرى واندرس معالم الفضل وفقدت الأكرمين من الدنيا ورثاه النجاب بأبيات فلما سمع الأمير عبدالوهاب تلك الأبيات قال له ويلك ما وراءك من الأخبار قل وأوجز فى المقال قال يامولاى الوزير جعفر ضرب الرشيد رقبته وصلبه وأمر بقتل البرامكة من سائر الجهات وقد دارت عليهم طاحون الشتات وشربوا من الموت كاسات فقال الامير لا حول ولا قوة الا بالله العظيم ثم ان النجاب قال يامولاى ان جميع الناس حزنوا عليه ورثوه بالاشعار ومن جملتهم مالك بن حنظلة لانه كان يعطيه فى كل سنة ثلاثة آلاف

دينار وبكى النجاب بكاء شديدا ما عليه من مزيد ثم ناوله خريطة الكتب فأخذها معه ورسم له بخمسين دينار وأعطى الخريطة للبطال واستخرج منها الكتب وقرأ كتاب الرشيد على الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ثم ان البطال قرأ الكتاب الذى زوره عقبة على جعفر ولما أن حققه اصفر لونه واضطرب كونه وتغيرت حالاته ودق بيد على يد وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فأنكر الأمير من البطال ذلك الحال وداخله الشك فى الكتاب الذى زور على جعفر وقال والله لقد كنت عاتبت على الرشيد ولم أعلم باطن هذه القصة ثم قال يابطال والله إن هذه نوبة عظيمة فقال البطال أيها الأمير وأنت إن طال عليك هذا الحال وتحققت أن جعفر هو الذى كتب ذلك الكتاب فقال عبد الوهاب نعم لاشك ولا ريب فقال البطال لا والله الذى لا إله إلا هو لأن هذا الخط زور على جعفر فقال الأمير من يقدر يزور على جعفر مثل هذا الخط ومن أين علمت بهذه الامور فنهض أبو محمد من وقته وساعته ورجع على عجل ومعه لؤلؤ يحمل مزود فيه كتب كثيرة بخط جعفر واستخرج من المزود ثلاثة أوراق وطرحها قدام الأمير عبد الوهاب وجعل الخط الى جانب الخط الذى أتى به النجاب وصار يتأمل الألفاظ والأحرف حرفا حرفا وقال انظر ان كان اللفظ والاحرف تشبه الأحرف فنظر الامير الى ذلك وميزه فصدق البطال فيما قال وقال كيف الرأى يابطال ومن يقدم على تلك الفعال قال أريد أسألك قال قل مابدا لك فتقدمت الأميره وقالت يا أبا محمد أخبرنى عن هذه القصة المشكلة لأنك تشبه سطيح قال هل سمعت أن عقبة فى بغداد قالت نعم فدق بيد على يد وقال ساخوفى إلا أن يكون ذلك الأمر منه وما فعله غيره فتبسمت الاميره وقالت هذا ظن بعيد ولكن لابد لى من الانحدار الى العراق حتى أصحح الأخبار وبعد ذلك ندخل الى بلاد اليونان فى طلب علوى وإبراهيم وأمرت أصحابها بالرحيل ورحلت بعد ثلاثة أيام طالبة أرض العراق ومعها أربعين ألف عنان من بنى عامر وبنى كلاب وعشرين ألف من السودان الانجاب ولم تزل سائرة إلى أن وصلت الى العراق وسبقت أخبارها الى الرشيد ففرح بقدومها وسمع الفضل بذلك فقال ياقاضى تعلم لأى شيء قدمت ذات الهمه قال لا أعلم وكادت نفس عقبة أن تزهق من الفزع لما علم بوصول الاميره فقال الفضل ياقاضى ما الذى ترى فى تلك النوبة فقال القاضى ماخوفى إلا إن الرشيد يوريهم الكتاب الذى زورناه على جعفر والقوم عندهم كتب كثيرة بخط جعفر لأن بينهم صحبة ومراسلات كثيرة وماخوفى إلا من البطال لأنه أخبث من كل

من مشي وأمكر من كل من نشا وان نحن اختفينا ثبتت النوبة علينا ومافى الأمر إلا انا نصبر ونحتسب ونكابد وأما الأميره فانها لما وصلت الى بغداد التقوها أرباب الدولة بأحسن ملتقى ودخل عليّ بن ظاهر على الأميره وعليه ثياب الحداد ولما رأى الامير عبد الوهاب بكى وأن واشتكى وكان عنده جماعة من الأمراء والاعيان وأخذوا الكل يتحدثون فيما كان فقال على بن الظاهر يا أمير أنا آتيك وأحدثك بشيء جرى وهو من العجب وهو انى كنت قد ضميت بغداد من كل ما يدخل من البضائع التى مع التجار فأقمت مدة ثم كثر على القاصد والوافد فبذلت وتكرمت ووهبت وتصدقت وكانت تلك السنة لم يدخل المدينة أحد فانكسر علينا ثلاثمائة ألف دينار فقبض على الرشيد وأحاط على جميع مالى وأخذ الذى له فبقى للتجار مائة وخمسين ألف دينار فسلمنى اليهم وقال هاخصمكم افعلوا به ماشئتم فقالوا هذا ما معه شيء وما لنا إلا قتله حتى اننا نشتفى منه لأنه أخذ أموالنا وأعطاها للخليفة ولا يملك شيء من المال واجتمع رأيهم على قتلى فأخذونى وأخرجونى من بين أهلى والأولاد يبكو على ووصلوا بى الى جانب الدجلة وهموا بقتلى واذا بقائل يقول اصبروا ياقوم حتى يعبر الوزير فصبروا الى أن عبرفنظر الى سوء حالى فسأل عنى فأخبروه بقصتى فقال خذوه وألحقونى به إلى داره فلما وصلوا بى إلى داره إلا ونحن خلفه فجلس وقال للتجار كم عليه من الدراهم قالوا مائة وخمسين ألف دينار قال فلما سمع منهم ذلك قال ياقوم أنتم تعلمون أنى على سفر لكن أنا أدفع جانب من المال تأخذوا به بضائع من بغداد وتأخذوا البضائع من جملة بضائعكم من قمح وقماش فاذا رجعتم هاتوه معكم إلى بغداد فاذا حصلتم إلى هنا طرحت عنكم المكس وأعطيتكم من الربح مالكم ويعود مالى إلى فقالوا أيها الوزير إذا فعلت ذلك فقد رددت علينا مالنا وحييت هذا الرجل من القتل فقال ياقوم قد فعلت ذلك ثم انه أحضر لهم مال عظيم فأخذوا وباعوا واشتروا فكان الربح أكثر من ثلاثمائة ألف دينار فأوفاهم مائة وخمسين ألف دينار وقال لى بعد أن خلع على : خذ بقية هذا المال وتاجر فيه بقية ذلك العام والآخر لعلك تربح شيء فأخذت المال وتاجرت فيه أربع سنين حتى صار سبعمائة ألف دينار فأحضرت المال بين يديه فانه أصله مائة وخمسين ألف دينار وقلت يأخذها والباقى يقسموه بيننا فأطرق رأسه إلى الأرض قليل ورفعها ونظر إلى وقال لى ياابن ظاهر تريد تعلمنى مساوئ الاخلاق خذ جميع المال بارك الله لك فيه فوالله لاأخذت منه شيئا لا كثير ولا قليل وانما أمرتك بذلك فى الاول لأجل أن تحترس عليه فينفعك ثم أمر الغلمان أن تحمل

المال الى دارى ففعلوا ذلك فصرت أغنى أهل بغداد كلهم وكل ماأنا فيه من الله ثم منه بكى الأمير عبد الوهاب وكل من كان حاضر من الأمراء والاصحاب استأذنوا فى الدخول على الرشيد بالله فأذن لهم ولما أن وصلوا قبلوا يديه وسلموا عليه سلام الخلافة فرد عليهم السلام بأحسن رد وأمرهم بالجلوس فى حضرته فلما استقر بهم الجلوس سألهم عن أخبارهم وأحوالهم فنهض أبو محمد قائما على الأقدام وقبل الأرض ودعا للرشيد ووضع الكتاب المزور على جعفر على جانب السده فأخذه الرشيد وقال ما هذا قال مولاى هذا الكتاب الذى زوّر على جعفر قال الرشيد من أين علمت أنه زور قال يعطينى أمير المؤمنين خاتم الأمان وأنا أتكلم قال له لك ذلك قال ياأمير المؤمنين من أعلمك بذلك الأمر قال عقبة فالتفت البطال الى الاميره وغمزها فنهضت قائمة وقبلت الأرض وقالت ياأمير المؤمنين قد كنت ادخرت لأولادى وأولاد أولادى يواقيت وجواهر ومعادن قيمتها ثمانية آلاف دينار وأوصيت انهم لأولادى بعد وفاتى ومعى بذلك الخط الشريف فقال لها نعم كان ذلك فقالت يامولاى كم دية المسلم إذا قتل قال ألف دينار قالت فالمملوكة تسأل من إنعامك وجودك وامتنانك تسلم الينا القاضى عقبة فان مات كانت أموالى التى عندك وديعة كلها فى ديته وإذا لم يمت كانت أموالى كلها باقية عندك على حالها واشهدوا علىّ بذلك يامن حضر فى ذلك المجلس فقال الرشيد قد سلمته إليكم هنالك قد وثب البطال ووضع حمائل سيفه فى رقبته وأخذته الاميره بين أصحابها وخرجت من المجلس ومضت الى خيامها التى مضروبة على ظاهر بغداد ولما استقر بها قدمت عقبة قدامها وقالت هات ماعندك ياقاضى وعرفنى بالقصة على الصحيح فوحق المصطفى ما ينجيك منى إلا الصدق فى المقال وإلا أوصل اليك النكال فقال عقبة لاعلم لى على ما تقولى فناداها أبو محمد البطال وقال لها هذا ما يقر لك بذلك على هذا الأمر ثم خرج من عندها وغاب قليل وعاد وهو حامل سلالم الجامع ومعه حبل ثم أخذ عقبة وشده من فوق السلم شدا وثيقاً وأمرستة من السودان يتبدلوا عليه اثنين بعداثنين فنزلوا عليه بالضرب وهو يستغيث فلا يغاث ولما زاد عليه الألم قال امسكوا عنى وأنا أقر فامسكوا عنه فقال إن الفضل هو الذى كتبه وأنا الذى أوصلته الى الرشيد ثم حدثهم بالقصة من أولها الى آخرها ولا فى الإعادة إفادة إلا الصلاة على النبى فائده (ياساده) ولما علمت الاميره بالحال كتبت برأى البطال ووصلت إلى الرشيد وقالت يامولاى ائذن للفضل بن الربيع أن يحضر على هذه المواقعة وأرسل معنا من يحفظ مايجرى ومايقال فقال الرشيد

يافضل سير معهم وأنت أيضا يامسرور فعند ذلك سار الفضل وهو يظن أنه عندهم موقر لأنه قائد الجيوش وصاحب رتبه عند الامام وساروا حتى وصلوا إلى الخيام ودخلوا الى السرادق الذى فيه عقبة ومسرور معهم يحفظ كل ما يجرى ولما أن دخل الفضل نظر إلى عقبة وهو على تلك الحالة فأنكر ذلك والتفت الى البطال وقال ماهذا الفعل يا كلب العرب الذى تفعله بالقاضى فضربه البطال على رأسه رمى عمامته وقال خذوه فتواثبوا اليه السودان كأنهم الجان ومسكوه وكتفوه حتى طار الدم من أظافره ثم أمر بسلم ثانى وربطوا عليه الفضل وشدوه شدا وثيقا وأشارت الاميره إلى نافع وقالت قم أكرم هـذا العزيز وقد ركبت ستين ألف عنان وجعلتهم أمام الخيام وأمرتهم بدفع ما يأتى من عند الرشيد فقال مسرور للأميره مايحتاج إلى ذلك فتقدمت الأميره وكلمته كلام سر وأما نافع تقدم إلى الفضل وبيده صوت مضفور وضربه إلى أن كاد أن يهلكه فقال الفضـل حسبك الله يانافع فرفع نافع عنه الضرب فقال البطال اكتب لنا مثل هذا الخط الذى كتبته وزورته على جعفر فان صاحبك عقبة أقر بمـا فعلته فقال الفضل إيش تقول ياقاضى فقال إيش نقول عرفتهم بما فعلنا وقد ذكرنا أن عقبة اجتمع بالفضل لمـا أتوا من عند يانس المتغرب واتفقوا على ماجرى وزور الفضل على جعفر وأوصل عقبة الكتاب الى الرشيد كما ذكرنا وأن الفضل لما رأى عقبة أقر على ماجرى حار فى أمره واعترف بما فعله وما كان واصفر وجه مسرور وهم أن يبطش به فغمزه البطال وقدم له دواة وقلم وقال له اكتب مثـل هذا الخط وإلا وحق سيد البشر تموت من تحت الضرب فكتب الفضل مثل الخط المزور حتى لايشك فيه بشر انه خط جعفر فسبه مسرور وضربه أبو الهزاهز بالسيف فلاقى الضربة بيده قطعت له ثلاثة أصابع من يده اليسرى وهم أن يثنى عليه فمنعته الأميره فوقع الفضل مغشى عليه . هذا كله يجرى وعقبـة مشدود فوق السلم (قال) وسمع الرشيد بماجرى على الفضل فغضب غضبا شديدا وأما أبو محمد والأميره فانهم أخذوا الخط الذى كتبه الفضل وساروا الى الرشيد ولما أن دخلوا عليه وجدوه مغضبا فعلموا مافى قلبه وقبلوا الارض ومدت الاميره يدها بالخط بعد أن قبلته وقدمته بين يديه فقال بعد أن تأمله هذا الذى كتبه جعفر قالت الأميره يامولاى هذا خط الفضل بن الربيع بحضرة مسرور وهو الذى كتبه وزوره على جعفر وسعى فى هلاكه بتدبير عقبة القاضى فقال وأين الفضل قالت الأميرة فى الخيام وما كنت منتظرة فى قتله إلا أمر الامام فقال الرشيد أريد حضوره فأمرت الاميره باحضاره هو وعقبة فلما أن حضر قال له

الرشيد يا ويلك ومن حملك على هذا قال شيء كان فى نفسى من أيام الصبا ونظره وهو مجروح فقال له من فعل بك هذا قال يامولاى أبو الهزاهز فقال لاشلت يده ثم أمر أن يثقل بالحديد فى دار مسرور ثم قال وأين القاضى عقبة قالت الأميرة عندى مربوط فأشار الامام الى حاجب من الحجاب وقال له خذ عقبه عندك حتى أسألك عنه واستوثق منه ففعل الحاجب ما أمره الامام ثم ان الرشيد أطرق برأسه الى الأرض متفكرا وندم على قتل جعفر وقال للأمراء اكتموا عنى هذا الأمر الشنيع قالت الأميره ماالمقصود إلا حتى نعلم الحقيقة ونحن نلتمس الأمر الشريف حتى نخلص ابراهيم وأمه علوى وراحلوا من بغداد الى أن وصلوا الى الثغور خرج الى لقائهم الأمير عمرو بن عبيد الله ومعه سادات بنى سليم واستقبلوا الأمير عبدالوهاب وولده سيف الحنيفية وأمره بالقيام على البناء والاهتمام به وأوصاه على ما يعمل وتوجهوا طالبين الى ناحية الدوب ووصلوا الى حصن يانس المتغرب وأوصوه بنساء بنى عامر وكلاب وأمر الناس بأخذ الأهبة للسير الى بلاد الروم بعد ثلاثة أيام فأخذوا الناس أهبتهم وفى رابع الأيام رحلوا الناس والأميره فى المقدمه فى أربعين ألف وألفين من أصحاب يانس المتغرب وساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض حتى وصلوا إلى القسطنطينيه وأخرج لهم ملك الروم الضيافات والعلوفات والاقامات وخرج ملك الروم الى الأمير عبد الوهاب وقال له تريد أن أبعث معك أحدا من عسكرى فقال الأمير عبد الوهاب لاحاجة لى فى ذلك إلا رجل من عندك له خبرة بالطريق يعرفنا فمنعه البطال من ذلك وقال له أنا أخبر بالطريق من كل أحد سير على بركة الله تعالى ورسوله فسار العسكر والأمير فى أول بلاد اليونان ثلاثة أيام حتى أراح واستراح وسار حتى وصل إلى درب المنفذ الذى تقدم ذكره فوجده موضعا لايرام ولا لأحد فيه مقلم فعندها قال الأمير أبو محمد للامير عبدالوهاب أيها الأمير هذا الدرب لابد منه ولابدله من طلائع عليه تضرب بالنيران حتى يرفع الدخان وتعلم أهل الحصن الذى لهذا الدرب فيأتون الينا ويسدون باب الدرب علينا ولايقدر أحد يصل اليهم فقال الأمير ماالذى عندك من الرأى قال أن تنزل هاهنا وأسبق أنا أكشف لك الطريق وأعود اليك وتدخل على معرفة ويقين فقال الامير نعم مارأيت فعندها وثب أبو محمد ولبس جبة سوداء وعمل لرأسه برنس من الشعر وفى وسطه زنار وبيده عكاز ودخل الدرب وترك الامير أصحابه وبقى فى انتظاره ثم أنه تفكر فى أمر أبو محمد فخاف عليه وقال لقد فرطنا فيه لأن هذا الموضوع ما دخل فيه قط مسلم (وأما أبو محمد) فانه دخل

فى زى الرهبان إلى ذلك الدرب ورفع صوته بقراءة الانجيل وكان صوت حسن فأجابته الرجال وجعلوا يقبلون الارض بين يديه وقالوا له يابونا مالك على حال الانفراد وحدك والمسلمون قد دخلوا الى هذه البلاد فقال ياأولادى ما أنا إلا بعد عرفت هذا الحال ولكننى مشيت بينهم مارأونى وانى ماضى الى الحصن أعلم الملك الكندسطوس بأخبار المسلمين فقالوا ياأبونا سمعنا أن الملك جهز عسكر ثقيلا وهو عازم على أن يلتقى المسلمين (قال الراوى) فتحدر أبو محمد من الجبل طالب صوب الحصن فوجد الملك قد جمع من البطارقه خلقا مايحصى عددهم إلا الذى خلقهم بعدد الرمل والحصى وهو يطلب يمنع المسلمون من الوصول الى الحصن وقد أوصى ولده قسط على الحصن وترك عنده مائتين فارس ولم يزل البطال سائر الى أن وصل الى باب الحصن فوجده حصن لا يرام ولايقدر عليه أحد من الانام مزين بالعدد والطوارق والدروع والبوارق فبقى البطال احتر لايدرى كيف يدخل الحصن وهو خائف فبينما هو كذلك إذ أقبلت جماعة من البطارقه من عند الملك يوصون ولده بالاحتياط على القلعة فدخل الامير أبو محمد فى جملتهم وتوصل الى الكنيسة واختلط بالرهبان فهذا ماجرى من أمر البطال (وأما) الامير عبدالوهاب فانه أبطأ عليه خبر أبو محمد فقلق قلقا عظيما وقال لأبو الهزاهز ولبقية الامراء أنا عازم على أنى آخذ معى جماعة وا كشف خبر البطال فتكونوا على أهبة القتال إذا قدم عليكم ملك الروم ولاتتهاونوا فى ذلك ثم إن الامير انتخب من المسلمين عشرة أبطال كل واحد منهم يعد بأبطال منهم الاميرة ذات الهمة ولم يزل سائر فى ظلام الليل الى أن وصل تحت القلعة فطلعت عليهم البطارقة من فوق الحصن وقد ظنوا أنهم من الحرس فبينماهم كذلك واذا قد وقع اليهم سهم نشاب وفيه كتاب فتأمله عبدالوهاب وإذا به من البطال مضمونه اذا كانت ليلة غد تقدموا الى عندى حتى أطلع بكم من فوق الصور الى أن أملككم القلعة وأدلى لكم الحبال فحمدوا الله تعالى على ذلك الحال وصبروا الى الليلة القابلة وأظلم الظلام فأتوا فوجدوا البطال قد دلى لهم الحبال وشالهم الجميع الى أن بقوا فوق الحصن فلما دخلوا كبروا وأشهروا السيوف وسقوهم شراب الحتوف لأنه لم يكن فى الحصن أكثر من مائتين فارس فدعس فيهم الامير وقتل الصغير والكبير وملك الحصن وكتف الرهبان والقسوس وأما ضيغم وبنى كلاب والسودان الانجاب فانهم التقوا بالملك الكندسطوس وعساكره وكان الملعون خبير بالحرب لايهاب الابطال ولا يكترث بالاقيال همام هجام فى ضرب الحسام فلما نظر الى عسكر المسلمين وعرف كم هم فطمع فيهم وقال لرجاله وفرسانه خذوهم فان

الأمر يسير والرجال غير كثير فعند ذلك حملت الرجال على الرجال وتراشقوا بالنبال وتطاعنوا بالرماح العوال وتضاربوا بالسيوف الصقال وجاء الحق وذهب الباطل فهذا بلايمين وهذا بلاشمال وحامت الطيور تروم القتلى فى حومة الميدان وزادت النار اشتعال وارتفعت الزعقات فجاوبتهم الجبال وبرقت السودان عيونها وبربرت على أهل الكفر والضلال بلغاتها ونثروهم نثر الحصيد على الرمال ودعس أبو الهزاهز فى الروم كالأسد الريبال وهجم ضيغم فى اليمين وسملق فى الشمال وصارت الأودية من كثرة الزلازل فى أهوال (قال) فبينما أبو الهزاهز فى معترك الحرب والمجال إذ التقى بالملك سكندسطوس وكان جبارا كما ذكرنا هجوما كما وصفنا فلما رآه أبو الهزاهز علم أنه ملك الروم فحمل عليه كالأسد الهجوم فتطاعنا طعنا أمر من الجمر وأمر من الصبر وزاد عليهم الأمر وأمسى المساء وما وصل أحد منهم إلى صاحبه ورجعت الأبطال بعضها عن بعض ونزلا على وجه الأرض فلما نامت العيون دعا الملك برجل من بطارقته يقال له شمطون وكان فارسا لايطاق وضم خمسة آلاف فارس وقال له تمضى أنت ومن معك رجالة غير خيالة وتصعدون فى لحف الجبل حتى تجوزون الأشجار والأنهار ثم تطلبون الطريق الغربى إلى عين الصبى وتخرجون من وراء هذا العسكر وتكونوا خلفهم عند انفجار الفجر فاذا صرتم هناك وعلمنا بكم انهزمنا قدامهم بقدر ما يتبعونا ويبعدوا عنا خيامهم وتخرجون أنتم تملكون خيلهم فاركبوا ما شئتم فان مالهم وخيلهم وعددهم نبقى خلفهم ونرجع نحن عليهم فما بقى لهم باقية فقالوا القوم سمعا وطاعة أيها الملك ثم ترجلوا عن خيولهم وساروا على ماقال لهم الملك وما أتى عليهم الصباح إلا وهم خلف القوم وكان من قضاء الله وقدره أن من السودان عشرة آلاف فارس قالوا نحن غداة غد نقاتل مشاة لاننا نرى هؤلاء القوم يرمون السهام وهى أمضى من الحسام وقد قتلوا خيولنا فاذا عدمناها ههنا ما لنا عوضا عنها واجتمع رأيهم على ذلك فلما أصبح الصباح وعلم الملك أن الكمين الذى قد بعثهم وصلوا وقد صاروا من خلفهم عند ذلك ركب الملك وضرب بوقاته ونشر راياته وصاح فى البطارقة وقال خذوهم على أطراف الأسنة فعند ذلك خرجت السودان ومعهم أبو الهزاهز وبربر الجيشان وأما بنو كلاب فانهم حملوا هم والعربان الكرام الأصول وحمل البطل وصار على خصمه يصول واختلطت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وتقصفت الرماح الطوال وهجمت الرجال وبان الفارس المفضال من الجبان الناقص الأوصال . وبعد ذلك

تقهقر ملك الروم هو وعسكره وطمع فيه عسكر المسلمين وتبعه فما كان إلا ساعة وقد خرج الكمين من ورائهم وهم خمسة آلاف فارس ونادوا بكلمة كفرهم فورد على الناس مورد عظيم وحمل الملك على الناس وأشغلهم عن الرجعة وقد أخذوا خيل السودان وملكتها عبدة الصلبان وأيقنوا الروم أنهم قد ملكوهم (قال الراوى) فعندها صاح أبو الهزاهز بالأمير ضيغم وقال يا أمير أخذت الخيول فاختر لنفسك أى جهة من الجهات إما أن ننفرد للذين دهمونا وإما أن نقف فى وجوه الذين بين أيدينا فقال ضيغم أنا للذين ملكوا خيولنا ثم حمل عليهم فى ألفين فارس من بنى كلاب والتقى أبو الهزاهز بعسكر الروم فى بقية الجيش وحمل بعضهم على بعض وضربت السودان فى وجوه الروم وقطعت الطوارق وحطمت البوارق ونزلت السيوف فى المفارق وحقت الحقائق وضاقت الأرض على الخلائق ولم يبق فى الكف غير المقابض وقطعت اللجم والعوائق وأما ضيغم فانه خلص الخيول ومدد الخمسة آلاف عرضا وطول ورجع إلى أبو الهزاهز فوجده قد طحن المواكب ومحقها محقا وأبلى فرسانها بالبلاء الملاحق والتقى فى المعمعه بالملك سكندسطوس وقد عزم على الهزيمة فمال اليه أبو الهزاهز وطعنه بالرمح فى صدره فانحلت عزائم الروم وولوا على أعقابهم طالبين حصنهم فأدركتهم بنى كلاب فيالها من فجعة وقعت فى الروم وأى فجعة لأنهم شابت منهم المفارق من هول تلك الوقعة . هذا والأمير عبد الوهاب على غاية القلق من أجل عسكر المسلمين فلما أن توسطت الشمس فى قبة الفلك واذا بالغبار قد علا فقال الأمير والله هذا عسكرنا قد انتصر الله أكبر فتح الله ونصر وحيانا باللطف هذه والله عساكر الروم قد أقبلت مكسورة وعسكر الاسلام منصورة فقال له الأمير أبو محمد من أين علمت ذلك فقال إنى أرى الغبار غبار قوم خيولهم قد طلبت الفرار وعمل فى أكتافهم الصارم البتار ولم تكن إلا ساعة حتى وصلت الروم مكسورة وهم طالبين الحصن والمسلمين من ورائهم وأبو الهزاهز فى أقفيتهم حتى وصلوا الى الحصن نادوا وقالوا : عجلوا لنا بفتح الحصن فقد حل بنا العذاب وقتل منا الأصحاب فقال الأمير عبد الوهاب افتح لهم يا أبا محمد الباب وكل من دخل نسقيه كاس الحمام فقال أبو محمد ما هذا صواب لأن الخلق كثير والحرب سجال يوم لك ويوم عليك ولكن أنت نادى من أعلى الحصن بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير حتى تنقطع قلوبهم فقال الأمير هذا هو الصواب فافعل ما شئت فعندها صعدوا على الأسوار ونادوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وجعلوا يرموهم برؤس القتلى

الذين كانوا عندهم داخل الحصن فلما نظروا الروم الى ذلك أيسوا من الحياه وانقطعت آمالهم وولوا الأدبار طالبين وادى العلق وقد طارت قلوبهم من الفزع والقلق ولم يزالوا الى أن وصلوا المسلمين الى الحصن ونظروا الى الامير وأصحابه وهم يعلنون بكلمة الاخلاص وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلموا أن الامير ملك الحصن فرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والاستغفار حتى سبحت معهم الجبال والاشجار والاودية والاوعار والوحوش والاطيار ونادت سكان تلك الاوديه من الصالحين والعمار ما أطيب سماع ذكرك فمن علينا بحقيقة شكرك فقد أسمعتنا كلمة التوحيد وأوريتنا وجوه أهل التمجيد وضجت الوحوش والسباع الى مولاها شاكرة لما قد أعطاها ونادت الى عالم سرها ونجواها وسيدها ومولاها من لو توارت ذرة تحت الارض السابعة رآها الهنا إنا نسمع توحيدك فى هذه الارض وما عهدناها ونسمع آيات باهره ماسمعناها فعندها هتف بهم هاتف من السما أيتها الوحوش والطيور التى جمعت عند سماع كلام من خلق الاشياء وأنشاها فكم لله من مسبح فى رؤس الجبال ورباها وتحت أطباق الارض وما تحت العرش وسماها كل ذلك بحكمته التى أنشاها وسواها (قال الراوى) ياساده يا كرام وفتح باب الحصن ودخلوا الموحدين ونظرت الروميات الى عشرين ألف أسود كأنهم الغربان فكادت عقولهم أن تطير وكذلك الصبيان وملكوا الحصن بكل مافيه من جواهر وأموال ونساء وصبيان فقال الامير الحمد لله من قبل ومن بعد والله ما كان لنا فى حساب هذا الامر والشان ثم أمر بفتح الخزائن فوجدها ملآنة بالاموال وأمر أن يطلقوا القسوس والرهبان (قال الراوى) فلما أطلقوهم تقدم راهب من تلك الرهبان الى بين يدى الامير عبد الوهاب وقال اعلموا وحق المسيح إنى وجدت فى كتاب الملاحم انكم يامعاشر المسلمين تفتحون هذه الحصون أجمعين ولكم على بشارة وأريد بها عن ولدى وزوجتى فقال أبو محمد ما بشارتك ياراهب فقال اعلموا أننى حكيم هذه الأرض وطبيبها وعالمها وأديبها وانى أجد فى الكتب أن هذه الارض يفتحها رجل مجاهد فى سبيل الله وهو الذى يفتح مطلب العيص بن اسحاق عليهما السلام وهو مطلب فى وادى العلق الذى على طريقكم وفيه أموال الارض وفيه خزانة سلاح ملآنة سيوف صواعق وكتب الاولين والآخرين وأخبار المتقدمين فى ألواح من ذهب وفضه فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الشيخ قال أيها الشيخ أنت عارف هذا المطلب فقال الراهب وحق المسيح انى عارف به أكثر من معرفة الطفل لثدى أمه وانه ماخرج هذا الكلام منى

لأحدوذلك أنه ما يقدر عليه أحد من الروم وما يفتح إلا للمسلمين فقلت فى نفسى ان قلت للروم عنه وما ينفتح لهم أصير كذاب فقال الأمير عبد الوهاب أين سملق فأجابه بالتلبيه فقال له انى خارج الى وادى العلق وأريد باقى الحصون وانظر الى قول هذا الشيخ الراهب عن المطلب فكن أنت ههنا فى مائة فارس من أصحابك واغلق الحصن ولا تفتحه لأحد حتى ترانى فقال سمعا وطاعه ثم أراح الأمير عبد الوهاب بقية ليلته ورحل فى عسكره ودخل الى وادى العلق طالب قلعة القرن ومعه الراهب (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من المنهزمين من الروم فانهم قطعوا وادى العلق ووصلوا إلى الحصن الذى يسمى حصن القرن فدفعوا البكاء والصياح ونادوا بصوت واحد وزعقوا بملك القلعة اسكندروس فقال لهم ويحكم ماوراكم ومن بشره رماكم فقالوا ياملك الأمر عظيم والخطب جسيم اعلم أنه قد دخل علينا قوم لايشبهون البشر سود الأبدان كانهم الغربان لايهابون الموت ولايخشون الفوت وهم على صور الجن والشياطين وقدقتلواالرجال وجندلوا الأبطال وأخذوا الغلمان والنسوان وقد قتلوا أخوك وولده قسطرى وملكوا الحصن ونزلوا علينا نزول السخطة فلما سمع الملك كندروس ذلك قال وحق المسيح هذا خبر منحوس وقد حل بكم الضر والبؤس وها أنا سائر اليهم قبل أن يصلوا الى ويقدموا علىّ وأوريكم قتالى لهم واشتفى منهم وآخذ بثاركم وثار أخى وولده ثم صاح فى قومه ونادى يا عبدة الصلبان انطلقوا إلى ماكتب عليكم من الجهاد (قال) وكان الملعون فى عالم عظيم يزيدون على مائة ألف بطريق من كل جبار عنيد ثم استخلف فى حصنه من قومه خمسمائة فارس وصار فى أحسن زى وأكمل أهبة بالأتراس الصفاق والرماح الشقاق الرشاق والبيارق والطوارق وساروا طالبين الأمير عبد الوهاب فانه لما توسط هو وعسكره وادى العلق ووصلوا الى لحلف الجبل وإذا فيه مغارة واسعة الباب فوقف عندها الأمير عبد الوهاب وجماعته والأصحاب فقال لهم الراهب وقد ضحك فى وجوههم وقال للامير عبد لوهاب ياسيدى اعلم ان المطلب الذى فيه ملك الارض فى هذا المكان ثم ان الراهب نزل وضرب مسمار فى باب المغارة وجعل فيه خيطا طويلا وجعل يمد الخيط ساعة ويقف بحيث تسير الشمس ومازال كذلك حتى صار نصف النهار ثم قال الراهب لعسكر الأمير احفروا ههنا فقال الأمير للسودان دونكم وما أمر به الراهب فعند ذلك وثبت السودان وحفروا فما كانت إلا ساعة حتى ظهر لهم وادى وفيه قبر طويل طوله أربعين ذراع وعند رأسه لوح نحاس

وفى اللوح مكتوب هذا قبر الملك دامغ بن شداد بن عادل الأول عاش الف سنة وملك الف مدينة وفتح ألف قلعة وتزوج ألف بنت بكر عذراء ولم يجد من الموت مفر وعلى القبر مكتوب هذه الأبيات

كم قد وقفت كما وقفت وكم طربت وكم شربت مع الغانيات
وكم مشيت مع العصاة وكانى بك عن قريب يسأل عنك فقيل مات

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما قرأ الأمير عبد الوهاب هذه الأبيات بكى بكاء شديد ما عليه من مزيد ثم ان الراهب قصد الى ذلك الجرن وكان عليه سبع من النحاس فقال للسودان اقلعوا هذا الجرن ففعلوا فبان من تحتها أزج معقود وفى صدره أزج معقود وفى صدره لوح من نحاس وسلسلة فضه فنزل الراهب إلى آخر تلك البيوت وقال لهم اذا غبت عنكم ساعه ولم ترونى فاقلعوا هذه الصوره واقلعوا هذه السلسلة المربوطة وانزلوا خلفى تجدونى قد قضيت الحاجة (قال الراوى) ثم ان الراهب قد غاب فى هذا البيت مقدار ساعة زمانيه فتقدمت السودان إلى تلك الصورة النحاس فقلعوها والسلسلة قطعوها ونزل منهم قوم خلف الراهب الى البيت (قال الراوى) ياساده ياكرام فما وقعت الصورة الى الأرض حتى فاض الوادى بالماء من سائر الجنبات وامتلا الوادى أسرع من البرق فصاح الاميرأبو محمد بالناس اركبوا خيولكم واطلبوا لأنفسكم النجاة فقد مكر بنا الراهب الملعون وهذه الصورة هى المهلكة فركبت الرجال خيولهم وما لحقوا أن ينزلوا من لحف الجبل إلى الطريق التى فى وسط الوادى حتى صار فى الوادى تيار يقصف المسمار ويجر الصخر والأحجار من شدة التيار فلما نظر أبو محمد الى ذلك أيقن ان الجيش هالك فقال اطلبوا لحف الجبل فمادوا طالبين الجبل هذا والماء نازل اليهم وقد أيقنوا بالعطب ونزلوا عن الخيل وساروا مشاة وقد طارت القلوب من الخوف وهبت عليهم رياح باردة لكثرة المياه الوارده هذا وقد بقيت الأرض سماء وماء وزاد الماء حتى بلغ الجبل فهلك أكثرها وتعلق فى الجبل أيسرها وصاح أبو محمد فى الناس اعلموا أن الراهب لايخلو حاله من أمرين اما أن يكون شيطان أو انسان فى صورة شيطان فان كان إنسان فلا بد أنه عرف موضعا وقد طلب لنفسه النجاة وان نحن بقينا فى هذا الموضع هلكنا بالماء فانزلوا بنا إلى المكان الذى نزل فيه الراهب وتوكلوا على رب المشارق والمغارب فهو ينجيكم من المعاطب وتظفروا بهذا الراهب فنزل أبو الهزاهز وقد صار أنفه من البرد مثل فرطوسة العجل وهو يقول ان أبقى الله فى أجلى ما أبقيت على راهب ولا قسيس (قال الراوى)

ياساده يا كرام ثم ان الأمير عبد الوهاب نزل ونزلت الأميره ذات الهمه وقد ضاقت بها المذاهب لما رأت المياه تتدفق من كل جانب ودخلوا فى المطلب فنظروا الى بيوت ودهاليز ماده فدخلوا يطلبون لهم منفذ فوجدوا فى آخر دهليز وفيه شخص قائم وفى يده سيف صاعقة وهو يدور على لولب مثل دوران الرحاه من شدة الماء فلو ضرب بتلك الصاعقة جبل لهدمه فلم يقدر أحدا منهم أن يتقدم فبينما الأمير أبو محمد وأصحابه كذلك وهم يدورون فى تلك الدهاليز وأى دهليز دخلوه يلتقوا فى آخره شخص بسيف صاعقه يدور مثل الأول فقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا بالصياح على باب المطلب قد علا والصراخ قد نما وكان السبب فى ذلك لما قال للامير عبد الوهاب أنه سيوريه المطلب الذى فيه السيوف والذهب وإنما هى كانت خديعة حتى يوقعهم فى العطب وكان لايعرف هذا الموضع الاهو وحده فكتمه لأنه عنده فى كتاب فلما كتمه نفعه فى وقته وان تلك الصوره كانت طلسم الماء حتى انفك عن مكانه فاض ذلك الوادى ولو دام جاوز الجبال (قال الراوى) وكان هذا الراهب يقال له شومدرس وكان الملعون خبيث أهل زمانه وانه لما دخل قدامهم بطل تلك المهالك بشىء يعرفه وسار تحت الأرض حتى طلع من وادى العلق وسار من تحت الأرض حتى ظهر من تحت قلعة القرن فعند ذلك وجد الملك سكندروس وهو فى عسكره طالب عسكر المسلمين فحثا التراب على رأسه وتقدم الى الملك (قال الراوى) وكان هذا الراهب شومدرس عندهم معظم وهو الكبير وعالمهم الخبير فلما رآه الملك قال يا أبونا الحمد للمسيح على سلامتك وعافيتك هون على قلبك فالأمر أهون من ذلك وأنا أمضى الى هؤلاء القوم وأشفى فؤادك منهم فلا يأخذك القلق فان القوم قد وقعوا فى بحر الغرق ثم ان شومدرس أعاد على الملك ما فعل بهم فكاد يطير فرحا وضحك عجبا ومرحا وقال لا بد ما أشرف عليهم وأنظر اليهم ثم انهم ساروا على عجل حتى أشرفوا على الوادى وهو كالبحر الزاخر وله موج ثاير فقال الملك سكندروس يا أبونا لقد انقطعت الطريق وما نرى أحد من المسلمين غريق فقال شومدرس اعلم يا سيد الملوك أن المسلمين لما رأوا المياه نازلة اليهم فنزلوا خلفى فى المطلب وهم تحت الأرض مالهم فرج إلا من بيوته وان فى ذلك زقاق وفيه شخص وفى يده سيف صاعقه له ارعاد وابراق لو وقع على جبل لهدمه فما منهم من يقدر يدنو اليه على أنك تأخذهم الجميع قبضا باليد فقال الملك فكيف الوصول اليهم والقدرة عليهم وبيننا وبينهم بحر زاخر لا له أول ولا آخر فقال أيها الملك اذا أردتم زوال الماء ارفعوا تلك الصخرة

التى على فم باب القليب فأمر الملك جماعة من البطارقة أن يزيلوا ما أمرهم به الراهب فقصدوا اليها فوجدوها صخرة عظيمة فعالجوها بالحبال حتى انكشفت وبان من تحتها وادى يبلع الدنيا فما هم الا قلبوا تلك الصخرة حتى تحدر ذلك الماء وغاض ولم يعلموا أين مضى ونظر الراهب الى حوض رصاص فأمرهم بقلعه فقلعوه فانقطع ذلك الماء النازل فعند ذلك بانت الأرض والطريق السالكه فقال الراهب املكوا عليهم باب المطلب وقد سقيتموهم شراب العطب فسار الملك حتى وقف على باب الموضع فعند ذلك قال يا أبونا ما الذى تشير به علينا فقال أشير عليكم أن تقطعوا الحطب وتلقوه فى هذا المكان وهو باب المطلب الذى فيه الأمير والأميره وبقية الأمراء وتوقدوا فيه النار فيدخل اليهم اللهيب والدخان وأى من خرج اليكم وقع فى الذل والهوان ومن لم يخرج صار رمادا على طول الزمان فقالوا له نعم ما رأيت يا راهب ثم قطعوا الحطب وأتوا به إلى فم السرداب وأطلقوا فيه النار ورفعوا أصواتهم بالصياح وجعلوا ينتظرون الأفراح وسمعوا المسلمين صياحهم فقال لهم الأمير عبد الوهاب انظروا ما هذه الأصوات فخرج منهم جماعة تنظر الى الروم اللئام وهم بالسيوف قيام وقد سدوا فم السرداب بالاحطاب وأطلقوا فيها النار فعادوا وأخبروا الأمير فقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم هذا والله البلاء قد أتانا من كل جانب فقالت الأميره ذات الهمه معلوم يا بنى أن الروم ما وقفوا على باب هذا الموضع الا وقد قطعوا الماء النازل ورموا النار حتى إذا خرجنا نحترق وان أقمنا مكاننا فبالدخان ننخنق وما لنا إلا نرمى نفوسنا عليهم وندوس النار والحطب ويسلم من يسلم ويعطب من يعطب ونلقاهم بوجوه وقاح وقلوب صحاح ونضربهم بالصفاح حتى نردهم عن باب المغار وإلا ما نحن من الأخيار ولا نحسب من المجاهدين فى دين الملك الجبار فان احترقنا بالنار فتكون نار الدنيا ولا نار الآخرة فى دار البوار وان قتلنا بسيوف الكفار فسوف نصل إلى دار القرار فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب (قال الراوى) فهم على هذا الحال وقد هموا أن يفعلوا هذا الأمر الذى وقع عليه الاتفاق وإذا بأبو محمد البطال يصيح بهم إلىّ إلىّ قد جاء الفرج من عند صاحب الفرج فالحمد لله على ذلك فقال الامير عبد الوهاب لله درك يا أبا محمد فأنت صاحب الهمم ولا زلت عالى الشيم قل وأوجز فقال أبو محمد اعلموا أنى قد أجلت فكرى فى هذه الصور المتحركه التى تكون بطالق الدوران فاذا قرب الانسان منها أدارت ولاشك أنها تحت الارض شيئا يردها فاحفروا من حولها ولاتقربوها فحفروا

بسيوفهم من حول تلك الصور مقدار ذراع فى الأرض واذا قد بانت لهم فى الأرض حركات وهى برابخ مملوءة زيبق فى مجارى نحاس وهى مسلطة على ذلك الطلسم والزيبق له جريان فى ذلك الموضع أشد من الماء لأجل نقله وبكرات مشدودة مثل بكرات الدولاب ولها لوالب قائمه من تحت تلك الدهاليز فلو دبت نملة فى ذلك الموضع فيجرى الزيبق ويدور الطلسم فمن وقع عليه ذلك السيف قطعه نصفين فأمر عند ذلك أبو محمد أن تكسر الأخشاب بالسيوف فقطعوها ودنوا من ذلك الطلسم وقد بطلت حركته وأخذوا من يده تلك الصاعقة وخرجوا منه إلى فلاة عظيمة وقد كثر من خلفهم أجيج النار ودخل فى مناخيرهم الدخان إلا أن الفرج قد أتاهم من بين أيديهم ومن خلفهم ومن الله بالسلامة عليهم وان القوم ساروا والأميرة ذات الهمة وعبد الوهاب وأبو محمد البطال أمامهم يقطعون الأرض لا يفترون وطال عليهم المدا فأيسوا من أنفسهم وأيقنوا بالوفاة وقالوا ياترى يكون لنا من هذا الضيق فرجا ومخرجا ونحن علينا بالخروج من هذه المهالك فقال أبو الهزاهز وهو مثل الجمل الهائج لولا معرفتنا بهذا الراهب الميشوم ماكنا نحتاج أن نجرى تحت التخوم (قال الراوى) ثم انسدل عليهم الظلام وأظلم عليهم المكان حتى أن كل واحد منهم لم ينظر وساروا القوم على الحس وهم ينادون بعضهم بعض وقد أقلقوا بصياحهم عمار تلك الأرض (قال الراوى) ياساده فهذا ماكان منهم (وأما ماكان) من الملك كندروس فانه لما أضرم النار فى الحطب على باب فم المطلب ووقف ينتظر حتى يخرج اليه أحد من المسلمين فلم يخرج اليه أحد ولا أتاه من طلب منه أمان فبقى موله حيران وقال لشومدرس نحن مقيمين الليله هنا ونرحل الى القلعة فى غداة غد وننظر كيف نأخذها سرعة غير أننى خائف أن يكونوا المسلمين لما دخلوا إلى هذا الموقع قدساروا تحت الأرض وخرجوا من المكان الذى خرجت أنت منه فقال شومدرس لا وحق المسيح لأنى قد بطلت اللوالب بحكمتى ودخلت وعدت رديتها على حالها والموضع ضيق مظلم (قال الراوى) فلما سمع الملك من الراهب ذلك طابت نفسه وقال هذا هو الصواب ثم بات الى الصباح فلما انفجر الفجر ولاح نادى الملك بطارقته وسار من وقته وساعته وما زال ساير حتى أشرف على القلعة ودقت النواقيس وصاحت القسوس والرهبان حتى ارتفعت الأصوات الى العنان ونظروا إلى خيل العرب والسودان مطروحة فى الوادى غرقا من قوة الماء وشدة جريانه وقد ظنوا أن الكل قد هلكوا على هذه الصفه (قال) وقد طلع عليهم الأمير سملق هو ومن معه

لما سمعوا الأصوات التى ما عرفوها فرأوا عساكر الروم تسير مثل البحر الزاخر ليس لها أول من آخر فقال لقومه والله ما أتوا هؤلاء من بين يدى الأمير إلا وقد وقع فى الشرك ولا بقى يقدر لنفسه نفعا ولا ضرا ولقد رابنى هذا الأمر أن يكون للموضع طريقان وقد اختلفوا فى الطريق فعند ذلك أدعا الأمير سملق براهبة من بعض الرهبان وكان اسمها شوما وكانت هذه زوجة شومدرس وقال لها سملق ويلكى ياراهبة هذه الطريق الذى تخرج الى وادى العلق لها طريقان أو طريق واحده فقالت لاتخف على المسلمين فما عليهم شر ولا خوف لأنهم قطعوا وادى العلق ودخلوا فى المطلب وقد تقاسموا الفضة والذهب فعند ذلك قالوا أصحاب الأمير سملق والله ما عملوا معنا جميل لأنهم قد أخذوا المال وبقينا نحن هنا بأسوأ حال فقال لهم الأمير سملق أبشروا فان الأمير عبد الوهاب لا بد له أن يناديكم وأصحابكم ولا شك أن الأمير اشتغل هو وأصحابه فى المطلب وأخذوا الفضة والذهب وجاؤا هؤلاء على ماهم عليه يطلبونا قبل أن تطأ أصحابنا أرضهم وماعلموا أنه قد دخل فلا تخافوا فالموضع حصين والمكان أمين ولا يصل اليكم أحد أبدا (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت الراهبة ذلك ضحكت وقالت لا تخافوا فالأمر أيسر من ذلك وقد عرفتهم ماعمل معهم الراهب شومدرس من الجميل وسوف ينال منهم أوفى عطية ويصل اليه منهم الخلع والهدية وانى لو كان دينى دين النصرانية فانى تبع لزوجى وبعلى لأن المرأة من ضلع الرجل ويجب على أن أقارن فعلى بفعله وأنا أعمل معكم جميل على أنكم تكسروا هذا العسكر العظيم حتى أنهم لا يصلون اليكم ولا الى قلعتكم ويكون الذكر لكم ولأصحابكم لأن أصحابكم الأولين تحت الأرض وهم فى شغل من ملاقاة الرجال والأبطال بجمع الأموال فقال لها الأمير سملق ما هو الرأى الذى عندك فقالت اعلموا أن هذا الجيش الذى قد نزل بكم لاشك أنهم قد فارقوا حصنهم وخلفوا أميركم فى الطريق فأنا أعمل على هذا العسكر وأكسره فهنئا لكم بهذا الفتح مقابلة أخذ أميركم المطلب ويساويكم فى قسمة الذهب ويكون زوجى قد عمل مع أميركم ذلك الفعل الجميل وأكون أنا قد عملت معكم هذا التفضيل فقال لها سملق افعلى ما بدا لكى قالت يامولاى عندى فى ذلك الموضع موضع تخرجوا منه إلى خلفهم ومعكم النفط فتكبسوهم وهم غافلون ليحترقوا بالنار وهم نائمون وأنا أعمل على خيمة الملك سكندروس فتهبروه بسيوفكم فان قتل الملك فما يجتمع منهم اثنان وتكون عليهم كسرة وخذلان ويعودون الى الحصن الذى لهم فيجدون أميركم

قد حال بينكم وبينه فلا يكون له قصد إلا الحصن الثالث وأريد منكم أن تشهدوا لى بذلك عند أميركم حتى يكون لى منه الصله والعطية ففرح الأمير سملق بذلك وقال لها ياراهبة لكى علينا ذلك ولقد من الله سبحانه وتعالى علينا بكى وبرؤيتك وبزوجك شومدرس ثم ان سملق أقبل على القوم الذين معه فى الحصن وقال دونكم وقتال الروم فصعدوا على الأصوار والابراج ورموا بالأحجار إلى وقت الظهر والروم يقولون لهم يامسلمين دعوا عنا هذا القتال فقد قتلنا أميركم وأبطالكم وسملق لايلتفت إلى قولهم إلا مواظب على حربهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يزالوا كذلك إلى أن انسدل الظلام واختلط القتام وأقبل سملق على الراهبه شوما وقال لها نريد وعدك الجميل فقالت سمعا وطاعة ثم إنها وثبت من وقتها وساعتها وقد أخذت نسوان معها إلى أن جاءت بهم إلى وسط الحصن فقالت احفروا ههنا فحفروا مقدار ثلاثة أذرع فلاح لهم طابق كبير من النحاس فأمرتهم بقلعه فقلعوه وإذا تحته سلالم عراض فقالت لهم هذا موضع قد بان وانكشف خذوا معكم الآن قوارير النفط وخلوا معكم عشره على الأبراج حتى إذا أدهمتموهم من ورائهم يظنون أن أميركم قد رجع اليهم وأنا أعلم أنه مايجتمع منهم اثنان فقالوا سمعا وطاعة ثم فتحوا خزانة النفط وأخذوا منها بقــــدر مايحتاجون اليه ثم أدعى سملق بأبو الهول وضم اليه عشرة من السودان وتركه فى ذلك المكان من بعدما أوصاهم باليقظة هذا والعجوز بين أيديهم تدلهم وساروا حتى وصلوا إلى طابق من الحديد وعليه قفل وقالت لهم هذا باب الحصن الذى لا يعرفه إلا أنا وزوجى ومتى فتحتموه تمكنتم من عدوكم وها أنا خارجة معكم إلى القوم فقالوا لها كيف السبيل إلى فتح الباب فقالت فتحه على ثم أومت إلى طاقة فى الحائط وقالت المفتاح هناك ولكن يرفعنى أحدكم على كتفه وأنا آتيكم بالمفتاح فأنتم عندى مثل الأولاد قال فرفعها سملق على كتفه فطلعت إلى تلك الطاقة وكانت فى مقابلتها فلما دخلت منها لم تكن إلا ساعة حتى خرج من الطاقة مشط حديد كأنه الجمل العظيم ونزل فى عتبة من النحاس وبقى حاجز بينهم وبين الموضع الذى دخلوا منه ولم يبق لهم سبيل الى الخروج فأيقنوا عند ذلك بالهلاك وندموا حيث لا ينفعهم الندم وطلبوا منفذا أو مسلكا فلم يجدوا اليه سبيل ثم انهم تقدموا الى ذلك المشط وعالجوه فلم يقدروا على قلعه وقالوا من ههنا إلى الحشر والنياحه وأيسوا من الحياة والسلامه (قال الراوى) ياساده ياكرام هـذا ماكان منهم (وأما ماكان) من العجوز شومـا

فانها لما حصلت فى الطاقة فأدارت دولا با تعرفه هناك وإذا بذلك المشط قد نزل عليهم ثم دخلت من طاقة أخرى إلى الحصن وقد أوقعت سملق وأصحابه فى الهلاك ثم أنها اقبلت على نسوان الحصن وقالت انى عملت على المسلمين حيله ولم يبق منهم غير عشرة وأنتم ههنا أكثر من عشرين ألف امرأة وأنا أفتح لكم خزائن السلاح فخذوا سيوف فى أيديكم واهجموا عليهم وقد ملكتموهم فقالوا اعلموا اننا ان آتيناهم مقابلة ما تقدر عليهم ويقتلوا منا خلق كثير ولا يتركوا منا كبير ولاصغير فقالت لهم أنا أعمل لكم عليهم ثم أنها صعدت الى البرج ونادت يأبو الهول فقال لها ما بالك فقالت أنا شوما الراهبه وقد جئت اليكم طالبه لأن أميركم قد أمرنى برأى جيد فقالوا وما ذلك الرأى قالت اعلموا انى نزلت إلى أن وصلت الى القوم الذين هم أصحابكم إلى أن وصلت إلى باب الحصن وهو باب السر فخرجوا منه إلى خارجه وقد قصدوا إلى عسكر الروم فيوقعوا بهم الشرور والغموم وقد أمركم أن تأخذوا بقية النفط والحقوا أصحابكم فاذا وقع النار فى خيام الروم ولم يبق لهم ثبات وقد أشرت لكم بهذه الشورة العظيمه فقالوا لها بشرى وسيرى معنا فسارت بهم إلى أن أتت بهم إلى باب مغلوق ففتحه لهم وإذا به ملآن نفطا فطرحوا سيوفهم وعبروا الى النفط وأخذ كل واحد أربع قوارير نفط وحملت هى سيوفهم وخرجت وكانت الملعونة قد رتبت النسوان وقال إذا سمعتم صرختى فبادرا الى نصرتى فلما خرجت شوما بالسيوف أرمتهم فى جب هناك ورفعت صوتها بالصياح فعند ذلك خرجت النسوان أسرع من البرق الخاطف بالسيوف وقد رفعوا أصواتهم بالصياح فخيل لأبو الهول وأصحابه ان الحصن قد انقلب ووثبت العجوز أسرع من البرق وصارت بين السودان وقالت يا كلاب العرب وحمالين الحطب سلموا أنفسكم وإلا وحق المسيح قطعناكم قطع وبضعناكم بضع فقد عمل زوجى على أميركم وأصحابه فان استسلمتم حملتكم إلى السجن فان سلم أميركم ورجع إلى الحصون فتكونوا أنتم فداء لمن يكون معه من أصحابنا وإن عطب ألحقناكم به وصاحت فى النسوان خذوهم بالسيوف وكتفوهم فقال أبو الهول لأصحابه الحيلة قد تمت حتى أخذت سيوفنا من أيدينا ومالنا طاقة بما يلينا به وما لنا لا نسلم أنفسنا والا نحن هالكين (قال الراوى) فعند ذلك أرموا النفط من أيديهم وسلموا أنفسهم فقبضت عليهم شوما ثم أمرت بكتافهم فدنت منهم النسوان وفى أيديهم السيوف وجعلوا يقيدوا كل واحد منهم ويشدوه كتاف حتى يحس ان الدم طار من أظافيره وساقتهم إلى بعض البيوت وقفلت عليهم الباب وأخذت مفاتيح الحصن وأتت الى أعلا البرج

وأوقدت الشموع والمشاعل حتى صار الليل كالنهار وعرفت الملك بالحيلة التى دبرتها على المسلمين ففرح الملك بذلك فرحا عظيما ثم ان شوما نزلت وفتحت باب الحصن وقال الملك لشومدرس لقد أوليتنا أنت وزوجتك ما لم نقدر نكافئك به فالمسيح يكافئك على ذلك (قال) ثم دخل الملك وخواصه الى الحصن ومعه شومدرس وقال لزوجته أين الذين قبضتى عليهم قالت له بعضهم فى السرداب وبعضهم فى الخزانة التى خلف الباب فضحك الملك وقال أريد القوم الذين أخذتيهم حتى أضرب رقابهم وآخذ ثار أخى وثار ولدى فقال شومدرس يا ملك ان المسيح قد قتلهم بأدنى العذاب وقد ماتوا من العطش فدعهم على ما هم عليه فأكثر ما يقيموا خمسة أيام وقد ماتوا من الجوع فان شئت أن تقتل هؤلاء العشرة فافعل ما بدالك فقال الملك على بهم فأحضروهم بين يديه وهم على أقبح صورة وإذا بالصياح قد علا فى وسط عسكر الروم وصراخهم قد نما فقام الملك من مكانه فزعا مرعوبا وقال انظروا ما الخبر فهو على ذلك الحال وإذا قد دخل عليه بطريق يقال له مسطاووس بن بولص وهو الذى كان استخلفه الملك فى الحصن عند ولده مرتوما فقال له ما وراك ومن بشره رماك فقال له ورائى الموت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر ولا لنا منه خلاص ولا مفر فقال الملك وما هو الموت الأحمر فقال البطريق ياملك قتلت الرجال وهلكت الأبطال وأخذت الصبيان وملك الحصن وما سلم منهم غيرى فقال له ويلك وكيف ملك الحصن وهو موضع لا يرام فقال ما شعرنا إلا والقوم قد طلعوا علينا من الحصن كأنهم الجن وما كانت إلا ساعة حتى خلوهم رءوس بلا أبدان وأخذوا بنتك أسيره فان كان عندك من القوم أحد فاحتفظ عليه حتى يكونوا فداء ولدك وابنتك والا ما يخلصوا أبدا فلما سمع الملك ذلك بكى بكاء شديد وبكت معه الحاضرين لأجله ولأجل أولادهم فجعل الملك سكندروس يسكن روعهم ويقول هذا الحصن عوضا عن حصنكم وعندى أسارى نفادى بهم أهالينا وقد حصلوا فى أضيق مضيق وقد ملكنا الدروب عليهم فما هذا الذى قد نزل بكم ثم أمر أن يفتح باب السرداب ويخرج سملق وأصحابه فقالت الراهبة ما هذا صواب لأن القوم كأنهم الجن ومعهم عددهم وسلاحهم وكل واحد يريد لرأسه ألف فارس ولكن خلوهم يومين أو ثلاثة حتى تضعف قوتهم وننزل اليهم وهم لا يقدرون أن يدفعوا عن نفوسهم فقال الملك نعم ما رأيتى ثم قال للراهب شومدرس يا أبونا من أين طلعوا المسلمين الى القلعة فقال لا أعلم إلا أنى متفكر فى ذلك (قال الراوى) وكان من قضاء الله وقدره أن الأمير عبد الوهاب وأصحابه لما وقعوا فى المهالك كما ذكرنا ومشوا

تحت الأرض كما وصفنا فجدوا فى سيرهم إلى أن أصبح الله الصباح فلما وصلوا الفجر وصلوا الى الموضع الذى خرج منه الملعون شومدرس ونظر أبو محمد إلى ذلك ففرح فرحا عظيما وقال الحمد لله على نعمه هذا والله هو باب الملك وهو يخرج إلى هذا المرج ولكن كونوا على حالكم حتى أخرج وأعود اليكم ان شاء الله تعالى (قال الراوى) فعند ذلك طلع أبو محمد من تلك الحفرة فنظر إلى قلعة القرن وهى شاهقة بالقرب منه فقال هذا والله الحصن الثانى وان العسكر قد ساروا فى طلبنا وما رجعوا ثم عاد إلى الأمير عبد الوهاب وأصحابه وقال لهم اصبروا ولا تطلعوا من هاهنا فان قلبى يحدثنى أن هذا السرداب ينتهى بنا إلى تحت القلعة والله الموفق ثم قال اتبعونى وسار تحت السرداب والمسلمون خلفه فقالت له الأميره ذات الهمه ياأبا محمد اعلم أنك إذا سرت لا يخلو أمرنا من حالتين اما ينتهى بنا الطريق إلى القلعة أو يكون فى هذا الوضع مهلك آخر فنهلك وإلا كنت خرجت بنا من هذا الموضع فقال أبو محمد ليس هذا صواب لأنكم قد عطبت خيولكم وهذه القلعة عالية حصينه لا سبيل لكم اليها وان رجع عليكم عسكر الروم وأنتم مشاة طحنوكم بسنابك الخيل بل اتبعونى وتوكلوا على الله عز وجل فاستصوبوا رأيه وساروا خلفه حتى انتهى بهم الطريق إلى باب من الحديد فقال أبو محمد للسودان أريد منكم قلع هذا الباب فقال أبو الهزاهز وعى يا أبا محمد أن يقلع هذا الباب فيطلع علينا الماء من تحت السرداب فلا ينجو منا أحد ولا من بنى كلاب فضحكوا من قوله ولم يزالوا يلخلخوا حول الباب حتى قلعوه فعند ذلك وجدوا درج صاعد إلى أعلا فقال أبو محمد الله أكبر فتح الله ونصر هذا والله علامة الخير والظفر اصعدوا بارك الله فيكم فصعدوا وقد جردوا سيوفهم وتوكلوا على ربهم ولم يزالوا صاعدين حتى انتهى بهم الصعود إلى باب مغلق فسمعوا من وراءه كلام القوم وهم يقولون قد أبطأ علينا خبر الملك سكندروس فقال لهم بعض من كان فى القلعة الأولى من المنهزمين وأبو محمد يسمع والرجل المتكلم يقول أيها الملك ان الأمر عظيم والخطب جسيم لأن هؤلاء القوم الذين قتلوا ملكنا وأخذوا قلعتنا قوم سودان فقال مرتوما وحق المسيح ولو كانوا من قوم عاد لأتينا بهم فى الأصفاد فعند ذلك قال أبو محمد للأملا عبد الوهاب اعلم أن القوم فى حديثنا ولا سبيل اليهم إلا بالحيلة فكونوا على ماأنتم عليه ثم ان أبو محمد طرق الباب طرقا خفيفا فقالوا من بالباب وقد قالوا لمرتوما أماتسمع الذى بباب السر يطرق فقال لاشك ان أبى أرسل الينا رسولا فلما سمع أبو محمد ذلك طرق ثانيا فقال من الطارق فقال أنا شومدرس

وانى قد عملت على المسلمين كلهم وقد اهلكتهم فى المطلب وقد جئت لامر أشير به عليكم فلما سمعوا بذلك بادروا الى فتح الباب وعلم أبو محمد ذلك فقال للامير عبد الوهاب ولابو الهزاهز والاميره ذات الهمة ولسائر الابطال المذكورين اذا رأيتم الباب قد فتح فأسرعا الدخول ومكنوا السيوف بالضرب فهم فى الكلام واذا بالباب قد فتح فعند ذلك وثب أبو الهزاهز ووثب من بعده عبد الوهاب ووثبت من بعده الاميره ذات الهمه كأنها اللبوة المهمهة فعند ذلك نادى مرتوما اغلقوا الباب فقدامتلأ الحصن من الكلاب الذين طلعوا من السراب فهجمت البطارقة على عبد الوهاب فالتقاهم عبد الوهاب بالصارم القرضاب وحل أبو الهزاهز والاميرة ذات الهمة فى أوائل الناس وقتلوا مقتلة عظيمة ثم نظرت الروم الى ثلاثة رجال قد خطفوا الأرواح وهم يرمون من الروم الأشباح وطلع ضيغم وقشعم وطمطم وشيظم والأفلج وسعد وسعدان والأصلع وتجروم والأسطح وغيلم وبلدم وملابط البغال وشارب الدم وخساف الصدور وباغض رأسه وكاره حياته وطمطم والدموك وكرم (قال الراوى) ثم طلعت بقية السودان وبنى كلاب حتى امتلأ الحصن منهم هذا وقد سالت الدماء وامتلأت عرصات الحصن بالقتلا ولم يزالوا طالعين الى أن صاروا فى الحصن وهم فى خمسة وأربعون ألف فارس فعند ذلك نادوا أهل لورك لورك يعنى الأمان الأمان فأمنهم الأمير عبد الوهاب وأخذ كل من فى الحصن أسير وفرح بذلك الفرح الشديد ولم يبق فى الحصن إلا البطرق الذى ذكرناه وهرب وأوصل الخبر الى الملك سكندروس كما وصفنا وأن الأمير عبد الوهاب بات تلك الليلة وأصبح جميع أصحابه وقال لهم اعلموا أن فى هذا الحصن من المال مالا يعد ولا يحصى فان كان فاتكم المطلب فقد نلتم من هذا الحصن غاية المراد والأرب والآن فنحن نخلى فيه ولدى الأمير ضيغم ومعه مائة فارس ونخرج نحن الى مرج الثغور والقلعة السودا فقالت الاميره ذات الهمة يابنى على مهلك فوالله لقد رابنى أمر الملك سكندرس فانه لما ظفر بنا وقد مضى الى القلعة التى فيها سملق وأصحابه ولعمرى لقد فرطنا فى أمرهم ولو كنا تركنا فى القلعة قدر ألف فارس لكان رأيا سديدا ومن الرأى عندى أننا نأمر ضيعم أن يغلق باب الحصن ونسير راجعين الى القلعة ونفصل من سكندروس الملعون هذه النوبة وننظر ماجرى من أصحابنا ولا بد لى ما أمضى اليه وأهجم عليــه فعسى الله أن يظفرنى به وبالملعون شومدرس فقال أبو الهزاهز والله لان مكننى الله منه لاجعلنها عليه أيشم السنين وألطمه بالشمال وباليمين فقال الامير عبد الوهاب ان كان ولابد من الرحيل

الى ورائكم فيكون فى يومكم هذا فعند ذلك خرجت العساكر وتركوا ضيغم فى قلعة القرن وساروا مجدين حتى وصلوا إلى المطلب فوجدوا بين أيديهم الغبار قد علا والصراخ قد نما وخيول قد ملأت المستوى وفى أوائلهم الملك سكندروس وبين يديه رجال وأبطال وهم فى العدد مائة مصفدين فى الأغلال فتبينهم الامير عبد الوهاب وإذا هم أصحابه الذين تركهم فى الحصن فقالت الاميره ذات الهمه وأبو محمد ما ترى فى هذه القصة أخذوا والله أصحابنا وملكوا الحصن فكيف السبيل الى أننا نتركه ونسير فقال أبو محمد نحن نطلب من الله أن يجعل العسير يسير ثم قال أيتها الاميره كل الامر عجب ألا ترين هذا العسكر الذى قد ملا البرارى بصهيل الخيل وجعل النهار كالليل وقد شعشعت بوارقه وانتى تسألى عن الحصن وعوائنه فقالت الاميره والله يا أبا محمد ما أبالى فى طاعة الله تعالى دخل الموت علىّ أو دخلت عليه فقال أبو محمد لله دركى يا سيدة المجاهدين ما أصبرك على لقاء الكتائب وملاقاة المواكب فقال الامير عبد الوهاب وقد أقبل على الاميره وقال ما الرأى عندك قالت الرأى عندى أن نلقى القوم قبل أن يلقونا ونبدوهم قبل أن يبدونا فان البدرة لمن بدر فقال لها الامير افعلى ما بدا لك فهى فى الكلام والجيش قد قرب منهم وكان الملعون سكندروس أمكر أهل زمانه وأشجعهم وهو فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق وأنه لما وقعت عينه على عسكر المسلمين قال لشومدرس هذا عسكر المسلمين قد رجعو الينا طالبين ونحن لا شك بعددهم مرتين وفى قتلهم ضعفين فهل ترى أن نرمى أنفسنا عليهم فقال شومدرس اعلم أيها الملك أن الحرب خديعة ونريد أن نرسل لهم أنتم قد أخذتم حصنين ولكم عندى أسارى ولى عندكم مثلهم وانى قد أرسلت الى أخى الذى فى الحصن الثالث وكأنكم بالعسكر وقد أطبقت عليكم من خلفكم ومن بين أيديكم وعلى أننى أمنعكم المسير الى بقية الحصون فقال الملك وإيش الفائدة فى ذلك إذا أجابوك إلى الصلح فقال نطلب منهم الأمير الاشقر الازرق العينين صاحب الرأى الأوحد أن يأتى الينا حتى نقرر معه الحديث فاذا جاء الينا قبضناه ولا يمكن أن نبعثه اليهم فقال وايش نعمل به قال اعلم أن ذلك الشيطان يقوم بالحصن وحده وهو مشيرهم ومدبرهم ولقد رأيت أميرهم يناديه بأكرم المناداه لدفع الأعداء فانك ان أخذته وعولت على قتله أعطوك كلما عندهم من أسارى ومن مال وحصون فقال الملك فكن أنت الرسول اليهم والقادم عليهم فقال لاأقدر على ذلك لأنى فعلت فى حقهم مالا يفعله أحد ولعبت بعقل أميرهم فى طلب المطلب ولكن ارسل اليهم ولدى دهرشوم وهو يقوم مقامى فادعى به الملك وقال له يا دهرشوم امضى الى هذا

المقدم على هذا العسكر وبلغهم الرسالة التى قالها أبوك فقال سمعا وطاعة وما لهم عندى أكثر من الحيل والكذب وهو بضاعتى ثم حزم وسطه وخرج من العسكر من وقته وساعته وسار الى أن وصل الى عسكر الامير عبد الوهاب فلما رآه الامير أبو محمد قال للأمير عبد الوهاب هذا رسول وصل الينا وان صدقنى حذرى ولم يخطئنى فهو ولد شومدرس لأنى أرى الشمائل شمائله وما أتى إلا لأمر قد أحكمه (قال) وأن الملعون دهرشوم قد قبل الأرض بين يدى الأمير عبد الوهاب ثم انه قال بالرومى سلام عليكم اعلموا أنى رسول اليكم فاسمعوا رسالتى ولا عتب فى مقالتى فان سائر الأمم قد أجمعوا ما على الرسول إلا البلاغ فلما سمع أبو محمد كلامه قال هذا والله من لعنة شومدرس ثم وثب اليه وقال له فيما أتيت قال اعلم أن الملك قد حقن الدماء وأرسلنى من أجل فكاك الأسارى حتى يقع الصلح على الفداء ثم انه ذكر الرسالة التى تقدم ذكرها. هذا والأمير عبد الوهاب يسمع ما يتحدثون به فقال يا أبا محمد كل ما أراده الملك نحن نفعله ونبلغه الى ما يريد قلبه ويدبره من احتراقه على ولده وان أراد الملك يدفع لنا أصحابنا وندفع له أصحابه وولده فقال دهرشوم فاذا لم تفعلوا فأنتم تعرفون الملك بأنه جبار عنيد وبطل صنديد وهو فى اضعافكم فقال أبو محمد رضينا أن نفدى أصحابنا بأصحابكم الذين أخذناهم من الحصن وبعد ذلك القتال فامض الى الملك وقل له ينزل الى أن نرسل الى الحصن ونأتى بمرتوما فقال دهرشوم إذا كان الأمر استقر على هذا الحال فتأتى معى الى الملك كيما يسمع كلامك فقال أبو محمد فى نفسه هذه والله غاية الحيلة ثم التفت الى الامير وقال له إيش رأيت فى هذه الحيلة فقال الامير وكيف ذلك يا أبا محمد فقال ان القوم ما لهم غرض بالفداء وإنما أتوا يدبرون الحيلة حتى أحضر عندهم ويقبضون علىّ وكل ذلك من ترتيب الملعون شومدرس فضحك الامير عبد الوهاب وقال ان الرسول ما عنده إلا البلاغ وما يتعرضون لك بشر فقال أبو محمد فان كان ولابد من رواحى فاعقل هذا الرسول عندك فى الاغلال ودعنى أمضى اليهم فقال الامير حبا وكرامة ثم قال للرسول اقعد عندنا حتى يمضى رسولنا إلى صاحبكم فان أكرمه أكرمناك وان أهانه قتلناك فلما سمع ذلك دهرشوم الملعون ابن الملعون وقع به البلاء والغموم ولم يعجبه ذلك وقال وحق المسيح هذا الامر غير محمود وان كانت قلوبكم غير طيبة فانى أرجع الى قومى ثم ألوى رأس جواده وسار الى قومه وهو لا يصدق بالنجاة وقد نظر الى السودان وهم يبربرون فقال أبو محمد يا مولاى هذا ما أتى إلا ليدبر الخديعة فاقبض عليه فقال الامير هذا لا يكون من

شيم الكرام ولا من فعال الابطال (قال الراوى) ووصل دهرشوم الى الملك سكندروس فقال الملك ما الذى جئت به من الجواب فقال أيها الملك الكتاب الذى كتبناه قرأه ذلك الازرق العينين وأعاد الذى جرى من أوله الى آخره فقال الملك مافى الامر إلا القتال وحق المسيح لأتركن أجسادهم حتى تأكل منها الوحوش وتشبع من لحومهم ثم صاح فى البطارقة وقال دونكم والحملة على القوم ونظر الامير عبد الوهاب الى أفعال الروم الكلاب فأمر السودان الانجاب وسادات بنى كلاب بالحملة على القوم اللئام فحملوا عليهم السودان وفرسان بنى كلاب كأنهم أسود الغاب ودام بينهم الطعان والضرب بالبتار حتى علا عليهم الغبار والضباب وشابت فى تلك الساعة الشباب ووقع الضرب خطأ وصواب وتقطعت الاسباب وضربت الرقاب ولعبت الخيل بروؤس الركاب ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل بين القوم من الصبح الى الغياب وقد سكر الفارس من غير شراب وطلب الناس الفراق فأتى الملك سكندروس وطلب القتال فى الليل الهادى وقطعت الايادى ونادى بفروغ الأجل المنادى (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك صاح الامير عبد الوهاب بالسودان الانجاب وقال : يابنى حام ياشبه الظلام اصبروا على ضرب الحسام ولا تخافوا من هؤلاء اللئام واستعينوا عليهم بالحى الذى لاينام (قال الراوى) فعندها قطعت العوائق والاكتاف وشربت النفوس شراب التلاف وتقطعت الرقاب من خلاف وتعب الفارس الجبان ومن الموت خاف فكم قد هوى من صريع وكم قد شربت الارض العطشانة من النجيع (قال الراوى) فبينما الناس كذلك واذا بالصياح من خلف عسكر الامير عبد الوهاب قد علا ونما وملأ الوادى وزعزع الفلاة وعظم البلاء وصاح الصياح ألا وان صاحب القلعة السوداء قد أتى فى ثمانين ألف فارس من كل بطل مداعس وكان اسمه مر طاووس وقد استخلف ولده موضعه وقد دقت النواقيس وصاح كل راهب وقسيس فأطلقوا على عسكر الامير من خلفهم ومن أمامهم وتصادمت الخيل وحل الويل ولم يعرف فى تلك الساعة الأخ أخاه وكثر القتال ودام وتصادموا صدام وأى صدام وزعق على رؤوسهم غراب البين وحام ونادى الامير عبد الوهاب ياسادات بنى كلاب اطلبوا إحدى الطائفتين وصاح بالسودان يا آل حام احملوا على هؤلاء اللئام وابشروا بالثواب واعتمدوا على ضرب الحسام فعندها صاح أبوالهزاهز عليهم وقال أنا وأصحابى النادمين وكان أكثر السودان رجاله غير خياله لأن خيلهم هلكت كما ذكرنا وتلك الخيل التى مع بنى كلاب كانوا

قد أخذوها من قلعة القرن وجملتها خمسة وعشرين ألف من الخيل الجياد فركبها بنى كلاب وباقى الناس رجاله (قال) وان بنى كلاب مع الامير عبد الوهاب . وأما أبو الهزاهز فانه جرد السودان على القادمين وكانوا خلق كثير فصاح بالسودان ياويلكم اصبروا على الضراب والطعان ودوسوهم فى قاع الصحصحان فقالوا سمعا وطاعة فانظر الى قتالنا فى هذه الساعة (قال الراوى) ثم صاح كل واحد من السودان وقصدوا الروم من اليمين ومن الشمال وكل واحد يمسك الرومى من أطواقه ويجره مثل الخنزير الى الارض وينحره ثم يركب على ظهر فرسه حتى تكاملت السودان على ذلك الشان وصاروا كلهم خيالة ونزلوا على الروم نزول القضاء فأسقوهم شراب الردى والتقى الامير عبد الوهاب ومن معه من بنى كلاب عسكر الملك سكندروس فلقوا منهم كل صعب وبؤس ودعس فيهم طارق الحجازى بالسيف وجرت دماهم مثل السيل حتى كلت منهم الرجال والخيل وقل منهم القوى والحيل ومالت المسلمين على الروم فى هذه الليلة كل الميل حتى تقطعت القوائم من الركب وشربت الكفار شراب العطب وتعبت الروم والعرب ولم يجدوا للنجاة سبب وانسد عليهم كل مذهب ولم يجد الجبان لنفسه مهرب ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل حتى ذهب الليل بظلامه وأقبل النهار بابتسامه ورجع الخصم عن خصمه وضجر من حربه ورجع الامير عبد الوهاب هو وأصحابه وصار الامير يفتقد أصحابه ومن فقد فى تلك الليلة من رجاله فلقى الذى فقد منهم راشد بن ضمرة وعوف بن مرة ومالك ابن طوق وظاهر بن المسيب وفرقد بن طارق والأشعث بن صادق وهياج الكردى وبناته وزوجته ومدركة وعبد الله وطارق الحجازى وأبو محمد البطال وجماعة من الأقيال وافتقدوا السودان فوجدوا قد فقد منهم طمطم وطماطم وأبو المسح وملاكز الريح وكاره الحياة وباغض راسه وأكال مداسه والمزمع وأكال الضفدع وقاطع الرؤوس وكاسر الأضلاع وخامد النفوس وهم مقدار أربعين أسود ومن جملتهم أبو الهزاهز فعندها قال الأمير لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم وثب الأمير ووثبت جماعة من السودان وجماعة من بنى كلاب وصاروا يفتقدون من عدم من الأصحاب (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الملك سكندروس لما أصبح الصباح زعق لقومه وقال لهم : ياويلكم لاترجعون عن القتال حتى تهلكوا هؤلاء الأندال فقالوا له الروم : أيها الملك المفضال وحق المسيح والانجيل وما فيه من التحريم

والتحليل ما بقى فينا قوة للقتال ولا جلد للمعاركة والنزال فلما سمع كلامهم نزل بهم على رأس الطريق حتى لا يكون لهم منه خروج ولا خلاص ولا من مكانهم مقاص ونزل صاحب القلعة السوداء ومرج التنور على يمينه فى ثمانين ألف وجعلوا يتحدثوا بما لاقوا من السودان من الذل والهوان وبكوا على من قتل من الرفقة والخلان والأصحاب والجيران فقال لهم الملك طاؤوس صاحب القلعة السوداء على اليوم أن آخذ بالثار وأكشف العار وأحرق الكل فى تنور النار حتى لا يرجع أحداً يطأ هذه الديار ولكن استريحوا بنا حتى يطلع النهار وقوموا الى ضرب البتار واطلبوا النصر من التنور والنار (قال الراوى) هذا ماجرى ههنا من الكلام وأما ما كان من المسلمين فانهم جعلوا يطوفون على القتلى وقد تخضبت وجوههم بالدماء فلم يعرفوا منهم أحد فأيقنوا بفناء أصحابهم الى الابد ونظروا الى القتلى من الروم واذا بهم عالم عظيم فعادوا الى الخيام وأخبروا الامير بهذا الكلام فقلق وزاد به الهم والأرق فقال للأميره قد عدمنا من أبو محمد مشورته ومن أبو الهزاهز شجاعته فقالت الاميره يابنى انى رأيته أبو محمد نصف الليل وهو مثل المجنون وهو ينادى بمالك بن طوق وراشد بن ضمرة ثم قصد الى السودان فظننت أنه يحرض الجميع على القتال والنزال ولكن لا أعلم ما كان منه فقال الامير والله ماهو إلا فى أمر عظيم وحال جسيم فالله يعينه على ماهو فيه وينصره على من يعاديه ويوفقه الى الخير والتوفيق (قال الراوى) وكانت قصة غيبتهم عجب عجيب يفهمه كل ذى عقل لبيب وذلك أن الامير أبو محمد لما اشتد القتال فى تلك الليلة المذكورة ودام فيها النزال والضرب بالحسام خرج من المعمعة ومعه غلمانه سبك ويانس وبديع وجوهر وقصد الى لحف الجبل يطلب أن يعمل شيئاً من الحيل ونزل من وراء عسكر الروم الملك سكندروس لعله يتوصل الى خلاص سملق وأصحابه فهو كذلك وقد نزل وتواطأ من الجبل واذا بسملق وأصحابه على الطريق ومعهم مائة بطريك وشومدرس أمامهم وهو يقول ما الرأى عندى انكم تردون هؤلاء السودان الى الحصن حتى نرى ماذا ينفصل العسكران ويجتمع الجيشان فقالوا البطارقة وحق المسيح هذا هو الرأى الصحيح غير اننا لا نقدر على ما تشير به علينا إلا بأمر الملك فقال شومدرس هاأنا أخوض القتام فى هذا الليل الهادى وأحضر لكم بأمر الملك ثم دخل العسكر وهو يتلو الانجيل بصوت جميل (قال الراوى) فلما رأى الأمير أبو محمد الى هذه الفعال وهذا الحال ادعى بغلمانه وقال قفوا فى أماكنكم حتى أعود إليكم فأنا أؤمل من الله الخلاص بسملق وأصحابه وفتح حصن العلق

وقبض شومدرس ولو أنه فى ظلام الغسق ثم رجع أسرع من البرق إذا برق وثيابه قد شمرها على أكتافه ودخل الى المعمعة وجعل ينادى برجل بعد رجل وهو يقول أتبعنى على عجل وأسرع بنا الى هذا الجبل وأخذ من السودان أربعين ومن العرب عشرين أقيال أنجاد بسواعد شداد ورماح مداد وسيوف حداد وقال اطلبوا بنا لحف الجبل وسيروا على مهل (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزالوا سائرين حتى عبروا العسكر فوجدوا القوم على حالتهم فى وسط الطريق وقد وصل الشيخ الزنديق الملعون شومدرس رأس الضلال واجتمع بالملك سكندروس فقال للبطارقة أوصلوهم الى الحصن ولا ترجعوا حتى أعود إليكم فقال شومدرس : لا تفزع أيها الملك على الحصن إذا كنت أنا فيه وزوجتى فلو نزل عليه جميع الموحدين لتركتهم يرجعوا خائبين (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك شكره وسار والقوم معه والأسارى بين أيديهم والأمير أبو محمد سائر فى عراضهم فكلما انتشرت خيلهم يأمر من أصحابه رجل يختلط بهم والليل قد نشر سواده على العباد . فلما اختلطوا فى جملتهم قال أبو الهزاهز : ما انتظارنا يا أبا محمد دعنى حتى نمكن منهم المهند فقال أبو محمد لا تعجل فقد يكون مع المستعجل الزلل وأنا قد دبرت احتيال فلا تفسده يا أبا الأشبال بل ترجل معهم الى الحصن عسى أن نملكه فقال أبوالهزاهز أحسنت ياأبا محمد لله درك فيما دبرت من الامور فأمر بما تريد فكلنا لك عبيد فنحن ستين والاسارى خمسين فلو كان فى الحصن ألفين ما بالينا بهم وسترى العجب وساروا حتى وصلوا الى باب الحصن فصاح شومدرس : افتحوا الباب فقد بلغنا المراد فأجابوه الحراس وقالوا لانفعل ولا ندخل الى الحصن الرجال أو يأتى الملك سكندروس صاحب الجبل والناموس فناداهم : ويلكم أنا شومورس افتحوا فصاحت « شوما » عند سماع كلامه على الحراس : افتحوا الباب ونزلت حتى تتمشى قدامه ففتحوا الباب ودخلت الروم والسودان والأعراب وغلق باب الحصن (قال الراوى) هذا والأمير أبو الهزاهز لما أن توسط الحصن صاح بأعلى صوته : الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر فعند ذلك أجابته الستين ألف عن صوت واحد وصاح أبومحمد وذكر النبي محمد (ياساده يا كرام) وسمع الامير سملق تكبير أبوالهزاهز وأصحابه فأيقن بالفرج وأن يكون له من الضيق فرج هذا وأبو الهزاهز قد شمر أثوابه وكشر على أنيابه وفعلت السودان مثل فعاله وحملت على الروم فكان عليهم ليلا ميشوم وناح عليهم الغراب والبوم وتصادمت الرجال

وهى تارة تقع وتارة تقوم . هذا والأميرأبوالهزاهز زعق فيهم زعقته
المعروفة أدهشهم وقفز الى نحوسملق وقتل البطريك الذى معه
وخلصه من الأسر والضيق واصطحبا الاثنين فى قتال
الروم فأبادوا الأبطال وملكوا الأطلال
وانهزموا النساء والأطفال ولما نظر
شومدرس إلى ذلك أيقن بالهلاك
ولم يكن له فكاك إلا الباب
والنجاة من هذه
الأسباب

(تم الجزء الثانى عشر ويليه الجزء الثالث عشر)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الثالث عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم ان أبو محمد وأبو الهزاهز لما ملكوا الحصن هو وأصحابه طلب الراهب شومدرس وقال على به فوالله لا بد لى أن أخرج الحكمة من قلبه وأمكن يدى من شعر ذقنه فدارت عليه الغلمان وفى قلوبهم منه شعل النار فلم يجدوه وكان ذلك عليهم أكبر المصائب وأشد النوائب وأقبل الأمير سملق الى أبو الهزاهز ومعه عجوز كبيرة وهو يجرها بشعرها فقدمها لأبو الهزاهز فقال له ماهذه يا ابن العم فقال هذه أم الدواهى التى تركتنى فى نار المقالى شوما أم دهرشوم زوجة شومدرس ولابد لى ماأزيقها العذاب وأعرفها كيف تكون الهموم والغموم وأصبحها صباح ميشوم (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام والمشاجره واذا بأبو الهول قد أقبل ومعه هرشوم نسل الشيخ الظلوم فقال أبو محمد هذا والله الذى جاء يطلبنى ويخدعنى ثم قبض عليه وعلى شوما وملكوا الحصن بكل مافيه من الأموال والصبيان والاطفال والنساء والرجال (قال الراوى) وكان الملعون شومدرش لمانظر إلى ما قد حل بأصحابه ومن قتل من أحبابه طلب الراهبة شوما فماقدر على خلاصها فقصد الباب وخرج وهو غارق فى بحر كثير اللجج وسار فى ظلام الليل حتى غاب كوكب سهيل وطلع الى جبل وهو على سرعة وعجل ومازال يمشى بين الأشجار وهو خائف من أسد يفترسه أوسبع هدار حتى أشرف عند العصر على عسكر الملك سكندروس فوجد الحرب قائم على قدم وساق وقد تلمت السيوف الرقاق والناس فى الصياح والزعاق (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب لما أصبح فى صبح تلك الليلة التى فقد فيها أبو محمد البطال أتى هو وأصحابه فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وكذلك الملك سكندروس ركب من ساعته ورتب عساكره وكذلك صاحب القلعة السوداء وحملت الرجال على الرجال

والأبطال على الأبطال ودارت طاحون الآجال وحمل الأمير عبد الوهاب وتبعته السودان الانجاب فخرقوا الصفوف وجدعوا الانوف هـذا والملعون شومدرس قد خرق الصفوف وهو يغدو مثل الشيطان أو عقاب انقض على ورشان حتى وصل الى الملك سكندروس فلما رآه تعجب وقال له ما الذى أتى بك ياأبونا فقال أيها الملك حل بنا الويل والعطب وجارت علينا فرسان العرب وملكوا الحصن ونالوا الارب واحتووا على ما فيـه من الفضة والذهب وما علمنـا بهم إلا وهم معنا فقال الملك أعوذ بالمسيـح من هـذا اللفظ القبيح وما أقول ان هؤلاء إلا طيور وإلا فما هذا بتدبير الامور وما الصواب إلا القتال والضرب بالنصال ثم عدل الى نحو الامير عبد الوهاب وكان الملعون أطعن أهل زمانه بالقنطاريات لانه كان رجل جبار وله قنطارية كأنها السارية لا يحملها إلا السواعد القوية فخرج الى بين الصفين وجال بين الفريقين والناس فى جز المعاصم وبرى الجماجم ونظره الامير عبد الوهاب فقال هذا لاشك ملك الروم فحمل عليه وتقاربا والتصقا وافترقا ثم اختلف بينهما طعنتان فكان السابق بالطعنة الامير عبد الوهاب فجاءت فى صـدر الملك طلعت من ظهره ونظرت طوائف الروم إلى سـيدها وهو قتيل وعلى الارض جديل فولت طالبة لاخيه ابن أمه وأبيه وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور فلما وصلوا اليه قال ما وراءكم ومن بشره رماكم قالوا قتل أخوك سكندروس وحل به الفناء والبؤس فلمـا سمع صاحب القلعه السوداء بقتل أخيه صعب عليه وكبر لديه وصَاح بقومه ويلـكم ما هذه إلا فضيحة وعار وذل وشنار يقتل أخى وخشيتم هؤلاء القوم الضعاف ثم حمل على الامير عبد الوهاب وجالا وصالا وزعقت المشركين على المسلمين وحملت الطائفتين واختلطت الامم وشابت اللمم وجرى على الفريقين ماالله به حكم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل الى أن ذهب النهار وأتى الليل بالاعتـكار ورجعت كل طائفة الى مكانها ورجع الملك مرطاووس وفى قلبـه الهم والبؤس وقال لقومه اعلموا أننا قد وقعنا فى أمر عظيم وقد عولت أن أبارز هذا الفارس الذى هو مقدم القوم فان ظفرت به فهو المراد ومسرة الفؤاد وان هو قتلنى فحاموا عن أنفسـكم واقصدوا ولدى الاكبر والليث الغسور فهو فارس الخيل فى النهار والليل فاذا وصلتم اليه قولوا له ينظر بين يديه (قال الراوى) يا ساده يا كرام وباتوا النوم على أنحس مبيت وفى أفئدتهم الموت فلمـا أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر محمد سيد الملاح ركب الملك مرطاووس فى مائة ألف وعشرين ألف لان الـكل قد مالوا اليه

واجتمعوا عليه (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الراهب شومدرس لما نظر ما نزل بالناس من القتل والباس وقع به الهم الكثير وبكى بكاء غزير واستأذن الملك مرطاؤوس فى المضى الى ولده سمعان فأذن له وسير معه عشرة من البطارقه وقال يا أبونا أنظر بين يديك ووصى ولدى فى أمرك ونهيك فسار بجد السير ليل ونهار وغدواً وابكار لا يقر له قرار ولم يعبر على طريق قلعة القرن لأن الامير ضيغم هناك بل سار فى الجبال وخاض الآجام والدحال ولم يزل حتى وصل الى مرج التنور فوجد سمعان يتقرب الى النار والنور فسلم عليه وبكى بين يديه وأخبره بالاخبار وأوقفه على الآثار وقال له قتل عمك سكندروس وسقوه المنية أمر الكؤوس وأبيك لاشك فى الهم والبؤس وقد أرسلنى اليك من خوفه عليك فلما سمع سمعان بن مرطاؤوس كلام شومدرس قال أنا فارس اليونان ومبيد الاقران والفرسان ولابد من الذهاب اليهم فى الحال (قال الراوى) فلما سمع شومدرس كلام سمعان قال له يابنى اعلم أن المسيح يقول العجلة من الشيطان والتأنى يورث الامان فلا تأخذ أمرك على عجل فتورث أهلك وقومك الزلل اصبر حتى يقدم اليك أبيك فقال سمعان لابد من المسير والجد فى التشمير وترى ما أعمل وما أدبر من الحيل فهم فى الكلام والمشاجرة وإذا بغبار قد طبق الآفاق ولمعان السيوف الرقاق وأظلم الجو واغتم الضوء وتسابق فرسان وركض أقران فى قاع الصحصحان وزجرت الاقيال وصلصلت الحديد وهمهمت الاماجيد وجيش قد طبق الفضاء وسد المستوى فلما نظر سمعان الى لمعان الصلبان قال لبعض الغلمان اركب وا كشف الخبر وأوقفنى على جلية الاثر فقال سمعا وطاعه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك لما أصبح الصباح فى ليلة رواح شومدرس من حضرة الملك مرطاؤوس أمر مرطاؤوس العساكر أن تضرب صفوفا وقال لهم قد عولت على مبارزة الذى قتل أخى وآخذ منه بالتار وأكشف العار ثم انه صف الصفوف ورتب الالوف وخرج الى مقام الحتوف وتحته جواد أصفر وعليه درع يقيه من الردى وبيده حسام لو ضرب به جبل لنزل الى الثرى ثم وقف فى ميدان الحرب ومقام الطعن والضرب وقال يا رومى يافرسان العرب وحمالين الحطب لا يبرز لى إلا قاتل أخى سكندروس لأسقيه المنية والبؤس (قال الراوى) هذا والامير عبد الوهاب قد كان صف صفوفه ورتب ألوفه وأيقن بالظفر والنصر وخرج الى وسط الميدان وجال وصال وطلب البراز والقتال فتقدمت الاميره ذات الهمه الى ساحة الميدان وقالت يابنى لا أمكنك من

الخروج الى هؤلاء العلوج واعلم أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فقال لها الامير عبد الوهاب يا أمى لو أتى إلى ألف برزت لهم فى طاعة الله ومحبة رسول الله فقالت يابنى عذرى عليك لاينفع ولكن عينى تدمع وأحشائى تتقطع فدعنى أخرج الى هذا الملعون وأسقيه كأس المنون فقال ياأم لاتخدعينى بالكلام فلابد لى من ضرب الحسام فى طاعة الملك العلام فقالت يابنى لاتطيل الخطب ولاتكثر الجواب فلابد لى من الطعان والضراب (قال الراوى) فهما فى المحاورة والكلام والمشاورة ومرطاووس حمل على صفوف السودان فقتل رجلان وعاد فقتل آخر وطلب البراز فقفز اليه الأمير طارق الحجازى وتقاتلا وكانا مثل جبلين تصادما أو بحرين تلاطما حتى ضاق الصدر وعيل الصبر وتزايد الجرم وعظم الكر والفر ثم ان مرطاووس ضرب بيده الىالوهق ولم يكن الاميرطارق عارف به ولاسمع بقصته فرماه مرطاووس الى الهوى فنزل على الامير طارق فلم يجد له محيد وصاحت العرب بطارق خذ حذرك أيها الأمير من هذا الوهق فبقى طارق حائر لايدرى مايعمل وقد ضاقت به الحيل . هذا والوهق نازل فى الهوى حتى وقع فى عنق الامير طارق ثم جذبه مرطاووس اليه قلعه من سرجه وصاح ببطارقته فترجل منهم جماعة وأخذوا طارق وهو فى الوهق (قال الراوى) ياساده ياكرام ونظر الأمير عبد الوهاب الى ماقد فعل مرطاووس فلم يجد الصبر دون أن صاح وهم أن يخرج الى الميدان وإذا بالاميره قالت مه يابنى ارجع عن قتال هذا البطريق فلا تحملنى مالا أطيق (قال الراوى) فلما سمع الامير هذا بقى كأنه كثير الاعجاب وقال لها ياذات الهمة عليك بالغزل مع النسوان ودعى ولدك لمقاومة الشجعان فلو خرج الى مقاومتى ألف بطريق حل بهم البلاء والضيق (ياساه) فلما سمعت الاميره مانطق به الامير زاد بها الغيظ الكثير وسكتت عن منعه ولم ترد عليه مقاله وبان الغضب فى عينها (قال الراوى) فخرج الاميرالى مرطاووس ونظر أبومحمد الى الاميره والغيظ قد لعب بها فقال لها ياأميره لا تحزنى على ولدك بما قد صدع به فؤادك وكبدك فهو معود بالنصر على الأعادى ولذكره يهتدى الهادى فقالت ياأبا محمد فان قتل فقد قتل من هو أشرف عند الله منه وأعلى درجة ومكان وهو الحسين بن على بن أبى طالب صاحب الجود والمناقب ولو أخذ لم أحزن عليه وحق ذمة العرب ومن ضرب فى البيداء طنب لاحضرت اليوم معكم مصاف فضحك الامير أبومحمد فى وجهها ومسح أعطافها وقال أيتها الاميره مافعل ذلك إلا حمية فى الدين وهو دين الاسلام وتطوعا الى الملك العلام (قال الراوى) هذا والاميره

قد خرجت من الميدان وخلعت عدتها ودخلت الى خيمتها وقد اشتغلوا الناس بمبارزة الامير ومرطاووس ووجد الرومى التقصير من جواده فصاح الامير يامسلم سمعت أن دينكم على الانصاف وقد وقع بجوادى الاتلاف من الجولان والانعطاف فأمهلنى حتى يأتينى الجواد الذى قد خبأته للطراد فقال الأمير حباً وكرامه (قال الراوى) ياساده فرجع مرطاووس وغير الحصان وإذا بغبار قد ظهر من خلف مرطاووس كأنه الليث العبوس وهو طالب الامير عبد الوهاب من غير عتاب ولا خطاب بل هجم عليه كأنه العقاب وقد أفرجت له الروم الكلاب وعليه درع قصير الا كمام مليح النظام لايعمل فيه الحسام من فوقه ثوب ديباج متغلل بالذهب الوهاج وفى وسطه منطقة من الذهب الاحمر وعلى صدره مرآة من الجوهر فى شرابه حرير أخضر ومن فوقه تخفيفة زرنباقه صوف أصفر وفى يده صارم أبتر وهو على حصان أشقر (قال الراوى) فلما نظر الامير الى الفارس والفرس فأعجبه وطاب نظره اليه أسرع من النفس (ياساده) ولما رأى الملك مرطاووس الى الفارس الرومى وقد طلب الامير رأى ذلك من أعظم المسرات وكان له قرة عين ووقف ينظر مايجرى بين الاثنين وحمل كل واحد منهما على صاحبه واعتمد على طعنه ومضاربه واشتد القتال ودام النزال ونظر الامير ياساده الى الفارس كلما طال قتاله عظم نزاله وزاد نشاطه وقوى انبساطه فأخذ حذره منه وتعاركا وتشابكا وتصادما وتهاجما واحمرت عيونهما وبقيت كأنها عاق الدماء وطلع عليهما الغبار وغاب عن الابصار وتماشقا بالبتار ساعة من النهار فخال الامير من ذلك وقصد جواده عسى أن يبلغ منه مراده ثم ضرب رأس الجواد أطلعه كالبرق فوثب الرومى الى الارض وقد ضاق صدره وحاذى جواد الامير وضربه أرمى قوائمه فوثب الامير حتى صار على وجه الارض قائما وطلبه الرومى ولاصقه وضربه فوقعت الضربة على الدرقة وكانت من الحديد الصينى فقطعها نصفين فرماها الامير من يده شطرين وبقى يلتقى الضرب بسيفه وقد أيقن بحتفه . هذا ولما نظر الامير أبو محمد الى ذلك فزع على الامير وقال والله مامن طامة إلا وفوقها طامة وما خذل الامير إلا بما وجع قلب الاميره ومالى إلا أن أمضى اليها وأقص القصة عليها فربما يجرى على الامير حال من الاحوال وتقول ما أعلمتنى بقتل ولدى وحشاشة كبدى ثم قصد إلى خيمة الاميره فوجد خادمها منجح واقف على باب الخيمة فقال ادخل بالعجل وقل للأميره انى على بابها أبغى إعلامها بحال ولدها فلما سمع الخادم ذلك دخل الخيمة ثم خرج وقال يامولاى

الأميره تسلم عليك وتقول لك قد حمى كبدها من كلام ولدها وقد وجدت الضعف فى قواها ولا سبيل الى الدخول عليها وقد قالت لك لاعتب على للقوم ولاينفع العذر وما أنا واجدة عليه لأن عندى شفيع قوى وهو حنانى وشوقى إليه فرجع أبو محمد وهو فى نار السعير وقال والله لقد دخلت العين علينا ثم عاد إلى ساحة الميدان وموقف الضرب والطعان ينظر ماجرى من بعده وقد ضاق صدره فوجدها على الحالة الأولى الفارس الرومى فى زياده والأمير فى نقص فقال أبو محمد هذا والله عقوق الوالدين يفضى إلى الهلاك والشين هذا وقد شخصت الابصار وتطاولت النظار وهاجمه الرومى مهاجمة الليث ومد يده ومسك مراق بطنه ورفعه حتى بان بياض ابطيه وقال له بالعربى ياعبد الوهاب يقع بك التعب من الكواعب الأتراب فكيف لو بليت بليث الغاب ثم كشف اللثام وبان من تحته وجه كأنه البدر التمام وإذا به الأميره ذات الهمه وحطته الاميره على وجه الارض وقد زال عنها الغيظ فقال ياأماه منعتينى عن الجهاد والجلاد فقالت يابنى جوابك أحرق فؤادى فلا زلت مهلك الأعادى دونك وإياى خذنى أسيرة واخرج من الميدان كأنك أسرتنى حتى تقع لك الهيبة فى قلوب الروم ويحل بهم البلاء والهموم فأخذها وخرج وكبر المؤمنون وهلل الموحدون وقال الامير أبو محمد مافى الزمان مثل عبد الوهاب (قال الراوى) ياساده ياكرام ومن ههنا ينقسم الحديث حتى لايجوز الغلط فى الكلام وأن الامير أبو محمد والاميرأبو الهزاهز وسملق لما ملكوا الحصن الاول حفظوه بالابطال وصاروا حتى قدموا على الامير وهو فى براز دلك الملك سكندروس الذى قتله الامير عبد الوهاب وهذا كان السبب فى قدوم الامير أبو محمد (قال الراوى) ورجعنا الى سياق الحديث وتعجبت أهل الصلبان وملة الطغيان من الامير عبد الوهاب وشدة بأسه وقوة مراسه وخرج أبا محمد وقبله بين عينيه وقال قرت عيناك بالنصر والظفر فأنت الذاب عن البيت الحرام وقاك الله البلاء والانتقام فقال الامير عبد الوهاب ياأبا محمد خذ هذا الفارس اليك واحذرأن يحقد عليك فتبين أبو محمد ونظر الى وجهه واذا بصينية تلوح مثل عين الأرقم أو نسر قشعم فعرفها وقال ذات الهمه ورب الكعبة الحرام والركن والمقام وقال أعزكم الله بعزه وكشف عنكم جوره وحكمه فقالت الاميره جزاك الله خير ياأبا محمد فأنت الأخ الودود وقاك الله من عين الحسود فقال أبو محمد ياست ولا سيما من عين المفتون والرجل المغبون القاضى عقبة فضحكت الاميره ذات الهمه وقالت ياأبا محمد لاتنساه فى الشهور ولا فى الدهور (قال الراوى) وقد ركب عبد الوهاب ورجع الى

مرطاؤوس مثل الأسد العبوس هذا ومرطاؤوس وقف فى وسط الميدان ومعترك الأقران ولم يعلم أن الامير يرجع الى الميدان ولايقدم عليه بعد الذى جرى عليه وخرج الامير كما وصفنا فجالا ساعة من النهار وطلع عليهما الغبار فضربه الامير بالصارم البتار وإذا برأسه عن بدنه طار فعندها انهزمت العساكر وطلبت الديار وتبعتها المؤمنون الأخيار وأمة محمد المختار إلى أن أشرفوا على مرج التنور وعبدة النار والنور (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان سمعان فى المشاورة والكلام مع الراهب شومدرس فلاحت الغبره وبانت العساكر منكسره فخرج سمعان بالجواد كأنه شيطان وصاح ماوراكم ومن بشره رماكم فقالوا ورانا الموت الأحمر والاسد الغضنفر فلما سمع كلامهم قال لهم وما فعل مرطاؤوس فقالوا له طارت رأسه كما طارت الرؤوس فعندها نفر وكفر وقال وحق النار والنور والمرج والتنور لابد لى ما ألقاهم (قال الراوى) ياساده ياكرام وحدوا عظمة من لايغفل ولا ينام خالق الجن والإنس مسبب الأسباب ولم تزل العساكر واردة والجيوش متزايدة حتى كملوا ثمانين ألف وقربت لحصن سمعان وقويت نفسه على قتال عبدة الرحمن فقال له شومدرس الرأى انك تسد المضيق على هؤلاء الزنادیق حتى تأمن من الكبار والصغار وتطلع الى حصنك وترسل الى أعمامك حتى يأتوا الى نصرتك فما يصلوا هؤلاء الى الديار وفعلوا هذه الفعال إلا وهم أبطال الحرب وليوث الطعن والضرب (ياساده ياكرام) فلما سمع سمعان ذلك قال يا أبونا اعلم أن الديار ديارنا ونحن أخبر بها وأريد أجعل فى رؤوس هذه الجبال دبادبه يأتونى بالأخبار ويوقفونى على حقيقة الآثار فقال يابنى القوم سباع الغاب ومناهم ضرب المشرفيات وفيهم رجل أشقر أزرق العينين وهو خداع محتال تضرب به الأمثال وحق المسيح لابد ماأحتال عليه وأوصل مكرى إليه فهو الذى كان سبب قتل سكندروس وحق بالنصرانية الويل والبؤس فقال سمعان افعل ماترى ياأبونا (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء .
وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه لما سكن فؤاده وقتل أضداده وطردهم يومين كاملين حتى أشرف على قلعة القرن ثم وقف وبات موضعه ولما أصبح الصباح دخل القلعة ورفع أمواله وذخائره إليها وسار طالب مرج التنور وعبدة النار والنور فى اليوم الرابع فهو قد وصل إلى لحف الجبل وإذا أشباح تظهر تارة وتغيب أخرى فقال الامير انظروا ما هذه الاشباح فتطايرت السودان كأنهم جن سليمان واذا بهم قد أتوا بثلاث سودان كأنهم الغربان وفى أرجلهم القيود

والاغلال يرق لهم الحسود فلما رآهم الامير على تلك الصفة أكثر عليهم البكا وسألهم من أين أقبلتم وبماذا فعلتم حتى قد فعلت بكم هذه الفعال قالوا له إعلم أننا قوم من طرسوس سافرنا فى البحر نريد انطاكيه فخرجت علينا مراكب الكفار فأخذونا أسارى ولجوا بنا فى البحر حتى وصلونا الى بلاد اليونان وأوقعونا فى الذل والهوان وأوصلونا الى قوم من مرج التنور فخرج علينا مراكب حراميه من الروم فأسرونا وأقمنا فى بعض الجزائر عندهم وكان سبب وصولنا الى هذا الموضع تجار أتت إلى الجزيرة التى كنا فيها وكان معهم تجارة فأخذونا معهم ومضى قوم آخرون فأوصلوا بهما الى حصن الدولاب وتركوهم هناك وأما نحن لما سمعنا الخبر بقتل مرطاؤوس وسمعوا بهذا الخبر أخذوا أهبتهم وأتوا بنا الى هذا الجبل فرأينا البيارق الاسلامية والاعلام الحفية فجئنا اليكم طمعا فى الفرج فقلنا عسى أن يكون لنا من الضيق مخرج فقال الامير عبد الوهاب لاشك أنكم أسرتم فى السنة التى أسرت فيها زوجتى وولدى فأنتم إن أردتم القعود عندنا وإلا بعثت بكم الى ملطيه فقالوا مالنا عنك اصطبار بل نكون تحت ركابك فشكرهم وأعطاهم العدد والخيول وساروا الى أن أشرفوا على المرج كما وصفنا ونظروا الى عسكر سمعان وكان وقت المساء فأضرمت النيران وتحارس الفريقان ولما أصبح الصباح وركب الامير عبد الوهاب وجعل يصف مواكبه وكتائبه وكذلك سمعان وعبدة الصلبان وبقى فى القلب كأنه الشيطان وتحته جواد مثل السرحان هذا والامير عبد الوهاب قد طلب أبو محمد البطال فلم يقع له على خبر وله وجد له أثر فعظم ذلك عليه وكبر لديه وسأل عنه فقيل له مارأيناه من حين قام من عندك ومعه الثلاثة السودان الذين تخلصوا من الاسر فضاق صدر الامير عبد الوهاب كثير وصار فى قلبه مثل نار السعير فهو كذلك واذا بصايح يصيح فقالوا من هذا الصايح فقالوا قد لقينا فى خيمة أبو محمد عبده صالح ويونس مذبوحين وفى الخيمة مطروحين فتاه فكر الامير عبد الوهاب وقال ياقوم لايخلوا هذا الامر أن يكون من الأسارى ثم طلب الاسارى فلم يجدهم فقال الامير لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فقالت الاميرة ان الأسارى الذين رأيناهم لاشك أنهم أتوا بالمكر والحيلة ولكن الحمد لله الذى سلمت كان الذى أخذ أبو محمد يهم عليه أخذك فقال الامير عبد الوهاب والله لقد صار فى الروم من يعمل الحيل وقد انقطع ظهرى من غيبة الامير أبو محمد ثم بكا الامير فقالت الاميره يابنى لاتخف عليه فان المنية لاتصل اليه فان كان غير ذلك فكل نفس ذائقة الموت (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان

السبب فى غيبة الأمير أبو محمد البطال حكيم النصرانية وراهب الملة المسيحية شومدرس لعنه الله لأنه كان حريصا على أخذ أبو محمد البطال ليكفى شره ويأمن مكره وكان الملعون فى هذه الفترة قد طلع إلى الحصن وأخذ رجلين من حكماء الروم ودخل بهم إلى الحمام وقد ركب أدوية واصباغ لا يقدر عليها أحد من الأنام فصبغ نفسه والاثنين معه فلو أبصره ولده لما عرفه وعمل الغيود فى أرجلهم وجرى من القصة ما جرى وقلب الأمير كالحية على المقلا أو المرأة الثكلا وقد صف عساكره ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وكذلك سمعان قد تقدم للضرب والطعان وتقابل العسكران وتقدم من الروم فارس موصوف وبالشجاعة معروف وهو كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وكان هذا الفارس يقال له قرياقس الساحر وبهذا الاسم كان يعرف فى الروم وكان حبشيا كافرا فاجرا إذا نزل الحرب يتكلم على خصمه بكلمات فيتخايل له رماح وأشخاص فيتحير عن القتال فيأخذه أسير ويقوده ذليل حقير فلما أراد الخروج للميدان تقدم إلى سمعان وقال أيها السيد الكريم أنا أقسم بالنار والنور لابد لى ما آتيك بأبطال المسلمين وفرسان الموحدين فوعده سمعان بالخلع والجائزه فخرج إلى الميدان وتحته جواد يطير طيران وينادى برفيع من صوته يا معاشر الفرسان وأبطال الزمان من لم يطلب القتال كان جبان والمبارزة تصلح للشجعان فليبرز الى فارس معود الطعان محترز من غوائل الأبطال والأقران فما تم كلامه حتى خرج اليه طماطم وفى يده صارم هائل عريض من أثقل الصوارم حسن الصقال والبريق فلما نظر قرياقس اليه وإلى عظم خلقته وكبر جثته عظم فى عينه وحمل عليه ومال بكليته اليه وتطاعنا حتى تقصفت الرماح وتضاربا بالصقال إلى أن وقف الجوادين وطلع الغبار على الاثنين فلما نظر قرياقس إلى طماطم وجود صبره على الجلاد علم أنه فارس من الفرسان الأجواد فدفع إلى نحوه واعتمد على غدره ومكره فسحر جواده عن الجولان فوقف عن الجرى فى الميدان فجعل طماطم يهز بالمهامين ويضرب رأسه وهو كأنه حجر جلمد وصخر يابس قاعد فعظم عليه وكبر لديه وهم أن ينزل عن ظهره إذا نظر إلى قدامه وتأمل أمامه وإذا بحصان مليح الصوره قصير الظهر مدور الكفل مليح المقل عليه سرج من العرعر مصفح بالذهب الأحمر فظن طماطم ان الجواد انفلت من الفرسان فى الجلاد فقال فى نفسه الحمد لله الذى ساقه الىّ وأوصله إلى بين يدى ومد يده إلى شكمته وأراد أن يمسكه فلم تقع يده على شىء فحار عقله

وطار لبه وإذا بقرياقس قد انقض عليه وأرمى الوهق عليه وجذبه أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه الى الروم ونادى يا معاشر العرب وحمالة الحطب دعونا من رعاة الغنم ولا يبرز الى إلا كل فارس غشمشم فما استتم كلامه حتى خرج اليه ميمون الجماس وقال دونك والقتال ياسيد الأندال وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأظهر قوته وعجائبه وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار ونظر قرياقس الى ميمون الجماس وحسن احترازه وجودة جلاده فخيل له كما خيل لطاطم فنظر ميمون الجماس الى عشر رجال قد ترجلوا اليه وهجموا عليه وعلقوا برأس الجواد ونفذ فيه حكم رب العباد فشب به الجواد حتى وقع على وجه الأرض فحمل عليه قرياقس وأخذه أسير فضاق بذلك صدر الأمير وهم بالخروج اليه فخرج اليه الاسد مدركة عم الأمير عبدالوهاب وهو سيد كبير وتحته جواد كأنه الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من الأنبوب فأشار اليه الأمير مدركة وقد رجع الى طبع العرب وأنشد يقول

ستعلم ياقرياقس اليوم انني خلاف الذى لاقيته فى المعارك
واني من قوم كرام أعزة الى عامر بن الطفيل بن مالك
اذا مابرزنا يوم حرب فاننا حماة كماة لانخاف لذلك
وقدعودت أرواحنا الخوض فى الوغا كما ألفت قطع السرى والمسالك
فدونك حربى أيها الفارس الذى عليه من الهيجاء حله هالك

(قال الراوى) لهذا الكلام ياساده ياكرام ثم أنه حمل عليه وأوصل الطعن اليه وحمل أيضا قرياقس وقد داخله الوساوس ورأى منه فارس وأى فارس فصاح به أيها الأمير الخطير الأمر فى هذا حقير فلا تخاطر بروحك وترميها الى الامر النكير فقال له مدركه من أى وجه ياكلب تقول هذا المقال ولا بد من الضرب والطعن والقتال فقال له قرياقس اعلم ان عندنا فى الانجيل اذا خرج فارس الى خصمه لايكون معه غيره لأن الانصاف من فعال الاشراف وأنت قد خرج معك عشرين فارس وهذا فعل اللئام لا فعل الكرام فقال ويلك ياملعون تريدان تخدعنى وبسيفى اذا التفت تقتلنى فقال قرياقس لاوحق المسيح والانجيل الصحيح لاضربتك حتى تنظر الى الفوارس فهو معه فى الكلام واذا بخيل تصهل وقعقعة اللجم واصطفاف رماح وزمجرة أبطال وهمهمة اقيال فالتفت مدركة ينظر فحمل عليه قرياقس وطعنه بعقب الرمح ألقاه على الأرض وأكب عليه فأخذه أسير وعاد للقتال ومحاورة الابطال فعندها شخص الجيش الذى للاسلام فخرج اليه الأمير أبو الهزاهز وقد حلف وصاح

وأطبق وجال فى الميدان ولعب بالرمح وافتخر على الأقران ووقف فى وسط الميدان ونظر بين يديه وإذا بالأرض كلها حيات وعقارب تسعى اليه والجواد من تحته قد نفر ولعب بقوائمه وشخر فوثب أبو الهزاهز عن ظهره وطلب يحمل على قرياقس وهو راجل فوجد بين يديه حيات مختلفات الألوان كل واحدة مثل عود الزان فأيقن بالهلاك وطلب من ذلك الموضع الانفكاك فلم يجد إلى ذلك سبيل فلما تخيل له أن الحيات قد أحدقت به من كل جانب صار يضرب بسيفه يمين وشمال ووراء وقدام وتخيل له أن أربعة قد ترجلوا وأتوا ليقبضوا لجام فرسه وهو يضرب فيهم بسيفه على عنق جواده فبراه كما يبرى الكاتب القلم فوقع هو والفرس إلى الأرض فانكب عليه قرياقس وأخذه أسير وقاده ذليل حقير (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندها أراد الأمير عبدالوهاب أن ينزل اليه فقالت له الأميرة يابنى تأنى واستمع

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الذلل

واعلم يابنى أن القوم بليوا بأمر عظيم وقد حرت فى أمرهم ولا أعلم حالهم وأنا أرجو النصر من الله عز وجل ولا بد لى من الخروج اليه والهجوم عليه وضاق صدر الأمير وأشار للعساكر بالحملة فحملوا وضجوا المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فهنالك طار طائر الفنا وتخضبت الأرض بالدما وامتلأت الأرض بالقتلى ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أمسى المساء وقد قتل من الروم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى وبات الناس تلك الليلة إلى أن برق ضياء الفجر وطلعت الشمس وركب الأمير عبد الوهاب وركبت الأبطال والأقيال وكذلك أصحاب سمعان ورفعت الصلبان وضجت القسوس والرهبان وقرياقس فى أوائل الفرسان فلما رآه الأمير عبد الوهاب قال هذا الملعون الذى نكل بالفرسان وقد عولت أن أبارزه فى ساحة الميدان فهم فى الكلام والمشاجرة والنظام واذا بقرياقس قد برز الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب ونادى هل من مبارز هل من مناجز فخرج اليه نصر ابن ثابت فقتله وخرج اليه سعد فجندله وأباد ابن تميم فأهلكه ولم يزل كذلك الى أن قتل اثنى عشر فلم يخرج اليه بعدها أحد ونظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك فعظم عليه وكبر لديه وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهم بالخروج اليه واذا بالأميره سبقته وزعقت بجوادها فضرب بيديه ورجليه ومحاجر عينيه وعطفت فى الميدان وتقلبت على ظهر الحصان فأذهلت الفرسان وحملت على قرياقس وقالت دونك ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية

وجالت بجوادها وأرعدت وأبرقت وزعقت بصوت يهد الجبال ويخلع قلوب الرجال وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا ونظر قرياقس الى فارس مليح الاعطاف حلو الانعطاف وقال ان المسلمين فرسان وأقران ثم مال الى سحره والاحتيال ووقف ينظر الى شمائلها وقد احترز من مضاربها فبينما جواد الأميرة يجول وهى عليه تصول اذ وقف وشب حتى كاد أن يقع فعلمت أن الحصان قد دهى فى نفسه ثم تخايل لها كأن أربع رجال يمسكوا قوائم الحصان فعلمت المقصود وتوكلت على الملك المعبود صاحب الكرم والجود العالم بما فى الصدور لا إله إلا هو له الملك وله الحمد وهو الحق الودود ثم رفعت الى السماء طرفها ونادت ودعت وابتهلت ونادت بصوت حزين فيه سيم وتحسين اللهم انى أعوذ بك من شر الأشرار وكيد الفجار وما اختلف به الليل والنهار ياعالم الأسرار أسألك بما اشغلت به قلوب العارفين وأنعمت به على سرائر المحبين وبالعناية التى ناديت بها سحرة فرعون حتى وقعوا على جباهم ساجدين ورفعوا رؤسهم وهم يقولون آمنا برب العالمين رب موسى وهارون اللهم انى أسألك وأتضرع اليك والى كرمك أن تصرف عنى ما أخاف وأحذر وتكفنى شر ما أخاف بحق سورة طه والأعراف ياولى الجود والانصاف انصرنى وأنت خير الناصرين بجاه محمد خير خلق الله أجمعين وببركة طه وياسين يارب العالمين (قال صاحب الحديث) فوالله ما استتمت دعاءها وكلامها إلا والفرج قد أتى لها ومشى الجواد كأنه قد خرج من معاد وعلم ربها سبحانه وتعالى سريرتها ومافى الفؤاد وبطل سحر قرياقس بأمر رب الأرباب ومعتق الرقاب الحنان المنان ثم مدت يدها اليه وقبضت على أطواقه قلعته من سرجه فصار كالعصفور فى مخلب العقاب ووصلت به الأميره وهو ذليل حقير الى الأمير عبد الوهاب وقالت له يابنى هذا الملعون السحار المكار هذا الشيطان الغدار (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما نظرت الروم الى ذلك الفعل الذى حصل من الأميره ذات الهمه حملت حملة راجل واحد وسجدت للشرق وقد مادت الأرض وتزلزلت وطارت الرؤس وتململت وصهلت الخيول فأزعجت وطلبت النفوس للخلاص فما وجدت وجارت السيوف وما عدلت ونار الحرب تشعل إلى أن أمسى المساء وافترق الجيشان وعاد الأمير وفى قبضته سمعان يقاد فى ثياب الذل والهوان ولما نظرت الروم إلى ملكهم أسير حل بهم الويل والتعتير وانهزمت فى غياهب الظلام وحل بها الويل والانتقام ونصر الله تعالى العصابة الاسلامية والملة المحمدية وملكوا مضاربهم وخيامهم بالكلية

وغنم الأمير الغنيمه السنيه وطلب أبو الهزاهز والأسارى فلم يجد لهم خبر ولا وقع لهم على أثر فعظم عليه وكبر لديه فقالت الامير لا تحمل على قلبك هم فان الأمر يسير والخطب هين غير عسير هـذا والأمير قد أمر الناس بجمع الأموال والرجال وقال لرجل من بنى كلاب يقال له تميم خذ معك مائة من الرجال وأوصل هـذه الغنيمة إلى قلعة القرن عند ولدى ضيغم حتى لايبقى على قلوبنا هم ولابين أيدينا شغل وكتب له اعلم يا بنى أنى قد عولت على الصعود الى القلعة السودا وأسأل الله أن يفتحها (قال الراوى) يا ساده يا كرام فاحتوى تميم على الأموال وسار الى أن وصل الى ضيغم وأوصل اليه مامعه من النعم ثم رجع طالب الأمير عبدالوهاب وجد فى السير حتى خرج من السفح وشق المروج فوجد الأمير قد رحل وهو تحت ربط القلعة قد نزل وبابها وثيق لم يجد أحد اليه طريق وعلى أبراجها العرادات والمناجيق ليس للص فيها تسليق هـذا وقلب الامير مشغول بأبو الهزاهز ورفقته والأمير أبو محمد فقال علىّ بسمعان ملك الروم حتى أسأله عن أبو محمد ان كان معه منه خبر فعساه يوقعنى على جلية الاثر (قال الراوى) يا ساده يا كرام فأتى بسمعان وأوقف بين يدى الأمير عبد الوهاب وكذلك قرياقس الساحر فقال له الأمير يا سمعان اعلم أنك فى يدى وقد عولت على قتلك وقتل هـذا الملعون قرياقس الساحر إلا أن تخلص نفسك وتفدى روحك بما لا يضرك فقال له سمعان وماذاك يا أمير فقال تخبرنى بالذى سرق أبو محمد فى هذه الليلة فقال وحق المسيح مالى به علم فقال بلى أريده وأريد أبو الهزاهز ومن معه من الأسارى فقال أيها الأمير ان المأسورين فى القلعة السودا إلا أنى أمرت بدفعهم اليها قبل نزولك عليها وأما صاحبك أبو محمد فما عندى منه علم ولاخبر غير أنى رأيت حكيم النصرانيه كان معولا عليه وسار من عندى اليه وحدثنى بعض أصحابى أنه دخل الحمام فى هذه القلعة ومعه رجلين وصبغ نفسه مع الاثنين الذين معه وسار إلى عندكم وكان قد قد عمل نفسه وأصحابه الاثنين فى زى الأسارى ولاأعلم به وحق المسيح بعد مافارقنى (قال) فلما سمع الأمير عبدالوهاب ذلك علم أن كلامه حق وقال والله مايقدر أن يفعل فعل هذا الملعون أحد ولاقتلنه والله شر قتلة لأن الله قد خاف لنا عقبه ثم قال لسمعان أريد منك أبو الهزاهز والسودان وتسلم الى هذا الحصن فان أنت فعلت ذلك سلمت اليك نفسك وأطلقتك وان لم تفعل قطعت رأسك وأخمدت أنفاسك فقال سمعان اعلم أيها الامير أنى معك أسير وفى هذا الحصن خلق كثير ولاسبيل لى أن أسلم اليك الحصن وهاأنا بين يديك واذا كان الصباح قدمنى وأنا أقول كلام تسمعه فان فعلوا فهو الذى تريد وان أبوا فمالى الى القلعة سبيل

فعند ذلك زحف الى النلعة وزحفت معه السودان الأنجاب وسادات بنى كلاب وكان قد دخل الى النلعة خلق كثير لما غلقوا الباب ظنوا أنهم لا يقدر عليهم أحد وطلعوا على الاصوار وكانت هذه القلعة شاهقة فى الهوا لايقدر عليها أحد من الناس وان الامير لما زحف اليها أخذته الأحجار من كل جانب ومكان وعطعطت عليهم الروم من أعلا الابراج فناداهم الامير اعلموا أن صاحبكم سمعان بن مرطاؤوس معنا أسير وان سلمتم الينا هذا الحصن أعطيناكم إياه وان أبيتم أرميناكم برأسه فقال لهم بطريق كان قد خلفه سمعان على الحصن ان أنت رميتنا برأسه رميناكم برءوس أصحابكم وكان عندهم من المسلمين مائة وعشرين رجل فقال الامير عبد الوهاب للأميره ذات الهمه أما سمعان فما نقدر على قتله من جهة الاسارى الذين لنا عندهم وما لنا ألا نحضر سمعان وقرياقس ونقول لهم لعلهم يعلمونا من أين يفتح هذا الحصن (قال الراوى) فلما أحضروهم فقالت الاميره ذات الهمه أقسم بالواحد المنان الذى ليس له ثان لئن لم تعلمانى من أين يفتح هذا الحصن لابد من قتلكما ثم انقضت حسامها عند منتهى كلامها وقالت ماعندكما من الجواب فقال لها قرياقس ما يسعنا فى ديننا أن نوقفك عليه فلما سمعت الاميره كلامه قالت له لا خير فيك ثم ضربته بالسيف على قمته فنزل السيف يهوى إلى سرته فلما نظر سمعان إلى تلك الضربة مات من الخوف وقال لها الامان فقالت له الامان عندى ان فعلت ماأقول لك فقال لها أمهلينى إلى غد لعلى أنادى لهم وأطمعهم بسلامة الانفس دون المال فأمهلته وانـــ هى قتلته فما تدرى ما يجرى على أبو الهزاهز وأصحابه (قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا جرى هاهنا (وأما ما كان) من الاسارى فانهم لما أسرهم قرياقس الساحر حملوهم إلى القلعة ووضعت فى أرجلهم القيود الثقال وفى أعناقهم السلاسل والاغلال وطرحوهم فى مطمورة بعيدة القرار مظلمة النهار وأوصى بحفظهم زوجة قرياقس الساحر واسمها كندرونه فسلم اليها مفاتيح المطموره ووكلها على عذابهم وكانت كزوجها ساحرة ماكرة داهية من دواهى الدهور لاتراقب العزيز الغفور وقال لها يا كندرونه لاتريحيهم من العذاب حتى يلاقون غصص الموت ولعل السيد المسيح أن يجهد فى خلاص زوجك فقالت كندرونه ما تحتاجون أن توصونى عليهم فأنا أكفيكم مؤنتهم ثم انها وثبت من عنده ونزلت إلى المطموره وجعلت تحثى التراب على وجوههم وترش التراب على ثيابهم وتكلمت بكلام فخرج عليهم برد مثل الثلج فأشرفوا على العطب ونظروا البرد يلوح والامطار تنزل عليهم والهوى ينفخ من كل جهة فصاح أبو الهزاهز لا صبح الله

هذه العجوز النحس بعافية ولا أعطاها سلامة ثم ناداها ياويلك ما هذه الأفعال ولم تراقبي الملك المتعال وما ترين حالنا فى هـذه المطمورة وقد وصلت لنا الضرورة فقالت لهم أنتم قتلتم زوجى وصاحبى ومن كنت أعده لنوائبى فقال أبو الهزاهز قد علمت أن ما يجرى منك خير ولا من زوجك ونحن معك تحت الصعوبة والردى فضحكت من كلامه وكانت تحفظ الأدب وتعلم الشعر من قول العرب وهى عارفة بالعربية كأنها بدوى بالفصاحة قد ربيت فعندها قالت سوف أعذبكم العذاب الشديد وأضربكم الضرب العتيد فقال مدركة ويلك ياشيطانة ارفعينا إلى بعض الأبراج حتى نصيح الى أميرنا أو نفك أسراكم وتفكوا أسرانا فقالت حباً وكرامة أنا أوقفكم على الأبراج ولو لم يكن فى أرجلكم القيود فلا تقدرون على نزول ولا صعود ثم تكلمت بكلام واذا بالمطمورة قد امتلأت قرود وفى أيديهم الرماح والبنود فقال أبو الهزاهز سبوح قدوس ماهؤلاء القرود وكان الأمير مدركة رجل عاقل لبيب فاضل فعلم أن هذا سحر فقال لها ياهذه نحن نوصلك الى ماتريدى فقال أبو الهزاهز ليت كان الأمير عبد الوهاب ههنا يتفرج على حال الازار ويتعلم من هذا الشعر قليل ويبصر هذه القرود والخنازير ويوكل بالقاضى عقبة مثل هذا التوكيل فضحكوا الجماعة من قوله ثم إن مدركة بدأ بقراءة سورة طه بصوت حنين لذيذ نغمته فجرح القلوب وزال الهم والكروب وبكى المسلمون وناح الموحدون والعجوز تنصت الى الكلام الذى يحيي النفوس وقد امتلأ فؤادها غرام فلما سمعت كندرونه القرآن ارتعد جسمها وأوحى الله تعالى الى ملك من الملائكة أن يفتح قفل قلبها للهداية حتى تعرف وحدانية ربها ففعل الملك ما أمره العزيز المنان الملك الديان الذى إذا قال للشيء كن فكان فعندها نادت العجوز بالأمير مدركة يامسلم كيف أقول حتى أصير مسلمه ومن الكفر سالمه فقال لها أبو الهزاهز مايفعل ذلك حتى تفكى من أرجلنا القيود وتفرقى عنا هذه الخنازير والقرود فعندها تكلمت بينها وبين نفسها فذهب ذلك الخيال عن عيون الرجال فقال الامير مدركة : اعلمى أن الواجب عليك أول شيء الاقرار لله بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وهى أن تقولى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كندرونه تلك الشهاده وقد وفقها الله للسعاده وأقرت من طيب قلبها وحسن يقينها وقالت ماعلامة القبول فقال لها مدركة المواظبة على فعل الخير فقالت أول شيء أعمل أحلكم من القيود ولا أشمت بكم الحسود فقال مدركة إذا كان تقصدى الثواب والمغفرة من رب الارباب وحسن الوسيلة بخمس رجال

من أصحابنا وقد ملكنا الحصن فقالت كندرونه فى القلعة خلق كثير وجم غفير ولا سبيل اليها إلا بالرجال وسراة الأبطال فقال مدركة طيبى نفسى وقرى عينا فما ترى إلا ما يسرك فمضت وعادت بالسيوف والقسى والنشاب وفكت عنهم القيود وتمت المكرمة والجود فلما تخلصوا أخذتهم الى البرج الذى لها وفيه بيتها وأخفتهم فيه هذا والأعلام على الأبراج وهم فى القتال والانزعاج وكندرونه قد أتت بحبل شديد طويل مديد وقالت من ينزل منكم يأتى بما ذكرتم فقال أبو الهزاهز أنا فشدوا الحبال فى وسطه (ياساده) وكان كما ذكرنا ضخم الخلقة فوجدوا من ثقله مشقة حتى وصل الى الارض وهو أسود اللون والليل أسود فلم ينظره أحد حتى وصل الى عسكر المسلمين وفى تلك الليلة كان الأمير عبد الوهاب هو الذى تولى الحرس بنفسه خوفا من مكيدة الكافرين فلما رأى خيال أبو الهزاهز قرب الجواد اليه وهجم مثل البرق عليه وصاح من أنت ثكلتك أمك فقال مهلا ياأميرأنا أبو الهزاهز أمير السودان الأنجاب (ياساده) فلما سمع الأمير صوته كاد فؤاده أن يطير فرحاً لأنه فى نار السعير من فقد أبو محمد البطال والجماعة الذين ماهم نظير فاعتنقه الأمير عبد الوهاب وقال له ما وراءك ومن بشره رماك فقال ماههنا شيء إلا الفرح والخير وأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها فلما أن سمع الأمير سجد شكرا لله تعالى ثم انتخب من قومه خمسين رجلا وأرسل الى الاميره أعلمها بهذه القصة وقال ياأميره قد عولت على الصعود والاتكال على الملك المعبود وإذا برق ضياء الفجر اقصدى الحصن واطلبى النصر من الملك المتعال لعل أن أفتح لك الباب وقد هانت الأمور والأسباب فلما سمعت الاميره كلام ولدها أقبلت على أبو الهزاهز وقالت له ما عندك خبر من أبو محمد البطال فقال والله ياستاه إنى ماأظنه فى القلعة السوداء فانه لو كان فيها كان عندنا فى المطمورة أو يكون لنا به خبر وكان قد توكلت به الكلاب والقرود مثلنا. هذا وقد انفصل الكلام بينهم وأرسل الأخير خاف الرجال الجمال وأبو الهزاهز قدام القوم كأنه فحل من الفحول حتى وصل إلى تحت البرج فوجد الحبل مدلى فشد أبو الهزاهز نفسه بالحبلين وحركه فرفعوه حتى وصل الى الطاقه ثم بعده الأمير عبد الوهاب ولم يزالوا على ذلك حتى رفعوا الكل وصاروا فى وسط البرج فقال الأمير ماهذا الانتظار مكنوا من الكفار الصارم البتار فنزل وهو فى عجل حتى توسط الحصن وصاح الله أكبر فتح الله ونصر وزعقت الأمراء والأقران واضطرب من زعقاتهم المكان وكبرت معهم الطيور فى أوكارها

والجبال وأحجارها والثمار بأشجارها فخيل لأهل الحصن أن القيامة قد قامت والأموات من قبورها بعد الموت قامت وأن الأمير عبد الوهاب قد بزل السيف وجال وصال وقال أنا عبد الوهاب وأسود بنى كلاب وترس قبر النبي الأواب فقطع بالسيف الأوداج وسقاهم من المنية كاس العذاب . هذا والاميره ذات الهمه سمعت الصياح فصاحت على الخيول القداح حتى وصلت الى الباب فلم تجد فيه لمحتال حال من الأحوال فى فتح هذا الباب حتى ولى الليل وأقبل النهار والدم فى داخل الحصن قد جرى مثل السيل وأبو الهزاهز قد اغتنم الفرصة وقصد إلى الباب والروم تضربه بالسيف والحراب إلى أن وصل الى الباب وضرب القفل بالسيف كسره وقال ادخلى أيتها الأميره فدخلت الأميره وجردت السيف اليمان وفتكت فى الأبطال وجالت بنفسها افتخرت وصالت على الأقيال وزعقت حتى صاحت الروم لورك لورك يعنى الأمان الأمان فما قبلت حتى فتكت وضربت رقابهم وماقصرت وللحصن ملكت وللاعداء هلكت وفرح الامير بهذا الحصن الكبير وقال هذه الأسباب من الأمير أبو الهزاهز سيد السودان الأنجاب فقال لا والله بل هذا من العجوز الصالحة وهى كندرونه فقال الأمير علىّ بها فأحضرت بين يديه فسألها عن الامير أبو محمد البطال فقالت مالى به علم ولكن أقول لك ياأمير فقال لها قولى ما بدا لك فقالت ترى يقبلنى ربى بعد ما أكلت من رزقه وعبدت غيره فقالت لها اعلمى أن كرمه ييسر العسير وهو نعم المولى ونعم النصير فلما سمعت ذكر اللطيف الخبير صاحت ووقعت مغشى عليها فحركتها الأميره واذا هى قد فارقت الدنيا رحمة الله عليها فبكى الامير عبد الوهاب وقالت الأميره ما رأيت قط مثل هذه المرأة عاشت بلا عمل وختم لها بصالح العمل (قال الراوى) ياساده ياكرام ولقد ذكر مؤلف هذا الكلام عن شيخه أنه قال سألت عن هذا الحديث فقال من كان مع القوم فى الحصن إن الاميره رأتها تلك الليلة فى المنام بوجه مثل بدر التمام فقالت لها مافعل الله بك يا كندرونه فقالت أوقفنى بين يديه وعفى عما كان منى إليه وجعلنى أشفع فى مدركه يوم القيامة لانه كان أوصلنى إلى دين الاسلام (قال الراوى) ياساده يا كرام ومن ذلك اليوم تزهد مدركه حتى كانت تسميه العرب الزاهد وأما الامير عبد الوهاب فانه ترك فى الحصن مالك بن طوق ومعه مائة أمير وسار يطلب القلعة المانعة . هذا ماجرى ههنا . وأما ما كان من الامير أبو محمد البطال فان شومدرس لما انهزم وسار الى القلعة السوداء وسار إلى درب الظلمه وخرج الى مرج الجوهر وقلعة : قف ترى العجب فيها أخو الملك

مرطاؤوس وكان أشد منه باس وأقوى مراس واسمه نقولا وكان خلق كثير وجم غفير (قال) وان الراهب شومدرس صعد الى القلعة وترك أبو محمد عند البوابين وجلس عن يمين الملك نقولا وقرأ فصلا من الانجيل يقتضى الدعاء والشكر فقدمه الملك ورفع مكانه وأكرمه فعرفه شومدرس بنفسه وقال قد أتيت بالرجل المحتال وسارق الرجال أبو محمد البطال ثم أمر باحضاره فلما نظره الملك استصغر شأنه ودخل شومدرس إلى حمام القلعة وغسل الصبغ الذى عليه وعلى جسده حتى عاد الى لونه الأول فعجب الملك كل العجب وأعاد شومدرس إلى نقولا الأقوال والأخبار وقال له كن مكانك على حذر فان البلاء قد نزل فأشير عليك بأن تسد باب الدرب ولابد ما أشبعهم طعنا وضربا (قال الراوى) وكان هذا الضرب لم يكن له مخرج وهو مظلم ضيق المسلك كثير المهلك مسيرة نصف يوم منقور فى الجبل ما لذلك الموضع سلوك إلا منه وإذا قصد اليهم العدو يقفون على باب الدرب وهوالدرج ويسدونه فلاسبيل لأحد عليهم ولا طريق إليهم فقال شومدرس لما سمع مقال الملك نقولا أيها الملك إذا كنت لاتقبل ولاتسد الطريق فلابد من الجواسيس والديادبه والرجال إلى خارج الدرب وقدام الدرب ليحفظوه من الجانبين ثم ندب من قومه خمسة آلاف رجل بالدروق والسيوف وأمر أن تقف منهم ثلاثة آلاف وسط الدرب والفين خارج الدرب وساروا ثم أقاموا ينتظرون قدوم عسكر الأمير عبد الوهاب . وأما شومدرس فانه أخذ الامير أبو محمد البطال الى الكنيسة التى فى القلعة وأخلى بيتا فيها وانفرد لعقوبته وأبو محمد يقول فى نفسه ماذا يريد أن يفعل هذا الملعون ولم تكن إلا ساعة حتى قدم بطريق كبير وبيده سوط من جلد الجاموس مقدود بسير عريض قد نقع باللبن الحليب لو وقع على ظهر بعير ما أكل فول ولا شعير ثم ضربه حتى غاب عن الوجود ووقع كما يقع الانسان للسجود وشومدرس يقول : أقسم بالكنائس الاربع والقساوسة الطمع لأذيقنك العذاب حتى تأكلك الكلاب . هذا والأمير أبو محمد يقاسى غصص الموت ثم شد يديه كتاف وتركه فى ذلك البيت وشومدرس فى الجانب الآخر على سرير من العرعر وهو نائم على وجهه ومن حوله عشرة غلمان قد أخذهم من الملك نقولا برسم خدمته هذا وقد تهور الليل ومضى النصف الأول وأفاق الأمير أبو محمد البطال ونظر الى ماهو فيه فأبصر روحه مربوط والقنديل يضىء فأيقن بالموت وأبصر سيف معلق على وتد فعالج الكتاف فلم يقدر على قطعه فقام وأخذه بفمه وأقامه على الحائط وأدار يديه وطرح الكتاف على السيد فقطعه ووجد

الراحة وشكر الله تعالى على هذه النعمة وقام كأنه مجنون وجعل يدور فى البيت فتح الباب فلقى بطريق واقف فقال مافعل الراهب بالأسير الذى عنده هل قتله أم هو باق عنده وما كان الواجب أن يقتله وكم للمسلمين مثل هذا الرجل والرأى انه كان يبقى أسيرا فان لم يفادى به أخذنا من المسلمين المال فأبومحمد يتكلم معه إذ نظر باب الحصن قد فتح فسأل عن ذلك فقال البطريق اعلم أن الملك نقولا قد أرسل جواسيس يأتوا بأخبار عسكر المسلمين وقد حملوا معهم الزاد للقوم الكمناء فقال أبى محمد نعم مارأى الملك ثم عاد كالبرق وذبح العشرة الذين عند شومدرس وكان سكران وقد عمل فيه السكر ولم يلبث أبو محمد دون أن ألقمه الأكره وحشاه بالقطن وكتف يديه الى رجليه حتى تركه مثل الحجر الملقى فى أرض فلاة فعندها أفاق شومدرس من ثقل ماضربه وأراد أن يصيح فما قدر بل علم أنه قد تم عليه الأمر والحال وبقى مؤمل الفرج من أهل الحصن ثم أخذه الأمير أبى محمد البطال وأخذ الدراج الذى تحت الراهب ووضعه فيه وحمله على كتفيه وخرج إلى باب الحصن فوجد أكثر من مائة بطريق على أكتافهم الزاد والدقيق فدخل الأمير أبو محمد فى وسطهم وخرج معهم من باب الحصن وقد ستر عليه الملك العلام خالق الإنس والجان وقد ساروا حتى وصلوا الى باب الدرب وقد أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح . هذا وأبو محمد بقى حائر لايدرى مايفعل إذ كثر عليه الضوء خاف أن ينظروه الروم وينظروا الذى على كتفه فى ذلك الدرج ولا يخفى عليهم حمل الآدمى من غيره وان هو سبقهم إلى الدرب يخاف من الخمسة آلاف الذين قد كمنوا فبقى يتفكر فيما يعمل ويقص على نفسه أصناف الحيل ونظر إلى لحف الجبل وإذا فيه مغائر وكهوف فترك أصحابه يدخلون فى الدرب ومضى عنهم كأنه يقضى حاجة حتى عبر عنه الجمع ثم صعد إلى ذروة جبل ودخل فى كهف واسع تحت الجبل فوضع شومدرس عن أكتافه كأنه الاكره وفتح الباب واذا بالراهب فتح عينيه فوجد الذى أخذه أبو محمد البطال فأيس من نفسه وأيقن بالوفاة وقال اعلم ياأبا محمد أن الأفلاك قد تدور وقد ظفرت بى فاما بحسن صبرك وإما باعجابى بأخذك ولك على من المال مهما طلبت ولا تؤذينى وتقتلنى وفى النصرانية مثلى كثير وتحرم أنت الدنانير فخل عنى فانى شيخ كبير لا أقدر على الهرب ولا لى الى الخلاص سبب واعلم أنى كنت آخذ الزكاة من النصرانية وأحوز المال لمثل هـــذا اليوم ولى فى لحف هذا الجبل حوض من الرصاص ملآن من المال وفيه صلبان ذهب فانى أسلم اليك الجميع وتطلق سبيلى فقال له أبو محمد البطال ياشيخ

الضلاله ومعدن الجهاله أظنك جاهل بأمرى تريد أن تخدعنى والله لأنتقم منك ثم ان الأمير رد الأكرة فى فمه وافتقد كتاف يديه ورجليه وخرج الى باب المغار وسدها بالأحجار وكان الأمير أبو محمد قد لبس ثياب بعض البطارقة الذين ذبحهم فى البيت ثم نزل وهو خائف على الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب لايدرى ما كان منهم مع عدوهم فلما وصل الى الدرب طلب أن يكشف الخبر لأن فى قلبه من أجل الأمير نار لا تطفى واذا هو بالبطارقة منهم رجاله وخياله وهم مخضبون بالدما وأكثرهم مجروحين فلما رأى ذلك علم أنهم قد جاءوا منهزمين فعجل يسألهم وهم لا يردون جوابا ولا يبدون خطابا بل يبكون وفى وجهه ينتحبون إلا شيخ منهم جريح وهو قاعد على باب الدرب يستريح فقال له أبو محمد ويلكم ما وراكم أخبرنى بما جرى وماتم فقال اعلم أن الرجال قد قتلت والبطارقة قد خذلت وقتل سكندروس وهلك مرطاؤوس وعطب قرياقس ومات دقيانوس وقتل سمعان ومات مسرور المطران وملكت القلعة السوداء وأخذ ما فيها من الرجال والنساء والصبيان وامتلأ الوادى من القتلى وخرجت أنا يابنى كاترى وأخذت عصائى والكساء فضحك أبو محمد من كلامه وقال لك اسوة بجميع ما أخذته من الروم من الأموال والخيول والأثقال قال الشيخ ياولدى أقسم بالمسيح المكرم وبنور النور المعظم وكنيسة النور والزرزور ومريم لو أخذت المسلمين جميع العلو والقلاع وقتلت الروم ما كان على قلبى من الحزن والأسى مثل ما دخل على من فقد الكسا لأنه من تركة أبى وقد غبر عليه عندى من السنين عشرين عاما لا يبرح على كتفى فى البيت والسوق وله عندى حقوق فقال له أبو محمد أراك بالعربى فصيح اللسان فقال ياولدى أنا من منتصرة حرب ابن شيبان وذلك أنى قتلت قتلا منهم وطلبوا منى المال ولم يكن لى طريق الى الاسلام فيصدنى الى هؤلاء القوم الأخيار الذين هم فى القلعة السوداء الى أن جرى عليهم ماجرى ومالى بعدهم صباح ولا مساء سيما وقد عدمت الكساء فقال له أبو محمد وقد ضحك من قوله ياشيخ طب نفسا وقر عينا أنا أعطيك خير من كساء منظر وأعلا ثمنا ثم غاب لحظة وعاد ومعه درج من الديباج وقال خذ هذا اليك فقد مننت به عليك فقال الشيخ هيهات أن أبتدل بكسائى عن سواه وأقطع طول الدهر إلا بذكراه أو يجمع المسيح علىّ إياه فقال أبا محمد ما أنت إلا شيخ قد عدمت عقلك وبان جهلك هذا درج يسوى خمسين دينار وأنت قلبك مع الكساء وقد احتوت عليه المسلمين بالعز والاقتدار فخذ ما يصلح لك ودع الطمع والأعذار فقال الشيخ سوف

آخذه ولكن ان حلاوة لف العبا وهذا لا يرد عنى برد الصبا والشمال فقال البطال فما قولك فيمن يرد عليك الكساء بعينه قال كنت أكون له مملوكا طول الزمان فقال البطال وقد دخلت له الطريق ما يرجع اليك إن تصير مع المسلمين وترجع إلى حقيقة الدين وتقر برسالة محمد خاتم المرسلين فقال له الشيخ أظنك ياولدى مسلم قال هو ذلك فقال له ياولدى بحق دينك تضمن لى رد الكساء فى أى موضع كان من غير زيادة ولا نقصان فقال نعم أنا أضمن ذلك إذا أنطقت بالشهادة وكنت من أهل السعادة فقال مد يدك فأنا أشهد أن إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح أبو محمد باسلامه وقال والله ان فتحت هذه القلعة فما أفتحها إلا بهذا الشيخ ثم قال ياشيخ تمضى برسالتى هذه الى عسكر المسلمين وجيش الموحدين وتأخذ خاتمى هذا توصله الى الأمير عبد الوهاب وتعرفه ان الروم اكمنت كمين وتعلمه انى فى قلعة قف ترى العجب أعمل فيها ما يكون لفتحها سبب وتأخذ والله ياشيخ من الأمير الخلع والذهب فقال الشيخ والكسا كيف يجرى الأمر فيه فقال الأمير أبا محمد تأخذه منى متى شئت فقال الشيخ يامولاى وإن كانوا المسلمون ما يسمعون منى فما يكون الأمر فقال الامير أبو محمد هذا شيخ قد خرف وما يثبت على كلام فقال له ما اسمك ياشيخ فقال له اسمى شواس فقال أبا محمد ياشواس اذا أنت وصلت اليهم قل لهم هذا خاتم أبا محمد البطال وقد نلت منهم غاية الآمال فقال الشيخ ها أنا ماض وودع أبا محمد ودخل الى العقب وقطع الدرب وكان وقت خروجه من باب الدرب وقت نزول الامير عبد الوهاب وقد نظر الامير عبد الوهاب الى باب العقب وضيقه والدرب وظلمته فقال والله لقد قطع بنا أبا محمد البطال فى أضيق المواضع وما ندرى مابه الله صانع فهو كذلك اذ خرج عليه الشيخ شواس وسلم عليهم وصاحت عليه السودان وداروا به من كل مكان فنادى بلسان عربى ياقوم أنا رسول اليكم من أبو محمد البطال صاحبكم فسمع الامير كلامه فقال على به فأحضروه بين يديه فقال له من أين ياشيخ فقال من منتصرة بنى شيبان على قديم الزمان ولى حديث عجيب وأمر غريب وماهذا وقت التطويل بل أنا رسول أبا محمـــد البطال ولى عندكم كساو حالى بعدها قد أسا ومالى صباح ولا مسا وقد رجعت الى دين الآباء والاجداد واعترفت بتوحيد رب العباد على انكم تردون على الكسا بعينه فوعد الكريم مثل دينه فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال له حدثنى حديث أبو محمد البطال قال فأرمى اليه الخاتم ثم ان الامير قال أخبرنى أوصاك بشيء قال نعم يامولاى يقول لك هذا الدرب لاتدخله

إلا وأنت معتمد واجعل بالك من الكمنا فان العدو فيها كامن فاذا فرغت منهم دخلت آمن فلما سمع الأمير ذلك كاد فؤاده أن يطير فرحا وخلع على الشيخ خلعة سنية وأعطاه فرس عربيه وقال له لك على كل ما تريد إذا نحن رجعنا الى ملطيه فقال يامولاى لو أعطيتنى ملك الأرض فى الطول والعرض ماوفا لى ساعة من ساعات الكسا الذى أخذ منى فى المصاف الذى قتل فيه سمعان فضحك الأمير من قولها وقال على بالسودان وسألهم عن الكسا فطلبوه من الجميع فوجد معهم من الأكسيه المختلفة الألوان ما لا يقع عليه حساب فلم يجدوا كسا الشيخ شواش (ياساده) وكان هذا طاعن فى السن وقد قل عقله فلما فتشوا على الكسا ولم يجدوه سأل دمعه على خديه وبكى حتى أغمى عليه فلما أفاق بكى وأنشد يقول هذه الأبيات

لقد جارت علىّ يد الزمان وصيرنى الزمان كما ترانى
وفارقت الأقارب عن قريب ولم أدهى بما قد اعترانى
فهل لى راحم مما دهانى وما قد نالنى وبه اعترانى
زمان ما له عهد قديم على شيخ كبير السن فانى
وكان لحاقه فى يوم برد وكان من الحوادث فى أمان
فلم يبقى على لشوم بختى وضاع كساى فى يوم الطعان
فصرت أنوح من حزنى عليه وأبكى من غرام قد عرانى
فصادفنى ياهــذا فرحا وقد أصبحت فى قلق الهوان
وقال اذا أردت كساك يلقى عليك بدين أصحاب القران
فيعطيك الكساء بغير شك وتحظى بالخلاص وبالجنان
هناك شهدت الله ربى قديم واحد من غير ثانى
وأن محمــدا خير البرايا نبى صادق جا بالمثانى
هنا لك قال لى أمضى رسولا الى نحو الامير بلا توانى
سيعطيك الكسا وتنال خيرا ولو كان الكسا من أرجوان
أتيت اليك يامولاى لما رمانى الدهر منه بما رمانى
فان رجع الكسا فذلك سؤلى وأبقى عندكم طول الزمان
والا عدت نحو الروم أبكى عليه ولا أراك ولا ترانى

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب منه ذلك عجب ثم قال والله لانقوم من هنا إلا برجوع الكسار وإلا بعثنا الى سائر الحصون والقلاع ليأتى

بكساء هذا الرجل فضحك الشيخ وأعجبه كلام الامير وقال يامولاى الساعة نطقت بالحق وقلت الصدق (قال الراوى) فهو معه فى هذا الكلام واذا قد أقبل رجل من بنى كلاب يقال له سام بن مزاحم ومعه كساء طويل عريض فيه صناعة حسنة إلا أنه قد درسه الأيام وقد مضت عليه الأعوام فلما نظر اليه صاح صيحة روع بها الأنام وقال والله هذا هو الكسا وقد ذهب الهم والأسى ودخلت فى دين المسلمين بقلب قوى وجوارحى الآن تنطوى فضحك الأمير حتى بانت نواجذه وقال الآن ادخلوا فى هذه المغارة فدخلوا الناس واذا بالصياح قد علا ووقعت العين على العين من الكمناء فضربوهم بالسيوف وسقوهم كاسات الحتوف هذا والشيخ شواش قد التق بالكساء وصعد فقعد على صخرة عالية ونادى برفيع من صوته ياقوم ادخلوا فى دين الإسلام واصحبوا هؤلاء القوم الكرام تنجو من ضرب الحسام وان كان ضاع لكم شيء فهم يردوه عليكم ويجمعوه ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل فولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وتبعوهم أمة محمد المختار ولم ينفلت من القوم غير شخص واحد فى أول المعمعة يطلب الدرب وخرج من النقب . هذا والأمير عبد الوهاب أخذ الخيول والأسلاب وفرقها على السودان وبنى كلاب ودخل الأمير عبد الوهاب الدرب وهو يقول سبحان الله العظيم مافى الدنيا أكثر همة من أبو محمد البطال وقد جرى ماجرى وماغفل عن هذه الكمناء ولو كنا دخلنا هذا الباب كنا أشرفنا على العطب والذهاب لكن لطف الله بنا رب الأرباب وسار الأمير والشيخ شواش بين يديه فى درب الظلمة وهو يقول يامولاى عليك بالجد والسير قبل أن يملكوا عليكم رأس الدرب فلا تقدروا تخرجون فى ذلك المرج فسار الأمير سيرا حثيثا (ياساده) وكان الذى سلم من الوقعة قد وصل الى الملك نقولا وأخبره بأن ما دخلوا القوم الى الدرب حتى عرفوا محل الكمناء وضربوهم بسيوف الفناء ولم يسلم إلا أنا فلما سمع الملك نقولا ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال هذا وحق المسيح برأى شومدرس ومع ذلك فانا من أمس مارأيناه فمضت الغلمان الى البيت فرأوه مغلق وبالقفل موثق لأن أبو محمد عند خروجه غلق الباب وأوثق الاقفال حتى تنقطع عنه الطلاب وأن القوم لما وجدوا الباب موثق عالجوا الاقفال الى أن فتحوها ودخلوا ال ذلك البيت فوجدوا الرجال مذبوحين وعلى الارض مطروحين وشومدرس ماله خبر ولاأثر فلما نظروا الى ذلك رفعوا أصواتهم بالنداء وضجوا بالويل والردى ووقع فى الحصن الصوت حتى بلغ ذلك الى الملك نقولا فسأل عن الخبر فأخبروه بصورة الحال فقامت عليه القيامة وقال ان قد فات الامر فى الطلب لانه من أمس

قد هرب وما بقى لنا مقام بعدفقد الكرام ثم خرج هو وأصحابه فى عساكره ودساكره ونادى فى القلعة والريض ونفروا إلى وادى الجوهر سبعين ألف واستخلف ولده شماس فى خمسة آلاف من الناس وكان الأمير أبو محمد لما أرسل الشيخ شواش المتنصر إلى الأمير عبد الوهاب قد صعد إلى الجبل وتوسط المرج وقرب من المرسع الدرب وإذا بثلاث نفر فقال أبو محمد هؤلاء من أصحاب الحصن ولا بد ما أختلس بعضهم فأقتله وآخذ ثيابهم وأدخل إلى الحصن ثم جلس لهم حتى وصلوا وإذا بالواحد منهم يقول وحق النبي محمد ولو قتلنا من أجله فلا لنا حياة تطيب بعده فلما سمع الأمير أبو محمد كلامهم عرفهم فنادى الله أكبر اذا جمع بيني وبينكم وقد أقر بكم عيني ووثب اليهم واعتنقهم وكانوا غلمانه يانس وسبك ولؤلؤ وجعلوا يقبلون يديه ورجليه ويشكون ما لاقوا اليه فقال إيش عندكم من خبر الأمير عبد الوهاب فقالوا فارقناه البارحة وكنا اليوم مكمنين الى ساعتنا هذه حتى لا تقع بنا العين والآن قد جمع الله بيننا فعلى ماذا عولت فقال قد على أنى أمضى إلى الحصن فأكون فيه الى أن يأتى عسكر الأمير عبدالوهاب فأعمل على فتحه ان شاء الله تعالى فقالوا ونحن معك وبين يديك فقال لهم فهل أتى معكم من العدة شىء فقالوا معنا البنج والمناقب والسلالم الابريسم والمفاتيح وثياب الحيل من ثياب الروم قال فضحك أبو محمد وقال على بالثياب واطلعوا بنا الى المغار الذى حبست فيه شومدرس فقالوا له قد أخذت الملعون قال نعم وهو فى تلك المغارة وفتحوا بابها ودخل هو وغلمانه وقال لهم ان عولتم على أنكم توقدون عليكم سراج فسدوا باب المغارة علينا ففعلوا ذلك وقدحوا النار وأوقدوا شمعة ونظر شومدرس الى أبى محمد وقد صار فى أربعة أنفس ثم أخرجوا الثياب التى وصلت معهم فلبس أبو محمد منها ثياب بطريق وركب عليه لحية سوداء كبيرة والراهب شومدرس ينظر اليه ثم قال لهم أبو محمد بالرومى معكم مكحله قالوا نعم ثم أخرجوا مكحلة فكحل عيونه حتى صارت الزرقة التى فى عينه سوداء وجعل يحدثهم بكل لغات الروم والراهب شومدرس سمع كلامهم ويقول فى نفسه مافى الزمان مثل هـــذا الفرنان وأواه قد لبس هذه اللحية ولا شك أنه يريد يعمل مصيبة ثم أقبل أبو محمد على غلمانه وقال لهم هل وصل معكم الليلة شىء نأكل أنا وضيفى شومدرس فقالوا أى والله ثم أخرجوا ثلاث أسواط من الجلد البقرى المنقوع فى الخل وقالوا ماتضيف الشيخ بأحسن من هذا ثم وثبوا اليه والأكرة فى فمه وعروه من ثيابه وضربوه إلى أن وقع لحم بدنه وصدره وأبو محمد يقول له ويلك لما كنت تضربنى كيف كنت تقول

قل لمحمد عليه السلام يخلصك منى ثم أمر الأمير غلمانه أن يرفعون الضرب عنه فقالوا له لم لاتتركنا كنا نقتله ونستريح منه فقال لو أردت قتله لفعلت ولكن أريد أحمله الى الأمير عبد الوهاب يشتفى منه وكذلك أبو الهزاهز لأنى كنت قد قلت له اننى لا بدلى من هذا الملعون شومدرس ثم أخرجوا غلمان أبو محمد طعام كان معهم فأكلوا وأكل الأمير وناموا الى أن أصبح الصباح وإذا بجماعة من الروم الذين كانوا مكمنين وهم منهزمين وقد أقبلوا مجروحين والى الحصن طالبين فلما رآهم أبو محمد البطال قال لغلمانه مالنا رفاق الى الحصن غير هؤلاء فنزلوا معه غلمانه حتى اختلطوا بالقوم وجعلوا يتحدثون بما لاقوا من السودان وأبو محمد يقول المسيح ما بعثنا الا الى آجالنا فقال واحد هذا كله من الراهب شومدرس لاقرب الله له ديار ولا جعل له أنصار وساروا إلى أن طلعوا الى القلعة وأعادوا على الملك جلية الحال كما ذكرنا وطلب الراهب كما وصفنا فما وجدوه وسار الى درب الظلمة وباب النقب كما وصفنا فلحق الأمير عبد الوهاب قد سبق وخرج من باب الدرب وملك رأس المرج وان الملك نقولا لما نظر الى عسكره صغر فى عينه وقال وحق المسيح ما نحن إلا أضعافهم وكان نقولا أشد ممن تقدم من اخوانه بأسا وأعظمهم مراسا وعنده رجال موصفين وبطارقة معروفين فلما استصغر عسكر الأمير لم يقف الى أن يرتب صفوفه بل حمل بعسكره وهم سبعين ألف حملة واحدة والأمير وأصحابه خرجوا من درب الظلمة وعليهم آثار التعب والنصب والعطش والدهش ولكن معهم شجاعة وصبر وكان قصدهم بذلك الأجر وما فيهم الا من هانت عليه الحياه وطلب لنفسه القتل فى سبيل الله هذا وقد أخذوا سماع القرآن بقبول وايمان فلما جرى من الأمور ماجرى من الحملة صاح المسلمون على بعض حتى ارتجت لكثرة صياحهم الأرض وكشرت عن أنيابهم بنى حام ولعبوا بالهزاهز والحذافات والسهام واحمرت أحداقهم وقامت الحرب على ساقها ونظرت الروم الى السودان كأنها الخشبة المحروقة فأرجفت قلوب منهم حتى أن البطريق كان يهون عليه أن يلاقى من بنى كلاب الثلاثة والاربعة ولايقاتل أسود واحد من السودان ودام بينهم الطعان ولعبت الخيل بجماجم الفرسان وبقيت الروس بلا أبدان وملت الخيل من الجولان واشتد الامر على الشجعان ومات من الخوف الجبان ودام القتال بين الفرسان وخرس اللسان وعمل الصارم اليمان وأظلم الجو وعدم الضو وبطل قول لعل وعسى ولم يزل الفريقان على هذا الحال حتى استوت الشمس فى قبة السما واشتد بالناس الظما وافترق الجمعان ورجعت عن القتال الطائفتان ونزلت العساكر

وقد هلك منهم بالقتل جماعة من الجيش وأراح الناس واستراحوا إلى وقت العصر وأن الملك نقولا ركب من قلعته وركبت معه بطارقته وجعل يرتب الصفوف وقال لقومه لقد علمت انى ا كثراخوتى مالا وأصلحهم حالا وأطيبهم غرسا وأطهرهم نفسا وأشجعهم فى ميدان الحرب وأثبتهم فى موقف الطعن والضرب وأوفى نظاما وأصدقهم كلاما وأحكاما وهذا عسكر العدو بين أيديكم وأنا أقسم بالمسيح أن من بارز مسلم وأتانى برأسه فله بوزنها ذهبا (قال الراوى) ياساده يا كرام . فلما أن سمعوا الرجال ذلك أخذهم الطمع وقال الفقراء من البطارقة ما نخاطر بأرواحنا أيها الملك حتى نرى المال بين أيدينا فأرسل الملعون الى قلعته فأحضر المال وأفرغه مقابل الرجال ولعب بعقول الابطال وجسرهم على ارتكاب الاهوال وصف الصفوف ورتب الالوف ولما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك فعل مثل فعاله ورتب رجاله وأصحابه وقال لهم يا إخوانى كم جهدى أنا أبذل لكم فقالوا أيها الامير ما فينا إلا من قد قدم الآخرة على الدنيا الساحرة فان قتلنا فى سبيل الله علمنا أنها سفرة وافرة وان رجعنا سالمين علمنا انها سفرة رابحة ففرح الامير عبد الوهاب بذلك منهم وأعجبه وقال الله يعطيكم مناكم وينصركم على أعداكم فهو معهم فى الكلام وإذا بفارس قد ظهر بين الصفين ونادى برفيع من صوته هل فيكم يامعاشر المسلمين من يخرج الى البراز ويروم الانجاز (قال الراوى) ياساده يا كرام فما استتم الفارس كلامه وهو فى الميدان حتى برز إليه فارس من بنى كلاب يقال له سعيد بن الفرج فتطاعنا وتقاتلا حتى اختلف بينهما طعنتين وكان السابق بالطعنة سعيد بن الفرج طعن الرومى فى صدره طلع السنان من ظهره وخرج من بعده فارس على مهر قرطاسى شديد العصب. ديال الذنب من جياد خيل العرب هبوب طلوب كريم منسوب وطى المركوب جيد الوثوب كأنه شعلة نار لاتلحق منه الخيل الغبار فلما وقف الفارس بين الصفين وجال بين الفريقين وطلب البراز وسأل الانجاز فبرز إليه سعيد بن الفرج وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعانه ومضاربه واختلف بينهما طعنتان فكان السابق بالطعنة سعيد بن الفرج فوقع السنان فى لبته خرج يلمع من قفاه وخرج ثالث فقتله ورابع جندله وخامس فأرداه إلى أن قتل خمسة عشر بطلا فحارت من شجاعته الطائفتين ثم وقفت عنه الفرسان ولما نظر ملك الروم الى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال ويلكم ماأنتم رجال لقد وقع بكم القتال والنكال والخبال حتى ان رجل من المسلمين قتل منكم عشرين خرج بنفسه على جواد أدهم معتدل ململم كالغراب الاسحم سريع اذا حمحم وهو بين

الخيل علم تليغ سابق سريع جامع الأوصاف سريع الانعطاف سليم الأطراف واسع الخطوه صبور فى الميدان وهو لايركبه ذليل إلا ويصير فارس نبيل وعليه درع داودى متقلد بسيف هندى معتقل برمح خطى عليه سنان مضى فوقف بين الصفين ونادى بالرومى من عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا نقولا بن الاقريطش بن الاشميطش بن قسطنطوس بن لاوى بن دقيانوس فليخرج الى أمير جيشكم وصاحب أمركم وقائد عسكركم وجامع شملكم لأن ما يخرج إلى الكريم إلا كريم (قال الراوى) ياساده ياكرام فما استتم كلامه حتى خرج اليه الأمير عبدالوهاب وفى يده صارم قرضاب وعلى صدره زرد مضاعفة العدد كانها عيون الجرد وفى تلك الساعه وصل لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال وقال يامولاى مولاى يسلم عليك ويذكر فرط شوقه اليك ويقول لك ما بينك وبين قلعة قف ترى العجب إلاأن تكسر هذا العسكر الذى بين يديك وهو ان شاء الله تعالى يسلمها اليك وانى قد جئت أيضا من أجل الراهب شومدرس لأن الأمير أبو محمد البطال قد حبسه فى مغاره فى هذا الجبل قد خاف ان يعبر بعض الروم اليه ويدخل عليه ويخلصه أو يهلك من الجوع والعطش ويموت وقد عزم الأمير أبو محمد يشتفى منه فلما سمع الأمير عبد الوهاب بحديث شومدرس كاد قلبه أن يطير فرحا وقد رجع إلى عسكره وقال على بالأمير أبو الهزاهز فأجابه بالتلبية وقال يامولاى ما الذى تريد فكلنا لك عبيد فشكره الأمير على ذلك وقال له لك عندى بشاره قال أبو الهزاهز يا أمير لم تزل مبشر بالخير فقال ابشر فصديقك شومدرس قد ملك فقال أبو الهزاهز الذى قد أرمانا فى المطلب تحت الأرض يوم وليله فقال الأمير هو ذلك قال أبو الهزاهز لأن مكننى الله منه لانتفن ذقنه ولاخسفن بيدى صدره فقال الأمير الآن أمضى مع لؤلؤ غلام أبو محمد البطال وخذ معك عشرة من السودان فان أبو محمد قد حبسه فى مغاره فى هذا الجبل فتأخذه وتأتى به الى هنا على عجل فقال سمعا وطاعه وأخذ معه من السودان جماعة وسار طالب الجبل هـــذا وان الملك نقولا لما نظر إلى عبد الوهاب وقد رجع خوفا وفزعا فلما تيقن ذلك حمـــل ميمنة عسكر الأمير عبـــد الوهاب فقتل فارس من بنى كلاب وحمل على الميسرة قتل ثانى من السودان فلقيه الأمير برد بن الأزهر على جواد أصفر حسن المنظر جيد المخبر صافى الجوهر شريف الخطا يسبق النظر وفى يده حسام أبتر ليث همام ضيغم بطل غضنفر (قال الراوى) ثم حمل برد بن الأزهر على نقولا وحمل نقولا عليه وتصادما فكانا مثل الجبلين إذا

التطما أو بحرين تلاطما ولم يزالا فى الكر والفر والقتال حتى طلع عليهما الغبار فغيبهما عن الابصار وتطاولت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق وقامت الحرب على ساق وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت وبالرمحين حتى تقصفت وزاد عليهما الأمر وضاق الصدر وملت النفس من اللقاء وكرهت البقاء فعندذلك ظهر الامير (بردبن الأزهر) على خصمه نقولا وأيقن بأخذه فصاح بجواده فخرج من تحته كالبرق فبالأمر المقدر وإنفاد المشيئة وتمام الإرادة ويجعل الله لكل شيء سببا عثرجواد (بردبن الازهر) فى بيت الجربوع فوقع الى الارض فانقض عليه نقولا فأخذه أسير وقاده ذليل حقير فصعب ذلك على الامير لأنه من خواص أصحابه وعشيرته فأراد الامير أن يخرج اليه فمنعته الاميره فقال سعيد بن الفرج أنا أخرج اليه ثم خرج مثل البرق البارق وفى يده رمح خارق وهو معلق سيف ماحق وقلبه الى القتال شائق وحمل كل واحد منهما على صاحبه ودام بينهما القتال حتى تثلمت النصال وزاد الاشتعال ولم يبق لأحد منهما بال (ياساده ياكرام) وأن نقولا وزن نفسه مع سعيد بن الفرج فوجده يرجح عليه بكل درهم ألف فخشى على مهجته وخاف من منيته فأشار الى عساكره بالرومى بالحملة أن يحملوا على الملة الإسلامية فعند ذلك حملت الروم وأكبت رؤوسها فى قرابيص سروجها وتفرقت مواكبها كراديس ودقت النواقيس وعضت الخيل على اللجم وتقطع من الجرى حزامها وعطشت أكبادها ونظر الامير عبد الوهاب الى ذلك فقال غدروا القوم الملاعين ومكروا بالأمير سعيد بن الفرج ورب الكعبة ثم أكب رأسه فى قربوص سرجه وحمل وحملت الاميره ذات الهمه وبنوكلاب وأجادوا الطعان والضراب وتقطعت الأسباب وقطعت المفاصل والاعضاء وضاق عليهم فسيح الفضاء وعمل الصارم المنتضاء فهذا جديل وهذا قتيل وهذا دمه يسيل وهذا بلاءه طويل وهذا به خطب جليل وهذا جريح بسيف صقيل إلى أن أمسى المساء وعادت كل طائفة الى مكانها وأوقدت العساكر نيرانها وتمارست فتيانها. هذا جرى من حال العساكر (وأما ما كان) من الامير أبو الهزاهز فانه سار ومعه عشرة من السودان ولؤلؤ غلام البطال يدلهم على المكان حتى وصلوا الى تلك المغارة وفتحوا الباب المسدود بالحجارة ودخل أبو الهزاهز فوجد شومدرس فى أسوأ الاحوال وفى غاية الشر والنكال فقال له كيف حالك ياشومدرس والله لألطمنك الى قابل ولأجعلنك مثلا لكل قائل ثم تقدم إليه وقلع الاكره من فمه وحل رجليه وربطه فى حلقه بحبل وجعل يقوده مثل الكلب

وينزل فى رقبته بيده الخفيفة وكل واحدة عشرة أرطال ولما نظر الراهب شومدرس إلى أبو الهزاهز أيس من الحياة وأيقن لنفسه بالوفاة وقال يامولاى قد علمت أن غضبكم على لأجل أنى وعدتكم بالمطلب ولم يصح لكم الوعد وحق المسيح أنى ما كنت لكم إلا على عزم جيد لكن غرنى الشيطان لانه لم يزل يلعب بعقل الانسان وقال فى وسوسته إنما أنت تسلم اليهم المال والجوهر والسيوف الصقال وبعد ذلك يقتلوك والى الحياة والوعد الجميل لا يوصلوك فلما وقف ذلك فى صدرى عملت ماعملت وكان ذلك هربا من الموت وخشية من الفوت فما كان لى غير الرحيل والبعد عنكم والآن أنا معكم أسير وأنتم تمضون بى الى الامير عبد الوهاب وحق المسيح انى يقتلنى منه الحيا والعار وذلك عندى أصعب من ضرب البتار ومالى عنده جواب بعد مافعلت ذلك الفعل ولم أصدق فى المقال وعندى وحق المسيح شيء أبيض به وجهى عند الامير عبد الوهاب ويكون له منه الشرف الكثير على شرط انك تتوسط لى أن يمن على بروحى لأنى شيخ كبير وما بى إلا أن يقتلنى الامير بعد ما أسلم اليه المال الكثير فلا تتخلى عنى فقال له الامير أبو الهزاهز ياشومدرس ماهو الذى تبيض به وجهك عند الامير عبد الوهاب وقد صح عندنا أنك غدار كذاب فقال له الملعون أنا أدخل بك من أسفل المرج الى موضع يقال له بساط الروم القديم وتمشى تحت أزج معقود بالآجر فما يشعرون أهل الحصن إلا ونحن عندهم وأنت السودان وأنا معكم مكتوف اليدين وبعض أصحابك يقودنى وان لم ترى صحة ذلك وإلا افعل ماتريد فقال له أبو الهزاهز ياشومدرس كيف يكون ذلك فقال لأنك تصعد الى الحصن وأنت وحدك فتملكه فتنال عند الامير المنزلة العليا وان صعب عليك ذلك الامر فأنفذ الى الامير عبد الوهاب بعض أصحابك فيرسل لك مائة فارس وقد ملكت القلعة بلا قتال ولا نزال وهذا يكون سبب كسر هذه العساكر التى مع الملك نقولا لأن قلبه لان له موضع إذا كسر يرجع وأنا وحق المسيح ماقصدى بهذا إلا محو ما سلف منى إلى الامير من الخطأ (قال الراوى) وكان لؤلؤ غلام أبو محمد البطال قد وقف أبو الهزاهز وسلم اليه شومدرس كما ذكرنا وقال له تسلم هذا الشيطان ولا تسمع له مقال فكل مايقوله كذب ومحال وها أنا أطلب أبو محمد البطال لانى لا أدرى ماجرى عليه لانه كان أرسلنى فى طلب عدة كنا دفناها وقد خشينا عليها فدفناها فى هذا المرج وهى معاول ومناقب وقد احتاج اليها لأجل هذه القلعة ثم تركه مع الراهب شومدرس وانصرف وتحدث الملعون مع أبو الهزاهز بما ذكرنا فصفى له عقله وقال وقد طمع أن يفتح الحصن

وتكون له اليد البيضاء عند الأمير عبد الوهاب فقال وحق الكعبة ياراهب ان كان الذى ذكرت صحيح لأستوهبنك من الأمير عبد الوهاب فبكى شومدرس وقال يابنى وحق المسيح مابقى جسدى يقوى على الضرب فعندها سار أبو الهزاهز خلفه وفى رقبته الحبل يجره حتى نزل سهريج من سهاريج الدرب وله درج عراض فنزل أبو الهزاهز والعشرة السودان حوله وكل واحد منهم يريد فراسة ألف حتى ساروا فى أرض السهريج وسار بهم فى أرض سهلة إلى أن وصل بهم الى عقبة متصاعدة فصعد فيها ثم نظر الى عامود قائم من فوقه طبق حديد وعليه طير من نحاس فقال الراهب شومدرس حلوا يدى من الكتاف حتى أتقدم الى هذا الطير وأقرأ السطور التى تحت أجنحته فهى سبب الطلوع الى الحصن وما أنا بين أيديكم فمد أبو الهزاهز يده وصد الى رأس العامود ثم ضرب بيده الطير أداره عن موضعه فدار أسرع من البرق فما هو الى أن دار الطير حتى تحدر عليهم من تلك العقبة رمل أصفر يقطع المصمار بحدته ورياح تقلع الشجر والحجر فارمت السودان على وجوههم وتحدر الرمل عليهم فما سلم من من القوم غير أبو الهزاهز لأنه شرد وطلب الموضع الذى دخل منه وأما الراهب شومدرس لما علم أن السوادن هلكوا تحت الرمل وقد طلع الرمل الى وسط العامود هنالك أدار الطير الى مكانه فسكت الريح وانقطع الرمل النازل من العقبة فعند ذلك نزل الملعون (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأما أبو الهزاهز فجعل يعدو كأنه الدب الكبير الى أن خرج من الموضع الذى دخل منه ولم يصدق بسلامة نفسه حتى خرج من ذلك القليب وقال فى جهنم شومدرس ثم طلب عسكر الامير عبد الوهاب الى أن وصل اليهم ودخل عليهم وأعاد عليهم القصة من أولها الى آخرها وقد حارت عقولهم مما سمعوا ثم ان الامير بكى على العشرة السودان لما أن سمع بهلاكهم وقال سبحان الله الفعال لما يريد ثم جد على أبو الهزهز وقال له والله ماوفيت بقولك لأنك قلت اذا مقع لأفعلن ولأصنعن حتى كان هو الفاعل ولأصحابنا قاتل والله لا أوصلت اليك من غنائم هذه الغزاة درهم واحد حتى أشترى عشر عبيد يجاهدوا فى طاعة الملك المجيد فقال أنا أرجو أن يقع هذا الملعون شومدس فى يدى مرة أخرى أخرج الكل من جلده فضحك الأمير من وسط الغيظ وبات على غاية من الهم والغم (ياساده) وأما شومدرس فانه طلع من مواضع يعرفها وقد سار فيها مرار حتى خرج من وسط الحصن ودخل على شماس بن الملك نقولا فلما رآه وثب له قائما وقال يا أبونا وحق المسيح ماقلنا الا أنك هلكت فقال شومدرس ماكنت الا من الهالكين لكن

المسيح فرج عنى وعنكم لأن القلعة كانت الليلة تخرج من أيديكم قال شماس بماذا ياأبونا قال ان الذى سرقنى هو أبو محمد البطال وهو عندكم فى الحصن ولكن اياك أن تبرح بسرى ودعنى جالس خلف سريرك وابعث الساعة الى رجال الحصن كأنك تشاورهم فى أمر من الأمور فلا بد لابو محمد وغلمانه ان كانوا فى الحصن من أن يحضرون ويسمعون ما أنتم عليه فاذا حضروا أمرتك بقبضهم (قال الراوى ياساده ياكرام وبالامر المقدر كان أبو محمد فى الحصن هو ولؤلؤ ويانس اذ سمعوا المنادى من قبل الملك شماس يأمر بجميع الناس ويقول قد عول ابن الملك على أمر يريد يعمله فقال أبو محمد لغلمانه لا شك أن القوم يريدون حيلة على عسكر الاسلام وان كان هذا الامر فأنا أرسل واحد منكم من جملة القوم الى الامير يوقع بهم التدمير وأبقى أناههنا وأتسلم الحصن بالحيلة فقوموا بنا ننظر ما الخبر ونتفق فيما نعمل على يقين ويظهر لنا السرور فقالوا غلمانه هذا هو الصواب ولم يعلموا مافيه شماس (قال الراوى) هذا وشماس حوله البطارقة بالسيوف البارقة كأنه يريد يشارهم فى أمر فوقف أبو محمد وغلمانه فى جملة البطارقة فما استتم بهم القيام حتى خرج الملعون شومدرس من خلف السرير وقال ياشماس خذ هؤلاء الاوباش فهذ أبو محمد البطال وغلمانه الابطال فصاحت بهم البطارقة وأحدقوا بهم من كل مكان وأن أبو محمد بقى فى حيرة لا يدرى من أين ذهب فأخذوهم وأقبل اليهم شومدرس وقال يا أبا محمد من يحبس الرهبان فى المغار ويعمل على القلاع والامصار يغفل عن نفسه هذه الغفلة فلما نظر أبو محمد الى شومدرس أيس من الحياة وقال فى نفسه كيف خلص هذا الملعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لقد فرطت فى أمره اذ أرسلت الى الامير من أجله ولا شك الا أنه لما حصل عندهم فى العسكر عمل عليهم حيلة وتخلص بها وما الفزع من خلاصه الا كيف قبض على وسوف يوصل الأذية الى وتخلص القلعة من يدى فالحمد لله على ماقضى وحكم لا اعتراض عليه فيما أخر وقدم (قال الراوى) وأما الامير عبد الوهاب فانه لم ينام طول ليلتـه من الهم والغم على العشرة السودان الذين هلكوا مع أبو الهزاهز فلما أصبح الصباح وثب الى جواده ورتب الرجال وركبت الخيول وجودت النصول هذا وشماس أرسل إلى أبيه نقولا يخبره بخلاص الراهب شومدرس والقبض على أبو محمد وغلمانه وشاوره فى صلبهم حتى يعتبروا الناس بهم ويكون ذلك وهناً للمسلمين وهدماً لاركان دين الموحدين فقال لهم الملك نقولا هذا هو الصواب ولكن عذبوهم أشد العذاب حتى لا يرجع أحد يتسبب بهذه الاسباب ثم إن نقولا أراد أن يكون هذا بمشاهدة

عسكر المسلمين حتى يكون رهنا لهم ثم أمر الأمير عبد الوهاب عسكره أن يرجعوا إلى خلفهم الى أن قرب قلعتهم ووقف فى وجوههم وظن أنهم انهزموا فرجعوا من ورائهم مقدار فرسخ حتى أشرفوا على القلعة المسماة قف ترى العجب وإذا هى قلعة شاهقة حتى كأنها للأرض مفارقة وللجو لاحقه وهى مليحة رائقه إذا وقع منها حجر كأنه ساحقة وقد زينت بالطوارق والملبوس فهى تلوح كأنها عروس فقال الأمير فى نفسه والله لو كانت هذه القلعة عندنا فى ملطية لما بالينا بأهل الدنيا وعلى باب الحصن أربعة آلاف غائصين من الحديد وصف الأمير عسكره وعدل أوله وآخره وهم بالحملة وإذا بالصياح من فوق القلعة قد علا والصراخ قد نما حتى ماجت الدنيا فرفع الامير رأسه وإذا بالحصن يموج بساكنيه من الرجال والنساء والعسكر والاماء والعمالقة قد قدمت أربعة. رجال عراه حفاه ملطخين بالقطران عليهم آثار الضرب والهوان قد سالت دماهم ومزقت جلودهم ووصلت الأذية اليهم وحامت الطيور عليهم وهم ينادون وا إسلاماه وا دين محمداه ويشيرون الى عسكر المسلمين بالوداع والانقطاع ويشكون اليه ألم الفراق والانقطاع فلما نظر الامير عبد الوهاب الى القوم وعرفهم وقال أبو محمد ورب الكعبه فيالها من سفرة ما أوجعها وللقلوب ما أفجعها وأقبل على أصحابه وقال لهم دونكم والحمله واعتمدوا على أخذ الاسارى حتى نفادى بهم إخوانكم وحمل وحملت المسلمون ونادى الأمير عبد الوهاب يا آل كلاب يا آل كلاب وكذلك الاميره ذات الهمة أخرجت يدها من جلباب درعها وحملت وصدموا الروم صدمة رجل واحد وكان السيف أكبر شاهد واستعانوا المسلمون بالملك الواحد وحملت السودان من أبناء الحبشان كأنها جن سليمان وفى أوائلهم أبو الهزاهز وهمهم همهمة الاسود الضواغم وزفرة النسور القشاعم وحميت الابطال القماقم وقومت الاسنة وأطلقت الاعنة فلم تكن إلا ساعة حتى بقيت الرؤس بلا غلاصم والابدان بلا جماجم وانتطحت الروم بين أيديهم وخرق الامير عبد الوهاب الصفوف وجدع الانوف فهو بين الخيل يجول ويضرب الفحول بالنصول وقد اعتمدوا على شدة البأس إذ لقى نقولا وهو يحدث الناس ويزجهم بالعدد واللباس فهجم عليه الامير عبد الوهاب أعجل من البرق وأسرع من نزول الودق فلمانظر نقولا إلى الامير وهو عليه قد حمل حمل أيضا على الامير ولكن الامير من حدته فما أمهله دون أن صرخ فيه صرختة المعروفة أدهشه ولاصقه وضايقه ومد كل واحد منهما يده إلى صاحبه وقد تمكن الامير من

جلباب درعه وجذبه اقتلعه من سرجه ولم يبق أحد من السودان إلا وأخذ من الروم أسير وكذلك بنى كلاب فأخذوا من الروم فى هذه الوقعة ما ينوف من أربعين ألف أسير ونظرت الروم إلى ما قد حل بها فولت منهزمين وللنجاة طالبين فنهم من طلب الحصون ومنهم من تعلق بالحبال ومنهم من طلب الحصن الخامس وتفرقوا فى كل مكان وقد نزل بهم الذل والهوان ونصروا عليهم أولياء الرحمن ونزل الأمير وقد ملك ريض الحصن واحتوى على مافيه من الاموال والرجال وأمر أن يحضرون الاسارى وهم أربعين ألف فعدوهم وأحضروا نقولا ذليل حقير فأيقن بالموت وجعل يبوس الارض ويقول يا أمير المسلمين لك ما تطلب من الرجال والاموال فقال الامير يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية لمثلى يقال هذا المقال أو على مثلى يهول بصلب الرجال أقسم بالبيت ومن حج والتلبية ومن عج والعرش وماعلا والكرسى وما سما لا بد أن أضرب عنقك ورقبة أربعين ألف أسير إلا أن تترك أصحابى الاربعة سالمين فى هذه الساعة فاذا نزلوا أصحابى أطلقت مائة ممن يعز عليك من أصحابك وتطلع الى حصنك وأنا فما أبرح من على هذا الحصن حتى أفتحه فلما سمع الملك نقولا ذلك من كلام الامير قال يامولاى على إنى آتيك الساعة بأصحابك الاربعة وأما أنت فاصنع بعد ذلك ما أردت أن تصنع وأما قولك أنك إذا أطلقتنى تقدر على أخذ الحصن وهذه القلعة التى اسمها قف ترى العجب فوحق المسيح مالك الى وصولها سبب ولو أقمت شهور وأعوام فلما سمع الامير ذلك صغى لكلامه وقال ويلك سوف ترى العجب أما سمعت بفرسان بنى كلاب وصاح بالسودان وقال اسحبوا ما معكم من الاسارى الى حيث يروهم أهل الحصن فلما سمعوا السودان ذلك سحبوا البطارقة على وجوههم عراة الاجساد وشماتة الحساد ونظروا أهل الحصن الى السودان وقد أتوا ومعهم خلق كثير من الاسارى فانحلت عزائمهم ورفع نقولا رأسه ونادى بولده شماس أما ترى مانحن فيه أما ترى ماحل بأبيك ومانزل بأهلك يابنى لا تفرط فيما عندك من الاسارى فرؤسهم مرهونة بهؤلاء المأسورين وقدجعلوهم فداء لى ولمائة من خواص البطارقة (قال الراوى) فلما سمع شماس ذلك من كلام أبيه قال لقومه ما الذى ترون من الرأى قالوا وما الذى نرى وما عسى أن نقول وما فينا إلا من قد أسر أخاه أو ولده أو أباه ومافى الامر إلا أن نسلم هؤلاء الشياطين الذين عندنا الذين كانوا على أهلنا ميشومين حتى قبضوا أصحابنا قبض القطا وما صلب هؤلاء إلا ضرر علينا فقال لهم شماس إذا كان الامر على ما وصفتم والحال على ما ذكرتم فحلوا كتافهم

واخلعوا عليهم وأحسنوا اليهم ويخرج من عندنا واحد من القساقسه الى المسلمين فيستخلف أميرهم على اننا إذا أطلقنا سراحهم يطلق الملك نقولا من يقع عليه الشرط وباقى الرجال يبذل منهم المال فقالت البطارقة هذا هو الرأى الصواب فعندذلك أنزل أبو محمد وغلمانه من الخشب وخلعوا عليهم خلعا منسوجة بالذهب والأمير ينظر إلى فعالهم وقد سره ذلك بعد ما أيقن لهم بالعطب (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وان شماس قال لأصحابه انظروا من يكون السفير بيننا وبين أمير المسلمين فقالوا ما ههنا أقوى جنان فصيح اللسان غير الراهب شومدرس وهو الذى قبض هذا المسلم الذى هو أبو محمد البطال وقد قتل من أجله رجال وأيس كل من فى الحصن من الابطال وما لنا الا نخرجه الى المسلمين يتحاجج عنا وعنه فقال شماس على به فو حق المسيح والانجيل والإبرئت مما فيه من التحليل والتحريم لابد أن يخرج اليهم مع هؤلاء المأسورين فلعل شؤمه يقضى عليه فمضت البطارقه خلفه يطلبونه فطافوا الحصن من أوله الى آخره فلم يجدوه فعادوا الى الملك شماس يخبروه أنهم فقدوه فقامت عليه القيامة وقال أنا أدور عليه بنفسى فدار عليه بنفسه وأقلب عليه الحصن ونادى فى الناس لايخفيه أحد لانه اذا خرج الى المسلمين كان سبب خلاصنا وخلاص النصرانية أجمعين فما وجد له خبر ولاسمع له أثر (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان شماس لما دار الحصن جميعه ولم يجد الراهب شومدرس رجع الى أصحابه وقال لهم كيف مضى شومدرس وباب الحصن ما فتح فقالوا أنه أتى وباب الحصن ما فتح كذلك معنا اما أن نقول انه مضى من تحت الأرض الى سائر الحصون الى مواضع فيها مهالك ومعاطب وهو يعرف الجميع فلما أيس شماس منه عاد الى راهب عنده يقال له هماز بن صلبوت وكان كبير فى السن فقال له تنزل الى عسكر المسلمين وتأخذ لنا عليهم العهد والميثاق وتستحلفهم بالايمان والطلاق فقال الراهب سمعا وطاعه وخرج من باب الحصن الى عسكر الامير عبدالوهاب ونظر الى السودان وبنى كلاب كأنهم أسود الغاب والأسارى بين أيديهم مثل الكلاب فلما نظر الى ذلك رمى نفسه وقبل الارض وقال يامولاى العفو عن الاسارى فانا نجد فى الانجيل أنه من جبر كسير أو رحم أسير وجبت له المجازاة من الملك القدير فاننا نخرج اليكم الأسارى الذين عندنا على أنكم تطلقون من فى أيديكم ولكم ما أردتم من المال فقال الامير ياشيخ كيف نطلق أربعين الف بأربعة ولكن أنا أطلقهم على انكم تسلموا الى الحصن ويكون من أمرى معكم ما يكون (ياساه) فلما سمع الراهب ذلك من الأمير قال يامولاى اعلم ان الآمال

تضرب رقاب الرجاب وها أنت تنظر الى هذه القلعة والذى بين يديها من القلاع أحصن وأكثر رجال وأعز نفر فخذ من المال لكل واحد الف دينار وارجع من حيث أتيت فقد نلت ما تمنيت واعلم انى قرأت ان الدنيا اذا أقبلت أدبرت واذا أنجزت صدعت فقال أبو الهزاهز ياشيخ السوء وما قرأت فى كتاب الانجيل ان محمدا رسول الله فضحك الامير عبد الوهاب من قول أبو الهزاهز وقال اعلم أيها الراهب انه سوف يبان لك الصادق من الكاذب وهيهات ان أرجع بالخداع وأفتح الحصون والقلاع وحق النبي المنتخب وذمة العرب لا رجعت من هذه الحصون كلها حتى يقضى الله ما يكون فلا تطمع فيما لا يسمع ووعظك أيها الراهب لاينفع وأنا من تعرفه الروم ولاتنكره وأنشد

أيا راهبا ويحك فاستمع — مقالة ليث فى الحروب صميدع
همام كريم ماجد ذو حمية — صبور على الأهوال فى كل موقع
تعود ضرب السيف مد كان مرضع — وحسبك من قد عود السيف موضع
تقوم لمثلى ارجع اليوم سالما — ولست أريد السلم يوما بموضع
أما سمعت أذناك يوما بموقفى — اذا ما جرى نفس الجبان المودع
ولانفرت نفسى من الحرب ساعة — ولست أبالى فى الورى أين مصرع
ولست أريد المال بل ان مطلبى — ثوابى من الرحمن ياصاح فاسمع
وأقسم ببيت الله والركن والصفا — مع الحجر الصلد المنير المشعشع
ومن طاف حول البيت من كل مسلم — وكل عبيد مخلص ومطوع
بانى لا أمضى عن الحصن راجعا — ولا نعمت روحى بعيش ومضجع
الى أن ترانى قد فتحت حصونكم — وأترك عمران الحصون كبلقع
وأمضى الى حصن السباع بمعشر — كرام وفيهم كل ليث مدرع
وأمضى الى أرض الرياحين التى بها — من النبت زهر كالعقيق المجزع
وأمضى الى الوادى الذى عرفته — وسميته وادى السرور المطوع
إلى روضة الياسمين وبعدها — إلى حصن دولاب لكم غير منزرع

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الراهب شعر الامير عبد الوهاب علم أنه رجل لايرام وبطل همام فقال يامولاى الامر اليك وهذا صاحب الحصن نقولا بين يديك فان أراد فهو يسلم الحصن اليك فقال الأمير ياملعون سوف تعلم ان كلمة الباطل تمحا وكلمة الحق تعلو (ياساده) وكان الشيخ شواش الذى أسلم على يد الامير أبو محمد البطال ورد عليه الامير الكسا قائم يسمع الكلام فدنا من الامير عبد

الوهاب وقال يامولاى قد أطلت الكلام مع هذا الراهب وكثرة الخطاب خذ كساه وهو يسلم فى الحال فضحك الأمير من هذا المقال وأقبل على نقولا وقال قد عولت على قتلك وقتل الاربعين ألف وبعد ذلك لا أبقى صغير ولا كبير ولاشيخ ولاغلام إلا وأمكن منه الحسام فلما سمع نقولا ذلك أيقن أنه هالك فقال يامولاى قدمونى إلى باب القلعة بحيث أرى ويسمع مقالى فقال الامير قدموه الى القلعة بحيث يسمع كلامه أهل الحصن فقدموه فنادى برفيع من صوته ياولدى إن الحصون عمادها الرجال والابطال فاذا قتلت رجالها ملكت أطلالها وقد أقسم هذا الأمير أنه لايتعرض لصغير منا ولا كبير ويمضى الى باقى الحصون ويملكوها أجمعين وإن كانت عليهم فنحن نأخذ الحصون من أيديهم لانهم لايقيمون فى هذه البلاد ويتركون أرضهم وديارهم وأمصارهم فلماسمع ولده ذلك قال أنا الذى لاأسلم هذه القلعة ولى عين تطرف وعندى المال والزاد والسيوف الحداد (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك صاح بالسودان وقال دونكم ورقاب الرجال فاضربوها فما هو إلا أن أمر بذلك حتى قدموا البطارقة للسيوف والخناجر وضربوهم فى المحاجر فما كانت إلا ساعة حتى ضربت منهم ألف رقبة وسالت دماهم على العصبة وصاح باقى الاسارى الامان الامان فقال الامير لاأمان لكم عندى إلا أن تسلموا الحصن فلما سمعوا ذلك جعلوا يستغيثون بأهاليهم وأقاربهم وأولادهم وإخوانهم وكل من فى الحصن من أهاليهم وقالوا ماتنظرون حالنا أما نحن أحب اليكم من الاموال والاطلال فصاح عند ذلك النسوان والبطارقة من كل مكان والشيوخ والشباب والاطفال والصبيان وقالوا لاصبرلنا على قتل الاقارب والاخوان والاهلين والجيران وإن لم تسلم أنت ياشماس الحصن على ما تريد وإلا سلمناه نحن على مانريد فان قتل الاحباب صعب شديد فدع عنك هذا التعنيد فلما سمع شماس ذلك من كلامهم علم أنه إن لم يسلم الحصن إلى الامير وإلا سلموه غصبا فقال لهم إذا عزمتم على ذلك فاصبروا على قليلا حتى آخذ لكم العهود والمواثيق على ذلك من المسلمين على انهم لايتعرضون لأحد منا ولا أولادنا ونساءنا (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان قصد الملعون شماس بذلك أنه أضمر فى نفسه أن يقتل أبومحمد البطال ومن معه لانه رأى أنه هالك وقد نوى ذلك وقال فى نفسه إذا أخذ الرجال تارهم لايبالون بأى موتة يموتونها إن كان أجلهم قد انتهى ثم ان اللعين شماس قصد الى ناحية الامير عبد الوهاب ونادى به من أعلى الحصن : أمهل أيها الامير إلى وقت المساء حتى أستوثق من أصحابك الذين عندى بالعهود والمواثيق بأنك تجعل لى إلى

الحصون طريق وأنا أسلم اليـك هذا الحصن بالتحقيق (ياساده ياكرام) فلما سمع الامير كلام الملعون شماس فرح منه وقال فى نفسه إن قوله حقاً وكلامه صدقا وقال للسودان خلوا عن الرجال حتى تنظروا هذا الملعون وما يبديه من الخطاب والمقال (ياساده ياكرام) ثم ان الملعون شماس لما نظر إلى البطارقة الذين فى الحصن وقال لهم على بهؤلاء القوم الذين هم محبوسين حتى أستوثق منهم باليمين فأحضروهم بين يديه وأمر جميع قومه بالانصراف ولا بقى عنده إلا غلمانه بلا خلاف ودخل بهم بعض المجالس ومعه حسام كأنه صاعقة لايرده ترس ولاطارقة وأقبل على أبو محمد البطال وقال له اعلم أنى قد عولت أن أرسل الى أميركم أستوثق منه بالإيمان وأكون من أمرى على برهان لأن الغبن طبع الانسان فلما سمع أبو محمد ذلك قال اعلم أيها الملك العظيم الشان انى أبلغك كل ماتريد وأزيدك فوق المزيد ثم ان البطال نظر الى عيون شماس فتبين له منه الغدر وعلم أنه مضمر له المكر ورأى يده على قائم سيفه فأنكر أبو محمد ذلك وعظم عليه وعلم أنه هالك فرجع الى الخديعة والمكر والمحال وقال عساها أن تنفع فى هذا السم الناقع القاتل فأقبـل على شماس وقال اعلم أيها الملك أن الأمر فات وأن لـكل شىء سبب وإنى أريد أدخل فى دينـكم وأتبرى من دين العرب وذلك أنى نظرت الى جارية من أهـل الحصن من بنات البطارقـة والصليب على صدرها والزنار على خصرها وقد أرمتنى من لحاظها بسحرها وسواد شعرها وقد ملـكت قيادى وسلبت رقادى وقد رغبت فى دين المسيح لأجلها وأريد منك أن تزوجنى بها على شرط انى أسلم اليك أميرالمسلمين وعشرة من أصحابه المقدمين وأمكر بهم بالـكلام حتى يحضروا عنـدك فى هـذا المـكان وتبلغ منهم المراد وغاية المرام ونقول للأمير إن القوم يريدون أن يستوثقوا منك باليمين على شرط انك لاتتعرض للنسوان ولاللبنات ولاللصبيان وأخدعه بالـكلام وهو يصدقنى فيما أقول ولايخالف لى قولا أبدا حتى يصير عنـدك هو وأصحابه العشرة وأنت تـكون فى ألف بطريق بالسيوف والمزاريق واذا حضروا عنـدك اقبض عليهم وأوصل الأذية اليهم وإن خطر لك فأنت تفادى بهم كل بطريق عنـدهم ولا تطلقهم من الوثاق حتى أحلفهم بالأيمـان والطلاق والعهود التى أعرفها أنا حتى انهم يرحلوا عن حصنكم (قال الراوى) لهذا الـكلام ياساده يا كرام فلما سمع شماس ذلك الـكلام من أبو محمد البطال فظن أنه حقا وما علم أنه كله محال فقال شماس فى نفسه أنا كنت عولت على قتل هؤلاء الأسارى وأنا أعلم انى كنت أقتل من بعدهم لامحالة أنا وكل من فى الحصن والآن فما بقى غير

السلامة ولقد أتانا من هذا البطال ما لم يكن فى الحساب فلعل المسيح قد نظر إلينا ثم قال للبطال يامسلم وحق المسيح والدين الصحيح لئن فعلت ما ذكرت لأزوجنك من شئت وأجمع بينك وبين من هويت وتكون عندى فى الحصن ههنا ولك عندى كل ماتريد من المال الجزيل والجوار والغلمان وتكون عندى أعز من الأهل والإخوان فقال أبو محمد يامولاى لاتعرف هذا إلا منى واعلم انى إذا ناديت بأمير المسلمين وناديت معه بالعشرة وامتنع منهم واحد تقول لايطلع إلا الذى قال عليه أبو محمد البطال وأشار به علينا فى القول والفعال فانى ما أدعو إلا الذى أعلم أنه لو طلبت عوضه منهم الاسارى كلهم لفعلوا ذلك فقال شماس افعل ما بدا لك فأنا تابع فعالك فقال أبو محمد حتى تعرض على الجوار وأعين لك التى وقعت فى خاطرى وأشغلت سرائرى فقال شماس سمعا وطاعة ثم انه أعرض عليه الجوار عشرة بعد عشرة والبطل ينقدهم بنظره حتى وقعت عينه على جارية كأنها غزال عطشان بديعة فى الحسن والجمال تربية الدلال على خدها الأيمن خال ولها وجه أضوأ من الهلال فقال أبو محمد لشماس هذه الجارية التى ملكت فؤادى وأحرمتنى رقادى وملكت قلبى وأشغلت خاطرى ولبى فقال له شماس لاتعرف زواجها إلا منى (قال الراوى) فعندها وثب البطال كأنه أبو الحصين المحتال ومعه غلمانه وقد حلوهم من الشد والاعتقال . وقد نجا من الموت بحسن حيلته وخديعته وما زال الى أن وقف على برج الباب ونادى برفيع صوته : يامعاشر المسلمين والأصحاب أنا أبو محمد البطال وقد استقر الحال بأمر مسبب الاسباب بأنهم يسلمون الحصن الى الامير عبد الوهاب غير أن القلوب قلوب الروم خائفة وأفئدة النسوان راجفة وهم يخافون من الغدر والهلاك وحاشا الامير عبد الوهاب من ذلك وقد قالوا القوم ما تسكن قلوبنا وتقوى نفوسنا إلا أن يطلع الأمير عبد الوهاب الأجل إلينا ومعه عشرة من أصحابه الاماجيد ويحلف لنا بكل مانريد حتى يسكن فزع الصبيان ويهدئ روع النسوان وقد حلفتهم بالإنجيل أنهم لايتعرضوا للأمير بشىء فلا يطلع إلينا إلا الذى أصفه من المسلمين أصحاب الصدق والعدل والدين مثل الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه والعبد الصالح أبو الهزاهز والحاج الاجل برد بن الازهر والفقيه هياج الكردى والشريف النسيب هارون العلوى والحاج ميمون الجماس والزاهد راشد بن ضمرة والعابد مدركه (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده يا كرام فلما سمعوا القوم من الامير أبو محمد هذا الكلام علموا أنها حيلة وخديعة من البطال حتى يهلك الحصن ولا يخلى فيه من الروم أحد فقال الامير

عبد الوهاب للبطال يا أبومحمد وما الذى يؤمنا على أنفسنا إذا طلعنا لهم فى عشرة وهم فى عشره فقال ماهم أكثر من ثلاثة آلاف فى الحصن قال له الامير نصعد اليهم فى خمسمائة رجل فقال البطال ماهو صواب لأنكم طالعين الى غير قتال ولا حرب ولا نزال وماتم إلا إصلاح الحال ومع ذلك انه لوقبض عليكم لكان عندكم ما تفادوا به من الأسارى أضعاف ما عندهم وهذا مالا يكون لانى حلفت القوم وحلفت لهم وأخذت عليهم العهد والميثاق (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب من أبومحمد البطال ذلك الكلام قال اذا كان الامر على ذلك فأنا أفعل مابه أشرت وأتبع ما به أمرت (قال الراوى) هذا وشماس قد طار قلبه فرحا بإجابة الامير عبد الوهاب الى ذلك وقال فى نفسه ترى لو كانوا هؤلاء سباع الارض ماقدر كل واحد منهم يلقى أكثر من عشرة فيكونوا الكل مائة ويبقى ألفين وتسعمائة بطريق خلاف مافى الحصن من النساء والصبيان والإماء والإخوان (قال الراوى) وبقى شماس منتظر طلوع الامير ومن معه من الرجال وهو لايصدق بهذا الحال وقد قال للبطارقة إذا رأيتمونى قد ضربتهم بالسيف افعلوا كفعلى واعملوا كعملى فقالوا سمعاً وطاعة (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا ماجرى من أهل الطغيان . وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فقد قال للأميره ذات الهمه : ماترين أيتها الاميره فى الطلوع اليهم والهجوم عليهم فقالت ومن يمنعنا من ذلك وإذا كنت وحدى كنت ملية بمن فى الحصن وأسقيهم شراب المهالك فقال أبوالهزاهز : بالله عجلوا فى الطلوع حتى أخلى من الروم الاطلاع والربوع وأقطع بسيفى الدروق والدروع وأنا أرجو من الله تعالى أن يكون ذلك الشيخ النحس فى الحصن يعنى شومدرس حتى كنت أصبحه صباح ميشوم وأعذبه عذاباً ما عذبته لأحد من الروم قال له الامير يا أبو الهزاهز أنت تقول كلام بلا فعال وكلامك كله زور وباطل فقال أبو الهزاهز يامولاى سترى مايسرك وتنظر كيف أجعل رأسه على حجر ولا أزال أنطحه برأسى حتى يبقى مثل مرهم الطبيب وأقر له فى العذاب أوفى نصيب فضحك الامير عبد الوهاب من قوله وقد ساروا الامراء وكل واحد يريد لرأسه ألف مدرع ولما نظر اليهم شماس وقد أقبلوا أمر بفتح الباب وقال فى نفسه لقد بلغنا غاية الأرب وهو شىء ما كان لنا فى حساب . هذا وقد دخلوا الأمراء الى الحصن وقد أيقنوا ببلوغ الآمال فعندها أمر شماس بغلق الباب فى ساعة الحال فغلق ومن عجلة شماس وغدره صاح فى البطارقة : خذوهم واقصدوا الى الاربعة الذين عندكم فاقتلوهم فهم حماية المسلمين

واذا قتلتموهم وصلتم الى فكاك المأسورين فنظروا البطارقة إلى عشرة فاستقلوهم وانكبوا عليهم فصاح بهم الأمير عبد الوهاب كاد أن تسقط من هول صرخته الحوامل وخيل للروم أن الارض قد انقلبت من شدة الزلازل وصاح بعده أبو الهزاهز مثل الجمل الهائج وكشر على أنيابه فصارت مثل أنياب الوحوش . وأما ميمون الجماس فانه أشغل الناس بأشد باس وأما برد بن الأزهر فانه حمل مثل الأسد القسور . وأما مدركة وعبد الله وهياج فانهم هاجوا مثل الجمال . وأما الأميرة ذات الهمة فانها استقبلت الروم بقلب قوى وجنان جرىء وقد مكنت سيفها فى الأمخاخ ورجع العهد إلى الانفساخ وانحلت من الروم العزائم وعملت الصوارم وقامت على أهل الحصن المآتم ولم يعرف العاطب من السالم وحلت بالروم العظائم وأصبح كل واحد منهم لنفسه عادم وقال وحق المسيح ما فعلت فعل حازم ولا هؤلاء القوم من بنى آدم . هذا والروم قد نظرت الى ماحل بها من المعاطب والمصائب وأيقنوا بالبلاء اللازب ولم تمضى عليهم غير ساعة حتى قتل من الروم أربعمائة فارس ولم يجرح أحد من المسلمين وكلما قاتلوا ازداد انبساط وقوة ونشاط وقد كثر من الروم الصراخ والعياط (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده ياكرام فلما التقى شماس بأبو الهزاهز خاف منه وأراد الهروب من بين يديه فخطا أبو الهزاهز اليه وعطف عليه وضربه بكلتا يديه أطاح رأسه من بين كتفيه وعطف على آخر فقطعه نصفين وضرب آخر فجعله قطعتين فعند ذلك أرمت الروم نفوسها الى الارض طولا وعرض ونادوا عن صوت واحد لورك لورك يعنى الأمان الأمان وقد رأوا الذل والهوان ونظروا من سيوف الأمراء من الموت ألوان وقد قبضوا على باقيهم وكل واحد من الروم فزعان وقال الأمير عبد الوهاب افتحوا ياويلكم الباب ففتحوا الأعداء للأمير عبد الوهاب باب الحصن ونادوا الأسارى الى أصحابهم العبور ففعلوا ذلك (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن المسلمين طلعوا الى الحصن أجمعين وملكوا ما فيه مسرعين وملك الامير عبد الوهاب الأموال والرجال والذخائر الغوال فكان شىء يسد الفضاء ويملأ المستوى (ياساده) وفى طلوع المسلمين الى الحصين هربت الاسارى الذين كانوا فى عسكر المسلمين على وجوههم فى البرارى حائرين فلحقت الناس منهم قوم وهرب قوم وكان لهم يوم وأى يوم ثم إن الأمير عبد الوهاب لما رأى تلك الأموال العظيمة قال الحمد لله على هذه النعمة التى أنعم الله على بها وأن يجعل بقية فتح الحصون على يدى . هذا وأن أبو الهزاهز فتش الحصن جميعه على

الراهب شومدرس فما وقع له على أثر فسأل عنه الروم فقالوا أيها الاميران شماس طلبه قبلكم واغتاظ عليه لما فقده وكاد ان تنفطر مرارته واجتمع الامير عبدالوهاب بالأمير أبو محمد البطال وهناه بالسلامه وقال له ابشر من الله بجزيل الثواب وكثرة الانعام من رب الارباب فقال له أبو محمد يا أمير كيف تخاص الملعون شومدرس من أيديكم لما أرسلته اليكم فقال الامير عبدالوهاب كل ما جرى عليك من أبوالهزاهز وهو الذى لعب شومدرس بعقله وأعاد عليه القصه فقال أبو محمد لعن الله شومدرس فما أمكره وأحيله وأغدره وللرجال ما أقتله وأما أبو الهزاهز فهو معذور لان شومدرس يلعب بعقول العقلاء ويدس الحيل على الفضلاء والله لقد ضربنى بالسياط حتى آيست من الحياه وكذلك غلمانى وهذا كله من تحت رأس شومدرس لان أبو الهزاهز كان عنه عاجز فقال أبو الهزاهز يامولاى هذا وجهى بين يديك وروحى ما أبخل بها عليك وانى نادم على ما جرى الا انى قلت انى أحصل عندك وأعينك على فتح الحصن وأكون بين يديك مثل عبدك فقال البطال يا أخى لايكون على قلبك هم فلا بد ما آخذه وأسلمه اليك (قال الراوى) ثم ان الامير سلم الحصن الى الامير برد بن الازهر وسلم اليه مائة فارس من بنى كلاب وهم أبطال أنجاب وقال لهم أنتم ههنا الى أن آتيك ان شاء الله تعالى فقال سمعا وطاعه ثم ان الامير عبد الوهاب قال للناس يامعاشر الناس أنكم غدرا حلين فقد مضت الايام والشهور والسنين وقلبي على مكاوى النيران لاجل ولدى ابراهيم وأمه علوى فقد طاب شوقى اليهم وزادا شغافى عليهم ثم ان الامير أحضر باقى الاسارى وأباعهم أرواحهم بالمال الوافر وكان المال مدفون تحت الارض فصار شيء كثير وبات الى أن برق ضياء الفجر وسلم الحصن الى الامير برد بن الازهر كما ذكرنا وأوصاه بكل ما يقدر عليه ورحل والامير أبو محمد معه وجميع السودان وبنى كلاب وفى قلب الامير مالو وقع على جبال تهامه لهزمها من الراهب شومدرس وجد فى سيره حتى عبر من وادى الجواهر الى وادى السباع وكان هذا المرج كثير السباع لانه كثير الغابات لايقدر يجوزه الا الجمع الكثير والجم الغفير فلما وصل الامير اليه طلبوا الناس الراحة مما لقوا من المشقة والتعب والسير والنصب فقال الامير لا أفعل ذلك لان الوادى كثير السباع والضباع والحيات والافاع وأنا أخاف عليكم من ذلك فقال أبو الهزاهز وسائر الناس أنزل بنا فى هذا الموضع وقد كفاك الله مؤنة السباع فعند ذلك نزل الامير وتفرقت السوادان النوبيين والحبشان من كل جانب ومكان حتى لم يبق عند

الأمير منهم إنسان وضربت طبولهم وبوقاتهم والغرون وظهر منهم ما يوجب الجنون وصفت السودان درقها بعضها مع بعض حتى بقى الناس كأنهم سد من حديد وما كانت إلا ساعة حتى ركبوا العبيد والحبشان كأنها جن سليمان ودخلت الدخائل وقد نفرت منهم السباع ودارت حولهم السودان وقد أرموا أرواحهم عليها واصطادوها وداروا من حولها (قال الراوى) وأقبلوا يسبحون الأسود من كل مكان والأمير بفرج ويدعو لهم إلى أن ارتفع النهار ورحل الأمير من هنالك طالب نهر الدم وقلعة الدم ومرج الزعفران وكانت هذه القلعة تعرف بقلعة الدم لأنها حجر واحد أحمر من شدة حمرته كأنه الدم وصاحبها يقال له عين المسيح لأنه كان بعين واحدة وهو أخو الملوك الذين تقدموا لأنهم كانوا متفرقين السبعة الاخوة فى السبع حصون وأبوهم الأقريطش وكان هذا عين المسيح تحت يده عالم عظيم ومع ذلك فما كان فيمن تقدم مثله لأنه كان شجاع ولما وصل الامير الى نهر الدم وجد نهر كأنه حمرة العقيق فقال الامير سبحان الله ويخلق ما لا تعلمون (ياسادة يا كراه) وكان على هذا النهر جسر كبير فعبر عليه الاغنام والرجال والخيول والعساكر (قال الراوى) وأما المنهزمين لما رجعوا الى الحصن الخامس هاربين ومضوا بين يدى عين المسيح أجمعين وجعلوا يلطمون على وجوههم فقال لهم الملك يا ويلكم ما وراكم فقالوا له يا ملك ان المسلمين قد أتوا وقد أخذوا أخيك وقتلوه وأخذوا الحصن الرابع وهاهم قادمين عليك فقال لهم الراهب أبو الشرشومدرس اكتب الى أهل القلاع والسودان حتى نستعين بهم على هؤلاء القوم لأن فيهم أقوام سودان كأنهم الغيلان أو جن سليمان قال لهم ياويلكم أنا فى مائة ألف وأحتاج الى نجدة وأطلب من غيرى معونة لا كان ذلك أبدا وسوف أريكم مايسركم فى الأعداء ان أتوا اليوم أو غدا وتعلمون أن هذا العسكر مالقيهم شجعان ولا قاتلهم أقران وسوف يظهر ما أقول لكم ويبان ولكن اقطعوا الجسر حتى نأخذ أهبتنا ونقضى أشغالنا (قال الراوى) فلما سمعوا الروم كلامه نزلوا أهل القلعة فى جماعة من المنهزمين من خوفهم على أنفسهم من الامير وأصحابه فقطعوا الجسر فبقى النهر مثل البحر يجرى ليس له مكان يعبر فيه أحد وعادوا الى القلعة وقد أعلموا الملك بذلك (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب فانه أتى الى النهر فوجد الجسر مقطوع فقال لقومه كيف السبيل فقالوا لاتعرف هذا إلا الامن أبو محمد البطال فنزل أبو محمد على جانب النهر وطلب جلود السباع ووضع فيها الأمتعة والثياب والعدد وربطوها فى بعضها بعض

وركبوا فوقها وعدوا البحر ومنهم من ركب الخيل عرى فرأوا دير على بعد يلوح منه نور ساطع فمشى اليه أبو محمد فوجده دير كبير وله شبابيك وخارج منه نور وسمع فيه لعب وضحك وغناء فتعلق وطلع إلى الشبابيك فوجد عشر جوار نهد كأنهن الأقمار وعندهم ثلاثة من الرهبان والكاس يدور عليهم وهم يغنوا فاندهش عقله وحار لبه ثم إنه رأى فى وسطهم جارية كأنها البدر بين الكواكب فلما رآها تحير فى عقله واشتغل قلبه فأطال النظر اليها وبقى باهت لايدرى كيف يصنع ثم انها تصارعت مع الجوار وصارت كل من صرعتها كتفتها حتى كتفت العشر جوار ثم إنها أحضرت راهبة كانت عندها وقالت لها حدثينى بأخبار الملوك المتقدمين وأخبار العرب والروم وماهم عليه ثم ان الراهبة صارت تحدثها بأخبار العرب وما عملوا مع الروم وأخبار أبو محمد البطال وحيله وما يصنع فى الروم من الأمور العجيبة ومكره ووقائعة فقالت الملكة نورا أنا أشتهى أن يجمع المسيح بينى وبينه وكانت هذه الملكة نورا تهوى النساء وتبغض الرجال وكانت تهوى هذا الدير واسمه دير الذهب وهو مشرف على مرج الزعفران ثم نادت الملكة نورا يا أبا محمد احضر عندنا وإذا هو أجابها ودخل من الشباك فلما رأوه تعجبوا منه غاية العجب وأحضروا له أكل وشرب وجلس معهم يحثهم فأعجبهم حديثه ودخلت محبته فى قلب نورا فقالت للجوار قوموا والعبوا حتى يتفرج عليكم أبو محمد البطال ثم حلتهم من الكتاف فقاموا ولعبوا وانشرحوا وهى تضحك وأبو محمد قد طار عقله ثم انه قال لها ياستى يامن هلكت فؤادى إن لى أصحاب واقفين تحت الشباك أريد أن يدخلوا يلعبوا مع الجوار فقالت حبا وكرامه ثم أمرته أن يناديهم فناداهم فطلعوا ودخلوا عندهم وهم لؤلؤ وعبد الوهاب وأبو الهزاهز وراشد وميمون ومدركه وعبد الله وطارق ولما رأى عبد الوهاب هذه الجاريه قال سبحان المصور وأطال النظر اليها واندهش فى عقله وحار فى لبه وصارت الجوار تضحك عليهم (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انها قالت للبطال قم نتصارع أنا وأنت فقال لها حبا وكرامة وكان هذا قصده وبغيته ثم انها غيرت ملبوسها ولبست بدلت مفتخرة وشدت وسطها بشعرها وشمرت عن ذراعيها (قال الراوى) وقرب منها أبو محمد وقبض على أعكانها ولمها الى حضنه فغاب عن ذهنه ثم إنهما تقابضا وتعاركا فسالت ريالته وغاب عن ذهنه فأرمته الى الأرض وأمرت جوارها أن يكتفوه وإذا بالأمراء قاموا اليها وأرادوا مصارعتها فقالت ارموا القرعة بينكم فكل من جاءت عليه يتقدم ففعلوا ذلك وهى تغلبهم واحد بعد واحد وكل من غلبته تكتفه

حتى كتفت الجميع فقالوا لها أنتى ماغلبتينا إلا بحسنك وجمالك فقالت وحق المسيح ان هذا قولكم صحيح لأنكم ظاهر عليكم الشجاعة والفروسية والبراعة ثم أنها قالت للجوار دلوهم من الطبقان بالجبال فقال لها أبو محمد الى أين تودينا قالت الى بلادالروم فقال لها ياستى ودى هؤلاء وأنا أجلس عندك وأخدمك وأحدثك فقال أبو الهزاهز لانكون إلا كلنا سوى فضحكت وقالت لكم الأمان كلكم إذهبوا الى موضع ما تريدوا (قال الراوى) فبينماهم معها فى الكلام وإذا هم براهب قد دخل عليها وقال لها إن عالم النصرانيه وشيخ الملة المسيحية يريد الحضور بين يديك ففرحت وقالت دعوه يحضر فدخل عليها شومدرس وسلم وترجم وكان سبب مجيئه أنه لما انهزم سار ليل ونهار حتى وصل الى نهر الدم واستقبل مرج الزعفران ودخل على الملك عين المسيح فمشى اليه وأكرمه وبجله وعظمه وجعل يسأله عن حاله وما جرى له وأخبار الحصون وهو يحدثه بما جرى عليهم من المصائب وما لقيوا من النوائب فقال له عين المسيح فما عندك من الرأى يا أبونا وماخبر عسكر المسلمين فقال أيها الملك لاتسألنى عن قوم لايخافون الموت ولايرهبون قد ألفوا القتال وتعودوا بالنزال ولا يبالوا من ملاقاة الرجال ولاسراة الأبطال وهم فرسان البر سباع الفلاة وهم فى أكمل عدة من السيوف والعدد وصدور الزرد والدرق والأتراس الملطيه والخيول العربيه فهم أبطال إن قاتلوا جيشا هزموه وان ناضلوا عسكر قهروه وان بارزوا صنديدقتلوه وان حاصروا حصن ملكوه وان ناراهم ملك أهلكوه أميرهم قد خلق من الهيبة وله صاحب كثير الحيل والعجائب لايسلم منه قسيسا ولا راهب له وقائع مشهورة وحيل مسطورة ترهب من خوفه الأسود وتعقد على رأسه الرايات والبنود وقد صورته الروم فى الكنائس والملوك فى المجالس مخافة من مكره وشره أعاذنا المسيح وإياك منه وقدجرى لى معه أمور عجيبه وأحوال غريبه يطول شرحها ولا يمكننى الآن كشفها من عظم قدرها وان القوم اليوم نزلوا على نهر الدم فخذ لنفسك الحذر ولاتمهل أمرهم فيقع عليك شرهم (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أن سمع الملك من شومدرس هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه ودمعت عيناه وقال له يا أبونا وأنت الآخر داخلك من هؤلاء الخوف وقتلك الجزع ولا يمكنك أن تقول إن هذا إلا من كثرة مادخل على قلبك من خوف الأعداء وأنا أقسم بالمسيح والمذبح وإلا ضربت راهب بيعة بالسطيح وفعلت فى حقه كل قبيح لأمزجن نهر الدم بدمائهم ولأعدمنهم دينهم ودنياهم ولأجعلنهم عبرة لمن يراهم ولأرملن نساءهم ولأقتلن أميرهم وكبيرهم وصغيرهم.

وشريفهم وكأنك ياشومدرس قلت عين المسيح كمن لاقوه من اخوتى وأنت أخبر بقوتى وقوة قلبى وشجاعتى وأما نورابنتى تحمل على عشرين ألف من بطارقة الروم وهى التى تأخذ الخراج من بلاد اليونان ومن سائر الرسوم وقد خطبها منى من الملوك مثل الملك منويل صاحب القسطنطونيه فامتنعت من ذلك وجميع الملوك فيها رغبت فما رضيت وعمرها ما قهرها فارس ولا غلبت ولا ولت وقد ذلت لها رقاب الجبابرة وخضعت لهيبتها ملوك الأكاسرة فاذا كانت هذه صفات جارية خرجت من ظهرى فكيف أنت تستصغر أمرى ويهون عندك قدرى وأنت أخبر بجلدى وصبرى فقال شومدرس أعوذ بالمسيح من هذا الظن القبيح وقد علمت جميع النصرانية أن ما فيها مثلك وما يقدرالزمان ينتج بمثلك فأنت السبب المعروف والشجاع الموصوف ومبيد الالوف وأنا قد وصفت صفة القوم حتى إذا بليت بهم لاتعود علىّ باللوم ومع ذلك فانى مشتاق الى ابنتك الملكه نورى فقال الملك ياأبونا هى فى دير سمعان المسمى بدير الذهب لها نصف شهر من الزمان (قال الراوى) فلما سمع شومدرس كلام الملك قال له أيها الملك وكيف يطيب على قلبك أنك تخلى ابنتك غائبة عن حصنك وعساكر المسلمين قد قربت والقلاع من ورائهم قد خربت وأخذت فقال له الملك كنت أرسلت اليها محذراً فأرسلت تلومنى وتقول لى هذه قلوب النسوان لا قلوب الفرسان وأنا ما على بالى مجىء فى هذا الزمان فطيب قلبك وكن فى أمان فلوأن أعداءك فى عدد رمل وادى كنعان أفنيتهم بالسيف والسنان ولا أخلى يصل إليك منهم إنسان فقال شومدرس أيها الملك أنا لابد لى أن أصل اليها وأحضر بين يديها وأقص حالى عليها (قال الراوى) ثم ان شومدرس وثب وقال أيهاالملك أنا ما أخليها على رأيها وهاأنا ماضى اليها وآتى بها الى حصنها وما ندرى الزمان كيف يكون فكن أيها الملك على حذر وجد قبل أن ترى عدوك فى أرضك (قال الراوى) ثم ان الملك ودع الملعون وسار على عجل الى أن أتى الى الدير وفيه حصل وقد جرى على عبد الوهاب ما جرى وأخذتهم نورا أسارى (ياساده) ولما وصل شومدرس الى المجلس الذى فيه نورا قامت له هى والجوار الذين لها وجعلت تقبل يديه وتسلم عليه وكذلك الجوار وترامو على أقدامنا فلما نظر أبو محمد الى شومدرس مات فى جلده ونسى عشقه ووجده وقال فى سره الليلة النيرة من العصر تظهر فيالها من ليلة طويلة ثم انه أقبل على بأبوالهزاهز وقال له يهنيك قد جمع الله بينك وبين شومدرس فى مضيق الأوقات والدهر له آفات والساعات لها لسعات حتى لاحظت انه فى مهلك الوصل مات (قال الراوى)

ياساده ياكرام وقد أيقنوا العشرة بالبلاء هذا وشومدرس قد نظر إلى الملكة وهى مشدده محزمة وقد سال عرقها وفاح طيبها واحمرت وجنتها وغزلت عيونها وبقيت نزهة لمن يراها فسبحان من خلقها وسواها فقال شومدرس أعيذ هذا الوجـه المليح بالانجيل والمسيح ثم أنه ضمها الى صدره وقبل بين عينيها وجعل يبوس وجنتيها فقال أبو محمد للامير عبد الوهاب أما تنظر إلى هذا المصاب ماكفى ما نحن فيه من العذاب حتى ان هذا الملعون يبوس الملكة نورى قدامنا ويستقودنا هذا الأنحس نسل الكلاب فقال الامير أبو الهزاهز وحياتك يا أبا محمد ان تتأن ولابد ما علينا أضر منك لانك إلى ههنا جبتنا وبهذا الأمر أبليتنا فقال البطال أنا قلت لكم صارعوا الملـكة نورا حتى جرى عليكم هذا المجرى ولـكن ارجو من الله تعالى أن تحدثه نفسه بحديثنا ولا تخبره نورى بخبرنا فبينما هم فى المحاورة والكلام واذا بالراهب شومدرس قد قال لنورى يابنيه ما لى أراكى كأنـكى كنتى فى معاركة ومشابكة فضحكت عند ذلك وقالت له نعم يا أبونا وذلك انى كنت العب مع جوارى كما جرت العادة والراهبة زوجة العوادة كانت تحدثنا بأحاديث الروم والعرب وحدثتنى بكل عجب الى أن جرى ما جرى وجرى على لسانها حديث رجل يقال له أبو محمـد البطال وذكرت لى ما يعمل من الأعمال ثم أعادت عليه القصة من أولها الى آخرها وعرفته بمضمون الحال وكيف أنها أطلقت الثلاثة غلمان لابو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع شومدرس بأمر البطال كاد قلبه أن يطير من الفرح وصاح أسعدك المسيح أنتها الملـكة والرهبان وسعد بك الزمان فقد أخذتى بالثار لجميع النصرانية والأخوان أتدرى ياملكه من الذى أطلقتى من الغلمان فانهم أشد من مولاهم وأقوى حيله ثم قال لها ومن هم الذين معهم من الفرسان فقالت أنا ما أعرف منهم انسان بل تسير معى الى مجلسهم وانظر اليهم فأنت أخبر منى بهم فى هذا الأوان (قال الراوى) فعند ذلك وثب الراهب شومدرس قائم على قدميه وهو لا يصدق بذلك الى أن وصـل الى عند الأسارى فأول ما رأى أبو محمـد البطال ففرح غاية الفرح وقال وقعت ياخبيث وحق المسيح لابد لى من صلبك ومنك أستريح بعد أن أسقى من ضربك قلبى الجريح ثم انه نظر الى أبو الهزاهز وصاح عند مانظره وكاد من فرحته أن يغمى عليه وقال وحق المسيح انك لما تخلصت من نوبة قتل السودان كان بقى فى قلبى منك ومن خلاصك مثل شعب النيران ولـكن ابشر بالصلب ومن قبل الصلب بالعذاب والضرب ثم نظر الى مدركة وعبدالله وميمون الجماس وراشد بن ضمره وطارق الحجازى فغاب رشده من الفرح وعلم ان فساده

قد انصلح وقال للملكة (نورا) أيتها الملكة هؤلاء أبطال المسلمين وفرسان الموحدين ثم نظر الى الأمير عبد الوهاب فعرفه فصاح صوتا عظيما حتى خيل للحاضرين أن الدنيا قد انقلبت بأهلها أجمعين وقال للملكة (نورا) أيتها الملكة قد أخذتى أمير قوم الموحدين هذا الذى ملك الحصون وقتل البنات والبنون فلماسمعت نورا فرحت فرحاً شديداً وعلمت أن نجمها مستقيما وقالت للأمير عبد الوهاب بحق دينك ماأنت الأمير الذى للقوم فقال لها نعم أنا ذلك فافعلى مابدا لك فعندها قال لها شومدرس على بالقيود فأحضرت فجعل فى رجل كل واحد منهم قيد ثقيل شديد ولما علم الملعون أن القوم قد صاروا فى الحديد وثب الى سيف الملكة نورا وهو سيف مجوهر فقالت له على ماذا عولت أن تفعل يا أبونا فقال لها على قتلهم ولا أبقى منهم بشر فإنا لا نأمن من غدرهم وشرهم أو يأتوا عسكرهم فى طلبهم ويعملون على خلاصهم من غيظهم واذاقتلوا هؤلاء ما يبقى منهم رجل يحسن أن يضرب بالسيف فلما سمعت الملكة ذلك قالت اعلم يا أبونا أنى أنا ما أقتلهم حتى انى أسلمهم الى أبى وأما قولك انهم يهربوا فوحق المسيح انه لو كان فى الدير مثلهم ألوف وكنت مالكة سيفى هذا لأسقيتهم كأس الحتوف ولكن لا سبيل الى قتلهم إلا أن يراهم أبى عين المسيح ويفرح بفعلى المليح ومع هذا فانى أعلم أن الانسان يوم له ويوم عليه وما كل يوم ينجح الطلب ونحن لابد لنا أن نلتقى بهم وما نعلم ما يكون بيننا وبينهم وأصلح ما يكونوا هؤلاء عندنا مقيمين الى أن نلتقى عسكرهم وندبر ما يكون فيه المصلحة من أمرنا وأمرهم لأنه قيل فى الأمثال (من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب) (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع شومدرس كلامها علم انها لا تمكنه من قتلهم فقال لها أيتها الملكة انظرى الى حالى وابصرى ماجرى لى ثم كشف عن بدنه واذا بآثار الضرب بالسياط التى ضربه بها أبو محمد البطال فى المغار وبقى له على جسده آثارفقالت له ماهذا ياأبونا فقال لها من ضربه وعقوبته ثم انه أعاد عليها حديثه من أوله الى آخره فقالت دونك وإياه واضربه عوض ماضربك فما أمنعك من أخذ تارك وطلبك فوثب الملعون وأخذ أبو محمد البطال ومده وضربه حتى وقع لحم كتفيه وغاب رشده وأغمى عليه ثم انه بطح أبو الهزاهز وضربه ضرب الأولين والآخرين حتى أشرف على الموت وأبوالهزاهز يقول له ويلك ياشيخ السوء أنا ما أخرجتك من المغارة وخلصتك من الذل والاضرار فلا تفعل بى هذه الفعال وهو يضربه ولا يسمع له مقال حتى طار لحمه من عظمه وضرب ميمون الجماس حتى أشرف على الاياس

عسكر المسلمين حتى يكون رهنا لهم ثم أمر الأمير عبد الوهاب عسكره أن يرجعوا إلى خلفهم الى أن قرب قلعتهم ووقف فى وجوههم وظن أنهم انهزموا فرجعوا من ورائهم مقدار فرسخ حتى أشرفوا على القلعة المسماة قف ترى العجب وإذا هى قلعة شاهقة حتى كأنها للأرض مفارقة وللجو لاحقه وهى مليحة رائقه إذا وقع منها حجر كأنه ساحقة وقد زينت بالطوارق والملبوس فهى تلوح كأنها عروس فقال الأمير فى نفسه والله لو كانت هذه القلعة عندنا فى ملطية لما بالينا بأهل الدنيا وعلى باب الحصن أربعة آلاف غائصين من الحديد وصف الأمير عسكره وعدل أوله وآخره وهم بالحملة وإذا بالصياح من فوق القلعة قد علا والصراخ قد نما حتى ماجت الدنيا فرفع الامير رأسه وإذا بالحصن يموج بساكنيه من الرجال والنساء والعسكر والاماء والعمالقة قد قدمت أربعة رجال عراه حفاه ملطخين بالقطران عليهم آثار الضرب والهوان قد سالت دماهم ومزقت جلودهم ووصلت الأذية اليهم وحامت الطيور عليهم وهم ينادون وا إسلاماه وا دين محمداه ويشيرون الى عسكر المسلمين بالوداع والانقطاع ويشكون اليه ألم الفراق والانقطاع فلما نظر الامير عبد الوهاب الى القوم وعرفهم وقال أبو محمد ورب الكعبه فيالها من سفرة ما أوجعها وللقلوب ما أفجعها وأقبل على أصحابه وقال لهم دونكم والحمله واعتمدوا على أخذ الاسارى حتى نفادى بهم إخوانكم وحمل وحملت المسلمون ونادى الأمير عبد الوهاب يا آل كلاب يا آل كلاب وكذلك الاميره ذات الهمة أخرجت يدها من جلباب درعها وحملت وصدموا الروم صدمة رجل واحد وكان السيف أكبر شاهد واستعانوا المسلمون بالملك الواحد وحملت السودان من أبناء الحبشان كأنها جن سليمان وفى أوائلهم أبو الهزاهز وهمهم همهمة الاسود الضواغم وزفرة النسور القشاعم وحميت الابطال القماقم وقومت الاسنة وأطلقت الاعنة فلم تكن إلا ساعة حتى بقيت الرؤس بلا غلاصم والابدان بلا جماجم وانتطحت الروم بين أيديهم وخرق الامير عبد الوهاب الصفوف وجدع الانوف فهو بين الخيل يجول ويضرب الفحول بالنصول وقد اعتمدوا على شدة البأس إذ لقى نقولا وهو يحدث الناس ويزجهم بالعدد واللباس فهجم عليه الامير عبد الوهاب أعجل من البرق وأسرع من نزول الودق فلما نظر نقولا إلى الامير وهو عليه قد حمل حمل أيضا على الامير ولكن الامير من حدته فما أمهله دون أن صرخ فيه صرخته المعروفة أدهشه ولاصقه وضايقه ومد كل واحد منهما يده إلى صاحبه وقد تمكن الامير من

جلباب درعه وجذبه اقتلعه من سرجه ولم يبق أحد من السودان إلا وأخذ من الروم أسير وكذلك بنى كلاب فأخذوا من الروم فى هذه الوقعة ما ينوف من أربعين ألف أسير ونظرت الروم إلى ما قد حل بها فولت منهزمين وللنجاة طالبين فمنهم من طلب الحصون ومنهم من تعلق بالحبال ومنهم من طلب الحصن الخامس وتفرقوا فى كل مكان وقد نزل بهم الذل والهوان ونصروا عليهم أولياء الرحمن ونزل الأمير وقد ملك ريض الحصن واحتوى على مافيه من الاموال والرجال وأمر أن يحضرون الاسارى وهم أربعين ألف فعدوهم وأحضروا نقولا ذليل حقير فأيقن بالموت وجعل يبوس الارض ويقـول يا أمير المسلمين لك ما تطلب من الرجال والاموال فقـال الامير ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية لمثلى يقال هذا المقال أو على مثلى يهول بصلب الرجال أقسم بالبيت ومن حج والتلبية ومن عج والعرش وماعلا والـكرسى وما سما لا بد أن أضرب عنقك ورقبة أربعين ألف أسير إلا أن تترك أصحابى الاربعة سالمين فى هذه الساعة فاذا نزلوا أصحابى أطلقت مائة ممن يعز عليك من أصحابك وتطلع الى حصنك وأنا فما أبرح من على هذا الحصن حتى أفتحه فلما سمع الملك نقولا ذلك من كلام الامير قال يامولاى على إننى آتيك الساعة بأصحابك الاربعة وأما أنت فاصنع بعد ذلك ما أردت أن تصنع وأما قولك أنك إذا أطلقتنى تقدر على أخذ الحصن وهذه القلعة التى اسمها قف ترى العجب فوحق المسيح مالك الى وصولها سبب ولو أقمت شهور وأعوام فلما سمع الامير ذلك صغى لـكلامه وقال ويلك سوف ترى العجب أما سمعت بفرسان بنى كلاب وصاح بالسودان وقال اسحبوا ما معكم من الاسارى الى حيث يروهم أهل الحصن فلما سمعوا السودان ذلك سحبوا البطارقة على وجوههم عراة الاجساد وشماتة الحساد ونظروا أهل الحصن الى السودان وقد أتوا ومعهم خلق كثير من الاسارى فانحلت عزائمهم ورفع نقولا رأسـه ونادى بولده شماس أما ترى مانحن فيه أما ترى ماحل بأبيك ومانزل بأهلك يابنى لا تفرط فيما عندك من الاسارى فرؤسهم مرهونة بهؤلاء المأسورين وقد جعلوهم فداء لى ولمائة من خواص البطارقة (قال الراوى) فلما سمع شماس ذلك من كلام أبيه قال لقومه ما الذى ترون من الرأى قالوا وما الذى نرى وما عسى أن نقول وما فينا إلا من قد أسر أخاه أو ولده أو أباه ومافى الامر إلا أن نسلم هؤلاء الشياطين الذين عندنا الذين كانوا على أهلنا ميشومين حتى قبضوا أصحابنا قبض القطا وما صلب هؤلاء إلا ضرر علينـا فقال لهم شماس إذا كان الامر على ما وصفتم والحال على ما ذكرتم فحلوا كتافهم

واخلعوا عليهم وأحسنوا اليهم ويخرج من عندنا واحد من القساقسه الى المسلمين فيستخلف أميرهم على اننا إذا أطلقنا سراحهم يطلق الملك نقولا من يقع عليه الشرط وباقى الرجال يبذل منهم المال فقالت البطارقة هذا هو الرأى الصواب فعندذلك أنزل أبو محمد وغلمانه من الخشب وخلعوا عليهم خلعا منسوجة بالذهب والأمير ينظر إلى فعالهم وقد سره ذلك بعد ما أيقن لهم بالعطب (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وإن شماس قال لأصحابه انظروا من يكون السفير بيننا وبين أمير المسلمين فقالوا ما ههنا أقوى جنان فصيح اللسان غير الراهب شومدرس وهو الذى قبض هذا المسلم الذى هو أبو محمد البطال وقد قتل من أجله رجال وأيس كل من فى الحصن من الابطال وما لنا الا نخرجه الى المسلمين يتحاجج عنا وعنه فقال شماس على به فو حق المسيح والانجيل والإبرئت مما فيه من التحليل والتحريم لابد أن يخرج اليهم مع هؤلاء المأسورين فلعل شؤمه يقضى عليه فمضت البطارقه خلفه يطلبونه فطافوا الحصن من أوله الى آخره فلم يجدوه فعادوا الى الملك شماس يخبروه أنهم فقدوه فقامت عليه القيامة وقال أنا أدور عليه بنفسى فدار عليه بنفسه وأقلب عليه الحصن ونادى فى الناس لايخفيه أحد لانه اذا خرج الى المسلمين كان سبب خلاصنا وخلاص النصرانية أجمعين فما وجد له خبر ولاسمع له أثر (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان شماس لما دار الحصن جميعه ولم يجد الراهب شومدرس رجع الى أصحابه وقال لهم كيف مضى شومدرس وباب الحصن ما فتح فقالوا أنه أتى وباب الحصن ما فتح كذلك معنا اما أن نقول انه مضى من تحت الأرض الى سائر الحصون الى مواضع فيها مهالك ومعاطب وهو يعرف الجميع فلما أيس شماس منه عاد الى راهب عنده يقال له هماز بن صلبوت وكان كبير فى السن فقال له تنزل الى عسكر المسلمين وتأخذ لنا عليهم العهد والميثاق وتستحلفهم بالايمان والطلاق فقال الراهب سمعا وطاعه وخرج من باب الحصن الى عسكر الامير عبدالوهاب ونظر الى السودان وبنى كلاب كأنهم أسود الغاب والأسارى بين أيديهم مثل الكلاب فلما نظر الى ذلك رمى نفسه وقبل الارض وقال يامولاى العفو عن الاسارى فانا نجد فى الانجيل أنه من جبر كسير أو رحم أسير وجبت له المجازاة من الملك القدير فاننا نخرج اليكم الأسارى الذين عندنا على أنكم تطلقون من فى أيديكم ولكم ما أردتم من المال فقال الامير ياشيخ كيف نطلق أربعين الف بأربعة ولكن أنا أطلقهم على انكم تسلموا الى الحصن ويكون من أمرى معكم ما يكون (ياساه) فلما سمع الراهب ذلك من الأمير قال يامولاى اعلم ان الآمال

تضرب رقاب الرجاب وها أنت تنظر الى هـذه القلعة والذى بين يديها من القلاع أحصن وأكثر رجال وأعز نفر فخذ من المال لكل واحد الف دينار وارجع من حيث أتيت فقد نلت ما تمنيت واعلم انى قرأت ان الدنيا اذا أقبلت أدبرت واذا أنجزت صدعت فقال أبو الهزاهز ياشيخ السوء وما قرأت فى كتاب الانجيل ان محمدا رسول الله فضحك الامير عبد الوهاب من قول أبو الهزاهز وقال اعلم أيها الراهب انه سوف يبان لك الصادق من الكاذب وهيهات ان أرجع بالخداع وأفتح الحصون والقلاع وحق النبي المنتخب وذمة العرب لا رجعت من هـذه الحصون كلها حتى يقضى الله ما يكون فلا تطمع فيما لا يسمع ووعظك أيها الراهب لاينفع وأنا من تعرفه الروم ولا تنكره وأنشد

أيا راهبا ويحك فاستمع　　مقالة ليث فى الحروب صميدع
همام كريم ماجد ذو حمية　　صبور على الأهوال فى كل موقع
تعود ضرب السيف مذ كان مرضع　　وحسبك من قد عود السيف موضع
تقوم لمثلى ارجع اليوم سالما　　ولست أريد السلم يوما بموضع
أما سمعت أذناك يوما بموقفى　　اذا ما جرى نفس الجبان المودع
ولا نفرت نفسى من الحرب ساعة　　ولست أبالى فى الورى أين مصرع
ولست أريد المال بل ان مطلبى　　ثوابى من الرحمن ياصاح فاسمع
وأقسم ببيت الله والركن والصفا　　مع الحجر الصلد المنير المشعشع
ومن طاف حول البيت من كل مسلم　　وكل عبيد مخلص ومطوع
بانى لا أمضى عن الحصن راجعا　　ولا نعمت روحى بعيش ومضجع
الى أن ترانى قد فتحت حصونكم　　وأترك عمران الحصون كبلقع
وأمضى الى حصن السباع بمعشر　　كرام وفيهم كل ليث مدرع
وأمضى الى أرض الرياحين التى بها　　من النبت زهر كالعقيق المجزع
وأمضى الى الوادى الذى عرفته　　وسميته وادى السرور المطوع
إلى روضة الياسمين وبعدها　　إلى حصن دولاب لكم غير منزرع

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الراهب شعر الامير عبد الوهاب علم أنه رجل لايرام وبطل همام فقال يامولاى الامر اليك وهـذا صاحب الحصن نقولا بين يديك فان أراد فهو يسلم الحصن اليك فقال الأمير ياملعون سوف تعلم ان كلمة الباطل تمحا وكلمة الحق تعلو (ياساده) وكان الشيخ شواش الذى أسلم على يد الامير أبو محمد البطال ورد عليه الامير الكسا قائم يسمع الكلام فدنا من الامير عبد

الوهاب وقال يامولاى قد أطلت الكلام مع هذا الراهب وكثرة الخطاب خذ كساه وهو يسلم فى الحال فضحك الأمير من هذا المقال وأقبل على نقولا وقال قد عولت على قتلك وقتل الاربعين ألف وبعد ذلك لا أبقى صغير ولا كبير ولاشيخ ولاغلام إلا وأمكن منه الحسام فلما سمع نقولا ذلك أيقن أنه هالك فقال يامولاى قدمونى إلى باب القلعة بحيث أرى ويسمع مقالى فقال الامير قدموه الى القلعة بحيث يسمع كلامه أهل الحصن فقدموه فنادى برفيع من صوته ياولدى إن الحصون عمادها الرجال والابطال فاذا قتلت رجالها ملكت أطلالها وقد أقسم هذا الأمير أنه لايتعرض لصغير منا ولا كبير ويمضى الى باقى الحصون ويملكوها أجمعين وإن كانت عليهم فنحن نأخذ الحصون من أيديهم لانهم لايقيمون فى هذه البلاد ويتركون أرضهم وديارهم وأمصارهم فلما سمع ولده ذلك قال أنا الذى لاأسلم هذه القلعة ولى عين تطرف وعندى المال والزاد والسيوف الحداد (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك صاح بالسودان وقال دونكم ورقاب الرجال فاضربوها فما هو إلا أن أمر بذلك حتى قدموا البطارقة للسيوف والخناجر وضربوهم فى المحاجر فما كانت إلا ساعة حتى ضربت منهم ألف رقبة وسالت دماهم على العصبة وصاح باقى الاسارى الامان الامان فقال الامير لا أمان لكم عندى إلا أن تسلموا الحصن فلما سمعوا ذلك جعلوا يستغيثون بأهاليهم وأقاربهم وأولادهم وإخوانهم وكل من فى الحصن من أهاليهم وقالوا ماتنظرون حالنا أما نحن أحب اليكم من الاموال والاطلال فصاح عند ذلك النسوان والبطارقة من كل مكان والشيوخ والشباب والاطفال والصبيان وقالوا لاصبر لنا على قتل الاقارب والاخوان والاهلين والجيران وإن لم تسلم أنت ياشماس الحصن على ما تريد وإلا سلمناه نحن على مانريد فان قتل الاحباب صعب شديد فدع عنك هذا التعنيد فلما سمع شماس ذلك من كلامهم علم أنه إن لم يسلم الحصن إلى الامير وإلا سلموه غصبا فقال لهم إذا عزمتم على ذلك فاصبروا على قليلا حتى آخذ لكم العهود والمواثيق على ذلك من المسلمين على انهم لايتعرضون لأحد منا ولا أولادنا ونساءنا (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان قصد الملعون شماس بذلك أنه أضمر فى نفسه أن يقتل أبو محمد البطال ومن معه لانه رأى أنه هالك وقد نوى ذلك وقال فى نفسه إذا أخذ الرجال تارهم لايبالون بأى موتة يموتونها إن كان أجلهم قد انتهى ثم ان اللعين شماس قصد الى ناحية الامير عبد الوهاب ونادى به من أعلى الحصن : أمهل أيها الامير إلى وقت المساء حتى أستوثق من أصحابك الذين عندى بالعهود والمواثيق بأنك تجعل لى إلى

الحصون طريق وأنا أسلم اليك هذا الحصن بالتحقيق (ياساده ياكرام) فلما سمع الامير كلام الملعون شماس فرح منه وقال فى نفسه إن قوله حقاً وكلامه صدقا وقال للسودان خلوا عن الرجال حتى تنظروا هذا الملعون وما يبديه من الخطاب والمقال (ياساده ياكرام) ثم ان الملعون شماس لما نظر إلى البطارقة الذين فى الحصن وقال لهم على بهؤلاء القوم الذين هم محبوسين حتى أستوثق منهم باليمين فأحضروهم بين يديه وأمر جميع قومه بالانصراف ولا بقى عنده إلا غلمانه بلا خلاف ودخل بهم بعض المجالس ومعه حسام كأنه صاعقة لايرده ترس ولاطارقة وأقبل على أبو محمد البطال وقال له اعلم أنى قد عولت أن أرسل الى أميركم أستوثق منه بالإيمان وأكون من أمرى على برهان لأن الغبن طبع الانسان فلما سمع أبو محمد ذلك قال اعلم أيها الملك العظيم الشان انى أبلغك كل ماتريد وأزيدك فوق المزيد ثم ان البطال نظر الى عيون شماس فتبين له منه الغدر وعلم أنه مضمر له المكر ورأى يده على قائم سيفه فأنكر أبو محمد ذلك وعظم عليه وعلم أنه هالك فرجع الى الخديعة والمكر والمحال وقال عساها أن تنفع فى هذا السم الناقع القاتل فأقبل على شماس وقال اعلم أيها الملك أن الأمر فات وأن لكل شيء سبب وإنى أريد أدخل فى دينكم وأتبرى من دين العرب وذلك أنى نظرت الى جارية من أهل الحصن من بنات البطارقة والصليب على صدرها والزنار على خصرها وقد أرمتنى من لحاظها بسحرها وسواد شعرها وقد ملكت قيادى وسلبت رقادى وقد رغبت فى دين المسيح لأجلها وأريد منك أن تزوجنى بها على شرط انى أسلم اليك أمير المسلمين وعشرة من أصحابه المقدمين وأمكر بهم بالكلام حتى يحضروا عندك فى هذا المكان وتبلغ منهم المراد وغاية المرام ونقول للأمير إن القوم يريدون أن يستوثقوا منك باليمين على شرط انك لاتتعرض للنسوان ولاللبنات ولاللصبيان وأخدعه بالكلام وهو يصدقنى فيما أقول ولايخالف لى قولا أبدا حتى يصير عندك هو وأصحابه العشرة وأنت تكون فى ألف بطريق بالسيوف والمزاريق واذا حضروا عندك اقبض عليهم وأوصل الأذية اليهم وإن خطر لك فأنت تفادى بهم كل بطريق عندهم ولا تطلقهم من الوثاق حتى أحلفهم بالأيمان والطلاق والعهود التى أعرفها أنا حتى انهم يرحلوا عن حصنكم (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده يا كرام فلما سمع شماس ذلك الكلام من أبو محمد البطال فظن أنه حقا وما علم أنه كله محال فقال شماس فى نفسه أنا كنت عولت على قتل هؤلاء الأسارى وأنا أعلم انى كنت أقتل من بعدهم لامحالة أنا وكل من فى الحصن والآن فما بقى غير

السلامة ولقد أتانا من هذا البطال ما لم يكن فى الحساب فلعل المسيح قد نظر إلينا ثم قال للبطال يامسلم وحق المسيح والدين الصحيح لئن فعلت ما ذكرت لأزوجنك من شئت وأجمع بينك وبين من هويت وتكون عندى فى الحصن ههنا ولك عندى كل ماتريد من المال الجزيل والجوار والغلمان وتكون عندى أعز من الأهل والإخوان فقال أبو محمد يامولاى لاتعرف هذا إلا منى واعلم انى إذا ناديت بأمير المسلمين وناديت معه بالعشرة وامتنع منهم واحد تقول لايطلع إلا الذى قال عليه أبو محمد البطال وأشار به علينا فى القول والفعال فانى ما أدعو إلا الذى أعلم أنه لو طلبت عوضه منهم الاسارى كلهم لفعلوا ذلك فقال شماس افعل ما بدا لك فأنا تابع فعالك فقال أبو محمد حتى تعرض على الجوار وأعين لك التى وقعت فى خاطرى وأشغلت سرائرى فقال شماس سمعا وطاعة ثم انه أعرض عليه الجوار عشرة بعد عشرة والبطل ينقدهم بنظره حتى وقعت عينه على جارية كأنها غزال عطشان بديعة فى الحسن والجمال تربية الدلال على خدها الأيمن خال ولها وجه أضوأ من الهلال فقال أبو محمد لشماس هذه الجارية التى ملكت فؤادى وأحرمتنى رقادى وملكت قلبى وأشغلت خاطرى ولبى فقال له شماس لاتعرف زواجها إلا منى (قال الراوى) فعندها وثب البطال كأنه أبو الحصين المحتال ومعه غلمانه وقد حلوهم من الشد والاعتقال. وقد نجا من الموت بحسن حيلته وخديعته وما زال الى أن وقف على برج الباب ونادى برفيع صوته: يامعاشر المسلمين والأصحاب أنا أبو محمد البطال وقد استقر الحال بأمر مسبب الاسباب بأنهم يسلمون الحصن الى الامير عبد الوهاب غير أن القلوب قلوب الروم خائفة وأفئدة النسوان راجفة وهم يخافون من الغدر والهلاك وحاشا الامير عبد الوهاب من ذلك وقد قالوا القوم ما تسكن قلوبنا وتقوى نفوسنا إلا أن يطلع الأمير عبد الوهاب الأجل إلينا ومعه عشرة من أصحابه الاماجيد ويحلف لنا بكل مانريد حتى يسكن فزع الصبيان ويهدئ روع النسوان وقد حلفتهم بالإنجيل أنهم لايتعرضوا للأمير بشىء فلا يطلع إلينا إلا الذى أصفه من المسلمين أصحاب الصدق والعدل والدين مثل الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه والعبد الصالح أبو الهزاهز والحاج الاجل برد بن الازهر والفقيه هياج الكردى والشريف النسيب هارون العلوى والحاج ميمون الجماس والزاهد راشد بن ضمرة والعابد مدركه (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده يا كرام فلما سمعوا القوم من الامير أبو محمد هذا الكلام علموا أنها حيلة وخديعة من البطال حتى يملك الحصن ولا يخلى فيه من الروم أحد فقال الامير

عبـد الوهاب للبطال يا أبو محمد وما الذى يؤمنا على أنفسنا إذا طلعنا لهم فى عشرة وهم فى عشره فقال ماهم أ كثر من ثلاثة آلاف فى الحصن قال له الامير نصعد اليهم فى خمسمائة رجل فقال البطال ماهو صواب لأنـكم طالعين الى غير قتال ولا حرب ولا نزال وماتم إلا إصلاح الحال ومع ذلك انه لو قبض عليكم لكان عندكم ما تفادوا به من الأسارى أضعاف ما عندهم وهذا مالا يكون لانى حلفت القوم وحلفت لهم وأخذت عليهم العهـد والميثاق (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الامير عبد الوهاب من أبو محمد البطال ذلك الكلام قال اذا كان الامر على ذلك فأنا أفعل مابه أشرت وأتبع ما به أمرت (قال الراوى) هذا وشماس قد طار قلبه فرحا| بإجابة الامير عبد الوهاب الى ذلك وقال فى نفسه ترى لو كانوا هؤلاء سباع الارض ماقدر كل واحد منهم يلقى أ كثرمن عشرة فيكونوا الكل مائة ويبقى ألفين وتسعمائة بطريق خلاف مافى الحصن من النساء والصبيان والإماء والإخوان (قال الراوى) وبقى شماس منتظر طلوع الامير ومن معه من الرجال وهو لايصدق بهذا الحال وقد قال للبطارقة إذا رأيتمونى قد ضربتهم بالسيف افعلوا كفعلى واعملوا كعملى فقالوا سمعاً وطاعة (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا ماجرى من أهل الطغيان. وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فقد قال للأميره ذات الهمه: ماترين أيتها الاميره فى الطلوع اليهم والهجوم عليهم فقالت ومن يمنعنا من ذلك وإذا كنت وحدى كنت ملية بمن فى الحصن وأسقيهم شراب المهالك فقال أبوالهزاهز: بالله عجلوا فى الطلوع حتى أخلى من الروم الاطلاع والربوع وأقطع بسيفى الدروق والدروع وأنا أرجو من الله تعالى أن يكون ذلك الشيخ النحس فى الحصن يعنى شومدرس حتى كنت أصبحه صباح ميشوم وأعذبه عذاباً ما عذبته لأحد من الروم قال له الامير يا أبو الهزاهز أنت تقول كلام بلا فعال وكلامك كله زور وباطل فقال أبو الهزاهز يامولاى سترى مايسرك وتنظر كيف أجعل رأسه على حجر ولا أزال أنطحه برأسى حتى يبقى مثل مرهم الطبيب وأقر له فى العـذاب أوفى نصيب فضحك الامير عبـد الوهاب من قوله وقد ساروا الامراء وكل واحد يريد لرأسه ألف مدرع ولما نظر اليهم شماس وقد أقبلوا أمر بفتح الباب وقال فى نفسه لقد بلغنا غاية الأرب وهو شىء ما كان لنا فى حساب. هذا وقد دخلوا الأمراء الى الحصن وقد أيقنوا ببلوغ الآمال فعندها أمر شماس بغلق الباب فى ساعة الحال فغلق ومن عجلة شماس وغـدره صاح فى البطارقـة: خذوهم واقصـدوا الى الاربعة الذين عندكم فاقتلوهم فهم حماية المسلمين

واذا قتلتموهم وصلتم الى فكاك المأسورين فنظروا البطارقة إلى عشرة فاستقلوهم وانكبوا عليهم فصاح بهم الأمير عبدالوهاب كاد أن تسقط من هول صرخته الحوامل وخيل للروم أن الارض قد انقلبت من شدة الزلازل وصاح بعده أبو الهزاهز مثل الجمل الهائج وكشر على أنيابه فصارت مثل أنياب الوحوش . وأما ميمون الجماس فانه أشغل الناس بأشد باس وأما برد بن الأزهر فانه حمل مثل الأسد القسور . وأما مدركة وعبد الله وهياج فانهم هاجوا مثل الجمال . وأما الأميرة ذات الهمة فانها استقبلت الروم بقلب قوى وجنان جرىء وقد مكنت سيفها فى الأمخاخ ورجع العهد إلى الانفساخ وانحلت من الروم العزائم وعملت الصوارم وقامت على أهل الحصن المآتم ولم يعرف العاطب من السالم وحلت بالروم العظائم وأصبح كل واحد منهم لنفسه عادم وقال وحق المسيح ما فعلت فعل حازم ولا هؤلاء القوم من بنى آدم . هذا والروم قد نظرت الى ماحل بها من المعاطب والمصائب وأيقنوا بالبلاء اللازب ولم تمضى عليهم غير ساعة حتى قتل من الروم أربعمائة فارس ولم يجرح أحد من المسلمين وكلما قاتلوا ازداد انبساط وقوة ونشاط وقد كثر من الروم الصراخ والعياط (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده يا كرام فلما التقى شماس بأبو الهزاهز خاف منه وأراد الهروب من بين يديه فخطا أبو الهزاهز اليه وعطف عليه وضربه بكلتا يديه أطاح رأسه من بين كتفيه وعطف على آخر فقطعه نصفين وضرب آخر فجعله قطعتين فعند ذلك أرمت الروم نفوسها الى الارض طولا وعرض ونادوا عن صوت واحد لورك لورك يعنى الأمان الأمان وقد رأوا الذل والهوان ونظروا من سيوف الأمراء من الموت ألوان وقد قبضوا على باقيهم وكل واحد من الروم فزعان وقال الأمير عبد الوهاب افتحوا ياويلكم الباب ففتحوا الأعداء للأمير عبد الوهاب باب الحصن ونادوا الأسارى الى أصحابهم العبور ففعلوا ذلك (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن المسلمين طلعوا الى الحصن أجمعين وملكوا ما فيه مسرعين وملك الامير عبد الوهاب الأموال والرجال والذخائر الغوال فكان شىء يسد الفضاء ويملأ المستوى (ياساده) وفى طلوع المسلمين الى الحصين هربت الاسارى الذين كانوا فى عسكر المسلمين على وجوههم فى البرارى حائرين فلحقت الناس منهم قوم وهرب قوم وكان لهم يوم وأى يوم ثم إن الأمير عبد الوهاب لما رأى تلك الأموال العظيمة قال الحمد لله على هذه النعمة التى أنعم الله على بها وأن يجعل بقية فتح الحصون على يدى . هذا وأن أبو الهزاهز فتش الحصن جميعه على

الراهب شومدرس فما وقع له على أثر فسأل عنه الروم فقالوا أيها الاميران شماس طلبه قبلكم واغتاظ عليه لما فقده وكاد ان تنفطر مرارته واجتمع الامير عبدالوهاب بالأمير أبو محمد البطال وهناه بالسلامه وقال له ابشر من الله بجزيل الثواب وكثرة الانعام من رب الارباب فقال له أبو محمد يا أمير كيف تخلص الملعون شومدرس من أيديكم لما أرسلته اليكم فقال الامير عبدالوهاب كل ما جرى عليك من أبوالهزاهز وهو الذى لعب شومدرس بعقله وأعاد عليه القصه فقال أبو محمد لعن الله شومدرس فما أمكره وأحيله وأغدره وللرجال ما أقتله وأما أبو الهزاهز فهو معذور لان شومدرس يلعب بعقول العقلاء ويدس الحيل على الفضلاء والله لقد ضربنى بالسياط حتى آيست من الحياه وكذلك غلمانى وهذا كله من تحت رأس شومدرس لان أبو الهزاهز كان عنه عاجز فقال أبو الهزاهز يامولاى هذا وجهى بين يديك وروحى ما أبخل بها عليك واننى نادم على ما جرى الا اننى قلت انى أحصل عندك وأعينك على فتح الحصن وأكون بين يديك مثل عبدك فقال البطال يا أخى لايكون على قلبك هم فلا بد ما آخذه وأسلمه اليك (قال الراوى) ثم ان الامير سلم الحصن الى الامير برد بن الازهر وسلم اليه مائة فارس من بنى كلاب وهم أبطال أنجاب وقال لهم أنتم ههنا الى أن آتيك ان شاء الله تعالى فقال سمعا وطاعه ثم ان الامير عبد الوهاب قال للناس يامعاشر الناس أنكم غدرا حلين فقد مضت الايام والشهور والسنين وقلبى على مكاوى النيران لاجل ولدى ابراهيم وأمه علوى فقد طاب شوقى اليهم وزادا شغافى عليهم ثم ان الامير أحضر باقى الاسارى وأباعهم أرواحهم بالمال الوافر وكان المال مدفون تحت الارض فصار شيء كثير وبات الى أن برق ضياء الفجر وسلم الحصن الى الامير برد بن الازهر كما ذكرنا وأوصاه بكل ما يقدر عليه ورحل والامير أبو محمد معه وجميع السودان وبنى كلاب وفى قلب الامير مالو وقع على جبال تهامه لهزمها من الراهب شومدرس وجد فى سيره حتى عبر من وادى الجواهر الى وادى السباع وكان هذا المرج كثير السباع لانه كثير الغابات لايقدر يجوزه الا الجمع الكثير والجم الغفير فلما وصل الامير اليه طلبوا الناس الراحة مما لقوا من المشقة والتعب والسير والنصب فقال الامير لا أفعل ذلك لان الوادى كثير السباع والضباع والحيات والافاع وأنا أخاف عليكم من ذلك فقال أبو الهزاهز وسائر الناس أنزل بنا فى هذا الموضع وقد كفاك الله مؤنة السباع فعند ذلك نزل الامير وتفرقت السوادان النوبيين والحبشان من كل جانب ومكان حتى لم يبق عند

الأمير منهم إنسان وضربت طبولهم وبوقاتهم والغرون وظهر منهم ما يوجب الجنون وصفت السودان درقها بعضها مع بعض حتى بقى الناس كأنهم سد من حديد وما كانت إلا ساعة حتى ركبوا العبيد والحبشان كأنها جن سليمان ودخلت الدخائل وقدنفرت منهم السباع ودارت حولهم السودان وقدأرموا أرواحهم عليها واصطادوها وداروا من حولها (قال الراوى) وأقبلوا يسبحون الأسود من كل مكان والأمير بفرج ويدعو لهم إلى أن ارتفع النهار ورحل الأمير من هنالك طالب نهر الدم وقلعة الدم ومرج الزعفران وكانت هذه القلعة تعرف بقلعة الدم لأنها حجر واحد أحمر من شدة حمرته كأنه الدم وصاحبها يقال له عين المسيح لأنه كان بعين واحدة وهو أخو الملوك الذين تقدموا لأنهم كانوا متفرقين السبعة الاخوة فى السبع حصون وأبوهم الأقريطش وكان هذا عين المسيح تحت يده عالم عظيم ومع ذلك فما كان فيمن تقدم مثله لأنه كان شجاع ولما وصل الامير الى نهر الدم وجد نهر كأنه حمرة العقيق فقال الامير سبحان الله ويخلق ما لاتعلمون (ياسادة يا كراه) وكان على هذا النهر جسر كبير فعبر عليه الاغنام والرجال والخيول والعساكر (قال الراوى) وأما المنهزمين لما رجعوا الى الحصن الخامس هاربين ومضوا بين يدى عين المسيح أجمعين وجعلوا يلطمون على وجوههم فقال لهم الملك يا ويلكم ما وراكم فقالوا له يا ملك ان المسلمين قد أتوا وقد أخذوا أخيك وقتلوه وأخذوا الحصن الرابع وهاهم قادمين عليك فقال لهم الراهب أبو الشرشومدرس اكتب الى أهل القلاع والسودان حتى نستعين بهم على هؤلاء القوم لأن فيهم أقوام سودان كأنهم الغيلان أو جن سليمان قال لهم ياويلكم أنا فى مائة ألف وأحتاج الى نجدة وأطلب من غيرى معونة لا كان ذلك أبدا وسوف أريكم مايسركم فى الأعداء ان أتوا اليوم أو غدا وتعلمون أن هذا العسكر مالقيهم شجعان ولا قاتلهم أقران وسوف يظهر ما أقول لكم ويبان ولكن اقطعوا الجسر حتى نأخذ أهبتنا ونقضى أشغالنا (قال الراوى) فلما سمعوا الروم كلامه نزلوا أهل القلعة فى جماعة من المنهزمين من خوفهم على أنفسهم من الامير وأصحابه فقطعوا الجسر فبقى النهر مثل البحر يجرى ليس له مكان يعبر فيه أحد وعادوا الى القلعة وقد أعلموا الملك بذلك (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب فانه أتى الى النهر فوجد الجسر مقطوع فقال لقومه كيف السبيل فقالوا لاتعرف هذا إلا من أبو محمد البطال فنزل أبو محمد على جانب النهر وطلب جلود السباع ووضع فيها الأمتعة والثياب والعدد وربطوها فى بعضها بعض

وركبوا فوقها وعدوا البحر ومنهم من ركب الخيل عرى فرأوا دير على بعد يلوح منه نور ساطع فمشى اليه أبو محمد فوجده دير كبير وله شبابيك وخارج منه نور وسمع فيه لعب وضحك وغناء فتعلق وطلع إلى الشبابيك فوجد عشر جوار نهد كأنهن الأقمار وعندهم ثلاثة من الرهبان والكاس يدور عليهم وهم يغنوا فاندهش عقله وحار لبه ثم إنه رأى فى وسطهم جارية كأنها البدر بين الكواكب فلما رآها تحير فى عقله واشتغل قلبه فأطال النظر اليها وبقى باهت لايدى كيف يصنع ثم انها تصارعت مع الجوار وصارت كل من صرعتها كتفتها حتى كتفت العشر جوار ثم إنها أحضرت راهبة كانت عندها وقالت لها حدثينى بأخبار الملوك المتقدمين وأخبار العرب والروم وماهم عليه ثم ان الراهبة صارت تحدثها بأخبار العرب وما عملوا مع الروم وأخبار أبو محمد البطال وحيله وما يصنع فى الروم من الأمور العجيبة ومكره ووقائعة فقالت الملكة نورا أنا أشتهى أن يجمع المسيح بينى وبينه وكانت هذه الملكة نورا تهوى النساء وتبغض الرجال وكانت تهوى هذا الدير واسمه دير الذهب وهو مشرف على مرج الزعفران ثم نادت الملكة نورا يا أبا محمد احضر عندنا وإذا هو أجابها ودخل من الشباك فلما رأوه تعجبوا منه غاية العجب وأحضروا له أكل وشرب وجلس معهم يحثهم فأعجبهم حديثه ودخلت محبته فى قلب نورا فقالت للجوار قوموا والعبوا حتى يتفرج عليكم أبو محمد البطال ثم حلتهم من الكتاف فقاموا ولعبوا وانشرحوا وهى تضحك وأبو محمد قد طار عقله ثم انه قال لها ياستى يامن هلكت فؤادى إن لى أصحاب واقفين تحت الشباك أريد أن يدخلوا يلعبوا مع الجوار فقالت حبا وكرامه ثم أمرته أن يناديهم فناداهم فطلعوا ودخلوا عندهم وهم لؤلؤ وعبد الوهاب وأبو الحزاهز وراشد وميمون ومدركه وعبد الله وطارق ولما رأى عبد الوهاب هذه الجاريه قال سبحان المصور وأطال النظر اليها واندهش فى عقله وحار فى لبه وصارت الجوار تضحك عليهم (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انها قالت للبطال قم نتصارع أنا وأنت فقال لها حبا وكرامة وكان هذا قصده وبغيته ثم انها غيرت ملبوسها ولبست بدلات مفتخرة وشدت وسطها بشعرها وشمرت عن ذراعيها (قال الراوى) وقرب منها أبو محمد وقبض على أعكانها ولمها الى حضنه فغاب عن ذهنه ثم إنهما تقابضا وتعاركا فسالت رياله وغاب عن ذهنه فأرمته الى الأرض وأمرت جوارها أن يكتفوه وإذا بالأمراء قاموا اليها وأردوا مصارعتها فقالت ارموا القرعة بينكم فكل من جاءت عليه يتقدم فعملوا ذلك وهى تغلبهم واحد بعد واحد وكل من غلبته تكتفه

حتى كتفت الجميع فقالوا لها أنتى ماغلبتينا إلا بحسنك وجمالك فقالت وحق المسيح ان هذا قولكم صحيح لأنكم ظاهر عليكم الشجاعة والفروسية والبراعة ثم أنها قالت للجوار دلوهم من الطبقان بالجبال فقال لها أبو محمد الى أين تودينا قالت الى بلاد الروم فقال لها ياستى ودى هؤلاء وأنا أجلس عندك وأخدمك وأحدثك فقال أبو الهزاهز لانكون إلا كلنا سوى فضحكت وقالت لكم الأمان كلكم إذهبوا الى موضع ما تريدوا (قال الراوى) فبينماهم معها فى الكلام وإذا هم براهب قد دخل عليها وقال لها إن عالم النصرانيه وشيخ الملة المسيحية يريد الحضور بين يديك ففرحت وقالت دعوه يحضر فدخل عليها شومدرس وسلم وترجم وكان سبب مجيئه أنه لما انهزم سار ليل ونهار حتى وصل الى نهر الدم واستقبل مرج الزعفران ودخل على الملك عين المسيح فمشى اليه وأكرمه وبجله وعظمه وجعل يسأله عن حاله وما جرى له وأخبار الحصون وهو يحدثه بما جرى عليهم من المصائب وما لقيوا من النوائب فقال له عين المسيح فما عندك من الرأى يا أبونا وماخبر عسكر المسلمين فقال أيها الملك لاتسألنى عن قوم لايخافون الموت ولايرهبون قد ألفوا القتال وتعودوا بالنزال ولا يبالوا من ملاقاة الرجال ولاسراة الأبطال وهم فرسان البر سباع الفلاة وهم فى أكمل عدة من السيوف والعدد وصدور الزرد والدرق والأتراس الملطيه والخيول العربيه فهم أبطال إن قاتلوا جيشا هزموه وان ناضلوا عسكر قهروه وان بارزوا صنديدقتلوه وان حاصروا حصن ملكوه وان ناراهم ملك أهلكوه أميرهم قد خلق من الهيبة وله صاحب كثير الحيل والعجائب لايسلم منه قسيسا ولا راهب له وقائع مشهورة وحيل مسطورة ترهب من خوفه الأسود وتعقد على رأسه الرايات والبنود وقد صورته الروم فى الكنائس والملوك فى المجالس مخافة من مكره وشره أعاذنا المسيح وإياك منه وقدجرى لى معه أمور عجيبه وأحوال غريبه يطول شرحها ولا يمكننى الآن كشفها من عظم قدرها وان القوم اليوم نزلوا على نهر الدم فخذ لنفسك الحذر ولاتمهل أمرهم فيقع عليك شرهم (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أن سمع الملك من شومدرس هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه ودمعت عيناه وقال له يا أبونا وأنت الآخر داخلك من هؤلاء الخوف وقتلك الجزع ولا يمكنك أن تقول إن هذا إلا من كثرة مادخل على قلبك من خوف الأعداء وأنا أقسم بالمسيح والمذبح وإلا ضربت راهب بيعة بالسطيح وفعلت فى حقه كل قبيح لأمزجن نهر الدم بدمائهم ولأعدمنهم دينهم ودنياهم ولأجعلنهم عبرة لمن يراهم ولأرملن نساءهم ولأقتلن أميرهم وكبيرهم وصغيرهم

وشريفهم وكأنك ياشومدرس قلت عين المسيح كمن لاقوه من اخوتى وأنت أخبر بقوتى وقوة قلبي وشجاعتى وأما نور ابنتى تحمل على عشرين ألف من بطارقة الروم وهى التى تأخذ الخراج من بلاد اليونان ومن سائر الرسوم وقد خطبها منى من الملوك مثل الملك منويل صاحب القسطنطونيه فامتنعت من ذلك وجميع الملوك فيها رغبت فما رضيت وعمرها ما قهرها فارس ولا غلبت ولا ولت وقد ذلت لها رقاب الجبابرة وخضعت لهيبتها ملوك الأكاسرة فاذا كانت هذه صفات جارية خرجت من ظهرى فكيف أنت تستصغر أمرى ويهون عندك قدرى وأنت أخبر بجلدى وصبرى فقال شومدرس أعوذ بالمسيح من هذا الظن القبيح وقد علمت جميع النصرانية أن ما فيها مثلك وما يقدرالزمان ينتج بمثلك فأنت السبب المعروف والشجاع الموصوف ومبيد الالوف وأنا قد وصفت صفة القوم حتى إذا بليت بهم لاتعود علىّ باللوم ومع ذلك فانى مشتاق الى ابنتك الملكه نورى فقال الملك ياأبونا هى فى دير سمعان المسمى بدير الذهب لها نصف شهر من الزمان (قال الراوى) فلما سمع شومدرس كلام الملك قال له أيهاالملك وكيف يطيب على قلبك أنك تخلى ابنتك غائبة عن حصنك وعساكرالمسلمين قد قربت والقلاع من ورائهم قد خربت وأخذت فقال له الملك كنت أرسلت اليها محذراً فأرسلت تلومنى وتقول لى هذه قلوب النسوان لا قلوب الفرسان وأنا ما على بالى مجيء فى هذا الزمان فطيب قلبك وكن فى أمان فلوأن أعداءك فى عدد رمل وادى كنعان أفنيتهم بالسيف والسنان ولا أخلى يصل إليك منهم إنسان فقال شومدرس أيها الملك أنا لابد لى أن أصل اليها وأحضر بين يديها وأقص حالى عليها (قال الراوى) ثم ان شومدرس وثب وقال أيهاالملك أنا ما أخليها على رأيها وهاأنا ماضى اليها وآتى بها الى حصنها وما ندرى الزمان كيف يكون فكن أيها الملك على حذر وجد قبل أن ترى عدوك فى أرضك (قال الراوى) ثم ان الملك ودع الملعون وسار على عجل الى أن أتى الى الدير وفيه حصل وقد جرى على عبد الوهاب ما جرى وأخذتهم نورا أسارى (ياساده) ولما وصل شومدرس الى المجلس الذى فيه نورا قامت له هى والجوار الذين لها وجعلت تقبل يديه وتسلم عليه وكذلك الجوار وترامو على أقدامنا فلما نظر أبو محمد الى شومدرس مات فى جلده ونسى عشقه ووجده وقال فى سره الليلة النيرة من العصر تظهر فيالها من ليلة طويلة ثم انه أقبل على بأبوالهزاهز وقال له يهنيك قد جمع الله بينك وبين شومدرس فى مضيق الأوقات والدهر له آفات والساعات لها لسعات حتى لاحظت انه فى مهلك الوصل مات (قال الراوى)

ياساده ياكرام وقد أيقنوا العشرة بالبلاء هذا وشومدرس قد نظر إلى الملكة وهى مشدده محزمة وقد سال عرقها وفاح طيبها واحمرت وجنتيها وغزلت عيونها وبقيت نزهة لمن يراها فسبحان من خلقها وسواها فقال شومدرس أعيذ هذا الوجـه المليح بالانجيل والمسيح ثم أنه ضمها الى صدره وقبل بين عينيها وجعل يبوس وجنتيها فقال أبو محمد للامير عبد الوهاب أما تنظر إلى هذا المصاب ماكفى ما نحن فيه من العذاب حتى ان هذا الملعون يبوس الملكة نورى قدامنا ويستقودنا هذا الأنحس نسل الكلاب فقال الامير أبو الهزاهز وحياتك يا أبا محمد ان تتأن ولابد ما علينا أضر منك لانك إلى ههنا جبتنا وبهذا الأمر أبليتنا فقال البطال أنا قلت لكم صارعوا الملكة نورا حتى جرى عليكم هذا المجرى ولكن ارجو من الله تعالى أن تحدثه نفسه بحديثنا ولا تخبره نورى بخبرنا فبينما هم فى المحاورة والكلام واذا بالراهب شومدرس قد قال لنورى يابنيه ما لى أراكى كأنكى كنتى فى معاركة ومشابكة فضحكت عند ذلك وقالت له نعم يا أبونا وذلك انى كنت العب مع جوارى كما جرت العادة والراهبة زوجة العوادة كانت تحدثنا بأحاديث الروم والعرب وحدثتنى بكل عجب الى أن جرى ما جرى وجرى على لسانها حديث رجل يقال له أبو محمـد البطال وذكرت لى ما يعمل من الاعمال ثم أعادت عليه القصة من أولها الى آخرها وعرفته بمضمون الحال وكيف أنها أطلقت الثلاثة غلمان لابو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع شومدرس بأمر البطال كاد قلبه أن يطير من الفرح وصاح أسعدك المسيح أنتها الملكة والرهبان وسعد بك الزمان فقد أخذتى بالتار لجميع النصرانية والاخوان أتدرى ياملكه من الذى أطلقنى من الغلمان فانهم أشد من مولاهم وأقوى حيله ثم قال لها ومن هم الذين معهم من الفرسان فقالت أنا ما أعرف منهم انسان بل تسير معى الى مجلسهم وانظر اليهم فأنت أخبر منى بهم فى هذا الأوان (قال الراوى) فعند ذلك وثب الراهب شومدرس قائم على قدميه وهو لايصدق بذلك الى أن وصـل الى عند الاسارى فأول ما رأى أبو محمـد البطال ففرح غاية الفرح وقال وقعت ياخبيث وحق المسيح لابد لى من صلبك ومنك أستريح بعد أن أسقى من ضربك قلبى الجريح ثم انه نظر الى أبو الهزاهز وصاح عند مانظره وكاد من فرحته أن يغمى عليه وقال وحق المسيح انك لما تخلصت من نوبة قتل السودان كان بقى فى قلبى منك ومن خلاصك مثل شعب النيران ولـكن ابشر بالصلب ومن قبل الصلب بالعذاب والضرب ثم نظر الى مدركة وعبدالله وميمون الجماس وراشد بن ضمره وطارق الحجازى فغاب رشده من الفرح وعلم ان فساده

قد انصلح وقال للملكة (نورا) أيتها الملكة هؤلاء أبطال المسلمين وفرسان الموحدين ثم نظر الى الأمير عبد الوهاب فعرفه فصاح صوتا عظيما حتى خيل للحاضرين أن الدنيا قد انقلبت بأهلها أجمعين وقال للملكة (نورا) أيتها الملكة قد أخذتى أمير قوم الموحدين هذا الذى ملك الحصون وقتل البنات والبنون فلما سمعت نورا فرحت فرحاً شديداً وعلمت أن نجمها مستقيما وقالت للأمير عبد الوهاب بحق دينك ماأنت الأمير الذى للقوم فقال لها نعم أنا ذلك فافعلى مابدا لك فعندها قال لها شومدرس على بالقيود فأحضرت فجعل فى رجل كل واحد منهم قيد ثقيل شديد ولما علم الملعون أن القوم قد صاروا فى الحديد وثب الى سيف الملكة نورا وهو سيف مجوهر فقالت له على ماذا عولت أن تفعل يا أبونا فقال لها على قتلهم ولا أبقى منهم بشر فإنا لا نأمن من غدرهم وشرهم أو يأتوا عسكرهم فى طلبهم ويعملون على خلاصهم من غيظهم واذا قتلوا هؤلاء ما يبقى منهم رجل يحسن أن يضرب بالسيف فلما سمعت الملكة ذلك قالت اعلم يا أبونا أنى أنا ما أقتلهم حتى انى أسلمهم الى أبى وأما قولك انهم يهربوا فوحق المسيح انه لو كان فى الدير مثلهم ألوف وكنت مالكة سيفى هذا لأسقيتهم كأس الحتوف ولكن لا سبيل الى قتلهم إلا أن يراهم أبى عين المسيح ويفرح بفعلى المليح ومع هذا فانى أعلم أن الانسان يوم له ويوم عليه وما كل يوم ينجح الطلب ونحن لابد لنا أن نلتقى بهم وما نعلم ما يكون بيننا وبينهم وأصلح ما يكونوا هؤلاء عندنا مقيمين الى أن نلقى عسكرهم وندبر ما يكون فيه المصلحة من أمرنا وأمرهم لأنه قيل فى الأمثال (من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب) (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع شومدرس كلامها علم انها لا تمكنه من قتلهم فقال لها أيتها الملكة انظرى الى حالى وابصرى ماجرى لى ثم كشف عن بدنه واذا بآثار الضرب بالسياط التى ضربه بها أبو محمد البطال فى المغار وبقى له على جسده آثار فقالت له ماهذا ياأبونا فقال لها من ضربه وعقوبته ثم انه أعاد عليها حديثه من أوله الى آخره فقالت دونك وإياه واضربه عوض ماضربك فما أمنعك من أخذ ثارك وطلبك فوثب الملعون وأخذ أبو محمد البطال ومده وضربه حتى وقع لحم كتفيه وغاب رشده وأغمى عليه ثم انه بطح أبو الهزاهز وضربه ضرب الأولين والآخرين حتى أشرف على الموت وأبو الهزاهز يقول له ويلك ياشيخ السوء أنا ما أخرجتك من المغارة وخلصتك من الذل والاضرار فلا تفعل بى هذه الفعال وهو يضربه ولا يسمع له مقال حتى طار لحمه من عظمه وضرب ميمون الجماس حتى أشرف على الاياس

وضرب مدركة حتى أشرف على الهلكة وضرب الجميع حتى وقع كل واحد منهم مثل القتيل ثم أقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له يا أسود يازنيم كم عين قد أدمعت وكم ملك قد أقمعت وكم جيش قد فرقت وكم قلعة قد أخربت وكم أمة قد أهلكت حتى أخذك المسيح أخذ قادر ونصرنا عليك ثم انه ضربه حتى انه أشرف على كاس المنون فناداه الأمير ويلك ياشومدرس خلى للصلح موضع فما تدرى ماذا يكون فلم يلتفت اليه ولا الى كلامه وضربه حتى أشرف على حمامه ثم ان الملعون قال للملكة (نورا) أيتها الملكه مابقى للمقام فى هذا المكان وجه بعد ما اليه قد وصلت واليه قدرت فقالت له يا أبونا مالنا مضي من هذا الموضع حتى يصبح الصباح وننزل الى عسكر هؤلاء القوم ونلقاهم فى الحرب والكفاح وأنا أقول انهم ما يثبتوا بين أيدينا لعدم حمايتهم وساداتهم الأبطال فقال الملعون وحق المسيح ياملكة انهم ما ينهزمون إلا من أمر عظيم وخطب جسيم والاميره ذات الهمه فهى أشر أهل الأرض فقالت له (نورا) ومن ذلك قال هى امرأة يقال له لها ذات الهمه وهى أم هذا الأسود وكأنها اللبوة المصممه ثم جعل الملعون يصف لها شجاعتها وقدرتها على أقرانها وبراعتها وما شاهد من شدتها فلما أن سمعت نورا ذلك قالت له ياأبونا اذا كانت هذه صفة نسائهم فما يكون حال رجالهم فقال سوف ترين منها العجب وتنظرى منها شيء لا رأيتيه من الروم ولا من العرب فقالت لا كلام حتى ترانى أنا وإياها فى الميدان ثم انها جعلت تنظر الامراء فى الاعتقال وتضحك وتمايل عجبا ودلال وترمى بنفسها على الجوار احتقارا بالاسارى وإهمالا لأمرهم فقال أبوالهزاهز الذنب ما هو لك الذنب لمن يصارعك ويطمع أن يتزوج بك فلا كان شومدرس ولا كانت ساعته وليتنا ما كنا عرفنا طلعته وهى تضحك عليه وتقول لجوارها انظروا الى هذا الاسود كأن خرطومته خرطومة عجل جاموس وكان ساقه محراك التنور . هذا وأبوالهزاهز يتقلى من قولها و فعلها وضحكها عليه (قال الراوى) فهذا ما كان منهم . وأما ما كان من الاميره ذات الهمه فانها نظرت الى الاميرعبدالوهاب وقد خرج فى طلب أبومحمد البطال فقالت له أمه ياولدى على ماذا عولت من الفعال فقال لها اعلمى أن أبا محمد قد عدم وأنا ماأعلم ما كان منه وها أنا سائر فى طلبه وان معى خلان لنكشف خبره فلما أن رأت معه تلك الفرسان اطمأن قلبها عليه إلا أن (نورا) لم تكن فى حسابها ولم تدرى أن القوم ينفتح لهم هذا الباب وأن الاميره أبطأ عليها الخبر ولم

تقدر انها تخلى العسكر وهى فى وسط العدو من المشركين وما تدرى ما يكون منهم أجمعين ثم انها بقيت على مقالى النار والقلق وزفرات الحرق حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ولا سمعت له خبر ولا وقعت له على أثر (قال الراوى) ياساده ولما أن أصبح الصباح أرادت المسير فلم يمكنها لأجل غيبة الأمير فعند ذلك أخذت معها مائة فارس وسارت لتكشف الخبر فلاح لها صومعة فظنت انها هى التى كان يلوح منها الضوء فى الظلام المعتكر فقالت أين سعيد بن الفرج فأجابها بالتلبية فقالت له لك التقدمة على العسكر الى أن أعود فإن أتاك عدو فادفع عن نفسك حتى إليك أعود إن شاء الملك المعبود فان الأمير قد غاب عنا من البارحة ولا أعلم ما كان منه وقد اشتغل قلبي عليه ولم أطق الصبر عنه (قال الراوى) ياساده وسارت الاميره على وجهها فى طلب ولدها حتى انتهت الىالصومعة التى لاحت لها فلم تجد أحداً عندها أبدا فعلمت أنها تاهت ولاتدرى بأى طريق تسلك ولا مكان تدرك فما هى إلا قد رجعت واذا هى بغبرة قد ارتفعت فقالت لبعض رجالها اطردوا خيولكم لتأتونا بالخبر على جليته فقالوا سمعاً وطاعة فساروا وعادوا ودموعهم سائلة فقالت الاميره ما وراكم وما دهاكم فقالوا أيتها الاميره ادركى الناس فعين المسيح قد نكل بهم وسعيد بن الفرج انهزم وهربت الناس على وجوههم وهذا الغبار عبار المنهزمين وكلهم قد سلكوا الطريق الذى سلكتيها فلما سمعت الاميره بذلك ضاق صدرها وضاقت عليها الأرض بما رحبت وقالت والله هذا لم يكن فى الحساب وما غاب الأمير ومن له من الأصحاب إلا وله سبب من الأسباب فلاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم انها أرخت عنان الجواد وطلبت رد الناس حتى لحقتهم وقد حل بهم الخطب الجسيم (قال الراوى) ياساده وكان السبب فى ذلك أن الاميره لما خرجت فى طلب الامير عبد الوهاب خرج فى تلك الساعة عين المسيح فى عسكر الحصن والربض الذى حوله فكانوا ثمانين ألف فنظر الى عسكر الأميره وأراد أن يحمل وإذا برسول من عند شومدرس قد وصل وأخبره بما فعلت ابنته ويأمره بالحضور اليه فأمر عين المسيح عسكره بأن يتقدم الى قتال المسلمين وأمر بطريق يقال له أرمانوس عليهم وانفرد الملك فى خمسمائة وسار الى دير الرهبان الى نحو شومدرس وهو لايصدق بالفرج وأن أرمانوس لما ولاه عين المسيح على العسكر حمل على المسلمين ونظر سعيد بن الفرج الى ذلك فصاح بالناس وقد انكسرت قلوبهم أجمعين من أجل غيبة الأمير عبد الوهاب وتكاثرت عليهم المشركين وقويت عليهم الأعداء

وسقوهم كاسات البلاء فما كان لهم إلا انهم انهزموا نحو الاميره ذات الهمه فطلبوها وأن الملعون أرمانوس جد خلفهم فى الطلب حتى لقيتهم الاميره ذات الهمه وقد أمعنوا فى الحرب فصاحت بهم ياويلكم ما هذه الفعال فلما رأوها قويت قلوبهم وحمات الاميره فى المائة فارس الذين كانوا معها وعادوا الناس الى عودتها واشتد الضرب وأنفذ باب الحرب وكثر الغضب ولا يغنى حسب ولا نسب وحامت الطيور على القتلى ولاح النصر على المسلمين ولعبت الاميره بالابطال فسلم من سلم وقتل من قتل حتى رجعوا المسلمين والكفار بين أيديهم منهزمين وهم من جيش الاسلام خاسرين وأقامت الاميره ذلك اليوم الى أن أمسى المساء ولولا خوف أرمانوس من عين المسيح كان قد طلب الحصن منهزما فقال لقومه كأنكم بعين المسيح وقد أتى إليكم ووصل وترون البلاء على العدو وقد نزل سيما اذا علموا أن أميرهم ومن معه قد أسروا أجمعين (قال الراوى) ياساده فلما سمعوا كلامه أجابوه ونزلت الروم قدام عسكر الامير عبد الوهاب وأضرموا النيران وتحارسوا الفريقان وباتت الاميره فى غاية القلق لأجل ولدها وقالت والله ما غاب ولدى عن أصحابه وعسكره هذه الغيبة إلا وقد جرى عليه شيء فبينما هى حائرة فى أمرها مفكرة وإذا بفارس من السودان أتاها ببطريق أسره واستولى عليه فأخذته الاميره وكلمته بالعربى فلم يفهم فكلمته بالرومى فأجابها فقالت له هذا المقدم عليكم هو عين المسيح فقال لها لا ولكن هو نائب غيبته إذا غاب عن عسكره فقالت له ولماذا تخلف الملك عنكم قال لها لأنه وصل اليه غلام الراهب شومدرس وأخبره أن ابنته الملكه نورا قد ملكت الأمير عبد الوهاب ومعه عشرة من الأبطال ومعهم أبو محمد البطال فلما سمعت الاميره ذلك تغير لونها واضطرب كونها وقالت هذا ماكنت أحذره فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قالت له وكيف ملكتهم وقدرت عليهم الملكه نورا (قال الراوى) فقال بخداعها وحسنها لأنه قد شاع فى اليونان والروم حسنها وشجاعتها وعدم اكتراثها بالرجال و الفرسان لأنها وحدها مقاومة فى حومة الميدان بعشرين ألف فارس وأن المأسورين فى دير الرهبان وأن عين المسيح ذهب اليهم ليقتلهم وهم ليوث عوابس فقالت له كيف قدرت عليهم الملكه نورا فقال لها اعلمى انهم فى هذه الساعة فى دير الرهبان الذى هو قدام عينيك من هذه الطريق وأن الملك عين المسيح سار اليهم ليقتلهم ولما سمعت الاميره ذلك فاضت عبرتها (قال الراوى) فبينما هى معه فى الكلام واذا قد لاح لها كوكب الصباح فوثبت وركبت وأخذت معها

نحو مائة فارس من الشجعان الموصوفة وسارت من وقتها وساعتها وهى باكية العين حزينة القلب لأنها فى أرض الغربة وبليت بفقد الأحبة واذا هى قد سمعت صهيل الخيل فقالت لأصحابها خذوا أهبتكم وشدوا عزمكم فهذه الخيل لابد انها خيل عين المسيح ولاشك أنه يكون قدقتل ولدى وان شاء آخذ تاره بيدى وإنقتلت اجتمعت بولدى فى دار القرار ولما سمعوا منها هذا الكلام صار الضياء فى وجوههم ظلام ثم قالوا لها امهلى حتى يعبروا علينا القوم ونعلم كم عددهم فصبرت عن الحملة (قال الراوى) ياساده وكان السبب فى قدوم هذا الجيش وهو أنه عين المسيح لما سار الى الدير ومعه خمسمائة فارس فسمعت ابنته (نورا) بوصوله خرجت له بجوارها وسلمت عليه وسلم عليها ثم قال لها يابنتى يجب علىّ إكرامك إذ أخذتى بثار أعمامك ثم سارت معه الى دير الرهبان فجلس على سرير وجلست بجانبه على سرير آخر وقدمت لهم أوانى الطعام والشراب فأكلوا وشربوا ثم قال عين المسيح ائتونى بالأسارى فقدموهم له وهم فى القيود والاغلال وكان الملعون شومدرس ثقل عليهم الحديد ولما رآهم الملك صلب على وجهه وقال لشومدرس يا راهب هؤلاء الذين كنت تصفهم لى وذكرت أنهم يقتلون الرجال ويفتحون الحصون ولكن هؤلاء لايقدرون على ذلك ولو اجتمع على مثل هؤلاء ما أبالى بهم فسمع أبو محمد البطال وأخبر عبد الوهاب بذلك ففرح فرحاً شديداً وقال جاء الفرج فقد ظن الملعون أن ابنته أسرتنا بجهدها فقال الأمير لأبو محمد البطال ماأوقعنا إلا شدة الهوى والغرام فقال له أبو محمد البطال والله انها تزهو كالقمر فى ليلة الظلام فانى قد عشقتها والسلام فقال له دع عنك هذا الكلام وانظر فيما هو أهم وأعظم فهم فى الكلام واذا بالملك يقول لشومدرس إن فكرتى مشغولة وقلبى على عسكرى الذى أرسلته مع أرمانوس فقال له شومدرس : لا تخاف فان عسكرك شجعان ليوث وفرسان فقال عين المسيح لولا انى مشغول القلب لكنت أظهرت لك العجائب ثم إن شومدرس التفت الى عين المسيح وقال له ياملك اعلم أن عندك حامية عسكر المسلمين فقال عين المسيح وحق حنا ومريم إن قلبى يحدثنى ياأبونا مافى هؤلاء من يحسن يضرب بسيف ولا يحمله ولا يقدر أن يصرعه ولا يصرع رجل واحد فقال الأمير عبد الوهاب وقد فهم ما قال الملك ياأبا محمد قل له يطلق سبيلى وأنا وحق محمد المصطفى أعود بعد ذلك إلى قيدى فقال وما الذى أقول له قال قل له اننى أصرع كل بطريق عنده فى هذه الساعة ولو كانوا عشرة آلاف وبعد ذلك أعود الى القيد فقال أبو محمد

لعين المسيح بالرومى أيها الملك المدلل بنفسه المتكبر على أبناء جنسه اعلم أن هؤلاء القوم الذين تراهم أبطال الدنيا وانما أسرتهم الملكة نورى للقدر السابق وان أردت أن تعرف حقيقة قوتهم فاطلق هذا الأمير يصارع من تريد من البطارقة فقال شومدرس لا وحق المسيح لا فعل ذلك فقال عين المسيح لابد من ذلك يابونا ثم أمر البطارقه فما زال يصرع واحد بعد واحد الى أن صرع مائتين من البطارقة ومددهم بين يدى الملك على التحقيق فعند ذلك علم عين المسيح أنه شديد الباس صعب المراس وأن ابنته ماصرعته إلا بحسنها وجمالها ثم أمر برده الى الكتاف وقيده (قال الراوى) ولوكان مع الأمير عبد الوهاب سيف لما قدروا عليه ولا وصلوا اليه ثم بعد ذلك أقبل شومدرس على الملك وقال له أيها الملك ماتصنع فقال قد عولت على ضرب رقابهم فقال شومدرس الآن عرفت أنك عين المسيح على التحقيق ثم قال أنى سمعت عن سيدنا المسيح فى بعض الأخبار أنه من قتل موحد الله رب العالمين وجبت له دار القرار وهؤلاء القوم موحدون لرب العالمين فعند ذلك أمر عين المسيح باحضارهم فأحضروا ثلاثة من بنى كلاب وأمر بضرب رقابهم ثم أمر أبو الهزاهز فسحب وقد أيقن بالعطب والتفت الى أبو محمد وقال له لولا أنك تعشق ماضربت رقابنا فنظر أبو محمد الى الملكة نورى ونظر السائل الفقير بين يدى الأمير الكبير فعلمت أنه نظر اليها نظر السائل الفقير الحقير المستجير فرق له قلبها فأقبلت على أبيها وقالت له بحق المسيح وحزقيل لاتقتل هؤلاء حتى تكسر عسكرهم فقال لاوحق المسيح ولكن سيرت اليهم عسكرى فعند ذلك قالت له اذا كان الأمر على ماذكرت لقد أخطأت بقتل من قتلت من هؤلاء لأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وهذا مثال جاهل لأننا لا نأمن الدهر وما ندرى على من تدور الدوائر فان كانت لنا فلا أحد يمنعنا من الناس عن قتلهم وان كان علينا فدينا أنفسنا بهم (قال الراوى) فلما سمع عين المسيح كلامها علم أن كلامها صحيح فنهى البطارقه عن ضرب رقابهم وأقام فى أكله وشربه وشومدرس يحدثه بكل عجيب وهو يقول له كلما تريد منا من الفضة والذهب على وهو يقول ماأريد إلا ضرب رقاب هؤلاء المسلمين الذين ينزهون ربهم عن البنات والبنين والزوجة والقرين فقال الملك قد أبحت لك ضربهم بالسياط وأما ضرب رقابهم فلا فصار شومدرس كل ساعة يضربهم بالسياط على الأضلاع والأجناب حتى نزل لحمهم عن أبدانهم من شدة الضرب والعقاب وأكثر ما كان ينزل على أبو الهزاهز فيقول له ويلك ياشيخ السوء لاتجور علينا فربما تقع فى أيدينا فيقول له وحق المسيح تكذب

يا أسود يازنيم ولكن استغيثوا فمن يخلصكم من هذا العذاب الأليم فلم يقدروا يجاوبوه بكلمة واحدة وهو يتولى عقوبتهم ذلك النهار الى أن أقبل الظلام فقال أبو محمد ماظن أن مامضى علينا أطول من هذا اليوم (قال الراوى) ياساده وان عين المسيح لما أمسى المسا قال لشومدرس احتفظ بهم لأنه قد انقطعت عنا أخبار أرمانوس ولو كان فى خير لما كان يبات رسوله إلا عندى وبما جرى على المسلمين يبشرنى وأخاف أن يكون عسكرى قد كسروا أو وصل الذل اليهم وقد عولت على أنى أمضى اليهم وأشرف عليهم ثم ركب من وقته وساعته وسار حتى وصل الى الموضع الذى وصلت الأميرة اليه والتقى هو والأميره (ورجعنا الى سياق الحديث) وان الأميره لما عاينت الخيل فى ظلام الليل نادت الله أكبر وجعلت طالبة من كفر وحملت من بعدها الأبطال من بنى كلاب والتحمت الأقران بالأقران ودام الطعن والضرب وانقطع العتاب وقد تزاحمت الأبطال وتقطعت الرؤوس والجماجم وامتلأت البيدا من كثرة الامم وأظلمت الاقطار من كثرة الغبار وقد لمعت السيوف فى أيدى الفرسان وتثلمت من كثرة الضرب فى قمم الرجال (قال الراوى) ونظرت الأميره الى عين المسيح والى وجهه القبيح فعلمت أنه الملك لامحاله فانكبت عليه وحمل هو أيضا عليها فرأتة فارسا لايلتقى صعب المراس وان الاميره لما رأت حربه ونزاله علمت أنه أمير الجيس لامحاله وأن ثباتهم به فلاصقته وضربته فقطعت طارقته ومدت كفها اليه كأنه عامود حديد من شدته وقبضت عليه وعلى مراق بطنه وجذبته بقوة حيلها رجلته عن سرجه ونادت يا آل محمد فبقى فى يدها مثل الطفل الصغير ثم أعلنت بالتهليل والتكبير وصاحت الله أكبر فتح الله ونصر هذا عدو الله الذى كفر (قال الراوى) فلما رأت المسلمين أن الاميرة أخذت عين المسيح أسير وسمعوا نداها قويت قلوبهم وأعلنورا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وضربوا فى وجوه الكفار بالصارم البتار وطعنو فى صدور الملحدين بالرمح الخطار وقطعوا من الكافرين الاضلاع فكانوا الذى قتلوه ثلثمائة بطريق وانهزموا الباقين ورجعت الاميره الى عسكرها من خوفها عليه ففرحوا المسلمون وبتقدموها اليهم ونظروا أصحابها الخيل والمواكب المرصعة بالذهب ورأوا معها عين المسيح أسير فقالوا لها من هذا الذى معك قالت ملك الروم الجبار ثم نادت فى قومها ما الذى تنتظروا من عسكر الروم صبحوهم صباح ميشوم وجاهدوا فى طاعة الحى القيوم ثم برزت الى ميدان الحرب ودوكب الطعن والضرب (قال الراوى) وان البطريق أرمانوس صف عساكره وعبى عساكره وهو يشجعهم ويقول لهم كأنكم

بعين المسيح وقد وصل وتظفروا بالآمال فلما سمعت الاميره ذات الهمه ذلك نادت يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية قد قتلت كل بطريق كان مع عين المسيح وتركت الديار تصيح وان كنتم فى شك من قولى فهذا عين المسيح فلينظره كل ناظر صحيح عند ذلك نظرت الروم الى ملكها وهو فى ذلة الأسر والهوان فعظم ذلك عليهم زكبرلديهم فأرمت نفسها لى المشرفيات طمعا فى خلاصه فعند ذلك التقتهم الاميره ذات الهمه وبنى كلاب ووضعوا الأسنة فى النحور وخسفت الصدور وقصمت الظهور والدم يفور وجاء أمر الله وكان هذا اليوم مثل يوم النشور (قال الراوى) فما كانت إلا ساعة مثل طرفة العين حتى ولت الروم منهزمين وقد قتل منهم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى وأخذت الاميره ورجالها الرجال والأموال والأثقال والمضارب والخيام والعدد الكثيرة والمأسورين ووصلت المنهزمين الى الحصن وبعضهم قصد إلى دير الرهبان حتى يعلموا الملكه (نورا) بما جرى وأن الاميره أحضرت عين المسيح وقالت والله يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية لئن سقط من شعر رأس القوم الذين عندك شعرة واحدة لأقطعك قطعا وأبضعك بضعا فقال لها ان أصحابك وولدك سالمين ولقد أردت قتلهم برأى شومدرس فما مكنتنى ابنتى (نورا) وكان الرأى معها وأن الاميره لما سمعت من عين المسيح ذلك الكلام رحلت من ساعتها وسارت الى أن وصلت الى دير الرهبان ومعها مائة بطريق من الاسارى والملك عين المسيح معهم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من الامير عبدالوهاب ومن معه فان شومدرس لما سار عين المسيح عن الدير أقبل على الملكه (نورا) وقال لها انى وحق المسيح لى عليك حق واجب ومع ذلك فأنا لك ناصح وأريد أن تفعلى ما أشير به عليك فقالت يا أبونا ما الذى تشير به على قال تأخذى الاسارى من ساعتك هذه وتصعدى بهم الى الحصن معى وهذا فيه وجهين من الصواب : أحدهما إنك تأمنين عليهم . والثانيـة نأمن نحن على أنفسنا فقالت له يا أبونا لقـد وقع فى قلبك من هؤلاء المسلمين أمر عظيم مع انى قد أسرت أبطالهم فقال لها اعلمى أيتها الملكه ما فيهم فارس إلا ويقول أنا ما فى عسكرهم مثلى لاسيما ومعهم أم الامير الاسود والبطل الأوحد وهى صاحبة رأى وتدبير وشجاعة وبراعة وهى أخبر بكل من فى الحرب ولا تفزع من الطعن والضرب والرأى أن تسيرى الى القلعة التى لنا فهذا مايضرك (قال الراوى) فلما سمعت ذلك من قول الملعون شومدرس قالت له سوف أبلغك آمالك ثم أمرت جوارها انهم يأخذوا أهبتهم للمسير

فوثبوا وقد أخذوا فى تحويل متاعهم وقد ذكرنا ما تقدم من أمرها بأن لها عشرين جارية من بنات البطارقة قد تعلموا الفروسية والقتال وركوب الخيل الى أن صارت كل واحدة منهن تعد بألف فارس من الروم والملكه نورا تعد بالجميع فعندذلك ركبوا الخيل العربيات واعتقلوا بالقنطاريات وتقلدوا بالسيوف وحملوا الاسارى على البغال وساروا سيرا عنيفا ولما وصلوا الى القلعة كان اجتمع فيها جماعة من المنهزمين الذين كانوا مع أبوها عين المسيح فى الكسرة الاولى فقالت لهم يا ويلكم ماوراكم ومن بشره دهاكم فقالوا لها أيتها الاميره قد وقعنا فى شباك الهلكه وقتل منا جماعة من الأصحاب وأسروا أبوك عين المسيح فلما سمعت ذلك قامت عليها القيامة وقالت ياويلكم كيف أسر الملك فهل هو وقع عن جواده قالوا لا وحق المسيح بل أتاه فارس أخذه ومن سرجه خطفه وأخذه أسير وبقى كأنه العصفور فى يد الباشق الكسور فقال شومدرس وحق المسيح لو أقمنا فى الدير مالقينا خير فقالت (نورا) أما الليلة مايمكن السير ولكن سيروا بنا الى حصننا الى غداة غد فأنا أمضى اليهم وأوريكم ما يكون منى ومنهم ثم انها دخلت الى حصنها وقامت طول الليل متفكره فى أمرها (قال الراوى) وأن الأمير عبد الوهاب لما سمع بأخذ عين المسيح أيقن بالخلاص والفرج وأن شومدرس حبس أبو محمد البطال وأصحابه فى مطمورة من مطامير الحصن فقال له أبو محمد لاستر الله عليك ياشيخ الشوم تبخل علينا أن نكون قريب من الملكه (نورا) وننظر الى وجهها فقالوا له أصحابه دعه يغيب عنا وجهه فقد أهلكنا بالضرب والعقوبة فقال أبو محمد والله أيها الامير ان الضرب بين يدى هذه الملكه راحة وأن شومدرس قال للملكه نورا اعلمى أنه لو كان مع المسلمين ألف أسير نفديهم بهذا الامير يعنى عبدالوهاب فاذا كان فى غداة غد فلا تنزلى اليهم فانك فى حصن حصين لايصل ولا يبلغ منه أمل فان قاتلوك المسلمين فهونى عليهم بقتل المأسورين وان طلبوا منك الفداء فاوضعى لهم هذا الاسود فى أبوك يعنى الامير عبدالوهاب واضربى رقاب الباقين وإياك أن يغرك القدر أن تنزلى الى هذه المرأة التى للمسلمين فهى وحق المسيح التى خطفت أباك من سرجه فقالت له نورا ياأبونا إن كان ولابد لى من قتالهم وقتالها فان الروم تعرف فعالى وأنا أقول ان ارمانوس يقوم بالكل واذا بالصياح على باب الحصن فقالت انظروا ما الخبر فمضوا وعادوا يخبروا بالكسرة الثانية وأن الابطال قد هلكوا وأرمانوس قد هلك فأمرتهم بفتح باب الحصن فدخل بعض الناس وبعضهم طلب الحصن السادس وبعضهم طلب دير الرهبان وأن الملكه لما علمت بما جرى أيقنت أن الأمر عظيم والخطب جسيم وأن

المنهزمين الذين دخلوا إلى الحصن كانوا خمسة وعشرين الف فارس (قال ياساده ولما أصبح الصباح ومضت الأميره إلى دير الرهبان فلم تجـــد فيه غير الشيوخ من الرهبان فارادوا قتلهم السودان فمنعتهم الأميره من ذلك وقالت لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الرهبان المنقطعين عن الأوطان ثم ان الأميره سارت طالبة للحصن الى أن وصلت وأشرفت عليه ونزلت على أسفل العقبة فى آخر مرج الزعفران فنظرت إلى قلعة لاترام وهى مبنية بالصخر الأحمر الذى كأنه العقيق ليس لأحد عليها تسليق ولذلك سميت قلعة الدم وان الملكة نورا نظرت إلى عسكر الأميره ذات الهمة فلم يأخذها صـــبر فامرت بفتح الباب وقالت لابد لى من النزول اليهم والقدوم عليهم فقال لها شومدرس إذا كان ولابد لكى أن تنزلى اليهم فعندى رأى فقالت وما ذلك الرأى فقال ترسلى الى أميرة المسلمين وتقولى لهـا انى الآن تطلبي محاربة الرجال وأنا مثلكى إمرأة وقد عولت على النزول اليكى وأرمى روحى عليكى ويعطى الله النصر لمن يشاء وقد نزلنى فى لحف القلعة وهو موضع لايصلح للمجال فان أردتى القتال فارجعى الى خلفكى حتى انزل أنا موضعك فقالت له لقد اشرت بالصواب ثم أرسلت الى الأميره وأخبرتها بما أشار به شومدرس فلمـا سمعت الأميره ذات الهمة ذلك رجعت الى خلفها وقالت ما كنت أقول ان هذه الجارية تخرج إلى لقائى بعد ما شاهدت فعالى بالكتائب والمواكب وان الأميره صبرت حتى فتحت نورا باب الحصن وخرجت وخرج كل من فى الحصن الا شومدرس فانه تخلف فى خمسمائة بطريق من خوفه على نفسه (قال الراوى) وكان نزولها فى أحسن زى وأكمل أهبه وعليهم الدروع السابورية والجواشن اليونانية والسيوف الهندية والقنطاريات الذهبية والطوارق البنادقية والخيول العربية والحراب الروقسية والنبال الكرخيه والثياب الحرير والزنانير الابريسميه ونزلت نورا فى زى ما اتصفه الواصفون ولا تنعته الناعتون ولها عيون تهتك قلوب الأبطال وتخطف عقول الرجال وأنها نزلت فى مقابلة الأميره ذات الهمة وصفت عساكرها وعبت مواكبها والبطارقة قويت قلوبهم بها لما يعرفون منها بانها أفرس من أبيها وأشجع وكذلك الأميره ذات الهمة صفت عساكرها وعبت ميمنة وميسرة وقلب وجناحين ثم أرادت أن تأمر الناس بالحمله واذا بفارس قد ظهر من عساكر الملكة نورا على جواد أصفر كأنه السحاب اذا انهر يسبق النظر ويفوت البصر فسار حتى توسط الميدان ووقف بين الصفين ونادى باعلا صوته ما هذا يوم الجزع فى القتال هذا يوم مبارزة الرجال حتى يعرف البطل من الجبان هل من مبارز (قال الراوى)

وكان هـذا الفارس من جوار الملـكة نورا وكان اسمها دكنا فخرج لها طوق بن الثنا واصطدما الفارسان فما كانت الا طرفة الطارف حتى أخذته أسير وخرج اليهـا ثانى قتلته وثالث فأسرته وخرج اليها جبر المـكى فأخذته أسير فانقطع الناس عن الخروج فعندها خرج اليها فرقد بن بشار الكلابى وكان يعد بألف فارس من البطارقة فعنـد ذلك حمـل بعضهما على بعض حتى ارتجت من تحتهما الأرض ثم صاح فرقد بها وقد دنى منهـا ومسك بدرعها وجذبها اقتلعها من سرجها ونظر اليها واذا هى جارية فطار قلب فرقد بهـا فرحا ثم انه سلمهـا للمسلمين وطلب البراز فخرج اليه فارس كأنه القضاء المبرم وكانت أيضا جارية من جوار الملـكة نورا وكان اسمها زورة (قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وتطاعنا طعنا أمر من الجمد وأمر من البصر وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وعلا عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار وعمل بينهما الصارم البتار وان الجارية ضربت فرقد بن بشار على رقبته واذا برأسه قد طار وعجل الله بروحه الى الجنة دار القرار ومجاورة محمـد المختار صلى الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار (قال الراوى) فلما نظرت بنو كلاب الى فرقد وقد قتل وعلى وجـه الأرض قد جندل عظم ذلك عليهم وكبر لديهم (قال) ولم تزل الجارية زوره كل من خرج اليها أخذته أسير الى أن أخذت اثنى عشر رجلا عند ذلك خرج اليها الامير بشار وهو من الامراء الموصوفين والأبطال المعروفين الا انه استولى عليه الـكبر وقلت قوته وكان عند العرب معظم وعند السادات مكرم وكان لمـا قتل ولده فرقد أراد أن يخرج الى زورة ثم جعل يتوقف لاجل كبر سنه الا أنه لما انقطعوا الناس عن الخروج الى لقائها ألقى روحه اليها ثم وقف يشكو فراق ولده ويرثيه (قال الراوى) ثم حمل عليها قتلها ثم حملت من بعدها الملـكة نورا على العسكر الى آخر النهار فقالت الاميره ذات الهمة هل فيكم من نظر الى نورا فقالوا بنى كلاب والله رأيناها فارس شديد وله وجه كأنه الهلال اذا أسفر وعيناها للقلوب تسحر وهو يخطف الرؤوس ويسفك الدماء ولقد كان يومنا معه يوم عبوس ومعه غلمان كأنهم الولدان ولقد نكلوا بالشجعان وأبادوا الفرسان فعند ذلك قالت والله لقد طلبتها اليوم فى المعركة فما وجدتها وفتشت عليها جهدى فما رأيتها حتى ذهب النهار ولو كنت وجدتها الشفيت مرادى منها فما يقاوم العسكر الا بها لـكن أنا آمل من الله تعالى أنها غدا تبرز الى الميدان حتى أبرز لها (قال الراوى) هذا ماكان من الاميره (وأما ماكان) من الملـكة نورا فانها نزلت فى مقابـلة عسكر الاميره وضربت لهـا سرادق من الديبـاج الاصفر ونصب لهـا سرير من الحديد الصينى

وجلست عليه ثم انها أقبلت على قومها وقالت لهم وحق المسيح ماكنت أظن أن المسلمين فيهم مثل هؤلاء القوم لأنهم لايرهبون الموت ولا يخشون الفوت ولقد لقيت منهم الجهد الجهيد ولكن قد قتلت منهم ستة عشر فارس فلما سمعوا قومها ذلك من كلامها قالوا أيتها الملكة المسيح يرفع قدرك فلو رأيتى الفارس الأسمر الراكب على الجواد الأحمر لقد قطع رؤس الرجال وجندل الأبطال وأفنى بنى الأصفر وترك رؤسهم مثل الأكر لرأيتى من ذلك العبر وهو مضيق اللثام فلقد كاد أن يفنينا بالحسام فقالت لا شك أن الذى تصفوها هى الأميرة ذات الهمة ولقد طلبتها اليوم فما وجدتها وان أمكننى المسيح منها لم يثبت عسكر المسلمين بين يدى طرفة عين وقد عولت فى غداة غد أطلبها الى البراز وتنظروا ما يكون بيننا من القتال والحراب ثم باتوا على ذلك وأما شومدرس لعنه الله فانه (ياساده) انتقم من الأمراء وما كان يمضى عليه يوم حتى يعذبهم العذاب الأليم ويعاقبهم بأشد العذاب والأمير عبد الوهاب يقول له دع عنك البغى فان الدنيا دول ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب فقال له شومدرس بحق دينك إن وقعت فى يدك فلا تبق على وبعد ذلك ما بقى لكم من ههنا خلاص إلى يوم العرض والقصاص وحق المسيح لا بد ما أصلب كل واحد منكم على حصن من الحصون فقال له أبو محمد وأين أنت ياشيخ السوء إن ملكت الاميرة ذات الهمة الملكة نورى وتفادى بنا ونعمل بعد ذلك على أخذك ولو غصت فى الأرض فقال له شومدرس إذا كان الأمر على ما وصفت وصح قولك وأسرت الأميرة التى لكم الملكة نورى فانى لا أقبل فداء ولا أسلم الحصن أبداً واذا اشتد الأمر ولم أجد نصير ضربت رقابكم واسترحت منكم وأخذت فى الهرب فقال الأمير عبد الوهاب عند ذلك دعه يا أبا محمد لئلا يعمل على قتلنا فسكت أبو محمد على غيظ منه (قال الراوى) وأصبح الصباح على العسكر وتبادرت خيل العسكران واصطفت الرجال وطلبت الخيل المجال واشتاقت النفوس الى القتال وطلبت الناس من يخرج ويفتح باب الحرب فغلبت الخيل ركابها وحملت بأصحابها وحملوا عند ذلك المسلمون وكبرت الموحدون ونادت العامع وقامت الزوائع وخابت المطالع وبقى الجبان خائف خاضع عند ذلك نادت الطائفتين بالانفصال ورجعوا عن القتال ووقفت كل طائفة على خيولها مقابلة الأخرى وفى تلك الساعة خرج من الروم فارس على حصان طويل العنق مليح الخلق ديال الذنب قوى العصب سريع الجرى لحوق إذا ماطلب من أنفر خيول العرب ما للوحش منه مهرب (قال الراوى) وعلى الفارس زردية من الذهب الأحمر

مكللة بالدر والجوهر وعلى رأسه مغفر مجوهر مكوكب وفى يمينه رمح معصب ثم إنه وقف بين الصفين وجال بين الفريقين ثم كشف الفارس الزرد والمغفر عن وجهه وإذا به كالفرقد لو رآه الزاهد لسجد بخد مورد وثغر كأنه الخاتم الذهب ثم انه نادى بكلام رخيم يشفى فؤاد السقيم يا معاشر العرب ان الموت منكم قد اقترب أنا الملكة نورا ابنة عين المسيح وعندى أميركم وجماعة من أصحابكم فان أردتم الفداء خلوا عن عين المسيح حتى أطلق لكم أميركم لاغير وان أردتم القتال والحرب والنزال فلتخرج إلى الاميرة ذات الهمة الموصوفة بالشجاعة المعروفة بالبراعة حتى نلتقى أنا وإياها فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب فان أنا ظفرت بها فعليكم بالهرب وان ظفرت بى كنت للخلاص سبب فلما سمعت الأميرة كلامها فرحت بخروجها الى الميدان ثم خرجت اليها الاميرة ذات الهمة على جواد كريم كالليل البهيم وعليها درع من عمل داود لا يعمل فيه الحسام صاحبه فى أمان وقد اعتقلت برمح طويل وفى كفها صارم صقيل وساعدها مبيل وحملا على بعضهما البعض وصاحا حتى ارتجت لهما الارض وتطاعنا بالرمحين حتى تقصفا وتضاربا بالسيفين حتى تثلما ثم بعد ذلك ترجلا عن الحوادين للصراع وكان فى سودان أبو الهزاهز أسود يقال له أبو عرقوب ولما رأى الملكة نورى شغف بها وخرج من غرامه الى وسط الميدان فأقبلت نورى عليه وقالت له ما الخبر وجعلت تمايل وهى تنظر اليه كأنه حوض بان أو غزال عطشان فظن أبو عرقوب لما نظرت اليه أنها قد أحبته فضحك فى وجهها وقال لها أبشرى أيتها الأميرة فى قتالك وما تلقى إلا كل خير (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم زحفت كل واحدة منهن على صاحبتها وتعاركا وتماحكا ورأت كل واحدة منهن من صاحبتها مالم تظن فيها من كثرة الشدة والقوة والمراس وثبات الأساس حتى تحيرت منهما الناس هذا وأبو عرقوب خلف الاميره كلما جذبتها يقول ارفقى بها أيتها الأميرة فما هذا وجه تعود بالشقاء وغلب الهوى على أبو عرقوب فجعل يدحرج الحجارة بين رجلين الاميرة حتى تعثر ببعضهم فتقع (هذا) وقد ترجل من البطارقة جماعة ووقفوا بالقرب من الملكه نورى خوفا عليها من أبو عرقوب فلما نظروه فى خدمتها مايل معها على الاميرة ويدفع الحجارة بين رجليها كما ذكرنا وإنما علمت بذلك والله تعالى يحرسها فظهر الغضب على وجهها وخافت من أبو عرقرب أن يحمله الهوى فيطلب اتلافها فعند ذلك حافتها وجعلت الاميرة تقارب أبو عرقوب حتى لاصقته وضربته على ساقيه برجلها واذا أعلا مافيه رجلاه وكادت أن تقضى عليه ثم بعد ذلك صاحت

الأميرة فى وجه نورى صيحه خيل لها أن الخضراء انطبقت على الغبراء وقالت لها يا ملعونة يا كافرة يا مغبونة وبلغ من قدرك أن تقاومين المسلمة المصونة التى مافىقلبها لغير الله موضع ولا للشيطان موقع ثم همزت عليها ورفعتها من الأرض على يديهـا ونظرت الروم الى سيدتها وما قد نزل بها من الأميرة ذات الهمة فما منهم إلا من قد حمـل طمعا أن يخلصوها فعند ذلك حملت المسلمين وانتصرت الموحدين ودام القتال واشتد النزال وتعلقت الرجال بالرجال فيالها من ساعة لا تشبه الساعات وزاد البـلا على الروم وعلموا أنه عليهم نهار ميشوم فولوا منهزمين والى الحصن طالبين وتبعتهم المسلمين فقتلوا منهم مالا يقع عليه عدد بعدد الرمل والحصى فلما وصلوا إلى عنـد الحصن ترجلوا الروم عن خيولهم طلبا للنجاة لانفسهم ونظر شومدرس إلىماحل بهم ففتح لاول الناس باب الحصن ولما نظر الى المنهزمين والمسلمين فى أثرهم فخشى على الحصن وكان رجلا محتالا مكارا حكيما منجما فأمر البطارقة الذين على الابراج أن يرموا الناس بالحجارة والصخور والعمد فقتل من الروم والمسلمين الذين هم فى أثرهم خلق كثير وعادوا على أعقابهم راجعين وقد أشرفوا من البطارقه الذين على الابراج على أمر عظيم وأن المسلمين أسروا من البطارقه ألف وقتلوا عالم عظيم وخلق كثير (قال الراوى) وأن الاميرة لما أخذت الملكه نورى وسارت معها فى العرب نظرت الى صورة تفتن النساء عوضا عن الرجال سـنية الطرف كاملة الوصف رقيقة الخصر لينة العطف فقالت الاميره فى نفسها والله قط ما ملات نفسى إلى الرجال ولا أردت غير الملك المتعال ولو كانت هذه الجاريةرجل لسلبت عقلى وما على الاميرعبدالوهاب ملام فى محبة بدر التمام فما رأيت مثلها فى الانام ثم انها جمعت بينها وبين أبوها عين المسيح وقالت لها مابق غير الفداء فابعثى الآن الى القلعة وأمرى الذينفيها أن يخرجوا الامير وأصحابه وأنا أطلقك وأطلق كل من كان عندى وكذلك الملك عين المسيح فاذا حصلتم فى قلعتـكم إن شئت رحلت عنـكم وان شئت أقمت عليكم فان قدرت على حصنكم بمعونة الله تعالى أخذته وان منعنى الله تعالى فأنا أعبر الى غيركم (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع عين المسيح ذلك قال لنورى يا بنية ما فى الامر غير الفدا وأما قولهـا بأنهـا تفتح حصننا فهذا مالا تصل اليـه أبدا لان المكان حصين والحصن عالى رفيع فعندها قالت نورى للاميرة ذات الهمة أريد ان تطلقى عشرة من هؤلاء البطارقة حتى نرسلهم الى شومدرس أن يطلق الامير وأصحابه فعند ذلك فعلت الاميرة ما أشارت به نورى وسارت البطارقه طالبين الحصن (قال الراوى)

وكان شومدرس لعنه الله قد حسب هذا الحساب وعلم أن القوم لابد لهم مايطلبون الفداء ويسلمون الأمراء فلما علم ذلك أخذ سيفا فى يده ووثب من مجلسه الى المطمورة التى فيها الأمير عبد الوهاب وأصحابه فلما أشرف عليهم أيقنوا بالعطب إلا انهم لايمكنهم الهرب فعند ذلك قال له الامير أبو محمد أرى الراهب قد أتى قال له شومدرس ماجئت إلا حتى أضرب أعناقكم قال له أبوالهزاهز هذه بشارة تستاهل عليها خلعة (قال الراوى) وكان من قضاء الله تعالى وماقد سبق فى غامض علمه أن الامير أبو محمد كان من قبل ما يجيبهم الراهب شومدرس قد عالج قيده وفكه من رجليه فى هذه المدة فلما نزل شومدرس والسيف فى يده فقال أبو محمد لأبوالهزاهز اعلم أنى فكيت قيدى ولو كان هذا الملعون غاب ساعة واحدة كنت عملت فى خلاصى وخلاصكم ولكن الأمور مقدرة ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وماأتى الملعون على وجه تهديد وما أتى إلا على نية قتلنا لامحالة ومابنا موتنا بل والله يشتفى منا فقال أبوالهزاهز اعطينى إياه حتى أشتفى منه قبل مايعجل علينا ودع يقضى الله ماهو قاض فمدأبو محمد يده وناوله القيد . هذا وقد هجم الراهب عليهم وقصد الى الامير عبدالوهاب وشال السيف فى يده إلى أن بان بياض إبطه وضرب الأمير عبدالوهاب فقفز الأمير ميمون الجماس وألقى نفسه على الامير عبد الوهاب فوقعت الضربة فى كتف ميمون فجرحته وأراد أن يثنى عليه ثانية فلما رأى أبوالهزاهز ذلك من الملعون هجم عليه وضربه بالقيدالذى أعطاه له أبو محمد فوقعت الضربة على رأسه انفتح فيه ثلاث مواضع ووقع مغشيا عليه ورمى أبوالهزاهز روحه عليه وجعل يضربه ويلطمه ويقول له ياملعون الى متى تعيش وما فى حياتك فائدة ولقد أهلكتنا (قال الراوى) ياساده ياكرام ووصلت البطارقة الذين أرسلتهم الملكة نورا الى تحت الحصن ونادوا افتحوا لنا الباب فطلبوا شومدرس حتى يشاوروه فى فتح الحصن فلم يجدوه فقصدوا الى المطمورة فسمعوا ما جرى له مع الاسارى فنزلوا اليهم وجردوا السيوف عليهم وأهووا بها الى أبوالهزاهز وجرحوا ثلاثة من الاسارى الذين مع الامير وكان أبوالهزاهز قد ملك السيف الذى كان مع شومدرس وهم أن يضرب به فقالوا وحق المسيح لئن قتلته لابد من حريقكم فقال البطال دعه ياأبا الهزاهز ولا يكون الملعون ميشوم فى حياته وبعد مماته فتركه أبو الهزاهز فحملوه البطارقة وأخرجوه وهو على آخر نفس فلما رأته الروم وهو على تلك الحالة ارتفعت أصواتهم بالصياح لانه كان عندهم بمنزلة البترك الكبير فرشوا على وجهه الماء البارد الى أن أفاق فقالوا له من فعل بك هذه

الفعال فقال المأسورين الذين عندنا (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعوا الروم ذلك جردوا سيوفهم وطلبوا المطمورة يريدون قتل الأمراء فقالوا لهم المشايخ أصحاب الرأى ماهذا صواب لأن الملكه وعين المسيح وألف بطريق رؤوسهم مرهونة بهؤلاء وقد وصل قوم من أصحابنا هناك فرجعوا على ماكانوا عزموا عليه وفتحوا باب الحصن ودخلت البطارقة وقالوا أين هو عالم النصرانية أبو الشر شومدرس فقالوا انه أشرف على الموت ثم أعادوا عليهم القصة فلما سمعوا ذلك قالوا لا سبيل لنا على إتلافهم لأن الملك والملكه وألف بطريق أسرى عند المسلمين ومتى فعلنا بهؤلاء أمر من الأمور فعلوا المسلمين بأصحابنا كذلك ونحن قد أتينا لأجل الفداء ويكون شومدرس هو المدبر فاذا كان على هذه الحالة فنحن نخرج الأسارى الى باب الحصن ثم رجعت البطارقة الى عند الملكه (نورا) وحكوا لها ما جرى فقامت عليها القيامة لأجل الراهب شومدرس ثم انها قالت للأميره أريد أنك تطلق سبيلى فإذا صرت فى الحصن أطلق سراح الجميع وكان ذلك من نورا فزع من الأمير عبد الوهاب بأن يكون فى قلبه هوى منها فلا يمكن من المفاداة بها (قال الراوى) فأطلقت الاميره (نورا) فلما وصلت الى الحصن ورآها البطال أقبلت عليه الدنيا وقال أهلا وسهلا بالملكة الرحيمة والسيدة الكريمة التى هى بقصتى عايمة ثم انها قالت اخرجوا هذا الأشقر الأزرق العينين حتى يطلق عين المسيح فقال أبو محمد مايطلقوه أيتها الملكه بى بل أطلق الأمير وهذا المجروح يعنى ميمون الجماس وأبو الهزاهز فأخرجوهم إلى أن وصلوا الى الاميره فأطلقت عين المسيح ثم ان نورا أطلقت غلمان أبو محمد وطارق فأطلقت الاميره مائة من الروم ثم قالت ياقوم أرى أبو محمد قد تخلف لا تكون الملعونة تريد تغدر به فقالوا لا والله انها أمرته بالنزول فامتنع من الأول وقد طاب له المقام عندها وهذه الفتنة منه كانت (قال الراوى) وانها لم تزل تطلق قوم بعد قوم حتى بقى عند الاميره مائتى بطريق من كبار البطارقة وعند الملكة نورا أبو محمد البطال فعندها قالت له الملكة نورا قم انزل وروح حتى نخلص أصحابنا بك فقال لها ياملكة أنا أقيم عندك أنادمك وأكون خادمك وبين يديك فقالت له لاعدمتك ولاعدمت منادمتك قم انزل ياشيطان فقال ما أنزل فصاحت فى البطارقة ويلكم أخرجوا هذا الشيطان من عندى وإلا سرقنى الليلة فصارت البطارقة يخرجوه وهو يتملص منهم ويرجع الى الحصن ونورا تضحك عليه وتبصق فى وجهه وهو كلما جاءته البصقة فتح لها فاه ويقول لها ما أطيب ريقك وما أحلاه ولم يزالوا البطارقة حتى

أنزلوه من الحصن ووصل إلى عنده الأميرة فلما رأته أطلقت ما بقى عندها من الروم واجتمعت بالأمراء فوجدت قد فقد منهم ثلاثة رجال منهم كنانة ومالك ونجم ثم عاينت ميمون الجماس فوجدته مجروح فقالت لابو محمد ما فزعت من الله تعالى بأنك تكون دخلت إلى هذا المكان على نية الجهاد فى سبيل الله تعالى وتفعل بالمسلمين هذه الفعال فقال لها شهد الله أيتهـا الاميرة لا أردت إلا منفعة لى وللمسلمين فجاءنى ما لم يكن فى الحساب فقالت والله ان جميع ما تم عليهم من يدك ويطالبك الله عز وجـل بما فعلت فقال لهـا إذا طالبنى أقل يارب هؤلاء أرادوا أن يصارعوا الملكة فقالت الاميرة لولدها الامير عبدالوهاب ياويلك أنت أتيت الى هذه الارض للعب والهوا أو للجهاد والله يابنى ما أعرف على وجه الارض كهل كان أزهد منك ولا أعبد ولا أثبت عند الضراع ومنازلة الاقران والبطل الشجاع فقال البطال أيتها الاميرة عـذر الامير واضح ليس كل من شاهد ذلك المتاع ما يبقى له قوة ولافراغ ومن أجل ذلك وقعنا كلنا فى الصراع فضحكت الاميرة من وسط الغيظ وقالت يا أبو محمد ما بقى لنـا معك كلام لانك صرت عاشق مستهام (قال الراوى) ياساده ياكرام وان الامير عبد الوهاب عمل معه التوبيخ من كلام الاميره ذات الهمه ومما جرى عليه أنشأ وجعل يقول بعد الصلاة على طه الرسول

أذ لهمة كفى المـــلام فانه	يزيد غرام الرامق المتحرج
وكفى عن العزل المضىء بمهجتى	فان فؤاذى عند ذاك التبرج
فلو نظرت عيناك بهجة وجهها	كبدر تمام فى دجى الليل يسرج
وطرف كحيل فاتق وحواجب	ولحظ مريض ساحر الطرف أغنج
وخد ونهد فوق قد مهفهف	وصدر وخضر وساق مدملج
وشعر كاحلا لا الدجى وجبينها	كمثل صباح الليل عند التبلج
وخلق رضى كامل الوصف قاتل	ورونق أعطاف فوق ساق مدملج
فديت الذى قالت لنا عند ديرها	إذا كان فيكم راغب فى التزوج
يقوم إلى حال الصراع فاننى	أصارعه من مطل هذا التحجج
فقام اليها أصول الناس كلهم	ويعرف بالبطال من نسل خزرج
فما كان إلا ساعة ثم طرحت	به نحوهم تطريح أعرج أفلج
وقام اليها طـارق وكنانة	ومدرك معه مالك ومفرج
ونجم وعطاف وميمون بعدهم	وراشد لاأنساه من آل مذحج

ولم يبق غير مراضى ومن له هزاهزه ما بين سار ومدلج
فلم تك إلا ساعة من صراعنا وقد صرعتنا بالبنات المضرج
فلا تعذلينا فى الذى كان بيننا وعما عدانا هذه اليوم عرجى
فلو صارعتنى اليوم أسداً صرعتها وكل هدير شـــذقم غير محرج
وأما صراع الغـــانيات فانه يبلبل عقـــل الحازم المتاهج

(قال الراوى) ياساده فلما سمعت الأميره ذات الهمة هذه الأبيات قالت انه قد عمل معه الهوى وتباريح الجوى فأمسكت عنه هذا جرى ههنا . وأما ما كان من الملكة (نورا) فانها لما دخلت الحصن سألت عن شومدرس فأعلموها بأنه مجروح ولما مثل بين يديها كلمته فلم يكلمها الى أن أفاق فسألته عن حاله فقص عليها قصته ثم قال لها أين المأسورين فأخبرته بأنها فدت نفسها بهم فكادت مرارته أن تنفطر وقال وحق المسيح ما فى قلبي حسرة إلا انى ما قتلت عبد الوهاب والشيطان وأبو محمد البطال فقالت له لاتضيق صدرك فأنا فى غداة غد أنزل عليهم وآخذ كبرائهم مثل النوبة الأولى فقال لها هيهات هيهات البدرة لمن بدر وحق المسيح والإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل ما بقيتى تظفرى منهم بطائل لاسيما وفيهم الحية الرقطاء واللبوة الشمطاء التى تصرع القلوب وتترك المعافى مكروب ولكن أيتها الملكة سوف أريك كيف آخذ لى بالثار وأكشف عنى العار ولكن لا كلام حتى أداوى رأسى من هذه الجراح فقالت يا أبونا ما الذى نصنع بهم فقال لها اعلمى أن فى هذا الحصن مصنع يقال له مصنع القتلى وهو الذى صنعه جدك الاقريطش لما نزل عليه منويل الأكبر عند ذلك عمل هذا المكان فقالت وما رأيته ينفد فقال يابنية فيه منافذ الى خارج الحصن وأيضا فيه مهالك ماجازها أحد إلا ونكب ولثوب العافية سلب فقالت ياأبونا قم بنا اليه وأوقفنى عليه فاعل أن يكون لنا فيه فرج فقال لها أريد أن تداوى رأسى فأتت له بالطبيب وشد رأسه وقام هو و (نورا) الى ذلك المصنع ونزلوا فيه الى آخره وإذا بفيل من نحاس وعليه ركاب فى أيديهم صواعق إذا قرب الانسان منه ضربته بتلك الصواعق التى لو وقعت على الجبال لقدتها وأيضا فى خرطوم الفيل سيف إذا ضرب به الانسان قطعه نصفين ثم ان (شومدرس) غير ذلك الفيل بصنعته التى لايقدر عليها كل من على وجه الأرض ونورا تتعجب منه إلى أن أتى الى أزج واسع وفيه عشرين رجل أشخاص مقابل عشرين وفى أيديهم سيوف واذا حصل

الانسان فيما بينهم ضربته الأشخاص بالسيوف ثم ان شومدرس قد تقدم عند الازج وإذا على الباب مرآة من الحديد الصينى وعليها أسطر مكتوبة بالقلم اليونانى فمدالملعون يده وأخذ المرآة ثم تقدم الى سقف الباب ودخل هو ونورى وتقدم الى طابقة هناك فأرالها وإذا بحبل من الابريسم فمسكها وشد بعضها الى بعض فبطلت الحركه التى للفيل ثم صعد الى جوفه وفيه حبال وهى حركات الرجال القيام فشدها وخرج من البيت ثم خرج هو ونورى من باب السرداب وإذا بنورى قد رأت خيام المسلمين وعاينت سرادق الأمير عبد الوهاب على جانب العين ففرحت بذلك وعادوا الى الحصن فلما مضوا الى بين يدى الملك عين المسيح أعادت نورى عليه ماجرى وقالت له يا أبى احفظ هذا الراهب فهو ثبات هذه الملة المسيحية ثم قالت اعلم أنى قد عولت أن أصنع فى هذه الليلة بالمسلمين صنع يكون فيه هلاكهم وقتل رجالهم وفناء أبطالهم فقال لها وكيف ذلك فقالت نأخذ الرجال ونفرق عليهم قواوير النفط وننزل بهم فى الليل الى عسكر المسلمين ونحرق الخيام ونفنيهم بالحسام فقال عين المسيح يا بنيه تقبلى منى فقالت نعم فقال اتركوا القوم وتتولعوا بهم حتى يعجزوا عن المقام ويرحلوا عنا بسلام فقال شومدرس أيها الملك وحق المسيح ما أطاوعك على ذلك ولا بد لى ما أهلكهم فى هذه الليلة وان كنت أنت تفزع على ابنتك فدعنى فقال الأمر اليك فأمر الرجال أن يحضروا فحضروا فى دون ساعه أربعة آلاف فارس (قال الراوى) ياساده وباقى رجالهم منهم من هلك ومنهم من هرب فقال الملك ماهذا إلا قريب من هذا العالم العظيم ومابقى الا هؤلاء فقال شومدرس أيها الملك لا تعول على ما مضى فلولا أن المسيح قتلهم ماقتلوا ثم ان الملعون فرق النفط على الرجال وأقام ينتظر الليل (قال الراوى) هذا جرى ههنا (وأما ماكان) من المجاهدين فانهم أقاموا يا ساده ذلك اليوم وميمون الجماس قد أشرف على التلاف من الجراح التى فيه ومع ذلك لا يشتغل بما أصابه بل قال اعلى أيتها الأميرة إنى رجل جرى علىّ ماجرى من أجل ولدك وأنا أريد ان سلمت من هذا وملكنا هذا الحصن تساعدينى على أخذ الملكه نورى وإلا أموت فقال البطال والله ياميمون إن أردت تموت وإن أردت تعيش والله ما تذوقها فقالت الأميرة إنا لله وإنا اليه راجعون لقد احتوت هذه الجاريه على قلوبكم فدعونا من حديثها فأنا والله خائفة أن يطول مقامنا على هذا الحصن لأن مالنا اليه سبيل الا أن يشاء الله فقال الأمير عبد الوهاب علينا أن نقاتل فى سبيل الله ونبذل المجهود فى طاعة الملك المعبود وأما

النصر فانه بيد الله يؤتيه من يشاء فقال الأمير أبو محمد البطال امهلونى ثلاثة أيام وأنا أسلمه اليكم فطاب قلب الأميره بذلك وقالت والله يا أبو محمد انك سيد أهل زمانك وماتوعدنا بشىء إلا وأنت توفى وان الأمير أبو محمد خرج من عندهم من المضرب وجعل ينظر الى الحصن فلم يجد فيه تسليق ولا لأحد عليه طريق فبقى حائر لايدرى ما يفعل ثم أنه وصل الى العيون ونظر الى القناطر المعقودة والأزج المنبية والماء يجرى منها فقال فى نفسه إن وجدت سبيل إلى هذا الحصن ما يكون إلا من هذا الموضع ثم أنه أتى الى الأميره ذات الهمة وقال لها أريد منك فى غد أن تقسمين العسكر قسمين تقاتلون أهل الحصن وتشغلونهم وندخل نحن من بعد اشتغالهم من هذه العيون والقناطر المعقودة والأزج المبنية فما أظنها إلا نافذة الى الحصن فقالت الأميره يا أبو محمد أمل بعيد ولا يصح ولو كان الأمر على ماذكرت لما كان يخلو هذا المكان من مهالك فان حرمة مسلم عندى أحب الىّ من كل ما على وجه الأرض وقالت له ما عليك ملام ولا لأحد معك كلام لأنك عاشق مستهام فقال الأمير أبو محمد فاذا لم تسمعوا منى لا محالة يكبسوكم فى ظلام الليل إذ يخرج عليكم العدو من هذه العيون والقناطر المعقودة لأن الملعون شومدرس ما يغفل عنكم والرأى عندى أنكم ترحلون عنها ليلا وتعودون اليها فقالت الأميره هذا لايتفق وهو كلام من لايبقى له معقول ونحن لانسمع منك فى هذا الأمر ماتقول فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك حمل هما عظيما من كلامها ومضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فهنالك جمعت الأميره الرجال وجعلت بعضهم على الحرس وأوصتهم باليقظه وقالت لهم ان الأمير أبو محمد قد ألقى الى كلام وأنا حاملة منه هما عظيما لأنه رجل لايلتقى مثله فى الدنيا وأنا قد عولت فى غداة أن أقطع الأشجار من هذا الوادى وأعمل السلالم والأبراج وأفتح هذا المكان (قال الراوى) ياساده وناموا الناس فى خيامهم وكذلك الأمير عبد الوهاب وأصحابه فانهم ناموا وقد وجدوا الراحة من المطامير (قال الراوى) ياساده يا كرام وان عين المسيح والملكه (نورا) والراهب شومدرس لما جنهم الليل وعولوا على ما قد عزموا عليه قال لهم عين المسيح اعلموا أننى خائف من هذا العسكر الذى فيه أقوام كالسباع الضارية وان مقامنا فى حصننا أفضل ولنا أصلح وأجمل وأنتم تعلمون أننى كنت فى مائة ألف وسبعين ألف فقتل أكثرهم وانهزم أميرهم وما سلم منهم إلا قليل وكأنهم بعساكر أخوتى وقد أتوا ويكثروا عندنا الكتائب والمواكب ويحل بأعدائنا المصائب وقعودنا أوفق ولا نتعرض لهم فهو الرأى الصائب فقالت (نورا) لاسبيل لك بل نحرق خيامهم

بالنار ونمكن منهم البتار ولا نبقى منهم ديار ولا نافخ نار فلما سمع أبوها ذلك سكت عن جوابها فقال شومدرس ما قالت الملكه إلا حقا ولها من المسيح الأجر والثواب وان كنت أيها الملك تخاف من الخروج فأنا أخرج ومعى طائفة من البطارقة وندهم الأعداء ويحل بهم الردا ونجعل أنفسنا لك الفدا وتكون أنت فى الحصن واذا رأيت خيام المسلمين بالنار قد احترقت والبلاء عليهم قد نزل اخرج أنت من باب الحصن وقد فرغنا منهم فقال لعمرى انه لرأى سديد فعند ذلك وثب شومدرس وقال للناس خذوا أهبتكم من غير صياح ففعلت البطارقة ما أمرهم وأخذوا قوارير النفط ولبسوا البنود والطلقانيات التى نقعت فى الخل الحاذق حتى لاتعمل فيها النارعند لبسهم وقال شومدرس للملكة نورا لاتفتحى باب الحصن حتى تسمعى الصياح من الخيام فعند ذلك افتحى باب الحصن واخرجى فى الظلام فما تكون إلا ساعة واحدة وقد أصبحت الدنيا منهم خامدة لان الصياح فى الليل له هيبة والنار فزعة زائدة فقالت سمعا وطاعة انزل أنت فى هذه الساعة فعندها نزل هو والبطارقة وعلوج العمالقة بالقوارير النفط التى ذكرناها والعدد التى وصفناها الى ان نزلوا فى تلك المهالك والحركات فبطلها شومدرس كما ذكرنا وعبروا وجازوا الازج والعقود وكانوا من بناية الاولين والحكماء المتقدمين حتى خرجوا من العيون التى عليها المسلمين هنالك قال لهم الراهب اقصدوا السرادق الكبير واضربوه بنار السعير ثم اضربوا ما حوله من المضارب أجمعين فاذا أحرقتم المضارب خرجوا أصحاب الخيام فاضربوهم بالحسام واهجموا عليهم بالنار فانها تعمل فى لباسهم والاجسام فلا يصلون إليكم ولا يهجمون عليكم فقالوا سمعا وطاعة نحن نبذل مهجتنا لديكم (قال الراوى) ياساده وما أحسوا المسلمين إلا والروم معهم فى الخيام وقد دهموهم بالنار فى الظلام فوثب القاعد واستيقظ النائم وصاح الصياح وناح النواح وضربوا الروم بالنار فى الخيام فعلقت ومن ساعتها احترقت وتواترت السودان وتزاعقت وعرفت الاميرة صحة قول أبو محمد وتحققت وفتحت نورا باب الحصن وخرجت وعلى الناس اطبقت وتعثرت الرجال بالرجال ولم يعرف الوالد ولده فى تلك الاهوال واحرقت النار الابطال ووقع بالمسلمين الصياح يمينا وشمال وضربت الطائفتين بعضهم بعضا وجرح الامير عبد الوهاب جرحاً قاتلا فى احدى المفاصل وضربت الاميرة ذات الهمة بقارورة نفط فلولا رمت زوجها الى الماء لكانت هلكت وملكت الروم الخيل وحازوهم عن الاصحاب وبقوا

المسلمين رجالة غير ركاب وحل المصاب وعملت السيوف فى الرقاب وجرح أبو الهزاهز جرح أشرف منه على التلف والبوار وقتل الشيخ المجاهد بشار وتقطعت الاوصال والاعمار واحترقت جماعة بالنار وتحامت السودان وخلصت ميمون الجاس وطال الليل وزاد البلاء على الناس وركب كل واحد هواه ونادى بعالم سره ونجواه وأخذت الاميره وسط المـاء أسيره وقاتلت عليها السودان تطلب خلاصها من الروم الاندال فضربوهم الروم بقوارير النفط فأحرقوا منهم رجل وفتكوا فى أبطال وأقيال فعادوا على أعقابهم فى غاية الذل والوبال (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وأبو محمد البطال يقول والله لقد حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا الكتاب ولكنهم ما سمعوا منى لمـا أشرت بالصواب والرأى الذى لايعـاب (قال الراوى) ياساده ولم يكن للمسلمين غير الهرب لأنهـم لايقدرون على حريق النار ذات اللهب فهجت وطلبت الخلاص من الهلاك والوبال (ياساده) وبقيت الدنيا فى ذلك الوقت بحر من نار وقتل من بنى كلاب أربعة آلاف بطل من المسلمين الابرار والسودان مائة أسود كرار وكانوا الناس فى تلك الليلة ما بين قتيل وحريق وأسير وغريق وأسرت الأميرة ذات الهمة ومعها خلق كثير والتقى الأمير أبو محمد بالامير عبد الوهاب وقد جرح جرحاً عسير فقال له أبو محمد قد أشرت عليكم وما قبلتم منى إذ كنت مشيرا بطلب نهر الدم الى الصباح حتى تهمد النار فعند ذلك لايقدر أحد من الروم أن يتبعهم عند الفرار (وعادت الملكه نورا) إلى حصنها وقد ظفرت بالمنى وبلغت أعلى مكان وطلع شومدرس من موضع مانزل وأعاد المكان كما كانت أولا وأرجع المرآة إلى مكانها فعاد الفيل الى دورانه والاصنام إلى حركاتها (ياساده) وأما المسلمين فانهم ما كان عليهم أشد فى تلك الليلة من أبى عرقوب الاسود الحجام وهو الذى جرح الأمير عبدالوهاب وما أراد إلا قتله ويسقيه كأس الحمام وذلك لأنه ازداد به الهوى فى نورا والغرام وتمنى أنه يكون فى الحصن مقامه على طول السنين والاعوام كيما يرى وجه الملكه نورا فى سائر الأوقات والأيام فمالت نيته الى الكفر وحدثته نفسه بالردة عن دين الاسلام والكفر بالملك العـلام وكان الملعون من أشجع سودان أبو الهزاهز وأضربهم بالحسام فلما عول على الكفر بعد الإيمان قال فى نفسه: لابد أن أعمل عملا أبيض به وجهى عند الملكة نورا لأكون عندها فى أعلى مكان وما أنال ذلك إلا بقتل الأمير عبد الوهاب وأنال بذلك حالتان: إحداهما ان ينهزم العسكر والثانى يكون لى بذلك عندها اليد البيضاء طول الزمان فقصد الى الامير وقاربه وعرفه لسواد وجهه

فلم يحذره لأنه يعرفه من جملة السودان فضرب الامير (ياساده) على غفلة منه كاد أن يقضى عليه ويسقيه كاس الهوان وهو الذى عرف شومدرس والرجال الذين كانوا معه بالأميرة ذات الهمة لما ضربت بالقارورة وأرمت نفسها الى الماء تطلب الخلاص من النيران فناداهم دونكم وإياها فانها أميرة القوم فعندها انطبقت عليها الرجال من كل مكان وأرموا عليها الطوارق وأخذوها قبضا بالكف ثم قصد الى الملكة نورى وقال لها ابشرى بالظفر فقد قتلت الأميرة المشهور وبطلت عزمه وأسرت أمه فلما سمعت ذلك قوى عزمها وحملت فى قومها وكان هذا سبب الكسرة على المسلمين فى يومها وطلع أبو عرقوب مع القوم الى الحصن فلما رأته أرادت قتله لأنه من أخصامها فقال لهم ياقوم لا تفعلون فأنا الذى قتلت الأمير وأعلمتكم بالأميرة وهزمت العسكر ومع ذلك فأنا راغب فى دينكم فقال شومدرس لقد صدق وأنا أشهد له على مانطق ثم ان القوم نصروه وقالوا أنت قتلت أميرهم بعلم ومقدره فقال أبو عرقوب أنا ضربته بسيفى ضربة واحده فولى منها هاربا ولم أدر ماجرى بعدها وولت القوم منهزمين وهم الآن يمضون الى القلاع التى لهم فقالت الملكة نورى وحق المسيح أنك عملت معى جميل لما كنت أتصارع أنا وذات الهمة ورأيتك ترمى الحجارة تحت رجليها فقال لها أبو عرقوب كذا كان وحق المسيح ياروحى فضحكت من قوله وقالت ما اسمك فقال يعقوب وكنيتى أبو عرقوب وأنا وحق المسيح لكى محبوب فزاد ضحكها عليه وعجبها حتى كاد أن يغشى عليه فقالت له نورى طيب قلبك ولكن يا ترى برحوا المسلمين فقال لها اعلمى أن المنهزمين مالهم ملجأ إلا الحصون التى أخذوها منكم فان كان الأمير سالم ترسلى اليه وتقولين له أمك أسيره ومعها جماعة كثيرة وقد عولت على قتلهم إلا أن تسلم الى الحصون والقلاع فأنا أعلم أنكى لو طلبتى منه فى مقابلة الأميره ذات الهمة الدنيا بأسرها لهان عليه ذلك قالت وحق المسيح لقد صدق أبو عرقوب وان صح ذلك أعطيته أى حصن أراد فقال أبو عرقوب ما أريد لا حصن ولا غيره ولا قلعه وأنا ما فارقت دينى وقتلت أميرى وفارقت أصحابى وتغربت عن وطنى إلا أن أكون خادما بين يديكى ولا أغيب عنك ساعة واحدة فقال له شومدرس السمع والطاعة وان الملعون شومدرس أحضر الأميرة ذات الهمة وقال لها ياعدوة المسيح الى متى يمهلك فقالت له ياعدو الله لاتغتر بالمهلة فلا بد بأخذك أخذ عزيز مقتدر فلما سمع منها أمر بها فمدت وضربها مائة صوت فقالت له الملكة نورى يا أبونا اتركها فانها لما أسرتنى ما رأيت منها

بغى فتركها وقد اشتفى وقال ما أبقى المسيح فى قلبى حسرة (قال الراوى) ياساده وأما أبو عرقوب الأسود لما فعل بالأمير عبد الوهاب ما فعل إلا أنه أراد قتله لأنه زاد به الهوى والغرام حتى تمنى أن يكون له بالحصن مقام على طول السنين والأعوام وهذا كان السبب فى انهزام المسلمين كما ذكرنا بعد أسر الأميرة وما وقع لها من أبو عرقوب وتمليكه عليها البطارقة كما ذكرنا ودخولهم الحصن وضرب الأميرة كما ذكر من الملعون شومدرس ثم بعد ذلك (ياساده) أمر بالأميرة إلى بعض الخزاين وهو يقول لها وحق المسيح لا خلصتى من يدى حتى تخلص زوجتى شوما وولدى دهرشوم ثم جعل يعرض المأسورين واحد بعد واحد إلى الصباح واذا بالغبرة قد طلعت وسمعت الروم الصياح فصعدوا الى الأصوار واذاهم بالأمير عبد الوهاب قد عاد وفى أبطاله ورجاله وقد شردت منهم الخيل فى ظلام الليل وان الأمير لما نظر الى أصحابه وقد فقد منهم كل فارس صنديد فبكا بكاء شديد وفقد الأميرة أيضا ففاضت عيناه بالدموع وضاقت عليه الدنيا بما رحبت فنزل مقابل الحصن وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا والروم لما عاينوا عبد الوهاب وقد رجع اليهم كالأسد الوثاب صلبوا على وجوهم من خوف بأسه وهيبته وقال لهم أبو عرقوب ان أردتم أن لا يقاتلكم ولا ينظر الى حصنكم فهولوا عليه بقتل والدته وقد كف عنكم لأجل قتل أمه فعند ذلك أشرف الراهب شومدرس وناداهم ياشلوح العرب وأخس من ضرب فى البيدا طنب أنا شومدرس الذى تعرفونه وتخبرونه ولا تنكرونه واذا طول المسيح فى عمرى لأفنيتكم أجمعين فوحق المسيح لئن رمى أحدا منكم بسهم لأرميتكم برأس ذات الهمة ومن معها من المسلمين إلا أن تسلموا الينا القلاع التى فى أيديكم الاسارى وفى أولهم ولدى دهرشوم وزوجتى شوما وبعد ذلك نسلم اليكم أميرتكم والمأسورين فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك عظم عليه ونزل بالقرب من الحصن ولم يتعرض لقتال بل قال لشومدرس دعنا نستريح الى غداة غد أنا ومن معى فاما أن أسلم اليكم ماقلتم أو أقاتلكم وتصنعوا ما شئتم ثم ان الامير نزل وبنى كلاب جميعا وقال لهم ان فقد الاميرة قد قطع ظهرى وحيرنى فى أمرى وأنتم ترون هذا الحصن المنيع والمكان الرفيع وقد عدمنا أبو محمد وعهدى به فى المعمعة وهو يقول لى ادخل الى نهر الدم وإلا ما يصبح معك أحد لا أبيض ولا أسود ولم يرد شومدرس ذكره ولو كان عندهم لكان يهول علينا بقتله وما خوفى الى أن يكون

بعد فراق له جرى عليه أمر من الامور فيالها من ليلة ما كان أشرها (ياساده) ثم أمر الناس أن يفتقدوا القتلى فقال الأمير لعله أن يكون مع القوم أسير فوالله لقد بقيت فى حيرة ان أقاتلهم أخاف أن يفعلوا ماقالوا وان أقمت بلا قتال مضت الليالى والايام وهم فى حصنهم ما يبالون بمقامنا وما تم إلا أن الله يرين لهم الخروج الى قتالنا وأقام الامير طول نهاره وتفرقوا السودان فى القيعان وافتقدوها فوجدوا خيول كثيرة ساردة فردوها وانسدل الظلام واختلط القتام وركب الامير فى أصحابه الى الحرس من خوفه من الليلة التى مضت وجازت عليه وانقضت (قال الراوى) ياساده فهذا ماكان منهم (وأما ماكان) من الاميرة ذات الهمة فانها أقامت فى الموضع الذى سجنها فيه شومدرس وكان الملعون قد فرق جماعة من الاسارى عن بعضهم بعض ووكل بالبيت الذى فيه الاميرة ذات الهمة عشرة من البطارقة فلما كان فى االيلة الثانية وهي متفكره فيما وقعت فيه وقلقها على الامير عبد الوهان ومن معه من الاصحاب وإذا بالباب قد فتح عليها فظنت أن شومدرس عول على قتلها وأتى اليها فقالت لا إله إلا الله لكل موتة سبب والقضاء لا يرد اللهم اختم لى بخير فانى أمة ضعيفة وانى ما عبدتك حق عبادتك ثم نادت ياشومدرس بحق دينك ان كنت تريد قتلى أخبرنى عن ولدى هل هو فى الحياة أم لا فقال ما أنا شومدرس أنا غلامك أبو محمد البطال فقالت له مرحبا وقد فرحت به غاية الفرح كيف وصلت الى هذا المكان فقال لها أنا فى الحصن من البارحة لما دخل شومدرس ورجاله من تحت القناطر دخلت معه ورأيت اللوالب والمهالك والحركات وهى فيل من نحاس ومرآة وقد رأيت حبالها وأنا طول النهار فى ذلك الموضع حتى أخرجت المرآه وصح لى تبطيل الفعل والمهالك وصعدت حتى أدبر فى خلاصكم وها قد وصلت اليكم وسمعت من البطارقة أن الامير نازل برا الحصن والفرج قد قرب وها أنا الساعة أمضى اليه وأقص عليه القصة وما ينتصف الليل الا وكل من فى الحصن قد هلكوا وجميع البطارقة قد هلكوا فطيبي قلبك وسكنى روعك وأريد فى مقابلة هذه الفعال تساعدينى على الملكة نورى ولا يأخذها أحد غيرى ثم تركها وخرج من موضع ما ولج ومن تحت الفيل والعين خرج والى عسكر الأمير عبد الوهاب عرج واذا بالامير عبد الوهاب فى جماعة من بنى كلاب على خيول عسكرهم فناداهم أبو محمد فى الظلام فعرفوه بصوته وبكلامه وقالوا الحمد لله على سلامتك يا أبا محمد وأين كانت غيبتك فقال ماهذا وقت كلام فترجل أنت وخمسة آلاف أيها الامير يكونوا أجلاد أجاد

فقال وما الذى تصنع بهم فأخبره بالخبر فكاد قلبه أن يطير وقال سبحان من فرج عنا هذه النائبات كما قال فيها الشاعر هذه الأبيات

إذا النائبات بلغن الهى وكادت لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقل العزاء فعند التناهى يكون الفرج

(قال الراوى) ياساده ثم أعلم الرجال بعضهم بعضا من غير ضجيج ولا عجيج وقصد بهم أبو محمد البطال المصنع والمشاعل بين أيديهم حتى عبروا المهالك ولم يزل سائر بهم حتى صعد من وسط الحصن وطلعت الرجال وصعدت الأبطال والأمير عبد الوهاب وأبو الهزاهز وبنى كلاب والسودان الانجاب حتى صعدوا الى الحصن ثلاثة آلاف رجل ولم يستطيع الأمير عبد الوهاب أن يتمهل بل قال الله أكبر واستعمل العجلة فجاوبته الثلاثة آلاف بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الراوى) ياساده فانقلب الحصن بأهله تارت الروم من أماكنها فما أحد منهم يقدر يأخذ عدته إلا والسيف يعمل فيه وفى قمته (ياساده) وصعدوا بقية الناس وسمعت الملكة نورا التكبير معها داخل الحصن فعلمت أنها دهيت فوثبت صارخة ونادى عين المسيح وهو طائر العقل وصاحت السودان وقاتلت الروم عن الحريم والصبيان وتضاربوا بالصفاح وعلموا المأسورين بذهاب الموكلين بهم فثاروا من مواضعهم وقطعوا الكتافات وتصارخوا من كل الجهات (قال الرواى) ياساده هذا والملكة قد فتكت فى الرجال وقتلت الأبطال وأبو عرقوب بين يديها كأنه الجمل الهائج وكلما نظر إلى وجهها فى ظلام الليل حمل على الناس كأنه المجنون وقد تعجبت من فعاله وقالت يا أبو عرقوب قواك المسيح وكلما سمع منها ذلك صال وجال وأنشد وقال

انى أنا الليث أبو عرقوب غضنفر وكاشف الكروب
لابد لى فى ساعة الخطوب أبيد فيها الجمع عن قريب
حتى أنال الوصل من الحبيب فان نورا فى الهوى نصيبى
من أجلها قاتلت فى الحروب بأبيض وأسمر كعوب
حتى يصير وصلها مطلوبى لعلها تصفح عن ذنوبى

(قال الراوى) ياساده ولما فرغ أبو عرقوب من شعره ونظمه ونثره وإذا بمولاه أبو الهزاهز قد لقيه وقال له ويلك ياملعون كفرت بالذى خلقك وسواك وبحكمته

أنشاك وإذا كفرت به عاقبك وكافاك وبلاك وإذا استكفيته كفاك وإذا رجعت اليه قبلك واجتباك وإذا أشركت به جعل الجحيم مثواك أما تستحى ممن يراك ولاتراه عيناك ياعديم العصمه ياسليب التقوى والنعمه طاب أن تترك به سواه ما خشيت أن يضربك بسيف جفاه وينزل عليك سخطه وبلاه فقال أبو عرقوب كف الملام ودع الكلام فانى قد برح بى الغرام ثم أنشد يقول

أبو الهزاهز كف اللوم والغزلا فما أريد بنورا فى الهوى بدلا
إذا اشتغل قوم فى محبتهم فما وجدت سوى حبي لها شغلا
والله ما هتفت روحى إلى أحد يوما ولا نظرت عينى لها مثلا
ولا تنصرت إلا فى محبتها والحب أصعب ما يبلى به الرجلا

(قال الراوى) ياساده ثم نادى أبو الهزاهز وقال له لك على حرمة وزمام وما أشتهى أن أضربك بحسام فخل عنى ودع سواك يدنو منى فقال أبو الهزاهز ويلك وبقى لك عندى زمام بعد كفرك بالملك العلام فدونك والضرب بالحسام ثم حمل أبو الهزاهز على أبو عرقوب وتضاربا بالبتار وغابا عن الأبصار وتضاربا وتباعدا واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة أبو الهزاهز وقال خذها يا ملعون فقد وفاك المنون فوقعت الضربة على رأسه شقت مخه مع أحناكه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأت نورا أبو عرقوب قتل حملت على أبو الهزاهز فلما رآها ارتجت مفاصله وتصادما وادركهما الامير عبدالوهاب وضربها بالسيف صفحا لقاها على الأرض واحتوى عليها والتقى أبو الهزاهز بعين المسيح وضربه على قمته نزل السيف إلى سرته وعمل السيف فى الكفار الكبار والصغار ودارت عليهم كؤس الأقدار ونادت الروم لورك لورك يعنى الأمان الامان فرفع عنهم السيف ولم يكن له همة الا الاميره ذات الهمة أطلقها من القيد وقال لها أبشرى بجزيل الثواب من الملك الوهاب ونادى الامير فى الناس اطلبوا شومدرس المحتال حتى أشتفى منه كما أشتفى منا فعندها تفرقوا الناس فى جوانب الحصن ولم يخلوا فيه موضع الا فتشوه ولم يعلموا كيف ذهب ولا كيف غطس (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب قبض على البطارقة الذين فى الحصن وجعل يعرض عليهم الاسلام وهم لايجيبوه إلى ذلك وهو يضرب رقابهم الى أن هجم الليل بعساكره وولى النهار راحلا بجيوشه وأعلامه ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد تزايد بالامير السرور والافراح ثم جلس الامير عبد الوهاب وأمر أن يحضروا الملكة نورى بين يديه فحضرت فنظر اليها فى حلة

بنفسجيه باللؤلؤ وقد ضفرت شعورها أربعة عشر ضفيره ونظر الأمير عبد الوهاب إلى حسن وجهها مع سواد شعرها فوق جبينها وقد أضاء اللؤلؤ عليه والحلة قدزادت بها محاسن ونظر الى رقة خصرها فى الزنار فسبح الله الواحد القهار فقال لها يانورى كيف ترى ألطاف البارى الذى حكمه فى خلقه جارى وكيف لطفه بعباده المؤمنين فلما سمعت خطابه قالت له بكلام أحلى من الشهد اعلم أيها الأميران ان الدنيا دول والناس تتنقل وحق المسيح لئن أهانني أحد منكم لقتلت روحى بيدى فقال أبو محمد ومن الذى يخاطبك بما لاتريدى أو يكلمك بما لاتهوى ومن فعل معك ذلك أوقعته فى المهالك وإذا وصلتى إلى بلاد الاسلام تصير القلاع والحصون بحكمك ولو طلبنى بنات الملوك أتيت بهم جوارا إلى خدمتك (قال الراوى) ثم ان الأميرعبد الوهاب لما فرغ من قتل الأسارى واحتوى على كل من فى الحصن من مال ونوال واطفال وصبيان قال الامير لعسكره لابدغدامن الرحيل إلى الحصن السادس إن شاء الله تعالى ثم انه دعابالاميرة ذات الهمة وقال لها من الذى توليه أمر هذاالحصن قالت من رأيته أنت هو الصواب فقال أبو محمدان كان ولا بدتخلونى فيه فماله مثلى يحفظه لان شورمدرش

لا نأمن شره وأنه يعود إلى هذا الحصن من المكان الذى خرج منه

فقال ميمون الجماش اعلموا أن هذا الجرح الذى فى كتفى قدآلمنى

ومنعنى من الركاب على الخيل ويقوى وجعه على فى

الليل وما أقدر على المسيرمعكم فدعونى هنامقيم

ان عذرى واضح وأنا سقيم فقال أبو الهزاهز

الحصون مايحفظهاالا الرجال وهذا

حصن كبير وما تجدوا من

يحفظه مثلى مقدم الرجال

والامر راجع اليكى

أيتها الاميرة

على كل

حال

﴿ تم الجزء الثالث عشر ويليه الجزء الرابع عشر ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الرابع عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمعت الاميره ذات الهمة كلام الرجال علمت ان أكثرهم قد شغف بحب نورا وطمعوا فى وصلها والجمال قالت لايطلب أحدا منكم المقام ها هنا بسبب من الاسباب فان الذى تطلبوا المقام من أجلها لايقدر أحد يتعرض لها ولو ان ولدى عبد الوهاب وقطعت منه الاسباب ان هذه الجارية لكل أحد من المسلمين فيها نصيب وإذا رجعنا الى ملطيه إن شاء الله تعالى ووقعت فى الندا فهى لكم خاصة دون غيركم من بنى سليم وهذه الغزاة ما للسلطان ولا لغيره فيها درهم فاذا نودى عليها يدفع كل أحد منكم ما يقدر عليه ولا يضيع على المسلمين شىء فقال ميمون الجماس هذا الكلام نفعة عائد على ولدك لان مافينا أحسن منه ولاأكثر مال وقد ينادى فيعطى فيها من المال ما لانقدر عليه ونصل الملكة نورا على كل حال اليه فقالت الاميره وذمة العرب أنها إذا وقعت فى الندا وصارت لواحد منكم يدفع فيها ما أرادوا أنا أقرضه من مالى ولا أدع لاحد منكم على ملام ثم أفردت للملكة نورى مجلس من أحسن المجالس ووكلت بها خادمها منجح ثم ادعت بالامير صالح ابن بكار وكان شيخا من شيوخ بنى كلاب ممن يوصف بالشجاعة والبراعة والرأى والتدبير وضمت اليه ألف فارس من بنى كلاب وسلمته الحصن ثم ان الاميره نظرت فى وجه أبو محمد كلام غيظ لاح فى وجهه فقالت يا أبو محمد لى معك كلام وقامت فوثب أبو محمد يمشى معها وقالت ايش يا أبو محمد فانى ما فعلت ذلك الا حتى تنقطع الاطماع منها بسببك ويأتيك الامر على ما تريد ثم انها نفذت الى ميمون الجماس بعد ما قالت لابى محمد فقبل يدها وشكرها ودعا لها ومضى وهو تحت وعدها فلما حضر ميمون الجماس قالت له طب نفسا وقر عينا فما أنا الا فى معونتك وسوف أبلغك

على السلاسل والقيود ياويلك أما ينفع فيك الوعظ والتهديد وتعود الى الملك المجيد وقد والله رق قلبي ولانت جوارحي للاسلام وانى ما أتيت الى هذا المكان إلا أطلب من هذه الاميره وولدها الأمان واستشفع بهما اليكم والدليل على صدق قولى هـذا الخنجر الذى فى يدى نخذه وهؤلاء الأسيرين فحل كتافهما فإنى ما جئت إلا لأجل حملهما (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ذلك من كلام الملعون شومدرس ورأى الامير ابراهيم وأمه علوى قال ياملعون حل كتافهم واخرج بين يدى الى عند الأمير وجدد إسلامك بين يديه فقال يا أبا محمد أخاف أن يكون قلبك على ملآن ولا تصـدق انى قد صرت من أهل الإيمـان فتقلتنى غلط وتطالب يوم القيامة بدمى ولـكن ارمى السيف من يدك حتى أفعل ذلك (قال الراوى) فعندها رمى أبو محمد السيف من يده وقد تخيل عقله بخلاص علوى وولدها ابراهيم فلما رآه لفح السيف وثب اليه ولم يمهله دون أن ضربه بالخنجر فى كتفه خرج من الجانب الآخر فوقع الى الأرض وأشرفت نفسه على التلاف وبرك عليه ليأخذ رأسه فأدركه بولص وصاح عليه وكان بولص قد تبع أثر أبو محمد فلما صاح على شومدرس خشى أن يكون معه جماعة من المسلمين وأبطال الموحدين فألقى نفسه هارباً فى جب الشياطين فلم يقدر بولص أن يدخل المغار من خوفه من شومدرس لأنه كان يعرف خبثه ومكره وشره وغدره وترك أبو محمد على حاله ومضى الى الامير عبد الوهاب وأخبره بما فعل الشيخ الـكذاب فقام الامير بنفسه لاستنقاذ أبو محمد وولده وزوجته ولم يزل سائر إلى أن وصل الى المغاره وهجم اليها فوجد الدم على وجه الارض مثل القربة اذا انفتحت ولم يجد أبو محمد فعظم عليه وكبر لديه وأدار فى المغارة عينه فرأى الامير ابراهيم كأنه الخيال وهو لا يقدر ينطق بحرف واحد من الجوع وكذلك أمه الاميره علوى ففاضت عينيه بالدموع حين رآهما وأنشد يقول :

وقد يجمع الله الشتيتان بعد ما يظنان كل الظن أن لاتلاقيا

(قال الراوى) فدنا اليهما وتقرب منهما وترشفهما وهو لا يتمالك من نفسه ودمعت عيناه فرحاً وحزنا الفرح بسـلامتهما والحزن على الأمير أبو محمـد البطال وفك قيودهما وقال الحمد لله على سلامتكما من بعد طول الغيبة ووحشة الأربة فعنـد ذلك انتحبت الاميره علوى انتحاب الفرح والاجتماع وأنشدت تقول هذه الأبيات :

شكرت الإله على فضـــله فأعقبنى الشكر خيراً كثيرا
وســلمنى من جميع الردى وسلم ابنى الهمــام الأميرا

وأرسله مع بعض البطارقة ورحل فى تلك الساعة وسار الرسول طالب حصن الدولاب ومرج الياسمين وتأخر شومدرس فى حصن العمد يدبر على المسلمين الحيل وسار عبد القداس طالب هلاك المسلمين وأبطال الموحدين ولما أشرفت الغبرة على الأمير عبد الوهاب ونظر (ياساده) الى عسكر جرار فقال يافرسان المسلمين وأبطال الموحدين هذه عساكر قد قصدت إليكم وما أظنها غير مائتى ألف فارس فانى قد عرفتنى التجارب وعرفت وقع الغبار والكتائب فقالوا الناس ان كان الأمر على ما ذكرت فهذا عسكر عظيم ونحن قد قتل منا خلق كثير وتفرق منا فى الحصون خمسة آلاف وقد وقعنا فى أمر عظيم وخطب جسيم فقال اعلموا أن الله عز وجل وعد المؤمنين بالنصر وهو لايخلف الميعاد وهو القائل (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فقالت الأميره : يابنى طب نفساً وقرعيناً فلوانهم أضعاف ذلك وأنا فى عشرة آلاف لقيتهم بمعونة الله تعالى فان الانسان إذا كان قصده الجهاد فى طاعة رب العباد فما عليه من العدو قليلا كانوا أوكثيرا فما يصيبه سوى قتلة واحدة فقال لها الأمير وقد سمع كلامها لله درك أيتها الاميرة ما أحسن صبرك . هذا وقد انجلى الظلام وظهرت الخيل للنظار فنظر العساكر وقدأقبلت كأنها سد من حديد بالسيوف القاطعة والدرق المانعة والبيض الساطعة والخيل السابقة والرماح القارعة والنبال الناقعة فعند ذلك أمر الامير الناس أن يصطفوا صفوف ومواكب وكراديس وكتائب وقال ان حملوا عليكم فأبدءهم بضرب القواضب وتوكلوا على رب المشارق والمغارب (قال الراوى) وجاءت الفوارس مثل فيض السحاب مواكب وكتائب على خيول كالسلاهب ولم يزالوا كذلك إلى أن وصل الملك عبد القداس وامتلأ المرج بكثرة الناس ونصب الخيام والسرادقات ونظر المسلمين الى رجال مارأوا مثلها أبطال وكانوا هذه العساكر رماة يرموا عن قوس واحد وقدنزلوا وضربوا الطوالات وربطوا خيولهم الصافنات فقال الامير عبد الوهاب لاصحابه القوم ما لهم اليوم نية فى القتال انزلوا أنتم أيضا واستريحوا وريحوا خيولكم وريحوا أنفسكم ولم يزالوا إلى أن أمسى المساء وأشعلوا النيران وتحارسوا الفريقان وأن الملك عبد القداس أقبل على قومه وقال قد كسانا شومدرس من العار والفضيحة ثوبا لايبلى فليت ابن أخى عبد الصليب كان قد سار اليهم وكفانا مؤنتهم لانهم شرذمة يسيرة لكن شومدرس هو الذى عظم الامر علينا حتى سرنا اليهم فى هذه الخلائق العظيمة وما تخلفت اليوم عن القتال إلا حتى تأتينا رءوس المأسورين ونرميهم بها حتى ينقطع أمل أميرهم ويرجع منهزماً الى بلده هذا والأمير

عبد الوهاب غافل عن هذه المصائب والأمور والمقادير تجرى بفراق الحبايب وقد أصبح الصباح ولم يقاتل عبدالقداس ولا ركب أحدا من الناس فعظم ذلك على الأمير عبد الوهاب وقال لقومه انزلوا ما ترون من الرأى فقالوا نحن الى الراحة أحوج منهم فدعهم إلى أن يبدؤنا بالقتال فصبر الامير اليوم الثالث وإذا بعسكر الروم على حاله لم يبدؤ بقتال ولا بحرب ولانزال فقالت الأميرة ذات الهمة ماترى فى هذا الأمر فقال الأمير عبد الوهاب هؤلاء يريدون المطاوله وأنا الذى لا أقدر على ذلك فهم فى الكلام واذا بأبى محمد البطال قد أقبل ومعه شخص غريب وعليه زى الرهبان وصفته صفة مطران إلا أن نور الاسلام فى وجهه يتلألأ وبهجة الإيمان فى وجهه ظاهرة فقال للامير عبد الوهاب هذا يا ابن العم رسول اليك من أعز الناس اليك ومعه كتاب مختوم يحتوى على در منظوم مايحسن مثله الروم فقال الأمير عبد الوهاب على بهذا الكتاب فدفعه الراهب اليه ففضه وقرأه وفهم مضمونه ومعناه ورمى عمامته وأسبل دمعته وقال يعز على والله ماجرى والتفت الى الأميرة ذات الهمة وقد اصفر لونه واضطرب كونه فلما رأت ماحل بولدها قالت ياولدى ما ذلك فقال أأمر أبو محمد يقرأ الكتاب على الناس وانظرى ما فيه من الفصاحة والبيان الذى يعجز عنها قس وسحبان ثم ان الأمير بكى حتى بل لحيته بالدموع ونسى الاطلال والربوع وأنشد وجعل يقول :

أذلهمة لو تعلمين بقصتى وما قد دهانى فى حبيبى وزوجتى
فياليتنى من قبل هذا مجندلا وقد شربت روحى شراب منيتى
قطعت بلاد الروم شرقا ومغربا لعلى أن أعطى المنى عند سفرتى
الى أن بلغت المنتهى من حصونهم وأيقنت أنى قد ظفرت بمهجتى
وأطلق أعناق الاسيرين عنوة وأرجع فرحانا بتفريج كربتى
فخانتنى الايام عما أريده فياليت انى عجلت بى منيتى

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت الاميره ذات الهمة ذلك من شعر الامير عبد الوهاب دمعت عيناها خوفا على ابراهيم وأمه علوى ورحمت الامير عبد الوهاب وقالت له يا بنى الصبر عواقبه محموده وما أنت أول من أصيب وبلى بفراق الحبيب لان الزمان له تصاريف وعبر ولم يزل يخرب ماعمر ويفرق الشمل الجامع ويجعل الطرف الصحيح دامع والسكان من دارها بلاقع يابنى أين الامم الماضية والقرون الخالية أين الملوك العاتية أين الدول المتوالية قد طال ما أنست بهم المنازل

وافتخرت بهم المحافل فأصبحت منازلهم موحشة العرصات نادمون على مافات ثم أمرت أبو محمد البطال أن يقرأ الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم وبعد فان الدنيا اكتساب آثام وسرورها أوهام والفراق بلية الصحبة وأشدها فراق الأحبة وقد بلينا بخدمة الكنائس عند فقد الأبطال والفوارس ولكن جرى بذلك المقدور وكان ذلك فى الكتاب مسطور والآن فقد دنا قتل الاسيرة والمأسور بعد شده مالقياه من الذل والهوان ومقابلة العذاب ألوان لكن نؤمل الفرج من عالم السر والاعلان ولما أشيع أن كتائب أهل الايمان والمجاهدين فى طاعه الرحمن ملكوا من وادى العاق الى مرج الزعفران تعلقت الآمال بجمع شملنا بالإخوان وعودنا بعد الغربة الى الأوطان ومفارقة عبدة الصلبان وأهل الكفر والطغيان وان الدهور جارية بطوارق الحدثان وعادت أفراحنا أحزان والقوم فى غداة غد يقتلونا ويرسلون اليكم برؤسنا بعد صلب أبداننا فعليكم من الله السلام ما غرد القمرى وما ناح الحمام على الأغصان وحن غريب الى الأوطان واعلم أيها الأمير انك الذروة الشامخة والشجره البازخة والشجرة التى أورقت أغصانها بالمروءة والجمال وأثمرت بالفتوة والكمال ولما زادت شجونى والأحزان فاضت عبراتى والمدامع فكن لما قلته منصتا وسامع وفى شرح حالنا أقول :

إن الدموع على الخدين تنسكب إن الحريم مع الأولاد قد صلبوا
قد كنت آمل أن الدهر يجمعنا قبل الممات وان البعد يقترب
وكنت أصبر والاعلاج تضربنى ظلما وأصبر إن جاروا وإن ضربوا
وكنت آمل أن تقرب منازلكم منى وتصبح آمالى كما يجب
حتى سمعت بأن المسلمين أتوا نحو الحصون كمثل الاسدان غضبوا
ثم احتووا كلما تحوى الحصون وقد ذلت لها الروم لما استظهروا العرب
وأصبح الروم من بعد السرور على حال الغيور وعاد الحصن ينقلب
فقلت أرجو من فرط السرور بكم وأحسب الرسل عنكم أنهم كذبوا
حتى أتانا كتاب فيه مشورة بقتلنا فغشينا الويل والحرب
بالله ياحادى الأظعان قل لهمو رسالة من أسير كان يقترب
ياراهب الدير قل للست ذلهمة لعل تكشف عنا الضر والكرب
ياراهب الدير قل للست ذلهمة رفقا فعلوى وابراهيم قد صلبوا
ياراهب الدير قل للست ذلهمة ما أصعب الذل بعد العز ياعرب

ياراهب الدير قل عندالأمير أما | يدعا لنا صحبة ما شأنها غضب
ياراهب الدير نادى فيهمو عجلا | أبا محمد أين الجد والطلب
أبا محمـــد لا تنسى مودتنا | أبا محمد أين العهد والنسب
أبا محمـــد ابراهيم منتظرا | منك الغياث وان القلب يلتهب
أبا محمد من للحريم اذا | جار الزمان وقد عمتهم الكرب
أبا محمـد قل للست ذلهمة | جد الفراق وما يرعى لنا حسب
ما بال ضيغم عنـا غافلا ولنـا | صبر جميل به ماسارت النجب
منى عليكم سلام الله ماطلعت | شمس على أحد أم حس مقترب

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الناس الكتاب لم يبق جفن إلا انجرح ولا فؤاد إلا انقرح وفاضت العبرات والدموع وعدموا فى تلك الليلة الهجوع ثم إن الأمير أبو محمد أقبل على الراهب وقال لقد من الله علينا بك بإيصال هذا الكتاب فقال وكيف لا أخاطر بروحى وأواسيهم بمهجتى وبها عرفت الإيمان وتعلقت بتوحيد الرحمن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وكان السبب (ياساده) فى إسلام الراهب الاميره علوى وولدها ابراهيم وذلك أنهما لما وقعوا فى حصن الدولاب وصبروا على مر معذاب لم يشتغلا ساعة واحدة عن عبادة رب العالمين وكانا صائمان النهار وقائمان الليل وأن الراهب لما رأى حسن عبادتهم ونور وجوههم فقال لهما اعلما أننى ما رأيت هذه العبادة التى أنتما عليها الا فى الانجيل وهو أن الله يبعث رسولا الى العباد يكون الرجل من أمته إذا عمل سيئة كتبت عليه واحدة وان عمل حسنة كتبت له عشره فقال ابراهيم هذه صفة أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه فى كتابنا المنزل على نبينا من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فقال الراهب اعلما ان هذا الذى ذكرتم صفته هو الشاهد فى الدنيا والآخرة على جميع الامم بين يدى الله تعالى فقال ابراهيم هو نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو الشاهد فى الدنيا والآخره لقوله تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وأما شهادته فى الآخره فهو قوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقال الراهب اعلما أن هذا النبى يأمر أمته بالصلاة عليه فقال إبراهيم صدقت هذه صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلو عليه وسلموا تسليما فقال الراهب يا هذا رأيت فى الإنجيل أن هذا النبى يعرج به إلى السماء

ويخاطب العلى الأعلى فقال ابراهيم صدقت هذه صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله فقال الراهب اعلما أن هذا النبي الذى وصفته لكما يصوم شهر رمضان فقال ابراهيم صدقت هذه صفة نبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فقال الراهب حسبك أن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الراهب يكتم إيمانه ويتعلم القرآن ولما وصل خبر الأمير عبد الوهاب أنه وصل إلى مرج الزعفران ومعه السودان الأنجاب وسادات بنى كلاب طار قلب الراهب فرحا وقال لهما قد أتاكما الفرج وأنا معول اذا حصل لكما الخلاص أعود إلى بلاد الإسلام وأكون معكما مقيما فى بلاد الاسلام هاجرا من يشرك بالملك العلام (ياساده) وبعد ذلك بأيام وصل الرسول بقتل الاثنين فقالت علوى للراهب يا هذا إن الأجل قد اقترب وفى غداة غد تكون المنية وتصعد أرواحنا الى رب البرية وأريد منك قبل حلول الاجل تحمل مناكتاب إلى أمير المسلمين فقد سمعت أنه وصل الى مرج الرياض واحرص واجتهد كل الاجتهاد ولعل أن يحصل الفرج قبل النفاد ولك جزيل الاجر والثواب من الملك الجواد يوم الميعاد فقال الراهب سمعا وطاعة فقالت أريد منك دواة وقرطاسا فأتاها بما طلبت ومشقت قلما وكتبت ما ذكرناه من أمرها وشرحناه وطوت الكتاب ورمت به اليه وقالت له سر على بركة الله تعالى فما خاب عبد توكل عليه فسار الراهب وجد المسير حتى وصل العسكر وقصد يسأل عن الامير عبد الوهاب فلم يكن سؤاله إلا للأمير أبو محمد البطال فأتى به الى الامير وسأله عما به أشار (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن أبا محمد وثب من وقته وساعته وقال أيها الراهب متى سمعت أنهم يقتلوهم فقال الراهب فى غداة غد فقال أبو محمد هل عندك علم بالراهب شومدرس فقال نعم هو فى حصن العمد وقلعة الصخر فقال أبو محمد الحمد لله على ذلك وأخذ غلمانه وتظاهر بزى البطارقة ولم يعلم بهم أحد العسكرين هذا وإن الاميرة أقبلت على الامير عبد الوهاب وقالت له قد عولت أنا على المضى اليهما ولا يمكننى المقام بحالتين أحدهما أخاف الله تعالى إذا أوقفنى بين يديه وقال لى استنصرت بك امرأة أسيرة فى بلاد الاعداء وقصرتى عن نصرتها والثانى لما بيننا من القرابة والنسب فقال الامير وكيف تمضين قالت أقسم العسكر الذى لنا قسمين واختار أيهما شئت فان أردت أن تلقى العساكر الذين بين يديك وأسير أنا اليوم والليلة جد وكد عسى أدركهم فى غداة

غد وأشغلهم عن قتلهم وإما أن تسير اليهم أنت وتقدم عليهم فقال الأمير اقسمى العسكر كما تريدين وخذى من الأبطال ماتطلبين وقد أجبتك الى ماترغبين فقالت الاميره يابنى إن العدو الذى بين يديك كثير العدد وإننى خائفة عليك ولكن اترك عندك خمسة وعشرون ألف وأسير أنا فى بقية الجيش متوكلة على الله تعالى وأسأله أن ينصرنى عليهم فقال الأمير عبد الوهاب اعلمى أن الامير أبا محمد قد سار اليهم خفية وأنتى فما يمكنك ذلك لما بين يديك من العساكر ولا يمكنك من العبور الى ديارهم وهم من دونها فقالت سوف أحمل عليهم حملة واحده ولو كانوا فى لجة بحر لخضته ثم أقبلت على بنى كلاب وقالت أريد فلان ورجاله وفلان وأبطاله الى أن اختارت منهم عشرة آلاف ثم ادعت بمقدمين السودان الانجاب واختارت منهم خمسة آلاف كأنهم أسود الغاب وركبت الناس لركوبها وركب الامير عبد الوهاب وركبت عساكره فظنوا الروم أن المسلمين يريدون الحملة عليهم فركب عبد القداس فى ماتى ألف فارس مابين مدرع ولابس فماجت بهم الارض فى طولها والعرض وهمهمت الروم والعلوج وزمجرت مقابلها السودان والزنوج وأخرقت الاميرة بمن معها صفوف الروم وأفنت رجال وجندلت أبطال وعلوج وأمسى المساء ورجع الناس إلى الخيام وهم سكارى من غير مدام ونزل الروم وكان يومهم يوم مذموم وافتقد عبد القداس عسكره فوجده قد فقد منه خلق كثير وجم غفير فقال لقومه لو طال عليكم النهار لهلك منكم الكبار والصغار وما بقيتم تريدون أكثر من هذا الذل والعار أن يكون عسكر المسلمين فيكم مثل الشامه وقد فعلوا فيكم ما فعلوا وقتلوا منكم ماقتلوا لقد أغضبتم المسيح بهذا الفعل القبيح فلما سمعوا قومه كلامه عظم عليهم وكبر لديهم وقالوا اعلم أيها الملك إننا أهملنا أمرهم فوصل الينا شرهم ولو نعلم أنهم بهذه الشجاعة وحيث ظهر لنا منهم ما ظهر لا بد لنا أن نبيض وجوهنا بين يديك وترى أمير المسلمين أسيرا فى حصنك وكل من معه أسيرا فى خدمتك فشكرهم على قولهم وبات منتظرا عند الصباح وعدهم وأما الامير عبد الوهاب فانه افتقد رجاله فوجدهم قد فقد منهم خمسين رجلا وبات الامير مهموم ومشغول الفكرة بعسكر الروم وكثرته وأبو محمد وغيبته والاميره وغيبتها ومن أخذته من العساكر بصحبتها وبات عسكره مطروح ومن الروم مجروح وقد ذكرنا أن عبد القداس عسكره رماه (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح جردت الصفاح وركبوا أهل السلاح وعملت الصوارم والرماح والامير عبد الوهاب

شمر عن ساعديه وصاح معاشر المسلمين قد فتح لكم باب النجاح دونكم والجهاد فى طاعة الملك الفتاح فعند ذلك مالت بنى كلاب على الروم القباح وأثخنوهم بالجراح وجرى منهم الدم على الارض وساح وضجرت النفوس من الكفاح وقاتلت السودان قتال الأسد فى البطاح وضاقت بالروم الاماكن الفساح وكثر بينهم على من فقدوه الصياح فهم كذلك واذا بالصياح من عسكرهم قد صاح فلما سمع المسلمون الصياح عظم عليهم وكبر لديهم ولم يمكنهم التأخير عن ضرب الحسام فى الكفرة اللئام ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل الى أن ذهب النهار بضياه وأقبل الليل بظلامه ونادى المنادى بينهم بالانفصال والرجوع عن القتال فرجعت كل فرقة الى خيامها ونزل الجيشان وأضرمت النيران وتحارسوا الفريقان . هذا وعبدالوهاب قد نصب له سرير من الفضة وكذلك ملك الروم نصب له سرير من الذهب والبطارقة بين يديه وسأل عن الصائح ماهو فقالوا أيها الملك أتى من حصننا عبدا وأخبر أن المسلمين عدوا الينا ووصلوا الى حصننا ونزل اليهم عبد الصليب فى عشرة آلاف بطريق وابتدروهم من غير تعويق واختلط الرجال بالرجال ولقيوا منهم النكال وما كانت إلا ساعة حتى قتل منهم من الحصن جماعة وقتل من المسلمين فرد رجلين وأسروا من الروم مالا يحصى يزيدون على ثلاثة آلاف بطريق وانهزم عبد الصليب الى الحصن وهو لايصدق بالنجاة وغلق باب القلعة وقد عبر عسكر المسلمين من مرج الياسمين والى حصن الدولاب طالبين وقد أرسل عبد الصليب يطلعك على هذه القصة لتكون من أمرك على يقظة فلما سمع عبد القداس ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال وحق المسيح ماهؤلاء بنى كلاب آدميين وفعالهم فعال أسد الغاب وما أظن إلا أنهم ما دخلوا على حصننا إلا لما سمعوا اننا أرسلنا نقتل أصحابهم ثم ساروا فى خلاصهم وانني فى غداة غد ما ألم شهر النداء من أتانى برأس مسلم خلعت عليه وإلا ما أقدر أبارزهم (ياساده) فهم فى الكلام والراهب شومدرس قدم فقام اليه عبدالقداس قائما وقال ياأبونا ماالذى أتى بك فى هذه الساعة وما معك من الأخبار فقال الراهب شومدرس أما الحصن وأهله ففى خير وعافية لكن قتل منهم ثلاثة آلاف فارس كانوا مع عبد الصليب فوقع عليهم فى الحصن البكاء والنحيب وقد دخل المسلمين الى مرج الياسمين والى حصن الدولاب طالبين وأما أنا فقد أتيت إليكم من خوفى عليكم فقال عبد القداس ياأبونا لقد كنت تصفهم لى وما كنت أظن أن فيهم هذه الشجاعة والقوة والبراعة وقد عاينت منهم أضعاف ماقلت عنهم ووصفت وقد عولت فى غداة غد إذا صففت

الصفوف واشتهرت السيوف امزق خزاين المال بين يدى وآمر العساكر أن تبرز الى المسلمين وكل من أتانى بأسير أو رأس مسلم أنعمت عليه بالخلع والمال وأوعدهم بجزيل النوال فقال شومدرس اعلم أيها الملك انك قد عولت أن لاتبقى من البطارقة من لايحمل سيفا ولا طارقة فقال وكيف ذلك فقال اعلم أيها الملك أن هؤلاء القوم أبطال العرب ألفوا الحرب من صغرهم واعتادوه ولو وقعوا فى أعظم من هذا العسكر أفنوه وأبادوه وعندى من الرأى أنك تعين من عسكرك عشرين ألف فارس وتفرقهم أربعة فرق كل فرقة خمسة آلاف وعليها بطريق مقدم ويكمنوا فى أربع مواضع فاذا كان فى غداة غد تقبل عليك من نحو الحصون خيل ورجال ويرفعون أصواتهم بالصياح ويأمروك بالارتحال فترحل لوقتك بحيث انك تترك الخيام والطعام والعدد والاموال فاذا وليت يظنوا أن أصحابهم قد عملوا عملا يوجب ذلك وأنا أعلم انهم قد قل زادهم ونفدت عدتهم وقل عددهم فيظنوا أنها غنيمة ومكسب فيشتغلوا بالنهب فعند ذلك تخرج عليهم الكمناء من الأربع جهات بالسوية وترجع أنت كذلك وتسقوهم كؤوس المهالك فلما سمع عبد القداس من شومدرس هذا الكلام فرح وطاب خاطره وانشرح صدره وقال لقد أشرت بالصواب ثم انه لوقته أشار الى أربعة من البطارقة وضم لكل واحد خمسة آلاف بطريق ثم أمرهم أن يتفرقوا من ساعتهم على الأربع جهات وانهم عند الصباح أن سمعوا الصياح أقبل من نحو الحصن وأظهر الملك الهزيمة ونزلوا العرب للنهب والغنيمة تكون كل فرقة محترزة على طائفتها فيخرجوا عليهم من أربع جهات ويراهم الملك فمضوا الى القصة التى ذكرنا والمكيدة التى وصفنا ثم ان شومدرس قام قائما وودع الملك فقال الملك أراك قد عزمت على المضى من عندنا ونحن قصدنا أن لاتفارقنا ولا نفارقك لأنك رحمة علينا وبركتك تعم علينا فقال شومدرس ماأقدر أقيم لأن لى أشغال وأريد أن أسير لأحوال أقطع بها هذا العسكر وآثاره ولا أدع مسلما يصل الى دياره فلما سمع عبد القدوس ذلك من كلام شومدرس قال له بارك المسيح فى عمرك ثم خلاه الخبيث وخرج وقد ضاقت عليه الارض بما رحبت ولايدرى مايعمل ولأى حيلة يدبر (قال الراوى) وانقضى الليل وأصبح الصباح وركب الجيشان خيولها وقد طمعت الروم ببلوغ آمالها وحملوا الجيسان بعضهم على بعض وارتجت من ركضهم الأرض وقام الحرب على ساق وقدم وعملت السيوف الرقاق ففى تلك الساعة ارتفع الصياح من خلف الروم فرجعوا عن المسلمين وتوقف عنهم الأمير عبد الوهاب فلما رأى الخيول تتبادر

والرجال بعضا لبعض تتقاطر قال ماخوفى إلاأن تكون حيلة علينا من الملاعين وقد حار بما رأى وقال تمهلوا على واذا بالكمناء طالعين لحمل عليهم واذا بالملك عبد القداس التقى بالامير عبد الوهاب فضربه بالسيف على رأسه شقه نصفين فولت الروم هاربة وقد غنموا المسلمين أموالهم وقد دخلوا على عبد الصليب وأخبروه بالخبر فتجهز للمسير وقال شومدرس انهم قليلين هؤلاء الأعداء فبقوا المسلمين قسمين قسم هٰهنا وقسم هناك وكان الباب الذى بين حصن العمد وبين حصن الدولاب ومرج الياسمين رأس جبلين قد التقيا ثم طريق غيره وله باب من الحديد ومن فوق رأس الجبلين برجين شامخين لايصل اليهما سهم الرامى ولا منجنيق ولا لأحد عليه طريق يتسلق وقد أمر شومدرس بقفل الباب (قال الراوى) وكان للأمر المقدور وتمام الامور لما صار الامير عبد الوهاب من القرب من الحصن ونزل عبد الصليب بعساكره وكتائبه ومواكبه وضرب مع الأمير عبد الوهاب مصاف فى الميدان فى محل الطعن والضراب وكان عسكر الامير مثل الفرخ فى الزجاج وأن عبد الصليب التفت الى قومه وقال لهم اعلموا أنكم أضعاف هؤلاء المسلمين ولا بقى للقوم سند ولا ملاذ فقاتلوهم واكشفوا عنكم العار وفرق عليهم عدد وسلاح (قال الراوى) وصف الامير رجاله فلما اعتدلت الصفوف خرج من عسكر الروم فارس على جواد أصفر اللون مليح الكون حسن القوائم كأنها دعائم مليح من العيوب سالم شريف النسب شديد العزائم كأنه الشهاب بغية الطالب خفيف إذا مشى سريع اذا غدا واسع الخطا ميمون الغره مليح الطره يسوى من المال بدره عليه تخاصيف من الحرير الأخضر وصحائف حديد مغموسة فى الذهب الأحمر وبين عينيه ياقوتة تزهو وفى عنقه قلادة جوهر وفارسه كثير الزخرفة والبهجه كأنه قد خرج الى فرجه منتصب فى سرجه عليه درع سلطانى مليح الصفايح والنظام قصير الأكمام لايعمل فيه الحسام وسيفاً مانعاً لايعمل فيه السهام فى صدره مرآة جوهر وصليب من الذهب الأحمر ومن تحتها درع مكتوب فيه أسطر بالعبرانية بماء الذهب معادية للملة الحنيفية وعلى رأسه بيضة عادية لاتعمل فيها السيوف الهندية ولا الرماح السمرية ليس فيها لحام ولا تشعيب معتدلة الصنعة والتركيب وقصبة طيب من الذهب المرصع بالفصوص قضيب على قضيب وبيده سيف صقيل وبيده قنطاريه لها سنان كالحية (قال الراوى) وأن الفارس وقف بين الصفين وحال بين الفريقين ثم كشف عن وجه كأنه القمر المنير مليح التدوير واسع الجبين أسيل الخدين رقيق الشفتين غنج العينين أحمر الصدغين

مقوس الحاجبين عريض الكتفين لين المعاطف والكعبين رقيق الخصر كأنه صنع من لجين يسبي الأنام ويقطف الروم بالحسام (قال الراوى) وكان هذا الفارس من فرسان الروم المشهورة وأبطالها المذكوره لكنه عاشق وبمحبوبته رامق متيم ولهان حيران بحب أخت الملك عبد الصليب وقد خطبها منه فأبى أن يزوجه فخرج من ذلك يقصد ان يبين فروسيته وكان اسمه بولص وكانت مخطوبته فيه عاشقة وإلى وصاله شائقه وكانت تضاهيه فى الجمال وتفوقه فى الكمال وقد تعلمت الفروسية والحرب والنزال ولها فى المعامع أقدام الا أنها قد زاد بها الغرام فى حب هذا الغلام وقد أقسم عبد الصليب بالمسيح والانجيل أن لا يزوجها بعد ان شاع عشق كل واحد منهما بصاحبه فلما نزل عسكر الأمير عبد الوهاب عليهم أرسلت الصبية للغلام وقالت له اعلم ان الهوى والعشق قد غير أحوالنا وقرب آجالنا وقد أشرفنا من أمرنا على التلاف ومادام أخى عبد الصليب فى قيد الحياه ما يكون بيننا وصل ولا التئام وقد عولت انى أنزل الى عسكر المسلمين فان قتل أخى أقمنا على ما نحن فيه من ديننا وبلدنا ونتصل ببعضنا ولا يمنعنا مانع ولا يدفعنا دافع وان لم يقتل ونجاو انتصروا المسلمين هربنا اليهم وقلنا مقالتهم وخرجنا معهم الى أوطانهم فارسل لها بولص يقول نعم مارأيتى وحق المسيح ان دين الاسلام هو الدين الصحيح وايش هو الذى يقعدنا حتى يقتل أخوكى ولكن نهرب نحن الى المسلمين فهم يزوجونى بك من ليلتناو نبيت معتنقين واتفقا على ذلك ثم أنه نزل الى ميدان الحرب ومواقف الطعن والضرب فلما نظر عبد الصليب الى بولص فى تلك الأهبة دعاه اليه وقال له ياويلك يابولص ما قولك فيمن يزوجك فقال له بولص يامولاى وكيف لى بذلك ولو بذلت مهجتى فى جميع المهالك فلما سمع عبد الصليب منه ذلك قال له ما أريد منك مال ولا رجال ولكن أريد منك أمير المسلمين أسير أو قتيل وقد أوصلتك الى ماتريد وأكون أنا وأختى لك جوار وعبيد (قال الراوى) فلما سمع بولص ذلك من عبدالصليب قال له على ما طلبت وأنا آتيك بالذى وصفت ثم حملته نيران الهوى وصبابة الجوى وغرام الشوق والفنا وكان مع ذلك فارس لايطاق وعلقما مر المذاق سيما وقد علم ان الجارية قطالون فى الصف ناظره اليه ومشغوفة عليه فوقف فى الميدان وموقف الضرب والطعان ونادى لايخرج الا أمير الجيش ومقدم العسكر فانى قد خطبت بسبب الوصال الى ذات الغنج والدلال التى فى قلبى منها نيران الاشتعال فلما سمع المسلمون ذلك من كلامه قالوا والله ما نترك الامير يخرج الى غلام مهابة للبطل اذا خرج الى غير أمثاله ثم انه خرج اليه

من بنى كلاب غلام أمرد كأنه حسام مجرد مليح القوام حلو الابتسام عالى المقام وهو على جواد أحمر مثل الشقيق قوى العصب دقيق وعليه تخاليق من الحرير الأزرق وعلى الفارس زردية داودية وبيضة عادية متقداً برمح خطى وكان هذين الفارسين يحكموا بحسنهم النيرين (قال) فتجاولوا وتقادموا وتطاولت نحوهما الأعناق وشخصت اليهما الاحداق وقامت الحرب على قدم وساق وارتفع عليهما الغبار فرغب بولص ولم يجد اصطبار ونادته برفيع صوتها يابولص انجدنى بقتل هذا الفارس فلما سمع بولص حديث محبوبته خشى انها تستعجز وأخذته الحمية من فرط المحبة والشوق فحمل على خصمه بقلب قوى وجنان جرىء ونظر الامير الى ذلك فعظم عليه وعلم أن صاحبه هالك فناداه : إيه ياابن العم اطلب الثواب من بارىء النسم وأقحم عليه كما عليك قحم فلما سمع صوت الأمير وكان صباح بن عامر الكلابى فناداه سمعاً وطاعة أيها الأمير ثم حمل على بولص وصاح فيه أدهشه واشتد بينهما القتال فعند ذلك لاصقه الامير وضايقه ومد يده اقتلعه من سرجه ونادى الله أكبر فتح ونصر وخرج به من المعمة وهو فى كفه أسير كالطفل الصغير ولما نظرت قطالون الى ذلك احترقت بنار السعير وزادت بها الغبون وأشرفت من عشقها على الجنون وقالت لأخيها عبدالصليب وحق المسيح إن كنت فعلت هذا ببولص إلاعامداً على قتله ثم انها خرجت الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب . هذا وقد سلم صباح بولص الى الامير عبد الوهاب فجعل الامير ينظر الى حسن ذلك الشاب ويقول : سبحان خالقك سبحان منشيك سبحان من خلقك من تراب . فهم فى الكلام وإذا بالجارية قد برزت وهى مضيقة اللثام وطلبت براز ذلك الغلام فخرج اليها أسرع من البرق وهو يظن انها غلام فحملت عليه وحمل عليها فرأى منها مالم يره من بولص وأخذ حذره منها لما رأى من حسن قتالها فجرى بينهما من الحرب مالا مزيد عليه حتى تقصفت الرماح واعتمدوا على ضرب الصفاح حتى طارت ولم يبق بأيديهما غير المقابض وضجرت من طول مقامهما الصفوف فلمارأت قطالون مانزل بهامن الأمير صباح علمت أنها لاتصل اليه إلابالحيلة عليه لما رأته شديد الامتناع قوى الذراع واسع الباع سريع الصراع لايرهب الموت ولا يرتاع عند ذلك كشفت الجارية عن وجه كأنه مصباح فتبلبل وجه صباح وكان وجهها يزيد على البدر حسناً ولايبقى لمن يراه ذهناً فلمارأى صباح ضياءوجهها الوضاح وقد رمته بسهم من ألحاظها فصاح : ويلك أجارية أنت فقالت نعم فلما عاينته أدهشته وعلمت أن سارية الحب علقت به وقادته ذليل حقير ووقفت بين الصفين وقد نظرت

إليها عيون الفريقين ونادت برفيع صوتها حتى سمع العسكرين ياعبد الصليب وحق المسيح ما أمرت بولص خرج الى قتال المسلمين إلا وأنت تريد قتلي ومابقي لنا عندك بعدها مقام وأخذت بالمأسورين معها ورجعت الى المسلمين ووقفت بين يدى الأمير عبد الوهاب وقالت خذ صاحبك ومن عليّ بحبيب قلبي ومالك عقلي ولي بولص ابن يوحنا أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وعلى ذلك كنت معولة من حين نزلتم على خصمنا فأجابها بولص بالشهادة وختم الله لهم بالسعادة فعندها جاد عليهم الامير بالعطاء والخلع السنية وزوجها به ففرحا بذلك ودخل الإسلام فى قلوبهما . وأما صباح فانه بقى بالجارية مستهام ولاسيما وقد رأى بولص اجتمع شمله بشملها والجارية أسلمت من أجله فعند ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لأبيه عامر والله يا أبتاه لقد فاتتني هذه الجارية (قطالون) وصرت بحبها مجنون وان كان الأمير عبدالوهاب مايطلبها منه ويزوجنى بها ليكونن سببا لقتله لأننى لاقصرت عنها ولو تلفت روحى فقال عامر ياصباح لابد ما أخاطب الأميرعنها فى فسخ هذا النكاح لعل يجمع شملك بها الكريم الفتاح ثم أقبل على الامير عبد الوهاب وقال له يامولاى أنت تعلم حلاوة الولد وأن ولدى صباح شغف بهذه الجارية قطالون وأصبح بها مفتون وأخشى عليه الجنون والولد مايهون وأريد أن تنظر لحالى وتقبل سؤالى وتجمع شمل ولدى بشملها وتصل حبله بحبلها فقال الاميراعلم ياعامر أن هذا ماصواب وإن كان ولدك أسر بولص فقد أسرت ولدك قطالون بحكمتها وما جاءت به الينا من غلبة ولا أخذناها من المعمعة والذى حملها على ذلك الشغف والهوى وقد هداها رب السما فاعترفت هى وصاحبها بوحدانية الله تعالى ورسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد صارت زوجته ولايجوز لى أن أمنعه ذلك وإذا رجعنا الى بلادنا نخبر قطالون فان اختارت إقامتها مع بولص فالأمر إليها ولا نخالفها وان اختارت أن تقبل صباح فهو المراد فلما سمع عامر كلامه علم أنه حق وأعاد ذلك على ولده فقال له ولده لاتطيل الخطاب ولا تكثر العتاب فقد رمتنى هذه الجارية بنبلة فى فؤادى وسلبت منى رقادى وان لم أتصل بها على كل حالة فإنى هالك لامحالة وان لم تزوجنى بها لأعملن عملا يكون فيه وهناً للإسلام وأقتل الأمير عبدالوهاب فضحك أبوه من قوله وقال له أنت عجزت تأخذ الجارية فى مقام الهياج يكون فيك للبحر العجاج وهو الامير عبد الوهاب فقال له آخذه بغتة وأملك الجارية سرقة وأدخل بلادالروم حمية وأضرب رقاب الرجال وأعز روحى ولا أبقى تحت الضيم ولولا أن الجارية فى حومة الميدان أسفرت عن لثامها لما

سبتني ولولا سهام عيونها رمتني لما كانت أسرتني (قال الراوى) ياساده فلما سمع الأمير عامر من ولده هذا الكلام عرف أنه ما يرجع لملام وحمل هم عظيم وقال فى نفسه الشباب شعبة من الجنون وهذا شاب وبطل شجاع وعمل معه العشق وأخاف أن يتم على الأمير عبد الوهاب أمرا من الأمور فيكون وهنا للاسلام وأطالب به بين يدى الملك العلام وخشية الله الواحد أحب من مراعاة الولد ولابدان أعلم الأمير عبد الوهاب بهذا الخطاب حتى يأخذ حذره منه ونكتفى شره وإذا سلم الأمير منه دعه يمضى الى أى موضع أراد فلا مرد لقضاء رب العباد ثم أنه أقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له من قبل أن تحمل على الروم خذ حذرك أيها الأمير من ولدى صباح لايتم عليك منه مثل ماتم من أبى عرقوب اللعين فقال الأمير عبد الوهاب ولم ذلك فأعاد عليه القصة وجميع ما قاله ولده صباح فقال الأمير يا عامر جزاك الله خيرا إعلم أن ولدك صبي وما على قلبي منه مما تقول ولو حدثته نفسة بهذا فاننا نطمعه بالاتصال بها عند عودتنا الى البلاد فاما يموت أويقتل أو يبلغ الآمال وبعد ذلك فأنا مساعده لعل الله أن الجارية يحن قلبها عليه وترق له وتميل اليه حتى لايتقرب ولدك بالكفر بالملك الديان ويعبد الصلبان بعد الجهاد وتلاوة القرآن فشكره عامر على ذلك ثم أن الأمير عبد الوهاب دعا صباح اليه وأقبل عليه وقال له ياصباح أرى وجهك علاه الاصفرار وقلبك فيه وهن وانكسار فان كان من أجل الجارية قطالون فعلى ان أتسبب بكل سبب إذا رجعنا إنشاء الله الى ديارنا انى أوزجك بها وانا اقسم بالله انك أعز عندى من بولص فطاب قلب الامير صباح وخف ما به من الغرام واستراح فهو فى الكلام والروم حملت حملة واحدة فلما نظر الامير حمل وحملت أبطال المسلمين وفرسان الموحدين وصاحت فرسان الملحدين وزعقت المشركين وصاحت العلوج وتمايلت الابطال فى السروج وعاد النهار من الغبار كالليل وجالت الفرسان فى الميدان بالخيل وحكم الحسام والسنان وطارت الرؤوس فى الميدان وذهل من الهول كل انسان وبريت المعاصم من زنودها وزجرت فرسان الحرب وأسودها وحمى الحديد على أجسادها وتهدمت أركان البطارقة من القتال وملاقاة الرجال وناح غراب البين على ربوعها والاطلال ووقعت الخيل فى حومة الميدان وبربرت الانجاب وزعقوا فى الرجال ومالوا على الابطال فعند ذلك رمت الروم بالنبال وطلبت مقاتل الرجال وبنى كلاب قومت الاسنه وأطلقوا الأعنه وأجادوا فى الروم الطعن والنزال ولم يزل الحرب كذلك الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فهنالك افترق الجيشان وعادت كل طائفة الى

مكانها وأضرموا النيران وتحارسون الفريقان هذا والغلام صباح قد أكثر النواح وزاد به الجوى والغرام ولم يأخذه منام وهو يراعى النجوم فى غسق الظلام فعندها أنشد وقال هذه الأبيات

رأيت الهوى سهلا إذا أمكن الوصل ... ومرّ مع الهجران لا بل هو القتل
رمتنى بألحاظ الجفون فأصبحت ... بها مهجتى ما أن لها غيرها شغل
فلا تعزلونى فى هواها فاننى ... نظرت الى شخص وليس له مثل
وقد قيل إن الحب أفنى لعروة ... ومجنون ليلى مات من كثرة المطال
أبات أراعى النجم منى كأننى ... أرى شده حتى يلوح لنا سهل
فان سمح الدهر الخؤون بوصلنا ... أكون لها عبدا إذا أمكن الوصل

(قال الراوى) ياساده يا كرام وقطالون ماعندها من هذا الغلام خبر لأنها تعشق بولص وبه تتيمت ومن أجل عشقه أسلمت فكان كما قال الشاعر المفضال

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا ... وأخرى بها مجنونة لاتريد
قريبة عهد بالوصال وانما ... هوى كل نفس أين حل حبيبها

(قال الراوى) ياساده ولم يزل صباح فى نشيد ونواح إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وركبت عساكر الروم وركب الأمير عبد الوهاب وقال لقومه اعلموا أن الأمر قد طال ولا أعلم ماجرى على الأميره ذات الهمه وأنا خائف عليها لأنها وقعت فى بحر زاخر ليس له أول من آخر وهذا اليوم يوم الانفصال وملاقاة الرجال وأنا أعلم ان القوم كثير لكن أطلب النصر من الملك القدير ولا بد لى ما أبرز الى الحرب ثم أنه برز فى حومة الميدان على جواد أشقر مليح القوائم شديد العزائم ديال الذنب قوى العصب طويل العنق فصار وجال ولعب فى الميدان وطلب البراز ورفع صوته هل من مبارز هل من مناجز يافرسان الروم من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا عبد الوهاب أسود بنى كلاب فعندها برز اليه فارس فى الحديد غاطس فقتله وثانى وثالث ورابع إلى أن قتل من أبطال الروم عشرين فارس ليوث عوابس مامنهم إلا ماهو بشجاعته منهم مشهور واسمه مذكور فعندها امتنعت الروم من الخروج اليه فصاح عبد الصليب ياويلكم ما الذى نزل بكم فهل هو إلا رجل مثلكم فقالوا أيها الملك ان المسيح

مافرض الجهاد إلا علينا ماهو على الملوك ولا خص به بطريق ولاصعلوك فابرز اليه أنت فانه أمير المسلمين وأنت ملك الروم وأحق مالقى الغريم غريمه والخصم خصيمه وكان الملعون كما ذكرنا غدار مكار صاحب حيل وخداع بمضاربة الرجال وكان شومدرس لما وصل اليه قبل وصول الامير الى الحصن وفتح له تلك الحيلة التى ماوصل اليها أحد وفارقه من الخيام وقال له مايمكننى المقام عندك لأن عسكر الأميره قد قصد حصن الدولاب وأنا ماضى أعمل على هلاكهم وقطع آثارهم حتى لا أدع يعود منهم الى بلاد الاسلام ديار ولا نافخ نارقبل أن يبلغوا المراد ويصلوا الى خلاص الأسرى (قال الراوى) ثم مضى وقد أسر اليه سر وعلمه ما يعمل وان عبد الصليب لما رأى ما قد تم على الناس من الأمير عبد الوهاب أقبل عليهم وقال لهم اعلموا اننى خارج الى هذا الفارس الذى نكل بالروم وما أصل اليه إلا بالحيلة والمكيدة وان وافينا القتال مع هؤلاء القوم أفنونا عن بكرة أبينا لأنى أرى كلما قاتلناهم ظفروا بنا وقد ملؤا الأرض منا وما يقتل منهم أكثر من خمسة أو عشرة ولم أعلم كيف هذا وأريد أدبر مكيدة علمنى إياها شومدرس وهى تكون سبب هلاكهم وسبب قتل أختى وبولص فقال لهم دونكم وإياى اخرجونى الى بين الصفين واضربونى بالسيوف صفحا ورجلونى عن فرسى وخذوا لامة حربى حتى ترى المسلمين ماجرى على ونادوا على مطرود : مطرود من باب المسيح وأنا أقول لكم إن دين الاسلام هو الدين الصحيح فتقولوا لابد لنا ما نقتلك شر قتلة فأنا أعتذر اليكم وأقول لكم انما أردت أن أنظر الى حميتكم لدينكم لما رأيت ما قد نزل بكم فأخاف قلتكم فردوا على لامة حربى وما يصلح للطعن والضرب وقولوا مانصدق فيما تقول ولانقول مالكنا ونقبل كل ما أردت وأمرت إلا أن تخرج الى هذا الفارس فانى سوف أخرج اليه وأهجم عليه وكيف رأيتمونى لاتتعرضوا لى فوحق المسيح لأملكن رقاب الجميع فلما سمعوا ذلك من كلامه أقبلوا عليه بالسيوف وأخذوه الى بين الصفوف وعروه عن اللباس وبقى بينهم عارى الجسد مكشوف الرأس ونظر الأمير الى ذلك فأنكر مارأى وأقبل على قومه ائتونى بقطالون وبولص فعسى يعرفون هذا الفارس الذى قد فعلت الروم به هذه الفعال فما هذا الأمر إلا أمر عظيم وخطب جسيم ولم تكن إلا ساعة حتى حضروا الاثنين ونظرت قطالون الى أخيها وما قد جرى له فقلقت عليه لأجل حنة الدم وقالت أيها الامير هذا أخى وحق البشير النذير مافعلت به الروم هذه الفعال إلا لأمر عظيم فقال الأمير عبد الوهاب فهل ترين أن أحمل عليهم ونخلصه من أيديهم لأجلك فقالت

قطالون يامولاى الأمر اليك فهم فى الكلام وإذا بالروم قد ردوا عليه ملابسه وما أخذوه منه وأركبوه الجواد وأشاروا بأيديهم الى الأمير وصاروا يكلمون عبدالصليب بالكلام الذى علمه لهم والملعون يحرك رأسه وكان هذا كله حيلة ومكرمن شومدرس اللعين وخرج عبد الصليب وهو منكسر النفس حتى حصل الى الامير وأقبل عليه وطلبه ونظر الأمير الى حملته فأخذ حذره منه وحمل عليه الأمير عبد الوهاب وحمل كل واحد منهما على صاحبه وثار بينهما الغبار حتى غابا عن الابصار وهنالك وقف عبدالصليب ونادى الأمير عبد الوهاب بخطاب عاقل لبيب وقال على مهلك أيهاالامير الأجل الماجد والسيد المجاهد فى طاعة الملك الواحد الذى ليس له ولد ولا والد فلما سمع الامير هذا الكلام أمسك عن ضربه وقال له من أين لك هذا الكلام فقال يامولاى حديثى عجيب وأمرى غريب والسبب فيه أنى بت البارحة وأنا متفكر فى قتالكم فينا مع كثرتنا ونصرتكم علينا وكيف ومع هذا الاتفاق العجيب والأمر الغريب وقع النقص فينا وكيف أسلمت أختى واختارت دينكم على ديننا من غير داع أقبل اليها ولا ساع سعى اليها ولما طال فكرى فى ليلتى غلب على الكرى فرأيت فى منامى شخص أبيض اللون مليح الكون مقرون الحواجب واسع المناكب معتدل القامة بين كتفيه علامة ومعه أربع نفروهو بينهم كأنه القمر وقال لى ياعبدالصليب الى متى أنت فى شك من قول لاإله إلا الله محمد رسول الله فلما سمعت حلاوة خطابه قلت يامولاى أخاف من غضب عيسى ابن مريم إن صرت مسلما فقال اصبر على قليل ثم غاب وعاد ومعه رجل أشقر عليه آثار العبادة وهو بهى الطلعة فلما نظرت اليه قلت له من هذا فقال الشخص الأشقر أنا عيسى ابن مريم واشهد على ياعبدالصليب انى أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعت منه ذلك قلت له انى قد رضيت لنفسى مارضيت أنت لنفسك ونطقت بالشهادة على يد محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لك أنت رفيقه فى الجنة يوم القيامة فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام رق قلبه ودمعت عيناه وكاد أن يغشى عليه فلما علم اللعين أن سهام حيلته قد نفذت وخديعته قد أثرت قال يامولاى هذا ما كان من منامى فلما أصبح الصباح أردت أن أخبر قومى بالخبر وما قال سيد البشر فأنكروا ذلك وأرادوا أن يقضوا على حتى رجع عقلى قلت لهم ياقوم انما أردت أن أنظر الى قلوبكم إن كانت قد تغيرت والآن قد زاد فرحى بكم فلما سمعوا كلامى عادوا الى تعظيما لى وإكراماً وقالوا مايزيل مافى قلوبنا إلا أن تخرج الى هذا الفارس والآن قد خرجت اليك وجددت إسلامى

على يديك وان شئت مضيت معك إلى عسكرك وان شئت سلمت الحصن فقال الامير عبد الوهاب هذا أكبر مرادى فكيف الوصول الى ذلك فقال أيها الامير انهزم الى الحصن وما فى قومى إلا من ينهزم اذا رآنى انهزمت واذا أسدل الظلام ينفرد منكم مائة بطل همام ويقصدون البرج الذى فوق الباب وعليه القبة العالية فإنى هناك لكم فى الانتظار فان قدرت على فتح الباب فتحته وان لم أقدر دليت لكم الحبال وتصعدون عليها فاذا طلعتم بأجمعكم وصرتم فى البرج فتحت الباب وضربناهم بالصارم البتار ونطلب النصر من رب الأرباب (قال الراوى) وأن الامير ولى منهزماً وطلبه عبد الصليب مصمماً وأشار الى عسكره فحملوا وقد أنكروا أمر الامير يريدون خلاصه ونكلت بنى كلاب فى الروم ولم يحسب عبد الصليب أن الروم يتفق لها هذا الأمر المذموم لأنه ظن أنه اذا انهزم لا تلحقهم المسلمين إلا وهم فى حصنهم سالمين فكان الامر بخلاف ذلك فانهم لما انهزموا تعلق الى الجبال منهم جماعة وجماعة دخلوا الدروب طالبين حصن الدولاب وما دخل معهم الحصن إلا كل فارس فلما صاروا فى حصنهم وأغلقوا عليهم بابهم وجعلوا يندبون أصحابهم وكان هذا الحصن واسع فأقبلوا البطارقة على عبد الصليب يلومونه وقالوا له ما كانت هذه الحيلة إلا علينا لا لنا وقد قتل منا عالم عظيم فقال اعلموا أن اسوة فى الحصون من أهل العز المصون ملكت أطلالهم وقتلت رجالهم ولنا أمل من المسيح أن يأخذ بثارنا فى هذه الليلة ويكشف عنا ما بنا وقد دبرت على انه يأتينا الليلة منهم جماعة قدر مائة بطل فان تم عليهم ما قد دبر فهو سبب رحيل هذا العسكر عنا فقالوا له ماهو إلا رأى سديد ثم انهم صبروا الى أن انسدل الظلام (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء. وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه لما رجع الى العسكر وقد ذهب عسكر الروم وانكسر وغنموا المسلمون غنيمة عظيمة ورجعوا الى مواضعهم وقالوا للأمير عبد الوهاب أيها الامير مالنا رأيناك قد هربت وماذلك إلا لسبب من الأسباب فأخبرهم بالخبر فقالوا الحمد لله الذى سهل لنا أخذ هذا الحصن وفتحه حتى نمضى الى الاميرة ذات الهمة وما ندرى ماقد كان منها (ياساده) فلما سمعت قطالون بما قال عبد الصليب ظنت أن ذلك حقا وأقبل بولص على الامير وقال يامولاى أنا خائف من عبد الصليب أن لا يزوجنى بأخته قطالون فقال له الامير لا تشغل قلبك فان الكفر اذا ذهب من القلب ذهب الغل والغدر فلا ترجع تسميه عبد الصليب بل هو عبد الله وبقى الامير على ذلك إلى أن انسدل الظلام واختار الأمير من المسلمين مائة بطل همام لهم خبرة بالضرب بالحسام من وجوه بنى كلاب والسودان الأنجاب (قال الراوى) وكان الأمير أبو الهزاهز قد مضى

مع الاميره وسار الامير مختفى حتى وصل الى باب الحصن ثم وقف وإذا بهمهمة عبد الصليب فقال الامير عبد الوهاب ذهب الشك ياأبطال المسلمين وأتى الفرج من رب العالمين فقالوا الحمدلله الذى قرب منا البعيد وهون علينا كل صعب شديد (قال) يشد وسط أصحابه واحد بعد واحد وكان الملعون عبد الصليب اا رأى وصارالأمير مقبلا بأصحابه أقام عنده خمسمائة بطريق بالسيوف المجردة وأمرهم أن كل من طلع ما يكون بكم همة إلا القبض عليه من وقته ويهولون عليه بالقتل ففعلوا ذلك وشد الأمير من جماعته واحد ورفعوه فما لحق أن يقف على قدميه حتى مسكوه وما زالوا يقبضوا على كل من طلعوه واحد بعد واحد حتى أسروا الجميع عن بكرة أبيهم وكان آخر من صعد الامير عبد الوهاب فما استقر قائما على قدميه حتى قبضوا عليه وكان من خبثهم اذا قبضوا على واحد منهم نزلت به البطارقة الى وسط الحصن الى أن أسروا المائة فارس من بنى كلاب الأعيان ومن السودان الأنجاب وملكوا الاميرعبدالوهاب وقيدوهم بالقيود الثقال وجعلوا فى أعناقهم الأغلال . هذا بعدأن خلعوا ما كان عليهم من الثياب الملاح والعدد والسلاح وأمر عبد الصليب البطارقة أن يلبسوا ثياب المسلمين فلبسوها ثم فتح باب الحصن وكان الأمير عبد الوهاب أوعدهم ليدخلوا عند فتحهم الحصن كما قرر معه عبد الصليب الملعون وكان هذا جميعه من تدبير شومدرس الملعون وما رتبه وأسره إليه (قال الراوى) ياساده وسارت بنو كلاب قليلا قليلا إلى أن وصلوا الى باب الحصن وفتح الباب وقد أوقف عبد الصليب البطارقة وفى أيديهم السيوف وهم فى زى المسلمين وقالوا لهم ادخلوا بلاصياح فجعل الناس يدخلون عشرة عشرة ولا يدرى الإنسان بنفسه إلا وقد ملك وحلقه قد مسك حتى أخذ من المسلمين من بنى كلاب ثلاثة آلاف ومن السودان ألفين ثم ان ميمون الجماس قال للناس : ويلكم امتنعوا من الدخول فوالله لقد رابنى أمر هذه الليلة فقالوا له وكيف ذلك قال ياقوم ما دخل أحد وسمعت له خبر ولا وأينا للظفر أثر وما أهل الحصن أموات حتى يدخل اليهم خمسة آلاف فارس ومايشعرون بهم والله لوكان الأمر يدل على خير وكان الأمير عبد الوهاب من أول ماطلع فى المائة الاولى كان فيهم كفاية لأهل الحصن ولكن ماهذا إلا حال مريب ثم انه منع الناس من الدخول ووقف ينتظر التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فلم يرى لذلك أثر فقال لقومه : ألم أقل لكم إنها مكيدة وكل من دخل الى الحصن صار هالك فلاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أعوذ بالله من شر هذه الليلة فطال عليه الوقوف والانتظار وإذا

بالباب غلق ورموا المسلمين من فوق الصور بالحجارة وكثر الهرج والمرج بالأبراج وصيح الحصن بصياح الاعلاج ثم نادوا من على الأصوار ياشلوح العرب وحمالة الحطب ويلكم أحسبتم أن المسيح يغفل عنكم أو يترك أحدا يخلص منكم ألا ان أصحابكم قد ضربت رقابهم وأخذت أسلابهم وفى غداة غد نرميكم برؤسهم ونخرج اليكم ولا نبقى عليكم (قال الراوى) ياساده فلما سمع ميمون الجماس هذا الكلام عظم عليه وكبر لديه وعاد وهو يقول يالها من مصيبة ما أعظمها وللظهور ما أقصمها (ياساده) ورجع ميمون الجماس وسائر الناس إلى المنزل الذى كانوا فيه وأضرمت النيران وقد مليت قلوبهم أحزان وكثر البكا فى عسكر أهل الايمان على من فقدوه من الأمراء والإخوان وقالوا والله لقد رزينا برزية وبلينا ببلية ما وقعنا فى مثلها قط من قبل ومن بعد والأميرة غائبة ولا نعلم ماكان منها والأمير عبد الوهاب قد أخذ ولا بقى عندنا فارس مذكور ولا بطل مشهور ومالنا إلا الرحيل إلى ورائنا إلى نهر الدم فنكون فيه إلى أن يقضى الله ما هو قاض لأن الطريق الذى بيننا وبين الأميرة قد سدت وأبراجها تحصنت والدروب مقفولة والطير ما تقدر عليها وما تصل اليها فقالت لهم قطالون والله لقد عجبت أن أخى يسلم ويكون قط مسلم هذا جرى من المسلمين (وأما الملعون عبد الصليب) فانه لما احتوى على الأمير عبد الوهاب ومن معه من السودان وبنى كلاب بتدبير الملعون أبو الشر شومدرس ورجع باقى المسلمين ونزلوا فى الميدان قال عبد الصليب للبطارقة ان السيد المسيح قد أخذ لكم بالثار وكشف عنكم العار وكل من قتل له قتيل يأخذ واحد من المسلمين الذين هم عندنا مأسورين فان المسيح قد شفى صدوركم منهم وعندى رأى إذا فعلتوه نلتم غاية الشرف والمنا وظفرتم بالأعدا فقالوا وما هو أيها الملك قال تفتحون الحصن يخرج عليه عسكر كامل العدد زائد المدد ويكسر باقى العسكر ما أقول ان يبقى منه باقيه (قال الراوى) ثم إن الملعون جمع عشرين ألف من الروم وقصدوا عسكر المسلمين وكان ميمون الجماس فى غاية الحزن على من فقد من الناس وهو يقول والله ما أنا منهم ان يخرجوا الينا فنكون من أمرهم على حذر (ياساده) فهو معهم فى الكلام وإذا هو يسمع صهيل الخيل فى ظلام الليل فعندها وثب ميمون الى سرجه وهو مريض من جراحه ووثبت الرجال على خيولهم وما وصل الملحدون الى عسكر الموحدين حتى أخذوا المسلمين أهبتهم واعتدوا بعدتهم وحمل بعضهم على بعض وارتجت بهم الارض فى الطول والعرض ودام القتال واشتد بينهم الحرب والنزال إلى أن ولى الليل بظلماه

وأقبل النهار بضياه وقد امتلأت الأرض من القتلى وسالت الأودية بالدما ولما وقعت العين على العين كانت المسلمين أربح من الروم لأنهم قتلوا منهم عالم عظيم (قال الراوى) وان القوم رجعوا عن القتال الى حصنهم وقال بعضهم لبعض اعلموا أن هؤلاء القوم قد استقتلوا وان لم نصعد الى حصننا ما يحصل لنا منهم خير فدعهم يقيمون ما أقاموا فلا بد أن يقل زادهم وعددهم ويطلبون الحصن الذى خلفهم فقالوا لهم هذا هو الصواب وكانوا قد نزلوا عشرة آلاف وبقوا ستة آلاف وعبد الصليب قد ملا الحبوس والمطامير من الرجال فقالوا الروم أيها الملك ما الذى تنتظر بهؤلاء المسلمين المأسورين وقدقتل منا عالم عظيم فقال لهم عبدالصليب اعلموا أن هذا ما هو منى ولا بتدبيرى وإنما هو بتدبير عالم النصرانية وإمام الملة المسيحية شومدرس وإنه قال من وقع فى أيديكم هذه المرة فلا تقتلوه لأن فى قلبى منهم حرارات وأريد أستشفى منهم إذا قتلوا بين يدى وأنا ما أقدر أخالف عالم النصرانية وبعد ذلك لاأدرى ما كان من العسكر الذين دخلوا الى حصن الدولاب مع أنى أعلم أنهم خلق كثير وعساكر المسلمين يسير غير أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك والأيام دول وما أدرى ما يكون من الملك الاشميطش ومن رجاله وعسكره وأصحابه وما بقى ملك غيره والمسلمون قد دخلوا دياره فاذا ظفر بهم الملك الاشميطش فأنا أمكنكم من هؤلاء تضربون رقابهم فان هذا كله من خوفى عليكم لأنه لوكان المسلمون رجعوا اليكم ما كانوا يبقون عليكم فاعلموا ان أصحابكم قد قتلوا أصحابهم فلما سمعوا ذلك من كلامه استصوبوا رأيه وقالوا هذا هو الصواب (ياساده) ثم ان عبد الصليب ادعا بعشرة من البطارقة وقال لهم اذهبوا الى حصن الدولاب وانتظروا ما تجدوا من الأخبار وما كان من الأسيرين الذى بعث عبد القداس يأتى برؤسهما وانظروا أيضا ما كان من العسكر الذى عبر فقالوا سمعا وطاعة ثم صبروا الى أن اختلط الظلام وخرجوا طالبين حصن الدولاب بعد ما أوصاهم وقال لهم إذا أنتم وصلتم الى الملك الكبير الأشميطش خبروه عما صنعت وما أشرت به عليكم وان رأيتم شيخ العلم وصندوق الحكمة ورحمة المسيح النازله وبركاته الشاملة أبو الشر شومدرس فأقروه منى السلام وخبروه أن الحيلة تمت وأبطال المسلمين فى شركنا وقعت فيسرع إيابه فانى فى انتظاره كيما يحضر قتل الاسارى ثم ان البطارقة صبروا الى أن دخل الليل وأرخى على الأقطار ذنب وديل وطلبوا باب الدروب ليخرجوا منه فصاحوا عليهم الاعلاج من أعلا الابراج فعرفوهم بأنفسهم وعبروا واحد بعد واحد لان المكان قد سد

بالأحجار كما ذكرنا وصاروا طالبين حصن الدولاب هذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من ميمون الجماس فان أصحابه قالوا له ما الذى تنتظر فان الأمير مالنا اليه وصول ولا الى الحاقه من سبيل ومقامنا هاهنا ما له وجه تقرب بنا الى الحصن الذى وراءنا إلى أن يمن الله علينا بالفرج فقال ميمون الجماس ما أنا بفاعل هذا أبدا وعوض ما نكون فى الحصن نكون فى هذا الموضع نازلون حتى ننظر ما يكون من أمر الأمير وأصحابه لعل يأتى فى العرضيات مالم يكن فى النيات أو كما قيل يأتى من ألطاف الله ما لم يكن فى البال وإقامتنا هاهنا فى مقابلة الكفار خير من رحيلنا من عندهم (قال الراوى) ياساده فأقاموا مكانهم ينتظرون الفرج من الملك الجبار مدبر الليل والنهار (ياساده يا كرام) وأما الأمير عبد الوهاب فانهم أنزلوه هو وأصحابه الذين معه فى سرداب وأقبلوا بنى كلاب يلومونه ويقولون له خدعك هذا الملعون بخديعة ماسبقه اليها أحد فقال لهم الأمير دعوا عنكم الملام وقلوا من الكلام كان ذلك فى الكتاب مسطورا وقد قال الشاعر حيث قال :

إذا أراد الله أمرا بامرىء   وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذناه وأعمى قلبه   وسل منه عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ من حكمه   رد اليه عقله ليعتبر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى   فكل شىء بقضاء وقدر

(قال الراوى) ياساده ثم قال الاميران الملعون ماخدعنى إلا بذكر رؤياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الذى خدعنى من أجله وألقيت فى المطموره بسببه يخلصنا من الوثاق ويفرج عنا ضيق الخناق (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من حصن الدولاب والملك الأشميطش فانه أتاه كتاب من عبد الفداس يأمره بقتل علوى وابراهيم وانفاذ رؤسهما فأنفذ الى الأقاليم الذين له وأهل رساتيقه وأمرهم أن يحضروا قتل الأسيرين ويكون اجتماعهم يوم الأحد (ياساده) فاجتمع من الروم عالم عظيم وكان اجتماعهم على قنطرة النجم ومرج الياسمين وهذا مرج أفيح واسع الجنبات كثير الزهر والنبات فصار فيه خلق كثير أعظم من عيد الصليب وعيد الشعانين ولما كان يوم الأحد خرج الملك فى خواص قومه وقد ضرب له سرادق من الديباج الرومى حباله من الابريسم الملون فنزل على قنطرة النجم وانعقد على رأسه خمسة آلاف صليب ما بين ذهب أحمر وزبرجد أخضر وأصفر مرصع بالدر والجوهر وأخرجت علوى عارية الجسد مكشوفة الرأس مكتوفة اليدين والنواقيس تضرب عن أيمانهم

وشمائلهم والسياف من وراء ظهورهم حتى وصلوا بهم الى الخشب الذى نصب لهم ووقف السياف ينظر أمر الملك والأمير ابراهيم مشتغل بقراءة سورة الأحزاب والأميره علوى مشغولة بقراءة سورة الأنعام والناس مجتمعين من الرجال والنساء المتفرجين وفى أيديهم الحجارة يقصدوا بها رجمهم بعد القتل وفى تلك الساعه وصل أبو محمد البطال وجد السياف قدتقدم الى علوى ومسك بزوائبها منتظر الأمر ويعلوها بالسيف وهى صابرة لحكم ربها راضية بقضائه وهى تقول إلهى وسيدى قد أهانونى أعدائك لأجل اعترافى بدينك وقد عولوا على قتلى لاقرارى بتوحيدك اللهم أنزل على الصبر فوعزتك لا عبدت سواك (قال الراوى) ياساده وان بعض الرهبان نظر الى حسن بدنها وسواد شعرها فقال للملك يامولاى هذه امرأة ضعيفة وما هى صاحبة سيف فتخشاها فهل لك أن تدعوها الى دين المسيح فلعها أن تدخل فيه وتصير نصرانيه وتتبرأ من دين الحنفيه ويكون لك الأجر من السيد المسيح فقال الملك الأشميطش ما أدرى من أيكم أسمع فانى وصل إلى كتاب من عند الشيخ العالم شومدرس وهو يأمرنى بقتلهما لكونهما مؤمنين فقال الراهب واذا تنصرت فتقدم اليها وأعرض دين النصرانيه عليها فلما سمع الراهب كلامه تقدم اليها وقال لها اعلمى أنه قد وقع رحمتك فى قلبى والثانى مؤمل أن تنتقلى الى دين المسيح ولك الأمان من الملك من القتل وبعد ذلك أنا أتزوج بك وتنظرى معى مالا رأيتيه فى بلاد الاسلام وان تنصر ولدك هذا يعنى ابراهيم فأنا آخذ له من الملك الأمان ويكون عندى فى ألذ عيش وأطيب زمان فلما سمعت الاميره علوى كلامه وما نطق به من خطابه أجابته بصوت جوهرى يسمعه القريب والبعيد أيها العبد الضال أما علمت أن المسيح عبد الله كما أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز قال « إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا » فوصف نفسه بالعبودية حتى لايعتقد فيه نوعا من أنواع الألوهية ثم وصف نفسه بالنبوة حتى لايخرج عن صفة البشر ثم قال « وأوصانى بالصلاة » فوصف نفسه أنه مكلف بالعبادة مثل غيره والله أول ما يسأل عيسى عليه السلام عن رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول قد بلغتها قد قال الله تعالى « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وأما ان دينك قديم والقديم أفضل فلو كان ذلك حتما لكان ابليس أفضل آدمى فى الارض لانه أقدم من دينك وأن قولك تنصرى وولدك وآخذ لكما الأمان من الملك فان كان حتما فمن يأخذ للملك الأمان من النيران إذا سودت الالوان ونشر الديوان وبلغ العرق الى الاذقان وبان الربح من الخسران ولا يبقى بعد ذلك حسب ولا نسب ولا فضة

ولا ذهب ولا أولاد ولا غلمان وصارت السماء وردة كالدهان وعرفت يومئذ أهل الكفر من أهل الإيمان وسعرت النيران وزخرفت الجنان فلا نجاة يومئذ إلا لمن وحد الواحد الأحد الفرد الصمد الذى تنزه عن الزوجة والولد ورفع السماء بغير عمد وأقر بالرسالة لمحمد سيد البشر . وأما قولك انى أكون لك قرينة فهو مالا يكون أبدا وكيف يكون ذاك وقد قال الله تعالى : (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) وأما قولك انك رحمتنى فأين أنت من رحمة ربك وأنت تنزه نفسك عن صحبة الزوجة والولد ولا تنزه الفرد الصمد (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الراهب ذلك من كلامها وما نطقت به من خطابها لم يقدر على رد كلمة من جوابها وانه رجع الى الملك وقال له ياملك اصلبهم ولا تخاطب أحدا منهم فان هذه المرأة تستحق الصلب بعد الضرب فعندها زحفت الروم اليها بحتف عظيم فبينما هم كذلك وإذا بالصياح يصيح خلوا عنها يا أعداء الله فقد أتاها الفرج من رب الأرباب وإياكم أن تقتلوها فتأخروا عنها فعندذلك نظروا الروم الى الصائح وإذا قد أقبل بطريق مليح رشيق يصيح بالرومية بلسان طليق ومن حوله راهبين وشماس بأحسن هيبة ولباس وشعور مسبولة على الأكتاف والصلبان على صدورهم والزنانير مشدودة على الخصور فلما نظر الملك الى ذلك البطريق أجلسه ورفع قدره وبجله وقال له من أين طريقك فقال من عند أخيك عبد القداس وإنى كنت غضبت على ملك القسطنطونية منويل ولم أجد لى صبر على الإقامة عنده لما وقع بينى وبينه وما كان لى إلا أن أتيت الى الملك سكندروس لأن منويل ما يقدر يأخذنى منه ولى اليوم عنده عشر سنين فى عيش كريم إلى أن أتتنا المسلمين وملكت الحصون وقتل من اخوتك أربعة ومابقى عندهم غير الملك سكندروس وهو حاجبى والمفضل على وبه سلوت وطى ومسكنى وأنا كنت هربت مع من هرب الى الملك عبد القداس مع بقية الناس لما أسر صاحبى سكندروس وسألنى عبدالقداس عمن قتل من اخوته فأخبرته أنه بقى مع المسلمين ألفين من بطارقة الحصون ممن يقول كرياليسون والملك سكندروس وقد طابوا فى مقاباته ومقابلة جميع البطارقة هذين الأسيرين اللذين تريد قتلهم فلما سمع عبد القداس منى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال قد كنت أقول انه مابقى من اخوتى غيرى وما قد قالوا لى المنهزمين وقد كتبت كتاب الى أخى الكبير وهو الملك الاشميطش أن يقتل الاثنين وينفذ الى الرأسين وإن أرسلت اليه الساعة أقول دعهم أخاف أن يستقل عقلى وينسبنى الى قلة المحصول ولكن أنا أقاتل هؤلاء المسلمين

وسر أنت على عجل وأدرك الأسيرين قبل أن يفرط فيهما الفرط وقص القصة على الملك وخذها وعد إلىّ سريعا حتى أبصر ما يكون من الوقعة فان كانت لنا فهو الذى نريد وإن كانت لهم نفادى بالأسيرين كل من عندهم فهم عندهم فى أعز الكرامة والإعظام وإلا أيها الملك ان الملك عبدالقداس معول غداة غد على القتال فانظر ماذا ترى وأرسل معى من يحفظ الاسارى ويطلب أقرب الطرقات الى العسكرين فقال الملك سمعا وطاعة وقد سلب عقله كلام ذلك البطريق وقال له ياأبونا عسى أن يخلص أخى سكندروس بسعادتك ومع ذلك فسوف أمدكم برجال أولهم بمرج الرياح وآخرهم بمرج الياسمين وأريك كيف أنتقم من المسلمين وأريد أيها البطريق تقيم عندى الليلة وتأكل طعامى الى غداة غد تسير فى أمان فقال البطريق مالى الى هذا من سبيل والقوم فى غاية الوجل (قال) فلما سمع كلامه قال أحضروا الطعام بعد أن نزلوا ابراهيم وأمه علوى إلى ذلك البطريق فحققته علوى وإذا به أبومحمد البطال ففرحت بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد فأعلمت ولدها فى السر بالإشارة وقالت له أبشر ياولدى فقد أتانا الفرج من عند صاحب الفرج فان كان فى الدنيا أبى محمد البطال وهو فى الحياة فهو هذا البطريق لامحالة ياسيدى فطاب قلب ولدها ابراهيم بذلك (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما الملك الاشميطش فانه أكل مع البطال ثم خلع عليه وعلى غلمانه وأخذ بيده على انه إذا وقعت المفاداة بالاسارى ورحل عسكر المسلمين تعود الى عندى فقال أبومحمد سمعا وطاعة وحق المسيح لابد لى من العودة إليك قريب ولكن لاتشغلنى فانى سائر قبل أن يفرغ من أخيك الأجل ولاينفع بعد ذلك عمل فقال له الملك إذا عولت على الرحيل فارحل (ياساده) ثم ألبس الأسيرين ثيابهم وأركبهم على خيول بمراكب من الذهب وأمر عشرة من خواصه أن يسيروا فى خدمته وقال لهم سيروا مع هذا البطريق خدمة له وتحضروا عنده فى وقت الفداء فان وقع قتال فلا تخلوه يباشره فانى اصطفيته لنفسى ورضيت به يكون عشيرى ونديمى وقسيمى فى ملكى وان لم يقع فداء فليأتينى واحد منكم حتى أسير اليه عسكر يسد الفلا ويضيق به المرج فاذا ظفرتم بعدوكم وانهزم فعودوا الى وهذا البطريق معكم فقالوا سمعا وطاعة (ياساده) ثم خلع على البطال خلعة سنية تسوى خراج ملطية وأركبه بغلة زرزورية تسبق الخيل العربية وتقطع البرارى الخلية (قال الراوى) فساروا بعلوى وابراهيم ثم ان الملك الاشميطش نظر الى البطارقة الذين قدموا من الحصون الصغار والقلاع التى حول حصن الدولاب والقرى والرستاق كيما يحضرون قتل المأسورين وصلبه

المسلمين فانهم صعب عليهم اذا لم يتم ذلك فأمر الملك بذبح الذبائح ومدت السماطات وزعقت البوقات وسكبت الخمور وارتجت الدنيا بالطبول والزمور وأمر أن يوفوا يومهم بالفرح والسرور (قال الراوى) ثم ان الملك الاشيطش نظر الى البطارقة والقوم الفرحين المسرورين فرأى خلقا كثيرا (قال الراوى) فهو كذلك واذا بغبار قد طلع وكان سبب ذلك أن الأمير أبو محمد البطال الذى تزيا بزى بطريق لأنه لما سار ومعه الامير ابراهيم والاميره علوى وأن أبا محمد التصق اليهم وقال لهم أبشروا بالفرج من عند صاحب الفرج إن شاء الله تعالى قد جمع الله شملكما بالعودة الى الوطن بعد طول الغيبة وكانت الاميره علوى وولدها الأمير ابراهيم قد مكثوا فى الأسر فى حصن الدولاب ثلاث سنين ولهم منذ أخذت ملطيه أربع سنين وقد طالت غيبتهم وساءت حالتهم وشابت من الأهوال رءوسهم (ياساده) فلما سمعا تهنئة أبى محمد لهم بالسلامة والفرج جرت دموعهما على وجناتهما وأشار ابراهيم يتمثل بهذا البيت العظيم :

ما أظن الزمان يأتى بهذا　　　غير انى رأيته فى المنام

(قال الراوى) ياساداه ياكرام ثم ان الأمير ابراهيم قال له يا أبى محمد كيف الأمير عبد الوهاب فقال على غاية السلامة وما كان لنا هم غيركما وخلاصكما فجد الآن فى السير فاننا فى وسط العدو ولا نأمن من أن يلقانا فى الطريق البطارقة الذين أرسلهم الملعون إلى حصن الدولاب لأجل النظر إلى صلبكم لأن الروم من حولنا كثير وكذلك هؤلاء البطارقة الذين أرسلهم الملك معنا فهم أبطال الروم فقال ابراهيم ياأبى محمد اعطينى سيفك وترسك وقد كفاك الله مؤنة هؤلاء البطارقة ولو كانوا ألف فارس من كل بطل مداعس وأنا الذى لا أرجع أسلم روحى الى الأعداء أو أشرب كاسات الردى فان شئت فأنا أقتل هؤلاء العشرة وأنهب أرواحهم ونأخذ جميع سلاحهم ونمضى فى أمان الله تعالى فقال الأمير أبى محمد لايمكننا ذلك لأن القلوب مشغولة وأنا أعلم أنه لابد أن يلقانا من الروم من يسألنا عن حالنا وهؤلاء معنا فلا نتعرض لهم حتى نبصر ما يكون من الخبر (قال الراوى) ياساده ياكرام وساروا حتى ارتفع النهار ووصلوا الى عيون النيل وهى فى وادى عميق القرار قليل الأشجار وإذا عنده أربعمائة فارس على الخيول العوابس بأيديهم الرماح الخارقة والسيوف الماحقة وهم مع بطريق يقال له قسطون ابن قالا وهو من رجال عبد القداس وكان عبد الصليب قد جعله فى البرجين اللذين على رأس الدرب كما ذكرنا وهو مسدود وكانت خيولهم ترعى فى المرج من جانب مرج الياسمين وانه لما سمع

بمن قتل من الروم عظم عليه وكبر لديه وعلم بمن أسر من المسلمين فأرسل الى عبد الصليب يقول له اقتل الاسارى الذين عندك فقال حتى أبصر ما يكون من العسكر الذى دخل الى حصن الدولاب فلم يسمع ونزل من البرج وركبت البطارقة الذين معه ولم يعلم أن الطريق فى أثر الأميرة ذات الهمه وصعد فى غير الطريق وعبر فى لحف الجبل ونزل فى أعقاب شامخة وقاست الخيل منها مشقة عظيمة لكنها معتادة بها فخرج من عند عيون النيل وهو يظن أن عسكر المسلمين قد عبروا وكانت الأميرة ذات الهمه قد وقعت فى سبخة ولاح لها الأثر فى الطريق الذى سار فيه البطريق قسطون والاربعمائة بطريق عند ذلك قالت الاميرة ذات الهمه هذه الطريق قد انكشفت وهى لاشك تدل على أعقاب وأودية فانزلوا فى لحف الجبل نستريح ونريح الخيل فى هذا اليوم وهذه الليلة وارحلوا فى غداة غد فقالوا لها قومها والله لقد كنا على هذه النية وأردنا أن نخاطبك بهذا المعنى ثم قلنا لنا أسوة بها ثم نزلت الاميرة ونزلت الناس قال هذا جرى لهؤلاء (وأما ماجرى) للأمير أبو محمد فانه لما سار بالامير ابراهيم ولد الامير عبد الوهاب وأمه علوى وغلمانه والبطارقة العشرة التى من قبل الملك الاشميطش (ياساده) وأن الامير أبو محمد لما وصل إلى عيون القضب ووجد البطريق قسطون بن قالا الذى تقدم ذكره ومعه الأربعمائة بطريق وقد أيقن أبى محمد بالعطب ولم يجد سبيل إلا الهرب وقال للامير ابراهيم انظر الى هذه النوبة التى لم تكن فى الحساب فقال الامير ابراهيم يا أبا محمد خذ عدة بعض غلمانك واعطينى عدتك التى معك فأنا أؤمل من الله تعالى أن ما يأتى آخر النهار وقد بقى منهم أحد ولو كانوا بعدد ورق الشجر فضحك الامير أبا محمد من قوله وقال صحيح أنك ولد الأمير عبد الوهاب ذلك السيد المهاب وليث الغاب وسيد بنى كلاب فقالت الاميرة علوى يا أبا محمد دعنا الساعة من هذه الصفة وانظر فيما يؤدى الى الخلاص فقد ضاق صدرى وعيل صبرى وحرت فى أمرى وانهتك بين الأنام سترى فقال الأمير أبو محمد مافى الأمر إلا أننى أنزل اليهم وأعمل فى خديعتهم (ياسادة) ثم نزل ونزلت البطارقة لنزوله فلما استقر بهم الجلوس أقبل أبو محمد على أصحابه الروم وقال لهم يكون بالكم من الأسارى الذين معكم حتى أمضى إلى هؤلاء القوم وانظر فيم ذا أتو ثم انه سار إلى عند قسطون وهو يظن أن أبا محمد من بطارقة الملك الاشميطش فقال له أبى محمد من أين طريقك فى هذا الوقت الذى لايستغنى الملك عبد القداس عنك فقال قسطون وأين عبد القداس من ذاك قد شرب

من الموت أمر كاس فأظهر أبى محمد التوجع والتفجع فقال ومن قتله فقال قسطون قتله أقوام ألوانهم مثل القطران وكلهم سودان يفزع منهم الانس والجان فلما سمع أبى محمد قال فما فعل عسكره قال قتل منهم أربعون ألف وتفرق الباقون فى الجبال مما عاينوا من الأهوال وقد رجع المسيح لطف بنا وملكنا بمشورة الشيخ شومدرس أمير المسلمين عبد الوهاب ومعه أربعة آلاف من الاصحاب ومع ذلك فانى أشرت على عبد الصليب بقتلهم فلم يفعل وأنا أنفذت الى الاشميطش الخبر وأوقفته على جلية الاثر (ياساده) فحين سمع أبى محمد ذلك قال فى سره لا حول ولا قوة إلى بالله العلى العظيم نحن قد عملنا فى خلاص المأسورين يؤخذ الامير عبد الوهاب ومعه أربعة آلاف بطل (قال الراوى) وأقبل قسطون على أبى محمد وقال له من أين أقبلت قال من عند الملك الاشميطش قال بماذا قال : قال امضى الى عبد الصليب ابن أخت الملك عبد القداس وقول له الملك يأمرك بقتل الاسارى الذين عندك فان كنت تريد الاشميطش فسر من ساعتك اليه فانه على قنطرة النجم وهو يخلع على البطارقة ولهم اليوم سماط عظيم فارحل كيما تدرك الملك فى حال فرحه (قال) فلما سمع قسطون ذلك من كلام أبى محمد أمر البطارقة بالركوب فركبوا وزحف بهم وقال لابى محمد إيش عندك أيها البطريق من خبر عسكر المسلمين الذين دخلوا اليكم وقدموا عليكم فقال أبى محمد ماعندنا من ذلك خبر وعسكرهم الينا ما عبر فقال له قسطون بلى وحق المسيح قد عبر علينا عسكرهم من أربعة أيام وما ظننت الا أنهم سبقونا وما أرى لذلك تأثير على أننى ما أتيت الا من طريق عقبة للطير من خوفى منهم فإذا كانوا ما عبروا فما هم إلا قد وقعوا فى الطريق السبخة بلا محالة (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع أبى محمد ذلك ورد عليه أمر عظيم وقال أنا أسير بأصحابى فى طريق عقبة الطريق التى سلكتها ورجع أبى محمد الى أصحابه فقالوا له من أين أتوا هؤلاء فقال من عند عبد القداس فى شغل وسر لا يطلع عليه أحد إلا الملك الاشميطش فسيروا بنا الساعة حتى نلحق القوم من قبل أن يفوت الامر فيهم ثم ركبوا وأقبل قسطون ومن معه على بطارقة الاشميطش وسلموا عليهم ورحب بعضهم ببعض وهموا بالانفصال وإذا هم بشخص قد انحدر من الجبل وهو يمشى على عجل وفى يده عكاز أبنوس مقمع بفضة فما مكث إلا قليل حتى أقبل اليهم ووصل فنظروا اليه وهو الراهب شومدرس لعنه الله (ياساده) وكان الملعون لما دبر الحيلة على الامير عبد الوهاب وعلم عبد الصليب كيف يعمل ولم يجسر يقوم من خوفه من أبى محمد

البطال وأصحابه فزع على نفسه لأنه خبيث وما كان خوفه إلا من البطال فلم يقدر يقيم إلا فى رؤوس الجبال ولما علم أن الأمير عبد الوهاب وأصحابه وقعوا فى الأسر عند عبد الصليب أرسل اليه يوصيه يحفظهم ويقول اعلم أن روحك فى أيديهم وإياك أن تنام واحفظ روحك هذه العشرة أيام إلى أن أعود اليك لأننى لا يمكننى أن أجئ اليك لأن قلبي مشغول بأمر العسكر الذى قد عبر من جيش المسلمين الى حصن الدولاب لأنهم أسد الغاب وقد قيل ان فيهم أبومحمد البطال العيار المحتال التى تفزع من حيلته الرجال وأنا خائف لئلا يدبر على خلاص الاسيرين ويعمل فى فكاك المسلمين وأنا ماضى الى حصن الدولاب أعمل على قتل الاثنين وأشفى قلبي بقتلهم ولا يمكنى العودة حتى أعمل على تلافهم وبعد ذلك أرجع اليك وتقتل كل من عندك وبعد ذلك أعمل على فتح الحصون التى فى أيديهم من مواضع أعرفها لاتهتدى اليها الجن (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن شومدرس لعنه الله سار فى رؤوس الجبال من لعنته وخوفه من عسكر المسلمين حتى نزل من الجبل وخرج من عيون الفيل فأشرف على البطريق قسطون ابن قالا وعلى أبي محمد البطال والبطارقة الذين معه كما ذكرنا وقرب منهم وتبينهم فعرفهم الملعون ونادى خذوهم هذا أبومحمد البطال فأطبقوا عليهم البطارقة من كل جانب فقال البطال مالنا إلا مداراتهم حتى يقضى الله ماهوقاض هذا والعشرة الذين كانوا مع أبي محمد البطال قد صاروا مع البطارقة لما عرفوا أنه البطال فعندذلك صاح أبي محمد لقد فعلتم فعال الانذال ما هذه فعال الكرام من الرجال لأنكم ان ظفرتم بنا فلافخر لكم بين الورى لأن الانسان انما يمدح بين الشجعان إذا كان فيه أن يلاقى خصمه فى الميدان ويأخذه بالقوة ولا يكون جبان فان كان فيكم من يغار على نفسه فليبرز كل واحد منكم إلى واحد منا أو عشرين الى واحد . وأما اذا حملتم فى الاربعمائة فارس فهذا مالايستحسنه أحد من الناس من سائرالاجناس قال فلما سمعوا ذلك من كلام أبومحمد البطال أقبل بعضهم على بعض وقالوا لقد قال الصحيح ولما أمرنا به السيد المسيح ولا نتقرب عند الملك الاشميطش إلا اذا قلنا أخذناهم بالمبارزة وأما اذا قلنا أخذناهم ونحن أربعمائة فارس فيحتقر بنا (ياساده) فخرج واحد منهم وكان بطريق جبار يقال له كندويط بن نورس وكان من أقبح الناس صورة وخلقة وألعن الناس كفرا وقال أنا أبرز الى الثلاثة فقال البطريق مانفعل ذلك لان ما فينا إلا من يريد يتبين على أصحابه فاخرج أنت الى واحد منهما وأنا الى الآخر ويخرج من أراد منكم الى هذه المرأة (ياساده) وفى ساعة تكلم شومدرس سلم أبي محمد الى علوى

سلاح بعض البطارقة الذين كانوا رفقاه وكانت علوى ذات قوة وباس وشجاعة ومراس فخرج اليها بطريق يقال له قلطموس بن بطرس وخرج (قسطون بن قالا) الى ابراهيم وخرج الى أبى محمد كندويط بن نورس وكانت ساعة عجيبة ووقفوا باقى البطارقة وحققت الحقائق وذهبت العوائق واستغاثوا المسلمين بالواحد الخالق واشتغل كل واحد بنفسه عن غيره فأول من صاح : الله أكبر الله أكبر كانت الأميره علوى (قال الراوى) فأنصتوا لينظروا ما الخبر واذا بعلوى قد طيرت رأس قلطموس وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم صاح بعدها الاميرابراهيم وقال الله أكبر فنظرت اليه البطارقة فوجدوه قد ضرب رقبة قسطون بن قالا ولم يبق غير أبى محمد مع الكندويط ولم يكن فى الاربعمائة فارس بطريق أشجع منه ولا أقوى ولا أفرس منه فلما وقع فى قسمة أبو محمد (قال ياساده) وكانت شجاعة أبو محمد خفيفة فى القتال فلما رأى ماوقع اليه ورأى شجاعة البطريق زائدة عليه فلم يكن له غير الحيلة فالتفت عن يمين البطريق وقال ويلك ياسارق العنب أخربت الكرم فلما سمع البطريق ذلك الكلام ظن أن ذلك حقاً وكلامه صدقا فالتفت لينظر من أتاه واذا بأبى محمد هجم عليه ونادى الله أكبر وضربه على رأسه فوقع جديل وفى دماه غزير (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما نظرت الروم الى تلك الفعال صلبت على وجوهها وقالوا لبعضهم ياويلكم احملوا عليهم وإلا كسوكم العار وأفنوكم عن آخركم بضرب البتار قال فلما سمعوا البطارقة من بعضهم ذلك حملوا على المسلمين بأسرهم وطابت قلوب المسلمين بقتل الثلاثة بطارقة لأنهم كانوا حماتهم ومقدميهم وأبطالهم فبينما هم كذلك وإذا بغبار ثار وسد الأقطار وانصرف وظهر من جهة حصن الدولاب وقد ضاقت به الاودية والرحاب واذا بغبرة أخرى من لحف الجبل وهى سائرة على عجل (قال الراوى) ياساده ياكرام وكانت الغبرة الاولى من عساكر الملك الاشميطش (قال) وكان السبب فى ذلك هو الملعون شومدرس لأنه لما رأى أبى محمد ومن معه فى الطريق سار الى الملك الاشميطش وأخبره بالحال وأطلعه على القصة فسيره بهذه الجيوش فى خمسين ألف وكانوا هم الأسبق لوادى عيون الفيل لأنها أرض واطيه من هذا الجانب وقد أحدقوا بالمسلمين من كل جانب وتكاثروا عليهم وأشهروا القواضب وبرقت السيوف وازدحمت الالوف وأشرفوا القوم على الحتوف فقال لهم أبى محمد الرأى عندى أن نسلم نفوسنا اليهم فنكون على أمل الخلاص من أيديهم لأنه لايجوز قتال مثلنا مع هؤلاء العسكر الكثيرة ومن يفعل ذلك يكون ناقص العقل والتدبير . وأما ان فضلنا

نمانع عن نفوسنا قطعونا بالبتار وتركونا مثل الأبزار والرأى عندى أن نسلم نفوسنا كما ذكرنا فإنى أرى فى لحف الجبل غبار ولا شك أن يكون من عسكر المسلمين الأبرار وأمة محمد المختار (قال الراوى) ياساده ياكرام فسلموا الامراء نفوسهم وأخذوهم الكفار قبضا باليد وربطوا الحبال فى رقابهم وقد نظروا الى الغبارفوجدوه انجلى وبان ومن تحته فرسان أمة محمدالمصطفى وقد لاح لهم فارس أسود كسواد الليل وسائر فى أوائل الخيل ومعهم رايات سود ومكتوب عليها لاإله إلاالله محمد رسول‌الله وعلى بعضها مكتوب بالبياض: (واعتصموا بالله هومولاكم فنعم المولى ونعم النصير) (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الاميره ذات الهمه لما فارقت ولدها الامير عبد الوهاب وتوجهت الى حصن الدولاب وجرى لها مع عبد الصليب ماجرى من القتال فلم تزل سائرة ساعة ووقفت فى أرض وعرة مقفرة ليس فيها حس حسيس ولا أنس أنيس خلاف جند إبليس معالمها دائرة وطرقاتها طامسه وسكانها الجان والحيات والافاعى ومافيها من يجيب الداعى تفزع الجن من عرصاتها ولايسكنون أبداً فى جنباتها ولما وقعت الاميره ذات الهمة فى تلك الارض قالت لأصحابها حثوا الركاب فما زالوا سائرين حتى وقفوا فى أرض مسبخة اذا داسها الجواد يرسخ واذا وطىء عليها الوحش انفسخ ولم يزالوا فى تلك‌الارض المسبخة حتى كلما نزل فيهارجلين الجواد غاص ولم يجد سببا ولا سبيلا للخلاص لحارت الاميره ذات الهمه من ذلك وعلمت أن كل من معها هالك فصاحت فى أصحابها وقالت لهم ترجلوا عن ظهور الخيل فترجلوا عن خيولهم وقادوها وبعد ما قاسوا شدة عظيمة وساروا وتعلقوا بالجبل حتى أشرفوا على عسكر الروم وقد أسروا أبى محمد البطال والاميره علوى وولدها ابراهيم وغلمان أبى محمد البطال وقد وقعت العين على العين (قال الراوى) وأن الروم لما نظروا لذلك قالوا لبعضهم البعض: اعلموا أن عسكر المسلمين قد أدركونا وما كان السبب فى إقدامهم علينا إلا هذين الاسيرين والرأى عندى أن نسرع فى ابعاثهم الى الملك الاشميطش ليكونوا عنده فى حصن الدولاب ونخبره أن يرسل الينا العساكر ويمدنا بالكتائب والمواكب (قال الراوى) ولما أن الروم وجدوا أن هذا الرأى صواب فعند ذلك كتفوا أبو محمد وغلمانه وهما سبك ويانس وبديع ولؤلؤ والاميره علوى وولدها ابراهيم وأرسلوهم مع بطريق يقال له (لوقا) فى مائة فارس وقالوا لهم سيروا بهؤلاء الاسارى الى الملك الاشميطش فى حصن

الدولاب وقولوا له يمدنا بالعساكر لان عسكر المسلمين دهمنا فعندها أخذهم (لوقا) وسار يقطع الأرض طالب حصن الدولاب فقال أبى محمد لعلوى انى أنا وغلمانى نصير ضيوفكم فى حصن الدولاب لأنكم أنتم من أهل الحصن وأقمتم فيه مدة طويلة وصار لكم فيه بيت وأنا رجل غريب ليس لى عندكم نصيب قال فضحكت علوى وولدها ابراهيم من كلامه وقالت له يا أبى محمد ما هذا وقت المزاح بل هذا وقت خروج الأرواح من الاشباح ويحق لنا البكاء والنواح فقال لها أبو محمد وهو يضحك ما دام عقبة موجود على قيد الحياة فدواما يعمل الحيل على ملطيه حتى يأخذها الروم ويأسرون الحريم والعيال وبواسطة ذلك صار لايمكننا الوصول الى بلادنا بل دواما دايرين فى هذه الحصون ويربطون الحبال فى رقابنا وقد أخلف الزمان لنا أنحس من عقبة بطبقات وهو شومدرس اللعين الذى كلما عملنا عمل يبطله فلا كتب الله على الشخصين من سلامة ويجعلهما الى الذل والهوان والندامة وأن الملعون شومدرس ما أنذله وما أخبثه ولكن أرجو من الله تعالى أن الملك الاشميطش يبقينا فى الحصن على قيد الحياة فقالت له علوى يا أبا محمد أنت تقول ان الامير عبد الوهاب أتى فى الجيش الذى قد رأيناه أقبل فقال لها نعم ولم أمكنه يقول لها على شيء مما قاله البطريق قسطون ابن قالا حتى لايجمع فى قلبها همين اثنين وقال يكفاها هم واحد (قال الراوى) وما زال سائر بهم لوقا ومن معه من الفرسان حتى مضى ربع الليل وقد بقى بينهم وبين الحصن ساعة واحدة فقال لوقا لأصحابه : إن وصلنا الى الحصن فلايمكن أن يفتحوا لنا الباب إلا اذا كان فى الصباح فانزلوا بنا فى هذا المرج على سبيل الراحة ونأكل الطعام ونستريح ونريح الخيل لأنها تعبت من الجولان فلما سمعوا أصحابه قوله وافقوه على ذلك ونزلوا كلهم وتركوا الخيل ترعى وقدموا الزاد وصاروا يأكلوا ولم يطعموا المسلمين شيء فقال لهم أبو محمد بلسان الروم مارأيت أبخل منكم أليس فى الانجيل فى سطر الأساطير يقول : ارحموا الغريب واجبروا الكسير وارفقوا باليسير ولا تردوا السائل الفقير ونحن جياع وأنتم تأكلون مثل السباع ولا تطعمونا وإنما أشغلكم عنا الليل فالواجب عليكم تطعمونا وتسقونا قال فلما سمعوا الروم ذلك من كلامه حملوا اليهم الطعام وقالوا لهم كلوا فقالوا لانقدر على الأكل فليقعد عندنا واحد منكم يطرح اللقمة فى أفواهنا لما تعلمونه من شدة كتافنا ويربح من يفعل ذلك الأجر اذا فعل فقدنطق المسيح بالرأفة على الأسير (ياساده) وجعل أبو محمد يقول قال المسيح ما ربحنا المعمدان قالت السيدة مريم قال شمعون الصفا وجعل يعظهم بكلام

هؤلاء المذكورين مما يعلمونه مكتوبا عندهم فى الانجيل وغير ذلك من كتبهم فأخذ بعقولهم وأذهانهم فقالوا له وحق المسيح لو كنت نصرانيا ما كان فى الروم مثلك لأنك عالم بقول المسيح وبما فى الانجيل من القول الصحيح فقال أبو محمد ان كان فى ذلك شيء أخذته ولو علمت أن الملك الاشميطش يحسن الى فعلت ذلك (قال ياساده) فلما سمعوا منه ذلك ظنوه حقا فجعلوا يطعموه وهو يأكل وأمر ان يطعمون الاسارى فأطعموهم إلى أن شبعوا إلا الأميرة علوى فإنها لم تأكل فقال لها الامير أبو محمد البطال لم لا تأكلى الطعام فقالت والله يا أبا محمد لانزل من حلقى لبابة وأنا على هذه الحالة لاننى غدا سائرة إلى الاشميطش وهو رجل جبار وما أعلم على ما أقدم أنا وولدى فقال أبى محمد أنا أولى بذلك فإن بينى وبينه شومدرس البلاء النازل وأنا عندما أحضر عند الملك يقتلنى غير أنى آمل الفرج من الله تعالى قبل الصباح (قال الروى) ثم أدار كتافه الى غلامه لؤلؤ وقال له يا يلك كنت أعرفك تقرض الحديد بأنيابك وتقطع كل قيد شديد فدونك والزنار الذى أنا مكتوف به فعسى أن تقطعه بأنيابك (قال) فتقدم لؤلؤ اليه بعد أن نامت الروم وجعل يقرض الزنار بأنيابه حتى ضعف وتمطى أبو محمد فى باقيه قطعه ثم دار يقطع كتاف أحد الاسار فنظر الروم وقد قاموا وعزموا على الركوب ومضوا نحوهم وجعلوا الاسارى على الخيل وكذلك أبو محمد وقد أدار يديه الى خلفه كأنه مكتوف وجعل يسير على الفرس الذى تحته حتى قرب من الخيل ومعه عشرة من البطارقة وهو يقول قال المسيح قال مارى حنا المعمدان ويقرأ الانجيل وهم يبكون ويقولون له تعرف مثل هذا وأنت مسلم فقال لهم ما عرفتكم أنى عولت على النصرانية ولم يزل كذلك الى أن اشتد الى الجبل وقال فى نفسه معلوم ان شومدرس قد ملأ قلب الملك الاشميطش على ويقول أراد بحيلته أن يخلص الاسيرين وأخاف أن الملك يسطو على وأنا أعلم أن شومدرس ما كان يأخذه قرار على قتلى وأنا أريد أن أرمى روحى إلى الارض وأصعد فى هذا الجبل والليل يسترنى بعد الله تعالى فإن سلمت فهو المراد وان كانت الاخرى فلله الامر من قبل ومن بعد ثم وثب كأنه ثعلب وما علموا به الروم حتى نفر الجواد وقد تعلق أبى محمد فى لحف الجبل على رمية سهم (ياساده) فعند ذلك تبعته البطارقة من كل جانب والليل قد ضرب على الاقطار خيم السواد فلا ينظر الانسان أحد من العباد هذا وأبى محمد قد حصل بين الصخور والاحجار وقد ستر عليه الملك الجبار والمطلع على الأستار وقد علمت الروم أنها تضرب فى حديد بارد وانه لو كان بالنهار وتعلق

فى الجبل لما وصلوا اليه لانه كثير الاحجار فرجعوا الى الطريق وجعلوا باقى الاسارى بين أيديهم وهم يضربوهم ويقولون هذا الشيطان أكرمناه ولما أكلنا أطعمناه وقد كافئنا بالخلاف وغدا يطلبه الملك منا ويقول قد هرب ويكون لضرب رقابنا سبب فجعلوا الاسارى يقولون لهم ما علمنا بهروبه ولا يجب أن تضربونا بسببه وساروا القوم الى الحصن فى قصد الملك وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ورفعوا الاسارى بين يدى الملك الاشميطش وكان عنده الشيخ أبو الشر شومدرس جالس الى جانبه فلما نظر الاسارى أمر بأن يرفع ابراهيم وعلوى الى بعض المطامير وقال على بهذا الذى يقال له لص المسلمين لأن شومدرس كان حدثه بحديثه فقال وحق المسيح لابد لى من قتله فى هذه الساعة فقالوا يا ملك الزمان انه هرب منا فى ظلام الليل وهؤلاء غلمانه قال فلما سمع ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لشومدرس لاتسألنى فيهم فوحق المسيح لاقبلت فيهم مسألة أحد ولابد لى من صلبهم وضرب رقاب عشرة من البطارقة الذين كانوا موكلين به (قال الراوى) هذا جرى ههنا . وأما ما كان من أمر أبى محمد البطال فانه سار على غير معرفة يسلك تارة يمين وتارة يسار وهو لايقع على طريق وقد حصل فى وسط الجبل فلما كان وقت السحر وقد صعد على حجر وأراد أن يخطى الى آخر فما أحس بنفسه إلا وقد وقع فى جب عشر قامات وهو من أسفله واسع والماء فى جنب الجب فقال أبى محمد لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم سبحان الله لكل موتة سبب : هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون وبقى قاعد فى جنبه وقد أيس من الحياة وأصبح عليه الصباح وهو على هذه الحالة ونظر الى الضوء فرآه جب واسع تحت الأرض وفيه عمق وليس فيه موضع يصعد منه ولافيه تسليق فبقى فى نفسه حائر وقال هذا قبرك إلاأن يشاء الله وبقى متفكر فى أمره ويقول لو عبر الساعة بى عابر لقلت انى وقعت فارفعونى لعلى أن أرفع وهذه نوبة مدبرة فليت انى أقمت مع الأسارى وربحت القعود على وجه الأرض (قال الراوى) فهذا ماجرى من حال البطال . وأما شومدرس شيخ الضلال فانه قال للملك الاشميطش اعلم انى ما يمكننى المقام لأحوال عدة . أحدها انى أريد منك أن تسير بنفسك الى العسكر الذى قصد اليك وأقبل عليك ولا تغتر بقلته فكل واحد منهم يزيد لرأسه ألف والثانى خائف عليك وعلى حصن العمد من الاسارى الذين هم فيه وهم أربعة آلاف وهذا سبب قدومى اليك وأريد تعطينى الإذن فى قتلهم حتى أكون أنا وأنت مشتركين فى الثواب إذا ضربت رقابهم فقال ياشومدرس قد أعطيناك الإذن فى

ذلك فسير الى ما ذكرت واضرب رقاب الجميع كما أخبرت وأما ما ذكرت من حال العسكر فانك ما تعود إلا والدنيا منهم خالية فدعا له شومدرس وسار من خوفه على نفسه لم يسلك على مرج بل سار على غير طريق وهو سائر بين الصخور وحده ويخفى نفسه وهوسائر الى حصن العمد فى مواضع ماتعرفها الجن ولا تسلكها ولم يزل سائر لوقت الظهر وقد تعب من المشى واشتد به العطش وكان عارفا بالجب الذى وقع فيه البطال ويعرف أن فيه ماء بارد كالثلج وليس فى الجبل ماء ولا يقدر على غيره فسار اليه وكان معه الركوه والحبل على زى الرهبان (قال الراوى) فبينما أبو محمد فى ناحية الجب قاعد متفكر فى حاله وما آل اليه من أمره وإذا بشومدرس على رأس الجب فرفع أبى محمد رأسه فعرفه (قال الراوى) وأن شومدرس جعل يدلى الركوة الى الماء يطلب أن يملأها وأبى محمد متوارى فى جانب مظلم لأن رأس الجب ضيق وأسفله متسع فكان أبى محمد كلما امتلأت الركوه من الماء يقلبها وشومدرس قد أقلقه العطش وزاد به الضجر فلم تكن له إلا انه أوثق الحبل بالصخرة التى على رأس الجب وعول على النزول وتعلق فى الحبل وانخرط الى أسفل مثل الشيطان (ياساده) فلما وقعت رجلاه على الارض كاد أن يعجل عليه وقال له : ياشيخ النحس والله لأصفعنك صفعاً ما رأيته منذ عمرك ولأعصرن على حلقك حتى أخرج مارضعته من لبن أمك . هذا وشومدرس قد غشى عليه لما تعلق أبو محمد برجليه وكاد أن يعدم عقله فلما هدئ روعه فتح عينيه ورأى أبى محمد وقد قبض عليه أيقن بالعطب وقال ويلك ياشيطان إيش أقعدك ههنا فقال له أبى محمد قعدت هنا أبرد لك الماء الى أن تجىء ولكن والله ما تركته يدخل لك حلق ولابد ما أستوفى منك كل ماقاسيته فى بلاد الروم ثم تجرد أبى محمد من ثيابه وما كان فى الاثنين من معه شىء من السلاح وكان شومدرس طاعن فى السن إلا انه كان شديد الحيل كأنه القرد وأن أبى محمد جعل يمعكه فى الطين ويرفسه حتى كاد أن يقضى عليه وتعب منه وكذلك شومدرس قد عارك لأبى محمد ولاطمه وأخذه التعب والعياء وبقى كل واحد منهم ينظر الى صاحبه وأبى محمد ينظر الى شومدرس ويتمنى أن يكون معه شىء من الحديد يقتله به فلم يقدر على ذلك وضجر مما عاركه وتلاطما فى الجب وترافسا فى الطين حتى وقفا ينظر كل واحد منهما الى صاحبه نظرا ويرمقه حذرا لأن البطال كان أقدر منه فقال شومدرس بحق دينك إيش أوقعك فى هذا الجب فقال له أبى محمد اعلم انى هربت من الروم وخليت الاسارى تلك الليلة حتى بعدت وأنا سائر على النجم طالب حصن

العمد وقلعة العنجد فما حسيت بروحى حتى صرت فى قاع هذا الجب فالحمد لله الذى جمع بينى وبينك فى هذا الموضع فلابد ما أضربك حتى تنبت الباقلا على رأسك ويخمد حسك فضحك شومدرس وقال ويلك ياأبا محمد وماحملك على هذا كله وأنا وإياك فى هذا المكان مصيبتنا واحدة فى وقوعنا فى هذا الجب فاقعد أناوأنت الى أن يعبر بنا عابر طريق من الروم أو من المسلمين يطلب الماء فيرحمنا وينشلنا واحلف أنا وأنت ألايتعرض أحدًا منا للآخر فقال له البطال أريد أصفعك ههنا حتى تموت وانظر إيش معك من الزاد فأنا أحق به منك (قال الراوى) وكان مع شومدرس جراب ملآن من الزاد فقال ياويلك ياأبا محمد دعنى أشرب وأنا وحق المسيح أعطيك من الزاد الذى فى الجراب شيئا يكفيك مدة شهر وكان أبى محمد جائع فقال هات أطعمنى حتى أسقيك فقال شومدرس ما أفعل ذلك ولو قتلتنى حتى تحلف لى بحق نبيك محمد انك اذا أطعمتك تدعنى أشرب فقال أبا محمد وحق صاحب البردة والقضيب والناقة والنجيب محمد صلى الله عليه وسلم إذا أطعمتنى الذى ذكرت تشرب فعند ذلك ضرب بيده الى الجراب الذى معلق معه لحطه من على عاتقه وأخرج منه لباب الخبز الخاص مدقوق مع اللوز والسكر ودهن الليه وفيه فستق مقشور والخشخاش معمول بالماورد المسك ففتح شومدرس ذلك الجراب ففاحت منه روائح تشد القلب وتفتح المعدة فعندها سال لعاب البطال وريالته فأخرج شومدرس قليل وناوله للبطال فقال له ماهذا ياملعون والله لاأخذت منه إلا نصفه وإلا ما أدعك تذق من الماء قطرة واحدة وإلا تموت أنت بالعطش وأموت أنا بالجوع فضحك شومدرس من كلام البطال وكشر على أنيابه كأنياب الخنزير ثم قام اليه أبا محمد وشمر عن ساعديه وقال ياشيخ النحس تعطينى من هذا الزاد ما آكل وإلا معكتك فى هذا الطين حتى أتراك وجهك لايعرف من قفاك فقال له شومدرس ويلك ياأبا محمد ما أعطيك منه حبة حتى تمكنى أشرب من هذا الماء خمسين شربة فرفع أبى محمد يده ولطمه فى رأسه لطمة كاد أن يقضى عليه فقام لأبى محمد وتلاطما حتى تعبا فلما زاد الأمر بشومدرس فتح الجراب وأعطى نصف مافيه من الزاد فطاب قلب البطال وتركه حتى شرب وأقاما فى الجب كما ذكرنا وأيقن كل واحد منهما أنه هالك (قال الراوى) هذا ماجرى لهؤلاء . وأما ما كان من الأميره ذات الهمة فإنها لما أصبح الصباح ركب البطريق جرجناس فى باقى العساكر من الناس واشتد الخوف والباس وكان هذا الذى أرسله الملك الاشميطش

فى خمسين ألف فارس بتدبير شومدرس لما جرت نوبة علوى وابراهيم وكانت الاميره ذات الهمه قد استظهرت على البطارقة فخرجت الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فما هى إلا أن خرجت الى الميدان وطلبت الطعان حتى برز اليها بطريق فقتلته والثانى جندلته إلى أن قتلت من القوم اثنى عشر فارس وكان الثالث عشر جرجناش مقدم العسكر وكان قد برز الى الاميره ذات الهمه كأنه الليث القسور على جواد أصفر عالى مضمر وفى يده صارم أبتر وبرز للأميره وقد كفر وعلى ربه بغى وافترى وتجبر فطعنته الأميره فى الحال فى صدره أطلعت السنان من ظهره وأشارت الى المسلمين بالحملة على الكافرين فكبرت الموحدين ومالت على الطائفة المشركين فما كانت إلا ساعة حتى ولت الروم هاربين وغنمت الاميره ذات الهمة غنيمة عظيمة ثم قالت لأصحابها سيروا فى طلبهم فسارت طالبة حصن الدولاب بكل من معها وما عندها خبر بما قد جرى على الامير عبد الوهاب وهم فرحين بانهزام الجيش بين يديها وقتل البطريق جرجناس فسارت حتى أقبلت على الحصن وكان من وقت وصل اليه المنهزمين وأتوه الهاربين يخبروه بما لاقوا من الاميره ذات الهمة ورجالها فعظم عليه وكبر لديه وجمع الناس من الرستاق والقرى التى حول الحصن فجاءت اليه العساكر من كل جانب حتى امتلأ المرج وصار فى تلك الارض نحو خمسمائة ألف من البطارقة فقال الملك الاشميطش وحق المسيح لابد ما أفتح بهذه العساكر بلاد الاسلام جميعا حتى لا يقصد هذه الديار مسلم (قال الراوى) ياساده ثم ان الملك قال لقومه ما أظن ان المسلمين يقصدون الى عندنا فقال بطريق يقال له قرقياس وحق المسيح انهم اليك أسرع من البرق قاصدين وعليك واردين فلما سمع الملك ذلك من كلامه قال ياويلكم وفى كم يكونوا قال فى خمسة عشر ألف ولكن ملك الموت يخاف منهم (قال الراوى) ياساده ياكرام فهم فى الكلام واذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وظهرت الخيل مثل الليل فلما عاين الملك ذلك قال وحق المسيح ان نزلت من حصنى إلى هؤلاء اللئام فانه غاية العار والفضيحة والشنار فمن يتجرد لهم حتى أزوجه ابنتى وأقاسمه فى نعمتى فوثب اليه بطريق من البطارقة وكان من أولاد الملوك وكان أبوه صاحب الحصون وتحت يده مائة ألف وخمسين ألف بطريق ومعه عشر قلاع ومائة قرية وهو رجل جبار يقال له القيطفور فوثب الى الملك وقال وحق المسيح ما كان خروجى لأجل ماذكرت إلا لأجل الجهاد فى طاعة المسيح وأنا أقسم بالمسيح ما تركت أحدا من

الروم يتولى قتالهم غيرى أنا وقومى وسوف ترى العجب وكيف أضربهم كلهم بصارم العطب وأكون لانقضاء آجالهم سبب ثم نزل فى قومه وأصحابه وبطارقته وقال لهم خذوا أهبتكم وكانت سائر البطارقة تطلب القتال وتريد النزال من فزعهم من شره ومايعرفون من مكره وغدره وكان يعد بعشرة آلاف فارس وهوشديد الباس والتجبر فى كفره وفجوره (قال الراوى) ياساده يا كرام وانه لما عول على لقاء الأميره بات تلك الليلة إلى أن أصبح الصباح وكانت الأميره ذات الهمة قد أضرمت من حولها النار حتى ارتفع الدخان الى عنان السماء فلما كان من الغد انفصلت الطوائف كل واحد منهم الى فرسه وتولى الملك القيطفور القتال بنفسه وصحبه واصطفت الصفوف وأشهرت السيوف ونظرت الأميره الى كثرة الألوف وكانوا أصحاب القيطفور كلهم مايقاتلوا إلا بالأوهاق (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها ركبت الأميره ذات الهمه فى أبطالها ومافى عيناها من الكل شىء لأنها قالت لأصحابها إعلموا أن الله تعالى قال فى كتابه العزيز « فلا تخافوهم وخافونى ان كنتم مؤمنين » وما وقع قط فى قلبى غير خوف ربى فعليكم بصدق النية تظفرون بالأمنية فقال لها الأمير أبوا الهزاهز مانحن إن شاء الله إلا كما تحبين وفوق ماتطلبين ولو أضرمتى نار ولجناها وخضتى بحار لخضناها (قال ياساده) فهم فى الكلام والروم قد دقت النواقيس وصاح بين يديها كل راهب وقسيس وتظاهروا بكلمة كفرهم وأشركوا بربهم وانفرشت الخيل فى المرج فلم يبق شعب ولافج إلا وهو مشحون بالرجال والأبطال فبادرت الأميرة ذات الهمه بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وكان معها أبو الفرج المقرى وكان من بلخ وكان له نغمة مليحة وكان قد خرج من خراسان فى طلب الجهاد وطاعة رب العباد فقصد الى ملطيه وصار فى صحبة الأميرة ذات الهمة إلى أن دخل معها فى مرج الياسمين فصاح فى أوائل الناس ورفع صوتا ألذ من النسيم إذا وقع على أزهار الرياحين فلما سمعوا أهل الايمان كلام الواحد المنان هانت عليهم نفوسهم وطابت قلوبهم لمعاملة قدوسهم وطعنوا فى صدر الروم وقد قطعوا الآمال من المنازل والأطلال وطلبوا معاملة الجواد المفضال وضربوا فى طاعته بالسيوف الصقال ولم يزال السيف يعمل بينهم والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ارتفع النهار وإذا بالأمير عطاف قد التقى بالاميرة ذات الهمة وقال أيتها الأميره ادركى المسلمين وخلصيهم من هذا البطريق اللعين فماضرب رأس إلا وهشمه ولاظهر إلا وقصمه ولا حائط إلا وهدمه وقد قتل الأقران وأباد الأبطال والشجعان وقد كان يقضى على لولا الامير أبو مرهق سيف بن جندب

الكلابى أدركنى لكان أهلكنى وإياك أن تعبرى فى هذا الطريق فان فيه الموت الأحمر والليث القسور جبار من الجبابرة وقد قتل من بنى كلاب عشرة ومن السودان ثمانيه وقد قاتلته وقاتلنى وناصلته وناصلنى وضايقته وضايقنى حتى كاد يقهرنى ولولا من الله على بأبى مرهق وأبى الأشبال أسد بن جابر لكان قد أدار بى (قال) فلما سمعت الاميره ذات الهمه ذلك الكلام دخلت إلى الجانب الذى ذكره عطاف وإذا بأبى الاشبال أسد بن جابر وهو متغير الاحوال فقالت ما وراك وهو لا يجيبها وقد اعتقل لسانه وتغير كلامه فجعلت تناجيه فلما عرف ذات الهمه ثبت جنانه وقال لها ارجعى من هذه الطريق فان فيها جبار عند فى صفة المنجنيق وفى يده عامود من الحديد وهو كانه الشيطـــان المريد ما ضرب بعموده إنسان إلا قصمه ولا ظهر إلا حطمه وقد قتل جماعة من الشجعان ولقد كاد يقضى علىّ لولا الاميرسيف بن جندب الكلابى أدركنى لكان أهلكنى (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الأميرة ذلك عظم عليها وكبر لديها وقصدت طالبة الصوت حتى تفدى الناس بنفسها وتبذل فى سبيل الله روحها (قال الواوى) وان الاميرة كانت إذا التقت الرجال فى الحرب تكشف الدرع عن صدرها وتلقيه للأسنه وتقول واشوقاه إلى لقاء الرحمن ثم انها سارت طالبة البطل الموصوف وهى تخترق الصفوف وتجزع الأنوف حتى وصلت إلى راشد بن ضمرة قد أقبل راجعا وقد علاه الاصفرار وهو يقـول ما قصر معى أبو الهزاهز ولولا من الله علىّ به لكنت من الهالكين فأدركيه أيتها الأميرة فما هو من رجاله ولا يعد من أبطاله فبادرت الاميرة اليه وقد اشتد بها الغضب وزاد بها الضجر إذ لقيت أبو الهزاهز طائر اللب حائر العقل قد انقلب سواده باصفرار وعلى وجهه الغبار فلمـا رأته قالت له ما وراك يا فارس السودان ويا أمير الحبشان فقال أيتها الأميرة والله ما كنت أقول أن فى الروم من هو بهذه الشجاعه ولا يحسن فى الحرب هذه الصناعه فانى ما قصدت النجاة والفوز بالحياة فعندها حملت الأميرة على الروم واتكلت على الحى القيوم وقالت أقسم بالعرش ومن علاه والرحمن الرحيم ومن هذه أسماه إن كان فى قلبى من كثرتكم فزع أو منكم جزع وما وصلت إلى هذا الموضع إلا وأنا على نية خلاص المأسورين وقتل الكافرين وإن جرى من واحد منهم قطرة دم لارسلت إلى سائر الحصون التى فى أيدينا وفتحها ولدى وآخذ منها مائة ألف أسير ولا أبقى منهم لا كبير ولا صغير ففزعت الروم عند كلامها (يا سادة) فهى معهم فى الكلام وإذا بصوت يسمعه الادنى والاقصى كأنه الرعد القاصف أو الريح العاصف فلما سمعت الاميرة ذلك الامر الهـــائل نظرت واذا به

البطريق القيطفور وقد أقبل نحوها كأنه الأسد الغضبان فلما رأته المسلمين ارتابت قلوبهم على الاميره فناداها الامير أبو الهزاهز ارجعى أيتها الاميره عن قتال هذا الملعون فإننا بأرواحنا نفديك وبأنفسنا نقيك فقالت الاميره ياأبوالهزاهز جزاك الله خيرا (قال الراوى) ياساده فعندها صاحت الاميره بجوادها وحملت على القيطفور وكبرت المؤمنين عند حملتها وهللت الموحدين وزعقت عليه زعقة أذهلته بها وقالت له الى هذا الحد ياملعون يا كافر ياجحود وضربته ضربة هاشمية من ساعد ملآن تقوى وإيمان على عاتقه الأيمن أطلعت السيف ياساده من العاتق الايسر وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وحملت المسلمين على الكافرين واختلف الضرب وزاد الكرب (ياساده ياكرام) فلما نظرت الروم الى ملكها قتل ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وكان قد أمسى المساء وقتلت الاميره القيطفور وباتت مبيت الفرح والسرور فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من الامير أبو محمد البطال مع الراهب شومدرس شيخ الضلال لما وقعوا فى جب الثعالب فانهما قاما فيه ثلاثة أيام وأن أبو محمد أكل الذى كان مع شومدرس ولم يبق معه شىء فأضر به الجوع وقد بقى مع شومدرس شىء قليل فقال أبو محمد ياشومدرس انى جائع وأنت قد بقى معك كثير وأنا أقسم بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم لئن لم تطعمنى لأخبطن رأسك فى هذا الطين حتى ينزل الماء الأصفر فى عينيك (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع شومدرس كلام أبو محمد البطال قال له ويلك ياشيطان أنت ما أخذت قسمك وأكلت سهمك فقال أبى محمد ياويلك لاتكن شيخ مجنون أنت مالك معدة تطحن الطعام وأنا معدتى تطحن الأحجار والعظام ثم وثب كل منهما الى صاحبه وجعلا يتلاطمان حتى كلت منهما السواعد وتخانقا حتى صار الزبد على أفواههما صاعد وأن أبو محمد كان أبطش من شومدرس فلم يزل يلطمه حتى فزرت عينيه ومالت رقبته فصاح ويحك يابطال ياشيطان أقسم الذى معى بيننا نصفين فقال أبو محمد لا تطيل الخطاب ما أبرح حتى تعطينى نصف ما معك فقال شومدرس لابارك المسيح فيك ولا فى عمرك ما أعطيك إلا الثلث فقال أبى محمد ما آخذ إلا الثلثين فقال شومدرس أنت طلبت النصف خذ الثلث فقال والله ما أرجع عن الثلثين وإلا أخذت الجميع بعد أن أضربك حتى تقع صريع وبطش به فقال شومدرس اصبر على ياشيطان أضرمت فى قلبى النيران من صنعك بى فقال أبى محمد أسرع واقسم الثلثين قبل أن تصل اليك صفعتين (قال الراوى) ياساده ياكرام فدفع شومدرس الجراب لأبى محمد وهو يرمق البطال بعينه وبقى

أبو محمد يأكل ويضحك عليه فلما رأى شومدرس أكله سريعا خاف منه أن يجبره ويرجع الى ثلثه يأخذه منه قهراً فعمد اليه وأكله وفرغ مامعهما وبقيا على ذلك يومين وأصبحا فى اليوم الثالث مامعهما شيء من القوت فأيس كل واحد منهما من الحياة فقال شومدرس ياأبا محمد دع العداوة مادمنا فى هذه الحالة فان عبر بنا قوم مسلمين نصرخ بهم حتى يرفعونا ونفى بالعهد أن لايتعرضون لى وان كانوا من الروم فوحق المسيح والاربعمائة راهب الذين خرجوا من دير العيون الى وادى الإبر طالبين الحج إلى القدس الشريف والقمامة العظمى كنيسة النور فلما وصلوا الى بلاد الحضر أخذتهم الزلازل والمطر فما خرج من الوادى منهم راهب وأصبح كل منهم عاطب فهم عند المسيح فى مجاورة الحواريون وهم يتمخطون فى سقر لاتركتهم أن يتعرضون لك وأن تمضى أنت لحالك وأنا الآخر أمضى لحالى (قال الراوى) ياساده وبعد كلام الراهب عقد أبو محمد معه عقد وعهد على ماذكرنا فلما فرغا من العهد وقف على رأس الجب ناس يستقون فسمعوا فى الجب صراخا فقالوا ماهذا الصراخ ومن أنتم فقال شومدرس لما علم أنهم روم أنا الراهب شومدرس (ياساده) وكانت الروم المذكورين من بطارقة حصن العمد قد جاءوا فى طلبه من عند عبد الصليب ابن أخت الملك عبد النداس فقالوا ياأبونا نحن أتينا فى طلبك فما الذى حصل لك ههنا فى هذا الجب فقال دلوا لى الحبال فدلوا له حبل ورفعوه وقد اغتاظ أبو محمد إلا انه مستوثق من الراهب بالايمان والعهود فلما صعد شومدرس قال لهم ارفعوا رفيقى من الجب فقالوا له ومن رفيقك فقال وقع الآخر فى الجب وهو من أهل الإيمان قال فلما سمع أبا محمد ذلك من كلامه قال ماهو ان شاء الله إلا خير ثم انهم دلوا الحبل فتعلق به أبو محمد فأصعدوه فما استقر قائما على وجه الارض حتى صاح شومدرس ياويلكم خذوه وبالحبال كتفوه فقد لطم فى الجب رأسى حتى وقع أضراسى يا ويلكم هذا أبو محمد البطال العيار المحتال هذا مخرب الحصون وسارق المال المصون ولص الملوك وكاسر عظام الروم الغنى منهم والصعلوك فقال له أبا محمد ياشيخ السوء وأين العهد والميثاق فقال له ياأبا محمد لاتطيل الخطاب فلو سألنى فيك المسيح بنفسه ما قبلت سؤاله فلا بد ما أصابك فى حصن العمد ثم أصاب عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب ثم ان شومدرس قال للقوم كيف قصدكم حتى كانت طريقكم على هذا الجب فقالوا وحق من جعلك للعباد رحمة ماقصدنا هذا المكان تعمداً منا وانما تاهت منا الطريق الى حصن الدولاب ولم نقدر ننزل الى المرج فزعاً من عسكر المسلمين وسبب مجيئنا

عبد الصليب من خوفه من الاسارى الذين عندنا ماينام الليل ولا يهدأ فى النهار وانه فى انتظارك لأنك قلت له لاتتعرض لهم حتى أحضر ولو خالفك لغضب عليه المسيح وانه لما طال عليه ذلك جردنا فى مائة بطريق وقال لنا اسلكوا الجبل حتى تصلوا الى الملك الاشميطش وعرفوه بما أعطانى المسيح من المأسورين من المسلمين ثم اطلبوا لى عالم النصرانية أبو الشر شومدرس فان رأيتموه بلغوه سلامى وشوقى اليه وعرفوه بمن عندى من الاسارى وانى ماتمنعت عن قتلهم إلا بسبب غيبته وأنا منتظر حضوره فساعة ماتنظروه ركبوه وأسرعوا به وقد وقعنا بك فى هذا الجب الذى لم نعهدك فيه أبدا وليس لنا عند الملك الاشميطش حاجة بعد أن وجدناك وما المقصود غيرك فسر بنا على عجل فساروا وهو يحدثهم بحديثه وكيف وقع فى الجب وما لقى من أبو محمد البطال من أكل زاده ومنعه من الشرب وصفعه فى قفاه ونتف لحيته وهم يتعجبون من ذاك وأن شومدرس يقول لأبى محمد البطال وحق المسيح لأضربنك بعدد كل لبابة أكلتها منى قهراً سوطا وأبو محمد يقول له ويلك وأين أنت من العرضيات فقال له شومدرس لابق عرضيات ولا طوليات ياويلك الملك الاشميطش قد قتل أميركم وأخذ عسكركم والذى عند عبد الصليب سوف ترى ما أفعل بهم (قال) فلما سمع أبا محمد كلامه رجف قلبه وفؤاده على الاميره ذات الهمه وقال فى نفسه مابقى لنا بعدالله تعالى من نؤمل منه الفرج غيرها لنا وعبد الوهاب فلعل الله أن يفرج عنا وان قضى علينا قضى فقد فنيت رجالنا بلا محالة (قال الراوى) ياساده يا كرام وساراللعين شومدرس والبطارقة وأبى محمد البطال مكتوف فى قبضته نهارهم كله حتى أمسى المساء وقد نزلوا من الجبل وأرادوا أن يقصدون الأبراج التى على رأس الدروب وهم قدهمهم الليل فنزلوا وأحدقوا بالبطال كإحداق البياض بسواد العين وقد جردوا السيوف وقالوا وحق المسيح إن تحولت من موضعك قطعناك قطعا وبضعناك بضعا فسكت أبو محمد ولم يتكلم وكان هذا كله بتعليم شومدرس له من خوفه من أبى محمد لئلا يهرب ثم ان البطارقة تداولت على أبى محمد وضربوه الضرب الوجيع فمن كثرة ماضربوه أخذه الصداع فى رأسه والألم فى بدنه فصار يئن ويتألم فلما رآه شومدرس قال له لوصحت لما ينفخ اسرافيل فى الصور ماحللت لك كتاف ولا أطعمتك لبابة هذا والبطال لم يكلمه من فرط ماقد نزل به فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح طارت البطارقة طالبين حصن العمد فساروا الى وقت العصر ونزلوا أكلوا الطعام وكان نزولهم على عين تعرف بعين الحصن فيها ماء بارد أبرد من الثلج وأحلى من العسل

فقالت البطارقة لشومدرس يا أبونا قد حصل لهذا البطال الالم الشديد من الضر مع الجوع والضرب الوجيع فان أردت أن يصل معنا الى الحصن فأطعمه شيأ من الطعام لئلا يموت من الخوى وشدة الضرب فعند ذلك قدموا له الطعام فلم يأكل شيأ فتماوت فلما كان نصف الليل أفاق شومدرس فوجد نفسه محمولا على أكتاف أبو محمد البطال وهو طالب به باب الدرب (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب فى ذلك أن الأمير أبو محمد لما جرى عليه ما جرى بقى متفكر فى أمر البطارقة وكانوا قدموا الخمر وقعدوا يشربوا وكلما شربوا بدروا فضلة شرابهم على رأس أبو محمد استهزاء به وكان فى ذلك مصلحة له لأنه لما تواتر تبديد الخمر على أكتافه فانتقع القيد المكتوف به أبو محمد البطال فاسترخى الكتاف وخرجت يديه منه وكانت البطارقه قد سكروا فعند ذلك وثب أبو محمد الى شومدرس وهو مخمور ووضع الأكرة فى فمه وأوثقه كتاف وسار به كما ذكرنا فلما أفاق من سكرته ونومته وعاين ما عاين من حمله على أكتاف البطال وماهو عليه من شدة الكتاف والأكرة فى فمه فقال وحق المسيح الآن وقعت فى يد الكبير الأنف العظيم الهيكل الجافى الجثة يعنى أبو الهزاهز (ياساده) وأن أبا محمد أقام طول النهار وهو مكمن الى أن أمسى المساء ودخل الليل فحمله على أكتافه وسار به طالب الدرب فلما وصل الى باب الدرب وجده مسدود بالأحجار فقاسى شدة عظيمة حتى خرج منه وسار حتى أشرف على حصن العمد والمسلمين قد أكثروا من التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فقصد اليهم وكان الخبر معه من شومدرس فانه كان قد حدثه فى الجب بكل ما جرى على المسلمين وجيش الموحدين فصاحت به الحراس وثارت اليه الخيل والناس فصاح بهم أبو محمد لا بأس عليكم فلما سمعوا صوته عرفوه وتبادروا اليه وترجلوا له الخيالة وتلقوه فوقع بهم البكاء ووجدوه حامل حملا ثقيلا وهو يلهث من تحته وهو يقول خذوا هذا القرنان عنى واصفعوه حتى تطيروا قفاه والآذان قالوا ومن هو هذا أيها الأمير فقال هذا رأس كل بلية ونائبة هذا شيخ الضلال ومعدن الخبث والجهالة شومدرس الملعون المفتون (قال) فلما سمعوا ذلك وعلموا أنه الذى دبر الحيلة على المسلمين لعبد الصليب حتى قبض على الأمير عبد الوهاب وجميع الأصحاب (ياساده) فلم يمهلوه حتى أخذوه ولم يزالوا يلطموه ويلكموه ويصفعوه حتى رثا له أبو محمد وسألهم فيه وقال اتركوه حتى أعلم ما أرى من حال الأمير عبد الوهاب وكيف لا يقدرون يقاتلون أهل الحصن لأن عبد الصليب قد حلف أنهم متى قاتلوا ورموا بحجر واحد قتل الأمير عبد الوهاب

وقد قيل لنا ان فى البرج الذى على رأس الدرب أربعمائة بطريق مع بطريق يقال له قسطون فقال أبو محمد إن قسطون شرب شراب المنون وكل من معه وقد عجل الله بأرواحهم الى النار وبئس القرار ثم انه أعاد عليهم كل ما جرى من حال الأميرة ذات الهمة فى حصن الدولاب وما كان من الأمور والأسباب وقصته مع شومدرس فى الجب وكانوا كلما سمعوا أعمال شومدرس يوثبوا اليه ويلطموه ثم ان الأمير أبو محمد أقبل على أبطال بنى كلاب وميمون الجماس وقال لهم اعلموا أننى خائف على الأميره ذات الهمة وماندرى ما يكون منها والصواب عندى أنكم اذا أصبح الصباح ترحلوا الى حصن الدولاب فقالوا ان كان الأمر على ما ذكرت من حال قسطون وان كان الأبراج مافيها أحد فنحن فى غداة غد نسير وأنت معنا فقال لا يمكننى ذلك لأننى على غاية من شغل القلب على الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وقد عولت على الدخول الى الحصن ان شاء الله تعالى وأعمل على خلاص الامير وأصحابه فلما سمعوا كلامه قالوا هذا الشيخ النحس الملعون شومدرس فما تأمرنا بقتله ونستريح منه فقال أبو محمد ما هذا صواب لأنكم تعلمون منزلته عند الروم ولنا عندهم أسارى فى كل مكان والخبر السوء يطير وماتخفى عليهم ذلك وكانوا يبذلوا سيوفهم على المسلمين وظفر المسلم عندنا أفضل من ألف كلب مثل هذا الشيخ النحس ولكن خذوه معكم على غاية من الهوان وإياكم والغفلة عنه لأنه أمكر أهل الارض فقالوا ما نحتاج توصينا (قال الراوى) ثم انهم أوثقوه كتاف ووضعت القيود فى رجليه وباتوا على نية الرحيل فى غداة غد وأما الامير أبو محمد البطال فانه صبر حتى أظلم الظلام وودع الناس وأوصاهم بشومدرس وتعلق بالجبل ينتظر أخبار المسلمين وان ميمون الجماس لما أصبح الصباح رحل بالناس وسلم الراهب شومدرس لصباح بن عامر الكلابى لانه كان من عشقه لقطالون لا ينام الليل ولا يهدأ بالنهار (قال) وانهم ساروا الا أن وصل لباب الدرب فأمر ميمون الجماس أن يرمون الاحجار والصخور حتى يفتحوا الدرب ففعلوا ذلك فلما نظروا اليهم الروم الذين فى حصن العمد لم يلتفتوا اليهم وجعلوا يقطعون عليهم حتى عبروا عن آخرهم وكان الامير أبو محمد البطال قد حذرهم من الارض السبخة ووصف لهم الطريق الذى فى لحف الجبل (قال الراوى) وأما الامير أبو محمد البطال فانه أقام الى وقت العصر ثم نزل طالب الحصن وقصد الى باب الدرب وأقبل فى زى بطريق من بطارقة حصن الدولاب وانه قصد نفسه حتى جرى الدم وجعل يغط فيه ثيابه حتى بقى كأنه شقيقة أرجوان وأقبل الى الحصن وهو

يصيح بالرومية واسيداه واعلماه واشمدرساه فلما نظروا اليه الروم قد أقبل وهو على تلك الحالة والدم على ثيابه أيقنوا أن شومدرس قدقتل ففتحوا باب الحصن وخرجوا اليه وقالوا له ما وراءك يا هذا فأرمى بنفسه ساعة ولم يتكلم وأشار اليهم بعينه ارفعونى إلى الحصن فعرفعوه إلى بين يدى عبد الصليب فلما نظر اليه ناداه هدى روعك فقد أمنت على نفسك ما الذى أصابك ومن فعل بك هذه الفعال فقال اعلم أيها الأمير الكريم والسيد العظيم أن أصحابك المائة بطريق وصلوا إلى عند الملك الأشميطش فبلغوه الرسالة وطلبوا منه شيخ العلم الحكيم الرئيس شومدرس حتى يحضر إلى عندك فأجابهم الى ذلك وأن الملك رآهم سائرين فأمرنى بالمسير معهم خدمة لك وللراهب شومدرس ونحن فى مائة بطريق فسرنا ونحن آمنون الى رأس الدرب وكان مسدود وعيش العدو منكود فلما وصلنا الى عين الحصا عند الصباح ولم ندرى حتى أحدقوا بالشيخ الصالح ولطموه لطما كثيراً فضمن لهم إطلاق الأسارى الذين أخذتهم بالحيلة التى دبرها هو وقد حملوه إلى عسكرهم الذى على حصن الدولاب فقال عبد الصليب هذا عند الملك الأشميطش خمسمائة ألف فارس وما عبر اليهم أكثر من خمسة آلاف فارس فقال أبا محمد اعلم أن الملك أهمل أمرهم والان فهو فى هذه الأيام معولا على لغائهم فقال عبد الصليب طب نفسا وقر عينا فأنا أرسل اليهم من أجل شومدرس فان نصروا عليهم فهو الذى تريد وإلا فأنا أفادى به وخلع عبد الصليب على عبد الوهاب خلعة سنية وقدم اليه الطعام وكان أبو محمد جائعا فأكل حتى شبع ثم أن أبو محمد جلس عند الملك عبد الصليب وقد أفرد له مكانا حسنا وحمل له كلما يحتاج اليه فقال يامولاى ما أريد إلا أشتفى من المسلمين فقال الملك أنا أبلغك ما كلما تريد ثم أمر أن يفتح له المطامير والمطموره التى فيها الامير عبد الوهاب ففرح فرحا شديداً هذا وأبا محمد لما نظر الى الامير عبد الوهاب صلب على وجهه وضربه على وجهه ضربا وجيعا فقال له الامير لا يكون هذا أبو محمد أبداً لانى ما أعرف منه هذا الجفاء ثم إنه تقدم إلى آخر وضربه ولم يزل يضرب واحد بعد واحد حتى ضربهم الجميع ثم أنه أطبق الطابق على المطمورة ولم يزل يدور على سائر المطامير والمواضع التى فيها الاسارى وعاد الى المكان الذى فيه أمتعته وبقى الامير عبد الوهاب مفكر فى هذا الأمر فقال لأصحابه واللهانى أغالط روحى فى أمر هذا البطريق الذى نزل الينا وضربنا هذا الضرب الوجيع وماهو الا أبى محمد البطال لانه ما يتم له مايريد الا بهذه الاعمال فقال طاطم الاسود دعنا نخلص مانحن فيه ويضربنا بالخشب وبقى أبو محمد يدبر الحيل ويحكم العمل فهذا ماجرى

ها هنا ٭ وأما ما كان من ميمون الجماس وسائر الناس فانه سار طالب حصن الدولاب لكي يدرك الاميرة ذات الهمة وكان شومدرس معه وقد سلمه الى صباح بن عامر الكلابي وكان محبا لقطالون كما ذكرنا أخت عبد الصليب وكانت أخذت الاسلام بقبول وكذلك الذى أسلمت من أجلها وهو بولص وقد رسخ الاسلام فى قلوبهما (قال الراوى) وكانا فى عسكر ميمون الجماس وقد ورد عليهما من فقد الامير عبد الوهاب ما لو وضع على الجبال ما سارت به وكان صباح قد أسر أباه عامر مع جملة من أسر مع الامير عبد الوهاب وصباح قد فرح بأسر أبوه والامير عبد الوهاب حتى لا يعذلوه من أجلها وكان لا ينام الليل حتى يرقب بولص صاحب قطالون ويخلو به فيقتله وقد زين له الشيطان ذلك فلما سلم ميمون شومدرس الى صباح (يا ساده) وأن شومدرس لما رأى صباح لا يقر ولا يهدأ وهو يبكي وينشد الاشعار فعلم الملعون أنه مدنف عاشق ونظر اليه وهو يلح بالنظر الى قطالون فعلم أن مصيبته منها فقال له يا ولدى لقد زدتنى هما على همى مما تنشد الاشعار التى ما تقدر عليها الروم ولا على كلمة بل اذا وقع أحدهم فى العشق بقى مثل الجمر وحق المسيح لو كنت مطلوق لخلصتك وجمعت بينك وبين حبيبتك فقال صباح جزيت خيراً فلما سمع شومدرس كلامه قال يا بنى لقد جرحت فوادى من كثره تأسفك وإنشادك الاشعار فقال له صباح بن عامر اعلم أننى قليل المنام ولكن أنا أقول كما قال بعضهم هذه الابيات

غلب الهوى فبحت بالكتمان ... وشكوت ما ألقى الى الرحمن
لو كان ما بى هين لكتمته ... لكن مابى جل عن كتمانى
ملكت قطالون الفؤاد بأسره ... فشغلت عن أهلى وعن أوطانى
كيف التصبر والحبيب مهاجرى ... وامن له جلد على الهجران

(قال الراوى) يا سادة ياكرام فقال له شومدرس أتكلم ولى الامان فقال له تكلم وما عليك ملام فقال لو كان بدل ما قلت وشكوت تروم الى الصلبان لقضيت حاجتك ونلت الامانى فقال صباح يا شيخ وكيف يكون ذلك أن أقول ما أمرتنى فقال اعلم ياولدى أن أمرى نافذ على ملة النصرانية مثل أمر سلطانكم على أهل ملتكم ولا يخالفوا قولى ولا فعلى فلو خليت سبيلى ومضيت معى وحق المسيح ماكان يخرج عليك هذا الاسبوع الا وأنت أخذت قطالون خاسرة ذليلة فقال صباح وكيف ذلك فقال له شومدرس أن عبد الوهاب قد أخذ ومعه من تعلم من أصحابكم هذا نوع والثانى أن الاميرة ذات الهمه التى لكم قد استأسرها الاشميطش وقتل كل من معها وهؤلاء ما

ما عندهم خبر وأنا أعلم أنهم فى غداة غد هالكين وأول من يهلك قطالون أخت عبد الصليب لأنها عادت عن قولها ولا بقى لها فى دين النصرانية حاجةفهم يقتلوها بلا محالة وان أطلقتنى من هذا القيد تكون قد قدمت لنفسك تقدمة جميلة وتجعل بينى وبينك للصلح موضع وحق المسيح ان لم أجعل كل من فى الحصن الذى هوحصن الدولاب يخلع عليك ويحمل اليك المال وتأخذ قطالون وتردها عن دين الاسلام الى دين النصرانية وأزوجك بها وأكلل عليك فى الكنيسة ويكون العرس من مالى وتعيشا الى أن يموت أحدكما هذا ياولدى دين النصرانية (قال الراوى) فما قولكم ياساده فى شاب مدنف سقيم يحب جميلة بهية وسمع هذا الكلام والوعد بالوصال فكيف يكون حاله والمثل يقول عاشق مايسمع بكاء صغير فعند ذلك قال صباح لشومدرس طب نفسا وقر عينا فاذا كان نصف الليل أطلقت سبيلك ورحلت لرحيلك فانه لا يدين بدين الاسلام بل أسير على مقالتكم محاميا عن عشيرتكم ومع ذلك فلى والد مأسور فى حصن العمد فأنا أسير معك فاذا قتلت الأسارى فاعرض عليه التنصر فان فعل فقد أحسن وان لم يفعل فلا تبقوا عليه ولا تراعوه لأجلى فقال شومدرس يابنى قد فتح المسيح قفل قلبك بمفاتيح لقاه وأمطر عليك سحائب الهداية حتى شهد عليك بمعرفة التحقيق وهذا من سعادتك والتوفيق للدين العتيق وأما ما ذكرت من حالة أبيك فما يأتيك الأمر الا كما تريد ولا بد ما أوقف أبوك على دلائل لا يقدر أن يردها ويرجع الى دين النصرانية (ياساده) ثم أقام الى نصف الليل وقد أخذ صباح أهبة الرواح بعد أن أطلق الملعون شومدرس من القيود وقال سر بنا الآن فقال شومدرس أبشر فقد نلت المنا ببركة هذا الدين العتيق ثم انه سلك الطرقات التى يعرفها شومدرس وصباح تابعا له وقد غلب عليه العشق وقد حس الشقى بألم القطيعة والطرد من باب الحبيب وهجر دين الاسلام وشد فى وسطه زنار فنسأل الله أن يكفينا شر الشيطان الرجيم وأن لا يحول بيننا وبين ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ياساده ياكرام وسار شومدرس وهو على غاية من الحذر وهو طالب حصن العمد وقلعة الصخر من خوفه من أبو محمد البطال وقصد الى قتل المأسورين فقال صباح لشومدرس الى أين عولت فقال الى عند عبد الصليب يزوجك بأخته قطالون وسار حتى وصل الى عند عبد الصليب فرآه أبو محمد البطال وقصد الى قتل المأسورين فقال أبو محمد فى نفسه

لقد كنت عولت خلاص الأسارى وفتح الحصن فجاء لنا مالم يكن فى الحساب وفرغت الحيلة بخلاص هذا الملعون وقد وصل شومدرس ودخل على عبد الصليب وأوصاه بحفظ الأسارى وان أبا محمد قام من وقته وما قصد خلاص الأمير عبدالوهاب فطلع فزعا وطلب إطلاق عبد الوهاب وعرفه بنفسه وأوعده بالفرج وعالج القيود وقد تعب مما عالج فى القيود ورجع من وقته لينام وقد فطنوا الروم بالمطامير فوثبوا فرأوا باب الحصن مفتوح والروم مستبشرين بقدوم شومدرس وبقى أبو محمد غائب عن الدنيا لا يدرى كيف تكون الاسباب فى خلاص الأمير عبد الوهاب والأصحاب (ياساده) ياكرام ورآى معه صباح ابن عامر والروم يدعون لصباح فقال أبو محمد لاشك أن شومدرس الملعون قد لعب بعقله بالمال ولم يكن أبو محمد اطلع عليه بتلك الأحوال فلم يكن له غير أنه طلب لنفسه النجاة وعلم أنه إن قام هلك فخرج وهم مشتغلين بشومدرس وأما عبد الصليب تحقق أن البطريق الذى أتاه وثيابه ملطخين بدماه فتحقق أنه أبو محمد البطال فمن حداقته أرسل الغلمان فى طلبه فما وجدوه فأرسل الخيل فى سائر الطرقات فلم يقعوا له على خبر فقال شومدرس لعبد الصليب دعنا مما مضى فقد فاتك الشر فقال صباح ابن عامر لشومدرس اعلم أيها الشيخ الجليل أنك لاتغفل عن أمرى فقال اعلم يابنى أننى ما أقدر أخاطب الملك عبد الصليب فى أمرك فى هذه الساعة لأن قلبه ملآن من الغيظ مما اتفق له من اللص المحتال أبو محمد البطال وهروبه من بين يديه ثم قال له طب نفسا وقر عينا فإنى أعطيك قطالون فثق بقولى ولا تجزع فما بقى لك طريق الى بلاد الاسلام الا من عندنا ثم ان الملك عبد الصليب أمر باحضار المأسورين فأخرج منهم عشرون وأمر باخراج عبد الوهاب وهو مثقل فى قيده وارتفع البكاء من المأسورين والامير عبد الوهاب يقول لكل أجل كتاب هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ثم ان عبد الصليب أمر بضرب رقابهم فقتل منهم عشرون وكان الحادى والعشرون الأمير عامر الكلابى أبو صباح هذا وابنه صباح جالس وقد خلع عليه الملك خلعة سنية والصليب على صدره والزنار فى خصره وقد أخبر شومدرس الملك عبد الصليب بقصته فصار صباح يحرض الملك عبد الصليب على قتلهم وذلك لأجل هواه لينال غرضه من أخته قطالون ثم انه ضرب بيده رقاب بعض الاسارى المسلمين وذلك بإشارة شومدرس لأنه قال اعلم ياصباح أن قلوب الروم منك نافرة ان لم تضرب رقاب المسلمين بيدك حتى يصدقوك أنك دخلت فى دينهم (قال الراوى) وان آخر ما قدم اليه أبوه عامر فلما نظر عامر الى

ولده صباح على هذه الحالة بكى بكاء شديد وقال له ويلك أكفر بعد إيمان أما خفت من الطرد من باب الرحمن ياويلك غفلت عن عبادة الذى خلقك وهو الملك الديان أعقبت منك تلك النظرة الى هذه الحسرة والله ما بكاى على فراقك فى دار الدنياوإنما على فراقك فى الدار الآخرة يابنى كيف رضيت نفسك مع الكفرة الأبالسة فى طبقة النار السادسة فلما سمع صباح كلام أبيه قال ياعامر أراك قد أطلت الكلام والصواب رجوعك ان سمعت منى عن دين الاسلام واغتنم دين القصرانية والملة المسيحية إن أردت السلامة من سيفى هذا وأكون أنا وأنت بالسوية والآن ان أبيت سقيتك بسيفى هذا كاس المنية (قال الراوى) ياساده ياكرام فقال له عند ذلك أبوه عامر ويحك ياكلب المرتدين ومن نادت الملائكة عليه بطرده عن باب الرحيم الرحمن الذى لايشغله شان عن شان وهو عالم بما يكون وما قدكان يامن صار من حزب الشيطان أتأمرنى أن أترك عبادة رب العالمين وتوحيد الملك المجيد وأكون مطرود عن باب الملك الحميد وعلىّ وعليه رقيب وشهيد والآن قد خلعت رحمتك من قلبى كاخلع الايمان من قلبك (قال الراوى) فلما سمع صباح كلام والده هجم عليه وضربه بالسيف أطاح رأسه عن بدنه وقد عجل الله بروحه الى الجنة والدار الآخرة دار القرار والمنة فعظم ذلك على الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب لأن عبد الصليب أحضره ليضرب عنقه فقال له ياصباح بلاك الله بالأتراح ولعنك وعن باب رحمته أبعدك ولا قربك (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع صباح كلام الأمير عبدالوهاب قال له ياحجام تظن أنك ناج من هذا الحسام وصاح بالملك عبد الصليب وقال له ما انتظارك فى هذا الأمر لأنه لو قتل لخرجوا المسلمين من هذه البلاد واسترحنا من الشر والعناد فقال عبد الصليب دونك واياه وهم أن يضربه بحسامه وإذا هو بصائح قد أقبل فقال عبد الصليب أنظروا ما هذا الصياح فقالوا أيها الملك اعلم أنه قد وصل الينا رسول من عند الملك الاشميطش وهو أعظم بطريق عنده يسمى قلطون ابن كندرون وأصحابه محدقون به فقال لهم على به فعند ذلك نزلوا الى الباب وتلقوه وسلموا عليه وقد صعدوا به الى الملك فلما أن رآه عبد الصليب وثب له قائما وأجلسه جانبه وقال له ما الذى أقدمك علينا قال اعلم أيها الملك أن الملك الاشميطش قد أرسلنى اليك من أجل الأسارى الذين هم عندك لأن أبونا شومدرس قد قصد اليك على نية أنه يأمرك بقتل الأسارى والآن قد ظهر للملك رأى آخر فى تركهم لأنه قد عول على أنه إذا كسرت المسلمين وأميرتهم وقتلها وأسر فرسانها لايبقى على صغير ولا على كبير وقد جمع سائر الملوك وتحضر أنت

الآخرالى عنده فى مرج الياسمين وعمل لهم سماط سبعة أيام ويضربوا رقاب الاسارى كلهم الذين عندك والذين عنده فى يوم الأحد حتى يتحدثوا بحديثهم فى سائر الآفاق ويستريحوا السفار والرفاق ولا يدع أحد منهم يرجع الى بلاده ومع ذلك يامولاى انك لاتقتل منهم أحد الى أن يخلصوا الحصون الخمسة التى فى أيديهم (قال الراوى) ياساده ياكرام . فلما سمع عبد الصليب من البطريق ذلك قال لشومدرس ماترى من الرأى الصائب فإنك أبونا قال له ذلك صواب وتخلص زوجتى شوما وولدى دهرشوم وليس بصواب مخالفة الملك الاشميطش فعند ذلك أمر برد الامير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب الى المطامير وفقد منهم ماقدمنا ذكرهم وكان تكملة العشرين الامير عامر ثم إن عبد الصليب بعد ذلك خلع على البطريق فلطون وقال له ارجع إلى الملك وأخبره انى قد قبلت أمره وعملت برأيه فيعمل هو على أخذ المسلمين فقال له المسلمين قد أحدق بهم خمسمائة ألف بطريق وأمر الملك بحرقهم وبأخذ من سلم منهم وهو لاشك يأخذهم اليوم وأما أنا راجع فى يومى هذا لأحضرهم فقال له الراهب شومدرس إذا كان الامر كما ذكرت فأنا أسير الى الملك الاشميطش حتى اننى أدبر الأمر وأشير عليه (قال الراوى) عند ذلك ودع شومدرس لعبد الصليب ثم ودعه وحذره من أبى محمد البطال وحيله وسار مع البطريك فلطون هذا وقد وجدوا فى السير (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء . وأما ماكان من الاميره ذات الهمه فانها لما قتلت البطريك الغيطفور وباتت تلك الليلة مبيت الفرح والسرور وهى تظن أن عسكر الروم هو الذى كان مع الغيطفور فلما أصبح الصباح نظرت الى الدنيا وقد أقبلت تسعى فرسان من كل جانب ومكان الى أن اجتمع من حولها خمسمائة ألف بطريك من الكفرة المشركين وامتلأ مرج الياسمين واسودت الدنيا من كثرة الخلائق وعميت الابصار من شعاع الشمس على البيض والبيارق ونزل الملك الاشميطش على ظاهر الحصن وضرب له سرادق كبير وكان أشجع من اخوته وأقواهم فأمر العسكر بالحملة على الاميره ذات الهمه وقومها فحملوا عن بكرة أبيهم فى خمسمائة ألف يحملون على خمسة عشر ألف حملة واحدة وكانوا المسلمين كالشامة البيضاء فى الثور الأسود عندها ثارت الاميره لقومها وقالت اعلموا أن الانسان اذا ضربت رقبته لايبالى اذا كان السيف هندى أو افرنجى فلا تنظروا الى كثرتهم وتهابوها ولا الى قلتكم فتذروها . واعلموا ان الدنيا دار زوال والآخرة دار القرار والخلود والنوال ولا تصلون اليها إلا بالإخلاص فى الجهاد والى طاعة رب العباد (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما

سمعت المسلمين ذلك قالوا أيتها الاميره والله مافينا إلا من بذل الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بوجهه (قال) ولما حملت الروم عليهم كثر بينهم الجراح وصارت العقبان عليهم تحوم وكان ذلك اليوم على الرجال يوم مذموم وهم بين صادم ومصدوم وظالم ومظلوم والخيل بالرجال تقع وتقوم وعمل الصارم البتار وفنيت الأعمار الى أن تقضى ذلك النهار وأمسى المساء ورجعت الروم وقد خسروا مع المسلمين وتمنى الملك شومدرس ليدبر حيلة لأن مصيبته معهم طويلة فقال له بعض البطارقة وكان من تلامذة شومدرس وخدمه سنين وتعلم منه الحيل والمكر والخداع أيها الملك الرزين إن المسلمين قليلين ويقاتلون قتال مستقتل وما فى الأمر إلا انك تأمر البطارقة يقلعون هذه الأشجار والاخشاب التى فى هذه الجبال ويدورون من حولهم واذا اشتد غداة غد القتال وغرقوا فى أوساطنا يكون لنا قوم معدودين بالنفط فيضربوا به الاشجار والاخشاب فتشعل النار بالالتهاب فيخافون على خيامهم ويرجعوا عن الحرب الى الخيام والمضارب فيرون النار تعمل من كل جانب فيسلموا أنفسهم خوفا من الحريق فتأخذهم قبضا باليد من غير تعب (قال الراوى) عندها أمر الملك البطارقة بذلك ففعلوا فى تلك الليلة شيء كثير وأرموه من حول عسكر الاميره ذات الهمه الى أن صار حولهم مثل الحلقة. فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الاميره فانها باتت تصلى الى الصباح وتسأل ربها النصر ولم تنم تلك الليلة الى أن أصبح الصباح قامت على حيلها بعد صلاتها فرأت ما قد صنعت الأعداء فأيست من الحياة وقالت ما بقى غير الموت فقال أبو الهزاهز أيتها الاميره لاتضيق صدرك وقولى لأصحابك يفعلوا كفعلى وسوف ترين العجب ثم صاح فى السودان كل من لم يعمل كعملى فما هو منى ثم عمد الى شجرة مايشيلها خمس رجال وحمل بها على الروم وتبعته السودان والاميره وأصحابها فما كانت إلا ساعة حتى خلت الأرض مما كان عليها من تلك الأشجار فلما رأت الروم الى ذلك قالوا وحق المسيح ماقصرنا معهم علمناهم عدة يقاتلون بها. هذا وأبو الهزاهز ورفقاه قد حطموا فى الروم وصبحوهم صباح ميشوم وأقاموا المسلمين يدعسوا فيهم إلى أن أفنوا منهم خلق كثيرا فقال الملك مضى مامضى إن أردتم أن يمن عليكم المسيح بالرضا فليخرج منكم عشرين بطريك مع كل بطريك خمسة آلاف وتكونوا من ورائهم وتحملوا عليهم وهم نعسانين تعبانين من قتالهم بتلك الاشجار فتصبح الدنيا منهم خالية فقال له بطريك أيها الملك ماأظنك إلا عزمت على تكسير رومنا وحق المسيح فضحك الملك من قوله وقال اصبروا اليوم وبكره بلاقتال حتى يأتى أبونا شومدرس فهو يدبر الحيلة على هؤلاء

القوم (قال الراوى) ياساده ياكرام فوجدوا البطارقة بذلك راحة عظيمة ونعمة جسيمة وباتت على هذه النية الى أن أصبح الصباح ونياتهم فاترة عن ضرب الصفاح وأما المسلمون فانهم باتوا فى انشراح وأهنأ مبيت وهم يشكروا أبوالهزاهز ومن معه وأصبحت الاميره رأت الجميع مافيهم من يقدر يقوم من شدة التعب فقالت إنا لله وإنا اليه راجعون فلما رأت الروم خامده ونياتهم عن القتال بارده حمدت ربها وصبرت أيام حتى أ كلت الناس خيلها وطالت غيبة الامير عبد الوهاب ولا معها منه خبر فبينما هى فى ذلك الكلام واذا بالغبار قد سد الاقطار وانكشف عن رايات إسلامية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله (قال الراوى) وكانت هذه الرجال القادمة ميمون الجماس ببقية الناس وكان سبب دخولهم لأجل الاميره فركبت ولاقت ميمون الجماس ولم تنظر الامير عبد الوهاب بينهم ولم يكن لها صبر وصارت تحن وتنشد الاشعار قال وسألت عن الامير فأعادوا عليها القصة من أولها الى آخرها فحصل لها من ذلك أمر عظيم وأمرت بالحملة على أعداء الله فحملوا الخشب والاشجار كما تقدم وكانت وقعة قتل فيها من عسكر المسلمين مائة فارس ومن عسكر الروم عشرين ألف وعادوا المسلمين منصورين . وأما الملك الاشميطش فانه عاد فى غم ولام عسكره وهم يشكوا اليه مالاقوا من المسلمين فهم فى الحديث وشومدرس قد وصل اليهم فناموا جميعا ولاقوه بفرح ومسرة وشكوا له مالاقوا من المضرة فقال ان طول المسيح فى عمرى لأهلكنهم وقال لهم هل عندكم شيء من النفط فقال الملك عندنا من النفط مالايقدر عليه غيرنا من الملوك فقال هذا هو المراد قاتلوكم بالخشب والأشجار يضرب كل بطريك بالقارورة التى معه الاشجار التى وراهم حتى لايقدر أحداً منهم يهرب الى الجبل قال الملك نعم الرأى وباتوا مسرورين بما دبر لهم اللعين الى أن أصبح الصباح وحملت المسلمين وهم عن ذلك غافلين وكان ذلك بتقدير رب العالمين فأرمتهم البطارقة بقوارير النفط فتعلقت النار بالأشجار أسرع من طبق الجفن فما قولكم فى عشرين ألف شجرة التقت النار فبقيت الدنيا كلها نار فلما رأت الاميره ذات الهمه ذلك علمت أن الناس هلكوا فقالت اطلبوا الجبل واذا بالنار تشعل فأدركتهم الروم والنار تعمل فيهم الى أن وصلوا الى الارض المسبخة فغاصت فيها وكان المسلم يرمى روحه حتى يطفى النار عنه وأخذوا الجميع وكتب الاشميطش لعبد الصليب أن تحضر بالاسارى الذين عندك حتى أجمع بينهم وبين الذين عندى وأعمل يوم جليل فى مرج الياسمين ثم رجع الاشميطش بالاسارى الى حصن الدولاب ووضعهم فى المطامير

إلى أن امتلا منهم المكان هذا برأى الملعون شومدرس فقال الملك يا أبونا كيف تعمل فى أخذ الحصون وتخرج منها المسلمين فقال له شومدرش ومن فى الحصون غير خمسمائة فارس أقتل أنت هؤلاء وعلىّ أنا أسلم لك الحصون بما فيها فى ثلاثة أيام فقال الملك سمعاً وطاعة ولما أصبح الصباح كتب إلى عبد الصليب يقول أما بعد فان المسيح قد نصره على الأعداء وأخذت الجميع أسارى وسوف أسقيهم كاس الردى مع أنهم أسد البيداء وما قلت أن أصل اليهم أبداً لولا الشيخ شومدرس فهو الذى أوصلنى اليهم فاذا قرأت كتابى ترد إلى حصن الدولاب قاصد وهات معك الأسارى ولا تفزع على باقى الحصون فالراهب قد وعدنى بأخذهم بعد ثلاثة أيام ولا تقعد بها ساعة واحدة ثم أرسل الكتاب مع بعض البطارقة إلى حصن العمد وقال له الملتقى يوم الأحد وتولى شومدرس عقوبة أبو الهزاهز ويقول له رأيت كيف عمل المسيح وسارت الرسل إلى أن أعطوا الكتاب إلى عبد الصليب فلما قرأه فرح وضم الأسارى الذين عنده ورحل بهم والأمير عبد الوهاب قدام بنى كلاب وتولى سوقهم صباح وكان قد أرسل اليه شومدرس أنه أخذ قطالون وصاحبها فصار يسوقهم بلا عقـــل وكل من وقف من الأسارى ضربه بالسيف صفحاً وخلف عبد الصليب فى الحصن توما بن لوقا فى ألف فارس وغلق باب الحصن وسار عبد الصليب إلى باب الدروب وإذا بغبار قد ثار من نحو حصن العمد حتى ملأ الأقطار وسد الأمصار فانغم عبد الصليب وقال لاشك أن هذا الغبار عسكر قد طرق ديارنا ويكون الخبر قد وصل إلى الحصون التى ملكوها المسلمون وقد جاءوا إلينا وظنوا أنهم سالمون فنصبر حتى ينكشف الغبار ونضربهم بالسيف البتار هذا وأن عبد الوهاب قد أقبـــل على أصحابه وقال إن قلبى يحدثنى بالفرج وإذا بالغبار انجلى وبان من تحته رماح مداد حداد ورجال أجواد شجعان شداد معودين بالجهاد طالبين الاجتهاد فى طاعة رب العباد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن سيف الحنيفية لما مضى من حصن يانس المتغرب مع الخليفة وقد وعده بالمال المقدم ذكره فأعطاه إياه فجند الجنود واستخدم الفرسان حتى صار فى خمسة آلاف فارس وبذل لهم المال حتى أغناهم فنظر عقبة الى ذلك الجيش انفطرت مرارته ودامت حسرته وانقطعت أخبار عبد الوهاب وشنعوا عنه بأنه مات وكان أصـــل التشنيع من عقبه فقال سيف الحنيفية إن كان أبى قد مات فأنا آخذ بثاره ثم نفق فى عسكره وعزم على الدخول الى بلاد الروم وخرج معه عقبه ليودعه وهو يقول يا بنى رحم الله أباك عبد الوهاب وهكذا كان خفيف الركاب وسار الامير سيف الحنيفية

بأجناده الى حصن يانس المتغرب فلما وصل اليه سلم عليه وسأله عن خبر الأمير فقال وصل من الأخبار أنه قد ملك خمس حصون من حصون اليونانية وقد انقطع خبره عني ولم أعلم ما كان منه فعلى ماذا عولت فقال أسير فى طلبه فان كان سالما أعنته وإن كان عاطباً أخذت ثاره ثم ودعه وسار طالب بلاد اليونان وكان خبير بالارض لانه ربى فيها ونشا فى ديارها فجد فى سيره حتى دخل الظلمة وكان الملعون عقبه قد أرسل الى ملك الروم يقول له ويعلمه بدخول سيف الحنيفية ويأمره أن يكمن له فى عشرة آلاف فارس ويأخذه ورجاله قبضا باليد فلما وصل كتاب عقبه الى ملك الروم كان قد وصل سيف الحنيفية الى حصن يانس فقال الملك لقومه وبطارقته ماذا تقولون فى هذا الرأى الذى ذكره الشيخ النجيح وحجة المسيح فقالوا له أيها الملك الصواب بأنك قد عرفت سيف الحنيفية بأنه يريد لرأسه كل من فى بلاد الروم وهو كما قد عرفت أنه كان سبب هلاك البطارقه وأيضـــا أنه داخل الى أعداك الذين لم يدخلوا تحت طـاعتك أبداً فان هلك فهو الذى تريد وان سلم هو وأبيه يكون لك عند أبيـه اليد البيضاء بأنك قد وفيت له الهدية فقال نعم ما رأيتم ثم أنه لم يتعرض له (قال الراوى) ثم سار سيف الحنيفية وعبر الحصون الى أن وصل الى أخيه ضيغم وسأله عن الخبر فقال له قد انقطعت أخبارهم عنى وقد اشتغل قلبي بذلك فهم فى الكلام والثمانمائة الذين من بنى كلاب المنهزمين الذين سلموا من الوقعة التى تم على الاميرة فيها ما تم قد أتوه وأخبروه بأمر الامير عبدالوهاب وكيف قد عولوا الروم عـلى الاجتماع فى مرج الياسمين لضرب رقابهم فعندها استخلف فى موضعه رجل من بنى كلاب وسار مع أخيه سيف الحنيفية حتى أشرف على القوم وعدنا الى سياق الحديث (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب لما عرف ولده صاح يا ولدى دونك والارزال وخلصنا من أيديهم فعند ذلك حمل وحملت الابطال الذين معه (قال الراوى) ونظر عبدالصليب الى قلتهم فلم يعبأ بهم ووكل بالاسارى خمسة آلاف فارس وحمل على الامير سيف الحنيفية فى بقية فرسانه وارتفع القسطل وحمى المرجل وغليت الحرب بايان المرحل ونظر سيف الحنيفيه الى عبد الصليب فعلم أنه مقدم الجيش فحمل عليه وضرب بيده الى مراق بطنه بعد أن بطل عليه المضرب وجذبه اليه فقلعه من سرجه وضرب به الارض فلم يقم من موضعه لانه طحن عظامه وعجل حمامه فما كانت طرفة حتى هتف بالروم من الموب هاتف وأصبح السالم منهم تالف وسبق سيف الحنيفية الى باب الحصن حتى لا يسبق من القوم أحد حتى انقضى النهار وقتل من الروم عشرة آلاف وأسر مثل ذلك وانهزم

الباقون وأطلق الامير عبد الوهاب وجميع الاسارى وأخذوا الاسلاب لبسوها والخيل ركبوها واعتنق الامير عبد الوهاب ولده سيف الحنيفية وقال الحمد لله الذى جمع بيننا قبل الممات فقال سيف الحنيفية يا ابتى قد وصل الى كتاب بأنك هلكت أنت وكل من معك فورد على مورد عظيم وجاءنى بعد ذلك القاضى عقبة وعزانى فيك وحزن على بعدك وهو الذى أشار على بالدخول إليك والقدوم عليك فقال الامير عبدالوهاب اعلم ياولدى أن عقبة بن مصعب رجل مشرك بالله نصرانى يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر العصير فقال يا أبتاه وحق من هدانى بعد الضلال وعرفنى دين محمد رسول الله الملك المتعال صلى الله عليه وسلم انى لو علمت انه على ذلك الحال لما جئت إلا ورأسه معى ولكن مايفوت ذلك إذا رجعنا إن شاء الله تعالى الى ملطيه ثم ان الامير عبد الوهاب أمر بضرب رقاب الاسارى وأخذ ثيابهم وخيلهم وقال يابنى انى مشغول بباقى العسكر الذى مع الروم والاميره ذات الهمه فسير بنا الى مرج الياسمين ونرجو خلاصهما من رب العالمين فقال سيف الحنيفية ماهذا صواب أن نمضى ونخلى هذا الحصن وراءنا وما فتحناه ولكن اختار لنفسك أن تقيم ههنا وأسير أنا فى هذه الساعة الى عند الاميره واما أن تمضى أنت وأقيم أنا . فهم فى الكلام وبعض السودان أقبل على الامير وقال له يامولاى ألا أخبرك بعجب فقال الامير ماهو فقال يامولاى انى تقدمت الى الحصن وجعلت أصيح على الروم الذين فيه وأقول ياويلكم لابد لنا ما نأخذ هذا الحصن ونضرب رقابكم فصاح على بطريك منهم وشتمنى بالرومى ورمانى بسهم فوقع بين يدى وفيه كتاب وقد أخذته وماأعلم مافيه فقال الامير عبد الوهاب هات الكتاب حتى أرى ما فيه فرمى اليه الكتاب فأخذه واذا هو بخط الامير أبو محمد البطال ففضه وقرأه واذا فيه : بفضل بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالحمد لله على جمع الشمل وبعد ذلك اذا قرأت كتابى هذا فازحف الى الحصن فانى ان شاء الله تعالى افتحه لكم فقال الامير : الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وقرأ الكتاب على سيف الحنيفية ففرح بذلك ثم زحف الى الحصن ووقع القتال بين الرجال وطلعت الألفين المتخلفين الى الابراج ومعهم النسوان (قال الراوى) وصعد معهم أبو محمد البطال وجعل يصيح على المسلمين ويرميهم بالأحجار ثم نزل الى باب الحصن وصاح فى الناس وهجموا الى الحصن مع غفلة الروم وارتفع التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ونزلت البطارقة من على الأبراج وانقطعت الأوداج ونزلت النسوان من على الاصوار وعمل فيهم البتار

فلم تكن غير ساعة حتى تركوا الرؤوس بلا عاصم والأبدان بلاجماجم والأكف بلا معاصم وملك بما فيه وفرح البطال بالأمير عبد الوهاب وقال يا أبو محمد لقد سلمنا الله تعالى بوصول سيف الحنيفية فقال البطال هكذا وعدك الله بالفرج عند الشدة فارحل أيها الامير من وقتك وساعتك الى مرج الياسمين من أجل الاميره ذات الهمة فأدعى الامير عبد الوهاب بولده ضيغم وقال يابنى اقعد فى هذا الحصن فقال سمعا وطاعة وضم اليه مائة فارس وأوصاه باليقظة والاحتراز وسار الامير فى باقى يومه الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرف على عسكر الملك الاشميطش وقد ملأ الفضاء وسد المستوى (قال الراوى) وكانوا المنهزمين من باقى عسكر عبد الصليب قد وصلوا الى الملك الاشميطش وأعادوا عليه ما قد جرى على عبد الصليب فقال ياويلكم من فعل بكم هذه الفعال والمسلمون كلهم فى الاعتقال فقيل ياملك انك لما أنفذت الى عبد الصليب تأمره أن يحمل الاسارى اليك ففعل ذلك ونزل من الحصن الى المرج فأشرف الينا عسكر فى خمسة آلاف فارس وأعادوا عليه صفة الوقعة فقال لهم فهل عندكم علم من الحصن فقالوا له أيها الملك انهم لايقدرون عليه ولايصلون اليه لأن فيه ألف بطريك والمكان حصين لايقدر عليه أحد لأنه يفتح من داخله فقال الاشميطش إذا كان الأمر على ذلك فأنا أعتقد أنهم مايرحلون الينا ويخلون حصن العمد وراءهم وها أنا مقيم ههنا الى أن ينكشف لى خبرهم على الحقيقة فإن أقاموا على حصن العمد سيرنا اليهم مائة ألف فارس تكون نجدة لهم وان أتوا الينا التقيناهم بعساكرنا وأصبح على هذه النية واذا قد أشرف عليه عساكر المسلمين وكان الملعون لما وصلت اليه المنهزمين الى الحصن وأقبل الامير عبد الوهاب فى جيش عرمرم يقارب ثلاثين ألف فارس من غير أن يصف مصاف وحمل سيف الحنيفية ونظر الملك الى ذلك فقال ياويلكم أقل صف فيكم قدر المسلمين عشر مرات فاحملوا عليهم ثم صاح وحمل فى أوائل الناس (ياساده) ولم يكن فى هذه الحصون السبعة أشد منه بأساً وأقوى مراساً لأنه فارس لايطاق وعلقم مر المذاق كثير المكر والخداع شديد القوة والامتناع فحمل وحملت الروم بأجمعها فخيل للناظرين أن الأرض قد انقلبت وخرجت الأرواح ونكبت وأهرقت الدماء وسكبت وعملت الصوارم وفلقت الجماجم وبريت المعاصم وشوشت العمايم وقامت المآتم والناس بين عاطب وسالم وغانم وغارم وتعبت من الخيل القوائم واسترخت الأكف عن قبض الشكايم ونشر الأنامل والبراجم وتقدم الشجاع الحازم وتقطعت من الخيل المحازم ووقع

بالناس الوبال وكبر الزلزال وبات فيهم الفشل ولم ينجو إلا الهمام البطل وانخسفت الصدور من وقع الاسل وعجل الامير عبد الوهاب كل عمل وبين يديه ولده سيف الحنيفية وهو يهيج كما يهيج الجمل فلما نظر الاشميطش الى البلاء الذى حل بأصحابه ونزل وقد سقوهم المسلمين كاس الأجل ولم يزل السيف يعمل إلى أن ولى النهار ورحل وأقبل الليل بظلامه وانسدل وقد ضر بالقوم ذلك اليوم ورجع كل جيش الى مكانه وانفصل والملك الاشميطش قد هلك من عسكره عشرين ألف بطل فأدعى بالشيخ شومدرس وقال إيش ترى ياراهب فى هـذه النوبة التى لم تـكن فى حساب الحاسب فقال شومدرس : اعلم أيها الملك أن ما فى كل وقت ينجح الطلب مع أن هذه فضيحة عليكم أن تـكون المسلمين فى أقل من ثلاثين ألف وأنتم أزيد من خمسمائة ألف وأبلوكم هذا البلاء العظيم وقتلوا منكم كل سيد كريم ولو أن الاسارى الذين عندكم فى الحصن مطلوقين لما بقى منكم باقية فقالوا الروم يا أبونا ماهلكنا إلا من فارسين كانا فى أوائل الناس أحدهم أسمر اللون مليح الكون فقال شومدرس الواحد منهم أمير والثانى ولده كما ذكروا الناس لأنهم قد سمعوه وهو يقول يابنى خلصنى من عبد الصليب فقالوا البطارقة والله يا أبونا اننا قد لقينا من الولد ما لم نلقه من الوالد يعنون سيف الحنيفية ولو كفينا أمره واندفع عنا شره لما جزعنا من بقية الناس ولو كانوا أضعافهم فقال شومدرس إن كان ما خوفكم إلا من هذا الرجل الذى ذكرتم والبطل الذى وصفتم فأنا إن طول المسيح فى عمرى إلى غداة غد أكفيكم شره ثم وثب من عنده لوقته وسار (ياساده ياكرام) وأن الملعون أخذ من ثياب الاسارى ولبس وكان له ذقن كبيرة نقصها ودخل الى عسكر المسلمين وجيش الموحدين وكان على حرس المسلمين تلك الليلة أخو الامير عبد الوهاب فى عشرين من بنى كلاب وعشرين من السودان الأنجاب (قال الراوى) فلما دخل شومدرس ودنا من العسكر دارت به الرجال فقال لا إله إلا الله محمد رسول الله أنا خرجت لقضاء حاجة فامسكوا عنه فدخل الى العسكر مختفيا وجعل يتحدث مع كل قوم ويلتقط منهم الخبر حتى عرف أين مضرب سيف الحنيفية فقصد اليه وكان جالساً على سرير قد نصب لأنه قد ربى فى بلاد الروم فهو على زيهم وتربيتهم وأمراء العرب حوله وعنده الامير عبد الوهاب وهو يسأله عن ملطيه وأحوالها وكيف عمرت أطلالها وكيف كانت سيرة بنى سليم معه وهو يقول له : أما ملطيه فانها عمرت عمرانا ماعمرت قط مثله لأنى سمعت العرب يتحدثون بذلك فقال الامير عبد الوهاب.

فكيف رأيت الامير عمرو بن عبيد الله لك منذ غيبتي فقال وعى يفعل معى غير الجميل ولو أنكرت منه حالا واحداً لعلوت رأسه بالسيف فضحك الامير من قوله وقال له إيش عندك من أخبار الرشيد فقال له اعلم انى لما مضيت فى صحبته إلى ملطيه وشرع فى عمارتها أخلع علىّ وشرفنى ولما وصل الى بغداد أرسل الى خمسين ألف دينار أنفقتها فى هذه الرجال الذين تراهم (قال الراوى) ولم يزل الامير يتحدث مع ولده سيف الحنيفية ورجاله من حوله وفى جملتهم اللعين شومدرس الى أن نامت العيون وهجم سلطان المنام على الأنام لما مر عليهم فى يومهم ذلك من التعب والنصب والقتال والنزال وملاقاة الابطال وأن الملعون شومدرس قد ذكرنا مافيه من القوة على أنه شيخ كبير إلا أن فيه قوة الخمر ولحم الخنزير وانه لما علم أن القوم ناموا عمد الى الشموع فأطفأها والقناديل وامتلط من وسطه خنجر أمضى من القضا لو طرح على سنام الجمل نزل الى الارض وقصد الى الذين كانوا فى المضرب من خواص سيف الحنيفية فما كان يضع الخنجر على حلق أحد إلا وقد نزل الى الارض أسرع من البرق فذبح العشرة عن بكرة أبيهم ثم تقدم الى السرير وصعد اليه وجعل يفتكر فى ذبحه ثم يقول لوقدرت على أن أحمله الى الملك الاشميطش لكان أولى وأجل وأعلى ثم انه عول على أن يحمله ويعمل فى فمه أكره ويكتف يديه فان تحرك ضربه بذلك الخنجر الذى فى كفه وهوأمضى من القضاء المبرم وان هولم يتحرك سار به الى الملك الاشميطش (ياساده) وذكرصاحب الحديث انه لم يكن فى بلد أيشم ولا أمكر ولا أحيل ولا أجسر من شومدرس ولا من عقبة فى بلاد الاسلام إلا أن يكون أبو محمد البطال لأنه كان رجل زمانه ولم يكن حاضر مع الامير لأنه لما سلم اليهم الحصن تركهم وسار من خوفه على الاميره ذات الهمة فسار يريد حصن الدولاب .

هذا وأن شومدرس عمل الأكره فى فم سيف الحنيفية وشد يديه الى رجليه ولم يشعر سيف الحنيفية لما يريد الله من تأخيرأجله لولا انه لوتحرك لبطش به الملعون بالخنجر وضربه به فلما شد يديه الى رجليه دخل من تحته ونهض من تحته فكان عليه مثل الجمل حتى غاب عن العسكر وأمن على نفسه وقد لقى تعبا ونصبا وكاد أن يهلك وقصدبه الى صخرة ووضع الاميرسيف الحنيفية من على أكتافه عليها وقعد يلهث وقد فتح سيف الحنيفية عينيه فرأى الراهب وفى يده الخنجر يتلألأ كأنه صاعقة له لمعان بارق يجلو دياجى الغياهب الغاسقة فعلم أنه قدسرق وقد دخل عليه أمر فقال فى نفسه ماهذه غالية بتسليمها ان سلمت وبقى لى عمر وبقى متفكر كيف دهى ورأى الاكره فى فمه لايقدرأن

يتكلم وشومدرس جالس كأنه القضاء المصبوب وفى يده الخنجر (قال الراوى) وبقى الراهب متفكراً فيما يعمل وما بقى له نهضة يحمل الأمير ولا يطيب عليه يمضى ويخليه ويجيب من يحمله فعزم على قتله ورفع يده وهم أن يضربه وإذا بشخص قد أقبل فى ظلام الليل وهو يلهث وعلى ظهره حمل ثقيل وفى يده سكين وهو سائر إلى تلك الصخرة التى شومدرس عندها وكان مقابلها صخرة أخرى كبيرة فحط عن ظهره شخص قد شد يديه إلى رجليه وفى فمه أكره فنظر الراهب إلى الشخص فأنكر أمره ووثب قائما على قدميه والخنجر فى يده فعند وثبته وثب ذلك الشخص أيضا قائما على قدميه والسكين فى يده فلقيه الراهب فعرفه أنه أبو محمد البطال ونظر اليه أيضا البطال فعرفه أنه شومدرس فقال له ويلك يا شيطان أخبرنى من معك حتما فانى أراه جسيم وسيم حتى أخبرك أيضا بصاحبي الذى هو معى فقال له أبشر أبو محمد فان معى الذى تسمونه سيف الحنيفية ولد الأمير عبد الوهاب فأنت من معك فقال البطال يا ملعون كملت العبارة واللعنة والسرقه أنا معى الملك الاشميطش أخذته من سرادقه بعد أن ذبحت أربعين بطريق وأخذته بعـــد أن ذبحت البطارقه وتخطيت المضارب والاطناب والسرادقات وتعلقت فى هذا الجبل لأجل أن التقيت بك وقد لقيتك فأطلق من معك وأنا أطلق من معى فقال شومدرس أما صاحبي فلو مننت عليه بالاطلاق ما كان يطلق وما فى الأمر إلا أن أتحمل صاحبك وأحمل صاحبي وتمضى أنت إلى عسكر المسلمين وأمضى أنا الى عسكر الروم فاذا كان فى غداة غد وقع الفداء فنتفادى بهما فقال الأمير أبو محمد ويلك يا عدو الله مالى الى هذا من سبيل أن تحمل ولى الله الى أعداء الله ثم أن الأمير أبو محمد خلع ثيابه وحملها على يده الشمال وأخذ السكين فى يده اليمنى وزحف كل واحد منهما الى صاحبه ونظر أبو محمد الى الخنجر الذى فى يد الراهب شومدرس يلمع ويخرج منه البرق فقال فى نفسه والله ان ملك الموت يلوح فى كفه ولأن قاربته ضربنى بهذا الخنجر الذى فى يده فبقى الأمير أبو محمد يتجنبه وقد حمل على الراهب شومدرس وزحف اليه وقد أيقن كل واحد منهما بالعطب واذا بصائح يصيح من من خلف الراهب بصوت مثل الرعد العاصف أو الريح الناصف جاءك أمر الله يا عدو الله واذا به الأمير سيف الحنيفية وذلك أنه لما علم أن الراهب شومدرس قد اشتغل بالامير أبو محمد تمطى فى كتافه قطعه وحل رجليه ووثب قائما على قدميه ولم يكن معه شيئا يقاتل به الا أنه أخذ حجر كبير كأنه قبة ورفعه من الارض وطلب الراهب وقال له يا شيخ السوء أتاك أمر الله لا مرد له وحق النبى المنتخب سيد العجم

والعرب لئن لم تستسلم وإلا رميت هذا الحجر عليك طحنت به رأسك وكتفيك فلما رأى الراهب الى الحجر الكبير الذى على يده علم أنه ان لم يستسلم والا هشمه ورأى أبو محمد من بين يديه فلم يكن غير الاستسلام اليهما فتقدم اليه سيف الحنيفية وأخذ الخنجر من يده ودار كتافه بالذى كان مكتف به وقال ايش هذا الذى معك يا أبو محمد فقال ملك الروم الاشميطش الذى هذه المواكب والكتائب كلها تحت يده فلما سمع ذلك فرح فرحا عظيما وقال سير بنا ياأبو محمد فقال اعلم أنى قد وصلت الى هذا الموضع وأنا تعبان ولا يوم آخذ راحة فقال سيف الحنيفية حمل الملك الى شومدرس وسوقه قدامك فقال الملك حلونى وأنا أمشى وشومدرس قدامكم فقال له سيف الحنيفية يبقى عار عليه بمشيك فحمله له وساقه قدامه فقال شومدرس أدينى تعبت فقال سيف الحنيفية سير ياملعون عجب كنت حاملى وسار يضربه كل كف فيقع به فيقومه ويضربه ويقول له ياشيطان والله لا بد من صلبك على حصن الدولاب فكيف رأيت صنع الله بك فسار الى أن وصلوا الى عسكر المسلمين وقد وقع فيه الصايح بقتل العشرة وبفقد سيف الحنيفة فكاد قلب الأمير عبد الوهاب أن يطير خوفا على ولده فهو على ما هو عليه من حزنه والأمير أبو محمد وصل اليه ومعه سيف الحنيفية والاشميطش ملك الروم والراهب شومدرس فوجد الأمير فى قلق عظيم وينشد الاشعار وهو يقول أين أين واذا بالبطال قاطع عليه وبطله من الشعر ودخل عليه وقال له ماهو وقت أشعار ودخل بعده ولده سيف الحنيفية ومعهم الملك الاشميطش والراهب شومدرس ففرح الأمير عبد الوهاب وقيدهم فقال له سيف الحنيفية أقتلهم قال نقتلهم وعندهم خمسة عشر ألف أسير والأميرة وأبو الهزاهز فى قلوبهم من هذا الراهب أمر عظيم ولكن نخليهم حتى يمن الله علينا بخلاصهم ويكون تمام مسرتهم صلبهم على حصن الدولاب فقال نعم مارأيت يا أبى ثم سلم شومدرس لسيف الحنيفية وأراد ينام فدخل عليه البطال وقال له يا أمير لى على هذا الراهب دين فقال له شومدرس وما هو دينك قال صعدت أنا وإياك من جب الثعالب وسلمتنى للبطارقة فلطمونى حتى أورثتنى الصداع فقال شومدرس ماكان بك مرض وانما هى حيلة حتى سرقتنى وسلمتنى للسودان فلطمونى فقال البطال هذا شىء لا أعرفه ثم مد يده وضربه على صدره حتى نزل صدره وكذلك على ظهره حتى نزل لحم كتافه فقال له سيف الحنيفية دعه حتى يصبح ينال منه أبى غرضه فانه مابقى يصبح فقال البطال هذا مثل القطط له سبعة أرواح ثم خرج وقال يا أمير بكره تكسر هذا العسكر بعد غيبة ملكهم والراهب وإذا انكسر

العسكر دخل الحصن واسمه نصف الدنيا حصين ما يقدر واحد يدخل اليه ولا يصل اليه وها أنا ماضى الى الحصن وأخلص بعض الاسارى وأكن هناك مقيم الى أن ينصرك الله وتهرب المنهزمين وتنزل أنت على الحصن فتجدنى فى الحصن ذخيره حسنة فقال الامير نعم الذخيرة فلولاك باذن الله ما ملكنا حصن ولا قلعه فسير على بركة الله تعالى فهو يعينك فسار البطال طالب حصن الدولاب وطلع النهار فوقع الصايح لفقد الملك وكان فيهم بطريق شجيع كريم يقال له دقيوسا وكان من جبابرة الروم وكان يطلب الملك ويتمنا أن يكون له حصن الدولاب فقال لهم أنتم ما كان قتالكم الا لاجل الاشميطش فقاتلوا عن دينكم وعن حصنكم وعيالكم فحملوا على المسلمين ووقع القتال وكثر النزال وتعاركوا الى المساء ونزلوا فى الخيام وقد قتل من الروم ما لا ينحصر (قال الراوى) وسألت ممن كان حاضر فى الوقعة عن كم فارس كان مع الامير عبد الوهاب فقال لى ممن أثق به كانوا ثلاثين ألف ولولا دقيوسا ما كان سلم منهم أحد وكانوا الكافرين خمسمائة ألف أصبحوا أربعمائة ألف فعول ثانى يوم دقيوسا على البراز وأما الامير عبد الوهاب فأتى مضربه فما وجد الاشميطش ولا الراهب شومدرس فعظم عليه وانغم هو وولده سيف الحنيفيه وقال لقد كنت خائف من هزيمتهم ولكن العجب كيف بأصحابنا ولا قتلوهم ولا هو دليل نقول سرقوهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن سيف الحنيفية لما أخذهم سلمهم لجماعة وكان كبيرهم واحد اسمه شمخ فنظر شومدرس الى خيولهم فوجدهم ضعاف وثيابهم رثه وعمائمهم خلقة فعلم أنهم صعاليك العرب فقال للملك المال ما جمع الا لعرض أو لمرض فقال له الملك بالعربى ومن يخلصنا ونعطيه مهما طلب فقال شومدرس هؤلاء الموكلين بنا وهم عشرون فارس وأميرهم وما ينوبهم من المسلمين اذا قسموا الغنائم كل واحد مائة دينار وأنا أعطى كل واحد خمسة آلاف دينار فقال الملك يا أبونا قد قطعت مال كثير فقال له المصائب فى الاموال أيسر من المصائب فى الابدان ومن طلب النجاة وزن جزيل الاموال فقال الملك افعل ما بدا لك فسمع شيخم كلامهم وكان شمخ من بلاد الشمط وكان يقطع الطريق هناك فبلغه خبر سيف الحنيفية وسفره الى بلاد الروم فسار مع الامير على الطمع فلما سمع بذلك المال ما بقى له عقل فقال شيخ منهم اسمه مدجج يا راهب أنت رجل جيد والله ان لم تعطينا المال الذى قلت لابد من صلبك فقال شومدرس وحق المسيح لاعطينكم كل ذلك فرضيوا وتقدم شمخ وحلف شومدرس والملك الايمان العظام ثم سيبوهم وأتوا بهم الى الحصن فعيطوا فعرفهم

البطريق الذى كان فى الحصن فنزلوا وفتحوا لهم الباب وصعدوا فأحضر المال ولم يبقى إلا تسليمه لهم فقال شومدرس له ما هذا صواب لان المال الذى تدفعوه لهم يكون مقابلته يتنصروا ثم لعب بعقولهم حتى تنصروا كلهم فقال قل لأهل الحصن يخفون أمرك عن أهلك فانى أريد أعمل عملا يكون فيه بلوغ الآمال فأنا أعلم أن البطال لابد قصده فى خلاص أصحابه وهذا ما لا يقدر عليه ولا يصل اليه ولابد لى ما أعمل على أسره (قال الراوى) يا سادة يا كرام وهم فى الكلام وإذا بعشر بطارقة قصدوا الحصن ومعهم البطال وكان لهم حاجه فلما دخلوا الحصن وإذا بصائح يقول يا بطال من يستوفى دينه البارحة يأتى الليلة ثم صاح خذوه فقال البطال ومن خلصك يا ملعون فمسكوه ثم أمر به فمدوه وقال أريد أستقرض منك مائة سوط لانك جيد المعاملة ثم ضربه حتى أيسوا منه فقال الملك خليه يا أبونا حتى نعلم ما يكون من أمرنا إن كان لنا صلبناه وإن كانت لهم فاديناه فجعلوا فى رجليه قيد ثقيل ووضعوه فى المطمورة التى فيها أبو الهزاهز وهو على حالة ضعيفة فرحب به فقال دعنى فقد قتلنى شومدرس من الضرب فقال وجاء الحصن قال نعم قال إن سلمت ووقع فى يدى لأبقيت أبقيه لان ماله عدو غيرى (قال الراوى) وأما الامير عبد الوهاب لما عدم الاشميطش والراهب فبقى حاير لا يدرى ما يصنع فنهض سيف الحنيفيه وغاب ساعة ورجع متزيى بزى الروم وتكلم قدام الامير فتعجب منه فقال له على ماذا عولت قال افتح الحصن إن شاء الله تعالى قال أخاف عليك من الاعداء قال إذا صرت فى الحصن فرج الله عن أصحابنا لانى سمعت أن فى العسكر شيء كثير فدونك أنت والعسكر الذى بين يديك وأنا ماضى إلى باب الحصن فقال الامير أنا أسير معك ثم استخلف الامير عبد الوهاب مالك فحمل الامير مالك على عسكر الروم والتحم القتال وساروا الاميرين إلى باب الحصن ووصل الخبر الى الاشميطش أن العساكر فى القتال فقال أنا ما أخفيت أمرى الا حتى أخذنا لص المسلمين أبو محمد البطال ولا يمكننى أن أقيم لانى أريد أن أمضى الى العسكر وأوصيكم بالاسارى الذين عندكم لان فيهم أبو محمد البطال ثم انه ركب وأخذ معه خمسة آلاف فارس ثم ان الامير عبد الوهاب وسيف الحنيفية صبروا الى الليل وكانوا مختلطين مع الروم لابسين لبسهم فأتوا الى المطموره التى فيها أبو محمد البطال والاميرة وأبو الهزاهز وفتحوها وحلوهم من وثاقهم وأرادوا أن يخرجوا من باب المطموره فرأوا بابها مسدوداً بالاحجار كأنه جبل فعلموا أن ما فعل هذا الا أبو الشر شومدرس فتأسفوا وقالوا متنا ههنا كمداً لا يدرى بموتنا أحد وكان شومدرس

لما رآهم داخل الحصن عرفهم فعمل عليهم حيلة وأخفى نفسه لما نزلوا سد عليهم بالاحجار . هذا ما كان منهم . وأما ما كان من الملك الاشميطش فانه ركب ومعه خمسة آلاف ولحق بالعسكر فى ميدان الضراب فوقع القتال والتحم النزال وقاتلوا المسلمين نصرة لدين رب العالمين وقد قاتل مالك بن بشير قتالا عنيفا حتى كلت سواعده وحمل على عدو الله (دقيوس) وهجم عليه وضايقه وكل منهما ضرب صاحبه فنزل السيف على مالك بن بشر قطع يده وقد ضربه مالك أطاح رأسه وسقط الى الارض ميتاً الى النار وبئس القرار فحمل عليه بطريك اسمه (سمعان) فضربه مالك أرماه فلما نظر الملك الاشميطش الى ذلك انغم غماً شديداً وكان ذلك اليوم على الروم ميشوم فقال لهم الملك هذا رجل قطعت يده الشمال ولم يبق له إلا يد واحدة ويقتل رجالكم اهجموا عليه وخذوه قبالكم من قبل دخول الليل فخرج عليه بطريك كالطود وحمل عليه حملة أسد فتلقاه مالك وهاجمه وضربه على بطنه طلع السيف من خرزة ظهره وعجل الله بروحه الى النار وحمل عليه بطريك ثانى قتله (قال) وفى ساعة قتل عشرة بطارقة وأراد أن يرجع لأن يده زاد عليها ضرباتها فراجع نفسه وقال ويلك يانفس إنما هو أصبر ساعة وتنالى الجنة فهى أوفى بضاعة ثم انه حمل على الروم وبقى كأنه طائر قص جناحه وأنشد وجعل يقول :

ألا يانفس دونك والجهاد لعلك تخلصى يوم المعاد
إذا وقف العباد وهم حيارى وقد نادى بحشرهم المنادى
فلا تبكى إذا قطعت شمالى غداة الحرب فى يوم الجلاد
فإنى أرتجى من فضل ربى تخليها إذا غل الأيادى
ويعطينى بها كاساً دهاقا شراب الوصل من بحر الوداد

(قال) وحمل فقتل الابطال فخرج اليه الاشميطش وحمل عليه فزاد الشر وطلع الغبار إلى الآفاق وشخصت الأحداق فحملوا المسلمين يعينوا مالك فوقعت منهم ضربتين فكان السابق بالضربة الاشميطش فجاءت الضربة على قربوس السرج وكان حديد صينى فنزل فيه السيف حتى عقر الجواد وعطف مالك عليه وضربه فى صدره أخرج السيف من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر مالك وكبرت المسلمون وهللت الموحدون ونظرت الروم الى هلاك سيدها فنادوا بالويل وكادت الارض تنقلب وصاح بعضهم ببعض وارتجت الارض وتفطرت المرائر وتعلقت الرجال من

اللحى وأرملت النساء وبعد ساعة ولوا منهزمين وتبعتهم المسلمين ورجع الأمير مالك من المعمعة وكوى غلمانه يده وشدوها وكلما ضربت عليه يده يقول يا نفس اصبرى فقد قرب الرحيل (قال الراوى) ورجعوا المسلمين وقد غنموا مالا عين رأت وجاءته المسلمون يعزونه فى يده وهو يقول أنا أعلم أن لى فى هذا الثواب فدعونا من هذا وخذوا فى السير الى الحصن وإلا هلكنا أجمعين فلعنا نبصر الامير وولده والاميره فهمهم عندى أقوى من هم يدى ولقد أصبنا فى هذه النوبة بما لانطيق دفعه فلا كانت هذه الحصون فارحلوا بنا لعل أن نصل الى فتحه بسبب من الاسباب فقالوا ياأمير أنت على هذه الحالة والألم والليل قد هجم فاصبر بقية الليل الى الصباح ونرحل الى ما ذكرت فقال مالك لاسبيل لأنى قتلت ملكهم وهو عندهم مثل ملك القسطنطونية والروم إذا قتل عندهم ملكهم لايسكتوا والرأى نرحل من ليلتنا فلا يصبح الصباح إلا ونحن على الحصن فان كان القوم عولوا على قتل المسلمين المأسورين فيشتغلون بنا عن قتلهم ولابد من الرحيل لأنى أخاف من الله تعالى أن أغفل عن المسلمين ومالى عذر فقالوا بلى عذرك واضح فقال لهم مالك أنا أعلم ماقد لقيتم من القتال وقد طلبتم الراحة وأنا الذى لاأقعد الليلة ارحلوا بنا ثم رحل وتقدم فى أوائل الناس وقد برد عليهم الليل واشتد الألم والويل وسار يقطع طولا وعرض طالب حصن الدولاب ليكشف خبر المسلمين والامير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب حتى قارب الحصن وأما المهزمين فانهم افترقوا فبعضهم ترك أهله وأولاده ومنهم من طلع الجبال من فزع الموت وعلم أن عساكر المسلمين لاتقاتل وفى الحرب لاتماثل وقصد بعضهم الى الحصن وعلاهم البكاء والانتحاب مما جرى عليهم فلما دخلوا عليهم أخبروهم بهلاك الملك وهلاك البطارقة ومن قتل من العمالقة وكثر البكاء فى الحصن والصياح والصراخ والنواح فقال شومدرس كفوا عن البكاء فسوف تأخذون التار وتكشفون العار بقتلكم الأعداء وهذا الحصن الذى أنتم فيه مايطير عليه الطير فطابت قلوبهم وقالوا ياأبونا كيف نأخذ بالتار فقال دونكم والمطامير واضربوا رقبة كل أسير ثم غلقوا باب الحصن وقال دونكم قبل أن يحصل عائق فقالوا بمن نبدأ فأنت الذى يشار اليه فقال عليكم بمطمورة الدرج لأن فيها أسيرين مطلوقين ومعهما سيوف مبرقه فاذا فتحتوها فاهجموا كلكم فيها قبل أن يوثبان ويهجمان عليكم فلما سمعوا مقالته تبادروا الى المطمورة التى فيها الامير عبد الوهاب وسيف الحنيفية واذا بالصياح من وراء الحصن علا ونما وعسكر المسلمين أتى ونزل الامير المجاهد مالك المشهور أصله من بنى كلاب ومسكنه رملة عالج بالحجاز وأتى فى زمن عبيد الله الى

ملطيه والأمير مظلوم وحضر وقعة الخلا وعاد إلى الحجاز وطنه ومسكنه وما كان أتى ملطيه إلا كان غضبان على قومه فلما حضر الغزاه عاداليه قومه وترضوه فرجع اليهم وكان محب لعبد الوهاب فلما رآه قتل أباه وجده فى مرضاة الله تعالى وكان يراسله ويكاتبه ويهاديه ويسأله عبد الوهاب فى العودة اليه فيعده ويمنيه فلما دخل الأمير الحصون وأن سيف الحنيفيه عمر ملطيه قدم لهم الأمير مالك بأهله وماله إلى ملطيه ومعه جماعة من بنى كلاب من بنى عمه أبطال أنجاد أجلاد وكانت العرب تضرب بهم المثل ولما وصل الى ملطيه تلقاه الأمير عمر وسيف الحنيفية لأن أصحاب الأمير عرفوه منزلته عند الله وسأل عن الأمير عبد الوهاب فقيل هو فى سرية فى الحصون فقعد حتى عزم سيف الحنيفيه طالب أبيه فسار فى صحبته ولما وصل إلى الأمير فرح به أكثر من ولده ولما دخل الأمير وولده أعطاه التقدمه على العسكر حتى نزل على حصن الدولاب وكان من أمره ما كان وكان وصوله فى تلك الساعه سببا لنجاة الأمير وصحبه لأن الروم لما سمعوا أن العسكر حول الحصن صعدوا على الأبراج وضربوا بالمناجيق والأحجار حتى كشفوا الناس عن باب الحصن وتأخروا المسلمين إلى مكان لا يصل اليه سهم ولا حجر (قال الراوى) يا سادة ياكرام ولما تأخرت المسلمين عن الحصن قال شومدرس حصنكم مغلوق الباب لا يصل اليه أحد بسبب من الأسباب ولا سبيل للمسلمين اليه وإذا سمعوا أنكم قتلتم أصحابهم ولوا فعليكم بهذه المطمورة التى فيها عبدالوهاب وسيف الحنيفية والبطال وذات الهمه وأضرموهم بالناو وأرموهم بالأحجار وأسقوهم كاس البوار فقالوا البطارقه يا أبونا نشتهى نضربهم بالسيوف ونخلع منهم الانوف ونسقوهم كؤوس الحتوف فقال شومدرس لا تخالفوا لقولى فيغضب عليكم المسيح وبعد ذلك فانكم تهلكون وما أريد لكم إلا الإصلاح فقالوا يا أبونا فكيف ذلك فقال اعلموا أنه ما يمنعنى من إخراج المأسورين من المطمورة إلا الأميرين الذين عرف كل منكم قتالها وما لنا الا نفتح باب المطمورة ونرمى عليهم النار واحرقوهم وجميع الأسارى الذين عندكم واشفوا قلوبكم منهم (قال) ففى ساعة أحضروا الأحطاب ولطخوها زيت وقطران ووقف شومدرس ألف بطريق بالسيوف من خوفهم من عبد الوهاب وولده وكشفوا غطاء المطمورة ورموا الحطب والنار جواها فقال لهم شومدرس وحق المسيح ما بقوا يشموا نسيم الدنيا وأمرهم أن يسيروا إلى باقى المطامير ويقتلوا الذين فيها وهم خمسة عشر ألف أسير ويرموهم برؤس ملوكهم فيقع بهم اليأس فساروا نحو المطامير واذا بالصياح عند باب الحصن قد علاه والصراخ قد نما فتراجعوا الى

الأبراج واذا بالأمير مالك زحف بكل فارس وراجل وتقدمت السودان بالمناقب والمعاول وبنى كلاب تسترهم بالدرق والنبال فتصايحت الروم ورموهم بالمناجيق وارتفعت الزعقات وكان فى بنى كلاب شاب وصل مع مالك اسمه جميل ابن سعيد الرامى يأخذ النبلة ويرمى بها الطير من أى عضو أراد فلما كان ذلك اليوم كان جميل أول الناس وستروه أصحابه بالأتراس فصار ما يضرب بطريق الا وقع فى فؤاده أو عينه حتى قتل من الروم ثلاثين بطريق وكشفوا البرج الذى بباب الحصن فأتى شومدرس وكان رامى بالمنجنيق فنصبوا له منجنيق يقال له الدموك فوضع فيه حجر فعظم ذلك على المسلمين وقالوا لجميل ابعد لموضع ما يصل لك فيه حجر فأبى ۞ وأما شومدرس فصاح بالرجال فقعدوا فى الحبال ورمى الحجر فوقع فى بعض السودان فهشمه ولم يزل حتى قتل ستة وقتل بالنبال تسعه فوضع حجر وقال هذا يهلك به جميل وكان وضع جميل سهم فى كبد القوس وحرره على شومدرس فلم وضع كفه ومسكه سواعد المنجنيق انكشف فأطلق عليه جميل وأطلق شومدرس على جميل الحجر فأما الحجر فلحق جميل قصف وركه وأما سهم جميل فانه وقع فى عين شومدرس فغورها فخافوا وقالوا ما هذا الا شيطان لكنه هلك وعصبوا عين شومدرس وأما جميل فصار يعالج سكرات الموت وأما الامير مالك كوى له يده واشتد ضرباتها وأعلموه بما تم لجميل وصار يعالج فى غصص الموت فزاد بكاه وحزنه (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأخبر من حضر أن جميل لما أيقن بالممات كان يقول : اللهم اربط على قلب الملك بالصبر وقال

يا راجعا الا حملت رسالتى	مخبرة أنى بلغت حمامى
وان سألت عنى العجوز فقل لها	قتيل حجار لا قتيل حسام
طريح بباب الحصن لما تطايرت	من الحجر الصلد الأصم عظامى
ولست أبالى ان قتلت لاننى	أرجى بقتلى فى الجنان مقامى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان هذا آخر ما قال من الكلام ثم تشهد وقضى نحبه ولحق بربه فلما بلغ هذا الامر الى الامير مالك بكى بكاء شديدا وقال والله ما بكائى على قتله لانى أعلم أن الله قد نقله من دار الشقاء الى دار الكرامة والرضوان وأكثر بكائى على تلك العجوز الوحيدة الزاهدة العابدة لانها كانت فى زمن حياته كثيرة البكاء عليه من خوف الفراق فكيف أمر ما بعده تلاق (قال الراوى) وان الامير مالك صلى على جميل وواراه بدمه ليكون الدم شاهد له غدا بين يدى الله عز

وجل ففعلوا ذلك وبكوا على فقده (قال) هذا جرى ههنا * وأما شومدرس فانه لما أفاق من وجع عينه قال وحق أم النور مريم وحنه وجرجس ومرنه والراهبين بدير قنه والشهيد مريحنه لاجعلها على المسلمين ليلة ميشومة ولآخذن عوض عيني ألف عين ولأنزلت بهم البوار ولأخذت بالتار وأكشف العار (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأن شومدرس أتى الى بعض المطامير وقال للموكلين بها كم فيها من المأسورين قالوا ثلاثة آلاف من السودان وألفين من الأبطال فقال لا أرجع الليلة عن ضرب رقابهم الجميع عن يقين وأجعلهم عوضا عن عيني اليمين ففتحوا المطمورة وأمر عشرة من الروم أن ينزلوا اليها ويطلعوا بالأسارى فنزلوا العشرة فما غابوا غير قليل واذا بهم أسرعوا بالطلوع فمد شومدرس عينه لينظر أول من طلع من أصحابه وإذا به المعروف سيف الحنيفية الضارب بالمشرفيه والطاعن بالسمهرية وبعده عبد الوهاب فصاح وزمجر وزعق الله أكبر وطلع من بعده المقدم المبارز البطل المناجز الأمير أبو الهزاهز ووثب من بعده القضاء المبرم والأسد الهجوم والموت المحتوم والبطل الصدوم الأميره فاطمة بنت مظلوم ثم وثب الفارس الدارس الشديد الباس والبطل الدعاس الأمير ميمون الجماس فقالوا البطارقة يا ويلكم سدوا باب المغار فقد عبروا هؤلاء الكلاب وصاحت الأميرة ما الانتظار مكنوا منهم البتار واقطعوا الأوتار وأخلوا منهم الديار (قال الراوى) وطلبوا الروم أن يسدوا باب السرداب فما قدروا عليه ومنعوهم عن الطلب وطلع البطال الأمير أبو محمد ونادى الله أكبر فتح الله ونصر وأتانا بالظفر خذوا شومدرس الفرنان ومكنوا فيه النيران (قال الراوى) لقد سألت الأمير أبو محمد وقلت له كيف كان خلاصكم قال اعلم أنه لما ألقى الملعون شومدرس الطاحون على باب المطمورة فقلت للامير عبد الوهاب كيف ترى صنع هذا الملعون شومدرس ولو أتى هذا الكلب إلى ديارنا حتى يتفق هو وعقبه لكانوا يفتنون الدنيا والآن قد علم أنك أنت وولدك معدين وأنكم لو خرجتم لضربتم القمم وتركتم أهل الحصن مثلا بين الأمثال وقد تركنا نموت جوعا وعطشا فقال عبد الوهاب فكيف الحيلة فما لنا الى الخلاص وسيلة فقال سأريكم إن شاء الله تعالى فقال سيف الحنيفية لقد قلت لك دعنا نهجم على القوم فمنعتنى فقال الأمير عبد الوهاب إن الله لم يأمرنا الى التهلكة وأى مقام يكون لنا ونحن نفسين وأهل الحصن أكثر من خمسة آلاف فارس ولو كنا هجمنا عليهم وأوصلنا الأذية اليهم لكان لابد لنا من هذا أما سمعت قول الله تعالى « ولو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » فقال أبو محمد

دعوا عنكم المخاصمة وقوموا بنا حتى ننقب هذا التراب ونخلص الى مكان آخر لعلنا نخلص واقصدوا الى هذا الجانب الشمال لأنى أرى أنه سهل لاجل المعاويل لين الأخذ فانقبوه فقالوا وما عسى أن يحصل لنا من نقبه وهو تل مثل الجبل العظيم وما فيه حائط قريب فقال أبو محمد احفروا وارموا التراب وراء ظهوركم وخذوا سيوف الأميرين وخذوا السكاكين التى فى أوساطكم وبأيديكم أيضا فعسى أن يكون لكم فرجاً من هذا الضيق فانى لا آمن من هذا الملعون شومدرس أن يخليكم بالجوع والعطش وتهلكون وربما عجل علينا بالعطب ويحرقكم بالنار وأنا أرجو أنكم اذا تعبتم أن يكون لكم مخرج الى بعض المطامير التى فى الحصن لانكم قد عرفتم أن فى الحصن ستة آلاف أسير وكلهم تحت الأرض فى المطامير وهو دليل على أن الحصن كله سراديب فقالوا ما الفائدة أن نخرج من هذا السرداب الى غيره فقال الامير أبو محمد ذلك أكبر الفوايد ربما أن شومدرس من خوفه من الامير عبد الوهاب وولده ما يفتح علينا أبداً فيرمينا بسهام الردا ولابد له أن يقصد الى المطامير ويفك القيود من أرجلهم ويأمر باخراجهم وضرب رقابهم فتكون هناك ونخرج معهم ونمنع عنهم البطارقة فقالوا لله درك يا أبو محمد فما أخبرك بالامور ثم تقدموا الى الموضع الذى أمرهم بالحفر فيه وكان ترابه عتيق وكانوا أكثر من مائتى أسد وكانت أيديهم أحد من المساحى لطولها وأبو محمد بالسكين التى معه والاميرين بالسيوف وقد أخرج كل واحد من وسطه سكين وكذلك الاميرة ذات الهمة كان من تحت ثيابها سكين عريض ثقيل (قال الراوى) فما مضى نصف الليل حتى بقى زقاق مثل باب زويله وبين القصرين فنفد النقب الى أن خرج الى سرداب ثانى فخرج أبو محمد وخرجوا بأجمعهم فما حسوا بهم الاسارى الذين فيه الا وقد خرجوا عليهم من تحت الارض فكادت عقولهم أن تذهب لانهم رأوا التراب ينطاير والاحجار تتناثر والسودان وقد علا عليهم الغبار وهم مثل الجن فجعلوا الاسارى يقرأوا القرآن حتى ظهر واعرفوا بعضهم البعض لما يريد الله تعالى من سلامتهم وانفتح فى تلك الليلة عليهم باب السرداب ونزلوا البطارقة العشرة حتى يخرجوا الاسارى فلم يحسوا بهم الا والسودان قد قبضوا على حلوقهم وأخذوا عدتهم وكانوا قد فكوا قيود بعضهم البعض وصعدوا وكان الرجل منهم يوقع على البطريق ويلكمه يطرحه الى الارض ويأخذ عدته ويهجم على الاعداء اللئام فارتفع الصياح فى الحصن وأحدقوا بهم خمسة آلاف فارس واشتد القتال ودام النزال وطيرت السودان رؤوس البطارقة وهاجت الاقيال وتصايحت الشجعان واستغاثت الصبيان والنسوان

وجعلوا يرجموا المسلمين بالأحجار (قال الراوى) وكان حصن الدولاب بعيد الطول واسع العرض وكان فى وسطه ميدان يصلح للضرب والطعان هذا وقد زمجر سيف الحنيفيه وهاج مثل ما يهيج الجمل وكاد أن يتمزق من الغيظ وبقت مقل عينيه تتبحلق فالويل لمن يقف بين يديه فلما نظروا إلى فعاله وقتاله تحايدته البطارقة والأمير عبد الوهاب وكذلك ذات الهمة وأبو الهزاهز يطيروا الرقاب يميناً وشمال وقد جندلوا الأبطال وأبادوا الاقيال ووقع بهم النكال وسقوهم كاس الوبال (قال الراوى) فهم على هذه الحالة وإذا بعشرين من البطارقة بالعدد الكاملة والسيوف البارقه ينادون الله أكبر الله أكبر (يا سادة) وكانوا هؤلاء الذين لعب شومدرس بعقولهم والاشميطاش حتى هربوا فلما وصلوا معهم الى الحصن ولم يزل شومدرس بهم حتى تنصروا فلما جرى من الأمر ما جرى قالوا لبعضهم البعض يا ويلكم نبيع الآخرة بالدنيا الساحرة فقالوا فكيف لنا وجه نقابل به الأمير عبد الوهاب من بعد ما فعلنا هذه الفعال فقال بعضهم اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز : « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » ونحن لا شك أننا قد ندمنا على ما فعلنا ورجعنا الى باب الرحمن يغفر لنا ما قد سلف ويسامح العبد العاصى اذا اعتذر واعترف ولا يطرد العبد الآبق اذا رجع وعلى الباب وقف وهو يعلم أن هذا الراهب يلعب بالعقول وينطلى مكره على كل سيد بالفضل مشغول (قال الراوى) ثم نادوا الله أكبر ورفعوا أصوتهم بالتهليل والتكبير والصلاه على البشير النذير وجردوا الصوارم وقطعوا الجماجم والعلاصم ورجعوا الى الله تعالى وحملوا على الروم على رغم كل كافر وهم ينادوا ربنا ان لم تقبلنا فالى من نرجع وان لم تغفر لنا فأمرنا بما نصنع وعزتك وجلالك لا نعبد غيرك (قال الراوى) فابتهج الأمير عبد الوهاب من ذلك الخطاب وقال معاشر الاحباب قد كشف الحجاب والمولى غفار لمن تاب (قال الراوى) وكان صباح ابن عامر المرتد الكافر الذى قتل أبوه وعشرون رجل من أجل قطالون فى حصن العمد وذلك أن شومدرس لما أسرب قطالون وبولص الذى كانت تهواه وقد أسلم أيضا معها وقال صباح لشومدرس يا أبونا أريد توفى لى بما عهدت وأوعدتنى فقال سمعا وطاعة حتى تتفرغ قلوبنا من أمر المسلمين وأعطيك قطالون واقتل بولص (قال) ثم أنه فرق بين قطالون وبين بولص وترك بولص مع الأسارى فى المطمورة وأعطى قطالون لصباح الملعون وأفرد لهم بيت فى الحصن وقال لا تتعرض لها حتى آذن لك (قال الراوى) وقد ذكرنا أنها

هى التى أسرت صباح فى الحرب فما كان له هيبة عندها ولاقدر أن يدنو منها لأنها قالت له ياصباح أنا أقسم بمحمد بن عبد الله رسول الملك الواحد الذى كل المصنوعات على صدقه شواهد لئن دنوت منى لأقلعن عينيك بيدى وبعد ذلك أقتل روحى ولاتصل الى ولا تقدر على بجعل يتخضع لها لاتفعلى فمن أجلك كفرت بالواحد وقتلت الوالد فقالت له يا أخس الخلق كفرت برب البريه لأجل شهوة دنيه فأنا أيضا دخلت فى دين الحنيفية لأجل الحياة الأبدية والعيشة السرمدية ونزهت خالق أن يكون له ولد بين البريه فقال لها ياويلكى ما أنتى فالساعة حاصلة عندى ان شئتى وان أبيتى ولأجلك تعبت وتعنيت والذى وعدنى صادق وقد حققت الحقائق وقد سلمكى الى وهو أبو الشر شومدرس وما بقى غير انجاز هذا الأمر فقالت له يا ويلك اسم يكون أوله شر وآخره شوم ما يكون وعده إلا وعد مشؤم ثم أرادت أن تظهر محاله فقالت فى بعض الأيام انكنت تريدنى فارجع الى دين الاسلام حتى أكون لك وبين يديك ولا أبخل بروحى عليك فقال لها هيهات هيهات أن أرجع عن دين النصرانية ومابقى لى فى دين الاسلام نيه (قال الراوى) وكانت بأغلظ كلام تخاطبه وبأحسن اعتقاد فى دين الاسلام تجاوبه ولم يزل معها على ماذكرنا والحال الذى وصفنا حتى وقع الصياح فى الحصن فأخذ الملعون عدة مانعة ومعه صمصامه قاطعة بارقة لامعة ولم يكن فى بنى كلاب على صغر سنه أشجع منه ولما أسرته قطالون لم يكن بقوتها وانما جلبته بحسن وجهها وحلاوة كلامها ورمته بأسهم صايبات من عيونها وأنه لما رأى الأمير عبد الوهاب وولده سيف الحنيفية علم أنه يوم يقتل فيه لكن غلبت الشقاوة عليه كما كتب على جبينه فحمل عل الناس إلى أن قتل ثمانية أبطال وكانوا من الذين تنصروا وعادوا الى الله تعالى تائبين فختم لهم بخير وبينما الامير عبد الوهاب على ماهو عليه من قتال الروم وقد طير الرؤوس من على الجسوم إذ لقى هذا الملعون فناداه الأمير ياصباح لا أنعم الله لك صباح ولا بد لى أن آخذ حق الله عز وجل منك فلما سمع ذلك من الأمير عبد الوهاب جاوبه بأقبح جواب وهو ينشد ويقول

ألا أيها الحجام كف عن العذل ... فمثلك مايسوى يجاوب من مثلى
لأنك من أولاد مرزوق عترة ... وشتان ما بين الحلال الى الفعل
أنا الفارس القمقام فى كل معرك ... إذا انفردت نفس الجبان من القتل
أنا الرامق المشتاق والهائم الذى ... أرى قتلكم عندى ألذ من الوصل
أنا قاتل الأب الذى كان عمره ... على غير دين الحق بل كان فى الجهل

فإن شئت فادنو ياابن مرزوق ساعة إلى لتحظى أمك اليوم بالنكل
وإن كانت الأم الكبيرة ترتجى قتـــالى فإنى صابر أبتغى الكل
ولا تحسبوا انى أعود إليكمو ولا لى إلى سكان بلدتكم شغل
ولم يبق لى فى دينكم وزن حبة فدونكمو إن تقدرون على قتلى
وحق التى جاءت بعيسى مكرما وليس لها بين البرية من مثل
لأنتقمن اليوم منك بضربة تذيقك طعماً للحمام مع الذل
وأحمى عن الدين العتيق حميــة كما قد هجرت الأب فيه مع الأهل
قتلت أبى من أجل دين ابن مريم وأوعدنى شومدرس اليوم بالوصل
وقال ستعطى كل ما قد طلبته من الحور والولدان والحدق النجل

(قال الراوى) ثم حمل على الامير عبد الوهاب بكليته وقال دونك وإياى ياابن مرزوق سترى منى مالم ترى من مخلوق فعند ذلك حمل الامير عبد الوهاب عليه وقد لاح الغضب بين عينيه وأجابه يقول هذه الأبيات :

ألا أيها المغرور بالحسن والدل وبالقد والأطراف والمقل النجل
ومن صار عن باب الإله مشرودا طريداً بعيداً عن مقاربة الوصل
كفرت بمولاك القديم ومن له جميع الورى فى قبضة القهر والذل
وبارزته بالذنب والجهل غفلة وبغيا وإسرافا على أقبح الفعل
ستعلم يامغرور انى صميدع أبيد الأعادى بالسيوف وبالنصل
وفاخرتنى فى قتل عامر عامدا لقد عميت عين الشقاء مع النذل
فقايس أفعـــالى وفعلك دائما لتعــلم انى ذو المكارم والفضل
فأنت الذى آذى أبوك مقرباً بسيفك لما كان فى القيد والغل
ولو كان مطلوقا لما كنت واصلا إليه وأنى يلحق البغل بالنحل
قتلت كريما سيداً وموحدا ألوفاً لفعل الخير والرأى والفضل
وهذا خلافى إذ قتلت لوالدى على كفره بالله فى غاية الجهل
وجندلته فى حومة الحرب والوغى وخضت صفوف الروم فى معرك السهل

(قال الراوى) ثم حمل عليه الامير وأطبق عليه من شدة غضبه وضربه بالسيف على مفرق رأسه نزل السيف الى صدره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وكتب فى ديوان الفجار وأما بقية الرجال الذين رجعوا الى دين الاسلام فانهم طلبوا باب

الحصن فى الظلام وقد قتل منهم خمسة أخر والباقى فتحوا الباب وصاحوا يا آل كلاب ونادوا بالتكبير فهاج اليهم النفير ولم يبق أحداً حتى دخل الحصن ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل وكانوا الروم لما فتح باب الحصن طلبوا الهرب طمعاً فى النجاة من العطب لعلهم يجدون الى الحياة سبب ونادت النسوان والصبيان بالأمان . وأما الأمير عبدالوهاب فانه أمر بالمطامير ففتحت وأخرجوا جميع الاسارى فلم يعدم منهم إلا الاميرا براهيم وأمه علوى فلم يجدوا لهم خبر فسأل عنهما فقالوا الروم وحق المسيح مانعلم بهما إلا أن أبونا شومدرس لما رأى لها عندكم قدر كبير وانهما من الشرف بموضع ليس له نظير أخرجهما من ظاهر الحصن كى يبعدهما ومانعلم حبسهما فى مغار أوقتلهما بالمرهف البتار (قال) فلما سمع الامير عبدالوهاب ذلك عظم عليه وكبر لديه ثم التفت الى الاميره ذات الهمه وقال لها قد فتح الله على يدى سائر الحصون وبلغ الامر الى منتهاه وما كان لزوجتى وولدى فرج ولا من الضيق مخرج ثم قال معاشر المسلمين هل فيكم من رأى الملعون شومدرس جديل أوقتيل فقالوا مافينا من رآه فقال بعض السودان انى قتلت شيخا أعورا من عينه الشمال وكان شومدرس قد ذهبت عينه اليمين فقال الامير عبدالوهاب اطلبوا أبو محمد فما يقدر على إخراج شومدرس إلا هو فطلبوا البطال فلم يجدوه فقاق الامير من ذلك ثم نظر الى مالك وهو أقطع اليد فقال أبشر يامالك بالرحمة والثواب من الملك العزيز الوهاب وسوف يعطيك يوم القيامة مطلوبك ويخلصك من العذاب فقال مالك وعيشك أيها الامير انى ما أبالى بقطع يدى انما أوصلنى ربى ثم أنشأنى وهو ينشد ويقول :

إذاقطعت يدى من أجل ربى ... فإنى بالنوائب لا أبالى
اذاقطعت يدى ويكون ربى ... يمن على منه بالوصال
فما أدرى بمن قد كان منهم ... وحالى قد يدل على المحال

(قال الراوى) فقال الامير عبدالوهاب لله درك ياأبامالك فأنت مسلم صادق لا كاذب ولا منافق ثم ان الامير عبدالوهاب أقبل على الاميره ذات الهمة وقال الآن قد اشتدت على النوبة من ثلاثة أوجه : أحدهما فقد الامير أبو محمد البطال وما أدرى ما كان منه والثانى انى كنت اشتهيت أن أصلب شومدرس على هذا الحصن قبل المسير الى بلاد الاسلام ففى قلبى منه نيران لاتطفأ وأمره عليكم لايخفى فالحمد لله الذى جعل هذا الشيخ السوء بعيداً عن مدينة القسطنطونية والثالث أريد أن يجمع الله بينى وبين زوجتى علوى وولدى ابراهيم فجسمى لفراقهما سقيم فلما سمعت الاميره ذات الهمه ذلك من كلامه قالت اطلب من الفعال لما يريد لاتطلب من مخلوق وان كان قضى على أبو محمد

أن يموت فى يلاد الغربة فلو اجتمع أهل الارض على أن يزيدون فى عمره لما قدروا وان كان ماسلطك الله على صلب شومدرس فانك لاتقدر إلا ان قدرك المدبر وأما أهلك وولدك فهما كانا سبب دخولك الى هذه الديار حتى طهرتها من الكفار وربحت الثواب من الملك الجبار وان كان الله قدر اجتماعكم فى الأزل فلابد اجتماعك بهما (قال الراوى) ياساده وهما فى الكلام واذا قد دخل من باب الحصن بطريق وهو يصيح دلونى على أميركم وأرشدونى فأمرى عجيب وحديثى غريب وفرج أهله وولده قريب وصلب شومدرس يكون قبل المغيب فقال له هات ما عندك (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن أبو محمد لما حملت الرجال على الرجال والابطال على الابطال لم يكن له همة إلا باب الحصن ووقف عليه والحسام فى يده فلم يرى شومدرس خرج من الباب ولم يخرج إلا عجوز كبيرة وهى راهبة وقد ارتعشت من الكبر وضعفت وقل منها البصرفلما رآها أبو محمد قال لها بالرومى وقد رقّ قلبه لها لكبر سنها لاخوف عليك ولا تحتاجين الى الهروب فما يكلمك أحد من المسلمين فما ألوت عليه ولاالتفتت إليه إلا انها خرجت وهى جارية والى باب الحصن طالبة (قال الراوى) وكانت العجوزة هى شومدرس وذلك انه لما رأى المسلمين صعدوا من السرداب أيقن بالعطب وما كان له غير الهرب وأتى الى باب الحصن وقد فتح فرأى الامام مالك ابن بشير قد دخل وبنى كلاب والسودان الأنجاب فطلب الملعون الخروج فوجد أبو محمد كأنه النسر القشعم على باب الحصن فرجع مولياً ولم يكن أبو محمد رآه فدخل الى بعض خزائن الحصن وعمل فى الحال نوره ووضعها على وجهه فنزلت لحيته فى ساعة وقلع ثيابه عن جسده ولبس ثياب راهبة وتقنع وتعصب وانحنى وحمل العكاز وارتعش (قال الراوى) وكان أبو محمد يعهد شومدرس عيونه كأنها عيون أرقم أو حدقتى أسد قشعم فرأى هذه الصفة وهى راهبة وعينها عورة ووجهها أجرب وظهرها أحدب ولم يكن سمع بقلع عينه فلما غابت الراهبة عن عينه رآها قد استقام ظهرها وقد قوى مشيها فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحق سيد البشر إن كانت هذه الراهبة الاشومدرس مثل ماأنا أبو محمد ثم خرج يعدو فى أثرها إلى أن نظر اليها وقد تعلقت فى لحف الجبل ودخلت فى مغار يقال له مغارالجن (قال الراوى) وكان الملعون قد رفع الاميره علوى وولدها اليها لأنها كانت مغار مظلمة عظيمة وفى ذلك المغار جب يقال له جب الشياطين كثير المنافذ الى الجبل .

(تم الجزء الرابع عشر ويليه الجزء الخامس عشر)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

أكبر تاريخ للعرب

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الخامس عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى) ثم ان شومدرس لما دخل المغار رفع ثيابه عن كتفه وأخرج خنجر مثل القضاء المبرم جيد الصقال محكم وهجم على الاميره علوى والامير ابراهيم وهما فى القيود والاغلال وفى أعناقهم السلاسل وقد ربطنا فى الصخور الثقال ولها ثلاثة أيام ما أكلا طعام وقد أشرفا على الهلاك ولم يجدوا سبيلا الى الفكاك وهم على تلك الحالة إذ دخل شومدرس عليهم وفى يده الخنجر يظهر منه الموت وقصد اليهما حتى يفجع الامير عبد الوهاب عليهم وينزل الى جب الشياطين فلو نزل فيه أهل الأرض لما بالى بهم لأنه موضع كثير المنافذ والخروق ولاسبيل لأحد اليه لكثرة منافذه ولم يعلم أن البطال خلفه وانه قد استدرك غلطه فبينما الملعون قد رفع ذراعه وهم أن يضرب الاميره علوى وهو يقول لها كلما جرى على الحصون من أجلك وحق المسيح لابد من قتلك وقتل ولدك حتى لا تجتمعى مع أهلك فقالت له يامولاى والله لئن سلطك الله على قادر أن يخذلك ويكشف عنا ما بنا وهو لكشف الشدائد أقرب من لمح البصر فقال ابراهيم يا ويلك هتكت الحريم ولا تخاف بارئ النسيم فهو معه فى الكلام وقد أيقن بالحمام (ياساده) واذا بالأمير أبو محمد قد هجم عليه وأشار بحسامه اليه ونادى ياعدوالله وعدو رسوله إلى أين تهرب وأنا لك بالمرصاد وقدأحاط بك البلاء ووصل اليك الأذى ولابد ما أسقيك كاس الردى فالتفت شومدرس إلى أبو محمد البطال وقد دهمه وقال ياشيطان ما يخلى منك موضع ولامكان اصبر على قليل فعندى خبر جميل فقال وماهو فقال اعلم أنى رأيت البارحة محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول ياشيخ السوء ما آن لك أن تعود الى توحيد الملك المعبود وتدع زخاريف النصارى واليهود فإنى غضبان على أهل الجحود ياويلك ألك قوة فى النار

على السلاسل والقيود ياويلك أما ينفع فيك الوعظ والتهديد وتعود الى الملك المجيد وقد والله رق قلبي ولانت جوارحى للاسلام وانى ما أتيت الى هذا المكان إلا أطلب من هذه الاميره وولدها الأمان واستشفع بهما اليكم والدليل على صدق قولى هـذا الخنجر الذى فى يدى نخذه وهؤلاء الأسيرين فحل كتافهما فإنى ما جئت إلا لأجل حلهما (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ذلك من كلام الملعون شومدرس ورأى الامير ابراهيم وأمه علوى قال ياملعون حل كتافهم واخرج بين يدى الى عند الأمير وجدد إسلامك بين يديه فقال يا أبا محمد أخاف أن يكون قلبك على ملآن ولا تصـدق انى قد صرت من أهل الإيمـان فتقلتنى غلط وتطالب يوم القيامة بدمى ولـكن ارمى السيف من يدك حتى أفعل ذلك (قال الراوى) فعندها رمى أبو محمد السيف من يده وقد تخيل عقله بخلاص علوى وولدها ابراهيم فلما رآه لفح السيف وثب اليه ولم يمهله دون أن ضربه بالخنجر فى كتفه خرج من الجانب الآخر فوقع الى الأرض وأشرفت نفسه على التلاف وبرك عليه ليأخذ رأسه فأدركه بولص وصاح عليه وكان بولص قد تبع أثر أبو محمد فلما صاح على شومدرس خشى أن يكون معه جماعة من المسلمين وأبطال الموحدين فألقى نفسه هارباً فى جب الشياطين فلم يقدر بولص أن يدخل المغار من خوفه من شومدرس لأنه كان يعرف خبثه ومكره وشره وغدره وترك أبو محمد على حاله ومضى الى الامير عبد الوهاب وأخبره بما فعل الشيخ الـكذاب فقام الامير بنفسه لاستنقاذ أبو محمد وولده وزوجته ولم يزل سائر إلى أن وصل الى المغاره وهجم اليها فوجد الدم على وجه الارض مثل القربة اذا انفتحت ولم يجد أبو محمد فعظم عليه وكبر لديه وأدار فى المغارة عينه فرأى الامير ابراهيم كأنه الخيال وهو لايقدر ينطق بحرف واحد من الجوع وكذلك أمه الاميره علوى ففاضت عينيه بالدموع حين رآهما وأنشد يقول :

وقد يجمع الله الشتيتان بعد ما ... يظنان كل الظن أن لاتلاقيا

(قال الراوى) فدنا اليهما وتقرب منهما وترشفهما وهو لايتمالك من نفسه ودمعت عيناه فرحاً وحزنا الفرح بسـلامتهما والحزن على الأمير أبو محمـد البطال وفك قيودهما وقال الحمد لله على سلامتكما من بعد طول الغيبة ووحشة الأربة فعنـد ذلك انتحبت الاميره علوى انتحاب الفرح والاجتماع وأنشدت تقول هذه الأبيات :

شـكرت الإله على فضـــله ... فأعقبنى الشـكر خـيراً كثيرا
وســـلمنى من جميع الردى ... وسلم ابنى الهمـــام الأميرا

ومن علينا بإحسانه فدام السرور وفك الأسيرا
فيا أيها السيد المرتجى لك الفضل لما جبرت الكسيرا
ومثلك يرجى لدفع الحمام وحفظ الدماء وحصن الفقيرا
فلازلت فى الناس ذا نصرة وأنت لنا فى الرزايا نصيرا
فقد طال أسرى فى بلاد العدا وقد كان قلبى بكم مستجيرا
وانى شقيت زمانا طويلا وما رأيت لما قد دهانى نصيرا
إلى أن تأملت وجه الأمير فزال الشقا ووجدت السرورا

(قال الراوى) ثم ان علوى أرمت وجهها على أقدام الأمير عبد الوهاب وقالت له أحسنت يانعم العزيز والقرين ومن هو للمسلمين ناصر ومعين وياترس قبر محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ثم إن الامير عبد الوهاب دنا من ولده الامير ابراهيم وقبل رأسه وعينيه وضمه الى صدره وأزال الغل من نحره والقيد من رجله فتعلق به الامير ابراهيم وجعل ينتحب ويبكى والامير يقول له ياولدى الحمد لله على قرب الاجتماع واذا كانت العافية الى العودة والى الوطن فقد ذهب الهم والحزن فلما فرغ ابراهيم من بكائه وشكواه أنشأ يقول :

ألا أيها المولى الذى طاب أصله لقد كان قلبى عنده وفؤاديا
وأنت الذى لم ينتج الدهر مثله علوت العدا بالدين والعهد وافيا
لقد عذبونا فى الحصون جميعها وضاقت علينا الارض مما دهانيا
وان كنت عنى فى بلاد بعيدة فقد كنت فى أسرى أراك رجائيا
ومثلك لايصبر على أسر أهله وأنت ضروبا فى الوغى باليمانيا
وأنت لعمرى ترس قبر محمد فلا زلت منصورا مبيد الأعاديا

(قال الراوى) ثم ان الامير عبدالوهاب قال ماهذا وقت سلام ولاعتاب فان الأيام طويلة والأوقات كثيرة وقلبى قد اشتغل وكان بولص حدثنى أن الأمير أبو محمد مجروح وما رأيته وقد اشتغل قلبى لأجله (قال الراوى) فقال الأمير ابراهيم اعلم أيها الأمير أن الراهب شومدرس لما خدع الأمير أبومحمد وضربه بالخنجر فى كتفه ما قلنا إلا انه قضى نحبه ولما أشرف علينا ذلك البطريك ألقى الراهب نفسه فى ذلك الجب وهو جب يعرف « بجب الشياطين » ولهذا الجب منافذ لايحصيها إلا الرحمن وفيه مهالك يهلك فيها الإنسان فلما رأى أبو محمد أن شومدرس رمى نفسه فيه وثب لما أفاق من غشوته وقطع قطعة من عمامته وحشاها فى جراحه وتقدم الى

وحل كتافى وقال شد كتنى بهذه العصابة ففعلت ما أمرنى وقلت له على ماذا عولت قال أن أتبعه ولو اننى أهلك نفسى فى طلبه وأعطب بسببه فقالت الاميره علوى ياأبو محمد فلم تفك قيودنا فقال ما أقدر على المقام وأخاف يفوتنى هذا الملعون ولا أدرى فلم تفك قيودنا فقال ما أقدر على المقام وأخاف يفوتنى هذا الملعون ولا أدرى أين يمضى ونكون قد خرجنا من بلاد الروم الى بلاد الاسلام وهذا الشيطان سالم من الحمام فتنفطر مرارتى وأبقى باقى عمرى بحسرتى ثم رمى نفسه فى الجب خلفه وسمعت صياحهما ساعة ثم خمد حسهما ولم أعلم ما كان منهما فلما سمع الأمير كلام ولده ابراهيم قال لأصحابه : اعلموا اننى قد عولت على أن أنزل الى هذا الموضع من أجل أبو محمد فما آمن عليه من هذا الجرح الذى فى كتفه الذى جرحه له الملعون شومدرس فقال الأمير سيف الحنيفية وأنا لايطيب قلبى أن أتركك تنزل فى هذا الجب وحدك وما أدرى ما يكون منك ولكن أنا أنزل وأفديك بروحى ولا تنزل أنت ثم إن الامير سيف الحنيفية ألقى روحه فى الجب فنزل خلفه ميمون الجماس وعشرة أبطال من السودان وهم كماة أقران وأخذ الأمير عبد الوهاب الاميره علوى والامير ابراهيم وسار الى الحصن والتقت الاميره ذات الهمه بالأميره علوى وهنأتها بالسلامة (ياساده يا كرام) ثم ان الأمير عبد الوهاب جمع الاموال التى فى الحصن وكان مال عظيم مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبقى منتظر الأمير أبو محمد وأصحابه ولا يدرى ما يكون منهم وقال للأميره ذات الهمه لو كانت هذه القلاع والحصون لنا فى بلاد الاسلام ما كان يصل إلينا أحد فقالت الاميره ذات الهمه يابنى اعلم أن الله تبارك وتعالى قد أعزك بسيف الحنيفية وهو الحصن الرفيع والحرز المنيع فان حصون الرجال أقوى من حصون القلاع (قال الراوى) ثم إن أبو محمد لما ترك فى الجب وحصن نفسه فوجد فيه أثر مشى وخروق كثيرة ولا يبان لشومدرس أثر واحد وضاقت عليه المذاهب (ياساده) ثم إن الأمير أبو محمد جعل ينظر يمينا وشمالا الى تلك الآثار التى فى مسالك الجب وكانت أرضه رملة والأثر فيها ظاهر غير خفى فنظر الى أثر قدم شومدرس قد أثر فى بعض الخروق على كماله ورأى المواضع الأخر ما أثر فى الارض إلا بعض قدمه فقال أبو محمد فى نفسه هذا الاثر تمكن فى المشى الى هذا الخرق وهو الذى سلكه الملعون شومدرس وإنما سائر الآثار الأخر التى هى الى سائر الخروق لم تتمكن فى الأرض من عجلته وذلك انه كان يطلب بذلك أن يضيع الخروق ويعميها على من يطلب أثره وما يعلم أن أبو محمد معود

للأهوال (قال الراوى) وان الأمير أبو محمد هجم من الخرق الذى خرج منه شومدرس فلاح له زقاق تحت الارض من عمل الاوائل وكان شومدرس قد سار فى تلك الارض الى ذلك الازج رأى مطلع يخرج من وسط قلعة البطريق الذى قتلته الأميرة ذات الهمة فى المبارزة وهو يسمى القيطفور وكانت تلك القلعة حصينة ما بعد الحصون إلا هى وهى أحصن منهم واسمها قلعة المعزة لأنه ما كان يحمل الماء والقمح إلا على المعزة لأنها على قرن جبل وكان لها هذا السرداب والروم ينظروه مظلم فلا يظنوه نافد وما كان يعرفه إلا شومدس وكان فيه أموال وذخاير القيطفور وكان أبخل أهل زمانه فأخذه الله على يد الأميرة واجتمع فيها عشرة آلاف لتحصينها وشومدرس لما طلع من الحصن فرحوا به البطارقة وقالوا له المسيح حطك فى حصننا بلا تعب فأعاد عليهم أمره وما جرى له مع أبو محمد البطال فقال ابن القيطفور ما سمعت بهذا السرداب إلا منك فقال له ما الرأى فقام شومدرس وأخذ مائة بطريق ونزل بهم الى الازج وكمنهم هناك الى أن قدم البطال فأخذه الجزع وقال لعل الراهب لما راح من الازج نفر علينا الناس وكمنهم لنا لما نعبروا عليهم فيمسكونا ثم انثنى راجعا فصاح شومدرس بالبطارقة خذوه فلم يقدر يهرب فمسكوه ثم رفعوه إلى الحصن وقال لهم كونوا مكانكم فأشرف سيف الحنيفية ومعه عشرة من السودان فقال دعوهم حتى اذا دخلوا الباب فخذوهم وقطعوا القدامى فما أحسوا الا والسيوف تعمل فى أجسامهم فقتلوا منهم أربعة وأخذوا ستة وسيف الحنيفية قد جرحوه هو وميمون فرفعوهم عند البطال فضحك فقالوا ما هذا وقت ضحك فقال مادام الله يحفظ لنا شومدرس فنحن كل يوم فى القيود والحبوس ولابد ما يأتى الينا ويطلب منا عوض عينه لانه ما يضيع ثاره فلا جعل الله فيه بركة فما أقدره على الحيل والهلكة (هذا جرى) وأما شومدرس فانه أرسل يطلب خمسون بطريق معون له ومعهم الطعام والشراب فنزلوا وباتوا عنده الى الصباح فأخذوا أهبتهم للعودة الى حصنهم لما رأوا أحد جاء اليهم بعد مسكهم لسيف الحنيفية وميمون الجماس فهم قاعدين وإذا هم سمعوا كلام أقبل نحوهم وكان ذلك عبد الوهاب سيد بنى كلاب والى جانبه الأميرة ذات الهمة والأمير ابراهيم ومالك بن بشير الاقطع وتمام الخمسين أمير من بنى كلاب والسودان الانجاب هذا وقد اخفى الملعون شومدرس نفسه وكذلك أصحابه الى أن وصلوا مرج الامراء الى الازج المعقود وهموا بالدخول فقالت الاميرة ذات الهمة اصبروا ولا تعجلوا وجردوا سيوفكم حتى أقول لكم ماذا تفعلوا فانى قد أنكرت هذا الامر

فقالوا وما الذى تنكرين أيتها الاميرة فقالت قد أنكرت هذا الاثر ووطىء القدم والثانى أنى رأيت أثر قدم أبو محمد البطال ولاشك أنه قصد هذا الباب ليطلع وقد عرض له عارض ومن هنا رجع وخاف على نفسه ورجع وفزع وهذه أقدامه راجعه ولاشك أنه قد لحقه شومدرس اللعين وأخذ من هذا المكان ذليل حقير مهين وقد بينت لكم هذا الحال تبيين فقال لها الامير لاشك هذه آثار ولدى سيف الحنيفية ومن معه من العصابة المحمدية فقالت له صدقت ياولدى وان الآخرين ماطلع لهم خبر ولقد صدقت فى هذا الاثر (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب لما أبطأ عليه الخبر لم يجد له صبر على من تقدم ذكرهم وأوصى المسلمين بالحذر فى حصن الدولاب وتولى الامر بنفسه وسار فى هؤلاء الابطال وهم خمسين فارس أقيال كما ذكرنا ولما دخل الجب وجد الاثر وكان الامير أبو محمد لما دخل فى أثر شومدرس علم أن الامير عبدالوهاب لابد مايطلبه فشحط برجليه فى الارض الى باب المنفد فلما دخل سيف الحنيفية رأى الاثر ولما نظر الامير عبدالوهاب إلى ذلك سلك المسالك الى أن خرج من باب الازج وقالت له الاميرة ذات الهمة ذلك المقال فعند ذلك جرد الامير سيفه وكذلك الاميرة ذات الهمة وكذلك أبو الهزاهز وفعلوا كفعلهم (قال الروى) ولما علم بهم وعاينهم الملعون شومدرس مات فى جلده من الخوف وأسود النهار فى عينه وعلم أن المنية اليه قد أتت وقال فى نفسه وايش كان بلايا أنا بهذه الفضول وليتنى كنت أخذت الرجال وصعدت الى الحصن وسددت الباب واسترحت من هذه الامور الصعاب (قال الراوى) ثم انه أقبل على البطارقة وقال لهم اعلموا أن القوم قد أخذوا أهبتهم ولكن لا يهولنكم ذلك فأنا أريد أن أصعد الى القلعة وأرسل اليكم ألف بطريق يعينوكم عليهم ويأخذوهم فى أقل من طرفة عين وحق المسيح اذا أخذتم هؤلاء مايبقى عندكم فى أرضكم منهم ديار ولا نافخ نار ثم مضى طالب القلعة وقد أضمر فى نفسه أنه اذا صعد القلعة يقتل المأسورين ويأمر البطارقة بالنزول الى قتال المسلمين ويسد باب المطلع (ياساده) ولما دخل الامير والاميرة فى ذلك الازج زعقت بهم رجال الروم حتى ظنوا أنهم قد ملكوهم فصاحت بهم الامراء والتقتهم الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب كأنه الاسد الوثاب وصاح يا آل كلاب ومعه مالك بن بشير الاقطع وحمل عبد الله بن الحارث أخو الامير وقال الى الله المصير وصاح أبو الهزاهز وكان كل من لقاه عن قتاله عاجز وحمل الامير طارق وقطع الاوداج والاطراف وقتلوا الرجال فلله درهم فلقد قاتلوا قتال من يطلب النوال هذا جرى ههنا (وأما شومدرس) فانه لما أسرع فى الصعود صرخ فى الابطال

والجنود وقال دونكم وباب المصنع من قبل أن ينزل بنا مالانقدر عليه ولا له ندفع وابدءوا بهؤلاء اللئام الذين عندنا واسقوهم كؤوس الحمام هذا وأهل الحصن قد لبسوا الدروع وأقبلوا الى قتل سيف الحنيفية وماعندهم خبر من صنع رب البرية فنزل شومدرس ومن معه من البطارقة وفى أيديهم السيوف البارقة فلما فتحوا الباب على سيف الحنيفية وجدوهم قيام وفى أيديهم الأخشاب وهم كأنهم أسد الغاب وهم ينادون بتوحيد الملك الوهاب فلما نظر شومدرس إليهم وقد خلصوا من الكتاف لم يجسر أن يعبر اليهم فزعا من التلاف فقال للبطارقة لما عاين ذلك دونكم وهؤلاء الكلاب اقطعوا منهم الرقاب ثم وقف الملعون على الباب فلما نظر سيف الحنيفية الى البطارقة وقد هجموا عليهم حمل فى أوساطهم وفى يده خشبة لو ضرب بها جمل لبرطع الى بلاد اليمن فهجم بها عليهم فما وقعت على حائط إلا هدته ولا ظهر رجل إلا قصمته ولا رأس إلا هشمته .
هذا وقد هاج سيف الحنيفية وهو يقول :

نحن رجال من بنى كلاب لانثنى عن معرك الضراب
فى طاعة المهيمن الوهاب نجاهد الكفار بالأخشاب
نضرب بالسيف على الرقاب نحن الليوث السادة الأنجاب
سوف ترون ضيغم حراب يفلق الهامات بالقرضاب

(قال الراوى) ثم حمل على أحد البطارقة وضربه بالخشبة على عاتقه هشم كتفه مع مرافقه ونظر شومدرس الى تلك الضربة فما أتته بالموافقة وبقيت مفاصله من الفزع خافقة وجعل ينظر الى سيف الحنيفية بعينه الصحيحة وهى اليه رامقة ثم قال هذه ضربات العمالقه وصاح ميمون الجماس وقصد الى بطريك من البطارقة وضربه على رأسه ضربة صادقة فكانت له ماحقه وصاحت السودان وحملت وهى صارخة زاعقة وبربرت بغرائب لغاتها ناطقة . هذا وميمون الجماس قد أهلك الناس بضرب الاخشاب وهو ينشد ويقول :

نحن ليوث الغاب فى الميدان وليس بيض الناس كالسودان
ضرب لنا بموقف الطعان لا نثنى عن معرك الفرسان
سيوفنا من خشب البستان يعمل مالا يعمل اليمان
نفرى رؤوس السادة الشجعان ونخلط الرأس مع الآذان

(قال الراوى) هذا وقد ضرب سيف الحنيفية بعض البطارقة فقتله وأخذ السيف من يده وكذلك ميمون الجماس وسائر السودان ونظر شومدرس الى تلك الفعال

فقال وحق المسيح يأخذون الحصن ولقد كان رفعى لهم إلى القلعه رأى مذموم ثم مضى إلى ملك الحصن وقال له أيها الملك بادر اليهم وإلا ملكوا الحصن فتواثبوا اليهم الروم من كل مكان وفى دون ساعة أحدق بهم خمسة آلاف بطريق وصاح بهم شومدرس دونكم وباب السرداب فسدوه حتى لا يطلع اليكم منهم أحد فلما سمعوا ذلك قصدوا إلى باب الموضع وإذا قد ظهر منه بطل صميدع لا يأخذه فى الحرب فزع وهو للرءوس يقطع وصاح بصوته ورفع وقال الله أكبر ثم جمع نفسه وظهر فصار معهم فى الحصن فصاح بهم الراهب ويلكم خذوه فهذا مقدم القوم وأميرهم وسيدهم ومشيرهم وإذا قد ظهر من بعده الأمير المناجز المعروف بأبى الهزاهز ثم وثب وصار مع الأمير وظهر من بعده بطل مضيق اللثام مليح القوام ضراب بالحسام للفروسيه عليه دلائل لائحة فحين رأوه الروم أيقنوا بالعطب والشوم وإذا بها فاطمة بنت مظلوم وطلعت بقية الفرسان الانجاب الاطايب وأحاطوا بالروم المصائب وأحاطت بهم النوائب وصعدت السودان وبنى كلاب الشجعان ومالك بن بشير الاقطع وأنوار السعادة عليه تلمع وقد حملت الأبطال على الأبطال وقطعت الأعناق مع الأوصال (قال الراوى) فيالها من سيرة ما أعجبها وفى الأحاديث ما أغربها ومن جملتها أن هؤلاء القوم الذى نحن فى ذكرهم يكونوا اثنين وستين رجل يحملوا فى عشرة آلاف بطل إلا أنه لم يزل الصارم يرقع والرجال بكاسات المنون تكرع وعيون الاقيال تدمع والأرواح من الاشباح تطلع إلى أن ولى النهار ولبست الشمس ثياب الاصفرار وقد ملت النفوس من ضرب البتار وقد قتل من الكفر الفجار ألف بطل وفتحوا الباقين باب الحصن طلبا للنجاة من البوار وكان الامير قد حمل على ملك القلعه وهو ابن القيطفور وضربه بالبتار وإذا برأسه قد طار ونصر الله المؤمنين الابرار والسادة الأخيار وملك القلعه وكل ما فيها من الاموال ثم طلب شومدرس فما وجده فكادت أن تنفطر مرارته وعظمت مصيبته وقال لوالدته الاميرة ذات الهمه ألا تنظرين إلى ما قد دهينا به من هذا الشيخ ولعنته فقالت الاميرة يا بنى لعله شرب كاس الردا ففتشوا عليه فما وجدوه وطلبوا سيف الحنيفية وأبو محمد فما وجدوهم أيضا فعظم عليه وكبر لديه وقال يا ترى أين مضى ولدى وأبو محمد (يا سادة يا كرام) وكان السبب فى غيبتهم شومدرس لانه لما رأى الامير عبد الوهاب قد طلع الى الحصن والرجال قد أيقن بالوبال ولم يكن له إلا النجاة وأنه اجتمع بألف بطريق وكانوا من حصن الدولاب وحدثهم بشجاعة المسلمين وفروسية الموحدين وفتحوا باب القلعه وخرجوا

والامير مشتغل وخرجوا وقال لهم شومدرس تفرقوا فبعضهم تفرق فى الجبال وبعضهم مضى إلى الاودية الخوال وأما الملعون شومدرس فانه سار وحده فهـــذا جرى له (وأما الامير أبو محمد) فانه لما فتح الحصن طلب شومدرس فما وجده فعطف عـلى سيف الحنيفية وقال له قد طلبت الملعون شومدرس فما وجدته فأسرع بنا فى طلبه فقال له سيف الحنيفية إلى أين نمضى وندع الامير فى قتال أهل الكفر والضلال فقال أنت تعلم أن الأميرة والامير ومن مضى معهم كل واحد لرأسه ألف وما عليهم خوف فقال اذا كان الامر على ذلك فسر بنا على بركة الله وعونه فهاأنا سائر معك ولابد لى من طلبه فى جميع البلاد وساروا يقصون الآثار فما سمعوا له أخبار فقال سيف الحنيفية يا أبو محمد قد طال المدا ونخاف على الأمير من سطوة الاعداء وأنا راجع الى الامير فقال له ارجع وقل له ينتظرنى عشرة أيام فان لم أجىء وإلا فاعلموا أنى فنيت ثم تركه سيف الحنيفية ورجع فوجد الامير قد ملك الحصن وقتل فيه ألف وملك الأموال والذخائر والنساء وأن الامير فرح بولده سيف الحنيفيـة وسأل عن الامير أبو محمد فخبره بخبر فقال والله يا ولدى فرطت فيه ثم أقام فى الحصن كما قال أبو محمد فلم يأتى فورد على قلب الامير هم عظيم وأقام يوما زائداً ثم جمع الاموال والاسارى وحمل ذلك إلى حصن الدولاب وسار إلى أن وصلوا اليه ففرحوا به المسلمين وأن الامير عبد الوهاب كتب لوقته كتاب إلى الملك منويل يقول بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله تعالى لم يزل ينصرنا وبالاعداء يظفرنا وانى أعلم الملك أن الله تعالى قد فتح الحصون على يدى ومن باحسانه علىّ كما وعدنى وقد طالعتك بهذا الامر لتعلم بذلك وتبعث من يتسلمها والسلام ثم انه سلم الكتاب الى رجل من بنى كلاب يقال له ناهض ابن جعفر الكلابى فى عشرين من بنى كلاب وعشرين من السودان الانجاب وقال لهم الامير عليكم بالجد والتشمير فساروا نحو مدينة القسطنطينية طالبين وأقام الامير عبد الوهاب ينتظر ما يكون من امر الامير أبو محمد البطال فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من البطال فانه سار حتى دخل الى جبل يقال له جبل المرج ومن تحته بحر يقال له بحر الروم فنظر إلى جزيرة فى وسط البحر وكان يقال لها جزيرة الامصار وكان فى هذه الجزيرة دير مليح البنيان ومن ترهب فيـــه لا يرجع يخرج منه إلى العمران إلا حتى يلقى فى الاكفان وكان فيه أربعين راهب فلما نظر الامير أبو محمد إلى ذلك قال ما يكون شومدرس إلا فى هـذا الدير ثم التفت وإذا برجلان يحتطبان فسلم عليهما فردا عليه السلام وقالوا له من أين أتيت فقال لهم أنا

من جملة الرهبان وأنا أطوف البلدان أطلب السياحة لأنى أطلب فى ذلك الراحة وقد جئت فى طلب الراهب الكبير شومدرس فقالا ذلك ليس براهب لأنه قد اشتغل باللهو والطرب وأما الراهب الكبير والبترك الكبير فهو صاحب دير الانقطاع بحرون ومن حسنت به الظنون وهو فى هذه الجزيرة تأهب فقال له ان الرجل الذى سألتنا عنه عبر بنا أمس ولاشك أنه قد أصابة شيء من الهم وبان عليه الغم وقد عزم على الترهب معنا ولا يرجع يخرج من الدير ولا يبقى فى حياة الدنيا إلا أنه معنا يحتطب فقال لهم أريد أزوره فقلبى عليه مشتغل فقالوا له سمعناه يندب ولده دهرشوم فبكا أبو محمد وقال أنا ولده المحزون المهموم المغموم ثم مد عينيه رأى زورق مربوط الى جانب البر فجعل البطال يعينهم على الحطب ويحمل معهم ليكون الى قلوب الرهبان يتقرب (قال الراوى) فلما كادت الشمس أن تغرب قدموا الزورق وأوسقوه بالحطب وركبوا البطال فى جملتهم وساروا به الى جزيرتهم والبطال معهم الى أن وصلوا الى دير الانقطاع فنزلوا ودخلوا الى الدير وأضافوا أبو محمد تلك الليلة فلما كان من الغد زينوا الدير ونصبوا كرسى من الحديد وعليه فرش من الديباج وأطاقوا مباخر من العود والندر والكافور وبقى الدير يرهج بتلاوة الانجيل وضربوا ناقوسهم ورفعوا أصواتهم فقال لهم البطال ما هذه الفعال فقالوا له هذا يوم عيد لنا وليس عندنا فى السنة أشرف منه ويوعد لنا فيه الراهب الكبير بأخبار يوم القيامة وكأنك به قد خرج وبكلامه الفصيح أرهج (قال الراوى) فبينما أبو محمد يخاطبهم وإذا بشيخ كبير السن إلا أنه وافر الذهن وعليه ثياب من الصوف الأسود وعلى رأسه برنس من الشعر وفى رأسه زنار من الأديم منتقش بالحرير كثير فلما رأوه صفقوا له إكراماً وبجلوه اعظاما إلى أن صعد الى منبره ثم ابتدأ يتلو فصل من الانجيل حتى انعقد لسانه فقسقست الرهبان وقالوا ما سبب انعقاد اللسان فقال ياقوم أتانى فصل من الانجيل وهو عند علمائنا فى غاية التبجيل ولا يقدر لسان أحد ينطق به إذا كان رجل محمدى حاضر وأظنه بينكم فنظر بعضهم إلى بعض وجعلوا يتغامزون فعلم الراهب من طريق العقل أنهم به يستهزؤن فعند ذلك تكلم الراهب وقال يا محمدى بحق نبيك ان كنت حاضر قم نسألك عن أخبارك فقال البطال إن أنا قمت عجلوا على هؤلاء الرهبان ولايدعونى أخرج من هذا المكان ثم قلت لنفسى ويلك يقسم عليك عدوك بالنبى المصطفى والرسول المرتضى صاحب البردة والقضيب والناقد والنجيب الذى يحن اليه الجذع الرطيب بالبكاء والنحيب وكلمة الذيب فكيف تكون يوم القيامة بين يدى

رب العالمين إذا طالبك بحقه صلى الله عليه وسلم ولابد من القيام والكلام ولوشربت كاس الحمام ثم انى توكلت على العلى الأعلى وقلت أنا فى حسب محمد المصطفى وعلى المرتضى والخمسة أشياخ أصحاب العين أهل التقى والهدى (ياساده) وقمت قائما وأشرت متكلما وقلت ياعالم النصرانية والملة المسيحية أنا من أهل ملة سيد السادات وصاحب المعجزات المليح الصفات الذى لم يغفل عن الله طرفة عين وكان من ربه كقاب قوسين الشفيع فى الدارين أفضل من دب ودرج والى سدرة المنتهى عرج الذى كلمته الناقة العضبا وسبح فى كفه الحصا فذلك محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله أهل الهدى فافعل أيها الراهب بى ما تشاء فانى وهبت نفسى لأصحاب العبا (قال الراوى) فلما سمع الراهب ذلك الكلام حن ورق وصاح وقال آه آه لهذا الوقت كنت أنتظر وعن هذا الحديث كنت أستخبر يامسلم ألا أحدثك بحديث عجيب وأمر غريب فقال أبو محمد وما ذلك يا راهب فقال اعلم أنى فى هذا الموضع لى فيه مائة وخمسين سنة ما رأيت فيها مسلما لكنى قرأت انه ما حضر رجل مسلم من أمة محمد عند عالم النصرانية إلا انعقد لسانه لأن شريعته ناسخة الشرائع وقد كنت أظن أن هذا النبى بعد ما بعث ولا أملت أن أدرك زمانه والآن فقد حصحص الحق وبان الصدق وأنا أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم نظر الى الرهبان وقال من أراد منكم النجاة من هول يوم القيامة وينال من ربه جزيل الكرامة فليدخل فى هذا الدين الصحيح الذى بشرنا به السيد المسيح وأعلمنا بذلك فى كتبه وتواريخه فالآن قولوا معى هذه الكلمة فانها عند الله معظمه وعند الأنبياء مكرمه فلما سمعوا ذلك رفعوا رؤوسهم وقد طلعت شموسهم ونزل اليهم ملك الهداية يفتح عن قلوبهم أقفال الغواية بمفاتيح العناية فقطعوا زنانير كفرهم بأنامل صبرهم وآمنوا بربهم وطابت قلوبهم وأبو محمد قد فاضت عيناه بالدموع ووقع السماع والوجد والخشوع حتى غاب عن الدنيا ووقع فى المنام فرأى سيد الأنام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام محمد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وهو يقول له ياأبو محمد شددت من أجلنا زنار قطعنا من أجلك أربعين زنار فلما أفاق أبو محمد من نومه أعلم الراهب والرهبان بما رأى فزادهم ذلك إيمانا هذا وأبو محمد يخبرهم بمعجزات الرسول وهم يبكون ويكثرون من الصلاة عليه ثم قالوا له ياهذا الرجل جزاك الله عنا كل خير فقد ختم الله لنا بالسعادة بمشاهدتك وبركة طلعتك ونريد أن نسألك فقال قولوا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ياساده)

فقالوا هل نزل على نبيك كتاب يقال له القرآن فيه دليل وبرهان كما نزل على الأنبياء فقال نعم ولا نزل قبله مثله ولا فضل كفضله فقالوا له اتلوا علينا شيئا منه قال فابتدأ أبو محمد يقرأ سورة الكهف الى أن انتهى لقوله تعالى : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) فبكوا حتى بلوا ثيابهم من الدمع وأخذهم الخشوع والخضوع ثم سألوه أن يعلمهم شيئا من القرآن وشرائع الإسلام وأقام عندهم عشرة أيام فلما كان بعد ذلك حدثهم أنه ماورد إلا فى طلب شومدرس فقالوا له أبشر فقد نلت المنى وزال عنك العنا دونك وإياه هاهو فى ذلك البيت فوثب اليه أبو محمد قائماً الى أن وصل الى البيت واذا بشومدرس وهو يقول وحق المسيح ما أمنت على روحى من ذلك المحتال أبو محمد البطال إلا هذه الساعة لأننى فى وسط البحر وماله على سبيل واذا قد دخل أبو محمد عليه فتحير شومدرس وقال كيف دخل هذا الشيطان الى هذه الجزيرة وكيف سمحت له الرهبان أن يقبضنى فشده أبو محمد كتاف وخرج به الى وسط الدير فلما رآه وهو يلقنهم القرآن ويعلمهم شرائع الاسلام والإيمان وهم له سامعون ولقوله طائعون علم انهم قد أسلموا فكادت مرارته أن تنفطر وقال : لقد غضب المسيح علينا وإلا ما كان يغفل عن عالم من علماء النصرانية (قال الراوى) وأقام أبو محمد فى دير الانقطاع عشرة أيام وهو يعلم الرهبان وهم من فرحتهم بالقرآن لاينامون الليل بل يسجدون ولربهم يعبدون فقال لهم أبو محمد : اعلموا أنى لايمكننى المقام عندكم لأن الأمير وعسكر المسلمين مشغولين القلب من أجلى ومايدرون ماجرى على فقال له الراهب (بحرون) اعلم ياأبو محمد انى حمدت الله تعالى على الهداية مع انى كنت على دين المسيح عيسى ابن مريم وما أشركت بربى ساعة قط ولقد طلبت منه أن يقبضنى قبل مضيك حتى تجهزنى الى دار الآخرة وتصلى على ولاشك انى فى غداة غد أموت فقال أبو محمد فى نفسه له : ومن أين لك أيها الشيخ أنك تموت فى غداة غد فقال يابنى من زهد الدنيا عرف وقت سفره الى المولى فقال أبو محمد : نقيم الليلة من أجل الراهب فقام أبو محمد ليلته قائما على قدميه يصلى ويتهجد ويبكى وقد التفت الراهب إلى أبى محمد وقال له يا ولدى اعلم أن هذاهو اليقين الذى قد حكم به رب العالمين فقال له أبو محمد : اعلم أيها الشيخ الصالح انك تقدم على ربك وهو رب كريم يغفر الذنب العظيم فقال له الراهب (بحرون) أنا والله معود به لأنه تلطف بى صغيرا ورزقنى كبيرا وأحيانى شهور وأعوام ودهور وقد جعلنى فى دار

الدنيا محبور ويرد بى الى التراب مقبور ويبعثنى فى القيامه مسرور وأنا آمل منه خيرا كثيرا ثم أنه بكى ورفع طرفه الى السماء وقال إلهى وسيدى انى سمعت عن عيسى بن مريم يقول ان الله يستحى أن يعذب شيبة شابت فى دين الاسلام (قال الراوى) فلما سمع البطال منه ذلك الكلام قال له يا هذا طب نفسا وقر عينا واعلم ان الله غفور رحيم فلما ان سمع الراهب من البطال ذلك قال إلهى ما أرحمك على من عصاك وما أحلمك على من جحدك ولم يزل على مثل ذلك إلى ان تنصف النهار فتغيرت حالات الراهب وصار من حال الى حال فانضجع إلى القبلة وهو متبسم ثم انه قد شهق شهقة خرجت روحه فيها وقد فارق الدنيا فعندها أخذه أبو محمد وجهزه وكفنه بعد ان غسله بيديه وصلى عليه وألحده فى مصلب فى ذلك الدير وهو محل عبادته الذى كان يتعبد فيه هذا وقد بات أبو محمد تلك الليلة فى الدير وكان قبره بداخل الدير وهو يقرأ عليه هـــذا ولما كان تنصف الليل نام البطال فرأى فى نومه الراهب بحرون فلما ان رآه قال له ما فعل الله بك فقال له بحرون أوقفنى الله بين يديه وقد قال لى ياعبدى طب نفسا وقر عينا هذا وجهى فانظر اليه وهذه جنتى فاسكن فيها وكل من أثمارها واشرب من أنهارها وأنا الغفور الرحيم (قال الراوى) ياساده ياكرام هـذا ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ودع الأمير أبو محمد الرهبان الذين أسلموا هـذا وقد أخذ شومدرس وهو فى ثياب الذل والهوان ونزل فى المركب وقال لبعض الرهبان عوم بنا وسيرنا الى ذلك البر فعندها أخذهم ذلك الراهب وقد أخذ معه آخر وصار بهم فلما أن ساروا ما زالوا يقذفون إلى أن عبروا البر هذا ولما أن صار فى البر قال البطال لشومدرس يامعلون سير الآن قدامى والا قطعت قفاك وأبليتك ببلاك فقال شومدرس وحق المسيح لقد حرت فى أمرك ياشيطان ياترى من أعلمك بأنى فى الجزيرة وأنا فى ذلك المكان الذى محتاط البحر به فقال له البطال الذى جعلنى سببا لهداية الرهبان فقال شومدرس عسى ان الذى فتح لهم باب الهداية ان لا يغلقه فى وجهى واعلم ياأبا محمد انى قد لمت نفسى على فعالى معك وقد قلت يانفس لو كان هـــذا الرجل على غير استقامة لكانت حرمت هؤلاء الرهبان معرفة الملك الديان الحنان المنان الكريم الرحمن وحق من يعلم سرى ويطيل عمرى ان قلبى قد طاب لدين الاسلام فقال له أبو محمد ويلك ياشيخ السوء والله لو جاء ملك من الملائكة يقول لى انك صادق ثم تؤمن بالله لما صدقت ذلك فقال شومدرس إذا كان قلبى قد صفى مع رب العالمين فما أبالى بما كان منى فان شئت ان تصدقنى وان شئت ان لا تصدقنى فان الله قد

صدقنى هذا وأبو محمد قد صعد به إلى الجبل وقد صار على عجل والملعون قدامه ماشى وهو مكتف اليدين وفى عنقه الحبل ومازال سائر أبو محمد به إلى أن وصل بعض القلاع فعندها خاف على نفسه فأكمن باقى نهاره وقد سار فى الليل تحت غياهب الدجا ومازال سائر إلى أن تنصف الليل فقال له شومدرس ويلك ياشيطان ماتستريح بنا ساعة فقال أبو محمد ويلك ياشومدرس اننى سائر على عجل لاجل تعذيبك فقال له دع عنك هذا الظن الميشوم فما أبالى يا أبو محمد بالموت أى وقت جاء لى على خير كثير وانما أنا أبكى وأفزع ان أموت وأنا على غير دين الاسلام وهو دين الحق والآن فقد رأيت من الدلائل ماكفانى بأنه نصركم على قلتكم وفتح لكم الحصون والقلاع وقد أعطاكم المواضع والبقاع ولولا ان الله تبارك وتعالى لكم عنده منزلة غاليه لما أوصلكم إلى ماوصلتم اليه وقدمتم عليه (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا كله من شومدرس يجرى وأبو محمد لا يسمع له كلام ولا يلتفت اليه وهو سائر به ويقول له دع عنك ذلك الكلام واعلم انى لا أسمعه لانه هذيان وزور منك وبهتان وأنت عليه لا تلام لانك تريد الخلاص من قبضة الحمام وهذا شىء منك لايرام وسير ولا أتركنك إلى راحة ولا منام (قال الراوى) هذا وأبو محمد سائر بشومدرس وهو يحثه على المسير فبينما هم سائرين على ذلك الطريق وإذا قد لقيهم فى طريقهم خمسين بطريق والكل سائرين على عجل خوفا من التعويق وأيضا خوفا من عسكر المسلمين لايعدمهم السعادة والتوفيق ولا يبقى منهم رفيق يمشى مع رفيق (قال الراوى) وكانوا هؤلاء البطارقة طالبين جزيرة الحوت ودير الانقطاع وهم هاربين من المسلمين الى تلك الجزيرة ليقيموا فيها إلى ان يرحلوا المسلمين إلى ديارهم فالتقوا بأبى محمد البطال فى الطريق ومعه شومدرس الزنديق أسير وهو ذليل حقير فى الشقاء والتعتير فعند ذلك تقدموا اليه وقالوا له لما أن وصلوا اليه بالرومى من أنت ومن تكون فقال لهم اعلموا اننى رجل عابر طريق وسالك بلا رفيق أسير الليل وأكمن بالنهار خوفا من عسكر المسلمين قالوا وما هذا الذى على رأسك حامله قال هذا ولدى كان ضعيف فى جزيرة الرهبان فلما ان سمع الملعون شومدرس من البطال ذلك الكلام صاح بهم وقال لهم لاتصدقوه واعلموا أنه لص المسلمين وصاحب نبى العالمين وأما أنا فعالم النصرانية وراهب الملة المسيحية الراهب شومدرس (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا ولما ان سمعوه البطارقة عرفوه فعندها قد أكبوا على أبو محمد البطال وقد أداروا به من كل جانب ومكان فعندها قد أخذوه أسير ودنوا من الراهب شومدرس وأطلقوه والحبل الذى كان به

مكتوف كتفوا به أبو محمد وصاروا يسحبوه ويضربوه فقال شومدرس لهم الى أين قصدكم فقالوا الى جزيرة الحوت ودير الانقطاع فقال لهم شومدرس وايش تفعلوا فى هذا المكان وقد أسلم كل من كان فيه من الرهبان وقد صاروا من أهل الايمان وقد لعب بعقلهم هذا الشيطان وأن طول المسيح فى عمرى ورحلوا المسلمين من هذه الديار لأعملن مركب وأدخل الى الجزيرة وأحرق كل من فيها بالنار لأجل تركهم الدين العتيق وسماعهم من هذا الزنديق لكن ارحلوا بنا فى مكان نأمن فيه على أنفسنا ونكمن فيه حتى ترحل المسلمين من هذه الاوطان فقالوا له وحق المسيح لقد خاب ظننا فى الجزيرة فالى أين نقصد فقال لهم شومدرس أنا أعرف فى آخر هذا الجبل دير وهو خراب له زمان ماسكن فيه أحـــد من الرهبان ومن حوله أشجار عليها ما تشتهه النفس من سائر الاثمار والصواب أننا نمضى اليـه ثم أننا نقيم فيه الى أن نسمع ان المسلمين رحلوا (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك ساروا وأبو محمد مربوط بالحبل الذى كان مربوط به شومدرس وهو يقوده برقبته ولم يزالوا سائرين الى أن أصبح الله بالصباح وما فيهم إلا من ضرب البطال حتى أشرف على الموت والعطب وشومدس يقول له ترى يا شيطان وحق المسيح لأورينك الموت عيان هذا وأبو محمد يقول يا ويلك يا ملعون أما قد ذكرت أنك أسلمت وصرت من المسلمين وتركت دين الصلبان فقال له يابطال هذا كله ضحك عليك ادخل هذا كله فى أذنيك ياشيطان وحق دينى لو قال لى كل من فى الدنيا أسلم حتى أننا نعطيك ملك الارض لما فعلت وتركت دينى ودين أبائى وأجدادى وما طلعت عليه فى بلادى فقال له البطال أما أنا والله اننى قد علمت منك ذلك (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وما زالوا سائرين الى وقت الضحى فعندها قد أشرفوا على ذاك الدير الذى قد ذكره شومدرس لهم فرآه أبو محمد دير كبير عتيقا كثير الاشجار فعندها نزلوا فى ذلك المكان هذا وقد ربط شومدرس أبو محمد فى بعض الأشجار بعد أن قال له اعلم يالص المسلمين ياشيطان ياكذاب انى أريد أن أقلع عينك بعد أن أريك فى كل يوم العذاب ألوان لأن تعجيل الموت لك راحة فقال له البطال يا ويلك لا تعجل على فى أمر من الأمور فما تدرى العاقبة على من تكون والنوائب على من تدور فقال شومدرس وحق المسيح ما بقيت تخلص من يدى أبدا (قال الراوى) ثم انه أخذ له غصنا من بعض الاشجار وصار يضربه به الى أن طلع لحمه على ذلك الغصن ثم ان الملعون قد أقام عشرة أيام وهو ينتقم من البطال وهو صابر على ذلك العذاب (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان من شومدرس الملعون

والبطال (وأما ماكان) من الامير عبد الوهاب فلما أن أبطأ عليه خبر البطال أنفذ الخيل فى طلبه فسارت الخيل وعادت وما أتى منهم أحد بخبر ولا وقع له على أثر فاحتار الأمير عبد الوهاب وما هنىء له من بعده صفاء عيش وأقام ينتظر ما يكون من الله وأما شومدرس الخوان فان البطارقة الذين معه أنفذوا بعضهم أتوهم بشيء من الخمر من بعض القرى وقد أقاموا يأكلون ويشربون المدام وفى وجه البطال يبصقون وعلى رأسه فضلة الخمر من كؤسهم يقلبون هذا وقد صار البطال مثل الفرخ الذى لاريش له من كثرة ما ضربوه وكان الملعون شومدرس أقبل عليه وقد شد يده اليمنى الى رجله الشمال وأطلق يده اليسرى ورجله اليمنى وهو يقول له يابطال هذا فعلى انظر اليه وعذابى لك فتعلم من شغلى والبطال يقول له لاستر الله عليك ياملعون ياكلب ياخوان (قال الراوى) ياكرام هذا والبطال حاير لايعلم ما يعمل وما يصنع مع هؤلاء الملاعين هذا وكلما شربوا صبوا عليه بقية الكاس فعندها أدار البطال فكره فى نفسه وقال يابطال انت قاعد تنظر من يأتيك ويخلصك من أسرك ثم انه قد افتكر فمد يده الشمال الى خلف أذنه فوجد فى شعره قطعة بنج مثقالين تسكر أهل قرية ففرح بها لما أن رآها ثم انه تركهم الى أن دارت فيهم الخمر وغافلهم وقد أرمى القطعة البنج فى الآنية التى بين أيديهم فدارت فى تلك البطايه وقد امتزجت بالخمر هذا وقد دارت عليهم الاقداح فكان أول من شرب كان المعون شومدرس فدار البنج فى رأسه هذا وقد شربوا بعده فلم تكن إلا ساعة حتى وقعوا الجميع على الأرض كأنهم الاموات هذا وقد دارت عليهم دائرة الآفات وما بقى لهم همات هذا ولما أن رأى البطال ما حل بالبطارقة فعندها مد البطال يده الى الرباط الذى فى رجله وأراد أن يحله فلم يقدر على ذلك فزحف الى بعض البطارقة وقد أخذ من وسطه سكين بيده اليسرى وقطع بها الرباط الذى فى يده اليمنى ورجله اليسار (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان البطال قام قائما على قدميه كأنه الأسد الضارب من شدة الفرح الذى حصل له ثم انه دنى منهم وقد ذبح الخمسين بطريق هذا ولما أن فرغ من ذلك تقدم الى شومدرس وأراد أن يذبحه فقال فى نفسه والله ان ذبحه ما هو صواب لاننى اذا ذبحته استراح من العذاب ولايعلم أنى قدرت عليه ولكن الرأى أن آخذه وأحمله وأوصله للأمير عبد الوهاب حتى يراه ويشفى منه غليل صدره وأعذبه عذاب الكلاب وان فعلت غير ذلك فما يشتفى صدرى ثم ان البطال بعد ذلك ربط شومدرس رباط طيب وقد جعل يديه الى رجليه ثم دخل

تحته وقد رفعه على كتفه وسار به وما زال به سائر طول النهار الى الليل فحطه ساعة إلى أن استراح وقد حمله وسار بطول ليلته الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح هـذا وقد أفاق الملعون على نفسه وقد طار البنج من رأسه فعندها رأى حاله فنادى يابطرس يامتى ياسمعان ياقرقياس فلما أن سمع البطال منه ذلك وقد رآه خبط فى كلامه مسكه من لحيته وأعطاه لـكمة على حنـكه كاد أن تطير منها أضراسه وقال له يا ابن الأنذال اعلم أن ماعندك ممن تذكره أحد وأنت على أكتاف أبو محمد ياويلك ياملعون أفق من سكرك واصحى على نفسك وانظر حالك (قال الراوى) هذا ولما سمع الملعون شومدرس من البطال ذلك الـكلام مات فى جلده وقد أيقن بشرب كاس الحمام وأتاه سائر الهموم والبلاء والأوجاع والآلام فعندها قال ياأبا محمد بحق دينـك من خلصك من الاقتناص فقال الذى قلت انه لايقدر على خلاصى فقال له فالذى صنعت بالبطارقة لابد لهم أن يتبعوك ويخلصونى منك فقال له اعلم ياملعون انى ماقدرت على حماهم وقد تركتهم نيام مكانهم فقال له بحق معبودك كيف كان خلاصك فوحق المسيح ماأقول بعد ذلك انك بنى آدم فقال له ياويلك أما أنت القائل لى قل لمحمد يخلصك مما أنت فيه من الشد والوثاق فقال له بلى فقال البطال هاقد خلصنى لما أن سألته الخلاص من ضيقك فقال شومدرس لعمرى انه نبى صادق ومايـنكر فضله إلا كل منافق فقال له أبو محمـد ياويلك فأين كان هذا الـكلام من ذلك الـكلام وأنت تضربنى وتوجعنى بالضرب وأنا أقول لك لاتفعل ياشومدرس وأبقى للصلح موضع وأنت تقول لى لوأن محمد بين يديك والمسيح سائر من حواليك وهو يقول لى سلم على لما سلمت عليه ولا أطلقتك من اعتقالى فقال له شومدرس يابطال لاتؤاخذنى بماصدرمنى واعلم ياأبامحمد أن الغيظ قد ركبنى وأنت تعـلم أن الغيظ يخرج الانسان من عقله ودينه ويتبع هوى نفسه من شدة غبنه واعلم ياأبامحمد سبب ذلك انى كنت قداغتظت منك لما أن قبضتنى من الدير وربطتنى فى الحبل وضربتنى الضرب الوجيع والحبل يحز فى عنقى وقد أسهرتنى طول الليل ولا رحمتنى والآن قد مضى مامضى فجد على بالعفو والرضا واعلم أن الله تعالى قال (إلا من تاب) وأنا قد تبت وانصلح حالى وقد مضى ما عندى من سائر أمكارى فلا تحقد أنت على ولا تطردنى عن الحقيقة بغير حق فقال له أبو محمد لأقلعن هذا النفاق من صميم قلبك ثم انه رماه من على أكتافه وكان البطال قد تعب من حمله هذا ولما أن رماه كاد أن يقضى عليه وماصار على الارض الى أن رض عظامه فى بعضها بعض ولما أن صار الملعون على الأرض جره البطال من رجله وفى أصل شجرة ربطه

وقد قطع له بعد ذلك غصنا وضربه إلى أن سال دماه وانمزع لحمه من بدنه وما زال يضربه الى أن تعب وكلت يده وقد خشى عليه من كثرة الضرب فعندذلك تركه وقال له الآن قد أشفيت قلبي من ذلك الملعون ومابقى فى قلبي حسرة إلا أن يأتى على شيء من اعراضه على الامير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب ثم انه قد تركه ساعة لأنه رآه قد غشى عليه . هذا ولما أن أفاق من غشوته تأوه مما قد حل به وقال يابطال ان ترجع مما أنت عليه ودعنا نحن الاثنين نصطلح فقال له البطال ياملعون سوف أصطلح أنا وأنت على يدى الأمير عبد الوهاب وتنظر الصلح كيف يكون بيننا هذا ولما أن استراح الامير أبو محمد البطال قام على حيله وأراد فك شومدرس وشيله ومسيره وهو يقول لاتطيل نفاقك على فبينما البطال معول على شيل شومدرس على أكتافه والمسير به واذا بأشياخ قد رآهم وهم مقبلين عليه فوقف البطال عما كان عازم وقد تمهل الى أن ينظر ما يكون ويتجدد . هذا وما زالت الأشياخ تقرب اليه هذا ولما أن رآهم البطال خاف على نفسه منهم وقد اختفى تحت فروع تلك الشجرة ثم انه قد استتر بها وكانوا الأشياخ قد رأوه وعاينوه لما أن اختفى منهم تحت تلك الشجرة فعند ذلك قصدوا اليه وقد نادوا عليه بالرومى ياويلك من أنت ومن تكون ياهذا والى أين أنت قاصد (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع البطال منهم ذلك الكلام قال والله قد جاء الفصل وانقلبت على الاحكام ونزلت على من هؤلاء الهموم وسائر الآلام وقد توسلت بخير الأنام ورسول الملك العلام هذا ولما أن سمع البطال نداهم وكلامهم له علم أنهم قد رأوه فعندها خرج من تحت الشجرة وقال لهم وقد أيقن بالعطب اعلموا انى أنا عابر سبيل ومعى رجل عليل وأنا معول على شيله والمسير فسمع شومدرس كلام البطال لهم فنادى لاتسمعوا كلامه ولاتصدقوا الى أقواله ياويلكم اعلموا أن هذا شيطان المسلمين وعيار الموحدين واعلموا أن الذى يخاطبكم هو شيخ ملة النصرانية أجمعين وهو أبو الشر شومدرس شيخ الأراجيس والخليفة فى الأرض عن إبليس (قال الراوى) فلما أن سمعوا القوم كلامه تجاروا عليه فتميزهم البطال واذا هم بلحى كبار فأنكر أمرهم وقد قال : اللهم اكفينى شرهم . هذا ولما أن صاروا عند شورمدرس والبطال أشهروا فى أيديهم النصال وقد صار كل واحد منهم يمسك لحيته ويجذبها بيده فتطلع معه وتسير فى يده . هذا ولما أن شالوا تلك اللحى فبان لهم من تحتها لحى غيرها وهى صغار أصغر من الأولى فقال البطال أحسنت والله إن أهل هذه الديار لهم لحى كبار ولحى صغار فهذا شيء مارأيته

وقداحتار وحققهم فعرفهم واذا هم غلمانه وهم : لؤلؤ وسبك ويانس ومعهم أبوالهزاهز (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنهم أتوا فى طلبه فلما أن رأوه فرحوا به وقد سألوه عن حاله فعندها أخبرهم بمـا قد جرى له مع الملعون شومدرس فعندها تخطى أبوالهزاهز خطوات لمـا أن سمع بحس ذلك الغدار وأتى اليه وسلم عليه ثم قال والله أنا من زمان كنت فى انتظاره وانى له فى نية مليحة وهى جليلة وسوف يحمدنى عليها ولـكن حتى يفيق من نومه ويقع العتاب بينى وبينه (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان شومدرس قد غشى عليه لمـا أن رأى غلمان البطال وأبوالهزاهز . هذا ولما أن أفاق قال البطال سيروا بنا الآن من هذا المـكان فعندها قد دنا أبوالهزاهز من شومدرس وحمله على أكتافه وقدسار به . هذا والبطال يقول لهم لاتنزلوا حتى تروا وجه الأمان واعلموا اننا لا نأمن على أنفسنا ممن يتبعنا من الأعداء ويعيقونا عن مسيرنا وربما أن يخلص هذا الملعون من أيدينا فقال أبوالهزاهز وحق بيت عصانين وشرب المريس بين اثنين بعد أن حصل هذا الـكلب على أكتافى مابقى الأسـد يقدر على خلاصه من لـكافى ولو كان فيه هلاكى وتلافى (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمع البطال كلامه قال لله درك ياأبوالهزاهز ويابطل مناجز فمـا أنت فيما قلته عاجز ثم إن البطال بعد ذلك قال لغلمانه : ياأولادى متى فارقتم الامير عبد الوهاب فقالوا له منـذ عشرة أيام ونحن عليك ندور فى القرى وسائر الأماكن والمواضع . هذا وقد قلق الامير على غيابك غاية القلق وقد زاد به الأرق وهو يسير الخيل فى فى كل طريق وكل من سار يعود بلا فائده وهو منك خائب ثم انه أراد أن يخرج فى طلبك بنفسه فمـا مكناه نحن من ذلك وهذه ثلاث مرات ونحن نطلع الى هذا الجبل ونسير ونرجع ننزل منه ونسير الى غـيره بلافائده والحمد لله الذى قد أرشدنا إليك فى هـذه المرة ودلنا على طريقك وجمعنا من فضـله عليك (قال الراوى) ياساده ياكرام . هذا وقد صاروا يقطعون الأرض فى الطول والعرض وأبومحمد يشكرهم على ذلك ويقول لهم يادمعتى ماخبيتك إلا لشدتى ومايعرف الصديق إلا وقت الشدة والضيق ولولا ذلك ما أعرف المبغض من الشفيق (قال الراوى) وبعد ذلك أتى أبوالهزاهز الى شومدرس وقال له يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعـودية وغسل وجهه بشخاخ الرهبانـ المدعية والله لأنتقم منك وأجعلك عبرة فى البرية فقال له ياأمير كيف تنتقم منى وأنا قد تركت الشرك وندمت على ما فعلت من جهـلى وقد رجعت الى الله لأننى يوم القيامة بذنوبى مطلوب وأنا أشهد

أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله قال فلما سمع أبو الهزاهز ذلك رق له قلبه وقال يا أبا محمد دع هذا الرجل من يدك فقال أبو محمد دع عنك هذا القول فهو مثل الحرية يتلون كل يوم سبعين مرة ثم التفت أبو محمد إلى الراهب شومدرس وقال والله يالعين لئن لم تزيل هذا النفاق من قلبك لأطيلن عذابك فقال أبو الهزاهز يا أبو محمد اعلم أن الأمير فى قلق عظيم لأجل غيبتك (يا ساده) وبينما هم فى المحاورة والكلام وإذا بعشرين بطريق قد أقبلوا اليهم طلبوا وعليهم الدروع وعلى رؤسهم البيض اللامعه ومقدمهم بطريق وهو من طوله كانه الريح الشهيق تام الهيبه حسن الشيبة فلما رآهم أبو محمد نظر إلى أبو الهزاهز وإذا به ابتدرهم وأن يريهم شيئا من قوته وشجاعته فعمد إلى شجره عظيمة فمسك بأصلها وجذبها فقلعها فكانت كالجبل وهو من تحتها كالجمل ومال بها عليهم وصار لا يضرب بها الفارس أكثر من ضربة وقد أهلكه هو وفرسه فما كانت إلا ساعة حتى قتل الجماعة وحكم بينهم بالسوية وأوردهم حياض المنيه وجمعوا خيولهم وأسلابهم فلما رأى أبو محمد من أبو الهزاهز ذلك شكره وجزاه خيرا وقال لله درك لقد أشفيت الغليل وأرضيت بفعلك الملك الجليل ثم ان أبو محمد أخبرهم بالخيول التى تركهم فى الدير فمضوا وأتوا بها وبعث غلامه لؤلؤ الى الأمراء بشرهم بهذه الغنيمة والفتح فسار لؤلؤ إلى أن وصل إلى الحصن ودخل على الأميرة ذات الهمة فرآها مغمومة مطرقة إلى الأرض فقال لها يا أم المجاهدين ما الخبر وقد فتح الله ونصر فقالت قد غاب ولدى وما سمعت له خبر فقال الساعه يصل مولاى أبو محمد ويطلبه أين ما كان (قال) فلما سمعت ذلك من كلام لؤلؤ طاب قلبها وسكن لبها ولم يكن الا ساعة حتى وصل الأمير محمد البطال ومعه شومدرس فى أسوأ حال وقد ورمت رقبته من ضرب البطال فلما نظرت الأميرة اليه بصقت فى وجهه وقالت له وقعت يا رديء الأصل والأعمال الى متى يؤخر الله فى أجلك والآن فقد أخذك الله أخذ عزيز مقتدر (يا سادة) فلما سمع شومدرس ذلك لعب حبال حيلته وبذر فيها حب مكيدته وقال اعلمى أيتها الأميرة المجاهدة أن لى من العمر ستين سنة ومع هذا العمر كنت أشرك بالله وأعبد غيره وما بخل علىّ قط برزقه ولا ضيعنى بين خلقه والآن فانى أريد أن تطهرونى بسيوفكم من ذنوبى التى أسلفت وأوزارى التى علىّ كتبت وأنا أشهد لله أنه منزه عن الصاحبة والولد وأقر برسالة النبى وبحق ما فى صدرك من كتاب الله تعالى الا تركتى بعض البطارقة بضرب عنقى حتى أكون قتيل أهل الكفر والطغيان لأنى أعلم أنى ما أنال الغفران الا بالقتل فى سبيل الملك الديان وان قتلنى أحد منكم فما يكون الاشق

أشق الناس قال فلما سمعت الاميرة ذات الهمة ذلك الكلام من شومدرس عظم عليها وكبر لديها وقالت لعل الله تعالى يكون قد هداه بهدايته ثم ان الامير أبو محمد قال سبحان الله أيتها الأميرة تعظميه وتطمعي فى اسلامه ثم أعاد عليها ما جرى له فى الجزيرة مع الراهب الكبير والرهبان وكيف رجعوا الى طاعة الملك الديان ولولا أنهم دلونى عليه ما قدرت آخذه وبعد ذلك فانى لما خرجت من الجزيرة احتال علىّ وهم أن يخدعنى فما انخدعت واذا بخيل من الروم قد خرجت الينا من الجبل فقبضت على فمن ساعته نافق وبان كفره وضربنى الضرب الوجيع ثم أعاد لها جميع ما جرى وما ذكرناه فضحكت الاميرة وقالت هذا صندوق الحيل وما فى الامر الا صلبه بعد ما أشتفى من ضربه فقال شومدرس ما أحلى كلامك الا أنى أصبر على ما حكم الله على لانى أعلم ما سلف منى اليكم والآن فقد رجعت الى باب الملك الجليل ودع يفعل بى ما يشاء ويريد وما بقى لى فى الحياة رغبة فقالت الاميرة اعلموا أن هذا الملعون محتال فاعملوا فى رجله القيد ويتوكل به جماعة من الرجال فقال الامير سيف الحنيفية أنا أتوكل به وأمضى به فى جماعة من رجالى فسلم اليه ثم أرسلت الاميرة العساكر فى طلب الامير ومن معه من الاصحاب فمضى أبو الهزاهز فى جماعة من السودان ومضى الامير مدركه فى جماعة من بنى كلاب ومضى الامير محمد فى غلمانه وتزيا بزى الروم ولبس هو الدراعات الشعر الاسود وقد أمن على نفسه أنه لم بقى يعرفه أحد بعد قبضه على اللعين شومدرس (قال الراوى) هذا جرى هاهنا وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه لما أبطأ عليه خبر أبو محمد البطال فرق الرجال فى طلبه وسار هو فى جماعة من بنى كلاب والسودان الانجاب أربعة أيام فلما كان فى اليوم الخامس أشرف على دير عالى البنا واسع الفضا قد ارتفع فى الهوى فلما وصل الامير عبد الوهاب اليه أعجبه حسن بنيانه ونزل بقربه وقال لاصحابه ألا ترون الى حسن هذا المكان وأقول ان فيه جماعة من الرهبان ولكن نادوا سكانه لعل يشرف أحد نسأله عن صاحبنا فنادوا يا راهب الدير أشرف علينا نسألك عن شىء من الاخبار فما استتم المنادى كلامه حتى أشرف عليهم راهب كبير السن عليه ثياب من الصوف وكان هذا الراهب اسمه شحتوت فقال اسألوا ما تريدوا ولا تشغلونى عن العبادة فانى أفزع من عالم الغيب والشهادة فقال له مالك بن بشير هل بالقرب منك عمارة فقال ما بالقرب منى الا البحر الاسود وعلى جنبه مدينة يقال لها المعبد عبر عليها المسيح فوجد فيها جبارا من الجبابرة ويقال له سهيل بن شويل فدعاه الى دين الله تعالى فأبى أن يتبع دعوى

المسيح فدعا عليهم فاصبحوا بدعاء المسيح خامدين وفى ديارهم جاثمين وقد أصبحت تلك المدينه ينوح فيها الغراب والبوم مهدومة الأطلال والرسوم (ياساده) فقال له الأمير ياراهب أنت فى هذا الدير وحيد فقال يابنى لأنى كلب عقور كبست نفسى وحبستها فى هـذا المكان مخافة أن أعصى الرحمن فقال له الأمير ياراهب هل مر بك رجل قصير اشقر قد خرج فى طلب ضالة ضلت له فانقطعت أخباره علينا قال فلما سمع الراهب كلام الأمير عبد الوهاب ضحك وقال قد جرى على هذا الرجل صاحب هذه الصفة شيئا تعجز الجمال عن حمله وذلك ان الراهب شومدرس وهو من جماعتنا ولكن قرأ شيئا من الانجيل وعرف التحليل والتحريم إلا أنه غلب عليه اسم الرهبان وهو يخالط الناس فى الحصون وهذا لايجوز لأن الرهبان لايطيب لهم الانس بالناس فقال الأمير وقد قلق لما سمع خبر الأمير أبو محمد وأين ذهب شومدرس فقال له قد نزل فى هذا المصنع الذى فى هذه الصومعه ومعه عشرة من حصن العمد وعشرين من بطارقه حصن الدولاب ورأيت معهم هذه الصفة التى ذكرت وقد أحاط به من البلا مالا أقدر أصفه لكم وما قدرت اعترض عليهم لأنى أعلم أنهم ما يسمعون منى وأنا مشغول عنهم بروحى وتفكرى بالموت حتى يدهمنى (ياساده) فقال له الأمير عبد الوهاب جزاك الله خيرا متى نزلوا به إلى هـــذا المصنع فقال ياسيدى من مدة ثلاثة أيام وهـذا المصنع ينتهى إلى دير تحت الأرض وأمس وصـل اليهم عشرين بطريق من حصن القيطفور ومعهم الطعام والشراب وسألت عن حالهم ومجيئهم إلى ها هنا فما أخبرونى بخبر ولا أوقفونى على أثر فلما سمع الأمير ذلك قال لقومه أرجو من الله تعالى أن يكون فى الحياة ثم أنه أشهر سيفه فعند ذلك فعلوا أصحابه كذلك وكانوا اثنى عشر رجل وقد أيقن الأمير عبد الوهاب ان أبو محمد فى ذلك المصنع ثم ان الأمير نزل هو وأصحابه فيه فوجدوا فى آخره دير واسع فقالوا هـــذه علامة الصدق ثم انهم داروا حول ذلك الدير فما وجـد فيه أحد فقال الامير لبعض أصحابه اصعد يا ابن العم واسأل الراهب أين ذهبوا فقد فتشنا فى المكان فما رأينا فيه إنسان فسار الرجـل إلى أن صعـد الى رأس المصنع وإذا به بطابق عليهم من حديد وعليه حجارة من جلاميد وعليه أربعة أقفال من حديد فايقن بنزول الباس وضاقت منه الانفاس فرجع الى الامير عبد الوهاب وأعلمه بالحال فعلم أنهم قد وقعوا فى شباك الاحيال وقد رفعوا رؤسهم ورفرفت عليهم عقبان الآجال فصعدوا بأجمعهم إلى باب المصنع عساه أن يتقلع فلم يقدروا على ذلك فرجعوا بالخيبة وأحاطت بهم من المرت

مصيبه لأن له كلاليب مصنوعة فى حلق وزواريق إلى جانب الحائط لايقدر أحدا على قلعه ولايستطيع أحدا على رفعه فايسوا من الحياه وأيقنوا بالوفاء (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الراهب شحتوف كان من حصن الدولاب ولما جرى ماجرى على الحصن هرب إلى ذلك الدير وقد أيقن بزوال الخير مخافة على نفسه وكان إذا أراد أن يقيم ناموسا على الروم أتى إلى ذلك المكان فيتعبد فيه ويقرأ الانجيل فكانت تأتيه الأموال والنذور وأيضا الكسوة فلما جرى على الروم ما جرى من المسلمين هرب إلى هـذه الصومعة وأقام فيها لأنه قد ظن أنه لايقصده إلى هـذه الديار قاصد ولم يزال إلى أن وصل الأمير عبد الوهاب ومعه الرجال المذكورين وكان هـــذا الملعون شحتوف قد سمع بمـا جرى على شومدرس من أبو محمد البطال من الحيل والأعمال فلما أتاه الأمير علم أنهم من المسلمين وأنهم أتوا فى طلب شومدرس وسألوه عن الأزرق العينين علم أنهم يسألوه عن أبو محمد البطال لأنه قدعرف صفته فخاطبهم بما وصفنا حتى تم عليهم ما ذكرنا وبلغ منهم عندذلك ما تمنا إلا أنه لايعرف عبدالوهاب ولاغيره الا أنه ظن أنهم من جمـلة المسلمين فلما صاروا فى ذلك المصنع أطبق عليهم الطابق وعول على موتهم بالجوع والعطش وطالت عليهم الأيام ولا من فيه رمق ولا من يستطيع القيام ولا الكلام فقال الأمير عبد الوهاب لا اله الا الله سبحـان الله العظيم لقد لقينا فى هذه السفره أهوال تشيب لهولها الأطفال وكان آخرها نموت تحت الأرض بالجوع والعطش فلا حول ولا قوة الا بالله العظيم فقالوا له أصحابه ليتنا كنا نموت وقتلنا بسيوف الكفار حتى كنا نصـل الى دار القرار ونجاور النبى المختار فقال الأمير عبد الوهاب لأصحابه اعلموا انكم اذا متم فى هذا المكان كان أفضل لكم من موتكم بالصارم البتار فقالوا له كيف ذلك أيها الأمير فقال لهم انى لما حججت الى مكة فى السنة التى عولت فيها المجىء الى ملطيه فى طلب الجهاد رأيت فى مكة الشيخ شمس الدين وهو رجـل من علماء المسلمين وقد نصب له كرسيا بمسجد الكعبة وهو يعظ الناس فذكر فى حال وعظه حكاية تؤمن هذا الحال الذى نحن فيه لأنه قال دخل بعض الصالحين الى قرية من بعض قرى بغداد وكان جائعا فطاف سبعين بابا يطلب شيئا من القوت فلم يطعم شيئا فمضى الى الجامع وبات فيه طاويا ولمـا أصبح الصباح ظل صائما طاويا الى العشاء فخرج وطاف سبعين بابا ولما أصبح انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى فعبر بعض الصالحين رآه ميتا فى الجامع فعرفه وقال هـــذا فلان العابد فاخـذ فى أهبته فجهزه وأنزله فى حفرته فلما كان فى هذه الليلة راه فى المنام

فى أحسن صورة فقال له ما فعل الله بك يافلان فقال له أعطانى أو فى مما أعطى الشهداء ببدر فقال له ولم ذلك فقال له لأن شهداء بدر قتلوا بسيوف الكفار وأنامت بسبب الجوع والعطش (قال الراوى) هذا ماكان من هؤلاء وأماما كان من الأمير أبو محمد البطال لما أخذ غلمانه وسار بهم فى طلب الامير عبد الوهاب يقتفى منه الاثر وما زال الى أن وصل الى الدير فنظر الى علو بنيانه وحسن غدرانه واذا بالراهب شحتوف فتح له الباب فنظر الى كبر سنه فسلم عليه وقال يا أبو ناكم لك فى هذا الدير فقال له بكلام ضعيف لا أعلم وقد وجدت البركة فى الوحدة والعزلة فقال له هل عبر فى هذه الايام عابر فسكت الراهب فقال له لم لاترد جواب فقال له ان قلت لافقد كذبت وان قلت لك نعم فقد صرت مغموما لكن أقول لك منذ خمسة أيام دخل على من حصن الدولاب عشرة أنفار ومعهم رجل أسمر اللون ورجل اخر مهاب مقطوع اليد قد نزلوا الى هذا الموضع ومن حين نزلوا ما عادوا فلما سمع البطال كلام الراهب شحتوف انتهى الى أسفل الدير وجد الامير وأصحابه على غاية من الجوع فهناهم بالسلامه وأطعمهم وسقاهم فرجعت اليهم أرواحهم وخرجوا من باب المصنع الى باب الدير وقطع البطال رأس الراهب شحتوف وأخذوا جميع ماكان فى الدير (ياساده) وأما الجماعه الذين أرسلتهم الاميره فانهم رجعوا وما وقعوا لهم على أثر فدعت الاميرة الى الله تعالى وفى تلك الساعه وصل لؤلؤ بالبشارة ففرحت ولاقت الامير عبد الوهاب (قال الراوى) وأما شومدرس فانه لما رأى الامير عبد الوهاب قال الحمد لله الذى نجانى من النيران وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال البطال دع عنك هذا المحال والهذيان ثم صاح أبو محمد على بالخشبه فاحضرت بين يديه وأمر بنصبها على باب الحصن ففعلوا ذلك وأمر برفع شومدرس عليها فلما رأى شومدرس ذلك قال لابو محمد ان الزمان مكار غيور غدار يسلط الاشرار على الاخيار فأنتم أشرار دونكم والاخيار فقال أبو محمد ياويلك فلم لاقرأت هذه الآية على نفسك حيث تسلطت على وعلى المسلمين نوبه بعد أخرى فقال الامير عبد الوهاب قد بان نفاق هذا الشيخ الكذاب ثم أنه رفعه على الخشبه وطلع الناس على الاصوار وأخذوا بايديهم السهام والاحجار وهموا أن يضربوا الشيخ الغدار واذا بغبار قد ثار حتى ملا الافطار وغشى الأبصار وأظلم منه النهار فانكر الامير عبدالوهاب ذلك الغبار أعظم الأنكار وقال معاشر المسلمين حلوا شومدرس من الخشبة ولا تقتلوه حتى نرى مايكون من أمر هذا الغبار الذى قد أقبل فلاشك أنه خبر قد وصل الينا ونحوناقد عول فقال الامير أبو الهزاهز أنا أتيك بالخبر وأوقفك على جلية

الأثر إن شاء الله تعالى ثم أنه ركب وركب معه سيف الحنيفية ومالك ابن بشر الأقطع وميمون الجماس وتمام العشرة من بنى كلاب وركبوا على الخيول العتاق واعتقلوا بالرماح الرفاق وساروا مجدين ولكشف الخبر مبادرين (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك للغبار الذى قد أقبل والجيش الذى قد وصل وإلى حصن الدولاب عدل ان دهرشوم كان هو وأمه فى الحصن الأول فى قبضة الأمير سملق وطالت الأيام والأمير سملق محتفظ بهم لانه كان قد جرى ما جرى عليه من الحيلة التى دبرها وكان سملق كثير التيقظ الى أن وصل اليه سيف الحنيفية ونزل الامير سملق وخدمه وفرح بقدومه اذ أتى نجدة للامير عبد الوهاب وأقام معه ذلك اليوم والليلة على ظاهر الحصن الى أن دخل سيف الحنيفيه طالب الحصن الثانى ورجع سملق الى موضعه وافتقد شوما وولدها دهرشوم فما وجد لهما خبر ولا وقع لهما على أثر فعظم عليه وكبر لديه وفتش الحصن من أوله الى آخره فلم يجدهما فضاقت عليه الارض بما رحبت وقال لاصحابه المتخلفين فى الحصن ياويلكم ما تحدثونى كيف تحدثونى وكيف غفلتم عن هؤلاء الشياطين فقالوا أما فى النهار فما برحوا من القيود وأما فى الليل فما لنا علم بهم (قال الراوى) وكان الملعون دهرشوم لما رأى سملق قد خرج من الحصن قال لامه شوما اعلمى اننا لم نتخلص فى هذه النوبة وغفلت الناس عنا فما نخلص أبدوا والرأى عندى اننا نهرب ويهون علينا الموت فان سلمنا فهو الذى نريد وان نسلم فما نحن موضع السلامة فقالت له كيف السبيل الى ذلك فقال لها عرفت الموضع الذى فيه المفاتيح التى للقيود ثم انه زحف فى الليل الى ذلك الموضع وأخذ المفاتيح التى للقيود فتحها وأخرجها من رجله ونزل ونزلت أمه من بعده كانها شيطانه وساروا من مواضع يعرفانها لانهم تربية تلك الارض وقصد دهرشوم بحر اليونان وركب هو وأمه فى مركب الى بلد القسطنطينيه ودخل البيعة وكان الملعون دهرشوم يحفظ الانجيل فجعل يقرأ بطيب نغمته وحسن تلاوته حتى أنه أبكا الرهبان والقسوس والبطارقة وكان ذلك اليوم يوم عيدهم ونزل الملك منويل فى خواصه وأرباب دولته ودخل الكنيسة وتصدق بمال كثير فهو كذلك واذا قد وقع صائح قد صاح وبقصته قد باح وبكا وناح فنظر الملك الى ذلك ليكشف حاله واذا به دهرشوم وأمه شوما وهما يصيحان ويتناجيان (قال الراوى) ولما قربا من الملك ناداه دهرشوم أيها الملك الرحيم والسيد الكريم أنت غاية النصرانية ومالك رقاب أهل ماء المعمودية وعمدة الملة المسيحية وقائد العساكر الرومية والطوائف الافرنجية ومقصد كل ملهوف من عباد الصليب والنورية كيف أخذتك الغفلة

عن قوم يقولون بمقالتك ويدينون بشريعتك ويدعون لدولتك بالدوام ولواحتجت اليهم لكانوا من وراء معونتك أيها الملك ملكت الحصون وقتلت الملوك الأكرمون وهلكت الرجال والولدان وقد اشتد المصاب وقتلت الشيوخ والشباب وهلكت القسوس من ذوى العلوم والآداب وأسر عالم النصرانية وشيخ الرهبانية وحجة الملة المسيحية الذى هو أعرف الخليقة بالإنجيل ومافيه من التحريم والتحليل صاحب الحكم البالغات والعلوم الظاهرات والأقوال الصادقات والحيل الكاملات والأوصاف الباهرات وهو الرجل الأوحد الذى مثله فى الأرض لم يوجد وإن وجد فلا ينافس ولا له فى الارض مقايس صاحب العلوم والدروس عماد حملة الصليب والناقوس لايخلو من بركته بيعة ولا ناؤوس الذى فى بحر الحيل مغموس أبو الشر شومدرس الذى هو لعدوك منكس ثم انه بكى وصاح وا أبتاه وا راهباه قد حكموا المسلمين فى عقوبتك ويقعد الملك عن نصرتك ثم ان دهرشوم أعاد على الملك (منويل) حيل أبوه وما قتل من المسلمين وأهلك من الموحدين (قال) فلما سمع الملك منويل بفعال شومدرس قال ماهذا إلا رجل عظيم لايلتقى مثله إلا أن يكون الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة صاحب العقل المليح والقول الصحيح والنطق الفصيح ثم قال ياهذا قل من البكاء فعلى خلاصك وخلاص أبيك . ثم جمع أرباب مملكته وخواص دولته وقال لهم ما ترون فى هذا الأمر فقالوا وحق المسيح ما كان قعادنا عنهم فى الأول موافق ولكن فعلنا فعل غير لائق والآن فقد مضى ما مضى فارجع عن عفوك والرضا وارحل بعساكرك التى تسد الفضا وتسد المستوى وتملك عليهم الدروب فقد قتل أكثرهم ولا بقى إلا أقلهم ونحيل بينهم وان كانوا عند حصن الدولاب ملكنا الحصون على غرتهم وأحطنا عليهم على قلتهم ففى قلوبنا منهم نار لاتطفئ ولهيب لايخفى وفعالهم معنا فى الثغور لا تخفى ولولاهم كنا ملكنا سائر البلاد والثغور وهانت علينا صعاب الأمور ولم أتمنى هذا التمنى لقصر مناه لأن العدو محصور مقهور ومالم نجده نأتى اليهم ولم يبق لهم من مقدم عليهم فاكتب على أجنحة الطيور الى الأقاليم واستقدم جميع الروم من جميع البطارقة الكريم منهم واللئيم واعزم أيها الملك الرحيم فهذا زمان الفرصة فى هلاكهم (قال) فلما سمع الملك (منويل) ذلك من كلامهم قال لهم : لقد كان الرأى السديد مع القاضى عقبه لما كتب إلينا أن نمنع سيف الحنيفية من الوصول الى الأمر الزنيم لوكنا تكاثرنا عليهم لما كان نجا معه لا صغير ولا كبير وكان الاسود كما سمعنا مأسور فى حصن

العمد حقير كما قد ذكر دهرشوم وكنا قد خلصنا من جميع الهموم وما كان تقوم له قائمة أبدا اذا أشربوا شراب الردى وما كنت أعود الى مدينة القسطنطونية حتى أمضى الى بغداد وأبلغ المنى والمراد ولكن هذا كان (ياساده) ثم أمر وزيره أن يكتب إلى سائر المواضع والبلاد ويستقدم الخيل والأجناد (قال الراوى) فكتب إلى سبعة عشر إقليم وسير ذلك على أجنحة الطيور فما بات الخبر إلا فى سائر البلاد ففرحوا بذلك الأمر من حنقهم على الأمير عبد الوهاب ومن معه من أمراء بنى كلاب والسودان الأنجاب ورحلوا من كل مكان طالبين القسطنطونية والملك يدبر أمر الناس للرحيل (ياساده) فما كانت إلا أيام قلائل حتى وصل رسول الامير عبد الوهاب ومعه جماعة من بنى كلاب والسودان الأنجاب (قال الراوى) فلما مثلوا بين يديه سلموا عليه وأوصلوه كتاب الأمير عبد الوهاب يذكر البيع للحصون وطلب الهدايا والأموال والرجال فقال لهم حدثونى على ماجرى فى حصن الدولاب فأعادوا عليه كل ما كان وهم يظنون أن ذلك يعجبه لأنهم يعرفوا أنه كان بينه وبين الملك الاشميطش عداوة قديمة هو واخوته حتى ذكروا أن الأمير عبد الوهاب قتل جميع الملوك واحتوى على سائر الحصون وعلى تلك الأرض بأسرها فقال لهم الترجمان فما معكم خبر من الراهب شومدرس فقالوا نعم خليناه والأمير عبد الوهاب على نية صلبه ولكنه هرب الى بعض الرساتيق والأمير أبو محمد البطال فى طلبه (قال) فلما سمع الملك (منويل) قال انزلوا بهم فى موضع الى أن نعطيهم الجواب (قال الراوى) ثم انه لما صرفهم قال لقومه وحق المسيح لقد أردت أن أضرب رقابهم لما سمعت من جوابهم وأنا على هذه النية فقال له (مارس) أيها الملك انك سألتهم فأخبروك وماعلى الرسول إلا البلاغ فلا تخرق عادة الملوك ولا تسفك دم الرسل إذا وصلوا اليك وقدموا عليك فما هذه فعال الملوك من قبلك حتى انك تفعل ذلك (قال) فلما سمع الملك ذلك من كلام مارس سكن غضبه (قال الراوى) وفى تلك الأيام وصل خالد غلام عقبة الى حضرة الملك منويل ففرح به وقال إيش عندك من أخبار الشيخ النجيح الشيخ عقبة فقال أيها الملك انقطعت عنه أخبارك وأخبار عبد الوهاب وبنى كلاب ويقول لك لا أنت كتبت الى كتاب ولا بلغنى عنك جواب ولا عرفتنى ما جرى على المسلمين فى بلاد الحصون فلما طال انقطاع كتبك على ولم أعلم سبب ذلك ضاق صدرى وقد بلغنى أن الرشيد مريض وقد أشرف على الموت من شدة الوجع الذى هو فيه وانى دخلت على الأمير عمرو بن

عبيدالله وقلت له قدعولت الى المضى الى بيت المقدس أتعبد وعلى نذر أوفيه فقد ضاق صدرى وعيل صبرى واستوحشت للأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب وما بقى لنـا ولهم فى عينى رونق فى غيبتهم ثم انه ودع الامير عمرو وسار إلى الرقة وعطف راجعاً الى بلاد الروم وقد سبقته اليك وهو فى غداة غد يصل اليك ويقـدم عليك (قال) فلما سمع الملك منويل ذلك الـكلام خلع على خالد غلام عقبـه وقال بشرك المسيح بالخبرفهذا كان أملى أن يجمع المسيح بينى وبينه ثم انه أقام فى انتظاره فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دخلت البطارقة على الملك منويل يخبروه بقدوم عقبه حتى اذا دخل ووقعت عينه عليه قام قائما على قدميه واعتنقه وقبل يديه ثم ان عقبه أقبل على الملك وقال أيها الملك ما سبب انقطـاع كتبك عنى وأنت تعلم أنى على غاية القلق والحزن فى طلب سماع الاسود الزنيم وأن المسيح قد أهلـكه هو والبطال الرجيم وذات الهمه العاهرة التى هى سبب خراب بلاد الروم (قال) فلما سمع الملك منويل ذلك من كلام عقبه قال له اعلم أيها الشيخ النجيح اننى ما سمعت لهم خبر ولا وقعت لهم على أثر الا فى هذه الأيام وصل الى غلام من أبناء الرهبان يقال له دهرشوم بن شومدرس (يا سادة) وأعاد عليه حاله وحديثه فقال عقبه ما أريد أسمع القصة الا من دهرشوم فأتى به اليه وجعل يحدثه بحديث أبيه وما كان منه وحيله وتدبيره وحسن نفاقه وكمال أخلاقه وهو يتعجب مما قد جرى وقال مثل هذا الرجل لا يفرط فى أمره الى أن سمع بأخذ الحصون وتلك القلاع وقتل الرهبان وسبى النسوان وملك البلدان وطلب أبو محمد لشومدرس فجعل عقبه يبكى على حاله خبثا منه ولعنه ثم رفع رأسه وقال أيها الملك وحق الانجيل لابد ما يوقفك المسيح بين يديه موقف التوبيخ ويسألك على تفريطك فى أهل دينه وقعودك عن نصرتهم وأنك ترحل الى نجدتهم وتعمل على خلاصهم وعلى هلاك عدوهم وان لم تفعل ذلك قطعت الذنار وتركت دين النصرانية وعدت الى دين الحنيفية وان كان أبغض الأديان الى قلب عقبه (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبه قال يا أبونا انى قد كـتبت الى سائر الاقاليم وأعاد عليه القصة لورود الرسل فقال أرسل الساعة الى الرسل واضرب رقابهم حتى تقع لك الهيبة فى قلوبهم (قال) فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبه قال له اعلم أنى أخاف أن يقال عنى أنى قتلت الرسل قال له عقبه اعلم أنه يجب قتل الرسول اذا ورد فى الفضول وهذا ما أتى الا شامت ويطلب منك المال وأنت فى بلادك فاقتل الرسول ومن معه وادخل بنا وأنا أسير معك أدبر لك على هلاكهم فان ذلك عنى صواب

(قال الراوى) فعند ذلك أرسل الملك خلف الرسول ومن معه فقال مارس هلكوا والله القوم بهذا الشيطان والله ماتركتهم يقدرون عليهم فقال أخيه فكيف نعمل وقد مضت بطارقة الملك اليهم فقال مارس لاسبيل لهم الى ذلك فانى من أمس لما مضى رسول عقبه يبشر الملك بقدومه علمت أنه يأمر الملك بقتلهم فأرسلت اليهم فى الليل وأخذتهم إلى دارى وقد أخفيتهم وما أقدر على إخراجهم حتى أنظر ما يكون وهم فى موضع لايهتدى اليه أحد فقال دارس لله درك فوالله لقد دخلت الجنة بهذه الفعلة (ياساده) ومضت البطارقه الى دار الضيافه ليطلبوا الرسل فلم وجدوهم فسألوا البوابين فقالوا ماعندنا منهم خبر فعادوا الى الملك وأعلموه فعظم على الملك وقال لعقبه ماترى فى هذه النوبه فقال عقبه إعلم أن فى هذه الدولة من هو مسلم لا محاله لأنى قط ما أكاتبك بشىء إلا وجدته عند المسلمين من عيون اليك وهم أقرب الناس اليك ولم يتم اليك أمر ماداموا عندك فقال الملك أيها الشيخ لو علمت من هو ذلك لأوردته مورد المهالك فما الذى أفعل فقال عقبه اغلق الأبواب واحتفظ بباب الذهب واطلبهم كل الطلب وأوقع بمن عنده العطب فقال شومدرس لمارس ماتقول إذا علم الملك ذلك فقال له أقول عملت ذلك غيرة عليك حتى لايقال ورد رسول الى الملك فرط فيه وهذا غاية العار والفضيحة والشنار وإذا قلت ذلك وأبقاهم فهو المقصود وان لم نخلص على خلاصهم ماتوا بآجالهم وأنا أخرج من مالى ألف دينار اذا جن الظلام واختلط القتام أعطيناذلك لمن يساعدنا على نزولهم من الأصوار ونخرج اليهم العدد والخيل بالنهار فقال دارس هذا هوالصواب وبه تنال من الله الثواب (ياساده) وصبروا الى الليل وأخرج مارس المال وأرسل الى صعلوكين من أهل البلد مع غلمانه المسلمين وكانوا جماعة من القوم الذين هم موكلين بالأصوار من قبله لأنه قائد الجيوش فقال لهم أنا أجعل هذا لأجل غرض الملك وأنا أعلم أنه ان قتلهم ندم حيث لاينفعه الندم وأعطى لهم المال ولعب بعقولهم وأخرجهم من معقولهم فقالوا نحن نفعل ذلك وشالوا الرجال من واحد واثنين وشدوا الحبال فى أوساطهم ودلوهم من الأصوار وقالوا لهم الملتقى غدا فى القرية الخراب قرية البترك فقالوا سمعا وطاعه وأنزلوهم فى الساعه ولما أصبح الصباح أرسل لهم الخيل فلما وصلت اليهم وركبوها قالوا انجوا بنا من الموت ومن لحقنا من الروم ضربنا عنقه فاطلبوا بنا حصن يانس المتغرب فاننا لا نأمن أن يرسل الملك الينا بالحضور ولا نأمن ما لا نطيق شره ولا دفعه ثم صاروا طالبين حصن يانس وأمر الملك عند ذلك بالتفتيش عليهم وبلغ عقبة مسيرهم

عن البلد فعظم عليه وكبر لديه ودخل على الملك وأعلمه ثم قال أيها الشيخ تسير معنا
إلى هذه الديار فأنا لا أستغنى عن مشورتك المباركة وإن أردت المقام فى القسطنطونية
إلى حين عودتى فافعل وان أردت إلى ملطيه فلك ذلك فقال وحق المسيح لا رجعت
حتى أضرب رقبة عبد الوهاب وذات الهمه والبطال وأخلص صديقى وأخى شومدرس
وأنا معك (قال الراوى) فرحل الملك بالعساكر من سائر الأجناس ودخل الحصون
ووكل بكل حصن عشرة آلاف وسار حتى أشرف على حصن الدولاب وطلع الغبار
كما ذكرنا وسار بين يديه بطريق اسمه ميرون فى ألف فارس طليعة الملك ومعه علم
أخضر وصليب ذهب (يا ساده) وسبق الحديث أن سيف الحنيفية وأبو الهزاهز
ومالك ابن بشر الأقطع وعشرة من السودان ساروا وكشفوا الغبار فلما وقعت العين
على العين قال سيف الحنيفية ماذا تقولون فإن هذه الطليعة تكون ألف فارس فقال
أبو الهزاهز فان صدق حذرى فان وراءهم عسكر جرار فان كنتم تعولوا على لقاء الروم
فافعلوا فقال مالك ابن بشر الأقطع نحن عشرة وهؤلاء ألف فكيف نلقاهم والعساكر
قادمة وراهم فقال سيف الحنيفية لابد ما ألقاهم ولو يكونوا عشرة آلاف ثم انهم
حملوا على طليعة ملك الروم ونظر ميرون البطريق إلى العشرة قالوا له أصحابه تأمرنا
أن نأخذهم فقال لهم إن فعلتم ذلك استحقيتم الخلع والجزاء من الملك ويكون ظهرنا
على المسلمين فليخرج اليهم عشرة يأتونى بهم فما استتم كلامه حتى خرج عشرين بطريك
على كل جواد عتيق ولم يلبثوا حتى حملوا على العشرة ولم يعلموا أن فيهم الأسد الذى
ما كان مثله وهو سيف الحنيفيه فلما نظروا إلى هؤلاء انفردوا اليهم وحملوا عليهم
وصاح أبو الهزاهز وضرب فارس فرماه وضرب ثانى أرداه وضرب آخر فنزل
السيف إلى قربوص السرج وضرب آخر أرماه الى الأرض وضرب مالك آخر فى
صدره طلع السيف يلمع من ظهره وثنوا المضارب فما تركوا منهم هارب فلما نظر
البطريك إلى ما حل بأصحابه عظم عليه وكبر لديه وصاح بالبطارقه الذين حواليه فحملت
على المسلمين منهم خمسين فارس بالسيوف الرفاق والخيول العتاق والحراب الرشاق
وقام الحرب بينهم على ساق فما كانت إلا ساعة حتى شربت الخمسون كاس المنون
فقال ميرون كيف ترون هؤلاء يخطفون الأرواح من الأشباح فدونكم وإياهم نخرج
اليهم مائة فارس فقالوا هؤلاء مائة ونحن عشرة فلينفرد منا كل واحد لعشرة فقال
سيف الحنيفية ما فينا إلا من يجول مع خصمه فكونوا أنتم العشرة لخمسين وأنا
وحدى لخمسين ولكن عندى رأى كأنك ما جربتنى فى حرب ولا رأيتنى فى موقف

الطعن حتى تقولوا انفردوا أنتم لخمسين وأنا وحدى لخمسين ولكن عندى رأى فقالوا وما هو ياسيف الحنيفية فقال يا أمير أبو الهزاهز ننفرد أنا وأنت لهؤلاء المائة وهؤلاء واقفون يتفرجون ويرون العجب إن شاء الله تعالى (قال) فلما سمع سيف الحنيفية من أبو الهزاهز ذلك فرح وقال اذا كان الامر على ما عولت فأنا وأنت نقسم المائة حتى يفرغوا فى ساعة واحدة فقال مالك على شرط أنكم تشركونا معكم فى الثواب (يا سادة) ووصلت المائة فارس وحمل سيف الحنيفية وتبعه أبو الهزاهز مثل الفيل الهائل المنظر والزبد من أشداقه قد ظهر وأبو الهزاهز وسيف الحنيفية أوقعا بالمائة البليه وأبادا الرجال وأفنيا الابطال وما كانت الا ساعة ورؤسهم بلاعاصم وأبدانهم بلا جماجم وأكفهم بلا معاصم (يا سادة) فنظر ميرون الى فارسين انفردوا الى مائة فارس ما فى الروم مثلهم وأسرعوا فى قتلهم وأفجعوا فيهم أهلهم فقال لاصحابه أما تنظروا هذه الرزية وما وقعنا فيه من البليه وما أخوفنى أن تنفضح عند ملك الروم وسائر النصرانيه فاحملوا عليهم بالكلية فعند ذلك حملوا بأجمعهم على الاميرين وكانوا ثمانمائة فارس وعشرين فارس واشتعلت نار الحرب واختلف الطعن والضرب وتطايرت جماجم الابطال وعملت النصال فى رقاب الرجال واختطفوا الارواح من الاشباح وعملت الصفاح وخرست الالسن الفصاح ونادى سيف الحنيفية يا لئام الارواح هذا وأبو الهزاهز كالجمل الهائج فى الفرح والمراح وطاب لمالك ابن بشر الاقطع الكفار فكم من رأس قد طاح وكم من دم قد ساح وعملت الصفاح وخرست الالسن الفصاح ومرت عليهم السحائب فى طلب الموت هذا والصياح قد ارتفع حتى ارتفع النهار واذا بصائح من وسط المعمعه وهو يكبر فنظروا اليه الفرسان واذا هو سيف الحنيفية وكان قد التقى بميرون وجرى بينهما صياح كالرعد القاصف وضربه ضربة شجاع غير خائف وقال فى عقب ضربته خذها وأنا عبد الملك الفرد الصمد الذى ليس له قبل ولا بعد فنزل السيف الى رأسه شقه الى سرجه ونظروا الروم الى تلك الضربة فولوا على وجوههم هاربين وقتل عالم عظيم كثير ولم يفقد من عسكر الامير لا كبير ولا صغير ولم تكن الا ساعة حتى انكشفت عند ذلك الكتائب وظهرت المواكب وبان الصليب الاخضر الجوهر فعرفه سيف الحنيفية وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا والله كلب الروم قد غدر الملعون ومسك الدروب علينا وما لنا الى الخروج من سبيل ان لم يدبرنا الملك الجليل ثم نادى معاشر المسلمين قد لقينا هؤلاء ظفرنا الله بهم فعودوا بنا للأمير عبد الوهاب نخبره بهذا الامر والمصاب

ثم أخذوا الخيل والأسلاب ورجعوا الى حصن الدولاب ووصلوا للأمير وأخبروه بالامور والأسباب فأقبل على الاميره ذات الهمة وأصحابه وقال كيف ترون هذه النوبة العظيمة وهذه العساكر القادمة فقالت الاميره ذات الهمة لو كنا ما كاتبناه ما كان علم إلا وقد خرجنا من هذه المضايق التى ضاقت صدورنا فيها فقال الامير عبد الوهاب كنت أعلم أن عقبة لابد يكتب لملك الروم حتى يطلبنا فى هذه الأرض ويمسك علينا الطرقات طولا وعرض وهذا والله عسكر عظيم وحرث فى غدر هذا الملعون ومجيئه إلينا فقال أبو محمد ما أتى ملك الروم إلا لأمر عظيم إما يكون بعض الاسارى الذين فى الحصون هرب والى القسطنطونية دخل للملك منويل فبكى وانتحب وأخبره ملك الروم أن ملوك هذه الديار قتلت وأموالها نهبت وشومدرس انصلب وهو الذى سير ملك الروم الينا وإما أن عقبة لما أبطأ خبرنا عليه قلق ولم يجد صبر وأظهر لأهل ملطيه أنه يسير الى الحجاز أو الى بيت المقدس وعطف الى بلاد الروم وأشار على الملك بمجيئه إلينا وقال له المسلمين خمسة وأربعين ألف وقتل نحو عشرة آلاف رحل فارحل أنت لهم بكل من فى بلاد الروم واذا ملكتهم فما بقى فى الدنيا مقاوم ولا ملاوم وقبل من عقبه وسار الينا وأقل مادخل فى ثمانمائة ألف وهذا مالاطاقة لنا به فقال الأمير عبد الوهاب لانقطع قلوب المسلمين ولو كنت فى مائة فارس ما كان إلا لقاهم وأضرب بسيفى أقصاهم وأدناهم فقالت الاميره ذات الهمة لله درك كلما كثرت الغنم قرت عين الذئب والله سبحانه وتعالى مدح القلة وذم الكثرة من المشركين (ياساده) فهم فى الكلام وإذا بالبيارق قد ظهرت والصوارم قد اشتهرت والكتائب طلعت والمروج ضاقت بهم السهول والجبال وأشهروا السيوف الصقال والرماح والنبال والاصوات ارتفعت والخيام ضربت والسرادقات قد ملأت البيدا وضاقت بهم الدنيا ولم يبصر ملك الروم قط مثل هذه الرتبة والزينة وهو فى هذا التجمل العظيم فقال الامير لقومه خذوا أهبتكم لغزوات عدوكم قاتلوا بنفوسكم التى بعتموها لله تعالى لتفوزوا بجنات النعيم فان ملك الروم لايتعرض اليوم لقتال ولابد له من الراحة فاتركوا شومدرس حتى نبصر ما يكون فاذا أسر أحد يعز علينا فدينا به خير من قتله (ياساده) فأنزلوا شومدرس وهو يضحك وقال لأبو محمد ماقلت لك يأتى فى العرضيات مالم يكن فى الحساب فقال له البطال ياشيخ السوء أنت تحسب أنك تنجو من يدى بقدوم هؤلاء فلابد من قتلك ونحن مانسلم نفوسنا أبدا حتى نشرب كاس الردى ولكن لابد

والله من ضربك فانى أكلت وأشتهى أن أهضم أكلى بضربك ثم انه مده وضربه حتى وقع لحم أكتافه وضربه على صدره حتى غاب عن الدنيا وخاف أن يموت فأمسك عنه وأضرمت النيران وتحارس الفريقان وارتفع الدخان وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح واشتاقت الرجال للضرب بالصفاح فى مقام الكفاح وركب الامير عبد الوهاب فى سائر بنى كلاب والسودان الأنجاب وقال الأمير والله وقعنا فى أمر عظيم وأكثر الأبطال فى الحصون مثل مالك بن طوق وسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر وهياج الكردى وسملق ومن معهم ولو كانوا عندنا سند فقالت الاميره ذات الهمة يابنى أنت وراك مثل هذا الحصن فان رأينا طمع وإلا رجعنا إلى حصننا ولانبالى بهم فقال الأمير فما فى هذه النوبة إلا الذى قلت ثم انه صف المسلمين وجعلهم ميمنة وميسرة ووقف الأمير أبو الهزاهز فى وسط الجيش وسيف الحنيفية انفرد فى جماعة من الجيش مقدار خمسة آلاف ورتبهم ميمنة وميسرة وقلب وجناحين فجعل فى الميمنة مالك بن بشر الأقطع وفى الميسرة صالح بن مسرور الكلابى ووقف بنفسه فى القلب وأرسل للأمير عبد الوهاب يقول إما أن تتولى اليوم بنفسك وبعسكرك وإما أن أتولاه بنفسى وعسكرى وترى العجب إن شاء الله تعالى فقالت الأميره ياولدى ماهذا وقت ينقسم فيه العسكر قسمين ولا نقاتل فى يومين وانهم أحدقوا بنا وكنا نقاتلهم بعسكر العراق وعسكر الجزائر وعرب الشام والحجاز ونحن اليوم فى قلة وهو فى ثمانمائة ألف سوى من جاء معهم فى طلب الجهاد وسوف ينضاف لهم كل من فى هذه الأقاليم والجبال من المنهزمين وهم عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى ومافى الأمر إلا اننا نخاطر بنفوسنا ونكون على خطر ونحن بينهم كالسفينة فى البحر الزاخر الذى ليس له أول من آخر قال فلما سمع سيف الحنيفية ذلك من أبيه قال إن كان كما ذكرت والحال على ماوصفت فأنا أبلغك ماتريد ويكون اليوم لى ولابد لى من ذلك ولاتتعب أنت نفسك ولاتغم قلبك ولاتشغل قلوب من معك من العسكر فأنا أحمل عليهم اليوم فى هذه الخمسة آلاف الذين معى واذا كان فى غداة غد ووقعت النوبة عليك افعل ماتريد ثم انى أحمل تحت راياتك وعسكرى معك وقصدى بذلك اذا نظرت المشركين انى قد انفردت الى جمعهم الكثير وعددهم الغزير فى خمسة آلاف فارس فذلك مما يلقى فى قلوبهم الهيبة والثانى أنى أريد أخلع ثياب الخوف والفزع فى سبيل الله تعالى والثالث أحمل عن قلبك الأثقال وأتولى عنك الحرب والقتال ولابد لى أن أكون اليوم صاحب الحرب وحدى أنا وجندى فلاتخيب قصدى فهو فى الكلام مع ولده واذا قد دخل بعض غلمانه يخبره بقدوم أحمد الشمشاطى

الجاسوس وكان قد خلاه فى حصن يانس يطالعه بالأخبار فلما وصل اليه وقدم عليه فرح به حتى يأخذ منه الأخبار ويوقفه على حقيقة الحال فقال له ماحالك يامبارك فقال إعلم يامولاى أن سبب هذه العساكر التى قد وصلت اليك أن الرسول الذى قدأنفذته إلى القسطنطونية أراد ملك الروم أن يقتله هو وأصحابه برأى عقبة ثم أخبره أن ماخلصه إلا مارس وأخيه دارس وجهزهم الى حصن يانس وأن دهرشوم ابن شومدرس حضر عند الملك منويل وشكى اليه ماجرى على الحصون وعلى الأهل والاقربون وماجرى على أبيه وهوالذى جهز ملك الروم هو وعقبة إليكم حتى ساروا نحوكم عند ذلك شكر الأمير مارس وأخيه دارس وقال أراد الملعون قتل الرسول وماجرت عادة الملوك بقتل الرسول فقال أحمد يامولاى ما حرضه على ذلك إلا عقبة فلما سمع الامير عبد الوهاب بذكر عقبة تغير لونه وقال كيف وصل عقبة اليه فقال سارالى القسطنطونية وهوالذى حرضه على المسير إليكم وإقدامه عليكم فى هذه الأمم التى لاتحصى وأيضا فان الكندفرون ملك الإفرنج ماوصل اليه لأنه كان غضبان عليه وقد مضى اليه كتاب عقبة وهو يأمره بالرضا والمصالحة ويقول له : وحق المسيح إن لم تحضر فى هذه النوبة لأخرجنك من دين النصرانية فلما وصل اليه الكتاب لم يقدر على مخالفته وقد رحل من بلاد الافرنج فى مائة ألف فارس وفى غداة غد يصل الى ملك الروم وأما عقبة فهاهو فى العسكر وله خيمة مضروبة الى جانب خيمته وماأتى إلا طمعاً فى خلاص شومدرس حتى يكون له مساعد على الاسلام ومعاضد له فى الشهور والأعوام فلما سمع الأمير ذلك حمل هماً عظيما من حضور عقبة وقال والله ليفتحن علينا بابا ميشوم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم متى يكون فرجى من هذا الملعون إن مضيت الى الحجاز فهو معى وان دخلت الى بلاد الروم فهو معى فقال أبو محمد لا تحزن فأنا الليلة أكفيك شره ولابد أن أصلب الاثنين عقبة وشومدرس ودع يجرى مايجرى ثم إنه لبس ثياب بعض الروم من بطارقة الحصن وقال للأمير عبد الوهاب اذا انسدل الظلام انتظرنى وأما الأميرسيف الحنيفية فقد ذكرنا انه عول على لقاء عسكر الروم وأما ملك الروم فانه لما نظر الى قلة عسكر المسلمين قال لايخرج اليهم إلا ملك من الملوك كل يوم بالنوبة فقال عقبه إيش هذا التدبير لأنك تعلم أن ميرون كان فى الطلائع ومعه ألف فارس وفعلوا بهم تلك الفعال ونكلوا بهم غاية النكال ولاقوا منهم الأهوال فلماسمع الملك ذلك من كلامه قال له اعلم انى ما أفعل إلا برأيك ولا أدخل فى أمر إلا بمشورتك وتدبيرك فقل ما أنت قائل فقولك المسموع ورأيك الممتثل المتبوع فقال عقبة إذا

أنت جعلت الأمر لى تركب اليهم هؤلاء الأربع ملوك فى أربعمائة ألف ويحملون عليهم حملة رجل واحد ولا يأخذون أسير بل يقتلون الكبير والصغير فقال الملك منويل السمع والطاعة ثم انه دعى بملك الدوقس وملك الانجبار وملك البنجاك وملك اللان وملك البرغل وتجهزوا فى أربعمائة ألف فارس وقال لهم الملك منويل أريدكم اليوم تكفونى مؤنة هذا العسكر الذى للمسلمين فقالوا سمعا وطاعة أيها الملك ولو أمرت الى واحد منا كفاك هذا الشغل ثم انهم ترتبوا صفا صفا وأقبلوا الى المسلمين زحفا فنظروا المسلمون الى الدنيا وقد انقلبت وقد أقبلت البطارقة كسد من الحديد ولمعت البيض على أبدان الفرسان الصناديد وبريق السيوف قد لمع قريب وبعيد والأعلام قد رفعت والرجال قد تبادرت واندفعت عند ذلك قال الامير عبد الوهاب لولده سيف الحنيفية إذا كان ولابد من ذلك فدعنى أتوسط الجمع وأخوض النقع وأقمع البطارقة بحسامى قمع ثم انه نادى الله أكبر فحملت الخمسة آلاف وحمل مالك بن بشر وهو يقول :

كروا بنا يامعشر الإخوان ... فى ساحة البيداء والميدان
وموقف الضرب مع الطعان ... فى طاعة المهيمن المنان
لاتجزعوا من كثرة الفرسان ... وقاتلوا اليوم بلا توانى
هذا مقام الدين والإيمان ... هذا الجهاد وعهدة الانسان
أين رجال الحق والبيان ... نسل كلاب وعصبة السودان
فى طاعة المهيمن الرحمن ... الواحد الذى ليس له من ثانى

(قال الراوى) ثم حمل كأنه الأسد وحمل الامير سيف الحنيفية وهو يقول :

نحن رجال الحرب يوم الحرب ... نفلق للهام يوم الضرب
لاننثنى عن موقف للخطب ... عند الجنان فى مقام الرب
نجاهد فى الكفار يوم الكرب ... بسمهريات وسيف عضب

(قال الراوى) ثم حمل وصاح وزجر وهدر وغاص فى العسكر وانطبقوا عليهم الكفرة حتى كانوا فى أوساطهم كالشامة البيضاء فى الثور الأسود وكانوا فى تلك الساعة أربعمائة ألف وهؤلاء خمسة آلاف وقد ضجوا بالتوحيد بذكر الملك المجيد وقالوا : إلهنا ما أعظمك وأحلمك اللهم انصرنا وأنت خير الناصرين وارحمنا وأنت خير الراحمين ونظر الامير عبد الوهاب الى ولده وحشاشة كبده فلم يصبر دون أن حمل فعند ذلك كبرت الاميره وحملت وأيضا حملت بنو كلاب والسودان الأنجاب فى ثلاثين ألف فارس من كل بطل بمداعس ما بين رامح وتارس

يريدون حرب أهل النصرانية جمعاء وهم ينادون بكلمة الفلاح ويلقون بصدورهم أسنة الرماح وعلم السعادة عليهم قد لاح وقد هانت عليهم نفوسهم وسلموها الى قدوسهم ولم يزالوا يخرقون المعمعة حتى وصلوا الى سيف الحنيفية وأصحابه وقد صارت الأرض من حولهم ريانة بالدماء ملآنة من القتلى وقد أوثقوا الروم طعنا وضربا وفرقوهم شرقا وغربا هنالك هدرت الأصوات وعظمت الزعقات ودارت النكبات ولعبت الخيل برؤوس السادات وعملت القواضب المشرفيات وافترستهم السباع الضاريات وزعقت بوقات الفريقين ونشرت الرايات ولم تسمع منهم إلا أصوات المرهفيات والدبابيس الذهبيات ونظر عقبة الى عسكر المسلمين وقد ثبت لهذا الجمع الكثير فكادت مرارته أن تنفطر ثم ادعى بملك المغلبيط فى مائة ألف فارس وأمره بالحملة عليهم وأن يطلب باب الحصن وأمرهم أن يزحفوا بالسلالم والنقابين وغير ذلك وقال لهم مابقى فى الحصن من يدفع عنه أكثر من عشرة أو عشرين فان قدرتم عليه فهو المراد واذا لم تقدروا عليه فأنتم تشغلوا قلوبهم عن القتال وتمنعوهم عن النضال ثم التفت الى ملك الروم وقال له : طب نفساً وقر عينا فلابد مانأخذ الاسود الزنيم والبطال الشيطان الرجيم ونصلبهم على حصن الدولاب ونضرب رقاب السودان وبنى كلاب فشكره الملك على ذلك وقال هذا بتدبيرك أيها الشيخ النجيح وحجة المسيح هذا وقد حمل ملك المغلبيط فى تلك الساعة بالعسكر العظيم وما كان فى الروم أقوى منه ولم يزل إلى أن وصل الى باب الحصن ولم يكن فيه إلا كما ذكر الملعون عقبة عشرون فارس . هذا والامير عبد الوهاب فى وسط المعمعة وماعنده من ذلك خبر وقد طلع عليهم الغبار وغشى الوجوه والأبصار وزحف ملك المغلبيط الى باب الحصن والحصون ما يمسكوها إلا الرجال وطلعت الرجال فوق برج الباب ورموا بالأحجار وقد دهمتهم الكفار ووصلوا الى باب الحصن وضربوا جوانبه بالمناقب والمعاول وأرسل عقبة إليهم يقول اضربوه بالنار حتى تحمر الأحجار ويحمى الحديد والمسمار ففعلوا ذلك وأخذت النار فى المسامير فاحترقت الأخشاب وأيقن كل من فيه بالهلاك والذهاب فرفعوا أصواتهم يستغيثون بالأمير عبدالوهاب فأنموا صراخهم حتى سمع الامير كلامهم وصياحهم فقال لأصحابه اعلموا أن الحصن لاشك قد وصلوا اليه فقالوا وماعسى أن نفعل ونحن فى هذه العساكر فقال يخرج منكم من يطلب باب الحصن ويأتينا بالخبر فقالوا ما لنا الى ذلك من سبيل وقد أحدق بنا هذا الخلق الذين لايحصى لهم عدد فبينما هم كذلك واذا بالاميره قد أقبلت اليهم فى وسط

المعمعة وسيفها يقطر دما وقالت يابنى قد سمعت قومنا ينادون ولاشك أنهم أصحابنا الذين فى الحصن وقد قصدوا اليهم الروم وما عندهم إلا الأمير ابراهيم وهو ضيف والاميره علوى وعشرون من صعاليك بنى كلاب فقال وكيف الوصول اليهم وقد أحدق بنا هذا العالم العظيم والعسكر الغزير الجسيم فقالت الاميره أنا أمضى اليهم وأما أنت فلا تقصر عن القتال فهو معها فى الكلام واذا بسيف الحنيفية قد أقبل وهو يهدر وقد تثلم سيفه من قمم الرجال وقتل الأبطال وكان معه أبو الهزاهز فعاد عليه الأمير الحديث واذا قد أشرف عليهم مالك بن بشر وراشد بن ضمرة وطارق الحجازى فلما اجتمعوا قال سيف الحنيفية انى أرى ستة أعلام قد دارت بنا على كل علم صليب وتحته ملك من الملوك ولابد لكم من الرأى قالوا وماهو فقال نحن ستة أنا وأبى وجدتى وأبو الهزاهز ومالك وطارق الحجازى يقصد كل واحد علم ويطلب الملك الذى تحته فان ظفرنا بهم انكسر العسكر وانهزم بين أيدينا لامحالة لأن العسكر بالقدم فاذا انهزم تبعته سائر الأمم فقالت الأميره أنا لصاحب العلم الأحمر والصليب الجوهر وقال أبو الهزاهز وأنا لصاحب العلم الأصفر فقال سيف الحنيفية وأنا لصاحب العلم الزمردى والصليب العسجدى فقال طارق وأنا لصاحب العلم الأزرق والصليب المشرق فقال مالك وأنا لصاحب العلم الأبيض والصليب المفضض عند ذلك قال الامير عبد الوهاب : احملوا بارك الله فيكم وكل واحد يطلب خصمه ومن لا يوفى بما قال وإلا فهو بطال فعند ذلك حملت الرجال وتناحت الأبطال ودعسوا فى الروم كأنهم الجمال وتبادرت الاسود المعروفة الى الستة الموصوفه وكان أول من كبر وحمل الامير عبد الوهاب أو ضرب ملك البنجاك فأورده مورد الهلاك وصاح : الله أكبر فكبرت الاميره ذات الهمة وضربت ملك الدوقس بالسيف على عاتقه طلع من علائقه فكبر سيف الحنيفية وضرب ملك الأرمن بعامود كان معه فى كفه فطحن ضراسه وكبر من بعده أبو الهزاهز وحمل على ملك الانجار وضربه على عاتقه جندله وكبر فجاوبه مالك بن بشر وضرب ملك البرغل على صدره أطلع السيف من خرزة ظهره وكبر بعده طارق الحجازى وقد ضرب ملك اللان على جانبه الأيمن أطلع السيف من الجانب الأيسر عند ذلك صاحت الروم عند قتل ملوكها ووقعوا على الركب ونادوا بالويل والحرب وأيقنوا بالعطب وصاحت بهم السودان من كل مكان وولت العساكر منهزمين وعلى قتل ملوكها الطغاة البغاة نادمين ولولا ملك الروم بين أيديهم فى تلك الساعة الهائلة لما كانوا وقفوا فعند ذلك طلب الاميرعبده

الوهاب باب الحصن هو ومن معه من الرجال ونظر ملك المغلبيط الى ذلك وقد قتلت الستة ملوك ووصلت اليه كتائب الموحدين وعسكر المسلمين وكان قد أشرف على أخذ الحصن فلم يكن له غير الهرب فولى منهزم وتبعه عسكره فلقيه عسكر الأمير عبدالوهاب بقلب أقوى من الصخر فقتل منهم مالا يقع عليه عدد وكانت ساعة مذكورة ونوبة مشهورة وطلعت كتائب المسلمين إلى الحصن وهي مؤيدة منصورة وفى تلك الساعة طلع من خلف عسكر الأمير غبار حتى ملا الاقطار وكان ذلك العسكر عسكر الكندفرون ملك الافرنج وهو فى مائة ألف فارس وهم أشد الروم مراس وأقوى أساس وليس فى أعينهم من أحد شيء لأنهم لايخافون الموت ولا يخشون الفوت فقويت قلوب الروم بهؤلاء وأمسى المساء وأضرمت النيران وتحارس الفريقان هذا والملك منويل متفكر فى قتل الملوك ثم إنه استدعى بالروم من سائر الاجناس الذى قتلت ملوكها وأعطى لكل واحد موضعه وخلع عليه وأوعده بكل جميل هذا والامير عبد الوهاب قد جمع أهل الحصن وهم مستبشرين بما قد أعطاهم الله من النصر والظفر وقالوا نرجوا من الله عز وجل أن يفرحنا بسلامة الأمير أبو محمد وإنه مضى إلى هذا العسكر العظيم وفيه مثل عقبة الشيطان الرجيم وما نأمن من غائلته وشره ومكره فقالت الاميرة والله لقد قدم على أمر عظيم وخطب جسيم ولكن قد سلفت له بذلك سوابق كثيرة وما نرى فيه الا الفرح والمسره ومع ذلك فإنه قد أوصانى قبل مضيه وقال لى اذا أظلم الليل انتظرنى فأبصر الآن من يقف له على الطريق فانا لا نأمن من أن يطلبه من الروم طالب فقال سيف الحنيفية أنا أمضى فمن يكون رفيقى فقال أبو الهزاهز أنا وكذلك قال طارق الحجازى وفتح لهم باب الحصن وساروا حتى أبعدوا عنه وقربوا من عسكر الروم وهم منتظرين خبر البطال وقد غلق باب الحصن خلفهم فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه لما أن دخل إلى عسكر الروم فى زى بطريق من بطارقة الحصون وجعل يمشى بين الخيام حتى قارب خيام الملك منويل وقد جرت عليهم تلك الكسرة ووصل الكندفرون ملك الافرنج فبينما أبو محمد كذلك اذ خرج عقبه من خيمته وجعل يحلق عينه إلى البطال ساعه زمانية ثم إنه مشى نحوه كأنه الشيطان فأيقن أبو محمد بالعطب ولم يجد له سبيل الى الهرب فلما وصل اليه شقر أبو محمد فى عينه اليمنى وشفر الشمال وكانت عليه لحية كبيرة قد نثرها على صدره (ياساده) فلم يعرفه عقبة وقال له من أنت فقال له أبو محمد أنا من حصن العمد وجعل عند ذلك يحدثه بأمر أصحابه وأهله وقومه فقال له عقبة أبشر

فان طول المسيح فى عمرى ماتركت على وجه الأرض مسلم ورجع الى الملك وقال له
أريد أن أسير صحبة دهر شوم لأجل أن نعمل الحيلة فى خلاص الراهب شومدرس
ونأخذ معنا أربعين بطريق فقال الملك افعل ماتريد أيها الشيخ النجيح أعانك المسيح
ودعا بالطعام فأحضروا له من سائر الألوان فقعد عقبة يأكل أطيبها ويضحك فقال له
الملك فى أى شىء تضحك فقال أضحك من قلة عقول المسلمين حيث يمتنعون من
أكل لحم الخنزير وهو أطيب اللحوم وألذ الشحوم ولما انتهى من أكل الطعام شرب
ثلاثة أقداح خمر ثم ان الملعون جعل ينتخب البطارقة الذين يسيرون معه واحد بعد
واحد حتى استكملوا أربعين بطريق وفى جملتهم البطال وقد طار عقله من الفرح وقال
لعل الله أن يمكننى من هذا الشيطان عادم الصلبان وأجمع بين أعورين فى مكان وهو
عقبة وشومدرس القرنان ثم إنه سار فى جملتهم وتقدم دهر شوم بين أيهم وهو يقول
للقاضى عقبة إن أمى شوما تركتها على بقية الحصون تأخذها وهى عجوز مباركة ولها
تدبير صائب وما يخلف أبى غيرها وما شك فى معرفتها لأنها ضلع ذلك الشيخ الصالح
شومدرس ثم ساروا يطلبون الحصن وأبو محمد كلما رأى عقبة بين يديه يفرح وما
صدق أنه سار معه ولم يزالوا كذلك حتى التقوا بثلاثة أشباح وصلوا اليهم وصاحوا
عليهم فعدل لهم البطال فى ظلام الليل ثم ان أبو محمد تحققهم فعرفهم فقال لهم سيروا
معنا ولا تتكلموا وأبشروا فهذا عقبة وأعاد عليهم القصة فقالوا نحن نحمل عليهم
نأخذهم فقال ما هذا صواب فقالوا ولم ذلك فقال لأنكم بالقرب من عسكر الروم وان
صاحوا صوتا واحدا ركب اليكم مائة بطريق وهم سائرين اليكم وحدهم بلا تعويق
(قال الراوى) ياساده ياكرام وكانوا هؤلاء الثلاثة سيف الحنيفية وأبو الهزاهز
وطارق الحجازى وكان عقبة قال للبطال أيها البطريق من هؤلاء قال يامولاى هؤلاء
بطارقة الملك يدورون بالليل وهم قرقيش وناقيش ومقلاطيس قال عقبة خذهم معنا
فى الحال اختلطوا بهم فقال لهم البطال سيروا ولا تتكلموا حتى نبصر الموضع الذى
يطلعون منه ونسده عنا ونأمن من جانبه فقالوا اه رأيت والرأى سديد ثم إنهم ساروا
معهم إلى البستان من جانب حصن الدولاب وقصد بهم الملعون دهر شوم وهو فرحان
مسرور وعبر من جانب البستان وإذا بباب حجر صغير مدفون بعضه فى الأرض وكان
هذا باب سر القلعة كان الملك الأشميطش اذا أراد يتفرج فى البستان فى أيام الفاكهة
والرمان يدخل الى هذا المكان ويخلوا مع جواره وأهله وكان الملعون دهر شوم عارفا
به فلما وصل اليه أمرهم أن يحفروا عليه ففعلوا ذلك فبان لهم قناطر معقودة ودهاليز

ممدودة فدخل بهم دهرشوم وعقبه وراء البطارقة وهو يقول أدخل معكم الى الحصن ولكن أقف لكم عند باب السرداب حتى تأتوا بالشيخ الكبير والراهب النحرير صاحب البراهين والمناقب شومدرس الراهب وحق المسيح إنى آخذه معى الى ملطيه لأنى بعد هلاك الأسود الزنيم وأصحابه لا أدع لا رضيع ولافطيم وأقيم أنا وإياه ندبر على أخذ العراق وسائر الآفاق فقد جعله المسيح أنيس ونعم الجليس فقال دهرشوم وحق المسيح لقد كان يسمع أخبارك بأنك تقاسى من المسلمين أمر عظيم فى ديارهم وكان يتمنى لقاك فادخلوا ولا تفزعوا من السودان فانى عارف بهذا المكان والليلة أسلم لكم الحصن فقال عقبه اعلم ياولدى أن هؤلاء الأمراء ما داموا لو طلع كل من فى الأرض قتلوهم وبالأخص هذا الابن ألف زانيه سيف الحنيفية وحق المسيح لقد دبرت عليه فى ملطيه كذا وكذا مره فما يمكننى المسيح منه ومن ذلك الأسود أبو الهزاهز فلا بد لى ما أعدمه الحياه وكذلك ذات الهمه وعبد الوهاب فعندها قال سيف الحنيفيه لأبو محمد وهو واقف بجانبه ماتسمع هذا الملعون الذى ذكرنى بأنى ولد زنا وأنا الساعة أتعلق بذقنه وألطمه حتى يسيل دمه ودهنه منه أنفه وأذنه فقال أبو محمد البطال هذا الامر بين يديك فما يفوتك فلا تعجل حتى نبصر ما يكون وما نعمل وأن نصعد أجمل (قال الراوى) وان دهرشوم أخذ البطارقه وصعد الى البيت الذى فيه شومدرس مسجون فلما أحس بهم ظن أنه البطال جاء يعاقبه فقال يا أبو محمد ويلك كم تضربنى وتعاقبنى فلم بقى لى جسم يقدر على الضرب فأجابوه البطارقه أسكت جاءك الفرج ثم تقدم اليه ولده وفك قيده فأيقن بالخلاص ووثب قائما على قدميه وقال لولده كيف وصلت الى هاهنا فأعاد عليه القصة وأعلمه أن الملك منويل قد جاء من القسطنطونيه بتدبيره ففرح وباس الأرض وقال انزل بنا من هذا المكان هذا والبطارقه تقبل يديه ورجليه (ياساده) فهذا جرى وأما سيف الحنيفية وأصحابه وقوف على رأس المكان وهم يقولون لانصعد حتى يخلص شومدرس وهو يقول قد صعد من فيه الكفاية فكان أول من صعد عقبه القرنان فقبض سيف الحنيفية على قوائمه ورفعه على يديه وقال اصعد ثكلتك أمك وعدموك قومك ما أشرك ياشيخ السوء تلحقنا من مكان الى مكان ومن بلد الى بلد وتسمع كلام دهرشوم فاذا صفعتك صفع جيد فمن تلوم فقال اعلم يابنى أنا مشتاق اليك فبادره أبو الهزاهز وقال مرحبا بمن جاء من ملطيه يعمل بنا كل رزيه ثم لطمه على رأسه كاد أن يطير أضراسه هذا وعقبه قد حار وذهل عقله وما كانت إلا لحظة حتى خلصوا شومدرس وهم طالبين السودان

وإذا بأبو الهزاهز قد سد الباب والى جانبه سيف الحنيفية وقد أوثق عقبه كتاف بعمامته ثم صاح بالبطارقه هذا وعقبه وشومدرس قد سمع كلامهم فعرفهم فوسخ فى أثيابه هذا وقد صاح أبو الهزاهز صوتا كأنه الرعد القاصف فسمع عبد الوهاب صوته فوثب قائما على قدميه وقصد نحو المكان وقد أوقد الشموع والمشاعل ووصل إلى باب السرادق وقد صاح فى بنى كلاب فلم تكن إلا ساعة حتى أخذوا الأربعين وعقبه وشومدرس ودهرشوم فلما رأى الأمير عبد الوهاب الى عقبه بصق فى لحيته ووجهه وقال له ياماعون الى متى هذه العداوة وأنت داير ورانا فى كل مكان ودائما تطلبنا وتريد هلا كنا والله تعالى أكرم من أن يمكنك منا ثم أنه لطمه وتولى ضربه الامير أبو محمد البطال وأبو الهزاهز ومازالوا يضربوه الى أن كاد أن يقضى عليه ثم قال على بدهرشوم فقال مالى ذنب يامولاى فقال أبو محمد الذنب كله منك لأنك صرت تملك الحصون وتعمل على خلاص أبوك الملعون ثم أنه ضربه الى أن ظن أنه قدمات ثم قال على بشومدرس فقال والله مالى ذنب أنا كنت مسجون عندك فقال والله الشركاء منك وأنت كنت السبب هذه القضيه وأنت رأس كل بليه (قال الراوى) وفرح الأمير بأخذ عقبه أكثر من أخذ الحصون وقال الحمد لله على هذه النعمة التى لم تترك علينا شيئا يؤذينا قال ثم ان عقبه أفاق مما هو فيه فقالت له الأميره ما كفاك ياملعون تعمل بنا فى ملطيه حتى أنك تتبعنا الى هذه الديار القصية فقال لها أيتها الأميره وحق من فلق الحبة وبرأ النسمه وتردى بالعظمه ما دخلت الى هذه الديار إلا شوقا اليكم لأن ملطيه ضاقت على بعدكم فلم أقدر أقيم فيها وكنت أسمع أخباركم ومالى عين أنظر بها الى دياركم لأن الأوطان بالسكان وكنت أتمنى إذا ورد أحدا من ديار الروم أود أننى أفديه بنفسى لعل أن يكون معه خبرا منكم يخبر بسلامتكم وإذا لم أجد أحدا عنده خبر أبقى مهموم ومفكر وأتذكر أيام الجاهلية وما جرى من الضلالة وكل ذلك كان مكائده لأبو محمد البطال ومع ذلك ما كان اعتقادى إلا صحيح ولقد خشيت والعياذ بالله أن يكون قد جرى عليكم شىء من الأمور وما تحللت منكم مما جرى منى اليكم فى هذه الدنيا الغدارة وأكون شقيا بكم فى الآخرة فقالت الأميرة ذات الهمة والله كذبت ياملعون فلابد لنا من صلبك حتى نرى الخليفة مايصنع من أمرك (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب أمر بثلاث خشبات فأحضروا فى الحال ونصبوا وأمر بشومدرس فشل على جزع وولده عن يمينه وعقبه عن يساره مصلوبين وأمر أن يرشقوا بالنبال والسهام ليذيقهم طعم الحمام (ياساده) وإذا

بغبرة قد طلعت وعجاجه قد ظهرت وارتفعت والغبرة قد أظلت على الآفاق وأظلم الجو من تكاثر الغبار وتفرقت لها الوحوش فى الآفاق وغابت الطيور فى الاوكار (قال الراوى) ياساده ياكرام وانكشفت الغبرة عن عشرة آلاف بطريق بكل ترس وثيق وسيف رقيق وعلى المقدمة شوما أم دهرشوم وأمامهم أربعمائة رجل من المسلمين موثوقين وهم بالصياح صارخين وبأيديهم إلى عسكر المسلمين مشيرين وفى أوائلهم الامير ضيغم مشدود الكتاف وعن يمينه مالك بن طوق موثوق الأطراف وعن يساره سملق وعليه من الغيظ مثل العلق (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الملعونة شوما كانت عارفه بالحصون والمصانع التى تحتها وكان الملعون شومدرس قد أوقفها على تلك المهالك وعرفها بها وان الملك منويل لما عبر على القلعة السوداء وحصن قف ترى العجب وترك على كل حصن عشرة آلاف بطل كما ذكرنا وأن اللعينة شوما دلتهم على تلك المصانع والمنافذ والمخادع وما أحس كل من كان فيها من المسلمين حتى وصل اليهم الأذى من المشركين فملكوا الحصون الثلاثة وأقبلت بهم شوما حتى وصلت بهم إلى عسكر الملك منويل وأخبرته بالخبر فخلع عليها وأحسن اليها (قال الراوى) فلما رأت شوما ولدها وزوجها على تلك الحالة وثبت قائمة وقالت أيها الملك قدم هؤلاء الأسارى وأسقهم كاس الردى فعند ذلك قال الملك افعلوا ما قالت شوما (ياساده) هذا ولما نظر الأمير عبدالوهاب إلى ما فعل الملك بالأسارى عظم عليه وكبر لديه وقال ما أتانا فرح إلا ويكون عقبه ترح ثم أمر أن ينزلوا الثلاثة من على الجذوع مخافة على الأسارى (قال الراوى) فبينما الأمير كذلك وإذا بصابر المرعشى الجاسوس قد أقبل على الامير وقبل ركابه وحدثه بما جرى على الثلاثة حصون فقال الامير عبد الوهاب انا لله وانااليه راجعون (قال) وان الكندفرون بعث للملك منويل يسأله أن يكون ذلك اليوم القتال له ولقومه فعند ذلك أجابه الملك إلى ما طلب فتقدم الملك الكندفرون ملك الافرنج على خيول عتاق وهم خفاق عليها شباك من اللؤلؤ الكبار وهم على الخيول أعجوبه بقنطاريات خلنجيه وطوارق روميه وان ملك الافرنج جعل فى ميمنته أخاه بروان وفى الميسرة ولده جلاود وفى القلب عمه ميخائيل وفى الجناح الايمن بن عمه وفى الجناح الايسر خاله (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما رأى الامير عبد الوهاب تعبئة الافرنج بمواكبها وكتائبها وقد ترتبت فترتب هو أيضا وأصحابه وعسكره وكتائبه ومواكبه وعباها ميمنة وميسرة وقلب فجعل فى القلب الاميره ذات الهمة وفى الميمنه

سيف الحنيفية وفى الميسرة هارون العلوى ووقف هو عن يمين الاميره وأبوالهزاهز عن يسارها فبينما الكتائب وقوف والمواكب صفوف وإذا بالقسوس قد ترجلت والشمامسة قد مشت والرهبان بقراءة الانجيل قد ترنمت والجوانب قد جنبت والكل أمام الكندفرون وهو قد برز الى الميدان وقد خرج وتحته جواد أدهم مجتمع ململم بحافر كالدرهم اذا صهل يكاد أن يتكلم أكحل العينين مليح المقلتين واسع الصـــدر رحب اليدين وطيء المظهر ديال الذنب ملتف العصب من أفخر خيول العرب وعليه سرج من جلود الاسود وركابات ولجام مرصع بالجواهر الكبار وحجارة الياقوت الملون والكندفرون كأنه من أولاد العمالقة وعليه درع مذهب وبيضة على رأسه تلتهب وعليها صليب من الذهب الاحمر وعلى شماله طارقة هائلة محرفة طويلة وفى وسطها صليب جوهر وفى يمينه قنطاريه خلنجية كأنها الشمس المضية وصارم أبتر يحير فيه النظر كأنه القضاء اذا انحدر قال ولما وصل الكندفرون إلى مقام القتال أشار الى أصحابه بالرجوع فعندها ألوا راجعين ثم قصد ملك الافرنج المسلمين وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس يقال له خديعة بن أوقل فما أمهله عدو الله حتى حمل عليه ومد سنانه اليه وطعنه فقتله فخرج اليه ثانى فقتله وثالث أباده ورابع أماته وخامس أفناه وسادس أرداه فخافوا المسلمين من لعنته ومن سطوته فهم الامير عبد الوهاب بالخروج اليه فقالت له الاميره يابنى أنت المقدم فينا والمؤمر علينا فقف مكانك وراعى جندك وخدامك فأنا به مليه وبقتله وفيه ثم أنها خرجت اليه مبادره تطلب من مولاها العفو يوم الساهرة وعليها درع مقصب وعلى رأسها عمامة ذات عجب وتحتها جواد أشهب مليح سلهب فأطلقت سنانها وجالت فى ميدانها وقصدت الى خصمها ونادت بفصيح لسانها من هذا القادم لحمامه المعظم لوامه ثم أنها حملت على عدو الله والى قتاله أسرعت واذا الكندفرون التقاها وحملا على بعضهم البعض ساعة من النهار واذا بابن الكندفرون جاء وقد خرج معه مائة بطريق من الافرنج ليكشف خبر أبيه فلما نظر سيف الحنيفية الى ذلك خرج فى مائة من أصحابه فلما قربت المائة من المائة لعبت الخيل بركابها وحملت بأصحابها فعند ذلك تقسطل العجاج ووقع الانزعاج ساعة من النهار غير أن الاميره ذات الهمة لاتفارق الكندفرون شبرا واحدا وكل من قربها أشبعته طعنا وضربا ووردت القوم نكالا وخسرا وهى تود لوانها قادت خصمها الى المسلمين قهرا (قال الروى) وتكاثروا عليها أعداء الدين وقصدوا جوادها بالأسنة فقتلوه وعلى الارض جندلوه فوقعت الاميره الى الارض وعقبان المنايا

على رأسها تدور فلله درها لقد قاتلت على قدميها أكثر مما قاتلت على جوادها وهى كاللبوه المصممه أو النار المضرمه الى أن تكاثروا عليها القوم فأخـذت وعلى وجـه الارض ملكت وسار بها ملك الافرنج الى خيمتمه فعند ذلك ذلت العرب وأيقنت بالعطب وصعد الامير عبد الوهاب الى الحصن وهو ضيق الصدر لفراق والدته وقال لقد كان اليوم علينا يوم مذموم ولكن هذه مقادير الحى القيوم ثم قال اطلبوا أبا محمد البطال فطلبوه القوم فلم يجـدوه فصعب ذلك عليه وكبر لديه (قال الراوى) هـذا جرى ههنا (وأما ما كان) من الامير أبو محمد البطال فانه لما علم بأسر الاميره تزيا بزى الروم ودخـل الى العسكر فلما توسطه رأى صابر المرعشى فقـال له أبو محمـد أين كنت قال صابر جئت آخـذ خبر الامير فقـال له أبو محمـد فما عندك منها خبر قال نعم قد أخـذها ملك الافرنج الى خيمته وهى الساعة فى الخيمة ثم سار هو وأبو محمـد إلى خيمة الكندفرون فما وجدوا للأميرة خبر فصعب ذلك عليهما وبقى أبو محمد متحير ثم قال لبعض البطارقة ما فعل الملك بتلك الأميره الحقيره فقال له ان الملك منويل استدعى بها اليه وقد مثلها بين يديه عندها أسرع أبو محمـد وصابر المرعشى معه الى سرادق الملك منويل فوجده جالس والملوك الى جانبه والبطارقة قيام والأميره ذات الهمة أمام القوم فالتفت لها الملك وقال لها كيف رأيتى روحك ياعاهره فلقد خسرتى الدنيا والآخرة (قال) فلما سمعت ذلك من كلام الملك قالت له يا كلب الروم ما أنا بأول من أسر فى طاعة الله ورسوله فاقض ما أنت قاض (قال) فلما سمع الملك كلامها وما نطقت به كاد أن يتمزق من الغيظ وقد صعب ذلك على مارس ودارس وقد علموا ان الملك فى نية وحشه فقـال مارس لأخيه دارس أن رأيناه أمر بقتلها طرحنا نفوسنا عليها أو على الملك ونقتله ودعنا نقتل بعده ولم يكن قتلنا الا فى مرضاة الله تعالى (قال) وكان ملك الروم قد صعب عليه ما قالت الاميره فى مجلسه ولم تخشى من سطوته فأراد الملك قتلها فقال له مارس ان قتلتها قتلوا الشيخ النجيح وتعمى علينا بلاد الاسلام وان رأيت هـذا الأمر صواب فاعمل به فبينما هو يخاطب مارس وإذا قد وقف بين يديه شخص وتحدث معه سرا فتبسم الملك وضحك من قوله وقال ان صح هذا يكون مليح (قال الراوى) وكان الذى كلم الملك الراهبه شوما ثم بعد ذلك قال لها الملك خذى ذات الهمة وتولى عقوبتها فأخـذتها ومضت وكان يتبعها أبو محمد ليعرف خيمتها فلما صار هو وصابر المرعشى فى خيمتها وإذا بها قد صاحت وقالت امسكوا هذين هنالك مسكتهم وعملت فى أرجلهم القيود وكان السبب فى ذلك ان الملعونة شوما كانت واقفة عند سرادق الملك إذا نظرت الى البطال وصابر

المرعشى فدخلت الى الملك وأعلمته وقالت له سلم لى ذات الهمه ربما أبو محمد يطمع فى خلاصها فاقبض أنا عليه وكان الامر كذلك وحملتهم الى الملك فلما رآهم الملك ضحك وفرح بهم وسلمهم الى بعض البطارقة وأمرهم أن يرسلوهم الى القلعة السوداء فقام بطريق أخذهم وسار وقد ايقنوا الاثنين بالويل فقال صابر يا أبو محمد لم بقى ينفعنا إلا التوكل على الله قال فبينما هم سائرين وإذا بقعقعة اللجم وصهيل الخيل فبرزت البطارقة تنظر الخبر واذا بعشرين فارس من بنى كلاب وعشرين من السودان وكانوا هؤلاء الرسل الذين أرسلهم الامير عبد الوهاب للملك منويل يطلب منه شراء الحصون وكان لما مر عليهم رجل يقال له كامل بن ناهد بن عامر الكلابى فلما رآهم وعرفهم وكان يناديه أبو محمد هيا ياناهد انا أبو محمد فلما سمع من كلام البطال وكان يحمل على البطارقة فما كانت الا ساعة حتى ان الاربعين الذين من الابرار قد أبادوا أهل الكفر والضلال وأخذوا خيلهم وأسلابهم وخلصوا أبو محمد وصابر المرعشى وهنوهم بالسلامه وساروا الى عند الامير عبد الوهاب وقد زالت همومهم الا ان الامير كثير الاسف من جهة والدته (قال الراوى) ياساده ولما كان عند الصباح ركبت الابطال الخيل وأشهرت السلاح فكان أول من برز للميدان اللعينة شوما ونادت يامعاشر المسلمين اعلموا أن أميرتكم عندى أسيره وقد ضربتها وبطحتها على ظهرها وحطيت على قلبها حجر طاحون وهى على آخر نفس وها أنا أعلمتكم قال فلما سمع الامير ذلك الكلام برز اليها وقال لها قد أجبتك الى ماتريدى من الفدا فقالت أيها الامير لابدان تحلف لى وان تأمر أصحابك أن لايخلصوها من يدى حتى تعطينى الراهب وأسلم اليك أمك فقال الامير لك على ذلك ثم أرسل أحضر شومدرس وبعثت أحضرت الاميره فلما رأى الامير والدته بكا ورجعت الاميره الى ولدها واجتمع شملها بشمله وأما شومدرس فانه رحل الى الروم فلما رأوه عظموه وبجلوه (قال الراوى) فبينما هم يهنوا شومدرس بخلاصه واذا بالصياح قد ارتفع فسأل الملك منويل عن ذلك فقالوا له ياملك ان الملك الكندفرون قد برز الى الميدان فحرك جواده ووقف فى القلب ينظر مايكون من الكندفرون هذا ولما صار الملعون فى الميدان الا وقد خرج له سيف الحنيفية وكان يحمل عليه حمله منكره وقد زعق عليه وبالطعنه الى صدر خصمه خفق وقال خذها يا كلب النصرانيه من كف عبدالله سيف الحنيفية وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم شاله على سنان الرمح مع قوة ساعده ونفضه عن سنانه فوقع كصور انهدم فعند ذلك كبرت المسلمين وهللت لرب العالمين وجعل ينشد ويقول

سألت الله فى كل الامور ... يساعدنى على ذا الكندفورى
وينصرنا على جمع الاعادى ... وكل منافق ضد كفور
وأنا ابن الاسود الضرغام حقا ... وانى خائف يوم النشور
وحق محمد خير البرايا ... ومن قد فاز بالشرف الفخور
وحق المرتضى أعنى علياً ... وتابع باب خير للعبور
ونادى خيرهم من أنت طى ... فان الحصن يرجف كالطيور
أتقلع بابنا أم أنت تبغى ... لقلع الحصن قل لى يا مجيرى
فقال لهم عليا ان أردتم ... قلعت الحصن من عون القدير
وأقسم بالكتاب ومن تلاه ... وبالبيت الحرام وبالبشير
لا فتح كل أرض الروم جمعا ... وأملك للبلاد مع الثغور

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولما نظرت الإفرنج الى ملكها قد شرب كاس المنية صلبت على وجهها وتعجبت من سيف الحنيفية لأنهم رأوه لما شاله على قنطاريته كالطفل الصغير ورماه كأنه بعرة بعير فعند ذلك حملوا كأنهم السيل فلم يبق لأحد منهم حيل فاستقبلتهم المسلمون ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وعملت القواضب وعمت المصائب وندبت النوادب فكم من رأس طائر وحصان غائر ودارت عليهم الدوائر وانفطرت المرائر وبقى الجبان حائرفالأعين قلعت والأيادى قطعت والأنوف جدعت والأرواح من الأجساد نزعت والنفوس من المهات جزعت والرؤس عن هياكل القامة وقعت والرقاب فوق الأقدام خضعت والسيوف لمعت والأسنة شرعت والخوذ على الرؤس تشعشعت فعند ذلك سمعت الناس صرخات انزعجت لها الأفق وانقطعت من حولها الطرق فلم تكن إلا لحظة حتى وصلت وإذا بها كتيبة قد حملت وهم على الخيل العربية وبأيديهم السيوف الهندية وعليهم العدة اليونانية والدروع السليمانية فاستقبلهم سيف الحنيفيه وأصحابه بهمة قويه وأسعدهم رب البرية وحملوا السودان وضربوا بكل يمان فقطعوا الرؤس عن الأبدان وأنزلوا بعساكر الروم الهوان ونزل عليهم النصر من الرحمن (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين على هذا الحال إلى أن عزم النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال ورجعت كل طائفة إلى مقامها فالمؤمنين مؤيدين منتصرين والمشركين خائبين مكسورين وجلس الملك منويل على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وأحضر سادات دولته وأكابر بطارقته وقال لهم ما الذى ترون من أمر هؤلاء القوم وما لقينا معهم فى هذا

اليوم فقال له مارس اعلم أيها الملك أن هؤلاء القوم لا يبالون بالموت إذا نظروا اليه ولو مال الموت اليهم لمالوا اليه ويطلبوا بذلك من ربهم الفضل والمنه لأنهم يقولون القاتل والمقتول فى الجنه وبعد ذلك فقد أتانى من أثق اليه وأعتمد فى كلام الصدق عليه وأخبرنى أن الخليفة واصل الينا بعد قليل ومعه عساكر شبه السيل الذى يسيل وأنا أرى الصواب أن نصلحهم معنا على ما يريدون ونشترى منهم هذه الحصون فقال له الراهب ومدرس أنا يا ملك لك علىّ أن أفتحها من غير قتال وأسلم اليك ما فيها من الرجال وذلك من مصانع أعرفها وسراديب أعملها فقال مارس دع عنك أيها الراهب قلة الانصاف ولا تميل إلى طريق الخلاف أما ترى هذه الطعنة الذى طعنها سيف الحنيفية للملك الكندفرون فلو طعنك مثلها السفاك سقاك شراب المنون وإلى متى أن تسعى فى تسليم هذه الحصون ان كان لكلامك تحقيق أتانا من عسكر المسلمين ما لا نطيق وربما كسرونا وفرقونا تفريق (قال الراوى) فلما سمع الملك منويل هذا المقال قال يا مارس اصلح بيننا وبين الامير عبد الوهاب وفضنا من هذه الحروب والخراب فقال نعم أيها الملك أسير اليهم ويكون معى البترك الكبير فقال منويل افعل ما بدالك وخذ البترك يعينك على مقالك وفعالك (قال) فلما كان عند الصباح وأشرقت الشمس على الديار والبطاح ركب مارس والبترك وساروا طالبين الامير عبدالوهاب وجعل مارس عبوره على الكندفرون ونظر الى طعنة سيف الحنيفيه وقد خرقته وطلعت من الجانب الآخر فقال مارس يا أبونا ما تقول فى هذه الطعنة برأس السنان الذى تركته ما يحتاج إلى كسوة فى هذا الزمان ولم يزالوا سائرين إلى عسكر المسلمين فوجدوا سيف الحنيفية على مقدمة العسكر فلما رآه البترك عرفه لأنه ابن بنته فسلم عليه ورحب به فانهملت دموعه من عينيه فغمز مارس سيف الحنيفية بالعين فقوم إلى صدر البترك السنان فلما رآه البترك إلى ذلك الشان صرخ بملو رأسه وكاد أن يقع على الأرض من على ظهر الحصان فقال لمارس ما أعرف الا منك فقال مارس لسيف الحنيفية يا أمير ايش هذه الفعال ونحن ما جئنا الا رسل فى اصلاح الحال (قال) فعندها أخذهم سيف الحنيفية وسار بهم الى خيمة الامير والبترك كاد عقله أن يطير فلما وصل بهم استأذن عليهم فأذن له الامير بالدخول فلما دخلوا ورأى الامير مارس فوثب اجلالا له واعتنقه وفى وجهه قبله وأكرم البترك وله تجمل وقال ما الذى أتى بالحاجب النبيل والبترك الجليل وما الذى أرسلكما فيه الملك منويل فأعلموه أنهم قد أتوا فى الصلح وحقن الدماء بين العسكرين فأجابهم الى ذلك وقال سمعا وطاعه على الرأس والعين

وقال قد نلتم ما أنتم له طالبين وعقد الصلح بينهم الى عشر سنين بعد ما حلفهم بالله تعالى والمسيح والانجيل وشرط عليهم أو يشتروا الحصون التى بقيت فى يديه ويطلق لهم عقبة اللعين وقرر عليهم مال جزيل وبعد ذلك رجع مارس والبترك الى أن وصلوا إلى منويل فقال لهم ما فعلتم وما الذى أتيتم فيه فقال له مارس أيها الملك إننا لما وصلنا إلى عبد الوهاب وسألنا عن الخطاب قلنا له ان الملك يريد الصلح وترك الحرب والضراب فصاح فى وجوهنا ونهرنا وقال لولا أنتم رسل لقتلتكم لأنى ما لى نيه فى صلحكم فما زلنا به حتى أجاب من بعد صعوبة واغصاب وباع لنا الاربع حصون بأربعمائة ألف دينار وعشرة آلاف ثوب ديباج من أفخر الثيـــاب وثلاث آلاف جواد من أحسن الخيول والدواب ومن الأسارى من كان عندنا أجمعين ويسلم الينا عقبه بعد الجهد الجهيد (قال) فلما سمع منويل ذلك الخطاب سمع وأجاب وأطلق الاسارى الذين عنده فى الاسر والعذاب وكذلك الامير أطلق عقبه المذموم ومن كان عنده من أساري الروم وسلم اليهم الأربع حصون بعد ما أخذ كل ما فيها من الاموال وأخذ الملكة نورى بنت عين المسيح من قلعة الروم وانفصل الامر على ما يقدر وبعد ذلك عولوا على الرحيل إلى الديار لانهم قد كرهوا المقام فى ديار الكفار ثم ان الامير عبد الوهاب أمر باحضار ناقة صبوره على قطع الطرق طويلة العنق فجعل عليها جلال الحرير الابريسم الاحمر والديباج المدثر وجعل غطاها من الابريسم الاصفر مرصع بالدرر والجوهر وجعل عليها هودج مكلل وهو بثياب الديباج مجلل وأجلس نورى فى ذلك الهودج وجعل عن يمينها وشمالها أربعمائة جارية مثل البدور منشورات الشعور وعلى رؤوسهم التيجان المكللة بالدر والجوهر والعصائب المرصعة بالياقوت الاصفر وحملت الاموال على الجمال وركبت الفرسان وعزمت على الارتحال ثم ان الأمير عبد الوهاب تقدم أمام الهودج الذى فيه نورى وقد زاد فرحا بما قد فتح الله عليه وخوله وكيف نصره على الاعداء وفضله وأنشد

بلغنا بحمد الله كل الامانيا ... ونلت الذى أرجو وسرفؤاديا
ملكت حصون الروم بالسيف عنوة ... وأصبح كلب الروم بالذل خاسيا
ملكت حصونا ما على الارض مثلها ... وأدركت ما أملته من أعاديا
أقف وأنظر الحصن الكبير وبعده ... إلى القلعة العليا بلغت أمانيا
وفى القرن لاقينا أموراً كثيرة ... ومنّ إلهى بالمنا من مراديا

كذلك حصن الروم أيضا ملكته ... وحصنا عليا قد تركت المرابيا
وفى القلعة السوداء للروم عبرة ... ومكنت من أصحابها ذا اليمانيا
وحصن الدولاب ملكت بهمة ... يقصر عن أملاكها كل عاديا
وخلصت علوى وابنها بعد أسرهم ... وكان خلاصى للحريم منائيا
وعدت وقد حازت يمينى ألف ناقة ... محملة مالا وحورا غواليا
وقد حزت نورى أكرم الله وجهها ... وان هواها قد تمكن فؤاديا
بخد كمثل الورد أحمر ناعم ... ووجه كمثل البدر يجلى الدياجيا
ولفظ رخيم يعتريه حلاوة ... وطرف بأجفان مراض غوانيا
وقد قتلتنى الآن نورى بحسنها ... فلم أدر فى وقت الصلاة صلاتيا
سأدفع مالى كله يوم بيعها ... وأبلغ منها القصد ثم الامانيا
وليس لها بالمال قدراً وإنما ... تقاس بأرواح الرجال الغواليا
هى السؤل والمأمول فى غاية المنا ... فلابد لى منها ولو حال حاليا

(قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ذلك الكلام من الأمير عبد الوهاب أخذته الرعده والاصفرار وقال والله لو غاصت هذه الجارية الى الثرى أو صعدت إلى السماء لابد لى منها وان عاندنى فيها هذا الاسود الحجام لاسقينه كاس الحمام (ياسادة يا كرام) وكذلك قال أبو الهزاهز وميمون الجماس لان فى قلوبهم من الملكة نورى تذكار ووسواس وكذلك جميع الامراء الذين صرعتهم (قال) ولم يزل الامير يقطع البيدا وصحارى الفلا حتى أتى إلى حصن يانس المتغرب فخرجوا الرجال إلى لقائهم والتقوا الامير عبد الوهاب وتقدم يانس المتغرب وهو قد انشرح وطاب وقال له أضاءت بنورك الرحاب وذهبت الغمه بنزول هـــذا الركاب فلا أحلا الله من طلعتك ولا عدمنا النظر إلى وجهك وغرتك (قال الراوى) فعند ذلك رفع الامير قدره ورحب به وأكرمه ثم نزل العسكر وضرب خيامه وأعطى ليانس وأصحابه مما غنمه فقرت أعينهم وشكروا الامير على نعمه وأقام الامير عند القوم ثلاثة عشر يوم وبعد ذلك ارتحل وطلب ملطيه وسار يجد فى قطع البرية (قال الراوى) فهذا ما كان من الامير عبد الوهاب وأما ما كان من اللعين عقبه الكافر المرتاب فانه أطلقه الامير وسلمه إلى منويل فسار فى صحبته إلى أن وصل الى القسطنطونية ثم ركب فى مركب الى صور ومن صور الى طرسوس حتى وصل إلى ملطيه فلما دخل وهو فى عيشة غير هنية وسار من طرسوس حتى وصل اليها أتى اليه عمرو ابن عبيدالله وسلم عليه وقال له أين كانت

هذه الغيبة أيها الشيخ الصالح فقال يابنى كنت فى بيت المقدس أزورالانبياء والأولياء والصالحين فى المشاهد والضرائح فقال عمرو رزقنا الله أيها الشيخ بركاتك ومتعنا ببقاء طلعتك لأنك عين الشريعة وصاحب المناقب البديعة فقال عقبة ياولدى ماوصل إليك شيء من أخبار الامير عبد الوهاب وأخبار من معه من الأصحاب قال بلى قد وصلت الاخبار وبعد مدة ثلاثة أيام تراه معك فى الديار وذكروا أن معه غنائم قد ملأت السهل والجبل وكل جارية حسنة يضرب بها المثل (قال الراوى) ياساده فهذا جرى لهؤلاء من الكلام والخطاب . وأما ماكان من الامير عبد الوهاب ومن معه من فرسان بنى كلاب الانجاب والسودان أصحاب الطعن والضراب الناطقين بالصواب فانه لما سار هو وأصحابه من حصن يانس المتغرب فى أحسن زى وأكمل هيبة ولم يزل فى سيره يقطع الدروب وكلما جاز على قرية يخرجوا أهلها ويسلموا عليه ويفرحوا به ويقيم فيهم اليوم واليومين ثم رحل الى جاول وتبساريه (قال الراوى) ووصل الى قلعة الكوكب وقلعة المنشار ولاحت لهم العلائم وبانت لهم ملطية فشكروا الله تعالى على السلامة وفرحوا بما أنعم الله عليهم من الكرامة ثم ان الامير عبدالوهاب أمر بنى كلاب أن يلبسوا الدروع والجواشن والكازعندات والزرد ونشروا الاعلام الملوية وعلى رؤوسهم البازات الذهب المعلمة والاميرة كأنها اللبوة المصمصمة والرايات على رأسها تخفق والبنود تشرق والجنائب المخفقة والصناجق المرتفعة وبنى كلاب الثياب الديباج والمناطق ذات الابتهاج والسودان بطراطير الريش النعام وقد لبس منهم الثياب الأطلس وقوم بالأقبية المعلمة والخيل المسومة وقوم قدتقدموا والحراب بأيديهم وقوم يلعبون بالدفاف وقوم عظمت منهم الاوصاف والكوسات تفح والبوقات تمح والخيل تصهل والعرب تصيح وهم بكل زى مليح والرماح والآجام القصب والأسنة تلتهب والعدة واللتوت والأسياف وقد قدموا بنات الروم الكواعب كالنجوم الزاهرات والكواكب وقد نشروا الشعور على الاكتاف وهن ناعمات الأطراف قد جمعن ما بين بان القدود وورد الخدود ونرجس الحدق السود وقد طلعن كأقمار السعود وأشرق من ضوء وجوههن الوجود والغلمان كأنهن الولدان وأظهروا اللباس والملابس والمجابيز والمحفات وألبسوهم الديباج الفاخر (قال الراوى) فعند ذلك خرجت بنى سليم الى لقاهم والعوام والمخدرات فرأوا ماقدموا به بنى كلاب والسودان الأنجاب من الملك العظيم فداخلهم الحسد وذلك لسوء الطمع والنكد ونظر الاميرعمرو الى بنى كلاب والسودان الانجاب وما أتوا به من الغنائم والاسلاب

وقد تزينت كل طائفة وقبيلة وأقبلوا الدروع والجواشن وقد انقسموا قسمين وساروا وهم شطرين فالعرب على جهتها والسودان على مرتبتها وقد تقدمت الأمراء والسادات والكبراء والامير عبد الوهاب فى بنى كلاب والاميره ذات الهمة فى بنى عامر وهى بينهم كأنها الزهر وبرد بن الأزهر كأنه الليث اذا هدر وبيده سيف مشهر وعليه ثوب أطلس أحمر وهو كأنه السيل اذا انحدر وهارون العلوى فى أحسن زينة تكون وقد أبهر بحسن لبسه العيون وعليه ضياء الشرف والسوء عنه قد انصرف والأسهل ابن الأسد وقد ضربت بفروسيته المثل وهو كأنه الليل إذا أقبل والامير ضيغم وأخيه قشعم وسعيد بن الفرج والعسكر به قد انبهج وحوله السادات من بنى تميم والحسن عليهم مرعى مقيم وقد انبهجوا بالفرح والنعيم وهم معلنون بذكر السميع العليم ويصلون على النبى الكريم ومالك بن طوق سيد بنى قضاعة وحوله أولاده أهل الشدة والشجاعة وأبناء السودان قد أظهروا عليهم من الزينة ألوان والطراطير على رؤوسهم كالأجراس وفيهم ميمون الجماس وقد افتتن من زينته جميع الناس والى جانبه طمطم وهو كأنه أسد قشعم وقد جعلوا السبى قدامهم والاسارى من خلفهم . هذا وقد خرجت الى لقاهم بنى سليم وشيوخها وفى أوائلهم شيخ السوء والعطب عقبة ابن مصعب وقال السلام عليك أيها الأمير والسيد الخطير الحمد لله على بلوغ المنى وإزالة العناء الذى جمع بيننا وبينك لأنك سراج الأهلة فأنت والله حقيقاً بالثناء لازلت فى نعم مأنوسه وشيم محروسه وخير جزيل وفضل طويل ما اختلف الليل والنهار والعشى والإبكار وفى الآخرة تصل الى الهنا وتبلغ المنى فى جنات مزخرفة وأنهار جارية وأشجار عالية قطوفها دانية فأنت والله معدن الكرم والجود وأفضل مطلوب ومقصود وأنت شاكر الإله المعبود أمدك الله بتوفيق وسعود وإنى كنت أتضرع الى الله تعالى بالدعاء فى الصباح والمساء أسأل العلى الأعلى رب الارض والسماء أن يسلمك من كيد الأعداء ويجزيك بالعطاء ويجعلك من أهل الصفاء ويوصلك إلى مراتب أهل الوفاء فلقد فرحت قلوب العامة والشرفاء فحسبى الله عليك فى الامور وكفى (قال الراوى) وأن أبو محمد لما سمع كلام عقبة تقدم اليه وقال مرحبا بالقاضى والامام ومن يستحق شرب كاس الحمام ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة لو مدحتنا بجميع الاشعار لابد أن ننزل بك الدمار ونجعلك أحدوثة فى جميع الأمصار ماطرد الليل والنهار وبالله ما نصرنا إلا لغيبتك عنا وماسعدنا إلا ببعدك منا فإنما مثلك كإبليس ولقد أذريت بكل سيد ورئيس وها قد أصبحت بين الناس جليس وإنما كلامك وبال وعلمك كله هبال

ولابد ماأصفع منك القفا بالنعال ياردىء الفعال فقال عقبة لما سمع كلامه ماأؤاخذك يابنى على ماتقول فحسابى معك يوم القيامة يطول (قال الراوى) وأقبل الأمير عمرو وسلم على الامير عبد الوهاب وكذلك بنى سليم سلموا على بنى كلاب وهم متعجبون مما فتح الله عليهم ومن كان له غائب خرج الى لقائه وخرجت أم جميل بن سعيد الرامى وقعدت على قارعة الطريق تسأل عن ولدها وتقول ياقوم أفيكم جميل الرامى وهم يقولون لها لعله فى آخر العسكر وهى تنتظره إلى أن أقبل الامير مالك بن بشر الأقطع فلما نظرت الى العسكر ورأته قالت والله فى هذا العسكر ولدى وقطعة كبدى ثم انها قامت قائمة على قدميها وعينها تنظر من بين يديها الى أن أقبل الامير مالك بن بشر الأقطع فلما نظرت الى العسكر ورأته والرايات على رأسه تخفق وتسطع ونور الإيمان على جبينه يلمع كلمانظرته لم تعرفه إذ أنكرته لبعده وماعرفته وقالت ياقوم أيكم مالك ابن بشر الحجازى فعند ذلك تقدم الامير مالك اليها وسلم عليها وقال لها كيف انتى ياأم جميل قالت من أنت أيها الفارس الجليل فقال لها أنا مالك بن بشر فقالت والله لقد أنكرتك وما عرفتك وانى أرى زيكم قد تغير فقال لها لبعد السفر ومقاتلة من كفر فقالت له وأين يدك فقال احتسبتها عند الله وقد ذهبت فى سبيل الله وقداشتهيت لو أن لى ألف يد تذهب فى الجهاد وتمضى فى طاعة رب العباد فلما تكرر على سمعها نظامه عرفته من كلامه فسلمت عليه ورحبت به وقربته منها وعظمته وقالت ياابن العم مافعل الله بولدى جميل بن سعيد الرامى فقال لها عند ذلك ذهب والله شهيد وإياك والحزن على جميل واسمعى ماقال الملك الجليل : (فصبر جميل) واعلمى أن الصبر هو لباس المتقين وأساس المؤمنين أما سمعت ما كان من صبر يعقوب لما ابتلى بفقد يوسف صلوات الله عليهم أجمعين واعلمى أن ولدك قد ذهب الى عليين وصار فى مجاورة رب العالمين وأن ثوابه قد كتب له فى كتاب مكنون فان كثر عليك الحزن فاكثرى من قول إنا لله وإنا اليه راجعون واسمعى من أمره بين الكاف والنون (ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وانه يسلم عليك عند وفاته لما أيقن من حياته ويقول لك اصبرى فان الملتقى عند جنة المأوى (قال الراوى) فلما سمعت العجوز بموت ولدها جعلت يدها على كبدها وقالت يابنى صبرنى الله على فقدك وألهمنى الصبر على بعدك يابنى كنت لى براً وفياً وشفيقا حنينا أباحك الله النظر اليه وتجاوز عنك ليوم العرض عليه ثم انها رفعت صوتها بالبكاء وقالت الى الله المشتكى وأنشدت وهى تقول ونحن نصلى على طه الرسول :

ألا ياحمـــام اللوا عدن عردة ... فنحن وبيت الله إن عدتمو عندنا
سلام على الأحباب فى كل ساعة ... وإن بعدوا الأحباب وامتنعوا عنا

(قال الراوى) فما بقى قلب إلا قرحته ولا حزناً إلا أظهرته فسكبت المدامع وأظهرت النجائع ثم انها مضت الى منزلها بعد ما بكوا الناس من نظامها وباتت تلك الليلة فلما كان من الغد مضت الاميرة ذات الهمة الى زيارتها لتنظر ما كان من قضيتها فوجدتها تخيط فى كفن فقالت الاميرة ماهذا ياأم جميل فقالت لها ياسيدتى اسمعى العجب اعلمى انى بينما أنا نائمة البارحة بعدأن قرأت وردى وترحمت على ولدى ونمت فرأيت فى المنام كأنى دخلت الى السموات الى أن انتهى بى الى ساق العرش ورأيت ولدى وهو فى قبة جوهر وعلى بابها نهر الكوثر وولدى جميل على رأسه تاج وا كليل فقلت له ياولدى مافعل الله بك فقال ياأماه حاسبنى ورفق ومنّ على وعتق وقال لى ها وجهى فانظر وها جنتى فادخل وأن ابنى جميل أنشدنى هذه الأبيات :

أنا فى قبـــة من العقيان ... ولجين وجوهر قد حبـــانى
وسرير من الزمرد يهـــتز ... وعليـــه مفارش الرضوان
ومن الكوثر اللذيذ عليه ... نهر ماء يجرى بلا نقصـــان
وأتانى نعيم عيش مقـــيم ... فى رياض المسك والزعفران
باصطبارى على سيوف الأعادى ... يوم طعن القنا وضرب اليمانى
فاصبرى تؤجرى وتحظى بالقرب ... من الله فى أعز مكان
وغـــداً نلتقى ونمشى جميعاً ... فى قباب الياقوت والمرجان

(قال الراوى) قالت ثم قال لى : يا أماه لا تحزنى على فأنت غدا صائرة الى ثم نظرت وإذا أنا بقبة معلقة تحت سرادق العرش بلا داعمة تحتها ولا علاقة من فوقها والقبة من الزمرد الأخضر والدر والجوهر وعلى السرير بطائن من السندس الأخضر فقلت يابنى لمن هذه القبة الثانيه فقال هى للشيخ عامر الكلابى الذى قتله ولده صباح أنشأها له بقدرته فالق الإصباح ومرسل الرياح وباعث محمد صلى الله عليه وسلم رسول السلام ثم انى رأيت أيتها الاميره كأنى أشرفت على النار فرأيتها محدقة بشخص طويل والى جانبه رجل آخر يعذبان أشد العذاب وهما يقولان : ألا من يخفف عنا هذا العذاب فقلت من هذين فقيل لى صباح وأبو عرقوب ثم ان ولدى أعطانى ثوباً ملطخا بالدم وقال هذا علامة صدق الرؤيا ثم انى استيقظت من نومى والى جانبى هذا الثوب وهو بالدم ملطوخ ثم ان العجوز صاحت صيحة وخرت مغشيا عليها فحركتها الاميره

وإذا بها قد فارقت الدنيا فاصلحت الأميره شأنها وأعلمت المجاهدين بمقالها فصلوا عليها ودفنوها فلما كانت فى تلك الليلة رأت الأميره أم جميل وهى تتمختر فى رياض الجنة وعليها حلة منسوجة بالجوهر فقالت لها الأميره ذات الهمة ما فعل الله بك فقالت لها شفا كبدى وجمع بينى وبين ولدى (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان الأمير عبد الوهاب أخرج الخمس من الغنيمة للخليفة هارون الرشيد وقسم المال على العسكر وأعطى الصغير مثل الكبير وما بقى غير الملكة نورى فأحضرت للبيع فتطاولت الناس اليها بالأعناق وشخصت الأحداق وتصففوا بنى سليم وبنى كلاب وذوى الأقدار من العربان ثم أمر الأمير عبد الوهاب بسرير من العاج مطعم بالذهب الوهاج وعليه فرش الحرير وجعل عن يمين السرير ويساره مائة جارية منظومات الشعور كانهن البدور بخدود ورديه وعيون نرجسيه وأعطاف متراكنة وأرداف مثل أمواج البحر المطلاطمه ونهود قائمه وصدور عاليه وأوراك رابيه وبطون مطويه والحاظ بالسحر محشية وهى فتنة البريه ناعمة الأطراف قد عجزت خصورهن عن حمل الأرداف كاملة الأوصاف (قال الراوى) ياساده يا كرام وان نورى جلست على ذلك السرير ووجها كالقمر وهى بينهن كأنها البدر إذا بدر ووجهها يضىء عليهن فى ضياء القمر بصدر كأنه مرمر ونهدان كأنهما أحقاق البلور وبطن مرجرج ينتهى إلى خصر وردف كأنه برج قد خرج من صور يحمل ذلك ساقان أبيضان مدملجان وقد غاصا فى كعبين ناعمين كأنهما اللجان والعقبان فسبحان الصانع اللطيف المنان وعلى جبينها عصوبة سوداء مكتوب عليها بالبياض هذه الأبيات

أنا نورى ولى جلالة قدر محدقة بالجمال وبالفخر
قل لمن يبتغى الوصال لنورى انه لاينال غير الهجر

(قال الراوى) ياساده يا كرام وعلى صدرها مرآة جوهر مكتوب عليها بالذهب ثلاثه أسطر هذه الأبيات

ألا ترى لقدر ذى الجويريه مثل شمس كأنها مجليه
وبوجه نورى شمس تشرق يفتن الناس حسنها فى البريه
فهى شمس النهار لما تدانت نحو أرض فأصبحت آدميه

(قال الراوى) ياساده يا كرام وعلى رأسها تاج بالذهب الوهاج مكتوب عليه بالفضة هذه الابيات

سبحان من صاغها وأكملها وفوق كل الانام فضلها
معتـــدل قدها وقامتها وردفها كالكثيب يثقلها
سبحان من بالحياء جملها سبحان من بالجمال كملها
وقد شغلت كل من يروم لها وليس فى الخلق من يشا كلها

(قال الراوى) ولقد فتحت كفها تعدل عصابتها وقد عجبت بحسن خلقتها وكيف بهرت الناس بحسنها فتذكرت أيام عزلتها ورأت الى ذلها وغربتها فجعلت تكتب بأقلام عبرتها على صفحات وجنتها

قد أوقفوها مقام ذلتها نجوما للناظرين بهجتها
كأنها الشمس فى ملاحتها والدر فى وجهها وطلعتها

قال فشوقت من العرب القلوب وهيجت الكروب ولم يبق أحد الا ونظر اليها وتحرق عليها فقال الامير عمرو بن عبيد الله هذه الجارية والله ماتصلح الا للامام الرشيد خليفة المسلمين فهى لا تصلح إلا له فقال الامير عبدالوهاب ينادى عليها حتى يتزايد فيها المجاهدين وأبطال الموحدين ثم أمر المنادى ان ينادى عليها والامم قد بهتت اليها فوقف المنادى على قدميه وأشار الى من بين يديه وقال يامعاشر أهل الجهاد أبيع نورى ذات القد المليح والوجه الصبيح بخمسة آلاف دينار فما استتم كلامه حتى نزلت عن كرسيها وضربته بيدها على صدره أرمته على ظهره ورجعت إلى مكانها فتعجبت الناس من سرعة انعطافها على أردافها فعندها وثب المنادى خجلان ومن صفعتها به وجلان فقالت له ما أشد عماك وأوحش نداك كأنك تنادى على ابنة صعلوك فما أجهلك ببنات الملوك ثم شمرت عن ساعد كأنه المرمر وأصابع كأنها خرطات من جوهر وإذا على ساعدها ملج من الذهب الاحمر عليه عشر حبات من الجوهر ثم أشهرت عن ساعدها الثانى وإذا عليه دملج أحمر مرصع بالدر والجوهر ثم قالت نادى بصوت جوهرى ياقليل البصر يابعيد النظر إذا ناديت ثلاثين ألف دينار كانت قيمة هذين الدملجين ياسخين العين ويبقى الحلى والقماش بلا درهم ولا دينار فاستيقظ المنادى ونادى من يشترى نورى فقد أصبحت بين الشمس والبدور ثم قال يامعاشر الحضار أبيع نورى بمائة ألف دينار فصاح الامير عليه وقال ويلك من خمسة آلاف الى مائة ألف فقال يامولاى خفت من لطمة أخرى تودونى المقابر فقال الامير درج الندا فمن كان له رغبة فليزد فى ثمنها فقال المنادى أبيع نورى بثلاثين ألف دينار فقال الامير عبد الوهاب عندى خمسين ألف فقال عقبة على الخليفه من ماله خمسة وخمسين ألف دينار فقال

الأمير عبد الوهاب بسبعين ألف فقال عمرو على بأربعة وسبعين ألف فقال الأمير عبد الوهاب عندى مائة ألف دينار فتعجب الناس من زيادة الأمير عبد الوهاب فأخذتهم البهتة والتحير فعند ذلك قام الأمير أبو محمد البطال قائما على الأقدام وتخطأ الناس الجلوس والقيام وقد اشتد به الغضب وصاح على الدلال صوتا يصدع الحجر وقال ياهذا عندى ثلاثمائة ألف دينار فى نورى التى تخجل الأقمار (قال الراوى)فلما سمع القاضى عقبة نظره شزار ورمقه حذارا والتفت إلى الأمير عبدالوهاب وقال له ما يزاد إلا قراطين بقيراطين فقال الأمير عبد الوهاب وقد تعجب من كلامه ويلك يا أبا محمد من أين لك هذا المقال والمال وأنت أقلنا مال وأيسر نوال وحال فقال البطال أنا رجل كما تعلم أنت وغيرك انى ما بقى على شيء ولكن لا تعجب من هذا المقال من أبي محمد البطال الثلاثمائة ألف دينار الذى أذكرهافانهاحاصلةواليك واصلة فقال الامير عبد الوهاب وكيف ذلك ومن أين لك هذا المال قال البطال الثلاثمائة ألف دينار آخذها من ثلاث رجال فتعجب عبدالوهاب والحاضرين وقالمن يكونوا الثلاث رجال وقد تبسم فقال ان اعيتنى وعن أخذ نورى أبعدتنى أسرقك من ليلتى هذه من فراشك ولا أسيبك من قبضتى الا بمائة ألف دينار والثانى الامير عمر وهذا أمير الثغور آخذه لا أسيبه الا بمائة ألف دينار والثالث الخليفة هارون الرشيد صاحب الرتبة المنيفة فلما سمع الامير عبد الوهاب من البطال ذلك المقال صعب عليه وكبر لديه وكاد من الغيظ أن يغشى عليه ثم ان البطال التفت الى نورى بوجهه وهو ضاحك وكلمها بالرومى المغلق وقال أيتها الملكة الكريمة والسيدة الرحيمة ومن هى بحالتى عليمه ها أنا أزيد فى ثمنكى ولو تلفت روحى بسببكى ولا أترك أحدا يصل اليكى ففى القلب منكى نار لاتطفى ولهيب لايخفى فلا تعرضى عن خادمكى البطال فان فى فؤاده نار الاشتعال فتبسمت نورى من كلامه فكاد البرق أن يلمع من بين ثناياها ورياح الصبا تنسمت عند لقياها فقال الامير عبد الوهاب يا أبا محمد تنح عنها وإياك ثم اياك والدنو منها فان قلبى معها رهين وشغفى بها زايد مكين فصاح الامير عمرو بن عبيد الله اقصر أيها الامير عن ذلك الكلام وغض بصرك عن حريم الامام فقال الامير يا عمر وما للخليفة معنا فى هذه السفرة لا قليل ولا كثير ولاحبة واحدة وهذه الجارية ما يستحقها الا أنا من دون الناس أين كان الامام ونحن كنا نضرب فى الكفار بالصارم البتار فقام القاضى عقبة بن مصعب قائما على الاقدام وقال ان الله فرض عليك طاعة الامام ولو كان عبدا حبشيا فكيف وهو من أولاد العباس

وأنه أولى بها من جميع الناس فقال الأمير والله ما يأخذها أحدا سواى ولاأحدا يزيد على فيما دفعته دينار وان المجاهدين أولى بالخمس من الرشيد ثم أنه أخذ الخمس وفرقه على الرجال ووزن من ماله مائة ألف دينار ثمن نورى فلما رأى البطال إلى ذلك الحال أظلمت الدنيا فى عينيه ولم بقى يدرى ما بين يديه وغيظ الدنيا والغضب استولى عليه ثم قال والله يا عبد الوهاب لقد تعديت طورك وزاد شرك على خيرك ونسيت قدرك وأنا أحق بنورى منك ومن كل قبيل فدع عنك القال والقيل فانا أحق بها من كل قبيل ثم قال وقد زاد به البلبال وتمنى حلول الآجال مما نزل به من تلك الأحوال اسمع ما أقول يا عبد الوهاب وأنشد يقول

والله ما تملكها اللئام ولايراها الاسود الحجام
فليس لى عن عشقها مقام يعتادنى من حبها سقام
ومن منعنى بعد ذا يضام وهوقتيل خصمه الحسام
يفلق الهامات والعظام بصارم مهند صمصام

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوها ذلك المقال من أبى محمد البطال غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وقال أبعدك الله يابطال من أين لك بنات الملوك يكونوا لك فراش عليك يابطال ببنت راعى أو شماس صعلوك مثلك ثم أقام يده وضربه بسوط كان فى يده على عمته علقها فى رقبته وأراد أن يهوى بيده إلى قائم الحسام يعلوه به فقام القاضى عقبه قائما على الأقدام لما رأى تلك الأحوال وقال أقسم بالله العلى العظيم وبالقرآن القديم ان أبا محمد أحق بها من كل انسان لانكم مدا الدهر ما قضيتوه حاجة وهو يطول عمره يخاطر بروحه فى هواكم ويكابد فى محبتكم بمهجته فصاح الامير عبدالوهاب وقال اسكت ياشيخ الضلالة ومعدن الجهاله أتريد أن تكسر أغراضى وتعطيها العوضى وتوقع الفتنة بينى وبين صديقى فقال عقبه والله انى لم أراك تراعى صحبه ولا وفيت بصدق المحبة أهكذا تكون الصحبة والله ما عندك من المحبة ولا حبه كيف يا عبدالوهاب تخص بهذه الجارية روحك ومهجتك وأنت تعلم ان أبو محمد شاب رأسه فى طلبها وفى الحرب من أجلك وأنت لاترعى خدمته ولا تعرف قدر صحبته فلما سمع البطال ذلك الكلام من عقبة شيخ اللئام فاضت عبرته وزادت حسرته وعظمت بليته وكثرت زفرته ورجع إلى طبع عربيته وأنشد يقول

لقد ضاع فيك الآن جدى وخدمتى وأنت تريد الآن تأخذ مهجتى
وتطمع فى نولى ونورى حبيبتى فدعها وإلا سوف تأتيك نقمتى
فما أنت الا فاسد الظن أرعنا ومالك رأيا فاتق الآن صولتى

تزوجتها فى الغيب من قبل آدم وأمهرتها فى الغيب شعرات لحيتى
فدعها ودعنى يا أخى وشرائها وإلا فأنت الآن تبغى عداوتى
فلو كنت فى خمسين ألف تركتهم كمثل كلاب الدير صرعى بهمتى
وأترك هذا الوجه منك معفرا فدونك رأيى واستمع لنصيحتى

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب من البطال هذا الخطاب وهو بين بنى عامر وبنى كلاب وبنى سليم والسودان الانجاب نسى ما كان بينهما من الصحبة والصداقة والمحبة وهم أن يضربه بالحسام فصاح البطال يا آل حام يا آل حام يالون الظلام فانتخا له ميمون الجماس ومعه أربعة آلاف أسود عليهم صدور الزرد والجواشن والخود لم يزيلوها من على أجسادهم من حين وردوا من جهادهم وقالوا كلهم عن لسان واحد أبونا ما يضام ونحن ما منا إلا كل فارس همام وأسد ضرغام فأشار اليهم وقال دونكم وهذا الأسود الضال عند ذلك أنتخت السودان وتشوشت الخواطر والاذهان واللعين عقبة لما رآى ذلك التفت الى بنى سليم وقال يابنى عمى أزيلوا عن البطال الضيم فهو على كل حال ابن عمكم ولحمكم ودمكم وهؤلاء السودان انتخبوا له من دونكم وأنتم سادات العرب وأصحاب الحسب والنسب قال فلما سمعوا سادات بنى سليم ذلك المقال هاجوا فى بعضهم البعض وتقدم الأمير عمر وقدام القوم ورفع صوته وأنشد :

لقد جاز هذا الأسود الآن حده وما زال يعلو طوده فى المواثب
يريد عروسا ما على الأرض مثلها وهذا لعمرى فاسد غير واجب
وحق الذى حج الحجيج لبيته ونادوا له لبيك من كل جانب
لانتقمن اليوم منهم بجحفل يشيب له والله رأس الذوائب

(قال الراوى) عند ذاك هدرت السودان وبربرت الحبشان وحملت الخيل على الخيل فى الميدان وعمل بينهم المرهف اليمان وخرقت الاسنة فى صدور الفتيان فاستقبلتهم سادات بنى عامر وكلاب ودارت كاسات المنون وحارت من النظر العيون وحمل طماطم ميمون وصرخات أبوخرطوم وأبو شكال وسعدون وتبعهم طحطح وأبو الفرون وصاح عقبة فى الجميع وألقى الفتنة بينهم سريع وقال لسادات بنى كلاب لا تبقوا على أحد من سيم الكلاب وقال لبنى سليم لا تبقوا على أحد من بنى كلاب واقصدوا كلكم الى هذا الأسود المرتاب فان النظام قد انفسد وانخرم وقد فاق عبد الوهاب على البطال دون الامم وقصد عقبة سفك الدماء من هؤلاء وهؤلاء لأن عقبة لا له صديق ولا رفيق عند ذلك حملت بنى كلاب حملة الليث الفياض وذهبت

الأعراض ودهمت الأمراض وحملت الجوار سرير الملكة نورى على رؤسهم وهى تنظر الى تلك الواقعة وترى الى تلك الفجعة وتقول ويماه ويماه ليتنى لا أباع ولا كان هذا فسكنوا الجوار روعها وهدؤا قلبها وطيبوا خاطرها وقالوا ياستاه هذا كله من أجلك وكل منهم يريد وصلك فقالت وحق المسيح لم يصل الى منهم إنسان ومن طلب منهم وصالى كنت له ولنفسى قاتله ولا يحظى أحدا منهم بجمالى (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب أرسلها عند الأميرة علوى لأجل مافيها من الدين والمعرفةواليقين وما زال السيف يعمل بين الطائفتين إلى أن أقبل الليل وولى النهار فافترقوا عن بعضهم البعض هذا وعقبة عاد الى مكانه وادعا بدواة وقلم وكتب الى الخليفة كتاب يقول فى أوله بفضل بسم الله الرحمن الرحيم السلام التام على الامام مولانا ابن الامام ومن جعله الله متولى الأحكام وبعد أخبرك يا أمير المؤمنين يوم تاريخ الكتاب الأسود الحجام وصل الى ملطيه من حصون اليونان وفى صحبته جارية كأنها بدر التمام تسوى ملك العراق والشام فتنة للأنام مليحة الابتسام بنهود كأنها رمان على رخام الاعكان مدرجة والسيقان مرجرجه تخجل البدر فى الدجى ان أقبلت والى سائر المحاسن قد كملت تصلح للخلفاء تفوق على الملاح بوجه كأنه مصباح وخدود كأنها تفاح طولها طول الرماح ووصلها يداوى الجراح بثغر كأنه بياض الاقاح قربها شفاء للأرواح ما ملك مثلها من الملوك ولو رآها لتضاربوا من أجلها بالسيوف والرماح فاغتنم الفرصه قبل حلول الغصه لان الاسود يريدها وهو لا يصلح أن يكون لها لانه من بعض عبيدها كما قيل فيها هذه الابيات :

سبتنا بألحاظها والمقل	وريق شهى كطعم العسل
وخلق رضى ووجه مضى	وشعر كليل إذا ما انسدل
وطرف كحيل وخد أسيل	يفوق العوانى عند القبل
وخد ظريف وخصر لطيف	وطول منيف كطول الاثل
شفا للنفوس وتشفى النحوس	ووصل العروس بلوغ الامل
ربت فى الدلال نعم والكمال	وتسبي الرجال بثقل الكفل

(قال الراوى) ثم أرسل الكتاب الى الرشيد على جناح طائر من الحمام فبينما هو كذلك جالس على سدة خلافته ومن حوله أرباب مملكته وإذا هو بالبراج داخل بالكتاب وسلم وخدم وناوله للرشيد فأخذه وقراه وجعل يردد ألفاظه ثم يقول وصلها يشفى الامراض ويبلغ الاغراض فوقعت النار فى قلبه من ذلك الوصف الذى فى جمالها

فادعى بمملوك وكان من غلمان الدار وكان صاحب حرب وقوة فى الطعن والضرب وقال له خذ معك خمسماية مملوك وأسرع الى ملطية وخذ الجارية التى اسمها نورى من الأسود وان خالف فخذوها بالرغم عنه (قال الراوى) ياساده ياكرام فركب المملوك من وقته وساعته وأخذ ما أمره به أمير المؤمنين وهم الخمسمائة مملوك وكلهم بالخوذ اللامعة والعدد الساطعه والدروع المضاعفه والرايات والأعلام والخيل والجنائب والخيام والمضارب وهم فى أحسن زينه تكون وتوجه الخادم الى ملطية عازم على ماندب اليه من تلك القضية فهذا ما كان من هؤلاء من الأمور والأسباب (وأما ما كان) من بنى سليم وبنى كلاب فانهم داموا على أشد ما يكون من الحرب والقتال والكفاح ونادى الشجاع لابراح وامتلأت بالقتلى تلك الارض والبطاح والأمير عبد الوهاب أباد الابطال الوقاح وأرعب بصوته القلوب الصحاح وهو ينشد ويقول

أنا ابن الحرب ربتنى دليـــلا ... إلى أن شبت واهتلكت أذانى
وما رست الحروب ومارستنى ... فما ضعفت ولا أوهت جنانى

(قال الراوى) ودار بينهم الحراب الى أن مشت بينهم المشايخ من القبيلتين فى الصلح وترك اللجاج فما رضيوا بذلك بنى سليم بل قالوا لا بد لنا أن نخرق بعبدالوهاب كما أخرق بابن عمنا البطال وذلك كله من تحريض عقبة شيخ الضلال وصاروا يقولون لابد ما نترل بنى كلاب وعامر النكد ونفنيهم بالصارم المهند وتبقى العداوة بيننا الى الابد (قال الراوى) ولما أن سمع الامير مقالهم قال لهم دونكم يارجال توعدوا أن القتال يكون فى مرج الفصلان لأجل وسع المكان لانه مرج واسع يصلح للقتال وقال بعضهم فى مرج من مروج ملطيه يعرف بحصن يكسور لانه واسع الامكان يصلح لجولان الفرسان وداموا على اللجاج الى أن أقبل الحاجب بالخمسمائه فارس وهم بالقسى والكتائب والسيوف الهندية والرماح الخطية والخود اللامعة والجواشن الساطعة والبيارق والرايات والخيل العربيات فارتجت الارض من هيبة رسول الامام ورجع كل منهم الى مكانه ودخل الامير عمرو بن عبيد الله الى البلد وجلس فى دار الاماره ونزل الحاجب عنده واجتمع عنده الكبار والصغار وعاد الامير عبد الوهاب الى مكانه وأقام ينتظر ما يكون من أمر الحاجب الذى أتى من عند الخليفه هارون الرشيد بالله (قال الراوى) وكان الامير أبو محمد الآخر فى تدبير أموره وأحواله وميمون الجماس يقول له أيها الامير نحن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ننصرك على كل من يعاديك وأيضا اجتمعت بنى سليم وأحمد الداى وعبد المجيد بن جعفر وابن أبان

وسيف بن مازن واجتمعوا كلهم عند الامير عمرو والغلمان فى حضرة رسول الامام وأرسلوا الى الامير عبد الوهاب حتى يسمع ما جاء به حاجب الخليفه فأجاب بالسمع والطاعه لله ولرسوله ولامير المؤمنين وسار الى نحو بيت الامارة ومعه ولده سيف الحنيفه وضيغم وسعيد بن الفرج وراشد بن ضمره والديال وطارق الحجازى ومالك بن بشر الحجازى ومثل هؤلاء السادات والأمراء القادات وركبت الأميرة ذات الهمه من خوفها على ولدها أن يتم عليه أمر من الأمور تنظرمايكون هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه قال لميمون الجماس أيها الأمير من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب والرأى عندى أننا ندبر أمورنا من قبل أن ننفضح وأقول أن هذا الشيطان عبد الوهاب ينزل علينا الهوان وأنا مرادى كما قال بعضهم حيث يقول

وإذا الديار تنكرت عن أهلها ... فدع المقام وأسرع التحويلا
ليس المقام عليك فرض واجب ... فى بلدة تدع العزيز ذليلا

فقال ميمون الجماس الأمر اليك وأنت أدرى منا بالصلاح فقال البطال أنا أرى من الرأى الصائب قبل كل شيء تعمل لنا على مكان حصين نكون فيه قبل كل شيء فقال ميمون نعم ما أشرت وكلنا معك وأين ما سرت نتبعك ونبذل المجهود بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك فقام البطال ومعه ميمون الجماس وأربعة آلاف أسود وسار من ملطيه متوكل على رب البرية (قال الراوى) وأما الأمير عبدالوهاب فانه لما أتاه الرسول سار الى ملطيه وأمامه ولده سيف الحنيفيه الى أن دخل بيت الإمارة وسلم فوثبت الناس كلها الى عبد الوهاب واستقبلوه إلا الحاجب فانه لم يتحرك ولا قام من مكانه ولا أعبأ به ولا اعتنى بالأمير فاغتاظ سيف الحنيفيه وهدر وزمجر كأنه البعير فقال الحاجب يا عبد الوهاب ما يكفيك تقيم النفاق على هؤلاء القوم وتجعل الفتنة قائمة كل يوم وتلبس ثياب المخالفة على الامام وتعلم قلة الأدب لهذا الغلام حتى أنه دخل علىّ لاسلم ولا خدم وإن هذا من سوء الادب ولكن قله أدبه عليك تنقلب ولا شك أن هذه النعمة منك تسلب (قال الراوى) فقال الامير أيها الحاجب لا تؤاخذنى بقلة أدب هذا الغلام الصبى فانه فى حجور الملوك ربى ولا يرى على نفسه أن يخضع للملوك فقال الحاجب سوف تعلم المملوك من المالك ومن تنزل عليه المهالك قال فلما سمع سيف الحنيفية ما قاله الحاجب لابيه لم يجد صبر دون أن وثب على قدميه وقال لا تحولوا بينى وبين كلب الاعاجم الظالم الغاشم لانه قد تعدى طوره وزاد شره على ما ليس له والله يا هذا صاحبك وسيدك اننا ما نخضع له إلا

لأنه من نسل الائمة الكرام وأما أنت فلا أهلا بك ولا سهلا ولا مرحبا ثم أنه هوى بيده إلى قائم الحسام وسعى اليه ليأخذ روحه من بين جنبيه فحالت بينهما الناس الحضور وأما الحاجب لما رأى إلى ذلك الحال وسمع ذلك المقال قام قائم على الأقدام ولطم سيف الحنيفية على وجهه وقال يابن الزانية حلت بك الرزية وأراد أن يجرد سيفه من غمده فسبقه سيف الحنيفية ولطمه لكمه على رأسه طير قحفه وعجل حتفه وأخمد أنفاسه وسكنه أرماسه ثم أنه صاح وزمجر وقال أنا بن ترس قبر النبي المطهر ثم طلب عقبه ليعجل عطبه وإذا به بال فى سرواله وهرول نحو بيت الحرام وسرواله قد انبل وهو يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وخرج الأمير عبد الوهاب من المجلس وركب ووقع الصائح وزاد الصراخ وجردت الصفاح وسمعت الغلمان بموت الحاجب فعظمت عليهم المصائب ولحق الأمير عبد الوهاب بعسكره وقد حار فى أمره وقال لولده لقد استعجلت فى قتل الحاجب وأشعلت علينا نارا بسببه فقال يا أبتاه أذل الله من يذل نفسه لهؤلاء القوم وسوف أجعله يوم وأى يوم (قال الراوى) هذا وعمرو صعب عليه قتل الحاجب فى داره وكبر لديه وتيقن من الخليفة بدماره فصاح الكلب عقبه فى بنى سليم وقال دونكم وهؤلاء القوم وادفعوا عن أنفسكم العتب واللوم من أمير المؤمنين لعل أن يبلغ إلى الخليفة فعلكم ويعفو عنكم عند ذلك لبست بنى سليم العدة وخرجوا من البلد إلى حصن يكسوم وبطل العتب واللوم ولما نظر الأمير عبد الوهاب الى تلك الفعال وسمع من عقبة ذلك المقال قال لقومه ياقوم لقد لزمنا القتال الى هؤلاء القوم الجهال وفى الحال ركبت الرجال وهمهمت الأبطال وتبادروا إلى الحرب والقتال فهم كذلك وإذا بصالح بن عمرو تقدم بالجواد بين الصفين وتقرب من الأمير عبد الوهاب وقال أيها الامير والسيد الخطير على ما ذا عولت فارجع وانظر ماذا تصنع فان لله المرجع أيليق بك بعد جهادك فى الكفار وقتالك إلى الأشرار تقاتل أصحابك وتخاصم إخوانك وأحبابك وجيرانك أما تعلم ان الله قد أوصى بالجار فبالذى قد أسبغ عليك نعمه لاتؤاخذنا بذنوب غيرنا ولا تثير الحرب بيننا فنحن بالله ثم بك أيها الأمير وأشار اليه وأنشد يقول

لايغضبن على قوم تحبهم ... فليس منك اليهم بصلح الغضب
ولا تخاصمهم يوما إذا غضبوا ... ان الملوك إذا ما خاصموا غلبوا

(قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب من الأمير صالح تلك الابيات قال ياصالح ان بنى سليم لاعندهم خير ولاصدق ولا لهم وفاء ودائما ننظر منهم الجود

والجفاء فقال صالح أيها الامير ان عمرو أخوك احفظ حق عبيد الله ولاتؤاخذ عمرو بالغلط فمنك لايجوز الشطط ثم ناوله كتاب من عمرو فأخذه الأمير وقرأه وعرف رموزه ومعناه وإذا فى الكتاب أرعاد وأبراق وتخويف وتهديد ووعد ووعيد فقال الامير ياصالح أنت تريدالاصلاح وعمرو يريدالحرب والكفاح فقال صالح أيهاالامير بحق البشير النذير السراج المنير فخر ربيعة ومضرالذى انشق له القمر ولان له الحجر لاتؤاخذ عمرو بأفعاله فانه لايقاس بمثلك لأنك الهمام الأمجد وترس قبر النبي محمد وإن كنت سمعت شيء فهومن أندال الرجال وأنا أسألك أيهاالأمير بمن مرج البحرين وأنار النيرين ورفع قدرالحرمين إلا ما سامحته فى الغلط وأهملت أمره فانه ليس أهلا لذلك فقال الامير ياصالح يهددنى عمرو بكتابه ويخوفنى من أبطاله فيا هل ترى أنا أخشى من الابطال أو أخاف من الأقيال وحق من أرسى شوامخ الجبال أنى الى القتال أشهى من العطشان الى الماء الزلال ثم انه رجع الى طبع العرب أصحاب الحسب والنسب وأنشد يقول :

ألا إنما يحمى الديار ويرحم ... سوى بطل عند الهياج مقدم
ومن كان فى الهيجا يولى هاربا ... ولا يلتقى حرباً ولايتقدم
فذاك هو النذل الذى إن جاءذكره ... يكدر بالاخطار ذكرا ويعدم

(قال الراوى) فرجع صالح الى بنى سليم وأدى الرسالة وماحمل من المقالة فصعب على عمرو وكبر لديه وقال دونكم والحملة على هؤلاء القوم الذين لايرعوا جار ولا يلوون الى نخار فعند ذلك اصطدمت المواكب بالمواكب فتلقتهم بنى كلاب كأنهم السلاهب وجودوا طعن القنا والقواضب وزاد التعكيس والضراب ونفخ إبليس وتأخرالتعيس وتقدم البطل الرئيس وهرب الجبان النحيس وزاد القتام وصار الضياء ظلام وعقبة ينادى يابنى سليم : أزيلوا عنكم الضيم واكشفوا عنكم العار واستعملوا الصارم البتار هذا وقدثارت القبائل وتصارمت الجحافل وصاروا مابين مقتول وقاتل وصاح الصايح وناحت من النساء النوايح وفاحت من القتلى الروايح وصاروا أحدوثة العادى والرايح والامير عبد الوهاب كأنه أسد الغاب وأنزل على بنى سليم المصايب ولم يزل حتى ألبسهم الهم والغم والنكد وأخرجهم من البلد وساروا فى البر مجدين والى نحو العراق طالبين (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء من الامور والاحوال . وأما ما كان من الامير أبو محمد البطال فانه سار من أرض ملطيه ومعه ميمون الجماس وسودانه الاربعة آلاف فقال ميمون أخبرنا الى أين قصدك والطلب فقال البطال

مالنا أوفق من آمد سر بنا اليها على بركة الله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فلا بد لى منها إن شاء الله لان ما يحمينا إلا هى فقال ميمون يامولاى الموضع كما تعلم حصين ولا لاحداليه وصول وهو بالرجال مكين وصاحبه كدكد بن غشم بن زياد ولا تقدر على فتحها ولو أقمنا عليها سنين وأعوام ونخاف يدهمنا الرشيد أوعبدالوهاب وقد قال القائل فى ذلك المعنى من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب فقال البطال سيروا أنتم على بركة الله تعالى فان الله إذا أراد أمر هيأ أسبابه وإذا أراد أمرا ما يكون إلا ما يريد فساروا لها مجدين إلى أن وصلوا إلى مكان يقال له تل حام وكان وصولهم له عندادبار الشمس واقبال الظلام وقدمالت الشمس إلى الغروب وحن الحبيب إلى لقاء المحبوب فنظر البطال وإذا قد لاح بين يديه قباب ومضارب وسرادقات وأعلام ورايات وكلاب الصيد وفهود وخيول على مرابطها وخدم وغلمان (قال الراوى) وكان هذا غشم بن زياد صاحب البلد وقد خرج طالب الصيد والقنص وانتهاز اللذات والفرص فلما رآه البطال عرف أنه بلغ المقصود وقال جاء الفرج وذهب عنا الحرج وقد ملكنا البلد بقدرة الفرد الصمد والتفت البطال لمن معه وقال لهم دوروا من حولهم من كل مكان وجانب وإياكم أن ينفلت منهم هارب عند ذلك تفرقت من حولهم السودان ومالوا عليهم بالجراح من غير قتل حتى ملكوهم عن بكرة أبيهم وهم متعجبين من أمرهم فأمر البطال بكتافهم ووكل بهم جماعة من الرجال بعد ما عراهم لباسهم وألبسه للسودان وأبو محمد لبس لبس كركر بن غشم أميرهم وأخذ الأعلام والرايات والفهود وكلاب الصيد وساروا الى آمد من أول الليل فأشرفوا عليها عند اشتباك النجوم وقد تجلى الحى القيوم ولما أن رأوهم الحراس من فوق الأصوار قالوا قد رجع الأمير ونزلوا إلى الباب وفتحوه فأول من دخل كان الأمير أبو محمد البطال ومن خلفه السودان والأبطال وعدلوا الى القصر ملكوه والأبراج ملكوها وصاح أبو محمد يامنصور فقامت الرجال ينظرون ما الخبر فوجدوا البلد ملكت والأسواق قد غلقت وما نطق ناطق لما حققت الحقائق وقالوا كبار البلد الحمد لله الذى ما ملكنا أحدا من الأعداء بل ملكنا ترس قبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم ووصل البطال الى دار الامارة واحتوى عليها وعلى مافيها من العدد والمال والرجال مالا تحمله البغال ولا الجمال وأتوا اليه كبار البلد وخاطبوه بالامارة فخلع وأوهب وفرق الفضة والذهب وانصلح الحال وملك البلد ولا انتطح فيها كبشان ولما أن قر قراره أطلق

لكركر وبنى عمه وأعطاهم أولادهم ونساؤهم وأموالهم ومضوا الى جبال توتين وملاذكور فيجمعون الرجال والجنود ويرجعوا يقاتلوا عن بلادهم وملكهم لهم كلام (قال الراوى) أما بنى سليم وعمرو بن عبيدالله والقاضى عقبه فانهم وصلوا الى بلادهم وهى بغداد ودخلوا على الخليفة بعد أن أخذوا الاذن وعقبه قدام القوم وجعلوا يخترقون الستور الى الستر الخاص فوقفوا هناك قليل والمجلس منغص بالناس من الامراء والوزراء والنواب والحجاب والخدام قيام على الاقدام ذات اليمين وذات الشمال وهم بالملابس والمناطق فوقعوا الى الارض يقبلوها ولما رفعوا رؤسهم تقدم القاضى عقبه وتنحنح قبل كلامه وأطلق لسانه وقال السلام على شجرة النبوة والعترة العباسية أدام الله على الخافقين ظلك وجمع شملك واتصل حبلك يا أمير المؤمنين خذ بيد المظلومين المهجمين فقد أخرجونا بنى عامر وكلاب من البلد وأنزلوا علينا الهم والنكد وهتكوا الحريم والولدان وقتلوا حاجبك والغلمان وفرقوا السالمين فى كل مكان وامتدت بالظلم أيدى العرب والسودان وكل ما جرى علينا من الامور الصعاب من يد عبد الوهاب فانظر الينا يا أمير المؤمنين بعين العدل ولا تنسانا من كرمك والفضل (قال الراوى) فلما سمع الرشيد مقالهم وشاهد أحوالهم قام وقعد وأرغا وأزبد وقال يقتـــل حاجبى والغلمان ويتظاهر على بالنفاق والعـدوان ثم التفت الى الوزير ابن مسعود وقال له اكتب كتاب الى الاسود الحجام واغلظ عليه فى المقال والكلام حتى نعلم ما يكون منه من الجواب وما يرد الينا من الخطاب وبعد ذلك لابد لى من هلاك بنى عامر وكلاب ولابد لى ما أفعل بهم مثل ما فعلت بالبرامكة عند ذلك كتب الوزير كتاب الى الامير عبد الوهاب أول ما سطر فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد من نايب الدولة ووزيرها ومدبرها ومشيرها أبا محمد فقد كشف بك الدهر غرته وأوضح لك مناهج سبله وعرفك نعمته حتى بطشت وغرك بطشك بالبطر وأوقعك فى ميدان الكبر فأنت سايح فى جهالتك وتظن فى نفسك أن لا تنفضح فازددت فى تدبيرك وعملك وأنا أقسم بالله الذى رفع العرش وبسط الفرش اذا لم تخلع ربق الشك من عنقك وتعظ نفسك بالافعال الجارية وترسل الينا الجارية وترجع عن أمرك والا تكون بعدها عديما وعظمك رميما والسلام على من سمع وأجاب وعجل لنا بالجواب (قال الراوى) ولما فرغ الوزير من الكتاب أعرضه على الامام وأرسله الى الامير عبد الوهاب صحبة نجاب فأخذه وسار راكب على ملطيه حتى وصل الى ملطيه فدفع الى الامير عبد الوهاب الكتاب ووقف ينتظر

رد الجواب ولما أن قرأه الامير وعرف معانيه وما فيه من الوعد والوعيد والخوف والتهديد كتب جواب الكتاب يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين فان أعقل الناس فضلا من أخذ من الاعمال أغلاها وأنجح الاقوال وأرضاها من تمسك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبل شريعته والله يعلم أننى ما خرجت عن طاعة الامام ولا عن قاعدة الاسلام وإنما بنى سليم لما أرادوا قتالنا قاتلناهم ومانعنا عن حريمنا وأولادنا وأموالنا ولما تعدوا علينا بلاهم الله بالهوان وتشتتوا فى القيعان ورمتهم سهام الغيب والخذلان وأما نحن طائعون وعلى سنة الاسلام مقيمون وأما تسليم نورى فلا يكون أبدا الا أن يلعب جوادى برأسى وتخمد أنفاسى ثم ختم الكتاب بهذه الابيات ونحن وأنتم نصلى على صاحب المعجزات

ومن فى الناس يصبر عالبلاء　　　سأحمل فى القتال بغير رعب
وأرمى القرن فى وسط الفلاء　　　لعلى أن أشال على العوالى

(قال الراوى) ولما سمعت الأميره من ولدها هذا الكلام الذى غير موزون ومقلب القوافى علمت أنه من الغيظ ما يدرى ما يقول فقالت ياولدى لا تحمل على قلبك هم ولاغم فوالله الذى لا إله إلاهو لتنظرن من هذه العجوز شيئا مارأيته عمرك وماتنساه دهرك ولكن ياولدى احترز على نفسك واجمع الرجال والأبطال فلابد للخليفة مايسير اليك فى هذه النوبة والبطال مضى عنك ومعه ميمون الجماس وسودانه ولا تأمن منه ولا من شره ومكره فقال لها يا أميرة المجاهدين أنا لا أبرح من ههنا حتى يبرح الخليفة أو غيره وأقلد الباغى بغيه وسوف أخرج الى كل من أتانى وأقاتل جهدى وطاقتى ويعطى الله النصر لمن يشاء . هذا جرى ههنا . وأما ما كان من عقبة فانه خلا بنفسه وكتب الى (نورا) كتاب وهو يقول فيه أيها الملكة لا تحزنى ولا تهتمى ولا تحملى على قلبك هم ولا غم فأنا لابد لى أن أعمل على خلاصك فى هذه الأيام وأوصلك الى الملك منويل ملك الروم وتكونى عنده أحظى الناس ولكن أريد منك أن تساعدينى على ذلك بشىء من أعمالك وعين لها فى الكتاب ما تعمل وما وصل اليه من الحيل وكان الامير عبد الوهاب بواب على داره وهو رجل كبير فلم يزل يتوصل اليه عقبة بالهدايا والصحبة الى يوم من بعض الأيام قال له ياشيخ لى عندك حاجة وأريد منك قضاها وهذه مائة دينار ولك الأجر والثواب وهو انك توصل الى الملكه (نورا) هذا الكتاب فلما نظر البواب الى المائة دينار أخذ الكتاب من عقبة المرتاب ومضى الى نورا وسلمه اليها ففتحته وإذا فيه صليب وأنا وأنتم نوحد القريب المجيب ونصلى

على النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم . أما بعد : من عند الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة بن مصعب يعلمك أيتها الملكه أنه ما بينك وبين أهلك إلا شيء يسير ولكن ساعديني بكتاب بخط يدك أرسله الى البطال تقولى فيه : أما بعد ياأبا محمد ومن هو فى حيله وصناعته أوحد اعلم انى وقعت عند الاسود الحجام وقد منعت من المنام وأخذنى الهم والغم والغرام وقد علمت بما عندك من الهوى والهيام فهربت مع قوم نصارى من الأرمن وهاأنا فى مغارة الثعلب أنتظرك وقد علمت مافى قلبك من أجلى فأرسلت لك ذلك الكتاب مع رجل من العرب فتسارع اذا كان لك فى وصالى أرب وأرسلت لك مع الكتاب الدملج الذى كان فى عضدى حتى تطمئن القلوب وتنال المطلوب وسلمت الكتاب والدملج الى البواب وقالت له أوصل هؤلاء الى صاحب الكتاب الذى سلمه إليك فقال البواب سمعاً وطاعة ثم انه رجع الى أن سلمه الى عقبه وكان الملعون أتى الى ملطيه فى أمور مخفيه ودبر ذلك التدبير . ولما رأى الدملج والكتاب فرح فرحا شديداً ماعليه من مزيد ثم إن عقبة بعد ذلك كتب كتاب الى الملك منويل يقول فيه : أما بعد أيها الملك انى صنعت ماهو كذا وكذا من الاحتيال وأرجو من المسيح أن تتم الحيلة ويقع فى يدى البطال فساعة وصول الكتاب اليك ترسل حرب بن شيبان ومعه الدمشق وألف من متنصرة العربان يكونوا فى زى المسلمين ويأتونى إلى مغارات الثعالب حتى أدبرهم على أخذ البطال من هناك ثم أرسل الكتاب مع غلام من غلمانه يقال له ظاهر فسار بالكتاب إلى أن أوصله إلى ملك الروم منويل وسلمه اليه بعدما خدم فلما قرأه الملك وعرف رموزه ومعناه أحضر حرب بن شيبان وأمره أن يأخذ ألف من العرب المتنصرة ويلبسوا لبس المسلمين فأجاب بالسمع والطاعه وأخذ الألف من ساعته وسار إلى المغار حتى وصل وأكمنوا من حولها هذا جرى (وأما عقبه) بعد إرسال الكتاب إلى ملك الروم دعا بغلام من بنى سليم يقال له الهجام وقال له يا ولدى خذ هذه المائه دينار وانطلق إلى آمد بهذا الكتاب أوصله إلى أبى محمد البطال وقل له كذا وكذا من المقال واسمع ما يبدى لك من رد الجواب واعطيه الدملج والكتاب فأجاب الغلام وأخذ الدملج والكتاب وسار إلى أن وصل إلى آمد وتوصل إلى القصر وطلب الاذن فى الدخول فأذن له فلما مثل بين يدى البطال قال له من أين تكون وما تريد فأعطاه الكتاب والدملج وقال يا مولاى هذا الكتاب من عند الأحباب (قال الراوى) ولما سمع البطال بذكر الحبيب ورأى إلى الدملج خفق فؤاده وهام واضطرب كونه وتغير لونه وجرت دمعته على وجنته

وزادت لوعته وباح بكتمانه ونطق لسانه فأنشد يقول :

أشكو إلى الرحمن عظم مصابى   فهو الذى إن شاء فرج ما بى
ما كان ظنى أن أقاد مقيداً   من غير طعن نافذ وضراب
فعليكموا منى السلام تحية   ما غرد القمرى وناح غراب

(قال الراوى) ثم ان أبا محمد لم يطق الصبر دون أن وثب قائما وهو من فرط الغرام هائما والقضا والقدر قد أفرد على رأسه أجنحة النوائب وأخذ معه مائة من السودان وأربعمائة من الأكراد وقد خرج لهم توقيع من الديان كل من عليها فان وانقطع حبل حياتهم وقربت منهم مطايا وفاتهم ثم ان البطال أحضر ميمون الجماس وقال له يا ميمون أنا ماضى فى غرض أقضيه والمدينة مسلمة اليك ومعتمدين بعد الله عليك ثم سار أبو محمد من ساعته وخيال نورى فى كل ساعة يغشاه وهو يرتعد من عظم جواه الى أن وصل الى المغارة بعد أيام عند ما ولى الضياء من الأقطار وجرد على الأرض ذيل الاعتكار وأبو محمد لا يدرى غوامض الأسرار ومنادى الغيب ينادى أين المفر من القضا والقدر (قال الراوى) ولما وصل الى المغار هو والسودان والأكراد أثنى رجله من الركاب ونزل ودخل الى المغار على عجل وقد اشتدت به الزفرات والوجل فلم يستقر به القرار حتى سمع قعقعة اللجم واصطفاق القنا وقد خرج حرب ابن شيبان ومتنصرة العربان من خلف تلك التلال وأبو محمد من داخل المغار ومن معه من الرجال وهم آمنون من نوائب الزمان وهو يظن أنه قد ظفر بذات الدلال والحسن والجمال ولم يعلم بما قدره عليه الملك المتعال فهو كذلك اذ سمع صياح الرجال وهمهمة الأبطال فرجع الى باب المغار فوجده قد ملك فأيقن أنه قد هلك فعاد الى داخل المغار منهزما وهو على ما فعل نادما وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالوا أصحابه أيها الأمير ما وراك أمر عظيم وقد ملك علينا باب المغار وأنا خائف أن تكون تلك الفعال من عقبة شيخ الضلال أو من عبد الوهاب فزعا على نفسه منى ولكن الأقرب أنها من عقبة لأن هؤلاء الأعراب وجوههم مظلمة وأقول أنهم من العرب المتنصره فان قاتلونا بالبتار فهو الذى نختار وان رشقونا بالنبال فهم يثبتوها فى قلوب الرجال (قال الراوى) هذا وقد تصادمت الرجال وصايحت الأبطال ودام النزال حتى تخضبت الأرض بالنجيع ثم تضاربوا الضرب الوجيع وامتلأ المغار من القتلى وزاد على الأعراب البلا وظهرت سائر الكمنا وتزاحموا على باب المغار وبقى البطال فى أمره محتار (قال الراوى) فقال عقبه لحرب ان أنت رمت

القتال طال علينا المطال ويأتى شىء ما يكون لنا على بال والرأى عندى أن ترمى الأحطاب والأخشاب على باب المغار وتضرم فيها النار فان القوم يسلموا نفوسهم اليك قال فأرسل حرب جماعة من أصحابه تجمع الاحطاب والاخشاب ففعلوا ذلك ونادوا يامعاشر المسلمين سلموا نفوسكم من الموت تسلموا وإلا تحرقوا فلما سمع البطال ومن معه من الرجال ذلك المقال أيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك وقالوا انهم يقولون ويفعلوا وما بقى فى الأمر إلا اننا نسلم نفوسنا اليهم وننتظر الفرج من عند عالى الدرج لأن المأسور ينتظر الفرج والمقتول رأسه مدحرج عند ذلك رموا من أيديهم العدد وسلموا نفوسهم الى حرب بن شيبان ومن معه من الفرسان ولما ملكوا البطال ومن معه من الأكراد والسودان وهموا بالمسير قال عقبة إن هذا ماهو صواب وأخاف عليكم أن يصل الخبر الى آمد فتأتى السودان ومن معهم من الفرسان فما يبقى منكم باقيه فقال حرب وكيف يكون الرأى ياقاضى عقبه قال اضرب رقاب الجميع ولا تبقى منهم رفيع ولا وضيع فقال حرب أنا أريد أن آخذهم أسارى حتى يشاهد الملك فعلى فى ذلك المنى ويكون دخولى الى البلد فيه المسرة والهنا والفرح ويكون يوم عظيم فقال عقبه هذا رأى ما يعجبنى اضرب أنت رقاب الجميع وطاوعنى واحمل رؤوسهم على الرماح تبقوا كأنكم حملتموهم وهم صحاح وتربح الظفر لأن المخاطرة مذمومة ولو سلم صاحبها وخذ معك أبو محمد البطال وحده بالحياة حتى ينظر اليه أبو الشر الراهب شومدرس ولا تقتلوه لما أحضر الى عندكم حتى أعمل على خلاص الملكة (نورا) واذا خلصت وصارت فى يدى أتيت بها الى عندكم وأشاهد قتلة البطال والعاقبة للأسود عبد الوهاب أن يصيبه مثل هذا المصاب فقال حرب بن شيبان أما السودان فآخذهم معى بالحياة فى حالة الذل والهوان . وأما الأكراد دونكم وإياهم افعل بهم كل ماتريد فقال عقبه علىّ بهم فأحضروهم فقتلهم وهو يقول هذا كله عنداً فى خليفة الإسلام وإن طول المسيح فى عمرى سوف أخرب بيوتهم فقال حرب بن شيبان المسيح يطول فى عمرك (قال الراوى) وأخذ حرب السودان وأبو محمد البطال وأسرع خوفا من عائق يعيقهم ولم يزل يجد فى سيره الى أن وصل الى القسطنطونية وخرجت للتفرج النساء والرجال ولم يبق أحد إلا وقد خرج يتفرج على الأسارى والرؤوس وهم أربعمائة رأس من الأكراد وأبا محمد تغير جسمه ولونه وقد أضر به الهوى وبين الفراق والجوى وكيف انه ملك بعد أن كان مالك وملكت منه آمد وشمت فيه العدو والحاسد فجرت دمعته على خديه فأن أنين المشتاق وبكى من ألم الفراق وأنشد وقال :

شكوت الى الرحمن عظم مصابى فهو الذى إن شاء فرج ما بى
ما كنت أحسب أن أقاد مقيداً من عظم طعن نافذ وضراب
لكن خدعت وطال ماخدعوا الورى بحديث غانية وحسن كتاب
بالله ياريح الشمال تحملى منى السلام وساعدى بجوابى
لو أن نورا ساعدتنى بوصلها لنسيت ما بى من عظيم مصابى
بالله ياريح الحجاز تحملى منى رسالة واله مرتاب
قولى لها انى رهين صبابة وحليف أشواق بذل مصابى
فلأصبرن على الزمان وحكمه حتى يقل تجلدى وعذابى

(قال الراوى) ياساده يا كرام هذا وقد أخذهم الصياح من الروم من سائر النواح ووصلوا بهم الى دار البلاط فحبسوا السودان ومضوا بالبطال قدام ملك الروم فلما أن رآه الملك صلب على وجهه وقال إلى كم يهلك المسيح لابد لى من قتلك شر قتله فرفع البطال رأسه وإذا بشومدرس جالس عنده فى الدست وهو فى منزلة عالية لأنه قد احتوى على قلب (منويل) وعلى قلوب جميع البطارقة ودهرشوم يحجب الملك وهو رأس الحجاب فأيقن البطال بالهلاك وقال شومدرس وحق المسيح ماقصر الشيخ النجيج لأنه أوعدنا بأسرك وصدق بوعده عندها عرف البطال من أين دهى قال والله ما تم لعقبة مافعل إلا بكتاب (نورا) والدملج الذى كان فى ساعدها ولابد له مايعمل على خلاصها ويأتى بها الى القسطنطونية فياليتهم لايقتلونى حتى تأتى وأنظرها قبل الممات ولو نظرة واحدة فأمر الملك بقتله فوثب شومدرس ودهرشوم وتقدموا اليه فقال حرب بن شيبان أيها الملك الشيخ النجيج أوصى انكم لاتقتلوه حتى يحضر ويشتفى منه بالعذاب وبعد ذلك يقتله وقد تركته فى همة المسير حتى يبل شوقه من راهب النصرانية شومدرس فقال الملك وما الذى منعه من المجىء صحبتك فقال ما عاقه إلا طمعه فى خلاص الملكه نورا فقال الملك اجعلوا فى رجلين البطال القيود والأغلال واوضعوه فى بعض المطامير حتى لايجد الى خلاصه من سبيل فقالت شوما وحق المسيح ماله من يحفظه غيرى فقال الملك خذوه عندكم فأخذوه وقد أحاطت به الهموم والغموم وهو يقول هذا كله من أجل نورا ولكن ماهو كثير كما قال بعضهم : (من لم يصبر على العذاب وإلا فهو فى المحبة كذاب) ولما أخذوا البطال وضعوه فى مطمورة فى البيت الذى برسم شومدرس وشوما ودهرشوم وتوكلت به شوما وصارت كل قليل تنزل اليه وتقول له يامرنوس ما بقى من حياتك إلا أيام قلائل حتى يأتى الذى

أرسلك وحق المسيح لولا أتيت الى ههنا لكنت أنا سرت اليك وأوريتك شيء ما رأيته من عقبة ولا من غيره ولكن المسيح أراحنى من التعب والعنا وبعد قتلك سوف أسير الى عبد الوهاب وأذيقه أليم العذاب ثم تضربه مائة سوط حتى يشرف على التلاف وهو يقول والله انى وقعت عند قوم لا يرحمونى ولا يريدون لى حياة وكان بعض الأوقات يجد بعد الضرب راحة فيذكر الملكة نورى وينظر حاله وما هو فيه فينوح من فؤاد مجروح وينشد الأشعار ويبكى بالدموع الغزار ومن جملة ما قال هذه الأبيات

وصل الحبيب تشوقى وجنانى ... لما تمكن مهجتى نيرانى
يا ما لقيت من الغرام واننى ... من حب نورى بت فى أحزانى
ولقد صبرت على الهوان بعينه ... من فرط ما قد نابنى ودهانى
لولاك ما نفذت مناصب عقبة ... فى ولا ملك العدو عنانى
لولاك ما أمسيت فى أيدى العدا ... متشتتا وغريب عن أوطانى
وهجرت جمع أقاربى وأحبتى ... وجماعه الإخوان والخلان
كل الذى لاقيته من أجلكى ... سهل ولاصعب سوى الهجران

(قال الراوى) وكان طول ليلته يهدش بذكر نورى وكان يقعد يوم ويومين من غير قوت وتنزل له أم دهرشوم بالنخال معجون بعكار الزيت وتقول له ياشيطان لو كان الأمر لى أنا ماكنت أطعمتك لا قليل ولا كثير فيقول الأمير أبو محمد البطال لا ستر الله عليك يامقطوعه النخاع وأقام البطال عند أشوما على ذلك الحالى يقاسى الضر والعيش المر فهذا ماكان من أمر البطال (وأما ماكان) من أحوال الثغور فان الأخبار وصلت الى الامير عبد الوهاب أن البطال أسر ومعه جماعة من أصحابه وقتل أربعمائة من الأكراد بحيلة تمت عليه عند تل الثعالب لكن ما يعلم من أين دهى فقال والله أنا سمعت لأنه ملك آمد بالحيله وصار له ستين ألف من الأكراد والسودان وماكنت أنام الليل من خوفى وفزعى منه وإذا كان أسر أمنت جانبه ومن حيله ومكره وغدره وكنت معول إذا لقيته مكنت منه الحسام فقالت الأميرة والله ياولدى سريتنى بأسره لأنه تكلم فى عرضى بكل قبيح وكان سبب كلام الأمير أن عقبه كتب كتاب وأرسله للاميره عن لسان البطال يذكر فيه الذى نعلم به الأسود الذنيم والوغد اللئيم الذى وقع عليه الحكومات فى البيت الحرام وأمه العاهرة التى زنت به من مرزوق وكان أبوه الحارث الذى كفر وارتد هل كنت أستأهل منه أن يأخذ منى جاريه روميه ولكن من كان خسيس كان طبعه خبيث ولا بد لى من صلبه على برج آمد وبعده أمه العاهره وكان ذلك الملعون بالغ فى المقابحة وأتى برجل كردى وأخذه الى داره ثم أعطاه شيئا

من المال وخلع عليه خلعة وقال خذ هذا الكتاب اعطيه للامير وإذا قال لك فى كم يركب البطال قل له فى ستين ألف عناز وأرسل لك معى هذا الكتاب فأخذ الكردى الكتاب أوصله للأمير عبد الوهاب (قال الراوى) وكانت الأميرة قبل ذلك اجتمعت بولدها وقالت ياولدى لقد دخلت عليكم العين وفارقت أخيك خصوصا وقد صار معه ميمون الجماس ومعه أربعة آلاف من السودان وهذا كله من أجل تلك الجارية الرومية لاجعل الله فيها بركة ارسل ياولدى اليه واعطيها له وارجعوا على ما كنتم عليه من حسن الوداد فقال الأمير والله لقد قلتى الصواب (قال الراوى) وهم فى الكتاب وإذا بالكردى دخل بالكتاب الذى زوره عقبه على البطال وسلمه للامير فلما قراه وعرف معناه قامت عليه القيامه وزاغت فى أم رأسه مقل عيناه فقالت الأميرة ماالذى جرى ياولدى فقال لها خذى أنظرى ذلك الكتاب الذى أرسله البطال وما فيه من قبيح الكلام الذى لا يذكر فأخذته الأميره وقرأته فقامت عليها القيامة وقالت ما كنت أستاهل من البطال كل هذا المقال فبعد ذلك بأيام سمعت الأميرة بأسر البطال قالت لولدها ياولدى ارسل من عندك جماعة من أمراء العرب ومعهم شيء من الهدايا والخلع وأرسلهم الى ميمون الجماس حتى أنهم يترضوه ويطيبوا قلبه لعله يرجع الى الطاعة ويصير مع عسكرك ويسند ظهرك لأنه من الشجعان وأيضا معه الأربعة آلاف أسود وكأنك بالرشيد وقد سار اليك بالعساكر والكتائب والمواكب فقال الامير نعم الرأى لأن هذا فيه صواب لانى إن صالحت ميمون صارت آمد فى يدى ونجعل فيها الاموال والعيال وتكون لنا الى الابد (قال الراوى) ثم انه كتب الى ميمون الجماس يقول فيه بعد والسلام والتحيه والاكرام الذى نعلم به الاخ الشقيق وماهو عندنا بمنزلة العبد بل كان عندنا قريب فأصبح عنا بعيد أما بعد أما آن لذلك الغضب أن يزول وقد علمت أنك عندى أعز من الولد ومالى على فراقك صبر ولا جلد وما أملت أن يكون هذا منك طول الأبد وان الذى غضبت من أجله قد أصيب وأنت الى قلبى أجل حبيب وإن أبو محمد ماهو أقرب اليك منى لانك ماعرفته وعرفت غيره الامنى وأنا أولى بك من كل أحد وأنت أولى بى من كل من على وجه الأرض فاذا قرأت هذا الكتاب بادر إلى الطاعه وأنت مقيم مكانك مقدم على فرسانك وعساكرك وأعوانك وقد أمرناك على من عندك من الكتائب والمواكب ومهما احتجت من العساكر أو من الاموال فأنا أرسله اليك حتى تعلو شوكتك واعلم أنه لو كان ولدى ضيغم مضى عنى

ما وجدت لفقده مثل ما وجدت لفقدك وغيبتك وقد أرسلت اليك مع حامل الكتاب عشرين ألف دينار ومائة خلعة برسم المقدمين الذين عندك (قال الرواى) ثم ادعى بالأمير مالك بن بشر الأقطع وضم اليه مائه فارس من مقدمين بنى عامر وكلاب وأعطاه عشرين ألف دينار والكتاب وأيضا الخلع الغوال وقال له يابن العم أنا ما جعلتك رسول إلا أنك تدرى ماتقول من حسن رأيك والمعقول ولعل الله تعالى أن يجعل فتح آمد على يديك (قال الراوى) ياساده ياكرام وسار مالك بن بشر رضى الله عنه بمن معه من الفرسان حتى وصل إلى آمد وكان ميمون الجماس قدوصلته اليه الأخبار بما وقع للبطال ومن قتل من الذين كانوا معه من الرجال فورد على قلبه ما لم يرد على قلب بشر وكاد فؤاده أن ينفطر وقال لقد صدق الحكيم فيما قال عند الأفراح تحدث الأتراح فقالوا له قومه على ماذا عولت أن تفعل قال عولت على انى أقيم حتى تنكشف الأخبار عن أبى محمد البطال فان كان سالم أعمل على خلاصه ولو دخلت بلاد الروم بسببه وأقيم فيها الى أن أملك وأظفر بالمراد وأن فقد فأنا ألبس من أجله السواد والحداد ولا أرجع بعده الى طاعة عبد الوهاب أبدا لأن ما كان سبب هلاكه الا هو لانه تعدى عليه وأخذ منه جارية روميه ومن سببها كانت تلك الرزيه (قال الراوى) فهو كذلك واذا بالبوابين دخلوا عليه وقالوا يامولانا قد ورد علينا مائة فارس كأنهم الليوث العوابس ومعهم رجل مقطوع اليد الشمال الا أنه عليه هيبة ووقار وهو حلو الكلام فصيح اللسان يذكر أنه اليك رسول من عند الامير عبد الوهاب سيد بنى عامر وبنى كلاب فلما سمع ميمون الجماس ذلك المقال انقلبت فى أم رأسه مقل عينيه وانقلب سواده الى بياض وقال يظن عبد الوهاب انى أعود الى الطاعه ولا أقيم على عهد البطال فى حياته وفى مماته فوالله لو طلب منى حجر من حجارة أمد ما مكنته منه ولا وصل اليه ولولا أنه قبيح على أن أرد الرسول قبل أن أسمع منه ما يقول ماكنت مكنته من الدخول ولكن أمضوا اليهم وخذا ما معهم من العدد والسلاح وأتونى بهم فلم تكن الاساعة كطرقة الطارقه حتى دخل مالك على ميمون الجماس فوجده جالس فى دست المملكة والرجال والابطال بين يديه قيام وأيديهم على قوائم سيوفهم وميمون جالس متعبس عبسة الملوك ولكن تلق مالك ملتقى حسن لما يعرف من دينه ومنزلته وقال فيما ذا أتيت أيها الامير فأخرج الكتاب وقدم اليه الاموال وهى عشرين ألف دينار ما هى قليل فأخذ كتاب الامير وقرأه وعرف رموزه ومعناه فلما أتى إلى آخره قامت عيناه فى أم رأسه وانزعج سائر حواسه وقال والله ان هذه الجارية نورى

ما خلت فى عقل عبد الوهاب لا قليل ولا كثير وهو يريد أن نسلم اليه آمد فو الله لا كان ذلك أبدا ولو سقيت كاس الردى فان سلم الامير أبو محمد الذى أخذها من كركر بن غشم فالبلد بلده وأنا من بعض غلمانه وجنده وان كانت الاخرى وفقد الامير فأنا أحق بها من كل أحد وأطلب نورى لنفسى لأنى ما تركتها إلا لاجل البطال كونى رأيته من أجلها فى نار الاشتعال (قال الراوى) فلما سمع مالك بن بشر ذلك المقال قال لميمون معلوم انك ما عرفت البطال إلا من الامير عبد الوهاب فما يكون عندك البطال أحسن من الامير عبد الوهاب فقال ميمون اسكت يامالك اسكت ماقتل البطال إلا عبد الوهاب ولا بد لى أن آخذ تار البطال من عبد الوهاب وأصلبه على آمد فلما

رأى مالك انزعاج ميمون وقد احمرت عيناه لين الكلام بين يداه ولاطفه فما لان

أبدا بل صاح فيمن حوله من الرجال وقال خذوا هذا المال الذى أتانا

استعينوا به على القتال وأيضا الخيل التى تحتهم العربيه خذوها

واعطوهم عوضا أجاديش روميه فأنا ما أحسن أقاتل

إلا على الخيل الجياد فقالوا بنى عامر وكلاب

الذين أتوا مع الملوك صدقت أيها

الامير لانك من أولاد

العربيات تحب

الخيل الطيبات

(تم الجزء الخامس عشر ويليه السادس عشر)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقاني وابن بكر المازني وصالح الجعفري ويزيد بن
عمار المزني وعبد الله بن وهب اليماني وعوف بن فهد
الفزاري وسعد بن مالك التميمي وأحمد الشمشاطي
وصابر المرعشي ونجد بن هشام العامري

الجزء السادس عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

مطبعة الجمالية الحديثة
شارع المعز لدين الله حارة الطواقى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فضحك ميمون من كلامهم إلى أن استلق على قفاه وقال دعنى أكون من أولاد العربيات أو من أولاد السلميات والله ما تمضى معكم خيولكم وإن أكثرتم كلامكم لا أعطيكم أجاديش ولا حمير بل تمضون إلى أميركم رجاله مشاه ثم صاح على رجاله اخرجوهم من قدامى وإلا ضربت رقابهم (قال الراوى) فأخرجوهم بعد ما أخذوا خيولهم وملبوسهم وأعطاهم أجاديش والله ما يصلحوا إلا للطواحين فقالوا لاستر الله عليك ياميمون ما كأنك جمعت هؤلاء إلا من الخرايب ونحن إذا ركبناها ما نصل إلى ملطيه إلا بعد شهرين أو أكثر إن سلموا من الموت ثم سار الأمير مالك ومن معه فى تلك الحالة الرديه إلى أن وصلوا إلى ملطيه والخيل التى تحتهم مثل الكلاب وأكثرهم قد مات فلقاهم الأمير عبد الوهاب على تلك الحالة الشنيعة فقال ما حالكم وما الذى أصابكم فقالوا أيها الأمير ما أرسلتنا إلى واحد أخذ منا كل فرس يسوى مائة دينار وأعطانا عوضها براذين كل برذون يسوى فنتار ثم أعاد عليه مالك بن بشر القصة من أولها إلى آخرها فتعجب الأمير مما جرى وكيف أخذ المال وفعل ما فعل بالرجال وقال لهم هذا لم يكن لنا على بال ولا فى حساب وما فى الأمر إلا أن أسير إلى ذلك الشيطان من قبل أن يأتينى الإمام واعتمد على آمد لأنها معمرة البلاد فقالت الأميرة يا ولدى إن سرت إليها فما تقدر عليها ولو أن فيها العوام فكيف وفيها ميمون وستين ألف أكراد وسودان وأنت تعرفهم ولا تنكرهم فقال الأمير لابد لى من المسير إليها وأنا أقدر من أبى محمد عليها فقالت الأميرة يا ولدى الأمر بعد ذلك

إليك وأنا أحذرك أن تغفل عن نورى تؤخذ من تحت يدك وتندم حيث لا ينفعك الندم فقال لها ومن يأخذ نورى من تحت قبضتى وحوزتى قالت يا ولدى الذى أخذ أبو محمد البطال وهو أوحد الزمان وبالله أقسم ما فعل تلك الفعلة إلا الملعون عقبة وما مضى إلا وأنا خائفة منه أن يدبر عليها ويأخذها من يدك وتبقى حسرتها فى قلبك فالزم ناموسك واكتم خبرك حتى تعلم عقبة فى أى المواضع فإذا علمت هو فى أى البلاد مقيم فارحل إلى أى مكان أردت (قال الراوى) فقبل رأيها ورجع عن ما عزم عليه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ميمون الجماس فانه عظم عليه فقد البطال وأحضر غلمانه وقال لهم لم لا تدخلون بلاد الروم وتأخذون خبر سيدكم إن كان سالم وتعملون على خلاصه وإن كان غير ذلك أرسلوا اعلمونى حتى أننى أدخل إلى بلاد الروم فى هذه الستين ألف فارس الذين عندى فقالوا له غلمان البطال السمع والطاعة إنما كان تعويقنا عن المسير وعن كشف خبره إلا كوننا ننظر ما فى نيتك أن تفعل ثم إن غلمان البطال ساروا وكانوا أربعة يانس ولؤلؤ وسبك وبديع ودخلوا إلى بلاد الروم متوكلين على الحى القيوم (وأما البطال) فانه بقى فى تلك القيود إلى أن صار كرق الخلال من كثرة الضرب وقلة الأكل وفرط الشوق ولوعة الغرام وشماتة الأعداء والحساد وقعاده مع الضد وفى بعض الأمثال ضرب القد ولا مقارنة الضد لأن شومدرس كان فى كل يوم وليلة يهدده بقدوم عقبة ويقول له لابد ما يأتى ويصلبك والبطال كلما يسمع ذلك يقول فى نفسه والله إن وصل الملعون إلى ههنا ليكونن سبب هلاكى لا محالة وأقام فى ذلك الضر والعيش المر وأما عقبة لعنه الله فانه كان فى شحشاط فى قرية خربة بقرب ملطية عند رجل يقال له عبد المسيح الأرمنى وكان يقارض عقبة له عنده مائة ألف دينار من الذهب فأرسل خلف أقوام يسرقون الملكة نورى وكانوا نصارى فساروا إليها ولم يقدروا على ذلك فلما أعياهم الأمر قال ما لهذا الحال إلا أنا وما لها إلا بذل المال ثم إنه دعا بعشرة من الأرمن وضمن لكل واحد ألف دينار وطلب منهم نورى فقالوا له طب نفساً وقر عيناً نحن ننقب الدار التى هى فيها ونأتى بها الليلة لمن كان لها خاطر للهرب وهى على دين المسيح ولا تغيرت عنه فقال عقبة هذه العشرة آلاف منى أنا معجلة ولكم من الملك مثلها وينالكم من المسيح الأجر والثواب وأنا أدبركم فى أمر تنالون به ما تريدون من غير تعب ولا نصب فقالوا له وما الذى تشير به علينا قال لهم عقبة تأخذون معكم بضائع من زيت وعسل ودقيق وتمضون إلى ملطيه فاذا دخلتموها انزلوا بقرب

دار الأمير عبد الوهاب الذى فيها نورى وهى دار الضيافة القديمة فاذا منعوكم من النزول فقولوا نحن مانزلنا ههنا بقرب دار الأمير إلا حتى لا يأخذ منا أحد شيأ بغير اختيارنا فاذا نزلتم فى ذلك الموضع وقر قراركم اطلقوا أيديكم فى البيع واصبروا إلى أن يأنسوا الناس إليكم وتعرفوا المكان التى هى فيه خذوا معكم هذا الكتاب أعطوه للبواب وأعطوه شيء من البضائع التى معكم حتى أنه يوصل الكتاب إلى الملكة نورى وإذا وصل إليها تعمل بما فيه لأنكم لا تقدرون على الوصول إليها ثم وصف لهم صفة البواب أنه رجل شيخ أرمنى فقالوا سمعا وطاعة وساروا إلى أن وصلوا إلى ملطيه ومعهم أوفى بضاعة ونزلوا بقرب دار الأمير عبد الوهاب فقالوا لهم الغلمان لا تنزلوا ههنا فهذه دار الأمير عبد الوهاب فقالوا حفظه الله وهذا الذى نريد حتى لا يطمع فينا طامع فسكتوا عنهم الغلمان ثم إنهم لما نزلوا أخذوا بعض شيء من العسل والزيت وأتوا إلى البواب وقالوا يا شيخ اعلم أنه قابلنا رجل فى طريقنا وصفته كذا وكذا ودفع لنا كتاب وقال لنا سلموا هذا الكتاب والزيت والعسل للبواب الذى على دار الأمير عبد الوهاب ومهما طلب منكم أعطوه فشكرهم البواب على ذلك وأخذ منهم الزيت والعسل والكتاب وقال هذا الكتاب يصل إلى نورى قالوا نعم سمعناه يقول يصل إلى جارية اسمها نورى فقال البواب غداة غد آتيكم منها بالجواب ثم إن البواب أخذ الكتاب أوصله إلى نورى فأخذته ونظرت ما فيه فتلقته من عند الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح الذى أعلم به الملكة نورى إن البطال وقع فى قبضتى وقد سار إلى القسطنطونية ومعه مائة من المسلمين ومهما عملتى نلتى به الثواب من السيد المسيح وسوف يحسن خلاصك فاذا وقعتى على هذا الكتاب فسارعى بالخروج من ملطيه إلى ظاهرها فقد تهيئت لك أقوام من الأرمن برسم خلاصك ولا تشغلى قلبكى من أجل الدملج فانى أخذته من البطال لما أسرته فى تل الثعالب فاذا نزلتى من الصور مع الأرمن يلقاكى مائة فارس معهم الخيل والجنايب والعدد والسلاح وأنا قد سمعت عنكى أن ما فى بلاد اليونان أشجع منكى ولا أفرس فاركبى على ظهر الجواد والبسى الحديد والزرد النضيد ثم اطلبى درب الروم فما تصلى إلى درب الحجل إلا ويلقاكى عسكر آخر (قال الراوى) ثم ان نورى لما قرأت الكتاب وعلمت ما فيه من الخطاب قالت ما هذا الرجل إلا شديد فى الدين واليقين ولا شك إلا أنه خليفة الحواريين ولقد أولانى من الجميل مالا أقدر عليه بمكافأة ولئن وصلت إلى الملك منويل لأجعلن هذا

الرجل حكمه مثل حكمه وأمره مثل أمره فى بلاد الروم جمعا (قال الراوى) ثم قالت للبواب قل لمن أتوك بالجواب يعودون هنا ليلة غد فخرج البواب وأعلمهم بذلك ففرحوا وأطلقوا أيديهم فى بيع البضائع وأقاموا ينتظروا الليلة الثانية وكانت نورى تقول للأمير عبدالوهاب إذا أراد أن يبات فى الدار التى هى فيها وحق المسيح والمذبح والذبيح لأن رقدت ههنا لأقتلن روحى ولا تلتفع بى لا أنت ولا غيرك فما كان يقدر يخالفها من محبته لها وكان يبات عند علوى ليلة وعندها ليلة بحيث أنه لا يقربها ولا ينال منها غير النظر وهو يذل لها ويخضع وهى ما تزداد إلا قساوة وجفاء وان بعض الجوار قالت للأمير عبد الوهاب فى بعض الأوقات يا مولانا إلى كم تخضع إلى هذه الجارية وإلى متى فقال لها الأمير أما قال الشاعر اللبيب العارف الأديب

اخضع إذا عز من تهواه وذل له ۞ فعز أهل الهوى يوما إذا خضعوا

والقائل يقول

أذل لمن أهوى لا كسب عزة ۞ وكم عزة قد نالها المرء بالذل

إذا كان من تهوى عزيزا ولم تكن ۞ ذليلا له فاقرى السلام على الوصل

(قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب معها على تلك الحالة إلى أن كانت الليلة التى أوعدت القوم فيها بالخروج صبرت إلى أن نامت الجوار التى عندها فى الدار وأتت إلى عند البواب وجدته نائم فأخذت عمامته من على رأسه وشدت بها يديه على رجليه ووضعت الاكره فى فمه حتى لا يصيح وفتحت الباب فوجدت الرجال قيام فى انتظارها فسارت إلى الأصوار التى للبلد فوجدت الحارس يصيح فقالت للذين معها تمهلوا ثم صعدت إلى البرج بنفسها فلم يشعر الحارس إلا وهى قد قبضت على حلقه وعصرت عليه فارقت روحه بدنه وأشارت إلى الرجال فصعدوا إليها وقد فرحوا بفعالها وشدوا الحبال فى بعض الشراريف وانحدروا واحد بعد واحد فما فارقوا أصوار البلد غير قليل وإذا هم بمائة فارس من العرب المتنصرة من أصحاب حرب ابن شيبان وكانوا عند عقبه أعاقهم عنده هذه المدة لأجل هذه الأمور فأخذوا الملكة نورى وساروا بها بعد أن ركبت على جواد من الخيل الجياد وسارت فى ظلام الليل ولبست عدة كاملة وصمصامه فاصله وقالت الآن وحق المسيح لو تبعنى كل من فى ملطيه لكنت بهم مليه وبحربهم وفيه وأبيدهم عن آخرهم وقد ذكرنا فيما تقدم ما فيها من الشجاعة والقوه والبراعه وسارت بمن معها من الفرسان إلى أن وصلت إلى وادى الفيون وقد لقيها الكلب الأكلب عقبه بن مصعب

ومعه غلامه وكانوا هناك مكمنين فلما سمع حسن وقع حوافر الخيل وقعقعة اللجم وهمهمة الأبطال خرج من الكمين وقال لهم لما رآهم وعرفهم ظفرتم بالمراد قالوا نعم وهموا يقبلوا يديه ورجليه وترجلت نورى إليه وقالت له سوف أجازيك على فعالك فقال سيروا بنا ما دام الليل باقى وأرادوا أن يركبوا على ظهور الخيل وكان الوقت قرب طلوع الفجر وإذا بهم يسمعوا من بين أيديهم همهمه كهمهمة الأسد إذا خرج من الغاب فمدوا أعينهم ينظروا ما الخبر وإذا هم بفارس كأنه طود أو بعير حل من قود وهو قد نزل من على ظهر جواده واقتعد حزامه وعدة جلاده وثره إلى لعب بقوائمه على الأرض وبعد ذلك وثب من على الأرض كأنه العقاب وصار على سرجه من غير أن يضع رجله فى الركاب والقوم قد طمعوا فيه لوحدته وأما القاضى عقبة فانه بحلق عينه الصحيحه وحقق فى الفارس وإذا بها الأميرة ذات الهمة (قال الراوى) يا ساده يا كرام وكان السبب فى وصول الأميره إلى ذلك المكان سبب عجيب وذلك ان فى رأس الجبل مسجد يقال له مسجد الرسول وفضيلة ذلك المسجد إذا اشتاق أحد إلى أحد إلى رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم واشتهى أن ينظره يحمل شيأ من النذور إلى ذلك المسجد ويكون ذلك اليوم صائم ويكون يوم الخميس بليلة الجمعة ولا يفطر فى تلك الليلة بل يصلى حتى يغلب على عينيه الكرى وينادى بعد كل ركعتين يا رسول الله أنا مشتاق إلى نظرك فاذا غلب عليه النوم يرى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له أيها المشتاق إلى التمتع بالنظر إلى فانى فى الدنيا أحب من يحبنى ويكثر من الصلاة على وفى الآخرة أكون شفيعه وذلك المسجد له ذكر شائع فى كل البلاد وهو إلى تاريخ يومنا هذا إلى أن تقوم الساعة وتأتى إليه الزائرين من أقصى بلاد العجم وكانت الأميرة ذات الهمة دائما كل يوم تزور مالك ابن بشر الأقطع فدخلت عليه يوم من بعض الأيام فوجدته يبكى فقالت له ما أبكاك لا أبكى الله عيناك فقال أيتها الأميره ما بكائى إلا خوفا من الله وشوقا منى إلى النبى صلى الله عليه وسلم لأنى كنت كلما زاد شوقى إليه أدخل إلى حجرته الشريفة فأكون كأنى رأيته بعينى فبكت الأميرة من كلام مالك وقالت يا مالك عندنا مسجد وهو منا على مسيرة خمس فراسخ يقال له مسجد الرسول وفضائله ما هو كذا وكذا وأعادت عليه الحديث فقال مالك اريد المسير إليه لعلى أن أرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فركبت الأميره ومالك واخذت معها غلامها مفلح لا غير وأخذت ضيغم غلام الأمير عبد الوهاب ووصلوا إلى المسجد ومكثوا يعبدون الله فيه خمسة ايام وبعد ذلك قالت الأميرة لمالك

ما تعول بنا على العودة إلى ملطيه فقال مالك ما بقى لى حاجة فى ملطيه ولا فى غيرها ولا بقيت أخرج من هذا المكان إلى ان ألقى الله ولكن إن تيسر غزاة ارسلوا لى علم خبر وأنا مقيم ههنا إلى ان يدركنى الحمام فقالت الاميره لا أمنعك من ذلك وها أنا ماضية إلى ملطيه وأرسل لك ما تحتاج إليه من مؤنة وكسوة وقناديل فقال لها ان هذا المكان ما يحتاج إلى ضياء لان ضياء أصحابه كما قال القائل فى مثل ذلك المعنى

ان بيتا أنت ساكنه * غير محتاج إلى السرج
وعليلا أنت زائره * قد أتاه الله بالفرج

(قال الراوى) فودعته الاميره وأخذت ضيغم وغلامها مفلح وسارت فقال ضيغم يا ستاه أنا أريد أن أتصيد وآخذ على ذلك الطريق إلى مرج الغزلان أصطاد باقى نهارى وأعود فقالت له افعل ما بدا لك فمضى ضيغم وأخذ معه مفلح غلام الاميره وسار وانحدرت الاميره إلى بطن الوادى فما نزلت حتى بان لها أشباح فقربت منهم فرأت المائة والعشرة الارمن والملكة نورى وهى تعرف شجاعتها وبراعتها ولما ان عرفت تلك الاحوال نزلت عن جوادها وشدته وافتقدت عدة جلادها (قال الراوى) هذا وعقبة لما عرفها وحقق أنها الاميره ذات الهمه كادت مرارته ان تنفطر وقال الرجال يا ويلكم هذه أم الاسود نسل الاوغاد فان ظفرتم بها نلتم المراد وبلغتم مسرة الفؤاد فقالت نورى سوف ترى يا شيخ منى ومنها العجب ثم انهم أطلقوا الأعنة وقوموا الاسنة وصاحوا عليها صيحة واحدة أين تأخذين يا شوم الزمان وحلابة الالبان لقد دنا بوارك ودمارك والبلاء قد أتاك سلمى نفسك لا أم لك فلما سمعت الاميره مقالهم قالت غير اليوم يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعموديه سوف ترون اليوم ما يحل بكم من أم الاشبال العامرية ثم انها صاحت وحملت وتلقتهم وصالت وجالت وقالت دونكم والمجال يا حزب الشيطان فحمل إليها فارس ووصل إليها وقال أنا أبو الموت المتنصر وضربها بالحسام فخرجت من تحته وعطفت عليه بضربة عامريه أطاحت رأسه من على بدنه وحمل عليها ثانى أهلكته وثالث دمرته ولم تزل كذلك حتى أهلكت عشرين ونظر الباقين وقد نزل عليهم العذاب الاليم فرموا أرواحهم عليها وجعلت تجول وتصول وخافت على نورى ان تهرب فمسكت عليهم فم الطريق ورأس المضيق وهى تلتقط أرواحهم برأس السنان كما يلتقط الحب الحمام وهى كأنها الاسد الضرغام وقد أحدقوا بها كما يحدق البياض بالسواد وهى تضرب فى اعناقهم وتغوص فى أوساطهم وقد

ملكت عليهم رأس المكان وذلك خوفا لا تهرب نورى من بين أيديها وأشبعتهم طعنا وضربا وقطعت الاكف والمعاصم وأهلكت منهم أبطالهم وشجعانهم ولم ترى إلا دم مسفوح وقتيل على الأرض مطروح وجند بلا روح وباب الوادى غير مفتوح إلى أن ارتفع الغبار وغشى الأبصار وقد أهلكت الأميره منهم تمام السنين وكانت تقاتل نورى وتنعطف على غيرها من الرجال ولما ان زاد الأمر وهلكت منهم الأبطال هجمت على نورى من دون القوم وتحاربا وتضاربا وتجالدا وتباعدا والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن وأجادا وضربا وطعنا وأوسعا لها ميدانا فما رأت الأبصار ولا شاهدت الحضار أحسن منها فى حومة الميدان وقد أخرجت نورى يدها من درعها وهى تلوح كأنها عامود نور فى لون القمر وأيضا فعلت الأميره كفعلها وكانت كأنها اللبوة إذا فقدت شبلها وزاد بينهما القتال وتأخرت عنهما الرجال وقل القيل والقال وهمهموا على بعضهم كأنهم ليوث فى دحال ولاح عليهم حمام الآجال إلى أن اختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة نورى حتى إذا وصل السنان إلى الأميره حادت عنه أسرع من البرق فمرت راجعة وقلبت سنان رمحها إلى وراءها كأنه قلم وطعنت نورى بعقبة فى صدرها ألقتها إلى الأرض كادت أن تقضى عليها وقالت ياخنا أو بلغ من قدرك ان تقاومى فى القتال أم المجاهدين المحامين لدين رب العالمين وانكبت عليها أخذتها أسيرة ووقفت على رأسها وتلقت الرجال بصدرها وإذا بغبرة قد ظهرت من نحو ملطيه وقد أقبلت وصراخ قد نما من عنان السما وظهرت نواصى الخيل كأنها قطع الليل وفى أوائلهم الأمير عبد الوهاب والأسد الغلاب والسيف القرضاب سيد الأعراب وهو كأنه أسد خرج من غاب الا انه عادم عقله وفاقد شبله وهو عادم العقل مذهول حتى أشرف على الأميره ونظر إلى من دار حولها من الفرسان فحمل على من تبقى شالوهم على أسنة الرماح ولم تكن إلا أقل من ساعة حتى تركوهم أبدان بلا جماجم وأكف بلا معاصم ولم يبق غير العشرة الأرمن وقد ضربوا منهم الرقاب بعد ما علموا أنها من عقبة الكذاب وقد أخذوا الاسلاب والخيل ورأى نورى وهى جالسة خجلانه والاميره واقفة على رأسها والسيف فى يدها مشهور فتقدم إليها وهناها بالسلامه فقالت له أطلق الخيل فى طلب عدو الله عقبة فانه كان معهم وهرب فعسى ان يظفرون به ففرق الامير الخيل فى طلبه إلى سائر الجهات وأخذ الاميره والخيل والاسلاب ونورى ورجع إلى ملطيه وهو ينظر

إلى نورى وهى لا تلتفت إليه وقد زاد بها البلاء إلى أن أدخلوها إلى الدار التى كانت فيها أول فقالت الاميره يا ولدى قم خذ السيف وادخل عليها واضربها صفح لعل ان تكسر نفسها فقد زادت محبتك فيها حتى انك اشتغلت بها عن مصالح المسلمين أما سمعت يا ولدى ما ورد فى الخبر أن الله إذا بغض عبدا ابتلاه بمحبة مخلوق مثله فلما سمع الامير كلام أمه جرد السيف ودخل على نورى فلما دخل على نورى ورأته قالت له يا اسود وحق المسيح والمذبح والذبيح لئن دنوت منى لأقتلن روحى ولا تنال منى ما تريد ثم انها بكت ولطمت على وجهها إلى ان احمرت منها الخدود وتوردت منها الوجنات وبرزت النهود وغزلت العيون السود وتقوس حاجبها فلما نظر الامير إلى ذلك ارتخت يداه وأشرفت على فناه ورمى السيف من يده وقال لها لا تفعلى بنفسك هذه الفعال يا روحى التى بين الجنبين ويا نور العين فأنا لا أدنو إليكى إلا باختيارك وخرج إلى الاميره وهو لا يدرى ما يفعل وإذا بفارس قد أقبل من الخيل الذين كانوا وراء عقبة وقال يا مولانا ظعنا البر جميعا فما وجدنا أحد إلا ولدك ضيغم وغلام الاميره مفلح وكانوا يتصيدوا وهاهم خلفنا واصلين ولما وصل ولده سأله هل رأى أحد فقال والله ما رأيت أحد فقال الامير ما عقبة إلا شيطان فى صورة إنسان ثم وكل بالغد مائة وخمسين بالليل وخمسين بالنهار (قال الراوى) فهذا ما كان من الامير ٭ وأما ما كان من سبب هروب عقبة فانه من أول ما رأى الاميره وقد أشرفت وحملت على العرب قال لغلامه أطلب بنا النجاة فقال يا مولاى وهل هى إلا امرأة ونحن فى ذلك الجمع الكثير فقال له إمشى وخلى عنك الفضول فأنا أعرف منها ما لا يعرفه غيرى وسار هو وغلامه فى أماكن ما تسلكها الجن ولا تهدى إليها إلى أن وصلوا إلى مكان يأمنون فقال الملعون لغلامه اقعد بنا ههنا فان كانت النصرة لهم نكون قد نجونا بأنفسنا ولما كان آخر النهار قال عقبة لغلامه يا ظاهر امضى واكشف الخبر فمضى من عند مولاه وأشرف على مكان الوقعة فوجد الديار بلاقع والاجساد بلا رؤس وقد عدمت منهم النفوس ومن حولهم الدياب تعوى والطير قلع منهم العيون فقال لقد كان الصواب مع أستاذى ولو سمع منى ما قلت لكنت من الهالكين ثم انه ولى إلى عند أستاذه من وراء الجبل فى بطن الوادى فقال له ما الخبر فقال يا مولاى الكل شربوا شراب العطب وساء بهم المنقلب فبكى عقبة وقال وافضيحتاه من المسيح أنا كنت سبب موتهم ولكن ما هى لى بالاولى وأقل ما قتلت مائة ألف أو يزيدون فى هذه السنة وان طول

المسيح عمرى سوف أخرب بلاد الروم وبلاد الإسلام وبعد ذلك طالب بلاد القسطنطونية (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا جرى هاهنا وأما ما كان من غلمان أبو محمد البطال وهم لؤلؤ وسبك ويانس وبديع فانهم لما خرجوا من آمد وتوصلوا إلى القسطنطونية اجتمعوا بمارس وقالوا له ما عندك من أخبار مولانا أبا محمد البطال هل هو فى قيد الحياة أم لا فقال انه فى قيد الحياة ولكن الموت له راحة مما هو فيه والله العظيم انى حرصت على خلاصه فلم قدرت على ذلك لأنه فى قبضة أخبث أهل الأرض وهو الراهب شومدرس وولده وزوجته فقالوا غلمان البطال لقد وقع سيدنا بواد غير ذى زرع لأن شوما ما يخفى عليها أمرنا فقال لؤلؤ إذا كان لنا من يعرفنا إذا ميزنا ننزل عليهم بالليل يكون أصوب لنا فقال مارس اعلموا ان والده ينام كل ليلة فى الكنيسة وما فى الدار إلا شوما وشومدس وغلمانه فقال لؤلؤ والله لو يكن عنده مائة غلام لا بد لى أن أرمى روحى عليهم وأخلص مولاى أبا محمد منهم فقال مارس قلنا انك تقدر ترمى روحك عليهم لكن المكان حيطانه عاليه وهو أملس ولا يقدر أحدا فيها يتسلق لأنه مكان مبنى بالحجر السكرى المعدنى والاسفيداج النقى ومشاقة الكتان وما لأحد عليه طريق ولا تسليق (قال الراوى) فقال لؤلؤ هذا أمر ما يعيقنى عن طلبى وما أريد منك إلا واحد يورينى المكان فقال مارس أنا لا بد لى أن أعاونك بروحى ومالى فقال لؤلؤ لا بد لى منه وبعد ذلك أنزل من الصور بالحبال ثم ان مارس أرسل واحد من غلمانه أخذ من البوابين المفاتيح وهو يقول نريد ندفعهم إلى الملك وأتى بهم إليه (قال الراوى) وأما غلمان البطال صبروا إلى الليل ووثب لؤلؤ ومن معه وأخذ معه غلام مارس وكان يقال له توما وكان أسلم مع مولاه فسار قدامهم إلى أن أوقفهم على الباب فنظر لؤلؤ إلى المكان فرآه حصين والباب محصن فاخرج لؤلؤ المزود من عنقه وأخرج منه سلم حريرا بريسم وسكك حديد تضرب فى الأرض وميز المكان بمعرفته فرأى إلى شباك حديد إلا أنه عالى فطوى السلم على يديه ونتره إلى فوق فتعلقت الكلاليب فى الشباك ودق السكك فى الأرض وصعد لؤلؤ صار على سطح الدار وطل من البادهنج فرأى شومدرس نائم من فوق السرير وغلمانه من حواليه وشوما إلى ناحية عنهم كأنها القطربه فأخرج لؤلؤ حبل ثانى برسم النزول لأنهم اثنين واحد للطلوع والآخر للنزول ولما صار معهم فى ا الدار لم يلبثدون أن بنجهم وأخرج من وسطه خنجر أمضا من القضا وأحد من البلى وهم ان يذبح شو مدرس استعقب رأيه وقال

لا بد من حمله إلى المسلمين لأنه خطب عظيم (قال الراوى) وهو كذلك وإذا بالغلمان رفقاه صعدوا إليه وكان توما رجع إلى أستاذه فقال لهسيده ما الذى فعلوا الغلمان فقال يا مولاى صعدوا إلى الدار مثل العقاب فضحك وتعجب وقال أرجو من الله أن ينجح أعمالهم ولا يخيب سعيهم (قال الراوى) وأما غلمان البطال لما صعدوا إلى لؤلؤ قالوا له ما انتظارك بذلك الملعون فقال دونكم وإياه فقبض سبك على حلقه وجعل الاكره فى فمه وشد يديه إلى رجليه وأتوا إلى شوما وهى على باب المطمورة كأنها ثعبان ارقط أو ذيب أمعط ففعلوا بها مثل ما فعلوا بشومدرس وبعد ذلك ذبحوا الغلمان ونزلوا إلى سيدهم فى المطمورة فلم يعرفهم بل أيقن بالعطب فنظروا إليه وقد بقى رق الخلال لأنه أسير ودنف وكثير الغرام فوقفوا على رأسه ساعة وهم يبكون وبعد ذلك عرفهم وجعل يتمثل ويقول

ما أظن الزمان يأتى بعزى ۞ غير انى رأيته فى المنام

(قال الراوى) فكان أول كلامه يا لؤلؤ هل معك خبر من الملكة نورى التى وقعت فى هذا البلاء من أجلها قال نعم يا مولاى وفى آمد حصلت وقد أراد ان يقوى قلبه فلما ان سمع البطال بذكر نورى وانها حصلت فى آمد قام قائما على الاقدام بعد ذلك قيده وفتحوا باب الدار وحملوا شومدرس وشوما على أكتافهم وعيونهم معصبين وقلعوا السلم وغلقوا الباب كما كان وأتوا إلى دار مارس وهو مثل الحبة على المقلا ولما ان نظرهم طار عقله وقال لهم يمكننى الليلة افتح الباب لئلا يقع عليكم الطلب والملك ما يقصر عن طلبكم ولا بد ان يكون لكم أين ما كنتم فى الطلب والامير أبو محمد ضعيف كما ترون والمطلوب ان تقيموا به ثلاثة أيام حتى ييأس الملك منكم وتسيرون إلى حال سبيلكم فقال أبو محمد هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهم أقاموا إلى الصباح وطلب الملك الراهب شومدرس وبعث غلمانه إلى الدار فوجدها مغلقه فلم يزالوا إلى أن فتحوها فوجدوا الرجال مطروحين وعلى الارض مجندلين فطلبوا الراهب شومدرس وزوجته شوما فما وجدوا لهم خبر فمضوا البطارقه وأعادوا على الملك النوبة فقامت عليه القيامة وقام بنفسه والملوك والبطارقة من حوله وأرباب دولته وساروا إلى تلك الدار ودخلها الملك منويل فوجد الغلمان مقتولين ولا لشومدرس خبر فقال اطلبوهم ثم ارسل إلى الرساتيق وركب الخيل من كل جانب ومكان لان الملك ما كان عنده فى منزلة شو مدرس احد لانه كان قد احتوى على قلبه بفهمه وعلمه ومجادلته وأنفذ الخيل فى طلبه وبقى على مقالى النار اليوم الاول

والثانى والثالث وعادت البطارقة خائبين ومن شـو مدرس آيسين فعظم ذلك على الملك وعلى الملوك أيضا ثم أحضروا الإنجيل وحلف الملك أربعين يمين لابد له من طلبه ولو خرج من ملكه هذا وإن البطال قال للحاجب مارس أيها الحاجب ما بقى إلا الرحيل فخرجوا فى آخر النهار فى زى بعض الملاحين والراهب والراهبة فى عدلين والاكر فى أفواههم إلى أن صاروا ظاهر القسطنطينية فجاءهم ثلاثة بغال من عند مارس وصندوقين فتركوا كل واحد فى صندوق وركب أبو محمد وسار فى الطرقات التى يعرفها ما يهتدى إليها الجن وجد البطال فى سيره إلى أن صاروا وقت الغروب نزل بهم إلى طريق عن يمينهم ثم أنزلهم إلى دار خراب وفيه آثار القلالى والصوامع وقام البطال يتمشى فى جانب الدير وقد وجد الراحة فهو كذلك وإذا بفارس وراجل قد أقبلوا من ناحية بلاد الإسلام وهم طالبين الدير المذكور حتى وصلوا إليه ونزلوا إلى عند بعض القلالى الخراب فقرب البطال منهم فعرفهم وإذا بأحدهم القاضى والآخر غلامه ظاهر وقد أقبلوا طالبين القسطنطينية وقد عدلو إلى ذلك الدير للمبيت (قال الراوى) فحين رآهم مير أبو محمد البطال عاد إلى غلمانه وهو الافرحان وقال لهم إنى أريد أن أحدثكم بحديث عجيب قالوا وما ذلك يا مولانا قال لهم ابشروا فقد جمع الله بينكم وبين القاضى عقبة (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك منه تباشروا وفرحوا فقالوا له ومن معه فقال ما معه غير غلامه ظاهر لاغير وقد أتى فى ذلك الطريق حتى لا يلاقى أحد والذى خاف منه وقع فيه وسوف أقرنه بشو مدرس وغلامه ظاهر بشوما ويكونوا من عجائب الدهر فقالوا غلمانه دعنا نهجم عليهم فقال ما هذا صواب فلا تتبعوا أنفسكم بل اصبروا إلى أن يمسا المسا وتغفل العيون وافعلوا ما تريدون ففعلوا ذلك وصبروا إلى المساء ووثب البطال وغلمانه فلم يحس عقبة إلا وهم على صدره وعلى صـدر غلامه ظاهر وفى أيديهم الخناجر ولم يتكلموا إلا بديع فإنه قال بلسان الرومى ويلكم خذوهم فانهم مسلمين . فلما سمع عقبة ذلك ظن أنهم روم فقال يا ويلكم ما تعرفونى أنا الشيـخ النجيح وحجة المسيح صاحب العدل النصيـح والـكف الذى غير شحيح فقال الأمير أحسلت والله مليح وأنا صديقك بالصريح أبو محمد البطال الصـبيح فإلى متى يا قاضى عقبة تعاملنا بالقبيح فوالله لابد ما أشرحك تشريح ثم عمل الاكره فى فمه ولطم رأسه حتى طير نعاسه وخفقت أنفاسه ووضعه فى صندوق شو مدرس وفتح أفواههم وقال لهم تحدثوا حتى يطير عنكم النوم يا أشر القوم وترك غلام عقبة عند شوما وقال لها يا عجوز

النحس ان شو مدرس قد مات وهذا زوج جديد فابشرى بالشر المزيد والله لأسلخنكى من كعبكى إلى عنقكى لأجل ما كنتى تطعمينى النخالة المعجونة بعكرات الزيت فابشرى يا لعينة بخراب البيت (قال الراوى) ولما حصل عقبة عند الراهب شو مدرس فى الصندوق قال له وحق المسيح لقد قطعت ظهرى أيها الشيخ النجيح فأنا كنت أرجو أننى إذا كنت مأسور فى قبضة هذا الشيطان أن تخلصنى أنت بحسن توصلك وكثرة حيلك فقال عقبة لامفر من القضا والقدر ولا ينفع الحذر ما سلكت هذه الطريق إلا لعلمى أنه فى قبضتك وانه ما له سبيل إلى الخلاص والآن فما تم علينا أيشم منها طريق (قال الراوى) وعول الأمير أبو محمد على الرحيل وسار من وقته وساعته وقد بلغ المنا وظهر بالاعدا وجعل يقطع البيدا ويجد فى سيره ليلا ويكمن بالنهار حتى وصل إلى درب الوقعة ومن هناك يلتنى إلى بلاد الإسلام (قال الراوى) فهو كذلك وإذا بغبار قد علا وثار وتقصطل ومار فقال البطال لغلمانه اعدلوا بنا إلى لحف هذا الجبل الذى قدامكم واخفوا أمركم وخذوا حذركم فان كانوا اصحاب عبد الوهاب الظالم الغاشم فلا نأمن منه لأنه يطلبنى كما أن الروم تطلبنى وأنا أعلم أنهم ما ناموا واطمأنوا إلا من يوم أسرت ثم ان الأمير أبو محمد البطال اختفى هو وغلمانه وصبروا إلى أن انكشف الغبار وبان من تحته جيش كبير وهم كلهم روم ونزلوا فى ذلك الوادى بحيث أن البطال ماله طريق إلا من عليهم فأرسل البطال غلامه لؤلؤ وقال له ياولدى انظر هؤلاء العساكر من أين وإلى أين فمضى لؤلؤ وغاب ساعة وعاد على عجل فقال البطال يالؤلؤ ماوراك قال يامولاى هذا حرب بن شيبان ومعه ألف فارس ومعه دهر شوم ساروا فى طلبك الى مسجد الرسول وعادوا خائبين ونزلوا فى ذلك المكان وعولوا الليلة على المنام (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك المقال قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أقبل على غلمانه وقال لهم ادخلوا إلى هذه المغائر إلى أن أعود إليكم ثم صاح على لؤلؤ وقال معكم شىء من العدة قالوا معنا كل ما نحتاج إليه إن شئت اللحى فهى حاصلة لحية راهب أو شماس أوقس أو مطران أو بطريق أو جاثليق بيضاء سوداء شقراء حمراء مصبوغة بالحنة مبارد عتل ترحه ماشوحه صليب زنار حاضر فقال لله درك يالؤلؤ هات مزود الحيل فناوله إليه وفك زرارته وأخرج منه لحية شقرة طويلة قدعلاها الشيب والصق عينه الواحد بدم القراه فانطبقت وكحل الأخرى بالكبريت فغلب على زرقتها الصفار وقوس ظهره حتى كأنه ابن ثمانين عام وجعل له على ظهره

خشبة مثل القتب وشدها بسيرين من تحت أبطه وأخذ فى يده عكاز أبنوس مقمع بنحاس وودع غلمانه بعد أن أوصاهم وقال لهم الحذر ثم الحذر أحداً منكم يظهر ثم فارقهم وصعد إلى أعلا الجبل ورفع صوته بقراءة الإنجيل فجاوبه الجبل والوادى من سائر الجهات (قال الراوى) ولما سمع دهرشوم إلى تلك القراءة هو ومن معه قالوا هذا راهب فى الجبل مرادى منكم واحد يصعد إليه ويسأله إن كان رأى فى سياحته الراهب شو مدرس أو أحداً مر عليه قال حرب نعم الرأى ثم إنهم أرسلوا من عندهم ثلاثة من العرب المتنصرة صعدوا إليه ووصلوا إلى الجبل (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما رآهم الأمير أبو محمد البطال أعرض عنهم وصار يكرر التلاوة فى الإنجيل ويجرى الدموع من عينه الصحيحة وما زال حتى أبكى العرب المتنصرة فقالوا يا أبونا لا تعرض عنا فان لنا عندك حاجة فقال لهم بالرومى وما حاجتكم يا أولادى قالوا نسألك عن أبو الشر الراهب شو مدرس ببركة المسيح فان البطال سرقه فقال البطال أنا لا أعرف ما تقولون ولاأعرف شو مدرس لأنى مشغول بروحى ولكن رأيته على ذلك الجبل وأشار بيده إلى جبل بعيد عنهم وقال قد مر بى من أول النهار أربع رجال وعليهم لباس الروم ومعهم راهب وراهبة وقد التجؤا إلى لحف ذلك الجبل البعيد وماجلسوا إلا بمقدار ثلاثة ساعات وقد وصل إليهم فوارس رماة ولا شك أنهم مسلمين وقالوا لهم سيروا بنا فقد أخذنا الشيخ النجيح لأنه كان سائر إلى الملك منويل فقابلناه وقبضناه فسمعت واحد منهم يقول يا لها من فرحة ما أكملها فقالوا له ثم تم ماذا يا راهب قال البطال رأيتهم أضافوا الشيخ النجيح إلى الأسارى الذين معهم وعزموا على المسير وإذا قد أقبل عليهم راجل كأنه الجواد العربى وهو يقول يا لؤلؤ كن مكانك أنت ومن معك إلى غداة غد ولا أحدا منكم ينزل من مكانه لأن حرب ابن شيبان ومعه ألف فارس ودهر شوم والقوم مكمنون قريبا منا وقد أعلمتكم مع أنى مشغول يا إخوانى بأحوال الآخرة عن الدنيا الساحرة والمسيح يقول كثرة الكلام تلقى صاحبها فى الحمام (قال الراوى) فلما سمعوا من البطال ذلك المقال قالوا له بارك لنا يا أبونا فبارك لهم وودعوه وساروا وهم يقولون ما أبركه من صباح ولما فارقوه رجع البطال إلى تلاوته فى الإنجيل ولما وصلت العرب المتنصرة إلى حرب ابن شيبان ودهرشوم رفعوا أصواتهم وهم يقولون البشارة ببلوغ المراد وقمع الاضداد فقالوا لهم ما الذى سمعتم فأعادوا على دهر شوم الخبر فكادت مرارته أن تنفطر فقال حرب ابن شيبان وما عسى أن يقدرون يفعلون

وهم مائة ونحن ألف ونادى فى أصحابه بالركوب وقال أدركوهم حتى تكون لكم اليد البيضاء عند الملك بخلاص الشيخ النجيح وشو مدرس وأخذ البطال لأن الشيخ عقبة كان معول على القدوم إلى الملك حتى يحضر قتلة البطال اركبوا بارك المسيح فيكم فقالوا نحن لانخاف لا من مائة ولا من ألف وما نخاف إلا أن يكون فيهم سيف الحنيفية فما كان أحدا منا يرجع إلى القسطنطينية فقال حرب طمنوا خاطركم من تلك القضية فان الخلق وقع بينهم من أجل نورى الفتن ولولا أنهم فزعوا منا ما كانوا كنوا بعيدا عنا فركبوا من ساعتهم ودهرشوم فى أوائلهم وهو طامع فى خلاص أبيه وأمه وساروا على عجل لما جاوزوا المغار التى فيها غلمان البطال وأبعدوا عنها انحدر البطال من ذروة الجبل وقال لأصحابه الرحيل هيا على عجل فقد أرحلتهم إلى أبعد مكان منا وكأنكم بالخيل وقد عادت إليكم فسألوه عن ذلك فقال ماهذا وقت سؤال ارحلوا فرحلوا وجعلوا يقطعون الأرض فى طولها والعرض حتى جازوا الدروب (قال الراوى) وأما ما كان من حرب ابن شيذان فانه لما وصل إلى الجبل الذى أشار إليه البطال وفتشوا أعلاه وأسفله فما وجدوا فيه شىء فقال وحق المسيح خدعنا الراهب فى المقال وان الراهب الذى تذكروا عنه هذا المقال هو العيار المحتال أبا محمد البطال فعادوا راجعين إلى أن وصلوا إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذى فوق الجبل فما وجدوا أحد فرجعوا إلى القسطنطينية خائبين (قال الراوى) وأما أبو محمد فانه طوى الارض طى بكرة وعشى حتى وصل إلى ملطيه وعرج على طريق آمد فما سار غير قليل حتى رأى الدنيا منقلبة من ناحية آمد من الغبار والقتام تزعزعت أقطار الفلا فقال لغلمانه ترى ما يكون ذلك العجاج قال لؤلؤ لعله ميمون الجماس يكون قد عزم على دخوله إلى بلاد الروم من أجلك لأنه كان فى مقالى النار بسبب غيبتك فقال البطال هذا غبار عسكر جرار أقل ما يكون أربعمائة ألف أو يزيدون فانظروا من يكشف لنا الخبر فقال لؤلؤ أنا يامولاى سر على بركة الله ورسوله لأنك معدود لكل شدة فقال سمعا وطاعة يا مولاى وسار من وقته وساعته (قال الراوى) هذا والبطال أوى إلى قرية فيها قوم نصارى من العرب وهو على غاية عن الوجل من ذلك الغبار الذى قد سد الأفق وخاف على آمد لا يكون قد تم عليها أمر من الأمور من عبد الوهاب أو من غيره وكان سمع أن كركز ابن غشم قد جمع أقوام من الاكراد واستنجد بهم وكانوا مائة ألف ثم إن البطال أقام يومه وليلته إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وهو على مجامر النار وإذا بلؤلؤ

قد أقبل وهو مصفر اللون فقال يا لؤلؤ ما وراك فقال يا مولاى أخبرك وهو ان الرشيد قد نزل على آمد وله خمسة وعشرين يوم فى خمسمائة ألف فارس وطامع فى اخذ البلد وارسل إلى ميمون الجماس ان يسلمها له ويعطيه عوضها داره واردن واقلاه ويجعله حاكم تلك الأقاليم فرد عليه جواب الرسالة وهو يقول البلد لا هى لى ولا لك وانما هى لكركر ابن غشم الذى شاع ذكره بين الناس بالظلم والاعتدا وشدة البأس ولا قدر عليه أحدا إلا الأمير أبو محمد البطال والبلد بلده وأنا نايبه ومن تحت أمره ونهيه فكيف أسلم إليك شيء ما هو لى ولا لى فيه تصريف فإن كان البطال أسر فأنا أرسلت من يكشف خبره ويقتفى أثره فإن كان سالم عملت على خلاصه والبلد بلده فاذا حضر انشاء يسلمها إليك كان وإن أبى فالأمر إليك وإن كان عطب لا أسلم إليك البلد إلا بالملكه نورى (قال الراوى) ولما وصل الجواب إلى الرشيد قال وبلغ من ذلك الحجام يجاوبنى بهذا الجواب ثم زحف إلى البلد وله اليوم خمسة وعشرون يوم وميمون مغلق الأبواب ومحصن الأصوار وما عنده منه خبر لأن البلد كما تعلم حصين ولا يصل إليه واصل إلا إن يشاء الله لكن الرشيد لما أعياه الأمر وعلم ان المكان لا يؤخذ بقتال أحضر الفضل بن الربيع وألزمه يدبر الحيلة عليه وأخبرك أيضا ان الفضل لما علم ان المكان لا يؤخذ إلا بالحيله وألزمه الرشيد بذلك أرسل عشرة عرب بجاهيل مع رجل يقال له كامل بن خزرجة إلى السويديه وأمرهم يسيروا إلى ملطيه ويقصدوا إلى حصن شمشاط وينزلون إلى عقبة ترابلس ويرجعون إلى آمد ويذكرون بأن البطال قد قتل عند ملك الروم وأرسل رأسه إلى الامير عبد الوهاب ويحلفون لميمون الجماس انهم رؤها عيان وإذا سمع ميمون بذلك ربما يسلم البلد إلى الرشيد وكأنك بالرجل كامل ابن خزرجة وقد وصل إلى ههنا هو ومن معه من العرب فى يومين أو ثلاثة ولما سمع البطال من الغلام ذلك المقال قال والله لقد بالغ الرجل فى المكايدة والتدبير يعنى الفضل بن الربيع والله لئن سمع ميمون الجماس هـذا الـكلام ليسلمن البلد إلى الرشيد لانه ما هو قوى القلب إلى بى لانه ما يقدر يقاوم الخليفة لان يد الخلافة لا تطاولها يد ولكن أقيموا بنا ههنا حتى يأتى هذا الرجل خزرجة ومن معه ونختلط بهم وندبر أمورنا فأقاموا ذلك اليوم والثانى وصبيحة اليوم الثالث أقبلت فرسان ومعهم بغال وعليها أحمال فقال لؤلؤ يا مولاى أظن هؤلاء القوم المذكورين فقال البطال انزل إليهم وانظر إن كان فيهم أحدا يعرفنى فقال سمعا وطاعة وكانوا القوم نزلوا على ماء يسرح ومرج أفيح فناداهم لؤلؤ

حياكم الله يا وجوه العرب قالوا وأنت حييت يا فتى قال من أين طريقكم يا كرام فقالوا نحن قوم من حلفاء بنى كلاب وقد أتينا من أرض الحجاز ومررنا على ملطيه على نية الغزاة فلم نرى العبور إلى بلاد الروم من طريق فى تلك السنة ولا سبيل فعدنا طالبين إلى ديار ناوقومنافقال لؤلؤ هل حدث فى بلاد الروم حادث أو جرى فيها حال من الأحوال قالوا نعم ثم ان المقدم عليهم قال يا فتى نحن كنا فى ملطيه وإذا قد أقبل رسول من عندملك الروم إلى الأمير عبد الوهاب ومعه هدايا وتحف ومن جملتها رأس البطال وقال الرسول للأمير عبد الوهاب لولا الملك يعرف أن العداوة وقعت بينك وبين البطال ما كان قتله فلما سمع الامير عبد الوهاب بموت البطال صعب عليه وكبر لديه ولم يقبل من الهدية شيء وقتل الرسول وورد على قلبه ما لم يرد على قلب بشر وجلس على الرماد للعزاء سبعة أيام (قال الراوى) ولم يكونوا هؤلاء رؤا البطال ولا يعرفوه قط إلا ان الفضل ابن الربيع انتخبهم قوما غرباء حتى لا يعرفهم ميمون الجماس ويصدقهم فى مقالهم فقال لؤلؤ وإلى أين أنتم سائرين قالوا إلى آمد قال نحن رفقاكم إلى آمد لما أجيب أصحابى ثم عاد إلى مولاه وأعلمه بما تم فضحك البطال وسار إلى أن وصل إليهم وأقام عندهم بالصناديق والبغال وتقدم البطال إلى كامل ابن خزرجة مقدم العشرة وقال له يا وجه العرب أنت تعرف البطال لا تكون الرأس التى رأيتها قد اشتبهت عليك فقال أنا أعرفه طيب وكان لى عليه رسم فى كل سنة آخذه منه لأنه كان صديقى من مدة سنين وأعوام وإنى لم أزل حزين إلى الممات فالله تعالى يقتل قاتله فقال البطال فى نفسه لاستر الله عليك ما أكذبك بين العرب وسوف أكافئك على تلك الرسالة ثم انهم ساروا مجدين إلى أن بقى بينهم وبين آمد قدر فرسخين فنظروا إلى العساكر التى على آمد فرأوها ملء الأرض إلا باب الماء النازل عليه قليل لأنه كثير المياه والسكان من حوله والابراج على رأس الجبل فصعد منه البطال والعرب وقالوا للحراس نحن عابرين سبيل قالوا من أين أتيتم قالوا من ملطيه وأخبروهم بقتل البطال (قال الراوى) فأوصلوا الحراس الخبر إلى ميمون الجماس فلما سمع ذلك خرق لباسه وزاد بكاه وانتحابه وتزايدت أحزانه وقال لا حياة لى بعد الأمير ثم قال على بالقوم الذين أتوا بالخبر لعلهم سمعوا بسماع من غير مشاهدة فانطلقوا الرجال إلى كامل بن خزرجة والعشرة والبطال وغلمانه فى الجملة بعد ما نزلوا أحمالهم فى دار الضيافه وأوصى غلمانه وقال يكون ذهنكم وبالكم إلى الصناديق ولا تغفلوا عنهم إلى أن أعود ثم ان البطال مضى صحبة العشرة وهو ملتم

الى أن أشرف على ميمون وهو على غايةمن الانكسار من تلك الاخبار هـذا والقوم وقفوا بين يديه وقصوا القصه عليه وضاقت عليه الارض بما رحبت لما سمع منهم ذلك الـكلام فقال ياقوم أنتم رأيتم الرأس عيان مشاهـدة قالو نعم وقال المقدم عليهم يا أمير لايكون عنـدك شك فى ذلك لانى أعرف الناس به وهو صديق فالله تعـالى يقتل قاتله قريب غير بعيد لانه كان له على أيادى جميلة غير قليلة لانى أعرفه من أيام الصبا وكنت أتردد عليه فى ملطية من مدة أربعين سنة وكان فى صغره جبان مهان ولى فى رأسه كـذا وكـذا الطمه على سبيل اللعب (قال الراوى) فلما ان سمع البطال من كامل ذلك المقال الـكذب المحال قال وقد غير حسه ونغمته حتى لا يعرفه ميمون الجماس ولا أحـدا من الناس ياأخا العرب البطال ما كان يغلب وما كنت تلـكمه لـكمة واحدة الا ويلـكمك عشرة لانه ملاكم مشاكم مصارع فقال كامل ما كان يقدر على ولا يمد يديه الى لانى كنت اذا لـكمته ومزحت معه على سبيل المجون أعطيه المـال الـكثير قبل ان يصير من الأبطال ويعد فى الرجال لانه كان عليه جبانة ومهانة وانـكسار ورحمة الله عليـه (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد منه هـذا المقال كشف عن وجهه اللثام وقال له ماتستحى يارجل من هـذا المقال فما أنت الا غير ولد حلال فوالله ياأخس العرب لأنتقمن منك بكل لطمة لطمتنى إياها عشرة ولـما نظره ميمون الجماس نزل من على مرتبته وقام قائما على الاقدام وكاد من الفرح أن يسلب عقله وصاح من الفرح اقبضوا على ذلك الشيخ الـكذاب والـكلب المرتاب وعلى من معه من الاصحاب ثم أن البطال أرسل خلف غلمانه فحضروا ومعهم الصناديق فقال ميمون ما الذى جرى لكم وما الخبر وما فى هذه الصناديق فقال البطال اما سؤالك عن خلاصى سوف تقف عليه وأما تلك الصناديق وما فيها فان فيها أبغض الناس اليك والى المسلمين فقال ميمون ما أبغض الناس إلى وإلى المسلمين الاعقبة ابن مصعب الذى يقال له الامام وشومدرس الذى جرى علينا منه فى الحصون مالم يجرى على إنسان فقال له البطال افتح الصـناديق ترى العجب ففتح الصـندوق الاول ومد يده مسك عقبة من ذقنه وقال اخرج ياشيخ النحس والله لأنتقمن منك ثم أخرج غلامه ظاهر وشوما وشوا مدرس وقال امضوا بهم الى خزانة الدم التى مادخلها أحد إلا وهلك وقال للشومدرس سوف أخرج الحـكمة من رأسك هـذا وميمون فرح لما رآهم ورقص وتراقصت من حولهم السودان وقال البطال ما ساقك إلى ههنا ياشو مدرس الارزقك ثم مسك شوما وقال اخرجى ياشوم الزمان

(قال الراوى) ولما رآهم ميمون الجماس ضحك إلى ان انقلب على قفاه وقال للبطال يا مولاى هؤلاء شومدرس وشوما كانوا فى القسطنطونية والقاضى عقبة كان فى أرض العرب فكيف جمعت بينهما فاحكى له على السبب الموجب لأسرهم وطرحهم فىخزانة واحدة بعد ما ضرب كل واحد منهما مائة سوط وعقبة يقول يا أبا محمد ترفق بى فان الرشيد نازل على آمد وأنا كنت أسمع كلامك ولا أقدر أرد جوابك من الاكرة التى فى فمى وسمعت كلام كامل بن خزرجة وهذه من أعمال الفضل ابن الربيع وخبرى ما يخفى عن الرشيد وان آذيتنى فهو يطالبك بذنبى إلى الابد وان قتلتنى يلعنوك الناس ما قام قائم وقعدوا الصواب انك تبقى على حتى ينهتك سترى كما تقول حتى يبقى لك حجة تحتج بها وإلا يلعنوك الناس إلى يوم القيامة (قال الراوى) فضحك البطال منه وقال لعنك الله يا شيخ الضلالة ما أحيلك وما أمكرك والرجال ما أقتلك قال عقبة صدقت ولكنى أعمل معك الجميل يضيع معك ولا تكافئنى على المليح إلا بالقبيح فقال البطال متى عملت معى جميل فقال عقبة أنا الذى حلفت الملكة نورى أنها تمنع نفسها من عبد الوهاب ثم أعاد عليه القصه التى دبرها فقال له البطال يا شيخ الضلالة ومعدن الجهالة أنت ما فعلت ذلك الفعل إلا من أجل ملك الروم وأما عبد الوهاب إذا أخذ نورى ورزق منها بعشرة أولاد والاولاد رزقوا بأولاد لم أفعل عنها أبدا فقال له عقبة ان كنت عاقل لا تخليها تفوتك لأنها والله منية القلوب ومزيلة الكروب وغاية المطلوب فضحك البطال من قوله وعلم انه أمكر من إبليس ثم رصهم فى الحبس ووكل بهم جماعة من السودان وبعد ذلك التفت إلى كامل بن خزرجة وقال له يا هذا ما بقى لك نجاة من يدى إلا أقل لك عليه واعلم انى لو أردت قتلك فى الطريق لكنت فعلت ولكن صبرت حتى تعلم الناس كذبك ومحالك فقال كامل يا مولاى لا تؤاخذنى بما بدا منى فوحق ذمة العرب أنا عمرى لم وطئت ملطية وأنا رجل غريب من أرض البصرة وما سرنا فى هذه المرة فى عسكر الرشيد إلا بقضاه وقدره وان الفضل بن الربيع دعانى إليه وعلمنى بهذا المقال وأوعدنى بالمال وما علمت ان أقع فى شبك البطال فضحك البطال وقال دعنا الساعة من هذا الهذيان وطاوعنى على ما أقل لك من المرام ان أردت أن تسلم من الحمام وهو انك تطلع على برج الباب وتنادى لكل من وقعت عينك عليه من عسكر الرشيد فان أوصل إليك تقول له أنا أريد الفضل بن الربيع إلى حاجة لمولانا الخليفة فيها الصلاح فان أتى إليك وقدم عليك قل له يا مولانا الحاجة متى طلبتها

منى قد قضيت وقد ورد على القوم من فقد البطال أمر عظيم وأرادوا أن يسلموا البلد إلى عيسى الأرموى فمنعتهم أنا من ذلك وقلت لا يكون إلا على يد الفضل لأنه روح أمير المؤمنين ويكون الفتح على يديك وأنا منسوب إليك وقد عاهدونى على ذلك وضمنت عنك الخير الجزيل وأن تصلح حالهم مع الرشيد وذكرت أن بينى وبينك قرابة وصداقة ومودة فقال كامل وحق ذمة العرب لقد انفضح وجهى معك وسببه هذا القرنان فوالله لأزيدن على هذا الكلام من عندى أضعافه حتى يحصل فى أيديكم وإذا جرى مصفع نكون فيه سواء لأنه رأس هذه البلية ثم قام من وقته وساعته ووقف على برج الباب ونظر إلى جماعة من عسكر الرشيد وأشار إليهم فأتوا إليه فلما صاروا تحت البرج ذكر لهم ذلك المقال وقال أريد أن تعلموا الفضل بن الربيع يأتى إلى سريعا (قال الراوى) فمضوا إلى سرادق الرشيد وطلبوا الإذن ودخلوا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا يا مولانا سمعنا شخص على برج الباب يقول أنا أريد الفضل فقال الرشيد يافضل سير إلى من يطلبك فنهض الفضل وركب على بغلة وهى بمركب من الذهب مرصع بالدر والجوهر ومن حوله خمسين مملوك وسار إلى أن وصل إلى البرج فوثب له كامل على قدميه وأشار بالسلام عليه وقال له يا مولاى قضى الأمر وعاد كل عسير يسير وصادف التدبير بالمقادير ثم أعاد عليه القصة ففرح الفضل وقال يا لها من ساعة ما أبركها لقد وجب لك علينا الخلع والمال عود على عقبك وخذلى الإذن فى الدخول فرجع كامل إلى البطال وأعلمه بالحال فقال على بالبوابين فحضروا فى الحال فقال لهم افتحوا الباب فساروا وفتحوه وخرجت الغلمان ومعهم كامل لاقوا الفضل وساروا به إلى دار الأمارة وجلس ميمون الجماس وأخى الأمير أبو محمد البطال روحه بين الجلاس ولما أقبل الفضل قام الأمير ميمون الجماسى وسعى إلى الفضل خطوات وأجلسه إلى جانبه فوق السرير ثم أن الفضل أقبل على ميمون وقال له يا ولدى اعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه وقال أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه رحم الله من عرف قدره وكفى الناس شره ومثلك ياولدى لايكون مخالف أمير المؤمنين ولا يغلق دونه باب لأنه خليفة الله فى أرضه وقائم بسنته وفرضه ومع ذلك فان الذى تريد أن تمسك من أجله فانه قد هلك فى بلاد الروم وأتى الخبر بذلك السبب فسلم البلد إلى الخليفة فانه مالك رقاب الأمم من العرب والعجم والترك والديلم فقال له ميمون سمعا وطاعة ولكن حتى يتضح الخبر أن الأمير

أبو محمد مات لأنه لايصطلى له بنار وأنت أخبر الناس به وجاعل رأسى مرهونة بهذه البلد ولا أقدر أسلمها لأحد (قال الراوى) ولما سمع الفضل كلامه قال له هذا كلام من لا له عقل ولا بصيرة والرأى عندى أن تسلم إليه البلد وتأخذ عوضها أردن وداره وأعمالها وتنال من الرشيد المواهب والعطايا والشكر والثناء لأنه لا يرجع عن أخذه حتما مقضيا وربما يورثك غضبه ويصل إليك عطبه ولاتجد لك إلى النجاة من سبيل ومن هو البطال الكلب إلا كاب حتى أنك تقيم له جاه أو ناموس وهو أحقر البرية وما كنت أشتهى إلا أنه يقع فى يد الرشيد حتى كنت أصفعه صفعا جيدا (قال الراوى) فقال ميمون الجماس وقد صح عندك يا مولاى قتله قال نعم يا ولدى ومافى ذلك شك ولاريب وحياة رأس أمير المؤمنين وما فى ملطيه أحد إلا وقد علم بذلك والتفت إلى كامل بن خزرجة وقال له أظنك ياهذا أتيت من على ملطيه قال نعم قال أليس سمعت من الأخبار قال يامولاى أنا حدثتهم وصدقونى كلهم إلا ذلك الرجل الجالس فانه كذبنى وعقد النوبة على وفضحنى ثم أشار بيده إلى الأمير أبو محمد البطال وهو جالس مطاطى الرأس بين الجلاس كانه صعلوك من صعاليك الأعراب فقال الفضل بن الربيع وقد غضب وتولى عليه الغضب من يكون هذا الذى يكذب الأخبار الصحيحه ويمنع الخليفة عن أغراضه والله يا كلب لولا أنت فى حضرة هذا الأمير لصفعتك إلى أن أطير عقلك عند ذلك كشف البطال وجهه وأزال اللثام وقال يافضل قاتل الله الكذاب والله لأصلبنك على هذا الباب حتى تعلم الناس أن البطال لا قتل ولا غاب ولما نظر الفضل إلى البطال غاب عن الوجود والصواب وأيقن بالموت والذهاب وقال فى نفسه كم أنهى نفسى عن ذلك وأقول إنى ما أتعرض لذلك وأعود بعد ذلك أرمى نفسى فى المهالك والعذاب ثم قال للبطال أيها الأمير أعذرنى فيما بدا منى فانى أقول لك قولا صدقا أن من خدم الملوك لايخالفهم لايعمل إلا مايرضيهم وأنا أريد منك أن تطلقنى ولابقيت أعود إلى مثلها أبدا فقال البطال لو رأيت فى المنام أنى أطلقك لما فعلت ذلك لما أجمع بينك وبين صديقك عقبه فى مكان واحد فقال الفضل أنت قدرت على إلا لما أتيت إليك أنا فمن أين تقدر على القاضى الأجل وهو فى بغداد فصاح البطال فى السودان خذوه فقبضوا السودان عليه وإلى الخزانة التى فيها عقبة وشومدرس أدخلوه (قال الراوى) ولما نظر عقبة إلى الفضل فرح وقال ما دام الفضل رآنى فما بقى يقدر البطال يقتلنى أما الفضل فانه قال يا قاضى من أين وقعت فى شباك البطال فقال عقبه أيها الحاجب

الأجل لا تسأل عن حالى فان لى أيام وأنا فى بيت المقدس وهو زمان طويل وقد هجرت المقام عند الامام وكل ذلك حتى لا أسمع كلام فقال وكيف أخذوك قال عقبه كنت قد انفصلت من القدس وأتيت إلى السويدية وسرت إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذى على رأس الجبل فى فم المضيق على باب الدرب فقابلنى البطال وقد خلص من بلاد الروم ومعه هذا الراهب والراهبة فأخذنى فقال الفضل أبشر بالسلامة وبالله أقسم أن الخليفة مشتاق إليك ويسأل فى كل وقت وحين عليك فبكى القاضى عقبه وقال أنا الذى مشتاق إليه لانه من السلالة العباسية والجرثومة النبوية (قال الراوى) هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من أبى محمد البطال فانه كلم غلمان الرشيد الذين أتوا مع الفضل وقال لهم امضوا إلى الأمام وقولوا له ما الذى يريد منى فان كان يريد آمد فأنا ما أخذتها منه أنا ما أخذتها إلا من كركر ابن غشم بحيلق وبعد ذلك قلى عليه خدم كثيرة وإذا لم يرحل عنى وإلا أخرج إليه وآخذه ولو كان فى قبة من زجاج ثم فتح لهم الباب وأخرجهم بعد أن أخرق بهم وأخذ ملبوسهم فمضوا إلى الرشيد وأخبروه بما قال البطال وكيف سمعوه وهو يقول للفضل أريد أجمع بينك وبين عقبة فلما سمع الرشيد ذلك صعب عليه وكبر لديه وقال والله لولا أن القاضى عنده فى العقال لما قال هذا المقال (قال الراوى) ثم أرسل رسول إلى البطال يقول أما بعد لقد حمدنا الله على سلامتك وخلاصك من الأسر وقد علمنا ما عملنا فى حقك وما عمل فى حقك عبد الوهاب مع انى وحق آبائى الطاهرين واتصالى بمحمد سيد المرسلين ما أتخلا عن الملكة نورى وما أشغلنى عن طلبها إلا آمد فاذا كنت أنت فيها فهى فى يدى وطاب قلبى وقد علمت أنك خادم الدوله العباسية وقد بلغنا ان مولانا القاضى عقبة عندك وأنت تعلم محبتنا له وانه شيخ كبير وقد كبر سنه ودق عظمه وقد زهد فى الدنيا وهو رجل حافظ لكتاب الله فاطلقه إن كان عندك ولا تتعرض له بحال من الأحوال أكون أنا خصمك وإن طلبت رضاه أطلق سبيله وسبيل الفضل وأنا أكتب لك منشور بآمد وارحل عنك إلى ملطيه واطلب الأسود عبد الوهاب الذى بقى يختص بخمس المال من دون الامام كانه عامل سلطان وقد عدل بذلك الفعل عن الطاعة وخرج عن سنة الجماعة وبعد ذلك اطلب منه نورى وحق آبائى واجدادى لابد لى ان اترك دياره خاوية ومن حسه خالية (قال الراوى) يا سادة ولما ان وصل الرسول إلى البطال وقص عليه ما سمع من المقال وما حمله الرشيد من الرسالة قال البطال للرسول اعلم انى لابد لى من قتاله وحربه ونزاله

فقال الرسول أيها الامير لا تخيب فيك ظن أمير المؤمنين وأجبه إلى ماطلب فصاح البطال فيمن عنده من الرجال وقال على بالشيخ النحس عقبة بن مصعب والراهب أو الشرشومدرس فقد اختلج فى قلبى أمر ولا بد لى منه فاخرجوا الاسارى وهم عقبة والراهب شومدرس والفضل ابن الربيع وغلام عقبة الرقيع ولما مثلوا قدام البطال قال عقبة على ماذا عولت أن تفعل يا بطال قال صلبك أنت والراهب فقال عقبة لى إليك حاجة ولا أقولها لك إلا بينى وبينك فأمر البطال الغلمان أن يقدموه فقال عقبة اعلم أنك ماتقدر على صلبى لان الرشيد مايغفل عنى وهذا كله منك مكر خداع وأما الراهب والراهبة ما ينفعك من قتلهم شيء وعلى فيهم ألف دينار تتقوى بهم على من عندك من العساكر والاجناد وأسارى السودان الذين أخذوا معك من تل الثعالب أطلقهم لك وظفر كل مسلم عندك أفضل من ألف واحد من هؤلاء الاجناس (قال الراوى) فصاح فيه البطال يا لعين أنا ينطلى على مكرك ومحالك ثم أنه أمر بهم فصلبوا وأمر بضربهم وهم على الخشب فصار عقبة يصيح ويستغيث فلا يغاث هذا والرسول يقول يا أبا محمد لاتفعل هذا الفعل بذلك الشيخ الصالح فانت تعرف منزلته عند الامام فصاح البطال فى رسول الخليفة وقال له الخليفة بقى له حكم وهو يعمل على قتل خمسمائة من الاكراد الذين قتلوا فى سبيل الله ومائة من السودان أسروا عند الروم فلابد من قتله وأخذ حق الاكراد منه فارجع إلى الرشيد وقول له أما ماذكرت من أمر عقبة فأنا لا أسلمه أبدا لانه هو الذى كان سبب فى قتل الاكراد وأخذ السودان وأسرهم عند عبدة الصلبان وكان داخل بلاد الروم لاجل قتلى فما أمكنه الله منى وأما قولك تمضى إلى ملطية فعبد الوهاب غلامك وأما قولك تأخذ نورى فوالله الذى لا إله إلا هو لو تعرضت لها الجن لعملت على هلاكهم وأما الفضل ابن الربيع فانه يستاهل ذلك العذاب لانه عمل على أخذ بلادى ويريد يخرجها من يدى وأنا لى فى بلاد الروم أسارى فلا أطلقهم إلا بالمال الجزيل لانهم طلبوا منى فداء الاسارى مائة ألف دينار فان كان يطلب الفضل يرسل المال فقال الرسول يا أبامحمد لاتفعل هذه الفعال وأنت تعلم أنه خليفة الزمان فقال البطال إنكان يطلب الصلح فها أنا أسلم إليه آمد والفضل لكن بشرط يساعدنى على أخذ نورى فانها والله بغيتى وطلبتى وفؤادى فقال الرسول سوف يأتيك الامر على ماتريد ثم رجع إلى عند الرشيد وأخبره بالحال فقال وما يكونوا هؤلاء المصلوبين الذين يضربوهم على الخشب فقال يامولاى أولهم القاضى عقبة والثانى الفضل والثالث

الراهب والرابع الراهبة وذكر أنه قاسى منه ما لا يوصف فلما علم الرشيد بصلب عقبة وضربه صعب عليه وقال كيف العمل مع هذا الشيطان وهو فى ذلك المكان الحصين ومادام فيه لايبالى بأهل الأرض (قال الراوى) فقال عمرو عن إذن مولانا أتكلم فقال له قل ما بدا لك فقال يامولانا أنت تعلم أن أبو محمد له عليك الخدم وعلى أبيك وقد تعب على تلك الجارية الرومية ولقى من أجلها الشدائد وهو من أجلها عليل وكم عند مولانا فى القصر مثلها وأوفى منها والرأى عندى أن تأخذ منه آمد والفضل ويكون خادم الدولة كما كان أول الزمان ولا تبقى عبد الوهاب فإنه ما يخرج منه على الدولة إلا الوبال وقد جرى منه مرار وقد منع بالأمس خمس المال وقتل حاجبك وتظاهر للدولة بالنفاق (قال الراوى) فقال الرشيد الرجال ما تقولون فى ذلك المقال قالوا يا مولانا هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب لأن هذا البلد حصين ولو كان فيه العوام لاغير وهو مغلوق الأبواب لا تصل إليه أبداً فعند ذلك أرسل الرشيد إلى البطال بما دار بينهم من المقال فوصل الرسول إليه وأدى الرسالة بين يديه فقال البطال هذا كلام لا أسمعه ولا يدخل أذنى ولا أسلم من عندى ولا مافى يدى إلا أن صارت نورى تحت يدى وفى حوزتى فقال الرسول ان أمير المؤمنين أرسل إلى عبد الوهاب أن يأتى فما أتى والخليفة ما يقدر أن يسير إلى ملطية حتى تطلق الفضل بن الربيع لأنه قائد الجيوش فقال البطال إن كان ولابد من ذلك يأتى الرشيد بنفسه ويحلف لى بالله العظيم وبنبيه صلى الله عليه وسلم أنه ما يتعرض لى فى الملكة نورى ولا يأذن بوكاله وأنا أطلق له الفضل بن الربيع (قال الراوى) ياساده يا كرام فرجع الرسول وأتى إلى الإمام وقبل الأرض وذكر ما قال البطال فأجاب وركب بنفسه وأتى إلى برج الباب وصاح الخدام بالبطال فأجابه من فوق الصور فحلف له الرشيد بآبائه الطاهرين ومحمد سيد المرسلين إنه ما يتعرض له فى نورى وإنه يسلمها إليه فقال البطال إن كنت ما تفى بقولك فعليك المشى إلى مكة راجلا حافيا وربك عليك من الشاهدين فقال الرشيد وحق اتصالى من حمزة وعقيل والنبى الكريم أن نورى لك لا يعارضك فيها معارض (قال الراوى) فعند ذلك أطلق البطال الفضل واستقر الصلح بينهم وأنزل عقبة وشو مدرس من على الخشب وردهم إلى السجن ولما هم الفضل أن يسير قال له عقبة أيها الحاجب بلغ سلامى إلى الإمام ابن الإمام وقول له لا يتخلى عنى فقال سمعا وطاعة أيها القاضى ووصل الفضل إلى عند الامام وهناه بالسلامة وعند الصباح رحل الرشيد إلى ناحية ملطيه

وهو فى عالم لا يحصى فى عدد الرمل والحصى قد سد الأفق وملا الطرق إلى أن وصل إلى حصن زياد ووصلت الأخبار إلى الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب أرسل إلى أرض الحجاز بين معاوية وماء النظيم يطلب العربان من بنى عامر وكلاب فأتت إليه العربان من كل جانب ومكان وذلك لأجل المكسب والحطام ألفان حتى صار فى مائة ألف عنان أقران فوارس من كل بطل مداعس ولما اتصلت الأخبار إليه أن الرشيد فعل كذا وكذا وكان الذى أوصل الأخبار إلى الامير عبد الوهاب صابر المرعشى وأخبره بخلاص البطال من عند ملك الروم وأخذه أبو الشر الراهب شو مدرس وزوجته شوما وعقبة أخذه من الطريق وماجرى له مع الفضل بن الربيع وكيف وقع الصلح مع الرشيد وكان الأمير لما سمع بخلاص البطال وأخذ شوما وشو مدرس وعقبة فرح وقال هذا رجل مسعود ثم قال الأمير لصابر وكيف وقع الصلح مع الرشيد فقال صابر أيها الاميروقع الصلح على أن الرشيد يكون عوناً للبطال على أخذ الملكة نورى من تحت يدك ويدفعها إليه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام صعب عليه وقال ليت الروم كانوا قتلوه وكنا نأمن من شره فإنه لو كان هو وحده نخشى جانبه ولا نأمن من حلول مصائبه وأما عمرو والفضل فما قصدهم إلا قتلى الذى أشاروا على الرشيد بذلك والبطال الآن صار فى صفة الملوك الكبار لأن آمد ماتت بحسرتها الملوك (قال الراوى) وبينما هم كذلك وإذا بأحمد الشمشاطى دخل وسلم وكان قد أقبل من بلاد الروم فقال الامير ما معك يا مبارك من الاخبار فقال يا أمير وما عسى أن يكون عندى من الخبر انظر لنفسك قبل حلول رمسك فان ملك الروم قد جمع كل من فى بلاد الروم من سائر الأقاليم من عشرين سنة إلى ثمانين وقد صار على باب القسطنطونية ألفين ألف ومائة ألف وثلاثمائة ألف من الافرنج وهذه عساكر ما هى قليل ولا اجتمع للروم مثله وسبب ذلك كله الراهب والراهبة الذين أخذهم البطال لما تخلص من السجن وفرح ملك الروم منويل بذلك العسكر الجرار الذى كأنه البحر الزخار ودهرشوم هو الذى أحث الملك على ذلك وقال له الملك طب نفسا وقر عينا سوف أخلص لك الراهب والراهبة وأجعل ديار عبدالوهاب والبطال خراب لا يأوى إليها إلا البوم والغراب ولأسقين خيلى من زمزم وأذبح كل من فى الحرم وأقيم الدنيا على ساق وقدم وقد خلفته على نية الرحيل وهذا كتاب مارس إليك وأرمى للأمير عبد الوهاب كتاب لطيف مختوم فأخذه الامير وإذا فى

وله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد أيها الأمير المجاهد فى طاعة الملك الماجد أنا ما كتبت لك هذا الكتاب إلا وقد علمت ان ملطية تصبح قفرا خراب مما رأيت من عساكر النصرانية الذى اجتمعت على باب القسطنطينية وهى عساكر لم يسمع بمثلها ولا نظرت عينى شطرها لأنها سبعة عشر ملك فى ألفين ألف وأربعمائة ألف غير الاتباع والخدام وهى إلى ملطية قاصدين وعليك واردين وان قلبى عليكم بسبب الخلف الذى وقع بينكم وبين البطال من أجل الجارية نورى وأنا أقسم بالله ان هذه عين دخلت عليكم والله يعلم انك أنت وبنى عامر وكلاب ما عمادكم إلا البطال وله عليكم من الخدم ما لا تنكروها وأنت أيضا قد قضيت من الجارية وطر وبلغت منها أرب فاذا قرأت هذا الكتاب وفهمت ما فيه من الخطاب تصالح البطال بكل ما تقدر عليه فان مثله ما يوجد فى ذلك الزمان وكاتبوا خليفتكم حتى يجمع العساكر ويأتى إليكم من قبل ان يصل ملك الروم وينزل عليكم فى كتائبه ومواكبه وهم مثل البحار من بطارقة وأعلاج ويوم وصول الكتاب ترسل إلى رجالك وتجمع أبطالك فان الأمر عظيم والخطب جسيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وأبطال الموحدين (قال الراوى) فلما قرأ الأمير عبد الوهاب الكتاب وعلم ما فيه من الخطاب قامت عليه القيامة ودخل على أمه وقال لها يا أم المجاهدين ما ترى من الرأى فى تلك النوبة العظيمة وأنا أعلم ان الأمير أبو محمد قد اصطلح مع الرشيد على ذلك الأمر الذى تقرر بينهم وملك الروم سوف يأتى إلينا كما قيل وما يكون مغلوب إلا أنا وهذا أمر عظيم فما عندك من الرأى الصائب فقالت يا ولدى طب نفسا وقر عينا وقل لى ما تريد وعلى ماذا عولت ان تصنع وما فى نيتك ان تعمل مع البطال من الأعمال فقال لها أيتها الأميرة ان فارقت نورى فارقت روحى جسدى لأنى ما أقدر أدنو منها ولا أمد يدى لها بسوء ولا أملا عينى منها بالنظر وهى لم تعتبرنى ولا تعبأنى ولا كانى عندها بشر فقالت الأميرة يا ولدى إذا كان الأمر كذلك فلا تبالى بكل من على وجه الأرض فى طولها والعرض وأما قول مارس ما أنت وبنى كلاب إلا بالبطال وما يكون البطال حتى نكون به وما يكون أبو محمد إلا بنا وما نعتمد بعد الله إلا على قوائم سيوفنا وأعنة رماحنا وأنا فى قلبى من البطال أكثر مما فى قلبك من أجل ما تكلم فى حقى من القبيح وسوف تنظر يا ولدى من هذه العجوز ما لا رأيته من البطال ولا غيره وسوف أفرش عساكر الرشيد على وجه الصعيد ونلقى من بعده عسكر الروم ونصبحهم

صباح ميشوم (قال الراوى) فعند ذلك قوى قلبه الأمير عبد الوهاب لما سمع من والدته ذلك الخطاب وقال له سيف الحنيفية طب نفسا يا أبتاه وقر عينا فلا يأتيك الأمر إلا على ما تشتهى وتريد (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما بقى بين الرشيد وبين ملطية ليلة واحدة وصل الخبر إلى الأمير عبد الوهاب ان الأمير أبو محمد أراد ان يرسل عسكره مع الامام فأتاه كركر بن غشم صاحب آمد فى مائة ألف من الاكراد وأتى معه أمير من الاكراد يسمى خضر بن بكر الكردى فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وضمن على نفسه الأمير خضر ان يفتح آمد وتكون مشتركة بينه وبين كركر فلما سمع الأمير عبد الوهاب بتلك الأخبار قال هذا جانب كفينا شره بقى الرشيد وعسكر الروم فقالت الأميرة يا ولدى توكل على الحى القيوم فأقام الأمير باقى يومه وليلته ومن الغداء أقبل غبار وقد علا وثار وقتام حتى طبق الأرض وغابت عن الناظرين السما وأقبل الرشيد فى عساكر ملت البيداء وسدت المستوى فعند ذلك فتح الأمير خزائن السلاح وفرق العدد على الرجال والابطال وعقد لهم عشر رايات وسلمها إلى عشر أمراء يتبع كل أمير عشرة آلاف من الابطال المعدودين وقت القتال والحرب والنزال ما منهم إلا كل بطل أمجد يعد بألف ممجد فرسان وأقران سادات بنى عامر وكلاب وأبطال السودان الانجاب سلم الراية الاولى لولده سيف الحنفية ودامغ النصرانية والثانية إلى أبو الهزاهز والثالثة إلى سملق والرابعة إلى الأميرة ذات الهمة والخامسة إلى برد بن الأزهر والسادسة إلى سعيد ابن الفرج والسابعة إلى الأمير مدركه والثامنة إلى هارون العلوى والتاسعة إلى طارق الحجازى والعاشرة بيد الأمير المهاب والسيف القرضاب والأسد الوثاب سيد الاعراب الامير عبد الوهاب وضم إلى كل أمير عشرة آلاف كما قدمنا وقال اعلموا يا بنى عمى انى مطلوب من كل الجهات فقالوا عن لسان واحد نحن لك وبين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ولو أضرمت لنا نارا لولجناها أو أمرتنا نخوض البحار لخضناها فشكرهم على مقالهم وخرج بهم إلى ظاهر البلد وهو قدامهم كأنه الاسد الادرع وإذا قد ارتفع الغبار والقتام ولاحت الاعلام العباسية والرايات الخليفية والبنود السلطانيه وقد ارتجت الارض من وقع حوافر الخيل القصية والدنية ولم تزل العساكر واردة والدساكر قاصدة وهم كالجراد المنتشر أو السيل المنحدر ونصبوا النحدر ونصبوا الخيام والقباب ووصل الرشيد وقد شرعوا السرداق الاعظم ونصب له فيه سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وله

صفايح من الذهب الأحمر ولما ان جلس على السرير طلب الوزير الفضل ابن الربيع فلما حضر بين يديه قال له ما يكون التدبير نأمر العساكر بالقتال من يومنا فقال يا مولانا ارسل قبل إليه رسول لعله إذا رأى تلك العساكر التى أتيت بها يعلم انه ليس له بها طاقة وربما رجع إلى الطاعة ويسلم لنا نورى فى الوقت والساعة (قال الراوى) فقال الرشيد نعم ما رأيت ثم أمر أن يكتب للأمير كتابا فى أوله فضل بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانه من خرج عن حده رجع إلى ضده ومن نافق على الدولة العباسية قد وقع فى كل رزية وبلية ومن لم ينظر فيما يعمل فقد سلب عقله وقد عملت ما عملت وقتلت من قتلت وأخذت الخمس من المال وأخرجت عمرو من ملطية وهو أمير الأمراء موضع أبيه عبيد الله على طول الزمان حتى كأنك رايح تعمل سلطان وتعزلنا من الخلافة وتكون أنت خليفة الزمان والآن فقد عفى الله عما سلف ودع المداومة على المخالفة لأن من داوم على الخلاف وقع فى الهلاك والتلاف وقد وصلت إلى ههنا الحضرة النبوية من أجل أجل تلك الجارية الرومية وما نطلبها إلا للأمير أبو محمد البطال وقد رفع الخمس الذى أخذته من المال وتعيد الأمير عمرو إلى مكانه كما كان أمير الأمراء وأنت مأمور على بنى عامر وكلاب ولا تنافق على الدولة العباسية وأنت تعلم ان بنى سليم أضعاف من عندك من الأعراب وهم أمراء العرب من أرض يثرب إلى أرض الشام شرقا وغربا وبعدا وقربا وعمرو المقدم على جميع الأعراب فلا تخالف بعد ذلك الكتاب ولا تجيب جواب إلا بالسمع والطاعة فان أبيت فأنت هالك وتبقى ديارك من بعدك بلاقع لا يسمع فيها سامع وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر ثم ان الفضل بعد ما كتب الكتاب عرضه على الإمام فعلم عليه وأدعى برجل من بنى سليم وقال له انطلق بذلك الكتاب إلى عبد الوهاب واتنا من عنده برد الجواب فقال السلمى سمعا وطاعة وسار من وقته إلى ناحية الأمير عبد الوهاب من داخل البلد لأن الأمير عبد الوهاب لما راى نيتهم فاترة عن القتال عاد دخل البلد فهو كذلك وإذا بالسلمى أقبل ومعه الكتاب فأخذه الأمير وقراه وعرف ما فيه عندها حرك رأسه وقال للرسول عود الذى أرسلك وقول له أما الخمس فعلى أن أقوم به وأما نورى فما لأحد إليها وصول فهل رأيت أحد يسلم روحه التى بين جنبيه هذا لا يكون أبدا وكيف يكون ذلك وأنا قتيل هواها وأسير عيناها وأما ما ذكره من أمر عمرو فأنا أقسم بالله لا أقمت أنا وإياه فى بلد إلا أن يشاء الله فكم

أعمل معه من الجميل وهو لم يؤثر معه وهو يريد قتلى مرة بعد مرة وإن كان الإمام يكره مقامى فى مطية فما لى فيها مقام بل يمهلنى ثلاثة أيام حتى أخرج بالظعن والأولاد والنساء وأعول فى اليوم الرابع على الارتحال وحيث انه تخلى عن نورى فلا يجوز له أن يأخذها منى ويدفعها لغيرى لأنى أنا أولى بها وأحق من البطال وإن كان الامام ما يرضى بذلك ويعول على الحرب والقتال فلا بد لى أن أمانع عن نفسى بجهدى وطاقتى (قال الراوى) ثم ان الرسول رجع إلى الامام وأخبره بذلك المقال فعظم عليه وكبر لديه وقال بلغ من هذا الاسود أن يرد سؤالى ويشترط على شروط وأنا وحق آبائى وأجدادى الطاهرين سوف أوريه مقامه وأراد ان يزحف على البلد من غيظه وحنقه فقال الفضل يا مولاى ترفق على روحك يا مولاى انا عندى رأى فان رآه مولانا صواب يستعمله وإلا يهمله فقال قل ما عندك فقال يا مولاى ان زحفت إلى ملطية وخرج إليك يقتل منهم رجال ويقتل منا أبطال ويقتل البرى بالسقيم وإن لم يخرج يطول علينا المطال لأن المكان حصين كما ترى وأيضا أنت تعرف بنى عامر وكلاب والسودان الانجاب وأبو الهزاهز وسيف الحنيفية ومن يجرى مجراهم والصواب ان ترسل إليه وتقل له انا كان قصدى قتلك وقتل كل من عندك والآن فقد رجعت عن ما عزمت عليه لان العفو من شيم آبائى واجدادى وقد رحمت النساء والاطفال وقد وهبت لكم انفسكم وامهلتكم ثلاثة ايام واخرجوا من بنى بلدى فاذا خرجوا يا امير المؤمنين من البلد بالظعن والمال والعيال والرجال تأمر العساكر بالحملة عليهم فيقتلوا رجالهم ويأخذوا ابطالهم فقال الرشيد وتربة المهدى لقد دبرت وما قصرت لانهم يكونوا على غير اهبة القتال ويشتغلون بالمال والعيال عند ذلك ارسل الفضل ذلك المقال عن لسان الامام فأجابت الاميرة إلى ذلك المقال وقالت يا ولدى ما عندك من الرأى فقال الامير معلوم ان البلد للخليفة ولكن يا اماه اخاف ان تكون هذه حيلة منهم علينا حتى إذا نحن خرجنا على غير اهبة القتال ونحن مشتغلين بالمال والعيال يأمر العساكر بالحملة فيأخذون الظعن بالمال وان عاتبناه بالغدر يقول الرشيد انا ما غدرت ما غدر إلا العساكر مما فى قلوبها منكم وما قدرت ان امنعهم (قال الرارى) فقالت الاميرة يا ولدى انا عندى رأى لأننا ان اقمنا زحف علينا وان خرجنا إليه وقاتلناه تبقى مسلمين تقاتل مسلمين وان خرجنا بالظعن نخاف مما ذكرت ولكن عندى رأى وهو ان ولدك سيف

الحنيفية يتخلف فى البلد بحيث أن لا يعلم به أحد ويكون عنده المال والنساء والأطفال ونخرج نحن بالاماء والجمال والعبيد فاذا كنا فى أمان من ناحية الامام يخرج سيف الحنيفية خلفنا آخر النهار وإن هو غدر وخان كما خطر ببالك نلقاه ونقف فى وجوههم ويكون ولدك يحفظ البلد إلى أن نعود إليه وإذا حصل منهم ذلك تنظر يا ولدى كيف أرحلهم عن ملطيه وهم صاغرين ومما أملوه خائبين فقال الأمير نعم الرأى ثم نادى فى الناس بأن يأخذوا أهبتهم وينجزوا أشغالهم وبعد ذلك فتحت أبواب ملطيه وخرجوا السودان والأبطال والأقران والشيوخ والشباب وفى دون ساعة انزعجت الأرض من وغى نوقهم وجمالهم (قال الراوى) وكان الفضل قدم الوصية إلى عمرو بن عبيد الله وقال له اعلم أن هذا الأمر كله من أجلك ومن أجل بنى عمك فيجب عليك أن تحمل نفسك الأثقال فقال عمرو أيها الحاجب الأجل الأمر أمرك قول وطول كلما تشير به أمتثله فقال الفضل تأمر بنى سليم ينتظرون إلى بنى عامر وكلاب حتى يخرجون من البلد فسوف نأمر العسكر بالحملة عليهم فلا يكون لك شغل أنت وبنى عمك إلا تقصدون إلى البلد وتملكون الأبواب فاذا ملكت البلد فلا يكون لهم سند وأنا أقول أنهم لا يبقى منهم أحد ونقلع آثارهم إلى الأبد فقال عمر والسمع والطاعة ثم أن الأمير عمر وأدعى ببنى سليم وأعلمهم بالحال وقال يابنى عمى يكون بالكم إذا خرجوا قوم عبد الوهاب من الباب وصارت البلاد من ورائهم تحملون أنتم فى الحال وتقصدون الأبواب وتملكونها فان الرشيد سوف يحمل عليهم بعسكره ويصل إليهم بدساكره وتكون لكم اليد البيضاء عند الامام إذا أنتم فعلتم تلك الفعال فقالوا له بنى سليم طب نفسا وقر عينا سوف ترى مايسرك فرماحنا مداد وسيوفنا حداد وخيولنا جياد ونحن جياد أمجاد (قال الراوى) فشكرهم على ذلك وأقاموا على ذلك أول يوم والثانى فقال الأمير عبد الوهاب لأصحابه هلموا إلى الرحيل بارك الله فيكم وعليكم فخرجت الرجال والابطال كما ذكرنا وتخلف سيف الحنيفية فى البلد ومعه عشرة آلاف وكان الرشيد قد أمر العسكر بالركوب فركبت وما كان غير قليل بعد ما خرج الامير من البلد وأبعد عنها مقدار أربع فراسخ حتى صاحت الاتراك وحملت عساكر الاكراد والرشيد والترك ولم يبق إلا الامير عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم فصاح ويلك يا عبد الوهاب قد هلكت وهلكت بنى كلاب ومن معك من السودان الانجاب دونكم يا بنى سليم والباب فما بقى يمنعكم عنه أحد

فنظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك فكشف رأسه ونادى يال كلاب يال كلاب وصاحت الاميرة ذات الهمة وقالت والله هذا الذى حسبته من الحساب فعندها حملت بنى كلاب من كل جانب وبرزت القواضب وارتفع الصياح وقاتلوا بنى كلاب عن الحريم وكان ذلك اليوم يوم عظيم وهب عليهم من الحرب نسيم وصارت الاجساد رميم وبان الفارس الكريم من الجبان اللئيم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل إلى أن ثقلت السواعد وكلت وعجزت الخيل عن الجولان وملت ورجعت الفرسان عن أقرانها وتخلت (قال الراوى) فعند ذلك تبادرت بنى كلاب للضراب وفى أوائلهم الامير عبد الوهاب وصاحت الركاب وتقطعت الرقاب وطلب الامير عبد الوهاب الباب (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان الامير عمرو بن عبيد الله قد هجم على ملطيه فى عشرين ألف من بنى سليم فلقيهم الامير سيف الحنيفية فى عشرة آلاف ففتك فيهم وأسر وقتل ونظر إلى عمرو بن عبيد الله فقصد إليه وهو كانه قطعة من جبل وضربه بحربة كانت معه فى يده فخرجت مثل القضاء المنزل فلما رآها عمر وأخذها بترسه وكان ترس مانع فنفدت فيه وخرقته وقطعت الدرع ومزقته ووصلت إلى صدره فجرحته وكان جرح وثيق فانقلب من على جواده إلى الارض هذا وسيف الحنيفية يضرب فى بنى سليم طولا وعرض وهم بالنجاة لا يصدقون وما كانت إلا ساعة وانهزموا الباقين وهم بالنجاة لا يصدقون وسمعوا بنى سليم أن الامير عمرو قد قتل فما ألوى أحد على أحد بل ولوا هاربين وإلى البر طالبين وكذلك الامير عبدالوهاب قد مزق صفوفهم وداس فى عسكر السلطان إلى أن وصل إلى باب ملطيه ومعه بنى كلاب وقد حموا نساءهم وأولادهم إلى أن وصلوا إلى سيف الحنيفية فوجدوه قد كسر بنى سليم ودخلوا الناس إلى البلد وأغلقوا باب ملطيه الامير وأتى سيف الحنيفية إلى عند الامير عبد الوهاب وقال له يا أبت قد قتلت عمرو بن عبيد الله فصاح الامير عبد الوهاب لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم وثب هو والامراء نحو الباب فوجدوا جماعة من بنى سليم قتلى وفى وسطهم الامير عمرو بن عبيد الله وقد وطئته الخيل وهو لا يعرف من أتاه ولا يجيب من ناداه فحمل إلى دار الامير عبد الوهاب وهو على آخر نفس فأدعى الامير بجرايحى فداواه (قال الراوى) هذا وعسكر الرشيد قد نزلت من حول البلد وقد صارت ملطيه مثل المركب فى وسط البحر الزاخر وأن الرشيد قد نزلت جماعته وجعل

يفزع أمل العساكر ثم سأل عن الامير عمرو بن عبيد الله فقيل له قتل فضاق صدره وعيل صبره وأقسم لا يرحل عن ملطية حتى يقتل سيف الحنيفية (قال الراوى) وانسدل الظلام وهجعوا النوام وأما الامير عبد الوهاب فانه لم ينم تلك الليلة حزناً منه على الامير عمرو فقال له ولده يا أبتاه إن كنت قد حملت على قلبك منى فاعلمنى فقال يابنى إنه كان أخى بعهد الله أيام الصبا م إن الامير عمرو أفاق على نفسه فى الليل وطلبوا له الماء فسقوه الشراب وقالت له الاميرة ذات الهمة ياعمرو ما كنت أرجوك عن ما كنت تصنع فى حق الامير عبد الوهاب إلا خوفا عليك من أشباله وأصبح الله بالصباح وأدعى الرشيد بأرباب دولته وقال لهم أقسم بالبيت ومن حج بالتلبية ومن ضج لئن لم تنصحوا اليوم فى القتال لضربت منكم الاعناق فعندها ضربت الطبول ونشرت الاعلام والرايات وزحفت الأكراد وفى أكفها سهام الإسلام وزحفت الديلم وفى أيديهم العمد لقص الجماجم ومن خلفهم الأعاجم وتبادرت الاعراب وفى أيديهم السيوف والحراب فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد طلع من ناحية أرض السويدية وأرض مجستان وكان غبار عظيم كثير قد ملا الأقطار وسد الأمصار فأنكروا الناس ذلك غاية الإنكار فوقفوا يستبينوا الخبر ويكشفون ذلك الأثر الذى غباره قد ظهر وكذلك الأمير عبد الوهاب اقبل على الأميرة ذات الهمة وعلى سادات بنى كلاب وهم يقولون هذه عساكر كلب الروم وخرج أيضا من عسكر الرشيد النجابة لكشف الاخبار ساعة من النهار وعادوا بالفرح والاستبشار ورجعوا إلى الرشيد يخبروه بأن هذه العساكر التى قدأقبلت كلها إلى خدمتك وصلت وكان السبب فى ذلك ان الرشيد عند خروجه من بغداد أرسل رض مصر واعمالها لجمع له إبراهيم بن الخصيب جيش عظيم عددهم مائة الف وفيهم الف جيشه مصارمة ومغاربة ومعهم من جميع الاجناس والمقدم عليهم رجل جبار من الجبابرة يقال له قراقد له حديث عجيب وذلك انه لو لكز مركب كسره أولكم جمل أتلفه (قال الراوى) وانه حمل الف رطل بالمصرى وسار بها من الرف إلى مصر مسيرة ثلاثون فرسخا واشتهر ذكره بين الرجال حتى صار له من السودان خمسة آلاف اسود ولما ارسل الرشيد إلى ابن الخصيب يطلب منه عسكر دعا بقراقد واخبره بأن الخليفة قد نافق عليه رجل يقال له عبد الوهاب لا يلتقى مثله حد ومعه من السودان عشرين الف فلما سمع قراقد ذلك الكلام قال للخطيب فما قولك فيمن يمضى اليه ويحمل عليه ويأتيك به أو براسه والقاه بهؤلاء السودان التى ليست

كالسودان (قال الراوى) هنالك نادى الخصيب على سائر العساكر والدساكر وساروا وقد قدم قراقد فى أوائل الناس وكتب ابن الخصيب للرشيد يقول له يامولاى لاتباشر أنت قتال ولا تمارس نزال فهذا قراقد يترك أنفاس عبد الوهاب خامدة ولا يبقى أسود من سودانه على وجه الأرض إلا من تكون أنفاسه غير قاعدة (قال الراوى) وسار قراقد إلى أن أشرف على ملطية كما ذكرنا إلى أن ارتفع النهار ودخل العسكر كأنه البحر الزخار وصاحت كل طائفة بلغتها وزهرت فى زيها وحلتها واعتدت بعدتها وتأهبت بزينتها ولم يزالوا حتى أشرفوا على سرادق الرشيد فلما أشرفوا جهزوا أمرهم ولعبوا مع بعضهم فانفرد قراقد مع السودان وعليهم الألوان من الأزرق والاخضر والاصفر وقراقد بينهم كانه الجاموس وهو أسود اللون على لون الامير عبدالوهاب الا انه فى جيش متزين بزينة عجيبة وأصحابه يصيحون لبعضهم بعض بأسماء عجيبة (قال الراوى) هذا وعبد الوهاب قد أشرف على القوم ونظر إلى سودان مثل لون الغراب وأثوابهم مثل زهر البستان وهم مثل النخيل الطوال وقرقد فى أوائلهم مثل النخلة السحوق فكاد عقل الامير عبد الوهاب أن يطير وقال لأمه ألا تنظرين إلى هؤلاء السودان إنهم والله شجعان وإنهم أشجع من سودانى لانى أرى الشجاعة تلوح من أعينهم وهم من الجبابرة فياليت شعرى من جمع هؤلاء وأريد أن أرسل لهم وأعطيهم المال فقالت الاميرة ذات الهمة ترفق على نفسك يا بنى واعلم أن ابن الخصيب لما علم بما قد وقع بينك وبين الخليفة أراد أن يرسل إليه هذا الجهار ولاشك أن هذا هو المقدم عليهم وأشارت إلى قراقد وقد يكون ضمن لهم قتلك ولم يعلم أن من دونك لبوة ماسكة ظهرك تأكل لحمه وتجز مفاصله فضحك الامير من قولها ثم انها قالت وإذا أنت أرسلت له وتبذل له المال يقول لولا أنه فزع منى لما أرسل إلى وأفضل الاشياء أن تخاطبه وهو أسير فى يدك فيطيعك من تحت قائم سيفك فإن لم يكن لك به طاقة فأنت وأنا إلى لقائه مشتاقة فشكرها الامير على قولها (قال الراوى) فهذا جرى هاهنا * وأما الرشيد فانه لما وصل إليه قراقد وأوصل كتاب ابن الخصيب إليه فرح فرحا شديداً وأخلع عليه وعلى أصحابه السودان المقدمين خلع على سنيه وأيضا على سائر الطوائف وقال له قراقد على ماذا عولت يا أمير المؤمنين فقال الزحف بهذا العسكر إلى البلد وقتل هذا الاسود فقال له قراقد يا مولانا ليس هذا بصواب لأنك تكسر هيبة السلطنة بالزحف إلى هذا الاسود الزنيم والبغل اللئيم وهاأنا أيها الملك خارج إليه اما أقوده حقير واما أجعله قتيل فلما أن سمع الرشيد ذلك منه

منه وكان كلامه كالرعد القاصف أو الريح العاصف قال له ان فعلت ذلك فانت تكون فى موضعه وماتحويه يده من قلاع وضياع ورساتيق ورجال وامراء تصير لك (قال الراوى) فلما سمع قراقد ذلك الكلام من الخليفة فرح واستبشروا نفرد بعسكره الخمسة آلاف السودان ناحية الرشيد وأمرهم بالنزول فنزلوا (قال الراوى) وزحف قراقد إلى أن قرب من الباب ونادى بصوت مزعد كأنه الرعد إذا خرج من وادى يا بن دلهمة لقد أوقعت نفسك فى معظمه واعلم أننى منعت الرشيد أن يزحف بعساكره إليك احتقارا بك واستصغارا بشأنك والآن فقد سمعت أنك فى مائة الف فارس فارس وأنا فى هذه الخمسة آلاف فارس والأمثال تبرز للأمثال والأبطال للأبطال وما أنت بمن يقاوم الخليفة الذى للأرض فى الطول والعرض وها أنا قد أتيتك لتلتقى سودانى بسودانك فأما إن أبلغ مرادى واما أن تبلغ مرادك فاخرج إلى ظاهر البلد فان الجدران والحيطان لا تصلح إلا للنسوان فاظهر من هذه الجدران إن كنت من الفرسان أو من الشجعان (قال الراوى) فلما سمعوا العسكر والأمراء ذلك الكلام قال الأمير عبد الوهاب ياسادات بنى كلاب افتحوا الباب فهذا يوم الحرب ومقام الطعن والضرب افتحوا الباب فانكم اليوم تربحون الثواب ففتح الأمير عبد الوهاب وولده سيف الحنيفية وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وضاقت عليه أنفاسه وهو كالأسد القسور والليث الغضنفر (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب لما توسط الميدان ومقام الضرب والطعان وصف كتايبه وعبا مواكبه فكانوا بنى كلاب فى مقابلة المصريين وسيف الحنيفية يقدمهم ووقف الامير فى ستة آلاف أسود وإلى جانبه الاميرة ذات الهمة وسملق وأبو الهزاهز إلى جانب الاميرة وضربت سودان قراقد بوقاتها والقرون وهم بأصواتهم يصيحون ويتراقصون وتحت السلاح إلى القتال يتقدمون والامير عبد الوهاب ينظر إليهم ويتفرج عليهم وكان الامير فى سائر الاوقات لا ينسى الملكة نورى إلا فى تلك الساعة فانه قد نسيها لفرحته بالسودان الذين كانوا مع قراقد وقال أترى هؤلاء يصيرون فى طاعتى بعسكرى وأدخل بهم فى بلاد الروم وأجاهد وإياهم فى طاعة الحى القيوم (قال الراوى) هذا وقراقد لا يعرف كيف يصف الصفوف غير انه أشار إلى العساكر فحملوا وعلى القتال عولوا وحملت بنى كلاب فى ساداتها وحملت الابطال على الأبطال فما كانت إلا ساعة حتى تمعمعت عساكر الخصيب ورأوا من عساكر الأمير عبد الوهاب شيء عجيب فلما نظر قراقد الى ذلك عطف على بنى كلاب بسودانه فقتل وأسر فصاح

الأمير عبد الوهاب لما رأى ذلك وحمل فى سبعة آلاف أسود بصدور الزرد وحسن العمد والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن وكان الرشيد قد وقع لسودان قراقد وأخلع عليهم أقبية الديباج والخز وألبسوها على صدورهم الزرد وهم فراحا بها فلما أن حملوا فى هذه الكرة صاح بهم قراقد يا بنى حام انصحوا فى ضرب النصال وإلا أخذ الرشيد الخلع منكم وعدل بها إلى سواكم فعند ذلك ألقوا السودان الثياب عن أجسادهم وزحفوا على أقدامهم فما كانت إلا ساعة حتى أرموا سودان الأمير الخندق وصاح الأمير عبد الوهاب بالرجال وكشف رأسه وصاح وتنافرت العرب وحملت وزمجرت بنى كلاب وحمل سيف الحنيفية والأميرة ذات الهمة وأبو الهزاهز فلم تكن إلا ساعة حتى إندقت طوايف الحصيب ولم يثبت إلا قراقد وسودانه وأقام يقاتل بنى كلاب والسودان وأن الأمير عبدالوهاب لما أن نظر إلى ذلك قال لهم يا بنى كلاب بالله عليكم لا تبذلوا فيهم سيوفكم فانهم ما يستاهلوا وما نظرت عينى مثالهم ومن قدر على واحد منهم لا يفرط فيه (قال الراوى) فلقيهم الأمير عبدالوهاب واشتد العذاب وحمل الأمير سيف الحنيفية واشـــتد الباس وصعب المراس وبليت الحواس وضاقت الأنفاس واستقبل الأمير عبد الوهاب هذا العالم العظيم وقاتل قتال الكريم المحامى عن الحريم (قال الراوى) فبينما هم كذلك إذ لقيه أبو الهزاهز وهو مجروح فقال له الأمير ما وراك قال أدركنى فإن مقدم هؤلاء السودان كاد أن يطعنى فيهلكنى ولولا انهزامى من بين يديه لما كنت نجوت منه فقال له الأمير عبد الوهاب وأين أجد مقدم هؤلاء السودان فهو فى الحديث وإذا بقراقد قد قدم على السودان وجال إلى الأمير وحمل عليه وحمل أيضا عليه (قال الراوى) فما نظرت العيون مثلها ولا شاهدوا شكلها فكانوا كأنهم أخوين فى قالب واحد فى الشجاعة فلم تكن إلا ساعة حتى نظروا الناس إلى السماء وقد أظلمت وإلى الدنيا قد أعتمت وإلى الأقطار قد اسودت والأرض من تحت الأقدام قد ارتجت وكان هذا الأمر وسط النهار عند ذلك ظنوا الناس أن القيامة قد قامت وذلك من هول ما عاينوا ذلك اليوم من الغبار المتلاطم فتفرقوا الناس من بعضهم بعض ودخل الأمير عبد الوهاب إلى ملطيه وفى قلبه لأجل قراقد لهيب النار وكذلك فى قلب قراقد ومضى إلى عسكره وهو كأنه الأسد الغضبان (قال الراوى) وان الرشيد لما أن رأى الغبار أراد أن يكشف الأخبار فأرسل مائة فارس يخبروه بما كان فساروا المائة ورجع منهم اثنان فقال لهم وأين أصحابكم

فقالوا له يا أمير المؤمنين قتلوا فقال لهم الرشيد ويلكم ما الخبر فقالوا يامولانا نخبرك أن ملك الروم قد وصل فى عساكر ما رأينا مثلها وهم مثل عسكرك عشرين مرة فانظر ما بين يديك فانه قد أشرف عليك قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك الكلام عظم عليه وقال لأرباب دولته ما أنتم قائلون فقالوا يا مولانا الأمر فى ذلك إليك وها نحن قد صرنا بين عدونا هذا عبد الوهاب قد نافق وقد لقينا من قتاله ما عرفته وقد أسر من الناس ما قد عرفته وهذا ملك الروم قد وصل وكأنك به فى مقابلتك قد حصل ولا نأمن أن يرجع إلى قتالنا الامير عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب فيخرجوا من خلفنا والروم من بين أيدينا فما كان يسلم منا أحد فقال الأمير قراقد إن كان فزعكم من عبد الوهاب وبنى كلاب فأنا أكفيكم همهم وإن كانوا بعدد التراب فعليكم أنتم بعساكر الكفار (قال الراوى) ثم ان قراقد انفرد بعساكر مصر وقد خلع الرشيد عليه وشرفه أعطاه الأعلام والبوقات والطبول والكؤسات وأخلع على من معه وانكشف الغبار عن عالم مثل البحر الزاخر وتسارعوا عساكر الروم حتى قابلوا عساكر الرشيد ونزلت بالقرب منهم ونزل الملعون منويل فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى ولم تزل العساكر تنزل بطول النهار أجمع واليوم الثانى والثالث حتى قال الرشيد ما أظن الملعون ملك الروم إلا وقد جمع أهل الدنيا بأجمعها ولو علمت أنه فى هذا العالم العظيم ما كنت أقمت إلى أن وصل وفى مقابلتى نزل لأننى ما سرت من بغداد على نية لقاء كلب الروم ولقد كان هذا الرأى رأى مذموم وأيضا أن عساكر خراسان ما صبرت معى لأننى ما خرجت إلا لهذا الاسود كيما أخرجه من البلد والآن فقد أتى ما لم يكن فى الحساب فهو مع أرباب دولته فى الخطاب وإذا بوقات الروم قد قربت وكاساتهم قد دقت وجلبت تخيل لهم أن الأرض قد انقلبت وركبت ملوك الروم وكذلك الرشيد ركب ودقت بوقاته ودقت كؤساته ونشرت أعلامه وراياته وحققت منجنيقاته (قال الراوى) فلما رأى الامير عبد الوهاب إلى ذلك الامر العظيم أطلق الأمير عمرو بن عبيد الله وألف أسير من بنى سليم ففرح الرشيد فرحا عظيما ثم إن ملك الروم أشار إلى العسكر فحملت وتبادرت أبطاله وكانه فما قولكم فى خمسمائة ألف تلتق ألفين ألف وأربعمائة ألف فرأيت الوحوش قد نفرت والمياه تكدرت والأحوال قد ظهرت والأكف من المعاصم قد انتثرت والارض قد تحفرت والنفوس على الحياة قد تحسرت والمرائر قد انفطرت ولم

يزالوا كذلك إلى أن انقشعت الغبرة وانكشفت وقد تنكس علم الرشيد وسكتت بوقاته ولم تسمع كؤساته وأحدقت به الروم من كل مكان وولت عساكر العراق وتبعتها عسكر مصر وولوا الباقين الأدبار وركنوا إلى الفرار فعندها صاح ملك الروم بالملوك خذوا الرشيد وقد ملكتم من خراسان إلى الصعيد (قال الراوى) فما استتم كلامه حتى أرمت الروم نفوسها عليه فى طلب الظفر به وترجل الأمير قراقد فى خمسة آلاف وقاتل قتال عظيم وانهزم الأمير عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم وولت العساكر ونفرت الأعاجم والديالم ولم يبق مع الرشيد إلا خمسين ألف وأراد الهزيمة فلم يجد إلى ذلك من سبيل لأن الروم قد أحدقت به كما يحدق البياض بسواد الحدق فصاح بقراقد يا ولدى إياك أن تتخلى عنى فأنت اليوم العدة والعمده (قال الراوى) وزاد عليهم الأمر وانكبت عليهم الاجناس من الروم والأرمن واليونان والبنجاك والمغلبيط والبرغال والملافطة والبنادقة والزواورة والانجار وما كانت إلا ساعة حتى ولت الخمسين ألف منهزمين وبقى الرشيد وأربعة آلاف الصقالبة وغلمان الدار وقراقد وسودانه فعند ذلك كشف قراقد رأسه وصاح وقال لأصحابه اعلموا أن ما عندكم معرفة ولا عبادة تخلصكم يوم القيامة من النار ولا يخلصكم الهرب والفرار وهذه أرض لا تعرفونها فقاتلوا فى سبيل الله وموتوا كراماً عساكم تصلوا إلى الشهادة فهى أفضل من العبادة فعند ذلك صاحوا صيحة واحدة يا إمام وحملوا على الكفرة اللئام (قال الراوى) فارتجت الأرض والآكام فلما رأى الأمير عبد الوهاب إلى هذا المصاب أخذته الغيرة للدين والحمية للمسلمين وقال للأميرة ذات الهمة يا أماه ما هذا صواب أن تقعدى عن الجهاد فى طاعة رب العباد وما فى الأمر إلا أن تفتح الباب ونجود الطعان والضراب فقالت الأميرة يا بنى هذا هو الصواب فعند ذلك تكاثرت الابطال من بنى كلاب والسودان الانجاب وفتح من ملطيه الباب (قال) فما صار عبد الوهاب بظاهر ملطيه إلا والروم قد أرمت الأوهاق فى الأعناق تعنى بها رقاب السودان وهو قتال لم تعرفه فأيقن الرشيد أن الروم قد أخذوه إذ سمع التكبير من أعلى ملطيه قد علا والتهليل قد نما والامير عبد الوهاب قد سطا وذات الهمة تنادى معاشر العرب بيضوا وجوهكم عند النبى المنتخب سيد العجم والعرب فكبروا وحملوا فى مائة ألف عنان وسبعة آلاف من السودان والامير عبدالوهاب فى أوائلهم وهو يقول ادركوا الرشيد لانه يوم سعيد وقاتلوا فى طاعة الملك المجيد

(قال الراوى) فلما نظر قراقد إلى عساكر الأمير قد حملت وهو فى أوائلهم وقد صاح بالروم وكشفهم عن الرشيد ومن معه فتعجب من جميل فعله وقال هذا يدل على كرمه وكرم أصله ونثرت أبطال بنى كلاب الرؤس نثرا وأرمتهم خمسا خمسا وعشرا عشرا وقاتل سيف الحنيفية قتالا زجرا والأمير هياج الكردى قد أباد البطارقة وجعلت الأميرة تهبر الأبطال هبرا وهى تقول صبرا صبرا سيجعل الله بعد عسر يسراً وأما الأمير ضيغم فقد جعل ربح القوم خسرا وجعل ديارهم منهم خالية وقفرا (قال الراوى) وما كانت إلا ساعة حتى وصل الأمير عبدالوهاب إلى الرشيد وأعانه وقلعت الأميرة ذات الهمة قراقد ومن معه من السودان وسيف الحنيفية والأبطال ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المساء وانسدل الظلام وانتهى القتام لجميع الأنام وحرصت الروم أن تحيل بين الأمير عبد الوهاب وبين الباب فلم يقدروا على ذلك وحمل الأمير عبد الوهاب الرشيد ومن معه بين يديه ولم يزل معهم حتى وصل إلى ملطيه ودخل البلد فرحان بما فتح الله عليه وخلاص الخليفة على يديه وغلقت الأبواب وطلعت الناس على الأصوار هذا والرشيد ما أمن على نفسه بل أنه بقى يرتعد مثل السعفة فى يوم ريح عاصف وحمله الأمير عبدالوهاب إلى القصر ونصب له سرير وقام قائما يحجبه والأمير سيف الحنيفية عن يمينه والأميرة عن يساره وهى مجروحة جرحا وثيقا وتخضبت ثيابها بالدماء غير أنها مثل الأسد الغضبان ثم أنهم حملوا إلى الرشيد الطعام فقال يا أمير مالى فى الطعام من أرب وأنا على نية الصيام وما أفطر فى هذه الليلة ومالى فم يذوق الطعام فقال الأمير عبدالوهاب يا مولاى لا تتأسف على من انهزم من العساكر وأن الفضل بن الربيع وعمرو بن عبيدالله قد انهزموا وقت الحاجة إليهم وقالوا عنى أنى مانهوى الدولة العباسية وذكروا عنى أنى منافق غير صادق والآن فقد حققت الحقائق وبان الكاذب من الصادق فقال الرشيد ياعبدالوهاب اجعلنى فى حل مما جرى بينى وبينك فلعن الله من يوقع بينى وبينك وقد علم الله تعالى صدق نيتك فلهذا هو قائم فى معونتك (قال الراوى) وأقبل الرشيد على الأميرة ذات الهمة وقال لها لقد أرعنا قلبك على ولدك مرة بعد أخرى وهو مع ذلك موفق سعيد ولئن ظفرت به مانالك مكروه والآن فان موضعكم عندى الموضع الذى تعرفوه فقبلت الأميرة الأرض وكذلك الأمير عبد الوهاب وأمرهما بالجلوس فامتنعوا فأقسم عليهما فجلسوا ساعة ووثب الأمير وأنزل لقراقد الخلع السنية خلاف خلع الرشيد وحمل إليهم المأكول والمشروب والأوانى والطعام والفرش ومن التجمل

ما أذهل عقولهم فقال الأمير قراقد يامولاى لقد تفضلت علينا وأجملت وما قصرت فيما فعلت مع أننا فعلنا فى حقك مالايوجب هذا فقال لهم الأمير عبدالوهاب وأى جميل تفعلوا معى أكثر من صبركم على سيوف الأعداء فلله دركم ما أصبركم على القتال وأجلدكم على الأهوال فقال له الأمير قراقد أيها الأمير أنت أقوى منا جلد ومثلك فى الجلاد لايوجد ولقد شغفت بمحبتك وطابت أخوتك ولى أسوة بك إن رضيتنى عبد لخدمتك لأقاتلن بين يديك أعدائنا وأعداك وحسدتك وأبذل مهجتى والخمسة آلاف الذين معى غلمان حضرتك ومالنا فى الارض لا أولاد ولا نساء ومانحن إلا كما ترى فانظر فى حالنا كما ترى

فقال لهم الامير عبد الوهاب وقد كاد قلبه أن يطير من الفرح لما أبداه قراقد من الكلام معاذ الله أن أراكم فى عدد الخدام ولكنى أتخذكم إخوان وأقارب والزام والاحظكم بعين عنايتى وأوافيكم برعايتى ولكم على الجواز والخلع والاقطاعات ففرحوا بقوله وشكروه على فعاله (قال الراوى) وكانت على عبدالوهاب من أبرك الليالى وأسعدها فكان تارة يتحدث مع قراقد وجماعته وتارة يمضى إلى الرشيد يحدثه والرشيد يقول له يا عبد الوهاب تقول أن ملك الروم غدا يزحف إلينا فقال الامير عبد الوهاب طب نفسا وقر عينا يا أمير المؤمنين فان عبدك فيه كفاية لهم ولامثالهم بعون الله تعالى ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فقال له يا عبد الوهاب اعلم أن الدنيا غداة غد تختبط لاجلى ويمضون المسلمون المنهزمون وتتحدث الناس بأنى قد قتلت والخبر السوء لاينكتم بل يطير بلا جناح وتشمت الحساد وتخرب البلاد والامصار والاقطار فقال الامير عبدالوهاب فما الذى تريد يا أمير المؤمنين فقال له يا عبدالوهاب لو قدرت أن ترسل الليلة خمسة نجابين يسيرون إلى الاماكن ويخبرون بأنى طيب وانى فى ملطيه فان ذلك فيه منافع للناس أحدها تهدأ البلاد وتعز العباد والثانى تعود العساكر إلينا فقال له الامير السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين وقد خرج من مضربه ودعا بالنجابة وأنفذ معهم كتاب بخط الخليفة وأوعدهم بالخلع والاموال وفتح لهم الباب فى الليل فخرجوا فى ظلام الليل وهم على غاية من الفزع والخوف من عسكر الكافرين وستر عليهم البارى جل وعلا فمضوا صوب خرت برت وبعضهم طلب السويدية وبعضهم طلب أرض سجستان (قال الراوى) وأصبح الصباح وارتفع الصياح من كل جانب ومكان ورفعت الصلبان وصاحت القساقسه والرهبان وارتفع الغبار إلى العنان وكبر الامير عبد الوهاب على الابراج هو وبنى كلاب والسودان

الانجاب ورفعوا أصواتهم بالتوحيد الملك الديان ونظر الأمير عبد الوهاب الرشيد فرآه وقد تغير لونه واضطرب كونه فقال له لا تخف يا أمير المؤمنين فقال له والله يا عبد الوهاب انى كنت بالأمس فى عداد الأموات لولا أن من الله تعالى علينا بك مع انى ما واليتك جميلا ولا جدت عليك بتفضيل فقال الأمير عبد الوهاب العفو يا أمير المؤمنين أنا على كل حال عبدك وكل ما أملكه من برك ورزقك والبارى جلت قدرته مهلك حاسدك ويقطع ضدك ويتم سعدك وتأييدك فقال له الرشيد أظن مثلك لا يوجد لأنك رجعت إلى كرم طبعك فلله درك أيها الأمير الأجل ومع ذلك لا تفتح باب ملطية فهذا عسكر لا يبالى بأحد فقال الأمير عبد الوهاب أما أنا فلست ممن يقعد خلف الجدران ثم فتح الباب ونادى فى بنى كلاب وخرج قراقد فى خمسة آلاف أسود من كل بطل أمجد وقد زحف ملك الروم بالعزادات والطلاقات والسلالم فلما نظر إلى الباب وقد فتح أمر الملوك بأن يصيروا صفا صفا ويزحفون زحفا وطلب منهم الأمير البراز وسألهم الانجاز فلم يمهلهم ملك الروم دون ان حمل عليهم واشتد المجال ولمعت السيوف الصقال والرماح الطوال ودامت الأهوال ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وقد صبروا المسلمين الكرام ونزل عبد الوهاب وسيف الحنيفية وأبو الهزاهز وسملق وبرد ابن الأزهر ومالك ابن طوق ومالك ابن بشر الأقطع وهياج الكردى وراشد بن ضمره وقراقد وهارون العلوى وسعيد بن الفرج وقد رموا على الروم وصدوهم وغلق باب ملطية هذا والرشيد طول نهاره يدعو الله تعالى ويدعو للأمير عبد الوهاب بالنصر على الأعداء (قال الراوى) وباتوا الناس على مثل ذلك إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح فقال الرشيد للأمير عبد الوهاب والله انى من الهم الذى ورد على قلبى فى هذين اليومين قد ثار على المرض الذى يثور على فى كل سنة ولو صالحنى ملك الروم انه لا يتعرض المسلمين لصالحته فهو مع الأمير فى الكلام والخطاب إذ أقبلوا الناس من الاسوار ينادون الامير عبد الوهاب فقال لهم ما شأنكم فقالوا أتوا عسكر الروم وقد ركبت وإلى البلد قد طلبت وخرج البترك إلينا فهل تأمرنا ان نفتح الباب فقال لهم نعم افتحوا ففتحوا الباب ودخل البترك إلى البلد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك دهرشوم بن شومدرس لانه دخل على الملك فى الليل وبكا وقال أيها الملك ان الايام تنقضى والساعات تمضى وروحى تتلف من الشوق إلى أهلى وقد دخل على

الضرورة من ذلك وأريد انك ترسل إلى خليفة المسلمين فهو على كل حال محصور وعسكره مكسور وهو هارب مقهور وتسأل عن الراهب شومدرس وعن والدتى الدينة الصالحة فانى أعلم ان أهون ما عنده ان يصالحك عليهما فاذا خلصناهم رجعنا بعد ذلك عليهم (قال الراوى) فلما ان سمع منويل كلام دهرشوم قال له وحق المسيح انى أشوق الخلق إلى أبوك شومدرس منك ولست ممن يبخل عليه بهذا المقدار مع ان الخليفة مقهور محصور ولكن أنا أطيب قلبك ثم انه سير البترك كما ذكرنا يقول له اعلم اننى قد رثيت الك بعد ذلك من أجل ما حل بك وحنيت عليك حنة الملوك بعضها على بعض ورق قلبى عليك لان عساكرك قد انهزمت والجيوش عنك قد نفرت واعلم ان الحرب سجال يوم الك ويوم عايك وأنا كان سبب خروجى إلى هذه الديار من أجل الشيخ أبو الشر شومدرس وزوجته شوما وأريد أبو محمد البطال يسلمهما إلى وأنا على مهادنتك ومصالحتك مهما أردت من السنين (قال الراوى) وكان ذلك الكلام من ملك الروم وهو مضمر الغدر فى قلبه للرشيد وعساكر المسلمين فلما دخل البترك إلى الرشيد رفع قدره وعلا مكانه عند ذلك قال البترك لامير المؤمنين اعلم يا ملك المسلمين ان الملك منويل قد ادركته الرحمة عليك وقد رق قلبه عليك من أجلك وأجل عساكرك فقال الامير عبد الوهاب وما الذى جرى عليه وعلى عساكره وأنا بين يديك ولو كنتم يا كلاب بعدد التراب وقطر السحاب (قال الراوى) فلما قرأ البترك ما معه من الرسالة قال الرشيد لعبد الوهاب حدثنى حديث هذا الذى نكد عيشى وخرج ملك الروم من أجله فأعاد عليه القصة التى جرت له مع عبد الوهاب فضحك الرشيد من وسط الغيظ وقال يا عبد الوهاب قل للبترك أما أبو محمد البطال فانه ما قدر عليه لانه خرج عن طاعته وهو فى آمد وهى بلد حصينة ولكن أمهلونا خمسة أيام إلى أن نرسل إليه ونخلصهم من يديه ان كان يطاوعنا أم لا (قال) فلما سمع البترك ذلك من كلام الخليفة قال سمعا وطاعة ثم رجع إلى الملك وأعلمه بجلية الخبر فقال الملك نحن نصبر عليهم إلى ما يخلص شومدرس وبعد ذلك نعود إلى الرشيد وعسكره ونغدر بهم (قال الراوى) فلما راح البترك وجرى ما جرى التفت الرشيد لعبد الوهاب وقال يا عبد الوهاب أنا أكتب كتاب بخط يدى إلى أبو محمد البطال أطلب منه هذا الشيطان أبو الشر شومدرس ونلق مناضلته وهرق دما الاقران والاصحاب فهم فى الكلام وإذا بصابر المرعشى الجاسوس قد أقبل فقال له عبد الوهاب هات ما معك من الكلام يا مبارك

فقال له يامولاى حديثى عجيب وأمرى غريب يجب أن يسمع على الترتيب فقال له وماذلك فقال له أخبرك بخبر الاكرادان كركر ابن غشم الكردى نزل على مدينة آمد فى ستين ألف وقاتلهم أبو محمد البطال فى أربعة عشر ألف أسود وقاتلهم القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد ووقع بينهم البراز فخرج كركر بن غشم ونادى برفيع صونه ما المليح أن تملك البلد بالحيلة وإنما يمدح الرجل بشجاعته وشهامته وقوته فأين أميركم أبو محمد ينزل إلى ويحمل على فلما قال كركر ذلك الكلام استحى أبو محمد أن يمتنع من الخروج فعند ذلك خرج إليه وقحم من وجهه عليه فأخذه أبو محمد بالوهق لانه نوع من السلاح الذى لايعرفه كركر ولايفهمه فأخذه أبو محمد من غير قتال ولاملاقاة بل أوهقه فى الحال فهمت عساكره أن تولى الادبار فصاح بهم أبو محمد البطال إلى أين تذهبون وعندى لكم الاقطاعات والجوامك والإحسان مثل مافعلت بغيركم وأنا أبو محمد البطال الذى بلغكم ذكره (قال) فلما سمعوا ذلك من كلامه وما نطق به من نظامه أجابوه عن بكرة أبيهم ونادوا أبو محمد يامنصور فعندها خلع عليهم الخلع السنية وأعطاهم اقطاعات مرضية وأن أبو محمد اليوم صار فى مائتين ألف وستين ألف فارس وفرق العدد والسلاح على الناس والاموال والخلع للرجال وقويت قلوبهم واشتد عزمه ومضوا جابوا أموالهم وأولادهم وعيالهم من الضياع والجبال والرساتيق وحصلوا فى آمد وتوطنوا بها وقالوا العساكر لابو محمد لوأمرتنا أن نقاتل أهلنا وجميع أقاربنا لفعلنا ذلك محبة فيك فشكرهم أبو محمد البطال على ذلك وأن الامير عبد الوهاب لما سمع ذلك حرك رأسه وقال سبحان الله المعطى بغير حساب ياصابر فهل رأيت أحدا من عسكر المسلمين المنهزمين قال قد رأيت الذين انهزموا ولكنهم ماسلموا فقال الامير عبدالوهاب أخبرنى ما الذى جرى عليهم فقال له يامولاى وصلوا إلى آمد على أنهم يمضون إلى العراق فعلم البطال أنهم منهزمين فخرج إليهم ونهب أموالهم ورجالهم ونهب خيل بنى سليم وأخذ عددهم وأخذ عدد عسكر العراق وكانت خزانة الخليفة قد سلمت من النصارى فأخذها وأخذ الفضل ابن الربيع وفرق على الاكراد مائة ألف من الخزانة وضيق على الفضل ابن الربيع وقال له اعلم أن الله تعالى قد علم فى نفسك الغدر فردك إلى موضعك الذى كنت فيه (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك من الجاسوس عظم عليه ودخل على الخليفة واعلمه بما جرى فقامت عليه القيامة وكتب كتاب إلى الامير أبو محمد يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد

بلغنى مقالتك للفضل بن الربيع وأخذك خزائنى وقد فرطت فيها فى مائة ألف دينار فما عليك منهم والذى فرطت فيه فانه وهبة منى إليك تتساعد به على عساكرك فاذا قرأت كتابى هذا فلا يكن جوابك إلا أنك ترسل لى باقى الخزانه ويكون صحبتها أبو الشر شومدرس وزوجته سوما فقد وقع الرضا بهذا مع الروم بخلاصهما ويرجع كلب الروم إلى بلده فانه فى عساكر لا يقع عليه إحصاء بعدد الرمل والحصى ما جمعها أحدا قبله أبدا وهذا كله بسبب الملعون شو مدرس وتطلق القاضى عقبة أيضا وآمد وهى منى إليك وقد خليتها لك لا يعارضك فيها معارض ولا يطلبها منك طالب وإن أنت لم تبادر إلى ما أمرتك به فإنى أسير إليك فى عساكر الروم جميعها ولا تجد لنفسك هناك ضرا ولا نفعا لما أصل إليك فى أبطال بنى سليم وبنى كلاب والسودان الأنجاب الذين كأنهم أسود الغاب فى مائة ألف عنان أبطال أقران شجعان فرسان وفى أوائلهم السيد المهاب والسيف القرضاب وسيد بنى كلاب الأمير عبد الوهاب وتحت رايته الأميرة ذات الهمة وفى أوائلهم الأسد الضرغام والبطل المغار والضارب بالمشرفية الأمير سيف الحنيفية

واعلم أن الاكراد ما يضربوا فى وجوه بنى العباس بالسيف وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر ثم طوى الكتاب وأرسله إلى ملك الروم يخبره بما جرى وقال له اعلم أن الذى تطلبهم فى قبضة أبو محمد البطال الذى سرقهم من بلاد الروم وقد أرسلت إليه كتاب فيه كذا وكذا فان أجاب فبها ونعمت وإلا سرنا كلنا معك إليه لأنه قبض على رجالى وأخذ خزنتى وأسر جماعة من أبطالى ولنا عنده قاضى قضاة المسلمين والشيخ الناصح للمسلمين عقبة فان سلم إليكم أصحابك وسلم إلى المال وصاحبنا عقبة الرفيق وإلا رميناه بحجارة المنجنيق حتى ننقض حجارة آمد حجر حجر إلى الأرض لانى قد أنفذت النجابة إلى العراق وسائر الآفاق لتأتى بالعساكر والدساكر (قال الراوى) فلما سمع ملك الروم ذلك الكلام فرح وقال لو لم يكن فى هذه النوبة الإخلاص الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح لكان فيه الكفاية وأقام ينتظر الجواب وأما الرشيد فانه قال للأمير عبد الوهاب من يسير لقبض المال وخلاص الرجال من يد البطال فقال له عبد الوهاب اعلم يا أمير المؤمنين ان الذى يسير على خطب كبير من شوم البطال لانه قد تصرف فى المال وأنفقه على الرجال فقال الرشيد يا عبد الوهاب سبحان من خلع تلك المحبة من قلوبكم بعضكم من بعض فلقد كان أهل الارض كلها يحسدونكم على محبتكم فقال الامير عبد الوهاب يا أمير المؤمنين كل ما نحن فيه من البطال لانه

شاققني فى هذه الجارية نورى وأخذت قلبي وطلبها لنفسه وأنا أخذتها بقائم سيفى ورمحى بعد ما جرى على ما جرى بسببها من أسر وبليه ولولا ذات الهمه لما قدرنا عليها ولا وصلنا إليها فقال الرشيد ما هذا إلا أمر عظيم ولقد أحسن القائل :

تموت الرجال على حبها * وما يحصلون على ما يريدوا

وما الدنيا إلا كثيرة الآفات أترى يا عبد الوهاب هذه الجارية تسوى هذه المصائب وهذه الفتن وهذه الامور الذى جعلت الصديق عدو المحب والمبغض صاحب العدو وهذا غاية العجب (قال الراوى) ثم قال أرسل إليه الامير ضيغم فما أبو محمد مجنون ولا يقبض عليه ولا يخالف أمرى ويكون معه مائة فارس من بنى كلاب فان الطاعة كثيرة وأخاف على الخزانة وقد مضى منها مائة الف دينار وعسى يسلم الباقى فلم يمكن الأمير عبد الوهاب المخالفة قال السمع والطاعة وأنا أخاطر فى خدمتك بمالى وروحى وولدى ثم انه دعى بالامير ضيغم وضم إليه مائة فارس من بنى كلاب وأكثروا من عددهم ونجملهم وساروا وقد فرحت الروم لانهم علموا أنهم سائرين رسل من أجل الشيخ شومدرس وزوجته شوما والشيخ النجيسح عقبة فلم يتعرضوا لهم بسوء (قال الراوى) ثم إن الرشيد أقبل على عبد الوهاب وقال له يا أمير عبد الوهاب كيف عيشك مع الملكة نورى فقال له عبد الوهاب عيشتى معها حكم عيشة العصفور مع الطفل الصغير فقال له الرشيد خذها غصبا فقال له حفظك الله يا خليفة الله انها أقسمت بدينها وما تعتقده من يقينها متى ما مددت يدى إليها قتلت روحها وما أقدر أغصبها على مالا تريد فقال له الرشيد أرنى إياها فسكت الأمير عبد الوهاب فقال الرشيد لا تخف منى أبدا فوالله ما أعارضك فيها ولكن أتفرج عليها لأنى ما أنسى لك ما عملت معى من الاعمال الجميلة إلى آخر الأبد (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام من الرشيد فقال يا مولاى وأى فائدة فى قصدك إلى نظرها فقال له الرشيد حتى أنظر أين هى مما سمعت عنها إن كانت تسوى تلك ألفين التى قامت من تحت رأسها والعداوة وإن كانت ماتسوى ذلك عذرتك وأعذر الامير أبو محمد البطال لانه قاصد لأجلها ولك الأمان وتربة المهدى ما فى قلبي لها لا قليل ولا كثير ولو كانت فى قصرى لأعطيتها لك فقال له الامير عبد الوهاب يامولاى انها لا تقبل منى ولاتجى معى وإن كان ولابد لأمير المؤمنين من النظر إليها فليمشى معى غير مأمور إلى الدار التى هى فيها لننظر إليها (قال الراوى) فقام الرشيد وسار والامير

بين يديه والخدم الصقالبة من حواليه وعليه غلاله مثاقيلى يسوى كل مثقال منها مثقال ذهب أحمر ومن فوقها ثوب حمل القائم ثمنه خمسة آلاف دينار وعلى رأسه تخفيفة تسوى ألف دينار (قال الراوى) وكان الرشيد ما فى بنى العباس أحسن منه منظرا فلما ان دخل الى الدار التى فيها نورى فسبق الأمير عبد الوهاب وصاح لها قومى قائمة اذا دخل أمير المؤمنين فلم تسمع كلامه ثم دخل الرشيد وجلس على كرسى من الآبنوس ونظر الى جارية اذا أقبلت الشمس خجلت من حسنها وبقيت كل جارية فى ملك الرشيد حين رآها لا تساوى فى عينه درهم ونظرت نورى الى الرشيد وله وجه يخجل القمر وذوائب الشرف على صدره فى سواد الليل مع حسن قامته فمال قلبها اليه وضحكت فخيل للرشيد ان الجنة قد أقبلت إليه ثم أنها تحدثت وانبسطت وقامت وقعدت ومازحت الأمير عبد الوهاب ودقت على صدرها بيدها فقال الأمير عبد الوهاب الرشيد هذا كله ببركتك يامولاى وانها والله من يوم هى هاهنا ما كلمتنى كلمة لينة الا فى هذا اليوم ثم انها صارت تحدثهم بحديث الروم وما ذكروا الحكماء مثل ارسطاطاليس وجالينوس وبقراط فسلبت عقل الرشيد ونسى الإيمان والعهود التى حلفها للأمير عبد الوهاوقد نظر إليها نظر المحب وقد فتحت له حدقتين نرجسيتين ونظرت له بعينها فصقع لها فعلمت أنها قد احتوت على مجاميع قلبه فقالت فى نفسها وهذه فتنة أخرى تخرب بها بيوت كثيرة ووقع الرشيد فى قلبها ثم ان الأمير أقبل على الرشيد وقال له يامولاى ما تقوم من تلك الدار حتى اننا ندبر ما يكون فقال الرشيد ما هذا وقت التدبير حتى يأتى رسولنا وننظر من أمره ما يكون فقال الأمير عبد الوهاب ما يمكننى ياأمير المؤمنين المقام هاهنا لان الاميرة علوى مقيمة هنا فى بعض المجالس فخرج الرشيد وروحه معلقة بنورى وقد أضمر فى نفسه أنه يعطى للأمير عبد الوهاب مائة سرية من الخواص الذين فى قصره ويطلبها منه وأقام على ذلك الحال فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من الأمير ضيغم فانه سار فى المائة من بنى كلاب حتى وصلوا الى آمد فاخبروا الأمير أبو محمد أن الأمير ضيغم قد أتاه فى رسالة فارتجف قلبه وطار فؤاده فقال فى نفسه ما أتى ضيغم الا والرشيد قد اصطلح مع عبد الوهاب ولا يعطونى الجارية نورى ثم انه كاد أن يغشى عليه من شدة الهوى ومن تباريح الجوا وقال على به فما كانت الا ساعة حتى أشرف الامير ضيغم والمائة فارس على الأمير أبو محمد البطال فقام لهم قائما على قدميه والتقى أبو محمد بضيغم وسلم عليه وأجلسه الى جانبه فعند ذلك أقبل ضيغم على الامير ابو محمد وتحادث هو واياه فقال له أبو محمد ياولدى ما الذى أتى بك وما

جئت فيه فقال الامير ضيغم اعلم يا أبا محمد انى رسول الخليفة إليك فقال أبو محمد خيرا إن شاء الله تعالى يا ولدى هات ما عندك فأخرج الامير ضيغم الكتاب وناوله إلى الامير أبو محمد البطال فأخذه وقرأه فلما ان علم ما فى الكتاب من التهديد والوعد والوعيد انقلبت عيناه فى أم رأسه والتفت إلى ضيغم وقال له يا حجام يا ابن الحجام أنا عجبت انك تأتى بخير ثم أنه صاح خذوا هذا الاسود الحجام ومن معه من الإخوان فهجمت الاكراد والسودان عليهم وعلى الامير ضيغم فعلم ضيغم انه ما يقدر يدافع عن نفسه (قال الراوى) فقبضوا عليه وعلى كل من معه من الفرسان وأمر بهم الامير أبو محمد فحملوهم إلى عقبة وشومدرس وشوما والفضل بن الربيع وكركز بن غشم وكان الفضل ابن الربيع مع عقبة يحدثه ويقول له اعلم إن كان الرشيد سالما فلا يتخلى عنا وأبو محمد داخلا عليهم ومعه ضيغم وبنى كلاب وقال لهم الآن تحدثوا مع بعضكم حتى لا تضيق صدوركم فلما نظر عقبة إلى ضيغم وهو يقول له اعلم يا أبو محمد ان أبى يقول واسمع كلام الرشيد فى كتابه بخطه فقال له أبو محمد ويلك يا حجام يا بن الحجام كيف أسمع كتاب الرشيد وهو يهددنى بأنه يأتى ومعه عبد الوهاب وعسكر الروم ويطلب منى المال الذى فرقته على الرجال ويطلب منى شومدرس والفضل وعقبة وهذا ما لا يكون أبدا إلا أن يعلمنى بالملكة نورى وكيف أهمل أمرها وبالله لا بد لى أن أطرح فى رقابكم كلكم الحبال وأحبسكم فى هذه الخزانة ثم انه كتب فى الحال كتابا يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم (أما بعد) فانه قد وصل إلى كتابك يا هارون تطلب منى ما لا يكون وقد أسأت الظنون وتهددنى بالملحدين وتطلب منى ان أسلم إليك شومدرس وشوما وهما أشر الخلائق أجمعين المعروفين بفساد الدين وأنا الذى لا أفعل ذلك أبدا ولا أسلم إليك البلد ولا الفضل ولا عقبة ولا شومدرس ولا شوما حتى تسلم إلى نورى وان أبطأ على ذلك ضربت رقاب الجميع وأول ما أبدى بضرب رقبة الحجام ابن الحجام ضيغم ومن بعده القاضى عقبة وبعد هذا الكلام لا بد من قتل ذات الهمة العاهرة التى هى حبيبة مرزوق العبد لانها عاهدتنى على انها تساعدنى على تسليم نورى فعادت مع ابنها الاسود على مراده (قال الراوى) ثم انه طوى الكتاب وسلمه إلى واحد من بنى كلاب وقال له قل لمن أنت سائر إليه حتى تشدد عليه يفعل ما يؤمر به وإلا والله لأجعلنها أيشم الايام عليه ثم ان أبو محمد نظر إلى الكلابى فرأى عليه ثياب قيمتها مائتين دينار فقال له اخلع يا أخى هذه الثياب فما تصلح هذه للطريق والسفر فاخلعها فقال له الكلابى لا تفعل يا أبا محمد فانما هى جمالى فقال ابو محمد ما هذا وقت الجمال لان هؤلاء

الاكراد هم أحق ولا بد أن آخذهم من غير رضاك فنى الحال قلعوه ثيابه وألبسوه جبة صوف وأركبوه أكديش ثم قال له أسرع فى سيرك إليه وقص ما ذكرت لك عليه فقال الكلابى نفيت عن العربية ان أنا بعد هذه المرة عدت إليك فى رسالة (هذا) وقد صار الكلابى فى أقبح صورة وجعل يقطع الارض طولا وعرض حتى انه وصل إلى ملطية وقد انفطرت مرارته من سوق ذلك الاكديش البطلان (قال الراوى) كل هذا والروم محدقين بملطية فلما ان نظروا إليه أحدقوا به وقبضوا عليه وقالوا له من أين جئت فقال لهم جئت من آمد فقالوا له وما الذى معك من الاخبار من رسل الخليفة الذى وصلوا من ملطية فى طلب خلاص الراهب شومدرس فقال لهم الكلابى أخبركم ان محمد البطال قد خلع عليهم وأرحلهم ومعهم الخزانة التى للسلطان وفيها المال وهى أربعمائة قنطار ذهب وقد سبقت ان القوم لانى رجل فقير صعلوك كما ترون حالى وجئت أبشر الرشيد بأن شومدرس وشوما والقاضى عقبة والفضل والمال قد خلصوه وانهم واصلين إليه بعد ثلاثة أيام وقد فزع منهم لما سمع انكم فى هذه العساكر العظيمة (قال الراوى) فعندذلك أعجب الروم كلامه وأطلبوا سبيله إلى أن وصلوه إلى باب ملطية وهو لا يصدق بالنجاة فصاحوا به المسلمين من على الابراج من أنت فقال لهم افتحوا الباب أنا أبو العربان ففتحوا له وأوصلوه إلى الاميرعبد الوهاب فقال له الامير ما وراءك يا أبو العربان فقال له ورائى العرى والبرد وما لاقيت من سوق هذا الاكديش وأعاد عليه وعلى الاميرة ذات الهمة والامير قد زاد غيظه من ذلك الكلابى لانه زاد من الكلام على أبو محمد اضعافه وقال يا أمير ما كنت أقول ان البطال يقول فى حقك ما قال فعظم ذلك عليه وعلى الاميرة ذات الهمة وأقسمت بالله تعالى انها لا بد لها من قطع لسانه ان قدرت عليه (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا والامير عبد الوهاب قد دخل على الخليفة وقال له يا مولاى أما ما ذكرت لحضرتك انى خاطرت بولدى وأصحابى وكلما أنفذته إليه وذلك فى مرضاتك ثم انه أعاد عليه ما جرى فصعب ذلك عليه وكبر لديه وقال على بالكتاب الذى وصل من عنده فدفعوه له فلما أخذه الرشيد قرأه إلى ان أتى على آخره وعرف ما فيه وشاهد ما سطرته معانيه فتغير لونه وغضب غضبا شديدا وقال سوف يعلم من يندم ثم أقبل على الامير عبدالوهاب والاميرة ذات الهمة وقال لهم ما الذى ترون من الرأى فقالوا له يا مولانا ان حضر الماء بطل التيمم ولكن الصواب ان نسير إليه وننزل بعساكر الروم وعساكرنا عليه فقال هذا هو الصواب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهم على مثل ذلك إذ دخل على الامير عبدالوهاب

قوم من الذين على الأصوار وقالوا أيها الأمير اننا نرى غبار قد طبق الأرض وهو قد أقبل من صدر البرية مثل ظلام الليل الدامس وما هو إلا غبار خيل وانه يدل على عسكر جرار فضحك الرشيد ثم التفت إلى الأمير وقال له يا عبد الوهاب نقول ان من حماقة البطال انه يسير إلينا بالجيوش ويطلب قتالنا وقتال الروم فقال أبو العربان الكلابى والله انه ما دام انه قد طمع بأخذ الثياب ويبدل الخيول العربية بالاكادش الردية ما يغفل عنا ولا بد له منا فصاح الأمير ببعض غلمانه أخرج واكشف الخبر فقال سمعا وطاعة وخرج فى تلك الساعة ورجع على الأثر فقال له الأمير ما وراءك فقال أيها الامير ان النجابة التى مضت يخبرون بسلامة مولانا الرشيد وقد رجعوا والعساكر معهم من سائر المواضع وهى خمسمائة ألف ففرح الخليفة بذلك وقال يا عبد الوهاب ارسل إلى ملك الروم وأخبره ان هذا عسكرنا وانهم لا يتعرضون له وأعلمهم انى أرسلت إلى أبو محمد البطال وما أجاب إلى ما تريد وقد عولنا على المسير إليه والنزول نحن وأنتم من أجل المال والقاضى عقبة وأنتم من أجل أصحابكم الرهبان والرحيل يكون فى غداة غد (قال الراوى) فأرسل عبد الوهاب هذه الرسالة إلى ملك الروم فقال لاصحابه وأرباب دولته ماذا ترون من الرأى فقالوا كلهم نجيبهم ولكن لا نتكلم حتى يخلص الراهب شومدرس وزوجته وبعد ذلك نغدر بهم ونحمل عليهم فما يعود لهم باقية بعد ذلك ولا قائمة تقوم فقال لهم نعم ما رأيتم ثم أرسل إلى الخليفة يقول له إذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت فعجل الرحيل فى غداة غد (قال الراوى) ووصلت العساكر إلى الرشيد ونزلت ونزل ناحية الروم وخرج الخليفة فى بنى كلاب بصحبة الامير عبد الوهاب والسودان الانجاب من حوله كأنهم سباع الغاب الجياع وكانت الناس أولهم قد قارب آمد وآخرهم فى ملطية وكانت عساكر الروم أضعاف عساكر المسلمين لانهم فى ألفين ألف وأربعمائة ألف فارس ولكل منهم الغلام والغلامين والثلاثة وكانوا بعدد الرمل والحصا ومعهم عالم لا يحصا فامتلأت بهم الارض فى طولها والعرض هذا والاميرة ذات الهمة قد حنقت على الامير أبو محمد البطال لما بلغها عنه ذاك الكلام وانها أقسمت لا بد لها من قطع لسانه ان قدرت عليه (قال الراوى) هذا والامير عبد الوهاب يقول لها ما فى حياة هذا خير وقتله أوفق وفقده خير من حياته لانه عدو لى ولا آمن على روحى منه وهو فى قيد الحياة وبالله أقسم ان قلبى خائف على ولدى الامير ضيغم لانه رجل مجنون متهاون بنفسه ما يفكر فى عواقب الامور (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من البطال فانه كان جالس ينتظر ما يردوه من الاخبار وإذا بالدنيا اقتمت والغبار خيمت والزوابع ارتفعت من ناحية

ملطيه وقد ظهرت الغبار وقد امتدت العساكر وانكشفت وإذا بالروم قد ملئت الفضا وسدت المستوى فلم تزل إلى أن نزلت على آمد وبعده وصلت عساكر الرشيد وعساكر مصر وجميع البلاد قد وصلت ومن حول آمد نزلت وبدا برها أحدقت وكانوا عساكر بعدد الجراد حتى بقيت آمد كأنها قصعة فى بحر عجاج لجاج فقال أبو محمد البطال ماهذا إلا عسكر ثقيل فهل نخرج إلى قتالهم أو نقعد ولكن نحن ما نبالى بهم ولو كانوا ملء الأرض فى طولها والعرض لأننا إن خرجنا إليهم مالنا بهم طاقة لأن هؤلاء الإسلام كله والكفر كله وقد وقعنا بين بحرين زاخرين وحجرين دامغين وقد سمعت فى الأمثال يقولوا من يكن كردي ولم يسرق ما يكون ولد حلال والحمد لله كلنا لصوص ثم انه فرق الرجال على الأبراج وكانت آمد خمسة وسبعين برج وخمسة وسبعين بدنة ولها أبراج مثل الحصون والقلاع والصور كله حجر أسود وبعضه فى بعض ذكر فى أنثى وأنثى فى ذكر لا تدخل الإبرة بين الحجرين واسمه الصور الأدهم وذكره شائع فى كل النواحى والبلدان ونصب من فوقه العرادات والطلاقات والمنجنيقات والأحجار وقالوا نحن ما نخرج إليهم بالنهار ومهما قدروا عليه يفعلوه ولا نبالى بهم (قال الراوى) وإن هارون الرشيد لما نزل من جانب باب الجبل أرسل ملك الروم إليه البطرك يقول للخليفة قد نزلنا على هذا الحصن كما ترى وما فى الأمر إلا أنك تقاتله من جانب ونحن من جانب فأجابه لى ذلك وباتوا تلك الليلة وأصبحوا على انهم معولين على القتال وأنفذ ملك الروم إلى هارون الرشيد يقول له لعل أبو محمد البطال يكون فزع من هذه العساكر التى قد ملأت الفضا والصواب أننا نرسل له كتاب واطلب منه أصحابنا فقال الرشيد نحن قد وقع بيننا وبينه فان أردت أن تراسله فافعل لأجل أنه قد سمع أنك كسرت عسكرى فلعل أن يكون قد وقع لكم فى قلبه هيبة فلما سمع الملك منويل رسالة هارون الرشيد ظن أن ذلك حقا فأدعى بالبترك وقال له تمضى إلى أبى محمد البطال وتقول ما أنا مثل غيرى وأنت تعلم أن الرشيد ما طلب مصالحتى حتى كسرت عسكره وقتلت أبطال دساكره وأنا ما أخرجت من بلاد الروم إلا فى طلب خلاص الراهب شو مدرس وزوجته الراهبة شوما لأن ولدهما دهرشوم أقلقنى من بكاؤه عليهما وهو مشتاق إليهما ولك عندى السودان الذين أخذناهم من تل الثعالب فأنا أطلق سبيلهم وما على إن أنت أطلقت أصحاب الخليفة أم لا فأنا إذا فاديت أصحابى بالمائة السودان ما يبقى بينى وبينك إلا الخبر ويقع الصلح بيلنا

ولا بد لى أن أعود إلى عسكر العراق وآخذ الرشيد برقيته وكذلك عبد الوهاب لأن فى قلبى منهم أمور أنت تعرفها وانظر ما يكون فقال البترك السمع والطاعة ثم انه أخذ معه عشرة من خواص البطارقة كلهم بالخيول العربية والقنطاريات الخلنجية والسيوف الهندية والدروع الداودية ومن فوقهم الثياب الديباج الملكية وأخذ عشرة من الرهبان بتوع القسطنطونية عليهم المشوح السود الحرير الابريسمية والقفارات الهرقلية والميازر المصوف الانطاكية والعكاكيز الابنوسية وعلى رؤسهم قلانس سود مطلبة وسار البترك فى التجمل العظيم إلى ان وصل إلى آمد فصاحت عليه الاكراد والسودان من فوق الاصوار من اين وإلى أين فقال أنا رسول من عند الملك منويل إلى الأمير أبو محمد البطال فلما سمعوا ذلك مضوا إلى الأمير أبو محمد وأعلموه بذلك فقال على به ففتح له الباب ودخل البترك ومن معه وكان البطال فى سيمة الملوك الكبار وعلى رأسه ثلاثة آلاف من السودان بالسيوف المجذبة تحجبه وفى أوائلهم ميمون الجماس يحجبه وهو كأنه الأسد والأمير أبو محمد جالس فى الدست وقد نشر شواربه وهو معبس تعبيس الملوك فلما ان عاينه البترك فزع منه وقال فى نفسه وحق المسيح ما كان دخولى إلى هذا الشيطان بصواب ولكن ما بقى يفيد الكلام وأنا أملى من المسيح أن يدفع عنى شره ويصرف عنى مكيدته ثم انه لما ان قرب منه قوى قلبه وتقدم إليه وقال السلام عليك أيها الأمير وإذا بواحد نزل فى ساحل قفاه كاد أن يقلبه فالتفت وإذا به ميمون الجماس يقول له أسكت سكت حسك وبطل نصفك لم لا تقول أيها الأمير الأمجد والسلطان الاوحد السلطان أبو محمد فقال البترك مثل ما أمره وبعد السلام قال له يا مولاى أنت تعلم ان الملك منويل ما خرج قط بعسكر مثل هذا العساكر لانه ما له نظير وقد كسر عساكر الرشيد وأشرف على أخذه لولا الاسود قوناق بن السلوك ما أحدا راى شكله لان معه خمسة آلاف وقف بهم فى وجوه ألفين ألف وأربعمائة ألف وهذا شىء لا يسمع أحد بمثله وتزايد الامر على الرشيد حتى خرج عبد الوهاب من ملطية ومعه سادات بنى كلاب وحاموا عن الرشيد وأدخلوه إلى البلد ولولا هجوم الظلام كان الملك قد أخذ الجميع وصنع بهم أوفى صنيع وهذا كتاب الملك إليك وفيه ما يدل على الخير فمدها ضحك البطال وقال يا بترك قبل كل شىء أنت عمرك كم سنة فقال البترك مرادك تحسبلى نجمى قال البطال لا ولكن مرادى تعرفنى عما أسألك عنه قال يا مولاى عمرى أربعين سنة فقال البطال يا بترك بحق ملتك المسيحية ومريم الزكية هل عمرك

ما طبخوا رأسك فى هريسه أو فى قمحية فقال البترك لا وحق المسيح وما مسح والبيعة والمذبح وكيف طن على مسامعك هذا المقال وجرى به لسانك ووعاه قلبك وجنانك فقال البطال أنا أعلمك بالحال وهو انى لما كنت محبوس عندكم فى بلد القسطنطينية نذرت لله نذرا وهو ان تخلصت مما أنا فيه ووقع فى يدى البترك طبخت رأسه فى هريسة بقمح وها أنت قد وقعت ولا بد لى أن أوفى بنذرى الذى نذرته على نفسى ثم انه صاح فيمن عنده من الاكراد والسودان وقال خذوهم فتعلق بكل واحد منهم مائة رجل وقلعوهم ما كان عليهم من الثياب وألبسوهم الجبب السود الخشن وحملوهم إلى عند القاضى عقبة فقال عقبة لا ستر الله عليك يا بطال يا شيطان صرت تأتينا كل يوم بجماعة بعد جماعة هذا والبترك يستغيث فلا يغاث ويقول لو كنت أخذتنى على غير ذلك الوجه لكان أحسن وأجمل وما جرت العادة بين الناس بأن يتعرضوا الرسول فقال له أبو محمد لا تصدع رأسى بكثرة كلامك فما تنجو منى أبدا فكيف يكون ذلك وعلى أيمان ونذر ان أطبخ قمحيه وأغتنم الفرصة والفريصة بالفريضة الشرعية والراهب كلما سمع ذلك المقال يقول فى عرضك أنا أشترى رأسى بالمال يقول الأمير أبو محمد البطال ما يمكن ذلك أبدا لان عندنا من نذر نذرا وجب عليه أن يوفيه لأن الله بكل شىء عليم هذا والبترك يقول يا أبا محمد أجرينى على عوائدك الجميلة لأنك صديقى على طول الايام والشهور وأى شىء كان كفارة يمينك أنا أؤديه من مالى فقال أبو محمد وحق رأسى ان ملك الروم ما يقدر على كفارتها هذا والبترك يتخضع له فى المقال ويتذلل له فى السؤال وخائف لا يطبخ رأسه فى هريسة ويطعمها للسودان والأكراد فلما رأى الأمر قد احتكم ولاوجد له خلاص غمز ميمون فتشفع له وقطع عليه مشترى رأسه بمائة ألف دينار ولما استقام الحال أطلق البطال أصحاب البترك الذين كانوا معه وعليهم جباب الصوف الذى كل جبة ما تسوى حبة وقال لهم اذهبوا إلى ملككم وقولوا له ما عندى جواب إلا السيف ولا أنا ممن يصغى إلى مقاله ودعه يقيم على حربه وقتاله ويعمل جهده ويطبخ أحمض ما عنده وقولوا له اسرع بالمال وأما شو مدرس وشوما فانى لا أسلمهم أبدا وأما البترك فلى معه حساب أصححه معه (يا سادة يا كرام) وكان قصد أبو محمد البطال فى اطلاقهم حتى يعلم الناس ان فى قلبه من العساكر لا قليل ولا كثير ووصلوا القوم إلى ملك الروم فلما رآهم لم يعرفهم وقد أحدقت البطارقة بهم فسأل الملك عن حالهم فقيل له :

أيها الملك هؤلاء الرسل الذين مضوا من قبلك إلى ابو محمد البطال مع البترك قد

عادوا كما نرى فقامت على الملك القيامة وقال أين أبونا البترك الكبير فقالوا الرهبان أيها الملك ان هذا الشيطان أبو محمد يذكر أنه لما كان فى قبضة شو مدرس فى القسطنطينية كأنه نذر على نفسه أنه متى خلص ووقع البترك فى يده طبخ رأسه فى قحية وأعادوا عليه القصة فضحك الملك من وسط الغيظ وصلب على وجهه وقال ما أظن أن هذا الشيطان عاقل وبعد هذا على أى شىء انفصل الحال فقالوا على مائة ألف دينار فقال الملك متى انفتح للسلمين ذلك الباب بالنذور يطبخوا رؤسنا فى القدور ما بقى لنا فى أنفسنا محذور وما بقى إلا القتال والحرب والنزال ثم صاح الملك فى طوائف الروم فوقع الصائح من كل جانب خوفا على رأس البترك وزحفوا إلى الباب فكان يوما عظيما بقيت فيه الرجال رمما كأنه يوم النشور وقد خرجت الخلق من القبور وسمع أمير المؤمنين الرشيد بما قال البطال للبترك من المقال فضحك إلى أن مال وقال والله ما البطال إلا شيطان فى صورة إنسان فقال أبو العربان الكلابى يا مولانا ايش يضره من ذلك هو بيأخذ كل ثوب يسوىماية ألف دينار ويعطيهم عوضها جبة تسوى قلشار فضحك الخليفة من مقاله هذا وقد قامت القيامة على ساق وزاد الصياح والزعاق وأظلمت الآفاق وجردت السيوف الرشاق ونظروا الاكراد إلى ذلك والسودان الذين مع الامير أبو محمد البطال إلى الروم فاستغاثوا بالحى القيوم فصاح فيهم الامير أبو محمد وقال لهم اعلموا ان نحن قاتلناهم فان الله فى عوننا وان قتلونا فندخل الجنة (يا سادة) فلما سمعوا ذلك من كلام الامير أبو محمد البطال فتحوا الابواب وخرجوا كأنهم أسود الغاب فعند ذلك أرسل ملك الروم إلى هارون الرشيد يقول له اعلم ان أبو محمد البطال معه هؤلاء السودان وهم حماة عسكره ونريد منك سودان مثلهم تلقاهم فلما وصلت الرسالة إلى الرشيد قال الأمير عبد الوهاب ارسل السودان مثل ما أشار به ملك الروم فما هو إلا صواب حتى إذا فتحت البلد لا يقال انه فتحها وحده ويكون الفتح لنا وله فقال الامير عبد الوهاب عندنا سودان أبو الهزاهز سبعة آلاف وأصحاب قراقد خمسة آلاف وأبو محمد معه أربعة عشر ألف أسود ولكن الذين عنده لا يقوموا مقامهم ولا يروموا مرامهم فقال قراقد ابن السلوك معلوم أيها الامير انك قد تفضلت علينا وأحسنت إلينا وأنا أقسم بجدى حام قسما صادقا ان لا يخرج إلى البطال أحد غير أنا وسودانى ثم انه صاح فى سودانه بأسماء غريبة الصفات فثارت من أماكنها وعلى رؤسها الطراطير وهم كأنهم الجن وسار الامير قراقد قدامهم حتى وصلوا إلى باب آمد وفتح باب البلد وخرجت الابطال وقد حملوا عليهم الروم فتلقوهم الاكراد وكذلك

ميمون الجاس صاح فى سودانه ومن معه من أقرانه (قال الراوى) ياسادة ياكرام لقد خيل للناظرين ان الجبال قد سارت والافلاك قد دارت والارض ارتجت والرجال الى المنايا بدرت والأيادى قطعت والدموع زلفت والرؤس انتشرت هذا والارواح من الاشباح خرجت والصوارم لمعت والارض تزلزلت والافئدة انخلعت والاصوات من الطائفتين عجت والخيل هجت والابطال شتتت والانذال ولت والمنايا حلت والخطوب جلت والمسلمون ينادون بالواحد الاحد والمشركون قد نسبوه الى الزوجة والولد وهؤلاء ينادون عيسى ومريم وهؤلاء ينادون بالملك المعظم الذى للجبابرة قصم وهؤلاء ينادون بالصليب وهؤلاء ينادون الى القريب المجيب الرب الاعظم مفنى الامم ومنفذ الحكم وناصر المظلوم على من ظلم ومن أوجد الخلق من العدم وانطق الألسن بعد البكم واسمع الآذان بعد الصمم ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن أظلم الليل وأعتم وبان الضياء بثغره الوضاح وتبسم باذن محى العظام النخرة اذا سارت رمم هذا وقد عملت الصوارم فى القمم والرمح فى الصدر انحطم ووصلت الأسنة الى اللمم فصار هذا بلا رأس وهذا بلا قدم وهذا قد عض أنامله لما رأى الموت من فرط الندم وهذا مخضوب العوارض بالدم وهذا ظهره من كثرة المصائب انقصم وقاتلوا الاكراد الاجواد وبذلوا نفوسهم فى طاعة رب العباد وضربوا الاعداء بالسيوف الحداد وأبادوا الحساد وتكاثروا عليهم أهل الشرور وزاد المقدور فلما نظر ملك الروم الى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال للبطارقة والعمالقة والملوك يا ويلكم مابالكم وهذه الشرذمة اليسيرة فعندها حملت الملوك والبطارقة وهمهمت الروم باختلاف لغاتها وغرائب أصواتها وحملت الكماه على جهاتها وارتجت الارض بجهاتها والمنية متصرفة فى أرواح الخلائق والأسنة قد خضعت للنفوس مثل صايلات مرهفاتها والافئدة قد رجفت من هول أصوات رجفاتها وبوقاتها (قال الراوى) وكثر الجمع على الاكراد والسودان فألصقوا ظهورهم الى صور آمد وقاتلوا قتالا شديدا لايقاتل مثله أحد وفى تلك الساعة وصل اليهم خمسة آلاف مثل السباع وافرجت الروم حتى وقع بعضهم على بعض ونظرت سودان البطال الى سودان قراقد وهم يزجرون كما يزجروا الاسود اذا فقدت أشبالها فعند ذلك حملت الرجال على الرجال فما نظرت الناظرون أشد من تلك الساعة واحاط بالإنسان مالا يطيق دفاعه وانقطعت من الحياة اطماعه وقد مد كل واحـــد منهما الى صاحبه باعه وكان ذلك الوقت كقيام الساعة فما كانت الا طرفة الطارف أو خطفة الخاطف حتى كسروا سودان قراقد

لسودان البطال وزحزحوهم إلى الخندق فلما نظر ميمون الجماس إلى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال يا ويلكم أمامهم سودان مثلكم وأنتم أضعافهم إيش الذى حل بكم فقالوا ياأمير نقاتل الإنس وأما الجن فما لنا بقتالهم طاقة فصاح وحمل بنفسه فتحامت السودان بعضهما ببعض وكانوا الروم لما نظروا إلى سودان قراقد وقد أرمواسودان البطال إلى الخندق حملوا على الأكراد فطحنوهم طحن الحصيد ورموهم على الصعيد وصاحوا سودان ميمون الجماس لأميرهم يا أمير لو كفيتنا مؤنة هذا الشيطان الذى فى أوائلهم لما قدروا أن يكسرونا يعنون بقولهم قراقد فقال ميمون الجماس أنا أخرج إليه وأرمى روحى عليه فاماأن أكفيكم شره أو أضرم عمره وإما أن تكون الأخرى فادخلوا البلد ولا تحدثوا أبا محمد ولاتخالفوه ولكم أسوة به (ياسادة) ثم حمل على قراقد وكان ميمون الجماس من الأبطال الموصوفين فحمل وارتجز يقول هذه الأبيات

أنا الهمام البطل الميمون　　وغضنفر صيدع سكون
أعرف فى هيجاتها ميمون　　ويلك يا قراقد المجنون
ستنصر كلب الروم ياملعون　　هذا فعال فاسق مفتون
جا فسقه لربه خؤن　　فسوف أسقيك من يدى المنون

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع قراقد كلام ميمون الجماس انقلبت عيناه فى أم رأسه وصاح بصوت مثل الرعد القاصف وخطى إليه مثل الجمل وفى يده سيف كانه دربه وهو يرتجز وينشد هذه الأبيات .

أنا الهزبر القسورى الماجد　　غشمشم غضنفر مجالد
قاتلكم حقا وأنت شاهد　　من خالف الامام فهو جاحد
سوف ترى منى همام ماجد　　تفر منى السودان والأكارد

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما فرغ من شعره ونظمه ونثره حمل ميمون وحمل قراقد عليه وكانت لهما وقعة ما شاهدت العيون مثلها ولا أبصرت شكلها ثم تصادما وتقاتلا وتكالحا وأيقن ميمون أنه مفقود وولت الأسود وتعجب من أمرهما البيض والسود ثم إن قراقد أرمى نفسه على ميمون ولطمه بالترس فأرماه على ظهره وألقاه على الارض وأخذه أسير وقاده ذليل حقير ونظرت السودان من أصحاب البطال إلى ميمون الجماس فحملوا على السودان كانهم السباع فالتقوهم سودان قراقد وزاد الحرب وتصاعد الكرب وعظم الخطب وكذلك الروم كرت على الأكراد حتى ألجؤهم إلى باب البلد وانهزمت السودان وفتحوا باب آمد ودخلوا .

مكسورين وغلق الباب (قال الراوى) يا ساده يا كرام وضربت الصور بالأحجار الصغار والكبار والصور كأنه الجبل كلما ضربوه زاد صلابة فقال الملك كفوا عن القتال فما تقوى حجارتكم فى هذا الصور ثم انه ادعى بالحدادين وكان فى عسكره ألف صانع من الحدادين فلما حضروا بين يديه قال لهم الملك أريد منكم أن تصنعوا لنا سناديل من حديد فقالوا سمعا وطاعة فما أمسى المساء حتى عملوا ألف سندال حديد كل سندال وزنه عشرين من وعند الصباح زحفوا إلى الصور وقد ضربوا الصور بخمسمائة سندال ودام الحصار على آمد طول النهار إلى الليل (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا جرى هنا وأما ما كان من البطال فانه سلم الآمد إلى رجل من الأكراد يسمى منكلان بن بدلوا وأمره أن يقاتل من فوق الاصوار وقدم على السودان طاطم الاسود وأوصاه بالقصر ومافيه من الاموال والأسرى وقال له لا تبرح من هذا القصر أنت وأصحابك إلى أن أعود إليكم إن شاء الله تعالى فقالوا سمعا وطاعة ثم خرج أبو محمد البطال وغلمانه معه حتى يدبر العمل ويتقن الحيل فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من قراقد المصرى فانه لما أسر ميمون الجماس مضى به إلى عند الرشيد بالله وكان الرشيد حنق عليه من النوبة الاولى لما أرسل إليه يريد أن يسلم له البلد فلم يقبل وقبض على الفضل ابن الربيع فلما حضر بين يديه قال له الرشيد كيف ترى روحك ياأسود ياحجام نالت لك الولاية والحكم والامارة والله إن أتانى الأمر كما أريد فلا بدلى إن أنكل بك غاية التنكيل حتى يعتبر بك غيرك فلما أن سمع ميمون الجماس من الرشيد ذلك المقال قال يا أمير المؤمنين أنت ما أخذتنى بسبب من الاسباب حتى إنك توبخنى بذلك التوبيخ وأيضا لا يجوز لك أن تقاتل مع الروم قوم مسلمين ولكن كل هذا لأجل الامير عبد الوهاب لماوقع بينه وبين الامير أبو محمد البطال فقال الامير اسكت ياأسود فقال ميمون نعم أنا أسود ولكن لولا السودان لكانت أكلت لحمك الكلاب ياعبدالوهاب ولكن سوف تعلم هذا الظلم على من تعود عواقبه فقال الأمير وبأى شىء ظلمتك يا أخس السودان فقال ميمون الجماس لاتعايرنى بالسواد يعنى أنت الحافظ الله لونك أبيض شفاف أنا إذا كنت اسود ماجرتشى على لاحكومة ولاخصومة فى البيت الحرام ولانسبت إلى مرزوق نسل الحرام والبطال ماكان جزاه منك هذا الحد ولا يستاهل منك أن تفعل فى حقه هذه الفعال لماله عليك من الخدمة والحمية والعصبية فى سائر الاوقات وأنت تختار عليه جارية رومية فلو كنت أخذتها لنفسك اصطفيتها وأنت تعلم أن أخيك قتيل هواها ما كنت تبخل بها عليه بل كنت تجود بها عليه وتنظر

ما يفعل معك من الجميل ولكن غلبت شهوتك على مروءتك فغضب الأمير من كلامه وأمر أن يثقل عليه الحديد من رجليه ويديه بكل ما يمكن ويجعلوه فى بعض الخيام هذا وميمون الحجام يقول افعل ما بدالك وما تقدر عليه فأنت تعلم من خلقى هذا وملك الروم قد زحف إلى البلد من ناحية باب الجبل ودام القتال عليها عشرة أيام ليل ونهار وصبروا الاكراد صبر الجياد على أنهم لو بطلوا القتال ما كان لأحد عليها محال (يا سادة) وقلق طماطم بغيبة الأمير أبو محمد البطال فلم يدرى أسالم هو أم عاطب وبقى فى حيرة من أمره وهو يقول فى نفسه أنه فى جملة العساكر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما ما كان من الأمير أبو محمد لما نزل من آمد هو وغلمانه معه فقالوا له غلمانه على ماذا عزمت قال على سرقة أحد الثلاثة أما عبد الوهاب وأما الرشيد وأما ملك الروم فقالوا له ها نحن بين يديك فى كل ما تريد فسكت ساعة ورفع رأسه إليهم وعيناه تفيض بالدموع فقالوا له ما الذى يبكيك فقال والله اننى تذكرت الملكة نورى وما قد لقيت من فرط حبها والساعة خطر ببالى اننى أترك العساكر ههنا مشتغلين ببعضهم البعض فى القتال وأمضى إلى ملطية لعل الله سبحانه وتعالى يظفرنى بنورى وأعمل على خلاصها وان قدرت على العودة إلى آمد عدت وإلا مضيت بها إلى مواضع ما يقدر عليها أحد من الناس بل كنت أريد أرسل واحد منكم يطيب قلب كل من فيها ويعلمهم انى سالم فقال له لؤلؤ ما هذا رأى سديد لأن مثل آمد لا يجب ان يهمل أمرها لأنها حسرة الخلفاء والعساكر عليها وفيها ما لا يسمع كلام ولا يرعى زمام وفيها أيضا من تعرف شرهم ولا تنكر أمرهم مثل اللعين عقبة وشومدرس وشوما والفضل بن الربيع والصواب ان تحرص على خلاص ميمون الحجام فما قصر فيما فعل فى حقك لما كنت مأسور فى بلاد الروم فقال الأمير أبو محمد يا لؤلؤ أنا ما يمنعنى من خلاص ميمون إلا تنفر قلوب الناس منى ويأخذوا حذرهم ويستيقظوا لأنفسهم ويحتفظون وأنا لا بد لى أن أعمل عملا على هذا الأسود الحجام وآخذه أسير ولا أطلقه حتى يسلم إلى نورى من تحت الأسر فقال له لؤلؤ إذا كان الأمر على ما ذكرت فادخل بنا إلى البلد ونحن ندبر على ذلك فقال له أبا محمد امضى أنت يا لؤلؤ إلى البلد وطيب قلوب الناس فأنا لا أعود خائبا أبدا فقال سمعا وطاعة ومضى أبو محمد وغلمانه معه يطلبون أشغالهم كيما يدركون آمالهم ومضى لؤلؤ وطيب قلوبهم فقالوا له هل لك أن تقيم عندنا يا لؤلؤ فقال لا لأن الأمير أبا محمد أوصانى بأمور لا بد لى من انجازها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الرشيد وعبد الوهاب فان الرشيد قد زاد غرامه بنورى وكان يحضر عند عبد الوهاب

ويسأل عنها فيقول يا مولاى ما رأيت أحسن منها وجها ولا أقسى منها قلبا وكان الرشيد يتسلا بذلك (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا جرى ههنا وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال فانه سار ومعه غلامه إلى ان وصل من وراء عسكر المسلين وكان قد غير زيه وكان قد سمع ان ميمون الجاس قد سلموه إلى قراقد وكان ميمون فى خيمته والسودان محدقين به من كل جانب وكان الأمير عبد الوهاب قد أوصى قراقد بحفظه وقال له إياك أن تغفل عنه فيسرقه أبو محمد البطال أو بعض غلمانه قال قراقد يا مولاى ويكون فى الدنيا أيدى مثله فقال نعم يا خوفنا من البطال أن يسرقه ويسرقك معه فضحك قراقد وقد ظن انه يمزح معه فلما وصل قراقد إلى خيمته أحضر سودانه وقال لهم انى سمعت من الأمير عبد الوهاب يقول احتفظوا على ميمون الجاس لا يسرقه البطل فوحق الظلام إذا اعتكر والصبح إذا انفجر ان تم وتم هذا الأمر وسرق ضربت رقابكم (قال) فلما وصل أبو محمد إليهم فلم يقدر على سرقة ميمون الجاس فلما أيس من خلاصه قال فى نفسه أكون قد تعبت وأتيت إلى ههنا ولا يعلمون بى هؤلاء انى فيهم ولا أؤثر فيهم أثر وكان قد تنصف الليل وقد نام قراقد وسودانه عن بكرة أبيهم غير الموكلين فانهم لم يناموا فهجم أبو محمد إلى خيمة قراقد وأخرج من وسطه موسا حاذقا وتقدم إلى قراقد وحلق نصف دقنه وخلا ثباله وآخر حلق ثباله وخلا دقنه وآخرون حلق جميعها وشوه بهم كل التشويه وخرج وأعلم غلمانه بما فعل (قال) فلما رجع لؤلؤ إلى البطال ساروا طالبين ملطية (يا سادة يا كرام) وأما عسكر الخليفة فانه لما أصبح الصباح انتبه قراقد وأصحابه وجعلوا ينظرون بعضهم إلى بعض ويضحكون فقال قراقد لأصحابه أكتموا أمركم وإلا افتضحنا ولا تخرج من مواضعنا حتى تعود لحانا كما كانت (قال الراوى) وأما الرشيد فانه جلس فى سرادقه وقد دخلت الامراء كلهم للسلام عليه ووقفوا فى الخدمة إلا قراقد لم يأتى ذلك اليوم للسلام فأنفذ الرشيد حاجب من حجابه يأخذ أخباره فغاب وعاد وأخبر أن قراقد أصبح ضعيف فتألم قلب الرشيد من أجله وأرسل إليه الأمير عبد الوهاب فلما وصل الأمير عبد الوهاب إلى خيمته نظروه الغلمان واعلموا قراقد بذلك فوضع عدبة عمامته على لحيته وأمر السودان المحلقين اللحا ان يختفوا ففعلوا ذلك فلما قرب الأمير عبد الوهاب من الخيمة خرج قراقد والتقى الأمير ومشى فى ركابه فقال له الأمير الحمد لله على العافية ثم أخبره أن الرشيد أنفذنى ليأخذ خبرك فقبل الأرض وقال لا عدمت همة أمير المؤمنين ثم سأله بعد ذلك على الذى يؤلمه فسكت ثم قص عليه القصة وكشف عن لحيته فلما رآه الأمير

ضحك وقال والله هذه فعال البطال ولو اراد هلاككم لفعل ففرح قراقد وقال امر اللحية قريب وعاد عبد الوهاب واعلم الرشيد بذلك فضحك حتى استلقى على قفاه وعجب من فعال البطال (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء واما الروم فانها زحفت إلى البلد تطلب القتال فعطعطوا عليهم من اعلا الاسوار وصاحت الروم وارموا أهل البلد بالمنجنيقات فرموهم المسلمين بالأحجار والنشاب فقتلوا منهم خلقا كثير وردوهم منهزمين ونزلوا فى خيامهم إلى ان امسا المساء وارسل هارون الرشيد إلى الأمير عبد الوهاب يطلبه فلما وصل إليه قال له اعلم أيها الامير ان البطال شيطان مريد وأريدك لا تغفل عنى فانى خائف منه على نفسى فقال الامير سمعا وطاعة وتولى عبد الوهاب على حرس الرشيد بنفسه ولم يمضى أكثر من ثلاثة ايام والامير عبد الوهاب يرتب الرجال وأما الرشيد ما ينام الليل من قلقة فى حب نورى وكذلك ملك الروم فانه كان كل ليلة يحرسه ملك من الملوك خوفا من البطال (قال الراوى) فبينما الامير عبد الوهاب ليلة من الليالى فى الحرس إذ رأى فى ذروة الجبل عامود نور يتلألأ على شخص قائم يصلى ويبكى وعليه مسح اسود وفى رقبته غل سلسلةوهو يتهجد فلم يفزع الأمير منه وقرب منه فسجد على وجهه وهو يبكى ويقول انسدل الظلام واختلط القتام وقام الخدام وقام كل حبيب لحبيبه وقدخلوت بك ياقيوم يامن لا ينام يا من جلت قدرته وعظمته ومشيئته فى العالم احتكمت وانطلقت الألسن بعد الخراس وهو الملب لكل نفس بما كسبت يامولاى إن كان لا يقبل إلا من الموحدين المجتهدين فالى من يرجع المقصرين وإن كان لا ينال الرحمة إلاالمحسنين فالى من يرجع العاصين المسيؤن وإن كان لا يجوز الصراط إلا الفائزون فالى من يرجع الباطلون وإن كان لا ينجو من النار إلاّ المستيقظون فإلى من يرجع الغافلون إيا مولاى أملى واقف على باب رضاك ووجهى مصروف عمن سواك سيدى ومولاى من اسعد منى حال ان واصلتنى ثم إنه انتخب وانشد يقول

من كان يتخذ المحبة صادقا ... بطوله فى الدجا ميدانا
ويجعل السهر على الجود لينا ... ماقد يخيب الشوق بالاعلانا
فى جنح ليل وغدا اسرى به ... وأطلق من بين يديه عنانا
يا حسنه من فارس بطل إذا ... هدت العيون ورتل القرآنا
يا حسنه من مخلص منفرد ... متوحد قد هاجر الإخوانا
يا حسنه متقلد بهمومه ... متقمع بغمومه احيانا
يا حسنه متلهف متأسف ... يمشى ويصبح هائما ولهانا

فغدا تراه ضاحكا مستبشرا قد نال من سخط المليك أمانا
تسرى به نحو الحبيب نجائبا سبحان من أسرى به سبحانا
حتى إذا بلغت به دار العلا كشف احجاب وعاين الرحمانا
نودى به أهلا وسهلا بالذى لم ينتقل عن حبه لسوانا
هذا لمن عقد الضمير على الوفا لا غادر يلقى ولا خوانا

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلامه كاد أن يغشى عليه وبكا بكاء شديدا ثم تقدم ينظر إليه وإذا به شاب مليح نحيل الجسم رقيق العظم أصفر اللون والنور على وجهه شاهد وهو عبد للملك الواحد هذا وقد دنى الامير عبد الوهاب منه وسلم عليه فرد عليه السلام وأعرض عنه فقال له الامير بحق موضع ربك من قلبك إلا ما وقفت لى موقف فقال له ان الذى أقسمت به على هو الذى اشغلنى عن حديثك ومن عرف لذيذ كلامه قل كلامه فقال له الامير هل لك من حاجة فقال اعلم يا هذا ان لى مولى إذا انقطع إليه العبد كفاه وإذا طلب منه أعطاه وإذا طلب من غيره طرده وأقصاه فقال له الامير قد حصل معى مائة دينار وان رأيت انك تستعين بها على زمانك فافعل فقال والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسى فقال له الامير أنا أسألك ان تدعو لى فقال ما اسمك فقال عبد الوهاب فقال اللهم خذ بناصية عبدك عبد الوهاب إلى ما تحب وترضا فقال له زدنى فقال له يا هذا ان كنت من أهل الرضا فقد كفاك ثم عاد الامير إلا العسكر وفى قلبه نار لا تطفى وأتى إلى عسكره وقد زهد فى الدنيا ولما وصل إلى عسكره واجتمع بالاميرة ذات الهمة وأعاد عليها ما رأى فقالت له يا بنى هذا من أوتاد الارض الصالحين ولولا الصالحون لهلك الظالمون وأقول ان هذا العبد الزاهد الصالح من جبل ماردين لانه مسكن الصالحون العابدين والليلة أركب أنا وأنت ومعنا هياج الكردى لعلنا نزوره (قال الراوى) فلما كانت الليلة الثانية ركب الامير والاميرة وسيف الحنيفية وهياج الكردى ومالك بن بشر الاقطع وساروا حتى وصلوا إلى ذلك الموضع فما وجدوه فأقاموا ساعة فطال بهم المقام وهموا للانصراف وإذا هم سمعوه وهو يقول

صمد يجبر القلوب صمد يغفر الذنوب
صمد يستر العيوب صمد يكشف الكروب عن الناس فى الظلام
صمد يعلم الضمير صمد يجبر الكسير
صمد يرحم الفقير صمد يقبل اليسير بلطف واحترام
فاز عبد تهجدا وعن الخلق أفردا

ولمولاه وحدا قبل أن يشرب الردا بكؤس من الحمام
فيا من عصا وعاد للبغى والفساد أما تذكر المعاد
إذا وقف العباد فى العرض والزحام
يا صاح كم وكم أنت فى ظلمة العدم كم تبارزه فى الظلم
لا حياء ولا ندم ويك من خالق الأنام
يا أخى قم ولا تنم عد إلى بارىء النسم أنه منشىء الرمم
كم من مليح قد انقصم ولقد كان ذو قوام
ويك ما آن أن تتوب ويك تستقر الذنوب تب إلى عالم الغيوب
ولا تقرب العيوب ان تكن من استقام
ها أنت تسكن القبور وقد تدعا إلى النشور
وقد عادت الأمور إلى هتكة الستور فيا حسرة الأنام
ساعة تخسف السما ساعة الويل والعما
ساعة تبكى الدما من الخوف بانسجام وترى ذاك القتام
ساعة تبصر العذاب ثم تدعا إلى الحساب
فيه شابت الشباب من الطرد والعقاب وطول المقام

(قال الراوى) والوعظ إذا خرج من القلب الصادق عمل فى القلوب فما هو إلا أن فرغ من كلامه ونثره ونظامه حتى غشى عليه وأما الأمير مالك بن بشر الاقطع فانه وقع إلى الارض غائب عن الدنيا وصاح الامير عبد الوهاب أيها العبد الصالح قف لنا قليل فقال يا أخى كيف السبيل إلى الوقوف والحديث والطلب حثيث فقال اعلم أن صاحبنا قد وقع إلى الارض من سماع كلامك فقال الزاهد كذا تعمل المواعظ الصادقة فى القلوب الموافقة ثم عطف موليا (قال الراوى) وأن الامير عبد الوهاب أمر بحمل مالك بن بشر الاقطع ورجع إلى العسكر عند الصباح ثم دخل على الرشيد فسأله عن حاله لما رأى وجهه يضرب إلى الاصفرار فقال يامولاى ماأقول أن أجوز عقبة القيامة وقد قضيت أيامى بحب هذه الجارية نورى ودخلت على العين فى صاحبى الامير أبو محمد البطال ولابد أن أسأل هذا العبد الصالح أن يدعو لى عسى أن تزول محبة نورى من قلبى وأعطيها للامير أبو محمد البطال وأعود إلى اشتغالى بالملك العلام (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك من كلامه فى حق الملكة نورى وأن يعطيها لابى محمد فقال الرشيد أيها الامير انى اشتهيت أتعلم بلسانها لسان الرومى لانى رأيتها فصيحة اللسان وأزيد أن

تعطيها لى شهرا كاملا واحد حتى أتعلم منها لغة الروم وبعد ذلك أعطيها لك تعطيها لابو محمد البطال فضحك الامير عبدالوهاب وقال يامولاى لا كلام حتى تزول محبتها من قلبي وندبر فى ذلك تدبير يوافق ذلك فقال الرشيد أجيء معكم وأقول لهذا العبد الصالح يدعو لك لعل الله تعالى أن يستجيب دعاه (قال الراوى) وأقاموا باقى يومهم ينتظروا المساء ويسألون الله تعالى أن يوريهم ذلك العابد حتى انسدل الظلام وهجعت عيون الانام فعندها ركب الرشيد فى خادمين والامير عبد الوهاب يقول للخليفة يامولاى لاتكثر عليه الخطاب فانه ينفر قلبه من ذلك (قال الراوى) وساروا إلى ذلك الجبل إلى أن صاروا فى تلك البقعة وإذا به قد انحدر من أعلى الرابية وهو يقول

نهارى رايح غادى | إلى قبحى وإفسادى
وليلى نائم هادى | وما قدمت من زادى
لانى قد قسا قلبي | وقد أمسيت مبعود
عن الاحباب مطرود | وسيف الهجر مقدود
وباب الوصل مردود | وقد زاد بى كربى
إلى كم أنت فى الجهل | وكم تغتر بالمهل
متى ترغب فى الوصل | ولم تحظى بذى الامل
إلى كم هذه الغفلة | وهذا السهو والمهلة
لقد خاب الذى خسروا | وقد هلكوا الذى كفروا
غداة العرض إذ ذكروا | وودوا أنهم دسروا
ولا قاموا من الترب | وكل الخلق قد وقفوا
عراة دمعهم يكف | وأهل الكفر قد عرفوا
وعن باب الرضا صرفوا | إلى باب من الكرب
وكتب الخلق قد نشرت | لما قد قدموا سطرت
وكل قبيحة حضرت | وأنجمها قد اقتربت
لهول الموقف الصعب | فهل من توبة تمحى
ردىء الفعل والقبحى | عسى الذنب الذى أضحى
يجاوز ربنا صفحا | ويغفر ربنا الذنب

(قال الراوى) فسلموا عليه فقال وعليكم السلام يا أمير المؤمنين وامام المسلمين فقال الامير ومن أين علمت ذلك أيها العبد الصالح فقال إن ربى ألهمنى لذلك

يا أمير المؤمنين اعلم ان كل راع مسؤل عن رعيته و لقد أحسن عمر بن الخطاب إذ يقول لو ضاعت شاة بأطراف العراق لكان المطلوب بها عمر فانظر لنفسك وابصر أمامك ولم يزل يعظه إلى أن أغشى عليه فقال له الامير عبد الوهاب أيها العبد الصالح قد أرحتنا بوعظك فزدنا فقال اعلموا ان الكلام القليل مع العارف يفيد والكلام الكثير مع من لا يفهمه بعيد ولا يفيد فاحترز لنفسك يا عبد الوهاب ان شئت فكن كالباز فقال الامير عبد الوهاب أقسمت عليك أيها الاواب بحق الملك التواب ما معنى هذا الخطاب فقال ذكروا ان الطيور اجتمعوا يوما من الايام إلى سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وقالوا له يا رسول ذى الجلال والإكرام وحاكم الحكام نريد أن تنظر إلينا وتقبل إلينا بالشفقة كما تنظر إلى جميع الرعية وتحكم بيننا بأعدل قضية لان بعض الطيور لنا مخالف ونريد أن يرضى بعضها على بعض ونحن نشكوا إليك أربعة من الطيور ذكرهم بين أجناسنا مشهور أولهم الباز الذى بمؤنة بنى آدم قد فاز حتى ارتقى إلى أعلى مكان ولم يبق له مشير إلا السلطان ومن ذلك فانه يقنص من يقدر عليه منا قهرا ويصمت عند كلامنا تيها وكبرا ولا يزل أبد الدهر ساكت والغدر لنا فى قلبه ثابت وإذا نزلت بنا نازلة كان عند نزولها بنا شامت وإنا نتوسل إليك بالذى اختصك بالرسالة على كثير من الخلق وفضلك بالملك والخلافة والعدل والجواز نسألك عن هذا السكوت وما السبب الموجب لهذا الصموت والثانى الطائر المذموم المسمى بالبوم فارق الاقراب وسكن الخراب فلا هو طير من طيور العمارة يجالس ولا أمثاله من الطيور يؤانس وكلما سألناه عن حاله لا يزدنا عن قوله يا هو يا هو فعسى أن تستخبره عن هذه الاشارة وما يريد بهذه العبارة والثالث من الطيور الغراب الذى نشكوه إليك ونقص قصته عليك فانه لا يزال نادما على الاحباب قد لبس خامة جنسية السواد معروفة بالنوح والتعداد ليس له شغل غير النياحة على الربوع والدمن والتعديد على المساكن والسكن فهو لا يزال حزينا منكرا وللبين والفرقة منذرا حتى كأنه يعلم الغيب أو مطلعا على البين والرابع من الطيور فهو البلبل فإنا لحاله منكرون ومنه متعجبون لانه لا يتكلم إلا فى زمن العنب وبزمزمة زمزمة الفرج والطرب فإذا شاهد انعقاد الدوالى ترنم بصوته العالى وغرد بغرائب الالحان كأنه مطرب تحت ستاير العيان وهذه صفات قليل الحظ العاشق ونحن له على هذه الخصلة لا نوافق فلم لا يتكلم إذا ظهر ما قبل ذلك من الثمار الذى ليس منها لا خمر ولا خمار قال فتعجب سليمان بن داود عليه السلام

وفهم الكلام وقال سوف أبلغكم مرادكم وأزيل ما بينكم عن عنادكم ثم استدعى من الأول بأول الطيور وهو الباز فحضر خاضعا سامعا ولأمره ممتثلا طائعا فقال له ما للطيور ينكرون عليك هذا الأمر من التكبر فأسرع برد الجواب فما الحجة فيما أنكروا الجماعة بين لى فى هذه الساعة فتكلم الباز بلسان الإعجاب وقال يا نبى الله إننى رأيت مقام الصلاح دون مراتب الفلاح لأن اللسان كثير الخطأ والذال وما خلق العبد إلا للعمل وحق من بعثك بالحق نبيا ان الرب يكره كل عبد بطال ويغلق الباب فى وجه كل قوال غير فعال وقال يا نبى الله كل من جد وجد وكل قاصد فله أجر ما قصد يا نبى الله كما قلت ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى لم لا قلت رب هب لى عملا صالحا أصل به إلى ما يرضيك كنت قد خلصت به من الدنيا والآخرة فاسترحت من الحساب والعقاب يوم تكون كل نفس إلى رحمته سائرة يا نبى الله لولا اشتغلت بعمل عن كلامى لما صارت أيدى الملوك تحت أقوالى ولا همة ترضى القول عن العمل ولا غفلة تخاصنى عن المجاهدة خوفا من الوقوع فى عاقبة الكسل وقد ضرب الله الكثير المثل لقوم يعلمون جزاء بما كانوا يعملون فطوبى لمن وفقه لصالح الأعمال ولم يشتغل بقواطع الآمال والأحوال فبكى سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وقال اللهم ألهمنى اشتغال الآخرة عن الدنيا الغادرة ثم التفت إلى البوم وقال لماذا انفردت بسكن الخراب عن العمار وانقطعت عن الأحبة والجيران ولماذا أنت تنادى ياهو يا هو فمن هو الذى تنادى فقال يا نبى الله إنى نظرت إلى الدنيا بعين الانتهاء لا بعين الابتداء لأنى أطلب الخلوة لانها ربح ولا أشتغل بمشاهدة الخراب ولا العمران لانى أعلم أن كل من عليها فان فأنا قتيل أشواق ولا أستعين إلا بالحى الباقى ياهو ياهو يامن لا يعلم ما هو إلاهو فأنا أحب أن أرجوه وأنا أبدا أدعوه ثم بكا بكاء شديد ماعليه من مزيد وأنشد لسان حاله يقول هذه الابيات .

العمر أقصر مدة ... من أن يضيع بالعتاب
إنى رأيت عمارة ... لكن تؤول إلى الخراب
وجميع ما فيها يصير ... إلى تلاف مع ذهاب

(قال الراوى) فبكا سيدنا سليمان عليه السلام وظهرت عليه دلائل الاحزان وقال طوبى لمن فعلا فعل رشيد ثم أقبل على الغراب وقال ماشأنك تحب البكاء وتبكى شوقا على اللقاء وأنت تبكى سرمدا وتعدد أبدا وتندب على الزمن وتنوح نياحة الحزن فقال يا نبى الله من اغتر بالدنيا فتن ومن علم أنه مطالب بها فى الاشتغال

حزن فكيف لا أكون على نفسى نايحا وعلى الربوع والدمن صايحا وما رأيت شملا اجتمع إلا تفرق ولا ثوب بالمسرة جديدا إلا تمزق فأنا أنوح على منازل أقوام كانت بهم آنسة فأصبحت ربوعهم كأنها دراسة فأنا أنادى بصوت حزين اعتبروا يا غافلين ثم أنه أنشد لسان حاله يقول

يا حاديا جدوا مع الظاعنين تركتنى مضنى كثير الحنين
أسئل عن آثار من قد مضى وقد أبادتهم بدور السنين
منازلا كانوا بها نزلا فبدلت من بعدهم آخرين
ترى تعود الدار مأنوسة ويرجع القوم ذا راجعين
ويا ليالى الوصل عودى لنا ما كان أصفاكى مع الاقربين
حتى أصابتنا على غفلة وفرقتنا أعين الحاسـدين
وعدت من بعدهم واقفا أبكى بعينين وقلب حزين
أشكوا إلى الله الذى نابنى والدهر فى قسوته لا يلين
أذكر أيامى التى قد مضت ونحن فى عيش هنى أجمعين
وما أرى الصبر على فقدهم يمكن يوما لا ولا لى يلين

(قال الراوى) فبكا سيدنا سليمان عليه السلام ثم أقبل على البلبل وقال له استغاثت عليك جميع الطيور وأنكرت عليك أشد الانكار لأنك لا تتكلم إلا فى زمن خروج العنب وتزمزم زمزمة الفرح ولا ينكر عليك إلا إذا استوت شجرة المنكر فقال يا نبى الله وحقك ما زمزمت طربا إليها ولا ناغيت أسفا عليها ولكن ما بان لهم ما بان لى ولا اتضح لهم مثل ما اتضح لى فصرت أبكى على ذنبى وأبتهل بالدعاء إلى ربى (قال الراوى) فبكا سيدنا سليمان من هذا الكلام المقدور وأصابح بينهم فلما انتهى الزاهد من هذا المقال بكا الأمير والأميرة والخليفة وجميع ما كان معهم ثم تركهم ومضى ورجعوا وهم فى قلق عظيم وإذا بالزاهد أقبل وهو ينشد ويقول

لقد شقيت نفس تخالف ربها وتصرف أوقاتا لها وتفارق
وتسمع قولا لا يليق وتنثنى وتعرض عن تصديق من هو صادق
وأنت على الدنيا حريص مكاثر كأنك فيها بالسلامة واثق
ويخذلك الاطماع انك للبقا خلقت وان الدهر خل موافق

(قال الراوى) ثم صاح واغربتاه واعظم مصيبتاه وبكا بكاء شديد فأقبلوا إليه وسلموا عليه فسلم عليهم بصوت ضعيف وهو يتشهق وبدموعه يترشق فقال له

الأمير عبد الوهاب يا أخى قد أقرح بكاك قلوبنا وأبكيت عيوننا فقل لنا ما حالك وما الذى قد جرى لك وما سبب هذا والبكا والنواح بحق مسبب الأسباب فقال له اعلم اننا كنا ثلاثة اخوان وكنا منقطعين إلى الله الواحد المنان فقتل منا واحد فى سبيل الله فى السنة التى وصلت فيها الروم إلى الموصل وبقيت أنا وأخى الأوسط نسير فى الجبال ونبكى على نفوسنا فلما كان فى هذه الأيام مرض أخى مرضنا شديدا وهو الذى عوقنى فى هذه الأيام وله اليوم أربعين يوما فلما كان فى هذه الليلة اشتد به المرض وفارقت روحه الجسد وقد بقيت فى حزنه أبكى على فراقه وأبكى لغربتى وما عندى كفن أكفنه فيه وما لى من يساعدنى حتى أواريه التراب (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك بكوا لبكائه وقالوا له هل لك أن نشاركك فى الثواب فقال ذلك إليكم فقال عبد الوهاب يا أخى وأين هو قال فى هذه الجذبة التى بين أيديكم ثم ساروا وهم سبعة أنفار الرشيد والخادمين وعبد الوهاب وذات الهمة وهياج الكردى وسيف الحنيفية وساروا القوم ونزلوا عن خيولهم ورموا سيوفهم وسلاحهم ودخلوا معه وإذا برجل مرمى وعليه مسح أسود ورائحة المسك تخرج منه ووجهه معى بالخلقة فلما رأوه على تلك الحالة بكوا الجميع فقال لهم الزاهد كفوا عن البكاء فان ملائكة ربى حواليه يكرهون ذلك فعند ذلك رمى الرشيد على رأسه طيلسانه مثل الهوى وقال وتربة المهدى هذا حلال من مال حلال كنت به ورمت الأميرة ذات الهمة ازار قد أحرمت فيه فلما رأى أخوه ذلك فرح ودعى لهم احفروا له مكانه قبرا إلى ان أملا القربة ثم وثب إلى قربة لطيفة فقالوا له هل لك أن تخليه إلى ان يصبح الصباح فلم يرض فوثبوا اليحفروا القبر ومضى أخوه يأتى بالماء وتقدم عبد الوهاب وكشف عن وجهه وقبله بين عينيه وقال هنيئا لك أيها العبد الصالح ونظر إلى صورته وإذا بها صورة أبو محمد البطال فقال الأمير لا إله إلا الله لو كان لأبى محمد أخ لكان هذا فقال الرشيد دونكم وحت القبر إلى أن يأتى أخوه فقال الأمير للخادم هات سيوفنا ورماحنا فخرج الخادم وعاد وما معه شىء وقال ما رأيت شىء فهما فى حيرة وإذا برجال طوال طول كل واحد عشرة أذرع وعليهم ثياب خضر وعلى رؤسهم تيجان الذهب مكللة باليواقيت والجواهر المثمنة يفوح منها المسك والعنبر ووجوههم فيها لمعان يأخذ بالبصر فصاح واحد منهم انعزلوا أيها الآدميون عن هذا العبد الصالح حتى نصلى عليه فلما نظر الرشيد إلى ذلك قال ما هؤلاء قال هذه الملائكة أرسلهم يصلون عليه ويأخذون فى أمره فنزلت عليهم البهتة فنادى واحد منهم تقدموا أيها الآدميون وصلوا بنا فى

الصف الاول و ليكن الخليفة امامنا وأنزلوا الاميره التى معكم تصلى خلفنا فلما سمعوا ذلك تقدموا و تقدم الخليفه امام القوم وأحرم الى الصلاة واذا بالميت تحرك وجمع رجليه فكاد الامير أن يغشى عليه وقال للأمير عبد الوهاب هذا هو العجب العجاب فقال الميت لا عجب من أمر الله تعالى وجعل هذا دليل على بعث الاموات فهم كذلك اذ هجم عليهم ثلثمائة فارس مثل السباع ووضعوا عمايمهم فى الرقاب ووثب الميت وهو ينشد ويقول

أذلهمة هـذى فعالى بجمعكم ... لانى شديد فى اللقا المعاركه
وانى لعمرى أحيل الناس كلهم ... وانى بصير فى الامور المماحكه
فهل لكم مثلى خيول كحيلة ... ومن يدعى فى مثل هذى المشاركه
فيوم باشباه اللقاء مشبه ... ويوم ترانى فى صفوف الملائكه
ففى كبدى نار وقلبى على اللظا ... وتبكى أحشائى وسنى ضاحكه
فان جادلى يوما بنور حبيبتى ... رجعت إلى العهد القديم أشاركه
فلولاها ما كنت نقضت زمامكم ... لجودوا بنورى مثل جود البرامكه

(قال الراوى) للحديث وكان الميت البطال وأخوه الزاهد احدى غلمانه وكان يدخره للمهمات وما كان أحدا يعرفه وكان مقامه بمدينة دارا فلما احتاج اليه أرسل خلفه وعلمه ما يصنع وكان ما كان وأما الملائكة كانوا من الاكراد وهم فى الاصل طوال وقد استفرغ لكل واحد منهم مثل الساق وربطهم بشريط حرير ودمنهم فى المشى عشرة أيام حتى تدمنوا عليها وجرى ماجرى وقبض البطال على الامراء وقال لا بدلى من ضرب رقابهم ان لم يسلموا الى نورى وأما هياج فانى أعلم مافى قلبه من عقبة (قال الراوى) وأما الاميرة قالت له لا رضى الله عنك لاحى ولا ميت وأين الزاهد الذى جابنا حتى نصلى عليك هذا وقد شد الكل كتاف وعمل الاكر فى أفواههم وسطهم على ظهور خيلهم وسار الى منارة فى الجبل وقد أدركهم الصباح (قال الراوى) هذا ما كان منهم (وأما ما كان) من عسكر الرشيد فانهم أصبحوا وقد عدموا الخليفه ففتشوا العسكر وقالوا طلبوه عند الامير عبد الوهاب والا ان سمع كلب الروم طمع فينا فطلبوهم فلم يجدوهم وشاع الخبر فى الناس بفقد الرشيد والامراء وبلغ ذلك إلى ميمون الجاس فضحك وقال هذا الذى قلت لهم عليه وخرجت الجواسيس إلى ملك الروم وأعلموه بفقد الرشيد والامراء فزعق على الملوك وقال دونكم وهذا العسكر الذى بلا مقدمين قال فحمل عسكر المشركين على عسكر المسلمين وانطبقت العسكرين وحان الحين وزعق غراب البين وتقاتلت الطائفتين وقاتل قراقد

وسودانه قتال شديد وجعلوا يضربوا فى الروم الضرب الشديد وأسر ملك الروم ذلك اليوم من المسلمين أربعة آلاف هذا وقراقد أقبل على وزير الخليفة لأنه لم ينهزم وانضم إلى بنو كلاب (قال الراوى) هذا ما كان منهم وأما ما كان من البطال ومن معه من الرجال فإنه أقام مكمنا طول النهار ولما سمعوا صياح العسكر وما جرى لهم فقالت الأميرة ويلك يا أبا محمد أطلق أمير المؤمنين فإنا نخشى على المسلمين من الروم لأجل غيبته ولا شك أن ملك الروم قد غدر بأصحابنا ولا نعلم من هلك من الناس وكل من هلك فدمه فى عنقك فقال أبو محمد والله أنتم المطالبين بدمائهم فانكم جئتم تحاصرونى على أبلد أخذتها من خارجى ولولا أنتم ما جرت هذه القصة ووالله لو لاكم ما باليت وأما هذا الأسود الذى تزعموا أنه قراقد ووالله لابد أن أخليه يطحن فى المدار إلى الأبد فقالت الأميرة ذات الهمة ويلك يا قرد تتجارأ على الأمراء المجاهدين فقال البطال ويلك يا عجوز السوء تخاطبينى بهذا الخطاب وعطف عليها وضربها مائة سوط فزعق عليه الأمير فضربه مائة سوط فجعل سيف الحنيفية يشتمه فضربه مائة سوط وعطف على الرشيد فطار الدم من وجهه وعلاه الاصفرار فقال لهياج يا هياج أنا نحيف البدن وان ضربنى سوط واحد قتلنى لا محالة فعسى تشترينى منه بالخزانة الذهب التى أخذها فهو فى حل منها فخاطبه هياج فى ذلك فقال ما هذا كلام عاقل والله إن لم يزن لى مائة ألف دينار وإلا ضربته بهذا السوط الذى معى فقال الرشيد لاتتعرض لى فعلى كلما تريد (قال الراوى) وصبر أبو محمد إلى الليل وسار من وراء الجبل إلى قرب خربة كانت للرهبان عامرة وقد دثرت وما وصل البطال إليها إلا وقد ذهب نصف الليل وكان قد أصرف عسكر أبيه الأكراد حتى لا يفطن بهم أحد ولم يأخذ معه غير ثلاثة من غلمانه وهؤلاء مكتوفين مشدودين وفى أفمامهم الأكر حتى إذا قرب منهم أحد لا يتكلمون ومازال سائر حتى قرب من ذلك المكان وإذا بأشباح قيام وبين أيديهم شخص يبوسون يديه وهم نحو خمسمائة فارس ويهنوه بالسلامة ويزيدون فى اعظامه فنظر إليه ليعرفه ومن هم هؤلاء الجماعة وإذا هم بطارقة من الروم والمقدم عليهم ميخائيل أخو منويل والذى بين يديه عقبة وشبو مدرس وشوما والأمير ضيغم معهم أسير فلما رأى أبو محمد البطارقة قال لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن عقبة لما كان محبوس فى الحبس الذى فى القصر وكان الأمير ظالم قد وكل به عشرة من السودان وخمسة من الأكراد فلم يزل يلعب بعقولهم ويقول أن أبو محمد لابد له من عبد الوهاب وهذا لايدوم والرأى عندى أنكم تأخذون بهذه الفعلة اليد

البيضاء عند الامير عبد الوهاب فقالوا له وما تريد قال لهم تعملون على خلاص الامير ضيغم فإن فى قلبى وقلب الامير عبد الوهاب النار من أجله وعلى لكل واحد منكم ألف دينار وأطلقوا سبيلى ولا يعلم بهذا أحدا فقالوا ومن أين لنا المال ويأتينا من أين فقال لهم من هذا وأشار إلى البترك فقال لهم شومدرس ولكم منى أنا الآخر خمسة آلاف دينار فأجابوه إلى ذلك وقالوا نحن نفتح لكم باب السر إلى ظاهر البلد تحمل إلينا المال وتخرج أنت ومن معك من الرجال فقال اريد من يمضى بكتاب هذا الرجل إلى عند الملك فقال بعض الأكراد أنا آخذ كتاب عقبة ففعل ذلك وكتب له ما يريد فأخذ الكتاب وفيه كلما طلبه ونزل بحبل كان معه من الصور ودخل عسكر الروم فأخذوه الحراس وأرادوا قتله فقال لهم لا تقتلونى فهذا كتاب إلى الملك فدخلوا به إلى الملك فلما قرأه وعرف صورة الحال سلم إليه المال ونقلوه إلى بين يديه الغلمان وقالوا له سير قدامنا حتى نوصلك إلى مكانك فإنك ما تقدر تحمل هذا المال وسار معه أربعة من الرجال حتى أوقفوه تحت الموضع الذى نزل منه والحبال على حالها وطلع ورفع المال وقبضوه الرجال ثم انهم تحيلوا إلى أن أخذوا مفاتيح الباب وفتحوه لهم ليلا وانصرفوا عنهم وهم لا يفطنوا بهم وان عقبة أول ما عمل أخرج ضيغم وكان عينه منه وكان باب السر لما افتتح دخل إليه مائة من البطارقة وكان هذا كله من تعاليم عقبة الملعون فى كتابه الى الملك من يل وكاتب الملك بهذا وكان الذى أخرج الأمير ضيغم السودان لانهم فكوا قيده وأطلقوا سبيله وظنوا أنه ينظر إلى عسكر أبيه فما هو الا ان أخرجوه من باب للسر فأخذوه البطارقة وفى أيديهم السيوف البارقة وضربوا رقاب السودان وأخذوا الامير ضيغم ولد عبد الوهاب أسير ودخلوا من الباب فوجدوا القاضى عقبه فجعلوا يخلصوا واحد بعد واحد حتى خلصوا الملعون شومدرش وزوجته شوماو اللعين عقبة وقتلوا كل من كان فى الحبس من المسلمين وكانوا الأكراد قد مضوا إلى بيوتهم ولم يقفوا مع السودان حتى إذا جرى على هؤلاء أمر أو وقع بهم صايح ينكرون أنهم ما كانوا معهم وإن الملعون عقبة خلص المأسورين ماخلا الفضل بن الربيع فإنه كان قد رفع من عندهم إلى دار الامارة وإن عقبة لما صار خارج باب السر وجد مخاييل وهو فى هذه البطارقة فسلم عليه وقال أيها الشيخ النجيح لم يعلم الملك بهذا الباب إلا وقد ملكنا البلد فقال عقبة إنكم قد ربحتم الليلة بخلاص البترك والراهب شو مدرس وزوجته شوما فلا تتعرض لغيرهم فلو دخلتم فى عدد النجوم وقطر الغيوم وفطنوا بكم السودان فما سلم منكم إنسان فقال له مخاييل اعلم أن عساكر العراق قد انهزمت وما بقى غير عساكر

عبد الوهاب وقد عدم أيضا فقال عقبة إن كان عبد الوهاب عدم لا رده المسيح ثم أخبره مخاييل ان أبو محمد البطال قد أخذ الرشيد والأمراء فقال هذا كله من تدبير البطال وما أخذهم غيره والساعة يقصد بهم البلد وأنا عارف بهذه البلد وهذه الطرق اقصدوا على يساري إلى الجبل وانزلوا بنا الوادي نجد البطال ومعه الاسارى فنزلوا الوادي وملك عقبة رأس الطريق وقال لهم قفوا هاهنا فما لهم طريق إلا من هاهنا فهم في الكلام وإذا بالبطال وغلمانه ومعه الأسارى وهم قدامه والبطال في تلك الساعة قد هاج به الهوى وأضرمت في قلبه نار الجوى وقد نظر من معه من الاسارى وهم أعز الخلق عليه وأحبهم إليه فتمثل بهذه الابيات يلذذ ويقول

هجرت وبيت الله حقا أقاربي ... أخي وأبي ثم ابن عمي وخاليا
ولو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصى ... أصم وناديتني أجبت المناديا
وأخرج من بيت البيوت لعلني ... أحدث عنك النفس بالليل خاليا
معذبتي لولاك ما كنت صاليا ... أدور على الابواب والجسم باليا
رأيتك يا نوري أحب حبيبة ... إلي واني صرت للأهل قاليا
وقد حرت من حي لنوري مولها ... كأني عديم العقل للناس ساهيا
وقد كنت أملت اجتماعا بقربها ... فعاندني فيها أعز مواديا
وإن كانت الاحباب فيها تخونني ... ولم ترع لي يوما لحسن فعاليا
وهل يفعل الإنسان إلا كمثله ... ولو كان أصل طيب لرثى ليا
وكم أوعدتني أمه بوصالها ... فكان كلاما كاذبا غير وافيا
فيا ذلها مع ابنها الاسود الذي ... تعدى على البطال ظلما معاديا
ولست أراعي الرشيد مكانه ... وسوف يرى مني خلاف وداديا
إلى ان أرى نوري معي عند مضجعي ... وأبلغ منها منيتي ومراديا
فان أسلموها صرت عبدا لعبدهم ... وان منعوها صرت للكل جافيا

(قال الراوي) فما تم شعره حتى بانت الاشباح وانكشفت الارواح وظهرت بعد ما كانت خافيه وإذا هم روم ووقعت العين على العين كما ذكرنا فحين علم أبو محمد انهم روم وعلم انه قد وقع ولا سبيل له إلى النجاة وهؤلاء متأهبين للقتال شاكين في السلاح فعند ذلك تقدم أبو محمد إلى الامير عبدالوهاب وقال له يا اسود يا زنيم هذه عساكر الروم ومالك إلى الخلاص سبيل فان كنت تطلب النجاة لنفسك والأميرة ذات الهمة وولدك والخليفة في أرضه وبلاده فتحلف لي انك لا تنظر إلى الملكة نوري وان تسلمها إلى وتجود بها علي وتكون لك اليد البيضاء والرتبة العليا عندي فبقى الامير عبدالوهاب

حيران وقال ان لم أحلف هلكت وإن حلفت لا تطاوعنى نفسى فقال الرشيد خلفه يا أبو محمد بمهما شئت سوى الطلاق فقال أبو محمد هذا لا يجوز ولا أخلى واحد حتى أحلفه بالطلاق وأحلف عبد الوهاب بالطلاق من الأميرة ذات علوى انه لا يرجع ينظر إلى نورى ويسلمها إلى، وأى من مسكها عنى كان الطلاق به واقع وكذلك أحلف أمير المؤمنين انه لا يعارضنى فيها لأنى رأيته يحامى عنها ولا شك انه دخل فى قلبه منها هوى وبالله العظيم ان لم تحلفوا لى كما أريد لأجعلنكم فى يد الأعداء يسقوكم كاس الردى وما تكون شدة أعظم من هذه وها أنتم ترون الأعداء قياما بين أيديكم ومعهم السيوف العظام فقال له عبد الوهاب ويلك يا ملعون أتخاطب مولانا الرشيد بهذا الخطاب وتجاوبه بهذا الجواب ولكن حلفنا بما شئت إلا الطلاق فانه أمر وضيع ولفظ شليع ولتسمع الناس عنا هذا وعن السلطان فقال أبو محمد وما أنا ممن ينطلى عليه المحال ولا بد الساعة ما تأخذكم الروم ويلطموكم حتى تطلق نساكم فى مرة واحدة وبعد ذلك أنا أمضى إلى ملطية إلى الملكة نورى ولو انها تحت الأرض أخذتها (قال الراوى) فهم معه فى الخطاب والخيل انكبت عليهم وأحدقت بهم فلما نظر البطال إلى ذلك علم انه ان وقف أخذ معهم وهلك فهرب فى ظلام الليل والغلمان الذين كانوا معه ومضى فى طريق أخرى وتبعتهم الخيل وأخذ الرشيد والأمير عبد الوهاب والأميرة وسيف الحنيفية وهياج الكردى وهو يقول لا صح الله لك بدن يا بطال ما أنت إلا شيطان فقال الأمير عبد الوهاب لا بد الساعة يأخذه الروم ولا بد ما أعمل على قتله ولو وزنت للروم مالى كله فقال الرشيد أنا برىء من المهدى الطاهر من الادناس واخلع نفسى عن خلافة بنى العباس ان رجعت إلى بلاد الإسلام ووقع فى يدى لأضربن عنقه وان أخذوه الروم لا بد لهم من قتله هذا والقاضى عقبة أخفى نفسه حين رأى الرشيد خوفا منه ثم أقبل إلى ميخائيل والبطارقة وقال لهم اعلموا انكم قد ظفرتم هذه الليلة بما لم يكن فى الحساب وبما لا يقدر عليه أحد من الناس الأول انكم خلصتم شومدرس وزوجته والبترك وأخذتم الأسود عبد الوهاب الذى قد شيب ذوائب الأطفال وقطع أعناق الرجال وأخرب بلاد الروم وأخذ الأموال وأخذت أمه التى هى أشد منه بأسا وأقوى مراسا وهى التى قد صرعت القلوب وتركت المعافا مكروب وقد ملكتم ابن ميرونه الذى اسمه سيف الحنيفية وملكتم هياج الكردى الذى فى القلب منه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وقد كنت عملت على قتله وقطعه الرشيد بالسيوف وذكر ان نبى المسلمين أتى إليه وأبراه ولا بد ما أقطعه وأهبره حتى لا يبقى منه ذرة وقد صار معك صاحب الايوان

وخليفه الزمان وسلطان العراق وملك جميع الآفاق فتملك به بغداد وسائر ملوك المسلمين والبلاد وأنا أخاف أن يعرفونى وأريد منك أن تشدنى وثاقا كالمأسورين وتكشف رأسى حتى لا ينكر الرشيد أمرى ولا يقول انه نصرانى فان سلم كنت عنده فى المنزلة الرفيعة وان عطب كانت الراحة العظيمة وسوف ترى ما يكون فيه الصلاح إن شاء المسيح (قال الراوى) فلما سمع ميخائيل كلام عقبة أمر البطارقة بكشف رأسه وشده على بعض الخيل ولم يحتاجوا إلى شد الأسارى لأنهم كانوا مشدودين موثوقين على خيولهم هذا وشومدرس يقول للملك ميخائيل إيا ان تقصر عن طلب العيار المحتال الشيطان أبو محمد البطال فهو أيشم من الجميع فقال له ميخائيل طب نفسا وقر عينا فما تعود الخيل إلا به ثم ان ميخائيل قدم الرشيد والاميرة ذات الهمة بين يديه ثم انه جعل يضرب هياج بالصوت الذى فى يده ويقول وحق المسيح لا بد ان أقطعك قطع وكان ذلك لاجل ما أوقع عقبة فى قلبه من أمر هياج ثم أنه أقبل على الامير عبد الوهاب وقال له يا أسود يا حجام لقد أمكننى المسيح منك فقال له الامير عبد الوهاب ما هذا بسيفك يا كاب يا لعين أخذتنى حتى تفرح بذلك فلم يلتفت إلى كلامه وقال للرشيد يا خليفة لا بد ما أجلس على سرير مملكتك ببغداد واحتوى على كل البلاد وتكون العراق معنا إلى القسطنطينية فقال الرشيد أين أنت من ألطاف الله تعالى وان الله تعالى قد أوعدنى بالنصر على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال عقبة وهو على تلك الحالة للملك ميخائيل يا عدو الله تخاطب ابن عم رسول الله بهذا الخطاب والله لا بد ان تقطع منكم الرقاب ونجعل بلادكم قفرا خراب (قال الراوى) وكان فى يد ميخائيل سيف فضرب به عقبة صفحا قال ونظر الامير عبد الوهاب وهياج الكردى إلى عقبة فرأوه فى أسوء حال فعلموا انها من حيلته ومكره وانها منه حيلة وخداع ثم ان ميخائيل أنزل الامراء والسلطان من على خيولهم التى كانوا عليها وجعل يلطم الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب فصاح به الرشيد اتق الله يا ملعون فكم وقعت فى أيدينا ولم نفعل بك هذه الفعل فرفع الملعون السوط وضرب به الرشيد ثلاث ضربات (قال الراوى) ولم يكن فى بلاد الروم أمكر ولا أخبث من هذا الكلب الملعون ميخائيل وسوف يأتى حديثه عند مملكة الروم ان شاء الله تعالى ثم ان ميخائيل جرد سيفه وأراد ان يضرب به الرشيد فصاح به عقبة ويلكم لا تفعلوا أوقف يدك عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان ولا بد ان تطفى غيظك وتبلغ غرضك فيكون من الاصحاب والخدم والاسارى واما الامام فلا تتعرض له ثم انه اشار إلى هياج

وذات الهمة والأمير عبدالوهاب وكان قد ملأ قلب ميخائيل على هياج فقالت الأميرة وعبد الوهاب يامولانا هذا كله من بعض حيل عقبة ومكره فقال الرشيد لا تقول هذا الكلام يا عبد الوهاب أما تراه وهو فى هذه الشدة وهو فى أسوأ حال وقد أخذوه من ولدك ضيغم ولو كان الأمر على ماذكرتم لكان له فى الروم منعه ومواضع وسعه فسكت الأمير عبدالوهاب عن خطابه وعلم أنه ماهو موضع الملاججة ولم يزل ميخائيل هكذا إلى أن تنصف الليل ومعه الأكراد العشرة الذين هم فى صفة الملائكة وأما أبو محمد وغلمانه فانهم ساروا يسلكوا فى أماكن صعبة المرتقى كثيرة الوعر فلم يقدروا يتبعوهم (قال الراوى) ونظر هارون الرشيد إلى تلك الأكراد فجعل يضحك ويقول ما رأيت عمرى أنحس من هؤلاء الملائكة ثم رحل ميخائيل وقد نال مابلغ ونال المنائم أنهم أخفوا الحس وساروا معرجين عن الطريق الذى لبنى كلاب حتى توسطوا الوادى وجدوا فيه رجل جسيم كأنه الأسد الضارى وله همهمة ودمدمة فنظر الأمير إليه وإذا به الأمير المجاهد الأمير قراقد وقد صاح الله أكبر خلوا عن أبطال المجاهدين وأمراء الموحدين فصاح الخليفة دونك وخلصنا يا بن السلوك ودع ميخائيل متروك على الصعيد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الأمير أبو محمد البطال لما سلم هو وأصحابه وأمن على نفسه من طلب الروم أقبل على الغلمان وقال ماتريدون فى هذه النوبة إنا لله وإنا إليه راجعون مابى إلا عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وولده ضيغم لأنهم لاقوا ما عملوه معى ولكن خوفى على ماتم على أمير المؤمنين لأن فى أسره مذلة للمسلمين ووهنا للدين وأخاف العقوبة من رب العالمين والثانى الأمير هياج لأن بينه وبين عقبه ماقد عرفتم وهو ما يبقى عليه ويأمر الروم بقتله وأكون أنا السبب فى تلافه وهذه الأسباب لم تكن لنا فى حساب فقالوا له وعلى ماذا عولت فقال لهم كونوا فى أماكنكم حتى أعود إليكم ثم أنه غير ثيابه وسار إلى أن دخل على العسكر الذى لعبدالوهاب ووقف حتى عرف عساكر قراقد وقراقد لا يعرفه فقال أيها الأمير أدلك على عبد الوهاب وذات الهمة والرشيد وضيغم ولد عبد الوهاب فقال الأمير قراقد وقد دمدم ويلك وأين هم فقال يا أمير اعلم أنى كنت محبوس عند البطال فى أسوأ حال الأمير ضيغم فلم نعلم بأنفسنا إلا والروم قد أخذونا فنجونا بأرواحنا من البلد والتقوا مع بأبو محمد ومعه الجماعة فأخذوهم عن بكرة أبيهم وفى اشتغالهم بالاخذ وجدت طريقا إلى الوصول إليك وهم فى ألف فارس فقال قراقد أريدك يافتى توقفنى على طريقهم فسار بهم إلى ذلك المكان ومعه رجاله وقال له أجلس هاهنا أنت وأصحابك

وقد وصلوا إليك وعبروا عليك فهم فى الكلام وإذا بصهيل الخيل وميخائيل يقول ماظفر منويل قط بمثل ماظفرت أنا وقد نظروا إلى ذلك فصاح الأمير عبدالوهاب دونك يابن السلوك واترك ميخائيل على الارض مطروح فعندها همهم قراقد ودمدم ونادى بقومه يال حام فتبادرت إليه السودان الكرام (ياسادة) ووصل ميخائيل الموضع فصاح بالبطارقة وقال خذوهم فحملوا عليهم وحملوا على بعضهم بعض وضرب الفارس صاحبه وأخاه ولم يعرف فى ذلك الوقت الابن أباه وبذلت السودان السيوف فى الروم لانهم كانوا يعرفونهم ببياض ألوانهم والروم لايبصرون السودان لسواد أبدانهم وأصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح وذكروا المسلمين سيد الملاح فسمع الامير قشعم الصياح فركب فى مائة ألف من قومه وسمعت عسكر الروم الجلبة فقالوا لاشك أن عساكر المسلمين قد علموا بالملك ميخائيل وقد ثاروا عليه فركب الملك منويل وركبت الملوك بالطوائف من كل جانب ومكان فى ألفين ألف وأربعمائة ألف فكادت الارض أن تنقلب وطلبوا بنى كلاب واشتد الضراب وتراشقوا بالنبال والحراب وجرى الدما كجرى المطر من السحاب وماجت العساكر مثل موج البحر العجاج وثار الضباب واحتاطت الروم ببنى كلاب وعملت الصوارم فى الرقاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يقدر أحدا من بنى كلاب أن يصل إلى الامير قراقد لان الروم كانوا قد دهموهم بكثرتهم وكان الملعون شومدرس هرب لما وقعت الوقعة بين الامير قراقد وبين ميخائيل وسار إلى أن وصل إلى ملك الروم وعرفه بالقصة الى جرت فأرسل معه الملك مائة ألف من الافرنج وقال لاتبقوا على أحد منهم ماخلا الرشيد وعبدالوهاب وذات الهمة وسيف الحنيفية فأنى أريد أن أنتقم منهم وأعذبهم أشد العذاب وأجمع لقتلهم كل من فى جميع البلاد فقالوا سمعا وطاعة أيها الملك فأدرك ميخائيل وقد بقى فى ثلثمائة فارس والباقى مطرحين على الارض فصاح بعيسى ابن مريم والصليب وكان ميخائيل فى ثلثمائة فارس وملك الافرنج فى مائة ألف فارس وكان ميخائيل قد أشرف على العطب ولم يجد سبيل إلى الهرب وكذلك عقبة قد أراد الهروب فلم يجد له سبيلا فبقى على حالته إلى أن أدركهم ملك الافرنج فى ذلك العسكر وارتفع الصياح والتعويل وصاحت قساقسهم بالانجيل هذا والرشيد قد دفع صوته بقراءة القرآن وكذلك عسكر الملك منويل فانها ترجلت على العساكر عسكر المسلمين وبنى كلاب والامير قشعم قد بذل نفسه فى طاعة الملك الجليل وقاتل قتال الشريف الاصيل حتى امتلأت

الأرض بالقتلا وفاضت الأودية بالدما وتعلقت الرجال باللحا وطلبت الأنفس النجاة وتصادمت الخيل فى ظلام الليل وطعنت الخيل فى صدورها وأرمتهم على ظهورها وحارت الأبطال فى أمورها وكان ذلك اليوم وتلك الليلة أطول من السنة بأيامها وشهورها ولم تزل السيوف تقطع والأجساد تبضع والأنوف تجدع والرجاع تصدع حتى انقطع من الحياة الطمع وشاب الطفل المرضع ووقفت الخيل فلم تجد لها مدفع إلى أن أصبح الله بالصباح وتهور الليل وراح وقد لبست الأرض ثوب العقيق والرؤس قد تدحرجت على قارعة الطريق فقال الملك منويل اكشفوا لى خبر مرطويط ملك الافرنج (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد ضجرت الأرواح من ضرب الصفاح وضاقت الصدور من الكفاح وقد عملت الصوارم فى جماجم الأشباح ونادى الملك لبعض البطارقة ويلك نحن قد أشرفنا على أخذ بنى كلاب فاكشف لى خبر ميخائيل ومرطويط ومن معه فقد أشغلوا قلبى على أن ما بقى بين أيديهم عسكر كبير (قال الراوى) ياسادة ياكرام فمضى البطريق يكشف الخبر وماجرى بينهم قال وكان قراقد وأصحابه السودان لما لقوا الملك ميخائيل وهو فى ألف بطريق وقتل منهم سبعمائة وبقى معه ثلثمائة وأشرف على العطب ووصل إليه مرطويط ملك الافرنج ببطارقته فأحدقوا بالكل كما يحدق البياض بسواد الحدق وسمعت باقى سودان قراقد الخبر والصياح فركبوا فى خمسة آلاف وساروا يطلبون الصياح إلى أن وصلوا إليهم وأشرفوا عليهم (قال) وحملت السودان إلى أن التقوا بأميرهم قراقد وكان السيف فى هذا الوقت أكبر شاهد ولم يزل يعمل فى العسكرين إلى الصباح وقد كثرت فى الأجساد الجراح وتملت الصفاح ولم يجد الانسان سبيلا إلى الرواح وجرت الدما على البطاح وكانت سلامة الأمير أجل الأفراج وضاقت عليهم الأماكن الفساح فلما كان وقت الصباح جاء الفرج وقد أحدقت الافرنج بالأمير قراقد وأصحابه وقد قتل منهم ثلثمائة وقتل من الروم ثلاثة آلاف بطل وأن الأمير قراقد عند الصباح قد أشرف على التلف هو وأصحابه فهو كذلك إذ وقعت عينه على الأمير سيف الحنيفية وهو مع مائة بطل ذليل حقير فضرب واحد منهم على عاتقه الأيمن أطلع السيف يلمع من بين أفخاذه وضرب آخر على صدره أطلع السيف يلمع من ظهره وضرب آخر على قمته أطلع السيف يلمع من عند سرته فنظروا كلاب الروم إلى ضرب أمر من الجمر فهجموا عليه بالاتراس الصقال فجعل يضرب هذا على ترسه يقطع رأسه ويصل إلى صدره فيقطعه نصفين ويضرب الطوارق فيقطعها وينزل إلى المفارق ولم يزل كذلك إلى أن وصل إلى

سيف الحنيفية وقد أفرجهم عنه يمينا وشمالا وقد حرصوا على أنهم يحيلوا بين قراقد وبين سيف الحنيفية فلم يقدروا على ذلك إلى أن وصل إلى سيف الحنيفية وهو على فرسه مشدود اليدين فلما لاصقه قطع الحبال من رجليه وحل كتافه فوثب سيف الحنيفية عن الفرس قائما على قدميه وقطع كتاف يديه وأخذ ترس من المعمعة وسيف وهدر فى وجوه الأبطال والبطارقة والأفيال ووثب إلى بعض الخيل التى قد خلت من ركابها وحمل فى البطارقة فأبلاهم بالبلاء وكانوا قد تكاثروا على الأمير قراقد وهو راجل لايقدر أن يركب فعندها كشف الروم غربا وشرقا وأشبعهم طعنا وضربا إلى أن وصل إلى المكان الذى فيه ذات الهمة وعبد الوهاب (قال الراوى) وأما الرشيد وهياج فان اللعين عقبه لما أصبح الصباح قال للملك ميخائيل خذ الأسارى وامض إلى الملك منويل فأخذ الرشيد وهياج الكردى وطلب الأمير والأميرة فقالوا له انهم مع سطاس وهو فى وسط الخيل ولاسبيل إليهما فقال عقبة لميخائيل اخلص بمن معك وخذنى على هذه الحالة أسير مكتف إلى عند الملك وقل له يرسل نصف عسكره حتى أنه يأخذ الكل فخرج ميخائيل من المعمعة ومعه الأمير هياج والرشيد والخادمين هذا وقد حمل الاميرسيف الحنيفية إلى أن وصل إلى الموضع الذى فيه الاميرعبدالوهاب ووالدته وقاتل حتى خلصهم من الأعداء وأطلقهم مما كانوا فيه وأخذوا السيوف وحملوا على الصفوف وجدعوا الانوف وسقوا الروم كؤس الحتوف وكان العدد كثير وهؤلاء ستة آلاف والروم مائة ألف وكان قراقد الذى معه قد أشرفوا على التلف لولا من الله عليهم بسيف الحنيفية والاميرة ذات الهمة وعبدالوهاب كل واحد منهم مقوم بألف (قال الراوى) ياسادة ياكرام ونظرت الاميرة إلى صليب من الذهب الاحمر ومن حوله أربعة بطارقة وفى وسطهم الملك مرطويط ملك الافرنج فقالت الاميرة ذات الهمة يابنى اعلم أن قوام هذا العسكر بهذه الاربعة الذين هم من حول العلم الاحمر وهذا الملك مرطويط فقال الاميرعبدالوهاب أنا أحمل على الملك مرطويط فقالت الاميرة وأنا أحمل على الذى معه العلم فقال الامير قراقد وأنا وسيف الحنيفية نحمل على الذى حوله ثم انهم كبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا حملة واحدة طالبين العلوج فمنعتهم البطارقة من ذلك فجعلوهم مثل الحصيد ورموهم على الصعيد ولم يزالوا فى حملتهم إلى أن وصلوا إلى عند العلم والذى تحته كما ذكرنا فكان السابق منهم عبد الوهاب فضرب مرطويط أطاح رأسه وضربت الاميرة صاحب العلم تركته على الارض قد انقسم

وضرب سيف الحنيفية الثالث سقاه كأس المنية وكذلك قراقد ضرب الرابع سريع على عاتقه الأيمن اطلع السيف من عاتقه الأيسر وقد نظرت الافرنج إلى الملك مربوط فوجدوه قد انعدم والعلم قد انهدم وطلبوا الملك ميخائيل فلم يجدوه وظنوا انهم قد قتلوه وكانوا السودان قد حملوا فيهم وأدهشوهم بالكلام الذى كأنه الرعد العاصف وأفنوهم بالحسام فما كان لهم طاقة إلى المقام فمضوا هاربين وبما أملوا خائبين وإلى عسكرهم طالبين (قال الراوى) وكان تلك الساعة قد انهزم الامير قشعم وانهزمت بنى كلاب لما زاد عليهم الأمر ومال عليهم عسكر الروم وقد انكسرت قلوبهم لعدم الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وعند هزيمتهم قد التقوا بعساكر الافرنج الذين انهزموا وكان اللقا مواجهة وعمل بينهم القتال والحرب والنزال ونفذت فى الابدان الرماح الطوال وتعلقت الرجال بالرجال وقصرت الخيل عن المجال وجرت الدموع من العيون بانهمال فهذا صريع وهذا طريح على الرمال وهذا مصروع من شدة النكال فما كانت إلا ساعة حتى قتل من الافرنج ثمانية عشر ألف وقتل من بنى كلاب خمسين واحد وأخذت الافرنج فى الهزيمة وخلوا ما معهم من الغنيمة ونصر الله المسلمين وفى تلك الساعة أدركهم الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمه وسيف الحنيفية وقراقد والسودان وفرحت بنى كلاب بخلاص الامير عبد الوهاب وأمه وسألهم الامير عبد الوهاب عن الرشيد فقالوا ما لنا به علم ولا بالامير هياج الكردى ولا بالامير ضيغم وقد اشتغلت لذلك قلوبنا

﴿ تم الجزء السادس عشر ويليه الجزء السابع عشر ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم واخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السابع عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يأساده باكرام وسار الامير عبدالوهاب الى المكان الذى كان فيه الرشيد ونزل بالناس هناك ونزلت أيضا عساكر الروم وأخبروا الملك منويل بقتل ملك الافرنج مرطويط فعظم عليه وكبر لديه وقال هذا كله سهل بعد خلاص الشيخ النجيح والراهب شو مدرس وزوجته شوما وكان ميخائيل قد وصل اليه الرشيد بين يديه وضيغم وهياج الكردى وعقبة لعنه الله تعالى على تلك الحالة فقال الملك منويل اقتلوا هذين الرجلين وأشار إلى عقبة وهياج الكردى وأن ملك الروم كان عارفا به وبأمره وفرح بأسر هياج أكثر من فرحه بالرشيد لأنه كان قد وقع له معه أحاديث عجيبة كما ذكرنا فى السنة التى كان تنصر فيها أبو الهزاهز وكان منويل ينذر من أجله النذور للمسيح أن يوقع الأمير هياج فى يده فلما عاينه أمر السياف بضرب رقبته ورقبة الملعون عقبة شغلا وعملا ومكرا منه وخبثا وكان أمره بقتل هياج حقيقة فقال الرشيد اعلم أيها الملك أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وان هذا القاضى المسكين إذا قتلته لاينقصون المسلمين لأنه شيخ كبير وعلى فيه كلما تطلبه من المال وكذلك هياج كلما طلبت على فقال الملك وحق المسيح فما يبقى دواهم عندى غير السيف ولابد ما حارق هذا الرجل وأشار إلى هياج الكردى لأن لى معه فعال لا تحصى وقد أدخل فى قلبى ناراً لاتطفى وكم وقع فى يدى وخلص وما بقى له سبيل إلى الهروب وأما هذا وأشار إلى ضيغم فلم أقتله حتى أضيف إليه أبيه الزنيم الأسود وأما أنت فما عليك أيشم من هذه النوبة وما يخلصك من يدى أحدا حتى تسلم إلى من ملطيه إلى الموصل وتحمل إلى المال كل سنة كما كنت أحمل إليك إلى بغداد وإن أبيت أوردتك مورد الهلاك فقال عقبة لعنه الله

تعالى وهو مكتف بين يدي الملك لقد تجبرت يا كلب النصرانية ان تخاطب ابن عم رسول الله بهذا الخطاب والله ما أنا خائف على نفسي لأني شيخ كبير وقد شبعت من الدنيا ومالي صبر على انك تخاطب ابن عم رسول الله بهذا الخطاب وقد وطىء رقبتك مرارا فصاح عليه ملك الروم وقال احملوا هذا الملعون الى خيمة الدم لأضرب عنقه في غداة غد قال فحملوا عقبة لعنة الله عليه الى بعض الخيام وهو أسير نخرق الثياب فلما صار في الخيمة غطى رأسه وقدم له لحم الخنزير مشوي فأكل منه ثم رفع الرشيد إلى مكان آخر وضيفهم معه وحمل الامير هياج إلى حريم الملك منويل لانهم كانوا فزعوا عليه وعزموا على قتله وأمسى المساء وركب القاضي عقبة لعنه الله الى خيمة الملك منويل فوثب له قائما على قدميه وقال أيها الشيخ ضاق صدري اليوم لما رأيتك على تلك الحالة فقال أيها الملك بذلك يتم لي أحوال أدبرها فقال له المسيح يطول عمرك فانك رحمة الروم فقال شومدرس أما أنا فقد صنع معي جميل ما أقدر أقوم به ولم يزل الملة المسيحية قاصد وشاهد ومساعد ولكل عبد من عباد المسيح معاضد فقال ملك الروم هذا هو المعروف بفعله على سائر الايام والساعات وما صنع في حقك أيها الشيخ فهو قليل لانكم أهل بيت علم النصرانية ولولاكم لهلكت الملة المسيحية فانت أيها الراهب شومدرس وولدك دهرشوم والقاضي عقبة وزوجتك شوما التي هي أم الرهبان وأنتم الشفعاء يوم القيامة لاهل دين النصرانية وما يضيع عند المسيح ما تصنعوه وما تعملوه فقال عقبة هذا كله مع حسن الظن لمولانا الملك لازال محروس الجانب فقال شومدرس الآن دعونا من هذا الكلام وهذا الامر ودبروا ما يعود نفعه وماذا تعولون عليه في غداة غد فقال عقبة اللعين وما عسى ان نعمل ونحن في هذا العالم العظيم وما بين أيدينا غير هذا العسكر الذين هم من العرب الذي قد انهزم ولولا هذا الاسود عبد الوهاب وأمه وولده ما كان بقي منهم باقية وفي غداة غد نحمل عليهم في هذا العسكر العظيم ونتركهم مثل الحصيد الرميم واعلم ان بني كلاب لو بقي منهم عشرة آلاف لكان فيهم الكفاية سيما وقد بقيوا مائة ألف وسبعة آلاف أسود وقد زاد فيهم هذا النحس قراقد لا بارك المسيح في عمره وهو في خمسة آلاف وهذه آمد بين يديك في مائة الف وستين ألف وأربعة عشر ألف أسود وان عسكر المسلمين لا يغفل عنكم ولا بد ما تأتي النجدة والآن فقد أعطانا المسيح مناك بخلاص شومدرس وزوجته شوما وخلاصي حتى أدبر ما يكون لكم فيه الصلاح والنجاح فقال له الملك ما الذي نعمل فقال أيها الملك اذا أصبح الصباح ضربت رقبة هذا الاسود الزنيم ولد عبد الوهاب ونضرب رقبة هياج الكردي بعده لان في قلبي منه نار لا تطفى وأحر قلباه من ذات الهمة وعبد الوهاب وقد اشتهيت لا أموت حتى أقتل الجميع وينقطع ذكرهم من الدنيا ولا أبالي

أي يوم كانت موتتي وبعد هذا عندي رأي ان يرحل هذا العسكر بلا قتال ولا نزال ثم نرحل و ننزل على ملطية وهي خالية من العسكر فان تبعك هذا الأسود عبد الوهاب دبرت لك ما يكون فيه الصلاح وأيضا أيها الملك إذا ضربت رقبة ضيغم وهياج تقدم الرشيد مكشوف الرأس محلوق الذوائب ومن حوله البطارقة وبأيديهم السيوف وينادي المنادي من قبلك يا عبد الوهاب الملك يقسم بالمسيح ومريم والصليب لئن لم ترحل في هذه الساعة وإلا رميتك برأس الرشيد فانه إذا سمع ذلك لا يقدر يقيم ويرحل لوقته وتدخل أنت ملطية وتأخذها بما فيها من الأموال والعيال وتملك نوري التي قد أصبحت فريدة الحسن والجمال ذات الحسن الفائق والجمال الرايق وبعد ذلك ترحل إلى أرض سجستان ومعك الرشيد وتخلف في ملطية من يحفظها وترسل الرشيد إلى القسطنطونية وأسير معك حتى أسلم لك البلاد فان جرى عليك أمر اكان الرشيد سببا لخلاصك وان ظفرت بالمراد بجعل سرير ملكك بغداد ويكون ميخائيل نائبك في القسطنطونية فقال له الملك نعم ما رأيت فقال شومدرس قد بقي في هذه القضية شيأ واحدا تتخلصون من الأسود عبدالوهاب فقالوا وما ذلك أرنا من رحمتك طرفا ونوعا من حيلتك فقال شومدرس ان الملك إذا دخل إلى ملطية ما يقعدوا بني كلاب عن الحريم ولو قتل أضعاف عسكر الرشيد وعبد الوهاب خلفكم لا يقعد عنكم ولو ان في رجليه القيود سيما ومعه رجال سود ثم ان شومدرس ادعى بحرب ابن شيبان ملك العرب المتنصرة وقال له أريد الساعة أدبر حيلة على عبدالوهاب وأوقعه بها فان أخذتوه فما يبقى لبني كلاب من يعتمدوا عليه ولا من يرجعون إليه ولا يأمن الملك أن يكون خلفه عبدالوهاب فقال له حرب بن شيبان أيها الشيخ أنا ورجالي بين يديك فوثب شومدرس وقال أريد الخيمة التي فيها ضيغم ولد عبدالوهاب فسارت الرجال به إليها وكان ضيغم فيها في أسوأ حال وهو مثل السكران مما جرى عليه في ذلك اليوم فلما وقف شومدرس هناك قال لحرب اني أريد من العرب المتنصرة عشرة فحضروا الوقتهم بين يديه فقال خذوا ضيغم تحت الليل واحملوه على أكتافكم وسيروا به إلى عسكر المسلمين فاذا داروا بكم فقولوا نحن نريد الأمير عبد الوهاب فاذا وقفتم بين يديه فقولوا نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله اعلم أيها الأمير ان الله قد فتح قلوبنا من سنة الغفلة وأنقذنا من هذه الجملة ونحن معولين على الدخول في دين الإسلام واننا لما رأينا الخليفة وقد جرى عليه ما جرى لم نجد صبرا وكان الملعون عقبة والكلب شومدرس قد أشاروا على الملك بقتل ولدك ضيغم والأمير هياج الكردي ويأمرونك بالرحيل وإلا رماك برأس الرشيد وقد باتوا معولين على هذه النية ونحن ان أقمنا إلى الصباح

حل بالمأسورين الافتضاح فقمنا وأخذنا الامير ضيغم وخلصناه قبل الصباح ثم أطرحوه بين يدى الامير عبد الوهاب وقولوا أيها الامير الصواب أن ترسل معنا عشرة رجال أجلاد ويكون كل واحد من العشرة يريد لرأسه ألف رأس حتى تخلص لكم الرشيد والامير هياج وهما فى خيمة وسط العسكر وتكون العشرة تلبس لبسنا حتى لا ينكرون لانا نقول الامير حرب ابن شيبان أمرنا بالدوران حول العسكر خوفا من لص أو جاسوس يحضر وتسير أصحابك معنا إلى الخيمة التى فيها الرشيد وهياج فتعمل على الدخول إليهما لان الرجال من حولهم وتقول الملك أمرنا أن نحملهم إليه ونأخذهما على أكتافنا كما فعلنا بالامير ضيغم ويمنعون العشرة عنا من يطلبنا فقالت العشرة المتنصرة لشومدرس سمعا وطاعة أيها العبد الصالح فما جملك المسيح إلا مدبر الارض وناصح ثم أنهم مضوا إلى الخيمة التى فيها الامير ضيغم وحملوه على أكتافهم وساروا إلى أن وصلوا إلى عسكر المسلمين فرأوهم الحرس فحملوهم إلى الامير عبد الوهاب فلما نظر إليهم علم أنهم من العرب المتنصرة فقال لهم ما وراءكم وما أتى بكم فأعادوا عليه ماجرى وهو الذى ذكرناه والحديث الذى وصفناه ووضعوا ضيغم بين يديه على تلك الحالة سكران من الضرب فلما نظر إليه الامير قال واولداه لا آخذ تارك إلا من أبو محمد البطال فقالوا له القوم أيها الامير اعلم أن الرشيد قد جرى عليه أكثر من ولدك ضيغم وهو يصيح واأسلاماه وامحمداه واعبد الوهاباه والامير هياج معه فى خيمة واحدة فى وسط العسكر ونريد أن ترسل معنا عشرة رجال لهم هيبة ووصول فقال الامير عبدالوهاب لما سمع هذا الكلام وقد أخذته النخوة والحمية أنا واحد منهم فقال سيف الحنيفية وأنا الثانى فقالت الاميرة ذات الهمة وأنا الثالث فقال قراقد وأنا الرابع فقال أبو الهزاهز وأنا الخامس فقال برد ابن الازهر وأنا السادس فقال الامير قشعم وأنا السابع فقال مالك ابن بشر وأنا الثامن فقال مالك ابن طوق وانا التاسع فقال راشد ابن ضمره وأنا العاشر فسيروا بنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام وساروا مع العشرة العرب المتنصرة وقد استخلف الامير عبدالوهاب على عسكره الامير مدركة وأوصاه أن يكون على أهبة من امره وقال له إذا رأيت الصباح اضاء ولاح أطلب الصياح حيث كان وأشبعوهم طعنا وضربا فعسى الله ان يعيننا على ذلك فانه الملك القادر وساروا القوم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الداهية شومدرس فانه ضرب خيمة منفردة وامر الروم ان يبعدوا عنها ففعلوا ما امرهم به ثم انه امر العرب المتنصرة ان يحفرون فى الخيمة خندقا عميقا فحفروا ذلك وستروه بشىء ضعيف بحيث انه فرش فيه البسط وجعل فى وسط الخيمة سرير من الخشب وجعل عليه

شخص عليه ازار فقال له حرب بن شيبان ما يحتاج إلى هذا أيها الراهب شومدرس لأننا أقمنا ألف رجل من العرب المتنصرة كل واحد يريد لرأسه جماعة من المسلمين فلا تحمل على قلبك هم فما هم يصلون إلى هذا المكان إلا وقد حمل عليهم ألف إنسان من صاحب سيف وسنان وأبطال وشجعان وأقران ينصرون أهل ملة الصلبان كأنهم أقارب وإخوان لعلهم ينالون بذلك أعلى الجنان ويعطيهم المسيح بذلك الأمان وينجيهم من النيران فقال شومدرس اعلم يا أمير حرب ان ما عندك معرفة بغوامض الأمور ولا حنكتك تجارب الدهور وأنا أعلم ان عبد الوهاب ما يأتى فى عشرة آلاف وكل واحد يريد لرأسه ألف بطل من كل بطل مداعس ولو ركب العسكر كله لقتلوه ويحموا أنفسهم من كل من على وجه الأرض وان وصلوا إلى واحد منهم فما يقدروا عليه حتى يقتل من البطارقة أبطال ويجندل من المتنصرة اقيال وبهذه الحيلة التى دبرت آخذهما بلا تعب ولا نصب ولا طعان فقال له حرب ابن شيبان هذا هو الرأى يا حكيم الزمان وأقاموا ينتظرون قدوم الأمير عبد الوهاب ومضى من الليل نصفه وإذا بالأمير عبد الوهاب والذين معه والعرب المتنصرة قد دخلوا العسكر فصاحوا عليهم الروم وأنكروهم لأنهم فى زى العرب فقالوا لهم من أنتم قالوا نحن من أصحاب حرب ابن شيبان وقد أمرنا الملك أن ندور حول العسكر نلتمس طارق فى هذا الليل الغاسق أو جاسوس أو سارق (قال الراوى) هذا والأمير والأميرة لا يفكروا فى شىء من أمرهم وقد أخذوا كلما قالوه لهم بقبول ولم تنفر منهم العقول وكان الذى قوى عزمهم على ذلك اطلاق ضيغم وهذا شىء ما فعله أحد قبل هذا الملعون شومدرس ولم يزالوا سائرين إلى عند الخيمة المضروبة فوجدوا الرجال نيام من حولها وهم أكثر من أربعمائة رجل فصدقوا قول العرب ونظروا إلى الخيمة وإذا فيها سرير وعلى السرير شخصان وعليهما ازار وهو ملطخ بالدم كأنهم قد ضربوا وهم سكارى (قال الراوى) فلما نظرت الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب إلى ذلك دمعت عيناهم خوفا على الامير هياج والرشيد أمير المؤمنين ولأجل قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا العرب أيها الامير ادخلوا الخيمة حتى لا يكون بكم الانكار وعالجوا القيود التى فى ارجلهم والاغلال وهى مربوطة فى السرير فان رفعوا هؤلاء الرجال رؤسهم ونظروا إلينا لم ينكرونا لأنهم يعرفونا وان سألونا نقول لهم نحن الحرس الذى ندور حول العسكر وعالجوا أنتم القيود لعلكم تفكوها وتحملوا الامير هياج الكردى وأمير المؤمنين وتخرجوا إلينا بهم ونحن نحملهم على رؤسنا وتمشون أنتم من ورائنا فان فطنوا بنا الكفار فقاتلوا انتم من ورانا وادفعوا عنا من يطلبنا من العلوج (قال الراوى) يا سادة يا كرام

فلما سمعوا الأمراء كلامهم قالوا لهم ما رأيتم إلا الصواب ثم انهم هجموا وقد تخطوا الرقاب إلى أن صاروا فى الخيمة وطلب كل واحد منهم العجلة إلى السرير يريدون الخلاص لا يدركهم الصباح وحرصا على أمير المؤمنين والأمير هياج الكردى وطلبوا السرير فوقعوا فى الحفرة كلهم فوثبوا الرجال عليهم من كل جهة وقد اشهرت القواضب وأتت إليهم الروم من كل جانب وأوقدوا النيران والمشاعل وطلبوهم فى ذلك الخلق العظيم وقد فرحوا بهذا الأمر العميم وطلب كل واحد منهم ان يطلع من الحفرة فلم يقدر على ذلك لأن المكان عميق والرجال وقوف فوق على رؤسهم بالسيوف والدرق وقطعت الخيمة وأحدقت بهم الرجال من كل جانب ومكان ورموهم بالحجارة عباد الصلبان وكان سيف الحنيفية يأخذ الحجر ويرمى به إلى خارج الحفيرة وأى من وقع فيه قتله وعجل عليه وفعل قراقد كفعله فما ضرب أحد إلا جندله وكذلك الأمير عبد الوهاب كان كلما يلتقى الحجر الذى يلقى عليه من الهوى ويرمى به الرجل فأى من وقع فيه عجل حمامه وفعلت الأميرة كذلك وقشم وبرد ابن الأزهر والأمير أبو الهزاهز ولم يزالوا كذلك إلى أن كشفوا الناس عن الحفرة فصاح شومدرس فى العلوج والبطارقة والعرب المتنصرة يا ويلكم ان طلع منهم واحد كشفكم إلى أن يصعد الباقين والرأى عندى انكم لا تنهزموا منهم فقال واحد من العرب المتنصرة تقدم أنت يا أبونا إلى الحفرة عسى انك تعدم الحياة وتموت موت الفجأة (قال الراوى) وارتفع الصياح عسى يسمعوه عسكر بنى كلاب وما عندهم خبر من هذا الصياح لأن المكان بعيد عليهم وزادت الاوهاج وهذا ان الملعون شومدرس لما نظر إلى حالهم ورأى إلى قتالهم بالحجارة قال لهم على بقوارير النفط فأحضرت وضرب بها الأمير وأصحابه فاحترقت الاتراس وانقطعت منهم فقال عبد الوهاب ان القتال عند الغلبة من شوم التدبير وما لنا إلا نسلم نفوسنا إليهم فقالوا صدقت أيها الامير فصاحوا كلهم الامان الامان يا شيطان الزمان فقال شومدرس الآن قد طلبوا الامان وما قصدى قتلهم وانما قصدى أعذبهم وأتسلم منهم البلاد والقلاع فقالوا الروم نعم ما رأيت ثم انهم قربوا منهم وقالوا لهم أرموا ما فى أيديكم من السلاح والعدد وكتفوا أنفسكم فأول من صعد كان قراقد ورفعوا الامير عبد الوهاب وذات الهمة والامراء جميعا فلما رفعوا مالك ابن بشر الاقطع عرفه شومدرس فباس الارض وقال شكرا للمسيح الذى مكننى منك لانك فعلت معى فى الحصون ما لا يفعله أحد فقال له الامير مالك يا مسكين لا تغتر بالامهال لان الله تعالى حليم لا يعجل فقال شومدرس دعنى من هذا الكلام ثم أمر الرجال

فأوثقوهم بالحبال ووضعوا فى أعناقهم الأغلال وفى أرجلهم القيود الثقال وسحبوهم وهم فى غاية الإذلال فقال لهم شومدرس احملوهم إلى سرادق الملك (قال الراوى) ومضى الراهب والبطارقة من حوله والعرب المتنصرة أكثر من عشرة آلاف وقد فرحوا بهؤلاء العشرة التى لم ينفلت منهم واحد ولم يتم عليهم نوبة مثل هذه النوبة فقال شومدرس هذا كله من بعض تدبيرى فشكروه على ما قال وساروا إلى ان أشرفوا على سرادق الملك والبطارقة من حوله قيام على الاقدام وفى أيديهم السيوف المجذبة والدرق المكوكبة وهم فى انتظار الشيخ شومدرس فلما نظروا إليه والأمراء بين يديه فرحوا وتصايحوا وقالوا ما فعل الشيخ النجيح مثل هذه الفعلة ولا دبر فى زمانه مثل هذه الحيلة ولا قدروا على هذه العشرة الذين هم عماد دين الإسلام وأسود الفلا وهم رأس المملكة العربية فقال شومدرس اسبقونى وبشروا الملك فقالوا أيها الشيخ الصالح انه مع الشيخ النجيح من داخل السرادق ومعهم الملك ميخائيل والاندرياس وفيتفورس وسائر الملوك السبعة عشر ملك وما يقدر أحدا منا يدخل إلى السرادق فبذلك أمرنا فيتفورس الملك وأنت فما لك عنهم سر مكتوم وهو مترقب حضورك وحق المسيح لا تعلو منزلتك عنده بأخذ هذه العشرة أكثر من منزلة الشيخ النجيح وحجة المسيح فرفعوا الراهب إلى السرادق ودخل فما وجد الملك منويل والملوك عدموا وكراسيهم خالية وما وجد أحدا منهم وطاف على هياج فلم يجده فى مكانه والسرادق ما فيه أحد فخرج وهو مرعوب وقال لهم يا ويلكم ما الملك فى السرادق ولا أحد من الملوك ثم قال لهم اقصدوا الشيخ النجيح فى مضربه فقصدوه وما وجدوه فعظم عليه وكبر لديه فقال لهم أمضوا وأبصروا لا يكون عند الرشيد يخاطبه فى تسليم البلاد فمضوا إلى الخيمة التى فيها الرشيد فوجدوا الرجال نيام فهجموا وعبروا فلم يجدوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فوقع فى الناس الصياح وفقدت كل طائفة ملكها فهم فى الكلام وإذا ببطريق قد أقبل وهو كأنه عادم عقله فلما توسط الروم وأمن على نفسه وقع مغشيا عليه فرشرا على وجهه الماء فلما أفاق قالوا له أيها البطريق خيلفوص ما وراك ومن الذى بشره رماك قال لهم أمرى عجيب يعجز عنه البشر وسوف يسطر فى كل دفتر ويكون اطرب حديث وخبر فقالوا يا ويلك دعنا من الصفة وأخبرنا بالحديث ان كان عندك خبر من الملك منويل وأخوته وأعمامه والسبعة عشر ملك والمائة بطريق فقال وما عسى ان أقول اطلبوا لكم ملوك غيرهم فقد أخذوا وطلبوا سبيلا للخلاص فما وجدوا ومعهم الشيخ النجيح وقد جرى له كل قبيح وقد تمنى أنه يموت

ويستريح وقد بقي يلطمه على وجهه الصبيح حتى خرس لسانه الفصيح فقالوا له البطارق لعنك المسيح ان لم تحدثنا بالصحيح (قال الراوي) وكان السبب في ذلك وغيبة الملوك ان الأمير أبو محمد البطال لما أوقف قراقد في ذلك الوادي ينتظر قدوم ميخائيل والأمراء الذين معه وتركهم أبو محمد ورجع إلى باقي السودان وقال لهم الحقوا سيدكم قراقد ثم تركهم ودخل إلى عسكر بني كلاب ودخل إلى الموضع الذي فيه ميمون الجماس فأطلقه وأخذه وسار إلى أن دخل إلى آمد ففرح الناس بسلامتهم وأقبل الأمير أبو محمد على طاطم الاسود وقال له ويلك كيف غفلت على الراهب شومدرس والملعون عقبة حتى تمت هذه النكبة فيا لها من نوبة ما أعظمها خلص شومدرس وعقبة وشوما والبترك وبخلاص عقبة أخذ الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وسيف الحنيفية وهياج الكردي والرشيد وكل هذا من غفلتك ثم ان البطال بطحه وضربه بعصاة حتى أغمي عليه فلما أصبح الصباح قال لقومه علي بالسودان الذين كانوا موكلين بهم فطلبوهم فما وجدوهم وكانوا عشرة سودان وخمسة أكراد فأما السودان فما وجدوهم وأما الاكراد فسحبوهم إليه فلما نظر إليهم أبو محمد ضحك وقال أما السودان فقد قتلوا بسيوف الكفار وأما أنتم فسوف تقتلون بسيوف الابرار ويلكم بئس ما عملتم في هذه النوبة فانكم سلمتم خليفة الله في هذا الزمان إلى عبدة الاوثان والصلبان فقالوا ما عندنا خبر وجعلوا يحلفون ويقولون ما لنا بهذا علم ولا دراية فقال الامير أبو محمد البطال أحسنتم في هذا البهتان والمحال وهذا يعمل علي وأنا أبو محمد البطال والمكر والمحال عندي يتعلمون مني الاحتيال والآن فأنا أقسم بمن كون الاكوان وأرسل محمد سيد ولد عدنان ان أنكرتم لأرمينكم من هذا السور إلى خارج البلد ولا أقبل فيكم سؤال أحد وأنا أبو محمد لص الزمان ولا ينطلي على هذه الايمان فحدثوني حتى أدبركم في شيء تبيضوا به وجوهكم عند وعند الناس فلما سمعوا كلامه وما نطق به من نظامه طلبوا منه الامان فأعطاهم ذمامة فأعادوا عليه جميع الحديث من أوله إلى آخره وأخبروه انه من تدبير عقبة وانه لعب بعقولنا بما بذل لنا من الاموال قدر ثلاثين ألف دينار وها هي عندنا لنا وللسودان بل ان السودان ذهبوا وما عادوا فلما سمع ذلك من كلامهم دق بيد على يد وقال كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقال لهم اعلموا انكم قد أوجبتم على أنفسكم القتل ووجبت عليكم اللعنة وههنا رأي وهو سبب نجاتكم وتبيضوا وجوهكم عند الله وعند الناس فقالوا وما هذا فقد ندمنا على ما كان منا ولو أضرمت نارا

وأمرتنا لوجناهافقال لهم أريد منكم الليلة عند اقبال الظلام وهجوع الانام انكم تفتحوا باب السر القديم وتخرجون الى عند عسكر الروم واذا وقع عليكم الحرس وبدر اليكم النفير فقولوا لهم نحن نريد الملك فاذا وقفتم بين يديه وقال لكم ماالذى تريدون فقولوا له نحن الذى أطلقنا شو مدرس وعقبة وشوما والبترك وأنعمت علينا بذلك المال ونحن نخاف أن يظهر علينا فنهلك ولقد رأينا أن نسلم إليك البلد على شرط أن نأمن على أنفسنا وأهلنا وتستخدمنا على إنك تعطينا مثل المال الذى أعطيتنا ونحن نسلم إليك البلد والقصر بما فيه لأن ما فيه من يصد عنه ولا يرد لأن أبو محمد كان قد مضى لأخذ الرشيد وعبد الوهاب والجماعة الذين كانوا معهم فلم يصدفهم بل لقيهم عسكرك وأخذوهم وأرسل الليلة أول الليل إلى الأمير طماطم أن يخرج بالسودان حتى يكبس على الأمير عبد الوهاب من أجل الأمير ميمون الجماس لأنه عندهم فى الأسر والهوان وأيضا فى قلب الأمير أبو محمد من حب الملكة نورى مالا يقع عليه حساب وهو يتمنى قتل الأمير عبد الوهاب حتى لا ينازعه عليها منازع وقد خرج الأمير طماطم فى أربعة عشر ألف أسود من كل بطل أمجد كاملين العدد فى الزرد وفى أيديهم العمد واعلم أيها الملك أن القصر لم يبق فيه إلا ثلاثة آلاف أسود لأن أبو محمد أرسل إلى طماطم يقول لا تخلف فى القصر إلا السودان ولا تخلف أحدا من الأكراد فانا لا نأمن إليهم لأنهم معروفون بالفساد فلما رأينا ذلك خرجنا وأتينا إليك وقصينا هذه القصة عليك وقد فتحنا باب السر القديم لأنه معروف بالتسليم فان أردت فعجل لنا بالمال وتسلم أنت الليلة الاطلال وأعطينا الأمان على الاولاد والأهل والعيال (قال الراوى) فلما سمعوا الأكراد كلام أبو محمد قالوا سمعا وطاعة فنحن نفعل هذا إن شاء الله تعالى وأقاموا إلى أن أمسى المساء وفتح باب السر القديم ودخلوا إلى عسكر الروم فتصايحت عليهم الحراس ثم أطبقت عليهم البطارقة وأخذوهم قالوا معنا ملك نصيحة فاحضروهم إليه وأوقفوهم بين يديه وكان مجيئهم فى الساعة التى خرج فيها شو مدرس يدبر على الأمراء كما ذكرنا وكان القاضى عقبة عند الملك منويل فى تلك الساعة يدبر على هلاك المسلمين (قال الراوى) فلما رآهم عقبة عرفهم وقال للملك هؤلاء الذين كانوا السبب فى خلاصى وخلاص الراهب شو مدرس والبترك فلما سمع الملك ذلك أكرمهم غاية الإكرام وقال لهم ما الذى أخرجكم وما الذى فيه قد جئتم فأعاد عليه الترجمان الكلام كما ذكرنا وأخبره بجميع ما وصفنا كما علمهم الامير أبو محمد (يا سادة ياكرام) وكان عقبة قد ستر وجهه عنهم فلما سمع ذلك

كاد قلبه أن يطير من الفرح وقال للملك ابشر بالسعادة وقد أتتك من كل جانب ومكان لأن الراهب شومدرس قدمضى ليدبر حيلة على عبد الوهاب وسائر بنى كلاب ويوقعهم فى شباك العذاب فان تم ذلك فيكون قد ملكت آمد التى هى حسرة بنى العباس وإذا ملكتها فقد ملكت البلاد التى حولها وتضرب خيلك إلى بلاد العجم وبلد الموصل وتصير القسطنطونية الصغرى فلما سمع الملك ذلك كاد أن يطير فرحا وقال على بالمال فأحضروه وأحضروا الخلع وأعطى كل واحد من الأكراد ثلاثة دينار وخلع عليهم وقال وحق يوحنا ومريم والصليب ما يأتيكم منى مكروه ولأجعلنكم الولاة من قبلى فى بلاد الروم ولكم على من المال كل عام مثل ما أعطيتكم ثم أقبل على الملوك وكانوا كلهم عنده فى المشورة الأولى فقال لهم قد عولت على أننى أصعد إلى قصر آمد ومعى مائة بطريق فقالوا له الملوك يا مولانا ونحن معك ولا تبخل بأنفسنا عليك فقال لهم انتخبوا من رجالكم من تعرفوه كل واحد منهم يعد بألف بطل ويكونوا مائة بطريق فقالوا سمعا وطاعة وجعلهم أمناء على أنفسهم فصار كل واحد منهم يقول أنا عندى عشرة والذى يقول أنا عندى خمسة وهم فلان وفلان حتى كملوا المائة بطريق وهم أبطال الروم ومعهم الملوك فلما نظر إليهم الملك منويل قال وحق المسيح لو أردت أن أفتح بغداد بهؤلاء لفعلت فقال عقبة أيها الملك أنا معك على سبيل الاختفاء فإن كانوا فتحوا باب السر فهم صادقين فى قولهم وإلا جازيتهم على فعلهم وما حملهم أن يدبروا هذه الحيل إلا خوفا من البطال لأنهم يعلمون أنه إذا دخل إلى آمد لا يخفى عليه أمرنا فمن خوفهم على أنفسهم جاؤا إلينا بهذا الأمر وهذا من حسن عناية السيد المسيح بك فقال له الملك أيها الشيخ الشجيع قد حلفت لهم أنهم ما يرون منى مكروه فقال عقبة أيها الملك متى رأيت مسلم أقتله ودمه فى عنقى وذلك مما يقربك إلى المسيح ثم نهض الملك وعقبة معه لعنه الله والبترك والملوك والبطارقة وقد قال عقبة اكتموا هذا الأمر فما يخلو أن يكون فى العسكر جاسوس من المسلمين ثم ثم انهم ساروا إلى أن قاربوا باب آمد ثم وصلوا إلى باب السر القديم فوجدوه مفتوح ففرح عقبة وقال أيها الملك قدملكت آمد وحق المسيح فدخل عقبة اول القوم من حرصه ودخلوا الملوك والاكراد والبطارقة والأكراد يقولوا لهم اقصدوا دار الامارة فانكم تجدوا مائة اسود نيام فاضربوهم بالسيوف فما يستيقظون من مراقدهم الا وقد شربوا كاس المنون فقال الملك أليس باب القصر مغلوقا فقالوا نعم مغلوق والمفاتيح فى دار

الأمارة فاذا قتلتم السودان وملكتم القصر وأصبح الصباح فتحتم باب السر وتدخلوا أنتم بجميع عسكركم ففرح عقبه والملك وقالوا انها نعمه لا تقوم بشكرها ولم يكن لهم همة الابواب السر (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من البطال فانه أرسل الغلمان ينظرون مايكون من الاكراد مع ملك الروم ويبصرون ان كان لهم قدرة على سرقة الرشيد والأمير هياج فرجعوا الغلمان ومعهم هياج قد سرقوه من سرادق الملك وأخذوا الرشيد من مكانه وهو بالقيود الثقال وأبو محمد على برج باب السر وقد دخل الملك منويل وعقبة والملوك والبطارقة ولما دخلوا الملوك والبطارقة فباس البطال الأرض شكراً لله تعالى وقد رتب لاخذهم اربعة عشر ألف اسود فلما وصلوا إلى باب دار الإمارة صاح عليهم أبو محمد خذوهم فخرجت عليهم السودان من كل جانب ومكان وتركوا البطارقة رؤس بلا أبدان وسقوهم شراب الحمام ممزوج بالهوان وصاح الأمير ميمون الجاس إرموا ما فى أيديكم من العدد والسلاح واستسلموا وإلا وحق الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أخليكم رؤس بلا أبدان وخبر بلا عيان فلما سمعوا ذلك رموا العدد من أيديهم وأخذوهم قبضا باليد وقبضوا على الملك منويل وعلى الكلب الغدار عقبه فقال بعض الملوك وكان اسمه بولص هذه ببركتك ياقاضى عقبه ومشورتك فقال عقبه أيها الملك انا ما أردت للنصرانية الا الخير فقال له ما أرى طلعتك الا ميشومة فى الروم وفى المسلمين فقال عقبه أيها الملك خاف من السيد المسيح ولا تظن فى الظن القبيح فقد قال الشاعر فى بعض الامثال

على المرء أن يسعى لما فيه نعمة   وليس عليه أن يساعده الدهر

(قال الراوى) ثم انهم تركوهم فى القيود والاغلال (ياساده ياكرام) وفى تلك الساعة اقبلوا غلمان البطال ومعهم الرشيد فاخفاه أبو محمد البطال وقال له بعد أن قبل الارض يامولانا جهدى ان خلصتك مما كنت فيه وقد أخذت ملك الروم وعقبه الذى دلهم على بلدى تريد أوريك يا أمير المؤمنين كفره بعينك فقال له نعم يا أبو محمد وحق اتصالى بمحمد إذا رأيت ذلك أمرتك بصلبه فى هذه الليلة على برج آمد وأبقى ألعنه على المنابر فاخذه أبو محمد وسار به الى عند الباب ودخل هو لعقبه وترك الرشيد واقف يسمع فقال له ياملعون آتيت تأخذ بلدى فقال ما أتيت أخذها الا حتى لا يأخذها الرشيد ثم أن الأمير أبو محمد بطح الملوك وضرب كل واحد مائة سوط ثم قال له ياعقبه أما ترى الى هذه النوبه فقال له يابطال لابد ما تقع

تحت يدي وأكافئك فقال الرشيد في نفسه وقد قامت عليه القيامة وتربة المهدي كلما يقولوه على هذا الكلب صحيح ثم ان عقبه قال ياويلك ياأبو محمد ما تقدر تؤذي منا أحد مادام الرشيد وهياج الكردي مأسورين عند الروم وسوف يفادوا بهم فقال له أبو محمد ياعقبة وحق المسيح أكلت الليلة لحم الخنزير (قال الراوى) فاحس قلب الملعون بالبلية وقال في نفسه ما سألني هذا القرنان الا والرشيد واقف يسمع وما هو كثير ان كان سرقه وأتى به حتى ينهتك ستري عنده فقال يا أبا محمد دع عنك هذا الكلام الذي ما تبلغ به مراد ولا غرض ان الله عز وجل مطالبك بهذا وبما تقول وتحوجني أن أتكلم في حق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا كنت مقيد عند الروم مكتوف فان كان قصدك هلاكي فاني أحفظ ثلاثين ألف خبر عن سيد البشر وأقرأ القرآن على سبع روايات وأنا عقبة وقاضي قضاة المسلمين وأنت تريد تفضحني بهذا الاسم حتى يبلغ ذلك عني إلى الرشيد ومولانا الرشيد وفقه الله تعالى إلى الصواب قلبه نير ولا يسمع كلامك فقال له البطال لعنة الله يا شيخ السوء والله لقد خشيت العاقبة ولا بد ما ينهتك سترك ويظهر للناس مكتوم أمرك (قال) فلما سمع الرشيد ذلك قال أستغفر الله عما خطر ببالي الى القاضي عقبه الضعيف المسكين الحزين الحمد لله الذي لم يفرط مني أمر يكرهه فكنت أكون مطالب بذنبه من الله تعالى ثم دخل عليهم الرشيد وقال ياأبو محمد عفا الله عما سلف وأنت اليوم عندي أعز من كل أحد ولا يعاديك من له عقل وبصيرة واني أسلم اليك نوري واعطيك كل سنة ما شئت من المال فقال أبو محمد دعني من هذا الحديث أنت تطالبني بالمال الذي أخذته وأنا قد تصرفت فيه فقال الرشيد ياأبو محمد اعلم أنك قد تصرفت في ثلثمائة ألف دينار منها وأنا محتاج الى مابقي فقال أبو محمد احسب قد اشتريت نفسك من الروم بالباقي فقال عقبة ياأبو محمد مولانا الخليفة إنما يقول لك على سبيل المزاح ولو طلبت منه ماشئت كان قليل في مقابلة فعلك الساعة وفي ذلك الوقت انك تبيع الملك منويل وسائر الملوك بمال عظيم لو أعطيت خمسة الى مولانا الخليفة لكان مثل الخزانة التي اخذتها وأوفى (قال الراوى) وكان قصد الملعون ان يشرع في بيع الملوك بهذا المقال ويرغب ابو محمد في المال فقال ابو محمد ما هذا شيء يلزمك يا ملعون ثم امر باعتقاله وقال للرشيد ياامير المؤمنين قد علمت ما جرى على في محبة نوري ومالي عنها اصطبار وفي فؤادي منها شعل النار وانا اسأل انعامك وتفضلك وتكرمك ان لا تتعرض لي فاني سمعت منك كلام يدرك ان تريدها

(قال الراوى) فقال الرشيد قد كان ذلك يا أبو محمد وحق قرابتى من رسول الله ﷺ ان خلصنا من هذه النوبة لأعارضنك فيها أبدا لأجل فعلك معى الليلة وأنا أقيم فى آمد إلى ان تنفصل النوبة بينك وبين الروم وتخلص الأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وأصلح بينكما وأسلم الملكة نورى إليك فلا كانت ساعتها فلقد كانت ساعة ميشومة فرقت بينكما وألقت بينكما العداوة والبغضاء وكنتما متحابين ولا بد ما أراد الامير عبد الوهاب عنها وأخليه يسلمها إليك وأمضى إلى بغداد وأقطع ديوان أكثر العساكر ولا أبقى من يأكل لى ديوان إلا ان يكون عسكر الترك والعجم ولو كانوا معى فى مثل هذه النوبة ما كانوا يسلمونى إلى الاعداء ولو شربوا كاس الردا (قال الراوى) ولما أصبح الصباح كانت الروم قد فقدت ملوكها وبنى كلاب فقدت أمراها وأصبحوا الكل غنم بلا راعى وكان شومدرس لما ملك من العرب العشرة وفقد ملوك الروم عظم عليه وكبر لديه وقال لو كنت عند الملك ما تم عليه هذا ولا بد لى أن أشتفى من هذه الاسارى قبل خلاصهم لانى ما أقدر على قتلهم ما دام الملك فى أسر البطال ولا بد من الفداء بيننا وأكون قد شفيت غليلى وبلغت منهم مرادى وسؤلى ثم بطح الامير وضربه حتى غشى عليه وضرب الاميرة حتى ظن انه قد غشى عليها وكان الذى قد تولى ضربها شوما وتولى دهرشوم سيف الحنيفية وقشعم ثم ان شومدرس ضرب مالك بن بشر الاقطع وباقى العشرة وما فيهم إلا من قال يا شومدرس لا تفعل فعلينا المال والرجال وسوف يقع الفداء وأما الامير مالك ابن بشر فانه لما ضربه شومدرس أنشد وجعل يقول هذه الابيات

يا شامتا لما رأى هجر الحبيب وصده
لا تشمتن فإنه مولى يعذب عبده

(قال الراوى) ثم انه جعل يقول إلهى ما أطيب الضرب فى طاعتك لك الحمد حتى ترضى ونحن صابرين على الحكم والقضى قال وكان شومدرس كلما سمع كلامه يزداد عليه غضبا وحنقا ولم يزل يضربه حتى غشى عليه وشخص بصره فقال الامير عبد الوهاب ويلك يا ملعون فقد قضى عليه ولا بد ما يقتل واحد من الملوك بسببه فقال شومدرس لا رد المسيح من الملوك أحد فلو كانوا شاورونى ما تم عليهم هذا الامر ثم انه طرحهم فى سرادق الملك ووكل بهم أربعة آلاف بطريق وأنفذ البترك إلى آمد يبصر الملوك ومن سلم ومن عطب حتى يقع الصلح فسار البترك ووقف على باب آمد وقال أنا رسول إلى الامير أبو محمد ولكن بشرط انى ما أدخل

إليه حتى يقسم بالله انه لا يتعرض لى ولا يقبض على حتى انى أعود إلى الموضع الذى أتيت منه وأنا سالم (قال الراوى) فعند ذلك أخبروا أبو محمد بذلك فضحك وأقسم له بالله تعالى فدخل البترك وحمل إلى دار السلام فأكرمه أبو محمد غاية الإكرام وقال له فيما أتيت فقال ما تدرى فى أى شىء أتيت وأنت قد أرميت شبكتك على سائر الملوك الذين للنصرانيه وقد أخذت الملك منويل وأخيه ميخائيل فقال أبو محمد انما جمعتهم حتى انهم يتفرجون فى بلدى وينظرون إلى ولايتى فضحك البترك من ذلك وقال دعنى من هذا أنا رسول الشيخ الصالح شومدرس إليك وهو يسلم عليك ويقول لك اعلم انه قد تمت لك الحيلة على من فى يدك من الملوك والمسيح قد أوقع فى يده جميع الأمراء بنوع الثغور وهم عبد الوهاب وسيف الحنيفية والأميرة ذات الهمة وبرد بن الأزهر وراشد بن ضمرة ومالك بن طوق ومالك بن بشر وأبو الهزاهز وقراقد وقشعم وعندك أنت الملوك والبطارقة وعندى الأمراء والسودان الذين أخذوا لك عند جب الثعالب فإن شئت المفاداة فافعل وإن لم تريد المفاداة فعلينا مهما أردت من المال وإن أبيت ذلك وأردت قتلهم فأنا أضرب رقاب من عندى من الأسارى وأنا شومدرس وأنت محمد البطال ولا تحسبنى مثل غيرى والسلام (قال الراوى) وان أبو محمد لما سمع ذلك قال للبترك وكان الأمر صار لشومدرس فى عسكر الروم فقال نعم يا أبو محمد ما بقى لأحد فى عسكر الروم أمر غيره وقد صار الدمشقى من تحت يده وجميع الناس (قال الراوى) ولما قال هذا الكلام قال وإن شئت تقتل من عندك وأنا أقتل من عندى قالوا له الروم يا أبونا ايش هذا الكلام المشوم وعندهم سائر ملوك النصرانية فصاح عليهم وقال لهم إذا قتلوا الملك فيمن ينصر الملة المسيحية (قال الراوى) وان أبو محمد لما سمع كلام البترك انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال له ارجع وقل له لا يحدث نفسه بالمفاداة فهذا شىء لا يراه ولا يبلغ منه مناه ولا أفادى الذين عنده بمن عندى لأن الذى عنده أعداى وأنا كنت معول على قتل عبد الوهاب إذا لم يقتله هو قتلته أنا وكذلك ذات الهمة وسيف الحنيفية حتى إنى آخذ المملكة نورى ولا يكون لى فيها منازع وإنما ما كان إمساكى عن قتلهم إلا خوفا من الله فإذا سهل الله قتلهم على يد غيرى كان ذلك أعظم قصدى والسعيد من كفى بغيره وأما قوله أنا شومدرس فوحق من أظهر النجوم ورفع سرادق الغيوم وهو الحى القيوم لأطلبنه ولو غاص فى التخوم حتى يعلم من منا هو المشوم هذا والرشيد جالس فى الدست يسمع كلام أبو محمد عند ذلك قال يا أبو محمد لا تفعل فإن الراهب شومدرس فى

قلبه من الأمير عبدالوهاب أمر عظيم ولا سيما ملك بن بشر والأميرة ذات الهمة وهو لايبالى إذا قتلهم ويشتفى منهم ولو قتلت جميع النصرانية ما بالى بذلك لأن فى قلبه من هؤلاء نار لا تطفى ولهيب لا يخفى ولا يحل لك من الله أن تشمت الكفار بالمسلمين الأبرار فقال الأمير أبو محمد اعلم يا هذا أن الأمير عبد الوهاب قد قتلى بلا سيف ولاسكين واعتمد لى حتى طريقة الميل المبين فإن قتلوه الروم استرحت من حياته لأنى معول على قتله لأفوز بنورى دونه فقال الرشيد يا أبا محمد فرغ قلبك من هذا اللوم وصالح القوم على حمد خلاص العشرة الأمراء وأنا وحق آبائى وأجدادى أخلص لك نورى فقال أبو محمد ما تقول فيمن يخاص لك الأمراء وتتم الملوك عندى فى الوثاق والأسر وآخذ الذى قد أرسل يهددنى وهو شو مدرس فقال الرشيد ما أجدلك مكافأة إن فعلت ذلك (قال الراوى) فعندها أقبل أبو محمد على البترك وقال له قد قبلت سؤال الخليفة إن أردتم فأنا أفادى البطارقة بالسودان والعشرة أمراء بعشر ملوك والباقى آخذ عليهم بكل ملك عشرة آلاف دينار وعلى الملك منويل قدر الجميع وفيفورس والاندرياس مثل ما على منويل و ميخائيل وإن امتنع من ذلك دعه يفعل ما يشاء لأن عندى سائر ملوك النصرانية وعندى بعض الامراء وأنا نيتى فى قتلهم وليس لى نية فى بقاهم وكم لمولانا الخليفة مثل عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب وإلا لو كان الرشيد عنده كنت أطلقت الأسارى جميعهم (قال الراوى) فعندها خرج البترك من آمد وهو لايصدق بالنجاة حتى وصل إلى شو مدرس فقام له قائما وكانت العساكر جميعها بعد فقد ملوكها واقفه بين يدى شو مدرس ودهرشوم وهو يقول لابد لى من ضرب رقاب هؤلاء العشرة إن لم يكن فى هذه النوبة صلح وإذا بالبترك دخل عليه وأخبره بالقصة فلما أن سمع شومدرس ذلك قال له إن المسيح أمرنا بالمفاداة ولو قتلوا ملوكنا لوجدنا غيرهم ونحن إذا قتلنا العشرة ما يجدوا المسلمين غيرهم ولا مثلهم أبدا وهيهات أن ينجح الزمان بمثلهم وأنا فما أعطيه درهم واحد فان أراد أن يفادى الملوك أجمع بالعشرة فعلت والأمر بعد ذلك أقرب فامهلونى عشرة أيام وأنا آخذه لأن أبو محمد كلما هو فيه تخلد حتى يأخذ المال وهذا شىء لا يراه أبدا لأنكم أنتم أفسدتم المسلمين وطمعتموهم فيكم على طول السنين وأنا فلابد لى من قتلهم ثم ان شومدرس أنفذ إلى أبو محمد يقول له ما أعطيك فى فداء الأسارى درهم فرد ومهما قدرت عليه فافعله فعظم ذلك على أبو محمد وأمر بنصب الاخشاب على الأسوار فنصبت وقال ائتونى بالملوك لأصلبنهم ودعه يصنع ما يصنع ثم انه رفع الملوك على الأبراج فعندها

تصايحت الروم على شو مدرس وقالوا ما نطاوعك على فقد ماوكنا فصاح عليهم وقال لهم إن خالفتم المسيح ومرقتم من الدين الصحيح صرتم مثل المسلمين ثم أمر أن تنصب الأخشاب فنصبت وقد تقدمت الأمراء فكان أول من تقدم الامير عبد الوهاب وذات الهمة وسيف الحشيفية ونادى شو مدرس إن قتلهم قتلت وإن صلبتهم صلبت وإن تركتهم تركت فلما نظر أبو محمد إلى ذلك قال على بالبطارقة لأرمى رؤسهم إلى الارض فلما نظر اللعين إلى ذلك قال على بالسودان وكان الملك قد أخذهم معه لاجل خلاص شو مدرس لما كان مأسور عند البطال كما ذكرنا فقتل أبو محمد عشرة من البطارقة فقتل شو مدرس عشرة من السودان وقال لباقى السودان إن لم تصيحوا على أبو محمد يكف عن البطارقة إلا قتلتكم عن بكرة أبيكم فعندها صاحت السودان بالامير عبد الوهاب فصاح والامير عبد الوهاب يا أبو محمد يا أبو محمد ارحمنا ولا تتعرض إلى البطارقة واذكر خدمتنا الك فلما سمع أبو محمد ذلك رد البطارقة إلى موضعهم وأما شومدرس فانه صاح يا أبو محمد دع عنك التجلد والتطويل فان أردت أن تفادى الأمراء بالملوك وإلا وحق المسيح أقتلهم فقال أبو محمد يا ويلك كيف أفادى بالملوك على كثرتهم بأعدائى على قلتهم ولكن يا ملعون سوف ترى ما يكون ثم انه ردالملوك إلى موضعهم وفعل شو مدرس كذلك وأقاموا على ذلك أيام الرشيد يقول ياأبو محمد انك لا تقضى الايام فى الفارغ والرأى عندىأن تفادى امراء بهؤلاء الملوك فانشعرة مسلم أحب الى من هؤلاء كلهم ويقع الصلح ويعود كلب الرم الى بلاده والا خربت عساكر الرستاق ولقد صدق شومدرس انه لونصب باى ما كان وقال لهم البترك أطيعوا هذا أطاعوه وما خالفوه فقال البطال دعوهم يقتلوهم ويدسوهم فى قرونهم فقال الرشيد يا هذا أنا أعلم أن هذا الغضب من أجل نورى وأنا أقسم بالله إن خلصت الأمير والأمراء فنورى لك لا يعارضك فيها معارض فقال أبو محمد سوف ترى العجب ثم انه دعى بميمون الجامر وأسر له فى أذنه كلام فضحك ميمون من ذلك وقال ما يحتاج معك إلى رفيق فقال أبو محمد لا والله وها أنا سائر ولا أعود إن شاء الله تعالى إلا إن كان بشو مدرس (قال الراوى) وإنه لما كان سار ميمون قال له احفظ البلد ولا تمكن الرشيد منهم فما ندرى ما يكون وعليك بحفظ عقبة وانتظرنى إلى ثلاثة أيام فان سلمت جئت وإن غبت عنى فاستخبر عنى فان كنت سالما مع فغادى وإن كنت عاطب فما احتاج أوصيك فى قتل من عندك فقال سمعا وطاعة ثم خرج ابو محمد يطلب عسكر الروم (قال الراوى)

وكان الامير مدركه عم الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب وقد قلق على الأمراء فقال له ضيغم ماقى القعود وجه وما فى الامر إلا اننا نرمى أنفسنا عليهم حتى نخلص الامراء من بين أيديهم فهم معولين على ذلك واذ قد وصل اليهم الجاسوس يخبرهم أن ملك الروم قد أخذه أبو محمد عندها رجعوا عن الذى عزموا عليه حتى ينظروا ما يكون (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء. وأما شو مدرس فان الروم قالوا له ياأبونا إنا نخاف من أبو محمد أن يقتل بعض الملوك لأن بينه وبين عبد الوهاب عداوة ولو قتلنا كل من عندنا ما صعب عليه ونحن ما نصبر على ملوكنا فاطلب المفاداة منهم وإن طلب شىء من المال فنحن نعطيه فقال شومدرس أنا ما أفادى فقالوا إذا لم نفعل ذلك وإلا دعنا نخرج إلى قتال عسكر الامير عبدالوهاب وأما عساكر آمد وصاحبها فمالنا إليهم سبيل لأن موضعهم حصين ولو أننا أقمنا عوض الايام سنين لا نقدر عليه فقال شو مدرس تصبروا فأنا أعلم أن لو كان عندهم كل من فى بلاد الروم أسير وعندنا نحن هؤلاء العشرة اطلبوا بهم الفدا ولكن أبو محمد رجل طماع لأجل ما علم من قلة عقولهم وأنا قد عولت على أمر وأريد أن تمهلونى ثلاثة أيام فلا بد لى من الدخول إلى آمد فى زى بعض المسلمين ولا ينكر على أحد وأدبر على هذا اللص المحتال أبو محمد البطال وإن قدرت على الشيخ النجيح فهو يساعدنا على خلاص الملوك ولا أعود إليكم إلا بما يسركم ثم انه قال البترك أنت المتولى على العسكر الرومية إلى حين وصولى إليك ومن خالفك منهم فأخلعه من دين النصرانية وإن أبطأت عليكم أكثر من ثلاثة أيام اطلبوا المصالحة من المسلمين واعطوهم مهما طلبوا من المال وإن أعطانى المسيح ماأؤمله فهو المراد فقال البترك السمع والطاعة ثم إن الراهب اجتمع بولده دهرشوم وزوجته شوما وقال لهم اعلموا أن فى قلبى من هذا الشيطان أبو محمد البطال النار التى لا تطفى وأيضا من هذه العشرة الذين عندى وكنت معول على قتلهم فخاننى أملى بأسر الملوك وماجرى عليهم وما امتنعت من المفاداة شفقة منى على المال وإنما طمعا منى على ما يأتى من المرضيات وسوف أمضى إلى آمد لعلى ابلغ المراد فقال له دهرشوم وكيف تقدر على ذلك وانت معروف موسوم بفرد عين ايضا ابيض اللون فقال سوف ترى العجب ثم أمر أن ينصب له مرجل على النار وملاه ماء وطرح فيه عقاقير فصار الماء أسود من الليل ثم خلع ثيابه وأمرهم ان يقلبوا عليه نصف ذلك الماء ففعلوا فصار بصاص ثم لطخ كتفيه وساقيه وبطون رجليه إلى فوق ركبتيه وكحل عينيه بالسندروس حتى اصفر بياضها وقال لدهرشوم أمضى إلى السودان وأتينى بثياب واحد منهم فمضى وعاد وأتى بالثياب فلبس ثم نظره ولده

وزوجته وإذ انه قد خرج فى قالب أسود بصاص فقالوا له وحق المسيح لو كنا ما رأيناك من قبل ما عرفناك ثم قال لهم اكتموا حالى واخفوا أمرى ثم سار لوقته وساعته ودخل عسكر بنى كلاب فلما أبصروه وصلوه إلى الأمير ضيغم فلما رآه سأله عن حاله فقال له أنا كنت مأسور عند الروم من السودان الذين أخذهم حرب بن شيبان عند تل الثعالب فلما وجدت اليوم فرصة هربت وستر الله على إلى أن وصلت إلى عسكركم فقالوا إيش معك من أخبار الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فقال ماهم إلا فى عافية وقد سمعت أن أبو محمد يريد يفادى بهم الملوك الذين عنده ففرح الأمير ضيغم بذلك وأطعموهم شيأ من الزاد وقالوا له إن شئت أن تقيم عندنا وإن شئت أن تمضى فقال بل أمضى إلى آمد ثم مضى طالب آمد من باب التل وكان لما يريده الله تعالى أرسل الرشيد إلى عسكر بنى كلاب يطيب قلوبهم أنه قد أمر الأمير أبو محمد أن يفادى الأمراء بمن عنده من الملوك (قال الراوى) ولما سار شومدرس طالب آمد كان الرسول راجع إليها فدخل فى صحبته إلى البلد ولم ينكر عليه أحد وتوصل إلى القصر الذى فيه الخليفة ودخل اليه فى جملة السودان (قال الراوى) وان شومدرس نظر الى ميمون الجماس وهو جالس على سرير المملكة والامراء حوله فعلم أن أبو محمد قد خرج فى طلبه فبقى حائر لا يدرى يرجع أم لا وهو خائف على زوجته وولده أن يسير أبو محمد إلى العسكر ويأخذهما ثم انه سال عن عقبة فقالوا ان الأمير أبو محمد قد جعله فى بيت وقد وكل به عشرة من السودان فمضى شومدرس اليهم وجلس معهم ولم ينكر عليه أحد وجعل يحدثهم الى إن أتاهم الطعام فتقدم شومدرس وأكل معهم ثم انه غافلهم ورمى فى الطعام قطعة بنج عتيق فما استقر فى بطونهم حتى ناموا كلهم كانهم سكارى فعند ذلك وثب إلى الباب وفتحه وإذا عقبة فى أسوأ حال فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يعرفه وجعل يسبح الله ويقدسه فعلم شومدرس أنه ما عرفه فقال له أيها الشيخ النجيح قد فرج المسيح عنك فقال له عقبة يا هذا لا تخوض مع الخائضين ولا بما يقول أبو محمد البطال عنى وتسمع منه فى حق فذاك منه بهتان وهو فى حل مما يفعله فى حق لأنه مجاهد فى سبيل الله تعالى وبعد ذلك فانه خلص أمير المؤمنين من عسكر المارقين فما أبالى بما صنع فى حق فقال له شومدرس دع عنك هذا فأنا أخوك شومدرس فنظر عقبة إليه فلم ينظر منه إلا عينيه وكان عقبة قد سمع أن شومدرس قد صبغ نفسه فى الحضون كما تقدم وتم له ما سبق شرحه فلما رآه على تلك الحالة عرفه وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال له كيف خفى أمرك على هذا الشيطان أبو

محمد البطال فقال ليس هو جالس ولا حاضر فى آمد وقد جرى له مع السودان كذا وكذا فقال له عقبة والله لقد كانت ضاقت على الدنيا إلى أن رأيتك فالمسيح الآن قد فرج عنى برؤيتك وسر قلبى بغيبة البطال ليتم لنا كلما نريد سيما وقد صرت أنت من جملة السودان ولا ينكر عليك أحد فهل تقدر على دواة وقرطاس فقال شومدرس نعم ثم خرج من عنده وغاب ساعة وعاد له بما طلب فكتب عقبة وقال خذ هذا واقصد عين رغورا واسأل عن دار ظريف ابن حنة العامل فإذا وصلت إليه سلم لى عليه وسلم هذا الكتاب إليه فأخذ شومدرس الكتاب وسار إلى الموضع الذى وصفه عقبة له واستدل شومدرس على الدار فأرشدوه إليها فدخل إلى شيخ مليح الهيبة طويل الشيبة طيب الرائحة فقال له شومدرس أنت ظريف ابن حنة قال نعم فألق إليه الكتاب فلما قرأه وثب إلى شومدرس وقبل بين عينيه وقال له يا مولاى أتدرى ما فى الكتاب فقال لا فقال له اعلم أيها الراهب انى أنا ومالى وولدى من فضل الشيخ النجيح ومن فضل المسيح وأنا عامل البلد وله عندى مال وقد عرفنى منزلتك ومكانك عند الملك منويل وعلمك فى دين النصرانية وهو يأمرنى بمعاونتك أنا وغلمانى وقد ذكر لى انه إذا اختلط الظلام يأتى إلى منزلى ويأمرنى بما فيه المصلحة ففرح شومدرس بذلك ورجع إلى مكان عقبة هذا والسودان كأنهم سكارى وقد أمسى المساء فبينما هو قائم وإذا ببعض غلمان ميمون الجاس قد أتى يوصى السودان بحفظ عقبة ويأمرهم باليقظة فقال شومدرس نحن ما نحتاجك توصينا نحن تنام النهار ونسهر الليل فقال الرسول هذا هو المراد وشفاء الفواد ثم عاد إلى مولاه وأخبره بما رآه ثم ان شومدرس عرف عقبة انه أوصل الكتاب إلى الرجل فان كنت معول على المسير فعول فقال له اعلم ان فى رجلى قيد ثقيل وما لى إلى القيام من سبيل فأريد منك أن تعود إلى ظريف وتأتى ببعض من غلمانه يحملنى إلى داره فقال شومدرس هذا أمر ما يجىء بالعجلة قبل الصباح وما تدرى ما يكون فقوم إلى حتى أحملك على أكتافى فقال عقبة ان تركت هؤلاء السودان نائمين فما نأمن أن يفيقوا فقال شومدرس عندى دواهم ثم وثب وأخرج خنجر أمضا من القدر وذبح العشرة أمضا من البرق ثم حمل عقبة على أكتافه وقد أعطاه كسا من كسيان السودان وسار وكل من رآه يظن انه من السودان حامل شىء من القماش وأسرع فى مشيه إلى أن وصل إلى دار ظريف فوجده قائما على باب داره فى جماعة من غلمانه وهم فى انتظارهم فلما رآهم دخل بهم إلى الدار وغلق الباب فلما استقر بهم الجلوس كسر قيد عقبة الذى فى رجليه وقام قائما على قدميه

وسأل العامل عن الرشيد فقال فى دار العجم لأن أبو محمد وصى ميمون الجماس ان لا يمكنه من القصر فزعا لا يأخذه فقال عقبة الآن طاب أخذ الرشيد فقال له شومدرس على ماذا عولت قال على أخذ الرشيد وأضع القيد فى رجليه وأتركه فى دار ظريف إلى أن أخرجه من البلد وأجعله فداء الملك منويل وسائر الملوك فقال شومدرس نحن نسرقه وافعل به ما تريد وأنا أعمل على خلاص الملوك (قال الراوى) ثم انهم صبروا إلى ان تنصف الليل وساروا إلى دار العجم فوجدوا الغلمان على بابها فقالوا له من أنت فقال أنا الشيخ عقبة فلما سمعوا ذلك وثبوا إليه وقبلوا يديه ثم اعلموا الرشيد بخلاصه وخرجوا إليه وقالوا له لقد فرح مولانا الخليفة بخلاصك وكان قد عول ان يأكل لأبو محمد طعام حتى يطلقك وقد أمر بدخولك عليه فادخل فقال عقبة لا بد من مجيئكم معى إلى الرجل الذى خلصنى فهو خائف من الرشيد وهو يظن ان خلاصى على غير غرضه ويخاف من ميمون الجماس وأريد منكم ان تعلموه ان الرشيد قد أعطاه الأمان فما جزاء الإحسان إلا الإحسان فإنه لا يعرف قدرى عند الخليفة ولكم على فى غداة غد مائة دينار فلما سمعوا ذلك من كلامه فرحوا بقوله وشكروه وقالوا نحن لك وبين يديك ومهما أمرت به امتثلناه فسار بهم عقبة وأمر شو مدرس ان يدخل على الرشيد بأربعة من غلمان ظريف وقد أوجز إليهم ما يعملوه (قال الراوى) ووصل عقبة بالخدم الذين أخذهم من دار العجم إلى دار ظريف فما هم إلا ان توسطوا الدار حتى خرج إليهم عشرة من كل جانب وقتلوهم عن آخرهم مثل طرفة عين وقال عقبة هذه الليلة مباركة لأنى قتلت خمسة عشر مسلم وأرجوا فيها ان يتم المسيح أمرنا فى اخذ الرشيد (قال الراوى) فهو فى الكلام وإذا بشومدرس دخل عليه والغلمان يحملون الرشيد وهو فى أسوء حال وقد قيده وفعل فى حقه ما لا يجب من الفعال ثم وضعوه فى سرداب فلما رأى عقبة إلى الرشيد فى ذلك الحال فرح ولما أصبح الصباح كثر فى آمد الصياح لفقد عقبة وقتل الموكلين به ودخل على ميمون من ذلك أمر عظيم وبقى فى حيرة من حالتين كيف تم عليه هذا وماذا يقول لأبى محمد البطال فهو كذلك إذ دخل عليه الشهود والقضاة وقالوا له اننا دخلنا على الرشيد للسلام فلم نجده فعظم على ميمون اعظم واعظم وقال ان جرى على الرشيد أمر فأنا هالك لا محالة ثم ركب وقصد دار العجم فلم يجد أحد من الخدم ووجد الخليفة قد عدم فارسل إلى ظاهر البلد من يكشف الخبر ورجع إلى القصر وقد ضاقت عليه الدنيا بما رحبت (قال الراوى) وفى تلك الساعة عند اشتغال الناس دخل شومدرس إلى الموضع الذى

فيه الملك والسودان من حوله كأنهم السباع الضارية فدخل عليهم شومدرس وبقى فى جملتهم وتحدث معهم فى حديث أصحابهم الذين كانوا عند عقبة فقال شومدرس ما فعل هذه الفعال إلا الاكراد لأنهم لصوص ويقتل منهم الواحد أبوه على درهم لا سيما ان كان عقبة قد ضمن لهم المال فما وجدوا إليه سبيل إلا بقتل الرجال فقالوا له السودان صدقت وأن تم علينا هذا المتم فما بقى منا فى البلد أحد فقال شومدرس اما انا أقول ان العاقل منا لا ينام إلا فى داره ويكون على حذر من نفسه لأننا نحن مع غير جلسنا فقالوا صدقت يا ابن الخالة وشاع ذلك فى السودان فكثرت منهم الضجة حتى سمعت الاكراد ذلك فعظم عليهم وكبر لديهم وقالوا هذا كذب علينا حتى يكسر جاهنا عند الأمير أبو محمد (قال الراوى) يا سادة يا كرام وعظم صياحهم هذا وشومدرس يطرح الفتن حتى أوقع الشر بينهم فجردوا السيوف وضربوا بعضهم بعض فما كانت إلا ساعة حتى بقوا المطروحين أكثر من القائمين فتركهم شومدرس على ما هم عليه وهجم على الملك منويل وعرفه بنفسه ولم يزل يعالج قيده حتى فتحه وقال للملوك أنا فى هذه الليلة أخلصكم ثم أخذ الملك منويل وخرج والاكراد والسودان على حالهم فى القتال ولولا مجىء ميمون الجماس فى تلك الساعة كانوا الناس فنوا وقد قتل من الجمعين خلق كثير وفصل بينهم ميمون هذا وشومدرس لم يزل سائر بالملك منويل حتى أوصله إلى دار ظريف ودخل على عقبة ففرح بخلاص الملك المسيح يضاعف لك الثواب فقال عقبة لك البشرى أيها الملك قال بماذا قال بالرشيد فانه عندى أسير فقال منويل وعلى ماذا عولت قال على خلاص الملوك وبعد ذلك إشرع فى اتصالك إلى العسكر المنصور ويكون الرشيد معنا فانى أخلص به كل من فى أيدى المسلمين من الملوك والبطارقة هذا ان لم نقدر على خلاصهم فقال عقبة أيها الملك الأعظم انى ما أقدر أظهر فى آمد لأن العشرة الذين كانوا موكلين بى قد قتلوا وأريد أسير معك على العسكر وتجعل فى رجلى قيد ثقيل وتقول ان الذى عمل على خلاصى عمل على أخذ الرشيد وعقبة فهذا يبرى ساحته عنده وما قصدى بذلك إلا حتى أعمل على خلاص روحى وخراب بيته فقال الملك وكيف ذلك العمل فى خلاصنا من البلد فقال عقبة نصبر إلى ان يمسى المساء ونخرج مع الحطابة فان فطن بنا أحد من الحراس خدعناه بشىء من المال فقال الملك نعم ما رأيت فقال شومدرس أيها الملك إن كان ولا بد من الخروج فأنا أخرج معك ويكون القاضى عقبة فى دار ظريف يدبر ما يراه فى خلاص الملوك فانى خائف من أبو محمد البطال على ولدى دهرشوم وزوجتى شوما

لأنه ان أخذ أحدا منهم قصم ظهرى والعسكر مشوش لغيبتى وفقدى لأجل ما هم عليه من فقد ملوكهم وأنا أسير معك إلى العسكر وأدبر على أخذ أبو محمد لأنها الفرحة الكبرى وأريد أعاقبه العقوبة التى ما سمع بها أحد حتى يفادى نفسه بكل من عنده فقال الملك منويل صدقت وحق المسيح وان أخذت أبو محمد أسير سلمت إليك أمور العساكر كلها ويكون حكمك فيها فقال طب نفسا وقر عينا أيها الملك انه ما يقف عليه أمر من الأمور بعد ما شهدت منه ما فعل فى هذه النوبة وقد ضمن لك ان يأخذ أبو محمد أسير وأنا أضمن لك ان أخلص الملوك وأدبر لك على اخراجهم فى ظلام الليل ولا بد لى أن أسلم إليك البلد فى هذه النوبة ان ساعدتنى المقادير وأعاننى المسيح (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهو معه فى الكلام وإذا بالصياح قد علا حتى ارتجت الأرض من كثرة الصياح فخرج غلام ظريف ينظر ما الخبر ثم رجع على عجل وهو أصفر اللون فقالوا له ويلك وما وراءك لا يكون فطن بنا أحد فقال لا يا مولاى بل ان الصياح من ظاهر البلد وان صعدت من فوق الصور فرأيت عساكر الروم مثل البحر العجاج المتلاطم بالامواج ثم سمعت قائل يقول قد وقع بين الافرنج والصقلب وقد قتل منهم أكثر من عشرين ألف قتيل ورأيت الدمشقى قد ركب فى سائر العساكر ودخل بين الطائفتين بالصلح فأصلح بينهم والارض قد امتلأت بالقتلا وفاض الدماء وانى رأيت خيل كثيرة من البطارقة قد خرجوا من العسكر وهم عشر فرق وأخذت كل فرقة طريق وما أدرى ما السبب فى ذلك فبكى شومدرس وقال واذلاه واخراب بيتاه وحق المسيح ما أوقع بين الافرنج والصقلب إلا أبو محمد البطال وما قد خرجت البطارقة من العسكر إلا فى طلبه وما خرج من العسكر حتى ظفر بمناه وأنا أعلم ان ما له فى العسكر غرض إلا أنا وحيث لم يجدنى يأخذ زوجتى وولدى لأنه يعلم انهما يقومان مقامى فعول بنا أيها الملك على الخروج فانى أريد ان آخذه فى الطريق فقال الملك وكيف نخرج من الباب وعليه البوابين فقال عقبه نريد من ظريف يتم فضله علينا لأنه لا ينكر عليه أحد ويكون الرشيد معك فقال ظريف السمع والطاعة ما أخالفك ولو انى أهلك روحى ومالى وأولادى بسببك قال عقبة تحصل لنا بغال وتجعل الملك منويل فى عدل وهارون الرشيد فى عدل وشومدرس ما ينكره أحد لأنه من جملة السودان ويكون معكم من غلمان ظريف عشرة غلمان كاملين العدد فان سألهم أحد يقولون نحن سائرين إلى بعض القرى لأن باقى لنا فيها قماش ونحن ماضيين نأتى به قبل ان يأخذوه الروم فقال ظريف والله لك على كلما ذكرت

ثم أمر غلمانه ان يشدوا على خمسة عشرة بغال وسير معها عشرة رجال واخفو الرشيد فى عدل ومنويل كذلك فى عدل وساروا الى ان خرجوا من باب البلد ولم يتعرض لهم أحد لأن ظريف وغلمانه معروفين وهم غير منكرون وجدوا فى سيرهم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه لما خرج ودخل الى عسكر الروم هو وغلمانه وتوسطوا العسكر وهم زى البطارقة فهذا ما كان منهم وأما ما كان من لؤلؤ غلام البطال فانه دخل إلى عسكر الافرنج وهو لابس فى زيهم فهذا ما كان منه وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال لما أن دخل الى عسكر الروم سأل عن شو مدرس فقيل له انه غير حاضر فقال واين مضى فقالوا لأمر للنصرانية فيه نفع وقد غاب من أمس وماعدنا رأيناه ولا سمعنا له خبر وانه استخلف البترك وسار وهذا آخر العهد به فقال الأمير محمد البطال لغلامه سبك انى أوصيك بشيء لا تخالفنى فيه فقال له وما هو يامولاى فقال له يا ولدى يكون بالك مع هذا الملعون شومدرس فانه لم مضى إلى آمد الا فى بعض حيله وأنا أخشى على ميمون الجاس من مكره وشره فقال له غلامه سبك يامولاى لاتشغل قلبك بهذا التطويل فما له الى آمد سبيل وما عليها مخافة من هذا الامر لانه ما يعرف أمرها ولاله بها خبره (قال الراوى) يا سادة ياكرام وفى تلك الليلة سرق الأمير أبو محمد دهرشوم ولد شومدرس وأخذ غلامه صندل شوما وأما بديع فانه أخذ البترك ثم وضعوهم فى بعض القرى الخراب ثم قال أبو محمد مانلت غرضى من شومدرس ولكن اطلبوا بنا الموضع الذى فيه عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فوجدوا الدمشقى من حولهم وحزب ابن شيبان ومن كل طائفة من الروم مائة فلم يجد اليهم سبيل فقال أبو محمد ارجعوا بنا فمالنا اليهم وصول وفى غداة غد ان شاء الله ترون العجب ولما أصبح الصباح قصد أبو محمد الى الإفرنج فى زى بطريق من بطارقة الصقلب وهذه الطائفتين الصقلب والأفرنج من حين أنشؤا لم تزل العداوة بينهم من قديم الزمان وكان الملك منويل يصلح بينهم فلما قصدا أبو محمد اليهم وهو فى زى بطريق من الصقلب فلقيه لؤلؤ وهو فى زى الأفرنج فقال له أبو محمد وحوله جماعة من الافرنج اعلم اننا مضينا من ليلتنا الى البترك الكبير وحكم لنا بالتقدمة عليكم لان ملككم قد قتل ومابقى لكم تقدمة فقال لؤلؤ بالافرنجية ياويلكم يكون لكم تقدمة ونحن لنا التقدمة عليكم وعلى سائر الطوائف من الروم لاننا أثبت منكم فى الحرب وموقف الطعن والضرب وأوقح وجوها وأقوى قلوبا ولم يزالوا كذلك الى أن جردوا شيوفهما وزاد الصياح

بينهما وحملت كل طائفة تحمى صاحبها وحملت الافرنج على الصقلب وبقيت الرقاب تضرب والدما تسكب والرجال تتكبكب إلى ان قتل منهم عشرين ألف وركب المانسطز وفرق بينهم وسأل عن حالهم فأخبروه بما جرى لهم فقال هذا من تدبير أبو محمد وفتنه فهم فى الكلام وإذا بالصياح قد علا وهم يقولون ان دهرشوم وشوما قد سرقوا فقال أطلبوهما أينما كانوا فطلبوهم فلم يجدوهم وفى تلك الساعة سرق أبو محمد مالك ابن بشر الكلابى ورجع على انه يأخذ بعض المأسورين ففاته ذلك وخشى الطلب فلم يمكن له غير الهروب إلى الموضع الذى فيه دهرشوم وشوما والبترك فلما وصل إليهم وجد غلمانه هنالك فرحوا بخلاص مالك ابن بشر وقالوا للأمير أبو محمد يا أمير ما الذى ترى من الرأى فقال أبو محمد الرأى عندى ان تكونوا هنا بقية يومكم لأن الخيل قد سارعت فى طلبنا وإن ظهرنا أخذنا بلا محالة ونكون قد طلبنا الزيادة وقعنا فى النقصان والخسران والرأى عندى أن نقيم ههنا إلى الليل فإذا أظلمت الاقطار وذهب ضوء النهار سرنا من ههنا نخرج من أرض الحصون فإن الدمشقى لا بد له ان ينفذ فى كل طريق فرسان فى طلبنا (قال الراوى) ثم أقام أبو محمد إلى الليل ثم قال لغلمانه اعلموا ان الطريق الذى ذكرنا لكم وعولتم على المسير فيها بعيدة وأنتم ما لكم طاقة بحمل هؤلاء الأسرى فقال له لؤلؤ فما الرأى ان نعمل هل لك ان تأذن لنا فى ضرب رقابهم فهو أصلح الأحوال فقال البترك لا بحق نبيكم محمد بن عبد الله لا تفعلوا هذا فنحن ما نكلفكم بل نعدو بين أيديكم مثل البغال فضحك الأمير أبو محمد البطال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقالت شوما اعلموا ان لنا عندكم أسارى ولكم عندنا أسارى فان كنتم قد ظفرتم فان خلفكم الذئب الامعط والثعبان الارقط الذى قد شاع فيكم خبره وعمله وعرفتم حيله وإن أنتم قتلتمونا فلكم مثل ذلك وقد كتب على جبين كل واحد منا انه هالك فقال الأمير أبو محمد لولا اننى أريد ان أجازيكم على فعلكم لما كنتى تطعمينى النخالة وعكر الزيت لما كنت استبقيتك فقالت يا أبو محمد ما دام المسيح يحفظ شومدرس فأنا أؤمل ان تقع فى الموضع الذى بقى ذكره على لسانك وخوفه فى قلبك فعظم على أبو محمد قولها وكبر عليه كلامها ثم تقدم إلى غلامه سبك وقال له تمضى أنت ويانس فى طلب بغلين فقال السمع والطاعة وما كانت إلا ساعة حتى أقبل ومعه خمس بغال وعليها صناديق مملوءة أوانى شراب ودجاج وحلوى ففرح أبو محمد بذلك ثم وثب وفرغ بعض الصناديق وقال سيروا بنا على بركة الله تعالى فساروا مجدين على قدر ما ذكرنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا ما كان من هؤلاء وأما

ما كان من الراهب شو مدرس فانه لما خرج من آمد ومعه غلمان ظريف وهم عشرة والملك منويل والرشيد على حاله التى ذكرنا كما تقدم وكل من لقيهم لا ينكر عليهم لأنهم غلمان ظريف العامل وشو مدرس فى زى السودان بلاشك ثم أقبل على غلمان ظريف وقال لهم اقصدوا بنا إلى بعض الأماكن التى تصلح أن نكمن فيها إلى أن يمضى النهار بضياه ويأتى الليل بظلماه ثم نمضى بعد ذلك إلى العسكر فقالوا له غلمان ظريف أيها الراهب الصالح لا تفزع فوحق الإنجيل ما عليك خوف ولا فزع لأننا نحن معروفين فى هذه الأرض وكل يوم نأتى إلى القرى والمواضع ونأتى بحاجة دار الأمارة لأن سيدنا ظريف هو عامل البلد وإليه الداخل والخارج فقال شو مدرس دعنى من هذا الكلام كله فإنى لا أسمعه ولا يدخل فى آذانى لأنى أعلم أن هذا الشيطان أبو محمد ماعدم من آمد إلا وهو فى عسكر الروم لا محالة وإنى أخاف من العرضيات أن تلقانا فى الطريق فأكون قد عدمت التوفيق فقال له إذا كان الأمر على ما ذكرت والحال كما وصفت فنحن نكمن لك فى النهار إلى أن يمسى المساء ويظلم الليل ثم نسير فما يأتى نصف الليل إلا وقد وصلنا القرية وهى لمولانا ظريف ثم نقطع باقى ليلتنا ونجوز الضرورة إلى أن نأتى إلى أرض الحصى ونخرج من وراء العسكر عند الصباح وتكون قد أمنت على نفسك فقال لهم شومدرس الآن طاب قلبى وأمنت على نفسى ومالى وحق المسيح أخذى مثل ما بى من أخذ الملك منويل لأنى خلصته من الموت وأخذت خليفة المسلمين ثم إنهم اختفوا باقى نهارهم إلى أن أظلم الليل وقد ساروا طالبين الروم

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ولم يزل شو مدرس سائر إلى أن تنصف الليل وقد وقعوا فى المرج الأخضر إذ لاحت لشو مدرس أشخاص ظاهرة وأشباح سائرة وهم نحوه طالبين وبين أيديهم بغال وعليها صناديق فقال لأصحابه وحق المسيح هذا أبو محمد البطال لامحالة وهذه البغال بغال الروم وما أخوفنى أن يكون قد أخذ زوجتى شوما وولدى دهرشوم وربما أن يكون قد أخذ البترك الكبير لأنه رجل سليم القلب ما عنده من المكر خبر فقالوا له وما الذى تريد أن تفعل فقال ما بقى فى الأمر إلا أنى أخفى نفسى أنا وإن كانوا كما خطر ببالى وسألوكم إلى أين أنتم سائرين فقولوا نحن ماضيين فى حوائج لظريف فإن خفى أمركم عليهم وإلا فابذلوا السيوف فيهم فإن المسيح قد أمرنا بالجهاد فيمن يخالف شريعته ويترك ملته ويعدل عن مقالته

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعوا ذلك من كلام شو مدرس قالوا ابشر بما يسرك فان القوم بوقوف على الماء ولا شك أنهم ينزلون عنده ونحن أيضا قد عولنا

ننزل عنده حتى تأخذ الدواب الراحة ونأكل شيأ من الزاد (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهم فى الكلام والقوم قد وصلوا إليهم ونزلوا عليهم هنالك نزلوا غلمان ظريف بالقرب منهم ثم مشوا إليهم فنظروا إلى البغال وعليها تلك الصناديق وغلمان أبو محمد الأربعة لاغير فعادوا إلى شومدرس وقالوا ما يمكن أن يكون على وجه الأرض مثلك رجل آخر هؤلاء غلمان البطال الاربعة فقال شومدرس قاتلهم الله هم أشر من البطال فهل تقدرون تفعلون ما أقول لكم فقالوا وماهو قال تأخذوا لهم طعاما وتسلمونه اليهم وتحلفون عليهم من طريق الضيافة وقد أخذتموهم بلا طعن ولا ضرب فقالوا له أيها السيد ان الذى ذكرته لنا من أهون الاشياء علينا ثم انهم أخذوا الطعام كما أمرهم أمرهم به وساروا به الى غلمان أبو محمد وسلموا عليهم فردوا عليهم السلام وعرفهم بعضهم فقالوا لهم غلمان أبو محمد الى أين قد عولتم فى طريقكم هذه فقالوا قد عولنا اننا نسير إلى قرية سيدنا ظريف فى أمر لاجل الخليفة ثم أنهم قدموا ذلك الطعام لغلمان أبو محمدوكانوا قد وصلوا وهم جياع من التعب فلم ينكروا عليهم لانهم يعرفوهم ويعرفون سيدهم ظريف وهو معهم وأمره على كل أحد فأخذوا الطعام ووقعوا عليه فما استقر فى امعائهم حتى وقعوا إلى الارض وكل واحد قد طرح نفسه وظنوا ذلك من السهر الذى معهم فلما رأوهم غلمان ظريف على تلك الحالة وفيهم من يرفع نفسه فأقاموا إليهم وأخذوهم أجمعين فلما نظر شومدرس إلى ذلك فرح غاية الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وقال يا لها من ليلة ما أبركها ثم فتح الصناديق التى كانت معهم فوجد فيها ولده دهر شوم وزوجته شوما والبترك فلما عاينهم شومدرس أخرج الأكر من أفامهم وحل أيديهم وأطعمهم الطعام وسقاهم الماء وقال لهم قولوا لى كيف تم عليكم هذا الامر فقالت شوما لا تقول لى فى أمر هذا الشيطان شىء فما هو الا مثل الموت اذا حل بدار قوم لايرجع الا بمراده ولايقدر أحد من الناس على عناده الا أن يكون أنت وكيف قدرت على خلاصنا منه وكيف كانت طريقك وبمن ظفرت من الاعداء فأعاده عليهم قصته من أولها إلى آخرها فزاد فرحهم بخلاص الملك منويل وأسر الخليفة ثم قال لهم شومدرس كونوا على ما أنتم عليه فى هذه الصناديق فما آمن عليكم حتى تصيرون فى عسكر الروم لان فى قلبى وجد وكمد من غيبة أبو محمد البطال وما ظفرنا إلا بغلمانه ولو كان معهم أخذته ولا شك أنه أرسل غلمانه إلى آمد ورجع إل العسكر وهو طمعان فى الأسارى يخلصهم (قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم انه قدم البغال وهم ان يرفع الصناديق عليهم ويسير وإذا بشخصين قد لاحا فى ضوء القمر وكان

أحدهما الأمير مالك بن بشر والآخر أبو محمد البطال (قال الراوى) وكان السبب فى انقطاعهما أن الأمير مالك كان على ما هو عليه شديد الدين كثير الخوف من الله تعالى وإنهم لما ساروا تلك الليلة ومضى ربع الليل قال يا أبو محمد اذهب أنت وغلمانك فان لى حاجة أريد أقضيها فقال له الأمير أبو محمد سألتك بالله إلا إن أخبرتنى بها فإن كان شىء أقدر عليه عاونتك فيه فقال يا أبو محمد والله لقد أقسمت على بقسم عظيم ولولا ذلك لما أعلمتك اعلم يا أخى إن لى فى كل ليلة صلاة ورداً فلابد لى منه وعلى أيضا فى هذه الليلة عشر صلوات ولابد لى من قضائها لأننى كنت مقيد ممنوع من الوضوء وأريد أن تمكنى من الصلاة فقال أبو محمد سير بنا واقضيها فى آمد فقال يا أبو محمد تضمننى أعيش إلى الصباح فلا تكلفنى مالا أطيق فلابد لى أن أقضى صلاتى فى هذه الليلة حتى إذا مت فى ليلتى لقيت ربى وأنا خفيف الظهر من زلتى فقال أبو محمد وقد بكى من كلامه أنا أوافقك فى هذه الليلة لعل الله يسعدنى ببركتك ويبلغنى المنى بمصاحبتك ثم انهما انعزلا عن الطريق وأمر أبو غلمانه بالمسير ووقف مالك على قدميه يصلى إلى أن انتصف الليل وقضى جميع ماعليه ومضى مع الأمير أبو محمد وجدا فى سيرهما إلى أن أشرفا على شو مدرس وأصحابه فلما نظر إليهما شو مدرس وهما مقبلين قال لأصحابه أنظروا إلى هذان الشخصان فإنى قد أنكرت شأنهما فاما أن يكون أبو محمد قد خلص بعض الأبطال وإما أن يكون من بعض جواسيس البطال ولاشك أنهم كانوا فى عسكر الروم ولابدلى من عمل الحيل عليهما كما علمت بغلمان البطال لأن بالخداع تقع صناديد الرجال وتذل رقاب الأبطال ونبلغ من أعدائنا نهاية الآمال ثم أخفى نفسه. ووصل الأمير أبو محمد والأمير مالك بن بشر إلى الماء فكانت منهم التفاتة فنظروا إلى بغال ورجال قعود وقد طرحوا بين أيديهم طعاما يأكلون منه ويتحدثون بعضهم مع بعض فقال الأمير أبو محمد للأمير مالك بن بشر شق عليك أيها الأمير فقال ولم ذلك يا أبو محمد قال لأنى أنكرت هؤلاء الذين بين أيدينا وأرى معهم دواب وأراهم قعود آمنين والبلد تخيف من عسكر الروم فخذ لنفسك وجرد سيفك فقال له الأمير طب نفسا وقر عينا فلو كانوا ألفان كانوا أعداء فأنا لقتالهم كفؤا فهو مع الأمير أبو محمد البطال فى الكلام واذا بغلمان ظريف قد أقبلوا عليهم وسلموا عليهم ومعهم صفرة فيها لحم كثير وخبز وحلاوة فطرحوها بين أيديهم وقالوا لهم كلوا هذا وقد عرفهم أبو محمد فأراد مالك أن يمد يده إلى الطعام فمسك يده أبو محمد وقال له لا تفعل أيها الأمير فانى أخاف أن يكون فيه الحمام وعندى من هذا كثير وأنا أقسم بالله العظيم ان غلمانى قد اخذوا ولو كانوا

سالمين لما راحوا من أما كنهم إلى ان نصل ونشرف عليهم فقال مالك افعل ما تريد وما تراه من الرأى فقال الامير أبو محمد البطال الرأى عندى قوله لك فيما بعد واعلم يا امير مالك ان شومدرس لما دخل إلى آمد ما توصل إلى أمر من الامور إلا بخلاص الملعون عقبة وان عقبة صديق هذا الملعون وأنا اخاف ان يكون عمل على بعض غلمانى وأخذ من فى البلد من الاسارى وأخذ الرشيد بلا محالة وقد لعبوا بعقول غلمانى وأطعموهم من هذا الطعام الدسم فناموا وقد أخذوهم بلاقتال ولا نزال فعند ذلك قال الامير مالك سير بنا إليهم ونهجم عليهم فقال أبو محمد الرأى عندى أن نصبر فانى أخاف إن فعلت ذلك يهرب الملعون شو مدرس وتبقى حسرة فى قلبى إلى أبد الآبد ماقام قائم وقعد ثم قال أبو محمد إنى قد عولت أن ألقى نفسى إلى الارض وكذلك أنت فاذاجاؤا إلينا وثبنا عليهم فلا ينفلت منهم احد فقال له افعل ما بدا لك فلقد صدقت (قال الراوى) يا ساده يا كرام فرمى الامير أبو محمد نفسه وكذلك الامير مالك وقد جردوا سيوفهم وطرحوها إلى جانبهم فلما نظر شو مدرس إلى ذلك وأصحابه قام نحوهم مثل البرق وهو يضحك وقال كيف رأيتم أوحد الزمان فيالها من ليلة ما أبركها وما كان أسعدها ومن طريق ما كان أحمدها ثم انه سار وهو يقول وحق المسيح لابدلى من قتله حتى لا يطول له بعد هذا مطال (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا والغلمان من حوله وقد فرحوا الفرح العظيم ولما قربوا منهم وقد جردوا السلاح فعند ذلك وثب إليه البطال ومالك ابن بشر الفارس القمهار والبطل الهدار وفى أيديهم السيوف الثقال فكان السابق إلى شو مدرس أبو محمد البطال وضربه بالسيف صفحا القاه على الارض وقعد على صدره وقد اشكل عليه سواده إلا أنه خبير بهذا الذى جرى له مرارا فلم يخف عليه أمره (ياساده يا كرام) وقتل مالك من العشرة ثمانية وأخذ الاثنين أسرى وأدار كتاف شومدرس وقوى منه الاطراف وقام من وقته وساعته ومعه اثنين من غلمان ظريف وشو مدرس والبغال وساروا جميعا إلى أن وصلوا إلى آمد وصاروا فى البلد ودقت الكؤسات وضربت البوقات وتبادرت إليه السودان ولما وصل ودخل إلى دار الامارة وفتح الصناديق وأخرج البترك وشوما وشومدرس زوجها وولدها دهرشوم وخلص الرشيد وقبل الارض بين يديه فقال الرشيد كم لك عندى من أيادى ما انساها أبدا ثم انه احضر الملعون شومدرس وقال له يا ملعون ان شاء الله يسود وجهك اكثر من هذا ثم ان أبو محمد قال للرشيد يامولانا وحق من فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى بالعظمة لم ساعد هذا الملعون على أخذك غير عقبة لعنه الله تعالى وهو الذى عمل على أخذك وقتل

السودان الموكلين وهو الذى أشار بالقك عليك وأراد ان يسلمك إلى كل هذا من فعاله فقال له الرشيد خاف الله فيه فانه الساعة غائب والله يدرى أين هو وربما أخذوه عند الروم وأنت تظلمه وتدخل فى خطيئته (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع أبو محمد ذلك الكلام اغتاظ وبان الغضب فى وجهه من كلام الرشيد ثم أنه قال ياأمير المؤمنين ان كان هذا الامر كما ذكرت فأنا أقيم لك الدليل ثم انه أحضر غلامى ظريف وقال لهما أريد كما تعلمان القضية على جليتها وإلا أهلكتكما تحت الضرب والعقوبة فقالا أيها الملك ما الناذنب ولا لنا علم ولا نعلم من هو الملعون عقبة فامر غلمانه فسحبوهما وضربوهما على صدورهما حتى نزلت لحومهما فصاح أحدهما بطل عنا فنحن نحدثك بما كان فما لنا طاقة على الضرب فرفع عنهما العذاب والضرب والهوان وقال قولوا لى ما عندكم بسرعة والا قطعتكما قطع (قال الراوى) فعند ذلك حدثاه من عقبة ومجيئه الى دار ظريف وكيف أخذ الرشيد الى آخر القصة ثم أنه احضر ظريف وقال له ياشيخ السوء من يخدم الملوك يفعل فى بلادهم هذه الفعال أريد عقبة الساعة وإلا وحق النبى المصطفى ان صدقت وأتيت به من غير زور ولا محال وهبت لك نفسك وأجود عليك بمالك واهلك ولا أغير عليك شغلك لانى أعلم ان عقبة لعنه الله لعب بعقلك فقال ظريف وقد صعب عليه هذا الكلام لاعرف مما تقول شيئا وان كانوا غلمانى فعلوا شيئا فيكون الملعون شومدرس لعب بعقولهم بشى من من المال ولا أعرف القاضى عقبة حتى يأتى الى وهو مخالف لدينى غير موافق لملتى فقال أبو محمد دع عنك هذا المقال فأنا اقسم بمن خضعت اليه رقاب الجبابره واخرج من هذه الارض اشجار وأنبع من الصخر ماء وسلخ من الليل المظلم نهارا ولم يزو على العصاة ستارا وقهر الملوك والسلاطين قوة واقتدارا وجعل فوقنا سقفا بواد وجعل الجبال أوتاد وجعل الارض مهاد وقسم الزمان ليلا ونهارا ويعلم ما يختلج فى صدر المرء جهرا واسرار والطيور تسبحه تفكرا واعتبار والوحش يوحده حواية واستغفار والملائكة تسبحه وتقدسه جهار وتقول يابنى آدم مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وأرسل لكم المصطفى نبيا وصفيا مختارا فعند ذلك اقشعر جلد الرشيد لما سمع هذا التوحيد وقال لله درك ياابو محمد ماأفصح لسانك فأنت اوحد اهل زمانك ثم اقبل على ظريف وقال له قد سمعت القسم الذى اقسمت به وان لم تصدقنى فى القصة على جليتها لانزلن بك من العذاب مالم يكن لك فى حساب فلما سمع ظريف ذلك قال ابو محمد افعل ماأردت فما انا اول من ظلم وان كان قصدك مالى

فافعل ما بدا لك فانا اعطيك المال من غير قبض ولا اعتقال وامير المؤمنين اكرم من ان يمكنك منزلى من غير جرم بدا منى فقال ابو محمد دع عنك هذا التعلل والهذيان فهذا كله من تعليم عقبة لعنه الله تعالى وأنا أقول ان مولانا الرشيد لو اعترض على فى ضربك كنت ضربتكم الجميع والآن مالكم فى بلدى مقام فقال ظريف يا أبو محمد اذا كنت قد شاققت السلطان ولا تسمع من خليفة الزمان فانى صابر على ما تفعل بى وبيت الظالم خراب ولو سقيتنى كاس الردى والعطب من غير ذنب ولا سبب فعند ذلك بطحه وضربه ضربا لا يسمع بمثله وهو لا يزداد إلا إنكاراً فصاح أبو محمد بالسودان وقال قد سلمت اليكم هذا الشيطان الذى قتل منكم عشرة من أهل الايمان وقد وهبته لكم على أن تسلخوه من كعبه فدارت به السودان ورقصوا حوله من كل مكان وكشروا على أنيابهم فى وجهه ورفعوا يديه ورجليه وسلخوه من كعبه فأهم وعلقوه من قدميه واذا به قد صاح يا أبو محمد بحق دينك لا تفعل وأنا أحدثك بالقصة واسلم اليك الذى كان السبب فى ذلك فلا شك انى هالك فصاح أبو محمد بالسودان فتركوه فاستوى جالسا وأعاد عليه كلما جرى له ولعقبة وكيف كتب الكتاب وأرسله مع الراهب شومدرس وكيف دخل الى داره فى ظلام الليل ودبر على الرشيد حتى قبض عليه وقتل خدمه ورماهم فى داره وأخرج من عمامته الكتاب الذى كتبه ورماه الى الخليفة فعرف انه خط المين عقبة فانقلبت عينيه فى أم رأسه وقال لقد صدقوا أنه نصرانى وما كذبوا فوحق آبائى واجدادى الطاهرين من الادناس قد وهبت لك دمه افعل به ماتريد ففرح أبو محمد لعقبة بالقتل وقال للسودان لا نقعد الساعة قبل قتل عقبة فما كان يمنعنى الا الخليفة لانى كنت أخاف أن يلعننى على المنابر فى مشارق الارض ومغاربها ويقول انى قتلت رجلا من أهل العلم ولا يعلم انه من أهل الكفر والضلال والآن فقد أمرنى الرشيد أفعل به ما أريد ثم أقبل على ظريف وقال وحق النبى المصطفى لا ينالك منى مكروه ان أنت سلمته الى فقال يامولاى هو فى دارى الصغرى فانه لما خرج شومدرس ومعه الخليفة ومنويل وخرجوا من البلد قلق الملعون عقبة وقال أنا أريد أن أكون فى دارك الصغيرة منفردا بنفسى فلى فى ذلك غرض وقد حملته اليها وهو فيها فسر بنا اليه فوثب الامير أبو محمد البطال والغلمان ومن حوله السودان وكان قد سكب فى مناخير غلمانه الخل وتركهم حتى تقايأوا البنج الذى أكلوه فى الطعام بحيلة الملعون شومدرس مع غلمان ظريف وساروا من حول الأمير أبو محمد وهم فى غاية من الحياة منه حتى لا يراهم بعين العجز والنقصان وساروا الى أن وصلوا دار ظريف

هذا جرى هاهنا (وأما ما كان) من عقبة فانه لما ادخله ظريف إلى داره قال له يا مولاى أنا ومالى وأولادى بين يديك ولا أبخل بشىء عليك وكلما أنا فيه من بعض إحسانك ثم أمر غلمانه ان ينصبوا له القاعة التى هى برسم المال ثم قال له مهما أردت مالا فخذه فأخذ منه خمسون ألف دينار فلما صار فى الدار استدعى بثلاثة من الغلمان غلمان ظريف وأعطاهم عقبة ألف دينار وقال لهم خذونى معكم إلى الصور ودلونى ولا تعلموا بى أحد ولا مولاكم فان قصدى أمضى إلى عسكر الروم وأدبر فيما يصنعوا بالرشيد (قال الراوى) فلما سمعوا غلمان ظريف هذا الكلام قالوا له سمعا وطاعة ومن أجل هذا أعطيتنا هذا المال الجزيل قال لا وإنما أعطيتكم ذلك أريد التقرب بالصدقة عليكم وأيضا هذا المال كله لكم فدعوا له وقبلوا يديه ورجليه ثم إنهم غابوا ساعة وأقبلوا ومعهم حبل طويل ثم قال الملعون للغلمان كل يوم اعلموا ظريف لا بد أن يبعث من أجلى طعام فكلوه أنتم واخفوا حالى فقالوا سمعا وطاعة ثم ان الغلمان دلوا الملعون عقبة بالحبل وقالوا له انزل فنزل فى الليل وكان هذا الملعون جسور على المسير فى الليل فسار وقصد عساكر الروم فقاموا إليه الحراس وقالوا له من أنت ومن أين أتيت فلما رآهم عرفهم بنفسه فقبلوا يديه ورجليه وحملوه على أعناقهم وساروا به إلى الدمشق فلما رآه وثب قائما وجعل يقبل يديه ورجليه فقال له عقبة ما هذا وقت سلام فهل وصل إليكم الراهب شومدرس قال لا ما وصل إلينا أحد فدق كف على كف وقال علمت انه يصل ثم قال وهل عدمتم أحدا من العسكر قالوا نعم فقدنا شوما ودهرشوم والبترك وفقدنا من المسلمين مالك ابن بشر فقال لا جمع الله منهم أحد ثم قال يا قوم أنتم ألفين ألف وأربعمائة ألف كيف يدخل واحد عليكم ويسرق الرجال من عندكم ان هذا غاية العار والذل والشنار فقال له الدمشق أيها الشيخ ان أبو محمد اللص المحتال يأتى الواحد منا فى صفة ولده وأخوه وابن عمه وأبوه ويسرقنا وتتم حيلته علينا وعلى من أراد من أهل الارض فقال عقبة طب نفسا وقر عينا فسوف ترى ما يسرك ما دمت أنا حاضر عندك وخلصت من يد المحتال أبو محمد البطال ثم قال له أريد منك أيها السيد أن تحضر لى الامراء فى هذه الساعة فأنا أعلم أن شومدرس ما عاقه عن المجىء إلا عائق وربما عاقه أبو محمد البطال وصادقه فى الطريق أخذه ويكون فى مكان بيقاتل فان سلم وأتى إلينا فان الرشيد معهم والملك منويل وإن كان ما يجىء فأنا أعلم ان المفاداة غدا تقع ويبقى فى قلبى نار من الامراء وما أشفيت غليلى ولا أطفيت نار فؤادى ثم أدعى بخمسين فارس وسيرهم خلف شو مدرس فعادوا آخر النهار أخبروه أنهم لقوا جماعة مقتولين فى

بعض القرى فقال لا شك ان المقتولين غلمان ظريف ثم قال أوثق الامراء وأريد أن أنظر إليهم وأعرفهم وان طول المسيح فى عمرى أقتل كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ولو أمكننى كنت قتلتهم الساعة وأنا أخاف على الملوك وعلى شومدرس ومن معه ثم قال اخرجوا الإسارى فقال الدمشقى سمعاوطاعة أيها المولى ولا أخالف لك قولا ثم إنه سار من وقته وساعته إلى حرب ابن شيبان وأتى إلى عند الاسارى وعاقبوهم فقالت الاميرة ذات الهمة معلوم أنتم ونحن سواء تقعوا فى أيدينا ونقع فى أيديكم وما تقدرون على قتلنا ولو لم يكن لكم عند المسلمين أسير لان الاحوال عند العزيز المتعال ذو الجود والجلال وما أنت إلا عبد مأمور لا تقدر تصل إلينا بسوء إلا بما كتب الله علينا وما حملك على احضارنا إلا هذا الملعون الذى بجانبك وأنت أخبر بخلاصنا وضربنا وطعاننا وأنت تعلم اننا ما نقعد عن أخذ تارنا وكشف عارنا وأنا أقسم بمن خضعت له الجبابرة وجعل الافلاك دائرة والنجوم زاهرة لئن وصلت إلينا أزيه لأدخل وراك إلى القسطنطينية وآخذ رأسك وأخمد أنفاسك فلما سمع الدمشقى ذلك تغير لونه واصفر وأقبل على عقبة وقال له وحق دينى وما اعتقد من يقينى انها تفعل أكثر من هذا ومن ذلك انك أنت تعلم انى ما أنا من رجال الحرب والطعن والضرب فلا تحملنى من الهم ما لا أطيق ما تريد أكثر من هذا عارا ان قوما يكونوا فى قبضتنا وتحت أمرنا وهم يهددون فكيف يكون الامر فقال الدمشقى هذا شىء ما أطاوعك فيه فكادت مراره عقبة ان تنفطر من شدة ما أصابه ان لا ينال منهم غرض فسكت على مضض وقال وحق المسيح لو تمكنت من الدمشقى لأضربه بالسياط حتى يقع لحمه عن عظمه (ونرجع إلى حديث البطال) لما عدم عقبة من الدار علم ان الملعون طلب الفرار فقال الامير أبو محمد كيف رأيت فعل الملعون قال يا أبو محمد قد أبحتك دمه (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد ذلك فرح فرحا زائدا عظيما واحضر الملوك الذين عنده بين يديه وقال اريد منكم المال والجزية وترحلوا عن آمد وبعد ذلك تسلموا لنا الذى فى قبضتكم من اسارى المسلمين الذين عندكم فقال له عند ذلك منويل عندى كلما تريد فقطع عليه مائة الف دينار والف راس من الخيل المسومه والف ثوب من الديباج الملكى المدثر والملون والمقصب والمرايش والمطائر وقطع على فيتفورس وميخائيل والاندرياس مثل ذلك وقطع على كل ملك مائة الف دينار ومن الثياب والخيل نصف ما قطع على الملك منويل ثم قال لهم اريد الامراء منكم والمال فقال له الملك منويل يا أبو محمد اعلم انك من طول الزمان ما تتوسط قدام السلطان إلا بالخبر وأنا أقول وحق ما اعتقد من دينى لو قعدت عندك

هاهنا إلى ان اموت ماصرفت عساكرى عن بلاد الاسلام ولو قتل كل ملك معى الا أن تعطيني الراهب شومدرس وزوجته شوما وولده دهرشوم الذى ما خرجت من بلاد النصرانية إلا من أجلهم ولا وزنت المال إلا من أجلهم والبترك الكبير أيضا معهم وبعد ذلك ما آخذهم أيضا إلا بالمال وأنا أحسبهم لك أيضا مثل الملوك واوزن المال من مالى ولا أكلف أحدا إلى كشف أحوالى ثم إن الملك منويل جعل يقبل الأرض بين يدى أمير المؤمنين ويقول يا مولانا ماأعرف غير فضلك وإحسانك وكرمك فأراد الرشيد أن يوافقه إلى فعله ثم إنه رجع إلى عقله وتدبيره وقال والله ما أخذته بقائم سيفى ولا بقوة عسكرى وأنا اليوم معتقل عند أبو محمد البطال ولا أدرى على أى شيء يكون الانفصال وهو يريد الملكة نورى وليس هى فى قبضتى ولكن أنا أعاونه على الأمير عبد الوهاب وإلا رجعت إلى الحرب والقتال والضرب والنزال فدعنى أجرب سؤالى عند الامير أبو محمد البطال فى هذا المعنى فان أجابنى فأنا عنده ببال وإن لم يجيبنى فما انا عنده بشيء ثم انه أقبل اليه وقال له يا أبو محمد قد طال المطال والقيل والقال والصواب عندى ان تأخذ المال وتقبل هذا السؤال فقال ابو محمد سمعا وطاعة ثم قال فى نفسه مايفوتنى هذا الملعون إذا مضت العساكر وخلى قلبى مما هو فيه من محبة الملكة نورى التى قد أورثت طرفى البكاء وأسقمنى الحزن وسار عشقى فى الركبان مثلا وان المفاداة مع الامير عبد الوهاب عسى يؤثر معه هذا الجميل والاحسان (قال الراوى) ففاضت عبرته مثل المطر فطلب الاصطبار فلم يقدر فأنشد وجعل يقول

وشمس نهارى فى عنان ظلام	بوجه جميل مثل بدر تمام
شكوت اليها ما بقلبى فأمطرت	عقيق دموع مثل فيض غمام
وقالت أيا روحى وعمرى وبغيتى	بغمزة طرف لا ترد كلام
لقد ملكت نورى فؤادى ومهجتى	فأصبحت لا الوى لرد سلام
سألت إلهى يجمع الشمل بيننا	فقد أذهبت حيلى وزاد غرامى

(قال الراوى) لهذا الحديث الغريب والأمر المطرب الغريب حتى ان المستمع يلذ ويطيب بألف صلاة على النبى الحبيب فلما سمع الرشيد ذلك الكلام رق له وقال له طب نفسا وقر عينا والله إنى اعاونك على بلوغ المراد وذهاب العناد حتى يرسل منويل الى عسكره ويأتى بالمال والأمراء الى عندنا واما الأمير عبد الوهاب فما أطلق سبيله حتى يحلف لى انه ما يبخل بها عليك ويجود بها اليك فعند ذلك اقبل ابو محمد على ملك الروم وقال له لقد اجبت سؤال مولانا الخليفة

وسؤالك ثم أطلق لك شومدرس وزوجته وولده دهرشوم والبترك الى ان تحمل الى المال الذى ذكرت فأرسل من يأتى ثم أنه أستوثق منه باليمين فحلف له على ذلك وفرح ملك الروم وأطلق البترك والاندرياس من أجل أخذ المال من الطوائف وسار الى عسكر الروم ولما وصل أقبلوا عليه البطارقه من كل جانب ومكان وجعلوا يقبلوا يديه ورجليه وسألوه عن الحال فأخبرهم بما انقطع عليهم من المال فقالوا هذا أمر قريب والرحيل إلى بلادنا امر عجيب قال وأحضر الأندرياس خواص المملكة وأخذ المال من الرجال والثياب والخيل والسلاح فعندها جاء عقبة لعنه الله تعالى الى الأندرياس والبترك وهنأهما بالسلامه وسألهما عن شو مدرس وزوجته شوما وولده دهرشوم فقالوا قد وقعت عليهم المصالحه فقال على ماذا عولتم قالوا حمل المال والخيل والاسارى والا فما لنا الى الملوك سبيل فقال ياقوم ارفقوا على أنفسكم واعلموا انى قد عولت على أمر فاسمعوا الى فقالوا شبعنا من سماع الكلام على مر الزمان والدهور وقد ضاقت منا الصدور وكل يوم عسكرنا مقهور وقد جعلونا فى الحبوس فدعنا نرجع والا هلكنا وبطل علينا ضرب الناقوس فما رأيك الا منحوس ولو كنت معنا البارحة ونحن مكتفين لقلت هذا طالع معكوس فقال عقبة أين البترك أحضروه فلما حضر البترك وسمع هذا الكلام أعرض عنه ثم قال عقبة لعمرى ما أنت من رجال الحرب وأنا الرأى عندى لاتوفوا هذا المال الكثير وعندكم هذه الأسارى وهم قوام عسكر المسلمين وقد خلص الملك الاندرياس وهو فى عالم عظيم ما خرج الملك منويل قط بمثله أبدا وعساكر الرشيد انكسرت وما بقى الا عسكر عبد الوهاب وبنى كلاب فيركب الملك الاندرياس ويحمل عليهم فاذا انكسروا بين أيدينا نقصد ارض سجستان والموصل ونخرب تلك الاعمال ونأخذ الاموال والرجال ، والرشـــيد ههنا لايقدر أن يجمع عسكر وإن الزمان قد تكدر وما خرج من خراسان عسكر وأن العساكر مكسورة وآمد محصورة وتطلب بعد ذلك بغداد فما يقدر أحد من الاكراد يقف بين يديك وأنت أقوى الملوك أجمع بلا محال وأقوى من الرشيد وبنى كلاب وبعد هذا فما يبقى قدام مولانا أحد وأما أبو محمد البطال ان سار اليكم وأخذتموه يفدى نفسه بالملوك وبعد ذلك تعودوا الى بلادكم ويقع الصلح بينكم على أنكم ما تحملوا الى بلاد الإسلام حبة واحدة وما عذركم اذا وصلتم الى بلادكم تقولون وصلنا إلى بلاد الإسلام وأعطيناهم أموالنا ورجعنا فى عافية فقال له لقد صدقت وحق دينى ولكن اذا مضيت أنا الى بغداد كيف أعمل بهؤلاء الأسارى

وهم أمراء المسلمين فقال عقبة سلمهم لى واجعل زمام امرهم فى يدى واعطينى من العسكر أربعمائة ألف وأنا أسير من طريق آخر وامضى أنت كما ذكرت ولم فى الأمر غير أنك تأخذ بلد أخرى وتأخذ منهم من المال ما ذكروا لك وسوى ما تأخذه من الاسارى وان نصرت وأخذت العراق وملكتها واخذت الملوك من ههنا وأنا أمضى بهؤلاء الاربعمائة ألف فارس وأسير الى ملطية فما فيها عسكر وأبو محمد ما يخلى بغداد وبلاد العجم والعراق ويفرق عسكره ولا يبقى فى البلد من يذكر شجاعته إلا سبيل الافتخار من سائر الناس وأما البطال فما له إلا اللصوصية وأنا أنزل على ملطيه وآخذ الملكة نورى التى هى بغية الطالب وفيها يرغب الراغب ذات الوجه الجميل وأسبي الحريم ولا أدع طفلا إلا يتيم ولا أبقى رضيع ولا فطيم وأضر بهم بالسيف ضربا غير سليم وآخذ منها مالا عظيم (قال الراوى) فلما سمع الاندرياس ذلك الكلام قال نعم ماذكرت فعندها قال له مارس ودارس أيها الشيخ النجيح أن هذا ليس بصواب ان الملك منويل أسير وقد حلف للمسلمين وماندرى ما يكون ونخشى أن لم نزن المال فما يبقى الى خلاصه سبيل ولا يبقى لنا وجه عنده والصواب حمل المال ونسير اليهم فى غير هذه النوبة فلو كانت محمودة العافية كانت من اولها باينة فقال عقبة لاتتعرضوا الى فيما أقول ثم أن عقبة أقبل على الأندرياس وقال دع هؤلاء الكلاب وأهجم هذه الساعة على بنى كلاب فاستصوب رأيه ومشورته وقسم العساكر قسمين فى كل قسم ألف ألف هذه سوى العسكر الذى انضاف الى عقبة وانضاف إليه حرب ابن شيبان فى ستين الف عنان وسلم اليهم الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وتمام الامراء ولم يخلص منهم الا الامير مالك هذا وقد ركب الاندرياس فى جميع الناس بالطوارق والقنطاريات والسيوف والأتراس وعول أن يبادر الناس بالحملة فقال عقبة أعلم ان بنى كلاب أنجاب معودين بالطعان والضراب ولا آمن منهم ولا من السودان الانجاب الذين كانهم سباع الغاب ومن الصواب ان ترسل رسول الى العسكر نخبر انك اصطلحت مع الامير ابو محمد البطال ومع الرشيد وقد فديت الملوك بالامراء وقد عولت على الرحيل فان كانت العساكر ما ثرة لايكونوا بنى كلاب على اهبة فقال الاندرياس الامر اقرب من هذا ونحن فى الفين الف ونحتاج الى هذه الفعال فما يكون هذه إلا ذلة عظيمة ثم ان الاندرياس ركب فى سائر البطارقة والعمالقة والزغاورة والكرج والارمن والبنجاك والانجار والافرنج والصقالبة والبنادقة والملافطه واليونان (قال الراوى) وكان الامير مدركة وضيغم وبنى

كلاب قد طابت قلوبهم بأن ملك الروم عند أبو محمد أسير هو وجميع الملوك وانهم او الى الصلح أشوق من المسلمين ويحسبوا هذا الأمر ولاخطر على قلب بشر منهم أن يدبر عليهم عقبة اللعين (ياسادة) فعندها حمل الاندرياس فلم يلحقوا ان يركبوا خيولهم حتى مكنوا منهم السيوف الصقال والرماح الطوال وأما الامير مدركه لما نظر الى ذلك أيقن انه هالك وقال ياقوم إياكم والهرب فلم يبق منكم أحد فصاحت عند ذلك السودان وأبطال بني كلاب وقاموا للحرب والقتال والنزال فى طاعة الرب المتعال وقوى عزمهم وحملوا على الروم فخيل لاهل آمد أن الدنيا قد انقلبت بأهلها لان الألفين ألف من الروم صرخت صرخة واحـــدة واستقبلوهم المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم والثناء على رب العالمين فقال الرشيد ياأبو محمد دعنا من هذا ولاتهل أمر بنى كلاب فيهلكون فى هذا البحر العجاج فقال سوف ترى العجب إن شاء الله تعالى وكان الروم قد حملوا على بنى كلاب وقصدوهم فى الطعن والضراب ورموا فيهم الكلاليب الحراب حتى جالت من حولهم الذئاب ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والاسلام بالاصوات تجلجل إلى أن ارتفعت الشمس فى قبة الفلك وطلبت الارواح الخروج من الاجساد فصاح الامير ضيغم بالله عليكم استندوا الى الاصوار وإلا شربتم كاس البوار فقالوا كلهم السمع والطاعة ومالوا كلهم الى نحو البلد وقد تمايلت فى سروجها الفرسان وكلت الركبان وتجرد الامير أبو محمد فى مائة ألف من الفرسان الابطال الاكراد وستين ألف من السودان وفتحوا الباب وفى أوائلهم مالك بن بشر وميمون الجماس وحملوا على الروم وكان يومهم يوم مذموم ولم يزل السيف يعمل ان طلع عليهم الغبار وهاج الامير مالك وحمل هو ومن معه من الابطال واشتد القتال وتقطعت الاوصال وكانت ساعه كثيرة الاهوال وماكانت الا ساعة حتى رموهم الروم الى البلد ونظر الامير أبو محمد الى ذلك فعظم عليه وكبرلديه وعلم أنه إن وقف هلك فما كان له ملجأ إلا الدخول الى آمد فدخل ودخلت الامراء من حوله ووقف الامير ضيغم والامير مدركه وقالوا لو هلكنا ما دخلنا إلى البلد إلا ان يأذن لنا الامير أبو محمد فنادى أبو معاشر المسلمين ادخلوا البلد فدخلوا الناس بأسرهم ورحل الاندرياس فكان أول عسكر فى نصيبين وآخره فى الغراه هذا وأبو محمد والرشيد فى حيرة لا يدرون مايعملون فقال له أبو محمد مالذى ترى يامولانا من الرأى والتدبير فقال والله ان هذا الملعون قد أخرب

البلاد وماقدامه من يلقاه ولا يرده عن هواه لان عسكر خراسان مالجيئة سبب لبعد المسافة وهذا زمان الشتاء لا يقدرون على المجئ إلى بغداد وتشمت بنا الحساد فقال الأمير أبو محمد الرأى عندى ان تخلف الأمير ميمون الجماس فى ألف فارس فما يبالى بكل من على وجه الارض فى طولها والعرض وتخرج ونتبعهم فان قصدوا الموصل طلبنا نحن الجزيره ونحن أجنادنا من الرقة وحلب وانطاكية الى أرض الشام ونرسل إلى طرابلس والساحل وتضم معك الرجال من كل جانب ومكان ولابد ما نجمع عساكر العراق وتأتى المسلمين من سائر الآفاق فان الله تعالى قال وهو أصدق القائلين وكان حقا علينا نصر المؤمنين فقال الرشيد نعم مارأيت (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بالسودان قد دخلوا عليهم ومعهم رجل فى يده كتاب فلما دنى من الامير أبو محمد عرفه فقال له ماأنت غلام مارس قال نعم قال مامعك من الاخبار قال يامولاى هذا كتاب مارس اليكم ثم ناوله الكتاب فأخذه وفضه وقرأه واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الانسان لا ينسى الذنوب والعاقل من قريب يعود والعارف الذى صديقه من هو سالم ومن له خطر والدين لا يغفل المسلمين وأخبرك انى أرسلت الاسطر الواردة بأن الملعون عقبة قد سار الى ملطية ومعه الأمير عبد الوهاب وسائر الامراء فى الاعتقال والمقدم الذى معه على الجيوش حرب بن شيبان وأنتم تعلمون ما بينه وبين الأمير عبد الوهاب من العداوة وكل من معه من الامراء هالكين لان عقبة على نية قتلهم وإذا وصل الى ملطية فى ليلة واحدة يفتحها وهى مأخوذة لا محاله وقد سار اليها فى أربعمائة ألف من الابطال والعرب المتنصره وملطية ما فيها من يصد ولا يرد وقد أوصى الله عز وجل بالجهاد عن الحريم فى طاعة الملك القديم فلا تؤاخذ الامير عبد الوهاب من أجل امراة روميه ولا تنسى الوداد القديم وأول من تسبي نورى التى لك ولعبد الوهاب وجرى لكم عليها ماجرى فدبر فى خلاص الامراء ان كان مافرط الامر فيهم لان عقبة قد أعطى العرب المتنصرة عشرة آلاف دينار حتى يقتلوهم اذا اشتغل حرب بن شيبان بحصار ملطية فعند ذلك ينزل بالامراء الرزية وأما الاندرياس فإنه وصل اليه جاسوس وأخبره ان الامير عمرو ابن عبيد الله وصل إلى الموصل فى عسكر العراق والبصرة والحجاز والسواحل والاكراد وقد انضم اليه عالم عظيم وقد أخرج المجاهدين ونادى المنادى فى بغداد ان الرشيد محاصر فى آمد فلم يبق أحد الا وقد خرج فى طاعته وطاعة الواحد الاحد وقد انضاف اليه أهل الموصل والعساكر وهو فى خمسمائة ألف سوى بنى

سليم فى مائة ألف وأن الملك الاندرياس ملك نصيبين وهو على نية الملتقى فالعجل العجل وإياك والتقصير والذلل فيهلك الامير ومن معه من الاصحاب ويقرب الامر ولا سبيل بعد ذلك إلى أمر تقصده (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ما فى الكتاب وصحت له الامور فى حق الامير عبد الوهاب فأرمى الكتاب إلى الرشيد فلما قرأه عظم عليه وكبر لديه وقال يا أبو محمد صحيح ما يقال فى حق هذا الملعون عقبة فقال يا مولاى لا بد ما تسمع فى أمر هذا الملعون أكثر من هذا فسير معى ترى العجب فانى أوقفك بعد هذا الكتاب على أمور من أجل ملطية وما فيها من النسوان المصليات الطاهرات العربيات فان كنت تسير أنت إلى بغداد وأسير أنا إلى ملطية وخذ أنت السودان والاكراد واطلب أرض العراق وترسل إلى سائر المواضع حتى يلحقوك ويقر قلب الامير عمرو ومن معه فان نحن كفينا مؤنة هذا الملعون الذى على ملطية أتينا إليك وجاهدنا بين يديك فقال الرشيد يا أبو محمد إذا كان الامر على ما ذكرت افعل ما أردت فعند ذلك جرد الامير أبو محمد الاكراد فى مائة ألف والسودان فى مائة ألف وأنفق فيهم الاموال وسارت الرجال ورحل بهم الرشيد يطلب بلاد العراق فهذا ما كان من أمر الرشيد (وأما ما كان م من أمر الامير أبو محمد البطال فانه أخذ من وقته وساعته ميمون الجاس ودخل إلى ملك الروم وقال يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية وجرد سيفه فى وجهه وقال يا ملعون وحق من أغنى وأقنى وأضحك وأبكى وأمات وأحيى وفرد بالمجد والثناء لئن لم تفعل ما آمرك به لأضربن رقبتك ورقاب سائر الملوك فقال ملك الروم لما سمع كلام الأمير أبو محمد أيها الأمير وما عسى أن أصنع أمرنى بأمرك فانى لا أخالفك لا أنا ولا أحدا من الملوك وقال أبو محمد لسائر الملوك مثل ما قال الملك منويل فأجابوا كلهم إلى ذلك وقالوا نحن بين يديك وما لنا قدرة على مخالفتك فقال سوف أقول لكم هذا وقد أحضر شومدرس وقال له ويلك يا شيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهالة أريد منك اتباع أمرى فاذا أنت أبيت الساعة ضربت عنقك وعنق دهرشوم وشوما ووالله لولا الامير عبد الوهاب عندكم مأسورا لا والله كنت صلبتك وصلبت العاهرة شوما معك وأنال بذلك الاجر من المولى فقال شومدرس يا ابو محمد لا تفعل تندم الملك اشترى روحه وأرواحنا بالمال وإن هذا ما كان منى وإنما فعله الشيخ النجيح فقد بان لى الامر الذى تأمرنى به وأى حاجة لك تكون فقل لى حتى أبادرك على قضاها ولو كان فيها حتف نفسى فقال البطال أريد الساعة تكتب كتاب عن

أذن الملك وسائر الملوك الى حرب بن شيبان وعقبة تقول لهما عني انى قد سمعت انكما قد عولتما على قتل الأمير عبد الوهاب والذى عندكما من الأمراء وبقية المسلمين وهذا من أعظم الجهل وغاية القبح وأعلم أن رأسى ورؤس الملوك مرهونة بقتل واحد من الذين عندكما ففعل الملك ذلك وكتب أيضا كتاب يقول فيه قد كتبت هذا الكتاب بيدى ويعلم الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح أننا فى الحبس فى أنجس موضع وأضيق مكان ونحن نهدد بالقتل صباحا ومساء وأنت تعلم ان هذا الامر الذى فعله الاندرياس ما كان صواب ولو كان معه صبر حتى كنا نخلص من الاسركان بالاختيار الى أن نمضى الى بلادنا والامصار وأتينا الى العراق بعساكر تملأ الآفاق ونظفر بالمراد والآن فقد جرى ما جرى ونحن هالكون بلا محالة فاذا قرأت كتابنا فلا تتعرض للأسارى فما رؤسنا معلقة على الأسارى وان قتلت واحدمنهم فهو برؤسنا واعلم ان الأمير أبو محمد قد وصل اليه كتاب من بعض الجهات يذكر فيه أنك عزمت على هذا الامر الذى ذكرناه فاياك أن نفعل شىء من ذلك فنهلك ونعطب والسلام ثم طوى الكتاب وختمه وكتب كتاب آخر الى حرب بن شيبان إياك أن تمكن عقبة من قتل الاسارى وتأخذهم إلى عندك وتجعلهم تحت يدك حتى تنفصل هذه النوبة على أى حالة كانت وأعطى الكتاب الى الأمير أبو محمد البطال فقرأه وخطوا خطوطهم سائر الملوك وكتب شومدرس كتاب يذكر فيه مثل ذلك ثم أن الامير أبو محمد ادعى ببعض البطارقة المأسورين وقال له سر بهذا الكتاب والمال الذى عليك أنت فى حل منه وأنا آخذه من الملك منويل فاخذ البطريق الكتب وسار يقطع الارض إلى أن وصل إلى عسكر الروم وأوصل الكتاب لى حرب بن شيبان فرأى فيه أ. صيك لا تمكن عقبة فى الامراء (يا ساده) ثم ان البطال ادعى بالامير ميمون الجماس وضم إليه ألف فارس وقال ما يحتاج أوصيك على البلد لانى خائف على ملطية وعلى نسوان بنى كلاب يتم عليهم أمر يوجب الملامة على وأخاف أن تؤخذ الملكة نورى الذى جرى من أجلها هذه المصائب فقال ميمون الجماس اعلم ان عسكر الروم عظيم وهو فى اربعمائة ألف وفى العسكر مثل عقبة يدبر على أهل الارض ويعمل عليهم الحيل والمقدم عليهم الذى أخذك من تل الثعالب وهو حرب بن شيبان فقال أبو محمد هذا أمر لا بد منه لأنى أخاف إن قعدت هلك الأمير والأميرة وسائر بنى كلاب والأمير قراقد وما فى الامراء مثله وكذلك السيدة المجاهدة العابدة التى طول زمانها لربها راكعة ساجدة الاميرة ذات الهمة وتروح حبيبة قلبي ومالكة

فؤادى وغاية مرادى الملكة نورى وأنت تعلم ما فى قلبى من حرب ابن شيبان وأخذه لى من تل الثعالب فقال ميمون الجماس اذا كان الامر على ما ذكرت فاترك فى البلد غيرى يحفظه وأنا أسير معك ولى أسوة بك فقال الأمير أبو محمد ما يطيب قلبى ان أسلم البلد لأحد غيرك وأما أنا ما أسير مع بنى كلاب إلا وأكون كواحد منهم والامير ضيغم مقدم الجيش وأسير أنا وغلمانى فى جهة اخرى لعل الله تعالى أن يوقع عقبة فى يدى فو الله لا بد لى ما أفعل به فعلا يعتبر به الناس الى يوم القيامة ولعلى أظفر بالامراء وآخذ على الامير عبد الوهاب العهد والميثاق انه لا يتعرض للملكة نورى فقال له افعل ماشئت فقدم ضيغم على العسكر وقال ارحل وأنا وغلمانى نسير معك فرحل الأمير ضيغم والأمير مدركة فى مائة ألف من بنى كلاب وخمسة آلاف من السودان الانجاب الذين كانوا مع قراقد وقد استخلف على آمد ميمون الجماس وأوصاه على حفظ البلد فى ألف اسود ولم يكن فى البلد غيرهم وباقى السودان والأجناد والاكراد ساروا مع الخليفة الى بغداد وأما الامير أبو محمد البطال فانه سار هو وغلمانه الاربعة بعد رحيل هؤلاء (ياساده) وأما عساكر الروم الذين مع جرب ابن شيبان والعرب المتنصرة والقاضى عقبة لعنه الله فانهم لما رحلوا من على آمد جعل عقبة يحث الناس على المسير وقد غير زيه وصبغ لحيته خضراء ولبس لبس مطران وتنكر على أهل الارض والخلان وصار يكد الناس الى ان وصلوا الى شمشاط وخرت برت عند ذلك قال اللعين عقبة لحرب ابن شيبان على ماذا عولت قال النزول على ملطية فقال عقبة أنت تعلم ان فى قلبى نار لا تطفى من الاسود الزنيم وبنى كلاب وهؤلاء العشرة وهم قوام المسلمين فان هلكوا ما يقوم للمسلمين قائمة فاضرب رقابهم فلما سمع حرب ابن شيبان ذلك قال يا قاضى عقبة ما يمنعنى عن قتلهم وقتل الذين معهم إلا شىء واحد وهو أن أبو محمد البطال إذا بلغه قتل عبد الوهاب وقتل الامراء يقتل الملوك والملك منويل وان خلص الملك تنقص منزلتنا عنده ويقول أردتم تملكون الارض وتأخذون الملك من الروم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع كلامه ماوجد الى قتل الامراء سبيل فعند ذلك أقبل على حرب ابن شيبان وقال له متى يسمح له الزمان بمثل هذا اليوم دع عنك هذا فما تنقص الروم عن مائة الف رجل ولا يعوزنا من نجعله ملك ونجعله من تحت أيدينا ونوليه بحكمنا وان لم نجد من يصلح للمملكة فأنا ادبر على تحصيل المملكة لك فى القسطنطونيه وتفتح الخزائن وتخرج الاموال وتنفق وتعطى الرجال وأنت فى عالم عظيم من العرب المتنصرة فدع عنك بهذا الحال واسمع ما أقول لك تصير ملك عظيم وتطيعك سائر

الأقاليم لأنهم ما يبقى فيهم من يساويك ولا يقاويك ولا يضاهيك فقال له وقد لعب بعقله هذا هو الرأى السديد ولكن أخاف أن الروم لا ترضى أن يكون لهم ملك من العرب فقال عقبة اعلم إن قتلت هؤلاء الشياطين الذين هم معك مأسورين لايخلو الأمر من ثلاثة أشياء الأول من المسلمين فانهم ما يقتلوا الملك رغبة فى المال لأن المسلمين جرت عادتهم بذلك وإن كان الأمر على ما ذكرت فقد استرحت من هؤلاء ونحن إن سلم الملك منويل فيكون لك عنده اليد البيضاء ويشهرك فى بلاد النصرانية لأنك أنت الذى قتلت الأسود وأمه ذات الهمة البدوية وابنه سيف الحنيفية وبرد بن الازهر صاحب المواقف العلية وسعيد بن الفرج الضارب بالمشرقية ولو لم يكن فيهم إلا ذات الهمة صاحبة الحيل التى يعجز عنها كل البرية وتخرب ديار النصرانية وكم مرة هى وولدها ملكوا باب القسطنطونية وكم خلصت الاسود بعد ماوقع فى إشراك الرزية وكم أوقعت بحيلى عبد الوهاب البطال فى يد الرشيد وأقول أن هؤلاء يريدون أن يملكوا الدولة العباسية ويسلمون الخلافة إلى واحد من العلوية ويسمع قولى ويقبضهم حتى أقول انهم قد هلكوا بالكلية فتحلهم هذه العاهرة العربية لا سيما ولدها عبد الوهاب وولده سيف الحنيفية وضيغم رأس كل بلية وهارون العلوى الضارب بالمشرفية وهذا الشيطان الآخر الذى يسمى قراقد الذى فى ضرباته المنية الذى رأيته فى الحرب مثل الاسد فى البرية والثانى إن قتلوا المسلمين الملوك والملك منويل فأرادوا التحرش بالاندرياس رجع إليهم وأهلك صاحب الامارة والولاية ويقتل أهل العراق وتملك الملكة نورى وتسمع العرب وصعاليك الحجاز فيلقوا إليك أنفسهم مثل الجراد المنتشر ويدخلوا فى دين النصرانية وتصير لك رتبة عليه (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا على ملطيه وصارت ملطية مثل المركب فى البحر المالح إذا كان كثير الامواج فلما رأوهم أهل ملطية ارتعبوا منهم وطلعوا على الاصوار وأحموا أنفسهم (ياسادة) وأقام حرب بن شيبان على ملطية عشرة أيام ولم يجسر على قتل الأمراء وجعل يفكر فى العاقبة ويقاتل أهل البلد وقد صعد النسوان والشيوخ الكبار الذى قد ضعفت منهم الابدان ولم يبق أحد إلا وقد طلع وكانوا اثنى عشر ألف من شباب وشيوخ ومن النسوان عالم عظيم وفيهم نساء بنى كلاب عن بكرة أبيهم وكانوا عربيات شديدات الحيل وقد خالطوا الهموم فى البيداء وقطعوا قصوم الفلاة (قال الراوى) ياسادة ياكرام ألا انهم وقفوا فى وجوه أربعمائة ألف من الروم الكفار عشرة أيام ولما كان فى اليوم الحادى عشر وقد أشرفوا الروم على أخذ البلد فنادت النسوان وامحمداه واسيداه

واسباه واقلة ناصراه واقلة رجالاه وعقبة يقول لحرب بن شيبان اقتل هؤلاء الاسارى تملك البلد إذا رميت برؤسهم إلى نسائهم وأولادهم ولما رأى عقبة أن حرب ابن شيبان ليس له جسارة على قتلهم قال فى نفسه أنا أضرب فى حديد بارد وإن لم أعمل على قتلهم ماأبلغ مرادى والمنا ولاأظفر بالهنا (قال الراوى) ياساده ياكرام فهو على هذه النية إذ أقبل عليه حرب بن شيبان وقال له أيها الشيخ النجيح ان هذه البلد نأخذها اليوم أو غدا بلا محالة وقد عولت على أن أقتل عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وأريد تعاوننى على أى حال من عاقبة الامور وتحلف لى الساعة فقال عقبة افعل ما بدالك ثم أحضر الإنجيل وأمر العسكر أن يبطلوا القتال وقال هذا يكون فى غداة غدلان حرب بن شيبان قد عول على أمر فيه صلاح لعبدة الصلبان فنزلت الروم من كل مكان من حول ملطية وبقيت ملطية مثل القدح الزجاج فى البحر العجاج (قال الراوى) ياساده ياكرام لحلف عقبة بالإنجيل أربعين يمين إن قصرت عنك يحشرنى الله يوم القيامة فى صورة مسلم لان ذلك أبغض الاشياء إليه ومسخه الله خنزير إن كان قلبه إلى ذلك يميل ولا كان له فى دين النصرانية نصيب إن لم أكون لك مساعد على ما تريد (ياساده) فهم فى تلك الحالة والبطريق الذى أرسله ابو محمد بكتاب الملك منويل وصل إليهم وقدم عليهم وأعطاهم الكتاب الذى يختص به حرب بخط الملوك فكان حرب بن شيبان كانه نائم واستيقظ وقال فى نفسه لقد كان عقبة يريد يوقعنى فى تقطيع القفا وعرك الآذان فاحمد المسيح الذى لم يفرط منى فى هؤلاء الامراء بشىء فكنت مطالبا إلى آخر الزمان ثم قال لعقبة أيها الشيخ النجيح انم فى هذا الامر الذى كنا فيه وعولنا عليه أو نسمع كلام الملك منويل وسائر الملوك (ياساده) وكان كلام حرب بن شيبان لينظر مافى نفس عقبة وكان عقبة أيشم أهل الارض وأخبثهم وأمكرهم فعلم ما خطر فى قلب حرب بن شيبان فقال أيها الامير ان العجلة من الشيطان وأن التأنى فى الأمور يوجب بلوغ النذور فقال حرب ولم ذلك أيها الشيخ فقال عقبة الرأى ماكان إلا معك فى قولك لا نقتل ولا واحد منهم ولو كان فرط منا فيهم كنا نكون المطالبون بهم إلى يوم القيامة من شىء واحد ويهلك الملك منويل وما للنصرانية مثله (قال الراوى يا سادة ياكرام فطاب قلب حرب ابن شيبان بحديث عقبة اللعين وقال لا شك أنه قد رجع عما كان فيه وعول عليه ولما مسى المساء ادعى عقبة برجل من العرب المتنصرة يقال له دويب وكان ابن عم حرب وكان حرب يبغضه ولا يخلى الملك يعطيه شيأ وكان معه تحت الذل والهوان وكان

لدويب سبعة أولاد كانهم كلاب الغاب ومن تحت أيديهم اثنى عشر رجلا وكان على غاية من الصعلكة فقال له عقبة وقد دعاه إليه ماقولك فيمن يغنيك إلى الأبد قال بماذا يامولانا وأنت تعلم أن الملك منويل ماينظر إلينا بعين رعايته فقال له عقبة طب نفسا وقر عينا وذلك انى أعطيك ما لم تقدر تنهض به والجاه والحشمة والاقطاع وأعطى الرجال الذين معك كل واحد منهم ألفى دينار وكذلك أعطى أولادك السبعة فيكون لهم جميعهم أربعين ألف دينار وبعد ذلك أعطيك مثل ما أعطى الجميع (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع دويب ذلك طار عقله من الفرح وقال ما تأمرنى أن أفعل تريد أن أقتل روحى أو أوثب على حرب بن شيبان فقال الأمر أقرب من هذا أريد أن تحضر عندى أنت ورجالك وأولادك وقت هجوع الناس ويظلم الليل وتأخذون هؤلاء الأسارى المسلمين وتسيرون بهم إلى أرض النهروان من بلد أنطاكية فاذا وصلتم إلى هناك فاقصدوا إلى قرب الدير واطلبوا صومعة جرجس بن يوشع الراهب وتوصلوا إليه كتابى هذا وتعطوه الاسارى وتأخذون منه الأموال وطيبوا قلوبكم وعرفوه أنى واصل إليه عن قريب (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمعوا كلام ذلك اللعين قالوا له طب نفسا وقر عينا وإن أردت قتلهم قتلناهم فقال عقبة لاما أريد إلاعقوبتهم لانهم كانوا يقولوا لابد أن نصلبك على باب الذهب وأنا أقول لهم لابد أن يوقعكم المسيح فى يدى وتنظرون ما يكون فقال دويب أمرك يا مولانا مسموع ثم أخذوا الأمراء ولم ينكر عليهم أنهم أولاد عم حرب وصاروا تلك الليلة فى خيمة اللعين عقبة فقال لهم عقبة مابقى لهم إلا المسير ثم انه كتب كتاب إلى الراهب جرجيس وسلمه إليهم ثم أخذوا عشرة صناديق من المطبخ وحطوا الأمراء فيهم وكان عقبة من خبثه أعلم دويب وقال له إذا دخلت على الأمراء فقل لهم جاءكم الفرج حتى يساعدوك على أرواحهم ويطمئنوا ويعلموا أنكم تحملوهم إلى المسلمين ففعلوا ذلك وساروا بهم حتى حصلوا فى خيمة عقبة وأقاموا الرجال على رؤسهم بالسيوف وجعلوا الأكر فى أفامهم ووضعوهم فى الصناديق وقال لاتطعموهم فى اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بقدر ما يمسك منهم الرمق (قال الراوى) ثم خرجوا ومعهم عقبة وأوصاهم بما أراد وساروا على فرسخ من الطريق وإذا بأشباح تلوح فى ظلام الليل فقال دويب لأولاده انظروا هذه الاشباح وعودوا إلينا بالاخبار فمضوا وعادوا وقالوا هذا رجل من عند ابن الاندرياس يخبر انهم أخذوا نصيبين وهم ينظرون عساكر الموحدين أن تصل إليهم فلم تصل فرحلوا إلى برقعيد فالتقاهم هناك عمرو بن عبيد الله فى ستمائة ألف وهم عسكر العراق ويكون

لقاهم يوم الاحد إذا ارتفع النهار وقد أرسل الأندرياس هؤلاء هم من بنى عمنا يطلبون فى ذلك رأى الشيخ النجح فيما يفعل فانهم رأوا فى رأيه البركة والخير ولا شك إذا رأوا هذه الصناديق معنا يقولون عرب ابن شيبان رأينا فلان وفلان ومعهم كذا وكذا فيلحق بنا أسرع من البرق ويرسل فى كل طريق منهم قوم ونحن مشتغلين وخيلنا ضعفاء فيفوتنا المال ويكون سببا للنكال فقال لهم دويب لقد قلتم الصواب ولقد نظرتم موضع النظر وعندى رأى وهو اننا نعمد عليهم ونقول انزلوا حتى تأكلوا معنا شيئا فلقد أتيتم تعابا من المسير فى هذه الايام ويكون نزولنا فى هذا الوادى فاذا نزلنا ونزلوا فنكون قد انفردنا عن الطريق فنضع الخناجر فى المحاجر ونذبحهم ذبح التيوس ونأخذ سلابهم وعددهم ودوابهم ويكون ذلك قوة لنا على الطريق ونجعله توفيق مضاف الى توفيق وإن لم نفعل ذلك بهم وإلا فما يبقى منا أحد إلا وهلك (قال الراوى) فاستصوبوا رأيه وقالوا هذا هو الصواب وساروا إلى أن التقوا وسلموا عليهم وقالوا لهم إن دخلتم المعسكر فى هذه الساعة يأخذكم الصياح من كل جانب وسهام الحراس وماندرى ما يكون منكم وعندنا رأى أن تنزلوا عندنا وتأكلون شيئا من الزاد وترعوا خيولكم الى الصباح ثم بعد ذلك ترحلون فلما سمعوا ذلك لم ينكرون شيئا من أمورهم لانهم يعرفونهم لاجل ما بينهم من القرابة والدين فلم يجدوا سبيلا إلى مخالفتهم فساروا معهم ونزلوا فى ذلك الوادى الذى ذكروا فلما نزلوا قدموا لهم الطعام فلما اطمأنوا قاموا إليهم بكل حسام فما أحسوا حتى عملت السيوف فى رقابهم فقتلوهم عن آخرهم وأخذوا اسلابهم وعددهم وخيولهم وساروا إلى ما أمرهم به عقبة فلما أصبح الصباح طلب حرب بن شيبان الامراء فلم يجدهم فعظم عليه وكبر لدية وسأل اللعين عقبة عنهم فحلف له أربعين يمينا بالانجيل أن ما عنده منهم خبر فبينما هم كذلك وقد أمر العساكر بالزحف الى ملطية حتى يأخذها وإذا بغبار قد طلع من ناحية آمد حتى سد عين الشمس ثم انكشف عن مائة وعشرين ألف عنان وإذا فى أوائلهم الأمير ضيغم ولد الأمير عبد الوهاب وهو ينادى يا الكلاب يا الكلاب ولما وقعت العين على العين وقد نظروا إلى الأمير ضيغم وبنى كلاب فلم يفكروا فيهم ولا التفوا إليهم لانهم فى عددهم مرار والثانى قد علموا أن أبطالهم قد عدموا هذا والأمير ضيغم قد كب رأسه فى قربوص سرجه وحمل فقتلوهم الروم وحملوا عليهم وارتجت الأرض من كثرة الركض وكانت السلامة للهارب أوفى حظ فعند ذلك التحم القتال وطلبوا النزال وحامت عليهم الآجال ودارت بهم طوارق الأهوال وطحنت رحا الحرب رؤس الأبطال وضجت الارض من قطرات دماء الابطال

ولم يعرف اليمين من الشمال ولم يعرف الولد أبيه من شدة الزلزال وصارت الخيل تطلب لأنفسها النجاة من المحال والرجال تغصبها على الجولان وجاء الحق وزهق المحال ولم يبق إلا الصدق وبطل الضلال ولم يزل الناس فى هذا الحال إلى أن نودي فى كتائب النهار بالارتحال وفى كتائب الليل بالانسدال ونادى المنادى بالانفصال وقد رجعوا عن بعضهم البعض وهم سكارى من غير مدام وأضرمت النيران وتحارس الجيشان وكانت بنى كلاب قد حرست أن تصل إلى ملطية فلم تقدر على ذلك وقتل منهم جماعة من الابطال وقتل من الروم خمسون ألف ومن المتنصرة جماعة من الاقيال وكان ذلك اليوم مثل يوم الساعة إلا أنهم ما بان فيهم النقص لكثرتهم ونظر النقص فى بنى كلاب لقلتهم ولما أمسى المساء واختلط الظلام ونزلوا الناس فى الخيام واجتمع حرب ابن شيبان مع عقبة اللعين وقال له أيها الشيخ النجيح انه ما جرى على قلبي هما وغما مثل ما جرى على قلبي من فقد الأسارى والملك وسائر الملوك والشيخ الصالح شومدرس والراهبة شوما وولدها دهرشوم والبطارقة الكل مرهونين عليهم فيالها من مصيبة ما كان أعظمها وما أظن اننا نلتقى بهم خير لاننا فرطنا فيهم ولقد بلينا اليوم بعساكر بنى كلاب ولقد امتلأت الارض بالقتلا وسالت على الارض الدما ومع ذلك لم نبلغ شيأ ولا أخذنا من له قدر (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع عقبة ذلك الكلام من حرب ابن شيبان قال أيها الامير لا تحمل على قلبك هم ولا غم من الاسارى فانهم لا شك سرقوهم المسلمين وما فعل ذلك إلا أبو محمد البطال وأما الملوك فانهم يشترون أنفسهم بالمال والهدايا والرجال وأما العسكر جرى لنا معهم ما جرى فيكون لنا معهم شأن وأى شأن فقال حرب أيها الشيخ النجيح بحق ما تعتقده إلا ما دبرت لنا حيلة يكون فيها التعكيس لهذا العسكر فقال عقبة أيها الامير طب نفسا وقر عينا فانى فى غداة غد أعمل على تقتيل المسلمين وهزيمتهم ولكن أريد منك فى مقابلة ذلك إذا فتحنا البلد تبذل السيف فى كل من فيها من كبير وصغير ولا ترفعه عنهم حتى لا يبقى منهم أحد فانى قد آليت على نفسى انى أترك الدم فى أزقتها يسيل ولا بد ما أترك الابدان مطروحة حتى تجيف فقال حرب ابن شيبان لك على ذلك (قال الراوى) فلما سمع ذلك اللعين عقبة قال سوف ترى العجب ولكن أنا أمضى وأفتكر فى حيلة أدبرها على هذا العسكر ثم انه دخل إلى الخيمة وقعد ساعة وخرج وقال لغلامه قد عملت عملا ما سبقنى إليه أحد ويكون ذلك سببا لاخذ البلد وكسر العسكر ثم وثب إلى حرب ابن شيبان وعرفه جميع ما دبر ففرح وقال ما الذى عندك الساعة قال عندى انك

تنادي فى خمسين ألف يحملون على بقايا عسكر المسلمين لأنى قد دبرت على ضيغم حيلة عجيبة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن عقبة تقدم إلى رجل من المتنصرة وقال له امضى إلى ضيغم ثم أنه ساروه فى أذنه فبينما ضيغم قد نزل فى مضربه وهو تعبان مما حل به وإذا قد دخل عليه رجل من العرب وقد أجهد نفسه المسير والتعب وقال أيها الأمير ادرك أباك فانه مع قوم من المتنصرة سائرين به إلى القسطنطونية وهم قد نزلوا فى مرج وادى الحجل وهم مقيمين ومطمئنين آمنين إلى أن تأتيهم بقية أصحابهم الذين مضرامع الاندرياس فلما سمع ضيغم ذلك من الاعرابى عرف الوادى لأنه تربية تلك الارض وكان كل قليل يتصيد فيه فأخذ معه من العسكر خمسة آلاف فارس وساروا والبدوى معه يدل به إلى الطريق فهذا جرى ههنا (وأما عقبة) لعنه الله فانه قال لحرب ابن شيبان أريد أن ترسل إلى الوادى عسكر ويكمنوا فى أربع جنباته فاذا أتى ضيغم يخرجوا عليهم ويضعوا السيف فيهم فلا ينجو منهم أحد وأنت فى بقايا العسكر الذى معك وهم مائتين ألف فقال سمعا وطاعة لا عدمنا هذا التدبير ثم أنه أرسل إلى الوادى مائة ألف فارس وأوصاهم ان يكمنوا لضيغم فى أربع جوانب فاذا نزلوا واستقروا فى الوادى فاظهروا عليهم وابذلوا السيف فيهم فان سلموا فأتوا بهم أسارى ثم دعى بملك يقال له قسطون وقال له قد جملتك فى هذه الخدمة مقدم على القوم حتى أرى ما تصنع فقال سمعا وطاعة وسار فى تلك الساعة إلى الوادى الذى وصفه له فاكمن هناك الملعون قسطون حتى اطمأنوا وأما حرب ابن شيبان فانه قال لقومه صيحوا فى العسكر صيحة واحدة فما أظن القوم إلا نيام من تعبهم فى يومهم الماضى لان الرجل منهم يقول يقاتل أربعة قال وما كانت إلا لحظة حتى أحاطت الروم بالمسلمين من كل جانب ومكان ورفعوا بكفرهم بالرحمن وكان الامير هياج والامير مالك ابن بشر يحرسون العسكر ويدورون حوله فلما سمعوا الصياح قالوا ما أخوفنا ان الروم قد علموا بمن راح من العسكر فداخلهم فينا الطمع (قال الراوى) وبينما هم كذلك وإذا بالروم قد حملت من كل جانب وجردت القواضب وقامت المسلمين من مراقدهم كأنهم السلاهب وثار الغبار وعمل الصارم البتار وبدلوا الضياء بالغياهب وصار هذا مضروب وهذا ضارب وهذا منكوب وهذا ناكب وخاضت الخيل فى الدما كما يخوض فى سيول السحاب ولم يجدوا بنى كلاب سبيلا إلى الثبات وعولوا على الهرب فصاح الامير مالك ابن بشر من وسط المعمعة وبعد ذلك تفرون عن البلد فتملك نسائكم وتسبى الكفار بناتكم (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك أخذتهم الحمية وصبروا صبر الكرام فى طاعة

الملك العلام ولم يزالوا على تلك الحالة حتى ذهب الظلام وكانت تلك الليلة عليهم أطول الليالى وأطول من ألف عام الى أن أصبح الصباح ووقعت العين على العين وقد طمعت الروم فيهم لقتلهم والمسلمين يقولون لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وهم فى وسطهم كالحصاة الملقاة فى الفلاه هـذا وأهل ملطية لما ارتفع النهار ونظروا إلى بنى كلاب وقد فقد نصفهم فأنكروا ذلك وظنوا انهم قتلوا فبكوا عليهم البكاء الشديد وقالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأخذوا فى الدعاء لهم فقال حرب ابن شيبان لقومه خذوا الراحة ونرجع على هؤلاء الذين قد أحد قنابهم ونأخذهم أخذا باليد فقالوا نعم هذا هو الصواب هـذا ومالك بن بشر لا يفتر ساعة عن ذكر الله تعالى ويقول للمجاهدين كانكم بالامير ضيغم وقد رجع ومعه الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب من بنى كلاب وتظفروا بالاجر والثواب ولم يزالو كذلك إلى أن ارتفع النهار وأكلوا الناس الطعام وتواثبوا لضرب الحسام وكان أول رجل عزم على الجهاد كان الامير مالك بن بشر وتواثبت من بعده الرجال وحملت عليهم الروم وصدموهم صدمة عظيمة فتضعضعت أحوال الرجال والتفت الصدور على قرابيض السروج ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والابطال بالاصوات تجلجل إلى أن استوت الشمس فى قبة الفلك واشتاقت الارواح إلى شرب الماء وحمى الحديد على أبدان الرجال الصناديد وقاتلوا قتال شديد وذل الجبان العنيد وخسفت الصدور بالاعمدة الحديد فبينما هم كذلك وإذا بالغبار من ورائهم قد ثار وعلا وملا الاقطار فوقفوا العسكرين ينظرون ذلك الغبار والمسلمين قد اطمأنت قلوبهم بأن يكون الامير ضيغم والامير عبد الوهاب والامراء قد أتوا ولم يعلموا ماجرى فى الغيب وكان ذلك الغبار له حديث عجيب وأمر مطرب غريب (قال الراوى) يا ساده يا كرام وان الامير ضيغم سار حتى وصل إلى المكان الذى وصفه الاعرابى فعند الصباح وصلوا اليهم فلم يجدوا أحد فقال لاصحابه والله ان الارض هذه ما عبر فيها أحد وما أخوفنى أن تكون حيلة قد تمت علينا فيالها من مكيدة ما أعظمها ثم عاد من وقته يسير إلى وادى الحجل وقد تعبت الخيل فشكوا ذلك إلى الامير ضيغم وقالوا أيها الامير العين لها حق وقد رأينا أن تنزل بنا هنا ونستريح فى هذا الوادى فقال والله إنى خائف عليكم ان تكون حيلة قد دبرها علينا اللعين عقبة حتى فرق عسكرنا وتهجم الروم على الامير مالك ومن معه لكن ننزل بقدر ما نأكل الطعام ونريح الخيل ونلحق بقومنا (قال) ففعلوا ذلك ونزلوا القوم فى دار الحجل وأكلوا الطعام وهم تعابا مثل السكارى وسرحوا الخيل وانبسطوا فى المرعى ووقعت

الرجال صرعى من النعاس فخرج الملعون قسطون فى مائة وخمسين ألف فارس وكانوا قد استراحوا وأراحوا خيلهم فأول ما ملكوا الخيل والعدد ثم تقدموا إلى الرجال فصار كل واحد مسلم يقف على رأسه خمسة أو ستة ثم انهم نزلوا إليهم وكتفوهم عن بكرة أبيهم وكان بالأمر المقدر والقضاء المدبر السودان كانوا نزلوا على بعد منهم فلما أن ملكوا المسلمين قالوا لبعضهم البعض اقصدوا السودان ثم انهم تركوهم وجدوا فى سيرهم ولم يلتفتوا إليهم لأنهم استغنموا الفرصة وطلبوا العسكر وهم فى القتال والحرب والنزال وهم كذلك وإذا بالغبار الذى ذكرناه فعندذلك تطاولوا بالاعناق وشخصوا بالأحداق وانكشف الغبار ونظروا الروم إلى العرب وهم أسارى فجعلوا يعطعطون عليهم ولما رأى مالك ذلك عظم عليه وكبر لديه وقالوا اعلموا يا أصحابنا أن الله ربكم ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيكم فعليكم بالصبر حتى تظفروا بالجنان والحور فقالوا والله لقد هانت علينا نفوسنا عند هذه النازلة التى حلت بنا وبأصحابنا وما بيننا إلا من خلا الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بوجهه فعندذلك قال لهم بارك الله فيكم إن الله لا يضيع أجر المحسنين هذا قد ولت أوقات الضيا وأقبلت أوقات الظلمات وقد أحدقوا الروم بالأمير مالك وانهم تيقنوا انهم فى غداة غد يأخذوهم أخذا بالكف وقعد حرب بن شيبان وأحضر بنى كلاب فوجدهم فى عالم عظيم فقال ان هؤلاء كفاية أفادى بهم الملوك والراهب سومدرس وقد بلغنا ان الملك الاندرياس قد أخذ نصيبين وقد أشرف على أخذ الموصل فتكون خيله الساعة قد سارت الى بر قعيد وقد انضافت العساكر الذين مع عمرو بن عبيد الله وعسكر الرشيد من بلد للبلقا وسوف تأتيكم فى يومكم هذا وفى غداة غد الاخبار وقد جرت الواقعه فان كانت لنا فسوف نخلص ملوكنا على انى أعلم ان مابقى أحد يدفع العسكر الذى لنا لانهم فى ألف فارس وهم عالم عظيم تضيق بهم الأرض فى طولها والعرض وأنا أعلم أنهم يملكون العراق وسائر الآفاق ونحن نملك ملطيه ونقتل كل من فيها من الحريم ثم إنه أقبل على الأمير ضيغم وقال له كيف أنك يا ابن الأسود الزنيم كيف أخذك المسيح أخذ الغضب فقال له ضيغم ياكلب العرب المتنصرة ويامن قد خسر الدنيا والآخرة سوف تعلم من بضاعته خاسرة وعلى من تدور الدائرة وتقول غضب المسيح فحاشا لله وإنما أنت المغضوب عليه لأنك قد ارتديت عن دين الإسلام وطردت عن باب الملك العلام ومنعك الخير وضربك بسيف نقمته وأحرمك من جنته فلما سمع حرب بن شيبان ذلك وثب إليه وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وجرد سيفه من غمده وهم أن يقضى عليه فقالت له

البطارقة أيها الأمير إن عبد الوهاب قد خاص هو ومن معه وما نعلم كيف كانت قصتهم وجميع ملوكنا فى أسر المسلمين وما معنا مأسور نعتمد عليه إلا هذا وأنت ما صدقت وقع هذا فى يدك حتى تبلغ به ما تريد من الأحباب فدع هذا حتى تبصر ما يكون من عاقبة الأمور (قال الراوى) فلما سمع ذلك من كلامهم رآه صواب فأمر أن يفرق بين الاسارى عند البطارقة فى كل خيمة أسير وبات تلك الليلة فقال له عقبة لعنه الله كيف رأيت هذه الفعلة فقال ما أنساها لك وفى غداة غد أسلم لك البلد بلا قتال ولا نزال هذا وقد بات الامير مالك محزون بما جرى عليه ولما أسفر الصباح وأضاء بنوره ولاح تواثبوا الروم إلى السلاح وقصدوا خيمة حرب بن شيبان ليستأذنوه فى الحملة على المسلمين فلم يجدوه وخيمته خالية فقالوا يا لها من مصيبة ما أعظمها فقصدوا بنا ضيغم حتى نحتفظ به فطلبوه فلم يجدوه فقال بعضهم لبعض كان الشيخ النجيح قد مضى فى حيلة يريد يدبرها وأخذ حرب بن شيبان معه فدونكم والقتال هذا والامير مالك قد صاح برجاله وقد حملوا بقلوب صافية وفى أوائلهم الامير مالك بن بشر وهو يقاتل بيده اليمنى وليس له يد أخرى يحمل بها الترس لانها قد قطعت فى فتح الحصون كما ذكرنا وهو مع ذلك ينشد ويقول :

ألا يا كلاب الروم سوف أذيقكم ... طعاما سموما فى المذاقة بالطعم
وانصر دين الهاشــمى محمد ... نبى الهدى بل أفضل الخلق فى العلم
ومن كان قواما إذا أظلم الدجى ... وأفضل خلق الله فى العرب والعجم
فان كان ربى قد سلبنى بحكمه ... شمالى قصيراً للقضاء وللحكم
فلى وجلال الله نفس نقيــة ... لها حسن ظن مع منازلة العلم

(قال الراوى) فما فرغ من شعره إلا والصليب الجوهر قد تنكس بتكبير ذو الجلال والإكرام وكان الامير مالك يمد نظاره يجد أربعة آلاف يضربون الناس بالسيوف الصقال فالت البطارقة نحوهم وإذا بالخيام التى للنصارى قد ضربت بالنيران وقد ارتفعت من كل جانب وظهر من الخيام ألف من السودان وخرجوا المأسورين يكبروا وهم ثلاثين ألف من بنى كلاب والسودان وحملوا على البطارقة فكأنهم ما كانوا إلا نيام وقالوا هذه أضغاث أحلام وفى أوائل الناس الباز الأشهب والليث القرهب . والقران الأمجد والرجل الأوحد والنار التى لا تخمد الأمير الأجل والكهف الأطل الامير أبو محمد البطال وهو يحرض الناس على القتال فلما نظر الامير مالك إلى ذلك قوى قلبه وقال يا معاشر المسلمين قد نصركم الله رب العالمين على القوم الكافرين أصدقوهم فى هذه الحملة (قال الراوى) فعندها حملت القوم

بقلوب حنقه ونية صادقة ورماح خارقة وطوارق مشرفية فتركوا الرؤس على الارض دائرة وصارت من حلاوة الروح أعينهم ناظرة وأصبح ريح القوم خسرا ونظروا من المؤمنين أمرا نكرا فى تلك الساعة ظهر من ورائهم غبرة عالية وقترة نامية ثم انكشفت من تحتها السودان بالصدور الزرد وفى أيديهم الرماح والعمد ولما وصلوا حملوا وكبر والجاوبتهم التلال والرماح فخيل للروم ان الارض قد انقلبت فصلبوا على وجوههم وقالوا لاشك إلا أنه قد أتى الامير عبد الوهاب واليوم يضرب منا الرقاب الهرب الهرب من قبل أن نقع فى العطب فانهزمت الروم عن بكرة أبيهم وقتل منهم عالم عظيم لا يحصى بعدد الرمل والحصى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أمر عجيب وحال غريب وذلك ان الامير أبو محمد لما خرج من بلده آمد وسار الى ان وصل الى ملطية فوجد العساكر عليها وكان قد أتى فى طلب الامير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب فوجدهم قد عدموا فبقى حاير لايدرى من أين تم عليهم هذا فعاد وأخذ من السودان ألف أسود وسلك بهم طريق السبخة فوجد سودان قراقدوهم خائفين غاية الخوف لانهم لايعرفون السير فى تلك الارض فانهم لما انعزلوا جاء عليهم النوم فلما استيقظوا وجاؤا الى مكان ضيغم فوجدهم قد عدموا وقتل منهم جماعة فذهلوا وحاروا من ذلك فهم فى دهشتهم خائفين واذا بأبو محمد البطال قد أدركهم فسألهم عن حالهم فحدثوه بالذى جرى وما تم على الأمير ضيغم بنى كلاب فعظم عليه وكبر اديه ودخل بالسودان فى الليل الى عسكر الروم وأخذ حرب بن شيبان وطلب عقبة فلم يجده (قال الراوى) كان السبب فى عقبة انه خرج من العسكر فى حرصه على الأمير عبد الوهاب ومن معه وانه خرج أول الليل وقال فى نفسه أننى دبرت على المسلمين وأخذت منهم ثلاثين ألف أسير وقد أشرف الباقين على الهرب والذى أزعجنى قتل هذا الاسود الزنيم ومن معه قبل أن يجىء مع العرضيات مالم يكن فى الحساب وحلف اللعين حلفان يستاهل عليه السلك وقال عقيب الحلفان ان أبقيت على عبد الوهاب ومن معه ما أكون عقبة وقد تعبت مما أطاول القوم فى كل مرة ويخلطون من يدرى وما أبلغ غرضى وإذا هلكتهم بقيت قرير العين وإذا هلكوا لايقوم للإسلام بعدهم قائمة ابدا لانهم أصحاب الهمم العالية فلو هلكوا كنت أصير فى عيشة راضية فقال له غلامه خالد أيها القاضى اذا وقعت عينك عليهم فلا تطيل بالمخاطبة وتقضى الاوقات بالمعاتبة بل أبذل فيهم السيف حتى يستقى الفؤاد بقتل الأعادى والحساد ولا تطول معهم فقد قيل فى المثل من عاش بعده عدوه يوم فقد بلغ المنا ولو لم يكن فى ذلك إلا قتل

العاهرة ذات الهمة التى إذا رأيتها ترتعد مفاصلى منها أنا والأبطال الصناديد (قال الراوى) فلما سمع الملعون عقبة ذلك ضحك وقال طب نفسا وقر عينا فقد انقطعت آجالهم وعجل المسيح ارتحالهم ثم انه جد فى المسير لأجل قتل الأمراء المجاهدين الذين وهبوا أنفسهم لرب العالمين (قال) وجعل اللعين يسير فى أرض ما يهتدى إليها الجن إلى أن وصل إلى انطاكيةوقرب إلى الراعب . هذا ما كان من الملعون عقبة (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فإنه خلص الأسارى كما ذكرنا وكسر الروم كما وصفناوجرى من القصة ما جرى وفعلوا ما أمرهم به الملك القدير الذى هو نعم المولى ونعم النصير وانكسرت عساكر الروم وملك أبو محمد الخيام بما فيها من المتاع والسرادقات والقباب والعدد والسلاح والسروج الذهب والفضة والأوانى للطعام والعلوفات وتلك الأمثال متاع أربعمائة ألف مقاتل واتباعهم من كل صنف من الأصناف فكان شيأ لا رأت العيون ولا سمعت السامعون مثله وفتح باب ملطية ودخلت بنى كلاب والسودان الأنجاب الذين هم أصحاب قراقد وأخذوا الخيول والعدد (قال الراوى) وبقى الأمير ضيغم فى سودانه وفرح أبو محمد الفرح الشديد وقبله ما بين عينيه فقال الأمير أبو محمد اعلم ياولدى أننى خاطرت فى خلاصك ومن أجل اللعين عقبة وبنى كلاب وانهزموا الكفار وأنا أعلم أن الأمير عبد الوهاب ماغاب إلا وهو مع عقبة أسير وأخاف إن كان عقبة أخذهم يهلكهم ولا بد لى من طلبه أينما كان والدخول على خطر إلى أقصى بلاد الروم بسببه ولكن أنت تعلم ماقاسيت وأريد منك الذى عام بها فؤادى وطيرت رقادى الملكة نورى حتى أسير فى طلب الأمير بقلب منشرح ولو كان فى أى بلد من الأرض فى طولها والعرض فإننى لا أقدر أبذل روحى حتى أعلم أن نورى قد صارت فى يدى وقد طاب لذلك قلبى كما قال القائل حيث يقول

ولى ألف باب قد عرفت طريقها   ولكن لى قلب إلى أين أذهب

(قال الراوى) فقال له الأمير ضيغم طب نفسا وقر عينا أيها الأمير الأجل الرفيع المحل فإنى سوف أعطيك رضاك وفوق رضاك وأبلغك مناك ولو يجرى على الأمير ما يجرى فانك فعلت ما لم نقدر أن ننساه فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك فرح فرحا عظيما وكاد قلبه أن يطير وذهب عنه الخوف والهلع وهاجت به رياح الشوق من صميم قلبه وقوى طمعه وزاد عشقه وتحرك شوقه وقد سئل على بن أبى طالب عن العشق فقال هو الطمع وإنه إذا لم يعشق لم يقع الطمع وأما الأمير أبو محمد فانه تجددت أشجانه وتوقدت نيرانه وذهب كتمانه وباح باسراره وإعلانه وتضاعفت زفراته

وتحدرت عبراته وذكر أصحابه وخلانه فأنشد يقول من عظم أحزانه

أيا سائلا عنى وما قد دهانيا … من الوجد والشوق الذى قد علانيا
ولو أننى أشكو من الوجد بعض ما … لقيت إلى الصخر الاصم رقاليا
وفاضت دموع الحاسدين تعطفا … وحسبك من قبلى عليه الأعاديا
لقد ملكت قلبى وسرى بحسنها … وقد علموها لا تريد لقائيا
فيا ليت نورى أصبحت لى ضجيعة … ولو ساعة من قبل يوم حماميا
هجرت وبيت الله فيها أقاربى … حبيبى وخلى وابن عمى وخاليا
وعاديت فيها سيدا كان دائما … يرى أنه بهجتى الود صافيا
وعاديت حقا كل من كان طالبا … لها وبذلت السيف فيهم علانيا
وسارت معى ابطالها السود نخوة … وميمونها لا زال فى العز راقيا
وهان على قلبى بأن أقتل الذى … أخذها عتوا لا يرق لحاليا
وسيرت خليلى نحو آمد طالبا … وصيرت لى ملكا بحسن احتيالها
وحاصرنى المولى الرشيد بجيشه … وقد جئت من أرض النصارى مغازيا
وفى قبضتى شومدرس ثم عقبة … أسارى حيارى فى قيود مغاليا
وشوما ودهر الشوم لا كان اسمهم … وما كان أسرى عند ذلك غاليا
وسارت إلى الروم من كل جانب … صبرت كأنى الصخر فى وسط واديا
إلى أن أتانى الله منه بنصرة … وحزت ملوك الروم والليل هاديا
وكان الذى قد كان حتى وجدتكم … وأنتم أسارى الروم من كل ناديا
ومزقت جيوش الروم ثم تركتهم … وأبطالهم فى الحرب لم تدر ماهيا
ولكن راعا ضيغم اليوم جانبى … فمثلك من أمسى حفيظا وراعيا
فنال دعائى مع ثنائى ونصرتى … وودى وصدقى مع جميع فعاليا
فمثلك من أضحى يرى حق عمه … ولا يك مثل الأب يا صاح جافيا
لعل الذى يذهب من الوصل شجوة … ويصبح سرى مثل ما كان خاليا
وأمضى إلى أرض العدو ولم أزل … أدور بلاد الكفر والليل هاديا
وأسمع أخبار الأمير وصحبه … وأنقذهم من يد عقبة وهو خازيا
وإن أحسن الله الرجوع إليكم … فقد نلت ما أرجوه طول حياتيا
وأرجع فرحانا بهم وبقربهم … وأمضى إلى أرض العراق قصاريا
وأنصر دين الهاشمى محمد … نبى الهدى خير الورى ذو المعاليا
وأحمل عن قلب الرشيد الذى به … ونضربهم بالمرهفات المواضيا

ونطعن لبات الرجال جميمة ومن يك ذا صبر بطعن العواليا
فخذها قريبا يابنى ولا تكن مطولا بنورى فهى طول حياتيا

(قال الراوى) فلما سمع ضيغم من الأمير أبو محمد ذلك الكلام والنثر والنظام ورأى شعره وبكاه رحمه ورق لشكواه وسمع نداه ومدحه وأثنى عليه فأقبل عليه وحياه وقال وحق العرش ومن علاه والبيت الحرام ومن بناه وحق الإله الذى لا يعبد سواه ومن طاف وسعى بالكعبة الحرام سبعا ومن رفع السموات رفعا وقسم الارزاق فى الخلائق عطاء ومنعا وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى سائر الخلق جمعا واختاره من ذروة قريش نبعا وأكرم طبعا وقمع الشرك قمعا وسطع بهاء الإيمان سطعا لوكان والدى الامير عبد الوهاب ههنا ومنعك من نورى لحللته بالسيف دونها وأقتله وأريحه من غيرتها (قال الراوى) ثم أن الامير ضيغم وثب قائما على قدميه وقد قامت فى أم رأسه عينيه وقد أشاروا عليه بنى كلاب كلهم أن يدفع نورى إليه وقد علمنا ان خلاص الجميع فى هذه النوبة ما كان إلا على يديه وأيضا سلامة البلد لان أهلها كانوا أشرفوا على العطب فسلم نورى اليه ولا تبخل بها عليه فقال ضيغم سمعا وطاعة والله لا بد ما أحكمه فيها فى هذه الساعة (قال الراوى) فبينما ضيغم فى الكلام مع الجماعة واذا قد ظهر من ناحية ملطية بغله ذرزوريه وبين يديها جماعة من الخدم والعبيد والغلمان والحشم فنظروا الى من على تلك البغلة واذا بها الاميره علوى زوجة الامير عبد الوهاب ولما نظروها بنى كلاب تبادروا اليها وسلموا عليها وحيوها بالسلامة والسلام فردت عليهم السلام بالاشارة من غير كلام وقد قصدت الى محل ضيغم ونزلت فيه فدخل اليها ضيغم وهناها بالسلامة ودخل معه أيضا أبو محمد البطال فسلمت عليه علوى وقالت لضيغم اعلم ياولدى ان حقى واجب وقد دخل على قلبى من الضرر بسبب هذه الجارية العاهره الرومية التى أومتنا فى جميع المصائب وأرمت بين أبوك وبين هذا الامير أبو محمد كل النوائب وكان له نعم الاخ والصاحب وعندى من الغيرة ما لم يدخل على قلب بشر ولا مر على قلب مخلوق ولا خطر فعجل الآن وسلمها الى البطال وأرسل اليها فى ساعة الحال فقد بلغنى ما فعل معكم وكيف خلصكم من الاسر والاعتقال لانه دائما منصور مظفور صاحب الاعمال الجليله أينما حضر وصادق فيما وعد من القول والخبر فقم سلم اليه الجارية الملعونة التى قد وقعت من أجلها الفتن والضرر فان أبو محمد فى حكمها قصر وقد بلغنى عدما نظم ونثر وانه يستاهل بذلك عطيه فعندها وثب ضيغم كانه أسد قسور وقال يا أماه وأنا على هذا معول ان طاوعتينا على تسليمها ولا تقاسى منها ما قاساه

الامير عبدالوهاب حتى نحل جسمه من لهجران وكثرة الغبون على طول الزمان فقالت يا بنى هل لك أن تسير دن أجل أبو محمد فى هذه الساعة وأعلم ان نورى ما هى عندى فقال يا أماه ما هى فى الدار التى تركها فيه أبى فقالت اعلم ياولدى ان الأمير عبد الوهاب لما انفصل عسكر الرشيد من آمد خشى عليها منه وأنفذها مع ألف فارس من بنى كلاب ومائة من السودان الانجاب الى حصن الكوكب عند الامير نافع وأوصاه بحفظها الى ان يعود سالم وقد عول انه اذا رجع أغصبها على نفسها (قال الراوى) فلما سمع ضيغم من علوى هذا الكلام عظم عليه وكبر لديه ونظر للامير أبو محمد فوجده قد صار وجهه لون الزعفران ودموعه تنسكب مثل الغدران وقال لضيغم ان الامير عبد الوهاب قد خلص وسار إلى قلعة الكواكب من أجل نورى حتى يقضى منها وطر فقال ضيغم ما كان الامير يفعل ذلك فكيف كان يرى فى دينه الاشتغال بها عن دين الاسلام ويفعل بها هذا الفعال بين الأنام فقال البطال والله يفعل ذلك لان نورى ما خلت له من المروءة لا كثير ولا قليل وقد ترك الحق واتبع البطال (قال الراوى) وكان القول من الاميرة علوى حيلة منها على البطال وذلك لما اتاها الخبر ان ضيغم يريد ان يسلم نورى إلى ابو محمد البطال فعظم عليها وكبر لديها وأخفت الكمد وأظهرت الجلد وقلت والله إن الغيرة أمر عظيم وحال جسيم ولالى صبر عليها ولا طاقه وإنى إلى الخلاص إلى نورى مشتاقة إلا أن يكون على غير هذا الوجه يكون أجمل وأجود ثم انها أقبلت على ولدها إبراهيم وقالت له اعلم ياولدى ان هذه الجارية نورى لولا أخذها الامير أبو محمد ما نسبه الامير عبد الوهاب الالى والثانى ربما يكون فى قلب الامير عبد الوهاب منها أمر ولا ينال منها غرض فيكون ذلك سببا لمرضه وله على من النصيحة والصحبة ما يوجب المبادرة إلى غرضه ولو كان فى ذلك تلافى واحمل من أبيك المضيق على روحى فقد قيل فى المعنى

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه   وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك ان لم تحمل الثقل فى الهوى   يفارقك من تهوى وانفك راغم

وأريد منك يا ولدى أن تخليها وتقول ان الامير أرسلها الى حصن الكوكب ولا عنـــد ضيغم ولا الامير أبو محمد خبر فقال الامير ابراهيم لعمرى لقد الصواب ثم ذهبت علوى الى الدار التى فيها المالكة نورى وسلمت عليها رأتنى فقامت له نورى قائمة على قدميها وتلقتها وأكرمتها فأقبلت على نورى وقالت لها اعلمى انه قد جرى من الأمر ما هو كـذا وكـذا وان الامير عبد الوهاب الساعة قد عدم وملوك الروم كلهم أسارى عنـد الأمير أبو محمد البطال وقـد انهزمت عساكر

الروم التى كانت على ملطيه وأسرحرب بن شيبان وملكت أموالهم ورجالهم وأثقالهم والآن فان أبو محمد البطال قد طلبك من ضيغم وقد عول على أن يسلمك إليه (قال) فلما سمعت نورى ذلك ضحكت وقالت وحق المسيح إن كل من دنى منى ضربته بهذا السكين قتلته وإن أغصبنى أحدا على نفسى مصصت هذا الخاتم الذى فى أصبعى فانه فانه سم خارق لوقته فأقتل أنا روحى قبل أن ينال منى غرض (قال) فلما سمعت علوى ذلك عظم عليها وكبر لديها وقالت لها انا نصحتك فاعرفى النصيحة وتقبليها وتعلمى الفساد من الصلاح وقد كنت أشتهى أن لا تقيمى عندى ولكن إذا ذكرت لكى ذلك لا تعلمى به أحد لأنى سمعت أن الرشيد قد عرض بذكرك وفى قلبه منكى شيء عظيم وقد قال للأمير عبد الوهاب أن هذه الملكة نورى ماتصلح إلا لى فانى أريدها لنفسى وأقيم على رأسها ألف جارية برسم خدمتها وان تعرضت لها لأضربن رقبتك ورقاب سائر بنى كلاب والدليل على صحة قولى أيها الملكة أن الأمير ما قدر يغصبك على نفسك لأجل كلام الرشيد وأيضا من حيلة الأمير أبو محمد البطال لأنه شيطان الأرض فى طولها والعرض والرأى عندى انكى تقومين إلى دارى فى أكرم مقام حتى إذا طلبك الرشيد يأخذك لنفسه سالمة مسلمة (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ذلك من كلام علوى قالت وحق المسيح لقد صدقتى فى قولك وماأردتى بذلك إلا الخير وقد ذكرنا أن نورى لما نظرت إلى الرشيد وإلى ماأعطاه الله تعالى من الرفعة والهيبة وحسن الشباب لأنه ما كان فى بنى العباس أصبح منه وجها ولا أكرم طبعا ولا أظرف لفظا ولا أحسن كلاما وان نورى مال قلبها إليه وقالت إذا كان المسيح قد حكم على أن أكون أسيرة بلاد المسلمين أكون عند هذا لأننى مارأيت فى بلاد المسلمين والروم أظرف منه وبقى فى قلبها منه أمر عظيم فلما سمعت ذلك من كلام علوى وقع على قلبها منه موقع وأجابتها إلى ذلك وسارت من الدار التى الأمير عبد الوهاب إلى دار الأميره علوى فلما حصلت عندها فى الدار بلغت الغرض والاوطار وركبت وخرجت إلى الأمير ضيغم والأمير أبو محمد البطال وأخبرتهم بما قد وصفنا فورد على قلب الأمير أبو محمد ما لم يرد على قلب بشر ولم يشك أحـــدا من الناس فى كلامها لأنها أول ماخرجت شكت إليه ولا صبر لها على ذلك وبعد ذلك أخبرت بهذا الخبر وقالت لهم امضوا إلى حصن الكوكب وخذوها من الأمير نافع فان أبى ذلك فاخبرونى فقال الأمير أبو محمد لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ادفع بها ما أطيق وما لا أطيق (قال الراوى) فعندذلك أقبل إليه ضيغم وقال له ياعم لاتحمل على قلبك هم فقال له يابنى كيف

لا أحمل على قلبي وقد عدمت المنى وقل مني القوى ومن فقدها عدمت سروري وقد حيرتني في أموري ثم إنه بكى وأنشد يقول هذه الأبيات :

دلالك معشوق وغنجك قاتلي ... ولحظك فاتن وطرفك فاتر
وثغرك ياقوت ودر منظم ... وخالك معطوف على الخد ساحر
حديثك رضوان ووجهك جنة ... ووصلك دار الخلد بل هو حاشر
وجسمك رومي وقدرك مائس ... وخصرك مخصور وردفك وافر
وقد كنت أرجو أن أفوز بوصلكي ... فغادرني فيكي الزمان الغادر
فياليت شعري هل أفوز بنظرة ... ولو نزلت بي بعد ذاك المقابر

(قال الراوي) فعند ذلك قال ضيغم وحق من فلق الحبة وبرى النسمة وتفرد بالكبرياء أن المملكة نوري لك ولا يعارضك فيها معارض ولا ينازعك فيها منازع وحق الباسط القابض وعلى الضمان في ذلك (قال الراوي) فهم على مثل ذلك وإذا بفتح المصري قد أقبل إليهم وسلم عليهم وناول الأمير ضيغم كتاب فسأله الأمير أبو محمد عن حاله فأخبره أنه قد أتى يطلب النجدة ويذكر أنهم على غاية من الخوف والوجل وأن الرشيد قد جمع العساكر المتخلفة في بغداد وقد سار إلى لقا الملك الأندرياس وما أتى له خبر وقد اشتغلت قلوبنا وقد جاءت إلينا الكتب من الموصل يأمرنا أن نكتب إليكم ونطلب لهم النجدة منكم فلما قرأ ضيغم الكتاب على الأمير أبو محمد بقي في حيرة وقال لضيغم اعلم ياولدي ان يمكنني المقام على نصرة الإسلام ولا من المسير إلى أمير المؤمنين فقال الأمير ضيغم ياأبو محمد كل عين تبكي شجوتها وقلبي مشغول على والدي الأمير عبد الوهاب والأمراء الذين معه وهم أبطال المجاهدين فقال الأمير أبو محمد اعلم يا ولدي أن أباك لا تعلم غيبته ولا حديثه أين كان ولا في أي مكان يقصد إليه والرأي عندي أن نسير إلى نصرة المسلمين ونعمل على هلاك المشركين فإذا خلصناهم نعمل بعد ذلك في طلب الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فقال ضيغم إذا كان الأمر على ذلك فاعزم بنا على المسير بعد يومين فلعل أن يأتينا أحد بخبر الامير عبد الوهاب وان يكن ذلك عولنا على الرحيل وإذا فرج الله تعالى على المسلمين وكسرنا عساكر الكافرين فان الرشيد يرسل إلى سائر البلاد يأخذ أخباره فقال الامير أبو محمد اعلم أن ماله سبب إلا عقبة لعنه الله وعلى أن أطلبه في سائر الاقطار (قال الراوي) وأقاموا تلك الليلة في أهبة الرحيل ورحلوا وجدوا في المسير وخلفوا في ملطية عشرة آلاف فارس من بني كلاب وساروا حتى وصلوا إلى آمد وأوصى الامير أبو محمد ميمون الجاس بحفظ البلد والملوك المأسورين وحابس حرب بن

شيبان فى آمد وأعطى لميمون الجماس ألف فارس من السودان الذى كان أخذهم وساروا فى باقى الناس وهم خمسة وثمانين ألف من بنى كلاب وخمسة آلاف من السودان بتوع قراقد وفيهم ولده قرقود وقد قدمهم الأمير أبو محمد فى أوائل أوائل الناس وهم على خيول وهم بأيديهم الرماح السمر وعليهم ثياب سود وهم مثل الليل الدامس والظلام العاكر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء. (وأما ما كان) من الملك الاندرياس وعسكر الروم فانه لما وصل إلى برقعيد لقيه الأمير عمرو بن عبيد الله فى ستمائة ألف وكان الملك الاندرياس وعسكر الروم فى ألفى ألف وقد ملؤا الأرض فى طولها والعرض ولما وقعت العين على العين أقبل الأمير عمرو بن عبيد الله على الناس وقال لا تغرنكم الدنيا بغرورها وانصروا دين الله ورسوله فان الجهاد فرض عليكم (يا سادة) وأن الملك كل الاندرياس صف عساكر عشرين صف مائة ألف وصف الأمير عمرو اثنى عشر من صف ستين ألف فارس وأقبل على بنى سليم وقال لهم يا بنى عمى اعلموا أن الرشيد يحب بنى كلاب لأجل أنهم يجودون الطعان والضراب وأنتم فمالكم من حديث كنتم عند السلطان يوما أبيض والآن بنى كلاب قد بعدوا عنكم فقالوا سوف نبذل المجهود فى طاعة الملك المعبود الذى ليس والد ولا مولود (قال الراوى) فلما وقعت العين على العين وسابت الطلائع على الطلائع واشتهرت السيوف القواطع وضربت بها الوجوه اللوامع وقطعت الخواصر والأضالع وجالت الأبطال فى المعامع والاقيال فى الوقائع وعاد الجبان خاضع والبطل الغضنفر من هول ما عاين هالع والشجاع فى ميدان المعركة زوابع وصمت من كثرة الصرخات المسامع وجرت على الخدود المدامع فهذا رافع وهذا واقع وهذا مقطوع وهذا قاطع (قال الراوى) ولم تزل السيوف تعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والابطال بالاصوات تهلل وتكبر إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه ونزلت العساكر والمواكب والدساكر والكتائب وأضرمت النيران وتحارس الفريقان إلى أن برق ضياء الفجر وطلعت الشمس وحمل الأمير عمرو بن عبيد الله هما عظيما وقال لبنى سليم اعلموا أنه قد وصلنى الخبر أن الرشيد قد خرج من العراق وسوف تجمع لنا عساكر الآفاق وأنتم تعلمون أن هذا العسكر عظيم ولقد لقينا منهم ما لا يوصف وسلمنا كلنا أن نتلف ونقتل وقتل من الناس خلق كثير فتركوا عنهم القتال واطلبوا المبارزة بالنصال فقالوا وما القصد بالمطاولة فقال إلى أن تأتينا عسكر الرشيد فما يقعد عنا ساعة واحدة فقالوا نعم ما رأيت هذا وقد ركبت العساكر من كل جانب وجردت القواضب وصهلت الخيل

بركابها مثل أصوات الرعد وشاب من هول ذلك اليوم الفطل المولود وزمجرت الابطال مثل زمجرة الاسود واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف والعساكر الإسلامية وأرادوا عسكر الروم أن تحمل على المسلمين وإذا بعساكر الإسلام قد تمخضت وخرج منها فارس على جواد أشهب ربال الذنب وطى المركب قوى العصب كما قال فيه الشاعر ابن ضمرة هذه الأبيات

تنظره فى جريه والجنب مثل ثنا البرق وطى المركب

يسبق لحظ الطرف عند الطالب أشرف خيل العجم ثم العجم

(قال الراوى) وعلى الفارس درع داودى وعلى رأسه خودة عادية كأنها فضة مجلية لا تعمل فيها المشرفية وقد اعتقل بقناة ردينية وتقلد بقماشة هندية وصاح بالجواد فضرب بيديه محاجر عينيه وكشف اللثام وإذا هو أحمد الرامى فأشار بيده إلى عساكر الروم وطلب البراز وسأل الانجاز وأنشد يقول

دونكم يا معاشر البطارقه حرب غلام ذوا عين صادقه

فى يده صمصامة موافقه تمزق الدروع مثل الصاعقه

لا يثبت الدرع لها والطارقه فى كف مخلوق يحب خالقه

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره ونظمة حتى خرج إليه فارس من الروم كأنه البرج المشيد وهو راكب على مهرى قرطابيه صادق البياض كأنه زهر الرياض ليس فيه عيب ولا انقاض أسبق من الالحاظ كما قال فيه الفصيح ابن عياض

وأبيض من أخير الخيل إذا بدا لنا يشبه لون الضيا

ويخطف الأبصار فى مشيه وإن جرى يسبق سباق الضيا

(ال الراوى) وعليه درع زرد مضاعف العدد ما رأت العيون مثله أصلب من جلمد وأمنع من الصخر إذا التجأ إليه أحد كان آمنا من كل مهند ومن فوقه ثوب دبياج روى قسطنطونى مقصب مرايش مذهب وفى يده صارم ذكر وطارقة مكوكبة مثل النجم عند أوقات السحر كان صاحبها قد نثر عليها الجوهر فحمل على أحمد الرامى ولم يطل لهم مجال دون أن حمل عليه وأوصل السنان إليه وهمز بقوته عليه هذا وقد انبسط جواد الرومى حتى التصق بجواد أحمد الرامى واحتك الركاب بالركاب وبطلت الرماح واعتمدوا على الصفاح واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة أحمد الرامى فضرب الرومى على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وكبر المؤمنون وضج الموحدون وصلبت الروم أجمعون وقال هلك وحق المسيح شمعون

(قال الراوى) وخرج من بعده فارس يقال له سمعان وكان بعد بجماعة

من الشجعان وحمل على أحمد الرامى فى ساحة الميدان وموقف الضرب والطعان وتضاربا بالمرهف اليمان واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة أحمد الرامى ضرب الرومى على عاتقة اطلع السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وقد عظم ذلك على الكفار ومن فرط ما أخذهم من الحنق حملوا عليه من كل جانب وحملوا المسلمون وكبروا الموحدون وبكت العيون وخابت الظنون وتصارمت أبطال الهجاء وطلب كل واحد لنفسه النجاة وتقسطل العجاج ولم تعرف الابطال من كثرة الانزعاج وهمهمت الابطال اجرى الدم مثل البحر العجاج وترادفت الابطال وتزاحمت الاقيال وزمجر كل أسد ريبال وارتفع النقع من وقع الحوافر ولم تمنع الدروع ولا المغافر وكل انسان بسيفة شاهر وقد وقعوا فى بحر زاخر ليس له أول ولا آخر وانفتحت أبواب المقابر ونفذت الرماح فى المحاجر وعملت المرهفات الخواصر وخذلت السواعد من الضرب بالبواتر فكم من فرس غاير وزند طائر وعضو نافر وساعد باتر وبطل خاسر وشجاع حاير وطرف ساهر وأجل حاضر وصميدع شاطر وليث كاسر ومقهور وقاهر وفرقعت المراير وتجلى على تلك الوقعة القادر القاهر فلا بقيت ترى الا لمعان سيوف ووقع دفوف والرماح تقدح على الدرق ولا بقى فى الرجال الا الحدق وغرق عسكر الامير عمرو بن عبد الله ما يغرق الزورق فى البحر الزاخر ولم يبق لهم سبيل الى الخلاص وعظم الأمر على عسكر العراق وأشرفوا على الانكسار وناح عليهم غراب البين وأسر منهم جماعة بالاوهاق وأيقنوا من الحياة بالفراق ولم يكن لهم صبر على ذلك الامر العظيم المر المذاق ولم يبق منهم الا من طلب الفرار والفراق الا أن الأمير عمرو بن عبيد الله وقف فى بنى سليم ونادى ياقوم اعملوا عملا خالصا لله تعالى فى الجهاد فى سبيل الله يوصل الى الجنة والهروب من القوم الكافرين يورد الى الجحيم والثانى من أجل الناس لايقال ان بنى كلاب هم قوام الثغر ولولا هم ما كملت الامور حتى يبلغ الرشيد صبركم فيعلو عنده قدركم فقاتلوا بنى سليم الى ان أمسى المساء وهم مائة ألف ومن الاكراد خمسين ألف وأيقنوا بالعطب وما وجدوا سبيلا الى الهرب (قال الراوى) هذا والملك الاندرياس فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وقال للمانسطر اعلم ان العرب انكسرت بين يديك ولم يبق فى العرب عسكر يصل اليك وتملك العراق ولم يبق لك عدو فى الآفاق (قال الراوى) وكان الرشيد قد لتى المنهزمين وهو فى مائتين ألف فارس وانضافوا الكل اليه وطابت قلوبهم عند رؤيته وساروا فى صحبته ذلك اليوم وجدوا فى سيرهم عن حرقتهم على بنى سليم ولم يزل الرشيد فى سيرة حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح

فأشرف على القوم وهو كانه الاسد الغضبان وكان الرشيد من الشجاعة والبراعة على مكان عظيم وانه لما قرب من الروم ورآهم قد حملوا على بنى سليم يطلبوا كسرتهم فحمل الرشيد وأمر الناس بالحملة وتصادمت الكتائب والمواكب وظهرت العجائب وعملت القواضب ولم يعرف القريب القرايب وعظمت المصائب ودار كاس المنية فأسكر الساقى والشارب واستدت فى وجه الجبان الطريق والمذاهب ومضى النهار وأقبلت الغياهب وافترق الجيشان ووصلت بنى سليم إلى السلطان فشكرهم على فعلهم وخلع عليهم وأكرمهم فسألوه عن بنى كلاب فأخبرهم بأمرهم فقالوا هل عندك علم من القاضى عقبة فقال لا ولكن رأيت البطال يرميه بالزور والبهتان ويقول انه يتحيل ويعمل الاعمال حى خلص شو مدرس الكلب المحتال فقال عمرو يامولانا رأيته أنت بعينك ان الروم لما أخذوك رأيت عقبة عندهم فقال ما رأيته إلا مأسوز مع الروم فى أسوأ حال وعليه أثر العقوبة والنكال ورأيته عند أبو محمد البطال وكان قدخلصنى تلك الليلة من الروم فما أمكننى فى معناه كلمة واحدة فقال عمرو بن عبيد الله مايخلو حاله ياأمير المؤمنين إلا ان يكون قد مضى الى مكة المشرفة أو الى بيت المقدس كما جرت عادته ولذلك ياامير المؤمنين قد أدام الله أيامك قد افترق جمع بنى كلاب وأرى فيهم الخلف والعداوة لانهم يرمون شيخ الدين وناصح المسلمين صاحب الرفعة واليقين والبراهين فقال الرسيد لعمرى انهم يرمونه بأمور إن كانت فيه فلا ستر الله عليه وهتكه وأطلع الناس على مكتوم أمره وإن كان برىء منها فرزقه الله رزقا طيبا ثم بات الرشيد على ذلك الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وجردت الصفاح وارتفع الصياح وكان أول من بادر الى الركوب عساكر الروم وكذلك المسلمين ونظر الرشيد الى عساكر قد ملأت الفضا وسدت المستوى فعظم ذلك عليه وكبر لديه وأراد أن يأمر الناس بالحملة واذا قدخرج من الروم بطريق كانه الفتيق يمزق الكفر بأياديه تمزيق على جواد كانه شعلة نار الحريق وفى يده حسام رقيق وطلب البراز فخرج اليه فارس من الأكراد فقتله والآخر جندله والثالث فأرداه والرابع فأعدمه قواه الى أن قتل عشرة من الفرسان فعظم ذلك على الرشيد وقال وتربة المهدى ما يكون لبنى كلاب مثال وما يقدر أحدا يطفى نار الهلال وما ينتج الزمان مثل الأمير عبد الوهاب ولقد دخلت فيهم العين من أجل هذه الجارية النصرانية الرومية فلا عمر الله بها الديار فقال الامير عمرو بن عبيد الله يا مولانا بحق الله عليك ان فرج الله عنك وانكسرت عساكر الروم الا أخذت هذه الكلبة نورى وقتلتها حتى يخلص كل واحد من هذه النوبة فقد وصلت أذيتها الى كل واحد فقال الرشيد ياعمر

ولا تحالفني فى قتلها أنا أخليها عندي فى القصر ولها اسوة ببعض الجوار (قال الراوى) وان الامير عمرو بن عبيد الله لما سمع الرشيد يمدح الامير عبد الوهاب وبنى كلاب بجودة الطعن والضرب علم ان ذلك من أجل البراز والقتال والاحتراز فعند ذلك برز الأمير عمرو وكانه شعلة نار وحمل على الكافر كانه البتار فتطاعنا وتماحكا والتزقا واختلف بينهما الطعان وكان السابق بالضرب الامير عمرو فوقعت فى صدر الرومى خرجت من صدره وعجل الله بروحه الى جهنم (قال الراوى) فلما نظرت الروم الى ذلك خرج منها فارس آخر فحمل على الامير عمرو وحمل عليه فكانا كجبلين أصطدما أو بحرين التطما وتطاولت اليهم الأنظار وتضاربا بالبتار واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضرب الامير عمرو وضرب الرومى بالسيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه ولم يزل يخرج الى الامير عمرو وفارس حتى قتل من الروم عشرين فارس فعظم ذلك على الملك الاندرياس وكبر لديه واقسم أن لا يخرج إليه أحدا الا هو بنفسه وبعد ذلك يدعو الرشيد الى البراز فقالوا أيها الملك لا تفعل فان البطارقة كثير ومن هو هذا البدوى حتى تخرج اليه ولكن أخرج حيث خرجت الى المبارزة لاجل اليمين وأطلب هارون الرشيد وانظر من أردت من هذه البطارقة حتى يبرز اليه فقال لا تكثروا الخطاب ولا تطيلوا العتاب فأنا لا بد لى من الخروج اليه ثم انه برز بروحه وقد ترجلت بين يديه سائر الطوائف من جميع أجناس الروم والافرنج والصقلب والبطارقة والأرمن وخرج بين الصفين واشتهر بين الفريقين وهو راكب على حجره كانها الشهب الخارقة وعليه ثوب مذهب وعلى جوانبه أربعة عشر مرآة لا ينفذ فيها رمح خطار ولا سيف بتار وعلى رأسه بيضة لا يعمل السيف فيها وفى كفه حسام باتر أمضى من القضاء وفى يده قنطارية خلنج مثل الذهب عليها سنان كانه كوكب وصاح بجواده وحمل على الامير عمرو بن عبيد الله وقد شخصت نحوهما الاحداق وضجت المسلمين بتلاوة القرآن ورفعت الروم الصلبان فعند ذلك سمع صياح الفارسين وقد تقطعت الدرق من المضارب وتقاربا وتباعدا وكان الاندرياس جبارا من الجبابرة ولم يكن فى الملوك أقوى منه فصاح بالامير عمرو واقتلعه من سرجه وصاح بالفرس فخرج من تحته وأقبل على البطارقة وسلمه اليهم وأوصاهم بحفظه ثم عطف الاندرياس الى مقام الحرب فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله والآخر جندله وأرماه والثالث لحقه بأخاه ورابع وخامس إلى ان قتل وأسر عشر فوارس ثم نادى بالعربية وكان يحسن كلام العرب من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني أنا أعرفه بنفسى انا الملك الاندرياس صاحب الشدة والباس واريد اليوم قتال الاقيال فلا يبرز لى إلا أمير المؤمنين وحامى حومة الدين

فان أسرنى بقيت عسكر الروم بلا رأس وان أسرته نلت المنى (قال الراوى) فلما سمع الرشيد كلامه أقبل على الناس وقال قد عولت على الخروج اليه لانه دعانى إلى الجهاد وما يسعنى أن أقعد عن طاعة رب العباد فقالوا والله يا أمير المؤمنين ما نخليك تخرج إلى هذا الجبار وبأنفسنا نفديك ثم خرج من السودان فارس كأنه أسد عابس وحمل على الاندرياس فاستقبله وأخذه أسير وخرج آخر من الاكراد فأخذه أسير وآخر فقتله (قال الراوى) ولما أمسى المساء وانفصل العسكران بعضهما عن بعض وعاد الملك الاندرياس وقد أسر فى يومه عشرين أسيرو باتت الطوائف إلى أن بان برق الضيا فركب كل بطل جحجاح وإذا بالبطارقة قد ترجلت وخرج الملك الاندرياس وصلب على وجهه ونادى برفيع من صوته ياشلوح العرب إن أجلكم قد اقترب أين من يزعم انه ابن عم النبى المنتخب المعروف بالحسب والنسب ما كان له نخوة لما دعى إلى القتال يخرج فان أسرته صالحته على ما أريد وان أسرنى صالحنى على مايريد (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك قال وحق النبى المنتخب سيد العرب والعجم ما أخرج إلا لهذا الكلب ثم ان الرشيد خرج على جواد أدهم إذا صهل يكاد أن يتكلم والرشيد على صدره زرديه ضيقة العدد وكان الرشيد حلو الشمائل مليح الصورة سريع الانعطاف هذا وقد ترجلت لنزوله الميدان سائر الناس وقد حمل البردة الشريفة على أكتافه وتعمم بعمامة الرسول على عمامته وأخذ القضيب فى يده ولواء الحمد يخفق على رأسه وأبو عبد الله المرى يقرأ بين يديه وهو يقرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال فلما نظر الملك الاندرياس إلى الرشيد وعليه السكينة والوقار اخذته الرجفة حتى بقى كالسعفة فى يوم ريح عاصف ولم يكن له قدرة على لقاه فألوى رأس حصانه وطلب النجاة وقد ضاقت عليه المذاهب وحلت به المصائب من كل جانب وتبعه الرشيد وصاح به واستنجد الاندرياس بقبائل الروم (قال الراوى) فعند ذلك حملت طوائف الروم فى ألفى ألف مدرع حتى ضاقت بهم الارض وجاءت البطارقة بالسيوف القواطع وحملت العساكر بجموع المسلمين وطار الهام واشتد الزحام وانقطع الكلام وضاق بين الفريقين المقام وعمل فيهم الطعن العميق والصارم الوثيق وزاد بهم الامر هذا والرشيد قد أحدقت به المواكب من كل جانب وعرقبت البطارقة جواد الخليفة وانكبت عليه أجناس الروم فأخذوه أسير وصاحوا المسلمون بالحى القيوم وارتفعت اصواتهم بالبكا والنحيب ونادوا بالقريب المجيب فبينما هم كذلك وإذا بالافق قد اسود والظلام قد اشتد والدنيا كادت تتزلزل وقد اقبلوا عسكر من نحو نصيبين فقالو المسلمين ما هذا الغبار فان كانوا من أمة سيدنا محمد فقد فرج الله عنا هذا البلاء وإن كانوا روم فما لنا الهروب والفرار حتى يفرج الله

عنا هذا والغبار قد أضاء وتشعشع والناس ينظرون إليه حتى بان للطائفتين وظهر للفريقين ولاحت بنى كلاب كأنهم أسود الغاب وسودان الأمير عبد الوهاب وسودان قراقد وسملق والأمير ضيغم فى أوائل الناس كأنه الأسد إذا عاين فريسته هذا والأمير أبو محمد فى أوائل الناس والعساكر إذا رأوا الناس طلعته ومعرفته وحققوا احاله وأقبل بعد ذلك الأمير ضيغم لمشورته فقال الأمير أبو محمد يا بنى البدرة لمن بدر فدونك والجهاد فى هذه الطوائف ولا تكن خائف فعندها كبر الأمير ضيغم وحمل وكبر سملق وكبرت أبطال بنى كلاب وحملت الروم الكلاب ولم يزل السيف يعمل إلى أن انسدل الظلام وقد أيقنت الرجال بحلول الآجال وسأل أبو محمد عن عمرو بن عبيد الله فقالوا أسره الاندرياس وسأل عن الرشيد فقيل له مأسور فقال كيف وصلت الروم إليكم فقالوا بالبراز فقال والبردة والعمامة والقضيب الذى للرسول ﷺ فقالوا له أخذوا فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال وكيف تركتم الأعداء يتحكمون فى آثار الرسول ثم أن أبو محمد قال اعلموا أنه ما بقى يمكننى المقام عندكم باقى الليلة لما سمعت هذا الكلام فقال ضيغم إنى خائف عليك من هذا العسكر تسلكه فى هذه الليلة فقال أبو محمد ما يمكننى أقيم هاهنا لأجل الرشيد لأجل قربه من رسول الله ﷺ والثانى إنى أخاف على البردة والقضيب والعمامة أن تتلفهم الروم الكفار وتحرم بركتها الابرار ثم أدعى بغلمانه لؤلؤ وبديع وسبك والخداع وأبو الليل وسارهو وغلمانه حتى دخلوا عساكر الروم وتبعهم الأمير مالك بن بشر فلما رأوه عساكر الروم سألوه فقال أنا أفلاطون ابن قسه خرجت أنا وأصحابى لعلى أسرق أحدا من عسكر المسلمين فما فيهم إلا من هو على غاية الحذر وتم سائر إلى أن توسط العسكر (هذا ما كان من أبى محمد) وأما ما كان من الملك الاندرياس فانه لما أظلم الليل عاد إلى الخيام وهو فرحان بأسر هارون الرشيد فرحا شديدا فقالوا له أرباب دولته أيها الملك قد نلت الارب بأخذ الخليفة وأسر أمير بنى سليم فانك تفدى بهارون الرشيد الملوك المأسورون عندهم ولقد كان هذا اليوم عيد فقال لو كان المسيح تم علينا النعم ما كانت وصلت إلينا عساكر بنى كلاب وكنا قد كسرنا عساكر الرشيد وملكنا خيامهم وأثقالهم ولقد كانوا عولوا على الهرب لولا قدوم هؤلاء العرب والسودان فقالت الروم وإيش علينا منهم فى غداة غد يكون الانفصال وينهزمون على كل حال قال الملك الاندرياس خلونا من هذا الكلام أنا أخبركم بعجب قالوا ما هو أيها الملك قال اعلموا أنه ما وقع فى قلبى فزع ولا هربت من حرب غير اليوم ولقد لقيت الخليفة كذا وكذا فما وقعت له فى قلبى هيبة مثل هذه النوبة فإنى رأيت كأن المشارق والمغارب قد أظلمت فى وجهى ونزلت الرعدة

والانكسار فى جسدى فلم يكن لى غير الهرب ولا بد لى من كشف هذا ثم أمر البطارقة أن يحضروا الرشيد فأحضروه فلما رآه الاندرياس جعل يرتعد كالسعفة فى يوم ريح عاصف فقالوا له البطارقة ما الذى نزل بك أيها الملك فقد نزل بنا مثل ذلك ووقع عند رؤيته الفزع (قال الراوى) فلما سمع ذلك الملك منهم أقبل على الرشيد وقال يا خليفة المسلمين طب نفسا وقر عينا فما يكون إلا ما تريد ونحن نفادى بك الملوك المأسورين وأريد أسألك عن شىء فبحق نبيك تصدقنى فقال الرشيد أنا ما عندى إلا الصدق ونحن أهل بيت الرسول ما نرى الكذب ولا نعرفه وإنما الكذب عندكم لأنكم كذبتم على الرب العظيم وقلتم أنه ثالث ثلاثة وإنما هو إله واحد ولا ضد له ولا شريك فقال الاندرياس وقد عظم عليه كلامه وغضب من قوله وقال دعنى من هذا فانى رأيتك ألف مرة ما وقع لك فى قلبى هيبة غير هذه المرة فما السبب فى ذلك بحق نبيك فقال اعلم أن هذا الذى رأيته من هيبة النبى المبعوث فى التوراة والإنجيل الذى هو عند الله أكرم من موسى وعيسى وإبراهيم الخليل الذى اصطفاه وشرف مقامه ورفعه ليلة معراجه من أرضه إلى سماه وقال يا محمد أنت حبيب الله وسيد أنبياه (قال الراوى) فلما سمع الملك الاندرياس ذلك الكلام من الخليفة غضب غضبا شديدا وقال أوضح لى كلامك فما أعرف باطنه فقال الرشيد هذه بركة هذه البردة والقضيب وهذا الطيلسان الذى على رأسى وهى عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا خاتمه فى أصبعى وهو من خاص الفضة عقيق فقال الملك وحق المسيح لا بد ما أحرق هذا كله بالنار وقال للبطارقة جردوه من عمامته وخذوا البردة والقضيب من على رأسه فأخذوهم من على رأس الخليفة ـ فصار الخليفة يسبهم ويلعنهم ويود أن يقتلوه ولا يرى آثار رسول الله تحرق بالنار هذا وهارون الرشيد يمانع ويضيعهم حتى كسرت له سنتين وضربوه وجاءت الروم وأوقدوا النار وبقى لها شعاع (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصل أبو محمد البطال إلى خيمة الاندرياس ونظر إلى اجتماع الناس وقال لغلمانه ولمالك أمهلوا حتى أنظر ما الخبر فدنا فرأى الرشيد يقول لا تعجلوا فلما رأى مالك ذلك قال يا أبو محمد أنا أحسن أقتل الملك وألقى نفسى إليه فاذا رأونى قتلته اشتغلوا عن احراق حوائج النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو محمد من أجل عجلتك ما أرت آخذك معى لأن العجلة من الشيطان لأنك لا تنظر فى عاقبة الأمور ولا كنت تبلغ مراد ويقومون علينا ويقبضونا قبضا باليد ونؤخذ ونقتل ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب والجبار قادر أن يحفظ آثار نبيه المختار ثم أن أبو محمد ودع الامير مالك وودع غلمانه فقال الامير مالك إلى أين يا أبو محمد فقال أريد أدخل على الملك الاندرياس لعلى

ألعب بعقله حتى لا يوقع فعل وأكلمه كلام يفهمه ولا يرده وأسكن عنه كلما يريد يصفه وإن شاء الله تعالى فى غداة غد آخذ الملك الاندرياس وأكسر عساكر الروم وأخلص أمير المؤمنين من الاسر فقالوا له سر على بركة الله تعالى ثم أن البطال دخل على الملك وقد بهتت له عيون الناس فأول ما دخل رفص الخليفة أرماه على ظهره إلى الارض وقال له إلى كم يمهلك المسيح وقد قتلت أخى وأفنيت عساكر الروم بما تأتى إليهم بالعساكر وتطلب بذلك عبدة الصلبان وحق المسيح لو أن الملك أسير فى آمد ونطلب أن نخلص بك الجميع لكنت جعلتك فى هذه الليلة صريع ودع كان يقتلنى الملك ثم قال أيها الملك قد نلت ما لم ينله أحد من الملوك وإن أنت أخلصت نيتك مع السيد المسيح تبلغ ما تريد بعد أن تحرق الذى ذكرت أنه آثار النبى العربى ويكون هذا فى غداة غد إذا اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف فتضرم النيران وتنادى بعساكر المسلمين انظروا إلى ما عولت عليه ثم تخرج الأمير عمرو تلبسه الثياب التى كانت على الخليفة وتوقفه بين العسكرين وتضرب رقبته وترميه فى النار وبهذا يكون سبب هزيمة المسلمين فلما سمع الملك من البطال ذلك الكلام قال لقد صدقت أيها البطريق وأقبل على البطارقة فقالوا ما تفعل بعمرو ابن عبيد الله ذلك لأن عندهم أسارى ونخاف أن يفعلوا بهم ذلك وما ندرى ماذا يكون إن كنا غالبين أو مغلوبين ولكن من كان عنده أسير يأتى به حتى نفعل معه هذه الفعال (قال الراوى) وأن الروم أتوا برجل كان عندهم قد أسروه فلما مثل بين يديه ألبسه حوائج النبى وأقام إلى أن أصبح الصباح وكان الروم قد ركبوا إلى مقام الحرب والكفاح وأن الملك الاندوياس أمر أن تضرم النار ويقدم ذلك الإنسان الذى عليه ثياب الخليفة فهو كذلك وإذا بفارس من المسلمين قد ظهر على جود أدهم كأنه الليل إذا أظلم فتحققوه وإذا به الأمير ضيغم وقد برز إلى مقام الحرب ونادى هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز لا يبرز للميدان لا كسلان ولا عاجز إلا من كان شاطر فى قماطه وكفنه تحت باطه ثم حمل على الميسرة قلبها ميمنه وعلى الميمنه قلبها ميسرة وصال وجال واستطال فى مجالات الميدان فصاح الملك الاندرياس من فيكم يبرز إليه ويأتينى به قتيل أو أسير وله على وزن رأسه ذهب فخرج إليه بعض البطارقة قتله والثانى جندله ورماه والثالث ألحقه بأخاه والرابع جعل جهنم مثواه إلى أن قتل من الروم اثنى عشر فارس فعظم ذلك على الملك فتقدم البطال وقال أيها الملك إنى عولت أن أخرج إليه وأهجم عليه إلا أننى ما أريد مال لأنى رجل قد أخذوا المسلمين ولدى مطرون أسير وهو فى آمد مع الملوك مأسور وأنا أعلم أن الملوك يخلصوا بالرشيد وأنا ما عندى أسير أفديه به فعن إذنك أخرج

إلى هذا الفارس وكل من خرج بعده أنا آخذهم عن بكرة أبيهم بشرط أنك لا تتعرض لهم بقتل حتى أفدي بهم ولدى وأنا رجل صعلوك ما لى حصان ولا آلة حرب وإلا كنت خرجت إليه من أول مرة أيها الملك وأنا كنت من أصحاب الملك أفطالون فقال الاندرياس لعمرى كنت أسمع عنك من تجار الروم أنك كنت أغنى أهل القسطنطونية فبكى البطال وقال أيها الملك لقد غدر بى الزمان وقد صرت كما ترى فقال الملك عندى كلما تريد من أموال وعبيد ثم أمر له برمح خارق وجواد سابق فلبس أبو محمد العدة وركب وقد حاروا غلمانه وقالوا على ماذا عولت ثم تقدم إلى البترك والقسوس فصلبوا على صدره وصلوا عليه صلاة الأموات وصاح على جواده بلسان الافرنج وصوب قنطاريته إلى ناصية الأمير ضيغم ونظر إلى الامير أبو محمد فلم يعرفه ولم يخطر بباله فحمل عليه وطلع عليهما الغبار وتطاولت إليهم الاعناق ساعة من النهار فرأى أبو محمد فى نفسه التقصير فنادى اصبر يا ابن الاسود دونك أنا أبو محمد البطال فقال يا ويلك إيش هذه الفعال فقال تسلم يا ضيغم فسوف ترى العجب إن شاء الله تعالى (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن الامير أبو محمد قبض على الامير ضيغم وجذبه اقتلعه من سرجه ولم يعلموا أنه قد سلم نفسه إليه وخرج من المعمعة فقلقوا المسلمين لفقد الامير ضيغم وعظم فى أعينهم الفارس الذى أسره ولم يعلموا باطن القضية وأما الروم فقد رفعت أصواتها وفرح الاندرياس وقال وحق المسيح ما للنصرانيه مثل هذا أفلاطون ولولا هو ما كان أحد برز لهذا الاسود وأنتم تعلمون أن هذا ضيغم فى شجاعة أبيه عبد الوهاب والآن فقد أمكن منه المسيح ولم يزل الامير أبو محمد حتى وصل بضيغم وقال للنصارى قد جرى بينى وبينكم شرط وهو انكم لا تقتلون لى اسير ولكن يا مولاى أريد منك خيمة تكون لى خاصة فقال حبا وكرامة وامر البطارقة فضربت له خيمة إلى جانبه وحملت إليه البطارقة الخيول والعدد والدنانير الذهب والفضة والثياب حتى صار له مال عظيم وان الامير ابو محمد وضع فى رجل ضيغم قيد ثقيل وخرج إلى مقام الطعن والضرب وصاح بالافرنجية يروم القتال فخرج إليه سملق فحمل عليه فغاب عن الابصار ووزن أبو محمد روحه مع سملق فلم يكن له قدرة عليه وأشرف على العطب ورأى منه ما لم يراه من ضيغم ثم انه استلوش أبو محمد وأراد ان يقتلع به من سرجه فصاح أبو محمد البطال امسك عنى يا اسود يا حجام فأنا أبو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع سملق كلامه عرفه وقال له يا ويلك ما هذا يا شيطان ما الذى حملك على هذه الفعال فقال أبو محمد لولا هذه الاعمال ما يتم لى بلوغ الآمال فقال سملق وما الذى قد عولت فقال الامير أبو محمد ما هذا وقت سؤال تسلم إلى حتى أوصلك بالامير ضيغم

فقال سملق لا وذمة العرب لا فعلت ذلك أبدا ولا أسلم نفسى الى الاعداء لانى أخاف أن يقال سملق أخذوه الروم أسير فقال أبو محمد اعلم ياسملق انى أريد ان آخذ من أبطال المسلمين عشرة ومعى غلمانى ومالك فاذا انسدل الظلام عملت على خلاص الرشيد وأخذ الملك الاندرياس أسير فقال سملق هذا شيء لا يكون أبدا فلما أيس أبو محمد من سملق انغبن ثم انه حط يده تحت فخذه وأخرج خشتنانه محشية باللوز والسكر فأكل منها أبو محمد فجعل سملق يتملص ويبلع ريقه فعلم حاله أبو محمد فقال لسملق خذها لا بارك الله لك فيها فاخذها سملق وأكلها فما استقرت فى بطنه وكان قبلها أراد أن يأخذ أبو محمد من سرجه فانقلبت عيناه فى أم رأسه وارتخت يداه وذهبت عنه قوته واختلط كلامه فقال يا ابو محمد أريد أن أطير ثم رمى نفسه عن فرسه ورمى نفسه أبو محمد عليه فمسكه وأتى به الى عسكر الملك الاندرياس وقد كتفه بعنان فرسه فتزاعقت الروم من كل جانب وعظم ذلك على المسلمين وقالوا حيث هذا الفارس أخذ سملق فلا يخرج اليه أحد فهو بطل بعد وأما أبو محمد لما وصل الى الاندرياس خلع عليه وقبل ما بين عينيه وقال ياأفلاطون مافى بلاد الروم ولا بلاد المسلمين أفرس منك يأخذ هذه الابطال الذين فى لون الظلام هذا وسملق قد عمل البنج فيه وبقى كانه سكران ولم يزالوا الروم يلطموه حتى دوحس قفاه وكلكات رأسه وطار البنج من رأسه (قال الراوى) ورجع أبو محمد إلى الميدان ومقاومة الابطال وقد غير الملك جواده وأوعده بكلما يريد (ياساده) ثم ان أبو محمد ظهر إلى مقام الكفاح وصال وجال وطلب البراز وقد عظم فى أعين المسلمين فخرج إليه الديال كانه الاسد الغضبان وجالا بين الصفين وطلع قسطل الغبار على الاثنين فصاح الديال ياأبو محمد وأراد أن يطعنه فصاح أبو محمد امسك يدك ياديال فأنا أبو محمد البطال وأنا فعلت هذه الفعال حتى يحصل فى عسكر الروم عشرين من الابطال (قال الراوى) ياساده ياكرام فتسلم إليه الديال فأخذه البطال وعاد إلى الروم فزادت أفراحهم وعاد إلى الميدان ولم يزل يأخذ واحد بعد واحد حتى أخذ خمسة وعشرين من فرسان المسلمين وولى النهار وأقبل الليل بغياهب الاعتكار فعند ذلك وثب الامير أبو محمد إلى عند خيمة الملك فلما رآه قام له على الاقدام وقال أهلا وسهلا ياأفلاطون فقال له أبو محمد اعلم أننا قد أخذنا أبطال المسلمين وفى غداة غد نكسرهم فقال الملك هذا ببركتك ياأفلاطون وحق المسيح لا بد ما أخلى الملك منو يل يقدمك سائر الملوك فقال أبو محمد عليك بحفظ الخليفة والامير عمرو فان البطال شيطان فيأتى يسرقهم وأنتم نيام فقال الملك ياأفلاطون خذ الجميع عندك فما يحفظهم أحد مثلك فهو معه فى الكلام والمانصطر دخل وهو متغير اللون وهو يرتعد مثل السعفة فقال له الملك

ماالذى دهاك قال يامولاى سرق الرشيد والامير عمر والخمسة وعشرين فارس الذى أسرهم أفلاطون وما سرقهم الا أبو محمد البطال وهو معنا فى العسكر فصعب ذلك على الملك واستدعى بالموكلين وضرب رقابهم فقال البطال ما سرقهم الا أبو محمد البطال وهو معكم فى العسكر فخذوا حذركم منه وإلا يسرقكم أنتم الآخرين (قال الراوى) فقلق الملك وتغير لونه وقال انظروا الى بعضكم البعض فقالوا أيها الملك مامعنا غريب فقال الملك أعوذ بالمسيح من شره فانه يأتى الانسان فى صفة أبوه وأخوه وصاحبه فما تشير علينا أيها الفارس أفلاطون قال أبو محمد الصواب عندى ان تكونوا عندى فى خيمتى لانى ما أنام الليل أبدا ونام أنت وانفخ بطنك وأنا أحرسك وعلى حرس العسكر جميعا بقوة المسيح فقال الملك وحق المسيح ما بقى لى أخ الا أنت وأقاسمك فى ملكى كله فهل لك أن تأخذ الدمشقى معنا فقال أبو محمد وحق المسيح كان هذا هو القول فى قلبى الا سبقتنى بالكلام فقال الملك على بالمانصطر فلما ان أحضر قال له الاندرياس قد عولت الليلة ان أبات عند أفلاطون حتى ندبر مايكون فقال المانصطر وأنا معكم فنهضوا مع أفلاطون الى خيمته ونزلوا بها واذا بغلمان أبو محمد وقد أتوا بعد ما سيبوا الأمراء وشيعوهم الى عسكر المسلمين فعرفهم ابو محمد فغمزهم فغابوا حتى نام الملك الاندرياس والمانصطر ودخلوا على مولاهم فلما رآهم قوى قلبه ثم انه تعاون هو وإياهم على الملك والمانصطر وقوى كتافهم بعدما ألقموهم الأكر وحملوهم وخرجوا بهم وتموا سائرين بهم الى عسكر المسلمين الا والخمسة والعشرين امير الذى كان أخذهم أبو محمد من الميدان واجتمعوا فى خيمة الخليفة وهم يقولون والله مادلا آدمى هذا ابو محمد يربط ويحل فقال الخليفة ياخوفى عليه يموت قليل ان احدا يخلفه فى هذا الزمان فهم فى الكلام وأبو محمد وغلمانه داخلين حاملين الاندرياس والمانصطر وهم يقولون السلام عليكم ياأمارة المسلمين فبهتوا وقالوا امامعكم قالوا الكلب العقور الاندرياس والمانصطر (قال الراوى) ففرح الخليفة والحاضرين بهم ووصاهم ابو محمد باليقظة وخرج وعاد بعد لحظة وإذا هم بأبو محمد دخل عليهم وهو حامل البطرق فوضعه عندهم فلما نظر الرشيد الى ذلك شكر الله تعالى على ذلك وقال سبحان الله من يعطى السائل ما يتمناه ويبلغ الامل ثم انه قال ياابو محمد إيش يكون الرأى قال يامولانا ان عساكر الروم فى عالم عظيم واذا فقدوا فى غداة غد الملك الاندرياس فلا بد ما يتشوشون ويتجلدون ولا يهربون بين يديك ويرون القتال لهم اوجب ويحملون على الناس بحمق وما ندرى ما يكون من أمر الناس وأنا فقد رأيت من الرأى أن أروح أقيم عند الروم وأدبر على هلاكهم وأما أنت فى غداة غد تأمر الناس بالحملة على الروم

ماداموا فى هرجهم ومرجهم وتأمر الأمراء أن يحملون على الصليب الأكبر ويقتلون الرجال الذين حوله فان فعلوا ذلك فلا مقام أيضا للروم فقال هارون الرشيد نعم ما رأيت ياأبو محمد والله ما أضيعك من هذه العمايل فقال الأمير أبو محمد والله يامولاى ماأريد منك لا ذهبا ولا فضة ولا جوهر ولا أريد غير ثمرة الفؤاد وغاية المراد الذى قد منعتنى الرقاد وألزمتنى السهاد المليحة نورى فقال الرشيد وحق محمد المصطفى لا بد لى ما أعاونك على مرادك وأشفى فؤادك ولا دخلت بغداد حتى تبلغ مرادك قال فباس أبو محمد الأرض بين يدى الخليفة وبكى وانشد الأشعار (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك قال ياأبو محمد طب نفسا وقر عينا والله لو نازعك فيها ولدى المعتصم لعلوت رأسه بهذا السيف فشكره ابو محمد وعاد الى عسكر الروم ووصل الى خيمته الذى افردها له الملك الأندرياس (قال الراوى) ومضى الليل بظلماه واقبل النهار بضياه فركبت عساكر الروم وخواص الملك يطلبون يصيحون على الملك ويستأذنوه فى القتال فما وجدوا احد فى الخيمة والبطارقة قيام على باب الخيمة فسألوهم عن الملك فقالوا لا علم لنا فقالوا اطلبوا المانصطر فأتوا اليه جماعة فقالوا لهم مضى من اول الليل الى عند الملك وما رجع فقالوا اطلبوا البترك فطلبوه فما وجدوه فقالوا ان عملوا المسلمين بهذا الذى تم علينا طمعوا فينا ويحل بنا الدمار وتقطع منا الأعمار ونسقى كاس البوار (قال الراوى) فقالوا الروم اذا كان الملك الاندرياس عدم والمانصطر والبترك فاطلبوه بنا البترك أفلاطون الذى راينا منه بالأمس الشجاعة والبراعة فقالوا كلهم هذا هو الصواب فأقبلوا على ابو محمد البطال فنظر ابو محمد إلى ألف بطريق فسألهم عن حالهم وعن الذى أتى لهم فقالوا ايها البطريق العظيم الكبير ما عندك من الذى جرى علم ولا خبر فقال ابو محمد وقد صلب على وجهه ما الذى تم عليكم مادام ان السيد المسيح يحفظ الملك الاندرياس عليكم فقالوا واى واى وقد دقوا على صدورهم الآن الملك الاندرياس قد عدم فلطم الامير ابو محمد على رأسه وانجذب وأخرج خنجرا ماضيا من على وسطه وأراد أن يقتل نفسه فلما أن رأوه الروم عول على قتل نفسه رموا أنفسهم عليه وقالوا أيها البطريق لا تفعل ونحن عادتنا أن تسرق ملوكنا ونعوذ نخلصهم منهم وقد وقع الملك الأندرياس عندهم مرارا عديدة وهو يخلص بعون المسيح (قال الراوى) فلما سمع ابو محمد ذلك الكلام باس الأرض وقال الشكر للمسيح الذى لم أقتل نفسى فأنا احسب انه قد مات ولكن ماعهد ماهو متيسر إن أراد المسيح بخلاصه ما يعارضه احد وقد طاب الساعة قلبى إن كان مأسور عند المسلمين فعلى ان ارمى روحى فى عساكرهم والمانصطر الاخر إيش جرى فيه فقالوا الآخر

سرق فعجب من ذلك وقال ازاى الناس يسرقوا الناس والبترك قالوا سرق فقال الامير أبو محمد ما للمسيح فقالوا البطارقة ونحن أيها السيد نسأل المسيح أن يكفيك شره فانه إن أراد أن يسرقك ويسرق كل من فى بلاد الروم هان عليه تلك فصلب أبو محمد على وجهه وقال المسيح يكفينى شره وعلى بالمسلمين ما دمت حاضر ولما يسرقنى أروح فقالوا البطارقة ما بقى لنا أحدا سواك نعتمد عليه ولا مشير إلا إياك فانظر ماذا يكون الرأى فان عساكر المسلمين قد ركبت ولا شك أنها تريد الحملة علينا فقال اركبوا وتوكلوا على المسيح وأنا الآخر أفعل جهدى وإن طلبوا البراز بارزتهم وإن طلبوا الحملة فاحملوا عليهم واستعينوا بالمسيح فركبوا وتقلدوا بسلاحهم وركبت المسلمين فارتجت الارض طولا وعرض من كثرة الركض فما قولكم (يا سادة) فى ألفى ألف فكانت تلك الساعة كيوم ينفخ فى الصور وتخرج الناس من القبور وركب أيضا أمير المؤمنين وقد فرحوا المسلمين بخلاصهم أجمعين وفرحت المسلمين بأسر الاندرياس وكان الرشيد لما أصبح الصباح قبل أن يركب أحضر الاندرياس والبترك إلى بين يديه وقال يا عدو الله أنظر كيف أمكننى الله منك لما تجاريت وأردت أن تحرق آثار النبى صلى الله عليه وسلم فأطرق الاندرياس رأسه إلى الأرض وما رد جواب ولا أبدا خطاب وبقى منكر فى هذه النوبة التى تمت عليه ثم التفت الرشيد بعد ذلك إلى البترك وقال له يا شيخ الضلالة إذا وقعت فى أيدينا أكرمناك وأحسنا عليك لأجل قول نبينا محمد إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه فأنت ما أردت ترد على الاندرياس لما أراد أن يحرق بردة النبى ﷺ وما أمكنك أن تقول هذا ما يجوز بل قلت احرقهما وهل يأتى منكم يا ملاعين خير ثم أمر بحلق لحيته وأراد أن يشهره فى العسكر فرأى العساكر قد ركبت فسلم الاندرياس لبعض السودان وكذلك البترك والمانصطر وأوصى بحفظهم وركب فى عسكره كما ذكرنا أول هذا جرى ههنا وأما أبو محمد فانه صار يصف عساكر الروم صف عجيب ورتبهم أحسن ترتيب إلا أنه قدم من لا يصلح أن يكون مقدم ممن إذا سمع العياط تأخر وانهزم وأخر الرجال الموصوفين بالقتال وقصد بذلك الفتنة بينهم والهزيمة فصعب ذلك على كبار الروم وما فيهم إلا من أقبل على قومه وقال هذا ما نرضاه وكيف يقدم علينا ما أراد قلبه واشتفاه خاطره فان هؤلاء الذين قدمهم علينا لا يصلحوا أن يكونوا غلمانا ثم أقبلوا على أبو محمد وقالوا أيها البطريق المعظم اعلم أن الملك ما قدم علينا قط هذه البطارقة ولكن نحن نعذرك فى ذلك لأنك ما تعرف القوم فقال البطال أنا ما على من نظام الملك وأنا ما أقدم إلا أصحاب الشجاعة والفروسية ما على من أصحاب المال فان

لم ترضوا انتم بهم فلا فرج المسيح عنكم لان التقدمة ما هى بكثرة المال وانما هى بالشجاعة فى مقام الاهوال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعوا البطارقة الذين قدمهم البطال قالوا أعلم أيها السيد أقطالون ان الملك مافلح فى قتال لانه كان يقدم عليهم أصحاب المال ونحن ما نريد بعد اليوم ملك سواك ولا حاكم علينا إلا إياك عندها تشوش العسكر وارتفع الصياح وجرت الصفاح وقالت كبار البطارقة مانريدك مقدم علينا لأنك قدمت علينا هؤلاء العوام فقال لهم أبو محمد الامر اليكم مالى اعتراض عليكم فقالت البطارقة الذين قدمهم مالنا سواك مقدم ونقطع رأس كل من يتكلم منكم فعند ذلك حمل بعضهم على بعض وقد ارتجت الارض ونظر أبو محمد اليهم وقد عولوا على الضرب بالقواضب وارتفع الصياح من كل جانب فحانت منه التفاتة وإذا من حوله عشرين بطريق فجعل أبو محمد ينظر اليهم وقد أعجبه زيهم وإذا بهم الامير ضيغم وأصحابه الذين كانوا عنده أسارى فلما نظر اليهم وقد أعجبه زيهم فقال لهم اعلموا ان الفتن قد قامت فجردوا سيوفكم وصيحوا بصوات واحد أفلاطون يامنصور واضربوهم بالسيوف وقد رأيتم العجب ويكون ذلك لهلاكهم سبب فعندها جردوا السيوف وحملوا على الصفوف وصاحوا أفلاطون يا منصور الذى تقدمه أنت هو المقدم فصاحت معهم السفهاء من الروم والعوام والغلمان وحمل بعضهم على بعض وتضاربوا بالسيوف وكان عليهم ذلك اليوم يوم فجيع سالت فيه الدما وأرملت النسا ونظروا المسلمون إلى ذلك فكبروا وكبر الرشيد وأمرهم بالحملة فحملوا وجردوا سيوفهم وقالوا وماجت الارض بأقطارها ونودى فى الرجال بانقطاع أعمارها ونفرت الخيول ولمعت النصول والعسكر تموج مثل البحر العجاج المتلاطم بالامواج وزادت الامور الصعاب وخذلت السواعد من الضراب وأظلم النهار وعمل البتار وسالت الدما مثل الانهار وهدرت سباع الفلاه وزمجرت ليوث الكماه وخرست الألسن والأفواه وطعنت العيون والجباه وتقصفت الابدان القناه وأشرف الإنسان على فناه وسالت على وجهه دماه وجرى العرق من كرب المعمعة فى الفلاة ولم يعرف الأخ أخاه ولا الولد أباه بل كل واحد يطلب لنفسه النجاة وانقطع من الراجى رجاه وضج المسلمون بتوحيد الإله (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والهدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى أقبل الظلام واختلط القتام وانفصل بعضهم من بعض وامتلأت بالقتلى الأرض وصارت غدرانها عوض الماء دما واشتد عليهم الظما ونزل بهم الفنا (ياساده يا كرام) وان الروم اقبل بعضهم على بعض وقالوا لقد غضب علينا المسيح ومافعل المسلمون بنا مثل

ما فعلنا اليوم بأنفسنا وهذا كله بتدبير أمرنا وتدبير الشيطان أفلاطون فلا كان ولا كانت ساعته فما أيشم النظر إلى طلعته والرأى اننا نقبض عليه ونقدم علينا من نرتضيه من بيننا ونسلم مقاليد الامور اليه (قال الراوى) ثم انهم اجتمعوا على ذلك وطلبوا البطال فلم يجدوه فقال بعضهم لاشك انه قتل وفى هذه الواقعة العظيمة قد جدل وما بقى لنا إلى المسلمون سبيل فخذوا الاسارى الذين فى خيمة أفلاطون وعولوا بنا على الرحيل وان كانوا المسلمين يأخذوهم ويطلقوا الملك الاندرياس فما بذلك من بأس وهو الذى نريد (قال الراوى) وطلبوا الاسارى فلم يجدوا منهم أحد فقال بعضهم لبعض لاشك ان البطريق أفلاطون لما نظر الى الفتنة قد وقعت من أجله أخذ الاسارى الذين أخذهم فى مقام الحرب ومواقف الطعن والضرب وأمر غلمانه بالرحيل وسار إلى آمد لانه ذكر انه له ولد فى آمد أسير ولاشك انه مضى يفاديه بالاسارى الذين معه ولقد فرطنا فى أمره وما كان الصواب اننا نتعرض عليه لاننا ما رأينا فى الروم أفرس منه ولو أننا صبرنا واتبعنا رأيه كان يقدم علينا أقل الناس فعسى كنا نبلغ من المسلمين غرض ونأخذ منهم الاندرياس (قال الراوى) فهم فى الكلام واذا هم بالامير أبو محمد قد أتى إليهم وأشار بالسلام عليهم ففرحوا به وأكرموه وصفقوا له وعظموه وعن الاسارى سألوه فقال لهم اعلموا انى لما رأيتكم وقد جرى منكم ما جرى عولت على الرحيل وأمرت غلمانى بأخذ المأسورين وان يطلبون حرب بن شيبان إلى الثغور وان يسيروا الليل ويكمنوا النهار لان البلاد بلاد الاسلام وكنت قد عولت على المضى لكن رد دينى بان لا أخلى ملك الروم الاندرياس والماسطر والبترك فى ايدى المسلمين أسارى وقد انفتح لى باب يكون فيه خلاصهم فى هذه الليلة فلما سمعوا ذلك من كلامه قالو له أيها البطريق العظيم والقيل الكريم وكيف خلاصهم وهم فى أيدى المسلمين فقال بحيلة عجيبة دقيقة غريبة فقالوا له وما هى قال لهم اعلموا انى قد مضيت الى عسكر المسلمين وعرفت الموضع الذى فيه الاندرياس والبترك والمانسطر ومن حولهم خمسة آلاف من المسلمين وأكثرهم اذا تنصف الليل يناموا والرأى ان يتأهب منكم عشرة الف فارس فى هذا الليل الدامس واسير انا فى مقدمتكم فى طريق عسكر المسلمين ونكبس الخيمة التى فيها الاندرياس والبطارقه والمانسطر وأنا اعلم ان السيف يقع فى المسلمين ويقوم كل واحد منهم وهو عادم عقله فلا يعرف صديقه من عدوه وإذا قصدوا إلينا وسمعوا الصوت من عندنا يكون لنا فى العسكر من يعلم بالركوب ويكبسوا عسكر المسلمين فى الخيم فهم يأخذون الرشيد ويخلص الملك الاندرياس وحق المسيح

مايقوم لهم بعدها قائمة (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا لقد رأيت الصواب ومن لم يرى نفسه فى عظائم الأمور مايصل إلى غاية السرور ثم انهم انتخبوا من الروم عشرة آلاف فارس من الأبطال العوابس وأمر باقى العسكر بالركوب فركبوا ولم يبق إلا كبير أو ضعيف أو جريح أو طريح وسار بهم الأمير أبو محمد إلى أن وصل بهم إلى طرف عساكر المسلمين وهو يقول لا يرفع أحد منكم صوته حتى لايفطنوا بكم إلا وأنتم معهم فى الخيام (قال الراوى) فلما قربوا الخيام ترجل أبو محمد وقال لهم ترجلوا فترجلوا عن بكرة أبيهم وساروا إلى أن توسطوا العسكر وإذا بالدنيا قد انقلبت ورجال ينادون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير

﴿ تم الجزء السابع عشر ويليه الجزء الثامن عشر ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم واخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده فلما سمعت الروم الصياح طلبوا الخيام كما أمرهم أبو محمد البطال ولما أن حصلوا فى وسط عساكر المسلمين وقد ضربت خيامهم بالنار من سائر النواحى والأقطار وكان هذا كله من تدبير أبو محمد البطال وذلك أن البطال فى تلك الغيبة التى غابها عن الروم قد أتى إلى عسكر المسلمين وقال للرشيد يا أمير المؤمنين أخلى الخيام واتركوها خالية وإذا طلبت الروم الحملة اطلب أنت عسكر الروم واضرب الخيام بقواوير النفط ففعل الرشيد ذلك (ياسادة ياكرام) وكانت بنى كلاب فى مائة ألف فارس قد جعلهم البطال بقرب الخيام التى ذكر للروم أن الإندرياس فيها فما كانت إلا طرفة الطارف حتى أحدقوا بالعشرة آلاف بطريق ووقع فى خيامهم وعسكرهم الحريق فاندقوا منهزمين وعلى الهرب معولين وقد نثرت منهم الأبطال وجندلوا الأفيال وعملت فيهم السيوف الصقال والرماح الطوال ولم يزل السيف يعمل طول الليل إلى أن برق ضياء الفجر ونشر أعلامه واندقت عساكر الليل وأدبر ظلامه وقد قتل من الروم مالا يقع عليه أحصا بعدد الرمل والحصى وقد ملكوا المسلمين الأموال والأثقال وولت عساكر الروم هاربة وإلى بلادها طالبة وهى مما أملت خائبة عند ذلك قال الأمير أبو محمد البطال للرشيد اعلم يا أمير المؤمنين إننى ما يمكننى المقام من ثلاثة وجوه أحدهما لما فى قلبى من هذه الجارية نورى من المحبة وقد ذكرت الأميرة علوى زوجة الأمير عبد الوهاب أن الأمير من فزعه عليها أرسلها إلى حصن الكوكب لأجلك فقال الرشيد لاشك فى ذلك لأننى لما دخلت معه إلى داره ورأيتها أردت أن آخذها منه فحملها إلى حصنه حتى يأمن عليها منى والثانى إنى أخاف

على آمد ممن فيها فقال الرشيد تعنى الملك فقال لا إلا من الراهب شومدرس وزوجته شوما وولده دهرشوم ولهم من خارج المدينة من يعمل على خلاصهم وهو عقبة فسكت الرشيد ولم يجبه على ذلك لأن هذا الكلام ما يعجبه فى حق عقبة فقال البطال والثالث يا مولانا أن قلبي خائف على الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وأخشى عليهم أن يكونوا ملكوا وحملوا إلى بلاد أخرى وأنت على ماذا عولت فقال الرشيد اعلم يا أبو محمد أن العراق قد اقترب وتشوشت أهل بغداد وقد عولت أننى أمضى إلى بغداد وأقيم بها عشرة أيام وأسير بعد ذلك إلى الثغور فقال الامير أبو محمد يا مولانا هذا لا يجوز لأن العراق سوف تمضى إليهم الاخبار انك قد كسرت الروم وتطيب قلوبهم بذلك وتطمئن البلاد والرأى عندى أنك تسير معى إلى آمد وتبصر ما يكون من الملوك وتبيعهم أنفسهم بالاموال وبعد ذلك أنت بالاختيار إن شئت ترحل إلى العراق وإن شئت تقيم حتى تخلص الامير عبد الوهاب ولعل الله أن يحسن خلاص الامير عبد الوهاب ومن معه وتصلح بينى وبينه على أنك تعطينى الملكة نورى فضحك الرشيد من هذا الكلام وقال يا أبا محمد إذا كان الامر على ما ذكرت فأنا أؤخر المضى إلى العراق وأشيعك فى جميع المسلمين إلى آمد وألقى مرادك بمرادى ولا أرجع إلى العراق حتى أصلح بينك وبين الامير عبد الوهاب ثم أمر الرشيد بكتب الكتب إلى العراق وإلى سائر الآفاق بما فتح الله على يديه وجمع الغنائم والاموال والخيام والاحمال وأخرج الخمس لبيت المال وقسم الباقى على العالم بالسويه ورحل فى عسكره وقد غنم الناس غنيمة عظيمة وغنموا السودان أصحاب قراقد شيأ كثير بغير قياس من البغال والرحال والخيل والجمال والقماش وساروا طالبين آمد وقد طابت القلوب وشكروا علام الغيوب (قال الراوى) ولم يزل الرشيد سائر إلى أن وصل إلى آمد وخرج ميمون الجماس يلتقى الناس وضربت البوقات وخفقت الرايات وضربت الكؤسات وزين البلد سبعة أيام وسأل البطال عن الملك منويل وسائر الملوك فقال ميمون الجماس الكل يا مولاى عندى غير شومدرس وشوما ودهرشوم ولا أعلم كيف كان خلاصهم لأنى لم أجعلهم عند الملك منويل بل ضيقت عليهم وأقللت زادهم وأمرت بضربهم كل صباح حتى نتن الموضع الذى كانوا فيه وأشرفوا على الموت وبقوا ثلاثة أيام ما أكلوا طعاما وما شربوا ماء فأخرجتهم من المطمورة إلى ظاهرها ونحن نقول أنهم لا يصبحون إلا موتى فلما أصبح الصباح طلبناهم فما وجدناهم فورد على أمر عظيم لا أقدر أصفه فضحك الامير أبو محمد عند ذلك وقال ما ظهر على وجه الارض أخبث من هذا

الملعون شو مدرس إلا أن عقبة اللعين ووالله ما كان بهم مرض وإنما أظهروا ذلك حيله وخبث وقد سقاهم شو مدرس شيأ أسهلهم حتى نال ما أراد فلا كانت ساعته لانه شيطان فى صورة إنسان وما هو إلا قد حصل حبال ونزل بها من السور أو صبر إلى وقت السحر وخرج فى جملة الناس ووالله العظيم لقد كنت له فى نية ميشومة وقد أردت أن لا أبيعه نفسه وإن أصلبه على برج من الأبراج هو والعجوز شوما ودهرشوم لكن الله تعالى أخر أجلهم لأمر لم تقف أنت ولا نحن عليه ولا نهتدى إليه ثم إن أبو محمد أحضر الملوك والملك منويل وقال لهم اعلموا أنى بعتكم أنفسكم بالمال الاول ولكن غدر بكم الكلب الاندرياس حتى يضرب رقابكم ويأخذ الملك منكم والآن فان مولانا الخليفة قد أقسم بالله تعالى لابد له من قتله وقتل البترك معه لانه فعل معه ما لايليق به وأريد منكم الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فقالوا له اعلم أيها الامير انه وصل إلينا جماعة فى يومنا هذا من ملطية وذكروا أنهم لم يكن لهم خبر ولاجلية أثر فعظم ذلك على المسلمين وطلب الامير أبو محمد من الملوك الامراء والمال وقال لهم اعلموا ان الرشيد كان معول على ضرب أعناقكم وأخذ أموالكم ويدخل إلى بلاد الروم ويخرب الديار ويهلك الامصار ويخلص الامير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب ولو كانوا تحت الارض فقال الملك منويل اعلم ياأبو محمد ان العقل ماركب فى رأس الانسان الاليميز به الاشياء ويفرق بين الجيد والردىء وأنت تعلم انى عندك أسير وحق المسيح ماعندى خبر من الامير عبدالوهاب ولا من معه من الاصحاب وأما المال الذى ذكرت فعلى اضعافه وأما الاندرياس والبترك فأنا أعلم انهم غلبوا على أمرهم وأسألك أن تسأل مولانا الخليفه فيهما وعلى انهما يزنان من المال مثل ماقطع عليهما فى الاول عشرة أضعاف واما الاميرعبد الوهاب ومن معه فأنا احلف بالإنجيل أربعين يمين انى اطلقهم فان قدرت عليهم وعلمت امرهم فأنا اخرجهم اليكم ولااحوجكم ان تدخلون الى بلاد الروم وتفتشون على اصحابكم (قال الراوى) واحضر الامير ابو محمد حرب ابن شيبان وقال له ياعدو الله تذكر كيف اخذتنى عند تل الثعالب بسبب محبوبتى نورى وسوف ترى من الضرب مالم تقدر على دفاعه فقال حرب بن شيبان لا بحق دينك ياابو محمد ولك على المال كلما تريد وأنت تعلم أنى عبد مأمور وما أقدر أخرج من بلاد الروم إلا باذن ملك الروم لانى آكل خبز الملك ولا يمكننى أن أخالفه وهذا كله من شؤم مشورة الشيخ النجيح يا أبو محمد فقال أبا محمد للرشيد يامولانا اسأل هذا الرجل فانه يخبرك فقال الرشيد ويلك ومن هو الذى

تعنى بقولك الشيخ النجيح فقال يا مولاى رجل نصيح الملك منويل ويشير عليه بكل رأى ميشوم يوافق المسلمين وقد أفنى النصارى والمسلمين (قال الراوى) فنظر إليه منويل بعين الغضب فألفت القول وقال يا مولاى هذا بطريق من خواص الملك فوثب له البطال وقال له يا ملعون أصدق مولانا الخليفة وقول الحق وإلا والله الذى لا إله إلا هو خالق المسيح لأجعلنك الساعة مشرح تشريح ثم أنهم قلعوه ثيابه وبقى سرواله وقال لسودانه والغلمان على بهذا الملعون فتواثبوا إليه وبطحوه على الأرض وضربه أبو محمد حتى وقع لحم أكتافه وظهره فصاح عند ذلك أمسك يدك يا أبو محمد فأنا أقول من هو الشيخ النجيح ولو غضب على المسيح فخلا عنه الأمير وقال له يا ويلك قل وأوجز وأخبر أمير المؤمنين بالخبر فقال يا مولانا القاضى عقبة على دين النصرانية وهو يعين الروم عليكم ومع ذلك فهو سبب هلاكنا وهلاككم وهو الذى يوقع بيننا ولولا هو كان الملك الاندرياس سلم إليك المال من أول مرة وما كان سار إلى الموصل وما كنت أنا درت إلى ملطية وكان قد عول على قتل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب حتى وصل إلى كتاب الملك وسائر الملوك إنى لا أخليه يتعرض لهم فقال الامير أبو محمد يا مولانا صدق لأن هذا الامر كان من فعل عقبة لعنه الله فلا كان الله له فى عون فلما سمع الرشيد كلامه قامت عيناه فى أم رأسه وقال أنا أقسم بالله قسما صادقا إن كان هذا صحيح لأصلبنه على دجلة بغداد حتى يشيع خبره فى سائر البلاد ولا بد لى ما أطلبه فى ساعتى هذه من أى موضع كان فان أتى بحجة واضحة وعلامة بينة وإلا فعلت الذى أقسمت أن أفعله إلا أن يرى نفسه أنه لم يكن حاضر هذه الأمور ولا كان فى هذه النوبة حاضر فقال أبو محمد البطال هذا عجب منك يا مولانا أتريد برهان أكثر من ذلك فقال الرشيد لا كلام حتى يقع فى يدى وإنى قد فوضت أمرى إليك فى احضاره (قال الراوى) وحسب الملك المال الذى تقرر على الملوك فكان ألفين ألف دينار وأطلق الملك ميخائيل والبترك إلى القسطنطينية ليرسلوا المال (يا سادة) هذا والبطال قد أرسل الجواسيس إلى سائر الاقاليم إلى بلاد الروم وإلى انطاكية وأرسل إلى غلامه أبو الليل حتى يأخذ أخبار عقبة فى أسوء حال وأرسل يقول له لا تعود إلا به فان لم تجده فسير إلى بيت المقدس فأنا أخشى أن يكون عمل على الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب ويسير إلى بيت المقدس ويقول لهم أن يؤرخوا له حين خرج وهو بعد الوقت بعشرة أيام وقد وصل إليهم وأقام عندهم ولكن إن شاء الله تعالى يهتك ستره فى هذه النوبة فقال الرشيد أمضى ولا تبطى وأنا ما أمضى من آمد حتى يأتى المال وأدخل فى بلاد الروم إلى طلبه وأنا أرجو أن تلتى خبرا شافيا

أعمل على خلاص الامراء (قال) وسارت الجواسيس مثل صابر المرعشي أحمد الشمشاطي وسعد بن كعب البدوي وسيف المسلوي وسار كل منهم فى طريق وكذلك الملك ميخائيل البترك ساروا الى بلاد الروم فى طلب المال وجمعوه وأقام الرشيد فى آمد وأرسل أبو محمد إلى ملطية حتى يكشف الخبر يعنى خبر الأمراء إن كان خبرهم وصل إلى ملطية أم لا فلما دخلوا البلد وجدوها قد انقلبت والأميرة علوى قد أيست منه وهى تبكى على الأمير عبد الوهاب وكذلك نساء الأمراء يبكون فرجعت الرسل وأخبروا الأمير أبو محمد البطال فوقع عليه من الهم والغم مالا يقع على قلب بشر وكذلك سودان قراقد وقع عليهم من فقد أميرهم أمر عظيم فخلع عليهم الخليفه وطيب قلوبهم وقال لهم مايكون الا الخير وان كانت الاخرى جعلنا ولده قرقود مكانه عليكم ولكم على من الديوان كما كان لكم على الأمير عبد الوهاب فقال له الامير أبو محمد ان كان يامولانا فرط فى الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فوالله لا أقمت فى ملطية ولا أدخلها لان الديار باحبابها والمنازل بأربابها لانى والله يعز على فقد الأمير عبد الوهاب ويكون الأمير عرو بن عبيد الله هناك وأنا أعطى لله عهدا انى أعطى للأمير ضيغم وبنى كلاب آمدهم والسودان الأنجاب وآخذ الملكة نورى وأقعد فى زاوية البلد وأعيش أنا وإياها بالكثير والقليل لانى مايطيب قلبى بفراقها ولا أخليها فى البلد وأقيم ببلد أخرى وبعد فقد الأمير عبد الوهاب ووالدته ذات الهمه ما بقى لى قدره على مقساة السفر ولا فى العساكر والدساكر والجيوش (قال الراوى) فضحك الخليفة من قوله وقال ياأبا محمد أراك قد عولت على الزهد والانقطاع وايش تعمل بالجارية نورى وهى لاتشتهى الزهد ولا تحبه فقال له دع هذا المزاح يامولانا ماهذا وقته ثم أنه أرسل الى حصن الكوكب الى الأمير نافع يسأل عن الجارية نورى ويقول له أنه قد طلبها أمير المؤمنين فاذا قرأت كتابى هذا فارسلها مكرمة غير مدافعة ولا ممانعة فمضى الرسول اليه وقدم عليه وهو مسرع وأرسل من بعده مائة من السودان ومائة من بنى كلاب وأقامه ينتظر الجواب (قال الراوى) وأتت اليه الرسل مسرعين فقال لهم مامعكم من الأخبار فقالوا له مضينا الى الأمير نافع فما نزل الينا ولا اطلعنا اليه بل أنه أنزل الينا الضيافة وسألناه عن الملكة نورى فقال هى عندى فقلنا له ان الرشيد أرسلنا اليك لنأخذها من عندك اليه لانه خليفة الزمان ولا يجب ان تخالف أمره فلما سمع ذلك قال والله أنا ما أسلمها اليكم ولا للخليفة ولو أتى بنفسه ماسلمتها اليه لانها عندى وديعه لمولاى الأمير عبد الوهاب وماسلمها لغيره وان كان مولاى قد هلك وتحقق موته فانا أسلمها لولده ضيغم فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك صدق أنها فى قلعة الكوكب وقال والله لا درى العبد

الزنيم نافع بمعنى هذا الـكلام (قال الراوى) وكان هذا من تدبير الأميره علوى لأنها علمت أن الأمير أبو محمد ما يعقد عن طلبها وأرسلت إلى نافع وعرفته بما يقول وأعلمته بالقصة التى جرت من أولها إلى آخرها وأن الأمير عبدالوهاب قد أسر ومعه جماعة من الأصحاب وهم فلان وفلان وما طلع لواحد منهم خبر وأن أبو محمد قد طلب الجارية نورى وأن الرشيد لا شك أنه يساعده على ذلك وقد عملت كذا وكذا وأخذتها إلى دارى وخليتها عندى وذكرت لهم أنها عندك فإذا سألوك عن ذلك فليكن جوابك بأنى ما أسلمها إلا لمولاى الأمير عبد الوهاب (يا سادة) وأقاموا على ذلك ثلاثة أشهر وقد وصلت الأموال من بلاد الروم مع البترك وميخائيل وفرح الرشيد بذلك الملك العظيم وأخذ من المال خمسمائة ألف دينار وكانوا عوض خزانته التى أخذها أبو محمد البطال وفرقها على عساكره وأخرج الألف ألف وخمسمائة ألف الأخرى وأخرج منه الخمس لبيت مال المسلمين وقسم الباقى على العساكر بالسوية فحصل للناس من المال الذى أخذوه من خزانة الملك الاندرياس من المال الذى للبطارقة فكان مالا لا يقع عليه احصا بعدد الرمل والحصى (قال الراوى) وأطلق الملك منويل وحلفه أربعين يمين أن يحملوا المال كما جرت العادة فى كل عام وأن يحرضوا على خلاص الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأمراء والأصحاب وإلا فالهدنة مفسوخة فقال الملك سمعا وطاعة ثم أن الرشيد لم يطلق أحدا من الملوك حتى وطىء على رقبته برجليه وكان قصده بذلك اعزازا لدين الله الإسلام وإذلالا لدين النصرانية اللئام ومضوا الملوك إلى بلادهم وأقام الأمير أبو محمد على ذلك ينتظر الجواسيس فوصلوا كلهم يخبرون عن لسان واحد أنهم ما وقعوا لهم على خبر ولا سمعوا لهم ذكر من بشر فضاقت على الأمير أبو محمد المذاهب والأسباب وقال والله لقد تم على الأمير ما لم يكن فى الحساب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فبينما هو فى الكلام وإذا بغلامه أبو الليل قد وصل فقال له الامير أبو محمد إيش معك من الاخبار يا مبارك (يا سادة) وكان هذا أبو الليل رجل لا يرام مقدم على الامور العظام فقال يا مولاى أخبرك بعجب لو كتب بالابر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال له الامير أبو محمد وكيف ذلك يا أبو الليل قل وأوجز فوالله لو لم تأتينى لكانت مرارتى تنفطر لأن هؤلاء كلهم قطعوا ظهرى لما آيسونى منه فقال والله يا مولاى ما عندك لهم خبر حقيقى ولكن رأيت القاضى عقبة فى دمشق وقد صار خطيبها ويصلى بأهلها ويقرأ العلم فى جامعها وقد ناب على يديه عالم عظيم وله فى كل جمعة مجالس وعظ يوعظ الناس فيه ويدعو للخليفة والأمير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب أن يفرج الله عنهم ويحسن خلاصهم ويدعو لك فضحك الامير أبو محمد البطال وقال وحق

من فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى بالعظمة إن كان الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب أصيبوا فمن عقبة وهذا كله من خبثه ولعنته ثم أقبل على الرشيد وقال لم يا مولاى إن هذا الامر يبطى عليك كشفه وإظهاره فأمضى إلى العراق سالما حتى أمضى أنا فى طلب الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فإنى قد عولت أن أدور الارض ذات الطول والعرض فى طلبهم فان قدرت على خلاصهم فهو المراد وإن كانوا هم وقعوا فى موضع لا سبيل لهم إلى الخلاص منه إلا بالمال العظيم والخطب الجسيم فأنا أطلع الحضرة لتعلم ذلك وتدبر بحسن رأيك الاشياء إن شاء الله تعالى فقال الرشيد والله يا أبى محمد لا برحت من آمد حتى تكشف لى خبر الامير عبد الوهاب وأصلح بينه وبين الامير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم على ما يريد هذا إن كان الامير سالما وإن كانت الاخرى فلنا فى ذلك رأى آخر فان كنت تريد تطلب الامير عبد الوهاب فارحل من يومك هذا فهو الصواب فعند ذلك سار البطال من ساعته وغلمانه معه فقالوا إلى أين تريد فقال له إلى دمشق أولا فى طلب عقبة فإنى إذا أخذت الشىء من موضعه كان أريح لقلبى لأنى ما أعلم الغيب وأما أخبار الامير عبد الوهاب ماهى إلا عند عقبة اللعين المرتاب وإن وقعت به أوقعته فى العقوبة والبلاء حتى يقول لى كلما جرى على الامير وما كان أخباره وما زال يجد السير إلى أن وصل إلى دمشق فقال لغلامه أبو الليل اعلم أننى أريد أخفى نفسى فانى أعلم أن عقبة ان وقعت عينه على هرب ولا أنال منه أرب وإلا تنفرد الناس علينا لأنه قد احتوى على قلوب أهل دمشق بعلمه مما يكون منه ولكن أدخل أنت إلى الجامع وأسأل أين يسكن وأعرف الدار التى هو فيها حتى تعرفنى بها فاذا ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار فالله تعالى يكشف عن عقبة الاستار ويكون ما يريد الملك الجبار فقال السمع والطاعة ثم أنه سار من وقته ودخل الجامع وسأل عن عقبة فرأى الناس يذكرونه بالخير فسألهم عن ما فعل فقالوا مضى من أيام قلائل إلى صور ويذهب من صور إلى ديار مصر إلى مكة ويقيم هناك ولقد سألناه أن يقيم عندنا فأبى عن ذلك ولو كنا عند الله مقبولين لأقام عندنا تلك السنة ذلك العبد الصالح (قال الراوى) فلما سمع أبو الليل ذلك رجع إلى البطال وعرفه بالحال فقال ارحلوا بنا فوالله العظيم إن صدقنى حذرى ما الملعون إلا قتل الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب لا محاله وإلا فما كان يهرب هكذا إلى أرض بعيدة ولقد عمل هذا الملعون عملا تعجز عنه أهل الارض ثم سار هو وغلمانه إلى مصر فدخلها يوم السبت فسأل عن عقبة وأعطاهم صفته فقالوا قد طلع فى مركب من المراكب إلى اسكندرية وذلك أمس فلما سمع الامير ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لغلمانه المصيبة أن يكون الملعون قد بلغ من الامراء

مراده ونجا بنفسه وأنا لو هلكت فى طلبه ما رجعت إلا به إن شاء الله تعالى ثم أن البطال أقلع ثانى يوم إلى دمياط فوجد قوم فى مركب خالى وقد عولوا على اسكندرية فسار معهم إلى أن وصل إلى اسكندرية ثم أخفى نفسه وأنفذ غلامه يأخذ الخبر فمضى وعاد إليه وقال له يا مولاى قد سألت عنه فقيل لى أنه أقلع اليوم فى مركب إلى المهدية وقد بقى ههنا مركب وذكروا أهلها أنهم بعد ثلاثة أيام يقلعوا فقال البطال نسير فيها إن شاء الله تعالى ثم أنه صبر الثلاثة أيام وصعد المركب فى اليوم الرابع وأقلع فيها فأقام فى البحر عشرين يوم ليلا ونهارا ورأس الحادى والعشرون وصلوا إلى المهدية وسألوا عن عقبة فقيل أنه قد أقلع إلى صقيله ودخلها وسأل عنه فأخبروه بخبره وصفته وهو شيخ نحيل الجسم وعليه آثار الزهد وذكر أن له ولد فى أفيودش وهى أقصى بلاد الافرنج وقد سار إليه ينظره وهو بلد ما دخلها قط أحد من السواح وقد نزل مع قوم من الافرنج لأنهم كانوا عندنا ورحلوا وذلك الشيخ الذى تسألوا عنه هو أفضل أهل زمانه كبير الشأن حلو الكلام فليته كان أقام عندنا ولو شهر من الزمان (قال الراوى) هذا وأبو محمد من شدة الحقد والحنق كاد أن يتمزق وبكى فقالوا له أهل البلد يا هذا ما الذى يبكيك فقال كيف لا أبكى وهذا الشيخ من أعز الناس على وما أتيت ههنا إلا من أجله ومعى الذهب والفضة لأنى ولده وقد أقلع إلى نحو بلد بعيد ولا له معين ولا مساعد وكيف الحيلة حتى ألحقه فبالله دلونى عليه فقالوا له والله ما نقدر على ذلك إلا فى رأس الشهر وإذا مضى منه اثنى عشر يوم تسير فى مركب الافرنج من أهل المدينة التى سأل عليها والدك فلا تشغل قلبك بحال من الاحوال وكن عندهم أنت وصحبك فى أعز مكان حتى إذا كان وقت رحيل الافرنج وسفرهم حملنا كم معهم فشكرهم وأقام عندهم تلك المدة وكل يوم يمضى عليه بسنة لطلبه لعقبة وقلقه عليه وأنه قال لغلمانه والله العظيم أن هذا الملعون ما دخل إلى هذه البلد وتغرب هذه الغربة وإلا وله حديث عجيب وأمر غريب وأنا لا أشك فى قتله للأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وقد ضاقت عليه الارض بما رحبت وخشى على نفسه منى فترك أرضه وبلاده وسار إلى هذه الارض حتى يقضى فيها باقى عمره وأنا الذى لا أغفل والله عن طلبه إلى أن أظفر بمناى أو أموت بدائى فقال له غلامه أبو الليل والله يا مولاى أن دخول عقبة إلى هذه الديار لا أعرف سببه وإن كان ولا بد من طلبه فاعزم على بركة الله وعونه وكلنا نسير معك ولو هلكنا عن بكرة أبينا (قال الراوى) ولما كان اليوم الثالث هبت رياح طيبة تصلح للقلاع فصعد أبو محمد وغلمانه فى ذلك المركب وأخذوا لهم زاد كثير يكفيهم أربعة أشهر ثم أقلع

المركب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عقبة وسببه وسبب دخوله إلى هذه الديار الذى ذكرنا والاماكن التى وصفنا فانه لما سار عن ملطية طالب أرض انطاكية وقصد إلى دير الراهب جرجيس الذى أرسل الامير عبد الوهاب وأصحابه إليه مع دويب المتنصر والملعون عقبة فرحان أنه قد ظفر بالامير عبد الوهاب وهو يخاف أنه لا يبقيه ساعة واحدة بل يقتله لوقته وأن الراهب جرجيس لما نظر إلى القاضي عقبة فرح به فرحا شديدا وقال يا مولاى ما أسعدنى بهذا اليوم الذى رأيتك فيه فقال عقبة المسيح يسعدك وإلى الجنان يوصلك ويرشدك فشكره الراهب على قوله ثم أحضر طعاما فأكل وبقى الملعون عقبة منتظر أن يفاتحه فى أمر الامراء فلم يذكر شيأ فقال له عقبة ما كان دويب المتنصر أتاك بالاسود الزنيم فقال الراهب ما عندى من هذا خبر ولا رأيت أحد ولا عبر بى عابر فصاح عقبة صيحة كادت مرارته أن تنفطر وقال يا أخى دع عنك المزاح وحق المسيح لقد فقعت مرارتى وحيرتنى فى أمرى فلما سمع الراهب جرجيس كلام عقبة قال أيها الشيخ النجيح وحق المسيح ما عبر بى هذه السنة عابر غيرك فلما سمع عقبة ذلك ضاقت عليه الارض بما رحبت وقال فى نفسه لا يخلو أمره من أحد الجانبين أما يكون عبد الوهاب ودلهمة قد أظهروا له المال الكثير فرغب دويب المتنصر فى ذلك وأما أن يكونوا المسلمين قد لقيوهم فى الطريق وخلصوا الاسارى (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن الملعون عقبة أنفد غلامه خالد يأخذ له الاخبار فغاب غلامه وعاد إليه وقال لا سمعت لهم خبر فكادت مرارة عقبة أن تنفطر ثم حلف أن لا يسير من ذلك الموضع حتى يطلع على خبرهم ثم أمر غلامه أن يعود ويسيح إلى سائر الاقاليم فقال سمعا وطاعة ثم رحل من تلك الساعة وطال بعقبة المقام إلى أن ضجر وسار طالب دمشق فارتفع فيها ذكره وسار يعظ الناس إلى أن وصل إليه غلامه وقال له يا مولاى طب نفسا وقر عينا فما بقيت ترى لعبد الوهاب والدلهمه وجه أبدا فقال له عقبة ويلك أخبرنى فلقد أفنيت زمانى ولك على الخلع والعطيه فقال يا مولاى أخبرك أن دويب المتنصر لما سار بالامراء وصل إلى دمشق وعين الاجرد فلقيهم هناك الكندفرون ملك كندفرون وهو أقصى بلاد الافرنج وراء الجبل الازرق الذى لا عمارة بعده وبينه وبين القسطنطونية سنة ونصف للمسافر المجد وأن الكندفرون سار إلى أن دخل إلى وادى الذيب وأرض الجبل الازرق ونزل على الصين وإذا قد وجد هناك دويب المتنصر ومعه قومه وأولاده ومعه الامير عبد الوهاب وأصحابه مأسورين فلما نظرهم سألهم عن حالهم فلم يقدروا على الكذب بل قالوا نحن سائرين

بهؤلاء إلى دير الراهب جرجيس الذى هو صوب انطاكيه من أجل الشيخ النجيح فلما سمع الكندفرون كلامهم أمر بضرب رقابهم وسب عقبة وشتمه وقال لارضى المسيح عن ذلك الشيخ النجيح الأعور نحن أولى بقتل هؤلاء منه ثم أخذ الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وقال وحق المسيح لقد أخذت رأيي من هؤلاء المسلمين وإذا وصلت إلى بلدي وخرج الناس يعزونى فى أبي ضربت رقابهم فلما سمعوا أصحابه كلامه فرحوا بقوله وأخذوا الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فقال أبو الهزاهز والله إنها موتة صعبة ولابد مايحملونا إلى آخر الدنيا وبعد ذلك يضربون رقابنا فقال له قراقد وأي بشارة لك ولعلنا أن نعيش وأنت وحدك تهلك فقال أبو الهزاهز والله مانموت إلا كلنا سوى ولا شك ان عقلك قدعدم فمن عطب رفيقه سلم فقالت الاميرة دلهمة دعونا من هذا الكلام وسلموا الامر إلى محيي العظام فهما قضاة أمضاه ولامفر من حكمه وقضاه هذا وقد سار الكندفرون طالب بلاده ومعه الامير عبد الوهاب أصحابه وأتى غلام عقبة إليه وأخبره بما قد جرى عليهم فلما سمع عقبة ذلك قال وحق المسيح لارجعوا هؤلاء ينظروا بلاد المسلمين أبدا وما هم إلا هالكين ولكن ما كنت أريد تضرب رقابهم إلا وأنا حاضر حتى يعلموا أن المسيح قد أعطاني نسيم المراد وقد شفيت منهم غليل الفؤاد ثم قال وحق الإنجيل لابد من طلبهم على أي وجه كان ولكن قد حرت فى أمري ان أنا سرت فى البر فما ألحقهم إلا وقدفات فيهم الامر وما لى إلا أن أسير من ههنا إلى صور وهو أول الساحل وأقلع إلى اسكندريه ان وجدت مركب واصلة إلى بلاد الروم سرت فيها وأتوصل إلى الملك الكندفرون وأحضه على قتل الاسود والسلام بعد ذلك على الدنيا وان لم أجد فى اسكندريه شيئا سرت إلى الغرب وأقلع إلى صقيله وأقلع من صقيله إلى أفرنجه ومنها إلى الكندفرونيه إلى بلاده وبعد قتلهم ما يبقى لى فى الدنيا حاجة إذا هدمت هذا الركن الذى مايذب عن الإسلام غيرهم فقال له غلامه يا سيدى المسيح يظفرك بمرادك ويهلك أعداءك وأضدادك ويردك فى خير إلى بلادك إذا كنت قد عزمت على هذا الامر الذى قدذكرت فارحل وكن أمرك على عجل (قال الراوى) فأخذ عقبة معه مالا عظيما من عامل له بدمشق كان نصرانيا وسار إلى اسكندريه كما وصفنا إلى المهديه وإلى صقيله كما أخبرنا وان أبو محمد خلفه طالبا كما قدمنا هذا وان عقبة سار فى المركب التى فاتت أبو محمد ولم يلحقه وان عقبة وافقه ريح طيب فى البحر أربعة عشر ليلة ونهارا حتى قربت مركبه من مدينة كندفرون ونظر عقبة إلى المدينة وهى بناية عجيبة قد بنيت بالحجر الاسود الاصم على مثال مدينة آمد الا أن هذه المدينة أوفى ولها

أبراج معموله وسط البحر طول كل برج مائة ذراع إلى فوق وهو نازل فى الماء خمسون ذراعا وقد ذكر فى تاريخ الطبرى أن هذه المدينة من عمارة الجن ولها باب إلى البحر وباب إلى البر فإذا خرج الانسان من الباب الذى للبر يسير شهرا كاملا لا تقع عينه على شمس من كثرة اشتباك الأشجار وهى ديار قط ما طرقت وأحسن بلاد فى الدنيا فلما نظر عقبة إلى ذلك تعجب ثم أنه دخل إلى المدينة وقصد البيعة فتقدم إليهم وسلم عليهم بالافرنجية وكان يعرف بكل لسان ثم أقبل على المقدم عليهم وهو كبيرهم فقال له أيها القس العالم أخبرنى عن المسيح هل كانت القدرة قديسية أو ربانية أو متصلة أو منفصلة أو مستعارة أو سمائية أو أرضية أو مخلوقة ترابية فلما سمع القس (يا سادة) ذلك الكلام من عقبة انقطع علم ما فى يده ولم يرد جواب فقال له عقبة هذا جواب العجز ولو كان هذا الجواب للمسلمين لثبت عليكم العجز المبين ثم أن عقبة جعل يشرح لهم الإنجيل بطريقة حنينه وهم يتبعوه ثم أنه فسر لهم منه ما أذهل عقولهم وترامو على يديه عند سماع كلامه وقالوا هذا واحد من أصحاب المسيح لا محالة ثم أن القوم ألبسوه ثيابا كانت عندهم يزعمون أنها من أيام الحواريين مدخورة عندهم فى الصناديق النحاس ثم أن عقبة استخبر عن الملك فأخبروه أن قد وصلت إليهم الأخبار أنه قد وصل إلى قرب أرضهم وإنما كان أعاقه صاحب افرنجه لأنه كان زوجه ابنته ارمانوسة وفى هذه الايام يصل فطابت نفس عقبة بذلك واحتوى على قلوبهم ولم يقيم أكثر من عشرين يوم حتى أقبلت مركب الامير أبو محمد البطال على المدينة التى للكندفرون فلما نظر أبو محمد وغلمانه إلى تلك المدينة قال سبحان الله العظيم إن فى الأرض عجائب وغرائب هذا والله موضع ما رأت عينى مثله قط صنعة ربنا لكن طالت غيبتنا وأرجو من الله لا يخيب سفرتنا ثم أقبل على غلمانه وقال يا لؤلؤ اعلم أن عقبة اللعين ما دخل هذه المدينة إلا لأمر عجيب وحال غريب ولا شك أنه يصير عند القوم قسيسا أو مطرانا لأنه رجل لا يوجد مثله فى حفظ التوراة والانجيل والقرآن ويتكلم بكل لسان ولا بد أن يناظر علماهم وما فيهم من يقف بين يديه فى المناظرة من سائر العلوم وهو يصير عندهم بمنزلة عظيمة ولو أمرهم بقتل أنفسهم لفعلوا أو أن يقتلوا أولادهم لما خالفوه وإن عرف واحد منا فهو يعمل على هلاكنا فقال له لؤلؤ والله يا سيدى لقد قلت الصحيح وأتيت بالكلام المليح والرأى عندى أنك تصبر حتى يطلعوا التجار الذين فى المركب إلى البلد ونصعد فى زى القوم إلى بعض الحارات ونسكن إلى أن نعلم حال عقبة ونعرف سبب قدومه إلى ههنا فقال أبو محمد نعم ما رأيت يا لؤلؤ هذا وأن القوم صبروا إلى أن طلعوا التجار فلبس أبو محمد ثياب الافرنج

وفعلوا غلمانه كفعله وعبروا المدينة فاكروا لهم موضع لئلا يطلع عليهم أحد ونظروا إلى بلد عجيب متطبق بالرخام والانهار تجرى فى البلد إلى البحر المالح والبحر محدق بنصف البلد من باب الميناء (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وأن أبو محمد نزل فى بعض الخانات وأظهر أنه من بعض التجار وقال لغلامه أبو الليل أدخل إلى البلد وامشى فى أذقتها واسأل عن عقبة (قال الراوى) وكان أبو محمد يشترى الغلمان ويخبيهم فى البلاد ويدخرهم لكيد الاعادى يطلب بذلك أن يخفى أحواله وإذا طابهم وجدهم وكان عقبة يفعل ذلك هذا وأن أبو الليل خرج إلى ظاهر المدينة ساعة ورجع وهو أصفر اللون مضطرب السكون يرتعد كالسعفة فقال أبو محمد ما وراك فقال يا مولاى قم من مكانك وانظر إلى أعز الناس عليك وهم فى الذل والنكال فقال أبو محمد البطال ويلك حدثنى الامر على جليته واعلمنى مضمون الكلام فقال يا مولاى لما دخلت إلى هذه المدينة وأنا متعجب من حسن بنائها إذ رأيت البلد وقد زينوه فسألت عن ذلك فقيل لى أن الملك قد وصل ويريد يدخل اليوم إلى البلد لأنه كان فى غزاة المسلمين فى معاونة الملك منويل وله غائب عنا سنتين لأنه أقام هنالك سنة وأقام فى الطريق سنة (قال الراوى) وقد ذكرنا أن هذه المدينة نصفها فى البر ونصفها فى البحر فى لحف الجبل فى لون السماء لا نبات فيها ولا شجر وقد ذكر عبدالله بن سلام أن تلك المدينة لا يمرض فيها إنسان إلا مرض الموت وذلك لصحة هواها وطيب غدرانها وحسن مائها (يا سادة يا كرام) وأن أبو الليل قال لمولاه أبو محمد وبينما أنا كذلك التفت يمين وشمال وإذا بالمنادى ينادى أن يخرجوا إلى لقاء الملك الكندفرون يا مولاى وحق الذى بيثرب ﷺ لقد خرج إلى لقاه أشهر من ألف ألف فارس طوال الابدان أحدهم كالنخلة السحوق فى الزى والعينان ما رأيت فى بلادنا منهم ولا عاينت عينى شكلهم وما كانت إلا ساعة حتى عادت الخيل تدق بعضها بعض ووصل الكندفرون وبين يديه رجال حفاة عراة وبينهم امرأة طويلة وفى وسطها قطعة مئزر يطير من عينيها الشرر وقد علا وجوههم الغبار وعليهم من البلاء آثار فوالله يا مولاى لقد حرصت على أن أعرف منهم أحد فما قدرت على ذلك وإنى سألت من بعض الافرنج عنهم فقال لى هؤلاء قوم قد وصل بهم الملك من بلاد الاسلام وهم يذكرون انهم عماد المسلمين وأبطال الموحدين وفيهم واحد يقال له عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وولديه سيف الحنيفية وقشعم والباقى أصحابه وكل واحد منهم كأنه الاسد الضيغم وأنهم هم الذين خربوا بلاد النصرانية وأهلكوا أهل ماء المعمودية وقد هدموا البيع والصوامع وبنوا المساجد والجوامع وهم سبب كل فتنة وكل رزيه والملك قد حملهم إلى ههنا لأنهم قتلوا

فى هذه النوبة أباه وعدم منه فى هذه الغزاه وقد عول فى غداة غد يركب إلى الميدان ويضرب رقابهم بين يدى الرجال والفرسان يا مولاى وإنى لما عرفت القصة غدوت إلى باب القصر قبل أن يدخل الملك ولما دخلوا الأمراء وتحققتهم وإذا بهم عبد الوهاب وقشعم وسيف الحنيفية ومالك بن طوق وذات الهمة وأبو الهزاهز وقراقد وطارق الحجازى وبرد بن الأزهر ولما عرفتهم يا مولاى عدت إليك حتى تعمل ما تراه وتدبر ما تهواه مع انى أعلم أن مالهم إلى الخلاص سبيل (ياساده يا كرام) فلما سمع أبو محمد ذلك من غلامه قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله ياأبو الليل لقد قطعت ظهرى وحيرتنى فى أمرى وإن صدقنى حذرى فان عقبة الملعون علم بأنهم أتوا ههنا فتبعهم ليشمت فيهم وينال المقصود وإن شاء الله تعالى يقدرنى على خلاصهم ويعودوا الى بلادهم ولكن أرجو من الله تعالى أن ييسر لنا تحصيل عقبة وننكبه فى نفسه نكبة وأى نكبة فقال لؤلؤ لا تعرف هذا إلا منى وعلى أن أسوقه لكم الليلة سوق التيوس للذبح فضحك أبو محمد من كلام لؤلؤ وقال له إذا فعلت يالؤلؤ هذه الفعلة فعلى خلاص الأمراء إن شاء الله تعالى (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم إن أبو الليل مضى وغاب عنهم ساعة وأتى وقال يامولاى قدمشيت إلى البيعة فرأيت عقبة وهو فى قبة من العاج مرصعة بالذهب الوهاج ورأيته عندهم فى منزلة عظيمة وهم يبكون بين يديه ويقولون ياأبونا اغفر لنا وارحمنا فيقول لهم قد غفرت لكم ورحمتكم وأعطيت كل واحد منكم فى سقر والوادى الاحمر مائة فدان يشطح فيها خلاصه وحرمتها على المسلمين ورأيت جماعة القسوس والرهبان وهم يصلبون على وجوههم وقد زعموا أنهم مضوا يهنون الملك بالمملكة ويعزوه فى أبيه وينصبونه موضع أبيه على سرير المملكة ويدورون حواليه بقراءة الإنجيل ويلزمه بقتل هؤلاء المسلمين الدين وصلوا معه من بلاد الموحدين (قال الراوى)فلما سمع أبو محمد ذلك الكلام بكى وقال والله هلك أبو ضيغم ثم ان البطال قام على حيله بهمة وقال توكلت على الله ثم لبس لبس الافرنج ونثر عليه شوارب طوال كبار وحواجب عراض وشتر عينه اليمين فسار أوحش خلق الله تعالى ووثب قائما فقال له غلامه لؤلؤ على ماذا عولت فقال على الدخول عليهم ولو قعدت عند عقبة شهرا كاملا ماعرفنى لأنه مارآنى قط فى هذا الزى وأريد أن أجتهد فى خلاص الأمراء وسار الأمير أبو محمد ودخل إلى القصر الذى فيه الملك فوجده عالى البناء مرخم الحيطان فيه صور وتماثيل وشموع وقناديل وستور وأوانى ذهب وأسرة من عاج مصفح بالذهب الوهاج مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر وفيه صفة شمس تزهو فى القبة صنعة حكيم كهين كان فى زمنه مدبر ونظر أبو محمد

إلى الرهبان والشمامسة والبطارقة من حول الملك والقاضى عقبة جالس بين يديه وقد نصب له كرسى الكرامة وقد زاد الملك الكندفرون فى إعظامه وقال أيها الشيخ النجيح لقد نزلت فى بلدى بحضورك البركات وطارت عليها طيور السعادات (قال الراوى) ولم يكن الكندفرون يعرف عقبة لأنه ماخرج إلى بلاد الإسلام قط ولا إلى بلاد الروم غير هذه المرة وكان يسمع الملك منو بل يقول قد أمرنا الشيخ النجيح بكذا وكذا ولم يعرف الكندفرون من هو الموصوف بهذه الصفة ولما حضر عقبة عنده فى هذه النوبة وجعل يحدثه بفضائل المسيح ويتلو عليه الإنجيل بالافرنجية (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك من كلامه وما أبداه من نظامه علم أنه ينطق عن علم غزير ومعرفة صادقة فوثب الملك وأخذ بيد عقبة وأجلسه فى المرتبة التى هو جالس فيها وأمر له بعشرة آلاف دينار فامتنع من أخذها ولم يقبلها وقال وحق المسيح ما أنا طالب دنيا ولا قدر لها عندى ولا قيمة فعظم فى عين الملك بهذه الفعلة وقال ما بعث لنا هذا المسيح إلا وقد نظر إلينا ثم جعل يقبل يد عقبة ويقول يا أبونا اغفر لى وارحمنى وعقبة يقول أيها الملك قد غفرت لك ورحمتك وأعطيتك فى سقر مسيرة عشر سنين هذا ما جرى وأبو محمد البطال واقف ينظر ماجرى لعقبة ويشاهده ويقول فى نفسه إن كانت المغفرة بيده قد صارت فلا غفر الله لى وان عقبة أقبل على الملك وقال أيها الملك قد سمعنا أنه قد وصل معك جماعة من المسلمين وهم ممن لهم قدر وشأن وسمعت أنهم أبطال وشجعان وهذه أول السعادة لك أيها الملك لأنك أول ما ملكت الملك قتلت قوما قد أخربوا بلاد الروم وقتلوا منها عالم عظيم بعدد النجوم وقد سمعت من المسيح أنه قال اذا أسرتم الأسير من المسلمين فعجلوا بقتله قبل أن يعلمون أهله يعملون على خلاصه وسمعت من شمعون الصفا انه قال من ذبح من المسلمين واحد فقد حرم المسيح جسده على النار وقد سمعت انا من السيدة مريم انها قالت يأتى فى آخر الزمان قوم يقال لهم المسلمين فيطلبون تعطيل الدين العتيق ومقالة التحقيق من قتل منهم واحد فيكون المسيح راضى عنه ومن قتل منه امرأة فأنا راضية عنه فلما سمع الكندفرون من كلام عقبة الملعون المفتون قال الحمد لله والمسيح الشكر لأن هؤلاء الأسارى تسعة رجال وامرأة والساعة أحضرهم واضرب اعناقهم حتى أفوز بالصواب الذى ذكرته عن المسيح وعن أمه والتقرب ايضا بذبح الأمراء إلى السيدة مريم وقد وهبتهم لك ان تعاقبهم كما تريد فلما سمع عقبة ذلك من الملك فرح فى نفسه فرحا عظيم وقال لقد نلت المنى من ذات الهمة وعبد الوهاب ومن معهم من الأصحاب فعندها أمر الكندفرون فى الحال أن يحضروا الأمراء فى أقبح حال

فما كانت غير ساعة حتى أحضروهم بين يدى الملك وعقبة وهم حفاة وقد تغيرت وجوههم وطالت شعورهم والاظافر لان لهم زمان طويل وهم فى قلة وتعتير ولهم فى الطريق مدة سنة إلى ان وصلوا إلى هذه المدينة التى ذكرناها لكم وما قاسوا من تحفظ الافرنج عليهم ولم يقدر أحد منهم على الخلاص فلما حضروا بين يدى الملك كما ذكرنا مد البطال عينه فنظرهم فجرت دموعه على وجنتيه مثل المطر وجعل يصبر نفسه فلم يقدر فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لكل أجل كتاب وقال فى نفسه والله ان أمر بقتلهم فى هذه الساعة رميت روحى عليه وعلى عقبة أنظر الكلب الملعون وأضربهم بالخنجر الذى فى يدى وأقتل بعدهم ولاحياة الاسلام ولاخير فى الدنيا بعدهم وأنشد وجعل يقول

ياصاحبى قفا نستخبر الدمنا منازل قد خلت منا وكانت لنا
ممن نخبر وممن كان يأتفنا كذا الزمان علينا تارة ولنا
أنا الغريب غريبا لا مجيب له كبائع الريح لا يعطى له ثمنا

(قال الراوى) فلما وقفوا الأسرى بين الكندفرون وقد جردت الصفاح وعلا الصياح من كل جانب فجعلت الأميرة تقرأ وماندرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير والأمير قشعم يقرأ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله والأمير سيف الحنيفية يقرأ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وبرد بن الازهر يقرأ قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم والأمير سعيد بن الفرج يقرأ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلاتخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين والأمير مالك بن طوق يقرأ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون والأمير عبد الوهاب يقرأ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وأبو الهزاهز يقول والله ما نظرنا قط أيشم من هذا القتل والجوع والعرى والمشى وقد نفخت رجلاى من المشى فضحك الامام عبد الوهاب على ماسبقه من الهم والغم والأميرة ذات الهمة تقول إياك يابنى ان تحرم نفسك الثواب واعلم يابنى أن الرأس الغنم إذا مات رمى على المذبلة وإذا ذبح أكله الانسان واستعان به على طاعة الرحمن يابنى وكذلك ابن آدم إذا مات صار طعاما الدود والآفات وإذا قتل فى سبيل الله وطاعة رب السموات فانه ينال بذلك الجنان التى ما بعدها ممات فقال لها والله يا أماه مابى شىء من الحزن ولكن ماشفيت قلبى من البتار وانى على ماترى من ضعفى لو ملكت سيفى ما كنت سلمت نفسى حتى اقتل ألف ألف قالت يابنى كذلك فان الاعمال بالنيات (ياساده) هذا وعقبة يقول أيها

الملك انجز بالأمر وبادر بالثواب واقتل هؤلاء الـكلاب فعرفة الأمير عبد الوهاب وقال للأميرة ذات الهمة والله يا أماه إنى أيست من الحياة وأيقنت بالممات فى هذه الساعة فقالت له وكيف ذلك يا بنى فقال لها ألا ترين إلى هذا الجالس الذى بجانب الملك الـكندفرون هو الملعون عقبة بن مصعب فقالت الأميرة يا بنى ومن أين وصل عقبة إلى هذه الديار وإن كان هو فهذا من أعجب العجب (يا سادة) (قال الراوى) فسمع عقبة المشاجرة فقال للأميرة صدق الأسود الزنيم فيما قال يا عاهرة نعم أنا الشيخ النجيح وحجة المسيح عقبة بن مصعب السلمى وما كان المسيح يضرب رقابكم إلا وأنا حاضر فتحقق هذا واعلمى إنما يقينى من هذه النوبة لا تسلمى أنت وولدك عبد الوهاب ولا من معه من الأصحاب ولو ضرب رقابكم وما أنا حاضر كنت أعتب عليه طول الزمان ولو بسنين وأعوام انتظر هذا الأوان وحق المسيح لأخضبن شيبتى ولأمرغن فى دمائكم لحيتى وأنتم تعلمون أن قد دق عظمى وشاب رأسى ونحل جسمى فى انتظار هذا اليوم والآن فقد أعطانى المسيح المنى وبلغنى ما أريد من الأعداء فقالت الاميرة ذات الهمة ويلك يا شيخ الضلالة ومعدن الجهالة والله إنك لتحفظ هذه الآيات فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا وقد اخترت بما قلبك الضلالة على الهدى وأنت تعلم ماذا تلقى بين يدى المولى فقال لها عقبة ويلك يا عاهرة ما أعرف على الضلالة غيركم وإن كنتم على الحق فادعى باسم من يخلصكم من القتل فوحق المسيح لا أقتلك حتى أشوه بكى ولا بد ما أقلع أنفكى وأعجل حتفك فقالت له الاميرة يا ويلك إن سلطك الله على فهو الذى أريد لأن الله تعالى يسلط الاشرار على الاخيار حتى يوصلهم إلى دار القرار (قال الراوى) فعند ذلك أقبل عقبة على الملك وخاطبه بالافرنجية وقال له اعلم أنى مع هؤلاء المسلمين فى مناظرة وكلام كثير ومشاجرة وهم قد قطعوا كبدى وأنحلوا جسمى وهم يشتمونى ويشتموا سائر الرهبان وشمعون ومريحنا المعمدان ويكذبون بما جاء من الدين الصحيح على لسان المسيح فقوم إليهم واقض عليهم فى هذه الساعة وابدأ بالاسود الزنيم وهذه العاهرة ذات الهمة (قال الراوى) فعند ذلك وثب الملك الـكندفرون إليهم وهجم عليهم فقال البطال ما لسكوتى فى هذه الساعة وجه من الوجوه وقد خاب ما كنت أرجوه وأنا الساعة أتقدم إلى الملك الـكندفرون وأقول له كلاما إن فعل به فهو الذى أريد وإن لم يفعل فأنا أهجم على عقبة وأضربه بخنجرى هذا أسقيه كأس الحمام ثم أن أبو محمد تقدم إلى الملك وصار بين يديه وتكلم بلسان القوم وكان أفصح منهم بلغاتهم هذا والملك ينظر إليه فقال على ماذا عولت يا سيد ملوك النصرانية ورئيس أهل ماء المعمودية فقال على قتل هؤلاء

الاسارى فقال البطال ماهذا صواب فعندها قال عقبة وقد غضب من قوله ياأشهر العيون ولم ماهو صواب والملك فى ذلك ثواب فقال أبو محمد وعقبة ينظر اليه والى قبح صورته وكبر لحيته وشواربه ووجهه عليه آثار الجدرى وكان الأمير أبو محمد قبل ذلك اليوم أخذ ميل وجعل يحميه فى النار ويكون به وجهه حتى بقى كانه مجدور له عشرين سنة فلما رآه عقبة على تلك الحالة لم يعرفه لانه قد أيقن ان أبو محمد لم يصل الى تلك الديار ولا يهتدى إلى تلك الامصار فلما نظر إلى وجه أبو محمد وهو يخاطب الملك قال عقبة ماخلقك المسيح على الصورة القبيحة الا وهو ساخط عليك وإن أبو محمد أقبل على عقبة وقال له يامولاى اعلم ان فى البلد نحو ستمائة ألف امرأة وشيخ وصبى ما يصدقون ان الصباح يصبح حتى يحضرون قتل هؤلاء الاسارى فى غداة غد على ظاهر البلد وساحل البحر ويدقوا النواقيس ويشربون الخمور وتمزح الرجال والنساء من الفرح والسرور ويكون غدا عندنا عيد مثل العيد الكبير ونخرجهم وبين أيديهم السيوف انجذبه وذلك أبلغ من الفرحة وأشد على هؤلاء القوم فى المصيبة وأعظم فى الهيبة وإن قتلوا فى هذه الليلة فان الناس لايجدون فى غداة غد لذلك فرحة إذا لم يشاهدوا مايأملون ولاينتظرون العوام وما يريده (قال الراوى) فلما سمع الملك الكندفرون ذلك صلب على وجهه وقال وحق المسيح ابن مريم والصليب لقد رأيت الصواب وأصبت فى الخطاب والرأى ان نخليهم إلى غداة غد وينادى المنادى فى البلد لا يبقى أحد إلا ويخرج إلى باب المينا ولا يدخل إلى غروب الشمس ويكون يوم أكل وشرب فقال عقبة وقد أعجبه ذلك الكلام اليوم قد أعطانى المسيح أملى وبلغنى فوق ما أريد ثم انه اقبل على الملك الكندفرون وقال له أيها الملك لقد رأى هذا الصواب وأتى برأى شديد الخطاب ولكن أريد أيها الملك أن تسلمهم لى فى هذه الليلة وتعرض لى موضع حتى اشتفى منهم فى الكلام حتى انك الساعة تعمل القيود فى أرجلهم فقال الملك وما قصدك بالقيود فلو كانوا مطلوقين ماكان لهم من هذا المكان خلاص أليس البلد كما قد ذكرته لك باب الى البحر وباب الى البر وفيه طريق يفضى الى سبعة طرق والمفاتيح عندى ومن وقت غروب الشمس ماهم الى النجاة سبيل فقال عقبة اعلم أن المسيح قد أمرنى بمناظرة على المسمين وأريد أن أناظرهم طول الليل وأخاف ان يرفصونى بأرجلهم يقتلونى فقال الملك سيربهم إلى أين شئت إن شئت تقيدهم وإن شئت تخليهم وخذ معك رجال يعاونوك على ضربهم فقال ماأريد إلا القيود (قال الراوى) فأحضرت القيود ووضعت فى أرجلهم وأيديهم مكتفة وكان الذى يضع القيود الأمير أبو محمد وأخذ المفاتيح إليه وأمر بهم الملك إلى دير يعرف بدير

الراهب وكل ذلك إكراما لعقبة وسار أبو محمد بين أيديهم وعقبة يقول من قاد مسلما إلى الهلاك قاده المسيح إلى سقر وعقبة يظن أن أبو محمد من غلمان الكندفرون والملك يظن أن أبو محمد من غلمان عقبة وكان غلام عقبة فى البيعة ولم يدخل معه فى القصر وصار عقبة إلى أن دخل إلى المكان الذى أفرد له والأمراء المأسورين وأشعلت الشموع وحمل إليه الطعام من الخنانيص والدجاج والحلو والأمراء بين يديه والأمير أبو الهزاهز يقول ويلك ما تلهمنا لقمة قد أضر بنا الجوع فضحك عقبة وقالوا اعلموا أنكم إذا لقيتم الله جياعا كان ذلك أعظم ثوابا لكم فعلم الأمير أنه يقول ذلك هزوا منه بهم فقال له ويلك لا تغتر بالمهلة فان الله يأخذك من حيث لا تحتسب (قال الراوى) فبينما هو معهم فى الكلام إذ وصل إليه غلام الكندفرون وقال له إن الملك يستدعيك إليه ليشاورك فى أمر عرض له وتعود إلى مكانك فقال سمعا وطاعة ووثب فى الوقت والساعة وأقبل الأمير أبو محمد البطال فقال له ما اسمك قال يامولاى اسمى قرياقس قال بارك المسيح فيك ياقرياقس تسلم هؤلاء المسلمين ولا تمهل أمرهم وعليك بحفظهم وأنت خليفتى إليهم إلى أن أعود إليك ولا تطعمهم من هذا الطعام لقمة واحدة فقال له أبو محمد وحق المسيح ما أطعمهم شيأ ثم إن عقبة مضى الى عند الملك الكندفرون فلما دخل على الملك وثب له قائما وأكرمه غاية الإكرام فقال عقبة ما الذى أراد مولانا أدام الله أيامه وأهلك أعداه وحساده فانى خائف على هؤلاء الأسارى فانى أعرف الخلق بهم لأنهم أبطال المسلمين وشياطين الموحدين وهم على ماهم عليه يريد كل واحد منهم لرأسه ألف بطل فقال الملك دعنا من هذا فان الأمر قريب وغدا أضرب رقابهم وتنظر عذابهم فقال عقبة أيها الملك فما الذى تريد وفقك المسيح لطاعته فقال اعلم أن بالقرب منا جزيرة من جزائر الافرنج يقال لها جزيرة المرجان وأهلها من الجبابرة وهم فى عالم عظيم يزيدون على خمسمائة ألف فارس ولهم خمسمائة مركب تسير فى البحر مقاتلة فما تترك لنا مركب فى البحر الا يأخذوه وقد كثرت مضرتهم علينا غير أنهم لا يقدرون على بلدى لانه حصين كما تراه ونحن لا نقدر على الجزيرة التى لهم من كثرة العالم الذى يأتى فى المراكب لأنهم جبابرة وقد ألفوا اقتال البحر ونحن فرسان البر وما لنا خبرة فى البحر مثلهم وان أبى قتل الملكهم البطليموس ثلاثة أولاد وهو يطلب أن يأخذ ثارهم منا ولولا أن بلدنا أحصين ما على وجه الأرض مثله كان قد ملكه لأن مراكبهم ما تبرح فى البحر وقد وصلنى الساعة بعد خروجك من من مجلسى خبر من حراقه كانت لنا فى البحر ان البطليموس قد تجهز فى ثلثمائة مركب وعشرين زورق وقد عول فى غداة غد يأتى إلينا على نية القتال ولنا فى البحر مائة سفينة وقد خسرت

عليه مال جزيل وهم برسم التجار تمضى الى سقليه والى سائر البلاد ولا آمن فى غداة غدأن البطليموس يهجم علينا بعدد وإذا لم يبق على البلد واحد والايصل يحرق السفن ولا محالة وقد رأيت منك الفضل والعلم والتدبير مالم أراه من غيرك وقد رأيت انى أريد منك انه اذا نزل فى غداة غدتخرج إليه وتقرأ له الانجيل برفيع صوتك وحسن نغمتك وتقول له أناقس بيت المقدس ولايجوز لأحدأن يخالفنى إلاوأبعده ويغضب عليه المسيح وننفيه من بين النصرانيه وتتوسط بيلنا فى الصلح على أى وجه كان وأنا أحمل اليه ثثمائة ألف دينار عوضا عن أولاده الذى قتلهم أبى ويكون لى والد بعد والدى وإن كانت رغبته مايلة إلى الصلح فاجهد أن تخطب لى ابنته وتعطيه عنى يدك وتقول له البلاد كلها بحكمك على اننى وحق المسيح ما قصدى بذلك إلا حقن الدما ودفع الأذى (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك من كلام الملك قال له طب نفسا وقر عينا ولا تعرف هذا إلا منى وها أنا ماضى إلى الأسارى إلى غداة غد فان أتاك العدو الذى جاءك خبره فأنا أمضى إليه وأكفيك أمره وأدفع عنك شره وان لم يكن لذلك صحة حضرت قتل المأسورين وأركب أنا وغلامى وأمضى الى جزيرة المرجان ولاأرجع اليك الابكلما تريد وأترك أهل الجزيرة لك مثل العبيد ولايقدرون على مخالفتى ففرح بذلك الملك وعزم عقبة على الرجوع الى مكانه (قال الراوى) وأما الأمير أبو محمد البطال فانه لمامضى عقبة عنه الى عند الملك أقبل على الامراء فسمعهم يقولون لبعضهم البعض هذه والله ليلة من الليالى ماأمر علينا منها فاقطعوها بقراءة القرآن وذكر الرحمن فقالت الأميرة ذات الهمة سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قبض على ذكر الرحمن ولقى الله فانه يلقى الله وهو أبيض الوجه نقى القلب رطب اللسان فأكثروا من ذكره فقال الأمير عبدالوهاب والله مابى حسرة الا من أبى محمد البطال لأنه عندى أعز من الأخ الشقيق وقد جرى بينى وبينه الذى عرفتموه والحال الذى شاهدتوه بسبب الملعونة نورى ومن يوم ماأخذتها من بلد الروم مابرحت الحروب بينى وبينه وتم لنا ما لم يكن فى الحساب فوالله لقد كنت أشتهى أن أراه وأتحلل منه قبل الموت وأقول تسلمها منى فما وجدت منها بركة فقالت الاميرة والله يا بنى لقد حرصت ان تؤثره بها فامتنعت من ذلك حتى جرت علينا هذه الامور المقدرة فقال الاميرابو الهزاهز دعونا من هذا الكلام فانه يطول ونحن والله جياعا وغدا تضرب رقابنا وترمى الى البحر يأكلها السمك والحيتان فاطلبوا لنا من هذا الأشتر العين كسرة نأكلها من قبل ان يجىء استاذه الأعور فأقبل الامير عبدالوهاب على الاميرابو محمد وقال ايها البطريق الذى كان كلامه مبارك علينا وكان سبب

خلاصنا من القتل إلى غداة غد فقد قال المسيح ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء وارحموا الاسير وجودوا على الفقير وقد ورد فى الحديث لكل كبد حراء أجرا ونحن لنا أياما ما أكلنا فيها لقمة واحدة (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد كلام الأمير عبدالوهاب زرفت عيناه بالدموع فنشفها وتجلد فناداه قراقد يا أشتر العين نسأل الله أن لا يهتكك تأكل ونحن جياع ما تطعمنا شيء نمسك به رمقنا فقد أضر بنا الجوع فكان كانه ما يسمع فقال أبو الهزاهز وحق من يعيد عليك عينك المشتورة صحيحة الا أطعمتنا مما تأكل قال أبو محمد والله لقد كنت كلما سمعت وهم يستغيثون من الجوع يتقطع كبدى ثم أنه وثب وحمل إليهم من الدجاج والشوى والحلوى والعيش الخاص وقدمه اليهم وجعل يقطع ويلقمهم ويكلمهم بالعربية خوفا من عقبة لا يكون له عليهم عينا وأيضا لا يعرفهم بنفسه فيشتغلون عن الأكل ولم يزل يطعمهم الى أن اكتفوا وأبو الهزاهز يقول أحسنت ياقرياقس ستر الله على عينك المشتورة فلقد أحسنت إلينا ورددت القوة إلينا (قال الراوى) فلما اكتفوا خرج أبو محمد ينظر الخبر وهل عليه أحد من العيون فغاب ساعة وعاد وقد طاب قلبه إذ لم يجد أحدا وأراد ان يعرف الامراء نفسه ثم انه قال لابد أن أمضى الى الملك وعقبة وأبصر ماهم فيه ثم قصد الى قبة الملك فوجد البطارقة قياما يحجبون الملك وهو مقبل على القاضى عقبة وهو يقول وحق المسيح لو أن البطليموس يأتينا فى البر ويقابلنا على ظهور الخيل فى حومة الميدان ما كانوا فى قتالنا إلا خاسرين لأن لأن عندنا من الخيل والعسكر مثل ماعنده ضعفين ولكن ما يأتينا الا فى البحر فإن ظفر بمراكبنا أحرقها وأخذ مافيها وان عملت مراكب حربية ونزلت الى قتاله فما لنا به طاقة لأن معه رجال لا تطاق قد ألفوا القتال فى البحر كما ألفنا قتال الخيل فلو صالحنى على انى أحمل اليه كل عام من المال مهما أراد لفعلت لأنه قد ضيق علينا الدنيا وكل من ركب يمضى من عندنا الى جهة من الجهات يأخذوها ولا يأتى الينا مركب تجار الا يملكها وقد انقطعت عن بلدى مراكب التجار من سائر الأقطار وعقبة يقول قد ذكرت فى حضرتك انى أعمل فى غداة غد عملا اذا أشرفت مواكبه يكون سبب الصلح وان لم يكن لهذا الحديث تحقيق فأحضر قتل هؤلاء الأسارى حتى تنال ثواب مواهب المشاهدة فهو مثل ثواب المجاهدة وأسير من عندك رسول اليهم (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ذلك فرح غاية الفرح ورجع من وقته وساعته الى الامراء فوجدهم قد صلحت أحوالهم وعاد الدم الى وجوههم وهم يسبحون الله ويقدسونه وعبد الوهاب يقول والله لو كان الامير ابو محمد سالم ماقعد عنا على انى ما فعلت فى حقه جميل وهذا الامر مقدر علينا حتى يكون سبب هلاكنا فى هذه

الارض البعيدة والديار الغريبة منفردين عن الاوطان والاقارب والاخوان وهذا كله عاقبة البغي فقال أبو محمد البطال يا مسلم كلما تقول بالعربي أنا أعرف ولا أحسن أرده بالافرنجية وقد وقعت وحق المسيح رحمتك في قلبي وعندنا في ديننا أنه إذا وقع إنسان في شدة أو في نائبة ينذر نذرا أنه إن خلص من هذه الشدة يرد المظالم إلى أهلها فانذر نذرا لعل الرب القديم يخلصك مما أنت فيه فلما سمع من البطال أقبل على الاميرة ذات الهمة وقال لها انظرى ما أحسن اعتقاد قرياقس والله لقد صدقت وإني ما آيست من رحمة الله تعالى وإذا أراد خلاصي خلصني ولو أرادوا خلاصي أهل الدنيا لماقدروا على ذلك والآن أنا أقول لكم وأنتم تشهدون على أنني إن خلصني الله من هذه الشدة ورجعنا إلى بلاد الاسلام فاني أدفع نوري إلى أخي أبي محمد البطال وأتركه يحاللني وأتصدق من مالي بخمسين ألف دينار إلى بيت الله الحرام وقالت الاميرة ذات الهمة وأنا أكون أيضا مثل ذلك ولم يبق أحد من القوم إلا ونذر لله نذرا من صدقة وصيام وحج إلا ما كان من قراقد فانه لم ينذر وقال أنا لله على نذر إن خلصت وجمع الله بيني وبين ولدي نأخذه ونعود إلى مصر وأستريح من هذه الاهوال كلها وقال أبو الهزاهز دع عنك الساعة المزاح وأنذر لله نذرا جيدا لعلنا نخلص وإلا قلت لقرياقس يحل رجلي من القيد وأرفصك رفصا جيدا حتى تقول نذرت لله نذرا وإلا تتعوق في خلاصنا ويكون ذلك بشؤمك لأن بواحد يهلك جماعة فضحك أبي محمد ثم قال للأمير عبد الوهاب اعلم أن ما دام نذرت هذا النذر فان الله قد قبله وخلاصكم على يدي إن شاء الله قريب ولو عرفتني لصدقتني فقالت له الاميرة بحق دينك أمن تكون أنت يا شيخ قرياقس فبكى الامير أبو محمد بكاء شديدا ما عليه من مزيد ثم قال أنا الغريب الفريد الوحيد الذي أصبحت من جملة العبيد ثم أنه تأوه من فؤاد موجوع وأنشد يقول

سلام عليكم أنتم غاية الذخر ... وأنتم عوني على نوب الدهر
وأنتم حياتي في الزمان وليس لي ... لبعدكموا أنس وإني في قبري
ألا فاصبروا فالصبر للناس جنة ... وكم فرج تحسبه عاقبة الدهر
تركت بلادي ثم جئت مسارعا ... إليكم أجد في البراري وفي البحر
وجئت إليكم في لباس منكرا ... وطرفي مستور ومالي من ستر
وقلت لهم قرياقس كاذبا لهم ... واضمرت في قلبي لهم غاية المكر
وفي هذه الساعة أرجو خلاصكم ... بعون إلهي فاطمئنوا إلى شعري
فإني أنا البطال ليس كمثلي ... شبيه يلاقي في البوادي وفي الحضر

(قال الراوي) ثم أنه قال أنا الظالم وأنا المظلوم أنا الاخ المرحوم أنا الذي بليت

بواحدة الروم أنا غلامك أبو محمد وأنتم تشهدون بما أقول ولا تقدروا تجحدون (يا سادة يا كرام) فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام الأمير أبو محمد وقع مغشيا عليه وصاحت دلهمة من شدة الفرح ونادى قشعم يا عماه ما أبرك هذه الساعة ولقد كنت رحمة على الجماعة وأفاق الأمير عبدالوهاب وصار يعانق الأمير أبو محمد وكل واحد منهما يبكى ثم جعل الأمير عبدالوهاب يعاتب أبو محمد وكل واحد منهما يبكى ثم قال الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد سألتك بالله كيف وصلت إلى هذا المكان فأعاد الأمير أبو محمد عليهم القصة وأعلمهم أن معه غلمانه فى البلد فقال الامير عبدالوهاب هل تقدر انا على عدد نقاتل بها فقال الأمير أبو محمد ليس هذا صواب لأنكم قد أصابكم من القيود والمشى والجوع ضرر عظيم وما لكم جهد تقاتلوا والبلاد بلادهم والديار ديارهم وبينكم وبين بلادكم ثمانية عشر شهر وما لنا خلاص إلا أن نكون فى البحر شرقه وإلا نهلك عن بكرة أبينا وإن طلبتم الخلاص بالقتال فما يبقى منكم باقية فقال الأمير عبدالوهاب والكندفرون عول على قتلنا فى غداة غد فان أهملت أمرنا فنحن هالكون فقال أبو محمد اعلم أن القصر يغلق ومفاتيحه عند الملك ولو عزمتم على أمر ما قدرتم عليه وقد أتاه ما لم يكن فى الحساب فقال الأمير عبدالوهاب وما هو يا أبو محمد قال أن الملك الكندفرون قد أتاه الخبر من بعض الحراقات التى فى البحر أن ملك يقال له البطليموس صاحب جزيرة المرجان قد أتاه فى ثلثمائة مركب بحرية حربية وهو معول أن يقدم بهم فى غداة غد إلى مدينة الكندفرون لأن بينهم عداوة عظيمة وأن أبو الكندفرون كان قتل أولاد البطليموس فلما قتل الملك الكندفرون الكبير فى بلاد الإسلام طمع فى ولده وفى أخذ مدينته وهو فى عالم عظيم وقد أشغل قلبه الملك بذلك وادعى بعقبة اللعين يشاوره فى هذه القصة التى جرت وأخبره بكل ما كان وقد قال له عقبة طب نفسا وقر عينا فأنا إذا جاءت مواكب البطليموس خرجت إليه وتوسطت فى الامر على المصالحة وإن لم يكن ذلك وإلا أضرب رقاب الاسارى وأسير إلى جزيرة المرجان فقال الامير عبد الوهاب إن وصلت المراكب غدا إلينا فكيف يكون حالنا يا أبو محمد أليس الملعون عقبة عند الملك فقال أبو محمد اعلم أن الامر صحيح والمراكب عند الصباح تصل وتشرف على البلد وإن لم تصل فعلى الضمان أن أشغل الملك عنكم وأشغل قلب عقبة بشىء أعلمه فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك طاب قلبه وقالوا نحن نتكلم على من هو فارس (قال الراوى) فهم فى الكلام وعقبة دخل عليهم فوثب أبو محمد وقبل يده وقال يا مولاى أبطيت علينا وقد ضربت هؤلاء المسلمين حتى سالت

دماهم وإنى خائف من الملك الكندفرون إن مات أحدا منهم يقتلنى فقال عقبه لا رحمه الله والمسيح فلومات الكل لما كان على قلبى ولا قلبك منهم هم ولا جزع فلا تفزع من الملك فما عليك بأس ولا هلع ولقد أوليتنى بفعلك هذا الجميل ونهاية التفضيل لأنى كنت معولا على ضربهم والآن فقد كفيتنى ذلك فالمسيح يعوضك على ذلك الجنة فشكره أبو محمد على ذلك (قال الراوى) وأقاموا على ذلك إلى أن برق ضياء الفجر وجلس الملك وأدعى بالقاضى عقبه وقال له إن المراكب الذى سمعت بمجيئها لم يكن لذلك صحة فعجل الآن بضرب رقاب هؤلاء المأسورين فقال عقبة هذا هو الصواب أيها الملك وتأمر غلمانك أن يجهزوا حراقة خفيفة حتى أركب ومعى عشرة من غلمانك وأسير إلى جزيرة المرجان وأصلح فساد كل ما كان قال الملك الكندفرون سمعا وطاعه ثم أمر أن ينادى فى البلدان لا يبقى أحد إلا ويخرج إلى باب المينا حتى يشاهدوا قتل الاسارى (قال الراوى) فخرج العالم يهرعون وإلى قتل الأمراء ينظرون ثم أمر الملك أن يخرجوا الاسارى والحبال فى أعناقهم ففعلوا ذلك فقال الامير عبد الوهاب ألم أقل لك يا أبا محمد لو كنت دبرت فى خلاصنا وسلمت المينا عدة ومعلوم أننا ما كنا نقدر على الخلاص من هذا العالم الكثير ولكن كنا نقاتل فى سبيل الله تعالى ولا يموت واحد منا حتى يأخذ لرأسه ألف فقال أبو محمد طب نفسا وقر عينا فما يكون الاخيرا قال أبو الهزاهز وأى خير بقى والساعة تعمى قلوبنا بضرب الرقبة قال الامير عبد الوهاب آمن بالله يا أبو الهزاهز فانه لا يخيب أمل قاصد ولا يضيع عبادة مجاهد هذا وأبو محمد بين يدى الاسارى والناس من حولهم يرمون بالحجارة وأبو الهزاهز يقول والله يا أبو محمد ماعملك معنا خير وبالله إذا عولوا على ضرب رقابنا غمزت عليك حتى نكون كلنا فى المصيبة سوى لانك أنت من أجل نورى تضرب رقابنا فضحك أبو محمد من قول أبو الهزاهز ولم يجيبه بحرف واحد بل سار يطلب باب المينا فلقاه اؤلؤ وهو باكى العين حزين الفؤاد فقال له أبو محمد ماوراءك قال كيف غفلت عن الامراء فى هذه الليلة حتى أصبح الصباح واليوم لا محالة يهلكون فأى مصيبة أعظم من هذه فقال أبو محمد ما يكون إن شاء الله تعالى إلا الخير فقال اؤلؤ وكيف يكون ذلك فلم يكلمه بل سار وقد أظهر الفرح وقلبه من داخل جوفه يتقطع وهو على ذلك وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما وقد اندفت الافرنج من باب المينا وارتفع العويل والبكا فسألهم أبو محمد عن الخبر فقالوا قد أشرفت مراكب البطليموس وعظم الفزع والبؤس وشابت من الهول الرءوس فارجع يا قرياقس ورد هؤلاء الاسارى إلى المحبوس حتى نخلص من

هذا الامر المعكوس الذى لاحت فيه النحوس (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ذلك فرح فرحا شديدا ورد الامراء إلى مواضعهم ولم يكن إلا لحظة حتى دخل الكندفرون وعقبة إلى جانبه وهو يقول لم يكن فى الحساب قطع العنان كان اليوم فى أجل الاسود تأخير ولكن إن فاتهم اليوم مايفوتهم غدا وأسقيهم شراب الردا ومالهم إلى الخلاص سبيل أبدا فليت البطال أبو محمد كان معهم حتى لا يبقى على وجه الأرض من أخشى جانبه وأعمل بعد ذلك على فساد أحوال المسلمين وهلاك الدين وخراب بيوت الموحدين ويكون ذلك فرح مبين (قال) وأغلقوا الباب وأطلعوا الناس على الاصوار ونظر عقبة إلى ذلك الاسطول الذى لم يرى قط مثله فقال للملك الآن أريد أن أسير اليهم وإن كان الملك البطليموس معهم قد كفيتك الامر قال الكندفرون أتاك قرقياقس قال عقبة مرحبا ياقرياقس قال أبو محمد يا أبونا أنت أهلا للترحيب قال عقبة اسمع ما أقول لك قال وماذاك قال إن الملك أمرنى فى هذه الساعة بالمسير إلى البطليموس أتوسط فى الصلح قال البطال نعم مارأى الملك أعطاه المسيح مناه وملكه من أعداه قال عقبة وأنا قد عولت على ضرب رقاب المأسورين حتى لا يبقى لى من جهتهم ضيق صدر قال البطال نحن ما تركنا قتلهم من الاول حتى نشتفى قلوبنا منهم لانهم مالهم إلى الخلاص سبيل وكل من فى البلاد مايريد إلا على الحال الاول قال الملك يا أبونا أنت تمضى وتعود سالما ولعل المسيح يسهل على يدك الصلح بيننا وبينه ونطلع اليه بالاموال والخلع والضيافات وبعد ذلك تقدم هؤلاء الاسارى ونضرب رقابهم أجمعين وتكون المسرة عامة من كل جهة (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك الكلام من الملك لم يكن يقدر على مخالفته لانه أعجبه ذلك وقلبه مطمئن عليهم لانهم مالهم إلى الخلاص سبيل فعند ذلك وثب وفتح باب المينا وجهز حراقة وطلع معه رجال وسار عقبة إلى أن وصل إلى المراكب وقد حطت فيها القلوع وانتشرت فيها الرجال هذا وعقبة رأى الصياح قد ارتفع والزراقين على المراكب وفى أيديهم قوارير النفط والعمد الحديد وهم طالبين المراكب الكبار معولين على أن يضربوها بالنار وإذا بالحراقة التى فيها عقبة قد لاحت لهم وهى قاصدة اليهم فعند ذلك قصدوها المراكب وأخذوها إلى أن وصلوا إلى مركب الملك وهى فى وسط المراكب ونظر عقبة إلى مركب ما رأى قط مثله وهو ملبس بالفضة البيضاء وأخشابها من العود القمارى المطعم بالعاج المصفح بالذهب الوهاج وخمسمائة بطريق فى أيديهم السيوف المجذبة وكل واحد يريد لرأسه ألف والملك جالس فى عتبة المركب وله فى دفة المركب طاقتين من الجانبين مشبكة بقضبان

الذهب ينظر منها إلى المراكب من سائر الجهات فنظر عقبة إلى هيئة عظيمة لم يرى الملك منويل ولا لأحد من المسلمين زيها ثم تقدموا المراكب وأعلموا أنهم وجدوا هذه المركب والحراقة فيها وفيها شيخ كبير قسيس وهو يذكر أنه بعيد الديار والانصار وقد ذكر أنه من القدس وهو خادم القيامة ومقام المسيح ومولده قال الملك ومن أين طريقه فقالوا له من مدينة الملك الكندفرون يا مولانا فصلب على وجهه وقال على به حلفت ما يأتيني من عنده رسول إلا أقتله وحق المسيح لأصلبنه على بعض المراكب وأمرهم أن يرشقوه بالنبال من كل جانب (قال الراوى) وكان البطليموس كلما أتاه رسول من عند الكندفرون صلبه فلما وصل عقبة ونظروا إليه البطارقة وهو شيخ كبير نحيل الجسم مليح الصوت فجعل يقرأ الإنجيل بالافرنجية وهم يسمعون ويبكون ثم قالوا له وحق المسيح أنه يشق علينا صلبك قال عقبة إيش قال لكم قالوا أن الملك قد أقسم اليوم أنه متى وصل إليه رسول من عند الكندفرون قتله وقد أمرنا أن نقتلك أو نرمى رقبتك فاختر أيهما شئت فعند ذلك نشف ريقه ودخلت فكوكه وتصادقت شفتاه فقال وحق المسيح مالى صلبى مثل مالى من شر الاسود ثم أنه أقبل على البطارقة وقال احملونى إلى الملك يسمع كلامى وبعده يقتلنى بيده لأجل لا تنالون اثمى فعند ذلك حملوه إلى الملك فصاحت به العلوج الذى فى جانب الملك الارض الارض فباس الارض وقد طار دين النصرانية من لحمته ثم أنه رفع رأسه وصرخ بصوته وقرأ الإنجيل بلسانهم ونغم حتى بكوا الرجال من كل جانب ولم يجسر أحدا أن يسأل الملك فيه وأن الملك لما سمع نغمته قال احملوه إلى فحملوه إليه فجعل عقبة يدعو له بلسان طلق وقلب حرق فرفع الملك رأسه إليه وقد عجبه كلامه وقال له ويلك من أنت ومن أين أتيت قال يا مولاى أنا صاحب قمامه وقد زهدت فى الدنيا مثل ما زهد فيها المسيح وقد زهدت فى الارض فى طولها والعرض إلى أن وصلت إلى هذه المدينة الذى فيها هذا الغاشم لعنه المسيح فقال البطليموس لمن تعنى يا شيخ أنا غاشم فقال عقبة الكندفرون لأنه خرج فى المرة إلى بلاد الإسلام وقتل أباه وأسر الملك منويل بعد قتل كثير من المسلمين وقد ملك بلادهم ووقع الفتنة بينهم لأجل ما قدم الصقلب على الافرنج بين يديه فلما سمع الملك كلام عقبة فرح به وقال كيف جئت إلينا فى رسالة هذا الملعون قال ما خرجت الا نفاق لأنى كنت معول على المسير إلى جزيرة المرجان لأنى سمعت أن فيها بيعة جليلة القدر فأردت أن أتبرك بها وأعود بعد ذلك إلى بلاد بيت المقدس ولم أعلم أنكم تتعرضون بى لأنى ما كنت أخاف من المسلمين وأنا فى بلادهم شتاء

وصيف فكيف أخاف وأنا فى بلاد الروم والمسيح قد نهى عن المعاداة فى النصرانية وان كل من طلب قهر أخيه قهره المسيح والآن دعونى أمضى لحالى فما أنا تاجر تطمعون فى مالى ثم ان الملعون جعل يتلو شيأ من الانجيل ويعود يه سره فقال الملك لقومه وحق المسيح أنه ينطق عن علم غزير ثم انه أمره بالجلوس وقال له يا شيخ أنا صاحب الجزيرة التى تطلبها فامضى إليها الى ان أعود وعلى كل ما نريد فقال عقبة يا الى أين قد عزمت بهذه المراكب كلها لاشك انك تريد الغزو الى بلاد المسلمين قال البطليموس اما ماذكرت من الغزو الى بلاد الاسلام فأنا معول عليها فى هذه السنة وأنا الساعة عازم على النزول الى هلاك ملك هذه المدينة لان أباه قتل أولادى وأصحابى ولابد من اخذ الثار وكشف العار فقال عقبة ايها الملك هذا غاية الخطر والخروج عن هلاك ملك دين النصرانية ولقد سمعت عن السيد المسيح انه قال من سل سيف البغى قتل به وان الصلح عندى أفضل من هؤلاء على انها يحملون إليك ثلثمائة الف دينار ويحمل إليك تحف فى كل عام (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام عقبة ضحك وقال وحق المسيح لولا أنك من بيت المقدس لضربت عنقك وبلغ من قدر الكندفرون ان يرسلك الى رسول ثم قال لغلمانه خذوه وقيدوه الى ان أسأل عنه واحتفظوا به ثم انه امر للمراكب التى للكندفرون ان تضرب بالناروان الكندفرون كان له فى الميناماائة مركب حربيه فلما نظر أبو محمد الى الكندفرون وقد ضاق صدره قصد إليه وقال ايها الملك عندى رأى ان رأيته صواب فافعله قال وماذلك ياقرياقس قال اعلم اننا لما أخرجنا الاسارى لنقتلهم ثم رددناهم الى اماكنهم سألونى عن السبب فى ذلك فأخبرتهم بالقضية فقال المقدم عليهم ياقرياقس ماقولك فيمن يكسر عنكم العدو كله ولو كان بعدد التراب فوحق المسيح ياأمولاى ان الشجاعه تلوح عليهم فقلت ومن يفعل ذلك فقالوا نحن اذا اخذنا على الملك العهد والميثاق انه يجازينا على فعلنا بالاطلاق ويقدم المائة مركب ويعمرها بالرجال ويفرد لنا فى اوائلهم مركب مقدم عليهم وقد كفاه هذا الامر ومعلوم انه قد عول على قتلنا وهؤلاء اعداء فيقدمنا ويرمينا عليهم فان قتلونا فهو الذى يريد وان سلمنا المسيح وكسرناهم فيكون قد دفعنا عنه الأمر العظيم (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام ابو محمد وجد له راحة عظيمة وقال يا قرياقس وحق المسيح ان فعلوا ذلك أعتقهم وأعطيهم السلاح والخيل والخدم وأسيرهم إلى بلادهم على أحسن ما يريدون فعندها مضى الامير أبو محمد إليهم وقص القصة عليهم فقالت الاميرة ذات الهمة والامير عبدالوهاب لله درك يا أبو محمد هذا والله فيه الصلاح من وجوه عدة أحدها الجهاد فى

طاعه رب العباد وقتل أعداه وخلاصنا ان شاء الله تعالى من الاسر ورجوعنا الى بلادنا سالمين غانمين والثالث لعل الله ان يظفرنا بالملعون عقبة فقال لهم الامير أبو محمد قوموا بنا الى الكندفرون ودعوا كل شيء الى وقته قال الامير عبد الوهاب الله على نذر لئن ظفرت به لأضربن رقبته ودع يجرى مايجرى ثم أنه أطلق أرجلهم من القيود وسار بهم وسيف الحنيفية يقول والله ان أعطونا مركب واحد مانبالى بالكل وأبو الهزاهز يقول والله الموت لابد منه والله لا أفعل ذلك ولكن إننا نقاتل البطليموس فان هلكنا متنا شهداء و نظفر بالمراد من رب العباد ونخلص من يوم الميعاد إذا اجتمع الناس ليوم التناد ومع ذلك فالموت لا بد منه و نضرب بالسيوف فى طاعة الله عز وجل والرجل يفتخر إذا لم يموت على الفراش فقد قال القائل حيث يقول هذه الابيات

وما مات منا سيد فراشه فقد ضل منا حيث كان قتيل

(قال الراوى) ثم أن الاميره ذات الهمة قالت ونحن إن سلمنا بعد قتل العدو وسلمنا أنفسنا إلى العدو والكندفرون لان الله عز وجل يقول والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ونحن نوفى بقولنا فان أوفى بقوله فهو المراد وان لم يوفى بقوله فالغدر منه لا منا وقال قراقد دع نسلم نحن ودعهم يسمونا غادرين طول الزمان (قال) ووصل بهم الامير وأبو محمد إلى الملك وقال يامر لانا ان القوم معولين على ماذكرت مبادرين إلى العدو وكما وصفت قال الملك اسمع ما أقول ياقرياقس فوحق من أنشا السحاب لاغدرت بهم وأوفى لهم بما وعدتهم به ولكن أريد منهم أن يحلفوا لى بدينهم انهم ينصحون ولا يخامرون على ولا على مراكبي فأنا احترق لى مائة مركب كل مركب يسوى خمسون ألف دينار وبقى هذه المائة حربى وقد جهزتها بالرجال وقد أمرتهم أن يرمونها فى المينا ويرفعوا فيها السلاح والنفط الطيار ويجعلون فى كل حربى مائة من الابطال وأجعل الحربى الذى يختص بهم فى الاول وان أرادوا أضفنا لهم تمام المائة لان المركب كبير وما يحميه إلا الرجال فقال أبو محمد نعم مارأيت ايها الملك سلم اليهم الدروع والبيض والطوارق والعدد وارفع السلاسل من باب المينا ودع المراكب تخرج وانظر العجب فأمر الملك لهم بذلك وسير الامير والاميرة وتمام المائة عندها قال الجنيفية وحق النبي المنتخب سيد العجم والعرب لو كنا على ظهور الخيل لخلصنا أرواحنا منهم ولو كانوا بعدد التراب (قال الراوى) ثم نزل الملك وفتح باب المينا ورتب المراكب كلها وخرجت من باب المينا وقد عمرت بالرجال والجواشن والعدد والزرد فى أكمل زينة وأجمل أهبة وتقدم الامير ابو محمد وانتخت تمام المائة رجل وفى الجملة غلمانه لؤلؤ ويانس وسبك وبديع

وجوهر وأبو الليل ورفعت السلاسل وخرج الاسطول فى مائة قطعة كأنها العرايس والامواج ترفعها تارة وتضعها أخرى ومد الامير عبدالوهاب فرأى تمام المائة قطعة فى البحر كانهم الجبال فأقبل على الامير ابو محمد البطال وقال والله يا ابو محمد لو كان معنا نار ونحرق بها هذه المراكب ومافى الامر إلا أننا نرمى أرواحنا على المراكب التى لهم فان نحن كسرناهم واخذنا البطليموس فهو المراد وتقع لنا الهيبة فى قلوبهم لان مافى المراكب أكبر ولا أكثر رجال منه واقل مافيه خمسمائة بطل (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك قال الامير ابو محمد نعم مارأيت قال ولما نظر البطليموس إلى الحربيات وقد خرجوا فقال ما اعرفهم قط يخرجوا إلينا وان هذا شأن وأى شأن ونظر إلى قلة مراكبهم وقد قصدوا إليهم فارتفع الصياح من كل جانب واشتهرت القواضب هذا والملك البطليموس قد عظم عليه وكبر لديه وقال وبلغ من قدر الكندفرون ان يخرج إلى قتالى ومارأيته يفعل هذا ولا ابوه من قبله ثم صاح فى الرجال وتصايحوا وطلبوا الامير عبدالوهاب واصحابه فما كانت إلا ساعة حتى احدقت بهم ثلثمائة مركب وسمع المراكب دوى كدوى الرعد القاصف وكان اول مركب وصل من مراكب البطليموس التصق إلى المركب الذى فيه الامراء وحطوا الكلاليب فى الجوانب وتضاربوا بالقواضب ونظرت الافرنج إلى رجال كأنهم السباع إذا عاينت الفريسة وان الامير سيف الحنيفية وثب من موضعه وصار مع الافرنج فى مراكبهم وحمل عليهم وجال فيهم وجعل يضرب بساعد قوى وقلب جرى وان الامير عبد الوهاب لما نظر إلى ذلك خاف على ولده ووثب صار عندهم وكذلك الاميرة ذات الهمة لم تطق الصبر دون أن وثبت وصارت عندهم فلاوابيك ماكانت إلا ساعة حتى قتلوا من الرجال عشرين ورموا الباقى فى البحر وملكوا الذى معهم (قال الراوى) وجاءت المراكب فسبق بعضها بعض حتى التصق بهم مركب ثانى وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وثامن وتاسع وعاشر وأيقنت الافرنج الذين مع الامير عبدالوهاب بالممات فعند ذلك صاح قراقد وقال يامعشر المسلمين كل واحد يقفز إلى مركب فوثب الامير عبدالوهاب إلى مركب والاميرة قراقد إلى مركب وقشعم إلى مركب وبرد ابن الازهر الى مركب وسعيد بن الفرج إلى مركب ولم يزالوا كذلك يصعدوا من مركب إلى مركب وارتفع الصياح قال البطليموس اخبرونى ما الخبر قالوا يامولانا معهم فى هذه المركب اقوام كأنهم الجمال وقد وثب كل واحد منهم الى مركب من مراكبنا هذا وعقبة يسمع الكلام قال فى نفسه وحق المسيح ماهؤلاء رجال وانما هو عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب ولاشك انه ضمن للملك كسر هذا

العدو فأطلقهم والساعة يكسر مراكب البطليموس ويتركوه مذبوح مثل التيوس (قال الراوى) فعندذلك نادى البطليموس فى رجاله وقال ماهذا الفزع فقالوا أيها الملك ان فى الحربى المقدم على المراكب بطل مارأينا مثله قط ولا عاينا شكله فلما سمع الملك ذلك من كلامهم قال لهم ياويلكم وماهم رجال مثلكم فقالوا نعم أيها الملك ولكن نرى فيهم رجال سود مثل الظلام قال لهم ويلكم كم فى هذا المركب من الجنس قالوا عشر رجال وقد أحدق بهم سبع مراكب بعد أن أخذوا المركب التى سبقت اليهم وقد وثب كل واحد منهم الى مركب من مراكبنا وهاهم يقتلون الرجال ويجندلون الابطال فلما سمع الملك هذا الكلام صاح صيحة عظيمة وقال أقسم بالمسيح لئن لم تأخذوهم لأضربن منكم ألف رقبة أليس المسيح يقول وكل واحد يلقى خصمه وانكم ترون هؤلاء كل واحد يرمى نفسه إلى مركب فيها مائة وثمانين أقصدوهم بهذا المركب الكبير وصدوهم به ودع يغرق كل من فيه فلما سمعوا هذا الكلام صاحوا على الملاحين فقدفوا طالبين مركب الامير عبدالوهاب فلماوصلواالبهم الاوقد تفرقوا وأخذوا السبع مراكب وسلموهم الى أصحاب الكندفرون (قال) ونظر عقبة وهو فى المركب الى الأميره والأمير والأمراء فعرفهم وقال لاستر المسيح على الكندفررن ولا يأخذله بيد الذى أطلق السباع من السلاسل وما هو كثير أن يأخذوا مركب المقدم ويحلونى فيه على هذه الحالة وما يجدوا لهم غنيمة أخير منى وماهنا خليفه ولا رشيد يمنعهم عنى فنادى بأصحاب البطليموس وقال لهم قولوا للملك أنى أريد نصحه نصيحة فقالوا سمعا وطاعة ثم اقبلوا على الملك وأخبروه بما قال عقبة فقال على به فلما مثل بين يديه قال أنظر لنفسك ولا يهمك هذا الأمر الذى قد نزل بك فان الآمال تضرب أعناق الرجال سيما هؤلاء الأبطال الذين تضرب بهم الأمثال لأنهم قوام الاسلام الذى قد أحرموا الروم لذيذ المنام وقتلوا وأبادوا كل بطل وملكوا الحصون السبعة والقلاع هذا عبد الوهاب وأصحاب من بنى كلاب هذا صاحب ملطية هذا حامى الملة الاسلامية فانظر لنفسك مودع يتول القتال غيرك من سائر المراكب ويتكاثروا عليهم واضربوهم بقوارير النفط حتى تأخذوهم وتحرقوهم بالنار وبعدهم ما يقف فى أصطول الكندفرون أحد بين أيديكم (قال) فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبة وكان يسمع بذكر عبد الوهاب وأبو محمد البطال من تجار الافرنج الذين يأتوا إلى جزيرة المرجان فقال أيها القس من أوصل هؤلاء الشياطين الى الكندفرون وكيف أتوا فأقبل يحدثه بالحيلة متى عملها وكيف لقيهم الملك الكندفرون وكيف أقلع عقبة من أجلهم إلى الغربة إلى أن وصل إلى مدينة كندفرون والبطليموس

يتعجب من هذا الكلام ثم أقبل عليه وقال ما سمعت أن فى الملة الإسلامية والشريعة المحمدية من يفعل هذه الفعال إلا رجل واحد يسمى الشيخ النجيح وحجة المسيح وهو خليفة المسيح فى دار الدنيا ولولاه لهلك أهل دين النصرانية وأنه عالم الزمان وعند الملك منويل صاحب القسطنطونية والبترك الكبير الذى فرض المسيح علينا طاعته والبعد يحول بيننا وبينه فلما سمع عقبة ذلك فرح فرحا شديداً ومن فرط فرحه بكى فقال الملك ما الذى يبكيك فقال المسيح له الحمد لله الذى عرفك بموضعى وما خفى عنك أمرى لأن ما فى قلبى إلا من هؤلاء الشياطين كونى غدرت بنفسى ودخلت إلى بلاد مايعرفونى فيها فمثلى كمثل باز الملوك وقصته مشهورة أنه طار ووقع عند عجوز فى بعض القرى فأحرقته فقال الملك احرقوها كما أنها فعلت بالباز هذه الفعال قال الوزير لا تفعل بها أيها الملك هذه الفعال لأنها لا ذنب لها وإنما الذنب للباز الذى طار لقوم لا يعرفونه ولا يعرفون قدرى وأنا الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح الذى سمعت ذكره وخبره فلما سمع الملك البطليموس هذا الكلام من عقبة فوثب له قائما وقال ما أبرك يوما جمع المسيح فيه بينى وبينك فلقد كنت أسأل المسيح أن يورينى وجهك ولقد سمعت أن الملك منويل يقول لك إذا أقبلت عليه أنت قوام دين النصرانية فقال عقبة دعنى من هذا الكلام وإياك أن تهجم على هؤلاء السودان فهم شياطين الأرض وجن الفلا ومن نزلوا عنده قد نزل عليه البلا ولكن أأمر الساعة سائر المراكب يقصدوا مركب الأمير عبد الوهاب (قال) فأمر الملك سائر المراكب أن يقصدوهم فقصدوهم مائة مركب حربية مقاتلة ونظر الأمير عبد الوهاب إلى قوارير النفط فقال حرقنا بلا محالة فقال الأمير أبو محمد ما نبالى بهم احفظوا أنفسكم انتم فان المركب قد عملت لكم عليه اللبود الطيلقانية المسقية بالخل فما نبالى بهم ثم أقبل أبو محمد على غلمانه وأعطاهم النفط وقال لهم اضربوا المراكب بالنفط فأقبلوا يضربون المراكب بالنفط حتى أحرقوا خمس مراكب بالنار ونظر البطليموس إلى ذلك فعظم عليه وكبر لديه وغضب على أصحابه واشتد القتال وتراموا بالنبال وقاتل الأمير قراقد قتال لا يقدر عليه أحد من الأبطال وعملت القواضب والتقت المراكب بالمراكب وعلا الصياح من كل جانب وأن البطليموس لما رأى إلى ذلك قال لابد من القتال وطلب المركب الذى فيه الأمير عبد الوهاب حتى لاصقه وكان مركب البطليموس مثل الجبل العظيم وعلى ظهره خمسمائة مقاتل سوى رجال المركب وقد بقى الأمير عبد الوهاب على القلب فلما نظر الأمير أبو محمد إلى ذلك أقبل على قراقد وقال له أنت ترى حالنا مع هذه المراكب الكبار ونحن هالكون لا محالة ومالنا إلا الصدق فى القتال وقد بلغنا الآمال فقال له صدقت يا مولاى فلو أمرتنى أن ألقى روحى فى البحر لفعلت

فقالت الأميرة وأنا أيضاً معه فقال الأمير أبو محمد اعلموا ان كفيتمونا هذا المركب فما نبالى من غيره وان ملكناه أخذنا عقبة منه قبضا باليد لانه فيه ونأخذ الملك أسير ونقول للمراكب ارجعوا عنا فان لم يفعلوا وإلا نضرب رقبته فلما سمعت الأميرة ذات الهمة بذكر عقبة طاب قلبها وقالت ياأبو محمد ما الذى تشير به علينا أن نفعل فقال ما فى الأمر إلا شىء واحد وهو أنكم ترمون الكلاليب بالحبال إلى مراكبهم ونضربهم بالحجارة حتى نكشفهم عن جانبه ويطلع منكم أربع رجال إلى مركبهم وقد ملكتموه ففعلوا ما أمرهم به الأمير أبو محمد وأخذ قراقد حجر كبير وضرب به صدر واحد من البطارقة خسفه وضرب أبو الهزاهز واحد فى وجهه طير قحفه وضرب الأمير عبد الوهاب آخر اقلبه على ظهره وقصف أقلاعه وضربت الأميرة ذات الهمة بطريق كأنه الفتيق يمزق الكفر بأياديه تمزيق نخرج الحجر من كفها كأنه المنجنيق فتركه سحيق وضرب سيف الحنيفية آخر تركه من شدة الضربة لا يفيق وجعل كل واحد من الأمراء يضرب واحد من القوم إلى أن وصلوا إلى خمسة وعشرين رجل وانكشف جانب المركب فتعلق الأمير عبد الوهاب بمركب البطليموس ووثب صار فيه والتقى الرجال بالسيف فنثرهم نثراً وأبادهم عشرة عشراً وملك المركب قوة فهذا أخذ وهذا أسر وكانت الأميرة ذات الهمة الأخرى فعلت كفعله لانها وثبت إلى السفينة الأخرى الكبيرة واعتمدت على من لم يزل بولايتها ذخرا وإقبالا وفخراً ويبدلها بعد العسر يسراً فابادت البطارقة قهراً وملكت المركب قسرا وهى تهال وتكبر وكذلك سيف الحنيفية وثب إلى بعض المراكب وهو ينشد ويقول :

لنا يومان فى عسر ويسر ... واطلاق وحسن غير واجب
فيوم فى القيود نكون أسرى ... ويوم فى القصور على المراتب
ويوم فى الجهاد بكل أرض ... على الخيل المسومة السلاهب
ويوم فى البحار يكون منا ... رجال فى ميادين المراكب
فمن طلب الجهاد يفوز حقا ... بجنات وأتراب كواعب
ونطعن بالرماح السمر حتى ... نبيدهم ونضرب بالقواضب
وأكواب وولدان وحور ... ومن يرجو سوى الرحمن خائب
وحوض محمد يسقى رحيقاً ... هنيئاً للذى يعطى الرغائب
شكرنا الله فى عسر ويسر ... ونرجو منه إصلاح العواقب

(قال الراوى) ثم انه ضرب فى المركب حتى سقى كل من فيه كاسات النوائب ولم يسلم منهم إلا من رمى روحه فى البحر فهلك وأما أبو الهزاهز فانه وثب إلى مركب يقال له غراب وضارب فيهم ضراب وقطع منهم الرؤس والرقاب وألحق الشيوخ والشباب وهو يرتجز ويقول :

إنى أنا الليث أبو الهزاهز غضنفر فى المراكب غير عاجز
أرجو من الله غدا جوازى وعادتى الوثوب فى المراكب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وضرب فى المراكب حتى ملك المركب وأما قراقد فانه قد قفز إلى المركب وكشف رأسه وطلع الزبد على أشداقه وقال من رأى وجهه سبحان خالقه وضربهم بالسيف إلى أن رماهم إلى البحر وصاح الله أكبر وسمع عقبة تكبير قراقد معه فى المركب فمات الموتة التى كتبت عليه وقال وحق المسيح هذه نوبة ميشومة وما أظن إلا أن المسيح مسلم وإلا ما كان يفعل هذه الفعال ولا يغفل عن هؤلاء الأندال هذا والأميرة ذات الهمة قد ضربت بالقواضب وأذاقت الأبطال المعاطب وقال الأمير برد ابن الأزهر لقشعم اطلعوا لأصحابكم فانكم إذا ملكتم هذا الحربى ما نبالى بالباقين ولو أحدق بكم كل مركب فى البحر وصعد الأمير أبو محمد وقد زعقت الأفرنج من كل جانب من خوفهم على الملك البطليموس فما كانت إلا ساعة حتى تركوا الرؤس على العلاصم (قال الراوى) ياسادة ياكرام وإن الكندفرون لما نظر إلى هذا الملك العظيم قال ما أظن هؤلاء من الإنس وما أظنهم إلا من الجن ثم أمر أصحابه أن يعمروا القوارب والحراقات والسكبكبات والدوبجيات فكانت أكثر من ثلثمائة قطعة وأركب فى كل واحد من العشر رجال إلى العشرين وخرج الكندفرون وقد قوى قلبه وقلب كل من فى المدينة لما رأوا مراكب الملك البطليموس أشرفوا على الهلاك وأما الأمير قراقد فانه فتك فى الروم من كل جانب وسيف الحنيفية أيضا قد أنزل بهم النوائب وكان فى مركب الملك خمسمائة مقاتل فألقوا أرواحهم فى البحر لما عاينوا الموت من رمى الصخور الكبار والصغار وخفقت جوانب المراكب بكباش الحديد الثواقب وتكسر أكثرها من شدة النطاح وأثخنت الابطال بالجراح ولعبت بهم الامواج والرياح واشتد الفزع والغرق وكم من بطل مقاتل بقوارير النفط قد احترق واشتعلت الرؤس وأصبح البطليموس معكوس ولما وصل الكندفرون وجد المراكب قد تقدمت وتصادموا اصطدام السلاهب وتراشقوا بالحراب وتراموا بالنشاب وتزارقوا بالقوارير النفط والحراب وأقبلت النار تدب على وجه الماء كدبيب السم فى الابدان وتراموا إلى البحر العجاج بانزعاج واندقوا البطارقة والاعلاج وملكوا

الحربى الكبير وأخذوا البطليموس أسيرورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الراوى) وأعجب ما فى هذه السيرة العجيبة أن عقبة لما أخذوا المركب وشربوا أصحابه شراب العطب ونزل بهم الويل والحرب وما لهم سبيل إلى الهرب لجعل يسب دين النصرانية ويقول ما كان المسيح إلا مسلم وأتى إلى الخابية التى فيها الماء ونزل فيها وهو يرتعد من الخوف وقد أيقن أنه هالك لا محالة والأمير أبو محمد قد أقبل عليه المركب وجعل أسفله أعلاه وأن عقبة لما سمع حس أبو محمد وهو يدور لا يدرى على أى شىء يدور فقال هذا قرياقس وقد ظهر إلى المركب وما أتى به المسيح فى هذا الوقت إلا رحمة لى وإن علموا بى المسلمين ما يبقوا على ساعة واحدة ما جرى عليهم منى ثم أنه نادى شويه شويه يا قرياقس هذا أنا فى خابية الماء فقصد إليها ونظر فيها وإذا بعقبة غاطس فى الماء إلى رقبته وقد صار وجهه كالزعفران من الخوف فقال له أبو محمد قم واخرج من الخابية فقد نظر المسيح إلينا ونصرنا بهؤلاء المسلمين الأسارى فاحمد المسيح الذى لم نقتلهم فقال عقبة لا تعلمهم أننى هنا فيقتلونى وقد سلمت روحى إليك فقال لو قتلوك أبادهم المسيح وقتلهم الملك قم واخرج فما عليك بأس فقال عقبة يا قرياقس ما هذا صواب لأنهم ان وقعت عينهم على فهم يقتلونى لا محالة فلا تسمع من قولهم فبينى وبينهم ما لا يعلمه إلا المسيح فقال أبو محمد فهل أملت أن تقعد طول الدهر هاهنا فلا بد من خروجك وكيف يقدرون عليك وعلى قتلك فنادى عقبة يا قرياقس بحق المسيح لا يفعل فعندها مضى أبو محمد وتركه لأن المراكب قد أحدقت به من كل جانب ومكان هذا وقد قتلت الرجال واشتد القتال وتصادمت المراكب كأنهم الجبال ووصل الكندفرون فى حراقه أسرع من البرق إلى المركب الذى فيه الأمراء فلما وصل إليهم اشتد القوائم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والابطال بالاصوات تجلجل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل وبطل القتال وزادت العظائم وتضاربوا بالنيران وأحرقت المراكب من كل واد ودام القتال إلى الصباح وعادوا إلى الضرب والكفاح واشتد الصياح (قال الراى) وكان الريح فى ذلك النهار شديد الهبوب مزعج القلوب كما يشاء علام الغيوب وهبت الجنوب والشمال حتى كان إسرافيل قد نفخ فى الصور فعند ذلك هاج البحر وماج وتلاطم بالامواج واسود البحر وعاد النهار كالليل الداج ولم يبق أحد من الناس إلا وقد أيقن بالوفاء وطلبوا كلهم الساحل فلم يقدروا على ذلك لأن الأمواج قد جاءت كالجبال الرواسى وإذا بهم قربوا من الساحل وما وقع كان أعظم وقد ظهر رمل قرار البحر على وجه الماء ودفقت المراكب على ظهرها ونادى الامير عبد الوهاب

يا من يقدر ويعفو ونادى سيف الحنيفية يا من يقدر ويعفو ونادى قشعم ونادى برد ابن الأزهر يا من يسمع ويجيب دعاء المظلوم إذا دعاه ولا يخيب من أمله ورجاه ونادى فراقد يا مفرج الضيق ومنجى الغريق ونادى الامير أبو محمد يا من تسبحه الانوار والظلمات ويوحده الطير فى جو السماء ويذكره الطفل فى الحشا من علينا برحمتك وخلصنا مما نحن فيه بقدرتك وقالوا لأبو الهزاهز مالك لا تدعو فقال ألم أقل لكم السفرة المباركة من أولها تبان أن سلمنا من سيوف الكفار نصير طعاما للسمك فى البحار مثلنا مثل الذى خلص من الحبس إلى ضرب الرقبة (قال الراوى) وقد غرق الثمانمائة حراقة من أصحاب الملك الكندفرون وكل من فيها غرق وغرق من مراكب البطليموس أربعمائة وعشرين مركب وأشرف الباقون على العطب وإذا بالامواج قد قزفت المراكب إلى الساحل حتى صارت كلها على البر والرمل ونزل الناس فلما صارت البطارقة على وجه الارض حمل الكندفرون وقال لأصحابه يا ويلكم لا تبقوا على أحد من أصحاب البطليموس فحملوا عليهم وحمل بعضهم على بعض وارتجت الارض هذا والامير وأصحابه قيام ينظرون إليهم واشتد القتال وزادت الاهوال ولم يبق من السيوف إلا المقابض وقطع الاعناق وعملت المرهفات الرقاق وجاء الحق وزهق النفاق وسكنت الرياح كما يشاء الملك الخلاق ولم يبق غير الاشباح وذكر البطل الجحجاج وقاتلوا أصحاب البطليموس قتال من هانت عليهم الارواح وأيقنوا بالفنى والرواح ولم يزالوا يقاتلوا حتى رموا أصحاب الكندفرون على التراب وأسقوهم شراب والموت وانقطعت منهم الاسباب فلما نظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك حمل على أصحاب البطليموس وحمل سيف الحنيفية والامير فراقد وأبو الهزاهز والامير قشعم فما كانت غير ساعة حتى ولوا الافرنج على أعقابهم خاسرين وللنجاة طالبين ومما املوا خائبين وأنهم لما نظروا إلى من قتل منهم نادوا برفيع أصواتهم لورك لورك يعنى الامان ثم رموا عددهم فاسروهم أصحاب الكندفرون وأهل البلد عن بكرة أبيهم وأقبل الامير عبد الوهاب على الامير أبو محمد فقال له اترك الملك البطليموس إلى الملك الكندفرون وانظر ما كان من عقبة الملعون فقال أبو محمد قد تركته فى خابية الماء الحلو مسجون وهو فى المركب الكبير والمركب يسوى ثمانمائة ألف دينار وأكثر لأنه ما بين ذهب وفضة وعود قمارى وفيه أموال وجواهر وغير ذلك والصواب أنك تطلع إليه وتجمع ما فيه وعقبة لعنه الله فيه فقال أبو الهزاهز والله لأنتقمن منه ولأقتلنه قتلة ما مثلها ذكر حتى يموت بها ثم قال أبو الهزاهز إذا كان الامر كما وصفتم والحال كما ذكرتم أطلع أنا وغلمانك إلى هذه المركب التى للبطليموس وأتولى أخذ عقبة الشيخ المنجوس والله

لأسلخنه من كعبه حتى يصير مثل الجاموس فقد أدخل على قلبى أشد البلاء. فقال الأمير عبد الوهاب مالى إلى ذلك من سبيل فقال أبو الهزاهز وما ذلك أيها الأمير فقال اننى ما أطلقنى الملك إلا إننى لا أغدره وهذه المركب أسلمه للكندفرون ولا أقدر أتصرف فيه وأما عقبة ما نقتله حتى ننظر مايكون لأننا نريد أن نسلم أرواحنا إلى الكندفرون فقال له الأمير أبو محمد إذا كان الأمر كما ذكرت فاقصدوا إلى المركب ثم أخرجوا عقبة من خابية الماء وأضربوه ضربا وجيعا حتى نكون قد أخذنا منه ماتشفى به صدورنا حتى إذا أشرف على العطب أتيت إليكم وخرجت عليكم وخلصته منكم فقالوا نعم مارأيت ثم صعدوا إلى المركب الذى فيه عقبة فكان أسبق الناس إليه أبو الهزاهز ليخرجه عن الخابية وعقبة ينتظر قرياقس ليأتى إليه ويخلصه وهو قد رفع رأسه من الخابية ليأخذ له نفس فنظر وإذا هو بوجه كأنه الجاموس المحروق فقال أبو الهزاهز أهلا وسهلا بالشيخ الصالح إيش قعادك حتى بليت ثيابك ثم قال ان المسيح قد أرسلنى إليك فقال عقبة بأى شىء أرسلك فقال أطير رأسك وعينك فقال عقبة لاحاجة لى بذلك فقال أبو الهزاهز تخالف أمر المسيح ثم مسكه من أطواقه ومن ذقنه ومن ودنه وجذبه إليه أخرجه من موضعه فلما نظر عقبة إلى ذلك أيس من الحياة وأيقن بالوفاء. فقال يا أبو الهزاهز خذ منى هذا الكلام على سبيل النصيحة قال ياويلك ماهى فما عهدى بك قط ناصح فقال له إذا وقعت فى ضيقه فلا تستجير بالمسيح ثم قال هو برىء من المسيح كما هو برىء من محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم فلما سمع كلامه دخل تحته ورفعه على رأسه وضرب به الأرض وإذا بالأمير سيف الحنيفية ووالده والأميرة ذات الهمة وجميع الأمراء قد وصلوا إليهم وقالوا الحمد لله الذى جمع بيننا وبينك فى مكان واحد فى بلاد الغربة والله لابد ما نعرفك شوم فعلك فى هذا اليوم فقال عقبة اسمعوا ما أقول لكم وافعلوا بعد هذا ماشئتم ويلكم صيحوا إلى بقرقياس حتى أقول لكم كلمة واحدة قبل موتى فلعله يعلم انى بعدها هنا وهو الذى حبسنى هاهنا وصالحتم الملك على انكم تكسروا العدو ويطلق سبيلكم وهو الآن لايوفى لكم ويجعل قتلى سببا لغدركم فاجعلونى سببا لخلاصكم وانظروا فى العواقب فقال أبو الهزاهز على هذا قد عولنا وأننا أتينا إليك ياشيخ النحس نضربك ضرب وجيع كيف يكون كما كنت قاعد تأكل الطعام ولاتطعمنا أظننت ياشيخ السوء أن الله مايمهلك ثم انهم بطحوه وضربوه ومامنهم إلا ضربه حتى كل ساعده وهو يقول سيعلم الملك مافعلتم فى حق ويكافئكم ثم ان الملعون جعل يكفر بالرحمن وكان قصده بذلك القتل حتى يستريح من العذاب فضربوه حتى علموا انه مابقى فيه نفس وإذا بالبطال قد اقبل وهو

يشتمهم بالافرنجى ودنى من ابو الهزاهز وضربة بالسيف صفحا وصاح على الباقون فلما نظره عقبة صار يستجير به وقال يافرياقس إن القوم يطلبون قتلى ولولا اغاثنى المسيح بك كنت من الهالكين فقال ابو محمد سوف ترى ما أصنع بهم ثم انهم مضوا معه وتركوا عقبة يقول يافرياقس لاتدع يدى من يدك وخذنى معك حتى أدخل على الملك وأودعه قبل الموت لأنى هالك فلما سمع أبو محمد ذلك الكلام صاح بجماعة من الافرنج أصعدوا خذوا قسيسكم من بين يدى المسلمين وإلاقتلوه ولايبالون بقتله لأنهم فعلوا فى حق الملك مالا فعله الوالد فى حق ولده هنالك صعدوا إلى المركب وحملوا عقبة وهو ينوح على نفسه فلما رآهم وهم ينظرون إلى الأمير عبدالوهاب شذرا ويرمقوه حذرا وكذلك أصحابه ولايجسر أحد أن يدنو منهم وذلك لحالين الأول انه وقع فى قلوبهم هيبة الأمراء والثانى حتى ينظرون مايأمرهم به الملك ثم انهم ساروا بعقبة إلى الملك ووضعوه بين يديه فلما رآه وهو على ذلك سأله عن حاله فاخبره بما تم عليه من الامراء وماجرى له فعظم على الملك وكبر لديه وقام قائما على قدميه وقال للافرنج إياكم ان يظهر احدامنكم انه قد صعب على ماقد جرى على الشيخ النجيح وسوف ترون ما أفعل بهم فقالوا أيها الملك افعل ماتريد ومعلوم انك إذا قلت عنا لأهلكوا منا خلق كثير ولو صعدوا فى هذا المركب الكبير لساروا إلى أى موضع ارادوا ويبلغون مرادهم ويمضون إلى بلادهم وهم قد ملكوا مركب البطليموس وهو يسوى جملة من المال وماقى الامر إلا أننا نأخذهم بالحيلة ونرسل إليهم الخلع والخيل المسومة ونطلبهم إلى بين يديك فاذا وصلوا إلى باب القصر وترجلوا عن الخيل ودخلوا إلى البلد من الباب الاول فتأخذ الخدم منهم السلاح ويدخلون عليك بغير أهبة فتأمر بالقبض عليهم وكان هذا كله من تدبير اللعين عقبة لعنة الله عندها مضوا إلى الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وقالوا لهم ان الملك قد أمر لكم بهذه الخلع وهذه الخيل تركبوها وتسيروا إليه حتى يوفى إليكم ما ضمنه فلما سمع الامير فرح وفرحت أصحابه إلا البطال فانه لايعجبه ذلك فقال له الامير لم لاتظهر الفرح فقال والله مافعل هذه الفعال إلا الملعون عقبة إلاحتى تقعون فى يده ولكن قفوا مكانكم حتى امضى وأكشف لكم الحال على الحقيقة واعود إليكم فان كان ناوى لكم الخير شكرته على ذلك وإن كان ناوى لكم الشر أعلمتكم بذلك وأتيتكم أنا وغلمانى وادعكم تقتلون هذا الرسول ونركب هذا المركب الذى ملكناها ونسير فى هذا البحر الذى بين أيدينا فلما سمع الامير عبد الوهاب قال ماترون من الرأى يامعاشر الاصحاب قالوا نعم ما قال البطال فقال الامير والله مافعلت ذلك أبدا

وما كنت بالذى أخون الايمان والعهود فقال البطال وأنا لك موافق أيها الأمير ولى أسوة بك فافعل ماشئت ولكن مازلت توفى بالعهود والنذور وأريد منك أن توفى بالعهود وتدفع لى الملكة نورى وتجمع بينى وبينها لانك تعرف كيف حالى من أجلها فضحك الأمير من كلامه وقال سمعا وطاعه ثم ركب الأمير وركبوا الرجال معه حتى وصلوا إلى الملك وترجلوا عن الخيل وأخذوا الغلمان العدد وأشار الملك إلى الافرنج فهجموا عليهم وأخذوهم فاما الامير عبد الوهاب فانه سلم نفسه ولم يمانع وفعلت الاميرة مثل فعاله وسائر أصحابه إلا أبو الهزاهز فانه لكم إثنين خسف صدورهم وفعل قراقد مثل فعله عندها صرخ الامير عبد الوهاب وقال وحق مسبب الاسباب إن لم تسلموا نفوسكم وإلا أعيدكم رغما عنكم فلما سمعوا كلامه سلموا نفوسهم فاخذ الكل عن بكرة أبيهم ووضعوا فى أرجلهم القيود الثقال عندها وثب عقبة على قدميه كانه شيطان وقال أيها الملك كيف رأيت تدبيرى ومشورتى فاقتلهم الساعة تستريح منهم فقال الملك ما أقتلهم إلا فى غداة غد وأقتل معهم الملك البطليموس وتذهب الهم العكوس ثم أمر لهم بالحبوس فأنزلوهم فى سرداب وأقبلوا الامراء على الأمير عبد الوهاب بالعتاب فقال لهم لا تطيلون الخطاب أنا ما فعلت ذلك إلا من أجل الإيمان والعهود ودع يصنع فينا ما يشاء الملك المعبود ثم انهم أقاموا كذلك إلى أن تهود الليل ولما قرب الصباح وإذا بالسرداب فتح ونزل إليهم شخص عظيم الخلقة وبيده شمعة فنظروا من هو وإذا به الكندفرون وهو يرتعد مثل السعفة فى يوم ريح عاصف ويبكى بكاء رجل خائف ولما حضر عندهم قال من فيكم عبد الوهاب فقال الأمير عبد الوهاب أيها الظالم الغاشم أنت جئت تقتلنا ونحن عملنا معك ما أنت به عالم فبحق دينك الا ما أمهلت حتى أصلى ركعتين فانى سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من ختم الله له بخير خرجت روحه عند الصلاة وحرم الله جسده على النار فقال الكندفرون ياهذا ماجئت إليك لأقتلك وإنما جئت إليك مبشرا بما فيك من حسن الفضائل وأنت كما قال القائل من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وأنت من خيار عباد الله المجاهدين الابرار وفى هذه الليلة لقيت ما لقيت من أجلك مالا يقع عليه عيار وذلك انى كنت نائم وأنا مضمر لكم القتل والملك البطليموس فبينما أنا نائم اذ أقبل على أسود ولم أر أشنع من خلقته وهو مثل الطود العظيم وبيده حربة عظيمة وفى رأسها سنان من نار ثم أشار بها إلى وقال يا عدو الله ورسوله ما كفاك كفرك بالله عز وجل حتى ضيعت إليه العهود فلما سمعت كلامه تزلزلت بى الدنيا وبقيت أرتعد مثل السعفة فى يوم ريح عاصف وسار وغلق الباب فأيقنت انى هالك اذ دخل على شخص أبيض اللون مليح الكون النور

يطلع من بين عينيه والهيبة لائحة عليه من عطفيه والجمال من وجهه وخاتم النبوة بين كتفيه وهو الشفيع لمن أزعج روحه بالصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وأنه لما نظر إلى ذلك العبد وهو يريد أن يضربنى فصاح به وقال أصبر فان الله تبارك وتعالى بعثنى بالرأفة والرحمة والإنذار ثم أقبل بوجهه الكريم وقال إن الله تعالى قد أرسل ملك من ملائكة الغضب وأمره أن يضربك بحربة سخط فلا ترى بعدها سلامة أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وإنى قد أتيت إليك آمرك أن تكون عونا لعبد الوهاب وتعمل على خلاصه وتمضى إلى بلاد الاسلام وهذا سبب نجاتك من النار وتكون من جملة الابرار فقلت له يا مولاى إنى أخاف من المسيح فما هو إلا أن سمع كلامى حتى أقبل عن يمينه شخصا أشقر أزرق العينين والنور على وجهه يلوح والضياء لائح من بين عينيه فقال السلام عليك يامختار السلام عليك يا حبيب الجبار فقلت من هذا يا مولاى فقال هذا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ثم أقبل المسيح على وقال لى يا كندفرون لم لا تسمع من هذا النبى الامى الذى اسمه فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان المعظم صلى الله عليه وسلم فقل بمقالته وصدق برسالته فهو المبعوث من تهامة والشفيع يوم القيامة فيه انارة الظلم وهو سيد العرب والعجم فلو أنى أدركت زمانه كنت مشيت بين يديه الكرام ودعوت الخلق إليه فلما سمعت ذلك من كلام السيد المسيح فقلت يا مولاى وكيف أقول حتى أصير من أهل دينه فقال لى قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فقلت كما قال لى ثم استيقظت فرحا مسرورا بهذه الرؤيا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قال فلما سمعوا ذلك بكوا بكاء شديدا وأقبلوا على الامير عبد الوهاب وقالوا أيها الامير اجعلنا كلنا فى حل فوالله العظيم أن هذا الكلام من بركة سريرتك مع الله تعالى ووفاك بعهدك وبقدرة الله عز وجل تصنع ذلك وهو ينجيك من المهالك وهم فى الكلام وإذا بأربعة رجال قد نزلوا إلى السرداب وبأيديهم السيوف القواطع والحراب اللوامع فلما نظر الكندفرون إلى ذلك اصفر لونه وقال لاشك أن بعض البطارقة علم أنى قد نزلت إليكم أريد قتلكم وقد لحقنى لاجل ذلك وما أردت أن يشعر بى أحد حتى أدبر ماشئتم وما به تشيروا واعمل فى مسيرنا فأنا الذى ما أقيم فى هذه الديار بعد أن رأيت محمد المختار صلى الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار بل أسير معكم وأقاتل بين أيديكم ويكون لى مالكم وعلى ماعليكم ولى ثلاثة أولاد وزوجة وجماعة من أهلى ولابد ما أعرض عليهم المسير والاسلام واعلمهم بما فتح الله عز وجل على فان أراد الله بهم خيرا فهم يؤمنوا كما آمنت وإلا اعمل على قتلهم ولا امضى فى غير طاعة الله

عز وجل (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان القوم الذين نزلوا بايديهم السيوف أبو محمد ويانس ولؤلؤ وبديع فلما رآهم الملك قال ياقرياقس ما الذى جاء بك فى هذا الوقت فبقى أبو محمد خائف لايدرى مايفعل وقال والله العظيم هذا شيء لم يكن فى الحساب ثم قال أيها الملك نزلت على هؤلاء انت بنفسك نخفت عليك منهم لانهم شياطين الارض فى طولها والعرض فقال الامير عبدالوهاب يا ابو محمد لاتخف إن العناية قد سبقت والاغراض قد حصلت فقال ابو محمد وقد تحير من كلام عبدالوهاب ولم ذلك يا امير فقال الآن الكل قد صاروا أولياء الذى كنت تفزع منه ان يصير فعاد إلينا حقير وان الكندفرون قد آمن على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم واعاد عليه القصة من اولها إلى آخرها والملك يتعجب من ذلك والملك يقول ياقرياقس فقال الامير عبدالوهاب أيها الملك إن هذا اخى قد دخل إلى هذه الديار فى طلبى هذا الامير ابو محمد البطال صاحب الافعال المشهورة والاعمال المذكورة فلما سمع الملك ذلك تعجب وقال هذا كنت اسمع به ولقد سمعت انه يقتلنى ولقد كنت جاهل به وبمعرفته فالحمد لله الذى نجانى من النار والآن فكونوا فى بعض المجالس فى قصرى إلى ان ادبر امرى وانا بعد اعمل على خلاصكم واحمل معى من الاموال شيء لايحصى ولايعد بعدد الرمل والحصى ثم انه صعد إلى مجلس داره وصعدوا معه الامراء بعد ان فك قيودهم من ارجلهم ونقل إليهم جميع مايحتاجون إليه من عدد وخوذ وسلاح وطعام وشراب (قال الراوى) ثم ان الامير ابو محمد اقبل على الامير عبدالوهاب وقال له اعلم انى كنت معول على امر والآن فقد اتى الله بما لم يكن فى الحساب وغدا إن شاء الله تعالى نقتل عقبة ولقد كانت نوبة مباركة علينا ميشومة على عقبة لقوله تعالى وهو اصدق القائلين وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ثم انهم أكلوا الطعام لما وقعوا (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الكندفرون فانه عاد إلى زوجته واولاده فرآهم مستيقظين وعليهم آثار الفرح فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال اعلموا انى قد مضيت إلى هؤلاء المسلمين وكنت معول على قتلهم فى غداة غد فرأيتهم يسبحون الله تعالى ويقدسونه وقد سمعت كلاما ماسمعت أطيب منه ولعمرى كنت من البطليموس فى امر عظيم ولولاهم لكنت من الهالكين وانا وانتم وكل من فى المدينة لم بقى يرجع يطمع فى بلادنا احد ولقد أعدتهم إلى الاسر والقيود وهم لا يستحقون وفعلت معهم مالا يستوجبون واريد أوفى لهم بقولى واطلق سبيلهم فلما سمعوا ذلك قالوا لقد قلت الصواب ولقد اردنا ان نفعل ذلك لان لنا حديث غريب وذلك اننا فكرنا فى ذلك من امر هؤلاء وقتلهم وقتالهم

وأصحابنا وكثرتهم وماهم عليه من الضعف ونظرنا إلى هؤلاء المسلمين وكيف نصروا على عدوهم وهم فى هذا العالم العظيم حتى إن كل واحد منهم وقف فى وجه ألف وألفين وثلاثة وماهذا إلا من سعادتهم ولولاهم على الحقيقة من دينهم وصحة من يقينهم لما أعطاهم الله هذه الشدة والقوة وأوفوا لك بما عاهدوك ولو أرادوا لكانوا عاندوك وهذا من أحسن فعلهم وأوفى عند العاقل وأجمل ومافينا إلا من رأى كما رأى صاحبه وأقبل عليه يخاطبه ولم نقدر نوفيك ذلك لأنك أوفى مناعقلا وأغزر منا بصيرة وفضلا فماذا ترى فى هذا الأمر الذى تفكر فيه أرباب العقول فقال عند سماع كلامهم سبحان من إذا فتح باب الرحمة جعله هداية لمن يشاء ثم إنه باس الأرض شكراً لله تعالى وقال لهم إن الذى رأيتموه رأيته ولما دعانى إلى الاسلام لبيته عندها قالوا نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وقد كنا كتمنا ذلك حتى نسمع ما تقول وقد عزمنا إذا آيسنا من إسلامك نقتلك ونسلم إلى هؤلاء المسلمين العدد والسلاح ونحمل إليهم الاموال فى المراكب التى ملكوهم فى حال القتال ونطلب ديارهم فالحمد لله الذى لم يغلق الباب فى وجهك ومن علينا بجمع شملنا على كلمة الهدى ثم قالوا على ماذا عولت قال إنى أرسل الساعة إلى فلان وفلان ووجوه عشيرتى وأشاورهم فى مثل ذلك فان كان لهم فى الغيب سلامة وسعادة فأكون سبب خلاصهم فقالوا له نعم مارأيت (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الملك الكندفرون جعل يرسل لواحد بعد يقص عليهم القصة فمنهم من يقول أيها الملك لايخامرك عقلك باتباع هؤلاء الاندال وتفارقوا لدين العتيق فيقول إنما أردت أختبركم لا يكون قد خامر قلوبكم من أمر هؤلاء المسلمين شيئاً ومنهم من يجيبه بأطيب كلام ويقول أيها الملك افعل ماشئت فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم ادعى بوجوه خاصته وكان فيهم رجلا أوفى عقلا من بطارقته فلما اتاه قال ايها الملك إنى رأيت فى ليلتى هذه كأن السماء قد فتحت أبوابها وقد نزلت رجال وفى ايديهم الحراب وفى رؤسها اسنة البولاد فقصدنى واحد منهم وقال لى قل لا إله إلا الله محمد رسول الله وكن فى جهة هؤلاء المجاهدين وقد قلت ايها الملك ذلك فلما سمع الملك ذلك قوى قلبه واشتد يقينه ولما اصبح الصباح حسب الذى اسلم من قومه من اهل خاصته ودولته واهله وأولاده من اهل كندفرون فكانوا ألف رجل فأصبحوا الكل فى القصر وكانوا الجميع أى من اسلم منهم فيقول له اعرض الاسلام على أهلك وأولادك فيقول أيها الملك إن الله هداهم لدين الاسلام ثم إن الملك دخل على الامير عبد الوهاب وأعلمه بما كان فى ليلته فسجد شكراً لله تعالى وكل من معه ثم قال الامير يا أخى

على ماذا عولت فقال الملك اعلم يا أخى أن هذا بلد عظيم وفيه عالم كثير وقد آمن منهم من أراد الله له بالخير ومافى الأمر إلا أنى أدفع كل من أسلم إلى القصر مع أولادهم ولا نرجع نبالى بكل من فى البلد والثانى نصف المراكب فى المينا إلى جانب القصر حتى إذا أردنا الاقلاع أقلعنا (قال الراوى) وخرج الأمير أبو محمد مع غلمانه وغلمان الملك وحصلوا المركب الذى للبطليموس ومعه عشر مراكب من مراكبهم وجعلوها فى المينا ثم أقبل الأمير عبدالوهاب على الملك وقال له تريد أن يقبل الله اسلامك قال نعم وبما يكون ذلك قال الأمير عبد الوهاب تقتل الشيخ النحس عقبة الذى دخل عليك فى صفة قسيس واطلع عليك أفعاله ونفاقه فقال الملك إذا كان قصدك قتله فالأمر إليك وارسل يجيب عقبة والبطليموس فلم يجدوهم فهم فى الكلام والأمير أبو محمد دخل عليهم وقال لهم قد حصلت المراكب فى مينة القصر ثم أقبل على الملك وقال له أيها الملك الأمور بانجازها فانجز أمرك فى نقل الأموال والرجال والنساء والأطفال والزاد فى عشر مراكب حربية ونقلع إلى بلاد الاسلام فقد أنعم الله عليك بالسلامة فان الهوى لا يؤاتينا إلى ذلك ثم أنهم يطلبون من سائر الجهات فقال الأمير عبد الوهاب إذا كان الأمر على ماذكرت فعندى رأى وهو أن تحمل كل مالك من الرجال والأموال على ظهور البغال والجمال ونسير كلنا فى البر لأنه أقل خطر فقال له الملك الكندفرون فكيف الخلاص من هذا العسكر الذى بين أيدينا وهم محدقون بنا فقال الامير نفتح ونخرج إليهم ونحمل عليهم ونستعين بالله رب العالمين فان كشفناهم وصرنا من ذلك الجانب الآخر فهو الذى نريد ونعول على الرحيل ومن خالفنا ضربناه بالسيف فقال أبو الهزاهز هذا هو الصواب ولا نقعد خلف الجدران فقال الامير عبدالوهاب هؤلاء قوم قد هجروا الاوطان وزهدوا الاخوان وتركوا الاقارب والخلان وطلبوا الملك المنان الذى لا يشغله شان عن شان ورحمته موجودة فى كل مكان وخرجوا حتى صاروا خارج البلد فرفعوا أصواتهم بذكر الواحد الاحد الفرد الصمد وهم فى أكمل العدة وأحسن أهبة هنالك تصايحت الافرنج من كل جانب ومكان وارتفع الصياح إلى العنان وهجمت الكتائب واشتهرت القواضب وتصايحت الفتيان من أهل الصلبان على أهل الإيمان وأطلقوا كل عنان وتصارمت الخيل الجياد فى ساحة الميدان وفاضت الارض بروس الفرسان كلعب الاكره والصولجان وطلع الغبار مثل الدخان وفاضت الارض بالدما من مقاتل الشجعان وارتعدت الفرائص من الفزع والابدان واصفرت الوجوه من الجزع فحالت الالوان وشابت الروس من هول تلك الساعة العظيمة الشأن وعمل الصارم اليمانى فى مفارق

الأبطال فى معترك الصحصحان وكان يوم ثقيل على من حمل فى ذلك المكان من أهل الكفر والطغيان وفاضت المدافع على قتل الاخوان والافرنج قد ضجت قساقسهم والرهبان وهم يكفرون بالرحمن وينسبوه إلى الزوجة والصاحبة والولدان فتبارك ربنا وتعالى علوا كبيرا هو الواحد الاحد المسيح بكل لسان لا يحول إلى حالة الزمان وهو المضاعف فى الثواب لاهل الاحسان فهو خالق الخلائق والمطالب لهم بالحقائق الذى ليس له مثال منزه عن الصاحبة والاولاد والاشكال والاضداد مبيد الجبابرة وهو الحى القوم الذى لا يموت ولا يعتريه نقصان الذى كل يوم هو فى شان لا يشغله شان عن شان هذا والامير عبد الوهاب قد رفع صوته بقراءة القرآن وتوحيد الرحمن هنالك عضت الخيل لجمها وتقطعت من كثرة الجرى حزمها وعرقت أجسادها وقطعت أكبادها وقصرت عن الجولان جيادها وتثلمت الصوارم من جلادها وطارت قلوب سادتها وذهب صلاحها وبان فسادها ووقع فى الاجناد قيادها وطارت الارواح وقرب عنادها هذا والامير عبد الوهاب وأصحابه يحملوا بنيات صادقة وقلوب بالرب واثقة وعزائم غير منافقة والتفت طائفة المسلمين للطائفة المنافقة ورأيت الاحوال ناقصة والاسنة للاكباد خارقة وتجلى على تلك الواقعة القادر القاهر ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والاسلام بالأصوات تجلجل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضياءه وأقبل الليل بظلماءه وقد خسرت المشركين وجاء النصر للمؤمنين وأبطال الموحدين هذا والامير عبد الوهاب وقرافد وسيف النصر الحنيفية وأبو الهزاهز قد قتلوا فى الناس وفتكوا وسقوهم شراب الاياس فقتلوا الرجال والابطال المقدمين على عسكر الافرنج حتى لم يبق منهم أحد ولم يكن لهم مقام بل طلبوا الانهزام ونصر الله عز وجل عصابة الاسلام ولولا غياهب الظلام ما كان بقى للافرنج باقية وغنموا المسلمين منهم الخيل والعدد وساروا على ما بهم من التعب يطلبون ما عزموا عليه هذا ما جرى لهؤلاء (وأما) أهل مدينة الكندفرون فانهم لما طلع عليهم الصباح لم يجدوا للمسلمين آثار فرجعوا على أنفسهم باللوم وقالوا إن هذا أشهد ما يكون من العار والذل والشنار أن نكون فى عدد أوراق الاشجار وينجو منا ألف فارس فاذا سمع عنا فى الافرنج هذا الحال ويسمع بخبر نا نجم بن صلبان والشعران بن مدان والملك حرد بن اقطاليس ونصير عند الناس بعين النقص (قال) فعندها قالوا ننتخب منا ألف فارس ونلحق القوم وإن الملك البطليموس قد حدثنا عنه البطريق دقيانوس انه قد مضى إلى بلد أفرنجية يستعين على الملك الكندفرون ومعه عالم النصرانية وأهل ماء المعمودية الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح ويذكر أن هؤلاء القوم لا ينجون لان الطلب وراءهم فى كل مكان (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك قالوا هذا هو الصواب والامر

الذى لا يعاب وتجرد منهم ألف فارس من كل بطل مداعس (قال الراوى) وأنهم جدوا خلفهم فى سيرهم وكان الامير عبد الوهاب إذا رحل ينزل أهل الكندفرون مكانهم فكلما عبر الملك الكندفرون على اقليم من الاقاليم حملوا إليه الدواب والضيافة ولا ينكرون من أمره شيء ولا يدرون ان الهداية قد فتح لهم بابها وكشف عنهم حجابها وأمن من النار وعذابها ولم يزل كذلك فى شدة السير على القرى والقلاع والاوديه وأبو الهزاهز يقول ما أبعدها من طريق لا جعل الله فيها بركة هذا وأهل مدينة الكندفرون كلما عبروا على حصن أو قرية أو اقليم يخبروا أهل ذلك الاقليم بما فعل الكندفرون فيعظم عليهم حين يسمعون ذلك الكلام وتشتد منهم رجال فى طلبه وما كانت الامدة حتى أقبل من أهل مدائن الكندفرون ومدينته مائتين ألف فارس وجعل الامير عبد الوهاب يقطع مرحلة بعد مرحلة خوفا أن تلحقهم العساكر وهم أيضا فى الجد والطلب حتى بقيت الدواب مثل الحيات من الضعف وقد قطعوا أرض مرطوك وكزكر واقليم ملقطار ثم وصلوا إلى أرض اسكنارس وحصن أهل تانيس (قال الراوى) وتعب الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وتعب أصحاب الكندفرون من الركض وكلت الرجال من السير وقل زادهم ولم يبق معهم عليق للخيل ولاح لهم لائح العطب والويل ولما نظر الامير أبو محمد إلى ذلك أقبل عليهم وقال اعلموا انكم هالكون من وجوه عدة أحدها من عدم الزاد لكم ولدوابكم والثانى موت الخيل من شدة السير وما هذا الكر والفر الا من شدة خوفكم من هذه العسكر الذين ورائكم ولو وصلتم بلد أفرنجه وهم خلفكم لكان ذلك عليكم أمر عظيم وتلقون خطب جسيم ولكن أنا أدبر لكم حيلة تأخذون بها الزاد والخيل والبغال والاموال وينكسر هذا العسكر الذى خلفكم حتى لا يعيقكم منهم عائق وتحصل المعونة من الملك الخالق فقالوا افعل أيها الامير فما أحوجنا إلى ذلك وأنت المعروف ليوم المضايق زادك الله سعادة وتوفيق فقال أبو محمد البطال هذا الدعاء والتوبيخ ما يسوى عندى حبة واحده ان لم تعطنى نورى قال فضحك الامير عبد الوهاب وقال طب نفسا وقر عينا فهى والله لك وبين يديك ولا أمنعك اياها فلما سمع البطال ذلك طاب قلبه وقال الآن أقيموا اليوم ههنا وباتوا الليلة لتستريحوا وكونوا مكمنين حتى يأتى عسكر الكافرين ولا تظهرون حتى ينسدل الظلام وكل واحد منكم لا يكون له همة الا اللثام والضرب بالحسام ويختلط مع القوم فى الخيام وتكبروا والملك العلام كلكم بصوت واحد فما يجمع الله منهم واحد ما قام قائم وقعد قاعد فقالوا السمع

والطاعه ثم أكمنوا فى أماكنهم وأقاموا هناك إلى وقت انسدال الظلام وناموا كأنهم قتلى من شدة السير وكانت العساكر قد أتت عند غروب الشمس ونزلوا فى مواضعهم وهم مطمئنين كيف انهم سائرين ولاعدائهم طالبين وغرقوا فى نومهم وعلا غطيطهم فعند ذلك وثب أبو محمد وفرق ألف فارس فى أربع جوانب العسكر فى كل جانب مائتين وخمسين فارس وكان مع كل مائة فارس من أصحاب الكندفرون واحد من الامراء وزعق كل واحد منهم فى ظلام الليل وكبروا أهل الايمان فكبرت معهم الملائكة وقالوا الله أكبر فتح الله ونصر وجاءنا النصر وصاحوا الباقين من سائر الجنبات وزعقوا الطيور بتوحيد الملك العلام وارتفع الصياح وعلا الصراخ وعملت الصفاح وقامت الافرنج بلا عقول وعمل فيهم الصارم المصقول وقطعت الرقاب وفتكت السيوف والحراب وعمل الحسام القرضاب وجرت الدما مثل السحاب وحارت الالباب من المشايخ والشباب وكان المقدم على الكل دقيانوس الذى هرب عقبة والملك البطليموس ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى بقيت الرؤس بلا علاصم والابدان بلا جماجم والاكف بلا معاصم وزاد الامر وعظم الشأن وقل الصبر ولم يجدوا المشركين من ذلك الهول مفر ولم يبق لهم سبيل الى الهرب وشربوا شراب العطب ونصر الله المسلمين وزادهم عزا وتمكين وملكوا الخيام والاموال وكانت ليلة ما رأوا أبرك منها فى الليالى وأصبح عليهم الصباح وقد ملكوا ملكا عظيما مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وفرح الملك الكندفرون بالظفر وحازوا أموال المشركين ورحلوا بعد اقامتهم إلى آخر النهار وتلك الليلة وساروا يجدون السير الليل والنهار وهم طالبين بلاد أفرنجه والقنطرة التى على النهر المعروف بنهر العلقم وهو مالح مفتن وليس لهم طريق الا على تلك القنطره فلما ان وصلوا الى هناك وقفوا وهم تعابا موتى وقد بقى بينهم وبين بلد افرنجه عشرة أيام وقد كمل لهم فى المسير اثنى عشر شهرا واشرفوا على الارض القرعا ووادى القرد هنالك لاح لهم سواد عسكر قد طبق الفلا وملا المستوى وقد ضجت من كثرة أصواتهم البيدا (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك عقبة لعنه الله لانه لما مضى مع الملك البطليموس أقام يجهز العساكر ويجمع الدساكر عاما كاملا وقال فى نفسه ما علينا عجله لان القوم ما يصبرون الا علينا فقال الامير عبد الوهاب ما عندك من الراى يا أبو محمد فقال انا اعلم ان هذا كله من تدبير عقبة لأنه قصد الى بلاد افرنجه وقد أقام فيها النفير والعالم فيها كثير وعقبة فيهم لا محالة وقد عولت على أمر وهو أن أمضى إلى افرنجه واسأل عن اخبار عقبه فان وقعت عينى عليه فوالله ما اخليه حتى اقتله قبل ان يعود الى بلاد الاسلام ثم انه قلع اللحية

والشوارب وفك الاستار من عينيه وغسل أثر النفط من وجهه فصار على صورته التى خلقه الله عليها فنظر الملك الكندفرون إلى أبو محمد وقد صار فى صفة أخرى وقال لا إله إلا الله بقى على وجهك نضافة أخرى يا أبو محمد فضحك الأمير من قوله ثم أن أبو محمد خرج من الزى الأول ودخل فى زى آخر حتى يخفى على عقبة أمره وودع الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب والملك الكندفرون بعد ما قال لهم كونوا فى أماكنكم حتى أعود إليكم بخبر هذا العسكر الذى بين أيديكم ثم تركهم وسار ومعه من غلمانه لؤلؤ وسبك ويانس وجوهر (قال الراى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عقبة والملك البطليموس فانهم ساروا ليلا ونهارا فى موضع لا يهتدى إليه أحد حتى وصلوا إلى أفرنجة وكان وصولهم إليها قبل وصول الأمير عبد الوهاب بعشرة أيام وأنهم لما وصلوا إليها دخلوا على الملك الأكبر ساقسطاس بن القلنفدر فلما رأى الملك البطليموس وثب له قائما وقد أنكر أمره وقال له أخبرنى عن حالك وما الذى أخرجك من بلادك فاندفع الملك البطليموس بالبكاء وحثا التراب على رأسه وهو يقول وياماه وياماه وأقلة رجالاه ثم أنه حدث الملك بكلما جرى له إلى آخره وكيف أسلم الملك الكندفرون واستنجد على عسكرى بالمسلمين فصلب الملك على وجهه وقال من أين فى تلك الأرض مسلمين فقال ما أدرى ولكن هذا الشيخ يحدثك بالأمور فقال الملك ساقسطاس ومن هو هذا الشيخ فقال البطليموس هذا عالم النصرانية وحجة السيد المسيح على الملة الحنيفية والناصح للملة المسيحية فقال الملك ساقسطاس ما أعرف من هو بهذه الصفة الا أن يكون الشيخ النجيح عقبة الذى فى بلاد الاسلام فلما سمع عقبة ذلك الكلام وثب قائما على قدميه وجعل يبكى ويلطم ويقول أنا الشيخ الذى وصفت والرجل الذى به تكلمت إلا أنى قد تغيرت لأننى قد لاقيت شدائد وأهوال وضربت ضربا لو وقع على الجبال هدها ولكن كان فى أجلى تأخير لما يريده المسيح من عمرى ثم ابتدأ يحدث الملك بحديثه من أوله إلى آخره فلما سمع الملك ذلك فرح فرحا عظيما بعد أن وثب إليه وجعل يقبل رأسه وعينيه لأنه عندهم بمنزلة البترك الكبير فقال له الملك اعذرنى فانى لم أقم بواجبك عند دخولك إلى ولقد نظر المسيح إلى إذ دخلت إلى بلادى ودیاری وأمصاری ولقد كانوا أهل هذه الديار إذا سمعوا بذكرك وفعالك الغريبة وتذاكيرك العجيبة يسألون المسيح أن يوريهم وجهك القبيح ولقد فرجت عنا كربه بهذا الخبر لأن رسول الملك متويل ملك بلد القسطنطينية ذهب من عندى من شهرين وما أتى إلا يسأل عن هؤلاء المأسورين وقال أنهم أمراء المسلمين جميعهم وشجعانهم وأبطالهم وذكروا أن فيهم عبد الوهاب وأنهم فقدوا من سنتين

ونصف وقد شاع ذلك فى جميع الآفاق ولم يطلع لهم خبر (قال الراوى) وكان الملك منويل قد حلف على الانجيل أنه يطلب الأمير عبدالوهاب وأمراء بنى كلاب ويخلصهم وأن الرشيد أرسل إليه يطالبه بذلك ولح عليه وقال له لا تحوجنى أن أدخل إلى بلاد الروم بعساكر خراسان وأنا الذى لا أقصر فى طلب صاحبى فلما سمع الملك منويل من الرشيد ذلك الكلام فزع وأرسل إلى تسعة عشر أقليم يكشف خبرهم فلم يسمع لهم خبر ومن مدة عشرة أيام أتى إلينا أسير كان فى المسلمين لأنه كان قد مضى للحج إلى القمامه فأخذ فى الطريق فسألته عن ديار المسلمين فقال أن الرشيد جلس فى بغداد لأجل العزاء للأمير عبدالوهاب وكذلك الأميرة علوى قد أوصلت الحزن الشديد لفقد الأمير عبدالوهاب وأن الرشيد أرسل إلى ملطية يطلب الأمير ضيغم والأمير إبراهيم بن الأميرة علوى فلما وصلا إليه خلع عليهما وقال لهما أنتما مكانكما عندى ومنزلتكما بمنزلة أبيكما ومنزلة جدتكما الاميرة ذات الهمة وأن بغيبتهم لا نعمر الأوطان ولم يحسن الكف إلا البنان والانسان باللسان والورق بالاغصان ولقد كانوا نجومنا الزاهرة وحججى الباهرة عن الشريعة الطاهرة وأسكن الامير إبراهيم مع الامير عمرو بن عبيدالله وخلع عليهم الخلع السنيه وبعد ذلك أرسل الرشيد يطلب الملكة نورى من الاميرة علوى ويقول إن كان الامير عبد الوهاب قد عدم فوالله ما بقى فى دولتى ثانيا إلا أن يكون ولده سيف الحنيفية وقد أخذه معه ولو علمت أنه فى قيد الحياة جمعت العساكر وسرت إليه وبذلت روحى فى طلبه ومهجتى وأموالى بسببه وقد عدم أيضا فى هذا الاوان صاحب الافعال الحسان التى تعجز عنها الانس والجان وهو الامير أبو محمد البطال وبالله أقسم لقد ساءنى ذلك ولو كان مات واحد من أولادى لما أصابنى مثل ما أصابنى على الامير عبدالوهاب والامير أبو محمد البطال والاميرة ذات الهمة والامير سيف الحنيفية وجميع من معهم من الاصحاب ولقد يهون على أن أبذل نصف ما أملكه لمن يعرف خبرهم وبعد ذلك فانى أريد الملكة نورى قرة العين إذ لم يبق لها طالب ولا يصلح لها غيرى (قال الراوى) وأن الرسول لما وصل إلى الامير عمرو بن عبيدالله يطلب منه نورى فأرسل إلى الاميرة علوى يطلب منها نورى وأرسل إلى الامير إبراهيم وقال له مثل ذلك فدخل إبراهيم يشاور أمه فى ذلك فقالت له يا بنى قل للرسول أن والدى قبل أن يخرج من ملطية أرسل نورى إلى حصن الكوكب إلى عند الامير نافع من خوفه عليها من أبو محمد ولا سبيل لنا إليها فأرسلوا إليه عن لسان أمير المؤمنين فلا يقدر يخالف قوله ولا أمره فأتى إبراهيم إلى عند الامير عمرو وأخبره بذلك فأرسل عمرو إلى عند الامير نافع جماعة من عنده وكانت الاميرة علوى أرسلت إلى نافع فى السر تقول له قل لهم أنا

ما أيست من الامير ولا أسلمها إلا بعد ثلاثة سنين والآن فما أتانا أحد أخبر أنه قتل وإن طالت المدة وأيست منه سلمتها إلى الرشيد (قال الراوى) ووصل الرسول إلى الامير عمرو بتلك الرسالة يطلب نورى ورد الرسول وعلمته الاميرة علوى فعاد أخبر الامير عمرو بما قاله نافع فعند ذلك أرسل الامير عمرو إلى الخليفة يعلمه بذلك فعظم عليه وكبر لديه وقال لا بد ما أسير إليه عساكر وآخذها منه غصبا هذا جرى ههنا . وأما علوى فانها كانت تدارى الملكه نورى ونزلت بها فى سرداب فى دارها وأنزلت إليها جميع ما تحتاج إليه من مأكول ومشروب وبعد ذلك نزلت إليها وقالت لها قد أخذك الرشيد وما أعاقه عن طلبك إلا الخوارج التى خرجت إليه من بلاد خراسان وما يقدر يأتى إلى هذه الارض حتى تتمهد البلاد وينصلح الفساد ثم أن الاميرة علوى أنفذت إلى بيعة النصارى وأحضرت لها الانجيل وأنزلته إلى نورى وكانت تقرأ فيه وطالت عليها الوحدة وعولت على الرهبانية وآلت على نفسها إن لم يأخذها الرشيد لم تريد غيره وطمعتها الاميرة علوى بتدبير ذلك وأقامت على الطمع وبقيت الاميرة تندب الأمير عبد الوهاب وقد استوحش الثغر منه وتباكوا الناس عليه وكان الامير ضيغم فى آمد مقيم عند ميمون الجماس والاربعة عشر ألف أسود وسودان قراقد والمسلمين وبنى كلاب فى الثغور مع الامير إبراهيم فهذا ما كان من هؤلاء (ويرجع حديثنا إلى عقبة الملعون) فانه لما سمع ذلك قال أيها الملك دعنا من هذا وإن أردت أن يكون لك عند المسيح منزلة عالية فجهز العساكر والمواكب ولاقى هذا المرتد عن دينه الـكندفرون فلعلك تظفر به وبعبد الوهاب الذى ما ظفرت الملوك به وماتت بحسرته ولكن لى عليك شرط أنك إذا ظفرت به لا تسلمه إلا إلى لأعذبه العذاب الشديد فقال ملك افرنجه وحق المسيح إنى ما علمت أنك فى هذه النوبة تأتى إلى ديارى وإنما حكم المسيح باجتماعنا فى هذه الديار بغير ميعاد إن ظفرت بهم لا أبقيت عليهم ساعة واحدة فلما سمع عقبة ذلك من الملك فرح وشكره على قوله وقال له الآن علمت أنك عبد المسيح خالص لا شك فيك ولا ريب ولا توارى مثل الملك منويل (قال) وأخذ القوم جميعا وأخذ جميع ما يحتاجون إليه وجمع ملك افرنجه الفرسان من سائر أقاليمه حتى اجتمع عنده ثلثمائة ألف فارس ورحل عن المدينة مدة أيام إلى أن وصل إلى ذلك الموضع فى ذلك العالم العظيم هذا وقد أشرف عليهم عسكر الامير عبد الوهاب فى ألف مدرع وسار الامير أبو محمد من عندهم يطلب عساكر افرنجه ليأخذ أخبارهم ولم يزل سائر حتى قرب منهم فأشرف على عسكر عظيم مثل البحر العجاج المتلاطم بالامواج فأقبل على غلمانه وقال لهم والله إن هذا عسكر عظيم يريدون على ثلثمائة ألف فارس ويتبعها مثلها وأما الامير عبد الوهاب ومن معه ما لهم طاقة بهذا العسكر العظيم الذى

كانه الليل البهيم وأن الرجل لا يقدر يلقاغير عشر رجال أومائة أو ألف وهذا عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصا وإن لم نعمل على الملك الذى بهذا العسكر حيلة نأخذه بها حتى تشوش هذا العسكر وإلا نبقى نحن وأصحابنا هالكين لا محالة ولا سبيل لنا إلى ديارنا فلما سمعوا غلمانه هذا الكلام قال له لؤلؤ يامولانا ادخل بنا ونتوكل على الله عز وجل فان المعونة من عنده وأن السعيد لا يبالى بأهل الدنيا ثم انهم دخلوا إلى العسكر وأخفوا أنفسهم فيه إلى أن أمسا المساء وأظلمت الأقطار وذهب ضوء النهار فعندها قام الأمير أبو محمد إلى المضرب الذى فيه الملك الأكبر وكان هذا الملك له من العمر مائة وعشرين سنة وهو مع ذلك كانه شيطان مريد ما تغير عليه شىء من القوة والحيل ولم يكن قط خرج إلى بلاد الإسلام غازيا إلا أولاده وكان مع ذلك لا يفكر بالرجال وان الأمير أبو محمد وغلمانه ساروا إلى باب المضرب فوجدوا البطارقة قيام فى خدمته وله هيبة أعظم من متويل والبطليموس إلى جانبه وعقبة بين يديه على كرسى من ذهب وهو يحدثه بما جرى له مع المسلمين وأبطال الموحدين ويخبره بشجاعة الأمير عبد الوهاب وحيل أبو محمد البطال وشجاعة الأميرة ذات الهمة والأمير سيف الحنيفية ومن قتلوا من الروم والملك البطليموس وملك أفرنجة وجميع الافرنج يضحكون من كلام عقبة والملك مقطاس يقول وحق المسيح مالقيتهم ابطال ولا رجال وإلا كان غلبتهم قد بطلت وذهبت فقال الملك البطليموس يامولاى وحق المسيح ماهذا الكلام الذى وصفه الشيخ النجيح فى حق هؤلاء القوم إلا صحيح ولقد دخلت إلى الجزيرة الحمراء وانتخبت منها أبطال ورجال وكل واحد منهم يريد لرأسه جماعة وسيرت أنافى ثلثمائة قطعة من المراكب إلى الكندفرون الذى قد لعبوا بعقله المسلمين حتى صار منهم وقاتل معهم ولقد خرج علينا منهم تسع رجال فى مركب واحد وفيهم الأسود الذى وصفه الشيخ النجيح فكسرونا وقتلوا الرجال وأبادوا الأبطال وكان الرجل منهم يرمى روحه إلى المائة والمائتين والألف والألفين فقال الملك معلوم انى سأمضى إلى هؤلاء القوم وأوريكم كيف إنى أبرز إلى العشرة وحدى وأقلع أحداقهم وأضرب أعناقهم فلا يعاونى عليهم معاون إلا المسيح فقال البطليموس هذا رجل كبير قد هضمته الطبيعة وما يدرى أن الأمر عظيم والخطب جسيم وأنا أعلم أن المسيح فى غلبه من هذا الاسود الزنيم عبد الوهاب وأمه ذات الهمة رأس كل بلية وما زالوا على ذلك الحال إلى اطلبت العين حظها المنام فانصرف كل منهم إلى موضعه وذهب الملك الأكبر إلى مضربه وصعد على سريره وتجرد للمنام وأبو محمد البطال تابعا له وهو فى زى الغلمان وصبر إلى أن غرق الملك فى النوم وقاما وتخطا إليه قليلا فبينما هو كذلك وإذا بالملك قبض على أبى محمد البطال ورفعه على زنده فبقى فى يده كالعصفور فى يده الباشق وهم عليه كاد أن يهشم أضلاعه

وصاح الامير أبو محمد من تحت أيده وصاح الامير أيضا فتواثبوا الغلمان كانهم السباع وأوقدت الشموع ووقع الصياح من كل جانب فقال لهم الملك يا ويلكم هذا أراد أن يسرقني فهل فيكم من يعرفه فقالوا لا وحق المسيح ما فينا من يعرفه فهم في الكلام إذ دخل عليهم عقبة لعنه الله فأعادوا عليه القصة فلما سمع هذا الكلام ووعا الحديث مد عينيه فرأى الأمير أبو محمد البطال فعرفه فصاح صيحة كادت مرارته تنفطر فرحا وصفق بيديه وضحك حتى غشى عليه هذا والملك والحاضرون يتفرجوا عليه وينظرون فلما نظروا إلى ذلك وهدى عقبة مما كان فيه أقبل على الملك وقال له أيها الملك هذا مخرب الدور هذا الموصوف هذا المصور في البيع والقصور هذا أبو الدواهي والامور هذا أبو الحيل الواصلة والخدائع القاتلة والتدابير المهلكة والعجائب المضحكة والافعال العظام والاعمال الجسام هذا القرنان الذي لا ينام هذا سارق الملوك من على أسرتها وقاتل البطارقه على غرتها صاحب الدواهي التي لا توصف والوجوه التي لا تعرف هذا الذي يتسلق مثل العنكبوت مخرب الأطلال والبيوت هذا مثل الريح الهبوب هذا هو البلاء الصبوب هذا عدوه كل يوم مغلوب وبالأسياط مضروب هذا الذي يطلب قتلي أيها الملك إن أردت أن تشفي غليلي أقتله قدام عيني وأريد في هذه الليلة أن تقضي حاجتي وإن أردت مخالفتي قطعت زنار نصرانيتي وما أحمل إليك من القسطنطينية مائة ألف دينار فقال الملك ويلك لقد أزعجت القلوب بصفة هذا الكلب المكلوب وهو أقل وأحقر وسوف أبلغك مناك وأعطيك هواك فمن هو هذا لا كان فما هذه الصفة إلا صفة شيطان فقال عقبة لعنه الله هذا الشيطان المارد هذا الذي يفجع الولد في الوالد هذا مقدم الأبالس هذا خائض الليل الدامس هذا أوحد العصر وزوبعة الزمان هذا مخرب البلدان فعندها قال الملك ويلك لقد فزعتني منه أيها الشيخ الصالح وحق المسيح لو كنت منك وأعلمتني بهذه الصفة من أقبل ان أقبض عليه لما أبقيته ساعة واحدة فقال أيها الملك إن في قلبي منه حزازات هذا القرنان المحتال هذا أبو الأهوال هذا أبو محمد البطال وكان عنده منه خبر ولهم في بلادهم صورة في سائر البيع من خوفهم من حيلته وعيارته فلما رآه الملك صلب على وجهه وقال وحق المسيح لقد كان قلبي منه جريح وفؤادي قريح وكان يأخذني عند ذكره الفزع مما أسمع عنه على طول الأيام وتواتر الشهور والأعوام والآن لابد لي أن أقتله أشر قتلة وأمثله بأقبح مثلة فقال عقبة أيها الملك أعطاك المسيح مرادك وظفرك بهذا الشيطان وأنا أرجو من المسيح أن يمكنك من الأسود العسوب وليث الحروب مقدم بني كلاب الشيطان عبد الوهاب وولده سيف الحنيفية وأبو الهزاهز راس البلية وقراقد وذات الهمة التي قد أهلكت أبطال الروم والافرنجيه وطارق الحجازي وسعد بن الفرج

وبرد بن الازهر والامير قشعم وان وصفت لك فان العدد كثير وان ملكك المسيح منهم فلا يقوم الاسلام قائمة ويحل بهم الداهية فلما سمع الملك كلام عقبة قال وحق المسيح والشماس والرهبان والبترك والمطران إن كان وصفك لهذا الأسود بهذه الصفة ما أقتل هذا العيار حتى أبرز إلى هذا الاسود والذى معه فاذا أنا ظفرت بهم ضربت رقاب الجميع ثم ان الملك امر ان يطرح فى رجليه قيدين ففعلوا به ذلك ووكل به جماعة من الرجال فقال عقبة لعنه الله لقد كنت فى غنى عن وصف هذا الاسود وإن جرى لسانى كان سببا لسلامة أبو محمد البطال حتى لايقتل فى الحال ولا بد للملك ما يطاول الامر بهذا الميشوم حتى يبرز إلى عبد الوهاب فى موقف الحرب والطعان ويأخذه أسير ويغدر به هذا الشيطان ومالى إن أقتله فى بعض الليالى ثم أقبل على الملك وقال له يامولاى أرسل خلف البطليموس حتى يحضر ويرى الامير فى السلاسل والاغلال فانى كنت أصف له عجائبه وأفعاله وغرائبه فعند ذلك أرسل الملك البطليموس فوجد الدنيا منه بلقع ولا له خبر يسمع فرجعوا إلى الملك أخبروه أنه قد عدم فقال عقبة ماسرقه وحق المسيح إلا أبو محمد البطال العيار قبل ان يدخل عليك وماقصد مكان البطليموس إلا فى طلبى وانه لما فقدنى سرق الملك البطليموس وسار به فلما سمع الملك ذلك من اللعين عقبة أقبل على أبو محمد وقال له بحق دينك هل عندك من الملك البطليموس خبر فقال الأمير أبو محمد قد طرحته مع واحد من غلمانى فأرسل اثنين او ثلاثة يأتوك به وما ينطق ابو محمد بهذا الكلام إلا من فزعه من القتل فقال ايها الشيخ النجيح قم وخذ معك من غلمانى ما اردت فقال يامولاى ارسل من اردت غيرى فانى ما احسن اسير فى الليل والقصد منك أن ترسل فى هذا الامر غيرى فأنا اعلم ان هذا الملعون له حيلة لاتهتدى الجن اليها وإن انا خرجت لاآمن ان يكون له كمين لانه ما اتى من بلاد الإسلام الا فى جماعة من غلمانه ولو اخذنى الليلة ما كنت لقيت خير لأنهم ما كانوا يبقوا على ويضربونى الضرب الوجيع وما بقى لى حيل يقوى على الضرب (قال الراوى) فضحك الملك على قوله وقال ايها الشيخ النجيح لقد وقع فى قلبك من هؤلاء امر عظيم انه ارسل واحد مقدم مع جماعة من اصحابه فى طلب البطليموس وكان الأمير ابو محمد قد قال لهم ذلك على سبيل الحيلة على عقبة لعل بعض غلمانه يلقاه فيضربه للضرب الوجيع ويكون سببا لخلاصة فمضوا الغلمان يخبروا انهم ماوجدوا هناك احد فعظم ذلك على الملك وقال لأبو محمد وحق المسيح لئن لم يأتينى الملك البطليموس فى هذه الليلة لأقطعنك قطعا وابضعنك بضعا واصلبنك فى هذه فبقى حائر لا يدرى مايجيب عن نفسه وكان من الأمر المقدر ان غلمان الأمير ابو محمد لما اخذوا الملك قعدوا متباعدين عن العسكر ينتظرون الأمير فأبطأ عليهم خبره فقال لهم لو اق

كونوا فى أماكنكم حتى أعود إليكم ثم انه دخل العسكر يسمع الخبر وتوصل إلى خيمة الملك فنظر إلى سيده وهو فى أسوأ حال وعقبة يشتمه ويسبه ويبزق فى وجهه فسمع كلام الملك وكيف أقسم ان لم يرجع البطليموس والا قتل أبو محمد فلما سمع لؤلؤ ذلك فزع ورجع إلى أصحابه وأعلمهم ان أبا محمد قد أسر فعظم ذلك عليهم وقالوا فى مثل هذا الوقت يؤخذ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فكيف تصنع فقال لؤلؤ أننى عولت ان أطلق البطليموس وقال له بالافرنجية سير إلى الملك الاكبر ونحن فما كان قصدنا إلا أخذ الرجلين أما ملك أفرنجية أو عقبة الذى تسمونه الشيخ النجيح وأما أنت فما نعرفك ولا بيننا وبينك مطالبة فان أطلقت لناصاحبنا فكان خيرا وان أسأت إليه أو أمكنت أحدا من ضربه فوحق ديننا ماينالك منا خير وان فعلت معه غير ذلك نأخذ ولو كنت تحت أطباق الثرا وندعك عبرة لمن يرى (قال) فلما سمع البطليموس كلامهم قال لهم وحق المسيح لابدما أطلبه من الملك وان طلب أحدا منهم أن يضربه فما أمكنه من ذلك ولا يصل إليه أذية وان وهبه لى الملك أنا أطلقه لوقته وساعته وأمن عليه بمهجته لانكم قد صنعتم معى الليلة جميل كبير (قال الراوى) وماصدق البطليموس ان يخلص من غلمان البطال فدخل العسكر وهو عادم العقل كانه المجنون إلى أن وصل إلى خيمة الملك الاكبر ودخل عليه فلما نظر إلى الملك البطليموس وثب له قائما وهناه بالسلامة وسأله عن حاله فصلب على وجهه فقال الملك الاكبر لقد سلمت أنا الليلة أن أقال أقبر لانى قد وقعت فى مخاليب عدة نفر وما صدقت الاوانى سالم وقد حصلت عندك لان القوم أخذونى وقد أطلقونى من غير ان أسألهم فى ذلك فقال الملك وحق المسيح ما كان لهم عندى من يسمع كلامى الا أبو محمد البطال ان لم يأتى الملك البطليموس وإلا قتلتك والآن احفظوا نفوسكم من هؤلاء القوم فانهم ـ ولكم واما عقبة فانه لما سمع ذلك وصح عنده طار عقله وخفق قلبه خوفا وفزعا وقال أيها الملك وحق المسيح ما مطلوب إلا أنا وما بقيت أنا اخرج من عندك فقال له طب نفسا وقر عينا فانك لو طلبوك أهل الارض لما قدروا عليك وأنت عندى فقال الآن طاب قلبى (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح عول الملك على الرحيل وأمر الناس بالركوب فارتجت الارض فى الطول والعرض من كثرة الخلائق وان الامير عبد الوهاب ينتظر قدوم الأمير أبو محمد فهو كذلك اذاقبل عليه جوهر فقال له ماوراءك ياجوهر فقال يامولاى أمر عظيم وخطب جسيم أخبرك ان الامير أبو محمد أسير وأخاف من الملعون واما هذا العسكر فانه ثلثمائة ألف فارس ويتبعهم مثلهم فلما سمع الامير ذلك عظم عليه وكبر لديه وأمر الناس بالرحيل قال له جوهر ان كنت معول على قتال القوم فاكن لهم

خلف هذه الروابى فكأنك بعساكر الروم قد أقبلت وجيش الملك الأكبر قد وصلت فلما سمع الأمير ذلك قال نعم ما رأيت يا جوهر ثم أنه قسم ألف فارس فى ثلاث مواضع (قال الراوى) يا سادة يا كرام وما كانت إلا ساعة حتى وصلت الكتائب والخيول والجنائب وامتلأت الدنيا بالعساكر هنالك خرج عليهم الأمير من ثلاث مكامن ونادى الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر قال وخرجت الكمناء وارتفع الصياح وجردت الصفاح ونظرت المشركين وهم فى ثلثمائة ألف فارس إلى عسكر الأمير عبدالوهاب وهو فى ألف فارس فطمعوا المشركين فى المؤمنين وحملوا عليهم وعمل الحسام وفلق الهام قال ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن انسدل الظلام وانفضوا بعضهم من بعض ونزلوا فى تلك الأرض وقد قاتل الأمير والأميرة وسيف الحنيفية فى ذلك اليوم قتالا عظيما وكذلك باقى بنى كلاب ولم يبق منهم أحد إلا وبذل فى القتال جهده وأظهر ما عنده وقتل من المشركين ثلاثة آلاف وأربعمائة وعشرين ونزل الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحاب وتفرقت من حوله الرجال والأبطال من كل جانب ومكان ووقع كل واحد مثل العقيق من كثرة التعب والنكول وما لقوا فى يومهم من معترك القتال فقال الأمير عبدالوهاب لأصحابه من يتولى منكم فى هذه الليلة الحراس فانى لا آمن عليكم منهم وما يحرسهم إلا عقبة لعنه الله (قال الراوى) فوثب الملك الكندفرون وقال أيها الأمير أنا أدور الليلة أنا وعشرة من أصحابى لأنى قد سهرت زمانا طويلا فى غير طاعة الله عز وجل وكنت كافرا بربى والآن فان الله تعالى قد هدانى للإسلام وقد نافقت على من كفر من سائر الأنام وأريد أن أسهر الليلة فى طاعة رب العباد ومحيى العظام قال فتعجب الأمير من قوله وقال سبحان الله العظيم الفتاح الذى لا يخيب من دعاه ولا يبعد من رجاه ولا يضل من هداه وباتوا الناس تلك الليلة على ما هم عليه من القلق والحرق لأن عدوهم غير قليل وهو كثير والجمع من حولهم غزير إلى أن برق ضياء الفجر وجردت الصفاح ولعبت الخيل فى البطاح واشتاقت إلى الحرب الأرواح وأن الأمير عبدالوهاب عبى أصحابه ميمنه وميسره وقلب وجناحين فجعل فى الميمنه الأميرة ذات الهمة وفى الميسرة سيف الحنيفية وفى القلب أبو الهزاهز وفى الجناح الأيمن قشعم وفى الجناح الأيسر قراقد وسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر فلما نظر الملك الأكبر بن القلمندر ونظر إلى الأمير عبد الوهاب أعجبه ذلك من صنعته وصلب على وجهه وقال هذا الرجل فى هذه العصابة اليسيرة يريد أن يلقى روحه إلى هذا العسكر العظيم أن هذا لغاية الجهل ونقص فى العقل وأنه أمر أن تصف العساكر ست صفوف كل صف خمسين ألف فارس ثم أنه عباهم ميمنه

وميسره وقلب وجناحين ثم انه ركب جواد من الخيل شديد القوى والحيل بازل صحيح كامل جامع الاصاف صحيح الانعطاف سليم الاطراف قوى العصب ذيال الذنب كريم النسب من أجود خيل العرب مليح الصورة حسن الخطوه مدور الكفل قليل العيب والزال كما فيه الشاعر حيث قال

وأدهم يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه الثريا

إذا لاح الصباح تراه ليل وتطوى دونه الافلاك طيا

(قال الراوى) وعليه سرج من العزعر فوقه سجاف ذهب أحمر وهو مرصع بالدر والجوهر والملك من فوقه كانه عامود بولاد على الارض مسمر وعليه درع داودى ومن فوقه ثوب ديباج رومى ملكى والصليب على صدره ووجهه مغضب ومعه قنطارية خلنجية وسيف هندى ثم أقبل على القاضى عقبة والبطليموس وسائر وجوه دولته وقال لهم لقد عولت على اننى أبارزهم فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وحق المسيح ما أقاتل الا التسعة فى مرة واحدة فقال له عقبة لا يامولاى لاتهمل أمرهم ولا تعز نفسك معهم والرأى عندى ان تأمر العساكر أن يحملوا عليهم فقال الملك وحق المسيح لابد ما أبرز إليهم فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب ونظر الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب من بنى كلاب وأشار بيده إليهم وقد صلب على وجهه ونادى برفيع من صوته يامعاشر المسلمين وأبطال الموحدين من عرفنى فقدا كتفى شرى ومن لم يعرفنى أنا اعرفه بنفسى أنا الملك الاكبر سقسطاس بن القلقندر وقد عولت على قتالكم بشرط أن لا يبقى منكم مسلم الا ويخرج إلى وتحملون بحملتكم على فوحق المسيح لابد ما أطعم لحومكم للنسور ويبقى حديثنا على ممر الدهور قال فلما سمع الامير عبد الوهاب كلامه سال عنه جوهر غلام البطال فقال له يامولاى هذا هو الملك الذى لهم وهو عندهم موصوف بالشجاعة والبراعة فعندها خرج الأمير عبد الوهاب وقال الحمد لله على ذلك فان أخذت الملك خلص الامير أبو محمد البطال وبلغنا كلما نريد ان شاء الله تعالى ثم إنه عزم على الخروج فقالت الأميره ذات الهمه يابنى أناله فقال أبو الهزاهز أناله فقال سيف الحنيفية أناله فقال قراقد أناله لان الملك الكندفرون وصف لى من شجاعته وقوته وشدته مالا يوصف قط بمثله وقد بلغنى أنه يضرب خصمه بالصخرة التى لا تشيلها عشر رجال فيقتله وان كان فى منشئى كان صفتى ان احمل الجمل وامشى به فى ساحة الحرب وموقف الطعن والضرب وكان لى صخرة كبيرة أقاتل بها وقد عولت على الخروج إلى هذا فان قاتلنى بالصخرة على وجه الارض فأنا اريكم العجب

فقال له الأمير عبد الوهاب إذا كان ولا بد لك من الخروج فعجل (قال الراوى) فلما ان أراد ان يخرج إليه الامير قراقد خرج إليه الكندفرون من غير مشاورة ولا محاورة وذلك من شدة شوقه الى الجهاد والقتال والطاعة فى مرضاة رب العباد راغب فى ثواب يوم الميعاد وكان قد خرج على جواد بياض الشعرة مليح الخطرة طويل الوقرة بين عينيه غرة كانها كوكب الزهرة يلحق الغزال بوثبته والارنب فى خطرته والنعام فى فى همزته تحير العقول من حسن خلقته ويفوت عند سباقه وخطوته ويروع القلوب بصهلته ويخسف الارض من شدته وعليه صدرية زرد مضاعفة العدد كانها عيون الجرد لا يعمل فيها الصارم المهند وهى أمان من الدروع اللامعة وللموت دافعة ومن فوقها ثوب ديباج رومى قسطنطونى وفى يده سيف صقيل (قال الراوى) وإنه حمل على الملك الأكبر سقسطاس بن القلنفدر وقوم القنطارية اليه وقال له بالافرنجية دونك يا ملعون والقتال فلما نظر اليه ملك أفرنجة صلب على وجهه وقال له ويلك لقد طردك المسيح كيف تركت دين الآباء والاجداد فقال الكندفرون ويلك ياملعون علمت أن الله واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولد رفع السماء بغير عمد ودحى الارض على ماء جمد وأرسى الجبال بغير سند وأحصى كل شيء عدد فالق الحب والنوى فعال لما يشاء دونك والقتال ودع عنك مقالة الجهال قال فلما سمع ملك إفرنجة ذلك الكلام غضب وحمل على الكندفرون وتطاعنا طعنا شديداً ماعليه من مزيد يشيب لهوله الطفل الوليد وطالع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار واعتمدوا على ضرب البتار (قال الراوى) ثم إنه حمل عليه وضايقه ولاصقه وضرب الكندفرون ضربة واصلة قطع بها الطارقة ثم انه مسك بجلباب درعه بشدة حيله اقتلعه من سرجه وحمله الى قومه فأخذوه منه وجعلوا الافرنج يضربون وجهه ويبصقون عليه وعقبة يقول له يا غدار لقد طردك المسيح عن بابه وعدل بك عن ملته وشريعته وضربك بسيف همته (قال الراوى) هذا والامير عبد الوهاب عظم عليه وضرب بيد على يد وقال أقسم بالله لو أسر بعض أولادى لسهل على من أسر هذا الملك وانى أخاف عليه من الافرنج أن يقتلوه فقالت الاميرة ذات الهمة ياولدى إن الله عز وجل قال فى كتابه العزيز أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة والآن انظروا من يخرج الى هذا الشيطان فعندها قال قراقد وحق من لا تراه العيون لا اخرج إليه أحدا غيرى ثم انه خرج وهو على جواد أشقر عالى مضمر وعليه درع اسفر قردر من ذهب احمر ومن فوقه ثوب ديباج أخضر وفى يده صارم ذكر فحمل عليه وهو يقول هذه الابيات

لقد طال شوقى نحو قرقود حسرة | وشوقا ولكن ما إليه طريق
فدونك يا علج العلوج قراقد | لتنظر منه ضيغم وشدوق
سأضرب هامات لكم بمهند | صقيل يقد الهام وهو رقيق
وانصر دين الهاشمى محمد | نبى الهدى المختار وهو حقيق

(قال الراوى) فلما نظر الملك إلى قراقد وقد خرج اليه رجع الى عسكره وقال على بالشيخ النجيح فلما حضر قال له ابيك ها أنا بين يديك فقال له هذا الفارس الذى قد خرج الى هل هو أمير المسلمين الذى أخرب ديار الملك منويل فقال لا يا مولاى هذا فارس لا يطاق علقم مر المذاق يقال له قراقد المصرى وأما الامير عبد الوهاب فانه ما يخرج اليك هذا الوقت ولكن ابدأ أنت بهذا الفارس الذى بين يديك (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال وحق المسيح ما أبرز لهذا إلا إن كان معروف فى الناس بالشدة والباس ثم انه أقبل على قومه وقال من يخرج إلى هذا الفارس فما فما استتم كلامه حتى خرج اليه فارس من الافرنج طويل رجلاه تخط فى الارض وهو راكب على جواد أبرش قليل الدهش صبور على الجوع والعطش واسع المناخر مليح النواظر يسبق بجريانه الطير وهو كما قال فيه

وأبرش لونه لون نجيب | كان بياضه لون الثريا
يفوق الطرف حيث يطوى | وتطوى دونه الأفلاك طيا

(قال الراوى) وعليه ثوب ديباج من فوقه درع ليس له نظير وفى وسطه زنار ابريسم برهانه ذهب وفى يده صارم وقد سقى بالغضب كانه شعلة لهب لو مشيت عليه نمله لحفيت أو وقع على عامود قسمه ورماه قطعتين وكان اسم هذا الفارس غطرغيس ابن جرجيس وكان فارس لا يطاق علقم مر المذاق ثم انه حمل على الامير قراقد وحمل قراقد عليه وتقاربا وتضاربا وتعاركا وتشابكا وتلاحما وتلاصقا واصطدما وافترقا حتى تطاولت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق واختلف بينهما ضربتان كان السابق الامير قراقد فوقعت الضربة على رأس البطريق كانها حجر المنجنيق فنزلت على مفرقه حتى سحبت إلى سرته فخرجت أمعاءه وعلائقه فوقع الملعون وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وكبر الامير قراقد وجال وصال وترنم بهذا الشعر وقال :

تزود منى ضربة فتركته | بها هاويا مابين قفر وفرقد
فذاك لأجل الهاشمى محمد | ونصر لدين الهاشمى محمد
فمن كان يرجو اليوم حربى فانه | سيلقى حماما من همام موحد

(قال الراوى) ثم سأل البراز وطلب الانجاز فبرز إليه فارس غائص فى حلق الحديد بسيف هندى ودرع داودى وبيضة عادية وجواد عربى وقوس تركى وقنطارية خلنجية بسنان أفرنجى وحمل على الامير قراقد وطعنه طعنة واصلة حتى إذا وصلت إلى قراقد لاقاها بترسه وقبض عليها من تحت السنان وهمز عليه طير السنان بثلاثة أكعب من القنطارية ثم أن قراقد زاوغه ساعة وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ونفضه على الارض ألقاه عليها جديلا ثم أنه صال على شكره وجال وأنشد وقال

إذا ما نصرنا ديننا بصوارم ... لها فى رقاب الكافرين طنين
بلغنا المنا لما سقينا سيوفنا ... نجيع من الاعداء وهو مهين
وقد علم الرحمن أنى موله ... على ولدى قرقود وهو حزين
وقد كنت أبكى والتفرق ساعة ... فكيف وقد صار الفراق سنين
فدونكو حربى ستلقوا صميدعا ... يجول عليكم والإله معين

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره برز إليه فارس طويل القامة مدور الهامة كأنه برج من الابراج وطلب البراز فبرزت إليه ذات الهمة وجادلته وانعقد عليهما الغبار وغابا عن الابصار وعظم النقع واشتد الوقع وحمى الوطيس وسكرت الرجال من الحرب مثل سكر الخمر وضاق الامر وعظم الكرب فبينما هم كذلك إذ خرج حصان غائر فلم يعرفوا الناس ذلك الحصان ولا من هو صاحبه فى الميدان فتطاولت الاعناق من الفريقين وشخصت الاحداق من الطائفتين وكل منهم يقول النصر لأصحابنا والظفر لأحبابنا فبينما الناس على ذلك وإذا بفارس قد خرج من تحت الغبار ومعه فارس أسير وهو فى يده مثل الطفل الصغير وهو يقوده ذليل حقير وإذا بالفارس الأميرة ذات الهمة وقد أسرت خصمها فلما رآها عقبة وعرفها صلب على وجهه وقال والله هذه مخربة الديور وإذا بالصراخ قد علا والصياح قد نما وقد خرج جواد آخر ثانى يقوده آخر وإذا به الأمير قراقد رابط خصمه على جواده وهو ينشد ويقول

أنا الذى تعرفنى القبائل ... بأننى يوم الوغى مناصل
لأرهب الجموع والجحائل ... والله ربى ما له مشاكل

(قال الراوى) ثم خرج من بعده برد ابن الازهر وخصمه معه أسير وخرج من بعده أبو الهزاهز وخصمه معه عاجز وخرج بعده سيف الحنيفية وما معه غير جواد خصمه وإذا به قد ضربه على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه (قال الراوى) وارتفع الصياح من المسلمين وكبروا أبطال الموحدين ولقد حدثنى راوى هذه السيرة فى يوم الجمعة الثالث من شهر جمادى الآخر سنة مائة وتسعين أنه قال لى لقد

رأيت الفارسين وهما عبد الوهاب وملك افرنجه لما برز كل واحد منهما إلى صاحبه وتلاقيا وتضاربا بالرماح ونادى كل واحد منهما إلى صاحبه لا براح ولم يبق فى أيديهما ما يتضاربون به فتتابعا على الخيل وتعاركا عليهما حتى وقعت الجوادين من تحتهما من شدة عراكهما ونزلا إلى الأرض وهما متقابضان ولم يزل الملعون يعارك الأمير عبد الوهاب حتى قرب من الحجارة فنفض الأمير من يده وقصد بيده الحجارة وكان الأمير قد سمع بحديث الحجارة فوثب إلى حجر آخر ثقل الحجر الذى شاله عدو الله مرتين وتقاتلا الاثنين بالحجرين وتصايحا الرجلين وزحف الشجاعين ورفع كل منهما ساعده بقوة ذراعه وقد ارتفع الصياح من الفريقين والصراخ من الاثنين ورجفت أفئدة الاثنين بين العسكرين وأيقنت المسلمين والمشركين أن الاثنين هالكين وتراموا بالحجرين فكان أول من رما بالحجر الأمير عبد الوهاب ورما الملك بالحجر الثانى فى الهوى فسمعوا الهادوى عظيم مثل الرعد القاصف أو الريح العاصف فغلبت قوة ساعد الأمير عبد الوهاب على قوة ساعد الملعون وأن الحجر بتاع الأمير عبد الوهاب خرج فى الاول فكان مثل حجر المنجنيق فرد حجر الملعون بقوة الله تعالى فى صدره فكسر أضلاعه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فكبر الامير عبد الوهاب وسائر الاصحاب ونظروا الافرنج إلى ملكهم وإلى ما حل به فعظم عليهم وكبر لديهم وصاحوا صوتا واحدا فارتجت الارض فى طولها والعرض لما حملوا من شدة الركض وحملوا أصحاب الملك فكبر الامير وكبرت الاميرة وحملت وكانوا المسلمين على يقظة فحملوا عليهم واختلط الجمعان وتصادم الجيشان وزحف العسكران وانتثرت الرؤس من على الابدان فى حومة الميدان وحامت عليهم العقبان وعملت الصوارم فى الابدان ووقفت الخيل عن الجولان ونفدت الاسنة فى صدور الشجعان وصاحت بالفراق نواعق الغربان وعاود جمعهم إلى خسران وزيادتهم إلى نقصان وهمت جيوش الاسلام إلى نصرة الملك العلام هذا وقد وقف الامير والاميرة والسبعة أمراء فى وجوه عساكر النصرانية بأسرهم ونثروا الكفار نثرا ورجعوهم قصرا وعاد ربحهم فى القتال خسرا وهربوا أهل الشرك قهرا أوردوهم عن المطالب وما منهم أمير إلا وقتل من الروم خمسة وعشرا ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل هذا وقد عظم الغبار وعمل الصارم البتار وجرى الدم مثل جرى الانهار (قال الراوى) وكان فى الافرنج فارس عظيم البأس صعب المراس يقال له الخناس وكان ابن عم الملك الاكبر ابن القلنفدر وكان جبار من الجبابرة وكان يطاول الملك ويؤمل أن يكون له الملك فعندها وقف الخناس كأنه الاسد الغضبان فوقف العسكر لوقوفه وقاتل القتال الشديد وكان جبار عنيد وشيطان مريد وقد

فقتل فى ذلك اليوم من القوم الذين أسلموا من أصحاب الكندفرون عشرة وعجل الله بأرواحهم إلى الجنة وعدو الله كانه الليث العابس وقد دارت عليه الرجال ذات اليمين وذات الشمال فهو كذلك اذ لقيه الامير سيف الحنيفية وتصادما وتقاربا وتباعدا وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت وتطاعنا بالرمحين حتى تقصفت وتعاركا على جواديهما عرك الاديم واحتك الركاب بالركاب ولم يزالوا فى شدة الكر والفر والعراك حتى سقطا عن جواديهما الى الارض فبادر الامير سيف الحنيفية وبرك يده اليمنى فى منطقة اللعين وهزه من سرجه واقتلعه ورفعه حتى بان بياض أبطه وضرب به الارض فأدخل طوله فى العرض وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وهذا جزاء من كفر بالواحد القهار فلما نظرت عساكر الافرنج الى المقدم عليهم والمشار فيهم وقد نزل به ما نزل اندفعوا منهزمين ونصر الله المؤمنين الموحدين على الكافرين الملحدين ورجع الامير عبدالوهاب وجمع الاموال والرجال والخيل والاسلاب وقال لاصحابه سيروا بنا على أعقابها فانا أعلم أنهم يسبقونا إلى مدينة افرنجية ويطلعون على الحصون ويسدون علينا الدروب ولا نقدر على العبور فقالوا هذا هو الصواب لان المشركين عالم عظيم (قال الراوى) وان الامير عبدالوهاب جمع الاموال وعول على الارتحال فقالت له الاميرة ذات الهمة يا بنى اعلم ان ابو محمد كان سبب خلاصنا والا كنا هالكين ولم يقعد عنا فى هذه الديار البعيدة والمواضع الصعبة الشديدة ومعلوم انه قد وقع فى أسر هذا الملعون عقبة وما ندرى ما يكون منه ونخاف من عقبة ان يعجل عليه القتل ويقتله فنكون كاننا ما عملنا شيء فقال الامير عبد الوهاب لعمرى لقد قلتى وبالحق نطقتى ونخاف أيضا على الملك الكندفرون فقالت الاميرة ذات الهمة اعلم يا بنى انى قد عولت على أمر فان كان صواب فامضيه فقال وما هو يا أماه فقالت أنا أريد آخذ غلمان أبو محمد البطال وهو جوهر ويانس وسبك وبديع وأبو الليل وأسير إلى أبو محمد لعل الله سبحانه وتعالى أن يسهل علينا خلاصه فهو القادر على كل شيء ان يجعل خلاصه على يدى فيكون ذلك الذى أفعله معه فى مقابلة فعله معى فقد قال القائل فواحدة بواحدة (قال الراوى) ثم ان الاميرة لبست ثياب بعض الافرنج الذين قتلوا وفعلت غلمان الامير كذلك وسارت وهم من حولها وقالت لعبد الوهاب كن أنت سائر على مهل لان معك نساء وأطفال ورجال واموال وعبيد وجوار وليس لهم نهضة (قال الراوى) وسار الامير عبدالوهاب بمن معه من الاصحاب على مهل وقد تقدمت الاميرة المجاهدة رضى الله عنها ومعها غلمان الامير أبو محمد وقد جدت فى سيرها فهذا جرى منها (وأما ما كان) من أمر العساكر الذى انهزمت فانهم ساروا ليلا ونهارا حتى وصلوا الى مدينة افرنجه وخرجا اليهم أهلها فوقع حينئذ البكاء والصياح والعديد

والنواح وكان قد قتل منهم أزيد من مائة ألف ووقع البكاء فى المدينة من كل جانب ومكان وقالوا الناس فى البلد كم لقيتم عدوكم حتى فعل بكم هذه الفعال وانهزمتم من بين أيديهم وعليكم آثار الانكسار وقد قتل الملك الأكبر الذى ماله فى الدنيا نظير وذهبوا أهله وأولاده واخوته والملك الخناس وقد أحاط بكم الذل والباس فقالوا ما لقينا إلا ألف فارس مع الملك الكندفرون وقد أسرناه ومعنا أبو محمد البطال لص المسلمين وهو أمير من أمراء الموحدين فلما سمع عقبة ذلك قال لهم اعلموا أن القوم معذورين لأن الملك الكندفرون كان الاسلام كله وهم تسع فوارس يريد كل واحد منهم لرأسه أهل مدينة افرنجه لاسيما عبد الوهاب وأمه وأبو الهزاهز وسيف الحنيفية وهذا الشيطان قراقدثم ان عقبه أمرهم أن يأخذوا أهبة القتال وقال لهم لابد أن يأتوكم وما لهم طريق إلا عليكم فاقطعوا الطريق الذى بينكم وبين طريق المسلمين ثم اضربوا رقاب هؤلاء الاثنين الذين عندكم فان ذلك انكسار قلوب المسلمين وابدؤا بهذا الكندفرون لانه كان سببا فى إسلام أصحابه وفعل ما فعل وهو الذى خلص أمير المسلمين من أيدينا بعد ما أشرفنا على قتله وهلاكه وهلاك من معه فعولوا على ذلك وقالوا فى غداة غد نصلبهم وان اللعين عقبه أخذ الأمير أبو محمد اليه وأخذ معه الكندفرون ودخل بهم إلى بعض الدور وكان الملك البطليموس معه فلما انسدل الظلام قال عقبة لغلامه خالد قد شبعت مما أمهل هؤلاء الشياطين مرة بعد أخرى ويخلصوا مرة بعد أخرى وما أقدر أتركهم إلى الصباح فربما يحدث أمر فيعوقنى عما أريد ولا أقدر على قتلهم لان فى ذلك أمر عظيم وعبد الوهاب لا بد له ولاصحابه من المسير ويخلصوهم بلا محاله وهم فى غداة غد يكونوا عندنا وان نزلوا فى غداة غد إلى البلد فما يقتلون أهل أفرنجة أبو محمد والكندفرون وربما ينفك أمر هؤلاء ولا أشفى منهم فؤادى أو يقولون لاهل البلد ما نرحل عنكم إلا بالشيخ عقبة وهؤلاء ما يعرفون قدرى ويعطونى للمسلمين فيقطعونى قطع وما عندى شيأ أرجا من قتل أبو محمد البطال لان لولاه ما كان لعبد الوهاب فلاح ولا نجاح فقال له غلامه خالد وكيف نعمل إذا قتلته وطلبوه أهل أفرنجة فقال عقبة إذا صبح الصباح أهرب الوجهين أحدهما قبل ان يأتى عبد الوهاب والثانى أفوز بقتلهم (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع غلامه ذلك قال له نعم ما رأيت أيها الشيخ المسيح يعينك على ما تريد فى جميع الأمور ويأتيك الفرح والسرور ولا يميتك حتى تملك بلاد الاسلام وسائر الثغور وتجعل الرشيد فى بغداد محصور ففرح عقبة لعنه الله وجاب طعام وأوقد بين يديه شمعة والبطليموس معهم فجعلا يأكلان إلى أن اكتفوا وشربوا من الخمر إلى أن تمايلا

وان عقبة أقبل على الملك البطليموس وقال له يامولاى إنى قدعولت على أمر وأريدك تعيننى عليه ولك فيه الحظ الأوفر لأن المنى هو الظفر وقد قال القائل فى بعض الأمثال السائرة من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى وقد عولت على قتل أبو محمد البطال، لو كان ما هو مقبوض عليه لكان يسرقنى أو يسرقونى غلمانه ويقتلونى والرأى عندى أن تفعل ما أقوله لك فقال البطليموس قل ما شئت فما أخالفك فقال عقبة اعلم أنى قد عولت على قتل البطال الذى هو لص المسلمين وهو رأس كل فتنة ومعدن كل بلية ومعه هذا الشيطان الكندفرون فقال البطليموس أما الكندفرون فأنا أوافق عليه ولى فى قتله أوفى نصيب واما ماذكرت من هذا الشيطان أبو محمد البطال فانه لا يمكننى ذلك لأن أصحابه لما أطلقونى حلفت لهم ورهنت دينى معهم انه إذا أراد به أحدا سوء لا أمكنه من ذلك وأنت والبترك الكبير تقولون انا لا نخون فى قولنا ولا نكذب إذا حلفنا فقال له عقبة وقد صعب عليه قم إلى فراشك ونام وأنا أقتل الاثنين وما يقع فى يمينك حال من الأحوال مع أنه ماعليك فى ذلك شىء ونحن مانوصيك بالوفا الا على أهل دين النصرانية فلما سمع ذلك من كلام عقبة قال له ايها الشيخ لا تطمع نفسك فى شىء من هذا فانك لا تصل اليه ولا تقدر عليه فانى لا أمكنك ويبقى دينى مرهون عند غلمانه وأنا أرى فى مخالفتى أوفا من قتلك فلما سمع عقبه ذلك فقال هذه نوبة عظيمة وان انت ماتأمرنى بهذا الامر أنا الا أتعرض إلى أحد منهم فقم إلى فراشك وارحمنا من هذا الصدام فقال البطليموس مالى الى النوم من سبيل واخاف ان تقتله وأنا نائم فقال عقبة وحق الانجيل ومن تلاه والصليب ومن علاه ما فعل شيأ من ذلك وهذه ذمتى على ذلك مرهونة عندك (ياسادة) فلما سمع البطليموس وهو من عقبة ذلك الكلام طمأن قلبه ولم يعلم ان هذا الشيخ الملعون انه يحلف بكل يمين انه ما يفعل هذا الشىء ويفعله قال ولم يزل الملعون يلاطفه البطليموس وهو يقول له ياشيخ إياك ان تغدر بالقول فانى اعطيتهم شعره من لحيتى وهو الزمام الاكبر (قال الراوى) ولقد بلغنى انهم اذا اعطوا الانسان الزمام يعطوه شعرة من لحيتهم ومن رؤسهم فلا ينكثون به ابدا والى يومنا هذا هم على ذلك واما عقبة لعنه الله فانه ترك الملك حتى نام وغرق فى نومه وقال لغلامه ياخالد امضى بنا حتى نقتل البطال والكندفرون ونقتل هذا الملك البطليموس على ان ماقصدى إلا قتل المسلمين فقال له غلامه خالد يا مولاى لا تقتل من هو على دين النصرانية فقال له ما مرادى أن لا أقتل المسلمين وحدهم وإنما قصدى قتل النصارى والمسلمين أجمعين ودع يكون من دماء الجميع ان كانوا نصارى

أو مسلمين ثم أشهر سكينا كانت معه ماضية ووثب وقام على صدر البطليموس ووضع السكين على نحره فتحرك فلم تقطع السكين غير الجلد الفوقانى ولما أن تحرك زلفت السكين وقد حس بها فثار كأنه الجمل الهايج ومسك على يد عقبة لعنه الله وقد انقطع قلبه ونزل البول فى سراويله وظن أن السكين قد عمل معه فجعل عقبة يعارك الملك وظن أنه مقتول لا محالة فصاح بغلامه خالد وقال له يا ولد الزنا دونك وهذا الكلب فشال السيف ووثب ثم انه هم أن يحط الضربة على البطليموس وإذا بزعقة قد أخذته وتبع الزعقة ضربة فوقعت فى يده التى فيها السيف طيرتها من المرفق وجاءته ضربة ثانية وقائلا يقول خذ هذه الضربة فهى تغنيك النكبة ومابقى بينك وبين عقبة معاشرة ولا صحبة فأنا الأميرة ذات الهمة فوقعت الضربة على رأسه نزل السيف إلى سرته ودنت من عقبة لعنه الله فعلم انها تنصر عليه وكان الملك البطليموس قد استرخت يديه وظن أن عقبة قطع بالسكين وريديه فسيب عقبة من يده وقد ضعفت قوته وحيله وأن ذات الهمة صاحت به ويلك يا كلب النصرانية أين تهرب فقد أتاك الموت الأحمر وهمت أن تضربه فصاح بها أين الذى عاهدتم به نبيكم انكم تصلبونى على باب الذهب فان قتلتيني فيكون ابنك قد كذب على نبى العرب وقال له فى المنام ذلك فأمسكت الأميرة عنه وقالت له لعنك الله فما أخبرك بالمكر فلما نظر البطليموس إلى ذلك افتكر فى نفسه وقال ما هؤلاء المسلمين إلا على الحقيقة ولو لم يكن ذلك لما كانوا ينصرون على تلك الجموع وهم فى هذه القلة ثم انفتح فى وجهه باب الهداية وعنى به الحق أوفى عناية فطار منه الشرك والغواية ونشر على رأسه من الفلاح رايه ونادى وقال أيتها الأميره أعجبى من هذه الصناعة ومن ربح البضاعه فانى كنت كافر فى هذه الساعة حتى انفتح فى وجهى أقفال الايمان وانغلق عنى باب الخذلان وما كنت أعماه من دين الصلبان وعوتب القسوس والرهبان ونادى منادى من قبل الرحمن قم فقد عفونا عنك أيها الانسان قم الآن وخالف الشيطان فقد أوضحنا لك البيان وشريعة الايمان كما أبعدنا عن بابنا هذا الملعون عقبة أهل الشرك والعصيان والكفر والطغيان كما طرد إبليس من الجنان فهو يغوى بكل من أراد الرحمن به الخذلان وناديناه بكلام العزيز المنان إن عبادى ليس لك عليهم سلطان فأفق من سنة الغفلة والنوم وامتثل شريعة محمد تنجو من حرارات النيران فعندها صاح الملك البطليموس أيتها الأميرة المجاهدة أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فلما سمع عقبة ذلك قال يابطليموس ما ألومك على هذا الامر لان الانس والجن تفزع

من هؤلاء القوم ثم أن الأميرة قالت لعقبة أريد الساعة أبو محمد والملك الكندفرون فقال ماعندى منهم خبر فعندها صاح البطليموس أيتها الأميره أنا أدلكم عليهم ثم أنه أتى بها إلى سرب هناك فأنزلها فيه وإذا بالبطال مكتوف فانكبت الأميره عليه تقبل رأسه ويديه وحلته من وثاقه وقالت له قم ياأبا محمد فهذه الفعلة بتلك الفعله ولك على زياده كنت أدور ثم أنه سألها عن الأمير فقالت لهقد تركته قدقرب لو من البلد ثم أنها حلت الملك الكندفرون من وثاقة وشدواعقبة كتاف وأوثقوا منه الاطراف وسلمته الاميره إلى لؤلؤ لانها كانت قد لقيته فى الطريق ودخل معها البلد وكان السبب فى وصول ذات الهمه إليهم انها لما انهزمت المشركين أخذت معها غلمان البطال كما ذكرنا ولحقت بالمنهزمين فدخلت معهم البلد ولم تزل تدور فيه إلى أن أمسى المساء فهى كذلك وإذا بالخونجات على رؤس الغلمان قاصدين بها إلى دار عقبة والبطليموس فاختلطت هى وغلمان البطال بهم وسارت معهم إلى أن دخلوا الدار فلم ينكر عليهم أحد فلما حطوا الطعام وعادوا خرجوا أكمنت الأميره الى ان أكل عقبة والبطليموس وشربوا وجرى ما جرى ولا فائدة فى الإعادة ه وان الاميره قالت يا لؤلؤ الصواب انك تأخذ شيخ الضلالة وتخرج أنت وأبو محمد إلى ظاهر البلد فأنا ما أبرح من هذا المكان حتى أفتح هذه المدينة إن شاء الله فقال البطليموس الصواب انكم تفعلوا ما قلتم ثم أخذ أبو محمد الكندفرون وخرج به من القصر إلى المدينة فلم يجدوا باب مفتوح إلا باب الميناء فقصدوا إليه ودخلوا منه ولم ينكر عليهم أحد فلما خرجوا إلى ظاهر البلد وجدوا لؤلؤ وجوهر وعقبة معهم محمل على أكتاف لؤلؤ كانه رزمة قماش هذا جرى ههنا (وأما البطليموس) فانه أقام عند الأميره من خوفه عليها لأنه دخل الاسلام فى سره ولبه فلما وقف مع الاميره قالت له اعلم أيها الملك ان ولدى يصل فى غداة غد إلى البلد بلا محاله ولابد من أهل البلد ماينا صلوه بالقتال ويمنعوه الطريق فلا يقدر على العبور ونكون نحن فى هذه البلد وأخرجهم منه بقائم سيفى فلما سمع البطليموس ذلك من كلامها عظمت فى عينه وقال فى نفسه ماهؤلاء القوم من بنى آدم واحده منهم وهى ضلع أعوج تحدث نفسها وهى تملك البلد ان هذا أمر عظيم ولكن قد كسروا عسكرى وهم عالم عظيم وكسروا عسكر افرنجه بالامس وهذا أمر سماوى لان الله تعالى اذا عنا بالعبد نجاه من الاسواء ودفع عنه شر الاعداء وان الاميرة أقبلت عليه وقالت له ياملك اذا أصبح الصباح لابد لاهل البلد ما يأتون ويطلبون عقبة والملك الكندفرون وأبو محمد البطال فقل لهم ان البطال قد هرب وقد طلب ذبحنى فلما رأى الدم قد ساح على

ثيابى ظن من فزعه إنه ذبحنى ونجا فاذاسمعوا ذلك فلم يصدقوك وهل تعرف من أخذ التقدمة على العسكر فقال نعم لقد تقدم عليهم رجل يقال له قسطورس وهو ابن الملك الذى لهذه المدينة كان فى قديم الزمان وأباه وأجداده فقالت الأميره أيها الملك فهل عنده شىء من الشجاعة فقال لها سمعت عنه أنه يضع يده على قرن الجاموس فيقلعه من موضعه فقالت الأميره ياملك عد إلى موضعك وبقية ليلتك حتى يصبح نام الصباح وأقول لك ما تفعل (قال الراوى) فقام البطليموس نام باقى ليلته وهو يذكر الله ويسبحه إلى أن برق ضياء الفجر وان الملك قسطورس لما أصبح الصباح ادعى بالغلمان وقال لهم امضوا إلى الشيخ النجيح وأحضروه إلى ومعه هذا الذى يقال له البطال لص المسلمين والمرتد الكندفرون فوحق المسيح لأعذبنه أشد العذاب ليعلم أن هذا الدين لم يكن أحد يشرك به ويحضروا الملك الاطليموس (قال الراوى) فمضوا الغلمان وغابوا ساعة وأقبلوا ولهم صياح وبكاء وجلبه فعظم ذلك على قسطورس وقال لاصحابه ياويلكم ما وراءكم فقالوا أيها الملك ان أبا محمد قد خلص وكذلك الكندفرون والشيخ النجيح قد غطس فى غياهب الدجا وما ندرى فى أى موضع هو وقد وجدنا غلامه مقتول والبطليموس قد سلم من بعد ما ذبح ثم أنهم أحضروا البطليموس فلما نظره الملك عظم عليه وكبر لديه وجعل يبكى على عقبه وعليه وقال له أبشر من المسيح بالكرامة بعدما ظفرت بالسلامه فهل رأيت أحد ممن فعلوا بكم هذه الفعال فقال يا مولاى ما فعل بنا هذا إلا لص المسلمين أبو محمد البطال اللص المحتال وقد خلص وكذلك الكندفرون فلو كنتم من أمس قتلتموه لكان الرأى معكم لو فعلتموه فقال قسطورس والشيخ النجيح هل معك منه خبر فقال يامولاى ما هم إلا أخذوه معهم (قال الراوى) والملك معه فى الكلام إذ سمع الصياح فقال لأصحابه انظروا ما الخبر فصعدوا إلى الأصوار وقد طلعت شمس النهار وإذا بعسكر الأمير عبد الوهاب قد أقبل وهو فى أوائلهم كانه الأسد الغضنفر ومن ورائه الحريم والنسوان وقد أحدق بهم أبو الهزاهز فى مائة من الفرسان فلما أشرفوا على البلد انفرد الأمير فى تسعمائة بطل أمجد عليهم صدور الزرد غايصين فى الحديد حتى إذا قربوا من البلد عظم على أهله ووقعت بهم الخندة وركب الملك قسطورس وخرج فى عالم لا يحصى ولم يبق فى البلد أكثر من ألف فارس ولبست نساؤهم ثياب الرجال وصعدوا على الأصوار كل ذلك خوفا من المسلمين أذا رأوا كثرة العدد وكان العسكر الذى خرج من البلد يزيد على أربعمائة ألف ما بين شيخ وصبى وخرجوا معهم العوام فى طلب المكسب فهذا جرى (وأما ما كان) من حديث

البطال فانه لما كان ظاهر البلد سلم عقبة إلى لؤلؤ وقال له سير فى الظلام على مهلك لئلا تتعب من حمل هذا اللعين فلولا انى أريد ان أسير الى الامير عبد الوهاب لكنت أشتفى بقتله فقال له لؤلؤ على ماذا عولت قال أمضى إلى عبد الوهاب وأسير اليك بعض بنى كلاب يحمل عنك هذا الشيطان وان رأيت إنك تكمن فى بعض الاماكن فان الاميرة ذات الهمة أخبرتنى انه لا يصبح الا والامير عبد الوهاب عندها وقت الصباح فقال له لؤلؤ قد علمت ذلك وسار البطال والملك الكندفرون طالبين الامير عبد الوهاب فلما كان نصف الليل أشرفوا عليه وكان الامير نزل للراحة فوقع الصياح وتاروا اليهم الناس والامير قراقد قال له ابو محمد اهل وسهلا بك يا امير قراقد فقال له يا ابو محمد قد خلصت فقال له نعم قد كشف الله عنى كل سوء يا ابو قرقود وهذا الكندفرون قد خاص فبشر اصحابه واهله فلما سمعوا ذلك تواثبوا اليه وفرحوا الفرح الشديد وبلغ الخبر الى الامير عبد الوهاب فخرج بنفسه اليهم وجعل يضمهم الى صدره ويهنيهم بالسلامه فقالوا له كان سبب خلاصنا الاميرة ذات الهمة واعادوا عليه حديثها ففر الامير بذلك واخبروه باسلام البطليموس وماجرى له مع القاضى عقبة فقال الأمير هل اخذتم عقبة قالوا نعم ايها الامير وهاهو قادم مع لؤلؤ وأما الاميرة ذات الهمة فانها أقامت فى البلد هى وبديع وجوهر وسبك ويانس وأبو الليل والبطليموس وأما عقبة لعنه الله فانه مع لؤلؤ وهو حامله وعلى كاهله وهو خلق وأنى أخاف ان يعبر به عابر طريق من البطارقة ولا بد ما يلق من حمله تعبا شديدا فابصر من يمضى فى هذه الساعة يأتينا بالخبر فوثب بطريق عظيم من أصحاب الكندفرون وقال أنا أمضى فقال له الأمير لله درك وأضاف اليه برد ابن الازهر وأعطاهم بغل فأخذوه وساروا وفرحوا أصحاب الكندفرون بخلاصه واما الامير عبد الوهاب فانه أقبل على اصحابه وقال اعلموا انى خائف على الأميرة فانها أرمت نفسها فى أمر عظيم وما أدرى ما يكون منها وقد خلصت فى أفرنجه وقد علموا اهلها بأن ابو محمد قد هرب والكندفرون واصيبوا فى عقبة لعنه الله ولابد لهم أن يأخذوا من ينكروه فاذا هم اصابوها فربما يقتلوها ثم قال انظروا ماذا ترون من الرأى فقالوا الرحيل إذا اصبح الصباح وأشرفنا على البلد ساعدنا رب العباد والنصر لأهل السداد ثم جعل يقطع الارض ذات الطول والعرض فعند السحر اشرف وقد اشرف قبلهم بردان ابن الازهر ومعه صاحبه وما معهما احد فانكر الامير حالهما وسألهما فقالا ايها الامير مازلنا سائرين حتى وصلنا صور البلد وما رأينا احد وقد رجعنا وما تركنا رابية ولا تل إلا وصعدنا اليه فما رأينا أحد فعظم ذلك على الامير

أبو محمد والأمير عبد الوهاب فقال أبو محمد والله ما بلى عقبة لعنه الله مثل مابى على غلامى لؤلؤ وإننى كنت عولت على قتل عقبة لعنه الله فى هذه المدينة ونستريح منه وإن سلم فى هذه النوبة فما نبلغ مراد فقال الأمير عبد الوهاب والله إن فقدنا لؤلؤ يعز علينا يا أبو محمد فقال أبو محمد ما لها إلا أنا ولا يكشف الخبر غيرى ثم سار أبو محمد يكشف الأخبار فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من لؤلؤ فانه سار ومعه عقبة وهو منه فى هم عظيم فبينما هو سائر إذ لقيه فى الطريق عشرة بطارقة وكان سببهم أن الملك قسطورس أرسلهم من أول النهار يكشفوا الطريق وأن العشرة ساروا ينظرون الأمير هل هو راحل أم لا فساروا حتى أشرفوا على وادى الجراد فرأوا الأمير مقيم وهو على نية الرحيل عند الصباح فرجعوا يخبروا ملكهم ويعلموه بذلك ليأخذوا الأهبة ففى رجوعهم صادفوا عقبة لعنه الله مع لؤلؤ فعرفوه فقبلوا يديه وعانقوه فقال لهم ما لقيتم البطارقة فقالوا ما لقينا أحد ولو لقيناهم كنا أخذناهم فقال لهم وما سبب خروجكم فأخبروه أنهم من جهة الملك قسطورس خرجوا ليكشفوا خبر الأمير عبد الوهاب وأننا كشفنا ورجعنا فقال لهم لقد خاطرتم بأنفسكم فهل ضمن لكم الملك أن يعطيكم شيأ من المال فقالوا لكل واحد مائة دينار وثوب ديباج فقال وحق المسيح ما نصفكم فى مخاطرتكم بأنفسكم بهذا القدر ثم أنه قال لهم فما قولكم فيمن يعطى كل واحد منكم ثوبا وجارية وألف دينار فقالوا له ومن يعطى هذا ويفعل هذه الفعال فقال أنا وحق المسيح أفعل ذلك إن أجبتمونى على ما أقول لكم فقالوا له وما الذى تريد ونحن لك وبين يديك مثل العبيد فقال لهم تحملونى إلى مدينة القسطنطينية إلى عند الملك منويل وأعطيكم هذا الذى قلت لكم عليه ومهما أعطاكم الملك كان لكم زيادة فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا فلم لا تدخل المدينة وتعلم الملك قسطورس قال لهم أنا أعلم أن قسطورس فى غد يأتيه خطاف النفوس ويفتح البلد وأنا أريد أمضى إلى الملك منويل ليجهز العساكر إلى نصرة الملك قسطورس أحب إلينا مما ندخل البلد ويملكنا هذا الاسود فلما سمعوا ذلك من كلامه أجابوا بالسمع والطاعة وأخذوا لؤلؤ معهم أسير وعقبة لعنه الله يعاقبه طول الطريق وجدوا فى سيرهم ليلا ونهارا إلى أن وصلوا إلى القسطنطينية بعد أربعين يوما (قال) وكان وصولهم يوم الأحد ومنويل قد نزل إلى البيعة بيعة سوفيا فى أربعمائة بطريق وقد اجتمعت القسوس والرهبان فصلوا صلاتهم وجلسوا يتفاوضون فى الحديث إلى أن خرجوا إلى حديث عبد الوهاب فقال الملك أما المسيح فقد أراحنا منه ومن أمه فلا قرب المسيح لهم دار ولا أوفاهم مراد ولا أبقا لهم آثار

وجرى حديث البطال فقال الملك لعل المسيح يكون قد أهلكهم جميعا ثم إن الملك تنفس صعدا وأظهر كمدا فقال له البترك أيها الملك ألك قلبا وأنت ملك الملوك الرومية وسيد أهل دين النصرانية وحاجب زنار الدولة المسيحية فقال وحق المسيح ما يطيب قلبي بعد فقد الشيخ النجيح فما أدرى هل هو بالحياه أم لا وما هو إلا قد هلك وإلا ما كانت أخباره تنقطع عنا فاذاهو فى الكلام وإذا بالملعون عقبة قد دخل عليه كأنه الغول فلما أن نظر الملك إليه وقف له قائما على قدميه ثم إنه صلب على وجهه وضمه إلى صدره وقال له مرحبا بالشيخ لقد كنت فى حديثك وأنا آيس منك والآن فما أبالى بأى موتة مت بعد أن جمع المسيح بينى وبينك أين كانت هذه الغيبة فقال عقبة اسمع كلامى واعجل به قبل أن يفوتك الأمر ثم أخلى لى المحل حتى لا يسمع أحد بالخبر فانى لا آمن أن يكون عندك جاسوس يخبر بخبرنا وحديثنا وينقل إلى عدونا وأنا أعلم أن لهم عيونا علينا فلما سمع الملك كلام عقبة صرف كل من كان عنده حاضر ولم يبق غير الملك وعقبة والبترك ومارس فقال الملك الآن ما بقى غريب لحدثنا بحديثك فابتدأ عقبة يحدث الملك منويل بحديث الأمير عبد الوهاب من أوله إلى آخره وما كان من حديث كندفرونيه وقتل البطارقة من أصحاب البطليموس وإسلام الكندفرون فتعجب الملك وقال كنا نعهد أن المسلمين يعبرون ديننا والآن فينا من عاد إلى دينهم فقال له وأسلم الكندفرون ومعه ألف فارس وكسر أهل كندفرونيه وساروا إلى أن وصلوا إلى بلاد أفرنجه وقتلوا الملك الأكبر وجرى عليه حال ما أقدر أصفه وأعاد عليه حالته من أولها إلى آخرها ثم بكا عقبة وأخبر الملك بقتل غلامه خالد فبكا عليه الملك لان له عليه خدم كثيرة فقال عقبة لعنه الله أيها الملك أريد أن تسير العساكر إليهم قبل أن يخرجوا إلى بلاد الإسلام فقال مارس أيها الشيخ النجيح ان الملك عليه عهود وإيمان إن طلع خبر الامير وأصحابه أسرع فى خلاصهم والاسار إليه الرشيد بروحه فقال له عقبة اسكت أنت فما أمر هؤلاء إليك لان الملك إن قتل هؤلاء لا يبالى بالرشيد كان أو لم يكن فقم أيها الملك ولا تفتر عن هذا الامر فتندم حيث لا ينفعك الندم وتبقا عليك حسرة إلى يوم القيامة فعندها أمر الملك الوزير أن يكتب إلى الملوك ويأمرهم بالاجتماع إلى باب الذهب ولم يزل الملك مقيم شهرين وفى أول يوم من الشهر الثالث توجه للمسير فى خمسمائة ألف فارس هذا ما كان من هؤلاء (وأما الحاجب مارس) فانه خلا بأخيه دارس وقال له يا أخى هذه نوبة لا يجب علينا أن نخفيها عن الثغور وأهلها وقد علمنا أن الامراء قد انكشف خبرهم وهم فى قلة وعندهم من عساكر الافرنج ما فيه كفاية

فكيف إذا سار إليهم الملك منويل وهذا الشيخ اللعين ولا تأمن عليهم إذا سارت العساكر فقال دارس هذا هو الصواب ثم كتبوا كتاب إلى ملطيه يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين أما بعد فهذا كتاب إلى سائر المسلمين وأبطال الموحدين أخبرهم أن الأمراء قد كشف الله لنا عن أخبارهم وهم سالمين وعليهم واقية من رب العالمين وقد جرى لهم عجائب فى بلاد الكافرين وقتلوا ملوك الافرنج أجمعين وأسلم ملك الكندفرونيه ومعه ألف بطريق من المعروفين بعد ما ساروا المسلمين ووصل الملعون عقبة لعنه الله إلى عند الملك منويل وأخبره بهذا الحديث وقد طالعنا بهم المسلمين يسيروا إلى خلاصهم أجمعين فقد صاروا فى بلاد الاعادى وساروا الافرنج من ورائهم والملك منويل من قدامهم وقد ساروا هم فى خمسمائة ألف فارس كافرين برب العالمين (قال الراوى) ثم إنه أرسل الكتاب مع غلام من غلمانه وأمره بالمسير وسرعة العودة فلم يكن إلا أيام قلائل حتى وصل إلى ملطيه وكانت الاميره علوى قد لبست السواد ومسحت الدار التى لعبد الوهاب بالقطران وكثر منها النواح وانغم لها الاهل والجيران وهى تبكى فى كل وقت وقد أيست من الامير وقد تفرقت بنى كلاب فمنهم من سار إلى أرض الحجاز ومنهم من قصد إلى أرض الشام ومنهم من أقام عند الامير ضيغم فى آمد مع جماعة السودان وكان الامير عمرو بن عبيد الله وبنو سليم غائبين عن ملطيه لان الرشيد أرسل إليهم يقول إنه قد قتلوا أهل مكة وقد ملك البيت الحرام رجل خارجى من أرض الحجاز وقد منع الخارج وسفك الدماء ونهب الاموال والرجال واستباح ما حرم الله تعالى وقد سيرت إليه عسكر من العراق وبلاد العجم وقد كسرهم وما للعرب إلا للعرب وقد عولت على المسير إليه بروحى فاذا قرأت كتابى هذا فسير إلى حتى تسير تحت ركابى (قال الراوى) فرحل الامير عمرو وهو فى مائة ألف من بنى سليم وأرسل إلى الأمير ضيغم فسار فى جميع بنى كلاب وكانوا قد تفرقوا بعد مسير الامير أبو محمد من آمد وبقاى آمد ميمون الجاس والخمسة آلاف أسود أصحاب قراقد وولده قرقود (قال الراوى) وسار الامير ضيغم إلى الرشيد فى ذلك العسكر ودخل إلى بغداد مع الامير عمرو بن عبيد الله فأخذ الناس البكاء على الأمير عبد الوهاب وجعلوا يتفكرون أيامه البيض وأوقاته الزاهرة وقالوا والله ما يخلف الزمان مثل الامير عبد الوهاب ولا مثل الاميره ذات الهمة ووقع البكاء فى بغداد ولما نظر الرشيد إلى ضيغم وعليه آثار الحزن والانكسار بكا بكاء شديدا وقربه كما كان يقرب أباه وخلع عليه خلعة سنيه فلما نظر الامير ضيغم إلى ذلك بكا وأنشد:

بكيت على والدى بدمع غزير ويحق لى البكاء على الأمير
وتبكيه الرجال بكل أرض وتبكيه النساء من الثغور
لقد كان الأمير لنا عمادا وركنا لا تزعزعه الدهور
يسير إلى الجموع بغير خوف ويحصدروسهم حصد الشعير
سأبكى بعدهم بدموع عينى وأبكى بعده بدم غزير

(قال الراوى) فلما سمعوا الناس شعر الأمير ضيغم بكوا بكاء شديدا وبكا الرشيد وقال والله لو علمت له خبر لكان أول من سار إليه أنا وسافرت نحوه إلى خلاصه ثم قال لضيغم طب نفسا وقر عينا فان محلك عندنا محل عظيم فان الولد مقابلة الوالد وقد مضا الامير لحال سبيله رحمة الله تعالى عليه وعلى الاميرة المجاهدة ذات الهمة ولقد نجع لهم الإسلام ومضوا إلى جنات النعيم عند مليك مقتدر فى محل عظيم ولقد رزينا بالامير عبد الوهاب وبالامير أبو محمد البطال ونحن لا ندرى كيف يكون عليه الحال وأنا على غاية من الهم لأجله وليس أعلم له خبر ولا وقفت له على أثر وبالله إن لهم حديث عجيب يحير فيه العاقل اللبيب ولو كان القاضى عقبة حاضر لكان دبر فى خلاصهم وما هو إلا قد عطب مثل عطبهم وقد دخلت العين فى أحبابنا علينا وتمكنت أيدى الاعداء من أصحابنا ثم أنه بكا وأنشد يقول

لم يبق صاف ولا مصاف ولا معينا ولا معين
واحسرة من فراق قوم كانوا المصابيح للحصون
وألجم المدن والروابى والرفع والخفض والسكون
ولم تبق لنا الليالى قوم فرقتهم المنون

(قال الراوى) فقال الفضل بن الربيع يا مولانا الامراء يقولوا أن الروم قتلوهم وأن القاضى عقبة قتلوه الامراء فما باله قد انقطعت أخباره عنا والله إن الامير أبو محمد قد دبر عليه حيلة أهلكه بها فلما سمع الرشيد كلامه قال دعنا الساعة من هذا الكلام تلك أمة قد خلت والصواب أن نسير إلى الحجاز إلى هذا الخارجى الذى قد ظهر لأننا إن أهملنا أمرنا معه يتولد علينا منه العوارض ونتعب بسببه فانهم يقولوا عنه أنه قد ملك اليمن واستولى على زبيد وعدن وقد قطع السابلة ومنع الحاج وخان السبيل وقطع الطريق واستباح المحارم وقتل النفس التى حرم الله واحتقر بالبيت العتيق وقتل أبطال الحرم والصعاليك من الحرم وقد سارت سراياه إلى أرض صيدان وضربت خيله إلى نحو الغرب وقد قطع الاشباح وأتلف

الأرواح وقد وصل إلى توص ولم يقدر إبراهيم على دفعه ولا استطاع لانه ساز اليه بعساكر مصر والريف والجزائر وبلاد اسكندرية إلى أرض برقة والقيروان فلما سمع الأمير ضيغم ذلك الكلام قال يامولاى وفى كم يكون هذا الخارجى فقال له قد صار فى ثلثمائة ألف فارس من العرب وعشرة آلاف من العبيد (قال الراوى) فهو معه فى الكلام والبراج قد دخل عليه بالطيور المخصوصه بالبطارقة من الكوفة يذكرون أن الخبر قد وصل اليهم من مكة بأن الخارجى معول على الوصول إلى العراق وقد صار فى خمسمائة ألف من العرب وأنه ملك أرض سبأ وبلقيس وقد انضاف اليه العرب الطاعة حرانيه ونياله ولو أراد أن يفتح بهم أرض لما غرب عليهم ذلك وقد قوى عزمه وزاد شره وقد انبسطت يده فى الظلم ويفعل كل فعل قبيح وقد عول على فتح البلاد وملك الأرض وقد حمل اليه إبراهيم بن الخصيب الاموال وصالحه عن البلاد وجعل عليه الخارجى فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار وبعد ذلك فانه صادر أهل مكة وقهرهم وأغنا العرب الذين معه وجعل لهم بيت مضيق وجعل من المال مالا لا يحصى بعدد التراب والحصى وقد قطع سبيل المعروف عن العرب حتى أتوا إلى خدمته واسمه موافق لفعله يعرف بظالم بن الغريب وهو فارس العرب ومبيد الأبطال من بعد منهم ومن اقترب فارس العربان وقاتل الاقران غليظ القلب كثير الحرب شديد الطعن والضرب إذا نزل بلد فقد أحاط بأهلها الكرب فالعجل العجل وقد حشته نفسه بالعراق والضرب بالسيوف الرقاق وقد قام الحرب على ساق (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك عظم عليه وكبر لديه وبكا من الخنق وقال واعبد الوهاب لقد كانت الامة عزيزة وأمورنا به حريزة فقال الامير ضيغم يامولانا هون عليك هذا الامر فأنا بين يديك وقال الأمير عمرو بن عبيد الله سوف ترى يا مولانا العجب ونوقع بهذا الملعون العطب فقال الرشيد ما بقى غير الرحيل فى غداة غد ونادى فى الناس بالرحيل والخروج وفى ثالث يوم كمل العسكر فى خمسمائة ألف فارس وسار بهم الى ارض الكوفة ودخل البرية الى أن وصل إلى غيد او جاءته الاخبار بأن ظالم بن غريب قد نزل على ذات عرق فلما سمع الرشيد ذلك الكلام حمل هما وقال لاصحابه هذا حال جسيم لم يكن فى الحساب والرأى عندى أننا نختاره منزلا من المنازل ذا عشب ومرعى وماء وسهلا وننزل فيه ولا نبرح حتى نسير إلينا الناس ونأخذ الاهبة للقتال ففعلوا ذلك ونزلوا فى أرض فيها ماء ومرعى وافتقدوا العدة والدروع والسلاح والرماح ورجال قوية لهم قوة الخيل

إليهم واستراحوا مما جرى عليهم ليفوقوا بها على الجولان وملاقاة الشجعان فأمر الخليفة الجواسيس أن يقتفوا خبر ظالم بن الغريب وأمر الطلائع أن يدخلوا البرية ويأخذوا الخبر على حقيقته ويقفوا على الامر وجليته حتى لا يصل إلينا فى هـــذه الكتائب الذى اجتمعت معه ويكونوا الناس والدواب قد استراحوا ويكونوا الذين معه فى غاية من التعب ويكون قد ملكنا عليهم الماء فان رجعوا إلى ورائهم هلكوا وإن كانوا بين أيدينا ملكوا (قال) فلما سمعوا هذا الكلام من الرشيد دعوا له وقالوا يامولانا هذا رأى سديد والامر شديد فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الاميره علوى فانها لما وصل كتاب مارس إلى ملطيه وفيه ما قد سبق ذكره من حديث الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب قالت من يسير منكم إلى نجدة الامير عبد الوهاب فقال ميمون الجماس أنا والامير إبراهيم فقالت الاميره علوى وأنا أسير معكم فلما سمع ميمون من الاميره هذا الكلام قال لها مالكى بهذا حاجة فكم لك يا مولاتى مع الامير ابراهيم من بنى سليم قالت عشرة آلاف فارس وفى ملطيه عشرين ألف فارس وهم يكونوا برسم حفظ البلد إلى أن نعود إليهم وأنا أسير مع الامير ابراهيم ونكون فى ثلاثين ألف فارس منها خمسة آلاف سودان قراقد كل واحد يريد لرأسه جيش فلما سمعت ذلك من كلامه قالت له لا تطيل الخطاب فلابد لى ما أسير معكم حتى لا أكون غادره خائنه وأواسى الامير بروحى لانى ما أصبر بعد ما انكشف لى من خبره ولا أقيم فى هذه الديار ولا انسا دخوله خلفى إلى الحصون إلى أن فتحها الله على يده فلا بد ما أسير إليه ولو كنت لا أقدر أفعل فعاله فأكون قد بذلت الجهد فقال لها ميمون اعلمى أيتها الاميره إن المراحل بعيده والسفره طويله شديده وأخاف عليك ينالك التعب فلما سمعت هذا الكلام قالت هذا ما يصلح إلاللحضريات الذين قد تعودوا بالحجاب وأما أنا قد ألفت روائح البر وأكلنا الشيح والقيصوم ونمت فى معاطن الإبل ومرابط الغنم ولا أبالى بتعب ولا أخاف نصب ولا أفزع من العطب ولا خبرتى غير ركوب الخيل فقال لها ميمون الجماس إن كان الامر على ما ذكرتى والحال على ما وصفتى فأنا أبلغك سؤلك ونهاية مأمولك وأقلد ابراهيم أمر العساكر وأسير بين يديه خادم ثم إنه جهز العساكر فكانوا كما ذكرنا ثلاثين ألف فارس وما فيهم إلا كل مدرع ولابس وقد طاب على قلوبهم الموت وسبيل الفوت عند ذكر الامير وقالوا نحب ان أرواحنا تمضى فى سبيل الله ثم إنهم قد عملوا أشغالهم فى ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ســلموا البلد

الأمير محمد بن أبان السلمى ومن معه من بنى سليم وسارت الاميرة علوى والامير إبراهيم وميمون الجماس وهو مقدم على السودان وساروا يقطعون الارض ذات الطول والعرض حتى وصلوا إلى حصن يانس المتغرب فلما أشرفوا على الحصن وعلم يانس بهم فرح بهم فرحا عظيما وهو لابس السواد وعليه لباس الحداد على الامراء وما عنده من الامير خبر ولا وقف له على أثر فأخرج لهم الضيافات والاقامات والعلوفات وعزاهم فى الأمير عبد الوهاب وقال لهم ما سبب دخولكم إلى هذه الديار وإن كان قد شاققوكم بنى سليم أو وقع بينكم وبين السلطان فانزلوا عندى فهذا الحصن حصين ولكم اسوة بى ولى اسوة بكم إلى أن يتوفانا الموت فلما سمعت الاميرة علوى والامير إبراهيم كلامه قالت له الاميرة علوى دعنا من هذا الكلام فجزاك الله عنا خيرا ما سمعت خبر قال سمعت من قصة فقد الامير أن الخليفة قعد له فى العزاء وتقلد من أجله السواد وإلى ما سمعت له خبر ولا لذات الهمة ولا لقراقد ولا لأبو محمد ولا التسعة الذين كانوا معه (قال الراوى) فلما سمع هذا الكلام قالت له ما عن حياته سألتك ولا عن موته فهذا كتاب قد وصل إلينا من مارس بخبر الامراء وأنها رمت الكتاب إليه وأوقفته عليه فلما فهم ما فيه وتبين معانيه هوى إلى الارض ساجدا لله تعالى وحامدا وشاكرا على ما أولاه وقال صدق والله مارس فيما نطق وبالخبر الصحيح أخبر وصدق الآن منويل رحل عن القسطنطونية من مدة شهر طالب بلاد أفرنجة وسألت عن سببه فما أعطانى أحدا خبر والآن إذا كان الأمر على هذا خذوا معكم أربعه آلاف من أصحابى فشكروه على ذلك وأعطاهم مالا جزيلا ورجال وبغال وحمل إليهم أحمال أغلال وزادا كثيرا وكلما يحتاجون إليه فرحلت الاميرة وهى حائرة لا تدرى ما كان من الامير عبد الوهاب وإبراهيم بين يديها ينشد ويقول

ألا يا معشر الابطال سيروا ... إلى نحو الأمير بلا توانى
لعل الله يجمع عن قريب ... لنا شملا ونظفر بالامانى
لقد كان الامير كشوف كرب ... عن الاصحاب فى يوم الطعان
همام ضيغم بطل كمى ... سموع للأقارب والادانى

﴿ تم الجزء الثامن عشر ويليه الجزء التاسع عشر ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب وامير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم واخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء التاسع عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا سادة فاجابته الأميرة علوى على شعره بالبكاء والنحيب تقول

ألا يا صاح كف عن الملام فلا صبر على فقد الكرام
سارى مهجتى فى كل صعب على طلب الأمير ولا كلام
فاما أن أفوز به سليما وأمنح حاسدى ضرب الحسام
وإما أن يقول وفت بعهدى ولا خانت ووفت بالذمام
سا حمى عنه يوم الحرب جهدى لما قد كان عن أهلى محامى
فسيروا يا بنى الأقران حتى ننال الوصل مع نيل المرام

فلما فرغت الاميرة علوى من شعرها ونثرها أجابها ميمون

سيعلم سيدى وأمير قومى بأنى لا أنام عن القتال
وأضرب كل بطريق كفور بأسياف مهندة صقال
ولولا إننى أملت خيرا لكنت مشردا بين الجبال
فسيروا يا بنى حام وجدوا وبيدوا الشرك بالسمر العوال

ثم أن قرقود بن قراقد سار أمام سودانه وهو ينشد

سيروا بنا يا معشر العبيد نطلب أرض البلد البعيد
فى طلب المولى أبو قرقود ونضرب الهامات بالحديد
فأنا أوفى الناس بالعهود من كان فى الاعداء كالجلود

(قال الراوى) وهم سائرين على ما هم عليه من المسير إذ نظروا على جبل يعرف بجبل البان شخصا يلوح تارة ويخفى أخرى فنظروه السودان وطلبوه فلم تكن إلا ساعة ثم عادوا وهم يضحكون ويصرخون وهم تحت سلاحهم يتقلبون ويلعبون

والشيخ الذى لاح لهم معهم فلما نظروهم العسكر وهم فرحين فقالت الأميره علوى يا ميمون أبصر ما الخبر فطرد جواده وقال يامولاتى أرى لؤلؤ غلام البطال فقالت على به فلما أن مثل بين يديها كاد ان يغشى عليها وبكوا الناس لانهم ما كانوا يصدقوا أن الأمير عبد الوهاب فى الحياة ولا ظنوا إلا أنه قد عطب فلما نظروا إلى لؤلؤ فقالوا ياأبا التبر هل عندك خبر من الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فقال وهل الاخبار إلا معى وأعاد على علوى القصة التى جرت من أولها إلى آخرها وما جرى لهم مع هذا الملعون عقبة فقال قرقود ولم لا يضرب أحدكم بسيفه هذا الشيخ النحس ويخلصكم من هذه المصائب كلها فقالت له علوى يالؤلؤ فكيف خلصت أنت فقال لها اعلمى انى وصلت مع عقبة لعنه الله إلى القسطنطونية وأنه طرحنى فى دار البلاط وسار مع الملك منويل وان الحاجب مارس بعد أن كتب اليكم الكتاب عمل على خلاصى وقال أخاف أن المسلمين لا يصدقون ان الامراء سالمين لانهم قد أيسوا منهم فسر أنت إلى ملطية حتى تسير العساكر فقلت له أيها الحاجب ما أفعل ذلك حتى أنال الراحة ويرحل الملك من البلد وبعد ذلك أسير إلى ما تأمرنى به ورحل الملك وعرض لمارس مرض شديد من ليلتة فلم قدر على المسير وأظهر أنه مريض وتخلف فى القسطنونية حتى إذا كان هذا اليوم ووصل لنا بطريق من أفرنجه وقال أن عبد الوهاب قد ملك القصر الذى فى بلاد أفرنجه من باب الميناء لان أمه ذات الهمة كانت فيه وأن الملك البطليموس كان معها وقد أسلم وأن أهل أفرنجه معهم فى قتال شديد وكل يوم ينزل اليهم الأمير عبد الوهاب ومن معه ويشبعونهم طعن وضرب وأن القاضى عقبة هو الذى أعاق المسلمين من أهل أفرنجه لانهم سدوا فى وجوههم الدروب التى لاسبيل لهم إلى الخروج إلا منها وقد أقاموا فى القصر بعد ان كسروا العساكر على باب البلد ووصلوا إلى باب المنيا وسمعناهم من داخل وهم مقيمين فيه وقد أتاهم الملك منويل ونزل عليهم بذلك الجيش العظيم وقد نصب عليهم المناجيق والفرادات والسلالم وهم فى القتال العظيم وقد قل منهم الزاد وكثرت عليهم الاعدا ولم ينزلوا من القصر وقد أرسل الملك إلى المانصطر أهل القسطنطونية بأن يحملوا اليهم مائة حربى فى البحر ويجمع الرجال من البلاد ويسيروا إلى مدينة أفرنجه ويدخلوا الميناء يقاتلونهم منها والملك منويل يقاتلهم من باب البر ومن حول القصر وما عادت بجمعوا الغلال وقد مسكهم فى القصر لانهم ينزلون فى سائر مراكب الصيادين فيصطادوا السمك من البحر ويطلعوا إلى عند القصر وربما انقطع عليهم ذلك بوصول هؤلاء اليهم

فيأخذوهم أخذا بالكف وقد جمع المانسطر المراكب ورفع إليها العدد والزاد وهى تلعب على مرابطها كما تلعب الخيل على مداودها وما أعاقها من الاقلاع إلا المانسطر لأنه خرج يجمع لها الناس من الضياع لأن البلد ما فيه عسكر والرجال كلها مع الملك منويل لأنه سار على غفلة من أمره فقالت الأميرة علوى والله إن الرأى عندى أن ندع هذا الطريق ونسير إلى القسطنطينية وتهجم على الميناء ونأخذ المراكب بأسرها ونركب فيها ونقلع إلى بلاد أفرنجه وأكثرهم ما يقيم فى البلد عشرة أيام فقال ميمون الجماس المعول على من يحسن التدبير فى صنعة المراكب فقالوا أصحاب قراقد والله يا قوم ما فينا إلا من كان فى البحر فى المراكب وعمل الملاحين وأقلع التجار إلى سائر الأقطار حتى صاحبنا قراقد وقد أخذنا عنده وصبرنا نقاتل عنده ونناصل وكان إذا سمع أن الرجل منافيه نجابة أعطاه المال ورغبه بالنوال حتى حسن فينا الحال والرأى أننا نمضى إلى بلاد أفرنجيه ونحن نقلع بالمراكب وترون العمل فيها فقال لؤلؤ أنا أدلكم على الطريق وأقلع بكم على التحقيق فقالوا سر بنا على اسم الله تعالى فساروا ولما بقوا بينهم وبينها يومين وكانوا يكمنوا النهار ويسيروا الليل هذا وقد سبق لؤلؤ إلى القسطنطينية إلى مارس وأخبره بالخبر وأوقفه على حقيقة الأثر ففرح فرحا عظيما وقال والله هذا حديث عجيب واتفاق غريب يتداولوه الناس بينهم إلى يوم القيامة يا لؤلؤ أخرج إلى ظاهر البلد وأجهد أن يكون وصولهم فى الليل وأنا أترك غلمانى على الباب وأرتبهم على الميناء عند المراكب وترسلون خيولكم مع ألف فارس إلى عند يانس المتغرب وتنزلون أنتم فى المراكب وتقلعون إلى أفرنجة وقد فرج الله عن المسلمين وفى المراكب كلما يحتاجون إليه من زاد وغيره فمضا لؤلؤ ورجع بالخبر ونظر العسكر وقد نزل على ظاهر البلد فى الظلام فلما نظروا لؤلؤ فرحوا واستبشروا وقالوا يا لؤلؤ دبرنا فى فتح الباب فقال لؤلؤ أنا أفتح لكم باب الذهب لأن ما فيه عسكر ولو أسعدنا الدهر بالامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب لكنتم تتسلمون البلد لأن ما فيه لا كبير ولا صغير إلا الشيوخ والنساء والاطفال بل أنهم بعدد النجوم والتراب وكنا نملك البلد ولكن لا حاجة لنا فى ذلك ثم أنه عاد إلى مارس وأخبره بالخبر وبقدوم العسكر فقال له يا لؤلؤ إذا انسدل الظلام ينزلوا على باب الذهب وأقام مارس ينتظر هجوم الظلام وهجوم السكرى على الايام وكان الحاجب قد أعلم أخته بذلك وقال لها ما نريد أن تساعدينا إلا بمفاتيح باب الذهب ومفاتيح باب الميناء فلما اختلط الظلام جابت له المفاتيح ثم أنه أخرج غلمانه وهم تمام عشرين فقال لهم أمضوا إلى باب الذهب وافتحوه وأنا أفتح باب الميناء وما يصبح

الصباح إلا والمسلمين فى المراكب هذا وقد فتح باب الذهب وخرج اؤاؤ فوجد القوم مع الأميرة علوى وقوف على باب الذهب والخيل على أيديهم والأمير إبراهيم فى أوائلهم كالأسد إذا رأى الفريسة (قال الراوى) فقال له لؤلؤ لكم البشارة اعلموا أن الله تعالى قد يسر لكم على يد الحاجب مارس كلما تحتاجون إليه ففرحوا المسلمين بذلك ثم قالوا يا لؤلؤ ما الذى نصنع قال ادخلوا لباب البلد فقد فتح لكم باب الذهب وسيروا إلى باب الميناء فسارت الأميرة علوى ومعها الرجال كأنهم فحول الجمال وتركوا الخيل مع الأمير طحطح الأسود وتركوا معه خمسمائة فارس وقالوا له سير بخيلنا وأموالنا وأثقالنا ورجالنا إلى حصن يانس المتغرب من ليلتك هذه لأن ما فى البلاد من تفزع منه لأن العساكر كلها مع الملك منويل فى بلاد أفرنجه وهم متلاقين بهم من سائر الاقاليم فعند ذلك ساروا بالخيل (قال) ودخلوا الناس البلد وقصدوا باب الميناء فلقوه مفتوح وقد وقع بهم الصياح والنفير من البلد وكبر الامر وقام القاعد واستيقظ الراقد وخاف الولد من الوالد وشمت الحاسد وانقلبت القسطنطينية بأسرها وكان من الامر المقدر أن الابطال من الموحدين وأصحاب الثغور ملكوا باب الميناء وأشرفوا عليه وعلى المراكب وهى مشحونة بجميع ما يحتاجون إليه من الاقلعة والمقاذيف والمرامى والطعام والعدد والعمد والطوارق والسيوف والقنطاريات والقسى والنشاب وخزانة مال فيها مائة وخمسين ألف دينار فلما رأت علوى ذلك فرحت فرحا شديدا وقالت اعلموا أن الظلام قد أحال بيننا وبين القوم وليس لنا إلا نضرب وجوه هؤلاء القادمين علينا بالحسام ولا نترك أحدا يصل إلى هاهنا إلى أن يصبح الصباح وترحل عساكر الدجا منكسرة وتقع العين على العين ونرتب فى كل مركب مائتين بطل فقالوا هذا هو الصواب وقصدوهم الروم فى عالم عظيم من عوام البلد والسوقه فالتقوهم المسلمين بسيوف حداد وسواعد شداد ورجال معودة للجلاد وعمل الحسام وطلع الغبار وزاد الظلام غتام وعظم الامر على الانام وعملت سواعد الابطال فى رؤس العوام هشمت العظام ونزل الحام فى الهام ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن هربوا الكفار ونصر الله المؤمنين الابرار وغلقوا الباب بينهم وبين أهل البلد وقالوا المعونه من الواحد الاحد الفرد الصمد سبحانه ليس له ثانى فى العدد وليس له والد ولا ولد رفع السماء بغير عمد وبسط الارض على ماء جمد وأرسا الجبال بغير سند وأحصى جميع المخلوقات عدد ولا يحتاج إلى وزير ولا مشير ولا ولد هو الله الملك الاحد ولم يزالوا كذلك إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد امتلأت الارض

من الأشباح وعمدوا المسلمين إلى المراكب وصعدوا فيها وقد طلعوا أهل البلد على الأصوار ورموهم بالأحجار وقد ارتفعت أصواتهم بالويل والعويل وأجابوهم المسلمين بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير صاحب الآيات والتفضيل هذا وقد صعدوا عشرة آلاف فى ثلثمائة مركب مائتين وباقى العسكر ركبوا فى مراكب الصيادين وفى الحراقات والعشاريات فعمروها فى الحال وقدفت الرجال وحملوا الزاد والسلاح ورفعت الصاريات ومدت القلوع وعزموا الناس على الدخول وفى تلك الساعة وصل المانسطر من القلاع والضياع وقد جمع عشرين ألف بجمع العصا وأرسل يطلب المينا ليقلع بهم إلى بلاد أفرنجة فوجد الناس على تلك الحالة ووجد الناس والقسطنطينية فى أسوأ حال وأعظم نكال فسألهم ما الذى دهاهم فأخبروه بالقصة على الجلية فبكا ولطم على وجهه ورأسه إلى أن وقع مغشيا عليه ودخل على الحاجب مارس وقال ما هذه المصيبة التى وقعت بنا وما هذه الفعلة التى جرت عليه فقال مارس يا مانسطر أنت ترى ما أنا عليه من المرض وحق الصليب والصلبوت إننى فى هذه الأيام أموت وما عندى من ذلك خبر ولو كنت فى حال العافية لما تم مثل هذا علينا ولولا أن المسلمين كان لهم عندنا جواسيس ولولا أنهم فتح لهم الباب لما قدروا على أن يأتوا إلى المراكب ولكن هذا الأمر قد فرط فيه الفرط وقد سلمنا فيه من العطب ولا شك أن المسلمين قد سمعوا بخبر أميرهم عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب لجاؤا إلى هذه المراكب ليعملوا على خلاص أميرهم والصواب أننا نأخذ هؤلاء البطارقة الذين تعقبوا ونسير بهم إلى الملك منويل من طريق اخرى من البر قبل أن يلحق هؤلاء ليدبر الملك هناك ويخرج إليهم ويحول بينهم وبين مرادهم وقد انفصل هذا الأمر واندفع عنا هذا الشر فلما سمع المانسطر كلامه ضحك وقال له لقد كنت عندى عاقل ولكن أنت الآن معذور لأن أضراب جسمك من هذا المرض الذى أنت فيه تقول لى خذ معك البطارقة وسر بهم إلى الملك وبيننا وبينهم خمسة وأربعين يوم وإن طاب الهواء لهم وصلوا فى عشرة أيام وأقل من ذلك فقال مارس أو يعيقهم المسيح فى البحر ويعيقهم شهرين فقال المانسطر وحق المسيح لو ما كانوا أصحابنا نيام ما فعل بهم ذلك وأما المسلمين فما نجسر عليهم وكان هذا الكلام من الوزير على سبيل الغيظ والحنق وأما المسلمين فانهم ازعجوا القلوب بتسبيحهم وتقديسهم وتهليلهم إلى أن سبحت معهم الحيتان فى البحار بتوحيد الملك الجبار والصلاة على سيدنا محمد النبى المختار ولما أظلم الليل وأضاء النهار أقبل المانسطر على البطارقة وقال لهم اعلموا أن المسيح قد طلع على

قبح أعمالكم وعلم بأفعالكم وأنكم جئتم بغير اختياركم فملك المراكب لعدوكم فقالوا ما لنا حيلة فى ذلك ولو أمرتنا أن نمضى بين يديك لفعلنا فقال المانسطر ما أنا بصورة من يفعل هذا وحق المسيح ما كان الملك يسمع هذا على حقيقة إلا يضرب رقبتى ورقابكم فعودوا إلى مواضعكم لعل أن يأتى فى العرضيات ما لم يكن فى الحساب (قال الراوى) هذا جرى من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك منويل فانه لما سار فى تلك العساكر العظيمة ودخل إلى بلاد أفرنجيَة ونزل عليها وقد انضافت إليه سائر العساكر من القلاع والحصون والبلاد حتى صار فى ألف ألف فارس ووصلوا إلى أفرنجية فوجدوا الحصار على حصنها فخرقوا الدور والبناء الذى حول القصر الذى فيه الامير عبد الوهاب وأصحابه (قال الراوى) يا سادة يا كرام وانتشروا من حولهم مثل الجراد ونصبت العرادات والمناجيق وكان قد قل من عندهم الزاد كما ذكرنا وأشرفوا على العطب كما وصفنا وعظم القتال واشتد النزال وعظم الزلزال وكان عقبة مع الملك منويل فى خيمة مفردة وقد أقام الحرس عليها من فزعه من أبو محمد وهو يحرض الملك على القتال ويقول إن الاسلام كله عندك فى هذا القصر وإذا أخذته تكون قد ظفرت بالمنا وشفيت الفؤاد من الاعدا والملك يقول له أيها الشيخ النجيح وحق السيد المسيح ما بقى لهم من هذا خلاص وفى هذه الايام يصل أسطول من البحر وينقطع عنهم المادة من صيد الاسماك وما فيهم إلا من يهلك فقال عقبة يا مولاى هذا الذى أريد وما أريد غيره وما أبالى بعده بأى موتة كانت وما كان فى قلبى حسرة إلا أن تقع هذه العاهرة فى يدى وهى ذات الهمة التى قد أخذتنى من هذا القصر وهى التى سلمت هذا القصر إلى ولدها فلا كانت ولا استكانت فما هى إلا آفة الزمان ولا تنسى ولدها ولا ولده سيف الحنيفية (قال الراوى) وأما الملك منويل فانه زحف إلى القصر يوم الاحد بعد ما صلى فى الكنيسة التى فى البلد ثم زحف طالب القتال وخرج الامير فراقد وسعيد بن الفرج ومالك بن طوق وأبو الهزاهز وبرد بن الازهر والملك الكندفرون والملك البطليموس وباقى الالف الذين أسلموا مع الملك ونظر الملك إلى ذلك فأقبل على البطارقة وقال ما نريد أكبر فضيحة من هذه أن يكون هذا الزنيم يضرب معنا مصافا وهو فى هذه الارزال فقال عقبة لا تستبعد هذا فهؤلاء القوم قد استقتلوا وإذا استقتل الانسان رمى روحه فى مائة ألف لأنه ما يصيبه أكثر من قتله واحدة (قال الراوى) وبرز البطليموس فى تلك الساعة إلى مقام الحرب على جواد قرطاسى وهو كأنه سلهب يسوى قنطار من الذهب مليح من الخيل

الجياد له زجره وأرعاد كأنه من خيول قوم عاد وراكبه على مهل إن طلب لحق وإن طلب لم يلحق وهو كما قال فيه هذه الأبيات :

لقد ركبت إليه تحملني طرف كمثل اليد تحملني وقد
طارت به رجل محجلة فكأنها يا صاحي وقد
وكأنه ليـــل يسيل إذا أطلقته وإذا حبسته جمد

(قال الراوى) وعليه درع داودي هندي ورمح خطي فجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بالافرنجيه يامعاشر النصرانيه من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا الملك البطليموس صاحب جزيرة المرجان وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الملك وله الحمد وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى قد خلصني بعد الهلاك وعرفني التوحيد بعد الإشراك ثم إنه طلب البراز وسأل الانجاز فخرج إليه الملك الاندرياس أخو الملك منويل لأنه عرف أن الملك البطليموس ملك ابن ملك كبير فخرج أخو الملك منويل وقد فرحت الروم وترجلت بين يديه فى عشرة آلاف بطريق بالاتراس الصفاق والسيوف الرقاق هذا وقد امتلأت الدنيا بالصراخ والزعاق والصياح وجردت الصفاح وفارقت الأشباح الأرواح وارتعدت المفاصل وقصدت المقاتل وحمل الاندرياس على البطليموس وكان يوم عبوس وطلع عليهم الغبار ورمقتهم الأبصار وعمل الصارم البتار ثم إنهما تضاربا بالسيفين حتى تعلما فى أيديهما ولم يبق غير المقابض واعتمدوا على ضرب الشكائم وعولوا على قطع الأعناق والغلاصم هذا والملك البطليموس قد أطبق على الاندرياس ورما نفسه عليه ثم إنهما تعاركا على سروجهما إلى أن وقعا على الأرض فقال عقبة لا تهمل أمر الاندرياس فيهلك ويأخذه هذا الشيطان المريد فانى أعرف منه مالم أعرفه من غيره فقال الملك وما الذى أصنع فقال تأمر الناس عليه بالحملة فقال كيف نعمل وقد أنصفونا المسلمين وقد خرج فارس لفارس فقال عقبه اعلم أن الغدر حرمه المسيح على النصرانيه بعضهم لبعض إلا أن يكون سبق منهم فاحمل عليهم فأمر الناس بالحملة عليه كما أمره عقبة فنظر الأمير عبد الوهاب إلى حملة الروم فحمل عليهم وكان سبق إلى البطليموس ذات الهمة وسيف الحنيفية والأمير قراقد فخلصوه وأخذوا الاندرياس أسير ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترقوا إلى مضاربهم وفى تلك الساعة أقبلت الأميرة علوى بالمراكب وأرست

قريبا من الميناء وقد ضربت البوقات ودقت النواقيس وتكلموا بالرومى كما أوصاهم لؤلؤ فلما سمع الملك ذلك فرح وقال لعقبة هذا الذى كنت أوعدتك به فقال عقبة لابد ما أنزل إليهم ثم أنه أوقد الشموع ونزل إليهم فى بعض القوارب وأما عبد الوهاب حمل الهم لما رآهم وقال هذه نجدة أتتهم ولم يعلم كيف الحال ولما وصل إليهم عقبة قبضوا عليه وضربوه ضربا وجيعا وكان معه البترك وولده عشرة من خواص الملك وقال لهم لؤلؤ هذه مراكب المانسطر والدمستق الذى أرسل لهم الملك الهدايا والتحف كما قال لهم عقبة اللعين وحرب ابن شيبان وولده عبد المسيح ولما ضربوهم وقيدوهم طلع لؤلؤ وابراهيم وعلوى إلى عند الامير عبد الوهاب وأخبروه بالخبر ففرح بذلك فرحا شديدا وكذلك الأمير أبو محمد والأميره ذات الهمة ثم إن الامير عبد الوهاب سأل عن ولده ضيغم وعن الأمير عمرو بن عبيد الله فقال له لؤلؤ الرشيد أرسل إليهم وسار بهم إلى أرض الحجاز لأنه قد خرج عليه خارجى يقال له ظالم بن الغريب وهو فارس زمانه وأنه قد ملك مكة وأرض الحجاز واستولى على اليمن وصنعاء وعدن ولم يمكن الرشيد فعادعن دين الإسلام فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم إنه أمر لؤلؤ أن يأتى بالرجال الذين فى القوارب وهم ثلاثين ألف فارس وأن يخلى فى كل مركب عشرة رجال من أصحاب الكندفرون يحفظونه ففعل ذلك ولما أصبح الصباح حملت المسلمين على القوم الكافرين فتعجب الملك منويل من ذلك عجبا شديدا ووقعت المحاربة وثار الغبار بين الفريقين إلى وقت العصر فانهزمت الروم وغنمت المسلمين غنيمة عظيمة وقد دخل فى تلك الساعة أبو الشر شومدرس وولده دهرشوم وزوجته شوما وكانوا فى بيت المقدس ولما سمعوا باسلام الكندفرون أقبلوا فوجدوا نار الحرب تشعل فسأل عن عقبة فأخبروه بخبره وخبر الملك فقال إنها حيلة تمت عليكم ولكن سأدبر أمرا ثم إنه نزل فى مركب صغير وسار حتى وصل إلى المراكب فوجدها خالية فسرقها واحدة بعد واحدة حتى جاب الكل إلى الميناء وقال نحن نقاتل فان ظفرنا كان المراد وإن انهزمنا ركبنا المراكب وطلبنا القسطنطونيه قبل وصولهم إليها يملكوها ففرح الملك بذلك ولكن عسر عليه عقبة وأسره وحرب بن شيبان وولده هذا ولم يعلم الأمير عبد الوهاب بالخبر لاجل المقدور ثم ان شومدرس أمر عشر مراكب أن تشعل الشموع والمشاعل وتلج فى البحر ففعلوا ثم إنه نادى يا أبا محمد إن عشر مراكب فى البحر ولم فيها أحد وأنها من مراكب الملك منويل فنزل أبو محمد والامير عبد الوهاب وذات الهمه وميمون الجماس وأبو الهزاهز وتشمم وقراقد وهارون العلوى وراشد بن

ضمرة والأمير إبراهيم ونزلوا فى مركب وأبو محمد قال لهم إنى سائر إلى عسكر الملك منويل وأكشف خبره لعلى أظفر به فقال له الأمير عبد الوهاب نعم الرأى ثم انهم ساروا فى المركب حتى وصلوا إلى تلك المراكب وليس معهم عدد ولما توسطوا البحر قبضوهم قبضا باليد وأوثقوهم كتافا وطلعوا بهم إلى منويل وأخبروه بذلك ففرح بذلك ثم ان شومدرس دخل خيمته فما وجد ولده ولا زوجته فعسر ذلك عليه وكان أبو محمد سرقهم ورجع إلى منويل وقال له قم أنظر كيف الخبر فقام وخرج من خيمته ومشى قليلا فاختطفته غلمان أبو محمد وأوثقوه كتافا ومضوا به فبلغ ذلك شومدرس فعسر عليه وقال أنا أريد أمضى إلى الاسراء ولكن أخاف من أبو محمد يسرقنى فمشى معه مائة فارس احتاطوا به وبقى خائف على نفسه يمشى ويتلفت وكان أبو محمد مختلط فيمن معه وقد عمل له لحية كبيرة وبطن كبيرة وشوارب كبار وصبغ جلده فلا أحد يعرفه ثم انه أقبل على الأمراء فضرب الأمير عبد الوهاب برجله رماه إلى الأرض وبصق فى وجهه وقال له ياصعلوك وقعت ثم جرد سيفه وأراد أن يرمى رقبته فزعق عليه شومدرس وقال له لا تفعل فإن زوجتى وولدى والملك منويل وعقبة وحرب ابن شيبان وولده عندهم وأخاف عليهم فقال له أخاف ان السراق أن يسرقهم وقد وقعوا كثير وخلصوا فقال له انك ناصح لدين المسيح ولكن تولى أنت أمرهم ففرح بذلك وصلب على وجهه وصار يضربهم ويرقص فهذا ما كان منهم ثم ان شومدرس أجلس الملك ميخائيل على الكرسى مكان الملك منويل وعقد راية الحرب على المسلمين والمسلمين سلموا القضاء لله وقدره وقاتلوا فى ذلك اليوم قتالا شديدا إلى وقت العصر فانهزمت السودان ودخلوا القصر وقد تعبوا تعبا شديدا وكان أبو محمد صبر حتى دخل الليل فذبح البطارقة وحل الأمراء وصار معهم حتى وصلوا إلى القصر فلما رأتهم السودان فرحوا فرحا شديدا وبلغ الخبر لشومدرس بهروب الأمراء والموكلين بهم قد ذبحوا فاغتم لذلك غما شديدا وكادت روحه تخرج من الغم وأعلم الملك ميخائيل بذلك وقال أنا خائف على نفسى من أبو محمد يسرقنى وهذا لا يعيقه شىء ثم انه خرج قاصد واد يسمى وادى السباع وكان به دير يسمى دير الحاجة وكان الملعون أخبر بكل أرض فسار من وقته وساعته حتى وصل الى ذلك الدير فدخل فيه وأما ابو محمد فانه خرج هو وغلمانه الى عند عسكر الروم يتجسس الاخبار فسمع بذلك فقال أنا أذهب اليه لعلى ان أظفر به فسار من وقته لما وصل الى ذلك الدير وكان به راهب يسمى سميع فطرق الباب فقال له الراهب من هذا فقال قوم سواحون هل أتى اليك قاصد قال نعم إن شومدرس

عندى فى الدير فقال له افتح لاجل ما نتبرك به ففتح له فدخل هو وغلمانه لما توسط الدير خرج عليه اللعين وأعوانه وقبض على أبو محمد وغلمانه وأوثقوهم كتاف وضربوهم ضربا وجيعا ثم انه قفل عليهم باب الدير ورجع أعلم الملك ميخائيل ففرح بذلك واشتدت عزيمته وركب على كسر المسلمين وركبت المسلمين عليه وتقاتلوا قتالا شديداً ولم يكن غير ساعة حتى أتت عساكر مثل البحر الزاخر وإذا به مرنموس بن كليموس ومعه مائة الف فارس فأقبل على الملك ميخائيل وسلم عليه وإذا بعسكر جرار حتى سد الاقطار واذا بهم البرغل وهم نحو مائة ألف فارس واسم ملكهم أسلاغورس وأقبلوا على الملك ميخائيل وسلموا عليه فلما رأوا ذلك المسلمين تعجبوا ولكن أصدقوا النية وتوكلوا على رب البرية وإذا بموكب أعظم وإذا بهم الدوفس فى مائة ألف فارس واسم ملكهم قيصرون فعند ذلك حمل عليهم الأمير عبد الوهاب وعلوى عن يساره وأمه عن يمينه وسائر الأصحاب وذار الفلك واشتد القتال وجرى الدم وسال وفتكوا المسلمين ذلك اليوم وقاتلوا قتالا شديدا ولما ولى النهار وافتقد الملك ميخائيل أصحابه فوجد الذى قتل خمسة وأربعون ألفا فعسر ذلك عليه ثم انه أرسل يطلب الفداء عن عنده فأطلق الامير عبد الوهاب حرب بن شيبان وولده وعقبه وحاش عنده منويل وشوما ودهرشوم وسألهم عن أبو محمد فقالوا لم يكن عندنا منه خبر وكان الرسول اسمه تمليخا وقال لهم ان الملك يرد يخلى لكم الطريق ترجعوا الى بلادكم وانتم تتركوا سبيلهم وترفعوا القتال وتحلفوا له أنتم أيضا إنكم إذا خلصتم تتركوا الملك منويل وشوما ودهرشوم هذا وقد حلف الراهب بما وقع عليه الصلح (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها استوثق الامير عبد الوهاب من الراهب بالإيمان وعاد الرسول إلى الملك ميخائيل أعلمه أن الامير أجاب وحلف على ماطلبت فعندها رحل ميخائيل صوب وادى السباع وبقى الأمير على نية الرحيل (ياساده) هذا وإن ميخائيل لما رحل وسار قال له عقبة أيها الملك خذ معك من شئت من الخواص وسير بنا إلى دير الحاجة حتى أننى أوريك العجب هناك فعندها ترك العسكر فى طريقه سائر وقد عرج إلى دير الحاجة وأخذ معه ملوك النصرانية هذا ولما أن وصل إلى الدير صاح عقبة ياراهب ياراهب فلماأن سمع ذلك الراهب النداء أشرف عليهم سميع الراهب من أعلا الدير فلما أن نظر إلى الملك ميخائيل والى من معه وإلى عقبة وموكبه نزل إليهم وترامى على اقدامهم فقال له اللعين عقبة يا راهب هل وصل إليك احد فقال له نعم وقد قضيت الحاجه فعند ذلك ترجل عقبة وترجلت الملوك معه وقد مسك بركاب ميخائيل

وقال له انزل أيها الملك حتى ترى ماوعدتك به من العجب ثم إن عقبة دخل إلى الدير هو ومن معه من الملوك إلى أن وصلوا إلى وسط الدير وفتحوا سرداب ونزل عقبة وميخائيل وبقية الملوك إلى أن انتهوا إلى آخره وإذا هم بدهرشوم وشوما والملك منويل وهم جلوس فى ذلك السرداب فلما رآهم الملك ميخائيل بهت إليهم وأخذه العجب العجاب وقال لعقبة أيها الشيخ المهاب كيف كان خلاص هؤلاء مما كانوا فيه من المصاب فقال له اعلم أيها الملك النبيل إن ماهذا وقت حديث ولا كلام ثم إنهم تراموا على أقدام الملك منويل يقبلوها وهنوه بالسلامة من الآلام ثم إن الراهب سميع قد قدم لهم ما كان عنده من الطعام الذى للرهبان فأقبلوا عليه وجعلوا يأكلون وميخائيل ومن معه يتعجبون ولما أن فرغوا من أكل الطعام أحضر لهم شيء من الشراب فشربوا إلى أن طلعت الخمرة فى رؤسهم فعندها صاح عقبة ياراهب سميع هات ماعندك الآن فعندها مضى الراهب وغاب ساعة وعاد معه عشرون من رؤس السودان فلما أن نظر الملك منويل إلى ذلك صعب عليه وقال له ويلك من أمرك بقتلهم وقد استوثقوا منا بالإيمان فقال أيها الملك ماأمرنى بقتلهم إلا الشيخ النجيح فعند ذلك التفت الملك إلى عقبة وقال له لماذا فعلت هذه الفعال فقال له اللعين عقبة اعلم أيها الملك إن المسيح يقول من قتل رجلا مصلياً من أعداء الدين وجبت له الجنة وحظى فيها بالغفران والمنا فسكت الملك عن الكلام وقال لعقبة أنت أدرى بهذه الاحكام (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص الملك وشوما ودهرشوم أمر عجيب وذلك أن الملعون عقبة لما أن سمع بذكر الفدا وأنه يخلص من الأعدا فرح فرحا شديدا فقال له الملك يا قاضى ماذا تصنع فى خلاصى أنا ومن معى وكيف تتركنى فى الاعتقال وتخلص أنت من المصائب والأهوال فقال له الملعون عقبة أيها الملك طب نفسا وقر عينا فما أبرح من هذه الديار حتى أعمل على خلاصك من الاسر والاضرار ثم إن عقبة الملعون التفت إلى السودان الموكلين بحفظهم وصار يتكلم معهم بالهذيان ويمزح معهم وتوصل إليهم بلين الكلام إلى أن ملك قلوبهم وقال لهم أنا أعلم أنكم صعاليك من دون السودان وليس يصل إليكم من هؤلاء القوم طائل لان العرب طماعه وأنتم عندهم فى عين النقص لانهم يقولوا إنكم عبيدهم وأنتم أشجع منهم وإنما يقاسى الرجل الشدائد ويصبر على الاوابد حتى تعقبه فائدة إمامن مال أو غرض وأما الرجوع بلا فائدة فانه شماتة للأعداء فقالوا له كيف يكون العمل فى ذلك ونحن مقيدون بحفظكم فقال لهم عقبة أما أنا فانى أخلص بالغد وأما هؤلاء الثلاثة فانهم مقيمين

عندكم فقالوا له ولم ذلك حتى إنهم لم يخلصوا فى صحبتك ومن يكون الواسطة فقال لهم أنتم إن كان لكم سعاده فقالوا له ومن أين تأتينا السعاده والاسعاف من بين هؤلاء القليلين (قال الراوى) فلما علم الملعون منهم لين الكلام قال لهم فما قولكم فيمن يغنيكم بالمال فقالوا له وكيف ذلك أيها الشيخ المفضال فقال لهم اعلموا أنه قد حصل لكل واحد منكم عندى ألف دينار فقالوا له السودان وقد اندهلوا ومن أجل إيش يكون ذلك بين لنا حقيقة الحال والمقال فقال لهم عقبة يكون ذلك لكم إن أنتم خلصتم الملك وهذين الاثنين للذين معه فى الاعتقال يعنى شوما ودهرشوم فقالوا له نحن ما نقدر على ذلك وكيف نعمل فقال لهم عقبة أنا أعلمكم كيف تخلصوهم وتنجوهم وهو أنى إذا أنا خلصت بالفداء لا بد أن أعمل على القتال بين القوم فاذا اشتغل الأمير هو ومن معه بالقتال ووجدتم أنتم فرصة خذوهم واهربوا بهم فقالوا وإلى أين نهرب فقال لهم اعلموا أن تحت ذلك الجبل الذى ترونه قصادكم دير مبنى بالحجر الاسود وتحته أشجار والماء داير به وهو لا يخفى عليكم فاذا وصلتم إليه فان فيه راهب يسمى الراهب سميع وها أنا أكتب لكم كتاب تعطوه له وهو يبلغكم غاية الارب فقالوا له نحن نفعل ماتريد ولكن تحلف لنا حتى تطمئن قلوبنا فعند ذلك حلف لهم عقبة وحلف لهم الملك على ذلك ولما استوثقوا منهم بالإيمان أتوه بدواية وقرطاس وكتب كتاب إلى الراهب سميع يقول له فيه أيها الراهب اعلم أن الواصل إليك هؤلاء القوم من السودان ومعهم الملك منويل وشوما ودهرشوم فاعمل على هلاك السودان واحتفظ بالثلاثة إلى أن أصل إليك واترك الملك يواليك بالإحسان والسلام ثم إنه سلم الكتاب إليهم وأوعدهم بالمال ولم يعلموا لما دبر الملعون عليهم من الاحتيال ولما أن تخلص الملعون عقبة بالفدا وسارت الروم إلى الوادى المقدم ذكره ونادى الامير بالخروج وأخرجت الخيام وخلى البلد من الاقوام ورجعت الروم ووقع القتال واشتغلت الفرسان والابطال بالحرب والنزال فعندها توانبت السودان الموكلين بالملك وشوما ودهرشوم وقد فكوهم من القيود وألبسوهم زيهم وخرجوا بهم والمسلمين مشتغلين بما هم فيه من القتال فلم يشعر بهم أحد وساروا بهم إلى أن وصلوا إلى الدير الذى ذكره لهم عقبة وهو دير الحاجة فلما أن وصلوا إليه صاحوا بالراهب سميع فلما أن سمع نداهم نزل إليهم فسلموا عليه ثم سلموا له الكتاب فلما أن قرأه أظهر لهم الفرح ودخل بهم إلى الدير وأنزل الملك ومن معه فى سرداب وقدم للسودان طعاما وكان فيه مرقد فلما أن أكلوا منه تمكن منهم البنج فتناوموا ووقعوا

إلى الارض فعند ذلك وثب الراهب إليهم وفى يده سكين ماضية ودنا منهم وذبحهم الجميع ولم يعلم الملك بذلك ولا أطلعه على شيء لأن عقبة كان أوصاه فى الكتاب أنه لا يعلم الملك بهذه الاسباب فهذا كان السبب والله أعلم بالصواب (وعندنا إلى سياق الحديث الاول العجيب) وذلك أن الملك لما رأى السودان قتلوا لم يتكلم والتفت ميخائيل إلى عقبة وقال لا عدمنا هذه الهمة العظيمه فقال له عقبة أيها الملك قد بقى لى إليك حاجة فدعوا عنكم فيها اللجاجة فقال قل ما تشاء أيها الشيخ النجيح قال اعلم يا ملك أن الناس فى قلق عظيم من البطال وغلمانه واعلم أنه ما يصح لى عمل إلا أن شفيت غلة صدرى منه ومن غلمانه وأقتلهم عن آخرهم وإن لم تمكنونى من ذلك قطعت زنارى وكسرت صليبي وكفرت بدين النصرانية ورجعت إلى دين الاسلام وما قصدى بقتلهم إلا حتى يخلو وجهى منهم وأستريح وأعمل بعد ذلك عملا أملكك البلاد وأقعدك على سرير بنى العباس فلما سمع الملك ذلك قال له افعل ما تريد فنحن باختيارك وطوع يدك فأمر عقبة بالبطال فسحب فى ثياب الذل والهوان إلى أن حضر بين يديه فقال له يا بطال كم يمهلك المسيح وقد أخذك الآن أخذة رابية ثم قال هاتوا رؤس المقتولين حتى يراهم فعند ذلك أفجع بهم أحبابهم فحضرت الرؤس وهى مخضبة بالدماء وقال له ويحك هذا رأس عبد الوهاب وهذا رأس قراقد وهذا رأس أبو الهزاهز وهذا رأس ميمون الجماس وهذا رأس قرقود فلما نظر أبو محمد إلى ذلك قال لا إله إلا الله مضى والله الامير عبد الوهاب إلى رحمة الله ولم يوف بنذره ولا أقسامه وكيف يكون ذلك والنبى صلى الله عليه وسلم قد وعده فى النوم بذلك وهو لا يتمثل به شيطان فقال عقبة ويلك يا شيطان قد عابت فى أى شيء أنت مفكر ثم أن عقبة جذب سيف أمضى من القدر وهزه فى كفه حتى سطع ولمع وأضاء وتشعشع ودب الموت فى جنباته كدبيب النمل على حبك الرمل وهم أن يضرب به البطال هذا والبطال قد أيس من الحياة وقال والله سئمنا الحياة فى هذه الدنيا واشتقنا الرواح للآخرة وإذا بالراهب سميع دخل عليه ووقف بين يديه وقال يا قاضى لا تعمل فتقع فى الذلل فقال له ما وراءك فقال اعلم أن على الباب عشرة أمراء وأظنهم المسلمين فتغير لونه ولبس عليه ثياب الاصفرار وقال كلمتهم فقال لا وحق المسيح ولكن نادونى أن أفتح لهم فلم أجيبهم فرما الملعون السيف وصعد إلى الدير فلما رآهم سلح فى سراويله فقال عقبة يا راهب هؤلاء فرسان المسلمين الذين أخربوا

كنايس الروم وأفنوا الرهبان والقسوس فقال سميع رأيت ياسيدى فيهم غلام أسمر كانه حسام مجرد فقال له عقبة هذه الداهية ذات الهمة النار المسعرة والذى يليها هارون العلوى فكم من فارس قد قتل ثم قال ياسميع أنا رايح آخذ الاسارى وأنزل إلى السرب وأنت إذا كلموك تقول انى رجل هنا منفرد بالعبادة فى هذا المكان من عمر تو فيل وقد احتجبت عن أهل هذه الديار وانى أبغض الناس فيهم من طريق انهم يجعلون لله زوجة وولد ويجحدون ما كان عليه المسيح والحواريون فانهم إذا سمعوا ذلك أنسوا إليك ثم يقولون لك هل عبر بك أسارى من أهل دين الاسلام فقل لهم لا وما جاء به محمد عليه السلام ما عبر بى إلا منذ أيام بطارقه ومعهم أسارى ونزلوا على باب الدير وطرقوا على فلم افتح لهم فمضوا إلى مغارة الدب ودخلوا فيها ولا أعلم ما كان منهم ولا فى أى صوب أخذوا وأرمى بيدك إلى سفح الجبل فان مضوا سلمنا فى خروجنا وتوصلنا إلى العسكر قال الراهب فان قالوا لى افتح فكيف أصنع فقال عقبة افتح لهم حتى تتمكن منهم قال فاذا رأوا أبدان القتلى وسألونى عنهم ما أقول لهم قال احتج عليهم بما تشاء ثم ان الملعون عقبة أخذ الملوك ونزل إلى السرب وان الاميره نادت يا راهب فأشرف اللعين عليها وقال ياقوم ما الذى تريدون وأنا كلب عقور وأن المسيح أمر بالعزلة والانفراد فقالت الاميره انزل وافتح لنا الدير فقال ياقوم ما الذى تريدون منى وأنا عبد مشتغل بذنوبى وأخشى فى القيامة أن يطلع أحد على عيوبى ولا أبلغ مطلوبى ثم نزل وفتح الباب ووقف أمامهم كانه متعجب ثم قال أن صدقنى حذرى فانتم الامة التى فى الكتاب فقالت الاميره أى أمة تعنى فقال أمة سيد الخلق ورسوله الحق فقالت الأميره نحن أولئك القوم الذى ننزه من لا تأخذه سنة ولا نوم فما اعتقادك أنت قال أعبد الواحد الأحد الذى تنزه عن الصاحبة والولد فلما سمعت ذلك منه تقدمت اليه وقالت فاذا انت من احبابنا ومؤمنا من اخواننا فما منعك ان تخرج إلى بلادنا وتكون فى أوطاننا فقال ياقوم أما علمتم ان مقامى هاهنا أوحد بين من يشرك ويكون ثواب العبادة أفيد وأبرك فقالت الأميره والله قد صدقت فما يضرك إذا كنت بين المجاهدين أو إذا وحدت بين المشركين فنحن من أمة محمد خاتم النبيين وقد جئنا من العسكر فى طلب شومدرس اللعين وعقبة المهين فهل عندك منهما خبر قال لا والله ولكن من أيام عبر على أقوام ومعهم أسارى ومضوا بهم إلى مغارة فهل لكم ان تدخلون الى الدير وتتحمون بزادى وربما مضيت معكم إلى بلادكم ولا أصبر

على مفارقتكم (قال الراوى) عندها ترجلوا الامراء وصعدوا إلى أعلى القلعة وتركوا خيولهم فى دهليز الديروان الراهب نزل إلى السرداب واعلم الملك وعقبة ان القوم قد حصلوا عندى فقوموا اليهم وخذوهم فقال عقبة وحق المسيح لو خرجنا إليهم ولو كنا بعدد الحصا لهلكونا فقال الراهب أنا آتيكم بواحد بعدواحد وأول ما آتيكم بذلك الأمرد يعنى ذات الهمة فقال عقبة أحسنت يانحس وحق المسيح ان أنت نزلت به الينا صح موتنا قال وكيف ذلك قال لان ذلك الأمرد لايفكر فى صاحب ألف لحيه ولكن ان كان عندك بنج بنجهم فقال ما أملك بنج ولكن عندى من حشائش هذا الجبل ثم صعد ووضع لهم منه فى الطعام فناموا فأتى إليه وقال أيها الشيخ النجيح قضينا الحاجة وقد أخذت القوم فقام عقبة يرقص والملك يصفق وشومدرس يحلق إلى أن صعدوا إلى القلية وإذابالقوم مطرحين كالحجارة فحملوهم واحد بعد واحد إلى المطمورة التى فيها أبو محمد البطال فقال كلمة لا يخذل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فقال عقبة ياأبو محمد وحق المسيح لم بقى لكم من هذا الضيق مخرج وقد اشتد بك الحرج ولابد لى أن أعاقبك وأدع البطارقة تعذب ذات الهمة وعينك تنظر ولا تقدر تدفع عنها ضرا ولأنزلن بغلمانك الذل وكذلك أفعل بك فبينما هو يخاطبه هذه المخاطبه إذ اقبل سميع الراهب وقد نزل من قليته وهو يرجف فقال له عقبة ماوراك فقال أيها الشيخ النجيح إنى رأيت غيره قدطلعت فتأملتها وإذا هى قد انكشفت عن عسكر مكسور وقد حل بهم الويل والثبور (قال الراوى) فلما سمع اللعين عقبة ذلك صعد إلى القلية ونظر واذا بعساكر منويل متفرقة وقد رموهم من المسلمين ببايقه وجموع عساكر المسلمين عليهم دافقة وقدقصدالى الدير زهاء عشرة آلاف فارس من الروم فنزل عقبة إليهم وسألهم ما الخبر فقالوا أيها الشيخ النجيح عملنا الذى أمرتنا نه فعاد علينا وباله فلا بارك المسيح فى طلعتك فما كان أيشم رأيك ومشورتك (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب فى ذلك أن الامير عبد الوهاب الماصالح ملك الروم ميخائيل وخرج هو وعسكره إلى ظاهر القصر عول الامير على الرحيل إلى بلاد المسلمين فقالت الأميره يابنى مانقدر على النزول حتى نبصر ما يكون من الفعال ولابدلى من طلب أبو محمد حيث كان ثم أخذت أولئك الأمراء العشرة وسارت بهم وأن الامير عبد الوهاب طلب شوما ودهرشوم والملك منويل فلم يجدهم وفقد العشرة سودان أصحاب قراقد فصعب عليه وقال للكندفرون والبطليموس اتبعوا عساكر الروم فعسى ان تقعون على أخبارهم وجلية آثارهم فعند ذلك مضى البطليموس

وللكندفرون واختلطوا بالقوم وتسمعوا عليهم واحترقوا سرادقاتهم وسمعوا ما قالوا وعادوا إلى الأمير عبد الوهاب وقالوا أيها الأمير العجل العجل قبل حلول الأجل فقال الأمير وما ذلك قالوا لأن اللعين عقبة قد أوصاهم علينا ودبر على هلاكنا وذلك أنه أوصاهم بأن يكونوا بازاء الدرب وهو درب الجنادل الذى لا بد لنا من عبوره لأنه ضيق لا يكاد يعبره إلا الفارس فى أثر الآخر وقد أكمن عن يمين الدرب خمسين ألف فارس وعن يساره كذلك وأمر أن يصعد أعلا الجبل من الجانبين عشرة آلاف يرمون بالحجارة فاذا توسطنا الدرب تخرج المائة ألف عن أيماننا وشمائلنا ويطبقوا علينا خمسين ألف من ورائنا وقد بعثوا الجميع ثقلهم مع قوم آخر يكونوا قاطع الدرب وأوصى العشرة آلاف الذين فوق الجبل أن يرمونا بالاحجار والاحطاب والاخشاب ويضرموا فيها النار فيحرقونا (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله لو تم علينا هذا الأمر لكنا هلكنا عن بكرة أبينا ثم أن الامير عبدالوهاب ادعى بولده سيف الحنيفية وضم إليه عشرة آلاف فارس وقال له يا بنى اكمن أنت فى موضعك فاذا صعد أخوك قشعم من الجانب الثانى من الجبل وخرج كمين القوم دونك واللئام ثم ان الأمير ادعى بولده إبراهيم بن علوى وقال له خذ البطليموس والكندفرون وخمسة آلاف فارس والحق بالثقل والمال الذى الروم واهجم على القوم فالبدره لمن بدر ثم أوصى الامير قشعم كذلك ومعه خمسة آلاف وقال أقصد الجانب الآخر (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما رتبهم الامير كذلك وقصد قشعم يمين الدرب وسلك الاميرداخله واكمن سيف الحنيفية وانقطعت الخيل فعند ذلك خرجوا وإلى طلب الامير عولوا وأرادوا أن يدخلون الدرب فى أثره ويرفعون أصواتهم وإذا بسيف الحنيفية قد خرج من مكمنه ونادى يا كلاب الروم حل بكم الوقت المذموم ها أنا سيف الحنيفية ودامغ النصرانية ثم حمل فيهم ومكن السيف منهم عندها حملت الابطال وداست الاقيال وصدمت الرجال الرجال وتراكمت الاهوال وتغيرت الاحوال وحضرت الآجال وانقطعت الآمال وبطل المحال وشمرت الحرب عن ساق وسروال وكثر الرهج والزلزال ووقع بجيش الكفر النكال وخافوا أهل الشرك والضلال وصار التراب للعيون أكحال وحمحم كل أدهم صهال وارتجت بجلبتهم الجبال وعمل الصارم الفصال ووقع فى الروم الفشل والخبال وأسر من خيارهم ثلاثة آلاف فارس من كل بطل مفضال وفرح سيف الحنيفية بتمام الكمال وانهزم منهم عشرة آلاف هاربين وإلى نحو الدير طالبين فهذا كان السبب وأما

الأمير عبد الوهاب فانه قصد ميمنة الدرب وهو يزأر كالاسد وطلب قشعم الميسرة وكان ملتقاهم سواء فنادوا يا أهل الايمان دونكم والاندال و فعندها تصادموا كالموج المتكاثف ولمعت أسنتهم كالبرق المتخاطف وازدحمت الابطال فى الجولان ووزن كل واحد منهم صاحبه بميزان وعظم الصراخ ونصبت الفخاخ وخاف الجبان وانهزم وخرس اللسان وانعجم واختلفت امم ونصر الله الموحدين ورحم وحكمت السيوف فى القلل والقمم وضحك الحسام وابتسم وتغير الجوواد لهم وأما سيف الحنيفيه فانه هزم من هزم وبعث نصف عسكره معاونة لقشعم وسار بالنصف الآخر للامير لمقدم وصاحوا احملوا على الكفار فقد نصرنا الله على اللئام الفجار وقد هزمنا من كان على باب الدرب وأنزلنا بهم الكرب فلما سمعوا ذلك الروم علموا ان طالعهم مذموم وعظمت فيهم الجراح والأورام وأيقنوا بالوبال فنزلوا عن الخيل فى المجال وتسلقوا فى الجبال (قال) فلما نظروا إلى ذلك العربان والسودان تبعوهم من كل مكان ونادوهم ياعبدة الصلبان تعليق الجبال والتسليق فى القلل العوال شغلنا ثم أنهم ترجلوا فى أثرهم وتسلقوا فى الجبل من ورائهم وأقبلوا يصيدوهم بالارجل وينكسوهم من أعلا الجبل ورموهم على الرؤس وأحاطوا بهم البؤس وملكوا الخيل عليهم ومدوا اليهم أيديهم ونصر الله المؤمنين وخذل الكافرين وأخذوا الاسارى والاسلاب واجتمع سيف الحنيفية بوالده عبد الوهاب وقال له ابشر بنصر رب الارباب (قال الراوى) وبينما الامير يتحدث مع ولده سيف الحنيفية وإذا بفارس يركض حتى وقف بين يدى الاميرعبد الوهاب فقال له الامير ماوراءك يامبارك فقال يامولاى أن الامير ابراهيم يسلم عليك ويقول لك اننا كبسنا الروم وأنزلنا بهم اللوم وأعاننا عليهم من له البقاء والدوام وانهزمنا وقد أخذنا البترك عندنا وملكنا الخزائن والاموال وأخذنا عشرة آلاف أسير فقال له الأمير عبد الوهاب وعقبة ما رأيتموه فقال لا والله يامولاى الأمير شو مدرس فلما سمع الأمير ذلك قال والله لقد وقعت فى خبال من غيبة أبو محمد البطال والأميره ومن معها من الامراء وانى اخاف ان يكون الملعون شومدرس قد أسقاهم كؤس الوبال ثم أن الامير نزل قاطع الجبال والدروب وتجمعت بين يديه الاسارى والاسلاب وقدم له الاميرابراهيم البترك فلما وقف بين يدى الامير فقال له ياشيخ الضلال ابن عقبة وشومدرس وشوما ودهرشوم والملك منويل قال أيها الامير ما عندى منهم خبر فلما سمع الامير ذلك قال والذى ارسى الجبال وقدر الآجال وبعث إلى الخلق سيد الرجال فهو

النبي المفضال صلى الله عليه وسلم لئن لم تعلمنى بهم لأسقينك كاس الوبال ثم أنه صاح خذوه فتقدمت إليه السودان وسحبوه وعلى الارض جرجروه وقال لهم الامير اضربوه فضرب سوطين فاثرت على جنبه وأحس بالموت فقال أيها الامير اصبر على والقوم فى دير سميع الراهب فكن لهم طالب (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان البترك لما علم بما عمل عقبة وشومدرس بالبطال وكيف أخذوه إلى دير سميع الراهب وحدثهم أيضاً عقبة بما أوصى به السودان أصحاب قراقد وأنهم حملوا الملك إلى الدير وشوما ودهرشوم وعقبة معه العلم بذلك (قال الراوى) ولما علم الامير أنهم فى الدير بعث سيف الحنيفية فى أربعة آلاف فارس فكبسوا الدير فما وجدوا فيه من يخبر بخبر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه لما قدمت العشرة آلاف فارس المنهزمين إلى الدير طالبين ونزل عقبة إليهم واستخبر عن حالهم وأعلموه بما جرى من هزيمتهم وان الحيلة التى عملها عقبة لعنه الله قد رجع وبالها عليهم فعاد عقبة إلى الدير وقال للملك قم الآن والا نؤخذ الساعة كلنا ونقع فى شباك البلا ثم انه أعلمه بهزيمة العسكر فقال منويل من أين يعلمو أننا هنا فقال أيها الملك البترك يعلمهم بحديثنا لان المسلمين ربما قبضوا عليه ويعاقبوه وهو نحيف الجسم لا يحمل عقوبة فيقر علينا فنهلك فقام الملك منويل وخرج من الدير وسار مع العشرة آلاف بطريق والبطال وغلمانه معه فى أشد وثاق وباقى الامراء وترك الدير بلقع وقصد إلى قلعة فى ساحل البحر على صخرة صماء ملساء فى الماء والقلعة شاهقة تعرف بالشهباء واسعة الفناء عالية البناء لا يفزع ساكنها لانها مجاورة الفرقدان وساكنها رهبان لها بابان من النحاس لا يعرف درعها من الرأس ولا يقدر عليها الناس ولا تحتاج لبواب كما قال

وقلعة شاهقة فى الهوى تكاد ان تلحق أفق السماء

فلما رأى عقبة إلى تلك القلعة تسلق فى الجبل فما وصل بابها الا بعد تعب وطرق الملعون الباب فأشرف مارس المقدم ذكره وقال من أنتم ياهؤلاء فقال عقبة اعلم يامارس أننا قد انهزمنا من أعدائنا والملك منويل معنا وأخوه وولده فافتح لنا لنكون عندك فقال مارس مالكم عندى موضع فاطلبوا لأنفسكم النجاة فقال له عقبة لاتفعل يارأس الراهبان ويامن هو عند الروم عظيم الشان افتح لنا فان وراءنا الطلب وان نزلنا من الجبل نزل بنا الويل والحرب فقال لهم الراهب وحق المسيح لو أدرككم الطلب لما صعدتم إلى عندى بل من مكانكم ترجعون فقال عقبة يامارس أنا الشيخ النجيح عقبة ابن مصعب ومعى الملك منويل وميخائيل وأرباب دولته

فلما سمع مارس قال وحق الصليب ان هذا يوم سعيد بقدوم الشيخ النجيح ثم انه نزل وفتح باب القلعة وتراما على عقبة يتبرك به ويقبل الأرض قدام الملك ثم أنهم دخلوا إلى الحصن وألقوا الاسارى فى مغارة فى وسط القلعة (قال الراوى) فلما استقر بهم الجلوس صعد الملك إلى أعلا القلعه ونظر إلى بحر من تحته وتلك الكعبة مشرفة على سائر الأقطار فأعجب الملك حسنها فالتفت إليه ميخائيل وقال له أيها الملك اعلم ان هذه القلعة قد وقعت بقلبي وأريدان تهبها وتقضى شهوتى فقال له الملك عند ذلك اعلم ان هذه القلعة لهذا الراهب ومن معه وقد صنع معنا جميل يفتحها لنا وما كنا بالذى نكافئه بالقبيح فقال ميخائيل أيها الملك انها قلعة مانعة ولا تصلح الرهبان لأن لها ضياع ورساتيق وانما يصلح لهذا الراهب موضع يكون فيه مع أصحابه ونعطيه قرية تقوم به فقال له الملك سندبر ذلك ان شاء المسيح (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان بعض أصحاب الراهب حاضر لكلامهم فلما سمع ماقاله الملك أقبل على مارس وأعلمه بما جرى فلما سمع ذلك اجتمع مع أولاده وقال يا بنى اعلموا ان هؤلاء القوم يريدون ان ينتزعون ملكنا من أيدينا الذى ورثناه من آبائنا فقال له ولده الأكبر وحق المسيح لقد أخطأنا فى فتح الباب لهم وقد صاروا زهاء عن عشرة آلاف ونحن فى ألف رجل من الرهبان ومن أين لنا قدرة عليهم فقال له مارس وحق الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لا سلمتها لهم ولو سلموا لنا القسطنطونيه وهذا ما لا يكون أبدا فقال يا أبتاه فما الذى نصنع بهم فقال يا بنى عندنا فى المطامير قوم أسارى مسلمين يقال عنهم انهم ألقوا الطعان وأنهم أهل الشجاعة فى الميدان وهم الذين أفنوا ملوك الروم والقسطنطونية وبلادها ومن الرأى انما ننزل إليهم ونعاونهم حتى نردهم إلى بلادهم فقال له نعم الرأى الذى أشرت به (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما انسدل الظلام نزل إليهم مارس ووقف أمامهم وشكى حاله إليهم وقال ان هؤلاء القوم يريدون ان يغدروا بنا ويأخذوا منا حصننا (ياساده) فقال له الأمير أبو الهزاهز وما الذى تريد منافقا ونحن نستجير بالله وبكم ونحن نحلكم من الوثاق وتعينونى عليهم وأكون السبب فى وصولكم إلى بلادكم فقالت الاميره يامارس سنفعل لك ذلك ان شاء الله تعالى على انما ان أعناك على القوم تمن علينا بخلاصنا وتوفى بعهدنا فحلف لهم على ذلك ثم أنه فك قيودهم وأتاهم بالسلاح من الدروع والاسياف وأمنهم بعد المخاف وذهب مارس إلى رجاله من أهل القلعة وشاورهم فى القتال وأعطاهم العدد وقال لهم قاتلوا عن حريمكم وأولادكم فلما ان جن الليل ثارت الأميره وأصحابها وتبعهم أهل القلعة ووضعوا السيف فى أعناق الرجال النيام وفلقوا الهام وانتشرت الرجال وصاحت الأميره باصحابها أين والله

هذه ليلة كسب الثواب والاغتنام أصدموهم أشد صدام وقاتلوا هؤلاء اللئام فعندذلك ثاروا وحكم السيف بينهم لما إن جاروا وجدعوا الانوف والرؤس أطاروا فعندذلك ثار الملك بمن معه من البطارقة وقدحاروا ولا علموا من أين أصيبوا ولا من أى جهة نكبوا فثاروا وقدعظم الصياح هذا والليل قدا نسدل على الخافقين وتزلزل الحصن بما فيه وقاتل كل من كان فيه ولم يزل القتال يعمل والظلام قد انسدل وكانت الاميرة تلك الليلة قبل أن يدخل عليها مارس قدرأت فى منامها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبشرها بالخلاص فأعلمت الامراء فاشتدت قلوبهم وقاتلوا جهد مطلوبهم ولم يزل السيف يعمل إلى الصباح وقد مضى الليل ورحل وطلع الصباح وقد بقيوا فى جحفل ولم يثبت لقتال البطارقة إلا الفئة الصادقة وأن الملك منويل قال للبطارقة أما ترون ما قد عمل بنا مارس إذا طلق علينا هؤلاء الأباليس فوحق دراع المسيح والإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل لأقتلن مارس شر قتلة ولأمثلن به أقبح مثلة (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه لما أرسل سيف الحنيفية إلى الدير ورجع وما وجد فيه من يخبر بخبر ولا من يقفوا له على أثر فلما سمع الأمير ذلك تبع آثارهم املا يسمع لهم خبر ولم يزل حتى أشرف على القلعة الشهبا وقد انهزم أهل الرستاق خوفا من السيوف الرقاق وأن الأمير لما قرب من القلعة ونظر إلى تحصينها ورأى الصياح يطلع والأسياف تلمع والبيض تسطع للتفت إلى أصحابه وقال وحق الذى سخر البحر الزاخر وتسمى بالملك القادر إن كان هذا الصياح الذى أسمع إلا الأميرة وأصحابها وأن الله تعالى خلصهم وأراد حفظهم فقاتلوا عن أنفسهم ثم إن الأمير عبد الوهاب ترجل وصعد إلى القلعة بمن معه من الفرسان المذكورين وساروا فى طريق كندريج النمل وصعدوا يريدوا أصحابهم وما وصلوا إلى القلعة إلا فى وقت الحاجة إليهم هذا والأميرة وأصحابها فى قتال تحير فيه الألباب وتندق له الاصلاب هذا ومارس الراهب قد أيقن بالعطب فرمى نفسه على البطارقة وهجم وحمل عليهم وصدم وضرب القمم وهشم الرمم ولم يزل كذلك حتى أخذ أسير وقادوه ذليل حقير ومثل بين يدى الملك منويل فقال له وحق آبائى وتربة جدى توفيل لا بد أن أرميك من على حصنك إلى الأرض ومن يقدر أن يخلصك منى (قال الراوى) فعند ذلك التفت الأمير أبو محمد إلى الأميرة وقال لها اعلمى أن الراهب مارس قد أخذ أسير ولا بد للملك من قتله فعندذلك أشارت الأميرة إلى أبو الهزاهز وقراقد وهارون العلوى فحملوا كالسباع وصارت البطارقة من بين أيديهم ومالوا على الكفره من غير امتناع وصاحوا صياح صمت له الاذان وهم يقطعون بتلك

الضربات المنافس ولم يزالو كذلك إلى أن خلصوا مارس ولما وصلوا به إلى الاميره قال لها إنى سمعت خارج الحصن ضجيجا عاليا وصراخا ناميا وما أدرى ماهو فقالت له الاميره أصحيح ماتقول فقال أى وحق المسيح فقال له أبو محمد وأين مفاتيح الحصن يامارس قال يامولاى أخذوها القوم منى فقال أبو محمد والله لقد تعلق قلبى بهذا الصياح وقد أردت ان أقف على صحته فقال له مارس أبشر بالخير وزوال الضير فقال أبو محمد وكيف ذلك قال اعلم أن فى هذه المغارة التى كنتم فيها سرداب تحت الارض لا يعرفه غيرى ولا يعلم به أحد من رجال الحصن الا أولادى لا نتاوصى به أولادنا إذا حضرتنا الوفاة فانزل اليه يامولاى وقف على صحة الخبر واعرف ماهذا الصياح المنكر (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأسرع أبو محمد فى الطلب ونزل المغارة ودخل فى ذلك السرب وجعل يمشى فى ازجة معقودة وقناطر مصنوعة حتى خرج إلى ظاهر الحصن وإذا بعساكر الامير عبدالوهاب والسودان وبنى كلاب وهم كالحبة فى المقلى على دخولهم إلى الحصن فأقبل أبو محمد اليهم وسلم عليهم فلما رآه الامير عبدالوهاب ترامى عليه وقال لا أوحش الله من طلعتك ولا أخلانا من بركتك ما كان سبب غيبتك فقال أبو محمد ماهذا وقت سؤال اسرع فقد خذلت أيدى الرجال وأحاطت بهم الاهوال ثم ان أبو محمد أخذ ألفين من خيار الرجال وتبعه الامير عبد الوهاب ودخل بهم من السرداب وقد ذهلت منهم الالباب فما أحست الأميره الا والامير عبد الوهاب والالفين فارس عندها فقوى عند ذلك قلبها فزال كربها وصاحوا صوتا واحدا خيل لأهل الحصن انه قد تزلزل حصنهم من الاركان ودبت القوم إلى الرجال دبا وناجزوهم طعنا وضربا ونادوا يا أعداء الله جاءتكم أولياء الله فدونكم وقتال المجاهدين ولم يزل السيف يعمل فى نواعهم الابدان وجار السيف اليمان وأسرف غاية الاسراف ووقع بأهل الحصن الارجاف وقاتلت أبطال شيظم وعطاف هارون العلوى والسادة الاشراف وسقوهم من الموت كاس تلاف ونادوا نحن سادات عبد مناف واشتد المخاف وقل الانصاف وذهب الاعتراف وزحفت السودان وقد أسعدهم الليل بظلامه وقاتل العرباض وأبو زنبيل ومسوا الروم مساء ميشوم وما كانت الا ساعة حتى أسر الملك منويل وأخيه ميخائيل ودار بهم الويل الطويل ونصر الله المؤمنين وأذل الكافرين وطلبوا عقبة وشو مدرس فما وجدوا لهما خبر ولا وقفوا لهما على أثر فقال أبو محمد وكيف يفلتوا هؤلاء الملاعين من أيدينا (قال) وكان السبب فى هروبهم انهم لما سمعوا صياح السودان واختلاف الاصوات مثل الغربان علموا ان المسلمين قد صاروا

معهم وكان الذى تسلم المقاتيح من مارس الملعون شومدرس فلما سمعوا الصياح فتحوا باب الحصن وهربوا فلاجل ذلك فقدوا لما طلبوا فعند ذلك قال الملك وحق المسيح ما معنا منهم علم (قال الراوى) ولما حصل فى الحصن الامير و نصر الله أمة البشير النذير صلى الله عليه وسلم قال مارس الراهب اعلم انى كنت فى هذا الحصن أعبد الله ولا أشرك به شيأ وأنا اعلم ان عيسى ابن مريم عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ولا أتبع من جحد وظلم وان الله الذى لا إله إلا هو الفرد الصمد الذى خلق الخلق وأنعم وقدر الآجال وقسم وهو بارىء النسم ومنشىء الامم وخالق اللوح والقلم وأنا أشهد أن لا إله الا الله وحده ولا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا الحصن منى مسلم اليك فأعطوه لمن شئتم وها أنا معكم حيث سرتم ففرح الأمير ثم التفت إلى أصحابه الرهبان وقال أيكم يدع الاشراك والطغيان ويكف عن عبادة الصور والاجسام ويدع الكذب وسلوك حجة البهتان ويسمع مقال الملك الديان الحنان المنان فقد قال عز من قائل ولا تتخذوا إلهين اثنين فاتبعوا صاحب المعراج ومن له القبلة والاحتجاج والنور والابتهاج صاحب البردة والقضيب والتاج سيد الامم وأفضل من مشى على قدم الذى بشر به عيسى ابن مريم (ياسادة) فعند ذلك أجاب من الرهبان البعض والبعض بقيوا على دينهم وأن الأمير عبد الوهاب قال والله ما يصلح هذا الحصن إلا ليانس المتغرب وأصحابه وأخذ مارس الراهب معه وأهله وأمواله وأولاده وأخذ الملك منويل وأخيه ميخائيل والبطارقة ونزل من الحصن مؤيدا منصورا ولم يزل الأمير يقطع الأرض من بلاد الروم إلى أن خرج من ذيل الجبل الأسود وخرج من هناك يطلب حصن يانس (قال الراوى) فلما أن نظر يانس إلى العسكر وقد أشرف ولاحت له الرايات الاسلامية والاعلام العباسية وعند ذلك نزل إلى لقائهم وقد علم انهم عساكر الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب فأقبل اليهم وسلم عليهم فقبله الامير عبد الوهاب واعتنقه اعتناق مشتاق وقال يانس أيها الامير الله يعلم انى كنت مشتاقا اليكم وقلقا عليكم فالحمد لله على هذا اليوم إذ نصرك الله على القوم ثم سلم على المسلمين ونزلوا كلهم حول الحصن وصعد الامير والامراء وحولهم الاسرى ثم حدثوا يانس بقصة الحصن والقلعة الشهباء وأن الامير قدوهبه له ففرح بذلك فرحا شديدا وقال والله يامولاى ما على وجه الأرض مثله وسوف أجعل فيه مالى وذخائرى فقال له الامير قد سلمته إلى ألف من أصحابك فابعث اليه من تثق به فبعث يانس اليه ولده عبد الله وبعث معه الاموال والذخائر والرجال وأقام الامير عند يانس لينال الراحة ثم قال له هل عندك خبر من الرشيد فقال له نعم بلغنى أن هذا الخارجى ظالم ابن الغريب قد وصل إلى مكة بعسكر العرب وان

الرشيد قد مضى إليه (قال) ثم إن الأمير أقام عند يانس خمسة عشر يوما ولما عول على الرحيل أمر بالملوك فمثلوا بين يديه فلما رآهم قال لهم والله لقد أوضح لكم الدهر سبيله وأراكم أحكامه النازله فى ابنائه وقبيله وقدقلدناكم البغى مرارا وأنتم لم تزالون غادرين فى أيمانكم ناكلين ولا بد لى الآن من ضرب رقابكم ثم أنه جرد سيفه عليهم وهم بهم فعند ذلك وثب إليه يانس ووقف بين يديه وقال يا سيد الامراء وحق حنا ومريم والإنجيل المعظم ما أدعك أيها الأمير تقتلهم فى حصنى (قال الراوى) وإنما فعل يانس ذلك تسترا لحاله إذ هو فى وسط بلاد القوم ولا يقدر أن يتظاهر بالإسلام سياسة لأمره فعند ذلك قال له عبد الوهاب فلا بد من أخذ الفداء فقال يانس يا مولاى أنا ازن عن الملك من عندى إلى أن يبعث إلى القسطنطونيه ثم أن يانس وزن المال من عنده إلى الامير عبد الوهاب بما تقرر بينهما وكان البطال قد قرر عليهم قديما فصاروا يعرفونه وتسلمهم يانس وأكرمهم غاية الاكرام لأن الملك من اقرباه فعند ذلك بعث الملك منويل إلى القسطنطونيه فجاءت الاموال إلى حصن يانس وشيعهم بنفسه ثم قال أيها الملك ها أنت ترى ما يعاملوك القوم به وأنت ملك من ملوك الروم فكيف أنا إذا هادنتهم على هذا الحصن ورستاقه وضياعه فقال الملك قد أعذرناك فى فعالك لانك تسوس الامر عن بلادك (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأخذ الامير فدية الملوك وسار من حصن يانس طالبا أرض ملطيه وسارت المواكب والكتائب وقدم السبى والمال قدامه ونشرت راياته وأعلامه وبنوده وتقدمت أبطاله وجنوده فلما استقام على الطريق انشرح خاطره وجنانه وقد فرح بسلامته وسلامة أصحابه فأنشد يقول

إلى الله أشكو ما ألاقيه من دهرى من … الهم والاحزان والوجد والفكر
تشتت شملى فى البلاد لغربتى … وكم قطعنا من بحار ومن قفر
وصلنا إلى أرض بعيد سلوكها … ولبس بها إلى مصرا على الكفر
وهذا قضاء الله حقا وما لنا … سوى حسن الصبر والفوز بالاجر
إلى أن قطعنا الارض شرقا ومغربا … وصرنا أسارى الروم حقا بلا نكر
ومن يغترب عن أهله وبلاده … فيوشك أن يشتاق من غيبة السفر
وجاء مشوم الوجه أعنية عقبة … فأوثقنا فى قبضة الملك بالمكر
وقال الكافرون أيضا بحق من … أراك صليب الروم فى فلك البحر
ومن قد غشاك النور والعز والبها … وألبسك الباس الجلالة والفخر
لقد نلت فخرا بالذين ملكتهم … ونلت بهم عز على البدر والحضر

فأحرمهم عيش الحياة فانهم ... عماد دين الإسلام فى العسر واليسر
وأضرم نارا تملأ الأرض والفلى ... فنار على نار وجمر على جمر
ولاحت لنا يا صاح فى البحر مركب ... فمن إلهى بالخلاص من الاسر
وأصبح بطليموس والروم نحونا ... فسرنا إليهم بالصفاح وبالسمر
وقدنا ملوك الروم فى الذل والاسى ... ومن إلهى بالسعادة والنصر
وأسلم كندفرون حقا وأهله ... برب رسول الله والطاهر الطهر
كذلك بطليموس قد صار مؤمنا ... يدين بدين الله فى السر والجهر
وإن حديثى فى البرية شائع ... تحدثه السفار فى السهل والوعر
وكم قد رأينا من بلاد ومعشر ... وظفرنا رب السماء بمن يسرى
وجاءت جيوش الكلاب منويل نحونا ... فأورثتهم طعنا أحر من الجمر
وها أنا حقا ابتغى ملطية ... وقد طال شوقى نحو من تكسف البدر
عليها سلامى كل يوم وليلة ... وما طافت الحجاج بالبيت والحجر

(قال الراوى) وكان البطال قريب من الأمير عبد الوهاب فلما سمع آخر هذا الشعر اشتد به ذلك وتصاعدت زفراته وتكاثرت حسراته فرأته الأميرة ذات الهمة فقصدت إليه ووقفت بين يديه وقالت له ما بالك يا أبا محمد عليك بالصبر فعاقبته أجود فقال لها ألا ترين إلى ولدك كيف يذكر حبيبتى فقالت له الاميرة طب نفسا وقر عينا فانى لا أزال لك معينة وأبلغك ما تهوى ولو قطعت رؤس وملئت حبوس فعندذلك وثق بقولها ولجأ إلى فعلها ولما قطعوا الدروب ووصل الامير عبد الوهاب إلى ملطية خرجوا أهلها إلى لقائه ودخل إلى البلد فى فرح وسرور بغبطة وحبور ولما استقر به المكان سأل عن أخبار الرشيد فقيل له أنه يقاتل هذا الخارجى الذى قد خرج فى الحجاز وقد مضى الامير ضيغم وبنى كلاب وبنى سليم إليه وما ندرى ما كان منهم (قال الراوى) فلما استراح الامير وأراح دخل إليه الامير أبو محمد ووقف بين يديه وقال له نعمت صباحا ولقيت نجاحا وقد زدت خيرا زائدا ونجمك لا زال صاعدا يا ابن السروات القادة والامراء السادة أنظر إلى أخيك البطال بعين القبول والافضال ولا تتعرض ولا تبدى الصدود وجد على بالمقصود فأنت الجواد وكعبة الجود وفضلك الموجود انعم لى من نورى بعناقها فما لى طاقة لفراقها فان مننت فبفضلك وإن منعت فلا يعترض عليك ثم أنه تنفس صعدا وأن كدا وأنشأ وجعل يقول

قفوا وانظروا ما أورث الحب صاحبه ... ألا واحذروا شر الهوى وعواقبه

هلموا إلى جسم برى الحب عظمه وأنزل بعد العز بالذل جانبه
وكم قائل ما يصنع الحب هكذا فقلت بلى والحب يقتل صاحبه
غزالا أذاب الجسم منى محبة خليلى هل من مسعد فتعاتبه

وأنت تعلم أيها الأمير ما جرى على من المهالك فهل من مطمع فى إفضالك وأريد تمام وعدك فلا ترميني بهجرك وصعدك ثم أنشد وجعل يقول

أيا أوحدا فى الدهر عن جانبه أقام منار الجود بالبذل والبر
فان قلت فى التشبيه يشبه حاتما أقول معاذ الله يقذف بالكفر
ولكنه فى بذله الجود جعفرا وخالدنا فى ذلك الندب والعصر
ألا أيها المولى الأمير ومن غدا يزيد على كل البرية بالفخر
ولولا مس الصخر الأصم بكفه لأنبع عذب الماء من جلمد الصخر
ويامن له كف يفيض من الندا وراحته بحر تزيد على البحر
أريد قريب الوعد يا غاية المنا فجد لى بنورى أنها طلعة البدر
وإلا وحق الله أفسدت صلحنا وترجع مأسورا قريبا وما تدرى

(قال الراوى) فتبسم الأمير من قوله وقال ابشر يا أبو محمد ببعد الردا وامهلني إلى صبيحة غدا (يا سادة) فمضى أبو محمد وقد طار قلبه فرحا ورقص مرحا وطالت عليه ليلته وزادت فكرته فأنشد يقول :

كبد قد مسته كمد من هجير الهجر يتقد
ان خبت نيرانكم سحرا فاقدحوا من مهجتى وقدوا
لا تريقوا بالبعاد دمى سوفوا بالوصل أو تمدوا
إن ترون القتل مفترضا جاء ما فى الدين يعتقد

(قال الراوى) ومن الصبح جاء الى الأمير فرآه لا يعبأ به فأنشأ يقول :

هززتك لأنى قد وجدتك ناسيا لوعدى ولكنى أردت التقاضيا
فانى رأيت السيف بعد سله إلى الهز محتاجا وإن كان ماضيا

فقال له الامير امضى يا بو محمد إلى دار علوى فهى تسلم إليك نورى فمضى البطال إلى دار علوى وسلم عليها وأعاد عليها ما أمره به الامير عبدالوهاب فضحكت ومضت إلى السرداب فوجدت نورى زاد جمالها فقامت وسلمت عليها فقالت لها الامير تريد يسلمك للبطال فقالت نورى الامير عدم عقله يسلمنى للبطال وقد قاسى على الاهوال

وأنا أكون للسيد لا للغلام وإذا هى بالامير عبد الوهاب دخل عليها فلما رأى حسنها ذهل وقد رأى إلى سواد مقلتيها وتقويس حاجبيها وسحر عيونها واعتدال قوامها إذا مشت يقعدها كفلها فلما رآها الامير على تلك الحالة عول أن يرد فى وعده وان ينقض عهده ثم أمرها بالخروج فخرجت من السرداب إلى وسط الدار وقد علمت ان الامير عبد الوهاب قلبه قد طار وفكره قد حار وكان عليها قميص لازوردريحانى قد أحرق القلوب وهى كالشمس فى حمرة الشفق وعلى رأسها قناع أزرق يعشقها من لا يعشق حديثها موصوف واعكان بطنها صفوف والنظر إلى غيرها مصروف وقد غاص خلخالها فى نعومة ساقها وهب الهوى فرفع أذيالها إلى عجزها فشالها ولم يجد القميص سبيلا إلى الزوال من رفعة تلك التلال وفيها قيل

بردف مثل تل علا على قضيب　　من البان المحبب للقلوب
إذا ما صرت فوق الردف منها　　فأنت على حصون من كثيب
إذا طلعت تغيب الشمس خوفا　　من الخجل الموكل بالمغيب

(قال الراوى) ثم ان نورى التفتت إلى الامير عبد الوهاب وقالت أيها السيد أسلب عقلك حتى تسلم مثلى إلى البطال ولا يستاهل الا الصفع بالنعال وها أنا قد وهبت نفسى إليك من اليوم فدع العتب واللوم وأنا أشهد ان لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (قال الراوى) فلما سمع الامير هذا المقال تبسم وقال الله أكبر ذهب العناد والحزر ثم قال يا بو محمد نورى قد أسلمت وقد أعتقتها وصار حكمها بيدها وأنا والله لها عاشق وبها رامق (قال) فلما سمع الامير أبو محمد هذا الكلام طار العقل الذى وهبه الله له من رأسه وقال تكذب هذه العاهرة الفاجرة الجاحدة الكافرة فقال الامير عبد الوهاب يا أبو محمد نحن لنا الظاهر والله متولى السرائر وان طلبت ان تتزوج بك فانا والله أزن المهر من عندى وان طلبت غيرك زوجتها له وما تقدر تعمل شىء ومع ذلك فلو كانت الجارية لك مملوكة وقالت ما أريدك وأريد البيع ودار النخاس لما قدرت ان تمسكها ولو كانت لك زوجة وأرادت الطلاق لكانت الغالبة لك من سائر الجهات والوجوه وأنت فما الذى تقدر أن تصنع وقد علم الناس ان مالى اليك ذنب فقال البطال تكذب فى هذا القول لانك لو أردت ان الجارية تصل الى لكان هذا الكلام على غير الصفه وانما أنت أنعمت لى بها فلما رأيتها انحلت عزائمك ولانت جوارحك فعدت الى قلة دينك أليس أبوك الحارث الذى كفر بعد الايمان وترك دين الاسلام بعد الايقان وأما قولك ما الذى تقدران تصنع فوالله العظيم أننى أراعيك الله تعالى لأنك تجاهد فى سبيل الله وتذب عن ملة رسول الله والآن حيث بان لى أنك غدار تعاهد وتنكث

وتقول ولا تنى فقد بان دينك وظهر كذبك وتغير أمرك ولا بد ما أقطع راسك وأضيف إليه رأس كلب فكم تلاهيني مرة بعد أخرى ولو كان معي عقل وبصيرة كنت خليت عقبة يدوس فى قرنك ويقلع عينك ويقطع يديك ورجليك وانما خاطرت بروحى لاجل السيدة الأميره المجاهده الأميره ذات الهمة التى هى وفيت بقولها والله لئن لم تعاونى عليك لأعجلن نكالها ولا ألتفت إليك ولا إليها ولا للرشيد وأنا خليفة عصرى وأمير روحى وهذه الملعونه تظن انى من بعض غلمانكم وتقول المولى أحب إلى من الغلام وما تعلم أنك أنت وأمثالك عندى مثل الخدام وما يأخذنى على قتلك ندم وأنا الذى لا أتخلى عنها ثم ان أبو محمد أنشد يقول

أيا من له وجه قبيح وفعله ... ردى وأضحى لا يتم على العهد
ويا من له عقل سخيف ورأسه ... خفيف ووجه يشبه القرد بالجد
وحق النبى المصطفى وأهل بيته ... وحرمة ما أتلوه فى سورة الرعد
لئن لم تدع نورى وترعى مودتى ... وإلا فأيقن بالهلاك بلا بد

(قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب كلام البطال وشعره عظم عليه وكبر لديه وطار الدم من عينيه (يا سادة) وإذا كان الإنسان حبيب وهو بين يديه وكلمه الانسان بما يشق عليه فذلك أشد الاشياء عليه وأن الامير عبد الوهاب لم يملك نفسه دون أن ضرب بيده إلى قائم سيفه وانتضاه من غمده وضرب به أبو محمد على رأسه فقطع السيف أكوار عمامته ونزل إلى رأسه فجرحه جرحا واضحا فأسال دمه على وجهه وأن الامير رفع يده بالسيف ثانية وهم أن يضربه ضربة أخرى وقد أخذته الحمية واكتنفه الغضب فدخلت فى تلك الساعة الاميرة ذات الهمة فصاحت بالامير عبد الوهاب ودخلت فيه وقبضت السيف من يده وقالت ما هذه الفعال فقال وذمة العرب لا بد من قتل هذا الكلب فلقد تجارى على بما لم يتجارى به بشر فقالت الأميرة يا بنى هذا كله لماذا فأعاد عليها قصة إسلام نورى وكيف أعتقها فعلمت الأميرة ذات الهمة أن الامير عبد الوهاب لما رأى نورى لم يستطع الصبر عنها فقالت أيها الامير الاجل إذا كانت قد اسلمت فزوجها للأمير أبو محمد لأنك سيدها وقد أعتقتها والولاء لمن أعتق ولك أن تزوجها لمن شئت طائعة أو كارهة فقال الامير عبد الوهاب لو كان هذا قبل أن يجرى هذا الامر لكنت فعلت ذلك والآن فقد جرى ما جرى ولا أفعل ذلك أبدا ومن قال لى بعد هذا كلمة واحدة فقد أظهر العداوة وأنا أقسم بذمة العرب أنه من عاودنى فيها علوته بالسيف (قال الراوى) وارتفع الصياح بأن عبد الوهاب قد قتل البطال

فبكا ميمون الجماس وصاح فى رجاله الذين أتوا معه من آمد وزحفوا إلى دار الأمير فوجدوا أبو محمد على حال السلامه إلا أنه قد جرح جرحا واضحا لأن الأمير ضربه وكان بعيدا عنه فجاءت الضربة غير واصلة فلم تكن قاتله وأن ميمون الجماس دخل على الأمير عبد الوهاب وقال له سبحان الله العظيم ما يستاهل الأمير أبو محمد منك أن تفعل به هذه الفعال وها أنا آخذ تاره وله من يسمع كلامه ويضرب بالسيف أمامه (قال الراوى) فلما سمع الأمير كلامه قال له امسك عليك يا أخس الناس فعند ذلك قام قراقد إلى ميمون الجماس وقال له من أنت يا أخس العبيد حتى تخاطب الأمير بمثل هذا الخطيب الشديد يا أوغد العرب ويا حمال الحطب ويا حليف الحلب ثكلتك أمك وعدموك قومك (قال) فلما سمع ميمون الجماس ذلك جرد سيفه وهجم على قراقد وكذلك فعل قراقد والتحما فلما سمعوا أصحابهما بأن ميمون الجماس وقراقد قد التقيا جردوا سيوفهم وحملوا على بعضهم البعض وقد قال القائل أعوذ بالله من فتنة العرب ثم ارتفع بينهم الصياح وكثر الكلام وركب كل واحد منهم هواه وتواخذوا الاميران وخرج الفتيان وارتفع الضرب من السودان والبربر والحبشان وعظم الشان وطلع الغبار إلى العنان وسمعت الاميرة ذلك فدخلت بين ميمون وقراقد وفرقت بينهما ثم أنها خرجت إلى الطائفتين ففرقت بينهما وعادت الاميرة إلى الامير عبد الوهاب وقالت له ما هذا صواب فدع عنك اللجاج وسلم الجارية للأمير أبو محمد البطال فقال الامير هذا لم أسمعه ولو كان من غيرك لأخذت ما فيه عينيه فقالت الاميرة وقد لاح لها الغضب فى وجهها اعلم اننى ما أنا أبو محمد البطال تضيح فى وجهه وترفع سيفك عليه وحق النبى المنتخب لئن لم تعطيه الجارية طوعا لأخذتها منك غصبا لأبو محمد أحق بها منك من وجوه عدة أحدها أنه يرمى نفسه من أجلك فيما لا يقدر عليه أحد غيره وكان سببا لخلاصنا من الحمام فسلم إليه الجارية التى قامت عليها الفتنة اليوم من خمسة أعوام وكل يوم لنا من أجلها كلام فسلمها إليه وإن امتنعت من ذلك فوالله ما أنت عندى أعز من أبو محمد البطال وإنى أكون على العهد من أجل الفرد الصمد ولا أراعى فى ذلك أهلا ولا ولد وسوف يكون هذا سبب هلاك واحد منا أو تقوم الساعة نبرك أنا وأنت إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فان أنت ظفرت بى فالجارية لك وما ينازعك فيها منازع ولا يدفعك عنها مدافع وإن أنا ظفرت بك سلمتها لأبو محمد فعندها قال الامير عبد الوهاب إن كان شهوتك ذلك فقد رضيت ولعل أن أقتلك كما قتلت أبى الحارث لأنه كان كافرا وأعوذ بالله من هذه الساعة وشرها فقالت له الاميره دونك والخروج إلى الميدان ثم إن

الأميرة ذات الهمة التفتت إلى الأمير أبو محمد وافتقدت جرحه وحشته بالدواء والمرهم وضمخته بالطيب ثم أنها قطعت قطعة من عمامته وشدت جرحه وغيرت لباسه قالت له طب نفسا وقر عينا فأنا آخذ هالك الساعة فقال أبو محمد هذا والله الذى أعهده من فعالك أيتها الأميرة المجاهدة وبالله العظيم أنك فى هذا توجرى من ثلاث وجوه أحدها إنى معول على قتل الأمير عبد الوهاب ويحملنى على ذلك المحبة وغلبة الهوى والثانى تردين لهفتى وتطفين حرقتى فانى قد أشرفت على العطب والثالث تكونى قد وفيتى بالنذر والعهد (قال الراوى) ثم التفت الأمير عبد الوهاب إلى الأمير أبو محمد وقال له رضيت بما قالته الأميرة ان هى قهرتنى فالجارية مسلمة إليك وإن أنا قهرتها كانت الجارية لى ولا يبقى بعد ذلك مراودة ولا معاودة (يا سادة) فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك أقبل على ذات الهمة وقال لها أيتها الاميرة ابصرى كيف تكونى مع هذا الشيطان فإنى أخاف أن تكون حيلة بينك وبينه على حتى أحكم الناس على وأشهد الطوائف على قولى وتتخاذلين له حتى يقهرك وأموت أنا وتموت الملكة نورى من يدى وأنا والله العظيم ورسوله الكريم إن عملتى هذا لما أحسبه لكى ولو جرى ما جرى فعند ذلك ضحكت الاميرة ذات الهمة من قول أبو محمد وقالت له اعلم أننى ما صدقت ولدى فى طعن ولا ضرب ومعلوم أنه لأجل ما فى قلبه من الهوى وتباريح الجوى والشوق فانه ما يقعد عن ممكن وسوف يبذل من نفسه المجهود ولا سيما وهو يريد يظهر للملكة نورى أنه أشجع أهل الأرض من أهل زمانه وأنه الصائل على أقرانه وهذه حالته وأما أنا أفهم ذلك لأننى أريد لأجل حميتى فى الدين ووفائى بالقول أبذل المجهود فى قتال الولد الودود وربما كان سبب قتل واحد منا فقال أبو محمد أما علمتى أنه على النخوة والحمية يقتل فى ساعة مائة ألف والآن لا تتركى من مجهودك شيأ ودع يموت (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك من أبو محمد علمت أنه قد سلب عقله ولبه بما فى قلبه وفؤاده من المحبة وإلا فما كان يهودى قتل الولد على يد والدته ويقول لها اجهدى جهدك فلا تبالى بمن قتل (يا سادة) وأن الأمير عبد الوهاب لبس لامة حربه وخرج إلى الميدان وفعلت الاميرة كفعله وأركبت أبو محمد معها وركبت العرب من بنى كلاب وركبت السودان الانجاب وخرجوا النسوان والصبيان وكان يوم لم يسمع بمثله فى ماضى الزمان وكان حالهم كما قال القائل حيث يقول

أفدى الذى فى جفنه قوس الردى ... ترمى لواحظه عيون نشابه
ناديت يا مالك السماء أما ترى ... هذا يروم قتاله أحبابه

(قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة والاحوال الغريبة وركبت الاميرة علوى

من خوفها على الامير عبد الوهاب وقالت الحديد يحكم لنفسه فى الحرب ولا يحكم الإنسان عليه ثم عادت على نفسها بالملامة كون أنها لم تسلم نورى للأمير أبو محمد البطال من النوبة الاولى وكانت أراحت نفسها من الغيرة منها ومن هذا الامر وخرج الامير عبد الوهاب على جواد جيد بعيد من الردى مثل البرق إذا هدا صاحبه فى أمان من العطب والردا فى خطوته يقطع البيدا وبسرعته يقطع بعيد المدا وهو لصاحبه فدا مليح الخطوة والمرام مطواع للسرج واللجام ولاج للمواكب فى حال الزحام فهو كما قال فيه من هام حيث يقول هذه الابيات

وأدهم فى الظلام تراه يجلو بغرته دياجير الظلام
ترى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق من حلل الغمام

(قال الراوى) وعليه درع قصير الأكمام مليح النظام وفى يده حسام إذا وقع على الرؤس تنزل إلى الاقدام هذا والامير عبد الوهاب فى قلبه من كلام أبو محمد وأيضا من الملكة نورى ما يريد يخليها بعد ما رأى منها المطارعة والرغبة والمسارعة وأيضا كيف احتمت الاميرة إلى أبو محمد البطال دونه وقد أضمر أنه يقهرها ويخجلها بين الفرسان ولا يكسر نفسه بين العرب ويشيع عنه ذلك فى البلاد من بعد وقرب وظهر فى الميدان ونار الزفرات تخرج من مناخيره وأشار بيده إلى الاميرة ذات الهمة (قال الراوى) عندها خرجت الاميرة على جواد أشهب شديد العصب قوى القصب واسع اللبب شريف النسب فى لون الذهب مدور الحوافر واسع المناخر مليح المقل والمحافر قد أخذ من الريح هبته ومن الاسد وثبته ومن النمر وقاحته ومن الثعبان عودته ومن الماء اندفاقه ومن الطير انطلاقه كما قال فيه القائل

وأشهب يسبق طير الفلا ويسبق البرق إذا البرق لاح
يجرى وتجرى الريح من قبله فيدرك الفرصة قبل الصباح

(قال الراوى) وظهرت الاميرة ذات الهمة إلى الميدان على ذلك الحصان وقد لبست قباء تركى من قباطى مصر من فوق صدره ذرد مضاعف العدد ضيقة العقد كأنها عيون الجرد وفى يمينها حسام فصال الرجال قتال يقطع فى الجبال ويصلح ليوم الاهوال ويبيد الاعمار الطوال وينزل فى البيض الثقال كما قال فيه بعض واصفيه حيث يقول

ومهند يغشى العيون سناوه من نور حده
وفى كل يوم قادم كلفت تجديد لغمده

وفى يدها رمح أسمر عليه سنان كانه جمة عقرب أو قبس على مرقب أو نار ذات لهب ثم انها قصدت إلى الامير عبد الوهاب فصاح بها الامير ابو محمد تمهلى ايتها الاميره على حتى أقول لك ماتصنمين فقالت ماالذى تريد ياابو محمد فقال لها ايتها الاميرة إن كان يشق عليك ملاقاة ولدك فاعلميى لان الاسود الزنيم مابقى له قول ولا زمام وأريد من قبل اللقاء أن تشهدين عليه بأنه لا يغدر ولا يعود فى كلامه فقالت الاميره ذات الهمة نعم مارأيت ياأبو محمد ثم أنها جمعت مشايخ بنى كلاب وأمراؤهم وقالت الآن يا عبد الوهاب ذهب المزاح وأتى الجلد وأنا لاأبارزك ولا أناضلك حتى تقسم بالله العظيم ورسوله الكريم وبذمة العرب والا برئت عن دين الاسلام إن أنا قهرتك لا تتعرض للجاريه نورى ولا تمنع أبو محمد منها وتكون عونا له عليها فعند ذلك قال الأمير عبد الوهاب وكذلك يحلف أبو محمد إن أنا أسرتك لا يعود يذكرها بكلمة واحده فقالت الأميرة ذات الهمة نعم مافلعت ثم أنها التفتت إلى الأمير أبو محمد وقالت له ها أنت تسمع ما يقول الأمير عبد الوهاب فقال لها الامير أبو محمد البطال أبصرى كيف تكونى وكيف يكون قتالك فان روحى بك معلقه فقالت له اعلم أن النصر من عند عند العزيز الحكيم والله إنى لا أبقى من جهدى شهد الله شيأ فى محاربة ولدى عبد الوهاب فاما أن يكون قتيلا أو أسيرا أو أكون أنا باحدى هذه الصفتين (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك من كلام الاميره ذات الهمة قال الآن طاب قلبى ثم أنه حلف لها وأقسم بالله العظيم أنه لايتعرض لها ان غلب الامير عبد الوهاب للاميرة ذات الهمة وحلف أيضا الامير عبد الوهاب وشهدت شيوخ العرب والسودان ثم انهما حملا وتقابلا وتصايحا بجواديهما فقال الامير ياأماه قد حملنى نفسك من هذا الامر مالا يعنيك وإنى أخاف ان أدريك وان يذهب سناى فيك فدعى عنك هذا الامر فقالت له الاميره فلا يخطر على بالك لان الامير أبو محمد ان لم نعرفه ولا كان له علينا خدمة لساعدناه فكيف وانت قد أخلفت وعده ونقضت عهده وقد فعلت معه كما قال بعضهم

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك من كلامها وما أبدته من نظامها غضب غضبة المعروف عند العرب وحملته النخوة وحمل عليها وهو يقول

أدلهمة إنى نصحتك فارجعى والافقد حان الفراق مدى الدهر
ولا تحسبى إنى أكون مقصرا وانك بالافعال منى إذا تدرى
حلفت ببيت الله والركن والصفا وموقف إبراهيم والحج الحجر

لئن لم تعودى عن قتالى وموقفى ... ولا تطمعى فى أخذ من هى كالبدر
وفى كبدى منها غرام ولوعة ... وإن فؤادى من هواها على جمر
وخاطبنى البطال من أجل حبها ... بأقبح لفظ بالفواحش والنكر
ولا بد لى من قتله وهو راغم ... وأتركه وقفا على معظم الامر
فان ترجعى عنى تعودى بفرحة ... وتنجين من سيفى ومن طارق الدهر

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك من كلام ولدها غضبت عليه غاية الغضب فعند ذلك صاح أبو محمد جولى على الاسود وجبيبه على شعره حتى يخليها وهو أصلح له (يا سادة) فعندها أنشأت الأميرة تقول

أيا من له فعل يدل على الغدر ... أيحمل بى إن أخلف القول فى الدهر
ولو إننى أصبحت فى مهمة الفلا ... وقد حامت العقبان فى الجو والنسر
فوالله لا أثنيت رأبى عن الذى ... أروم ولو إنى أوسد فى قبرى
وحق النبى المصطفى وأهل بيته ... وحق الذى قد خصه الله بالحشر
وقال له أنت الشفيع الذى به ... يجوز عدا أهل الذنوب على الجسر
تركتك وسط القاع شلوا بجندلا ... تجول عليك الخيل فى المهمة الوعر
فعند سالما منى واعلم بأننى ... إذا قلت قولا ليس أخلفه عمرى

(قال الراوى) فعند ذلك قال الأمير أبو محمد أيتها الأميرة انجزى فيه الأمر فانه قاء العين وما يعطيكى إياها إلا وهو كاره وما يدرى إنى قد لقيت من أجلها المكاره وشربت من أجلها كاس المنون ثم أنه بكى وأنشد

أيها الست الجليلة قدرها ... ورقت لحالى والذى قد دهانيا
خذيه ولا تبقى عليه فانه ... يميل إلى نورى ولم يدر مابيا
أجيرى محبا أنحل الشوق جسمه ... وأصبح شخصا لا يجيب المناديا
وإنى أنا البطال من أين يلتقى ... على الارض مثلى فارحموا سوء حاليا

(قال الراوى) فرقوا الناس لكلامه فقال له قراقد ويلك يا أبو محمد سلبت عقلك حتى رميت بين الولد وأمه والله لا انفصال بينهما إلا بقتل أحداهما فقال دعها تقتله فانى معذور وأنشد وقال

كم محب بقومه فجعا ... قطع الحب قلبه قطعا
يكابد الشوق دائما أرقا ... من حكم الحب فيه ما جمعا
قد قرحت خده الدموع كما ... أنحله حب من له فدعا

(قال الراوى) وحملت الاميرة على الأمير وعلا عليهما الغبار وانقسم العسكر قسمين

وتقاتلوا وقوم يقولوا الاميره تغلب وقوم يقولوا الامير يغلب فقال الامير للاميره وقع الخلاف بين عسكرنا وعلينا فى هذا ثم فنرجع إلى القوم ونفصل بينهم ونعود للقتال فقالت الاميره نعم فعندها رجع إلى الناس وفرق بينهم ورجعت كل طائفة عن بعضها بعدما لقوا مشقة عظيمة ثم غيروا خيولهم وعادوا للقتال ولم يزالوا فى قتال وجدال وطراد إلى تضاحى النهار ونظرت الاميره من الامير مالم تراه منه فى سائر الاوقات فأخذت جذرها منه خوفا على نفسها وتقاربا وتباعدا واختلفت بينهما ضربات كان السابق بالضربة الاميره ذات الهمة فوقعت الضربة على رأس جواد الامير طيرته إلى الأرض منقلبا فعند ذلك وثب الامير عبد الوهاب عنه كانه العقاب الكاسر وضرب قوائم جواد الاميره فبراهم كما تبرى القلم فنزلت الاميره إلى الارض وبطل الركض ورموا ما فى أيديهم من العدد واعتمدوا على القوة والجلد وزحف كل واحد منهما إلى صاحبه ونظر الامير من الاميره الجلد فأخذ لنفسه الحذر منها بالحذر وتعاركا وتماحكا وتشابكا حتى جرى العرق واحمرت الحدق وزاد القلق وعظم الفرق ثم ان الاميره صاحت بالأمير صيحة أرهقته وقالت يا ابن البدوية راعية الشيح والقيصوم بلغ بك الأمر إلى هذا ثم أنها جذبته نخلعته من الأرض وشالته على سواعدها ووقفت به ساعة وهو على يدها كأنه عمود حديد (قال الراوى) فصاح بها الأمير أبو محمد أيهن يا سيدتى بالله اضربى به الأرض حتى ينقطع نسله ونكفى أذيته وشره فعند ذلك ضحكت الأميرة ذات الهمة من قوله وهمت أن تضرب به الأرض فصاح الأمير عبد الوهاب عند ذلك مهلا يا أم لا يداخلك الشيطان أن تقطعى أنفك من بين عينيك فعند ذلك حطته الأميرة قليلا قليلا إلى الأرض وقالت له قم الآن أوفى الرجل بما حلفت ثم أنها وثبت عنه قائمة ووثب الأمير من على وجه الأرض خجلا يعثر بأذياله فقالت الاميرة عند ذلك يا معاشر العرب نفيت عن ظهر أبى إن كنت قط رأيت لعبد الوهاب ثانى ولقد أشرفت منه على التلاف ولو دام بيننا الضرب بالسيوف لكان قد قضى على ولم أصل إليه وإنما أخذته بالصراع بعد الجد والجهد (يا سادة) وكانت هذه سيمة العرب من ذوى الرتب أنها تنصف من أرواحها ثم أنها قالت يا عبد الوهاب أنا أسئلك سؤال الوالدة لولدها بحرمة الثدى الذى أرضعتك به لا تجعل شهوتك تغلب مروءتك فلما سمع ذلك منها استحى من ذلك ولم يقدر ينكث بما حلف فقال خذيها لا بارك الله فيها ثم أنه التفت إلى الامير أبو محمد وقال له آه يا لص المسلمين كم توقع الفتن فقال أبو محمد لولا أوقعت هذه الفتنة لما وصلت إلى من هى سبب المحنة ثم أن الامير أبو محمد رما نفسه على رجلين الامير عبد الوهاب يقبلها فمنعه من ذلك وباس الامير

عبد الوهاب رأس أبو محمد البطال واصطلحا وتحاللا مما كان قد جرى بينهما فقال الامير عبد الوهاب الآن على بالجارية نورى قد أسلمها لهذا الأمير وأمن بها عليه (ياسادة) فعند ذلك طلبت نورى فلم يجدوا لها خبر من بين ذلك العسكر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الملكة نورى قالت للامير عبد الوهاب أريد أركب معكما وانظر إلى قتالكما فقال الامير لها إفعلى ما بدالك فركبت على إحدى خيول الامير عبد الوهاب وقد تقلدت بسيف ماضى ووقفت تنظر وقد وقع بين الطائفتين الخلف من السودان وغيرهم والتحم بينهم الضرب والطعان عند ذلك أخذ نورى طريق بلاد الروم من أول النهار وجدت فى سيرها على ذلك الجواد السابق وهى معوله على أنها لو لحقها ألف فارس أو ألفين لم تفكر فيهم لأنها من الشجاعة على مكان كبير وما أخذت الاميرة ذات الهمة للامير عبد الوهاب الامع المسا وطلبت نورى فلم ترى فعند ذلك لطم الامير أبو محمد على رأسه حتى وقع إلى الارض مغشيا عليه وندم الأمير عبد الوهاب على مافعل وسير الخيل إلى سائر الجهات وإلى بلاد الروم وسأل الاميرة علوى عنها فقالت والله العظيم ما على بها إلا كعلمك وأظلم الليل ولم يرجع أحد إلى الصباح وأخبروا أنهم ما وجدوا للملكة نورى أثر ولا وقعوا لها على خبر (قال الراوى) فلما أيس البطال منها قال لميمون الجماس أرجع إلى آمد فقد طالت غيبتك عنها والبلد بلا عسكر لان العسكر مع الرشيد فى الحجاز وأنا أعلم ان الملكة نورى اغتنمت الفرصة ودخلت بلاد الروم وسوف اموت كمدا عليها وما بقى للامير فى هذا ذنب وانا اريد أدخل خلفها ودع اموت فى بلاد الغربه أو أعود بها او غاصت فى الثرى وان ظفرت بى قتلتنى لاننى ما انا من رجالها ثم بكى فابكى الناس ثم رحل ميمون الجماس إلى آمد وأخذ البطال غلمانه وسار من الصبح يسير فلما طلع النهار ثار غبار من بلاد الروم فارسل الامير يبصر الخبر فأتوا ومعهم جماعة من البلستين مجرحين فقال من عمل بكم هذا فقالوا ايها الامير امس عبر علينا من يومين فارس على جواد أصفر كانه القمر فركب اليه مائة فارس فقتل منهم أربعين وانهزم الستين مجرحين وقد ارسلنا اليك حاكم البلد نعلمكم بالحال فبهت البطال فقال له الامير خذ معك الف فارس والأميرة فأخذ البطال الفرسان والاميرة وسار خلف نورى وخمسة ايام فما وجدها ولا وقعوا لها على خبر ولا اثر فعند ذلك انقطع منها الاياس وزاد بالامير الوسواس واقبل على الاميرة وقال لها معلوم ان الجارية قد عرفت فى بلاد الروم ولا نعلم لأى الاقاليم قد قصدت ولا على اى الجهات اعتمدت وهؤلاء المسلمين لا يمكن أن نخاطر بهم وندخل إلى بلاد الروم نحن لا نعرف مكانا نقصده والرأى

عندى أيتها الاميرة الجليلة أن ترجعى بالعسكر وأنت المشكورة على ذلك فقد فعلتى ما أنت له أهلا فقالت الاميرة اعلم يا أبو محمد أن الحب يرميك فى مهاويه وانى أخاف عليك من اتباع الهوى أن يرميك بنباله فتهوى الجارية نورى فما هى مريدة لك فأقول إنك تتوصل إليها بسبب من الأسباب وما هى إلا نصرانية وإنما كان الاسلام منها خداعا وخبثا وغدرا فما ينفعك عندها نافع إذا لم يكن لك فى قلبها شافع كما قيل

ولا ينفعنى فى المودة شافع ... إذا لم يكن بين الضلوع شفيع

فاحرص يا أبو محمد أن تقلب قلبك عن هذه الجارية وعن هذا الهوى ولعلك تأنس بأخرى فقد قال القائل وما سمى الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

واعلم يا أبو محمد بأن الموت بالمرصاد ولا ينجو منه أحد من العباد وإن اتباع النفس مما يغضب الرب لقوله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء الآية وإنك تريد أن تدخل إلى بلاد الروم من أجل نورى ولا آمن عليك من الهلاك ولا تجد لنفسك من ذلك فكاك فلما سمع الامير أبو محمد ذلك من كلامها بكى وقال أيتها الاميره ما ذكرتى شيأ إلا وأنا أعرف به والآن لا سبيل إلى الرجوع والقلب قد سلب من بين الضلوع ثم بكا وأنشد

صدت فعلمت الصدود خيالها ... بخلا عليه بأن ينال وصالها
ممسكة بأسباب الصبابة حاله ... وطوت بأسباب القطيعة حالها
ومضت لأرض للعدو هزيمة ... واستصحب قلبى الشجى خيالها
شدت على خصر لها زنارها ... حتى سلمت بأن أقول مقالها
لو أن نورى أنعمت بوصالها ... فلكنت ألثم ما حييت نعالها
رجعت الى كفر الذين تعمقوا ... فى كفرهم وضلالهم كضلالها
هيفاء كالغصن النضير وشاحها ... حلو ويحلو ساقها خلخالها
قد قطعت قلبى بكثرة صدها ... وبهجوها وبغنجها ودلالها
لولا مقاومة الامير لأجلها ... عبثا لكان إلى الوصال أمالها
يا هذه لا تعذلينى فى الهوى ... فأنا الذى قلبى يحب فعالها
أنتى الاميرة لا عدمتى فا رجعى ... مشكورة قد بلغت آمالها

(قال الراوى) فلما سمعت الاميرة ذلك من كلامه وشعره ونظامه دمعت عيناها وحزن قلبها والتفتت إلى صحبها وقالت يا أبو الهزاهز قال لبيك قالت ارجع بهذا العسكر إلى الامير عبد الوهاب فانى وحق مسبب الاسباب لا أعود معكم وإنى ماضية مع الامير أبو محمد البطال فان ظفرنا بالمنا فهو المراد وإن عطب فلى أسوة به ولا قعدت عن ممكن

من أجله فقال لها الأمير أبو الهزاهز أيتها الأميرة فنحن نسير بين يديك فقالت ما يمكن ذلك لأن نورى ما معنا منها خبر والرأى عندى انكم تمضون كما ذكرت لكم وأنا أسير معه وأفعل ما أمرنى به فان القعود عن حوائج الإخوان من عجز الإنسان فشكرها الأمير أبو محمد على ذلك ثم انه ودع بقية العسكر وركب على وجهه لحية سوداء مثل الليل الدامس وفيها شعرات بيض وعلى رأسه مثل ذلك بشعر طويل وصبغ حواجبه موافقة لذلك وغير أحوال غلمانه سبك وبديع ولؤلؤ وجوهر وشفيع وأبو الليل وصافى وكذلك فعل بالأميرة المجاهدة ذات الهمة لانه ركب عليها لحية بيضا وعمل على رأسها شعر من نوع اللحية وصبغ حواجبها بيضا وصقل وجهها بأدوية كانت معه حتى كاد أن يأخذ بالبصر وصارت الأميره لا يستطيع المتامل أن يلمح النظر إليها وكانت الأميرة من أحسن الناس وجها وأكثرهم شكلا ودلالا وهى ذات جمال وكمال وقد وقد واعتدال ثم ألبسها ثوبا من الصوف واسع الكم والذيل أرفع من الانطاكى ومن تحته رزنباقة من الشعر وباطنها حرير أنعم من الجسد وعمل على رأسها برنس أسود وأرخا تلك الذوابتين البيض وقد شط تلك اللحية الطويلة حتى صارت مثل قضبان اللجين وأمرها أن تنسم على وجهها حتى لا يتغير ذلك الابراق والجوهر الساطع وكانت الأميرة تحفظ بسائر الألسن لكثرة دخولها إلى بلاد الروم والمحاوز لهم ثم أمر الغلمان الذين له أن يدوروا حولها وجعل أبو محمد حجبها وقال لها عليكى بالسكوت وأنا الترجمان ثم سار الأمير أبو محمد إلى مفرق الطريق الذى تبان منه المسالك إلى سائر الأقاليم هذا والأمير أبو محمد لا يدرى إلى أين يسلك كما قال بعض أهل الأدب

وأصبح لا يدرى وإن كان حازما أقدامه خير له أم وراثه

(قال الراوى) ثم إن البطال أقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها اعلمى أن الأميرة نورى خبيثه وهى ذات مكر ودها. ولا بد لها أن تطلب هذه الطريق الخافية لأنها تقول انها لا نسلكها قط فعند ذلك قالت الأميرة أنا أقول انها ما توجه إلا إلى مدينة القسطنطينية فى حماية الملك ميخائيل والملك منويل وربما يتزوج بها لان حسنها شفيعها قوى ولولا ذلك ما كنت أنا الساعة أتعب فى هذه الأماكن التى ليس بها أنيس ولا سالك فما الذى ترى من الرأى فقال لها أبو محمد اعلمى أن الملكة نورى ما تسلك قط إلى القسطنطونيه لانها تقول إن المسلمين يطلبونى ولو إلى عند الملك منويل لأن ما فى قلبهم من الروم فزع ولا يخامرهم جزع بوها أنا أسير على الطريق ونستعين بالله (قال) ثم ان البطال أخذ فى طريق عن يمينه وكانت تلك الطريق تنتهى إلى بلاد الزغاورة وهم أحسن الروم لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الحسن فى

الروم وان أحسن الروم الزغاوره ولهم اقليم كبير فى مقابلة اقليم اليونان وأكبر فعندها سار الأمير أبو محمد وقد جد فى سيره هذا والاميره ذات الهمة والغلمان كذلك من خلفه سائرين وهم رجاله بالعكاكيز السنديان فى أيديهم والاميره سائرة فى وساطهم وكلما عبروا على قرية أومروا بقافله من الروم فتترجل لهم الروم ويقبلون أيديهم ويصافحوهم ويطلبون ان تكلمهم الاميره فيقول لهم أبو محمد لاسبيل لكم إلى ذلك لان هذا راهب نجران وهو راهب الرهبان وانه من أرض الشام وله فى خدمة السيد المسيح ثمانين سنه واعلموا ان السيد المسيح أتاه لما عرف منه عند ذلك صحة العباده وصالحه وقد علمه علم الاولين والآخرين وقد كسا وجهه من نوره وقال له سيح فى الارض طولا وعرض لتعود بركتك وبركة وطىء أقدامك عليها ويصل من ثواب عباداتك إليها وقد سار ونحن تلامذته وأنا المترجم عنه

(قال الراوى) ثم ان البطال بعد ذلك الكلام يكشف عن وجه الاميره ذات الهمة فعندها ينظروا إلى بياض تلك الشيبه وذلك اللمعان مع الصقال الذى فى صور الكنائس مثله فعند ذلك يرمون وجوههم إلى الارض ساجدين ثم يحملون إليهم الضيافات ومن الصلبان الذهب المكللة بالدر والجوهر والياقوت الاصفر والاحمر فكان يا خذ كلما خف حمله وعلى ثمنه أبو محمد ويعطى الغلمان وهم سائرين من قرية إلى قرية ومن رستاق إلى رستاق هذا وقد أقاموا على ذلك السير أربعين يوما إلى أن توسطوا إلى أقاليم الزغاورة ودخلوا إلى المدينة المعروفة باقليم مريم الكبيره وكان لهذه المدينة سبعة أبواب ولها سبعة أصوار لكل صور منها صور يليه إلى الآخر وهو أرفع من الاول والمدينة كلها مبلطة بالحجر الابيض والانهار تخترق داخل هذه المدينة وملكها اسمه الفارقيط وهو فى عالم عظيم لايحصى بعدد الرمل والحصى وكان هذا الملك يدعى ان مملكة القسطنطينيه تنتقل من بعد الملك منويل وذريته إلى الزغاوره وفى وسط هذا البلد كنيسة معلقة وهى عالية يطلع إليها فى مائة وسبعين درجة وجميع حيطانها بالرخام الملون والمجزع والمذهب وفيها صور مجسمه كل من رآها يقول انها تنطق وأخشابها من الساج مطعمه بالعاج وفى غير هذه المدينه مثل هذه الكنيسة ما يوجد وفى هذه الكنيسة مائة قسيس وخمسمائة راهب عليهم مسوح الشعر والصوف والمقدم عليهم شيخ كبير يقال له البترك لكبير عند أهل القسطنطينية ولا أحد يخالف كلمته (قال الراوى) هذا وان أبو محمد البطال قصد إلى تلك الكنيسة وكان يوم الاحد بالاتفاق ورفع صوته بقراءة

الانجيل وردوا عليه غلمانه فلما سمعوا القسوس والرهبان إلى تلاوة أبو محمد وحسن صوته جعلوا يهرعون إليه من كل جانب ومكان فتقدم أبو محمد وقال ياقوم ما أفل ادبكم هذا راهب الرهبان وشيخ لشيوخ السياح فقبلوا يديه ثم انه كشف اللثام عن وجه الاميره وتلك الاصباغ تضيء كانها الشمس فى ضوء تلك الشموع فلما رأوا الروم ذلك الضوء والشعاع تساقطوا على أيدى الاميره ذات الهمة يقبلونها وتقدم الملك الغارقريط وكان عمره ثلاثين عام وهو كانه بدر التمام مليح القوام حلو الكلام واضح الابتسام وعليه حلة خضراء وقلنسوة ملكي حمراء وشعر مجعد وخد مورد ومثله فى الروم لا يوجد وحمل إليهم الفرش والهدايا فردهم عليه أبو محمد البطال وقال ماقصدنا الى هذه الديار ولا بقى لنا فى الدنيا حاجة ولا نقدر نقيم بمكان لاننا مأمورين بالسياحه ونحن عند المساء نسير فقال له الملك لا بحق المسيح لا ترحلوا الليله فلى إليكم حاجة كبيرة وعندى عشر صلبان ذهب مكللة بالياقوت يسوى كل صليب الف دينار وأريد أن أتقرب بها الى قلب هذا اللون المليح والوجه الصبيح فقال الامير أبو محمد وما ذاك الذى تعوقنا لاجله فعند ذلك قال الملك اعلم أيها القس أنني كنت أسير المحبة من عشرين سنة لجارية من ذوات الروم ولها حديث عجيب وأمر غريب وكان أبوها لا يرضى ان يزوجني بها وكلما مضيت إلى داره يردنى خائبا من طلبى حتى أنحلنى العشق وقتلنى الشوق وصرت لا أنام الليل ودموعى على خدى تفيض مثل السيل اراعى الكواكب ولا ألوى على عاذل ولا عاتب وبلغ بى هواها حتى أدعيت بالصباغين والمزوقين وحذاق المصورين من سائر الاقاليم وبذلت لهم المال العظيم والملك العقيم وأرسلتهم إليها ونظروا إلى صورتها وصوروها لى صورة بجسمها وعقدت عليها قبة من الرخام منقوشة بالذهب واللازورد واسبلت عليها ستور الديباج الملكي وكنت كل صباح أشاهد تلك الصوره إلى ان يمسا المساء وتظلم الدنيا وأوقد الشمع وأشرب بين يدى تلك الصوره إلى ان يغلبنى السكر فبقيت على هذه الصفه إلى ان سهل المسيح بالاجتماع لانها كانت مأسورة فى بلاد الاسلام حتى تخلصت وأريد منكم ان تزوجوني بها وتحضرون الليله عرسها ودخولها على حتى تكمل فرحتى بكم فلما سمع الامير أبو محمد منه ذلك الكلام خفق فؤاده وارتعدت فرائصه وجرى دمعه وقال ما اسم هذه الجارية الذى عملت عليها هذا المثل كله أرنى صورتها فقد أعجبنى حديثها وأوجز حتى أجيبك إلى ماسألت وأظهر الامير أبو محمد الجلد وكان الملك يحدثه وقد غاب عن الدنيا فقال له الملك الغارقيط قم الآن معى حتى تنظر الصوره واسمها مكتوب على رأسها واسم أبيها فوثب الامير أبو محمد بلا عقل حتى أتى إلى القبه واذا بستور ديباج قسطنطيني ملكي مذهب يسوى كل ستر منها مائة مثقال من الذهب ثم انه أمر

الغلمان يرفع الستور وصعدوا فى درج من الرخام الملون فكشف عند ذلك سترحريرا أخضر مزرر بازرار ذهب فى عرى فضة ففلت الازرار ورفع الستر فنظر أبو محمد إلى صورة الملكة نورى تنطق لا تزيد ولا تنقص وعلى جبينها مكتوب هذه صورة منية القلوب نورى بنت الملك عين المسيح فلما نظر الامير أبو محمد البطال إلى تلك الصورة لم يقدر على الجلد بل صاح ووقع مغشيا عليه وبقى الملك متعجب من هذا الامر فلما أفاق قال له يا أبونا ما الذى نزل بك فقال اعلم ياسيد الملوك ان هذه الصورة صورة حنا عليها السلام فظن الملك ان ذلك حقا (قال الراوى) وكان السبب فى هذا أن الملك الفارقيط كان بين أبيه وبين عين المسيح صداقة كبيرة وكانوا يزورون بعضهم بعضا وكان يمضى هذا الملك مع أبيه وهو صبى مليح الصورة وكان ينظر إلى نورى وإلى جمالها وتنظر هى أيضا اليه وكانت لها أخلاق حسنة وكانت كثيرة المزاح إلا أنها كانت زاهدة فى الرجال كما تقدم وهلك أبو الفارقيط وصار هذا يدخل إلى عند عين المسيح ويهدى اليه الهدايا ويتقرب إلى قلبه وينظر إلى وجه الملكة نورى فلما اشتد به الأمر خطبها من أبيها فلم يقبل ذلك بل رده وطرده وقال وحق المسيح ان عدت إلى مثلها قتلتك ولا ترجع إلى ديارى فقد أفسدت ما بينى وبين أبيك وما يطلب قلبى ان ازوجك بها (قال الراوى) فعند ذلك زاد غرامه وبلاه ونحل جسمه وزاد هواه وبقى كذلك إلى ان دخل الأمير عبد الوهاب إلى الحصون وفتح القلاع كما تقدم فى هذه السيرة وان الملك فارقيط صور نورى فى تلك القبة وكان ينظر اليها ويبكى وكان قد بلغه ان عين المسيح فى قتال شديد مع الأمير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب فبقى على مقال النار وكان قد أقسم بالانجيل والصليب انه لا يدخل إلى تلك الديار لاجل ما رده وطرده والا قد كان سار إلى نجدته ولم يزل كذلك إلى أن بلغه ان تلك الديار كلها ملكت والبطارقة قد هلكت وان الامير عبد الوهاب رجع إلى بلاده بعد ان كسر عسكر الملك منويل وقتل رجاله وأبطاله وبقى على مقالى النار وهو كذلك مدة الاعوام التى كانت نورى مأسورة فيها وهو لا يسلاها بل ينظر إلى تلك الصورة ويبكى وبقى كما قال القائل

لئن مالت الايام دون لقائنا ... فانا بعين القلب يلتقيان
تصورت فى قلبى لاجل صبابتى ... كانك لم تبرح بكل مكان

(قال الراوى) وان الملكة نورى لما وقعت الفتنة بين الاميره ذات الهمة وبين عبد الوهاب والعرب والسودان وجدت إلى الهرب سبيل وامكان ثم أنها سارت ولحقها أهل ملستين كما تقدم وهى من الشجاعة والبراعة بمكان عيم فقتلت منهم جماعة ورجع الباقون على الحالة التى لا فائدة فى اعادتها بعد سماعها حتى وصلت

إلى درب السكك فعندها بقيت حائرة لاتدرى إلى أى موضع تمضى وقالت مالى إلى بلد القسطنطينية قلب لان الملك منويل شيخ ومالى فى وصول الشيوخ أرب ولا لى معه طرب وسائر الروم مالى بهم معرفة ولا لى معهم قلب ولكن قد كان الملك الفارقيط خطبنى من أبى ورده خائبا وقد سمعت انه من عظم محبتى صور صورتى عنده فى قبة من الرخام على ماقد قيل وخسر عليها أموال جسيمة وهو ينظر إليها ويبكى وأنا أخاف ان المسيح ما بلانى بهذه الشدائد وأخرب ديار أبى الا بخطيئته وهو مع ذلك أحسن الناس وجها فامضى اليه واتزوج به على خيرة المسيح (قال الراوى) ثم أنها سارت حتى وصلت إلى اقليم مريم الكبرى وسألت عن الملك فاخبرت أنه فى تلك القبة وقد غلبته الشكوى وزادت عليه نار البلوى وهو ينظر إلى الصورة فعند ذلك ترجلت عن الجواد وطلعت إلى الكنيسه والناس يظنونها من أولاد البطارقة لانها سترت وجهها عن الشمس وأنها سارت إلى القبة فوجدت الملك الفارقيط قد نظر إلى تلك الصورة فأعياه النظر ثم أنه أطرق برأسه إلى الأرض مفكرا فى امره فبينما وهو كذلك وإذا بنورى واقفة على رأسه وقد نظرت إلى حالته فقالت ارفع رسك أيها الملك فالى كم تنظر إلى هذه الصورة التى يستأهل من صورها قطع يديه ورجليه كم بين الصررة وبينى (قال الراوى) فعند ذلك رفع الملك رأسه وقد أسفرت اللثام عن وجهها فعند ذلك عرفها فوقع مغشيا عليه وبقى ثلاث ساعات من النهار لايدرى بنفسه وقيل أنه قد هلك فلما أفاق جمع القسوس وأراد ان يتزوج بها وكان فى تلك الليلة يريد الدخول بها وكان للقضاء والقدر الذى سبق فى أم الكتاب ليجعله حديثا إلى يوم الحساب فى تلك الليلة وصل أبو محمد البطال ومعه غلمانه والاميرة ذات الهمة وقال الملك لابو محمد ما تسيروا حتى تحضرون العرس والمسيح لايضيع لكم أجركم فدخل أبو محمد إلى القبة ونظر إلى الصورة وعرفها فلما أفاق أنشد يقول

سيبدى لك الايام ما كنت جاهله ويأتيك بالأخبار من لم تسائله

(قال الراوى) ثم أنه رجع إلى الاميرة ذات الهمة والملك الفارقيط معه فقال لها أبو محمد اعلم أيها القس القديس الصالح والرجل السايح ان هذا الملك الفارقيط قد عول على دخول عروسه فى هذه الليلة وهى الملكة نورى بنت عين المسيح الذى كانت مأسورة فى بلاد المسلمين وقد من عليها المسيح بالخلاص ولك إذا حضرت هذا الفرح الثواب العظيم فقالت الاميرة ذات الهمة عند ذلك ما أمرنى المسيح أن أقيم فى البلد أكثر من ثلاثة أيام والآن نحن نقيم إلى أن ينقضى عرس هذا الملك لأنه رحمة السيد المسيح على المساكين وأيضا نكسب الثواب فلما سمع الملك

ذلك من كلامها باس الأرض قدامها وقال المسيح يجازيك على ما تفعل معى فلو علمتم ما جرى على من جهة هذه الجارية لبكيتم على فقال الأمير أبو محمد وهو يبكى صدقت فى ذلك ثم إن الملك انصرف فى أشغاله وهو فرحان بما سمع من الأميرة ذات الهمه من الاجابة الى المقام ومضت البشارة إلى الملكة نورى يقولوا لها ابشرى فقد حضر فى عرسك راهب رهبان نجران وشيخ شيوخ الزمان وما دخل إلى هذه الديار الاعلى وجه الراحة والزيارة لاعلى سبيل الاقامه المباحة لان المسيح قد أمره بالسياحة (قال الراوى) فلما سمعت الملكة نورى ذلك قالت لو لم يكن لى عند المسيح منزلة ومقدار لما كان خلصنى من أيدى المسلمين وأتى بى إلى هذه الديار وسهل لى مثل الشيخ الصالح فقالوا لها الحاضرين من نساء البطارقة منزلتك أعظم من ذلك وكان الملك قد أخلى لها دار تعرف بدار الزجاج الملون مثل الجوهر والاحجار المختلفة الالوان وفيها أسرة من العرعر قد رصعت بالدر والجوهر وصفايح الذهب الاحمر وهى عالية البنيان مليحة الجدران قد بنيت بالاجر السكرى وبيضوها بالاسفيداج النقى وقد حفت بالستور والمقامع ونصبت فيها المراتب من كل جانب والاركان قد زينت بالديباج القسطنطونى والملكى والمطاير وقد علق على باب الدار شبكة من الابريسم محبوكة باللؤلؤ الكبار مرصعة بفصوص الياقوت الاحمر والازرق والاصفر وفيها من الاحجار المثمنه مثل البلخش والبنفش والفيروز السحاق والمرجان ما يحير عقل الانسان وقد أطلقت الطيور من الاقفاص وقد فرحت بالخلاص وزادت بها الافراح وقد صاحت الألسن الملاح الفصاح بالاشارة وكلام الاعتبار وقد أرهجت تلك الدار من طيب ألحانها وتغدير أشجانها على اختلاف لغاتها وحنين أصواتها وعجيب صنعاتها من البلبل والشحرور والفاخت والزرزور والقمرى والنوبى والحمام واليمام والسمان والكيروان والكركى وأبو رزيق والهزار والعصفور وسائر أصناف الطيور

﴿ياساده يا كرام﴾ وان الملكة نورى قد أفيض على يديها ماء الورد وقد مسحت المواشط وجهها وأرخوا شعرها وكثر من الأغانى رهجها وأرخوا لها ذوائب مثل الليل الدامس وألبست غلالة حمراء على بدن مثل الرخام ووجه كوكب الزهرى وفى وسطها سراويل من الحرير الأخضر وكان ردفها من داخله كانها عدل حشى ورد أحمر وقد بان بياض جسمها وبان لها أربعة عشر عكنه مثل طيات الدرجات (قال الراوى) ولم يبق أحد من بنات الملوك إلا وكاد أن يطير عقلها مما عاينت من حسنها فهى كما قال فيها بعض واصفها

قلب تملكه الأشجان والسهر والوجد والحب والهجران والعكر

إن الفتاة التى هام الفؤاد بها وجدا وما نال من وصلها وطر
فى قدها هيف فى وصلها شرف فى هجرها تلف فى مشيها خفر
إن قلت شمس فهى شمس إذا طلعت أو قلت بدرا بدا كانت هى القمر

(قال الراوى) وأما الأمير أبو محمد فانه لما خلى بالأميرة ذات الهمة قال لها اعلمى أننى قد أشرفت على الهلاك لا محالة وما بينك وبينى إلا ما أنظر إلى الملكة نورى وهى تجلى ويخلو بها فأموت بلا محالة وربما إننى من كثرة الشوق والمحبة أضربها بالخنجر فأقتلها ولا ينالها غيرى ولا يوصل لها أحد سواى فانى من حبها سكران وعلى وصلها غيران فقالت الأميرة ذات الهمة يا أبو محمد إن العقل يحسن بالرجل وهذه الجارية معلوم أنها تخلصت من الاسر وهى فى بلاد العدو وفى هذه البلد أكثر من مائة ألف مقاتل ونحن على غير قدرة ولا كثرة ونحن نحضر مع الملك الليلة فى داره فان قدرنا على أخذها وسرقتها ونهرب تحت ظلام الليل وإلا الايام معنا طويلة ولا بد لنا من أخذها إن شاء الله تعالى ولا نخرج من هذه المدينة الا بها فهدىء روعك وطيب قلبك (قال) فلما سمع أبو محمد كلامها علم أنها صدقت فى قولها ثم جعل ينظر إلى الملكة نورى تشوقا وقد حل من ذلك أمرا عظيما فلما كان وقت المغرب أتاهم الملك بنفسه وبين يديه البطارقة والقسوس والرهبان والشمامسة والمطوارن وقصدوا إلى عند أبو محمد البطال وسلموا عليه وباسوا الارض بين يديه وقال الملك الفارقيط ياأبونا ما أعرف مسير راهب نجران الامنك فقال أبو محمد السمع والطاعة وجعل أبو محمد ينظر إلى الملك والى حسنه وجماله وهو مثل القمر الطالع فقال أبو محمد هذا الكلب الذى يخرب بيتى والله ما يقربها هذا ويطيب لها قلب معى أبدا (قال الراوى) وان الامير أبو محمد أقبل على الاميره ذات الهمة وقال يا أبونا بحق المسيح والانجيل والصليب ومن صلب عليه الاما أجبت دعوة الملك إلى ما أوعدته حتى تتم أفراحه ويعجل صلاحا فعند ذلك قالت الاميره السمع والطاعة وثبت فى تلك الساعة وأحدق بها غلمان أبو محمد بتلاوة الانجيل والقسوس والرهبان قد حاروا من ذلك اللمعان الذى على وجه الاميره ومن طيب تلك التلاوة ولم يزل الملك يمشى بين أيديهم حتى وصلوا إلى دار الزجاج فنظر أبو محمد إلى أكثر من ثلاث آلاف امرأة من بنات الروم وهم مكشوفين الوجوه لأن الروم ما يسدون وجوههم عن الرجال فعند ذلك قالت الأميرة ذات الهمة يا أبو محمد أنظركم ههنا من الوجوه الحسان فقال لها صدقتى ولكن كما قال القائل حيث يقول

وقالت للمسوان تعرضن دونها إليكن عنى غيركن أريد

(قال الراوى) وقد ضربت الطبول والملاهى وغنين الجوار وأخبرت الملكة نورى بقدوم راهب نجران فقامت للقائه، وكانت هذه عادة الروم وخرجت الجوار معها من حولها وقد ألبست ثوب ديباج قسطنطونى ملكى مذهب على بياض وقدم إليها نعل من الذهب الأحمر بشبكة من الابريسم مكللة بالدر والجوهر والخلخال قد عرق فى شحم الساق وتلك الاعناق قد تطاولت إليها بالاحداق وجعلن النسوان يعضضنها يمينا وشمالا وهى تتمايل وتطوح نفسها عليهن وهن يتواقعن من ثقلها إذا مالت ويتضاحكن وكان ذلك من عجبها ودلالها وقد علمت ان النسوان قد افتتنوا بها حتى أشرفت على القسوس فعند ذلك تقدموا إليها القسوس الذين للبلد وجعل كل واحد يضمها إلى صدره ويبوسها فى خدها واحد بعد واحد وأبو محمد ينظر إلى ذلك وقد طار عقله وطال عليه الامر فصاح اصبروا والساعة قد يتقدم من قدمه المسيح عليكم فما أقل أدبكم وأعمى بصيرتكم فعند ذلك انصرفوا كلهم ووقفوا ناحية فصاح أبو محمد ارفعوا أصواتكم بقراءة الانجيل فخيل للروم ان الكنيسة تميل بهم من طيبة أصواتهم وجعل أبو محمد يذكر الانجيل فصلا فصلا ويذكر فيه فراق الاهل والتغرب والموت فعند ذلك تذكرت الملكة نورى أهلها وديارها فبكت عليهم إذا لم يبق منهم أحد ثم أقبل الامير أبو محمد على الاميره ذات الهمة وقال لها تقدمى إليها وضميها إلى صدرك ساعة وبوسيها عشرين بوسة حتى إذا فعلت أنا ذلك لا ينكر على أحد وان أنا ضميتها إلى صدرى وخرجت روحى فقد تخلص مرة واحدة (قال الراوى) ياساده يا كرام فعند ذلك تقدمت الاميرة ذات الهمة إلى الملكة نورى وقد لحق الملكة نورى منها هيبة عظيمة ثم نظرت إلى تلك الشيبه وكثرة تلك الأنوار والهيبة فارمت نفسها على الاميره تطلب منها البركة وكانت هذه صفة الروم فجعلت الأميره تضمها إلى صدرها وتقبلها هكذا ساعة فقال لها الأمير أبو محمد قد أخذت المسألة حدها وقد أخذته الرعدة والزمع من فرط المحبة حتى لو ذبح ما خرج منه فى تلك الساعة دم وكان كما قال القائل

تمنيت من أهوى فلما وجدته بهت فلم أطلق لسانا ولا طرفا

(قال الراوى) ثم أنه رمى روحه عليها وقال لها ابشرى بعناق هؤلاء الشيوخ الصالحين وإن المسيح قد نظر إليكى ورحمكى ثم أنها أرمت روحها على أبو محمد فاخذها إلى صدره وقد كادت ان تقصف ظهره، فقال فى نفسه هى ما تخلى شطارتها على فى سائر الاحوال والاوقات ثم أنه جعل يضمها إلى صدره ويبوسها حتى كادت روحه أن تغيب من الدنيا ثم نظر إلى تحقيق الصره وطى الاعكان فقال لها القد جمع المسيح فيكى الجمال والكمال وما خلقك على هذه الصورة إلا وله فيكى نية جميلة ولا بد

ما يشرفك هذا الملك على سائر بنات البطارقة (قال الراوى) فلما سمعت نورى ذلك قالت له يا أبونا إن المسيح قد نظر إلى وشرفني بحضوركم فى هذه الليلة لأن أهلى قتلوهم المسلمين وخربوا بلادهم وديارهم وأنا غريبة واحدة ولولا هذا الجمال الذى ألبسنى المسيح إياه وإلا كنت قد رأيت الذل والهوان فقال لها أبو محمد صدقتى وربما أن المسيح عرف نيتك وأمرنا بالسياحة من أجلك وأرسلنا إلى هذه الديار بسببك (قال الراوى) ثم رجعت الملكة نورى إلى خدرها وقد أوقدت الشموع وقدمت الاطعمة وسكبت الخمور ونصب لها كرسى وعليه ثوب كله ديباج منسوج بالذهب مكلل بالدر والجوهر والياقوت الأحمر والازرق والاصفر والاخضر وقضبان الزمرد وأحجار البلخش والبنفش والفيروزج وكان الثوب ينجلى فى ضوء الشمس وأخرجت الملكة نورى تنجلى فى بدلة جوهر فلم يبق هناك إلا من كاد أن يطير عقله فقالت الاميرة ذات الهمة فى نفسها الله تعالى يثبت قلب الامير أبو محمد فى هذه الليلة فانى خائفة عليه أن يهلك ونهلك معه فوالله لا يلام فيما يعمل فى هذه الليلة (قال الراوى) يا سادة يا كرام وجعلت القسوس يتلون الإنجيل بين يديها فقال أبو محمد يا أميرة قد عولت أن أكون أحجبها فى كل خلعة تجلى فيها وسوف ترين ما أعمل (قال) ولم تزل الملكة نورى تجلى أربعين خلعة وفى كل خلعة يصيح الملك بالقسوس والبطارقة أن ينظروا إلى حسنها فلما فرغ الجلا أمر الملك أن لا يبقى فى الدار غير القسوس والرهبان وتفرقت النسوان من عجلة الملك بالخلوة وكان الملك كلما جلوا نورى عليه فى خلعة يتقدم إليها ويبوسها بين عينيها وأبو محمد يخرج ويعطيها قدح شراب ويعطى الملك قدح ويقول له تبرك بهذا الشراب فانه مقدس وقد قرأنا عليه فصولا من الإنجيل ثم أن أبو محمد ألقى فى القدح الاخير الذى هو آخر الخلع قطعة بنج فى أصابعه ثم أدار على القسوس والشمامسه والمطارنه (قال) فلما فرغت هذه الاقداح إلا وكل منهم قد وقع إلى الارض وبقى الملك الفارقيط يتمايل فنظرت المواشط إلى ذلك فقالوا الملك قد سهر وهذا وقت النوم فأجلست الملكة نورى مع الملك الفارقيط والملك قد غاب عن رشده وعن الدنيا ووقع كأنه خشبة ونظر الامير أبو محمد إلى ذلك فقال يا أميرة قد عولت أن أقوم إليها وأقول أنا رسول المسيح إليكى حتى أطرح البركة عليكى وتكونى بالقرب منى فانى أخاف منها أن تنكرنى فلا أقدر عليها وربما قبضت على وأنا والله ضعيف يا أميرة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الاميرة ذلك قالت له قم واطفى الشمع وارفع الستور وها أنا خلفك وإن ضعفت أنت عنها دخلت أنا إليها وألقمتها الاكره وشديتها كتافا ونزل من الاسوار بالحبال فقال لها الامير أبو محمد الامر أقرب من هذا لأن هذه البلد ما يغلق لها باب وأنهم آمنين من طوارق

الحدثان فلما سمعت الاميره ذلك قالت له قم إلى ما عولت عليه (ياسادة) وان أبو محمد دخل إلى البيت الذى فيه الملكة نورى وأطفأ الشموع وتقدم اليها فلما حصل معها على السرير قالت له من أنت قال انا ابو الخيش مطيب العيش وأنا رسول السيد المسيح اليكى فقالت وما الذى تريد قال اطرح البركة عليكى حتى يشرفك المسيح على سائر بنات الروم وهو الذى ألقى النوم على الملك الفار قيط فلما سمعت ذلك ضربت بيدها إلى الأمير ابو محمد وقبضت عليه وحلت الزنار الذى فى وسطها وكتفته وقالت ها أنت عندى إلى غداة غد فان شهد لك القسوس والرهبان انك رسول المسيح وقد أتيت تشرفنى على بنات الروم فهو الذى أريد ويكونوا قد عرفوا ذلك والا لو قلت انا غدا قد جاءنى رسول المسيح لما صدقونى على قولى ثم يقولوا ان الخنا ركبها من بلاد الاسلام وانا وحق المسيح ماتم على فى بلاد الاسلام ردى واذا صح ذلك فأنا اخلو معك يوم وليلة لعل المسيح ان يغفر لى قال أبو محمد فى نفسه والله هذه نوبة مدبرة ما كانت فى حساب ثم قالت له وإن لم يقولوا انك رسول السيد المسيح انا وحق المسيح اضرب عنقك حتى لا تطرق بنات الروم ولا تكذب على المسيح (قال) فلما علم ابو محمد ذلك منها عظم عليه وكبر لديه وقال فى نفسه لا ستر الله عليكى فما اعبرك (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان الاميره ذات الهمة سمعت ذلك الكلام كله فدخلت عليها وصارت عندها وضربت بيديها إلى الملكة نورى فقبضت عليها وقالت للغلمان خذوها فدخلت غلمان البطال مثل العفاريت وأرادت نورى ان تصيح فقبضت على فمها وادارت يديها كتاف وقالت قم يا ابو محمد فما هذا وقت المقام فلعل الله ان يستر علينا بظل ستره الجميل فعند ذلك قال ابو محمد ياسيدتى اننى مكتوف اليدين فتقدمت اليه غلمانه وحلوا ايديه فوثب قائما ثم عمد إلى الملك فعراه الثوب الذهب وخلع عن نورى البدله الجوهر فقالت له الاميرة لا تشتغل بشىء واطلب بنا النجاة فقال ياسيدتى آخذ معى هذا الملبوس حتى تلبسه نورى عندى وهى عروس فضحكت الاميرة من قوله وخرجت وقد حملت نورى على كتفها وخرجوا من باب دار الزجاج وقصدا ابو محمد إلى مكان الخيل الذى للملك فشد على الخيل الجياد واخذ من بعض الخزائن السيوف والطوارق وكانت الأميرة قد اخذت من المجلس الذى كان فيه الفار قيط سيفا مجوهرا كان الملك ورثه من ابيه وجده يسوى ملك الروم ثم خرجوا من البلد وركبوا الخيل وشدوا الملكة نورى على بغل وسارت الاميرة الامير ابو محمد وكان هذا كله من تدبير لؤلؤ غلام البطال لانه تركهم فى حالة الجلا وخرج لؤلؤ عيالهم على الخيل والبغال والزاد ونظر لهم الطريق للهرب فلما فرغوا هؤلاء من شغلهم وأخذوا نورى واذا بلؤلؤ قد حصل لهم جميع ما يحتاجون اليه وخرجوا

وأتوا إلى أبواب المدينة فوجدوا الأبواب مفتحة والبوابين مطروحة والناس قد سهروا إلى ذلك الوقت وهم فى أحلا نومة فخرجوا هؤلاء وخيلهم مستريحة لا تقر ولا تهدى وساروا سير فزعان من الاعداء فما أصبح الصباح إلا وقد قطعوا أرضا بعيدة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الملك الفارقيط فانه ما خرج فى ذلك اليوم لا هو ولا القسوس ولا الرهبان لأنهم مبنجين ولم يقدروا النسوان أن يدخلون إلى عند الملك والملكة نورى لأجل أن الملك ما ظهر من عندها ولم يزل الامر على ذلك إلى الظهر فعند ذلك صعدت النسوان إلى الموضع الذى فيه الملك فوجدوه ما أفاق مما هو فيه والملكة نورى قد عدمت وعقل الملك على نفسه وسأل عن الملكة نورى فقالوا ما لنا بها علم ثم سأل عن راهب نجران فقالوا ما لنا به علم لا هو ولا أصحابه فعند ذلك قال الملك وحق ذراع المسيح والإنجيل وما فيه من التحليل والتحريم لقد تمت علينا الحيلة وسرقت الملكة نورى وما هؤلاء القوم إلا لصوص المسلمين لأنها ذكرت أن عيار المسلمين كان يريدها لنفسه ثم أنه صاح وبكى فبكت الروم لبكائه وركب فى خمسين ألف فارس ثم فرقهم على الثلاث طرق التى تسير إلى بلاد المسلمين بالخيل والجنائب وقال لهم الملك وحق المسيح أى من هلك له جواد أعطيته اثنين فساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وقد سارت من خلفهم هؤلاء العساكر ليلا ونهار (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان الامير أبو محمد قد سار سيرا عظيما مدة عشرة أيام فلما كان فى اليوم الحادى عشر ترفق على نفسه وكان قد وصل إلى جبل يقال له صنام الجمل فلما وصل إلى ذلك الجبل أمن على نفسه ونظر إلى ورائه وإذا بالغبار وقد كدر الاقطار وقد طلع وتزوبع ساعة وانقشع عن عشرين ألف فارس يقدمهم الملك الفارقيط فلما نظر الامير أبو محمد إلى ذلك أيقن أنه هالك وأقبل على الاميرة ذات الهمة وقال لها كيف ترين فى هذه المسألة فقالت اعلم يا أبو محمد أن القوم قد انكشف لهم حالنا وبطل عنهم محالنا وإن نحن سلمنا إليهم أنفسنا فنحن هالكين بلا محالة والآن فما لنا إلا أن نقاتل فهذه هى الموتة التى كتبت وأنت كنت السبب يا أبو محمد فقال لها بحق الله يا أميرة هل رأيتى أحسن من نورى وجها وهى تجلا فضحكت الاميرة وهى على غاية الوجل وقالت له ويلك يحق فى هذه الارض الشديدة الخوف وهذا الامر وتذكر نورى وجمالها الآن شد عزمك للقاء وأنا الساعة إذا أقبل هذا العسكر أحمل عليهم ولو كانوا امائة ألف ولا بد لى أن أقصد مقدم القوم وأضربه بهذا الحسام الذى لا يبقى ولا يذر فان كان الملك بنفسه فلا بد للعسكران يتشوش بعده وانا استعين عليهم برب العالمين والله لأسلت روحى حتى آخذ لرأسى ألف رأس منهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال

لها الأمير أبو محمد وأنا آخذ نورى إلى هذا الجبل إلى ما بين ما تفرغى انى من القوم أكون أنا قد بلغت الأمل (قال الراوى) فضحكت الأميرة من كلامه وقالت أبعد الله شرك يا أبو محمد ماهذه دلائل خير والسلام (قال) وان الملك الفارقيط لم يكن فى جميع الزغاورة أفرس منه كما ذكرنا ومع ذلك فهو عاشق رامق وقد سار فى العساكر وقد نوى فى قلبه أنه متى أدركهم فى بلاد الروم قطعهم بالسيوف وسقاهم شراب الحتوف وإن لم يلحقهم تبعهم ولو الى بلاد الاسلام لأن الهوى يحمل الانسان على البلا ويهون عليه شرب كاس الردى (قال) ولما وقعت العين على العين عرف الأمير أبو محمد أنه الفارقيط وانه هو الذى أشرف عليه فى عسكره فقال عند ذلك كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وان الأميرة رضى الله عنها لما نظرت إلى ذلك قالت اعلم يا أبو محمد إنا نحن من الهالكين فانزل بنا فى لحف هذا الجبل لنأخذ لنا الراحة فنزل أبو محمد البطال وقد اصفر لونه وتغير كونه وارتعدت فرائصه وعلم أنه قد هلك وهلكت الأميرة فى جريرته فقال لها أيتها الاميره انجى بنفسك فقالت يا أبو محمد لا يمكن ذلك لان قد وقعت العين على العين ومع هذا ما كنت بالتى أفعل ذلك ولا أهرب من الجهاد فى طاعة رب العباد ولا أولى الدبر والموت لابد منه وقد قال القائل حيث يقول

اذا كان غاية الحى موتا فطول الحياة عندى قصير
لا كبير يهابه طارق الموت لاولا بالكبير ينجو الصغير

فقال الامير أبو محمد ياأميره فلو اننا سلمنا أنفسنا الكان أجود لنا فقالت له هيهات ان أفعل ذلك ولابد لى من الطعن والضرب فى طاعة الرب ولو كانوا بعدد النجوم فكن أنت وغلمانك تنظرون إلى فعالى فان أنا هلكت فافعلوا ماشئتم بنفوسكم فقال لها دونكى وإياهم فعسى آخذ أنا وجه نورى لعلى إذا مت أكون قد بلغت المراد وشفيت الفؤاد فضحكت الأميرة وقالت له لقد سلب عقلك ياأبو محمد ثم انها نزلت عن جوادها وافتقدت عدته ثم وثبت صارت على ظهره وقالت عند ذلك ياأبو محمد لوكان عندى رمح أطاعن به لكان أجود لى من الحسام فى قتال اللئام ثم انها حملت على الروم الكلاب ونزل أبو محمد فى مكانه وأنزل نورى وهى مكتوفة اليدين ووضعها عند لحف الجبل وغلمانه حوله وقد أيقنوا بالموت وهم يتعجبون من الأميرة ذات الهمة وقلة اكتراثها بهذا الجمع الغزير وقالوا والله ما بنا أرواحنا مثل ما بنا على الأميرة ذات الهمة فما للاسلام مثلها هذا وقد نظرت نورى إلى الغبار وقد انكشف عن الخيل المجحفة والرجال المزحفة والسيوف مثل البروق الخاطفة فأيقنت بالفرج والنجاة وقوى قلبها واشتد عزمها وقلعت الأميرة

عن وجهها تلك اللحيه وتلثمت على زى العرب كما كانت تفعل فى الحروب وكان اسمها عظيم فى بلاد الروم أكثر من عبد الوهاب فلما قربت الخيل منها قالوا غلمان البطال ما يجوز لنا هذا ولا فى المروءة اننا نخلى الاميره طعاما لسيوف الاعداو يسقوها شراب الردا ونرغب نحن فى الحياة على اننا مالنا من هذا الامر نجاة ثم انهم ألووا أعنة خيلهم وطلبوا الاميرة وقالوا قم يا أمير أبو محمد اركب وقاتل مع من قد هلك من أجلك فان هلكت تكون فى ديوان الشهداء فلما سمع أبو محمد كلامهم قال لهم صدقتم فيما قلتم ولكن اسبقونى إلى ما الحقكم فتركوه ومضوا وقد أيسوا من خبره وكان أبو محمد البطال كما قال القائل

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى أجد الملامة فى هواك لذيذة

* حبا لذكرك فليلمنى اللوم * (قال الراوى) ووصلت الروم إلى الاميرة ذات الهمة وقد صاح فيهم الملك الفارقيط ويلكم خذوهم على متون الرماح وشفار الصفاح فعند ذلك قالوا الروم ياسيد الملوك هذا عار علينا أن نحمل فى هذا العالم العظيم على قليل من الرجال ثم خرج من القوم خمسين فارس وحملوا على الأميرة ذات الهمة وعلى أصحابها وكان الفارقيط عينه على نورى فعدل إليها وقد عظم عليه وكبر لديه انفراد أبو محمد بها وكان أبو محمد فى ذلك الوقت قد طمع فى الملكة نورى حتى يقضى مراده منها وهو يقول لها يا مقطوعة النخاع ويلك أنا أبو محمد البطال والله لابد لى منك والا شقيت بطنك بهذا الخنجر وكانت مكتوفة فعلمت ان ابو محمد ماهو من رجالها فصبرت حتى صار بين أوراكها ورفصته برجلها فى صدره فتدحرج إلى ورائه خمسة أذرع ثم أنها تمطمت فى كتافها بقوة همتها قطعته قطعتين ووثبت على الامير أبو محمد البطال أسرع من البرق الخاطف فما لحق ابو محمد يقوم من على الارض حتى صارت على صدره وأدارت يديه إلى ظهره وشدته بزنارها وبزقت فى وجهه ففتح لها فمه وقال ما أحلى ريقك على فؤادى يامن ملكت فؤادى وهججتنى عن بلادى ووصل اليها الملك الفارقيط فوجد أبو محمد فى البلا العريض فنزل اليها وباس يديها وقاو أيتها الملكة أنظرى ما قد جرى على من أجلك فصاح ابو محمد ياقرنان وايش الذى جرى عليك انت أنا جرى على أكثر منك والملكة نورى وتعرف بهذا فالمسيح يمد لى فى عمرها زمانا طويلا فضحكت الملكة نورى من وسط الغيظ وقالت ماهذا الاشيطان فى صورة إنسان ثم انها اقبلت على الملك وقالت له أنظر لنفسك ولا تقول انى خلصت لك حتى تأخذ هذا الفارس الذى كان قد أظهره ذلك الشيطان فى صفة راهب نجران فانها أم فارس الزمان وأمير العرب والسودان هذه اللبوة المصممة الاميرة ذات الهمة مفرقة

الكتائب والابطال وعماد دين الإسلام وأم سيف الموحدين فلما سمع الملك ذلك قال لها سوف ترين العجب فقالت أريد عدة جلاد وفرس أركبها فقدم إليها لامة الحرب ثم أنها ركبت على جواد أحمر يفوت النظر سريع إذا خطر فصارت على ظهره واستوت فى سرجه ثم أنها وكلت بأبو محمد عشرين من البطارقة وقالت لهم احفظوا أنفسكم منه فانه عيار الدنيا أخاف أن يقتلكم وأنتم من حوله لا تدرون ويأخذ أصحابه وأنتم ساهون فقالوا البطارقة أيتها الملكة وكيف يفعل ذلك وهو مكتوف بين أيدينا فقالت لهم لا تغترو بكتافه وكونوا على يقظة من أمركم فان رأيتم الامر بيننا وبين هذا الفارس قد طال فى القتال ووقع عليكم النوم فاعلموا أنه قد سحر عيونكم مثل ما فعل بالقسوس والرهبان والملك وهربوا من يديه فلما سمعوا البطارقة ذلك داخلهم الوهم فى قلوبهم وقال واحد منهم أيتها الملكة ابصرى عينى فان النوم وحق المسيح قد وقع على من ساعته هذه فوكلت به عشرين بطريق أخرى وسارت مع الملك حتى أشرفت على الاميرة ذات الهمة وكانت قد خرج إليها مائة فارس وحملوا عليها وعلى غلمان أبو محمد لأنهم كانوا أشجع منه فى الحرب والاميرة ذات الهمة وقد وصل إليها فارس من البطارقة وفى يده رمح وطارقه وقصدها بالطعنة حتى إذا وصل السنان إليها مدت يمينها وقبضت على سنان الرمح وصاحت بالجواد فخرج من تحتها مثل البرق الخاطف وجذبت الرمح فكادت أن تخلع به الفارس ولولا أنه خشى أن ترميه من سرجه لما أطلق الرمح من يده ثم عادت راجعة إليه وطعنته بالرمح فى صدره خرج من ظهره ثم حملت على آخر فقتلته وثالث جندلته وآخر صرعته فما وصات الملكة نوزى والفارقيط حتى قتلت جماعة ما لهم عدد (قال الراوى) فبرز إليها الملك الفارقيط إلى حومة الميدان ثم قال لها اعلمى إننى أبرز إليكى حتى تعلمين إننى ملك القوم وانتى أميرة العرب فان أسرتينى أرحتى أبطال المسلمين من الحرب وأفدى روحى منك بروحك وهو أن آمر البطارقه أن لا يتعرضوا لكى وأطلق سبيل هؤلاء الذين معك يعنى غلمان البطال إلا ذلك الشيطان فلا بد ما أريح النصرانية من شره ولا آمن على روحى فى الحياة الدنيا منه ففرحت الاميرة من كلامه وما نطق به من نظامه وقالت له دونك وما نطق به لسانك فحمل عليها على جواد أدهم مجتمع ململم مثل الغراب الاسود بغرة كالدرهم من خيول جرهم (قال) وكان الملك أفرس أهل زمانه بعد بثلاث آلاف فارس من بطارقة الروم فلما حملا صاح كل واحد منهما على صاحبه وسبق الملك الاميرة ذات الهمة بالطعنة حتى إذا وصل السنان إليها انقلبت صارت على وجه الارض ومرت الطعنة خائبة وعادت الاميرة إلى سرجها أسرع من البرق وأعجل

من الودق وقد مل حصان الملك وقل جريه فأطبقت الأميرة عليه انطباق السيل إذا قدم فى الليل ومدت يديها إلى جلباب درعه وهزته فاقتلعته من سرجه فعند ذلك صاحت نورى فى العسكر يا ويلكم دونكم وإياها فقد احتوت على الملك وحق المسيح هل تسلم به من بين أيدينا وإن فى قتلها وهنا للمسلمين وإعزازا لهذا الدين فلما سمعوا ذلك من كلامها قالوا لها نعم ما رأيتى وهموا بالحملة وإذا بغبار قد طلع وعجاج قد ارتفع ثم ظهروا انقشع وظهرت من تحته كتائب ومواكب وقد بان لمعان الاسنة والقواضب فقالت الملكة نورى ويلكم أنظروا هذا لا يكون عسكر الإسلام قد أتى فى طلب أصحابهم فيأخذونى وحق المسيح ويردونى إلى ذلك الوجه القبيح يعنى أبو محمد البطال (قال الراوى) فلما أشرفت تلك الخيل كأنها قطع الليل قصد إليها من يكشف خبرها فغابوا ساعة وعادوا وهم على مهل فسألت نورى فقالوا أيتها الملكة هؤلاء بقية أصحابنا لأن الملك فرقهم فى طلبك وهؤلاء قد وصلوا إلى مفرق الطرق ورجعوا من هذه الطريق ففرحت نورى بسماع قولهم وقالت لهم احملوا عليها فحملوا المقيمين والقادمين (قال الراوى) وأن الأميرة ذات الهمة لما نظرت إلى ذلك قالت كلمة لا يخجل قائلها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم ألقت الملك من يدها وقالت له قم فقد وهبتك نفسك هذا وقد حملت عليها الأبطال واستقبلتها الاقيال حتى لم يبق فى يدها غير قائم سيفها هنالك ترجلت إليها البطارقة وعرقبوا قوائم جوادها فوقعت إلى الأرض وأخذت الأميرة أسيرة وفيها أكثر من عشرين جرح من طعن الأسنة فلما احتووا عليها وأخذوها أسيرة استراح الملك فى ذلك المكان باقى يومه وجعل يصف للروم الأميرة وينعت شجاعتها وقال وحق المسيح لو رضيت تقعد عندى لكنت أشركها فى ملكى وكنت آخذ بها ملك القسطنطونية ثم أنه أحضر أبو محمد وأمر بضرب عنقه فقاموا إليه البطارقة وقالوا يا سيدا لملوك الصواب أن تؤخره حتى تنظر ما يكون منه فأمر أن يضرب الضرب الوجيع وصار الملك يقول له بالرومى ويلك أتريد أن تأخذ نورى فيقول له البطال من تحت الضرب أى وإلله أيها الملك وكيف لى بها هذا والملك فى حنقه يزيد فى ضربه ثم قال لأصحابه ارحلوا بنا إلى الديار فقالت الملكة نورى أيها الملك على ماذا عولت قال على الرحيل ومعى هؤلاء الأسارى وأعذبهم عذاب ما عذب به أحد فقالت له نورى إذا كان الأمر على ما ذكرت فسلم هذا الشيطان أبو محمد إلى من يقتله فأنا أعرف منه ما لا يعرفه غيرى لأنه شيطان فى صورة إنسان وأنه صاحب أفعال تعجز عنها الرجال فقال لها سوف أفعل به ذلك وكان أبو محمد كما قيل

حبيب ليس يرحم سوء حالى … وفى قلبى له حب شديد

أريد حياته ويريد قتلى　　فأترك ما أريد لما يريد

(قال الراوى) فقال الملك أيتها الملكة ما أريد قتله إلا فى البلد حتى يراه كل أحد (قال) وإن الملكة نورى من غيظها على أبو محمد وحنقها عليه جعلت تضربه بصوت كان فى يدها وهو لا يصيح من ضربها وكان لا يشعر به من عظم المحبة التى لها فى قلبه ولا يرى ذلك إلا أحلا الأشياء على قلبه فأشار يقول

إن عذاب الحب يستعذب　　فعذبونى فى الهوى عذبوا
وإن يكن ضربى لكم معجبا　　فكلمونى فى الهوى واضربوا

(قال الراوى) فعند ذلك غضب لؤلؤ غلام البطال من شعره وكلامه وقال نحن فى هذا البلاء من أجلك وأنت تتمثل بهذه الأبيات ونسيت ما نحن فيه من البلاء والآفات ثم أن الملك الفارقيط رحل من وقته وساعته فى عساكره ودساكره ورفعت الصلبان وكفروا بالرحمن وكانت الأميرة ذات الهمة بين يديه ماشية حافية مكتوفة اليدين وغلمان البطال من حولها وأبو محمد أيضا مكتوف وهو يعدو مع أصحابه وقد قال أبو محمد وحق دينى إن خليتونا على هذا المشى ما كنا نصل إلى بلدكم على مشينا إلا فى شهرين فاحملونى على بعض البغال ياويلكم فما أنا مثل أصحابى هؤلاء لأنهم قد تعودوا بالمشى وأنا نحيف الجسم فقال لؤلؤ صدق لأنه من أولاد النعم ونحن من رعاة الغنم (قال الراوى) فحملوه على بغل وهو مشدود الكتاف فقالت الملكة نورى ارفعوا ذات الهمة أيضا وأصحابها على الدواب واطلبوا المدينة على عجل ولا تأمنوا من العوارض لأنها غير مأمونة ونخاف أن يأتينا ما لم يكن فى الحساب فلما سمعوا ذلك من كلامها راوه صواب وزفعت الأميرة وغلمان البطال على الدواب (قال الراوى) واستقاموا على الطريق وإن أبو محمد جعل ينظر إلى نورى وهى ملاصقة إلى الملك تحادثه وتضاحكه وهو فى غلبة الأسر وذلة القهر فأنشد

غرام ووجد قد يزيد على الصب　　ونار جورى وسط الجوانح والقلب
فيا حسن نورى إذ تنادى بصوتها　　تهددنى بالضرب مع شدة الخطب
وكان لعمرى ضربها لى راحة　　فقلت لها زيدى بحقك فى ضربى
ولم أنس منها قولها بدلالها　　ألا فاقتلوه تخلصون من الكرب
وأصعب ماتى أسرد لهمة التى　　تفوق الورى فى الحسن فى الشرق والغرب
ولو أن أبطال الثغور دروا بنا　　لأبصرتهم مثل الليوث على النجب
ولكنها آجال قوم تقاربت　　وكان لشؤمى كلما ناله صحبى
فيا ليتنى من بعد هذا جميعه　　وصلت إليها ثم يدهمنى كربى

(قال الراوى) ولم يزل الملك مجدا فى سيره إلى أن وصل إلى دير يقال له دير نصطرونا

فأراح فيه يوم و ليلة فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره و لاح وإذا ببطارقة من جانب العسكر وقد ارتفع صياحهم وصراخهم وقد أقبلوا نحو الملك يتصايحون فظن الملك أن بعض الأسارى قد هرب فسألهم عن ذلك فقالوا أيها الملك الكريم إن المسيح قد قضى فى هذه الليلة شهوتك لأنك قبل أن تجىء عليك هذه الحيلة من هذا الشيطان الذى قال أنا راهب نجران عمن كنت تسأل المسيح أن يجمع بينك و بينه فقال لهم أنا كنت أسأل المسيح أن يجمع بينى و بين إحدى الرجلين الصالحين أما الشيخ النجيح أو عالم النصرانية ومقدم رهبان دير المسيحية الشيخ أبو الشر شومدرس وكان قصدى بذلك أن يزوجونى بهذه الملكة نورى و تعود على بركاتهم فقالوا له ابشر فان المسيح قد أعطاك مناك وأنالك هواك هذا الشيخ النجيح قد أتاك وشومدرس وولده دهرشوم قد وافاك ومعهم الراهبة الصالحة شوما (قال الراوى) وكان السبب فى قدومهم بأنهم من وقت هربوا من القلعة الشهبا ما وقعوا فى عين الملك منويل لأن عقبة وشومدرس كانوا سألوه أن يهرب معهم فما أجابهم إلى ذلك فزعا وخوفا فهربوا وما أعلموه بذلك وطلبوا لأنفسهم النجاة إلى أن وصلوا إلى دير نصطرونا فلما رأوا عسكر الفارقيط أتوا إليه وكانت قد وصلت إليهما الأخبار بالملكة نورى وهربوابها إلى بلاد الزواورة من مطية فلما سمع عقبة ذلك قال يا أبا الشر إنى لم أصدق ذلك وكيف تخلص نورى من مخاليب عبد الوهاب الأسود ومن ذلك الشيطان أبو محمد البطال العيار المحتال وإن كان هذا صحيح فقد تم لها أمر عظيم وربما تكون الجارية نورى قد عملت على قتلهما لأنها ما فى عينها من أحد شيء ولها فى الفروسية أوفى حظ على ما قيل عنها فقال له الراهب وشومدرس اعلم أيها الشيخ النجيح إنها تربيتى ولها على حقوق وهى ابنة الملك الذى كان علينا وكان الأمير عبد الوهاب أهانها وذلها وقد اشتهيت أن تسير بنا إليها وانظر إن كان لهذا الامر صحة فاقضى واجب حقها على وتعلم أننى سألت عنها فقال له عقبة هذا وحق المسيح مرادى لأنى أريد أن سألها عن أخبار الثغور وكيف تخلصت وكيف قد تركت الأسود الزنيم وإيش سمعت بالرشيد وإن لم يكن لهذا الأمر صحة فنكون مقيمين فى بلاد الزواورة وقد قربنا إلى بلاد الإسلام فنأخذ الأخبار على جليتها ونسمع أخبار الملك منويل إن كان يرسل إلى الأقاليم فى طلبنا ثم أنهما عزما على الرحيل إلى دير نصطرونا فقالت شوما وأنا ربيتها وقد اشتقت إلى النظر إليها لأنى تأخذنى الشفقة عليها (قال الراوى) وساروا القوم إلى بلاد الزواورة إلى أن وصلوا إلى دير نصطرونا ووافق وصولهم وصول الملك والملكة نورى والأميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال وغلمانه أسرى كما ذكرنا وأخبروا الملك بوصولهم ففرح فرحا عظيما ثم

قام ومشى نحوهم فلما وقعت عينهم على الملك باسوا الارض بين يديه ثم جعلوا يعانقوه وهو يقبل أيديهم وكان يعرف منزلة عقبة عند الملك منويل صاحب القسطنطونيه وكذلك شو مدرس وكانت نورى سألت الملك ان يطلبه لها فى أى موضع كان وكان قد أوعدها بذلك فلما وصلوا اليه وقدموا عليه فرح بذلك الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد ثم أنه سار بهم إلى خيمته الصغيرة والملكة نورى قد نصب لها سرير وهى جالسة عليه فلما دخل شو مدرس وعقبة وثبت إليهما وباست أيديهما وكانت قد باست يد عقبة أولا وعادت إلى شو مدرس وعانقته وقبلته وجعلت تبكى بكاء شديداً وتشكو اليه فقد أهلها فجعل الراهب يعزيها ثم قال لها سوف تزرقين من هذا الملك الفارقيط أودلا وتصيرين صاحبة البلاد وتملكين رقاب العباد هذا وقد دخلت شوما ففعلت بها مثل ما فعلت بشو مدرس ثم أن عقبة أقبل على الملك وقال له أخبرنى ما الذى أتى بك إلى هذا المكان وما الذى أزعجك من بلادك فقال ياأبونا حديثى عجيب وأمرى غريب ثم أنه حدثه بدخول البطال إلى بلاده وكيف صنع الاميرة ذات الهمة راهب نجران وشيخ قسوس الشام وتم عليه ذلك وأخذ الملكة نورى هذا وعقبة قد انفتحت عينه الصحيحة مثل السكرجه وهو يقول ماهذا الا إبليس زمانه فقال الملك وأننا لحقناهم وخلصنا الملكة نوري وأخذنا ذات الهمة بعد ان قتلت منا عالم عظيم ومعهم أبو محمد البطال وغلمانه فلما سمع عقبة ذلك كاد أن يطير قلبه من الفرح وأما شو مدرس فانه قال وحق المسيح لاعدت أفطرت فى هذا اليوم شكرا للمسيح الذى أمكننى من أبو محمد البطال وفى قلبى منه النار التى لا تطفى فقال الملك طب نفسا وقر عينا الساعة ترى العجب وأبو محمد بين يديك ومهما شئت فاصنع ثم أنه صاح بالبطارقة وقال لهم أحضروا أبا محمد البطال فما كانت الا ساعة حتى سحب أبو محمد على وجهه هو وغلمانه وهو يظن ان الملكة نورى طلبته حتى تضربه ومايدرى ماخبى له فى الغيب فلما نظر القاضى عقبة وشو مدرس ودهر شوم وشوما أيقن بالبلاء وقال فى نفسه هذا والله سبب انقطاع الاجل ولكل موته سبب إلا أن يشاء الله تعالى فأقبل عليه عقبة وقال ويلك ياقواد ياقرد أتريدان تأخذ الملكة نورى وبنات الملوك ليكونوا لك جوار وحق المسيح انك لا بدلى الساعة مما أذيقك لفحات النار وأوقع بك الويل والبوار وكذلك قال الشيخ أبو الشر شو مدرس ووثبت اليه العجوز شوما كانها ذئب أمعط وجعلت تلطم وجهه وتقول ويلك أردت أن تأخذ بنتى الملكة نورى فصاح أبو محمد فى وجهها وقال ياعجوز النار وياجيفة الحمار

ويا لون جلد الفار ويامن هى مثل الكلب الهدار إيش فيكى يشبه ستى نورى حتى تكون ابلتك يالبوة شمطاء وياحية نقطاء يالون الغراب ويابوم الخراب ويا ريح السراب ويلك أين الحمام من الغراب (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك من أبو محمد ضحك وقال ياأبو محمد وحياتك الساعة تذهب عنك هذه الحدية التى فيك ثم قال على هذه العاهرة ذات الهمة فأتى بها فلما نظرت إلى عقبة قالت فى نفسها والله مابى قتلى مابى من شماتة هذا الملعون عقبة ثم ان عقبه أقبل عليها وقال إلى متى تمهلك المسيح يا عجوز السوء لا بد لى ان أهتك سترك وأفقدك أهلك وأبليكى ببلاء يعجز عنه صبرك فقال عند ذلك شومدرس اعلم أيها الشيخ النجيح أنهم قد صاروا لهم علينا حرمة لانها قد صارت راهبة نجران وشيخ شيوخ الزمان والمسيح لا يبلغهم إلى هذه الرتبة أبدا فقال صدقت ولكن أريد ألطخ وجه راهب نجران بالزيت والقطران وأعمل هذا الزفت ومشاق الكتان وأضربه ومن معه بالنيران حتى يصيروا عبرة فى هذا الزمان ثم أقبل على الملك وقال له ما انتظارك فى هؤلاء أحرقهم بالنار فانهم أحرقوا فؤادى فقال له الملك الآن هم بحكمك وقد عولت ان لا أفعل بهم ذلك الاعلى باب البلد الذى لنا حتى ينظروهم العوام والخواص والرجال والنسوان ويكون مثل يوم المهرجان فقال عقبة إذا كان الامر على ماذكرت فارحل بنا من ساعتك هذه واعمل بهم ما أقول لك عليه ولا يأخذك فيهم مهلة لانهم قد وقعوا فى يد الملك منويل وأبيه وما قدروا على تلافهم بل يعرض لنا فيهم العوارض (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك رحل وقته وساعته وبين يديه الاسارى ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى ضيعة تسمى ضيعة القباب وقد بقى بينهم وبين المدينة فرسخ عند ذلك خرج اليهم اهل البلد ولم يبق أحد وكان يوم عظيم وجعلوا يضربون الاميرة والامير أبو محمد ومن معهم بالعصى والحجارة حتى وصلوا إلى باب المدينة فنزل القاضى عقبة والراهب شومدرس على باب البلد وقالوا وحق المسيح والانجيل لادخلنا البلد حتى لا يبقى أحد من هؤلاء الاسارى وقالت الراهبة شوما مثل ذلك فقال الملك وحق المسيح انى إلى هذا اشوق وإليه أسبق فدونكم وما اخترتم (قال) فعند ذلك أضرمت النيران وأحضروا النفط والزفت والقطران (قال الراوى) فبينما هم على ذلك وإذا بالجو قد أظلم والافق قد اغتم فقالوا الكل وحق المسيح إن هذا الغبار له على سبب وما هذا إلا عسكر قد وصل الينا وقدم علينا ولعله من بلاد البجناك لان بيننا وبينهم وقائع وعادتهم يأتون إلى هذا المكان ويرجعون خائبين (قال) وان الملك الفارقيط أرسل خمسين

فارس يكشفون له الخبر فقالوا سمعا وطاعه أيها الملك لكن لا تفرط فى هؤلاء الاسارى لانك ما تدرى ماهذا العسكر الذى قدم وما دخلوا هؤلاء إلى بلادنا الا وهم واثقين بعساكرهم تتبعهم فقال الملك أمضوا الآن فساروا غير بعيد وإذا قد بان لهم بياض الاسنة والدروع السابرية والخيل العربية والبيض العادية والصوارم المشرفيه والطوارق المذهبة والمراكب المعلمة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الامير يانس المتغرب كان له فى سائر الاقاليم الجواسيس يكشفون له اخبار الروم ويطالعوه بها حتى يطالع بذلك أهل الثغور وبلاد الاسلام وابطال الايمان وان بعض الجواسيس الذى له وصل إلى أرض الزواورة وقد نظر إلى الملكة نورى ليلة عرسها وهى تزف على الملك الفارقيط فعظم عليه وكبر لديه وقال مالى إلا أن امضى فى غداة غد وأعلم يانس حتى يرسل إلى الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال ويعلمهم أن الملكة نورى وصلت إلى بلاد الروم وهى عند ملك الزواورة فلما أصبح الصباح فقدت الملكة نورى وخرج خلفها ذلك العسكر علم الجاسوس أن ذلك من فعل الامير أبو محمد البطال فعند ذلك سار لوقته مع العسكر إلى أن شاهد ماجرى لهم وكيف أسر أبو محمد وغلمانه والاميرة ذات الهمة فعندها سار إلى أن دخل إلى حصن يانس المتغرب بعد احدى عشر يوم واعلمه بالخبر فلما سمع يانس ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال والله العظيم لئن غفلت عن الاميرة ذات الهمه وأبو محمد ومن معه هلكوا لامحاله ومايسوى ماعملناه طول الزمان حبة ثم انه أنتخب من عسكره ثلاث آلاف فارس من كل بطل مداعس كل واحد يريد لرأسه مائة فارس ثم انه سار يقطع الاض فى طولها والعرض إلى أن وصل إلى دير نصطرونا فما وجد أثر وإذا بشيخ مقبل فسأله عن ملك الروم وان كان وجد الملكة نورى أم لا قال نعم وقد أخذ معها اللص المحتال الذى اسمه أبو محمد البطال فعند ما سمع يانس هذا الكلام قال كلة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. الله ما يبقى عليهم شيا وأنا أعلم ان الجارية نورى تبغض أبو محمد البطال وهى التى تحت الملك على قتلهم ثم انه سأل البطريق هل كان معه غيره قال نعم معه غلمانه وسمعت ان معهم فارس قتل من الروم عالم عظيم وهو بطل مشهور فى المسلمين لا يبالى بالابطال وقد زعموا أنها امرأة وهى أم الاسود عبد الوهاب والمقدمة على بنى كلاب وقد ملكوها بعد الجهد الجهيد وقد ساروا بهم إلى المدينة الزواورة وقد لقيهم الشيخ النجيح عقبة والراهب شومدرس وقد عولوا أنهم يحرقوهم إذا وصلوا إلى المدينة ولا يبقون منهم واحد (قال الراوى) فلما سمع الامير ياقس ذلك قامت عليه القيامة وسار من وقته وساعته وجد فى سيره وقال لاصحابه جدوا فى سيركم فان أدركناهم القيتا

أنفسنا عليهم ولنا أسوة بهم وان لم نلحقهم قاتلناهم واخذنا بثارهم ولا حياة لنا بعدهم وسار الامير يانس فادركهم عند الباب فى تلك الساعة التى أرادوا أن يحرقوا فيها الامراء (قال الراوى) وكان بين يانس وبين الملك الفارقيط صداقة عظيمة ومودة جسيمة وإن الابطال الذين أرسلهم رجعوا اليه وكانوا البطارقة سألوا يانس عن سبب قدومه فقال شوقا إلى الملك وإنى قد جئت أهنيه بالجارية نورى الذي كان لها عاشق وبها رامق فما كان من هؤلاء القوم الذين أرادوا ان يحرقوها فقالت البطارقة أخذناهم عن بكرة أبيهم وهم على شرف الاحراق وما عوق الملك من ذلك إلا قدومك ثم رجعوا إلى الملك كما ذكرنا وأخبروه كما وصفنا ففرح فرحا شديدا إلا القاضى عقبة قال ايها الملك وحق المسيح والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل ماهذا يانس الا مسلم وهو عين للمسلمين على الروم فقال له الملك لاتقول هكذا أيها الشيخ النجيح لو أراد يانس أن يكون مسلما لما أقام فى بلاد الروم وأنما هو كثير العجب بنفسه ويقول بلسانه ماليس فى قلبه ولو كان مسلم كان يسير إلى بلاد المسلمين وإنما هو محالفهم ومعاهدهم ويكف بذلك عنه شرهم لانهم فى عسكر عظيم وجيش جسيم ولا طاقة له بهم ولو شاققهم لما كان فيهم وما جاء الا ليزورنى وله عادة بذلك يأتينى كل سنة وبينى وبينه عهود ومواثيق وقد كان الملك منويل يرسل إلى اعلم ان يانس مايطأ بساطى وإذا أتى اليك يزورك فاقبض عليه فما فعلت ذلك لاجل ما بينى وبينه من المودة (قال) فعند ذلك قال عقبة وحق المسيح والاربع الاناجيل ما قعوده فى بلاد الروم الا أنه عين للمسلمين فعند ذلك قال الملك لعقبة هذا ماهو صحيح فى يانس فلا نسمع فيه أيها الشيخ النجيح كلام فان لكل أحد عدو فقال أيها الملك ان أشار عليك ان لاتقتل هؤلاء الاسارى أوغير قلبك عن ما أنت عليه فاعلم أنه مسلم فقال له الملك الفارقيط وحق المسيح لو قال لى الملك منويل أو أبيه لاتقتلهم لما سمعت (قال الراوى) ووصل يانس المتغرب ومشى اليه الملك واعتنقه وقال له شكرك المسيح فى افتقادك ولكن ما السبب الموجب لقدمك فى هذه الكرة الآن ماهو وقت زيارتك فعند ذلك قال يانس أعلم أيها الملك إننى سمعت أنك ظفرت بمن كنت صورتها فى قبة الكنيسة من فرط محبتك لها وهى الملكة نورى بنت عين المسيح وقد خلصت من بلاد المسلمين وهى بكر عذراء من غير أن ينالها أذى ولا بلا. فأتيت اليك على سبيل التهنئة وأحضر العرس والدعوى فلم أزل طيب القلب رضى البال حتى قيل لى أنه وصل اليك قوم من لصوص المسلمين وعملوا عليك عملا ماعمله

الاولين ولا الآخرين ولكن ماأعطاهم المسيح ما كانوايؤملون وانك أسترتهم الجميع فالحمد للمسيح على ذلك اذلم يفجعك فى الوجه المليح فكان يكون عليك شين قبيح بانها تخلص من بلاد الاسلام بعدطول البلاوكثرة الضر على الاسر والبلائم انها توخذ من تحت جنابك فلقد كشف عنك المسيح الملام وقطع عنك الكلام وشرفت بهذه الفعلة على كل الانام (قال) فلما سمع الملك من مقالة يانس فرح بهوشكره على قوله وقال له لقد جمع المسيح على قلبي سائر المسرات بقدومك وقدوم الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة والراهب شومدرس انهما قد حضرا عندى فلما سمع يانس بذكر عقبة عظم عليه وكبر لديه وقال فى نفسه والله مايدعنى الملعون عقبة أفعل ماأريد ولقد كان والله بجيئه فى هذالوقت من العكوس وبقى فى قلب يانس النار الا أنه أظهر الفرح والاستبشار بحضور عقبة وشومدرس وقال ياسيدالملوك لقد أفرحتنى بقدومهما هذاوقد أخرج إليه من البلد السرادقات الكبار والخيم ونزل يانس المتغرب بعساكره ونصب لملك الزواورة سرير من فضة قوائمه من الذهب الأحمر يسع ذلك السرير اربعين رجلا وجلس عليه ويانس إلى جانبه وكذلك القاضى عقبة وشومدرس وأمر بأن يحضر الطعام فحمل من المدينة من سائر الاطعمة والخرفان والدجاج والحلوى والخنانيص ماعليه قياس حتى أكل جميع الناس وكان أصحاب الأمير يانس يأكلون من لحم الخرفان والحلوى والدجاج وغير ذلك من الفوا كه الالحم الخنزير فانهم لم يقربوه ولم ينكروا الروم عليهم فى ذلك إلا عقبة فانه قال وحق المسيح ان كل من مع يانس مسلمين ثم أسرها فى نفسه فلما نظر إلى ما بين يانس وبين ملك الروم من المودة لم يقدر يتكلم ثم أن يانس قال أريد أيها الملك ان أنظر إلى الملكة نرى الذى قد شاع حسنها وجمالها فقال سمعا وطاعة (قال الراوى) وهذا عند الروم ماهو عيب فلم يكن إلا ساعة حتى أحضرت وقد سلبت العقول لما حضرت ونصب لها كرسى رفيع من الذهب الأحمر فجلست عليه وهى كانها القمر ليلة تمامه وقد لبست ديباجة خضراء بازرار ذهب فى عرى فضة مكللة باللؤلؤ وقد شدت فى وسطها زنار أبريسم برمامين ذهب كبار فحارت منها الابصار والافكار وبقى الناظر إليها حاير مايدرى هل ينظر إلى وجهها والى طولها وعرض أكتافها والى خصرها وثقل أردافها وإلى حلاوة تمايلها وانعطافها وحلاوة كلامها ونزاقة أطرافها (قال الراوى) فلما نظر يانس إلى ذلك كاد قلبه أن يطير من حسنها وقال فى نفسه لعل الله تعالى جعلها من رزقى وقد سهل على طريقا إلى ههنا حتى أعمل على خلاصها ثم أنه نادى أيها الملك ومن كان سببا لخلاصها من بلاد المسلمين فقال له وحق المسيح ما كان على بالى من خلاصها شىء

لاننى أيست منها ولكن كنت جالس فى القبه على العادة واذا هى فوق رأسى ثم حكى له ما جرى لها فى هروبها وما وقع له مع أبو محمد وذات الهمة ولولا المسيح نظر إلى لكنت هلكت فان كان الهم الذى حصل لى من فقدها والقهر يزول عنى فانا بخير ببركة المسيح (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما ما كان من الاميره ذات الهمة فانها كانت فى غاية الالم من الجراحات التى بها وكانت شىء ما تريد قتلها ولم تستطيع خوفا من الملك الفارقيط فلما أعياها ذلك عمدت إلى الجير وجعلت يحشو جراحاتها والجير يأكل الجراح فبقت الاميره تضج من الوجع فتقول شوما لعنها الله الساعة يزيد عليها الوجع ويكون سبب موتها الجير (قال الراوى) فلما وقع الجير على الجرح وانقطع الدم وأكل اللحم الميت فعند ذلك هدى الضربان وأشرفت الجراحات على الاختتام وكانت أرادت بذلك هلاك الاميرة وكان فيه دواها بلطف من الله فلما نظر الامير يانس إليها وهى على هذه الحالة وقد تغير ذلك الجنار وظهر على وجهها الاصفرار فقال فى نفسه لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم انهم أتوا بالامير أبو محمد وغلمانه وكان الراهب شومدرس انفرد فى حال قدوم يانس وضربه الضرب الوجيع وامر البطارقة ان يقلعوه ثيابه فقالوا وما الذى تريد يا أبونا فقال اريد أن أخصيه بيدى فاكون مثل الذى ذبحته بكفى فان هالك أكون قد شفيت به فؤادى وان سلم فى هذه النوبة فيكون قد خرج من حكم الرجال ودخل فى حكم النساء وتقل نهضته وتذهب قوته وينقص عقله وتبطل حيلته ولا أبالى ما فعل بى بعد ذلك فكتفوه له البطارقة وأخذ بيده سكون ماضيه وتقدم إليه فعند ذلك صاح أبو محمد لا يقرنان لا تفعل ويلك ياملعون ايش فعلت معك أنا أخذت حذرة شوما حتى تفعل بى هذه الفعال ويلك دعنى وأمهل على ولا تعجل بى فان أنتم قتلتمونى فقد استرحتم منى وان كان لى أجل فتكون وقد أبقيت لك مكان ولا تأمن لابدانك ما تقع فى يدى وان قطعت ذكرى فسوف يقوى بصرى ويجمع لى وطرى وتزداد قوتى وتقوى عزيمتى وأخصيك وحق المصطفى ولو غصت فى الارض السابعة السفلى أو تعلقت فى كواكب السما وتصبح شوما لغيرك معانقة وانظر إلى العواقب فى أمرك واستعيذ من شر نفسك فلم يسمع الراهب شومدرس منه وعزم على ماقد ذكرناه فبينما هو كذلك وإذا برسول الملك قد وصل إليه وقال أجب الملك فترك الامر الذى قد عزم عليه وصعد عقبة والملك على السرير وطلع شومدرس إلى جانبهم وبقى فى قلبه من ذلك أمر عظيم (ياساده ياكرام) وان الامير يانس لما نظر إلى الامير أبو محمد البطال قام من موضعه ولطم وجهه وبزق عليه وقال هذا الشيطان الذى ماتهدى الملوك على أسرتها من فزعها منه ومن الاسود الزنيم أمير بنى كلاب المسمى بعبد

الوهاب ولا مثل هذا القرنان فلما نظر عقبة إلى فعلي يانس عرف أنها حيلة منه فلا صدقه عند ذلك وقال له سرا ويلك يا يانس دع عنك هذا النفاق فلو ان معك مثلك مائة ألف ما تركت أبو محمد وذات الهمة يسلموا فى هذه النوبه وأنت تحلف انك ما أنت مسلم وتقول للملك منويل ان عقبة يكذب على فاسكت وحق المسيح حتى أعلم انك نصرانى وأشهد لك عند الملك منويل بذلك وأصلح بينكما وأزوجك ابنته وأجعلك الخليفه على الملك من بعده فقال يانس يا أبو ناها أنا الآن أسكت ثم ان يانس أمر ان يسحب أبو محمد البطال إليه فسحب إليه وقال له بالعربيه سرا يا أبو محمد لا تفزع فما عليك ان شاء الله باس وروحى دون أرواحكم وجودوا على بهذه الجارية نورى فقد ملكت بجامع قلبى واحتوت على بصرى وسمرى فقال الامير أبو محمد عند ذلك أحسنت يا يانس لا جزاك الله خيرا ولا كتب عليك سلامة وقال يا سيد الملوك ولم تجلس هذا معك على السرير وهو وحق دينى مسلم يقول بقولنا ويفعل فعلنا أطرده من عندك فما اقر به خير فقال الملك ويلك يا يانس فعند ذلك ضحك الامير يانس وقال أيها الملك مزحت معه وقلت له اعمل فى خلاصك على انك تسرق لى خليفة المسلمين وأعطيك فى بلاد الروم أى حصن شئت فقال الامير أبو محمد كذا كان ويلك يا مقطوع الظهر فأشارت الاميره عند ذلك إلى الامير أبو محمد بطرفها ان اسكت بغضب وإلا كان قد فسد الامر (قال الراوى) يا ساده يا كرام وان الملك الفارقيط أمر السياف ان يضرب عنق الاميره ذات الهمه ومن بعدها الامير أبو محمد البطال وغلمان فلما نظر يانس إلى ذلك لم يجد الصبر دون ان أقبل على الملك وقال له اعلم يا سيد الملوك ان النصح من المحبة وطلب الصلاح للصديق من كثرة المودة والنظر فى العواقب رأس الحكمة والعجلة فى الامور من الشيطان وان كان الانسان يعلم أن لا بد له من مقاومة الاعداء فيبقى عليهم حتى يبقى عليه ومن تهجم فى الامور أخطأ وقد قال ارسطاطاليس الحكيم ما عملت قط عملا حتى أعرف كيف أخرج منه حذرا من الوقوع فيما لا أريد وأنت تعلم أيها الملك ان خلف هذه المرأة ذات الهمة رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما فى عدد الحصى والتراب وهم السودان وليوث الحبشان وأمراء بنى كلاب الذين قد أزالوا رقاب الملوك من الروم والعرب والعجم وأوقعوهم فى بحار الندم واذا قتلت هؤلاء المسلمين فما ينقصوا من عدد الموحدين وما فيهم الا من له فعال أكثر من فعل هؤلاء وأنت تعرف اسود بنى كلاب وسيف الحنيفيه رأس كل بليه وأنا أقسم بالمسيح ان قتلت هؤلاء الأسارى ليكونن سبب خراب هذا الاقليم وهلاك أهله وأكبر شاهد لى على صدقى فى ذلك الملكة نورى لانهم تركوا ديار أبوها بلاقع ولا يسمع فيها

سامع ولا ينطق فيها ناطق ولا يعبر بها كاذب ولا صادق يصيح فيها الغراب والبوم وقد حسبت من خراب بلاد الروم والصواب أنك تقطع عليهم ماشئت من الأموال فما فى مالهم قلة وعلى الضمان فى ذلك وأستحلف لك هذه الأميرة أنها لا تدع أحدا من المسلمين يغزو دياركم ما قام قائم وما غفلت عين نائم وما حلم حالم وما عطب عاطب وسلم سالم فان هذه المرأة إذا حلفت لك بذلك وأعطتك الزمام فقد أمنت من سائر الأنام وإنى أعرف صدق قولها لأنها كانت السبب فى الهدنة بينى وبين ولدها عبد الوهاب وها أنت ترى بلاد الروم خراب وبلادى عامرة وقد أشرت عليك بما يشير الصديق على صديقه والأخ الشقيق على شقيقه والصواب أن تطرح هؤلاء فى المحبوس وتخلو من لياليك بهذه العروس التى هى حياة النفوس فقال أبو محمد البطال لما سمع الخلوة بالعروس يتمهل بالعروس فاخلفه عجلة ولا بؤس لأنها قد جرى عليها فى الطريق من السهر والسير الحثيث فدع يخليها فى قصره شهرا واحدا ولا يعرض إليها حتى يعود إليها حسنها وجمالها فنحن لا نعرض لهذه الديار التى هى فيها

(قال الراوى) ولما سمع عقبة كلام يانس المتغرب ما أعجبه ذلك وقال أيها الملك وحق الإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل ما يانس إلا مسلم لا محالة وقد صدق فيه أبو محمد البطال والصواب أنك تقتل هذه العجوز الشمطاء والحية النقطاء التى قتلت أبطال البطارقة من قومك ووجوه الروم من أصحابك وتمضى سالمة إن هذا غاية العار والذل والشنار ومع ذلك فوحق المسيح لو خلص منك هذا اللص المحتال أبو محمد البطال وتعلقت بالفلك الدوار لأخذك وكان قتلك على يديه وأخذ هذه الملكة نورى التى ما فى الأرض مثلها وما تكون أنت أيها الملك أكثر يقظة منى ولا أكثر احترازا وبعد ذلك يأخذنى ويضربنى الضرب الشديد فان أردت أن تحرس نفسك ومالك والملكة نورى فاقتله وإن أنت خالفتنى فارقتك من وقتى هذا ومعى الراهب أبو الشر شومدرس ونحرمك من دين النصرانية والسلام (يا سادة) فعند ذلك قال الأمير يانس ويلك يا عقبة قد علم الملك منويل إنك أنت سبب تلف دين النصرانية من أول الدهر إلى آخره برأيك المشوم وكلما يجرى على الملك منويل بشوم تدبيرك فقال عقبة يا يانس دع عنك هذا الكلام فما يتم لك هذا قط على فقالت الملكة نورى لا بد من قتل أبو محمد حتى أنام وأملا عينى من النوم وإلا أن سلم فما يهنأ لى عيش أبدا (قال الراوى) فلما سمع الملك الفارقيط ذلك من كلامها وهو لها عاشق وبها رامق فقال ما فى الأمر إلا قتلهم فلما نظر يانس إلى ذلك لم يجد الصبر بل قال أيها الملك ما تقدر على ذلك لأننى محالف القوم وبينى وبينهم عهود وإيمان إنهم إذا وقعوا فى بلاد الروم لا أقعد عنهم وإذا جرى على

أمر من الأمور لا يقعدون عني فلما سمع الملك ذلك من كلام يانس غضب غضبا شديدا وقال ويلك وما الذى يمنى عنهم ولقد صدق الشيخ النجيح فيما قاله فقال الامير يانس عند ذلك يمنعك سيفى وثلاثه آلاف بطريق معى مثل السباع وما جئت إلى ههنا حتى أرسلت إلى الأمير عبد الوهاب رسول يأمره بالمسير إليك فى مائة ألف من بنى كلاب كأنهم سباع الغاب فيضربون منكم الرقاب ثم أنه صاح فى بطارقته وكان منهم مائة بطريق قائمين على رأسه وحول الاميرة ذات الهمه فعند ذلك قطعوا اكتافها وسلوا إليها سيفا لتحامى به عن نفسها (يا سادة) ثم صاح الملك الفارقيط فى الزواورة فثاروا إلى العدة ثم إن الامير يانس جرد سيفه وهوى به إلى عقبة وقال له أنت تريد تنقض الايمان التى حلفتها للمسلمين بالمسيح لا أتخلا عنهم كما أنهم لا يتخلوا عنا فلما علم عقبة منه الجد ولى منهزما وهو يصرخ مثل الحمار وقد التقى سيف يانس بيده اليسار فوصل إليه ذباب السيف لأنه كان قد تباعد عنه فوقع على ثلاثة أصابع من يد عقبة اليسار فقطعها وانهزم شومدرس أيضا وقال فى نفسه وحق المسيح ما مشيت قط مع القاضى عقبة فأفلحت ووقعت البطارقة على بعضها بعض وانهزمت الملكة نورى وقد شبكت يديها على رأسها وهى تصرخ واإماه واإماه ثم أن بطارقة الامير يانس احتاطوا بالاميرة ذات الهمة وأخرجوها إلى برا السرادق وترجل بعضهم وأعطاها فرسه فعادت إليها روحها وهمهمتها ودمدمت وزجرت وعلى القوم حملت وركب الملك الفارقيط ووقع الصوت فى البلد فركبوا الروم فى عدد يأجوج ومأجوج وصارت الدنيا تموج ورفع الامير أبو محمد البطال إلى البلد وكذلك غلمانه وعملوا القيود الثقال فى أرجلهم وأوثقوهم فى المطامير الطوال ودخل الملعون عقبة إلى البلد ليداوى يده وأقام شومدرس يحرض الرجال على القتال واختلط الرجال بالرجال وبلغت الارواح الحناجر وماج العسكر مثل ما يموج البحر الزاخر وتفطرت المرائر وقاتل الامير يانس قتال شديد ما عليه من مزيد وأقبل على قومه وقال لهم اعلموا أنكم ما وقفتم لله وقفة أجل منها وأن الله تعالى يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا فارجعوا إلى الاعداء زحفا ولوحوا منهم ممصيا وقحفا وكل مائة منكم تلاقى ألفا (يا سادة) وأخذت الاميرة ذات الهمة النخوة العربية والحمية العامرية ونسيت ما بها من الألم وجعلت تحمل على تلك الامم وترمى الرؤس والقمم وما تعبر على صف إلا وقد انهشم ولا على عسكر إلا وقد انهزم والملك الفارقيط قد كشف رأسه ونادى أصحابه يا ويلكم هل هم إلا عصابة قليلة غير كثيرة ولبست الملكة نورى لامة الحرب وحملت تريد الطعن والضرب وزاد على الناس البلا والكرب وعمل الصارم

وذبحت الاعناق والعلاصم وحام عليهم الغراب الحائم وعثرت الخيل بأكر الجماجم وتطمت الاكف من المعاصم وتشوشت العمائم وزاد الامر وعظم الشر وضاق الصدر وعيل الصبر ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى عدم الضو وأظلم الجو واعتمت الآفاق وعملت السيوف الرقاق وقطفت ثمار الاعناق ووقع بهم المحاق باذن الواحد الخلاق (قال الراوى) وكثر العالم على الأمير يانس ومن معه من الثلاثة آلاف فارس وقصدوهم الفلاحين من القرى والضياع فكانوا أزيد من مائة ألف أخر وأن فارس من فرسان الروم طعن جواد الامير يانس فوقع إلى الارض فعند ذلك أكبت عليه البطارقة وأخذ أسير وملك ذليل حقير وأسر من قومه ألف فارس أخر وضربوا حول الباقين صفوفا وأمسى المساء ونزلت الروم من حولهم وأضرموا النيران وأما الملعون عقبة فانه خرج عند المساء من البلد ونظر إلى يانس وقد أسر ففرح ثم أنه كتب على جناح الطائر كتابا إلى القسطنطينيه وكان فيه مكتوب أيها الملك اعلم أن يانس قد اشتهر بدين الاسلام وكل من معه قد أسرناه ومعه ألف فارس والباقين قد أشرفوا على الاخذ وقد ملكنا ذات الهمة والبطال وغلمانه والملكة نورى قد تخلصت من بلاد الاسلام فساعة وقوفك على هذه الاحرف تسير بعسكرك أيها الملك حتى تأخذ يانس وتتسلم حصنه وتأمن شره وتشفى فؤادك منه وربما خلصت لك الملكة نورى التى هى غاية المراد بغية الفؤاد (قال الراوى) ثم ان عقبة أحضر يانس بين يديه وقال له قد قطعت أصابع يدى وأريد آخذ بثارى فقال له افعل ما تريد فعند ذلك عمد الملعون إلى يانس وقطع أصابع يده الثلاث من اليد الشمال وقال له وقد أرسلت إلى الملك منويل أن يأتى إليك ويقتلك أشر قتله ثم أنه أقبل على الملك الفارقيط وقال له عندى رأى قال وما هو الرأى أيها الشيخ النجيح فقال نكبس على القوم الذين بقوا قدامنا فى الليل ونضع فيهم الحسام الصقيل فقال له الملك الفارقيط ما هذا صواب فربما قتل منا رجال يعزوا علينا فسكت الملعون عقبة على غيظ منه ولم يقدر أن يرد عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من الملك منويل فانه قرأ الكتاب وعرف ما فيه فضحك وأقبل على أرباب دولته وقال لهم اعلموا أن هذا الكتاب بخط الشيخ النجيح وقد أرسله يترضانى بعد ما فعل فى حق ذلك الفعل القبيح لأنه كان تركنى فى تلك القلعة وهرب هو والراهب أبو الشر شومدرس ولا أعلمانى وكلا منهما قد اختار نفسه على ولم يلتفت أحدا منهم إلى فقال له البترك وأرباب الدولة أيها الملك لا شك أنه له فى ذلك عذر واضح وإلا أنت تعلم اشفاقه ونصحه لك

ولهذه الدولة (قال) فلما سمع منهم الملك منويل هذا الكلام قال لهم صدقتم وانه ما فعل هذه الفعال إلا وقد أشرف على العطب والوبال ثم ان الملك منويل قرأ على أرباب دولته الكتاب ففهموا الجميع ما فيه ووقفوا على معانيه وصبلوا على وجوههم وقالوا الجميع وحق المسيح ان هذا الامر مليح وما قصر الشيخ النجيح لانه صاحب البشارات ودائما يسعى لنا فى المسرات فقال بعض البطارقة عسى أن يكون الشيخ النجيح يشير علينا أن نسير إليه حتى أنه يقتل منا عشرة آلاف فارس فى دفعة واحدة كما جرت له بالعادة فقال الملك منويل وحق المسيح ان عقبة ما يسعى إلا فيما يعود نفعه علينا وإنما الذى يجرى ليس بيده وإنما المسيح يعطى النصر لمن يشاء فى وقت ويصرفه عمن يشاء فى وقت قالوا أيها الملك وما الذى ورد فى كتابه من البشارات فقال لهم فيه ان المليكة نورى بنت عين المسيح صاحبة الحصون اليونانية قد خلصت من بلاد المسلمين ودخلت إلى بلد الفارقيط الذى هو ملك الزواوره وقد كان وصل إلينا ماهو عليه من حبها وأنه قد افتتن بها وأن أبو محمد البطال سار إليه فى طلمامع جملة غلمانه وذات الهمة أم الأسود فى صحبته ووصلوا فى زى الرهبان وسموا دلهمة راهب نجران ثم أعاد عليهم منويل حديثهم من أوله إلى آخره وان يانس قد تظاهر بالاسلام وأنه قد أخذ أسيرا وأنا أقسم بحنا ومريم والصليب ان أسره أحب إلى من أسر عبد الوهاب لانه ما يتم لعبد الوهاب فينا أمر الا به ويدبر عنده كلما يريد وانه يقول أنا حليف الرجل وهذا كله أنا أعرف انه مكر ودهاء وخداع والآن قد أمكن المسيح منه وألف من أصحابه والباقون قد أحدق الناس بهم من كل جانب ومكان وهذه جملة القصة وقد أمرنا أن نطلب الاغتنام والفرصة فوحق المسيح ان أنا قتلت أبو محمد البطال وذات الهمة ويانس وتسلمت حصنه أسلمه إلى من أثق به من قومى ولا أبالى بعد ذلك فى أى يوم من الايام يكون يومى فلما سمعوا البطارقة ذلك قالوا وحق المسيح ما هلاك الروم كل سنة الا من هذا يانس وهو سبب سعادة المسلمين وهو الذى يعمل على هذا الدين ولو لم يكن مسلما لما فعل هذه الفعال والآن فقد تظاهر للروم بالردة عن دينه ولم يبق فى هذا شك ولكن سر بنا إليهم أيها الملك (ياساده) فوثب الملك من وقته وساعته وأمر بأن يضرب النفير الصفير حتى يعلم العسكر بالرحيل وبرز إلى باب مدينة القسطنطينية على حد فرسخ بالعراق فعند ذلك ركبت العساكر والدساكر والعشائر فكانت جريدة القوم خمسمائة ألف فأضاف الملك منويل إلى أخوه الاندرياس مائة ألف وقال تمضى من وقتك هذا إلى حصن يانس لعلك تأخذ وتقول لاهل الحصن ان يانس قد قتل وأن الملك قد أمرنى

ان أتسلم الحصن وأقيم عندكم وأنتم تعلمون ان مافى الروم أعدل منى فان سلموا لك الحصن فهو المراد ومسرة الفؤاد ولا تبقى بعد ذلك على قوى ولا ضعيف الا من تبرأ من دين الاسلام لا تقتله وان لم يسلموا الك الحصن فقاتلهم فلعمرى ما يأخذ الحصون والقلاع الا الرجال المقاتلة واما إذا لم يكن فيه أحد ممن لهم صبر ولا جلد ففى هذا لنا مصلحة والى ما أفرغ انا من قتل ذات الهمة العاهرة وأبو محمد البطال وغلمانه وأصحاب يانس وآخذ الملكة نورى تكون أنت قد ضيقت على أصحاب يانس الحصار وأبليتهم بالبوار وأنا أعود اليك ان لم تقدر على فتحة وأن أنت قدرت فهو المراد (قال الراوى) فلما سمع الملك الاندرياس من أخيه ذلك الكلام قال سمعا وطاعة وسار من تلك الساعه ورحل الملك منويل فى أربعمائه ألف فارس من كل بطل مداعس وجد فى سيره (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الاميرة ذات الهمة ومن معها من الاصحاب فانها نادتهم تلك الليلة وقالت لهم أعلموا أننى قد أشرفت على الهلاك من الجراح والالم ومالى على ذلك قوة وقد بقيت فى حيره من أمركم وقد قطع ظهرى والله أخذ يانس وأخاف عليه من الملعون عقبه وقد اخذوا من اصحابكم ألف بطل وأنتم ههنا ألفين والعون بالله وما النصر الا من عند الله وأن أنتم سلمتم نفوسكم فأنتم هالكين لامحالة ويحملونكم إلى الملك منويل وهو والله عليكم بجرعة الثكلى وعقبة يحرض عليكم هذا الملعون شومدرس والعجوز شوما وما فى الامر الا أنكم تصدقون غدا فى الحملة وتقصدون إلى ذلك الجبل الذى قبالكم وتسندون ظهوركم وتستقبلون القوم بصدوركم وتقاتلوا فى طاعة ربكم فان جاءكم فرج من الله تعالى والا تكونوا قد أخذتم بثاركم وقتلتم فى سبيل الله وظفرتم بالشهادة فما فوقها منزلة الا منزلة الانبياء عليهم السلام (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من كلام الاميرة قالوا لها نعم ما رأيتى وأصبتى فيابه أشرتى وما نكون الاعلى ما عوائى فقالت الاميرة وأنا أكون فى أوائلهم أقاتل وأناصل وما يكون الا ماقدره الله تعالى فطابت قلوبهم بقولها وقالوا لنا اسوة بك ثم أنهم صبروا إلى وقت الصباح وقد ملت النفوس من الكفاح وأيقنت الاشباح بعدم الارواح وحملت الخيول مثل السيول من الربا والبطاح وكان يوم صدام ونطاح والاميرة ذات الهمة على مابها من الجراح قد حسرت عن وجه وقاح وغاصت فى القسطل وهى تبرى الرماح وقد سمحوا بالأنفس بعد ما كانوا شحاح ونادى الجبان الارواح والشجاع لابراح وخرست الألسن الفصاح وانفتحت أبواب الحروب من غير استفتاح وانغلق عليهم الباب وما وجدوا للقفل مفتاح وتمنى الانسان لو كان

طائر بالجناح وتكون سلامته نعم الارباح لما نظر إلى ذلك المقام الذى تشيب فيه الرؤس من كثرة الصياح وقد ذل الضيغم الجحجاح وزاد الأمر على الأميرة ذات الهمة ومن معها وقصدت إلى ذلك الجبل وقاتلت عن الرجال الذين بين يديها وفعل أصحابها مثل فعالها ورموا نفوسهم على الهول المهول وقصدوا ضرب الناس بالنصول فاندقوا بين أيديهم حتى وصلوا إلى الجبل واستندوا إليه المسلمين والأميرة ذات الهمة ثم أنهم استقبلوا الروم بوجوههم هذا والملك الفارقيط قد عظم ذلك عليه وقال لأصحابه يا ويلكم هذا وأنتم فى عدد التراب وقطر السحاب وهم فى هذه الطائفة القليلة (قال الراوى) فتحاموا عند ذلك البطارقة وأطبقوا عليهم من كل جانب ومكان وعمل الصارم والسنان ورميت الرؤس عن الابدان وكلت الخيل عن الجولان ولم يزل السيف يعمل طول النهار أجمع وقد قتل من أصحاب الأميرة ذات الهمة مائتين فارس وأقل ما قتل من عسكر الروم ألفين فارس ولم يزل السيف يعمل والشجاع للجبان يقتل حتى ولى النهار فعند ذلك عظم على الروم ما جرى عليهم فقال لهم الملك الفارقيط لقد كنتم فى هذا اليوم خاسرين فقالوا أيها الملك طب نفسا وقر عينا فقد قتل منهم اليوم خلق كثير وفى غداه غد نأخذ الباقين فقال الملك الفارقيط أخاف إنهم يصعدون فى هذا الجبل فى ظلام الليل وتفوتنى أم الاسود عبد الوهاب التى قتلت الرجال وجندلت الأبطال والأقيال وأفنت البطارقة ولا يمنع من سيفها ترس ولا طارقة إلا كأنه فى يدها صاعقة فهى للأبدان ماحقة (قال الراوى) ثم أنه رتب الخياله للحرس خوفا أن تهرب الأميرة ذات الهمة وكانوا أصحاب يانس قالوا للأميرة ذات الهمة أن الجبل طويل وهو ماد إلى بلاد الروم فان شئتى أن نطلع إليه فى ظلام الليل ونطلب لأنفسنا النجاة إلى حصن يانس ونطير الطيور إلى الثغور فافعلى ذلك فقالت الأميرة هذا ما لا أفعله أبدا لأنى ما أهرب من القتال فى سبيل الله ولا أولى الأدبار ومع ذلك فلى أسوة بهذا الأمير يانس ومن قد أخذ معه لأنهم ما أخذوا إلا بسببى والموت معهم طيب على قلبى فان أردتم النجاة لنفوسكم فالطريق قدامكم ولا عتب عليكم فلما سمعوا كلامها قالوا لنا أسوة بك ثم أخرج واحد الزناد وقدح النار وأنزلوا الأحطاب من الجبل وذبحوا بعض الخيل وأكلوا منه ومن فضلة زاد كان معهم وكان الماء قريبا منهم من نقائع ذلك الجبل فشربوا منه وسقوا خيولهم وباتوا مكانهم إلى الصباح وقد أضاء بضيائه ولاح وقاموا إلى القتال وقد أخذوا الراحة وحضر عقبة وشومدرس إلى عند الملك الفارقيط وأمروه بالجد فيهم ولم يزل القتال يعمل إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعادت الروم عن قتالهم وقد قتل

منهم عالم عظيم فقال عقبة وحق المسيح والإنجيل إنى أراكم كل يوم تنقصون ولولا أن جمعكم كثير لهربتم من بين يدى هذه العاهرة هذا وهى مجرحة ما فيها موضع سالم من الجراح ولا تقدر أن ترفع السيف بكفها وحق المسيح ما فيها يوم ينقضى حتى تقتل منكم مائتين فارس وأكثر وغد بلا شك تنظرون قتالها لأنها قد استراحت فى هذين اليومين يا قوم ولهم ثلاثة أيام ما أكلوا شيأ فكيف لو أكلوا الطعام فقال بعض الروم أنهم أكلوا خيلهم من البارحة فقال عقبة إذا كان الأمر على ما ذكرتم فان القوم يأكلون خيلهم فى عشرة أيام ويبقون رجاله فلا تقاتلوهم فإنهم يفنوكم قلتهم (يا سادة) عندها قال الملك الفارقيط ما كنا عاوزين إلا هذا بأن يكون معنا ثلثمائة ألف وقد عجزوا عن هذه العصابه اليسيرة ولولا أن القوم قد التجأ إلى هذا الجبل وحواظهورهم لكانوا من الهالكين وفى غداة غد أؤمل من السيد المسيح أخذهم عن بكرة أبيهم (يا سادة) هذا وعقبه لم يعلم الملك الفارقيط بأنه قد أرسل إلى الملك منويل يأمره بالمجىء كيما يتسلم الملكة نورى لأنه يريدها له وأصبح الصباح وقد أكلوا الناس من فضل خيلهم وبقى بعضهم رجاله وزحفوا إليهم يطلبون القتال وتراموا بالنبال ودارت بينهم رحا الآجال طول النهار إلى أن أقبل الليل بالانسدال (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأقاموا المسلمين معهم على ذلك خمسة عشر يوما وقد ذهب أكثر خيلهم واشتد عليهم الأمر فلما كان فى اليوم السادس عشر وقد قتل منهم نحو أربعمائة رجل وعجل الله بأرواحهم إلى الجنة وبقى منهم ألف وستمائة رجل وقد أحدقوا بهم المشركين وهم على هذه الشدة العظيمة وإذا بغبار قد طلع حتى سد الاقطار وبطل ضوء النهار وحجبت الشمس الطالعة عن الأبصار فلما نظر الفارقيط إلى ذلك قال لعقبة يا أبونا لا تكون هذه عساكر المسلمين فقال وحق المسيح لا أعلم ولكن ما يخلو هذا الغبار من إحدى الحالتين إما أن يكون عسكر منويل وقد سمع بهذه القصة وأتى من أجل يانس المتغرب لأنه يعلم أن هذا يانس سبب هلاك دين النصرانية (قال) فلما سمع الملك الفارقيط ذلك قال أرجو من السيد المسيح أن يكون عسكر الملك منويل ولا تكون عساكر المسلمين فانى قد عجزت عن هذه المرأة وما معها من أبطال العرب أحد فقال عقبة إذا كنت أنت تجد فى نفسك الضعف عن هذا الامر فارسل من يكشف لك الخبر على جليته فان كانوا مسلمين تدخل إلى بلدك وتغلق الابواب ولا تبالى بكل أحد لأن بلدك عليه سبعة أصوار كل صور أعلى من الصور الذى يليه ولو أقاموا ههنا أعمار النسور لما أهمك ذلك ومع ذلك فانى أكتب إلى الملك منويل أن يأتى من خلفهم وتخرج أنت إليهم من البلد فما كان يسلم منهم أحد وإن

ولو أقاموا ههنا أعمار النسور لما أهمك ذلك ومع ذلك فانى أكتب إلى الملك منويل أن يأتى من خلفهم وتخرج أنت اليهم من البلد فما كان يسلم منهم أحد وإن كان غبار الملك منويل فهو الذى نريد وأنت بذلك موفق سعيد (قال الراوى) فعند ذلك أرسل الملك الفارقيط طائفة تأخذ الخبر فرجعت وهى فرحانة فسألهم عن الحال فقالوا هو ملك القسطنطينية منويل وهو فى أربعمائة ألف فارس فعند ذلك ترجلت الزواورة عن بكرة أبيهم وترجل الملك الفارقيط ومشى اليه راجل وجعل يبوس الأرض بين يديه فقربه الملك وأدناه ورفع مكانه وحياه وأمره بالركوب وسأله عن الاميرة ذات الهمة فأخبره بما منها وكيف قاتلوا أصحاب يانس معها وما بها من الجراح فقال الملك وحق المسيح ان هذه ذات الهمه لو رأيتها ماتت ودفنت فى قبرها ماجسرت أن أقربها وحدى لما أعلم من فرسيتها وشجاعتها وقوتها ولكن الآن يامعشر الروم احملوا عليهم حملة رجل واحد وطحنوهم طحن الحصيد (ياسادة) فما قولكم فى أربعمائة ألف مع الزواورة يحملون على قوم جياع سهارى فى قلة (قال الراوى) فما كانت الا ساعة حتى أخذوا منهم ألف وثلثمائة أسير وأخذت الاميرة ذات الهمة أسيرة بعد القتال الشديد وأحضروها بين يدى الملك منويل فلما رآها صلب على وجهه وقال وحق المسيح لأقطعن من لحمك بعدد كل دينار أخذ ولدك منا فى هذه النوبة ثم أنه نزل وأمر باحضار يانس والبطارقة الذين كانوا معه ونظر الملك اليه فقال له ويلك ياملعون يامحروم أما ما ذكرت أنك ما أنت مسلم فما الذى حملك على قتل عبدة المسيح فقال يانس أيها الملك حملنى على ذلك انى مخالف هذه الاميره أم عبد الوهاب وأيضا ولدها الامير عبد الوهاب فقال له عقبة تكذب ياملعون وحق المسيح ما أنت الا مسلم فعند ذلك وثب اليه الملك وقال للبطارقة ارفسوه بأرجلكم فرفسوه وعاقبوه حتى بقى وجهه والارض سواء ثم ان الملك منويل قال وحق المسيح لولا أننى أريد آخذه وجميع أصحابه إلى الحصن الذى له وأنزل به هناك النقم وأقول لهم إذا لم تسلموا إلى الحصن والا ضربت رقبته والا كنت الساعة ضربت أعناقهم ثم ان الملك منويل خلع على الملك الفارقيط خلعة سنيه تصلح للملوك ثم قال له أريد الساعة أبو محمد البطال (قال الراوى) فلم تكن الا ساعة حتى أحضر أبو محمد وهو فى أسوأ حال لان الراهبة شوما كانت قد توكلت به وكانت تصنع به كما كانت تصنع بالاميره ذات الهمة وأيقن أنه يموت فى تلك المطمورة من الجوع والضرب هو وغلمانه فلما وقف بين يدى الملك قال له ويلك نحن إذا وقعنا فى أيديكم تخلصنا أموالنا وأنتم مالكم منا

خلاص ولا بدلى ماأريح النصرانية من شرك ثم انه أمر بضرب عنق الامير أبو محمد البطال فعند ذلك قدموا ابو محمد إلى السيف وتقدم إليه السياف وهم ان يضرب عنقه واذا ماالجو قد اسود والقتار على الاقطار قد امتد وظهر من تحته بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وصلصلة الحديد على الاجساد وهمهمة الاماجيد الآساد (قال الراوى) فلما نظر الملك منويل إلى ذلك قال لبعض البطارقة انظروا ماهذا الغبار فمضت عند ذلك الخيل وعادت تخبر انه الملك الاندرباس أخو الملك منويل (ياساده) وذلك انه لما وجهه أخوه إلى حصن يانس المتغرب جد فى السير إلى ان نزل عليه وطلب منهم أن يسلموه إليه فامتنعوا من ذلك وباشر القتال بنفسه فضرب بسهم فى خاصرته فأشرف منه على التلاف وان العسكر لما رأوه على تلك الحالة خافوا عليه من الموت فيعتب عليهم الملك اذ لم يحملوه إليه حتى يشاهدوه قبل الموت فلما سمع الملك ذلك عظم عليه وكبر لديه وكان يحب الاندرياس محبة عظيمة لانه لم يكن فى سائر ملوك الروم أعقل منه ولا أحزم رأى فلما وصلت عساكره ونظر الملك إليه أمر الجرايحى بمداواته وقال وحق الصليب لئن عاش لأجعلنك أكبر بطاريق عندى ولا تركنه يضرب رقبة يانس وهؤلاء الاسارى بيده وان مات ضربت رقاب الكل على قبره ثم انه أقبل على الملك الفارقيط وقال له أنت تعلم انى ضيف وللضيف أن يتكلم فى منازل الكرام وغرضى أن أبصر نورى فان أباها كان يعز على وأريد أعزيها فيه واهنيها بك وأخلع عليها واجبر قلبها فلما سمع الملك الفارقيط ذلك فرح وأمر بخروج الملكة نورى فخرجت اليه فنظر الملك إلى صورة مارأى قط مثلها ولا أبصرت عينه شكلها وقال ما هذه من البشر وجعل ينظر إليها حتى ضحكت وقامت وقعدت وانعطفت وتمايلت فتركت العقول ذاهله والاذهان واهيه ونزل على الملك منويل اخى المثلثة فاستند إلى عقبه وقال أيها الشيخ النجيح وحق المسيح انى أموت لا محالة فعند ذلك قال عقبة المسيح يكفينا فيك أيها الملك وما سبب ذلك فقال له الملك هذه الجارية وحق المسيح ماتصلح إلا لى ولقد أحسن منها مشاهيب النيران (قال الراوى) وكان عقبة خبير باحوال القيادة فقال يامولاى وحق المسيح انك معذور فلو أن المسيح فى الارض ونظر إليها اختارها لنفسه فدونك أيها الملك واياها وان امتنع الملك الفارقيط قطعه بالسيف الطويل فعند ذلك قال الملك أنا عبدك فى هذه النوبة وصنيعتك وأريد منك أن تبدى لى معها فى الكلام فما لى وجه أفاتحها فى ذلك وان عادت ونرى الى البلد وحق المسيح أنا أقتل روحى (قال الراوى) وقلوب الملوك ابكار

لا تحتمل صفات الجوار ولا سيما ملاحظتهم فقال له عقبة عند ذلك السمع والطاعة ثم أن عقبة أقبل على الملكة نورى وقال لها اعلمى أن الملك الرجيم ملك ملوك الارض فى الطول والعرض يرعى لأبيك عين المسيح حقه فى الموت والحياة وقد عول على أنه يحملك معه إلى القسطنطونية ويجهزك بخمسمائة ألف دينار وتصير بنات الملوك تحجبك إلى زوجك الفارقيط فلما سمعت ذلك فرحت ولم تعلم أن الملك يريدها لنفسه وإن كلام عقبة حيلة منه فلما سمع الملك الفارقيط ذلك من كلام عقبة قال أنا ما أريد لها جهاز فقال عقبة لا بد من ذلك عندها صاح الملك الفارقيط فى قومه وقال خذوا أبو محمد وذات الهمة والملكة نورى فما يكون أعظم من هذا الذل والعار أن تؤخذ الجارية من بينكم وذلك أن الملك الفارقيط تبين له الغدر من عين الملك منويل فعند ذلك صرخت شوما وأحدقت بنورى البطارقة وخلصوها وأبو محمد وذات الهمة ويانس والمأسورين وطلبوا بهم البلد وصاح الملك منويل فى عساكره فجردوا القواضب وركبت السلاهب وارتفع الصياح من كل جانب وركب الملك منويل (يا ساده) وأن شومدرس لم يرضيه هذا الذى جرى وأنكر فعال عقبة وقال كيف يجوز أن يكون الرجل قد تعب عليها وأخذها وما بقى سوى دخوله بها فكيف يطمع الملك منويل فيها وسوف تكون سبب هلاك النصرانية وحق المسيح أنك ظالم غاشم وما أنت إلا لدين النصرانية هادم وما أفلحت النصرانية من يوم نظروا إلى طلعتك الشقية فقال عقبة دع عنك الفضول يا شومدرس فوحق المسيح يا قرنان لا بد ما أحشى جلدك كاس فأنا أعلم أنك ما توافقنى على مرادى وحق المسيح ما تصلح هذه الجارية إلا للملك منويل فهو أشرف نسبا من هؤلاء الزواورة وأنها لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها فقال شومدرس وحق المسيح أيها الشيخ النجيح أنك ما ترى فى دين النصرانية لا قليل ولا كثير ولا فى دين الإسلام وتزعم أنك فى دين النصرانية وما أنت إلا تلعب بالاديان وتعمل على قتل الرجال والنسوان فقال عقبة لا تكون نحس فوحق المسيح لو أمرت الملك أن يضرب فى هذه الساعة عنقك لفعل وزاد الامر بينهم حتى تلاطما وتماسكا وصاح عقبة فأتت الرجال إلى شومدرس لأن عقبة عندهم فى المكان الرفيع لما يرون من منزلته عند الملك وأن شومدرس دخل البلد وقد انفسد ما بينه وبين عقبة وبين الملك منويل وثارت الزغاورة وقالت نحن ما نسلم هذه الجارية ولا نقعد عن الملك الفارقيط والتقت العساكر ببعضها وعملت

السيوف البواتر وهاج الهياج مثل البحر الزاخر الذى ليس له أول ولا آخر وقد خرجوا عوام البلد وكانوا اكثر من ثلثمائة ألف نفر وعظم على الملك حصول الملكة نورى فى إقليم مريم فجعل يحرض عساكره على القتال وكذلك الفارقيط يقاتل عن نورى وعظم الحرب وسال الدم ملا الأرض وتزلزلت الأرض طولا وعرض وملت الخيل من الجولان ووقعت الفتنة بين طوائف الصلبان أهل الكفر والعدوان وخسفت الأرض من حوافر الخيول الصافنات وأظلمت الابصار من سائر الجهات وضاقت الأماكن والجنبات وقامت الدنيا على ساق وطرحت الأجساد فى تلك الفلوات وأيقنت الأرواح بالممات وانفطرت المرائر من الحسرات ونفدت الرماح فى خواصر الأبطال ولعبت الخيل بالرؤوس مثل الاكر وطار من نعالها الشرر وما كنت ترى إلا رأس طائر وكف نادر وجواد غائر وعظم الخطر ولم ينفع الحذر وانصدع القلب من النزع وانفطر ونزل الحسام فى الهام فرأيت النجيع قد انهمر والشجاع قد اشتهر والجبان قد أسر والرؤس تنتثر كانتثار المطر وتساقطت الرقاب كتساقط ورق الشجر وسبع المنية فى الارواح قد زار ودارت عليهم رحاء العبر ووقع بهم الملل والضجر وانكسرت عساكر الملك الفارقيط ونزل بهم البلاء المحيط ودخل الملك الفارقيط إلى مدينته وقد قتل من أصحابه أربعين ألف بطريق وقتل من أصحاب الملك منويل مثل ذلك (قال الراوى) وأمسى المساء ونزل الملك منويل على البلد وأما الفارقيط فانه جمع أرباب دولته ووجوه بطارقته وأقيال عشيرته وأحضر الراهب شومدرس وزوجته وولده دهرشوم ولما بلغ الفارقيط ما جرى له مع عقبة شكره على ذلك فقال له شومدرس اعلم أيها الملك أن ما فتح هذا الباب للملك منويل إلا عقبة وقد أخرق وحق المسيح بى ولكن وحق الإنجيل إن كان لا بد لى منه ولا بد أن أعمل على تلافه فما هو على دين النصرانية إلا نقمة فقال الملك الفارقيط وحق المسيح إن وقع فى يدى لأسلمنه إليك تفعل به ما تريد فقال شومدرس وما أحتاج إليك يا سيد الملوك فى ذلك أنا أعمل على أخذه قريب غير بعيد ثم أنه قال أيها الملك اعلم أن الملك منويل فى عالم عظيم والمادة إليه وأصله فلما سمع الفارقيط كلامه قال له فما الذى تشير به يا أبونا قال لا تخرج إليهم ولا تقاتلهم وأنت فى هذه البلد الذى لك ولا تبالى بأهل الأرض لأن هذه المدينة حصينة وعليها سبعة أصوار من الصخر الاملس ولا تبالى بعد ولا منجيق ولا لأحد عليك طريق

ولكن الرأى عندى أن تحضر يانس المتغرب وتقول له عفا عنك المسيح وقد مضى ما مضى وهذا الملك منويل فهو طالب لك أكثر مما هو طالب لى وأنا أخلو بالجارية نورى على غيظ الشيخ النحس عقبة والملك منويل وقد سلمت إليك أصحابك وأعطيكم كلما تحتاجون من العدد والخيل وأسلم إليك عساكر الزاوورة عن بكره أبيهم وتخرج إلى عساكر الملك منويل فى كل يوم بأصحابك وأصحابى وذات الهمة عندى فى بعض الحبوس وأبو محمد وغلمانه فى مطمورة أخرى عندى مقيمين إلى أن أنظر ما يكون منك ومنهم فان أنت كسرت عساكر الروم فأنا وحق المسيح أنعم عليك وأعطيك الأميرة ذات الهمة والبطال وغلمانه ويكون بينى وبينك المـــدد إلى الأبد ما قام قائم وقعد فعندها قال الملك الفارقيط لشومدرس يا أبونا إذا كان الأمر على هذه الوتيره وعمل كلما قلت له أنا أعطيه أبو محمد وذات الهمة فقال شومدرس ما يكون ذلك أبدا وإنما تطمعه بما ذكرت حتى يبذل المجهود وإذا كشف عنك الجمع رده إلى السجن لأنى رأيت مع يانس رجال وقاح معودين الكفاح فلما سمع الملك الفارقيط ذلك قال وحق المسيح لقد أشرت بالصواب ومع ذلك فما أكون أنا خلف حجاب عن القتال بل أكون فى مقام الطعان وأنا الحق الدخول بنورى فانى ما أريد يكون قلبى إلا فارغا من هذه الحروب وأعمل السماطات وأخلع الخلع والعطيات ثم أنه دعا بالامير يانس وأحضره بين يديه وهو مكتوف اليدين ثم إن الفارقيط قال له أنت تعلم ما بينى وبينك من الزمان القديم وأنت الذى أفسدت ما بيننا بطلبك لذات الهمة وأبو محمد البطال وقد نظرت ما عملوا فى حقى فلما سمع يانس ذلك من كلام الفارقيط قال له أيها الملك إننى ما فعلت ذلك إلا لما عرفت من وفاء ذات الهمة وصدق قولها وهذا منويل لو كان فيه دين أو مراعاة ما فعل مثل هذه الفعال فى حقك فقال الفارقيط إذا كان الامر على مثل ذلك فقد رأيت من الرأى إن أسلم إليك عسكرى كله وأطلق أصحابك وكل من قتل له فرس أعطيته فرسين وأفرق عليهم العدد والجواشن وأنا فى خفيه وأحرض أصحابى حتى لا ينكرون على فى غيابى ومعنا الراهب شومدرس يدبر أمرنا فان انتصرنا عليهم وحق الإنجيل اسلم إليك ذات الهمة والبطال ومن معهم من الرجال تفعل بهم ما شئت وتمضى إلى حصنك وتعود إلى ما كنا عليه من العهد (قال الراوى) ففرح يانس وقال سمعا وطاعة فقال شومدرس وحق المسيح لقد أفلحت فى قتالك لملك الروم لأن ما له عهد ولا زمام وله مثل هذا الملعون عقبه يلعب بعقله ولئن

وقع فى يدى لأقتله فقال الملك الفارقيط كنت أرجو من المسيح أن يقع فى يدى لآخذ منه ثارى ثم أطلق يانس وجميع أصحابه بعد ماحلفه شومدرس بسائر الأديان الذين يعتقدوها وقال له إننى سمعت سائر الروم يذكرون أنك مسلم وقد حلفتك بكل دين حتى أكون قد أخذت بالأحوط ولا تغدر بنا فى بلادنا وأنت تعلم أن هـــذه المدينة قد حازت عالم عظيم لايقدر على عددهم إلا الله تعالى وما نبالى بك إن نافقت إلا أنك كنت تشغل قلب الملك فحلف يانس عند ذلك وحلفوا أصحابه وخلع عليهم الملك الفارقيط أحسن الخلع وأجلها وأطعمهم وسقاهم وأحسن إليهم وسلم إلى الأمير يانس أمر العسكر فقال يانس ياسيد الملوك غد الخروج إليهم وما نكون مثل النسا من خلف الجدران (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما شومدرس فانه بقى فى قلبه النار من القاضى عقبة فخلا بزوجته شوما وبكا فقالت له ما الذى يبكيك فقال لها وكيف لا أبكى وقد أخرق بى القاضى عقبة قدام أهل دين النصرانيـة ولطمنى على رأسى وبقيت عندالروم قليل المقدار وماهذه الأشياء إلا ناموس ومابقى لى فى الحياة مطمع فقالت له وعلى ماذا عولت فقال أريد أقتل روحى ومابقى لى صبر فلما سمعت العجوز ذلك قالت وما الذى يحملك على ذلك قال أسـفا على عقبة حتى آخذ منه الثار واكشف عنى العار واخرق به كما أخرق بى واعمل على قتله الساعة لأنه إذا هلك ما يبقى فى بلاد الروم غيرى ويشار إلى بالأصابع فى الرأى والتدبير فقالت له لا يصعب هذا الأمر عليك فعلى أن أحمله إليك فقالت لها إياك أن تعلليني بالأمانى أو يأخذك فى ذلك توانى فقالت وحق المسيح لاتركت الصباح يصبح إلا والشيخ عقبة فى إشراك حبلى واقعا فى فخاخ عملى ثم أنها وثبت من وقتها وساعتها ودخلت على الملكة نورى وأعادت عليها حال الراهب شومدرس وماقد حل به من عقبة وقد كان عندها فى منزلة الوالد فعظم ذلك عليها وكبر لديها وقالت أنا ما علمت أن عقبة كان يريد يعطينى لهذا الشيخ مهويل الذى قد ابيضت لحيته وذهبت قوته ولم يبق فيه للقتال على ظهور الخيل ولا لمداعبة النسوان بالليل فما أراد القاضى عقبة إلا أن يعمد على فقالت شوما فانى أريد الليلة أن أعمل عملا ولا يتم لى إلا بك وإلا قتل شومدرس روحه وما عليك فى ذلك مضرة بل يجلب لك المسرة فقالت لها قولى ما تريدين فانا وحق المسيح ماأخالفك فيما تذكرين ولو أردت أن أطلب من الملك مفاتيح الأبواب وأخرج أنا وأنت ونعمل على عقبة حتى نجعل فى هـذه الليلة أقل ما فيه ألف قطعة فقالت العجوز وقد ضحكت من دهاها أيتها الملكة فهذا الذى أتيت إليكى من أجله

فقالت إذا كان الأمر كذلك فقولى لبعض الغلمان يمضى إلى الملك ويأتى به إلى (يا سادة) فلما أتى الملك إليهم طلبوا منه مفاتيح البلد وعشرة من البطارقة فقال لهم على ماذا عولتم فقالت الملكة نورى لا تسألنا عنه فسوف يبين لك فشكرها وباس الأرض بين يديها ولم يقدر أن يرد عليها كلمة واحدة من فرط المحبة وفرط الصبابة بل سلم إليهم المفاتيح والرجال وقال لهم مهما أمرتكم به الملكة نورى افعلوه وتأهبت شوما والملكة نورى إلى ما عزموا عليه وجاؤا إلى الباب وفتحوه وقالوا للبوابين كونوا على يقظة من أمركم إلى أن نعود إليكم ثم ساروا حتى أشرفوا على عسكر الملك منويل فقالت لهم شوما اصبروا على واقعدوا فى مواضعكم إلى أن آخذ لكم خبر عقبة وإن قدرت على الملك أخذته

﴿ تم الجزء التاسع عشر ويليه الجزء العشرون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(اكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم واخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء العشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن العجوز شوما دخلت إلى العسكر وقصدت خيمة الملك منويل وسرادقه وأنها دخلت إلى السرادق وكان عقبة فى تلك الساعة قد خرج من عند الملك لأنه كان عنده يدبر له فيما يعمل ويشير عليه بما يفعل وقد نصب لعقبة خيمة إلى جانب سرادق الملك وحمل إليه الطرح والفرش وما يحتاج إليه وأن عقبة لما قصد إلى خيمته لينام ونظرت العجوز إلى ذلك عادت إلى نورى وأخبرتها بالحال وفتحت لها الباب الذى تأخذ به عقبة فعند ذلك أوقفت البطارقة فى مواضعهم وسارت هى وشوما حتى وصلوا إلى باب الخيمة التى لعقبة ووقفوا حتى عرفوا أن ما عنده أحد إلا بعض غلمان الملك لأن عقبة لعنه الله كان يعشقه ويفسق به وإن الملكة نورى دخلت عليه وقد سترت وجهها ورآها عقبة فاستراب أمرها وقال لها من أنت يا ويلك الذى دخلت على بغير اذنى فلما سمعت نورى ذلك سترت وجهها من غلام الملك وكشفته لعقبة فلما رآها عرفها فوثب لها قائما وقبل يديها فقالت بالاشارة صرف هذا من عندك فالتفت إلى الغلام وقال له اذهب إلى سرادق الملك فنم على بابه فإن هذا صديقى وأريد أن أخلوا به فخرج الغلام من عنده ودخلت نورى معه على السرير وقالت له يا أبونا اعلم إنى ميزت قولك على قلبى فوجدته مصلحة لى وأنك ما طلبت لى إلا الصلاح حتى أكون أشرف بنات الملوك إذا كنت زوجة الملك منويل وأكون مالكة رقاب النصرانية وأهل ماء المعمودية فندمت على دخولى معه إلى البلد وعملت ما لا يعمله أحد فزعا من الفارقيط لا يكشف وجهى وتذهب بكارتى وتنقص منزلتى عند الملك منويل وإنى طلعت على البرج الذى للقصر وعبرت

على القناطر إلى الصور السابع وتدليت بحبل شديد إلى قرب الارض بقرب قامه فكان الحبل قصير فرميت روحي وسلمت من العطب وسرت حتى دخلت العسكر فسألت عن حضرتك حتى دلوني إليك وعلى خيمتك وقصدت أن لا يمضي بهذا الخبر أحدا من العسكر عند الملك منويل ومع ذلك لا تعلمه بي أنت هذه الليلة على كل حال لانه ملك وفي قلبه مني هوى فيأخذني في هذه الليلة كالا أهوى وتنقص منزلتي عنده ولكني أكون نائمة عندك إلى الصباح وتمضي إليه وتقص قصتي عليه وتزوجني به ونرحل عن هذه المدينة ويفي لي بما قد قال من الجهاز والاموال فلما سمع عقبة ذلك كاد عقله أن يطير فرحا وقال هذا يكون لي به عند الملك يد لا يكافئني عليها أبدا ثم أنه قلق غاية القلق إلى مضيه إلى الملك منويل من ساعته ولم يجد صبر بل قال لها كوني في موضعك إلى أن أقضي حاجة وأعود ثم أنه عول على الخروج برأي نفسه فعند ذلك وثبت خلفه وقبضت بكفها على حلقه حتى خرجت عينيه وغشي عليه ثم انها شدت يديه إلى رجليه فبقي كانه قوس وتركته مثل الاكرة ورجعت إلى شوما وقالت لها أدخلي ففرحت ودخلت معها فنظرت إلى عقبة وليس له نفس يتردد فقالت وحق المسيح لو زاد الامر عليه كان قد هلك فقالت نوري وحق الصليب عصرت عليه بكل حيلي فزعا من صياحه ثم انها قالت لشوما غطيه بذلك الدراج وآخذ أنا هذا السيف في كفي واحملي أنتي عقبه على رقبتك إلى ما نصل إلى أصحابنا فعندها حملت عقبة على أكتافها كأنه ميت وخرجت به من وراء الخيمة والملكة نوري خلفها كأنها عنتر ابن شداد العبسي ولم يزالوا يتخطوا الرقاب والمضارب والخيام حتى خرجوا من العسكر وأتو إلى البطارقة من أصحابهم فوجدوهم ستة فقالت نوري وأين الاربعة الباقين قالوا خافوا عليك أيتها الملكة فدخلوا خلفك مخافة لا يتم عليكي أمر من الامور ثم أن البطارقة تسلموا عقبة وأغمدت نوري السيف وسارت وهي مدلة بما فعلت (قال الراوي) فبينما هي سائرة اذ وثبت عليها البطارقة الستة فملكوها وأخذوا السيف منها ووضعوا الأكره في فمها وعطف منهم أثنين فقبضوا على شوما وكشف الواحد منهم وجهه واذا به الذئب الأمعط والثعبان الأرقط والأسد المسلط الامير أبو محمد البطال وغلمانه ولم تكن الاميرة ذات الهمة معهم فلما نظرت نوري إلى أبو محمد قالت له كريا ايسون ثم صلبت على وجهها (قال الراوي) وكان السبب في ذلك ان الامير أبو محمد البطال كان في حبس كبير مظلم تحت الارض وكان فيه عشرة من البجناك لهم فيه ثلاثون سنة وهم في القيود وعليهم مال جزيل ودم والملك في أمرهم بين حالتين اما ان يقتلهم أو يأخذ مالهم وقد ضجروا من الحياة إذ لا عيش لخائف فسمعهم أبو محمد وهم

يقولون إلى متى نقعد فى الحبس هاقد أسعدكم الزمان لأن صار عندكم عيار المسلمين الذى تضرب به الأمثال فى الدنيا كلها فاطلقوه وهو يخلصنا كلنا فكلمهم أبو محمد بلسانهم ففرحوا غاية الفرح وأيقنوا بزوال الترح وقالوا ياعيار المسلمين لنا هاهنا ثلاثين سنة وقد حمل أهلنا أكثر المال الذى علينا وما نية الملك فينا إلا القتل فكيف يكون حال من يتوقع القتل صباحا ومساء وقد جابوا أهلنا لنا مناقب وسكاكين ومبارد من العام الأول وما قدرنا على فعل شيء من الاشياء لأننا ما جسرنا وما هذا شغلنا فقال أبو محمد اقطعوا كتافى وقد خلصتم فقطعوا كتافه وفكوا قيوده وقيود غلمانه فنادى أبو محمد بالسجان بحق دينك ارحمنا واعمل معنا جميل وما يضيع فقال السجان ما حالكم فقال له أبو محمد حاجة مخفية بينى وبينك من هؤلاء وهذا دينار أرمانوسى فلما رآه السجان استرخا وقال له هات وقل لى حاجتك فى أذنى ثم دخل إليه حتى يساره فوثب عليه البطال بخنجر أمضى من البرق وضربه ضربة كشف عنه بها الكربة وكان هذا اتفاق عجيب وما رؤى ولا سمع أحسن منه وذلك أنه لما خرجت نورى وشوما وقف أبو محمد البطال وكان قد تخلص من السجن ونصت إلى حديثهم فعلم ماقدعولوا عليه من قصدهم إلى عقبة وعلم أنهم يرون هلاكه من طريق حسد شو مدرس فتبعهم هو وغلمانه وأما البنجاك فان أبو محمد قال لهم كلنا قد تخلصنا امضوا أنتم إلى عسكر الملك منويل ففيه كثير من البنجاك ونحن نمضى إلى حال سبيلنا فمضوا إلى عسكر منويل وأما البطال فانه أقبل على بطارقة نورى الذين هم وقوف ينتظرون وإنه أتى إلى واحد منهم وقال له إن الملكة نورى قد بعثتنى إليك حتى أعلمك ما تعمل ثم إنه أخذه وسار به إلى أن أبعده وذبحه وأخذ لباسه فلبسه ثم قال لغلمانه ياأولادى كل واحد منكم يمضى إلى واحد منهم ويصيح به ويفعل كما فعلت أنا بهذا الذى أخذته فقالوا سمعا وطاعة ولم يزالوا كل واحد يصيح بواحد حتى قتلوهم إلا واحد منهم كان دهرشوم وكان قد خرج مع البطارقة فأوثقوه كتافا ولبسوا ثياب البطارقة وأخذوا عددهم وتزيوا بزيهم ووقفوا فى الموضع الذى كانوا فيه وقد سرق لهم لؤلؤ دواب لانه قد دار على العسكر دورة فسرق خمسة عشر وبقوا وقوف منتظرين نورى وشوما كما ذكرنا ووصلوا إليهم كما نعتنا ووثبوا عليهم وكتفوهم والملكة نورى تحسب أنهم بطارقتها ولم تعلم أنهم البطال وغلمانه (وعدنا إلى سياقة الحديث) وركبوا على الخيل وساروا بهم وفى قلب البطال نار لا تطفى من أجل الاميرة ذات الهمة لانها لم تكن معه فى الحبس الذى كان فيه ولا عرف فى أى موضع هى وإلا ماكان قعد عنها لان الاميرة كانت فى حبس آخر وهو الحبس الذى كان فيه يانس وأصحابه وأن أبو محمد

سار هو ومن معه بقية ليلتهم فحصلوا فى وادى بين الجبال وعدلوا عند الصباح إلى كهف فى عطفة الطريق ضيق الرأس واسع من داخله لا يدخله الا كل من عرفه فأكمن أبو محمد هو وغلمانه هنالك وقال لعقبة يا ملعون قد أمكن الله منك تعرف وأنا أسألك وأنت ترفس فى الاميره فقال لا تهددنى يا أبو محمد تريد تكون هذه الموافقة فى بلد الاسلام وما تكون فى بلاد الروم وكانك بالخيل وقد أقبلت فى طلبك ولولا انك قد عدلت إلى هذا الكهف ما كنت الا قد قبضت قبضا بالكف فقال أبو محمد ياعشرة آلاف قواد أريد الساعة أشفى فؤادى منك وألطم قذالك وأنتف سبالك ولم يزل يصفعه حتى وقع مغشيا عليه هذا ونورى تشاهد ذلك وتضحك فغمزها عقبة وهو يعالج سكرات الموت ان اشفعى فى فقالت يا أبو محمد بحياتى عليك ان كنت تحبنى نخليه فخلاه ثم قال والله يا ملعون لولا ان ستى نورى شفعت فيك ما كنت الا قتلتك وأنزلت الماء الاصفر فى عينيك وأدخلتك فى قرنيك ثم أوصى أبو محمد غلمانه بهم وقال والله ما أقدر أصبر على فقد الاميره ويانس وما أدرى ما يكون وإذا صح عندهم أنى هربت لابد أن يضربوا الاميره وربما سارعوا إلى قتلها وانى أريد أمضى وأشرف على أحوالهم فان كان الامر شديد فانا أفدى الاميره بمن معى وأصبر وان كان الصبر مثل طعمه ثم انه سار إلى نحو البلد وقد أكد على غلمانه فى الوصية (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء. (وأما ما كان) من أمر الملك الفارقيط فأنه لما عدم نورى قامت عليه القيامة ولطم وبكا فقال له شومدرس أيها الملك المصيبة واحدة أخذت زوجتى وزوجتك فقال الملك ما بين شوما ونورى الا قليل ثم قال له ما يكون العمل قال أيها الملك افتقد أولا أسارى المسلمين الذين عندنا فى الحبوس فافتقدوهم فوجدوا أبو محمد قد عدم هو وغلمانه فعظم على الملك ذلك وقال ما الذى ترى فى ذلك باأبونا فقال شومدرس عندى رأى وهو ان تخرج ذات الهمه ويانس وأصحابه وتصلبهم بالحياة على هذه الشراريف فان كان أبو محمد بهذه الارض فانه ما يتخلى عن ذات الهمة جملة كافية ولعله أن يرد علينا شوما ونورى ونعطى كل من عندنا ونحتفظ بعد ذلك بأنفسنا ونقفل باب البلد إلى ان يدخل الملك منويل (ياساده) فعند ذلك أخرج الملك ذات الهمة ويانس وأصحابه والاميره مثخنة بالجراح ونصب لهم الاخشاب على الباب فقال الملك منويل ما الخبر فقالوا قد سرقت نورى وهرب البطال وغلمانه فضرب الملك على وجهه وقال لو كان عاقلا لما حبس البطال عنده وحق المسيح انى أكون فى دارى فى القسطنطينية وأنا فزعان فكيف من يكون معه فى بلد واحد وعظم عليه أخذ نورى وأرسل الملك نحو بلاد الاسلام من كل جانب ومكان ثم قال على الساعة بالشيخ النجيح وحجة

السيد المسيح فلعله يطلعنى على الخبر الصحيح فمضوا وعادوا وقالوا ماوجدنا له خبر فأحضر غلامه وسأله فقال يامولاى إن نورى دخلت عليه نصف الليل وأخرجنى من عنده وماندرى ماقد كان منه وقد فقد هو واللحاف الذى كان عليه فضحك الملك وقال ما أخذه إلا البطال حتى يلفه فى لحافه فوحق المسيح ما أخذه إلا هو لأنه تصور له وكان حاضر على صورة نورى لأنى سمعت أنه يغير نفسه كيف أراد أن أراد امرأة كان امرأة وإن أراد صبى كان صبى وكيف ما أراد صار فالمسيح يكف عنا شره وحيله ومكره ثم انقلب عسكر الملك منويل وخافت الملوك عن نفوسها والملك يقول وصيتكم أنفسكم لا يسرقكم البطال فقال له البترك أيها الملك أريد منكم مائة بطريق ينامون على خيمتى فانى خائف (قال الراوى) هـذا جرى ههنا وأما ما كان من الملك الفارقيط فانه ركب الأخشاب والأحطاب وقدمت الأميرة وهى لا تنطق بكلمة غير كلمة التوحيد ثم قرأت قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة الآية ثم قالت هذا مقام الغربا والبعد عن الأحبـــة وموت الغريب فرج قريب ونادت يا عالم السر والنجوى ويا كاشف الضر والبلوى يا من يعلم دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء يا من يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى يا من له الأسماء الحسنى والصفات العليا يا من هو رب الآخرة والأولى فرج عنا ضرنا ثم التفتت إلى نحو بلاد الإسـلام وتذكرت وطنها وولدها وأنشأت وجعلت تقول :

ألا مبلغ عنى الأمير ســـلامى ... وطول اغترابى مع شريف مقامى
وحبسى فى أرض للعدو وذلتى ... وقد كنت ذا فضل ونيل مرامى
كم صحبت الخيل فى معركة الوغا ... وأفنيت أعدائى بضرب حسامى
ولو نظرت عين الأمير تذللى ... وصلبى مع بجنى ليوم حمامى
ولو نظرت عيناه بعض الذى جرى ... لأزعجهم فى أرضهم بصدامى
ولو نظرت عيناه ما نال أمه ... ملا الأرض فى أقطارها بخيام
ولست أخاف الموت إذ كنت بعده ... أنال المنا من جنة بســـلام
وقد كنت أرجو قتل عقبة قبل أن ... يحوم على جسمى طيور حمامى
عسى فرج يأتى إلى برؤيتى ... غبار كلاب نحوتا نحونا متنامى

(قال الراوى) وأعجب مافى هذه السيرة العجيبة والأمور الغريبة ان ذات الهمة مافرغت من شعرها إلا وغبرة طلعت من نحو بلاد الإسلام بعجاج والزعقات بادية والصرخات عالية وقعقعة اللجم وصهيل الخيل فلما نظروا الروم إلى ذلك حاروا فى

أمرهم وأشهروا السلاح واعتقلوا بالرماح وحطوا الأميرة عن الخشب وانكشفت الغبرة عن رماح كأنها آجام القصب ورجال كأنهم العقبان عرب وسودان والسودان كأنهم جن سليمان وألوانهم مثل الزفت والقطران وهم يطيرون إلى الحرب من شدة شوقهم إليه طيران وفي أوائلهم فارس كأنه الاملود في تقاطيع الأسود والبراعة تلوح من بين عينيه والشجاعة تشهد له لا عليه وقد وهب نفسه لله تعالى خالصا للجهاد وطالبا رضا رب العباد (قال الراوي) وأما أبو محمد البطال فانه لما رأى الأميرة وقد رفعوها على الأخشاب وقف بازائها وأراد أن ينادي أنا أبو محمد البطال وأنا أعطيكم نوري وشوما ودهرشوم ولا تصلبوا الأميرة فما هو إلا أن قال لا تصلبوا الأميرة والصياح قد علا والصراخ قد نما ونظر إلى رايات سود كأنها الغربان الطائرة فنادى بلسان الزواورة اصبروا فهذه عساكر الإسلام قد وصلت ولا تعجلوا على الأميرة والمأسورين فيملك الفارقيط وربما يؤخذ ويملك فيجعلها فداء لنفسه وفكاكا لنوري عرسه فلما سمع الفارقيط كلامه ظن أنه من بعض غلمانه وعلم أن الذى قاله صحيح وتطاولت الاعناق وشخصت الاحداق وبانت البيارق والبوقات والصناجق والدرق والطوارق والعرب كأنهم السباع والسودان كأنهم الجواسيس في البقاع وقد تقدم الأمير عبد الوهاب في أربعة آلاف أسود لأنه يعلم أن الروم يفزعون منهم وقد ألبسهم سائر الالوان من أصفر وأخضر وأحمر واسود وقد كشروا عن أنيابهم والزبد يتطاير على على أشداقهم وقد أزعجوا الأرض بصياحهم وانقلبت الدنيا بوقع حوافر دوابهم وناداهم الأمير يا بنى حام يا لون الظلام يا سودان يا كرام دونكم والحملة على هؤلاء اللئام (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا والاميرة قد انكشفت عنها غياهب الكرب والله تعالى يجعل لكل شيء سبب ونادت المسلمون بكلمة الإخلاص المنجية من القصاص وأعلنت النصارى بكلمة كفرهم ونفذت الاسنة في الصدور والنحور والافواه فيالها من ساعة رأيت الدما فيها تفور والدنيا تمور وأيقنت الانفس بالوفاة وأيس وامن الحياة وابيضت من الخوف الشفاه واسود الجو وعدم الضوء ثم صاحت العرب الوحا الوحا العجل العجل ودارت طاحون الحرب وكثر الطعن والضرب وعظم الكرب واشتد الخطب وشربوا من الحرب كاسا مالحا ولم تبق السيوف على مفسد ولا صالح ودارت من الحرب الرحا فشكت الرجال الرحا وعاد البخيل بنفسه سمحا فلم ترى إلا مجروحا وجارحا ومطروحا وطارحا والعرق من الاجسام راشحا وزناد الغبار قادحا فكم من رأس رأيت طائحا وكم يوما عبوسا صالحا والامير عبد الوهاب بنفسه ظاهرا سائحا وعسكر الروم خاسرا وعسكر الاسلام رابحا وجوارح الطيور قد حامت والحسرات قد دامت الخيل في الدما قد عامت وكان القيامة قد قامت وأرواح المؤمنين إلى الجنة قد اشتاقت واشترتها

بنفوسها فما خسرت ولا انضامت وأرواح الكفار بحب الحياة قد هامت وإلى النيران قد استقامت فهم على تلك القضية وشرب كاس المنية وإذا بغبار قد علا وثار وقتار قد نما فملا البيداء والفضا وسد المساوى وبقى النهار كالليلة الظلما وكان هذه الغبرة للعسكر الذى كان مع الاندرياس لانه كان قد رجع إلى القسطنطينيه وعادوا على طريق الملك منويل فلما نظروا إلى المسلمين فى القتال والحرب والنزال نطقوا بكلمة كفرهم وتجاروا على الملك الاعظم بارىء النسم ومحي الرمم وقد أحرم الله الكافرين عظيم الثواب والنعم وقد تقدم من السودان طمطم وطماطم وعندم وسلهب وجفال وعلقم والقعقاع واللكام وغيلم والعكروت والطياق وشيطم والدموغ وباغظ رأسه وشارب الدما والعربيد وسمجاق والحاق وضمضم والنهاق وأبو لحاق وجشيم والمضفدع والمنعنع وسقطم وملابط البغال وململ والكرداج وملهم وميمون الادهم وأبو الهزاهز وشلهم وعملاق وأبو مروان وأبو الاشداق وعنز وعنوز وزعزع والمقروبا وباغض الحياة ومقدم السراة ومناطح العتاة وكشفت السودان رؤسها وسمحت بنفوسها ونادوا نحن عبيد الاميرة ذات الهمه المجاهده الصالحة القائمة ومن دون صلبها ضرب الرقاب ورجال تسبق سيوفها العذاب وتقطع المعاصم وتبرى العلاصم وتقطع الجماجم وتدغم الضراغم وتردى القشاعم فقالت الروم لاطاقة لنا بهؤلاء السودان الذين كانهم عفاريت سليمان هذا والعرب قد أطلقت الأعنة وقومت الأسنة ونادت بافتخارها وأنشدت أشعارها وضربت بنبالها وأضرمت نيرانها وقدحت شرارها وملأت الدنيا بعظيم أغوارها وقصد البترك إلى باب البلد ونادى يافارقيط ان الملك ينكسر ويذهب ومن بعده يحل بك العطب من السودان والعرب افتح الابواب واخرج إلى الطعان والضراب واعن أصحابك على هذا المصاب فقال الفارقيط هذا هو الصواب وخرجت الزواورة إلى القتال ولم يزل القتال يعمل حتى ولى النهار وانسدل الظلام ورجعت الرجال عن الرجال وأضرمت النيران وبطل الطعان وتحارس الفريقان ودقت النواقيس فى عساكر أهل الصلبان ونادت المسلمين بالتهليل والتكبير وتلاوة القرآن والصلاة على سيد ولد عدنان (قال الراوى) ياسادة وكان الأمير أبو محمد لم يحضر الوقعة لكنه لما طاب قلبه وقوى بمجىء الامير عبد الوهاب قصد اليه والتقاه بأحسن ملتقى وقال له الامير أبو محمد طيب قلبك على الأمير فانى قد أمرتهم أن لا يصلبوها وأن يكفوا عنها ويتركوها وأنا أعطيهم نورى التى يطلبوها وعقبة ودهر شوم وشوما الذى يفدوها والآن فقد بعث الله إلى النصرانية الرجال الذين يكرهوها وسيندمون على عاقبة أمرهم ولا يحمدوها فقال له الأمير

عبد الوهاب ما زلت بحماقتك ورعاتك وشؤم عشقك حتى انهتكت الأميرة وانهتك أمر يانس وأصحابه (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء الأمير وأصحابه المشاهير أنه لما أبطأ عليه خبر الأميرة أنكر ذلك غاية الإنكار وقال والله ما قلت أنهم يدخلون إلى بلاد الروم وإنما يأخذون الأخبار من الاطراف ويرجعون إلينا ويطلبون منا الإعانة والاسعاف ولقد ألقوا أنفسهم إلى الهلكة والتلاف وهذا هو غاية الاسراف وقد نهانا الله عن ذلك فقال عز من قائل ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة حياة النفس أمر واجب وقد خالف أبو محمد رب المشارق والمغارب ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب فقالوا بنى كلاب والسودان الانجاب أيها الأمير قد أبطأ خبرهم وترى الأمر قد طال فعلى ماذا عولت قال المسير إلى بلاد الروم لعل الله تعالى أن يظهر لنا أخبارهم فان كانوا أسارى خلصناهم وإن كانوا قتلا بكيناهم وأخذنا ثارهم فقالوا نعم ما رأيت أيها الأمير فقال لهم كونوا على أهبة ثم ساروا وهم ستين ألف عربان وأربعة آلاف من السودان إلى أن وصل إلى مكان يعرف بوادى البنرك وإذا بصابر المرعشى ومعه غلام من حصن يانس يأمره بالمسير إلى الاميرة ويانس وأبو محمد وغلمانه والادراك والتشهيل ولما نظر إلى الامير بكى وصاح وتأوه وناح وقال أيها الامير ادرك الامير والاميرة فان الروم يريدون أن يحرقوهم ويانس فى قتال الملك الفارقيط ولا شك أنهم يأسروه وعندهم عقبة الملعون وشرمدرس وشوما ودهرشوم وما نقول أنك تلحق يانس وأصحابه الا أسارى أو قتلا فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وطارت الدمعة من عينيه وتناثرت على خديه وخيل له أن الاميرة قد قتلت فانهلت عبراته وصاح بأصحابه يحثهم على المسير وفى قلبه نار السعير وله هدير وزفير ثم أنشأ يقول

يعز على يا كنز الوفاة … إذا قصدوا حريق الامهات
يعز على أن يلقاك سوء … بأنك فى مقام الحادثات
فكم خلصتنى فى يوم ضنك … من الابطال فى يوم الكماة
وكم تأتى الجيوش بغير رعب … لمعترك الوغا بالصافنات
وكم جندلت من بطل شجاع … صبور فى مقام المعضلات
يعز على أن ألقاك شلوا … مقطعة بحد المرهفات
أأبكى لاصطبارك فى الرزايا … وصونك والخشوع مع الصلاة
ومحراب الصلاة عليك يبكى … وسيف والرماح العاليات

ورايات المفاخر والمعالى وخيلك بعد خوض المعمعات
لقد عظم المصاب عليك حتى عدمت الصبر من كل الجهات
إلى أن يأتنى أجلى سريعا وبعدك إننى أهوى وفاتى

(قال الراوى) فلما سمعت بنى كلاب والسودان الانجاب نعى الامير عبد الوهاب لوالدته رمت عمائمها وأخرقت جيوبها وأقرحت أجفانها ونادوا وا أميرتاه وا مجاهدتاه وا ذهمتاه واسيدتاه ولم يبق عين إلا ودمعت ولا كبد إلا وتقطعت وجدوا فى سيرهم فى يومهم وليلتهم وصابر المرعشى أمامهم وفى اليوم الثانى قال لهم عرجوا على طريق بلاد الزواورة ففعلوا ذلك وساروا والأمير عبد الوهاب يقول

لو أن الريح تحملنى إليكم تعلقت بأذيال الرياح
وكنت أطير من شوقى إليكم وكيف يطير مقصوص الجناح

(قال الراوى) وجدوا فى سيرهم اثنا عشر يوما وفى اليوم الثالث عشر أشرفوا على وادى الزواورة وهم قد أخرجوا يانس والأميرة ليصلبوهما كما ذكرنا وقاتلوهم على ما وصفنا والتقى بهم الأمير أبو محمد كما قدمنا وأعلمهم أن الأميرة سالمة من الاسوا ويانس بالحياة وتركهم البطال ومضى واصطلح الملك منويل مع الفارقيط على أنه لا يعارضه فى نورى وإن المسلمين لما رأوا الزواورة قد حطوا يانس على الخشب وكان الفارقيط قد قبض على يانس بعد أن صالحه فعند ذلك طابت قلوب المسلمين لما علموا بسلامة الأميرة ويانس ورجعوا إلى الخيام وقال الأمير عبد الوهاب ما هذا وقت عتاب البطال وإلا كنت قد أشفيت قلبى منه ثم قال لأصحابه هل فيكم من رجع أبصر البطال بعد ما رأيناه فقالوا لا والله أيها الأمير وربما قد قتل فى المعمعة فقال الأمير لا والله لأنه قد قال لى أنه قد سرق نورى وعقبة وشوما ودهرشوم وغلمانه موكلين بهم فى بعض المغاير وقد مضى إليهم والله بعد أن ينظر البطال إلى وجه نورى لو قتلت جميع بنى كلاب والسودان ما عنده خبر وجميع ما جرى علينا من البلاء كان بسببها فهم فى الكلام وإذا بلؤلؤ غلام البطال قد أقبل وهو يقول أيها الأمير ادرك مولاى وإلا هلك فقال له الأمير ويلك ما الخبر قل وأوجز فقال يا مولاى أخذت نورى ودهرشوم وشوما وعقبه وباقى الغلمان وما نجى منهم غيرى لأننى قد هربت فى الظلام (قال الراوى) وكان الأمير أبو لما رأى الأمير عبد الوهاب وأصحابه قال إن وتوفى

ههنا فضول ومالى الا ان أسير إلى عند نورى حبيبة قلبى وهذا عبد الوهاب يحتاج يقاتل عن أمه وأنا خليت نورى مكتوفه وأريد أمضى اليها الساعة و آخذرجليها فى حجرى وأرمى روحى وأهول عليها بالخنجر حتى تفرغ منى وأنال منها غرضى ثم صار طالب الكهف (قال الراوى) فهذا جرى منه (وأما ما كان) من نورى فان لؤلؤ غلام البطال ومن معه كانوا حاملين هم الاميرة ذات الهمة وصاروا يدعون على أبو محمد البطال ويقولون جعلها الله أيشم العشقات عليه فلما أشرف الأمير عبد الوهاب بعساكره وأصحابه السودان وعددهم أربعة وستون الف فارس كانهم الليوث العوابس فرحوا بذلك وكبروا وصعدوا الى الجبل لينظروا هجوم الامير على عساكر الروم ونظرت نورى إلى المكان وقد خلا من غلمان البطال فأدارت ظهرها الى شوما وقالت ويلك ياشوما اقرضى كتافى بأسنانك فطرحت شوما على كتاف نورى أسنان كانهن أنياب كلاب أو خنازير الغاب فى أسرع وقت قرضت كتافها وتمطت نورى فى الباقى فقطعته وحلته من أيديها الى وو ثبت الى السيوف المعلقة فى الكهف فأخذت أجودها ووضعته تحتها وأدارت يديها الى خلفها لما أحست بمجيئهم حتى لاينكرون عليها فلما دخلوا عليها قالوا لها يا نورى هلكت اليوم بنوعمك وفى اليوم أوغد تؤخذ البلد ويقتل الملك الفارقيط فلما سمعت نورى ذلك لم ترد جواب عليهم إلى أن قعدوا للحديث وهم طيبين القلوب بعسكر المسلمين فعندها وثبت نورى مثل الأسد وملكت عليهم باب الكهف وقالت ويلكم قد عرفتم إنى ألقى ألف فارس وحدى والآن وحق المسيح ان لم يشد بعضكم بعضا وإلا تركت رؤسكم ناحية عن أبدانكم فعلموا ان قولها صحيح فكتف بعضهم بعضا ثم دنت منهم والسيف فى يدها وأوثقت كتافهم حتى طيرت الدم من اظافرهم وحلت عقبة وشوما ودهرشوم وقالت قوموا حتى نركب من هذه البغال ونسير فقال عقبة ماهذا صواب اصبرى حتى يختلط الظلام فانا لا نأمن من عسكر المسلمين فقالت وحق المسيح لو لقينى نصف عسكر المسلمين لكان فى كفؤ لهم ان لم يكن فيهم تلك العجوز العاهرة لانى بعد ان ملكت هذا السيف ما بقيت أبالى بأحد فقال عقبة يا بنى الشجاعة صبر ساعة وفيها فائدة أخرى قالت وما هى الفائدة قال اعلمى ان ابو محمد البطال لا يصبر عنكى سيما وقد طاب قلبه بمجيء عسكر عبد الوهاب ويقول فى قلبه أمضى أنا الساعة اليها لعلى أن أنال منها غرض مادامت مكتوفة فكونى على ما أنت عليه فاذا دخل خذيه ومع القوم اقرنيه فهى الغنيمة العظيمة والفائدة الجسيمة ولا يتحدث الناس بأحسن من هذا أن البطال اخذك وخلصتى منه ورجعتى أخذتيه

فضحكت وقالت من أين تدرى أنه يجى فقال قدرت وعلمت ولو طمعى فيكى ما كنت أخرجت الغلام من الخيمة وجرى على ما جرى وفى المثل الطمع قابل للبوار ولبعضهم حيث يقول

طمعت فيكم ورجوت وصلكم　　وتقتل الرجال بالمطامع

وأيضا إن أحدا ما يبصرك ويصبر عنك فأعجبها ذلك من قوله (يا سادة) وما فرغوا من كلامهم إلا وأبو محمد قد أتى وهو يقول

شوقى شديد ليس أبلغ وصفه　　ولكننى أفنيت فى حبكم عمرى

(قال الراوى) فكان مجيئه كما قال القائل حيث يقول

سعى إلى حتفه رغما وليس له　　فى نفسه حيلة مع كون فطنته
لأنه تحت حكم الله منصرفا　　بما يشاء الله من إرادته

(وكان يا سادة) مثل البطال مثل من عبر ليأخذ الفرخ فوقع فى الفخ وكان صياد فصار صيدا وقال له القضاء رويدا فوثبت نورى إليه وكتفت يديه وكان فى التشبيه بازا فصار حماما وجاءته من العرضيات مهاما فأنشد بلسان حاله نظاما

عجبا للباز إذ صار حماما　　ومصير الحب فى الحال حماما
من بنات الروم إلا أنها　　لا تراعى فى هواها مستهاما
غير إسلامى بدينى ولها　　وغرامى بى إليها يترامى
قد رضينا فى هواها أنها　　ساعة ردت على الصب سلاما
وهى فى أسرى ولكنى لها　　أبد الايام ما عشت غلاما
وجرى المقدور حتى أنها　　أسرتنى حيث لم ترع الزماما

(قال الراوى) ثم جعل أبو محمد يقول سبحان الله الخالق لهذه الخدود التى كأنها الشقائق وهذه الشفتين التى كأنها عقائق فقال له لؤلؤ ومن أجلها قد أوقعتنا يا فاسق وعلم أن محمد قد بلغ به الشوق منتهاه وأنه فى وادى الغرام قد تاه فما منهم من رجع خاطبه خطاب ولا رد عليه جواب بل إن أبا محمد أقبل عليهم بالعتاب وقال لهم ويلكم ما الذى نزل بكم وكيف تم هذا عليكم فقالوا له اندهشنا بقدوم عسكر المسلمين وصعدنا إلى الجبل من الفرح ورجعنا فوثبت سنك نورى وملكت علينا الباب ومعها صارت قرضاب وقالت تكتفوا وإلا أضرب منكم الرقاب فلما سمعنا منها ذلك الخطاب تكتفنا وقد ضاقت علينا الأسباب فقال البطال أصبتم فيما فعلتم وقد قام عذركم عندى بما قلتم فأعيذها بالله ما أسرع وثباتها وما

أحسن نظرانها فقال لؤلؤ ساط الله عليك يا سيدى آفاتها فقال له عقبة هذه الدعوة قد عمت عليكم الجميع بركاتها فى صالح أوقاتها ثم صبروا إلى الليل وساروا ودهرشوم بيده سيف مسلول وهو يسوقهم وأما لؤلؤ فانه جعل يرقبه حتى غفل عنه وجلس بين حجرين مقبره ولم يدر به دهرشوم فلما غابوا عنه وثب وسار إلى أن أتى إلى عسكر الأمير وقال للأمير عبد الوهاب الحق مولاى كما ذكرنا (وعدنا إلى سياقة الحديث) وأنه لما أخبر الأمير بخلاص عقبة ونورى وشوما ودهرشوم عظم عليه وكان يرجو أن يخلص بهم الأميرة ويانس ان لم يقدروا على البلد فانه حصين وقال لؤلؤ إدركوهم بالخيل فأنا قد سبقتهم فقال الأمير هذا هو الصواب ثم جرد مائة أسود عليهم صدور الزرد وفى أيديهم العمد وساروا ولؤلؤ معهم (قال الراوى) فهذا جرى وأما نورى فانها قالت لمن معها اقصدوا بنا الباب فقالت شوما ما هذا صواب لأننا قد فقدنا لؤلؤ من بيننا ولا نأمن أن يمضى إلى الإسلام وعسكرهم ويأتينا منه برجال فقالت نورى وكيف يكون العمل قالت شوما تأخذ طريق ملك الكرخان ففاضل فرسخين وتخرج من خلف البلد فهنا لك باب السر الذى للملك الفارقيط فيفتحوا لنا ثم ندخل وسارت بهم إلى أن وصلت إلى هنالك ونادوا فى الحراس فقالت من الصايح فقالت أنا شوما ومعى نورى غاية المنا فتبادروا إلى الباب ففتحوه من غير أن يستأذنوا الملك ودخلوا بنورى وأبو محمد وغلمانه معه ونورى فى يدها السيف يلمع ونور وجهها قد غلب على نور سيفها فلما رآها الملك الفارقيط أرمى نفسه عليها وجعل يبكى وتقبلها فبكت نورى وأعتنقته ثم ألقت فمها على فمه فسمع أبو محمد سوط البوس فصعق يا قرنان ما هذا وقت هذا وعساكر المسلمين على باب البلد وما ندرى ما يكون منك ومن هؤلاء السودان الذين كأنهم الجان فضحكت نورى وعلمت أنه يغار عليها ثم طرحوه فى المطمورة التى كان فيها كأنه ما برح منها وأبو محمد يقول أنا مثل حبة القمح أدور وأرجع إلى الطاحون فياليت كنت أكون محبوس وأنا أنظر إلى سق نورى صباحا ومساء هذا وإن الرجال الذين أرسلهم عبد الوهاب رجعوا عند الصباح وما معهم من نورى خبر (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح خرج الفارقيط إلى القتال وأطبقت عساكر الكفار على المسلمين الابرار ونادى منادى المسلمين يا معاشر الموحدين هذه أبواب الجنة قد فتحت والحور العين قد أشرفت فجاهدوا فى الله حق جهاده فعندها كبرت المؤمنين وصاحت المسلمين ونادى الأمير فى بنى كلاب هذا اليوم الذى نؤمل فيه خلاص الأميرة إن شاء الله عز وجل فزعق الجيش عن صوت واحد وبدر منهم راشد بن ضمرة وسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر ومالك بن بشر الاقطع ومالك

ابن طوق والحارث نهشل وبكار بن عمار وقشعم وسعيد بن حامد والغطريف بن ماجد والمثنى وعقيل والمهلب وسعدان وعمار ومترف بن بشار وهياج الكردى وحازم وجابر وحمدان والربيع بن جعفر وقسورة الغضنفر (ياساده) وصاح أبو الهزاهز يال حام هذا يوم الزحام فى طاعة الملك العلام فأجابه دمدم وغيلم وطاطم وطمطم وأبو الزعازع وأبو الفراقع وضمضم وأبو الأشداق والازور والنهاق وقنبر وابو اللحاق وزند الفيل وقراقع وكاره الحياة وملاكم الهوى وملابط البغال والمبعبع وباغض رأسه وشارب الدما والنهاش وأبو عكاش ومروان والمحاق وخثعم وعملاق وكردم وسقطم وشلهم وسلهب والمرقال والمغزبل والعزبيد ومناطح التيوس وأبو عرقوب وأبو الزوابع ووجه الغول وممهر حياته وصندل وجوهر وزقاق العربده (قال الراوى) وتبع هؤلاء المذكورين بقية السودان وفتكوا فى عبدة الصلبان وكان الفارقيط قد نكل بالرجال وأباد الأبطال وأهلك الاقيال وطلب الأمير عبد الوهاب لأن عقبة قال له ماالعسكر كله إلا بعبد الوهاب فطمع أن يأخذ الأمير وتنكسر عساكر المسلمين فبينما هو الميدان والسودان قد خذلت الشجعان وفتكت فى الأقران إذ التقى الفارقيط بالأمير عبد الوهاب فعرفه الأمير لأنه كان قد صاح ياعبد الوهاب لك الطلب فأين الهرب فسر الأمير بذلك وقال إن أنا أخذت هذا الملعون خلصت الأسارى فعندها حمل عليه وتطاعنا بالرماح ساعة طويلة إلى أن بقى أطول مافى الرماح ذراع فرموها واعتمدوا على الصفاح وتضاربا بها حتى لم يبق إلا المقابض فرمياها ثم تقابضا وتعاركا على جواديهما وأن الأمير عبد الوهاب ضايقه ولاصقه ثم صاح فيه صيحة خيل للفارقيط أن السماء انطبقت على الأرض ثم إن الأمير هزه وصاح الله أكبر فقلعه من سرجه وإذا بصيحة أخرى عن يمينه فالتفت لينظر ما الخبر وإذا به الأمير سيف الحنيفية قد أخذ الاندرياس وكان قد شفى من مرضه فهو كذلك وإذا بصيحة أخرى فالتفت وإذا بأبو الهزاهز وقد أخذ أسير من أجل البطارقة هنالك اندقت الزواورة على البلد وعظم على نورى أسر الملك الفارقيط فبكت وقالت هذا كله بسببى وأنا كنت أصل بيت هذا المسكين وانسدل الظلام وبات المسلمين فرحين مسرورين فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فتح باب البلد وخرجت نورى وهى تقول روحى الفداء للملك الفارقيط ولم يعرفها أحد بأنها نورى لأنها غائصة فى الحديد وهى كأنها البرج المشيد ثم أشارت إلى الأبطال تطلب البراز والقتال فخرج إليها راشد بن ضمرة

وحمل عليها وحملت عليه وأخذا فى الكر والفر والهزل والجد والأخذ والرد حتى تحيرت النظار وغابا عن الأبصار من كثرة الغبار وقامت الحرب على ساق وتطاعنا بالرماح الرقاق ثم إن نورى اقلبت عقب الرمح وطعنت راشد ألقته عن جواده وأخذته أسيرو سلمته إلى البطارقة وبرز إليها بعده بردبن الأزهر فأخذته ومالك بن طوق فأسرته وشيظم الأسود فملكته وانكف الناس عن قتالها وتحايرت الأبطال والشجعان عن نزالها وقال الملك منويل من هو هذا النبيل الذى ما رأت الروم أعظم منه مراسا ولاأشد بأسا ولاأقوى أساسا فلقد أخذ من أمراء المسلمين ماسنفك به كل أسير عندهم وإذا انفصل القتال ادعوا هذا الفارس إلى حتى أوقفه على جميع عساكر الروم هذا ونورى لما رأت توقيف المسلمين عنها حملت على العسكر وطعنت فارسا فى صدره أطلعت السنان من ظهره وحملت على الميمنة فقتلت فارس وعلى الميسرة فقتلت آخر فعندها خرج إليها الأمير قراقد وكان فارسا لايطاق وعلقم مر المذاق فقامت الحرب بينهما على ساق وأخذا فى الكر والفر والهزل والجد والصد والرد ولم يزالا كذلك حتى كلت من تحتهما الجوادين وأشارت نورى إلى الزواورة فأتوها بجواد يفوق الوصف ويسبق الطرف فوثبت من على ظهر جوادها إلى ذلك الجواد أسرع من البرق وكان قراقد قدأمل أن يقتالها عند ركوب الجواد فكانت أسرع من خاطره وتطاعنا حتى لم يبق من الرمحين إلا كعاب واحتك الركاب بالركاب وعاركته على سرجه فوجدته بعيد المرام لا تقدر عليه فى مقام الصدام إلا كانها قطعة جبل رصاص ليس له من سرجه خلاص ورأت أن ما فى يدها منه شيء فحسرت عن لثامها وكشفت عن وجهها فقال قراقد وقد عرفها نورى فقالت نعم ثم ضحكت فأحدق نور ثغرها وحسن وجهها ببصره وقالت وحق المسيح إنك اليوم عندى أحظى من الأمير عبد الوهاب ثم كشفت عن صدرها فبانت رمانتى نهودها عن صدر كانه صرح بلور لا يرى مثله فى الوجود فكاد عقل قراقد أن يطير وقال لها ياستى لو انكى رجعتى إلى الإسلام لكنت أعطيكى جميع ما أملك من المال والانعام فقالت له وتفعل ذلك خلفها وقد أخذه الزمع ووقعت عليه الرعدة وانحلت أعضاه واندهش فلما ثبت عندها أنه قد استحكم منه هواها هجمت عليه وهزته اقتلعته من سرجه وبقى فى يدها مثل الشاهين إذا أخذ الحمام ثم انكشف عنها الغبار وإذا بها قد سلمته إلى البطارقة فتحيرت الطوائف وقال الأمير عبد الوهاب ترى من أين قيض لنا هذا الشيطان ولولا أنى أعلم أن الحرب سجال وإلا كنت

خرجت إلى هذا الفارس وعجلت له النكال ثم أقبل على الامير أبو الهزاهز وقال له اخرج إلى هذا الملعون وابصر كيف يكون فقفز أبو الهزاهز إلى نحوها فلم يطول مقامه معها دون أن كشفت له وجهها وصدرها ثم يملك من نفسه شيء حتى أخذته أسير وجمعت بينه وبين قراقد فى مكان واحد وخرجت اليها ثلاثة من بنى كلاب فأخذتهم قوة واغتصاب عندها أدعى الامير بجواده وكان جواد يفوت الطرف ويعجز عنه الوصف كأنه البرق إذا برق أو السهم إذا مرق وله صهيل كانه الرعد إذا خفق يكل عن رصفه كل لسان إذا نطق فهو كما قال فيه الشاعر

جوادك يحاكى البرق فى جريانه ‏ وريح جناب هب فى جريانه
له سرعة فى جريه ووثوبه ‏ ويدرك طاير الافق فى جريانه

(قال الراوى) فتطاول العسكر عندما عزم الأمير عبد الوهاب على الخروج وارتعدت فرائص البطارقة والعلوج وقالت الروم وبهذا يكون الانفصال عن القتال فان الكل بأسود بنى كلاب وقالت المسلمون ماهذا البطريق الملعون الا الأمير الميمون فبينما الناس كذلك وإذا براهب قد أقبل وهو يمشى بين الصفوف مشى الهوينا حتى صار بين الفريقين فقالت عساكر منويل هذا من رهبان الزواورة وقد خرج إلى المسلمين فى رسالة أما انه قد رأى أن يفادى المسلمين والاسارى وكيف يكون هذا وقد أبصرتم فعال هذا الفارس فى الابطال وما بقى من عسكر المسلمين الا أن يأخذ هذا الفارس أسود بنى كلاب ثم تطاولوا إلى ذلك الراهب فيما أتى ولم يزل الراهب يتخطى الصفوف إلى أن أتى إلى الأمير عبد الوهاب ومسك بركابه وقال له ياعبد الوهاب لا تخرج إلى هذا الفارس الذى قد فعل ما فعل فقال الأمير ولم ذلك قال الراهب الذى أقوله لك على وجه الاشفاق عليك فقال له الامير إنما أريد الاشفاق ممن هو ناصح فى الدين فقال له الراهب فأنا ممن يشهد له الناس بالاشفاق فى سائر الآفاق فقال الامير من أنت أعلمنى فقل وأوجز فعند ذلك كشف الراهب وجهه واذا به الاميرة ذات الهمه فلما رآها لم يتمالك ان رمار وحه عن الجواد اليها وقبل الارض شكر الله تعالى فقالوا الروم الراهب من عند المسيح قد أتى اليه وقد دخل فى ديننا لامحالة والا ما كان يترجل عن جواده فى هذا الوقت ويكرم هذا الراهب هذا الاكرام الزائد (ياسادة) وان الأمير قال لوالدته الحمد لله على الخلاص وقد عولت على الخروج إلى هذا الفارس فى قلبى منه شيء عظيم فقالت الأميرة ياولدى ما أخليك تخرج اليه ولكن اصبر على ساعة ثم دخلت إلى الخيمة وطلبت شراب الجلاب فشربت وجابوا لها لحم فأكلت فوجدت فى نفسها القوة ثم ركبت جواد من خيل الأمير ليس له نظير ولبست لامة حربها وأخذت صمصامة قاطعة

واعتقلت برمح خطى فقال لها الأمير على ماذا عولتي فقالت أخرج إلى هذا الفارس وآخذه حقير بعون الملك القدير (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص الأميرة أنها لما كانت فى الحبس قال شومدرس لعقبة ويلك يا شيخ النحس لو قتلتك الساعة من كان يخلصك من يدى لان الملك مقويل ظاهر البلد والملك الفارقيط مأسور وحق المسيح ما كان إلا على نية ضرب رقبتك قال عقبة له عليك لعنة المسيح وغضبه ويلك وحق المسيح أنت عندى مثل الكلب وأنجس فغضب منه شومدرس ثم شال يده وضربه على خده أرماه إلى الارض وقال وحق المسيح إذا خلص الفارقيط لاتركنه يضرب رقبتك فعلم عقبة انه ان تكلم حرض عليه الزواورة فيقتلوه فجعل يضحك ويكشر عن انيابه التى كانها أنياب الكلاب ويقول ياشيخ أبو الشرما أملت منك هذا الامل (قال الراوى) هذا ودهرشوم قد أقبلت عليه أمه وقالت ياولدى هذا أوان الفرصة وكل من له عدو يشتفى منه لان الفارقيط ما يمكننا من واحد فهلم بنا إلى البطال نضربه بالخناجر إلى أن يموت فيكون قد نصرنا الملة المسيحيه وتقتل سائر الاسارى حتى يتراضوا الروم عنا بعد موتنا فقال دهرشوم ان أردتى الثواب فنحن نبادر إلى من هى فساددين النصرانية وهلاك الملة المسيحية وهى ذات الهمة فقالت هذا هو الصواب لا/ أبغض الاشياء إلى ثم قالت له أنزل وأنجز أمرها فنزل دهرشوم وشوما حتى إذا وصلا إلى الاميرة ذات الهمة وهى مكتوفة اليدين وهى على ما هى عليه من الجراحات التى بها وهى مع ذلك لها وجه كانه القمر المنير لان نور الاسلام على وجهها يلوح فقالت لها شوما ويلك يا ذات الهمة هذه آخر ايااليك من الدنيا فقالت لها الأميرة ذات الهمة يا عاهرة ستجدينى صابرة على ماقضى الله تعالى لان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فلما سمعت شوما كلام الاميرة صاحت بولدها دهرشوم أريد من قبل قتلها ان تفعل بها الفعل القبيح فيكون ذلك عار على ولدها عبدالوهاب فدنا منها هو وأمه رافعان أيديهما بالخنجرين يريدان ضربها فتجد الاميرة صبر دون أن تمطت فى كتافها قطعته قطعتين وثبت اليهما وقد هربا منها انظر إلى الحبال التى كانت بها مكتوفة انطعوا قطع فارتعدت أيديهما وضرباها ضربتين خائفتين فلم يؤثرا فيها شيأ ثم أنها قفزت على دهرشوم وعصرت على حلقه فخرجت عيناه وفارق دنياه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وأما شوما فان الأميرة ماتركتها من يدها حتى خمدت حسها وأيست من حياتها وقلعت الثوب من عليها ولبسته وتعممت بعمامتها لان رهبان الروم عادتهم يعمموا النساء والرجال يكشفون الرؤوس ثم ان الاميرة أخذت الخنجرين من أيديهما وهمت ان تطلع من السرداب

فنظرت إلى البطريق جالس على الباب والضوء عنده فنادته الاميرة ذات الهمة بالرومى أنزل حتى تساعدنا فلما سمعها قال لبيك فقالت له أدركنى فظن انها شوما فنزل مسرعا فاظهرت انها تساروه وضربته بالخنجر فى صدره أطلعته من ظهره وأغلقت باب السجن وخرجت إلى باب البلد والبطارقة مشتغلين بالقتال ونورى قد فتكت بالرجال وإذا بواحد يقول لصاحبه ان الملكة نورى قد أخذت أحد وعشرين أسيرا من المؤمنين المسلمين أسارى وما بقى الا أسود بنى كلاب والساعة يخرج اليها فما هى الا أن تأخذه وقد انكسرت عساكر الإسلام فاسرعت الاميرة فى مشيها اشفاقا على ولدها لأنها تعلم أن فى قلبه نورى هوى وانه ان قاتلها أسرته كما أسرت غيره فادركته كما ذكرنا وهى فى زى راهب كما وصفنا وعرفها أنها أمه كما قدمنا ودخلت الى الخيمة وأكلت وشربت وتقوت وخرجت وركبت وأخذت لامة حربها (وعدنا إلى سياقة الحديث) وقالت له أنا أخرج الى هذا الفارس لانك ان خرجت اليه وملكك كان عار عليك فى ملكه لك وان ملكته كان عار أيضا قال وكيف ذلك قالت له ماتعرف من هو هذا الفارس قال لاقالت هذه نورى وما كنت أنت تخرج اليها الا تأسرك وأنا أقسم بالله أنها ما أخذت أكثر الرجال الا بالحيلة فقال الامير ما بقى فى قلبى منها شىء فقالت ياولدى أنا أعرف بقتالها منك ثم صاحت بجوادها فخرج الحصان كانه ريح سليمان أوعفريت من الجان ولعبت الاميرة بالقنا مثل القلم إذا لعب به الكاتب وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وتضاربا ضربا أمر من الصبر وإذا وقع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن والفارس يعرف خصمه إذا صدق عزمه فاخذت نورى فى القتال والحرب والنزال ولم تعرف من هو ذلك الفارس واعتركا فى الجولان إلى ان طلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار فطعنت ذات الهمه نورى بعقب الرمح فى صدرها القتها على ظهرها وأوثقتها كتاف وعادت بها إلى الخيمة واوصت بحفظها ورجعت إلى القتال وكانت الروم نظروا إلى الملكة نورى قد أسرت والاميرة ذات الهمة قد اشتهرت خرجوا من العدد وملوا الارض والدكادك وعميت الابصار من لمعان الدروع والبيض وبريق السيوف الفواتك ورجفت الأرض من وقع حوافر الخيل والسنابك واشتعلت الحرب بنار لهيبها وصار الغبار كالليل الحالك هذا والصوارم قد هزت والسلامة قد عزت والخيل على اللجم قد كزت وان القلوب قد انقطعت والاكباد قد تفطرت والافئدة قد انصدعت والمرهفات قد لمعت والأسنة قد تشعشعت والاقيال قد جزعت والجبابرة قد خضعت والروم فى حابس الإسلام قد طمعت والخيول إلى الصدام قد رفعت وكان الأمير عبدالوهاب رايته قد ارتفعت

وقد كتب عليها بالبياض كلمة الاخلاص التى لقائلها قادت ونفعت ولدرجاته يوم القيامة رفعت وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غربت شمس وطلعت (قال الراوى) هذا وقد كان يوما يشيب لهوله المولود وطلع النقع فلم يعرف البيض من السود وأنجز وعد الوعيد وعملت صواعق الحديد ونفذت سهام الحمام فى الابدان والعظام ووقعت الرجال من الخيل لكثرة الصدام ووطئت الحوافر على الصدور وعملت الخناجر فى المحاجر وانهزم منويل إلى البلد وامتلأ بلد الفارقيط بالرجال وقتل منهم خلق كثير وانهزم عالم غزير وأسر ميخائيل وحجز الظلام بينهم ورجعوا إلى الخيام وأحضر الأمير عبد الوهاب الأميرة ذات الهمة وقال لها أيتها الأميرة أين هى نورى فلما سمعت مقاله فهمت مرامه فقالت له علم أنها هى فى الخيمة متوهنة من الذى جرى عليها فى يومنا وإن عندنا يا ولدى ما هو أهم من نورى الملعونة وهم الامراء وأسرهم ويانس وأصحابه وكانت الأميرة قد فعلت ذلك لأجل قلب البطال ولم تزل كذلك فى الصلاة والخشوع إلى أن أصبح الصباح (ياسادة) وأن شومدرس افتقد ابنه وزوجته فما وجدهم وسأل عنهم فقيل له أنهم مضوا إلى السجن ليعاقبوا ذات الهمة فدخل إلى السرداب فوجد السجان فى ثياب الذل والهوان مذبوح فقال هذه علامة الاقبال وما بقى إلا ابنى دهرشوم أنظره إلى يوم القيامة لما تقوم والراهبة شوما قد لاقت الهموم فلطم شومدرس حتى غمى عليه ونتف لحيته فأفاقت شوما على صراخه وعقلت على نفسها ونظرت ابنها على ذلك الحال فلطمت رأسها وقطعت شعرها وقالت وحق المسيح إن طلعت ذات الهمة إلى السماء طلعت خلفها ولو غاصت فى الارض السفلى إلى أن بلغ منها المنى ولو أنها فى السماء الرابعة لامكنن منها ومن ولدها السيوف القاطعة ثم قالت لشومدرس ما انتظارك فقال لها وما الذى أعمل والملك منويل قد انكسر ودخل إلى البلد والوالد لا يعرف الولد فقالت امضى إلى الملك منويل وعرفه بقتل ولدى الصالح دهرشوم النبيل ولا بد أن يكون دمه ميشوم على هذا القبيل فقال لها طيبى قلبك فما أدفن ولدك حتى أقتل البطال على قبره فقالت لقد أشرت بالصواب ثم أخرج ولده دهرشوم وعملوا عزاه الروم والقاضى عقبة المذموم وقال هذا بخطيئة ما صنعت بى من غير ذنب سبق منى إليك ولولا ما قد نزل بك شكوتك إلى الملك منويل فلم يكلمه شومدرس وعلم أنه شامت فيه ومفرى وأضمر له فى نفسه غدرا ومكرا ثم نادى شومدرس وأقام المنادى يقول ألا من أراد الصلاة على الولد الصالح المقتول خنيق فى حب الدين العتيق فترحموا عليه يا معاشر أهل الدين والعتوة أنتم يا حاضرين (يا سادة) ثم اجتمع جماعة الروم

وصلوا على دهر شوم هذا وشو مدرس يتحسر ويقول أنا أعلم انه فى الجنة ثم ان الملعون دفن ولده ونزل عليه فى ربض الكنيسة ورثا له مما جرى له وقال لو كان سير بالغت فى شراه بما أقدر عليه فما تكون حيلتى وامصيبتى راحت ثمرة فؤادى أو مهجتى وأريد منك أيها الملك أبو محمد ومعلوم ان زوجتى هى التى أخذته وانما أريد أن يكون ذلك عن أذنك (قال الراوى) وان الملك منويل بكى عليه وقال لشو مدرس المسيح قد امرنا بطاعتك وأنا أريد أضرب رقبته على قبر الشاب الصالح فقال هذا هو الصواب ولا نأمن يا ملك من أبو محمد البطال مادام انه فى البلد فقال الملك خذوه واقتلوه قال فتبادرت البطارقة اليه وهجموا عليه فى الحبس وسحبوه على وجهه وغلمانه معه وقد قلعوهم ثيابهم وعقبة يصفعهم ويقول الى متى يملكهم المسيح وحق المسيح يا بطال ما أشتهى أتصبح باسمك فساروا به الى ان وصلوا الى قبر دهر شوم فصاح أبو محمد بلسان الزغاورة ويلكم أنا ما أبالى بالقتل وأكثر من موتة ما تكون وعند الأمير عبد الوهاب الملك الفارقيط ونورى ومائة بطل من البطارقة وخواصهم وربما يصطلح ملك الروم مع عبد الوهاب ويعطيه نورى ثم يرحل عنكم وهذا عقبة وشو مدرس لا يبالوا بما نزل بكم وإذ قتلت أنا قتل الفارقيط وأخذوا البلد ويسلموه الى منويل وقد كاتبوه وهم الذين فعلوا هذا كله فان كان للفارقيط عليكم حق فاحفظونى فان وقع الفداء بى كان الذى تريدون وان خلص فان قتلى بين أيديكم ما يفوتكم وان نورى هى التى أسرتنى لا الملك ولا شوما فكيف تتركونى يتصرف عليكم غيركم (يا سادة) فعندها زعقت الزغاورة زعقة رجل واحد وقالوا لقد صدق وحق المسيح ثم أقبلوا على عقبة وفى رأسه لطموه وأما شو مدرس طردوه وأبعدوه (قال الراوى) فاختصمت بطارقة منويل لشو مدرس وأخذت الزغاورة أبو محمد البطال وعادوا به الى الحبس فوقع بينهم السيف وعلت الزعقات وقاتلت الزغاورة محرقة على بلادها وعلا الصياح الى ظاهر البلد حتى سمعوا المسلمين الصياح فقال الامير عبد الوهاب يا ترى ما حولهم فقالت الاميرة ذات الهمة لا شك الا انهم قد وجد شوما ودهر شوم قتلا وقد عظم عليهم وقد طلبوا أبو محمد ليقتلوه ولا شك ان أبو محمد يقول لهم الامير عنده الفارقيط أسير ونورى وجماعة البطارقة وقد وقع بينهم والله أعلم لان من كثرة التجارب قد عبر هذا على خاطرى (قال الراوى) فهم فى الكلام واذا بالجاسوس قد أقبل اليهم وأخبرهم بما قالت الاميرة لم يزد ولم ينقص فقال لها الامير والله لم يلتج الزمان بمثلك أبدا (يا سادة) هذا جرى وان الزغاورة قويت على أبى محمد وغلمانه وأخذوهم وبلغ الخبر الى منويل فقال نحن فى بلد القوم وملكهم مأسور فى يد المسلمين وما

قال البطال الا حقا وحق المسيح لو قتل البطال لقتل عبد الوهاب الملوك الذين عنده ولقد كنت فى غفلة عن هذه القضية وما نهلك خواص النصرانية من أجل دهرشوم لقد كان قتله ميشوم وحق المسيح ان الفارقيط أحب إلى من عشرة آلاف لحية من دهرشوم ومثل أبوه فلا كان ولا استكان (قال) فلما سمعوا الزغاورة ذلك طابت قلوبهم وقالوا الساعة نرسل إلى عبد الوهاب فلما وصلوا قالوا تأخذ كل أسير عندنا لا صغير ولا كبير ونريد الفارقيط ونورى والملوك فلما سمع الامير ذلك قال ان مسلم عندى أخير من أهل الأرض وأنا أعطيكم نورى وكل من عندى فقالت الاميره ياولدى احكم أنت فى أسراك الذين عندك وأما نورى فما هى فى أسرك وأنا والله ماتركتك تخرج إليها الامن وجهين أحدهما عرفت أنها تأسرك والاخرى لو أنك كنت أخذتها كنت تقول انها أسيرتى وماسامحتك البارحة تراها بعينك نظرا فأسامحك بتسليمها لا والله لاتدرى ما قد جرى على من أجلها وعلى ذلك المسكين أبو محمد البطال بسببها وما دخلنا الا فى طلبها وأنا ما أسلمها فعظم على الامير ذلك وقال نحن مانخلى ألفين أسير من المسلمين يهلكون من أجل هذه الكافرة فقالت عند ذلك مانفادى بها وأما هذه فلا أسلمها لأحد ما طرد الليل النهار فقال الامير فانهم لا يعطونا أبو محمد فقالت وأنا لا أريده وهذه أسيرتى ولا أسلمها إلى أحد حتى تطير رأسى عن بدنى فقالوا السودان ونحن أمراءنا قراقدو وأبو الهزاهز وميمون يهلكون من أجل هذه الملعونة بنت الملعون بل نأخذها منكى غصبا فقالت الأميره اخسؤا يا كلاب الحجامين وفضلة الزبالين والوقادين ومن أنتم يا كلاب ثم صاحت يالكلاب يا كلاب فأجابوها لبيك لبيك ها نحن بين يديك فقالت من كان معى فليأتى ثم انصرفت عنهم فأتم إليها أكثر بنى كلاب ولم يبق مع الامير عبد الوهاب إلا القليل فقالت من أراد نورى فليخرج إلى الحرب والقتال فعند ذلك حملت السودان على بنى كلاب ووقع بينهم الحرب والقتال والطعن والنزال حتى ضجت العوالم وقد جزت الصوارم ورأيت السودان قد سال لعابهم ولم يزالوا إلى الظهر ودخل بينهم مشايخ بنى كلاب وعذلوا عبد الوهاب والأميرة وقالوا للأمير ياعبد الوهاب لم تزل مخالفا لأمك وكل هذا على رأسك وكل من قتل من المسلمين خطيئة فى رقبتك لانك لم تكن أسرت نورى فتحكم فيها لان الاميرة قد خاطرت ودخلت مع الأمير أبو محمد وقاست الحرب وقد دلت ما جرى عليها وهى قد عملت هذا عن سبيل العصبية وان أردت الأمور تنفصل ان شاء الله تعالى تبارز أنت وأمك وتبطل قتال المسلمين فهذه ثالثة ما كانت تبقى عليك فعندها رد عبد الوهاب والسودان وهم متشوقين إلى القتال وهم يقولون

يا أمير نخلى أمراؤنا فى الاسر فقال أنا أخلصهم (قال الراوى) ثم ان ذات الهمة برزت إلى الأمير عبد الوهاب وردت بنى كلاب وقد قتل من الطائفتين مائة نفر وقالت ذات الهمة برفيع صوتها يا ابن الحارث لعن الله مرضعتك فما فيك مروءة ويلك مالابو محمد عليك حق خدمة وحرمة ماتراعيه وتخلى له هذه الجارية الروميه تكسى له ويلك وأنت فى كندفرونيه وأنت تشحت منه الخبز وتقول له يا قرقياس عسى لقمة وجاب لك الخبز والشوى والحلوى وكل طعام طيب وأنا أقسم وحق محمد لئن برزت إلى هذه النوبة الثالثة لابد لى أن أقتلك وأنت تعلم والله انه قد فرض عليك طاعتى وأنت مخالف فلا تحسب هذه النوبة أحطك بالرفق والله ان ظفرت بك لأجعلنك كخبر كان فبان يا أسود زنيم ويا بغل لئيم مافى قلبك من رحمة فدونك والقتال ثم خرجت إلى بين الصفين وهى من الغيظ كادت ان تبكى وهى تقول لقد فارت كبدى عليك يا عبد الوهاب أخرج إلى حتى أوريك كيف يكون حسابك (قال الراوى) فعندها عرف الأمير ان الأميرة قد اغتاظت وانه ان خرج إليها قتلته بلا محالة هذا والرسول قد مات فى جلده وقال فى الجملة والتفصيل أنا أروح تحت حوافر الخيل ولم يصدق بالانفلات ثم وصل إلى الملك منويل وأعاد عليه ما جرى فقال عقبة أيها الملك اخرج كل ما عندك من الاسارى ويانس وأصحابه لانه وحق المسيح مسلم وينافق علينا هو وبطارقته ويقول نحن لهم معاهدين وسائر الامراء والاصحاب والعرب والسودان وانصبوا الخشب على نية صلبهم وصيحوا إلى المسلمين اقبلوا من عندكم ونحن ما نفادى الا بنورى وقد أخذتموها فى الحال فان فرد مسلم عندهم أحب إليهم من كل من فى الدنيا فقال الملك هذا هو الصواب (ياسادة) ونصبت الاخشاب ونادى منادى الروم باخراج يانس وأصحابه وأبو الهزاهز وقراقد وميمون الجماس وبردين الازهر وسعيد بن الفرج وراشد بن ضمره وسائر أمراء المسلمين وحطوهم على الخشب ودقت النواقيس ونادى مناديهم يامعاشر المسلمين ان أنتم دفعتم الينانورى وكل من عندكم والا فنحن نصلب أصحابكم ونحن عندنا من الروم شىء كثير وسوف تصل عساكر منويل وفيها خلق كثير من ستة عشر اقليم وما يرجع يخرج منكم إلى بلدكم أحد والصواب انكم ترحمون أنفسكم وتدفعون الينا أصحابنا وندفع لكم أصحابكم ونحلف لكم بأن لانتعرض لكم ولا لاصحابكم والا ههنا تحضر آجالكم (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمعوا المسلمين ذلك قالوا والله لقد قالوا الصحيح فى مجىء عساكرهم ولاشك الا انهم قد بعثوا إليهم ونحن فى وسط بلد الروم ولا لنا نجدة ولا الامير تقوم بنا والصواب الفداء (يا سادة) وبعث الامير إلى الاميره فقالت هذاه

كله ما أسمعه ولو صلبوا من صلبوا وما له عندي جواب الا الطعن والضراب (قال) فلما سمع الامير ذلك قال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقعت والله في حيرة هذا هو المرضين المختلفين وان لاقيتها ما أسعد معها شيء (قال) فلما سمع ذلك السوادن راح من عندهم واحد من غلمان قراقد ونادى برفيع من صوته وقد وقف من تحت السور وقال ويلكم أصلبوا البطال مع غلمانه وقد أخذتم نوري وقولوا انه إذا صلبتم أبو محمد بالحياة وعلقتموه باباطه وقلتم له صيح إلى ذات الهمة بان تخلي نوري فانه لا يختار نوري على نفسه فعندها قالوا هذا الصواب وسحبوا البطال في أوائل الناس ورفعوا خشبته وعلقوه بابطيه وفوقت السهام إليه وقالوا ويلك يا بطال قد بقيوا الناس معواقعين من أجلك فقول لذات الهمة تسلم إلينا نوري والا وحق المسيح قضينا عليك فأيقن البطال بالموت وقدمت إليه الاسنة والسهام فنادي عند ذلك برفيع من صوته يا كلاب ارحمونا واطلقوا من عندكم حتى يطلقونا فقال عقبة ويلك يا خبيث نادى بذات الهمة حتى تخلي نوري فقال البطال ما أحسن لغتي كيف أقول فقال عقبة حاشاك أنت مسكين ما تحسن تنطق بحرف واحد ويلك يا قرنان صيح ياذات الهمة خلي نوري حتى يخلونا ايش في هذا من الصعوبة فنادى البطال يا ست المجاهدين ويا سيف الموحدين يامن لا تنسى حقوق الخدمة على طول السنين ويا حافظة العهود لاجل رب العالمين ان كان سني نوري عندك لاجلي فادفعيها إليهم ليطلقونا وان كان من أجل عبد الوهاب فخليها حتى يخلونا وان كان من أجل الخليفة الرشيد بالله فما لنا نحن بهذا تعلق (قال) فلما سمع الامير عبد الوهاب مقالته قال لاستر الله عليك يا كشحان حتى عند الصلب والموت ما تخلي حيلك وتدبير عملك فعندها صاحت الاميرة ذات الهمة برفيع صوتها خلوا من عندكم من سوى البطال وخذوا الملك الفارقيط وأنا فقد خلاعني عبد الوهاب من سوء المقال وأنتم عالم كثير أخرجوا إلى قتالي فان أخذت منكم من يعز عليكم فديت به البطال وان أنتم أسرتموني أخذتم أسيرتي نوري مني فقال الملك وحق المسيح هذا هو الصواب ووقع الرضى ودفعت الاسارى وأطلق يانس ومن معه والامراء بأسرهم ودوغورس وميخائيل والاندرياس والمانسطر والفارقيط وباتوا على إن الروم وتخرج إلى قتال ذات الهمة وبنى كلاب من الغد وقالوا بعد أن لا نقاتل السودان ما تممنا ولا نخاف من أسباب الخلاف وباتوا على ذلك وعند الصباح وصل ملك افرنجه في خمسة آلاف فارس ففرح به الملك منويل (ياسادة) وكان هذا ملك افرنجه جبار عنيد يقال له هيلون ابن بولص وانه كان لم يطيع الملك منويل وان البترك أرسل اليه فلم يخالفه واراد ملك

الافرنج أن يحمل على عبد الوهاب ومن معه فلم يمكنه الملك من ذلك وقال إن بيننا حكومة هذا وإن الملك منويل عظمه وبجله ولم يعظم أحدا غيره وحكى له ما جرى فقال أنا أخرج إليها وحدى ففرح الملك ولما أصبح خرج فى الافرنج وقد ركب الملك الفارقيط وحوله جماعة من خواصه واصطفت الصفوف وتسترت الافرنج بالطوارق وضحك عقبة المنافق وقال أنا أعرف أن الملك هيلون بن بولص ما فى الأرض أقوى منه فيكون اليوم آخر أيام ذات الهمة من دار الدنيا (قال الراوى) وبرز هيلون إلى بين الصفين وجال بين الفريقين وحمل على بنى كلاب فقتل منهم جماعة وحمل على عسكر عبد الوهاب فقتل من السودان ثلاثة وصاحت الروم أيها الملك بيننا وبينهم مهادنة لكن أقتل فى عسكر ذات الهمة فرجع عنهم وقد صعب على عبد الوهاب وقال للسودان كونوا على أهبة الحملة فلا بد لهذا الملعون أن يغدر وأما ملك الافرنج فانه طلب البراز وسأل الانجاز فخرج إليه فارس من أصحاب الأميرة ذات الهمة فقتله وثانى لجندله وثالث فبلبله ورابع فجدله وخامس فأنكله وسادس فأقدمه على عمله وسابع طعنه فما أخطأ مقتله وثامن من موضعه قلقله وتاسع أعدمه أجله وعاشر جندله فوقفت عند ذلك الرجال عنه وفزعت الابطال منه وهؤلاء العشرة رحمهم الله كانوا رجال وأى رجال ووقفت الناس فنادوا الزغاورة إذا حضر العود اصفر وجه الطنبوران أردتى واحدة من ثلثين إما أن تخرجى وإما أن تسلمى إلينا نورى قبل أن يلحقك هيلون ويحطك مقبوره (قال الراوى) عند ذلك خرجت الأميرة وهى متوكلة على عالم السرائر وأن الأميرة جرت قناتها من ورائها وجالت فى أصحابها حتى لان جوادها فى الجولان وكسرت حدة الحصان وحمل هيلون كأنه المجنون وشخص الحاضرون وبهت الناظرون فجال ساعة وترجل عن جواده وافتقد حزامه وشده حتى عاق قوائمه من الأرض وبقيت تاهب فى الهوى ثم أراد أن يركب فنفر منه الحصان فعند ذلك تمطا هيلون ولكمه فى اضلاعه دخلت يده فى بطن الحصان إلى أمعاه فتحير كل من رآه وقال عقبة أسأل المسيح أن يرزق ذات الهمة أخت هذه اللكمه وقد زالت الغمة ونزلت عليها النقمه فقال شومدرس آمين استجب يا مسيح منا لأننا شيخين صالحين لجهنم (يا سادة) وادعى الافرنج بحصان أصفر مثل وجنات العاشق عند الفراق من الحبيب أو لون الشمس عند المغيب غير أنه يطير مع الاملاك ويدور مع الافلاك كأنه من صافنات سليمان وراكبه فى أمان يفوت البرق يوم السبق غدوا ولا يجد الرياح عدوا يطير طيران ثم أن الملعون وثب من الأرض صار فى وسط ظهره ونظر إلى الأميرة بعين الازدراء والاحتقار وحمل عليها من غير محاولة ولا مطاولة وطعنها بالقنطارية

فامتشقت الأميرة سيفها وضربت القنطارية برتها كما يبرى الكاتب القلم وهجمت عليه فلولا سرعة جواده لأدركته الضربة فانتبه هيلون لها وأخذ قنطارية أخرى وحمل عليها وتجاولا وتطاولا وأخذ فى الكر والفر والأخذ والرد والجد والهزل حتى تقصفت الرماح وتثلمت الصفاح وعلا الغبار وحارت الأفكار وادلهم النهار وصاحت الروم من على الأصوار وضج الملك والكفار وكبر المؤمنون الأبرار وصلوا على النبي المختار فتارة يصيران فى الميمنة وتارة يصيران فى الميسرة وتارة عند البلد وتارة عند عسكر عبد الوهاب وتارة عند موضع اللقا ووقفت الخيل من كثرة الشقا فضرب هيلون جواد الأميرة بعامود حديد نثر الجواد نثرا فوثبت الأميرة وجمعت نفسها ووقفت على الأرض ثم ضربت قوائم جواده فقطعت منها ثلاثة أطراف فحذفها الملعون بالعامود فخافوا المسلمين عليها من التلاف فالتقته بدرقة حديد صيني فكان صوت العامود مع صوت الدرقة فطارت قطعتين ووقع الزمع على الفريقين وقال الامير عبد الوهاب لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم لو وقعت هذه الضربة على صور البلد لا نهدم وكانت الأميرة قد تعجبت من تلك الضربة وقد روعها بعد ذلك ثم أخذت العامود من بين يديها وهجمت عليه وقد ظن أنها ايست بالحياة ثم شالت العامود وقالت يا من هو الملك المعبود الذى ليس بوالد ولا مولود ياذا الافضال والجود أعنى على هذا الكافر الجحود ثم ضربته بالعامود فأخذ العامود فى الطارقة فوقعت كانها صاعقة فكانت للطارقة ماحقة ولأضلاعه مع مخه ساحقة ولم يرجع يتحرك له خافقة بل بقى مكانه وقد طرقته من الموت طارقة والأميرة تنادى وقد سحبته من رجله اعتبروا يامعاشر البطارقة فحملت عند ذلك الافرنج الزنادقة فى خمسة آلاف قنطارية خلنجية وطوارق كرخية وحراب ملاوطية وسهام بندقية وعواميد رودسية وأوهاق قسطنطينية وقسى دوقسية وخيول يونانية وسروج بنجاكية ولجم مغلبيطية وقلوب كافرة برب البرية (قال الراوى) ولما نظر الأمير عبد الوهاب إلى حملتهم على الأميرة ذات الهمة العامرية وكان المسلمين يكبروا عن ضربتها التى حارت فيها عقول الطائفتين الاسلامية والنصرانية فحملت السودان فى أربعة آلاف أسود كانها الجواميس والسباع العادية والأفيله العربية وحملت بنو كلاب ورفعوا أصواتهم باسم خالق البرية المتعالى عن قول كل مخالف لدين الحنيفية لا يوصف ولا يشبه بالكيفية رافع السموات العلية وخالق الأرض المدحية وناصب الجبال المرسية وزاخر البحار المجرية العالم بالأسرار الخفية ينظر دبيب النملة السودا فى الليلة الظلما الرحيمة ويسمع صوت تسبيح الذرة عند اصطفاف قعقعة الرعد القواصف القوية ويرى تقلب الجنين بين جنبى مه وهو بين الكبد والطحال والريه ويعلم سبب تحركه بكرة وعشية فيسهل له ما يحتاج إليه من

الكبد والطحال والريه ويعلم سبب تحركه بكرة وعشية فيسهل له مايحتاج إليه من إتمام القضية (ياسادة ياكرام) فسبق فى الحال إلى الاميرة غلامها بارق بحصان قبل هجوم الافرنج عليها فاستوت فى ظهره وأخذت الرمح وكرت على الرجال فى المجال وحامت عقبان الآجال وعملت الصوارم وتزلزلت الارض واهتزت الجبال فيالها من ساعة تقطعت فيها الاعمار وذل كل متكبر جبار فكم من رأس قد طار ودم قد فار وجواد قد غار ووصل الامير عبد الوهاب إلى أمه وقال لله درك أيتها الاميره السيدة الكبيرة فلم تكلمه بل تخرق الزغاورة والروم وترامت أمواج العساكر كشبه أمواج البحر الزاخر العجاج واختلط لون الابنوس بلون العاج يعنى السودان والاعلاج وضاق الفجاج واختلجت القلوب فى البطون أى اختلاج وهاجت السودان فى مقام الهياج واشتغل كل امرىء عن أخيه وأمه وأبيه وطلب كل واحد منهم لنفسه واقية تقيه وتمنا كل بطل انه لم يحضر ذلك اليوم الكريه ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وقد وقعوا فى التيه إلى أن مضى النهار بكلما فيه وأتى الليل بدياجيه وافترق الجمعان وتراجع الجيشان وقد امتلأت الارض من القتلا وانصبغت من الدما وقد قتل من سائر الطوائف خلق كثير إلا أن الأكثر من المشركين وعجل الله بأرواح الأبرار إلى دار القرار وأرواح الفجار إلى جهنم ودار البوار وجعل المسلمون يفتقدون بعضهم بعضا فهذا قد فقد أخاه وهذا قد فقد أقرباه ولا شاهد المسلمون ولا رأى الموحدين أعظم من هذا اليوم وكذلك سائر الروم والأرمن والانجار والبجاك والمغلبيط والصقلب والزغاورة فقتل منهم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى وطلب الامير عبد الوهاب الاميره ذات الهمة فلم يجد لها خبر ولا وقع لها على أثر ورجع كل الاصحاب إلى الامير ولا فيهم من يعلم ما كان منها فقال الامير عند ذلك لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله ما تأخرت الاميرة إلا وقد قتلت أو تكاثرت عليها الرجال فتقنطرت وهى السعيدة استشهدت فى طاعة الله تعالى لكنها مضت إلى لقاء الله تعالى وقلبها على غير طيب لما جرى من أمر نورى والبطال والله ماطاب لى عيش من بعد فقدها أبدا ثم جعل يفتش القتلى ويمسح الوجوه من الدما بغير عبرا كانه الوالهة الثكلى أو الحبة على المقلا والعرب تقول له أيها الامير عليك بالصبر وحسن العزا وما من عادتها أن تقف هذا فى عسكر الاعداء وهذا عسكر أمة محمد المصطفى وأريد كان تفتشوا القتلا (ياساده) ففتشوا عند ذلك القتلا فلم يجدوا احدا فبكا الأمير عبد الوهاب وانشأ يقول

خلى أندب الديار وأبكى وأجول الدموع فوق التراب
غاب عنى خلى فزاد بكاى كفريد فى حرقة واكتئاب

في بلاد الأعدا في معركة الحرب فأنا في لوعـة واكتئاب
ناح من لم ينح عليها بدمع هاملات كما تسـح السحاب

(قال الراوي) ودار وا الناس يمينا وشمالا فاوجدوها وأن السودان قتلت أنفسها وبني كلاب قد علاهم البهت والانتحاب وقد لطموا خدودهم وظهورهم (قال الراوي) وكان في سودان الأمير جنس يقال لهم الدما دمه وكان لهم عادة إذا حزنوا قطعوا آذانهم فجعل بعضهم يقطع آذان بعض فنهاهم الأمير عن ذلك وكثير منهم جرحوا أنفسهم بالخناجر عماجري وهلبت الخيل وكان عندهم جاسوس البلد فعرف حالهم ومضى إلى الروم وأخبرهم فلما سمعوا الروم ذلك قال الملك منويل الآن عمرت بيوت النصرانية بعد قتل ذات الهمه (ياساده) وأما شوما فانها باست الأرض وقالت أخذ المسيح بثار الشاب الصالح دهرشوم المنغص بشبابه ثم انشالت العود وعملت الخلوف وخلفت الكنيسة كلها (وأما عقبة) فانه رما روحه على الأرض والجاسوس يبوسها وقال ما أطيب هـذه الليلة المباركة وما أحسنها ونعمة ما أكملها ورحمة علينا المسيح قد أنزلها وبني كلاب ما أيشمها وحق المسيح ما كان قوام دين الإسلام إلا بها وقد رأيتم ما فعلت بالملك هيلون وذلك العمد (قال الراوي) وإن الزغاوره وقع عندهم الفرح وجعلوا يرتصون وأظهروا السرور والطبول والزمور فدخل عقبة عليهم وقال ياأولادي أنا كنت قد نزرت المسيح إذا قتلت ذات الهمة أوماتت أفرح وأرتص والآن فقد قتلت ثم رتص هووشومدرس على هيئة رقص الدادات وفرحوا غاية الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد (قال الراوي) وإن البطال سمع الخبر وقيل له قد قدم الجاسوس وأخبر أن ذات الهمة قد قتلت وقد هلبت بني كلاب أذناب خيلهم وقطعوا السودان آذانهم فعرف البطال أنهم عند المصائب يقطعوا آذانهم وصح عنده ذلك الخبر وبكا واستعبر ولولم يكن مكتوفا لكان ضرب نفسه بسكين وقال أنا كنت السبب في هلاك ست المجاهدين (ياساده) وأن عقبة دخل إليه وهو على تلك الحال وقال يابطال يهنيك هذا النهار المقبل السعيد مات نصف الإسلام لارحم المسيح منها مغرزا بره وما انفطرت كبدي إلا بقولكم إنكم تصلبوني على الذهب صنم المسيح وجوهكم اليوم ذات الهمة وغدا عبدالوهاب وقد انكسر عسكر الإسلام وظفرت أنا بالعوام فطيب قلبك فلا بد للراهبة ما تشرب من دمك خمسة أرطال فقال البطال أنا ما أيئس من رحمة الله تعالى (ياساده) ثم إن البطال بكا وأن واشتكا هذا وإن عقبة رجع إلى عنوان شبوبيته وانقامت حدبته وأقبل إلى الملك وقال أيها الملك هلك أعداؤك وصاروا من كل سوء فداؤك الآن إن وصلت عساكرك من بلاد

القسطنطينية لم يثبت بين يديها ساعة واحدة وقد انهدم ركنهم وراح عزهم والعرب والسودان ما كانوا يجتمعون الا لها والآن يذهبون عنه بعد ماقد أصابها ففرح الملك وقال هذا إلهنا للملك الفارقيط لانه قد بلغ ممن كان يمنعه حبيبته ثم طلبه الملك منويل فما وجده حاضر عنده فامر بأن يطلب فطلب فلم يوجد (ياساده) فكان القوم كانوا نيام فانتبهوا وقالوا وحق المسيح قد قتل الملك الفارقيط وانقلب فرحهم ترحاً وتصارخت الزغاورة وغلمانه وأصحابه وارتفع البكا والضجيج فقال البطال لغلمانه ويلكم ماحالكم فقالوا قد قتل الفارقيط وهذا سمعناه من الموكلين علينا فقال البطال قد قلت للقرنان وهو يبوس نورى ما هذا وقت البوس فان الأعداء على الأبواب من السودان وبنى كلاب فما صدقنى والملكة نورى فما بقى لها طالب والساعة يسلموها إلى الروم لأنى آمن من جهة عبد الوهاب فانه فى هذا الوقت ماقلبه فارغ لها فقال له غلامه كم تهدش فى نورى حتى تضرب رقابنا كلنا أما عندك شغل من قتل الأميرة ذات الهمة فقال البطال وكانها قتلت فقال ماالساعة كنت تندبها فقال بالله يابديع فعلموا غلمانه أنه ليس فى الوجود وانه قد صار كالعشاق الأولين مثل قيس المجنون وقيس بن ذريح وبشر صاحب هند وعروة صاحب عفراء وغيلان مى والأحوص صاحب عبده وكثير عزة وجميل وأمثالهم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الزغاورة فانهم أشعلوا الشموع والمشاعل وخرجوا يفتشون على الملك الفارقيط بين القتلى ثم فتحت أبواب البلد وطافوا على القتلى قال عقبة إن وجدتم ذات الهمة أتونى بها حتى أحرقها وأنا أعطى لمن يأتى بها عشرة آلاف دينار (ياسادة) فلم يجدوا ذات الهمة ولا الفارقيط (ياسادة) وان الامير رأى الضوء من باب البلد قد خرج أرسل جاسوس يكشف له الخبر فعاد إليه وأخبره أنهم يفتشون على الفارقيط فما وجدوه فعندها قام الامير على قدميه وقال ياترى الاميرة فى الحياة هى والفارقيط هذا ما يكون أبدا ولو كانت سالمة لكانت قد رجعت فهو كذلك وإذا بصايح من وراء العسكر قد صاح الله أكبر الله أكبر فقال الامير ماالخبر وكان الصايح ذات الهمة وقد أقبلت سالمة غانمة وهى تجنب حصان عليه واحد مربوط ورجليه إلى بطن الحصان فصاحت العربان وتبادرت السودان وضج أولياء الرحمن وصاحوا صيحة واحدة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وخر الامير ساجدا لله تعالى وترجلت الاميرة وكانها قد جاءت من الآخرة ومعها الفارقيط أسير حقير (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب فى ذلك ان الاميرة ذات الهمة رضى الله عنها لما قتلت ملك الافرنج هيلون بن بولص وقاتلت باقى النهار كما ذكرنا فهى كذلك إذ لقيت الفارقيط وقد

وقع بها التعب والكلام فطمع فيها وفى أخذها وقاتلها إلى المغيب قتالا لم يسمع قط بمثله إلى ان رأى نفسه فى أموره ناقصة والاميرة كلما هى فى زيادة عندها أطلق رأس جواده وطلب باب البلد فصاحت الاميره بجوادها فخرج من تحتها كالشهاب وشق الكتائب وهى من ورائه كالباز الطالب وأين المفر من القضاء اللازب وأبعدوا فى الرستاق مقدار ثلاث فراسخ فلما رأى الاميرة قد أدركته علم أن لا بد له من قتالها فعطف وناداها ما كان بين يديك من الروم غيرى تشتغلى بقتاله قالت لا لأنى أريد آخذك وأفادى بك أبو محمد البطال فقال ذلك منكى بعيد ثم انه حمل عليها وتجاولا ساعة فطعنها فبطلت الطعنة عليه وضربت قناته برتها كما لا يبرى الكاتب القلم ثم ان الاميرة قحمت عليه فطعنته بعقب الرمح فى صدره أرمته إلى الارض ونزلت إليه وشدته كتاف وأوثقته على ظهر جواده وجنبته وراءها وسارت طالبة العسكر على مهل وقد اختلط الظلام إلى أن وصلت كما ذكرنا وفرح الامير ووقع التهليل والتكبير ومضت جواسيس الروم وأخبروا أن ذات الهمة عادت سالمة ومعها الملك الفارقيط أسير فطابت قلوبهم من أجله هذا وقد أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وعقبة قد تزندق وفاض معه الغيظ والحنق وقال ما أظن المسيح بعد هذا يقدر على هؤلاء ولاهم من خلقته لانهم لو كانوا خلقته لكان قادر عليهم فقال له شومدرس أسكت لا تكفر يامشوم ويلك تقول ان المسيح يخاف منهم ولا يقدر عليهم وإنما دهرشوم قد عصرت منه الحلقوم وتركته بعدها لا يقوم (ياساده) وسمع البطال ذلك فضحك ونادى ياقاضى عقبة صدقت والله فى قولك ان المسيح لا يخلقهم ولا له قدرة عليهم ولو كان هذا اعتقادك لكنت مسلم والله ان المسيح ما رضى بهذا القول الذى تقولون فيه وهو القائل عن نفسه كما أخبر الله عنه قال انى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الآية (ياسادة) وعلمت الزغاورة أن ملكهم عند الاميرة ذات الهمة سالم وهو مأسور فقال الملك منويل نريد نفادى بهذا الشيطان الذى عندنا وأى شىء ينفعنا قتله فكم عندهم شيطان مثل هذا البطال فقال عقبة ما هذا صواب وان قتل هذا الشيطان أوجب ما يكون فقال البطال اقبلوا من عقبة هذا الرأى يروح ملككم الفارقيط عوضى وأوفى منى وإنما أنتم ما تصيبون مثل الملك الفارقيط لان عقبة يريد أن يقتل ملككم ويعطى نورى الملك منويل ويأخذ مدينتكم فقالوا صحيح وحق المسيح هذا وعقبة يقول ياويلكم اقتلوه فعندها وثبوا إلى عقبة وقالوا له أنت تريد قتل ملكنا من غير جناية فعلها معك وجعلوا يلطموه إلى أن غمى عليه ولولا أن الملك منويل منعهم عنه لكانوا قتلوه (ياسادة) وأرسلوا إلى الاميرة

وفادوا البطال بالفارقيط فدخل الفارقيط إلى بلده وجاء البطال وغلمانه إلى عسكر المسلمين فلما وصل البطال إلى عند الأميره ذات الهمة رمى نفسه على أقدامها يقبلها فمنعته من ذلك وهنته بالسلامة وقال لها هكذا يكون التعصب والحميه فى الله تعالى (قال الراوى) وأتى إلى الامير عبد الوهاب وسلم عليه وقبل يديه وعلى جميع الناس سلم وهنوه بالسلامة وحكى لهم كلام عقبه وما جرى منه وان البطال قام يمشى حول الخيمة التى فيها نورى ونظر من بين الاطناب وهو كانه نمس يريد أن يهجم على الدجاج فقالت الاميره ياأبا محمد مالك اليها سبيل فى هذه الساعة فقال البطال ما يكون قد رجعتى فيها وتريدى تعطيها لولدك عبد الوهاب فقالت لا والله انما هى لك وقد وهبتك اياها وصارت مملوكتك فقال أبو محمد أريد أتفكه فى ملكى كما أحب وأختار فقالت الأميرة اعلم ياأبو محمد انها تهوى الملك الفارقيط ومادام انها فى أرضه وهو فى الحياة لا تطاوعك أبدا ولا تقدر عليها وأنت تعلم قوتها وشدتها ومع هذا لو رفستك رفسة قتلتك فقال والله صحيح لاستر الله عليها لأنها بهذه الصنعة قد تعودت ثم قالت له الاميرة اصبر ياأبو محمد حتى نأخذها إلى ملطية وأزفها الك بالحلى والحلل والثياب والمغانى وهى منقشة مكتبه كما تشاء. وأعمل الك الخلنجا والخشتنانك والسكبا والمامونية فقال أبو محمد هاتيها انى بلا وليمة ولا زينة فضحكت الاميرة وقالت دع عنك الطمع فربما قتلتك ونحن اليوم راحلون إلى بلاد الإسلام إن شاء الله تعالى ثم ان الاميرة أقبلت على الامير عبد الوهاب وقالت مابقى لنا مقام وربما أتوا عساكر الروم ويطول مقامنا فارحل مقامنا فارحل فقال الأمير الرأى عندى أن نقدم الثقل الذي غنمناه من الروم مع سيف الحنيفية ومعه ألف فارس وهم بين أيدينا ونحن ههنا إلى أن يقطع عشر عشر فراسخ ونأمن الطلب ونسير على مهل إلى ملطية فان لحقنا عسكر لقينا ونحن جريدة فيكون أمكن ويكون المال قد مضى قدامنا فقالت الأميرة هذا هو الصواب (قال الراوى) وأرسلوا سيف الحنيفية ومعه ألف فارس والغنائم والأموال وأقاموا يومهم ذلك وقد مضى البطال صحبة نورى قدام وكان قصده بذلك حتى لاينظر إليها أحد وقد رفعت فى قبة الملك منويل وكانوا قد أخذوها من عسكره وقت الكسرة وهى من العاج مصفحة بالذهب الوهاج مفروشة بأنواع الديباج فقالت الأميرة ذات الهمة لقد بلغ من قدر هذه نورى أمر عظيم فقال البطال نعم يصلح لها لانها بنت ملك ولو كان أخذها منويل حملها على قفاه فضلا عن وطاه ثم ساروا وتركوا الأميرة هذا والبطال كلما تطلع إلى نورى من جانب أعرضت عنه إلى جانب آخر وسار سيف الحنيفية وقراقد معه والألف فارس

(ياساده) وان الأمير عبدالوهاب صبر إلى آخر النهار ورحل على مهل (قال الراوى) وعند رحيله وصل عسكر عظيم جرار كانه البحر الزخار (قال الراوى) وكان السبب فيه أن حرب ابن شيبان المتنصر لما أبطأ عليه خبر الملك منويل خرج من القسطنطينية وجمع عساكر المتنصرة وقال لهم عولوا على الرحيل إلى خدمة الملك منويل ثم جردهم فكانوا سبعين ألف ووصل ملك البجناك فى أربعين ألف فارس وساروا الكل إلى أن وردوا إلى الملك منويل وقالوا نحن نريد نلحق بعساكر المسلمين فقال الملك منويل ماهذا صواب خلوهم يمشون عنا فلاقرب المسيح خطاهم ولا أبقى لهم آثار وأخرب منهم الديار فقال حرب بن شيبان إنى قد سمعت بأنهم قدموا الغنائم بين أيديهم وما مضى معها إلا ألف فارس وقد أخذوا على طريق العيون حتى لا يقل عليهم الماء والطريق الأيسر أقرب بخمسة عشر فرسخ وأنا آخذ العرب وأسير وأسبق وآخذ جميع مامعهم وأثقالهم ونورى أيضا وأقتل كل من معهم وإلا فلا فائدة فى وصولى إليكم فقال عقبة هذا هو الصواب والبطال لا تأتينا إلا به أو برأسه فقال الملك الفارقيط وأنا أجىء معكم ثم انتخب من فرسانه خمسة آلاف وحرب بن شيبان وأصحابه وساروا يقطعون الطريق إلى أن ذهب النهار وساروا طول الليل إلى أن أصبح الصباح وقد حصلوا فى الموضع الذى فيه يريد الثقل أن يعبروا فأقاموا بين التلال مكمنين فهم كذلك اذقد وصل سيف الحنيفية وقراقد والبطال ونورى فما هم الاان نزلوا وحطوا الاحمال والرجال قد صاحت عليهم من سائر الجهات فظنوا ان يوم القيامة قد قامت وضربوا الجماجم بالصوارم وضربوا حولهم سرادق ساعة من النهار وعمل الصارم البتار وحل البلا وقل العزا وأرملت النساء وامتلأت الارض من القتلى ووضع فى البطال أكثر من عشرين ضربة فوقع بين القتلى لا يسمع ولا يرى وقد سالت منه الدما وأخذت نورى وقتل أصحاب سيف الحنيفية وأسر الأمير قراقد والامير سيف الحنيفية يجالد ويجاهد فى طاعة الملك الواحد وانهزم بعضهم وهم مجروحين والتقوا بالامير عبدالوهاب والاميره ذات الهمة فقالوا لهم ويلكم ماوراءكم فقالوا الويل والحرب قتلت الرجال وأخذت الاموال وقتل أبو محمد البطال وما سلم غيرنا فقال الامير ويلكم ومن فعل بكم ذلك فقالوا الروم ورأينا حرب بن شيبان معهم (قال الراوى) وكان منويل أراد ان يقعد فقال له عقبة ماهذا صواب فربما يزقوا النصر فينتسب ذلك إلى حرب ابن شيبان فاذا كنت أنت معهم ماينسب إلا اليك وأيضا تأخذ مثل نورى ونرجع إلى مدينة القسطنطونيه وان تكلم الفارقيط اضرب رقبته وتقطع بلاده لنورى فقال الملك هذا هو الصواب ولحق بحرب ابن شيبان فى بقايا العسكر وعقبة معهم الى أن وصلوا

إلى الموضع قبل ما يصل الثقل والسودان وأكمنوا مع حرب بن شيبان وجرى ما جرى وما قد سمعتموه (يا سادة يا كرام) ولما سمعت الاميرة بقتل أبو محمد البطال قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا رأيك يا عبد الوهاب ولم يكن ارسالهم بين أيدينا صواب لاننا فى بلاد الاعداء وعقبة من وراء ظهورنا وهو يفتح باب البلا ثم قالت فى أى طريق أخذوا قالوا على الطريق اليسرى فقالت الاميرة هى أقرب من ههنا وهى قريبة ولهذا سبقونا ثم خرجت طالبة الطريق اليسرى إلى أن سبقتهم وخرجت من بين أيديهم ولم يكن بقى منهم الا سيف الحنيفيه وهو يقاتل وقد تحير منه كل بطل وقتل من أصحابه مائة رجل فصاح عقبة ويلكم اطلبوا جواده بالسهام والرماح إلى ان يقع وقطعوه بالصفاح فجعلوا يضربون الجواد بالنشاب وهو يأخذه من كل مكان فنزل سيف الحنيفيه عن ظهر جواده وجعله وراءه وقال والله لا تركتهم يصلون إلى قتلك حتى أعدم الحياة أو يأتى الفرج لى من عند الله تعالى (قال الراوى) ياسادة ياكرام وفى تلك الساعة وصل الأمير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة فيالها من ساعة ما كان أيشمها على الروم وأبركها على المسلمين فتكسرت الرماح وتثلمت الصفاح وتصادمت السودان والاعلاج وهمهمت العرب تحت العجاج وطارت الارواح من الاشباح وعدمت وطلبت النفوس السلامة فما سلمت وأظلم وجه الارض من القتلا الذين عليها قد تكاثرت ونسائم الموت قد نسمت وقوائم الآجال قد تقدمت وخلصت الغنيمة التى كانت قد غنمت وأدرك الأمير عبد الوهاب سيف الحنيفية وهو على ذلك الحال فكشف عنه الوبال وقال لله درك ياولدى لقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل واحتوى على الغنائم (يا سادة) واما عقبة فانه قال للملك كيف ترى كنا منصورين لولا هذه الطائفة السودان وحق الصلبان بعد أن وصلوا هؤلاء لابد ان يحل بنا الهوان فاقبلوا منى واطلبوا الهرب وإلا وقعتم كلكم فى العطب (قال الراوى) فانفرد الملك وجماعة من الملوك وعقبة معهم وترجلوا عن خيولهم وصعدوا الجبل لينزلوا من ورائه هذا وان الاميرة لم تجد نورى فى الغنيمة فعلمت ان الملك الفارقيط قد أخذها وطلب النجاة فتركت الناس فى المعمعة وأخذت معها من بنى كلاب أربعمائة فارس وطلبت الطريق الذى تأخذه إلى بلد الفارقيط (قال) وكان الفارقيط لما رأى المسلمين قد أقبلوا علم انه يوم مذموم على المتنصرة والروم فأخذ نورى وألف فارس من أصحابه وسار طالب بلده وهو آمن فهو عند الصباح والاميرة ذات الهمة طلعت من ورائه بالخيل فرجع اليها وقد طمع فيها لما رأى قلة أصحابها وحمل عليها فى ألف فارس فما كانت الا ساعة حتى رأيت أكثرهم

رؤس بلا أبدان وأبدان بلا رؤس وان الفارقيط حمل على الاميرة ذات الهمة ولم يعرفها فعند ذلك حملت عليه وقالت له ويلك يا ملعون أمس أطلقتك من يدى والكلب يعرف خانقه أما تعرفنى يا مذموم أنا فاطمة بنت مظلوم الآفة على الروم (قال) فلما ان عرفها طلب الهرب فلم يكن له إلى الهرب سبيل ثم أنها فاجأته مثل السيل المسيل وطعنته فى صدره واذا به عن حصانه يميل وخرج الرمح من ظهره ولم يبق إلا القليل ووقع على الأرض معفر ذليل ثم هجمت على نورى وقالت والله يا ملعونه لقد أتعبتينى غاية التعب فقالت نورى المسيح يعلم من قد أتعب صاحبه (ياسادة) ولم يكن مع نورى من الجنان ما تبارز الاميرة لان الاميرة أسرتها مرار فسلمت نفسها وغنمت الاميرة الخيل والاسلاب ولما قتل الفارقيط انهزم باقى عسكره (قال الراوى) وان الاميرة ذات الهمة سارت راجعة فى لحف الجبل وقالت لمالك ابن طوق لا يخلو ان يتعلق بهذا الجبل من المنهزمين من يكون فى أخذنا له فائدة ولعل الله يوقع الملعون عقبة فى أيدينا ثم انها أخذت خمسين اسود فيهم أبو الهزاهز وأبو الهول وجماعة من السودان وطلعت إلى الجبل وساروا رجاله هذا وقد وكلت بنورى السودان حتى لا تهرب فهم كذلك وإذا بجماعة قعود وكانوا هؤلاء الجماعة الملك منويل وعقبة والدمشتق ودوغورش وسائر ملوك النصرانيه وقد تحطموا طول ليلتهم مما يتعبرون فى الصخور التى فى الجبل ومما يقعون ويقدمون فلما أصبحوا وقد هلكوا لان رجليهم ناعمة فترهلوا (ياسادة) وما لهم عادة يمشون بين الاحجار فقال الملك قد هلكتم والاسر راحة الينا من هذه الحالة فقال عقبة السلامة من السودان هى الغنيمة الكبرى وهذا آخر الليل وتنحدر من ههنا إلى الرستاق ونأخذ الخيل من بعض القرى ونمضى سالمين ولو وقعنا فى أيديهم ما ندرى يقتلونا أو يطلقونا او يبلغوننا وسناو بعدان نجينا من أيدى الحجامين ماهمنا شيء (قال الراوى) فهم فى الكلام واذا بالاميره قد ظهرت فى لحف الجبل ولهم همهمة وهم على عجل فقال عقبة أحسنت يا مسيح لاعدمنا هذه الهمة الشريفة أتيت لنا بالسودان ألوان القطران ابن الملعون شو مدرس القرنان حتى يقول لى كفرت بربوبية المسيح (ياسادة) ثم ان عقبة نظر فى أوائلهم الاميرة ذات الهمة فقال أنا قلت ماتت ثم جعل ينتف ذقنه وأما الملك منويل ومن معه فانهم ماتوا فى جلودهم من الخوف فعندها أدركتهم السودان والاميرة ذات الهمة ولم يكن فيهم من يقدر يمشى على رجليه فأخذت الاميرة الجميع وكتفتهم كتاف وجميع ثم ساقتهم قدامها وفرحت غاية الفرح وقالت لعقبة يا قاضى كيف ترى صنع الله باوليائه وكيف يلبسهم أردية النصر ويتوجهم بعمائم السعادة فقال عقبة لا أفلح من كنتى تعاديه

هذا وان الاميره أرسلت بعض أصحابها حتى يعلمون الامير بهذه الغنيمة العظيمة ويعلم بأسر عقبة والبترك ونورى ومتويل والملوك وقتل الفارقيط (قال الراوى) يا ساده يا كرام وكان الامير عبدالوهاب قد طلب الاميره فلم يجد لها خبر وسأل عنها فقيل له انها أخذت معها جماعة وسارت متبعة آثار الكفار فهو كذلك واذا بالبشير قد وصل وحضر بين يديه وسلم عليه وأخبره بجلية الحال وما فتح به الكبير المتعال فحمد الله وأثنى عليه وسجد لله شكرا على ذلك وقال ليس أحد فى الدنيا له همة كهمتها ولا عزيمة كعزيمتها فلله درها ثم تمثل يشكرها بهذه الابيات

يمضى الدهر وما لنا يشبهها ... فى هذه الدنيا ولا بمثالها
ولقد جاوزت المذابح كلها ... بعلو همتها وحسن فعالها
هى حامية شرع الشريف محمد ... بضرابها وطعانها وقتالها
وهى التى يروى جميع حديثها ... وهى التى فى الحرب شاب قذالها
أيضا وفى يوم القيمة ترتجى ... جنات عدن حين طاب ظلالها

(قال الراوى) ياساده يا كرام ولما فرغ الامير من أبياته وصلت الاميره وسلمت على ولدها وهنته بالظفر وهلاك من جحد وكفر وقالت يا بنى ما صنع الله بأبى محمد البطال فقال يا أماه مالى به علم من المصاف الاول ونحن قد اشتغلنا لأجلك عن طلبه فقامت الاميره وهى تبكى وتقول والله لئن تم عليه أمر لا أخلف الزمان بمثله أبدا (قال الراوى) ياساده يا كرام فبينما هى تفتش وجوه القتلاء وهى مخضبة بالدما وقد أقبلت إلى مقتلة عظيمة فوجدت البطال ملقا على وجهه وفيه عشرون جرحا فأقلبته واذا به قد فتح عينيه فصارت الاميره تصيح فى وجهه يا أبو محمد ذهب الشر وزال الضر شد قلبك فانا الاميره ذات الهمة وقد أخذت لك نورى (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع أبو محمد بذكر نورى جلس وقال سبحان من نجانى وأحيانى والآن فما صنع الله بنورى والا أنا هنا فى موضعى مقهور فقالت الاميره أما نورى فانها فى خيمتها مثل الشمس الطالعة فقال البطال قومى بنا إلى عندها فقالت يا أبو محمد طب نفسا وقر عينا فقد قتلت الفارقيط ثم أمرت باحضار رأسه فأقبل البطال على الرأس يخاطبها وقد عرفها وهو يقول ويلك ماقلت لك اترك نورى من يدك فالآن قد لحقت روحك بالنار وحظيت أنا بقمر الاقمار ثم رجعت الاميره والبطال إلى الخيام وقالت له فى ملطية يكون زواجك بها ان شاء الله تعالى ثم قالت الاميره ماترى يا أبو محمد فى هؤلاء الملوك قال نضرب رقابهم وأنتم إلى القسطنطونيه ونصلب عقبة فهذا وقته (قال الراوى) ياساده يا كرام وكانت الملوك يسمعون ذلك فقال عقبة بحق دينك اضرب رقبتى حتى أستريح من هذه الحياة النحسة فلا أفلح من أنت خلفه فأحضرت الاميرة ولدها عبد الوهاب واعلمته برأى البطال فى صلب عقبة فقال ملك الروم وحق المسيح ما هذا إلا رأى قبيح ثم أقبل

على أبي محمد وقال له لا تفعل واجرينا على عوائدك الجميله ولك حق الرسالة عشرين ألف دينار فقال البطال الصواب أن نأخذ منهم المال وما قدرنا ولكن بشرط أن يخلو بيننا وبين عقبة ومرادنا أن نصلبه على باب الذهب وأعقد معكم الهدنة أربع سنين والأمير عبد الوهاب ما يخالفني فيما أمره به وهو يعلم إني ما أشير عليه إلا بما فيه المصلحة فقال الملك منويل لا تفعل يا أبو محمد وإن لم يقع الصلح على الشيخ النجيح وإلا هانحن بين أيديكم فكروا الى هذا الاتفاق وأنتم إذا قضيتم لنا حاجة فما تضيع عندنا فقال الامير عبد الوهاب قد أجبت إلى ماقالوا (قال) فقطع عليهم البطال ثلاثة عشر حمل مال يثلم أوزانهم الاالله وقال لهم اعرفوا قدر ما عملته معكم فاتكم قلتم لنا لما كنا عندكم أسرى نحن نشتري أنفسنا منكم بالاموال وأنتم لما تقعوا عندنا ما نأخذ منكم إلا الأرواح فنحن ما علينا من كلامكم لاننا دائما نمسككم ونأخذ أموالكم فقال الملك مانحن الاشاكرين ناشرين فقال الامير بشرط ان يكون عقبه عندنا إلى حين يحضر المال هذا وعقبة قد لحقه القولنج وهو يكفر بالمسيح ويخالف بطرس وجرجيس فعند ذلك أطلق الامير عبد الوهاب البترك والدمشتق حتى يمضوا ويأتوا بالمال فساروا مجدين إلى القسطنطينية فهذا ما جرى (وأما عقبة) فانه قال للبطال ياشيطان وحق المسيح مابي الا كيف تخرج روحي وأنت في قيد الحياة فقال البطال والله ياقاضي عقبة لو قبل عبد الوهاب من مشورتي لما كان رحل من ههنا الا إلى باب الذهب ويصلبك هناك ولكنه طامع في المال هذا وان الاميرة ذات الهمة قالت للأمير عبد الوهاب ما بقي الا الرحيل فحملوا أبو محمد في محفة لانه مؤلم موجوع من الجراح وسارت الكتائب ومعهم الغنائم ماسد الافق ومعهم أيضا الملك منويل وميخائيل وسائر ملوك النصرانية ما خلا البترك والمانسطر فانهما سارا إلى القسطنطينية لجمع المال وساروا يقطعون القفار والروابي والاوعار حتى وصلوا إلى ملطيه وهم آمنين مطمئنين وقد فتح الله عليهم بالنصر والظفر فخرج أهل البلد اليهم بالخوف والزعفران كما جرت عادتهم وقد نشرت لهم الرايات ونعرت البوقات (قال الراوى) وقسم الامير عبد الوهاب الغنائم ما خرج الخمس للخليفة واستغنوا الناس وبعد ذلك نادى الامير عبد الوهاب يا معاشر العرب اعلموا ان الامير أبو محمد قد جرى عليه ما جرى وماقد علمتم وهو كما ترون وهو يريد يعمل له عرسا فليعطه كل واحد منكم مما غنمتم (قال الراوى) فحملت إليه السودان وبنى كلاب الاموال حتى صار عنده لا يحصى فقال أبو محمد دعوني من هذا كله فاني أريد الانجاز فقالوا أنت في هذه ما الحالة اصبر حتى تبرأ وخذها فقال ماأنا الا في عافية بخير فسلموها إلى فقالوا نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ثم ان الاميرة ذات الهمة جعلت تداوي أبو محمد شهرا كاملا

حتى برئت جراحاته وكان الملعون عقبة قد اجتمع بالملكة نورى لما كان فى بلد الفارقيط وقال لها أنا أعلم إن البطال ما يتخلى عنك ولا بد له منكى ثم ناولها خاتما كان معه فى فصه سم قاتل وقال لها إذا خلا بك أبو محمد فى مكان واحد اجلى قلبه بحديثك ثم اطرحى له من هذا السم فى شراب أو فى طعام فاذا مات دبرى فى خلاصك وأنا أعلم أنه ساعة ينزل فى جوفه ينزل لحمه عن عظمه فأخذت الخاتم منه وتم معها فلما جرى وحصلت نورى الأمير أبو محمد وبرىء مما به ودخل إلى الحمام فعند ذلك أقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها يا أميرة ما هذا الانتظار وما بقيت أجد اصطبار فقالت الأميرة الآن يا أبو محمد ما أنا إلا مهتمة فى قضاء حاجتك إلى أن تبلغ مرادك وأمنيتك ولكن أحضر الشهود وتوكل على الملك المعبود (قال الراوى) فعندها أحضر القاضى والشهود وقد أيقن البطال ببلوغ المقصود وكتبوا كتاب نورى على أبى محمد البطال وهو لا يصدق بذلك وقد زال البعد والمطاولة هذا والبطال قلبه إلى وصالها قد مال وأمسى الأمير فى أبرك مساء وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد زاد به الانشراح (قال الراوى) وقد زينت الأميرة ذات الهمة دار الامارة وأوقدت الشموع والقناديل وجلس أبو محمد على منصة عالية وقد لبس البدلة التى كانت على الملك الفارقيط ليلة عرسه وبعد ساعة خرجت نورى وهى تميس بالقد الرجيح وقد سلبت عقول الرجال وهى تتمايل تارة وتنعطف تارة وتتبختر طورا وتضحك عجبا وتبكى حزنا ورونق الجمال قد غمرها فلم يبق قلب إلا أسرته ولا جسم إلا علته (يا سادة) وأما الأمير عبد الوهاب فانه نظر إلى ذلك فلم يقدر على المقام من الغرام ومضى إلى منزله مستهام (قال الراوى) وخرجت الملكة نورى وهى فى خلعة العلا بقباء بندقى بدلالات زركش على حرير لازوردى وطرحه ذهب وترابوش على رأسها جوهر وهى كأنها كوكب ونادوا يا أبو محمد تسلم فلما سمع ذلك فرح الفرح الشديد وأخليت الملكة نورى على الأمير أبو محمد البطال فقال للأميرة لا تغفلى عنى فإننى أتيقن فى نفسى إننى ما أنا من رجال نورى وفى قلبها منى بغض عظيم وأنتى تعلمى أن ما فى أبطال المسلمين من يقاومها فى الحرب غيرك وأنا والله ما أنا من رجالها وعقبة لعنه الله ألقى فى نفسها منى أمرا عظيما فقالت الأميرة والله يا أبو محمد إن لم تعمل حيلة تقدر بها عليها وإلا فما تصل إليها فقال لها سوف ترى العجب ثم أخليت نورى مع أبى محمد وهى قد أضمرت له شرا فى نفسها وهى عازمة على ذلك السم الذى كان أعطاها عقبة وإن لم ينجح قتلته بيدها وقد تقدم فى الأول قوتها وشدتها (يا سادة) وإن الأمير أبو محمد دخل معها وقد أرخيت الستور وانصرفت الناس وقد بقى كل واحد فى قلبه حسرة وأن أبو محمد جعل

يتخضع الملكة نورى ويقول لها أيتها الملكة العظيمة والسيدة الكريمة ارحمى عبدك الذى قد أسره الهوى وملكه الجوى وهو كأنه ليس فى الدنيا واعلمى إنى رفيع القدر فى الإسلام وإن المسلمين والرشيد ومن سواه كلهم إذا أرادوا شيأ وأريد أنا شيأ غيره ما يكون إلا ما أريد أنا فلا تنظرينى بعين النقص ولك على من الأموال ما حملت إليكى وإن أردتى أن تكونى على دينك فما أكرهك على ما لا تريدين وارحمى البطال المسكين الذى قد أجهده هواكى وأنتى الخبيرة بذلك وقد بان لك كيف أراعى النجوم ولا عهد لى بعلم النجوم وجنح الظلام وكيف ينام فتى لا يقر إذا نام عنه جميع الانام يشار إليه أسير الهوى فصار قتيل الهوى والغرام لفرط النحول وحزن العليل وحرب يذيب لطول السقام ولم يبق منه سوى اسمه يقال له عاشق والسلام (قال الراوى) فرفعت طرفها إليه وقالت برخيم كلامها حتى تحتوى على قلبه دعنى يا أبو محمد ومن كلفك تجىء (قال الراوى) فلما سمعت نورى من أبى محمد ذلك علمت أن ما فوق هواها هوى وأنه أسير فى قبضة الجوى فقالت له عند ذلك دعنى من الكلام أريد شراب سكنجبين فانى قد أخذتنى الصفرة من السهر وكثرة الجوى فقال سمعا وطاعة أيتها الملكة وقاك الله من كل نوبة مهلكة ثم وثب إلى باب السر وطلب الشراب فأتته الجاريه به وقالت له إيش عملت يا أبو محمد فقال لها إيش عملت ها أنا أتعالل بالامانى ثم دخل إليها وقال لها خذى جعله الله موضع العافيه وفى تلك الساعة رد فيه أبو محمد مثقال بنج أقريطشى عتيق قد أضيف إليه مرقد هندى لو وقع على الماء الجارى مثل دجلة بغداد لأسكته عن الجريان وقال لها خذى فأخذته من يده وهى مستبشره وكشفت عن رأسها فبانت الذوائب مثل ظلام الغسق ووجه مثل الصبح إذا أشرق وجبينها مثل القمر مكلل بالدر والجوهر ثم وثبت وخلعت سراويلها والشراب فى كفها ثم انعطفت فبان دور خصرها وثقل ردفها مثل موج البحر السائج إذا هبت عليه رياح الجنوب (يا سادة) وكان قصدها بذلك أنها إذا قالت له خذ اشرب لا يمتنع ويكون قد أخذه الطمع لأن ما بعد هذا كلام إلا الوصال ثم أنها قالت له اعلم يا أبو محمد إنى ما أمكنك من روحى إلا كما أريد فأنت صاحب حيل ومكر وفعلك بين الانام مشهور فان أردت أن تدنو منى فاشرب هذا الشراب وطيب قلبى لأنى وحق المسيح أفزع أن يكون قد وضعت لى فيه شىء تطرح على النوم فخذ أنت واشرب ثم أشرب أنا الباقى وأسلم روحى إليك بعد ذلك فقد اجتهدت أن لا يكون هذا وما كان إلا ما أردت ولو كان المسيح إله لما كان سلمنى إليك وما هذا إلا فعل عاجز والعاجز لا يكون إلها وبعد ذلك فلا بد لى أن أقف على دين الإسلام فان لاح لى فيه الحق تبعته ثم أنها أشارت

بالشراب اليه وقد وضعت فيه من ذلك السم الذى أعطاها عقبة يقتل أهل قرية وقالت له بحياتى عليك اشرب وطيب قلبى هذا والامير أبو محمد لما نظر إلى ذلك رأى يدها وقد مدت كادت روحه تخرج ونسى الحيل والمنكر ونفذ فيه سهم القضا والقدر وسحرته بحسن حديثها فسكر وكان كما قال القائل حيث يقول

وإنى لألتى من حلاوة لفظها * من السكر مالم يلقه شارب الخمر

(قال الراوى) فمد يده اليها وقال هاتى ولو كان فيه سم قاتل لكان من يدك اطيب من الشهد (ياساده) وإذا كان الحب شديد يفعل المحبوب ما يريد ثم تناوله منها وقربه إلى فمه وقد أيقنت نورى أنه نزل لحمه عن عظمه لأنها واثقة بقول القاضى عقبة ولو أرادت قتله بيدها لفعلت وإنما فزعت من الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب فعزمت على هذا الامر لأنهم إذا قالوا ما الذى جرى على أبى محمد تقول ما أدرى مصائب الدنيا كثير والعوارض غير مأمونه فلما أخذ أبو محمد القدح وضعه على فمه وهم أن يشرب وإذا بصيحة عظيمة وقائل يقول أصبر قليلا فالتفت الامير أبو محمد وإذا بالستر قد رفع ودخلت الاميرة ذات الهمة كأنها الاسد الغضبان وقالت أنت يا أبو محمد سلب عقلك وذهنك وبصيرتك والله سلمت ان تملك روحك هات القدح فأخذت القدح من يده وقد انقلبت عيناها فى أم رأسها وجعلت تنظر إلى نورى شذرا وترمقها حذرا فعلمت نورى ان الأميرة ذات الهمة قد علمت بأمرها فاصفر وجهها وتغير لونها وأطرقت إلى الأرض فقالت الأميرة قد علمت بذلك ثم أن الأميرة ادعت ببعض الرجال وقالت له إيش وصل معنا من الأسارى وكم بقى منهم الآن فقال أيتها الأميره بقى منهم القليل فقالت على ببعضهم فأتوا ببطريق جبار من الجبابرة فقالت ويلك قل لا اله إلا الله محمد رسول الله وإلا قتلتك فقال لها اقتلى فما أنا ممن يقول هذه الكلمة أبدا الآ بدين ماقام القائم وقعد فلما سمعت ذلك منه قالت له فاشرب هذا الشراب ففيه هلاكك فأخذه من كفها ثم شربه فما هو الا أن حصل فى فمه حتى نزل لحمه من عظمه فلما نظر الأمير أبو محمد إلى ذلك قال لنورى ويلك لا ستر الله عليكى هذا أردتى ان تفعلى بى هذا فقالت بعد أن سكتت لحظة أحسلت يا أبو محمد كأنك أردت بهذا اقتلى وإلا أنا من أين لى هذا وأنا كل يوم مهجة مأسورة من بلد إلى بلد وإنما هذا فعلك من حنقك على وان لم يكن من فعلك فهو فعل الجوار الذين أعطوك الشراب وضعوا هذا فيه طلبا القتلى أو بعض الأمراء مثل عبد الوهاب أو من يقوم مقامه وقد حسدك على ووضع هذا السم فى الشراب حتى يخلص من الغيرة ويقتلنى به ولا أحصل لك ولا لغيرك وربما تكون امرأتك قد فعلت ذلك وهذا كله لا يخلو مما قد ذكرت لك ولولا إنى كان لى فى الاجل تأخير لما قلت لك اشرب إقبلى وأنا وحق المسيح

ما فزعت إلا من البنج وما كان هذا السم فى حسابى (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك من كلامها خامره الشك فى ذلك وقال يجوز ان يكون من بعض هذه الجوار التى قد ذكرت ثم قال أيتها الملكة قد مضى ما مضى وأنا أصدقك فى ذلك وان كان الامر كما خطر ببالك فانا كما قيل

أريد حياته ويريد قتلى * فاترك ما يريد لما أريد

(ياساده) فقالت الاميرة دلهمه والله يا أبو محمد وحق البيت العتيق والبنا وزمزم ومنا والعرش وما على الكرسى وما حوى ان هذا السم ماوضعه لك غيرها وهى التى عملت على قتلك وما هذا الا من دواهى عقبة لعنه الله والله إن خلوت بها قتلتك فى مرة أخرى فهى تخنقك بلا محاله وهى ماتموت من أجلك وإنما تقتلك ويطمع فيها ولدى عبد الوهاب ويأخذها إما هو وإما الرشيد وقد أطلعتك على وجه القضية فقال أبو محمد وإذا لم أدخل بها فكيف يكون العمل أيتها الاميرة ومالى عنها صبر ساعة واحدة ولوانى أموت فى هذه الليلة لابد لى عنها ثم أقبل على الملكة نورى بوجهه وجعل يبكى ونورى لاتزداد عليه إلا قساوة وبغضه فلما نظرت الاميرة إلى ذلك وثبت إلى نورى ورفستها فى صدرها ألقتها على ظهرها وقالت لها ياملحده وبلغ من قدرك ان تشغلى قلوب المجاهدين عن خدمة رب العالمين ثم أقبلت على الامير أبو محمد وقالت له ويلك إذا بغض الله العبد محنه بمخلوق مثله هات ان كان عندك شىء أشد به يديها فقال لها هذا والله كلام جيد ثم نادى بالجوار فأتوره بالزنابير الابريسم فناولهم للاميرة فنظرت نورى إلى الجد من الاميرة فدافعت هناك عن نفسها ولم تزل الاميرة معها فى المعاركة الشديدة حتى سال العرق منها فقالت الاميرة ذات الهمة والله مارأيت أشد منها وإنى قد لاقيت القناصة فى بلد الحجاز ولم تكن مثلها (قال الراوى) ومضى نصف الليل وقد تعبت نورى ولم يبق فيها ان تمنع عن نفسها واسترخت مفاصلها فأدارتها كتافا وثيقا فصاح بها أبو محمد ياستاه وشدى رجليها أيضا لئلا ترفسنى بهما وأوثقى ذلك وخلينى معها فقالت الاميرة وحياتك ما بقى لها قوة وقد تعبت مما عاركتها لاتقدر تتناول بيدها عود البقل فقال أبو محمد شدى انتى كما أقول لكى واسكتى فوالله لها البطات ولا لبطات البغال فضحكت الاميره من كلامه وشدتها وخرجت وقد أرخت الستور فلما نظر الامير أبو محمد إلى ذلك وثب قائما وقال لنورى أردتى أن تقتلينى فلهذا لقاك الله هذه الحالة وسوف ترين العجب ثم دنا منها وهى كانها الخشبة الملقاة لاتقدر تمنع عن نفسها ولا تدفع فواقعها وكشف وجهها وفك ختامها وجعل يعضعض خدودها ويقول الله يحفظ ستى ذات الهمة هذا ببركتها (قال الراوى) وأقام باقى ليلته ونهاره أجمع والليلة الثانية ودخلت

إليها الجوار وحلوا يديها ورجليها وقد بقيت خجلانة منكسرة وقد ذهبت نفس البكارة عنها ولحقت النسوان (قال) وجعل أبو محمد يخضع لها ويضاحكها ويحدثها بالليل والنهار حتى جلب قلبها بحسن حديثه ورجعت تلك البغضة محبة ولقيه الأمير عبد الوهاب وهناه وقال له كيف الأمور يا أبو محمد فقال يا مولاى عمرى فى الجهاد ما رأيت أطيب من جهادى فى هذه الليلة فضحك الأمير عبد الوهاب ثم خرجوا إلى الميدان على ما جرت به العادة وأبطال بنى كلاب والسودان الأنجاب وجعلوا يتطاعنون يطعن بعضهم بعض هذا وأبو محمد تركهم وعاد إلى البيت فقال له الامير عبد الوهاب لم لا تحضر الطعان يا أبو محمد فقال له يا مولاى وإلى الطعان أنا رايح فضحك الأمير عبد الوهاب من كلامه (قال الراوى) فهو معه فى الحديث وإذا بغبار قد أقبل وعجاج قد تقسطل وهو مقبل على عجل فنظر الأمير إليه وإذا به قد انكشف عن عشرين فارس على نجب قد انطوت من كثرة المسير والسرى وشدة ما قاست من طول المدا وقد وضعوا العمائم على رؤس الرماح وهم ينادون وا اسلاماه وادين محمداه قال فلما سمع الأمير ذلك طار قلبه وقفز بالجواد فتبعته الخيل حتى وصل إلى النجابين فلم يعرف منهم أحد فقال لهم ما وراكم فقالوا النفير النفير أيها الأمير أنت صاحب ملطية الأمير إبراهيم ولد المرحوم عبد الوهاب الذى كان حامية الثغور فقال الامير أنا عبد الوهاب وقد ردنى إلى ههنا رب الأرباب الذى جعل لكل شىء أسباب (قال) فلما أن سمعوا من الاميرة ذلك الكلام نزلوا سريعا على الاقدام يقبلوها وبكوا وقالوا يا أمير ويا ناصر الدين أسرع معنا بالمجاهدين لنصرة خليفة المسلمين فقال عند ذلك سمعا وطاعة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الخليفة لما أرسل خلف ضيغم وعسكر بنى كلاب الذين أخذهم واجتمع بالخليفة وكان لقدومهم نهار يعد من الاعمار وخرج إلى لقاء ظالم بن الغريب الخارجى ولا زالوا سائرين حتى أشرفوا على عساكر ظالم وتلاقت العساكر بالعساكر وتصادم الجيشان والتقت الفرسان وكل الصارم اليمان وتجندلت الاقران وكان يوما يكل عن وصفه اللسان ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل (يا ساده) ودام الامر على ذلك عشرين يوما ليلا ونهارا وقد تكاثرت العرب وانضافت إلى ظالم حتى صارت ألف ألف فارس من العرب والعبيد وكسر عسكر الرشيد (قال) ونظر ظالم إلى ذلك فرمى نفسه خلف الرشيد فى خمسة آلاف صنديد وملك عليهم الطريق إلى العراق ونظر الرشيد إلى ذلك فانهزم مع عسكره إلى مكة وخلف الخيام والاموال والاثقال وطلب مكة من بلاد الله واشتغلت عنه العرب بالنهب ولم يتبعه أحد من الترك

والعجم (قال الراوى) وأخذ ظالم خزانة الرشيد واستغنت العرب واحتوى ظالم على كل ما معهم وسعدت عربه إلى الأبد وهرب من أصحاب الرشيد عالم عظيم (ياساده) وان ظالم بن الغريب لما كان فى قتال الرشيد كان يرجع إلى خلفه كل يوم مرحلة أو نصف مرحلة حتى يطمع الرشيد فى جانبه وكان قصد ظالم بذلك حتى أن يتعب الرشيد برحيله وأن يبعده من العراق فلا يكون له نجدة ولا ناصر حتى وصل به إلى ذات عرق وعند ذلك كانت الكسرة وقد بقى بين الرشيد وبين مكة مدة أيام فقطعها وزادت به الأمور ودخل الرشيد إلى مكة فى نصف عسكره وبعضهم دخل البر الأقفر وتوسطوا ما بين العراق وهم الترك والديلم حتى وصلوا إلى الكوفة ودخلوا إلى خراسان يخبروا بهلاك الرشيد فعند ذلك طمع كل ملك فى أخذ مملكته التى هو فيها ومنع الخراج وكل من له عد وطال عليه واستطال وانبسطت الأيدى بالظلم وكان الأمراء والعلماء والفقهاء فى الاحكام سواء ووقع فى بغداد الدعاء هذا والرشيد قد حصل فى مكة ومعه الامير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم والامير ضيغم وجماعة من الديلم وغلمان الدار وعسكر العراق وكان فى عالم عظيم إلا أنه لا يلحق العساكر التى كانت مع ظالم بن الغريب الخارجى وان شيوخ العرب قالوا لظالم أيها أيها الامير سر بنا إلى مكة حتى نأخذ الخليفه وكل من معه فهذا رزقنا وانك ان ملكته ملكت العراق فقال هذا هو الصواب ثم رحل يطلب مكه فاتصلت الاخبار إلى عند الرشيد فعظم عليه وكبر لديه وأيقن بالعطب وأشرف على الهرب وجرى دمعه وانسكب وتذكر أيام عبدالوهاب والاميره ذات الهمة فارسة العربان وأرسل النجابه بالكتب إلى سائر الآفاق من شام وعراق يقول فى مضمونها (بسم الله الرحمن الرحيم) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد فكل من وقف على هذه المكاتبه من المسلمين ممن يرى نصرة الدين ويعلم انه كتب عليه الجهاد فى طاعة رب العالمين مع الطغاة والجوارح والمارقين وقد أمر الله تعالى باعزاز الدين فلا يقعد أحد عن نصرة الامام سيما وقد التجا إلى البيت الحرام والركن المبتهج والصفا والمروة وستور الكعبة وقد امر الله عز وجل بطاعة ولى أمر فاتقوا الله يامعاشر أهل الايمان وانفروا إلى أهل البغى والعدوان إذ نافقوا على الامام واستحلوا دماء المسلمين وأموال الموحدين وهتك حرم آل بيت رسول ﷺ ولا تكونوا ممن قال الله تعالى فى حقهم يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا الآية فالعجل العجل فالامر عظيم والخطب جسيم ولقد سمعت عن هذا الخارجى انه عازم على هدم البيت الحرام وزمزم والمقام ويأمر ببناء

بيت فى دياره ويأمر بحمل الحجارة التى للكعبة إلى أرضه وأمصاره ويأمر العرب بالحج إليه ووفد الوفود عليه وهذا من الأشياء العظام الذى تحدث فى الإسلام فانفروا يا عباد الله الأماجد فى أبطالكم الصناديد ثم ضمن الكتاب هذه الأبيات

أيا خيل جودى بالدموع السواجم ... لفقد أمير كان للدين حاميا
لقد أصبح الإسلام يبكى لفقده ... وأضحى عماد الدين مذ غاب واهيا
وأظلم ضوء المجد بعد ضيائه ... وأصبح بيت الفخر من ذاك خاليا
وكم من قلوب بعده قد تفطرت ... حبال الرجا من بعد ليث محاميا
لقد غاب عنا الخير مذ غاب شخصه ... وقد كان فى هيجائها غير وانيا
فيا ليت شعرى كيف كان حديثه ... أمات بأرض الروم أو مات فانيا
لقد بعدت أخباره ورسومه ... وإن قضا الرحمن فى الخلق ماضيا

(قال الراوى) ثم قال فى آخر الكتاب لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أما فى الإسلام بعد عبد الوهاب من يعين على الاجبار حتى يستحق منا المدح وطيب الخطاب ويربح الثواب من الملك الوهاب وإن عسى فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد وسأل فى آخر الكتاب عن القاضى عقبة لعنه الله وهو يقول لقد حرمنا الله مشورته ثم سلم الكتاب إلى العربان وهم مائة نجاب واستعمل لهم النجب اليمانية التى مثل القراطيس لونا ومثل الغزلان كونا وقال اعبروا سائر الاقطار وأوصلوا الكتب إلى سائر الامصار والفيافى والقفار فجعلوا يسيروا الليل والنهار وتفرقوا طالبين الامصار فاضطربت الاقطار وأما بغداد فنصب فيها الكراسى الوعاظ وأخذوا فى الدعا على ظالم بن الغريب الخارجى وتجردت العساكر واجتمعوا من سائر الآفاق من خراسان والعراق وما منهم إلا من أتى بنية صادقة هذا لم يشاهد ظالم بن الغريب ولا نظر المصاف الأول الذى تقدم ذكره وأما من رآه وشاهده لم يقرب أرض العراق (قال الراوى) وكان هذا ظالم بن الغريب جبار من الجبابرة وقيل أنه من الاكاسرة عظيم الخلقة ضخم الوسمة كأنه طود أو بعير حل من قيده وكان يقاتل بعامود من الحديد الصينى وزنه مائة رطل لو وضعه على جمل قسمه أو على رأس إنسان حطمه وكان هو بنفسه كأنه نخلة باسقة فى الطول وهو رجل مهول عريض المناكب وقد ملك من بلاد رافع إلى بلاد كوكبان إلى مذحج إلى أطراف عدن مما يلى جبل خولان إلى بلاد كوكبان إلى أواخر حضر موت إلى صعده إلى اليمن إلى نجد إلى أرض سبأ وبلقيس وسارت خيله إلى عسقلان إلى أرض مصر إلى برقان إلى القيروان وأذل الملوك الاكاسرة والفرسان وبلغ محل الجبابرة الشجعان وحاز

ما لم يحوزه غيره وخدمه الخصيب صاحب مصر وصانعه بالأموال والجوار حتى عاد إلى مكة وطلب العراق وفزعت منه سائر العرب وجاءت إليه خوفا وطمعا فالخوف من حسامه والطمع فى الغنائم ومرامه وكثرت أمواله وصار فى عساكر ما قادها قط ملك من ملوك الأرض إلا إن كان الملك الاسكندر وسمعت به العرب من بلاد حمير وسنجار والسكاسكة والسكوت وبنى سلمه وعزنه وبلاد تهما من أرض حوران وبلاد الشام (قال الراوى) وأنه أحدق بمكة وضيق على أهلها فعندها خرج أهل مكة وقالوا له ويحك اتق الله تعالى فانه جبار يقصم الجبابرة وهو ملك الدنيا والآخرة ويعلم ما يختلج فى الليالى الماطرة واعلم أنك تقف بين يدى الله تعالى يوم ينفخ فى الصورة النفخة الحاشرة وتنظر الجبال بأمر الله سائره وصحائف الأعمال على رؤسهم طائرة وأبصار العالم باهتة ناظرة وأقدام المتقين على متن الصراط عابرة والجحيم سعرة على كل نفس بجحدة كافرة والحق ينادى يا عبادى ما قدمتموه فى دار ستجدوه فى دار الآخرة (قال) فلما سمع ظالم ذلك من كلامهم قال لهم دعوا عنكم هذا الكلام الذى لا أعرفه يا ويلكم أنا رجل بدوى تربية البر والقفر ولا أعرف إيمان ولا كفر ولا الخير من الشر ومعى هذه الكتائب وما قصدهم إلا الأموال فان كنتم تعطونا الاموال من ذخائركم حتى تشبع العرب من الفضة والذهب وإلا وحق ذمة العرب من نزار معد بن عدنان حملت عليكم بهذه العساكر يا أولاد العواهر أنتم تعطونا الخليفة وتحمون عسكركم ودمائكم وأنا فما خرجت إلا هذه السنة فان لم تعطونى وإلا فما يقع لكل واحد من عسكرى من حجارة مكة حجر فلما سمعوا أهل مكة ذلك من كلامه رجعوا إلى الامام وأعلموه بما قال ظالم هنالك أكثر الخليفة من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وزاد غمه وعظم همه وقال للأمير عمرو بن عبيد الله ما ترى من الرأى فلم ينطق بحرف واحد لما دخل فى قلبه من الفزع من ظالم بن الغريب الخارجى (قال الراوى) فعند ذلك قال الرشيد مالى إلا أحمل المال إلا هذا الشيطان وأتخلص منه فقالت أرباب الدولة هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم قالوا لو كان الأمير عبد الوهاب حاضر لكان أرغم أنفه ولوح قحفه لكن لله الامر من قبل ومن بعد عند ذلك ركب الأمير ضيغم لابس السواد على أبيه وقبل الأرض وقال يا مولانا حمل الاموال لا يكون ونحن فى قيد الحياة لأن حماة الاعراب غياب وما ههنا إلا القليل من الاعراب وبعض السودان وهذا الشيطان سودانه جبابرة وما فى الأمر إلا نستعين عليهم برب الدنيا والآخرة وأنا أفديكم بروحى وقد عولت أن أخرج إليه وأقتله واصبر على

شقاه فان أنا ظفرت به اكتفينا شره وإن ظفر بى أكون بذلت المجهود فى طاعة الرب المعبود فقال الرشيد وقد دمعت عيناه من الفرح هذه من فضائل أبيك وخصايله وجدتك رحمة الله عليهم أجمعين وأرسل ضيغم إلى ظالم يقول له اعلم إن الرجل الذى طلبته له غلام ويريد أن يبارزك فى الحرب فان أنت ظفرت به نسلمك الرشيد لاقتال ولا نزال وبعده تأخذ العراق وسائر الآفاق فلما وصلت إلى ظالم الرسالة قامت عيناه فى أم رأسه وانزعج سائر حواسه وقال من على وجه الأرض من يقاومنى فى الميدان ثم أنه أرسل الجواب إليه يقول غدا يكون البراز وقد أبحت له أن يكون معه ألف فارس شجعان أقران والأمير ضيغم يقول والله لا خرج إليه غيرى وسوف ترون منى العجب العجاب وأنا ابن عبد الوهاب ولما أن برق الفجر من الشرق وبان الباطل من الحق خرجت الناس إلى ظاهر مكة وهم يضجون لضيغم بالدعاء من حول البيت الحرام (قال الراوى) ولما أن تصففت الرجال خرج الأمير ضيغم إلى حومة الميدان على جواد معتدل القد مليح مشتد صبور على الطرد والكد جيد العزيمة والجد هذا وقد ركبت سائر الطوائف من عرب ظالم وهى تموج كما يموج البحر الزاخر الذى لا يعرف له أول من آخر وظالم قدام الأبطال راكب على هجين أزرق أشدق إذا ساق البرق سبق كأنه الرعد إذا خفق معود بالقتال إذا ضرب به طار وإن طلبه خصمه فما يلحق وأشار بيده إلى ضيغم وقال له دونك والطعن بالرماح الطوال وكان الرشيد خرج يدعو لضيغم وعلى أكتافه بردة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول كأنى أنظر عبد الوهاب وأعطافه لما يحمل على خصمه وضيغم ينشد ويقول هذه الأبيات

أيا ظالما هذى فعال الأرازل	وأنت لعمرى ظالما ثم جاهل
تحاصر بيت الله ظلمـــا وعتوة	وخبثا وأسرا فلنا رب عادل
أنا ابن الذى قد شاع فى الناس ذكره	مبيد الأعادى بالسيوف الفواصل
أباد سيوف الهند بالضرب للعدا	وأفنى رماح الخط يوم الزلازل
وأنت الذى لا تعرف الناس أصله	لأنك نذل فى الوغا غير فاضـــل
وحق النبى المصطفى وأهل بيته	وخير الورى ما بين ماش وناعل
ستنظر منى اليوم ليثا غضنفرا	صبورا على ضرب السيوف المقاتل

(قال الراوى) ولما أن سمع ظالم ذلك المقال انقلبت عيناه فى أم رأسه وقرط أضراسه وطلع الزبد على أشداقه وانطبق عليه وهو يقول

ستعلم يا ابن اللئام بأننى ... كمى وفى يوم الوغا غير محجم
وإنى لبذال المكارم والندا ... ويقصر عنى مذحج ثم غيلم
وأضرب فى وسط العجاج بصارم ... شروب دما الأبطال لم يتثلم
وابذل زادى كل يوم وليلة ... ولو كان ضيفى يشرب الماء من دمى
وألقا بسيفى ألف ألف مدرع ... إذا كان عزمى ثابت الأصل فاعلم
وقد طال ماصدت الأسود بساعد ... وقد طال ما خضت الوغا بتبسم

(قال الراوى) ولما أن سمع ضيغم شعره ونظامه ونظر إلى شمائله علم أنه فارس كرار وبطل مغوار إلا أن ضيغم ثبت جنانه ووطأ على الموت أركانه وعلم أنه ما هو من أقرانه وحمل كل واحد منهما على صاحبه فلم يطل بينهما الخطب دون أن صاح ظالم فى الجمل الذى تحته ورفع يده بذلك العامود وهوكأنه جبل عظيم فسبقه ضيغم بضربه بالسيف فأخذ الضربة فى العامود فانكسر السيف قطعتين فصاح سلم روحك يا ابن الأنذال وإلا وذمة العرب طحنتك أنت والجواد الذى تحتك فسلم نفسه إليه وعلم أنه ما هو مثله ولا قياسه فشده كتاف وقوى منه الأطراف وسلمه إلى أحد سودانه وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج إليه الأمير عمرو فزعا من الرشيد أن يوبخه فتقاتل معه ساعة فأخذه فأمر الرشيد إلى خمسة وعشرين من السودان ومن العرب مثلهم فما كانت إلا قدر ساعة حتى أهلك منهم ستة عشر رجلا وأسر سبعة وهرب الباقى من قدامه فى وسيع الأرض وطلب الرشيد وقال إلى أين تروح يا أباراشد ولما نظر إلى ذلك شاور أصحابه أن يسلم نفسه ويحقن دماء العالم فقالوا له يا أمير المؤمنين إن سلمت نفسك إلى الضيق والحرج فان الله يأتيك من عنده بالفرج ورجع ودخل إلى مكة مقهور مكسور وظالم من حول مكة وضيق على أهلها المسالك فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من النجابه الذين قد وصلوا إلى ملطيه والتقوا بسيد الأعراب الأمير عبد الوهاب لما أن أخذوا الكتب من النجابه وسمعوا ما فيها من الألفاظ تجهز الأمير من يومه فى الأعراب والسودان الانجاب والاميرة ذات الهمة والملك الكندفرون والملك البطليموس والالف فارس الذين آمنوا بالله وقال للبطال سير معنا فما نستغنى عن رأيك ومشورتك ولابد منك فى هذه النوبة فقال البطال دعنى عند نورى مدة زمان فأنا أخاف أن تهرب وأنا غائب فما أراها فعلم الأمير أن قوله حقا ورحل الامير وجعل فى مقدمة العساكر الملك الكندفرون والبطليموس والالف فارس وهم فى زيهم ولبسهم الطوارق المدهونة وراياتهم الافرنجية وسرائرهم الحقيقية يوحدون رب البرية (قال الراوى) وكان الكندفرون قد تزهد فى الدين حتى لحق

بالصالحين وكان ما ينام من الليل إلا القليل وعنده من يقرأ القرآن العظيم وكذلك أصحابه ولم يزل الأمير سائر إلى أن وصل إلى آمد فخرج إليه ميمون الجاس وسلم عليه وقبل يديه وسأله عن الامير أبو محمد فقال ويلك يا حجام أخذ نورى بدر التمام وتخلف عن المسير من شغفه بها ورحل من على آمد وأخبار ذلك الخارجي متواترة وطيرت الطيور إلى بغداد وأن الامير قد وصل سالم والاميرة ومعه خمسين ألف إلى نصرة الرشيد ولما وصلت الاخبار إلى العراق وقعت البشارات وأخرجت الست زبيدة الصدقات شكر الله تعالى على تعجيل الفرح والمسرات ووصل الامير عبدالوهاب إلى بغداد فتلاقوه المحبين وهم فرحانين بوصوله سالم ودخل إلى البلد بعد ما زينوا له الاسواق ونثروا عليه من الحلى ومن الدراهم والدنانير فدخل الامير إلى البلد وقد صف بنى كلاب ومن بعدهم السودان الانجاب وقدم على بنى كلاب الامير قشعم وأضاف إليه مالك بن طوق والامير راشد ابن ضمرة وكان الامير مالك بن بشر مع الامير ضيغم فى الحجاز وكذلك الامير هياج الكردى وبناته قد سار وا مع الامير ضيغم لما كتب إليهم الرشيد بطلب النجدة فلم يقدر أحد أن يقعد عن خليفة الزمان هذا والناس يقبلون على الامير عبد الوهاب ويرمون عليه أرواحهم ذات اليمين وذات الشمال وأخذه الدعاء من النساء والرجال وقد عبرت الاميرة ذات الهمة ومعها قرادة فى خمسة آلاف فارس من السودان مثل الزبيب الاسود والمع من بعدها الملك البطليموس والملك الكندفرون فى ألف فارس وقد أحدقوا بهم وهم على خيول أخف من الطيور وهم أيضا كبار الخلقة طوال الخشب بالدرق المكوكبة والزرد المذهبة فحارت أهل بغداد وقالوا خربت ديار الكفار وحق الله إن هذا أمر عجيب كيف دخل الإسلام فى قلوب هؤلاء وما كانهم من بنى آدم ولكن هذا رجل مسعود دعمال فى سعده (قال الراوى) وان الامير عبدالوهاب أقام فى بغداد عشرة حتى وصلت إليه العساكر وقد أخذ جميع ما يحتاج اليه وسار معه كل من يروم الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام (قال الراوى) وإن السيده زبيده أرسلت إلى الامير تعرض عليه الاموال فقال لها كفاك الله مؤنة ذلك لانى قد قسمت الاموال على العساكر لكن أريد منكى ان لا ترجعى تتعصبى لعقبة لانك فى ذلك تأثمين وأرسلت تقول وتربة أبى ما عندى أحد أعلا قدرا منك الا أن يكون أمير المؤمنين وأما عقبة فأنا ما أراعيه الا لاجل دينه وكونه شيخا كبيرا وحافظ لكتاب الله العزيز وهو فقه هذه الشريعة وحق الله لقد طالت غيبتك عنا وما شغلنا عنه الا بسبب هذه الامور التى أنت سائر لاجلها ولكن

الذى نجاك من الهلاك يجمع شملنا بالقاضى عقبة (قال الراوى) وأراد الأمير أن يثبت كفر عقبة عندها فأرسل وراء الملك الكندفرون والملك البطليموس فأتوا ومعهما مائة من كبار الافرنج الذين أسلموا معهما وقال لهم حدثوها بما رأيتم من عقبة ومن كفره وسارت الأميرة معهم حتى أحضرتهم إلى دار السيدة زبيدة وهى من خلف الستارة واستنطقتهم الأميرة فشهدوا بأن عقبة نصرانى وعمل على قتل الأمير عبدالوهاب وجماعة من الأصحاب وكان من أمره ما كان وفى الآخر هرب وهو فى بلاد الروم فقالت زبيدة ما أقبل شهادة هؤلاء عليه ثم خلعت عليهم وصرفتهم بجميل وقالت بعد خروجهم هذا كله محال على ذلك الشيخ الكبير يتعصبون عليه وله كذا كذا سنة ما رأيناه وما هو إلا معتقل فى أيديهم وما قصدهم بهذا إلا أنهم يخفرن أمره ولو خلص حتى وصل إلى لحميته من كل أحد (قال) وسار الأمير عبدالوهاب طالب مكة ودخل برية الحجاز (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من ظالم بن الغريب الخارجى فانه لما ملك ضيغم وسلمه إلى قومه قال وذمة العرب لقد أعجبنى هذا الفارس وما هو إلا بطل همام صبور على ضرب الحسام وقد رحمه قلبى فلا تقتلوه وخذوه إليكم ويكون معتقل إلى أن أقول لكم ما قد عزمت عليه (قال) فأخذوا الأمير ضيغم وشدوه كتاف وكذلك بقية الأسارى وكان قد أسر الأمير مالك بن بشر الأقطع وهياج الكردى (قال) وزحف ظالم إلى الحرب طالب الحرم واشتد القتال وعظم النزال وزاد عليهم الأمر وملك ظالم مكة وملك كل ما فيها ولم يتعرض لأحد من أهلها لأنه كان قد أعطاهم الزمام وأخذ الرشيد ومن معه وجعلهم فى القيود وقال للخليفة ويلك يا أبا راشد سلم لى بغداد وأنا أعتقك وحق ذمة العرب فقال الرشيد وقد نظر الموت يلوح بين عينيه أيها الأمير أنا أسلمك بغداد فارحل من ههنا حتى أسلم إليك كلما تريد من البلاد فقال أحسنت يا أبا راشد أنت حضرى والنبى صلى الله عليه وسلم قرشى مضرى فمن أين لك هذه القرابة التى بينك وبينه حتى تقول إنك خليفته فقال له الرشيد اعلم أيها الأمير انى من ولد العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ظالم أنت ابن عمه قال نعم قال أنت حضرى وأنا مثله عربى أنا أقرب منك إليه فسلم إلى البلاد وإلا ضربت رقبتك فقال له الرشيد مالك إلى قتلى حاجة ولا فائدة لى إذا كنت معك وأمرت بتسليم البلاد إليك امتثلوا الناس أمرى ولا يدافعك عندها مدافع ولا يمنعك عنها مانع فعندها عمل فى رجليه قيد ثم نظر إليه وإذا على بدنه بدلة من عمل تنيس فقال له يا أبا راشد هذه الخلعة التى عليك ما تصلح لهذه البرارى اخلع وإلا خلعت رأسك فقال الرشيد السمع والطاعة ثم خلعها فصاح ظالم اعطوه كسوة يستر

بها عورته فأقبل إليه بعض العبيد ومعه جبة من الصوف الخشن لوحك بها ذنب جمل لبرتع إلى اليمن فألبسها للرشيد فقال الرشيد فى نفسه ما رأيت قط أثقل من هذه السنة وأنا أرجو أن تكون العاقبة إلى خير (قال الراوى) وضربوا الظالم بن الغريب سرادق الرشيد الذى كان يجلس فيه وقد لبست العرب ثياب العجم والاتراك وهم قيام دونه يحجبونه وقد أخذ جميع عسكر الرشيد كلهم أسارى وجعل فى كل خيمة الأمير والاثنين والثلاثة طمعا فى المال إلا الرشيد وضيغم وهياج الكردى وسماق ومالك ابن بشر الأقطع وهم فى أسوء حال ولكن بنات هياج الكردى قد دخلوا مكة ولم يتعرض لهم أحد ولا لأهل مكة لأنه قد أعطاهم الزمام وأن الرشيد أقبل على ظالم وقال له اعلم يا هذا ان الدنيا دار خدعة وما دامت لاحد ولو كان فيها مقام المخلوق لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بذلك فلا تفرح بهذه العساكر والدساكر ياهذا واعلم أنك إن كنت تذل بشجاعتك فقد كان بعض غلمانى وهو الأمير عبد الوهاب الذى أذل رقاب العرب والعجم والروم والديلم وبعد ذلك فرق الموت بيننا وبينه وغيبته صروف الحادثات عنا ولو كان فى الحياة لنصرت عنا يدك والسعيد من اعتبر بغيره (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع ظالم هذا الكلام من الرشيد وما فيه من التهديد والوعد والوعيد صاح صيحة عظيمة نفر من كان حوله من العرب وكادت روح الرشيد ان تزهق وقال ويلك يا أبا راشد ما كفاك حتى تهددنى بمواعظك تذكر غلامك وما فات من دنياك وتقول لو أن غلامى حاضر لفعل وصنع ومن مرج البحرين وأنا القمرين وأوسع البر وأنبع الماء من الصخر لو حضر قدامى ألف غلام مثل غلامك الذى توصفه لكنت بهم ملى وبقتالهم وفى ويلك يا أبا راشد هل يقدر غلامك يعمل مثل هذه الاعمال ثم أدعى بفحل من الجمال فأحضروه قدامه ثم أنه وضع يده على سنامه وقال لمن عنده أوكزوه بالسلاح ففعلوا ذلك ووكزوه حتى سال الدما من جنبيه ولم يقدر أن يثور من تحت يده فشال يده عنه ورفصه برجله فى جنبه خرجت من الجانب الآخر ومسك ذنبه وجذب الذنب طلع فى يده وجذب الذنب طلع فى يده من مكانه وزحف لى الرشيد يضرب به بالذنب واذا بالعبيد مقبلين وهم يتصايحون فسأل عن الخبر فقالوا يامولانا أقبل نحونا غبار زائد من ناحية من ناحية ذات عرق فصاح باويلكم ائتونا بالخبر لعل أن يكون رزق وصل إلينا عند ذلك ركبوا على الخيول وأما ظالم معول ان يضرب الرشيد بذنب البعير فصاح عليه ضيغم لا تفعل الملك الفعال يغضب عليك الملك المتعال فرجع ظالم إلى ضيغم وقال اسكت ياأسود ولطمه بذنب البعير قال ضيغم عن نفسه والله لقد رميت من الاصوار ووقعت

فى الاضرار وما رأيت أصعب من تلك الضربة بذلك الذنب الميشوم وعاد ظالم إلى الرشيد يريد أن يضربه وإذا بالصياح قد زاد والزعاق من كل جانب ودخلت عليه كبار العرب وقالت أما ترى إلى ذلك الغبار وقد وصل إلينا فقال لا يهمكم ذلك وبعد قليل انكشف ذلك الغبار عن عسكر جرار كانه البحر الزخار وقد لمعت فى شعاع الشمس البيض العادية والسيوف الهندية والدرق الملطية والخيول العربية عند ذلك خرج ظالم من السرادق بغير اكتراث وركب على نجيب وصاح فى العربان نفرت من المضارب كانها القطا من مدحج وخولان ومزه وذبيان وقحطان والسكاسك وبنى غزية وبنى ربيعه وسودانه وعربه وكانوا عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقالت أهل مكة والبيت ومن حج والتلبية ومن ضح لو توجه هذا ظالم لأقصى البلاد لملكها بتلك العساكر وكان العسكر القادم مع الأمير عبد الوهاب مائة وخمسين ألف وفى أوائلهم الكندفرون والبطليموس وألف فارس وهم على لبسهم وزيهم وأهل مكة أعلموا الرشيد بصفة الافرنج فبكى الإمام رحمة للإسلام وقالوا والله ما أتوا هؤلاء إلى ههنا إلا وقد ملكت البلاد وشمتوا الأعادى والحساد فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لقد كنت فى هم مما أنا فيه وقد زادنى هذا هم على هم وغم على غم ولا شك أن ملك الروم ملك البلاد أو يكون أتى ينصرنى على ذلك الخارجى وبقى يكثر الظنون وأما ظالم لما ركب من السرادق وسار سارت من خلفه العرب وانحدرت من التلال والجبال والأودية الخوال وانقلبت الأرض بأهلها وضاق سهلها وجبلها وفى ذلك الوقت وصل مدحج بن صالح الثعلبى فى بنى ثعلبة وهم مائة ألف من العرب وقد تبعهم من العبيد أضعافهم مالا يقع عليه أحصا بعدد الرمل والحصى وكانوا أتوا نجدة إلى ظالم قال ووصل مدحج مقدم القوم وتقدم إلى ظالم وقد ترجل وترجل ظالم إليه وسلم عليه وترحب بعضهم ببعض فقال مدحج أيها الأمير أنا سمعت أنك ماضى إلى بغداد وأصل العراق وأنا أريد منك الشام فقال له ظالم ابشر بكلما تريد (قال الراوى) ووصل الأمير عبد الوهاب ووقعت العين فى العين وصاح بينهم غراب البين فضرب العرب مصافاتهم وارتفع التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب لما دخل إلى ذات عرق لقيه رجل بدوى وكان قد ضلت له ناقة فأخذها رجل من بعض عسكر الأمير عبد الوهاب فلما حضر بين يديه قال له من أين أنت يا وجه العرب فقال أنا من عسكر النازل على مكة فسأل الأمير عن الرشيد وأصحابه فقال له الاعرابى أشره الملك الهمام والليث القمقام فقال له الأمير من تعنى بهذه الصفة قال الأمير الأجل ظالم بن الغريب فارس قحطان المالك رقاب أهل الزمان مقرى الضيفان الذى أغنى العرب

وهم معه فى أمان وكان قد ذهب لى ناقة مليحة الخطا سوداء العينين حسنة العنق قوية على قطع الطرق حمراء الوبر صافية الجوهر طيبة المركوب مثل اللبوة الطلوب أسبق على ظهرها الريح الهبوب حنينة إذا حدى الحادى ملتفتة إلى صوب المنادى حادة النظر فى الليل تجرى مثل السهيل وقد ضلت منى أيها الأمير وقد وقعت من أجلها فى التعتير لأنى رجل ومن فقير ومن حولى أربع بنات وحولهم طفل صغير ويقتاتون من درها ويعيشون بما أكسبه على ظهرها وقد خلفت عندهم بئس الخلف وهو الجوع والبرد والكلف فاذا جاعوا لم يمرحوا وإذا بردوا لم يسرحوا وبعدم الناقة لم يفرحوا فيا لها من مصيبة قد فتت كبدى وأوهنت جلدى وشردت منامى وميلت قوامى ثم إنه أنشد يقول

لقد كنت فى الناس ذا نعمة غنى عن الخلق فى موضعى
ولى ناقة ما لها شبه مكوية الخد والاربعى
وكنت أعيش على ظهرها أنا وسائر أولادى معى
وطفل صغير ضعيف القوى فمذ رحلت عنه لم ترجعى
وإنى وعيشك فى حالة أكابد جوعا ولم أشبعى
ولم يبق فى الناس ذو رحمة شفوق يعامل ربى معى

(قال الراوى) ثم إن الأعرابى بكى بعد فراغه من شعره فرحمه الأمير عبد الوهاب ودمعت عيناه وقال له ياهذا طب نفسا وقر عينا فنحن نعامل الله معك ونوصل إليك ماينفعك ثم إن الأمير قطع من جماله خمس جمال محملة دقيق وحنطة وشعير وغير ذلك وقال له هذا من بعض ماأعطانى الله فكأنك بمالم تقف وكأننا عليك لم تتعطف فلما نظر الأعرابى إلى ذلك قال يامولاى وذمة العرب لاأخذتها حتى تقول لى من أنت فقال أنا عبدالوهاب بن الحارث بن ظالم بن الصحصاح ابن جندبه الكلابى فقال الأعرابى بخ بخ أنت والله معدن الشرف وبالخير والمكارم موصوف أنت صاحب الغنائم أنت سيف الأعارب والأعاجم أنت ضراب الجماجم بالصارم أنت خليفة المروءة والمكارم أنت أخير من هذا النحس ظالم ترددت إليه وردنى خائب وبناقة واحدة حبانى وغيرها ماعطانى وهى ضعيفة حيلها لاتدرى أين تضع رجلها خوارة بالليل لها مخاط يجرى كأنه سيل رقيقة الساق قليلة اللحاق لاتنظر فى الليل ولافى النهار معوودة حمل إليها بولها مثل بول الحمار وكنت من القيام برعيها فى أسوأ حال فالحمد لله رب البرية الذى أضاعها ولم يشق بها أحدا فلا جمع الله شملى بها أبدا وكان ضياعها سببا الوصول هذه النعمة الشاملة والسعادة الكاملة فاشهد لى عليك بأربعة من الرجال العادلة أنك لاترد تأخذها ولا تبعدها عنى فضحك الأمير

عبد الوهاب هو وجماعة الأصحاب من هذه المدحة للناقة وذمه لها فى ساعة وما أتى به من فصيح المقال فقال له الأمير طب نفسا وقر عينا فلو طلبت إضعافها أعطيتك فقال له الأعرابى ضاعفها يا مولاى فاقطع له خمس جمال أخر موقوره مما ذكرنا وقال له الأمير عبد الوهاب ما اسمك أيها الشيخ فقال يامولاى اسمى أبو بقبوق بن الخليع فقال له هل معك خبر من الرشيد فقال يامولاى انكسرت عساكره واندقت دساكره وأخذ ظالم أول ثقله وآخره وهو عندى أسير ومعه الأمير عمرو بن عبد الله أمير عرب بنى سليم وأمير آخر من بنى كلاب يقال له ضيغم وغيرهم ممن لا أعرف اسمه ولا أحق رسمه فقال الأمير عبد الوهاب وفى كم يكون ظالم من العرب فقال يامولاى بعدد نجوم السماء ورمل البيداء وكذلك هو أيضا قد ملك من الشجاعة والقوة والبراعة ما لا يقدر عليه أحد ولا يصل إليه أبد الابد لأنه قد أذل العرب العربا شرقا وغربا فعند ذلك قالت الأميرة ذات الهمة للأمير عبد الوهاب الرأى عندى أنك ترسل الساعة هذا الأعرابى إلى العسكر الذى لظالم وهو لا ينكر عليه أحد فيخبر الرشيد بمجيئنا حتى يطيب قلبه وكذلك عمرو بن عبيد الله والأمير ضيغم فقال الأمير عبد الوهاب يا أبا بقبوق وما قولك فيمن يعطيك على هذه الأحمال التى معك خمسة أفراس وعشر خلع بعمايمها فقال يامولاى وما الذى أعمل فقال تمضى إلى السرادق الذى فيه الرشيد والمأسورين فتخبرهم بقدومى وترجع تأخذ الأموال والخلع فقال يامولاى السمع والطاعة ويكون كل شىء أخذته منك لى ولا تغدر بى فضحك الأمير عبد الوهاب وقال لو جاء أحد أيغدر بك ما مكنته هذه الأميرة من ذلك (قال الراوى) ورجع الأعرابى يغدو حتى وصل إلى السرادق الذى فيه الرشيد (قال) وأشرف الأمير عبد الوهاب بعساكره واصطفت الصفوف وتدانت الألوف واشتهرت السيوف هذا والرشيد قد حمل على قلبه ما لو وقع على جبال تهامه ما ثارت به من الغم والهم ولم يعلم بأن الأمور تجرى والمقادير تسرى بارادة اللطيف الخبير فهو كذلك وإذا بالأعرابى قد دخل عليه والأسارى حواليه فنظروا وكانوا به إليه وكان عندهم معروفا يضحكون عليه وصاروا يلاعبونه حتى وصل إلى الرشيد وقال له ياحضرى أنا رسول إليك من عند أعز الناس عليك وهو الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وهذه العساكر القادمة عساكره ودساكره وكتائبه وهو يزعم أنه كان أسير فى بلاد الافرنج وقد أسلم على يديه خلق كثير وهم معه فى أوائل العسكر وكان الأمير عبد الوهاب قد عرف الأعرابى وأعطاه خاتمه من يده (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك بقى ما بين خائف وراجى والتصديق والتكذيب فأخرج له أبو بقبوق خاتم الأمير عبد الوهاب وسلمه إليه فهنالك

وقع الرشيد مغشيا عليه فوثب أبو بقبوق هاربا فقالوا له العرب الموكلون بالرشيد ما الذي صنعت بالخليفة حتى وقع بعدما كان قاعد فقال لما ذكرت له صفة هذا العسكر القادم وأنه عدوه أتى إلى نصرته فلما تحقق ذلك غشى عليه فظنت العرب أن ذلك حق ثم خرج أبو بقبوق (يا سادة) وأن الأمير ضيغم لما نظر إلى الرشيد فى هذا الحال زحف فى القيود حتى وصل إليه ورفع رأسه ووضعه فى حجره ولم يزل حتى فتح عينيه فقال له يا ضيغم أنت صاحب البشارة وأنا صاحب الكفارة ولله على نذر مائة ألف دينار صدقة من مالى المسلمين والفقراء والمجاهدين ثم أن الرشيد رمى بخاتم عبد الوهاب إليه وأخبره بالحال فبكا عليه ضيغم غاية البكا وغاب عقله عن الدنيا وقال واشوقاه إليه وكانت ساعة عظيمة لأن هذا فرح آخر (قال الراوى) ولم أر فرحا بعد شدة أعظم من هذا فهذا جرى هاهنا وأما ما كان من أبو بقبوق فانه وصل إلى الأمير عبد الوهاب وقال له يا مولاى قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ويريد عبدك أبو بقبوق يأخذ جماله والنوق لأنه لا يعلم هذا الحرب لك أو عليك فأكون أنا قد قبضت مالى وأرحل من عندكم إلى أهلى (قال الراوى) فسلم إليه الأمير عبد الوهاب جميع ما كان قد أعطاه ثم أمر أن لا يتعرض له أحد من العرب فسار إلى أن وصل إلى أهله ولم يقدر أحد يتعرض له وأما ظالم فانه اشتهر وصف الصفوف ونظر الأمير عبد الوهاب إليه فاذا هو جبار من الجبابرة وهو يجول يمينا وشمالا ويزعق على الرجال ويصيح على الأبطال ولم يقدر أحد ا يرد عليه من هيبته كلام ثم أشار إلى الناس بالحملة فحمل منهم أكثر من ثلثمائة ألف فارس فامتلأت الأرض خيلا ورجلا كأنهم الجراد المنتشر وأشار الأمير عبد الوهاب إلى أصحابه بالحملة على أصحاب ظالم فيا لها من ساعة شاب لهولها الطفل الوليد وتقطع الحديد وتطاعنت العرب فى الاحداق وقامت الحرب على ساق وسودان ظالم قد تكاثرت على سودان قراقد وكان فى عسكر ظالم عبد كأنه الجمل الهائج وقد ذكروا الرواة أنه ما كان فى زمانه أعظم من خلقته كأنه الفيل الأسود وكان اسمه مدلاج وأنه رمى نفسه بأصحابه على قراقد وسودانه فكسرهم وحملت الأعراب على عسكر الأمير عبد الوهاب وتكاثرت عليهم بالعدد وتضاعف المدد ونظروا إلى الموت عيانا لأن البلاد بلادهم والأرض أرضهم وقد طمعوا فى قتلهم ونهب أموالهم ونظر الأمير عبد الوهاب إلى كسر أصحابه فرجع إلى خلفه والخيل تلزه وهو يحمل ويحمى عن نفسه حتى وصل إلى ذات عرق وقد انضاف أصحابه إليه وهو يصيح بالناس وقد ركبهم الخذلان وكانت دواب الأمير عبد الوهاب قد تعبت وأخذت العرب عليهم الطريق (قال الراوى) وما من سرية ولا عشيرة إلا وعلم الأمير عبد الوهاب كم عددها

إلا هذه السرية التى للعرب فانه كان يسأل عنهم فلا يعرف عددهم وأنه سأل عنهم من كان يعرف حالهم فقيل له هم على عدد التراب لأنهم أتوا من كل مكان فلم يعرف لهم أول ولا آخر وأدرك الناس الليل على ذات عرق وأضرمت النيران وتحارس الجيشان وقد داخل عسكر الأمير عبد الوهاب الفزع والخوف والزمع لأنهم نظروا إلى عالم عظيم مع ظالم ورجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما يطعنون الاحداق ويقيمون الحرب على ساق (قال) وأن الأمير عبد الوهاب قال للأميرة ذات الهمة ما عندك من الرأى قالت اعلم يا بنى إن هذا الأمر الذى قد دفعت إليه أمر عظيم وحال جسيم لأن العدد أكثر من ألف ألف من العرب والعبيد فقال لها الأمير عبد الوهاب فما ترين من الرأى فقالت ما فى الأمر إلا أننا نرمى نفوسنا عليهم فى غداة غد فاما لنا وإما علينا فقال الامير اعلمى إننى قد عولت على البراز فان أجابوا إلى ذلك فهو المراد والذى نريد وإن هم لم يبارزوا ويحملوا علينا بهذه الجموع العظيمة فلا تحصى لنا حساب فقالت الاميرة سوف يكون الذى تريد إن شاء الله تعالى يعلم موضع النيات منا وما فى الضمير وما نريد سوى نصرة الدين وهو الذى يسهل علينا أمورنا ويسبل علينا ستره ويدفع عنا كيد هذا الجمع وشره قال ولم يزل الناس كذلك طول الليل ولم يكن فى أصحاب الامير من نام خوفا مما احدق بهم حتى برق ضياء الفجر هنالك ثارت العرب مثل الجراد المنتشر وارتفع الصياح وعلا الصراخ وركبوا الخيل الطائرة بغير جناح وحامت عقبان المنية تروم عيون أرباب السماح وصلصلت رعود الصواعق وأرعبت القلوب الصحاح وركب ظالم بن الغريب بوجه وقاح فأقبلت إليه الأعراب وقالوا له ما الذى تأمرنا به أن نفعل أيها الامير الكريم فقال لهم أقسم بمن حج واعتمر وحلق وقصر وطاف بالبيت العتيق المطهر لئن لم تنجزوا أمر هذه الطائفة التى فى أوساطكم لأضربن رقابكم فقالوا له أيها الأمير سوف ترى العجب ثم ضربوا رأس الخيل إلى صوب عسكر الامير عبد الوهاب من كل جانب وجردوا القواضب فقال الامير ما رأيت قط عربا أطاعت لأحد مثل ما أطاعت هذا الشيطان فلا كانت ساعته فقالت الاميرة ما لمقامنا وجه وكأنك بالعرب وقد حملت علينا حملة رجل واحد وكم جهد الرجل من أصحابنا يقاتل المائة والمائتين وهذا بعدد الرمل والحصى فقال الامير عبد الوهاب فما الرأى فقالت البراز لعل نلتقط وجوه العرب ورؤساء القبائل فهذا مما يفرق كلمتهم ويشتت رأيهم وإن ظفرنا بهذا الشيطان ظالم بن الغريب فهو الذى نريد فقال لها افعلى ما بدا لك فانى قد عزمت على البراز فهو معها فى الكلام إذ خرج الامير فراقد مثل الاسد الغضبان ومن تحته حصان مثل الثعبان شديد الاركان وفى يده صفحة هندية حادة الذبان

منتخبة ليوم الضراب فوقف بين الصفين وجال بين العسكرين ونادى برفيع من صوته أيها القوم الذين مرقوا من ذروة دين الإسلام وتعدوا على الخليفة الإمام لقد تجاريتم على الملك العلام وما هذا فعال الكرام ومع ذلك فان الانصاف من فعال الاشراف والا قتصار من شيم الاحرار والكثرة ينصر بها الذليل المهان فان كان لكم انصاف ومروة فافعلوا ما يليق به الفتوة فنحن مائة وخمسين ألف وأنتم قوم فوق الألفين ألف وهذا عند العرب عار ومذله وشنار بل يبرز فارس لفارس فلما سمع ظالم هذا الكلام قال والله لقد أنصفوا ثم أمر واحد منهم من الشجعان وكان شيخ كبير يقال له مذحج وكان فارسا لا يطاق علقما من المذاق فخرج إلى قراقد فجالا طويلا واعتركا مليا ثم اختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة قراقد فنزلت على عاتق مذحج طلع السيف يلمع من علائقه ثم جال قراقد على مصرعه وطلب البراز وسأل الانجاز فلما نظر ظالم إلى ذلك قال لعمرى أنه فارس مليح الشمائل فمن يبرز إليه فبرز إليه هياج بن مذحج وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

أيا سيدا قد كان ركننا لقومه	وعزا وكشافا لكل عظيم
لقد خانك الدهر المشوم بصرفه	وأمكن منك اليوم غير كريم
وابنك هشام العظام فانه	سيأخذ منه الثار غير دميم
سيبكى عليك السيف والخيل والقنا	بدمع هتون فى الخدود سجوم

(قال الراوى) ثم أنه حمل على قراقد بقلب حرق لاجل قتل أبيه مذحج فاستقبله قراقد بصدر الحصان وحد السنان وأنشأ وجعل يقول

ستعلم أيا هياج أنك لاحق	بشيخ لئيم الاصل غير كريم
فلو كان هذا سيدا وابن سيد	لما كان فى الاسلام غير مليم
لقد عجل الله الكريم بروحه	إلى النار فى الاطباق وسط جحيم
وأنت ستمضى بعده بهنهة	وتمسى مفقود الحال عديم

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وجالا طويلا واعتركا مليا واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربه قراقد فوقعت على رأس هياج نزل السيف إلى الاوداج وطلب البراز وسأل الانجاز ولم يزل ينزل إليه فارس بعد فارس إلى أن قتل من القوم أربعين فارس فعندها عظم على ظالم بن الغريب وصاح بعبده مدلاج أخرج إلى هذا البطل القتال الذى ليس له مثال فقال

يامولاى أليس هذا عار على ومنقصه أن أخرج إلى فارس واحد فقال له ويلك يا ابن الخنا أما ترى فعاله فقال يامولاى ليس فى القوم من يعرف قتاله ولكن ها أنا خارج إليه وحامل عليه ثم أنه حمل على قراقد كأنه العتيق وفى يده صمصامة مثل السم الرقيق وحمل قراقد على مدلاج وارتفع قسطل العجاج وصاح صيحة أذهل بها قراقد وضرب رأس جواده فأبراه وانكب عليه أخذه أسير وقاده حقير ذليل من قبل ان يقع الحصان ورجع إلى مولاه أسرع من البرق الخاطف (قال الراوى) وان القتال لم يزل يعمل طول النهار مبارزة واحد لواحد وكل من برز إلى مدلاج أخذه حتى أخذ وقتل خمسة وثلاثين فارس وأمسى المساو لم يبق يخرج إلى مدلاج أحد فبقى يهجم على الإنسان يأخذه أخذا بالكف فقالت الاميره ذات الهمه مثل هذا العبد ما رأيت فقال الأمير عبد الوهاب والله إن قلبى قد ارتاح إلى قتاله لعل يصير من أصحابنا لانى أحب السودان ولاسيما المجاهدين فى طاعة الملك المنان وفى غداة غد أخرج إليه إلى الميدان إن شاء الملك الديان ويقضى الله ما هو قاض بينى وبين هذا الشيطان فقال أبو الهزاهز أيها الأمير أنا أبرز إليه وما بلغ من قدر هذا العبد الأسود أن يساويك فى الميدان وموقف الضرب والطعان فقال له الأمير أعلم يا أبو الهزاهز أن القتال ما هو بانساب الرجال ولا بافتخار الأبطال وإنما هو شجاعة الاقبال وحسن الفعال والله تعالى اختار بلال الحبشى وأبعد أبا لهب القرشى فدعنى من هذا المقال فلا بد ما أخرج إليه فقال أبو الهزاهز ان كان ولا بد من الخروج إلى هذا الفارس فأنت له كفؤا (قال الراوى) وأصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فكان أول من فتح باب الحرب رجل من أصحاب ظالم يقال له ثابت بن أبا الصلت فخرج إليه أبو الهزاهز أخذه أسير وخرج إليه ثانى فقتله وثالث فقهره إلى أن أخذ من عسكر ظالم عشرة أبطال أقيال وكان الحادى عشر مدلاج فخرج حمية منه لهؤلاء وكان العبد مدلاج كما ذكرنا كأنه الجمل وكان أبو الهزاهز كانه الجاموس كبير الأنف والفرطوس عظيم الهيكل يضرب به المثل فنظر إلى خصمه راجلا فترجل لأنه علم أن العبد مدلاج يقتل الجواد من تحته لانه كان فى يده ثلاث حراب نحاس تنفذ من الدروع الداووديه ولا يمنعها الدرق الهندية ثم اعتمدا على مضارب السيوف وقد حارت من حسن قتالهما الصفوف هذا وقد نظر العسكرين إلى بطلين كانهما جبلين هايجين فتضاربا بالسيفين حتى تثلما وزحف كل منهما إلى الآخر وتقابضا على وجه الأرض فعثرت رجل أبو الهزاهز فى حجر كبير فجذبه مدلاج عند عثرته فرماه على وجه الارض وأداره كتاف وساقه سوق الجمال وطلب البراز والنزال

هنا لك خرج إليه الامير عبد الوهاب وناداه دونك يا كلب الاعراب فسوف أذيقك العذاب فلما سمع مدلاج هذا الكلام أقبل على الامير عبد الوهاب بوجه وقح وصدر إلى القتال منشرح هذا وقد خرج الامير عبد الوهاب على جواد يأكل الأرض وحمل على العبد بقلب أقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر وأنشد يقول

أبادر عبد السوء منى بضربة لان قتال العبد شيأ لازما
ولكننى لما رأيت فعاله فأعجبنى لما رآنى مصمما
خرجت إلى حال البراز بحرقة على أسره كيما أكون مكرما

(قال الراوى) فلما سمع مدلاج شعره طمع فى جانبه وحمل كل واحد منهما على صاحبه والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن وارتفع بينهما الصياح واشتد الصراخ وماجت الأرض فى الطول والعرض فخارت الاعراب من ذلك والاميرة ذات الهمة قد مسكت ثديها خوفا على الامير من ذلك العبد الشديد وقد نظرت إلى فعاله مع من تقدم ذكره فخافت على الامير عبد الوهاب من شره هذا وظالم بن الغريب يضحك ويقول وذمة العرب أنه يطيب على قلبى أن يبرز إلى عبدى العسكر جميعه هذا وقد ارتفع على رؤسهما الغبار وغابا عن الابصار ونظر الامير عبد الوهاب إلى فارس شديد الباس قوى المراس فترجل عن جواده إليه هذا وقد خدلت السواعد منهما وتقابضا وظن مدلاج أنه يصنع به كما صنع بأبى الهزاهز لانه كان استصغر خلقته هنا لك ضم يده ولكم الامير عبد الوهاب فى رأسه شق جبينه من عظم اللكمه وسال الدم على وجهه فلم يجد الامير صبرا دون أن قال يا عبد السوء سوف ترى جوابها ثم لكمه على رأسه نثرا ضراسه ووقع العبد مدلاج إلى الارض فانقض عليه الامير أخذه أسير ورجع إلى عند الاميرة فعصبت رأسه وطلبت منه أن يخرج غيره فأقسم أن لا يقعد وقال لها قد عمل الغيظ معى والغضب وان لم أشف قلبى من الاعدا والاشربت شراب الردى ثم قدم إليه جواده فاستوى فى ظهره وخرج إلى الميدان وطلب البراز فصاروا يخرجون فارسا بعد فارس إلى ان أخذ منهم خمسين أسير فلما نظر ظالم إلى ذلك وكان مشغوفا بالابطال محبا لملاقاة الرجال صبورا على الاهوال لانه لم يكن فى زمامه فى أرض اليمن والحجاز من يقوم مقامه فلما نظر إلى فعل الامير عبد الوهاب أقبل على أبو الهزاهز وقراقد وقال لهما ويلكما من هذا الذى أخذ مدلاج فما كنت أقول ان فى هـــذا العسكر من يقوم مقامه ولا يروم مرامه فقال أبو الهزاهز أيها الامير وذمة العرب أن هذا الفارس الذى تراه إذا برزله ألف فارس مثل مدلاج خنقهم خنق الدجاج فقال له ويلك ومن يقال له فقال هذا فارس

العرب والعجم هذا ضارب القمم هذا ترس قبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم هذا قاتل كل ليث هذور هذا حامية الثغور هذا الأمير عبد الوهاب (قال) فلما سمع ظالم ذلك ارتاح قلبه إلى سماع صفته وقال هذا عبدالوهاب غلام أبا راشد مولا كم الخليفة فقال أبو الهزاهز ما هذا الكلام إلا لقب مليح أن هذه معرفة جديدة ثم قال نعم يا أمير هو ذاك فقال ظالم أليس قلتم أنه مات فى بلد الروم ولم يطلع له خبر فقال أبو الهزاهز إنما الروم كانت أسرته بالحيلة ثم نصره الله تعالى عليهم وخلصه من أيديهم فقال له وهذا الفارس الذى اسمه ضيغم ما يكون منه فقال له هو ابنه فعندها ضحك ظالم وقال وذمة العرب لقد سمعت الخليفة يقول لو كان عبد الوهاب فى الحياه لما وصلت يدك إلى وها أنا خارج إليه ليعلم إنى أفلق هامه وأدنى حمامه وقصدى بذلك تكذيب كلامه ثم انقلبت عيناه فى أم رأسه وركب على جواد من الخيل فى لون ظلام الليل أطلق من السيل قوى العصب شديد القصب ديال الذنب ملم الركب جيد الجرى والخبب مدخور ليوم الرهب منسوب من خيول العرب وعليه سرج مثمن وهو لابس صدره زرد مضاعف العدد كأنها عيون الجرد وفى يده صارم مهند ثقيل لا يمنعه درع ولا ترس واسع يدور على فرنده والمنية تلمع فى حده فى كل يوم يأكل غمده فصاحت العرب ألا إن الأجل قد اقتربت لما يعرفون من ظالم من الشجاعة والقوة والبراعة ثم سار إلى نحو الأمير عبد الوهاب وحمل عليه من دون الأصحاب وإن العرب من هيبة ظالم لم تتوقف على الحملة بل حملت حملة رجل واحد فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى عساكر ظالم وقد حملت التفت إلى الأميرة وأشار إليها بالحملة فحملت فى الرجال ونادت يا آل كلاب يا آل كلاب فأجابها الأمير شيظم بن عامر الكلابى لبيك لبيك ثم حمل فى أصحابه وكان هذا الأمير شيظم من بنى كلاب وأنه كان مقيما بأرض الحجاز ولم يمكنه التخلف عن هذا الخارجى خوفا من شره وغدره ومكره وكان فى عشرين ألف من بنى كلاب فلما نادت الأميرة ذات الهمة يا آل كلاب اقبل إلى عند بعض المأسورين من عسكر الأمير عبد الوهاب وقال له من هذا الفارس الذى صاح باسم بنى كلاب فقال هذه الأميرة ذات الهمة أم عبدالوهاب هذه حامية ثغور المسلمين فقال أليس قد سمعت أنها مع ابنها قتلت وإن ملك الديار قد احتوت عليها الروم وملكتها فقال هو ذاك ولكن كانوا أسارى وقد من الله عليهم بالنصر والظفر وقد فتحوا بلاد الروم فقال شيظم لقومه ويلكم تعرفون من هؤلاء القوم فقالوا لا وذمة العرب فقال هؤلاء بنو عمكم وأقاربكم هؤلاء الذين إذا افتقر واحد منكم ومضى إليهم رجع إلى أرض الحجاز وهو غنى هذا عسكر

الامير المهاب عبدالوهاب بن الحارث بن ظالم بن الصحصاح بن جندبة الكلابى وأمه فاطمة بنت مظلوم العامرية فقالوا أيها الأمير فحينئذ لا صبر لنا عنهم وعن نصرتهم ولنا أسوة بهم ثم أنهم نادوا عن بكرة أبيهم يا آل كلاب يا آل كلاب وحملوا عن بكرة أبيهم على أصحاب ظالم بن الغريب حملة رجل واحد وبذلوا فيهم الصارم ونثروا الجماجم وطلع الغبار وتراكم وحام عليهم من الموت حائم واسترخت الايدى عن الشكايم ونظرت العرب إلى الموت قائم وقدم الأمير شيظم إلى الأميرة ذات الهمة وقد نظرت إلى فعاله فطاب قلبها وقلوب من معها من الرجال وعملت السيوف الصقال ورأيت الايدى قد شلت وخيول الآجال قد استقلت والقلوب الصحاح قد اعتلت وعناقيد المنايا قد تدلت وأرواح المقصرين قد سلت والاقارب عن الاقارب قد تخلت والابطال ضجت والاقيال قد تقهقرت والخيل بالرمم قد عثرت والجماجم قد نثرت والبطون من وطى الخيل قد تفجرت والشجعان من حول الحرب قد ضجرت والمفاصل خذلت والقوة فترت وأسود الدحال زجرت وسباع الرزايا هدرت وأرباب العزائم اشتهرت والشمس من فوق رؤسهم هجرت والامير عبد الوهاب قد كشف رأسه وخفف لباسه وصاح فى أصحابه يا ويلكم أين المواقف المشهورة والعزمات المذكورة وكشفت الاميرة رأسها وبانت دوائبها البيض وصاحت هذا يوم الاشتهار هذا يوم الضرب بالبتار ولم يزالوا فى قتال ونزال إلى وقت الزوال وولى النهار ونزل الامير شيظم إلى ناحية الامير عبد الوهاب ففرح به وأوعده بكل جميل وخلع عليه وعلى من معه من رجاله وأبطاله وقال لقد نجيتم من أهل البغى ورجعتم إلى طاعة رب الارباب فقال شيظم والله يا مولانا أنا ما أتيت إلا طالب الثواب وأيضا الهرب من يد ظالم وإنى حملت هما عظيما لما رأيتك تقاتله وتفاصله لأنى أخذت خبر حديثك من الذى أسرهم فحملت هما فزعا عليك من شره لأن الجن تفزع معه وجميع الابطال تضرب به الامثال فلا يقف بين يديه أحد من الرجال فقال يا شيظم أنت تعلم من هذا الفارس ما لم نعلم ولا بد لى منه وما معول على قوتى بل أطلب بذلك النصر من الله تعالى ولا بد لى من الخروج إليه والقدوم عليه ويعطى الله النصر لمن يشاء وباتت الناس على مثل ذلك وأضرمت النيران وتحارست الفريقان إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وقد عول ظالم على براز الامير عبد الوهاب لأن قلبه من كلام الرشيد نار لا تطفى ولهيب لا يخفى لما قال له لو كان عبدالوهاب حاضر وهو فى الحياة ما قدرت تقف قدامه ساعة واحدة وأيضا من أجل شيظم ورجاله وكيف التجؤا إلى الاعداء ولما برق ضياء الفجر ركبت

الابطال وزمجرت الاقيال وزحفت تروم المجال وصهلت الصافنات وركب ظالم فى تلك العالم وقد قيل عن ظالم لم يكن فى أرض العجم واليمن أحسن منه وجها ولا أكرم طبعا مليح الشمائل كامل الخصائل حاز الشجاعة والقوة والبراعة والكرم وكان أول من فتح باب الحرب وموقف الطعن والضرب الامير شيظم ونادى يا أنذال العرب ويا حمالة الحطب أما تعلمون لمن أنتم تقاتلون أما هذا خليفة الله فى أرضه عندكم مأسور وهذا الأمير عبد الوهاب وليث الغاب الليث القشعم والفارس المكرم وترس قبر النبى صلى الله عليه وسلم هذا الذاب عن الدين وفارس المجاهدين فى طاعة رب العالمين هذا عبد الوهاب بن الحارث بن الصحصاح بن جندبة الكلابى وهذا الذى قادكم وأنفذكم إليه لا يعرف له أب ولا جد ولا يعرف إلا بابن الغريب (قال الراوى) فلما سمع ظالم صعب عليه وكبر لديه وقال ايس هذا شيظم فقالوا نعم فقال من يبرز إليه ويأتينى به فعندها خرج إليه فارس يقال مره وهو على جواد مقبوب الحوافر جيد الخواصر كأنه الطير الطائر أو الليث الكاسر وهو لسنة شاهر وحمل على الأمير شيظم وحمل الأمير شيظم عليه فما كانت إلا ساعة حتى أخذه الامير شيظم أسيرا وقاده ذليل حقير وخرج بعده عشر فوارس وهو يأسرهم واحد بعد واحدا هنالك خرج الأمير ظالم كأنه الاسد المهاجم وصاح بشيظم وحمل عليه فولى منهزما بين يديه فقال له الأمير عبد الوهاب ما بالك قد انهزمت يا شيظم فقال يا مولاى من هذا البلاء المبرم والأسد القشعم وفارس العرب والعجم وقد علمت أننى ما أنا من أشكاله ولا أعد من رجاله فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلامه خرج إلى ظالم فى أكمل عده وأحسن أهبه ولما ساواه فى مقام الحرب أشار إليه يقول هذه الأبيات

ستعلم يا ظالم أننى ... نجيب وفى كل حرب همام
هزبر شجاع له موقف ... كريم إذا ما علاه القتام
سأرديك فى مهمه مقفر ... وتشهد ما قد فعلته الكرام
لأنك يا ظالم نفسه ... عصيت الخليفه وهو الإمام

(قال الراوى) فلما سمع ظالم شعر الأمير عبد الوهاب حمل عليه وصاح به يا ابن الخنا تظن أننى كمن لاقيت من العلوج الذين ألفوا الحمامات ولبسوا الثياب الملونات ثم حمل على الأمير وهو يقول

ألا أيها الشيخ المدل بنفسه ... رويدك هل لاقيت قرما غشمشما
وكم قسور لاقيته وتركته ... وأوداجه مع نحره تشخب الدما
وإن قتال الشيخ عار وذلة ... ووهن لهذا الضيغم المتقدما

سألقيك فى ذا القاع شلوا معفرا   يحوم عليك الطائر المتقشرما

(قال الراوى) فلما سمع الأمير شعره حمل عليه ومد سنانه إليه وتجاولا إلى أن كلت الجوادين وذهب قوة الفارسين فوثبا إلى الأرض وتعاركا طويلا إلى أن طلع الغبار من تحت أقدامهما وانعقد على رؤسهما وقد زاد صياحهما وعظم صراخهما ثم انقطع بعد ذلك حسهما فأنكر عليهما الناس بذلك وإذا بجوادهما قد خرجا من المعمعة غايرين وقلقت الأميرة غاية القلق وقد ترجل من عرب ظالم عشرة من الأمراء وعشرة من العبيد ينظروا ما يكون من حال البطلين فلما نظرت إلى ذلك ترجلت وأخذت سيفها وترسها وقصدت المعمعة لتنظرها الخبر وفى فؤادها لهيب الشرر خوفا على ولدها فبينما هى كذلك إذ نظرت إلى شخص قد خرج من المعمعة وهو حامل شخصا آخر وقد تخضب بالدماء وحاله حال من قد فارق الدنيا فصاحت وقصدت نحوهما لتنظر ما الحامل من المحمول ووقفت تسمع ما يقول (قال الراوى) وكان من أمرهما أن الأمير عبدالوهاب التقى بالامير ظالم وجرى بينهما ماجرى من القتال والنزال إلى أن وقفت الجوادين وترجلا عنهما إلى الارض وتقابضا فنظر الامير عبد الوهاب إلى فارس لم يوجد مثله فقال فى نفسه إن هذا فارس لايطاق وعلقم مر المذاق فليت كان فى الإسلام فارس مثله ولقد كنت أتخذه مثل الولد فهو على تلك النية التى خطرت بقلبه وقد تعاركا طول النهار إلى أن حميت الرمضا وكفهر الحصا وصر الجندب وتوقد الجلمد وزاد الغيظ وفاضت الدما وتقابضا بالاطواق والخواصر وإن ظالم لما يريده الله سبحانه وتعالى وقعت يده فى الحياصة التى فى بطن الامير عبدالوهاب وكان ذلك الجرح ينقض على الامير كل سنة ويمرض منه الشهر والشهرين فلما قبض ظالم عليه جذبه بحيله فانتقض الجرح الملتحم وخرجت مصارينه وأمعاه وسالت دماه وذهب قواه وغاب عن دنياه فلما نظر ظالم إلى ماجرى عليه مد يده إلى خواصره وقبض عليه فعند ذلك وقع الامير عبدالوهاب مغشيا عليه وأدميته قد سالت على قدميه فقال ظالم والله ما يستاهل هذا الفارس من يؤذيه ولقد كبت الله به أعاديه والله لاقتلته ظلما ولولا هذا هذا الجرح الذى انفتق عليه لما كنت وصلت إليه إلا بعد تعب عظيم ولابد أن أحمله إلى عسكرى وأداويه ولأجهدن فى مداواته وأعود أبارزه فى الميدان وآخذه بعد ذلك أسير حتى تعلم العرب العربا أنى أخذته غصبا ثم ان الامير ظالم أخذ عمامة الامير وشد بها بطنه بعد مارد مصارينه إلى جوفه والامير غائب عن الدنيا لايدرى ما يفعل به وفى تلك الساعة انقطع صياحهما لأجل اشتغال ظالم بما ذكرنا وحمله على كتفه وسار به والتقته غلمانه الرجال وأخذوه منه ووصلت الاميره فى تلك الساعة لتنظر الحامل من المحمول فقالوا لها أيتها الاميره ماتنظرين هذا ولدك الامير عبد الوهاب مقتول

والامير ظالم منصور غير مخذول فعند ذلك صاحت برفيع صوتها وقد عظم عليها وكبر لديها وصاحت عليها البعيد وحملوا عليها كالجلاميد وبأيديهم الاعمدة الحديد ومنعوها من الوصول إلى الامير ظالم فصرخت عليهم الاميره ومالت عليهم بضرب يقد وطعن يهد ولم يكن غير ساعة حتى قتلت الاميره العبيد العشرة ونظروا أصحابها إلى فعالها فعلموا ان الامير عبدالوهاب قد قتل أو أسر فعند ذلك حملت الابطال والاقيال ووصلوا إلى الاميره وركبت وحملت على أصحاب ظالم وعملت الصوارم وألقت الاميره نفسها على الرجال وأخرقت الصفوف وجدعت الانوف زلوحت القحوف ونظروا أصحابها إلى فعالها فلم يمكنهم التخلف عنها (قال الراوى) ولم تزل الاميره فى حملتها إلى أن وصلت إلى الماء لان العرب كانوا سبقوها إليه وملكوا الماء عليهم وأشرفت العرب على العطب من العطش ولما كشفتهم الاميره عن المنهل وقع بهم الحيره وقد أيقنت أصحاب ظالم بالهلاك لاجل عدم الماء وقالت الاميره لاصحابها اعلموا أنكم قد أعطيتم الصارم حقه وقد صدقتم فى القتال ونلتم الثواب فاعلموا انه لايضيع فعالكم وهو القادر بمنه وكرمه أن يصلح أحوالكم ومع ذلك فان العرب فى غداة غد تقاتل عن الماء القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد فان أنتم أهملتم هذا الامر وتراخيتم عنه ملكوا الماء ويكون ذلك سببا للعدم حياة الدنيا وان أنتم صدقتموهم الطعن والضرب هلكت العرب والدواب التى معهم ويتفرقون عند اياسهم من الماء فقالوا سوف نفعل مانقدر عليه من المجهود ونطلب الاعانه من الملك المعبود الذى بابه غير مردود وهو أكرم مقصود ثم وثبت الاميره قائمة فقالوا لها إلى أين أيتها الاميره فقالت انى لاأجد فى قلبى اصطبارا على الامير من هؤلاء الاشرار وبالله ان الامير عبدالوهاب ماأخذ إلا بخديعة وحيلة شنيعة وإلا فما كان تم عليه هذا الامر لما ان التقى هو وهذا الظالم ولقد وزنت الفارسين فى الحرب فوجدتهما سواء وفى الانعطاف أكفاء بحيث أن الواحد منهما لايرجع عن صاحبه وولدى على كل حال قد قاسى الاهوال ولو جرى على غير ولدى ماقد قاساه من الاهوال الذى جرت عليه لما حضر فى الميدان ولا كان ذكر حرب ولا طعان ولا وقف فى موقف الجولان (قال الراوى) فلما سمع كلامها قال لها شيظم أيتها الاميره انى أعلم من ظالم مالا يعلم غيرى ولو كان مثل عبد الوهاب عشرة كان يلقاهم وقد حسبت هذا الحساب فقالت والله ماأكبر شأن هذا الملعون بغيبتنا عن الثغور إلى بلاد افرنجه وما جرى علينا عن عقبة وان فى غيابنا عظم شانه وأهمل الرشيد امره حتى عجز عنه وعن سلطانه ومع ذلك فانى أرجو من الله تعالى الوصول إليه فهذا ابن من فى العرب فقال لها شيظم ماأعرف له أب وانما أسمع من

العرب يقول ظالم بن الغريب ولقد ذكروا العرب أن أباه من بلاد العجم وكان له أم أشر منه تسمى بمفترسة الأقران تزوجت به وكانت قد رزقت منه هذا الولد وما أدرى مات عندها أو رجع إلى بلاده وهذا شيطان ابن شيطان لا كتب الله له سلامة لا هو ولا أبوه فلم تلتفت إلى الأميرة إلى قوله بل قالت انى عولت أمضى فى هذه الليلة إلى عسكره لعلى أكشف خبر ولدى ثم تحزمت وتعممت وتلثمت على زى عرب الحجاز وخرجت من عسكرها وكانت فى تلك الحملة التى حملتها فرقت العرب عن الماء فوجدت عليه الفساطيط إلى آخر الماء ووجدت بعض أصحابها وقد نهبوا خيمة وكان فيها لما يريده الله تعالى أبو الهزاهز والأمير قراقد فأطبقوا عليهم وقطعوا كتافاتهم وخلصوهما وركبوهما الخيل وأعطوهما السلاح فصارا كأنهم ما نظروا شدة وأخذوهم وساروا طالبين العسكر وأما الأميرة ذات الهمة فانها مازالت سائرة حتى وصلت إلى سرادق الامير ظالم فوجدته جالس والعبيد بين يديه واقفين والعرب جالسين والنار تقد أمامه وهو فى حدة الاسود فوقفت الاميرة مع جملة من وقف ولكن قلبها فيه النار على ولدها ثم انها وقفت متحيرة كيف لم تعلم أين ولدها فالتفتت عن يمينها ووجدت رجل قائم من العرب المجمعة لكن ظاهر عليه علائم العطش فقالت له ياوجه العرب كيف هذه الحالة التى وقعنا فيها من هؤلاء القوم فقال لها ياوجه العرب يلطف بنا رب البيت وما أسفى والله على نفسى وإنما أسفى على رفقة لى قد نهبت قلوبهم فقالت له ياوجه العرب إنى أرى الامير ظالم يصف مقدم هؤلاء القوم بالشجاعة وكان جرحه فى هذا اليوم فما فعل الله به هل أبرم فيه أمر قال والله إنه لفى ألم شديد وها هو مطروح فى هذه الخيمة القريبة منا وإنى وحق الرب القديم متأسف عليه ولو كنت أجد له نفعا وسببا لإزالة العطش وزوال ما به من العطش لبدأت به على نفسى فقالت له الاميرة ما تقول ياوجه العرب فيمن يكسب فيه الثواب ويسقيه فقال لها الرجل والله إنك تكون الرابح فبالله عليك إن كان عندك شىء من الماء فعجل به وأتى به وها أنا منتظرك إلى أن تعود وإلا تحتاجنى أسير معك فقالت له الاميرة انتظرنى أنت مكانك ولا تحرك ساكن فأنا أرجع إليك ثم إن الاميرة تركته وعادت راجعة إلى عسكرها حتى وصلت إليه ودخلت سرادقها وأرسلت خلف الامراء أحضرتهم وأخبرتهم بما أرادت تصنع واختارت منهم الامير أبو الهزاهز والامير قراقد وطارق وسعد بن الفرج وبرد بن الازهر وطمطم وطاطم وهارون العلوى وتمام العشرة من الفرسان وحملت معها راوية من الماء وأخذتهم وسارت طالبة خلاص ولدها الامير عبد الوهاب لتتسبب فى خلاصه ببعض الاسباب حتى إذا وصلت إلى ذلك الرجل القائم وهو كالحبة على المقلة من شدة

الظمأ وقد أطمعته نفسه فى الماء فزاد عطشه (قال الراوى) فلما نظر ذلك الرجال الى الاميره قال لله درك يا أخا العرب فما أوفا زمامك وأصدق كلامك اسقنى فقالت الاميره ماهذا صواب ولا مقام الشراب ولكن سر بنا الى المضرب الذى فيه المجروح حتى لا ينظرك أحد من العرب تشرب فيعلم الامير ظالم فيأخذ السطيحة منها وتهلك ولا ندرى هل يصح الماء لاصحابنا أم لا فسر بنا إلى هذا الرجل حتى نسقيه وتشرب أنت وتحبس لنا الماء إلى غداة غد ولا تفرط فيه فقال نعم ما رأيت أيها السيد ثم سار أمامها والامراء من ورائها متفرقين يمين وشمال حتى وصل الى المضرب عند عبد الوهاب ودخل الاعرابى فوجد الامير فى حالة من العدم والعطش وهو يئن ومن تحته كسا وهو عليها ملقا فلما نظر اليه التفت الى الاميره قال لها ان الرجل قد أشرف على التلف من العطش واللهف فقالت الاميره وما عنده أحد موكل به فقال لها الرجال اعلم ان هذا ظالم لا يقدر مفسد يدور فى عسكره وقد صارت الاموال ترما فى العساكر فلا يقدر أحد ان يأخذ منها عقال وفى بلاده اذا انقطع لبعض التجار فى الطريق من أحمالها شىء فى مكان أنزلوا الحمل وتركوه فى البريه وراحوا الى البلد يكترون الدواب فلا يدور ببضاعتهم أحد فقالت صدقت (قال الراوى) وان الاميره دخلت وجلست عند رأس الامير عبد الوهاب وقالت له ارفع رأسك أيها الرجل الغريب واشرب من هذا الماء فانى أرجو لك الثواب من الملك الوهاب ففتح الامير عينيه والمضرب ليس فيه ضوء وانما قد سمع الكلام وعرفه ومد يده وأخذ السطيحة فلم تمكنه ان يشرب من الماء سوى ثلاث جرعات خوفا عليه ثم انها أخذت الماء وسقت الرجال فزال ما به من الظمأ ثم قالت اعلم يا أخا العرب ان معى شيأ من الزاد والطعام أتأكل فقال نعم أيها الرجل الكريم فناولته الاميره خشتنانكه وزنها رطل فأخذها وكانت من عمل أبو محمد البطال لان الاميره ذات الهمة عند خروجها من ملطيه قالت يا أبو محمد أنت ماتجىء معنا فاعطنا من بعض عدتك ما نتقوى به فى الشدائد اذا احتجنا اليه فقال لها ما الذى تريدى قالت له من الخشتنانك المبارك الذى تعمله فأعطاها منه خمسين واحدة فلما كان فى ذلك الوقت استصحبت معها واحدة فاخذها البدوى وقال لها يا أخا العرب من أين لك هذا الطيب قال هذا من طعام الخليفة فاكلها فنطحت رأسه الارض فعند ذلك أقبلت الاميره الى الامير عبد الوهاب فقالت له ماحلك أيها الامير فقال لها انى الاميره ذات الهمة فقالت نعم يا بنى فهل تقدر ان تنهض فقال لها والله ما أستطيع القعود فضلا عن القيام وانى هالك من هذا الجراح الذى قد اتفق على وزاد وهمه لان هذا الرجل جبار من الجبابرة فعادت الاميره ورجعت ومعها أبو الهزاهز وقراقد ودخل

قراقد عنده حتى حمله فقالت الأميرة يا أبو الهزاهز إن أمرنا ما يخفى فكن على أهبة أنت والامراء ونكون معولين إننا نفرق العرب كلها حمينا أبو الهزاهز والأمير عبدالوهاب على أكتاف قراقد فقالوا لها الجماعة لنا اسوة بكى وما نتخلا عن الأمير وفينا عين تطرف فقالت أخرجوا على اسم الله (قال الراوى) وأنهم قدعولوا على ذلك وإذا بشمعة مقبلة وعشر عبيد وظالم معهم وهم طالبين البيت الذى فيه عبدالوهاب فلما رأت الاميرة إلى ذلك قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أقبلت على أصحابها وقالت لهم ما ينجينا غير الذى أقول لكم وهو أن تخفون أمركم فى المضرب ذات اليمين وذات الشمال فاذا دخل إلى المضرب فاضربوه بالسيوف فاذا قتلتموه ما يجمع الله من العرب اثنين فى طريق واحد بل كل أحد يركب هواه وتخلصون أنتم الأمير عبد الوهاب فى حال اختباط الناس (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم ظالم أنه أراد النوم فأحب أن يشرف على الأمير عبد الوهاب إن كان صالح أو تالف هذا والأميرة قد عولت على ضرب ظالم كما ذكرنا ولم يزل ظالم يسير إلى أن قرب من المضرب وإذا بالصياح من خلفه قد علا فقال الأمير ظالم لعبيده ويلكم أنظروا ما سبب هذا الصياح الذى قد علا والصراخ الذى نما فقالوا أيها الأمير اعلم أن هذا الرجل الذى عندك مأسور كان لنا فى عسكره خمس رجال سوى من مات من كثرة العطش والظمأ لعلهم يشربون شيأ من الماء وعادوا يخبرون أن أميرتهم قد انتخبت من عسكرهم فوارس أبطال وأقيال كأنهم السباع إذا حملت الاشبال يريد كل واحد منهم ألف من الرجال وذكروا أنها قد وصلت بهم إلى هذا العسكر الذى لنا وقد عولت على سرقة الأمير الذى لهم (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة فلما سمع الأمير ظالم ذلك من كلامهم قال معلوم أنهم إن كانوا فعلوا ذلك الأمر من أول الليل فهم الساعة فى عسكرهم وإن كانوا قد أخفوا أنفسهم عند إقبال الضوء فيالها من فرحه تزيل لكل ترحة ثم صاح بالرجال فتبادرت من حوله أكثر من عشرين ألف عبد وعشرة آلاف بطل وزحفوا عليهم بعد أن نظروهم وأصدقوا عند النظر لمعرفة الخبر وصاح ظالم خذوهم فحملوا عليهم وارتفع الصياح وجردت الصفاح وضرب بعضهم بعضا وأن قراقد طرح الأمير عبدالوهاب موضع ما كان الاول وجرد سيفه وزحف إلى القوم واشتد الحرب وعظم الامر والخطب وماجت الارض بالطول والعرض من كثرة الركض وارتفع الصياح إلى عسكر الأميرة ذات الهمة فركب الأمير إبراهيم ولد الامير عبدالوهاب ونادى قدهلكت الاميرة ومن معها من الامراء فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال لهم شيظم ما لمقامنا ههنا وجه فاحملوا بنا عليهم لعل نخلص الاميرة فركب الامير

ابراهيم وركبت الناس الخيل فى ظلام الليل وحملوا على الناس فى ذلك الاغلاس وقامت الدنيا على ساق وعملت السيوف الرقاق فى الرؤس والأعناق ووقع فيهم الفنا وطلبوا كلهم المضرب الذى فيه الاميرة ذات الهمة وجاؤا على الصياح حتى وصلوا اليهم وأشرفوا عليهم وقلقت الجماجم وشوشت العمائم وانتبه النائم وفزع الحالم ولم يلحق الإنسان ركب جواده وازحف فؤاده وطاعن السنان رقاده واختلط بعضهم ببعض والكل عرب فى تلك الأرض وجعل كل واحد يضرب الذى بين يديه ولا ينظر إليه ووصل الأمير ينظر الخبر فى جماعة من أصحابه إلى الاميرة ذات الهمة وقصد الصائح وكان ظالم لما رأى ذلك هدر مثل البعير وضرب الناس ضربا نكير فتحايدت منه الرجال وجزعت منه الأبطال (ياسادة) وحملت الاميرة على ظالم وحمل ظالم عليها وحمل الامير مالك بن طوق وكذلك أبو الهزاهز أيضا وحمل قراقد وداروا بالامير ظالم فى المضرب ولم يبق لخلاصه منهم سبب وجعل يجالد عن نفسه فقالت الاميرة ذات الهمة فو ذمة العرب لقد كنت أنا وقراقد وأبو الهزاهز ومالك ابن طوق وبردين الأزهر وسعيد بن الفرج وراشد بن ضمرة وقد أطبقنا على ظالم وهو يهدر فى أوساطنا مثل الأسد الهايج وقد حرصنا على أخذه وان نظفر به فلم نقدر على ذلك ولا وصلنا اليه ولقد كان كانه الفحل إذا هاج وهو فى ذلك العجاج كانه الفحل بين النعاج وكان مليح الاحتراز شديد العراز لم يضجر من الحرب ولا يميل من الطعان والضرب ولقد قطع سيفه جميع الاتراس التى كانت معنا ولم يبق الا ان يقضى علينا وتصل أذيته الينا حتى وصلت أصحابنا (قال الراوى) فعند ذلك أخذنا منهم الاتراس وصبرنا على قتال من اجتمع من الناس هذا وظالم قد نظر إلى العرب فنادى قومه وقد حملت القواضب وتصايحوا من كل جانب دونكم وهؤلاء العشرة فهم العسكر كلهم فعند ذلك أحدق بهم عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصا ولم يزل السيف يعمل ونار الحرب تشعل وقد زاد الامر وضاق الصدر وعيل الصبر وعاد برد الليل حر وطال الكر والفر وظهر من العسكرين الشر ووقع الطعن فى النحور ونفدت الاسنة من الصدور وقصفت العمد حذو الصدور وكان ليلهم ليل محذور وبقى الجبان من الخوف يدور وعظمت عليهم الامور وجعلت الرجال فى الدما تخور وقد عاد القاهر مقهور والصنديد مكسور والشجاع مغرور وبطن الكريم منهم تحت حوافر الخيل مفجور (يا سادة) وتكاثرت العرب على عسكر الاميرة ذات الهمة فردوهم إلى أماكنهم بعد ان خلصت الاميرة ومن معها من الامراء وما فقد منهم غير سعيد بن الفرج فانه أخذ أسير وكان الذى أخذه الامير ظالم ورام القتال والنزال حتى نودى فى قبائل الظلام بالارتحال وبانت نجمة الصبح يزهو مثل الهلال ووقعت العين

على العين ودام الضرب بين الرجال وبانت لهم مواقع الضرب من اليمين والشمال وتمايلت الابطال فى السروج كتمايل السكران إذا سكر ومال وتلجلج اللسان عند الحرب من القتال وقد زاد بهم العطش هنالك أندقت العرب على أصحاب الأميرة أكثر من ألفى فارس ونادى ظالم ياويلكم ان هزمتم فى يومكم فما يبقى منكم أحد فارموا أرواحكم على هذه الشرذمة اليسيرة واصدموهم بالعدد والاتراس واشتد القتال ولقد قاتل الملك البطليموس والكندفرون قتال لم يسمع بمثله قط لأن الأمر قد زاد من كثرة العناد (قال الراوى) ودام عليه الجلاد وعز الحرب عن الأجواد فما كانت إلا ساعة حتى وقفت الاميرة ذات الهمة عن الماء هى وأصحابها وانزاحوا عنه وملكوه أصحاب ظالم ووقعوا عليه مثل النار المسعرة لأنهم لهم عشرة أيام ينظروا الماء فعظم ذلك على الاميرة وقالت معلوم أنكم فى بلاد الحجاز وكل شيء تقدرون أن تصبروا عنه إلا الماء ثم نظرت إلى الملك الكندفرون وقالت له خذ الألف فارس الذين معك واحمل بهم حملة واحدة فقال سمعا وطاعة ثم أنه جمع قومه وأصقوا الطوارق بعضها إلى بعض وعليها تلك الادهان اللماعة التى تتلالا كانها السيوف القاطعة أو البروق اللامعة وقد طلعت عليهم الشمس واخذ شعاعها بالابصار مع ضوء النهار وعليهم الدروع والقفازات وقد جردوا السيوف المشرفيات وحملوا وفى أيديهم القنطاريات وكانوا فى حملتهم كمثل حملة رجل واحد وتبعتهم الاميرة ذات الهمة وأبو الهزاهز وقراقد بجميع السودان وعسكر العراق وكذلك الأمير شيظم فى عشرين ألف من بنى كلاب كانهم أسود الغاب وإن العرب ثبتت بعضها ببعض إلا الكندفرون فانه صدم طائفة من العرب فخرقها بأصحابه وان الاميرة نظرت إلى القوم وقد حالوا بينها وبين أصحابها فعند ذلك حملت وثارت الناس شرقا وغربا وأبادتهم طعنا وضربا فاندقت بنى غسان منهزمة وتبعتها بنى مرة ولحقتهم بنى حمير وكهلان وسلمة ومذحج ونافع ومعد وخولان وأكثر القبائل وبنى ربيعة والجحافل ونظر الامير ظالم ذلك فقال لقومه سيروا إلى الموضع الذى لنا فيه الاثقال والرجال والاموال والخيام فعند ذلك عطفوا راجعين والعرب تقاتل وهى منهزمة أحسن من قتالهم فى المصافات وان الكندفرون أدرك الامير ظالم ابن الغريب وكان فى عشرين من أصحابه الذين اسلموا على يد عبد الوهاب لانهم كانت تحتهم خيول سابقة وان ظالم عطف عليهم وفى يده ست حراب وتحت فخذه عشرة فعطف عليهم وضرب واحد منهم فى صدره طلعت الحربة من ظهره وضرب ثانى فجندله ولم يزل يضرب فى الابطال بالحراب إلى أن فنيت الحراب الذين معه وقد قتل بكل حربة فارس ثم اعتمد على الرمح وطاب الكندفرون فرجع هارب وهو يقول كنت

أقول ما على وجه الارض مثل ذات الهمة وعبدالوهاب وبعده سيف الحنيفية وقد علم الله أنهم لو وقفوا قدام هذا البطل كانوا مثل النساء فان هذا رجل عظيم وبطل جسيم ليت كان يطلب الجهاد فى طاعة رب العباد (يا سادة) وان الاميرة طلبت البيت الذى فيه عبدالوهاب فما وجدت هناك إلا الرجل الذى أكل الحشتنانكه (قال الراوى) وكان السبب فيه أن ظالم دخل إلى المضرب وحمل الأمير عبدالوهاب على جمل باذل من الإبل فواده وأعطاه لعشر من العبيد وقال لهم اذهبوا إلى الحصن الذى لى فى الجبل الشامخ فضعوه هناك وأمروا من يداويه قال فسارت العبيد به ونظرت الاميرة إلى ذلك فعظم عليها وكبر لديها وبقيت بين الخوف والرجاء تارة تقول عطب وتارة تقول حملوه فهذا جرى هاهنا (وأما ما كان) من الرشيد وهياج الكردى ومالك ابن بشر والامير ضيغم فانهم كانوا فى سرادق الخارجى ظالم ابن الغريب وقد بقى عندهم أكثر من مائة ألف من العرب والعبيد لحفظ الاثقال والرجال والاموال والاسارى من الرجال والرشيد يبكى كل يوم ويقول ياضيغم إيكون هذا الخبر صحيح ان الامير عبد الوهاب سالم وانهزم إمامهم قال ضيغم يا أمير المؤمنين فكم يكون جهد واحد يعمل فى هذا العالم العظيم يا مولاى وقد كان عسكر العراق وخراسان وأنت فى ألف ألف وبعد ذلك فما كان لكم بهم طاقة فهم فى الكلام وإذا بالصباح قد وقع بان عسكر العرب عاد منهزما فعندها باس الرشيد الأرض شكرا لله تعالى ووصلت الاميرة فى أعقابهم ومعها أبطالها وأقيالها فعندها صاح ظالم فى المائة ألف الذين كانوا عند الثقل الخيام فركبت والى لقاء الأميرة طلبت وكانوا أراحوا الخيل واستراحوا ثم عادت العرب بين يدى ظالم وقد قويت العزائم لما وصلوا إلى الغنائم وثار الغبار وزاد القتال ولم يعرف الليل من النهار وقدحت حوافر الخيل الشرار فياله من يوم ترادفت فيه الأهوال العظام ورأيت العقاب عليهم حام هذا عاطب وهذا سالم وهذا موجود وهذا عادم وعاد النهار مثل الليل الغائم وأسود الجو وعدم الضو (قال الراوى) وفى تلك الساعة دخل جماعة من أهل مكة إلى سرادق ظالم بن الغريب وأطلقوا الرشيد وضيغم ومالك بن بشر وهياج الكردى وجعلوا يدورون المضارب فما كانت الا ساعة حتى خلصوا من الناس أكثر من خمسة آلاف وجعل الناس يخلص بعضهم بعضا خلص أكثر من خمسين ألف واجتمع اليهم عساكر مكة والرشيد وبنات هياج ورفعوا الرايات وقال الأمير ضيغم يا أمير المؤمنين قد عولت على أننى أحمل على هذا الظالم الغاشم وإن كان الامير عبدالوهاب كما يقول صحيحا والاميرة ذات الهمة بعسكرها بين أيديهم ونحن من خلفهم فهو سبب انكسارهم وأن قلبى يحدثنى أن أبى مجروح لا محالة والاما كان يثبت بين يديه هذا العسكر وانى قد غلبنى الشوق اليه وقال الامير مالك بن بشر وأنا والله العظيم

أعظم فقال هياج الكردي وأنا كذلك أنا وبناتي أحملوا بناحية رجل واحد واحلفوا ان ما فيكم من يرد عنانه حتى يصل إليه لخلف القوم وقال لهم الرشيد احملوا بارك الله فيكم فعند ذلك حملوا وقد صار ضيغم فى ألف ولكن أكثرهم رجاله وزحفوا خلف عسكر ظالم ولم يزالوا حتى اختلطوا بهم وكبروا ونادوا الرشيد يا منصور وعمل القتال واشتد النزال وتراموا بالنبال وخرقوا الصفوف وضربوا الناس بالسيوف وكانوا الرجال من أصحاب الرشيد يرجلون الفرسان ويأخذون خيلهم ونظر العرب إلى السيف يعمل فيهم من خلفهم ومن بين أيديهم فأقبلوا على الأمير ظالم وقالوا أيها السيد المجيد لقد فرطت فى هذا العسكر لأنك خليت فيهم مائة ألف أسير من أصحاب الخليفة وانهم خلت لهم الخيام من الرجال الكرام واغتنموا الفرصة وركبوا الخيل وقد صاروا من خلفنا وما هذا إلا من تدبير أهل مكة فقال ظالم سأريكم ما أفعل باهل مكة إذا فرغت من هؤلاء فقالوا يا أيها الأمير الأثقال والأموال والأحمال قد أخذت وقد بقينا جرايد فان رجعنا نطلب الخيام فالسيف من بين أيدينا ومن خلفنا ومالنا الا نطلب الحصن المنيع والجبل الشامخ والقوم طماعة ولا بد لهم من المسير إلينا ونرجع إليهم ونعطف عليهم فما يبقى منهم باقية وتكون هذه الأموال التى أخذوها لنا عندهم وديعة ولا بد لهم أن يقصدونا الآن لهم عندنا أميرين أسيرين يعنون بذلك عبد الوهاب وسعيد بن الفرج وان يركبوا الأموال فى مكة نأخذها ونخرب مكة فقال ظالم أنا الذى لا أنهزم أبدا ولا تسمع العرب بأنى قد انهزمت ولا وقفت هذا والسيف يعمل فيهم وقد حل بهم الدمار وهذا وظالم قد نظر إلى العرب كلها قد انهزمت فخشى أن يقع أو يؤسر فوقف وحده فى جملة عبيده لأنه كان يحب السودان دون العرب وقد اشترى منهم ثمانية ألف أسود وكانوا يركبون حوله كأنهم السباع (قال الراوى) فعندها أقبل عليهم وقال يا ويلكم أن العرب قد انهزمت وما أقول أنها بقت ترجع أبدا وما يقفون إلا عند الحصن المنيع والجبل الشامخ والذى استشاروه هو الصواب فدونكم والرجوع بنا على مهل لا يقال عنا أنا انهزمنا ونكون نحن سيفا للعرب والا هلكوا ثم سار ظالم وقد أحدقوا به العبيد وطلبوه وطلبتهم ذات الهمة وكان معها خمسين ألف فما قدروا أن يخالطوهم وحملت الأميرة ذات الهمة عليهم فرأت منهم مالم تراه من غيرهم ورجعت فلقيت الرشيد فترجلت وترجل قومها ولما نظر الرشيد إليها ترجل عن جواده إلى الأرض ومشى إليها راجلا والأميرة تقسم عليه أن لا يفعل وتعانقا وسلما على بعضهما بعض ولقيها الأمير ضيغم وهو يبكى من الفرح فعانقته وضمته إلى صدرها والأمير هياج ينظر إلى الوجوه وهو يتفقد الأمير عبد الوهاب فما رآه فقال أيتها الأميرة أين مولاى الأمير عبد الوهاب وكذلك الرشيد سأل عنه فأخبرتهم بما جرى عليه وعلى جميع الناس وقال لها الرشيد على ماذا عولتى

فقالت ارفع هذه الرجال والأموال إلى مكة وان أراد مولانا المقام ها هنا فليقم فانى لا بد لى أن أدخل الجبل الشامخ الذى رفع ولدى اليه واطلب أيضا أن أطهر الأرض من هذا الشيطان الذى فعل مالا يقدر عليه أن يفعل كفعله أحد وعمل مالا يستطيع أن يعمل (قال الراوى) ثم رفعت الأميرة الأموال إلى مكة وقال لها الرشيد والله لا قعدت عنكى ولا كنت الا فى صحبتك وأنا والله إلى عبد الوهاب مشتاق ومحترق عليه غاية الاحتراق (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك رحلت الأميرة وللرشيد سارت الركائب وقد صاروا فى ثلثمائة ألف فارس ورفعت الأعلام والرايات والأميرة تحجب الرشيد وهو فرحان بذلك وقال يا لها من ساعة ما أبركها ثم قال لها دعى عنكى أيتها الأميرة الحجوبية هذه الساعة وحدثينى كيف كان خلاصكم فاعادت عليهم كيف عمل عليهم القاضى عقبة وهم أسارى وكيف أنفدهم إلى الدير الذى للراهب سميع وانطاكية وكيف لقيهم الملك الكندفرون والبطليموس وأخذهم ووصل بها إلى الكندفرونيه وكيف سمع عقبة بهم وساروا إلى دمشق وإلى صور إلى المدينة إلى التكبفرونيه وكيف تبعه الأمير أبو محمد البطال وقال ما قصد عقبة لتلك الديار إلا لامر غريب عجيب (قال الراوى) والرشيد يسمع ذلك وقد قام شعر بدنه ثم أخبرته الأميرة بوصول عقبة إلى مدينة كندفرونيه والبطال فى أثره وقدوم الملك البطليموس وكيف كان قتالهم والرشيد فى غاية التعجب والحنق على عقبة وهو يقول ماهذه منكى أيتها الاميرة الاحنق عليه لاجل الفتن التى تجرى معكما أولا فما أقول الا انه يسلب عقله فيختار الكفر على الايمان فلما سمعت الأميرة ذلك من كلام الرشيد ضحك وقالت يا أمير المؤمنين وحق هذا البيت العتيق وكلمة التصديق الصادق وابن الصديق ان عقبة يكفر بالرحمن ويكذب بالقرآن ويأكل لحم الخنزير فى شهر رمضان ثم أحضرت الاميرة ذات الهمة الملك الكندفرون والملك البطليموس والالف فارس وقالت لهم تعرفون القاضى عبقة فقالوا لعن الله ذلك الكافر الفاجر الذى هو خراب بيوت المسلمين وهلاك الموحدين ومشيد أركان الملحدين ثم أعادوا على الرشيد قصة عقبة وكفره وأكله لحم الخنزير وتجريه على الملك القدير فلما سمع الرشيد ذلك ذهبت عنه هذا الشكوك وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لقد حق القول على هذا الملعون وماغاب هذه الغيبة الا وهو يدبر فى أمر هدم الدين وهلاك المسلمين وبالله أقسم قسما بهذا البيت المطهر لابد لى ما أنتقم منه انتقاما مؤلما وأسلمه اليكم تتحكمون فيه بما تختاروا أنتم وسأل عن الاميرة أبو محمد البطال وقال مالى لا أرى نزهة الزمان فقالت الاميرة يامولانا حديثه عجيب ثم أخبرته بقصة نورى وماجرى على الاميرة وعلى أبو محمد

التى جرت وكيف دخل الامير أبو محمد البطال بالملكة نورى فقال الرشيد لقد نال أبو محمد مايتمناه (ياساده) وساروا مجدين فى أمرهم وقد تعجب الرشيد مما جرى عليهم وأقبل على الفضل بن الربيع وقال من يلومنى على محبتى إلى هؤلاء القوم الذين لولاهم كنت اليوم فى يد الاعداء وكانت البلاد قد أخذت من يدنا فقال الفضل بن الربيع يامولانا كلنا عتقاء سيوفهم فقال الامير عمر ومانعرف الافضل هذه الاميره علينا فى سائر الاوقات ولم يزالوا سائرين حتى بقى بينهم وبين الحصن المنيع والجبل الشامخ يوما أو أقل من يوم (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء القوم (وأما ما كان) من أمر الامير عبد الوهاب فانه بقى لا يأكل ولا يشرب وقد عمل عليه الجرح وقد أشرف على العطب وان العبيد قدوصلوا بها إلى ذلك الحصن ورفع إلى أم الملكة أم الامير ظالم وكانت كبيرة القدر والشأن وكانت هذه احتجبت عن الركوب والقتال ففتح الامير عينه ونظر إلى ذلك الحصن وإذا هو للملكة القناصة فقال الامير عبد الوهاب فى نفسه والله هذا الحصن الذى لزوجتى القناصة ولاشك أنها ماتت وانتقلت الدولة وتغيرت الامور واستولى على هذا المكان هذا الشيطان وان الامير وقف عليه طبيب داوى جراحه فاقرب صلاحه حتى قدم إليه ظالم بن الغريب ونزلت العرب حول الحصن فى لحف الجبل الشامخ وجعلت أهل القرى والضياعات يحملون الزاد والعلوفات من كل جانب ومكان وصعد ظالم إلى الحصر واجتمع بامه الملكة القناصة فقالت له يابنى ما لى أرى وجهك إلى غير ما أعهده فقال لها اعلمى أن العرب انكسرت بين يدى العدو وما وقفت وكنت قد أخذت الاموال وأخذت مالا عين رأت ولا أذن سمعت وأخذت أبا راشد الذى هو خليفة المسلمين حتى جاء هذا الجريح الذى عندنا الذى هو عبد الوهاب الحارث ابن ظالم الكلابى فلما سمعت القناصة ذلك طار قلبها وقالت يا بنى وأين هذا الرجل المجروح الذى عندنا فقال هو فى وسط الحصن ومعه رجل آخر من بنى كلاب يسمى سعيد بن الفرج فلما سمعت ذلك بقيت متفكرة فى أمرها وصبرت حتى نزل ولدها ظالم وأخذ الراحه وقالت له يابنى أنت أردت لروحك الهزيمة والالو كنت معك لما كان تهرب من العرب أحد لانى عارفة بهم وبمواضعهم وأماكنهم وأماراتهم ولكن يابنى ارفع هذا المأسور عندنا إلى أعلا الحصن فلا بد للقوم ما يقصدونا ويقدمون علينا فقال السمع والطاعة ثم أن الامير ظالم أطلع الامير عبد الوهاب إلى الحصن وخرج إلى العرب وجعل يحدثهم ويقول لابد للقوم ما يطلبونا بأسرهم وهم يقصدونا بعسكرهم فقالوا ياأمير نحن نرجوا من الرحمن أن يسهل لهم بالمجىء إلينا والقدوم علينا حتى نفنيهم ولو كانوا بعدد الحصى فقال ظالم لا كلام حتى يقدمون فوحق البيت

والمقام وزمزم لا بد ما أقوم بقتالهم يوما كاملا حتى يتحدثون بقتالهم جيلا بعد جيل وقيلا بعد قيل (قال الراوى) وإن القناصة قامت تتمشى بين جوارها وقد تغيرت عن ذلك الحسن التى كانت فيه وزال عنها ذلك الجمال ولكن قوتها باقية كما هى عليها وشحم بدنها وفصاحة لسانها ولم تزل حتى وصلت إلى الأمير عبد الوهاب فلما رفعت عينها فى عينه صرخت بملء بطنها ووقعت عليه وأخذتها الرجفة والزمع وقد طار عقلها من محبتها له (يا سادة) وهذا ظالم هو ولدها من الامير عبدالوهاب فكان لما كبر يقول لها يا أماه من هو أبى فتقول يا ولدى أبوك رجل غريب وكان فارس الأرض فى طولها والعرض وأنه مات وأنت صغير وكان قصدها بذلك حتى لا يعلم أن أباه عبد الوهاب سالما فى الثغور فيسير إليه ويطلبه ويفارقها وتبقى بحسرته (قال الراوى) فلما أن عرفت القناصه أنه عبد الوهاب جرت فى دواه وطبه وأنفقت عليه جملة أموال حتى برىء فلما علمت أنه قوى وطابت نفسها وغطت وجهها بالبرقع لئلا يعرفها وهمت أن تعرفه بنفسها وإذا بالصياح قد علا والغبار قد أقبل والعسكر أقبل ولمع الحديد وقد وصل الخليفة فقالت القناصة لولدها يا بنى هذا العسكر من مقدمه فقال الخليفة وحامية هذا العسكر امرأة يقال لها ذات الهمة وهى أم هذا الأمير عبد الوهاب ولم أرى يا أماه على وجه الأرض مثلها وبالله أقسم أننى ما قدرت على هذا الأمير إلا بسبب هذا الجرح الذى انفتق عليه فقالت القناصة يا ولدى أخرج إلى قتال القوم ولا تفكر فيهم ففى غداة غد أخرج إليهم بروحى ولا يصعب عليك أمرهم ثم إن ظالم نزل والعرب عن يمينه وشماله هذا والأميرة قد عبرت أبطالها ومواكبها وأن الرشيد قد وقف فى وسط الجيش ونظر ظالم إليه فعرفه فناداه يا أبا راشد سوف أركبك على حجر من هذا الجبل فقال الرشيد عرفنى لا كتب الله عليك سلامة وما لى عنده اسم إلا أبا راشد فقالت الأميرة ياأمير راشد وخير وسوف أشفى قلبك منه ثم أنها خرجت كأنها الأسد الغضبان وقالت يا أمير المؤمنين اعلم أن هذا العسكر كله بهذا الشيطان فان فقد فهو بهم جميعا وأنا مابى إلا ولدى عبد الوهاب وأريد آخذه أسير ثم حملت لوقتها حتى قربت لمندعسكر ظالم ونادت ياظالم ويلك وإلى كم هذا التعدى أخرج إلى القتال ثكلتك أمك وعدموك قومك فلنا عندك أسير وهو الأمير عبد الوهاب فعندها برز الأمير ظالم إلى الأميرة ذات الهمة وتقاتلا قتالا عظيما ومل الأمير ظالم من القتال وأرادت الأميرة أن تأخذه أسير وتتركه حقير وإذا بالأمير عبد الوهاب على الصور والقناصه إلى جانبه وهو ينادى أيتها الأميرة ارفعى مضاربك عن ولدى ظالم (يا سادة) وإن القناصة كانت لما إن طلعوا بالأمير إلى الحصن وعرفته فصبرت عليه إلى أن تكاملت عليه العافية فتنكرت ودخلت عليه وقالت هكذا تفعل الرجال مع

النساء فلما سمع كلامها عرف لغتها وقال كأني أعرف هذه النغمة من أنتي ومن هذا الولد منكي فقالت له أنا القناصة وأما الولد فانه ولدك لانك لما رجعت من عندي بان على الحمل ووضعته ومايشبهك إلا فى محبته للسودان فطلع قعد على السور ونادى بذلك النداء فلما سمع الامير ظالم ذلك فرح بخلاصه من الاميرة وفتح باب الحصن وخرج الامير والقناصة إلى جانبه وترجلت السودان بين يدي الامير ظالم ولما التقيا ترجل الامير ظالم إلى والده واعتنقا وقال له الامير ياولدى استعمل الادب وامضي معى إلى الخليفة فان طاعته فرض وهو خليفة الله فى الارض فتكلف بعد ذلك ظالم ومضى معه كانه ماشى الى سخره ولما أن دخل على الخليفة قبل الارض بين يديه ففرح به الخليفة وخلع عليه ونادى بالامان (قال الراوى) وكان مع ظالم أمير من الامراء الذين أتوا الى نجدته طالب بلاده ولم يستأذن الأمير فأسروه وأتوا به الى بين يديه فلما رآه الاميرعبدالوهاب والاميرة ذات الهمة تشفعوا به وقالوا أيها الامير اطلقه لأجلنا فعندها جرد سيفه وضربه أطاح رأسه عن بدنه وقال قد وهبته لكم خذوه وادفنوه وقد انفطرت مرائر بنى سليم وقالوا لاطاقة لنا بهذا سيما وبنى كلاب يحرضوه علينا وعلى الشيخ الصالح عقبة أول الناس لان هذا مايدرى ماالرشيد هو فى الدنيا أم لا فقالوا بنى سليم كلما نحن فيه من عبدالوهاب لانه فى كل يوم يزرع لنا بزره فى موضع وقد قويت شوكته بهذا الولد وهذا العسكر فقال عمرو بن عبيد الله ماأقول ان ظالم قط يأتى إلى أرض العراق ولا يخلى بهذه الديار لانه منها ولا سيما حب الوطن ولابد لى ما أتحدث مع الفضل بن الربيع عسى يعمل على هذا الشيطان لايجىء معنا ثم وثب الى الفضل ابن الربيع وأعاد عليه القصة فقال له الفضل ياعمر ولا تتحدث معى من شأن ظالم بكلمة واحدة فالحيطان لها اذان وأخاف ان يبلغه عنى كلمة فهو مايحتمل مثل أبوه عبدالوهاب فيكون ذلك سببا لانقطاع رزقى من الدنيا فرجع عن ذلك وقد يئس مما أمل وقد حمل هماما يحمله جمل (ياساده) وأقاموا الناس فى الضيافة شهرا كاملا والقناصة تقوم بهم والامير عبد الوهاب فى مد مقامه عندالقناصة يقول لها كل يوم وليلة دعى عنكى المقام ههنا فلو رأيتى الديار التى نحن فيها الأعجبتك أكثر من هذه الديار فعولى على المسير حتى آخذ ولدى ويصير معى فما بقى لى عنه صبر ولا على فراقه جلد فقالت له اعلم انى قد أجبتك إلى ذلك ولكن حتى أشاور ظالم ولدى فقال لها افعلى ذلك

﴿ تم الجزء العشرون ويليه الجزء الحادى والعشرون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

رواها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدروس المحتال

تأليف

علي بن موسى للقاني وابن بكر المازني وصالح العنبري وجريد بن
عمار المزني وعبد الله بن وهب اليماني وعوف بن فهد
الفزاري وسعد بن مالك التميمي وأحمد النشاطي
وصابر المرعشي ومحمد بن هشام العامري

المجلد الثالث

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف
على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الحادى والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده يا كرام وان القناصة خلت بولدها وشاورته فى السير مع أبيه فأبى ذلك وقال أنا ما أريد أما ولا أبا ولا أرحل من هذا الحصن إلى مكان أبدا فأعادت ذلك على الامير عبد الوهاب فعظم عليه وصعب لديه فقالت له القناصة أيها الامير أنا أكشف لك مافى ضميره وهو الذى يرغبه فى المقام هذه الديار فقال لها الامير وماذاك أيتها الاميره والسيده الخطيره فقالت له اعلم ان ظالم عاشق هائم لانه يهوى ذى صباح ابنة المهلب صاحب قلعة الثريا وبيننا وبينها ثلاثة أيام لان القلعة فى هذا المكان الذى هو الجبل وقد كان بينى وبين أم صباح صحبة وصداقة من عهد الصبا وكنت أمضى اليها وتأتى إلى فلما رزقت هذا الامير ظالم كان يمضى معى وهو صغير السن الى هناك وكنت أمضى الى زيارتها وفى صحبتى ألف فارس من قومى وكانت أمها تأتى الى فى العام القابل فى مثل ذلك وانها رزقت من المهلب هذه الجارية التى اسمها صباح ولها وجه مثل المصباح ودام الامر حتى صار للامير ظالم من العمر عشر سنين ولها كذلك فنظر اليها نظرة الفحول إلى صاحبات الساق المفتول فعلق قلبه بها وانقرح خاطره وحام الشعر خاطره وسرائره فأنشأ يقول

رأيت صباحا كالصباح اذا بدا بوجه مضى مهند قد سبانيا
لها وجه بدر ثم عين رضية ولفظ رخيم شافيا لسقاميا

وجعلت تقول أيضاهى هذه الابيات

حلفت ببيت الله أن جماله أحب الى قلبى اذا من جماليا

فياظالما لا تظلمنى محـــبة ترى فيك رأى الواثق المباديا

(قال الراوى) فلما سمع ذلك صار يلزمنى على المسير اليهم فى كل عام حتى صار الكل واحد منهما خمسة عشر سنة وان أباها كان ذات يوم جالس اذ دخلت عليه جارية من جوار صباح وأعلمته أن صباح تحب ظالم وظالم يحبها ورأيتها تقبله ويقبلها فى خدها الايمن فعظم ذلك على المهلب أبو الصبية ودخل على زوجته أم صباح وضربها بالسيف فأطاح رأسها وحجب صباح ثم قال الذنب للام التى أخرجتها إلى هذا وانقطع مسير اليهم أيها الامير وان ظالم لما أشرف على العطب من حبها له أخذ معه مقدمين العرب وسار اليها وخطبها من أبيها المهلب فأبى ان يزوجها به وقال بعدان شاع انه محبالها ماأزوجها به أبدا فقال بعض جماعته لو أعطيتها له كان ذلك أحسن لانها تحبه وهو يحبها فقال والله لو بقيت بتى إلى الممات ماأزوجه بها مطلقا فعظم ذلك على ظالم وركب فى جنوده وغلمانه وعبيده وكانت الحلل نازلة حول القلعة المعروفة بقلعة الثريا فجعل يشن عليهم الغارات ويقتل الرجال وبلغت غاراته فى سائر اليمن وأخذ الاموال والرجال وأسر العبيد والموالى وخافته العرب من كل جانب ومكان وخرب أعمال المهلب حتى لم يبق معه سوى ألفين فارس وتفرقت عنه الخلق فأصبح فى قلعته ولم يرجع يظهر منها أبدا وإذا أرادوا قومه ان يمضون إلى بعض الاشغال لايجسرون أن يسيروا على قلعة الثريا وهى قلعة لاترام وما لها نظير فى سائر الانام لان القلعة التى لنا وهى تنظر الى مسيرة عشرة أيام لان الارض حولها واطية وقد طالت الايام ومضت الاعوام وظالم بها هائم مسكين وفى أسر المحبة رهين (باساده) وقد ملك رقاب العرب شرقا وغربا وبعدا وقربا وحط على نواصى الفرسان وهابته الاقران الان المهلب امتنع منه بهذه القلعة وكيف يقدر على المضى معك وقلبه هائم بما ذكرته لك من الهوى والغرام والبلوى والسقام على تواتر الايام والشهور والاعوام فان كنت تقدر على هذا الامر ان تتوصل الى تزويجه بهذه الجارية الموصوفة بالحسن والجمال فهو المراد مسرة الفؤاد وتسلم هذه الديار الى المهلب ويكون فيها من قبلك ونحن نسير معك قال الامير عبد الوهاب هذا الأمر قريب وما أقول انه ان عرفنى يمتنع ساعة واحدة وأنا أكلف الرشيد أن يدخل معنا الى ذلك المكان ويتولى هذا الأمر بنفسه فهو لايخالف أبدا ولكن حتى أسمع لفظ ظالم

(قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب أحضر ولده ظالم وقال له اعلم اننى شيخ كبير ولم يبق لى صبر على فراقك ولا جلاده على وداعك ولو كنت أعلم أن لى فى هذه

البلاد ولدلما كان صبر قلبي عليك ساعة واحدة فما تقول فى المضى معى إلى أرض العراق فهى بلاد طيبة وأماكن لذيذة المقام كثيرة الانهار مورقة الاشجار غزيرة الثمار وتجاهد معنا فى طاعة الملك القهار وتضرب بسيفك فى وجوه الكفار وأنا ضعفت قوتى عما كنت أعهده منى وتكون أنت المقدم على بنى كلاب من بعدى والمؤمر على اخوتك ابراهيم وضيغم وقشعم وسيف الحنيفية الذى هو وجوه الاولاد وثمرة الفؤاد

(قال الراوى) فلما ان سمع ظالم ذلك الحديث من أبيه رفع رأسه اليه وقال له اعلم يا أبى اننى أما راغب فى بعدى عن هذه الديار التى قد ربيت فيها والاوطان لها فى قلبى مكانه وأما قولك أكون مؤمر على العرب من بنى كلاب فأنا ههنا سائر القبائل من جميع الاماكن تحت طاعتى ويسارعون إلى خدمتى وأنا لا أخلى حصنى ولا قلعتى وأما قولك لا أريدوما أريد الا الشيح والقيصوم والجلوس فى الصحرا والعرب أحب إلى من معاشرة الحضر فتذهب قوتى ونخوتى وتنكسر عزيمتى وهمتى فقال له يا بنى لا تفعل فان الله تعالى قد أوصى بحفظ الوالدين فقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احسانا وأن تكون معهما فى مكان واحد ولا تخالفهما فى قول ولو كان فى تلك المشقة والهوان وأنا أعلم ياولدى انك مشغول القلب وتحب صباح والهوى فضاح وأنا أعاونك على خلاصها وأعمل فى أخذها ان شاء الله تعالى ونمضى كلنا الى الثغور وسوف آخذ لك من بنات البطارقة مالو وقفت بين يديها صباح لم تصلح لها مصباح فلما سمع ظالم كلام أبيه قال له وقد تكلم وتكلل جبينه من العرق حياء من أبيه والله لو أردت أيها الامير ان أسير معكم لما قدرت من هذا الذى ذكرت فقال الامير سوف تنال ما تحبه ولو كنت تعطينى بذلك عهدا اننى إذا خلصت لك الجارية تسير معى قال سمعا وطاعة (ياساده) ووجد الفضل بن الربيع ذلك الوقت إلى الكلام سبيل فقال والله ما يطيب قلب الانسان ان يفارق وطنه وان كانت طاعتك بقول الله فرض وأنا أعلم مقامه ههنا أحب اليه وقال الامير عمرو مثل ذلك فقالت الاميره ذات الهمه خلوا عنكم هذا والله ان جلسته فى تلك الديار أطيب من كل ما على وجه الارض وما سمى الحجاز إلا لانه فى قفر خراب ثم ان الاميره قالت الرشيد يامولانا ان أردت المقام ههنا فافعل وان أردت ان ترحل معنا فافعل فقال بل أرحل معكم ثم رحل الرشيد والاميره والامير عبد الوهاب والامير ظالم ومامعه وهم خمسين ألف من يأكل الذريرة عنده وهم أصحاب القوى الذين فى ذلك الجبل الذى يختص بالامير ظالم والثمانية آلاف عبد وعسكر الرشيد كله وجدوا فى السير ثلاثة أيام وكان المهلب فى قلعته فنظر إلى عسكر الرشيد فقال لاصحابه لاشك ان ظالم جرد وجهز الينا هذه العساكر وقصيده أرضنا وما يعودوا إلا خائبين مما أتونا اليه وكان

للمهلب عيون على ظالم يعطوهم الاخبار فسبقوا عسكر الرشيد وأعلموه بما جرى وأخبروه فقال المهلب وقد فرح وذمة العرب لو قعد الرشيد طول زمانه على هذه القلعة ماوصل اليها وماقدر عليها ولا غاب ولا وصل ظالم إلى ابنتي أبدا وإذا ضاقت بي البيد أسقيت ابنتي كاس الردامع انهم لاسبيل لهم اليها من الهوى أو ينزلون من السما لان هذه القلعة ما مثلها فى الدنيا ثم أقام على ذلك حتى وصل عسكر الرشيد وأرسل الى المهلب كتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله أمرنا بالنكاح ونهانا عن السفاح والنبى صلى الله عليه وسلم قال تناكحوا تناسلوا فانى اباهى بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله وماأنت أجل قدرا من شعيب النبى عليه الصلاة والسلام اذ يقول لموسى انى أريد ان أنكحك احدى ابنتى هاتين ولا يسعك ان تخالف الامام ومع هذا فان ظالم أشرف نسبا وحسبا وأوفاهم أدبا وأشجعهم قلبا وان أبيه سيد بنى كلاب وهو الامير عبد الوهاب الذى تجب طاعته على سائر العرب وعلينا كلما تطلب من المال والنعمة الجمة (قال) فلما سمع المهلب ذلك وثب من ساعته إلى ابنته وأخذ بذوابتها وكانت مثل الشمس الصاحية وأخرج خنجرا أمضى من القضا وأحد من البلا وأرادان يضربها به على حلقها ولم يبق الا قتلها وقال أكون قد قتلتها ولا يركبنى العار أبدا وتصير ابنتى مثل الجوار وآخذ ثمنها من هذا الشيطان ظالم ولو أعطانى جميع الضياع والقلاع غنما ونعما وعبيدا وخدما

(قال الراوى) وتواثبوا اليه أبطاله وأقياله وكان فيهم رجل يقال له الخطاب محبا للجارية وقد عول على انه يتزوج بها وكان لهذا الرجل نعمة عظيمة وأموال جسيمة الا أنه لايتجاسر ان يخطب هذه الجارية فزعا لايعلم ظالم هذا الأمر فيكون سببا لقتله فوثب عند ذلك الى أبيها وقال له أيها الامير ماهذا الفعل الشنيع الذى مافعله أحد من العرب وما هذا الأمر الفزع الذى قد دخل اليك وأنت فى هذا المكان الذى طيور الجو ما تقدر عليه ولا تصل اليه وماحملك على هذه القضية وما ذنب هذه الصبيه أرسل اليه وقل له لاسبيل لك اليها ولا لك وصول عليها (قال الراوى) فلما سمع ذلك من كلامهم قال نعم ماراًيتم فقالوا له أصحابه هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب فعند ذلك حلها من يده وأرسل إلى الرشيد يقول له أما أنا فانى سامع مطيع ولكن مالى بنت تصلح للزواج وان أنتم زدتم على رمينها فى هذه الساعة من سطح القلعة الى الارض ومالكم إلى الصعود من سبيل ولولا هيبة الخلافة نزلت وضربتكم بالسيوف وأسقيتكم كاس الحتوف (قال) وكان هذا المهلب من أشجع العرب وأكثرهم نخوة وحمية فارسا لايطاق وعلقما لايذاق ومعه ألفى

فارس كل واحد يريد لرأسه ألف فارس فلما ان وصل الكتاب إلى ظالم والرشيد عظم عليه وأرسل اليه رسولا ثانيا فاخرق به المهاب وأنزله على أقبح صورة (ياساده) وأقام الامير عبد الوهاب على ذلك المكان ولم يحرض ان يدبر عليه حيلة أو يعمل مكيده أو يقدر ان يتوصل الى القلعة بوجه من الوجوه فبقى هنالك مقيم ثلاثة أشهر والمكان لا يقاتل ولا فيه سهم ولا نقب (قال الراوى) وجاءت الاخبار إلى الرشيد يخبرون بوصول الحاج إلى مكة وان الامير أبو محمد البطال فى جملة القوم والسبب فى ذلك انه لما أبطأ عليه ذلك قال لا يكون قد جرى على الامراء أمر وكان الأمير أبو محمد قد بدا يصحو من سكرة الهوى ولوعة الجوى ثم اتصلت الاخبار على أجنحة الطيور تخبر بانهزام عساكر الخارجى وكان الأمير أبو محمد لم يزل يقرأ القرآن بين يدى الملكة نورى حتى حنت عليه ومال قلبها اليه وأقبلت بكليتها عليه وزاد الأمر بها فارتاحت إلى دين الإسلام وأسلمت باخلاص نية وطاب قلبها وفرح الامير أبو محمد وتصدق بالفى دينار وشكر الله تعالى فقالت له يا أبو محمد لقد اشتهيت الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام عسى يكفر الله عنى ما قد كان منى على طول السنين والاعوام من الغفلة وشرب المدام الذى هو على كل مسلم حرام ففرح أبو محمد وكان له فى ذلك أكبر الغرض لانه كان قد اشتاق إلى الأميره والامير وقد اشتاق ان يلحق بهم والثانى حتى تحج إلى بيت الله الحرام والثالث حتى تنقطع اخبار نورى عن بلاد الروم ويكون آمن عليها إذا سافر وهى معه

(ياساده) وسار أبو محمد البطال إلى بغداد وقد بلغ المراد وفرح به أهل بغداد ومشوا بين يديه أرباب الدولة ونزل إلى أوفى مكان وحملت اليه الست زبيده من كل هدية حسنة وسألته عن عقبة فانكر حاله وقال ما عندى منه خبر ولم يبق أحد إلا وحمل اليه ما يستعين به على الطريق والامير أبو محمد يقول لنورى أنظرى قدرى عند جميع الناس وانى أعلا قدرا من عبد الوهاب بزمان صحيح أم لا فقالت يا أبو محمد الآن مضى ما مضى وقد أخذناك بالقبول والرضى وسار أبو محمد إلى الكوفه وسار مع الحاج إلى مكة شرفها الله ونورى قد نظرت إلى البيت العتيق والركن الوثيق فوقع عليها البكاء والشهيق وحلا الإسلام فى قلبها بالتحقيق وفى تلك الايام وصل الكندفرون والبطليموس فى أصحابهم الذين أسلموا على يد الامير وجماعة من العرب مع مالك ابن بشر وقد جاؤا يحضروا الوقفة ويقضون الحج الذى هو عليهم فرض وان القوم التقوا بالامير أبو محمد وفرحوا به الفرح العظيم وسألوه عن حاله فاخبرهم بما قد جرى من نورى فشكروا الله على ذلك وكان بجيئهم من قلعة الثريا وذكروا للامير أبو محمد أمرها فقال والله إنى عارف بها ومافى الأرض مثلها

ولكن ما كان الأمر يحتاج إلى ذلك كله ثم انه أودع الملكة نورى بعد حجها فى مكة عند الشيخ الإمام أبا حازم الواعظ رضى الله عنه وسار بعد الحج وهو مقدم على عسكر السكندفرون والبطليموس وسبق البشير إلى الرشيد وإلى عبد الوهاب ففرحوا به وقالوا والله لقد أتانا أبو محمد البطال فى وقت الحاجة اليه وما مضى على ذلك أيام قلائل حتى وصل الامير أبو محمد البطال والعسكر والتقاه الامير عبد الوهاب والاميره وسائر العرب ودخل على الرشيد وباس الأرض بين يديه فقام له الرشيد قائما وترحب به وأجلسه إلى جانبه لانه كان قد اشتاق اليه فهناه بأخذ الجاريه نورى وسأل عن سبب مجيئه فذكر لهم القصة فتعجبوا من ذلك وقالوا سبحان من يهدى من يشاء فقال الأمير أبو محمد ماسبب مقامكم ههنا فقال الرشيد ان كل ساعة تمضى على أطول من سنة وقد حرت فى هذا الموضع وما يمكن أن أغصب الأمير عبد الوهاب على الانتقال والارتحال وما بلغ غرضه فقال أبو محمد لاتحمل على قلبك فانا الليلة أسلم اليك القلعه فضحك الأمير عبدالوهاب والرشيد من فعاله وقالوا بارك الله فيك فقال لا كلام حتى يختلط الظلام وتبلغون ان شاء الله تعالى المراد (قال الراوى) ونظر ظالم إلى أبو محمد وسأل الأمير عبد الوهاب عنه فقال يا بنى هذا عمك أبو محمد البطال فضحك ظالم وقال وذمة العرب لقد كنت أسمع عن هذا الرجل أشياء كثيرة من أعمال الحيل فى سائر البلاد وما أراه الا أن صورته صورة دنية الخلقه لطيفه فقال أبو محمد جزاك الله خيرا لو لم يعلمك أبوك انى عمك لما كنت وقرتنى هذا التوقير كله فضحك الرشيد وقال عندنا من هذا طرف ياأبا محمد اعلم ان الرجل تربية البرية فاحتمله فقال سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين فلما ان أمسى المساء أقبل أبو محمد على غلمانه اوأو وسبك ويانس وبديع وجوهر لانهم كانوا قد وصلوا صحبته وقال أريد الذى أوصيتكم بالنهار فقالوا سمعا وطاعة ثم عمد الأمير أبو محمد إلى خمسة نوق وحملها تمر وزبيب وحنطه وشعير ودقيق وعزم بهم إلى ناحية الشرق وسار فى الليل أجمع إلى أن صار بينه وبين العسكر خمس فراسخ وأكمن هناك برجاله فقالوا له غلمانه ايش هذا العمل لانك لا فى العسكر خليتنا ولا على الطريق الذى للقلعة أخذت بنا فقال دعوا عنكم هذا الكلام وأقام كذلك إلى وقت الظهر وقد عمد إلى غلمانه واشتد عليهم الحر وهجم البرد وضاق الصدر وإذا براكب تحته نجيب وهو سائر مجد فلم يشعر بنفسه إلى وهو فى أوساطهم فقال لهم أنتم من تكونوا فقالوا قوم مسافرون ومعنا حنطة وشعير ودقيق ونحن فى أرض من زاوية اليمن وركبنا فى البحر وقصدنا هذه الأرض حتى نتوصل إلى هذه القلعة نأخذ به مانعود به على أولادنا فقال لهم ماالذى يمنعكم عن المسير فقالوا الفزع من هذا العسكر الذى محاصرها

فقالوا لهم كونوا فى أما كنكم فأنا قدأر سلنى المهلب فى طلب شىء من التمر وقد قضيت الحاجة والساعة أعود اليه وأخبره بأنكم ههنا حتى يرسل اليكم وتعودون تدخلون القلعة لئلا تنزلون وما تعودون الا بما تطلبون ويطيب نفوسكم والعسكر مايصل اليكم لانكم ماتدخلون القلعة الا بالليل ثم عاد على النجيب وقد فرح بعودته من قريب فعندها أقبل الامير أبو محمد على لؤلؤ فقال له ان الله قد نظر الينا والساعة أريدك تسير الى العسكر بالعجل وتقول لعبد الوهاب يسير الينا هو والأمير قراقد وأبو الهواهز وضيغم ولا يمضى من الليل ساعة الا وقد وصلوا الى فقال سمعا وطاعة وسار لؤلؤ الى الأمير عبد الوهاب وأخبره بقول الأمير أبو محمد فساروا اليه كما ذكرنا بعد ما قطعوا الطريق على الفرس والنجيب حتى وصلوا اليه فألبسهم أبو محمد الثياب التى كانت على غلمانه ورد غلمانه الى العسكر وأقام بهم الى نصف الليل حتى وصل البدوى وقال لهم ارفعوا الاحمال على الجمال واعزموا على الارتحال (ياساده) فرفعوا وللارض قطعوا وجردوا الجمال وهى تهمز همزا حتى وصلوا الى القلعة عند السحر والغلس العظيم وطلعت الى باب القلعة وهى تهيم وفرح غلام المهلب بوصولهم فى آخر الليل ثم أخبر المهلب بوصولهم ففرح وفتح لهم الباب فلما أن صار الأمير عبد الوهاب فى وسط القلعة صاح فتح الله ونصر وهز حسامه ثم شهر وفعلوا أصحابه كذلك ونظر المهلب اليهم وطمع فيهم لقلتهم وصاح بقومه فحملوا عليهم واختلف الطعن والضرب وأضرمت نار الحرب وعمل الصارم العضب وصاح المهلب بالرجال فحمل منهم من دنى أجله الى الارتحال هذا والأمير عبد الوهاب يقول ياقوم اعلموا اننا مادخلنا هذا الحصن الاوقد علمنا ان قتالكم أهون علينا من شرب الماء وأنا عبد الوهاب وهؤلاء الابطال المجاهدين الابرار وهذا كتاب أمير المؤمنين اليكم الواجب عليكم طاعة الخليفة وان خالفتموه حلت دماكم وأموالكم فلما سمعوا ذلك من كلامه أقبلوا أهل القلعة الى المهلب وقالوا له وذمة العرب ان الذى قالوه صحيح فلما سمع ذلك من كلامهم حمل على الأميره ذات الهمه واذا بها قد صاحت صيحة أهبلته وبلبلته ثم ضربته بالسيف صفحا أقلبته فوقع على الأرض مغشيا عليه فلما نظرت العرب الى هؤلاء الابطال كانهم السباع رموا السلاح من أيديهم وقالوا مانعصى أمير المؤمنين وعبد الوهاب ثم نادوا الأمان الأمان . فقال الأمير عبد الوهاب لاأمان لكم عندى الا باحضار الجارية صباح فأحضرت فى الحال وفتح باب الحصن وطلع الرشيد وأرباب الدولة وزوجت الجارية بالأمير ظالم بعد ما أطلقوا المهلب وندم على فعله وتولى عقد النكاح الشيخ الإمام صاحب الاحكام أبو محمد البطال ودخل ظالم بالجارية من ليلته وقال له

الأمير يا بنى أوفى بما عليك فقال له سمعا وطاعة ثم قال المهلب تسلم قلعتك وحصنى المعروف بالمنيع وأنت من قبلى فى الجميع وأنا راحل أنا وأمى وزوجتى ووالدى وقومى إلى دياره وما ندرى نجتمع أم لا وأعرض عليه الأمير ظالم العرب الذين كانوا معه فى الحصون فقالوا أيها الأمير اعلم أن هذه الأرض هى ديارنا وأوطاننا وفيها أهلنا وقومنا ولا نقدر نسير إلى أرض العراق على أنا نكون ههنا من قبل الأمير المهلب على ما كنا معك فيه فاذا عرضت لك الحاجة بنا إليك نسير فى خمسين ألف عنان ضاربه بالسيوف الحداد فقال لهم الأمير ظالم نعم مارأيتم والصواب الذى قلتم وأنا والله ماأدرى هل يطيب قلبى المقام هناك أم لا وسوف اطلعكم على جلية الأمر ثم ان الرشـــيد نادى فى الناس بالرحيل فارتحلوا والمهلب معهم إلى حصن القناصة فسلمه ظالم إلى المهلب وحمل إليه مائة ناقة من الأموال ثم خرجت القناصة وأخرجت ذخائرها التى لها على طول الزمان تخبيها لظالم لأنه كان أشجع الناس وأكرمهم نفسا وأنداهم يدا وأشدهم عزما وأوفاهم همة ورحلوا الناس إلى أن وصلوا إلى محروسة مكة وخرجوا أهل مكة إلى الرشيد وهنوه بالسلامة وهنوا الأمير عبد الوهاب بولده ظالم وقالوا سعد والله من هذا ولده يشد الله به ظهره وعضده ثم أطلقت الطيور إلى العراق تخبر بأن الرشيد قد برز طالب بغداد ووقت له الساعات والأوقات وشاع الحديث فى بغداد ان هذا الخارجى كان ولد الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب وعظم ذلك على الذين يشدون من بنى سليم ومن عُصبة عقبة وقالوا كل يوم يأتينا من عبد الوهاب فتنة بعد فتنة وقد سلم الرشيد أن يهلك فى هذه النوبه ويكون هذا كله من عبد الوهاب وكلما مضى عليه يوم يعظم أمره ويقوى شره وربما خرج على الرشيد فى آخر زمانه خارجى (قال الراوى) وجد الرشيد فى سيره والعساكر كلها تطالبه فى طلب بغداد وقد بلغوا غاية المراد فهذا ما كان منهم وأما الأمير عبد الوهاب فانه أقبل على الأمير أبو محمد وهو لايفارق الهودج الذى فيه الملكة نورى وهو يحادثها طول الطريق والرشيد يرسل إليه ويقول له الطريق ماتنقطع بالمحادثة فاذكر لى من عجائب مارأيت وهو يقول ماهذا وقته لأننى تشوش خاطرى وقد نسيت أخبار الملوك وكل شىء رأيت ولا أنا كما تعهد وأنت تعلم أن الكبر عبر وكل ماأتى على الإنسان طول الزمان عادت زيادته إلى النقصان فضحك الرشيد من ذلك وعبد الوهاب يقول يامولانا أعذره فانه ماله صبر عن الملكة نورى فيقول الرشيد يحق له أن لايجىء إلى عندنا لأنه شغل عن صاحبه بحبيبة قلبه (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب أقبل على الأمير أبو محمد وقال له أسألك عن سيف الحنيفية هل هو مقيم فى ملطيه أو وصل إلى آمد فقال له الأمير

أبو محمد يامولاى أنا فارقته فى الموضع الذى أرسلناه ومعه المأمون عقبة إلى حصن الكوكب وما سمعت له خبر وقضى من الأمر المقدر إنى اشتغلت بنورى وقلبى طيب من أجله وأقول ان الأمير نافع مسكه عنده وقد أقام خوفا على الأمين عقبة أن يهرب فليسرع فى خلاصه فيكون عنده فقال الأمير عبد الوهاب يجوز ذلك وسار الرشيد والأمير عمرو بن عبيد الله فى موكب بنى سليم والأمير عبد الوهاب فى موكب بنى كلاب وسودانه وأصحابه والأمير هياج الكردى وبناته كأنهن السباع وضيغم وقشعم ومالك بن بشر الكلابى وسائر أمراء بنى كلاب والأمير ظالم فى ثمانية آلاف فارس من عبيده كأنهن الجمال وفى أوائلهم الأمير مدلاح العبد الذى تقدم ذكره وفى أيديهم السيوف الصقالة والعمد الثقال والحراب والنبال وفى ركاب ظالم عشرة يمشون كل واحد طول النخلة السحوق وأسود من ظلام الليل الفسوق يريد كل واحد منهم قبيلة اسم الواحد أبو ديجوج والثانى راموس والثالث القادح والرابع أبو البطون والخامس أبو ناب والسادس الأسد والسابع شملوخ والثامن المختصر والتاسع مناقل الجن والعاشر شيطان الفلاه

(قال الراوى) وكان كل واحد من هؤلاء العشرة فى طبقة أبو الهزاهز وساروا الناس من بغداد إلى لقائه ودخل الخليفة إلى بغداد وكان يوم عظيم ما نظر الناس أعظم منه ونثرت النثائر على رؤس الأبطال والاقيال والأمير أبو محمد إلى جانب الأمير ظالم يحادثه وإذا قد وقع على رأس الأمير ظالم شىء على هيئة الدراهم يسمونه سكرفى فأخذ ظالم منها ورفعها إلى فمه وإذا به حلو فصار يتلقاه بين يديه ثم يرميه بين شفتيه ويأكله فقال له الامير أبو محمد لا تفعل هذه الفعال أيها الامير فانه فضيحة عند الحضر فقال ظالم أما القوم فانهم يشقطونا بهذا ايش فيه من الفضيحة ولكن يا أبا محمد ايش هذا من الفواكه فضحك من كلامه وأنزل الرشيد بنو سليم فى الموضع المعروف بهم وأنزل بنى كلاب فى الموضع الذى جرت لهم به العادة واستراح الناس ثلاثة أيام وركب الامير إلى عند الرشيد فخلع عليهم خلع الرضا وخلع على الامير ظالم ولقبه بصمصام المجاهدين وعمدة المؤمنين وخلع على باقى السودان الذى مع ظالم وحمل إليهم الضيافات والاقامات والاشربه والحلاوات والفواكه كلما نظروا إلى ذلك أكلوا منه فقال لهم الامير عبد الوهاب كيف ترون المقام فى هذه الديار قالوا يامولانا ما نموت إلا تحت ركابك ان أقام الامير ظالم أو رحل ففرح الامير بقولهم وقال اصبروا حتى تأخذون أموال الروم وبناتهم وتجاهدون فى الله ودخل الرشيد على السيدة زبيده فقامت له وباست الارض ورفعت رأسها وكان الرشيد يحب لها لانها بنت عمه وهو ابن عمها وان الرشيد جعل يضمها إلى صدره ويقبلها

فبكت زبيدة وانتحبت فقال لها مابالك يازبيده تبكى لا أبكى الله لك عينا والأرض كلها من الشرق إلى الغرب تحت حكمك فمن ايش هذا البكاء فقالت يامولاى اعلم أنى قتلنى الشوق الى معلم أولادى الذين قروا عليه القرآن وهو الذى علمنى حقيقة الايمان القاضى الأجل عقبة وقد انقطع عنا الأخبار وعميت علينا الآثار فقال لها الرشيد يا بنت عمى لا تذكريه لعنه الله فهو كافر لامحالة على مايقول فيه الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه ولا بد لى ما أطلبه فى أى موضع كان وأسلمه اليهم يفعلون به مايريدون لأنه قد شهد عليه الملك الكندفرون والبطليموس وسائر من معهم وكان شهادتهم عند البيت الحرام وزمزم والمقام (قال الراوى) فلما سمعت زبيده ذلك بكت وخرقت ثيابها ولطمت وجهها وجعل الرشيد يملك يديها ودخل الخدام الخاص اليها وقالوا أيها السيده ما هذه الفعال بين يدى مولانا فلما نظر الرشيد الى مانزل بها قال لها اقصرى عن هذا فما تمرفى الرجل فقالت يامولانا كل هذا محال من الأمير عبد الوهاب ولاتسمع فيه خطاب لأنك تعلم مابينهم من العداوة والبغضاء ولا يقدر يجحد ذلك وكم لهم مع القاضى عقبة وكم ضربوه حتى أشرف على الموت وهو مع ذلك يدعو لهم لأنه رجل قد رفض الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بوجهه ومع ذلك لو حضر لحدثته وأقام لك الحجة عليهم وكنت تعلم أن القوم قد تعاملوا عليه فلما سمع الرشيد ذلك من كلامها وما لفظت به من خطابها قال لها وحق آبائى الطاهرين وأجدادى المنتخبين لاوصلن الساعة الطيور الى سائر الآفاق وأطلبه فى أى مكان فان أقام الحجة عليهم وأبطل ماشهدوا به هؤلاء عليه قابلتهم بما يستحقون وجازيتهم على ما فعلوه ويكون عنـــــدى أو فى ماتريدين وأعظم ماتحبين فقالت زبيده اعلم ياأمير المؤمنين انى أنا ناصحة لك وأنت تعلم نصح القاضى عقبة لهذه الدولة ولا تنظر لعبد الوهاب ودخوله الى بلد الحجاز لولا علمه ان هذا الشيطان ولده ومن نسله ماقدران يفعل مثل فعله ولئن تم لهم مايفعلوه لتنقطعن هذه الدولة وسوف تذكر ما أقول وما يكون آخر كلامى ولو كان عقبة ههنا لاوضح لك الطريق من وجوه عده وأنا أعلم ياأمير المؤمنين فى أى موضع هو فان أذنت الساعة عملت على مجيئه اليك ليقص عليك هذه القصة فقال لها افعلى ماتريدين فقالت له أريد خاتم الامان من كل من فى الأرض فخلع الرشيد الخاتم وسلمه اليها

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أخذته من يد الرشيد قامت فقال لها إلى أين ففتحت باب المخدع وقالت له أخرج ياقاضى أخرج يامظلوم أخرج يامتهوم (قال الراوى) وإذا بالباب قد فتح وخرج الملعون عقبة وهو على عصا يتوكأ عليها وقد انحنى ظهره وانحل

جسمه ورق عظمه وابيضت حواجبه وطال شعره وارتعشت قوائمه وقطعت أصابعه وآثار السياط على ظهره فلما قرب من الرشيد رمانفسه على قدميه بين يديه وجريت دموعه مثل المطر على خديه وجعل يبكى ويتشهق فبكا الرشيد وبكت زبيده وقال الرشيد لاحول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم لو كان الأمر صحيح كما زعموا أنه عند ملك الروم وأن له منزلة عظيمة عنده لما كانت هذه الحالة حالته ولقد جرت عليه أحوال وأهوال وما هو إلا كما أبصرنى وقع على الأرض وسوف يفارق الدنيا لامحالة وأنا أكون مطالبا بما قال لك وكل ماقالوه زور وباطل عليه فليته عاش ساعة واحدة حتى أتحالل منه وتبرأ ذمتى من اثمه ثم حط الرشيد رأسه ووضعها على فخذه وجلس يبكى ثلاث ساعات من الليل حتى أفاق المامون فأجلسه الرشيد وجعل يقول له ياقاضى عقبة طايب قلبك فما يسمع فيك كلام وسوف أقابلهم على مافعلوه فى حقك فاخبرنى بخبرك فقالت زبيده وما هذا سؤال ياأمير المؤمنين أحضر الفضل بن الربيع إلى عقبة لعله يكون اطلع على حاله فتفاشى وقال يكفيك منى نظرى اعلم اننى كنت مقيم فى بيت المقدس فسرقنى قوم من قبل أبو محمد البطال وأتوابى إلى الأمير عبد الوهاب وأصحابه وأجمعوا أن يفعلوا ذلك من عامة الناس الذين يعرفونى اننى إمام الدين وقاضى المسلمين فتجرد عبد الوهاب وذات الهمة وأبو الهزاهز وتمام العشرة وحملونى على أنهم يقتلونى فى حصن الكوكب فطلع الله سبحانه وتعالى فساد نياتهم وماقد اجتمعوا عليه من قبلى وانى رجل مسلم سليم القلب منفرد بخدمة الرب فسلط الله عليهم هذا الملك الكندفرون فلقيهم فى أربعة آلاف فلقيهم وسار بهم إلى بلد أفرنجه وكتب أسمائهم ولحقهم أبو محمد البطال ولعب بعقولهم مما حادثهم وكان سبب هدايتهم إلى دين المصطفى وأتاهم البطليموس وقد أضر لهم الشر والبؤس ومن معه من الرجال ويمن عليهن بعودتهن إلى الأهل والعيال وأنهم خرجوا إلى ملاقاة الأبطال وتضرعت بالدعاء إلى الله الملك المتعال حتى ينصرهم على الاعداء ويبلغهم الآمال وسهل الله الخلاص من القيود والأغلال وحلا الإسلام فى قلوب هؤلاء الرجال ولم يزال الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة يبغضونى اليهم حتى استحلوا دمى وقتلى وقالوا لهم ان علينا أيمان لابدلنا من صلبه على باب القسطنطينيه هذا كله ليشتفوا منى وأن يشيعوا عنى انى كنت نصرانى وطرحونى فى مطموره عند يانس المتغرب بعدان غاضونى وساروا اليك إلى الحجاز على انهم ان رجعوا وانقطعت عنك أخبارى قتلونى وأهلكونى وان أربعة من أصحاب يانس نظروا إلى صلاتى فى هدو الليل ومابى من الضر والوبل فهربونى وقصدت إلى هذا المكان أموت فيه فان شئت ان تقتلنى فانت فى حل من دمى فما بقى لى فى الدنيا من

حاجة فقال الرشيد للفضل ايش ترى فى هذه الفعال ماأقول أن هؤلاء مسلمين فقال الفضل يامولانا ان قتلهم كان حلال ولا آمن عليك من هذا الشيطان الذى مالك عنده اسم إلا أبا راشد فلو قدرت عليه وضربت رقبته لكنت خلصت من عاقبته لانه ينظر اليك بعين النقص انك كنت أسيره فقالت زبيده نعم وتقتل عبد الوهاب معه وأبو محمد البطال. وقد صفت الدنيا لك ولا تبالى بعد ذلك ماجرى فى الأرض فقال الرشيد أما ظالم فلابد من قتله وأما عبد الوهاب فلا بد ماأتركه فى السجن مدة زمانيه ولا أقتله لاجل خدمته الذى سبقت (قال) فهو فى هذا الكلام وإذا بجوهر قد دخل عليه وجهه أصفر فقال يامولاى ان أهل بغداد على باب القصر وقد وقع الحصر والحرب والقهر بين بنى سليم والسبب فى ذلك أن الأمير ظالم نزلت عليه فى المكان الذى هو فيه نائم خمسين رجلا منهم عيارين بغداد وعشر من بنى سليم ولم يكن عندد سوى غلام واحد على باب الدار وباقى عبيده فى المضارب وانه فطن بهم حتى صاروا فى المضاربه وجذبوا السيوف وتواثبوا عليه فوثب عليهم وصاح بهم ولم تكن الاساعة حتى قتل خمسة وأربعين منهم وسمع الأمير عبد الوهاب الصوت فقصد اليه وإذا بالأمير عمرو بينهم وسائر العرب وإن الأمير عبدالوهاب أخذ الخمسة الذين من بنى سليم وقال ونعمة الخليفة ائن لم تخبرونى من أين لكم هذا الأمر لاضربن أعناقكم فقالوا مالنا نحن فى هذا الأمر حيلة واحده ولكن الكل من عند الأمير عمرو بن عبيدالله والفضل بن الربيع وقوم منهم فلما سمع الأمير عبدالوهاب ذلك أقبل على الأمير عمرو وقال له لقد حرت فى أمرك ياعمر وهب لى أرعالك ما بيننا وهذا ولدى ظالم مايحملك على مثل هذا والله ما آمن عليكم بعدها منه فلما ان سمع كلامه جعل يحلف له إن ماعنده خبر من هذا وان ظالم قبض على الأمير عمرو وقد سأله الأمير عبدالوهاب فيه فلم يفعل وقد حبسه عنده فى الدار وقد عول على قتله فى غداة غد والناس قد رجعوا إلى القصر ايستغيثون إليك قبل أن يفرط فيه الفرط فلما سمع الرشيد كلامه وثب قائما ووثب الفضل بن الربيع معه وقد صار وجهه مثل الزعفران وقال يامولانا ماأبرح من القصر هاهنا وائن وقعت عينه على مايبقى على وكان الفضل علم أن له فى هذا نشب لأن هذا الأمر كان معمول من الأمير عمرو ومن الفضل بن الربيع ومن زبيدة برأى عقبة لأنه قال لهم ذلك وحسنه اليهم وقال لهم هذا فيه خير يؤمن عاقبته وإنى قد خلصتكم من سيف الحنيفية وما ترجعون تروه إلا عند الصراط فتقتلون أنتم ظالم وقد ضعفت قوة عبد الوهاب وأنا أدبر لكم على هلاكه من ألف باب فاوزنوا المال للعيارين وسيروا معهم العشرة من بنى سليم الذين ليس لهم دين ولا مروءة وجرى ما جرى فعندها قال الرشيد لغلمان الدار والمماليك وكانوا أربعة آلاف غلام اخرجوا إلى

الأمير عبدالوهاب وقولوا له إن الرشيد قدسمع إلى تلك الضجة وقد عظمت عليه وكبرت لديه وهو يحمد الله على سلامته ويشكره إذا لم تمكن عدوه منه وهو نائم وهو يقول الك أدخل أنت والأميرة ذات الهمة وسائر أمراء بنى كلاب وأمراء بنى سليم حتى تنفصل هذه النوبة بينكم ويجازى كل من أراد الأمير ظالم بسوء على فعله فخرجت الغلمان كما أمرهم الرشيد فوا جرى هنا (ياساده) وكان السبب فى خلاص عقبة أمر عجيب وحال غريب وذلك أنه لما سلم الأمير عبد الوهاب الملعون عقبة إلى سيف الحنيفية ووجه معه خمسين فارس كما ذكرنا وقال له ياولدى خذ هذا الشيطان عقبة وأوصله إلى الأمير نافع الى حصن الكوكب وقل له يزيد فى هوانه إلى أن أمضى وانظر مايكون من الرشيد فى أرض الحجاز فما هؤلاء إلا فى أمر عظيم وحال جسيم فقال سمعا وطاعة وقال يابنى كن على حذر من هذا الشيطان ولا تستصغر شره فهو الذى قد جعل فى قلب أبيك وفى قلب كل مسلم حرارات لا توصف فقال له طب نفسا وقر عينا فسوف أضربه ليلا ونهارا ولو لقينى الرشيد فى عساكره ودساكره لما قدروا ان يخلصوه منى ولا من يدى فدعا له الأمير عبدالوهاب وانصرف سيف الحنيفية وعقبة معه ورحل الأمير عبدالوهاب وانصرف سيف الحنيفية إلى ماذكرناه (ياساده) وكان بين ملطيه وبين الموضع الذى قصده ثلاثة وعشرون يوما وفى اليوم الحادى عشر جعل روحه ضعيف أيام لا يأكل ولا يشرب حتى تيقن أنه هلك ونتن فمه وكان قد أخذ من ورق يعرفه ورقة فأكلها فانسهل جوفه حتى بقى لا يستطيع القيام وأيس سيف الحنيفية وقال مايصل معنا هذا الملعون وان فى قلب أبى حسرة إذا لم يبلغ منه مراده من صلبه على باب المذهب كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يتلطف به ويدور حواليه وإن عقبة الملعون لما علم مابقى بينه وبين حصن الكوكب غير يومين قال فى نفسه ان أنا حصلت عند نافع فمالى من خلاص أبدا ولا أنجو من الهلاك والردى (قال الراوى) ونزلوا فى وادى وأوقدوا النار وكان الأمير سيف الحنيفية قد اصطاد فى طريقه من الوحش شىء كثير وجعلت السودان يشووا على النار ويأكلوا وقد عجنوا لهم عجين وخبزوه على طريق مكة فكان عقبة فى ذلك اليوم والوقت فتح عينه الصحيحه وجعل ينظر اليهم فقال لهم اسقونى قليلا من الماء ففرحوا بسلامته وأتوا بالقربة يشرب فشرب منها شىء يسير ثم طرح فيها من سم الأفاعى مضافا اليه الذى تسميه أهل الهند بحر الهلاك والعوام يسموه سم ساعة (قال الراوى) وقد وجدنا فى كتاب الأحجار وخصائصها هذا الحجر تعمل منه الملوك فصوص لخواتمها فاذا جرى لأحدهم أمر من شدة وأراد قتل نفسه مص ذلك الفص فيموت لوقته وساعته وان القوم أخذوا من ذلك الماء وعجنوا منه الدقيق

ولم يعلموا أن الأجل قريب وأن الأيام تتقلب ثم انهم خبزوه وكان معهم السمن والعسل من بلاد الروم فصبوا عليه وعرب جياع فأكلوا منه فما استقر الطعام فى أمعائهم حتى نظر بعضهم لبعض نظر مودع وجعلوا ينظرون إلى عقبة وقد فات فيهم الأمر وبعد ذلك فما قدر أحد منهم أن يرفع يده حتى تقع من كتفه فهم ينظرون إلى بعضهم بعضا ودموع الحسرات على الوجنات وقد تحسروا على أهاليهم والقرابات والبنين والبنات فهلكوا الخمسين إلى رحمة الله تعالى أما سيف الحنيفية فانه وقع على وجهه والسبب فى ذلك أنه كان قد شبع من لحم الوحش وهو على كفاية منه فامتنع من أكل الطعام وهم يحلفون عليه فأكل لقمة صغيرة فما استقرت فى أمعاه حتى نزلت حواجبه وأجفان عينيه ولحم خديه وطلب أن ينهض فلم يقدر أن يقوم على قدميه من الرعدة والارتعاش فوقع على وجهه لا يدرى فى أى أرض هو أو فى سماء فلما رأى الملعون ذلك وثب كأنه ثعلب ودنى من لحم الوحش فأكل منه حتى اكتفى وجعل يقلب الرجال الموتى ويضحك ويقول يا بردها على كبدى وليت كان الأسود عبد الوهاب فى الجملة ولكن أنا وحق المسيح لو كان يد عبد الوهاب فى يد محمد بن عبد الله لا بدلى من هلاكه ولا يجد له سبيل إلى فكاكه ثم أنه دنى من سيف الحنيفية ونظر اليه وهو فى آخر نفس والروح فيه تتردد فقال وحق المسيح انى كنت أشتهى على المسيح أن يهد هذا وأذيقه القتل بسيفى وهو يرانى ثم سل سيف الحنيفية على الجمل الذى كان عليه راكب وركب هو على الخيل الجياد وساربه وخلا الرجال والسلاح وسار يقطع الأرض وقصد إلى دير مريحنا المعمدان فخرج اليه الراهب وكان اسمه جرجيس فكاد يطير عقله فرحا بقدوم عقبة لعنه الله وقال يا مولاى لقد من المسيح على حيث بعثك الى عندى وأنت رحمة فى أرضه على عباده فقال دعنى الساعة من المدح فلقد سلمت من الهلاك فى هذه النوبه وأعاد عليه ما جرى له مع القوم فتعجب من ذلك وقال الحمد المسيح على سلامتك ولو مت كانت الأرض لم تخضر بعدك بالنبات من الاحزان فمن اليوم تصير خضرا من الفرح وشدته وما هذا الذى معك فقال هذا فرخ الأسود وهو أشد منه فخذه واطعمه فى كل ثلاثة أيام قرصة من الطعام وان هلك فارميه للكلاب فما يمكننى المقام معه عندك فانى أريد أن امضى إلى العراق وأدخل على السيدة زبيدة واغتنم غيبة الرشيد وعساكره وأصلح أمرى معها حتى تصالحه مع الرشيد ويتم لى ما أريد من تدبيرى على هلاك المجاهدين قال له الراهب المسيح يأخذ بيدك ويبلغك كلما تريد ويجعل حكايتك كل يوم تزيد (قال الراوى) وان عقبة رحل من عند الراهب بجد السير إلى أن وصل إلى حلب وأخفى أمره فيها فزعا من أبو محمد البطال فبقى فيها شهرا كاملا ثم سار إلى الرقة فى زى جمال كبير السن وأقام فى فندق الرقة يظهر أنه مريض شهر ومعه غلام اسمه العقاب

وكان مقيم فى حلب لوقت الحاجه اليه وكان ماأحدا يعرفه أنه غلامه فلما أتى إلى حلب فى هذه النوبة أخذه معه إلى الرقة وقال له امضى إلى ملطيه وخذلى أخبار الأسود وذات الهمه وأخبار أبو محمد البطال وخبر ولدى معقب هل هو فى ملطيه أم فى بغداد واحترز ان يراك البطال يقضى عليك فقال أنا أسير فى هذه الساعة فقال عقبة فانى فى انتظارك وانى على عجل من أمرى فسار الغلام من يومه وقطع الأرض إلى ملطيه وسأل عن الأمير عبد الوهاب فقيل له فى أرض الحجاز وما هو إلا قد هلك فى مقابلة هذا الخارجى وسأل عن أبى محمد فقيل له هو فى ملطيه وهو مشتغل بالملكه نورى وهو فى هذه الأيام معول على الحاج وهى معه فانها أسلمت وحسن إسلامها وسأل عن معقب فقيل له هو فى بغداد فعاد الغلام اليه وأعاد عليه ذلك فضحك وقال هذا من تمام السعادة ثم أقام إلى أن وصل خبر أبو محمد أنه قد وصل إلى بغداد وهو طالب الحجاز فرحل عقبة إلى نصيبين ثم إلى الموصل ثم إلى بغداد بعد رحيل أبو محمد البطال إلى الحجاز فدخلها وأرسل إلى زبيده وشرح لها حاله وما أصابه وأكثر فى مكانه حتى بكت رحمة له ووعدته أنها تصلح له قلب الرشيد وقالت له لابد مايقلبون قلبه عليك وربما يشهدون الملوك عليك كما شهدوا عندى وأنه إذا علم صدق باطنك يدفع عنك الأسواء وأقام عقبة فى أحسن مقام إلى أن وصل الامام وعساكر الإسلام وشكاله كما تقدم ذكره ولما خرج عمرو بن عبيد الله من مجلس أمير المؤمنين (وعدنا إلى سياقة الحديث) وإن عمرو دعا اليه بخمسين عيار من عيارين العراق وقال لهم قد جعلت لكم خمسة آلاف دينار ذهب فقالوا له وما نصنع فقال تنزلون الليلة على دار ظالم فانه قد نزل بزوجته منفردا عن عسكره وليس معه فى الدار أحد وعبيده كلها ظاهر الخيام فى البلد فان نزلتم اليه فقطعوه بالسيوف واصعدوا من موضع جئتم وتعالوا إلى دارى ولا يعلم بكم أحد فانى أعطيكم الخمسة آلاف دينار ثم نزل بالمال بين أيديهم فلعب المال بعقولهم وأنهم صبروا إلى الليل وطلعوا الى دار ظالم وطلع واحد منهم ينظر ان كان ظالم نائم أو يقظان فرفع رأسه فرآه فقال هذا لص يريد يسرقنى ومالى ويتطلع على عيالى وكان نائما على ظهره فغمض عينه الواحده وفتح الاخرى والسيف إلى جانبه وعند رجليه وعند رأسه شمعة توقد فرموا بحجر بعد حجر ثلاثة أحجار فلم يتحرك فأيقنوا أنه نائم فلما حصلوا فى الدار تقدم واحد منهم إلى الشمعة طفاها فوثب ظالم وأخذ بيده الصارم وجعل ينثر منهم الجماجم حتى قتل منهم خمسة وأربعين رجل وانهزم خمسة وفتح الباب ودخلوا غلمانه فوجدوا الرجال صرعى وفيهم رجل فيه جرح غير قاتل إلا أنه قد أوهنه عن القتال فنظر فى وجهه وإذا به الامير عمرو بن عبيد الله

(قال الراوى) وكان هذا التدبير برأى عقبة اللعين وذلك أنهم لما تحدثوا عند الخليفة بالحديث الذى ذكرنا قال له عقبة إذا أنت قتلته أو أخذته كانت لك اليد البيضـــاء عند الخليفة لأنه قتل عساكره وتكلم فى حقه بالكلام الشين ولولا عبد الوهاب لكان الأمر بخلاف هـذا ولا يأمن الخليفة هذا ولا يشتهى أن يراه فبيض وجهك بما ذكرت لك (قال الراوى) ولما رتب الرجال وزن المال فدخل عليه عقبة وقال على ماذا عولت فقال على ارسالهم فقال عقبة يبقى كل واحد منهم يقول أنا الذى أخذته فما هو صواب ولكن كن معهم فاذا قتلوه فانك تقول ياأمير المؤمنين أنا الذى قتلته ويكون رأسه معك وأكون واقف فأنا الذى آخذه منك وأدرى ما أقول بعد ذلك قال فخرج عمرو معهم وما خرج قط فى اللصوصية إلا فى تلك الليلة فما ربح فيها إلا ذلك الجرح الوثيق وفضيحته عند الناس برأى ابن عمه الشيخ الصالح عقبة أبلاه الله بنكبة فلما نظر ظالم إلى عمرو عرفه فقال له والله انه كان ينظر إلى نظرة عدو ولكن لو كنت لما أسرته فى الحجاز كنت ضربته وأرميت عنقه كان صواب (قال الراوى) وإن ظالم ادعى ببعض عبيده وقال أخرج الساعة إلى عبيدى وغلمانى الذين فى الحجاز وتقول لهم يضعوا السيف فى بنى سليم وينهبوا خيامهم فمر العبد كما أمره إلى سودان الأمير ظالم وأعلمهم بما قال فما كانت إلا ساعة حتى نهب خيام بنى سليم وقتل منهم جماعة وكان أكثرهم فى البلد فى الضيافات فارتفعت الضجات وركب الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب وأتى إلى الأمير ظالم فوجد عنده عمرو أسير وهو مجروح ووجد القتلى مطروحين فسأل عن ذلك فأقبل الأمير عبد الوهاب على عمرو وقال له أيها الأمير ما كان هذا خـــيرا ونأمنك قال فسكت ولم يرد جواب وبلغ الرشيد الخبر وكان عقبة حاضر فقال يامولانا هذا وهم فى بغداد وقد بان لك ما فى أنفسهما من العداوة وقد أخذ عمرو من داره مسروقا بحيلة البطال وقتلوا جماعة من الأقوام وقالوا هؤلاء عيارين وقتلوا عمرو وهم يقولون إنه ظالم لظالم ونهبوا الخيام وقتلوا خلقا كثيرا من بنى سليم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لقد هانت عندى مصيبتى بعد ماجرى لسيدى عمرو هذه المجرى فلما سمع الرشيد هذا من عقبة عظم عليه وكبر لديه ثم بعث الحجاب إلى ظالم وعبد الوهاب وقال ان الخليفة قد أقسم بالله إن لم تخلوا عمرو من أيديكم وإلا فما يجرى لكم خير هذا وأنتم فى بغداد تحكمون بأيديكم وتعلمون المقاليب على الناس وقد ثبت عندنا وعند قضاة المسلمين انكم سرقتم عمرو من داره وقد قتلتم هؤلاء من عوام الناس وقلتم انهم عيارين ولو أراد أن

يغدر بكم لكان له من بنى عمه وعيرته ما ان يكبسكم بهم ويقتلكم فى الطريق فلما أتوا الحجاب إلى ظالم زعق عليهم وقال لهم ياويلكم ارجعوا للخليفة وقولوا له من يخلص عمرو من يدى ومن هذا الذى ينقذه من العذاب فرجعوا الحجاب وقد طارت عقولهم من خوفهم من ظالم وقالوا له إن الله قد دفع عنك شرهم فاجعل شكر ما أنعم الله عليك من السلامة أن تطلق الأمير عمرو من يدك إكراما للسلالة النبوية واجعله على سبيل الشفاعة وقصدنا تخمد هذه الفتنة فقال لهم ظالم مالى من يفصل بيننا إلا هذا السيف الذى فى يدى وها أنا الساعة أضرب رقبته وبعد ذلك آمر سودانى يحملوا على بنى سليم فلا يبقوا منهم أحد وانى لا أترك من يحكم على غيرى ثم صاح بأعلا صوته يامدلاج فأجابه لبيك فقال له نادى سائر العرب والعبيد (قال) فلما سمع مدلاج كلام مولاه قال يامولاى الكل قيام يسمعون كلامك (قال الراوى) ثم قال مدلاج ما الذى تريد قال خذهم وسائر العبيد واخرج إلى مضارب بنى سليم وقد أبحتكم دماءهم وأموالهم فقالوا يامولانا يجرد الخليفة علينا فقال ماعلى من الخليفة فامضوا ولا تكثروا الكلام فأنا آخذ الخليفة وأربطه فى وتد من أوتاد الخيام وأما عبدالوهاب فلا أسمع له كلاما أبدا ولا أبالى بأحد من الانام فقال عمرو لما سمع هذا الكلام ياقاضى عقبة لا كفاك الله رزيه كما أوقعتنى فى هذه القضية (قال الراوى) وزجرت السودان ثم برزت الحبشان وقصدوا مضارب بنى سليم كأنهم الغيلان فهربت منهم الرجال وأخذوا ما كان فى المضارب من المال وبلغ الخبر إلى الرشيد فلم يقدر أن يركب فقال للفضل بن الربيع اركب إلى هذا الشيطان فلم يقدر أن يخالفه فلما نهض قال له الرشيد الساعة أخمد هذه الفتنة وانظر كيف تتلافاه وتهمل هذه القضية فقال يامولاى السمع والطاعة فركب الفضل وسار هذا والأمير عبد الوهاب وسائر بنى كلاب فى قلوبهم النار لأجل ظالم لا يأخذه الرشيد فى هذه القضية فيقتله لأن قلبه عليه ملآن وأرسلت القناصة إلى عبد الوهاب تقول هكذا فعل الآباء مع الأولاد يسلموهم إلى الأعداء ويتخلوا عنهم فأجابها الأمير يقول إن مخالفة من أمرنا الله بطاعته معصية وما كنت لأجل الولد أعصى الفرد الصمد وقد أشرت عليه أن يسلم هذا الرجل الى الرشيد فاسمع منى وأنه أيضا ماثبتت عليه بينة أنه هو الذى دبر هذا التدبير وربما ان الذى دبر هذا القول وفعل هذه الفعال أرادوا أن يلقوا الفتنة بينكم وبين بنى سليم ويكون ذلك سببا لاثارة الفتنة وانقطاع المجاورة وبعد ذلك فان الرشيد لا بد له من أن يكشف هذا الحال ويوصل كل واحد حقه فلما وصلت الرسالة اليها والفضل قد هجم الدار على ظالم ومعه غلمان الدار والرشيد قد أمر أن يدبروا الدروب حتى لا يكون له سبب الى الهرب وانتخب احداث

العراق ممن يدعى الشطاره وقالوا لاتتركوا هذه الشلوح يغلبونا وطلعوا على أعلى الاسطحا وصاروا يضربوهم بالحجارة ولا سبيل الى مجاز ولا فسحه كانهم فى قفص وزحف الى دار ظالم مقدار مائة ألف مدرع وراجل والأمير ظالم فى عبيده فقط هذا وعقبة قدستروجهه وهو معهم قاعد فى المنظره مع الرشيد ينظر مايجرى ويقول والله يامولاى مالى قلب أن أذبح عصفور ولقد كنت أشتهى أن أذبح هذا الملعون وأستحل قتله وأشرب دمه والعشرة آلاف عبد الذين معه أصلب الكل على شاطىء الدجله من الجانبين فلما سمع الرشيد كلامه قال ياقاضى لقد فعل هذا فى حق مالا أقدران أصفه من الاحراق والاسر والهوان وأرانى فى نفسى العبر فلا ستر الله عليه وكان يخرق بى وعبد الوهاب يسمع ولا ينكر عليه حد الانكار فقال عقبة ياسبحان الله كانك فى شك من نفاق عبد الوهاب وفعاله وقعوده فى هذه النوبة وأنه لايمكنه المشاقفة فى كل الاوقات لانه يعلم أن هذه اولدلة منصورة ولا يقدر أن يكشف حجاب العار والفضيحة والشنار وأنه يلقى بكل لسان ويقول فى حق كل قبيح وأنا لاأؤاخذه ولا أدعو عليه وكلما أراه بعض الأوقات أدعى له بنصح من قلبى لانه ينصح فى حق مولانا ولا يفعل هذا الا رياء

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وان ظالم لما رأى العساكر قد أحدقت بعبيده صاح مدلاج ويلكم ماهذا التربص ثم نزل من الدار كانه شعلة نارهذا وقد نظرت القناصة الى انفرد ظالم وقدتخلف عنه بنى كلاب مع الأمير عبد الوهاب فلم تجد الصبر عن ولدها ثم حملت بعدان تحزمت وتلثمت واشتملت بآلة الحرب وهمت رقحمت وطحنت الرجال وجندلت الأبطال وكسرت الافيال ونادت يا بنى حام يالون الظلام اسقوهم كؤس الحمام وأذيقوهم الموته الزؤام فاهم الا أوباش العوام فلما سمعوا السودان ذلك من كلامها صاحوا صيحة الاسود الضوارى وصدموا الناس صدام مامثله صدام وطلع الغبار من تحت الاقدام حتى عاد النهار مثل الظلام ففلقو الهام وهشموا العظام وبرت المعاصم والأبدان وترجلت الاتراك فى عشرة آلاف بالنبال فعطبت من السودان رجال فلما نظر ظالم إلا ذلك صاح ورما بنفسه فى وسط الاتراك وسقاهم شراب الهلاك وهجمت القناصة معه وكذلك مدلاج والبجوج وعبيده الحبشان ولم يبق غير الصدام والضرب بالحسام هذا والأمير عبد الوهاب على غاية من القلق والبطال يقول له والله ماهذا صواب بأن تكون القناصة زوجتك وقدحملت وكذلك ولدك ظالم وتقعد عنه وتسلمه للاعداء وهوان سلم لايرجع يسلم عليك أبدا وهو موضع الغضب وتكون أنت فى ذلك السبب فقال الأمير عبدالوهاب دعنى ياأبو محمد أصبر على نوائب الدهر لعل الرشيد يستحى من فعاله فقال أبو محمد هذا

مايعمل معه الجميل ولا يرعا لا كثير ولا قليل ولو أراد أن يفصل ذلك لماتركته الاعداء والحساد وأهل البغى والفساد ووقع العالم بعضهم على بعض وتواقعوا على وجه الأرض وتفرقت العوام منهزمة وهى متحطمة حتى وصلت غلمان الدار إلى القصر وقد أثخنوهم بالجراح وشطبوهم بالصفاح وجعلوا صباحهم أيشم صباح وقال ظالم لاصحابه دونكم وهذه الدار الواسعة الفناء العالية البناء حتى نأخذ أباراشد منها وأحرمه يشم نسيم الهواء فلما سمعوا العبيد ذلك قصدوا إلى القصر من كل جانب وضاقت على الرشيد المذاهب وقال للقاضى عقبة ياقاضى ماهو كثير يهجموا على وأقع مع هؤلاء الاباليس فما كنت أرجع أبصر العافية أبدا وقال عقبة فى نفسه ما كان بجيئى إلى بغداد الاعدم اسعاد لان الانسان يساق إلى أجله كما يساق إلى رزقه ثم ان عقبة قال الرشيد يامولاى الحرب خدعة وما لهذا الملعون غير الخديعه أرسل الساعة إلى عبد الوهاب خاتم الامان والامير ظالم وتقول له قد جاءت أمر الأمير عمرو بن عبد الله اليه فليصنع به مايريد وما لهذا الأمر غيرك قبل أن يخترق ناموس الخلافة فى العراق وتسمع سائر الآفاق وتنسب أنت إلى البغى والنفاق وما أعرف هذا الأمر إلا منك والسلام (قال الراوى) ففعل الرشيد ذلك وأرسل إلى عبد الوهاب ذلك الخطاب فقالت الأمير ذات الهمة ماالذى ترى من الرأى فقال ماأعلم وقد حرت فيما أعمل فقالت الأميره أنا أمضى إلى الأمير ظالم وأكلمه بما يعود فيه الصلاح ان شاء الله تعالى فقال أبو محمد البطال والله لوان فى رؤسكم عقل ما كنتم تدخلون فى هذه القضية بحرف واحد حتى يملك ظالم القصر ويفعل مايريد ويأخذ الرشيد وتفعل أنت بعد ذلك ماتريد فقال عبد الوهاب ماهذا صواب من ثلاثة وجوه أحدها اخراق هيبة الخلافة فى العراق وخراسان والثانى أن يتولد بغضة ولدى ظالم فى قلب الرشيد والثالث خوفا من الله تعالى أن نعادى خليفة الله بالعصيان وهذه مشورة ماأريدها فقال البطال أنت جبته لى حديث البغضا فقد صارت فى قلب الرشيد من وقت كان يصبح به ظالم ياأبا راشد

(قال الراوى) وان الأميره ركبت والأمير عبد الوهاب معها وسائر بنى كلاب حتى وصلوا إلى باب القصر الذى فيه الخليفة فوجدوا ظالم حول القصر ومعه أبطاله وعبيده وقد غلقوا باب القصر فى وجه الأمير ظالم وهو كانه الاسد الهاجم فأقبل الأمير عبد الوهاب اليه وسلم عليه فلم يرد عليه السلام وقال له اذهب والا وذمة العرب مكنتهم منك هذا السيف فقال الأمير عبد الوهاب يابنى لاتعتب على وأقبلت الاميره ذات الهمة وكان يرى لها ويوقرها فتقدمت اليه وضمته إلى صدرها ولم تزل تمسح أعطافه وتكلمه باللين من الكلام حتى مضى ما به من الغضب ثم قالت له أيها الأمير ارجع إلى دارك فقد بان

لى هذا العمل ممن هو وسوف نأخذ حقنا بأيدينا ثم ألوت عنان فرسه وسارت طالبة الدار واجتمع الرجال حولها فعندها قالت اعلم يابنى أنه ماخلا جسد من حسد فالكريم يخفيه واللئيم يبديه وكل من يحسد الأمير عبدالوهاب مايحسده الا عليك وماهذه أول فعلة فعلوها مع أبيك ولاسيما عمرو بن عبيد الله وانه لابيه علينا حقوق ليس تنهض ان تقوم بها ونحن نرعى له الوداد القديم وأيضا فان الله تعالى قدفرض علينا طاعه هذا الخليفه ولا نعصيه ولكن نسير كلنا إلى الخليفة فاما أن يوفيك حقك واما أن يسلبك من هذا الذنب ولا تعود إلى مثلها والرشيد قد أرسل اليك خاتم الامان وهذه العلامة أمان على نفوسنا فلما سمع كلامها قال لها ياستاه لا أعصى لك قولا ولو أمرتيني أن أقتل نفسى لفعلت ذلك ثم نظر إلى غلالة الرشيد وهى من عمل انطاكية غزلها كل مثقالين ذهب والغلالة كلها ثلاث مثاقيل فقال ظالم وما كان عنده ثوب جديدنضيف صحيح حتى أرسل الينا هذا الخلق المهلهل فضحك الامير وأرسلوا إلى الرشيد يخبروه بأن الامير ظالم قد اصطلح وانهم غدا يكلفونه إلى أن يطأ البساط وأن يتوب مما فعل ففرح الرشيد فقال عقبة يامولانا ان أردت القبض عليهم فتكون الرجال من الليل مستعدين لذلك فان قبضت عليهم وتلك المرأة نلت المراد ومسرة الفؤاد فقال الخليفة ياقاضى أنا متفكر إذا قبضت عليهم كيف يكون حالنا مع السودان الذين مع ظالم وبنى كلاب فماأقول أنهم يصبرون عناساعة على ذلك ويخربوا البلد فقال عقبة يامولانا إذا قبضت عليهم ورجعت السودان فى طلبهم فأمر من ينادى فيهم يقول وحق الأئمة الراشدين لئن لم تخرجوا من العراق لاضربن منكم الاعناق وإن أنتم رحلتم فما نؤاخذكم بما فعلتم فان حلوا عن بغداد فقد نلت المراد من هؤلاء الاضداد الذين بارزوك بالبغى والفساد (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمة عولوا على أنهم اذا أصبح الصباح يدخلوا على الرشيدفلما انتصف الليل وإذا بالباب يدق فخرج الغلام وعاد يخبر بأن البطال على الباب فى هذه الساعة فقال الامير والله ما أتى البطال فى هذه الساعة الا لامر عظيم ثم فتحوا الباب ودخل البطال ووجهه مثل الزعفران فقال له الامير عبد الوهاب ماالذى أتى بك فى هذا الوقت ياأبو محمد فقال انى أحببت أن أسألك كيف شوقك الى عقبة فقال عبدالوهاب لاذكره الله بخير وكيف جاء ذكره على خاطرك فقال البطال دع البغى واعلم بأنك تريد تقيم العزاء على ولدك سيف الحنيفية وان كان لك نخوة فأنت تأخذ الثار من خصمك فافعل واحفظ نفسك فهو أصل الفتن فقال الامير وقد طار عقله لما ذكر سيف الحنيفية اكشف لى باطن هذا الامر على جليته فقال البطال اعلم انى دخلت إلى سوق الثلاث فرأيت رجلا يقال له العقاب وأنا أعرف أنه غلام عقبة وهو مقيم فى حلب وما دخل

قط الى بغداد الا وعقبة معه وما حرض الرشـيد علينا الا عقبة وما تم على الامير ظالم هذا الامر الا من تحت رأسه وما دخل عقبة الى هذه الديار الا وسيف الحنيفة قد هلك فقال عبد الوهاب ماأظنك بعد كلامك هذا عاقل جئت تتكلم على الظن هيهات أن ينجو عقبة من هذا القشعم الشديد (قال الراوى) وبات الامير الى الصباح فلما أصبح الصباح قال له أبو محمد على ماذا عوات ياعبد الوهاب قال أدخل على الرشيد وأصالح الامير ظالم معه فقال البطال ما أنت عمال الاعلى الصلاح والرأى عندى أن ترحل الى ملطية وظالم معك وترسل الى الرشيد وتقول له قد أجبنا قوالك وأطلقنا عمرو لاجلك ونحن نمضى الى ملطيه لنكون فى وجه الاعداء فان كان الك حاجة أو خدمة بادرنا اليها ويكون ظالم قد تعلم الادب ومايدخل عليك الا وقد تعلم جميع الآداب وعلم مخاطبة الحضرة النبوية فقال الامير عبد الوهاب لعمرى ان هـذا نعم الرأى ولكن قاى يحدثنى ان الرشيد مايريدنى بسوء بعد ماتقربت من بلاد الروم من أجله وتبعته إلى أرض الحجاز وعملت معه ماأنت تعلمه ولا بدلى من الدخول عليه وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد ثم ركب الأمير عبد الوهاب والأمير ظالم والأميرة ذات الهمة والعبد مدلاج والعبيد تحجبه يعنى الأمير ظالم وقد أرسل لهم الرشيد البغلات بالمراكب الذهب والغلمان دائرة حولهم ونظر الأمير عبد الوهاب إلى اكرام عظيم وما زال سائر حتى وصل إلى باب القصر ودخل ودخلت معه الأميرة فلما دخلوا إلى الباب الأقصى وثب الخادم وأخذ العدة من أيديهم وهى عادة من يدخل على الرشيد

(قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد البطال لم يدخل معهم لأنه حسب الحساب وكان صحيحا فلما حصلوا بين يدى الرشـيد خرج عليهم أربعة آلاف غلام ترك بالسيوف الصقال والعمد الثقال وهؤلاء بلا عدة وصاح الخادم إلى الأمير عبد الوهاب إن كنت سامعا مطيعا فاستسلم فإن الخلافة لها حقوق وأنت أخبر الناس بها فعند ذلك قال الأمير عبد الوهاب السمع والطاعة وأخرجت القيود ووضعت فى أرجل الامراء والامير بعد هذا كله مستحى من الرشيد ويقول مايعمل هـذا إلا إقامة ناموس ولم يبق أحد إلا ووضع الخادم فى رجله القيود وأنه دنا من الامير ظالم يريد أن يقيده فعند ذلك وثب ظالم وثبة الاسد ولكنه طير مخه وصاح الرشيد بخادم آخر اسمه نجاح ويلك قيد هذا الشيطان فقال يامولاى هذا بغل شموص ما يقبل شكال ولكن أبصر له غيرى فصاح الرشيد لغلمانه ياويلكم خذوه وبالسيوف قطعوه فقال ظالم صدقت يا أبا راشد لما كنت مربوط فى الخيمة ليس ما افتكرت هذا ولكن هـذا كله من فعال الشيخ العادم عقله عبد الوهاب وهو يستحق أكثر من هذا إلا أنه اذا كان فى رأس الاحمق خاط مايهدأ

الا باللاطم الكثير فدعه يذوق وبال رأيه المعكوس (قال الراوى) وتكاثرت عليه الرجال وكل من تقدم اليه طرده وضربته الرجال حتى سال دمه وانه هجم على بعض الناس وكان ديلميا ومعه طبر وترس فلكمه فى رقبته طرحه على الارض يضرب بيد ورجل وأخذ الترس والطبر منه وقد جرح فى ذلك الوقت أكثر من سبعة جروح ونظر الرشيد الى ظالم وقد أخذ الطبر والترس فوثب من على السرير منهزما ودخل بيت الحريم فأطبقت عليه الرجال وأمر الرشيد أن يقفلوا الباب الذى للقصر وسدوا عليه الطرقات من كل جانب وعملت القواضب وتثلمت المضارب وعاد النهار مثل الغياهب وصعدوا الناس فوق السطح بتاع القصر وجعلوا يرمونه بالحجارة وهو مثل الاسد الضارى فأخذته السهام من كل مكان وان ظالم ضرب بعض الاكراد بالطبر فأخذها فى الطارقة فاشتبك الطبر فى الطارقة فجذبه الامير ظالم بقوته فطلع معه الخشب بغير حديد هنالك طمعوا فيه ورموا نفوسهم عليه فأخذوه قبضا باليد فخرج الرشيد وقد كتفوا الامير فجعل يضربه بالسوط الذى معه والامير عبد الوهاب ينظر الى فعاله والاميره ذات الهمه ومدلاج العبد وهارون العلوى ومالك بن بشر وراشد بن ضمرة وهياج الكردى ومالك بن طوق ومدركه وسعيد بن الفرج وقرقود وقراقد وضيغم وقشعم أولاد الامير وابراهيم وخيثم ابن دارم وصعصعة ابن المسيب والامير عطاف وتمام المائة أمير من وجوه بنى كلاب أبطال أقيال الذين ليس لهم مثال فى سائر الآفاق المجاهدين فى الاعداء إذا ضاقت الاسباب الناصرين لدين الملك الوهاب (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا وقد وقع الصوت فى عسكر بنى كلاب وعسكر الامير ظالم وبلغ الخبر الى القناصة فانقلبت عيناها فى أم رأسها وعظم عليها وكبر لديها وركبت وقد صحبت العبيد وزجرت الصناديد من كل جانب ومكان وقالت القناصة قد حذرنا من هذا الامير أبو محمد البطال ولكن سوف ينظرون على من يرجع الوبال (قال الراوى) ياساده يا كرام وقد طير الطيور الى سائر الآفاق بأمر العساكر ان لايتخلف عن العراق أحد (قال) وكان قد فتحت خراسان وذهبت الثلوج فسارت العساكر اليه من كل جانب ومكان وأما القناصة فانها قالت لعبيدها امسكوا أيديكم حتى آخذ رأى أبو محمد البطال لقد قال لهم عن هذه الاشياء وخرجت من بغداد والعبيد كلهم من حولها فوجدت بنى كلاب كانهم غنم بلا راعى والملك الكندفرون والملك البطليموس وأصحابهم قد تعجبوا من الامر وقالوا كيف يفعل فى حق الامير عبد الوهاب هذه الفعال وأنه والله له من الاقطاع ما يكفيه فوالله ان تخلص من هذه النوبة وأراد السير الى ديارنا ارجعنا وطيبنا هذه الديار أبدا ونفتح الارض بقوائم سيوفنا ونكون فيها مقيمين إلى أن يفرق

بيننا الموت المفرق بين الاحباب وقالت القناصة لبنى كلاب لاتحملوا على قلوبكم إذ عدمتم الاميره فأنا عوضها وسوف ترون مايسركم وأنتم أصبتم فى أميركم وأنا أصبت فى ولدى ولا بدلى ماأزحف الى القصر وأرمى حجارته الى الدجله (قال الراوى) فهى معهم فى الكلام وإذا بالامير أبو محمد قد أقبل اليها وسلم عليها وقال لها قد حسبت هذا الحساب وقرأت عليهم عنوان هذا الكتاب غير أنهم ماقبلوا منى فقالت القناصة دعنا من هذا الكلام ياأبو محمد وقل لنا ماالذى يكون عندك من الرأى ان كنا نزحف الى القصر الذى لهذا الظالم الغاشم أم لا فقال لها أبو محمد اعلمى ان أهل بغدادهم رعية ومالهم فى هذا الأمر لاقليل ولا كثير وهم يحبون الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب ومع هذافاننى أعلم إننى أنا وأنتم كنا نصل إلى القصر إذا رجعتم إلى القتال ولكن لابد لهم يرفعون الامير إلى رأس القصر ويهولون عليكم بضرب رقابهم وما تقدرون بعد ذلك ترمون بسهم واحد ومع هذا فلا بد لنا من القتال ارجعوا حتى ننظر ما يكون ثم أمر غلمانه لؤلؤ وسبك وبديع وجوهر ويانس وقال لهم ياأولادى أريدان تأخذوا الملكه نورى وتسيرون فى خمسين فارس وتسلموها إلى ميمون الجماس ينزلها فى دارى التى فى آمدفقالوا له على ماذاعولت فقال أبو محمد أنا أدرى ان مقامنا يطول وان لم تفسد القناصة فى السواد والرستاق فما يخلص الامـــير أبدا وبالله ان عقبة ههنا بلا محال (قال الراوى) فسافروا بالملكة نورى وزحف البطال ومعه العساكر الى القصر وعبيد الامير ظالم فوجدوا أهل العراق وعساكر الرشيد قد اجتمعت وأحدقت بالقصر من كل جانب وهم الترك الذين يرمون بالحدق وقد لمعت الصناجق والدرق (ياساده) وان عقبة قال ياأمير المؤمنين ابذل فى الناس المال وقد بلغت ماتريدونادى بنفسك من أعلى القصر من قتل واحدا من هؤلاء المنافقين فله مائة دينار ولا يهمك ذلك فأنت إذاقتلت عبدالوهاب وظالم أخذت من الأموال مالايقوم بوزنه فلما أشرفت العساكر حمل الرشيد والتقت الأبطال بالأبطال وعملت السيوف الصقال وكان يوما كثير الأهوال وتطايرت قمم الرجال وتلفت الفرسان من الفزع وبرق الموت ولمع وذل الجبان وخضع وما كانت إلا ساعة حتى ولت عساكر الرشيد منهزمه وأحدقت السودان بالقصر من كل جانب (قال الراوى) وإن عقبة قال للرشيد يامولاى الآن احضر الأمير والأمراء واضرب منهم عشرة رقاب وقد عادوا الكل خائبين (قال) فعندها أمر الرشيد بهم فأحضروا فى القيود والأغلال وأشرف الرشيد من أعلى القصر وقال أنا أقسم بالله وبآبائى الطاهرين ائن لم ترجعوا وتخرجوا من العراق وإلا ضربت رقاب هؤلاء كلهم فلما سمع أبو محمد كلامه قال أنا الذى حسبته جاء سواء

ثم نادى برفيع صوته يا أمير المؤمنين ماهذه الفعال أنت تعلم مافعل معك الأمير عبدالوهاب من الجميل فى الحجاز وكم له عليك خدمة فى المواقف العظام والفعل الذى فعلته إنما هو من فعال الأعداء فلا تسمع كلامهم ومع ذلك فأنا أسلم اليك الأمير عمر بن عبيد الله فهو فى الكلام وإذا بعمرو يكلمه من فوق الصور الذى للقصر وقال يابطال انى خلصت بلا جميلتك وسوف ترى عاقبة النفاق (وكان) خلاص الأمير عمرو له سبب وذلك أن القناصة لما اشتغلت بانهزام العبيد وأخذ ظالم وعبدالوهاب ومن معه من الأمراء الذين لبنى كلاب وخرج موهوجه هرب عمرو بن عبد الله فى تلك الساعة فى الوهجه وتوصل حتى دخل على الرشيد ففرح به وقال أبشر فقد نلت ماتريد (قال الراوى) واطلع عقبة على أبو محمد وقال ياأبو محمد أنت تعرف نصحى لك ولسائر المسلمين والرأى انكم تمضون إلى الثغور وإذا رأيتكم رحلتم أنا أطيب قلب الخليفة وأصلح شأن الأمير عبد الوهاب وإن كان ماسلف الى جميل وقد فعلتم فى بلد الروم مافعلتم وكنت معكم فى ذلك الأمر الشديد والعذاب الذى لاعليه من مزيد فلما سمع أبو محمد البطال كلام عقبة تنفس صعدا وأبدا كمدا وقال والله لقد هلك سيف الحنيفية وهذه نوبة قد ضاقت على الامير عبدالوهاب من كل جانب ثم أقبل على القناصة وقال لها هذا الشيخ السوء هو سبب الفتن لعنه الله وأبعده ومع ذلك فان عزمنا على القتال فانه يحرض الرشيد على قتل الأمراء كلهم بلا محاله وهذا الشيطان قد أباد الأمراء وما قلنا إلا أنه فى حصن الكوكب أسير لما أرسلناه مع سيف الحنيفية وما علمنا أنه سبق إلى هذا المكان فاخرجوا بنا فعسى أن نتوصل إلى خلاص الأمراء بغير هذا الأمر إن شاء الله تعالى فلما سمعت القناصة كلام البطال وما سمعت من الرشيد من التهديد والوعد والوعيد خرجت من البلد وهى طائرة الفؤاد خوفا على ولدها الأمير ظالم وخرج البطال وهو يقول مافى الامر إلا أننا نقصد البصرة ونملكها ونقطع مادة العسكر فاذا فعلنا ذلك أرسل الرشيد يطلب منا الصلح ويكون هذا سبب خلاص الأمراء ولا نرجع إلى خدمة الرشيد أبدا بل ندخل إلى بلاد الروم فما بقى لنا ها هنا مقام وخرج البطال والقناصة ورحل لوقته طالب بلد البصرة (قال الراوى) فهذا جرى ها هنا وأما القاضى عقبة لعنه الله فانه لما تحقق رحيل الأمير أبو محمد قال للرشيد كيف رأيت هذا التدبير الذى لا يعرفه صغير ولا كبير وسوف يكون ما تحب وأنا أعلم أن البطال قد أشار على القناصة أن يمضون إلى البصرة ويملكها وما يعلم أن العساكر قد وصلت من خراسان (قال الراوى) ثم انهم طرحوا الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة وتمام العشرة

بالاحكام ثم انها التفتت وقد صفت عساكرها وعبت دساكرها وكذلك فعلت العجم وقد قال مرداس المقدم عليهم مايحتاج أن ترتبوا عساكر دعونى أنا أخرج إلى هؤلاء الشلوح وحدى وأبلغ منهم غاية مطابى وتصدى لأن الرشيد قد حمل منهم هم عظيم ثم حمل وحملت معه العساكر وأيضا حملت القناصة وقد حملت بعدها العبيد الانجاب وحملت بعدها بنى كلاب وقد اشتدت الامور وصارت صعاب وجزت الرقاب وطاب لهم شرب كاس العذاب وتعفرت الوجوه بالتراب وتعلقت الرجال بالركاب وقدسالت الدماء وأرملت النساء وزمجرت العبيد وتزاحمت الصناديد واستوت الموالى بالعبيد ووقعت عسكر العجم على وجوهها فوق الصعيد وثقل على الفرسان باس الحديد ونظروا الأعاجم الى قوم كانهم السباع الجياع إذا خرجت نافره من فلوات البقاع فقصرت منهم الباع وأشلت اليد والذراع ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وقد عاد مرداس إلى خيامه وكان قد قتل من أصحابه عالم عظيم وقد قويت قلوب العبيد وبنى كلاب من كثرة ماغنموا من تلك الخيل المسومه والثياب مالا يقع عليه احصا بعدد الرمل والحصا وقد عملت القناصة فى ذلك اليوم مالا تعمله ذات الهمة ولا غيرها الا أنها مثل الحبة على المقلا وقد أضرمت النيران وتحارس الفريقان وطير الطيور إلى أرض العراق تخبر بأن عساكر القناصة قد التقت مع عساكر الرشيد فبقى الرشيد من ذلك على غاية من القلق ثم انه قال لعسكر العراق تجردوا للمسير اليهم وسوف يصل عسكر الشام الينا فى هذه الأيام قال فتجردوا العساكر كما أمرهم وبعد ثلاثة أيام قد وصلت عساكر الجزيرة والخابور والشام فسيرهم الرشيد من وقته وقد وصل اليه من الاكراد خمسين ألف فارس فأرسلهم وقال لهم كانكم بعسكر مصر قد وصل وأرسله أيضا ثم ان العساكر سارت تتبع بعضها بعض وقد ارتجت بهم الأرض قال وأما القناصة فانها قد تزلت قتال العـــدو بنفسها وقد أقامت سبعة أيام تبارز فاسرت فى تلك المدة ثلثمائة فارس وفى اليوم الثامن برز إليها مرداس وكان فارسا لايطاق وعلقما مر المذاق وأنه يعد بألف فارس (قال) وأنه قد سمع من بعض أصحابه يقال إن هذا الفارس الذى قد نكل بأبطالنا إنما هى امرأة يقال لها القناصة زوجة عبدالوهاب فلما أن سمع ذلك مرداس طمع فى أخذها وقال والله لابدلى من ذلك ولقدسعد من تكون هذه وراء ظهره ثم أنه خرج على جواد مثل البرق اللامع وبيده سيف قاطع وله قلب غير جازع وما زال إلى أن صار بين الصفين واشتهر بين الفريقين وجال فى الميدان وإذا بالقناصة قد حملت وبرزت إليه

وقد التقيا و تضاربا وقد تعاركا و تماحكا ثم أنها ضايقته وصرخت فى وجهه أزعجته وجذبته فاقتلعته من سرجه فعندها القت العجم أنفسها على القناصة يطلبون خلاص مرداس من يدها هذا وقد صاحت القناصة برجالها وقالت لهم دونكم والقوم ادفعوا عنى من أرادنى هنالك حملت العرب على العجم والعجم على العرب وقد شربوا شراب العطب ولم يبق فى الأرض طريق لمن يريد الهرب وبان الفارس المنتخب من الجبان المذبذب وكادت الأرض بهم أن تنقلب وتقرت الظبا وامتلأت الأرض بالقتلا والأودية بالدماء وعملت الصوارم والنقا وتعلقوا الرجال باللحا وكان يوم يشيب لهوله الطفل الوليد وتعلق فيه العبد بلحية السيد وحارت لباب ذوى الفطن واشتدت المحن ومالت الأنفس إلى الراحة والوسن وأصبح الانسان فى حومة الوغا مرتهن ولم يلحق النجاة ولو تغالا فى الثمن وأصبح الدم على الدم على الأرض طراز وذل الجبان بعد الاعزاز ولم يجد لنفسه من ذباب السيف احتراز ولم يلق مهربا ورجعت القناصة ومعها مرداس وهو كأنه البعير وهو فى قبضتها كالطفل الصغير وقد غنموا من الخيل والسلاح مالا عين رأت ولا أذن سمعت وقد قاتلت القناصة فى ذلك اليوم قتال حير العقول والأبصار إلا أنها لم تجب اصطبار لفقد ولدها غالم ومن معه من العبيد والأحرار ثم ان القناصة قالت لعبيدها ورجالها أريد أن تهجموا على الأمراء فى المضارب وهم على ماهم عليه من التعب والكلال فلما ان سمعوا منها ذلك قالوا لها وما الفايدة فى هذا قالت لهم من وجوه عده أولها إن هذه العساكر تتقلقل والثانى إنكم تملكون الخيام ومافيها فقالوا كانا إلى ذلك مبادرين وإلى أمرك مطيعين ثم انها أخذت رجالها وعبيدها وقالت لبنى كلاب احفظوا أنتم ظهورنا ثم إنها هجمت على الناس بالليل فما كانت الا ساعة حتى انهزمت المواكب والكتائب وقد خرج بعضهم مشاة وهم من غير عدد وقد انهزموا كما قيل عن غزوة الأحزاب فى واقعة الخندق ويقول أبو سفيان الليل داجى والكباش تنطح والضرب خطا والرجال تبطح ولم يزالوا فى نهب أموال إلى الفجر وفى تلك الساعة وصل عسكر الاكراد والعراق والشام وديار بكر وكانت القناصة صارت فى السرادق الذى كان فيه مرداس وقد جلست على سريره والعبيد حولها يحجبوها وقد نظروا بنى كلاب منها مالا نظروه من الأميرة ذات الهمة لأنها كانت تحارب أهل الكفر والعناد فى طاعة رب العباد وانها لما ان نظرت إلى تلك العساكر والدساكر قيدت مرداس وجعلته فى جانب الخيمة وقالت الآن حقت الحقائق ولم يبق إلا ضرب السيف الماحق فدونكم وهذا العسكر الذى قد جاء إليكم حتى إنكم تغنموهم مثل ماغنمتم غيرهم وانى قد ندمت كيف تركت العراق وجئت الى هاهنا ولما ان قال الرشيد ترحلون والا أرمى

برؤس هؤلاء اليكم كنت أنا أقول له والله لان سال من أحد منهم نقطة دم لاصلبنك على باب القصر وكنت أنا بقيت هناك ولكن أبو محمد قد غلب على رأيي وما بقى الا الضرب بالنصال والطعن بالعوال فقد قلت حيلتي وضعف بصرى على فقد ولدى ظالم لأن مالى سواه ولا أطلب الا لقاه وأتمنى على الله رؤياه ومع ذلك فانني أسير الهم وأترك الدنيا كلها ويا سبحان الله لما ان تاب ولدى عن الحرام ورجع الى الملك العلام وطلب الجهاد عن ملة الاسلام قد خطفته المنيه من يدى قوام وأوقد فى كبدى نار لها ضرام ثم انها أنشدت تقول ونحن وأنتم نصلى على النبي الرسول .

الى الله أشكو ما لقيت لفقده ... لقد كان ضرغام الوغا وهمامها
همام هزبر حضرمى غضنفر ... ضروب لأجساد الرجال وهامها
وفى اذا أعطى الذمام يفى به ... اذا غدرت أعرابها فى ذمامها
صبيح المحيا صارم ومهند ... بشوس اذا ما الضيف يبغى طعامها
أيا ظالما انا بلينا بظالم ... يعود عليه ظلمه ومرامها

(قال الراوى) وبعد ساعة انكشف الغبار وبانت الفوارس للابصار وقد التأم بعضهم الى بعض فكانوا ثلثمائة ألف يقدمهم شمخ ابن دعقل السلمى وهو سيد قومه وبطل عشيرته وكان الرشيد قد قدمه على سائر العساكر لما يعرف من شجاعته وبراعته لأنه فارس لايطاق وعلقم مر المذاق وقد قال له ان أنت أتيتنى بأبو محمد البطال والجارية نورى والقناصة فأنا أعطيك من الأقطاع كل ما تريد ومن البلاد مهما شئت ثم ان شمخ ابن دعقل سار وهو لايصدق أن يصل الى هؤلاء القوم لأنه مدل بنفسه لأنه ماانشأ فى بنى سليم مثله وكان دائما غضبان على الأمير عمرو بن عبيدالله وكان لايأوى الى الثغور بل كان مقامه فى البرارى والقفار والأودية والاوعار فلما أن بلغه كثرة الوصف فى ظالم أتى الى الرشيد فى ثلاثة آلاف فارس من بنى سليم حتى أنه يبارز ظالم بين يدى الرشيد ويصغر شأنه عنده فوجده ظالم مقبوض ثم انه لما وصل الى الرشيد سأله عن سبب قدومه بعد طول انفراده فى البرارى الخوال فأخبره شمخ بجلية الحال فقال له قد كفينا أمر ظالم بل اننا نريد ملك القناصة والبطال فقال سمعا وطاعة قال وكان فى قلبه للأمير عبد الوهاب بغضة عظيمة لأجل شجاعته فسار يقطع الأرض الى أن وصل الى أرض البصرة ولم يتعرض ذلك اليوم ولا تلك الليلة لقتال فلما أن كان فى اليوم الثانى فعل شمخ مثل فعال الملوك فأرسل الى القناصة رسول ومعه كتاب وكان ذلك الرسول من بنى سليم وكان رجل قليل الدين يأكل الحرام لأنه كان تربية القاضى عقبة لعنه الله فلما

إن وصل اليها ودفع لها الكتاب قرات مكتوب فيه الكريم من ستر الحريم وما يتمكن الا لئيم وان كان الرشيد قد غضب على الأمير عبدالوهاب وظالم وذات الهمة اليوم فهو يرضى غدا وما يجب أنكم تضربوا فى وجهه أبدا بالسيف والرأى عندى أنكم تسلموا نفوسكم الينا حتى اننى أحملكم اليه وأتوسط فى نوبتكم حتى يرق قلبه عليكم ويعتق الأمراء واعلمى أن ماجهل القتال للنساء وانما جهل طعام الابطال والاقران وأنا عليكى مشفق فعليكى بالخدور والقعاد من وراء الستور فهو أوجب لكى من هذا الحال ومعاركة الرجال وعليكى بالهراش فى الفراش فهو أليق بكى من مناطحة الكباش فان أتى أبيتى فعلى نفسك قد تعديتى وستذكرين ماأقول لكى ان كان لكى معقول وتندمين عند منازلة الفحول فلما ان سمعت القناصة ذلك الكلام وعرفت مافيه من المرام وثبت فى الحال وضربت رقبة الرسول وركبت لوقتها وقد صفت عساكرها فالتفت شمخ الى رجاله وقال لهم انظروا الساعة لما أهتكها وأكشف سترها على رغم عبدالوهاب ويكون ذلك عليه العار العظيم ثم انه صف عساكره وقد عباد ساكره واذا بفارس قد خرج الى بين الصفين ونظرته أعين الطائفتين واذا بها القناصة (قال الراوى) والله لقد رأيتها والدم ينقط مناخيرها لأجل نفسها العربية وحميتها العلية وما فيها من الشجاعة والبراعة ثم انها نادت برقيع من صوتها ياشمخ هذا وقت المحاربة والجمال وقد خيرتك بين ثلاث خصال اما أن أقف لك وتطعننى وأما أن تقف أنت وأنا أطعنك وان شئت القتال بالجمال قاتل فإن أخذتنى فوحق النبى المفتخر سيد العجم والعرب مايضرب بعدى أحدا فى وجهك بسيف فعند ذلك خرج اليها شمخ وقد قامت عيناه فى أم رأسه وصار معها فى حومة الميدان وقد أطلق العنان وقوم السنان وحمل عليها وهو يقول :

لعمرى اننى اليوم ذات جلالة	ولم تقبلى نصحى ولم تعلمى عقلى
ولم تعلمى إنى همام صميدع	أصول على كل البرية بالنصل
وما جئت إلا أبتغى قتل ظالم	لآخذ منه الرأس بالصارم المجلى
وأتركه فى القاع شلوا بجندلا	لأجل أبيه ثم أرميك بالثكل
ولو رمت قتل الندل قد كان هينا	ولكن قتل الندل حاشاه من مثلى
ستبقين فى وسط الفلاة طريحة	ومن ذا بعد العاهرات مع الفحل

(قال الراوى) ثم إن القناصة لما أن سمعت شعره أجابته تقول :

ستعلم يامغرور بالقول والفعل	بأنك من أهل الحماقة والجهل
ولفظك شين يغضب الحرد قوله	ولكن قول الزور أشبه بالندل

ذكرت كراما سادة مثل ظالم ... ومثل أبيه ذو المكارم والفضل
ستعلم من يبقى جديلا معفراً ... تجول عليه الخيل فى السهل والجبل

(قال الراوى) وقد حمل كل واحد منهما على خصمه واحترز من ضربه ولطمه وارتفع الغبار وغابا عن الابصار وأرما كل منهم روحه على صاحبه وقداختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة شمخ فوقعت على ترس القناصة قطعته نصفين ولولا أنها هوت من تحت الضربة لكان السيف عمل فى رأسها ثم انها قد ضربته ضربة جوابها فوقع السيف على رأسه فلقها إلى الحلقوم فوقع إلى الارض صريع وقد تعجبت الفرسان من تلك الضربة وقالوا والله هذه ضربات الفرسان ولقد افتخر عبدالوهاب على جميع العربان بزوجته والاولاد الذين كانهم أساد قال وتمنعوا من القتال باقى يومهم ولما أصبح الصباح حملت القناصة على العسكر وتبعتها بنى كلاب والسودان الانجاب ولم يزل السيف يعمل إلى الصباح وعادوا إلى ماكانوا عليه فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع كبستهم القناصة فى ظلام الليل فانهزموا منها وغنمت جميع أصحابها المال والرحال وقعدت بعدهم ثلاثة أيام وقالت لاصحابها وبنى كلاب والعبيد الأنجاب اعلموا ان فى قلبى النار وقد قالت العرب فقد الولد يصدع الكبد ومالى إلا أن أسير فى غداة غد فخذوا الاهبة للرحيل فقالوا سمعاوطاعة وباتوا على ذلك إلى الصباح وإذا قد وصل اليهم كتاب من أبو محمد البطال وهو يقول اخربوا الأرض فى الطول والعرض واقصدوا العراق فان ظالم ومدلاج وثلاثة أخر لم أعلم لهم خبر وقد قيل انهم قتلوا فى المطمورة التى فى القصر ولا أعلم ان كان عبدالوهاب فى الجملة أم لا واعلمى انى إن كنت أنا أبو محمد البطال فأنا أعرف بمن آخذ النار ولا انى أول من أصيب فى الزمان ورمى بسهام الأحزان فلما ان وقفت القناصة على ذلك الكتاب خرقت ما عليها من الثياب وقد أكثرت من البكاء والانتحاب (قال) وكان السبب فى ذلك أن عقبة جعل يحرض الخليفة على قتل ظالم ويقول يامولانا انت قدجرى عليك من ظالم ماجرى وما فعلت هذه الفعال إلى على أنك تقتله وهذا الذى عندى من الرأى الصواب ثم انك تخلع على الأمير عبد الوهاب وتقول له أنا مافعلت ذلك الا لاجل اقامة الناموس وأنت ما أنت أكرم من النبى نوح لما انكان ولده من أهل العنادوأوحى إلى أبيه أنه ليس من أهلك وكذلك ظالم فانه مفسد وأنت مصلح وتخلص من عاقبة أمره لأنه خارجى وقتله حلال وأنت برئ من دمه وأنا المطالب به ثم ان الرشيد أمر بقتله وقتل مدلاج العبد برأى الشيخ عقبة لعنه الله وقد قال إن الخليفة قد هدم ركن

السلطنة وكان عقبة جالس مع زبيدة ومسرور فقال أقسمت بالله ياأمير المؤمنين انه لم يكن عندي فى الدنيا اعز من الأمير عبد الوهاب وإن كان هو لى باغضا وأنا معه كل يوم فى عذاب شديد وأنا أحبه كونه يذب عن دين الإسلام وان كان له فى قلبى بغض فيكون عقبة برئ من دين الإسلام ويكون مطرود عن باب الرحمن ولكن انى أقول انى أختاره لهذه الدولة ناصر وما فيه عيب الانفاقه وما يحمله على هذه المصائب كلها إلا أبو محمد البطال لأنه رأس كل بلية فقالت زبيده انظر يامولاى ذكره لهم فى غيبتهم وذكرهم له فى غيبته حتى تعلم أنه من أهل الخير والصلاح ثم ان عقبة بعد ذلك قال يامولانا مضى مامضى وعبد الوهاب قريب المرجوع وما رأينا منه إلا الخير والمعروف بل هذا ظالم هو الذى عشرته وبقاه يورث ضيق الصدر وألم القلب وتعب السر ولا يخاف من أمر الا أنه مجنون على ماقيل عنه انه مافى رأسه من العقل لا كثير ولا قليل فلما ان سمع الرشيد ذلك قال والله لقد صدقت فما الذى عندك من الرأى فقال عقبة تقتله وتقتل من معه والعبد مدلاج وتحضر بعد ذلك عبد الوهاب وتقول له هذا خارجى خرج عن دولتى فان أنكرت على فمالى فالأرض بين يديك واسعة واخلعه يامولانا من امارة بنى كلاب وقد بقى بعد ذلك أحقر من عبد وتتمهد لك الأرض بعد ذلك ولا يبقى لك معاند ولا مضاضد (قال) ولما ان سمع الرشيد ذلك من كلام عقبة عول عليه وقال هذا رأى سديد وقد صبر حتى اندفع النهار وأتى الليل بالاعتكار وقد هجمت النوام وعقبة لا يصدق بذلك لأنه أيقن ان الملك إذا قتل ظالم لايبقى بينه وبين عبد الوهاب مصالحة أبدا وان الرشيد لما ان هدى الليل ادعا بمسرور وهو الشفوق على عبد الوهاب فلما ان حضر قال له امضى الساعة واتينى برأس ظالم ورأس العبد مدلاج ومن معهم فى المطمورة فقال له يامولانا ان معه أربعة من غلمانه وانه عبدك وابن عبدك فقال الخليفة وقد غضب أينا أحب اليك أنا أم عبد الوهاب فقبل مسرور الأرض وقال يامولانا أعوذ بالله من هذه الكلمة وانما أحب عبد الوهاب لما أرى فيه من المروءة والعصبية لهذه الدولة فقال عقبة لا والله يامسرور لوكان لعبد الوهاب فى هذه الدوله أرب ما كان قبض عليه أمير المؤمنين فقال الرشيد يامسرور انى ما أمرتك بقتل ظالم الا وهو مستحق القتل هو وأبوه ثم انه مد يده تحت الطراحة أخرج من تحتها كتب مكتوبة الكتاب الأول بخط الأمير عبد الوهاب وانه يحلف بالله أربعين يمين أنه يجلس ظالم موضع الخليفة وهو يكون حامية له وكل من أنكر ذلك سقاه كأس العطب والمهالك فقال عقبة لما ان نظر الى ذلك الحمد لله الذى أظهر الحق وكان الكتاب الثانى بخط الاميره ذات الهمة تحلف أربعين يمين أنها تعاون

ولدها ومكتوب من تحت خطها خطوط العرب من أمراء بنى كلاب حتى أن فيه خط مالك بن بشر الاقطع ومالك بن طوق وقشعم وضيغم وبرد ابن الازهر وسعد بن الفرج وهارون العلوى وهياج الكردى وطارق الحجازى وأبو الهزاهز وقواقد وغيرهم من بنى كلاب ومقدمين السودان الأنجاب يحلفون كلهم على يمين الاميره ذات الهمة أنهم يكونوا عونا على ما يعمل الأمير عبد الوهاب وأنهم يجلسوا ظالم مكان الرشيد ويفرقون الاموال التى فى خزائن الرشيد على الاعراب ويطلبون الابطال من كل جانب والكتاب الثالث بخط الامير عبد الوهاب إلى ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر يطلب منه المبايعة على ذلك ويتركها له حرث وخراج وكذلك الصعيد وبعد ذلك أزوج بنتك بولدى ظالم ويكون لك فى ذلك الحظ الأوفر (قال) فلما أن نظر مسرور إلى ذلك تغير لونه ودخل الشك فى قلبه وأقبل على جوهر وقال أما كان فى رأس عبد الوهاب من العقل مايرده عن هذا الأمر (قال) وكان هذا كله من تدبير عقبة لعنه الله وذلك أنه كان قد زور الكتب على قدر خطوط الأمراء حتى لو أن الرجل نظر إلى ذلك لم يشك أنه خطه وقد سلم الكتب إلى بعض العرب المجهولة وضمن له من المال مايريد ثم قال له أريد أن تدخل على الرشيد وتقول له يامولانا أنا من بعض غلمان الأمير ظالم وقد علمت أن نصحك واجب على كل مسلم كان فى الأرض وإنى كنت يا أمير المؤمنين خائف عليك من هذا الشيطان ظالم لأنه ما طلب المجىء من الحجاز إلا بشرط أن يستبيح دمك ومالك وأهلك وقد أجمعوا الأمراء على ذلك وقالوا إن فى خلافة ظالم وبين يديك ولولا سيوفنا لما انقامت شوكة بنى العباس إلى هذا الزمان وكانوا يبقوا كل يوم فى هوان وقد علم عقبة للاعرابى أن يقول للخليفة وإنى يامولاى لما أن رأيتهم قد اتفقوا على ذلك رصدت الكتب التى قد كتبوها وسرقتها وحملتها اليك حتى انك تحذر على نفسك وتوعى على روحك (قال) فلما أن وصل الأعرابى إلى الرشيد بهذه الكتب كان قبض على الأمراء فزاده ذلك تحريضا على قتلهم وقد صدق فيهم كلام عقبة ولما أن عرض الكتب على عقبة جعل يدق يد على يد ويقول ياويلهم من ديان يوم الدين إذا قامت الناس لرب العالمين وأصبحوا على مافعلوا نادمين ثم أنه قال يامولانا أما الأمير عبد الوهاب لاتقتله لأن ماله من الخدم وأما ظالم فانك اذا قتلته أمنت من مكره وغدره لانك تعلم ما لقيت منه وما طلب عبد الوهاب أن يفعل هذه الفعال الا لما ان قويت عزيمته بهذا الشيطان الذى هو فى صورة انسان (قال) فقوى عزم الرشيد على ذلك فقال لعقبة

زبيدة يا أمير المؤمنين من أراد قتلك وهتك حريمك ما بقى عليك فى قتله اثم ولا خطية وكان عقبة له ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب إلا يقول أنا أريد أن أصوم سبعة أيام شكرا لله الذى لم يحصل لمولانا الخليفة ضرر إلا أن مسرور لما أن صح عنده ذلك قال يامولانا ها أنا أمضى الساعه وأضرب رقبة عالم ومدلاج ولو أمرتنى اقطعت من أبيه الاوداج لأن من يتجارى على هذا المقام يحق لك أن تقطع منه الهام ولا نبقى من ذريته لاشيخ ولا غلام وماهم عندى أعز من جعفر ابن خالد بن يحيى البرمكى وقومه البرامكة قد ضربت رقابهم لما أن صح عندى نفاقهم على دولة بنى العباس فحل بهم الويل والبأس ثم ان مسرور مضى وهو طالب إلى المطمورة فلحقه جوهر وهو يبكى فقال له مسرور مابالك ياجوهر فقال له يا أخى ودخل هذا فى عقلك إن الأمير عبد الوهاب يكتب هذه الكتب وإنما هذا كله باطل وزور عليه حتى تم بذلك المقادير والامور فقال مسرور يا أخى إن الذى تقوله صحيح ولكن كيف السبيل إلى خلاصهم ولو رجعت أشاور الخليفة فى أمرهم اضرب رقبتى وهذه النوبة مثل نوبة البرامكه ومافى الأمر إلا أننى إذا سكن الرشيد من غضبه أقول له يامولانا اننى قد سمعت أن القناصة فى هذين اليومين تنزل على المراق وقد كسرت العساكر التى مضت إليها وهذا الأمر الذى هممت به لاتدرى عاقبته (قال) ثم أنه رجع إلى الرشيد وقال له يامولانا قد قتلت ظالم ومدلاج ومن كان معهم فسر قلب عقبة بذلك وجعل يحدث الرشيد ويشغله على حزنه حتى لا تقع به الندامة ولم يزل حتى غلبه النوم وقد مضى عقبة إلى مقصورته قال وإن الخبر قد شاع فى القصر بقتلهم وأن البطال لما ان دخل فى هذه النوبة إلى بغداد وترك القناصة فى أعمال البصرة أرسل إلى غلام له فى القصر يقال له صندل وكان قد أهداه قديما إلى الرشيد وهو يكاتبه بالأخبار فأرسل البطال يقول له مهما جرى فى القصر اعلمنى به من جهة الامير عبد الوهاب وغيره وقد أصبح الصباح وشاع الخبر بما ذكرنا من قتل ظالم ومن معه فارسل صندل الى البطال يعلمه بذلك فعندها كتب أبو محمد الى القناصة يحرضها على المجىء الى بغداد وقال ان الخليفة مافعل ذلك الا وقد كذبوا الاعداء على القوم حتى أخذ الرشيد دماهم وأرسل الى القناصة كما قد ذكرنا (قال) ثم أن الرشيد ادعى بمسرور وقال له يامسرور قال لبيك يا أمير المؤمنين قال له أليس أن عبد الوهاب وأمه قد استحقوا هذه الفعال قال نعم ياسيدى قال وأين ضربت رقبة ظالم فقال فى المطمورة يامولانا وان كان فعل بهم شىء فقد استحقوه فقال الرشيد وهل بقى شىء بعد خطوطهم وتربة المهدى ان فعلت بهم الا كما فعلت بالبرامكة ولا وقعن بهم البوار ولا أترك على وجه الارض منهم ديار فخاف مسرور أن يقول له امضى واقتل

عبد الوهاب فقال له يا مولانا دعنا الساعة من هذا وخذ فيما هو أهم واعلم أن القناصة وبنى كلاب والعبيد قد كسروا عساكر خراسان وأخذوا مرداس وسائر الجيوش التى مضت إليها وقد سارت طالبة أرض بغداد معولة على أخذ البلد وخراب القصر فانظر بين يديك فلما ان سمع الرشيد ذلك قال ومن أين لك هذا الخبر فقال يا مولاى الخبر صحيح وأنت قاعد وما بقى لك عسكر أبدا تكتفى به ولا تزال تسمع من عقبة حتى تؤخذ كلنا من هذا المكان بالحبال فعندها انتفض الرشيد وقال ويلك يا كلب السودان ولما سمعت أنت ذلك كنت توقيت بقتل ظالم حتى إنما ما ننظر آخر هذا الأمر كيف يكون فقال وحق رأسك يا مولانا مافعلت ذلك فزعا عليك وعلى رأسى لأنهم أول ما كانوا يضربوا رقبة السياف وإن كفاك الله شرهم فلا زلت بخير فقال الرشيد نعم مافعلت قال وإن عقبة لما سمع ان ظالم قتل قال فى نفسه قد بلغت المنا وشفيت الفؤاد من العدا لأننى قد قتلت سيف الحنيفية ولا ظهر له خبر أبدا والثانى ظالم الذى قد فزعت منه جن سليمان والتفت إلى الرشيد وجعل يحرضه على قتل عبد الوهاب وذات الهمة ويحكى له حكايات ملوك الهند ومن قتلوا من أمرائهم ووزرائهم ويقوى قلب الرشيد على ذلك والرشيد يقول له اعلم يا قاضى عقبة انى حملت هم عظيم من أجل أبو محمد البطال والقناصة وقد سمعت أنهم قد كسروا عسكر خراسان وقد زحفوا إلينا وما ندرى ما يكون منا ومنهم وأخاف أن تبطىء العساكر عن بغداد فتخرب جميع البلاد وعقبة يقول له وأين أنت من العرضيات يا أمير المؤمنين وسوف يأتيك منها مالم يكن فى الحساب (قال الراوى) ياسادة يا كرام وقام عقبة ومراده يعمل حيلة يقتل بها القناصة حتى ينال بذلك عند الخليفة الدرجة المنيفة وان مسرور قعد هو وجوهر الى نصف الليل يتحدثوا وهو يقول له كيف تعمل فى حق عبد الوهاب حتى ترمى له الطعام والشراب فانه فى أعظم ما يكون من الجوع والعطش وجوهر يقول والله ماندرى كيف نعمل فبينما هم كذلك وإذا بالباب يدق خفيف فقام مسرور وفتح الباب وإذا بامرأة ضاربة لثام مضيقة النقاب وهى مليحة الشباب فقال لها مسرور ويلك من أنتى فقالت له الويل الك هكذا تكون الاصدقاء يبقوا أجناسهم فى المطامير والحبوس وهم على وجه الراحة جلوس فان كنت تعرف موضع عقبة دلنى عليه فقال لها ومن أنتى حتى ان قلبى يطمئن اليكى فكشفت النقاب وإذا به البطال فقال له مسرور كيف دخلت يا أبو محمد ووالله من يوم جرت هذه القضية ما بقى أحدا يدخل القصر لا كبير ولا صغير (قال) وكان الأمير أبو محمد قعد ينتظر الدخول الى القصر فلم يقدر على ذلك من شدة الحرس الذين بالسيوف المجذبة فلم يقدر على الدخول ولا وجد الى ذلك وصول فبينما هو يطوف فى بغداد إذ سمع

ان جوق من الجوار قد وصل من أرض حمص وكان للرشيد فى كل سنة عشر جوار ويرسل غيرهم وانهم قد وصلوا فى ذاك اليوم وسمع أبو محمد بذلك فرجع الى الموضع الذى كان فيه وأخذ معه كل مايحتاج اليه وقد لبس لبس الجوار وكان أسرع الناس حركة النساء لم يحصلوا معه شىء فى الملبس والانعطاف ثم أنه مكث على باب الدجلة حتى وصلت الجوار الى القصر وقد التقوهم جوار القصر فاختلط بهم البطال وهم فى دهشة السلام وقد سار أبو محمد الى القصر وقد أدهش البوابين بخطراته وخطواته وما فيهم الامن يشير اليها ويقول مافيهم أحسن من هذه الجارية وبقى كل منهم يتمناها ويقول تمنيت أن تبات فى حضنى ولو ليلة واحدة وما زالوا الى أن صاروا فى القصر وكان من وقت المساء فامروا بهم الى دار الحريم لأن الرشيد قلبه مشغول الآن بما هو فيه من الملاهى والآلات فدخلوا الجوار القصر فبقوا جوار القصر يظنوا أن أبو محمد من جوار حمص وجوار حمص يظنوا أنه من جوار القصر وهو قاعد يتثاوب ويتناوم حتى لحقهم النوم وقد أظلم الليل فقام وخرج وما فى الناس الا من نام ولم يزل ماشى الى أن أتى الى باب مسرور كما ذكرنا وطرق الباب وخرج اليه كما وصفنا فقال له يامسرور وكيف طاب قلبك على قتل الأمير ظالم كنت هلكت دونه ولا قتلتوش فقال مسرور طيب نفسا وقر عينا فهو سالم يا أبو محمد فى المطمورة التى هو فيها وأنها أسهل علينا من المطمورة التى فيها الأمير عبدالوهاب والأمراء لأنهم فى مطمورة يقال لها مطمورة الرادى وهى فى دار زبيدة وظالم هنا هو ومدلاج ودمادم والموت الاحمر وأبو مرجل فقال البطال هذا الذى أريد فان هؤلاء اذا خلصوا مايقدر الرشيد يتعرض لأحد غيرهم واذا صار ظالم من خارج بغداد فإنه يخلص الكل ولعلنا أن نأخذ عقبة الملعون فى هذه الليلة فقال لهم جرهم لاتعرف هذا الأمر الامنى ثم أنه سار به الى المطمورة وقد فتحوا بابها وقد عاجل الامير أبو محمد بالنزول فقال له مسرور خليك على بعد منهم ولا تقرب اليهم فقال أبو محمد ولم ذلك فقال ان ظالم لم يعرف قط جبل لان الرشيد قد أمر أن يرمى ماله كل يوم خمسة أقراص من الخبز ولم يزل كذلك الى أن قال لى الرشيد أقتله فمن عهدها قبلت يدى شكرا لله على عدم قتله باشتغال قلب الرشيد من جهة القناصة فقلت أنا أدومهم بالطعام لاجل ما تصلح همته وتزيد قوته ففتحت المطمورة وقد أنزلت غلامى سالم فلما ان رآه كانه ظن أنه يريد قتلهم أو عذابهم فلم يسأله عن حاله ولا ماجاء فيه بل ضربه على رأسه طير فكه وأضراسه فنزلت وسحبته من رجله وتأملته فوجدته قضى نحبه ولحق بربه فانقطعت أناعنه ولم أرجع أفتح عليه هذا المكان وهذا الحديث من أول أمس (قال) فضحك البطال وقال له بارك الله فيك

فوالله مابى قتلى مثل مابى من شماتة الأعداء ثم إن أبو محمد نزل مقدار أربع درجات وقال ياظالم أناعمك البطال اياك يامجنون أن تفعل بى مثل مافعلت بالذى قد نزل اليك من قبلى وها أنا قد أتيت الى خلاصك وخلاص من معك فلما أن سمع ظالم كلام البطال قال له أهلا وسهلا والله ياعم لو لم تتكلم قبل النزول لكان وقتك وقت مخذول ثم إن أبو محمد تقدم اليه وفك قيده وقيود الذين كانوا معه وأخرجهم من المطمورة وأتى بهم إلى بيت مسرور ثم انه قال له يامسرور أريد منك عدد لهؤلاء وتتركهم عندك الى الصباح يحملون على من فى الباب ويخرجون وان لم يتسهل خروجهم يكونوا مقيمين عندك الى أن تسمع ان القناصة قدوصلت إلى بغداد وتعمل بعد ذلك ماترى فيه الصواب فقال مسرور اعلم أنى ماأتركك بل تمضى الى الدار التى فيها عقبة فلعلك أن تقدر على أخذه ولعلى أن أحصل لك على عدة وتفعل أنت بعد ذلك ماتراه برأيك وإن أقاموا عندى فى البيت ربما يفتقدهم الرشيد ويفتش عليهم فيجدهم عندى فيكون ذلك سبب ضرب رقبتى ورقابهم معى وضرب الرقبة يا أبو محمد يوجع القلب ويطلع المصارين فضحك أبو محمد من قوله وترك ظالم هناك وسار إلى الدار التى فيها عقبة وكان الملعون من مكره وخبثه قد قال للرشيد قلبى يحدثنى أن أبو محمد ما يقعد عنا بعد أن سمع أنى عندك فى القصر وأنا أريد أن أحتفظ منه فقال الرشيد أيها القاضى لقد وقع الخوف فى قلبك فقال له يامولانا وكيف لاأنزعج وقد قال القائل من لا يخاف من الله خاف أنت منه وهذا أبو محمد لايخاف من الله وقد سلطه الله على أذية الصالحين من عباده المؤمنين وهو يعلم ان ما على وجه الأرض أكثر خوف من الله منى وانى لا أستحل قتل عصفور بيدى وهو يقول إن على كثرة ضعفى وكبرى أقتل النفس التى حرم الله قتلها وإنه هو الذى قد حرض عبد الوهاب على هذا كله ويجعل ان الخلافة ليست لبنى العباس وانما هى لبنى هاشم ويقول لهم مهما عملتم مع هؤلاء ليس عليكم فيه اثم فقال الرشيد وقد غضب على أبو محمد البطال ياقاضى كيف يقدر عليك وأنت فى هذا القصر فقال له يامولانا استعذ بالله من شره ولا تقول هذا الكلام فهو ان أراد يجىء من الهوى أو يطلع من تحت الثرى فقال الرشيد فعلى هذا الحساب ابقى احفظ أنا الآخر روحى ولا آمن على نفسى منه ثم ان الرشيد أقام الحرس الشديد وكذلك عقبة حفر حول البيت الذى كان فيه خندقا قدر قامه ونصف وقد نصب له فى وسطه سرير وصعد عليه وهو منفرد كانه من أهل العبادات (ورجعنا الى ما كناعليه) قال وإن البطال لما أن نظر إلى دار عقبة وقف على بابها وأسنط واذا به يقرأ سورة يس ويبكى ويقول اللهم اصلح قلب مولانا أمير المؤمنين على الأمير عبد الوهاب حتى لا تكثر الفتن على

الأمير ويتولد الحرب بين أهل الاسلام وان عبد الوهاب نسبني الى الكفر والبهتان وما أقول ان هذا كله الا من الشيطان البطال (قال) وكان قصد الملعون بهذا الكلام ان ربما خرج له الرشيد ينظر الى حاله ويسمع منه أقواله وقد كان قبل ذلك بليالي خرجت زبيدة فسمعت فى الليل قراءته وطيب صوته ونغمته وكان يقول مثل هـــذا الكلام فرجعت الى الرشيد وقالت له هلم الى هذا الشيخ عقبة واسمع كلامه فى حق الذين يفعلوا فيه هذه الفعال ويجعلوه من أهل الكفر والضلال (قال) فأتى معها وسمع بكائه وخشوعه فقال الرشيد والله ما أظن أن أحدا أعطى فى الآخرة مثل ما أعطى هذا الشيخ المجاهد بنفسه لأنه قد قتلها بالعبادة (قال الراوى) ولما أن سمع أبو محمد ذلك من دعاء عقبة وقراءته قال لعنك الله ياشيطان ياشيخ السوء والله ما قصدك بذلك ألا يسمع الرشيد وزبيدة أو من يقوم مقامهما حتى أنك يالعين تنفى عنك الظنون ويقال فيك مالا يكون ولم يزل البطال واقفا حتى علم أن عقبة نام ففتح الباب وقد دخل على عجل وقد فرح فرح شديد بأخذ عقبة وصار يقول ان أعيانى الأمر فأنا أفادى به الأمير من قبضة الرشيد وأخلصه من الذل لم يعلم أبو محمد أن المقادير تجرى فما أحس بروحه الا وقد وقع فى الحفيرة فوثب عقبة وهو يقول قد وقع العيار المحتال وجعل يصيح فأتوه غلمان الرشيد ومعهم الشمع والمشاعل فقال لهم خذوا هذا القرنان فقد وقع فى شبكتى على أنى رجل من أهل الدين والصلاح وان الحيل ما هى صنعتى وقصدى بذلك ألا انى أدفع شره عن الخليفة لأنه رأس كل بلية ومعدن كل رزية (قال) وقد أتى الرشيد وسمع الخبر فقال له عقبة يا مولانا وما أتى البطال حتى أنه عمل فى القصر عمل أكثر من هذا ففتشوا المواضع (قال) ففتشوا فلم يجدوا أحد فقال عقبة يامولانا فتشوا المطامير والمقاصير ولا تدعوا مقصوره من مقاصير الجوار حتى إنكم تفتشوها (قال) وكان ظالم لما أن سمع الصرخة دخل هو ومدلاج والثلاثة الذين كانوا معه إلى دار مسرور وقد قالوا له لاشك أن أبو محمد قد وقع ووالله ما أخذه إلا عقبة لأنه شيطان مارد ولا يغفل عنه ولا يترك الحذر منه (قال) وقد وقع التفتيش فى القصر حتى انهم وصلوا إلى بيت مسرور قال فأعرض الرشيد عنه فقال له عقبة إلى أين يامولانا فقال الرشيد مابقى إلا مقصورة مسرور الخادم صاحب سرى ومدبر أمرى وكيف نقول إن مسرور يكتم هذا الأمر حتى إننى أهجم عليه مقصورته وأحرم حرمته فقال عقبة دع عنك هذا الكلام يامولانا فقد قال الحكيم ارسطاليس إذا كان الغدر طباع فالثقة بكل أحد عجز وأنا أعلم أن مسرور مربى هذه الدولة وهو جمالها إلا أنه يتعصب لعبدالوهاب قبل أن يعرف فيه هذا النفاق والآن

إن تمكن منهم اضرب منهم الأعناق فقال مسرور وقد علم أن ظالم ومن معه فى بيته وإن علم بهم الرشيد كان سبب هلاكه وهلاكهم فقال ياقاضى دع عنك هذا المزاح فانه يلعب بالأرواح فما مثلى من يفعل فى حق الرشيد هذه الفعال وكيف أخونه وأفعل مالا يكون ومابى التفتيش مثل مابى من نقص حرمتى بين الخدم والحشم فقال عقبة يامسرور دع عنك هذا الكلام فان أول مافتش الرشيد فتش بيته وما تكون أنت عنده بأكرم من نفسه وأنت ماعليك فى هذا مضره بل يجلب لك الفرح والمسره فقال مسرور وتربة المهدى ماأحد يفتش دارى لأنى عند الرشيد فى الميزان الراجح وما قط سمع عنى خنا ولا يسمع قولك أنت فى هذا المعنى وظهر من مسرور الحرد والحزن وكان الرشيد يرى فى مسرور يرى الرأى الحسن لأجل الخدمة والتربية والألفة فقال يامسرور دارك لاتفتش أبدا ثم إنه التفت إلى عقبة وقال له ياقاضى دع مسرور ودع التفتيش عليه ثم إنه التفت والتفتت وراءه الأتراك والغلمان فصاح عقبة صيحة كادت مرارته أن تنشق وكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وقال يامولانا لاتفعل فوحق من فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى بالكبرياء والعظمة إن المصيبة ماهى إلا فى بيته وإن غفلت الليلة عن هذا الأمر أخذت من وسط قصرك ويبلغوا فيك الأعداء مايأملوه وينالون مايريدوه فلما أن سمع الرشيد كلام عقبة التفت الى مسرور وقال له أنت يامسرور ماعليك فى هذا اثم ثم أنه أشار الى الغلمان بالصيحة على دار مسرور (قال) فدخلوا واذا هم بالأمير ظالم ومدلاج والثلاث عبيد الآخر فوقعت الضجة وأخبر الرشيد بذلك وكان ظالم يسمع كلام عقبة لمسرور فهاج فى الغلمان ساعة وتكاثروا عليهم أخذوهم لأنهم لم يكن معهم عدة (قال) ولما أن أخذوهم أمر الرشيد أن يسحبوا مسرور على وجهه فسحبوه الغلمان فقال له الرشيد ويلك يامسرور كم تضرب أنت من رقاب الناس بسيفك فالليلة تضرب رقبتك بالسيف الذى تضرب به رقاب الناس ثم أنه أمر الغلمان أن يضربوه الضرب الوجيع فضربوه ثم قال له الخليفة ياملعون أنت ماحملك على مثل هذا فقال له يامولاى ماعندى أنا من هذا خبر وأنا الساعة قد خرجت وما عندى من هذا خبر أبدا وأنا لما أن سمعت العيطة فن دهشتى طلعت وتركت الباب مفتوح فاهل دؤلاء يكونوا خاصوا وبقوا قيام ولما أن سمعوا العيطة دخلوا الى البيت وقالوا ربما أن يكون فيه عدة يدفعوا بها عن أنفسهم ولو كنت أنا قد خامرت على مولانا والعياذ بالله من هذا الامر لكنت أعطيهم العدة والسلاح وأتركهم يملكون القصر فلا تتهمنى يامولاى بشىء ماعندى منه علم ولا خبر (قال) فلما أن سمع الرشيد ذلك من مسرور ظنه حقا وكان الرشيد سليم الباطن ما يظن فى الناس الا

بالخير (قال) ثم أنه أمر أن يضعوا القيد فى رجليه فوضعوه وأنزلوه موضع ظالم فعندها قال عقبة يامولانا أليس أنك قد ذكرت أنك قتلت ظالم فقال ظالم ماقتل ولم يقتله مسرور وهذا يدل على المخامرة فقال عقبة الآن علمت ياأمير المؤمنين أنى خبير بالامور وعواقبها لكثرة التجارب والرأى عندى أن تقتل ظالم فى هذه النوبة ويبقى عبدالوهاب عندنا فى السجن الى أن يقضى الله ماهو قاضى ولا تشغل قلبك بالقناصة ولا بمن معها فقد وصلت العرب الى الرحبة وكأنك بهم وقد وصلوا وهم فى عالم عظيم ولاتعود تبالى بأهل الارض جميعا فقال الرشيد ياقاضى أنا ما أخالف لك قول قال فلما أن سمع عقبة ذلك دنى منه وقد قال له سرا اعلم يامولانا أنه لايطيب على قلبك أن تقتله لاجل خدمة أبيه لك وكذلك أبو محمد البطال والرأى عندى أن ترسلهم الى مصر ومن مصر الى برقة ومن برقة الى القيروان ومن القيروان الى الغرب ومن الغرب الى جزيرة عرق الذهب فيجعلان فيها وأنت تكتب الى أهلها أن لايخرجوه منها لان البلاد كلها بحكمك ومن تحت طاعتك وفى يدك فقال الرشيد أريد أن يكون هذا الامر فى هذه الليلة ثم ان الرشيد رد العبد مدلاج والثلاثة الذين كانوا معه الى المطمورة التى عند مسرور وقد قيد ظالم بقيد ثقيل فصار يعض على أنامله حتى بدر الدم من مناخيره ندامة على تركه للحجاز ودار عزه ومحل ملكه وقال أنا قلت أن طاعة الوالد تؤدى الى الصلاح وما علمت أنها تعقب الافتضاح ثم انهم طرحوه فى صندوق وأبو محمد فى صندوق آخر وأرسل الخليفة إلى الفضل بن الربيع لحضر لوقته وساعته فقال له الرشيد أريد أن لايصبح الصباح إلا وهؤلاء قد استقاموا على الطريق التى تمضى إلى الانبار ويكون معهم خمسين فارس توصلهم إلى أرض دمشق فسوف يسبقهم كتاب الطير إلى صاحب دمشق بما يفعل بهم فقال الفضل سمعا وطاعه فما فى هذه الصناديق فقال له الرشيد مالك عنهم سؤال فسكت الفضل بن الربيع ثم رفعت الصناديق على البغال وأحاطت بها الرجال وهم خمسين فارس أجلاد أنجاد بسواعد شداد ورماح مداد وخيول جياد وجمال لحمل الزاد وما يحتاج اليه الأمر وقد وقت لهم الرشيد للشام ميقات وهو خمسة وعشرين يوما وقد كتب من ليلته إلى صاحب دمشق كتاب يقول فيه أما بعد فاننا ماولیناك دمشق وهى أجل البلاد وأفوجها إلا أنك تكون دائما مبادر إلى مانريد كما تبادر فى حوائج مواليها العبيد فاذا قرأت كتابى فانه يصل اليك بعد خمسة وعشرين يوم مع الأمير وهب بن حسان صندوقان فساعة يصلوا اليك تجهزهما الى أرض مصر وتجتهد فى ذلك ثم انه أمر أن يعلق الكتاب على جناح الطير وكان الطير من حمام دمشق فما تضاحا عليه النهار الا وهو ببرجها وكتب أيضا كتاب الى صاحب مصر واسكندرية وكانوا الذين

أرسلهم بالصناديق قد أوصاهم أنهم مايفتحوها الا وقت الطعام والشراب ولايكلموهم ولا يحدثوهم وقد أكد على الذين أرسل لهم الكتب أن يستحلفوا الذين يرسلوهم مع الصناديق بالمصاحف وبالطلاق أن لايخرجوهم الا لمادة الأكل والشرب والبول (قال) ثم انهم أخذوهم وساروا الى أن وصلوا الى تل عقرون وإذا هم بثلثمائة عبد جاءتهم فى الطريق وفى أيديهم الدرق والسيوف وقدضربوا على الطريق صفوف وإذا بقائل يقول ياقوم والله إن مالهم طريق بهذه الصناديق الا عليكم وأن آجالهم تسوقهم اليكم فهم فى هذا الكلام وإذا بهؤلاء قد أشرفوا عليهم فنادى مناديهم خذوهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك عزقلة ابن عقيل الخزاعى لأن دهمان الأشرف ابن معقل قد زوج ابنته بالأمير سعيد ابن الدراد وهو صاحب الانبار ويريد أن يسير جهازها بالليل فزعا من هذه الوقائع الثايره بين الرشيد وبين بنى كلاب وأرض العراق وأرض الحجاز فى تعب من هذا السبب فأرسل معها مائة فارس وكان لعزقلة هذا عيون فى بغداد يأتوه بالأخبار ساعة بساعة وقد أكمن له فى الطريق ثلثمائة عبد أكالة الحرام فكانوا أصحاب الرشيد الذين معهم الصناديق أسبق الى هذا المكان فلما ان هجمت الرجال عليهم ناداهم وهب ابن حسان ياقوم ماهذه الفعال ونحن مامعنا شيء من المال ولا من النوال وانما نحن عابرين طريق ونحن من جهة بغداد من عسكر الخليفة سائرين الى دمشق نستنجد بالعساكر على القناصة وأصحابها وما معنا مال تأخذوه فلما ان علم عزقلة ذلك صاح بقومه فانعزلوا عن الطريق وقد ساروا هؤلاء الى أن قاربوا الانبار وقد دخلوا الى البرية من هناك وقد جدوا فى المسير ليلا ونهار قال فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملعون عقبة بلاه الله بحرقان التقبة فانه أقبل على الرشيد وقال له الآن قد تفرغ قلبى من هذا الجانب وأعلمك أن الملكة نورى هى بغية الطالب وسوف انك تأخذها (قال) وكان الرشيد مشغوفا بها لانه كان كثير المحبة للنساء فقال له ياقاضى وكيف أنها تحل لى وهى زوجة الرجل وعلى ذمته وما طلقها فقال له يامولاى وأنا الآخر لمثلى يقال هذا المقال وأنا بحر العلوم سوف أفتيك بما يكون من الامر طلاقها منه لانه ماهو كفؤلها ولاهو لها عديل وليس كان زواجه بها عن ارادتها وهذا لايجوز أبدا وبعد هذا كلما جرى عليك من الحرمة والاثم دعه فى عنقى فقال له الرشيد دعنا فى هذا الوقت من نورى حتى اننا نخلص من أمر القناصة فإنها قد أخربت البلاد لا محالة فقال له عقبة وحق رأسك يا أمير المؤمنين ان قربت من هذه الديار فأنا أكفيك أمرها فى ليلة واحدة ولو إنى ما أحب الحيل ولكن قد قال القائل :

تلجى الضرورات فى الأمور إلى سلوك مالا يليق بالأدب
ما حاملا نفسه على سبب الا لامر يليق بالسبب

(قال الراوى) ياساده ياكرام فطاب قلب الرشيد وقد قال له ياقاضى ما رأيتك الا سعيد ثم انهم أقاموا من بعد ذلك ثلاثة أيام وإذا باسودان قد جفلت من حول البلد وقد أخبروا أن القناصة قد وصلت وأكثرت الفساد فى البلاد وهى لا تمر على شىء إلا ونهبته ولا تظفر بأحد إلا وتقتله وان الخليفة لما أن سمع ذلك الخبر أمر بأخذ الأهبة للمحاصره وان يدركوا الأبواب وقد جمع من أهل السودان أكثر من الذى فى البلد (قال) وأما القناصة فانها سارت إلى أن وصلت إلى بغداد عند المساء وقد أخذت الاهبة لهجوم عليها عند الصباح وإن الرشيد أقبل على القاضى عقبة وقد شكا اليه هذا الأمر فقال له يامولاى طيب قلبك فأنا أدبر لك تدبير يكون فيه رحيل عسكرها ثم ان الرشيد بات تلك الليلة وهو ضيق الصدر من أمرها وما يدرى ما يكون من مكرها وشرها لأنه يعرفها ولا ينكرها ويعلم ماهى عليه من الشجاعة والقوة والبراعة وعبيدها الذين معها وإقدامها على الأهوال والفتك بالرجال وكيف كسرت عسكر العراق والعجم فى عدد كثير ومالقى منهم هو بنفسه فى الحجاز إلا أنه طمع نفسه فيما وعده به عقبة من انهزام عسكرها وكيف قال انه هو الذى يكفيه مؤنتها (قال) ولما أن أصبح الله بالصباح تأمل الرشيد فلم يرى لعسكرها حركة فأنكر ذلك وقد أرسل يكشف أخبار العسكر وما سبب إعاقتها عن الهجوم إلى البلد وماموجب ذلك فقالوا له يامولانا لم نعلم لذلك سبب إلا أنهم ماجوا كما يموج البحر العجاج وقد ركبت بنى كلاب على بكرة أبيها وكذلك سودانهم ولم يبق منهم باقية فقال الرشيد وقد طار قلبه من الفرح والله هذا ما كان لنا فى حساب ثم انه ادعى القاضى عقبة يحضر اليه من مقصورته حتى انه يتحدث معه قليل فقالوا له يامولانا إنه عند المغرب خرج من القصر ومارجع فقال الرشيد اطلبوه فما نعلم خبر هذه النوبة إلا منه لانى أريد أن أفهم القصة على جليتها وكيف كان حالها وعن سبب ذلك العسكر ولم كان ارتحالها فمضوا إلى عند الملعون عقبة فوجدوه فى داره فدعوه إلى الرشيد فركب على بغلة زرزورية بسرج ذهب سبك وقد جنح الطيلسان ولبس حلة خضراء فلما ان حضر بين يدى الرشيد قرب مكانه ورفع قدره وشأنه وقال له ياقاضى هل لك علم بماجرى من رحيل عسكر القناصة قال فضحك عقبة وقال ياأمير المؤمنين لقد عملت عليها وعلى عسكرها حيلة كنت تعلمتها من مشدودى أبو محمد البطال ثم انه ابتدأ يحدثه قال وكان الملعون عقبة قد أرسل إلى القناصة امرأتين واحدة منهم صبية مثل البدر التمام والأخرى عجوز من الملاعين الكبار وطلبوا

إلى عسكر القناصة فلما وصلوا سألوا عنها فأرشدوا اليها فلما ان وصلوا استأذنوا ودخلوا فلما ان نظرت القناصة اليهن علمت أنهن من أشراف بغداد فقالت لهن ما شأنكن فقالت العجوز ياموﻻتى اعلمى أنى لى بعل يقال له ظاهر ابن الجسين وانه قدخلف تلك البنت وولد يقال له الحسن وكان أبوه قدخلف له مالا كثيرا فلما ان نشأ وصارله ذكر غارت منه الحساد لما ان رأوه يعطى القصاد ويجود على الفقراء وكثرت محبته فى قلوب كثير من الناس وقد مدحته الشعراء وجالس الكبراء فدخلت عليه العين وتحملت منه الأعداء لحد ماراحوا فيه للخليفة الرشيد وصاروا يتكلمون بكلام الزور والبهتان ومن جملة ماذكروا أنه يريد أن ينزع الخلافة من الرشيد ويدعى انه شريف علوى وصار يرغب الناس بالمال حتى أطاعه كثير من الرجال فخشى من جانبه وقبض عليه من مدة عشرة سنين وهو عنده فى بعض مطاميره من هذا القصر فلا ندرى هل هو حى أوميت فتجسسنا أخباره فقيل لنا هو حى ولا يقدر أحد على خلاصه وإن الخليفة مصمم على قتله فى هذه الأيام هو والأمير عبدالوهاب وولده ظالم ومن معه من الأصحاب وإنما اشتغل باله بالعسكر الذى نزل على بغداد مع الأميره القناصة أم ظالم زوجة الأمير عبد الوهاب فعزمنا على المسير اليك لنتوسل اليك فى خلاصه مع الأمراء فقلنا له وكيف التوصل الى تلك الأميرة قال لنا بعض الخدم إن أردتم التوصل اليها فأنا أعلمكم بمايكون لكم اليد البيضاء عندها فقلنا له وما ذلك فقال تسيروا اليها وتعلموها ان القاضى عقبة أمر الغلمان باخراج الأمير عبد الوهاب ومن معهم من السجن وأن يأتوا بهم الى داره ليلا حتى يعذبهم ويشتفى منهم قبل هلاكهم وذلك لأجل مابينه وبينهم من العدواة وهانحن قد أتيناكى وبذلك أعلمناكى فلما سمعت القناصة كلامهم طار عقلها وعيل صبرها وقالت لهم وهل تدرون مكان عقبة قالوا نعم فان عزمتى تسيرى معنا ونحن نوصلك اليه من سطح الدار وتهجمى عليه وتخلصيهم من يديه وتشتفى منه ومن عقابه فقالت لهم أما أنا بعد سماعى هذا الكلام لم يمكننى القعود ولا بد من مسيرى فى هــــذا الوقت ولا أتوانا فقالوا لها أسرعى أيتها الأميرة فعند ذلك أدعت القناصة بعبد من عبيدها يقال له ميمون وقالت له الق بالك من العسكر فأنا سائرة فى أمر يكون إن شاء الله تعالى فيه خلاص الأمير عبد الوهاب وولده ومدلاج ومن معهم من الرفاق فاكتم الأمر ولا تعلم أحد حتى لايشيع خبرنا فيبطل ما قد دبرنا فقال لها الســـمع والطاعة ثم انها خرجت مع العجوز والصبية وقد عملت عليها ايزار وشدت الثياب مثلهما حتى ظنت الناس ان النساء كانوا ثلاث وسارت معهم حتى صاروا فى دار عقبة فدخلوا ودخلت معهن الى الدار فلم تشعر إلا وعشرة رجال

مرتبين لها بالعدد فانكبوا عليها وأخذوها قبضا باليد وكتفوها وأقبل الملعون عقبة عليها وقال لها كيف حالك ياعاهرة ولا بد من قتل ولدك وزوجك وأنتى معهم فقالت له وأين أنت ياملعون من العرضيات ومن رب الأرض والسموات ولا بد ماتلق عاقبة مكرك وغدرك فاغتاظ ولم يجبها بجواب ثم أنه أمر بوضعها فى سرداب فى داره وأقام الملعون بقية ليلته ولما كان عند الصباح ادعى به الرشيد فركب وسار إليه وأعلمه بما فعل ودبر من الحيلة على القناصة ففرح الرشيد وتعجب من هذا الأمر واستحسن من رأى عقبة ومن هذا التدبير وقال ياقاضى أريد هذه الشيطانة ان تأتينى بها حتى تكون عند الأمير عبد الوهاب فى الحبس حتى يعلم أنى ماعجزت عن أخذها وتزيد فى ذلك حسرته فقال له عقبة سمعا وطاعة فلقد قلت الصواب والأمر الذى لايعاب ثم انه أمر بعض الغلمان أن يمضوا مع غلام عقبة إلى داره ويأتوا بها فساروا وما كانت إلا ساعة حتى مثلت القناصة بين يدى الخليفة فقال لها ويلك كيف ترى فقالت له وماعسى أن أرى وما هذا إلا بالقضى وما للعبد على المولى تعدى وما هذا فعالك إلا فعل ظالم غاشم لأنك لاتوفى بالزمام ولا ترعى خدمة أحد وما هذا أفعال الخلفاء أن يأمنوا ويخونوا ويعدوا وينذروا ولم يوفوا فلما أن سمع الخليفة منها ذلك الكلام فلم يرد عليها جواب بل أنه قال اسحبوها من بين يدى وامضوا بها إلى عند عبد الوهاب واتركوها عنده فى المكان الذى هو فيه ليعلم عاقبة أمره فقالت له وأين أنت من مالك يوم الدين وسوف تظهر لك البراهين إن شاء الله تعالى رب العالمين ثم انها سارت مع الغلمان إلى الحبس الذى فيه الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب والأحباب وكان فى تلك الساعة يقول مادامت القناصة نزلت هنا بالعسكر فلا بد لنا من الخلاص من هذا الأمر المنكر (قال الراوى) ياسادة ياكرام فما تم الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام وإذا بباب السجن قد انفتح ودخلت الغلمان ومعهم القناصة وهى بحبال الذل الخبال ثم أنهم سلموها للسجان ورجعوا وأما الأمير عبد الوهاب لما نظر إلى القناصة وقد حصلت عنده فعظم عليه وكبر لديه وكبر هذا المصاب عليه وقال لها ويحك كيف قدروا عليكى ووصلوا اليكى وأنتى فى ذلك العسكر العظيم فقالت له إن قضاء الله ليس له من راد ثم انها أعادت عليه الحيلة التى دبرها عليها عقبة لعنه الله فقال لها والله لقد وصل الينا شره وكيده فنسأل الله تعالى أن يكفينا شره ومكره هذا والقناصة أدارت عينا ها فى الاسارى يمينا وشمال فلم تر ولدها ظالم معهم فى الجملة فالتفتت إلى الامير عبد الوهاب وقالت دعنى من عقبة وفعاله واعلم أننى قد اطمأن قلبى بقدومى إلى هذا المكان حتى أنظر إلى ولدى ظالم أحب إلى من إقامتى فى العسكر فاعلمنى أين هو فانى لم أره معكم فقال لها والله ماعندى

منه خبر ولا وقعت له على جلية أثر لانى من منذ ما حصلت ههنا ما أعلم ما كان منه فاعلميني انتى عن أبي محمد البطال أين كان حتى تمت علىَّ هذه الفعال فقالت له ان أبو محمد البطال قد فارقنا من البصرة وسار على أنه يأتى إليكم ويدبر فى خلاصك انت ومن معك من الاصحاب وما رجعت سمعت له خبر فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله ماقعد البطال عنا إلا وقد أعاقته العوائق وهذا أمر كان لا بد منه

(قال الراوى) ولما فقدت القناصة تفرقت العساكر وقالوا بنى كلاب والله مافقدت القناصة إلا وقد أخذت بحيلة وركب كل واحد منهم هواه وأما العبيد فانهم أقاموا ثلاثة أيام فلما أيسوا قالت لهم صباح زوجة ظالم دعونا والمقام ههنا فانى قد عولت على المسير إلى أهلى ووطنى لأن زوجى ما أعلم منه خبر ومقامنا ماله فائدة فارحلوا بنا واطلبوا الكوفة حتى نقيم هناك شهر من الزمان فإن سهل الله لنا بالفرج وجعل لنا مما نحن فيه مخرج فهو الذى تريد وإلا رحلت بكم إلى عند أبى إلى الحجاز ونقول له يأخذ بثارهم ويقطع الطريق ويخون السبيل ويمنع الحاج حتى يخلص بعلى ويجتمع به شملى فقالوا لها العبيد نحن نفعل هذا الذى ذكرتيه ولا نترك أحدا يحج إلى البيت الحرام حتى يخلص مولانا ظالم الهمام

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال والأمير ظالم فإنهما وصلا إلى دمشق وحملا إلى مصر ورفعا الى اسكندرية وأرسلا الى الغرب وكانت كتب الطير قد سبقتهم الى كل مكان لأن الرشيد كان قد ملك مالا لا يملكه أحد من الخلق لأن بلاد الإسلام كانت كلها تطيعه شرقا وغربا ووصلوا بالاميرين الى مدينة افريقية وقد سبقهم كتاب الطير وفيه خط الرشـــيد فحملوا وساروا بهما الى بلاد الاندلس الادنى وسبقهما كتاب الطير الى ملوك الغرب بالقبض عليهما وأن لا يمكنا بعدها من الخروج وحملا الى الاندلس الاقصى وسيرهم صاحب الاندلس الى جزيرة فى وسط البحر وهى جزيرة عروق الذهب (قال الراوى) وساروا فى ذلك الوقت فى قافلة كبيرة لان التجار كانوا يقصدون تلك الجزيرة ويشتروا منهـــا الذهب واللؤلؤ وغير ذلك واذا وصل الى الساحل ركبوا فى البحر ثلاثة أيام حتى يصلوا اليها فلما بقى بينهم وبين ساحل البحر يوم واحد خرجت عليهم حرامية من البربر والملثمة وأخذوا كل مافيه وقتلوا الرجال وأخذت كل مامعهم من المال والصناديق وقسمت الرجال ذلك فأخذت البربر نصف ما كان مع القافلة والصندوق الواحد معهم وهم يظنون أن فيه مال وأخذت الملثمة الصندوق الثانى ونصف مامعهم من المال وعادت كل طائفة طالبة بلادها (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب والقناصة فإنهم قد طالت عليهم الايام والاوقات وطالت شعورهم ومضت العبيد الى الحجاز وقالوا أهل بغداد ما الرشيد الا

قتلهم عن بكرة أبيهم وأما بنى كلاب فإنهم مضوا الى آمد وأقاموا عند ميمون الجماس (ياسادة) وان الامير عبد الوهاب ليلة الجمعة فى حبسه قد قام صلى صلاة العشاء ودموعه تنسكب وهو يقول ياليت شعرى ما كان الامير سيف الحنيفية والله ماقعد عنا الا وقد نكب كما نكبنا وقد صدق الأمير أبو محمد فى قوله ولكن ماقبلت بحسن ظنى وكان الامر لله من قبل ومن بعد (قال الراوى) فبينما هو يقول ذلك الكلام واذا بالباب قد فتح وقد نزل شخص شاهر سيفه كأنه النار المحرقة فلما ان نظر الامير الى ذلك الشخص قال أى أمر الله ماهو الا أن أرسل لنا هذا الشخص ليضرب رقابنا فلما أن سمع الشخص كلام الأمير عبد الوهاب فقال له لا والله يا أمير أبشر بالآمنية فانا ولدك سيف الحنيفية فقال له الأمير عبد الوهاب ياولدى وخلاص أبيك فقال له حبا وكرامة (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص سيف الحنيفيه انه أقام عند الراهب كما ذكرنا حتى برىء مما كان فيه وقوى لما يريده الله تعالى وان الراهب كان ينزل اليه كل يوم بقرصه وان سيف الحنيفية قبض عليه بعض الأيام وعصر على حلقه حتى برزت عينيه ومات وصعد إلى الدير فوجد فيه من الذهب والفضة فأخذ منه ماطاق حمله وسار من الدير وهو مختفيا وكان أول ماقد بدت حواجبه تنبت وعوارضه من تلك السقية التى دبرها عقبة وقد تقدم ذكرها وانه دخل الى انطاكية ولم يعرفه أحد من الناس واشترى له جوادا سابقا ورمحا خارقا وسيفا ماحقا وعدة كاملة ثم سار يقطع الأرض فى فى طولها والعرض حتى وصل الى الدقة فلم ير أحدا يعرفه فسأل عن أخبار ملطيه والعراق وعن عبد الوهاب هل هو مقيم فى ملطيه أو فى العراق أو فى البلاد وسأل عن عقبة وكان سيف الحنيفية قد عاهد الله لئن رأى عقبة ليعلون رأسه بسيفه ولو كان فى حجر الخليفة (ياسادة ياكرام) وانه لما استخبر عن أبيه قالوا له أنت مجنون وأين عبد الوهاب قال وما الذى كان منه فقالوا كان قد ظهر فى الحجاز خارجى يقال له ظالم بن الغريب وله حديث عجيب فقال سيف الحنيفية هل قتل الخارجى قالوا لا ولكن ظهر أنه ولد الأمير عبد الوهاب من امرأة يقال لها القناصة مقيمة فى أرض الحجاز فقال هذه والله مثل نوبتى ثم ماذا فقالوا وان الرشيد سمع أن عبد الوهاب قد أضمر أن يترك ظالم موضع الخليفة ويحمى هذه البلاد بين يديه وقد قبض الرشيد على الجميع من مدة عشرة أشهر وما نعلم هل هم فى الحياة أم لا وبنى سليم قد تسلموا ملطية والدنيا آمنة لأن ملك الروم مريض قد أشرف على الموت وهو مشتغل بنفسه (قال الراوى) وان سيف الحنيفية لما سمع بذلك بكى وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماهذا كله إلا من عقبة اللعين وبقى لايدرى كيف يعمل هل يمضى إلى بغداد متنكر ويكشف عن

خبر الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وإخوته أو يمضى إلى عند ميمون الجماس فيأخذ منه العساكر ويطلب العراق وقد احمرت أحداقه وعصفت فى رأسه نخوة العرب وكان فيه من الشجاعة والشدة ماقد تقدم ذكره ثم غلبه الشوق فلم يكن له إلا المضى إلى العراق وقال إذا صح عندى خبرهم عملت إلى ذلك فإنى ما آخذ الخبر صحيح إلا من هنالك (ياسادة) وسار إلى أن وصل إلى العراق ودخل بغداد فضاع فى كثرة الخلائق وأنه نزل فى بعض الخانات وسأل عن الأمير فأخبر أنه فى المطمورة وقال قوم بل قتلوا عن آخرهم حنقا من الخليفة عليهم فبقى لايدرى كيف يعمل الى حقيقة الأمر فأقام على هذا الأمر عشرة أيام وهو على دجلة بغداد يسمع من كل جماعة مايقولون لعله يطلع على حقيقة الأمر واذا بجوهر خادم الخليفة الخاص كان قد عبر الى الجانب الشرقى فى حاجة الخليفة فتقدم سيف الحنيفية اليه وكان يتعصب للأمير عبد الوهاب فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ولم يقبل عليه والسبب فى ذلك أن جوهر ماعرفه فى تلك الصورة لأنه قد فصلت حواجبه فعلم سيف الحنيفية أنه ماعرفه فرجع اليه ثانية وقال له قف يامولاى فإنى لك صديق فقال من أنت فقال له بعد مادنا منه أنا سيف الحنيفية فسلم عليه جوهر ثم ان سيف الحنيفية سأله عن أبوه الأمير عبدالوهاب وجدته ذات الهمة وأخواته فقال هم محبوسين فقال له ماأعرف وصول لهم الا منك فقال له جوهر سمعا وطاعة ولو يكون فيها تلاف روحى ثم أخذ ثياب بعض غلمانه ألبسه اياها وسلم اليه كيس الكتب وأقام الى العشاء ودخل الى دار الخليفة فلما حصل سيف الحنيفية فى الدار قال له جوهر ان أردت المطمورة فان مفاتيحها عنـد ارجوش الخادم فدخل إلى بيت الخادم وصبر عليه حتى نام وأخذ المفاتيح وأراد يخرج فانتبه الخادم فمسكه سيف الحنيفية وعصر على رقبته وقال له وأين الأمراء فقال فى هذه المطمورة وهادى بقية المطامير فعصر عليه فمات لوقته وأخذ المفاتيح وقصد المطامير فأول مانزل المطمورة التى فيها عبدالوهاب وذات الهمة والأمير يقول ماذكرناه وإن سيف الحنيفية قال لهم ابشروا بالفرج من عند صاحب الفرج ثم عالج قيودهم حتى فتحها وأخرج الأمير عبدالوهاب وكل من فى المطمورة فلما خرجوا داروا على عده فلم يقعوا بشىء فقال لهم جوهر اقصدوا إلى خزانة السلاح فقصدوا اليها وفتحوها وأخذوا العدة ثم أقبل عبدالوهاب على جوهر وقال له ياأخى كيف غفل عنا مسرور فى هذه النوبة وما كان إلا مبادر فى قضاء حاجتنا فقال له اعلم أن مسرور وقع فى أشد حال من أجلكم ثم أعاد عليه حديث مسرور وكيف أمره الرشيد بقتل ظالم ولم يفعل وكيف أراد أن يعمل على خلاصه فلم يتم له الدست وكيف وقع أبو محمد وأنزل الرشيد مسرور إلى الموضع الذى كان فيه ظالم فقال

الأمير وقد رجف قلبه فزعا على ولده لايكون قد هلك فقال ياجوهر وأين تلك المطمورة فارشدهم اليها والى الموضع الذى فيه باقى الأمراء من بنى كلاب خلص الجميع من المطامير ونزل الى المطمورة التى فيها مسرور فوجدوه ومدلاج وصحبه ولم يجد ظالم ولا أبو محمد فقال والله لقد هلكا جميعا ثم انقلبت عيناه فى أم رأسه وساروا الى دار عقبة التى فى القصر فلم يجده فقال دونكم والرشيد والله لايزال معتقل فى قبضتى حتى يخلص ولدى فساروا الى دار الرشيد يطلبوها فوقعت بهم الصيحة وتبادرت اليهم الغلمان من كل جانب ومكان وسارت الاقران والشجعان حتى وصلوا الى الأمير عبد الوهاب فلما علموا انه الأمير وقد خلص هو وسائر بنى كلاب عادوا منهزمين وصاح بعضهم ببعض ارجعوا يابنى اللئام والا أفتوكم بالحسام فهؤلاء أبطال الارض فى طولها والعرض فهنالك ولوا بين أيديهم وبلغ الخبر الى الرشيد فصاح من فراشه لو عاوجر عار قال للغلمان ياويلكم ماهذا الصياح فقالوا من قباض الارواح فقال ويلكم ومن ذلك فقالوا عبد الوهاب وسائر بنى كلاب كانهم أسد الغابر فى يد كل واحد منهم حسام كانه شهاب فلما سمع الرشيد ذلك بقى باهت ساكت لا يدرى ما يعمل (قال الراوى) وقصدوا الامراء الى باب الدار فلم يجدوا سبيلا الى الرشيد لان هذه الدار يقال لها دار الزمام ولها باب من الحديد ولو أقاموا عليها سنه لماقدروا عليها وكانت السيدة زبيدة فى تلك الدار والرشيد عندها فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك قال لأصحابه توقفوا وما عسى أن نفعل بالخليفة وهو فى هذه الدار ونخاف أن يكثر علينا الجمع من أهل بغداد لأنهم الساعة يقصدونا فى خمسمائة ألف وما لنا طاقة بهذا العالم الكبير ولكن اطلبوا بنا باب القصر وافتحوا واطلبوا بنا مكان الخيل واركبوها فاذا صرنا على ظهورها ونجونا إلى ظاهر بغداد بلغنا المراد وطلبتنا بنى كلاب من كل جانب فقالوا صدقت والله أيها الأمير وإلا مانتجوا من هذا العالم فقال وأنا أسير بعد ذلك بالكتايب والمواكب وأطالبه بولدى وحشاشة كبدى فإن كان هو والأمير أبو محمد فى الحياة أخذتهما منه على أننى لاأقيم بعدها فى دياره بل أسير الى ديار الكندفرون وأفتحه بسيفى وأقيم هناك فقالت الأميرة ذات الهمة نعم مارأيت أيها الأمير ثم أنهم ساروا إلى باب القصر وكسروا الأقفال وقتلوا البوابين وفتحوا الباب ودخلوا إلى اصطبل الخيل فانتخبوا مائة فرس والرشيد قد صاح فى غلمان الدار فطلعوا فوق سطح القصر وصاحوا النفير النفير أدركوا أمير المؤمنين فتبادرت العالم من كل جانب فما استكمل الناس إلا والأمير قد خرج هو وسائر الأمراء والابطال والاقيال وان أهل بغداد والعوام طلبوا الأمير وأصحابه وكان مافيه الامن قدغمه حالهم فلم يعرض

لهم أحد حتى وصلوا الأمراء إلى الدجلة ورموا الخيل فى الماء وهم على ظهورها وعبروا الى الجانب الآخر وقالوا اطلبوا ابنا آمد وساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض ليلا ونهارا هذا وان الرشيد لما أصبح عليه الصباح جمع العساكر وقال سيروا خلفهم فلما أتانى بهم أعطيته ولاية البصرة فسارت العساكر ليلا ونهارا حتى لحقت الأمـــير فى طريق نصيبين فقال الأمير هذا والله عسكر قد أقبل علينا من قبل الرشيد فقال الأمير سيف الحنيفية مرحبا بهم وقال العبد مدلاج والله لاخرجن كلما جرى على من رؤس هؤلاء القادمين

(قال الراوى) وكان قد انضاف مع الأمير عبد الوهاب ألف فارس من الطالبين الكسب وانكشف الغبار ولاح العسكر للابصار وهم فى خمسة وعشرون ألف وقد طبقوا الأرض بكثرة الركض فلما وقعت العين على العين رفعوا أصواتهم بالصياح وكان المقدم على عسكر الرشيد رجل تركى يقال له السلار وكان يرمى بالنشاب فينشق الشعر فانفذ لبنى كلاب يقول لهم انى عبد مأمور وما أشتهى ان أسفك دماءكم والرأى عندى ان تسلموا نفوسكم إلى حتى أصلح نوبتكم وأتوسط فى أموركم وإلا حملت عليكم حمله واحدة أنزلكم كامس مضى لاعودة له أبدا وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر فلما وصل الرسول الى الأمير عبدالوهاب وسمع منه هـذا الخطاب قال له ارجع لاأم لك قبل أن تشرب كاس الحمام وتبقا مطروحا بين الآكام فلما سمع ذلك رجع وهو لايصدق بالنجاة فقال له السلار إيش عملت فقال يامولاى قالوا لى ارجع وأنت سالم وإلا رجعت وأنت نادم فقال له ويلك ارجع اليهم وحذرهم فقال والله إن رجعت اليهم هلكت لامحالة فعندها زحف التركى وأمر الاتراك أن يفرقوا السهام ويطلبون بها الخيل التى للعرب فحلت عليهم الاتراك ورشقوهم بالسهام فكانوا كالجراد المنتشر أم الثلج المنحدر فعندها حمل الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحـاب وقالت له ذات الهمة يابنى ان نحن رجعنا وقعنا فى أيديهم فبعيد خلاصنا هذا وقد خرج أكثر خيلهم ومات منها اثنى عشر حصان واختلطت الاقران بالاقران وطاب لهم الجولان وعملت الصوارم فى الأبدان وكان عسيرا على كل انسان وأن القناصة من حرقتها حملت على مقدم الترك وضربته بحسامها على رأسه واذا به قد طار وخرج الأمير وقد أخذ فارس وكان فى مقدمة العسكر أسير وأما العبد مدلاج وأصحابه الثلاثة فانهم قتلوا فى جملتهم خمسة وعشرين فارس لانهم لايعرفون ان كانوا مسلمين أوكافرين والكل عندهم سواء وان عساكر العراق لما نظروا ماحل بالمقدم عليهم ومن قتل منهم قال بعضهم لبعض ياقوم مافينا الامن يعرف الأمير عبدالوهاب والأميرة

ذات الهمة وأبو الهزاهز وسيف الحنيفية ولو كانوا وحدهم ماطقناهم ولو كنا أضعافنا وقد فرحنا بخلاصهم والمقدم الذى كان لنا طمع أن يأخذ البصرة فكانت سفرته ايشم سفره فعودوا بنا سالمين بأكبر الغنائم فعند ذلك عادوا على أعقابهم راجعين والى بلادهم طالبين وغنم الامير وأصحابه أكثر ثقلهم وسار يطلب آمد وقد فتح الله على يديه وقد سبق أبو الهزاهز بخبر بقدوم الامير عبد الوهاب ففرح ميمون الجاس لانه قد وقع به من الامير الاياس وركبت بنى كلاب والتقوا بالامير وكان دخولهم الى آمد يوم عظيم لايرى مثله فى الآفاق وهم فرحانين بخلاصهم من العراق وقالت القناصة أيها الامير أنت الك مثل هذه البلدة ويكون عليك طاعة لاحد فقال الامير عبدالوهاب والله ما كنت مطيعا له الاخوفا من الله تعالى وبعد ذلك فوالله لارجعت بعدها الى طاعته أبدا حتى أرى ولدى ظالم وهو بين يدى سالم وسوف ترى ما أصنع ثم كتب الى الاقطار يطلب العرب وبعثت القناصة الى عبيدها الذين فى الحجاز وسيروا النجابه وأقاموا ينتظرون قدوم العساكر وعلم الرشيد أن عبدالوهاب لايقعد عنه فجمع أرباب دولته وقال لهم ماتروا من الرأى فقالوا والله يامولانا كان القبض على عبدالوهاب صواب ومثله يكون وليا ولا يكون عدوا لانه مابقى الا أن تجمع العساكر من سائر الآفاق وان كنت قتلت ظالم والبطال فاعلم أن عبدالوهاب لايرجع الى طاعتك أبدا ويكون خارجيا على دولتك وان كنت أرسلتهم الى بعض البلاد فكن حافظا لهم حتى انرأيت الامر صعب كانوا حاضرين فقال الرشيد هذا هو الصواب ثم كتب الكتب الى سائر الآفاق بأن يحفظ الرجلين ولا يفرط فى المأسورين وعلقت الكتب على أجنحة الطيور وسارت من وقتها ثم ادعى بعقبة وقال له كيف ترى هذه النوبة الصعبة فقال عقبة هذا كله يامولانا كان تدبيرك والا من قبض على أولئك السباع كان اما قتلهم واما أقام عليهم الهيبة وصالحهم وان من جعل الاسد معه فى داره لايأمن من مخاليبه وأظفاره فقال الرشيد مضى مامضى فانظر الآن ماترى فقال عقبة يامولاى الى حين ماتقدم العساكر من الآفاق يكون قد خرب عبدالوهاب العراق والرأى عندى أن تكتب الى ملك الروم كتاب تقول فيه ان الهدنة بينى وبينك وان عبدالوهاب قد نافق على وهو فى آمد العرب وقد تفرقت عنه وما أعرفه الامنك فيرحل ملك الروم اليه ويقصده ويسمع عبدالوهاب ذلك فيشغل عنا فقال الرشيد هذا هو الصواب ثم كتب كتابا الى ملك الروم بما ذكرنا وعلقه على جناح طائر وكتب عقبة كتابا آخر يقول فيه أما بعد أعلمك أيها الملك قد جرت أمور لو تمنيتها لقصرت أمنيتك عنها لانه كان قد خرج فى بلدة الحجاز خارجيا وطلع ولد الامير عبد الوهاب واسمه ظالم وأقسم بالمسيح

مشرف على الهلاك وهو عند الراهب يضربه الليل والنهار وإن كان قد خلص فما هو إلا قد قتل الراهب وان اوّاوّ قالوا له باقى الغلمان بما تبشرنا فقال أبشركم بعقبة فقالوا نهجم عليه فقال ماهذا صواب وما كنا والله نقدر عليه لأنه كان يصرخ ويجمع الناس علينا ويصعد إلى صاحب الرحبة ويعمل على هلاكنا وأنتم تعرفون عقبة وحيله وأنه فى كل مكان له معارف وأصدقاء وأموال يبلغ بها ما يريد ولكن أرقبوه ولا فيكم من يخرج إلى قضاء حاجة إلا بالليل فانه كما يراكم يعرفكم والله يخرج من الرحبة ونلحقه ونأخذه فى الطريق وأقاموا هنالك عشرة أيام إلى أن تجهز عقبة وخرج معه قافلة إلى الرقة وخرج فى أثره غلمان أبو محمد البطال وتبعوه على طول النهار فلما أن أظلم الليل وانسدل الظلام على الأقطار ساروا حتى أدركوا الناس وعقبة قال لغلامه ابعد بنا عن الطريق والناس حذار من الترك حرامية تكبسهم أو طامع يطمع فيهم فنكون نحن بمعزل عنهم « وهو لايعلم أن طالبه يراقبه » (قال الراوى) فانعزل عن الناس وانهم أمهلوه حتى رقدت العيون ونام المستيقظون ورجعوا اليه فأما اوّاوّ ويانس وسبك فوقعوا على صدره وقبضوا على فمه وأما بديع وجوهر فانهم وقعوا على غلامه العقاب وقبضوا على فمه وبوقوا فى وجهه الخناجر فلم يتكلم وان اوّاوّ أخذ عقبة وكان معه حملين من دق العراق هدية لملك الروم وفيها خمسة آلاف دينار نشالوه وشدوهم على البغال وعقبة لايدرى من قد ملكه وهو فى هذه الأرض لاظن أنهم غلمان أبو محمد البطال فلما أن نظر اليهم أيس من الحياة وقال هذا آخر مابينى وبين الدنيا وأقبل على اوّاوّ وقال له لاتفعل الى أين تريد بى فقال الى عند سيف الحنيفية الذى قد أنذر نذرا ولا بد له من وفاءه فقال عقبة لقد كانت أيشم الطرقات عليه ثم اقبل على اوّاوّ وقال اوّاوّ معلوم ان ماهادنا أبو محمد فظهر عليه صنعة فى أخذى وان حملتنى الى عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فما تجد من واحد منهم منفعة وأنا أشترى روحى منك بخمسين ألف دينار وأقيم فى هذه القرية الخربة التى بين أيديكم وأرسل غلامى العقاب وما يغيب عنكم أكثر من عشرة أيام ويأتيكم بالمال ولكن ما أرسله حتى تحلفون لى أربعين يمين انكم ماتغدرون بى فقال اوّاوّ حتى أشاور أصحابى ثم خلاهم ومضى الى أصحابه قال لهم ايش تقولكم فى أخذ المال من شيخ الضلال وبعد ذلك نقوده نقود البعير الى المنحر فقالوا وكيف تقول له قد بعناك نفسك وتقيم بعد ذلك حتى يصل غلامه بالمال ثم تأخذه وتأخذ عقبة وتسير فاعلم أنه مايفعل هذا حتى يستحلفك فقال أحلف له اذا قبضت المال أطلقك فاذا أطلقتـــه أنا اقبضوه أنتم وهذا كله فى عشرة أيام ونحن فى بلاد الإسلام وما نحن فى بلد الروم فنفزع يعمل علينا حيله وأجمعوا على هذا الرأى ثم أن

لؤلؤ أقبل على عقبة وقال أرسل الآن غلامك وقل له يستعمل العجل فقال عقبة أريد منكم اليمين فقال لؤلؤ ما عليك أنت من أصحابي وأنت تعلم أني أنا المقدم عليهم وأمري نافذ فيهم وما فيهم من يقدر يخالفني وأنا أحلف لك ثم أنه حلف بالايمان المعظمة أنه إذا وصل اليهم المال لا يعرض له بعدها فعند ذلك كتب عقبة كتاب إلى عامل له أنني وقعت في نكبة يضيق لها ذرعي وأريد أن تسلم إلى العقاب خمسين ألف دينار يحملها على بغالين بعد أن تفرغها في برانى حتى لا يرى لها أحد لعلها تصل إلى بسرعة هذا وان لؤلؤ لما رأى ذلك التحفظ والتدبير من عقبة زاد طمعه في أخذ المال وقال ما بقي بعد هذه النوبة محال وابن آدم شره في الدنيا وسار غلام عقبة بالكتاب وأقاموا هؤلاء ها هنا (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير ظالم والبطال فانهما كانا سائرين مع الرجال وكانوا يفتحون عليهما الصناديق ويطعمون الطعام ويسقون الماء ويحدث ظالم لأبو محمد ويقول ما أقول انهم يسيرون بنا إلى الآخرة فيقول أبو محمد اعلم أننا قد قطعنا البلاد وما كاننا الا قد ضيقنا عليهم الأرض حتى يدفعونا من بلد الى بلد وهذا أعظم ما جرى لي ولأبيك في بلاد الدمدرس وما فرقنا قط وأرجو ان لا نفرق أنا وأنت وإن كانت الأخرى فلنا أخوة ببعضنا بعض ونحن كما قال مجنون بني عامر حيث يقول

أجارتنا إنا غريبان ها هنا   وكل غريب للغريب نسيب

(قال الراوي) وهم مع ذلك في القيود الثقال والكتاف الشديد ولهم أحد عشر شهر سائرين ليلا ونهارا حتى خيل لهم أنهم خرجوا من الدنيا (ياسادة) وفي الأخير أخذوا كما ذكرنا وقتل من كان معهما من الموكلين واقتسمت قطاع الطريق الأموال والرجال بعد قتل الرجال وأخذت كل طائفة صندوق فأما البطال فانه وقع في قسم قوم بربر ومسكنهم في آخر جبل الصلت وهي أطراف أول الغرب وأما الأمير ظالم فانه وقع مع الطائفة الملثمة من أرض عبد الودود ابن اسمعيل (قال الراوي) وإن كل طائفة سارت بصاحبها بجماعتها حتى أمنت من الطالب ثم فتح ذلك الصندوق فوجد فيه رجل على تلك الحالة فأما الملثمة فانهم لما نظروا إلى ظالم وهو كالأسد الجاثم غير ان القيود في رجليه والكتاف قطع يديه وكلبوه فلم يعرف بلغتهم وهو قد حار من القوم لما نظر إلى الزي زي النساء والصفة صفة الرجال والأبطال والشجعان والاقيال وهم لا يدرون ما يقول وكذلك ظالم لأنه قد وصل من البرية وقد تمت عليه هذه الرزية ولو كان مع حضور ما أحسن يتحدث فلما رأوه قال بعضهم لبعض معلوم ان هذا ما فعل به هذه الفعال إلا وهو يستحق هذا وأكثر والصواب أنكم تقتلوه فقال بعضهم والله ما هذا من ديار العرب لأنه غريب

الشكل وما هو إلا من ديار بعيدة فاحملوه إلى الملك عبد الودود حتى يكشف عن حاله فان كان يستوجب القتل قتله وإن لم يستوجب ذلك أمهله فعند ذلك أطعموه وسقوه وحملوه على الصفة التى كان فيها فساروا به شهرا كاملا وظالم متحير من هؤلاء القوم وهو يقول نعرف الانسان يقطع الطريق على مسيرة يوم أو يومين من بلده وأما على مسيرة شهر فما رأيت مثل هذا فلما كان بعد ذلك نزلوا به عند مفرق الطريق وأظهروا عددهم وأراحوا خيامهم وافتقدوا سلاحهم وأخرجوا ظالم وفكوا القيد من رجليه وأركبوه على بعض الخيل وسلموا إليه عدة كاملة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن هؤلاء القوم كانوا من مدينة عبد الودود وكان ملكها مهابا كثير الجيوش تضرب خيله إلى أقصى الغرب من جانب الكفار والافرنج وكانت حرامية بلاده يخرجون ويكسبون لكن لا يأخذون إلا من وجدوه معولا على المسير إلى جزيرة عروق الذهب لأن هذه الجزيرة فى وسط البحر وفيها عالم عظيم وليس لهم دين بل عليهم اسم الاسلام ولا يصلون ولا يزكون ولا يجتنبون المحارم والناس يسافرون اليهم لأجل الفوائد من الأوراق والجوهر وعروق الذهب وغير ذلك وكان الملك عبد الودود قد أباح لأصحابه كل تاجر يقصد إلى جزيرة عروق الذهب ويقول هؤلاء قد حل قتلهم لأن أبا بكر الصديق قاتل بنى حنيفة لما منعوا الزكاة حتى أنعموا له بحملها (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان لما يريد الله تعالى على مسيرة سبعة أيام من بلد عبد الودود قلعة فى آخر مرج تعرف بعرف الديك وفيها سبعمائة فارس ولهم أمير يقال له أبو الموت ابن سـاق المنبر وكان جبار من الجبابرة قد أخذ الجزية من بلاد عبد الودود كلها ومعه أبطال كأنهم أسود ويقصد إلى تلك القلعة فلا يقدر عليه أحد فيرجع عنه عبد الودود وتعب من هذا وعلى قلبه الغموم وكان ينذر النذور وأوعد إلى من قدر على قتـله يقاسمه فى نعمته ويزوجه ابنته وكان عبد الودود يحمل اليه الأموال خوفا أن يخرب بلاده وكان عسكره يمضى إلى بلاد عبد الودود ويقطع عليهم الطريق ويأخـذ نصف ما معهم ويضرب منهم الرقاب غصبا وانتهابا وما كان لهم طريق الأمن عليه لأنه فى محل المضيق بين جبلين وقلعته فى ذلك الجبل وإذا وصلوا خرج أبو الموت اليهم ولو كانوا بعدد التراب ويأخذ ما معهم من الأموال والرحال اغتصاب وكانوا القوم الذين أخـذوا المال مائة فارس وقد غنموا فى تلك السفرة غنيمة كبيرة التى كانت مع التجار يشترون بها جواهر من تلك الجزيرة فلما وصلوا بالقرب من القلعة عولوا أن يعبروا بها فى الليل سرقة حتى لا يعلم بهم أحد ففعلوا ذلك بالأمير ظالم وأطلقوه حتى لا يرى أبو الموت الصندوق معهم

ويظنوا انه مال ثم جعلوه فى أوسطهم وظالم ينظر إلى ذلك الفعل وعلم أنهم خائفين وكانوا معولين على أنهم يقولون لأصحاب القلعة أننا ماصح لنا فى هذه السفر شىء هذا وظالم قال فى نفسه والله كان الخوف زاد بهم من الذين قدامهم ومالى لسان أسألهم عن حالهم وأطمنهم وأقول لهم لاتخشون من عدوكم وأنا معكم فما يفهمون منى ولو فهموا أعادونى فى الصندوق ومافى الأمر إلا أن أجذب السيف وأطعن بالرمح حتى آخذ ما معهم وأسوقهم بين يدى وهم مشدودين وأحمل المال فى هذا الصندوق الذى كنت فيه وإذا وصلت الى الموضع الذى يفزعون منه أوريهم العجب هذا وظالم فى تلك البريه وما فى عينه من أحد شىء فصاح بالجواد فخرج من تحته كانه البرق وملك عليهم الطريق وأظهر الغضب وصاح يا بنى العواهر خلوا عن الغنائم قبل أن أفلق منكم الهام وأهشم العظام والجماجم فأنا الأمير ظالم هذا والملثمة لايدرون بما يقول الا أنهم عرفوا أنه يريد قتالهم فقال بعضهم لبعض ماهو إلا مجنون ولو كان له عقل مافعل هذا ولو كان أبو الموت ماقدر يقهرنا والمثل يضرب بمثله بشجاعتهم فلما رأوه وهو مصمم على قتالهم حملوا عليه وصاحوا أبطالهم عليه فتلقاهم وطعن الأول قتله وآخر جندله وتكاثرت عليه الرماح من وراه وأمامه فضرب بيده الى حسامه وجعل يبرى الرماح من ورائه وقدامه بصناعة إلى أن برى الذين فى أيديهم فلما رأوا ذلك علموا أنهم رأوا شىء ماعرفوه فجردوا الصفاح وأقلبوا الدنيا بالصياح وحملوا عليه حملة رجل واحد فأسر منهم اثنى عشر فلما عاينوا ذلك علموا انهم هالكون فسلموا العدد وسلموا أنفسهم اليه وجعلوا يقبلون الأرض بين يديه فأشار عليهم أن يكتفوا بعضهم بعض ففعلوا ما أمرهم به ثم نزل عن جواده وأخذ المال الذى هو معهم وجعله فى الصندوق الذى كان فيه وحمله على بغل وساقهم قدامه فقال بعضهم لبعض الرجل يرى أنه ايش يعمل وما يسافر الا بصندوقه وخلى منهم عشرة على ظهور الخيل بغير كتاف وسار بهم على الجرة التى كانوا سائرين عليها فقال بعضهم إلى بعض مالنا من يده خلاص الا عند قلعة أبو الموت فهو الذى يخلصنا من قبضته وكانوا يخافون من أبو الموت (قال) ولم يزل ظالم سائر ذلك اليوم وتلك الليلة إلى أن أصبح الله الصباح وقد أشرفوا على القلعة وباب المرج مفتوح فوجد عنده عشرة رجال يطلعون لقبض المال من العابرين فلما نظروا أولئك الرجال وهم بين يدى ظالم فقالوا له من أنت ومن أين أتيت فلم يفهم مايقولون فقال واحد منهم هذا الا رجل عربى ثم كلمه بلغات العرب وقال له من أنت فقال أنا ظالم ابن عبد الوهاب وأما قولك من أين أتيت وإلى أين تمضى فلا أعلم فاكشولى عن الطريق ولا تسألوا عما لايعنيكم فقالوا إيش معك فى هذا الصندوق فقال ظالم أنا فى صندوق

ذهب يأخذ بالبصر فقالوا ياهذا اعلم أن صاحب القلعة له على كل مايعبر من هنا نصف ما معه فاقسم هذا وانج بنفسك وإلا أن علم ان هذا كله ذهبا أخذه منك جميعه وربما كان ذلك سببا لقتلك فقال ظالم دونكم والمال فاقسموه فعندها وثب واحدمنهم يطلب للمال الذى فى الصندوق فوثب عليه ظالم وثبة الأسد وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وعطف على ثانى فقتله وثالث خندله ورابع أواه وخامس أرواه والبقية تعلو بى الجبل منهزمين وأما ظالم فانه نزل مكانه وسرح الجواد والخيل فى البر ترعى وأركز الرمح والسيف عند رأسه ونام (قال الراوى) وأما ما كان من المنهزمين لما طلعوا إلى الجبل فقال لهم أبو الموت ياويلكم ما بالكم قالوا وراءنا الموت الأحمر الذى لايبقى ولا يذر فقال هو أنا فقالوا لا أنت الموت الصغير وأما هـــذا هو الموت الأكبر فقال ويلكم أخبرونى بجلية الخبر فوثب من وقته وركب فى سبعمائة فارس وسار حتى أشرف على الأمير ظالم فرآه وحده وهو نائم فطمعوا فيه (قال) وان ظالما أحس بالقوم فشال رأسه رآهم فلم يكترث بهم ونام قال فتعجبوا القوم من ذلك وقصدوه حتى أقبلوا إلى نحوه فلما علم أن القوم تقربوا منه قام وركب جواده وحمل على القوم قتل منهم نحو خمسين فارس فانهزموا قدامه وكان المأسورين فيهم واحد اسمه أبايخلف فتعجب من فعاله ولما نظر أبوالموت الى مافعل صاح صيحة عظيمة وركب وقال لاصحابه اهجموا عليه هجمة واحدة وهجم هو ومن معه فقال له أبايخلف دونك واياه أنا مالى طمع فى المال الذى معه عسى أن يكون من نصيبك ثم ان أبو الموت حمل على ظالم وناداه دونك والحرب والقتال ياقرنان فلما إن رآه ظالم ركب جواده وتقلد بسيفه وأنشد يقول

سلام على الدنيا إذا غاب والدى ... وأهلى وأصحابى ودار حماتيا
بعدت عن الأوطان وأهلى والحما ... وصرت غريبا لا أجيب المناديا
وحيد بهذا القفر فى أرض غربة ... وقد أحدقت حولى حماة الأعاديا
فان وطئت خيل العراق فاننى ... سأتركها تبكى عليها البواكيا
وأضرب فى وجه الرشيد بصارمى ... وأتركه فى الذل عند فعاليا
نفانى وأقصانى إلى أرض غربة ... أرى قومها عجما لفهم كلاميا
ولولا أبى ماكان هذا أصابنى ... ولا كنت إلا صافى البال خاليا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام لهذا الكلام العجيب بعدالصلاة والسلام على النبى الحبيب صاحب البردة والقضيب فعند ذلك حمل أبوالموت على ظالم وهو بشجاعته عالم واعتمدوا على ضرب الصوارم إلى أن طلع الغبار وصار ضياء النهار مثل ظلام الليل بالاعتكار

ونظر أبو الموت من الأمير ظالم أمر عظيم لم رآه من أحد خلافه وكان يقول فى نفسه أن ماله فى الأرض من ثانى ولا أحدا يناظره فى شجاعته فلما علم أنه عاطب التفت إلى قومه وقال لهم احملوا عليه وصاح بهم دونكم هذوا الشيطان قطعوه بالصفائح والسنان قبل تنوح على أميركم النوائح فحملوا عليه فى ستمائة فارس والأمير ظالم صبرصبر الكرام ووقف وقفة أبيه الأمير عبد الوهاب فى مقام الالتحام يوم الحرب والصدام فيالها من ساعة بعد فيها كل شجاع باعه وبانت شجاعة الجبان على حسب الاستطاعة وقد عجبوا الأبطال من قوة ظالم وأبو يخلف يقول لأصحابه ألم أقل لكم إن هذا من جن سليمان من الذى حبسه فى الصناديق وكان محبوس فى هذا الصندوق وأطلقناه فقالت الشيوخ منهم هذا على كل حال مابقى يسلم من هؤلاء الرجال فقال أبا يخلف أنا أقسم بالصندوق وبالصديق العتيق وعمر بن الخطاب بالتحقيق وعثمان بن عفان مجهز جيش العسرة يوم الضيق وعلى ابن أبى طالب صاحب الكرامات المعروف بالسعادة والتوفيق لا بد لهذا القرنان مما يرمى رؤس الكل على قارعة الطريق أما ترون مضاربته كانها نار الحريق وأهوالها مثل حجارة المنجنيق وهو يهدر مثل الفتيق فما كان أيشمه من صندوق من بين الصناديق (قال الراوى) فهم فى الكلام وإذاهم بحصان أبو الموت قد خرج غاير فقال أبو يخلف مضى والله أبو الموت ووقع به الفوت فقالوا والله لقد أراح الله هذه البلد من شره وغدره فقال أبا يخلف لا كلام حتى نبصر إيش يعمل بنا نحن (قال الراوى) وكان الأمير ظالم لما أحدقت به الأبطال قد رمى روحه على أبو الموت وضايقه ولاصقه وضربه على عاتقه أطلع السيف من علائقه وأطبقت عليه الرجال أجمع وعيونهم من القديح تدمع وهو لرؤسهم بالحسام يقطع والمهند فى كفه يلمع وهو يهدر كانه السبع وسطح الرجال على البلقع ولم يزل كذلك حتى طرح من القوم سبعين فارس وعلم الباقون أنهم إذا وقفوا قد هلكوا أجمع فولوا من بين يديه منهزمين وإلى قلعتهم طالبين ولم يتبعهم الأمير ظالم بل جمع الخيل والغنائم والعدد المبددة والسلاح والأموال ورجع إلى مكانه باقى النهار وليلته فلما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح جمع الرجال ورفع المال ودخل بهم المرج فقال أبى يخلف ما رأيته إلا يقصد معنا يريد أن يوصلنا إلى بيوتنا هكذا وسار بهم ظالم إلى أن وصل إلى بلد عبد الودود بعد سبعة أيام فأشرف على مدينة كثيرة الأشجار غزيرة الثمار جارية الأنهار واسعة الأمطار والبلد كانها الحمامة البيضاء وفيها عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى فلما أشرف الأمير ظالم على البلد نزل عن جواده وأطلق الرجال من الوثاق وسلم اليهم الأسلاب والخيل والرجال والمال بصندوقه وأشار اليهم بأن يأخذوا

الكل ويذهبوا الى بلدهم فأخذوهم وهم لايصدقون بالنجاة وقد حاروا من فعله معهم والمعروف ونزل الأمير ظالم فى موضعه فى مرج أفيح والماء من حوله يمرح وطول للجواد يرعى ويمرح وانبطح على وجهه وساروا القوم الى أن دخلوا البلد وعلم بهم كل أحد ونظروا الى ما معهم من المال والزرد والخيل والأسلاب والعدد ونظروا الى رأس أبو الموت فارتفع الصياح وانقلبت المدينة بأهلها وحملوا هؤلاء الى الملك عبد الودود وهو قد سمع الخبر ولم يصدق حتى وصلوا اليه وأشرفوا عليه فقال لهم وهو قد عاين رأس أبو الموت ورأى الى الاشياء التى معهم من الاموال و لرجال فقال لهم مالكم عندي جزاء فلقد فرجتم عن الإسلام بقتل هذا الملعون كنت أحب أن هذا يكون ثم جعل يعتق واحد بعد واحد منهم ويخلع عليه حتى يطمنه بالخلع حتى أعتق أبي يخلف وقال له لقد كانت سفرتك سفرة مباركة وكيف كان على هذا الشيطان أبو الموت الذى فى صورة انسان فقال له أبي يخلف اعلم أيها الملك أن الصدق مليح والكذب قبيح فإن كنت نايم فاستيقظ واعلم انه قد نزل بساحتك رجل لا كل الرجال وبطل لا كل الابطال وهو للدماء هروق أسد قيم شدوق للقمم بالصارم حقوق يقال له أبو صندوق الجن تفزع من شجاعته وبراعته والانس لايقدرون على ساعة من محاربته ثم إن أبي يخلف جعل يحدث الملك عبد الودود بحديث ظالم من أوله إلى آخره وكيف وجدوه فى الصندوق وكيف فزعوا منه ولما ساروا بقرب قلعة أبو الموت كيف فزعوا من القلعة وسلموا اليه الجواد والعدة وقاسوا منه تلك الشدة ثم أيها الملك ولو كنا سلمنا له أنفسنا من الأول كان لنا أجل ولم يكن أحد منا يقتل ولكن لما رأينا الهوان صرنا له خدما وغلمان وقد نزل فى مرج الآس وهو كالأسد الغضبان وأعطانا المال والرجال ومن علينا بأنفسنا وهو عربى اللسان ولم يكن فى أصحابنا من يعرف كلامه غيرى ولكن لم أقدر أن أكلمه من الهيبة التى وقعت له فى قلبي فانظر الآن بين يديك واعرف قدر من نزل عليك واركب اليه فى أهل البلد فقد فعل معك فعال مافعلها أحد وان أراد البلد فلاتقاتله ولاتناضله ولا تغتر أنك فى مائة ألف فارس فهذا مايقع على الوصف والرؤية عند قبضته والرعود عند صيحته فلما سمع الملك عبدالودود ذلك الكلام من أبي يخلف قال والله ان طلب هذا الرجل بلدى بعد قتل هذا الظالم الغاشم فهو له ولا أمانع عنه وأكون معه من بعض أعوانه ولقد زرع والله فى قلبي له محبة عظيمة فقال أرنى اياه وأنا خارج إلى خدمته لعلى أحظى بمشاهدته وتكون هذه البلد ممنوعة الجناب بهيبته لانه قد طمعت فينا البربر لأجل أن صاحب زاويه ومحراب وهذا الملك لايصلح إلا لرجل يستحل المحارم ويكون

فى مملكة جائر ظالم حتى يهابوه العوام ويخافوه الاعدى اللئام على طول المدى والأيام وهذا الرجل الذى وصفتوه لعل الله يكون قد نظر إلى كبر سنى لأنى لم يرزقنى الله بولد عمرى وقد سهل الله هذا ليقوم بنصرتى ثم ركب الملك عبدالودود فى خواص دولته ومن حوله ألف أمير وكان بالعربى فصيح اللسان وأكثر أهل البلد كذلك إلا الذين من السواد وأهل الحلل لا يعرفون إلا بكلام الملثمة وسار الملك فى ألف فارس وقد نشرت الرايات ونعرت البوقات وقادوا الجنايب وهم على السروج المذهبة ومن حولها العبيد من كل جانب والرجال و النساء والعالم يرقصون فرحا ويتلاعبون مرحا حتى وصلوا إلى الموضع الذى فيه الأمير ظالم (قال الراوى) وان الامير ظالم كان فى تلك الساعة قد هجم عليه الكرى فلما نظر جواده إلى عسكر عبدالودود ضرب الارض بحوافره وصهل فوثب الامير ظالم فى الوقت وطرح السرج عليه وشد الحزام حتى لعبت قوائم الجواد على وجه الارض وأبى يخلف والملك عبدالودود ينظروا وفى ذلك الوقت قد أشرفوا عليه وأقبلوا اليه ونظروا إلى أربعة قوائم الجواد وهى تلعب على وجه الارض فقال أبى يخلف هذا والله يامالك الذى حدثتك عنه فترجل اليه وجميع عسكرك يكون معك وانظر الساعة وإن كان لك نية فى مصالحة الرجل فافعل وإلا ان صبرت فهو يحمل علينا فما يرجع يسمع منا كلام فان له طعنات ماتقع فى أحد الا ومات وما تنفع هذه العساكر وأنا إلى وراء أتأخر فلما سمع الملك عبدالودود ذلك ترجل وترجلت الرجال من حوله وضربت البوقات ونشرت الرايات وظهرت الخلع لان الملك عبدالودود ماقصر فيما فعل

(قال الراوى) وحدوا عظمة من لا ينام وصلوا على محمد بدر التمام ونظر الامير ظالم الى الاعلام وسمع هدير البوقات وحس الكوسات فجعل الجواد يشب به ويجفل من تحته فلما رأى ذلك غضب وقفز من السرج الى الارض وسل سيفه وضرب به الجواد على سرجه قطع السرج والحصان نصفين كانه قد نشرهم بمنشار قطعتين فصاح أبى يخلف أحسنت صح الله بدنك هذا والله رجل عاقل فلما نظر الملك عبدالودود ومن معه تلك الضربة لم يبق واحد منهم الا ولاح الصفار على وجهه وقالوا والله مايضرب واحد منا مثل هذه الضربة ويصيبه بعدها خير أبدا وان كان ذلك أبو الموت فهذا هو الموت كله بعينه فعند ذلك قال الملك عبدالودود من يخرج اليه ويعلمه أننى قد خرجت اليه بروحى وقصدت اليه حتى أنى أكافئه على فعاله بكل خير واننا مانحن خرجنا اليه نطلب قتاله ولا قصدنا حربه ولا طعانه وانه يكون عندى بمنزلة الولد فلم يكن أحد يجسر على ذلك بل قالوا ما لهذا الا أبا يخاف فقال أبى يخاف والله ان مقصودكم أن لا يجمعنا الله عليكم

بعدها أبدا ومن أين هذه المعرفة بيني وبين الرجال وأنا ماأعرف بالعربي جيد فانظروا واحد غيري والا من يخرج معي فإني والله ماأخرج اليه وحدي فقال عبدالودود وأنا أسير معك مع انك لا تعلم أني أمير هذا العسكر وصاحب البلد حتى أقول لك فقال سمعا وطاعة ثم خرج الملك عبد الودود وأبو يخلف طالبين له وسائرين اليه حتى قربوا منه فعلم الأمير ظالم أن الملك عبدالودود قد طلع من أجله فوثب الامير ظالم له قائما وأكرمه ورفع قدره وعظمه (قال الراوي) وهذا أعجب من أن يكون الامير ظالم يفعل مثل هـــذا من اجابته وهو ما هاب الرشيد ولا هو أعظم سلطانه ومملكته ولكن الغربة والفرقة تزل ولا يبقى معها عزة نفس لاجل ذلك ولو كان ملك الارض في طولها والعرض إلا أن عبد الودود جلس بين يديه وقال له بالعربي اعلم يا بني ان ملك هذه المدينة قد أرسلني إليك حتى ينعدم عليك لأجل ماقد فعلته مع هذا الظالم الغاشم أبو الموت الذي كان خرب البلاد وأخذ أموال العباد وأظهر في أقطار الأرض الفساد فمن أنت ومن أين أتيت فقال ظالم حديثي طويل وأماقولك أن صاحب هذه المدينة ينعم على فما قصدي في مال ولا رجال ولكن أنا سميع مطيع لهذا الملك وأنا ضيفه ولي قصة عجيبة فان سهل لي رب الكعبة في الخلاص فأنا أودعه وأعود إلى أصلي ويجمع بهم إن شاء الله تعالى شملي على أنني ماأمضي من هذه الديار وأترك فيها من المفسدين ديار فعند ذلك ضمـــه الملك عبد الودود إلى صدره وقال له يا بني فأنا ملك القوم وأنا عبد الودود وقد مشيت اليك بروحي وما رزقني الله في عمري ولد ذكر ولعلي أن يكون لي في هذه الأرض سندو يملك من بعدي البلد ثم أشار إلى قومه فاقبلوا على الأمير ظالم وسلموا عليه وارموا الخلع عليه وبين يديه فقال ظالم عندذلك حدثني يا ملك ماهذا التلثم الذي على وجوهكم كبراقع النساء فقال يا بني هذا زي القوم وصفتهم وبه جرت عادتهم ثم ركب ظالم وركب الملك عبدالودود وسارت الرجال بين يديه وقد ضربت البوقات وخفقت الرايات والصناجق وقد سبق أبي يخلف يأمر الناس بالنزول وتزيين البلد ففعلوا ذلك وكان يوم دخوله يوم عظيم فنظر ظالم إلى المواكب والعالم فتذكر والدته القناصة وعبيدها وبلادها وما جرى عليه من شماتة الأعداء وتذكر صباح زوجته وهواه القديم فأنشد وجعل يقول .

ولو انني أعطيت من دهري المنا ... ولا كل من يعطى المنـــا بمسدد

لقلت لأيام مضين ألا ارجعي ... وقلت لأيام أتين الا ابعدي

(قال الراوي) وسار الأمير ظالم إلى دار الملك عبد الودود فنظر إلى بلد أحسن من بغداد وكثيرة العباد فقال له الملك عبد الودود ياولدي البلد مسلمة اليك ومعولي على الله

وعليك ولى بنت مارزقت سواها تكون جارية بين يديك ومالى فى هذه الأرض عدو غير ملك البربر ولو لم يكن بلدى حصين لم أكون فيه من سنين وهو رجل جبار فاسق حمار فقال له الأمير ظالم قد كفاك الله شره ومؤنته وسوف أعجل لك منيته فقال له يا بنى اعلم أنى مايطمئن قلبى بك الا وأنت تكون عندى بالكلية وأريد أن أزوجك ابنتى فهى أجمل من النساء التى فى أرضنا و بلادنا وأنول أنها أحسن بنتا فى الأرض فى طولها والعرض وقد بان لى أنك من أرباب الاحوال فقال له الامير ظالم أيها الملك اعلم أنه ما يمكننى ذلك لانى مالى نية الى الإقامة ولا بد لى من الرجوع الى بلادى ثانى فإنى أنا يامالك مرجوعى إلى أرضى فقال له يا بنى أنت فى آخر بلاد الملثمة إلى أطراف بلاد البربر وبينك وبين أرض مصر مسيرة ثمانية أشهر فمن الك فى تلك الديار لتطالبه فقال يامولاى حديثى عجيب وأمرى غريب ثم أنه ابتدأ وحدثه بالقصة من أولها إلى آخرها وكيف تزوج عبد الوهاب بأمه من أحجاز وكيف رزقت منه به وحديثه مع الخليفة ورميه بالكذب وكيف ذلك ونفيه إلى تلك الارض فبكى عبد الودود وقال له ياولدى أنت من آثار ديار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الوجه تربية مكة وعليه آثارها وجعل يضمه إلى صدره ويقبله بين عينيه ويقول يا بنى أريد أودع ابنتى منك وأنا من تحت يدك وان مت فأنت صاحب البلاد وان أردت المسير الى أهلك فيكون من بعد خمسة أعوام اذا سرت سارت الجويرية معك ويكون قلبى معك طيب لانك من أهل الدين والقوة والشجاعة والسطوة على الاعداء فقال الامير ظالم مالى الى هذا من سبيل فى هذا الوقت ولكن أنا أقيم عندك الى أن يأتينى خبر صاحبى فقال أبى يخلف كان الصندوق الآخر كان لك فيه رفيق قال نعم فقال أبى يخلف ليت كان معك أربع خمس صناديق من هذا المتاع حتى كنتم تفتحوا بلاد الغرب كله وما ألوم الرشيد الذى فعل بكم هذه الفعال لانه خاف أن تملكوا منه بلاد الشرق فنفاكم الى الغرب وبقى الامير ظالم متفكر فى حال أبى محمد البطال لايدرى هو سالم أم عاطب (قال الراوى) هذا ماكان من ظالم (وأما ما كان) من أمر الامير أبى محمد البطال فان القوم البربر لما أخذوه كانوا من خمسه أجناس من البربر وانهم أخذوا الصندوق وهم يظنون ان فيه مال وكانوا من مدينة أزور ملك البربر وكان رجلا شجاعا مناعا وكان أبو الموت قد أكل المال من بلاد الاندلس الا من هذا أزور بن أزورر مالك البربر فإنه كان يخشى ان جانبه ولا يقربه ولا يقرب بلاده الآن البربر ساروا بالبطال ذلك اليوم والثانى فجاع وعطش فصاح من وسط الصندوق بأعلى صوته ويلكم ماأنتم مسلمين اطعمونا والا نحن هالكون وكان البطال يظن أن القوم

الذين أخذوه هو وظالم معه فلما سمعوا الصوت هالهم ذلك ثم أنهم أنكروه وما فيهم إلا من خاف وفزع فزعة ثانية ففتحوا الصندوق وقد وقع فى قلوبهـــم هيبة عظيمة وفزعة وضج منه البطال ورأوه وهو ذميم الخلقة فقالوا له بالبربرى ويلك من تكون ومن وضعك فى هذا الصنـــدوق وتركك بهذا القيد موثوق فلما سمع أبى محمد كلام الذى خاطبوه علم أنه بلسان البربر يحدثوه وكان تعلم لسان البربر عارفا به أكثر منهم وأفصح لأن إبراهيم بن الخصيب كان قد أعطاه جارية بربرية فى بعض الأعوام تركية ذات حسن وجمال أبى محمد وأقامت عنده مدة أعوام وماتت فلما كلموه علم اللغة وقال لهم أنا رجل حكيم وان العلوم زادت على حتى انى عدمت عقلى والبنان وبقيت على ذلك برهة من الزمان وعوفيت وبرئت وأبرى المجنون وأداوى المريض وأعمل على كسر العسكر وهزيمة الجيوش والعساكر وإن ملك اسكندرية وديار مصر خشى منى أن أعمل على كسر عساكره وهو كثير الاعداء والأضداد فجعلنى فى هذا الصندوق ونفانى فى هذه البلاد وجعلنى فى هذا الأمر الذى تروه وسوف يندم على فعاله اذا كثرت بلاده الطاعون ويطلبون رجوعى اليهم فلا يقدرون فلما سمعوا كلامه قال له ياهذا أبشر ماعليك إلا الخير ولا ينالك شر ولا ضير ونحن نحملك الى الملك أزور ملك البربر فانه يقع له فى كل شهر جنون وهو أشجع أهل زمانه ودهره فقال لهم أبى محمد لا تعرفوا عافيته إلا منى وأعمل له ذلك فى غير ان أعرف منكم شىء من الزاد أمسك به رمق الفؤاد فقدموا له الطعام ولم يذكر ظالم حتى اكتفى وشبع عندذلك قال لهم أين الصندوق الآخر الذى كان معى مافعل الدهر به وماصنع قالوا انه فى قعر الملثمة وقع فقال أبو محمد ماجرى على أحد مثل ماجرى علينا وساروا به القوم الى أن وصلوا الى ملك البربر بعد أربعين يوم ودخل بعضهم إلى ملك البربر يخبره بالرجال الذين قد خرجوا إلى المكسب انهم قد غنموا غنيمة عظيمة وقد رجعوا سالمين ومعهم رجل حكيم صاحب حكمة يزعم انه يبرى المريض ويشفى السقيم ويذهب الصرع من المصريع ويفتح القلاع والحصون فلما سمع الملك ذلك قال ارجعوا إليه وأفيضوا الخلع عليه ولاندخلوه البلد إلا معززا مكرما معظما ثم أمر أن يخرج الى لقائه أهل المدينة وأن يزين البلد بأنواع الزينة ففعلوا الناس ذلك وساروا اليه وجعلوا الخلع الوافرة عليه وأركبوه على جواد عال من الخيل شديد القوى والحيل وضربت بين يديه البوقات وخفقت الرايات ففرح بذلك أبى محمد وحسب عاقبة الأمور وقال فى نفسه ياليتنى لم أقول لهم انى أبرى المجانين ولم كنت أدرى أن ملكهم مجنون وانى أخشى أن يثور عليه الجنان فى رأسه فيخنقنى حتى أشرب شراب المنون وأكون قد سلمت من

بلاد الملاعين اقع فى أيدى المجانين ولكن أنا أتوكل على رب العالمين ودخل أبو محمد على أزور ملك البربر فقربه وأدناه وأقعده إلى جانبه وتحدث معه ونظر أبو محمد اليه وإذا به كالجمل الهائج وله ثلاث شعرات تحت حلقه وله عيون مثل عيون العصافير وهم مثل أجاجيج الدم وله جسم كجسم الجاموس وكان معروفا بالشجاعة فقال له اعلم ياحكيم ان هذا المرض يعترضنى فى كل شهر مرة ولم أدرى هل هو جلط أم جن فقال أبو محمد اعلم ان شاء الله أداويك بقدرة الله أشفيك فقال له ياحكيم ان كنت ماسمعت بى فأنا الملك أزور ابن أزرور انت أبرئت دائى أعطيتك عشرين بدره من المال وتكون عندى معظما وأجعل كل طيب فى هذه البلاد وجميع أراضى تحت حكمك وإن شئت اردك إلى بلادك وإن لم تقدر على شفائى فأنا وحق عمر بن الخطاب أعذبك بأنواع العذاب واعود الطمك بالنطاع وجميع العذاب وأعود بعد ذلك أرميك إلى السباع الذين عندى فتكون لهم طعام فقال أبو محمد ماهذه الا نوبة صعبة ثم أقبل على الملك وقال له اعلم أنى ماقلت ذلك إلا وأنا مقيم على قولى ولكن أيها الملك ذلك ماأقدر عليه حتى أرى مرضك وقت يثور عليك قال هذا جرى على منذ ثلاثة أيام فأقم عندى إلى تمام الشهر فى غاية الاكرام فقال سمعا وطاعة وكان قصده ان تطاول الأمر لعله يجد إلى الهرب سبيل أو أن يكشف خبر ظالم (قال الراوى) وسأل أبو محمد كم بينه وبين ديار مصر وهذه الأرض فقالوا له ثلاثة أشهر ليل ونهار فقال أبو محمد واغربتاه نجعل يتذكر نورى ويبكى بدموع غزار وأقام عنده على ذلك الإكرام حتى مضى خمسة وعشرين يوما فضرب الآجل فوكل به رجال يحفظونه من البربر فلما كان اليوم السابع والعشرين وأبو محمد على غاية الهم اذ دخل على الملك رجال وهم صارخين فقال لهم الملك ماوراكم وما الذى دهاكم فقالوا أيها الملك انا سرنا فى هذه النوبة التى هى نوبتنا فى كل سنة ان نغار على ديار عبد الودود وأخذنا كل ما كان على ظاهر البلد فلما ملكنا ذلك على ماجرت به العادة فما انتصف النهار حتى طلع الغبار عن خمسين فارس فى أوائلهم أبو يخلف وهو يقول لنا اصبروا فقد أتاكم أبو صندوق يأخذ منكم الحقوق فرجعنا وقد هان علينا هؤلاء حتى أن قربوا منا وفى أوائلهم فارس ملثم كأنه طرد من الأطراد أو بقية من بقايا قوم عاد لحمل علينا وصاح بنا صيحة أرعبت منا القلوب ورأينا منه مالا رأيناه من أحد وقتل القائد مخلوف وثنى بعبد الرؤف وقتل الأمير غانم وفلق راس عبد الحق وشوش العمائم وجعل يجمعنا بالرمح ويفرقنا الحسام كما يجمع الراعى الأغنام واسترجع منا الغنيمة وانهزمنا فقال لهم الملك وقد أزورت عيناه غاية الأزورار لقد لبستم العار وافتضحتم فى سائر الأقطار ولا بد من المسير إلى عبد الودود

واتركه مقيد بالقيود فقال له لا تتعب فهو غداة أن يكون عندك وعبد الودود زوجه ابنته وملكه البلد وهو طالب به الغزو إلى بلدك يريد يقتلك ويقتل كل من عندك لما يعلم منك من الغدر ومن شرب الخمر واعراضك عن الصلاة وقلة عظاتك فى بناء المساجد وأخذ أموال الناس بالظلم والغصب وصاروا أهل بلدك كلهم فى هذا المذهب وقد منعوا الزكاة وأعرضوا عن الصلاة وعبد الودود زاهد وإلى عبادة ربه ملازم وسمعنا أن هذا الرجل سائر إليك فانظر لروحك والا تخرج من يدك البلد فعندها انقلبت عين الملك فى أم رأسه عند ذلك المقال الذى تكلم به ذلك الرجل ثم أمر بضرب رقبته وجعل يأخذ من دمه ويشرب وهذه كانت عادته إذا غضب لا يهدى عنه غضبه حتى يشرب دم إنسان ثم نادى فى الناس بالركوب فما كانت إلا ساعة حتى صاروا على ظاهر المدينة مقدار أربعين ألف وأزيد وأقاموا طول الليل خارجين ولا يقدرون أن يتخلفوا خوفا من الملك وقالوا هذه النوبة يترك بلاد عبد الودود دكا وكأن ماعبر بها عابر هذا وأبو محمد قد فرح لأنهم اشتغلوا بما أتاهم فعندها تقدم أبو محمد وقال أيها الملك طب نفسا فإذا وصل هذا العسكر فسوف ما أفعل وما أدبر فقال له الملك مانحن محتاجون اليك وسوف يكبر عليك ماترى بعينك وأصبحوا ثانى يوم على ظاهر البلد ستين ألف وهم الملك بالمسير ففزع وتخيل فأتوا إلى الأمير أبو محمد وقالوا انهض إلى مداولة الملك فقال سمعا وطاعة ثم دخل اليه فوجد يدان مطبوقتان وهو يلاطم الحيطان وكلما وقعت يده فى حائط خرجته مثل وتد الحديد فقال أبو محمد والله مايقع يده فى رأسى إلا وتخرج الحكمة منها ثم خرج وتركه فقالوا له ايش عملت فقال لهم عرفت مرضه فقالوا له ايش هو فقال لهم هذه العلة تدل على ان تحت الأرض صاحبه وما يجب أن يدخل عليه أحد من الإنس فى مثل هذا الوقت (قال الراوى) وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا فى اليوم الثانى أفاق الملك حتى كان لم يكن به شىء وقال حكيم كيف رأيت قال يامولاى أنا أخلصك من هذا الذى أنت فيه ليلة الأحد فهو معه فى الكلام وإذا بالصياح قد ارتفع فسأل عن الحال فقالوا وصل الملك عبد الودود فى عشرين ألف فى أوائلهم الفارس المقدم ذكره كأنه الأسد الأدرع فوثب كأنه ثعبان وركب وهو عريان ولا فى وسطه ثياب لأنه كان إذا أفاق يجد فى جسمه حريق النار واعتقل برمح طويل لم يكن فى بلاد البربر من يقدر يحمله وكان عليه سنان كأنه شعلة نار واحدقت به الخيل من كل مكان فلما صار فى ظاهر البلد وجد عسا كر ضربت صفوف وهم فى سبعين ألف وأكثرهم بالحراب الرشاق والتراس الصفاق وإذا بالغبار قد علا والقتار قد نما فلم يكن له اصطبار بل سعى اليه وهو وهو بهذا يكذب لأنه يعرف ان عبد الودود لا يقدر يخرج إلى حربه بل كان يداويه وقت

اتخاذ القتال ووقعت العين على العين فهدر وزمجر وأشار إلى قومه بالحملة على ذلك العسكر وكان السبب فى ذلك أن أصحاب الملك أزور لما غاروا على ديار عبد الودود وخرج إليهم ظالم وفعل بهم ما فعل قال ظالم لعبد الودود سر بنا إلى ديار هذا الرجل فقال يا بنى إن هذا الرجل جبار وأهل بلده كلهم أشرار ولا يحتاج أن نسير إليهم لأن المنهزمين عادوا وقصوا عليه القصة ولا بد أن يأتى فى كتائب تملأ الآفاق هذا وعبد الودود على فعله من خوفه على بلده ولم يعجبه تعرض ظالم برجال ذلك الجبار لا جل ما يعهد منه فقال له الأمير ظالم وقد عرف خوفه من ذلك الجبار اعلم أيها الملك الرفيع العماد أن القعود فى انتظار الأعداء من علامات الفساد وإن لم يكن لك نهضة فى الحرب فأنا أكون الفدا فقال عبد الودود لنا أسوة بك ثم انتخب من عسكره عشرين ألف فارس وساروا حتى وصلوا الى بلاد البربر ثم ان ظالم حمل وحملت أقياله وحمل أزور برجاله والتقت الشجعان بالشجعان فكم من رأس طائر وفرس غائر وجبان حائر وكف باتر وطرف فاتر حتى أظلم الظلام هذا وقد فتك أزور بالناس فتكا وسفك سفكا ونكل الأبطال ونكس الأقيال فكان ظالم أحسن تنقب بالنقاب لأن عبد الودود ألبسه زى الملثمه وتنكر بالثياب وكانت عيونه من تحت النقاب كأنها عيون المهاو الغزلان هذا وأبو عفاف يقول باليتنا جبنا معنا ذلك الصندوق الآخر وظالم يضحك عليه ومافيهم إلى من ينكر الأمير ظالم ويشكو مالتى من أزور وكيف هبر الناس هبرا وجزرهم جزرا وقال لهم ظالم طيبوا نفوسكم فسوف ترون إن شاء الله تعالى ما يطيب إلى قلوبكم فطابت قلوب الناس بوعد الأمير ظالم وبات الناس منتظرين الصباح وأما أزور قال لأصحابه لقد طلبت اليوم الفارس الذى ذكرتوه فلم أقدر عليه فقالوا أيها الملك حملت الناس فى سبعين ألف من العسكر وخاض كل جيش فى الذى بين يديه فما كان الأخ يعرف أخاه ولا الابن يعرف أباه فقال لهم فى غداة غد أمرت الناس بالمبارزة فاذا خرج نظرت إلى شمائله فان كان يصلح للمبارزة بارزته فهذا جرى لهؤلاء وأما أبو محمد فانه كان عليه التوكيل فى الدار التى كان فيها فى البلد حتى يقوم الملك بمداواته وبلغه العسكر الذى ورد فقال قد وقع فى نفسى ان هذا الفارس الذى يذكروه انه الأمير ظالم هذا وقد اشتغل قلبه بذاك الشان ولم ينم تلك الليلة وحمل هما عظيما وتجددت عليه الأحزان فلما أصبح الصباح واشتهر كل هزبر وقاح وركبوا الجرد القداح وإذا بفارس قد برز بين الصفين واشتهر بين الفريقين وحمل على ميمنة أزور فشوشها وأقبل على الميسره فزعزعها فتصايحت عليه الابطال وهو كالاسد الريبال وقد صال وجال وأنشد وقال هذه الابيات

أيا نفس صبرا للتغرب دائما ... فان كريم القوم من كان صابرا
ولى وجلال الله أشرف موطن ... فأصبحت فى واد من الغرب حاضرا
ولى صارم نعم الرفيق وأسمر ... تعوذ منى أن يخوض الحناجرا
وان كان أنفانى الرشيد بظلمه ... ولم يدع لى ودا وأهل المفاخرا
وأفقدنى أهلى وأم حنونة ... وأوطان صدق طيبات عوامرا
وسرت الى عبد الودود لانه ... حليف التقا والدين مازال طاهرا
وسرنا الى هذا الذى شاع ذكره ... ظلوم غشوم فى الاقاليم كافرا
ويعرف بين الناس بازور وقد ... أصبحت كماه تدهى البرابرا
فدونكم إلى همام غضنفر ... أجول على الابطال فى الحرب قادرا
وأقسم انى ان رأيت مقامه ... سأمنحه منى صقيلا وباترا
وأترك هذا الجمع من بعد فقده ... وقوف حيارى لاينالون وافرا
وأملك أرض البربر بين عنوه ... ويصبح من عادانى اليوم خاسرا
إلى أن يعود الجو خال وينطوى ... بساط امامات المظالم دائرا
ومن بعد هذا أطلب الاهل راجعا ... إلى أرض مصر ليس أخشى الدوائرا
ويصحبنى عبد الودود وخيله ... وأصحابه نحو الملوك الفوددرا
وأنزع من أيدى الخصيب بلاده ... وأتركه من ذلة الاسر حائرا
وأضرب أقطار السواحل ماجد ... لتبلغ أفعالى الرشيد المغادرا
وأربط أبطالى على باب غزة ... وأترك من فيها من الذل قاهرا
وتركض خيلى فى الشآم جميعه ... وصير صغار القوم فيهم أكابرا
ترى نلتقى يوما ونرجع رفقة ... ونرجع بيت الفخر فى الارض ظاهرا

(قال الراوى) وان أبو يخلف لما سمع شعر الامير ظالم علم أنه بطل عظيم وان له نفس شريفه وهمة عالية خفيفة فقال له يامولاي مايحتاج أن تقسم وتحلف واذا أنت مضيت جاء معك غلامك أبو يخلف ولى من من الاهل والعشرة والاولاد أكثر من ألف فارس مثل الليوث والعوابس كلها تقاتل بين يديك فعند ذلك شخصت عساكر البربر واضطربت ورفعت أصواتها بالبربريه فارتعدت وترجلت أبطالها بعد ما ركبت وزحفت طالبة الامير ظالم وفى أوائلهم فارس على جواد أصفر اللون مليح الكون كانه عاشق أوله خل مفارق يسبق البرق البارق مثل الفلك الدائر والراكب مثل الجبل على ذلك الجواد الغائر وعليه زرديه من عمل البربر لايعمل فيها الصارم الذكر ولا تنفك

من ضربة عمود ولا حجر صاحبها فى أمان من الغير تقصر عن صفاتها البشر وفى يده صارم مشتهر
(قال الراوى) فلما رآه أبو يخلف علم أنه الملك أزور ملك البربر فأقبل على ظالم وقال
يامولاى هذا ملك البربر قد خرج اليك فانظر لنفسك فان فى رأسه خاط يتور عليه وأنا ياملك
متوعك البدن فى هذه الساعة مرادى أرجع إلى خلف العسكر وأعقل على روحى ولولا ذلك
لكنت وقفت معك ونفديك بنفسى فعلم ظالم أنه أخذه الفزع عند نظره إلى الملك أزور
فسكت عنه (قال الراوى) هذا وقد قرب أزور من ظالم وهو كالأسد الغاشم وكان مجنون
لاينظر فى عواقبه والا لوكان ينظر فى العواقب ماكان قدم إلى النوائب وكان يفهم بالعربى
فصيح اللسان يعمل الشعر ويرمى النثر والنزم قلنسوة البربر وكان أفضا به ذلك إلى التغيير
والتعطيل والتكذيب بالبعث والنشور وذلك كما يريد من شقاوته يوم القيامة ثم انه حمل على
الأمير ظالم وكان سمع شعره ونظمه ونثره فحمل عليه وقوم السنان وحمل ظالم عليه عليه فكانا كمثل
جبلين تصادما أو بحرين تلاطما وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وسمع صوت
المضارب على الطرق كصوت الرعد اذا خفق وهدير الفارسين وجرى اللعاب وقد تقسطل
عليهم الغبار حتى غابا عن الأبصار وأظلم النهار وقام الحرب على ساق وعملت الصوارم والرقاق
وأخذوا فى اللقا والافتراق وارتفع الزعاق وتطاولت الاعناق اليهم (قال الراوى) ومامن
طائفة الا أيست من صاحبها بمارأت من الأفعال وان أبو يخلف تقدم إلى الملك عبد الودود
وقال له ماكان صواب مجيئنا إلى هاهنا وحق الصديق العتيق مايحرم صاحبنا السعادة
له إلا وقد حرم التوفيق وما بقى منا من يهتدى إلى طريق لأن أزور جبار كأنه
عفيق ولو كان معنا رأى ما كنا سلكنا هذا الطريق لأن هذا الملك أزور كان لابد
من المجىء إلى عندنا وكنا نحن فى بلدنا إذا وجدنا ضيقة أو غلبة دخلنا إلى خلف الاصوار
ومابيننا وبين الحياة إلا هلاك ظالم وماترى أحدا منا يروح سالم فعند ذلك قال له عبد الودود
لابشرك الله بخير وأنت دائما ماتقرأ علينا إلا كتب الآفات فقال أبو يخلف ياهذا إنى
ماأقول إلا الصواب لأن صاحبنا هذا مجنون وقد وجدناه فى الصندوق كما علمت والقيود
فى رجليه والملك أزور مجنون أيضا وقد وقع المجنون على المجنون فايش فضولى أنا بين
المجانين عسى يخرج الجن منهم علينا ومابنفلت منا دقن فضحك عبد الودود من وسط الغيظ
وقال اقبضوا على هذا الشيطان وإلا انهزم فى المعمعة وكسر العسكر لأن بنى يشد بعضهم
بعضا فقال أبو يخلف لابحق عائشة الصديقة وفاطمة الشفيعة ومريم الوثيقة فقد أقسمت
عليك بحق الصادق والصديق لا تقبض على فإنى أعلم أنه لابد لكم أن تهربوا وأكون أنا
معتقل فتقع الحرارة كلها فى رأسى فقال قد أقسمت على عظيم فلا ترجع تشاهد ضرب

ولاضراب وكن عند الخيام فقال كذا أعمل يامولاى بغير وصية (قال) وجعل عبدالودود يبكى ويدعو الله أن ينصر ظالم وينذر النذور وتم بينهما الطعان إلى أن تقصفت الاشطان ولم يبق بينهما غير الكعاب وتثلمت السيوف من كثرة المضاربة وكان فى أيديهما تلك الدرق التى لا تعمل فيها السيوف ولا تنفذ فيها الحتوف ولم يزالوا طول النهار وأمسى المساء وصاحت كل طائفة إلى صاحبها فلم يرجع وقال أزور لانرجع من هذا البلقع إلا ورأس كل واحد منا مع صاحبه فقال ظالم وذمة العرب وحرمة النبي المنتخب لو أردت أن تمضى لاخلينك فكن من هذا يقين ولكن نحن بلا عدة فإذا أردت أن نصيح بأصحابنا فيأتوا كل واحد منا بجواد وعدة جلاد فعند ذلك صاح الأوزر إلى قومه وطلب ماذكرناه وصاح ظالم بأبا يخلف آتينى بعدة فقال الملك عبدالودود هاتو أبو يخلف فأحضر بين يديه فقال ياأبا يخلف إن الامير قدعول على المباينة وقد طلب عدة وجواد من أصايل الخيل وربما عزما على القتال فى ظلام الليل فخذ هذا الحصان والسيف والسنان والزاد والماء فانى أعلم أنه قد اتى اليوم الجهد من شدة الظما فلما سمع أبو يخلف ذلك تغيرت أحواله وقال يامولاى ارسل هذا مع غيرى فانى قد عزمت على الرحيل من قبل القتال لان معى خاطر قد أعاقنى عن صحبته فعند ذلك غضب عبد الودود وأقسم لاسار اليه غيره فعند ذلك خرج أبو يخلف وهو يقول أعوذ بالله من شر هذه الليلة ووصل إلى عند ظالم فوجده مثل الاسد الجاسم ووجد جواده قد وقع إلى الارض بجانبه مما قد جرى عليه فلم يكن لابو يخلف صبران يثبت فسلم ذلك إلى ظالم وكان قد وصل إلى أزور كذلك هذا وأزور نظر الى أبو يخلف نعرفه فصاح صوت كاد أن يسلب عقله وقال يا أبا يخلف قل لعبد الودود ان الملك أزور أقسم بتربة أبيه أزوران لابد له أن يترك ديارك بلقع يعوى فيها الديب والسمعمع ولارحمت شيخ كبير ولاطفل صغير فقال أبو يخلف لاتؤاخذنى فليس لى فى هذه السيرة لا كثير ولا قليل ومن ساعة كنت معه فى هذا وقات قم بنا إلى بلادنا فما لنا نحن مع هذا الرجل مقام ولا نضرب فى وجهه بحسام ولا قبل منى وبعد ذلك رجع أبو يخلف وقد طار فؤاده (قال الراوى) وان أزور كان له ولد وكانت البربر يسموه عقرون وكان فى مكان عظيم لانه كان فى طبقة أبيه فلما رأى ذلك الغلام الى الامير ظالم قال هذا لايجب أن يهمل أمره فربما يصل الينا شره وما لى الا ان أمضى الى ذلك الحكيم الذى عندنا وآخذه ثم امران يحضر البطال فأحضروه فقال ياحكيم اعلم ان مامن طامة الاوفوقها طامة واعلم أن أبى قد أجمع أهل الارض أنهم ماراوا مثله فى فروسيته وشجاعته وقد خرج له فى هذا اليوم هذا الفارس الملثم ابن الملك عبد الودود وقد جرى

منهما مايشيب الطفل المولود وأنت قد وعدتنا أنك تبرى كل مرض وتدفع كل عرض وما نريد منك إلا معاونتك انا على هذا العدو مع انى أعلم أن أبى غير مقصر عنه وأنت لك علينا ماتحب وتختار فقال البطال فى نفسه مابقى يخلصنى من بين أيديهم الا الخروج الى عدوهم وأعمل عليه حيلة أنجى بها وأكسر هذا الجيش وما يضيع بعد ذلك تعبى معهم ثم قال أرسل معى واحد يوصلنى الى عند أبيك وقد كشفت عنكم هذا العدو فى هذه الليلة فلما سمع أزور ذلك من كلام البطال قال هانحن كلنا بين يديك وأموالنا وعددنا عندك فعند ذلك أخذ البطال من العدة مااشتهى وما أراد وقد عمل شىء له على هيئة الوهق الذى تقاتل به الروم وقال هذا مالا يعرفوه هؤلاء القوم ولا يدفعون عن أنفسهم وما أصل الى هذا الفارس إلا بهذا الذى قد دبرت عليه من هذه الامور (قال) ثم ان البطال قد خرج وأخذ معه غلام بين يديه ليعلم الملك أنه ماجاء الا ليهلك عدوه وكان الامير ظالم والملك أزور كل منهما ينظر لصاحبه حذرا ويرمقه شذرا وقد اضرموا بين أيديهم النيران بالحطب السنط (قال الراوى) فعند ذلك وصل البطال الى قرب الملك أزور وقال له أيها الملك قد وصل لك الحكيم أرسله ولدك من شفقته عليك لما حصل لك من هذا الخصم الذى بين يديك فقال له الملك أزور وقد ضحك ضحكة قهقهة مثل الرعد القاصف وقال ويلك لقد كان هذا من غاية الذل والشنار وما أحتاج الى معاون وسوف يرى ماأصنع ولولا إنى أريد أن آخذه الا والعيون له أرمقة حتى تعتبر به الابطال وتتحدث عنى بذلك الاقيال ولكن هات الحكيم يكون لى فى هذه الليلة نديم يساهرنى فى هذا الظلام لايغلبنى المنام على هذا الحضرى لابد منه فمضى العبد وادعا بالبطال وقال له ياحكيم لاتقول له بعد ذلك أنا أعاونك على عدوك لايضربك ضربة يقتلك بها لان مافى عينه من أحد من أهل الدنيا لاقليل ولا كثير فقال البطال ومن القرنان الذى يشتهى أن يجالسه أو يعاونه لايضرب الفلك وسار حتى وصل اليه وسلم عليه بالبربرية فلم يرد على البطال السلام من شدة تكبره وتجبره وقرب اليه الأمير ظالم بالقرب منهما بحيث أنه يسمع كلامهما وكان فى تلك الساعة قد وصل عبد الودود إلى عند الأمير ظالم وقال له يابنى إذا كنت رأيت من خصمك التقصير وإلا أنا يابنى أفديك بروحى فقال له الأمير ظالم طب نفسا وقر عينا فانى والله الساعة أشد نشاطا مما كنت فى النهار ولولا إنى أخاف أن لاترانى الناس وقتالى معه لحملت عليه الساعة فى هذه الليلة وما فارقته إلا بانفصال النهار (قال الراوى) هذا والبطال قد أقبل على الملك أوزر يحادثه بالعربى ويذكر له عجائب الأقطار والأخبار فى ديار الشام والشرق والعراق وذكر فى جملة ذلك الأمير عبدالوهاب

وتنفس صعدا وجعل يصف شجاعته وقوته وبراعته وكيف يفتح بلاد الروم

(قال الراوى) فسمع الأمير ظالم ذلك الكلام فكاد قلبه أن ينقطع من موضعه عند ذكر سماع أبيه وأهله ثم جعل يتصنت إلى كلام البطال وقال والله إن كان فى الدنيا أبو محمد البطال فهو هذا لامحالة وما يعرفنى لأنى فى زى الملثمة ولا بد ما أتصل إليه بشيء من الشعر فلا بد إن كان أبو محمد فهو يجاوبنى فعند ذلك ترنم بالشعر وأنشد وقال :

سقى الله اطلال العراق سحائبا يجبر بها أهلى ودار صحابى
ديار بها أمى وأهلى وعترتى نعم وخيامى عندهم وقبابى
نفانى وأقصانى الرشيد بظلمه ويطلب اقصائى لهم وعقابى
ترى سلم البطال من بعد أسره وهل حضر البطال يوم حرابى

(قال الراوى) فلما سمع البطال هذه الأبيات عرف النغمة وقال فى نفسه ان كان فى الدنيا ظالم فهو هذا المتكلم لامحالة ثم وثب البطال على قدميه وقال الملك أزور يامولاى وقد رأيت هذا الفارس الذى أنا معك فى حديثه وهو يحمل على الكفار وأنشد هذه الأبيات :

سلام على أرض الحما والمعاليا واطلال نجد بالتحية دائما
ألا إننى البطال حقا بعينه فقل مثل قولى ويك ان كنت ظالما
سأضرب فى وجه العدو بصارم يفلق هامات العدا والجماجما

(قال الراوى) فلما سمع ظالم ذلك قال وذمة العرب هو البطال ثم قال يا أبا محمد فلم يجبه البطال بل قال الملك أزور أيها السيد وكنت أنا فى خدمة الأمير الذى وصفته لك ولى عنده موضع عظيم رفيع وهو لقولى سميع مطيع حتى أنى وصرت عنده بالعبيد والغلمان والأموال والرجال وأن الرشيد غضب على وسمع فى كلام الأعداء فنفانى أنا ومملوك لى يسمى ظالم فى صندوقين حتى صرنا فى الغرب وكان قد فزع من غلامى أن يكون خارجا عليه وما كان يفعل ذلك وإنما كان يسمع مقالتى فوقعت أنا فى الصندوق الذى أخذونى أصحابك فيه ووقع الصندوق الآخر فى قسم الملثمة وفيه غلامى وما على وجه الأرض أفرس منه ولا أشجع الا أن يكون الأمير الذى وصفت لك صفته واسمه عبد الوهاب ولوكان ظالم سالم لكان يقصد إليك ويكون بين يديك ويقتل من عاداك لاسيما اذا رآنى عندك مقربا واليك محبا فقال له الملك أزور ياحكيم لعله أن يكون هذا الفارس الذى لقيته اليوم فى عسكر عبد الودود يكون هو عبدك وإن كان اياه أعطيك ثمنه عشرة آلاف دينار فقال يامولاى انه عندى عزيز قوى ولا ينبغى أن يقوم عليه ثمن ولكن

إن كان هو عبدى ظالم فهو يكون بين يديك لادرهم ولا دينار وأنا أكون عندك إلى الممات وها أنا أنادى ذلك الفارس فى هذه الساعة باسمه فان أجابنى فقد بلغت المراد والمنا وأتركه يعود على القوم الذين معه يسقيهم كؤس الفنا ثم ان البطال وثب قائما ونادى ياظالم فقال له الأمير ظالم لبيك يامولاى فقال له ياعبد السوء وبلغ من قدرك أن تقاتل مولاك ارمى العدة من يدك وتأدب والزم الأدب فأنا مولاك أبو محمد البطال وقد رجعت سالم بحمد الله وقد أنعم لى هذا الملك بمالا أقدر أن أصفه فعلم ظالم أن البطال يقول هذا المقال لسبب خديعه يريدان يعملها أو حيلة يريدان يفعلها فقال ظالم يامولاى الحمد لله على سلامتك وها أنا مسارع لخدمتك ولكن خذلى من الملك الأمان مما جرى بينى وبينه فقال البطال أيها الملك اعطيه الأمان فانه خائف منك فقلع الملك الخاتم وهو لا يصدق بذلك لانه كان حامل هما عظيما من لقاه فى غداة غد وصدق قول أبو محمد البطال لما رأى المعرفه فأخذ البطال الخاتم وقال ياظالم هذا خاتم قلعه من يده وسيفه أيضا ثم انه قبل الارض وأخذ سيف الملك بيده فعند ذلك وثب ظالم كأنه السبع اذاهدر فلما وصل اليه وصار بالقرب منه نادى أبو محمد ياظالم اضرب رقبة هذا القرنان بالصارم من قبل ان يقوم قائم فانه رجل مجنون ومنذ وصلت الى عنده مابرحت فى الحبس مسجون فقال ظالم لعمرى أنها خديعة وتمت عليه ولكن ماينبغى انى أقتله هذا ويبقى يقال عنى أنى ماأخذته إلا بالخداع فامضى يا أبو محمد إلى عبد الودود لما آخذه وأعود ثم قال ظالم أيها الملك قم أنا وأنت إلى حومة الميدان وخذ سيفك فى يدك وسيفى فى يدى أوانك ترمى سيفك وأنا أرمى سيفى ونصارع أنا وانت فقال له وقد تغير لونه لما ملك سيفه البطال ووثبه قائما لظالم وقال ياظالم ارمى سيفك من يدك ونتصارع أنا وانت كما ذكرت قال وأما البطال لما رأى إلى ذلك ولى هاربا منهزما إلى عبد الودود وقد خاف على نفسه من ذلك وأما ظالم فانه رمى السيف من يده وقد قام ازور قائما واعتنقا والتصقا وتقاربا وتماحكا وتشابكا وتعاركا ولم يزالا إلى أن طلع كوكب الصباح وهم على ذلك الرواح وبرق ضياء الفجر ورقت الشمس فلما وقعت العين على العين ونظرتهما عيون الفريقين هنالك صاح به الأمير ظالم صيحة أدهشه ثم هزه اقتلعه من الأرض ورفعه على يده فجعل أزور يتخلص برجليه فلطمه الأمير ظالم بكفه خلع أحد فكيه ثم انه سار طالب عبد الودود وهو فى يده مثل الطفل المولود فلما نظر إلى ذلك عقرور بن الملك الأزور وقد وصفنا مافيه من الشجاعة والقوة والبراعة ونظر والده أسير أشار إلى عسكره بالحملة فحملوا طالبين الأمير ظالم وكان البطال لما رأى ذلك ومضى إلى عسكر عبد الودود قال للملك أنا رفيق ظالم فاكرمه غاية

الاكرام وقال عبد الودود للبطال لقد كان ظالم حامل همك وكان يبكى عليك إذا جرى ذكرك على لسانه فجاء اليه أبو يخلف وقال له يامولاى أنت الذى كنت فى الصندوق الآخر فقال البطال نعم فقال أبو يخلف وحق الصديق لقد صار قلبى يحب الصناديق كرامة لكم فلما أصبحوا وجرى من أمر الأمير ظالم ماجرى ونظر البطال إلى الخيل وقد أطلقت أعنتها وقدمت أسنتها فصاح لعبد الودود بالحملة فحمل وحملت الكتايب والمواكب وعملت النصال والنبال وجالت خيل المنية وانقطعت حبال الأمنية وعملت المرهفات المندية ولم يزالا على ذلك حتى ولى النهار وأقبل الليل وقد خلصت الكرام وقويت اللئام وغنمت الملثمة خيامهما وسلاحهما وفرح عبد الودود بخلاص الأمير ظالم وقد أخذ الملك أزور وهو معول على قتله فصاح أبو يخلف يامولاى اضرب رقبة هذا الخرف المجنون فقال ظالم وحق ذمة العرب لأضرب رقبتك معه يا أبا يخلف فلما سمع أبا يخلف انتقض وضوءه وقال ولم ذلك يامولاى وأنا أدعو لك فى الليل والنهار فقال له ويلك ماتفكر البارحة وأنت تقول لهذا الملك قد قلت للملك عبد الودود أن يرحل ويخليك أنت فى خصمك فما فعل فقال أبو يخلف وحياتك يامولاى أنا ما كنت أقول له ذلك المقال إلا اتلاها به وأتلاعب على دقنه وهو يعرف ذلك فقال ظالم الساعة قد أقسمت بذمة العرب ولا أقدر أحنث فى يمينى إلا أن تهرب وأضربك عوض يمينى مائة ضربة فقال يامولاى أما أنا فهذا يهون على ولو أردت ثلاثمائة بعد أن تعفينى من سيفك وكان قصده بذلك أن يضحك عليه لأنه عارف أنه ناقص عقل فهو معه فى الكلام وإذا بفارس قد ظهر على جواد أصفر فى يده سيف ذكر ورمح أسمر ودرع يبرق بالذهب الأحمر فلم تفرق الناس بينه وبين الملك الأزور وكان ذلك الفارس ولده عقرون ابن الملك المجنون فلما نظر إلى عبد الودود قال هذا الذى يمسك هذا العسكر ولو كفينا شره ما اجتمع بعده من العسكر اثنان فعند ذلك حمل الفارس على الميمنة قتل منها فارس وحمل على الميسرة قتل منها آخر وطلب البراز وسأل الانجاز وقال هل من مبارز هل من مناجز فقال ظالم هذا مانقطع طمعه فى أبيه إلا بعد قتله ثم بعد ذلك تقدم ظالم الملك أزور وقال له ويلك لك أيام وأنت تفكر بالملك العلام وكيف تجحد المدبر وتكفر بالمصور المقدر الذى بسط الأرض ورفع السماء وأجرى الماء وعلم آدم الأسماء خالق النبات ومميت الأحياء ومحيى الأموات ومقدر الأقوات العالم بما مضى وما هو آت .

﴿ تم الجزء الحادى والعشرون ويليه الجزء الثانى والعشرون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف
على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثانى والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فقال أزور دعنا من هذا الكلام الذى لايفيد ولا يبدى ولا يعيد فأنا عن دينى لاأحيد وإن كنت تزعم أننا نموت و بعد الموت نبعث فما نحن بمبعوثون فعندها صاح الأمير ظالم ياأبا يخاف قال لبيك يامولاى قال تقدم واقتل هذا الكافر الذى لايؤمن برب العالمين فقال أبو يخاف اقتله أنت يامولاى فليس لى إلى البلد من سبيل ولا يغرك أنه بلا عدة فوالله مايلطمى لطمة واحدة وترجعوا تنظرونى ومن بينكم تفقدونى (قال) فعندها قام الأمير ظالم وضربه بقوة يده أطاح رأسه عن بدنه ثم إن الأمير ظالم خرج فى موقف الحرب ومقام الطعن والضرب وحمل على عقرون وحمل عقرون عليه فنظر ظالم إلى فارس لايطاق علقم مر المذاق فقال له ويلك أنت على مذهب أبيك فقال له نعم وهو المذهب الصحيح فعندها حمل عليه الأمير ظالم بحمية أبيه عبدالوهاب فى دين رب الأرباب وضربه على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه وحمل عسكر عبدالودود اندقت البربر بين أيديهم ودخلوا بالبلد وغلقت الأبواب ونزل الأمير ظالم على باب البلد وقال قد أقسمت لا أبرح عنهم حتى أفتح البلد فقال الأمير أبو محمد والله إن فتح هذا الباب عند الله أجل من فتح القسطنطونية مع ان فيه أكثر من عشرة آلاف من عسكر الملك فقال عبدالودود وكيف تقدر على فتحه وأنتم ترون هذا السور من الصخور ولا يقدر عليه أحد ولو أقاموا عليه إلى أبد الآبد فقال البطال أما أنتم فقد

فعلتم ما يجب عليكم وما بقى إلا ما يجب على أنا وعلى أن أفتحه لكم فى هذه الليلة إن شاء الله تعالى وأسلمه اليكم وتصير أيها الأمير صاحب هذه الديار والأمصار ولكن لنا عليك شرط انك تسيرنا إلى بلادنا وديارنا فقال عبد الودود والله يعز على ذلك ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا فاذا فتحتم هذا البلد ورجعت إلى ملكى أزف على ظالم ابنتى فلا أجد لها مثله وأترك فى مدينتى من أثق به اليه وأسير معكما بعشرة آلاف من الملثمة وأقتل من يريد لكما القتال وأجازيكما على هذه الفعال مع إن قلبى ما يصدق إنكم تقدرون على فتح هذا البلد وفيها من داخله أعجوبة ما سمع قط بمثلها وإن كنت تقدر ياأبو محمد على ذلك فأوجز حتى أخبرك بذلك فتماق قلب الأمير أبو محمد بذلك وكذلك الأمير ظالم وقال ياأبو محمد دبر لنا ما وعدتنا به من فتح البلد فقال سمعا وطاعة ولكن ما فى الامر إلا أنكم إذا اختلط الظلام ترحلون عن البلد وتضربون طبل الرحيل حتى يسمعوا أهل المدينة ذلك وأكون أنا وأنت ياظالم ومعنا خمسين فارس من أبطال الملثمة نكمن بهم متفرقين وإذا أصبح الصباح وتيقنوا ان العسكر رحل هنالك افتح أبواب البلد ويخرجون منه ويقتفون آثار القتلا ونقيم نحن إلى المساء وندخل فى جملة الناس رجاله وقد رفعنا اللثام ونلبس هذه الثياب التى غنمناها ونختلط بالقوم ونمتزج معهم فاذا صرنا فى البلد صبرنا حتى يدخل الظلام ويكون بيننا وبين عبد الودود ميعاد انه يكون عند المساء راجعا ونحن نفتح الابواب ونضرب الناس بالصارم القرضاب فقال عبد الودود والله إن هذه حيلة عجيبة ما نهتدى نحن إلى مثلها إلا أن قلبى خائف عليكم لان فيه عالم عظيم لا يحصى بعدد الرمل والحصى فقال أبو مخلف لا تخافوا ان شاء الله تعالى وأنتم تفتحون البلد فقال ظالم وأنت تكون من جملة المخرجين فقال ظالم يامولاى انت ما تريد الا خمسين من خيار الملثمة وأنا ما فى الكل أدبر منى فضحكوا من كلامه وقال يامولاى بل أنا أكون مع عبد الودود وأن تحسه على العودة على عجل فقال ظالم نعم ما رأيت فأقاموا كذلك الى نصف الليل ولبس أبو محمد البطال زى أهل البلد وكذلك ظالم والخمسين بطل وأخذوا معهم السيوف تحت أطمارهم وأكمنوا فى مواضع متفرقة من النقوب والمغاير (قال) ودق عبد الودود طبل الرحيل ورحل من وقته وساعته وسمع بذلك أهل البلد ففرحوا وقد علموا أنهم لو أقاموا على هذا البلد مهما أقاموا ما قدروا عليها ولا وصلوا اليها ولكن ما نصدق حتى يصبح الصباح فوجدوا الدنيا من عسكر عبد الودود بلقع وأرسلوا من يكشف الخبر من الرستاق فقيل البارحة عبروا علينا عند السحر فعند ذلك أمنوا على أرواحهم وخرجوا الى ظاهر البلد ووصلوا الى آثار المعمعة وحملوا قتلاهم فما فرغوا

من ذلك حتى أمسى المساء وجعلوا أصحاب البطال يقصدون البلد واحدا بعد واحد منهم من يدخل ومنهم من يقف حتى دخل الأمير ظالم وجميع الرجال وأقاموا الناس كذلك متفرقين فى كل مكان حتى اختلط الظلام وقعدوا كلهم على باب البلد وضربوا الاقفال بالسيوف كسروها وصاحوا صيحة واحدة الله أكبر الله أكبر عبدالودود يامنصور فثاروا النيام وتحيروا القيام وتبادروا أهل البلد إلى الباب فوجدوا عنده سباع الغاب ولم يزل الحرب يعمل إلى أن مضى من الليل ثلثه ووصلت عساكر عبدالودود فوجدوا الباب مفتوح فدخلوا وزاد الأمر وقل الصبر وهجموا وعمل السيف الضاوى فى الظلام الهادى فصاحوا أهل البلد كلهم الأمان الأمان عبدالودود يامنصور وصعد الامير ظالم وعبدالودود إلى القصر وأعطى الناس الامان على نفوسهم على انهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وقتل من القوم من أقام على التعطيل وأخذوا من الاموال مالاعين رأت ولا أذن سمعت ثم أقبل ظالم على عبدالودود وقال له ماهى الاعجوبة التى ذكرتها أرنى إياها فأقبل عبدالودود على أكابر البلد وقال لهم إنى سمعت شيئا فهل هو صحيح فقالوا وماهو فقال كان الملك أزور قد أخذ مركب من قلعة ابن حماد وكان فيها امرأة علوية هاشمية من أولاد الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام وهى موصوفة بالحسن والكمال وقد حملها إلى قصره وأراد أن يتزوج بها فامتنعت منه وقالت هذا شىء لاأفعله أبدا لخالتين أولهما إنك تبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم والوجه الثانى انك تبغض على بن أبى طالب وكان يضربها الضرب الوجيع وكلما يقرب اليها يصرع لوقته وساعته فهذا القول له صحة فقالوا نعم فقال عبد الودود على بها ففى عاجل الحال أحضرت بين يديه قال لها الملك عبدالودود ابشرى الآن بما يسرك من الثواب الجزيل وسوف أحملك إلى أهلك وقومك (قال الراوى) وكانت هذه الجارية الشريفة لما وقعت فى يد ذلك الرجل طلب منها ماتطلب الرجال من النساء فأبت ذلك لانها كانت من النساء العابدات الخيرات وكانت تخوفه من الله تعالى وهو لايزداد الاعتوا ونفورا ونفاقا وكفرا فلما عجز أمرها عنه رفعت قصتها لمن يعلم سرها ونجواها وقالت إلهى وسيدى ومولاى أنت القادر أن تدفع عنى الرجس والفحشاء انى أمة ضعيفة أسألك بحرمة النبى صلى الله عليه وسلم أن ترد عنى شر ذلك الرجل الجبار فأنا صابرة على قضائك وبلائك وأنت على كل شىء قدير فكان أزور كلما دنا منها يتخيل ويصرخ ولما طال به الأمر كان ذلك سبب جنونه وتلك المرأة صابرة ولربها شاكرة وهى مشغولة بصلاتها (قال الراوى) وان الأمير أبو محمد البطال لما تحقق ذلك تعجب وقال لا إله الا الله محمد رسول الله والله لولم يكن وصولنا إلى تلك الأرض إلا

لاجل خلاصنا لهذه الشريفه لكانت سفرتنا رابحة ثم انهم خلصوها من القيود وأعطوها من أموال أزور شيئا كثيرا وسيروها إلى قومها وأرضها وغنموا من الأموال مالا عين رأت ولا أذن سمعت وقسموا على الرجال وقدموا على البلد رجل فاضل وملكوه أمر البلد وما يليها من البلاد والقرى وجعلوه من تحت يد الملك عبد الودود وكان ذلك الرجل يقال له عبد الرحمن لان الملك كان لأبيه قديما وأزور تغلب عليه وأخذ الملك منه وقتله فرجع الحق إلى أهله وبعد ثلاثة أيام رجع عبد الودود إلى أرضه وبلاده مؤيدا منصورا وظالم بين يديه وهو فرحان بظالم وقد شغف بمحبته والملائمة أيضا وقد سماه أمير المسلمين وناصر الدين ولما استقاموا على الطريق تذكر الأمير ظالم أمه القناصة وأبيه عبد الوهاب وجدته الاميره ذات الهمة وجنوده وغلمانه واشتاق إلى أهله وخلانه ففاضت عبرته وزادت حسرته فجاء الشعر فى خاطره ورجع إلى طبع عربيته وأنشد

يا عين جودى بدمع منك هتان ... عسا كى تطفى لهيب المدنف العانى
فقد الاحبة أفنانى وأسقمنى ... حقا ولا عجبا ان كان أبرانى
وانما عجبا إن عشت بعدهم ... يوما وقد عدمت عينى لاوطانى
ولا خيالا لهم فى الليل يطرقنى ... لعله يطفا به نيران أحزانى
وددت لو اننى قدمت بعدهم ... وصرت من بعدهم فى طى أكفانى
لو كنت أملك حسامى فى بلادهم ... صارت رؤسهم من غير أبدان
غراب طير النيا لا كنت طائره ... ولا رأيتك بين الناس باعيانى
وإنما عقبة كان العقاب لنا ... فمن يجد ملجأ من صيد عقبانى
قالوا سلوت لبعد الدار قلت لهم ... هيهات أسلو احبابى وجيرانى
لو ان ملك سليمان النبى عند ... ملكى لما اخترته من بعد أوطانى
ولست أصغا لمن قد قال معتذرا ... دار بدار وجيران بجيران

(قال الراوى) فقال أبو محمد ان كنت تريد المودة انت لاجل أمك وابوك فكيف حالى أنا وقد فارقت نورى فتبسم ظالم من مقاله وجدوا فى سيرهم الى أن وصلوا إلى البلد وكان يومهم يوم عظيم وأقام ظالم عند عبد الودود وتدفرح به الفرح الزائد وكان فى أكثر الايام يكثر الجلوس على كرسى الملك ولا يخاطبوه إلا بالملك (قال الراوى) ولما ان كان فى يوم من بعض الأيام قام عبد الودود قائما على الاقدام والمجلس محتفل بالعالم من الأمراء والمشايخ والفقهاء والعدول فوقفوا لوقوفه فقال الحمد لله مقدر الأوقات وسامع الاصوات ومميت الأحياء ومحيى الأموات ومقبل العثرات ومعطى النعم السابغات وكاشف

القمم المزعجات الذى حلل الحلال وحرم السفاح على المسلمين والمسلمات وبعد فالصلاة والسلام على محمد سيد السادات وأطيب الطيبات الذى رقى المعراج إلى أعلا السموات أما بعد فانى قد خطبت ناصر الدين وجمال الموحدين إلى ابنتى قرة العين الزاهدة العابده الزائدة العفاف وهى على الحق اليقين وأنا أسأله أنه لايخيب قصدى ولا يردطلبتى ويكرم شيبتى (قال) وان الامير ظالم تهلل وجهه بالعرق من الحيا ووثب قائما وقال يامولاى لوكانت جارية من جوارك قبلتها حتى أتجمل بها فكيف وهى أكرم البنات وست الستات غير أنى رجل غريب فى تلك الأرض البلاد ولى أهل ورجال وخدم وغلمان فان كان يطيب على خاطرك اذا طلبت أهلى تعطينى زوجتى فافعل على اسم الله الواحد المنان فقال عبد الودود قبلت ذلك المقال وقبضت منك المهر والصداق والذى عندى من المال هو هبة منى اليك فما أنا طالب منك دينا أبدا وإنما قصدى الآخرة وأكون من جملة المجاهدين فأجاب ظالم إلى ذلك وعقد عقد النكاح ونثر عبد الودود على رأس ظالم النثار وكان من اللؤلؤ والياقوت والجوهر ودخـــل الأمير ظالم على زوجته بعد أن عمل الولائم والدعوات ثلاثة أيام دعا فيها الخاص والعام فرأى صبيحة كأنها الشمس الصاحية فى السماء الصاحية ورأى منها عقل زائد وقراءة قرآن وفصاحة لسان وأقام ظالم فى أرغد عيش وأهناه مدة أيام فدخل عليه أبو محمـــد البطال بعد أيام مضت وقال ياولدى حب الوطن من الايمان وإن عبد الوهاب أحب إلى من كل من على وجه الأرض ولا تعلم ياولدى ماجرى بعدنا لأننا فارقنا بغداد وهو فى السجن والأميرة والأمراء ولما غاب عن الثغور سنة ونصف ولا بد ان الأحوال تغيرت وما فى الأمر إلا الرجوع إلى الوطن أصوب ولما أن سمع ظالم من البطال ذلك الكلام كان كأنه نائم وانتبه وقال ياعم انك أيقظتنى من رقدتى وغدا أشرع فى ذلك الأمر وفى ليلته اجتمع بزوجته وشكا إليها شوقه إلى الديار فقالت يامولاى أنا بين يديك ولو أردت فى ذلك اليوم لا أخالف لك أمرا ولا أعصى لك قولا ولكن تكلم مع أبى حتى يجهزك بما تريد فعند ذلك اجتمع الأمير ظالم بالملك عبد الودود وأعلمه بالقصة فقال ياولدى ما أنا بالذى أمنعك عما تريد ولكن أقم شهر من الزمن حتى أجهز لك الرايات والاعلام وما تحتاج إليه وإن كان قد انصلح حالهم وملكوا أماكنهم ورضى عنهم الخليفة ورأيتهم فى أمان فالحمد لله رب العالمين وان كان الامر بخلاف ذلك فأت بهم ومن عندهم من الاجناد وأقم عندنا أنت واياهم وان كانوا هالكين خذ من عندى رجال تضرب بين يديك بالسيف حتى تأخذ ثارهم وتكون تلك الارض والبلاد عوض عن أهلك وأرضك وبلادك وأنا

أكون تحت نظرك فشكره وأثنى عليه وشرع عبد الودود فى مصالح السفر فبينما هم كذلك
واذا بهم سمعوا حس طبول وزمور ومراكب قد ملئت البحر مثل أجنحة النسور والبحر
قد امتلا فسأل عن ذلك الملك عبد الودود فقيل قد أقبل أبو الاشبال (قال) وكان ذلك
الملعون أبو الاشبال دائما يقصد بلاد عبد الودود ويضرب على الملثمة وبينهم مرار عديدة
وكان أبو الاشبال يقول ان الروح تنتقل الى خمسة أجساد مختلفة الاجناس ثم بعد ذلك
تصير روحانية وكان له من الاولاد ثلاث بنات وهم موصوفات بالجمال والقد والاعتدال
وكان تزوج بواحدة منهم وزوج الاخرى الى ملك من ملوك الافرنج يقال له ترقياس
وكان قد طلب بنت عبد الودود التى أخذها ظالم الذى اسمها أم الحياة وكان الخطبة قبل
وصول ظالم الى تلك الارض فأبى عبد الودود عن ذلك وقال لا أفعل ذلك أبدا الا أن
يسلم على يدى ويتبرأ من كل دين يخالف دين الاسلام وأيضا ان كان يريد أن يتزوج ابنتى
يخرج بنته من تحت الافرنجى لان دين الاسلام لا يقبل ذلك ولا يجوز أن يعلو كافر على
مسلم فان فعل ذلك زوجته ابنتى ولما بلغه ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وصار يقصد
ديار عبد الودود وقومه ويخرب أطلاله وتقاوى عليه بملك الافرنج صهره ملك الاندلس
ورتب عليه الجزية فى كل عام وفى تلك السنة التى وصل فيها ظالم اشتغل بظالم والملك أزور
ولم يرسل له مال فسأل أبو الاشبال عن مال عبد الودود الذى يأتى من عنده فى كل عام
فاخبروه ان عنده رجل من العرب شديد شجيع وقرم منيع فقامت عليه القيامة وأرسل
إلى ملك الافرنج يستنجد على قتال عبد الودود ويكون الملتقى على بلاده وأنت تكون
فى البر وأنا أكون فى البحر ووصلت المراكب الساحل ونعرت البوقات وزادت الضجات
كما ذكرنا ولو طلعت الخيل من المراكب إلى البر وركبت عليها الرجال وتبادرت الأقيال
ونصبوا الخيام وأقاموا الأعلام وما أتى وقت الظهر حتى وصلت أهل الأندلس والمعامدة
فى عشرين ألف فالتقاه صهره وسلم عليه ونزلوا فى الخيام وأركزوا الأعلام

(قال الراوى) فهذا كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عبد الودود فانه من أول ما سمع
الضجة وحس البوقات سأل عن الخبر فقيل له هذا ملك الافرنج قد وصل فى ثلثمائة مركب
وأتت عساكر المعامدة من البر مع أبو الأشبال عند ذلك أمر عبد الودود إلى الرجال
أن تخرج إلى ظاهر البلد وفى أوائلهم الأمير ظالم والبطال قد سأل عن تلك العساكر وسبب
مجيئهم إلى تلك الأرض والبلاد فحدثه عبد الودود عن أبو الأشبال وعن دينه ومذهبه
فصعب على البطال وقال والله طاب الجهاد فى هذه الكلاب الأنذال ثم انهم عبوا عساكرهم
ميمنة وميسرة فلم تمهل أهل الأندلس دون أن حملوا وعلى القتال عولوا وحملت أيضا

المعامدة فالتقاهم ظالم والبطال إلى جانبه والملثمه وكان فيهم فرسان وقاح لا تمل ولا تضجر من الكفاح وفى دون ساعة جرى الدم بين العسكرين وساح وزعق على رؤسهم غراب البين وصاح وعملت السيوف والرماح وسمحوا بالأنفس بعد أن كانوا بها شحاح ولم يزالوا على ذلك الرواح حتى بقوا أشباح بلا أرواح ودام بينهما الحرب والكفاح إلى أن أمسى المساء وأخذ بعضهم بعض وشكت الافرنج والمعامدة من ظالم وكم أهلك منهم وأيضا شكت الملثمة مالقيوا من أبو الأشبال وقالوا لظالم لقينا اليوم فارس شديد وبطل صنديد فصعب على ظالم ماقالوه وقالوا لابد من برازه وأبدل بالذل اعزازه وبات ظالم وهو ضيق الصدر وما صدق بالصباح أنه يصبح وخرج على جواد من الخيل الجياد كأنه من خيول شداد ابن عاد وفى يده صارم يروا من دم الجماجم ورمح يتلو كأنه الراقم ولما أن صار بين الصفين طلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس من المعامدة وفى يده ثلاث مزاريق فصار كأنهم شعل نار وحمل على ظالم بلا مطال وضربه بحربه من الذى فى شماله خرجت كأنها شهاب ثاقب أو كوكب صائب فاعتدل إليها ظالم إلى أن وصلت فانحرف عنها قليل وخطفها من الهوى أسرع من البرق صارت فى يده وهزها حتى رن حلقها وردها إلى صاحبها صادفت صدره مرقت تلمع من ظهره وثانى وثالث ورابع وخامس فخرج اليه ابن أخو كرفناس وكان يعد بفرسان فأراده وآخر من الافرنج أهواه ولم يزل ظالم كذلك إلى أن أهلك خمسة وأربعين وأمسى المساء وملك الأندلس انشقت مرارته وزادت حسرته على من هلك من رجاله (قال) وعند الصباح خرج كرفناس إلى الميدان وحمل الضرب والطعان فتحدر إليه ظالم وهو كأنه الجمل الهائم وتلقاه وصبر على جوره وبلاه وكانت المعامدة الملثمة أكثر قتالهم بالمزاريق القصار وأما ظالم فإنه تلقا ملك الاندلس وتطاعنا وتحاربا وتراشقا بالمزاريق والحراب فكانوا كشعل النار ولما رأى ظالم إلى ثباته قدامه وجودة حربه وصدامه نبه غريمه وهجم عليه كأنه الاسد الادرع وتعلق بدرعه وأطواقه وانشله صار فى يده مثل العصفور فى يد الباشق المكسور ورجع به إلى الملثمة فسلمه اليهم ورجع إلى الميدان فالحق أن يصل إلى الميدان حتى حملت المعامدة والافرنج فأشار عبدالودود إلى الملثمة فحملت والاعنة قد أرسلت فكان قتال شديد وعمل الصارم الحديد وثبت الفارس الجيد وفر الجبان البليد وما أقاموا المعامدة والافرنج إلا قدر ساعتين من النهار وعمل فيهم البتار فانهزموا وطلبوا الفرار وكان آخر النهار اجتمعوا الافرنج على بعضهم البعض وقدموا عليهم ملك لئيم كأنه شيطان رجيم وأرسل لهم أبو الاشبال من عنده خيل يركبوها لانهم كان أكثرهم رجاله وعند الصباح ركبوا على الخيول الجرد والقداح وتقلدوا

بالصفاح و تقدم أبو الاشبال وقوى قلوبهم وبرز إلى الميدان فارس من المتقدمين وكان فارس شديد وبطل صنديد ومعه قنطارية كانها صارى مركب وحمل على الميمنة شوشها وأراد أن يعطف على الميسرة فعارضه ظالم كأنه الاسد الهاجم وضرب قنطاريته أبراها بالحسام كما يبرى البارى القلم ثم انه هاجمه وضايقه وضربه أطاح رأسه عن بدنه ولما رأت الافرنج إلى ذلك تأخرت الى وراءها وأشار عبد الودود الى الملثمة فحملت وعن خيلها أرسلت والرماح شرعت والنصول قطعت وعمل الصارم المنتضا وعند المساء رجعت الإسلام منصورين مؤيدين بما قتلوا وأسروا ولما جن الليل وحاب سهيل ركب ظالم ومعه ألف فارس يطوفون من حول الابرار ومعه الملك عبد الودود ولما أن هدأ الليل واذا بشخص أقبل من ناحية الكفار وهو يلهث فدنا منه ظالم وحققه واذا به البطال فقال مايكون هذا ياعماه قال هذا ياولدى ملك الافرنج وقد جبته بعدما هلكت من قومه ومنه فعاد به وهو متعجب مما فعل وهو يسأله عما جرى له (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الامير أبو محمد البطال أخذ ثياب بعض القتلى ولبسهم ولما عادوا من الحرب اختلط بهم وجلس الملك فى سرادقه ومن حوله ألف انسان والكل بالسيوف المجذبة وما لهم حديث الا فى ظالم وما فعل فى الحرب ولما أطنبوا فى الحديث قال البطال بلسان الافرنجية لقد عظمتم حقير وكبرتم صغير ولكن الذى قتل اليوم كان قد فعل ذنب فساط عليه المسيح ذلك المسلم لان ذلك المسلم لا كان من رجاله ولا من بعض أشكاله ولا بد أن أخرج وأقرع ميه حتى تشهد لى بذلك جميع الطوائف (ياسادة) ثم انه جلس وجعل يحدث الملك بما يعمل بالابطال من الاعمال وما يحتاج من الثياب والسيف القرضاب والملك يسمع منه ذلك المقال ويتعجب وهو باهت اليه وشاخص بالنظر اليه وبعد ذلك قال له ياعبد المسيح كل ما تقوله مليح ان كان كلامك صحيح وان قهرت ذلك المسلم أو أسرته أو قتلته أعطيتك كلما تريد فقال البطال ياملك ما أريد منك إلا تعطينى زوجة نكاه الذى قتله ذلك المسلم فقال الملك وأعطيك كلما تملكه يده من نوال ثم ان الملك ادعا بالطعام والافرنج فيهم دأب ما يأكلون الا والشراب عندهم حاضر فأخذ الملك قدحا وملا وشربه وملا ثانيا وأعطاه للامير أبو محمد البطال فامتنع البطال من أخذه وقام ووقف على الاقدام وقال ياملك وحق الانجيل وما فيه من التحليل والتحريم والا أماتنى المسيح على دين العرب وبدل حج تهامة بالبيت الذى يقولون عليه الحرام ان هذا الكاس على محرم حتى آتيك بهذا الفارس الذى عجزتم عن لقاه وأجله مربوط فى بعض الخيم ويكون الذكر لك ياملك فى

جميع الامم ويقال ان بعض عبيدك والخدام قهروا ذلك الفارس الضرغام هنالك أخذ الكاس وقال ما عليك من الباس فقال الملك الك ذلك وأزيدك أوفا مزيد فصفع البطال الملك وأخذ الكاس وعمل الساقى الى أن مضى من الليل ربعه عند ذلك اشغل الباطيه بالسم القاتل ووضعه فى القدح قدر قيراط وناوله الملك وكان الذى حطه الملك بنج اقريطش فما لحق الملك أن يشرب حتى انطرح على الوسادة كانه قتيل وفاضل القدح تبدد على صدره وجعل يسقى الحاضرين بعجله ونشاط ويقول هذا قدح الوداع حتى أسقى أربعمائة انسان وكل من شرب مايلحق يشرب حتى ينعقد لسانه وينظر إلى صاحبه ولم يتحرك من مكانه وماتوا الكل عن بكرة أبيهم فوقف البطال وشد الملك كتاف وحمله على أكتافه وقصد إلى ناحيه المشمة فلقيه ظالم كما ذكرنا وفرح عبد الودود وقال هذا الملعون يقوم بالعسكر جميعا وقد أمكن الله منه فقال البطال أنا عملت مانذرت ووفيت بالضمان وأتيت بملك الافرنج وقتلت اربعمائة وأتيت بالمراكب (قال الراوى) ياساده ياكرام وإذا بالصياح قد وقع فى عساكر الافرنجيه وزاد الضجيج وانقام العويل فسأل ملك المعامدة عن ذلك فقيل ان الملك قد سرق وهلك أربعمائة والأفرنج قتلوا أرواحهم وطلبوا إلى مراكبهم بعد ملكهم وعظمت مصائبهم وطلبوا امراكبهم فما وجدوا منها شيأ وإذا بالمراكب كلها فى البر الثانى من ناحية المشمة وكل مركب فيه من الاسلام جملة بالسيوف مشهورة فعضوا الافرنج ورجعوا بالخيبة وأيقنوا بالهلاك والمصيبة ولما ان رأى ملك المعامدة وسمع بذلك الحال الذى غير مستقيم جمع المقدمين وقال ياقوم أنا آخذلكم بالثار وأخلص ملككم من هذه القوم الاشرار ولا بدلى ما أخرج الى ذلك الفارس وأجعله فى الأرض ناكث وبعد ذلك خرج ملك المعامدة الى وسط الميدان وهو راكب على جواد ظريف المعانى من أخفر خيول العرب قوى العصب ديال الذنب كريم الحسب يدرك إذا طلب كانه سلهب وفى يده رمح أربعة وعشرين كعب له سنان كانه ذباب عقرب وسيف سقى بماء العطب وسير ذلك الجواد فى جنبات الميدان حتى هد أشعته (قال الراوى) ونادى فى حومة الميدان لايخرج الاظالم الموصوف والبطل المعروف فما تم كلامه حتى قفز ظالم قدامه فقال البطال لعبد الودود أنا قد وفيت أربعمائة وأتيتكم بالملك وأتيت بالمراكب الى ناحيتكم وهى ملآنه بالزاد والعدد الاموال لان البطال لما سلم ملك الافرنج إلى ظالم أخذ معه مائتين راجل وأوقفهم عند الساحل وصعد إلى مركب لطيف من مراكبهم وشك بالمقاديف حتى وصل الى مراكب الافرنج وجعل يحمل بعد مركب لان المراكب خالية من الرجال وفى كل مركب واحد واثنين حتى جملوا جميع المراكب فى البر الثانى وصعدوا

فيها الرجال وأشهروا السلاح فهذا كان السبب فى أخذ المراكب وأما ظالم لما دعاه ملك المعامدة للقتال وخرج اليه كما ذكرنا وتقابلا وتقاتلا وتناصلا وتفاصلا وتجاولا واعتركا واشتبكا والتزما والتحما وكانوا الاثنين كانهما فرسي رهان وظنوا أنهما مقتولان وبعد ذلك دنا العنان من العنان بعدما كانوا متباعدان وحامت على رؤسهما عقبان المنيه وأيقنوا بالرزيه فاغتاظ ظالم من طول مقامه مع ذلك القرنان فصاح على جواده فربه كأنه شيطان وتمطا فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره وكان عليه ثلاث دروع نخرقهم ونور من ظهره وصاح الله أكبر فتح الله ونصر وجاد باللطف لجاوبته الاسلام بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وصاحوا من كل جانب وندبت عند المشركين النوداب وكان أمر الله لاذب وشابت الذوائب فما كنت ترى الارأس طائر وجواد غائر وتفطرت من المشركين المرائر والملثمة زعقوا زعقة تفتت الاكباد وطعنوا بالرماح المداد وضربوا بالسيوف الحداد واشتد الأمر وزاد وسالت الدما من الاجساد وشمتت بهم الاعدا والحساد وضاق البر على الجبان بعد الاتساع وزادت الآلام والاوجاع وفر الجبان من الشجاع هذا والأمير ظالم قد سطا عليهم بسطوته ومال عليهم بسيف نقمته وكثر القتل فى المعامده والافرنج ولما ان زاد الأمر على أهل الاندلس صاحوا الامان الامان نحن نشهد أن لا اله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله وأما الافرنج فانه راح على السيف والرمح أكثرهم وغرق أيسرهم وأخذوا ما تبقى من المراكب وأقاموا الشراعات إلى ناحية بلادهم وغنموا الإسلام غنيمة عظيمة لها قدر وقيمة من عدد وزرد وملبوس وخيل وخيام وأنعام وشيأ كثيرا (قال الراوى) وقام ظالم عند عبدالودود حتى دانت له البلاد وأطاعوه الرعية والاجناد وأتت اليه الهدايا من سائر البلاد واستقر ملكه على البربر والمعامده والاندلس وحمل اليه المال من سائر الجهات لان الدنيا دول فسبحان من لا يحول ولا يزول الباقى على الدوام لا اله إلا هو الحى القيوم (قال الراوى) انه كان فى بلاد الغرب خليفة من بنى أمية وهو مقيم فى الاندلس الاقصى يقال له هشام المؤيد وهو من الائمة المهديين وكان وصل الى ذلك الديار لما ظهرت دولة بنى العباس فى أيام مروان لما انهزم من قدام عبدالله بن على لما أرسله السفاح فى حال ظهوره من الكوفة من عند أبا مسلم الخلال ودخل إلى الغرب وتوصل إلى الاندلس وتوفى أبيه وتخلف من بعده هشام وكان إماما عادلا كثير الاشفاق على المسلمين فبلغ الخبر إلى هشام المؤيد بما جرى للملك عبدالودود ونصرته على الافرنج والمعامدة وما فعل ظالم والبطال بما يحتاجون اليه ويرسلهم إلى ديارهم فهم فى همة الرحيل واذا قد وصل من البحر مركب كبير كأنه قلعة وفيه رجل يقال له خشخاشة قائد جيوش البحر من قبل الخليفة هشام

وان خشخاشة هذا له غزوات كثيرة فى الافرنج والروم الى بلاد المجوس وله مماليك
مشترى ماله أكثر من عشرة آلاف وخشخاشة هذا الذى نحن فى حديثه له فى بلاد الغرب
مقام ومرتبه مثل أحمد ابن حنبل رضى الله تعالى عنه وله زيارة الى يومنا هذا ولما بلغ
هشام الاخبار عن ظالم والبطال وعبدالودود وأرسل خشخاشة ولما ان وصل الى
الساحل وصعد الى البر التقاه عبدالودود وأتى به الى محله وكان معه أثنين مملوك فقال
خشخاشة الى عبدالودود أنا أريد الخلوة معك لان معى رسالة من الإمام فأخلاله المكان
ولم يبق عنده غير ظالم والبطال وعبدالودود فعندها خلا المكان من الرجال فأمر خشخاشة
بالقبض على عبدالودود وظالم والبطال على غفلة منهم وقال بهذا أمرنى الامام وأنزلهم
فى المركب الذى أتى فيها فقال البطال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم تساطت علينا
الخلفاء فى سائر البلاد وسارت تلك المركب الى مدينة قنابس (قال) وكان فى تلك المدينة
صنم من النحاس كلما دارت الشمس يدور معها وفى يده اليسرى مفتاح يرمى به الى الشمس
واذا أتتهم الافرنج فيلتوى الصنم فى الدولاب فيسيروا اليهم المسلمين ولما يقربوا المسلمين
من الافرنج يدور بهم الصنم فيثبتوا امكانهم وتبطل حركاتهم فيهجموا عليهم المسلمين ويقتلوهم
وينهبوهم وكان ذلك الطلسم وقع منه فبطل الطلسم فطلبت اليهم الافرنج وكاتب بعضهم
بعض تقصد الى هشام المؤيد وكان عسكره قليل لان بلده فى فم العدو وكان ذلك الطلسم
من عمل الاسكندر ابن دارب الرومى وكان بحر ذلك المدينة نصفه مالح ونصفة حلو فمن
باكر النهار الى الظهر يجرى مالح ومن الظهر الى العشاء يجرى حلو وذلك من قدرة الله
تعالى لا بطلسم ولا بقلم وتلك المدينه ما فى بلاد العرب أكبر منها ولا أكثر أشجار ولا
أنهار ويقال عنها الحص الكبرى وساروا منها الى مدينه الزاهد ولها اثنى عشر قرية
واتصلوا الى هشام المؤيد وملك الافرنج مثال الرشيد ومنويل وكان هشام يركب فى اثنى
عشر ألف مملوك شراء ماله وجريدة عسكر ثلاثمائة ألف فارس ومدينته تسمى الروابض
لحسنها وكثرة زيارتها لأولياء الذين فيها ولها باب يسمى باب الرياض وعلى باب الرياض
منظرة عالية على عواميد عدة من الرخام ولها باب يسمى باب الغضب وعليه حجاب يقال لهم
بنو ليلة لانهم كلهم ولدوا فى ليلة واحدة وهم اثنى عشر ولدا فأخذهم هشام ورباهم وسماهم
بنو ليلة وكان يتباهى بهم على سائر الملوك (قال الراوى) وان البطال لما نظر الى تلك
المملكة وهذا الملك العظيم هان عنده ملك بنى العباس وملك الروم لما رأى الى ذلك الملك
العظيم (قال الراوى) وكانت تلك المنظرة لها سبع طبقات كل طبقة لها باب وكل باب
واحد عليه ألف غلام بالقرا والمناطق وبأيديهم العمد المذهبة والملبوس الفاخر وكل

طيقة فيها لون والغلمان الذين عليها تشا كلها فى اللون وكان الخليفة اذا جلس فى تلك المنظرة يلبس لون المنظرة وكل الغلمان تلبس مثله فيبقى المكان وكل من فيه لون واحد من الغلمان والحجاب وان الامام لما وصل اليه من الجواسيس أرسل خشخاشة كما ذكرنا ولما حضروا قدام الامام نظر الى عبدالودود وصاح فيه يا كلب المشئمة وليتك الملك على أن تفعل ماشئت وتسير الى أزور وتقتله وتأخذ ماله ما كفاك ذلك حتى يأتوك من عند بنى العباس جواسيس ينظرون الى ملكنا وبلادنا وتبقيهم عندك ثم صاح بالسياف خذوا رؤس هؤلاء المفسدين قال فعند ذلك تقدم السياف الى عبدالودود وقطع من ذيله قطعة وعصب عينيه وجرد الحسام ووقف على رأسه وأراد أن يأخذ اذن الامام ويضرب ولما نظر ظالم الى ذلك الحال قام قائما على الاقدام وقال السلام عليك يا امام وابن الامام يامن طاب عنصره وزين منظره اعلم اننا قوم من الحجاز مجاورين عند بيت سيد الانام ومصباح الظلام محمدا صلى الله عليه وسلم وقبضوا علينا بنوا العباس ونفونا الى تلك الارض والبلاد وقد وصلنا الى بين يديك يامن أنفق ماله باليدين وحاز الشرفين يامن أظهر الاسلام وجهز الاعلام وبحق الشهيدين المقتولين ظلما وعدوانا ارحم غربتنا ولما ان سمــــع هشام المؤيد ذلك رق قلبه وقال من تكون أنت ياهذا ومن أين أتيت قال يامولاى أنا وعمى هذا من أرض الحجاز ولى والد يقال له عبدالوهاب عند ذلك تقدم أبو محمد البطال وقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته ياخليفة الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه يامن هو أجل الخلفاء نسبا وحسبا وابن السادات الشرفا علا مجدك وسعد جدك وأهلك الله من يحسدك وحشرك الله مع جدك المقتول ظلما الذى كان دمه ميشوم على العرب والعجم ارحم قوم أتاح بهم الزمان ورماهم بالذل والحرمان وفرق بينهم وبين الأهل والجيران وأخرجونا من بين أولادنا ولا رعونا ولا حفظوا لنا ود ورمونا بالذل وبعد خدمتنا لبنى العباس شهور وأعوام نفونا الى تلك الارض والبلاد وأنت يامولانا أحق بالخلافة من الرشيد لان من حولك خدم وعبيد والان قد عادت الخلافة إلى أربابها فاعزم وتسلم مفاتيح بابها (قال) فلما سمع هشام المؤيد كلامه أعجبه فصاحته وإقدامه قال له أنت البطال بن الحصين السلمى قال نعم يأمير المؤمنين قال هشام ياأبو محمد قد كان أبوك له على أبى حقوق زائده وكان أبى يقول لما كان فى دمشق وهو صبى كان يقول عندنا رجل يسمى الحصين صاحب حيل ومكر وعمل وكان يقول كم أخذ لنا قلاع وحصون وبلاد وضياع فى بلاد الروم وكان أبى يحدثنى عنه بكل عجيبه ولما ان مات الحصين خلف ولد يقال له عبدالله ويلقب بأبى محمد البطال وقد طلع أحيل وأمكر

من أبيه بطبقات وأخبروا أنه أباد الروم وكنت غالب أيامي أدعو إلى الله أن يجمع بيني وبينه وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعائي فبكا البطال وقال يامولانا هاخادمك عبد الودود قد عمل معنا جميل وغزا من كان معطل على الدين وحكى له البطال على القصة من أولها إلى آخرها عندذلك أمر باطلاقه الامام فتجارت اليه الغلمان وأطلقوا عبدالودود من الهوان وخلع عليه الامام خلعة سنيه ثم قال الامام يا أبي محمــد أقم عندنا في أرغد عيش ولو سنة واحدة حتى ننظر إلى أفعالك وأعمالك فقال يامولانا ان أردت أن تنظر إلى شيء من أعمالي لا يكون إلى مع الروم والافرنج فقال الامام يا أبا محمد لو كان عندكم ملل مثل الذي عندنا أو أفرنج مثل الذي عندنا لاهلكوكم في مرة واحدة وانما ما يخرج اليكم الضعفاء فتقولون خرج الينا أفرنج وأما نحن فكل قليل نغزوهم في بلادهم ويغزونا في بلادنا فقال البطال يامولانا إذا كان كذلك أرسل اليهم عسكر وانظر من خادمك البطال ما يحير الفكر وترى من ظالم مايذهل البصر من قوته وشجاعته وشدته وثبته فأمر الخليفة أن يكاتب الأقاليم والبلاد أن تأتى منها الاجناد فهم قد عولوا على ذلك الامر وإذا بالجاسوس قد وصل ولا قدام الخليفة قد حصل وباس الارض وقال أن ملك الافرنج قد جمع الجيوش وعزم على لقاك وغزوك فخذ حذرك ومعه عالم لايحصى ولا يعد وهم عدد التراب وقطر السحاب فقال الامام ياأبا محمد تدانا الأمر على ماتريد وهذا الملعون معه علم عظيم وعسكر جسيم وكلهم شاكين في السلاح وكل واحد منهم الفارس والفرس والعدة قطعة واحده واذا حصل في الواحد منهم ألف ضربة من الاسلام بالسيف والرمح فلا يبالي بهم والسبب في ذلك العده التي عليه وعلى جواده

(قال الراوى) ولقدقيل لي عن ذلك الملك عنده عجل من الذهب اذا صاح تكون قد انقرضت دولة ذلك الملك المتولى وانه في هذه الايام صاح العجل فلما سمعه الملك أدعى براهب كان عنده وقال له ياجونان مرادي منك ان تفسر لي صياح ذلك العجل فتقدم الراهب وقرأ ذلك الطلسم الذي في جبهة العجل وكان الطلسم بالعبراني ومتى ماصاح ذلك العجل انقرضت دولة ذلك المتولى فخاف الراهب أن يقول الملك ذلك المقال يقتله والقتل لايرضى به إلا كل ندل فقال في نفسه الخديعة تنفع في بعض الأوقات فخرج الراهب من البيت الذي فيه العجل وأتى إلى الملك وقال له ياملك في صياح ذلك العجل إشارة وهو يقول لكم اخرجوا الى غزو بلاد الاسلام ونصرة المسيح ولما ان سمع الملك ذلك جمع العسكر فكان أربع مائة ألف وعزم على قتال المؤيد فكان لهشام جواسيس في بلاد الافرنج وقد كانت حاضرة ورأت ماجرى من الملك من الامر أتت وأخبرت الامام

بذلك وكان البطال عنده فى ذلك الوقت وهم فى ذكر ملك الافرنج وقد كاتب البلاد فقال له الامام يا أبو محمد أرنى بقى همتك وصناعتك فقال يا مولاى جهز العسكر وسوف ترى العجب اذا سرت معنا فقال يا أبو محمد أنا ما أقدر على المسير معك ولكن سيروا أنتم على بركة الله فقال ظالم يا مولانا نحن نسير ولله المشيئة والتدبير ثم جهز هشام فى جميع العساكر له كلام * وأما سكندرون ملك الافرنج فكانت الملوك الذين من قبله يجمعون المال ويحطوه فى بيت وبابه مسدود ولا يفتح أبدا لانه مسدود بالرصاص وفى سقف البيت طاقه من عالى يصبوا منها المال ولما عزم الملك سكندرون على الغزا وأنفق جميع ماله إلى أن نزع كلما عنده لجمع وجوه قومه والبترك الكبير وقال لهم ياقوم إن المال الذى عندى فرغ وأعتاز مال أنفقه على العساكر والجنود وأريد أن أفتح ذلك البيت وآخذ منه شى أنفقه فقالوا ياملك لا تفعل لانه من قديم مغلوق من عهد الآباء والاجداد فقال الملك أنا أنزلت فيه مائة خزنة من المال ولا بد لى من فتحه فقالوا ياملك لا تفعل لان له أكثر من ستمائة سنة وهو مغلوق فقال الملك لا بد من فتحه فقالوا افعل مابدا لك ففتحه الملك قهرا عنهم ولما ان فتحه ودخل فلم يجد شيأ فيه من المال فانذهل وتحير مما رأى فبينما هو كذلك هو والراهب إذا رأى فى جانب البيت صورتين الاولى صورة غلام أسمر اللون وعليه ثوب أحمر وعلى رأسه عمامة خضراء وعلى كتفه مزراق قصير والصورة الثانية صفة رجل أشقر اللون أزرق العيون قصير القامه وعلى جباههم مكتوب ان هذان الفارسان يملكان المدينة ويقتلوا أكثر أهلها ولما ان رأى الراهب وبان له ذلك الشخصان وقرأ الكتابة التى على جباههم توهم ولم يظهر ذلك الأمر فقال الملك ياراهب ماهذه الكتابة فقال ياملك إن هذه الكتابة أول ما يدخل الملك الى ذلك المكان يتوجه إلى نصرة الدين وقتال المسلمين فخرج الملك وغلق الباب ورحل من يومه وكانت هذين الصورتان صورة ظالم والبطال فاراد الله تمام القضيه وارسلهم إلى تلك الديار حتى تنقل ذلك الطلاسم والهندسه وتكون لهم تلك الاموال التى فى ذلك البيت ولا ينظرها أحد غيرهم ورحل الملك ثانى يوم طالب بلاد الاسلام وقتال الخليفة هشام فوصل الخبر كما ذكرناه وعدنا إلى سياق الحديث والخبر بعد الصلاة على سيد البشر فجهز أربعمائة ألف فارس وقدم عليهم خادم يسمى منصور المؤيد وخلع عليه وقال يامنصور هذا الأمير ظالم يكون مقدم عليكم فلا يخرج أحد منكم عن أمره ونهيه فأجابوه بالسمع والطاعه ورحلوا وفى قليل من الأيام وقعت العين على العين وحملت على بعضها بعض الطائفتين فنظروا المسلمين من الافرنج شيء عجيب لانهم كانوا الفارس والفرس كل واحد وإن الأمير ظالم حمل على فارس مقدم

وكبر وطعنه فانكسر من الأمير الرمح وولى الرومى قدامه فاستقبل ظالم صاحب العلم وأطبق عليه وضربه بالحسام على وارديه سقط رأسه تحت قدميه ووقع العلم فولت الافرنج منهزمين وللنجاة طالبين وغنموا المسلمين خيامهم وأموالهم وأثقالهم ورحالهم وتبعوهم إلى آخر النهار ونزلوا للراحه فقال منصور ياأبو محمد أنا ما رأيت شيء من صناعتك ولا حيله من حيلك فقال يا مولانا أنا ماصناعتى لا حرب ولا طعن ولا ضرب وإنما صناعتى فى الحيل والخداع فى حصن أو قلعة لما تصل اليها العساكر أدبر عليها وآخذ فقال ظالم أيها السيد أنا أسير خلف الروم ولكن ما آخذ شىء معى من هذا الجيش كله إلا عشرين ألف وأريك العجب العجاب فقال منصور ياأخى لا تغتر بروحك فقال ظالم وحياة رأسك ما آخذ غير الذى قلت عليه فعندها أمر منصور لباقى العسكر انها ترجع وأرسل معهم النهب الذى أخذوه من عسكر الافرنج يخبروا الامام بما فتح الله عليهم وأخذوا أهبتهم ورحلوا قاصدين إلى خليفتهم إلى أن وصلوا اليه فسألهم كيف صار فاخبروه بما جرى من الكسره وان ظالم والبطال ومنصور ومن معهم مازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى طبطاله ومنها الى صلمان ومنها الى قندور فرأوا الافرنج المنهزمين وانهم مازالوا منهزمين الى البلد وأرادوا الدخول فلم يمكنهم المقيمين قالوا انهم مالقوا من المسلمين وما نالهم بالاتمام وقالوا لهم خائفين ان يتبعونا ولم يمضى ذلك النهار الا وقد وصلت المسلمين الاخبار ومازالوا إلى آخر النهار واشتد بهم القرار وطلب ظالم للامير أبو محمد البطال فلم يجد له أثر ولا جلية خبر فخشى عليه أن يصيبه أمر من الأمور وبقا متعلق عليه وأرسل الخادم منصور يفتش فى القتلا لأنهم كانوا ضربوا مصاف عند قبالهم لكن الافرنج لم تصبر قدامهم دون أن ولوا الادبار وعبروا إلى بلدهم وغلقوا أبوابهم

(قال الراوى) وكان السبب فى غياب أبو محمد البطال أنه لما رأى عسكر الروم ولوا الادبار ولم يثبتوا لقتال المسلمين الابرار واخذ من ثياب القتلا ووضعهم فى جراب ودخل على المنهزمين إلى البلد وتوارى إلى مكان خالى وخلع ثيابه ولبس ثياب الرهبان ودفن ثيابه فى مكان يعرفه ولبس ثوب اسود رشد وسطه بزنار أديم وجعل على صدره صليب من الذهب مقمع بالجواهر وجعل له لحية بيضا كانها قضيب اللجين وتوصل الى الكنيسه واذا براهب يقرأ للناس والعالم والملك جالس فى جملتهم ولما دخل رفع صوته بقراءة الانجيل وبين مافيه من الحرام والتحليل ولما سمعوه انكروه وقعدوا من حواليه وقالوا ياأبونا من أين أتيت وأعدانا محاصرين وقد دخلنا البلد ونحن منهزمين فقال يامولاى أتيت من مدينة خرشنه من يومى هذا ثم انه تنحنح وقرأ فصل من الانجيل بنغمه وحنه ألذ من العافية على بدن السقيم فسلب عقولهم وفسر الذى قرأه لهم بالافرنجيه والروميه

واليونانيه فخار الملك بما سمع وقال ما اسمك يابونا قال البطال اسمى الراهب جرنقوت قال له من أين اتيت قال من دطلشبون أخذ بيدى المسيح ووضعنى هاهنا وأنا سايح فى بلاد المسيح اهدم الأرض واصب فيها البركه صب فلما سمع الملك من البطال ذلك المقال ارما وجهه على اقدامه يقبلها وقال لولا المسيح نظر الينا بعين الرحمة ما كان خصنا بهذا الراهب الجليل المقدار ثم ان الملك أخذ يقص على البطال ما جرى لهم من الكسره وقال يابونا كيف حالكم مع المسلمين فى بلادكم فقال ياملك لاتسأل عن حالنا وما نقاسى منهم وفيهم واحد اسود كانه حجر جلمد اسمه عبد الوهاب وله أم عجوز لا كتب المسيح لها سلامه فكم من رومى قتلته وكم من راهب اسرته وكم من ملوك لهم قهرت ومع هذا فيهم ياملك واحد مكار محتال صاحب حيل واحتيال يقال له أبو محمد البطال لا يصطلى له بنار ياما سرق من بنات وياما فرق من اخوات فلما سمع الملك بذكر البطال قال يابونا بحق المسيح لا بقيت تذكر لنا لا كتب المسيح عليه سلامه هذا بلغنى انه إذا ذكر حضر فضحك البطال من قلة عقولهم ثم قال الملك يابونا ان المسلمين غلبونا وكسرونا وحاصرونا فهل ننتصر عليهم أم لا فقال البطال ياملك أنا ما أتيت اليكم إلا عن اذن السيد المسيح لانه أرسلنى اليكم وأنا لا اتبع أحدا من هؤلاء القوم الذى تذكرهم بقى ينصر عليكم فقبل الملك يديه واندق على قدميه وقال طول المسيح عمرك وذلك يابونا يكون ببركتك ثم ان الملك سير البطال إلى راهب فى البيعه وذلك الراهب يقال له منحطون وقال له الملك يابونا الصالحون فى ضمانه الصالحون وانصرف الملك ومضا البطال مع الراهب إلى البيعه إلى أن وصلوا إلى بيت المذبح فجلسوا وقد أتاهم الطعام والشراب من عند الملك فقدموه بين يدى البطال وإذا فيه دجاج وخلوص مشوى ودهنه ينقط فقدموا الرهبان والبترك ثم ان البطال امتنع من الاكل فقال الرسول الذى أتى بالاكل والطعام ما تأكل يابونا فقال ياولدى هذا الذى أتيت به حرام على وعلى جميع العباد والزهاد لانى ياولدى سمعت عن شمعون الصفا عن مريحنا المعمدان عن بولص الراهب من قولهم الفصيح يرون عن السيد المسيح انه قال أوصيكم ياعبادى المخلصين لا تأكلوا طيب المصنوعات من الطعام فانها تزيد القلوب قسوه وتميل القلب الى الطبائع البشرية لان اذا أكل منكم شىء تطلب شىء لا يحل له واذا طاوع أحدا منكم نفسه وأكل من الطعام الطيب دخل النار واذا ترك المأكول الخاص وهى لحوم الدجاج والخبابيص أعطيه الوادى الاحمر مسيرة مائة سنة طولا وعرضا فلهذا زهدت فى هذا المأكول الخاص وحرمته ورغبت فى الدقة والقراقيش

(قال الراوى) فانصرف الرسول وأعلم الملك بما سمع من الراهب جرنقولا فقال

الملك ولعل المسيح رضى علينا وأرسل لنا ذلك الراهب الزاهد الفاضل حتى تنفعنا بركاته ولما أقبل البطال الى العبادة طول الليل وهو قائم على أقدامه والرهبان يتعجبون منه ومن كثرة عبادته وحسن صبره وان الملك ماصدق بالصباح ان يصبح حتى أتى الى زيارة الراهب جرنقولا لأنه لما امتنع من الطعام رغب فيه وأخذه الغرام ولما وصل إلى البيعة أتى الى البطال وقبل اقدامه ويقبلها وجلسوا يتحدثان فاندفع البطال يقرأ فى الانجيل والرهبان من حوله سامعين وكلهم منصتين ثم بعد ساعة قال الملك يابونا أنا مهموم مغموم من هؤلاء الذين يقال لهم المسلمين لأنهم من أول يوم كسرونا وما عدنا خرجنا لهم وأريد منك أن تسأل السيد المسيح يكفينا شرهم وينصرنا عليهم ويخسف بهم الأرض فقال البطال ياملك لاتهتم فانا الليلة أسأل السيد المسيح إنه يهلك الجميع ولا يبقى منهم لارفيع ولا وضيع فقال الملك للراهب سخطون قوم الآن افتح لنا الصليب الذى فيه الصور حتى يزورها الراهب جرنقولا فعند ذلك نهضوا وأتوا إلى بيعة لطيفة وفتحوها وإذا فى وسطها مجلس مفروش بأنواع الفرش وفيه صوره لم ير الرائى أحسن منها وقدام ذلك الصورة كرسى لطيف من الذهب الأحمر فجلس الراهب ولمـــا جلس الراهب على الكرسى قدام الصورة وفتح صورنه وقرأ فصل من الإنجيل فكان كلما قرأ تمايل الصورة ويتزل من تلك الصورة دموع تتحادر فيمسحوها الحاضرين فى مناديل ويمسحوا وجوههم ولحاهم فقال الملك للبطال يابونا خذ من تلك الدموع لأن ماعندنا أعظم منها إلا أنت وهى مباركة (قال الراوى) فتبسم البطال وتعجب من تلك الحال وقال والله ماهذه إلا صناعة غريبه وهندسة عجيبة يفعلها ذلك الراهب وإذا ماكشفت ستره ماأكون صاحب الاحتيال أبى محمد البطال (قال الراوى) ثم تقدم البطال إلى الملك وقال أيها الملك اعلم انى عاهدت السيد المسيح انى لاأكذب ولاأقول إلا الصحيح فى بيعة مفامع ودير الانوار كان العهد وإنى لاأنافق فى دولة الأخيار وأنا ياملك فقد ظهر لى كذب هذا الراهب لأنه يلعب بعقولكم ويأخذ أموالكم وينكح أخواتكم وبناتكم لأن هذه الدموع نازلة من هذه الصورة مصنوعة فقال الملك أعازك المسيح ياراهب عن ذلك الظن القبيح وإنمـــا تلك الصورة لها فى ذلك المكان مائتين عام وهى مايزل تبكى والناس تتبرك بدموعها جيل بعد جيل من قبل أن يخلق جدى وجدى فقال البطال ياملك هذه هندسة وصناعة يتوارثونها من بعضهم البعض ويجعلوها وسيلة لأجل أخذ أموالكم ونكاح بناتكم ونسائكم فقال الملك ياراهب اكشف لنا عن هذه المكيده فأنت تكون أوحد أهل زمانك وفريد عصرك وأوانك فقال البطال عن إذن الملك أزيلها وأكشف لكم عينها فقال

عن إذن المسيح لأنه لا يرضى بالقبيح فتقدم البطال إلى الراهب وجذبه من طوقه قلعه من موضعه وكشف من تحت رجليه فرأى رخامه من تحت ذلك الترس مدوره من تحتها قربة ملآنة بالماء ولها رقبة طويلة فى محراب داخل من جوف الصورة وكلما يمايل الراهب يصعد الماء إلى فوق وينزل حكم الدموع وإذا خف عنها ينقص الماء ولما أظهر البطال ذلك الأمر رفع صوته وقرأ فصل من الانجيل وفسر مافيه من التحليل والتحريم وقال ياملك أنا قد سمعت عن يوشع وسمعان انهم قالوا قال بواص عن السيد المسيح من أظهر نفاقا واحتال على العوام والمساكين الذين لهم حسن الظن واليقين وأخذ أموالهم ويفسد دينهم قال المسيح انتفوا سباله واصفعوا بأرجلكم قفاه حتى يموت ويشرب كأسا مرا (قال الراوى) عند ذلك أمر الملك لهم كلهم أن ينتفوا منه السبال ويصفعونه بالنعال وأما الملك فانه فرح بالبطال فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقال له يا أبونا أنا عندى أسيرين فهل تأخذهم عندك وتنظر فيهم بنظرك فقال ياملك من يكونوا هؤلاء اليسيرين فقال الملك ياأبونا هؤلاء وصلوا الينا من ناحية الشرق من مدة أيام فقال البطال على بهم حتى أنظرهم فأمر الملك بإحضارهم فحضروا وفى أرجلهم القيود والأغلال فتأملهم البطال وإذا أحدهم رافع بن عقبة والآخر صبى شريف يقال له جعفر العلوى فقال الملك ياأبونا إن الواحد منهم يزعم أنه ابن الشيخ النجيح وحجة المسيح وقد سمعنا به أنه فى بلاد الإسلام يسمى عقبة بن مصعب وإنه قوام دين النصرانية وأهل ماء المعمودية وما ترك دينه وتبع دين المسيح إلا وهو أوحد أهل زمانه ثم قال الملك ياأبونا هو أزهد منك وأعلم فقال البطال نعم ياملك وانه أرفع منى قدرا عند المسيح وأعلى رتبة لأن الكذب يشين ولا يزين وإذا كان غائب يجب علينا تعطيه حقه فطأطأ الملك على يدى البطال وقبلها وقال ياأبونا وحق المسيح إن اعترافك مليح وهو قوى من عبادتك ثم إن البطال ميز الأسيرين قليل ورجع عنهم بالنظر خوف من ولد الملعون عقبة أن يعرفه إذا طال بالنظر اليه وقال للملك ماأغفلك ياملك عن هذا الرأى يزعم أنه ابن الشيخ النجيح فانه كاذب فى قوله ونقله ومعقوله وماهو ياملك إلا ابن العيار المحتال أبو محمد البطال ولو غفلت ياملك عنه مارأيته وربما كان ذلك الشيطان أخذ بلدك وسار بها من دون البلاد أى بلاد الإيمان فقال الملك ياأبونا وما تأمرنا أن نفعل به قال ياملك اقتلوه بسيوفكم فأمر الملك بضرب رقبته فضربت فى الوقت ثم قال البطال ياملك انعم على بهذا الأسير الآخر يخدم عندى فى البيعة فقال الملك خذه اليك افعل به ماتريد فأخذه البطال ومضى به الى البيعة وقد أعطاه الملك البيعة التى كانت فيها الصورة ومال الراهب بكل مافيها من مال ونوال وجواهر ولآل

غوال وانصرف الملك إلى قصره ومحل أمره وعزه وانصرفت الناس من بعده إلى منازلهم وما لهم حديث إلا فى البطال صاحب الأقوال الذى أزال تلك البدعة التى كانت عندهم وأما البطال لما وصل إلى منزله وجعفر معه وكان جعفر آيس من الحياة وأيقن بالوفاة وقال فى نفسه بعد أن أخذنى ذلك الراهب فهو سبب قتلى لأنه مافى قلبه رحمة لأحد أبدا ويقتلنى كما قتل رافع بن عقبة وأما البطال لما حصل فى البيعة غلق بابها والتفت الى جعفر وقال له بلسان عربى فصيح ماسبب وصولك ياسيدى إلى تلك الديار وقد نظر جعفر الى البطال طويلا وتأمله قليلا وقال ياسيدى كأنى أعرف هذه النغمة فقال البطال عمن تعنى قال ياسيدى عن رجل مؤنس مجاهد فى سبيل الله الملك الواحد وهو من الذين أسعدهم الله تعالى فقال له وما إسم ذلك الرجل فقال له الأمير المفضال سيدى عبدالله غازى أبا محمد البطال وهو من الأسماء الأضداد ماهو بطال بل هو عمال صاحب أقوال وأفعال فقال البطال لبيك لبيك ها أنا خادم بنى النبوة ومحبهم ولما حقق جعفر ذلك غشى عليه ساعة وأفاق وحدث الأمير بسبب وصوله إلى تلك البلاد وسأل الأمير عن ظالم فقال هاهو حاضر وإن شاء الله تعالى أعمل على خلاصك وآخذ لك البلد بإذن الواحد الصمد فقال وفقك الله إلى الصواب وجدد لك الخير والمرسات ثم قال من أتى بك إلى هنا فقال له اعلم أيها الأمير ان الرشيد لما قبض على الأمراء فقبضنى معهم بقيت مدة طويلة وبعد ذلك أتى الينا سيف الحنيفية وعمل حيلة خلص الأمير ومن معه وتخلت أنا الآخر فى الجملة وسرنا إلى آمد فقلت مضى إلى أرض الحجاز أبل شوقى من أمى وأخوتى ولم أزل سائر حتى وصلت إلى الكوفة ودخلتها ومضيت الى المقابر وجلست عند قبر أبى وأنا أبكى وإذا بعشر رجال أتوا إلى عندى وجلسوا معى أتحـــدث أنا وإياهم فرأيت معهم زاد وقد وضعوه بين يدى وقالوا كل معنا على حسب الكفاية فلما أكلت منه لقمة واستقرت فى جوفى نمت فى الوقت والساعة فلما أفقت وجدت روحى مكتوف اليدين والرجلين وقد وضعونى فى صندوق وساروا بى الى البصره ونزلونى فى مركب وساروا فى البحر مدة عشرة أيام فهاجت علينا الرياح كما شاء الملك الفتاح فبقينا مائة يوم ونحن بحكم الارياح ولم يعرفوا أهل المركب هم فى أى الاماكن فوصلنا الى قريب من ذلك البلد فأخذونا وقدمونا الى ذلك البلد الى عند الملك وكان الذى دبر ذلك التدبير وقبضنى وأوقعنى فى التعتير رافع بن عقبة الخنزير وكان أراد يمضى بى الى القسطنطينيه فقام البحر لاجل سبب سلامتى وارسلك الله هنا لسبب خلاصى منهم وقتل ذلك الملعون ابن الكافر المفتون

(قال الراوى) ولم يزل جعفر عند الامير أبو محمد أول يوم والثانى مع الثالث وهو

فى أرغد عيش الى ان ردت اليه قوته وصحته فوصل الخبر الى البطال ان عسكر الاسلام نهبوا الرستاق وأخربوا الآفاق ودخل الملك على الامير أبو محمد وهو مهموم مغموم وباس يده وقال له يا أبونا كيف العمل مع هؤلاء القوم وما الذى عندك من الرأى المعلوم فقال يا ملك غدا أخرج اليهم ولا تخف منهم فأنت مؤيد منصور ببركة دعائى ولا تخشى من بأس فعند الصباح خرج الملك ومعه جنوده وأقياله ولم يترك فى البلد الا النسوان وقليل من الصبيان وتصففت الجيوش أهل الايمان قدام أهل الكفر والطغيان وانتظروا من يفتح باب الحرب واذا بفارس برز بين الصفين واشتهر بين الفريقين وفى يده قنطاريه ما يحملها ولا رجلين وصاح بلسان عربى فصيح هل من مبارز هل من مناجز من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا قاطع الرقاب أنا خائض الامور الصعاب أنا ظالم ولد الامير عبد الوهاب سيد بنى عامر وبنى كلاب فما خرج اليه أحد وان الامير الطال به المطال هجم على الميمنة قلبها على الميسره والميسره قلبها على الميمنة فأمر ملك الافرنج الحمله وحملت أيضا عساكر هشام وفى دون ساعه كثر الزحام وفلق الهام وصارت الرؤس تحت الاقدام فياله من يوم ذهبت فيه النفوس وتطامت الرؤس وكان يوما عبوس على الكافرين ودقت الرهبان الناقوس والشجاع انحنى على القربوص وهذا وافته المنيا وهذا داسته الخيل العربيه ولم يزل السيف يعمل والدم يبزل والرجال تقتل والسؤال لا يقبل حتى مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعادوا المسلمين وهم رابحين والافرنج خاسرين فجلس ملك الافرنج فى سرادقه وقد كاد الغيظ ان يخنقه فقال على بالراهب جرنقولا فأتت الغلمان الى البطال وقبلوا يده وقالوا أجب الملك فقام وهو يتبختر الى ان وصل فقام له الملك وقبل يده وأجلسه بجانبه وقال يا أبونا ما أقدر أصف لك ما جرى لنا فى هذا اليوم وما عملت معنا هؤلاء القوم فقال يا ملك لا يهمك ذلك الامر واستعمل الصبر أنا الليله ادعو عليهم دعوه وأدع المسيح يتركهم أشباحا بلا أرواح ويضعف نفوسهم وقوتهم حتى لا يقدروا ان يدفعوا عن أنفسهم ضرا ولا نفعا فقال الملك يا أبونا هذا هو الرجا فيك ثم انصرف الامير من عند الملك الى داره واجتمع بجعفر وحدثه بما جرى وقال له كن مكانك حتى أمضى الى عسكر الاسلام واجعل فى الليلة منهم مائتين أو ثلاثمائة وأريك ما أصنع وان أتى أحدا وسأل عنى فقل له ذاك مع المسيح يسأله ان ينصر الملك على أعدائه فقال سمعا وطاعه ثم خرج البطال من عنده فى الزى الذى هو فيه ولم يغيره وقصد الى عسكر الاسلام فوجد ظالم على الحرس فخاف على نفسه لا تروح بلاده فجعل يتسلل كأنه القطا فى نظر الخطا ووصل الى ظالم فلما رآه ظالم قاصد اليه فحرك نحوه جواده وصاح الله أكبر هذا

من أعداء الله ورسوله وأراد ان يضربه فصاح البطال لا تفعل تندم فأنا عمك البطال فحقق ظالم فى ثيابه وملبوسه رآه ملبوس غريب أنكر أمره وقال له تكذب يا ملعون ما أنت الا راهب مفتون فقال له ياولدى لا تنظر الى وجهى فان أنكرتنى امتلى فتقرب منه ظالم وحققه فعرفه حق المعرفة قال وكان ظالم لم ينظر أبى محمد فى حيلة قبل ذلك أبدا فلما عرفه صاح الله أكبر ما حملك على تلك الفعال ياأبو محمد وحق المصطفى لقد كنت أسمع عنك تلك الفعال وأقول كيف يغير الانسان صورته ويبدل رؤيته ولكن أخبرنى ياعم لاجل ايش عملت ذلك العمل ولبست ذلك الملبوس فقال ياولدى حتى انى تمت حيلتى وبلغت أمنيتى وسوف أنزل على أعدائك الهم العظيم والخطب الجسيم ثم حدثه بحديث جعفر العلوى وابن عقبة رافع وانه قتله فقال ياأبى محمد لاى شىء ماأتيت بجعفر صحبتك حتى كنت أسأله عن أبى وما جرى له فى غيبتى فقال ياولدى ان أباك فى حالة الصحة والسلامة وفرج الله عنه ما كان فيه وقعد جعفر مكانه وخلاص أبيك على يد أخيك سيف الحنيفية

(قال الراوى) وبينماهم كذلك وإذا بالخادم منصور قد أتى الى نحوهم وقال ياأمير من هذا الذى تحدثه فقال هذا عمى البطال وقد كان فى عسكر الافرنج بعمل على أخذ البلد من أيديهم ويبذل الجهد فهم فأتى اليه وهناه بالسلامة ثم ان البطال قال أريد منكم أربعمائة رجل تسير معى إلى زى الفلاحين ويكون معكم أحمال دقيق وعلوفات وتسير بهم إلى المحل الفلانى وإذا خرجوا عليكم الافرنج لا تقاتلوهم بل سلموا اليهم أنفسكم فقال خادم الامام ياأبى محمد لا تغر المسلمين فقال لا تخاف ولا تفزع ولا يهولك ذلك ولا تجزع فقال ظالم أما أنا هذا شىء لا أفعله ولا أسلم روحى إلى الردى فربما يجرى على أمر من الأمور أبقى أطالب به من الجانبين الأول بين يدى الله تعالى والثانى عن هشام المؤيد فقال البطال ياولدى لا تخالفنى تفسد الذى دبرته لأنى عملت مثل هذه الأعمال وأخذته معى أمراء الاسلام وكم من مرة أدخل عليهم ومعى خليفة الزمان فطاب قلب ظالم لما سمع منه ذلك الكلام وقال أنا أكون أول من يسير معك فقال له أبو محمد ياظالم أليس أنتم بعتم نفوسكم فى سبيل الله ان عطبوا أو سلموا فهم سعداء فقال الخادم لأصحابه لكم أسوة بظالم فانتخب أبو محمد منهم أربعمائة رجل من أهل القوة والشجاعة تريد لرؤسهم عشرة آلاف أبطال صناديد قلوبهم كأنها صم الجلاميد لا يخافون الموت ولا يخشون الفوت وأخذوا معهم شىء من العلوفات فقال لهم يكون الملتقى غداة غد عند تل الرمل وتركهم البطال وسار إلى عند الملك ودخل عليه فلما رآه قام له قائما على الأقدام وقبل يده وسأله عن الخبر فقال البطال ياملك ألا أخبرك بعجب فقال الملك ماهو العجب فقال ياملك القوم قل من عندهم

الزاد والعلف لأنى وصلت اليهم وجدتهم على غاية من القلق من ذلك الأمر وأرسلوا إلى مدينة شاوه يأتوا منها بالزاد والعلف وأخبرنى بعضهم أنه وصل لهم العلف مع أربعمائة ألف فارس ولما سمعت أنا بذلك لم يسعنى المقام وقد أتيت اليك حتى ترسل لهم رجال يرصدوهم فى الوادى حتى يأتوا يقبضوا عليهم وتوصى أصحابك اذا قبضوهم لا يؤذوا أحد منهم بأذيه لانك ياملك لاتدرى مايكون بينك وبينهم لأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فربما يأسروا واحد منكم يكون عندكم عوضه وإن كانت النوبة لكم ونصركم السيد المسيح أنت قادر عليهم بعد ذلك فقال الملك جزاك المسيح عنا كل خير فما أنت إلا رحمة وبركة نازلة أو سلك الينا السيد المسيح فلا عدمنا همتك فأرسل الملك من عنده جماعة إلى الموضع الذى ذكره له الأمير أبو محمد البطال الى ان كان فى الليلة الثانية وهم مكمنين وإذا بعسكر الامير ظالم أقبل وهو قدامهم وقد نزل لاخذ الراحة فخرجت عليهم عسكر الافرنج من الكمين فبضوهم قبضا بالكف لان البطال أوصاهم أن لا أحد منهم يقاتل ولا يناصل ثم انهم أداروهم كتاف وساروا بهم الى قدام الملك ولما ان حضروا قدام الملك فرح بذلك وأخذوهم وأتوا بهم الى الكنيسة الى قدام الامير أبو محمد البطال ودخل عليه وقبل يديه وقال ياأبونا لاعدمنا هذه الطلعة فخذ هؤلاء الاسارى عندك لانك زهة الزمان وفريد ذلك الأوان لأنك جئت الينا رحمة وزحت عنا غمه عند ذلك أخذهم أبو محمد عنده وقد صار الآمر والناهى ثم أنه تسبب فى أخذ المفاتيح التى للبلد وكتب فى ليلته كتاب وجعله فى سهم نشاب ورماه إلى عسكر الاسلام فلقيه بعض الفرسان وأتى به إلى عند الملك عبد الودود ففضه وقرأه وإذا فيه يقول بعد السلام ساعة وقوفك يا أمير على ذلك الكتاب تركب بالجيش تجد الباب مفتوح وتنادون باسم الملك الرؤوف ولما عرف الملك عبد الودود بذلك الأمر فرح فرحا شديدا وأعلم بذلك الخادم منصور الذى من قبل هشام المؤيد وأخذ عبد الودود عشرة آلاف فارس فى الحديد غراطس وسار بهم إلى نحو باب البلد فوجد الباب مفتوح فأول مادخلوا صاحوا الله أكبر فتح الله ونصر يا لدين محمد القمر فانتبهوا الناس من مواضعهم وهم حيارى وانزعج القاعد واستيقظ الراقد وكانوا الاربعمائة على أهبة من أمرهم وقد أعطاهم البطال السلاح وآلة الحرب والكفاح ووصلوا إلى أصحابهم وحملوا من ورائهم وزاد الصياح وكثر القتل والجراح ولم تزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل والسؤال لا يقبل بطول الليل إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ووقعت العين على العين ورأوا بعضهم على بعض الطائفتين ورأوا الافرنج إلى المسلمين وقد ساروا فى البلد وبذلوا فيهم السيف فنادوا الأمان الأمان وأما الخادم

منصور فانه لما سمع الصوت من داخل البلد صاح فيمن عنده من العساكر عند ذلك ركبت الابطال وتناخت الرجال فهو كذلك وإذا برجل يكد جواده كد حتى وصل اليه وقال ياسيدى ادرك الباب الذى للبلد لأن ظالم من داخل البلد وكل من طلب منه الأمان آمنه ومن أبى قتله حتى ملك البلد وأحل بأهلها النكد قال وأما سكندرون والعسكر الذين معه فانهم تاروا من أماكنهم حيارى ماحقوا أن يتوروا حتى لاقوهم المسلمين فى جنح الظلام ووقع القتال والحرب والنزال وان الأمير ظالم لما ملك البلد التقا بخادم هشام وهو يقاتل ويناصل فى عسكر الملك سكندرون فحمل ظالم وطعن صاحب العلم قتله ومال إلى ناحية سكندرون فأراد الهرب ثم انه قاربه وطعنه فى صدره قتله ولما أن رأت العساكر ذلك الأمر المهول والملك مقتول ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعوهم أهل الايمان وبذلوا فيهم السيف والحسام وملكوا منهم الخام والخيام والا ققال الرجال ولما ان هدأت الاصوات دخلت المسلمون إلى البلد وقد زال عنهم الهم والنكد ودخل ظالم وعبد الودود والخادم منصور الى قصر الملك فوجدوا من الأموال شيأ لا يعد ولا يحصى ووصلوا إلى بيت المال الذى من قديم الزمان الذى كان سكندرون يضع فيه الأموال ولاوجد فيه شيء فوجدوا فيه الصورتين كما ذكرنا ووجدوه ملآن من الذهب والمال والنوال لان الطلسم كان مرصود لظالم والبطال ويحموه لهم فسبحان من يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ويشفى من يشاء وهو على كل شيء قدير (قال الراوى) ولما ان دخلوا إلى ذلك البيت وجدوا فيه غير المال خمسمائة تاج وخمسمائة بدلة من الجوهر واليوافيت تزهو وشيء كثير فأخذ ظالم كل ما كان فى ذلك البيت وأخذوا من الجواهر واليواقيت ومن الجوار الحسام وأخذوا الصبيان وخرجوا من البلد وأطلقوا فيه النار (قال الراوى) وبعد ذلك ساروا يطلبون هشام المؤيد إلى أن أتوا الى المضيق وجدوه مسدود عليهم بالحجارة ومكنوا عليهم الطرقات فقال البطال أنا أعرف ماعولوا عليه لانهم يقولون إن ذلك المكان لا يصلح ونحن نسد عليهم الدرب حتى يعطونا أولادنا ونساؤنا وبناتنا وأنا أعير منهم بطبقات ولكن اذا سألكم أحدا منكم تعطوهم أولادهم ونساؤهم قولوا لهم نحن نريد الاقامة هنا لأنهم يظنون أن الجبال من قدامنا والبحر من ورائنا ويقولون ان البطال يعمل أعمال ماتهتدى اليها عقول الرجال هذا وقد نزلت المسلمين وتركوا خيولهم ترعا الوادى والاكام ولما نظرت الأعداء اللئام الى عسكر الاسلام صاحوا الى المسلمين ادفعوا لنا نساؤنا وأولادنا وبناتنا ونحن نفتح لكم طريق تمضون الى بلادكم (قال الراوى) فكان المجاوب أبو محمد البطال وهو يقول لهم نحن ماجئنا الى هنـــا الا نجعل مقامنا فى هذه الديار ونغتنم الأجر من الملك القهار

لأن لنا سنين ندور على مثل هذا المكان لانه أحسن من أرضنا بزمان فلما سمع الافرنج ذلك الكلام زال من رؤسهم المكر والمحال وقالوا نحن نريد فداءهم بالمال فقال البطال يا الثام ان أتت الدنانير انحلت العقد السياسية وطاب الوقت والعمل ولا يبقى فى القلب حقد ولا زعل فأتوهم بالمال والمال يصلح الأحوال وفتحوا لهم الباب وحملوا مالهم على الدواب وساروا حتى قربوا الأندلس فلبس أبو محمد الرجال السلاح وآلة الحرب والكفاح ومن آلة الافرنج التى قد غنموها من الافرنج وأقاموا الرايات والاعلام وأحضروا أربعمائة مملوك حسان الوجوه كأنهم الاقمار وألبسهم البطال البدلات والتيجان الجوهر التى كلها نور تزهوا ودخل الامام هشام المؤيد فى ترتيب زائد وموكب متزائد لم يرى قط مثله ولا لأحد من الملوك قال ولما رأى الخليفه الى ذلك فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقابلهم وأكرمهم وقال لله دركم ما أقوى جنانكم وما أشد سلطانكم وخلع على ظالم الخلع السنيه وأنعم على البطال بجزيل العطيه وأعطى ظالم والبطال كل واحد تاج وبدله ومن الجوهر شىء كثير غير ما أخذوا من الزنانير الافرنجية التى لاتوجد فى البلاد الاسلاميه لأن الخادم لما أقبل على الامام أخبره بما عمل ظالم من الشجاعة وما عمل البطال من الاحتيال وما فعل ظالم فى القتال فقال الامام والله لقد كنت أسمع بفعالهم ولم أصدق لكن الآن صار القول محقق حتى رأيته عيان وحقيقته بيان ثم ان الخليفة لما رأى جعفر العلوى سألهم عنه فقال البطال يا أمير المؤمنين هذا من السلالة الهاشمية والجرثومة النبوية فوثب إليه هشام المؤيد وأخذ بيده وأجلسه إلى جانبه وأخلع الخلع السنية وبالغ له فى العطية وأقاموا عند هشام المؤيد مدة أيام وهم فى اكرام زائد وبعد ثلاثة أيام قال البطال لظالم ياظالم خذ لنا دستور حتى نمضى مع الملك عبد الودود فقال ظالم أنت أولى بالكلام لأنك أنت البطال الهمام والله اننا قد اشتقنا إلى أهلنا وبلادنا فتقدم البطال إلى قدام الامام وباس الأرض وتكلم وأحسن فيما به ترجم وقال أيا أمير المؤمنين قد اشتقنا للوطن ونريد من فضلك وإحسانك وجودك وامتنانك أن تأذن لنا بالمسير فلقد طال شوقنا وغيبتنا لأن ظالم يا أمير المؤمنين خلفه عجوز كبيرة ومن بيت كبير ووالده الامير السيد الخطير الفارس عبد الوهاب فقال هشام والله ياأبى محمد يعز على فراقكم وكنت أشتهى أن تكونوا عندى فى ألذ عيش وأهناه وتستريحوا من خدمة بنى العباس لانكم كل حين معهم فى الجيوش وأنتم متشتتين فى أقصى البلاد فى الذل والا تكاد ثم ان هشام بعد ذلك الكلام أطلق سبيلهم وسبيل عبد الودود معهم وقدم لهم مماليك

وجوار حسان وخيل وخيام وشيء لا يعد ولا يحصى وخرج بنفسه من قصره لوداعهم نصف يوم وودعهم ورجع عنهم وساروا ولو كانوا لهم أجنحة لطاروا إلى أن وصلوا إلى أرض المعاهدة ومدينة طنجة فخرجوا عسكر عبدالودود إلى لقاهم وأبو يخلف فى أوائل القوم وعليه ثوب أحمر واسع الاكمام والديل وعلى رأسه عمامة كبيرة صفراء ولما رأى البطال قال له مالى أراك على قود الحياة أنا ظننت أن هشام المؤيد صلبك أو قتلك فصاح فى وجهه البطال سور عن وجهك أخرب الله بيتك ولا بشرك الله بخير ما أنحس طلعتك فقال لا تكون أحمق أنا أفرح معك والله فرحت بسلامتكم وأنا وحق الصديق لابد لى أن أوفى بنذرى لأنى نذرت إن رجعتم سالمين وهبت زوجتى نذر الحلال عشرة أيام للغرباء المسلمين فتضاحكوا عليه الحضار (قال الراوى) واستقر بهم المقام مدة أيام وهم فى أرغد عيش وأهناه ولما كان فى بعض الأيام دخل البطال على الملك عبدالودود وسلم وخدم فتلقاه الملك وأكرمه وأجلسه الى جانبه وقال يا أمير هل من حاجة فتقضى أو ملمة فتمضى فقال البطال يا ملك أنت تعلم أن حب الوطن من الإيمان وتعرف ما فى قلوبنا من فرقة الأهل والخلان خصوصا هذا الأمير ظالم له أم كبيرة وهى كثيرة الأشواق اليه وقلبها أيضا خائف عليه وأكثر من ذلك الغيبة لا يجوز يا مولاى ومرادنا تعطينا دستور لعل أن تتم لنا الأمور فقال عبدالودود والله يعز على فراقكم ولكن أوصيكم بالجارية أم الخير لأنها ربيت فى الملك والدلال ولا تهينوها بحال من الأحوال فقال البطال والله يا ملك ما نكون عندنا الا مكرمة مجملة فعند ذلك اهتم فى تجهيزهم وجهز ابنته فى أحسن جهاز وقال لظالم بالله عليك أيها الأمير اذا أرادت أن تزورنى فى كل سنة مرة فلا تمنعها من ذلك فقال ظالم سمعا وطاعة ولو أرادت كل شهر ما أمنعها بل انى أحضر معها وأكون فى صحبتها فقال عبدالودود جزاكم الله كل خير وأبعدكم عن كل ضير فلا بد يا أمير ما تأخذ معك أبطال ورجال فقال ظالم لا بد من ذلك لأنى معول على أمر لابد أن أفعله وهو حرب بنى العباس فقال يا أمير كم تأخذ معك فطلب الأمير أبى محمد عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس وكانت من الملثمة والبربر وانتخبهم عبدالودود وأمرهم بالمسير معهم ورتب لهم عنده ديوان وجرايه وعلوفات الى أن يعودوا فقال أبى يخلف يا مولاى أراك كتبت الى الفرسان ديوان وأبو يخلف ما كان عندك انسان فاجعل لى أنا الآخر جمكيه وديوان فسوف يظهر منى فارس همام وبطل ضرغام وكلما توجهت الى قتال أكون بين أيديك فما تجد مثلى ولا يزين المجالس الا شكلى (قال الراوى) فتبسم ظالم من مقاله وأمر الملك أن يكتب له ديوان فكتب له كما قال وأخذه ظالم معه وودع عبد الودود وقد

أعطاهم هدايا وتحف ومن كل شيء ظريف وسار الأمير ظالم بذلك الجيش العرمرم يقطعون الأرض فى طولها والعرض وأبو يخلف قدامهم وهو ينشد :

أقسم برب البيت والصديق ۞ نعم الفتى والسيد الشفيق
لاملت انا عن صاحب الصندوق ۞ ابن أخى وهو اذا رفيقى
وعدتى فى شدتى وضيقى ۞ وقاتل الكفار والزنديق
والسيد البطال والحقوق ۞ صندوقه قد جمع الصندوق

(قال الراوى) ولم يزلوا سائرين وفى سيرهم مجدين الى أن وصلوا ديار مصر وقد آمنوا من كل قهر وشر وقد وصلت الاخبار الى ديار مصر ان الملثمة والبربر قد خرجوا من ديارهم فانزعجت مصر انزعاج وأى انزعاج وكان المتولى عليهم فى الزمان هذا فارس كرار وبطل مغوار يقال له أبو الفوارس ولما ان صحت عنده الاخبار جمع عنده من ديوانه من العرب والسودان فكان أربعين ألف وسكوا على البربر رأس المضيق ومنعوهم من العبور فى الطريق هذا وقد نزل الامير ظالم وضرب الخيام واستقر به المقام وأرسل اليهم الامير ظالم رسول الامير أبو محمد البطال وقال ياعم ما يحتاج أعلمك على ما تقول فأنت صاحب الرأى المعقول فسار الامير أبو محمد حتى وصل اليه ووقف بين يديه فعرفه أبو الفوارس وسلم عليه وأكرمه وحياه بالسلام باداه فاطلق أبو محمد لسانه وقوى جنانه وقال اعلم أيها السيدان هذا ظالم بن الأمير عبد الوهاب وسيد سادات بنى عامر وبنى كلاب وهو قاصد الى ناحية الشام ولا لنا ههنا غرض ولا مقام ولا يمكن يشهر فى وجوهكم حسام ولا نطلب منكم لاحرب ولا صدام لان هذه مصر كنانة الله فى أرضه وأن الله سبحانه وتعالى ذكرها فى القرآن فى مواضع كثيرة وأيضا قالوا العلماء من أرادها بسوء أهلكه الله تعالى فلما سمع أبو الفوارس ذلك الخطاب أسرع فى رد الجواب وقال سمعا وطاعه لكن اعلم أيها الامير ان أخير القول اصدقه ويجب على الذى يسمع كلام غيره يحققه واعلم أنك وغيرك تعرف ان الخليفة بالامس قد نفاك أنت وظالم وأبعدكم من تلك الأرض والديار فما لكم علينا على العبور من سبيل ولا تقدر على الرحيل كيف أنك تقول نحن نمضى الى الشام هذا لا يكون الا بأمر الامام ولا بد أن تأمر الملثمه يرجعون عن هذه الديار وتكون أنت وظالم عندى حتى أرسل كتاب إلى أرض العراق بسببكم اما ان الخليفة يطلبكم أو يردكم ويبعدكم إلى أى جهة أو مكان كما يأمر الخليفة يكون لانه امام الوقت والاوان (قال الراوى) فقال البطال كلما تأمرنا به فهو المفعول لأن الذى قلته كلام معقول ولعل اصلاح حالنا مع الخليفة يكون على يديك

ونحن معنا هدايا وتحف اليك واعلم ان المولى لا ما يرضى على الغلام بعد الغضب والمرام (قال الراوى) وماقال ذلك المقال الا حتى يتخلص من بين يديه ويعمل المكر والخداع عليه فقال أبو الفوارس أما أنت فلا تحولى ولا تزول من عندى بل ارسل واحد ممن معك يمضى الى ظالم يأمره انه يرد الملثمة والبربر ويأتى الى عندى وتكون انت وإياه عندى فى مصر حتى أرسل الى الامام ويأتينى من عنده رد جواب لانى لا آمن من الملثمة أن يفسدوا فى الرعية لان أخى عصام متولى عسقلان وسمعت عنه أنه جمع فرسان وأجناد وهو طالب حربى وقتالى وطعنى ونزالى ولهذا كله من كثرة الفتن التى قائمة فى تلك الأيام لأن العراق مختبطة وسائر الآفاق وملك الروم قد خرج على بلاد الاسلام وبنى عامر وكلاب تجمعوا كلهم مع عبد الوهاب وأخاف ان أخى يسمع بهؤلاء الملثمة وربما يميل عقولهم بالمال لان المال ميال ويتقاوى بهم على أخذ البلاد

(قال الراوى) فقال البطال وقد عرف انه جاهل بالامور والا ما كان يطمع بالقبض عليه وأراد أن يخدعه فما انخدع فقال البطال لابو يخاف وقد كان معه ارجع يا هذا الى الامير ظالم واخبره بما سمعت من المقال وقل له يقبل من هذا الامير ماقال ويرد الملثمة الى ديارهم ويحمل المال والنوال الى هذا السيد الامير وأنا رهينا هنا الى أن يأتينا الجواب من عند الامام اما بالعفو أو بالقبض علينا فرجع أبو يخاف من ساعته وقد انقلبت فى رأسه عيناه الى ان وصل الى ظالم خرق ثيابه وعلى بكاه وانتحابه وصار يقول يامولاى هل الصندوق الواحد وهو فى خيمة هذا الجيش المتزايد وقد قال اصاحى كذا وكذا فعلم ظالم ان البطال مقبوض عليه وندم الذى أرسله الى ذلك الرجل السفيه وتفريطه فيه وقال لاشك ان صاحب تلك الديار عديم المعقول وما كان ارسال البطال فى مثل هذه الاحوال الا من عدم الرأى والتدبير لانه هو المطلوب ثم ان ظالم صاح فى الرجال فتبادرت الاقيال وتراسات وسار حتى بقى بينه وبين مصر يوم واحد ونظر الى العسكر ونزل قبالهم وطاب قتالهم كان أبو الفوارس قد عرف الامير ظالم لا بد له من طلب البطال فعبا عساكره ودساكره (قال الراوى) ولما وقعت العين على العين حملت على بعضها البعض الطائفتين وركبت الملثمة والمعامدة فى عاجل الحام وطابوا القتال وكذلك عسكر أبو الفوارس الا ان ظالم لم يدع أبو الفوارس أن يصف رجاله ولا يعى أبطاله دون أن حمل فى أوائل قومه وصاح البدر ما ان بدر وأشار بيده وقال دونكم هؤلاء الانذال حتى يعرفون قدرنا عند الحرب والمجال فحملوا واعنة خيلهم أرسلوا ثم ان ظالم خرق جوانب العسكر وسار فى أواسطها ووضع الحسام فى جوانبها والملثمة رفعت

أصواتهم بالصياح وهان على البربر بذل الأرواح لما رأوا الى ذلك المال المباح وصدمت الفرسان الى الفرسان وعظم الامر وقل الصبر وضجت الارض والسكان من شدة ركض الفرسان وصياح الشجعان فلله در البربر فى حملتها فانها لاعداها صدمت وقد ضربت فيهم وطعنت وصاح ظالم فى الفرسان ففرقها وأرجف الابدان وأقلقها وسفك الدماء على وجه الارض فاهرقها فعندها الوحوش تفرقت والارض تزلزلت والقلوب الساكنة رجفت والصدور انخسفت ولما رأى أبو الفوارس ذلك الحال خاف على عقد عزه من الانتقال وقد رأى جيشه فى الاذلال فعند ذلك حمل أبو الفوارس بمن معه من الرجال والابطال وذعس فى الرجال وصاح فى رجاله صياح الهيبة والاذلال وطلع الغبار من عرصة المجال واختلف بينهم سهام الآجال وكان الامير ظالم جعل باله من أبو الفوارس وهو على رابيه عاليه ينظر مايجرى من العسكر فلما رأى قومه ولوا انحدر من على الرابيه وظالم باله معه لما أتى يرد قومه الى الحرب والقتال فقصده ظالم وجعل يشق المواكب والكتائب تحت سرادق الغبار وهو كانه الاسد الهدار الى أن حاذاه وقد جد فى طلبه وفتح ظالم باعه وناداه فرآه أبو الفوارس فولى من بين يديه منهزما والى النجاة متقدما فتبعوه قومه وهم فى الذل والهوان وجدوا فى الهرب وظالم لهم فى الطلب ولم يزل وراهم مقدار فرسخين وعادوا عنهم وهم راجعين وجمعوا الاثقال والرجال والخام والخيام والجمال وكان شىء كثيرما تأكله نيران وأما أبو الفوارس لما حصل فى مقامه أحضر البطال الى عنده واعتذر اليه فى المقال قال البطال أنا قد أشرت عليك فى الاول ماسمعت منى مقال لكن ما بقى فى الامر الا انك تبذل لهم الاموال وتداريهم بحسن الفعال والا يفعلوا معكم الاهوال ويوقعوك فى النكال فاخبره أبو الفوارس بما بينه وبين أخيه صاحب عقسلان من الحرب والطعان فأوعده أبو محمد بالمحال ثم انه أطلق البطال وخلع عليه خلعة سنية تسوى عشرة آلاف ذهب مصريه وأرسل الى ظالم الهدايا والتحف وسار البطال الى أن وصل الى ظالم فهناه بالسلامة وقال له ماعندك ياعم من الرأى الصواب فقال الرأى عندى أن تقيم اليوم وغدا وترحل ثالث يوم وتنزل على أبواب مصر ولا تؤذى أحدا من أهلها وتأخذ من أبو الفوارس الاقامات والعلوفات وتوعده انك تكن له عونا على أخيه وارحل عنه فقبل ظالم كلام البطال وأقام أول يوم وثانى وفى اليوم الثالث رحلت عسكر الملثمة وأبو محمد فى أوئلهم الى أن نزلوا على أبواب مصر بعدان عدوا فى البحر وقد أمنوا من التوبيب ونزلوا وهم فى فرح واستبشار فارسل اليهم أبو الفوارس من الاقامات والضيافات وأنفق عليهم مائة ألف دينار وخرج اليهم وجلس معهم يشاورهم فى أمر أخيه الذى فى عسقلان فقال البطال طب نفسا وقر عينا نحن

تمضى قدامك ونأخذ لك البلد ونسلمها الى نوابك ففرح أبو الفارس بذلك فرحا شديدا ماعليه من مزيد ولما انتصف الليل وحل ظالم وأبو محمد ومعهم من الرجال وجدوا فى سيرهم الى أن وصل الى عند عسقلان ونزل عليها فسار البطال ودخل على متوليها وسلم عليه وبعد السلام قال له ايش فى قعادك فائده انهض وقابل ظالم وأدلاعينه بالعطاء حتى يملكك مصر وأعمالها ويكون من خلف ظهرك لانه فارس العصر ونتيجة الدهر فلما ان سمع عصام ذلك الكلام غره من البطال الطمع والطمع الرجال فحمل الى ظالم من الهدايا والاموال قدر أخيه مرتين وأنفق على العساكر وقبل يد ظالم وقال ياسيدى حتى أملك مصر يكون لك عندى أكثر من هذا والبطال يعده ويمنيه الى أن كان نصف الليل وقد دخل عصام البلد يوصى رجاله وأبطاله ثم ان البطال رحل ومن معه من الرجال وقد قال لظالم ارحل بنا الى صوب دمشق الشام ولا علينا منه ولا من غيره وقال الملثمه دونكم ونهب هؤلاء الانذال نستعين بنهبهم على الزمان ولكن لاتؤذوا أحدا من النيام ولا من القيام فأخذوا منهم مقدار ألف حصان وخمسمائة جنيبه وتركوهم نيام ومضوا الى صوب الشام وخلوهم على الارض البيضا وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وما زالوا فى سيرهم مجدين حتى وصلوا الى دمشق الشام يتوقع لهم معنا كلام (وأما ما كان) من صاحب عسقلان عند الصباح دخلت عليه قومه عراه حفاه وأخبروه بما جرى عليهم وماوصل من الاذيه اليهم وخرج معهم الى ظاهر البلد واقتفى الاثر فرأى الخيل سارت الى ناحية الشام فقال دهينا ورب الكعبه ومكر بنا ظالم البطال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من حديث القاضى عقبة لما خدع غلمان البطال فى القرية الخراب وبذل لهم الاموال أقاموا ينتظرون قدوم المال فما أحسوا الا والرجال كبسوهم وقبضوهم وكتفوهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هو ان عقبة لما أوصل الى العامل بتاعه يطلب منه المال فلما وصل الرسول الى العامل عرف ان عقبة فى ضيق الحال فجمع عشرين نصرانى وأعلمهم بذلك وأرسلهم مع غلامه فساروا عليهم وأقبلوا على غفله منهم ومسكوهم ووضعوهم فى الصناديق وقصدوا بهم الى القسطنطونيه ودخلوا بهم على ملك الروم ففرح بهم فرحا شديدا ووضعهم فى الحبوس بعدما ثقلوهم بالقيود والاغلال ووصل القاضى عقبة معهم وقال الملك منويل اعلم أيها الملك انى اسلمت من أنياب السباع ووصلت اليك وقدمت اليك بعدما أهلكت ناس كثيره من المسلمين وهتكت البنات والبنين وأخبرك ان عبد الوهاب محصور ومقهور والا كان أهلك النصرانيه وقد لعبت بعقل الرشيد حتى كتبت لك الكتاب الذى وصل اليك فانهض وأضعف الاسلام بقتل عبد الوهاب ومن

معه من الأصحاب لأنه بعد ظالم والبطال مابقا يسوى ملو ودنه نخال فقال الملك أيها الشيخ الصالح الساعي فى المصالح انى ما تأخرت فى هذه الأيام الا حتى تجتمع العساكر اليوم أو غدا أرحل ان شاء المسيح (قال الراوى) وما مضى إلا أيام قلائل حتى اجتمع على باب القسطنطونية مائة ألف عنان من عباد الأصنام والصلبان عندها قال عقبة أيها الملك الآن ارحل حتى تملك البلاد عند ذلك رحل الملك منويل يقطع الأرض فى طولها والعرض بلا تطويل حتى وصل إلى ملطيه فأخرج له الأمير عمرو الاقامات والعلوفات وخرجوا اسادات بنى سليم إلى اقاء ملك الروم وأكرموه مدة ثلاثة أيام بالانعام وبعد ذلك رحل طالب آمد وتجرد عمرو فى ستين ألف عنان من بنى سليم كاشفين كل شدة وضيم وقد كتب عمرو الكتب وأرسلها على أجنحة الطير إلى بغداد يعلم خليفة العباد بذلك الشأن ويطلب من الرشيد رد جواب فأرسل له الخليفة بالرحيل مع ملك الروم إلى تلك الرسوم وأرسل يقول انى لاحق بكم عن قريب غير بعيد وأما الأمير عبد الوهاب وزوجته القناصة أم ظالم كانوا فى عشرين ألف من بنى عامر وغنى كلاب وعشرة آلاف سودان أنجاب أصحاب ابو الهزاهز ومن الاكراد عشرة آلاف وسودان قراقد وميمون الجماس عشرة آلاف فكانوا الجملة خمسين ألف إلا أنهم شجعان الفلا تفزع منهم الجن السفلى مامنهم إلا كل فارس شديد وبطل صنديد والقناصة من حرقتها على ولدها لم تنشف لها دمعة ولا تبرد لها لوعة ولا تقر ولا تهدى وهى تبكى فى الليـــل والنهار ولا يأخذها قرار وقد أرسلت النجابة إلى الجبل الشامخ تطلق أبطالها ورجالها وتأمر المهلب ابن وهب صهر ظالم أن يرسل لها العرب وتشكى ماهى فيه من شدة الكرب وفى آخر الكتاب تقول العجل قبل فوات الأجل العجل لعلى أبلغ من العدو الأمل وكذلك الأميرة ذات الهمة أرسلت النجابة إلى معاوية وماء النظير ديار بنى عامر وكلاب تطلب الاعراب وبعد قليل من الأيام سمع الأمير بقدوم الروم فجمع الأميرة والمقدمين وأعلمهم بذلك فقالت الأميرة نستعين عليهم بالحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وأقاموا يأخذوا أهبتهم إلى أن وصل الملك منويل وأتت أيضا الأخبار ان الرشيد قد خرج من بلاده وهو فى عالم بعـــدد الجراد لا تسعهم أرض ولا بلاد وعددهم سبعمائة الف أجناد وترك وتنجق وديلم وأوصل من وراهم جيش آخر كأنه الرمال والسبب فى ذلك أن الرشيد كتب الكتب وأنفدها إلى خراسان يطلب منها العساكر وأرسل لهم فى الكتب يقول ان عبد الوهاب ارتد عن دين الإسلام وطاب يقلع من الخلافة الامام ويعطى الخلافة لواحد من العوام وانه قطع الطريق على حجاج بغداد ولا ترك أحدا يزور قبر زين العباد ﷺ (قال الراوى) فلما

ان وصلت الكتب بذلك المقال أخذت الأتراك الحمية لدين خير البرية وسارت من سائر الجهات تطلب الجهاد وهى طوائف ماخرجت من تلك البلاد وكان المقدم على الاتراك رجل جبار بطل مغوار يقال له فقطوش فسار بهم وهو مدهوش فى عساكر وأمم ومازال يجد المسير ويسرع الشهير إلى أن وصل إلى الرشيد وقبل الارض وخدم ودعى بدوام العز والنعم فأخلع عليه وعلى المقدمين من الرجال وفاض عليهم بالعطا والنوال واستمال قلوب الابطال وخرجرا من قدام الرشيد بالخلع الثنية والتفاصيل السلطانية حتى بان محبين عبد الوهاب صعب عليهم ذلك الامر والشان وقالوا الله تعالى يأخذ بيد الامير عبدالوهاب وينصره على ذلك العسكر العياب والذين يتعصبوا لعقبة يقولون ان عبد الوهاب يهلك فى هذه النوبة لاجل عداوته للقاضى عقبة شيخ الدين وإمام المسلمين وانه بعد ذلك صار خارجى على الخليفة لأنه يؤذى زوار النبي المصطفى (قال الراوى) ووصلت النجابة إلى المهلب بن وهب من عند القناصة فتجرد من الجبل فى أربعة آلاف من عربان الحجاز الذى من حول حصن القناصة بنت مزاحم وأيضا السودان الذين كانوا لظالم وانقادت العرب إلى المهلب حتى بقى معه جيش كأنه البحر إذا انسكب فوصلت إلى الرشيد الاخبار بما جمع ابن وهب من العربان من سائر الأقطار فأحضر فقطوش مقدم الأتراك إلى بين يديه وقال له اعلم انى قد عولت أسير بكم إلى عبد الوهاب وأمحى آثار بنى كلاب وإذا فرغنا من جانبه توجهنا إلى بلاد الروم حتى نفنى هؤلاء القوم وتستغنى أصحابنا من الأموال والجواهر الغوال لأن عبد الوهاب أخذ من بلاد الروم أموال لاتحصيها أقلام ولا ديوان ومعه جماعة من العربان ولكن الآن قد عاقنا عائق وقد تحققت الحقائق فقال فقطوش يا أمير المؤمنين وما هو العائق الذى يعوقك وأمر الله سعدك وأهلك حاسدك فقال الإمام اعلم انى قد جاءنى الخبر بأن المهلب قادم علينا من أرض الحجاز إلى نصرة عبد الوهاب ومعه مائة ألف أعراب وهم سائرين إلى آمد لأن ظالم ولد عبد الوهاب صهره ويشتد به فقال فقطوش يا أمير المؤمنين هـــذا أمر سهل وسوف ترى مايسرك ويهلك حسادك ويزيل ضرك ثم ان فقطوش ادعى بمقدم من مقدمين الأتراك يقال له طومان وضم إليه ألف من الأتراك الذين لايخافون من الهلاك وقال له امضى من هنا إلى الكوفة وكن مقيما هناك فاذا وصلت عربان الحجاز أوقع بهم التلاف وأتينا بهم بالشد والكتاف بعد أن توردهم موارد التلاف فسار طومان بمن معه من الفرسان حتى وصل إلى الكوفة يتوقع له كلام (قال الراوى) ولما تفرغ قلب الرشيد من ذلك الجانب برز بالعساكر من بغداد وقد حملهم بالرايات والأعلام والبيارق والخدام هذا ومحبين عبد الوهاب

يقولون هذا آخر عهد عبد الوهاب من الدنيا لأنه أصيب فى ولده وتلك العساكر تقصده من عرب وعجم وترك وديلم وأروام فالله تعالى ينصره على هؤلاء الأقوام

(قال الراوى) وان الرشيد توجه بتلك العساكر التى كأنها البحار والزواخر ووصل الخبر إلى ملك الروم ان الرشيد واصل اليك وقادم عليك قال عقبة ياملك الآن ارسل إلى سائر البلاد وتأتى إليك القسوس والرهبان والمطران لأن سائر البلاد تحت حكمك وطاعتك فلا يبقى أحد ممن يشد الزنار إلا ويأتى إليك وأيضا انك لاتأمن من غدر المسلمين والرشيد لأنه أتانى الخبر أن الرشيد أتى إليه عسكر من خراسان وترك وعربان فربما انه يصالح عبد الوهاب ومن معه من الاعراب وإن غدر ينافى تلك النوبة يدع بلاد النصرانية قفراخراب فقال صدقت ياحجة المسيح ومن فزع ملك الروم أحضر الملوك بين يديه وقص عليهم ذلك الخبر فما منهم إلا من اندعر وداخله الفزع والخوف والجزع وهم كذلك وإذا قد وصلت اليهم الجواسيس ان الرشيد واصل اليكم بأقوام صفار العيون بعدد الكواكب والنجوم فقال منويل وحق المسيح أناخائف على البلاد الرومية من الخراب لأن الترك أشد حرب من الأعراب ومن السودان الأنجاب لأنهم أرمى خلق الله تعالى بالنشاب وأخاف إذا انفصلوا من عبدالوهاب ربما يأخذهم الطمع فينا فما كانوا يدعوا أحدا منا يرجع ويمضوا إلى سائر الأقاليم لايدع فيها رضيع ولافطيم ويشدوا فى تلك السنة من دين محمد ﷺ النبى الكريم فصلبت الملوك على وجوهها وما منهم إلا من بات وهوفزعان جذعان وما أمسى المساء حتى أرسلوا الكتب إلى سائر بلادهم يحثوا من فيها على القدوم عليهم والوصول اليهم فنادى المنادى عند وصول المكاتيب فى بلاد البرغل والمغلبيط وفى بلاد البغادقة واليونان لجاءت البتاركة والمطران يلتقوها بخط البترك الكبير وانزعجت سائر بلاد الروم وتزلزلت الأرض والنجوم هذا جرى ههنا وأما ماكان من الرشيد فانه وصل إلى نصيبين فى أقل من شهرين لأنه كان يسير على مهل لأجل كثرة الثقل وكان فى صحبته خلق لايعلم لهم آخر من أول الا الملك القديم الأول الذى لايحول ولا يزول وكل مايجوز على قرية أو بلد يقيم فيها اليوم واليومين والثلاثة ويخرجوا اليه بالضيافات والعلوفات والاقامات فما وصل إلى آمد حتى وصلت عساكر الروم وكان الرشيد ماوصل حتى تكامل جيشه ألفين ألف ومائتين ألف فكانوا إذا ركبوا الخيول ترتج الأرض والطلول من مسيرة ثلاثة أيام ومن شدة وقع حوافر الصافنات صار النهار كأنه ظلمات وتكدرت منهم الامياه والمناهل وضاقت بهم الأرض والمنازل وأخربوا ذلك الرستاق وملكوا كل الآفاق ولما رأى كاب الروم

إلى ذلك الأمر المذموم فرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقال لمقبة ياحجة المسيح سوف تصل الينا عساكر الجزائر البحرية وتملا الدنيا بفرسان النصرانية فقال عقبة ياملك الآن طاب قلبي وزال كربي وان طول المسيح فى عمرى ملكتك البلاد ومن فيها من العباد لكن ياعلك أنا لا أنال ماأريد الا بعد هلاك ذلك الأسود العنيد ولابد ما أشتفى منه كما اشتفيت من ولده البطال اللص المحتال وسوف أدبرك حتى تملك عسكر الرشيد وبغده تملك من خراسان إلى قاع الصعيد لكن حتى تهلك عبدالوهاب ومن معه من بنى كلاب وأنا لا أبالى بعد ذلك بما كان منى ولا بأى موتة أموت حتى لا يبقى على وجه الأرض مسلم ولا مسلمة لاقريب ولا بعيد فقال منويل ماأنت إلا رحمة على أهل دين النصرانية وكاشف الكرب عن أهل ماء المعمودية إلا فى بعض الأوقات تشير علينا بالشورة الردية فقال الشيخ النجيح وهذا ياملك برأى المسيح لأنه يفعل مايريد (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما ما كان من العساكر الاسلامية والأمة المحمدية لما وصل الرشيد على رأسه الرايات والاعلام والازدهارات ركب كلب الروم إلى لقائه فى عساكر الرومية فملات الأرض بما رحبت وكان فى ذلك الوقت القيامة قد قامت من صهيل الخيل الصافنات ولمعان البيض والقواضب وحر الزرد ودق الكوسات وهفيف الأعلام والرايات وكثرة الضجات والزعقات وتقدم ملك الروم إلى عند الرشيد وقبل الأرض قريب وبعيد وأما الأمير والسيد الخطير المحامى عن قبر البشير النذير فانه من قبل أن يأتى الرشيد بيوم أتوه الجواسيس وأخبروه أن الرشيد واصل اليه عساكر كانهم البحر العباب بعدد قطر السحاب فقال الأمير ياأم المجاهدين ماترين إلى مانزل بنا فاننا ما رأينا عساكر قط مثل هذه النوبة لأن منويل نزل عن يميننا بذلك العسكر الكبير والرشيد قادم من على شمالنا كما أخبرنا بذلك الجاسوس وما لنا إلا نلزم الحصار ونحفظ الأصوار إلى أن تأتينا عساكر من عند المهلب من أرض الحجاز أو يقضى الله ماهو قاض فقالت الأميرة ياولدى لاتضيق صدرك ولا تشغل فكرك لأن ياولدى الأجل لا يزيد ولا ينقص ولا يصيب العبد إلا ما كتب عليه كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين لكل أجل كتاب ولعلهم ياولدى يتهاونوا فى القتال حتى ندبر على سرقة ملوك الاسلامية والرومانية وقد انطفت عنا تلك النار فقال الأمير وكيف ياأماه نقدر على ذلك وقد عدمنا صاحب الأحوال أبو محمد البطال وغلمانه الأبطال فقالت الاميرة ياولدى أما أبى محمد لاعدت تذكره لاهو ولا غلمانه فقد هلكوا مع تمام المقادير وأنا لابد لى أن أخاطر بروحى وأنزل من البلد وأختلط بعساكر الروم أو عساكر الرشيد لعلى أظفر بأحد منهم

إما بملك الروم أو الخليفة أو عقبة الكلب المذموم وأعمل على ضرب رقبته بإذن الحى القيوم (قال) وقالت ياولدى والله اترى من هذه العجوز شيء عمرك مارأيته لا من أبوك محمد البطال ولا من غيره من الابطال وكانت ابواب آمد مغلقه والابراج مزينة بالسلاح وآلة الحرب والكفاح وقد تولى أمرها أمراء السودان الا ان آمد بقت مثل فص الخاتم إذا وقع فى وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج من كثرة العساكر الذين من حولها من اليمين ومن الشمال ليس لها أول ولا آخر مثل البحار الزواخر ولوكان فيها غير بنى كلاب ماحملوا يوما من هذا البحر العباب هذا وقد أرسل ملك الروم للرشيد يقول دع القتال يوم لنا ويوم لك أرسل يقول نحن سامعين ما تقولون واتفقوا على هذا الحال يوم للروم الكلاب ويوم للخليفة المهاب فقال فقطوش مقدم الاتراك للخليفة يامولانا دعنا نزحف بالاتراك الى الاصوار ونرمى بالنبال وقد أخذناها فى أقل من عشره أيام ولو كانت أبوابها من حديد أوصنم الجلاميد لان معى خمسمائه رامى يرمون من قوس واحد ولاأترك واحد يطل من فوق الاصوار لا بالليل ولا بالنهار بعدنصب السلالم وتطلع عليها الرجال وتبصر مايجرى فى الحال (قال الراوى) وكان فقطوش صادق فى ذلك المقال اذا كان فيها غير عبدالوهاب وعساكر بنى كلاب والسودان الانجاب ثم ان الأميرة ذات الهمة رضى الله عنها خاطرت بنفسها بين تلك الجموع وقد نزلت من الصور ومعها سيف الحنيفية وصدره يغلى على عقبة وكذلك القناصة على الرشيد لعلها تشتفى منه وتقتله عوض عن ولدها ان رأته وقد سارت مع الاميره وقدكانت فى صفة عجميه لانها لبست قبة مذهبة وطربوش على رأسها فصارت كانها من أمراء الاتراك وكذلك الاميره تزيت بزى الاتراك وسيف الحنيفية فى زى الغلمان وقد أخذت الاميره معها ملابس روم والسلاح لاجل اذ لم تجد فرصه من هنا تجد فرصه من هنا ولما ان صارت الاميره ومن معها من برا الاصوار بقيت الاميره متفكره فى أى الجهات تمضى الى عسكر الروم أو الى عسكر الاسلام ثم انها قوت عزمها الى الرواح الى عسكر الرشيد وهى بذلك الوصف الذى ذكرنا ولم ينكر عليها أحد لانها فى زى الاتراك فعدلت بين الروم حتى انها صارت بين الجهتين اذ لاح لها شخص راكب على حمار أسود وبين يديه غلام يقود الحمار فقالت الاميره اسيف الحنيفية اقصد ياولدى الى ذلك الشخص

(قال الراوى) وكان لما يريد الله تعالى ان عقبة أقبل على ملك الروم وقال ياملك اعلم ان اقامتى عندك ليست بصواب قال له على ماذا عولت أن تفعل قال ياملك أكون مقيم فى عسكر الاسلام أدبر عليهم الحيل وأرمى فيهم بالفتن لعلى أعمل على هلاك

عبد الوهاب وإذا ذكر لهم أحد حسنة أذكر لهم مائة سيئة والثانى كل ما يجرى عندهم أمر من الأمور أطالعك به أول بأول قال الملك افعل ما بدالك أنجح المسيح أعمالك لانك لم تزل مشفق فركب عقبة الحمار وأخذ معه غلامه الغدار وساروا الى قريب من عسكر الرشيد وهو يقول لغلامه قل أنا من عند الرشيد خوفا يقول هذا كله منك وكان من فعلك لكن الضرورة لها أحكام ولا مايفت العمل على سيف الحنيفيه ذلك الامن النصرانيه وفى ذلك الوقت نظرته الاميره وقالت لسيف الحنيفية انظر لنا ياولدى ذلك الشخص وعد على عجل ثم انه مضى سيف الحنيفية الى ان قرب اليه فسمعه يقول لغلامه سوف تنظر ياولدى ماأفعل فى هذه النوبه ولا بد لى ماأعمل على هلاك عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب وكنت سابقا عملت على سيف الحنيفية وعاد رجع وكنت حبسته عند الراهب ولم أعرف كيف سلم بعدها وان لم أتقن العمل ما أكون عقبة صاحب الحيل فلما سمعه سيف الحنفية عرف أنه عقبة انقض عليه كانه العقاب وضرب غلامه بالسيف طير رأسه قدامه واستقبل عقبة وضربه فالتقى بيده وقال أنا القاضى عقبة وقد وقع إلى الارض مغشيا عليه وكانت الضربة أثارت فيه وجرحته جرح بالغ لكن عمر الشقى بطى وقد صرخ ملو رأسه سمعت الاميره الصوت فقصدت اليه وقالت من هذا ياولدى فقال ياأميره هذا شيخ الضلال صاحب المكر والمحال القاضى عقبة فقالت الاميره هلك ورب الكعبة ليتك كنت صبرت عليه حتى كنا نبصر مايجرى بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب الزائد فقال سيف الحنيفيه أما رأيتى ما فعل بى من الفعال وهو قد تركنى فى مطمورة وشعر وجهى قدارتخى وماافتكر ولا كانى عنده من البشر وكذلك أناالآخر لا أفتكر فى أمره أبدا ودعه يذوق أنواع الردى فعند ذلك وضعت الاميره يدها على فؤاده فوجدت النفس يتردد فيه فأمرته بحمله وقالت ان قلبي وقلب أبيك فيه أمر عظيم وظفرنا به مرار ولو أردنا قتله كنا فعلنا لكن نلعن بسببه إلى يوم القيامة ولا تعلم الناس انه يستحق القتل ونحن نطلب من الله ان يهتك ستره على رؤس الاشهاد حتى يصح عند الناس غدره ومكره وغير ذلك ان أبيك أخبر الناس أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول انه يصلب على باب الذهب بالقسطنطونيه والشجرة التى قال لابيك انه يصلب عليها موجودة عند نافع فى حصن الكوكب وان هومات على هذا الوجه يبقوا الناس يكذبوا أبوك ونحن نريد نصحح قول النبى صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فحمله سيف الحنيفيه وهو كاره لذلك لكن لم يمكنه المخالفة وجعل يعدو به الى باب البلد ونادى فنهضوا لما عرفوه وفتحوا له الباب فدخلت الاميره وسيف الحنيفية والقناصة لم تلتفت

إلى عقبة بل تقول أنا ماغريمى فى ولدى الا الرشيد ولا بد لى من قتله (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب لما راى الى تلك الضربة التى فى رأس عقبة صعب عليه وقال والله ماكنت أشتهى ان يموت على هذه الصفة فقال سيف الحنيفيه الى لعنة الله قال الاميره وإذا مات وقضى الامر وفات صلبناه وهو ميت على باب الذهب ونصحح قول سيد العجم والعرب لانه الصادق الامين وهو سيد المرسلين ثم قالت الاميره كنا نشتهى البطال يراه ويشاهده وينظر موقفه ويشفى قلبه منه هذا جرى ههنا (وأماما كان) من نورى زوجة البطال فانها كانت فى غيبته رزقت ولدا ذكرا كانه القمر فى ليلة أربعة عشر وهى تبكى على أبيه وعلى يتمه وما هو فيه فسمته مظلوم لكن أبوه مضى ظلما وعدوان وأما الأمير عبد الوهاب تقدم إلى عقبة الكذاب وسقاه قليل من الشراب حتى أفاق فلمـــا أفاق صعب على سيف الحنيفيه حياته الى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح زحف الرشيد بنفسه الى القتال وزحفت الاتراك من سائر الجهات ومعهم السلالم والفرادات وتقدموا ورموا النبال فكانت كانها الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر وما كانت الاساعة حتى قتل من أصحاب الامير قدر مائة رجل الذين كانوا فوق الاصوار وزاد الامر وكثر الشر وأمسى المسا على الناس وهم فى كرب زائد وقد أقبل الامير على أمه وقال ياأماه ماترى الى هذه الامور وما وقعنا فيه من المحذور فقالت ياولدى اعلم ان هذا البلد لم يقدر عليه أحد ولو اننا لم نقاتل لما يصل الينا منهم واصل ولا بدانى أخرج الى هذه العساكر وأتوكل على العزيز القادر لان الله سبحانه وتعالى يعلم الظالم من المظلوم وأنت ياولدى يكون لك أسوة بغيرك قالت السودان لابد لنا من الخروج ونموت كرام ولا نعيش لئام كاننا نسوة محجوبين بين الجدران وباتوا معولين على ذلك الامر والشان (وأما الرشيد) فلما رجع من القتال أتاه رسول عند رجوعه ملك الروم وهو يقول دعنى أقاتل فى غداة غد وسوف ترى ماأصنع فأجابه الى ذلك وأما عبد الوهاب بات معول على الخروج عند الصباح فتح الباب وخرج ومعه الأبطال وصناديد الرجال فلما رأى الخليفة ذلك قال مايكون مثل هذا الرجل على وجه الأرض ولا أقوى قلب منه والامن يكون فى هذا الحصن الحصين وتنزل عليه عساكر الروم والمسلمين ويخرج لهم وهو فى ذلك الجيش اليسير ان هذا قوة قلب زائده عن الحد يظن أنه يقاتلنا ويعيش بعد الذى جرى منه فقال الفضل ابن الربيع ياأمير المؤمنين هذا ماهو منه شجاعه وماهو الا انزعاجا وجزعا والما هو يريد ان يظهر بغضه لهذه الدوله العباسيه والسلاله القرشية وان الله سبحانه وتعالى يظهر الحق على النفاق وفى دون ساعة أقبلت الكتائب والمواكب من كل مكان وجانب وأشرفت القسى للهلاك وأيقنوا الناس بالارتباك وبربرت السودان وتقدمت الجيشان وركب الخليفه فى

ذلك اليوم المهول وبان الرجل الهلول وكل منهم صف عسا كره وعى دسا كره ونقدم مقدم التراك فقطوش وقدم بين يديه مائه ألف وأمرهم بالحمله كلهم فحملوا وعلى هلاك الرجال عولوا عند ذلك حمل الأمير والسيد الخطير ولقى المائة ألف بصدره وكذلك الأميره حملت ولربها شكرت وقد كشف الأمير رأسه وخفق لباسه وأخرج يده من خلال درعه كانه الاسد الذي عدم شمله وصاح فى أصحابه دونكم والطعن بالطوال والضرب بالسيوف الصقال فحملوها لما رأوه وقد حمل وعمل الصارم فى أعالى القلل وجار السيف فى حكمه وما عدل ورموا الترك بسهام الأجل الا أن السودان ما تركوهم يرموا غير ندب واحد دون ان صدموهم فصاروا فى صدورهم وضربوهم بالسيوف فى نحورهم لما بطل منهم رمى النشاب اعتمدوا على السيف القرضاب وعمل فى الشيوخ والشباب وفى دون ساعة وقعت الرجال من السروج وصاروا كانهم قوم يأجوج ومأجوج واختلطت الفيوج بالفيوج فاندفقت الاتراك منهزمة والى النجاة طالبه وقد فرشوهم السودان على التراب وكذلك الاعراب وداسوهم بسنابك الدواب وجرت الدما مثل جرى السحاب وحارت فى ذلك اليوم عقول أولو الالباب عند ذلك اشار ملك الروم الى مائة ألف غيرهم وصاح على مائة ألف ثالثه وحمل قدامهم حتى قوى قلوبهم عند ذلك انطبقوا على عبد الوهاب الثلاثمائة ألف ضراب فصار الأمير كانه عادم عقــله وصاح بالثارات ظالم وحمل كانه فى حملته قضاء نزل من السماء الى ان تكحلت الخيل بمراود العما وكذلك دامغ النصرانيه ولده سيف الحنيفيه وأما الأميره ذات الهمه فانها كانت تقاتل مدافعه ومانعه لأجل أنهم مؤمنين وصارت تتجنب سفك الدما وأما القناصة فانها كشفت رأسها وقد بان شملها وخففت لباسها وكان معها حسام عديم المثال وهى تنادى أنا الوالهة الثكلا الوحيدة الفريدة المظلومة فى ولدها وقد خرجت من مسكنى وانهدم ركنى ثم انها من حرقة قلبها جعلت تلوح القحوف وتنزع الأنوف وهى قاصدة الخليفة وقد هابتها جمع الأبطال وخافت من سطوتها الرجال وكانوا يظنوها ذات الهمة وأما فقطوش مقدم الأتراك لما رأى إلى الأميرة ومعه مائه قام يقاتل الثلاثمائة ألف عرف أن أمرهم مايهمل وإن كان كل واحد منهم مقوم بألف بطل كان فقطوش رجل شجاع وقرم مناع معتاد على الأهوال خبير بالحرب وأنواع القتال فأشار إلى تمام الستمائة ألف وتقدم قدامها ورمى إلى ناحية الأمير عبد الوهاب سهم نشاب مذهب وهذه عادة الأتراك إذا رمى المقدم إلى عدوه يرموا أرواحهم بين يديه إلى الموت والعدم ولو كانوا قدامهم بحر من نار خاضوه عند ذلك حملوا عن بكرة أبيهم كأنهم سد من الحديد أو بلاء شديد ولما رأى الأمير إلى ذلك الأمر قال لوالدته يا أم المجاهدين الساعة يبطحوا خيولنا لا محالة ولو كان عليها الدروع السابورية وإذا

وقعت الخيل من تحتنا عطبنا وهذه ساعة مارأينا قط مثلها قالت ياولدى وما المعول عليه قال نترجل من على خيولنا ونلقاهم بصدورنا ويكون ذلك أهيب لنا وإن كان فرغ الأجل فما ينفع العمل فصاح الأمير والأميرة بالفرسان ترجلوا من على الخيول فترجلوا والأمير والأميرة فى أوائلهم وقد ارتجت الأرض فى طولها والعرض ونظر الرشيد إلى تلك الفعال فأخذه العجب والاندهال وصاح فى العسكرين دونكم وهؤلاء المنافقين والقوم الخائنين وعند صيحة الامام زاد الزحام وانعجم اللسان وصبرت الكرام وفرت اللئام والطير على القتلى حام وتزلزلت الاقدام وتقدم ملك الترك إلى قدام ورمى سهم إلى ناحية القوم ومما جرى ويقال ان القناصة رأت الرشيد وحققته ولما نظرته وسمعته وهو ينخى الأبطال وصاح فى الناس وهو يقول خذوا هؤلاء المنافقين شاقته وعاينته ومالت إلى نحوه وخاضت بين تلك المواكب والكتائب وهى كأنها الشهاب الثاقب وفترت الفرسان بحسامها وغابت تحت عجاجها وغتامها ولا حسبت حساب من خلفها ولا من قدامها ولما أن ترجوا الأمراء عن الخيول انطبقت عليهم العساكر وثارت عليهم الغبائر وتفطرت المرائر ولما رأت الأميرة إلى تلك الامور صاحت على ولدها وعلى مقدمين قومها وقالت لهم ياقوم قاتلوا أو تأخروا إلى وراكم إلى تحت أصوار البلد وإلا فهذه آخر أيامنا من الدنيا وما بنا موتنا مثل ما بنا من شماتة الاعداء لان الذين على الاصوار ترمى عليهم حتى انهم يمنعون عنا وإذا منعوا دخلنا البلد هذا وقد انطبقوا عليهم كاضم الغمام وفرقوا نحوهم وصل الحمام وزلت الاقدام وانفلق الهام وهشمت العظام وزاد الزحام وقل الكلام فما كان غير قليل حتى انهزمت الاكراد من عسكر عبد الوهاب بعد أن قتل منهم خلق كثير انكشف جانب العسكر فقال الامير للاميرة وقد شاهد الموت والعدم وفاض عليه بحر ذلك العسكر والتطم يا أماه اندفعوا بنا إلى الاصوار فقالت الاميرة افعل مابدا لك فاندفعوا إلى الاصوار وطمعت فيهم الاتراك وأيقن الامير والأميرة بسوء الارتباك وانهزم البعض ودخل إلى البلد لما رأوا البلاء والنكد ووقع الزحام عند دخولهم فى الابواب وعمل السيف القرضاب ولولا الاميروالاميرة رسيف الحنيفية ومقدمين السودان وإلا ماكان سلم منهم ولا إنسان (قال الراوى) ياسادة ياكرام بعد الصلاة والسلام على خير الانام أنه قتل فى رحبة الباب من عسكر عبدالوهاب خلق مالهم حساب وتلجلج من الفصيح اللسان وكانت ساعة من ساعات الفنا انعاقت فيها الامراء عن بلوغ المنا فبينماهم فى أشر ما يكون وإذا بالصياح فى عسكر الرشيد قد علا والقائل يقول الرشيد قد قتل فعادت الترك راجعة صارخة وشاب فى ذلك اليوم الطفل الوليد وذل الشجاع

الصناديد وانكشفت الغمة عن الأمير وزال عنه كل أمر عسير فصعب على الأمير قولهم ان الرشيد قتل وصاح على قومه الرجعة الرجعة فلم يقدر أحد على ذلك وقالوا أيها الأمير ربما يكون هذا خداع ومكر حتى انهم يخرجونا من تحت الاصوار ولا يبقوا منا ديار ولا نافخ نار وكانت أكثر القوم جرحا من رمي النشاب وركز الحراب (قال الراوى) وكان السبب فى اختباط العسكر سبب عجيب وأمر غريب وهو أننا لما ذكرنا سابقا أن القناصة رأت الرشيد لما صاح وحرض الناس على الحرب والكفاح قصدت القناصة إليه من حرقتها على ولدها وجذبت الانوف ولوحت القحوف وطلبت الرشيد من دون العالم وضربت بحسامها الجماجم حتى أيقن عسكر الخليفة أنه عادم ونظروها الابطال قاصده إلى نحوه فطلبوها وحاموا عنه وفرقوا نحوها السنان ومدوا لها الرماح الطوال وتدفقوا عليها كل سيد وغلام وكل بطل همام فأصابها أكثر من مائة سهم مع المشيئة والقدرة كانت لابسة صدرية زرد مضيقة العـــدد كانها عيون الجرد ومن عمل الهند ما تعمل فيها رؤس الابر عوضا عن الحسام الذكر إلا أن وصل إلى بدنها اثنى عشر سهم لكن غير قاتله ووصلت إلى الخليفة بعد أن أشبعت الرجال طعنا بالسمر الطوال وقاتلت قتال فتعجب منه الواصفون وكل عن نعته الناعتون إلى أن وصلت إلى الرشيد زعقت عليها الخدام والغلمان فلم تلوى على إنسان وقد طعنت عبد كان بجانب الرشيد وهو يمانع عنه فحصلت الطعنة فى جانبه الأيمن نفذت من الجانب الأيسر انقلب ومن على سرجه تكركر وثانى طعنه على توانى وثالث صار على الأرض ناكس إلى أن تفرقت الخدام من حواليها وطعنت الرشيد طعنة واصله حصلت فى قربوس السرج وكان من الحديد الصينى وصلت منه وأصابت فى فخذه وكان منحرف ولو كان معتدل لها كانت الطعنة حصلت فى سرته لكن العمر المديد لم يعمل فيه الحديد ولما ان أصابته تلك الطعنة صاح ووقع إلى الأرض فأحدقت به غلمان الدار وكانوا عشرة آلاف غلام وترجلت أرباب الدولة اليه فانطبقت تلك العساكر والأمم على القناصة إلى أن صار القدم على القدم وتزاحموا من حواليها فمانعت عن نفسها حتى ملت وكانت من قوتها وهى تنظر ان أحداً يأتى اليها حتى يفرج عنها ما هى فيه من ذلك الجمع العظيم وكان الأمير عبدالوهاب ووالدته ما عندهما خبر من ذلك ولا جلية أثر وكل منهم مشغول بما هو أهم من ذلك والا لو علم بها الأمير عبدالوهاب لكان أتى اليها ولو كانت فى بحر من نار وكان يقاسى الأخطار واما القناصة لما أيست من الحياة وأيقنت بالوفاة والعدم والهلاك وسوء الارتباك لأنها فى وسط ذلك العسكر فرجعت إلى طبع العرب أهل الحسب والنسب وأنشدت تقول :

ألا أيها النفس العزيزة إنما يكون لذيذ الموت تحت الصوارم
وموتى سرورى بعد فقدى لظالم ولا خـــير فى الدنيا لفقدك ظالم

(قال الراوى) وقاتلت وناصلت إلى أن أتى جوادها طعنة فوقع وهى عليه فأرادت أن تخلص نخذها من تحت الجواد فاندقوا عليها ووقعت الصيحة من حولها وفى ذلك الوقت وصل الخبر إلى الأمير عبدالوهاب أنها قتلت والسبب ان الحزن عمل معها شيء رمت نفسها إلى الهلاك فصاح الأمير صوتا هائل نفرت من صوته الخيل على أعقابها ورمت من على ظهرها ركابها وقال الامير دخول النار ولا العار ودخول الجحيم ولا هتك الحريم والله إن هذا الامر عظيم فتراجعت من صرخته الابطال وردت عليه الفرسان والاعيان وخاض فى ذلك العالم بريد خلاصها من يد قناصها هيهات هيهات لان العساكر ألفين ألف ماهى قليل وكان الوقت آخر النهار فرجع الامير إلى ورائه وقامت فى رأسه ممقل عينيه وصار يأكل كفيه ندامة من أجل انه لم يدركها (قال) وأما القناصة لما أخذوها كانوا يحسبوها ذات الهمة وإلا كانوا هلكوها وأما الرشيد فان الدولة داروا به وعصبوا جرحه وأركبوه خوفا على العسكر وخوفا من ملك الروم ربما يغدر بهم ورجعت العسكرين إلى الخيام واستقر بهم المقام وأما الامير فانه رجع الى البلد وقد قتل من أصحابه جماعة كثيرة وكانوا غير رابحين وأما القناصة فإنهم لما أسروها ما بقى فيها عين تطرف وورد على الامير مالم يرد على قلب بشر من أجلها وأما الرشيد لما علم أن القناصة هى التى فعلت تلك الفعال أمر أن يثقلوها فى الحديد وقال أنا ماأقتلها إلا هى وعبد الوهاب معها وأما الامير عبدالوهاب تحسر وكاد قلبه ينفطر وصعب عليه فقال سيف الحنيفية لوالده أيها الامير اقصر ماعندك لان الحرب سجال لك وعليك وما كل وقت ينجح الطالب واعلم أنك بليت بالشرك كله والاسلام كله وهذه العساكر مالها قياس ولو كان أحد غيرنا لكان كامس مضى ماله عوض وفى غداة غد أنا أبرز إلى الميدان وآخذ مانفادى به القناصة وكان كلام سيف الحنيفية لوالده لاجل التخفيف عن قلب أبيه فقال الامير والله لو أخذ بعض أولادى ماورد على قلبى مثل ماورد على من أسرها لانى غبت عنهم مدة سنين ولما أتيت اليهم ونقلتهم من أرض الحجاز تفرقت عبيدهم وتمزقت عساكرهم وفى الاخير نفى الرشيد والبطال وولدها ثم والله إن البطال عندى أعز من ولدى وأخبرت ان الرشيد سألهم عنهم فقيل له إنهم هلكوا ومن تمام المقادير أسرها وهى مسبيه والله إن هذه مصيبة عظيمة وأمور غير مستقيمة (قال الراوى) وبات الامير مشغول القلب

زائد الفكر ضيق الصدر من تلك الامور التى لا تذكر وعلى الحقيقة إن هذا الامر عظيم وعند الصباح زحف ملك الروم طالب الحرب والقتال وحاصر البلد ثلاثة أيام فلم ينال مقصود ودامت الاسلام والروم من حول آمد يحاصروها شهراً كاملا إلى أن كان فى اليوم الحادى والثلاثين وإذا بغبار من نحو العراق قد علا وثار إلى أن سد الاقطار وأظلم منه ضوء النهار وكان القتال فى ذلك النهار للروم مع الأمير عبد الوهاب فأرسل الأمير النجابه تأتيه بالأخبار فرجعوا النجابين وقد رفعوا عمائمهم على الرماح وهم يومون بالأفراح فانزعج العسكر لذلك الأمر فوصلوا نجب الخليفه اليه فسألهم عن ذلك فقالوا يا أمير المؤمنين نخبرك بكل خير وهو ان طومان التركى مضى الى ناحية أرض الحجاز والتقى مع عسكر المهلب صهر ظالم الذى أرسلته اليه وكان الملتقى بينه وبينهم دون عقبة الشيطان وجرى بينهما الحرب أيام متواليات وبعد ذلك كسرت العرب وأسر المهلب والعبيد وقد أتى بهم طومان أسارى وهم فى قيد المذلة حيارى وهرب أقلهم وها هم محمولين على الجمال موثوقين بالحبال (قال الراوى) وكان السبب فى هذه الأمور ان العرب والسودان الذين كانوا مع المهلب نافقوا عليه وانهزموا من بين يديه ولم يبق معه غير العبيد وقد أحدقت بهم مائة رامى يرمون عن قوس واحد فقتلوا خيلهم عن بكرة أبيهم وبات المهلب فى حالة العدم وقال لمن معه ياقوم سلموا نفوسكم والاهلكتم عن آخركم من هذه السهام والقتال مع الغلبه من سوء التدبير وان قاتلتموهم فمالكم بهم طاقه ولا لكم على حربهم استطاقه عند ذلك سلموا نفوسهم وأخذهم طومان وأسر المهلب وساروا الى العراق فسجن المهلب هناك ومعه جماعة من المقدمين (قال الراوى) ولما جرت تلك الأمور الصعاب اغتموا لذلك متعصبين عبد الوهاب وقالوا نحن كنا نؤمل ان هؤلاء يعينون الأمير عبدالوهاب على هذا العسكر الكثير وسار طومان ببقية الاسارى الى ان أشرف على المصاف كما ذكرنا وقد أشهر الرجال لأجل مايقع الرعب فى قلب الأمير عبدالوهاب ومن الاعراب لأن طومان كان رجل لئيم ولما علم الرشيد بحالهم على ذلك المعنى قال هؤلاء الذين أرسل لهم عبد الوهاب حتى يعينوه على النفاق الذى هو فيه لكن الله جازاهم وعلى فعلهم كافاهم وقد صاروا فى أضيق الخنادق وهكذا تلقى أهل النفاق وأمسى المساء ونزل طومان بعيد من العسكر الذى للرشيد والرجال مشهورين على الجمال ولما نظرهم الأمير عبدالوهاب وهو من فوق الاسوار تعجب غاية العجب ولم يعلم باطن القصه الى أن أتاهم الجاسوس وأعلمهم بالقصه على جليتها فضاقت عليه الأرض بما رحبت وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالت له الأميره يا ولدى لاتغتم ولاتهتم لأن الدنيا دول وكل من توفى

أمره سوف يعزل والدنيا لا تبقى على أحد إلا وأهلكته وما أعطت شيء إلا واستردته وقد جرت الاقدار بالأحكام فخذ ما أتى بالقبول والرضا واتبع قول القائل كل الامر إلى الله فان الله قادر أن يفرج الامر سريعا ويعجل بالسرائر فقال لامه يا أم المجاهدين ماقى الامر إلا أننى عند الصباح أرمى بروحى على هذه العساكر التى مالها أول من آخر

(قال الراوى) وبات الامير على ذلك وعند الصباح تقدم طومان الى بين يدى الرشيد وقال يا أمير المؤمنين لقد طال مقامك على هذه المدينة ومافيها إلا أوباش الرجال ولا قدر لهم ولا شان وإن أنت أذنت لى ملكته فى أقل من ثلاثة أيام فقال الرشيد يا طومان إن فعلت ذلك جعلتك مقدم على جميع العساكر وتكون ذلك البلد مسلمة اليك وسائر الرجال من تحت أمرك ونهيك وتكون عوض عبدالوهاب وعلى الترك وعلى بنى سليم لان عمرو طول عمره مطيع لنا (قال الراوى) فأذن الخليفة إلى طومان بذلك وان طومان بعد الاذن زحف إلى البلد وكان الجاسوس الذى للامير عبد الوهاب عندهم فرجع إلى الامير على عجل وأخبره بما ضمن طومان على نفسه قدام الخليفة بفتح البلد والقبض عليك فقال الامير ساء حال طومان بين الفرسان وأخذله الملك الديان وساء حاله وصفع قذاله فوالله إن من دون ما ضمن ضرب يقد وطعن يهد وفى الحال فتح الامير الباب وخرج قدام سادات الامراء الاعراب وأيضا السودان الانجاب وأما ملك الروم فانه هاله ما رأى فقال للبترك يا أبونا وحق المسيح ان الترك محنة من المحن ومصيبة من مصائب الزمن وفى دون ساعة تكامل جيش الامير قدام الاقران وأوترت قسى الهلاك أمر طومان الرجال أن لا يخرج أحد غيره يطلب الحرب والقتال وكان غرضه فى ذلك اليوم يخرج الامير عبدالوهاب سيد الاعراب حتى يبارزه قدام الرشيد ويبلغ منه ما يريد فقشر الكلب المفيد عند ذلك برز الى الميدان فارس من الفرسان على جواد عالى من الخيل أظلم من سواد الليل شديد القوى والحيل واسع الخطوة كثير النخوة سائل الغرة يسوى من المال بدرة بصاص الشعرة وجال ذلك الفارس فى الميدان وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس قتله والثانى جندله والثالث صار على الارض ناكس والرابع لرفقته تابع وخامس وسادس وسابع وثامن وكان قتاله بالنبال وكان كل من خرج اليه لا يتركه يصول ولا يجول دون أن يضربه بقلبه ويعجل مرتحله فوقفت عنه الفرسان وسائر العربان وهم الامير أن يبرز اليه وإذا بعبد من عبيد الامير ظالم يقال له مدلاج برز اليه وقد ذكرنا ما فى ذلك العبد من الشجاعة والبراعة فى غير ذلك الديوان فلما حمل على خصمه ماركه يصول ولا يجول إلا أقل من ساعة ضربه مدلاج قتله وعلى وجهه

الأرض جندله فخرج الى مدلاج ثانى وثالث ورابع وخامس وهو يهلكهم فما أتى على العرب آخر النهار حتى قتل ثلاثين من الاتراك فلما رأى مقدم الترك طومان ذلك الحال وشاهد تلك الفعال برزاليه وقال لاشك ان هذا عبد الوهاب الذى نافق على الرشيد ولا بدلى ان آخذه أسير وأتركه على الأرض جديل وكان راكب على جواد شهرى قرطاسى فى بياض الصباح يطوى به كثنية البطاح وفى يده سيف قاض الأرواح ثم انه حمل على مدلاج وحمل مدلاج عليه وثار بينهما القتال وزاد الحرب والنزال واشتدت الاهوال وان طومان لما رأى خصمه ثقيل العيار فرجح عنه الدرهم دينار فأراد ان يورى الرشيد طرفا من شجاعته وصناعته فضرب بيده على قوس مايقدر على حمله ولا ثلاث رجال وأخذ ثلاثة أسهم كل واحد منهم نصله شبر كامل وصاح على العبد بالعربيه وقال ويلك انظر الى فعالى وبعد ذلك اسمع مقالى فبهت العبد الى طومان وإذا به عاين طائر فى السماء فى الافق الاعلى وقال يامدلاج ان هذا السهم يصيب هذا الطير فى وسط رأسه ثم ان طومان رشق الطير فأتى السهم كما قال ولم يخطى وأقبل بعد ذلك على العبد وقال اعلم ياهذا ان كنت أنت عبد الوهاب المقدم على الاعراب فقد أخذتنى عليك الشفقة وأنا عمرى مارحمت أحدا سواك وأنت تعلم ان قلوب الاتراك قاسيه فاستسلم تسلم والاسوف تندم حين لا ينفعك الندم فصاح فيه مدلاج ويلك ياابن الجاريه الروميه دع عنك هذا الهزيان أين عبد الوهاب ياقرنان يا ابن ألف قرنان بل أنا من بعض غلمان عبد الوهاب دونك والحرب والقتال ان كنت تعد من الابطال (قال الراوى) فما تم العبد كلامه حتى ضرب طومان جواده بسهم قتله ولو أراد قتل الفارس افعل ولكن ماأراد إلا ان يورى فروسيته للناس فوثب العبد عن الجواد بعدان وقع على الارض وهو يقول والله ان ضربنى بسهم مثل هذا للقضى على ثم ان مدلاج هجم عليه كأنه الجواد العربى وضرب قوائم فرسه بالحسام قصها تمام فغضب طومان من ذلك غضبا شديدا ماعليه من مزيد ثم انه وضع السهم الثالث الذى بقى معه فى كبد القوس وفرق السهم الى مدلاج فالتقاه مدلاج بدرقته وكانت من الحديد الصينى فخرقها السهم ووصل الى صدر مدلاج خرج يلمع من ظهره وكان عليه درع مانع فوقع الى الارض وكان العود النهاب نفدمنه ونزل فى الارض غاص نحو شبر فتعجب جميع من حضر من العسكرين وقالوا ان هذا ماهو فعل انسان وما هو إلا شيطان ثم ان طومان طاب جواد فقدمت له رجاله من الخيل الجياد كانه خيول شداد فطلب البراز وطلب الانجاز فلم يخرج اليه أحد فلم يزل يضرب بالنبال يمينا وشمال ولم يخطىء فهم الامير أن يخرج اليه فتعلقت به الاميره وقالت تمهل ياولدى واعلم ان قتاله قتال الغبينه ولم ينصف

خصمه لانه يقتل وهو بعيد عنه وأنت ترى سهامه لاتمنعها الدروع السابوريه واخبرنى ياولدى الجاسوس أنه سمع من عسكر الرشيد عن ذلك الشيطان أنه ينصب ثلاثة أتراش ويضربها بسهم يخرقها وقد رأيت ياولدى مافعل بالعبد مدلاج ومن يفعل ياولدى هذه الفعال ماهو إلا أوحدزمانه فقال الامير ياأميره ان الاجل إذا حصل يبطل العمل ومن كان عمره مديد ماتعمل فى جسده الصوارم والحديد (قال الراوى) فهذاما كان من الامير ووالدته (وأما ما كان) من مدلاج فانه سحبه طومان من رجله إلى ناحية عسكر الرشيد وقال هذاعبد الوهاب فقالوا له قومه ماهذا عبدالوهاب هذا عبد أسود فقال إذاكان هذا فعال العبد كيف فعال المولى ثم انه طلب البراز وسأل الانجاز بعد ماهلك بالنشاب جماعة من عرب الحجاز فخرج اليه سيف الحنيفية من غير علم أبيه وقد لبس على جسده ثلاث دروع ومن فوقهم كبرفولاذ مدفون يمنع سهام المنون فبقى كانه جل من حديد على ظهر جواد فريد فلما عاينه طومان عرف ان هذا كله احتراز من سهامه فضحك إلى ان استلقى على قفاه وحملا وعلى هلاك النفوس عولا هذا وسيف الحنيفية جعل يراوغه مراوغة الثعلب حتى بطل حكم السهام وهجم عليه كانه الاسد الضرغام وتقاتلا وتناصلا وتضاربا وتقاربا وتهاجما كانهما الاسدين واصطدما كانهما بحرين وحان الحين وزعق على رؤسهم غراب البين إلى أن خرج من الاثنين ضربتين صايبتين كان السابق بالضربه سيف الحنيفية فوقعت الضربه على ترس طومان وكان من الحديد الصينى فغاص الحسام فى الترس وجذبه فطلع فى يده القائم وبقى السلاح وانطبق عليه طومان وضربه خرج من تحتها سيف الحنيفية سالم وولى إلى ناحية قومه ومن خوفه على نفسه من سهام طومان قلب الترس على ظهره فضرب طومان بعود نشاب طوله شبر وعرضه فتر لجاء فى الترس الذى مستتر به نفد منه ولفد من الكبر البولاد ونفد من الثلاثة دروع ووصل إلى جسده ولولا أنه كان بعيد والا كان قضى عليه ونادى المنادى فى عسكر الرشيد أين الاسود الحجام الذى يقاوم الامام دعوه يخرج إلى حتى أجرعه كؤس الحمام لانه كان يزعم أن يجعل ولده خليفة الزمان وسلطان العصر والاوان

(قال الراوى) فلما سمع الامير عبدالوهاب إلى ذلك المقال رقصت بشرات شارباه ولا بقى ينظر ماقدامه ولا ماوراه فنبه عزيمته وقوى همته وأرادان يخرج اليه وقال لوالدته الامير ذات الهمه ياأم المجاهدين دونك ورعاية كسر المسلمين ان أنامت عليكى بقتال هؤلاء الانذال واحفظى نفسك إلى ان يفعل الله مايريد فقالت الاميره ياولدى لاتفعل وأنا فى هذا الامر أفديك بروحى من الردا ولاأدعك تقاتل هذا الجبار أبدا فقال الامير ياأم المجاهدين وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وحق محمد خير الانام والملك

العلام لا بدلى من الخروج إلى ذلك الغلام واضرب معه بالحسام فان أنا قتلت فاحفظى نفسك من شماتة الأعداء وادخلى إلى ذلك البلد الحصين ولا عليكى من أحد من العالمين وإن كنت تطلبى أرض الحجاز فافعلى لأنها مقام الآباء والاجداد واعلى أيتها الأميرة إن هذا الغلام ماهو من رجالى ولا يعد من أشكالى ولا أفتخر بقولى وسوف ترين وتنظرين رأى العين وما يجرى بينى وبين هذا اللعين وخرج الأمير فى الميدان ومحل الطعان متوكل على الملك الديان راكب على جواد أحمر فى لون العقيق كأنه شعلة من نار الحريق وهز الأمير جواده وضرب بكعبيه إلى جنبيه فضرب الجواد برجليه ويديه بعد ماشم الأرض بمنخريه وتمطا كانه عاق حتى قيل فى حقه قل أعوذ برب الفلق وخرج به كالبرق الخاطف وهز الأمير رمحه بلا توانى ورجع إلى طبع العرب وأنشد يقول :

لقد خاننى صبرى ومالى صبر ... على فقد نجلى ظالم الطيب الذكر
أيا ليت شعرى هل يعود بسالم ... ويذهب مانلقاه من جرح الصدر
وهل يرجع البطال وهل يرى ... إلى ابنه مظلوم يزهو كما البدر
وهل يعلمن أن الرشيد وجيشه ... وكل كفور جاء من بلد الكفر
أحاطوا بنا يرجوا قتالى تعمدا ... سأتركه صرعى على مهمة القبر
سيعلم هذا رامى السهم اننى ... سأرميه بالافاق من غير الدهر
أطومان لاتغتر ويحك بأسهم ... فان سهام الموت أنفذ فى النحر
وحق المصطفى الهاشمى وأهل بيته ... وزمزم والبطحاء والركن والحجر
ولا بد لى انى لرأسك آخذ ... بحد حسام شاتر الرأس والصدر

قال الراوى) وما فرغ الأمير من شعره ونظمه ونثره حتى أخذه الصياح خذ حذرك أيها الامير تحقق النظر وإذا بطومان قد وتر القوس وعمل فيه سهم باسل نصله شبر كامل وكان تحت الامير ذلك الجواد الذى تقدم ذكره فلم يمهله الامير من سرعة الجواد ان يمكن السهم فى كبد القوس دون أن صاح فيه وطعنه بالرمح فى صدره طلع يلمع من ظهره فوقع طومان من على الجواد والقوس فى يده لم يرميه وهو يختبط فى دمه ويضطرب فى عندمه عند ذلك صاحت الترك من كل مكان وجانب وحملت حملة رجل واحد فتلقا الامير من الخيل بواردها وطعن جوانبها وخواصرها فأشارت الاميرة إلى الفرسان بالحملة فحملوا وأعنة خيلهم أرسلوا وفى دون ساعة أدركوا الامير سادات الاعراب وقدامهم عالية الركاب وأيضا فى ركابها السودان الانجاب أصحاب الطعن والضراب فأمر الرشيد إلى العساكر الحملة فحملت الترك والعجم والعرب والديلم وعسكر العراق وبجمعة الآفاق وطلبوا الامير

ونواله على اللحاق فتسابقت إلى الامير فرسانه وشجعانه وأيضا هو مانع عن نفسه فلله دره ماأنجبه وما أشجعه وقد حفظ روحه قدام ذلك الجمع فكان ذلك مما لا يوصف باللسان ولا يقدر أحد أن يصف ماجرى بين الفرسان من الحرب والطعان ولم تزل الاميرة رضى الله تعالى عنها تخوض العجاج وتنثر الفرسان أفراد وأزواج إلى أن أدركت الامير ومن خلفها سيف الحنيفيه وأبو الهزاهز وسعيد بن الفرج ومالك بن طوق ومالك بن الشمر الاقطع وهارون العلوى وفى دون ساعة أدركوا الاميروخلصوه من أنياب النوائب وعمل الحسام وفاق الهام وهشمت العظام وصار الرأس تحت الاقدام وقد قتلت تلك الخلائق والامم وصار على القدم ألف قدم ثم شابت اللمم وحكم الصارم وأظلم واسود الجو واغتم والشجاع دمدم والجبان انهزم والنجيب تقدم ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ولرجال تقتل والسؤال لا يقبل إلى أن أمسا المسا ورجعت كل طائفة إلى مكانها ورجع الامير إلى آمد وقد كان جرى لهم شيء ما جرى لمن تقدم قبلهم من الامم لانه قتل خلق بعدد التراب وقطر السحاب وكان الاكثر من عسكر الرشيد ومن عسكر الامير ناس قليـــل ونزل الرشيد فى سرادقه والغيظ كاد أن يخنقه الذى ماظفر من الامير بطائل وأيضا على طومان لانه كان يعد بفرسان وما استقر به الجلوس حتى أرسل اليه ملك الروم رسول يقول ياأمير المؤمنين الملك يقول لك قاتل من جانب وأنا من جانب وما لنا حاجه فى الإطالة فما بقى لنا على ذلك من صبر فمن غيظ الخليفة من عبد الوهاب أجاب إلى ذلك الأمر وعند الصباح زحف ملك الروم فى مائتين ألف وألف من العرب المتنصره وزحف الرشيد فى ثمانمائة ألف فارتجت بهم الأرض من التخوم وخيـــل للناظرين أن القيامه تقوم وتراكم الغبار بهم وعدم صبرهم ونصبوا المنجنيقات والفرادات وأيضا الأتراك أوترت سهم الهلاك ونصبوا حول الصور وزادت على البلد ومن فيه الأمور وأما الأمير لما رأى ذلك الحال صاح فيمن عنده من الأبطال وأمرهم أن يصعدوا من فوق الأصوار والابراج وقال للاميره ياأماه خذى نصف العسكر واختارى أى جهة من الجهات إما أن تكونى للروم وأنا للاسلام أو أنتى الاسلام وأنا للروم فقالت يا ولدى أنا من جانب الرشيد وأقبـــل سهام الاتراك ثم إن الأميرة صاحت يال حام يال حام يلوز الظلام ياعبيد الملك العلام فأجابوها الكل لبيك لبيك هانحن بين يديك فأخذتهم وانعزلت إلى ناحيه الرشيد وكذلك الأمير أخذ العربان ومضى إلى ناحية الروم فكان نهار يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما ظهر فيه من العجب ورموا على الصور بالمنجنيقات والفراديات فنصبت الرجال السلالم ورموا الآخرين لهم مجاوبين فقتل من رميهم خلق كثير وحرقوا منجنيقات الكفار لما رموا

عليها بالنار لانها أخشاب و نظرفقطوش ملك الترك إلى ذلك فرما شربوشه من على رأسه وترجل من على جواده فترجلت لنزوله الترك جميعا مائة ألف و تقدمت الخراسانيه أربعة آلاف نقاب و تقدمت الرماة من وراهم ورمت كانهم الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر فاحرموا الرجال أن يطلعوا من فوق الاصوار وان الامير عبدالوهاب لما عاين الامر وقل منه الصبر قفل البلد وركب الاصوار هو ومن معه وصاروا يرجمون بالاحجار ويرمون بالنبال وقد عملوا المنجنيقات والعسكر يرمى بقوارير النفط حتى كلت منهم السواعد وقتل عالم عظيم وقد نظر ملك الترك إلى ذلك فأرما شربوشه عن رأسه وترجل ولما نظره الامير عبدالوهاب فتح البلد وخرج ماشى على الاقدام فما كانت إلا ساعة وأى ساعة فما ترى منهم إلا من هو فى دمه عفير ومنهم من يضرب بالجنزير ومن هو يخوض فى دمه على الارض قتيل فصاحوا وحملوا على الامير عبد الوهاب وحملت بنى كلاب واشتد القتال وعملت السيوف الصقال ولم يزالوا فى قطع الجماجم وجز الغلاصم إلى أن أمسا المسا ودخل الامير وأمه الى البلد ورجع الرشيد الى مقامه الى أن أصبح الصباح فاشرف عليهم غبار حتى ملأ الاقطار فسأل الرشيد عن ذلك فقيل له قد أتتك ألف فارس من دمشق وخياله من بيت المقدس وفى أوائلهم سرار صاحب دمشق وهو مشقق الاثواب يخبر بقتل العباد وأخذ البلاد وأخذت أموال مصر وعسقلان من غير قتال ولا جلاد والذين فعلوا هذا خوارج من الملثمة والبربر وما كانت الا ساعه حتى وصل سواد ووقف بين يدى الرشيد وتشرق بالدموع وبكا من فؤاد موجوع وقال يامولانا خرج علينا من أرض المغرب ملثمة وبربر ومعهم فارس يقال له حمدون ماراى أحد مثله فى الحيل والشوم وملك مصر وبلاد الساحل وأتى الى دمشق وصار فى عالم بعد القطر فخرجت أنا فى عساكرى فكسرنا وقتل منا الاكثر وعدنا نطلب البلد فوجدنا فيها البربر والرجل الاشقر وقد ملكها ولا نعرف من أين عبر وهذا جملة ماعندى من الخبر قال فلما سمع الرشيد ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال أصبروا علينا اليوم حتى نملك البلد هذا ونملك عبد الوهاب وبعد ذلك ندبر فى هلاك هؤلاء القوم (قال الراوى) ووصل الجاسوس أيضا الى عسكر الروم بذلك الخبر ففرح منوبل وعلم بالرشيد أنه قد اشتغل قلبه لجمع الملوك وقال لهم اعلموا أن الرشيد مهموم وقد أقبلت الملثمة والبربر بالفارس والراجل وملكوا سائر السواحل وقد انقطع عن الرشيد المدد وعبدالوهاب وقد وقعت العداوة بينه وبين الرشيد ومابقى فى الامر الا أننا نكبسهم فى ظلام الليل وبعد ذلك نمضى ونملك البلاد ونهلك العباد وقد بلغنا المراد (قال) فلما سمعوا الملوك ذلك قالوا هذا هو

الصواب ثم صبروا الى أن أمسا المسا وأرسلوا النقبا الى سائر العساكر وأعلموهم بأن يكونوا على أهبة حتى يكبسوا عسكر الرشيد فى تلك الليلة (ياسادة) وأما الرشيد فانه جمع قومه وقال وتربة المهدي لاعدت أستخدم منكم غلام ولا بد ماأقطع خبركم أجمعين فقالوا يا مولانا فى غداة غد نسلم اليكم البلد فبات الرشيد طيب القلب بذلك الوعد ولم يعلم ماخبى له فى الغيب (قال الراوى) فلما كان نصف الليل لم يشعر الا وعساكر الروم قد أطبقت وهم فى ألف مقاتل ويتبعها مثلها غلمان ورجاله هذا وقد ارتفع الصياح من سائر النواح فانتبه الرشيد ورأى ذلك تخيل له أن الارض قد انقلبت من التخوم وقال غدر كلب الروم فثار القاعد وقام الراقد وعمل الصارم فى الليل الداج وسالت الدما من الأوداج ومالت الاعلاج هذا وقد بربرت الأتراك وعمل السيف والسهام فى الظلام فوقعت فى مقاتل الكرام وعمل الحسام وفلق الهام وهشمت العظام وانقطع الكلام وصبر الكرام وفروا وذاقوا طعم الحمام وانخسفت الأرض من وقع الحوافر فى الليل وقد حبك حوافر الصافنات بالشرو همهم البطل وزمجر ودار عليهم القضا والقدر وحمى الشجاع واشتهر وجرت سواقى النجيع وتضاربوا الضرب الوجيع وهجمت الروم إلى خيام الرشيد وقتلوا السادات والعبيد وطرحوا القوم على الصعيد وكانت ليلة مدلهمة مرعده مرصده (قال الراوى) وان العبيد كانو الظالم الذى أتى بهم طامان أسارى تاروا فى جملة من نار فى هذه الليلة العظيمة الاهوال الكثيرة الزلزال وجعل كل واحد منهم إذا خلص قطع كتاف الآخر وفك قيده وخلصه حتى خلصوا الجميع وجعل كل واحد يركب من تلك الخيل الغابرة ويطلب آمد (ياساده) وعلم الأمير عبد الوهاب بذلك فقالت له أمه والله ياابنى لقد غدر كلب الروم بالناس فقال والله لاكنت لهم ولا عليهم فى هذه الليلة ولكن أخرج أطلب القناصه لاتقتل بسيف الكفار ثم خرج الأمير عبد الوهاب فوجد العبيد قيام فصاح بهم من أنتم قالوا غلمان الأمير ظالم ففرح بهم وفتح لهم الباب ودخل معه خمسة آلاف فارس سودان وسألهم عن القناصه فقالوا قد خلصت وأخذت سيف قاطع وجواد سابق وقد خرجت من المعمعة تطلب الرشيد وقالت لابدلى ما آخذ تار ولدى فلما سمع ذلك منهم قلق غاية القلق واذا بغبار قد أقبل فى ظلام الليل فنظر اليه الأمير عبد الوهاب واذا بها القناصه ففرح بخلاصها وسألها عن أمرها فقالت طلبت الرشيد فلم أرى له موضعا والأرض قد انقلبت من التخوم وقطرات الغيوم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى نصف الليل فانهزمت عساكر الرشيد وأخذت الأموال والأثقال والمضارب والخيام والرجال وأرسل الملك منويل الى الامير عبد الوهاب وهو يقول له أنت تعلم ماعملت مع هذا وقد ضاع كل ماعملت معه من الجميل

فالرأى عندى انك لا تدخل بينى وبينه وأنا وحق المسيح احمل اليك جميع ما كنت احمله للرشيد وأزوجك ابنتى فان عندكم يجوز للمسلم أن يتزوج اليهودية والنصرانيه ومع ذلك تالك الاقطاع والضياع والبلاد وان الأمير عبد الوهاب لما وصلت اليه الرسالة وقراها أرسل اليه يقول ياملعون أنا ما أدخل بينكم والصلح بينى وبينك لا يكون أبدا وأنت وأصحابك افعل ماشئت (قال الراوى) فانهزم الرشيد طالب ميافارقين ونزل ملك الروم وراءه بعسكره وأراد الرشيد فلم يقدر يثبت بين يديه فدخل الى ميافارقين ونزل ملك الروم عليه يحاصره (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب لما سافر ملك الروم خاف الرشيد خرج ومالك الثقل الذى لملك الروم وملك أكثر خيامه ورحاله وذخائره واستغنت الناس من ذلك وفرق العدد على العبيد والرجال فقوى بأسهم وتبع الرشيد كلب الروم وعساكره الى ميافارقين ومضت المنهزمين إلى أردن والمعدن وامتدت عساكر الروم إلى بدليس واخلاط وموش وارجيش وقد قتل من عسكر الرشيد أكثره وتفرق الباقون ووصلت الأخبار الى البلاد بأن الرشيد محصور فى ميافارقين فى وجوه دولته الله ووجوه (ياساده) وكان الوزير عيسى والفتح بن خاقان وعمرو بن عبيد الاسارى وقد دخل الأمير عمرو فى خمسة آلاف من بنى سليم والباقون قد ركب كل منهم هواه وان الرشيد قد أقبل عليهم وقال لهم كيف ترون هذه النذبة المدبرة هلك العالم وتفرقوا وقتلوا الاصحاب وخذلوا وعساكر الكفار علينا قد نزلوا وان اشتد علينا أخـــذنا من ههنا بالحبال وبالله أقسم ما سعادة دولتى الا بعبد الوهاب وهو كل يوم معنا فى عذاب (قال الراوى) وأقام ملك الروم بميافارقين شهرا كاملا وقد أكلوا المسلمون خيولهم ولم يمكن شيئا من الغلة فأشرفوا على العطب وضربت خيل الروم الى الموصل وخربت نصيبين وأرض الغصه وتلك البلاد وقلوا الملوك لمنويل أيها الملك انما مقدار ما يقتل هذا الذى يقال له الرشيد وقد ملكت البلاد هذا وقد ضاقت على الرشيد الأرض بما رحبت وأيقن بالاخذ ولم يبق فى البلد طعام يقوم بأودهم شهر فقال الرشيد لعن الله من أوقع بينى وبين عبد الوهاب حتى جرت علينا هذه الاسباب هذا وقد غلقت فى البلاد الأسواق وقد أيقن الرشيد بالهلاك ووصلت كتب الطيور من السواحل بأن الملاعنة قد ملكت الى أبواب بيت المقدس وطبريه وملكت البلاد وهم طالبين الى الشام وطيرت الطيور من العراق الى ميافارقين يخبروا بهذه النوبة فقال الرشيد دع يملكوا بغداد وسائر البلاد فهم أحق من الروم وأنا بقيت من الهالكين لامن المالكين وكل هذا من يدى فلو قدرت على من يرد عبد الوهاب إلى طاعتى لكنت شاركه فى نعمتى فهو جمال دولتى فقال رجـــل من بنى سليم ياأمير المؤمنين وما عسى

عبد الوهاب أن فى هذه العساكر التى قد سدت الفضا فصاح به الرشيد ويلك ياكاتب العرب هذا كلامك وكلام مثلك الذى فعل فى هذه الفعال وأمر بضرب عنقه فقال جوهر والله يامولاى ان عبد الوهاب محبا لدولتك وما يكرهه إلا كل من هو باغض لنعمتك (قال الراوى) وأقام الرشيد كذلك فى الحصار عشرين يوم أخرى وقل الزاد وماتت جماعة من المسلمين ووصلت كتب الطيور من العراق بأن الملثمة قد ملكت إلى أبواب حلب فقال الرشيد أنا مشغول بنفسى عن غيرى ثم قال لو كاتبت عبد الوهاب لكان يخلصنى من هذه الشدة فقالوا له أرباب دولته لاتحدث نفسك بهذا فقد قتلت ولده وحرقت كبده وأشمت حاسده فقال جوهر يامولانا كاتبه على كل حال فانه يرجع إلى دينه وكرم نفسه وطيب أصله وإن لم يفعل فهو معذور (قال الراوى) فعند ذلك كتب الرشيد بيده كتاب يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الحلم من شيم الكرام ولم يزال السيد يطغى على الغلام وإن لم تراعينى لما سمعت فى حقك من اللئام فارعى قرابتى من محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وحرمته لدين الإسلام وقد عفى الله عما سلف واعلم أن الملثمة قد خرجت من بلادها وملكت البلاد وأنا قد حصرونى الكفار وملكوا إلى ديار الموصل وأرض العجم وأنت لم تزل معروفا بالجميل لأنك من عنصر طيب الأصل فان لك قدرة على قتالهم وإلا فامضى إلى العراق بجميع المسلمين والله تعالى بعد ذلك معين فان نحن سهل الله لنا بالنجاة من الكفار فهو المراد وإن كانت الأخرى فقد انقضى ما يريد وأنا أقسم بالله قسما صادقا لاسمعت بعدها فيك كلام ممن يتكلم إلا بخير وأنت تعلم الصاحب والأمير ثم ختم الكتاب بهذه الأبيات :

ألا أيها الليث الذى طاب أصله	وما زال جوالا على كل كافر
يردك نحوى حرمة الدين عاجلا	وطيب أصول مع شريف العناصر
وأنت الذى ترجى لكل كريهة	إذا قتلت أبطالها بالبواتر
وحق النبى المصطفى سيد الورى	سأصفيك ودا خالصا من ضمائرى
ولا أستمع من بعدها فيك كلمة	ردية لفظ بين كل المحاصر
فبادر إلى الإسلام من قبل هلكة	فأنت الذى ترجى لكل الكبائر

(قال الراوى) وكتب إليه جوهر كتاب يقول فيه اعلم أن الله تعالى يعوضك الثواب عن ولدك وفى هذه التوبة يعلم الرشيد انك أدين الناس ويكذب الأعداء. ولا يسمع بعدها فيك كلام أحد وعلقت الكتب على أجنحة الطير إلى آمدفلما وقع عليها الأمير عبد الوهاب وقرأها بكى فقالت له الأميرة ذات الهمة ما يبكيك أيها الأمير فقال والله إن عندى أخبار

الملثمة وكيف قد قتلت العباد وملكت البلاد واكثروا فى الأرض الفساد وقد قيل ان مقدمهم بطل من الأبطال يقال له مكتوم المفضال ووزيره يقال له حمدون المحتال يفتح الحصون والقلاع ويملك بتدبيره الرساتيق والضياع وقد كتب إلى أمير المؤمنين يتوسل إلى بسيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وما بقى لى صبر عن نصرة الإسلام فقالت الأميرة يابنى انى أريد أخاطبك فى ذلك ثم سكت لأجل قلبك وهؤلاء المسلمين أيضا أنهم قد وصلوا إلى الرقة وقد ملكوا إلى ههنا وما أدرى إلى أين يقصدون وقد طمعوا أن يملكوا بغداد والعراق كما ملكوا مصر والشام ومن نحن حتى نقاوم الخليفة ان لم ترعى له لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفيع يوم القيامة يوم انقطاع الظهور وقراءة الكتاب المسطور فقال لها الأمير فما الذى تريدين من الرأى قالت ما فى الأمر إلا أننا نكتب إليه بأننا بعد ثلاثة أيام نكون عندك حتى يقوى قلبه ويحفظ الموضع الذى هو فيه إلى أن نصل إليه ثم أنه كتب إلى الرشيد كتاب يقول فيه بعد فضل بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله تعالى قد فرض علينا طاعتك وإن كان قد سبقت الإساءه منك الينا وأعدمت ولدى وأشمت بى حاسدى ومع ذلك فانى أفديك بالأهل والقرايب فى رب المشارق والمغارب وسيكون بعد هذا الكتاب مايسرك وأنا بعد ثلاثة أيام اليك واصل ولعدوك مقاتل وعلق الكتاب على جناح الطائر فلما وصل الكتاب إلى الرشيد بكى وبقى طول ليلته يصلى هذا وبقت الأصوار محصنة (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء { وأما ما كان } من حديث ظالم والبطال فانه ملك مصر وفتح عسقلان وملك دمشق وهو فى أوائل الناس ملثم والبطال إلى جانبه ملثم وهم لا يتكلمون إلا بلغة الملثمة وأبو محمد يتكلم بالبربرية تارة وبلغة الملثمة تارة وهو فى أوائلهم كأنه خلق منهم وأن أبو محمد لما سمع أن الامير عبد الوهاب فى مدينة آمد وان الرشيد محصور فى ميافارقين قال لظالم ان أبوك مايقعد عن ارشيد والرأى عندى أننا نسير اليه ولا نطلع أحدا على مكتوم سرنا حتى نملك الرشيد أينما كان ونأخذ عمرو بن عبيد الله وننفيه إلى بعض البـــلاد حتى يذوق طعم الغربة فقال ظالم هذا هو الصواب وساروا حتى وصلوا الى الرقة وقطعوا الارض الى تنيس وطلبوا أخبار الرشيد فقيل لهم انه قد أحدقت به الروم فى ميافارقين والقتال فى جوانبها من كل مكان فساروا حتى وصلوا اليها وبلغ منويل ذلك فارسل اليهم يقول لهم ما الذى تريدون ان كان قصدكم قتالى فانا أعدو عليكم بهذه العساكر فاجعلكم طعاما للطير وان كان قصدكم ملك المسلمين فالارض بين أيديكم فارسل اليه البطال يقول له نحن طالبين الارض جميعا ونطلبك أنت ونطلب

هذا الخليفة لانه قد ظهر عندنا رجل من بنى أميه وكانت الدولة لهم وانما نقلت لبنى العباس ونحن نريد أن نعيد الحق الى صاحبه والحكم الى أهله وقد خرجنا من بلادنا لاجل الله تعالى حتى ناخذ رأس الرشيد ونحمله الى الغرب حتى يخطبوا لنا فى الشرق والغرب وتكون انت تحمل المال الى ديارنا كما كنت تحمله الى بنى العباس ولا بد أن نفتح بلاد العجم ونفلق القمم وفى غداة غد نزحف اليك الا أن تحمل الينا المال وتهادينا ونتخلى عن هذه البلاد حتى نأخذ الذى جئنا من أجله (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع ملك الروم ذلك صلب على وجهه وقال هؤلاء ماهم فى كثرة حتى يتم لهم ذلك ولكن ماملكوا الارض وملكوا مصر والشام وهذه الاماكن على عجل الا أن القوم فرسان وهم أمضى من الاجل (ياسادة) ودخلوا الجواسيس الى ميافارقين وأخبروا الرشيد بهذه القصة التى جرت وبما قال كلب الروم وماكان الجواب من الملثمة فانتقض وضوء الرشيد واصفر لونه وقال قد حسبت هذا الحساب ولكن هذا كله بخطية ظالم وأبو محمد البطال وما خرجوا هؤلاء من الغرب الا ويريدون قتلى بلا محالة ثم أقبل على الفضل بن الربيع وقال ويلك اكتب الى عبدالوهاب كتاب ثانى وعرفه بهذه القصة وان هؤلاء القوم ماجاؤا الا يريدون قتلى وقلع دولتى وانهم يريدون بذلك القربى الى الله عز وجل (قال) فكتب الفضل الى عبد الوهاب وعرفه بذلك ويقول له معلوم انك ماتقدر تدفع هذه العساكر كلها ولو انك تلقا الروم بعساكر الشرق والغرب ولكن ان قدرت ترسل من يسرق الرشيد وتجعله فى آمد والا فهو هالك بلا محالة من أحد الطائفتين وان كان فيك لخلاصنا وان الله لايضيع أجر المحسنين (ياسادة) وكان الامير عبدالوهاب قد أوعدهم أن يكون عندهم بعد ثلاثة أيام والذى عاقهم أن خيولهم كانت الاتراك طحنتهم فارسل الامير الى سائر المواضع يشترون الخيل ووصلت الخيل فى ملطية فلما وصلت اليه الخيول عول على الرحيل فقالت الاميرة لا بد لناان المسير بعد كتاب الرشيد وكتاب جوهر وقد ورد الكتاب الثانى يذكر فيه أن هؤلاء القوم الملثمة والبربر ماجاؤا الا وقد جعلوا لهم خليفة من بنى أمية وهو الذى أخرجهم من ديارهم فى طلب الرشيد وانتزاع الخلافة من بنى العباس ويذكرون أن وراءهم عسكر يملا الفضا ويضيق المستوى واذا كانوا هؤلاء فى عشرة آلاف قد فتحوا من مصر الى ههنا فكيف اذا لحقهم أضعافهم فقال الامير عبدالوهاب أيتها الأميرة قد سمعت أن لهم أمير يقال له مكتوم وهو من أبطال الجاهلية لايخاف الرجال ولا يرهب الأبطال وهو حاميـــة العسكر ومعهم من البربر جماعة وعليهم أمير مقدم موصوف بالعقل والرأى يقال له حمدون المحتال وقد بلى

الرشيد بأمر عظيم وأنا ماضى لأجله وإنما أمضى لأجل الله تعالى وألقا ملوك الروم لأنهم فى عالم عظيم فان رزقنا الله تعالى النصر عليهم فهو الذى نريد وبعد ذلك ألقا هؤلاء الملثمة وأكشف هذه الغمة عن الرشيد ولا تقع عينه فى عينى يوم من الأيام بعد أن قتل ولدى وأبو محمد البطال وفعل معى هذه الفعال فقالت الأميرة رأيك أعلا وقولك أوفا

(قال الراوى) وان الأمير أخذ الاهبة للرحيل وامر الناس بالمسير واستخلف ميمون الحماس على البلد وأوصاه بالقاضى عقبة وكان الملعون عقبة قد برأ من جراحه وعادت اليه قوته فلما سمع بهذه الأخبار التى خرجت ومجىء الملثمة ومسير الأمير عبدالوهاب الى نحوهم فباس عقبة الأرض وقال اهل المسيح بكون قد نظر الى ضعفى فهلك هذا الشيطان على يد هؤلاء الملثمة أو على يد ملك الروم فى هذه النوبه وقد ملكوا هؤلاء الأرض فى الطول والعرض لأنهم أبطال أقيال وما من طامة إلا وفوقها طامة أعظم منها وماخرجوا هؤلاء من بلادهم إلا ويطلبون نقل الخلافة من بنى العباس إلا وهم أشد قوة وبأس وجعل عقبة لعنه الله يدعو على الخليفة وعلى الأمير عبدالوهاب معه فهذا ما كان من الملعون عقبة (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب فانه سار حتى بقى بينه وبين ميافارقين مرحلة لطيفة وكان ملك الروم قد أرسل فى ذلك اليوم إلى ملك الملثمة يقول له اعلم أنى قد نصبت فى صدر هذه البلد وأنا اليوم أزحف اليها فان أخذتها وأخذت الرشيد فمهلى والتقى أنا وانت ومن قهر صاحبه كان الرشيد له يفعل به مايشاء ويريد وتكون أنت تقاتله ثلاثة أيام ويعطى المسيح النصر لمن يشاء ويريد فأجابوه إلى ذلك (قال الراوى) وان ملك الروم سار الى البلد بذلك الخلق الكثير الذى لا يحصى بعدد الرمل والحصى وحاصروا البلد وثقل القتال عليهم وان الامير عبد الوهاب سار طالب ميافارقين وليس عنده خبر بما وقع وأما الخليفة فانه قال لاهل دولته لولا عرض للامير عبدالوهاب أمر من الأمور لكان قد وصل الينا وماكان يسمه فى دينه انه يقعد عنا وعن المسلمين فقال جوهر والله ياأمير المؤمنين قد كتبت اليه كتابين (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب كان قد أرسل جاسوس يكشف له الخبر فأتى اليه وقال له اركب أيها الأمير قبل أن تفنى المسلمين فانهم على نية أخذ البلد فى هذه الساعة فعند ذلك رحل الأمير عبدالوهاب وجعل يجد المسير ومعه سائر الأمراء وأبطال بنى كلاب وسار على عجل وباقى الناس سائرين خلفهم وكان الامير عبد الوهاب قد سار فى عشرين ألف وباقى العسكر سائرين خلفه فى ثمانين (ياسادة) وكذلك مكتوم وحمدون قد خرجوا من الغرب فى عشرة آلاف فلما فتحوا حصر والشام انضافت اليهم العساكر وقطاع الطريق والحراميه والكسابة وقد صاروا فى

مائة ألف خارجا عن الملثمة والهربر ولم يزل الامير عبدالوهاب سائر حتى أشرف على البلد فوجد البلد قد فتح وأخذوا الروم كل من فيه وأخذوا الرشيد وكل من معه مثل الفتح بن خاقان وعيسى وابنه على وأبو يوسف وأرباب الدولة والجند وقتلوا الباقين بسيف ملك الروم فى ميافارقين وأرسل ملك الروم يقول لملك الملثمة ارحل عنا وأى موضع شئت من بلاد الرشيد فأنا أعارضك وأنا أحلف لك بالصليب والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل والا أعتقد ما تعتقدوه أنتم ان الرب واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والا كسرت الصليب وأوقدته تحت لحم الجمل وان لم ترحل لأخرجن اليك ولأرمين روحى بهذه العساكر عليك ثم رحل الى ان وصل اليه فعند ذلك اصطفت الصفوف وامتدت الألوف وفى تلك الساعة وصل الامير عبدالوهاب فوجد الأمر قد فرط فيه والرشيد والبلد قد اخذوا فصعب عليه وكبر لديه فقالت الاميره ذات الهمه أيها الامير لا يعظم عليك هذا الأمر واتركه حتى يذوق ذل الاسر وقلة النصر ويعلم ان ماخلصه الا نحن ولا ترمى روحك للقتال فان استعجلت طمع فيك ودع ملك الروم يلتقى مع هؤلاء الملثمة فان ظفر بهم كفينا مؤنتهم وانفردنا نحن الى ملك الروم وان هم ظفروا بالروم فيكون قد لقينا احدى الطائفتين فلما سمع الامير عبد الوهاب كلامها قال لها نعم مارأيتى أيتها الأميرة (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من ملك الروم فانه جمع الملوك اليه وقال لهم من يخرج منكم لهؤلاء الاوباش ويكفينى مؤنتهم وأبقى أنا فى مقابلة المسلمين فقال له ملك الدوقس وكان اسمه أسطاروس أنا أيها الملك وكان فى مائة ألف وكان هذه النوبة قد ضمن للملك انه متى خرج عبدالوهاب خرج اليه وحمل عليه ولم يكن فى ملوك الروم أعظم منه فى القتال والحرب والنزال فقال أيها الملك أنا لهم ولمن يأتيك من عسكر عبد الوهاب فعندها خلع عليه الملك وشرفه وقال هذا عسكر عبد الوهاب قد وصل ولاشك لان أصحابه ماعاقهم عند المجىء الا قلة الخيل وهم به لاحقون ونحن نتجرد لهم فى هذه العساكر على ماهم عليه من التعب

(قال الراوى) وهذا كان جميعه برأى أبو الشر شومدرس (باساده) وكان شومدرس فى بلاد الروم مريض وشومه عنده قاعد فلما برىء شومدرس ساروا الى العسكر وهو الذى دبر على ميافارقين حتى أخذوها الروم وقتلوا وأسروا ولما أشرف الأمير عبدالوهاب أشار ملك الروم يقول مادام هو تعبان فى هذه القلة وكان سأل عن عقبة فقيل له ذهب الى الرشيد ونحن على آمد حتى يكون لنا عين عليه فانقطعت أخباره عنى وعلى قلبى من هذا أمر عظيم فقال شومدرس وحق الصليب ان كان الا فى آمد لامحالة ولا يخلو ان لقيه

فى الطريق وأخذوه وقد اشتقت إليه فقالت شوما كونوا أنتم على ما أنتم عليه وأنا رحق المسيح أمضى إلى آمد وأخاصه ثم انها خلعت ثياب الرهبان ولبست ثياب النسوان وسارت من ميافارقين بعد أن خضبت وجهها وكفيها وثيابها بالدما ولم تزل سائرة إلى أن وصلت إلى عسكر الامير عبد الوهاب فرمت وجهها عليه وهى تنادى واسلاماه واقلة ناصراه وجعلت تخبره بما جرى فى ميافارقين وقالت له وقد انهزمت أيها الامير بعد ما قتلوا أهلى وأولادى وأنا طالبة آمد لان لى فيها بنت وأنتصر بك ياسيف المجاهدين لانك ترحم البنات والبنين فبكى الامير من قولها وقال لها ها أنا قد وصلت وسوف أعمل ما أقدر عليه فقالت يا أمير أريد من يوصلنى إلى آمد فما وصلت إلا بعد جهد عظيم وأنا امرأة ضعيفة كبيرة وقد بليت على كبر سنى كاترى فلما سمع الامير ذلك أرسلها مع بعض غلمانه على بغل الى آمد وجاؤها الناس من سائر البلدان لان ما فيها إلا من له فى ميافارقين قريب أو نسيب وجعلوا يسألوها عن حالها وهى تحدثهم بشىء يفتت الاكباد ويوقع الهيبة فى قلوب العباد حتى صعدت إلى عند ميمون الجماس وأخبرته بالحال فبكى إلى ما حل بالمسلمين وقالت والله يعز على ما جرى فلعن الله من كان السبب فى هذه الأمور كلها فصاحت شوما والله يامولاى إن هذا الأمر كان سبب أسر الرشيد وأصحابه وذلك أن ملك الروم لما أخذنا جعل يقدم واحد بعد واحد ويقتله ويقول هذا عن الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح ولا قتان عوضه عشرة آلاف مسلم يامولاى وقد قتل من الناس ألف رجل وامرأة وعول على قتل الخليفة من أجل هذا الشيطان فقال ميمون لاشك انه ظن أن عقبة قد قتل وما يدرى أنه عندنا فى تلك المقصورة مقيد حتى نبصر مايكون من هذه العساكر التى أحدقت بميافارقين فوالله لاشفين فؤادى منه فى هذه الساعه بالضرب الوجيع ثم أمر باحضاره وضربه مائة شوط قدام شوما وهى تنظر اليه وتظهر الشماتة به فقال لها ميمون ألك فى آمد حاجة فقالت لا يامولاى فقال لها اقيمى أنتى عندنا فى الدار الى أن يخلص الله بلدك من أيدى الكفار على يد المجاهدين الأبرار إلى أن تعودى الى بلدك فأقامت عند ميمون وهى تدعو له فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملك الدوقس فإنه التقى بملك الملثمة الأمير مكتوم وأمير البربر حمدون فى مائة ألف وتجرد ملك السقاب فى مائة ألف إلى عسكر الأمير عبد الوهاب والتقوا هؤلاء بهؤلاء وعمل القتال بين الجميع وخضبت الارض بالنجيع وان الأمير مكتوم التقى بملك الدوقس وقد تعلقت الرجال بالرجال وامتلأت الأرض بالقتال وتجاولا فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وتشابكا وتماحكا حتى حمى الحرب والحديد وضعف الساعد الشديد والملثمة والبربر قد فتكت

بالدوقس وفرقتهم فى المعمعة شرقا وغربا وأشبعوهم طعناوضربا عندها صاح الأمير مكتوم بملك الدوقس فأدهشه وزعق فيه فارعبه وخبله وضربه على عاتقه أطلع السنان يلمع من علائقه فوقع على الأرض قطعتين وانهزمت الدوقس وقتل منهم خلق كثير ودام القتال مع الامير عبدالوهاب وملوك الافرنج والصقالبة الى أن أمسى المساء وحندست الظلماء وعادت كل طائفة إلى مكانها وعاد الأمير مكتوم الى مقامه وأضرمت النار أمامه وان الأمير عبدالوهاب نزل موضعه وطلب القناصة فلم يجدها وفتش عليها بين القتلا فما وجدها فعظم ذلك عليه (قال الراوى) وكان من أمر القناصة أمر عظيم وذلك انها أضرمت فى قلبها نار الأحزان فلم تجد على تلك النار سلوان وقالت مالى إلا أن أمضى إلى عسكر هؤلاء البربر فإن ولدى الى تلك الديار نفى وهلاكه فلا يخفى على هؤلاء فلو سمعت كيف كان قتله على الشهادة لعل كانت هذه النار التى بى تهدى عنى ثم انها سارت وقت غروب الشمس وعبرت العساكر حتى وصلت الى عساكر مكتوم فوجدت النار بين يديه وهو جالس وحمدون إلى جانبه وهما مصطفين ومن حولهما العبيد والغلمان ورأت تلك الشموع وهيبته عظيمة وما أحــــدا يجسر أن يتكلم من هيبته فقالت أنعم الله لكما المسا وفوزتم بالسعادة ولقيتما ما تأملان من الارادة وزادكم من التوفيق والذى تؤملون وزيادة واعلموا أن الكريم من رد اللهفة ورد لهفة الحريم وأنا امرأة لست من هذه الديار بل بعيدة الديار عادمة المزار مشردة الأوطان وقد فقدت ولدا كان لقلبى منا فاخذ بالخداع ودارت عليه طاحون الظلم والوداع ورمى فؤادى بسهم الانقطاع وبعد ذلك حرب بيت ظالمة ودرست معالمه وصار كما قال الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا والسبب فى ذلك أنه نفاه الرشيد الى دياركم وهلاكه كان فى أمصاركم وقد جئت أتنسم خبر ولدى ومنية كبدى ثم انها تشرقت بالدموع وأنت من فؤاد موجوع وأنشدت :

ألا أيها الركبان ألا أجبتمو — حليفة حزن قد براها عليلها
بعيدة أوطان قليلة ناصر — كثيرة أشجان مقيم عويلها
وكان لها حصنا باكناف مكة — ونحن فى تلك الديار ذبولها
ففاجأها ريب الزمان بصرفه — وشردها عن ديارها وطلولها
ولله رأى سابق فى عباده — وما غرها الاكلام حليلها
فسارت الى أرض العراق بابنها — ولم تدر ان البين عند وصولها
ولو انهم لم يأخذوه بحيلة — لما ظفرت يوما هناك خيولها

وأنكبني هذا الخليفة واحدي وقد كان ضرغام الحروب يصوالها
وخبر عنه أنه في بلادكم غريبا قتيلا في فيافي سهوالها
نفاه إلى أرض بعيد مزارها بصندوق ظلم حين سارت حموالها
ومعه الفتى البطال والسيد الذي له عزمات لا يجدد نظيرها
فهل فيكمو من عنده اليوم كلمة بها خبر من أمره فيقولها

(قال الراوى) ثم انها بكت واستعبرت وهطلت دموعها وانحدرت ونزلت على خدودها وانتشرت حتى بكا من سمع قولها ورق لها من شكواها وان الأمير ظالم أقبل على أبو محمد وقال له اعلم ان حلاوة اللقا قد أنستني كلما جرى وقد تجلدت جهدى على انى أصبر فما أود ذلك وكيف انى أصبر والعجوز تبكى من لوعة الفراق وتتململ على جمر الاحتراق فقال له أبو محمد الساعه تفسد كلما عملناه ولا تقدر تصل إلى ماأملناه فقال ياعم فهل يجوز أن أسكت بعد هذا فقال له الأمير أبو محمداصبر يا بنى واعلم أن الأمير عبد الوهاب حريص وله جواسيس فى كل موضع ولا يخلو أن يكون له جواسيس معنا وقصدى أن أعمل على عقبة ما تتحدث به الناس من بعد موتى ونأخذ ملك الروم قهرا ولكن أنا أكلمها فقال لها الأمير أبو محمد لا تكونى تسألى عن الأمير ظالم وأبو محمد البطال الذى نفاهما الخليفة الى بلاد الغرب فى هذه الأعوام وأنا عارف بهما وهما سالمين وسوف يصلان فى العسكر الذى خلفنا فانزلى عندنا على الرحب والسعه فلما سمعت القناصة ذلك فاضت عبرتها وزادت حسرتها وجلست بين أيديهما تتعجب وتقول هذه الابيات

ألا أيها القوم الكرام لقيتمو نجاحا وخيرا لا يزال موافيا
وعزا وتوفيقا وأطيب عيشة وعيش مقيم قد حوته الامانيا
ولا زلتمو فى نعمة وكرامة ولا مكنت منكم سيوف الاعاديا
إذا غاب من أهواه عشت بحسرة رأى كريم لا يرق لحاليا
تجدلى مولايا بقصة ظالم فان فراق الولد حقا دهانيا

(قال الراوى) ثم انها قالت يامولاى أنا التى لاأرجع الى الرشيد وأبصر بهم ماأريد وإذا كان ظالم فى العسكر الذى يأتى بعدكم فانا أضرب بين أيديكم بالسيف ولا تهملوا أمرى لأجل انى ذات خدر فان اللبوه تعقر إذا فقد شبلها وكذلك الحزينه إذا عدمت طفلها ثم بكت فاحرقت الأكباد وأطارت عن العيون الرقاد فعند ذلك قال الأمير ظالم يا أبو محمد مابقى لى اصطبار فدع هذا الانتظار فعندها رفع أبو محمد رأسه الى الحاضرين وأمرهم بالانصراف فانصرفوا عن بكرة أبيهم ثم أقبل على القناصة وقال لها هل تعرفين

أبو محمد إذا رأيتيه قالت نعم ايمولاى وانى سمعت الناس يقولون انك حمدون المحتال فقال لها اعلمى ان حمدون المحتال هو أبو محمد البطال ثم كشف وجهه فعرفته فوقفت قائمة ورمت روحها عليه وقالت يا بو محمد أين ولدى وحشاشة كبدى فقال لها سوف تريه ثم قرب يده إلى نقاب الأمير ظالم وكشفه فعرفته فوقعت مغشيا عليها فجعل يضمها اليه ويبكى وكذلك هى الاخرى ولما أفاقت قالت له يا بنى حدثنى كيف كان حديثك فقال لها حديثى عجيب ولكن ماهذا وقته وأقيمى عندنا ان اخترتى وان شئتى إلى عسكر الأمير عبد الوهاب واكتمى حالنا فلا بدلى من أخذ الرشيد وعبد الوهاب وأطلب منه هذا الشخص الذى يقال له عقبة وقد حدثنى البطال عن هذا الملعون بأمور لايهتدى اليها ابليس وأريد أريح المسلمين منه فقالت القناصة والله يا بنى لابرحت من عندك ومابقى لى صبر عنك ومابقيت أصبر على فقدك وأنا أغير هذا الزى وأتلثم مثلكم بالايزار والنقاب وأقاتل معكم فان العسكر بعدد نجوم السما وقد عولت أن أهجم وحدى على عسكر الروم من غيظى من عبد الوهاب وذات الهمة وأقاتل حتى أقتل فقال ياأماه وما الذى فعلوا معك بعدى فقالت والله ما كنت عندهم الامكرمه غيران ما كان يهنا لى بعدك عيش وماقدرت على قتال الرشيد بعدان جرت على من النوائب مالا أقدر أصفه ثم خلصت بعدذلك وفى قلبى النار فلما نزل ملك الروم على ميافارقين قالت ذات الهمة يا بنى سر بنا على نصرة الرشيد لأجل دين الإسـلام فقال البطال لأجل هذا يطمع الرشيد فينا مرة بعد مرة والأمير عبد الوهاب يرى هذا من طريق الدين فقالت القناصه كيف كان يجب له أن يرجع إلى طاعته وقد نفا ولدى وفعل فى حقه مافعل وماطلب بذلك الاهلاكه حتى أتانا مالم يكن فى الحساب ووالله لو كان فعل هذا بولده سيف الحنيفيه لما رجل إلى نصرته أبدا ولكن ولدى مارىى عنده أبدا فى بلاده فلاجل ذلك ماله عليه شفقة فقال لها ظالم سوف أزعم أنا فى الجميع وأضربهم الضرب الوجيع (قال الراوى) ولبست القناصة لبس القوم وكانت كانها ربيت فى الملثمه وبات كل واحد منهم فى أحسن ليله وان البطال سأل القناصة عن الملكة نوره فقالت فى أحسن حال وأتم بال فى نفسها ودينها وقد جاك ولد كانه دارة القمر وسمته مظلوم ولما سمعوا الناس انك هلكت أنت وولدى خطبوها أكثر أمراء بنى كلاب فلم تفعل ذلك وبذل قراقد لها مال كثير فى زواجها فأبت وقالت أنامشغله بتربية ولدى مظلوم وماأريدزوج بعدأبو محمدالبطال فقال لها البطال لله درها ولا بدلى أن أقطع قفا قراقد قائما وقاعدا حتى لايرجع أحدا يتعرض لأهلى ولا لمالى فى حياتى ولا بعدمماتى فضحك ظالم من قوله (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما عبدالوهاب فانه قلق لفقد القناصة قلقا عظيما وقال أنا

ما كنت على هؤلاء القوم الامبارك أتيت بهم من أرض الحجاز الى العراق فتشتتوا فى الآفاق أنا يعز على هذا الفراق وماهى إلا قد قتلت أو أخذت أسيره وبات فى أضيق صدر فهذا جرى وأما كلب الروم فانه أحضر الرشيد بين يديه وقال كيف ترى ياهارون حالك إلى متى يملك المسيح وما بقا لك فى الدنيا لا قليل ولا كثير فانا لا أزال فى الجهاد حتى أمحو دينكم من الدنيا وأنت لابد لى أن أنتقم منك ومن كل من فى يدى من الاسارى فقال الرشيد اعلم أيها المغرور بنفسه إن الله يؤدب الاخيار بالاشرار وأنا أعلم ان هذا فى مقابلة ما سمعت من الحساد فى حق الامير عبد الوهاب فكان ذلك فى عاقبتى ومع ذلك فان الحرب دول وعلى الله المتكل فقال ملك الروم وحق المسيح لو كان لى مثل عبد الوهاب فى عسكرى لكنت أفديه بروحى وأنتم تقولون المسلمون أخوة وهذا الفعل مايكون آخر خدمته لك ان عملت على ولده وقتلته وقتلت صفيه وصديقه أبو محمد البطال فوحق المسيح انى أخرجت خمسين ألف دينار صدقه للكنائس لما سمعت أنك قد فعلت ذلك بالبطال ولقد خلصت الروم من طلعته ولقد عملت مع أهل دين المسيح بهذا عملا مليح وحق الانجيل ان لو كان فى هذه الدار لما كنت أنا فى هذه الليالى أيام طيب ولقد كان يخلصك من يدى ولو كنت فى الارض السابعة فلما سمع الرشيد ذلك ندم لما نظرت عيناه ما صنعت يداه ثم انه قال شعر :-

ندمت على ما كان منى جهالة ومن يتبع ماتشتهى النفس يندم

(قال الراوى) ثم ان ملك الروم وكل بالرشيد من يحفظه وقال للموكلين به احفظوه إلى أن نخلص من هذا العسكر الذى أتى الملثمة وأما عسكر عبد الوهاب فنحن فى عالم عظيم لو رمينا عليهم الدرق هلكوا فإن نحن أسرنا هؤلاء الطائفتين أخذنا الرشيد وسرنا به إلى العراق وتسلمنا البلاد وبات الرشيد على هذا الخبر الطيب وخلا الملك منويل بشومدرس وقال له يابونا اعلم ان هذا العسكر الذى للملثمة أبطال شجعان يريد الواحد منهم مائه من العرب وألف من الروم لاسيما هذا الفارس الذى قتل ملك الدوقس بالامس لا يمكن أن يكون فيهم مثاله وانهم ذكروا أنه أفرس من عبد الوهاب ولولا ذلك ماحدثته نفسه انه بهذه الكتائب القليلة يلاقى هذه العساكر ويفتح بلاد الشرق وقد تم له ذلك فلما سمع شومدرس ذلك من كلام الملك قال يامولانا فما الذى تريد قال ياأبونا لو قدرت تعمل لى حيلة على عسكر الملثمة بقدر ما نكسره لاننا على عجل من أمرنا ولا نبالى بعد ذلك بعساكر عبد الوهاب وكنا نطحنهم طحن الدواب وترميهم على التراب وحق المسيح لو كان الشيخ النجيح عندنا افعل كل عجيبة وما هو إلا فى أضيق مجال وإلا ما كان يقعد عنا فى هذه

الاحوال فقال شومدرس أيها الملك طب نفسا وقر عينا فسوف ترى مايكون وحق الصليب لابد ماأدبر على العسكرين قريب فقال قواك المسيح وزادك قوى أيها الشيخ النحرير فأنت صاحب الحكم والتدبير وأصبحوا ذلك اليوم للقتال وخرج الملك للقتال ومقام النزال وقد قسم العساكر نصفين وجعل معه ألف ألف وقال لاتعرضوا للقتال وأرسل إلى باقى الملوك وأمرهم أن يمضوا فى خمسمائة ألف إلى قتال الأمير عبد الوهاب والباقى إلى عسكر الملثمة والتحم القتال بين الطائفتين وثار الغبار من كل جانب وعملت القواضب ونظر الأمير ظالم الى عالم عظيم قد أحاط به فجعل يقصد أصحاب الأعلام وحملة الصلبان والقناصة والملثمة والبربر من حوله كانهم السباع وأبو يخلف يقول يامولاى ان لم يقتلونا مانكون إلا فى عافيه والأمير عبد الوهاب وبنى كلاب صبروا صبر الكرام ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل من وقت الأسحار إلى وقت الاصفرار وانسدل الظلام ورجعت الطوائف من اتى العسكرين خائبين فلما دخل ملك الروم إلى ميافارقين دخل عليه رجل قصير من الرجال لم نظره قط فقبل الارض بين يديه وقال أيها الملك اعلم انى رسول اليك من عند من يعز عليك ثم ناوله كتاب مختوم فلما قراه تهلل وجهه بالفرح وباسه فعندها علمت الروم أنه سمع ماطاب به قلبه ثم انه خلع على ذلك الشخص وأكرمه وحمله على حصان ووعده بكل جميل والناس لايدرون ماسبب ذلك هذا ومارس قد أقبل على أخيه دارس وقال له اعلم ان هذا الامر قد أزعج قلبى وأخاف ان بعض المسلمين من عسكر الامير عبد الوهاب قد عملوا عليه أو من عسكر الملثمه وما أعلم بهذه القصه كيف هى فقال مارس والله انه لولا الامير عبد الوهاب أفرس أهل زمانه لكان عن قتال هذا العسكر غنيا لان كم جهد الانسان مايلتقى عشره أومائه وهؤلاء خلائق لاتحصا بعدد الرمل والحصا وأمسا المساء دعا الملك بشومدرس وقال اقرأ هذا الكتاب يابونا فلما قرأه باس الارض وقال هذا شىء مانا له واحد من سائر الملوك ولا فرح به لاغنى ولا صعلوك (ياساده) ثم ان ملك الروم دعا بحرب بن شيبان وضم اليه أربعين ألف من الفرسان أبطال شجعان من متنصره العربان وألبسهم ثياب الاسارى التى للمسلمين الذين من عسكر الرشيد وأعطاهم الرايات والاعلام والبنود البيض وعليها مكتوب بالسواد لا اله الا الله محمد رسول الله والبعض مكتوب عليها نصر من الله وفتح قريب وقد فرق عليهم العدد والخيل والسلاح والسيوف والرماح وقال لهم لاتسيروا حتى يتنصف الليل فقال حرب بن شيبان السمع والطاعة (ياساده) وخرج من عند الملك منويل والعساكر من حوله ممتثلين كلامه وسمعوا قوله وساروا مع حرب بن شيبان الملعون فى أماكن يعرفها حتى عبر مسكن الأمير عبد الوهاب وسار طول

الليل والنهار حتى رأوا القباب والهضاب ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقد قربوا من آمد فاكمنوا باقى يومهم الى الليل وقد مضى منه ساعة واذا قد وصل اليهم أيضا خمسة آلاف من الروم ومعهم الجمال والبغال تحمل الرجال ثم أمر حرب بن شيبان أن يكشف بعضهم على كل حال ففعلوا تلك الفعال ثم ان حرب بن شيبان ذبح خمس رؤس من الخيل وأمرهم أن يتخضبوا ابدماهم فبقوا كالارجوان وشقائق النعمان وشدهم على البغال وأمر رجالا من العرب المتنصره أن يسبقوا الى آمد ويبشروا أن الاسارى قد وصلت آمدوان المسلمين قد نصرت (ياساده) وسار بتلك الرجال الى آمدوكان وصوله اليها قبل الصبح فأخبرهم ان الامير عبدالوهاب قدكسر الروم الكلاب وكسب وغنم أكثر الاسلاب وانه قد اصطلح وتعاهدهو مع الملثمه على قتال الروم وقد قال ما بقى علينا الاقسمة الغنيمه وقد كسر منويل على ميافارقين وقد طلب منويل ان يغدر بالرشيد فلم يفعل الأمير عبدالوهاب وقد تسبب له بأحسن الاسباب (قال الراوى) وان ميمون الجماس لما سمع ذلك خلع على البشير وأعطى له من المال شيء كثير وقدزين البـــلد ودق البشائر والكؤسات وقال للبشير ان كان قولك صحيح أعطيتك شيء يغنيك وأزوجك زوجة ترضيك فقال يامولاى سوف يصل اليك السبى والاسارى مع عرب بنى كلاب عند المسا (ياساده) ولما كان آخر النهار واذا قد أقبلت الرايات والصناجق الخليفيه والجمال والبغال والاسارى فعندها علا التكبير من أعلا الاصوار من النساء والرجال والصغار وفتح باب البلد وخرج ميمون الجماس من القصر ومعه جماعه من الناس ولما وقعت العين على العين وقد وقعت عين ميمون الجماس على حرب بن شيبان اندفع الحرب على ميمون ومسك بأطواقه وضيق عليه خناقه وقدصرخ الملعون عيسى ومريم والصليب ثم دارت به الرجال أصحاب الهمم وعمل السيف فى الاضلاع والقمم وبكت العيون بدل الدموع دما وهاج الشجاع ودمدم والجبان ولى وانهزم وناحت عليهم غربان العدم وبطل قول أى ولا ونعم وعمل السيف فى الكبير والصغير والعبد والامير والغنى والفقير وصار السير عسير وحسرت المقادير فبكم التدبير وصار الدم جرير وجرى على الأرض مثل جرى الغدير حتى خاضت الخيل فى دماء القتلى كحلت الأجفان بموارد العما وتلهفت الاكباد على شربة من المـــاء وانقطع من طلب الاسلام الامل وقرب منهم الأجل وعملت فيهم السيوف وقد عملت فيهم العرب المتنصره أوفا عمل وكانت ساعة متعسره وقد نفدت فى المسلمين أمور الله المقدوره وقتلت الرجال خمسه خمسه وعشره عشره وتكاثروا على ميمون الجماس فأخذوه أسير وعدم السعاده والنصير وقتل من المسلمين خلق كثير ودخل حرب بن شيبان البلد واليها صعد

وأخذ كل من فيها أسير فى الذل والهوان وملك القصر بعد ماهلكوا جماعة من الفرسان وكانت ساعة عظيمة الشان (قال الراوى) وكان من تدبير الله تعالى ان هذا الذى جرى كله من تدبير شوما أم الاهوال واللعين عقبة شيخ الضلال والسبب فى ذلك ان شوما سارت من عسكر الروم طالبه آمد وعقبة بأمر الملك وزوجها فسارت إلى نصف الطريق فالتفت الأمير عبدالوهاب فى الطريق فعند ذلك أخبرته انها من ميافارقين وقد قتل ولدها وبعلها وقد نالها عليهم حزن عظيم فرق لها الأمير وأرسلها إلى آمد على بغل من البغال الثقال وما زالت إلى أن دخلت إلى آمد وقد داروا الناس بها من كل جانب ومكان وصاروا يسألونها عن ميافارقين وما جرى من الشيان لانهم أكثرهم قرايب واصهار والملعونه تحدثهم بما حل بالمسلمين من الدمار وتقول لهم ما تنقطع به الاكباد وتوقع الهيبه فى قلوب العباد ومازالت حتى طلعت عند ميمون الجماس فى القصر وكان الوقت وقت العصر فأخبرته بما أخبرت به الناس فبكوا المسلمين عند ميمون الجماس وقالوا والله يعز علينا ماجرى على الموحدين وماتم على أمير المؤمنين فلعن الله من كان السبب فى هذا الأمر وهو الملعون عقبة والله رأينا شىء أمر من الصبر وأصعب من الموت فصاحت شوما وقالت يامولاى صاحب هذا الأمر هو الذى كان السبب فى هلاك أصحاب الرشيد كلهم وهو الذى كان بفعله يضلهم فقال لها ميمون الجماس فكيف ذلك فقالت له شوما يا مولاى السبب فى ذلك ان ملك الروم لما أخذنا أسارى جعل يقدم واحد بعد واحد من المسلمين ويضرب عنقه وأنا بعينى أرمقه ويقول عوضا عن الشيخ النجيح وحق المسيح لا اقتلن عوضه الا عشرة آلاف بلاشك ولا خلاف وقد عول على قتل الخليفة لاجل هذا الشيطان الكاب الجيفه فقال له ميمون الجماس لاشك انهم ظنوا ان الملعون قد قتل وانقطع منه الاياس ومايدروا انه عندى فى المطمورة يقاسى الذل والباس وهو مقيد محتار وعليه جماعة يحرسوه من الناس حتى ننظر مايكون فوالله لابد ان أشفى قلبى منه الساعة بالضرب لاننى منه مغبون ثم انه أخرج عقبة الملعون ضربه ضربا يدور الطاحون أكثر من ثلثمائة سوط وقد بكت عليه العيون كما قال القائل

رق له الشامت مما به ... ياويح من رق له الشامت

(ياساده ياكرام) وقد قل منه الحيل والقوى ثم رده إلى موضعه وشوما تنظر اليه وقد وجع قلبها عليه ثم قال لها ميمون الجماس ياهذه لك فى البلد معرفة أو قرايب أو أصحاب أو نسايب قالت له لا والله يا مولاى فقال لها أقيمى عندى فى الدار الى ان نخلص بلدك وأهلك من الكفار على يد المجاهدين الابرار فشكرته على ذلك ثم انها أقامت فى آمد حتى صارت

تتوصل الى عقبة و تدخل عليه وتخرج وهى تحكم النوبة وتشتمه وتضربه قدام الموكلين به ومازالت على مثل ذلك الى ان دخلت عليه يوم من بعض الأيام وعرفته بنفسها ففرح بها وقال لها تقدرين لى على دواه وقرطاس وقدزال الهم والباس فقالت له نعم ثم انها مضت ثم أتته بدواة وقلم فكتب لها ذاك الكتاب الى منويل وفيه هذا التدبير بلا تطويل وقال لها اعطيه الى العطار الذى على باب آمد فهو يوصله الى الملك منويل ويكون انا مساعد نخرجت شوما وفعلت ذلك وجرت القصة كما ذكرنا وتمت الحيلة كما وصفنا ودخل حرب ابن شيبان الى البلد الى عقبة وقصد فقال له أحسنت ياحكيم الزمان وأوحد العصر والاوان فقال له عقبة الآن ياابن شيبان قد ملكتم بلد مامثلها فى سائر البلدان وما بقيت تخرج من أيديكم ما بقى الزمان (ياساده) ثم ان عقبة الملعون أمر حرب بن شيبان ان يأخذ علوى زوجة الامير عبدالوهاب وسائر نسوان بنى كلاب ونساء السودان الانجاب وأقام عليهم الضرب حتى أخذ منهم المال ثم انه قدم نورى زوجة البطال وبصق الملعون فى وجهها وقال لها ياملعونه قد اتخذتى بعد اليقين ضلال وقد حسبنى انه لم يكن لنا الزمان ثم أمر لحرب ابن شيبان أن يضربها فضربها ضربا شديد ما عليه من مزيد وهى مثل القمر إذا طلع من تحت الغمام وبان فقال لعقبة وحق المسيح ماتستاهل ان تضرب ولكن أنا أطلبها من الملك الى نفسى وأردها الى دينها بكل سبب فقال له الملعون ما ترتد عن دينها حتى تقتل هذا الولد الذى بين يديها وقد بلغت الارب فقال حرب بن شيبان هذا أمر هين مافيه تعب ثم ان حرب أخذ الطفل منها وذبحه من أذنه الى أذنه بعد ان قال لها عقبة ترتدى عن دينك الى دينك الأول وأنا أهب لك ولدك فقالت له نورى ياملعون افعل ماشئت فو الذى هدانى للاسلام وجعلنى من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لو ان لى ألف ولد وقتلوا لم أرتد عن توحيد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا عندى غير دين محمد فاصنع ماشئت (قال الراوى) فعندها أمر ان يودع نورى قال فودعها بعد ان أحرق قلبها على ولدها وهى تنظر وترى وقد رفعوا نورى عند الأميره علوى وهى على غير الاستوا وبعد ذلك كتب الأمير عقبة الى منويل كتاب يقول له فيه ان قدرت ترحل الى آمد فارحل واستعمل العجل فاننا قد ملكناها وان تحصلت فيها فيقطع اياس عبد الوهاب وغيره منها (قال الراوى) هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب فانه أقام فى قتال ملك الروم ثلاثة أيام وكذلك الملثمه وقد قتل من الروم خلق كثير لا تحصى بعد الرمل والحصى ولا يعرف لها عدد ولما كان فى اليوم الرابع ركب ملك الروم وقد حمل على الملثمة بنفسه فى خمسمائة وحمل أخوه ميخائيل على عسكر الأمير

عبد الوهاب فى خمسمائة ألف وكان يوما عظيم لم يسمع بمثله ولا عاين شكله ولم يزال السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل والرجال تقتل الى وقت العصر وقد وصلت الأخبار الى الأمير عبدالوهاب بأن آمد ملكتها الروم فلما سمع ذلك الأمير عبدالوهاب ورد على قلبه أمر عظيم وقال والله هلك الاسلام فقالوا جميع بنو كلاب والله ما بقى لنا صبر على المقام بعد هتك الحريم وارتكاب هذا الأمر العظيم ونريد نعود لعلنا نلحق البلد ونخلص أهلها من الهم والنكد (ياساده) ثم انهم عادوا على وجوههم راجعين طالبين آمد وكل منهم اليها قاصد والأمير عبد الوهاب فى أوائلهم وهو يبكى على اهله وماله ونسائه وعياله وعلى المسلمين وقال يالها من مصيبة ما أعظمها ونوبة ما أيشمها وكيف بقينا نقدر على آمد وخلاصها من أيدى الكفار الا بعد شدة القتال والحصار ثم رحل وسار وقالوا الناس من الروم ان عبد الوهاب انهزم وعساكر بنى كلاب ثم تبعته الخيل وساروا طول النهار والليل وقد علم ملك الروم ان عبد الوهاب ما انهزم الامن أمر عظيم ومايعرف ايش تعمل يرحل أو يقيم فهو كذلك وإذا بكتاب عقبة قد وصل اليه فذكر فيه ماقد شرحناه من آمد فمن فرح الملك بذلك صار قائما وقاعدو باس الأرض وقرأ الكتاب على الملوك (قال الراوى) فلما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح قال ملك الروم الرحيل فدقت الكوسات ورحلت الروم وقد أنكر البطال هذا وسأل عن عسكر الأمير عبد الوهاب فقيل له رحل وان كلب الروم قد أسر الخليفه وقد أخذ كل ما كان فى ميافارقين وسار وان ظالم وأبو محمد نزلوا على ميافارقين وسمع الخبر بان آمد قد أخذت فسأل القناصة عن عقبة فقالت انه كان فى آمد ماسور فقال والله لقد عمل هذا الملعون على البلد وقد أهلك الناس وأخذت نورى وأهلك ولدى بلامحاله وهذا رأى عقبة ويقول ان نورى تعود إلى دين النصرانيه ثم انه أقبل على الأمير ظالم وقال له اعلم ان الأمير قد انتهى إلى آخره ولا يجوز لنا أن نقعد عن نصرة الإسلام واعلم انك أيها الأمير ماتدرى ماقد ورد على قلب الأمير عبد الوهاب لأننى أعرف اشفاقه على هذه المسلمين وماأمن عليه من هذا العدو العظيم فلما سمع ظالم ذلك قال الرحيل فى أثر القوم (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب وصل إلى آمد فوجدها مغلوقه الأبواب وحرب بن شيبان فى أربعين ألف على الابراج قال فجعلوا يصيحون عليه ويشتمونه فلما ان رأى ذلك أيس من البلد وبقى حائرا لايدرى مايفعل وأشرفت عليه عساكر الروم والصليب من حوله عسكر عظيم لايحصى أكثر من عدد الرمل والحصى فبقى الأمير عبدالوهاب حائر لأن الذى قدامه أربعين ألف فارس كلاب رواجس ومن خلف

عسكر الروم جميعه فأقبل الأمير عبدالوهاب على الاميره ذات الهمة وقال لها كم تقولى لو ذقت القنا كم سنه فقالت له ثلاثين سنة فقال لها أظنها هذه أختها والله ياأم المجاهدين لأرمين روحى تحت الصليب الذهب وأطلب ملك الروم وآخذ بثارى وأكشف عنى عارى (قال الراوى) فعند ذلك قالت العرب كلها كلنا نفعل كفعالك أيها الأمير ولو كان هو خطير لأن الموت أعظم من هتك الحريم (قال الراوى) فعندما كشف الأمير رأسه وخفف لباسه وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا الله أكبر فنادى شومدرس أيها الملك ادهمهم بالجمله فما بقى لهم حياة بالجمله (قال الراوى) فعند ذلك انطبق على ذلك العسكر مثل الجراد المنتشر أوالسيل المنحدر وعمل الصارم فى الأبدان والرؤس وكان يومهم يوم عبوس لعبت فيه الخيل بالرؤس وعمل السيف والرمح والدبوس فكانوا فى ذلك اليوم العبوس فى طالع ميشوم منحوس وهم مابين ضارب ومضروب وطالب ومطلوب وغالب ومغلوب وقد عملت السيوف القاطعه ووقعت الخيول المصارعة وكان يومهم كيوم قال الله القارعة ماالقارعة وماأدراك ماالقارعة وهو يشبه يوم القيامة من كثرة المنازعة (قال الراوى) فعندها اندقت عسكر الروم حتى ملات الأرض فى الطول والعرض ووصل ملك الروم وقصد إلى باب آمد الذى يقال له باب الروم ففتحوا له ودخل الى موضع لم يكن لاحد مثله وقصد الكنيسه وصلى فيها وأوقد الشموع وعلق الستور وأمر بتخريب المساجد وفعل مايغضب الملك الواحد وبقى الأمير عبد الوهاب معهم على هذا الحال فى القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد إلى أن ولى النهار وقد فرش القتلا فى الميدان وقتل عالم لايحصيهم الملك الديان وأظلم الليل وكلت الخيل وسالت الدماء مثل السيل وان الامير عبدالوهاب طلب الرجعة فلم تمكنه الرجعه من الروم والترك قالوا ان فتحتم له الطريق هرب وإلى مراده طلب وان هذه النوبة جعلها المسيح إلى هلاكه سبب فى سواد هذا الليل والغيهب (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب التقى بالاميره ذات الهمه وقال لها مالنا الى الراحه من سبيل الله وهذا عالم غير قليل ولم يفتحوا لنا طريق فزعا من هروبنا وهم يتناوبون علينا ملك بعد ملك واذا تعب بعضهم قاتل الباقى وما لنا الا القتال بطول الليل ثم انه صاح بالسودان مثل أبوا الهزاهز وقراقد وضيغم وشيظم وكردم ودمدم وقشعم وملهم وأبو غانم الاعرج والمعزم ومرطم وأبو الهول والدموس وركاض الارض وملابط البغال ومضارب وضراطه وشارب الدماء وجافظ الدماء وسملق (قال الراوى) وأجابت سودان قراقد مثل شيظم وأبو الشيص والمعرطش والمغيطه وكاب السوق والمدحرج

وعلق البحر وقرقيان وملاعب السيوف والدرق والمزيق وشدق الجان وابن عساد والناعق والناهق وبرسيم (قال الراوى) وأجابته سودان الامير ظالم مثل خاتم العقل وأبو المهرتين والخليع ولص الفلاه وسبع العرب وسراق الجمال وأبو عقاين وأهوج السودان ومناطح الحجر وذيب الوادي وأكال الافاعى والقمقاع وزوبعة القوصف
(قال الراوى) وعمل النصال ودام القتال حتى أرخى الليل ظلامه ولم يعرف الولد أباه ولا الأخ أخاه ولا القريب أقرباه وكل انسان ركب هواه وسالت من الجرح دماه وذلك اليوم كان عبرة لمن يراه وجعلت الاسارى فيما بينهم يسمعون كفر الروم بمن خلق الليل واغطشه وأخرج ضحاه وقالوا أنه عيسى لحاشاه من ذلك لحاشاه بل هو عبد الله مكلف بالعباده كسائر مخلوقات الله فكانت أيضا كلمة عيسى يعرف بها أعداه من أولياه والأمير عبد الوهاب وأصحابه كانت إشارتهم لا اله إلا الله محمد رسول الله وهى كلمة ماقالها أحد مخلصا من قلبه الاغفرله ماقد جناه والأمير عبد الوهاب ينادى لااله سواه وقد فاضت على المسلمين عيناه بدموع غزار وأخرج من جلباب درعه يداه وهو يضرب تارة بيسراه هذا والأميره تقول له ياولدى ارفق بنفسك وهو يقول لها اسكتى ياأماه فا نحن نقدم على الله والدماء قد خضبت عارضاه هذا والتكبير قد أزعج الفلاة وكبرت معهم ملائكته فى أرضه وسماه وقد قرأ القارئ فاسكر الأمير عبد الوهاب قوله تعالى وما النصر الا من عند الله قال وغرت النفوس ولعبت الخيل بالرؤس حتى ذهب الغلس وبان الصبح وتنفس ولم يبق فى أحد من القوم نفس وقد قتل فى تلك الليلة من الروم بعدد النجوم (قال الراوى) وأصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وتقدمت ألف ألف وتأخرت ألف ألف فعند ذلك أيقنوا المسلمون بالعطب من شدة مانالم من السهر والتعب هذا والاميرعبدالوهاب ينادى هياهيا ياأحباب الله جاهدوا فى سبيل الله ووقعت الخيل من التعب فلم تتحرك فعندها ترجل الامير عبد الوهاب وترجلت أمه الاميره ذات الهمه وفعلت الناس مثل تلك الفعال وقاتلوا قتال من ترك الدنيا وراء ظهره وأقبلَ على الآخره بوجهه وصدره فيالها من ساعه ما كان أعظمها ومن وقعة عند الله كان أكرمها (قال) فهم فى أضيق الخناق وقد أمر ملك الروم لباقى الالفين ألف أن تحمل حملة واحدة من عجلته واغتنام الفرصة إذ طلع الغبار وظهر من تحته عسكر الامير مكتوم السكرى والامير حمدون العيار المحتال الفارس القهار عند ارتفاع النهار فنظر الى ذلك فقال له اعلم يا أمير ماأبوك الاـضى هالك وقد وطئته الخيل بالسنابك فأمر بالحمله عليهم
(قال الراوى) فعندها حمل ظالم حملة الغضب على الروم الملاعين وكبرت الملثمه

والبربر وقد انضاف اليهم من أرض مصر ومن أرض الشام من الخواص والعوام وعمل الصارم وفلقت الجماجم وطارت المعاصم وانقطع الكلام فلا وأبيك ما كانت الا ساعه حتى انكشف الروم عن الامير عبد الوهاب وأصحابه الانجاب وقد خاض الامير ظالم حتى وصل الى الهياج وقد قطع الاوداج واخترق العجاج ونظر الى أجسام الروم على الارض مثل بياض العاج ثم انه تأمل الى الامير وله صول وهدير (قال الراوى) ونظر ظالم إلى عبيده وقتالهم ففرح بذلك ومال قلبه اليهم إلا أنه من فطنته لم يظهر لهم ذلك بل انه حمل على الخيل وقلب بعضها على بعض وملا بالقتلا جنايب الارض ونظر الامير عبد الوهاب الى حلاوة أطرافه وسرعة انعطافه فقال لااله إلا الله ما أشبه هذا الفارس الملثم بانعطاف ولدى ظالم الغريب المشرد عن الوطن الطريد الفريد المقتول ظلما الذى كان عليه فى الكتاب مسطورا حتما فقالت له الاميره يابنى هذا وقت البكاء على الولد فنحن فى تلك الساعة فى طاعة الواحد الاحد الفرد الصمد فلا تشغل قلبك بسواه فلك أسوة بالناس فوقع من ذلك الاياس (قال الراوى) لهذه السيره لم يروى فى السير ولا سمع فى الخبر مثلها لوقعاتها نقلت عن أكابر المشايخ من بنى كلاب أهل العقل والصدق والآداب المجاهدين فى سبيل الله الملك التواب وما كان الواثق يمل من سماع هذا الحديث ولا سيما هذا الفصل فى نفى ظالم والبطال ورجوعهم الى الديار والاطلال فكان الواثق يطرب من هذا الحديث غاية الطرب ويتعجب منه غاية العجب (قال الراوى) ونعود الى سياقة الحديث والخبر بعد الصلاة على سيد البشر (ياساده) ولم يزال القتال يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل الى أن أظلم الظلام وخفيت مواقف الاقدام ونادى المنادى بالانفصال عن الحرب والقتال وقد امتلت الارض من القتلا وسيول الدماء وقد صار مثل غدران الماء هذا وقد انعزلت عساكر مكتوم وحمدون الملثمة والبربر وصار يقول تالله لقد كنت أشتهى من الله تعالى أن يرزقنى ولد مثل هذا الفارس مكتوم وكان يفتك اليوم فى طوائف الروم (ياساده) فعندها غضب سيف الحنيفيه وكان حاضر وقال لقد صدقوا الناس فيما قالوا وهو مثل يضرب زامر الحى لم يطرب وبنت الدار عورا وخبز البيت ماله طعم وأنا والله أنجب منه وأشجع وأقوى منه قلب عند الفزع فقال له الامير والله ياولدى ما أنت الا فارس نجيب نحرير ولجميع أبواب الحرب خبير وفارس نجيب ولكن ما من طامه ياولدى الا وفوقها طامه والفروسية لهذا الفارس خاصة ولسائر الناس عامة وانى أريد ياولدى أن يعطيك الله مثـــل نجابته ومثل فروسيته وشجاعتـــه حتى تقاتل فى سبيل الله بكل سبب ولقد أدركونا فى وقعه التعب

وكشفوا عنا الكرب وكانوا بعون الله انجا تنا سبب فقال له سيف الحنيفية طب نفسا وقر عينا فهم ظالمين لك ولغيرك لأنهم يريدون الرشيد وأنت رجل دين وذو بأس شديد وما تتخلا عنه حتى تبلغ ماتريد ولا بدلك من الموت ويفوت فيك الفوت (ياساده) فعند ذلك قالت الأميره ذات الهمه لسيف الحنيفيه ياولدى لاتمرد على أبيك وما يشتهى بذلك إلا يشجعك وينجيك وما أنت إلا فارس زمانك وتفوق فى الشجاعة على أقرانك لكننى رأيت اليوم من هذا الفارس ماقد أعجبنى وهو كأنه الأسد الضيغم ويشبه شمايل أبيك إذا حمل على الروم ونخر وعمل والله اليوم فى الروم عمل تعجز عنه العرب والعجم والفرسان ماتتفاضل على الفرسان إلا بصبرها فى مقام الضرب والطعان فلا تحرك وتكون على ابيك حردان فلما سمع سيف الحنيفيه ذلك غضب غضبا شديدا ولكنه كتم غيظه وشره ليبلغ مايرى ومكث ساعة ونهض من بين أيديهم فظنوا انه يريد حاجة له فركب واعتد بعدة خلاده وخرج هاجا على وجهه لما سمع من كلام أبيه وجدته وعصفت فى رأسه نخوته لما فضلوا مقدم الملثمة عليه بقوته وفروسيته وتم سائر فلم يرد رأسه حتى وصل إلى عسكر الروم فلما دخل العسكر قاموا اليه البطارقه وأربابه الحرب وسألوه عن حاله وقالوا له من أنت قال لهم أنا رجل رحيل مسلم أريد الملك فله معى نصيحة وأريد آخذ منه الأمان وأحدثه بماجرى وكان وأقاتل أعداه بين يديه وأبيد له الفرسان والأبطال والشجعان فعند ذلك ساروا به إلى عند الملك الدمشتق بن الثلجى الوزير فلما وقعت عينه عليه أخذته الدهشة والتحيير وقد عرفه فوثب اليه قائما على قدميه وقال له بعد ماخدمه وسلم عليه كيف انك حتى زرتنا بعد ما انعزلت عنا فقال سيف الحنيفيه أنت تعلم ان أمى ميرونه بنت البترك فقال له نعم فهات مافى خاطرك وتكلم فقال له سيف الحنيفيه قد أتيت ارجع إلى دينى الذى كنت عليه وربيت فيه وما كنت عليه من الدين العتيق ومقال التحقيق فقال له الدمشتق وحق المسيح لقد أدخلت على قلبى مسرة عظيمه وفرحه جسيمه قال سيف الحنيفيه واضمن على نفسى للملك منويل إننى فى غداة غدا كفيه شر الأمير عبد الوهاب بلا تطويل وأبلى بنى كلاب بالويل الوبيل وأكفيه أيضاهم الملثمة وأقتل مقدمهم ومعه ألف قسمه على شرط اننى أريد منه الانطاع والجاه والمال والبلاد والضياع (قال الراوى) وقد قيل الشاب من الجنون (ياساده) ولما ان سمع الدمشتق منه ذلك الخطاب فرح بتلك الأسباب وقام إلى الملك وأعاد عليه القصة ففرح الملك بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وكان عقبة حاضر فقال أيها الملك خذوه اليكم واخلعوا عليه واحسنوا اليه غاية الاحسان واعطوه كلما طلب من فضه وذهب لعله ان يكون لهلاك أبوه عبد الوهاب سبب أما قوله يرجع الى دينكم لأن أمى منكم فهذا شىء لايكون أبدا لكن أظن ان قدومه انا قدوقع بينه وبين

أبيه كلام وقد حملته نخوته على ذلك الحال والسلام وربما يكون سببا لقتلته من أبيه أو قتلة أبيه على يده ونبلغ بذلك غاية المراد والمرام وان قتل كان فتحا لكم وتكونوا فى ابهام وأما أنا فلا أقع فى عينه أبدا فانه كان يسقينى كأس الحمام ولو كنت فى حجر أكبر ملوك الزمان لأنه بطل نفيس لأنه هو الذى فلق راسى ولولا المسيح كان أخمد أنفاسى لاجل تلك الشربة وان كان ماوقع بينه وبين أبيه خصام وكلام ما أكون عقبه وان هو دخل إلى الدين حقيقة فأنا أعمل معه ما أريد من حسن الطريقة وإن تم على دين الاسلام عملت على قتله قبل رجوعه إلى أصله واسقيته كاس الحمام (ياساده) فعند ذلك أمر الملك باحضاره فعند ذلك دخل الدمشتق على الملك منويل وسيف الحنيفيه كأنه الأسد النبيل ولما وقعت عين الملك منويل عليه أكرمه وتزعزع له وقربه منه وعظمه وكان لما نظره نشف ريقه فى فمه ثم ان الملك خلع على سيف الحنيفيه وقال له انت تكون عندى أعز من الولد ولك عندى البلاد والأقطاع أكثر من كل أحد وأعطيك ماأردت واشتهيت وأبلغك كلما تمنيت (اساده) وبات على ذلك الحال إلى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح واصطفت صفوف الروم وكذلك فرسان الأمير عبد الوهاب وعسكر مكتوم هـذا والأمير عبدالوهاب يظن ان ولده سيف الحنيفية معه فى العسكر اوفى بعض الخيام وماعنده علم بما جرت به الأحكام ولما اصطفت الصفوف وتعدلت الألوف برز بطريق من الروم وعلى جسده ثوب أطلس أحمر رومى قسطنطونى ملكى مدثر عليه صلبان من الذهب الاحمر يأخذ بالبصر وهو فى حلقه صليب من الجوهر يسوى ملك كسرى وعلى رأسه قلنسوة رومى من حجرة الشقائق وعليها بيضة عادية كأنها الفضة المجلية وصدرية زرد مضاعفة العدد كأنها عيون الجرد لا يعمل فيها الحسام المهند وهو على طرف يسبق الطرف ويجوز الوصف بكنبوش مكلل بشبكة لؤلؤ بفصوص من الياقوت الاحمر والزمرد الازرق وسرج من الذهب الاحمر يأخذ بالبصر وهو نزهة لمن نظر (ياساده) ولما نظروا المسلمون إلى ذلك الفارس ذهلوا منه وقالوا ماهذا إلا ملك ما رأينا مثله فى ملوك الروم (ياساده) وكان ذلك الفارس سيف الحنيفية وعليه حلقة الملك وتلك العدة والملبوس وهو صاحب طلعة بهيه فصار كأنه الشمس المضية (قال الراوى) وكان السبب فى خروج سيف الحنيفية ذلك القوم ان الملك منويل دعى به وقال يا ابن فارس الحجاز أريد منك تفرجنى على صنعة البراز فوحق الصليب ومن صلب عليه وراهب دير الابزار التلميـذ الذى يقرأ الانجيل مبين وإلا تنتف ذقن جدك البترك ودست بنعلى عليه وشيبته ولعنت والديه ان أنت أتيتنى بملك المائمة أعطيتك من أبواب القسطنطونية إلى أحد أعمال ملطية

(ياساده) فلما سمع سيف الحنيفية ذلك خدم الملك وأراه الفرح والاستبشار وخرج إلى الميدان وهو كأنه الأسد الغضبان ولم يتعرض إلى عسكر الامير عبد الوهاب بل انه طلب عسكر الملثمه وهو فى تلك الزينة العظيمة والعزة الجسيمة ثم انه جال ومال وطلب البراز من الأبطال فهم الامير ظالم ان يخرج اليه فقال له البطال الزم ناموس المملكة ولا ترمى روحك فى المملكة ودع غيرك يخرج اليه ويقدم عليه حتى تعرف خصمك ان كان فيه من النجابة ماتخرج انت اليه فقال له صدقت ياعم لاقيت بؤسا ولاغم فعند ذلك خرج اليه فارس من البربر وكان فارسا معروف وبطلا موصوف يعد بألوف ولايخاف من طعنات الرماح ولاضربات السيوف وهو على جواد أبرس لايغادره دهش ولايلمه رعش كأنه بالذهب منقش وعليه شربوش مذركش من فوق غرته وعيناه كأنها أعينان أرقم أو أسد قشعم وفى يده ثلاث حراب عدة لساعة القتال والضراب وانقض على سيف الحنيفية وتلقاه بشدة قلبه وفروسيته والأمير عبد الوهاب عجب من هذا الفارس الرومى ولم يعرفه إلا ان البربرى لما قرب من سيف الحنيفية ضربه بالحربة فخرجت من كفه كأنها الموت الحاضر والقضاء المبادر فلو وقعت فى سيف الحنيفية ماكان بعدها شم نسيم الدنيا لكن اختطفها من الهواء بكثرة ماأعطاه الله من الحيل والقوى وردها اليه رد خفيف ولو كان أراد قتله كان قتله لكن ضرب فرسه فى خاصرته خرجت من الجانب الآخر وانقض عليه قبل ان يقع الى الأرض واختطفه مثل مايختطف الباشق العصفور فلم يبق أحد من الناس إلا وقد ذهل عقله وتحير من هذه الأمور ولما نظر الأمير عبد الوهاب قال هذا أشجع من الذى كنت البارحة فى حديثه ثم خرج إلى سيف الحنيفية ثانى مرة ثانى فارس من الملثمة يقال له دراع بن جوش أشجع من الاول وهو فارس بطل فحمل على سيف الحنيفية وفى يده صاعقة هندية وتلقاه سيف الحنيفية بقلب وشجاعة وفروسية وأخذ فى الطرد والهزل والجد ساعه زمانيه واختلف بينهما ضربتان تحير الانسان وكان السابق بالضربة المغربى الملثم وقد ضرب سيف الحنيفية فتلقاها بالدرقة فقسمت الدرقة نصفين فرماها من يده قطعتين ثم هجم على الملثم وعلقه من مراق بطنه أخذه أسير من سرجه ورجع به إلى الروم فعندها صلبوا الروم على وجوههم وقد كثر فرحهم وقال الامير عبد الوهاب أنظر إلى ذلك البطل الجسيم وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم والله ان هذا القتال ما رأيناه أبدا من الروم ولا رأينا من يفعل هذه الفعال لأن هذا قتال العرب ممن تقدم من قتال الجاهلية مثل عنترة بن شداد وسبيع بن حارث وعتبة بن شهاب اليربوعى (ياساده) فعند ذلك أقبل مكتوم على حمدون وقال إيش ترى ياأمير فى هذا الفارس النحرير الذى ليس له نظير فقال له حمدون ما بقى غير الخروج اليه والقدوم عليه لكن احفظ نفسك منه فما رأيت مثله ولا

عاينت عيني شكله فعند ذلك ندم أبو يخلف وقال لظالم يامولاى أنظر بين يديك فأنا
والله خائف عليك لان هذا جبار من الجبابرة لايخاف فى الدنيا ولا فى الآخرة قال له ظالم
والله لقد فكرتنى بنفسك يابن العاهرة انت معنا ونحتاج إلى الفرسان المناتره اخرج اليه
واكفينا شره وادفع عنا مكره وغدره فانى أراك معنا لاتقاتل ولاتناضل ماغيرتأكل
وترقد وهذه بئس الفعايل فقال أبو يخلف لا بالله يامولاى لاتحملنى مالا أطيق وتشمت
بى العدو وتحزن الصديق فان كنت كرهت حياتى وتريد ان تقتلنى وتريد وفاتى فاقتلنى
بسيفك ولاتترك هذا الجبار يجرنى بأزياقى والناس يسمعون صراخى وزعاقى فما والله
القتال والطعان من أخلاقى فقال ظالم والله لولا خوفى من المعيرة ويقولوا الناس الامير
عملها على ابو يخلف وأخرجه إلى فارس ذوقوة وشجاعة ومقدرة ان تركت يخرج اليه
غيرك ياقلب البهيمة فقال أبو يخلف والله يامولاى كنت تبقى عند الناس فى فضيحة عظيمة
فعند ذلك ضحك الأمير ظالم من قوله

تم الجزء الثانى والعشرون ويليه الجزء الثالث والعشرون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثالث والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وبعد ذلك برز ظالم الى سيف الحنيفية وهو راكب على جواد اسود وهو عليه مثل الاسد وعليه درع زرد مضاعف العدد لايعمل فيه الصارم المهند وعلى رأسه بيضة عادية مليحة بجلية كلها بالذهب مطلية وأعلاها توفرة من الذهب الاحمر فيها فص من الجوهر مكتوب عليها من فوقه ومن أسفل دوايرها بالفضة والذهب وقد صار فى زى عجيب ومكتوب على عصابة البيضة نصر من الله وفتح قريب (ياساده) ولما حمل ظالم على سيف الحنيفية تلقاه كما تلقا الارض العطشانة أوائل المطر وقد ذهل كل واحد منهما وتحير وكل واحد منهما ينهم كما ينهم الاسد والاسود إذا تصادمت مايدخل بينهما أحد فصاح عليه سيف الحنيفيه بالرومى فلا يدرى أحدا منهم مايقول الآخر لصاحبه بل حمل كل واحد منهما على صاحبه وقد احترز من وقع مضاربه ويريد قتله وبين الناس فعله فعندها قال أبو يخلف وقوائمه ترتعد مثل السعفة فى يوم ريح عاصف والله مايصلح لقتال هذا الفارس الا هذا الفارس الشجيع العارف وأنا والله من النظر خائف (ياساده) وقد شخصت نحوهما الاحداق وطلع عليهما الغبار وضرب عليهما دراق وأخذوا فى الكر والفر والاخذ والرد والصد والكد والهزل والجد ومازالا على ذلك الحال وقد تعجبت منهما الابطال الى ان وقفت من تحتهما الخيل وقد صار النهار مثل الليل وجرى منهما العرق مثل السيل وقد قل منهما القوى والحيل (ياساده) والامير عبد الوهاب مع ذلك

على غاية الاعجاب وقد حار من تلك الامور والاسباب ثم قال للاميره ذات الهمة ياأماه أنظرى الى هذين الفارسين البطلين الذى لم تنظر مثلهما العين قالت له يابنى وأنا متفكرة فى ذلك أما مكتوم أمير الملثمة فهو معروف بالشجاعة موصوف وأما هذا الفارس الذى من الروم فما ندرى من هو من الملوك فلا أقول ان فى هذا العالم جميعا مثل هذين الفارسين وما كانهما الا أقبلوا فى قالب واحد (ياساده) ثم ارتفع الغبار حتى حجبهم عن الابصار وبعد ساعة واذا بالغبارقد انقشع وانكشف وارتفع والفارسان قد اعتنقا على ظهور الخيل وتعاركا حتى لم يبق فيهما قوة ولا حيل ومازالا كذلك حتى وقعا عن الجوادين فعند ذلك صاح الامير مكتوم صيحة عظيمة أقرنت الخيل لها آذانها وخفقت قلوبها وتكرب شجعانها وهز سيف الحنيفية وشاله من على الارض وما عليه من العده والحديد وسار به على يديه وهو كانه البرج الشديد وهو لايقدران يتخلص من يديه وهو قابض عليه (ياسادة) فجعل الامير عبد الوهاب يقول هذا هو الشجاع المعروف والبطل الموصوف والدليل على ذلك ان أصله نبيل وفعله جميل وماله فى الناس من مثيل (ياساده) ونظرت الروم الى ذلك فحملت وحمل ملك الروم منوبل فى كل بطل مشهور وفارس غيور ووصل الامير الى قومه وهو فرحان بما جرى له فى يومه وسلم اليهم سيف الحنيفية بعد ان دار كتافه وسلمه الى أبو يخلف وقال له احتفظ به فانه فارس عظيم وان أسلم هذا الرومى خليته واصطفيته لنفسى فقد لحقتنى الحنة عليه فما هو الا بطل من الابطال المعروفين والشجعان الموصوفين فقال أبو يخلف يامولاى أنا ماأقدر أحرسه وحدى بل خلى أحد يعاوننى عليه واربطلى يديه ورجليه وكلما أخذت أنت أسير وربطته لى أخذته منك بحرسته فضحك منه ظالم وقال لاشفاك الله بعافية ثم انه وكل بسيف الحنيفية عشرة من البربر وعشرة من الملثمة وترك أبو يخلف معهم وقال له كن انت أمير القوم فى هذا اليوم لانك بطل معروف وشجاع موصوف وان ظالم تركه ورجع الى الحرب وموقف الطعن والضرب ولقد غرق عسكر الملثمة والبربر فى عسكر الروم لانهم كانوا مثل البحر الذاخر (ياساده) ولما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك أقبل على الاميرذات الهمه وقال لها ياأماه اعلمى لما حملت أمس على الروم وغيرها فى عندهم لم يقعدنا الامير مكتوم ولا يجوز لنا اننا نقعد عنه أيضا فقالت له هـذا هو الصواب (ياساده) ثم ان الامير عبدالوهاب حمل فى أبطال بنى كلاب والسودان الانجاب وطاب الطعان والضراب وحمل الحسام القرضاب ووقع الطعن خطأ وصواب وضاقت الامور والاسباب وأما الشجاع فانه قاتل قتال يشيب الشباب وتحير منه الالباب وقد زادت الاهوال الصعاب وطارت

الروس وقطعت الرقاب وجرى الدم مثل ماجرى الماء من السحاب وتراموا بالحراب والنشاب وترجلت السودان من على الخيل وأسقوا الروم شراب الويل وجرت الدما مثل السيل وقاتل كل شجاع وتيل وقل من الكفار القوى والحيل وصار النهار مثل الليل وجثوا من الزحام على الركب وبان الهمام وانتخب وأيقن الجبان بالعطب واستدت المذاهب عن الهرب ولم يرى الهارب إلى النجاة سبب هذا والامير ظالم قد خاض المعمعة وصار يرمى الفرسان ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقد نظر بالقرب منه بطريق وهو مثل العتيق وعلى رأسه علم أخضر عليه صليب من الجوهر له حبال من الابريسم الاصفر وله أربع رجال من البطارقة كانهم من العمالقة شايلين تلك الحبال والملك منويل واقفا تحت العلم وأكابر البطارقة من حوله وجماعة من الخدم (ياساده) وان ظالم ظن ان الملك منويل هو الذى يحمل العلم فصاح عندها بجواده ثم انه قصد البطريق حامل العلم (ياساده) هذا وان الامير عبد الوهاب الآخر كأنه قد قال لاصحابه فى تلك الساعة اطلبوا بناصاحب العلم الاخضر فاذا تنكست فى الحرب الاعلام كانت علامة الانكسار بين الانام وتنهزم الجيوش والعساكر ما يلحق الاول منها الآخر ثم ان الامير عبد الوهاب اخترق الصفوف ولوح القحوف وأدمى السواعد والكفوف وكذلك ظالم شق العسكر وهو كانه الاسد العطوف وان الاميران صار يخترقان العساكر وينثران الدساكر وكل واحد منهما كانه الاسد الكاسر وكانا الاثنان كانهما فرسى رهان وطلبا حامل العلم وحمل كل منهما عليه وقتلوا من كان حواليه وضربوه بالقضيب وقد أسقوه شراب العطب فعندها مال العلم واضطربت عساكر الروم وماجوا مثل البحر إذا التطم وقد أشرفوا على الانكسار وصاحت ملوك الروم زنهار وأحدقوا بالملك منويل وخافوا من شرب كاس الردى بعدان كشفوا رؤسهم وقاتلوا قتال تلين له صم الجبال وقد صبروا على الاهوال وقد صاحت بهم الرهبان والقساقسة فصبروا على القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد ومازالوا كذلك الى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصل كل طائفة بعضها عن بعض وقد امتلت بالقتلا فسيح الارض وقد دخل ملك الروم الى آمد ودخلت معه جميع العساكر وعقله منه طائر وقد ضاقت الناس وقد خفقت منهم الانفاس ولم يكن للروم حديث الاحديث مكتوم أمير الملثمه عمارأوا منه من القوة والشجاعة (ياساده) ورجع الامير عبد الوهاب فى سادات بنى كلاب الى الخيام وهو يقول للاميره ذات الهمه والله ياأماه ماهذا المغربى الملثم المسمى بمكتوم إلا فارس مهول وما هو إلا فارس ضيغم وبطل قشعم فقالت الاميره والله ياولدى لقد كان ولدك ظالم مثله ويزيد فى القتال على فعله إلا

ان الزمان عاندك فيه ولو كان بالحياه لكنت ترتجيه وكذلك ان الله تعالى ابتلا الرشيد بهذا الأمر وان الله تعالى يكافئه ويكافىء ذلك الكلب عقبة الملعون السفيه فقال الامير عبد الوهاب وقد دمعت عيناه قد لقا الله الرشيد فعله بولدى وصاحبى فالله سبحانه وتعالى قادر أن يجمع بينى وبينهم قريب ولا يخيب ظنى (ياساده) ثم ان الامير عبدالوهاب قال اللاميره لقد أضرمتى نيرانى وهيجتى أحزانى ثم انه بكا وأن واشتكا وأنشد

يعود الى الاوطان كل غريب فظالم عنا غائبا غير راجع
فياليت شعرى هل يعود اجتماعنا فان فؤادى باللقا غير طامع
أيا ولدى هل أنت حيا فترتجى وهل خبر يشفى أنا فيه سامع .
وهل أنت فى قيد الحياة وسالما وقد كنت عنى للنوائب دافع
وكنت كروحى بل وعقلى وسوددى فيا ربما كن للمحبين جامع
فياليتنى قدمت قبلك سيدى فان فؤادى للقا غير طامع
ترى سالم فى الناس أم هو عاطب أم قد قطعوه بالسيوف القواطع

(قال الراوى) هذا جرى ههنا وأما الامير ظالم فانه عاد الى عسكره سالم غانم وقال على بالفارس الرومى فحمل سيف الحنيفية اليه وأوقف بين يديه فقال أبو محمد البطال اكشف وجهه وأوعده بكل جميل لعله يدخل فى دين الاسلام ويترك دينه فقال ظالم هذا مايعرف كلامى ولا أعرف كلامه فقال البطال أنا أعرف أكلمه بكلامه فلما زالوا البيضا عن رأسه وكشفوا وجهه مد البطال عينه وإذا به سيف الحنيفيه فقامت شعرات بدنه وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم نادى له سيف الحنيفية فالتفت فلم يعرفه لانه ملثم وان البطال أقبل على ظالم وقال له هذا أخوك سيف الحنيفية الذى كنت أحدثك عنه ففرح ظالم وقال ياأبو محمد هل نعرفه بأنفسنا فقال لا ولكن ها أنا قائم الى أمك القناصة فتفكر أنت له واعرف حديثه واسأله هل هو مسلم أم نصرانى فان كان نصرانى فاعلمنى حتى أدبر له شيء وان كان من أجل كلام قد جرى بينه وبين أبيه أو من الرشيد فارجع شده واجعله فى بعض الخيام حتى أقول لك ماتصنع ثم وثب البطال وأقبل ظالم على أخيه وقال له أمسلم أنت أم نصرانى فقال سيف الحنيفية بل مسلم موحد غير ملحد وأعلم ان الله واحد لاشريك له وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلائق وفضله ورفع قدره فقام صلى الله عليه وسلم فيما ندب له فتعجب ظالم من كلامه وقال له فاذا كنت مسلم لم أنت مع الروم وقد خرجت الى قتالى وأنت تعلم بانى مسلم فقال سيف الحنيفية اعلم أيها الامير انى لاأستحسن الكذب وان الانسان لايكذب الا من مهانة نفسه والكذب

يسود الوجه والصحيح أنا عبد الله سيف الحنيفيه ابن الامير عبد الوهاب وانه لما رأى البارح قتالك قال مارأيت قط فارس أفرس منه فقلت له أنا أفرس منه فقال لى بل هو اكمل منك فى الفروسيه فغضبت من قوله وحملت منه ذلك على وجه المكايده فتركته الى أن انسدل الظلام وسرت الى ملك الروم وأخذت منه الزمام معولا على لقاك كيما أتم جاهى عند أبى ليعلم انى أشجع منك وأقوى وأفرس فلما كان منى ما كان رجع على شوم مخالفة أبى فظفرت بى فعجب ظالم من هذه القصه وقال لغلمانه وقد أظهر الغضب خذوه الى موضع كان فيه فلا بدلى ان أجمع بينه وبين أبيه فقال سيف الحنيفيه هيهات ماذلك الرجل مثلى فلا تتعرض له فان تعرضت له ما أملته بعيد فذلك منصور من الملك المجيد فقال ظالم يابن السوداسوف ترى من هو فى الحرب أجلد ثم رد سيف الحنيفيه موضعه فرجع البطال نخبره ظالم وحدثه بالحديث فتعجب من ذلك غاية العجب (قال الراوى) فهذا جرى هاهنا وأما كلب الروم فانه جمع الملوك والرهابنه والقساقسه والبترك وقال على بعالم النصرانيه أبو الشر شومدرس فحضر لوقته وقال على بالشيخ النجيح فحضر أيضا فاقبل الملك عليهما وقال اعلما انى وحق المسيح حامل هم عظيم من هذا الشيطان أمير الملثمه أعظم من عبد الوهاب ولو كان عرفنى لكان قصدنى وترك صاحب العلم وذبحنى بنا به كما يذبح الغنم وانى فى غد ما أخرج بل أتم فى عافيه فلعمرى ما أخذ هذا الفارس الكرار والبطل المغوار الذى هو ابن الاسود الا وهو فارس الارض فى الطول والعرض ولقد فقد فما فى العسكرين من يقوم مقامه وما فى الامر إلا أنا وشومدرس نلبس ثياب المسلمين ونأخذ فى هذا العسكر فإذا حصلنا فيه عملت أنا وشومدرس حيلة نأخذه بها لأن هذا مغربى أبلم ماعنده حيل وإن قدرنا على خلاص سيف الحنيفية فهو الذى نريد وإلا دبرنا على هلاك هذا الشيطان فقال شومدرس لو رحنا إلى آخر الدنيا بعد أن أهلك المسيح أبو محمد البطال فما نحن إلا سالمين أينما مضينا لأنه كان مثل الشيطان لايخلوا منه مكان هذا وعقبة لبس لبس أهل الشام وتعمم بعمامة خام وفعل شومدرس مثله وأخذوا معهما مايحتاجان اليه وخرجا من باب السرداب عند السحر طالبين عسكر الملثمة وعبروا من خلف الشط وعادوا على وادى الغل وعبروا على الجسر ودخلوا عند الصباح وقد ارتفع الصياح وجردت الصفاح وحملت الروم على الطائفتين ولم يزل السيف يعمل والدم يبزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وقد تضايقت الأمور وجرى القدر المقدور وضجر البطل الصبور وخسفت الصدور وعمل الصارم الماحق فى المفارق ونزلت المرهفات فى العواتق ولبسوا من الدم ثيابا على لون الشقائق وان الأمير عبد الوهاب أقبل على الأميرة وقال لها مانخلص الرشيد ونبلغ ما نريد

الا بأخذ ملك الروم و الا مانصل إلى المراد و تشمت بنا الاعادى و الحساد فقالت له كيف السبيل إلى ذلك فقال و الله لاخترقن العجاج و لاخوضن معرك الهياج وأضرب بسيفى فى الاعلاج لعل أن أصل اليه وآخذه فى المعمعة ثم انه أوصى السودان أن يتبعوه ويحاموا عنه ولما يريده الله تعالى كان ظالم أقبل على البطال وقال ياأبو محمد ترى القتال يطول ومن نقتل نحن فى هذه الخلائق كلها ولو لم يقاتلونا فقال البطال لو قتل ملك الروم أو أسر لرأيت هذا الجمع قد كسر وبه كنا نأخذ البلد والرشيد و نصل إلى كلما نريد فقال الأمير ظالم لا تعرف هذا الامر إلا منى ثم إنه أوصى ألف فارس من الملثمة و ألف من البربر و أمرهم أن يخترقون معه فى المعمعة فى طلب ملك الروم فإذا أخذوه يحامون عنه ففعلوا ذلك والأمير عبد الوهاب قد رتب خمسة آلاف فارس من بنى كلاب وخمسة آلاف فارس من السودان الانجاب فلما وقعت الوقعة نظر ظالم إلى ملك الروم فقصدوه و الامير عبد الوهاب كذلك وقد انقضوا عليه الاميرين وهما مثل الشاهينين اذا انقضت من تحت السما تطلب صيدهما وسار كل واحد منهما مشرقا ومغربا وأوجعوا الناس طعنا وضربا فطحنوا الرجال طحن الحصيد وطرحوهم على الصعيد وكان الأمير أبو محمد قد وصف للأمير ظالم وصف ملك الروم الملعون المذموم فطلبوه الأميرين وقد أحدقوا الرجال كل واحد منهما به إلا أن الأمير ظالم فى ألفين والأمير عبد الوهاب فى عشرة آلاف فارس ونظرت الروم والبطارقة والملوك والعمالقة إلى الملك منويل وقد طلبوه من كل مكان فتحامت اليه ملوك الروم وفرسانها وقاتلوا قتالا طويلا إلى أن زاد عليهم الأمر ونظروا إلى رجال مثل السباع يرون الموت مغنما والحياة مغرما (قال) فانقضوا على ملك الروم وصاح ظالم بالبربرى وقفز حتى وصل اليه وضرب بيده إلى جلباب درعه والملك قد انخذل ولم يدافع عن نفسه ونظر عبد الوهاب إلى ذلك فقال لقومه ياويلكم لنا أسوة بمن مضى وما يسوى مجيئنا ولا تعبنا وما عملنا شىء وإن أخذه هذا الشيطان فما نصل نحن إلى الرشيد وما نبلغ مانريد والروم قد رحلت عنا وما لنا إلا أننا نأخذه قهرا وأنا آخذه بيدى وأعارك عليه فاحملوا أنتم على أصحابه فقالت الأميرة ذات الهمة يابنى نعم مارأيت فصاح الأمير عبد الوهاب بجواده وأرمى روحه عليه ومد يده اليه وتعلق بجلباب درعه فصار الملعون فى قبضة إسرافيل وعزرائيل ونظرت الملثمة والبربر إلى ذلك فحملت تطلب أن تعين أميرها على ذلك فالتقتها بنى كلاب السودان الأنجاب وعلت منهم الضجات ووقفت الأصوات (قال الراوى) وولت الروم وتركت ملكها فى قبضة الأعداء وقد شربوا شراب الزاد وصار منويل ينادى ياقوم لاتقتلونى فان الرشيد لى فداء وان

الامير أبو محمد فى هذه النوبه قال للملثمه اعلموا ان الامير ظالم قد تكاثروا عليه الرجال هاهنا هيا يا أصحابى اطلبوا خلاص أميركم فحملت باقى الرجال فى اليمين والشمال واشتد القتال وخيل للناس أن الارض قلعت منها رؤس الجبال ولم يجد أحد لنفسه معين ولا ولا مجيرا ولا نصير وكان ذلك اليوم يوم عبوس قمطرير وحملوا الروم عليهم وقد زحفوا اليهم وصاروا الاميران يتماركان على القتال وحملوا أصحابهما على الروم حمـــلة واحدة وعملت فيهم الصوارم وفلقت الجماجم ولم يزال السيف يعمل إلى وقت صلاة الظهر فانهزمت عساكر النصرانية ونصرت جيوش الاسلامية وكانت ساعة مضيه عملت فيها السيوف المندية والرماح المشرفيه هذا والأميران صار كل واحد منهما يجذبه من ناحية وقد أشرف على الهلاك وسوء الارتباك بما قد جرى عليه وعادت الملثمة عليهم وعلى بنى كلاب كلهم ونظرت الأمـيرة ذات الهمـة إلى ذلك والحديد إذا وقع على الحديد طن فزعقت على المسلمين أن يعاودون عن بعضهم بعض وقالت ياسيدى مايرى هذا العمل شيء ولا يعقل أسر ملك الروم بهذا العمل المذموم فصرخت فى وسط الناس وقالت ياقوم نحن مسلمون وأنتم كذلك والله تعالى قد نهانا عن قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق وعندى رأى أن رأيتموه صواب فافعلوه ولا تخالفوه وإلا فالقتال بين أيديكم فقالوا لها وما ذلك فقالت أميرنا وأميركم قد قبضا على ملك الروم فأمروهما أن يسيباه من أيديهما وإلا هلك ويغيران لبسهما وخيلهما هذه الليلة إلى غداة غد ويخرج أميرنا وأميركم إن شئتم وإلا خرجت أنا عوضا عن أميرنا ونجول فى الميدان وموقف الضرب والطعان وتشهد قتالنا الابطال وجماعة الشجعان فأى من نصر على صاحبه أخذه وأخذ ملك الروم معه فقالوا هذا هو الصواب وكانت الطوائف قد ملت من الضراب وكان هـــذا الـكلام عندهم أحلى من الجلاب وأقبلوا على الامـيرين وقالوا لهما ماقد جرى من الاتفاق بين العسكرين فرضيا به وتخلوا عن ملك الروم واتفقا على القتال يكون فى غداة غد على أنهما يستريحان من التعب والنصب وربطوا ملك الروم بين الصفين ونزل كل واحد إلى جانب عسكره وقد وكلوا بملك الروم أربعين فارس من الأميرين من عبدالوهاب عشرين عشره من بنى كلاب وعشرة من السودان الأنجاب ومن جماعة ظالم عشره من الملثمة وعشرة من البربر (قال الراوى) وأما الروم فانهم دخلوا إلى آمد وقد لاقوا من القتال الشديد والحرب الأكيـد وقد ورد على قلوبهم من أسر الملك مالا عين رأت ولا أذن سمعت وان الملوك من جميع الطوائف أقبلوا على بعضهم وقد أرادوا أن يرسلوا إلى ملك الملثمة ووزيره ويضمنوا لهم المال والنوال والخلع والمساعدة على مايطلبوه فإن كان قصدهم

الرشيد ونحن نبلغهم مايؤملوه و نعطيهم مايطلبوه و نرسل إلى عبدالوهاب و نقول له إن صح الملك منويل لكم فهو فداء الخليفة وإن لم تفعلوا ذلك وإلا الرشيد هالك فيفعلوا مايريدون (قال الراوى) فقال حرب بن شيبان إن هذا هو الصواب وان لم يفعلوا ذلك قتلنا الرشيد وما لهم عنه عوض وإن قتل الملك فللملك العرض وهوميخائيل وهو أقوى وأبطش من الملك منوبل وأقوى جنان وأقوى أركان وان كان قد فرط من الملك الفرط لأنى أعلم ان الأمور قد تضايقت على دولة الرشيد وهو مطلوب من سائر البلاد والأماكن وقد بلغنا المراد ومسرة الفؤاد وأخذنا البلاد لأن ملك الملثمة مايقيم فى هذه الأرض ولا بد مايرجع إلى بلاده والرشيد ما بقى له دولة تسعفه وما كانت دولة عبدالوهاب إلا بأبو محمد البطال اللص المحتال الذى أراحنا المسيح منه وقد اكلت عظمه الكلاب وقد كان فى قلبي كيف أنه هلك ولا اشتفيت منه ولقد أظفرنى المسيح بولده الذى كان مع نورى واسمه مظلوم وما رأيت أفضح منه صورة وقد قتلته برأى الشيخ النجيح وكنت معولا على خطاب الملك أن يزوجنى بنورى فلما فرغ له قلب من هذا الحرب والآن فقدوا منى فى يد الأعـــداء والشيخ النجيح والراهب شومدرس من البارحة لم ندرى ماجرى لهم وقد بقينا فى حيرة فلا تهملوا أمر الملك فيهلك (ياسادة) فعندها أرسل الملك ميخائيل إلى ملك الملثمة وهو الملك مكتوم والأمير حمدون وذكروا لها ذلك فقال البطال ما أريد الا ذلك ان وقع فى قسمتنا فقال له ظالم طب نفسا وقر عينا فقد ردفت الفارس الذى يريد يبارزنى فى عدقوم من العرب لينظرون غد منى ومنه العجب ومضى الرسول الى الأمير عبدالوهاب فقال لا كلام حتى ينكشف الظلام ويعطى الله النصر لمن يشاء لأنى أنا وملك الملثمة واحد وقد وقع بينى وبينه اتفاق أن ألتقى أنا وإياه فى حومة الميدان والأمر لله من قبل ومن بعد ولا بد لى ألتقى عسكر الروم والملثمة ويكون مايقضيه رب العالمين (قال الراوى) ورجع الرسول إلى آمد وأخبرهم بالقضية فهذا جرى لهؤلاء وأما عقبة وشومدرس فإنهما كانا مقيمين فى عسكر الأمير ظالم وعليهما الثياب كما وصفنا وانهما علما بما جرى على ملك الروم فقال عقبة لشومدرس هذا شىء لم يكن لنا فى حساب وقال شومدرس لعقبة ماالذى ترى ياقاضى فى هذه النوبة الذى قد عميت علينا المذاهب وما أدرى من أين أتى هذا الشيطان إلى هذا المكان والا كنا فزعنا عن عبدالوهاب وعسكر الرشيد وإن الرشيد قد أخذناه والبلد قد ملكناه وكنا قد أخذنا الأرض فى الطول والعرض فقال شومدرس دعنا الساعة من حديث كان وفات وخذ فيما هو آت ولعلنا ندبر فى أمر الملثمه فقال عقبة وما أن يكون غير الذى خرجنا الى قصده وهذا

ملك الملثمة لو قعدنا بين يديه ما عرفنا ولا معه أحد فى عسكره يعرفنا وأنا أعمل فيه قصيدة وأمدحه بها وأقول أنا شاعر من ارض الشط وقد تركت أهلى وقد جئت الى عندك ألتمس فضلك ورفدك وأحدثه وأساهره وأداهنه وان قدرت على سرقته سرقته وان لم يكن ذلك ولم نقدر على سرقته تسببت فى سقيته هو ومن عنده حاضر حتى أسقيهم الجميع الى ان نهلكهم بتلك السقيه وترى هذه الجيوش غدا قد تفرقت كلها فقال شومدرس هذا هو الصواب فأى وقت تعمل فيه المدح فقال له فى ساعتى هذه فقال اعلم ان الملك منويل ما يبات الليلة فى العسكر وانما هو فى وسط الطائفتين فهل لك ان نمضى اليه لعل المسيح أن يسهل لنا خلاصه على يدينا ونستريح من هذا كله فقال عقبه اعلم ان جماعة ما فيهم الامن يرضى مثل ما يعرف الطفل الصغير ثدى أمه (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك قال له اصبر حتى أمضى الى آمد ثم قصد الى باب من أبوابها ففتح له الباب ودخل الى البلد وقصد إلى الحمام وصبغ نفسه أسود مثل الليل الدامس وقد حكى ان كل صورة كانت من عمل الروم كانت من عمل شومدرس لانه كان صانعا فى التذويق وعمل الصباغ ثم خرج من آمد وأوصى حرب بن شيبان ما يصنع وسار حتى وصل إلى الموضع الذى ترك فيه عقبه فوجده على غاية من الخوف فلما نظر عقبة إلى شومدرس فزع وخاف أن يكون من سودان عبد الوهاب وقد وصل اليه ولم يعلمه انه شومدرس فهم عقبة ان يهرب فصاح به شومدرس لا بأس عليك أيها الشيخ النجيح أنا شومدرس فقال ويحك ما يقدر على هذه الفعال الا المسيح فهلى ماذا عوات فقال امضى إلى عند الملك لعلى ان أخلصه وأنت معى فقال عقبه ما أقدر على هذا ولو رحت معك انفسد النظام ولكن خذ هذا معك وناوله قرطاس فيه شىء مدقوق وقال له إذا تقدر على أمر من الأمور فضع هذا فى الماء الذى يشربون منه فهو يقضى عليهم ان كانوا قليلا أو كثيرا فانا قد عملت نوبتى وأخذت آمد وقتلت ولد البطال فقال شومدرس سوف ترى ما أصنع ثم مضى شومدرس حتى قرب من موضع الملك فخشى أن ينكروا أمره فقصد إلى عين البترك وهى قريبة منهم فقعد هناك لحظة وإذا ببعض سودان عبد الوهاب الموكلين بالملك قد أتى ومعه قربة يريد أن يملاها ماء فوثب شومدرس وجعل يسبح الله ويورى بأنه يتوضأ للصلاة وهو مشمر عن ذراعيه فقال له الاسود ما الذى تصنع ههنا فقال أجدد الوضوء فنظر اليه ولم ينكره وظن انه من بعض سودان القناصه فملا القربة فقال له شومدرس خلى عنك وضرب بيده إلى القربة ملاها وبرك تحتها ورفعها على كتفه فشكره الأسود على ذلك وسار معه إلى ان أشرف على أصحابه فطرح الماء بين أيديهم وكانوا عطاشا مما لاقوا لجلس موليا بوجهه عنهم وقد ترك ذلك السم الذى أعطاه له عقبه فى القربة وقد مخضها فى مشيه فدب ذلك السم فى جميع مائها

(قال) فشربت بنى كلاب والسودان والملثمه والبربر فماتوا عن بكرة أبيهم ولم يبق من الكل الاخير المكى فانه كان قدشرب من المعين فما كانت إلا ساعة حتى نزلت لحومهم عن العظام وكان خير المكى قد نام (قال) وكان شومدرس نظر الى الحركات وقد هدأت فعلم أن الشربة قدعملت فوثب إلى سيف لبعض الراقدين فأخذه وحرك بعضهم فلم يتحرك ثم ان شومدرس دنا من ملك الروم وحمله على كتفه وسار به إلى أن وصل إلى عندعقبة وهومثل الوالهة الثكلا وانه لما أشرف عليه فرح به غاية الفرح وقال له لقد فزت فى هذه الليلة فما الذى ترى من الرأى الآن فقال عقبة لو قدرنا على ملك الملثمه لما كان يبق لناهم فقال شومدرس يكون من عجائب الزمان ولكن اصبر على حتى أقرب من باب السرفان حرب ابن شيبان ينتظرنى هناك وأعود اليك كيما ندبر فى ذلك فقال عقبة يمضى الليل ويفوت الوقت ولكن تعالى معى ثم أخذه وسار به إلى مغارة بالبعد عن العسكر وطرح الملك فيها وساروا حتى وصلوا إلى عسكر مكتوم فوجده وهوجالس لاينام (ياساده) وهذا مذهب العرب إذا كانوا فى قتال أو نزال ماينعسون إلى نصف الليل ويناموں عند السحر وان عقبة أقبل على شومدرس وقال له إذالم تقدر عليه اقتله كما قتلت الموكلين به وجعلا يفرقان الناس حتى وصلا إلى ظالم والناس من حوله وكان زمان العنب وقدجاءته أثمار من الكرم الذى حول البلد وهو بين يدى الجماعة يأكلون والبطال الى جانب ظالم فى الدست وعقبة دخل وشومدرس معه ونادى عقبة أنعم الله مساك أيها العالى النسب الشريف الحسب الذى قـــد فاق العجم والعرب أشرقت بك الديار وطاب المزار فأنت فارس الاقطار ومبيد الأشرار وباذل الدرهم والدينار فأنت معدن الكرم والشرف فارحم شيخا غدر به الزمان ورماه بطوارق الحدثان وضعف بصره وأتلفه الكبر وقل ناصره وجفته عشائره وزوجته وولده لماقل مافى يده فخرجت أقطع المعاقل واخترقت المسالك أرجو سؤالك وأؤمل أفضالك فأنت والله قادر على جبر عظمى الكسير وتجير المستجير وانشأ يقـــول

أهلى وأصحابى جفونى عندما ... رأونى قد قلت لدى الدراهم
ولم يبق ذافضل من الناس يرتجى ... لعمرى لامن عربها والاعاجم
قصدت الى مكتوم الذى شاع ذكره ... سخى وفى كامل العقل حازم
أمير حليف الجود والخير والندا ... فتى فعله للخير والجود دائم
له منظر كالشمس يزهو لانه ... كريم رحيم مصطـــفى للعظائم
فأهديت نفسى بالمودة قاصدا ... اليه لان يديه غيث المكارم

فيغرق من نعماه ماهو أهله ويأتيه شكرا بالمكافاة حاتم
خذ بيدى يابن الكرام لاننى رأيتك بحرا موجه متلاطم

(قال الراوى) فلما سمع الامير ظالم شعره أقبل على البطال وقال له لقد أحسن هذا الرجل فيما قال وقد عولت على انى أعطيه ألف دينار فانه رجل فقير نجبر بها كسره ونقيم بها ظهره فقال له البطال ألا تعرف هذا الشيخ قال لا والله الا أنه كبير السن مسكين فقال البطال والله لولا انى عندك لكنت من الهالكين فى هذه الليله وأما قولك عن هذا انه مسكين فهو والله يستحق الفرم بألف سكين هذا مخرب الحصون وقاتل الآباء ومهلك البنون هذا عقبة الملعون المفتون هذا شيخ الضلال وأبو الاهوال ونظر البطال الى الاسود الذى الى جانبه فصاح بالبربرى أحسنت ياخبيث الدهر هذا أبو الشر شومدرس خذوهما فقد أمكنت الفرصة منهما فصاح ظالم عند ذلك برجاله فقبضوا على الشيخين هذا وعقبة حائر لايدرى كيف هذه النوبة جرت وقد سمع البطال وهو يتحدث فلم يفهم ماقالوه ثم ان ظالم أمر الناس أن يتفرقوا الى مضاجعهم فلما خلا البطال بعقبة وشومدرس قال له ياملعون ياخبيث من أشار على حرب بن شيبان بقتل الاطفال الذين ماجرت عليهم أحكام الاقلام فهذا جزاء من ظلم ولكن من يذبح الاشبال يكون آمن من الاسد الريبال وكشف النقاب عند فد عقبة عينه الصحيحه وكان قد أنكر الصوت وقال كانى أعرف صاحب هذه النغمه لاجعل المسح فيها بركه ثم انه حقق ببصره واذا به أبو محمد البطال فغاب عقل عقبة عند ذلك وأيقن بالموت والفنا فقال البطال ويلك ياملعون اعلم ان الاولاد كثير ولكن العمر قصير فوالله مافى قلبى حسرة الا اننى مارأيته فقال عقبة وحق المسيح أنا ماأمرت بذبحه وما فعل ذلك الا حرب بن شيبان طمعا فى نورى حتى لايبقى لها قلب مائل الى دين الاسلام ثم أقبل عقبة وقد كذب نفسه فى مكتوم وقال متى البطال اتصل الى هذا الامير لكن ما أخرجه الى هذه الديار غيره وأقبل على ظالم يستجير به فقال له يا كلب من حيلتك دخلنا الى تلك الديار وذمة العرب لاسقينك شراب العطب وماجعل الله تعرضك لى الا لموتك سبب وأقبل البطال عليه وقال له اكشف عن وجهك فهو يحب النظر اليك فكشف ظالم عن وجهه فعرفه عقبة فانفطرت مرارته

(ياساده) ثم ان البطال وثب الى شومدرس وبطحه وضربه حتى نزل لحمه عن عظمه وقال أقسم قسما ان ماقعدتم عنا من أول الليل الا وقد فعلتم مصيبة أعظم من هذه وان لم تحدثونى عن القصه كلها وتخبرونى بخبر غلمانى فلا بدلى مما أتم باقى عمركم فى هذه الليله فقال شومدرس وقد أشرف على الموت من كثرة الضرب أما غلمانك فهم محبوسين فى

القسطنطينيه من تحت رأس هذا وأما حديثك الليله فانى ماأحدثك به حتى تحلف لى أنك ماتعود تضربنى فقد أشرفت على الموت فقال البطال وحق الله ماأضربك فى هذه الليله فأخبره بالقصة على جليتها وأخبران الملك فى تلك المغاره وان أصحابه كلهم هلكوا فقال أبو يخلف وكان حاضر وسامع الكلام بعدان تم عندهم ماتم الا الخير وماأنا رجل مسعود ان لم توكلنى على أحد (قال) ومضى البطال وبعض رجاله معه وأتى بملك الروم فعجب ظالم من شومدرس كيف انه أسود فقال له البطال هذه صنعة قد صبغ بها جلده ولو انى رأيته هكذا مرار عده لما عرفته (قال الراوى) وقرب الفجر وأنفذ الامير عبد الوهاب يفتقد الموكلين فوجد الكل على حالة العطب ولم يبق لهم الى النجاة سبب فعظم ذلك عليه وكبر لديه وضاقت عليه الارض بمارحبت لان آمد قد أخذت وفيها أهله وماله وحريمه وحريم بنى كلاب والسودان وأموالهم وفقد القناصه فلا يعلم ان كان هى قتلت أو أسرت أو طلبت الحجاز وفقد سيف الحنيفية فزاد همه وقال لامه ذات الهمه انى أخاف على سيف الحنيفية يحمله جهله على ما لم يكن فى الحساب فقالت الاميره ذات الهمة ياولدى اعلم ان جميع الاسباب بيد الكريم التواب الذى خلق آدم من تراب فهو الذى يفرج عنا الامور الصعاب فسلم الامر اليه من غير ندم فلا اعتراض عليه بما حكم ثم انه أرسل الى مكتوم يعرفه بهذا الخبر (قال الراوى) فوصل الرسول اليه وقص القصه عليه فقال الامير ظالم الرسول اعلم يافتى ان ملك الروم ان سلم اليوم فما يسلم غدا ونحن لا بد لنا منه ومن الرشيد ومن خالفنا على ماريد طرحناه على الصعيد فارجع أنت الى الامير عبد الوهاب وقل له عن لسانى لولا أنت ما كان كلب الروم هرب ولا وجد الى الخلاص سبب فارحل الآن عن البلد ودعنا نحاصره حتى نأخذه والا رجعنا اليك وفرغنا منك ومن كل من معك ونعود الى قتال الروم فما نحن مثل رجال البطارقة ولا نفزع من الرماح الخارقة ولا السيوف البارقة وان كنت لاترحل فابشر بقرب الأجل فانه يأتيك على عجل فلما وصلت رسالة ظالم الى عبد الوهاب تهلل جبينه عرقا واحمرت عيناه حنقا وأقبل على ذات الهمة وقال لها من أنا فقالت أنت الامير عبد الوهاب بن الحارث بن ظالم بن الصحصاح ابن جندبه الكلابى فقــال لها حفيت عن القوم ان لم أرمى روحى على هؤلاء الاقوام وأفنيهم بالحسام ومع ذلك فإن هذا الى حلال لانهم يريدون قتل الرشيد حوارج وان كان القوم شجعان فما فيهم من هو عندى رجل الا أن يكون الفارس المقدم على الملثمة مكتوم وسوف أصبحه صباحا ميشوم ويعلم انى وان كانت دعتنى الامور الموجبة للهموم ضيغم هجوم على قتالهم وقتال الروم وصاح فى بنى كلاب فركبت عن بكرة أبيهم والسودان

تقيهما وقال لهم الامير ويلكم أين النجابه المعروفه ويلكم ان الملثمة عليكم أشد من الروم فدونكم واياهم فقد نلقاهم فقالت له أمه يابنى على مهلك فان العجلة من الشيطان والحلم له فضيلة عن ماسواه ودعنى أرسل اليهم بما أريد فإن أجابوا والا فالقتال بين يديك ثم أرسلت الى مكتوم تقول له أما بعد فإن العاقل اللبيب من نظر بين يديه ولم يفعل فعل تعيب الناس فيه عليه وقد أرسلت الينا تقول ارحلوا وعلى قتال البلد والروم لا تعولوا وهذا من علامة الجهل والكبرياء لانه ماعليك منا نحن ان لم نكن لك ما نكون عليك ولا تظن ان بقيت وحدك يكون لك طاقة بالروم وانما أنت من ذلك على الحالتين اما ان تنصر عليهم أو ينصروا عليك فتكون مقهورا ولو رأيناك على تلك الحالة لكان فينا من المروءة والدين ان لا نقعد عنك ولا عن قتال ملك الروم ولا تحسب أن القتال يبقى على حالة واحدة (قال الراوى) ثم ان الاميره أحمت كلامها وقالت فى آخر كلامها ولا سبيل لنا الى الرحيل لان حريمنا فى البلد ولا نرحل عن حريمنا أبدا ولكن اذا كان ولا بد ازجف اليه أنت عشرة أيام ونحن عشرة أيام لان الموضع منيع ومن رزقه الله فتحه كان له وان أبيت وبقيت على ما أنت عليه فوحق صاحب البرده والقضيب والبغلة والنجيب والحوض المورود واللواء المعقود الذى بعثه الله من أعلا قريش فرعا وأكرمهم سوددا ونبعا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لابليك هذا اليوم برجال من أكارم العرب تقطع سيوفهم المفاصل والركب ولا يخشون من العطب ولا لهم فى غير القتال أرب فاجعلك كامس لم يكن وألحقك بمن سلف من القرون الماضية ثم بعد ذلك أقطع رأس حمدون وقد أعذر من أنذر وانصف من حذر فلما وصل ذلك الكلام الى الامير ظالم لاح فى وجهه الغضب فقال له البطال ماذا عولت فقال على أنى ألقاه وأعلمه على أنى قادر على لقاه وانه قاصر عما قال وانه يطمع نفسه فى المحال فقال البطال اعلم ياظالم أنه فارس دهره ونتيجة عصره وأنت فما الشجاعة التى فيك إلا من بعض نجابته والرأى عندى أن تجيبهم إلى قتال البلد فان الموضع حصين لا يصل اليه أحد بقتال ولا يكاد أن تعمل فيه حيلة محتال فلما سمع ظالم من البطال ذلك المقال قال له وقد عمل معه الغضب يا بطال أرى هذا الامر قد طال وأنت تقول ان ما نيك للقا أبوك لانه بطل الأبطال وأنا لا بد أن أريك وأخرج الساعة اليه وآخذه قبضا كما كنت تقول لى عن سيف الحنيفية أنه مثلى فى الشجاعة والقوة والبراعة وكم جهد عبدالوهاب أن يفعل وبالأمس قد أخذته فى أرض الحجاز فقال البطال ما أخذته قهرا وانما انفتق عليه الجرح الذى كان فى بطنه ولا تظن أن سيف الحنيفية شجاع فهو جزء من أجزاء عبد الوهاب كما ان عبدالوهاب جزء من اجزاء

ذات الهمة فى الشجاعة واعلم ياظالم أنه ليس لهما فى المشرق ولا فى المغرب مثيل ولا ثالث وهما حائزين ثلاث خصال أولها الكرم المفرط والثانى الدين والثالث الفروسة البالغة والجهاد فى طاعة رب العباد والله ياظالم إنى مشتاق لهما وزاد بى الشوق اليهما فقال ظالم والله وكذلك أنا ولكن لابد لى من بروزى له ثم أمر عسكره بالركوب فركبوا واصطفوا صفوف واشتهرت السيوف وعلمت الأميرة أنه عول على القتال فقالت لولدها وقد لاح الغضب فى وجهها اعلم أن القوم قد عولوا على قتالنا وما فى الأمر الا أننا نصنع بهم كما صنعنا بالروم وتحمل انت بطلب مكتوم أمير الملثمة وأنا أضرب حمدون بسيفى (قال الراوى) ووصل رسول ميخائيل إلى عبد الوهاب يقول ما الذى عملتم فى أمر الملك منويل فانه قد حصل للملثمة فعاونونا على خلاصه ونحن نطلق الك أهلك فلما سمع الأمير ذلك عظم عليه وكبر لديه وسأل الرسول عن الملك فأخبره بحاله فقال والله ما عندنا من هذا خبر وقال ملك الروم لنا رجلان قد خرجا فى طلب خلاصه وأنهما للذين فعلا هذا ورجع الرسول إلى ميخائيل مسرور واخبره بالحال فقال وحق المسيح لقد فعلا فعلا مليح ولئن تم هذا الامر ليكونن أعجوبة للناس وماهما الا قد خلصاه وقتلا الموكلين الذين باتوا احداه وما قدروا على الوصول الى آمد وقد نزعوا من الطلب وخافوا فوات بلوغ الارب هذا وقد وصل جاسوس عبد الوهاب وقال يامولاى عندى حديث عجيب قال له وما ذلك قال دخلت إلى عسكر هؤلاء الملثمة عند الفجر فمررت ببعض المضارب فسمعت أنين شديد فلما جاء الصباح نظرت فى المضرب وإذا فيه عقبة وشومدرس والملك منويل فى القيود الثقال وهم فى أسوأ الأحوال من السلاسل والاغلال فقال الامير والله هذا أمر عجيب ولقد بلغ مكتوم هذا غاية الارب وظفر بالطلب والآن فقد طاب قتاله وحربه ونزاله وها أنا خارج الى برازه فاذا أخذته أخذت منه الملك منويل وعقبة وشومدرس وبهم آخذ آمد ان شاء الله تعالى ثم ان الامير حدث الاميره بذلك فقالت والله هذا رجل مسعود وانى خائفة من مكر عقبه لان هذا رجل غريب مايعرف حيلة ولايخبر عمله ولو انه يموت يعمـــل على خلاص نفسه ومابنا ان يعمل على مكتوم وان بنا ان يهرب هذا الملعون وشومدرس ويخلص الملك منويل فقال الامير اليوم أكشف هذه النوبة فخرج الامير عبد الوهاب كانه أسد الغاب على جواد مليح يساوى فى جريانه الريح (قال الراوى) وعليه درع مانع وفى كفه حسام قاطع يفنى ويفرى الدرع المانع ويقطع البيض اللوامع وجال الامير عبد الوهاب بين الصفين وحمل على عسكر مكتوم وقال دونكم والبراز حتى تروا الشجاع الجليل من الجبان الذليل وكان ظالم الى قتاله أشوق فحمل الامير ظالم .وهو على جواد

سابق بلون رايق يسبق البرق البارق ويفوت الطرف الوامق له صهيل مثل الرعد الخافق وفى يده صارم ماحق ورمح خارق فلما رآه الامير عبدالوهاب صاح فيه وزعق عليه وحمل وهو ينشد ويقول

ستعلم يامكتوم انى همامها ۞ وانى عدت مثل صيد هوامها
أنا فارس الهيجا إذا قارنتها ۞ ان اظلمت أقطارها من قتالها
فان رمت ان تحظى وتبقى مسلما ۞ والا بقيت اليوم طعم رخامها
هلم الينا عقبة مع رفيقه ۞ وسلم الينا خلقها مع شبابها
ومصر ومن فيها وعد فى مذلة ۞ الى أرض أقصى الغرب وانى تمامها
وإلا وبيت الله أضربك ضربة ۞ معودة تسقى النفوس حمامها

(قال الراوى) فأراد ظالم أن يجيبه على شعره فخاف أن يعرفه فحمل عليه وهو ساكت عن جوابه وتجاولا طويلا وذات الهمه قدأشرفت وقد اشتهرت تباشر الحرب وموقف الطعن والضرب وقصدت الى عسكر البربر وقصدت الى الامير حمدون وقالت له دونك والبراز فامتنع البطال عن جوابها فصاحت به ويلك دونك والبراز وحملت عليه وشدت اليه السنان فعلم أبو محمد أنه لا بدلها منه ولو خرقت الصفوف فى طلبة وان اهمل أمرها قتلته فاحترز لنفسه وقال لقد اشتهيت ان أجرب روحى مع الشجعان فى ساحه الميدان ثم انه حمل على ذات الهمة وطلع الغبار على الاربع فوارس وانهدم الغبار مثل الليل الدامس وسمع الناس وقع الصوارم على الجماجم وتطاولت الأعناق وشخصت الاحداق

(قال الراوى) هذا وعبدالوهاب فانه رأى من ظالم مالم يره من غيره وقد حرص فى قتاله واحترص حرصا ماحرصه من غيره ولا لأحد اسواه وانهما لما تصادما فكانا مثل جبلين اصطدما أو بحرين التطما وحرص كل واحد منهما أن يأخذ صاحبه أسير فلم يقدر على ذلك ورميا السيوف من أيديهما وتقابضا على ظهر الخيل وتعاركا وتماحكا وكلا من تحتهما الجوادين ووقعا من تحتهما الى الارض ثم ان ظالم دخل بين رجلين الأمير عبد الوهاب يطلب ان يشيله فضم الامير عليه رجليه فلم يقدر ظالم لن يخلص من بين رجليه ولما عرف الامير انه كاد أن يقضى عليه رفعه على يده ورماه على الارض وقعد على صدره وكشف اللثام عن وجهه لينظر ان هو شاب أو كهل واذا به الامير ظالم فصاح ظالم فقال نعم فكاد الامير ان يغشى عليه فقالت الاميره ياعبدالوهاب اتى الى وكانت الأميره قد أخذت أبو محمد البطال أسرع من البرق وهمت بقتله ثم أمسكت وقالت ماأدرى مايكون من ولدى مع خصمه ثم انها كشفت عن وجهه وإذا به أبو محمد البطال فقالت سبحان الله كانك حمدون المحتال

أبو محمد البطال فقال وأنا البطال ولما سمعت الأميره ذلك صرخت ووقعت عليه وقالت الحمد لله الذى جمعنا بعد الاياس وأما الأمير عبد الوهاب كاد أن يطير فرحا ونزل عن ولده وعقله قد غاب من عظم فرحه وقال الحمد لله الذى جمع الشمل بعد الاياس فلقد من الله بما لم يكن فى الحساب وانه سبحانه وتعالى له علينا من العوائد مثل هـذه العادة الحميدة والايادى الجزيله ما لم يقع عليه أحصى بعدد الرمل والحصا وأقبلت الأميرة على أبى محمـد وقالت له الحمد لله على سلامتك أيها الأمير فأنت حيث ما كنت كان السرور والاقبال ولا نسأل على ماجرى علينا لفراقكما وبعد هذا فلا تصف ماتم علينا من الملعون عقبة وان غلمانك لؤلؤ وجوهر وسبك ويانس وبديع وأبو الليل مالهم خبر وماهم الا هلكوا من يد عقبة وهو الذى دمر على آمد حتى خرجت من أيدينا فقال أبو محمد هذا أمر سهل بعد ان من الله بهذا الاجتماع ولقد رأيت من هذا الامير ظالم من الشجاعة والبراعة وحسن الرأى والكرم والعبادة ما لا مزيد عليه ومع ذلك فأنا فتح لكم آمد فى هذه الايام وأما عقبة فقد أمكن الله منه على وجه اذ لا يكون للامير عبد الوهاب فيه حكم فى هذه اذا فتحنا البلد ويكون صلبه على باب آمد ونخلى عنا هذا التمادى فقد أفنا الاسلام وعمل ماقد غضب منه الملك العلام وشتتنا فى القيافى والقفار وغرقنا فى البحار ولولا ماقضاه الرحمن من عودتنا الى هذه الديار لكنا وقعنا فى بحر من الغرب ماله قرار فقالت ذات الهمه ياأبو محمد احضر الملعون وكلما تطلبه سوف يكون فعند ذلك أمر الباطال البربر ان يأتوا بالملك منويل والراهب شومدرس وعقبة وكان البطال فى الطريق يحدث البربر بأحايث عقبة وحيله وكفره وغدره فبقوا على غاية الحنق والقلق عليه ومافيهم الا من كان يتمنا ان يشرب دمه لما قد نطق البطال من حديثه فى حق عقبة فلما قال لهم ائتونى به بعدان تشبعوه ضربا فقالوا سمعا وطاعة وتصايحت البربر ورجعت الى عقبة فوجدوه هو وشومدرس يتلاومون وشومدرس يقول له وحق المسيح ان حصل مصيبة تجرى لنا من تحت رأسك وما وقعنا فى الشدائد الا من أجلك والا نحن كنا قد خلصنا الملك منويل وقد قتلنا الرجال المؤمنين الموكلين الاربعين ورجعنا سالمين غانمين والى ما أملنا واصلين الا انك قلت لابد مما آخذ الامير مكتوم حتى أوقعتنا فى هذا الامر الميشوم فقال عقبة ماعلمت ان هذا القرنان البطال قد رجع مغربى ملثم وما هو الا ابليس فى أى صورة أراد خرج فيها وانظر الى صبره عن عبد الوهاب وأنا أعلم ان فى قلبه فى هذه النوبة امر عظيم من قتل ولده وماأظن الحرارة تقع الا فى رأسى وفى هذه

السنة يكون قتلى فلا تحسب لى بعدها حساب ومالى الا أموت ودين الاسلام باقى لانى فنيت المسلمين بيدى وتدبيرى مايحصى بعدد الرمل والحصى وكنت السبب فى فناء خلق كثير فكم امرأة قد هتكت وكم طفل قد ذبحت وكم بيت قد خربت وكم رجل عن بيته فى الاسر قد غربت وكم خليفة بعقله قد لعبت وبعد هذا ياشومدرس اشهد ان المسيح غافل عن دين النصرانية ولا شك انه قد صبا الى الدين الحنيفيه واشهد على عقبة ان خلاص من هذه النوبة طلب أرض اليهود واعتقد فى العزير كما يعتقد فى المسيح وأطلب منه النصرة على هؤلاء القوم الذين أقاموا شرائع الاسلام وأفنوا الروم بالحسام وقد عزلهم طلبي وصلبي فى هذه النوبة (ياساده) فهو فى الهذيان هو وشومدرس والبربر دخلوا عليهم من كل مكان ولطموا عقبة حتى سال الدما من منخريه وشخصت عينيه وربطوا يديه الى رجليه حتى ظنوا انه قد قضى عليه وأقبلوا الى شومدرس وأوثقوا يديه ولطموه حتى أفاق عقبة على صياحه فسمع شومدرس وهو يقول هذا جرى علينا ممن كفروا اليوم بهذا الدين وأنا أسمع منه فأبلانا المسيح بهذه البلية فلم ينقطع عقبة عن الجواب على ماهو فيه من العذاب بل قال ويلك ياشومدرس ان المسيح من هذه القوم يفزع قال فحملوا الكل هذا والملك منويل فى غمرات الموت بما جرى عليه من مجاذبة الاميرين فلما مثلوا بين يدى الامير عبد الوهاب ونظر الى عقبة على ذلك الحال قال له والله ياملعون ان كان لابد لى من صلبك ثم وثب عليه ولم يزال يضربه حتى قيل انه أعطبه واندار على شومدرس فما كان أيشمه يوم على الاثنين وعاد الراهب شومدرس على عقبة بالملامة وأقبل الامير عبد الوهاب على الملك منويل وقال له ياعدو الله ما كان بينى وبينك هدنة فلم غدرت وجمعت هذه العساكر على قتالى واستكثرت أما علمت ان الله تعالى لايخفى عليه كفرك ولا يعطيك ماتطمع فيه من غدرك ثم انه وثب اليه وهم ان يعلوه بالسيف فصاح الملك منويل لاتفعل يامسلم فما لنا فى هذه النوبة لا كثير ولا قليل ولا أخرجنا اليكم الا كتاب خليفتكم وقال لى ان لم تفعل والاسرت اليك وأخربت بلادك وقتلت أجنادك ومع ذلك ياأمير فقد ظفرت بى فاجرينى على جميل عوائدك وأكون تحت قبض يدك وترسل الى ميخائيل أخى وسائر الملوك الذين من قبلى وهول عليهم وقول لهم انى أريد منكم آمد وكلما فيه من الاسارى والرجال والاموال بحيث ان لايعدم من ماله عقال فان أجابوك الى هذا المقال فهو يكون سببا لاصلاح الحال وان لم يفعلوا ذلك فقد علمت اننى هالك فافعل بعد ذلك مابدالك (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك أقبل على قومه وقال لهم ماترون فى هذا الامر فقالوا هذا صواب لان أولادنا ونساءنا فى أيديهم والرشيد فان أجاب ميخائيل الى ذلك فهو

الرأى السديد فأرسل الامير عبد الوهاب الى الملك ميخائيل بما قد جرى من الاقاويل فجمع ميخائيل سائر الملوك و أخبرهم فقالوا مافى الأمر غير ذلك الا أن فيه شيء واحد وهو ان هذا البلد والرشيد وكل من فى آمد يفدوا برجل واحد ان هذا لغاية الغبن فلعلك أن تسترد الثقل الذى أخذه منا عبدالوهاب و بنى كلاب فهو فى الخطاب اذ دخلت شوما عليه فقال لها الملك ميخائيل بعد ان أكرم مثواها ورفع مكانها أيها المرأة الصالحة ما بالك مولوله نائحة فقالت له ما أغفلك عما نزل بالشيخ الصالح العابد الزاهد المبارك أبو الشر شومدرس و الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة فقال ميخائيل فهل انشف لكى خبرهما فوحق المسيح انى مشتاق الى أخبارهما فقالت له أيها الملك اعلم أنهما لما أبطآ علمت أنهما قد وقعا فى الإشراك وهو الذى عاقهما فخرجت متنكره ودخلت إلى عسكر المشئمة وسألت عن الخبر فرأيتهما وهما يسحبان إلى هذا الشيطان عبد الوهاب وأبو محمد البطال عنده فخفت أن يعرفنى فيقبضنى فسمعت منه الرسالة وماسبق من المقاله وان كان لك خاطر فى المصالحه فيكون على الشيخين عقبة وشومدرس فان لم يفعلوا فأنا أقول لكم ما تفعلوا وسوف ترون العجب من حيل تعجز عنها العجم والعرب وأرجو بذلك الثواب من المسيح اذا حضرت فى ناووس الضريح فلما سمع ميخائيل كلامها قال لها معلوم انه مايسعنا فى الدين بعد العلم بهما ان ندعهما فى أيدى المسلمين وهما شيوخ النصرانية وعماد الملة المسيحية ثم كتب ميخائيل إلى عبدالوهاب يقول أما بعد فان الحرب سعادات واقبال وادبار وقد ظفرت بالملك المكين وعندنا خليفة المسلمين ومن تعلمون من هذه المدينة واهلها من المؤمنين وهم عندنا مأسورين فان أردتم الفداء فبشرط تطلقوا من عندكم مع الملك وهم الشيخين الرئيسين عقبة وشومدرس وان أبيتم ذلك فافعلوا اما بدالكم فانا معولين على قتالكم فلما ورد الكتاب على الأمير عبدالوهاب عظم عليه وكبر لديه وأوقف الأمراء على كتاب ميخائيل واستشارهم فعند ذلك أقبل مالك ابن بشر الاقطع على عقبة وقال له ياملعون ألست انك تقول انك مسلم ولو كنت مسلم لما طلبوك أهل الضلال فقال له عقبة دع يامالك هذا المقال إنما القوم يرجونى لأجل ايهامكم لى انى منهم ويرجون أن يميل عقلى وقلبى لذلك وذلك منى بعيد وانما يحملنى على ذلك ودخول النار مقال هؤلاء القوم فعندها أعرض عنه مالك والأمير عبدالوهاب يأكل كفيه حنقا وهم بقتله فقالت الاميرة ذات الهمة أهلك ومالك والرشيد مع أكثر من عشرين ألف أسير ومائة ألف من النساء والعيال والصغار والكبار وميمون الخناس وماندرى منهم بعد قتل عقبة فاصبر حتى نبصر مايكون منا ومنهم وأمرت البطال أن يكتب جواب

الكتاب فكتب كتابا وكان مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان مافيكم الامن يعرفني فاني أبو محمد البطال ولى عندكم أثر وأعمال والرأى عندى ياميخائيل انك تأخذ الملك المكين وترحل أنت ومن معك سالمين وإلا أقسم برب العالمين تعالى ونزه عن البنات والبنين والمنزه الوزير والمشير الذى لايوصف بجواهر ولا اعراض ولا يدرك بالأوهام والاعتراض ولا بالتعلل والأمراض للذى ليس له حد محدود ولا ند منذود سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وحق من حلفت به لئن لم تفعلوا بما أنتم له سامعون ان مضت هذه الجمعة الاوفى رقابكم الحبال وأرسلكم الى العراق على الجمال بعد أن أذبح منكم عشرة آلاف بطريق وأنزل عليكم من البلا والنفوق مالا أحد يقدر منه أن يطيق (قال) فلما وصل الكتاب الى ميخائيل بقى فى حيرة فقالت له شوما دع عنك هذا الكلام ولاتخف من قول اللئام وأنا وحق المسيح من قبل أن يعمل أبو محمد ماقد وعد وقبل أن يقدر على مابه يهددك اتركه هو والاسود فى هذا البلد وكلا منهم مقيد فقالت الملوك معلوم اننا ماننخلاعن الراهب شومدرس وعقبة ولا بد لنا ما نقاتل فلما سمع ميخائيل ذلك أرسل يقول افعلوا ماشئتم فلا بد أن تدفعون الينا الشيوخ والا كان هذا الصلح بيننا مفسوخ ووصل الخبر الى الأمير عبدالوهاب والبطال فقال الامير ماترى يا أبو محمد فقال البطال سوى ترى كيف أبر قسمى فقال عبدالوهاب أوجز ياأبو محمد فقد انفطرت مرارتى وحرت فى قصتى وفاضت حيرتى مما جرى على فى هذه الأيام والشهور والأعوام فقال سوف ترى العجب ان أنت رافقتنى على مااريد فقال سمعا وطاعة فقال ازحف الى البلد وقاتلهم فى هذا اليوم فعندها نادى الأمير فى الناس أن يركبوا وعلم عقبة وشومدرس الى الامير قشعم وقال يا بنى احفظهما واحفظ نفسك منهما فقد علمت ماجرى على أخيك من عقبة وهو صاحب كل بلية صعبة فقال سمعا وطاعة والله لأسقيهما الوبال ثم رفعه إلى خيمته ومنويل معهما وتوكل على قشعم وغلمانه بحيث لايخرج من خيمته فزعا من عقبة وحيلته هذا والأمير عبد الوهاب قد زحف الى الباب وصعدت الروم على الأسوار وتراموا بالأحجار والصخور الكبار وطلع الملك ميخائيل وزاد الأمر على الرجال وتراشقوا بالنبال ودارت عليهم طاحون الاهوال واشتعلت نار الهياج أمر أشتعال وارتجت الارض بالزلزال وقد صاحت سودان الامير ظالم فرحا بسلامته وقويت قلوبهم عند رؤيتهم له لان الكتائب بأصحابها والمواكب بأربابها والملثمة قد عملت جهدها وان القتال لم يزل كذلك إلى أن انسدل الظلام واختلط القتام ورجعوا الناس إلى الخيام وإن الأمير أبو محمد وأبو الهزاهز ومالك

ابن طوق وراشد بن ضمره وسعيد ابن الفرج قالت لهم الأميرة ان البلد حصين لانقدر عليه فقال لها أبو محمد دعى عنكى هذا الامر فلا بد لنا من الدخول إن شاء الله تعالى ونبلغ ماتريد من المأمول ولا تنظرين الى ذلك فان ميمون الجماش ومن معه من الناس فى البلد ثم سار أبو محمد ودار حول صور البلد فوجد المرام منها بعيد فرجع وأقام إلى الصباح وقال لعبد الوهاب ارحل بالناس واذكر أن خراسان قد ظهر فيها خارجى وقد ملك العراق وخرب الآفاق وتزعم أنك قد رحلت اليه خيفة أن يملك حرم الخليفة ويأخذ ماله وعياله فقال عبدالوهاب وما قصدك بذلك فقال البطال ستقف عليه بعد حين ارحل من وقتك هذا وارجع آخر النهار فبعد ذلك رحل الأمير عبد الوهاب وقد كثر الحديث وفشا قول البطال وكان فى عسكر الأمير ثلاث جواسيس للروم فرجعوا إلى آمد وأعادوا الخبر على ميخائيل ففرح بذلك وقال الآن أدركهم وقد ملكت أثقالهم ورحالهم وربما أخذتم الملك منويل فخرج ميخائيل عند ذلك إلى ظاهر البلد ورحل خلف الأمير وفى خروجه كان البطال فى عشرة من الأبطال الامراء مكمنين وهم فى زى الروم وهم العشرة ذات الهمة وظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقراقدو أبو الهزاهز ومالك ابن طوق وراشد ابن ضمره وسعيد بن الفرج ودغفل الاسود وانهم اختلطوا بعسكر الروم لكثرتهم وان ميخائيل لم ينطلى عليه هذا الخبر وقال للملوك أخاف أن تكون هذه حيلة ويودون علينا ويوصلون الاذية الينا (قال الراوى) وكانوا الروم قد وجدوا لخروجهم راحة عظيمة لما ضاقت عليهم البلد حتى مابقى لأحد منهم موضع يضع قدمه فيه لكثرة الخلائق وقد صعدوا فوق الاصوار والابراج كل برج منها يسع عالم عظيم وفيه موضع للزراعة والكرم ومعهم من داخل العيون وهو بلد كبير فخرج الناس لما رحل الامير عبدالوهاب وكان البطال فلما اختلط بالروم هو ومن معه وعاد الملك ميخائيل الى البلد خائف من حيلة تتم وهو مقدم فى اتباع عبد الوهاب ومؤخر ودخل البطال ومن معه الى البلد وأرسل الملك ميخائل الجواسيس فى أثر الأمير وكانت شوما قد تزيت بزى المسلمين وركبت جواد وسارت حتى لحقت عسكر الامير عبدالوهاب واختلطت به فلما دخلوا جواسيس الروم إلى الامير اجتمعت بهم شوما وأعلمتهم بجميع الاحوال فرجعوا آخر النهار وأعادوا على ميخائيل ماقالت الراهبة وأخبروا أنها فى عسكر الامير عبدالوهاب وانها تريد تعمل على خلاص عقبة وشومدرس وانهما مع الامير قشعم فى أسوأ حال وأضيق مكان وقد انضاف اليه الامير ابراهيم وهياج الكردى من حنقه على عقبة وان الملك ميخائيل دعا بأربع ملوك وضم لهم أربعمائة ألف وأمرهم أن يعبروا على الجسر إلى العين يكمنوا هناك

وخرج هو فى باقى عسكره من آمد عند المساء وقد أنكر البطال ذلك وعظم عليه وكبر لديه وقال ماهو كثير يكون قد وصل إلى ميخائيل أن عبدالوهاب راجع اما فى ليلته أوفى غد ويكون سائر على غره منه فتخرج اليه الكمنا ولا يسلم منه أحد

(قال الراوى) وكان البلد قد خلا لانه ما بقى غير ملك السيخاك فى ستين ألف وقد خلت الابراج والاصوار بما كان عليهما من اعلاج الكفار فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الامير عبدالوهاب فانه مارجع الافى اليوم الثانى آخر النهار لانه علم أن البطال دخل البلد (ياسادة) وكان خروج الملك برأى الراهبة شوما خرج الملك وكان أعظم من أخيه منويل وأكثر شرا وغدرا ومكرا وكفرا وهنالك وكان ميخائيل أعظم هيبة من أخيه منويل وهو الذى ورث الملك بعده وكان قد انتخب من خيار البطارقة ألف بطريق من فرسان الحرب وقد جربهم فى الطعن والطراد والضرب ولم يزالوا سائرين حتى لاح لهم غبار الامير عبدالوهاب فى ظلام الليل والاعتكار فصاحت البطارقة عيسى ابن مريم والصليب فصاح الامير فى عساكره ودساكره وكان أكثر عسكر الامير عبدالوهاب نزلوا عن الخيل والملثمة والبربر كذلك وكان قد أهلكهم سيرهم فى الجبال لانهم قليلون الخبرة بها وهم لا يعرفون البر من الاوعار لانهم غربا ولا لهم بتلك الامصار معرفة وقد أحدقت بهم الروم من كل جانب ومكان ودام القتال وعملت الرهفات وتصارمت الخيل وقتلت الرجال وقتل الرجل أخاه فى ظلام الليل ووقعت أرجل الخيل فى محاجر اليربوع ولم يجد الانسان سبيل الى الرجوع وقد تهشمت الخيل من كثرة صخور الصحصحان وتهشمت وجوه الرجال والفتيان من خشب السنديان وخرجت باقى الملوك من المكامن وقد خاف القلب الآمن وانقطعت من الحياة المطامع ولم تدفع الدروع الموانع وضاق الفضا الواسع وثبت الأمير عبدالوهاب ومن حوله من السودان الأنجاب ونظرت الروم إلى ثبات الأمير عبد الوهاب فمالوا إلى عساكر الملثمة ففرشوهم فى الجبل وقتلوا منهم عالم عظيم هذا والكندفرون والبطليموس قد اختلطوا بالروم إلى أن وصلوا إلى الملك ميخائيل وأطبقوا عليه فى تلك الأبطال البهاليل ونادوا الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا بالظفر ورفعوا أصواتهم بالصلاة على سيد البشر فخر ربيعه ومضر الشفيع فيمن أشغل غذاه بالصلاة عليه فى يوم المحشر وقد نظرت الروم اللاعين إلى هذا الأمر المنكر فأيسوا فى الحال من الملك ميخائيل وحملوا على الكندفرون والبطليموس وتحايت البربر والملثمة وتحايت عساكر الأمير عبد الوهاب وترس قبر النبى الأواب ونزلت عن الخيل وترجلت السودان وتعلقوا فى الصخور والجبال وتضاربوا بالسيوف الصقال إلا أن الأمير عبدالوهاب

لم يزل يقاتل حتى تخلص هو وأصحابه من تلك المعمعة وهو لا يظن أنه يجى وكذا ميخائيل فانه هرب وهو طالب آمد فلما نظرت إليه الملوك نادوا بعضهم البعض ياويلكم دونكم والبلد وإلا فما يبقى منا أحد (قال الراوى) هذا وقد تبعهم الأمير عبد الوهاب وسائر الأصحاب وبنى كلاب والسودان الأنجاب ولم يزل السيف فى أعناقهم يعمل والدم يبذل إلى أن أبرق ضياء الفجر وانفجر وقد قتل من الروم ستين ألف ووصلوا إلى باب البلد (قال الراوى) وأما البطال والأميرة وسيف الحنيفية ومن معهم لما خرج ميخائيل على تلك الصفة التى وصفناها قالت الأميرة يا أبا محمد إن قدرت على شىء تفعله فعجل حتى نعاونك على ما تعمل فقال البطال إذا دخل ميخائيل أنا أعمل على الدخول عليه وآخذه ومعه ثلاثة أو أربعة من الملوك وقد فزع الباقين وما فى آمد عيون ولنا مواضع نختفى فيها ولا يعلم أحد بفعالنا ومع ذلك فلو أردت أقفز على البلد ما أمكننى وفى هذا العالم العظيم فقالت الأميرة اعلم أنت يا أبو محمد انى قد حزرت من قد بقا فى هذا البلد وهم ستين ألف وأزيد من ذلك فقال ظالم مادخلنا هذا المكان إلا ونحن معولين أن نرمى نفوسنا فى هذا الجمع وأنا وحق ذمة العرب قد أقدر أقف فى وجه عشرة آلاف بطل منهم فقالت ذات الهمة بابنى وأنا معاونة لك على ماذكرت فقال سيف الحنيفية وأنا الثالث وقال أبو الهزاهز ارفقوا بنفوسكم فان الترفق فى الأمر غاية المعرفة والعجلة من الشيطان وهذا ما يحمله إنسان ثم ان البطال أقام إلى أن هجم الظلام وأخذت العين حظها من المنام ولم يبق أحد الا ونام فزحف البطال بالرجال إلى برج منها ألف رجل وهو أكبر الأبراج ويسمى برج الصاحب وإلى جانبه برج الغلام يسع كل برج منها ألف رجل وهو شاهق بالهوى تلعب عليه الخيل كما تلعب فى الميدان وهو من حجر أسود ثم ان البطال تسلق الصور من داخل صار فى أعلا البرج ولم يزل حتى رفع الرجال إليه فملك البرج وصار شريكا فى البلد لا يبالى بأحد ثم نزل الأمير أبو محمد البطال فلم يغيب إلا ساعة حتى أتى بملك البنجاك فى الحبال ورفعوه إليهم فضحك ظالم وقال من هذا فقالت ذات الهمة لا شك أنه ملك من ملوك الروم ثم غاب البطال ساعة ومعه أكثر من مائه رجل فانكرت الأميرة ذلك غاية الانكار حتى دنا البطال وصاح بصوته فعرفت السوط فقالت يا أبو محمد قال نعم قالت من هؤلاء القوم الذين أراهم فقالت هذا ميمون الجاس وجماعة من السودان الذين كانوا معه فى بيت واحد أسارى خلصتهم ومالهم وهذه الملكة نورى ارفعوها إليكم قد خلصتها هى والأميرة علوى وهى مثل واحد منكم فى الشجاعة والقوة والبراعة ففرحت الأميرة وقالت يا أبو محمد مالنا وللسكوت عسى نتكلم ونهبر الناس بالسيوف فقال لها هذا بين أيدينا لكن اصبرى حتى أنظر من أين أخلص لهؤلاء عده ثم سار بهم إلى دار

يقال لها العجم ففتحها فوجد فيها العده معلقة على حالها فكمل لهم عدتهم فقالت الاميرة دعنا يا أبا محمد نكبر قبل ان يمضى الليل فان الصباح قرب فعند ذلك صعد البطال إلى عند الأميرة وأقبل على ملك البنجاك وقال له ويحك ياعدو الله أتعرفنى أنا أبو محمد البطال فقال له وقد عرفه الأمان فقال له لا أمان لك عندى إلا انى أريد الساعة من أعلا هذا البرج أرميك إن لم تسلم مفاتيح البلد وإلا وحق المصطفى أرميك مثل ماقلت لك فقال له يا مولاى المفاتيح فى البرج الذى أخذتنى منه وهم تحت السرير وكان البطال قد أخذه من دار الامارة الصغرى فرجع من وقته وساعته وما كانت إلا ساعة حتى رجع بمفاتيح الأبواب ثم أنه صاح على الأميرة فقالت الأميرة ذات الهمة الآن قد طاب الصباح فانزلوا ومن لقيتم فاقتلوا فنادى ظالم وكان جوهرى الصوت الله أكبر الله أكبر وكبرت الأميرة ذات الهمة والأمـــير أبو محمد البطال ومن معهم من الأصحاب فارتجت الدنيا لتكبيرهم وجاوبتهم أصوار الابراج وسمعت الحراس الصوت من أعلا القصر فطلبوا دق الناقوس عند سماع التكبير وثارت البطارقه من أماكنها وظنوا انه لم يبق أحد من المسلمين الا وقد صار معهم فى البلد وكان الواحد منهم يلتى أخاه فى الطريق فيظنه من الاعداء فيضربه بالسيف هذا وقد نزل الامير ظالم ومن معه ووصل اليهم النفير فيا لها من ساعة ماأعظمها وعند الله ماأكرمها ومن رجال ماأقدمها وعملت المرهفات ونورى فى أوائل الناس وقد فرحت بخلاص البطال بعدما كانت أيست منه هذا والامير ظالم فى أوائل الناس وسيف الحنيفيه الى جانبه والاميره ذات الهمة وأبو الهزاهز قد نثر الرؤس نثروأهلكوا النفوس عشرا عشر وعاد ذبح القوم حسرا وفلقوا بالصوارم صدرا وظهرا ولم يزل السيف يعمل الى ان برق الفجر هنالك وقمت العين على العين وكان قد قتل فى تلك الليله أربعة آلاف بطريق أكثرهم ضربوا بعضهم بعض فى ظلام الليل وحل بهم الويل فلما نظروا الى هؤلاء صاح بعضهم ببعض ويلكم وماهم الاماترون وأنتم فى هذه الخلائق فحملوا هنالك على القوم وأحدقوا بهم (قال الراوى) وفى صحبة ذلك اليوم وصل ميخائيل هارب والبطارقه والمواكب وقد هلك منهم فى تلك الليله قوما بعدد المواكب وحلت بهم المصائب بما جرى عليهم فى تلك الغياهب هذا والامير عبد الوهاب فى أعقابهم حتى وصل الى ظاهر البلد فصاحت الناس بين يدى الملك ميخائيل على البلدان يفتح لهم ولم يعلموا ان الدماء من داخل البـــلد تجرى وترسخ والرجال تبطح ونظر الامير عبد الوهاب الى الملك وقد التصق الى صور البلد والاعلام على رأسه والابواب مغلقه وهو لايقدر على الدخول فعلم ان البطال قد عمل عملا أوجب ذلك فقال لاصحابه احملوا عليه فى هذه الساعة حملة

واحده وهى تكون حملة الانفصال فان البلد قد ملك لامحالة عند ذلك اطلقوا أصحاب الامير عبد الوهاب الأعنه وقوموا الأسنه وحمل الامير عبد الوهاب وأبطال بنى كلاب والسودان الانجاب وأصحاب الملك الكندفرون والبطليموس والبربر والملثمه والعرب فصدموا الروم صدمة واحد فانهدت لها الدرق وانقطع العلاق وحمى الامير عبدالوهاب مثل الفسق حتى وقمت الروم الى الاصوار وطلبوا من البلد الانتصار فلم يجدوا لذلك آثار وخرق الامير عبدالوهاب الصفوف وجدع الانوف ولوح القحوف وتبعته السودان وفتك بالابطال والاقران حتى وصل الى الصليب الذهب وضرب حامله على عاتقه طلع السيف من علائقه وصاح بالبطارقة فتفرقت ووصل الى الملك ميخائيل ومعه طمطم وطماطم وغيلم وعندم وهم من حوله كانهم شياطين وقد تفرقوا البطارقه من حوله شرقا وغربا وقد شبموا ضربا وطعنا وصاح الامير عبد الوهاب بميخائيل صيحة أرعبه ووثب عليه وجذبه اقتلعه من سرجه كانه العصفور فى يد الباشق الجسور ونظرت الروم الى الملك ميخائيل وقد أخذ والى الجيش وقد كسر وقد نالهم من الفنا فى النهار وفى ظلام الليل ما نالهم فلم يكن لهم غير الهرب نحو البلد فى الجانب الآخر يطلبون الفرج واذا بالامير أبو محمد البطال على أعلا الصور فى البرج والسيف فى يده مشهور تقطر الدماء منه وهو يكبر الله عز وجل (قال الراوى) وكان السبب فى تلك الواقعه انه لما أصبح الصباح ونوره قد لاح دخل الامير أبو محمد الى المرضع الذى فيه النساء والرجال من الاسارى وما عاد حتى خلص أكثر من ثلاثة آلاف أسير ما بين كردى وأسود وبدوى وأصحاب ميمون الجماس وثارت النسوان العربيات وكانوا خلقا كثيرا وقويت قلوبهم فلما نظروا الى الاميره ذات الهمة والامراء سمعوا التكبير من خارج البلد ومن داخل البلد وأخبرهم الامير أبو محمد البطال انها الاميره ذات الهمة وظالم وسيف الحنيفيه فقويت قلوبهم ثم ضربوا الروم بالأحجار الكبار والصغار وعمل فيهم البتار (ياسادة) وإن الروم لما رأوا ذلك وانهم قد أشرفوا على الهلاك صاحوا بالامير أبو محمد البطال وقالوا له احقن الدماء وافتح لنا الباب وعلمت الروم بذلك فاندقت منهزمة حتى خرج الذى سلم منهم وغلق الباب وفى تلك الساعة أقبلت المنهزمين من عسكر ميخائيل ورأوا الملوك منهزمة فولوا وجوههم طالبين بلاد الروم وكان يومهم ذلك يوم ميشوم والامير عبد الوهاب قد دار إلى باب البلد الذى من ناحية الجبـــل ليطلب من سلم من المنهزمين فنزل عن جراده وباس الارض شكرا لله تعالى وقد نزل أبو محمد وفتح البلد ودخل هو ومن معه ونظرت الملثمة إلى ذلك البلد فأعجبهم فعل البطال وقالوا إن الجن ما يقدرون على أكثر من هذا وإن هذه قوة قلب عظيمه .

أيدخل منهم عشرة إلى بلد مثل هذه وفيه خلق كثير من الاعداء إن هؤلاء ما يفزعون من الموت فلما حصل الناس كلهم فى البلد أقبل الامير عبد الوهاب على الاميرة ذات الهمة وقال أريد عقبة حتى أدبر على صلبه على صور آمد فقال أبو محمد والله لا تركت دم ولدى يمضى هدرا ومافى قلبى حسرة إلا من حرب بن شيبان ولا بد ما آخذ ثارى منه ومن عقبة فقالت الاميرة ذات الهمة اكتموا أمر عقبة حتى يمضى الرشيد الى بغداد ونأخذ عقبه وندخل الى بلاد الروم فان لله على نذر ان جمع الله بينى وبين ظالم والبطال دخلت غازيه الى القسطنطينيه ولا أزال حتى أفتحها وأقيم الآذان فيها على الكنيسة الكبرى إله صوفيا فقال الامير عبد الوهاب لله درك فهذا أقصى مرادى وأصلبه على باب الذهب فى القسطنطينيه ويكون ذلك تصديقا لمنامى ثم أدعى الأمير عبدالوهاب بولده قشمم فأجابه بالتلبية فقال يا بنى سلمت اليك عقبة الملعون ظاهر البلد وأنت أيضا تحفظه فى البلد فخذه وامضى إلى دارك المفروده على باب الماء فأنا ماضى إلى الرشيد ويكون دخولنا إلى بلاد الروم عن قريب بعد مضى الرشيد إلى العراق فقال قشمم أيها الأمير اعلم انه لما سلمته الى خفت من حيلته وحيلة الراهب شومدرس فاستعنت بأخى ابراهيم وكنت موكلا بهم مع أخى ابراهيم حتى خرج علينا كمين الروم وجرى من القتال ماهو معلوم وان أخيه لم تدعنى أصبر عن القتال ولا أقتصر عن النزال فأوصيت أخى ابراهيم بهم ودخلت إلى المعمعه ولم يزل القتال عمال كما علمت الى الصباح وانى لحقت أخى ابراهيم والعشره الذين كانوا معه من غلمانى فما وجدت لهم أثر ولا سمعت لهم خبر وانى ظننت أن يكون قد سبق بالليل من خوفه ان تكون الواقعة عليه احترازا على الملك منويل وعقبة الملعون وشومدرس المفتون الى الآن فما بان لهم خبر فلما سمع الأمير عبدالوهاب ذلك انقلبت عيناه فى أم رأسه وجرد السيف ووثب اليه ليضربه فصده عنه الأمير ظالم فقال له يا بنى اعلم ان خلاص عقبة وشومدرس والملك منويل ماهو مثل فقد أخيك ابراهيم (قال الراوى) وكان الامير ابراهيم عند الأمير عبدالوهاب هو أحسن أولاده لكون انه ابن الشريفه علوى وكان حسن الوجه مليح الشباب عفيف النفس فقلق عليه الأمير عبدالوهاب غاية القلق فقالت له الأميره دع عنك هذا الجزع فلربما يكون الامير ابراهيم لما خرجت علينا الخيل فى ظلام الليل رجع إلى خلفه خوفا على من فى يده من الاسارى فقال الامير أبو محمد البطال أيها الأمير لابد لى ان أدخل إلى بلاد الروم من أجل غلمانى ومن أجل حرب بن شيبان قاتل ولدى وما يكون الا ما تحبه إن شاء الله ثم ان الامير أبو محمد البطال أقبل على الأمير قشمم وقال له هل خالطكم أحد فى هذه الأيام فقال الأمير قشمم لا والله ياأبو محمد ما عبر نا أحد سوى شيخ كبير السن رقيق العظم ثقيل السمع فقير ضعيف البدن عليه آثار العباده وذكرانه

خادم بيت المقدس وقد أتى فى طلب الجهاد فقلنا له انشاء الله تعالى قد حطت عنك فريضة الجهاد لأنك رجل ضعيف كبير فقال قد علمت ذلك ولكن ضرب السيف أدون من سكرات الموت ولا بدلى من القتال وقد كنت مقيما فى نصيبين أطلب مثل هذه الغزاه لعلى أختم فيها بالشهادة فلما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله ان كنتم دهيتم الامن العجوز النحس شوماز وجة الراهب الملعون شومدرس المفتون وبالله أقسم لا تركتها انشاء الله تعالى فى هذه السنه بالحياة ولا بد من قتلها

(قال الراوى) ياساده يا كرام وكانت الملعونه المفتونه شومة النحس قد صارت فى عسكر الامير عبدالوهاب بالزى الذى وصفناه ولاصقت الأمير قشمم وأصحابه فلما وقع القتال تلك الليله ورأت كتائب الروم وقد اندفعت يمينا وشمال أقبلت على الامير ابراهيم ولد الأمير عبدالوهاب من الاميره علوى وقالت له يا بنى اعلم ان الليــــل كثير الطوارق والعوائق والسيوف البوارق تعمل فى المفارق والعواتق وأنت معك ملك الروم وهذين الشخصين اللذين لهما عند الروم منزله عظيمه فى الجمع فانزل إلى بعض المواضع من هذا الجبل وان كانت النوبه لكم والفرج على أيديكم كان وان كانت لعدوكم والعياذ بالله فيكون معكم مايفادى به كل مأسور فى أيديهم من المسلمين فلما سمع الامير ابراهيم ذلك منها رآه صواب وأكبر نصيحة اليه فقال له ياشيخ أبشر بالثواب من الله تعالى وسار حتى لزق بالجبل ثم طال القتال بين الروم وبين الامير عبدالوهاب فعندها قالت الملعونه شوما أريد أمضى اليهم وآتيك بالخبر ثم انها سارت مثل العقاب وخرجت من وراء الكمناء فنظرت حرب بن شيبان ومعه العرب المتنصره وقد عرفوا لغاتها لما تكلمت وقد زالت تلك اللحية المستعارة عن وجهها الخبيث وقالوا لها ما الذى عملتى فقالت سوف ترون العجب بعد قليل ولكن أريد حرب بن شيبان فأتى اليها رقال لها ماوراكى أيتها العجوز الصالحه فقالت له اعلم يا أمير حرب انك أخذت ابن أبو محمد البطال وقد ذبحته فاعقل على نفسك ولا تحسب أنه يغفل عنك ما دمت فى هـــذا الاقليم والملك منويل فقد خلصته ومعه عقبة والأمير ابراهيم ولد الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحاب والشيخ الصالح شومدرس الذى قد أرميت روحى من أجله فى أفواه السباع ولولا ان المسيح من على وأعانى لما كنت الا هالكه لامحاله فلما سمع حرب بن شيبان ذلك قال لها اعلمى أن العالم قد أشرفوا على الهزيمة وما لأحد منهم طاقة بالأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحاب ولاسيما المشئمة وقد صاروا معهم الذى أتى بهم الشيطان أبو محمد من بلاد المغرب فقالت شوما الرأى عندى أنك تسير تأخذهم وترجع بنا تحت ظلام الغيهب وتطلب بلاد الروم فان كانت لنا فاقدرنا على العودة وإن كانت علينا

نجونا بأنفسنا ونكون على حذر من ذلك فعندها سار حرب ومعه خمسة آلاف من العرب المتنصره وهي معهم حتى أوصلتهم إلى الموضع الذى فيه ابراهيم وقتل أصحابه العشرة وخاص عقبة وشومدرس والملك منويل وسار تحت الليل وقطع الأرض فى طولها والعرض (قال الراوى) وان عقبة قد فرح وهو يقول يا ابراهيم ما كان المسيح بالذى يخيب قصدى أكون عملت على هلاك سيف الحنيفية ثم سلم وعلى هلاك ظالم ثم سلم وأنت لا بد من قتلك فى هذه النوبة ثم انه من حنقه عليه أخذ سكين من وسط حرب بن شيبان وكان الأمير ابراهيم مكتوف اليدين فقال له عقبة لا بد أن أعذبك بأشد العذاب قبل قتلك وأخرج كلما فى قلبي منك ثم أقبل على حرب بن شيبان وقال له إنك قد نلت الشرف العظيم بقتل ابن الشيطان فاقتل ابن الاسود لتكون قد اشتفيت من العدوين فقال لهم الملك منويل هذا بين أيديكم فما ندرى كيف يكون الأمر فى ميخائيل فلا تعجلوا على هذا بالقتل بل خذوه معكم فان هذا شيء لا يفوتكم فعند ذلك امسكوا عن قتله وما أصبح الصباح إلا وهم فى أرض بعيده (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما الأمير عبد الوهاب فإنه صعد إلى القصر وسأل عن الرشيد فأخبر انه فى دار الأمارة مريض على حاله فعظم ذلك عليه وكبر لديه وسار اليه والغلمان بين يديه حتى دخل اليه وإذا به على غاية من المرض وقد أخبر أن الأمير عبدالوهاب قد فتح البلد وكسر عسكر الروم فلما سمع الرشيد ذلك غلب عليه الفرح والسرور حتى وجد الراحة من الالم الذى كان به وقال فهؤلاء الملثمة والبربر الذين جاؤا من الغرب يطلبون قتلى فقالوا يا مولانا انهم خرجوا أصدقاء لعبدالوهاب وإن الأمير مكتوم هو ظالم بن عبدالوهاب وحمدون المحتال هو أبو محمد البطال فلما سمع الرشيد ذلك عن الامير عبدالوهاب قال هذا رجل معه الحق وهو مظلوم ولولا انه عند الله بمكان لما فتحت له البلاد وأقيمت له الأركان وحفظ ولده أينما كان (ياسادة) وان الرشيد بقى خجلان من الأمير عبدالوهاب ومن ظالم وذات الهمة والبطال وما بقى له وجه يلقاهم وأطلع الأمير سائر الاسارى الذين قد أسروا مع الرشيد فى ميافارقين مثل الفضل ابن الربيع والأمير عمرو بن عبيدالله وجماعة من بنى سليم من أرباب دولة الخليفة ومن أهل آمد وكان ذلك عالم عظيم فى عدد التراب فقبل الامير الأرض بين يدى الرشيد وقال للامير ظالم اذا أنا دخلت والاميرة ذات الهمه وقبلت الارض فادخل أنت والبطال وفعلا كفعلنا واعلم يا بنى ان الله فرض طاعته علينا وان وصلت أذيته الينا ونحن نرعا له قرابته من رسول الله ﷺ وان الامير ظالم كان فى قلبه من الرشيد أشياء فما أعجبه العبور عليه (قال الراوى) ولما ان رأى الرشيد الى الامير عبدالوهاب وان ذات الهمه والبطال هدوا

غيظ ظالم وحسنوا له بعض الأشياء مكايده فى الأعداء. فقالت ذات الهمة للرشيد يامولانا اعلم أن ظالم قد فعلت فى حقه مافعلت وما أتانى هذا الوقت إلا بشرط أن يدخل تحت طاعتك ويضرب بسيفه رأس أعدائك وحسادك على شرط أن تعطيه على ذلك ماطلب فقال الرشيد وهو ملتهب من الخوف وتربة المهدى لو طلب ولدى مامنعته منه فليذكر حاجته فقالت يامولانا نريد عقبة تطلقه لنا حتى نصلبه على باب الذهب فى القسطنطينية فنحن سائرين إلى بلاد الروم لأن الأمير أبو محمد لايقعد عن قتل ولده وأنت البرىء من دم عقبة ونحن المطالبون به فقال الرشيد لكم ذلك ثم إنه أعطاهم يده بالإذن فى ذلك وأن لايتعرض لهم بسببه فعند ذلك صاحت الأميرة ذات الهمة بظالم فقبل الأرض بين يدى الرشيد وكذلك فعل الامير أبو محمد مثل هذه الفعال ففرح الرشيد بذلك فرحا عظيما ثم خرج الى ظاهر البلد فأبصر تلك العساكر فقال للامراء أريد أنحدر الى بغداد فقال الامير عبدالوهاب يامولانا الامر لك وكذلك نحن نريد الرحيل إلى ملطية فمن يوم وصلت إلى آمد ماطاب لى فيها عيش ولا قعدت فيها يوم واحد ولا الامير أبو محمد فقال له الرشيد ملطية وغيرها بحكمك ولا يكون معك من بنى سليم أحد الا ماتريد فقال يامولانا بنو سليم أهلنا وجيراننا ولا نؤاخذهم بما كان منهم الينا فأصلح الرشيد بنى عمرو وبنى عبد الوهاب وأحضر الملك ميخائيل وملك البنجاك وأحضر لهم الانجيل أن عقبة ماهو الذى حرضكم على الغدر بالرشيد فقالوا ما نحلف فلح الامير عليهما ثانية وقال بحق الانجيل ماهو فعل هذه الفعال فقالوا هو ذلك (قال الراوى) وان الرشيد لما سمع ذلك صدق الخبر وأخذ فى أمر الانحدار إلى بغداد ومن الصباح سار إلى العراق وهو كثير الأشواق وأما الأمير عبد الوهاب فإنه ترك ميمون الجماس فى آمد وسار إلى ملطيه ونزل بها يدبر فى أمر خلاص ولده فبينما هم على ذلك وإذا قد دخل إليه كتاب من عند الملك منويل فى شأن ميخائيل أخوه وملك البنجاك وسأل الأمير فى فكاكهم من الأسر فقال أريد ولدى إبراهيم وغلمان أبو محمد البطال وعقبة نسل الأندال وإنما أناسائر إليك وسوف ترى ماأنزل بك ان قدمت عليك ورجع الرسول إلى الملك منويل فلما سمع هذا الخطاب رد إلى الأمير رد الجواب وهو يذكر له ويقول إذا سرت إلينا أيها الأمير المكرم جعلنا السيف بيننا وبينك حكم وأسد عليك الدروب وترجع وأنت مكسور مغلوب وفى آخر الكتاب وإن أردت أن أرسل إليك ولدك إبراهيم فأنا أفعل إذا أرسلت إلينا ميخائيل وملك البنجاك ونعقد الهدنة بيننا ماشئت من الأيام والشهور والأعوام فلما قرأ الأمير عبد الوهاب الكتاب وما فيه من الخطاب

قال الأمير محمد مازرى فى هذه الأهواء أيها الأمير المفضال فقال الأمير أبو محمد اعلم أيها الأمير انى رأيت الرشيد فى مرض شديد ورحل من ههنا وهو ضعيف والصواب أن تفعل ماأمرك وقبل كل شىء اعلم ان بلاد الغرب التى أتينا منها بعيده والرجال التى خرجت معنا من الملثمة والبربر مابقى منهم إلا القليل وأريد أن أقابل الإحسان بالإحسان وتعطيهم من هذه الأموال التى قد كسبناها من الروم حتى يعودوا شاكرين إلى الملك عبدالودود الذى فعل معنا كل فعل جميل وأوصل الينا كل تفضيل وزوج ابنته الأمير ظالم وأرسلها معه إلى هذه الديار والأماكن البعيدة واخلع على إبراهيم بن الخصيب كما أمرك الرشيد أن تفعل وسيره إلى بلاده ورد نواب الشام إلى كل موضع وكل أمير ومقدم ويكونوا فى ولايتهم كما كانوا عليه من جهة الخليفة وإذا فرغت من ذلك دبرنا على خلاص ولدك إبراهيم (قال الراوى) فعند ذلك أخرج الأموال وقسم على الرجال وقال والله لاأدخل إلى مالى من هذه الأموال حبة واحدة وكانوا قد أخذوا خزائن الملوك كلها فى هذه النوبة فأعطى الملثمة أكثر من بنى كلاب ومن السودان وقال لهم هؤلاء القوم راحلين والضيف يكرم فلم يشق عليهم ذلك وقالوا نعم مارأيت أيها الأمير من الرأى والتدبير فاستغنوا القوم غنى لافقر لهم بعده وكان الواحد قد خرج عن بلده وهو يملك رأسا من الخيل فحصل له من الأموال والخيول والثياب وغير ذلك وأخذ أبو مخلف مثل رجلين وقال أبو محمد خذ فإنك رجل قوى القلب فى القتال وفارس الرجال فظن الأمير عبد الوهاب أن ذلك حقا فقال لاترجع إلى بلاد الغرب واقعد عندنا فقال سمعا وطاعة يامولاى فوالله مافى الغرب لى أحد ولا أهل وأنا أقيم ههنا أربح الجهاد فى طاعة رب العباد فضحك ظالم ولم يحتاج كلام قدام أبوه وخلع على ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر وعلى سوار صاحب دمشق ورد الولاه الى أربابها وساروا الى أماكنهم والملثمه مضوا شاكرين ولايادى الامير عبدالوهاب ذاكرين وللاميره بالثناء لاهجين بعدان مضوا الى ابنة الملك عبدالودود وشاوروها فى رحيلها وقالوا لها ان كان قلبك غير طيب فى الاقامة ههنا كنتى تريدى الرجوع معنا فما نرجع إلا بك فقالت لا والله ماأنا الا فى غاية الاكرام ولاسيما من يوم اجتمعت بهذه الاميره المجاهده ذات الهمه فان النظر اليها عباده فبلغوا والدى عنى السلام وقولوا له عنى خيرا فلقد وضعنى فى أكرم موضع وأشرف حسب ونسب والدين والعلم والادب ومافيهم إلا كل فارس منتخب (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ساروا القوم وودعهم الامير عبدالوهاب وظالم وسار معهم ابراهيم بن الخصيب فلما رجع الامير عبد الوهاب إلى ملطيه لتفتت الاميره علوى بالبكاء والنحيب وقالت له أنت مايهمك فقد ولدى لانك كثير

الاولاد وأنا فمالى غير هذا الولد ابراهيم ومالى عنه صبر فان لم تعمل لى على خلاصه فأنا أكتب إلى جميع قبائل العرب من بنى كلاب وحلفائها يأتونى إلى نصرتى وخلاص ولدى وثمرة فؤادى ومهجتى فقال لها الامير ماتحوجك الى هذا وأنا أسير من أجله ولا تقولى كلما زاد ولدا كرهت الآخر وكل واحد منهم له عندى موضع ثم انه قال يا أبو محمد أريد المسير الى بلاد الروم فقال أبو محمد ما هذا صواب ولكن ارسل الى ملك الروم وهدده بأخذ ولدك ابراهيم واخلع على الملك ميخائيل وملك البنجاك فهو يطلبهم حتى يطمئن وشومدرس وشوما فهم الذين كانوا سبب قتل ولدى مظلوم وأنا أطلب حرب بن شيبان ولا أزال حتى أظفر به وبأولاده ولا بد لى من الدخول الى بلاد الروم من أجل ذلك فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب فقد ضجروا الناس من القتال والحرب والنزال وملوا من السفر من مكان الى مكان ثم انه أرسل إلى الملك منويل بذلك فلما وصلت الرسالة اليه خلص الامير ابراهيم بأخيه مخائيل ووزن ملك البنجاك عشرة آلاف دينار وعقد الأمير عبد الوهاب الهدنة مع ملك الروم بذلك فلما وصلت الرسالة اليه عقد الهدنة باقى السنه فهذا ما كان منهم وأما الأمير فانه أخذ جميع مايحتاج اليه وعبا سفاط من خرز وعقيق ولؤلؤ وطيب ومرجان وبقى حائر فيمن يدخل معه إلى بلاد الروم ممن لا يعرف فما كان غير أبى يخلف فلم يزل به حتى كشف عنه اللثام وألبسه لبس التجار وأخذه أبو محمد وسار يقطع الفيافى والقفار وطلب القسطنطونية من أجل حرب ابن شيبان وخلاص غلمانه لعله أن يأخذ أخبار عقبة ولم يزل إلى أن وصل إلى ديرمانوس وهو معمور بالرهابنه والقسوس ويقال له ديرموسى وقد بقى بينه وبين بلد القسطنطونية ستة أيام وكان هذا الدير معظم عند الكهنة يحملون اليه الصدقة والنذور والشمع من سائر بلاد النصرانية وجميع الجهات ودخل أبو محمد اليه وأظهر أنه مريض حتى يخفى أمره وبقى فى زى شيخ من الجزيرة وديار بكر وقال لأبو يخلف خذ معك من هذا الخرز والعقيق واللؤلؤ والعقود وبيع لنا فى هذا بالدجاج والحلوى والبيض وشىء يكون لنا ادام فى الطريق نقتات به فقال سمعا وطاعه يامولاى ثم انه أخذ قفص وعبا فيه مايحتاج اليه وأخذه ودخل به إلى الدير وكان لذلك الدير موسم تأتى اليه البنات التى للروم على وجه التبرك مثل عيد وكان موسمه ذلك اليوم على الاتفاق (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأخذ أبو يخلف ذلك القفص الذى عبا فيه ماذكرنا من العقيق والخرز واللؤلؤ وطاف به فى ذلك الدير وأحاطت به بنات الروم وعليهم الحلى والحلل وهم يشرقوا بالنور ونظر أبو يخلف إلى ذلك فقال والله ليس العيش الا ههنا ثم نظر إلى صدر الدير وإذا فيه عشر جوار كأنهن

الأقدار بينهن صبية وهي المقدمة عليهن وهي بقد كالرمح ووجه كالصبح وهي تسبي الورى بعيون كحلت سحرا وحشيت فتونا ولها جفون كاجنحة النسور ثقيلة الارداف مليحة الانعطاف وتفوق الظراف وإذا نظرت إلى إنسان أورثته من ألحاظها التلاف فما هو الا أن نظر اليها أبو يخلف فغاب رشده وطاش عقله ثم انها قالت لجوارها قولوا لهذا التاجر المسلم ايش معاك للبيع فقالوا يامولاتنا معه لؤلؤ وعقيق وكافور ومسك وعنبر فقالت وحق المسيح انى محتاجة الى اللؤلؤ نتم به هذه النذور (قال الراوى) وكانت هذه الجارية إسمها شمسة بنت بطريق يسمى شماس وهو مقدم على سائر البطارقة الذين فى القسطنطونية وحاكما على الكتاب وكان قد شاع حسنها فى بنات البطارقة وخطبوها ملوك الروم وأبوها شماس يأبى ذلك حتى خطبها الملك ميخائيل بعد ماساعده أخوه منويل ولها معه شهر لاغير فلما كان عيد هذا الدير سارت اليه وكان عليها نذور فحملت الى الدير كل شيء مليح مفتخر والقسوس قد داروا بها ينظرون إلى ذلك الجمال الباهر الذى يخجل الشمس وتشتاق اليه كل نفس ثم أنها أحضرت أبو يخلف وكان له وجه لو رآه يعقوب الحزين عليه السلام لضحك لأنه كان له صورة مسلوته وقورة معجره وحنك أبخر رقيق الحواجب كانهم الكمون أحول بالجوز وإذا نظر الى انسان يحسب أنه ينظر إلى السماء (قال) وان شمسة لما نظرت اليه وسمعت كلامه لم تصبر بل جعلت تضحك وترمى روحها إلى جوارها وأبو يخلف قد أوتر قوسه وسال لعابه ودهش من عظم ماقد أصابه فقالت له شمسة أورينى كلما معك من لؤلؤ وغير ذلك فقال سمعا وطاعة ياستى لاشك أنى مابقى لى عقل لأنك قد أخذتى عقلى وقلبي فضحكت من قوله وقالت له ما اسمك فقال ياستى عبدك أبو يخلف فغشى عليها من كثرة الضحك لما سمعت اسمه وكلما ضحكت انجلى طابع الحسن على خدودها ورمان نهودها وان أبو يخلف لما نظر اليها حسبت أنه ينظر إلى رأسها فقالت لجوارها وحق المسيح لو كان يروح إلى القسطنطونيه لكنت أجعل له ديوان فى كل سنة خمسمائة دينار وأكون أنا إذا ضاق صدرى أحضره عندى وأضحك عليه لأن هذا مافى صورة الكنائس مثله فقال لها ياستى أروح معك لأنى قد وقعت فى اشراك محبتك من حين نظرت اليكى والدليل على ذلك شاهد لكى هذا وقد سرقت العقود واللؤلؤ والعقيق الذى معه وأخذت الجواهر وقلائد العنبر وهو ينظر اليها فأقبلت عليه الجارية وقالت له إيش قلت لى أنت اسمك أبو ينتف فقال لا ياستى أبو يخلف وأنا اعرف أعمل الذى قلتيه فضحكت حتى وقعت على قفاها وقالت له تخلى هذه التجارة وتجى معى إلى بلد القسطنطونية وأنا أزوجك بواحدة من هؤلاء الجوار

وتكون عندى فى وسط الدار التى لى فقال لها وهل بقى لى عقل أرحل به الى بلدى أنا أروح معكم من هذه الساعة وما أبات الليلة إلا عندكم فقالوا جوارها ياستى نخاف من الملك يقول هذا مسلم ولا يخليه يقعد معك فى الدار فقال لها أبو يخلف وحق الصديق فهو مثلكم وعلى دينكم فقالت اخرج إلى برا الدير إن كان لك من تودعه وعد الينا واودع قماشك وان اردت ان أعطيك ذهبا ترسله الى أهلك أعطيناك فقال مالى أحد غيركم فقالت الجوار للقس خذ هذا الرجل نصره حتى تأخذه الى القسطنطونيه فان الملكه شمسه قد طاب قلبها بصحبته فقال القس وايش عجبكم من هذا المنظر الوحش فقال أبو يخلف ابصروا هذا الشيخ النحس ماأثقله ويلك وايش فضولك فى هذا الحديث يانجس أنا لك فى النية الجيدة انت اذا نصرتنى أعطيتك هذا الخرز والعقيق والجوهر فضحك عليه القس وقال اذا كان قصدك وطيب قلبك وحسن نيتك فما أردك عن مرادك يسخط على المسيح ثم انه أنزله فى جرن ماء المعموديه فقال له أبو يخلف لم لا تنزل الست شمسه معى فى الجرن حتى نتنصر كلنا فقال القس ويلك هى متنصره ماتحتاج الى تنصر فقال وايش يكون اذا نصرتها مرة أخرى وحق عمر بن الخطاب ما أتنصر إلا ان نزلت معى فقال له القس تخالف المسيح فعندها أنزله وقد غمره ونصره ثم طلع به فالتفت إلى الملكه شمسه وقال لها أيتها الملكه انى خرجت أنا والبطال نريد القسطنطونيه لاجل حرب بن شيبان فانه قتل ولده ويريد يأخذ تاره (ياساده) فلما سمعت الملكه شمسه بذكر البطال اصفر لونها وقالت له وأين البطال فقال لها هو معى بر الدير فخرجوا معه الغلمان فما لقوه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك انه لما أبطأ عليه خبر أبو يخلف دخل فى أثره فوجده يقول للملكه ان البطال دخل معى من أجل حرب بن شيبان فلما سمع ذلك علم انهم لا بد ان يطلبوه فرجع وهو يقول أيتها الملكه لا تقصرى فى اللطم فى رقبته والصفع بالنعال فاسرها البطال فى نفسه وكان لما رجع البطال لقى ساقى الملكه خارج فتبعه البطال الى ان أبعد عن الدير فقعد الساقى يزبل الماء فتراشق عليه البطال وضربه بخنجره قتله وسلخ لحيته وركبها على وجهه ورجع الى الدير على عجـــل بما كان مع الساقى فوجدهم يريدون السفر فسافر وأبو يخلف ينظر اليه ولا يعرفه وقد نوى للبطال نيه رديه وصار يقول لهم أنا أوقعكم عليه ولو خرج فى الصورة التى يعرف فيها فلما سمع البطال ذلك منه زاد غيظا وحنقا وقال فى نفسه الساعه أوريك يا قرنان فى قفا من تقع النعال ومن يندم على هذه الفعالهـــذا والبطال يتحدث مع أبو يخلف ويقول له وحق المسيح

يا أبا يخلف ائن دخل البطال كما ذكرت وعرفته وفى يد انلك أوقعته ايكونن لك عند الملك اليد البيضا وينظر اليك بعين الرضا وأبو يخلف يقول له سوف أوريك ماأصنع وانه لابدله من القسطنطونيه وما دخل الا من أجل غلمانه ثم قدموا لهم طعام والخرفان الرضيع والخنازير والدجاج وحامات الحلوى وقد وثب البطال وشد وسطه وقدم الطعام بيده وكل واحدة من الجوار تظن ان البطال الساقى وما فيهم الا من قد اعجبها تقدمة الطعام كانه قد خلق لترتيب الطعام والموائد وتقدم أبو يخلف يأكل من لحم الدجاج والخرفان والحلاوة فقالت له شمسه لم لاتأكل من هذا الخنوص فقال لها حتى أعانق وأبوس الفرطوس وأنا آكل الخنوص وحق ذلك الجرن الذى أنزلنى فيه شيخ القسوس لقد رأيته البارحه فى النوم يقول لى قبل الست شمسه فى خدوده فهى كانت سبب هدايتك إلى الحق ولا بدلى ماأفعل ماأمرت به ثم انه انكب على الملكه شمسه يقبلها فى خدها وثنى باخرى فى فمها وقد انقلبت عينه فى أم رأسه وابيضت حوالنه وقد انقلبوا الجوار والست شمسه تضحك عليه وهى لاتوريه ان ذلك عيب عندهم ثم دارت عليهم كاسات الصهبا وهبت عليهم نسمات الصبا وعمل المدام فى الخدود حتى كساها حلة ورديه وتفرغرت عيون الكواعب ودبات أنفاس المشارب ونزلت الاصداغ على الخدود مثل العقارب وتكسرت العيون والحواجب ورش الحسن على الوجوه نور البها البادع الا أن أبا يخلف قدحار فى الحسن المفتن الفائق وقد علم ان مراد الجاريه ان تضحك عليه كلما نظرت اليه وكان قد كشف رأسه وكان أصلع كان رأسه كوز نقاع ولبس ثياجات معه من الفرب طول الدرع وجعل يلعب ويرقص ويطرب وهم يضحكون عليه وقالوا مايدخل على الملك أظرف من هذه الصوره ولا أغرف من زيها هذا والبطال يضحك عليه ويظهر العجب والتعجب من أبو يخلف ويلح اليه بالنظر كانه مارآه قط الا تلك الساعة ولم يزالوا كذلك الى أن انسدل الظلام واختلط القتام وطابت الانفس الراحه فعند ذلك أطلع البطال من تحت ابطه قطعة بنج اقريطشى لو وقع منه وزن خردله فى اذن الفيل نام جمعه وكان قد أضاف اليه اقراص هندى وأوساخ اذان وأفيون مصرى وبخر الكل بالكبريت وكل هذا الدواء معجون معى مع الامير أبو محمد البطال لايفارقه فى حال من الاحوال فى السراء والضراء والشدة والرخاء فطرح منه فى ذلك الشراب مالو طرحه فى نهر عيسى لاسكر أهل بغداد ثم طرحه فى الشراب وقال للبطارقة وحق المسيح ان نام منكم الليلة أحـد قلت الملك يصلبه على باب الذهب فقال أبو يخلف فها أنا الليلة برسم الحراسه وأرجو من المسيح ان يسهل لى مجىء أبو محمد البطال حتى آخذه اسكم (قال الراوى) فبينما هو

كذلك اذ وقعوا سكارى وان أبومحمد البطال ملا الكاس وناوله لشمسه بنت شماس فلما وقع فى أحشاها حتى غمضت عيناها ثم ناول الكاس لواحد بعد واحد حتى طرح الكل عن بكرة أبيهم ثم وثب البطال وحمل أبو مخلاف وطرحه على بعض البغال مثل صندوقين مقيد ورفع الجارية شمسه على بغلة أخرى وسار تحت الظلام وكان أعرف خلق الله ببلاد الروم ثم انه قصد الى قرية خراب كانت عامرة من قديم الزمان فدخل اليها عند السحر من بعد شدة التعب وفيها صومعة خراب وفى قعر تلك الصومعة سرداب فنزل البطال هناك واخفا البغال فى خرابة الضيعة ونزل أبو مخلاف فى الصومعة وربط يديه الى رجليه وأنزل الجاريه شمسة فى السرداب وشدها هناك بحيث لو فتش عليها أحد لم يجدها وقال دعها تكون هنا لوقت الحاجة اليها وسوف يقطع الصوت فى البلد يعنى بلد الروم وتتبعنى الخيل الى بلاد الاسلام وأنا أقيم هنا لوقت الحاجة حتى أنظر مايقوى عليه عزمى ونام البطال باقى ليلته الى الصباح ثم انه صلى الفجر ووثب قائما وجعل يسعط أبا مخلاف حتى زال عنه مانزل به من النوم فتقايا أبو مخلاف البنج وفتح عينيه وكان البطال قد أدار يديه الى خلفه ففتح أبو مخلاف عينه فرأى روحه فى ذلك القالب لا يقدر يقوم ولا يتحرك ونظر إلى البطال فقال أحسنت قد سرقونى وحق النبى العربى وسرقوا الساقى معى فقال البطال ويلك ايش هذا ياسفلة انت قلت أنا أحرسكم من أبو محمد البطال فاعتمدنا على كلامك ونمنا قدامك فجاء البطال وذبح كل من كان هناك وأخذ الجاريه شمسه بعد ان فعل بى وبك ماترى ومضى يجيب لنا شىء يقتلنا به أو يحرقنا ويرمينا فى هذا الجب وأشار الى السرداب فقال وهذا الجب كان تمام الحرفة فقال أبو مخلاف ياجميل الستر لا بد مانصل الى قارون الذى خسف الله بداره الارض فقال البطال اذاً أقول له انك قلت تريد تضرب رأسه بالنعال فقال وحق العشرة لا تقول له ذلك المقال فقال البطال فى نفسه ماهو الا على دين الاسلام لانه ماينساه ولا يريد سواه وانما انفسد حاله عند رؤيته للجارية شمسه ثم انه قلع اللحية وغير زيه الذى هو فيه فعرفه أبو مخلاف فقال أحسنت وحق الصديق هذا الذى كان يسقينا ماهذا الا شيطان فى أى صورة أراد خرج وان أنا أنكرت شيئا من ذلك قتلنى لانه كان مشاهد القصة فأقبل عليه البطال وقال له ويلك كفرت بالرحمن وملت الى الصلبان فقال لا والله يا أبا محمد انما سلبت عقلى ستى شمسة وكان مارأيت من فعلى فضحك البطال وقال له ويلك تتوب الى الله تعالى حتى أخلصك من الوثاق وأعطيك الجارية شمسه فقال أى وحق عائشة الصديقة يامولاى وها أنا قد تبت فبينما هم فى الكلام واذا بأربع رجال قد دخلوا الى القرية ومعهم بغل وعليه صندوق وهم طالبين الصومعه التى فيها البطال فقلق البطال واختفى الى ان دخلوا

فنظر اليهم واذاهم غلمانه يانس واؤاؤ وسبك وجوهر وفى الصندوق الذى معهم صوت ضعيف ولما نظر البطال الى ذلك كاد عقله أن يطير من الفرح لانهم كانوا عنده أعظم منزلة من أولاده وأراد يسمع مايقولون فصنت اليهم حتى صاروا قريبا من السرداب وسمعوا حس البطال وأبو يخلف فيه ففزعوا وقال لؤلؤ والله هذا شيء لم يكن فى الحساب والله ماكنت أظن ان أحدا يعرف هذا الموضع الا ان كان مولاى أبو محمد البطال وحياة رأسه ان كان هو قد سلم ودخل خلفنا فهو فى هذا المكان فقال يانس يالؤلؤ دع عنك هذا المحال وأين سلم مولانا ياطول حسرتنا عليه قد سمعنا انه هالك من قبل أن نقع فى الاسر فقال لؤلؤ يايانس ربما بلغ الفتى الآمال ورجع الغريب الى الاوطان بعد إياس النساء والرجال فعند ذلك طلع اليهم البطال وقد انهملت عيناه بالدموع من شدة الفرح بالاجماع فأنشد وجعل يقول

تقضى زمان الهجر وانقطع الصد وعدنا وقد نادى بنا الملك الفرد
طردنا ليوم البين لما تنسمت رياح دنو القرب وانهزم البعد

(قال الراوى) فلما رأوه الغلمان زال الكتمان وتحققا بالعيان فأرموا أرواحهم عليه وجعلوا يبلون قدميه وكذلك هو يقبل عوارضهم ويبكى ساعة وافترقوا فقال يأولادى من فى هذا الصندوق فقالوا صاحبك وصديقك ومن لنا فى أسره ثلاث سنين الشيخ النجيح عقبة فقال البطال وقد زاد به الفرح أحسنت والله يانعم القرين والله لاطمنه بالشمال واليمين وان هذا الظفر سعادة من رب العالمين فاحكوا لى كيف وقعتم بهذا اللعين فقالوا اعلم يامولانا انه لما أسرنا عقبة عمل علينا ورجع أسرنا الى الروم فأوصلونا الى القسطنطونيه وتركونا فى المطامير طول هذه المدة فلما كان فى هذه الايام أشار عليهم عقبة بقتلنا فتوكلوا بنا ليقتلونا عند الصباح فبينما نحن كذلك وقد مضى علينا ربع الليل واذا دخلوا علينا مارس وأخيه دارس بسيفين مجذبين فقتلوا الموكلين بنا وقطعوا اكتافنا وأطلقوا سبيلنا فقلنا دلونا على القاضى عقبة لعلنا نأخذه فقالوا انه فى بيعة سوفيا ثم أعطونا خناجر فدخلنا عليه وأخذناه فى ستر من ستور البعية وسرنا به الى دار مارس فخفانا عنده فى سرداب عشرة أيام حتى انقطع عنا الطلع وأعطانا بغل وصندوقين فنزلنا عقبة فى صندوق وزادنا فى الصندوق الآخر وسرنا الى هذا المكان فحدثهم البطال بحديث أبو يخلف وتنصره فقالوا له ياويلك كفرت بالرحمن من أجل هذه الجارية فقال اسكتوا عنى لو رأيتموها لتنصرتم فضحكوا من كلامه فقال لهم البطال أريد أدخل إلى مدينة القسطنطونية لعلى آخذ بثارى من حرب بن شيبان لاجل قتل ولدى فقالوا اليس هذا صواب لان القسطنطونية

منقلبة من أجل هذه الجارية لانها زوجة الملك ميخائيل والثانية لاجل فقد عقبة فقال لابد من المسير فقالوا مالناصبر على فقدك ولا بدلنا من المسير معك فكتف أبو يخلف وترك عنده المال والزاد والماء والجارية وعقبة وهما مكتفين وقالوا لهم كلما جعتم وعطشتم كلوا واشربوا وسدوا عليهم باب السرداب سدا وثيقا وساروا الى ان وصلوا الى القسطنطونية والبس البطال جبة صوف وشد وسطه بحبل من صوف والبس على رأسه قلنسوه حمرا وعلق فى حلقه صليب فى خيط من صوف واحتطبوا احطبا وشالوه على رؤسهم ودخلوا البلد وهو قائم على ساق ولقيوا حرب بن شيبان قد خرج فى جمهور العسكر فى طلب غلمان البطال وعقبة وشمسة وذلك ان الجوار الذين كانوا مع شمسة هم والبطارقة وصلوا الى القسطنطونية وأخبروا الملك بما جرى فعظم عليه وقال لارباب دولته ياقوم ماتروا ماجرى من سرقة الشيخ النجيح وأخذ شمسه وهروب غلمان البطال ثم زعق فى عساكره وأمرهم بالركوب وخرج حرب ابن شيبان كما تقدم ووصل البطال وغلمانه الى دار مارس وطرقوا الباب فخرج اليهم غلام مارس فعرف البطال فدخل الى أستاذه وعرفه بالحال فقال ادخلهم عاجلا فدخلوا ولما نظر مارس الى البطال وثب اليه واعتنقه وسأله عن حاله فأخبره بما جرى من يوم قبض عليه الى يوم وصل اليه ففرح بسلامته وقال له فيما أتيت ياأبو محمد فأخبره بخبر حرب بن شيبان وقتله لولده وقال له لابدلى من نارى وكشف عارى فقال مارس نعم ماتفعل ولكن الحرس على القسطنطونية كثير فقال البطال أنا أدرك الحرس كله الليلة (قال الراوى) وكان دخولهم الى البلد فى اليوم الخامس من يوم هروب البطال هذا وقد طير ملك الروم الطيور الى الديادبة الذين على رؤس الدروب والقلاع وأمرهم ان يمسكون الطرقات ولا يجوز عليهم إلا من يعرفوه فأقام البطال فى البلد ثلاثة أيام ثم انه كتب وقال لبعض غلمانه امضى وائتنى برجل غريب فمضا وأتاه برجل غريب من القبارصه فأعطاه خمسمائة دينار وقال له خذ هذا الكتاب ولا تعطيه لأحد الا للملك فى يده وارجع الى فأخذه ومضى حتى أتى بين يدى الملك بعد ان استأذن له فلما مثل بين يديه أخرج الكتاب الذى معه فأراد الوزير ان يأخذ الكتاب منه فامتنع وقال أيها الوزير مامعى دستور بذلك فأنا أمرت ان أوصله للملك فى يده فلما تأمله عرف العلامة فأمر اليه بالانصراف ثم أعطاه للوزير ففكه وقراه ووقف على مضمونه ومعناه وهوى إلى الارض يقبلها فقال الملك مابالك فقال اعلم يامولاى ان سعادتك قد غلبت فقال الملك بحق المنسيح ماالخبر فقال اعلم يامولاى ان هذا الكتاب بخط الشيخ النجيح عقبة يذكر فيه ان حرب ابن شيبان أدرك غلمان البطال وخلص

الشيخ النجيح منهم ولحق أيضا البطال فأخذه وخاص شمسة من قبضته والكل قدصاروا فى قبضته وماأعاقه عن المسير الاخير سمعه ان ألف فارس قد دخلوا إلى بلاد الروم ينتظرون قدوم البطال حتى يعود فيخفوه من الاعداء وقد سار حرب ابن شيبان فى طلبهم على غرتهم ويعود وقد ترك عقبة والملكه شمسه والبطال فى ديرموسى الذى أخذت منه شمسه ومايقدروا على الرجوع خوفا من طلبهم فى الطريق وعقبة يشتهى أن يخرج اليه قوم يقسلمون منه البطال وغلمانه واليك يوصلونهم ويطلب عقبة أيضا عشرة آلاف أخر من خيار البطارقة يصلون الى نجده حرب ابن شيبان فأنت تعلم بنى كلاب وشجاعتهم وان كل واحد منهم يريد جماعة من الابطال الاقيال (قال الراوى) فلماسمع ذلك صاب على وجهه وقال لا بد ان أكافىء حرب ابن شيبان على هذا الجميل ثم ضرب البوقات فى البلد وشاع الخبر فى الناس وفرح العالم بهذا الامر وأمر الملك منويل أن يخرج إلى نجدة حرب ابن شيبان عشرة آلاف بطريق وآلاف آخر من أجل البطال وغلمانه يقبضوا عليهم على رغمهم وساروا الناس على هذا الأمر وفى تلك الليلة نزل البطال الى دار حرب ابن شيبان فوجد له أربعة أولاد نيام فذبح الاربعة وذبح أمه وأخوانه وستة من جواره وفتح له خزانة فوجد فيها عشرين ألف دينار وجواهر تساوى مثل ذلك فأخذ الجميع ونزل من الدار وماترك فيها ناطق وكان فى هذه الايام قد عرف مكان الراهب شومدرس فدخل عليه فلم يجده وانه نزل الى مكان فوجد فيه الراهبه شوما فبرك على صدرها وقال لها يالعينه تعرفى البطال والله لا نكان يكى غاية النكال ولكن فى قلبى ان الامير عبد الوهاب يشتفى منكى ثم انه وضع الاكرة فى فمها وشد يديها الى رجليها وأخذها وخرج بها وقال لغلمانه كيف نعمل فقالوا امافى الامر الا اننا نقصد إلى دار مارس ونكون عنده الى ان نجد إلى الخروج سبيل فقصد الامير أبو محمد اليه ودخل وأخفاهم فى سرداب وأقاموا عنده وقال لهم مارس أليس قدجاء الينا كتاب عقبة وحرب ابن شيبان يخبر انه قبض عليكم فقال أبو محمد لا تقول ذلك واعلم انى قد مكرت بالملك منويل وان ذلك كله من فعالى قال فلما أصبح الصباح وقع الصوت فى البلد بما قد وقع فى بيت حرب ابن شيبان وذبح أهله وأولاده فعظم ذلك على الملك منويل وقال ياقوم هذا بخلاف الكتاب الذى وصل الينا ثم انه أنفذ بطريق من خواصه يكشف له الخبر فنهض شومدرس وقال ماهذا الخبر الا أنالانى أمضى إلى الراهبة شوما وأكشف آناوإياها هذا الحال ثم انه مضى إلى داره يطلب زوجته فوجد الدار مرما بلاقع فقال هذا مالم يكن فى الحساب ثم رجع إلى الملك وقال وحق المسيح ان تم علينا هذا الامر سوف نؤخذ كلنا من مواضعنا فقال الملك ماوراك فقال أخذت الراهبة وأصبحت

آمالى منها خائبة قال فلما سمع الملك منه ذلك عظم عليه وكبر لديه فهو على ذلك الحال اذ دخل عليه بعض الرهبان وقبل الأرض وقال له قد وصل عقبة وحرب ابن شيبان والملكة شمسه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان حرب ابن شيبان لما مضى فى طلب أبو محمد وغلمانه وجد فى المسير الى ان وصل الى الدروب فلم يجد خبر ولا أثر فرجع طالب القسطنطينيه وهو خائب مما كان له طالب ولم يزل سائر إلى ان وصل إلى تلك القرية الخراب التى كان فيها أبو يخلف وعقبة وشمسة فى ذلك السرداب فلاح لحرب عند تلك الصومعة شبح وكان عقبة اللعين لما بقى هو وأبو يخلف قد قال للجارية بالرومى اعلمى انه ما بقى عندنا غير هذا الشيطان وهو لكى عاشق وبكى واثق وايش ماقلتى له فعل وأريد ان أدبر عليه بعض الحيل ثم ان عقبة قال لابو يخلف ياهذا لاتفرح بهذه الجارية فما بينك وبينها الا بقدر ماتصل الى ملطية ويأخذها منك عبد الوهاب انفسه أو ظالم وتندم حيث لاينفعك الندم وان أردت المقام عندنا والزواج فأنا أزوجك بها وحق المسيح والا يكون برىء من دينه ثم ان عقبة أقبل على شمسة وكلمها بالرومى وعلمها ماتفعل فأقبلت عليه وكان أبو يخلف قد عاركها لعله ان يصرعها إلى الأرض فلم يقدر على ذلك فلما جرت هذه المحاورة بينه وبين عقبة قالت له شمسة لاتطيل الخطاب فأنا لاأمكنك من نفسى ولا أخرج معك الى بلاد الاسلام وان عصيتنى على ذلك قتلت نفسى ولا أحصل لك ولا لغيرك إلا ان تقبل منى ماأقول الك فأكون الك زوجة فقال أبو يخلف وقد سلبته بتلك الالفاظ التى هى أحلى من الجلاب ياستى هذا هو الصواب وأى شىء قلتيه ماأخالفك فيه فقالت أريد أن تطلق هذا الشيخ الصالح المسكين حتى أقول الك مايكون فامتنع أبو يخلف من ذلك فكلمها عقبة بالرومى فخلعت أثوابها وبقت كانها عامود بلور ونظر أبو يخلف إلى بياض بدنها وطيات أعكانها فغاب رشده وطار عقله وقالت له وحق دينى ان أنت أطلقته فأنا أملكك من روحى وآخذك الى القسطنطونية وأكون لك وبحكمك من حيث لايعلم بنا أحد وماطلبتك تأتى معى من الاول إلا انك وقعت فى قلبى (قال) فلما سمع ذلك من كلامها قال والله لقد صدق عقبة فى قوله ان هذه الجارية لو وصلت معى إلى بلاد الاسلام أخذها منى ظالم ومالى إلا ان أطلق هذا الشيخ وتمكنى شمسه من نفسها وإذا بلغت منها مرادى أعود اقبض على عقبة ثم أقبل عليها وقال لها أريد منكى ماوعدتينى به وتحلفى لى انكى لاتخونينى فى الايمان فقالت شمسة سمعا وطاعة قل لهذا الشيخ يتوارى عنا ويخرج من السرداب فانى أستحى منه أن يرانى على حالة الاجتماع عندها تقدم أبو يخلف الى عقبة وحله من وثاقه وقال له ياشيخ أخرج الى السرداب وشم الهوى فأنا

أعلم انك ضيق الصدر بما جرى عليك من هذه النكايب فخرج عقبة وجعل يلتفت يمينا وشمال وإذا هو بغبار حرب ابن شيبان قاصد إلى نحوهم بالحال ونزلوا إلى السرداب وإذا بالجارية تعارك أبو يخلف وقد وقعت إلى الأرض بما عاركته فأخذهم حرب ابن شيبان وسار بهم طالب الى القسطنطينية وعقبة يقول له أيها الأمير الحق بنا البلد فان البطال فيها لعلنا أن نأخذه هو وغلمانه وأنا أعرف مواضعه ثم ساروا حتى دخلوا إلى القسطنطينية وأتى إلى بيته وقد جرى ما جرى فلما رآهم الملك ألقى اليهم الكتب وقال لهم أنتم كتبتم هذه الكتب فقالوا لا وحق المسيح وما هذا الامن فعال أبو محمد البطال وهو الآن فى البلد فقال الملك وكيف يكون ههنا وعند من يكون فقال عقبة أيها الملك ان أردت انه يظهر فاقبض على مارس ودارس لانهما منافقين على أهل الملة المسيحية ولم يزالا يجسران البطال على كل بليه وكان أبو محمد قد أقبل على مارس ودارس وقال لهما عند سماعه بخلاص عقبة اعلموا أن الملعون عقبه يأخذنا لامحاله لانه يقول للملك أطلبهم فى دار مارس ودارس وتغلق أبواب البلد ونؤخذ قبضا باليد فقال له مارس فكيف يكون العمل قال سوف ترى العجب ثم ان أبو محمد غير زيه وزى غلمانه وأوقفهم بين غلمان مارس ودارس وداروا من حولهم بحيث لورآهم من رآهم لم يشك إلا انهم من غلمان مارس ودارس وأصحابهم وكذلك فعل أبو محمد بنفسه مثل ذلك (قال الراوى) فما فرغ البطال من هذا الترتيب الاوقد دعا الملك بمارس ودارس فلما حضرا بين يديه قال لهما ان الشيخ النجيح قد ذكر لنا ان البطال عندكم فى دياركم فلما سمعوا ذلك أيسوا من السلام وقالوا أيها الملك وحق المسيح ما رأيناه ولا نعلم أين هو وهانحن بين يديك فافعل بنا ماأردت فعندها أمر عقبة بغلق أبواب البلد ودخل هو وجماعة من خواص الملك إلى دار مارس ودارس وفتشوها من أولها إلى آخرها فما رأوا فيها أحد فعادوا فتشوا ثانيا وثالثا وأقاموا طول النهار يفتشون فلم يروا لهم خبر فرجعوا وأعلموا الملك بذلك فعظم عليه وكبر لديه الاخراق بهما لان أختهما كانت زوجته فوجعه قلبه عليهما ثم ان الملك التفت الى عقبة اللعين وقال له ماأنت إلا مفسود الظن فى مارس ودارس وحق دينى ماقوام دين النصرانية الا بهما وشرفهما وعظمهما ومضيا الى منزلهما ففرح البطال وغلمانه بذلك وهنوهم بالسلامه وقال أبو محمد لمارس كيف رأيت فعل الشيخ المجرب فقال له مارس جزاك الله خيرا بما فعلت فمازلت ملجأ لكل لاجيء وقال قد عولت على المسير ثم انه ودعهما وأخذ غلمانه وخرجوا طالبين باب الذهب وإذاهم بمائتين بطريق على الباب وعقبة مختفى بينهم فلما رآهم قبضوا عليهم وكشف عقبة وجهه وقال كيف رأيتم هذه الفعله أكتبها فى ديوانك ياأبو محمد ثم رفع

صوته فسمع منويل بذلك فامر باحضارهم فدخلوا عليه والشيخ عقبة بين أيديهم فلما رآه الملك وثب له قائما وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وأجلسه إلى جانبه ثم انه سأله عن ذلك فاخبروه بمادبر وكيف قبض على البطال وغلمانه وقال أيها الملك ألم أقل لك ان فى بلدك من هو مخامر عليك ومهما يجرى فى القسطنطونيه طالعوا به بلاد الإسلام ولكن مكني من أبو محمد البطال وغلمانه وانظر العجب فقال له الملك منويل دونك وماتريد فما على يدك يدفعندها أمر البطارقه فقدموا اله الأمير أبو محمد فقال له عقبة اعلم يا أبو محمد انه ماينجيك منى الا الصدق فى الحديث وأريد منك انك تقول للملك إذا جئت إلى بلاد القسطنطونية تكون فيها عند من من أصحاب الملك ومن يساعدك على ماتريد فقال البطال ياقليل العقل مالى من يساعدنى فى كل الأمور إلا الله تعالى ولا أعلم ماتقول ولا تكثر على فضول يامخذول (قال الراوى) فصعب على عقبة ذلك حتى مابقا يبصرما بين يديه ومد البطال وضربه حتى غشى عليه وكذلك بقية الغلمان ثم صبر عليهم ساعة إلى أن فاقوا وضربهم مرة ثانية فلما غابوا عن الوجود خلاعنهم وقعد يتحدث مع الملك ساعة زمانيه حتى أفاقوا وعاد ضربهم مرة ثالثه لحكم كل واحد أنه قضى عليهم فقال الملك يكفيهم أيها الشيخ النجيح ارفعوه هو غلمانه إلى بعض المطامير فعند ذلك رفعوهم وقعد الملك هو وأرباب دولته يلعبون ويأكلون ويشربون وكذلك عقبة نهض إلى حجرة قدأعدت بسببه فقام وفى قلبه النار على أبو محمد البطال ولم يصدق بالصباح أن يصبح حتى نهض الى خدمة الملك ودخل وسلم فرحب به الملك وأجلسه إلى جانبه ودخلت أرباب دولته إلى خدمته وصار كل واحد يجلس فى مكانه المعروف (قال) ولم يستقربهم الجلوس حتى قال عقبة بعدما استأذن الملك منويل على البطال لاغير فلم يكن باعجل حتى مثل بين يديه بحضرة الملك فقال له عقبة ويلك ياأبو محمد ايش يطيب لك من اتلاف مهجتك رما لنفسك عوض فقال البطال ماأعلم ماتقول فقال على بالسياط فقدمت اليه وقام عقبة وشمر عن ساعديه وضرب أبو محمد حتى كاد يقضى عليه فزعق البطال وقال خفف عنى وأنا أقول لك فأمر الملك بتخليته فرفع الصوت عنه وقعد عند رأسه وجعل البطال ينظر يمينا وشمالا ويتصفح وجوه القيام والقعود ومارس وأخوه غاية من الخوف والقلق والحذر لاجل التفات أبو محمد فقال الملك ماالذى تنظر فربما عندك فقال أبو محمد أيها الملك نحن محلفون اننا ما نقر على من كنا عنده لانه على ديننا ويقيننا والآن قد علم الله تعالى ماقررونا إلا تحت الضرب ويعز علينا ان نقر عليهم أيها الملك (قال الراوى) هذا وعقبة لم يصدق بذلك من الفرج وقال فى نفسه مايقرون إلا على مارس وأخيه دارس فقال عقبة ويلك يا أبو محمد تفدى غيرك

بروحك وبمهجتك لاكان ذلك أبدا فقال أبو محمد ويلك ياعقبة فاليمين الذى بيننا وبينه ماأطالب به يوم القيامة فقال اللعين عقبة قر أنت على من كنت عنده ودع يمينك فى رقبتى وانك كنت مغصوبا فقال البطال الآن طاب قلبى اعلم أيها الملك أن مالنا فى هذه البلدة من نكاتبه غير الوزير البراكوش ولولاه ماقدرنا نعمل شيأ وفى هذه المدة كنا فى داره فى سرداب غامض ويعز على بعد سبع سنين يكون جزاه منى هذا الجزاء ولكن الروح مالها عوض (ياسادة) هذا ومارس قد طاب قلبه وانشرح صدره لأنه كان قد حمل هم عظيم هذا وعقبة لم يلتفت إلى كلام البطال وقال له دع عنك هذا الهذيان والزور والبهتان فاصدقنى وإلا ضربتك الضرب الوجيع وعذبتك العذاب الأليم وكان الملك قد انقلبت عيناه فى أم رأسه لكن غمزه عقبة حتى يؤكد الحال فقال أبو محمد وقد رفع طرفه إلى الملك وقال أيها الملك إن أردت الصدق فقد صدقتك وإن أردت الكذب فأنا أكذب على من أردت من الأصحاب فقال الملك وحق المسيح ماأريدك تكذب على أحد بل أريدك تقول الصحيح وأنا أطلق لك السبيل وأوفى لك بما وعدتك فقال البطال أنت تعرف على اننا قوم لانستحسن الكذب فى ديننا وهو أعظم ذنب يكون وكل أهل دولتك أعرف بنا وقد صدقت فيما أشرت فاعمل بعد ذلك مااخترت هذا والملك قد التفت إلى عقبة وقال له أيها الشيخ النجيح ماترى فيمن يأكل نعمتى ويتقلب فى دواتى وأساويه بروحى ومهجتى ويعمل على إقلاع دولتى ودينى ويخامر على مملكتى فقال عقبة أيها الملك لاتستعجل فقد يلحق المستعجل الزلل وحق المسيح والصلبان وديرالزيت والرهبان لقد حدثتنى نفسى أن هذا القول من البطال زور وبهتان وكل ماقاله محال ولكن أنا أبين لك الحق من المحال فقال له الملك لك تريد أن تعمل فقال ايها الملك أرفع البطال إلى بعض الخزائن وأحضر بعض غلمانه وأقرره فان هو قر وتكلم مثل صاحبه فكلما يقول البطال صحيح فقال الملك ارفعه إلى أى مكان أردت فرفع أبو محمد إلى بعض المطامير التى فى القصر (قال الراوى) وأحضر اؤاؤ بين يدى الملك منويل فقال له الملك ويلك يااؤاؤ فى هذه المدة الطويلة أين كنتم فكان جواب اؤاؤ للملك أحسن من جواب البطال لأنه قال ما أعلم ما تقولون فقال له عقبة ويلك فقد اعترف مولاك بذلك فكن أنت كذلك فربما قال مولاك صدق أو محال وهذا فى دينى لايجوز فقال اؤاؤ وكيف يكون ذلك يامولاى ولا يجوز لى أن أقابل الإحسان بالهوان والزيادة بالنقصان بل روحى فدا لذلك الإنسان فلما سمع ذلك شاط من الغيظ وأمر بمده فمدوه ووثب إليه الملعون عقبة كأنه شيطان وأخذ السوط بكفه وضربه على وجهه فناداه ارفع عنى الضرب قال فرفع عنه فقال له اؤاؤ أيها الملك كنا

عند الوزير البراكوش وهو من أهل ديننا ويقينه يقيننا ولولا ما كان يتم لنا ما نريدهذا والملك قد قامت عيناه فى أم رأسه حتى خشى من صولته جميع جلاسه وقال على بغلام البطال الآخر فاحضروا سبك وأقاموا اوّاوّ وأرادعقبة ضربه فقال لا تضربنى وأنا أقول لك فقال الملك ياسبك قول ماعندك فقال سبك كنا فى دار الوزير البراكوش فى سرداب غائص فى الأرض فتعجب الملك من ذلك وبرد ما كان عند عقبة لأنه كان يرى الوزير أمر عظيم وكان يتعصب لعقبة وكان صديقه وصاحبه ونديمه فالعجب أن تنظر ياهذا إلى ألطاف الله تعالى كيف أن قد صار هذا الاتفاق من ثلاثة على اقرار واحد وكان ذلك توفيقا من الله تعالى من حسن نية البطال (قال الراوى) فعندذلك زعق الملك فيمن عنده وأمرهم بالقبض على الوزير فقبضوا عليه وبعث أخيه الملك ميخائيل إلى داره فنهب كل ما كان فيها وضرب الوزير الضرب الوجيع الشديد وأمر بحبسه حتى يرى فيه بما يفعل ففعلوا به ذلك وكان هذا كله بمشورة عقبة لأن الملك أمر بضرب عنقه فقال عقبة ياملك احبسه الساعة حتى تنظر لحبسه وبعدذلك قال عقبة أيها الملك يجب عليك أن تقتل البطال وغلمانه وتخلى سرك لملاقاة المسلمين لأننا لا نأمن عليه مادام فى القسطنطينية إلا إذا كنت فى مقابلة العدو فقال الملك احتفظوا به إلى غداة غد فاقتله فرفعوه هو وغلمانه إلى بعض المطامير وقعد الملك على سرير ملكه وكان لما فقد شمسه قد كاتب ملوك الأقاليم وأمرها أن تجمع العساكر وتقــدم عليه وصارت العساكر كلما جاءت ازدادت وقد عول الملك على قتل البطال بمحضر من الملوك الذين قدموا من الأقاليم ويكون ذلك يوم عيد وأمسى المساء وتهور الليل هذا وعقبة ما يصدق بالصباح أن يصبح حتى قصد إلى بيت الملك وسلم عليه وجلس إلى جانبه وأقبلت أرباب الدولة يهرعون إلى الخدمة ويطلبون الفرجة على أبو محمد البطال وكذلك الملوك الذين قدموا من البلاد والأقاليم ولما اكتملت الملوك والسادات أمر الملك باحضار البطال وغلمانه فــلم يكن بأعجل بما حضر بين يديه وأمر الناس بالخروج إلى الميدان الأخضر حتى يحضروا قتل الأمير أبو محمد البطال فركب الملعون عقبة والملك والبطال بين أيديهم عريان مكشوف الرأس وكذلك غلمانه وعقبة بين أيديهم وقد رفع صوته بقراءة الانجيل وكان عقبة ماقصد بقراءته الاتحريضا للملك على قتل أبو محمد البطال هذا ومارس ودارس عندهم من هذا أمر عظيم ولم يزل الملك سائر حتى وقف فى وسط الميدان ونصب له سرير من العود القمارى وجلس عليه ونصب بين يديه سرير آخر وأمر عقبة بالجلوس عليه فقال أيها الملك ماهــذا يوم قعود بل أكون واقفا بنفسى فى خدمة المسيح لانك وصلت الى شيء

ماوصل اليه أحد لامن قبلك ولامن بعدك ثم بعد ذلك نصبت الكراسى وجلست الملوك عليها وأمر الملك بالنداء فى أزقة مدينة القسطنطونية ألا من أراد النظر إلى اص المسلمين فعليه بالميدان الأخضر لأن الملك قد أمر بقتله فخرجت العالم يهرعون وإلى الميدان يتسارعون وعلى البطال وغلمانه يتفرجون ولم يبق فى القسطنطينية لاصغير ولا كبير ولاعبد ولاأمير ولامخدره ولامخبية الاوخرجوا يتفرجون على قتل البطال وغلمانه ورفعت الناس طبقاتهم وأوقف البطال بين يدى الملك وأحضر السياف وأمره الملك أن يضرب رقبة البطال فقال البطال للملك بحق المسيح الاما بلغت ارادتى قبل أن أشرب كاس منيتى فقال الملك قل ماعندك فقال البطال تأتينى باناء فيه ماء نظيف طاهر حتى أتوضأ أناوغلمانى ونصلى ركعتين لله تعالى وبعد ذلك افعل مابدالك فقال الملك بلغوهم مأمولهم فقال عقبة أيها الملك عجل بتلافهم فان للساعات آفات والعاقل من ينهب الفرصه قبل حلول الغصه فقال الملك ياحجة المسيح مابقى لهم من الأجل الا القليل وأريد أن أبلغهم ماطلبوا ثم انهم أتوهم باناء فيه ماء طاهر وقعد البطال وأسبغ وضوءه وكذلك غلمانه وقد أيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك واستقبل القبلة وصلى ركعتين وقعد يذكر ربه ويدعو ويتضرع وقال اللهم انى أسألك يامن لاتراه العيون ولاتخالطه الظنون ولاتصفه الواصفون يامن يعلم قطر الأمطار وماأظلم عليه الليل وماشرق عليه النهار وأزل عنى هذا الغم والضيق وأطفىء عنى نارا من أضرم لنا وقده وأدخلنا فى درعك العظيم الحصين وعجل لنا بالفرج القريب فأنت أرحم الراحمين

(قال الراوى) فما استتم دعاءه وشكواه حتى أقبلت رجال مسرعه ورؤوسهم مكشفه ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور فانزعج الملك لذلك وأحضرهم بين يديه وقال لهم ماوراءكم ومن بشره رماكم فقالوا أيها الملك خذ لنفسك فقد دخلت علينا عساكر الاسلام الى بلاد الروم فى عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى وقد اهتزت الأرض والجبال وقد تدكدكت الشعاب والتلال فقامت على الملك القيامه ورجع على نفسه بالملامه وأمر برجوع البطال وغلمانه الى السجن والاعتقال ووقعت الخذه على عقبة شيخ الضـــلال ومعدن الكفر والمحال وأمر الملك برحيل العساكر فى الوقت والحال

(قال الراوى) هذا ماجرى لهؤلاء وأماسبب قدوم العساكر ووصول هذه الكتائب والعشائر فان عبدالوهاب كان قد وصل اليه الرشيد فى عساكر تملا الفلا وتسد المستوى فقال له الأمير أيها السيد ماسبب هذا الغزاة وقدومك بهذه العساكر فى هذه الهمه فقال أيها الامير ان الملعون كلب الروم قد تعود بالغدر ونقض العهد وماخفى عليك ماصنع بالمسلمين بعدما كانت الهدنه بيننا وبينه وقد بلغنى انه قد عزم على القتال والحرب والنزال ثم امر الناس

بالنزول فنزلوا فى ذلك المرج عرضا وطول وضربت الخيام وشرعت الاطناب وضربت للرشيد السرادق الاكبر الذى لا يملكه كسرى ولا قيصر ولا ملوك بنى الاصفر ونفرت الروم طالبه القسطنطونيه ومعه خلائق لاتحصى بعدد الرمل والحصى ولم يزل الرشيد هو وعساكره أربعة أيام وفى اليوم الخامس طلع عليهم غبار الروم كانه قطع الغيوم فأمر الرشيد الناس بالركوب فركبت الابطال وهمهمت الاقيال وفرح الشجاع واغتم الجبان وكثر منه الخوف والرجفان وتقدمت الاعراب والامير عبدالوهاب فى سادات بنى كلاب يطلبون الطعان والضراب وانكشفت الصلبان ومن تحتها القسوس والرهبان ولم يزالوا كلما اقدم منهم طائفة نزلت أصحابها ونصبوا اقباله ودامت الروم كذلك الى وقت العصر والمسلمون قيام على ظهور الخيل والقداح وفى أكفها الرماح وبعد ذلك أقبل الصليب الجوهر والعلم الاخضر وتحته خلق فى عدد القطر وورق الشجر وتحته الملك منويل ملك القسطنطونيه وسيد سلاطين ماء المعموديه والملوك بين يديه خدمة له ولما ان اشرفوا على عساكر الاسلام زعقت الروم زعقة واحده فاهتزت الارض بجنباتها وقالوا الناس ان القيامه قد جاءت أوقاتها ونزل الملك وضرب له سرادق من الأطلس الأصفر محبوك الاذيال بالدر والجوهر ونصب له فيه سرير من العرعر وجلس على ذلك السرير وأقبل الظلام وحجب بين الطائفتين القتام وتحارست الكرام واللئام وقد فرغوا من ضروب الخيام ولم يزالوا تحت مشيئة الرحمن إلى أن أصبح الصباح الضاحك وولى الليل الأسود الحالك فوثبت الرجال إلى خيولهم فركبوها وإلى رماحهم اعتقلوها وسيوفهم امتشقوها ولبسوا ليوثها وكذلك الروم ركبوا ظهور الخيل وتقدموا إلى الميدان وقد انتشرت بهم الأرض فى الطول والعرض وكذلك العرب ركبوا على ظهور الخيل الصافنات ووقف الرشيد تحت لواءه ولبس بردة الرسول ﷺ ونشرت الأعلام والبنود وعليها مكتوب نصر من الله وفتح قريب وبعضها عليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله هذا والرشيد قد أفرغ عليه زردية سيدنا سليمان لا تعمل فيها السيوف الصقال وعلى صدرها مكتوب أقبل ولا تخف إنك من الآمنين وعلى رأسه بيضة عادية ململة مجلية مبيضة مضية صاحبها آمن من كل آفة وبلية ومن فوقها عصابه من الجوهر والذهب الأحمر مكتوب عليها بذى العزة والجبروت وتوكل على الحى الذى لا يموت هذا والأمير عبدالوهاب قد رتب العساكر ميمنه وميسره وقلب وجناحين وكذلك عمرو بن عبيدالله ونظر ملك الروم إلى ذلك فرتب عساكره (ياسادة) ولقد دخلت الى عساكر الروم فسمعت واحد يقول إن الملك أعرض عساكره فكانت جريدة عساكره ألفين ألف وستمائة ألف سوى السواد وعوام البلد من

القسطنطينية ومعهم من عالم وخدام وغلمان مالا يحصى عددهم إلا الله سبحانه وتعالى وكانت جريدة عسكر الاسلام ألف ألف ومائة ألف ولم تصبر الروم غير ساعة حتى اكتملت وصاحت باختلاف لغاتها وحملت وتلقتها العرب الكرام بوجوه قد تعودت الصدام وزعقت السودان يا آل حام واختلطت العساكر بعضها ببعض وقد ضاقت بهم فسيح الأرض طولا وعرض ونزلت الدما وأرملت النسا ونزل البلا وامتلئت الأرض من جثث القتلا وتبدل الفرح بالويل وكاد النهار كالليل ورقصت الجبال من حوافر الخيل وأضرمت نار الحرب اشتعالها وتضاعفت من الأبطال أهوالها وبلغت من الاعـــداء آمالها وبلغت الأرواح التراقى وجرى النجيع مثل السواقى وسقاهم من الموت ساقى واحمرت الآماق والاحداق وحدى بهم حادى الفراق واشتقت الحلوق من الزعاق وأقبلت الذئاب تروم أكل البطون والروم تصيح بعيسى ومريم والراهب المفتون والمسلمين تستغيث بمن لاتراه العيون ولا تخالطه الظنون (قال الراوى) ولم يزال الضرب يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وطلبت الانفس الراحة من كثرة الهمهة وطلبت الروم خيامها وكذلك المسلمين نزلت فى مقامها وكل منهم يشتكى إلى صاحبه ويندب أهله وأقاربه

(قال) فنزلت المسلمين واجتمع الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة والامير عمرو بن عبيد الله بين يدى أمير المؤمنين فقال لهم الرشيد ما لقيتم اليوم من الكفرة اللئام فقال الامير عبـــدالوهاب يا أمير المؤمنين كنا بحمد الله عليهم مستظهرين فقال الرشيد الحمد لله رب العالمين (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان قد قتل من عسكر المسلمين أربعمائة غلام ومن عسكر الروم ألفين وخمسمائة لانهم أكثر منهم على كل حال هذا وان الملك منويل قد جلس على كرسى مملكته وجمع اليه وجوه بطارقته واستخبرهم على ماقد جرى لهم فى القتال فشكوا له مالاقوا من السودان وما حل بهم من الجيشان فصلب الملك على وجهه وقال لهم ياويلكم هذا وأنتم أكثر منهم فقالوا له البطارقة أيها الملك يهون علينا أن نلقى جميع الاسلام ولا ننظر هؤلاء السودان لانهم أفراخ الجان وكان اللعين عقبة جالسا إلى جانب الملك منويل وقد غير حليته حتى أنه لو رآه ولده لم يعرفه وكان حزرا من جاسوس يبصره ويخبر الرشيد بخبره (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك الى ان برق ضياء الفجر ووثب الى القتال كل ليث غضنفر وأسد قسور ولم يكن غير قليل حتى تعدلت الطوائف واصطفت العرب والسودان وهمت ان تحمل على أهل الكفر والطغيان واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم وطلب عسكر أهل الايمان والاسلام

ولم يزل سائر حتى وقف بين الصفين وطلب البراز وسأل الانجاز فبرز اليه فارس من بني كلاب كانه شهاب وتحته حصان ينقض انقضاض مثل العقاب فلما وصل الى عدو الله حمل عليه وكذلك الرومى حمل على المسلم وأخذا فى الكر والفر والهزل والجد والاخذ والاختلاف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة المسلم فوقعت فى صدر عدو الله خرج السنان يلمع من ظهره ثم جال المسلم وسأل البراز وطلب الانجاز فخرج اليه أخو المقتول وحمل على الفارس المسلم ولم يطل بينهما المطال حتى ضرب المسلم الرومى بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه (قال الراوى) ياساده ياكرام ولم يزل يقتل فارس بعد فارس حتى قتل من الروم اثنى عشر فارس فعندها حملت الروم من حنقها على المسلم وحملت أيضا المسلمين وكبرت وتكلمت الروم بكلمة كفرهم وبربرت وتحامت السودان وتزاعقت وكان فى أوائلهم شيظم وغيلم وعندم وضيغم ودمدم والفتاك والارقم والبشيق وجحفل وأبو قربه والمضفدع وأبو رياله ولكام الربح وخساف الصدور والاقط وقسام الظهور وغصص الموت وأبو الفوت وسارق الابل ونكاد العشيره وباغض راسه وأكال مداسه وناهل الدما ومصارع الموت وقاتل العبيد والاماء وناهش رقه وحامل ذقه وعين الجان ومرارة الفيل وقتلة القنديل وقناص الاسد وأكال الكبد وأبو زوبعه وصاحب الروس الاربعة وأبو الاخراس والقرد الهاش وأبو سلال وأبو القرون وغيلم المجنون وأخوهم سعدون (قال الراوى) ولو أتممنا أسماءهم اطال علينا المطال وكان أبو الهزاهز بين أيديهم وهو يزعق عليهم ولم تكن غير ساعة حتى جدعت الانوف وعملت السيوف ودارت كاسات الحتوف وكان ذلك اليوم يوم موصوف لان الرجال بذلت نفوسها وقد استغاثت المسلمين بقدوسها واستوى ذلك اليوم رئيسها وخسيسها (ياساده) هذا والأمير عبد الوهاب يسقى الكفار كاسات العذاب وقد اختلطت الروم والاعراب وتحدثت بما جرى لهم فى ذلك اليوم الاحباب وقفلت فى وجوه الناس الابواب وساروا أحزاب أحزاب وابيضت فى ذلك اليوم روس الشباب ولم تنظر الادم فائر وجواد غائر وقد دارت عليهم الدوائر وزلت الاكابر والاصاغر ولم يزالوا على ذلك الحال حتى حجبهم الظلام ورجعوا عن ضرب الحسام وهم سكارى من غير مدام وكان الربح فى ذلك اليوم للمسلمين لانهم طلبوا مرضاة رب العالمين وجلس الرشيد على سريره وقصدت اليه الأمراء والاصحاب وفى أوائلهم الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب وجلسوا بين يديه وتحدثوا بما جرى لهم فى ذلك اليوم والرشيد يشكرهم ويثنى عليهم وعلى سائر القوم والسادات

(قال الراوى) ولم يزالوا كذلك الى ان تهور الليل وطلع نجم سهيل فنهضت الامراء

إلى مضاجعهم ونهض الرشيد إلى مرقده فهذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من ملك الروم فانه جلس على سريره ودارت به أرباب دولته وعقبة الملعون إلى جانبه والملك ضيق الصدر من أجل انه علم انه خاسر مع المسلمين وهذا وعقبة قد انفطرت مرارته وذابت مهجته ثم انه قال للملك قد خطر ببالى خاطر وأريد ان أعرضه على الملك ففرح الملك بذلك وقال له ماهو الخاطر أيها الشيخ النجيح فقال أيها الملك ان قلبي يخشى على البطال أن ينفلت من القسطنطينية أو يعمل فيها مكيده يشغل بها قلوبنا وانى أريد أن أقصد الى مدينة القسطنطينية أنا وعمك الاندرياس فى ألف فارس ونأخذ البطال ونتركه فى قلعة لؤلؤه حتى نأمن من شره فقال له افعل ماتريد بلغك المسيح آمالك فعندها نهض عقبة من ساعته وأخذ الاندرياس وألف فارس معه ومضوا إلى القسطنطينيه وأخذ البطال وغلمانه ووضعهم فى صناديق وخرجوا طالبين لؤلؤه (قال الراوى) وكان بقيه غلمان البطال فى القسطنطينية فى زى مكاريه وكان قصدهم ان يدبروا حيلة يصلوا بها إلى سيدهم وكانوا المتخلفين من غلمان أبى محمد صافى ويانس وابو الليل فقال بعضهم لبعض الرأى اننا يسير واحد منا إلى عسكر الاسلام ويعلمهم بما دبر اللعين عقبة فعسى ان يخلصوا سيدنا فمضى صافى وجد فى المسير إلى ان وصل إلى عسكر المسلمين وأعلم الامير عبدالوهاب بذلك فشاور الاميره ذات الهمه بتلك الامور المهمه فقالت الاميرة أنا لهم ثم انها انفردت فى ألف فارس من بنى كلاب والسودان الانجاب وساروا وأكمنوا فى طريقهم بمقدار فرسخين عن العسكرين فبينماهم كذلك وإذا بالغبار قد تار حتى سد الاقطار وانكشف عن ألف فارس وعقبة وعم الملك والصناديق بين أيديهم وهم آمنين (قال الراوى) فلما رأتهم الاميرة نبهت رجالها وأيقظت فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عساكر المسلمين ودساكر المشركين فانهم قد أصبحوا فى ذلك اليوم وقد كثر فيهم التعب والنصب ولم يكن بأعجل مما اعتدلت الصفوف وتقابلت الالوف وبانت عليهم الحتوف وقدهمت الابطال ان تحمل على الابطال وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم وهو على جواد أدهم عالى ململم بين عينيه غرة كالدرهم والفارس عليه كانه الاسد إذا هدر ودمدم ولم يزل سائر إلى ان وصل إلى الميدان وموقف الضرب والطعان وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس من بنى سليم وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه ولم يكن غير شى بيضة أو حلب ناقة حتى طعن الرومى المسلم بين ثدييه خرج السنان من بين كتفيه وعجل الله بروحه إلى الجنة وأمطرت عليه سحائب الغفران والمنة وجال الرومى فى حومة الميدان وطلب البراز والطعان فبرز اليه آخر من عساكر العراق فقتله وآخر من السودان فجندله

هذا والروم قدزادا ظهارها ونشاطها وكثر على المسلمين صياحها وعياطها وانقطع من المسلمين الخروج إلى ذلك الفارس (قال الراوى) ثم رجع ذلك الفارس إلى عسكر الروم وغير جواده وافتقد عدة جلاده وأخذ بين يديه ترجمان يعرف باللسان العربى حتى يتكلم عنه بما يريد ولم يزل سائراً إلى جومة الميدان فتقدم الترجمان إلى قدام المسلمين بحيث أنهم يسمعون كلامه وخطابه ويردون عليه جوابه وناداهم يافرسان الإسلام هذا الفارس قد طلب منكم أخلاق الكرام ومبارزة الاقران لانه رومى من جزائر البحر لايعرف بهذا اللسان فلايبرز اليه الامن يكون عالى الشان وان هذا يقال له شملوص بن ملك اللان وقد حلف انه لايرجع عن الميدان حتى تخضب دماءكم على السنان فافهموا هذا الشان (قال الراوى) وكان هذا الملعون فارسا لايطاق وعلقمامر المذاق وكان قد أتى من جزائر البحر لان بلده كانت النصف منها فى البر والنصف منها فى البحر وكان هذا الملعون قد خرج فى هذه النوبة عوضا عن أبيه مقدما على عساكر اللان وكان فى ذلك اليوم قد استأذن الملك منويل فى البراز فأذن له بذلك فبرز كما ذكرنا وقتل من قتل كما وصفنا ولما سمعت المسلمين هذا الكلام هاجت أرواحهم كانهم قصب الاجام وانتخب كل فارس همام وزعق كل بطل ضرغام فتقدها برز اليه الامير ضيغم ولد الامير عبد الوهاب وزعق فيه ويلك يابن اللئام اليوم أسقيك كاس الحمام (ياساده) فلم يفهم الرومى ماقال ضيغم بل حمل عليه وهو يهمهم وحمل كل واحد على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح حتى أيقن بالهلاك كل عدو وحاسد وعضت الخيل على الشكائم والمراود وغابا عن الابصار وعلا عليهما الغبار وكلا منهما قدحار ولم يزالا فى كروفر وهزل وجد وأخذ ورد إلى ان استوت الشمس فى قبة الفلك وحميت الرمضا واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة الامير ضيغم فأخذها الملعون فى جحفته وبطلها بجودة خبرته وهمز حصانه حتى حك الركاب بالركاب ومد اليه يده وقبضه من محزمه بكلتا يديه وجذبه اليه أخذه من سرجه أسيروسلمه الى أصحابه ورجع الى الميدان وبين يديه الترجمان فأراد ان يتكلم دون ان برز اليه سيف الحنيفية وحمل عليه بجنان قوى فتلقاه الرومى وقد أخذا فى الحرب والقتال والطعن والنزال وقد تطاعنا بالرماح الطوال وتضاربا بالسيوف الصقال ولم يزالا على ذلك الحال الى ان مضى المسى ورجع كل واحد منهما يطلب خيامه وبات الامير عبد الوهاب وهو ضيق الصدر لاجل الامير ضيغم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الاميره ذات الهمة فانها كانت قد أكمنت برجالها على رأس درب حصن لؤلؤه حتى

أقبلت عساكر الاندرياس وتلك الصناديق وفى أوائلهم عقبة وعم الملك والالف فارس من ورائهم هذا والاميره ذات الهمة مكمنة على حالها وقالت لهم نحن نكمن ههنا على حالنا فانهم ان طلبوا الدخول خرجنا لهم ومنعناهم من ذلك ونسقيهم شراب المهالك ونستعين عليهم بالعزيز المالك فقالوا افعلى مابدالك بلغك الله آمالك هذا وقد وصلوا الروم الى رأس الدروب وأمر الاندرياس بنزول الناس فى ذلك الموضع وقال لهم فى غداة غد يكون دخولنا الى الدرب فنزلت الرجال وحطت الصناديق بالبطال وقلعت البطارقة لجم خيولها وأطلقتها فى ذلك الموضع ترعى هذا وعقبة قد فتح على البطال وغلمانه الصناديق وقال يا أبو محمد هل سافرت سفرة أيشم من هذه السفرة فقال البطال ويلك ياكلب النصرانية وأخس من غمس من جرن ماء المعموديه أنا أستعين بالله فى جميع أمورى فقال عقبة ويلك يابطال وبقى الك أمور ثم ان عقبة لم يزال يحدث الامير أبو محمد بالكلام حتى أظلمت الاقطار بالظلام وأما الاميره فانها أيقظت أصحابها وانفذت منهم مائة فارس الى حارس الدروب وأرسلت مائة فارس أخرى مسكوا طريقهم التى أقبلوا منها وأوصتهم الاميره باليقظة والاحتراز على أنفسهم وصبرت الاميره حتى نامت البطارقة وخرجت الاميره وأصحابها صائحة زاعقة تخيل للروم انه قد نزلت عليهم صاعقة وصارت الاميره تزعق فتح الله ونصر ولم يقوم أحد من الروم من مرقده الا والبلاء قد أخذه ولم يكن للاميرة شغل الا الملعون عقبة والملك الاندرياس لانهم كانوا أكبر المطلوب ولم تكن غير ساعة واحدة حتى بقيت الارض من الألف فارس خامدة وكان كل من قصد الى باب المضيق قد حملته المسلمين مالا يطيق وكذلك كل من رجع الى الطريق التى أقبل منها ولم يطلع الفجر الطالع حتى بقت الدنيا من الروم بلاقع واحتوت الاميره ذات الهمة على الاندرياس وعقبة الوسواس الخناس وفتحت الصناديق وأخرجوا البطال وغلمانه ولما وقعت عين البطال على الاميره ذات الهمة جعل يقبل يديها وهو يشكى مالاقى من اللعين عقبة ولم يكن لذات الهمة الاشبخ الضلالة ومعدن الجهالة وقد مات فى جلده لانه كان فى نيته ان يدخل على الرشيد ويقول له انى قد كنت فى بيت المقدس فأمر البطال ان يحضره بين يديه ويوقفه ويثبت عليه الحجة (قال الراوى) هذا والبطال قد اجتمع مع جميع غلمانه لان صافى لما أعلم الاميره أتى معها إلى ذلك المكان واجتمعت الاميره مع أصحابها عند الصباح وشكروا الله على ذلك وقد عولت على الرجوع فقال البطال أيها الاميرة لا تفعلى فقد خطر ببالى انى أفتح قلعة لؤلؤه بالحيلة لان فيها أموال لا تأكلها نيران وكل مال ملوك الروم فيها وبطريقها أكفر خلق الله تعالى وأبغض ما الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت الاميره بماذا نفتحها وهى على هذه الصفة فقال البطال أنا أتزيا بزى عقبة وأنتى على شبه الاندرياس ونأخذ أسلاب هؤلاء القتلا ونلبسها وقد بلغنا المراد لان لؤلؤه مافيها الانفر قليل والكل فى خدمة ملك الروم فقالت الاميرة ياأبو محمد أخاف من عسر الروم على عسكر المسلمين فقال البطال ماتكون غيبتنا أكثر من يوم واحد فقالت الاميرة ذات الهمه افعل ما بدا لك بلغك الله آمالك

(قال الراوى) فجعل البطال يلبس الرجال ثياب البطارقة ويعطى كل واحد قنطارية وطارقة إلى ان تزيوا بزى الروم ولبست الاميرة ثياب الاندرياس ولبس البطال ثياب عقبة وزيه ولزق عينه اليمنى وركب على وجهه لحية مثل لحيته سوداء وأخذ واريات الروم التى عليها الصلبان وساروا طالبين لؤلؤه هذا جرى للاميرة (وأما عسكر الإسلام) والروم اللئام فانها باكرت القتال والحرب والنزال وترتبت العساكر للمجال إلا ان الامير عبد الوهاب ضيق الصدر لاجل أسر ولده ضيغم وغياب الاميرة ذات الهمه ولا يعلم ما كان منها ولما اعتدلت الصفوف وترادفت الالوف برز شماس إلى الميدان وموقف الحرب والطعان وطلب براز الفتيان وقال على بخصمى بالامس لقد أعجبنى فعاله وقتاله ونزاله فلم يتم شماس كلامه حتى برز اليه سيف الحنيفية على جواد أشقر عالى من الخيل مضمر وهو معتقل برمح أسمر على رأسه سنان متقلد بسيف أبتر ولم يطل الخطاب حتى التحم الفرسان فى الميدان وكل منهما قد أطلق لحصانه العنان وقوم إلى صدر غريمه السنان فكانوا كانهم وزنوا فى ميزان وغابوا عن الابصار وطلع عليهما الغبار حتى اختفوا عن أعين النظار وحارت الافكار وفى ذلك الوقت عثر جواد سيف الحنيفية فانكب عليه شماس أخذه أسير وسلمه إلى أصحابه ورجع إلى الميدان وطلب براز الفتيان فلم يأخذ الامير صبر دون أن حمل على عدو الله وحمل عدو الله عليه ولم يزالا فى كروفر وهزل وجد وأخذ ورد وكلما فتح الامير باب سده الملعون لانه كان شيطان رجيم يعد بألف فارس من بارقة الروم ولم يزل الامير يطاوله حتى أضجره لان الامير كان يطلب أسره من اجل أولاده ضيغم وسيف الحنيفيه (بأساده) وبعيد بين من يريد قتلك وأنت تريد أسره إلا ان أراد الامير عبد الوهاب قتله كان قتله هذا والأمير يناصله ويطاوله وقد أبصر شماس من الأمير ما أذهله وأبهره وحير بصره وفى ذلك الوقت أشرف الأمير على أخذه ومد يده إلى جلباب درعه وأراد يقتلعه من سرجه وإذا بغبار قد ظهر خلف عسكر الروم كانه قطع الغيوم فاسودت الدنيا من ذلك الغبار فانفصل الأمير من خصمه ولم يأخذه لانه كان اشتغل قلبه بذلك الغبار الذى قد سد الاقطار ودل على عسكر جرار وقد تطاوت الناس اليه بالابصار وبعث ملك

الروم من يكشف اليه الأخبار فعاد الرسول يخبر بان ذلك الغبار لقدوم ملك البرغل عبدالمسيح أبو زيزه لأن هذه زيزه كانت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال وكانت تركب الخيل وتقاتل عليها الابطال وانها سارت فى جماعة اتزور بعض الديور فلما كان وقت المساء قربوا للمبيت وناموا فى تلك الأرض فلما أصبحوا وأرادوا الرحيل من تلك البطاح طلبوا الملكة زيزه فما وجدوا لها أثر ولا وقعوا لها على خبر قالو ماأخذها من بيننا إلا أبو محمد البطال العيار المحتال ثم ان البطارقه رجعت إلى بلادها وأخبروا أبوها بما جرى عليها فلما سمع ذلك بكى بكاء شديداما عليه من مزيد ثم انه أرسل إلى جميع من كان يطيعه وسألهم عن ابنته واستحثهم على المسير إلى نجدته وما أفادوه هذه المدة الطويلة حتى قدمت العساكر اليه وتجهز وطلب بلاد القسطنطينية وكانت جريدة عسكره خمسة وسبعين ألف من الفرسان ولم يزال يقطع الأرض حتى وصل إلى أول مدينة القسطنطينية ومن هناك سمع الملك بما هو فيه من قتال المسلمين وكان ذلك بسبب ابنته فقال إذا كان الأمر على مثل ذلك فيجب على ان أسير إلى نصرة الملك منويل و أكون من خلف معونته فقالوا له أرباب دولته لقد نظرت أيها الملك بعين الصواب (قال الراوى) هذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الاميره فانها سارت طالبة إلى قلعة اوَاوَة كما ذكرنا وقد تزيت بزى الاندرياس والبطال معها فى زى عقبة ولم تزال سائره إلى ان بقى بينها وبين القلعه مسيرة ساعه وإذا ببطريق القلعة قد خرج إلى لقاها لانه كان له فى بلاد القسطنطونيه صاحب خبر يبعث له الأخبار فبعث له وأخبره بأن الشيخ النجيح عقبة وعم الملك منويل وهو الملك الاندرياس قادمين عليك ومعهم البطال فى الذل والاعتقال فركب لهم وخرج الى لقائهم ولم يعلم بما جرى عليه من المقادير وبما تم على أهل دينه فنزل من قلعته على غرة منه ولما بقى بينهم وبين البطريق رمية سهم قالت الأميره للبطال يا أبو محمد لاشك ان بطريق اوَاوَه قد وصل اليه خبر الاندرياس بالقدوم عليه وقد خرج الى استقباله فماذا تشير على أن أصنع قال البطال تقبضى عليه وعلى من معه فانه لابدله من خدمتك لانه يظن انك الاندرياس قال ثم ان الامير أبو محمد عرف الاميره ماتصنع بالبطريق ولم يكن باعجل مما قرب منها البطريق وترجل عن جواده ودنا من الأميره وهو يظن أنها الاندرياس وترجلت الاميره عن جوادها وترجلت الفرسان وتركوا خيلهم من ورائهم (قال) فامر البطال مائة فارس ان يحيدوا بين الروم وبين خيلهم ويأخذوا عليهم طريق قلعتهم وتقدم البطريق الى الاميره ذات الهمة وانكب على أقدامها يقبلها ومع تقبيلة علقت الاميره باطواقه وعصرت حلقه حتى بدت عينيه وخلته

وقع الى الأرض مافى عينيه قطره هذاوقد التفتت الاميره للبطال وقالت له ماالذى تشير به على أن أصنع فقال ترجلى فقد انكشف الستر عن أهل لؤلؤه فقالت الاميره وكيف ذلك ياأبا محمد فقال تخلعى هذا اللباس الذى عليكى وتلبسى لبس بطريق لؤلؤه وتدخلى القلعه ان سرنا داخلها رفعنا أصواتنا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فقالت الاميره ذلك لطف من الملك القدير ثم وصلت الاميره والبطال وخلع البطال ثياب البطريق وألبسهم للاميره ورتب حولها خمسين بطريق وأخذ ثياب الاندرياس ألبسها لرجل من بنى كلاب ونشر الرايات على رأسه ووقفت الأميره الى جانبه واختلطوا بعضهم ببعض وقد تركوا بطريق لؤلؤه وعقبة الأندرياس مع عشرين فارس فى ذلك المكان وكذلك من أسر معه من الفرسان وقصدت الاميره الى القلعه بعدما أوصت أصحابها بالاحتراز من عقبة والاندرياس وسارت الى أن وصلت الى باب القلعة والروم فوق الاصوار وهم مطمئنين الجانب ولم يعلموا بما تم عليهم من النوائب وكان أول من دخل من الباب الاميرة ذات الهمة وبعدها البطال والرجال ولما انصاروا فى وسط القلعة كشفت الاميرة وجهها ونادت الله أكبر فاجابتها بنى كلاب بالتكبير والتهليل ونظرت الى ذلك أهل لؤلؤه فاندهلت عقولها ونفر الصغير منهم والكبير وطلبوا ان يمنعوا عن أرواحهم فوجدوا الامر عظيم والخطب جسيم لان الاميرة بذلت فيهم السيف (قال الراوى) وكان فى القلعة ألف بطريق فلم يكن باسرع مما قتلت الأميره وأصحابها أكثرهم الى أن جرى الدماء مثل الماء ولما أصبح الصباح ونظروا عوام البلد الى هذه الأمور نادوا الورك يعنى الأمان فرفعت عنهم الاميره السيف ولم يمسى المسا حتى ملكت قلعة لؤلؤه وفتحت الخزاين التى كانت فيها فرأت الأميره فيها أموال جمه وكذلك من السلاح فحملت ماخف حمله وغلى ثمنه وعمدت الى باب القلعه وأرمت فيها النيران بعد ماأحرقت كل من كان فيها من أهل الطغيان وركبت الاميره من القلعه الى وسط الوادى الذى هو بين تلك الجبلين والبطال الى جانبها وهو مايصدق انه يرى عقبة وبطريق لؤلؤه والاندرياس لانهم خلفوهم أسفل القلعه كما ذكرنا مع عشرين فارس وأردفهم البطال بثلاثين أخر وقد طرح الثلاثه فى ثلاث صناديق كل ذلك حذرا من الملعون عقبة حتى لا يلعب بعقول الرجال فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عساكر الموحدين فانهم حملوا هما عظيما لاجل قدوم ملك البرغل ولم يزالوا فى حديث رواحهم وخلاصهم والأمير عبد الوهاب مهموم لانه قد حمل هم ولديه ضيغم وسيف الحنيفيه وهم الأميره ذات الهمة وغيبتها وهو قلق أرق فلما أصبح الصباح وثبت الرجال الى القتال ومعاناة الأهوال واجتمعت الخلائق للضروب والطعان ووقف ملك الروم

تحت العلم الأخضر والصليب الجوهر ورتبت الملوك بين يديه وأمر العساكر بالحملة هذا والمسلمين قد اعتدت للقتال وزعقت وعلى الكفار انطبقت واشتدت الامور وكان يومهم كيوم النشور وجرت الدما من الاوداج والنحور وحل الحرب وتقطعت السيقان والركب وبكى الجبان على نفسه وانتحب وضحك الفارس الفيل لما رأى الدم قد نزل ودار بينهم الموت وأرواح الفرسان سلبت ولم تنفع فى ذلك اليوم فضة ولا ذهب ولا حسب ولا نسب ولم يزالوا كذلك الا وقت غروب الشمس وقد ملت من القتلا النفس ورجعت الفرسان الى خيامها ولولا ان أدرك الناس المسا كانوا قد هلكوا عن آخرهم لانهم غرقوا فى كثرة العدد وجلس الرشيد والامير المهاب الأمير عبد الوهاب وشكا اليه الرشيد ما لقيه من الروم وقال له يا أمير لو ان الاميره حاضره كانت كشفت عنا هذه الامور الصعاب وما كان يجب عليك ان تمكنها من الذهاب ولا كنت تخليها تغيب عن حرب هؤلاء الكلاب فقال عبد الوهاب والله يا أمير المؤمنين لقد هد حيلى فقدها و بعدها فى مثل هذا الوقت وانقطاع خبرها وما أعلم ما كان منها ولكن الأمر لله من قبل ومن بعد وفى غداة غد أطلب هؤلاء الكفار المبارزة وأطاولهم يوم بعد يوم لعل يأتينا الفرج ويكون لنا من الضيق مخرج فهذا ما كان من المسلمين (وأما ملك الروم) فإنه جلس على سريره وحضرت الروم بين يديه فشكرهم على فعالهم وخلع على أبطالهم وقال لهم فى غداة غد يكون الانفصال ولم يزال معهم فى الحديث حتى مضى أكثر البطارقه وقام ملك البرغل إلى سرادقه وان الروم لم تصدق أن الصباح يصبح لانها قد طمعت فى عساكر الإسلام فهذا جرى لهؤلاء (وأما الأميرة ذات الهمة) فانها لما أحرقت قلعة اؤاؤه ونزلت إلى الوادى أمرت برفع الصناديق التى فيها عقبة والاندرياس وبطريق قلعة لؤلؤه فرفعت على البغال وجدت الأميرة فى سيرها الليل والنهار وكل ذلك حذرا على عسكر الابرار ولم تزال حتى انها أشرفت عليهم فى تلك الليلة التى باتوا فيها الموحدين خائفين هذا وقد تقدم البطال إلى الأميرة ذات الهمة وقال لها أيتها الأميرة تريد أن ندخل إلى العسكر بلاهرج ولا مرج قالت الأميرة ولم ذلك يا أبا محمد قال البطال ان كانوا أصحابنا ظاهرين فنحمد الله رب العالمين وإن كانوا خائفين دبرت حيله على الكافرين على قد ما أريد فقالت الأميرة لله درك يا أبا محمد لقد نطقت بالصواب وأتيت بالأمر الذى لا يعاب ثم أمرت أصحابها بالنزول فى ذلك الموضع وكان بينهم و بين العسكر أقل من فرسخين فنزلت الفرسان فى ذلك المكان وأمرت الأمير بفتح الصناديق ففتح صندوق عقبة وأخرجه منه وعقبة قد تغير لونه من خوفه من الرشيد وبعده أخرجوا بطريق لؤلؤه والاندرياس وأطعمهم ما يمسك رمقهم ثم ردهم إلى أماكنهم ثم قالت الأميرة

يا أبا محمد أريد أن أدخل إلى عسكر الإسلام وأبصر ماتم بعدي وأرى ولدي عبدالوهاب وما جرى للمسلمين فقال البطال وأنا معك ثم نهضت الأميرة ماشية وكذلك البطال بعد ما أوصوا الرجال بحفظ المأسورين والاحتراز من عقبة وسارت الأميرة والبطال إلى أن أشرفوا على عسكر الإسلام وقربوا من الحرس وكان على الحرس الأمير المهاب الأمير عبد الوهاب فى جماعة من بنى كلاب وفى ذلك الوقت كان الأمير ذكر الأميرة فى غيبتها فضاق لذلك صدره وعيل صبره فهو كذلك وإذا به قد نظر إلى خيالهم فقصدهم وناداهم من تكرنوا أيها القادمين فنادته الأميرة أنا الحنونة فلما سمع الأمير ذلك أرمى نفسه من على الجواد وقال لها ماشأنك يا أماه هكذا وحيده فريده فقالت الأميرة ابشر ياولدى فقد بلغت منيتى وأدركت طلبتى وفتحت قلعة ثؤثؤه وهذا أبو محمد البطال قد أتى فى صحبتى هذا والبطال قد أقبل على عبد الوهاب وسلم عليه وحدثه بأخذ عقبة والاندرياس وبطريق اوْاوه وقد أخذنا جميع مافى القلعة وبعد ذلك طلقنا فيها النار ففرح الأمير عبد الوهاب وشكر رب الأرباب وقال عقبة معكم قال البطال نعم قال فى هذه المرة يهتك الله ستره عند الرشيد ولم يجد الأمير صبر دون أن رجع إلى أصحابه وأوصاهم باليقظة وأخذ معه برد ابن الأزهر لاغير لأنه من شيوخ بنى كلاب وسار الأمير عبد الوهاب وقد ركبت الأميرة وكذلك البطال والأميرة لاتصدق أن ترى عقبة شيخ الضلال وهى تستخبر الأمير عن أحوال المسلمين مع الروم الملاعين والأمير يصف لهم ماقاسوا وأخبرها بقدوم ملك البرغل وأسر ضيغم وسيف الحنيفية ولم يزالوا فى قال وقيل إلى أن قربوا إلى عسكر الأميرة ذات الهمة فنهضت غلمان البطال يقبلوا الأرض بين يديها وبين يدى الأمير عبد الوهاب والأمير يهنيهم بالسلامة وقال الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد ائتينى بعقبة حتى أبصره فسار البطال ليأتى بالملعون عقبة فلم ير له أثر فدهش البطال وتحير ولطم على رأسه وخرق لباسه هذا وقد صعب على الأميرة ذات الهمة وكذلك عبدالوهاب انفلات عقبة (قال الراوى) وكان السبب فى هروب الملعون عقبة أنه قعد هذه المدة فلم يجد له سبيلا إلى الهرب إلى أن وصلوا الى ذلك المكان وأخذ أبو محمد البطال الأميرة ذات الهمة وساروا إلى عسكر المسلمين وتركوه ولم يزال الملعون براقب غلمان البطال حتى غفلوا عنه زحف عقبة بخبثه إلى أن وصل إلى الاندرياس وأدار إليه كتافه فقرضه بأسنانه ثم أن عقبة لم يزال يعالج القيد الذى فى رجله حتى أنه كسره وتقدم إلى الاندرياس حتى يخلصه من الشرك وإذا بالأميرة ذات الهمة وقد أقبلت والأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال كما قد ذكرنا فلما رآهم الملعون عقبة أخـــذ النجا لنفسه ودخل بين الصخور والأحجار فخفى

عن أعين النظار وكانت ليلة معتمة مظلمة لاينظر فيها كفه هـذا والبطال قد انغم من انفلات عقبة وكاد أن يهلك وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وباتوا فى قيـل وقال إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ارسلوا رسول يبشر الإمام الرشيد بقدومهم فسار الرسول إلى عند الرشيد يبشره بقدومهم فأمر الرشيد ان يحضرا بين يديه وفرح بهم فرحا شديدا ماعليه من مزيد ولما حضروا عنده قام على قدميه وهناهم بالسلامه فقبلوا الارض ودعوا له بدوام العز والبقاء وقال له أبو محمد يامولانا أبشر فأنا الليله أكسر الك عساكر الروم فقال له الخليفه كيف تكسرهم ياأبو محمد فقال ياخليفة الله كلما كان عندك من النفط احضرة لى فأمر الرشيد أن يحضروا جميع النفط الذى عندهم فلما رآه أبو محمد قال يامولانا تأمر النقبان ان يعلموا العساكر بأخذ الاهبه للحرب والقتال فى ظلام الليل ثم يكونوا مستيقظين فى هذه الليله لما يسمعوا العياط فى عسكر النصارى يركبوا ويهجموا عليهم فيقتلوا ويأسروا وهذا يكون سبب كسرتهم ان شاء الله تعالى فأمر الخليفة ان يعلم العسكر بما قال البطال وكونوا على يقظه فعند ذلك أخرج البطال ثلاثة آلاف قارورة نفط وأعطى للسودان كل واحد قاروره وقال لهم كونوا على أهبة للقتال واذا رأيتم النار فى خيام الكفار فاحملوا عليهم ثم انه سار وركب يهب الريح وأمر السودان ان تضرب الارض بما معها من قوارير النفط وان الروم نزلت على تلك الارض الذى رشها البطال بالنفط ونصبوا خيامهم طمعا فى المسلمين فثارت النار مع الريح فما أفاقت الروم الا والنار تعمل فيهم وكانت ليلة مظلمة فسمعوهم يصيحوا فركبوا خيولهم وحملوا عليهم ونادوا الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر وأخذوهم المسلمين وجميع مامعهم من المال والعيال الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأخذوا الملك منويل وأخيه ميخائيل ومارس ودارس وأخذوا جميع خواص المملكة وخلت الارض منهم والديار ثم ان البطال لبس بطريق ودخل البلد وكان سار شماس الى سرادقه ورجع الى المضرب الذى فيه الاسارى وتقدم الى الموكلين بهم وقال لهم يقول لكم الملك عليكم بحفظ من فى أيديكم ثم جلس البطال عندهم وجلس يتحدث معهم الى ان تهور الليل والبطال يتناعس ويقول للموكلين بالاسارى ناموا انتم مادمت أناقاعد عندكم فانطرحوا الموكلين كانهم موتى لاجل طمأنينهم بالبطال وعلا خطيطهم (قال) فوثب البطال من ساعته وجذب من وسطه خنجرا أمضى من البرق اذا برق وجعل يذبح الموكلين واحد بعد واحد حتى أتى على آخرهم وكلما ذبح واحد يشق بطنه ومناخيره حتى انه لايشخر وبعد ذلك تقدم البطال الى ضيغم وطرح يده عليه ففزع ضيغم وقال

له من تكون فقال أنا عمك البطال ثم فك قيده وحل كتافه وكذلك فعل بسيف الحنيفية وأخذهم وخرج من المضرب ثم قال البطال لسيف الحنيفية انى قد عولت ان أخذ شماس فقال سيف الحنيفية افعل ما بدالك (قال) فتقدم البطال الى باب السرادق فوجد الموكلين بالباب نيام فصار البطال يقعد الى جانب واحد بعد واحد ويذبحه ولم تكن أكثر من ساعة حتى فرغ منهم ودخل السرادق فوجد شماس على سريره نائم والشمعة تقد عند رأسه وكذلك أخرى عند رجليه فقعد البطال معه على السرير وكان سيف الحنيفية قد دخل معه سرادق شماس ولما قعد البطال عند رجليه قعد سيف الحنيفية عند رأسه ولم يكن بأعجل مما قموه الاكره وكتفوا يديه ورجليه وشماس لا يعقل على أحد وقد لفه البطال فى ملحفته ودخل سيف الحنيفية تحته وشاله على أكتافه وخرج به من السرادق وجعل يتخطا النيام حتى خرج به من عسكر الروم وطلب عســـكر المسلمين وضيغم بين يديه والبطال من ورائهم سائر واذا هم ينظرون بين أيديهم أشخاص تارة يظهروا وتارة يختفوا خلف البطال وحط سيف الحنيفية شماس من على أكتافه وكان معه سيفا قد أخذه من بعض الذين قتلوهم هذا والبطال تقدم لينظر أولئك الأشخاص واذا هم غلمانه ومعهم شيأ يحملوه فقال البطال الله أكبر ثم نادى يالؤلؤ فقال لبيك فجعل البطال يهنيهم بالسلامة وهم أيضا فرحوا بسلامته وقالوا له ما معك فقال معى شماس فما معكم أنتم فقالوا معنا عبد المسيح ملك البرغل أبو زيزه (قال) ففرح البطال بذلك ودخلوا بالجميع الى عسكر المسلمين وكان قد قرب الصباح ولم يزل البطال الى ان وصل الى سرادق الأمير عبد الوهاب فأيقظه من منامه ثم أخبره بما فعل وبشره بسلامة أولاده فسجد الامير عبد الوهاب شكر الله تعالى وضم أولاده الى صدره وقصد البطال الى سرادق الرشيد فوجده جالس وما عنده غير الخادم نجاح والرشيد ضيق الصدر من همه على المسلمين واذا بعبد الوهاب وبصحبته البطال وقد أتى واستأذن على الرشيد فى الدخول فأذن له فدخل وقبل الأرض بين يديه فقال الرشيد بعد ان حياهم مافعلت يا أبا محمد فحدثه بما فعل فضحك الرشيد وقال يا أبا محمد والله ما عسكر الاسلام الا بك فلا كان يوم لا تحضر فيه ثم حدثه البطال بما فعلوا غلمانه وكيف أخذوا ملك البرغل فتعجب الرشيد من ذلك وقال على بهم حتى أبصرهم فنهض عبد الوهاب وغاب ساعة ورجع ومعه شماس وعبد المسيح وولديه ضيغم وسيف الحنيفية وغلمان البطال وأتى بالجميع إلى بين يدى الرشيد فخلع الرشيد على البطال وغلمانه وعلى ضيغم وسيف الحنيفية وعبد الوهاب وأمر برفع ملك البرغل وملك اللان والاحتفاظ بهم ولم يخرجوا الأمراء من حضرة الرشيد حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت

الفرسان وابتدرت من وقبها طالبة الكفاح وهى على الجرد القداح وكثر الصياح وكانت الروم أسبق إلى اللقاء لأنهم طمعوا فى المسلمين لأجل الماضى هذا وملك الروم قد هم أن يركب وإذا بالصياح قد علا ونما فقال الملك اكشفوا هذا الخبر فجاءت الغلمان تخبر أن عبد المسيح ملك البرغل قد فقد وقتل حول سرادقه عشرين بطريق فقامت على منويل القيامة وأصابه من ذلك أمر عظيم وبطل ذلك اليوم الركوب ورجعت الفرسان من حومة الميدان وقد فرحت المسلمين بذلك لأنهم كانوا تعابا وعلم الرشيد بذلك فحمد الله تعالى على إبطال الحرب فى ذلك اليوم ورجعت عساكر الاسلام إلى المضارب والخيام هذا والروم عندهم من فقد الملكين أمر عظيم ومن ضيق صدر ملك الروم لم يمد فى ذلك اليوم سماط بل انه أرسل إلى عسكر اللان وأحضرهم بين يديه وطيب قلوبهم وأوعدهم بخلاص ملكهم وكذلك فعل بالبرغل فهذا جرى لملك الروم (وأما الرشيد) فانه جلس على سرير خلافته ودارت به الفرسان من حوله والأميرة ذات الهمة وعبد الوهاب وعمرو بن عبيد الله والبطال أقرب الناس اليه وقد أخذوا مواضعهم من الجلوس وجعلت الفرسان يتحدثوا فيما بينهم حديث الطعن والضرب والرشيد وذات الهمة وعبد الوهاب فى حديث تدبير العساكر إلى أن أحضر الطعام وأخذت الرجال حاجتها وقبلت الأرض وعادت إلى الخيام ولم يبق بين يدى الرشيد غير عبد الوهاب والأمراء وبعد ذلك نهض عبد الوهاب ونهضت الأصحاب وخرجوا والبطال بين أيديهم كأنه أسد الغاب ولم تزل الأميرة ذات الهمة سائرة إلى أن وصلت إلى موضعها هذا والبطال قد أخذ غلمانه وجعل يتطرق العساكر وينظر إلى ذلك الموضع الذى هم فيه نزول فوجد البطال فى آخره موضع معشب كثير المياه وهو من عسكر المسلمين على فرسخين وكان ذلك المكان واسع ومن ورائه أرض بيضاء كافورية كأنها الفضة النقية وغلمان البطال ما عندهم خبر بما قد خطر بقلب مولاهم وما يريد أن يصنع من الاحتيال ولم يزالوا كذلك إلى أن قرب غياب الشمس ودنى وقت المساء فرجع البطال إلى العسكر واجتمع بالأميرة والأمير عبد الوهاب وقال لهم قد انفتح لى باب أهلك به العسكر كله فى ساعة واحدة ان قبلتم ما أقول لكم وإن لم تقبلوا ما أقول فأنتم أخبر فقالت الأميرة وما ذلك يا أبو محمد قال أريد أن يكون الرشيد فى جملتنا قالت الأميرة بسم الله يا أبو محمد نسير إلى خدمة الرشيد ونشير عليه بما يعود نفعه على المسلمين ثم نهضت الأميرة والأمير عبد الوهاب وأبو محمد وقصدوا إلى سرادق الرشيد وأخذوا الاذن فأذن لهم فدخلوا وسلموا وقبلوا الأرض وجلسوا الأمراء والبطال وطلبوا الخلوة فصرف الرشيد كل من كان عنده حاضر ولم يبق فى حضرة الرشيد غيرهم فقالت الأميرة

للبطال هات ماعندك قال البطال إن أذن لى أمير المؤمنين تكلمت فأذن له فقال أعرفك يا أمير المؤمنين إن هذا عسكر عظيم ولو سلموا أرواحهم إلينا نقتلهم مافرغنا منهم فى شهر وقد رأيت أن أهلكهم فى يوم واحد قال وكيف ذلك يا أبو محمد قال البطال يا أمير المؤمنين كم عندكم من قوارير النفط الطيار الأبيض قال الرشيد عندى من قوارير النفط فى هذا الموضع عشرين حمل نفط أبيض طيار وقد أحكمته الصناع قبل دخولى إلى هذا المكان فقال البطال الحمد لله يا أمير المؤمنين إذا جاءنى تلك العشرين الحمل فلا تعرف هلاك عسكر المشركين الامنى فقال الرشيد قد حكمتك فى جميع مامعى من خيل وجمال وخيام وأموال وكلما تحويه يدى فقال البطال على بالزراقين فلم يكن بأعجل مما حضروا ألفين زراق فقال البطال ائتونى بجميع نفط عندكم فأحضروا للبطال النفط وعزل عشرة أحمال فى كل حمل قنطارين نفط بالشامى وأمر الحنيفية أن يرحل من ساعته الى وراء حتى يتقدموا الروم الى قدام وقد بلغت المرام قال الرشيد ياأبو محمد كيف يكون التدبير وكيف تجعل علينا اسم الهزيمة فقال البطال ياأمير المؤمنين مايتم لى ماأريد إلا بما أشرت به عليك ولكن تكون الناس بلا هرج ولا مرج ولا يصبح الصباح إلا والأرض خالية من كل ماتفزع عليه فأنا أعلم أن ملك الروم يطمع فينا ويتبعنا وينزل فى مقابلة منزلتنا وبعد ذلك أبصر من خادمك البطال العجب هذا يتم بينهم والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة حاضرين (قال) وقد أمر الرشيد كل أمير يرحل برجاله ولا يكون لهم حس حتى لا تكون هزيمة وبعث خلف عمرو بن عبد الله وأمره بالرحيل من غير ضجيج هذا ونيران العسكر تشعل ولم ينتصف الليلة حتى خلت تلك الأرض البيضاء من المسلمين ثم انهم ســـاروا طالبين تلك الأرض البيضاء بمشورة أبو محمد ولم يعلم أحد ماهم عليه عازمين ولم يصبح الصباح وبقى فى منزله المسلمين نافخ نار إلا مضرب خلق أوخيمه مقطعه والنيران على حالها هذا والروم قد أنكرت ذلك وبادروا بالرحيل إلى ذلك الموضع وقد أمرهم الملك منويل بذلك

(قال الراوى) وكان البطال قد حمل ذلك النفط وتخلف فى أواخر الناس هو والزراقين وقد علم فى أى موضع تنزل الروم فنزل ماعلى الجمال وفك منها الاحمال وأخذ ذلك النفط ورشه فى ذلك الموضع على وجه الأرض هذا والزراقين قدمتو الما يصنع وكان قصد معرفتهم إلى مايريد وفى أقل من ساعه رش به البطال جميع تلك الأرض وعاد البطال إلى عسكر المسلمين ونزلت العساكر وضرب الرشيد سرادقه وكذلك الأمراء ضربت خيامها ونشرت أعلامها وركبت ظهور الخيل ووقفت تنظر عساكر الملك منويل ولم يزالوا كذلك إلى ان صار وقت الظهر وطلع الغبار إلى العنان وظهرت الفرسان والصلبان

(قال الراوى) وكان الملك لما أمر الفرسان بدخولهم إلى خيام المسلمين دخلوا اليها فلم يجدوا فيها ديارفرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فطار عقله وقالوا له قدهزمت المسلمين وأمر عساكره بالرحيل فرحلت ومنويل فى أوائل الناس ولم يزل سائرإلى أن أشرف على خيام المسلمين فنزل مقابل العسكر وكان من الاوقات وقت العصر فلم يقدروا على قتال بل صبروا إلى غداة غد والرشيد نظر إلى عسكر الروم وقد نزل بقرب عسكره فخشى على نفسه من ذلك وأمر العسكر ان تركب فركبت المسلمين ووقفت فى وجوه الكافرين وتصففت ولم يزالوا كذلك حتى أقبل الظلام ورجع كل منهم إلى الخيام وجلس الرشيد على سريره واستدعى بالبطال وقال له على ماذا عولت وما الذين قد دبرت من الفعال هذا وملك الروم قد طمع فينا لاجل رحيلنا فقال البطال على بالزراقين فلم يكن بأسرع بما حضروا بين يديه بخزائن النفط اليه وأخرج من النفط ثلاثة آلاف قارورة وكانت الروم قد نزل أكثرها فى موضع النفط الذى رشه البطال على الأرض وما عندهم منه خبر وأخذ البطال الزراقين والرجال من السودان وقد ساروا من خلف عسكر الروم إلى ان قاربوا من الخيام وأمر الرجال الذى معه ان تضرب الأرض بما معها من قوارير النفط فضربت وكان قد استقبلت مهب الشمال ولما انكسرت القوارير قدحت على وجه الأرض فاشتعلت بعضها فى بعض وكانت الروم غافله فما أحسوا إلا والنار معهم فى الخيام وكانت ليلة شديدة الريح مظلمه وفى هذا الوقت أمر الرشيد العساكر بالركوب لأن البطال أوصاه بذلك والروم قد ذهلت وارتعبت لما عاينت ذلك وركبت عساكر الاسلام وحملت وتصايحت السودان من خلف عسكر الروم وزجرت وضاقت على الروم الأرض بما رحبت ولم يكن أكثر من ساعة حتى انقسمت ثلاثة أقسام قسم احترقوا وقسم قتلوا وقسم أسروا لأنهم ما كان لهم فى تلك الأرض متسع وكانت المسلمين بين أيديهم والناس وراءهم والبطال والسودان عن يمينهم وشمالهم فأخذتهم الحيرة والانذهال وسلموا أنفسهم بلا قتال ومن تخلف فى الخيام احترق وأسر منويل وأخيه وأخذ مارس ودارس وخواص الدولة ولم تزل الموحدين تأسر وتقتل إلى ان أصبح الصباح ونزل الرشيد فى سرادقه وصارت الفرسان تقدم له الأسارى والرشيد يسجد لله شكرا وما تضاحا النهار حتى قدمت جميع الفرسان (قال) وجاءت الاميرة ذات الهمة وبين يديها الملك منويل وجاء الامير عبدالوهاب ومعه الفيفولص وجاء سيف الحنيفية ومعه البترك لانه كان أخبر الناس به وجاء راشد ابن ضمره ومن معه من السودان والزراقين ومعهم ملك الدوقس وطائفة من الروم ولما وقعت عين الرشيد على البطال تزعزع له من على السرير وقربه الرشيد وأدناه وخلع عليه هذا

والعالم يهرعون اليه وبين يدى الرشيد يقفون وكلما جازوا بشيء أعرضوه عليه وكان جملة
الاسارى الذين أسروا عشرة آلاف من خيار البطارقة ومن أكابر الجيش عشرين ألف
فارس فأمر الرشيد ان يضرب رقاب الجميع فقتلوهم عن بكرة أبيهم وأخذ الرشيد الملك
منويل وخواص البطارقة وأمر الناس بالرحيل واجتمع الاندرياس بابن أخيه الفشفودش
والملك منويل ومارس ودارس وبطريق لؤلؤه فاستخبرهم منويل عن حالهم فأخبروه بأخذ
لؤلؤه بحيلة البطال وكيف أكمنت الاميره لهم وخلصت البطال وأعاد الحديث من أوله الى
آخره فقال منويل والشيخ النجيح ماكان منه فقال عمه مالنا به خبر غير انه انفلت وما
نعلم هل هو أخذوه أم لا فقال الملك وحق المسيح كلما نحن فيه من حيل البطال اللص المحتال
وهذه الفعلة من بعض حيله ولا يقدر أحد على هــــذه الفعال غيره فهذا جرى لهؤلاء
(وأما الرشيد) فانه أمر الناس بالرحيل وسار طالب بلاد الاسلام ولم يزالوا فى جد
وكد ثلاثه أيام وفى اليوم الرابع لاحت لهم قلعه عاليه بأصوار ناميه يقال لها قلعه باغيه فقال
الرشيد للبطال ماهذه القلعه ياأبو محمد فقال البطال يا أمير المؤمنين هذه قلعه باغيه وهى
أحسن قلعه فى بلاد الروم وفيها بطريق جبار من بقية الجبابرة لايصطلى له بنار وتحت
يده ألف فارس من كل بطل ممارس فقال الرشيد فلم لا تنزلوا على هذه القلعه وتأخذوها
ويكون هذا الفتوح يؤرخ ويذكر فقال البطال الأمر أمرك ياأمير المؤمنين زادك الله
رفعه وتمكين فعند ذلك أمر الرشيد ان تطلب قلعه باغيه فتقدم الأمير عبد الوهاب بين
يدى العسكر كانه أسد قسور قد هدر ولم يزالوا حتى نزلوا تحت القلعه لانها كانت عن
يسار الدروب بقدر فرسخين وتلاحقت الامم بالامم وصدمت الاعلاج الذين كانوا فى
القلعة فوق الاصوار والأبراج وكثر فى القلعه الانزعاج ونصبت المناجيق والفرادات
ونزلت الأحجار من الطلاقات وأمر الرشيد الناس بالزحف الى الأصوار فتقدمت المؤمنين
الأبرار ولم يكن على باغيه موضع تنزل فيه العساكر الامن فرد جهة واحدة لأنها فوق
جبل شاهق وتلك الجهة ضيقة ولم يزال المسلمين يزحفون الى ان التصقوا بالأصوار فوقعت
عليهم الاحجار لان كل من كان فى باغيه قد استكمنوا فى تلك الجهات وباقى جوانبها
آمنين منه ولم تزال العساكر فى حرب شديد وأمر عنيد الى ان أمسى المسا وقتل من
المسلمين فى ذلك اليوم خلق كثير لان القوم عاليون عليهم فلما كان فى اليوم الثانى باكر
النهار هموا المسلمين بالقتال وكانت لهم موقعة أعظم من اليوم الأول فلم يتركوا الملاعين
أحدا يتقرب اليهم وكانوا اذا أرشقوا بالسهام فيقع كالجراد وقتل فى ذلك اليـوم من
المسلمين رجال وجرحت أبطال ونزلوا عند المساء وشكوا حالهم الى الرشيد فقال الرشيد

الرشيد وحق خاتم النبيين واتصالى بحمزة وعقيل لوعلمت ان المسلمين تلاقى من أهل هذه القلعه هذا الأمر كله ما كنت نزلت عليها والآن فما بقيت أنصرف حتى آخذها لئلا يصغر شأننا عند الملوك ويقولوا نزل الرشيد على قلعه صغيره وما بلغ منها آمال أنا موعود بالنصر من الملك المتعال (قال) ولم تزل المسلمين فى قتال أهل باغيه أربعين صباحا وقتل من المسلمين مالا يحصى وضاق صدر الرشيد من ذلك هذا والبطال لم يقدر على شىء يعمله لان بطريق باغيه يعرفه وكان هذا الملعون أمكر خلق الله وأحيل أهل زمانه ولما كان فى تلك الليلة الحادى والاربعين اجتمعت الأميره ذات الهمه والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فى مضرب الرشيد يتحدثوا بما يريدون من أمرهم وأمر القلعة التى قد تعسرت فقالت الأميره مافى قلبى حسرة الا من فتح هذه القلعة لان لنا فى قتالهم أربعين يوما وما قدرنا عليها ولكن لله الأمر ووالله ماب روحى ولكن المسلمين

(قال الراوى) وكان من حيث دخلوا الناس الى بلاد الروم وغزاتهم عشرة أشهر وقد دخل الشهر الحادى عشر هذا جملة ما كان غيبتهم عن أهلهم فلما قالت الأميره هذا الكلام قال البطال ينبغى أيتها الاميره ان تدفع العساكر تقاتل فى غداة غد واركب أنا وأنتى وندور حول هذه القلعة لعلى آخذ فرصة الى فتح هذه القلعة قالت الأميره نعم مارأيت ياأبامحمد ولم يزالوا فى حضرة الرشيد الى ان مضى من الليل أكثره وبقى منه أيسره وطلب الرشيد النوم فنهضت الاميره ذات الهمه والامير عبد الوهاب والبطال بين يديهما الى خيمتها وناموا الى ان طلع الصباح ووثبت الرجال الى قتال أهل الكفر والضلال ووقع القتال وزادت الأهوال كذا والأميره ذات الهمة قد ركبت هى والبطال وداروا حول الجبل وهم يتذكرون فى فتح القلعة وكلما داروا حول الجبل يضحك البطال فقالت الأميرة ويلك ياأبو محمد مما تضحك قال البطال وكيف لا أضحك وقد فتحت القلعة ان شاء الله تعالى بسعادتك فقالت الأميرة بماذا ياأبامحمد قال البطال يامولاتى رأيت فى سيرة الاسكندر انه نزل على بعض القلاع وكانت القلعة كثيرة الحرس ليس لاحد عليها طريق فأحضر الاسكندر بطارقته وقال لهم شيروا على بما أصنع فى فتح هذه القلعة فقال الحكيم بليناس ياملك الدنيا جهز الساعة كل ما تقدر عليه من الجوز حتى أبين لك فنادى الاسكندر كل من كان عنده جوز قليل أو كثير يأتى به الى الملك فلم تكن غير ساعة حتى أقبل الجوز مخالى وأعدال وبه ياأمير المؤمنين قدر على فتح تلك القلعة فقالت الأميرة ذات الهمة وعلى أى شىء قد عولت تصنع قال البطال حتى أحضر بين يدى الرشيد وأشير عليكم بما أريد أصنع فقالت الاميره عد بنا اليه (قال) فرجع البطال اليه والاميره ذات الهمة والامير عبد الوهاب فقال

الرشيد ألا ترون الى مانحن فيه مع هؤلاء الملاعين فماذا تشورون به على فقال الامير أبو محمد يا أمير المؤمنين قد تفرج لى شيئا افتح به القلعة قال الرشيد وما هو قال أريد منك ان تنادى فى العسكر كل من كان عنده شيء من الجوز فليحضره الى أمير المؤمنين فلم يكن غير قليل حتى حضر قدام السرادق من الجوز شيء كثير وأمر البطال الناس أن يعزلوا الفارغ وحده والمليان وحده ففعلوا ذلك وكان الفارغ أكثر من الملان فقال البطال للناس دونكم وهذا الملان فما لأمير المؤمنين به حاجة فمالوا الناس الى ذلك الملان وأخذوه ثم ان البطال أمر الناس بالانصراف من بين يديه ولا يقف أحد عند سرادق الرشيد وقال البطال على بالزراقين فأحضروا بين يديه وهم لا يدرون مايريد البطال ان يصنع فلما مثلوا بين يدى البطال أمرهم ان يحضروا بقوارير النفط فحضروا منه شيأ كثيرفأمرهم البطال ان يرشوا منه على ذلك الجوز الفارغ ففعلوا ذلك وصبروا ساعة وأمرهم ان يرشوا عليه مرة ثانية ولم يزالوا كذلك خمس مرات إلى أن تشرب الجوز ذلك النفط هذا والرشيد قد حار من فعل البطال وكذلك ذات الهمة وعبد الوهاب إلا أنهم مايعرفوا مايريد البطال ان يعمل وأمر البطال باحضار الزراقين وكانو عشرة آلاف فأحضر لهم عشرة آلاف زنبورك ومع كل زنبورك عشرة فرادات نشاب ولما اكتمل عددهم أمر البطال ان يأخذوا من ذلك الجوز المسقى بالنفط كل شخص عشر جرادات وأمر الامير عبد الوهاب ان يحضروا السودان فحضر منهم عشرة آلاف اسود بكل سيف مهند وعلى أجسادهم الزرد وأمرهم البطال ان يكون مع كل واحد منهم شمعة غليظة أو مشعل فلم يبق فى العسكر شمعة إلا وحضرت وأخذتها السودان ولم يفرغ البطال من ترتيب مادبر إلا والليل قد اعتكر هذا البطال يقول للرشيد وعبد الوهاب كونوا على يقظة وإذا رأيتم النار تعمل فى القلعة فما يكون لكم شغل غير التكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير فقالوا حبا وكرامة (قال) وبعد ذلك أمر البطال الرجال بالصعود إلى عقبة القلعة بلاهرج ولا صياح فصعدوا وأمرهم البطال ان يشعلوا مامعهم من الشموع والمشاعل ففعلت السودان ذلك وأمر الرماة ان يشعل كل واحد الجوزة بعد مايلصقها إلى رأس الفراده أعنى الفردة النشاب وقال لهم البطال لاتعينوا على موضع واحد بل ارموا فأيما وقعت نفعت هذا يجرى وماعند أهل القلعة خبر لانهم آمنين لايعلمو من منع حصنهم وقد ألفوا الحصار أربعين يوما والرماة أرمت به يداواحدة وهم عشرة آلاف فرده تصعد إلى الجو وتقع فى وسط الحصن فتكسر ويقدح بعضها إلى بعض فتحرق كلما تقع عليه ولم يكن بأعجل عمارمت الرماة كلما كان معهم وأمر البطال ان ترفع أصواتهم بالتهليل والتكبير فأجابتهم

من الجبال أحجارها ومن الأرض أشجارها ومن القفار عمارها ودارت السودان من حول القلعة وقد نظر أهلها إلى ما أهالهم لان القلعة اشتعلت من أربع أركانها ووسطها لأن الجوز تفرق فى سائر القلعة وما كان لأهلها مجير لما نظروا إلى نار السعير الا انهم فتحوا باب القلعة وخرج بطريق القلعة فأسروه السودان وكان قد خرج معه نفر قليل من أهل القلعة والباقى ماكان الواحد منهم يقدر على الخروج من موضعه لأنهم كانوا كيف ماتوجهوا يجدوا النار تعمل هذا والمسلمين صعدوا عن آخرهم إلى قلعة باغيه وهم يذكرون الله تعالى وفى أوائلهم الاميره ذات الهمة والأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب هذا والقلعة تلتهب مثل السندروس لأنها كانت ليلة كثيرة الهواء وامتزجت النار بغضب الجبار ولم يصبح الصباح الا والقلعة مثل الفحمة السوداء ولا ملكوا المسلمين منها لاقليل ولا كثير بل أكلته النار ونصر الله حملة القرآن وهلكت عصابة الاشرار ونزلوا الناس وبطريق القلعة قد أخذوه ومعه مائتين نفر ولم يزالوا سائرين إلى ان دخلوا بين يدى أمير المؤمنين وقبلوا الأرض وأعرضوا عليه بطريق باغه فقال له ويلك ياامين كيف رأيت صنع الله تعالى بك فلم يرد البطريق جواب ولا أبداخطاب فأمر الرشيد برفعه إلى عند الملك منويل وأعرض الرشيد على الباقى الاسلام فأبوا فضرب أعناقهم وبعد ذلك أجلس الرشيد البطال بين يديه وقال له أحسنت ياأبو محمد انت عماد الدين وسيف المسلمين فقال البطال كلما نحن فيه بسعادتك ياأمير المؤمنين فخلع عليه الرشيد خلعه خمس ضياع من ضياع ملطيه ولم تزل العساكر فى ذلك المكان مدة من الزمان حتى أراحت وأمر الرشيد الناس بالرحيل رحلوا وسارت العساكر طالبة ملطية وبلاد الاسلام والرشيد بين أيديهم وقد نشرت على رأسه الاعلام ودارت به الابطال والخدم وكذلك الامير عبد الوهاب ولم يزالوا يقطعون البلاد إلى ان بقى بينهم وبين ملطية مسيرة ثلاثة أيام وسبقت المبشرين إلى ملطيه تبشر بسلامة المسلمين ورجوع أمير المؤمنين (قال) وقد زينت البلاد وخرج إلى لقائهم كل أحد وكان دخولهم إلى ملطية يوم مشهور وتلاقت الاحباب بالاحباب وضربت الخيام على ظاهر ملطية وأحضر الرشيد ملك الروم والملوك وطلب منهم الفداء فأجابوه إلى ذلك وكان الامير عبد الوهاب وأبو محمد وذات الهمة حاضرين والملوك جميعهم بين يدى سرير الرشيد وكذلك مارس ودارس وكل ذلك حتى يرى ملك الروم إلى مارس ودارس لأن عقبة كان يعرض بذكرهم ويقول للروم انهم مسلمين فقال الرشيد لملك الروم اقطع على نفسك ماتقدر من الاموال وكذلك أخيك وعمك وكل من معك وإلا ضربت أعناقكم لأنى أريد الانجرار الى بغداد

فقال ملك الروم يا ملك الاسلام ها نحن بين يديك مر فينا بأمرك فالتفت الرشيد الى البطال يطلب منه ابرام هذه النوبة فقام البطال على قدميه وقال يا أمير المؤمنين اعلم ان الملك يطلب من مولانا ان يجر به على عادة أباه وأجداده فقال الرشيد تكلم يا أبو محمد وأوجز والا ضربت أعناقهم فتقدم البطال الى الملك وقال له انت أعرف بأمير المؤمنين انه سفاك الدماء وأنا قد تكلمت وخاطرت بنفسى فقال منويل يا أبو محمد ما فينا من يخالف لك قولا وافعل ما أنت أهله وما أنت له أهلا ولك علينا حق سعيك خمسة آلاف دينار فقال البطال هذا أمير المؤمنين قد تعود من الملوك الماضيه بالأموال الجمه والنعم الضخمه فقالت له الملوك يا أبا محمد كم كان يأخذ من الملوك فقال كان يأخذ من الملك مائتين ألف دينار ذهب ومائتين ألف رطل فضه غير الجواهر واليواقيت وعشرة آلاف مملوك وجارية هذا جملة ماكنت أنا أعرف وكل واحد مثل ذلك فقال الرشيد يا أبو محمد يكون ذلك عاجل غير آجل فقال منويل يا أبو محمد اعلم انى أنا مسجون عندكم والملوك ولا عندنا هنا مال ولا نوال اذا كان ترسل بلادنا الى أمى تأتى بالمال فقال له البطال اذا كان الأمر على مثل ذلك على من يأتى لكم بالمال فاتفق رأيهم على رواح مارس ودارس فاعلموا الرشيد بذلك فأمر باطلاق مارس ودارس فأطلقوهم وكتبوا الكتب وارسلوهم الى أم الملك منويل فأخذهم مارس ودارس وأرادوا ان يسافروا بالمكاتيب واذا بغلام عقبة قد أقبل من السفر وهو واقف على الباب فلما ان سمع به الرشيد قال على به وأمر باحضاره فما كان الا ساعه واذا به دخل فسلم وترجم وجلس وصار يتحدث مع الرشيد أين كنت ونحن فى الجهاد فقال له كنت فى بيت المقدس أدعى لأمير المؤمنين بالنصر على الأعداء فقال له والله يا قاضى عقبة أنا أعرف وأعلم وانى ما نصرت الا ببركة دعاك والملعون يدبر عليه فى القبائل ونظر الى الامير عبد الوهاب فقام له قائما على الأقدام وقبل يديه ورجليه وقال له قد دعوت لك فى بيت المقدس والأميره ذات الهمة فقال له البطال كذبت والله يا ملعون تكذب وما كنت الا تدبر على هلاك المسلمين فقال الرشيد ايش تقول فقال أقول ان الله ما نصرنا الا ببركة دعاه فقال له الرشيد صدقت يا أبو محمد (قال الراوى) وكان ذلك الملعون فى بلاد الروم يعينهم على قتل المسلمين ويدبر لهم الحيل ولما نصروا المسلمين ونهبوا الاموال وأخذوا الملوك انقلب على بيت المقدس وهو مستخفى لا يعرفه أحد ولما علم ان العساكر رجعت وانتظم الأمر سافر الى بلاد الاسلام وصار يطعم الطعام ويكسى

الأيتام واذا أتته الفقراء يعرض عليهم المال ويقول هذا كله لأجل المسيح قال غلامه افعل مابدا لك ثم ان عقبة ودع كل من كان فى بيت المقدس ولم يزل سائر حتى قدم على الرشيد فى ذلك الوقت الذى أراد مارس أن يسير فيه بكتاب الملك الى القسطنطونيه ورجع عقبة وجلس بين يدى الرشيد واستخبره عن أمره ومن أسر من الملوك فخبره الرشيد بكلما كان وتم لهم وكيف أخذوا لؤلؤه بالقتال أم بالأمان فقال الرشيد أخذوها بحيلة البطال فقال له البطال ياقاضى أخذناها ببركة دعاك لأنى أبصرتك فى المنام وأنت نازل من قلعة لؤلؤه فعرفت ان همتك تفعل أكثر من ذلك فشكر عقبة البطال ثم سأل عن ماتم لهم وكيف أخذوا باغيه والرشيد يحدثه بحيل البطال وماتم الرشيد الكلام حتى انكب عقبة ساجدا وقال الحمد لله الذى ماخيب دعائى لأمير المؤمنين وعساكر المسلمين هذا والبطال يضحك ويخبى رأسه فى زيقه والاميره ذات الهمة قد حارت من كلامه وبلاطته ثم أخبره الرشيد بالكتاب الذى كتبه من جهة الفداء فقال عقبة اعطينى الكتاب ياأمير المؤمنين ففضه عقبة وقراه وقال للرشيد نعم مافعلت أيها الجناب النبوى ثم رد عقبة الكتاب الى الرشيد (يأساده) وأمسا المسا ولم يقدر مارس على الرحيل فى ذلك اليوم لأن الرشيد قد اشتغل بقدوم عقبة ولما نظر عبدالوهاب الى ذلك ضاق صدره وعيل صبره وأما البطال فانه تقدم الى بين يدى الرشيد وقال ياأمير المؤمنين ان كان هذا البطريق مارس مايقدر على السفر فى هذه الليله فيجب عليك أن ترده الى موضعه قال الرشيد افعل مابدا لك وكان هذا الكلام لاجل عقبه حتى ينظر الى مارس ودارس وهم فى السلاسل فأخذ البطال مارس بين يديه وقصد به المضرب الذى فيه الاسارى وترك مارس بينهم وثقل قيده فقال منويل خير يامارس أراك قد رجعت بغير فائده فاخبره مارس بقدوم عقبة ولما سمع منويل ذلك قال الشكر للمسيح كيف بعث الينا الشيخ النجيح وبه يكون خلاصنا قال ولم يتم منويل هذا الكلام حتى عبر عليهم عقبة والرشيد الى جانبه وأرباب دولته بين يديه قال فتقدم عقبة الى منويل ووكره برجله وقال له ياعدو الله الى كم تتجبر حتى أخذك الله أخذ عزيز مقتدر ولكن عفو مولانا أمير المؤمنين سبق والا كنت الساعه ضربت رقابكم فلم يعيد عليه ملك الروم جواب هذا والرشيد واقف وكان المأمون عقبة قد طلب من الرشيد أن ينظر اليهم ثم رجع الرشيد وعقبة معه إلى السرادق وأرباب الدولة بين يديه (قال الراوى) وكان فى المسلمين رجل يقال له على بن يحيى الأرموى صاحب طرسوس وأعمالها فانه كان قد وقع فيه سهم من على قلعة باغية وهو فى مرضه وغلب على

نفسه فدخلت الأميرة ذات الهمة على الرشيد وخدمت فقال الرشيد خيرا أيتها الأميرة فقالت يا أمير المؤمنين إنى قد جئت أستأذنك فى أمر الأمير على بن يحيى الارموى صاحب طرسوس فقال لها الرشيد ماحاله قالت وقع فيه سهم من قلعة باغية وقد مرض وغلب على نفسه وبلده سائب فان أذن له أمير المؤمنين برفعه فى محفه وأنا أسير به فى صحبتى وأبصر ما يكون فان وجد العافية فالحمد لله وان هو درج إلى رحمة الله تعالى فأكون أنا هناك وأحفظ البلاد وأترك ولده مكانه ورأى أمير المؤمنين أعلا قال الرشيد نعم ما أشرتى افعلى ما أردتى قال فخرجت الأميرة من عند الرشيد وقصدت إلى عسكر أهل طرسوس وأعلمتهم أنها أخذت لهم دستورفى انصرافهم إلى بلادهم ففرحوا بذلك وشالت الأميرة على بن يحيى فى محفة على بغلين هينين السير وأخذت معها من بنى كلاب خمسة آلاف فارس وكذلك من السودان مثلهم وساروا بعد مارجعت الأميرة من خدمه الرشيد ففرح عقبة برواح ذات الهمة وأمل أن يخلص ملك الروم فهذا جرى ههنا وأما الرشيد فانه لم يزل مع عقبة والبطال فى حديث وأخبار وحكايات وأسمار إلى أن برق ضوء النهار وأذن المؤذن فتقدم عقبة وأسبغ الوضوء وتقدم وصلى بهم وجلس ورفع صوته وقرأ فأبكا الملك وكل من حضر وبعد ذلك طلب من الرشيد الدخول إلى الحمام من أثر تعب السفر قال فأعطاه الرشيد دستور وسار عقبة إلى ملطيه ودخل إلى داره واجتمع مع غلمانه وقال لهم قد عولت أن أكتب كتابا إلى قالون أم الملك منويل وأقول لها إذا قدم عليكى مارس فى طلب الفداء عوقيه عندك عشرة أيام حتى أدبر على خلاص الملك وتربحين المال الذى تقبضيه قالوا له غلمانه اصنع ماشئت ودبر ماهويت فأخذ عقبة درج وكتب فيه أما بعد فالذى أخبر به الملكة قانون انى الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وقد كنت حصلت البطال فى لؤلؤه ولكن قد أعاقتنى المقادير وأسرت على يد ذات الهمة قصف المسيح عمرها فما قوام الاسلام إلا بها وولدها وهربت فى هذه الأيام وقدمت فوجدت الملك منويل فى قبضة الرشيد وإن أعانى المسيح فأنا أخلصه وأخلص كل من معه من الأسارى وبعد ذلك فقد كتب إليكى ولدك يطلب الفدية مع مارس بطريق البطارقة فإذا وصل اليكى لاتقضى إليه شغل فى المال بل انك تدافعيه من يوم الى يوم ومن ساعة الى ساعة حتى أخلص أنا وولدك لأنى مذ قدمت لا أمكن أحد من أذيتهم ثم ختم الكتاب وأعطاه لغلامه فأخذه وانطلق طالب القسطنطونية وكان الرشيد قبل أن يرسل مارس بالكتاب الذى فيه ذلك الخطاب ثم ان عقبة عبر الحمام ولبس أفخر الأثواب وتطيلس وتسوك

وأقبل الى عند الرشيد فاجلسه وأدناه وقال ماترى فى هذا الكتاب من أجل هذه الفدية فقال له عقبة نعم مارأيت يا أمير المؤمنين فقال الرشيد على بالبطال فحضر وكذلك الأمير عبد الوهاب والامير عمرو ابن عبد الله وأكابر الدولة والفضل ابن الربيع أفرح الخلق لعقبة والوزير وكان يحب بنى كلاب ويتعصب الأمير عبد الوهاب فامر البطال أن يحضر مارس فغاب قدر ساعة وعاد ومعه مارس وهو مقيد بين بين يدى الرشيد ففك قيده وقال له الرشيد يا بطريق لا يلحقك توانى فى هذا الامر لانى لا سبيل لى فى القعود قال فباس مارس الارض بين يدى الرشيد وقال السمع والطاعة فقال لهم الرشيد أعطوه فرس يركب عليه الى القسطنطونية وخرج مارس طالب بلاد الروم هذا والرشيد قد أحضر الاسارى جميعهم الى بين يديه ثم التفت الى عمرو بن عبيد الله وقال يا أمير هؤلاء كلهم مسلمين اليك وهم بحكمك الى وقت طلبهم منك فقال عمرو السمع والطاعة لله ولأمير المؤمنين قال وكان ذلك من تدبير عقبة لانه أشار على الرشيد بذلك وقال فى حسابه مادام انهم فى حوز بنى كلاب مايكون لى قدره على خلاصهم أبدا من أجل البطال فاشار على الرشيد بان يتركهم تحت يد عمرو بن عبيد الله ففعل الرشيد هذا والبطال قد انكشفت له شقاوة عقبة لانه يعرف ماقد عزم عليه ولم يقدر يتكلم بحرف واحد ولم يزالوا الناس فى حضرة الامام الى أن غلب عليهم المنام انصرفوا المنام ونزلت مقدمين العساكر واجتمع البطال بعبد الوهاب وقال له مارأيت يا أمير مافعل عقبة فى حق ملك الروم فقال عبد الوهاب وما هو قال أشار على أمير المؤمنين بان يدع الملوك عند عمرو بن عبيد الله وكل ذلك حتى يدبر على خلاصهم فقال عبد الوهاب يا أبو محمد قد سمعت الرشيد وماقاله لعمرو بن عبيد الله انهم برأسه وان نفدوا كانوا سببا لهلاك هؤلاء قال البطال أيها الامير بعد ان الملوك تخلص مايبالى عقبة لامن عمرو ولا من زيد قال الامير عبد الوهاب الامر لله ماشاء يفعل هذا وعمرو قد أخذ الملوك وسلمهم الى يد أحمد الرامى وأوصاه بالاحتفاظ بهم فاخذهم الرامى الى بيته وتركهم فى بعض الخزائن وأوصى امرأته عليهم هذا وعقبة متفكر كيف يصل الى منويل واخراجه من بلاد الاسلام بلا وزن مال ولم يزل يدقق الحيل ويدفن العمل حتى انفتح شيأ يصل به الى مراده وكان الملعون عارف بامور التقويم وصناعة النجوم فأخذ اصطرلاب مليح وتقويم صحيح وقام وغير زيه وخضب لحيته وغير صفته حتى لو رآه أحد ماعرفه وصبر حتى حمى الجو واوهج البر وطلع عقبة طالب الدرب الذى فيه بيت أحمد الرامى (قال الراوى) وكانت امرأة أحمد تغير من جارية اشتراها

أحمد وهى من الغيره منها فى أمر عظيم وكان عقبه عارف بذلك ولاجل معرفة عقبة بذلك انقدحت له هذه الحيلة ووقف عقبة على باب أحمد الرامى وعقد يده وراه يعنى وراء ظهره وقال أنا كم الحساب الكاتب المنجم المبشر المحضر بضرب المنازل ويكتب الهياكل ويكشف العطف ويرد القلوب الى ماقد سلف فسمعته امرأة أحمد الرامى. فقالت لاحد جواريها ائتنى بهذا الحكيم عسى يكون لى على يده فرج فخرجت الجاريه ونادت له ياحكيم فلم يكلمها فزعقت عليه ثانيه وثالثه فنظر اليها عقبه غير متفكر بها وأوراها إنه أطرش لايسمع قليل أو كثير فقالت له ادخل فوقف حتى شارت بيدها فدخل عقبة وجلس فى الدهليز وزوجة أحمد مع ذلك من وراء الستر وقالت له ياحكيم ابصرلى نجمى فقال لها ان طالعك منكس وانت تعبانة القلب منكسره من جهة الغيره قال فلم يتم كلامه حتى انها بكت زوجة أحمد وقالت له صدقت ياحكيم تقدر تعطف قلب أحمد على وتبغض اليه هذه الجارية فقال هذه هى صنعتى انى افرق بين اثنين وأجمع بين اثنين وأمسك لسان صاحب الدار وأبشر أهل الغائب بقدومه وأكتب العطفات وأرقى البخورات وأعمل الطلسمات فلما سمعته زوجة أحمد طاش عقلها وقالت للجاريه اعطيه عشر دنانير وقالت هذه لك عاجله واذا صح شغلك كان لك عندى خمسين دينار قال عقبة ما آخذ ولاحبه الا اذا فعلت شيأ آخذ شىء وما هذه الجارية ان اردتى أن أمرضها عاجلا فعلت ذلك وان أردتى اكتب لها بغبضة وان شئتى جننتها فقالت زوجة أحمد ومتى يكون ذلك الأمر فقال لها اذا أخذت الطالع الذى يصلح ان يعمل به ثم رفع الاصطرلاب وتميز فى التقويم وقال يصح العمل ويكون هذا بعد غد والعطوفات هى اتصال القمر بعطارد ولكن يحتاج الى حوائج وينبغى اتخليها بجهزة الى حال وصولى ولا تخلى فى الدار أحد يطلع على سرك فانه ينفسد ماتصنعيه فقالت له سمعا وطاعه اذكرلى ما تحتاج اليه من الحوائج فقال لها أحتاج الى عود الصنم ومسك وقليل من الزعفران وفلفل أبيض ومقل أزرق وحصا لبان وماء ورد وخمر عتيق وقدح زجاج وكونى الى فى الانتظار فانى بعد غد فى وقت تضاحى النهار اقضى اشغالى وأكون عندك ثم نهض من عندها وقد عمل معها نفاقه وبعد خروجه بعثت جاريتها اشترت كل ماقاله وأقامت فى انتظاره وعقبة قد عاد الى منزله وهو فرحان لاتسعه الدنيا وقد ظهر عليه السرور فلما نظر اليه أولاده قالوا له ياأبانا لازالت الافراح عليك واردهم ما الذى صنعت قال لهم صنعت كذا وكذا وقد وصلت الى الغرض ولم يزل يدقق الحيل ويتقن العمل الى صبيحة اليوم الثالث وقال عقبة لاولاده مايتم ما أريد الا أن يتبعنى منكم ثلاثة أنفس

قالوا هانحن الكو بين يديك ولم يكن ولده الوليد حاضر بل كان فى قبض الضياع واختار.
عقبة من أولاده مصعب وحصيصه وعتيب ونزع أثوابهم وألبسهم غيرها ونكرهم وغير.
حالهم وأعطى لواحد فكه آلة النجم وقال لهم اتبعونى من ورائى وقال لباقى أولاده ابصروا
أى موضع دخلت يكون بالكم من الباب حتى اذا أمرتكم بالدخول ادخلوا فقالوا السمع
والطاعه وخرج عقبة من داره وقد هجر الحر ولم يكن فى الدروب أحد من شدة الحر ولم يزل
عقبة سائر وولده معقب معه والاثنين من بعيد يرمقون حتى وصل الى باب الدرب ومد
عقبة عينه الى الدهليز واذا بالجارية واقفة فى انتظاره فحين رأته دخلت الى ستها وأعلمتها
به وقالت ياستى قد جاء الحكيم فقالت مولاتها على به فخرجت الجارية وقالت ياحكيم
ادخل فقال عقبة والله ما أقعدنى الى هذا الوقت الا هـــذا الغلام وانتظاره لانه حكيم
عصره وفى يد دهره ولا يصح ما أفعل الا به فعادت الجارية الى ستها وأعلمتها أن مع
المنجم صبى آخر وقال لى انه مايتم الأمر الا به فقالت دعيه يدخل معه فدخل عقبة
وابنه وجلسوا وقال عقبة احضروا لى الحوائج فأتت بهم فى طبق من الفضة فهنالك
أخرج عقبة آلة النجم ووضعها بين يديه وقال لها ماسمك واسم صاحبك فجعلت تملى
عليه وهو يكتب بالزعفران ثم أدار عينه فى الدار وقال لها لا يكون أحد غيرك فى
الدار حاضر فقالت له زوجة أحمد طيب قلبك ياحكيم أنا من أمس جعلت للجوار حجهم
والغلمان وحلفت أن لايدخل أحد منهم إلى الدار ثلاثة أيام فقال لها عقبة نعم مارأيتى
يامولاتى غير أن لايتم لى هذا الشغل والأبواب مقفلة ينكد علينا كلما نعمله فيجب أن
تفتحين الأقفال وإذا عملنا شغلنا أعدناها إلى مكانها أما تعلمين أن القفل كاسمه ونحن نريد
الفتح والتسهيل فقالت زوجة أحمد هو ذلك ثم نهضت وفتحت الأقفال جميعها إلا قفل
واحد تركته على حاله فقال عقبة ما السبب فى ترك هذا القفل قالت ياحكيم لايمكن فتح
هذه الخزانة قال عقبة ولم ذلك قالت لأن فيها ملك الروم وأعمامه وخواصه وأخشى أن
يتم عليهم أمر من الأمور فقال عقبة لاتضيقين صدرك ولاتشغلى سرك بل افتحى الفراشة
من بدن القفل ودقيها على جانب العتبة فان دق أحد الباب نهضت أنا وولدى إلى بعض
الخزائن وتركين أنتى الفراشة كما كانت فقالت والله ياحكيم ما أخشى إلا من أحد ثم نهضت
واستوثقت من الباب ورجعت فتحت القفل هنالك طاب قلب عقبة وفرح وضرب مندل
وصنع دائرة عظيمة كبيرة فى وسط البيت ثم قال لها اقعدى فى وسط هذه الدائرة ثم أخرج
عقبة قيد كان استحضره معه لذلك الشكل ووضعه فى رجليها واستحضر البخورات وأضرم

النار وهمهم وتكلم وأومأ بيده إلى النار وتبسم وتناول الخمر والقدح وسكب فيه قليل وشرب وملاه ثانية وأخرج قرطاس من البنج الذى معه وأخرج منه شيأ على هيئة الكمون المدقوق وترك فوق القدح منه قليلا وشرب منه وناول الباقى لولده وملأ القدح وأوهمها أنه يحك رأسه وأخرج منها قرطاس كان معه فيه بنج أقريطش أزرق لو وقع منه نصف درهم على جبل لتدكدك ورماه فى ذلك القدح وتكلم عليه وأومأ به إلى زوجة أحمد قال لها اشربى قالت ياحكيم وكيف يكون هذا قال أما تريدين أن أحضر لكى الجارية فى هذه الساعة مقيدة مغلغلة وتنظرين ذلك عيانا فاشربى هذا الكاس تبصرى الذى قلت لكى عيانا قال فلم تشك المرأة فى ذلك فتناولته وشربته وما أتت على آخره حتى غابت عن الدنيا ثم ملا عقبة قدحا آخر وضع فيه من ذلك البنج وسقى الجارية التى بقيت فى الدار فنامت أيضا فوثب عقبة وولده كأنهما شياطين ومسكوا بأكتافهما وهزوهما فوقعا على الأرض كأنهما فارقا الدنيا وخرج عقبة إلى باب الدار ونادى ولديه اللذان كان أوقفهما على الباب وأمرهما بالدخول فدخلا وغلق الباب خلفهما فأبصروا زوجة أحمد وهى مثل الجزع اليابس وكذلك الجارية هذا وعقبة قد فتح باب الخزانه التى فيها الملوك ودخل فإذا بالملك منويل وعمه الاندرياس وأخيه وبطريق لؤلؤه وبطريق باغيه فسلم عليهم عقبة وانكب يقبل التراب بين أيديهم وقال اهم يعز على كيف تمت عليكم هذه الحيلة ثم أمر عقبة أولاده بالدخول فدخلوا وسلموا وكان معهم مبارد قد أعدها لهذا الشغل فاخرجوها وتناول كل واحد منهم مبرد ولم تكن غير ساعة حتى أزاحوا الحديد عن أرجل الملوك وملكوا أرواحهم وقال عقبة لأولاده بقى التدبير فى خروجهم ثم عمد عقبة إلى المنزل وفتحه فوجد خيزران للثياب ووجد عليه خمس شقق كانت للجوار فاخذهم عقبة وعاد إلى الملوك وألبس كل واحد شقة وزياهم بزى النساء ولبس عقبة إزار النوم وطرح على وجهه شعريه وتزيا بزى جارية سوداء وخرج من الدار ولم يزال عقبة بين أيديهم وهم يتبعوه إلى أن أتى بهم إلى دار كانت أعدها له وأمر أولاده بدخولهم فادخلوهم ونزلوهم فى الدار هذا وعقبة قد قلع الأزار ولبس أثوابه وخرج من ملطيه وقصد إلى سرادق الرشيد فدخل وباس الأرض فقربه منه وقال له أين كنت اليوم فقال عقبة يا أمير المؤمنين كنت قصدت إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصليت فيه وجلست إلى وقتى هذا إلا أننى اشتقت إلى هذا الموضع الشريف فقال الرشيد والله انك لذو دين وورع

(قال الراوى) وكان أحمد الرامى كل يوم يأتى بيته بعد صلاة الظهر يفتقد الأسارى ويرجع إلى

بيت السرية لأنه كان يحبها (ياسادة) والامر الذى يريده الله تعالى أنه أبطا ذلك اليوم ولم يأتى وبقى باب الدار مفتوح فعبرت عجوز دايه وقد عاينت الباب مفتوح فدخلت حتى تصلح زوجة أحمد وجدت المرأة مرميه على وجهها فدنت منها وطلبت أن توقظها فرأتها مثل الخشبة فصاحت المرأة بأعلا صوتها وسمعوا الجوار والغلمان والخدم فأقبلوا الى الدار ودخلوا فوجدوا المرأة على هذا الحال فأعلموا أحمد فأتى ودخل البيت فرأى زوجته كالخشبة وأبصر الابواب مفتحة والملوك قد هربوا فلطم على رأسه ومزق ما كان عليه من ثيابه وخرج طالب بيت الامير عمرو بن عبدالله

﴿ تم الجزء الثالث والعشرون ويليه الجزء الرابع والعشرون ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الرابع والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى ياساده) والنسوان قد علمت بأن زوجة أحمد مبنجه فأتوا بالكندس الازرق وقربوه إلى أنفها ونشقوها بالخل الحاذق حتى أفاقت من البنج وقد ألقته مثل قوالب الشمع وفتحت عينها وقالت ياحكيم فقلن لها النسوان أى حكيم يامجنونه فعلمت أنها حيلة قدتمت عليها فقالت للجوار من يعلم أحمد بهذا فقلن قد جاء وأبصر ثم فكوا القيد من رجليها واحمد قد دخل على عمرو بن عبيدالله وهو مخرق الثياب وأعلمه بماتم وخلاص الملوك فبقى عمرو ساهى وأيقن بحمامه وخرج عمرو من بيته راجلا مهرولا إلى بيت الأمير عبد الوهاب فوجد البطال عنده وهم يتحدثون فى حديث الأميره ذات الهمه وغيبتها فى طرسوس ولما نظر عبد الوهاب إلى عمرو بن عبيد الله قال له ماحالك فأخبره بذلك فعظم عليه وكبر لديه وسار عبد الوهاب إلى البيت يستصح الخبر فوجد الابواب مفتحه واستخبر زوجة أحمد عن ذلك فقالت لااعلم فهم كذلك وغلمان الرشيد قد اقبلت لان الأخبار قد اتصلت اليهم وإلى الرشيد فاغتاظ وقام من الغيظ وقعد وعقبة عنده فجعل عقبة يورى أنه قد عظم عليه ويلطم على رأسه وسار عمرو والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فلما وقف عمرو بن عبيد الله بين يدى الرشيد نظر اليه نظر الغضب وقال والله ماانتدبتك قط فى أمر ونجحت ولا إلى شغل وفعلته فلا شىء تصالح فقبل عمر ابن عبيد الله الأرض وقال العفو ياأمير المومنين وحق محمد خاتم النبيين لقد اجتهدت فى

حفظهم ولكن الأمور مقدرة فأمر الرشيد بالقبض على عمرو وأحمد الرامى قال فقبضوهم الخدام وقيدوهم وجعل عليهم الرشيد التوكيد كل يوم بمائة دينار من حنقه هذا وعبد الوهاب لم يقدر أن يتكلم فى ذلك الوقت بل سكت حتى ينكسر غيظ الرشيد ورجع عبد الوهاب والبطال وهو يقول للبطال والله ماسرنى ماجرى على عمرو بن عبيد الله من الاخراق والهوان فقال البطال اسكت يا أمير الله تعالى لا يفرج عنهم ان الزيت فى العجين ما يضيع وأنا أقسم برسول الله ﷺ ان كان فعل هذه الفعله إلا ابن عمهم عقبة ومن تحت رأسه ويا ماعمل مثل هذه المكيده والنكبه ودخلوا إلى المنزل وتحدثوا بحديث عقبة وكيف أنه يبذل نفسه فى رضا الكفار فهم كذلك وإذا بالغلمان قد دخلوا عليهم يخبروهم ان خدام الرشيد على الباب فخرج اليهم عبد الوهاب فقالوا له أجب أمير المؤمنين فسار معهم فدخل على الرشيد فأمره الرشيد أن يركب فى بنى كلاب والسودان الانجاب ويتفرقوا فى الطرقات وفى الشعاب وخرج وركب فى جماعه كما أمره الرشيد ذلك اليوم كله وفى اليوم الثانى إلى الظهر فلا حس ولا خبر ورجعو بلا فائده فنال الرشيد منال عظيم وأمر الناس بالمسير إلى العراق واجتمع الأمير عبد الوهاب بالبطال وقال يا أبا محمد يجب علينا أن ندخل على الرشيد ونسأله فى عمرو وفى أحمد صهره لأن الرشيد الساعه انكسر غيظه عما كان فضحك البطال وقال ياعبد الوهاب هذا بعقلك تقول وقد وقع فى مسامعه ثمانمائة ألف دينار فديه غير القماش والمعادن وقد نفدت من يده فالذى تقول له قال عبد الوهاب يا أبا محمد نتساعد أنا وأنت اهل الله تعالى ان يفرج عنهم ثم سار عبد الوهاب والبطال وطلبوا سرادق الرشيد واستأذنوا فى الدخول فأذن لهم فقالوا يا أمير المؤمنين ان أمير الثغور عمرو بن عبيد الله ماراى أن يشتغل بغير خدمة أمير المؤمنين وسلم الملوك إلى صهره وقد تم مالم يكن فى الحساب وما هو باختيارهما ومافات ليس بعائد ونحن قد جئناك شفعاء فى اطلاقهما من الوثاق وان كان مولانا أطال الله بقاه يريد أن يوقع بهما شرا فان ذلك لا يليق بكرمه فقال الرشيد ياعبد الوهاب كأنك أنت كنت عاجز عن حفظ الملوك إذا كانوا تحت يدك ونظرك وانما أردت ان أشرفه بذلك قال البطال الآن قد أخطأ ومثل أمير المؤمنين من عفا وان كان قصد مولانا أمير المؤمنين المال فأنا الضامن ان يصل اليه أضعاف ذلك (قال) ولم يزالوا يتلطفوا بالرشيد ويسألوه حتى لان وأمر بالافراج عن عمرو واحمد الرامى وأمر مسرورا أن يحضرهما مقيدين فأمر بقلع قيدهما وخلع عليهما ودقت الكوسات لأجل ذلك وعلا الدعاء للرشيد من الكبير والصغير وكثر الشكر والثنا للامير عبد الوهاب والبطال واستأذن عبد الوهاب الرشيد فى الانصراف فاذن له فانصرف

وعمرو الى جانبه الى أن وصل إلى داره فدخلها (قال الراوى) وكان الرشيد قد ساءه المقام فى تلك الاطلال واشتاقت نفسه فى الانحدار الى العراق وأمر الرشيد باحضار الأموال والغنائم وقسمها بعدان أخرج منها الخمس وقسمه على الناس وأعطا ذات الهمة وعبد الوهاب شىء جزيل واستغنت الناس غنا لا فقر بعده وكانت مدت قسمة الغنائم شهرين وبعد ذلك نادى فى الناس ألا من أراد الرحيل الى وطنه فليفعل وجعلت العساكر تأتى الى الرشيد وتستأذنه ويتفرقوا إلى أرضهم وبلادهم وقد أمر الرشيد عسكر العراق ان تأخذ الاهبة بعد ثلاثة أيام وقلع السرادق من على نهر سليمان وأبعده عن ملطيه رمية سهم حتى تعلم الخلائق ان الرشيد راحل فهذا ما كان من الرشيد وأما عقبة اللعين فانه اجتمع مع أولاده وقال لهم اعلموا ياأولاد انى قد جودت الحيله وخاصت الملك منويل ومن معه من الملوك والآن فقد عزم الرشيد على الرحيل بعد ثلاثة أيام وقد أمكنت الفرصة وزالت الغصه وأريد أدبر الآن فى اخراجهم من ملطيه وأسيرهم إلى بلادهم مادامت العساكر طالبه إلى ديارها وكل من يحسن الى انسان يكون الاحسان عند تمامه قال مصعب نعم ماقلت ياأبى قال فاخذ عقبة يدبر فى اخراجهم من ملطيه كيف يكون ونزل عقبة لعنه الله إلى الملوك وعرفهم بذلك فشكره الملك منويل وقال له ماقصرت والصليب يشد منك ماضعف لأنك مجاهد فى دينه ثم صعد من عندهم وعمد إلى خمسة رؤس من الخيل الجياد وأخرجهم من ملطيه ولم يتعرض أحد إلى أحد لأن العالم كثير والدخول والخروج لأجل الرحيل وبهذا قدر عقبة يصنع ذلك ولما حصلت الخيل ظاهر ملطيه سلمها إلى بعض أولاده وقال له اكمن تحت مسجد الرسول حين أقدم عليك فقال سمعا وطاعه ودخل بعد ذلك عقبة إلى داره واخرج الملوك الخمسه وخلع عنهم ملبوسهم وزياهم بزى مكارية العراق وصبر إلى وقت غروب الشمس وردوا البوابين الباب وركب عقبة بغلته بعدان كبر عمامته ونفش لحيته وسار ذلك الوقت كانه طالب الرشيد وأخرج بغلين مرحله برحيل المكارية وقد نزل عليها كل مايحتاجون اليه من زاد وثياب وغير ذلك وسلم البغلين الى غلامين من غلمانه وسار من ورائهم ولم يزالوا سائرين بهم الى أن وصلوا الى الباب فزعق عقبة على البواب لا تغلق فتوقف البواب عن غلقه وطلع البغلين ووقف عقبة بين أيديهم وقال لهم أنتم من عسكر العراق قالوا نعم قال أخرجوا الله معكم فخرجوا وساروا بر البلد قال لهم عقبة لا يكون طريقكم الاعلى السويديه ومن هناك تركبوا أقرب طريق الى القسطنطونيه حتى تأمنون على أرواحكم لانى أخاف عليكم من الطريق فقال الملك هو كذلك ثم ان عقبة ودعهم بعد ماأعطاهم من يخدمهم فى الطريق من غلمانه وقد ركبوا

الملوك الخيل والغلامين على البغلين وساروا فهذا ماكان منهم (واما عقبة) فانه رجع قاصد إلى سرادق الرشيد واستأذن فى الدخول فأذن له الرشيد فدخل فى المجلس محتفل بالأمراء لأجل وداع أمير المؤمنين ولما ان وقعت عين الرشيد على عقبة تزعزع له واجلسه إلى جانبه ولما استقر بعقبه المكان وتحدث مع الرشيد كل انسان وبعد ذلك قام عقبة وقبل الأرض وقال ياأمير المؤمنين العبد يشتهى ان يحظى بخدمتك إلى دار السلام فقال الرشيد على الرحب والسعه والكرامة والدعه وحق آبائى وأجدادى الطاهرين لقد اردت ان اندبك إلى هذه الفعال فرجع عقبة قبل الأرض وقال عن اذن أمير المؤمنين اجهز شغلى للمسير قال نعم فرجع عقبة إلى باب ملطيه فوجده مفتوح فدخل داره ولم يزال كذلك إلى أن دخل عليه ولده معقب وأخيه مصعب فهناهم بالسلامه فسألهم عن حالهم فخبروه ان الملك يقول لك لا تقطع كتبك عنه فشكره عقبة واخبر أولاده بما هو معول عليه بالسفر مع الرشيد والانحدار إلى بغداد فقالوا له نعم مارأيت ثم انه جهز شغله ولم يبق له عاقه وأخذ معقب صحبته وغلامين لأجل خدمته وخرج وقت السحر إلى خدمة الرشيد وان الرشيد تلك الليله لم ينام بل هو فى همة الرحيل والبطال بين يديه والاماره حاضرين هذا وعقبة دخل وقبل الأرض وجلس فقال الرشيد ماصنعت ياأباالوليد فقال ياأمير المؤمنين العبد ما بقى له شىء يعيقه ولا يطيب له المقام فى موضع لا يكون الامام فيه فشكره الخليفة على ذلك ولم يزالوا على ماهم عليهم إلى أن طلع الفجر وأمر العالم بالرحيل ونشرت الرايات ونعرت البوقات ودقت الكوسات وجنبت الخيل العربيات وركب الرشيد وقد دارت الحجاب والوزراء والعلماء وبين يديه أبوالفرج يقرأ وكذلك القاضى عقبة ودارت الامراء حوله مثل الامير عبد الوهاب والامير عمرو بن عبيدالله وسعيد بن الفرج وراشد ابن ضمرة وأبو محمد البطال وجميع الفرسان ولم يزالوا فى خدمته إلى أن وصل إلى آمد فخلع الرشيد على الامير عبد الوهاب وعلى الامير محمد البطال وعلى جميع الامراء وأمرهم بالروع فرجعوا وسار طالب دار السلام بغداد ولم يزال فى كر وجد حتى وصل إلى بغداد فخرجت العالم إلى لقاه ونزل فى دست مملكته ثم ان اللعين عقبة دخل على الست زبيده وقبل الارض بين يديها وقال لها يامولاتى وصل اليكى كلما دعوت لكى ولولدك محمد الامين عند البيت المقدس فشكرته زبيده وقالت له ياقاضى أنا اعلم أنك ماتقصد تلك المواضع الا لاجل الدعاء (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء واما الاميره ذات الهمة فانها وصلت الى طرسوس وأوصلت الامير على بن يحى الارمورى الى منزله وأقامت عنده حتى انصلح من ذلك المرض وركب الخيل وكانت مدة مقامها

فى طرسوس ثلاثة أشهر وركبت وطلبت الرجوع الى ملطيه ودخلت على الأمير على ابن يحى بعد ان عوفى من مرضه واستأذنت فى ذلك وشكت شوقها الى عبد الوهاب فقال لها أيتها الأميره لقد ملكت أعنة الأمور لما اخترت ذلك ولكن رطب اللسان بما أوليتينى من الاحسان ثم نادت الاميره فى عساكرها ان يأخذوا أهبتهم للرجوع فقضوا أشغالهم فى ذلك اليوم والثانى والثالث ودخلت الاميره الى البلد وقصدت الامير على لتودعه فدخلت عليه الغلمان وأخبروه بالاميره فخرج الأمير حافيا راجلا الى لقاها وأجلسها على سريره ووقف فى خدمتها فأقسمت عليه بجلس فجلس وأحضر السماط وأكل هو والأميره وجماعته والفرسان وخلع عليهم وقاد الى الأميره عشرين رأس من الخيـــل والعربيات وعشر ثياب روميات وعشر سيوف هنديات وسألها فى قبول ذلك فقبلتهم وخرجت طالبة خيامها والأمير على بن يحى بين يديها ولم تزل الى أن وصلت الى الخيام وقد عولت على الرحيل فى غداة غد (قال الراوى) ياساده وفى تلك الساعة طلعت غمامة سوداء فى جو السماء فامتدت حتى ملئت لآفاق وصار النهار كاليـــل الاغساق وهبت ريح سوداء عاصفة شديدة فى الهبوب حتى انها قلعت الصخر من على وجه الأرض وتقطعت الخيام والاطناب وكثر البكاء والانتخاب وودعت الاحباب بالاحباب هذا والبحر قد أرغا وأزبد وألقى ما فى جـــوفه وتبدد ولم تكن الا ساعة حتى أضاءت الدنيا بالإشراق كما يشاء الملك الخلاق وسكن ذلك الهوى وهدى البحر ورجعت بنى كلاب شالت الخيام عن وجه الأرض وجلست الأميرة فى سرادقها ودارت بها الأحباب والأصحاب وبينما الأميرة كذلك وإذا بالغلمان قد دخلوا عليها وقالوا لهـا يا أميرة على باب السرادق رجل فى زى الروم ويريد الدخول إلى حضرتك فقالت على به فعند ذلك تبادرت الغلمان عليه وأقبلوا إليه وأدخلوه إليها فلما مثل بين يديها رفع صوته إليها وقال لهم أين هى الاميرة ذات الهمة بنت مظلوم المجاهدة عن دين الحى القيوم فقالت له الغلمان هاهى بين يديك (قال) فعند ذلك تقرب منها ودنا إليها وقال أيتها الاميرة معى بشارة نصر المسلمين وتغيظ الكافرين وقد بعثنى إليكم خاتم النبيين فلما سمعت الاميرة ذلك الكلام وذكر محمد سيد الأنام نهضت قائمة على الأقدام وقربت الرجل منها وقالت له قل ما بدالك فقال أيتها الأميرة حديثى لو كتب بالابر على آمق البصر لكان أغرب لانه عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن انتهى وانزجر فقالت الاميرة قل وأوجز فقال أيتها الاميره أنا رجل ملاح يعنى نوتى أعانى عمل البحر وفى هذه الايام دخلت السويدا مع أقوام تجار وأقمنا نطلب الـسفرا إلى أى موضع كان وإذا بخمسة أشخاص قد قدموا علينا ووصلوا إلينا

وأكروا مركبنا إلى القسطنطينية وأعطونا أكثر الكرا وأقلعنا الى السويديه لجاء ريح طيبة ونحن طالبين الى القسطنطينية ولم تزال الريح تخدمنا احدى عشر يوما وفى اليوم الثانى عشر تغيرت علينا الريح ولم تزال فى لجة البحر الى أن أمسى المساء فأرمينا المراسى وقلنا نبيت ههنا ونصبر حتى ننظر ما بين أيدينا ولم تكن أكثر من ساعة حتى أخذنى النوم فنمت فأبصرت فى نومى كأن القيامة قد قامت والاهوال قد قامت والناس بين يدى الحق وقد افترقت الناس وافترق منها فرقه وبين يديها رجل جميل والناس يقولون هذا محمد ابن عبد الله قد شفع فى أمته فقلت ياليتنا اتبعنا طريقته وكنا من أهل ملته حتى تشملنا شفاعته فقمت بين يدى الخلائق وصرت له ملاصق وناديته خذنى معك واحسبنى من جملة أمتك فقال لى أتريد أن تكون من أمتى قلت نعم فقال لى اليك حاجة فان قضيتها ونطقت بالشهادة وهى كلمتى صرت من أمتى فقلت له يامولاى وما هى الحاجة قال غدا تقدمون على طرسوس وقت العصر فاقصد إلى الساحل فتجد مضارب وخيام وقباب وفرسان بنى كلاب فاقصد إلى مضرب أميرتهم وقل لها رسول الله يقرئك السلام ويقول لك ان الملك منويل وأقاربه وأصحابه فى هذه المركب وقد سألت الله عز وجل فى ردهم اليك ليتم يقين المسلمين وتذل الكفرة والمشركين وبعد ذلك انتبهت من نومى وأنا مرعوب من ذلك ولم أزال ساهر إلى أن طلع الفجر وسرنا بالمركب الى نحو القسطنطينية بكل مانقدر عليه وهو لايبرح من موضعه حتى طلعت علينا غمامة سوداء وانبسطت فى السماء وظهر من تحتها هواء عظيم فلم نقدر لانفسنا على ضرر ولا نفع بل غبنا عن الوجود ونمنا على وجوهنا كأننا سجود ولم نحس بأرواحنا الا فى مينة طرسوس فصح عندى المنام وقمت من وقتى وبادرت فى حاجة سيد الانام (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما فرغ البطريق من آخر هذا الكلام سجدت الاميرة شكرا لله تعالى وقالت وأين هى مركبهم فقال فى مينة طرسوس القديمة وما صح عندى ذلك الا بوصولنا الى المينا كما ذكر لى السيد المجتبى ﷺ فقالت الاميرة هلم بنا حتى نبصر ماقال لك رسول الله ﷺ ويقوى يقينك برسالته فقال البطريق أنا الذى رأيته فى المنام أبهى من بدر التمام ولا برحت من هذا المقام حتى أصير من حزب أهل الإسلام وأتبرأ من دين الكفرة اللئام فقالت الاميرة نعم مانظرت وجيد فيما أشرت أمدد يدك أيها الرجل السعيد الذى قد أفرغ عليه ثوب التوفيق فمد البطريق يده وقالت له الاميرة قل مخلصا صادقا أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالها ذلك البطريق وسلك فى طريق المسلمين أوضح طريق ونهضت الاميرة وذلك الرجل وأخذت معها ألف فارس من كل بطل مداعس والامير على بن يحيى صاحب طرسوس ولم تزل

سائرة والبطريق بين يديها الى أن أوقفهم على المركب فتقدم الامير على بن يحيى الى المركب ونادى ياويلكم مامعكم فى هذه المركب فقال الريس يا أمير مامعنا لا كثير ولا قليل فقال وان كان معكم يكون المسلمين ونقتلكم بعد ذلك لانكم أنكرتم منا فقال الريس هو ذاك فعندها ترجلت الاميرة وطلعت هى والرجال ولم يكن للاميرة وكد غير دماس المركب ففتحته وقالت من ينزل فما تمت الاميرة الكلام حتى صارت جماعة من السودان أسفل المركب مثل البرق اذا برق فأول من صعد منهم كان أبو زنبيل وهو ماسك بدقن الملك منويل وطلع بعده أبو الموت وهو ماسك بدقن بطريق اؤاؤه وطلع بعده ملاكم الريح ومعه الغيضورس وهو يصيح بالمسيح وطلع بعده باغض رأسه ومعه الاندرياس وقد وقع منه الاضراس وطلع بعده مناطح الصخر ومعه بطريق باغيه وعيناه مثل الجمر هذا والاميره قد سألتهم عن ولدها عبد الوهاب لايكون قد تم عليه سبب من الاسباب وصعدت الاميره من المركب وأشار الامير على بن يحيى إلى الغلمان أن ينهبوا المركب فسألته الاميره فيهم وقالت ياأميرا عندهم من الملوك خبر هذا والامير ذات الهمه مالها دأب إلا الملك منويل وقالت له ياويلك كيف كانت نجاتك من ملطيه قال لها أيتها الاميره غفل عنا الخليفه بعدما سلمنا للامير عمرو بن عبيد الله وسلمنا عمرو إلى صهره أحمد الرامى وبهذا نصرنا على الانهزام فعرفت الاميره صحة قوله وعرفت أن الذى خلصهم هو عقبة الملعون فاستخبرتهم عن ولدها عبد الوهاب فقال فى ألف عافيه فقالت مالى لاأرى مارس معكم ولا دارس فقال مارس ودارس أرسلهم الامير فى طلب الفديه فطاب قلبها (قال الراوى) هذا والأميره ذات الهمه قد وضعت الملوك فى الصناديق وحملتهم على البغال ورحلت تطوى الفيافى والاوعار حتى صار بينها وبين ملطيه مرحلتين فبعثت مبشر يبشر بقدومها لجد ذلك المبشر يوم وليله وأشرف على ملطيه إلى منزل الامير عبد الوهاب ونادى معى بشاره فسمع الامير ذلك فقال على به فلما دخل الرجل عرفه الامير لانه كان من بنى كلاب وكان اسمه مفرج بن بشير فلما وقعت عين الامير عليه ناداه باسمه وقال له ماأنت مفرج ابن بشير فقال نعم ياأمير ثم قبل الأرض بين يديه واستوى قائما وقال لك البشاره يامولاى فقال الامير بماذا يامفرج فقال يامولاى بسلامة الاميره ومن معها وانها قبضت على الملك منويل صاحب القسطنطينيه وعمه وأخوه ومن كان معه من رفقائه بالكليه (قال الراوى) فما فرغ مفرج من هذا الكلام حتى صار الامير كانه مسحور وكانه فى دنيا أخرى ساعة زمانية وقال يامفرج أحق ماتقول قال أي وحق محمد الرسول وابن عمه زوج البتول فعندها قام الامير وخلع كل ما كان عليه من الثياب وأفرغها

على مفرج وأعطاه فرس عربيه وألف دينار ذهب خليفتيه حق البشاره وأمر الامير الغلمان فدقت البشارات ونعرت البوقات وسمعت الامراء والسادات فجعلوا يهرعون إلى دار الامير عبد الوهاب وركب الامير المهاب ودارت به الامراء والاصحاب والغلمان وبعض السودان تجرى فى الركاب وساروا حتى صار وقت الغياب وبانت رايات الاميره سيدة الإعراب وكذلك ثار غبار عسكر الامير عبد الوهاب فما بقى عند الاميره جلد اصطبر عندها وجود الولد وقد قال القائل

وأبرح مايكون الشوق يوما   إذا دنت الديار من الديار

(قال الراوى) وخرجت الاميره ذات الهمه من تحت الرايات وحدها طالبه ولدها وكذلك الامير عبد الوهاب خرج من بين الغلمان ولما دنت الامير من الاميره رمى روحه من على الحصان وقبل الارض شكرا لله تعالى وترجلت الاميره وأخذت الامير إلى صدرها وقبلته بين عينيه وقد ترجلت جميع الامراء عن خيولها وكذلك الامير عمرو بن عبيد الله وسائر الامراء والاصحاب وان الامير المهاب سعى إلى بين يدى الاميرة وقبل رأسها وهناها بالسلامه والعافيه وركبت على ظهر جوادها وكذلك وتلاحقت الفرسان بالفرسان وجعلوا يهنوا بعضهم بعضا بالسلامه وقد جعلت الاميره تحدثهم بحديث الامير على بن يحى وباكرامه لها وبما كان من هذا الامر كله وباسلام البطريق وكان قد أتى فى صحبتها وجعلت له خيل وغلمان وخيام وجعلت تحدثهم كيف كان أخذ الملوك من مدينة طرسوس و الامير عبد الوهاب يشكر الله عز وجل وكانت الناس لما يصلون للاميرة يقصدون الى البطريق الذى أتى فى صحبتها وهو الملاح الذى أخبرها برؤية النبي صلى الله عليه وسلم

(قال الراوى) وصار يحدثهم بالمنام الذى أبصره والكلام الذى قاله سيد الخلق وبلغه الاميره ولم يزالوا كذلك إلى المنزل ونزلوا الناس فى ذلك الموضع وكان على حد خمس فراسخ من ملطيه وقاموا الناس إلى قرب الحر ودخلوا فكانوا على باب ملطيه قبل طلوع الشمس وخرجوا من ملطيه النساء والمخدرات ونثروا على الاميره النثار وكانت الاميره قد أظهـــرت ملك الروم وعمه وأخاه والبطريق الذين كانوا معها فى الصناديق ونظروهم العالم على التحقيق ودخلت الاميره إلى ملطيه ووصلت إلى منزلها وأمرت بتقييد الملك منويل ومن معه من أصحابه وثقلت قيودهم بكل ماقدرت عليه وسجنتهم فى دارها وأمرت الامير أبو محمد البطال وغلمانه بحفظهم وكان افرح الخلق بذلك الأمير أبو محمد لأجل انكسار غرض عقبة بما قد فعلت الأمير ذات الهمه وكيف أخذتهم ثم ان الأميره كتبت كتاب إلى الرشيد تعرفه كيف اخذت ملك الروم منويل وعمه وأخيه والذى معهم وكلما تم لها من أوله

إلى آخره وأعطت الكتاب للبراج فعلقه على طير من طيور بغداد وكذلك على أجنحة الطيور كانت تقضى الأمور وما أمسى المسا وأتى آخر النهار الا والطيور فى بغداد وكان أول طير وصل الذى أرسلته الاميره ذات الهمه فأخذه البراج وقدم به الخليفه

(قال الراوى) وكان الرشيد فى ذلك اليوم جالس ومن حوله أرباب دولته ورؤساء مملكته وكان القاضى عقبة أقرب الناس اليه وفى ذلك الوقت دخل البراج ومعه الحمام فسلم وقبل الأرض وقدم الطير فقال الرشيد من أين هذا فقال يامولانا من حمام ملطيه فأخذه الرشيد وفك ختمه وقال اللهم اعطنا خيره واكفنا شره ثم فضه وقراه فتلالا وجهه واستبشر وضحك وقال وحق آبائى الطاهرين هؤلاء مسعودين وعلى أعدائهم منصورين فقال الوزير الذى يحب عبد الوهاب وبنى كلاب وما هو ياأمير المؤمنين شىء مارأينا مثله لاقبلها ولا بعدها ثم انه أرمى الكتاب اليه وقال له اقرأه على الجماعه فابتدأ الوزير وقرأه ففهم الناس معناه فتعجبوا الجماعه وفرحوا بذلك إلا الملعون عقبه فانه زاد بلاه وكربه وجواه والوزير يقرأ الكتاب والرشيد يضحك ويدق بيد على يد فلما فرغ الوزير من قراءة الكتاب أمر برد جوابه الى الاميره وولدها الأمير عبد الوهاب وهو يوصيهم فى الكتاب بسرعة حضور الملوك الكلاب فقال السمع والطاعه ثم كتب الكتاب وأحسن فيه اللفظ والخطاب وناوله للبراج هذا والرشيد قد طلب النوم فنهض كل من كان فى المجلس الى منازلهم وكذلك اللعين عقبة نهض وركب بغلته وقد انفطرت مرارته وسار الى داره ودخل على أولاده ولطم بمداسه على رأسه حتى بذر الدم من تحت أضراسه وخرق جميع لباسه فتقدمت اليه أولاده وقالوا ياأبانا قل لنا ماالذى جرى عليك وماوصل اليك فجعل يحدثهم بوقوع الملك منويل ومن معه فى يد الأميره ذات الهمه وكيف أخذتهم من طرسوس ولم يزال يلطم بيديه على رأسه حتى غمى عليه هذا وأولاده قد يئسوا من حياته وأيقنوا بوفاته ولم يزال اللعين عقبة فى غشوته الى ان تنصف الليل فأفاق على نفسه وجعل يقول وحق دينى ما المسيح الا مسلم ويفزع من هؤلاء القوم وما يقدر أحدا يفعل أكثر من هذا ثم انه ابتدأ وكتب كتابا فى أوله كلمة كفرهم أما بعد فان الذى نعرف به الملكة قالون أم منويل اننى دبرت على خلاص الملك ومن معه وسيرتهم الى السويدا ونزلوا فى البحر طالبين القسطنطينيه فرجع ردهم المسيح الى مدينة طرسوس فكانت الاميره ذات الهمه هناك فأخذتهم ورجعت الى ملطيه وقد بعث خليفة الاسلام فى طلبهم وهم لاشك يصلون الى مدينة بغداد وقد اجتهدت غاية جهدى وما بلغت قصدى وهذا جملة ما عندى (قال الراوى) وطوى الكتاب وسلمه الى ولد من غلمانه وسيره

من بغداد الى القسطنطونيه والكتاب معه وكان خروجه مع فتوح الباب (قال الراوى) هذا جرى من القاضى عقبة وأما البراج فانه عند الصباح ترك كتاب الرشيد على جناح الطائر الذى لملطية وأطلقه فلم ينتصف النهار حتى قدم الطائر على البلد ونزل على برجه فأخذه البراج وأتى به الى الأمير عبدالوهاب فأحضر الأميره ذات الهمة وأبو محمد البطال وخواص الرجال وفض الكتاب وأمر البطال أن يقرأه فأخذه أبو محمد بيده وتميزه واذا فى أوله الاسم المعظم الذى من قاله ومسح به على وجهه حرم لفحات النار أما بعد فقد وصل كتاب الاميره ذات الهمه المجاهده ووقف أمير المؤمنين على نظمه وهو يحمد الله عزوجل على ذلك ويشكره ويريد جواب هذا الكتاب انحدار الأمير عبد الوهاب الى بغداد ويكون صحبته ملوك الروم ومالى عنده وصية الا سرعة الايجاب وحث الركاب فان أمير المؤمنين يريد يشاهد عذابهم ويذل رقابهم وقلوب السلاطين أبكار لا تقدرعلى الانتظار وصلى الله على سيدنا محمد النبي المختار كلما ترنمت الاطيار وهبت نسائم الاسحار وطرد الليل النهار (قال الراوى) ولم يمسى المسا حتى تجهز الامير للمسير وأخرج الملوك وثقلهم بالحديد ووضعهم فى الصناديق وعند الصباح اختار الأمير ألف فارس تكون معه من وجوه قومه وأكابر عشيرته وتوجهوا سائرين الى دار السلام بغداد ولم يزال الأمير سائر الى آمد وطلعت اليه الاقامات والعلوفات ولم يزال الأمير كذلك الى ان وصل الى تكريت وبعث الامير بشيرا بذلك فعاد مسرور الى الرشيد وأعلمه بوصول الامير عبدالوهاب فأمر الرشيد لمسرور ان يأمر العساكر بالركوب الى لقاء الأمير عبدالوهاب وكذلك الأمراء والفقهاء والعلماء والوزراء والأصحاب (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يبق أحد فى بغداد إلا وخرج الى لقاء الأمير عبدالوهاب وخرج القاضى عقبة وقد كبر طيلسانه وأرخا أردانه ونفش لحيته وخرج وهو يدعو للامير عبدالوهاب والامير أبو محمد البطال بالنصر والظفر على الاعداء وقلبه منفطر المرائر لما رأى الرايات نشرت والاعلام والصناجق وظهرت البيارق والرايات السلطانية والاعـــلام وخرج الخليفه الى لقاه وكذلك الدولة وفى أوائلها الوزير ذو الرياستين وهو أفرح الخلق بقدوم الامير عبدالوهاب وزينت بغداد وغلقت الاسواق واصطفت البنات الابكار ونثر على الامير عبد الوهاب النثار وقد ظهر ملك الروم للأبصار وعقبة بين يدى خليفة الامصار وهو يقرأ نصر من الله وفتح قريب وفى قلبه من ذلك نيران اللهيب ولم يزل الامير سائر الى باب الدركة الخاص والملوك بين يديه فدخل الى الباب السادس وقد فرح الرشيد بذلك ووثب الى لقائه من أول الدهليز السابع وهذا شيء لم يناله أحد من البشر من الخليفة ولما وقعت عين الامير

عبد الوهاب على عين الرشيد انكب على وجهه وجعل يقبل الارض مرارا عدة فأخذه الرشيد بيده ودخل الى مرتبته فلما دخل الى قصره أمر أن ينصب للامير عبدالوهاب سرير من الابنوس بين يديه وكان ذلك اليوم أقرب الناس اليه وأخذت الخواص كل منهم موضعه ومرتبته هذا والرشيد جعل يستخبره عن بداية الحديث ولما فرغ الامير من حديثه استخبر الرشيد عن بنى كلاب والأمير يقبل الأرض ويدعو له بالبقاء والدوام وفى ذلك الوقت مدوا السماط وقعدت الأمراء فى مواضعها والوزراء فى مراتبها والأمير عبدالوهاب بين يدى الرشيد ولما أكلوا الطعام غسلوا أيديهم وقعدوا للحديث وأما بنو كلاب فانها نزلت فى المواضع المعروفة ونقلت إليهم الطعامات والحلاوات والملوفات وكان ذلك بشورة الوزير ذو الرياستين لأنه زاد فى إكرامهم وبعد ذلك وثب الرشيد من على سريره وخلع كلما عليه من اللباس وأفرغها على الأمير عبدالوهاب وقاد بين يديه الخيل العربيات وأما الملوك فان الرشيد أمر بتثقيل الحديد عليهم بعدما هددهم بالقتل هذا وعقبة قد انفطرت مرارته وقل صبره وجلده قال وما خرج الأمير فى ذلك اليوم من حضرة الرشيد إلا وقد بلغ المنا وكلما يريد وسار إلى خيامه وبين يديه الغلمان والعبيد ونزل الأمير فى سرادقه هذا جرى ههنا وأما قالون أم منويل فكان قد وصل إليها كتاب عقبة الذى كان قد أرسله قبل مسير مارس ودارس من ملطيه وهو يقول لها لا تعجلى بالفدية لأنى قد عوات أن أخلص ولدك ومن معه من الملوك المأسورين فلما سمعت قالون ذلك طاب قلبها ووصل مارس بعد كتاب عقبة فجعلت تماديه بالفداء يوم بعد يوم إلى أن ورد عليها كتاب عقبة الثانى الذى كتبه عند قدوم الأمير عبد الوهاب بالملوك إلى بغداد فلما قرأته وفهمت مافيه قامت عليها القيامة وأحضرت مارس وأخاه وقرأت كتاب عقبة فأظهروا لها الغم والهم وتواترت بذلك الأخبار وقدمت بذلك المسافرين بهذا الخبر والحديث وقالون نالها منا ل عظيم وقالت هم على إحدى الحالتين اما أن يقتلوهم واما يطلبوا منهم الفدية وأقامت تنتظر الرشيد أن يكاتبها فى أمر الفدية مرة أخرى فجمعت وجوه قومها وأكابر دولتها وقالت لهم قد علمتم كلما عمل الشيخ النجيح لكن ما وافقته المقادير وجاء الأمر على مالا يريد. وكان قد بعث قبل قدوم مارس ودارس كتاب وقد ذكر فيه أنه يخلص الملوك فبطلت أنا الفدية والآن فقد صح أخذهم من مينة طرسوس مرة ثانية بعد ما خلصوا وأخاف من خليفة المسلمين أن يهلكهم فأنا أراسله من أجل الفدية وأقول ما أخرت الفدية إلا لسبب من الأسباب وذلك أن المال كان عندى قليل وفى هذه الايام ورد على حمل اقاليم وأعتذر اليه بكل ما أقدر عليه فقالت البطارقة نعم ما رأيتى قال وكانت قالون قد أطلقت الوزير

البركموش من السجن لما توانرت الأخبار على أخذ ولدها وجعلت تنعم على أرباب الدولة وكان الوزير المذكور ذلك اليوم حاضر مع أرباب دولتها فأمرته أن يكتب إلى الخليفة كتاب على لسان قالون فيه تقول معلوم يا أمير المؤمنين لو رمت القتل ما بقيت وليس المقصود إلا أن تجريهم على كما هو المعهود من احسانك لأن قتلهم ما فيه فائدة وإن كان المقصود المال فعندى ما أفرج به عن ولدى وعمه وأخيه (قال الراوى) وسلمت الكتاب للرسول وأمرته أن يسير على طريق ارمينا لأنها أقرب الطرق فأخذ الكتاب وجعل يسير الليل والنهار والغدو والأبكار حتى وصل الى بغداد وقصد الى الخليفة واستأذن له فى الدخول فدخل رسول قالون على الرشيد وقبل الأرض وأظهر الكتاب وسلمه الى الرشيد فأخذه الوزير من يده وبعث الرشيد أحضر أرباب دولته مثل الأمير عبد الوهاب والفضل بن الربيع وعقبة ومن له فى المشورة عادة فلما كملت أرباب الدولة أمر الرشيد الوزير أن يقرأ الكتاب ففك ختمه وقرأه على الحاضرين وفهموا ما فيه فقال الرشيد هذا كتاب قالون أم منويل تذكر فيه الفدية فكم نلتمس منها من الفدية فقالوا قوم يامولانا ثلثمائة ألف دينار وقالوا آخرون خمسمائة ألف فقال ما فيكم من أتى على غرضى ثم التفت الى الوزير وقال أكتب اليها جوابها وقل لها أما ما ذكرتى من اهراق دم ولدك فلا حاجة لنا فيه ولكنا نريد الفداء فان كان لك حاجة بولدك ومن معه فعلى أن أمهلهم وعجلى المفاداة ويكون خمسمائة ألف دينار ذهب أحمر وثلثمائة ثوب حرير أخضر وجواهر ويواقيت تزهر قال فأجابه الوزير إلى ذلك وكتب ما أشار به الرشيد وأعرضه عليه فاستعاده وسلمه إلى الرسول فأخذه وعاد فى الطريق التى أتى منها وجد فى سيره حتى أتى مدينة القسطنطونية ودخل على قالون وسلم اليها الجواب فلما صار فى يدها استخبرت مارس ودارس والوزير وناولتهم الكتاب وأمرت بقراءته ففضه وقرأه حتى أتى على آخره وفهم كل من حضر ظاهره وباطنه فقالت لمارس ماذا ترى من الرأى فقال الذى أراه ان قلامة ظفر منويل أحب إلى بكل من فى الدنيا ومن عرف اما يطلب هان عليه ما يبذل فاياك ان تنظرين فى الاموال التى تذهب منك وانظرى فى الذى يرجع اليك فبادرى باخراج الاموال والسلام فقالت قالون وحق المسيح لقد نطقت بالصحيح وتكلمت مليح فتولى انت هذه النوبة فقال سمعا وطاعة ثم أمرت الغلمان باخراج الاموال والذخائر والجواهر واليواقيت والثياب وعباها فى الصناديق وكان هذا كله فى عشرة أيام ثم دخل على الملكة فى اليوم الحادى عشر وقال لها أيتها الملكة قد عبيت خمسمائة ألف دينار غير ما يتعلق بالثياب والجواهر واليواقيت

(قال الراوى) وكان مراد مارس ان يفقر بيعة الروم فقالت له قالون امضى إلى البيعة وخذ منها حاجتك فقصد مارس ودخل بيت المذبح واستولى وأخذ ما فيها من الاوانى واليواقيت وغير ذلك من الذهب والستور والقناديل والكراسى وفى الجملة كرسى عاج مصفح بالذهب الوهاج يسوى مافى العراق من الخراج وكان ذلك الكرسى عند منويل لقراءة الانجيل ثم جمع القساقسة والرهبان والبطارقة وقال لهم يا علماء النصرانية وأصحاب الملة المسيحية اعلموا ان الملك مقبوض عليه عند خليفة المسلمين وهو فى العذاب والهوان والذى عندنا من الأموال لا يوفى بالمبلغ الذى تقرر عليه وقد استفرغنا مال بيعة سوفيا ومع سلامته ورجوعه إلى القسطنطونية يرد عليها أضعاف ذلك فلا يكبر ذلك عليكم ومن كان منكم عنده ذخيرة فليأتى بها حتى يكون له عند الملك اليد البيضاء فقالوا سمعا وطاعة وحبا وكرامة ثم نهض كل منهم إلى قليبته وغاب ساعة وقدم بكل مايقدر عليه ومارس يأخذ منهم ويعبى فى الصناديق فلم يأتى المساء حتى تجهز للمسير وصحبته الغلمان وفى ذلك اليوم رفعت الصناديق على البغال وقضيت الأشغال وسار مارس هو وغلامه وقد استقبل بلاد الاسلام ولم يزال سائر حتى وصل إلى حصن الكوكب والقلعة الشهبا فنزلت الاميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال الى استقباله ونظروا الى ما معه فسبحوا الله تعالى وعظموه وعلموا أنه أهلك القليل والكثير وأفقر أهل منويل ونزل مارس تحت القلعة ذلك اليوم وتلك الليلة ولما كان الليل دفع للأميرة كل شىء نفيس مما كان أعده لها قبل خروجه من القسطنطينية بغير علم قالون وعند الصباح دخل مارس واستأذن فى الرحيل وقد بعث معه خيل تخفره الى الموصل ومن الموصل خرجت خيل تخفره الى بغداد وجد مارس فى سيره حتى وصل نصيبين فرجعت بنو كلاب (قال) ولما أشرف مارس على بغداد بعث غلام من عنده الى عند الأمير عبد الوهاب يبشره بقدوم الأموال لجد ذلك الغلام حتى وصل الى منزل الأمير عبد الوهاب ووقف على الباب الذى للسرادق وسأل بعض الخدم على الأمير فقال له ها هو فى الدار التى أفردها له الرشيد وما يأتى الى ههنا الا بعد ساعة وهو وقت مد السماط فما حاجتك اليه فاخبره أنه رسول مارس الى عند الأمير فدخل الخدم معه الى الدار وأخبره بذلك فقال على به فاحضروه بين يديه فلما وقعت عين الرجل على الأمير عبد الوهاب جعل يقبل الارض فقال الامير مامعك يامبارك فقال يامولاى سيدى مارس بعثنى اليك أعرفك بقدومه بالاموال التى معه ففرح الأمير بذلك ونهض من وقته وساعته وركب الى باب الخليفة واستأذن فى الدخول عليه وأدركه الرسول وقبل الارض وسلم فقال الرشيد أهلا وسهلا بسيف الإسلام هذا وعبد الوهاب قبل الارض مرة ثانية وقال

له يامولاى قد وصل الى الساعة رجل من غلمان مارس يذكر أن مولاه قد وصل والاموال فقال الرشيد الحمد لله وأمر الامراء بالمسير الى لقائه وكان ذلك من أكبر المسرات عند الامير عبد الوهاب لانه صاحبه ومحبه قال فخرج الامير من عند الرشيد وقصد إلى سرادقه وأمر أصحابه بالركوب وركب بعد ماخلع على الرسول خلعة وأوهبه خمسين دينار وسار من وقته حتى لاحت له غبرة مارس تحرك إلى لقائه وكذلك البطريق فلما وقعت العين على العين ترجل مارس للامير وقبل الارض وهم الامير ان يترجل فأقسم عليه ان لايفعل ثم ركب مارس وسار إلى جانبه والامير يستخبره عن أرض الثغور وهو يخبره وأوصل اليه سلام الأميره وسلام أبو محمد وجل يحدثه بكلما وصل معه من الاموال ولم تكن الساعة حتى وصلوا إلى الجسر وعبرت الغلمان ومعها الصناديق ووصل الامير عبدالوهاب وقدوصلت الاموال من أجل الفداء ياأمير المؤمنين وسؤال المملوك ان تحضر الوكلاء لقبض الأموال فأمر الرشيد بقبض مامعه جميعه ورجعت الوكلاء إلى الرشيد وأعلموه بكل ماقبضوه من مارس الحاجب فقال الرشيد لاملك الا ملكك يارب العالمين ثم أمر باحضار منويل وأخيه وعمه ومن معه فلما حضروا قبلوا الارض ودعوا وخدموا فأمر الرشيد بإزالة حديدهم وخلع على الملك منويل وأوهبه خمسة رؤس من الخيل ثم خلع على عمه وكذلك من كان معه وأمرهم بالمسير إلى بلادهم فقال منويل يا أمير المؤمنين أريد الهدنة بما أردت من الأشهر والسنين وعلى ما تطلب ويطيب قلوب المؤمنين فأجابه الرشيد إلى ذلك وأمر الوزير ذوالرياستين بأن يكتب له كتابا بالهدنة فأجاب الوزير بالسمع والطاعه ونهض الوزير وخلا بنفسه وكتب للقوم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم لاإله إلا الله وحده لا شريك له جل جلاله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد فان منويل بن لاون بن ميخائيل بن نوفل التمس الهدنه من أمير المؤمنين فأجابة الى ذلك بما شرط على نفسه من أداء الحمل المذكور فى كل سنه لايحول عنه ولا يزول طاعة لله ولرسوله واذا طالبوا الاسلام سالموه وكتب الرشيد فى اليوم الفلانى فى الشهر الفلانى فى السنة الفلانيه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قال الراوى) ولما كان من الفداء جلس الرشيد على سرير ملكه وأقبلت الأمراء والأصحاب إلى خدمته وأقبل الأمير عبدالوهاب وبنو كلاب فأمر الرشيد باحضار الملك منويل وأصحابه فدخلوا وعقبة قد كبر عمامته وقص لحيته وجنح طيلسانه وأرخا أردانه وقبل يد الرشيد وجلس بجانبه الأيسر والأمير عبد الوهاب من اليمين والمجلس قد احتفل وانقض بالعالم وقد شمله هيبة الخلافه فلم يستطيع أحد من الجالسين ان يتكلم

لاقليل ولا كثير فأمر الوزير ذو الرياستين لبعض الخدام أن يناوله الكتاب الذى فيه الهدنه فناوله اياه فقام الوزير على الأقدام واستأذن الرشيد فأذن له بذلك فقبل الأرض وقرأ الكتاب على رؤس الاشهاد جهرا ولم يخف عن أحد سرا وما أتى على آخره حتى تقطعت من عقبة خواصره ثم تقدم الوزير ووضع الكتاب بين يدى أمير المؤمنين وعاد الى مكانه فعلم عليه الرشيد وختمه بخاتمه وأرمى به الى منويل فنهض وقبل الأرض ساعة زمانيه فقال له الرشيد اجلس فقال له منويل بقى للعبد حاجه واحــــده والمملوك يحب قضاها فقال الرشيد اذكرها على رؤس الاشهاد فقد بلغت المراد فقال أريد أخذ يد أمير المؤمنين حتى يطيب قلبى ويخف كربى وتصح الهدنه فناوله الرشيد يده وعاهده على كل ماأراد لطف من الرشيد وســـداد واستأذن منويل الخليفة فى الانصراف بعد تقبيل الأرض فخلع عليه الخلع السنيه وأمر الامير عبد الوهاب بالعوده الى بلاده فامتثل الامر بعد ماخلع عليه الرشيد وأرضاه وأعطاه من الاموال والتحف ما أغناه وكذا أمراء بنى كلاب والسودان الانجاب وأمر العسكر بالمسير إلى أوطانها فتفرقت العساكر وبعد عشرة أيام لم يبق لأحد منهم على بغداد أثر هذا جرى لهؤلاء (وأما الأمـــير عبد الوهاب) فانه سير ملك الروم الى ان وصل الى رأس درب مرعش وهو أول بلاد الروم وأمنوا على أرواحهم ورجع الأمير الى ملطية وهو مسرور وكذلك الاميره ذات الهمة وطابت قلوب الناس وقروا فى أوطانهم وأنست بهم جيرانهم وصفت القلوب وانجلت الكروب (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما الرشيد فانه لما أطلق ملك الروم بطل الضمانات وأطلق المحابيس وأخرج الصدقات وعمر المساجد وزاد فى أوقافها وكذلك المدارس وكسا الأرامل والأيتام وكان نذر ذلك سابقا وقال نذر على اذا وصلت الى بغداد وفرحت الناس وأمنت الطرقات وخمدت الفتن الثائرات وأقبلت الولاه على حفظ البلاد وأتوا الى خدمة الرشيد وهنوه بالسلامه فشكرهم على ذلك وخلع عليهم وجدد لهم المناشير وردهم الى بلادهم واما كنهم هذا جرى فى العراق (وأما الامير عبـــد الوهاب) فانه أطاعته الاعراب وولات الامور والصحاب ودارت به الاولاد والاصحاب وكان من أقرب الناس الى الامير عبدالوهاب أبو محمد البطال وكان الامير قد صنع دار ضيافه وكذلك جعل ميدان للعب الصبيان كل صباح تطلع الفرسان وتلعب بالسيف والسنان والامير يحكم بينهم بالزيادة والنقصان بين أولاده والخلان وكان الامير قد صح فيه كلام الملك الديان اذ قال ربنا جل وعلا فى هذه الآية الشريفة المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكان قد اكتمل للامـــير عبد الوهاب خمسة أولاد كانهم

الآساد قشعم وضيغم وسيف الحنيقية وظالم وابراهيم وكان افرح الخلق بهم
(قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من اللعين عقبة فانه كان كلما نظر المسلمين مطمئنين ومن الخوف آمنين قد ذابت مهجته وتفتت كبده وزادت بليته وانه من عظم ما لحقه وتفكر مايعمل ويدبر من الحيل حتى انه يسفك دماء المسلمين ويوقع الفتن بين الطائفتين ومن عظم همه كتب إلى ملك الروم كتابا يستحثه على القدوم ويقول فى كتابه بعد كلمة الكفر ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أما بعد أيها الملك أقسم عليك بحق المسيح ومريم ان لاترحم على وجه الأرض مسلم ولا تهمل أمر المسلمين فتكون مهين أتريد المسلمين ان تهجم عليك أو توصل أذيتها اليك وما غزى قوم فى ديارهم قط وأفلحوا ولا قعدوا عن نصرة دينهم ونجحوا فالبدار قبل ان يغضب عليك المسيح والشيخ النجيح العجل العجل قبل فوات الامل قبل ان يصيروا امثلا بين الانام وتجور عليكم الليالى والايام فكاتب سائر الملوك واجمع كل غنى وصعلوك وكل فارس صنديد وبطل مجيد وعجلوا بالقدوم على والوصول إلى فانكم قد توطنتم وتركتم الغزو وتبعتم جمع المال فى الكنوز وغفلتم عن الاسلام وتركتموهم فى أرغد عيش نيام ولابد ان الموت قددنا منكم والصواب قد انتقل عنكم هيهات هيهات ان تفلحوا وأنتم عن أهل ملة الاسلام غافلون لقد غضب عليكم السيد المسيح واستعجزكم الشيخ النجيح ولكن قتلكم ان يغزوكم المسلمين فى دياركم ويقلعون آثاركم وما غزا أحد فى دياره وأفلح وقد أعذر من أنذر والقصد من همتكم الخروج فى هذا العام فهوعام الظفر والنصر وإذا وصلتم إلى قرب بلاد الاسلام فأخبركم بماتصنعون وهاأنا مقيم فى بلاد العراق لابدد دين الحنيفيه واعمل فى نصرة ملة النصرانيه والسلام على من يعمل عملا يكون له ذخيرة فى العقبى ثم سلم الكتاب إلى غلامه شمعون وأمره بالحث فأخذه وسار إلى أرض القسطنطينيه واتفق دخوله اليها يوم الأحد وسائر الملوك فى الكنيسه وقد رفعت الصلبان وفاحت رائحة العود وكفروا بالملك المعبود وقد كذبهم الله سبحانه وتعالى بقوله قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (قال) وكان الملك قد اجتمع بالبترك الكبير وهما عند المذبح وقد خطر عقبة فى باله فقال ياأبونا لقد انقطعت أخبار الشيخ النجيح عنا فقال البترك لابد أيها الملك المهاب ان يكون ذلك بسبب من الاسباب فما فرغ البترك من كلامه وشمعون قد أقبل بكتاب مولاه عقبه فقبل الأرض وخدم وباس يد البترك ويد الملك وسلم اليهما الكتاب فوقف عليه فقال الملك وحق المسيح ماأعرف لدين النصرانيه ناصح غير عقبة العبد الصالح ثم أمر الوزير ان يكتب نسخة كتابه فى سبعة عشر كتابا وهو يأمر

البطارقه والملوك بالغزو إلى بلاد الاسلام فأجابوا بالسمع والطاعه ثم انهم أنفذوا الجميع إلى سائر الاقاليم ثم ان الملك برز بنفسه من وقته وساعته وخرج الى باب الذهب وقال للبترك يكون رحيلنا بعد عيد الشعانين (قال الراوى) وأقام الملك فى انتظار العساكر والملوك وأمر الوزيران يكثر من الزاد والمؤنه وقال قد شبعت من هذه الدنيا واشتقت للوفاه والآخره الابديه وأريد أجاهد المسلمين فلعلى أجد الى النجاه سبيل هذا وان الجواسيس الذين للامير عبدالوهاب كانوا فى القسطنطونيه فلما رأوا الملك جيش الجيوش وهو طالب الغزو إلى بلاد الاسلام فعند ذلك قصدوا إلى الأمير عبد الوهاب وأعلموه بأخبار الكفرة اللئام وعزمهم إلى الخروج إلى بلاد الاسلام فلما سمع الامير ذلك عظم عليه وكبر لديه لأن عساكره متفرقه (قال) ثم ان الأمير عبد الوهاب ركب إلى دار الامير عمرو بن عبيد الله وأخبره بما قد تجدد عنده من الأخبار وأوقفه على جلية الآثار فلما سمع الأمير عمرو ذلك من كلام الأمير عبد الوهاب قال انالله وانا اليه راجعون والمستعان بالله على خروج هذا الملعون والله أيها الاميران أكثر العرب الذين لنا فى الحلل متفرقه والصواب اننا نكتب إلى أمير المؤمنين وامام المسلمين هارون الرشيد ونخبره بما قد تجدد فى بلاد الروم من هذا الخبر المذموم ليجرد الينا العسكر ويظهر نفسه الشريف وهمته العباسيه فقال الأمير عبد الوهاب نعم مارأيت ثم انهم كتبوا المطالعات وأنفذوها على أجنحة الطير للمواقف الشريفه قال فبينما الرشيد جالس وإذا بالبراج قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وقال ياأمير المؤمنين هذه الكتب قد وصلت من الثغور على أجنحة الطيور قال فأمر الرشيد بقراءتها فقرؤها وفهم الخليفة معناها هنالك ظهر عليه الغضب فقال وقد بلغ من قدر هذا الملعون أن يغزو بلاد الاسلام والمسلمين ويعزم على الخروج إلى بلاد الموحدين أقسمت بالذى رفع السبع الطباق وحمل نبيه محمد ﷺ على ظهر البراق لأرسلن اليه جيوش تملا سائر الآفاق يكون أولها فى بلاد الروم وآخرها فى بلاد العراق بالرماح الرقاق والحراب الرشاق والخيول العتاق (قال الراوى) ثم ان الرشيد أمر أن يكتب الكتب إلى سائر الاقاليم بجمع الإبطال ويسير الرجال ويفرق الاموال

(قال الراوى) وكان الملعون عقبة حاضر فى جملة أرباب الدوله فعند ذلك نادى يابن السلالة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ثم ترى ثمرة هذا القول فى الدار الآخرة فجهز كتائب الاسلام إلى الكفرة اللئام وعلى الباغى تدور الدوائر ثم ان اللعين عقبة بكا بخشوع وابتهال وانهمال دموع ثم نادى لقــد قرت كل العيــون وعين رسول الله ﷺ فى جهادك فى سبيل الله وأقسم بالله العظيم والنبى الذى هو مفضل

صلى الله عليه وسلم لأسيرن اليهم على رؤس المواكب ولا نزلت بهم المصاعب ولاحان بهم النوائب ولاخرجن من مالى فى سبيل الله فوق الواجب وأنفق الباقى فى سبيل رب المشارق والمغارب فلعل الله ان يقضى حمامى من تحت طنين السيوف فى الجهاد ثم انه بكا برقيق وحرقه ونحيب وشهيق فبكت الناس لبكائه وقال لعلى أموت (قال) فلم يلتفت الرشيد اليه وأقام ينتظر قدوم العسكر من جميع الاقطار والامصار هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من ملك الروم منويل فانه وصلت اليه الملوك والعساكر من النصرانيه واجتمع له على باب القسطنطينيه ألفين الف بطريق يقدمها عشرة آلاف جاثليق بالسيوف الافرنجيه والدروع الداووديه والحراب المسقيه والاوهاق المغلبيطيه وأحضر الملك منويل جميعهم والبترك قبل ان يضرب بوق النفير وقال له أريد أن تصلى علينا صلاة الموت فقد وهبت الروح للسيد المسيح والشيخ النجيح فقد وصلنا خبره وهو الرحمة النازله التى ليس دونها حجاب ودعاؤه هو الدعاء المستجاب (قال الراوى) فعند ذلك صلى عليه البترك صلاة الموت ثم انه بعد ذلك أمر بالرحيل وكان السبب فى ذلك كتاب عقبة الملعون الميشوم المنحوس الطلعه على المسلمين والروم ثم إن مارس وداوس لما رأوا الملك وقد عزم على الرحيل فكتبوا إلى الامير عبد الوهاب يعلموه بالحال وما قد جمع الملك من العساكر ويقولون فى كتابهم الحذر الحذر من قبل نزول القدر ونزول هذا العسكر ولكن لامفر من القضاء والقدر ثم انهم جهزوا الكتاب مع بعض غلمانهم فسار عند ذلك إلى ملطيه وهو مختفى لكى لايعرفه عقبة أو أحد من الروم ولم يزال كذلك فى جد السير إلى ان وصل الى ملطيه واستأذن على الامير بالدخول فأذن له فلما دخــل عليه عرفه فقال له ما هذه الاخبار يا مبارك فناوله عند ذلك الكتاب فأخذه الامير وفضه وقراه وتبين ما فيه وعرف معناه فلما علم الامير عبد الوهاب جمع اليه الامراء والكبراء والسادات والامراء من بنى سليم وبنى كلاب كاشفين الكرب والضيم وأطلعهم على ما فى الكتاب فلما سمعوا ما فيه والامير عمرو بن عبيد الله معهم قال يا سيد الامراء والابطال نلقاهم بقلوب معوده للطعان والضراب وقد وصل اليه الخبر بالنجدة التى يبعثها الامام الذى أنارت به مصابيح الظلام وشرفت به الانام والمسلمين منتظرين قدوم عساكره قبل عساكر الكفرة المشركين ووصل كتاب أمير المؤمنين الرشيد يقول فيه حصنوا أصواركم بالمناجيق والفراداة والطلاقات واحفروا الخنادق واستعدوا للقتال فقال لهم الامير عبد الوهاب عند ذلك نعوذ بالله الواحد الجبار ان نقاتلهم من وراء الاصوار وان نستتر بالجدران ولابد ما نلقاهم على بعد من بلادنا بمسيرة ثلاثة أيام ونستعين بمن له البقاء.

والدوام ونضربهم بالسيف ونفلق منهم الهام عن نحرات الاجسام وندع الدماء تسيل على صفحات اللحا والحوام اذا دنا الغيث وسط الغمام وكيف نصبر حتى تظفر بنا الاعداء فى ديارنا وانها وكسه فى حقنا لكن نطلب النصر من باسط الارض ورافع السماء وعلينا ان نبذل النفوس فى طاعة الملك القدوس ونستعين بالملك الفتاح وندعوا الله عزوجل بدعوات خفيه فلعلنا نفوز بالنصر وننال الفلاح ثم انه أنشد وقال

الشيب قدلاح وحان الرواح ❊ لما انقضى الليل وجاء الصباح
فأين عصر الصبا بل أين أيامه ❊ وموقع اللهو وطيب المزاح
وطاعة الخالق خير لنا ❊ من الذنوب المهلكات القباح
ان طلب الانسان عز فما ❊ يناله الا بطعن الرماح
ومن أحب الله سبحانه ❊ لايخش فى القتل ومر الجراح
من طلب الجنة فى نفسه ❊ جاهد فى الله وحاز الصلاح
لا يصلح الموت لمن يرتجى ❊ مشاهدة تعقب أوفى نجاح

(قال الراوى) ثم انهم اجتمعوا للمسير إلى لقاء الأعداء فى طاعة المولى فقال البطال للامير عبد الوهاب والاميره وظالم وسيف الحنيفية وبرد بن الازهر وقراقد وأبو الهزاهز وهارون العلوى والمسلمين اعلموا أيها المسلمون أن هذا العساكر قد طبقت الفلا وملأت المستوى وان كلب الروم ما يخرج فى هذه العساكر كلها الاهو يريد خراب بلاد الاسلام ونحن نسأل الله تعالى أن يدفع عنا شر هذا البلاء ثم ان أبو محمد قال لغلمانه يا أولادى اعلموا اننى قد عولت ان أدخل الى الدروب التى فى الطرقات ثم اننى انحدف الى عسكرهم وأنظر الى ما هم عليه من الاوصاف وأطلع على أحوالهم وأرى ما فيه من الصلاح والنجاح للمسلمين ان شاء الله تعالى وأكتب لهم كتابا بما أريد ثم ان البطال أخذ غلمانه ودخل الى بلاد الروم من ناحية جبال الارمن من جانب البادروك ثم انه توصل إلى دير النذور لانه يقارب القسطنطونيه بعشرة أيام إلا أنه فى جانب الشمال من جهة البحر وبينه وبين عسكر الروم أوديه تعرف بأودية السيل وفيه جبل عظيم يعرف بالقاطع وبالقرب منه دير مانوس وهو معمور بالرهبان والقسوس ويعرف هذا الدير بدير النذور وهو كبير القدر عند الروم لانه على جبل شاهق فى الهوى وله اثنى عشر برج من الحجر الاملس الأسود والصخر الجلمد لايدب عليه النمل ويلمع كلمعان السيف المهند وفى ذلك الدير خلق كثير وكان أكثر من يترهب فيه بنات الملوك وأولادهم وكل من يترهب يقيم فى ذلك الدير وكان اسم الراهب الذي لهذا الدير تمليخا وكان فى دينهم عالما حاكما ونافذا أمره عند الملوك فلا يخالفه منهم

أحد (قال الراوى) ياساده وكان الأمير عبد الوهاب وصل فى بعض الغزوات إلى هذا الدير ومعه العساكر وأقام عليه شهور وأعوام وهو محاصره فلم يقدر عليه ولا وصل اليه لأن له عقبة لايقدر أحد ان يصل اليها ولا يصعد عليها إلا ان كان واحد بعد واحد لان الطريق ملسه وضيقة المسلك قد اصطنعوها الحكماء الاوائل وجعلوها طريق لهذى الدير خوفا من العدو ولا يسطى عليه فقصد أبو محمد إلى الدير فى زى راهب امله أن يتحايل على الراهب تمليخا ويصل اليه ويخرج من عنده فى صفة رسول إلى ملك الروم ليبلغ بذلك مايريد من مصالح المسلمين وكان لهذا الدير وادى كانه جنة الفردوس لانه قد حط فيه من سائر الافنان وفيه من كل فاكهة زوجان وفيه من سائر الاثمار وطيب النسيم فى الاسحار وتعبيق الآفاق بروايح الازهار والماء فى الغدران مثل الراح فى لدنان وكان كل من شاهد ذلك الوادى وقع فى قلبه الطرب واهتز سرورا ومال له وأطرب وهو كما قيل فيه

الغيم ممـــدود السرادق   والزهر مفروش النمارق
والواد قـــد نقشت لنـــا   فيـــه المخانق والمفـارق

(قال الراوى) ياساده وان أبو محمد البطال قد ركب على وجهه لحية سوده كبيره وعمل على رأسه ماشوحة رفيعة وكانت من الصوف فصار فى صفة قس كبير وأخذ فى يده عكاز من الآبنوس الأسود وسار إلى أن وصل إلى الدير وهو يقرأ الانجيل بصوت ولحن طيب وكان صوت البطال شجى فصار يقرأ وغلمانه يردون عليه هذا ولما نظروه الغلمان من أعلا الدير وسمعوا قراءته صار الدير مرتج فسأل الراهب تمليخا عن ذلك فقالوا له ياأبونا على باب الدير قس كبير ومعه أربع غلمان وهو يقرا الانجيل كما انزل كانه من الحواريون فقام الراهب تمليخا وأتى إلى الشباك الذى يطل على الباب فرآه وهو واقف يقرا فتبهل من ذلك فلما ان سمع الراهب تمليخا صوت البطال وحسن نغمته وغلمانه ترجع عليه نزل اليهم وقد انخلع قلبه وجسمانه فنزل وهو نهرول وفتح الباب وخرج ثم أخذ البطال فى حضنه وجعل يصافح أبو محمد وقد فرح به وصار يعانقه ويتبرك به وكذلك الرهبان والقسوس ثم انهم بعد ذلك عضدوه وأخذوه ودخلوا به إلى الدير وطلعوا الجميع إلى اعلا الدير لجلسوا وقد جلس البطال بينهم واعلع بصوته فصار الدير من أصواتهم مأنوس (قال الراوى) وكان فى هذا الدير جاريتان وهما اختان من أولاد الملوك أصحاب القلاع والبلدان يقال لاحدهما زنانير والآخرى صلبان وهما ابنتا الملك صلبوتاوس وكرف ندهما فى

مواضعهما إذا جاء حديثها ان شاء الله تعالى هذا وان الراهب تمليخا خلا البطال عند الرهبان وصعد من مكان وقد أتى إلى زنانير واختها صلبان وقال لهما أيتها البنات أخرجوا و تبركوا بهذا القس الذى سلب العقول بتلاوة الانجيل وقد ملك الألباب من حسن نغمته

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمعت الملكه زنانير ذلك من كلام الراهب تمليخا قالت ياأبونا السمع والطاعة ثم انها وثبت لتنظر إلى ذلك القس وأصحابه من أعلى روشن كان عندها فى أعلا الدير وكانت أختها صلبان قد نزلت من أسفل إلى عند البطال وقد قبلت يده ورأسه ثم مابين عينيه وعلى خدوده وفمه و بعد ذلك تمرغت على قدميه فدعا لها البطال ولمن رباها (قال الراوى) هذا وأن زنانير لما أن طلت من أعلا الروشن ونظرت الى أبو محمد فتميزته ساعه وقد عرفته المعرفه التامه ثم انها قامت من مكانها وأتت إلى عند أمها وكانت عندها فى ذلك الدير فأخذتها وأتت بها إلى الروشن وقالت لها أنظرى إلى هذا القس وما هو عليه من الحيل والمكر والخداع فقالت لها أمها من أين لكى معرفة بهذا القس فقالت سوف تقفين عليه ثم انها ارسلت خلف أختها والراهب فحضروا عندها فقالت ياأبونا من هو هذا القس ومن أين اتى ومن أى البلاد يكون فقال لها الراهب والله ياملكه لاأعلم فقالت له انظره مليح وميزه فعند ذلك نظر إلى البطال وغلمانه وقال لها ياسيدتى هل تعرفيه قبل ذلك اليوم فضحكت ضحكا عاليا وقالت للراهب تمليخا أبونا اتعرف من هذا فقال لها لاوحق المسيح فقالت له اعلم أن هذا هو أبو محمد البطال اللص المحتال وهؤلاء غلمانه (قال الراوى) فلما سمع الراهب تمليخا ذلك الكلام تحير وقد وقع فى بحار الكفر ثم قال أيتها الملكه ما هذا المقال عن هذا القس الكبير المقدار ولكن كيف السبيل إلى صحة ماقلتى ومعرفة ماذكرتى فقالت له الملكه زنانير سوف أريك ذلك لكن انزل اليه فانني سوف اتبعك انا وغلمانى وجوارى واذا قلت لك يا أبونا من هذا الراهب فقل أنت هو القس الخسيس الذى يتصور فى صورة إبليس يتجسس أحوال الملوك أصحاب النواقيس (قال الراوى) ياساده فلما سمع تمليخا من الملكه زنانير ذلك الكلام تحير فى ذلك الوقت وقال لها لقد قرت عين المسيح بكى وبالعقل المليح واللسان الفصيح فعند ذلك سار الراهب من عندها ونزل الى عند البطال فقام له قائما لخدمته الراهب ثم رفع محله ومكانه وما كان غير شىء يسير حتى أقبلت الملكه زنانير فتوا ثبت اليها الرهبان والقسوس وقد خدموها وأشاروا اليها بالجلوس وقد دهشوا منها جميع الحاضرين وسلبت عقول الناظرين هنالك طاش عقل الامير أبو محمد البطال لما رآها وقد وقع نظره عليها وقد قل منه الصبر والجلد وكذلك غلامه اؤلؤ صار وجوده عدما

وظن ان البدر قد نزل من السماء فعند ذلك سارع الراهب تمليخا اليها وصار يقبل يديها وهي تمشي وتهتز بدلال واذلال وبهاء وجمال وقد واعتدال وقد وضعت على صدرها صليب فيه أوقية عنبر وقد أورثت من ينظر اليها العبر والغبون وأيضا أورثته الخبل والجنون (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما ان وصلت إلى عند أبو محمد البطال فعند ذلك وثب اليها قائما وأومأ إلى الأرض لأئما ثم انه جعل يعوذها بالمسيح ويقرأ عليها الانجيل ويذكر مافيه من التحليل والتحريم ثم انها وقفت متخنصرة باحداق مليحة ثم انها نظرت إلى أبي محمد البطال نظرة منكرة ثم قالت ياتمليخا من هو هذا القس قال فضحك تمليخا وقال لها هـــذا الذى تشتهى رؤيته وسمعتى قصته وتفهمى صفته وقد صورتى فى بلادك صورته هذا قاطع الاوصال هذا أبو الأوجال هذا العيار المحتال هذا ذابح الاطفال هذا المفرق بين النساء والرجال هذا أبو الاهوال هذا الاسد الديال هذا السبع الريبال وغلمانه الاشبال هذا الشيطان السلال هذا الذى يلعب بعقول الابطال هذا الذى تفزع منه جميع الاقيال هذا الذى يترك الاطلال من بعد العمران خوال هذا أبو محمد البطال ثم انه بعد ذلك صاح فى الرهبان والغلمان شدوه فاندفعوا عليه وأخذوه البطارقة والرهبان أسرع من طرف الجفن على الجفن هذا وأبو محمد البطال قد تحير من هذه الموافقة للقضاء والقدر ثم انهم مدوه وضربوه ضربا وجيعا حتى غاب عن الدنيا وقد فعلوا به فعلا شنيعا وكذلك فعلوا بغلمانه وقد وضعت القيود فى أرجلهم والاغلال فى أعناقهم ثم ان الملكه زنانير جعلت تضحك عليهم وتتبسم عن ثغر كالاقاح مع جمال وجه وضاح ثم انها نظرت إلى أبى محمد المسكين وقالت له كيف حالك ياعيار المسلمين قد وقعت فى شبكة الصيادين وكان مجيئك إلى دير هذا الراهب تمليخا لاجل قطع حياتك فوحق المسيح لاجعلنك عبرة لمن اعتبر ولاحملنك إلى بلاد أنت فيها مصور (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان سبب وصول الملكة زنانير إلى دير النذور سبب عجيب وحال غريب وهو ان زنانير بنت الملك صلبوتا صاحب قلعة الشمس ودولاب الانس فى اقليم الزرزور من بحيرة الفلك وهى القلعة الثالثة والعشرون من حصون المعادن وجبل السوار وهو الجبل الذى يعرف فى فى تاويل كتاب الاقاليم بجبل السوار وانما يسمى بذلك الاسم لانه ملتف ومستدير مثل الحلقة التى قد التفت أطرافها على سبعين ذراع ودور هذا الجبل فى البحر مائة فرسخ وهو شاهق فى الهواء كانه واصل إلى عنان السماء وعلى دائرة الجبل أربعين قلعة كل قلعة منها لايقدر ان يحوم الطائر عليها وسائر بيوتها مستترة بالصخر موزرة بالرخام الملون كانها ثياب الديباج وبين القلعة والقلعة التى تليها عشرون فرسخا ولكل قلعة فى لحف جبلها

مرج فيه عالم كثير وجيش لا يقابل وفى وسط الجبل بحيرة دائرة تعرف ببحيرة الفلك لا يعرف لها قرار والبحر المحدق بالجبل وهو المعروف بالاقليم السابع وكل حصن منها له برج وفيه عالم عظيم وجيش بخلاف الذى يليها وكل جيش له لسان مختلف وهم يحاربون بعضهم بعضا ولم يزالوا كذلك فى الحرب والقتال على مدد الايام والقسوس والرهبان تسعى بينهم بالصلح على طول الازمان وهم فى خلف الا انهم لا يطرق قلاعهم طارق ولا ينزل بهم عدو ومارق ولا يطمع أحد فى قتالهم لانه لا طريق لاحد عليهم ولا وصول اليهم لان رأس الجبل ملتق كما قد ذكرنا إلى رأس الثانى ومن الرأس إلى الرأس سلاسل ولهذا الجبل والقلاع ثلاثة أبواب طول كل باب أربعون ذراعا والباب الاوسط هو الاكبر فلا يفتح إلا لقدوم مركب يأتى من ناحية البحر الاقصى وهو البحر المحيط وتقصد إلى هذه البحيرة المراكب من الهند والصين وبلاد الكرج (قال الراوى) ولقد نظرت إلى هذه البحيرة وفيها مراكب كثيرة وكل مركب قطعة واحدة منقورة من الخشب وليس لها مسامير وهى أعجوبة ليس لها نظير وكل هذا احتراز من جبل المغناطيس وكان الملك الاسكندر اصطنع هذه المراكب لما دخل إلى جزائر سرنديب بأقاليم الهند وفى رأس كل قلعة من الاربعين دولاب يدور من الاربع رياح وهو من العود القمارى دور كل دولاب منهم سبعون ذراعا على كل ريح ذرجات اذا ثارت دارت هذه الدواليب بهبوبها ولها عبد يقال له عبد الدواليب ومعه عبيد يلبسون ماعليها من الصلبان ويكسونها بأفخر الثياب ويزعمون ان ذلك اليوم مثل يوم يظهر فيه المسيح ويذكرون انه ينزل على الكنيسة القديمة التى هى فى قلعة الشمس وهى الثامنة والعشرون التى بمدينة صلبوتا أبو الملكة زنانير وفى تلك الكنيسة أربعين عامود من الذهب الاحمر على رؤسها قواعد من الفضة وعليها صليب من الذهب الاحمر وفيها الدولاب الاكبر وهو أكبر الدواليب التى تقدم ذكرهم وهو على بكر من العود القمارى ولهذا الموضع لولب يدور بالرياح فى ساعة دوران الفلك وهو مرصع بالدر والجواهر فاذا طلعت الشمس على تلك الجواهر لمعت على صفائح الذهب وتشعشعت واللولب يدور مع دوران الريح ولا يقف الا لوقوف الشمس ويسمون هذا الصليب الفلك السفلى ولهذا سمى ذلك الموضع بحيرة الفلك وزعموا الحكماء ان المسيح ينزل على ذلك الفلك وتظهر أنواره لهم فهم كذلك معتقدين ولنزوله منتظرين (قال الراوى) وبلغنى انه كان فى بحيرة الفلك مرج أفيح وفيه أنهار تسرح وقد غرس فيه من سائر الاشجار والثمار وكان الملك صلبوتا عظيم الشان منيع السلطان وله جيش من الروم طوال مثل النخل بوجوه مثل البدر تلوح من تحت سواد الشعر

غير انهم جبابره يكاد الرجل منهم ان يلقا عسكر لوحده ولهم خيول كبار الخلقة ملاح الحدق ويتفجر من ذلك الجبل عيون أبرد من الثلج وأحلى من العسل

(قال الراوى) وكان لهذا الملك صلبوتا ابنتان اسم الكبيرة صلبان واسم الصغيرة زنانير ولم يكن فى ذلك الزمان مثلهما وقد تقدم وصفهما غير ان الملكة زنانير يقصر الوصف دونها فسبحان مكونها ومصدرها وموجدها وقد ورثت الحسن من حوى وكل من رآها يتلوى ويحسن جمالها يتقلا فقدر الله سبحانه وتعالى ان الملكة صلبان رأت فى منامها كان المسيح يقول قد آن أوان الرهبانية واجتهادك فى دين النصرانية حتى ترتقى إلى درجه من لحق بالحوار بين الكرام وتكونى مع السيدة مريم عليها السلام وتصبحين عن الدنيا مرفوغة وكلمتك عند المسيح مسموعة وتصبحين فى أهلك شفيعة فأصبحت صلبان خلعت ما كان عليها من الحلى والحلل وخرجت من الستور والكلل ورمت أنواع الديباج والجوهر وجعلت على رأسها شىء من الصوف المطرد فدخل عليها والدها صلبوتا وقال لها يابنية قد كنت أؤمل ان أزوجك لولد ذكر يكون الملك فينا يذكر فاننى ما رزقت ولد غيرك وغير أختك وانتى الكبيرة وهى الصغيرة وقد خرجتى بعقلك هذا من لذة الدنيا فقالت له ياأبتاه من ترك عظيما نال عظيما ولا أريد الا الآخرة ولا سيما المسيح قد خاطبنى هذه الليلة فى نومى بهذا الكلام الصحيح وما بقى فسحة الا المخالفه ثم بكت وقالت يا أبتاه لاتغير على ما أنافيه فيغضب عليك الرب العظيم رب موسى وإبراهيم فقال لها السمع والطاعة ثم قصدتها القساقسة والرهبانية وهنوها بذلك وقد ترهبت معها عشرون جارية من بنات الملوك والبطارقة الكبار بوجوه مثل الاقمار ونامت ثانى ثم نظرت فى منامها كان قائل يقول لها قد رضى عنك المسيح وقد قضى بنقلك من هذه الدار فان الرهبانية من شروطها الغربة والبعد عن الاحبة فان حب الدنيا يقسى القلوب ويجدد الاديان ويقطع حبال الامنية فاطلبى دير النذور الموقوف على رهبانية الملوك حتى يكتب اسمك فيمن سافر هارب وإلى المسيح طالب فاصبحت على ذلك الوصف وخرجت من دارها وتبعتها جوارها فاخبرت الملك بحالها فقال أبوها وأمها لاتفعلى فما لنا صبر على فراقك فقالت لهم هيهات ان ينفع القول بعد العزل والهزل بعد الجد ولا بقى الا الرحيل الى ماذكر المسيح قبل الرحيل الى الآخرة (قال) فاجتمعوا القسوس والرهبان وقالوا لأمها وأبوها أيها الملك اتركها تفعل ماتريد واعلم ان هذا السفر يكون علينا مباركا ولا يحل لكم ان تمنعوها عن عبادة السيد المسيح وتقطعها عن الترهب والتسويح فيغضب عليكم السيد المسيح

والسيدة مريم أم النذور (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الملك كلامهم أجابهم على ذلك وجهز لهم مركبا خاص لمسيرها لم ركبها أحد قبلها من الناس وقد حمل إلى المراكب جميع ماتحتاج اليه ونزلت فيها وقد أخذت جوارها بصحبتها وقد أرسل معها أبوها خمسين راهبا وقسيسا وجماعة من غلمانه حتى يوصلوها الى دير النذور فساروا إلى ان وصلوا اليه وقد أقامت فيه مدة أيام وشهور (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ماكان منها وأما ماكان من أمها فانها لما ان طارت غيبتها صارت تبكى عليها ليلا ونهار مدة سنة كاملة وبعد تلك المدة طلبت المسير إلى زيارتها فقالت أختها وحق المسيح ماتروحى الاوأنا معك لازور أختى لأننى قد اشتقت اليها فقال لها أبوها وما سمعتى يا بنية أن فى بلاد الاسلام رجلا اسمه أبو محمد البطال ماله شغل الا سرقة بنات الملوك وان كان ماتيسر مجيئه إلى بلادنا ولا يخطر فى ديارنا لبعد المسافة وصعوبة الطريق وانكى الآن ماضية إلى من يأخذك بلا تعويق لأن دير النذور قريب من بلاد الاسلام فقالت زنانير وحق المسيح لا بد أن أسير فى المراكب ويكون فيها ألف بطريق ولو أردت أن أفتح بها بلاد الاسلام لفعلت وكنت قادرة على ذلك وواصلة اليه غير اننى أنا قد احترزت غاية الاحتراز لان معى الصوره التى صورها لى الحكيم اقليدس وهى صورة هذا اللص المحتال أبو محمد البطال واعلم ياأبى ان وصل إلى فما يخفى على أمره وأنا أسأل المسيح ان يهتك على يدى ستره

(قال الراوى) وكان الحكيم اقليدس قد صور أبو محمد البطال فى ثوب من الاطلس الابيض وجمع الصور فيه كما ذكرنا وكان هذا الملك صلبوتا أبو الملكة زنانير يحبها محبة عظيمة لا يصبر عنها ساعة ولم يقدر ان يخالفها خوفا من انكسار قلبها فأجابها إلى ذلك وأفرد لها مركبا من جملة المراكب التى فيها الرجال وحمل معها التحف والاموال وغير ذلك من جميع ماتحتاج اليه وأخذت معها الثوب الأطلس الذى فيه الصور بصحبتها على أنها ماتنجز شغلها ركبت هى وأمها وأصحابها فى المراكب وقد خرج الملك صلبوتا إلى دير تمليخا حتى عبر القلاع وأقام عند كل ملك من الملوك ثلاثة أيام وزنانير معه فكان كل ملك ينظر اليها يعشقها ويكاد ان يموت من حبها ثم يرحل من عنده فيبقى من أجل فراقها فى الهم والغم من العشق والغرام الذى قد سكن بقلبه وكان كل واحد منهم يتمنى لوكان يسير معها ويتلذذ بصحبتها حتى أنه يتملا بطلعتها ورؤية وجهها الذى كانه البدر المنير

(قال الراوى) ياساده يا كرام وكانت الملكة زنانير لما أن خرجت من أرضها وبلادها قاصدة إلى دير النذور وكان قد خرج أبوها معها فى مائة مركب على وجه الوداع فلما ان سار معها صار فى كل يوم يوصيها على نفسها ويقول لها اسمعى منى وكونى على حذر مما

قد ذكرت لكى من أمر أبو محمد البطال فقالت له ياأبى لاتوصى حريص ولما ان سار معها إلى آخر القلاع رجع وقد أوصى البطارقة أن لايدخلوا بلاد الروم حتى لايرى الملكة زنانير أحد من الناس خوفا عليها من ملوك الروم ومن الملك منويل وغيره من الملوك ومع ذلك أن لايقدر أحدان يجسر عليها ولا يتعرض لها بأمر من الامور اكراما لأبيها وما فيه من الاكرام والشجاعة والبراعة والهيبة وعظم السطوة وكثرة عساكره وجنده لأن الملك صلبوتا أبو الملكة زنانير كان يقول ان الأفلاك العلوية والسفلية بحكمه وان المسيح عيسى بن مريم ينزل من الفلك العلوى إلى عنده ويخاطبه وكان يظن ذلك الظن بقلة عقله وما يعلم أن هذه منزله ما نالها أحد لانها عظيمه وكان ظنه أن ينالها وكان يقول ان هذه مانالها قبله ولا بعده ولا غيره (قال الراوى) ياسادة ياكرام وسارت الملكة زنانير فى البحر الذى خرجت منه وهو المحدق بديارها وانما خرجت من الباب الذى يخرج من الساحل وهو الباب المندب وآخر المرامى ومنه يخرجوا إلى البر ولما وصلت إلى البر طلعت وركبت هى وأصحابها وقد نقلت جميع مافى المراكب على ظهور الدواب وسارت تطلب دير النذور وهى سائره برفق لأن الدواب مثقله وقد أرسلت رسولا إلى الدير يخبر بقدومها عليهم فنزل الراهب تمليخا وسائر الرهبان وبنات الملوك واختها صلبان إلى لقائها وخرج صحبتهم الدواب والخيل والديدبان بالانجيل والتقوها بأحسن زى وأعظم زينة ثم انهم ساروا إلى أن وصلوا إلى الدير وكان قد استقر الأمر مع أبيها انها تقيم فى الدير أربعين يوما ثم انها بعد الأربعين يوم ترجع وتعود اليه

(قال الراوى) لهذا الكلام ياساده وكان لدخولها إلى الدير يوم عظيم ثم انها أقامت عند أختها سبعة وثلاثون يوما وبقى لها ثلاثة أيام وترحل إلى المراكب فى البحر

(قال الراوى) وكان جرى هذا الاتفاق الذى لم يجرى مثله فى الآفاق من وصول البطال وغلمانه قبل انقضاء المدة فى صورة راهب كما ذكرنا وأن الملكة لما قبضت عليه قالت لقد كنت عولت على المقام ههنا ثلاثة أيام والآن فما بقى لنا مقام بعد ماأخذنا هذا الشيطان وقد أمنت على نفسى من طوارق الحدثان وإذا وصلت به إلى عند أبى ضربت رقبته وأمنت من غائلته وأكون فى كل عام أزور الدير لأنى اكون قد أمنت على نفسى وعلى مالى ولو لم يكن مجيئى إلا لقبض هذا الشيطان وسوف يكون له قتله ماشاهد أحد مثلها فى الزمان ولولا اننى أشتهى أن أجمع بينه وبين الحكيم اقليدس وكذلك يبصره الملك صلبوتا وأهل بلدى لكنت أصلبه على أعلا هذا الدير ثم انها انفذت الى البطارقة فوصل اليها مائة بطريق فى أحسن زى وكانوا هؤلاء

نازلين فى رياض الدير ثم انهم لما حضروا نزلت اليهم وسلمت البطال وغلمانه لهم ثم انها أمرت ان يركبوهم الحمير ويكون وجوههم إلى أذنابها وقد عملت الملكة زنانير فى رقابهم الودع وقشور البيض والاجراس وعلى رؤسهم الطراطير وجعلت فى كل طرطور جرس ولم تزال تزفهم الى المراكب فقال البطال من أين وصلت لنا هذه الفاجره ثم بقى يضحك فقال له اؤلؤ ما هذا الضحك فى مثل هذا الوقت فقال يا اؤلؤ قد تخيل لى بأننا بقر مسمن يزفونا للمذبح فقال له اؤلؤ تريد على هذه البشارة خلعه فقال البطال والله يا لؤلؤ ما رأيت قط مثل هذه الجارية ولا أحسن منها واذا وقفت هى ونورى فى موقف تصير نورى عندها كانها من بعض الخدم ولا تساوى تراب موقفها من طريق الحسن ولكن نورى أكرم منها عند الله تعالى لانها مؤمنه موحده وهذه كافره ملحده ولكن يا اؤلؤ اسمعها تذكر الحكيم اقليدس اليونانى وكنت قد رأيت فى اليونان حكيم مترهب وهو شيطان مريد ابليس فى زمانه وفريد أوانه لايهتدى إلى شغله غيره وأنا أردت أن أتعلم منه شيئا من أبواب النارنجيات والادهان الذى ألطخ بها وجهى ومنه استفدت المرقد والذى يقوم والخاص من البنج وأنا وعقبة لذا قربنا عليه عمرنا كله مانجى حبه فى ديناره ولاقطره من تياره على انه رجل معطل لايرى فى دين النصرانيه ولا اليهوديه ولا الحنيفيه الا انه على مذهب الفلاسفة ولا يعرف صانع بل انه يقول ليس لهذه المخلوقات خالق وقد سألنى كيف أدخل الى بلاد الروم فقلت له فى كذا وكذا ووصفت له أكثر من أربعين ومادهيت الامن اعتراف لسانى وان كان هو الذى وصفت وحملت اليه فما لنا منه خلاص أترى هو فى بلاد اليونان مقيم وهذه بنت ملك اليونان أومن بعض هذه البلدان ولكن صبر جميل والله المستعان على ما اتفق لنا فى هذه النوبه ولكن من يوصل أخبارنا إلى ملطيه وبالله أقسم اننى لم أجد من الهم والغم الذى أنا فيه مثل مابى على عسكر الاسلام وما يجرى لهم فى هذه الشهور والاعوام فوالله لقد تحكم فيهم الملعون وبلغ ما يريد أن يدبره من كل بليه ولكن لا حذر من القدر واذا نزل القضاء عمى البصر

(قال الراوى) وان الملكة زنانير أقلعت فى المركب ولججت فى البحار وجرت على البطال هذه الاقدار فهذا جرى (وأما ما كان) من عساكر الروم فان منويل سار الى ان أشرف على ملطيه ولقائه الكتائب الاسلاميه والطوائف الحنيفيه وهم ينادون بتوحيد رب البريه وبعث منويل رسول من عنده فى أربعمائة يقدمهم الرسول يقال له بواص بن شمشطاش وكان شجاع وقرم مناع وقد عرف بتواريخ اليونان وهو احد أهل زمانه فى العلم والادب (قال) فوصل إلى الأمير عمرو بن عبيدالله وإلى الامير عبدالوهاب

فلما دخل عليهم قال لهم أيها الامراء ان الملك منويل قد سد عليكم شرقا وغربا وبعدا وقربا فلا تحسبوها مثل كل مرة ولكن لكم علينا حق الجوار وقرب الديار ولا نريد ان نسفك دماءكم لان فى غيركم كفايه بل ارحلوا عن ملطيه قوام واخلوها من أولادكم ونساكم ولكن لا يصحبك من المال ولا وزن حبه واحده ولا مايساوى خردله ولا قيراط واحد غير خيلكم وهذا من طريق الاشفاق عليكم فان فعلتم هذا فهو أشفق وأسلم لكم وان أبيتم فانظروا إلى مابين أيديكم (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب سكت وصار منتظر كلام الامير عمرو بن عبيداقه واذا بالامير عمرو قدأجابه يقول أماقولك تراعى لنا بسبب الجوار فأى مراعاة قد بقيت بعد قولكم لنا اخرجوا من دياركم وخلوا أولادكم فمد اليه وقل له انما لا بد مانلقاه بأنفسنا وانما قد كاتبنا أمير المؤمنين وامام المسلمين بالنجده وكانكم بالعساكر قد أقبلت وهى تملا الفضا وتسد المستوى ونطحنكم ونبيع أولادكم بيع العبيد ثم ان الامير عبد الوهاب قال للرسول لولا انك رسول وفى كتابنا ما على الرسول الا البلاغ اضربت رقبتك وعجلت بمصرعك فعد وقل لكلب الروم منويل يقول لك عبد الوهاب انه يقسم بمن سير الغيوم وأزهر النجوم لاسقينك شراب الهلاك وأجعلك عبرة لمن يراك ولالنا بعسكر العراق حاجة بل عندنا السيوف الرشاق والرماح الرقاق والخيول العتاق ولابد لنا من هدم كتائبكم وقتل بطارقكم ونجعل دولتكم عبرة فى الدول ثم انه أنشد وجعل يقول

قل لكلب الروم يانسل اللئام ... سوف تبقى عبرة بين الانام
قسما بالله والبيت الذى ... أمره المشهور فى سام وحام
لاذيقنك كاسات الفنا ... مترعات لك من حد الحسام
برجال من سليم سادة ... خلقوا للضرب دوما والزحام
وكلاب يالها من نفر ... كل ضرغم عن الدين يحام
وبنى حام إذا ماظهروا ... رجع الجو لهم مثل الظلام

(قال الراوى) ثم زعق الامير عبدالوهاب فى رسول ملك الروم فخرج وهو لا يصدق بالنجاة ثم انه سار إلى أن وصل للملك منويل فقال له منويل قل ماحملت وماعليك ملام فقال أيها الملك ماهو صواب أن أخاطبك بما سمعته من الخطاب قال فعظم ذلك على ملك الروم وهو معه فى الكلام وإذا بغلام بالبعد من السرادق وهو يقبل الأرض فلاحت من الملك التفاتة فنظر إليه وقال للبطارقة اكشفوا لى عن خبر هذا الغلام فمضوا إليه فناولهم كتاب مختوم فأتوا به إلى الملك منويل فأخذه وقراه وإذا به من القاضى عقبة

الأجل فسح به على وجهه وتبسم ضاحكا وقال بارك المسيح فى عمر الشيخ النجيح (قال) وكان فى مضمون الكتاب بسم من حملته أمه ساعة وألقته فى أرض المجاهدة والطاعة وعليها من لباس الصوف دراعة وهو يقول له فى كتابه قاتل ولا تخف أيها الملك فأنت المنصور وعدوك المقهور واياك أن تخاف من الارعاد والابراق فأنا أملكك العراق لأنى جاءنى فى النوم المسيح عيسى بن مريم وقال لى ياحجتى على خلقى قل الملك عود على المسلمين فانى ناصره عليهم وأواصله اليهم ثم ان الملك منويل أعرض كتاب الملعون عقبة على سائر الملوك فطابت قلوبهم وقالوا أيها الملك أى ملك منا أمرته أن يأخذ ملطيه ويأخذ الملة الحنيفية فعل ذلك قال الملك اعلموا انى لا أحب المطاولة بل من الصواب أن تحملوا عليهم بجملتكم حتى لايطول الأمر معهم وتأتيهم النجدة من عند سلطانهم فيعظم الأمر علينا فقالوا نعم ماذكرت (قال الراوى) ولما طلع الصباح وبان الضوء ولاح جردت الصفاح وركب منويل وهو ينفر غيظا وحنقا وصار يحث الملوك على القتال والملوك مطرقة ولهيبته سامعه مطيعه وهو يقول فى هذه المرة نقتل العرب ونرميهم بالنبل والحرب وقد بشرنى الشيخ النجيح أنه رأى فى منامه السيد المسيح وهو يقول ياحجتى على عبادى ابعث إلى ملك الروم وبشره بالنصر (قال الراوى) فلما سمعوا القوم كلام ملكهم وما ذكره عن عقبة طابت نفوسهم وجردوا السيوف وكان للافرنج ملك جديد ولكن جبار عنيد يقال له درمون وكان أحب إليه القتال والطعن والنزال وكان مع هذا الملك الافرنج رجال لهم سهام تخرق الدرق وتنفذ من الحلق وكان الملعون درمون قد ركب فى ذلك النهار على جواد كانه الأسد الكاسر أو الطير الطائر وأن درمون حمل وأومأ بقنطاريته إلى الافرنج وأمرهم بالحملة فحملوا على أصحاب الأمير عمرو بن عبيد الله ورموهم بالحراب ورشقوهم بالنبال وحملت أصحاب الملك بالقنطاريات وعظمت البليات ورموا بالنشاب واندقت بنو سليم وبنو كلاب على أعقابها واستجاروا من ملطيه بالأصوار ورجعوا بنى كلاب على أعقابها وقد تخاصم الأمير عبد الوهاب وحردهم على عبده الاصنام وأعلنوا بكلمة الإيمان وزجرت السودان وكشف الامير عبد الوهاب رأسه وقال يامعشر المسلمين أين الغيرة على الدين والاولاد والحريم اثبتوا لهم واصبروا فقد فازوا الصابرين وفازوا المجتهدين ولم يزال السيف يعمل فى القمم إلى أن أقبل الليل وأظلم وتأخر عسكر الابرار إلى أن قاربوا الاصوار وأضرموا المسلمين النار واجتمعوا إلى الامير عبد الوهاب وشكوا له جميع مالقوا من الطعن والضراب وقالوا له الصواب اننا نبارزهم فى هذه الايام لعل أن تصل إلينا عساكر الاسلام فقد قتل منا اليوم عالم عظيم وبقيت الناس بين قتيل وأسير

قال وكان عقبة فى الجمع حاضر لانه قد كان أتى من بغداد لما أرسل لمنويل الكتاب وهو واقف يظهر التوجع ويبدى التفجع وينادى آه واحر قلبي واحسرتاه على المسلمين ولقد كان هذا اليوم يوم ميشوم مدبرا رديا وقد قال القائل حيث يقول .

لاتقاتل بواحد أهل بيت فضعيفان يغلبان قويا

فكيف والاعداء فى ألفين ألف ونحن فقد تفرقت عنا الاعراب وأكثر المسلمين عناء غياب وما يجىء لنا عسكر العراق الا ويكونوا أبادونا أهل الكفر والنفاق فقال الامير عبد الوهاب ياقاضى يجب عليك أن تقوى قلوب المسلمين على لقاء أعداء الله ولهم من الله الثواب الجزيل وتوعدهم من الله تعالى بقرب الفرج وها نحن ياقاضى نقاتل حتى نرى مالا طاقة لنا به ندخل البلد ونغلق الابواب ونحمى البلد شهرا كاملا الى أن تقبل علينا عساكر العراق وربما سار إلينا أمير المؤمنين وتهب رياح النصر على الموحدين فقال عقبة أحسن الله جزاك أيها الامير ولكن ان المحب مولع بسوء الظن وأنا من فرط شفقتى على المسلمين قد صرت عليهم كالوالدة الشفوقة (قال الراوى) فقال له عبد الوهاب ياقاضى أنا أعلم انك الليل كله ماتنام بل مشتغل طول ليلك بالدعاء إلى المسلمين فعلم عقبة أنه يضحك على لحيته فقال يا أمير ما أنت إلا تنظر بنور الله تعالى وتعلم أنى أبيت على هذا الوضوء ولقد عرفت ماأنا عليه من حسن السيره لولا أن الناس يدخلوا بيننا ويحملون عنى اليك مالا أقوله أبدا (قال) وكان هذا الكلام من عقبة حتى أنه يغيظ الأمير ويغضبه فقال له الأمير عبدالوهاب وحق من يعلم أنه واحد أحد فرد صمد لازوجة له ولا ولد لأوريتهم غدا من سيفى ضربا يقد ومن رمحى طعنا يهد ثم باتوا إلى أن أصبح الصباح وصفت الصفوف وترتبت الألوف فكان أول من فتح باب الحرب كان الأمير عبدالوهاب وهو فى أحسن الصفات وعليه درع من الدروع السابغات وبيده سيف صقيل ورمح طويل وتحته جواد أدهم فجال الأمير بين الصفين واشتهر بين الفريقين وذكر رب المشرقين والمغربين وصلى على من أسرى به ليلة الاثنين محمد الزين ثم أنه نادى هل من مبارز هل من مناجز فخرج اليه بطريق من الروم كأنه شعلة نار أو موجه من بحر زخار وانقض على الأمير فصاح البطريق ياعبد الوهاب أنا ما أقدر ألقاكم أنتم الاثنين إما أنت وإما أمك قال فظن الأمير أن ذلك حقا وأن الأميرة خرجت تعينه فالتفت فلم يرى أحد فعلم أنها حيلة وكان مع التفات الأمير رماه الملعون بحربة ماضية من ساعد قوى فوقعت فى كتف الأمير عبد الوهاب فخرقت الزرد ونفذت إلى لحمه إلا أنها كانت غير قاتلة لجرحته ووجد منها الألم فجذب الحربة قلعها وعطف نحو البطريق فنادته الأميرة لا تفعل

ياولدى وارجع حتى أشد لك جرحك وعد إلى خصمك فقال هيهات أن أعود عنه حتى أسقيه كاس الممات ثم حمل عليه الأمير حملة الغضب وناداه يالعين ماعلمت أن الخداع من مثلك يكون وإلا كنت أخذت حذرى منك ثم قاربه وضربه بالمهند على رأسه ضربة مشبعة تمام فقده إلى الحزام ثم إن الأمير رجع إلى عسكره وشد جرحه ثم عول على البراز فقالت له الأميرة لا والله لايبرز إلا أنا فى هذه الساعة (قال) فعند ذلك تقدم عقبة وكان إلى جانب الأمير عمرو بن عبيد الله وهو يقرأ القرآن ويحرض المسلمين على القتال وينادى يا أهل الايمان قد فتحت لكم أبواب الجنان وقد قال الواحد المنان فى الكتاب العزيز الذى أنزل على قلب سيد ولد عدنان يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان هذا وإن الأمير عبد الوهاب مثل الأسد القسور لايكسر حتى يعقر ثم إن عقبة قال والله العظيم أيها الامير لقد آلمنى جرحك وسرتنى سلامتك قال الامير ياقاضى من يقتل فى سبيل الله فله الأجر يوم القيامة ثم أنشد وجعل يقول:

قد رضينا فى مقام الكفاح بقتال ونزال وجراح
وبأسر نارة يمنحنا مثل طير صار مقصوص الجناح
وأنا الأسود فعلى شائع مهلك الكفار فى يوم الكفاح
من يكن يبخل بالنفس فلا يرى فى سبيل الله أوقات السماح
أقبض الأرواح فى يوم الوغا بصفاح قاتلات مع رماح

(قال الراوى) وإن الأمير سيف الحنيفية حمل على الميمنة فقتل فارس وقتل آخر وثالث له لجندل فأطبقت عليه الروم فعندها صاحت الأميرة ذات الهمة يا آل كلاب قد فتحت من الجنة الأبواب وقد قال رب الأرباب فى محكم الكتاب من كلام العزيز لكل أجل كتاب فعندها حملت بنى كلاب وتبعتها السودان الأنجاب ونادى أبوالهزاهز يا آل حام يالون الظلام وياعباد الملك العلام احملوا على الكفرة اللئام فحملت وحملت الكتائب وعملت القواضب ودارت طاحون النحوس على كل فارس عبوس وصاحت الرهبان والقسوس وحمل الأمير ظالم وضيغم وقشعم وفراقد وتفرقت الكفرة عن الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة العامرية قد قاتلت أشد قتال وقد صبرت على ملاقاة الأهوال (قال) ولم تزل الصوارم تعمل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت الطوائف عن بعضها البعض وقتل من بنى سليم خلق كثير وقاتل عمرو فى ذلك اليوم قتالا كثيرا وكانوا السودان قد صبروا فى ذلك اليوم على القتال وفقد من بنى كلاب والسودان أربعة آلاف فارس (قال) ولما حصلوا فى

البلد أقبل الأمير عمرو ابن عبيدالله على الأمير عبدالوهاب وقال اعلم أيها الامير الخطير إننا وقعنا فى أمر عظيم مالنا به طاقة وأكثر مايقاتل الرجل مائة إنسان وهؤلاء كثير وما امرنا الله أن نلقى أنفسنا إلى التهلكة فلو قدرنا على أن نأخذ الحريم ونسلم البلد اليهم فعلنا فقال عقبة يا أمير هذا هو الصواب غير أننا نخاف من الخليفة أن يعتب علينا ولكن الرأى عندى أن نكتب كتاب إلى بغداد بعد أن نلطخه بالدم وتمضى به النجابة إلى البلاد وينفر لنا الناس والعباد ويحثوهم على الجهاد (قال) فاستصوب الامير رأيه وكتب الكتاب وسار به النجاب وأقاموا إلى أن أصبح الله بالصباح ودقت طبول أهل النصرانية وفتح عبد الوهاب باب ملطيه وخرجت منه العساكر الاسلامية والعصابة الحنيفية الطاهرة المحمدية هذا والامير عبد الوهاب فى أوائلهم وهو راكب على جواد أبرش مليح اللون حسن الكون كانه فى مشيه ريح عاصف أو برق خاطف ويفوق وصف الواصف حصان كانه حصن أو كانه نسر يطير أو كوكب منقض لاتبصر أطرافه على وجه الأرض سليم الاطراف سريع الانعطاف

(قال الراوى) وعليه درع داوودى حسن النظام طويل الاكمام ينبو عليه الحسام وحرز الاجسام وأمان من السنان الهدام كما قال فيه ماجد بن قوام حيث يقول -

ودرع ليس يلبسه ذليل ويمنع عن مهنده صفاح
ولابسه عليه ثياب أمن وليس يخاف من ألم الجراح
ورمح فوقه قبس منير وليس له مثال فى الرماح
وسيف قاطع عصب صقيل يقصر عنه أوصاف الصفاح

(قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الاهاب نادى ياكلاب النصرانيه وأخس من غمس فى ماء المعموديه كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فدونكم والبراز ولا يبرز إلى الا كل بطل فعند ذلك خرج اليه فارس غائص فى الحديد كانه برج مشيد أو شيطان مريد وهو جاحد التوحيد وهو على حصان أبيض اللون كانه صباح مقبل وشعره على جسده كانه ليل منسدل وهو كانه ريح سليمان إذا جرى فى الميدان وعلى الفارس زرد قد غمس فى ماء الذهب من رأسه إلى رجليه وقد خطف الأبصار بريق حسامه وحمل على الأمير عبد الوهاب وقد نظرت اليهما عيون الناظرين وشخصت اليهما احداق المبصرين وزاد صبرها على الصابرين ونادى النصرانى ياعيسى ياناصر النصرانيه وقد نادى الأمير عبد الوهاب ياأقدر القادرين أنت الذى ليس لك شريك ولا معين وأنت الملك الحق المبين الذى لاغيرك تكاثر السنين تعاليت ان توصف بالازواج والبنين

وأنشد وجعل يقول

تعالى إله الخلق عن كل كافر لجور فان الله أنصر ناصر
إله عظيم واحد متواجد حكيم كريم وهو أقدر قادر
يجود على من تاب بالعفو والرضا حنون شفوق للخواطر جابر
فدونك منا للقا كل فارس مبيد الاعادى بالسيوف البواتر
يشهد بأن الله لارب غيره وأن النبي المصطفى خير طاهر

(قال الراوى) ثم تطاعنا حتى تقصفت الرماح وملت الجوادين وضاق الميدان وخذلت منهما الساعدان وعجب الفريقان وتحيرت العسكر فى الفارسان واستويا فى كفة الميزان ثم اختلف بينهما ضربتان وكان السابق الأمير عبد الوهاب فضربه بسيفه المعروف ونادى بتوحيد الله الواحد المنان الذى لايشغله شان عن شان وضربه بالصارم اليمان نزل السيف من رأسه إلى الاسنان وغار على عسكر الصلبان فصلبت الروم على وجهها ثم خرج إلى الأمير فارس آخر فقتله وثانى فجندله ولم يزال يحمل عليهم ويقتل فيهم إلى أن تنصف النهار وقد قتل منهم خمسة وعشرين فارس من كل بطل مداعس فلما نظرت الروم إلى ذلك غضبوا وقالوا هؤلاء العرب لهم الصناعه فى البراز والجولان والطعان فى الميدان فى مقام الاعتراك وما قصدهم إلا أن يطول علينا الوقت حتى تصل اليهم النجده فياويلكم دونكم واياهم وانثروا عند ذلك حملت ملوك النصرانيه من كل فج عميق وقد ماجت الأرض بهم

(قال الراوى) وكانوا ذلك اليوم المسلمين بين المشركين مثل الشامه البيضاء فى الثور الأسود وقد عملت الصوارم فى الدروع الزرد وحطموا العدد وتقابضوا ايدا بيد وتماسكوا باللحا وفاضت الدما وامتلات الأرض من القتلا وأرملت النساء وتضاربوا بالخناجر فى الحناجر وانحلت عقد الضمائر ودارت طواحين الهلاك على الاكابر والصغائر ونادى المنادى لاخلاص وانتشرت الخلائق مثل انتشار الجراد وعطشت الاكباد وحمى الحديد على الأجساد إلى وقت العصر وانهزمت بنى سليم وتبعتها بنى كلاب ويليها السودان فظنوا أن باب ملطيه مفتوح فوجدوا الأبواب مغلقه والصلبان معلقه وهم دابرين بها مثل السواد حتى أنه ليس على السور موضع قدر شبر إلا وعليه راية وفوقها صليب وهم ينادون عيسى ومريم والصليب فقالوا عند ذلك كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

(قال الراوى) وتحيروا المسلمين فى ذلك الأمر ولم يعلمون كيف كانت القضيه وكان السبب فى ذلك القاضى عقبه لعنه الله رأى أن الأمر يطول وكان قد كلم الأمير عبد الوهاب وقال لولده ان لم أسلم ملطيه إلى الروم فى هذه اليومين وإلا ما أكون أنا

أبوك عقبـــة ولا أنا الشيخ النجيح ولا اعتقادى فى هـــذا الدين الصحيح ثم انه كتب كتاب إلى ملك الروم وفى أوله بسم الاب والابن الكريم ومحل التعظيم والنور الذى يجمع من بيت التقديس إلى مقام التأنيس ثم تكلم فى الاحشا ووقع على الارض فمشا وشهد لامه بالبراءة من الفحشا وأعاد الناظر الذى كان بالبياض قد تغشا وأقام المقعد فمشا وأنطق الاخرس فنطق بما شار لمس العود اليابس فاحضر ونشا أما بعد فانى عجبت من كثرتكم وقلة اهتمامكم وحق المسيح اننى وحدى أبلغ أغراضى من المسلمين وأنتم فى هذا الجمع الذى لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقد اشتغلتم بالمطاولة حتى يجىء عسكر المسلمين ويصعب عليكم قتال الموحدين والآن فساعة وقوفكم على كتابى هذا تجعل من العرب المتنصرة أربعين ألف وتأخذ أسلاب القتلا من كل من قتل من المسلمين وأبطال الموحدين من العرب والسودان ويكون معهم الرماح والعدد وراياتهم ويلبسوا العمائم ويرخوا لهم الذوائب على زى بنى كلاب وان التحم القتال فى غداة غد وطلع الغبار حتى يعلو على الاقطار ويقل منهم الاصطبار ويعدم الانتظار وتخرج العرب من المعمعة ويعطون ظهورهم إلى ملطيه وكأنهم يضربون فى الروم بسيوفهم وكأنهم يطعنون بالقنا ثم يتراجعون إلى ورائهم كأنهم منهزمين على وجه المدافعه عن أنفسهم حتى لا يطمع العدو عند توالية ظهورهم إلى ملطيه وإذا قاربوا الابواب ومعهم الرايات الاسلامية وعليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ عند ذلك تفتح لهم الابواب ويجوزن البلد ويدخلوه ويملكوه من غير حرب ولا قتال ويكونوا بنى سليم وبنى كلاب فى مقام الطعن والضراب لان ما بقى من الفرسان إلا القليل فهيا افعلوا ما قلته لكم وإياكم والاهمال فيما أشرت به عليكم والسلام فرحمة المسيح مصبوبة على من سمع وأجاب ونقمته مهلكة لكل من لم يحسب له حساب (قال الراوى) وان عقبة أنفذ إلى ملك الروم ألف راية فى رزمه وكان عقبة قد أخذها من خزانة الامير عمرو بن عبيد الله وهى خزانة المجاهدين وأنفذها مع ثلاثة من غلمانه ثم جهزهم وساروا حتى دخلوا على الملك وكان الملعون قد أوصاهم بأن يقولوا للملك القاضى يقول لك أيها الملك لا تطلع أحد على ما فى هذا المكتوب ولا يعمل بما فيه غيرك لأنه ما يخلو عسكرك من جاسوس وربما كان الأمير أبو محمد البطال عندك ولا تعلم به فانه قد غاب عن ملطيه وما هو فى العراق وما غاب إلا وهو عندكم فكونوا منه على حذر واحفظوا أنفسكم والسلام (قال الراوى) ثم ساروا غلمان عقبة إلى أن وصلوا إلى الملك بعد أن دخلوا على الدمشتق فقال لهم من أين جئتم فقالوا من ملطيه فقال لهم فيما ذا قالوا من عند الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح ثم ان الدمشتق دخل على الملك

وأعاد عليه القصة والكتاب من عقبة فقال الملك لاعدمنا همته ولا عزيمته ولا غابت عنا بركته ثم أمر بالغلمان يدخلوا عليه عند ذلك دخلوا إلى الملك وناولوه الكتاب فقبله وحطه على رأسه فلما قرأ الكتاب وعلم مافيه (قال الراوى) فسأله من كان حاضر من الكفار فقال ياقوم فيه بشارة وفيه نصيحة وان الشيخ النجيح قد خوفنا من أبو محمد البطال وقد ذكر أنه فى عسكرنا وحق المسيح انى خائف على نفسى منه وما بقى لى بعدها عيش هنى منه وقد علمت أنه فى عسكرنا وما كنت أريد إلا أن يقع فى يدى والثانية انى أريد أعمل على قدر ما أشار به على عقبة عسى أن يكون فيه العاقبة وان الملك ادعى بحرب ابن شيبان وسلم إليه الرايات وعلوها على الرماح وقال لهم خلوا ازى الروم والبسوا زى العرب وإذا حملت هذه الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب واختلطوا الجمعان فاخرجوا من وراء عسكر بنى كلاب وأنتم تنادون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحريم الحريم يا أصحاب جنة النعيم فقال له حرب بن شيبان فما يكون علينا اثم إذا قلنا لا إله إلا الله فقال لهم لا لأن الشيخ النجيح قد أمرنا بذلك فان كان فيه خطيئة واثم فهو يعرفه لأنه هو الذى أمرنا بهذا القول فيكون اثمه فى رقبته ولو كان فيه اثم فان فى فتح هذا البلد وأخذ السبايا وقتل أولاد المسلمين وأخذ نسائهم ثواب عظيم فقال له حرب ابن شيبان السمع والطاعة وحبا وكرامه ثم انهم أخذوا الرماح وعلقوا عليها الرايات العباسية والبنود الاسلامية وعليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ان الدين عند الله الإسلام (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح ارتفع الصياح وجردت الصفاح وتبادروا إلى الحرب والكفاح ونادى الأمير عمرو بن عبيد الله كما ذكرنا وقتل خمسة وعشرين كما وصفنا ثم حملت الطوائف على الطوائف وضاقت بهم المواقف وأنكرت المعارف ودخل هنالك حرب بن شيبان فى أربعين ألف عنان وكانوا المسلمين من بنى سليم وبنى كلاب والسودان الأنجاب يرونهم والرايات فى أيديهم وهم ينادون بكلمة الاخلاص التى هى سبب الاختصاص قولا عدلا مخلصا لا إله إلا الله محمد رسول الله فكانوا يحدون عنهم ويقاتلون دونهم الى أن صاروا هؤلاء وراء ظهورهم ولم يزالوا كذلك الى أن وصلوا الى باب ملطيه ونظروا أهل البلد الى الرايات الاسلامية فعلموا أنهم منهزمين ففتحوا لهم الباب وهم آمنون وملكوا الباب المشركين وقتلوا البوابين وجماعة من الأجناد والاصحاب الذين كانوا متخلفين فى البلد ووضعوا السيف فى المشايخ والصبيان ورفعوا الصلبان وطلعوا على الاسوار ونظر عقبة إلى رايات الكفار فاستبشر غاية الاستبشار وقال الآن لا أبالى أى يوم مت بعد هذا اليوم النفيس وقد أسلت فيه دم المشايخ الركع والاطفال

الوضع (قال الراوى) وان الامراء لما انهزموا وطلبوا البلد لم يجدوا اليه سبيل ولا وصول فرجعوا إلى ورائهم وقد أطبقت عليهم أجناس الكفرة واحدقوا بهم كما تحدق البياض بالسواد وبقوا على التحقيق مثــل الغريق تلعب بهم أمواج الآفاق فى لجج المهلكات وهم يتطاولون إلى بحر السلامة والنجاه فقتل من بنى سليم خلق كثير ومن السودان ومن بنى كلاب أيضا وأيقن كل إنسان انه هالك وضاقت عليهم المسالك مما جرى فى المعارك فمنهم مهلك ومنهم هالك وخاضت الخيل إلى السنابك وتقاربت الرجال من بعضها بعض وانطرحوا الكرام على وجه الارض ووطئت الحوافر فى بطون القتلا وخسفت الظهور والصدور وعظت الامور وطاب كل واحد لنفسه النجاة وأيس من الحياة وأيقن بالوفاه وأخذ الامير عمرو بن عبيد الله ومحمد بن ايبان وخمسة آلاف من بنى سليم وقتل منهم أضعاف ذلك وأما الاميرة ذات الهمة فانها وقعت على الارض ونارت حتى تقوم فأخدتها القنطاريات من كل جانب وتناهبتها القواضب وقد عرفها الدمشتق فاراد أن يصل بها إلى الملك قسطنطين فأخذوها رجاله وحملها إلى خيمته وانهزم باقى الناس وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت وانتهت بهم الهزيمة إلى حصن زياد وأقام الأمير عبدالوهاب وجماعه من السودان وبنى كلاب ثم انه طلب الاميره ذات الهمه فلم يجدها فعظم ذلك عليه وكبر لديه وأدار الأمير أبو الهزاهز معه وجماعة من السودان وانضاف إلى الامير عبدالوهاب الكبار من المشايخ واغتموا على بنى سليم وقد فقدوا الامير عمرو بن عبيد الله وانضافوا بنى سليم إلى الامير عبد الوهاب وجعلوا يبكون على نسائهم وعلى أولادهم وكذلك بنى كلاب فعند ذلك بكى الامير عبد الوهاب وقال يفعل الله مايشاء ويحكم ما يريد وهو المولى ونحن العبيد والسعيد من رضى بالقضاء وقابل البلاء بالرضاء والراجل المقيم يبان والسالم والعاطب فرسا رهان والحى بالقتيل لاحق وكل حى أجله طارق ولا يبقى غير الملك الخالق وبعد هذا فقد عدم أصحابنا وهلكوا أحبابنا ولا حياة بعدهم ولا عيش بعد فقدهم ونرجع عليهم ونرمى أنفسنا فان ظفرنا فسعاده وإن قتلنا فنفوز بالشهادة فقالوا له بنى سليم وبنى كلاب أيها الامير ما فينا الا ومن له فى ملطيه عيال وأولاد وقد أمر الله سبحانه وتعالى وقال فى محكم كتابه العزيز ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ونحن كنا فى ذلك الجمع الكثير وقد غرقنا فى هذه العساكر وكيف نرجع اليهم وما بقى منا إلا اليسير ونحن على غاية من الجراح وقلة من الزاد والعدد وقد بقينا جرائد ومابقينا إلا لمن يقتلنا ويفوز بالشهادة ولكن اذا جمعنا العساكر وخلصوا الاسارى الذين فى ملطيه فهو أفضل من ذلك فقال لهم الامير عبد الوهاب ياويحكم انما العساكر من العراق وربما تأخرت

وتذهب الاسارى إلى بلد الروم ويصعب علينا خلاصهم وربما قتلوهم عن بكرة أبيهم فهنالك من يحمل الملك على ذلك كما قد دبر على أخذ البلد فقال لهم عبد الوهاب أنا لا أملك الا نفسي ومن يتبعني فليفعل وليذهب إلى عساكر العراق وينفر الناس من الآفاق فهذه مصيبة عامه ولا يغني القعود على الجهاد ثم ركب الأمير فرسه وقال ها أنا سائر مستعينا بالملك الجبار القادر فقالوا له بنى كلاب والسودان نحن نسير معك ولنا أسوة بك ولو أضرمت لنا نارا لولجناها وهـــذه الحياة فقد كرهناها وانها مصائب لا تتناها فقال لهم الامير عبد الوهاب اصبروا حتى يصير لكم هذا الجهاد يوم القيامة وتصيروا من أهل السعادة ويباهى ربكم بكم الملائكة ويفرح بكم محمد المصطفى ويباهى بكم الأمم فما بقى مصائب ثم نطلب لهذه الطائفة رضاها فعند ذلك قالوا بنى سليم ونحن أيضا معك وما بقى لنا أمير غيرك ونحن تبع لك فعلى ماذا عولت أيها الأمير فقال لهم أمضى من ههنا على قرية وراء شمشاط وأقصد ارض مرج الافيح وأرجع وراء عسكر الروم واذهب إلى القسطنطونيه واسأل الله تبارك وتعالى أن يسهل علينا فتحها وآخذ كل من فيها أسارى من أطفال ونساء وغيرهم وأفادى بهم أسارى ملطيه أو يحدث مالم يكن فى الحساب فلم تزال عوايد الله تبارك وتعالى بنا جميله فانه يظهر القدرة وهو رب الرحمة

(قال الراوى) فلما سمعوا ذلك قالوا لله درك أيها الامير هذا كلام من قد هانت عليه الحياه وأيقن بالوفاه واشتاقت نفسه إلى لقاء الله فهو مطرح روحه إلى معظمات الامور والله تعالى يقيك المحذور ويجعلك مؤبدا منصور ثم سار الامير عبد الوهاب وهو متوكل على رب الارباب فى الطريق الذى وصفناها حتى صار فى اليوم السادس من وراء عسكر الروم وبعث جاسوس إلى ملطيه فمضى وعاد أخبر الامير ان عقبة عند الملك قسطنطين والقيد فى رجله حتى يرى الناس انه مأسور وقد أشار على الملك بان يهدم الجوامع والمساجد وقد فعل مالا يفعله أحد (قال) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال للجاسوس وملك الروم على ماذا عول فقال له الجاسوس قد وصل اليه رسول من عند ملك يقال له لاوون ابن قصطيان اليونانى وهو فى ستين ألف ويقول له لا ترحل عن ملطيه ولا ترحل إلى العراق حتى أصل اليك وأكون فى الخدمة بين يديك مقدما على سائر الملوك وعلى هذا الشرط خرجت من بلادى وقد فرح به الملك قسطنطين فرحا شديدا وقد زين له دار الامير عمرو بن عبيد الله لينزل فيها وقد عول الملك بأن يقعد فى ملطيه فى دارك أيها الامير وقد جعل المسجد الذى فيها بيت للشراب وكان هذا كله بتدبير عقبة لعنه الله وقد أعدله دعوة عظيمة ولمن معه فى ميدان باب القلعة فى مقابلة الحصن وقد زين الملك سرادقه

وجمله كله من الاطلس الاحمر وله نطاق من اللؤلؤ والجوهر وقد نصب له سرير من الذهب الاحمر وهو مرصع بالياقوت والجوهر وقد فرش الارض بأنواع الديباج والجوامع قد ربطوا بها الخيل وعقبة عنده مقيد فى السرادق لبروه الاسارى فى تلك الصفة فاذا كان فى الليل يأخذه الملك اليه ويعظمه ويجلسه معه على السرير ويعمل التاج على رأسه ويأكل معه لحم الخنزير ويشرب هو والملك الخمر العصير ويكفر بمن يعلم السر والجهر (قال الراوى) فلما سمع عبد الوهاب ذلك قال الله أكبر هذا فرج قد قربه الله تعالى لنا من خلاص الاسارى ثم قال ياقوم خذوا أهبتكم للقتال والتقوا بنا للملك لاوون قبل أن يصل إلى القسطنطونية فانه عزيز عنده لانى سمعت أنه يريد يزوجه بابنته وبذلك أخبرنى أبو محمد البطال وكان يريد أخذ جماعة من غلمانه ويمضى إلى القسطنطونية ويشوف جهازها فوالله العظيم انه قد رابنى انقطاع خبره عنى وما غاب إلا وقد نزلت به نازلة والآن فسيروا بنا بارك الله لنا فيكم ثم إنهم ساروا يومين (قال الراوى) فلما كان فى اليوم الثالث وقعت الطلائع على الطلائع وعملت السيوف القواطع ودنت الجموع ولمعت الجواشن والدروع والتقت الكتايب بالكتايب وعملت القواضب فى العواتق وطارت الرؤس عن الرقاب مثل طير العقاب وفار الدم من الوريد مثل فيض الانبوب وتار الضباب وقطرت القواضب بالدما مثل قطر السحاب وقطعت الاطراف من المرافق والاعناق من الاكتاف بالسيوف المواحق ولم يبق فؤاد غير خافق واحمرت الأرض بالدم الدافق حتى صارت مثل الشقايق وقد حجز بينهم الظلام وتبعت الأجسام من ضرب الحسام وتحارسوا الطائفتين إلى أن طلع الصباح وبرق من لمعانها الصفاح وقد خرج الامير عبد الوهاب وهو يهيج إلى مقام الهياج وينشد :

أنا الذى تعرفنى الفجارا سيف النبى السيد المختارا
لاقتلن معشر النصارى واقطع الرقاب والزنارا
لاننى ترس النبى المختارا نبى صدق صادق ظهارا
لآخذن النار الاسارى واهلك الكبار والصغارا

(قال الراوى) وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليـــه بطريق كأنه طود عظيم وهو على جواد كالليل البهيم وحمل كل واحد منهما على صاحبه فلم يطول بينهما مطال حتى ضربه الأمير عبد الوهاب على هامته نزل السيف إلى نصف قامته فوقع إلى الأرض وبطل حيله وقوته فجال الامير وصال وطلب البراز فبرز اليه أخو المقتول وبقى عليه ساعة يجول وضربه الامير عبد الوهاب على صدره أطلع السيف يلمع من فقارة ظهره ولم يزال

يخرج اليه واحد بعد واحد حتى قتل من القوم ستة عشر فارس وكان آخر من خرج صهر الملك قسطنطين وهو لاوون اليونانى مقدم العسكر وهو على جواد يونانى وعليه درع سليمانى وسيف هندوانى وترس يمانى وعليه ثوب مقصب ملكى وقلبه ملآن بالكفر لانه نصرانى مشرك بالرب الصمد الوحدانى الذى ليس له شريك ولا ثانى فحمل عليه الامير بقلب موحد (قال) فحمل بعضهم على بعض وفتحا ميدان على بساط الارض ورمقتهما الابصار وطلع عليها الغبار والامير عبدالوهاب قال سبحان الملك الجبار والملك لاوون قد استجار بالصليب والزنار ثم صاح الامير عبدالوهاب صيحة الغضب

(قال الروى) وإن الملعون قد ضرب بالبتار فأبطلها الامير الكرار ثم هجم عليه كالاسد الهدار ومد يده اليه وعلقه بدرعه من مراق بطنه وجذبه فاقتلعه من سرجه عند ذلك كبرت المسلمين وحملوا على المشركين ولم تزل الخيل تلعب بالجماجم والسيوف تبرق وترن والسودان من حولهم مثل الجن إلى وقت اعتدال الشمس فى قبة الفلك هنالك انكسر عسكر الشرك واندثروا وولوا الادبار ووقع بهم البوار ولم ينجو منهم إلا من قد سبق بسلامة المقدار وغنموا المسلمين من الخيل والخيام والبغال والاثقال والاموال وثياب الديباج والطعام والعدد مالا يقع عليه عدد ووقعت السودان على الزاد مثل مايقع الجراد على الزرع لأنهم كانوا بلا زاد لانهم كانوا جرايد وما معهم الاخيامهم وكان جملة ماأخذوه عشرين ألف خيمه من الديباج وثلاثين ألف جمل وبغل وصناديق الطعام ملآنه وكان ذلك معهم زاد طول مقامهم فى بلاد الاسلام وفرحوا الناس بالنصر العظيم من الرب الكريم السميع العليم ببركة النبي الكريم المنتخب من ولده الخليل إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام وكانوا المسلمين قد أسروا من أصحاب لاوون أربعمائة بطريق وان الأمير عبد الوهاب جمع الاسلاب وأسلاب القتلا فكانت عشرين ألف سلب سلبمع وألبسها لبنى كلاب ورفع رايات لاوون وعليها الصلبان وأحضر لاوون والاربعمائة أسير فضرب منهم ثلثمائة رقبه وخمسين وبقى خمسين ولاوون فلما علم ان رقبته تضرب بكى وكان ابن عشرين سنه فقال له الامير ويحك أتريد الحياه وتطلب لنفسك النجاه فقال له نعم ولك من الأموال ماتريد فقال له الأمير ماأريد الآن تركب معنا والبطارقة من حولك ونحن أيضا نسير معك الى باب ملطيه وندخل معك اليها فقال له لاوون هذا أمر قريب وهو أحب الى من القتل ثم أخذ لاوون يد الأمير بانه لايغدر به فسار لاوون وساروا جميع بنى سليم وجميع بنى كلاب وكثير من السودان وساروا فى رجال من الابطال الاقيال المعدودين للقتال (قال الراوى) وسار عبد الوهاب بقلب أقوى من الصخر يريد يطرح نفسه فى

ملطيه وهى مشحونة بعساكر القسطنطونيه ومن ظاهرها أهل الشرك أجمعين وقد صعب على بنى سليم كيف ان الامير ماأخذهم معه وقال لهم كونوا أنتم ههنا مقيمين حتى يأتيكم رسول من عندنا ان شاء الله تعالى ويأمركم على ماتعولون عليه وان كانت الاخرى فالملتقى فى عرصات القيامة عند الملك القهار (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب ولاوون جدوا فى سيرهم حتى وصلوا الى ملطيه وقد ركبوا عساكر الروم باسرهم لاستقبال لاوون فسلم على الملك وهم يدعون له ولعبد الوهاب وهو عن يمينه وظالم عن يساره والبطارقه من حوله ومع كل واحد من البطارقة اثنين عن اليمين واثنين عن الشمال وليس لاحدمنهم سبيل الى الخلاص (قال الراوى) وقد خرج الملك الاندرياس وأخوه الى لقائه وجميع المذبحه وسلموا على لاوون وقالوا له ان الرجيم يأمرك بالدخول عليه أنت وجميع عسكرك عند ذلك صقع لاوون وروحه فى التراق من الفزع وقد وقع بين أمرين خطرين وكان من عادة الاندرياس اذا خرج الى لقاء بعض الملوك يصير عن يمينه وكانت هذه عادته فدخل الاندياس بين الأمير عبد الوهاب وبين الملك لاوون وقد أراد الملك ضيفورس ليدخل بين ظالم ولاوون عند ذلك انقلبت عين ظالم فى أم رأسه وهم أن يضربه بعامود كان فى يده فقال له الامير عبد الوهاب امسك ولا تفسد علينا ماعملناه فمسك ظالم يده على غيظ منه وصبر الى ان دخلوا باب ملطيه وحصلوا جميع أصحاب الامير عبد الوهاب داخل البلد وأراد ظالم ان يبطش بضيفورس فأشار اليه الامير عبد الوهاب بان تصبر على ماأنت عليه ولا تعجل (قال الراى) فلما توسطوا البلد وكانت خيام الروم فى الميدان والى جانب كل خيمة جانب من الاسارى من نسوان بنى سليم وبنى كلاب وأولادهم وخرجت كلها رجاله الى لقاء لاوون وأمرهم بالدخول الى الملك قسطنطين فلما صاروا عند سرادقه أمروه أن يترجل فترجل الأمير عبد الوهاب وأشار الى لاوون فترجل ولم يجسر على مخالفته وترجل ظالم والبطارقه وجميع بنى كلاب وقد أوصى الأمير عبد الوهاب لبنى كلاب أن يقفون عند الباب واذا سمعتم الصياح فاغلقوا الباب وكل من جاء لكم فاضربوه بالسيوف الرقاق الا أن يكون بعض الملوك فخذوه أسير فقالوا سمعا وطاعه وحبا وكرامه

(قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب ماشى بين يدى لاوون وقد أمر بنى كلاب بان يصير مع كل واحد من الملوك عشرة وإذا صاح الأمير قبض كل قوم على ملك من الملوك ولم يزال الأمير ماشيا معه حتى دخل السرادق فوقعت عينه على الأميره ذات الهمه وهى فى صورة الذل وهى فى القيد والغل ويدها مشدودة الى وراء ظهرها وهى مسلمة أمرها

الى ربها من يعلم سرها وجهرها فلما رآها الأمير طارت الدمعه من عينيه مثل ما يقطر السحاب ودنا منها الأمير وتنحنح فعلمت الأميره نحنحته فرفعت رأسها الى الأمير فبان لها حسن عينيه من تحت الزرد ثم أخرج الامير يده ورفع بعض الزرد عن لحيته فعرفته عندذلك ضحكت الأميره وقالت سبحان من هو فى أى صورة ماشاء ركبك ثم مشى الامير عنها ودخل الى سرادق الملك وعبر ظالم على الاميره ذات الهمه فرآها فى ذلك الحال فلم يجد له صبرا عنها ثم ترك لاوون ووقف عندها وان الامير عمرو بن عبيد الله أقبل على الاميره وقال لها لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا والله عسكر جديد قد حضر ونحن فى هذه الليلة على خطر عظيم فقالت له الأميره لاحذر من القضاء والقدر وربما حدث لك من هذا الخوف شيأ تسر به كما قال القائل

ومسرة قــد أقبــلت   من حيث تنتظر النوائب

(قال الراوى) فلم يمهل ظالم بل تقدم اليها وعرفها بروحه فقالت له على ماذا عولت يا بنى فقال أحل كتافك فقالت ذلك اليك فلم يجد صبر دون ان حل كتافها وأقامهـــا على أقدامها وحملها على أكتافه إلى باب السرادق وحطها فى موضع حتى لا تطأها الخيل فبينما هى كذلك وإذا هو بالصياح قد وقع وقد جردت الصفاح لما وضعها ظالم على الأرض وإذا بثلاث بطارقة وقد لحقوه كأنهم السباع وفى أيديهم الدبابيس فقالوا له بالرومى لم حملت هذه اللبوة الشمطا والحية الرقطا من سراذق الملك فوحق المسيح لو علم بك الملك قسطنطين لقطع منك اليمين فلما نظرت ذات الهمة إلى تلك البطارقة اصفر لونها وقالت يا ظالم هؤلاء الموكلين بى ولقد ضربونى الضرب الوجيع ومفاتيح القيود التى فى رجلى مع هذا البطريق القصير (قال الراوى) فلما سمع ظالم ذلك من كلام الأميرة جرد سيفه وضرب البطريق الطويل أطاح رأسه عن بدنه وضرب الآخر فقطع عنقه مع يده وأقبل على القصير وقال له هات المفاتيح التى بالقيود وإلا أخذت رأسك من بين أكتافك عندذلك أيقن البطريق بالموت وكان أصل البطريق مرتد فاخرج المفاتيح من وسطه وكانت فى سرواله من داخل فقال له ظالم يا ويلك افتح القيود كما تعرف عندذلك فتح البطريق القيود والسلاسل فلما علم ذلك ظالم بأن الأقفال قد فتحت شال يده بالسيف وضرب البطريق ضربة أطار رأسه عن جثته وطارت الأميرة كأنها الأسد وأخذت سيف البطريق وقالت يا أمير ظالم الحق بنا الأمير الى سرادق الملك (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب لما دخل الى السرادق ونظر الى الملك قسطنطين وهو جالس على السرير وقد نظر الى لاوون وقد أشار اليه أن يصعد الى كرسى الملك فوثب الأمير وقال له يا كلب النصرانية سوف أزل

بك الرزية ثم انه هجم عليه وضرب البطارقة القيام فنثرهم نثرا وفتك فيهم وفى لحظة واحدة قتل خمسة عشر رجلا ونادى الله أكبر فأجابته أربعين ألف من بنى كلاب بالتكبير والتهليل وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله وأجابتهم زها عن خمسة آلاف من الاسارى وقد فرحوا بذلك وقالوا اللهم لا تعد منا سماع هذه الكلمة أبدا

(قال الراوى) وثاروا البطارقة والملك وأصحابه الذين فى البلد وكانوا خلقا عظيما فيالها من ساعة شابت فيها الذوائب وعملت فيها القواضب وعلا الصياح من كل جانب وطارت القمم وسقط إلى موضع القدم واسودت الدنيا على الأمم وانقطع ظهر عقبة وانقصم ولو كان غير مقيد لانهزم ونادوا المسلمين أنصرنا يا بارى القسم بحرمة صاحب الحكم والحطيم وزمزم وبحق النبي المكرم ومن أنزل الله سبحانه وتعالى عليه طه ومريم ونون والقلم ودار فلك التقدير بابرام المقادير فلم يبق على صغير ولا كبير وبقت الأبدان خالية من رؤسها والرقاب مستوحشه من عدم نفوسها ونزلت عقبان العقوبات على الأشباح الناعمات فأصبحوا صرعا على جوانب الفلوات ولا بقى أحد وإلا وانقطع ولا دم إلا وهمع ولا بطل إلا وهلع ولا بقى أحد إلا ودخل إلى قلبه من تلك الوقعة الفزع والجزع وشابت الروس من كثرة الجزع وتزلزلت سرادقات الملك قسطنطين وعلمه وقع ولم يبق الروم فى الحياه مطمع لان أرواحهم كروح كاب قد انقطع وقاتلوا قتال من أمله من السلامة قد انقطع وما وصلوا الى آخر النهار حتى حصل كل من فى ملطيه من الكفار فى قبضة الذل والاصغار وقتل فى ذلك النهار ثلاثين ألف من الكفار وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار وأسروا جميع الملوك عن بكرة أبيهم وخلصوا أولاد المسلمين وأسارى الموحدين ووقعت الضجة من البنات والمخـــدرات ونادوا يا عالم الاسرار الخفيات نسألك أن تحفظ علينا الأمير عبدالوهاب الشجاع وجميع الأصحاب

(قال الراوى) ولما وقع الصوت فى البلد ظنوا عساكر الروم من ظاهر البلد أن الصياح من فرحهم بقدوم الملك لاوون صهر الملك قسطنطين فلما دام الصياح إلى آخر النهار أنكروا ذلك وركبوا خيولهم وقعدوا على باب ملطيه فوجدوا الباب مغلوق فثارت قلوبهم فزعا وبقيت الأكباد حرقا وطلع ألف رجل من بنى كلاب على الأسوار ورموهم بالأحجار الكبار والصغار وقتلوا جماعة من الكفار وعمل القتال بينهم بالأحجار والنبال إلى أن خشعت الأصوات وهدت الحركات وقلت الزعقات وفازوا المؤمنون الصابرين وخسروا الكافرون الجاحدون وعادت بنى كلاب إلى القبائل والعشائر كأنها لم تزل فى منازلها الحاضر (قال الراوى) وكان الناقوس قد دق فى ملطيه أياما فنادى

الأمير عبدالوهاب معاشر المسلمين لايبقى الليلة قبل العشاء الاخيرة رجلا إلا وهو يؤذن على سطح داره رغما للشيطان وعبدة الصلبان (قال الراوى) ياسادة يا كرام فأذن فى ذلك اليوم والليلة أربعين ألف اسان ونادوا كلهم أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابتهم الأسارى والدور والقصور والحجر والمدر بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال عبد الوهاب لا أبالى اليوم بما جرى وكفانى فى هذه الفعلة خلاصى من الآخرة (قال الراوى) وإن عقبة انفطرت مرارته وقد فك الأمير عبد الوهاب جميع الاسارى ورجعوا السودان إلى بيوتهم وفك القاضى عقبة والأمير عمرو بن عبيد الله وخمسة آلاف من بنى سليم وبنى كلاب والسودان الانجاب (قال الراوى) ولما أظلم الليل قال الامير عبدالوهاب لغلمانه احضروا لى الملك قسطنطين فما كان الا القليل حتى أحضره بين يديه فلما رآه الأمير عبدالوهاب وثب اليه ورفسه فى صدره أقلبه على ظهره وقال له ياعدو الله وعدو رسوله كم نأسرك ونعفو عنك فلابد لى الليلة من ضرب رقبتك وما بقى لنا رغبه فى المال ونحن نأخذ المال من القسطنطونيه بقائم سيوفنا وما تريد من يحمله الينا ثم انه جرد السيف وهجم عليه ليضربه عند ذلك وثبت اليه الأميره وقالت له يابنى لاتفعل أنا أعلم ما كان له فى هذه النوبة ذنب وانما هو محول على ذلك من هذا الامر ولو لم يخرج لكانت الكتب تغشاه وله من يحرضه على الخروج ولكن تبيعه نفسه وجميع سائر الملوك ويضمن هو المال عنهم وترحل عساكره واذا علمنا انها قد وصلت إلى بلاد الروم ونحن نبعث إلى يانس المتعزب إذا وصل اليه المال أطلقه (قال الروى) لهذه السيره فلماسمع الملك كلام الاميره ذات الهمه أشار اليها بأصبعه وجعل يخضع لها وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه من رؤيته إلى ذلك السيف وهو فى كف الامير عبدالوهاب وهو على رأسه والامير ظالم إلى الجانب الآخر ولم تزل الاميره ذات الهمه تتضرع إلى الأمير عبد الوهاب وتسأله وتقول له كلما تريد من المال على ورحيل العساكر الليله ولا يصبح لهم فى ديارنا آثار عند ذلك قطعوا عليهم ألف ألف دينار وانه يكون الصلح بينهم إلى سنتين ويحمل فى هذه السنة نصف المال إلى يانس المتعزب والسنة الأخرى النصف الثانى ثم تهادنوا الى سنتين ثم ان الامير عبد الوهاب سأله عن الأمير أبو محمد فحلف بالانجيل ان ماعنده من البطال خبر ولم له به علم فصدقه الأمير لما حلف وان الملك قسطنطين أنفذ الى عساكره يقول لهم قد وردعلينا مالم يكن فى الحساب وان أنتم أقمتم ضربت رقابنا وهلكوا النصرانيه فارحلوا من ليلتكم هذه ولايبقى منكم فى هذه الديار واحد لافارس ولاراجل فهو الاصلح لنافالمسيح يخلص

حقنا كان السبب فى ازعاجنا كل يوم عن ديارنا إلى هؤلاء القوم الذين مالنا بهم طاقه (قال الراوى) فلما وصل الكتاب إلى عسكره رحلوا عن بكره أبيهم من وقتهم وساعتهم وتقررت الأموال على ماذكرناها وضمنها يانس وبعد ثلاثة أيام أطلق الأمير عبدالوهاب الملوك جميعا وقسطنطين وكان الأمير أوصى لأصحاب الملك الذين دخلوا إلى بابه اذا رأو عسكره الذين تخلفوا عن المجىء إلى ملطية لا يتعرضون اليه ولا يؤذونه فخرج من عند الأمير رسول اليهم يأمرهم بالمجىء وان لا يخالفوا من عسكر الروم وقد وقعت الهدنة بينهم (قال الراوى) وان الأمير أطلق لاوون لأنه قد آمنه على روحه فدعا له وشكره وخرج ولم يصدق بنجاته خوفا من الأمير وسطوته وبعد أيام وصلت باقى العساكر الذين كان قد تخلف عن الأمير عبدالوهاب وسودانه وعسكر بنى سليم واجتمع شمل الناس بأهليهم حتى كانهم ماحالوا وما زالوا وكتب صاحب الخبر إلى الرشيد بماتم للمجاهدين ويذكر ماعمله الأمير عبدالوهاب وكيف أخذ لاوون وفتح به ملطيه وأخذ الملك قسطنطين وسائر الملوك وكيف باعهم المهج وأنفذه على جناح الطير (قال الراوى) ووصلت الناس من سائر الأطراف والحصون يهنون الأمير عبد الوهاب بالظفر ويهنون الأمير عمرو ابن عبدالله بالخلاص من الاسر فلما تكاملوا الناس وأكثروا للامير عبد الوهاب بالدعاء والشكر فقام القاضى عقبة على قدميه قائما وجعل يدعو للامير ويثنى عليه ثم قال الحمدلله الذى رفع أعلام الموحدين ووضع رايات الملحدين وأظهر فضيلة المجاهـــدين ومكن سيف الأمير الاجل الزاهد العابد المجاهد ناصر الدين وترس قبر محمد خاتم النبيين صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومكنه من رقاب الكفرة المارقين حتى استخلص الاسارى المسلمين من أيدى المشركين وأعاد هذا الثغر بسكانه من المؤمنين وأبدل صوت النواقيس بأصوات المؤذنين وأهلك الظالمين والمتجبرين وكل ذلك بفارس المسلمين وعلم المتقين وسيد بنى كلاب وحامى حوز الدين فقد أصبح به شمل الدين مجموعا وظهر الكفر مقطوعا وعلم الحق مرفوعا ثم أشار إلى الأمير عبد الوهاب يقول هذه الأبيات

بسيوف عزمك توضح البهم ... وبنور عدلك تنجلى الظلم
وبطعن رمحك تنطفى كربا ... لايستطيع دفاعها الأمم
وبصدق رأيك فى الغداة يرى ... من عضبهم ما ظل ينكتم
وبهجة علياء سامية ... لك تشتكى وتخضع الهمم
وجود كفك فى المجال إذا ... ماالجود يقلع معدم العدم
لازال سعدك طالعا وجرت ... بالنحس من أعدائك النقم

النصر نحو علاك ينتشر وإلى ثناك ينسب الكرم
بك عسكر الإيمان منتصر وعساكر الالحاد تنهزم
لولاك كان الثغر منقطع للكافرين وضاعت الذمم
فاسلم ودم فى نعمة أبدا ما لاح نجم أو بدا علم

(قال الراوى) فاستحسنوا مقال القاضى عقبة وان الأمير عمرو بن عبيد الله قال هذا يقوله كله وما له منكم حظ ولا بخت فقال القاضى عقبة ياأمير أنا ما أطلب الحظ الا من الله تعالى لولاهذا الأمير الاجل الرفيع المحل لكنت عندالروم أسيرا فى أسوا حال لانهم الملاعين يعلمون انى ركن من الاركان وعالم خبير بنوائب الأحكام وناصح للامة والإمام فقال الأمير عبد الوهاب صدقت ياقاضى مايحتاج تصف روحك ونحن نعرفك وان الملعون عقبة وثب إلى عند الامير عبد الوهاب واعتنقه وقبل يده وقال له صدق الله قولك وخسر عدوك فقال الأمير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم والله ما كان يلقى بينهم العداوة والبغضاء الا الامير أبو محمد البطال فقالت الأميرة ذات الهمة دعونا من هذا فقد قتل من العباد مافيه كفاية ثم ان الأميرة دعت بالقاضى عقبة وقالت له ياقاضى بحق المسيح والانجيل ما معك علم من أبو محمد البطال فقال لها وحق الصليب ومن صلب انى متعجب من غيبته ولقد سئلت عنه ملك الروم وطرحت عليه العيون فماوجدت له أثر ولا وقعت له على خبر عندذلك صدقته الأميرة ذات الهمة فى ذلك وانقضا مجلس الهناووصلت النجب من العراق بالكتب من أمير المؤمنين بالهنا للامير عبد الوهاب والثنا عليه بالشكر والخلع والالويه وكذلك للامير عمرو بن عبيد الله والسادات من بنى سليم وأقاموا الناس آمنين من القتال والنزال وقد ضاقت الدنيا على الأمير عبد الوهاب لغيبة الاميرأبو محمد البطال وانقطاع خبره ثم أقبل على الاميرة ذات الهمة وقال لها يا أماه لو علمت انه ميتالنعيته أوحيا لطلبته حيث كان وأبذل نفسى دونه ثم كتب الأمير كتاب إلى يانس المتعزب يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمدا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين هذا الكتاب إلى عبدالله يانس نصر الله به الدين ومتع بطول بقاه المسلمين وجمع بحسن رأيه شمل المسلمين اعلم ان الامير أبو محمد البطال أمره علينا قد طال وذلك ان كلب الروم لما طلب بلاد الاسلام أخذ أبو محمد غلمانه ومضى إلى عسكر الروم حرصا منه على نصرة الاسلام وحفظا على أهل الايمان وقد انقطع عنا خبره ولم يظهر أمره ولا سمعنا له خبر ولا ظهرنا له على جلية أثر فاذا وقفت على هذا الكتاب فقم فى الطلب وابحث عن خبره فى سائر الآفاق وتطلبه ان كان

أسير أوغير ذلك ولا يأخذك فى ذلك غفلة ولا توانى فلوكان واحدمنا قد غاب فى هذه الغيبة لكان أبو محمد قد جال فى البلاد يتصفح عن أخباره ويقتص آثاره ثم بعث الكتاب مع غلام وأقام ينتظر الجواب بما يكون من يانس وان الأميرة أنفذت الجواسيس إلى سائر الأقطار وأقامت على ذلك تبكى عليه الليل والنهار وتقول والله لقد فقدت عبدالوهاب فما تم على من فقده ماتم على من فقد الأمير أبو محمد البطال (قال الراوى) وان يانس أنفذ كتاب إلى الأمير عبدالوهاب يقول والله يا أمير لقد سألت عنه فما أحد أعطانى خبره وماله فى بلد الروم أثر وماله سبب الا عقبة فان قدرتم على عقبة فاضربوه واحبسوه واصفعوه والطموه على قفاه وهو يقر لكم بما عنده وماذهى إلا من جانبه فلما سمع الأمير عبدالوهاب قال صدق والله يانس وأريد أن أقبض على عقبة فقالت له الأميرة ذات الهمة ما هذا يا بنى صواب وكان يقع السيف بين بنى سليم وبنى كلاب ولكن إذا أردت هذا والقبض عليه فيكون على وجه الخفية لان عقبة يخرج كل يوم إلى ظاهر البلد فرتب له أربعة من السودان وإذا أبعد عن صور ملطيه يرجلونه عن بغلته ويحملونه إلى قلعة الكوكب فى صندوق حتى لا يعرفه أحدا فى الطريق ونخرج نحن يا بنى على نية الصيد ونقصد اليه ونعاقبه العقوبة التى ما بعدها عقوبة فان أقر بحديث أبو محمد وكان عنده منه خبر فهو يفتح لنا باب نتوصل به اليه وإلى معرفته فقال لها الأمير عبدالوهاب ياأماه هــذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب هذا جرى للامير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمه وأما القاضى عقبة فانه خلا بابنه مصعب وقال له يا بنى اعلم ان الامير أبو محمد هو عمدة الاسود وقد عدم ولابد لهم مما يعملون على وينسبون غيبته إلى وحق المسيح يا بنى ماله عندى خبر وأريد أظهر أنى أذهب إلى العراق وأقصد إلى القسطنطينيه وأكشف عن أخباره فان كان أسيرا أعمل على هلاكه قبل أن يتسببوا فى خلاصه وانى قد عزمت فى غداة غد على الرحيــــل فقــال له ولده مصعب يعز علينا فراقك ولكن إذا كان سفرك بقيد منه أذيه للمسلمين ومنفعة للمتنصرين فهو يطيب على قلوبنــا وان أذيتهم هى غاية مطلوبنا فالمسيح يحفظك ومن الأعادى يرعاك فقال له عقبه يا بنى انى أفزع لا يكون هذا الأسود عبد الوهاب قد رتب إلى أرصاد من السودان كما أخرج من البلد يظفرون بى ويأخذونى إلى بعض المواضع ويقتلونى أو يضربونى ضربا عنيفا ويسحبونى على وجهى سحبا ويطالبونى بما لا أعلم من أمر أبو محمد البطال وأموت تحت العقوبة ولكن يا بنى أنا أعير منهم ثم ان عقبة دخل على الأمير عمرو وقال له لقد عزمت أيها الأمير على الانحدار إلى العراق وخدمة الحضرة النبوية الامامية أنا ومعى غلام واحد وقلبى خائف

من الأمير عبدالوهاب بأن يكون قد رتب لى رجال إلى أن أصير على الطريق ويأخذونى ويضربونى ويعذبونى وان أعن لهم قتلونى وما بقى لى ياأمير جسد يقوى على الضرب والعقوبة وأريد من انعامك يامولاى إذا خرجت فى غداة غد يكون قد سبقنى إلى عند الموضع الذى أريد أسير منه تحط لى فيه جماعة حتى أجوزه يكونوا من بنى سليم فان خرج إلى أحد ليأخذنى من بنى كلاب والسودان الذين هم مثل الليل الدامس فيخلصونى منهم فقال له سمعا وطاعة وانهم أخس وأحقر من ذلك أن يأخذوك من بين أيدينا فقال له القاضى عقبة وحياتك يا أمير انهم أجهل مما تظن وأخس وأقل عقل ولولا انى أريد أمضى إلى خدمة أمير المؤمنين وإمام المسلمين مااخترت فراقك أبدا لأن النظر إليك يجلو منا أبصارنا ويفلح خواطر أفكارنا (قال الراوى) وان القاضى عقبة خرج من عند الأمير عمرو بن عبيد الله وقد عزم على الرحيل وقد أنفذ معه الأمير الرجال وخرجوا معه إلى مَلطيه وأكنوا فى الموضع الذى يريد عقبة أن يسير فيه (قال الراوى) وكان قد أكمن لعقبة أربعة من السودان من أصحاب الأمير عبد الوهاب إلا أنهم من السودان القادمين من الحجاز وهم بجاهيل من عقبة وان الملعون عقبة لما خرج من ملطية هو وغلمانه وساروا حتى وصلوا إليهم فلما رأوهم السودان خرجوا إليهم وقبضوا عليهم وطلبوا أن يمضوا بهم وإذا ببنى سليم قد أدركتهم وخلصوا عقبة منهم ورجعوا إلى ملطيه وجعلوا يسيروا للأمير عبد الوهاب (قال الراوى) وسمعت بنو كلاب فظهروا على بنى سليم وجعلوا يسبوا عمرو بن عبيدالله ووقع الشر بينهم فردت بنى سليم أيديها إلى قوائم سيوفها وامتضوها من أغمادها وجردت أيضا بنى كلاب سيوفها وظهر ما بينهم من الأحقاد وجرى بينهم العناد وجالوا بنى كلاب على بنى سليم فردوهم على أعقابهم وقد خرجوا منهم رجال وانسكب الدم منهم وسال (قال الراوى) ثم ان العقلاء دخلوا بينهم بالصلح وعتبوا على الأمير عبد الوهاب فيما فعل فى حق عقبة فقال عبد الوهاب وقد اعتذر لهم ان ماعندى بما جرى بينهم خبر ولعل هؤلاء السودان فعلوا هذه الفعال لما غاب عنهم البطال وربما اتهموا عقبة وارادوا أن يسألوه عنه لجرت هذه الفتنة فقال عقبة وقد بكا ياعمرو ويلومونى إذا هربت إلى بلاد الروم ثم انه كتب كتاب إلى الرشيد أعلمه بما جرى (قال) فلما وصل الكتاب للرشيد وقرأه فقال معذور لو فعل هذا فى غيره لتنصر وأما عقبة فانه بعدما جرت هذه الفتنة خرج طالب القسطنطونية إلى أن وصل اليها وقصد الى ملك الروم ودخل عليه ففرح به وأجلسه الى جانبه فقال له عقبة هل عندك من عيال المسلمين خبر فقال لاوحق المسيح ولو علمت لأخبرت به المسلمين وساعدتهم بمهجتى على خلاصة فقال عقبة وحق

الانجيل ماأظنه الا فى بعض الاديره أو فى بعض القلاع أو فى الجزائر المنقطعه وقصدى أن أراه وقد قال القائل :

وماغلظت رقاب الاسد حتى بأنفسها تولت ماعناها

ولا تبعث رسولك فى مهم فما للنفس ناصحة سواها

(قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان عقبة أقبل على البترك وطلب منه قميص من ثياب الرهبان فأعطاه البترك ثوب من الصوف الاسود وقلنسوه وزنار وبرنس محبوك باللؤلؤ الكبار وعكاز من الابنوس المقمع بالعاج مطمم بالذهب الوهاج وفى رأس العكاز صليب من الذهب الأحمر يأخذ بالبصر فلما صار عقبة فى تلك الحالة والحيلة أعجب الملك منويل وفرح الفرح الشديد هذا وعقبة يقول اعلم أيها الملك ان فى قلبى النار من أجل البطال ولا بد لى أن أقفو أثره وأكشف خبره فاذا ورد كتابى اليك فلا تطلع عليه أحد لأن للمسلمين عليك عيون يكاتبوهم بكل مايكون ثم انه ودع الملك وسار ولم يزل يطوف الاماكن والكنائس والاديرة والصوامع والبيع أربعة أشهر فلم يقع للبطال على خبر فقال دعنى أقصد دير النذور الى عند تمليخا الراهب فما بقى على الا هذا الدير وقد عزمت ان لم أجد للبطال فيه أخبار والا نزلت من هناك للبحار وأطوف عليه الأقطار فان لم أقع له على خبر فلا شك مات وانقبر ثم سار عقبة حتى أتى إلى الدير فصاح غلام عقبة يارب أجب مولاى الشيخ النجيح عقبة قال فلما سمع الراهب تمليخا ان القادم هو عقبة فتح الباب وخرج إلى لقاه وخرجت بنات الملوك ولم يبق فى الدير لامرأة ولا رجل قال وكان عقبة هو الذى أخذ الراهب تمليخا هذا الدير واختاره له وولاه عليه من مدة ثلاثين سنة فلما وصل عقبة اليه فى ذلك اليوم فرح به تمليخا غاية الفرح وأقبلت الرهبان عليه وجعلوا يقبلون يديه ورجليه وقالت الرهبان اصلبان أخت زنانير هذا هو الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فقالت لهم صلبان لايكون مثل ذلك الذى دخل الينا يقرأ الانجيل ولقيناه بالتعظيم والتبجيل وطلع عيار المسلمين وسارق بنات السلاطين لجاء هذا الكلام فى أذن عقبة فكادان يطير فرحا وقال يعطيك بالاخبار من لاتسائله ثم أقبل على تمليخا وقال له ماهذا الكلام الذى تقوله هذه الراهبة فقال تمليخا أيها الشيخ ان اص المسلمين البطال ورد علينا فى العام الأول وغلمانه وكانت الملكة زنانير قد أتت هى وأمها لأختها هذه الجاريه صلبان ثم أعاد عليه الحديث من أوله إلى آخره فرقص عقبه وقال وحق المسيح لولا أخاف من عقوبتك لأرسلت للملك والبترك الكبير أن يعزلوك لأنك تأخذ أموال الروم وتأتيك بنات الملوك وتتمتع بجوار مثل البدور وبعد فانى ماوليتك هذا المكان وقدمتك على سائر الرهبان الا بشرط

أن تطالعنى بأخبارك ساعه بعد ساعه وأنت قد حصل عندك عيار المسلمين ولا أنفذت عرفتنى فقال الراهب وحق الانجيل لقد أردت أن أفعل ذلك ولكن أخذته الملكه زنانير ودخلت به الى بحيرة الفلك (قال الراوى) فلما سمع عقبه كلامه عذره ورفع صوته بقراءة الانجيل قال فوقعت الرهبان على وجوهها من طيب نغمته وحسن تلاوته فترامت الرهبان عليه يقبلون يديه ورجليه هذا وغلامه يقول الرهبان ياويلكم الزموا الوقار بين يدى قطب الأمصار وقرة عين كل من شاهد زنار وهذا هدية عيسى للملك دقيوسا على يونان بشرط أن يكون ملكها كلها ولما سمعوا قراءة عقبه قال بعضهم لبعض ويلكم احملوه معنا إلى المركب واقصدوا بنا قلعة الملك بكرامته ويخصكم بجلالته وحيا كم بكرامته التى ماوصل اليها أحد (قال) وكانوا هؤلاء بطارقة قد أتوا إلى عند صلبان بطعام ونفقه من عند أبوها صلبوتا وأختها زنانير فنزل عقبه وغلامه صحبتهم وصعدوا للمركب وصار عقبه يدعو للملكه صلبان ثم انهم لم يزالوا سائرين إلى ان قطعوا سبعة أبحر ودخلوا البحر المظلم فهاج عليهم كهيجان القدر وثار منه الدخان وحيتان البحر على وجه الماء وأيقنوا بالغرق والفناء فاقبل عقبه على غلامه وقال ماسافرنا قط أيشم من هذه السفره فقال له غلامه وحق المسيح ماعملت معنا خير باتباعك للبطال فلابد لنا مانغوص فى قرار البحار حتى يكون البطال ميشوم فى حياته علينا ومماته فقال له عقبة اسكت لايسمعوك البطارقة فيقولوا حجة المسيح قد خاف على نفسه من الغرق والفنا فيعطلونا عن الذى أريد أن أعمله فقال له غلامه يامولاى ماأخاف إلا اننا ببركة المسيح يهدينا إلى قرار البحر قال فضحك عقبة من كلامه وقد طيب قلبه (قال) وكان عقبة خبير بهب الريح فجعل ينظر الى الريح وقد تارت من ناحية المشرق وتارت من المغرب والريح يلعب هو والبحر بالمركب كما يلعب الطفل بالعصفور والبطارقة يصلبون على وجوههم ويبكون على ماهم فيه من الغرق فقام عقبة ووقف على جانب المركب لما عرف ان الريح انصلح فأشار عقبة بعكازه الى البحر وقرأ شيأ من الانجيل وصاح صيحة عظيمة وقال للبحر ويلك تهيج وأنا على ظهرك اهتدى كما هديت عيسى الى الملك دقيوسا ثم جعل يقرأ ويورى البطارقة كانه يرقى عليه فاقعد من قيامه حتى سكن فعند ذلك قامت البطارقة اليه وجعلوا يقبلون قدميه ويتبركوا به وقالوا اغفر لنا ياأبونا وارحمنا فأنت هدية عيسى المسيح والشيخ النجيح وأنت هديت البحر بعدان هاج الريح وكنا ضائعين ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى جبل اللان فلما نظر عقبة الى السلاسل وباب القرية والجبلين الملتقيين قال فى نفسه وحق المسيح مانظرت مثل هذا المكان فى طول الزمان ونظروهم الموكلين على رأس الجبل فعرفوا انهم أصحابهم

وقالوا هؤلاء رجالنا قد رجعوا من خدمة الملكة صلبان وتبادروا اليهم وسألوهم عن عقبة وقد أنكروه فقالوا هذا هدية المسيح الى الملك دقيوسا هذا الذى زجر البحر وهو هائج وأشار اليه فسكن فاسبقونا بالبشارة وأخبروه ان قد وصل اليه هدية قال فسبقوا البطارقة للملك بالبشارة وان عيسى بعث اليه هدية فلما سمع دقيوسا كلام بطارقته بمجيء عقبة نصب له قبة ووقف على الساحل فلما نزل عقبة من المركب ولبس ذلك الثوب والبرنس والصليب الذى ذكرنا فأقبل دقيوسا على عقبة وأركبه على حصان أحمر بسرج ذهب مكلل بالجوهر ومشى بين يديه حافى القدمين ودقيوسا متعجب من رقة ثيابه وحسن خطابه إلى أن وصل إلى المرج فشاهد عقبة ماحيره وانهر ناظره من الأزهار المونقه والاشجار المورقة والحياض والرياض المشعشعة والطيور قد زعقت والجداول قد تحدرت والربا قد تفطرت والربيع قد أنزل حدائقه ومد شقائقه والطيور تتناغا بحسن اغانها وتتناشد بألحانها العجيبة الغريبة وقد تحير عقبة عما شاهد وزاد به الامر ورفع صوته وأنشأ يقول :

روضة قد حكت جبين الصباح ... وارتفع الليل فى الرياح
وطاف بالراح كل ساقى ... رضابه فوق كل راح
فاشرب على فضة ودن ... من ياسمين ومن أفاح
فالأرض قد أصبحت عروس ... تجلى من الزهر فى وشاح

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وقد انسر اللعين عقبة وانشرح وقد أقسم عقبة على الملك أن يركب وقد سأله فى ذلك وقال له إن لم تركب والا أنا أترجل عن مركبى فقال له الملك اعلم أنه لايجب الركوب بين يديك فقال له صحيح أيها الملك لكن أنا أعفيك من ذلك ولا يؤاخذك المسيح من قبلى لانك أنت ملك هذه الديار ومالك الجيرة والاقطار ثم ان عقبة مازال به الى أن أجاب فعند ذلك قدمت الملك دقيوسا فرسا كانت مع غلمانه وهى من أنخر خيله فركب الملك عليها وقد صار بجانب عقبة حتى وصل الى باب الحصن فترجل الملك ولزم ركاب عقبة وقد عضده إلى أن أنزله عن الجواد ودخل هو وإياه الى داخل الباب ثم إنه جلس هو وإياه على باب القلعة يتحدثوا وقد أمر الملك البطارقة أن يحضروا له محفة ففى عاجل الحال أحضروا له ماطلب فقال لعقبة ادخل واجلس فى هذه المحفة فقام الملعون ودخلها وجلس فيها وقد كانت تلك المحفة تشغل بالذهب الاحمر ثم ان الملك أمر البطارقة أن يحملوها فحملوها والملعون عقبة داخلها وقد صعدوا به إلى فوق القلعة ومازالوا طالعين به الى أن خيل لعقبة أنه قد صار فى العيوق من علو المكان وقد

فرح بذلك وضحك ثم انه قال وحق المسيح ماقصدى الا أن أرى البطال فى هذه الايام، حتى انى أهلكه فى هذه البلاد المتباعدة حتى لايعلم به أحد وبعده الاسود عبد الوهاب، وذات الهمة وسائر بنى كلاب ولم يزالوا صاعدين به الى أن صعدوا الى أعلا القلعـــة ونزلوا القوم المحفة من على أكتافهم فخرج عقبة من المحفة وقد أخذه الملك ودخل به الى القصر وجلسوا فيه فصار عقبة ينظر الى الارض وتلك الرياض الباهرة والقدرة التى هى ظاهرة ولا ينطق له لسان بذكر الواحد الديان الحنان المنان الذي لايشغله شان عن شان بل قد ختم الكفر على قلبه وقد طمس على بصره ولبه فصار يقرأ الإنجيل بصوت ندى حتى انه أطرب كل من كان حاضر من البطارقة وقد صلبوا على وجوههم من طيب نغمته وحسن قراءته ولما استقر بهم المجلس أقبل الملك على عقبه وقال له ياهدية عيسى أنا حافظ هـذا البحر والجبل الذى عليـه الآمل وقد عجزت الملوك عن الوصول إلى هذا المكان خوفا منى فقال له عقبه المسيح يرعاك وسوف تنزل عليك بركتى وتشملك رعايتى وعنايتى وأنت سيف المسيح فى الدنيا وتحشر معى فى العقبى صدق الملعون فى هذه الكلمة لاغير ولم يزال معه إلى أن تهود الليل فقام الملك إلى منامه ونام الملعون عقبة فى لعنته إلى الصباح وكتب كتاب مزور على لسان أبو محمد إلى الأمير عبد الوهاب يقول فيـه أما بعد أيها الأمـــير لما فارقتك وطلبت عسكر الروم سرت إلى أن توصلت إلى دير تمليخا فلما دخلت إلى الدير رأتنى جارية تسمى زنانير ابنة الملك صلبوتا فعرفتنى فأمرت بالقبض على وقد أخذتنى أنا وغلمانى وسارت بنا إلى بحيرة الفلك بلاد أبيها وهى بلاد ما بلاد مثلها ولـكن المسافة بعيدة تقطع ستة أبحر والبحر السابع بحيره الفلك وهى فى وسط جبل محيط وعلى الجبل أربعين قلعة ليس فيها صعب غير الدخول من بابها لأنهم إذا غلقوا الباب لم يقدر أحد أن يدخل اليهم إلا أن تكون مركب بعد مركب ويكون فيها بضاعة على زى التجار واعلم أننى قد حصلت الحصن الأول وقد سميت نفسى هدية عيسى الى الملك دقيوسا وذلك بعد أن تخلصت من زنانير بحيلة عجيبه ومن جملة مارأيت فى هـــذا الحصن أربعين صندوق ملآنه من الذهب الاحمر فبينما أنا كذلك إذ وصل الملعون عقبة إلى الملك دقيوسا فى رسالة الملك منويل فلما أن رأيته أخفيت نفسى إلى الليل فأخبره الملك دقيوسا بحالى وقال له اعلم ان قد وصل الى فى هذه الايام راهب يقال له هدية عيسى فقال له عقبة أرنى اياه أيها الملك حتى أبصر هذه الهدية فقال له إنه فى مجلس المسامرة وهو فى أعلا الحصن فنهض عقبة ودخل على وهو وحده فلما أن رأيته وثبت اليه وطرحت روحى عليه وخرجت صارخا إلى الملك فلما ان

رآنى وأنا على تلك الحالة جعل يقبل يدى ويقول لى ياهدية عيسى ماوراك وما هو الذى قد دهاك فقلت له أيها الملك اعلم أن هذا الكلب صاحب الملك منويل ماجاء فى رسالة وما جاء إلا جاسوس وانه يريد قتلى فى حجة الرسالة لأنه لما ان رآنى وأنا أريد الخروج من القسطنطينية تقدم إلى وقال لى لم لا جعلت هذه الهدية للملك منويل لأنه كان أولى وأحق بها من غيره فقلت له ليس الأمر إلى وإنما الامر للسيد المسيح لأنه قد غضب الملك منويل لأنه جبان ذليل لأنه يأخذ مال الروم كل عام ويدفعه للمسلمين وان المسيح بهذا السبب يريد أن يعطى ملك الروم للملك دقيوسا ولا شك أنه قد أخبر الملك منويل بقصتى وقد أرسله اليك رسولا ليحتال على وعليك وإنه لما أن دخل إلى دارى طرح لى سما فى الماء الذى أشرب منه ولولا أننى نظرت اليه بنور المسيح لشربت من ذلك الماء شربة الهلاك فلما سمع الملك دقيوسا كلامى أدعا بخنزير وقدم له ذلك الماء فلما ان شرب منه الخنزير فما استقر فى جوفه حتى سقط لحمه عن عظمه فلما أن رأى الملك دقيوسا الى ذلك غضب على الملعون عقبة وادعى به وضربه وقيده وسلمه الى وقد وضعته فى مطموره فاذا أنت وصلت ومن معك الى ساحل البحر تنزلوا كلكم فى مركب أنت ومن تريده من بنى كلاب وتسير واذا وصلت الى قرب البحر توقف المركب فيأتوك أهل ذلك الحرس ويسألوك عن حالك فقل لهم انك تاجر من تجار الهند ومعك اعدال القطن فيأخذوك ويأتوا بك الى عند الملك فيكون معك مائة بطل وتكون قد عممت السودان بالعمائم وتصنع لهم شعرا طويل ودعه يكون مستعار واذا صرت فى القلعة وملكتها لاخذتم سائر القلاع والسلام (قال الراوى) ثم ان الملعون عقبة لما فرغ من كتابه الكتاب طواه وسلمه لغلامه وقال له خذ هذا الكتاب وسير به الى ملطيه وادفعه للامير عبد الوهاب فأجاب الغلام بالسمع والطاعة وقد أوصاه باليقظة والاحتراز وقد سيره فى بعض المراكب التى للملك دقيوسا فهذا ما كان من عقبة ومادبر (وأما ما كان) من أبو محمد البطال وغلمانه فانه لما أخذته الملكة زنانير من دير النذور كما قد ذكرنا من قبل هذا الكلام وأنزلته فى المركب وسارت به هى ومن معها من الخدام ومازالت سائره الى أن وصلت الى بحيرة الفلك فأرسلت الى أهل القلاع تخبرهم بوصولها ثم انها ألبست البطال ثوب أحمر من لبس النساء وعقدت ذيله ولمت وراءه من الصغار والاطفال وقد جعلت على رأسه بخنق صغير فلما رأى أبو محمد الى ذلك الحال قال لغلمانه مارأيت فى طول عمرى مثل هذه الجارية ولا أنحس منها ولا أكلب من هذه المقطوعة النخاع فانها جعلتنا مثل الصغار الاطفال وقد بقينا بابه

من بابات الخيال وقد صرنا مساخر يضحك علينا كل من يرانا ولا بد ما يحصل لنا منها التعب الكبير والضرب والعذاب الغزير فلا ستر الله عليها ما أعظم شرها وما أقوى فطنتها على صغر سنها فوالله لتشهرن فى هذه البلاد شهره ما مثلها شهره ونبقى عبره ودعوه بين أهل هذه الديار (قال الراوى) وقد انقلبت القلاع والحصون بأهلها لوصول الملكة زنانير وكانوا إذا التقوها يقبلون يديها وأسافل قدميها ولما ان وصلوا اليها سألوها عن هذا الذى معها فقالت لهم اعلموا أن هذا عيار المسلمين الذى يسمى البطال السراق الذى يسرق بنات الملوك ويخرب بلاد الروم ويعمل على قتل الملوك فلما ان سمعوا من الملكة زنانير ذلك الكلام تقدموا إلى عند البطال وصار يصفعوه هو وغلمانه فأقبل لؤلؤ على مولاه البطال وقال له والله يا مولاى لو لطمونا عند كل قلعه لطمة واحدة لكانوا يعمونا فقال له البطال يا لؤلؤ من صبر على ما بلاه الله وصل إلى جوار الله

(قال الراوى) ثم إن الملكة زنانير سارت بهم من ذلك المكان ولم تزل سائره إلى أن وصلت إلى القلعة الثالثة والعشرون التى هى لأبوها الملك صلبوتا وقد كان لدخولها يوم عظيم لما قد اجتمع معها من العوام ولما أن وصلت قلعتها خرجت عند ذلك العساكر إلى لقائها وكان فى جملة من تلقاها الحكيم اقليدس فلما ان وقعت عين البطال عليه علم أن ما كان سبب أسره إلا منه فلما قرب منه قال له هكذا تكون الاصدقاء والأصحاب فالتفت الحكيم اقليدس إلى المتكلم فعرفه فقال ابشر يا أبو محمد بالخير فوحق المسيح لأصلبنك أنت وغلمانك بالحياة على هذا الفلك وما أنزلكم من عليه حتى تهلكوا ولاعذبنكم أشد العذاب وبعد ذلك أرميكم إلى الكلاب فقال له البطال لا بشرك الله بخير ولا سلامة فلما سمع البطال من الحكيم اقليدس ذلك الكلام سكت وقد علم أن ما ينفعه فى ذلك المقام كثرة الكلام هذا وان الملكة زنانير لما أن وصلت إلى قلعتها دخلتها وطلعت إلى قصرها وقد طرحت البطال فى مطمورة هو وغلمانه وقد أوصت عليهم باليقظة والاحتراز ولما أن صار البطال هو وغلمانه فى تلك المطمورة قال لهم اعلموا اننا من ههنا نحشر فقال له لؤلؤ يا مولاى اعلم أننى سمعت الروم وهم يتحدثون ويقولون لبعضهم البعض قد قال الملك صلبوتا انه قد بقى لعيد الدواليب عشرة أشهر وعشرين يوم وتأتى أهل الحصون والقلاع وسائر القسوس والرهبان ونصلب فيه هذا العيار المحتال أبو محمد البطال وغلمانه حتى يشاهدوه الناس جميعا وهو على الدولاب وغلمانه معه وهم الجميع بالحياة ولا يزالوا على الدولاب بالحياة وهو يدور بهم حتى يموتوا ولا يبقى منهم أحد فلما ان سمع البطال من غلامه لؤلؤ ذلك الكلام قال له يا لؤلؤ اعلم انه اذا جاءت نفخة الصور جمعنا من حواصل

الطيور والذى أوقعنا ههنا قادر على ان يخلصنا على اننا والله فى بلاد بعيده وما عندنا أحد يعرف المسلمين بأخبار نافيأتوا الينا ويسعوا فى خلاصنا ولكن ما كان سوف يكون ثم انهم أقاموا فى ذلك المكان وقد كانت الروم فى كل أسبوع يوم الاحد يخرجوهم من المطموره وفى رقابهم الحبال وكل من رآهم يبصق فى وجوههم من النساء والرجال فلما ان رأى منهم البطال ذلك الحال صار يقرأ لهم الانجيل ويلهيهم به ويشرح لهم مافيه من التحريم والتحليل ومافيه من التفضيل وماقيل عن المسيح من بعض الاقاويل ومازال معهم على ذلك الحال حتى تعجبت منه الملكة زنانير وأبوها الملك صلبوتا وجميع البطارقه وقالوا له وحق المسيح لو كنت تنصرت لجعلناك بترك هذه الديار وتكون هذه البلاد كلها بحكمك وكنا نتعلم من علمك لاننا مارأينا قط مثلك يتكلم فى تفصيل الانجيل فقال لهم البطال لما ان سمع منهم ذلك المقال باترى من كثرة ماعملتم معنا من الاحسان حتى اننا نفارق ديننا وندخل فى دينكم ونحن أيضا فى أسركم وثقل قيودكم وهذا الجوع الشديد ماعليه من مزيد فاخلعوا عنا هذه الثياب وألبسونا غيرها نكون فى زى الرهبان حتى أننا نرى أيما أرجح ديننا أم دينكم ويقيننا أو يقينكم وبعد ذلك يكون مايكون فلما أن سمعوا منه ذلك الكلام رق له قلب الملك وقد صفى لما قال له من الكلام فعند ذلك أمر بتغيير ثيابهم وقد أمر باطلاقهم فقال له الحكيم اقليدس أيها الملك لاتفعل معهم هذه الفعال واعلم انما كلما يقوله هذا الشيطان زورا منه ومحال ولكن أنا أقول لك على كلمة واحدة فان قالها اعلم أن كلما مايقوله صحيح فقال الملك قل مامعك وإن لم يفعل فأنا أصلبه هو ومن معه فى هذه الساعة فعند ذلك أقبل الحكيم اقليدس على البطال وقال له ياأبو محمد أنت تعلم ان هؤلاء مايعرفوك وأنت تريد أن تدبر الحيلة عليهم حتى ان الملك يأمر باطلاقك من القيود وتهجم عليه فى ليلة من بعض الليالى وتنحره وتسرق ابنته الملكة زنانير فلما أن سمع البطال ذلك الكلام من الحكيم أقليدس قال له اعلم أن هذا كلام من لاله فينا غرض فقال الملك صلبوتا للحكيم أيها الأب أنت قد قلت انك تقول له كلمة واحدة فما نراك قلت له شيأ فدع عنك هذه المحاورة وقل له ماقلت لنا عليه فقال له الحكيم اقليدس أيها الملك قل له يتبرأ من محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه فعندها أقبل الملك على أبو محمد البطال وقال له ياهذا قل ماقاله الحكيم أقليدس فقال أبو محمد أيها الملك أنا ماتنصرت حتى أتبرأ من دينى وإنما قلت لكم احسنوا إلينا فان طابت قلوبنا ان تدخل فى دينكم فعلنا ذلك وإن لم تطيب قلوبنا به افعلوا بعد ذلك بنا ماشئتم أن تفعلوا فقال له الملك صدق فيكم الحكيم أقليدس ثم ان الملك بعد ذلك الكلام أمر بهم إلى حبس البيعة وكان حبس البيعة ن منكا حصين وعليه

سبعة أبواب من الحديد فعند ذلك مضوا بهم إلى البيعة وأنزلوهم فى تلك المطمورة بعد
ماوضعوا فى أرجلهم القيود وقد أوصى عليهم الملك الموكلين بهم أن لا يطعموهم إلا فى
ثلاثة أيام مرة واحدة ثم ان الملك قدم على الموكلين عليهم بطريق جبار اسمه مرطاوس
وكان هذا البطريق لعنه الله من تجبره إذا غضب على أحد من الناس لا يهدى حتى أنه
يشرب من دمه هذا وقد قال له الملك احتفظ بهؤلاء الأسارى لأنى أريد أن أصلبهم يوم
عيد الدولاب فتسلمهم ذلك الملعون وقد أنزلهم فى تلك المطمورة وصار يعذبهم فى كل يوم
ويقول لهم اعلموا أن الملك قد قال إن لم يتبرؤا من دينهم فلا ترفع العقوبة عنهم فقال له
أبو محمد اعلم ياهذا إننا مانشرك بالله شيأ وقد ألهم الله أبو محمد وغلمانه الصبر فصبروا
على ذلك العذاب وقد أقاموا فى ذلك المكان (قال الراوى) فهذا ما كان من البطال وغلمانه
وأما ما كان من الملك صلبوتا فإنه أرسل الرسل إلى الحصون والقلاع أن يحضروا إلى
كنيسة القدرة ولا يتخلف أحد ليحضروا صلب البطال وغلمانه فما كانت إلا أيام قلائل
حتى وصلت الملوك إلى القلعة من سائر الحصون والقلاع والبلاد والرساتيق والضياع
وكانوا إذا دخلوا إلى كنيسة القدرة يقدمون إليها النذور وإليها يتقربون ومن التصاوير
التى فيها يتعجبون ولما أن يفرغوا من عبادتهم إلى السجن يمضون يريدوا أن يتفرجوا على
البطال وغلمانه فيمنعهم البطريق مرطاوس ويقول لهم ليس لكم إلى ذلك من سبيل حتى يأتى
يوم العيد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما كان يوم العيد أقبلت الروم إلى الكنيسة يتهارعون
وان أقليدش دخل إلى صلبوتا وقال له أيها الملك قد عولت ان أجعل رجلى البطال إلى رجلى
غلمانه وأسمرها فى الفلك بالمسامير الذهب وأجعلهم على هيئة الصليب ويدور الفلك
بهم ويكون تحتهم عشرة آلاف قس ومطران يتلون الانجيل بأحسن الالحان وأقول
للبطال ياأبو محمد ان كان دينك حقا فانت تخلص من هذا البلاء الذى أنت فيه فقال له الملك
صلبوتا افعل ماتريد ثم أعطاه ما يحتاج اليه فهذا ماكان منه (وأما ما كان) من الملكة
زنانير فانها جمعت بنات البطارقة الحسان الموصوفات بالحسن والجمال وكان عدتهم أربعة
آلاف بنت وقالت لهن لا تأتى واحدة منكن الا وهى مزينة بأفخر ماعندها ففعلن ماأمرتهن
وقد أشرقت الدنيا لحسن جمالهن ولبسهن هذا والملكة زنانير كالقمر المنير لحارت قبائل
الروم من حسنها وجمالها ولم يبق أحد من الروم إلا وخطبها من أبيها فقال لهم اعلموا
ان أمرها مسلم اليها واعلموا ان مقامها فى بستان الدار هى وصويحباتها من الجوار وأنا
ما أردكم عنها بل أمضى معكم اليها وأعرضكم عليها فمن أرادته كان زوجها فلما سمعت الملوك
كلام الملك صلبوتا قالوا بأجمعهم لقد أنصفت ثم بذلوا فى صداقها الاموال حتى بلغ مهرها

عشرة آلاف مثقال ذهب معجلة غير مؤجلة ومن ثياب الاطلس وعقود الجوهر وحجارة الياقوت الاحمر ومالا يضبط ولا يحصى فعند ذلك قال لهم الملك صلبوتا يمضى كل منكم إلى موضعه الذى هو نازل فيه ويلبس أفخر أثوابه ويرجع حتى نسير اليها فمضت الملوك إلى خيامهم ولبس كل واحد منهم ماقدر عليه من اللبس والزينة ثم رجعوا كانهم زهر البستان فى غرائب الألوان فلما رآهم الملك صلبوتا قد أتوا على هذه الصفة أكرمهم غاية الاكرام ثم أخذهم صحبته وسار بهم إلى ان وصل إلى البستان ودخل بهم على ابنته وسلم عليها فنظرت الملوك إلى زنانير وهى جالسة على كرسى من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والجوارى من حولها كأنهن الطواويس وبين يديها طاس من الذهب الاحمر فيه خمر قد راق كانه العقيق أودموع العشاق ومافى أصحابها البنات إلا ومن فى يدها شىء تغنى به آلة الطرب وبين يدى الملكة زنانير قانون من العود الرطب عليه أوتار من الابريسم والجوارى يغنون بالنوبة حتى انتهت بالنوبَة إلى الملكة زنانير فلم يبق أحد من الجوارى الاقام اليها وقبلن يديها وسألنها السماع من نغمتها فقالت لهن سمعا وطاعة ثم انها أخذت القانون وأصلحته وغنت عليه بالرومى فلم يبق أحد من الروم وأبناء الملوك إلا وقد صار لها شبه المملوك ثم انها أقبلت عليهم وقالت لهم وحق المسيح لاغنين لكم بالعربى فما فى اللغات أطيب منها ثم رفعت صوتها وأنشدت تقول

الشمس قد لاحت تحاكى الخمر ... مستترات فى نجوم الزهر
ونحن ما بين بدور الخدر ... ثقال ردف ناحلات الخصر

(قال الراوى) ثم انها غيرت الايقاع وأنشدت تقول

يا عائقى عن صبوحى ما أنت لى بنصوح
الراح روحى ومالى صبرا على فقد روحى
فدع ملامك فيها أنشدت غير صحيح

(قال الراوى) وعمل السكر معها فاحمرت وجناتها وغزلت عيناها فلم يبق أحد من الملوك الاوتمناها ولم يزالوا على ماهم عليه حتى بقى للعيد يوم واحد فحملت اليهم موائد الطعام وعندانفصالهم من الاكل وثب كل منهم قائما على قدميه وأشار إلى الأرض لاثما بيديه وجعل يصف نفسه وملكه ويبذل لزنانير ما بملكه فلما سمعت كلامهم وعرفت مرامهم قالت لهم وحق المسيح والانجيل الصحيح لقد كدرتم علينا صفو عيشنا على انى لاأريدكم الا على الوجه الجميل لانكم ضيوفنا وزوارنا وأنا أعلمكم انى رأيت المسيح فى المنام

وهو يقول لى لاتتزوجى الا بمن اذا صارعتيه فيصرعك وقد رضيت بهذا الشرط فقالت الملوك رضينا بما قال به السيد المسيح فقالت ومن لم يصرعنى وأصرعه كان لى عليه عشرة آلاف دينار فى مقابلة عنائى له فى المصارعة وشد الزنار

(قال الراوى) فلم يبق أحد من الملوك الا وأجاب إلى ذلك فقامت قائمة ونزعت الاثواب التى كانت عليها وبقيت فى غلالة انطاكى يبان منها جسمها وهو كانه الورد فى أيام نيسان فروعت قلوب البشر وصرعتهم بالنظر قبل الصراع وعلا منهم الضجيج والنزاع وكل واحد منهم يريد أن يكون الاسبق إلى الصراع وصاحت بهم ياويلكم اقلوا من صياحكم واطرحوا القرعة بينكم فمن وقعت عليه يخرج إلى صراعى فعند ذلك تصارعوا وقد حضر البترك والحكيم أقليدس ليشهدوا على الغالب من المغلوب فلما تقارعوا وقعت القرعة على الملك شمشمونا ففرح وقال نذر على للبيعة الفلانية وصدقة للملة المسيحية عشرة آلاف دينار فعند ذلك خرجت اليه الملكة زنانير وتدانيا بعضهما من بعض وتقابضا ووقعت يد الملك شمشمونا على خصر الملكة زنانير فغاب رشده وسال لعابه فطرحت روحها عليه ولطمته بين كتفيه وإذا أعلاما فيه رجلاه فانصرف وهو خجلان وليس له عقل ولا جنان وأخذه الصياح من كل جانب وكان عليه ذلك الصياح أشد من ضرب الصفاح (قال) ولم تزل الملكة زنانير تصرع واحد بعد واحد حتى صرعت الملوك كلهم ورجعوا من عندها بالخيبة إلى خيامهم وقالوا وحق المسيح ان الصراع ماهو من شأننا ولو كان معها انصاف لدعتنا إلى مقام الحرب والمصاف فلما بلغها ذلك وقالت لهم غداة غد يكون ماذكرتم فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الملوك بأحسن زينة تكون وركبت الملكة زنانير على حصان أحمر بحسنه يذهل المنظر ثم قالت لابيها صلبوتا بحق عليك ياأبتاه أخرج المسلمين فما بقى لهم فى الحياة غير هذين اليومين ونصلبهم لانهم يزعمون ان مافى الدنيا أشجع من الامير عبدالوهاب وامه ذات الهمة وأبطال المسلمين وأريد ان ينظروا اليوم ماأصنع بالملوك وأقول لهم هل تقدروا أنتم وأميركم أو أحدا من أبطالكم على هذا فقال لها أبوها السمع والطاعة (قال الراوى) فألقوا القرعة بينهم كما فعلوا فى الصراع فوقعت القرعة على الملك شمشمونا وكان أكبرهم سنا وأوفاهم عقلا وذهنا وكانت زنانير قليلة الرغبة فى الشباب فكيف الشيوخ الشياب فأقبلت على جوادها وقالت أسأل المسيح أن لايجمع بينى وبين هذا الشيخ هذا وقد أخرج الملك صلبوتا أبو محمد وغلمانه من السجن كما طلبت ابنته وان الملكة زنانير حملت على الملك شمشمونا وحمل عليها وكان على جواد ادهم عالى ململم كانه العقاب الكاسر أو النسر الطائر كما قال فيه الشاعر

وأدهم بصاص السواد كأنه صدود حبيب أو نميمة كاشح
يفوت وميض البرق فى حال جريه ويسبح فى بحر من النقع طافح

(قال الراوى) وبيده قنطاريه خلنجية عليها سنان كأنه لسان ثعبان وقد أخرجوا أبو محمد وغلمانه من الاعتقال وقد أزرى بهم الحال وبقوا كأنهم الخلال وقد عبروا بهم الحمام وغسلوا رؤسهم وصلوا ما فرض الله عليهم وأمرت لهم الملكة زنانير بما يقوى منتهم فأتوا لهم بكبش فذبحه أبو محمد البطال وأصلحه وأضرم النار وجعل يقطع ويشوى ويأكل هو وغلمانه إلى ان اكتفوا (قال) وان الملك شعشمونا والملكة زنانير فتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وجالا مليا وتعاركا وقيا وأخذا فى الكر والفر والاخذ والرد وكان تحت الملكة زنانير فرس أحمر أقب مضمر كأنه العقيق أو شعلة حريق يفوت الأسد فى وثبته والنمر فى وقاحته والثعلب فى روغته ثم ان الملكة زنانير وثبت من على ظهر جوادها إلى الأرض وتمت معه فى جريانه مقدار رمية نشاب وعادت إلى سرجها من غير ان تضع رجلها فى الركاب ثم حذفت القنطارية إلى ان غابت عن أعين الناظرين وقامت قائمة فى السرج وخطفتها من الهوى ولعبت بها لحيرت العقول وتركت المعانى معلول فقال أبو محمد وحق مرسى الجبال ومحصى كثبان الرمال ما على وجه الأرض فى الطول والعرض من هو نظير الملكة زنانير ولقد ظفرت بالملك شعشمونا ولو شاءت لكان مطعونا (قال الراوى) ثم ان الملكة زنانير جالت على الملك شعشمونا وعلمت عليه فى ثلاث ولو أرادت طعنه لطعنته ثم قالت أيها الملك وحق المسيح لولا ان منزلتك عندنا عزيزة لقصدت بالقنطارية إلى صدرك أخرجت سنانها من ظهرك ولكن لك الحرمة الازلية والمنزلة العلية ولا ننكر جميلك ولا نهدر ما سبق الينا من صنيعك فارجع من حيث أتيت واطلب عروسا غيرى (قال الراوى) فرجع الملك شعشمونا وخرج اليها ثانى فأسرته وثالث فأفضحته ورابع فقهر وخامس فعلمت عليه وسادس شوشت خاطره وطعنته وسابع حيرته وثامن أذهلته وتاسع بأذياله عرقبته وعاشر أضجرته ولم تزل إلى ان قهرت الجميع وقالت لهم وحق الانجيل لو أردت أذيتكم لتركتكم ما بين قتيل وجديل

(قال الراوى) لحين حاين فعلها أبوها الملك صلبوتا سعى نحوها وقبل صدرها وقال لها وحق المسيح لقد فقتى بها الفعل المليح يا صاحبة الوجه الصبيح واللسان الفصيح والعقل الرجيح ثم إن الملكة زنانير أقبلت على الأمير أبو محمد وقالت له كيف ترى هذه الفعال يا بطال فقال لها أبو محمد وحياتك يا زين الخصال ما رأيت قط هذه الفعال الا الاميره ذات الهمه ولكن لكى الفضل علينا أيتها الملكة بجمال هذه الصوره الفتانه فكأنكى غزاله عطشانه

أو حصان يرج فى ميدانه فالبدر يطلع من مطالع أزرارك والسعد مساعد لمن يكون صاحب دارك ولو كنتى سمحتى بنفسك للملك شمشمونا لانه فارس الخيل شديد القوى والحيل وبالله ماقهره إلاهواكى ولا ملكه الاعيناكى ولقد شهدت له الشجاعه بأنه فارس دهره ووحيد عصره ولقد سمعت الروم يصفونه ويثنون عليه ويقولون ان ماله فى الأرض عديل وأشار إلى زنانير يقول

حويتى زنانير جميع الصفات ... وأدركتى ماأعجز العالمينا
وقد حزتى كل أكرومة ... بلغتى بها غاية السابقينا
وأبهر حسنك جميع الانام ... فأدركتى منه المكان المكينا
وقد شعشع النور فى وجنتيكى ... فتيم بنظرته شمشمونا
فجودى عليه بوصل يسر ... فؤادا كئيبا وقلبا حزينا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فقالت الملكة زنانير أحسنت ياأبو محمد ولكن وحق المسيح مالى فى الرجال رغبة ولا يطلب قلبى إلا ربات الحجال ولو طلب قلبى غير ذلك لاوقعته فى المهالك ثم ضحكت فأشرقت الدنيا من جمالها البهى وسواد شعرها الديجورى وبياض ثغرها اللؤلؤى فقال لؤلؤ يا أبو محمد قتلتنى وحق كلمة الاخلاص المنجية يوم القصاص ولقد حار عقلى فى حسنها وجمالها وبهائها وكمالها وقدها واعتدالها فقال له الامير أبو محمد ويلك ماعندك شغل شاغل مما نحن فيه حتى تتلاعب على بنات الملوك فقال لؤلؤ يامولاى كل محنة نزلت عليك لما رأيت نورى فى الدير قد نزلت على أضعافها فقال له أبو محمد ويلك ان المحنة قد نزلت علينا كاننا من يوم رأيناها ونظرناها وقعنا فى الصفود وثقل القيود وغدا نصلب على هذا الدولاب ولا يحسب لنا حساب ونعذب بأنواع العذاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع لؤلؤ كلام مولاه جرت دمعته على وجنته وأنشد :

كف الملام أبا محمد واعذر ... وانظر لخود ذات طرف أحور
من جفنها رمت القلوب بأسهم ... تردى حشاشة كل ليث قسور
فاذا بكى العانى تبسم ثغرها ... مابين أصداف اللآل وجوهر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع أبو محمد من لؤلؤ ذلك الشعر صعب عليه وكبر لديه وقال فى نفسه لايكون إذاعاين الصلب يحمله العشق والهوى أن يكفر ويتنصر فلاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم أدفع بها ماأطيق وما لا أطيق ثم أراد أبو محمد ان يكشف مافى قلب لؤلؤ فقال له لؤلؤ اذا قضى الله علينا وشدونا على هذا الفلك كما أشار عليهم

هذا الملعون أقليدس وشمروا أيدينا وأرجلنا فاظهر لهم يا اؤلو التنصر لعلك تسلم من القتل وتكون ههنا مقيما تتمتع بالنظر إلى هذه الملكة زنانير إلى أن يفرج الله عنك وترجع إلى بلاد الاسلام فقال اؤلؤ يا مولاى هذا كلام مثلك لمثلى وتعلم أن هذا الحكيم أقليدس لا يرضى منا بالنفاق الا أن تكفر بالملك الخلاق وتتبرأ من صاحب البراق الذى عرج به الى سبع طباق فقال له أبو محمد ولم لا تفعل ذلك يا اؤلؤ فقال لا وحق من رفع سرادق القيوم وعلم ما فى قرار التخوم الحى القيوم لا أشد زنار من أجل زنانير ولا أشرك بالملك القدير ولا أتبرأ من البشير النذير السراج المنير وان أراد الله أن يجمع شملى بها كما جمع شملك بنورى فهو القادر وان مت دون ما أملته فأكون شهيد فأنا أرجو من الله أن تكون زوجتى فى الدار الآخرة ان مت على هذه الأفلاك الدائرة فقال أبو محمد بارك الله فيك يا اؤلؤ والله ما عملت معك هذا العمل ولا تكلمت هـــذا الكلام الا على سبيل الاختيار خوفا عليك من عذاب النار وان تحشر فى زمرة الكفار فقال له ياسيدى اننى من خجلى منك ما قدرت أن أبوح بما فى قلبى لاجل ما نحن فيه من ذل الاسر وغلبة القهر لكن نفسى لا تحدثنى يوما بعصيان الله تعالى ثم ان اؤلؤ انتحب وبكى وناح وأن واشتكى وأنشد وقال :

دين النصارى هو الدين الذى سلبت ... عقلى به فتنة الدنيا زنانير
رعبوبة ملكت رقى محاسنها ... فصرت فى حبها والله معذور
غريبة الوصف فى أعصابها خفر ... منه تحيرت الولدان والحور
رشيقة القد فى أعطافهـــا هيف ... تردى الانام بمقتول ومأسور
تملكتنى بطرف ساحر فتنت ... به القلوب وعاد القلب مسحور
وكنت أسمع عنها كل مكرمة ... من حسن أخلاقها الآتى لها نور
حتى اجتمعت بها فى محفل شهم ... والخير عند أولى الألباب محبور
وقد حـــكى الغصن لينا فى رشاقته ... والغصن من خجل والخد مهصور
وحاجب كنت أبدى وصف كحلته ... لأن عاشقه فى ذاك معذور
فهل إلى قربها وصل أسر به ... كما يسر أخا الفقر الدنانير

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وان أبو محمد لما سمع كلام اؤلؤ وشعره ونظمه ونثره دمعت عيناه وقال إنا لله وإنا اليه راجعون فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك شمشمونا فانه بلغه من بعض خواصه مدح الأمير أبو محمد البطال والثناء عليه وما قاله فى حقه عند الملكة زنانير وانه بالغ فى وصفه فأعجبه ذلك من أبو محمد

قال وإن الملكة زنانير فانه انقطع طمع جميع الملوك عن زواجها هذا جرى من أمرها وقد جاءت ليلة العيد وانتظروا الناس صحة المواعيد وإن الحكيم اقليدس جعل يحرض الناس على هلاك البطال وغلمانه ويقول لهم سوف يرضى عنكم المسيح بحضوركم الى هلاك هؤلاء الذين أخربوا بلادهم الروم وفعلوا كل فعل مذموم ويقول عن أبو محمد هذا قاتل الرهبان هذا مخرب بيوت كل قس ومطران هذا سارق بنات البطارقة هذا مهلك العمالقة وبينما الحكيم اقليدس فى هذا الكلام واذا قد وصل مركب من القلعة الأولى وهى قلعة الملك دقيوسا الى الملك صلبوتا وفيها هدايا وتحف وفيها أيضا القسوس والرهبان ومعهم كتاب من الملك دقيوسا الى الملك صلبوتا وهو يعتذر من تخلفه عن العيد ويقول فى كتابه أيها الملك قد سيرت اليك هدية المسيح عيسى فالواجب عليك وعلى أهل ملة النصرانية اكرامه واحترامه فهو شيخ الرحمة وصاحب سيف النقمة والمشير بالخير على الملوك والمشفق على كل غنى وصعلوك والناطق بالصواب والحافظ لكل كتاب هادم المساجد ومخرب المشاهد (قال) فلما وقف الملك صلبوتا على ما فى كتاب الملك دقيوسا ووصيته بهدية عيسى ثم أمر حجابه وأصحابه أن لا يخرجوا إلا بأسوار الذهب والفضة والشمع المكوفر ومباخر العنبر وان يخرج فرس النوبه بالسرج الجوهر وان ينثروا على رأسه عند دخوله ألف دينار من الذهب الأحمر لأن هذا مفروض علينا ان نفعله وببركته ينزل المسيح علينا البركة وعلى فلكنا وهذه دلائل قد ظهرت علينا وبراهينه قد اشتهرت وجاءنا هذا الأمر من حيث لا نحتسب وأول الغيث قطر ثم ينسكب ثم ان الملك صلبوتا بكى وقال لولا أن المسيح رحمنى لما كان بعث هذه الهدية إلى وجاد به على وما هذا كله إلا ببركة المسيح وابنتى صلبان التى ترهبت فى دير النذور ثم ان الملك تجهز إلى لقاء هدية عيسى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان عقبة لما كتب ذلك الكتاب إلى بلاد الاسلام وزوره على خط أبو محمد البطال إلى الأمير عبد الوهاب وأرسله صحبة غلامه يوحنا الكرجى ثم أقام عقبة منتظر بجيئهم وفى قلبه من أبو محمد نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وقد علم أنه فى قلعة الملك صلبوتا وقد وصل كتابه إلى دقيوسا يخبر أنه يوم العيد يصلب أبو محمد وغلمانه فى ذلك القدرة فان أردت أيها الملك أن تحضر هذا الموسم فاستخلف ولدك دقيانوس مكانك وتأتى لتحضر صلبهم فلما وصل اليهم ذلك الكتاب قال دقيوسا أنا من يوم دخلت الكرج من باب البحر نذرت على نفسى أن لا أرجع أغيب عن موضعى (قال) ولما سمع عقبة ما فى ذلك الكتاب ووقف على مقال الملك قال للملك دقيوسا اعلم أيها الملك انى ما أقعد عن مثل هذا العيد وأريد أن أحضر قتل عيارين المسلمين وأشفى قلبى

من هؤلاء الشياطين وفى حضورى أيها الملك ثواب عظيم وانى أنشر أيضا ما أعطاك
المسيح من فضائله وأعرفهم قدرك ويرتفع ذكرك وتهابك ملوك القلاع والحصون والضياع
والأماكن الرفاع (قال الراوى ياسادة) فلما سمع الملك ذلك كلام عقبة قال له إذا كان
الأمر على ماذكرت والحال على ماوصفت فأنا ماأمنعك بل تسير من وقتك هذا وتشهد
العيد وصلب العيارين من اصوص المسلمين ويكون ولدى دقيانوس فى خدمتك ويسمع
مقالتك فقال عقبة سمعا وطاعة ولكن أريد أيها الملك ان تكون على يقظة من أمرك
فاذا وصلوا إليك المسلمين الذين قد احتلت عليهم وكاتبتهم على لسان العيار وما بعثنى المسيح
إلى هذه الديار إلا لأقلع منهم الآثار فاحرص أيها الملك على القبض عليهم فيكون لك
الفضل على سائر الملوك فاذا أخذتهم أيها الملك وقدرت عليهم تخرج إلى بلاد الاسلام
وتملكها وتفتح البلاد وتسبى العباد وعلى أيها الملك ان افتح لك مدينة القسطنطينية ويكون
سرير ملكك بها فلما سمع الملك دقيوسا ذلك من كلام عقبة فرح فرحا عظيما ثم ان القاضى
عقبة ركب فى مركب اطيف وأخذ معه ولد الملك وأرباب دولته وخواص مملكته ورفع
على رأسه صليب من الذهب وسارت بهم المركب ليلا ونهارا حتى لايفوتهم العيد وصلب
أبو محمد وغلمانه ولم يزالوا حتى وصلوا إلى قلعة الملك صلبوتا وان عقبة بعث اعلمهم كما
ذكرنا وتكرر الأمر على ماوصفنا من دخولهم وبقيت الروم منتظرين هدية المسيح
وشوقهم إلى النظر إليه أكثر من شوقهم الى عيدهم ومن صلب أبو محمد وغلمانه وان
الملك صلبوتا قال للحكيم اقليدس أيها الراهب ان الملك يريد سياسة وتدبير ونحن برأيك
نستشير فما تقول فى هؤلاء وصلبهم على الدولاب قبل قدوم هدية المسيح فقال الحكيم
هذا هو الرأى السديد والأمر الحميد فلما أصبح الصباح أرسل البطارقة خلف أبو محمد
وغلمانه أن يحضرهم من السجن فلما وصلوا اليهم سمعوهم وهم يندبون ويبكون
واوّاو يتلو القرآن ويتضرع الى الرحمن ففتحوا عليهم وأخرجوهم من السجن
وأتوابهم الى عند الحكيم اقليدس وأوقفوهم تحت الفلك وهو يدور من شدة
الرياح فلما نظروا إلى ذلك وان الحكيم يريد ان يشدهم على الفلك قالوا كلمة لايخجل قائلها
لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ندفع بها ما نطيق ومالا نطيق ثم تذكروا الأوطان
والأحباب والخلان فبكوا على أرواحهم غلمان أبو محمد البطال فقال لهم ياأولادى اعلموا
اننا نصير إلى أوفى مما نحن فيه من الثواب وجوار الملك الوهاب عوضا عن جوار عبد الوهاب
وبنى كلاب والسودان الانجاب وانى والله العظيم فرحت بهذه الموته فى بلاد الغربه والبعد عن
الأحبه بأيدى الكفار أهل النار وان موت الغريب شهاده وسعاده والثانى لايسمع بنا عقبة

ولا يدرى أى موتة متناها ولو كان الملعون عقبة بلغه خبرنا ما كان يقصد عنا وما كان يقتلنا حتى يعذبنا بأنواع العذاب فقال لؤلؤ يامولاى بعد ان تكون موتتنا قد حضرت على هذا الدولاب فما نبالى بمن حضر وغاب وهذه نوبه ما كانت لنا فى حساب ولكن روحى والله الفدا للملكه زنانير طالعة القمر المنير فقال له سبك دعنا يالؤلؤ من هذا فلسمت زنانير الزنابير فلولاها ماكنا فى هذا التعبير (قال الراوى) فصاح عليه لؤلؤ ياويلك هذا وقت خصومه وما بقى من حياتنا الا بقدر مايذهب الظلام ثم ان أبو محمد تمثل بهذين البيتين

ياليل ياليل كم ترحل ... بالله بسك تفريق المحبين

بالله ياليل أقم ساعة ... فالصبح منا موعد البين

(قال الراوى) ثم ان أبو محمد جعل يتلوا القرآن ويسأل الملك المنان ان يمن بالتوبة والغفران ويقول اللهم اجمع بينى وبين الأمير عبد الوهاب فى جنة مفتحة الأبواب مع النبى الأواب وابن عمه أبا تراب صلى الله عليه وعلى الأقارب والأحباب مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (قال الراوى) ولما ذهبت غياهب الظلام وأقبلت كتائب الضيا بابتسام فعند ذلك امر الحكيم اقليدس ان يجعلون حبال الابريسم فى بكر الفلك وأخذوا الامير أبو محمد وغلمانه وشدوهم عليه على هيئة الصليب وجعلوا رجلى أبو محمد إلى رجلى سبك وكذلك لؤلؤ وجوهر وقد صاروا صليبا فحل الفلك من الرباط وجعل يدور بهم ولم يسمروا أيديهم وأرجلهم خيفة عليهم من الموت هذا وقد صبروا صبر الكرام على قضاء الملك العلام فدار بهم الفلك مثل البرق الخاطف والرعد القاصف فغاب عنهم صوابهم ونسيوا أصحابهم واشتغل كل منهم بالآخره الا انهم جعلوا يتشهدون ويوحدون الله تعالى وقد دارت رؤسهم وسلبت نفوسهم ولم يقوايموا على ارواحهم هذا جرى من أمرهم وماطلع النهار حتى ركب الملك صليبوتافى خواصه وحجابه واضرموا النار فى المباخر بالعود والندوالمسك وخرجوا إلى لقاء الرحمة المصبوبه على عباد المسيح (قال الراوى) لهذه السيره وذلك انهم لما رفعوا الامير أبو محمد وغلمانه على الفلك هيئة الصليب وعذبوهم غاية التعذيب نادى منادى فى البلدان لا يتخلف أحد عن الخروج من الشبان والكهول والعالم والجهول وجميع البنات والنسوان المخدرات ومعهم أطباق الفضه والذهب وفيها النثاروهم على غاية من الفرح والاستبشار وانقلبت الاقاليم بأهلها وانقلبت الروميات كانهن البدور وقد أمرتهم الملكه زنانير بأن لا يتخلف منهم كبير ولا صغير وان يظهروا زينتهم فخرجوا كانهم الحور والولدان وقد غفل عنهم

رضوان وتحير من حسنهن الانس والجان وقد قالت بنات البطارقة للملكة زنانير على سبيل المجون يا ملكة لا يكون هدية عيسى يصعب عليه كوننا لابسات بغير سراويل وتبان أيدينا من تحت قمصاننا وتنهتك الستور ويبان المخبي والمدخور فقالت لهم زنانير وحق المسيح ان هدية عيسى اذا رآني ورأى بدني ورقة خصري وبياض جسمي ولؤلؤ ثغري وطي أعكاني واصطحاب سيقاني وغلظ أوراكي وتحقيق سرتي واحمرار وجنتي يسيل رياله وتتغير أحواله وطوبى له ان لطم نهدي وعانقني والثم خدي لكان ذلك عنده احلى من شراب الخندريس لا سيما في ليلة الخميس (قال الراوي) فضحكوا الجوار من قولها وقالوا لها وحق المسيح والاعتقاد الصحيح لقد صدقتي في قولك وان هذه الصورة يفوق صور البشر وتحير البصر ثم أطالوا النظر اليها الجوار واشتغلوا بشمس النهار وهي تميس وتتمايل وتتقصف وتتدلل وقد شخصت الاعين اليها وانعطفت نحـــوها عليها وتعجبوا من حسن مقدمها وعلو مؤخرها وسواد شعرها وفتنات سحرها وجمال وصفها وغريب طرفها وترجرج ردفها (قال الراوي) فعادت العقـــول مسبيه وأصبحت الانفس سكارى بتلك الصورة اليوسفية وقد هتكت أهل دير النصرانيه ولم يبق أحد الا وتمنى ان تكون له قنيه وان تكون تحته ملطيه وأخذ الفحول الرعاف من نظر تلك الاطراف (قال الراوي) ووصلوا إلى عقبة في تلك الاهبه وأعوذ بالله ان يكون لقاء ذلك الشيخ الفاسق إلا بما يغضب الملك الجبار الخالق ولما وصل الملك صلبوتا إلى الساحل ترجل عن حصانه وكذلك ترجلت سائر أصحابه وصـــعد عقبة من المركب وابن الملك دقيوسا وحجابه تحجبه وجميع البطارقه كذلك ولم يبق أحد إلا وسجد له من النساء والرجال لعظم هيبته ثم تقدمت الملكه زنانير اليه وسلمت عليه فنظر الملعون عقبه إلى البدر المنير وقد أشرقت الدنيا بالضياء والتنوير ثم انها باست له الأرض ورفعت عجز يعجز الفارس عن الصعود اليه أو يرمق بطرفه لديه وكان الملعون عقبه إذا نظر إلى عجز جارية سوداء روميه يطيش عقله ويندهل لبه كيف وقد نظر إلى الملكه زنانير التي تشبه الحور العين وتدانيها لكمال معانيها والصفات التي هي فيها فسبحان باريها ومنشيها وان عقبة لما نظر اليها وإلى سجودها فاشتهى الملعون ان يكون رأسها إلى حوأبها الغاية يبتغيها فقال يابنيه سمعت عن السيد المسيح انه قال من سجدت لابيها رضيت عنها فلما سمعت زنانير كلام عقبة سجدت لأبيها فشاهد الملعون عقبه ماأذهله وحير لبه وقال في نفسه ما كانت سغرقتي في هذه التوبه الامباركه ثم رمى روحه عليها وجعل يقبل رأسها وثغرها وعينيها ويقول لقد قرت عيني من هذه ابنته فقالت الملكه زنانير لما زاد الشيخ النحس عليها في

التقبيل وحق المسيح ماجاءنا هديه وأحسن من هذه الهديه وأما الملوك فانهم قالوا وحق المسيح مارأينا قط أحسن من هذا الشيخ النجيح لانه من حيث صعد من المركب ماله شغل الاعناق الملكه زنانير والتحسيس والتقبيل فى موضع لو وزنا أموالنا وماملكت أيدينا لما قدرنا عليه ولا وصلنا اليه (قال الراوى) ثم ان عقبة رفع صوته بتلاوة الانجيل فارتج الحصن والقلعه من نغمته ووقعت الروم على وجوهها من حسن تلاوته ثم ساروا بين يديه حتى وصلوا إلى الفلك وهو يدور بالبطال وغلمانه فقال عقبه ماهذا الذى يدور على الفلك فأخبروه بالحديث فصلب الملعون على وجهه وقال كيف فعلتم هذا قبل حضورى فقالوا وحق المسيح مافعل هذا إلا الحكيم اقليدس وهو الذى عجل عليهم بالصلب

(قال الراوى) فلما رأى الحكيم اقليدس ماحل بعقبة من الحرد والغضب امر البطارقه ان تجذب الحبال ففعلوا ماأمرهم فنزل الدولاب إلى الأرض وإذا بالامير أبو محمد وغلمانه ليس فيهم من يعقل على روحه فجعل عقبة يتلطف بهم ويرش على وجوههم ماء الورد فلم يفيقوا إلا بعد ثلاثة أيام وكان أول من تكلم الأمير أبو محمد البطال فقال لا إله الا الله محمد رسول الله فضحك عقبة وقال ياأبو محمد هذه كلمه كانت سبب صلبك وهى الآن سبب عذابك وضربك فلما وقعت عين الأمير أبو محمد على عقبة عظم عليه وكبر لديه وقال لغلمانه وحق الملك الوهاب لابد لهذا الملعون مايعذبنا بأليم العذاب فقال لؤلؤ يامولاى بعدما رأيت حبيبة قلبي زنانير ماأبالى بأى موتة اموتها فقال له الأمير أبو محمد ويلك يالؤلؤ ماأطمعك فى شيء هو عنك بعيد وهذا كلام لايليق منك سيمافى هذا الوقت وقد رأيت ماجرى منها على ملوك الروم وذلك ابغضتها فى الرجال لاسيما وقد حضر شيخ الضلال والذى أعلمك انى رأيت فى بعض أمكنة الحصن قطعة بنج اقريطيشى فان هم ردونا إلى السجن فأنا أدبر فى خلاصنا ان شاء الله تعالى واتوصل الى الملك شمشدو ناصاحب قلعة الجوزاء وآخذ عليه العهد والميثاق انني اذا سرقت له الملكه زنانير يخلصنا مما نحن فيه وربما نتمكن من الملعون عقبة على اننى متعجب من وصوله الى ههنا فقال لؤلؤ والله يامولاى ان فعلت هذا غمزتهم عليك وفضحتك ودع يقتلونا جميعا ثم انه أشار إلى مولاه يقول

قل لمن فى أرضهم قد اسرونا ويحكم فى حبكم ماتنصفونا
قد شربنا من هواكم قدحا وبلينا بالهوى ما تسعدونا
يا مقيمين على هجراننا عاودونا فى هواكم عاودونا
مالنا عندكو ذنبا سوى اننا قوم خلقنا مسلمينا
ورسول الله اعنى أحمد ذخرنا كنز الكرام المجتبينا

أيها البطال ما تنصفنى قد عركت العشق دهرا وسنينا
أنت جننت بنورى مثل ما بزنانير جننا فاعذرونا
أخلص العهد لرب قادر ان يخلصنا كما قد أسرونا
ان سرقنا هذه الشمس التى نورها يسلب عقول الناظرينا
انها لى دونكم جارية لاتمكن من منايا شمشمونا

(قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد شعر غلامه اوّاوّ بكى وقال له يا وّاوّ قد نذرت لله نذرا ان خلصنا وقدرنا عليها فهى لك ان سلمت ممن يأخذها منك فى بلاد الاسلام فطاب قلب اوّاوّ لما سمع كلام مولاه وخف عنه بلواه فهم كذلك واذا بالغلمان قد سحبوهم الى الدار التى فيها عقبة ووضعوا فى أرجلهم القيود الثقال ولما خلى بهم عقبة قال لهم أهلا وسهلا ياويلكم قد صرتم من الاملاك تدورون بدوران الأفلاك فقال له لوّاوّ الحمد لله الذى جعلنا من الاملاك نقدس الله تقديس ونلعن ابليس فعندها أشار عقبة إلى الغلمان شدوهم ومدوهم ثم عاقبهم بيده حتى غمى عليهم فوكل بهم عشرة من البطارقة وقصد نحو الملك صلبوتا ودخل عليه فقام اليه وترحب به وتبرك به وكذلك الملوك الذين كانوا عنده فلما استقر بالملعون الجلوس جعل يحدثهم ويخبرهم بحديث البطال وسرقته لبنات الملوك من حصونهم وشجاعة الأمير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الأنجاب ثم علم الملك صلبوتا كيف كتب الكتاب المقدم ذكره على خط أبو محمد البطال يأمرهم بالمجىء إلى بحيرة الفلك ويكون هلاك الجميع فى مرة واحدة فقال الملك صلبوتا ياهدية عيسى اعلم أن سائر الملوك يقولون أن المسيح ماينزل على هذا الفلك حسدا منهم لى وأكثر الأوقات مايؤول بنا الامر إلى القتال فقال له عقبة أيها الملك هذا أمر لابد منه وقد بشرنى المسيح أنه لابد ينزل على هذا المكان على رغم الاعداء اللئام والحسدة الجهال فقالت زنانير ياهدية عيسى وأنا مالى ذكر ولا بشارة فقال لها عقبة أى وحياتك يامالكة المشرق والمغرب لكى عندى بشارة عظيمة ولكن ماأقولها لكى إلا فى الخلوه وجعل الملعون يسلك معها طريق المنجمين ويخبرها بأخبار بنات الملوك والسلاطين حتى غلب النوم عليها فوثبت تطلب مرقدها فقبلها الملعون وعانقها ولما حصلت فى فراشها قالت لجوارها وحق المسيح ماأريد هذا الشيخ يبوسنى ولا يعانقنى فقالوا لها يامدلكة اجعلى هذا البوس والعناق صدقه عن بدنك (قال الراوى) فهذا ما كان من زنانير (وأما ما كان) من عقبة فانه بعد مضى زنانير قام من مكانه ومضى إلى داره وهو مضمر على عقوبة الامير أبو محمد وغلمانه فلما وصل إلى البيت الذى هم فيه وجده

مفتوح والقيود مكسره وما فيه أحد فرجع وهو صارخ إلى عند الملك صلبوتا وأعلمه بما جرى فقال له طيب قلبك ياهدية عيسى فليس لهم طريق إلا من البحر وليس لهم ههنا موضع يتحصنون فيه (قال الراوى) وكان السبب فى خلاصهم الملك شمشمونا فانه قال فى نفسه لما خلى بروحه وحق المسيح ما أصل إلى ما أريد إلا باطلاق هذا المسلم الذى هو البطال الكثير الاحتيال ثم انه صبر إلى الليـــل وأتى الى الدار التى فيها عقبة وكان الامير أبو محمد قد أخرج مبردا كان مربوطا على وسطه وبرد القيود وبلغ من خلاص أصحابه ونفسه المقصود ثم قالوا أيها الامير الى أين تمضى فى هذه الجبال والبحار وهى شاخمة كما نرى من كل جانب (قال) وما فرغوا من كلامهم الا والرجال قد دخلوا عليهم مثل الاسود وفى أوائلهم الملك شمشمونا فلما رآه الامير أبو محمد عرفه فدنى منه وسلم عليه وكلمه بلسانه فتعجب منه الملك كيف خلص من أغلاله وقال له من خلصك ياأبو محمد فأعاد عليه القصة التى جرت فقال له الملك شمشمونا وحق الإنجيل ماأتيت الا لأجل خلاصك وقتل هذا الشيخ ولو كان فى حجر الملك صلبوتا فقال له الامير اعلم أيها الملك ان هذا الشيخ لايدين بدين وهو نقمة على الروم والمسلمين أمارأيته أيها الملك وهو يقبل زنانير ويضع يده على كفلها ويضمها اليه ويبوسها وما من عادة المشايخ هكذا يفعلون وما يأمرون الا بالخير والصلاح والديانة وطلب الفلاح وترك الافعال القباح فقال الملك شمشمونا وحق المسيح لقد صدقت ياأبو محمد ثم سار بهم الى خيمته ثم أقبل الامير بكليته وقال له هذه المراكب التى على ساحل البحر سبعين مركب وهى لنا ونحن فى خمسة آلاف بطل فلاتهتم ولاتغتم فقال أبو محمد اعلم انى ماأخاف الا من هذا الملعون ان يغمز علينا ولولا ذلك لدخلت الساعه على الملكة زنانير وسرقتهـا وجئت بها اليك وان شئت أيها الملك ذبحت أباها صلبوتا فى مرقده وملكتك قلعته فعند ذلك فرح الملك شمشمونا بقوله وقال وحق المسيح ان ملكتنى هذه القلعة وملكتنى صلبوتا وصارت زنانير الى فلاتسمن أموالى بينى وبينك بالسويه وأحملك فى بعض مراكبى الى بلاد الإسلام ويكون لك على فى كل سنة ستمائة ألف دينار أحملها الك وتصل بها غلمانى اليك وتقدم بها عليك (قال) فلما أن سمع لؤلؤ كلام الملك شمشمونا قال له أخرب الله بيتك خراب ماله نهاية وحق الاله العظيم القدير لئن لم تقطع طمعك من الملكة زنانير لاذبحنك ذبح الخنازير ولو كان المسيح يشد منك فضلا عن الامير فلما سمع أبو محمد ذلك الكلام ضحك منه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عقبة فانه سمع كلام الملك صلبوتا وهو يذكر أن البطال ماله الى الهرب امكان قال أيها الملك أنا أعلم ذلك ولكنى

أقول الك مافى نفسى وذلك ان البطال لولا كان له مايعتمد عليه فى خلاصه ما كان خلص وهو الآن عند الملك شمشمونا والرأى عندى أن ترسل اليه رسول نطلبه منه فما هو الا عنده (قال) فلما سمع الملك صلبوتا ذلك ادعى بحاجب من حجابه وأرسله الى الملك شمشمونا يطلب منه البطال فلما وصل اليه قبل الأرض وسلم عليه وأدى الرساله اليه وقال له ماقال الملك صلبوتا فقال له الملك شمشمونا أنا ماعندى خبر بما تذكر فقال له الحاجب تكذب أيها الملك أن عندك خبر وأى خبر وإلا فأجب الملك صلبوتا ولا تتأخر

-(قال الراوى) فلما سمع الملك شمشمونا كلام الحاجب وتكذيبه قامت عيناه فى أم رأسه ووثب اليه كانه الاسد وشاله وضرب به الأرض ادخل طوله فى العرض وقال لقومه ياويلكم دونكم وهؤلاء الكلاب وكان الحاجب قد وصل معه جماعه كثيره من أصحاب الملك فعند ذلك هجمت عليهم أصحاب الملك شمشمونا فقتلوا الابطال وجندلوا الاقيال وانهزم الباقون وهم يستغيثون (قال) وان الأمير أبو محمد لما نظر إلى ذلك من فعال الملك شمشمونا وكيف قاتل حاجب الملك وبطارقته أقبل عليه وقال له أيها الملك الرأى عندى ان تركب فى هذه الساعه فى مراكب فهذا أمر يؤول إلى سفك الدما وعقبة ماهو بمن يقصرعنا وعن طلبنا وما قصده الملعون الا اثارة الفتن والرأى عندى ان ترسل رسولا من عندك الى الملك صلبوتا وتقول له أيها الملك المارق فى الملة المسيحية والبرىء من مريم الروحانيه ولولا أنك كذلك ماتهمتنى بهروب العيار ولكن ليس الذنب لك بل الذنب لهذا الشيطان الذى كانه المسيخ الدجال المدعى فى قوله أنه هدية المسيح بغير دليل واضح صحيح وربما يكون هذا الملعون الشيطان من بعض العيارين وقد توصل إلى هذه البلاد وقد يكون احتال على خلاص أصحابه ولو لم يكن كذلك لما أمر بحطهم من بعد صلبهم فهذا حال ينطلى على عاقل ولا لبيب وقد أوضحت لك أيها الملك الحال والسلام (قال) وكانوا قد أسروا أيضا بعض بطارقة الملك صلبوتا وكان يقال له طمطرس وكان الملك شمشمونا قد أطلقه وأخلع عليه وحمله ماذكرناه من الرساله فى كتاب مكتوب وسيره وأقام ينتظر الجواب وان البطريق طمطرس وصل إلى الملك صلبوتا وأعاد عليه القصه وأوصل اليه الكتاب ففضه وقراه ووقف على معناه وأرسل جوابه وهو يقول دع عنك أيها المغرور زخاريف الأمور والكذب والزور فما أعرف رجوع العيارين إلا منك وان تمتثل ما آمرك به فسوف يرجع وبال خلافك عليك وتنقطع ساقيك وتهلك بطارقتك ثم أنفذ الكتاب صحبة البطريق طمطرس فأوصله إلى الملك شمشمونا فوقف على الكتاب الذى أتاه ثم أعطاه إلى الأمير أبو محمد فوقف عليه ثم قال له أيها الملك

اركب فى مراكبك لتكون لك حصن من الاعادى فانى لا آمن ان تنفر الملكه زنانير اليك جميع الملوك ويكونون معاونين الملك صلبوتا وأنت تعلم ان مافيهم الا من هو عاشق لها ومغرم بها فقال له الملك شعشموتا صدقت ياأبو محمد وحق المسيح مارأيت رجلاقط مثلك وانك لاتصلح الا ان تكون وزيرا أو مشيرا ولا يصلح لحاجة الملوك الا انت ثم أمر من وقته بأبى محمد وغلمانه فساروا بهم إلى مراكبه هذا جرى ههناوأما الملك صلبوتا فانه صاح فى عسكره وركب فى خواصه وتجرد فى عشرة آلاف بطريق ووصل إلى الملك شعشموتا والتقت الرجال بالرجال وعظمت الاهوال ودارت عليهم دائرة السوء والبـــلايا ونهشتهم سباع الرزايا وتراشقوا بالنبال وبان من الجبان الـكلال هـذا وقد عملت الصوارم فى الجماجم وقطعت الاوداج وصار النقع كالليـل الداج وارتفع الغبار وغابت الطائفتين عن الابصار واندقت القنطاريات فى الصدور طحنتهم حوادث الدور وصارت الارض تشرق بالسيوف اللوامع والرماح الشوارع والجواشن السواطع ودار الفلك العـــلوى على أهل الـكفر السفلى وكان مع الملك شعشموتا رجال أمجاد بسواعد شديد كانهم من قوم عاد أومن إرم ذات العماد ففتكوا باهل قلعة صلبوتا وتركوا أكثرهم موتى وكسرت الخمسة آلاف العشرة آلاف ووقع الصايح فى البلد وصار الملك فى خلق عظيم وسعى عقبة إلى الملوك وقال لهم ياويلكم غضب عليكم المسيـح وصليب القدره وفلك العظمه وما للنصرانيه موضع محترم ينزل عليه عيسى بن مريم إلا هذا الموضع فكيف تسكتون عن هذا الملعون الذى قد مرق من دين النصرانيه وحمى أهل دين الحنيفيه وأبو محمد العيار المحتال الذى يقول ان الله واحد أحد فرد صمد ليس له والد ولا ولد ولا يدخل فى عدد ويقول ان المسيح من نور مخلوق وهو مرزوق وأنه لم يفعل جميع مافعل الا باذن الله خالق السموات والأرض طولها والعرض فكيف يسعكم فى دينكم القعود عن هذا الأمر هـــذا ما كان من عقبة (وأما الملكه زنانير) فانه صعب عليها قتل حاجب أبيها ومن معه من البطارقه وكيف أخرق الملك شعشموتا بحرمة أبيها وكان الحاجب الذى قتل عند شعشموتا عزيز عليها فلما سمعت الملوك أن الملكه زنانير صعب عليهـــا ماجرى فى حق أبيها من الاخراق غضبوا وصاحوا برجالهم وركبوا وما فيهم الا ومن معه من البطارقه الالف والالفين وحلوا بجمعهم على شعشموتا وقد تناخت الملوك وزجر كل غنى وصعلوك وتضاربوا بالصفاح حتى تثلمت وتطاعنوا بالرماح حتى تقصفت وهبت عليهم رياح الرزايا وطحنتهم طاحون المنـــايا وتزاحمت الاقيال وهجمت الابطال وصبروا على القتال وقطعت الاوصال وشربوا

كاسات الوبال هذا وعقبة يحرض الرجال وينخى الابطال وينادى بصوته أين عياد المسيح أين أصحاب الدين الصحيح أين أصحاب حنا ومريم والصليب هيا يا أصحاب القربان ودير مريحنا المعمدان يا أصحاب البرهان هيا يا أصحاب البترك والمطران دونكم وهذا الشيطان وناصر هذا المسلم القرنان العيار الكشحان فقد مرق من دين المسيح ومابقى له فعل مليح فايا كم إن تغضبوا الملكه زنانير فيحل بكم التدمير فدونكم والتنزه على وجهها الجميل وطرفها الكحيل وخدها الاسيل وشعرها الطويل وخصرها نحايل وردفها الثقيل وساقها الصقيل فتى ما أظهرتم النصيحة خصتكم بعين الانعام ورمقتكم بطرف الاكرام ورخمت لكم الكلام وأبرزت وجهها البسام الذى كانه البدر التمام هيا اضربوا أعدائها بالحسام وخذوا شعشعونا بأطراف القنطاريات ومواضى المشرفيات فقد عاون اللص الهجام وطلب مالا يرام وقد ألقى نفسه فى بحار الاعدام ولا بدلى أن اسقيه كاس الحمام ثم أنشد وجعل يقول

أين من يرتجى الدنو من البعـ ... ـد ويحظى بوجهها والجبين
أين أين الشجاع فى ساحة الحر ... ب ويسطو بصارم مسنون
فادركوا من بغى علينا وكروا ... بجيوش كاسد زرق الجفون
واقتلوا كل مارق وكفور ... واقلعوا منهمو سواد العيون
فغدا ينزل المسيح على الا ف ... لاك حقا فى طالع ميمون
وينادى بالحشر والنشر والبعـ ... ـث يا أهل التقى وأهل الدين
فاسمعوا من هدية ليس فيها ... غير صدق انى بقول يقين
واذا انتموا تداركتم الامر ... علوتم بالفعل فى تمكين
من خلاص العيال من يد جبا ... ر عتى فظ غليظ مهين
شعشعونا الغبى من جحد الديـ ... ـن واضحى بفعله فى جنون
كل هذا هوى زنانير ألقا ... ه ببحر من كل علج مكين

(قال الراوى) ياساده ياكرام لهذه السيرة العجيبة والاخبار المطربة الغريبة وكان هذا الملعون عقبة سببا لهلاك الملوك وتلاف كل غنى وصعلوك ولما سمعت البطارقة تحريض هدية عيسى وشعره والقصيد أرموا أرواحهم إلى الهلاك وسوء الارتباك ثم انهم حملوا وتضاربوا وتطاعنوا وتزاحمت الاقران وتلاحمت الشجعان ونعقت عليهم من النائبات عقبان ودارت عليهم كؤس الهوان وتقدم الشجاع وتأخر الجبان وتقاتلوا قتال زائد المدد وكثر على الملك شعشعونا العدد ودارت به الاقيال من كل مكان فقاتل إلى ان بقى

لا يقدر يحرك يده وأخذ أسير وانكسرت رجاله وأخذت مراكبه ولحق بطارقة الملك صلبوتا المركب الذى فيه أبو محمد البطال وغلمانه فأخذوهم وبقية المراكب ولجوا فى البحر مع ولد الملك شمشمونا (قال) وان الملك صلبوتا لما أخذ الملك شمشمونا وأبو محمد البطال وغلمانه أمر لهم بالقيود وتركهم فى مطمورة وكان الظلام قد هجم عليهم فهذا ماكان منهم (وأما الملكة زنانير) فانها فرحت بأسر أبو محمـــد البطال وغلمانه والملك شمشمونا وكان لها جارية يقال لها نهار وما كانت زنانير تشرب الا معها فلما هجم عليهم الليل استدعت بالجارية النهار وقعدوا يشربون ويتلذذون ويطربون فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك شمشمونا والامير أبو محمد وغلمانه فانهم لما جن عليهم الليل قال أبو محمد لغلمانه يا أولادى هل معكم شىء من العدة فقالوا نعم أحدهم مبرد لو وضع على حجر أسود لبراه فأخذه أبو محمد من يده وبرد قيده وقيد الملك وقيود غلمانه ووثبوا إلى الباب فوجدوا الموكل نائم فهجم عليه أبو محمد وذبحه من الوريد إلى الوريد وطلعوا من الحبس ثم قصد الملك شمشمونا إلى بعض مراكبه لان الملك صلبوتا لما أسره أطلق أصحابه وقال هؤلاء مالهم ذنب والذى أجرم قد أخذناه (ورجعنا إلى سياقة الحديث) وان الملك شمشمونا قصد إلى مراكبه ففرحوا به وسروا بخلاصه وأما أبو محمد وغلمانه فانهم قصدوا إلى دار الملكة زنانير واذا بها تشرب مع جوازها وخدمها

﴿ تم الجزء الرابع والعشرون ويليه الجزء الخامس والعشرون ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الخامس والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان أبو محمد قد قال للملك شعشعونا سير أنت الى مراكبك وانفرد بنفسك فى مركب حربى يكون مشحونا بالرجال وانتظرنى إلى حين أعود اليك إن شاء الله تعالى وأن أبو محمد وغلمانه دخلوا إلى الملكة زنانير فلما صاروا عندها وكانوا قد تزيوا بزى خلعاء الروم وهم المطربون والذين يغنون وكانت الملكة زنانير قد طاحت فى سكرها فجعل أبو محمد يغنى ويتمسخر بالرومى وغلمانه تجاوبه وسبك يشيب عليه فتحيرت الجوارى منهم ثم قام أبو محمد وخدم وقال أيتها الملكة إن الملك صلبوتا صيرنى اليكى وقد أتينا وخدمناكى ثم هم بالانصراف فصاحت بجوارها لاتخلوه يروح فقعد أبو محمدوجعلوا يشربون ثم أنه لم يترك شيئاً من الحكايات والنوادر والأخبار حتى أوردها للملكة زنانير وهى تضحك من فعله وكذلك الجارية نهار وقد عشقت لؤلؤ وصارت تنظر إليه ومالت بقلبها لديه ثم أن أبو محمد قام ودقوا له غلمانه بالدفوف والكفوف ورقص حتى حير العقول وطرح أثوابه على الباطنية ودارحولها ثلاث دورات وأرمى فيها مثقال بنج أقريطيشى وجعل يغنى وغلامه سبقا يجاوبه ولؤلؤ يصفق وبانس يدق بكعبه على مدورة من الخشب ثم قعد ودارت الأقداح وصار أبو محمد يسقيهم فلا وأبيك ما كانت إلا ساعة حتى وقعوا الجميع ولم يبق منهم إلا الجارية نهار لأنها كانت قد فاقت من السكر وخرجت واستفرغت وعند دخولها من قضاء شغلها وجدت الكل صرعى كانهم

موتى وأبو محمد قد وثب وكتف الملكة زنانير فلما دخلت الجارية وثب عليها وفى يده خنجر أحد من القضاء إذا نزل من السماء فقال لها وحق فالق الحب والنوى الذى على العرش استوى لأن نطقتى لأخرجن هذا الخنجر من ظهرك بل سلمى تسلمى وكانت الجارية وقع فى قلبها هوى لؤلؤ ولم تظهر لأحد ماعندها فقالت لهم وحق المسيح لانطقت بكلمة واحدة ولا كنت إلا معكم قال وأن لؤلؤ أخذ الملكة زنانير على أكتافه وقال أبو محمد للجارية نهار الآن سيرى بين يدى وعرفينى موضع نلتجى اليه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فخرجوا وكان بالقرب منهم ناووص عمارة الأوائل وكان تحته مغارة لا يكاد أحد يدخل اليها من عظمها ووحشتها فدخلوا فى تلك المغارة واستعانوا بمنشى السحاب السيارة وهذا جرى من هؤلاء (وأما ماكان) من أمر الملك شعشعونا فانه لما وصل إلى أصحابه فوجدولده قدعادفى بعض المراكب حتى يكشف خبره فوجده قدخلص فاستبشر ثم أمرهم من وقته أن يخرجوا فى ألف بطريق فركبوا وطلبوا الجانب الشرقى وعبروا فى الظلمة على المغارة والناووص (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان للملكة زنانير قهرمانة طاعنة فى السن وكانت لا تفارقها ساعة واحدة لأنها قدربتها بعد موت أمها فسار عقبة فى الليل إلى بيتها لتساعده على أمر يريده من الملكة زنانير فقالت له يامولاى أن الملكة فى مقصورة الشراب مع جوارها وخدمها فقال لها انطلقى بين يدى وأوصلينى اليها فسارت بين يديه إلى أن أوصلته إلى المقصورة فوجدت الموضع خالى مافيه خبر ديار ولا نافخ نار وروائح البنج فائحة فى ذلك الموضع فقال لها عقبة ويلكى اطلبى بنا المحبوسين فساروا وطلبوهم فما وجدوهم فرجعوا وهم صارخين إلى الملك وقالوا أيها الملك هربت المحابيس وقتلوا الموكلين بهم وأطلقوا شعشعونا وأخذوا معهم الجارية نهار والملكة زنانير فلما سمع الملك صلبوتا ذلك قامت عليه القيامة وأخذ على نفسه بالملامة وقال لهم ياويلكم اطلبوا أبواب القلعة فطلبوها فوجدوا الأبواب مغلقة فقال لهم ماراحوا إلا من على ناووص المغليط الخراب فقال لهم عقبة ياويلكم اسرعوا فى الطلب حتى تأخذوهم فان آثار أقدامهم جديد قبل أن يهب عليه الريح فيخفيه عنكم ثم ساروا فى مائة بطريق والحكيم أقليدس وعقبة معهم حتى وصلوا إلى الناووص الخراب وفتشوه فلم يجدوا لهم خبر فهموا بالانصراف وإذا بعقبة يزعق بهم وينادى إلى ياعباد الدين فهم ههنا مقيمين فلما سمع أبو محمد كلام عقبة قال لهم لا تموتوا إلا وأنتم شهداء فان الله وعدوكم الجنة حيث قال ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقبضوا على الخناجر ووقفوا فى أركان المغارة وقال لهم كل من دخل اليكم من البطارقة اضربوه بالخناجر فصاركل من دخل إليهم منهم

قتل حتى قتلوا خمسة عشر رجلا فوقفوا عندها فصاح بهم عقبة يا كلاب الروم هذا جرى عليكم وهم دونكم وما لكم إلا أن تدهموهم وقد أخذتموهم وبقي يحرض البطارقة وقد أشعلوا النار والمشاعل الشموع وهجموا عليهم نحو عن ألف رجل فأخذوا أبو محمد وغلمانه وساروا بهم فى خمسة وعشرين فارس من البطارقة (قال الراوى) وما هو إلا أن تواروا بهم فى ظل القلعة إلا والملك شعشموا قد أقبل فى أبطاله ورجاله فوقعت عينه على الملعون عقبة والحكيم اقليدس فصاح الملك شعشعونا برجاله خذوهم فأخذوهم كلمح البصر ثم قال لهم وأين الملكة زنانير والجارية نهار والمسلمين الأخيار فقال لهم الحكيم اقليدس أخذهم هدية عيسى وأرسلهم إلى الملك صلبوتا وطلب منهم رجالا حتى يفتشوا عليك ويصلون الأذية إليك فعند ذلك هجم على عقبة وقال له يا كشحان لابد ما أسقيك الوبال وأجعلك عبرة بين الرجال ثم أنه ضربه بالسيف على قمته نزل إلى رأسه ثلاث أصابع فوقع إلى الأرض فثنى عليه بضربة أخرى فتلقاها بيده اليسرى فقطعت له ثلاث أصابع ثم أوثق الجماعة كتاف وأخذهم وأخذ عقبة وقد حلت بهم كل نكبة ثم أن الحكيم قال الملك شعشعونا أيها الملك وحق المسيح كل شيء جرى علينا وعليك من هذا الشيخ السوء فيا ليته كان هدية مردودة وتحفه غير مقبولة فقال الملك شعشعونا هذا قد أخذ نصيبه الأوفر ولولا وصية أبو محمد لنحرته نحر البقر ثم أمر أن يشد جرحه وتكوى أصابعه ففعلوا ما أمرهم ثم بطحه وضربه ظهرا وبطنا حتى نزل لحمه عن بدنه ثم استدعى بشحم الخنزير فأتوا به فأمرهم أن يذوبوه على سائر جسده وأنامله ومفاصله فقال له عقبة وهو على آخر نفس أيها الملك دع للصلح موضع ولا تأمن الدهر لعلى أن أكون سببا لوصولك إلى محبوبتك زنانير قال فضحك الملك شعشعونا وقال لأصحابه أما تنظرون إلى هذا الشيخ السوء كيف يتكلم بهذا الكلام بعد ما حل به ما حل من الانتقام وحق المسيح ما هو إلا إبليس دهره وفرعون عصره ثم أمسك عنه وسكن غضبه فهذا ماجرى منه (وأما ما كان) من الملكة زنانير فان البطارقة وصلوا بها إلى عندأبيها ففرح بسلامتها ونظر إليها وهى منبجة ما تدرى بنفسها فاعتقد أنها ميتة فأرسل خلف الحكماء والأطباء وقال لهم أبصروا ماقد حل بالملكة زنانير فقالوا أيها الملك ما بها ألم ولكنها مبنجة ثم أخذوا ماء ورد وثلج ورموه على جسدها وغسلوا أطرافها وسقوها الكرفس وهب عليها نسيم السحر فتقايت البنج مثل قوالب الجبن واستراح جسمها وعقلت على نفسها وقالت أين الجارية نهار فقالت ها أنا يامولاتى فقالت لها ياويلك لابيض المسيح لكى وجه ماهذا الأمر القبيح وقد تم علينا ماتم فقالت وحياتك العزيزة مالى علم بما جرى عليكى بل أن الشيطان أبو محمد البطال طرح

البنج فى الباطية لما رقص ودور الأقداح وانخلع وأنه صنع ماصنع ثم أنه سل على سكين وقال لى وحق النبى العربى إن تكلمتى أعدمتك الحياة فلم أقدر يامولاتى على خلافه شفقة على روحى منه لئلا يقتلنى والموت مر ثم شدك ياستى كتاف وفعل بى كما فعل بكى ثم سار بنا إلى ناووص المغابيط واختفى فيه ووصات البطارقة وخلصونا ولم أعلم بعد ذلك ماجرى فقالت الملكة زنانير وحق المسيح لأقطعنكى قطعة قطعة وأبضعنكى بضعة بضعة ثم صاحت ائتونى بغلام أبو محمد البطال لؤلؤ فأحضروه بين يديها فنظرت اليه بعين الغضب وقالت له يا كلب العرب وأخس من ضرب فى البيداء طنب وحق المسيح لأعذبنكم بأنواع العذاب وأصلبنكم على هذا الدولاب ولأجعلنكم عبرة لمن يأكل الطعام ويشرب الشراب ياويلكم هذا جزائى منكم بأن أقرب منكم وجهى الجميل وأوعدكم باعطائى الجزيل وتفعلوا فى حق هذا الفعل الوبيل وتخلصوا الملك شعشعونا ثم قالت سوف تعلمون ماأفعل بكم ثم قالت وأين الحكيم أقليدس وهدية عيسى فقالوا أيتها الملكة بعد خلاصك وصل اليهم الملك شعشعونا وأسرهم وأسر معهم ألف بطريق وقتل خمسمائة ومن جملة المأسورين روبيل وبطرس وكمردين ومنويل وبوص وجميع البطارقة الخواص وقد جردهم الملك شعشعونا من اطمارهم وصلبهم من آباطهم على صوارى المراكب وقد أقسم بحنا ومريم والصليب والبيعة المقدسة وما يتلى فيها من الانجيل ان لم تطلق أبو محمد وغلمانه ليصلبن كل من عندة وبعد ذلك يكون الحرب بينكم وبينه فاما له وأما عليه ولما سمعت الملكة زنانير والبطارقة ماقاله الملك شعشعونا نظر بعضهم إلى بعض وقالوا أيتها الملكة الصواب أن تطلقين هؤلاء الشياطين لأجل علماء النصرانية وأكابر البطارقة ولا سيما الحكيم اقليدس حكيم دولتك وناصح شريعتك والرأى عندنا أن تدفعين هؤلاء الملاعين إلى الملك شعشعونا ونحن قادر بعد ذلك عليهم ونحضرهم إلى عندك ونوقعهم ثانى فى قبضتك فقالت الملكة هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ثم أقبلت على البترك الكبير والقسوس والرهبان وقالت لهم سيروا إلى الملك شعشعونا وتقولون له نكست دين النصرانية بأسرك للحكيم اقليدس وهدية عيسى ومن معهم من البطارقة وفعلت فعال لايشكرك عليها أحدا ثم قالت لهم قولوا له إن البترك يحذرك إن أقمت على عدم اطلاقهم فيكون غرضك مع هؤلاء المسلمين فتكون قد مرقت من دينك وأن البترك يحرمك والقسوس فى البيع والكنائس تلعنك والمسيح غضبان عليك وما يكون قد بقى لك فى دين النصرانية من حاجة فدع عنك هذه اللجاجة (قال الراوى) فامتثلوا أمرها وساروا طالبين الملك شعشعونا فلما قدموا عليه ووصلوا بين يديه دخل اليه البترك والشمامسة وسلموا عليه سلام الملوك وقالوا

له أيها الملك لا تفعل وتعادى مثل الملكة زنانير بنت الملك صلبوتا وربما تسمع عنك الملوك بأن المسلمين أحب اليك من الروم وإنك قد اخترتهم على أهل دينك وهم قوم كذابين فسقه سراقين فمن يساعدك على هذه الفعال ويرضى منك بهذا المقال ولو فعل هذا بعض الجهال لكان يقبح عليه فكيف بك وأنت ملك من الملوك فوحق المسيح لئن ارتكبت هذا اللجاج لتقعن فى بحر عجاج ولا يصح لك فى هذه الديار مقام وأكثر من هذا لا نقول لك شىء والسلام (قال الراوى) هذا كله يجرى والملك شعشعونا يسمع إلى أن فرغوا من كلامهم عندها قام وقعد وأرغى وأزبد وأبرق وأرعد وشخر وزمجر وقال وحق المسيح ما أوقعنى فى هذه النوبة إلا أنتم وشدة مكركم ثم أمر بالقبض عليهم وعراهم من ثيابهم ومدهم وضرب كل واحد منهم إلى أن غمى عليه وقال لهم ياويلكم تريدون أن تخدعونى مثل ما خدعنى هـذا القرنان ونصب على حبال حيلته وأوقعنى فى شرك قبضته ثم حلف لابد أن يقطع من كل واحد عضوا من أعضاءه فقامت اليه البطارقة وأشاروا عليه أن يقطع دقونهم فقام بنفسه اليهم وقطع دقن البطريق بيده ودقون الجميع الذين أتوا معه وقال وحق المسيح ومريم الزكية المطهرة من الفحشاء الذى رفع ولدها إلى السماء لارجعتم ابصرتم مواليكم ولا اهاليكم إلا ان تطلقوا المسلمين الذين عندكم وان لم تفعلوا فلا بد من صلبكم ثم أمر البطارقة أن يرفعوهم إلى رؤس الصوارم مكتفين من تحت آباطهم ثم أطلق واحد منهم حتى يخبر الملك صلبوتا والملكة زنانير ويحدثهم بما صنعه معهم فلما رجع البطريق أخبر الملك وابنته فلما سمعت زنانير ذلك صعب عليها وكبر لديها وصعب على الملك بطارقته وقالوا لاشك أن شعشعونا قد مرق من دين النصرانية وقد صبأ إلى دين الحنيفية فقال الملك هذا الكلام لايفيد بل خلصوا علماء النصرانية والبطارقة وإلا هلكوا فقالت زنانير أيها الملك إننا إذا أطلقنا من عندنا لانأمن من غدره وشره بل يمضى بعضكم ويستوثق منه ويحلفه أنه لايغدر بنا ولا بأصحابنا ويطلقهم لنا فقد قال القائل إذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز وحق المسيح من حين رأينا هذا الشيخ هدية عيسى ما رأينا خيرا ولقد بغى هذا الملك وأفسد وتجبر فى فعله وتمرد وكل ما تم علينا من تحت رأس الشيخ السوء فليت المسيح كان استرد هديته المذمومة لأن هذا الشيخ النحس علمنا البغى والبغى يورث الوبال وسبب قطع الأوصال وقد أجاد شاعر العرب حيث قال

البغى يهلك أهله ويبيدهم ويزيدهم أسفا على ما قد عرا

ولقد بغى هذا الهدية اذ غدا وفقا على قول وزور قد طرا
تبــا له من أعور ما عنده دين ولايرضى بمايرضى الورى
لولاه ماخلصوا اللصوص ولاجرى من شعشعونا ذا المنافق ماجرى

(قال الراوى)وأن البطارقة التفتوا إلى الملكة زنانير وقالوا أيتها الملكة وحق دين النصرانيه إن شعرة واحدة من رؤس البطارقة أحب إلينا من مائة ألف مسلم من هؤلاء الذين يفسدون ولا يصلحون ومثل هؤلاء فى بلادنا مثل ناموسة على ظهر فيل لايبالى بها أقامت أو رحلت أو طارت أو حطت وحق المسيح لو دخلت جميع طوائف الإسلام وسائر الأمم والأنام إلى ديارنا وكنا يدا واحدة على النصرة والمساعدة لما بالينا بهم والرأى عندنا أن تدفعى هؤلاء القوم إلى الملك شعشعونا وتخلصى علماء ديننا ونصارى ملتنا وما عسى أن يكون من هؤلاء الكلاب فقالت لهم الملكة زنانير إذا كان قصدكم ذلك فخلوا هؤلاء المسلمين ههنا ثم أمضوا من ساعتكم هذه إلى الملك شعشعونا وخذوا يده على خلاص أصحابنا فهو رجل معروف بالصدق برىء من الكذب فقال لها الحاجب سمعا وطاعة ثم قام من وقته وساعته وسار إلى الملك شعشعونا وأخبره بجلية الأمر وقال له نحن نعرف منك أيها الملك صدق اللهجة ونريد منك أننا إذا أوصلنا اليك هؤلاء المسلمين أن تدفع إلينا جميع من عندك فقال له نعم ثم اتفق رأى القوم على ذلك ورجع الحاجب إلى الملكة زنانير وأخبرها بذلك فقالت له أيها الحاجب أمض إلى هؤلاء المسلمين وفك قيودهم وأطلقهم وسير بهم إلى الملك شعشعونا وتسلم منهم أصحابنا واتى بهم صحبتك فقال سمعا وطاعة وحبا وكرامة ثم سار من وقته وساعته إلى الحبس وأخرج أبو محمد وغلمانه وفك قيودهم ولم يبق إلا الجارية نهار وكانت الملكة زنانير قد أوصت الحاجب انه لا يطلقها (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما خلصوا هؤلاء من القيود والأغلال وهموا بالإنصراف بكت الجارية نهار وقالت بالله عليكم لاتنجلوا عنى فأهلك من بعدكم فقال لها ابو محمد طيبى قلبك واشرحى صدرك فسوف اخاطب الملك شعشعونا من اجلك واخلصك فى هذه الساعة إن شاء الله تعالى فصبرت على مضض منها وكانت كما قال بعضهم

مصيبتى بعــد طول نسكى اليك اشكو الجوى وابكى
فالحمــد لله إذ خلصتم وكان بعد الخلاص تركى

(قال الراوى)ثم انصرفوا عنها ودموعها جارية وقد ايقنت بالهلاك وسوء الإرتباك ولسان حالها يقول

مذ غبتموه وأقمت بعدكمو لم يبق لى فى عيشة طمع

(قال الراوى) ثم ان الجارية نهار اقرت بالشهادتين وقد شهدت لله بالواحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة والأمير ابو محمد البطال يسمعها فقال لها ابشرى يانهار بالعفو من الله الملك القهار وخلاصك من عذاب النار ولا بد ما اتسبب فى نجاتك من الكفار ثم انهم ساروا إلى ان وصلوا إلى الملك شعشعونا وأعادوا عليه حديث الجارية نهار وقالوا له ما كان سبب ما جرى منها ونريد نكافئها على جميلها بخلاصها ولما أسمع الملك شعشعونا ذلك المقال من الأمير ابو محمد البطال قال وحق المسيح والدين الصحيح لا اطلق من عندى احد إلا بالجارية نهار فرجع الحاجب وأعلم الملك صلبوتا والملكة زنانير فعظم ذلك عليهم وقال لها ابوها دعيها تمضى الى لعنة المسيح فهى قد مرقت من الدين الصحيح وأنا أعلم ان ما أدخل عليها المحال إلا العيار المحتال ومابقى فيها خير فسلموها لهم وساروا بها إلى عند الملك شعشعونا فلما ان رآها فرح بها وأطلق من عنده من المأسورين وأراد أن يطلق اللعين عقبة فقال له أبو محمد لاتفعل فان هذا الشيخ الخرفان نقمة على جميع الأديان وان أردت ان تحظى بمحبوبتك الملكة زنانير فلاتطلق هذا القرنان فما فيه خير وان البلاء كله منه وان أطلقناه فلا نأمن على أنفسنا من كيده ومكره فلما سمع الملك شعشعونا ذلك المقال زاده إعتقال وأنا المأسورين لما انطلقوا وطلعوا إلى الملك صلبوتا وأخبروا أن الشيخ النجيح باقى عنده فى القيود فصعب عليه وكبر لديه هذا ما كان منه (وأما ما كان) من الملك شعشعونا فانه سار من وقته وساعته طالب مدينته وطاب لهم الهوى إلى أن وصلوا إلى قلعة الجوز ومعهم شيخ الضلالة عقبة فنظر أبو محمد إلى حصن منيع وفيه عالم عظيم فقال ان الله تعالى قد أعطى هذا الملك مثل هذا الثغر ولقد كنت أطلب من الله تعالى أن يسلم هذا الملك ويكون من المؤمنين فقال له لؤلؤ لاقضى الله لك شهوة ولا رد لك لهفة ياأبو محمد أنت قصدك ان يسلم وترد له الملكة زنانير وتسلمها اليه وتجود بها عليه وأنا أموت بحسرتها فقال له أبو محمد يالؤلؤ ان سرقتها أنت فهى لك وان سرقتها أنا فهى له فوالله يالؤلؤ لقد فعل معنا فعلا جميلا لايفعله أحد من الناس هذا وقد علم لؤلؤ أن أبو محمد يقدر على سرقة الملكة زنانير ويعطيها للملك شعشعونا فأيقن بالهلاك وأقام مدة لايأكل طعام ولا يلتذ بمنام فتغير لونه واصفر كونه ولم يخفى على أبو محمد من ذلك شىء. وعلم أن لؤلؤ من محبته لزنانير هالك وقد ازداد عشقا وغراما ولوعة وسقاما حتى نحل جسمه وأشرف على الهلاك واشتاق الى النظر الى وجه الملكة زنانير فدخل لؤلؤ على القاضى عقبة وهو فى المطمورة التى هو فيها وقال له لؤلؤ يا قاضى هل لك أن تساعدنى

على النظر إلى زنانير لا غير على أنك لاتدعونى على التنصر وأنا أخلصك مما أنت فيه وأكون غلاماً من بعض غلمانك وأول ما أعمل معك انى أهرب بك من ههنا الى قلعة الملك صلبوتا والثانى لايعمل أبو محمد حيلة الا وأبطلها عليه والثالث ان سلمنا وكان لنا حياة ورجعنا الى بلاد الإسلام أشهد لك بين يدى الرشيد انك مسلم موحد بالله وان كلما يقوله أبو محمد عنك زور ومحال وبهتان على أننى أيها القاضى لا أطمع نفسى فى أخذ هذه الجارية زنانير لأننى لو أخذتها كيف كنت أخلص بها من هذه الديار وهذه البحار ولا يمكن هذا الا لمن يكون معه عساكر وعساكر ومعلوم انى قد صرت أسير فى قيود محبة زنانير وأبو محمد قد وعد الملك شعشعونا بها وان يسرقها له من بين أترابها وأنا فلا قدرة لى على مفارقتها وقد عولت على إخراجك من الحبس وسرقة بعض المراكب الصغار وافساد بعض غلمان شعشعونا ممن قد أنكر على الملك فعله بك هذه الفعال وتقريبه لأبى محمد وغلمانه وما أريد منك ياقاضى غير النظر الى الملكة زنانير ففيه الكفاية والهوى قد حملنى على خلاصك ولو كان فيه معصية لله تعالى ثم ان لؤلؤ بكى وأنشد يقول

زنانير غاية ما أريد ٭ ولست أؤمل غير النظر
فياليت عقبة لى مسعداً ٭ إذا عندها عن قريب حضر
ففى فك أغلاله قد جسرت ٭ على خطر ياله من خطر
ومن لى بأنى أرى وجهها ٭ وانظر الى خصرها المختصر

(قال الراوى) فلما سمع عقبة شعره وفهم نظمه ونثره وقع مغشيا عليه الى الأرض من الفرح وقال له بعدما أفاق من غشوته يا بنى وحق المسيح إن فعلت معى ماقد قلت وبه نطقت لاوصلنك إليها ولأجمعنك عليها ولو كانت ابنتى عقيبه التى خرجت من ظهرى ما غرت عليها فكيف بهذه الكلبة التى لا نسب بينى وبينها وأنت تعلم أننى أرى القيادة عادة فضحك لؤلؤ وقبل يديه وأطعمه وأسقاه وخرج من عنده وأتى الى عشرين بطريقا كانوا كلهم عونا لعقبة وكانوا يتعصبون له وكان لؤلؤ قد سمعهم وهم يتحدثون بالرومى انهم لو قدروا على خلاصه لفعلوا ذلك وبذلوا المجهود وقالوا ماسمعنا من يتلو الإنجيل بقلب حنين مثل عقبة وإذا بلؤلؤ قد وصل اليهم وسلم عليهم فردوا عليه السلام من وراء قلوبهم خوفا من الملك وفى قلوبهم منه البلاء لأجل عقبة فقال لهم لؤلؤ اعلموا أنى قد جئتكم بما تفرح به قلوبكم من خلاص الشيخ عقبة الناصح لدين المسيح وأهرب أنا وأنتم الليلة فى بعض المراكب الى الملك صلبوتا وهو يعطيكم مايغنيكم عن خدمة هذا

الملك شعشعونافقال له رجل منهم وكان جبار عنيد وشيطان مريد ياويلك تريد ان تخدعنا بكلامك وتحدث الملك شعشعونا عنا لخلف لهم لؤلؤ انه صادق فيما قال لهم والدليل على صحة قولى انكم تسيرون معى الى الحبس الذى فيه عقبة فتروه وقد خاصته ومن الأسر أطلقته (قال) فلما سمعوا البطارقة ذلك من كلام لؤلؤ ساروا معه الى موضع عقبة فوجدوا قوله صحيح وهو مطروح والسجان مذبوح والباب مفتوح فهنالك وقعوا على اقدام لؤلؤ يقبلوها فقال لهم عقبة يا أولادى أكرموا هذا فهو ولدى وقد خلصنى ورحم شيبتى ورعى لقديم محبتى وانا أسأل المسيح أن يوافقنى لقضاء حاجته وبلوغ أمنيته فعظم عندهم مرامه وقبلوا اقدامه فقال لهم كفوا عن هذا والرأى عندى اننا نخرج الساعة إلى الساحل وننزل فى بعض المراكب وما يصبح الصباح إلا وقد قاربنا حصن الملك صلبوتا قبل ان يفطن احد بنا فقالوا سمعا وطاعة ولكن وحق المسيح ما فينا إلا ومن له اولاد وعيال وأموال ونخشى أنه إذا أصبح الصباح يقصدوا الشيخ الصالح ونحن معه فيعلموا أن ذلك من فعلنا فيكون ذلك سببا لهلاك أولادنا وما يبقى لنا بعد هذه الفعال فى هذه الديار مقام ثم أنهم غابوا مقدار ساعة وعادوا ومعهم أولادهم وجميع ما قدروا عليه من أموالهم وقصدوا إلى المينا ونزلوا فى حراقة كبيرة وقد طاب لهم الهوى بأذن فالق الحب والنوى ثم أنهم رفعوا الشراع وركبوا المقاديف وفتحوا القلوع هذا وعقبة قد رفع صوته بقراءة الإنجيل فى ظلمة الليل البهيم والروم يبكون لقراءة عقبة القرنان وأن عقبة أقبل على لؤلؤ وقال له ياولدى لايصعب عليك أنى أقرأ الإنجيل وأنا أعلم أن ما يطيب لك إلا قراءة القرآن وأنا ما فعلت هذا إلا لأجل هؤلاء الروم الذين معنا حتى يعملوا بالمقاديف ولا يلحقهم توانى لئلا يلحقنا أحد وانى أريد عند الصباح أمتعك بالنظر إلى الملكة زنانير ذات الوجه المنير وأعلم يالؤلؤ انى لاأعتقد شيئا فى الإنجيل فضحك لؤلؤ وقال أسكت عنا ياقاضى وإلاغرقنا فى البحر من هذه الكفريات فقال عقبة يالؤلؤ ان كان منام عبد الوهاب صحيح فما يصيبنا شىء لأن من يصلب على باب الذهب ما يغرق فى البحر ولا فيه يذهب وكان هذا من اللعين عقبة على وجه الاستهزاء بالأمير ومنامه ولؤلؤ قد علم بذلك ولكن الهوى غلب على التقوى (قال الراوى) فلما أصبح الصباح قاربوا قلعة الفلك وكان قد اشتد بلؤلؤ الشوق وطار قلبه إلى رؤية الملكة زنانير صاحبة الوجه المنير وصار لايصدق أنه يقدم عليها وينظر إليها وقد تمنى أنه لو كان طائرا ويقى بين يديها ولسان حاله أنشد يقول

جار أحبابنـــا ولم ينصفونا   واستخاروا بعادنا وجفونا

حملوا قلبهم مقالا قبيحا   بئس ما حملوا وما أنصفونا
كنت أرجو البطال يجبر قلبي   بزنانير فاصطفى شعشعونا
قدرونى فاننى مستهام   صرت من شقوتى بها مفتونا
قلت كن لى على هواها معينا   لجفانى وصار خلا خؤونا
وهجرت الأحباب فيها وقد صر   ت حليفا لكافر ملعونا

(قال الراوى) فلما سمع عقبة شعر لؤلؤ قال له ياولدى قد بلغك الله مناك ونلت سؤلك ورضاك ثم أنهم ارتحلوا من ساعتهم فلم ترفع الشمس إلا وهم فى حصن الدولاب فلما نظرتهم البطارقة خرجوا اليهم لينظروا من أين أتوا وكان الملك صلبوتا حمل على قلبه هما عظيما من أجل اللعين عقبة فقال لقومه لابد من المسير اليه والهجوم عليه فقالوا له أيها الملك إن قلعة الجوزاء عالية حصينة والجزيرة كبيرة وفيها عالم عظيم وهم أكثر منا وإن لم نظهر عليهم يكون كسرا لنا وتنخرق هيبتك عند الملوك فقال لهم ما أترك أحدا من سائر الجزائر يدخل جزيرتنا ولا يقرب قلعتنا ولا يدور حول صليبنا ولادولابنا ولا يكون أحدا منهم يتبرك بدين المسيح ونمنعهم يوم العيد من الدخول علينا حتى يشدوا أهلها ثمنا ويسيرون إلى عندنا حتى نتعاون على خلاص الشيخ النجيح من عند شعشعونا الذى مرق من دين المسيح (قال الراوى) بينما هو مع قومه فى هذا الكلام وإذا هم بالحراقة قد ظهرت لهم من البحر التى فيها عقبة ولؤلؤ ومن معهم من البطارقة فأرسل الملك صلبوتا من يكشف الخبر فسار واحد من قومه وعاد إليه وبشره بخلاص عقبة ففرح فرحا شديداً ما عليه من مزيد وما كانت إلا ساعة حتى حضر عقبة بين يديه وأشار إلى الأرض لاثما فقام له الملك على قدميه قائما وسلم عليه وسأله كيف كان خلاصه فأخبره أن ذلك كان على يد لؤلؤ غلام البطال ووعدنى انه يوقع لنا مولاه أبو محمد ومن معه من الرجال وإذا وقعهم نطلب الجميع ونريح منهم عباد المسيح ثم قال له سرا وما يتم لنا ما نريد إلا بالملكة زنانير ونريدها تحضر حتى يبصرها لؤلؤ ودعها يا ملك تقبله وفى صدرها تحصله وإلى دين النصرانية تستميله فان تنصر وإلا صلبناه فأدعى الملك بابنته زنانير فأقبلت وهى كأنها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية ولما نظرت إلى عقبة ترامت تقبل يديه فقال لها عقبة أيتها الملكة تريدين أن يرضى عنكى المسيح فقالت نعم فقال قومى إلى لؤلؤ وعانقيه وطيبى قلبه وقبليه وكان قصد اللعين عقبة أن يغويه ويخرجه عن دين الإسلام حتى يبلغ به من أبو محمد المرام وأن زنانير أقبلت على لؤلؤ بوجه كالصباح إذا أسفر أو البدر اذا أبدر وقد تحير من

حسنها كل من نظر اليها وهى كما قال فيها الشاعر المفتخر

شفى المؤمل يوم الحيرة النظر ٭ ليت المؤمل لم يخلق له بصر

(قال الراوى) وان الملكة زنانير عانقت لؤلؤ عناقا أطيب من الحياة وقبلته فى فمه قبلة ألذ من الشراب وهو قد ذاب من النظر اليها وأخذه الارتياب ثم قالت له يامسلم لابد مانعاملك على ماعملت مع الشيخ النجيسح ونكون لك مثل العبيد وتبلغ منا ماتريد هذا وان لؤلؤ قد غاب رشده عند نظره اليها وذهل عقبة واعتقل لسانه وأذاب الحب جسمانه ووقع مغشيا عليه فرفع اللعين عقبة رأسه على ركبته وجعل يقول له لقد خشيت عليك من غشونك عند لقاء الأحباب وبلوغ الآراب وعلى ياولدى أن أوصلك الى قمر الزمان التى قد فاقت على الإنس والجان (قال) وأن لؤلؤ أقام فى غشوته ساعة فلكية فلما أفاق قالت له زنانير ياأبونا ما الذى أصاب هذا المسلم فقال لها يابنية لما نظر الى جمالك صار إلى ماترين وهو وصيتى اليكى لأنه ماخلصنى غيره ولولا ذلك لما كنت خلصت أبد من الملك شعشعونا وقد فارق أصحابه وهجر أحبابه من أجلك وقد ضمنت له انك ماتخيبيه من مشاهدتك ولا عن معاشرتك لأنه مسلم ولو كان نصرانى ربما كان يصل الى مايريد أو يزوجه المسيح بكى (قال) وكان قصد اللعين عقبة بهذا الكلام أن يطمع لؤلؤ فى وصالها إن هو تنصر قال وان الملكة زنانير لما سمعت ذلك من كلام عقبة ضحكت فأشرقت البقاع من نور ثغرها اللماع وتمايلت فبان نحول خصرها وقد عجزت الالسن عن وصفها وتلاطم أمواج اردانها وعلمت أن اللعين عقبة قد وعد لؤلؤ بوصالها فقالت لعقبة أيها الشيخ أنا لك وبين يديك ولا أبخل بنفسى عليك فلو أمرتنى أن أحمله على رأسى فعلت ذلك تقربا اليك فإن رضاك من رضا المسيح (قال الراوى) فشكرها عقبة على ذلك وكذلك لؤلؤ ورجعت إلى قصرها وأنزلوا عقبة فى دار حسنة وأخذ لؤلؤ معه ولؤلؤ لاينام الليل ولا يهدى بالنهار وقد طار فؤاده وقل أكله وعدم رقاده هذا واللعين عقبة يغويه وبلذة ذكرها يسليه (قال) وان لؤلؤ رقد تلك الليلة فرآها فى منامه فانتبه من رقاده وقد وضع يده على فؤاده وزاد به الغرام وكثر به الهيام فقال بلسان الهوى من حر نار الجوى هذه الأبيات

غدوت أسيرا فى قيود المقادير ٭ وقد قام عذرى عند أهل المعاذير

وقد أصبحت روحى رهينة شهوة ٭ ويشهد لها الزنار عند زنانير

فقال له عقبة لعنه الله ياولدى هل لك أن تدخل فى دين النصرانية ويكون ذلك ولو على صفة الملاعبة والملاهية وعلى وحق المسيح أن أعمل على خلاصك وإلى بلاد الاسلام

أوصلك ومعك الملكة زنانير المليحة الابتسام وتبلغ غاية المرام فقال له لؤلؤ ياقاضى لاتفعل فانى لو فعلت قالت لى نفسى لم تتبرأ من دين الاسلام ومن محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وذلك مالا يكون أبدا ولو شربت كاسات الردا ثم أنه بكى وأنشد يقول

أتأمرنى من بعد نسكى وتوحيدى   وزهدى واسلامى وجهدى وتجهيدى
وبعد صلاة الليل والنسك والتقى   وحب رسول الله أكرم مولود
بأن أعبد الصلبان فى حب كافرة   تقيم بأطلال اللئام الملاحيد
دع القول فى الاسلام وارعى صنيعتى   فانى فى غل وحبس وتقييد
وكن لى معينا فى هواها فاننى   أكافيك طول الدهر من غير تفنيد

(قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة والأمور المطربة الغريبة فلما سمع عقبة ذلك من كلام لؤلؤ وشعره دنى اليه وقبل رأسه وعينيه وقال وحق المسيح ما أنكر عليك حالك ولا أغصبك على ترك دينك وسوف أتوصل إلى قضاء حاجتك وكان ذلك من عقبة مكرا وخداعا ثم أن اللعين خلى بعد ذلك بالملكة زنانير وقال لها يابنية فى قلبى النار من هذا المسلم وكان قصدى لو تنصر وشد الزنار كنا توصلنا به إلى أخذ البطال لأن هذا لؤلؤ أشطر منه فقالت الملكة زنانير ياأبونا لاتفزع من أبو محمد البطال فأنا أخذته من دير النذور وجميع الصور التى يدخل فيها إلى بلاد الروم عندى وأنا أعرفها فلا تخف من هذا الوجه أبدا وأما تنصر غلامه فهو عندى سهل ولو خلوت معه ساعة واحدة لنزعت دين الاسلام من قلبه وفؤاده وأنسيه أهله وبلاده على أننى لا أرغب فى إسلامه لأننى لا أرضى بملك من الملوك فكيف أرضى بهذا الشيطان وهو عبد مملوك وفقير صعلوك وصلبه كان عندى أهون والرأى فى ذلك أصوب فقال لها عقبة أيتها الملكة أن الباغى له مصرع والعجب يهلك أهله والحرب خداع والعجلة من الشيطان والصواب عندى أن تخدعى هذا الرجل الذى قد أحسن إلى وجاد بروحه على وبه نصل إلى آفة النصرانية ورأس كل بلية وأنا أعرف أن الحكيم اقليدس صور لكى صوره التى يدخل بها بلاد الروم وصار ذلك عندك معلوم فلا تغترى لما ظفرتى به أول مرة وكان ذلك منه على غره فوحق المسيح لو أراد أبو محمد البطال أن يجعل نفسه طائرا يخطفك من الهوى ويسير بكى فى الفلا لفعل ذلك وما أصدق كل صباح يصبح وأراكى فيه خوفا من القضاء عليكى منه وانى أعرف أن لؤلؤ إذا كان عندك مايقدر أبو محمد عليكى وأنا لكى ناصح (قال) وأن الملعون أظهر لعنته ونفاقه وتوجه لوشفانه وأشار اليها يقول

يالهف قلبي على زنانير ‏ من حابس الناس فى المطامير
كم ملك بات تحت سدته ‏ أصبح رهن القيود مأسور
ولو أراد البطال يأخذكى ‏ أخـذ الباز للعصافير
ولو أراد البطال يطرقنا ‏ فى صورة النمـل والزنانير

(قال الراوى) فلما سمعت زنانير كلام عقبة صلبت على وجهها وقالت وحق المسيح سوف آخذه معى إلى البيعة يوم الأحد ليرى مافيها من العجائب وكانت هذه البيعة التى فى قلعة الدولاب يضرب بها الأمثال قد عملتها الحكماء الأوائل الذين عملوا دولاب الفلك وكان فيها صور كانها تنطق إذا دخل الهوى فى مجاريها نطقت بحركات غريبة (قال الراوى) وأن الملكة زنانير علمت أن لؤلؤ إذا نظر اليها وإلى البيعة وإلى حسن صفاتها البهية يدخل فى دين النصرانية فقال عقبة لمن تقولين هذا المقال وحق المسيح لو أرادوا هؤلاء يصنعون مثل هذه الصور ويريدها تمشى وتتكلم لفعلوا ذلك لأنهم حكماء وأن من عندهم العيارة والشطارة وقد تبحر وافى كل علم وما تقدرى على تنصره إلا كونه واقعا فى شرك محبتك وأسير سلطانك فقالت وكيف أصنع ياأبونا فقال عقبة تدخلين البيعة كما ذكرتى ولؤلؤ معكى كما أشرتى فان تنصر فهو المراد وبه نستعين على الأعادى والحساد وربما يأخذ البطال لأنه قد صار خافه مثل الملك شعشعونا وهو يعلم أنه يهواكى وهو فى عالم عظيم وخلق جسيم ولا بد ما يأتى أبو محمد حتى يتحيل علينا ويسرقك لشعشعونا فهذا الولد العزيز يدفع عناشره وبه نأمن من مكر ولا ينفذ فينا سحره وإن لم يتنصر وجاء يوم الأحد فادخلى بيت القسيس وأبعث أنا لؤلؤ إلى عندك وأنتى تلعبين معه ومازحيه وخذى بعقله فقالت له زنانير ولماذا نفعل ذلك فقال لها عقبة لعله يتور به الهوى والغرام فيضمك ويريد أن يبوسك فرديه وامنعيه من ذلك وقولى له أنا أخاف من المسيح لا يغضب على لكونى ألاعب مسلم ولا بقيت أجتمع معك حتى تخرج من دينك فان المحبة موافقة والعشق ترك المخالفه وما نبذل نفوسنا الا لأهل ملتنا فهذا الكلام يكون سبب تنصره (قال) فضحكت زنانير وقالت سوف ترى ماأفعل به فقال لها عقبة بارك المسيح فيكى وحطوا لؤلؤ فى بيت مليح ولؤلؤ لا يلتذ بمنام إلى ليلة الأحد دخل عليه عقبة فوجده باكيا وقد زاد به الغرام وهو ينشد هذا النظام

يلغى ياريح عنى السلام ‏ ٭ انني مدنف حليف السقام
فى قلعة الدولاب ذو محنة ‏ ٭ سهران لا أعرف لطيب المنام
بل هجرت عينى لذيذ الكرى ‏ ٭ حقا كذا اليوم عليها حرام
حب زنانير سبانى فما ‏ ٭ أطيق من عشقى ارتداد الكلام

يارب ثبتني على ملة الا ه سلام فالأمر شديد المرام

ثم قال يارب أنت العالم بما نزل بي من حب هذه الجارية وهي تريد تخدعني وتردني عن ديني وقد عجزت عن حمل هواها ثم بكى وقال إلهي ومولاي لقد طردتني عن بابك وقد سمعت حديثا انه اذا سخط الله على عبد ابتلاه بمحبة مخلوق مثله ولو اني مت ما تنصرت. وأنشد يقول

ألبسني العشق ثياب الضنا ولم أنل ممن أحب المنا
وصرت مأسور الهوى دائما في بلد الروم طويل العنا
أغضبت ربي بخلافي أبي محمد إذ ختنه معلنا
أطلقت شيخ السوء من قيده أخبث من إبليس بل ألعنا
وصار يغويني لاصبوا لي دين النصارى ومقامي هنا
والله لا أعبد إلا الذي مازال بي في عثرتي محسنا
رب عظيم صمد قادر يعلم ما تخفي وما نعلنا
لاشك زنار محال ولا يفتنني والله ما أفتنا
ولست أصبو في صليب لهم دينا ولو ان حمامي دني
ان زنانير لها في الحشا محبة والعشق قد أكمنا
عيونها غارت على مهجتي لأنها فاقت على الاعينا
ووجهها البراق قد زاد بي على هواي في ضناها ضنا
وشعرها الحالك جعد له عقارب قد قصدت لسعنا
والسالف المسكي من شقوتي سل على الناس سيوف الفنا
ياليت شعري هل أنا قادر يوما عليها وأنال المنا
هل بلد الاسلام لي جامعا شملي بها ذلك يوما الهنا

(قال الراوي) ثم أن لؤلؤ بكى وقال إلهي ومولاي أعصمني من الكفر والعصيان.

فقال عقبة اصبر ياقرنان لغد إذا وضعت يدك على تلك الاعكان ورأيت الردف الذي كأنه تل رمل من فوقه غصن بان وبدت لك تلك الساقان سوف تكفر بالرحمن وتكذب القرآن وتعلق الصلبان ومن يقول عليه أبو حمدان أنا أم أنت ياقرنان وما أنا وما انا الا شيخ كشحان وانا كل يوم اسوى لك نوبة العياره وسوف اعمل على قتلك ان ما كنت تدخل في دين النصارى ثم رجع عقبة ولم يدخل على لؤلؤ وبات لؤلؤ ليلته يعدد على نفسه ويبكي فلما طلع النهار اصبح كمجنون ليلى حيث قال

اعد الليالى ليلة بعد ليلة ... وقد عشت دهرا في عد'د اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى ... أجد أحدا أشكو له ما دهانيا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا ... علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
أصلى فما أدرى إذا ما ذكرتها ... اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
على أنى راض بأن اترك الهوى ... وأخلص منه لا على ولاليا
واسأل ربى الصبر واللطف فى القضاء ... فالصبر للاستمام والله شافيا

(قال الراوى) ويوم الأحد جاءت الناس إلى البيعة من كل جانب وخرجت البنات الكواعب وفتحت البيعة وكان لها سبعة أبواب من الفضة بأقفال من الذهب وعلقوا فيها الستور وارتفع دخان البخور ورفع القسوس اصواتهم وكشفوا رؤسهم وكفروا بربهم واشاروا الشمامسه والبطارقة إلى الصور التى على الحيطان وأموا إليها بالسجود وكفروا بالواحد المعبود الذى تنزه عن الصاحبة والمولود وقد وقفت الأبكار الاتراب وقصد عقبة الى لؤلؤ وقت السحر وقال له لاشك ان فؤادك قد ارتاح الى مشاهدة زنانيرست الملاح نهى فى البيعة فقم وتهنى بها نهى القمر الطالع والنور الساطع فوثب لؤلؤ وقد دبت عنده ذكرها فى بدنه الروح وسار عقبة بين يديه حتى دخلوا البيعة نظر لؤلؤ إلى موضع ما نظر فى عمره مثله وفيه من الأبنيه والعقود والقناطر والصور والدعاناب مالا عين رأت ورأى تلك المباخر وفيها العود والند ورأى تلك الجوار الروميات الحسان فلم يلتفت لهم وهم يقولوا هذا المسلم جاؤا به ينصروه وهو يحب الملكة زنانير وكان لؤلؤ جميل الصورة مليح المنظر ولكن من شدة حب زنانير تغير وجهه وصار ذهبي اللون وهو يسمع قولهم ولا يلتفت لهم ثم صاحت الرهبان والقسوس بقراءة الانجيل وكان لؤلؤ يحفظ مايقرؤه هذا وقد قال عقبه يالؤلؤ لو انك تسمع من قولى وتتقدم إلى هؤلاء القسوس وتقبل الناقوس حتى تبلغ من الملكة زنانير الأرب لعله يكون لوصولك اليها سبب وتنزل من قلبها وتريدك وترضاك فقال لؤلؤ ياقاضى اعلم انى لما دخلت اليك فى المطمورة وأنت فى غاية الذل والهوان وقد عول الملك شعشمونا على قتلك وعاهدتك على أنك لاتعارضنى فى الأديان ولا تأمرنى بالكفر بالرحمن فقال عقبة ياولدى أناما أغصبك على ذلك وإنما أشرت عليك بما يرجع نفعه اليك فقال لؤلؤ ياقاضى ماأفعل ذلك أبدا ولو شربت كاس الردا ولكن أنا الساعة عندكم وحلفت أنه متى دخل البطال إلى هاهنا سلمته اليكم على أى صورة كانت لأنه صنع فى هذه الأيام عند الملك شعشعونا خمسة عشر صورة لكل صوره لبس يديدخل بها عليكم وعلى غيركم ولولا أنى رأيتها وهو يصنعها كان يقف معى ولا أعرفه ففرغ عقبة على نفسه وقال وحق

المسيح لقد قلت لهذه الملكة زنانير أن البطال يفعل أكثر من هذا وهى لا تصدق وتقول انه ما يدخل إلا فى الصور التى صورها لها الحكيم اقليدس بينما هم فى الكلام وإذا بالصياح ارتفع وقد أتى الملك صلبوتا فى أربعة آلاف بطريق وعليه بدنه جوهر لا يلبسها إلا الملوك الاكابر فاقبلت القسوس عليه وقبلوا الأرض بين يديه وهو يقربهم ويتبرك بهم ويقول لهم ادعوا على شعشعونا أن يوقعه المسيح فى يدى هو ومن عنده من المسلمين فقالوا سمعا وطاعة ومن هو شعشعونا حتى تشغل قلبك من جانبه وفى العيد الكبير تجى أهل الجزاير والقلاع ونسير إلى حربه بعساكر مالها عدد ونرمى حجارة قلعته إلى البحر قال فشكرهم الملك صلبوتا وقدموا اليه القربان والخمور وارتفع دخان البخور وأقبلت زنانير بين صويحباتها وخدمها مثل البدور فجلست على كرسى ذهب أحمر مرصع بالدر والجواهر لحارت من حسنها الأبصار وأرمت القسوس نوامش المسك فى النار وتبسمت الملكة زنانير فادهشت القلوب ورفلت الجوارى فى ثياب الحرير وقد تجاوبت بالصفير فقالت زنانير لابيها أتأذن لى أن أغنى شيئاً يشاكل مانحن فيه من السرور والنعيم فقال يابنية شاورى الرهبان والقسوس فتقدمت اليهم وقالت لهم عن أذنكم أغنى لكم فقالوا لها لعلى مابدا لكى يانزهة اهل هذا الزمان فأخذت القانون وغنت بالرومى فسلبت النفوس ووقعت الناس سكارى من غير كؤس ولؤلؤ قد حار وعلا وجهه الاصفرار فلاحت من زنانير التفاته للؤلؤ فوجدته وقد تخلقت وجنتيه بالزعفران وصارت أجفان عيونه كانها مرجان وهو طائش العقل حيران فرق قلبها عليه ورحمته وعلمت أن المحبة قتلته فأقبلت بكليتها اليه ثم مسكت عودها وأصلحت أوتارها وقربته إلى نهدها وأنشدت تقول

يا طلعة القمر المنير ... وقامة الغصن النضير
هذا الشراب فقم بنا ... نعدل إلى شرب الخمور
لا تغفلن عن لذة ... فى مثل ذا اليوم المنير
والأرض فى ديباجة ... أعطافها إنس وحور

(قال الراوى) فعدم عقل لؤلؤ وقال أنا عبدها على طول الأيام فصاح عقبة تنصر ياقواد واترك طريق الزهد والرشاد ثم خلع الملك صلبوتا على لؤلؤ وقال له هذا فى مقابلة ماخلصت هدية عيسى وإن شاء المسيح تمسك لنا البطال فقال سمعا وطاعة يامولاى فلا بد له من المجىء إلى هاهنا ليسرق عقبه وما يحثه على المجىء إلا شعشعونا من أجل الملكة زنانير وسوف أسلمه اليكم وإن ماجاء فأنا أمضى اليه وآخذه بالحيلة ففرح صلبوتا وأقام

فى البيعة حتى أكل القربان ورجع وحوله القسوس والرهبان (وأما زنانير) فانها أخذت بيدها كاس وأقبلت نحو لؤلؤ فقام لها وخدم وقبل الأرض ودعا لها فناولته القدح فأخذه منها وغنت له بالعربى وهى تقول

اسقيانى بين أشجار ونبت وزهور   وشقيق من خدود وافاح من ثغور
وندى من ماء وردوضباب من بخور   وزنانير تغنى وهى كالبـــدر المنير
لو سمعها ميت عادحى من قبل النشور   بين سحر من عيون وبروق من ثغور

(قال الراوى) لحار لؤلؤ وانهتك ستره وكذلك أصاب عقبة وقال لقد قتلتنا هذه القحبة ثم قبل عقبه يديها وقال لها اذهبى إلى حجرة القس عسى ينتصر هذا النحس فانى سمعته البارحة يعاتب نفسه وهو يناجى ربه وأعاد عليها ماقال لؤلؤ فاذهبى لحجرة القس وادعيه اليكى واكشفى له عن بطنكى وعن السرة وقد تنصر هذا النحس فى كره فقصدت حجرة القس وقالت لايتبعنى أحد وأشارت إلى لؤلؤ بكفها اتبعنى فنظر إلى كف منقش كانه شباك مسك على تماثيل عنبر وخواتم ذهب بفصوص ياقوت أحمر فتحير لؤلؤ مما نظر وافتكر فى نفسه وقال انها مادعتنى قط إلى مثل هذه الخلوة وما هذا إلا بتدبير عقبه ثم خشى على نفسه وأراد الامتناع من الاتباع لها فما استطاع وجذبته دواعى الهوى بسلاسل الشوق والجوى فدخل اليها الحجرة وقد بلغ الأرب وفاز بما طلب ثم خلعت عنها بدنه من اللؤلؤ وصارت فى قميص حرير أحمر كالشفق وهى غضة بضة دعجا فضة ذات جسد ناعم رابية المعاصم عيونها أمضى من الصوارم ثقيلة الردف كانه كثيب وهى فى قامة القضيب مخدلجة القدمين خميصة البطن ذات فرع وارد وثدى ناهد وسيقان مكورة وعجيزة موفرة كانها موج البحر إذا عصفت به الرياح إن قامت أقعدها وإن مشت أثقلها وقد خلعت لباسها وأسبلت ذوائبها وبانت طيات أعناقها فلما دخل لؤلؤ تمايلت عليه ودارت ورقصت ولعقله سلبت فانقلبت أحداقه وتغيرت أخلاقه ووضع يده على كبده وقام كل عرق فى جسده فقبلته فى وسط فمه فذاق رضابها ثم وثبت وقالت وايماه قد أغضبت المسيح كى أننى حسنت قولى وحلى لمسلم ومكنته من عناقى وتقبيلى وما بقى شىء غير ترتيلى ثم أقبلت عليه وقالت يالؤلؤ إن أردت وصالى وتحظى بجمالى نشدوسطك بزنار وتنصر (قال الراوى) لجرت دموع لؤلؤ وبكى وقال ياملكة ليس من شرط المحبة فراق الأديان وإنما شرطها الكتمان وفراق الدين حجة وشديد على الانسان واعلمى أننى لوقطعت إربا إربا ماازددت فى دين الاسلام إلا حبا ولست أنا بأول من قتل بالحب والعشق والجوى وألم الهوى وشقاوة الدنيا ولاشقاوة الآخرة فاعجب زنانير ماسمعته من لؤلؤ وانكسرت

نفسها وقالت يا لؤلؤ لقد أعجبني يقينك وحفظك لدينك ولكن وحق المسيح ما بقي بنا لك مني مكروه ثم طلعت ولؤلؤ قاعد وقد احمرت خدودها وغزلت عيونها وغرقت نهودها فقام لها عقبة وقال ماجرى للؤلؤ فقالت له ياشيخ ماهو إلا شديد في دين الاسلام وقد أعجبني قوة يقينه وزدت به هيام فقال عقبة وحق المسيح هذا كله محال وأنا أعرف أن لؤلؤ قد بلغ المراد وأنى تنكرين ما حصل منه من مسرة الفؤاد فغضبت زنانير من كلام عقبة وقالت له وحق المسيح ماهو إلا رجل قوى الدين حسن اليقين وأنه والله خير منك يالعين فلما سمع عقبة ذلك علم أنها اغتاظت منه فرجع إلى مكره ودهاه وقال ياملكة حاشاكى من هذا الأمر وسواه وإنما عرضت بهذا الكلام لأرى ما عندك من المرام فطاب قلبها عند ذلك وعادت إلى انبساطها وقالت على بالراهب شعنونا وكان رجلا سبابا فلما حضر جعل يسب الاسلام وعقبة يعجبه قوله ولؤلؤ لحقه الغضب منه وقال للملكة زنانير ليس هذا مليح أليس انكم تغتاظون إذا سمعتم أحدا يسب عيسى فقالت صدقت ثم رجعت إلى غناها وسكرها مع ندمها ثم قامت ورقصت وتمايلت بأردافها وغنت فسبت العقول ثم شربوا بالأقداح ورقصوا الصغار وتناولوا الكاسات والطاسات وشربوا شرب لايحد ولا يوصف إلى أن غيب رشدهم القرقف ودبت الخمرة فيهم دبيب النمل على جبل الرمل فانطرحوا سكارى على الأرض لايعرفون الطول من العرض ولم يزالوا كذلك إلى أن هبت نسمات الاسحار (قال الراوى) وكان أول من أفاق من نومه وقت السحر لؤلؤ وإذا في رجليه قيد من الحديد وفي الوزن ثقيل شديد فقال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال في نفسه ربما أكون أخطأت في الكلام لما جارت على كؤس المدام ويكون عقبة وشى في حقي بشيء للملكة زنانير ففعلت بي ذلك الفعل النكير ثم أنه أراد أن يقعد ليعرف جلية الحال وإذا بعقبة وهو مقيد في الحديد وإلى جانبه الملكة زنانير مقيدة مكتفة والراهب شعنونا واقف يضحك عليهم وغلامه واقف بين يديه والشمع المطيب بين يديه ينور عليه ومائة بطريق حوله بالسيوف المجذبة فلما نظر عقبة إلى ذلك تيقن أنه هالك لكن لايعلم السبب في ذلك (قال الراوى) هذا والراهب شعنونا ضاحك كثير الانبساط فقال له عقبة ويلك ماتحدثنا بهذا الخبر الذى أوجب هذا الفعل المنكر أليس كنا معك نشرب مع هذه الداهية قال فعند ذلك حول الراهب وجهه عنهم وقلع ماكان على وجهه والتفت اليهم في الحال وإذا به البطال فقال عقبه أحسنت ياصياد الرجال وصلبت زنانير على وجهها وعرف عقبه أنه قتل القس شعنونا وغلامه بطرس فقال له عقبة ويلك ياأبا محمد أما خفت من الله تعالى أن ينزل عليك

عذابا من السماء كيف قتلت شخص من عباد المسيح وله من العمر مايقارب المايتين سنة ماغسل فيها وجهه قط وكل ذلك من زهده وعبادته ولكن وحق المسيح مالك ذنب بل الذنب للملك شعنونا الذى أمرك بهذه الفعال من أجل شهوة دنيوية وقتلت هذا الشيخ الكبير الذى لو كان فى زمن الحواريين لكان مقدما عليهم ولا خير فى الحياة من بعد فبالله عليك إلا ما ألحقتنى به وأرميتنى فى هذا البحر حتى تلتقى روحى بروحه الطاهرة الزكية فانى أعلم أن المسيح يشفعه فى جميع عباده ولقد كان رحمة فى جميع بلاده واحسرتاه على أهل دين الصليب من بعده وحق المسيح ماهدانى المسيح إلى هذه الديار إلا وقال لى بشر شعنونا بأنى أرفع له فى كل يوم ماية درجة ولما سمعوا البطارقة الذين صحبه أبو محمد كلام عقبة وبكاه وما قد خوفهم من غضب المسيح وأقبل بطريق منهم عليهم وكان شيخ كبير عنيد وشيطان مريد وكان صديقا للقس شعنونا الذى قتله أبو محمد فقال للبطارقة لقد صدق هذا الشيخ عقبة فى هذا الكلام وحق المسيح وقد خسرنا الدنيا والآخرة وكنا سببا لقتل شيخ النصرانية وأما أنا فلا حاجة لى فى الحياة وأريد أقتل روحى قبل العتاب من السيد المسيح يوم الحساب فقال عقبة وقد بكى وحق الراهب سقراق الذى بقى أربعين سنة يأكل الشوايا من لحم الخنزير بالرقاق وما غسل وجهه إلا بالبصاق أن المسيح يرضى عنك بهذه الكلمة ويكتب لك ثواب من قتل ألفا من المسلمين ثم صاح الملعون عقبة وتلى فصلا من الانجيل فوجلت قلوبهم ودمعت عيونهم وقالوا وحق المسيح لافعلنا هذا أبدا بعد ماقتل هذا العيار شيخنا شعنونا وقاموا على أبو محمد البطال وقالوا لابد من قتل هذا المسلم العيار المحتال ونطاق هدية عيسى والملكة زنانير ونرجع إلى الملك صلبوتا ويكون لنا عنده اليد البيضاء لخلاص ابنته ونعيش تحت ظله ولا نرجع إلى شعشعونا فقال لهم عقبة ياأولادى هذا هو الصواب فابطشوا بهؤلاء الكلاب نصاح بهم المقدم عليهم وهو حاجب شعشعونا وكان اسمه خنوسا بن قسطة وكان جبار أهوج مجنون وقال لهم ياويلكم على ماذا عولتم فقالوا على قتل هذا العيار الذى قتل شعنونا وكان بركة هذه الديار فقال لهم ياقوم الذى عزمتم عليه هو الصواب غير أنه يبقى فى الأمر شىء واحد وهو أن أولادكم ونساءكم عند الملك شعشعونا وما بعث هذا الرجل معكم إلا أنه واثق به وبكم ويعهد منكم الوفاء والملوك مازالت تقاتل بعضها حتى تبلغ أغراضها وتأخذ مواضعها وهذا المسلم مايقدر يصل الى غرض الملك شعشعونا إلا بالحيلة التى عملها وبالأمس هرب عقبة من عنده ومعه هـــذا المسلم وها هو معكم الآخر والصواب اننا نحمل الكل إلى الملك شعشعونا ثم تقولون له أيها الملك أنت قد

وصلت إلى غرضك وملكت محبوبتك والصواب انك لاتفسد ما بينك وبين الملك صلبوتا ولا تتزوج ابنته الا برضائه ورضا النصرانية وتجعل وليمتك لنا صلب هذا المسلم وغلمانه كما قتل الشيخ القديم والقس الكريم الباغض لدين الموحدين شعنونا رأس الزاهدين فقال له عقبة وحق المسيح لئن وصلنا إلى شعشعونا ليأمرنه هذا الشيطان بقتلى وقتلكم أجمعين ويقول له أنهم كانوا أيها الملك قد عزموا على خلاص الملكة زنانير والهرب إلى الملك صلبوتا ويجعلكم نادمين ويا ليتنى كنت وحدى لكم الفداء لعلكم تنجون بأرواحكم من الردا فقالوا له يا شيخ فما الذى تشير به علينا حتى نبلغك ماهويت فقال لهم الرأى عندى أن تقتلوا هذا العيار تحريصا وتخلصون زنانير تخلصا وأنا أكون سبب غناكم من الملك صلبوتا (قال الراوى) ياسادة يا كرام عند ذلك وافقه لؤلؤ وساعده على كلامه وقال لهم هذا هو الصواب إن كنتم ترغبون فى الثواب هذا وأبو محمد يقول ماكان فى حسابى هذا الحساب ولا قرأت هذا الكتاب وكان ذلك من لؤلؤ غيرة على الملكة زنانير لئلا تصل عند الملك شعشعونا فكان يأخذها ويبليه بالتعبير وانه قال ياقوم وحق المسيح ان خلصت الملكة زنانير فانه يكون لكم عند الملك صلبوتا المنزلة العلية وكنتم تستحقون منه الخلع والعطية لأنها قد أخذت بالحيلة العظيمة ولولا ذلك لما وصل أحد اليها ولا قدر عليها وان لؤلؤ جعل يحرض الروم على خلاص الملكة زنانير وهو ينشد

تبصر ان عرفت لما تقادا أرى العنقاء تكبر ان تصادا
فلا تك جاهلا بالرأى وانظر بأنك لن تطيق له عنادا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأن زنانير لما سمعت كلام لؤلؤ قالت وحق المسيح والدين الصحيح انك المحب الصادق والعاشق الواثق والرفيق الموافق والغيور الحاذق فقد عرفت قضيتك فى السفر مع مولاك المسلم وأصحابك مع ثباتك على دينك وحسن يقينك وانك على غيور والعاشق معذور وسوف أجعلك فى أيامى أمين الأمور ومستأسر لامأسور فقال لها عقبة وقد أخذه الحسد من لؤلؤ وحق المسيح لقد شفانى لؤلؤ من أبو محمد العيار بهذا الكلام وقد قطع نباض قلبه بالملام وأذاب جسده على ماجرى له من شدة كربه ثم قال للبطارقة ماهذا الانتظار فللتأخير آفات وما كل وقت ينجح الطلب فدونكم وهذا اللئيم والشيطان الرجيم فقطعوه بسيوفكم الحداد وأقبضوه بسواعدكم الشداد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعت البطارقة من عقبة هذا المقال أقبلوا على الأمير أبو محمد البطال كأنهم الجبال عند ذلك قاتلهم البطريق خنوسا قتال شديد لم يسمع بمثله فيما تقدم فى الزمن الأكيد وبدد البطارقة تبديد وكان بطل شجاع وفارس

مناع واشتد القتال وقتل جماعة من الرجال وعجل الله بأرواحهم الى النار وبئس القرار وبعد ذلك تكاثروا عليه فأخذوه أسير وخلصوا المأسورين من القيود وجعلوها فى أرجل المطلوقين وقد حلت بهم الآفات وهذا حكم من له الارادات والأحكام الجاريات فصار أبو محمد يقول سبحانك ياقادر تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير هذا والملكة زنانير خلصت من القيود والمسامير وقامت كأنها القمر المنير والشمس التى فى الفلك تسير وأتت الى لؤلؤ بنفسها فخلصته من الكتاف والقيد والتعتير فقال لها يامولاتى ومنية قلبي وثمرة فؤادى هذه ذخيرة عندك لأنى من وقت ماهجرتينى مابقى لى عقل ولا لب لأنى واقع فى شباك أسرك وقيود هجرك فأطال المسيح فى عمرك فقالت له وحق المسيح لولا أخاف من توبيخ أبى وبنات الملوك أقاربى والحكيم الذى علمنى وزاد فى أدبى ومن هذا الشيخ عقبة وتوبيخه لى وعتبى لما جعلت لى فى الفراش ضجيع سواك ولا قصدى بذلك إلا رضاك وانى كما قال القائل

فى ملة الإسلام انى أحبكم وأجعل قلبي قربة وتطوعا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فدمعت عين لؤلؤ من الفرح واتسع صدره وانشرح هذا وأبو محمد يقول تنصر القرنان وافتضح وركن إلى هذه النصرانية وجنح فعرف لولو ما خطر فى قلب سيده البطال وطمح فجال فى خاطره فأنشد :

أقول للعشاق فى عشقكى ليس على عاشقها من جناح
أنظر الها والحشا مغرما ان كنت تهمنى بذا الانشراح
تجده فى طول الدجا مدنفا حتى تراه مقتلا بالصفاح
فقال ما قصرت فى عشقها يا أصدق الناس بعشق الملاح
لكننى فى عشقكى دائما مالى وحق المصطفى من براح
إذا قضى الله بأمر فما للعبد من ذاك القضا من براح

(قال الراوى) ياسادة ياكرام عند ذلك سكت أبو محمد البطال وبعدها تنفس وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم ساروا ليلتهم أجمع الى أن بدا الصباح وأسفر بضيائه ولاح وأيقنوا المطلوقين بالنجاح وبقى بينهم وبين قلعة الملك صلبوتا قدر فرسخين وإذا بصياح قد علا وصراخ قد نمى وبيارق قد أقبلت نحوهم ومائة حراقة قد أحدقت بمركبهم أسرع من البرق الخاطف أو الريح العاصف هذا والقوم قد حاروا لما أبصروا هذه الحراقات بهم قد داروا (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى ذلك أن الملك شعشعونا لما فارقه أبو محمد البطال جعل يتقلى على مقالى النيران خوفا

عليه من الظفر وانه لا يحظى بطائل من أخذ الملكة زنانير فصار ليله طويل ونهاره عليل فقال فى نفسه لابد ماأردفه بمائة حراقه وأوسقها بالرجال والشجعان من أهل مملكتى ووجوه عشيرتى فما بالاحتراز من بأس ولا يذمه أحد من الناس (قال) وكان له ابن أخ قد رباه بعد موت أبيه وكان أعز من ولده وكان شجاعا مناعا وجبارا قتالا لايرهب الابطال اذا أحدقت به ولا يستعظم الجحفل إذا نحوه اتصل وكان اسمه مرطاوس وهو مليح الشكل والملبوس محبوب إلى النفوس فخلع عليه الملك ووعده بوعد بينه وبينه فخدم الملك على ذلك وقبل الأرض بين يديه فقال له سر بهذه الحرقات وفيها عشرة آلاف مدرع من كل بطل صميدع ويقصدون فى البحر إلى نواحى قلعة الملك صلبوتا وتطلعون على أخبار البطال وباقى أصحابنا فان احتاجوا إلى نجدة فانجدوهم وان عجزتم أنتم ورأيتم العدد كثير فابعثوا إلى فانى أسرع فى الوصول اليكم والقدوم عليكم فقال مرطاوس السمع والطاعة ثم ودعوه وساروا من تلك الساعة وجعلوا يشقون البحر شقا ويقطعونه غربا وشرقا حتى لحقوا المركب بالأمر المقدر فاحدقوا به من كل جانب ومكان وأنزلوا بالبطارقة الذى فيه الويل والهوان وأطلقوا أبو محمد من القيود والأغلال وفكوا وثاق جميع الغلمان ولطموا عقبة القرنان حتى أشرف على الدخول إلى النيران (قال الراوى) وطلبوا الملكة زنانير ولؤلؤ وأربعة من البطارقة فما وجدوا لهم خبر ولا وقعوا لهم على أثر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أمرا عظيما وحالا عجيبا جسيما وذلك انه لما انسدل الظلام ودخل الليل بعد ماجرى بين زنانير ولؤلؤ ما جرى من الكلام أتت اليه عند نوم العيون وقالت له يامسلم أنت تدعى الهوى والعشق والمحبة والجوى وتنام وأنت خالى من البلوى فقال لها لؤلؤ ياحبيبتى وياقرة عينى وقلبى وحق سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم ما تغيبى عن عينى لا فى اليقظه ولا فى المنام ولا فى الضيا ولا فى الظلام وكم ليلة بت فيها أرمق خيالك شذرا ويصبح كفى من وصالك صفرا فعند ذلك قالت له يالؤلؤ دع عنك الشكوى وما تدعيه من البلوى فقد ثبتت لك عندى صحة الدعوى فقم أنا وأنت يا لؤلؤ يكون معنا أربعة من البطارقة حتى أننا ننزل فى هذا المركب ونسير إلى خليج البحيرة فانى قد ضجرت من هذا هدية عيسى وقد فزعت من شخيره فى نومه وخطيطه الذى مثله وانه قد أضحى يأتى إلى ناحية ويتقرب منى ويمسنى ويكلمنى وبعينه العورة يلاحظنى ويرمق بها نحوى وانى قد فزعت نفسى منه ومن كثرة بخر فمه ونتن رائحته ثم انها أخذت بيد لؤلؤ وقالت له قم بنا حتى اننا نطيب الليلة (قال الراوى) وكانت البطارقة قد فرشوا لها فرشا جيداً مفتخراً

ومعهم شرابا عتيا رائقا فائقا وقد ساروا بها وهى فى صحبتهم إلى نحو البحيرة وقد قالت للملاحين قدفوا كلكم بالمقاديف واجتهدوا لعل أن نكون عند الصباح فى القلعة فقالوا لها سمعا وطاعة أيتها الملكة سنوصلك عند السحر كما أشرتى يا ملكة الزمان ونبشر أبوكى بالنصر والطهان ثم نزلوا المقاديف وهم يأكلون ويشربون والقمر قد طلع وقد أشرق على لازورد أزرق وضوء جبينها على ضوء القمر قد أشرق فعند ذلك أنشدت تقول

أفدى محبا زارنى ٭ من غير وعد مرتقب
فى ليـــلة خليتها ٭ من بين أنياب النوب
كأنما البدر بهـــا ٭ ترس مصاغ من ذهب
فيهالها من ليلة ٭ قصرها طول الطرب

(قال الراوى) ثم أن زنانير قالت للؤلؤ يالؤلؤ نظرت الليله إلى هذا النحس الخنيس الذى كان إبليس كيف وضع يده على خصرى وحسس على حجرى ووضع فمه الابخر على ثغرى ونحره المنحور على نحرى وعول الملعون على إصلاح أمرى ولم يحترم مكانى ولا جلالة قدرى ولا فزع من سطوتى ومكرى وسوف أسقيه من كاسات خداعى وشرى إذا أنا وصلت إلى مستقرى فقال لؤلؤ يامولاتى أن للمسلمين فى بلادهم معه وقعات وللروم معه آفات ولا يعتقد قط أن فى الآخرة بعثا ولا نشور وهو من أهل الفجور ولا يقول الا بالزنا والسفاح وشرب الخمور وقتل المسلمين والروم فقالت زنانير وحق المسيح إنك اصادق فيما تقول وأننى من وقت ما رأيته كشر عن أنيابه وســـال من شدقة لعابه ونظر إلى بعين كأنها عين الذئاب علمت أن بيت اعتقاده خراب وعوات أن أرميه بالحراب فقال لى عقلى ما هذا صواب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أنها عادة إلى ما كانت عليه من معانقة لؤلؤ والإكرام وقد أسفرت عنها اللثام ولم يبق بينهما احترام ولا احتشام ونظرت نظرت زنانير إلى لؤلؤ ووجهه مثل القمر وشاربه أخضر كأنه المسك الازفر وطرفه الفاتن الاحور وشعره كأنه الليل إذا اعتكر ووجه كأنه الصباح إذا انفجر كما قال فيـــه الشاعر ابن معمر

بدابين أتراب حسان كواعب ٭ فكان كبدر التمام بين الكواكب
غزانى بلا قوس ولا نبل نابل ٭ إذا مارمى من عين لحظ وحاجب
له صبح وجه فوق ليل مسدل ٭ وانجم ثغر فوقها اخضر شارب

فقالت له زنانير وحق المسيح إنك يالؤلؤ أحسن من بنات الملوك ولو كنت ممن أحب

الرجال لاخذتك كفؤا إلى أن أموت لكن مالى إلى ذلك من سبيل وهو أمر ايس بالجميل ومالى رغبة فى غير العناق والتقبيل ثم أنها جعلت تسقيه الشراب وتذيقه بوس ألذ من الجلاب من ذلك الرضاب ولم يزالوا كذلك إلى أن غاب القمر وأظلم الليل واعتكر وقد طلعت الجوزا وعند اؤاؤ من قرب الصبح العزا فما خفى على زنانير ذلك القدر من خوف اؤاؤ من طلوع الفجر عند ذلك دقت بيد على يد وأنشدت تقول

كأنما الجوزاء لما بدت ... منطقة من لؤلؤ رطب
فاشرب على بهجتها ان ذا ... أحلى من الوصل بلا تعب

ثم قالت يا اؤاؤ ساعتنا هذه فرصة فاغتنم هذه الفرصة فقال اؤاؤ وقد غاب عقله وعدم رشده وسكر من لذة خلوته معها والبطارقة نيام والملاح مشتغل بأمره وملاحته ساعة وأفاق اؤاؤ من غشيته وإذا برأسه على ركبتها فاستوى جالسا وقد استحى منها وخجل فقبل يدها فقالت زنانير أحسنت يا اؤاؤ فيما جرى ولكن عند الصباح تحمد القوم السرا (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وصلوا إلى قلعة الملك صلبوتا ونزلت البطارقة إلى الساحل وقصدوا إلى الملك صلبوتا فأعلموه بوصول الملكة زنانير وخلاصها من أبى محمد البطال ففرح فرحا عظيما وأنزل اليهما الغلمان والحجاب وصعدت الملكة زنانير إلى قلعة أبيها وأمرت باؤاؤ تحمل إلى بيت كانت قد أفردته برسمه وأمرت له بالفرش والطراريح والآنية من الذهب والفضة وأن يحملون اليه ما يصلح للملوك وقالت لأبيها الملك صلبوتا أما هذا اؤاؤ فهو لنا ناصح وقد صار كأنه واحد منا وما بقى لى عنه صبر ولا غنا وكانك بالمسلمين الباقين وقد وصلوا إلى هذا المكان وهم فى حالة الذل والهوان وقد خلص أيضا الهدية المذمومة الذى يزيد على العيارين بحيله الميشومة وأنه يا ملك أكثر من البطال دهاء وأفسق والها ثم أنها حكت للملك بما صنع فى المركب من بوسها وكيف وضع يده عليها (قال الراوى) فلما سمع الملك صلبوتا من ابنته زنانير هـذا الكلام عن عقبة وأنه فعل هذه الفعال انقلبت عيناه فى أم رأسه وتمرمرمذاقه وقال وحق المسيح لأجعلن قحف رأسه قدح بركة بيت الماء ولاصفعنه على رأسه حتى يعمى (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان عقبة عنده مكر وخباثة وكان قد تبين له غدر الملكة زنانير من كلامها فتركها ومضى عند الراهب خنوسا ابن قسطه وسبقت المراكب كما ذكرنا وصاروا ينتظروها حتى تجىء فجاء الظهر ولم تأتى وجاء العصر ولم سمعوا عنها خبر ولا وقعوا لها على أثر فأقبل الظلام وولى ولم يظهر المركب ولا أتى فقال صلبوتا لبعض حجابه ياويلك أكشف لنا الخبر وأوضح لنا جلية الأثر فعند ذلك ركبوا البطارقة فى مركب خفيف

السير إلى أن أشرفوا على بعض أعمال الملك شعشعونا فبينما هم كذلك وإذا هم بغريق تلعب به الأمواج وهو متعلق بلوح من ألواح المركب وهو فى عنا وتعب وجهد ونصب وقد أشرف من أمره على العطب وأن البطارقة تسارعت اليه وأدركوه ومن الماء أخرجوه وخلصوه ونظر الغريق إلى حاجب الملك صلبوتا فعرفه فقال له الحاجب ياويلك أين غرق بكم المركب فقال يامولاى ما غرق بنا مركب ولكن كان حديثنا عجيب وحالنا غريب وذلك أن الملكة زنانير بنت الملك صلبوتا لما انفصلت منا وأخذت المسلم الذى ما رأيناه ورأينا أصحابه إلا فى ساعة ميشومة وسرنا بعدهم إلى أن قاربنا الصباح فما حسبنا إلا والأعداء قد ركبتنا وكانوا من بطارقة الملك شعشعونا وهم فى مائة حراقة كأنهم العقارب وفيها بطارقة كأنهم السلاهب فأخذوها بالكف وكنت أنا أول من مانع عن روحه ودافع حتى قتل منا جماعة وقد أشرفنا على الهلاك فهربت فى ظلام الليل وقلعت خشبة من صدر المركب والناس مشتغلين بالقتال وألقيت روحى إلى البحر حذرا من القتل وطمعا فى الحياة وأصحابنا أخذوا أسارى أجمعين وخلصوا المسلمين بعدما كانوا مكتفين وأخذوا هدية المسيح ولطموه حتى بقى الدم من مناخيره يسيح ولى يوم وليلة فى هذا البحر غريق حتى أشرفت على الهلاك وقلة التوفيق فقالوا له الآن قد خلصت وخلصنا أيضاً نحن من غضب الملك صلبوتا لايقول ما أخبرتمونى بخبر صحيح ثم ردوا المراكب من ساعتهم وجعلوا يسيرون حتى أشرفوا على قلعتهم هذا والملك صلبوتا متطلع إلى أخبارهم فلما وصلوا إلى الساحل ساروا إلى ان وصلوا إلى الملك ومعهم البطريق الغريق فلما رآهم الملك صلب على وجهه نخدم البطريق للملك صلبوتا ثم أطلعه على القصة وما جرى من خلاص المسلمين واطلاق المأسورين ثم قال اما هدية عيسى فلا فرج المسيح عنه فما رأيناه فى ساعة مباركة ومن يوم وطىء أرضنا فما صفى عيشنا ونشكر المسيح على خلاص الملكة زنانير ثم شكرها على فعلها وانفرادها فى ذلك القارب الصغير وقال لها يابنية لم تزالى موفقة فى كل ماتفعلين وان المسيح له بكى عناية وكلاءة ورعاية وكان الحكيم أقاليدس حاضر ذلك الوقت فوثب اليها وقبل يديها وتلا عليها فصل من الانجيل وعوذها به من كل خداع وتخبيل وقبلها فى خدها اليمين فشكره الملك على ذلك وأثنى عليه وقال له ياحكيم لقد أتحفنا المسيح بتحفة خسيسة وقد أشغله عنا بنفسه وأرجو من المسيح أن يسكنه شعشعونا رمسه فقال الحكيم ياملك وحق المسيح ان هذا الشيخ يقول أنه هدية عيسى وهو كذاب فيما يدعى وهو أفسق أهل زمانه وأوفى الخلق فساداً فى طغيانه وسوف يبان لك صدق مقالى فقالت له زنانير وحق دينى لقد خفت منه

أن يؤذيني أو يغتالني في الليل ويسبيني فقال الملك صلبوتا الآن دعونا من هذا الحديث والمهاترة وانظروا فيما تعولوا عليه فان العدو شعشعونا قد طمع فينا بالعيار المكار المحتال أبو محمد البطال فنسأل المسيح أن يقلعه من هذه الديار ولكن قد بعثت إلى جميع القلاع والحصون أستنجدهم وأمدهم بالأكل والشرب مع الملكة زنانير وما ذلك عار عندنا ولا في ملتنا من يوم قامت الدنيا والروم على هذه الفعال فقال له الحكيم اقليدس صدقت أيها الملك الكريم وما في ذلك عار ولا ذل ولا شنار (قال الراوي) ثم أقاموا في انتظار الملوك والعساكر حتى تصل هذا ماجرى من الملك صلبوتا (وأما ماكان) من أمر عقبة وأبو محمد البطال وغلمانه والبطارقة فانهم لما أخذوا الأسارى ساروا إلى أن أشرفوا على الملك شعشعونا وقد فازوا بالظفر وفرحوا بهلاك من كفر وفرح الملك لما وصلوا اليه وأول ماسألهم عن الملكة زنانير فقال له أبو محمد البطال لما أخذونا أصحابك أسرى وخلصوها ماعلمت هل إلى السماء طارت أم في البحر غارت وكل هذا من خديعة هذا الشيطان الشيخ النحس الذي يزعم أنه هدية عيسى ثم أعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها وما قال للبطارقة وما عزموا عليه حتى قبضوه وخلصوا زنانير منه ومن يده (قال الراوي) فلما سمع الملك شعشعونا كلام أبو محمد البطال أضرمت نيرانه على زنانير وتأسف على خلاعها من بين ذلك الجمع الكثير ثم صاح بعقبة الخنزير فأحضروه إلى بين يديه فقام اليه وجرد سيفه وكان أمضى من الأجل وأسرع من القضاء إذا نزل وقال وحق المسيح لابد من ضرب رقبة هذا الشيخ النحيس الذي كأنه إبليس فهو كان سبب خلاص محبوبتي وفكاكها من قبضتي فقام اليه أبو محمد البطال وسأله في تركه وأن يعذبه بالضرب الوجيع والشتم الجميع وقال أيها الملك إن قتلته فقد كذب المنام الذي رآه الأمير عبد الوهاب بأنه يصلب على باب الذهب بالقسطنطينية فبحياة الملكة زنانير صاحبة الوجه المنير الا ما وهبته لي لأعذبنه العذاب النكير فانه يرى الموت راحة عند ذلك سكن مابه عند ذكر الملكة زنانير وقال له يا أبا محمد لقد أقسمت على بقسم عظيم فقال أبو محمد لابد من أخذها لك أيها الملك ولو عضدها المسيح لا الشيخ النجيح فقال الملك وقد فرح بمقاله وقد ثبت عنده صحة فعاله ان فعلت ذلك يا أبا محمد حكمتك في دياري وأنك تحكم على عساكري وأمصاري فشكره أبو محمد وقبل الأرض قدامه ثم قال أيها الملك أين الجارية نهار فقال هاهي في بيت برسمها وهي متطلعة على أخبارك فعند ذلك قام أبو محمد ودخل من ساعته على الجارية نهار فنظرها وهي منتصبة في خدمة ربها وقد أسلبت عبرتها وهي تقول يامولاي وكاشف ضري وبلواي ويامن قد قصدت رضاه بعد ماكنت عبدت سواه أترى قبلتني أم طردتني

ورضيتنى أم هجرتنى وقربتنى أم أبعدتنى وأحرمتنى أم رحمتنى ثم بكت بكاء شديدا فقال أبو محمد والله لقد أبكتنى بكلامها وأحرقت قلبى بندائها وأخذنى الوجد والسماع من خدمتها وحسن إيقانها وطيب خلوتها مع ربها ثم تلا هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم أقبل اليها وسلم عليها وفرح لها بما قد وصل اليها من حسن الاسلام وعلامة القبول من الملك العلام فلما رأته الجارية نهار قامت له قائمة وقالت له أهلا وسهلا بمن كان سبب هدايتى وتوفيقى وسعادتى فقال لها أبو محمد يا أختى قد أخبر الملك الجليل عن منزلة من هلل وكبر وحج واعتمر بأنه يحشر يوم القيامة فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا عشيرة ولا أهلون يوم يصير العزيز فيه ذليلا والكثير قليلا والغنى صعلوكا والمستور مهتوكا والمالك مملوكا وتبطل دولة الخلق وتظهر دولة الحق وتسعر نارا يقال لها الحامية ويفتح سجن يقال لها الهاوية وتظهر غلمان يقال لهم الزبانية فكم من غنى يقول ما نفعنى ماليه وكم من باك وباكية وكم من سلطان يقول ذهب عنى سلطانية وينادى مناد من قبل الرحمن أين أهل تلاوة القرآن أين أهل دين الإسلام والايمان أين أهل سورة الاخلاص وسوف يحظون بالتبجيل والاختصاص فاليوم يوم القصاص والأخذ بالنواص أين هم عبدة الصلبان أين الكفرة بالرحمن أين القساقسة والرهبان قد حل بهم الهوان وكذلك كل راهب ومطران وكل مصر على العصيان عند ذلك يؤتى بعيسى بن مريم عليه السلام المبشر بالرسول المكرم وهو يرتعد فزعا وهو خجلان مطرقا ومن خوف الله صعقا فيقف بين يدى الله تعالى ودمعه قد تناثر على خديه وتوالى ويسمع كلامه بلا واسطة يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فيصيح عيسى صيحة واحدة ويقع مغشيا عليه مقدار ألف عام ثم يقول قم فيقوم وفؤاده من التوبيخ مكلوم ويقول إلهى وسيدى ومولاى إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب فيقول الله عز وجل ياعيسى قف حتى توافقهم بين يدى وتجعلهم حجة لك وعليك ثم ينادى مناد من قبل الله عز وجل فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما فرغ أبو محمد من كلامه وحسن نظامه ذرفت العيون ووجلت القلوب ووقع السماع على الحاضرين وأما الملك شعشعونا فانه سكر من كلامه ووجل قلبه من فزع يوم القيامة ووزن شعشعونا فى عقله دين النصرانية ودين الأمة المحمدية فوجد الإسلام أرجح وما فارقه من أفلح وقال أن التوحيد فى مثل هذه الساعة أصلح والايمان لى أوفق وبى أليق

فلما نظر أبو محمد إلى ذلك قال اللهم بحرمة المختار وعلى الكرار صاحب النبى فى الدار والصديق صاحب الغار وفقنى لمـــا أفعل ووفقه لما يعمل ثم قال أبو محمد لقد كذب النصارى على الله إذ قالوا له ولد وصاحبة للأبد وخسر من كفر وجحد بشريعة محمد لقد أعماهم الله وأضلهم فصرفهم الشيطان وغرهم إذ يقولون البترك الكبير المنزه عن الصاحبة والمشير والولد الحقير الذى يصور من الماء اليسير ويرون ذلك أقبح من الزنا والمواخير فكيف لاينزهون الملك القدير عن الصاحبة والمشير والحاجب والوزير كما ينزهون البترك الكبير لكن جرت عليهم المقادير بالويل والتعذير ثم ان أبو محمد جعل يقرأ قول الله تعالى وهو أصدق القائلين قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فهنيئاً لمن أسلم ووحد وياشقوة من كفر وجحد فعند ذلك قال شعشعونا يا أخى يا أبو محمد كيف الطريق إلى هذا الدين وهل يقبلنى رب العالمين بعد ما عبدت غيره على طول السنين فقال له أبو محمد كيف لايقبلك وهو يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ومفتاح هذا الفعل قول لا إله إلا الله محمد رسول الله قال فمال الملك إلى دين الإسلام ووحد الملك العلام الذى أرسل الجبال كالأعلام وأجرى الأقلام وأبرم الأحكام وخلق الضياء والظلام وأشار الملك شعشعونا الى أبى محمد بالاحترام وقال يا أبو محمد مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فقال أبو محمد الآن فزت بالسعادة والشهادة بإقرارك لله ولمحمد رسول الله الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان المسيح وأمه آية من آيات الله وهو من روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وانه أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله تبارك وتعالى وأنه مخلوق لاخالق ومرزوق لا رازق وأنه مرفوع لامصلوب وطالب لامطاوب وأن مريم القديسة المبجلة النفيسة تكون زوجة لسيد الأنام وبدر التمام ومصباح الظلام محمد عليه الصلاة والسلام فى الجنة وهى دار السلام والمقام وأن الملك شعشعونا لما سمع من أبو محمد ذلك الكلام فرح فرحاً شديد وقال له ينبغى لنا أن نكتم إيماننا حتى نعرض ذلك على الأهل والولد ومن لنا من العسكر والجند فان أسلموا تقوى شوكتى على الأعداء على مر الأيام وكنت أترك هذه الأقاليم وبلاد الأروام وأسكن بلاد الإسلام وحملة القرآن وصوام شهر رمضان فقال له أبو محمد البطال لله درك أيها الملك الراغب فى دين الملك العلام ثم ان الملك خرج من وقته وساعته ودخل إلى بيت خلوته واجتمع بأهله وأولاده وزوجته وشرح لهم ماقد جرى له مع أبو محمد ودعاهم إلى دين الاسلام فاختاروا ما اختاره لنفسه لأنه الرأس وهم الجسد وهو الراعى وهم

الرعية فأعلنوا كلهم بتوحيد رب البرية وأسلموا على يديه فقال لهم الآن أكتموا أيمانكم ولا تفشوا سركم حتى أستميل قلوب الأقارب والعشائر وتقوى عند ذلك شوكتنا ونضع السيف بعد ذلك فى الكفار ونفوز بالعتق من الملك الجبار فقالوا سمعا وطاعة فيالها من طائفة قد سعدت وعصابة إلى الدين الحنيفى قد اهتدت (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأما الأمير أبو محمد فانه قال للجارية نهار على ماذا عواتى فقالت على خدمة ربى ولزوم محرابى فهو خير لى فقال لها أبو محمد نعم مانعاتى ولكن لابد لكى من الوصول برجل يستر دينك فهو عين الصواب كما أمر رب الأرباب وأما لؤلؤ فقد مرق من دين الإسلام واقتنع بالنظر إلى زنانير وشرب المدام فقالت الجارية والله ياأبو محمد مابقى لى رغبة فيه وقد كان عشقى له سبب هدايتى وفتح باب سعادتى فقال لها إذا كان الأمر كذلك فأزوجك بغلامى جوهر فهو أبهى منه وأوفى وأكمل وأجمل وأعقل وأحسن وأدين ويحفظ كثير من القرآن ويراقب الملك الديان فقالت له يا أبو محمد الأمر اليك ولا أخالفك فيما تأمر فاننى الآن تحت حكمك وقد صرت من جملة خدمك فقال لها الأمير والله ما أنتى إلا أختى ولقد سعدتى ومن دين النصرانية استرحتى وقال أبو محمد للبطارقة استأذنوا لى على الملك حتى أدخل اليه فجاءه الغلمان وأخبروا الملك شعشعونا بأن أبو محمد البطال على باب الدار وهو يريد الدخول إليك فاذن له فى ذلك فلما دخل الأمير أبو محمد على الملك سلم عليه وجلس بين يديه وحدثه بما جرى له مع الجارية نهار فى ذلك النهار وأنها كانت عاشقة لؤلؤ وكان هو السبب فى هدايتها ولما دخلت فى دين الاسلام زهدت لؤلؤ وإنى قد عولت أن أزوجها بغلامى جوهر فقال الملك شعشعونا هذه تصلح لمثلى أنا لأنى قد زهدت فى الدنيا وقد رغبت فى الآخرة وقد مضى حب زنانير من قلبى وثبت حب هذه الجارية فيه فقال أبو محمد يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فلما سمع الملك شعشعونا هذا المقال مسح كريمتيه بيديه وأنشد يقول

قد لاح من نورك المشيب ورق من عمرك القشيب
فكن له قبل اللقا مجيب من قبل أن تدعى فلا تجيب

ثم قال يا أبو محمد قد رغبت فى زواج هذه الجارية فطار عقل البطال فرحا بقوة إيمانه وقال لو لم يكن فى هذه السفرة إلا هذه النادرة فهى كفاية واحسرتاه على الأمير عبد الوهاب أن يرانى حتى يفرح لى بما أتانى ثم أقبل على الملك شعشعونا وقال له قال الله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وهذه لاتصلح إلا لك وأنت لاتصلح إلا لها فقال الملك إذا كان ولابد فانى أويدها فى هذه الساعة حتى أدخل بها من ليلتى وأقضى

من وصلها بغيتى وأشرع بعد ذلك فى ترتيب قلعتى عند ذلك أمر الأمير أبو محمد البطال باحضار الجارية نهار وأمر باحضار أولاد الملك الذين هم قد أسلموا وأمر باحضار غلمانه وهم سبك ويانس وجوهر وتمثل وقال * كلما يصلح للمولى فعلى العبد حرام * ثم عرف أبو محمد الجارية نهار بأن الملك يريدها ففرحت وقالت فى نفسها هذه أول السعادة من الله تعالى وبركة الإسلام ثم أمر أبو محمد الجاريه أن توكله فى زواجها ففعلت وأقبل أبو محمد على الملك وأرضاه على صداقها فرضى بذلك وان أبو محمد خطب خطبة وقال الحمد لله الذى كلت عن وصفه صفة الو اصفون وحارت أن يقف على شىء من نعته عقول المتفكرون وأطلت دون معانية أبصار الناظرون ودل بما رفع من السموات السبع والأرضين السبع على عظيم سلطانه وبما يسير فى الا فلاك من المصابيح الزاهره على برهانه فالعقول تعرفه بما أظهر من أدلته والقلوب تعظمه بما رسم للخلق من بدائع فطرته والبدائع قائمة تشهد بما نصب من الدلالات والدلالات ناطقة بعرفان ما أوضح من شواهد البينـــات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة أرجو بها الفوز من رب السموات وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب المعجزاب المتوج بتاج الجلالات صلى الله عليه وعلى آله وسلم أفضل الصلوات، ثم أمر فكتب الصداق وأقبل على الملك وآخذ بيده بشهد جماعة من المسلمين والمسلمات وقال له زوجتك موكلتى شمس النهار الراغبة فى خدمة الملك الجبار على صداق مبلغه عشرة آلاف دينار فقال الملك فى الحال قبلت منك هذا التزويج ورضيت به على الصداق المذكور وطابت القلوب ونثرت الدنانير على الحضور وكانت ساعة عظيمة أرتجت فيها الأرض وحضرتها الملائكة وتجلى الواحد القهار والمطلع على الأسرار وقال أنا العزيز الستار الرءوف الغفار ثم أمر الملك شعشعونا لشمس النهار بخمسة آلاف دينار معجلة فى الحال فحملت إليهـــا لتأخذ فى إصلاح شأنها الى ثلاثة أيام وخلع على الأمير أبو محمد خلعة تسوى خمسة آف دينار وخلع على غلمانه الأخيار (قال الراوى) فلما عبرت الثلاثة أيام أمر الملك شمس النهار فجليت على وجه الخفية فى ليلة الجمعة وفرحوا بها أهله وأولاده هذا وقدأعتق الجوارى وأخرجن من قصره وزوجهن بماليكه وأعرض عليهم الاسلام فأسلم على يده زهاء عن مائتين مملوك فى تلك الخزائن واستمال قلوب الناس اليه بفعله معهم الجميل ثم دخل على زوجته شمس النهار فى تلك الليلة فورد على بلدة طيبة وماء طهور وأصبح وهو مسرور متوجا محبور وقد علقت من ليلتها وفرح الملك بها غاية الفرح فهذا ماكان من الملك (وأما ماكان) من

أبو محمد البطال فانه كان كل يوم يجدد على عقبة العذاب ويوجعه بالضرب الشديد ويقول له كيف ترى ياعدو الله وقد جعلتك فى هذه القلعة التى لايقدر عليها أحد لأجل علوها وارتفاعها وأن أبو محمد لم يأخذه صبر دون أن أعلمه وعرفه باسلام الملك شعشعونا وجميع من فى القلعة وزواجه بشمس النهار فلما سمع عقبة ذلك عظم عليه وكبر لديه وغشى عليه ساعة من غير ضرب ولا عقوبة ثم أفاق من غشوته وقال ماكان أيشمها على من سفر فى هذه الكرة وما أظن المسيح إلا مسلم وأن دين الاسلام هو الدين الصحيح والنصارى على الباطل وإلا ماكان يتم لك ياأبو محمد هذه المناصب ولا تصبح لك هذه العجائب فضحك أبو محمد من كلامه وقال والله لاملكن جميع هذه القلاع للأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب وأسلم كل قلعة إلى أمير من المسلمين وتبقى لذريتهم من بعدهم إلى يوم الدين ولكن قلبى مشغول على المسلمين لأننى فارقتهم وملك الروم قد غزاهم ونقض العهد والهدنة وما راعاهم وكلما تم فهو من يدك ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة وسوف أنفذ اليهم كتاب وأعرف الأمير عبد الوهاب بهذه الأسباب وآمره بالقدوم ولو بعد حين ويكون قد قرب الله صلبك على باب الذهب وتصير الناس من حديثك تتعجب ثم قام الأمير أبو محمد من عنده بعد ماصفعه حتى نزل الماء الأصفر من عينيه وبقى وجهه مخالف فنصف وجهه بفرد عين والنصف الآخر بلا عين وهو شهرة وأضحوكة لمن نظر إليه فقال عقبة ياويلك ماأعرفك بالمجازاة فلا ستر الله عليك ياشيطان فصعد أبو محمد وهو يضحك وقلب عقبة يتقطع والعين الصحيحة من الصفع تدمع وقد أمر الموكلين بأن يحفظوه وجعل غلمانه جوهر وسبك يحرسوه مبالغة فى حفظه وحذرا من غدره ومكره لئلا ينصب على البطارقة كما فعل أول مرة وأن الأمير أبو محمد انتبه من رقدة غفلته من أمر مكاتبته للأمير عبد الوهاب ثم قال للملك شعشعونا قد كان من الأمر كذا وكذا وحدث الملك بحديث عقبة وما يتم عليهم منه من بلاد الاسلام وحكى له جميع قصته ثم وصف له الأميرة ذات الهمة الزاهدة العابدة والأمير عبد الوهاب وأولاده وجميع أبطاله وشجعانه طول نهاره فقال الملك والله العظيم إن هؤلاء من أهل الجنة وأؤمل من الله الاجتماع معهم لأجاهد بين يديهم فقال له الأمير أبو محمد ياملك سوف أكتب لهم كتاب وأنفذه مع غلامى سبك وأتسبب فى وصولهم إلينا وقدومهم علينا عند ذلك ضحك الملك من كلام البطال ثم قال ياأبو محمد وهل يقدر غلامك يتحيل فى الخروج من باب السدة التى للبحر وقلعة صلبوتا والملك دقيوسا فلو أنه ابليس مايقدر على ذلك فدع ماخطر بقلبك من وصول أبطال المسلمين الينا وقدومهم علينا فقال له أبو محمد ابشر أيها الملك

العظيم والسيد الكريم فانى لو أردت أن أعمل عملا يكون فيه مصلحة للمسلمين لاعانى رب العالمين قال فتحير الملك من كلامه وقال سبحان الله العظيم الذى أهلك بهذا الأمر وهذه الحيل فقال له أبو محمد سوف ترى العجب ثم أن أبو محمد غير زى غلامه سبك وجعله فى صفة أولاد الملوك وزيهم ونكره بحيث لا يعرفه أحد من الناس وأعطاه من الأموال غير قليل ومن النذور والشموع والمسك والكافور وأمره أن لا يتكلم إلا بالإشارة ولا يحدق إلى أحد بالنظر ويلزم السكينة والوقار وكتب معه كتاب فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (أما بعد) فلا أوحش الله من الأميرة والأمير والأمراء والسادات الكبراء أصحاب الطعان والضراب فى طاعة الملك الوهاب فهذا كتابى اليكم ينطق بسلامى عليكم وكثرة أشواقى اليكم وأنشد يقول

كتبت كتابا لو قدرت صبابة ... لصرت لفرط الشوق فى طيه سطرا
ابيت قرار العين ارعى خيالكم ... وتصبح كفى من لقائكموا صفرا
إذا اشتاقت النفس الحزينة نحوكم ... تزور خيالا منكموا يطلع الفجر
فتحيي بوصل منكموا فى منامها ... فياليت ذاك النوم دام لها شهرا

(قال الراوى) وقال فى آخر كلامه ولو رمت أن أشرح الأشواق لبليت بما لا يطاق وأظهركم بما جرى على فى بحيرة الفلك فانى أسرت كذا كذا مرة وأطلقتك وبعقبة اللعين قد ظفرت وقد أسلم على يدى الملك شبشعونا وقد ثبته الله على دين الإسلام وقد أسلم معه خلق كثير ثم شرح لهم صفة القلاع والحصون وكيف تدملك قلعة منها وقد أسلموا أهلها خفية منهم حتى تقوى شوكتهم ويعلنون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهذا أول كتاب كتبته لكم وإذا وصل مع السلامة اليكم فلا يكون الجواب الا وصولكم فى مراكب تعملوها وتملوها بالبضائع من القطن والكتان ومن الملبوس والفواكه التى تحتمل النقلة من التفاح والاتراج والسفرجل ولا تتعرضون باليواقيت والجوهر فانها من عندهم تظهر وتتحفظون بسلاحكم وتأتون بأرواحكم وتنتخبون العساكر وتجعلون فى مقدمها سيف الحنيفية وظالم ويكون معكم من السودان ميمون الجماس وتأتون بأجمعكم وتكون شجعانكم ببهائم الخام والثياب الواسعة الأكمام وكذلك السودان والغلمان وتعزلون هدية فاخرة للملك صلبوتا فانه صاحب الباب النحاس وقلعة الدولاب وهو عدونا وعدو الملك شعشعونا فالله تعالى يأخذه أخذ عزيز مقتدر فاذا وصلتم مع السلامة واتحفتموه بالهدية السنية والغلمان والجوار وملئتم عينه فاصبروا إلى الليل وارسلوا من مراكبكم مركب لاغير وليكن مركب كبير ويصلون إلى الأبواب

الذى على رأس المضيق من جهة البحيرة فان فطن بكم صاحب قلعة السحاب فاجعلوا أنفسكم تجار وتبيعوا من البضاعة التى معكم قايل واهدوا له شىء واملوا عينه وان لم يعلم بكم فانتم تعبرون عليه وتقولون معنا بضاعة تكفى الأربعين قلعة فمها صلح للملك فليأخذوه ومالا يصلح له فليرده حتى نحمله إلى سائر القلاع فاذا قلتم ذلك فتح لكم الأبواب بالإذن منه فاقلعوا وسيروا عشر فراسخ فتصلون إلى قلعة الملك شعشعونا فهى أقرب القلاع إلى قلعة الملك صلبوتا فننزل اليكم وتستلمون قلعته بتوفيق الله ومعونته بعد السلام التام والتحية والإكرام ثم سلم الكتاب إلى غلامه سبك فأخذه وسار فى حراقة صغيرة ومعه البخور والنذور ومعه جماعة من العجائز وقد قال لهم البطال سيروا معه وفى صحبته وأظهروا انكم سألتم أن يسيركم إلى دير النذور (قال الراوى) يا سادة يا كرام فوجدوا العجائز لذلك فرحة عظيمة وركبوا معه فى الحراقة وساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قلعة الملك صلبوتا ودخلوا المينا وساروا بجملتهم وقد نزلت اليهم البطارقة وأهل البحر خوفا من المسلمين أن يكونوا قد هربوا ويعبرون عليهم فما وجدوا غير العجائز والرهبان وسبك كأنه من بعض أولاد الوزراء والأمراء لأن سبك كان أحمر اللون أشقر وقد أفرغ ثياب السواد على جسده فلم ينكروا عليه وسألوه الدعاء وودعوه وقد فتحوا لهم الباب وأزالوا السلاسل والأغلال وقدتم لهم الاحتيال وخزى الشيطان وتموا سائرين على كف الرحمن هذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من الملك صلبوتا والملكة زنانير ولؤلؤ والعساكر الذى أنفذ خلفهم حتى يغزون الملك شعشعونا فان العساكر اجتمعت اليه ووردت عليه من كل فج عميق وواد سحيق وتبادرت الملوك إلى قضاء حاجته طمعا فى رؤية ابنته وقد تحملوا بكل مايقدرون عليه من الهدايا والتحف الفاخرة اليه فتلقاهم الملك صلبوتا بصدر منشرح ورحب وفرح وأقبل عليهم وفرح بهم غاية الفرح وزال عن قلبه الهم والترح لأجل مجيئهم اليه وأخبرهم بقصة الملك شعشعونا وكان لم يعلم باسلامه بل مخالفته وكونه احتمى لجماعة المسلمين واقامتهم عنده فقالوا له الملوك كلهم نحن لك وبين يديك فتوجه بنا إلى دياره وقد قلعنا آثاره فقال لهم الملك صلبوتا بل اصبروا حتى أقيم لكم بما وعدتكم به من الشرب والتنزه مع كريمتى فشكروه على تلك الفعال (قال الراوى) وأمر الملك أن تذبح الذبائح من الخنانص والدجاج وسائر الطيور فعملت لهم من كل لون وسكبت الخمور ومدت الاسمطه ووضعت الأوانى الذهب والفضة والاحقاق المحكمة من البلور وآنية الجوهر وتماثيل من العنبر وأقاموا يومهم وليلتهم فى ألذ عيش يكون فلما كان عند الصباح ركبوا الملوك وبرزوا إلى

الميدان وفى أوساطهم مناطق الذهب المجزعة بالفيروزج والزمرد الأخضر وقطع الزبرجد وعلى خيولهم أجلة الابريسم محبوكة باللؤلؤ الصغار والكبار وهى تأخذ بالأبصار وتسوى خراج سائر الأمصار وأقبلوا فى زينتهم وتصففت الصفوف ولعبت الملوك بالأكرة والصولجان وقد ظهرت الملكة زنانير كأنها القمر المنير أوشمس ضاحية فى سماء صاحية وعليها كبر من الأطلس الأحمر بأزرار من الجوهر وقد دفنت فيه الزرد المنضدوعلى رأسها تاج من الجوهر على هيئة البطيخة الكبيرة الطويلة وقد جمع ورفع ذكرفى أنثى وأنثى فى ذكر وخيط بشرايط من الذهب يدهش الناظر وغواية للكافر وله خيط من الابريسم بشرابة وهو محبوك بلؤلؤ كبار مفرد يسوى ملك الأرض فى الطول والعرض يضوى على جبينها وعلى سالفها وجيدها وبيدها صولجان من الذهب الأحمر منقوش عليه بالقلم وقد دفن فيه الزمرد الأخضر والياقوت والجوهر وهى متقلدة بصارة أبتر لو وقع على صخرة لبراها أو على أضلاع الفيل لفراها كما قال فيه الشاعر

كــــأنه فى كفها قابض * لانفس العالم عند النزال

كأنمــــا الموت له خادم * يصلح للضرب مليح الصقال

(قال الراوى) والناس يعوذوها بالمسيح والقسوس والرهبان تصيح وبين يديها البطارقة والغلمان فلم يبق أحد من الملوك إلا وصاب على وجهه من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وما منهم إلا من أشار إلى الأرض لاثما وعليها مسلما واقتسما الملوك بعد ذلك فى الميدان قسمان فكانت الملكة زنانير ومعها عشرة من الملوك وخواصهم والملك كوريا معه أيضاً عشرة ملوك وكان جبار عنيد وشيطان مريد وكان ملكا جسيما ومقدما عظيما يتغذى بخنزير ويتعشى بمثله ويشرب زق الخمر فى قعدته وكان هذا الملعون رامقاً فى محبة زنانير أكثر مما كان شمشعونا وقد عول فى هذه النوبة على أخذها غصباً من أبيها ولو جرى بينهما ماجرى (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم وضعوا الأكرة فى قطر الميدان وأخذوا الملوك باللعب بالأكرة والصولجان (ياسادة) فلما حميت الخيل فى اللعب تطاولت اليها الأعناق وزنانير ترتص الحصان رقصاً ولم تزل على ذلك حتى وصات الأكرة اليها وأشرفت عليها وتسلمتها من بين أيديهم وضربتها ضربة طامت إلى الهواء وجرى الجواد تحتها إلى أن صارت تحت الأكرة فلما نزلت من الهواء ووصات اليها لم تتركها حتى تصل إلى الأرض بل أنها ضربتها ضربة ثانية وردتها إلى الهوى وإلى أعلاها كانت فى المرة الأولى فقالت الملوك لبعضهم البعض ياويلكم هذه الملكة زنانير قد أخذت الأكرة على كيسها ولم تدعها تقع بين أيدينا فلما سمعت كلامهم تبسمت وقالت خذوها رحمة منى لكم وافرحوا بها فتعوذوها القساقسة

والرهبان بالانجيل والصلبان ثم أن الملكة زنانير التفتت إلى خادم لها يقال له صوريا وقالت له إذهب الساعة وركب لؤلؤ على بعض جنائبي وائت به إلى ظاهر الميدان وأجلسه فى أعلى مكان حتى ينظر إلى فعالى بالملوك وينظر إلى رغبتهم فى مثلى ويحقر نفسه فيما تم عليه وبعد ذلك فقد اشتقت اليه (قال الراوى) فمضى الخادم إلى ما أمرته أسرع من البرق وأقبل بلؤلؤ وقال له يامولاى إجلس ههنا وتفرج على الملوك وما تصنع بهم الملكة زنانير ثم جلس الخادم معه فى مكان يشرف على الميدان وكان كأنه جنان رضوان مما نبت فى جوانبه من الورد والريحان والنرجس والنوفر والجمان والسوسن وشقائق النعمان والرياض التى قد صاغها الواحد المنان والمياه منحدرة من الجبال والقيعان وإلى كثرة الأرانب مع الغزلان فهو كما قال فيه الشاعر الولهان

النبت بين مفضض ومذهب ٭ والغيم بين مشمر ومشطب
والماء بين مودع بيدى القنا ٭ ومحوس ومغزل ومضرب
وكان ريح الراح فى ابريقها ٭ بدر تصوغ من حباب مسحب

(قال الراوى) فقال لؤلؤ فى نفسه هذه جنة النعيم أم دار الخلد المقيم وهذه الحور والولدان أم أنا نائم أو يقظان فسبحان الملك الديان المقيم بعد فناء خلقه الذى خلق هذه الأشياء كلها فتنة لعبدة الصلبان (قال الراوى) فكانت من الملك كوريا التفاتة فرأى لؤلؤ فى رأس الطارمة كأنه القمر المنير وعليه ثوب من النسج القسطنطونى وعلى رأسه قنسوة من الذهب الأحمر وكانت تلك البدلة خلعة الملك صلبوتا عليه لما خلص هدية عيسى وأتى به اليه وقد زادت الملكة زنانير فى اكرامه وتعلق قلبها بغرامه وكانت أشر الخلق فى القتال وأبغضهم للرجال ولكن بليت بمحبة لؤلؤ لأجل ماتمنع عنها لما عرضت نفسها عليه وكل ممنوع حلو وقالت فى نفسها إذا كان مثلى أنا تعرض روحها على هذا المسلم مايرضى بها فما هذه إلا نفس عظيمة فصارت لاتصبر عنه ولا تقرب منه ولا ترغب فيه ولا تبعده ولا تعصيه ولا تقطع تمينه وتنفيه ولا تسعفه وترضيه وهو مع هذا جميعه صابر كأنه مجنون بنى عامر (قال الراوى) وان الملك كوريا سأل عن لؤلؤ فدلوه على جلية خبره وقصته وأنه مسلم على دينه وأن الملكة زنانير لها به عناية وهى تحبه ولا رغبة لها فى قربه بل لحفظه لدينه وطيبة محادثته وحسن ملاطفته ومنادمته (قال الراوى) فغضب الملك كوريا وانقلبت عيناه فى أم رأسه وأخذته الغيرة والحمية على الملكة زنانير وقال وحق المسيح لابد لى من قتله فى هذه الساعة ولو عضده الملك صلبوتا بنفسه لعجلت عليه حمامه وأسكنته رمسه وجعلت يومه أنحس عن أمسه وأظهر ذلك فى نيسه وجرد سيفاً كان معه أمضى من

القضاء والبرق إذا أضاء وجعل يحرك جواده فى ذلك الفضاء وقصد إلى الطارمة وقد فزعت الملوك من سطوته وتعوذوا من مكره وشره ولعنته هذا والملكة زنانير قد غضبت من تجبره وسطوته وكيف تجرأ فى ذلك المكان واخترط بيده الحسام وأن الملكة زنانير سألت عن حاله وما الموجب لسل سيفه فأخبروها بالسبب وأنه يريد يقتل لؤلؤ فأخذها من ذلك الغضب وبادرت اليه كيما يبطش بلؤلؤ فمسكت بأكتافه وسكنت غضبه وقالت له أيها الملك قد أسأت الأدب وأرعبت الملوك بالصخب فأقف عما بدالك واغمد حسامك فان هـــذا المسلم خدمنا بنفسه وقد فادانا وساعدنا على أصحابه وقد سبق منه البقاء الجيل وماله فى فضله عديل (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك من كلامها وما أبدته من نظامها شخر ونخر وهدر وزجر وأقبل اليها كانه الأسد القسور وقال لها ياالخنا وحق المسيح أنك من أولاد الزنا ولولا أنك امرأة لقطعتك قطعا فقالت له زنانير وقد اشتد بها الحنق والخبل ياويلك وحق المسيح انك أحقر وأذل من ذلك ثم همت أن تحمل عليه فقالت فى نفسها ماأمكنه منى وأنا خالية من اللباس فقالت إن كنت من الشجعان وكما تدعى انك من الفرسان اصبر ولا تقتل هذا الانسان حتى ألبس العدة وآتيك أجرعك كاس الهوان ثم ردت رأس جوادها فخرج من تحتها كانه السحاب ودخلت ولبست عدتها ورجعت إلى الملك كوريا كانها البلاء المبرم ثم أشارت اليه وقالت ياسفلة الملوك ويا أخس من كل غنى وصعلوك دونك والحرب ومقام الطعن والضرب ثم حملت عليه وحمل عليها وفتحا فى الأرض ميدانا وتجالدا ضربا وطعانا حتى غابا عن الأبصار هذا والملك صلبوتا لما رأى ذلك الأمر خاف وفزع على ابنته من ذلك الجبار وسأل عن السبب الموجب لذلك الغضب فقيل له من أجل هذا المسلم فانقلبت عيناه فى أم رأسه وقال وحق المسيح أنه على الصواب وأن هذا الفعل الذى تفعله ابنتى لفعل غير جميل ولا يرضى المسيح أن يكون شغل المسلمين فى طارمة ابنتى فى يوم فرجتى بأرباب دولتى وأهل عشيرتى فواخجلتى وافضيحتى ثم أمر الملك بلؤلؤ أن يسحبوه على حر وجهه فعند ذلك سحبوه وهم بقتله فمنعه الحكيم اقليدس من ذلك وقال هذا لايجوز وما أمر المسيح بذلك وأن الملكة زنانير لها رعاية به لأجل عفافته ومحبته لها والتجائه اليها وكان ذلك من الحكيم أقليدس على وجه الشفقة لأنه يعلم منزلته عند الملكة زنانير حتى يأخذ بذلك عندها وجه عظيم ويكون له اليد البيضاء على هذه الفعال (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأمر الملك بحبسه وحلف أنه لاعاد خلاه عند ابنته زنانير هذا جرى للملك ولؤلؤ (وأما ماكان) من حديث الملك كوريا كوريا فانه أقام إلى ذهاب النهار فى قتال الملكة زنانير وأقبل الظلام يغياهب الاعتكار

وملت الملوك من الوقوف وتعجبوا الصفوف من مقام كوريا مع الملكة زنانير وقالوا هل هى الا ذات ضلع أعوج وعقل أهوج وهى إلى الزوج أحوج والقرة فى سواعد الرجال ولكن قد خص الله الملكة زنانير بقوة الساعد والصبر على الشدائد ولولا الظلام حجز بينهما كان قد حل الحمام بأحداهما وأن زنانير وصلت إلى الملك صلبوتا وأخبرته بالقصة وما أسمعها الملعون وكيف شتمها شتما شنيعا وأخرق بها فلما سمع الملك صلبوتا ذلك من كلام ابنته وانها قد صعب عليها وكبر لديها غضب غضبا شديدا ماعليه من مزيد وأرغا وأزبد وقام وقعد وغار من كلامها وقال لها وحق المسيح لولا أن الظلام قد انسدل لخرجت من وقتى وساعتى وعلى لامتى وما رجعت إلا برأس هذا الملعون وهنت أنا فى أعين الملوك الى هذا الحد وطمع فينا بالهزل والجد ثم التفت إلى ابنته وقال لها ويلك هذه فعالك اليوم معى وهتكتينى بين هذا الجمع الذى هم ملوك الأرض وبين كل غنى وصعلوك كونك جعلتى هذا المسلم فى هذه المنظرة التى لى حتى ينظرون الى الملوك بعين النقص فوحق المسيح ماقصر الملك كوريا وما أخطأ لقتاله لك واحراقه بالشتم لك والذم وغدا يتحدثون به عنى وعنك وأما انى وحق المسيح والبترك الكبير والشماس الصغير صاحب دير النذور والبيعة العظيمة والست مريم الكريمة وحق الصليب والانجيل والا قلت فى المسيح ماقالته المسلمين ان عدتى خلوتى مع هذا المسلم فى مكان مرة ثانية لاضربنك بهذا الحسام وأريح منك الأنام (قال الراوى) فلما سمعت الست زنانير من أبيها هذه الأقسام العظيمة أطرقت برأسها الى الأرض وقد خجلت منه لأجل احترامه واحتشامه وكان صبرها عنه وعن جوابه إكراما له فأمسكت له حتى سكن من غضبه وقل صخبه وعزم على المنام عند ذلك خرقت الملكة زنانير إلى قصرها وقد انقبض صدرها وضاقت عليها الأرض بما رحبت (وهكذا ياسادة) جعلت طبايع أهل الأرض لأنها مركبة على حب منا منعت عنه وما حلا لؤلؤ فى قلبها الا لما عذلها أبوها عنه فحملت على قلبها لأجله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وخيل لها انه اختطف زوجها وزاد بها الوجد والوسواس فى تلك الساعة فلما هدأ عليها الليل قالت لدايتها وكانت عجوز قد سافر الأقاليم ومشت بين بنات الروم فى الرسائل وقد تسببت للعاشقين فى وصول بعضهم بعض وكان لها من العمر مائة وأربعين سنة مالها فيهم عند الله حسنه وكانت هذه العجوز مالها دين تعتقد به بل أقود من الليل وأجرى من السيل وأحيل من أبو محمد البطال شيطانه صبوره على الأهوال فعند ذلك قالت لها الملكة زنانير يا أماه قد جرى لى من الأمر كذا

وكذا وقد حجبت عن المسلم الغريب وقد وقعت فى اللهيب وأنا مرارتى قد انفطرت والنار فى كبدى قد التهبت وما هى الا عين قد أصابتنى حتى تلفت ولو رأيت الليلة المسلم انطفت نارى وكنت أصبحت أخذت بثارى فقالت لها العجوز أيتها الملكة أن السجان هو ولدى وأن كنتى تريدى أن تقومى اليه فما بينك وبينه حجاب الا كشربة الشراب فقالت لها زنانير حفظكى علىّ المسيح ولكى من المال ماشئتى ثم أن العجوز أنطلقت بين يديها بحيث لايعلم بها أحد حتى وقفت على باب السجن فى هدوء الليل وطرقت الباب طرقا خفيفا فخرج اليها السجان وقال من بالباب فكلمته العجوز فلما عرفها فتح الباب فدخلت ومعها الملكة زنانير وأمرته بغلق الباب وكتم الحال فقال سمعا طاعة بعدما قبل يديها وأومأ بالتحية والاكرام اليها فشكرته على ذلك وهجمت على لؤلؤ وهو مكبل فى الأغلال والقيود الثقال والذل والهوان وهو مع ذلك كأنه سكران ومن الفراق أجله قد حان وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

قد صاح حادى البين بالبكا * وفاض مجرى الدمع من عينى
أصابنا داعى الهوى صارخا * أصابنى الحاسد بالعين
شلت يد البين لقد فرقت * فى غدرها بين المحبين
تقاسموا العشاق حظ الهوى * وحظى الهجران والبين
أحسن ماكنا وأحبابنا * فى طيب عيش أحسن الزين
أصابنا الحاسد بعين له * فيالها ياقوم من عين

(قال الراوى) وجعل لؤلؤ يبكى وإذا قدوقعت زنانير فى صدره وقبلته ثلاثاً وقالت لاخوف عليك ولا بأس وخلاصك عندى أسرع من تردد الأنفاس إذا ظفرت بهذا العدو والذى قد نغص علينا عيشنا كان تدبير آخر لنا فثق ياحبيبى منى بالمحبة الدائمة الصادقة الملازمة والموافقة (قال الراوى) فلما سمع لؤلؤ كلامها وما قد تجدد عليها قبل الأرض بين يديها وقال لها والله لقد فرجتى عنى كرب هذه الليلة بمحبتك إلى سؤالك عنى ولولا ذلك لكنت هالك وماكنت أصبحت إلا ميت لأنى غريب ومع هذه الغربة انى مبتلى بالمحبة وكنت قد أشرفت اليوم على الهلاك والبلاء والتلاف والارتباك فقالت له زنانير طب نفسا وقر عينا فوحق دينى ولست أحنث فى يمينى لأوصل إليك سوء وان أعرف شمالى من يمينى ثم جلست عنده ساعة وعانقته وقبلته أنها ودعته وخرجت من عنده وقد انطفت نارها وقر قرارها وقالت للعجوز وحق المسيح لولا إنى رأيته فى هذه الليلة لكنت أتلانت لامحالة وكان تلف هو أيضا لقد كنا متوافقين فى المحبة ثم باتت بقية

ليلها ولما أصبح الصباح وأضاء بضيائه ولاح سمعت زنانير صوت البوق والطبول والأرض قد ارتجت والعساكر قد ركبت فسألت عن الحال فقيل لها أن ملك القلقا الدهما كوريا قد خرج يطلب البراز ويسأل الانجاز وقد استمال اليه جماعة من الملوك والباقين قد مالوا إلى أبوكى (قال الراوى) ياسادة كانت هذه نوبة عظيمة ما سمع بمثلها لأن الملك صلبوتا خرج من القلعة وبين يديه القساقسه والرهبان والشمامسة والبطارقة كأنهم الأبالسة وقد وصلت دكتهم إلى الأرض الخامسة وكان أول من صاح وخرج إلى الميدان كان الملك صلبوتا وهو على جواد أبلق من الخيال الجياد كانه الطير إذا أطلق أو جريان الماء إذا أندفق أو الهواء إذا استنشق أو البرق إذا لمع برق أو السهم إذا خرج من كبد القوس وأنطلق وأحسن ما قيل فى ذلك الحصان الأبلق قول الشاعر الفرزدق حيث يقول

على أبلق من أسبق الخيل هائل　　بديع سريع يسبق البرق إذا سرى
ويأخذ بالأبصار عند أنطلاقه　　يقصر عنه الريح عجزا إذا جرى

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وهو متقلد بسيف ماضى وعلى الأرواح قاضى معتقل بقنطارية على رأسها هلال كأنه المنية ويقطع آجال الامنية وانطلق الملك كأنه القضاء المبرم وحمل على ميمنة عسكر كوريا فقتل فى حملته خمسة من الأبطال وقتل من الميسرة ثلاثة وسقاهم كاسات الويل والوبال (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما نظر الملك كوريا إلى فعال الملك صلبوتا بأصحابه وما قتل منهم زمجر وكفر وظهر واشتهر ووجهه قد أنكشر وقد أيقن بالظفر وقال فى نفسه لما عاين الملك صلبوتا وقد خرج يطلب برازه هذا يكون سبب سعادتى إذا أسرته ومن سرجه أقتلعته ولا أطلقه إلا بالملكة زنانير صاحبة الوجه المنير ثم أنه حمل وهو على جواد أدهم كأنه الليل إذا أظلم أو الغراب الاسحم وبين أعيانه غرة كأنها الدرهم يلتقط الفراسخ بوثبته ويهد الجبال الراسيات بشدته ثم صاح بالملك صلبوتا صيحة فأزعجه وهم عليه وضايقه وبالطعن ألهبه وضيق مذاهبه وأكربه فطعنه بعقب قنطاريته فأقلبه وأنتض عليه كأنه العقاب الكاسر وشاله على أكتافه وسار به طالب عسكره وأجناده وإلى أصحابه سلمه بعدما قيده وكبله وعن أعين البطارقة غيبه هذا وقد صلبت الملوك على وجوهها وتقهقرت إلى ورائها وقد أخذهم الزمع والويل والوجل من ذلك الشجاع البطل ثم عاد الملك كوريا إلى الميدان وهو كأنه الجمل أو الأسد إذا اكتمل وحمل على ميمنة الملكة زنانير ولم يرجع حتى قتل عشرة أبطال وكان كلما قتل بطل خرج اليه بطل آخر ثم هم بالحملة على ميسرة

العسكر فلم تمكنه الملكة زنانير بل أعترضته كأنها اللبوه الشمطاء والحية الرقطاء وقد طارت الدمعة من عينها لأجل أسر أبيها واخراق هيبته بين قومها وذويها وعرفت قصده بابقائه ووقعت على مخازيه ودواهيه فأخذت بيــدها قنطارية ثقيلة خلنجيه لاتقلها الشجعان ولا يقدر على حملها إنسان ولا طعن بها انسان ونفعه مرهم ولا ادهان على رأسها سنان كأنه اسان ثعبان وهى على جواد أصفر قد اكتسب من الأسد قوته ومن النمر وقاحته ومن الثعلب زوغته ومن الأرنب فتلته ومن الأسد وثبته كما قيل فيه

فلست ترى له فى الحرب ظهر ‏ ‏ وليس ترى له فى الأرض فيَّا
كأن الأرض بين يديه ثوبا ‏ ‏ فيطويه إذا ما شاء طيَّا

(قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة يا كرام فما رأت العيون ولا وصفت الواصفون ولا شاهدت الراوون مثل خفة الملكة زنانير على ذلك الجواد وقد ملكت عنــانه ولم تراهب جريانه وحملت على الملك كوريا فى الميدان وأشارت اليه بالسنان ولاح لها منه الانكشاف وبان ولم يجد له من طعنتها أمان فاحترز عند قتالها غاية الإحتراز فى موقف البراز ولم يبق له جنان يعطف عليها بطعنها ولا يبادرها بحمله ورأى فى ثباته معها تلاف النفوس وفى الهرب عار الأبد فاستتر بالطارقة فكانت هى بطعنتها السابقة فوقعت طعنتها فى صدره فخرج الرمح ثلاثة أكعب من ظهره وعجلت حتفه وأرغمت أنفه وعوذوها البطارقة وسائر الأمم بالمسيح ابن مريم وجذبت القنطارية منه فوقع كانه الفيل القتيل أو الجبل الثقيل واشارة إلى عساكرها فحملت عن بكرة ابيها والملكة زنانير فى اوائلها وقد صوبت إلى الأعداء اسنتها ولم ترهب تزاحم المواكب وطعنت حامل العلم فأورثته النقم وأوردت أصحاب كوريا موارد العدم وعمل للرمح وللسيف المخدم فتقهقرت عساكره وانخذلت وولت الأدبار وانهزمت ووضعت أصحاب زنانير سيوفها فى قمم الهاربين فثقلت ولا زالوا تابعهم إلى أن أبعــدوهم ثم أنهم جمعوا الاسلاب والأموال والخيام والنهاب وقد استغنت أصحاب زنانير مما نهبت وتبادرت الرجال إلى خزانة كورية فأخذتها وتبادرت زنانير إلى أباها وخلصته من قيده وأركبته على بعض جنايبها وكان يوم عظيم هلت فيه الكفرة وخسرت وفرحت بأرواحهم النيران واستبشرت هذا وباقى الملوك قد تحيرت وحامت على القتلى حمائم الحمام (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولقيت الملكة زنانير الملوك الذين قاتلوا معنا بنفسها فدعتهم إلى ضيافتها وأقعدتهم فى منازلهم على حسب ما كانوا عليه ومدت لهم السماطات وغامرتهم بالطعامات والحلاوات وأكلوا الملوك وشبع كل غنى وصعلوك ثم بعدذلك سكبت لهم الخمور وتجاوبت الطيور

واصطحت العود والطنبور وشحرت قطع الندور والكافور وفتات المسك المعطور وصفت الملكة مائة جارية نهد أبكار كأنهن الأقمار وعلى خصورهم الزنانير وخدودهن كأنهن الدنانير وفى أيديهم أقداح البلور المحكم ثم قالت وحق المسيح والدين الصحيح ما الخلوة معهن عندى بقبيح ثم حضرت عندهم وهى كأنها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية وعليها قباء أخضر كانه الهوى وقد تجلت فيه وبانت أعكانها وغلب عليه بياضها فشخصت إليها الأحداق من طيبة تلك الأخلاق وكانوا الناس يأكلون ويشربون وهم اليها ناظرون وعلى أثوابهم الشراب يقلبون وغلمان الملكة زنانيرعليهم يضحكون وكانت زنانير تلك الساعة كأنها يوسف الوقت والملوك كالنسوة الناظرين إلى زليخا بعين المقت فلما ظهر يوسف عليهن وأقبل الشراب اليهن قطعن أيديهن (ياسادة) وميل الرجال إلى النساء أكثر لاسيا زنانير التى كانها القمر المنير إذا تكامل وبدر وانار وظهر وهى كما قيل فيها

ياساقيا بالالحاظ خمر رفقا قتلت القوم سكرا
وأقم لمن يهواك ياذا الحسن والأحسان عذرا
فالعاشقين تجمعوا يرجوا الوصال وأنت أدرى
ودخلن والأيدى تلوح بياضها نخرجن حمرا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أقبلت الملكة زنانير على الملوك وقد ضحكت وتمايلت وصلبت على وجهها وعطفت فانخلعت قلوبهم وطارت عقولهم فقالت لهم ماهذا الذى تفعلوه فعل الصبيان لافعل الملوك الشجعان فقالوا أيتها الملكة الكريمة والسيدة العظيمة قد أسقيتينا جلاب التلف والنظر إلى وجهك أعذب وأشرف من شراب القرقف وورد هذين الخدين قد أشغلنا النظر اليها عن حفظ الشراب أن يقع على الثياب فالشكر للسيد المسيح على ماقد أنعم علينا من النظر إلى وجهك المليح ثم انهم صلبوا على وجوههم وقد أشاروا اليها بالأقداح على وجه المزاح ووجهها يتوقد مثل فلق الصباح كانه التفاح فعند ذلك أخذت من يد بعض الملوك قدحا وكان القدح أحمر مكلل بالدر والجوهر وقد دار على حافة القدح حباب كانه العقيق المحقق وأن الملكة زنانير جعلت تنشد فيه وتقول هذه الأبيات

شمس من الانس وهى حاملة شمسا من الخمر والحباب سما
فهذه للعاشقين قد خلقت وثغرها سكر لمن لثما
وهذه للهموم إن شربت مزيله وهى للحزين حما

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انها شربت ذلك القدح وقد ظهر الجلنار من خدها وطفح واشتاق كل واحد إلى تقبيلها وجنح ورمق كل ناظر اليها وطمع وشاع هـذا واتضح ودارت الكاسات على الحضور من الخمور والسرور وعملت الخمرة مع الملكة زنانير فغابت عن رشدها وكانت ياسادة معها خرزة ماتبرح ومن خاصية تلك الخرزة انها ماحملها أحد وسكر قط فنسيت ذلك اليوم حملها فلأجل ذلك سكرت ثم أمرت الجوار أن يحضروا لها العود فأحضروه فشدت أوتاره وصاحت بصوت رخيم فكان زنانير قد ورثت المزامير وقد لفظت من نفحتها البلابل وجنحت إلى الملوك الوساوس العواجل وتمايلت أشجان الانسان وأصحاب الاسماع وشخصت الأبصار وكان ماغنت مع أصحاب الأوتار بالروى وتغيره بالعربى تقول

وحق المسيح ودين النـذورى   وراهب نجران والقس كورى
ومن سوف ينزل إلى عندنا   على الفلك الأصفر المستديرى
ومريم فى حـلة الافتخارى   تفوق النساء بوجـه منيرى
بأن الفتى شفـاء السقيم   تميل الطباع له فى السرورى
وأن الفراق كريه المذاق   وأن الوصال شفاء الصدورى
وأن الهموم بهذا المـدام   تزول فكن ساقيا بالـكبيرى

(قال الراوى) وكانت الملكة زنانير تتمثل بهذه الأبيات فلم تبق جارحة إلا تمنت أن تكون اذنا ثم قالت وحق المسيح انى قد اشتقت إلى المسلم وقد أشفقت عليه ولو كان هذه الساعة عندى لـكان ذلك من دلائل سعادتى ولـكن حرم المسيح الوشاة فانهم بالنميمة مشاة ثم انها أقبلت على الملوك وزادت فى اكرامهم إلى الليل فارتاعت الملوك لقراءتها ثم أمرت بهم إلى قصر المملكة وقد ألجأتهم إلى المهلكة ورجعت إلى أبيها الملك صلبوتا وكانت لما خلصته من وثاق الملك كوريا قد دخل الرمح ولا عاد خرج منه فلما دخلت اليه جعلت تقبل مابين عينيه فوجدته قد تضاعف مرضه ولأن الملك كوريا طعنه بعقب الرمح فعوقه وكان مرضه هزلا فصار جدا وثقل فى المرض ولـكنه فرح لها كيف قتلت الملك كوريا وحدثته بما فعلت فى يومها وكيف شربت مع الملوك وغنت لهم وخدمتهم فلما سمع ذلك منها قبل غرتها وقال يابنيه حفظ المسيح هذا الشباب وملككى رقاب الأعداء والأصحاب فاعلمى يابنيه انى قد أشرفت على الموت الذهاب وهو المفرق بين الأحباب وقد ذكر أن لـكل أجل كتاب فاكرمى يابنيه الملوك فى غد وحلفيهم وعلى المعاونة لـكى عاهديهم واطلبوا قتال هذا الملعون شعشعونا الذى قد أخرق بهدية عيسى

المسيح واكرى هذا القبيح الذى يزعم أن دينه صحيح وسوف أكتب الليلة كتاب إلى أخى ابن أمى وأبى رومايص صاحب القلعة الخامسة والعشرين وهو عمك الكبير لأنه شجاع لايطاق وعلقم مر المذاق وقط ماكاتبته ولا راسلته وهو يكاتبنى ويهادينى وأنا أجفوا عليه ولا وصل كتابى اليه ثم أمر صلبوتا فكتب اليه كتاب يتحنن عليه ويذكر اليه ويسأله القدوم عليه ووجه الخلع والهدايا والتحف اليه وكان له ولدا اسمه اليون وكان أفرس من نشأ وأوقح من كافح وأظهر من طاوح أوكانه الفيل عند المسير وأوقح من الخنزير وأهيب من النسور وكان قد سمع بالملكة زنانير وقد عزم على الهجوم إلى أرضها مرارا وكان أبوه يمنعه من ذلك ويقول يابنى اصبر فلعل المسيح أن يحوجهم الينا أويقدم ركابهم علينا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما وصلت اليهم الهدايا والتحف الخلع من عند الملك صلبوتا كاد فؤاد اليون أن ينخلع من الفرح وقال يا أبى قد نفع الصبر وقد عاد المسيح على بعد ذلك الكسر بالجبر ثم رفعوا الهدايا والتحف الى القلعة التى لهم فرأوا ملكا عظيم وما بعث اليهم الملك صلبوتا من تلك التحف ومن الذهب والفضة والثياب القسطنطينية وغير ذلك شىء كثير فكبر فى عين رومياص. وقال هذا هو الملك ثم أقبل على ولده اليون وقال له ياولدى أن أخى صلبوتا هو الصغير وأنا الكبير وما استنجد بى الا لعدو قد ظهر عليه أو مرض قد عرض اليه أو كلاما كريها وصل اليه أو يكون ذلك سببا لسعادتنا وبلوغ ارادتنا ثم أمر من ساعته أن تتجهز العساكر وان تصلح المراكب وان يكثروا من آلة الحرب والقتال ويتأهبوا إلى لقاء العدو (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من الملكة زنانير فانها لما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح وذكر سيدنا محمد سيد الملاح صلى الله عليه وسلم أمرت الخازن أن يأتيها بالخلع والمناطق وخلعت على كل ملك خلعة ومنطقة وقبلته فى وسط فمه وعاهدته وحلفته إلى أن خلعت عليهم جميعهم وحلفتهم بأن يكونوا تحت طوعها وأمرها وودعتهم وساروا وهم شاكرين لها على ذلك ورحلوا عن ديارها فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك شعشعونا الذى قد وصل إلى المقام الكريم المكرم وسلم لما أسلم ولأمور المملكة أبرم وقد أعرض الإسلام على أهل دولته وعشيرته فأسلموا ومن عذاب النيران سلموا فلما قوى عزمه بمعونة الله تبارك وتعالى واشتدت عروة الإسلام ففرح الأمير أبو محمد بذلك فرحا عظيما وقد تمثل بقول الشاعر.

لا أبالى بعد شكوتنا ۝ ربح الخمار أو خسرا

فوالله لو قطعت بعد ذلك أربا أربا ما رأيت بعد ذلك صعبا وقد صارت هذه القلعة محمدية والملة إسلامية بإذن رب البرية (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما الأمير أبو محمد فانه قد سمى الملك عبد الله وسمى ولده عبد الرحمن وقد سمى الجارية شمس النهار الناجية من عذاب النار وكان الملك عبد الله من أسلم من أهل قلعته آمنة على ماله وولده ومن أبى عجل هلاكه ونهب ماله الى أن أسلم أكثر أهل المدينة وقتل منهم زهاء عن عشرة آلاف بطريق ما بين غنى وفقير وذلك انه رأى الملك عبد الله فى منامه النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقد مسح على وجهه وصدره بيده المباركة ودعا له بدعوات جعله الله أكثر من الأنام زهدا فى الدنيا وأكثرهم رغبة فى الآخرة ثم قال له نصرك الله كما نصرت دين الإسلام فلا تأخذك فى الله لومة لائم وهذا عيسى بن مريم يسمع كلامك ويفهم مقالك وهو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم فالتفت الملك فرأى عيسى بن مريم وهو يرتعد خجلا مما قالته النصارى فيه فعند ذلك صاح الملك عبد الله وابنته وهو مرعوب وعقله مسلوب فلما أفاق من غشيته أرسل خلف أبو محمد وأحضره اليه وأخبره بالمنام فقبل أبو محمد صدره وبين عينيه وقال الحمد لله على ما أنعم به عليك فهذه كرامة ما سمعت بمثلها فى أهل هذه الملة فثق بالله وتوكل عليه فقال له الملك يا أخى عزمت على شىء أريد أفعله ليكون لى فيه الثواب وإعزاز للدين وإذلال للملحدين فقال له الأمير أبو محمد قل ما بدالك أيها الملك وفقك الله لما يرضيه فماذا تأمر به فقال عزمت على أن أبنى مأذنة عالية تشرف على البحر ويكون تحتها مسجدا وأزخرفها ظاهراً وباطنا بالذهب الأحمر وأرضها بالعقيق والزمرد الأخضر وبالرخام الأبيض والأحمر وأجعل على رأسها هلال من الجوهر وأكتب عليها اسم صاحب اللواء فى المحشر على رغم أنف كل من كفر وطغى وتجبر وارفع اليها غلمانك يؤذنون وبالتكبير يعلنون حتى تسمع أصواتهم دواب البحر فتجاوبهم وتدنو منهم وتقاربهم ونعبد الله جهرا فى موضع المعبد الذى كنا نظهر فيه كفرا ونتوب الى الله تعالى عذرا ونجعل علينا نذرا ونصوم لله شكرا فقال له الأمير أبو محمد لله درك أيها السيد فهذا هو الأمر الجيد فمتى يكون ذلك قال من ساعتى هذه ثم أمر الغلمان باحضار الصناع من الضياع ومن سائر البقاع وأمرهم بقطع الأحجار من الجبال وفرق الأموال وبنوا سواجير الكلس وجمعت الأحطاب وحلا له البنا وطاب ورسم موضع المنار فى مكان الدولاب بعد ما كسره وأحرق هذه الأخشاب واجتهد فى عمارة المنارة وقال هذه كفارة (ياسادة) ونزلوا فى الأساس الى أن بلغ الماء وكبسه بالحجارة والجص والكلس وطلع البنا الى أن وصل

بمساواة الأرض وشرعوا فى العلو ذكر فى اثنى وتربيع وتثمين وتسديس فى شمال ويمين وداوموا العمل حتى ارتفع واكتمل وكان الملك عبد الله لايفارق الصناع طول النهار خوفا من الضجر والفرار حتى أشرف على الفراغ وقد اكتمل بنائها وبقيت كأنها العروس المجلية للنفوس وكان ارتفاعها عن الأرض مائة ذراع حتى خيل للناظرين أن رأسها وصل الى السماء (قال الراوى) فلما كملت على خلع الصناع وأعرض عليهم الاسلام فمنهم من أطاع ومنهم من أخذ أجرته وارتاع وأمر الملك أن يبسطوا له فى رأسها بساط أخضر وأخذ الأمير أبو محمد وغلمانه وصعد إلى أعلاها واشرفوا على البحر المستدير فاندهلوا بما رأوا ولاحت لهم القلاع كأنها صور بما استدار والبحيرة فى وسطه كأنها المرآة وأرض فلاه والأشجار الخضر بما استدار الجبل فكأن الدنيا وادى لاجبل فيها ولاعش ولا فلاه ولا جدار فعند ذلك تعجب أبو محمد البطال بما رأى من قدرة الملك الجبار ثم وجه وجهه إلى القبلة وأذن ورفع صوته وقال الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا بالظفر وخسر من جحد وكفر وبدين النصرانية اشتهر وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة من آمن بها وعبر العقبة وجاز وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وسيد الأصفياء وامام المرسلين وقائد الغر المحجلين والشفيع المشفع فى العالمين من المذنبين ثم التفت يمينا وشمالا وقال اعلانا وتبيينا حى على الصلاة تستحقون من ربكم الصلاة وتفوزون بالنجاة إذ أتيتم ببضاعة مزجاة ثم قال حى على الفلاح بادروا على سبيل النجاح وأبشروا بما فيه النجاح ثم قال الله أكبر الله أكبر على رغم من طغى وكفر وعبد المسيح المخلوق وتجبر لا إله إلا الله سموت على كل من سواه سبحان من تسجد له الجباه سبحان من إذا طلب منه الفقير أعطاه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن أبو محمد أمر باحضار الشيخ النحس الخبيث عقبة لعنه الله لينظر مافتح الله عليه من هذا الفتح العظيم واستملاكه لبعض الأقاليم واعزازه للدين وارتفاع الأصوات بالتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير (ياساده) فأحضر فى أيشم حضور وأخرق به بين الحضور جميعاً وقد سمع الأصوات وهم يؤذنون كأنها أصوات الملائكة المقربون وقد جاوبتهم البحار والحيتان فى القرار والملائكة عن اذن الملك الجبار (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان عقبة رفع رأسه فرأى تلك المأذنة كأنها عمود نور ونظر إلى ذلك الدولاب وهو محروق وتلك المأذنة فى العيوق عند ذلك انتقض وضوءه وتلوث فى لباسه وانخفض علوه واتضع سموه وكاد أن يموت من الهم والحنق ومن كثرة ما أصابه من الغيظ انخنق ثم قال وحق دينى ان كان المسيح إلا مسلم وما هؤلاء إلا على الصواب وإلا ما كان تم للمسلمين هذه الفعال ولا سيما هذا الشيطان

أبو محمد البطال الذى قد حرت فى أمره ونهاية مكره وبلاؤه ودهاؤه ثم صار متفكراً فى المأذنة المبنية المرتفعة العلية وأى وقت بنيت ولولا أن الذين أسلموا بعدد الرمال لما قدروا يفرغوها فى هذه الأيام القلائل ثم أن غلمان أبو محمد نزلوا من المأذنة وهم يكبرون ويهللون إلى أن أتوا إلى القاضى عقبه لعنه الله وقال له الأمير أبو محمد البطال كيف رأيت صنع الله بك ياملعون ونصره لدينه فقال له عقبه ياويلك هذا الشيخ بطغيكم ايزيدكم عذاب ويدبر عليكم وينزل البلاء عليكم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الملك كلامه وكفره وكذلك ولده الذى يسمى عبد الرحمن رفسه فى صدره كاد أن يخرج روحه وقال له ياملعون يامفتون وحق من هدانى ورضى عنى وأرضانى مايعوقنى اليوم عن قتلك إلا حتى أعمل فيك أعملا تتحدث به المتحدثون على قوارع الطرق إلى يوم القيامة ولولا أن الأمير أبو محمد يمنعنى عن قتلك لعجلت حمامك فقال أبو محمد أيها الملك افعل ماشئت فانه ألعن من على وجه الأرض عند ذلك قام اليه عبد الرحمن بن عبد الله ثم جعل ينتف فى ذقنه ولحيته حتى تركه أجرد أمرد وصخم وجهه بسواد القدر حتى تركه أسود قبيح المنظر حتى صار عبرة لأهل البصر ثم قبله وغلله وصلبه برجليه إلى فوق وأدخل رأسه فى جراب مقطع وثقب آذانه وعمل فيها بعر الجمال وجعل فى عنقه مخلاة وملأها حجارة كل هذا مبالغة فى عذابه ثم أمر أن يحفر تحت رأسه حفيرة غير عميقة وأمر أن يتغوطون فيها حتى يطلع البخار إلى رأس عقبة وأنفه ووجهه وأشرف على الهلاك فى ذلك فقال عقبة ويلك يا أبو محمد قل لهذا الملعون عسى أن يخلصنى من هذه النكبة وإلا مايجمع المسيح فى عمره وقصم ظهره فما رأيت أعرف منه بالمخازى والسوء والتنكيل وقد أشرفت على الموت من هذا العذاب الوبيل وقد ضاقت منافسى من شم الغائط الميشوم وأنا أرجو من المسيح أن يوقعك فى يدى يا أبو محمد فان أحسنت وأسأت أن تعرف حالك ومع هذا انكم تزعمون بأنكم تصلبونى على باب الذهب بالقسطنطينية وها أناميت لامحالة وسيبين للناس كذبكم (قال الراوى) ياسادة ياكرام فعلم أبو محمد أن قوله صحيح فأمر الملك باطلاقه ورده إلى المطمورة وبالغ فى الوصية عليه وأن يحفظوه حفظ أكيد وحذرهم من مكره وحلاوة لفظه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فيالها من أعجوبة ماسمع بمثلها ونادرة ماتحدث بأحسن منها ومن شكلها هذا جرى من أمر أبى محمد البطال وعقبة (وأما ماكان) من الملك صلبوتا فانه قضى نحبه وانتقل الى لعنة الله تعالى وسكن فى دار البوار والدرك الاسفل من النار لخزنت عليه الملوك وجزوا الشعور ودعوا بالويل والثبور وصخموا الأبواب وعظم المصاب وقتلت الملكة زنانير نفسها على أبيها

ولكنها خافت على ملكها فأظهرت الجلد والسكينة والوقار وأقصرت من ذلك الاستعبار إلى أن دفنت أبوها وبرد وسلا من حزن فجمعت اليها وجوه البطارقة والشجعان من العمالقة والشمامسة والقساقسة والرهبان والبترك والمطران والحكيم أقليدس الذى علمها وأدبها فخلعت عليهم الخلع النفيسة واستمالت قلوبهم وزادت فى أكرامهم وأهدت إلى ملوك الروم الهدايا الفاخرت وملأت أعينهم بالعطايا الوافرة وأنفذت تستفذهم الى الغز والى العدو ولقاه ثم انها سمعت بوصول عمها الملك روميالص ومعه ولده اليون وكان هذا اليون كما ذكرنا خنزير ملعون مكار غدار لا يصطلاله بنار وقد أتى مع أبيه ونوى فى نفسه أنه يأخذ زنانير ويملك قلعتها لأنه سمع بموت أبيها فحزن أبيه على أخيه صلبوتا ونهى ولده عن ذلك وان زنانير لم تفرح بوصولهم اليها الا أنها خائفة من مكره وغائلته فأمرت البطارقة بالاحتراز وان يكونوا على حذر منهم ومستيقظين فى الأبواب ثم قالت لبعض حجابها وكان أديبا عاقلا لبيبا وهو أحسن أهل ملتها وأجملهم وأكملهم وقد تكلم بسائر الالسنة حتى بالعربية وله الرأى الصائب والفعل الثاقب وكان اسمه ذو غورس وكان من أولاد الملوك الذين قد زال عنهم الملك الا أنه قد ارتفع عند هذه الملكة قدره لنصحه وحسن رأيه ومواظبته على خدمتها اليه فقالت له وحق المسيح انني قد حرت فى أمرى وقد عيل صبرى وعظم فكرى فى هذا العام ولا طاب لى فيه عيش ولا وجدت فيه سبب إلى خلوة ولذة ومنذ دخلت المسلمون الينا مافاتحت ديارنا وقد أصبح الملك شمشعونا من جملة أعدائنا وكاننا بعساكره وقد وصلت الينا وهذا عمى قد وصل ومعه ولده وهو أيشم من مشى وأوقح من على وجه الأرض مشى وهو طالع فى أخذى من قلعتى وحصنى وأنا وحق الدين الصحيح لو انه ولد السيد المسيح أو بعض الحواريون ماملكته من جسدى شعرة واحدة وان تعرض لى لاوجلن قحفه ولأرغمن أنفه وأريدك فى هذه الساعة بأن تركب ومعك البطارقة وغلمان الغفر والفواشين وتمضى الى طارمة الميدان وتبسط فيها البسط اليمانية والآلة الحسنة المكينة بعدما تلم مائد تشعبت منها ونوكل بها عشرة من البطارقة الى أن يصل عمى ويقدم وينزل هناك وتعمل دار ضيافته فى مرج البذن وقاع الميدان وتضرب فى ذلك المكان فاذا فرغت من ذلك أخبرنى وبما قد صنعت عرفنى حتى أصل اليك وأنظر ما قد دبرت فقال لها سمعا وطاعة وحبا وكرامة أيتها الملكة الكريمة والسيدة العظيمة ثم خرج من ساعته والغلمان معه وقصد إلى ماأمرته به وما تعالى النهار حتى فرغ من جميل الكلف ونصب وزخرف المكان الذى أمرته بين وأقبل اليها وأخبرها بذلك فقالت له المسيح يرعاك وينصرك على

أعداك فما أنصحك نخذ الآن جميع أهل المملكة من البطارقة والعمالقة والشجعان والاقران والارمن والروم واركب فى عشرة آلاف وأنت المقدم عليهم فاذا وصلت إلى مراكب روميالص فترجل وتسلم عليه وتمشى راجل بين يديه الى أن توصله الى الميدان وأنزله فى الطارمة وانصب فى الميدان قدامه ومده بالضيافة والاقامه ثلاثة أيام وأخبره بخبرى وقد بلغ الأسف منى على موت أبى وطالعنى بجميع ذلك حتى أتمثل الى لقاه وأخرج اليه فى اليوم الرابع فقال لها سمعا وطاعة (قال الراوى) يا سادة يا كرام ففعل ما أمرته ثم ساروا الى أن وصلوا إلى مراكب روميالص فرأوا مراكب كأنها الجبال اذا أقبلت وقد رفعوا الشراعات والصلبان على رؤوس القنطاريات وأجسادهم عليها صدور الزرد والحديد وهم أبطال صناديد ونظر الملك روميالص الى تلك العساكر كأنها الجراد المنتشر ونظر الى مقدم العسكر وقد ترجل وهو كأنه القمر وعلى بدنه صدرة من الجوهر وعلى رأسه تاج من الذهب الأحمر وعلى صدره صليب من خالص الجوهر ولم يبق أحد من العسكر إلا وترجل (قال الراوى) ياسادة يا كرام فذهل الملك منهم وقال ماهذه العساكر إلا يزيدون فى منظرى فأمر الملك الى المراكب أن تعطف على بعضها بعض فعند ذلك ركبت الخيالة وسبقت الفراشين الى الميدان وطلعت زنانير ومعها الخلع والشقق الاطلس وأبدت زينتها وأظهرت صورتها وقد نعرت البوقات وخفقت الكوسات وصلبت الروم على وجوهها وقد ظهر كل راهب ومطران وبترك ومقصان ومعبدان وغلمان وولدان وعلى رؤسهم أطباق الذهب وفيها مباخر البلور وقد ملات من حبات المسك المعطور وشجرت فى النيران وارتفع منها الدخان من عود القمارى والند والعنبر والمسك الازفر وقد تلو الانجيل الرهبان باختلاف الالحان وبأفصح لسان وعمهم الخسران بكفرهم للرحمن وظهرت الملكة زنانير كأنها القمر المنير فى الفلك المستدير وحسنها للعقول قد أبهر ومن نظر اليها يحير وخرج رومالص وولده اليون إلى لقائها وأرادوا الوصول إليها والقدوم عليها فعند ذلك تصايحت بهم البطارقة الأرض فما الذى جرأكم على التهجم على الملكة زنانير وألقيتم أنفسكم إلى المهلكة (قال الراوى) ياساد يا كرام فأما روميالص فانه أشار إلى الأرض لاثما وصلب على وجهه وقام قائما وأما ولده اليون فلم يلتفت إلى قولهم ولا عبأ بكلامهم بل أنه هدر وزمجر وشخر وكفر وقد ظهرت الملكة زنانير على جواد أدهم بغرة كالدرهم ومعرفه كأنه الليل إذا أظلم منتصب الأذنين واسع المنخرين مدور الكفل والحافرين فهو كما قال فيه الشاعر

وأدهم غرته كالشفق إذا سابق الريح يوما سبق

تراه إذا جرى فى الهيجا كماء حبيس إذا ماإندفق

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وقد خرجت وعليها بدلة من جوهر تأخذ بالبصر تسوى ملك قيصر ونواص بنى الأصفر وعلى رأسها أربع أكاليل مرصعة بالدر والجوهر مفصلة بقطع الزمرد الأخضر وقد أرخت لها سبعة عشر ذؤابه كانها من الليل مذابه وهى محبوكة باللؤلؤ المدور ووجهها كانه القمر إذا بدر وينظر تلك الحدقتين النرجسية والمقلتين الرومية وصلبت على وجهها وانخلعت بكف كف عند البلاء فكأنه الجزرة واللباء وساعدين كانهم البلور وقد خرطن من الكافور وقد صاغهم الله كما قيل

صلبت فوق وجهها وزهت بالتمايل
سترت وجهها بكف مليح الشمائل
ما سمعنا بمثلها فى حديث الأوائل

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم تبسمت عن لؤلؤ منظوم فى فم عقيق مختوم وتوجهت تلقاء الملك روميالص ولما رآها وقد صارت نحوه وجاءت اليه فتلقاها بصدر رحيب ورفع قدرها وخدمها خدمة مثلها وعزاها فى الملك صلبوتا وبكى وقال ياليتنى كنت رأيته ولو قبل موته بيوم ولكن ماأراد المسيح ذلك فقالت له الملكة زنانير ياعم انت عندى كوالدى فأقم عندى ذلك على الرحب والسعة وطب نفسا وقر عينا وثق بمودة واسعة ومعونة لازمة مالنا وعليك ماعلينا نستعين بك وتستعين بنا على أعدائك وأعدائنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فخدمها الملك مرة أخرى وكذلك ولده اليون ثم قالت له زنانير ياعم ما يكون منك هذا العظيم القدر فقال لها يابنية هذا خادمك وابن عمك وهو ولدى ومن عليه معتمدى وأنه أفرس من ركب فى الميدان وأشجع من أقام فى مقام الاقران فقالت له الملكة زنانير ياعم وحق المسيح لقد سررتنى بهذا الحديث إذ هو ولدك ونسلك وهو مطيعا لك ولقولك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع اليون ذلك من كلامها خرج من عقله وطار فؤاده وقال وحق المسيح والدين الصحيح ورجيع البترك النجيح أن الملكة زنانير ماهى إلا عشقتنى وبهذا الكلام رشقتنى ويسهم رشيق لاحقتنى وقد غاب عنه الصواب وسال من شدقيه اللعاب هذا وقد نظرت الملكة الزنانير إليه وإلى وجهه كأنه كرائر الزنانير وهو مثل الخنازير فقالت فى نفسها ما أقبح هذا الوجه فلقاه المسيح بالبلاء والتلوع فكأنه إلا شيطان فى صورة انسان ثم قالت ماهذا وقت النظر إلى الوجوه القباح هذا وقت تناهب الأرواح ووقوع الكفاح (قال الراوى) ياسادة يا كرام فبينما الملكة زنانير مع الملك روميالص وإذا بعساكر هاجت فى بعضها وتشوشت فقالت الأميره ما الخبر فقالوا

لها أيها الملكة قد وصل الجاسوس الذى كنتى أرسلتيه إلى قلعة الملك شعشعونا المذموم وقد أخبر بكل خبر ميشوم فقالت الملكة زنانير ياويلك على به فما كان بأسرع مما حضر بين يديها فقالت له ويلك ماالخبر فقال لها أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة والبهجة النفيسة اعلمى أن الملك شعشعونا قد أسلم على يد الأمير أبو محمد البطال وولده مطراؤوس وكل من فى القلعة وقد تزوج الملك شعشعونا بجاريتك نهار ورجعت إلى الملة الاسلامية وقد بنوا لهم منارة مكان الدولاب من بعد ماأحرقوه وأتوا إلى بيت المذبح وأخربوه وأقبلوا إلى هدية عيسى فصفعوه وعاقبوه وفى ساريتين صلبوه ووجهه بسواد القدرلطخوه وعملوا به هذا كله وما رحموه وما لهم غير الأذان والتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وقد ذهبت دولة المسيح من عندهم وكسروا الصلبان وتظاهروا بتلاوة القرآن والأذان وتوحيد الملك الديان ذو الجلال والإكرام الذى لايشغله شأن عن شأن وقتلوا كل راهب ومطران واشتهروا بالإسلام وقالوا أن المسيح وأمه عبدان للرحمن الواحد المنان وهذا جملة ما جرى وكان (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب (ياسادة ياكرام) فلما سمعت الملكة زنانير من كلام الجاسوس من أمر المسلمين قال عمها وقد ذهل لبه وطار عقله وقال وحق المسيح يابنية مالى أذن تسمع ماقد جرى وقد حرت فيما أصنع قالت له الملكة زنانير ياعم فهذا غير خاف عن حضرتك وانى خائفة على قلاع النصرانية ان تتبدل بالشريعة المحمدية وهذا أمر يسخط علينا فيه المسيح ولا يرضى به من يكون نجيح إلا من يكون جبان طريح فلولا ان المسيح قد سخط عليهم لما صار عندهم مثل هذا العيار المكار ودخل الى هذه الديار وإنى خائفة منه على حصنى ان يتم عليه عارض من دقائق حيلته ولو أنه يرجع الى الشجاعة ويلقانى لما افتكرت فيه ولو كان معه أهل الأرض لما باليت بهم وسوف يبين لك الخبر بأن شعشعونا يبعث الينا الساعة عسكره فقال لها عمها أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة والمشفقة الرحيمة أهلك المسيح أعداك وحرس مهجتك وكلاك سوف يبين لك قتالنا بين يديك وتنظرى إلى نصحنا إذا قصد العدو اليك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فشكرته الملكة زنانير على ذلك ثم قالت ياعم لاعدمتك ولا عدمت همتك ولا غابت عنى طلعتك ثم أن الملكة زنانير رجعت من وقتها وساعتها الى قلعتها ودخلت إلى الحكيم اقليدس وأعلمته بذلك واستشارته فيما تفعل فقال لها أيتها الملكة وحق المسيح إن هذا العيار لو أراد أن يستجلب قلوب النصرانية بحيلته لفعل ذلك ولكن احترزى أيتها الملكة من أمره قبل أن يتم علينا مكره وشؤمه وغدره وتأمرين الساعة بعمارة

المواضع الذى قد خربت فى الأصوار من أيام الملك صلبوتا لأن أبوكى ما كان يفكر
فى ذلك لأجل هيبته فى قلوب الملوك والآن فقد قضى ومضى وأنت اليوم فى مكانه وتقومين
فى مقامه وتشحنى الأصوار بعد عمارتها بالرجال والبطارقة وتخرجين من قلعتك كل من
تنكرين أمره من الروم الغربا وغيرهم ولا تتركين من لنا به معرفة ممن قد ربى فى هذه
القلعة فقد قال نبى العرب محمد صلى الله عليه وسلم قولا بليغا إذا كان الغدر طباع فالثقة
بكل أحد عجز وفى انجيلنا فى قوله أمرا أنا أدرى الهومانا ومعناه بالعربى خاب من وثق
بكل أحد ومن كان عند أبوكى مقدما فانعمى عليه بالأموال والخلع واللباس حتى تستميلى
قلوب الناس وأما المشايخ فانهم يمدونك بالدعاء وبالنصر والظفر وبعد ذلك أريد أدبر
حيلة على عيار المسلمين ونوقعه فى أيدينا وننتقم منه بما أمكن فقالت له الملكة كان
المسيح لك يا أبونا وسوف أعمل معك عملا تذكرنى به بعد موتى وأنت يا حكيم المقدم والمشار
اليه فى دين النصرانية ودع عنا هدية المسيح فلا كان ولا استكان فما رأيناه فى ساعة مباركة
وانه أفسق عباد المسيح فقال الحكيم اقليدس يا ملكة أتظنين انه يصدق فيما يقول أنه
هدية عيسى وإنما فعل ذلك على وجه المكر والمحال والتنسيب على الملوك وعلى كل
غنى وصعلوك ليبلغ مايهوى من شرب الخمور والفسق بالذكور والحور فقالت صدقت
أيها الحكيم النحرير فى ذلك الشيخ الخنزير ثم انها خرجت من عند الحكيم وقصدت الى
قصرها وأمرت الخازن بأن يفتح لها الخزاين التى فيها الأموال فأشرفن عليها ونظرت
اليها فرأت أشياء لايدخرها ملك ولا سلطان وعاينت من الذهب والفضة والجوهر
والدر مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فكثر فى عينها المال
وقالت وحق المسيح أن بعض مافى هذه الخزاين أملك به القسطنطونية واستملك به
رقاب أهل ماء المعمودية ثم انها استخرجت من المال ما عجز عن حمله البغال ومن السيوف
والعدد وكان كلما أخرجته من فرد خزانه ثم أمرت بعد ذلك الخازن ان يغلق الأبواب
فغلقها ووضعت ختمها عليها وأصبحت ذلك اليوم فادعت بأصحابها وحاشيتها وحجابها
وفرقت عليها الأموال والخيول والسلاح والعدد وأقطعت لهم الاقطاعات وأوعدتهم
بزيادة الاقطاع واستحلفت الأصحاب والاتباع والأمراء والملوك والنياب وكذلك
الملك روميالص وولده اليون فأذعنوا لها بالطاعة والقبول وحلفوا لها جميعا انهم لايغدرون
بها ولا يخونونها وعلى عدوها يعينونها فقال لها ابن عمها اليون أيها السيدة الكريمة والملكة
العظيمة ومن بأحوالى عليمة وحق المسيح إنك إن وافقتينى فى منادمه وكنتى بمواصلتى
هلازمة لأجعلن الملوك تنقاد اليكى طوعا وكرها وأوصل أموالهم اليكى (قال الراوى)

ياسادة يا كرام فشكرته الملكة زنانير على كلامه وان كان قد أمرضها بملامه لأن ماعندها على وجه الأرض يومئـــذ أعز من لؤلؤ (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكأنها كانت نائمة فانتبهت وقالت وحق المسيح لقد كنت نسيت المسلم ولى زمان ما عرفت له خبر من قبل موت أبى وما هكذا عاهدته ولقد خنته وبالهجر ظلمته وهو بحبى مغرم وبهواى مدنف وهو قلق متأســف وما قطعت زيارته من ملـل وجفا ولـكن العوائق تعوق وتمنع من قضاء الحقوق ثم قامت من وقتها وساعتها ودخلت على لؤلؤ وقد بقى كأنه خلال أو خيال وتغيرت أحواله وما بقى الا خياله وهلك خوفا وأسفا وظن أن الملكة زنانير قد جفته أو وشى به اليها واش فأهملته فلأجل ذلك أبعدته أو سخط أبوها عليه فأسلمته فنهاره قلق وليله أرق ودمعه على الخد مستبق وعلى جمر الفراق يتقلب ومن عظم الأسف يتهلب فتذكر قول بعض شعراء العرب

نهارى حزين وقلبى أرق ٭ ودمعى على وجنتى مندفق
وجفنى مذ ودعوا سادتى ٭ من النوم والدمع والحزن منطلق
ترى يجمع الدهر شملى بهم ٭ وانى وكيف هما يتفق
ياعاشق الشمس مت حسرة ٭ أيطمع فى الشمس من قد عشق

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما يريد الله سبحانه وتعالى وافق نشيده دخول زنانير عليه وقد أهملت عيناه بالدموع الغزار ووجهه قد صار كالبهار فصاحت اليه بكلام أحلى من العزاء وألذ من ماء عين الحياة أبشر يالؤلؤ بالفرج القريب والوصل من الحبيب وما تنال المنازل والدرجات إلا بحمل المشقات وتجريع كاسات المرارات أو ماسمعت قول القائل حيث يقول من خاطر بنفيس ملك نفيسا ومن صبر على مر الدواء نال الشفاء وأنت قدصبرت وقدرت ثم وقعت فى صدره وجعلت تقبل فمه وعينيه ونحره هذا ولؤلؤ قد غشى عليه من الفرح فلما أفاق من غشيته أمرت بفك القيود من رجليه وزالت ذلك الملبوس من عليه وأمرت به إلى الحمام وزادت له فى الإكرام وأفاضت عليه خلعة سنية فاخرة مضيئة وجعلته فى مقصورة لها وأحضرت له كلما يحتاج اليه من شرب وطعام وقالت له وحق المسيح يالؤلؤ ما أشغلنى عنك إلا ماتم على من موت أبى صلبوتا وقد قصدوا الملوك إلى ومداراتى لهم صعبة وهذا عمى قد أتى إلىَّ وولده وهو يريدنى وأنا ما أريدة ولا أطلبه وقد تواقحت عليه بسببه وقد طمع فى رضاى وهيهات أن يظفر بجمالى ومولاك عيار المسلمين قد فعل كذا وكذا ولقد أسلم على يديه الملك شعشعونا وجماعته وولده وأهل مملكته وقد تزوج الملك بجاريتى نهار وأحرقوا دولاب السيدة مريم بالنار وقد عمروا

فى مكانه مسجد وأخبرته بجميع ماجرى كأنه شاهدو نظره فكاد قلب لؤلؤ يطير من الفرح والسرور وكتم ذلك عن الملكة وقال فى نفسه الحمد لله على هذه النعمة والإجلال وبما فتح الله على أبو محمد البطال فهو رجل قدفتح الله على يديه وفتح على وجهه باب الرحمة وأغلقه فى وجهى إنا لله وإنا اليه راجعون ثم أقبل على الملكة زنانير وقال لها ياسيدتى دعينا الساعة لاينفعنا بل يشوش علينا وقتنا ويغص علينا عيشنا وكان قصد لؤلؤ يغطى فرحه بذم المسلمين عند زنانير حتى لاتنكر عليه ثم قال ياسيدتى ومالكة مهجتى ان دخل البطال إلى هذه الأرض فسوف أريكى إيش أصنع به وأعمل به عمل يتحدثون به فى سائر الأقطار فشكرته على قوله وصلبت على وجهها لما ذكر أبو محمد البطال لها وأخذوا فى الأكل والشرب إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وأشعلوا الشمع المكوفر والمسك والعنبر وعبى لهم مجلس الشراب وقد جمع فيه كل عجيب وعجيبة من تماثيل وملهاه واصطفوا الجوار كأنهن حور من الجنان والولدان وكل واحدة منهن معها شىء من الطرب تطرب به وتلعب ورفعن أصواتهن كلهن طبقة واحدة واصطحبت الأوقات مع ألحان الجوار تخيل لهم أن القصر بهم يطير وقلعة الدولاب بهم تسير ثم صاحت عليهم الملكة زنانير فسكتوا كلهم وقالت لهم ياويلكم علىَّ بالعود وما كانت إلا ساعة حتى أحضروه بين يديها فلما مثل قدامها أخذته وفى حجرها أوضعته كالولد فى حجرها أو كالعقد على نحرها وشدت أوتاره بالصنعة الزائدة وصاحت بصوت كأنه شفاء السقيم من عظم مابه من الألم العظيم أو كأنه من مزامير داود ثم أنشأت تقول

أنعم بشرب الراح ياسيدى ۞ ياكعبة الاحسان ياذو السماح
نعم الفتى من كان فى عمره ۞ يواصل الأقداح فى الإصطباح
أنعم ولا تصغى إلى عاذل ۞ يقول فى شرب المدام الجناح
قضوا أعماركم فى الرضى ۞ على وجوه الغانيات الملاح

(قال الراوى) فلما سمع لؤلؤ ذلك خرج من طينة البشرية من طيبة نغمة الجويرية وعملت الخمرة فى تلك الوجنات التركية وقد غزلت تلك الحدقتين النرجسية وهلك لؤلؤ بالكلية وقال فى نفسه ياليت شعرى أين كانت لى هذه الملكة مخبية فقد زادت على بنات النصرانية وبنات الأمة المحمدية فانا لله وإنا إليه راجعون من هذه البلية (قال الراوى) ياساده ياكرام وان الملكة زنانير علمت حاله وعمل معها المدام واشتاقت إلى ذلك الغلام واستحيت من الذين هم قعود وقيام فأمرتهم بالإنصراف ولما خلا بها المكان طلبت من لؤلؤ الوصال فأبى ولم يقبل سؤال مع ماهو فيه من الوجد والغرام وقال لها وحق دين الاسلام وشريعة

محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لايكون ذلك إلا برضا الملك العلام ولا يثقل عليكى ولا يكبر لديكى وإن شئتى تقبلى فاقبلى وإن شئتى تقنعى بالنظر فانى عندك إلى يوم المحشر أو دعينى أذوب كما يذوب الرصاص إلى أن يأتى الله بالخلاص فقالت الملكة زنانير وقد كادت تنفطر مرارتها وحق المسيح لولا حفظى حق الصحبة لجعلتك عبرة لمن اعتبر وأعجوبة لمن يسمع ولكن كما تحفظ دينك نحفظ نحن ديننا فما أحسن دين الاسلام لو كان صحيح فقال لها لؤلؤ أنه الدين الصحيح وأن الاسلام هو المذهب المليح ولكن قد أعمى الله أبصاركم عن طريق الايمان وغركم بمتابعة الشيطان فقالت الملكة زنانير وهى فى نار لاتطفى من الهوى وعظم الجوى وخجلت وهانت عليها نفسها وقالت لقد كان دخول هؤلاء المسلمين إلى بلادنا فى طالع مذموم ولقد بلغ منى هذا الأمر وعيل الصبر وصدق هذا المسلم فى الهوى وحجة الدعوى وما بقى ينفع اليه الشكوى وقد أضرم فى قلبي نار الجوى وأمرت بحبسه فى سجن قريب من قصرها وقالت إن طلب الخروج من سجنى فلا رغمن أنفه وألوحن قحفه وعجلت حتفه وزعمت انها مابقيت تذكره يوما من الأيام وباتت باقى ليلتها فى أيشم مبيت إلى الصباح (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأصبحت الملكة مخمورة فى قيد الهوى مأسورة فقالت أين حبيبى لؤلؤ فقالوا لها هو فى المطمورة فضاقت عليها الأرض بما رحبت وقالت من الذى نغص علينا عيشنا وما كنا فيه فقالوا يامولاتنا ما نغص عليكى أحد بل انتى التى أمرتى بحبسه فقامت كأنها أسير ودخلت على لؤلؤ وهو فى ذلك القيد والذل والهوان والغل ففكت قيده وقبلت رأسه وقالت كيف كان هذا الأمر فقال لها انتى كنتى سببه وتسألى كيف كان فقالت وحق المسيح ماأعلم السبب الموجب لهذا فقال لها فعلتى كذا وكذا وشرح ماتم منها فى الخلوة فخجلت الملكة وقالت لا بأس عليك ولا مخافة ولا حذر ولا أغصبك على مايشوش دينك والمسيح يعطف قلبك علينا ويهديك بعد الضلالة الينا ولكن ماآمن منك أن تعمل على وتوصل الأذية إلى فكن فى هذا المكان فى أطيب عيش وأهناه وأعزه وأصفاه وكلما اشتقت إلينا ابعث رسولك يرد علينا وودعته وخرجت وهى كئيبة حزينة وركبت فى باقى يومها وخرجت فى جماعة من شجعانها إلى الميدان وأرسلت إلى الملك رومنيالص تدعوه إلى لعب الأكرة من بكرة (قال الراوى) ياسادة ياكرام فنزل ومعه ولده اليون وقد طمع فى ريحته بالملكة زنانير وخرجت الملكة زنانير وجمالها يأخذ بالبصر ويشوش النظر أو كأنها القمر وقد ظهرت على جوادها كأنها العروس تشتاق اليها النفوس وهى تميس كأنها الطاووس فخدمها الملك وابنه وأخذوا فى لعب الأكرة إلى أن تنصف النهار ومالت الأرواح إلى الراحة والقرار

وإذا قد طلع لهم من البحر مراكب وحراقات وعشاريات إلى أن سدت البحر بكثرتها وغشيت عين الشمس وذابت النفس فقالت الملكة زنانير لبعض قومها ياويلكم اكشفوا عن الأخبار فسارت البطارقة وعادوا أسرع من البرق يطلبون النجاة ياويلكم ما الخبر فقالوا لها أيتها الملكة قد أقبلت العساكر الاسلامية والأمة المحمدية وفى أوائلهم الملك شعشعونا وهو يقول بكلمة الاخلاص بمتابعة المسلمين وجميع من كنا نعرفه من أهل قلعته قد أسلموا جميعا عن بكرة أبيهم وقد جاءت العساكر كأنها الجراد المنتشر وكانك بهم قد وردوا فالحذر الحذر (قال الراوى) ياسادة يا كرام فتواثبت الرجال إلى ظهور الخيل وبعث الملكة إلى قلعتها وأمرت بغلق الأبواب وتزيين القلعة بالسلاح والعدد والاستكثار من آلة الحرب وأمرت الرجال بأخذ العود فما كانت إلا ساعة حتى صارت فى عسكر عظيم مابين راجل وفارس ومدرع ولابس وركب الملك روماليص فى صناديد قومه وركب ولده اليون على جواد مجنون إذا جرى لاتدركه العيون وفى يده ثلاث مراريق الموت فى أسنتها والقضاء المبرم فى أعلاها إذا هزها سطعت ولمعت وقد تقدم على الرجال كأنه طود عظيم مشيد أو برج من الحديد وقال وحق المسيح نحن نلقاهم قبل أن يصلوا الينا ويقدموا علينا ونكون نحن الطالبين لا المطلوبين (قال الراوى) ووقعت العين على العين وطلع الملك عبد الله شعشعونا من المراكب وصار على وجه الأرض وأرمت الخيول من الطرادات ولبست الأبطال الزرديات والجواشن والكازغنديات وحملوا على بعضهم بعض وماجت بهم الأرض فى الطول والعرض وحملت مواكب الملك شعشعونا وعساكره وهم ينادون الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا بالظفر وخذل من كفر وعمل الحسام وصبر الكرام وفلق الهام وهشمت العظام ودارت طاحون الحمام وكثر الانتقام وقل الكلام وتكسرت البيارق والأعلام وقضيت الأحكام بأمر الواحد الملك العلام خالق الانام مبين النهار من الظلام وخالق حام ومنشىء سام (قال الراوى) ياسادة يا كرام ونصروا فى هذا اليوم أهل الإيمان وولوا أهل الصلبان ولولا الليل حجز بين الفريقين لولوا الادبار وركنوا إلى الفرار ورأوا من قتال المسلمين مالم يروه من غيرهم لأن المسلمين نصحوا فى القتال بين يدى الملك عبد الله وكذلك ولده عبد الرحمن والأمير أبو محمد البطال وجميع الغلمان (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى مجيئهم الأمير أبو محمد البطال لأنه قال أيها الملك قد أديت مايجب عليك من فرائض الإسلام وارضيت الملك العلام وقد وجب عليك الجهاد فى طاعة رب العباد ليكون لك عند الله المنزلة العظيمة وتلحق بصاحب الشريعة والمنزلة الرفيعة فقال الملك يا أبو محمد

تقول لى أعز والله لاغزون حتى أفتح القلاع كلها وأسلمها إلى المسلمين إن شاء الله تعالى رب العالمين فقال أبو محمد لله درك فما أصدق لسانك وأقوى جنانك وهذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب وبعد فقد بلغنا أن صلبونا مات وقد بقى الحصن والقلعة مع ابنته زنانير وهل هى إلا ضلع أعوج وعقل أهوج وأيضا فان الأمير عبد الوهاب عن قليل يصل الينا فى سائر بنى كلاب وتعاين ياملك الأميرة ذات الهمة وشجاعتها فقال الملك عبد الله هذا الذى أؤمله من الله قبل الموت (قال الراوى) ياسادة يا كرام وساروا بعدماتجهزوا وطلبوا الملكة زنانير وقتالها والجهاد فى طاعة رب العباد ولم يزالوا فى اجتهاد حتى وصلوا كما ذكرنا ونزلوا من المركب وضربوا الخيام على روض أريض ومرعا كثير ونصبوا المضارب والتوتيات والقباب وضربوا اسرداق الملك عبد الله مقابل الميدان الأخضر ونزل الملك وأبو محمد البطال الى جانبه ثم قال لغلمانه والله إن أكبر همى وغمى على لؤلؤ المسكين الذى ارتد عن دين الإسلام وكفر بالملك الغلام لأجل تلك النصرانية الكافرة وغرة الشيطان حتى أمن عذاب الآخرة وغره الهوى وهو أعرف الناس بى وبحيلى والا كنت عملت على أخذ الحصن فى هذه الأيام وأملكه للملك بلا ضراب ولا طعان وسوف أعمل ذلك بعون الله تعالى فانه المحسن والمعين (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا ماجرى لهؤلاء (وأما ماكان) من حديث الملكة زنانير فانها اجتمعت بالملك روميالص وقالت أيها الملك رأيت مالقيناه من هذا العدو ولولا الظلام أقبل علينا والا كان قد انهزم عسكرنا فلا بارك المسيح فى أعمارهم ولقد انذهلوا أصحابنا وما أفلحوا ولكن أنا فى غد أتولى ترتيب العسكر بنفسى فقال لها ابن عمها اليونان جعلت فداك أيتها الملكة وما أمكنكى من الخروج اليهم وحق المسيح حتى أبقى طريح وفى غد أبرز الى الميدان وألتقط شجعانهم كما يلتقط الطير الحب وأبيدهم بالطعن والضرب فشكرته زنانير على ذلك وعادت الى حصنها وأنفذت الى لؤلؤ وعرفته بالحال وقالت يالؤلؤ ما أعرف القبض على أبو محمد الا منك فقال سمعا وطاعة ولكن أنا فى الوثاق وضيق الخناق وأليم العذاب وكيف لى بالخلاص حتى أدبر على أخذه ولو أنه فى أى صورة كانت فلما سمعت ذلك الملكة زنانير آمرت باطلاقه فخرج وقد لبس ملبوس الروم وغير حيلته كما يعمل الأمير أبو محمد البطال وقام على رأس الملكة يحجبها وعليه كازغند أطلس بأزرار لؤلؤ من الكبار وعلى جبينه عصابة من الجوهر تأخذ بالبصر وعلى رأسه إكليل من الذهب الأحمر مفصل ذلك بالدر والجوهر ووجهه كأنه القمر لكنه من العشق قد تغير فلما نظرت الملكة زنانير اليه قبلت ما بين عينيه وفرحت به كونه فى خدمتها وقد

جعل نفسه من بعض حجابها وحاشيتها وصار من جملة خواص مملكتها والهوى يذل الشجاع لاسيما وقد هوى مثل الدرة اليتيمة والنعمة المقيمة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما كان من الغد وأصبح الصباح فتحت أبواب القلعة وخرجت الملكة زنانير فى البطارقة والعمالقة والرهبان ووجوه عبدة الصلبان وارتجت لهم الارض فى طولها والعرض وارتفع الصياح وجردوا الصفاح وجرت الدما مثل أنهار الغدران وعادت خضرة الأرض كالارجوان وفتكت الملكة زنانير بالصغير والكبير وطحنت الناس وأسقتهم من المنية كاس وكذلك الملك عبدالله قاتل قتال عظيم ماسمع بمثله لامن العرب ولامن العجم وكذلك الجارية نهار قاتلت وأنكت فى الكفار وعبد الرحمن أنزل بالكفرة الهوان ولم يزل القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى مضى النهار بنوره وأقبل الليــــل بديجوره وانفصلت العساكر بعضها من بعض وقد تضعضع فى ذاك النهار عسكر عبد الله لانهم كالشامة البيضاء فى الثور الاسود أو الحصاة فى الأرض الفلاة ولو لم يتصرم النهار لكانوا قد ولوا الأدبار ولم يأخذهم قرار

﴿ تم الجزء الخامس والعشرون ويليه الجزء السادس والعشرون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السير أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ورجع الملك عبد الله إلى سرادقه وعظم عليه أمر ذلك العسكر الجرار وقل من أصحابه الاصطبار وما كان له إلا أنه أرسل إلى قلعته يستنجدهم ويحثهم على الجهاد فى طاعة رب العباد ولا يتخلف منهم أحد ويحاموا عن شريعة النبي محمد وأرسل إلى أخ له يقال مرياقونس يستنجد به على عدوه ويقص ماقد جرى عليه ويطمعه فى ملك الملكة زنانير وطلب أبو محمد حتى يستشيره فى أمر القتال فلم يجد له خبر ولم يقع له على أثر فقلق لذلك وتحير وأمر البطارقة أن يطوفوا عليه بين القتلى فطافوا بالمشاعل فلم يجدوه وكذلك غلامه جوهر أيضاً فقدوه فخاف عليهما لجهلهما ببلاد العدو ثم قال فى نفسه لعله مضى يعمل مكيدة (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى غيبة الأمير أبو محمد البطال انه نظر إلى باب القلعة فلما فتح فى صبيحة ذلك اليوم وكان هو وغلامه جوهر واقفان كأنهما بطريقان وعلى الحرب معولان وقد أرخيا شعورهما وقد شد كل واحد منهما فى وسطه زنار واشتهر بكلام الكفار واختلطوا بزيهما فى جملة الناس كأنهم يريدون خدمة الملكة زنانير واستتروا بالبطارقة وامتزجوا بهم بين الروم المنقطعين فى القلعة الذين قعد بهم الزمان ولم يزل يحتفظ من الناس ويتجسس الأخبار من المشايخ ويتحدث مع كل أحد حتى خرجا إلى حديث الملكة زنانير ولؤلؤ فحدثه رجل كيف قد عشقته زنانير وما قد فعلت معه من الجميل وكونه على دينه وهى لاتنكر عليه وكيف قد جعلته على رأسها حاجبا لها وهو الحاجب الخاص دون غيره ولا تقضى الحوائج للروم الا على يديه فقال أبو محمد البطال لذلك البطريق وأين سكن هذا الرجل فقال قد أعطته الملكة

دار الذهب المشرفة على البحر وهو مجاورها بحيث تراه ويراها ليلا ونهارا فقال أبو محمد لغلامه جوهر يابنى الحمد لله والشكر له الذى عرفنا منه الحديث لنبلغ بلؤلؤ مانريد لأنه على دين الإسلام كما يقولون هؤلاء الروم ثم ان أبو محمد جعل يسامر هؤلاء الروم ويحدثهم طول النهار أجمع فلما جن الليل دخلت الملكة زنانير صاروا بعسكرها الى القلعة فاختلط بهم الأمير أبو محمد البطال وغلامه جوهر ولما فى الحصن ودخلوا الى دار الذهب وأكمنوا بالقرب منها ولم يزل الى أن نامت العيون وأخذ الناس السكوت عندها وثب أبو محمد الى تلك الدار الذى فيها لؤلؤ ولم يزل يعالج الباب هو وجوهر حتى فتحاه ودخلا وردا الباب كما كان ودخلا قليلا قليلا وإذا بلؤلؤ جالس على سرير من الصندل مصفح بصفائح الذهب الأحمر وعليه تلك الغفارة الاطلس وبين يديه شمعة كافورية وهو وحده وقد صلى وجلس للدعاء وهو يقول اللهم يامن هو الأول الذى ليس قبله شىء والآخر الذى ليس بعده شىء والواحد الذى ليس كمثله شىء والباطن الذى لاظاهر له والملك الذى لا يزول ولا وزير له والسلطان الذى لاشريك له يعلم ما كان قبل أن يكون صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وانصر عصابة الإسلام وثبت عزم الأمير أبو محمد البطال وافتح على يديه وتمم له ماقد أنعت عليه وخلصنى أنا من عشق هذه الجارية إما باسلامها وإما بموتها أو بموتى حتى لا ألقاك وأنت على غضبان وهو فى الدعاء وأبو محمد يسمع دعاه فشكر الله تعالى وأثنى عليه ثم هجم على لؤلؤ وقال سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال لهم لؤلؤ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فمن أنتم ياهؤلاء وأنا ما سمعت اسم الله من أحد هنا إلا منكم فقال أبو محمد أنا ذلك المشار اليه عبد الله أبو محمد البطال مولاك وهذا صديقك جوهر أخاك وقد جئنا لنسرع فى هلاكك فان ماللمرتد الا القتل ولكن يالؤلؤ إن بعض الظن إثم والمحب مولع بسوء الظن فنستغفر الله تعالى مما ظننت فيك فعندها وثب لؤلؤ اليه وجعل يقبل يديه وأجلسه وحلف عليه وكذلك جوهر وحدثه أبو محمد بجميع ما جرى وما فتح الله تعالى على يديه باسلام الملك شعشعونا ونحو عشرين ألف من أصحابه فقال لؤلؤ يامولاى هذه نوبة ما تمت قط للامير عبد الوهاب ولا فرح بمثلها فقال أبو محمد وقد جاء يغزو فى أعداء الله تعالى وقد صدقوا الملاعين اليوم فى القتال وأنا قد جئت أعمل الحيلة حتى أسلم هذه القلعة للسلمين إن شاء الله تعالى وتشملنا عنايتك يالؤلؤ لأنك اليوم الحاجب الخاص والآمر الناهى واياك ان أنت أبطلت علينا ما نعمل وغدا تحشر فى المحشر فقال لؤلؤ يامولاى معاذ الله ان أبطل عليك ما تعمل وكيف لى بذلك وتفتح هذه الأربعين قلعة على يديك

إن شاء الله تعالى ولكن الهوى غلب التقوى فبحياة من عصمنى فقد كان من أمرى كيت وكيت ولا خنت الله ولا عصيت مع ماعملت معى الخمرة وغلب على عقلى السكر ووقعت الملكة زنانير على صدرى وقالت لى خذ الآن فى أمرى وما فعلت ذلك خوفا من نار مالك وهمت بقتلى ولكن الله تعالى كف يدها عنى ومنها سلمنى وعلى الإسلام ثبتنى ثم بكى وأنشأ يقول

لا ومن جل تعالى عن شبيه ومثال ... ماعصيت الله عمرى لا ولاخفت الموالى
وزنانير لها فعل كأولاد الحلال ... خدعتنى بجمال وكمال ودلال
قد عاذها الرحمن من .عين الكمال ... بلحاظ كالمنايا قاتلات للرجال
ولها وجه كنور الشمس من غير زوال ... وجبين كضياء البدر فى جنح الليالى
وأنا لؤلؤ قد أصبحت فى أسر الدلال ... لا أبالى بعد ماجئت لنفسى ماجرى لى

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فتعجب أبو محمد من حدة خاطره وكيف نزه نفسه وفرح غاية الفرح وقال يا لؤلؤ ماتصنع فقال يامولاى أفعل ماتشتهى فأنا لك من الاخوان على طول الزمان وقد جعلتنى الملكة حاجبها وعلى أن أسلم الحصن اليكم ولكن أخاف من الروم أن يفطنون بنا فلا تظفرون بطائل وأريد منك عهدا ياسيدى ان نحن أخذنا الملكة زنانير تكون لى ولا يزاحمنى فيها أحد فحلف له الأمير بالايمان الثقال على ما أشار عليه واليه وأخذ يده على انه لا يملكها لاحد غيره ولو طلبها عبد الوهاب سيد بنى كلاب وأنت تعلم قولى وصدق مقالى فقال له صدقت يامولاى ما أشك فى إيمانك ثم قال له لؤلؤ عندك خبر من الأمراء فقال أبو محمد لا بل اننى أنفذت اليهم أخوك سبك منكر ومعه كتاب أستحثهم فيه على الوصول الينا وقلت لهم يكون دخولكم فى زى التجار ان كانوا قد خلصوا من قتال الملعون منويل وكاننا بهم الينا واصلين ونملك هذه القلاع الأربعين (ياسادة) ففرح لؤلؤ بذلك وقال يامولاى وعقبة ما فعل الله به فقال أبو محمد والله لقد ذكرتنى يالؤلؤ مالى به عهد من أيام كثيرة ولكننى تركته فى مطمورة مظلمة مقتمة وقد قطع الملك شعشعونا أذناه وبقى كأنه كلب برى وبعد ذلك فأنا خائف منه ومن غدره (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن لؤلؤ أخفا الأمير أبو محمد وغلامه جوهر فى مكان لايأوى اليـــه أحد ولا تقطع العين عليه واحترز غاية الإحتراز فهذا جرى منهم (وأما ما كان) من عقبة لعنه الله فانه طال عليه الحبس وأيس من الحياة وتمنى الموت وسأل الرجال الموكلين به عن أحوال أبو محمد البطال فقالوا له قد مضوا يغزوا عباد المسيح الملكة زنانير لأن أبوها صلبوتا مات وقد سمعت أنهم قد وردوا على أعدائهم فكاد عقبة أن ينفطر من

الغيظ وقال ما المسيح إلا مسلم وإلا ما كان يتم لنا هذه الفعال ثم أنه قال لنفسه ياعقبة اين الحيل والخداع الذى تدخرها لهذا الوقت فافعل شيئاً تذكر به على الأبد ما قام قائم وقعد ثم أقبل على البطارقة فقرأ الإنجيل بصوت كانه السمر ونغمة تسقط الطيور من حسن لحنه وحلاوة نغمته وجعل يفسره بالرومى ويحدثهم بأحاديث الملوك وما يتم لهم مع المسلمين ووصف المسيح وأن اعتقاده عو الصحيح ووصف معجزته وكيف أحيا الموتى وأبرأ الأعمى وخلق من الطين كهيئة الطير وما أعد لعباده من الخيرات والنعيم المقيم والمنازل الرفيعة الدرجات والكرامة والسعادة وما أعد للسلمين من العقاب والعذاب وقال لهم ياويلكم لقد غضب المسيح عليكم بعد عبادة أربعين سنة أو خمسين سنة ثم تعبدون سواه وتختارون عقوبته وبلاه كانكم بالمصيبة قد نزلت والزلازل قد أخذتكم ثم أسبل دمعه وأحنا على الحيل ضلوعه فلم يبق أحد من البطارقة إلا وبكا من قول عقبة وانطرحوا على أقدامه يقبلونها وقالوا الأمان الأمان من عذاب النيران يا أبونا هل يقبلنا المسيح إذا عدنا إليه فال نعم إن سألته أنا فيكم فهو يرضى عنكم فقالوا لة يا أبونا فما الذى تريد تعمل ولو متنا بين يديك فقال لهم عقبة أريد منكم أن تكفرون بالذى عبدتموه فى هذه الأيام القلائل وتتوقون منه فقالوا سمعا وطاعة ففكوا قيودهم وأخرجوه من السجن وأخذوه إلى عندهم وأن الملعون أرى أنه لايلم بموضع يكون فيه لؤلؤ وأبو محمد البطال فانه لاقدرة له عليهم وقد ثبت عنده بغضة الملكة زنانير له فقال لهم ياقوم هذه القلاع ما فيها ملك من الملوك اهيب من هؤلاء واقوى منهم عسكر واكثر منهم مالا ورجالا فقالوا بلى أيها الشيخ النجيح ماكان فى جميع القلاع أعظم من الملك صلبوتا وبعده ملك آخر وهو فى قلعة الثلاثين يقال له شرمولص وهو ملك من الملوك الكبار وهو ابن الفرغولص وهو أكبر سطوه وأعظم عده وما أطاع قط أحد ولا كاتب الملك صلبوتا أبدا وكان فى قلبه النار منه ويشتهى مكانه ويحدث نفسه بذلك ويريد القصد اليه والورود عليه وجميع الطوائف تفزعه وهو يعبد المسيح والدين الصحيح وله بترك يقال له مكربونا يزعم أنه رسولا من المسيح اليه بالضريح وهو لا يضحك أبدا ومنذ دخل إلى تلك الديار ماغسل له وجها إلا بالبصاق ولا يغتسل بالماء من الغائط بل يدعه حتى يبقى فى شعره مثل ودعه الغنم ويهديه إلى جميع الأقاليم فينفذوا له أضعافه ذهبا وفضة ومسكا وكافور أو يقول لهم أنه يبرىء الجزام ويزيل الآلام والأوجاع والأسقام وهو شيخ كبير أيها الهدية الكريمة (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عقبة كلامهم فرح

وكشر على أنيابه كأنها الكلاليب وقال لهم اعزموا بنا الليلة بارك فيكم المسيح وفى أعماركم فسوف آخذ لكم الجارية العظيمة والنعمة الجسيمة فقالوا له ابشر بالفرج ثم عمدوا واليه رحلوا وحلوا وثاقه وفكوا خناقه وقد عمل فيهم سحره ومكره وأخذوه وخرجوا فى الظلام من باب الحصن والقلعة وهو كأنه من بعض البطارقة الذين قد كانوا منهم إلى أن صاروا فى ظاهر البلد ومعهم السلاح وكأنهم قاصدين إلى الملك شعشعونا وكان قد خرج معهم جماعة قاصدين النجد للملك وهم فى أكمل عدة (قال الراوى) ولما أبعدوا عن القلعة انقطعوا عن الناس وهم عشرة وخرجوا به على طريق يعرفونه فى الجبل وقصدوا إلى قلعة الملك الشرمولص وساروا ليلتهم إلى الصباح وأشرفوا على أرض كأنها الزعفران كثيرة الزهر والاقحوان والمياه والغدران كأنها من بعض رياض الجنان ولاحت لهم قلعة كأنها العروس على رأسها دولاب من الصندل ولوالب من البولاد إذا طلعت الشمس يدور فيأخذ بالأبصار وكان يدور مع هبوب الرياح فى الغروب والاصطباح وفيه عالم لايحصيه إلا الله تعالى ولا يفهم كلامهم إلا بالمشقة لأنهم أروام مغلق وهم خلق كبار الحدق ومأكلهم السمك ويقال اسمكهم العلق وللملكهم بدنة من الجوهر وتاج من الذهب الاحمر وله جواد أدهم اسمه بالرومى لوبيار وهو المحتوم ماطلب خصمه إلا وأراده وهو لوسابق البرق سبق أو طلب الريح لحق وله مائة سايس لخدمته وقد قتلى منهم نحو الخمسة والثلاثين سايس والملك لايقاتل الا بالمزاريق يشق بها الشعر ويلتقط بها الدر وهو جبار عنيد وشيطان مريد كأنه زبرا الحديد وجميع القلاع التى حوله تطيعه وتحمل اليه الهدايا وهو لايكاتب أحد ولا يطيع لا ابيض ولا لاسود فلما وصل عقبه إلى القلعة قال لاصحابه اذهبوا أنتم وبشروا الملك بقدومى وعرفوه بنزولى وقولوا له هدية عيسى الى الملك الشرمولص فقالوا سمعا وطاعة وساروا حتى أشرفوا على باب القلعه فنزلت اليهم البطارقة وهم عراه وفى أوساطهم وزرات الشعر وعلى أبدانهم شعر كشعر المعز وأبدانهم سمر لكثرة لذع الشمس وكلامهم لايفهم فقالوا لاصحاب عقبة لما رأوهم من أين أنتم ومن أين أقبلتم فقالوا نحن رسل هدية عيسى الى الملك الكريم الشرمولص فقالوا لهم البطارقة ياموالى قفوا هنا حتى نشاور الملك والبترك العظيم مكربون فى أمركم (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأقاموا العشرة يرتعدون من الفزع من شدة خوفهم من سماع ذكر الملك ثم دخلت البطارقة على الملك وعرفوه بخبرهم من بعدما صلبوا على وجوههم وقبلوا الأرض بين يديه فلما سمع الملك ذلك منهم وبخبر هدية عيسى قال على بهم فأحضروا العشرة إلى شر بين يديه فقال لهم من أين أقبلتم فقالوا نحن من قلعة

شعشعونا الذى ارتد عن ملة عيسى وكنا نحن قد وكلنا الملك على شيخ من مشايخ النصرانية يقال له هدية عيسى ثم شرحوا له الأمر الذى كان وعرفوه بصورة الحال ولم يخفوا من أمرهم شيئا (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامهم غضب من قولهم غضبا شديدا وقال كيف أمهلكم المسيح لا ينزلن على شعشعونا من البلاء ما يعجز عنه صبره ويذم عاقبته وأما أنتم فما لكم عندى جزاء إلا الصلب حتى أطهركم ويقبلكم المسيح اذا غدرتم ثم انه فى الحال أمر بالعشرة فصلبوا وحلف أن لا يدفنهم حتى يبلون ويقعون فى مواضعهم وكان ذلك بمشورة البترك مكربونا وعجل الله بأرواحهم الى النـــار وبئس القرار وان الملك أمر أن يخرجوا إلى لقاء القاضى عقبة البترك الكبير ومعه وجوه البطارقة وخواص المملكة ثم قال لهم الملك وحق المسيح لقد سمعت بهذه الهديه على زمان الملك صلبوتا وكنت أؤمل من المسيح أن يجمع بينى وبينه (قال الراوى) ياسادة يا كرام نخرج البترك فى تجمل عظيم ومعه مركوب خاص حتى يركبه وهذه منزلة عند الملك ما سمع بمثلها قط أحد ثم ساروا إلى أن أشرفوا على عقبة وهو قائم يتلو الانجيل وقد لطخ وجهه بدهن ودواء كان معه لا يفارقه يبرق براقا عظيما حتى كان اذا نظر أحد إلى وجهه فى الليل فيحسبه قنديل يشرق من عظم لمعانه (قال الراوى) فلما رآه البترك ترجل ونزل اليه ووقف بين يديه فجعل عقبة يتلو الانجيل بذلك الصوت الحنين وهو يبكى تارة ويغشى عليه تارة أخرى ويعمل أشغال لا يعرفونها هؤلاء من التضرع والتذلل والخشوع وفيضان الدموع ساعة بعد ساعة والبترك يتعجب منه وكذلك خواص الملك حاروا من أمره (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما فرغ عقبة من كلامه وصلاته قالوا ما رأينا قط مثل هذا الشيخ ولا أطيب من صوته فعند ذلك خدموه وأكرموه وعلى المركوب أركبوه وقدموا به الى الملك وساروا والبترك إلى جانبه وهو فى موكب عظيم والحجاب والبطارقة بين يديه وهم يخدموه ويعظموه هذا وقد خرج الملك إلى لقائه فى خواص مملكته ووزرائه عالم عظيم الذى ساروا للقائه وخلق كثير لا يحصيهم إلا الذى خلقهم جل وعلا وهم كأنهم الخنازير من سواد أجسامهم وما عليها من الشعر وما منهم إلى من فى يده مزراق لأنه سلاحهم وما يعرفون غير المزاريق وهم يلتقطون بها الابر كما ذكرنا ولا يخطئ راميهم ولا يفزع جبانهم ولا تقاوم شجعانهم هذا وعقبة يتلو الانجيل وقد أصغت اليه الروم بالاسماع والملك متعجب من صوته وصورته ولمعان وجهه فأشار الملك بأن يقرب اليه عند ذلك تقدم اليه عقبة وقال له انا هدية عيسى اليك وهو يقول لك أبشر بفتح البلاد على يديك والنعمة الواصلة اليك والهيبة القوية وملك القسطنطونية وفتح البلاد الإسلامية جميعها ثم تلا

عليه الانجيل وعوذه بعوذة حزقيل ورجع الملك وعقبة عن يمينه والبترك عن شماله فقال عقبة فى نفسه أين عين أبو محمد البطال حتى يرانى وأنا فى هذا الموكب فلقد كانت تنفطر مرارته وتدوم حسرته ولعل يكون المسيح قد رضى عنى ورفع قدرى وأحسن خلاصى من الملك شعشعونا (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما دخل عقبة إلى القلعة وجد عشرة مصلوبين على عشرة خشبات فسأل عنهم فقالوا هؤلاء العشرة الذين جاؤا معك وقد غضب عليهم الملك وصلبهم حيث أنهم أسلموا وتبعوا المسلمين فلما علم عقبة ذلك قال المسيح يطول عمر الملك فما أبصره وبالأمور ما أخبره ولقد وضعت أيها الملك الشيء فى موضعه لأنهم ما حفظوا دينهم فكان هذا عاقبة أمرهم وكذلك يفعل الملك والمسيح بالملك شعشعونا ثم حدث الملك بحديثه وكيف أسلم وحديث أبو محمد البطال ومكره وكيف يسرق بنات الملوك وأنه قد صار فى أرضكم ولم يزل يحدثه حتى وصل إلى باب القصر فترجلت الأمراء والحجاب إلا البترك والشيخ عقبة فانهم دخلوا مع الملك إلى داخل القلعة فلما ترجل الملك ترجلوا وجلسوا وجلس الملك على سريره وأمر لعقبة بسرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج فأخذ الملك يسأل عقبة عن بلاد الاسلام وأحوالهم وبلاد الروم وعن ملوكهم وهو يخبره (ياسادة) وحديث أبو محمد البطال فتعجب الملك من ذلك ثم سأله عن هذه القصة التى جرت على الملك شعشعونا وما كان سببها فعرفه ذلك جميعه وقال أيها الملك انها من تحت رأس رجل يقال له أبو محمد البطال الذى يسرق بنات الملوك ويعمل الحيل على القلاع حتى يفتحها ويصير المالك ملوكا فلما سمع الملك ذلك صلب على وجهه وتعوذ بالمسيح من شره وقال إن وقع هذا المسلم بيدى لأجعلنه أحدوثة إلى الأبد ولا ولأسلخن جلده وأحشيه تبنا وأعمل على قتله ولية يتحدث بها ولاملكن هذه القلاع كلها إذا أخذت قلعة الملك صلبوتا ولارضين المسيح بقتل تلك المفتنة زنانير ولاصلبن الملك شعشعونا على دولابى هذا فقال له عقبة بلغك مناك ونصرك على أعداك فما جئتك إلا بشارة من السيد المسيح بأن يسهل لك الفتح والتوفيق ويبلغك المراد وتشتفى من الأعادى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعه الملك يشكره خلع عليه خلعة سنية عظيمة من خزائنه وأمر بالطعام أن يحضر فأحضر بين يدى الملك من جميع الألوان بشيء ماذاقه عقبة فى عمره قط وأكثرها من لحم دواب البحر وقال الملك لعقبة دونك والطعام فأكل عقبة منها وهو كاره لها ولكن لم يمكنه أن يمتنع من الأكل لأنه فزع من الملك لما صلب العشرة على غير شيء فلما أن أكلوا واكتفوا أحضروا الخمر وشربوا هذا والبترك لم يأكل معهم ولم يشرب تكبرا فصعب ذلك على عقبة وعلم بحاله وقال وحق المسيح

لأعملن على ضرب رقبته هذا القرنان الكشحان وأريحن النصرانية من خراه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن الملك أقبل على القاضى عقبة وقال له ما الذى تأمر به أن أصنع أيها الهدية النفيسة فقال له عقبة أيها الملك الرأى عندى أن تتوجه إلى لقاء العدو وتبلغ منه كلما تريدو تكون مع الملكه زنانير عونا لها على المسلمين وعلى هذا الطاغى الباغى شعشعون وإذا فرغنا أيها الملك منه ومن أصحابه كانت زنانير بين يديك (ياسادة) فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبة قال له وقد غضب من قوله وكأنى ياهدية عيسى أحتاج إلى معونة أحد وحق المسيح لأجعلن الدنيا منهم خالية وأطلالهم خاوية (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح خرج الملك وقد ركب على ذلك الجواد الأدهم ولم يقدر أحد على إسراجه ولجامه إلا بالكثرة وخرج البترك بين أيديهم ومعه القساقسة والرهبان وهدية المسيح يتلو الانجيل بصوت يشفى العليل وقد سارت العساكر من كل صوب وهم يطلبون ديار الملكة زنانير وقد توجهوا على الطريق (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا جرى من أمر عقبة والملك الشرمولص (وأما ماكان) من حديث الأمير عبد الوهاب وديار الاسلام وقتال الروم ورجوعهم إلى ملطية وانقطر خبر الأمير أبو محمد البطال عنهم فجعلوا الأمراء يتأسفوا عليه ولم يدروا ماذا تم عليه والأمير عبد الوهاب يقول ياليت شعرى أسالم هو أم عاطب أم مأسور أم مقبور وبينما هو جالس فى بعض الأيام فى داره وإذا قد دخل عليه غلام عقبة ومعه الكتاب الذى زوره على لسان أبو محمد البطال وفيه ماقدوضعنا من الحيل والمكر والمقال وكان وصوله قبل وصول كتاب الأمير أبو محمد البطال فلما قرأه الأمير عبد الوهاب طار عقله فرحا وكتم ذلك عن الأمير عمرو بن عبيد الله ثم أعلم أمه وخواصه وقال للأميرة ياأماه هذه والله من المذهبات التى لأبو محمد وأن ملكنا هذه القلاع فلنسعدن بها ويشيع ذكرنا وتترحم علينا الناس إلى يوم القيامة فقالت له الأميرة فما الذى عندك يابنى وما الذى تريد أن تصنع لها ياأماه نعم الأمير ظالم وسيف الحنيفية وأبو الهزاهز وجميع سادات بنى كلاب خوفا من اذاعة السر وان يأخذوا أهبتهم ونعبى تجارة تصلح لتلك البلاد كما قدأمر الأمير أبو محمد البطال فقالوا الجماعة لما علموا بالحال فمتى يكون ياأمير الارتحال فقال من صبيحة هذا اليوم إلى عشرة أيام إن شاء الله تعالى يكون الرحيل (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من حديث سبك غلام أبو محمد البطال فانه سار فى البحر إلى أن وصل إلى دير النذور وصعد اليه فى جملة من صعد إلى الزيارة وهو متنكر خوفا من الراهب تمليخا لئلا يعرفه فيقتله ثم اكمن إلى الليل فى الدير إلى أن وجد غفلة من الرهبان فانسرق منهم وغاب عنهم كانه ما كان

ثم أنه سار يقطع الارض فى طولها والعرض ويطوى الاودية والجبال ليلا ونهار وعشيا وأبكار ولم يزال إلى أن وصل إلى ملطية بعد المشقة العظيمة ثم دخل إلى منزل أبو محمد البطال وهنى الملكة نورى بالسلامة لأبو محمد البطال ففرحت وشكرت الله سبحانه وتعالى على ذلك ثم قصد إلى دار الأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب فاستأذن عليه فأذن له بالدخول فدخل سبك وسلم على الأمير وجلس بين يديه وجعل الأمير عبد الوهاب يقبله بين عينيه ويهنيه بالسلامة وكذلك الأميرة ذات الهمة الصالحة الزاهدة العابدة وتباشروا الأمراء بقدوم سبك غلام أبو محمد البطال وجاؤا اليه من كل فج عميق وجعلوا يهنوه بالسلامة وقال الأمير عبد الوهاب كيف أتيت ياسبك وما معك من أخبار الأمير أبو محمد البطال وما لنا لانراه معك ونحن كنا فى غداة غد معولين على القدوم عليكم والوصول اليكم الى بحيرة الفلك فى زى التجار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع سبك ذلك اقشعر جسمه وشخص ببصره اليهم وقال لهم لايعلم الغيب إلا الله فمن الذى أعلمكم بأننا فى بحيرة الفلك أجنى أم أنسى أم من بعض الملائكة فوالله العظيم ما أظن أن يسلم من تلك الطريق أحد ومن ذاك البحر المزبد فقال له الأمير عبد الوهاب فهذا كتابكم الينا وهو بخط الأمير أبو محمد البطال بيده عند ذلك أخذ سبك الكتاب وتميزه وإذا به مثل خط أبو محمد البطال فتغير وجه سبك وقال والله يامولاى ما هذا الكتاب الا من عقبة وما فعلها سواه فما أمكره وما ألعنه ولقد كان يعمل على إتلافكم وما عندكم علم فقال له الأمير وأين هو عقبة ياسبك فقال يامولاى فى بحيرة الفلك وقد أسره أبو محمد البطال وهو فى مطمورة وقد أسلم على يد مولاى خلق كثير وهذا الكتاب قد أنفذه اليكم عقبة وهو محال وهذا الكتاب الذى معى هو الصحيح ثم أخرج كتاب أبو محمد وقال هذا الكتاب الذى للبطال ذلك الشعر والنظام والكلام والتشوق فقرأ الأمير عبد الوهاب على الجماعة الحضور وقد تحير من هذه القصة وعجب منها ثم بكى من الفرح بسلامة الأمير أبو محمد البطال وقال لايضيع الله له هذه المكرمة وجمع بيننا وبينه على أحسن حال وأنعم بال أنه جواد متعال ثم قرأ الكتاب الذى لأبو محمد وما أوصاهم به يفعلوه فلما سمعوه قالوا هذا هو الصحيح الذى يليق بالعقل ونحمد الله سبحانه وتعالى الذى جاءنا هذا الكتاب ونحن على أهبة فقالوا ومتى نسير أيها الأمير فقال لهم فى غد إن شاء الله تعالى وباتوا ينتظرون الصباح وقد كتموا ذلك عن الأمير عمرو ابن عبيد الله وعن بنى سليم (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان الأمير عبد الوهاب أمر الأمير سيف الحنيفية بالتخلف فى جماعة من بنى كلاب وان الأمير سار بالعسكر خفية عن الروم

وجعلوا يقطعون الأرض فى طولها والعرض الى ان وصلوا إلى دولاب الاديرة والنهر القاطع ودير النذور والبحر (قال الراوى) ياسادة ياكرام وبالاتفاق كان فى وقت وصول العساكر الإسلامية وصل مركب كبير من أقصى بلاد الروم وفيه خلق كثير ومعهم الأموال والبضائع ومن التجارة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولم يكن موجود مراكب فى هذا المكان خلاف هذا المركب الذى أتى من غامض علم الله مكون الأكوان وقصدهم بهذه التجارة التوجه الى الملك منويل وفى تلك الأيام كان وصول الأمير عبد الوهاب وعسكره على سن البحر يطلب دير النذور وكان الراهب تمليخا قد نزل الى أهل المركب وسلم عليهم وترحب بهم وأكرمهم وأعطوه من الشموع والهدايا ومن النذور التى معهم وغيره وهم بالرجوع وإذا قد أدركهم الأمير عبد الوهاب والسادة الأنجاب وهم فى زى التجار ومعهم أحمال القطن والكتان وجميع مايحتاج اليه فى تلك البلاد فقال الراهب تمليخا لما رآهم هذه فائدة أخرى بهؤلاء التجار ثم مكث ليسلم عليهم وكان الأمير قد أنفذ سبك يكشف له الخبر فلما علم حالهم رجع إلى الأمير ووجهه يتهلل بالفرح ثم قال للأمير عبد الوهاب ابشر يامولاى بملك لايفنى وقتل الراهب تمليخا وأخذ مركب يسع ملئة ألف بطل وفيه مال لاتأكله النيران وهو من أعمال الصين وأقصى بلاد السند ثم أخبرهم بالقصة وقال لهم لاتتكلمون حتى تملكون الراهب تمليخا وتملكون المركب إن شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن الأمير لما سمع ذلك فرق أصحابه ومعهم العدد وأوصاهم أن لايتكلمون حتى يحصل منهم أربعة أو خمسة فى المركب فجعلوا يدنوا من الروم قليل قليل وجعلوا يسلموا على أهل المركب والروم على وجه الأرض وأكثرهم فى الساحل وهم تعابا من السهر وكان معهم مائة بطريق لأجل غفرهم فعند ذلك توائبوا اليهم السودان إلى وسط المركب وأول من صار فيه أبو الهزاهز وميمون الجماس وقراقدو الأميرة ذات الهمة ثم انهم أشهروا سيوفهم ونادوا اللهم ارزقنا النصر ياصاحب النصر الله أكبر الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر وحبانا بالظفر وجاءكم الويل ياأعداء الله وأعداء رسوله وطرحوا السيف فيهم فقتلوهم عن بكرة أبيهم ولم ينجو منهم أحد ولما فرغ شغل الأميرة وأصحابها من المركب طلبت الأمير عبد الوهاب فلم تجده وكذلك ضيغم وقشعم وجماعة من بنى كلاب فلم تعرف لهم أثر ولا خبر فاشتغل قلب الأميرة ذات الهمة من أجل غيبتهم (قال الراوى) وكان السبب فى غيبة الأمير والذين معه أن سبك غلام أبو محمد البطال قال للأمير عبد الوهاب يامولاى لايفوتكم الراهب تمليخا فهو مالك الدير وأمره مسلم اليه وفى الدير أموال لاتفنى وفيه من نساء

الروم اللواتى مثل الأقمار من بنات الملوك الكبار الذين وهبن أرواحهن للمسيح والرهبان وأريد يامولاى تعطينى عهد الله وميثاقه بأنك إذا ملكت هذا الدير أن تعطينى حق دلالتى وبشارتى صلبان أخت الملكة زنانير وتكون لى وهى نصيبى من هذه الغنيمة فقال له الأمير عبد الوهاب لك ذلك ياسبك ثم أعطاه عهد الله وميثاقه (قال الراوى) ثم أن الامير عبد الوهاب أدرك الراهب تمليخا وهو هارب يهرول فلحقه الأمير وقبض عليه وجعل حمائل سيفه فى رقبته وقال له إلى أين تذهب ياشيخ السوء ياعدو الله ياملعون بشرت بالويل والثبور وعظائم الأمور وكان مع الراهب مايقارب الأربعمائة من الرهبانية والبطارقة ولقد خرجوا إلى لقاء المركب كما ذكرنا فأمر الأمير أصحابه فتجهزوا الكل وأخذوا أسلابهم فلبسوها ثم أن الأمير عبد الوهاب قال للراهب تمليخا يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية أما تعرفنى فقال لا وحق المسيح فقال له أنا الأمير عبد الوهاب المجاهد الأواب ومعى الأميرة ذات الهمة وقد ملكت المركب وقتلت كل من كان فيه وهذه الجماعة الذين تراهم كلهم مسلمين فأبشر بالويل والتعذير والعذاب الكبير (قال الراوى) فلما سمع الراهب بذكر عبد الوهاب طار قلبه وتعلقت خصيتاه إلى حلقه وانحلت مفاصله وانخطف لونه واصفر وجهه وغارت عيناه فى أم رأسه وقال ومن الذى أوصلكم الينا فقال ياعدو الله أوصلنا من يجبر المنكسر ويرحم الفقير وينصر الإسلام على كل كافر حقير ثم أن الأمير عصر على رأس الراهب بيديه حتى كاد أن يقضى عليه فقال الراهب يامولاى أعطينى الأمان وخفف عنى حتى أقول لك ماتصنع فقال له الأمير وما الذى تفعل إذا أعطيتك الأمان فقال أسلم لكم هذا الدير بكل ما فيه فقال الأمير أخاف من غدرك وشومك فقال الراهب لا وحق المسيح مافى الدير من تخافون منه والذين كانوا فيه فقد قتلتموهم فادخلوا اليه واملكوه وسلموا جميع مافيه وخلونى أنا فى مكانى ولا تتعرضون لى ومهما يصلح لكم فخذوه وما فيه من الجواهر والجوار إلا شيخة كبيرة أو شيخ كبير أو راهب كبير فلا تتعرضون لهم فقال الأمير عبد الوهاب وحق المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنه قد نهانا عن قتل الرهبان فقال سبك يامولاى لاتسمع منه مايقول فكل ذلك مكراً منه وخداع حتى يجعلكم فى الدير وفى الدير نحو مائة مقاتل من كل بطريق هائل ولكن أصبروا إلى أن تجىء الأميرة ذات الهمة ومن معها من الأبطال وندخل كلنا إلى الدير ولا يتم علينا منه حيلة بل نملكه وكلما فيه (قال الراوى) ولم تكن إلا ساعة حتى أتت الأميرة وقد أدركت الأمير عبد الوهاب وهو فى انتظارها فسألها عن حالها فأخبرته بالنصر على الأعداء وأنها أخذت المركب وقتلت كل من فيه فشكر الله تعالى على ذلك

وتفاءل بتمام النصر إن شاء الله تعالى وأن نملك هذا الدير وقد تقاطرت الأمراء والسودان من كل جانب ومكان وقد وكلت الأميرة ذات الهمة بالمركب مائة بطل يقدمهم راشد ومن السودان ميمون الجماس وساروا الباقين مع الأميرة ذات الهمة فلما وصلوا إلى الأمير عبد الوهاب قالوا يا أمير مالذى عزمت عليه فقال سبك ألبسوا الثياب الذى لقيت من متاع هؤلاء القتلى حتى تصيروا كأنكم من البطارقة والرهبان الذين كانوا مع الراهب تمليخا وخذوه بيننا وهو ساكت وان تكلم أورثناه المعاطب وإذا وصلنا إلى الدير يظنون المقيمين أنكم من أصحابهم الذين خرجوا مع الراهب تمليخا فيفتحوا لنا الدير وقد صرتم فيه ونلتم كل خير فقالوا والله ياسبك أنك لصادق فى المقال فلا أوحش الله من مولاك الأمير أبو محمد البطال ثم أن الأميرة ذات الهمة ليست ثياب بعض القتلا وتنكرت وكذلك الأمير ظالم وجماعة الأمراء وأبو الهزاهز كل هذا يجرى (ياسادة ياكرام) والراهب تمليخا ينظر ويتعجب من هذه الأفعال وقد مات فى جلده وهو يمشى بينهم ولسانه اعتقل وعقله ذهل وهو ينقل رجل قدام وعشرة إلى خلف وسبك بين يديه وهو يتكلم بالرومى ويقرأ الإنجيل ويرفع صوته ويعظم الراهب تمليخا ويطوف قدامه فلما رأوهم البطارقة الذين هم فى الدير فقالوا بأجمعهم لاشك أنه قد حصل لهم زاد كثير من الذين أعطوهم أهل المركب الواصلين ثم تبادروا إلى الملكة صلبان وعرفوها بذلك المكان فقامت إلى برج الباب وأشرفت ونظرت إلى الراهب ومن معه فأنكرت ذلك وقالت وحق المسيح اننى قد تحيرت فى أمر هؤلاء البطارقة وأرى الشيخ تمليخا معهم وهو كأنه مأسور مقهور وقد عولت على أننى أكلمه قبل ما يفتح الباب ثم أمرت أن لايفتحوا حتى تكلم الراهب (قال الراوى) ثم أن صلبان قالت ياأبونا ماوراءك وفيما قد أتيت فقال له سبك وحق الاله العظيم والنبى الكريم لئن لم تجبهم بأنك مسرور فرحان وقد أتيت اليهم بالهدية والجائزة السنيه والنذور التى قد وصلت اليك من التجار وإلا ما كنت إلا من الهالكين وأمكن منك هذا الخنجر فاعجل بك إلى النار وبئس القرار ومع ذلك فانى قادر على أخذ الدير بعون الله تعالى فى هذه الليلة (ياسادة) ولما سمع الراهب من سبك ذلك المقال علم أنه يقول ويفعل فقال فى نفسه لأفرج المسيح عن كل من فى الدير بعد أن أسلم أنا بنفسى ثم أنه نادى برفيع صوته بالرومى وقال أبشروا بما قد أنعم المسيح عليكم من كل هدية فاخرة ونذور متكاثرة وزادا وتقوية كثيرة وأخبار الملكة زنانير وأبوها صلبوتا إلى عند الملكة صلبان (قال الراوى) فلما سمعت صلبان بذكر أبوها وأختها فرحت وأمرت البطارقة أن يفتحوا الباب ثم رجعت إلى مكانها ومقام خلوتها لعبادتها

ثم فتحوا باب الدير فأول من دخل من العتبة وصاح كان الأمير ظالم وأبو الهزاهز وضربوا رقبة البواب ثم دخلت الأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب وقد أذعنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وفى ساعة واحدة صار فى الدير مائة من الشجعان وكل واحد منهم يعد بألف من الروم ثم أنهم صاحوا وهللوا وللروم قتلوا ولم تمضى ساعة حتى قتلوا ازهاء عن خمسمائة إنسان بطارقة ورهبان ولم يبقوا عليهم حتى أفنوهم وأخذوا الملكة صلبان قبضا بالكف وكان أول من وصل اليها سبك وقبض عليها فلم تتكلم فقال سبحان الله أين سطوتك وأنت تأمرين بعقوبتى وعقوبة الأمير أبو محمد البطال وكيف رأيتى صنع الله بكى فما ينفعكى المسيح ولا الشيخ النجيج فقالت له ومن أنت ياهذا حتى توبخنى على فعالى فقال لها أنا سبك غلام البطال وكان من الأمر كذا وحدثها بكلما جرى فى بلادهم وأن المسلمين قد ملكوا ديارهم وأطلالهم وأخذوا نساؤهم وأولادهم فكاد فؤادها أن ينفطر عند سماع هذا الكلام ثم طاطت برأسها وهى منكرة وقد أوثقها سبك كتاف ثم جعلها فى خزانة وأغلق عليها الباب وقعد عند العتبة فلما رآه الأمير عبد الوهاب على عتبة الباب ضحك منه وقال ما هذه الفعال ياسبك فقال يامولاى أذكر الإيمان التى عاهدتنى عليها وإننى قد أخذتها وها هى فى هذه الخزانة فقال له الأمير دعنا ياسبك من هذا فما هو وقته وافتح الخزانة وخذ من المال ما أردت ودع هذه الجارية وكان هذا الكلام من الأمير عبد الوهاب ملاعبة لسبك حتى يبصر ايش عنده فقال له سبك يامولاى أنتم فى حل من كل من فى الدير من الأموال والرجال والجوار دونكم وإياهم فقال الأمير وأنت أيضا ياسبك فى حل من كل ما فى الخزانة ولو كان فيها ايش ما كان فقبل سبك يد الأمير (قال الراوى) ثم أن الأمير عبد الوهاب أمر باحضار الراهب تمليخا فلما حضر قال له الأمير عبد الوهاب اسلم حتى تسلم فقال مالى إلى ذلك من سبيل ولو تركتنى قتيل فضربه أبو الهزاهز ضربة طير بها رقبته فقالت له الأميرة ذات الهمة وايش كان لك فى ذلك ونحن قد أمناه فقال لها ياأميرة والله العظيم ما يجيء منه خير وقد استرحنا منه ومن مكره وأذاه ثم أن الأمير عبد الوهاب فرق على الرجال كل واحد منهم جارية للسودان كذلك لأنه كان فيه شيء كثير وباتوا فى أطيب عيش وذوق وأبو الهزاهز يقول نحن بالنهار نضرب بالصفاح وبالليل نطعن بالرماح وهم يضحكون منه ومن كلامه وسبك يعافر فى الجارية صلبان وهى تقوى عليه ولم تمكنه من نفسها فنادى أبو الهزاهز يامولاى أعنى أعانك الله وعافاك (قال الراوى) فعندها دخل عليه أبو الهزاهز وهو يزجر كأنه الأسد الغضبان وقال له ياسبك على ماذا

أعينك قال على هذه التى غلبتنى ومن نفسها ما تمكننى فاوثقها أبو الهزاهز كتاف. وشد يديها إلى رجليها وخلاها كبه واحدة وهى لاتستطيع أن ترد عن نفسها ثم خرج وقال ياسبك دونك وإياها افعل ماتريد وأدع لى قال فقيل سبك يد الأمير أبو الهزاهز فعندها أغلق عليه وعليها باب الخزانة وانقض عليها سبك كأنه الباشق وأزال بكارتها وقد علقت منه فى باقى ليلتها باذن من له العظمة والارادة سبحانه وتعالى له القدرة والعز والبقاء العالم بما كان قبل أن يكون (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على روءس الروابى والبطاح وذكر سيدنا محمد سيد الملاح ألقى الله سبحانه وتعالى محبة سبك غلام البطال فى قلب صلبان أخت الملكة زنانير حتى كادت أن تموت من شدة المحبة والعشق بقدرة خالق الخلق فعندها قالت ياسبك كيف الطريق إلى دينكم فقال لها تقولى أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله انى بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام وإنى رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وان المسيح عيسى ابن مريم روح الله وكلمته القاها إلى مريم وانه مخلوق لاخالق ومرزاق لا رازق وإن الله سبحانه وتعالى واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقالت الجارية. صلبان ماقاله لها سبك من أوله إلى آخره فلما أسلمت وحسن اسلامها فرح سبك بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم انطلق وهو فرحان مسرور إلى أن دخل على الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمه والأمير أبو الهزاهز وهم مجتمعون فدخل عليهم سبك بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم فلما أن نظروا اليه وهو مقبل عليهم من البعد على هذه الحالة فقالوا ياترى ما الذى كان السبب حتى أن سبك قد جاء الينا وهو على هذا الحال ومازالوا محدقين اليه ينظرونه إلى أن دخل عليهم وسلم فردوا عليه السلام بأحسن مقال ثم سأله الأمير عبد الوهاب عن الخبر فقال له يامولاى اعلم أن الجارية صلبان أسلمت وحسن اسلامها فى هذا الوقت قال ففرح الأمير عبد الوهاب بذلك وكذلك الأميره ذات الهمة والحاضرين جميعا وهنوه باسلامها فعند ذلك سمعت الجوار الذين داخل الدير فلما سمعوا باسلام صلبان أسلموا جميعا (قال الراوى) ونقل الأمير عبد الوهاب جميع الأموال التى كانت معهم فى المركب الى الدير وختم عليها وقال لأصحابه. هذه الأموال تكون هاهنا فى وداعة الله تعالى إلى أن نرجع سالمين إن شاء الله تعالى ونقسمها على الرجال ثم أنه ترك ولده ضيغم ومعه خمسين رجلا من بنى كلاب يحفظون له الدير ثم أن سبك قال يامولاى اعلم انى قد تعبت من هذه السفرة ولى أربع شهور وأنا داير فى

جزاير الروم ولكن أنا مقيم فى هذا المكان إلى حين ترجعوا بالسلامة سالمين فى خير وعافيه إن شاء الله تعالى فاذا وصلت إلى أبو محمد البطال فاقرئيه منى السلام وخصه منى بالتحية والإكرام وأخبره بما قد فعلت قال وعند ذلك نظر إليه الأمير عبد الوهاب وتبسم من كلامه وقال والله ياسبك يحق لك هذا المقام عند بدر التمام هناك الله ياسيدى سبك (قال الراوى) فعند ذلك قبل سبك يد الأمير عبد الوهاب ودعا له بالنصر على الأعداء وجزيل الظفر عليهم وودعه ونزل الأمير عبد الوهاب هو وأصحابه فى المركب وكانت المركب تسع ألف رجل وبقى منهم ألف آخر فقال لهم الأمير عبد الوهاب ياقوم أقيموا عندكم الى جانب البحر حتى ينفذ اليكم هذا المركب بعد ثلاثة أيام وتقلعون به الينا إن شاء الله تعالى ثم قدم عليهم الأمير راشد بن ضمره ثم سار فى جماعة من بنى كلاب وحوله السودان الأنجاب وقد استقام لهم الهوى وكتب لهم السلامة فوصلوا وهم سالمون طيبون فى خير وعافية وقد أشرفوا عل قلعة الملك صلبوتا وقد لاح لهم الدولاب الأكبر فقالوا والله هذا الدولاب الذى ذكره لنا الأمير أبو محمد البطال فى كتابه الذى أنفذه الينا مع سبك ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى الابواب التى لهم فى البحر وعليها جماعة من البطارقه وهم الموكلين بذلك المكان فلما أن رأوهم بادروا اليهم وقالوا لهم إلى أين تريدون فقالوا نحن قوم تجار ومعنا هدية للملك صلبوتا فقالوا لهم أن الملك صلبوتا قد مات فتعجب الأمير عبد الوهاب من ذلك وقال لهم ياقوم فالملكة زنانير ماهى بالحياة فقالوا نعم وهى المقدمة على العساكر بعد والدها والحاكمة عليهم فقال الأمير ونحن اليها نقصد ولها نطلب وقد جئنا بهذه الهدايا من أجلها نقدمها إلى بين يديها فاطلبوا لنا منها الإذن بالدخول عليها فقالوا سمعا وطاعة ثم مضت البطارقة إلى قصر الملكة زنانير وأخبروها بالخبر (يا سادة) وكان لؤلؤ على رأسها واقف يسمع الكلام والخبر وكان عنده منه أثر فقال للملكة زنانير ابشرى فهذه تقوية لكم فأمرت لهم بالفتح (ياسادة) فعندها فتحوا البطارقه الأبواب فدخل المركب كانه السهم اذا خرج من كبد القوس ورسوا على شاطىء الجزيرة هذا ولؤلؤ دخل على الأمير أبو محمد وجوهر وهم مقيمين عنده كما ذكرنا وقال له قم الآن واخرج إلى شاطىء البحر وسلم على أصدقاك أمراء بنى كلاب والأميرة ذات الهمة وعبد الوهاب ومن معهم من الأصحاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الأمير أبو محمد شكر الله تعالى على ذلك وقال الحمد لله الذى قد جاؤا فى وقت الاحتياج اليهم وجمع شملى بهم من بعدما طالت غيبتهم ثم خرج ومعه لؤلؤ وجوهر إلى أن وصلوا خارج القلعة ولم ينكر أحد عليهم وودعهم لؤلؤ وعاد إلى القلعة وقال أنا ذخيرة لكم فى القلعة أنفعكم وأكون سببا لأخذها لكم (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن الأمير أبو محمد البطال سار إلى أن وصل المركب

وصعد اليهم فلما وقع نظره عليهم وتأمله الأمير عبد الوهاب قام اليه واعتنقه وقبل ما بين عينيه وكذلك الأميرة ذات الهمة وبقية الأمراء حتى انهم بكوا من شدة الفرح وهنوه بالسلامة ثم أن أبو محمد جلس بينهم وقال الحمد لله مقلب القلوب ومبلغنا كل مطلوب معطى النعم دافع النقم يعز من يشاء بفضله ويذل من يشاء بعدله لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع المنزه عن التشبيه والاضداد والوزراء والحجاب الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وصلى الله على سيدنا محمد نبى الرحمة وكاشف الغمه وعلى آله وصحبه وسلم اعلموا يا أمراء الدين وأركان الموحدين إننى ذكرت اسم الله تعالى وأثنيت عليه وصليت على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله ليرفع عنا الضير وتحصل البركة والخير فيما يقع عليه الكلام وقد طلبت الحضور معكم أحدثكم بالأمر من أوله إلى آخره حرفا حرفا كما ذكرنا ولا فائدة فى الاعادة ثم قال لهم وهذا الملك عبد الله شعشعونا فى غاية النصب والتعب وأريد أمضى بكم بالليل اليه ليشد بعضكم بعضا فان هذا الأمر فيه حال عنيد والأمر صعب شديد وهذه الملكة زنانير قد كاتبت الملوك واذعنوا لها بالحضور ودخلوا تحت طاعتها فقال له الأمير عبد الوهاب اعلم يا أبو محمد أن باقى أصحابنا ماقدروا على المجىء معنا لقلة المراكب ولولا هذا المركب صدفنا كنا ألهينا أنفسنا فى تعمير مراكب وكنا أبطينا عليكم وكان يطول علينا الأمر ثم حدثوه بما جرى لهم وكيف أنهم أخذوا المركب وقتلوا كل من فيه وكيف ملكوا الدير وقتلوا الراهب تمليخا واسلام الجارية صلبان على يد سبك غلامك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وقال والله انى كنت أشتهى من الله تعالى أن أشتفى من عقوبته قبل الموت ولكن الله عجل بهلاكه فقال الامير وما الذى نصنع فقال البطال إذا كان وقت الظلام نرد المركب فى عشرة من الرجال تسير بهم الملاحون إلى عند أصحابنا ليأتوا بهم الينا فاستصوبوا رأيه ثم مكثوا إلى الليل وصعدوا فى المركب منهم عشرة أبطال كانهم أسود الرجال ثم انهم هجموا على حراس الباب وذبحوهم وصعد إلى المركب عشرة رجال شجعان أبطال وفتحوا السلاسل وخرجوا بالمركب من الباب ومالوا طالبين دير النذور ثم أن الأمير أبو محمد أرسل غلامه جوهر إلى الملك عبد الله شعشعونا يخبره بالقصة ويأمره أن يركب إلى لقاء الأمير عبد الوهاب فى أول الميدان ويحترز من العدو وتقدم الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وظالم وقشعم وسادات بنى كلاب وأمر السودان الانجاب وبقية الأمراء وهم الألف فارس المشهورين وإذا بالحراس فطنوا لهم وطلبوهم وقالوا من الطارق فى الليل الغاسق فلم يجاوبوهم ولا بحقيقة أمرهم أخبروهم بل

حملوا عليهم حملة واحدة وتركوا الدنيا منهم خالية وفى تلك الساعة لقيهم الملك شعشعونا واجتمعوا ببعضهم بعض وترجلوا عن الخيول إلى الارض وسلموا على الملك عبد الله وولده عبد الرحمن وهنوه بالسلامة والاسلام وشكروه على فعله وقالوا له ابشر بالسلام التام والعافية والاحسان والمغفرة والرضوان من الملك المنان وبالثواب من الواحد الوهاب والفوز يوم العرض والحساب والفوز بالجنة والتمتع بالحور الحسان والخلود بدار السلام ففرح بكلامهم وأعجبه حالهم ثم نظر إلى الاميرة وهى معممة ملثمة والشجاعة بين عينيها قائمة فقال من تكون هذه الملثمة فقال له أبو محمد هذه الاميرة المجاهدة ذات الهمة قاهرة الاقران وقناصة الشجعان ومبيدة الفرسان المجاهدة فى طاعة الرحمن فقال لله درها يا أبا محمد (قال الراوى) ياسادة يا كرام وقد وقع الصياح فى عسكر الروم فركب الملك روميا اص وولده اليون وانزعجت زنانير وسألت ما الخبر فقيل لها أن التجار عسكر جرار وصعدوا من المركب وهم يهللون ويكبرون وإلى شعشعونا قاصدون فقالت زنانير وحق دينى ماهم إلا مسلمين قد دخلوا هذه الديار بحيلة أبو محمد العيار فلا كان هذا الشيطان ماهو إلا نقمة على عبدة الصلبان وحق المسيح إن وقع فى يدى لاصلبنه بعد أن أعذبه بأنواع العذاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ركب المسلمون جميعهم وتولى الأمير عبد الوهاب الحرب بنفسه ورتب العساكر ميمنة وميسرة وقلب وجناحين فلما نظرت زنانير إلى ذلك قالت وحق الانجيل وما فيه من تحريم وتحليل ماهذه الأفعال إلا من خبير وفى الحرب شهير وبالطعن والضرب نحرير ثم قالت لخواصها قد وزنت هذه الفرسان بميزان الشجعان فما فيهم غير عشرة وفيهم فارس لايقهرنى إلا هو لأنه فارس نحرير وبمواقع الحرب خبير ثم أن الملكة زنانير نادت ببطريق من بطارقتها يقال له موضح وكان مدلا بقوته وبشجاعته مشهور بالفروسية فى بلاد الرومية فقالت له ابرز إلى الميدان واختبر هؤلاء الفرسان فعندها برز الملعون على جواد كأنه الصباح قد ربى بلبن اللقاح لو سابق الرياح تركهم خلفه وراح ثم جال بين الصفين واشتهر بين الفريقين وطلب البراز وسأل الانجاز فبرز إليه الأمير ظالم على جواد عريض الكفل شديد القوائم وجاوله ونازله وعاجله ولم يطاوله فطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فوقع صريعا يخبط فى دمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فعند ذلك تعجبت الملكة زنانير من هذا البطريق وفارسها المطيق كيف ما مسك مع غريمه سوى مسافة الطريق وتوجه النار إلى بسرعة من غير تعويق ثم خرج إليه بطريق ثانى صرعة من غير توانى فطعنه طعنته وبه ألحقه فبرز اليه ثالث لجند له وعلى

الأرض بطحه وفى الهاوية جعل مستقره ومسكنه ولم يزل يبرز اليه من فرسانهم المشهورة واحد بعد واحد وهو يلحقهم ببعضهم بعضا إن أرادوا كرها أو رضا إلى أن كمل عشرة وكانوا فى الحروب مشتهرة هنالك توقفوا وعلى وجوههم صلبوا فهجم الأمير ظالم على الميمنة وعلى الميسرة بحد اليمانى فقتل من كل منهم اثنان ثم طلب البراز وسأل الانجاز ونادى الى يا أعداء الله يا لئام حتى أروى من دمائكم عطش هذا الحسام فأدركه الظلام وانفصلوا الطائفتين للراحة والمنام وأوقدوا النيران وباتوا يتحارسان الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وكان أول من برز الى الميدان وموقف الحرب والطعن والضراب كانت الأميرة الجاهدة والعابدة الزاهدة بنت مظلوم ذات الهمة وكان الأمير عبد الله سأل أبو محمد البطال فى ذلك وقال أشتهى أرى قتال الأميرة وحربها وكيف هى فى موقف الأقران بطعنها وضربها فأعلمها بذلك فأجابت سؤاله وتولت بنفسها حرب ذلك اليوم وقتاله وبرزت بين الصفين وأشهرت نفسها بين الفريقين وطلبت البراز وسألت الانجاز وقالت يافرسان النصرانية وشجعان ماء المعمودية من عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى فى هذا اليوم المعلوم أنا ذات الهمة بنت مظلوم ثم حملت على الميمنة أقلبتها على الميسرة وقتلت منها عشرة ثم حملت على القلب فقتلت منه اثنان وقالت أين الشجعان أين الفرسان أين الأقران فتزلزلت أقدام المشركين وأسكن الله الرعب فى قلوبهم منها أجمعين ثم أنها وقفت بين الصفين وقد اشتهرت بين الفريقين ونظروا ما فعلت بهم رأى العين فبرز اليها ملك من ملوك عسكر الروم يقال له سارطاس على جواد حسن غالى الثمن وعليه تنور من الحديد محلى بالذهب منظره عجب وفى يده صارم هندى معتقل برمح خطى فى كتفه ترسا من الحديد الصينى فجال فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وكان هذا الفارس من الروم معروف بالفروسية موصوف لانه جبار عنيد وشيطان مريد لايهاب الشجعان ولا يخاف الأقران فارسا لايطاق وعلقما مر المذاق وحمل على الأميرة وحملت عليه فلم تمهله ولا عن سرعة السفر الى جهنم تعوقه بل هاجمته وطعنته فى صدره طلع السنان من ظهره وحملت على الروم وأشارت الى عسكرها بالحملة فحملوا فى الروم وفتكوا وارتجت الارض فى طولها والعرض فيالها من ساعة نصبت الحروب خيامها ونزلوا من ساحتها وسقتهم كؤس حمامها وسوى بين القوم خاصها وعامها وظهر فيها ضرغامها من جبانها وصبروا المسلمين الكرام وفرت الكفرة اللئام وطارت من الأبطال الرؤس وكان يومها على الكفرة عبوس ونفذت رماح الأمراء فى الصدور والظهور وجرى دم المشركين كالبحور

وما زالوا إلى وقت الظهر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وإذا بكؤسات الملك الشرمولص ضربت فلما سمعوها الروم عن القتال رجعت وانفصلت وكانت هذه عادتهم إذا علموا الكثرة عليهم أو قادما يقدم عليهم ودخلت الملكة زنانير الى قلعتها ونزل الملك الشرمولص إلى خيامه هو وعساكره وأصحابه ونزلوا الأمراء والملك عبد الله إلى خيامهم وقد أيدهم الله بنصره هذا والأمير أبو محمد لما دخلت زنانير إلى قلعتها دخل فى جملة عسكرها فلما جلست على سرير ملكها أنفذت حاجبها وقالت له أنظر من هؤلاء القادمين الذين دقت طبولهم وفى ميداننا نصبت خيامهم فغاب الحاجب ساعة وعاد اليها وهو مصفر اللون مضطرب السكون فقالت له يا ويلك ما الخبر قال هذا الملك الشرمولص قدم اليك فى عساكره وجنوده وما نعلم مقصوده فعند ذلك قالت الملكة زنانير علىَّ بالحاجب. دوغورس فلما حضر بين يديها أمرت بخلعة سنية وضمت اليه عشرة من البطارقة وأرسلته الى الملك الشرمولص فى الارسالية وأرسلت صحبته ضيافات وعلوفات وإقامات وقالت له اعتذر الى الملك عنى ولم لا كان بقدومه أعلمنى حتى كنا نتأهب للقاه ونركب لملتقاه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها مضى الحاجب الى الملك الشرمولص صاحب القلعة الغراء والدولاب وكان هذا الملك ما قدم على زنانير إلا بواسطة عقبة الكشحان اللعين كما ذكرنا ووصوله اليها باشارته بالقتال لها وبالاتفاق العجيب أنه ما وصل إلا فى اليوم الذى وصلوا فيه الأمراء واطمأنوا ونزلوا وعلى القتال عولوا وأراد الملك الشرمولص أن يهجم على عساكر المسلمين وجيوش الموحدين وإذا بالحاجب دوغورس قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وقال الملكة زنانير تقبل الأرض بين يديك وتقول لك على خير مقدم ظفرك المسيح بأعداك وفتح على يداك وقد وصلت فى وقت الحاجة اليك وما خاب من بك استعان وهذا الشيطان المرتد شعشعونا قد أسلم هو وأصحابه وقصد حربنا والظفر بنا وأن يملك ديارنا وقد ورد علينا مركباً فيه قوم تجار فغفلنا عنهم وفاتنا الحزم بعد السؤال عنهم فكانوا أبطال المسلمين وجيوش الموحدين وفيه قوم سود وأنهم لا يرهبون الموت ولا يخشون للفوت، وقد انضافوا إلى شعشعونا ولقينا منهم أمس واليوم قتالا شديداً وحرباً عنيداً يشيب لهوله الطفل الوليد وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فعظم ذلك على الملكة زنانير (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وعقبة اللعين جالس جانب الملك يسمع وقد خالطه الجزع والهم والفزع لما سمع بذكر سادات بنى كلاب والسودان الانجاب وقال كيف دخل هذا الأسود الزنيم إلى هذه الديار وسلم مما كان قدامه من أبطال

الصليب والزنار وكيف قطع السبع بحار ولقد دبرت أمراً يكون فيه هلاكهم فكان سبباً لنجاتهم ووصولهم وأما الملك الشرمولص فانه لما أدى الحاجب رسالته وانتهى من مقالته انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال ياويلك يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية لمثلى يأتى اليه فى الإرسالية ومن تكون زنانير حتى نأتى إلى خدمتها أو أقاتل عنها ومن يكونوا المسلمين حتى تذكرهم عندى وتخوفنى منهم ومن سطوتهم ثم صاح ببطريق كان يقال له الفتيق وهو سياف نقمته ومعد لضرب الرقاب عند غضبه فأجابه بالتلبية بعد أن جرد حسامه ووقف قدامه فقال دونك وهذا الكلب أعطيه جوابه عن خطابه وكلامه واطرح رأسه قدامه فعند ذلك ضرب رقبته وقتل تلك العشرة رفقته فلما نظر عقبة إلى ذلك طار عقله وحار لبه واصفر لونه واضطرب كونه (قال الراوى) ياسادة يا كرام وقال فى نفسه المسيح يكفينى شره ويأمنى مكره هذا جبار لايعرف رسايل ولا يراعى أحداً من دين النصرانية ورجعوا غلمان المقتولين بعد ماهزموهم ولوا هاربين وتمثلوا بين يدى الملكة زنانير وأخبروها بما جرى على رسلها وكيف ضربت رقابهم من غير ذنب جنوه ولا أمر أحدثوه وأن عقبة الملعون عنده فى أعلا منزلة ورتبة (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن الملكة زنانير لما سمعت ذلك صلبت وجهها ولطمت على صدرها ولم تملك الاصطبار دون أن أشارت إلى عساكرها وأهل مملكتها وأمرتهم بالخروج من البلد فلما خرجوا أمرتهم بالحملة على عساكر الشرمولص فحملوا عن بكرة أبيهم وقالت أوقعوا السيف فيهم واغتنموا أموالهم وخيامهم وكل من أخذ شيئاً فهو له لايعارضه أحد وهو له ولا معارض فيه فيالها من ساعة انفطرت فيها مرارة إبليس والشيخ الرجيس والكلب الخسيس وعملت السيوف فى الرقاب وهلكت الدروع بالنشاب وحل بالقوم العذاب وفقدت الأحباب وخرج الشرمولص على جواده الموصوف وحمل على المواكب والصفوف ولم يبالى بكثرة الأعوان لأنه شيطان فى صورة إنسان وقد حنق من الملكة زنانير وكيف تجاسرت على هذه الفعال وعند حملته اشتدت قلوب الروم وكان عليهم يوم مذموم ولم يزالوا كذلك إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد قتل من الطائفتين أكثر من عشرة آلاف فارس من الكفار وجرى الدم مثل البحار وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار إلا أنهم لاقوا من الملك الشرمولص مالم يلاقوه من أحد أبداً وطعنوهم بالمزاريق والحراب وأنزلوا بهم الذل والوبال والعذاب وان الملكة زنانير رجعت إلى قلعتها وهى تهدر كأنها اللبوة إذا فقدت أشبالها وهى تتأسف كيف أتى الظلام ولم تبلغ من أعدائها المرام ثم قالت وحق المسيح لابد ما آخذه أسير فى غد وأحمل عليه ولاأرجع

إلا به ذئيل حقير (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب فانه تحير فى ذلك اليوم وقال ليت شعرى ما السبب الموجب لهذا حتى وقع الخلف بينهم ثم باتوا ليلتهم منتظرين إلى الصباح (وأما الملك) الشرموا فاصنه زحف حتى صار فى أول الميدان وملك شاطىء البحر (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير أبو محمد البطال فانه كان قد دخل إلى القلعة مع أولاد الحاجب دوغورس كما ذكرنا وللاتفاق العجيب قتل الحاجب فلما أخبر الأمير وأبو محمد بقتله كاد فؤاده أن يطير من الفرح وقال هذا من تمام السعادة ولو طبخناها بلبا ماجاءت هكذا ثم أقبل أبو محمد على البطارقة وقال لهم لقد كان يبغضنى ويبعدنى ولا يقربنى وما فعل به المسيح هذه الفعال إلا بذنبى فقالوا له وحق المسيح لقد صدقت وسوف تعرف الملكة بخبرك وندعها تخلع عليك وتقربك فقال أبو محمد لا بحق المسيح دعونى على حالى أكون أعبد المسيح ولا تكدرون علىّ حالى بنقل خبرى اليها لأنها مشغولة القلب عنها بتلاوة الإنجيل قالوا له صدقت فما نخالفك فيما به أمرت ثم أفردوا له داراً حسنة كان يأوى اليها فى الليل والنهار ويطوف المواضع ولم يزل يبحث عن الأمور وفى أى مكان تخبى المفاتيح وعند من تكون ولم يحس البطريق الذى عنده المفاتيح إلا وأبو محمد قد هجم عليه فى الليل وقعد على صدره وذبحه من الأذن إلى الأذن ثم ان أبو محمد نظر إلى صندوق كبير ولم يزل يعالجه حتى فتحه فرأى فيه مالا عظيما فى أكياس مربوطه مختومة والمفاتيح من فوق ذلك ثم أخذها وخرج ولم يزل حتى وصل إلى الباب البحرى وكانت الملكة لما علمت بقتل البوابين وخروج المركب الذى جاؤا فيه المسلمين أقامت بوابين غيرهم وجعلت عليهم بطريق مقدم وأمرته أن يتسلم المفاتيح كل ليلة عنده ولما خرج أبو محمد وقتل البطريق وأخذ المفاتيح من عنده فوجد البوابين يشربون وقد مضى من الليل ربعه فكلمهم أبو محمد بالرومى كأنه حاجب الملكة زنانير الخاص وقال لهم ياريلكم كم تنهاكم الملكة زنانير عن الشراب ولم تنتهوا فلما سمعوا كلامه قالوا أيها الحاجب الكبير ماغفلنا ولنا أيام ما شربنا إلا فى هذه الليلة ومن يقدر يدخل من هذا الباب وهو مغلوق لاسيما والمفاتيح عند الملكة زنانير ثم بعد ذلك قالوا له أيها الحاجب قد سمعنا أول الليل خلف هذا الباب حس وصريخ وزعقات قوية وما ندرى ما هو هذا إن كان مركب أو غير ذلك وما كان لنا وصول إلى الملكة زنانير حتى نعرفها واشتغلنا بشرب الخمر وتركناهم (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك قال لك الحمد يارب فى النصر

والتأييد وما النصر إلا من عندك ثم سجد شكراً لله تعالى وقال هذا مركب المسلمين قد وصل وقد وافق وصوله فى أخذ المفاتيح وأنا كنت حائر فى أمرى من أجل هذا الحال وهذا توفيق من الله ذو الجلال وأخاف أن أفتح الباب وما يكونوا الأمراء قد وصلوا وقد علم الله صدق نيتى وطويتى ثم أنه أقبل على البوابين وقال طيبوا قلوبكم واشربوا ولا تتكلمون تسمع الملكة زنانير أصواتكم فتضرب رقابكم فقالوا سمعا وطاعة أيها الحاجب فلو أقاموا هؤلاء خلف الباب سنة ما فتحنا لهم ثم أقبلوا على أبو محمد وقالوا له أيها الأمير أجلس عندنا بحق المسيح حتى نتجمل بك وبحضورك فقال لهم أبو محمد لقد طلبتم منى أمر عظيم ولكن لابد لى من جبر قلوبكم ولا أخيب مسألتكم ثم أنه جلس فى أوساطهم وجعل يحدثهم ويغنى لهم فلما احتوى على قلوبهم وعقولهم ونظر السكر قد أخذهم أخرج قرطاس من البنج الاقريطش الذى لو وضع منـــه فى زق خمر حبة واحدة حل بمن يذوقه البلاء (قال الراوى) يا سادة يا كرام فوضع منه مقدار نصف مثقال فى باطية الشراب وحركه ثم اختلط فى بعضه ثم أنه ملأ قدح فقالوا له ياسيدى أتلو لنا عليه شيء من الإنجيل فقال لهم حبا وكرامة واصرف عنكم الأذى فقالوا المسيح يطول عمرك ويمن ببقـــاك حتى جعل أبو محمد يحرك البنج فى القدح وقبله فى الباطية وهو كأنه يقرأ عليه ثم قال لهم اشربوا كلكم حتى تعودوا سكارى وتعود بركته عليكم ثم جعل يسقى كل واحد منهم قدحا إلى أن سقى الجميع ولم يترك منهم لا رفيع ولا وضيع وكانوا عشرون رجلا فما منهم إلا من حصل البنج فى أمعاؤه وراح سكران إلى الأرض إلى أن صاروا الجميع كأنهم أعجاز نخل فعندهـا وثب أبو محمد البطال أسرع من البرق وذبح الجميع أسرع من نزول الودق وتقدم إلى الأقفال وفتحها ورد السلاسل وجذب الباب بقوة فلم يقدر على فتحه لأن ارتفاع الباب الخمسين ذراع فخاف من فوات الأمر عليه وأن تبطل حيله وإذا به قد سمع قائلا يقول من خلف الباب ياويلكم افتحوا لنا هذا الباب لأننا قد وصلنا نريد اللحوق بأصحابنا وهذا الباب قد وجدناه مغلوق فقال واحد من حداه معلوم أن أصحابنا ما أمرونا بالقدوم إلا لكونهم قادرين على فتح الباب (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد الكلام عرفه ففرح وأيقن بالفرج فنادى ياميمون فقال ميمون من هذا المتكلم فقال أما تعرفنى أنا أبو محمد البطال وقد أزلت السلاسل والأغلال والأثقال فادفعوا البـاب وإن لم تصلوا اليه فمدوا الأخشاب من جانب المركب وامشوا عليها وافتحوا فلما سمعوا كلامه فعلوا ما أمرهم ورفعوا الباب ففتحوه أسرع من البرق ودخل المركب كأنه السهم الراشق (قال الراوى)

(يا سادة يا كرام) فيالها من ساعة ما ابركها ولما صاروا عند البطال أطلع اليهم المركب وقال لهم سيروا حتى نعبر على هذا الشط لأنه قد ملكه ملك من ملوك القلاع يقال له الشرمولص وأنا قد صرت أعرف أماكن هذه البحيرة وما نزل على شاطىء اقلعة الجوزاء الذى للملك شعشعونا وفى وقت الصباح نكون عندها إن شاء الله تعالى (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أهل القلعة فانهم لما عرفوا بفتح البـــاب وقتل البوابين الموكلين اغتموا لذلك ولم يعلموا بعبور المركب ثم دخلوا على الملكة زنانير وأخبروها بالحال فلما سمعت ذلك صعب عليهـــا وكبر لديها وقالت ما هذا الا بلاء عظيم وما المسيح إلا قد غضب علينا ويلكم أصلبوا الذى عنده المفاتيح فمضوا اليـــه فوجدوه مذبوح وهو جسد بلا روح فعادوا إلى الملكة وأعلموها بذلك فقالت هذا والله من فعال عيار المسلمين وحق المسيح ما هم إلا قد جاءتهم نجدة وما قدروا يصعدون من شاطئنا من أجل الملك الشرمولص وما هم إلا قد صاروا يريدون قتلة الملك شعشعونا وما هذه إلا رزية عظيمة فترى أى وقت كان لى على أن هذا المسلم عندى ولا شك أنه أرسل اليهم حتى يأتوا الينا ويأخذون قلاعنا وحق المسيح لاغرقنه حتى أستريح منه ثم صاحت فى البطارقة وقالت للبطارقة ويلكم على بالمسلم لؤلؤ فما كانت إلا ساعة حتى أتو به اليها وهو فى أسوأ حال فقالت للبطارقة ارموه فى البحر ولا تشاورونى فيه (قال الراوى) وكانت تلك الليلة قد شربت حتى سكرت وغابت عن رشدها هذا وقد انذهل لؤلؤ من سطوتها ولم يدر ماهو السبب فى ذلك (يا سادة) وأن البطارقة أخذوا لؤلؤ وخرجوا إلى ساحل البحر وهموا أن يلقوه وإذا قد أدركهم الحكيم اقليدس وقال ياويلكم لاتغرقوه فيحل بكم العذاب فى غد من الملكة زنانير لأنها قد أمرتكم بتغريقه وهى لاتعقل من السكر فاتركوه إلى غد وهو مقيد فان علمت بذلك وسكتت فأنتم قادرون على تغريقه بعد ذلك وإن هى غضبت عليكم فقولوا لها ما غرقناه أيتها الملكة خوفا منكى (قال الراوى) ياسادة فاستصوبوا رأيه وقالوا وحق المسيح لقد صدق وأشار بالصواب ولو كنا غرقناه هلكنا بأجمعنا ثم ياتوا فى أماكنهم إلى وقت السحر فهذا جرى (وأما الملكة زنانير) فانها لما أفاقت من سكرها قالت للبطارقة ويلكم ايش كان من ذلك الصياح البارحة فقالوا لها إن باب البحر فتح ودخلوا المسلمين فى مركب عظيم وطلبوا القلعة التى للملك شعشعونا ولا شك انهم نجدة قد وصلت اليه وانكى قلتى ما كان سبب هؤلاء إلا لؤلؤ المسلم وأمرتينا بتغريقه (قال الراوى) فلما سمعت زنانير بذلك وانهم قد غرقوا لؤلؤ قامت عليها القيامة وانقلبت

عيناها فى أم رأسها ووقعت مغشيا عليها فلما أفاقت مما أصابها على لؤلؤ قالت وحق المسيح ما بقى لى حياة بعد فقده ثم همت بقتل نفسها بسكين كانت معها ثم قالت من قبل هلاكى ائتونى بالبطارقة الذين غرقوه حتى أضرب رقابهم لأنهم غرقوا حبيبى لؤلؤ فأحضروا البطارقة فلما مثلوا بين يديها أمرت بضرب رقابهم جميعا فنادوا أيتها الملكة لا تعجلى علينا فنحن ماغرقناه لأننا خفنا منكى فكانت ملامته وسلامتنا باشارة الحكيم اقليدس لأنه قال لنا امهلوا عليه حتى تفيق الملكة من سكرها فلما سمعت ذلك فرحت وقالت ألف هوان بالقلعة وألف كرامة بلؤلؤ ودع الروم تفنى عن آخرهم وإذا دخلوا المسلمين الينا ماهو شىء يصعب علينا ولا تضيق صدورنا منه ولو جاء المسلمين كلهم لا أبالى بهم وأما لؤلؤ فهو الحبيب الأول ثم أمرت باحضاره اليها فأحضروه ثم أوقفوه بين يديها وكان قد رأى الموت بعينه فكلمته فلم يتكلم فقالت يالؤلؤ وحق المسيح لارجعت شربت خمرا أبدا لأجلك ثم انها خلعت عليه وأحسنت اليه فلما رأى ذلك منها شكرها وقبل الأرض بين يديها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فتحت الملكة باب قلعتها فخرجت بطارقتها فارتت الدنيا من البوقات ودق الكؤسات وركض الخيل وزحف أيضا الشرمواص إلى نحو القلعة ثم خرجت الجيوش والعساكر والبطارقة المقاتلة وخرج موكب الملكة زنانير وصاحوا على الشرمواص ورموه بالسهام وهم فى خلق كثير وركب أيضا الأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب لينظروا ما يكون من قتالهم ثم أن الملكة خرجت إلى بين الصفين وعليها صدرة زرد كأنها عيون الجرد وعلى رأسها بيضة عادية مللمة مجلية تأخذ بالابصار مكتوب عليها حنا ومريم والانجيل المعظم وعلى صدرها صليب جوهر وقد تلثمت بلثام حتى لم يبان منها إلا حماليق النظر أو تداوير الاحق وبيدها صارم أبتر كأنه ملك الموت إذا اشتهر وبيدها قنطاريتها المعروفة التى لم يحملها إلا رجالين وهى كأنها الأسد الغضبان قد ركبت جواد أدهم له غرة كالدرهم كانه الكوكب لايلحقه تعب من أبخر خيول العرب لو صدم جبل لاضطرب كانه الريح إذا جرى أو البرق إذا سرى ثابت القوايم معود للعظايم صبور على الكفاح يطير مع الرياح بلا جناح فهو كما قال فيه الشاعر هذين البيتين

وأدهم كالريح فى جريه ... يسابق الطير إلى وكره
كأنه الريح له وثبة ... كالأسد الجائع فى كره

(قال الراوى) ثم انها جالت بين الصفين واشتهرت بين الفريقين وقد خرج بين يديها ترجمان رومى رفيع الصوت يترجم عنها فلما ان صار إلى وسط الميدان

نادى ذلك الترجمان يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية وهذه الملكة زنانير تطلب البراز وتسأل الانجاز ولا يخرج إليها إلا الملك الشرمولص حتى تستريح عباد الصلبان والمصيح من القتال فما بيننا إلا أن يقتل واحد منا وقد بلغ الآخر المقصود وهو تغضب عليه السيدة مريم بما فعل واجترم (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الملك كلام الترجمان انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال وحق المسيح لقد نطق بالصحيح ثم انه أراد الخروج اليها فمنعته البطارقة من ذلك وخرج اليها منهم بطريق أكفر خلق الله تعالى وكان يقاتل بالحراب فخرج ومعه ثلاث حراب وسار حتى انه وصل إلى وسط الميدان وموقف الضرب والطعان فجالا طويلا واعتركا ميلا ثم أنه هز أحد تلك المزاريق واستجابها يطلب صدرها فلما رأت الملكة زنانير إلى ذلك لم تكترث بها ولا تزحزحت عن سرجها بل أنها صبرت حتى قاربتها الضربة فانقلبت عن الجواد صارت له حزام ثم ردت الضربة خائبة ثم انها عادت إلى سرجها أسرع من البرق الخاطف فتحيرت الروم من ذلك لسرعة انقلابها وجعلوا يعوذوها بالإنجيل وأما الأمير عبد الوهاب فانه شخص ينظر اليها وكذلك الأميرة ذات الهمة وقالت والله يا بنى عمى انها لفريدة زمانها قاهرة أقرانها فالله سبحانه وتعالى يظفرنا بها فما يقدر عليها أحد سواى وولدى الأمير عبد الوهاب فقال لها الأمير وقد أعجبه كلامها والله يا أماه انك أعرف منها ومنا بالحرب (قال الراوى) وهم فى الكلام وإذا بالملكة قد هجمت على البطريق قبل ما يصل اليها بالحربة الثانية وطعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فعند ذلك ضجت البطارقة وقالوا المسيح يطول فى عمرك فما أحسن قتالك ثم أن الملك الشرمولص صاح ياويلكم أخرجوا اليها فخرج اليها ثانى قتلته وثالث جندلته ولم تزل كذلك إلى أن قتلت عشرون فارساً وكلما قتلت واحد زاد نشاطها على سفك الدما ثم نادت برفيع من صوتها يا كلب الروم ان زعمت ان لابد لك منى فاخرج الآن لا أم لك حتى يعجل المسيح قتلك ولا أمهلك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأقبل البترك على الملك الشرمولص وقال له اعلم أيها الملك ان التأخير عن هذه الحرمة الحقيرة معيرة كبيرة وهل هى إلا امرأة وقد وقع لها فى قلوب الناس هيبة وما عليك عار فى مبارزتها لأنها قد عرفت بالشجاعة والقوة والبراعة وأنها فريدة عصرها فقال الملك وحق المسيح إن خروجى اليها عار وهى امرأة ناقصة العقل فقال البترك لا تغفل أيها الملك فما فى ذلك عار (ياسادة) فعند ذلك أمر الملك أن يشد له جواده الأدهم وأن يسرج ويلجم ففعلوا ما أمرهم وصار على ظهره وأخذ فى أهبته ولبس كبر أحمر مرصع بالدر والجوهر

وتقلد بسيف أبتر يفرى الحديد ويقطع الجلاميد ويرد كل صنديد وفى يده ثلاث مزاريق الموت فى رؤسها ماقصد بها أحد إلا أباده ثم صاح الملعون بصوت كأنه الرعد القاصف فخرج الجواد من تحته كأنه الريح العاصف وأخذ فى يده حربة وجعل يدور حول الملكة زنانير وهى تقابله حيثما دار وتقف له حيثما سار (قال الراوى ياسادة) وانه هز المزارق حتى التقت طرفاه وأرسله نحوها فخرج من يده كأنه النجم الثاقب أو السهم الصائب إذا خرج (قال الراوى) هذاو الملكة زنانير قد استترت بطارقتها وكانت لاتعمل فيها السيوف المواضى ولا ينفذ فيها سهم ولا مزراق ولا سنان خراق ولاسيف براق فلماوصل إليها المزراق طرفها ونفذها فلما نظرت الروم إلى ذلك صلبت على وجوهها وظنوا أنه قد قضى عليها وتأملوا الملكة زنانير وإذا بها تضحك وقد قلعت الحربة من الطارقة وبقى الحديد فيها فتعجبت زنانير من شدته وقوته وقالت وحق المسيح مايقدر أحد يرمى مثل هذا الشيطان هذا والشرمولص قد حنق عليها وحار من فعلها ثم أخذ الحربة الثانية وأشار اليها بها وهزها حتى التقت طرفاها ورمى بها فغابت عن الأبصار فاحترزت منه الملكة وثبتت لها حتى قاربتها وهى ندوى ثم انها خطفتها من الهوى هذا والأميرة تنظر اليها وتعوذها وتدعو لها بالنصر وتقول اللهم أهدها إلى دين الإسلام ثم انها صاحت بالملك ياويلك هذا قتال الذليل لأن الذليل يقاتل من بعيد فدع عنك ضرب المزاريق وخذ ضربا كأنه الحريق وطعناً وثيق حتى يبان لك الكذب والتصديق (قال الراوى) فلما سمع الشرمولص كلامها أرمى المزراق الثالث من يده وقد خجل وحمل كأنه الغيث إذا هطل وهجم كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا ضرباً أحد من الجمر وأمر من الصبر حتى طارت السيوف من أيديهما وكذلك الرماح واعتمدا على اللكام باليدين وهما على الجوادين واعتركا مثل الأسدين وطلع الغبار إلى العينين فتارة يظهران وتارة يغيبان وقد شخصت نحوهما الأحداق وتطاولت اليهما الأعناق (قال الراوى) وان الشرمولص صاح صيحة أرعب منها القلوب ولكمها لكمة لو تمكنت منها أهلكتها فالتقتها بكفها وعطلتها ولكنها آلمتها ثم زعقت عليه ومدت يدها اليه وعلقت به وهزته لتزعزعه من على الجواد فعصر الملعون فخذيه عليه فبقى كأنه مخلوق منه وطلب أن يتخلص من يدها فلم يقدر ولم تزل تعالجه حتى أضجرته وأتعبته ثم انها صاحت بجوادها وقد تمكنت من أطواقه وجذبته قلعته من سرجه وكرت راجعة وقد صار الملك معلق فى يدها كأنه الجمل ثم أنها قبضت على حلقه وعصرت عليه ولم تنفس عنه حتى خرجت روحه ثم أنها طوت يدها ولكمته على رأسه طيرت أضراسه ورمته إلى الأرض وهى تهدر كأنها الأسد وأشارت إلى أصحابها فحملوا على عسكره (قال الراوى) فلم تكن

إلا ساعة ولم يبق لعسكره جنان يقفوا بعد قتل ملكهم فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد تحيرت الروم من فعال زنانير وقالت الأميرة للأمير عبد الوهاب والله يابني هذا قتال ما رأيت قط مثله ولا تحدث أحد بشكله (قال الراوى) وغنم عسكر الملكة زنانير من عسكر الشرمولص غنيمة عظيمة ونهبوا أموالا غزيرة وقتلوا منهم فى تلك الحملة عشرين ألف وأسروا مثل ذلك ورجعت الملكة إلى قلعتها وهى منصورة على عدوها والحكيم اقليدس يعوذها ويدعو لها والمسلمين ينظرون اليها بعين الإعجاب ولكنها أهملت أمرهم ولولا الظلام ما كان لها بد من أن تحمل عليهم ولكنها قالت فى غد يكون قتالى معهم وأما الأمير عبد الوهاب فانه لما رأى ما صنعت قال ما هذه إلا امرأة عظيمة فهنيئاً لمن تكون له هذه قرينة فقالت الأميرة يابنى دعنا من هذا فان قلبى على الأمير أبو محمد ولنا أيام ما رأيناه وإنى أخاف أن يتم عليه أمر من الأمور (قال الراوى) ثم بات الناس ينتظرون الصباح (وأما زنانير) دخلت إلى قصرها وهى فرحانة مسرورة مؤيدة منصورة ثم أنها قالت لبطارقتها اليوم كانت نوبة الروم وغدا نوبة المسلمين لأنهم قد رأوا اليوم قتالى وفعالى فوحق المسيح لأجعلنهم عبرة لمن أعتبر ثم أنها نظرت إلى لؤلؤ وهو على مقالى النار وقد كاد أن يلتهب من شدة كلامها وهو يقول

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا ... لى الليل هدتنى إليك المضاجع
فيارب إنى خائف أن أطيعها ... فتتركنى يوم القيامة ضائع
أجرنى إلهى من زنانير إنها ... لعمرى من عشقى اليها الخاضع

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره أعجبها كلامه وزادت فى إكرامه وجعلت تحادثه وتمازحه وحكت له ما جرى لها مع الملك الشرمولص كيف جاء ليأخذ قلعتها فقال لها لؤلؤ أيتها الملكة أريد أن أقول لك قولا ولا تغضبى منه فان قبلتيه فلا تكافئينى عليه إلا بشريف الأعمال وهو لك سعادة فى الدارين فقالت له أى وحق المسيح فقال لها اعلمى أن الله تعالى أراد أن يفنى عباد المسيح وعبدة الأصنام فجعل الخلق بينهم فى كل يوم يقتل منهم مقتلة عظيمة وقد دخلوا هؤلاء المسلمين إلى بلادكم وما بقى لكم منهم محيص وأنهم سوف يملكون منكم القلاع كما ملكوا السبع حصون التى فى بلاد اليونان والرأى عندى أنك تسلمين وتقيمى فى قلعتك ولا يتغير عليكى شىء من نعمتك ولا يشمت بك عدو وتفوزين بدين الإسلام وتبلغين جميع المرام والسلام (قال الراوى) فلما سمعت زنانير كلام لؤلؤ تغير لونها واضطرب كونها وقالت يالؤلؤ

لقد واجهتني بشيء عظيم ولولا أنك عندى كريم لتركتك كالرميم وكما أنك يصعب عليك مفارقة دينك كذلك يصعب علينا مفارقة ديننا وكما تقولون انكم على الحق والصواب كذلك نقول أننا على الصواب فلا تضرب فى حديد بارد وفى غد أو ربك ما أفعل بأبطال المسلمين وكيف أتركهم فى القيود والاغلال مصفدين وأصليهم على الدولاب السفلى وأتم بقتلهم سرورى وفعلى فعند ذلك سكت لؤلؤ على مضض منه ولم يجسر يعاودها ثم أقام حتى أتى نصف الليل وقامت زنانير إلى مضجعها وخرج لؤلؤ إلى مرقده وفى قلبه النار من محبتها (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح استعد كل شجاع للكفاح وجردت الصفاح وقومت الرماح وقد ركب الأمير عبد الوهاب والأميرة المجاهدة وجماعة بنى كلاب والسودان الانجاب وقد استعدوا لنصاف وطلبوا الانصاف وكان الأمير ظالم قد طمع فى أخذ الملكة زنانير كل الطمع وقد وقع فى قلبه منها أشد موقع وقد كتم ذلك عن الأمير عبد الوهاب وعن الأميرة ذات الهمة إلا أنه تحدث مع بعض الأمراء بأنه يعشقها فقالوا له أيها الأمير نحن لك وبين يديك ونحامى معك لاعليك فقال لهم اعلموا ياقوم أن الهوى غلب على التقوى وهو جمرة بلا وهو يكون سبب هلاكى لامحالة وقد سمعت أن لؤلؤ عندها عزيز مكرم وهى تريده وأنا أكون قاتله لامحالة ولا بد من هلاكه وأخذها منه غصبا بعد مشقة وتعب وانى قد أيقت بالعطب وأنا بنار عشقها ملتهب ثم أنشأ يقول

وذات كمال قد زهت بكمالها ... لها مقلة كحلا وصدغ معقرب
ووجه كأن الشمس تطلع دائما ... من الحسن والامرار حينا وتهرب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وأن الملكة زنانير خرجت عند الصباح من قلعتها وقد أبدت زينتها وتظاهرت بحليتها وبين يديها القساقسة والشمامسة والمطران وقد رفعوا الصلبان وانحدروا إلى الميدان وانفردت عن البطارقة واشتهرت بين الصفين ولعبت بالقنطارية ساعة حتى حيرت كل ناظر ثم تقلبت على الجواد مثل اللولب وكل أحد منهم قد تعجب ثم طلبت البراز ونادت يامسلمين مالكم والتطويل أخرجوا إلى واهجموا على فوحق المسيح من ملكنى أسلمت على يده وصرت على دينه ومذهبه وكل من أسرته بالهلاك بشرته (قال الراوى) فلما سمعوا كلامها لم يبق فيهم أحد إلا وقد طمع فيها وفى أخذها واسلامها فأول من خرج اليها كان الأمير ظالم وقد صار لعقله عادم وهو على جواد ثابت قوى الدعائم وفى كفه صارم معود لقطع الجماجم ثم أنه حمل كانه القشعم الحاتم وقد طمع أن يكون لها ملازم ولما قرب منها ودنا اليها وظن أنه قد بلغ المنا فعند ذلك عطفت

عليه كالأسد إذا عاين فريسته وقد جهلته ولم تعرفة (قال الراوى) فتلاصقا وتصادما وتباعدا وتقاربا وجالا طويلا واعتركا مليا ولم يطل بينهما الخطاب حتى طعنته بعقب الرمح أردته إلى الإرض ثم انقضت عليـــه وقد دهش فأسرته وللبطارقة سلمته (ياساد) فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ما قد صنعت بالأمير ظالم قلق قلقا عظيما وقال كيف خرج الأمير ظالم إلى هذه الملعونة التى قد أعطاها الله القوة والشجاعة فلم يلبث دون أن خرج اليها أبو الهزاهز وقال أنا الأسود المبارز فلما نظرته حملت عليه وحمل عليها والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان له فن وأى فن ثم تقاربا وتضاربا بالسيوف ضربا أحر من الجمر وأمر من الصبر ثم صاحت به وقد أرميا السيوف من أيديهما واعتمدا على الشباك والصدام والمقابضة والالتزام ثم انها أخرجت رجلها من الركاب ورفسته فى صدره ألقته على ظهره وتعلقت بأطواقه قبل ماينزل الى الارض وهمزت جوادها فطار بها وقد علقته فى يدها فصار كأنه طائر مذبوح أو جسم خال من الروح وأوصلته إلى أصحابها فأوثقوه كتاف ثم رجعت الى الميدان وطلبت الحرب وبراز الشجعان وهى كأنها سرحان وما طال بها المقام حتى خرج اليها ميمون الجماس فما طال بينهما الحرب حتى اختطفته من سرجه أسرع من البرق الخاطف وصعب ذلك على الاميرة ذات الهمة وخرج اليها قراقد فأحلت به الاوابد وخطفته من سرجه بقوة ساعد ثم خرج اليها دمدم ومن قبضتها لم يسلم ووافقه فى الخروج قشعم فخسر ولم يغنم فخرج اليها أبو الموات فأخفت منه الصوت فعند ذلك قصرت عنها الفرسان وتقاعدت الرجال وقد رأوا منها الأهوال فسبحان من أعطاها الشجاعة والجمال فهابوها ولم يخرج إليها أحد لأنها نار تقد فهم الأمير عبد الوهاب أن يخرج إليها فتعلقت به الأميرة ذات الهمة وقالت بالله عليك ياولدى لاتفعل ودعنى أخرج إليها فأقسم الأمير عبد الوهاب لابد له من الخروج إليها ويعطى الله النصر لمن يشاء ثم أن الأمير ترجل وافتقد حزام جواده وشدد واستوى على ظهره وصرخ فيه فخرج من تحته كالبرق وأن الملكة لما نظرت إلى عبد الوهاب والشجاعة لايحة عليه علمت أنه فارس شديد فاحترزت منه ثم حملا بعضهما على بعض وتضارا بالحسام وصبرا صبر الكرام هذا والأميرة خائفة على ولدها وقد تقسطل الغبار وغابا عن الأبصار فقفزت الأميرة بجوادها حتى صارت قريبا منهما اشفاقا على ولدها وكذلك البطارقة قد تقدم منهم جماعة خوفا على الملكة ولم يزالوا فى القتال حتى لم يبق فى أيديهما من السيوف غير المقابض واعتمدا على الصراع من فوق الجوادين حتى كثر منهما القلق ومضى النهار وأقبل الغسق إلا أن كل واحـــد من خصمه قد افترق

واجتمعت البطارقة حول الملكة زنانير وهى كأنها سكرانة اشدة ما لاقت من عبدالوهاب. وكيف لم تقدر على أسره ثم أقسمت بالمسيح أنها لاندخل القلعة فى تلك الليلة فضربوا لها خيام فى وسط الميدان وأوقدوا من حولها النيران وتحارس العسكران وأحضرت لؤلؤ وأخبرته بما جرى فى حق ظالم وأصحابه فتغير لؤلؤ فقال ظالم انها لطلعة القمر فقال له أبو الهزاهز ماأقل عقلك حتى تخاص من غلك وقيدك فلما سمع ظالم كلام أبو الهزاهز حنق عليه ولكنه كاد أن يخلع رقبته فصرخ أبو الهزاهز وقال هذا جزائى منك ياأمير فوالله انك ظالم كاسمك وأنا قادر أكافئك بمثلها ولكن أحترمك لأجل الأمير عبد الوهاب ولو فعلت بى أكثر من هذا (قال الراوى) ونظرت زنانير إلى مشاجرتهما فقالت ويلكم ما أقل عقولكم أنتم فى الأسر والقيد والذل وأنتم تتخاصموا ثم أمرت البطارقة أو يفرقوا بينهما وقالت للؤلؤ من هذا الذى تعدى على هذا الأسود ولكنه فقال لؤلؤ هذا الأمير ظالم ولد الأمير عبد الوهاب وهو الذى خرج اليكى فى الأول فقالت وحق المسيح إن أباه أشجع منه وهذا بالضد فلما سمع ظالم كلامها حنق عليها وعلى لؤلؤ وقال والله العظيم إن ظفرت بكما لأجعلنكما عبرة لمن اعتبر فقال لؤلؤ ياأمير أين كانت هذه الشجاعة من ساعة وأنت تقاتل الملكة فى ساحة الميدان فقال سوف ترى إن أمكننى الله منك ماأفعل فلما سمع لؤلؤ ذلك من كلام ظالم قال فى نفسه ماهذا الكلام إلا لأمر عظيم قد فعلته معك ثم أقبل لؤلؤ على أبو الهزاهز وقال له حدثنى بحديث ظالم وماسبب حنقه على وعليك فقال أنه قد هوى الملكة زنانير فلمته أنا وقلت أيها الامير ألم ترى إلى مانحن فيه من الاسر والاغلال والقيود فلما سمع منى ذلك غضب ولطمنى هذه اللطمة فقال ياأبو الهزاهز طب نفسا وقر عينا فبطول ماأنا عند الملكة لاأصاب أحد منكم سوء ولا قطعت عنكم الطعام والشراب وأما ظالم فسوف أنزل به مالا يطيق ثم أن لؤلؤ أقبل على الملكة زنانير وعرفها بالقصة وما حدثه أبو الهزاهز فقالت وحق المسيح لقد صغرت فى أعين المسلمين إلى هذه الحد وقد رأوا صنعى مع أبطالهم ثم أنها صاحت بالبطارقة وقالت دونكم وهذا الامير ظالم قطعوه بسيوفكم فصاح عليهم لؤلؤ وقد هموا بقتله وقال ويلكم لاتفعلوا تندموا فان هذا ولد أمير المسلمين ثم أقبل على الملكة زنانير وقال يامولاتى بحق دينك لاتفعلى تندمى ودعيه حتى تنظرى ما يكون منك من المسلمين. فان كانت الدائرة عليكى فاتى تفدى نفسك بهم وإن كانت لكى فهاهم بين يديك ثم أن لؤلؤ انطرح على أقدامها يقبلها والحب شفيع وإلا ما كانت أبقت عليه ثم أمرت برفعه إلى القلعة وأن يزيدوه قيد آخر ويجلسوه وحـــده ويحتفظوا به (قال الراوى) وأن

لؤلؤ خاف على نفسه من الأمير عبد الوهاب وقال والله إن ظفر بى ما أبقى على ووالله لأعملن عملا لايقدر أحد على الملكة زنانير ولا تركت بشرا يصل إليها ولا بد للبطال أن يدخل إلى وأحلفه أن لايتعرض للقلعة ولا للملكة زنانير وأعرفه ماجرى بينى وبين ظالم وما حدثنى به أبو الهزاهز وأقام لؤلؤ على مقالى النار مما جرى (قال الراوى) وأما الملكة زنانير فانها لما أصبح الصباح غاصت فى لامة حربها وتقدمت إلى موضع طعنها وضربها وكذلك الامير عبد الوهاب وكان البطال قد وصل اليه ذلك الوقت بجماعة الامراء والمسلمين من بنى كلاب والسودان الانجاب وهم الالف الذين عبروا فى المركب ففرح بهم الامير عبد الوهاب وهنوهم بالسلامة وسألهم عن ولده ضيغم فقالوا أيها الامير هو فى الدير وعنده سبك وهم فى عافية وأخبروا الملك باكرام عبد الله لهم ووصفوا له حسن القلعة والمنارة فاشتاق عبد الوهاب إليها وإلى نظرها ثم قال حتى نظفر بهذه الشيطانة وأخبرهم بما جرى للملكة زنانير وما فيها من الشجاعة وذكر لهم ماجرى عليهم منها وكيف أسرت ظالم وأبو الهزاهز وجماعة من السودان فقالوا والله ليس على وجه الارض مثل هذه الجارية فالله تعالى يظفرك بها أيها الامير (قال الراوى) ثم أن عبد الوهاب خرج إلى لقاء الجارية وحمل عليها وحملت عليه وقدمت السنان إليه وقد زاد نشاطها وكذلك الأمير عبد الوهاب بذل المجهود فى طاعة الرب المعبود وظهر من الفارسين العجائب فى ذلك اليوم المشهود فبينما الأمير فى قوة جريانه وقد افتخر على أقرانه إذ عثر به الجواد لما يريده الله رب العباد فوقع إلى الأرض فانقضت عليه الملكة زنانير أسرع من البرق وقد تزاعقت الروم بأسر أمير المسلمين والاميرة تنادى والله لم تصل إلى ولدى عبد الوهاب بقوتها ولا أخذته بشجاعتها وإنما لا مفر من قضاء الله ثم أن الاميرة حملت على الملكة طمعا فى خلاص الامير بعد أن سلمت زنانير عبد الوهاب لبطارقتها وطلبت الاميرة وحملت عليها منها ما حير الافكار فقالوا المسلمين أنتم تعرفون أن هذه الاميرة هى قوام العسكر وأن هلكت والعياذ بالله هلكنا وما لنا الا نحمل عليها ونحول بينها وبين الاميرة (قال) فهم فى الكلام وإذا بالاميرة قد لاصقتها ومدت يدها قبضت على أطواقها ونادت الله أكبر فجعلت زنانير تتلوى فى يد الاميرة أسيرة وأشارت الاميرة إلى المسلمين بالحمله فحملوا عن بكرة أبيهم وقد فرحوا بسلامة الاميرة وأسر زنانير وقالوا كم وقعنا فى كربة خطيرة وما يفرجها عنا إلا الاميرة أطال الله عمرها وحفظ ولدها ثم حمل المسلمون على الروم فيالها من ساعة ما كان أعظمها نصرت فيها الابرار وانهزمت الكفار إلى باب القلعة فغلقت دونهم خوفا من المسلمين وبقى العسكر كله لخارج الباب

وأسندوا ظهورهم إلى القلعة وقاتلوا عن أنفسهم باقى نهارهم حتى أقبل الليل ورجعت أبطال الاسلام وقد خلصوا عبد الوهاب وهنوه بالسلامة فقال لهم أنتم تعلمون انى ماقصرت ولكن أدركنى المقدور وقد عثر بى الجواد فى مثل ذلك والحمد لله الذى شد ظهرى بهذه الاميرة هذا وقد أوثقوا الملكة زنانير كتاف وأمرت الأميرة ذات الهمة باحضارها بين يديها فأحضرت وهى فى أكمل زينة من الملبوس وهى تتجلا كانها طاووس وقالت ويلك أتظنين أنك فريدة دهرك ووحيدة عصرك فلولا أن جواد الأمير عثر به فى مقام الضراب لكان سقاك من الموت أمر شراب فاسلى تسلى فلم تجبها زنانير بجواب ولا ردت عليها خطاب وهى فى بكاء وانتحاب فعند ذلك أمرت الأميرة ذات الهمة بحمل زنانير الى خيمتها التى تنام فيها ووكلت بها من يحفظها وقالت لهم ان قطعت كتافها فما تعذرون عليها فوالله العظيم لقد خفت على روحى منها وحملت الملكة زنانير إلى ذلك المكان وتوكل بحفظها عشرة من السودان كما أمرت الأميرة ذات الهمة وقالوا هذه عندنا حتى نخلص أميرنا أبو الهزاهز (قال الراوى) ووصل الخبر إلى لؤلؤ بأسر الملكة زنانير فقامت عليه القيامة وقال ان لم أعمل على خلاص الملكة وإلا فما أنا ولد حلال ويكون لى عندها اليد البيضاء ثم أدعا بالحكيم اقليدس وجماعة من البطارقة وقد صعب على الحكيم أسر الملكة فقال له لؤلؤ لا بأس عليك ياحكيم فبعد ساعة تراها عندك فقال كيف العمل قال لؤلؤ دلونى من رأس القلعة بالحبال وما عليكم منى وكونوا فى انتظارى ولا تضيقوا صدوركم من أجلى فلا بد لى أن أدخل إلى عسكر المسلمين وأتسبب فى خلاصها ثم أنه مما أصابه من فقد الملكة زنانير بكا وانتحب وأنشأ يقول :

دعونى فانى اليوم مشتغل السر ٭ زنانير سؤلى فى القيود وفى الأسر
فوالله إنى لا أزال مشوشا ٭ عليك فيا سؤلى ويامنتهى أمرى
فأنت المنا والسؤل حقا ومنيتى ٭ سأبذل فيك النفس ماعشت فى دهرى
ووالله ما أنساك ما عشت داعيا ٭ إلى أن أوارى بعد ذلك فى قبرى
لقد ملكت منى زنانير مهجتى ٭ وحازت فؤادى فهى مالكة أمرى
وقد أسرتها اليوم فارسة الوغا ٭ وبنت لمظلوم لها العز والفخر

(قال الراوى) ثم ان لؤلؤ قال للحكيم والبطارقة كونوا فى أماكنكم ثم ودعهم وسار حتى اختلط بعسكر المسلمين ولم يزل حتى نامت العيون ووقعت السودان كأنهم قتلى مما لاقوا من التعب ذلك اليوم وكانت الأميرة نامت لأنها فرحت بخلاص ولدها وظفرها بعدوها ونامت بعدما قرأت وردها وشكرت ربها وهى آمنة مطمئنة وقد صار نصف

الليل فعندها هجم لؤلؤ حتى صار فى وسط الخيمة وتقدم الى جانب سرير الأميرة فوجد الملكة زنانير وهى مكبلة بالقيود فتقدم لؤلؤ اليها وقد كشف عن وجهها لئلا تنكره فلما عرفته أشارت اليه أن خلصنى مما أنا فيه فأشار اليها لاتتكلمى ثم دخل تحتها وحملها على كتفيه بقوة ونشاط وخرج من السرادق وخطا رقاب السودان حتى عبرهم وجعل يتخطا المضارب والخيام الى ان أمن على نفسه ووضع الملكة زنانير عن كتفه وحل كتافها وعالج قيدها حتى كسره وساروا جميعاً وزنانير بين يديه كأنها الأسد إذا خرج من الغاب وقد حدثتها نفسها انها تلتقى جميع المسلمين وحدها وقالت للؤلؤ اطاب بنا القلعة فما أبركها علينا من ساعة وحق دينى لاطاوعنك على ماتريد ولا أنسى لك هذه الفعله أبدا ثم جعلا يسيران وقد ستر الله عليهما حتى وصلا الى القلعة ولم يحس الحكيم إلا ولؤلؤ قد صاح به فقال نعم فقال لؤلؤ دلى لنا حبل فقد جئتك بالملكة فكاد الحكيم أن يسقط من الفرح ثم دلى الحبل وأول من صعد الملكة زنانير وقد صارت فى حصنها وقالت ارفعوا حبيبى لؤلؤ فرفعوه حتى صار عندهم واجتمعت الملكة بخواصها فتعجبوا وقالوا من أين دخلتى فقالت أخذ المسيح بيدى وأوصلنى إلى حصنى فلما سمعوا ذلك صلبوا على وجوههم وتبركوا بها وقالوا لولا أن لهذه الملكة عند المسيح منزلة عظيمة لما خلصها المسيح من أيدى المسلمين ثم أمرت زنانير بضرب البوقات والناقوس وطيبت قلوب الروم وقالت لهم ابشروا ففى غداة غد تصل الملوك اليكم وإلى نصرتكم فقد أتتنى الأخبار بوصولهم الينا ويكفونا مؤنة هؤلاء المسلمين ففرحت الروم بذلك وكان الأمير عبد الوهاب خاص لما أسرته الملكة زنانير وأما المسلمين فانهم لما سمعوا أصوات البوقات ظنوا انهم قد كبسوا فركبوا خيولهم وقام عبد الوهاب من مرقده مذعوراً وقصد إلى سرادق الأميرة ذات الهمة وطلب الملكة زنانير فلم يجدها فسأل الاميرة عنها فقالت كانت إلى جانب سريرى وما أصبح لها خبر فقال الامير لاحول ولا قوة إلا بالله خلصت بعد ما ملكناها وما قدرنا عليها إلا بالجهد فياليت شعرى من الذى خلصها ثم قال علىَّ بالبطال فحضر فحدثته الاميرة بالقصة فلما سمع ذلك تغير لونه وقال والله العظيم ماهذه الفعلة إلا من لؤلؤ وما دبرها أحدا سواه (قال الراوى) ولما كان الصباح ركبت العساكر الى القتال واصطفت للنزال فبينما الاميرة قد عولت على الحملة وإذا بغبار قد علا وعجاج قد نما وبان من تحته عساكر ملوك النصرانية وقد أتوا الى نصرة الملكة زنانير فلما وصلوا بعثوا رسلهم يعلموها بقدومهم فلما وصلت رسلهم وسمعت الملكة ذلك فرحت وخلعت على الرسل وطيبت قلوبهم وأرسلت الخلع الى الملوك وأوعدتهم بالجميل وقالت لهم انى أكون لكم

كما تذكرون وتحبون فمضت الرسل وأوصلوا رسالتها إلى الملوك وفرحوا بذلك وكانوا عشر ملوك من عشر أقاليم وكل واحد منهم يقول إن فيه كفاية للمسلمين ثم قالوا نحن غلمان الملكة وخدامها فدعوها تلزم قلعتها ونحن نلق أمير المسلمين وعسكره فلما وصلت الرسالة اليها شكرتهم على فعلهم وقالت وحق المسيح لابدلى ما أخرج وأشاهد القتال وإذا كنت ما أنا حاضرة ربما يكون ذلك سببا لهزيمتهم فانى وحق المسيح خائفة من هؤلاء المسلمين ولا سيما تلك اللبوة الشمطاء والحية الرقطاء ذات الهمة فلا بد لى إن ظفرت بها أن أعذبها فى مقابلة فعلها بى ويكون هذا بحضرة الملوك (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء وأما البطال فانه أرسل إلى غلامه لؤلؤ من غير أن يعلم أحد يقول يا لؤلؤ أنت خلصت الملكة زنانير وأنت تعلم انها قد أسرت أبطال المسلمين وهذه عساكر الروم قدوردت فى هذا اليوم فكما عملت فى خلاصها أعمل فى خلاص المسلمين حتى يكون قد فعلت مايرضى الله ولما وصلت الرسالة إلى لؤلؤ قال والله لقد صدق مولاى ثم أنه صبر حتى وجد من الملكة غفله وأتى الى موضع المسلمين وأطلقهم وأتاهم بحبل وعلقه فى شراريف الحصن وأنزلهم فشكروه على ذلك وأما ظالم فانه لما صار عل وجه الأرض نال من لؤلؤ بالكلام وقال والله إن ظفرت بك لا قتلنك أشر قتلة فلا تطمع فى زنانير فقال لؤلؤ أما أنا فقد عملت على خلاصك وشفعت فيك ولولا أنا كانت الملكة زنانير قد ضربت عنقك ولأجل الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ومولاى البطال فعلت هذه الفعال (قال الراوى) وسارت الأمراء فى ظلام الليل حتى دخلوا عسكر المسلمين ووصلوا إلى خيمة الأميرة ذات الهمه وأخبروها بما فعل لؤلؤ من خلاصهم وانه هو الذى خلص الملكة زنانير وسرقها من تحت السرير فلما سمعت الاميرة ذلك شكرت لؤلؤ على خلاصه للأمراء فلما أصبح الصباح ركبت الملكة زنانير فى تجمل عظيم وأظهرت زينتها وبين يديها خمسة آلاف بطريق وألف شماس وقس ومطرن وكان الحكيم اقليدس عن شمالها ولؤلؤ عن يمينها فى زى الروم خوفا من الروم أن يعرفوه فهى كذلك إذ وصل اليها خبر هروب الاسارى فعظم ذلك عليها وضربت رقاب الذين كانوا موكلين بهم وقد خرج الملوك لاستقبالها وعلى رأس كل ملك علم وعليه اسمه مكتوب (قال الراى) واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وأيقنت الارواح بالحتوف وركب عبد الوهاب وفرسان بنى كلاب وذات الهمة ومعها السودان الانجاب ومالك ابن بشر الاقطع وأبو الهزاهز وقراقد وحملت الرجال على الرجال والابطال على الابطال فيالها من ساعة حقت فيها الحقائق ولمعت البوارق ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل الى

أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وقد سكر الفرسان من غير خمار لكن من ضرب البتار وطعن الاسمر الخطار (قال الراوى) ورجع الامير عبد الواهاب وهو كأنه شقيقة أرجوان وكان قد فعل فى ذلك اليوم فعال الجبابرة لانه أنزل على الروم النقم وبدل وجودهم عدم وكانت الروم فى الف الف وأربعمائة ألف والمسلمون اثنى وعشرون الف وكان النصر للمسلمين وقد هلك من الروم عشرين ألف واستشهد من أصحاب الملك عبد الله ألف (قال الراوى) ولما نظرت الملكة زنانير إلى صبر المسلمين صلبت على وجهها وقالت وحق المسيح ماكان هؤلاء المسلمين من الإنس وماهم الا من الجن والا ماكانوا يثبتوا لهذا العسكر العظيم ثم أقبلت الملكة زنانير على لؤلؤ وقالت يا لؤلؤ بحق المسيح كل المسلمين هكذا فرسان شجعان فقال لؤلؤ أى والله أيتها الملكة هذه صفة كبيرهم وصغيرهم فلما سمعت ذلك من لؤلؤ عظيم عليها وكبر لديها وقالت وحق المسيح انهم فوق مانذكر فقال لؤلؤ ياملكة لو لم يكونوا هكذا لما كان يثبتوا على قتلهم فى مقابلة هذا الجيش العظيم (قال) وبينما الملكة مع لؤلؤ فى ذلك وإذا ببعض الحجاب قد دخل عليها وقال أيتها الملكة أبشرى فقد وصل اليكى هدية المسيح فلما سمع لؤلؤ بذكر عقبة اصفر لونه وانه كان صاحب نعمة فأيقن بزوالها ثم أن لؤلؤ أنشد يقول

بينما نحن فى وصال وخير ٭ وسرر ونعمة واقتدار
واصطباح فى راحة واغتباق ٭ مع فتاة تزرى شموس النهار
لارقيب أخافه فأفاجيه ٭ وأبدى من خونه بانكسار
قد أتى عقبة اللعين الينا ٭ يتهادى فى حلة الافتخار
بعد ما كان فى القيود ذليلا ٭ ومقيرا فى قبضة الابرار
من ترى خلص اللعين ونجا ٭ من الضرب بعدذاك الحصار
نغص الله عيشه فلقد ٭ نغص صفو عيشنا بالـكدار

(قال الراوى) فلما سمعت زنانير شعر لؤلؤ ضحكت وقالت يا لؤلؤ مالى أراك قد تغيرت فقال لؤلؤ أيتها الملكة اسمعى ما أقول لكى فان هذا الشيخ ما هو هدية المسيح ولا هو من القسوس ولا هو من الرهبان ولا من اليهود ولا هو من المجوس ولا له دين بل هو خبيث الإعتقاد سفاك للدماء كثير الفساد يرغب فى محاق العباد وخراب البلاد وأنا عارف مخازيه فما ظننت أيها الملكة إلا أنه هلك فى هذه النوبة مع اختباط العساكر وقد ظفر به البطال وأراه قد خلص منه وما أدرى أى حيلة بها خاص وها هو قد قصد اليك وما أخوفنى أن يوقعنا فى شباك الهلكة وما شيب رأس البطال إلا هذا

الكلب المحتال وأصعب ما عليك فعالك به لأنكى قد أظهرتى له الجفا بعد الصفا وأبغض ما اليه اليوم أنا وإن انتى أكرمتيه ولأجل دينك اخترتيه أرماكى فى المحذور وتخسرى فى جميع الأمور ثم أنشأ لؤلؤ وجعل يقول هذه الأبيات

بحق الهوى بزمان الرضى بوقت السرور بيوم الفرح
أزيلى المنغص من بيننا فقد نالنى منه كل الترح
أنا عبدكم صرت فى حبكم خيالى إذا ما تلا كالشبح
فلؤلؤ قد صار فى حبكم كئيبا وزاد به فافتضح
بحق العتاب أزيلوا العنا بحكم المدام بشرب القدح
خذوا كل كلب لكم بالعصا ولا ترحموه إذا ما نبح
فخلقته مثل وجه القرود ولهجته مثل كلب نبح

(قال الراوى) فلما سمعت زنانير شعر لؤلؤ بكت من بعد ضحكها وقالت يالؤلؤ ما تم ندامه بل أنت عندنا من أهل الكرامة ولكن يالؤلؤ قم إلى تلك الخزانة وادخل حتى نرى لاى شىء ورد ومن أين أقبل وعلى ماذا عول وإذا صار بين يدى أمرت البطارقة بالقبض عليه وآخذه أسير وربما ضربت رقبته وأريحك منه فتبسم لؤلؤ بعد البكاء وأنشد يقول

ولا تحسبوا دمعى لوجد وجدته فقد تدمع العينان من شدة الضحك

(قال الراوى) وان الملكة زنانير أمرت البطارقة أن يدخلوا بهدية المسيح اليها فأحضروه وهو يتلو الإنجيل ولما دخل ورأى الملكة زنانير فى دست مملكتها وبين يديها بطارقتها أشار عقبة إلى الأرض لأثما وقام وهو يتلوا الإنجيل وقد صبت القلوب إلى طيب صوته وغابت الملكة زنانير عن رشدها لحسن نغمته وأخذت فى البكاء والإنتحاب وسكنت تنظر ما أتى به من الخطاب فقال عقبة أيتها الملكة أنا ما أتيت الا على سبيل الوداع وأنا عائد إلى القسطنطينية فقد عظمت الكربة وقد اشتغلتى عن الشيخ عقبة بهذه النوبة الصعبة ولى مع أبيك حق الصحبة واعلمى أيتها الملكة أننى رأيت السيد المسيح فى النوم وهو عليك غضبان لأجل هذا المملوك المسلم الذى قد أشغلك عن دينك ودنياك وأعلمى أيتها الملكة أننى أقسم وحق الإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل إن دام هذا المملوك المسلم عندك لاتصلح لك حال ولا يزال المسيح عليك غضبان فان قبلتى ما أشير به عليكى ما يصل غضب المسيح إليكى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعت الملكة زنانير كلام عقبة عظم عليها وكبر لديها وقالت أيها

الشيخ الصالح ما الذى تشير به على حتى أمتثله قال عقبة الرأى عندى أن تغرقيه فى البحر وقد أمنتى غوائل الدهر ويرضى عنك المسيح بهذا الفعل المليح (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك أمرت زنانير من وقتها أن يأخذوا لؤلؤ ولا يعارضوها أمره ثم قالت يا أبونا قد استرحت من معيرته وعتب الملوك فقال عقبة هذا هو الصواب (قال الراوى) وأن الغلمان أخــذوا لؤلؤ وهموا أن يلقوه فى البحر وكان من الأمر المقدر أن بعض الحجاب لما رأى عقبة وقد فعل ما فعل وأشار بتغريق لؤلؤ مضى إلى الحكيم أقليدس وعرفه بما جرى من عقبة فقام الحكيم بسرعة إلى ان لحق بالغلمان وقال ويلكم ان عقبة قد خدع الملكة وأنا أشير عليكم أن تبقوا عليه فقد رأيتم ما جرى لها فى النوبة الأولى ثم أمرت بتغريقه ومشورتى عليكم هى التى نجتكم من ضرب الرقاب فاتركوه عندى إلى غد حتى أوصل خبره إلى الملكة وأوبخها على فعلها به هذه الفعال وأكشف لها من حيل هذا الشيخ الضلال فقالوا أيها الحكيم لم لا تدخل إليها الليلة وتحدثها بهذه العادة بين يديها وتكون عونا لهذا الغلام فوحق المسيح ما فينا إلا من رحمه قال الحكيم ياأولادى أما تعلموا أن القصر الذى للملكة اذا دخل مائة لايفتح حتى يصبح الصباح ومالى حاجة الى انزعاج الملكة فى هذا الليل وقد انقضا أكثره وبقى أيسره (قال) فباتوا البطارقة عند الحكيم أقليدس وأما عقبة فانه بات يشاهد الملكة زنانير ويخبرها بغرائب الأخبار ويحدثها عن الأمير عبد الوهاب ويذكر لها فعائل البطال ويعوذها منه بالقس والرهبان الى أن أصبح الصباح فقالت زنانير لعقبة يا أبونا القصر مسلم اليك ولا لأحد فيه قول عليك ومهما أشرت أيها الشيخ النجيح فهو الصحيح فقال عقبة أريدك فى هذه الساعة ان توصى البوابين الذين على الأبواب ان لايتعرضون لى ان دخلت أو خرجت من أى باب أردت فقالت زنانير سمعا وطاعة ثم أوصت البوابين أن لايتعرضوا على عقبة فيما يصنع فى القلعة وان أمره فى القلعة كأمرها وعرفتهم انه قوام دين النصرانية فلما استقر ذلك عند البوابين قال عقبة الآن بلغت المقصود من هذه النحسة وحق المسيح لأسلمن القلعة الى غيرها ولأعدمنها نفسها ولأسلطن عليها من لايرحمها (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكانت زنانير لما انتبهت من نومها وجدت عقبة واقف يصلى بلا وضوء وهو فى خشوع وخضوع وهو يتلوا الإنجيل فلما نظرت إلى ذلك من فعل عقبة قالت وحق المسيح ودينى هذا هو هدية عيسى بلا كذب وما كان يشوش على الا ذلك المسلم (قال الراوى) ثم ان زنانير أمرت بفتح باب القلعة وخرجت وبين يديها البطارقة والقسوس والرهبان والبترك والمطران وعلى رأسها بيضة عادية وهى

متقلد بصفيحة هندية وتحتها حجرة عربية وقد ترجلت الملوك عند وصولها فأمرتهم بالركوب ما الحملة على المسلمين وحملت فى أوائلهم وكذلك الأمير عبد الوهاب حمل فى أبطال بنى كلاب والسودان الأنجاب وعمل السيف القرضاب وطلع على الفريقين الضباب ولم يزالوا كذلك الى وقت الغياب فرجعوا وقد نصر الله الموحدين وكانت الأميرة ذات الهمة قد بذلت المجهود فى ذلك اليوم إلا أنها ما رجعت إلا وهى تشكو الالم من جور الحمى وكذلك عبد الوهاب قد بذل المجهود هو وبنى كلاب والسودان الأنجاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما نزلوا فى الخيام وقر بهم القرار واجتمعت للمشورة الأبطال فالتفت الأمير عبدالوهاب الى أبو محمد البطال وقال له ياأخى قد طال بنا المطال فى هذه الديار والأطلال وقد خفت على الأميرة ذات الهمة لأنها ماعادت أمس من القتال الا مريضة وهى والله قوام عسكرنا ودوام سعادتنا فالله تعالى يوقيها الاسوا ويكفيها ما تجده من البلوى فقال أبو محمد أما ماذكرت من طول المقام فى هذه الديار فالصبر هو أجمل الأشياء عند نوازل الأقدار وأنت أيها الأمير أولى بالصبر لأنك فى بلد العدو ولا بقى لنا منها خلاص الا بقوائم سيوفنا وبمعونة ربنا وهذه النوبة أعظم النوب وإن خلصنا منها يكون من العجب ولا بد لعقبة مما يدبر علينا حيلة يعملها أو داهية يفعلها الله لايصلح له عمل ولا يتمن له حيل ولا يبلغه منا أمل (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام البطال قال والله لقد صدقت ولكن قد رأيت من الرأى أننا نرحل فى هذه الليلة الى ورائنا ونعود الى قلعة عبد الله الملك شمشعونا ونسند ظهورنا اليها ونقيم هناك الى أن تأخذ الأميرة الراحة من مرضها وتتعافا إن شاء الله تعالى فقال البطال نعم الرأى الذى رأيت وهو الصواب وأما أنا فانى راحل عنكم أنا وغلمانى ونتسبب فى دخولنا الى القلعة فعسى الله أن يظفرنى بعبورى فان لؤلؤ فيها وهو لنا من أكبر الأعوان ولكن الهوى بلاء فشكره الأمير عبد الوهاب وأمر العسكر بالرحيل على وجه الخفية والاستتار وان لايظهر لهم حس ولا حركة ولا يبلغوا لهم آثار وأقام لهم الامير راشد بن ضمرة فى ثلاثة آلاف فارس على آثارهم وأمره بحفظ من يتخلف من أتباعهم ورحلوا من ليلهم الى أن أصبح الصباح ولم يبق لهم فى تلك الارض آثار ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى قلعة الملك عبد الله شمشعونا ودخل الى الاميرة ذات الهمة فوجدوها قد خف مابها من الالم وكان الملك عبد الله قد فتح خزائنه وأخرج لها من جميع الأدوية وجعل يسقيها ويتلطف بها ويداويها وأقاموا ينتظرون من يتقدم عليهم من الروم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من أبو محمد البطال فانه سار هو وغلمانه

إلى أن دخل الى عسكر الروم حتى يجتمع بلؤلؤ فلما قدم الليل تقدم واختلط مع أصحاب الملكة زنانير ودخل الى القلعة وهو وراءهم وأوى الى دار خراب كانت لبعض الحجاب ولها أيام مغلوقة الباب قال فلما حصل أبو محمد فيها أمن على روحه لانها على غير طريق وأقام فيها يدبر أمره (ياسادة) فهذا ماكان من أبو محمد البطال (وأما ماكان) من لؤلؤ فانه لما حصل فى دار الحكيم أقليدس قال له الحكيم يالؤلؤ اشرح لى قصتك وكيف وصل اليكم عقبة قال يامولاى ان من ساعة استأذن عقبة على الملكة زنانير بالدخول أيقنت باليوم المخذول وحست نفسى بالتلاف وأجهدت على الملكة انها لاتقربه فما سمعت منى وعرفتها انه فاسد الاعتقاد وماله دين وما جاء الا يفسد بينى وبينها وقلت لها هذا يفسد بينى وبينك فحلفت لى انه ما ينالك منه شىء فلما دخل شالتنى فى الخزانة التى لها فى البيت وما أدرى ماكان بعدى وما حسيت بروحى إلا البطارقة وقد أمرتهم بتغريقى (قال الراوى) فلما سمع الحكيم أقليدس هذا الكلام قال للؤلؤ طب نفسا وقر عينا فأنا أخبر الملكة زنانير بخبر هذا الملعون فى بلادنا ومكره فقال له لؤلؤ بالله عليك اسمع حديثنا مع هذا الملعون فى بلادنا بين المسلمين ومكره ولعنته واحتياله وأعماله وما يجرى لنا معه ولا شك أنه عالما مفتونا فى دينه مقيما فى دين الاسلام مفتى فى الأربع مذاهب ويحفظ أربعين ألف خبر من الصحاح عن سيد البشر ويحفظ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ويحفظ كل علم وفتوى وحاكم وقد حاز القصائد كلها ويتكلم بسائر اللغات وأن أمه لما حملت به جاءها أبو مرة لعنه الله تعالى وحط يده على بطنها وهى حامل به وقالت قرت عين إبليس بقدومك أودعتك سحرى ومكرى وهمزى وحزت المكر بمحازيه ودواهيه ولعنته وخبثه وكيف يستحل المحارم كلها (ياسادة) فلما سمع الحكيم ذلك قال كيف يسلم من أيديكم وقد وقعتم به ألف مرة وهو على هذه الصفة فلم تقتلوه وتريحوا أنفسكم منه فقال لؤلؤ لأجل الأمير عبد الوهاب لأنه رأى فى المنام النبى صلى الله عليه وسلم يقول له أن هذا عقبة يصلب على باب الذهب بالقسطنطينية بعد ما يهلك عليه خلق كثير من الروم والعرب فلما سمع الأمير ذلك أصبح أعاد المنام على جميع الناس وأوصى كل من وقع به لايقتله حتى يصح المنام عن النبى صلى الله عليه وسلم لأنه قال عليه السلام من رآنى فقد رآنى حقا فان الشيطان لايتمثل بى فلما سمع الحكيم أقليدس ذلك من كلام لؤلؤ عمل فيه كلامه واستحلى لفظ لسانه ومال إلى حديث لؤلؤ ثم قال لؤلؤ وأنت أيها الشيخ المتغفل عن عبادة الرحمن بعبادة الأصنام والصلبان والكافر بالملك العلام ماأحسن هذه الشيبة وما أكثر مالها من الهيبه لو أنها اتبعت الحق وتكلمت بالصدق ولكن والله

يصعب على أن تكون من حطب جهنم وتنصرف عن جنة عالية قطوفها دانية فيها الطائعون لربهم متنعمون أيها الحكيم ماأغفلك عن الرجوع إلى رب كريم إن دعوته يسمع نداك وإن سألته فى أى شىء أعطاك وإن استغفرته غفر لك وحياك الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية لا إله سواه ولا غفار إلا إياه ماله من ثان ولا وزير فى أوامره فسبحان الله الحنان المنان الواحد الرحمن الذى لايشغله شأن عن شأن اذ قال فى محكم القرآن يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان فالويل كل الويل لعبدة الأصنام والصلبان والتابعين للقسوس والرهبان الذين هم وقود النيران فهل المسيح إلا عبد الله وهو مبشر برسول الله ومريم أمه هل هى الاضلع أعوج وهل هى إلا زوجة رسول الله فى الجنة فعد أيها الحكيم إليها من قريب وراقب الله فقد قبلك السميع المجيب وصرت له حبيب وأنت المريض وهو الحكيم الطبيب واجعلنى سببا لهدايتك ورجوعك وتوبتك وهذا ما عندى وها أنت وأنا وحدى فلما فرغ اؤاؤ من كلامه ومن التوحيد للملك العلام غرق الحكيم فى بحار الخوف والانتقام وأيقن فى قلبه الرجوع إلى ذى الجلال والاكرام فصارت دمعته على خده تتدفق وسلكها على وجنتيه قد انطلق وفكره فى الاسلام قد غرب وشرق وقلبه قد خفق لكلام اؤاؤ قد تحقق وخجل من خالقه وأطرق وقال يا ؤلؤ وقد رفع يديه نحو السماء ونادى إلهى وسيدى افتح له الباب وبحق نبيك واجعل هذا العبد الخاطىء من جملة الأولياء والأصحاب فقد رجع اليك وفوض جميع أموره كلها اليك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الحكيم كلام اؤاؤ ودعاه وما أبداه من التضرع إلى الله سبحانه وتعالى غشى عليه ولم يدر ما بين يديه وعينيه هذا كله ولؤلؤ قد نهض إلى صلاته واستقبل القبلة وقرأ فى أول ركعة بفاتحة الكتاب وبعدها قل هو الله أحد والحكيم أقليدس قد أفاق من غشوته وصار يسمع كلام الله من فم اؤاؤ وكان حسن الصوت طيب النغمة فلما فرغ من قراءته قام إلى منامه وكذلك الحكيم اقليدس فأما لؤلؤ فلم يأخذه منام وصار يرتقب النجوم ويتفكر فيما ابتلى به من محبة زنانير ويدعو إلى الله أن يخفف كربته ويقبل عثرته وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

ولائم لامنى فى الحب قلت له ... لما رأيت أياد تعتقد حمقا
انى اتبعت الهوى ويلاك تعذلنى ... فما يفيد لداعى العذل من عشقا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يزل اؤاؤ يرد على نفسه هذه الأبيات ويبكى وإذا الحكيم قد انزعج من مكانه ومنامه وهو يبكى وقد بلت دموعه لحيته فانزعج لذلك اؤاؤ وقال أيها الحكيم ما الذى رأيت وما جرى عليك فقال الحكيم قبل كل

شيء مديدك فأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فلم يتمالك لؤلؤ عقله وقد تلألأ وجهه واتسع صدره ثم أن الحكيم ابتدأ وقالوا له يالؤلؤ قد كنت على مبارك الطلعة والذى أعرفك به انني نمت البارحة وأنا متفكر فى قولك فرأيت شخصا أبيض مليح اللون ظريف الكون والنور من جهته ساطع والضياء من وجهه لامع والى جانبه شاب أشقر أعقر فقال لى ذاك البهى المنظر أنا نبي المسلمين أنا محمد بن عبد الله وهذا الذى الى جانبي هو عيسى بن مريم فقلت لعيسى يا إلهى أنظر إلى وارحمنى فقال ويلك ومن إلهك فقلت له أنت فقال ويلك كفرت بالواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولد فآمن به ترشد فقلت له ياروح الله وكيف آمن به فقال لى أسلم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وها هو الى جانبي وهو سيد الأولين والآخرين فتقدمت الى بين يديه ومددت يدى اليه وأسلمت على يديه صلى الله عليه وسلم وقد أوصانى بك (قال الراوى) ياسادة ياكرام ففرح لؤلؤ لذاك الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من الملكة زنانير فانها لما أمرت بتغريق لؤلؤ وغاب عن عينها وظنت انها تسلوه ولا ترجع تذكره (قال الراو) ياسادة ياكرام فلما أن أفاقت من سكرتها وصحيت من رقدتها طلبت نفسها لؤلؤ وطلبت من يسليهم فلم تجد أحدا فغرقت فى بحار الافتكار ولاح فى وجهها الاصفرار وذاب كبدها وخانها صبرها وجلدها وطال عليها أمدها ولم تشرح سرها الى أحد بل أنها كتمت سرها وسترت أمرها فلما أن جن الليل فى الليلة الثانية من فقد لؤلؤ حجبت الجوار عن خدمتها ولم تترك أحدا يدخل الى حضرتها وخلت بنفسها تعاتبها وتقول يانفس ما هكذا فعل الكرام رجل استجار بنا وعمل الخير فى حقنا وفارق سيدة والتجأ الينا وترك اتكاله علينا ووقعنا فى الاسر نخلصنا فلقد كافأناه على جميله بالقبيح وحق المسيح وما مسح والبيعة والمذبح ما فعل معى هذه الفعال الا هدية عيسى الذى أشار على بهذا فوحق المسيح لاعذبه عذاب لهداهد ولاصفعن قفاه بالمزاود (قال الراوى) ولم يمكنها أن تظهر سرها لأحد من الأنام ولا تذكر لؤلؤ بل أسبلت عبرتها وتشرقت بلوعتها (قال الراوى) ولم تزل فى بكا ونواح الى أن أصبح الصباح ثم أنها خافت من لوم اللوام والتنكيت بين الاكابر من حاشيتها وصحبها فعادت الى ما كانت عليه من ضحكها ولعبها مع جوارها حتى لاينكر عليها فبينما هى على ذلك واذا بصحية قد علت وضجه أقبلت فسألت عن ذاك فقيل لها أيتها الملكه هذا هدية المسيح قد قدم بريد السلام عليكى (قال الراوى) وكان الملعون عتبة لما خرج من عند الملكة افتكر فى نفسه وعلم أن فى قلبها من لؤلؤ

هوى وغرام إلا أنها ماتجسر إأن تبيح بذلك لاجل أهل قلعتها وكان عقبة لعنه الله خبير باحوال القيادة وصار له بذلك عادة وعلم ذلك عن يقين فأراد أن يميل قلبها عنه ويصرف همتها هذا وزنانير قد أمرت بدخوله اليها فأحضر بين يديها وعليها خمدة وانكسار من خمرة العشق فلما رآها لم يخف عليه ذلك لأنه قدمارس ذلك واختبره وعمره كله فى القيادة واللعنة والمخازى وشرب الخمر وشهادة الزور وقتل النفس التى حرم الله تعالى قتلها فلم يستقر بعقبة القرار حتى تنحنح وقرأ شيئاً من الإنجيل وفسره فأذهل كل من كان هناك حاضر وجعل يقول قال مريحنا المعمدان قال بطرس قال شمعون الصفا قا سيدنا عيسى المسيح اذا وقع مسلم من أمة محمد فى بلاد الروم وعند عباد المسيح وأكرموه فانهم قد خالفونى وخرجوا من طاعتى وأكون ساخطا عليهم ولا أكلمهم يوم القيامة ولا أريهم جنتى ولا أدخلهم دار قدسى وجعل ذلك الملعون يتكلم من هذا الكلام وأشباهه شيئاً ما أنزل الله به من سلطان ولم يزل كذلك إلى أن مل قلب زنانير عن لؤلؤ وصدها عن ذكره فقالت ياأبونا وحق المسيح كلما تقول صحيح ثم نهضت قائمة فلاح لعقبة ثقل ردفها وتدملج ساقها وطيبة أخلاقها فشاقت نفسه الخبيثة إلى عناقها ثم انصرف من عندها وهو يهزى بها (قال الراوى) وكان قد برد قلبها بعد ما كانت له فى نية ميشومة ثم انها امرت الجوار أن تقدم لها الشراب فقدمت أوانى الذهب والفضة والبلور المحكم وبخروا ذلك المجلس بالعود والند وقدموا نفائس المشموم والفواكه فصار ذلك المجلس كانه روضة من رياض الجنة هذا والملكة زنانير قد جلست فى صدر ذلك المجلس كانها حورية من الحور العين وجوارها بين يديها كانهن الاقمار وشرعوا فى أكل الطعام. ولما اكتفوا قدموا المدام ودارت عليهم الاقداح بالراح فلما دارت الخمرة فى رأس زنانير وتمايل شخص لؤلؤ بين عينيها فتجدد نار العشق عليها فأخذت العود فى حجرها وانحنت عليه وأنشدت تقول.

يعز على طرفى براك عليلا ... أوان يلم بك السقام نزيلا
وودت أنى قدملكت سلامة ... فتكون فيها بكرت وأصيلا
فتظل تشفى من سقامك يافتى ... وأظل مما قد عراك بديلا
هذا إليك مشبها أن تشتكى ... وكذا الخيل إذا أحب خليلا

(قال الراوى) ثم زاد الشوق على قلبها فقالت لبعض الخدام على بالحكيم اقليدس وكان الحكيم ولؤلؤ فى ذلك الوقت يتحدثون فى أمر عقبة وإذا بالخادم قد أتى وسلم عليهم وقال ياسيدى أجب الملكة زنانير فقال له حبا وكرامة ثم نهض وسار إلى أن دخل عليها فلما أن رأته قامت على قدمها وسلمت عليه ورحبت به وقالت له يا أبونا ما ترى

ما جرى على من فقد لؤلؤ فقال لها هذا كله من يدك فقالت له وكيف ذلك يا أبونا فقال أعلمى يابنية بأنه قد عمل معك هـــذا الشيخ السوء عملا ميشوما وقد حاق فيك سحره ومكره حتى قربتيه وأبعدت من هو طالب رضاكى وميت فى هواكى ثم أنك غدرتى به وهو محب لك صادق فى الوداد وهو غريب فى هذه البلاد أمين فى نفسه ما عنده فساد ثم غرقتى حبيبك بقول الأعادى والحساد والاضداد حتى تم عليكى ما أشغل قلبك وضيق صدرك فلما أن سمعت ذلك من الحكيم اقليدس بكت بكاء شديداً وقالت ياأبونا وحق المسيح إلا كففت عن ذكر ما مضى ولا تلق قلبي على جمر الغضى فما كان ذلك منى بالرضا ولكن سبق ذلك بالقضاء وبعد ذلك لايعود أحد يذكره إلى فضيق صدرى ويشغل بذكره قلبي أو ما الذى كان سببا فى هلاكه فوحق المسيح لابد أن أذيقه أنواع العذاب وأصلبه على هذا الدولاب (قال الراوى) وما تم على قلبها أمرت أن يصلبوا عقبة على الدولاب وأن يسمروا فى يديه مسامير حديد إلى خشب الدولاب ويجرعوه غصص العذاب ففعلوا به ذلك وهو يستغيث فلا يغاث ويصيح بالملكة وهى لاتزداد عليه الاقساوة قلب وقد بقى عندها أخس من كلب فقالت وحق المسيح لارحمتك ياشيخ السوء كما لم ترحم قلبي فى حبيبى لؤلؤ ولا قبلت فيك شفاعة شافع ومن سألنى فيك صلبته على الدولاب فلما سمعت البطارقة كلامها لم يجسر أحد أن يعاودها فيه ثم أنها أقبلت على الحكيم أقليدس وقالت له ياأبونا ابن عين المسلم لؤلؤ ينظر الساعة هذا الملعون وهو على هذا الحال فقال الحكيم ياملكة فلو رأيتيه إيش كنتى توصلى اليه من الخير فقالت وحق المسيح ما كنت أكون له الاجارية ومملوكة وخادمة ولكن يا أبونا هيهات أن يرجع من قد مضى فقال الحكيم فايش يكون لى عندك ان أنا أحضرته لكى فى هذه الساعة فلما سمعت الملكة كلام الحكيم بكت وانتحبت وقالت يا أبونا خل عنك هذا الكلام ولا تشعل قلبي بنار الغرام فقداشتفى العدو منى ولو نظر إلى سوء حالى لرحمنى ثم زاد بها البكاء وكثرت شكواها وأنشدت

ولو أن أيامه تشترى بذلنا له النفوس فى المبيعا
وكنا نبالغ منه الشرى ولكن أبى الدهران يبيعا

(قال الراوى) فلما سمع الحكيم ما أنشدته الملكة زنانير قال لها ياملكة وحق المسيح والدين الصحيح ما أقول لك إلا حقا ولا نطقت إلاصدقا قالت وكيف ذلك يا أبونا وقد غرقته منذ عشرة أيام فقال الحكيم ما غرق بل هو عندى وكانت سلامته برأيى ومشورتى وسياستى فلما سمعت الملكة كلام اقليدس كاد فؤادها أن يطير فرحا وقالت

يا أبونا وأين هو قال عندى وفى منزلى ثم حدثها بحديثه وكيف لحق البطارقة ومنعهم من تغريقه فعند ذلك انطرحت على أقدام الحكيم تقبلها وقالت لغلمانها ائتونى به وخذوا معكم هذه البدلة الحرير التى كانت لأبى حتى يلبسها ودفعت له غلالة مثاقيل عمل الباب الكبيرة ما تصلح إلا للملوك الكبار وأمرتهم أن يعبروه الحمام وأن يفرغوا عليه تلك الثياب فيالها من ساعة ما كان أبركها على لؤلؤ هذا ولؤلؤ قد اشتاق إلى نظر الأحباب وكانت الملكة زنانير قد جلست تنظره وهى فى أحسن ملبوس وقد غلب عليها الفرح وزال عنها الهم والترح وإذا بلؤلؤ قد دخل وعلى وجناته ورد الخجل إلى أن وقف بين يدى الملكة زنانير ووقعت العين على العين واجتمعت المحبين وأن الملكة ضمت لؤلؤ اليها وقبلته هذا ولؤلؤ قد أخذه البكاء وأقبلت عليه تعتذر اليه وتقول له يالؤلؤ وحق المسيح ما كان الذى فعلته معك باختيارى وإنما ذلك الشيخ السوء دخل على بمكره وخبثه وسحره فلا رحم المسيح له قال لؤلؤ من هو الشيخ النحس فقالت من هو على الدولاب مصلوب من قبل الفجر هذا وقت الغروب وما أظنه وحق المسيح إلا قدمات لأنه فى أسوأ حال فعند ذلك ضحك لؤلؤ من كلامها ونظر إلى الدولاب يدور وعقبة عليه مصلوب وقد همفت وليس له نفس فطار فؤاد لؤلؤ من الفرح وقال يامولاتى الحمد لله الذى أمنت من الرقيب وصح النظر إلى الحبيب فقالت يالؤلؤ مالى أرى أحوالك قد تغيرت فقال ياسيدتى لقد أصبنا بالعين وما بقى علينا من اللحم رطلين فقالت يالؤلؤ عين المحب لاتصيب ولكن القلب يطيب (قال الراوى) وان لؤلؤ أمرت له زنانير بالطعام فاحضروا غلمانها من غرائب الألوان وكانت زنانير مولعة بطباخ المسلمين وكانت لاتستعمل لحم الخنزير وإنما أكلها من الخرفان الرضع والدجاج المسمن وكان ذلك التحضيض من الحكيم وأكلا جميعا وكانت زنانير تلقم لؤلؤ وهو يخدمها ويدعولها ولكن قلبه منكسر فانكرت الملكة ذلك عليه وقالت له حالك ياحبيبى كانك منكسر القلب ومشتغل الخاطر فقال أيتها الملكة ما أحسن توددك الى غلامك ولكنك فى أمرك عجولة تنسين المحب بايسر شىء يكون ثم أنك كلما شيدتى بنيان المحبة والهوى تهدميه بمعول الجفا أسرع من السراج اذا انطفا (قال الراوى) فلما سمعت الملكة كلام لؤلؤ قالت له مضى ما مضى وما بقيت أعود الى مثلها أبدا كيف وأنت كنت الذى خلصتنى من ذل الاسر لما أسرتنى أميرة المسلمين ذات الهمة ومثلك يا لؤلؤ من احتمل وعفا قال فتراى لؤلؤ يقبل أقدامها ويبكى من الفرح وقد زال عنه الهم والترح (قال الراوى) وان الملكة أمرت بنقل آنية الشرب الى مجلس السرور وهى طارمة تشرف

على البحر وكانت تلك الليلة مقمرة فدخل الشرابى الى بين يديها وقبل الأرض وأخبرها بان المكان قد كملت أوصافه وحسن ائتلافه من الرياحين والازهار وقطع البلور الكبار فلما سمعت الملكة ذلك نهضت وأخذت بيد لؤلؤ الى تلك الطارمة وجلسوا على المدام وقد انسدل الظلام وارتفعت أصوات الحراس ورقد جميع الناس ونظر لؤلؤ مجلسا ما مثله على وجه الأرض قد جمع فيه سائر الأزهار وفيه كل شراب رائق كانه الشقائق وقد صففوا فيه الاقداح والصوائن والطاسات والأوانى ونظر لؤلؤ الى البحر وقد طلع القمر وهو فى أعظم هيكل كأنه جبل من الذهب فسبح الله وعظمه ثم علا القمر فى السماء وانبسط نوره على وجه الماء حتى تخيل للناظر انهما قمران وطاب وقت لؤلؤ لما نظر الى القمر والنجوم وتفكر فى ملك الحى القيوم ونظر الى مجلسهم وما فيه من المطربات وحسن تلك الآلات وأقبلوا على شرب الشراب بالاقداح والطاسات وقد تضاعفت لهم المسرات والملكة تغنى له تارة ويلثم ثغرها تارة ثم انها اخذت العود وغنت وجعلت تنشد وتقول

من باع يوما بلذة ربحا ۞ فاجعل تجارة عيشك القدحا
ودع الاصطباح مغتبقا ۞ واستقبل الاعتناق مصطبحا
فان قبلت الذى اشرت به ۞ فانت للوقت تربح الفرحا

(قال الراوى) فلما سمع لؤلؤ شعر الملكة قال يامولاتى وأى انسان يخالفك فى الاصطباح والإعتناق والله ان هذه ليلة تحسب بالعمر كله فمتعنى الله ببقاك وأهلك من يشنىك وأظفرك الدهر باعداك فشكرته الملكة زنانير وأقبلت عليه وجعلت تسقه ريقها الى أن سكر ووقع وهو لايعقل على نفسه ولا يعلم فى أى أرض هو من لذة تلك الخلوة فقالت الملكة وحق المسيح انك لمعذور بما ورد عليك من السرور ثم أمرت الجوار أن يحملوه الى مكانه وامرتهن باكرامه ثم انها جلست مع جارية لها اسمها مريم وقد ربيت معها فى النعم وهى كثيرة الأدب فباتت الملكه معها الى الفجر ولما كان الصباح أمرت زنانير بفتح الخزائن وإظهار الاسلحة على الأصوار هذا وقد تجملت القلعة ذلك اليوم تجملا عظيما من كثرة الدروع والرماح والجواشن والصوارم والبيارق وعلى القلعة أعلام مركوزة وقد أظهرت مالم تظهره أيام أبوها الملك صلبوتا ثم فتحت الخزائن وأخرجت منها الأموال والثياب حتى ملأت مجلسها وأمرت غلمانها أن يحضروا اليها الحكيم اقليدس لتأخذ رأيه فمضت الغلمان وأتوا به وقال فى نفسه والله مابقيت أشتهى أنظر لوجه من يكفر بالله ولكن للضرورات أحكام ثم قام مسرعا الى طارمه الملكة وكانت زنانير قبل أن يصل اليها الحكيم قد بعثت الى لؤلؤ وأحضرته وسألته عن مبيته وسكرته

فقال لؤلؤ يامولاتى من ينظر الى ذلك الوجه المليح فى ظلام الديجور كيف لايسكر من السرور ثم أن الحكيم دخل إليها وقبل الأرض بين يديها وسألها عن أحوال لؤلؤ و ليانه فأعادت الملكة عليه ماتم له من الفرح والسرور وشرب الخمور (قال) فالتفت الحكيم الى لؤلؤ وقال طيب المسيح عيشك اشتغلت بخدمة الملكة زنانير ولا رجعت تذكر كبير ولا صغير فقال لؤلؤ ياحكيم من أراده مولاه أشغله عن خدمة ماسواه ثم أن الملكة قالت ياحكيم اعلم أنى ماجمعت هؤلاء الملوك الا لأجل قتال المسلمين وقد بلغنى عن عسكرهم انه رحل الى قلعة الملك شعشونا وهذا يدل على ضعفهم وقد رأيت أنى أخلع على الملوك خلعا فاخرة وأتحفهم بالتحف والعطايا وأرسلهم الى عسكر المسلمين وأخلو بنفسى ولؤلؤ عشرة أيام فقد نحل جسمى وتغير رسمى فقال الحكيم لا أهانك المسيح لك قدرا ولا صعب عليك أمرا أما قولك انك تخلعى على الملوك فافعلى وأما ما ذكرتى من الهم الذى اعتراكى فعليك بالمدام لأنها تظهر السرور وتزيد فى الغبطة والحبور (قال) فلما سمعت ذلك من الحكيم وما أشار به عليها قالت على بالحاجب فحضر بين يديها فبعثت معه الهدايا التحف والظرف والآنية السنية من الذهب والفضة وعرفته يعطى لكل واحد من الملوك من الهدايا والتحف (قال الراوى) وكان الحاجب اسمه مرتوما وكان أديبا لبيبا عاقلا فقبل الأرض وأخذ جميع التحف التى أعطته ونزل من القلعة ومعه مائة بطريق عليهم ثياب الأطلس ومناطق الذهب وسار الحاجب حتى قدم على الملوك وتقدم الحاجب مرتوما إلى الملك دقيوسا وخلع عليه خلعة سنية بازرار من اللؤلؤ الكبار وتوجه بتاج من الذهب الأحمر مرصع بالياقوت والجوهر وقدم سائر التحف وأوعده سرا بزيادة الهدية والخلع والعطية حتى ينصرها على عدوها وكذلك فعل بالملك شيبوص والملك أقرون وسائر الملوك فلما سمعوا ذلك ترجلوا والأرض قبلوا وبالدعاء لها أعلنوا هذا والملكة زنانير واقفة تنظر اليهم من أعلا قصرها وعلى رأسها تاج قد تشعشت جواهره وبدنه من اللؤلؤ فى شريط ذهب أحمر ضوئها يأخذ بالبصر وصار كل ملك منهم يقول أنا أتولى قتال المسلمين بروحى وأتقرب إلى الملكة زنانير بذلك ثم ضربوا بوق النفير وساروا فى طلب المسلمين ورجعت الملكة إلى قصرها وقد زالت عنها الكروب ووجدت ترحيل الملوك عنها غاية المطلوب ثم خلعت على الحاجب مرتوما خلعة فاخرة وكذلك على الحكيم اقليدس وعلى لؤلؤ واستقر قرارها ودعت بالبنائين والحجارين وأمرتهم ببناء القلعة واصلاح ما تشعث منها وأقامت النجارين تعمل المناجيق والعرادات وغير ذلك وأخذت

أهبها واحترزت من عدوها وأراحت قلبها فى تلك الأيام فرجعت إلى ما كانت عليه من الشحم واللحم والقوة لأن الهم ينحل الجسم (قال الراوى) فهذا ما كان من الملكة زنانير (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها برئت من المرض وقامت إلى طاعة الفرد الصمد فلما وصلت الملوك إلى قلعة عبد الله شعشعونا طلعت المسلمين على الأصوار ينظرون إلى ذلك العسكر الجرار فتحيروا من ذلك وكان الأمير أبو محمد البطال لما فارق الأمراء على أنه يدخل إلى قلعة العلك ويأخذ أخبار الملعون عقبة فلم يجد البطال له عبور إلى القلعة فرجع إلى قلعة الجوزاء ولحق بالأمراء وفرح بعافية الأميرة ذات الهمة ولما كان ذلك اليوم اجتمع به الأمير عبد الوهاب وقال له ياأبا محمد هذه والله نوبة عظيمة ما سمعنا بها فى الأمصار ولا رأينا شكلها فى الأقطار ، والله إنى أخاف أن تكون هذه النوبة سبب هلاكنا وانقطاعنا عن ديارنا فانا لله وإنا اليه راجعون ما الذى نصنع وكل واحد منا يكون نائبه منهم الألف لأنهم فى عدد الرمل والحصى فنسأل الله العظيم بحرمة نبيه الكريم أن يجعل لنا من أمرنا فرجا ويخرجنا من هذه الديار سالمين إلى ديارنا آمنين فقال البطال أيها الأمير عليك بالصبر فان الله تعالى يخلصنا بمشيئته وكرمه وهو على كل شىء قدير واعلم أيها الأمير أن بعضهم يقول

عسى الهم الذى أصبحت فيه يكون وراءه الفرج القريب

ثم قال أيها الأمير ما لهؤلاء القوم إلا المبارزة والتقاط ملوكهم واحد بعد واحد وقد انهدمت أركانهم وضعفت قوتهم أنت تارة بالشجاعة وأنا تارة باللصوصية فما دمت أيها الأمير أنا فى قيد الحيـاة فلا تنسى خديعتى وحيلى وتدبيرى فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من كلام البطال ضحك وسلا عنه بعض ما كان يجده وقال له عبد محمد (قال) فشكره البطال وقبل بين عينيه وقال له الآن قدمن الله بعافية الأمير الوهاب إنك لم تزل مفرج الكروب ومزيد الشدائد وصنايعك لاينساها أحد ياأبا لأنها قوامنا وعمادنا وكم من وقعة قد وقعنا فيها وكانت الأميرة كاشفة لما نزل بنا من كربتنا والله تعالى يطيل عمرها ثم قال أبو محمد للأمير عبد الوهاب إنى أريد أنزل الليلة واختلط بهذا العسكر وأفرجك على ما أفعل وأريك فى هؤلاء الملوك ما يسرك (قال) فشكره الأمير على كلامه وقال له أيدك الله بالمعونة يا أبا محمد ثم ان الأمير ودع البطال وسار وقد أخذ معه غلمانه يانس وجوهر ونزل من القلعة فى أحسن زى يكون واختلط فى الظلام بعسكر اللئام ولم يزل حتى وصل إلى أصحاب الملك أقرون فاختلط البطال بهم وشرع يسامرهم ويحكى لهم حكايات الروم وسير الملوك ثم سألوه البطارقة عن حاله وقد أنكروه وقالوا له ياهذا من تكون من الروم فقال لهم بالرومى أنا بطريق من أصحاب

الملك الدهمار وأن الملك الدهمار كان كثير الفساد ودأبه هلاك العباد فعجل عليه المسيح بالنفاد وقد هلك على يد صاحبة الوجه المنير زنانير وبقيت أنا وحيد فريد وأريد منكم تأخذوا لى شغلا عند الملك أقرون حتى أستعين به على زمانى مادمت حيا فقالوا له خواص الملك أقرون وأى شغل كان لك عند الملك الدهمار قال كنت له فراشا وخازنا وكنت شرابيا وكان يعتقد فى أموره على لما يرى من نصحى له وقضاء حوائجه وأنه قط ما غير على (قال) فلما سمعوا البطارقة ذلك من حديثه قالوا وحق المسيح أن الملك اقرون له زمان متطلع إلى خدمة واحد مثلك فابشر فنحن نعرف الملك بمكانك فقال البطال وعلى ذاك كنت أدور ثم قرأ لهم شيئاً من الإنجيل يشفى العليل وأوردلهم حكايات عن الملك دهمار شيئاً ما أنزل الله به من سلطان فملك البطال قلوبهم وسبا عقولهم ودخل كبيرهم إلى عند الملك أقرون وأخبره بحديث صاحب الدهمار وما هو عليه من الثقة والعلم والشفقة فتعلق به قلب الملك أقرون وأذن له فى الدخول فلما مثل بين يديه أشار البطال إلى الأرض لاثما وعلى الملك مسلما وكان البطال قد غيرت حليته وأرخى له شعر أشقر كأنه خضب بالحنا ومشطه بالمشط مرار عده حتى بقى كأنه الكتان الممشط ولبس أحسن ملبوس من الأطلس الفاخر وعليه آثار النعمة وزى الحشمة فأكرمه الملك اقرون وأمره بالجلوس وسأله كيف كان مع الملك الدهمار فبدأ البطال يحدثه بأخباره ويذكر له أحاديث لم يسمع قط بمثلها ولا فعل أحد قط شكلها والملك يتعجب منه وينطلى عليه كلام البطال وأن الملك اقرون خلع على البطال خلعة سنية ثم قربه اليـــه وقال هذا قد خدم الملوك وعرف مقاصدهم ومقادرهم وبات البطال عنده تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركبت الألوف واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وتقدمت الملوك من كل جانب وطلبوا القتال (قال) وعزم الأمير عبد الوهاب على فتح البـــاب والخروج إلى مقام الحرب والطعان فقالت الأميرة ما هـذا صواب يا بنى لوجوه عدة أحدها إنى بطلانه من أثر المرض وموعكة وأخاف من الانتكاس ونحن فى قلعة حصينة عالية مامثلها قط قلعة ولا علها خوف ولو أقاموا عليها سنة ماوصلوا اليها فانصب يا بنى المنجنيقات والغرادات وارمى بالنشاب والحجارة فنحن الظافرين عليهم إلى أن يسهل الله تعالى بالفرج وأجد القوة والنشاط فى نفسى وأخرج إلى البراز وألتقط ملوكهم أحسن التقاط فقال الأمير عبد الوهاب يؤيدك الله يا أماه بالمعونة والشفا (قال الراوى) وأن الملك أقرون تقدم فى ذلك اليوم بنفسه وكان شيخا كبيرا نبرز فى أصحابه وكان فريدا فى شجاعته وبراعته نتقدم

وحاصر المسلمين (قال) وأرموهم المسلمين بالأحجار والطلاقات الكبار من فوق الأصوار وقامت بينهم قوائم الحمام وتقدم كل فارس ضرغام ونفذت السهام إلا أن الملك أقرون أتته من أعلا الحصن نبلة فوقعت فى صدره طلعت من ظهره فوقع أقرون كأنه الثور إذا مات وحلت به الآفات فعند ذلك ضج المسلمون من فوق الأصوار بالتكبير والصلاة على البشير النـــذير (قال الراوى) ثم أن الروم حملوا بعد قتل أقرون ملكهم وقد خرقوا أثوابهم وغضبوا لقتله وتقدموا إلى القتال وأضرمت نار الحرب اشتعال وجعل البطال يحرض الملوك على هلاكهم وقد انفصل من أصحاب الملك وغير ذلك الزى الذى كان فيه وقتل ذلك اليوم من الروم زهاء عن عشرة آلاف همام ورجع الروم إلى المضارب والخيام وقد رجعوا أصحاب الملك أقرون واستجاروا بالملك شيبوص وقبلوا الأرض بين يديه وقد صعب عليه قتل الملك أقرون وأخذته الرحمة لأصحابه وأوعدهم أن يكون عونا لهم على عدوهم فلما سمعوا ذلك بكوا وكان معهم ولدا الملك اقرون المقتول كأنه القمر فقدموه بين يدى شيبوص فأخذته الشفقة عليه وعزم على أنه يكبس الملك كندفرون (قال) وكان كندفرون قد حمل على أصحاب الملك أقرون عند قتله فقتل منهم مقتله عظيمة لأجل عداوة كانت قد سبقت بينهم من قديم الزمان (قال) وكان للملك شيبوص حكيم يأنس اليه فقال اعلم أيها الملك أن هؤلاء الملوك قد عزموا على نهب المسلمين وكل منهم قد حنق عليهم فدع هذه النوبه تكون على غيرك ولا تكون على يدك فتكون سببا لهلاك الروم فلما سمع شيبوص كلامه انقلبت عيناه فى أم رأسه وشخر ونخر وطغى وتجبر وصلب على وجهه وقال ويلك وكيف لا أفعل وقد استجاروا بى ومن يده أطول من يدى ولولا أنك من أرباب العلم فى ديننا لأحرقتك بالنار ولكن سوف أذيقك البوار ثم ضربه بالسيف طير رأسه وقام عرق الغضب بين عينيه فتأخرت البطارقة من حواليه خوفا من سطوته ولعنته وشره ولم يجسر أحد منهم ان يتكلم (قال) ودخل الملك شيبوص سرادقه وقد ارتعبت القلوب منه (قال الراوى) وباتت الملوك تلك الليلة فى أنحس مبيت خوفا من الملكة زنانير أن تسمع بالفتنة التى جرت وكل منهم أضمر لأصحاب الكندفرون الهلاك فلما أصبح الصباح جردت الصفاح وشرعت الرماح فأول عسكر ركب كان عسكر شيبوص وقصدوا أصحاب الكندفرون وهو فى أوائلهم أصحابه كانه مجنون ووقع بينهم الحرب وكثر الطعن والضرب فيالها من ساعة فيها طارت الرءوس وعملت السيوف وفرحت المسلمين بالخلف الذى وقع بين الملحدين وامتلأت من قتلاهم الأرض والديم وجال عليهم العقاب والرخم فقال الأمير عبـــد

عبد الوهاب هذا هو المراد وقتل فى ذلك اليوم من الروم خلق كثير إلا أن أصحاب الملك شيبوص كانوا أثبت عند اللقاء ولولا أن الليل أقبل على اصحاب الكندفرون كانوا شربوا كأس المنون ورجع كل أحد إلى سرادقه وقد ضيق على صاحبه مخانقه وتواعدوا أن يكون اللقاء فى غد وفى تلك الساعة وصل ولد اقرون وكان اسمه صابور ومعه خمسة آلاف من الابطال وكان شجاعا لايلتقى يوم النزال وكان مجيئه تلك الليلة لسعادة المسلمين لحديثه يأتى إن شاء الله فلما علم الملوك بوصول ابن الملك اقرون فى آلاف فزعوا من ذلك واجتمع ولد الملك اقرون بالأمير أبو محمد البطال فقال البطال لا بأس عليك أيها الملك فالمسيح يعظم أجرك ويبلغك من أعداءك قصدك وكان الملك صابور قد قرأ كتب سائر الروم والمسلمين وكان يسمع آخبار المسلمين وكان رقيق القلب فلما أصبح الصباح اصطفت الصفوف وبينما العالم وقوف واذا بفارس قد برز بين الصفوف وكان ذلك الملك الكندفرون وهو على جواد أدهم زايد فى السواد كانه من خيل عاد ولما سمع الغلام صابور بذلك أمر أن يقدموا له جواد فأتوه بجواد أصفر عالى من الخيل مضمر وحمل كل واحد منهما على صاحبه وقد تطاولت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق هذا وقد ارتفع الغبار وغابا عن الأبصار وأن البطال فزع على الغلام صابور من اللعين كندفرون وأيقن انه يهلكه فقال أن كانت علينا هلكنا كلنا لأن الملوك كلهم علينا لاسيما وأنا اليوم حاجب الحجاب وحق الله لو قدرت على الهرب لهربت ولكنى قد بليت بهم وطار عقلى من هذا اللعين كندفرون وأنه إن ظفرت بهذا الغلام صابور لايبقى عليه ولا على أحد من خواصه ولم يزل البطال فى قلق وفؤاده قد احترق واذا بكل واحد من الصفين قد زعق والخصمين كل منهما على غريمة قد أطبق وصوب بالطعنة الى صدر صاحبه فجاءت طعنة صابور للقضاء المقدور فى صدر كندفرون طلعت ثلاثة أكعب من ظهره فعند ذلك صاح البطال من شدة الفرح وقال لاشلت يداك ولاكان من يشناك ثم حملوا أصحاب صابور على عسكر كندفرون ومكنوا منهم قواطع البواتر والحقوا الاوائل بالاواخر وقتلوا من عسكر كند فرون فى ساعة واحدة عشرة آلاف فارس وراجل وقد نزل بهم الآفات والنوازل وجاء الحق وزهق الباطل وأسر منهم خلق كثير فعظم ذلك على باقى الملوك وأضمروا للملك صابور الهلاك والثبور وعزموا غداة غد يخرجوا الى قتاله هذا والمسلمون قد شكروا الله على الخلف الذى جرى بين الملحدين وقال الامير عبد الوهاب السعيد من كفى بغيره والله العظيم لقد طال شوقى الى البطال وما أدرى فى أى مكان هو وأنى أرى غيبة عقبة قد طالت وما أعلم خلص من البحيرة أومضى الى

بعض هذه القلاع يدبر أهلها ويحرض المخازى علينا (قال الراوى) فهذا جرى وأما صابور فانه اجتمع بوجوه قومه وبالبطال فى تلك الليلة وقال لهم أعلموا اننا قد حصل لنا فى هذه الأرض ماحصل وقد كثرت أعداؤنا وحنقت الملوك علينا واعلموا أن معادات الملوك من انقراض الدول وإن نحن أقمنا نتازعهم فهم أقوى شوكة منالاننا فى سبعة آلاف وهم فى ماية ألف فارس وما تنفع الشجاعة فى كثرة الجماعة والرأى عندى أن لا يصبح الصباح وفى هذه الأرض منا أحد (قال) فلما سمع البطال هذا المقال قال هذا هو الصواب ولقد نظرت أيها الملك موضع النظر فكفيت جميع النوائب والخطر لكن أفرق فى ساقة العسكر من يعرف فيه الثبات ويكون معه ألف فارس من وجوه العسكر حتى يحفظوا من يتخلف وترحل أنت على أحسن رحيل وتأمن منهم فاذا قطعنا بعض الطريق وخرجنا من هذا المضيق لا يبقى فينا مطمع وان تبعنا منهم أحد فما يدركونا الا ونحن فى بلادنا فقال صابور لابى محمد زاد المسيح فى رأيك فما أبرك هذه السفرة وأما أشفقك على عباد المسيح قال وان الملك صابور دعى ببطريق من أصحابه وكان شجاعا مقداما يعد بألف بطل وأضاف اليه ألف فارس وأوصاه أن يسير خلفهم على الأثر وصار الملك صابور فى باقى العسكر بلا بوق ولا طبق إلى أن تكاملوا وساروا والملك صابور قد أخذ البطال الى جانبه وهو يحدثه ويسأله عن حاله ثم قال الملك وحق المسيح لولا أنى خفت على أهلى وأصحابى أن يفنيهم هذا العسكر العظيم لما كنت وليت عنهم وكنت آخذ المشار اليه منهم كما فعلت بالكندفرون وكنت آخذهم واحد بعد واحد ولكنى رأيت الحرب أهون على من الهلاك أنا وقومى فقال البطال ما عملت إلا الاخير فلما اطمأنوا القوم ساروا يطلبون بلادهم (قال الراوى) وأصبح الملوك فلم يجدوا لهم أثر فقال الملك دقيوسا وحق المسيح لاخربن ديارهم ولكننا نترك أمرهم فى هذا الوقت ونرجع الى حصار المسلمين ونرضى الملكة زنانير فقالوا جميـــع الملوك هذا هو الصواب أيها الملك واتفق رأيهم على ذلك وداموا فى قتال المسلمين وحصارهم ورموهم المسلمين بالاحجار فجرحوا منهم خلق كثير لأن حجر المنجنيق الذى للمسلمين وماكان يخطى وكذلك نشابهم من كثرة ما كان الروم تحت الحصن ولم يزالوا الى أن مضى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه فعند ذلك قال الامير عبد الوهاب هذه والله نوبة ماسمعنا بمثلها ولكن الصبر أجمل فان الاعدا كل يوم يهلك منهم عالم عظيم ونحن ما علينا سبيل وها نحن صابرين حتى يأتى الله بالفرج من عنده ونسمع أخبار أبو محمد البطال فقد غابت عنا أخباره وخفيت آثاره فالله تعالى يفتح على يديه قريب أنه سميع مجيب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان

من شيخ الضلالة عقبة فانه أقام على الدولاب يوم وليلة وقد أخفى نفسه ولم يتنفس حتى قيل للملكة زنانير أنه قد مات فعند ذلك أمرتهم بنزوله عن الدولاب فانزلوه البطارقة والغلمان ونظر لؤلؤ إلى عقبة فظنه ذلك فقال إنا لله وإنا اليه راجعون والله ابن سمع عبد الوهاب بموته ليضيقن صدره وتشمت به الأعداء ويصير عند الناس كذاب ثم أن لؤلؤ إلى عقبة وهو لايشك فى موته فوضع يده على فؤاده فوجد نفسا طالعا فقال ياقوم على بقليل ماء فاحضروه اليه فرشه على وجهه فعندها فتح عينيه الصحيحة وقال يالؤلؤ إذا قتلتم فلا تقتلونى على هذا الوجه وكانت الملكة زنانير تسمع كلامه فقال له لؤلؤ ياشيخ ما هذا شىء يقتلك ولكن حتى تذوق العذاب ثم أن لؤلؤ أمر الملكة أن تسلمه إلى من تثق اليه وتجعله فى مطمورة ويحتفظ به غاية الإحتفاظ لكى لايعمل على الحصن لايهرب ويستجير ببعض الملوك ويأتى به إلى قتالهم مثل النوبة الأولى فقالت لا وحق المسيح لا أجد له حرزا أجود من هذا السيف ألوح به قحفه وأرغم أنفه فقال لها لؤلؤ بحق ما تعتقديه من دينك هبيه لى وكفر عن يمينك (قال الراوى) فضحكت من قوله وقالت ما يكون له احفظ منك نخذه اليك فوحق المسيح ما فى بقائه راحة لى ولا لك فقال لها لؤلؤ والله ولا لجميع الناس وكل من على وجه الأرض ماله فى حياته راحة ثم خرج به لؤلؤ وبيته فى منزله فى ايشم مبيت وقد نام لؤلؤ مطمئنا (قال الراوى) فلما كان وقت السحر بكى عقبة واستعبر وعلا بكاؤه وظهر وجعل يلطم على وجهه ورأسه ويعاتب نفسه ويقول ياشيخ السوء إلى متى هذه الغفلة التى أنت فيها وإلى متى هذه الضلالة ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فلقد أسودت الصحيفة وأبيضت الشيبة وجاء وقت الوفاة هذا وقت المصالحة هذا وقت التجارة الرابحة فوامصيبتاه وأخجلتاه بأى وجه ألقى الله ثم بكى بكاء عظيما فأفاق لؤلؤ من نومه وقد وقع به التحيير وكاد عقله أن يطير وفرح وقال والله هذه فعال ما قد تاب توبة صالحة ثم جلس فى فراشه وجعل يتسمع على عقبة وكان مقيد فى خزانة وعلى الباب قفل وزنه من بالميزان وما فى تلك الخزانة منفذ غير شباك حديد والوصول اليه صعب شديد فجعل لؤلؤ ينصت إلى كلام عقبة وهو يبكى ويتذلل ويخضع ويخشع (قال) وناداه لؤلؤ طب نفسا فما احسن هذا الندم لو كان خالصا لله عند ذلك شكت عقبة ولم يجيبه بل قال إلهى وسيدى ان كنت قبلتنى فاقبضنى ولا تطلع أحد على أمرى الا عبادك اصحاب الاسرار ثم الاولياء الابرار ياحليم ياغفار إلهى وسيدى قد أعترفت لك بالوحدانية وأقررت لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة فاقبضنى على هذا الاعتقاد يامليك ياجواد ثم تنفس

الصعداء وسكت (قال الراوى) ثم انتظره لؤلؤ وفتح عليه الباب وقال له ما الذى تريد فقال ياولدى أطلب شيئاً من الماء أسبغ الوضوء به وأصلى فان لى زمان فى الكفر والضلالة فأتاه لؤلؤ بطشت من الفضة وابريق من الذهب فلما أحضرهم لؤلؤ قال له عقبة ما هذا يا لؤلؤ وأنت قد صاحبت الأمير أبو محمد والأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب وتعلم أن آنية الذهب والفضة حرام (قال الراوى) فلما سمع لؤلؤ ذلك من كلام عقبة قال له والله لقد صدقت ياقاضى وأنا أعلم أن مالى فى صلاتى شىء لأجل ذلك فقال له عقبة ياولدى أنت معذور وفى شراب العشق مخمور فقال له لؤلؤ ياقاضى إن قدرت على النهوض إلى الفسقية فتوضأ منها فقال قد ذهبت منى القوة فقال له قم حتى أعضدك إلى البركة فقام عقبة يضعف ويتراخا ولؤلؤ يعضده حتى أوصله إلى البركة فاستفتح الوضوء على التمام وقد تحير لؤلؤ منه ثم رجع إلى الصفة وبسط سجادة كانت للؤلؤ يصلى عليها ثم تركه لؤلؤ ومضى فأسبغ وضوءه ورجع اليه نصلى به عقبة وقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة الحاقة إلى أن وصل إلى قوله تعالى ونفخ فى الصور نفخة واحدة فبكى عقبة وبكى لؤلؤ حتى كادا أن يخرجا من الصلاة ثم قرأ فى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وسورة سأل سائل حتى وصل إلى قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ثم ركع وكاد لؤلؤ أن يسقط إلى الأرض من طيبة نغمته وحسن تلاوته ثم جلس للتحية وقال قد غفرت ذنوب الصادقين ثم جلس عقبه يدعو ودعا لؤلؤ بالعافية وللملكة زنانير بالإسلام وأن يرزقها للؤلؤ حلال لاحرام (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعه وهو يدعو له طارت الدمعة من عينيه وقال له استجاب الله منك هذه التوبة فقال له يا لؤلؤ بالله عليك اكتم هذا الأمر ودعنى عندك مقيد الى ان يقضى الله ما هو قاض فان كان لك سعادة ورجعت إلى بلاد الاسلام تخذنى معك إلى اين سلكت حتى اكون اعبد الله تعالى وان كانت القضية فاشهد لى بهذه التوبة ولزوم الدين عند المسلمين والسلام فقال له لؤلؤ والله العظيم ما تكون إلا فى أحسن حال وأنعم بال لافى قيد ولافى أغلال فعند ذلك قال له عقبة يامولاى انما قلت لك هذا الكلام حتى لايقع فى قلبك منى نفار وهيهات هيهات يالؤلؤ ذهب العمر وضعف القوى والحال يغم وأنشد يقول

قد كنت للحدة من ناظرى ٭ أرى المنهى فى ليلة مقمره
لكننى أنظر منها وقد ٭ غير منها الدهر ما غيره

وَاليوم ماأنظر بدر الدجا ٭ الا بعين تشتكى البشكره
من َجاوز الستين من عمره ٭ رأى أمورا فيه مستنكره

(قال الراوى) سادةيا كرام فقال لؤلؤ طب نفسا وقرعينا وكن ههنا مقيم على أنعم بال وابشر ببلوغ الآمال (ياسادة) ولما تضاحا النهار بعثت زنانير الى لؤلؤ تستدعيه الى قصرها وتطلعه على سرها فأجابها بالسمع والطاعة ثم غلق الباب على عقبة ودخل على الملكة زنانير فلما رأته قامت له وأستقبلته بالسلام وأجلسته إلى جانبها وجعل يتملا بالنظر منها ثم أقبلت عليه تسأله عن أخبـــار المسلمين وهى كلما حدثهما تتعجب وتضحك (قال الراوى) فهذا ما كان من حديث زنانير ولؤلؤ والقاضى عقبة (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه دخل مع الملك صابورا إلى قلعة شاهقة كأنها بالسماء لاحقه وهى من الحجر الأسود الأملس يعجز النمل أن يدب علها وهى على قلة جبل أجرد كأنه الليل الأسود والصعود اليها من مكان ضيق فقال الأمير أبو محمد البطال هذا والله هو الحصن العظيم أسأل الله تعالى أن يملكه للمسلمين فوالله أن ملكنا هذا الحصن لنملكن به سائر القلاع أجمعين لأنه بخلاف حصن عبد الله شعشعونا وعلى رأس هـــذا الحصن دولاب من العود القمارى وهو يشرف على البحيرة من ناحية الشرق فلما استقر بالملك صابور القرار سلم المفاتيح كلها إلى أبو محمد البطال وكان قد سما روحه قربا وقد قال له الملك أعلم أن نظرك فى هذه القلعة كنظرى وأمرك كأمرى فلما سمع أبو محمد ذلك صلب على وجهه وخدم الملك ودعا له وأقام معه أيام وليـالى والملك صابور يزداد به فرحا وسرور ثم أنهمم أجتمعوا ذات يوم يتحادثون حتى أفضى بهم الحديث إلى وصف الأديان فقال الملك صابور لأبى محمد ياقربا ما أوحش هذه الأديان كلها وأعلمك انى قد قرأت سائر الكتب والتواريخ فما رأيت أحسن من دين المسيح ولولا أن لنا هذه الآية الذى فى هذا الدولاب لاسيما أيام العيد الكبير لأن المسيح يبعث لنا ريحا حادة فى ذلك الموسم والأمان فتدير الدواليب حتى تبقى كأنها الطواحين وتنور الأنوار وتظهر الكرامات وتنزل الحواريون وينزل المسيح على الدولاب الأكبر الذى على قلعة الملك صلبوتا فتحيا البلاد والعباد وتخصب الأرض ولولا ذلك لما رضينا بمذهب النصارى وما هم عليه (ياسادة) فلما سمع أبو محمد كلام الملك قال له أعلم أيها الملك أن هذا الحديث يتزايد ويتناقص فقال له الملك وكيف ذلك ياقربان فقال له أيها الملك فهل رأيت أنت المسيح بعينك وقد نزل على الدولاب فقال له لا ولا أحد من الحواريين إلا أننا نرى فى حلل الغبار أشخاصا وقد بسطوا أيديهم وقد رفعوا رؤوسهم

إلى السماء فقال له أبى محمد أيها الملك أتفكر فى هذا وأنا عند الملك الدهمار وكنت أحدثه بأحاديث المسلمين وكان يتعجب من حديثى وكنت وجدت فيما قرأته من كتب المسلمين أن من توضأ وصلى صلاتهم ونام على نية الاسلام يرى فى منامه أشياء تدل على برهان الحق فى الدين وربما رأى ذلك فى اليقظة فلما سمع الملك الدهمار ذلك منى أراد أن يختبر صحة ذلك ففعل ما أمرته به فلما أصبح ذكر أنه رأى دلائل غريبة وآثار عجيبة وأنه رأى المسيح فى اليقظة ومعه نبى العرب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم وهو يقول لقد خسر من كفر بك يامحمد لأنك النبى الصادق ولقد كذبت النصارى عليك يامحمد فأشهد إنى برىء منهم فلما رأى فقلت له أيها الملك الدهمار أتى إلى وهو مرعوب وأخبرنى بما رأى فقلت له أيها الملك ربما يكون ذلك أضغاث أحلام خوفا عليه أن يصبوا لى دين الأسلام ومنعته وخوفته من ذلك ثم كان من أمره ما كان وقتلته زنانير وتوصلت اليك فرحم كل عضو بل من أبوك أقرون فقال له الملك صابور ياقربا لقد عملت قبيح فقال له أبى محمد وكيف ذلك فقال لقد كان الواجب عليك تنصحه لما رأى الدهمار الرؤيا وأراد يسلم فلم تمنعه فوحق المسيح ياقربا لو رأيت مثل هذا المنام لأسلمت فى اليقظة وما خالفت قول الكرام فقال أبى محمد أيها الملك فترى أن تجرب روحك فى هذه الليلة وأنا كذلك حتى نرى الصدق من الكذب فقال له الملك نعم وقد علمه أبو محمد كيف يتعرض ويقرأ عند النوم فتعجب الملك وقال ما أنت إلا قرأت كتب المسلمين فقال نعم لأنى سافرت إلى سائر البلدان وأطلعت على الأديان ثم أن أبى محمد نزل من عنده إلى الحجرة المعدة له وكان الملك يخاف على نفسه وكان يغلق عليه الأبواب ولا ينام عنده جارية ولا غلام وهو فى طارمة مرتفعة إلى أعلاما عليها تسليق وكان يطلع عليها بسلم وإذا صار فوق الطارمة يستحب السلم اليه كل ذلك احترازا منه على نفسه وأن أبى محمد لما رأى ذلك قال هذا وقت الحيلة وإن ظفرت بهذا الملك وأسلم مانبالى ببقية أهل القلاع وان وقعت فكم لله علىَّ من منة ثم أن أبى محمد شبه روحه بالمسيح وأخذ معه براوة شمع وحوائج وأخذ معه سلم من شعر المكسور ثم خرج من حجرته وقصد باب القصر فوجد عليه حرصا شديدا فوقف مكانه ورفع رأسه رأسه لشراريف القصر فوجدها من الفرق فأخرج السلم الشعر وجمعه فى يده واستعان بالله وتوسل بنبيه وحذف السلم إلى فوق فتعلق بالشراريف فجذب السلم اليه حتى أخذ الحديد فى الخشب وضرب السكة فى الأرض ثم نتر السلم فطن كلو تر نطلع فيه أخف من الريشة حتى كان فى اعلاه وكانت ليلة مظلمة وما زال صاعد إلى تحت القبة لذى فيها الملك

وبينها وبينه فى العلو قامتين والريح يصفر فى اعلاها وهى على أربعة أعمدة من الرخام فجعل أبو محمد يتميز كيف يصل إلى القبة فلم يجد له موضعا يتسلق فيه الا من صوب البحر وهو أصعرها وأخطرها لأن فوقه شباك يشرف منه الملك على البحر وكان قصد أبى محمد أن يقف على ذلك الشباك حتى يعاينه الملك فقال أبى محمد هذه مخاطرة والله وما يجسر الانسان على هذا الموضع وقد قيل أن المخاطر مذموم ولو سلم وفقير ولو غنم ولكن أرجو من الله المعونة ثم أنه عانق أحد القامتين التى تحت القبة وطلع فيها كأنه النخلة نصار فى أعلاها وتعلق بالأخشاب الظاهرة من السقوف ولكن بينه وبين الشباك مقدار قامتين أخر وهو ظاهر القبة وهو أنعم من حجر المسن والعصفور لا يكاد أن يثبت فى ذلك المكان فقال فى نفسه كيف الوصول إلى هذا الشباك ومنه أبلغ المراد ثم جعل يتفكر فلم يجد إليه سبيل ولا مسلك إلا بكلاب يعرف بالسلم القائم وهو كلاب وثيق يحمل جمل كثير الاعوجاج وفى أسفله حلقة فيها أربع حبال علــى هيئة السلم والدرج يصعد فيه الانسان وقد بلغ المراد وكان البطال خبير بهذه الأمور والأحوال فمد يده الواحدة إلى وسطه وأخرج الكلاب من شده وحذفه وهو مخاطر بنفسه فى مقام الهلاك فتعلق الكلاب فى ذالك الشباك فعند ذلك حمد الله وأثنى عليه وتسلق فيه إلى أن بلغ ووصل إليه ثم أنه نفخ النار فى خرقة كان أعدها لذلك وكان غمسها فى دهن البيلسان فطلعت النار إلى الشباك كانها البرق وكان الملك صابور منتبها فلما عبرت النار إلى الشباك ورآها الملك كاد عقله أن يطير فزعا وقال جاء الأمر العظيم وظهرت الاشارات ثم أخذه الخوف والفزع فقال فى نفسه ماهذه نار بل هى أنوار ثم غطى رأسه تحت لحافه وأخفى حسه ثم لبد وإذا به سمع أبو محمد يقول أيها الملك صابور الذى هداه الملك الغفور لا تعتقد اعتقاد المشركين وأقرع باب رب العالمين وتشفع اليه بمحمد خاتم المرسلين فلعل أن يهديك إلى الصراط المستقيم وتحظى يوم القيامة فى الجنة بالنعيم المقيم ولا تقيم على دين الضلال فانه باطل ومحال ثم أن أبى محمد نزل بعد ماقلع ذلك من الشباك وعنق العامود ومثل ماطلع انحدر وصار على سطح القصر وقد أيقن بالنصر والظفر وأتى إلى شرافة الداوية التى فيها السلم وأصلح الكلاليب فى موضع آخر حتى لا يتعسر عليه فى إزالته ثم نزل أسرع من البرق وقلع السكك ثم أنه نتر إلى فوق حتى طلعت الكلاليب من أماكنها ووقعت اليه فالتقاها من الهوى وجمع الحبال ورجع إلى حاله حتى صار فى حجرته فلما صار فى داره سجد شكراً لله تعالى على ما أولاه من السلامة وقام بقية ليلته فهذا ما كان من أبى محمد (وأما ما كان) من الملك صابور فانه بقى يرتعد من تلك النار ومن الكلام الذى سمعه ولم ينام بقية ليلته بل

صار يبكى وهو خائف وفؤاده وقلبه راجف فلما أصبح الصباح فتح عليه الباب ثم أرخى السلم ونزل من الطارمة وجعل ينظر إلى حولها فلم يرى أنيسا ولا معين فقال فى نفسه لو كان الهاتف جاء من سطح القصر لكنت أشك فيه وهذا ما كان ظهوره إلا من صدر البحر من ذلك الشباك الحديد وما هذا إلا أمر سماوى ثم أنه نزل إلى مجلسه وجمع قومه وأحضر الحاجب قربا فدخل عليه أبى محمد وأظهر أنه بات مهموم فسأله الملك على حاله فقال أيها الملك هذا الأمر لايتحمل الغربا فاخلى لى المجلس فصرف الملك الغلمان وقال ايش رأيت، فقال أيها الملك اننى ما وثقت بما قلت لك ولا صليت خوفا من دين الاسلام أن أميل اليه فقال له الملك انك لقليل العقل والدين فأنا قد ظهرت لى الاشارات فوحق المسيح لولا منزلتك عندى لأخذت ما بين عينيك ياويلك أنا سمعت كلام أدهشنى وحق المسيح أن الحديث الذى قلت لى عليه صحيح وأريد منك الليلة نتفق على الصلاة والوضوء فقال له أبو محمد اعلم أيها الملك اننى تركت الوضوء والصلاة لأننى لحقنى ما يلحق الرجل من العزبة من دين الاسلام لأن صلاة الرجل والوضوء لا يكونان لمن عليه غسل فهو الذى منعنى من ذلك فضحك الملك من كلام أبو محمد وقال له أريد منك أن أزوجك ببنت من الخواص فقال له أبو محمد ذلك اليك فقال له الملك افعل هذه الليلة فقال أبو محمد نعم ثم رجع أبو محمد الى حجرته وربط الحبال التى للسلم وقوائم وكذلك الكلاب القائم جعل فيه خشبة يقف عليه برجله ثم جلس إلى الليل من بعدما وضب جميع أشغاله اللازمة لذلك فاستدعى به الملك إلى عنده وعاهده على الوضوء والصلاة ثم طلع الملك الى طارمته وقد مضى ثلث الليل فصلى الملك ما أمره به أبو محمد من الوضوء والصلاة فهذا ما جرى للملك (وأما ما كان) من أبو محمد فانه خرج على عادته ونصب السلم كما ذكرنا فى أول ليلة وصعد إلى السطح وتعلق فى القائمة التى تحت الطارمة الى أن وصل الى الرفراف وأتى الخشبة التى كانت قد أعدها فلما صارت عنده قام بمائل البحر والريح يدور أذياله ومكن الخشبة فى الكلاب من سواعد الشباك وصبر الى أن سمع غطيط الملك وعلم أن النوم قد غلب عليه فسمى باسم الله وطلع فى الحبال التى فى الخشبة كأنه الشمس وكان لبس ثياب خضر ووجهه وجه شيخ كبير وقد عمل حيلته ثم نفخ النار من الخرقة التى كانت معه فأضاءت الطارمة فكاد عقل الملك أن يطير من الفزع وجعل يبكى على الذى فاته من الإيمان فزعق عليه أبو محمد وقال أيها الملك الفاجر وعبد الملك القادر فاننى أنا المسيح عيسى بن مريم روح الله وكلمته خلقنى ورزقنى وللسماء رفعنى فكذبت على النصارى وظلمونى فيما أدعوه على واليه نسبونى وكذلك رغبة منهم

فى نعيم الدنيا الدنية وزاهد فى الآخرة الباقية ثم قال ياصابورعد الى الله من قريب وجدد الإسلام على يد هذا الرجل قربا فانه مسلم مؤمن ولكنه يكتم إيمانه فاياك ثم اياك أن تخالفه ولولانجاسة قلبك لاراك الله محمداً صلى الله عليه وسلم ولكن عليك بالنقل من دين النصرانية والدخول فى الملة الحنيفية والملازمة فى طاعة رب البرية واعلم ان كل المصنوعات التى تراها فى دار الدنيا فانما ماخلقها الا واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ماكان من أبو محمد البطال (وأما ماكان) من حديث الملك صابور فانه غشى عليه لما رأى صورة المسيح فخرج من عداد الأحياء وصار من جملة الأموات ولو أرادت به امرأة سوء فى ذلك الوقت لوصلت اليه ولم يقدر يردها عن نفسه هذا وان الأمير أبو محمد البطال نزل وخلص الكلاليب الحديد وجمع الحبال وأسرع مهرولا وللنجاة طالبا وقدستر عليه الملك القدير لتمام التقادير ثم نزل من السلم وهو من الابريسم وخلصه من الشراريف قال وإذا قد همت رياح عظيمة وزلازل وأمطار ولمع البرق هذا وقد أفاق الملك صابور والدمع يجول فى مقلته وصاح بالفراشين فطاعوا اليه وفى أيديهم الشمع بعد مارخالهم السلم الذى يصعد عليه وقالوا له ما الذى تريد أيها الملك أدام لك المسيح التأييد وعشت طول دهرك سعيد فقال على بالحاجب قربا فقالوا له سمعا وطاعة ثم سارت الخدم الى حجرة الحاجب قربا (قال) وكان الأمير أبو محمد البطال سبق الى الحجرة وغلق الباب عليه فلما أن وصلوا الخدم صاحوا يامولانا الحاجب فأجابهم ثم جعل يخيل لهم بالنور فصار تارة يخفيه وتارة يظهره فعندها تحيروا من ذلك وسبق كل واحد منهم الى الملك صابور وقالوا له أيها الملك نحن قد رأينا ذلك فقال الملك وقد طار فؤاده صح والله الامر ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم (قال الراوى) هذا وقد حسن إسلامه من قبل أن يصل الامير أبو محمد البطال اليه ولما ان دخل الأمير أبو محمد البطال سلم وخدم وإذا بالملك قد صاح بالخدام والغلمان الخلوه فلم يبق أحد عنده ثم أقبل على الأمير أبو محمد البطال وجعل يقبل قدميه ويقول يا أخى لم كتمت عنا إيمانك فلما رآه الأمير أبو محمد البطال على ذلك قال قل مهما شئت فقال له أبو محمد على هذا الحال صدقت أيها الملك فقال له الملك صابور أمدد يدك فمد الأمير أبو محمد البطال يده فمسكها الملك صابور وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دين الاسلام حق وما سواه باطل (قال) فلما جدد الملك اسلامه على يد الأمير أبو محمد البطال فرح به وأخذ أبو محمد يحادثه بحكايات الصالحين ويعظه ويقرأ عليه القرآن (قال الراوى) فلما سمع الملك صابور

ذلك وثب من وقته وساعته وقال له أيها السيد الذى من الله على بك وقد هدانى لدين الإسلام ببركتك فأى الأعمال أفضل فقال له الامير أبو محمد البطال أفضل الاعمال التوكل على الله والرضاء بقضاء الله والصبر على بلاء الله فهذه الثلاثة أفضل الاعمال والحمد والشكر لله رب العالمين واطعام الفقراء والمساكين وأفضل العمل العلم وأما الملوك فبا لعدل بالرعية والجهاد فى أعداء الله وحسن الطويه وإدخال الاعمال الصالحة المرضية هنا لك تدرك نفس الإنسان عواطف الربوبية (قال الراوى) فلما فرغ الامير أبو محمد البطال من كلامه زاد الملك إيمانا على إيمانه وبيانا فى دينه وقال ما بقى الا ان أعمل بواجب الايمان وقد اشتاق قلبى إلى المسلمين الذين هم عند الملك شعشعونا ولقد ختم الله لنا بالخير وكنا نلومه على إسلامه فيا طوبى له ولمن معه فقال الأمير أبو محمد البطال أيها الملك الكريم اعلم أن لى بهذا الملك الذى صبا للاسلام معرفة عظيمة من بلاد الاسلام ولو رآنى لأكرمنى غاية الاكرام فقال له الملك صابور وحق دين الاسلام لقد اشتقت اليهم وأشفقت عليهم ولاسيما فى هذه النوبة لاننى رأيتهم فى حصار عظيم وأما أنا فقد عولت على شىء أفعله فقال له أبو محمد وما الذى عولت عليه أيها الملك الكريم فقال له قد عولت أن أجدد العهد على جميع أهلى وأعرض عليهم الاسلام وكذلك قومى فمن أسلم منهم قبلته ولنفسى نزلته ومن أبى ضربته بسيفى ومن أطاعنى فهو فى أمان الله وأمانى وأريد أبدأ بأهلى فاذا وثقت منهم وأخذت العهد عليهم عدت إلى أهل البلد وأعلمتهم بما فرض الله عليهم فقال الأمير أبو محمد البطال هذا هو الصواب أعانك الله (قال الراوى) هذا وأن الملك دخل إلى أهله وأعرض عليهم الشهادة والإعتراف بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فعند ذلك أسلموا وحسن اسلامهم ولم يخالفوه ثم انه استدعا بالحجاب والخواص وفعل معهم كذلك فمن اطاعه نجا ومن أبى ضرب عنقه فأسلم منهم فى ذاك اليوم خلق كثير وأسلم فى ذلك اليوم عشرون ألف من الروم كبيرا وصغيرا وارتفع التكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير فلما سمعهم الامير أبو محمد البطال كاد فؤاده أن يطير من الفرح وقال إلهى ما كان هذا بقوتى ولا بحولى وإنما كان هذا بكرمك يا مولاى ويا سيدى لك الحمد من قبل ومن بعد فما فرحة الأمير عبد الوهاب بهذا الفتح العظيم ثم أقبل أبو محمد على الملك وقال له أيها الملك رأيت رؤيا فقال له وما هى قال تركب غداة غد فى جميع عسكرك ممن آمن وتلحق عساكر المسلمين فقال له الملك صابور والله لقد كان هذا الأمر فى نفسى (قال الراوى) ثم أمر العساكر أن يأخذوا أهبتهم الى المسير الى نجدة المسلمين فأجابوه كلهم عن بكرة أبيهم وأمرهم

الملك أن يأخذوا الدقيق والسمن والعسل والسماط والحلاوة والقديد والأرز وغير ذلك ومن الخلع الفاخرة والآلات الباهرة ثم أنهم ساروا طالبين قلعة الملك عبد الله شعشعونا وكان الأمير عبد الوهاب فى تلك الساعة متفكر فى غيبة الأمير أبو محمد البطال وقد تكاثرت عليهم الاعداء من الروم وقد قل منهم الزاد وضاق صدر الأمير عبد الوهاب وعيل صبره وبقى مثل المرأة الشكلا أو الحبة على المقلا ويدعو الله سبحانه وتعالى ان يمن على الأميرة ذات الهمة بالعافية ثم قال والله لقد هدنى الآن وجعها واظن ان هوى هذه القلعة ما وافقها ولكن نصبر على قضاء الله وقدره فانه قريب الفرج (قال الراوى) فبينما الأمير عبد الوهاب فى ذلك الكلام وإذا بالاصباح قد علا والغبار قد نما وارتفع لعنان السما فعند ذلك بعث الأمير عبد الوهاب يكشف له الخبر ويطلعه على جلية الأثر ثم انه قال لا شك ان ان هذه نجدة للملكة زنانير فانا لله وانا اليه راجعون ثم ساءت منه الظنون فما كانت الا ساعة ورجع الذى ارسله الأمير يكشف له الخبر وهو ضاحك مستبشر وهو يقول ياامير البشارة فقال الأمير عبد الوهاب وذمة العرب لك ذلك واوفا فقال له يامولاى هذا الأمير ابو محمد البطال وقد اقبل من قلعة الملك صابور ابن الملك اقرون وقد اسلم على يديه ومعه اصحابه وجماعته ومعهم شىء كثير من الاقامات والعلوفات وهم معلنين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام كاد فؤاده أن يطير من الفرح وقام حافيا وسمعت الأميرة ذات الهمة ذلك فحمدت الله سبحانه وتعالى على ذلك ونزل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وفتحوا باب الحصن وخرجت العساكر فلما رأت عساكر الروم إلى ذلك ثاروا من اماكنهم وركبت ايضا الملوك وقالوا لاشك ان المسلمين قد عزموا على كبستنا ثم صاحوا فى فى اصحابهم فركبوا خيولهم وأخذوا اهبتهم (قال الراوى) واما اصحاب الملك صابور فانهم وصلوا والأمير ابو محمد فى اوائلهم ووقعت العين على العين ونظر الأمير عبد الوهاب الى الرايات الاسلامية والملك صابور قد رفع صوته بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تقدم الأمير ابو محمد البطال الى الأمير عبد الوهاب وسلم عليه وقبله بين عينيه وقال له عليك باكرام هذا الملك الذى قد وصل اليك فلا تلد النساء مثله (قال) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام سار إلى لقائه وقد ترجل كل واحد منهم إلى صاحبه واعتنقه وبكا الأمير عبد الوهاب خشوعا وفرحا إذ هداهم الله الى الإسلام وبكا الملك صابور يضارا فرحا بالإيمان وبلقاء الأمير عبد الوهاب ثم أن

الملك صابور سأل عن ملوك الروم فقيل له أنهم إلى الآن مقيمين فعظم عليه وصاح فى عسكره بالحمله فقال له الأمير عبد الوهاب أمهل على اصحابك حتى ينزلوا ويستريحوا ويأخذوا الاهبة وفى غداة غد يكون القتال فقال الملك صابور وحق الملك الغفور لافعلت ذلك أبدا فأنا وأصحابى وهبنا أنفسنا لربنا فسأل ما أنعم علينا وعصيناه ثم أنه قد صاح الله أكبر الله أكبر وحمل طالب عسكر الروم وقد تعجب الأمير عبد الوهاب من حسن اسلامه وقوة أيمانه وقال مايسعنى أقعد عن الحملة ثم صاح الأمير عبد الوهاب يا آل كلاب يا آل كلاب وحمل عن يمين الملك صابور فنثر الرؤوس واختلس النفوس وحمل الفارس العبوس وقد زحفت أعداء الله وبين أيديهم الرهبان والقسوس ودارت عليهم طاحون الهلاك والبوس وسقوهم المسلمين من العلقم كؤوس وصـــار علم المشركين منكوس وقاتل الملك صابور فى عساكر الروم وطير الرؤس وتحيرت الروم من هذه النوبة وأمسى المساء واجتمع الملك دقيوسا بالملك بولص وكان ذو رأى وحشمة وكذلك بقية الملوك وقال لهم ياويلكم كيف كانت هذه النوبة الصعبة فوحق المسيح لولا أدركنا الليل بظلامه ماكان سلم منا أحد وهذا ابن أقرون اللعين أظن أن المسلمين وعدوه أن يزوجوه بالملكة زنانير وقد استعانوا به علينا فقال الملك بولص لا وحق المسيح أنا رأيته بعينى يقتل فى أصحابنا وهو يهلل ويكبر ويقول مقالة المسلمين كذلك أصحابه الآخرين وقد أنضافوا الى شعشعونا وولده وهذه نوبة لايجب أن نخفيها عن الملكة زنانير ونحثها على المجىء الينا وأما أن نرحل فى هذه الليلة وان يطلب كل واحد مناطريق فقد طال وحق المسيح مقامنا وبان الضعيف فينا فقال دقيوسا ما هذا صواب أن نمضى ونخلى المسلمين ونحن قد أضعفناهم بالقتال فقال الملك بولص الرأى أن نرسل الى الملكة زنانير ونعلمها بمجىء هذه العساكر وتردفنا بالاجناد والدساكر فقال الملك دقيوسا وكاننى فى خدمة أمرأة أن نرسل نطلب منها نجدة أوكاننى أخاف منها فقال الملك بولص اذ لم تفعل ذلك والا هلكت (قال الراوى) فعندها اغتاظ الملك دقيوسا وسحب السيف وأراد يبطش به فدخلوا الملوك بينهم فحلف الملك دقيوسا لارجع حارب ولا قاتل ثم انه أمر جماعته وجنده أن يقلعوا الخيام ثم صبر الى الليل وسار فعند ذلك تبعته الملوك فلما رأى الملك بولص الى ذلك لم يكن له بد من الرحيل هذا وقد أصبح الله تعالى بالصباح والعساكر قد تفرقت من تلك الأرض فلما رأى الإمير عبد الوهاب الى ذلك فرح فرحا شديد ماعليه من مزيد لاختلاف الكفرة المشركين فعند ذلك جمع الأمير عبد الوهاب الاحباب والاصحاب والملك الصابر واستشاروا كيف يعملوا

وكيف يجدوا لهم طلوع من تلك الأرض والبلاد فقال الملك الصابر أما ما ذكرت من الرواح فلا سبيل الى ذلك أن لم نهلك هؤلاء الاعداء الذين فى طريقنا والرأى عندى أن نمضى من ههنا الى القلعة التى لى فان هواها أصلح وماؤها أعذب لعل تجد الأميرة ذات الهمة العافية وبعد ذلك ما يكون إلاخيرا (قال) فاستصوبوا رأيه وعزموا على المسير الى قلعة الملك الصابر ثم انهم ساروا وأخذوا الأميرة ذات الهمة وساروا ذلك اليوم ولما أن كان ثانى يوم وصلوا الى قلعة الملك الصابر فدخلوا واطمأنوا وكانت الاميرة ذات الهمة توجهت الى العافيه (قال الراوى) فبينما هم فى ذات يوم من الايام جالسين اذ رأوا البحر وقد استدل بالمراكب ورأوا أسطول عظيم سائر طالب حصن الملكة زنانير وبينهم مركب عظيم يقال له نصف الدنيا فيه خمسة آلاف مقاتل والملك فى صدر المركب جالس فلما رأوا المسلمين ذلك حاروا ولم يعلموا من أين أتت تلك المراكت (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملعوٌن عقبة لما أن أسلم على يد لؤلؤ غلام الامير أبو محمد البطال وانطلا عليه محاله وخلصه من القيد وأقام له الرواتب وعمل معه الواجب والملكة زنانير لاتعلم وكان ذلك من مكر الملعون عقبة لأنه قال للؤلؤ لاتعلم الملكة زنانير بحالى لان عقبة علم أن محاله لاينطلى عليها وعلمت أن ماله دين وقد أغضب رب العالمين (قال الراوى) هذا وان لؤلؤ قد اشتغل بالملكة زنانير فى هذه الايام كلها وأمن من الرقيب واغتنم الغفلة وصار يشرب معها ليلا ونهارا وينشدها الاشعار وزال عنه الهم والغرام بمشاهدة ذلك الوجه الجميل وقد غفل عن ذلك الشيخ الذليل فدبر الحيلة وكان سببا لورود هذه القبيلة وذلك انه خرج فى بعض الليالى من دار لؤلؤ التى هو فيها وكان لؤلؤ فى ذلك الوقت عند الملكة زنانير فى قصف وغرف ولسان حاله ينشد ويقول

وقدغاب عنا الهم حتى كاننا ٭ زمان لنا ماحبانا به عيد
وأنفس ماللمرء مالم يكن له ٭ اذاهم باللذات من دونها قيد

قال فلما رأى الملعون عقبة ماعنده أحد ولا عليه رقيب يخشاه خرج من الدار التى هو فيها وتم فى الازقة إلى أن بعد عن دار لؤلؤ فوقف لما يريده الله تبارك وتعالى على باب بعض حجاب الملكة زنانير ويسمع على الباب وكان ذلك الملعون أسمع من خالد فسمع الحاجب وهو يقول لامرأته بالروى ويلك ياجنا أما ترين إلى هذه الملكة زنانير وما صنعت وكيف أوقعت الفتنة بين عباد المسيح وقد أخذت هذا المسلم إلى عندها وقد استقودتنا وقد تم لها ماتريد على رؤوسناوهذه أشياء لانظير لها فوحق المسيح لو أن أحدا

يصل الخبر إلى الملك غضب المسيح لكنت أعلمه بذلك الخبر وأضمن له أننى أسلم اليه الحصن فقالت له زوجته حنا اسكت يافضولى فربما رجع كيدك فى نحرك أنظر ياهذا فى عاقبة أمرك فان لها وال من يجازيكم على ماتفعلوا من خير وشر فقال لها ويلك دعى عنك هذا الكلام فأنا أقول هذا القول على وجه العتب ولو أن لى من يطاوعنى على هذا الأمر لجعلته حقا قال هذا والملعون عقبة يسمع لأنه كان واقف على الباب والحاجب فى هذا الحديث مع زوجته فأيقن الملعون عقبة ببلوغ أمنيته وأن ينال الطلب ونجاح الأرب فعندها تقدم إلى الباب وطرقه طرقا خفيفا فسمعه الحاجب فقام إلى الباب ونادى بالرومى من الباب فقال له عقبة افتح أيها الحاجب العزيز فقد بعثنى اليك فى هذه الساعة السيد المسيح (قال الراوى) ياسادة ياكرام فسمع الحاجب كلام عقبة فلم ينكره وفتح الباب فرأى عقبة المرتاب فلم يتمالك عقله دون أن تراما على أقدامه يقبلها فقال له الملعون عقبة أيها الحاجب أدخل بنا إلى داخل المنزل فما هذا وقت وقوفنا هنا فدخلوا إلى الدار وغلقوا عليهم الباب وجلسوا يتحدثوا فقال له عقبة اعلم أيها الحاجب أن سبب مجيئى اليك أننى نمت البارحة فرأيت فى منامى السيد المسيح وقد أتانى وأيقظنى من منامى وعرفنى بك وقال لى ياحجتى قوم فقد أطعت لك القلوب كلها حتى قلب هذا المسلم غلام أبو محمد البطال وسخرته لك حتى أقام عشرة أيام فى خدمتك فقال له الحاجب وحق الحق المسيح صدقت ياأبونا لأننى رأيته من مدة عشر أيام وهو يومىء اليك ويأمر بخدمتك فقال له عقبة واعلم أنه لما أتانى المسيح قال لى امضى إلى عبد من عبيدى وهو حاجب الملكة زنانير يسمى شعياء وكان الملعون عقبة عرف اسم الحاجب وانى غضبان على هذه العاهرة زنانير وليس لى فى خدمتها حاجة وسوف أرسل رسولا إلى الملك غضب المسيح وأعرفه بهذه القضية وبالاسراع إلى أخذ هذه العاهرة وأخذ القلعة ويخربها وقد جعلت رسولى إلى غضب المسيح الحاجب شعياء فتروح اليه وتقول له العجل من غير توانى ولا مهل بل تأتى إلى تلك الفاجرة زنانير فاننى أملكك قلعتها وتحتوى على ناصيتها ولا يبقى لك عدو على وجه الأرض ثم قال الملعون عقبة ياشعيا المسيح يقرئك السلام ويقول لك على لسانى فى المنام أريد أن تمضى مع هديتى إلى الملك غضب المسيح وتقول له لا تتوانا فيما قد نبه اليه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الحاجب شعيا ذلك الكلام ازداد مخافة من المسيح وفرح كيف جعله المسيح أهلا لرسالته ثم أنه قال من مثلى وقد جعلنى المسيح فى مقام الحواريين ونظر إلى نفسه بعين العجب وغفل عن مصائب المكر والخديعة فقال له شعيا ياهدية عيسى فما الذى تأمرنى أن أفعل فقال له الملعون عقبة ياحاجب شعيا

أخبرني عن هذا الملك الذى يقال له غضب المسيح فقال له الحاجم اعلم أيها الشيخ أنه جبار عظيم ما يكون من الهيكل والجسم وله كل يوم فرس يأكلها بكرة وعشية ويشرب عشرة أرطال من الخمر ويلتقى للاسد ليقبضه بالكف وهو بلاء نازل وأيضا سخط واقع وغضب قاتل وكل هذه القلاع فى غفارته وأمانه لأنه لهم أعداء كثير يصلون اليهم فى البحر الكبير الذى من وراء البحيرة وهو فى عالم عظيم لايحصى وانهم أربع قبائل مثل يأجوج ومأجوج لايفهم لهم كلام وهم أيضا فى عالم عظيم وفى كل عام يغزوا الملك غضب المسيح ويخرجوا إلى قلعته وهى على جبل أملس محيط بالبحر الكبير طالع فى الماء ألف ذراع وهو دائر ببحيرة الفلك فقال عقبة أيها الحاجب وإذا مضيت أنا وأنت اليه تقول له هذا هدية عيسى إلى أهل النصرانية وقد بعثته الملكة زنانير إلى غضب المسيح يقضى لها حاجة وإذا دخلت اليه تكون أنت لى على قدم الطاعة وسوف تنظر ماأفعل فى حقك من الأعمال وآخذ لك عند الملك التقدمة الحسنة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعندها أتى الحاجب إلى الساحل وقصد بعض تلك المراكب فوجد الملاحين نيام فزعق فيهم فثاروا من المنام فلما رأوه عرفوه فقبلوا الأرض بين يديه لما يعلموا من تقدمته عند الملكة زنانير فقالوا له أيها الحاجب ماالذى تريد فقال لهم الملكة زنانير تريد المقدم عليكم فقالوا له هذا المشار اليه فينا وهو أعرف الخلق بالبحار والركوب فيها فقال له الحاجب اعلم أن الملكة تريد تشرفك بخلعة سنية وترسلك أيضا فى أمر مهم وإذا رجعت سالم برسالتها أنعمت عليك وقد أرسلت الخلعة صحبتى ثم انه أخرج له ثوبا فلما رآه الريس فرح به فقال أيها السيد وما هى الرسالة فقال اعلم أن الملكة أرسلت هدية عيسى الى غضب المسيح فى رسالة فاذا وصل اليك أخدمه وان سألك عن حاله أحد فلا ترد عليه جواب ولا تكلمه فقال له الريس حبا وكرامة فعندها رجع الحاجب الى الملعون عقبة وأخبره بذلك ففرح وقال فى نفسه هذا هو المقصود ثم قام وأتى للبحر وصعد الى الحراقة وكذا الحاجب شعيا على حاله أوصى الريس فقال له يامولاى حبا وكرامة ثم انه أخرج المركب إلى لجة البحر وطاب له الريح وسار تلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح وما تضاحا عليهم النهار إلا وقد أشرف على قلعة الملك غضب المسيح وقد أمنوا من كل عدو (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما نظروهم نزلوا اليهم وقالوا لهم من أين أقبلتم وإلى أين أنتم سائرين فعندها قال الريس ياويلكم هذا هدية عيسى أرسله المسيح اليكم وهو الذى تفتخر به الأقاليم فسارعوا إلى الملك اعلموه بحضوره حتى تكون لكم عنده اليد البيضاء (قال الراوى) ياسادة يا كرام فمضوا الى الملك وقالوا له أن شيخا يقال له هدية المسيح

وصل اليك قال وكان ذلك الملك يحب المشايخ الكبار فعند ذلك أمر الملك أهل دولته وكبراء مملكته وولده وكان اسمه سمندرون وكان له حكيم يقال ماريتون أحيل من الأمير أبو محمد البطال وأخبث من شومدرس وعقبة الغدار قال ولما خرجوا إليه خرج الحكيم ماريتون معهم فالتقوه أحسن ملتقا وأكرموه وكان عقبة يظهر الوقار والحشمة ولا يتكلم إذا سأله إنسان ولا يلتفت اليهم فتعجبت منه القسافسة والرهبان ولم يزالوا سائرين قدامه حتى دخل على الملك فلما وقعت عينه عليه رفع صوته بقراءة الإنجيل وأسبل دمعه المسكوب وقال أيها الملك إرحم شيخا كبير غريب قاسا المحن والتعذيب فقال له الملك أيها الشيخ الجليل ابشر بالكرامة والتبجيل واعلمنا من هو الذى اعتدى عليك حتى آخذ روحه من بين جنبيه فقال له أيها الملك أنا هدية عيسى إليك أبشرك بملك الأرض وأنشر علم المسيح عليك فاذا أذنت لى أيها الملك اجمع العلماء الذين عندك واسألهم عن العلم وان كنت تكره ذلك فاذن لى بالرجوع فى هذه الساعة لغيرك ثم سكت ذلك الملعون وقد تحير الملك من فصاحته وكلامه ثم قال أيها الشيخ كلهم بين يديك فاسألهم عما تريد فما منهم الامن ادعا أنه أعلم أهل زمانه فمن كان فيهم أهلا للتقدمة قدمه ومن كان جاهلا فأمرنى بحلق لحلته قال فلما سمع الحكيم ماريتون انتفض وأيقن بالصفع وقال فى نفسه ترى من أى لعنة أتانا هذا الشيخ السوء فلا ستر المسيح عليه فما أيشم طلعته علينا وحق المسيح مانعرف أنه يتكلم بهذا إلا القاضى عقبة صاحب الملك منويل وهو أعلم من كل من على وجه الأرض وأحيل أهل زمانه واننى قد فزعت وارتعبت منه ثم قال له الملك أيها الهدية النفيسة تكلم بما قرأته من الإنجيل أولا فقال عقبة ان شئت قرأت لكم غير هذا فقال الملك اقرأ لنا شيئا من الإنجيل نسمعه منك وكان الملك طرب من حسن صوته قال فزعق عقبة بصوته وقرأ شيئا من وسط الإنجيل كثير التخويف وبين التحريم والتحليل فأبكى جميع من حضر وداموا إليه بالنظر ثم أقبل على العلماء وقال اخبرونى عن تفسير هذه الكلمات كلها فاذا أنتم فسرتوها رجعنا إلى سؤال الاديان بين جميع العباد قال فسكتوا كلهم ولم يجيب أحد منهم بجواب فعند ذلك حرك الملعون عقبة رأسه وقال له أيها الملك تعفيهم عن التفسير وأنا أعلم ان سائر العلماء يرجعون إلى وأيضاً يتعلمون منى ولكن أخبرونى عن بدء الزمان وخلق الإنسان ومنازل الانبياء ومن رفع إلى السماء ومن معجزات السيد المسيح ولم بشر بنبى العرب وعن مقالة السيدة مريم القديسة الطاهرة النفيسة وعن الآيات التى ظهرت فى أيام الولادة وما السر فى ماء المعمودية (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم قال عقبة أجيبونى بالأجوبة

الصادقة المرضية ولا يجيبني أحدا منكم بما قالت العوام بل أريد منكم مقالات شافية وأجوبة كافية وما الذى أراد حنا المعمدان وما الذى قاله الاسقف من الكلام وأيضا أخبرونى عن زكريا هل أكل من السيدة مريم طعاما من السماء أم لافان كان أكل عرف فقد قالت المسلمين فى كتابهم وكفلها زكريا فان زكريا عجز عن إطعامها فلا يجوز أن يكون كاذلاوان كان أكل من رزقها من السماء فهل أكل بأمر المسيح أم لا وهل يعود السيد المسيح فى آخر الزمان أم لا ثم انه شرع فى تفسير الكلمات التى قالها من الإنجيل (قال الراوى) ياسادة ياكرام فحير عقل كل من حضر وقام الملك وقعد وأمر ولده سمندرون أن يأتى له بخلعة سنية فأخرج له خلعة سنية تسوى عشرة آلاف دينار وهى محبوكة باللؤلؤ والجوهر وكانت للملك غضب المسيح لأنه كان أخذها من بعض ملوك الكرج فلما رآها الملعون عقبة اندهش وحار وقامت قيامته وتفتحت عينه الصحيحة وشكر الملك على ذلك وقال أيها الملك الجزاء يكون لك من السيد المسيح ثم أقبل على العلماء وقال لهم أخبرونى عن كل ماسألتكم فأشاروا إليه بالأصابع أن يعفيهم عن طلب ذلك فعلم أنهم قد ذلوا له فرد عنهم مرارة شنعه بحيث عرفها الملك فسقطوا الكل من عينه وأنزلهم من منازلهم وأمر عقبة أن يفسر لهم جميع ما تقدم ذكره فاجابه عقبة بأحسن عبارة وأقام على ذلك الدلالة والعلامة بما أعجز به وحير المتعلمون وكذب جميع ما قال وجاء بالزور والمحال فتبارك الله رب العالمين يمهل ولا يهمل عليه حاكم ولا يحكم عليه أحد وله فى كل شىء رضا وتدبير وهو على كل شىء قدير وقد قال بعضهم هذه الأبيات

فواعجبا كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية   تدل على أنه واحد

(قال الراوى) هذا وعقبة قام من موضعه من غير أذن الملك وخرج فتعجبوا من فعاله وقد علم الملك أنه لايكون فوق أمره أمر فقال لأصحابه الآن يجرى على عادته لأجل عمله وعبادته ثم أنه أمر له بدار حسنه بجانب داره وأقام له الخدام والجوار وصار الملك أى شىء أكل منه يبعث منه اليه وما رجع الملك يسأل عن عالم غيره وفزعوا كلهم منه فاجتمعوا على الروم كلهم دخلوا على عقبة سرا وأنطرحوا على أقدامه يقبلوها وقد أظهروا له الخداع فعند ذلك أوعدهم بانصلاح حالهم عند الملك وخرجوا من عنده وتخلف عنده الحكيم ما ريتون وأخبره بمنزلته عند الملك وأنه ما يدل بعلم ولا بشجاعة بل يفتخر بالمكر والحيل والسرقة والخديعة ثم قال لعقبة ياأبونا لم تكن فى اليوم الفلانى فى السنة الفلانية عند الملك منويل فى القسطنطونية بعلامة كذا وكذا فقال عقبة نعم وحق

المسيح فاذا أنت منا ومعرفتنا ثم أنهم تعانقوا وقد انجذب ستر الله عنهما فلا غفر الله لهما ولا رعاهما (قال الراوى) ثم جعل عقبة يحدثه بحديث الملكة زنانير وحديث لؤلؤ ودخول المسلمين إلى البحيرة وأنهم حماة عساكر المسلمين والمشار اليهم بين الأنام قال فلما سمع الملعون ما ريتون ذكر المسلمين من عقبة قامت عليه القيامة وفزع من دخولهم البحيرة وقال هذا شيء ما سمعناه إلا فى هذه الساعة ولا عرف الملك بذلك ولا يمكننا أن نكتم عنه هذا الأمر لأنه إذا سمع هذا ربما خرج بنفسه اليهم فوحق المسيح لاسلم منهم أحد إلى ديار المسلمين ثم قام ما ريتون من وقته وساعته ودخل على الملك غضب المسيح وأخبره بما قال عقبة فلما سمع ذلك عظم عليه وكبر لديه وأمر الغلمان باحضار عقبة فلما حضر سأله عن القصة فاخبره بدخول المسلمين إلى البحيرة وأن ذلك من تدبير العيار المحتال أبو محمد البطال ثم أخبر الملك بخبر زنانير وأنها تعشق مملوكا اسمه لؤلؤ من مماليك أبو محمد البطال وأنه عندها مقيم فى قلعتها وأن المسيح غار من ذلك فارسلنى اليك (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك قامت عليه القيامة وكان أبغض ما اليه النساء وغضب من ذلك وقال أيها الهدية لقد تجبرت هذه المعونة وتجرأت على أمر عظيم وقد زاد حمقى على هذه الفاجرة فوحق المسيح لأجعلنه أشر الزمان عليها ثم أن الملك أمر أن ترما المراكب إلى البحر وكان للملك ألف مركب مما يلى البحر خمسمائة مركب ومما يلى البر خمسمائة مركب آخر فنقلها الرجال فى الحال أسرع من البرق وساروا بها إلى المضيق الذى بين الجبلين وانزلوها إلى الماء وكان يوم عظيم وبات الملك تلك الليلة وقد زاد فى عساكره وأقسم بالمسيح من قدر على حمل السلاح وتخلف لاحرقنه بالنار (قال الراوى) فلم يتخلف أحد لما يعلموا من تجبره ولعنته وكان جملة من خرج فى ذلك اليوم خمسين ألف وكلهم جنس واحد كأنهم الشياطين وكانت الخيل عندهم قليلة ثم أخرج من الأموال والخيام والسلاح ما ضعفت المراكب عن حمله وأخذ معه الرهبان والحكيم ماريتون وعقبة الملعون وترك فى بلده ولده سمندرون وأوصاه بباب البحيرة ثم صار فى تلك المراكب إلى أن اشرف على قلعة الملك الصابر الذى اسلم على يد الأمير أبو محمد البطال ثم جمع الأمراء وبعث من يكشف الخبر فى حراقه كما ذكرنا فلما ان عادوا اخبروا الملك الصابر بالملك غضب المسيح (قال الراوى) ولم تزل سائره إلى أن وصلوا إلى قلعة زنانير فاشرفوا على الحصن على البحيرة وأبصروا تلك المراكب كأنها السلاهب فسألت زنانير عن ذلك فقيل لها ايتها الملكة وحق المسيح ما نعلم هذا فعند ذلك ارسلت من يكشف الخبر عن جليته فنزلت جماعة من الخواص والحجاب إلى لقاء تلك المراكب حتى

يكشف هذا الخبر فلما وصلوا اليه راوا الهول العظيم وقد سألوا بعض الروم عن القصة فلم يجبهم احد خوفا من سطوة الملك غضب المسيح بل انهم راوهم اصحاب الملك حملوا عليهم فقتلوا منهم ثلاثة ورجعوا الباقى إلى زنانير وعرفوها بما جرى على اصحابها وان الأمر عظيم والخطر جسيم (قال الراوى) فتحيرت زنانير من هذه النوبة التى لم تكن لها فى حساب ولا عندها منها خبر ولا تعلم من ابن دهيت ثم انها صاحت فى اصحابها ونادى المنادى من تخلف عن الملكة زنانير حل به غضبها فلم يجسر احد ان يتخلف عن الملكة زنانير ثم انها لبست لامة حربها وكان لها حجرة اسبق من حجرة الامير جندية فاستوت الملكة زنانير على ظهرها وقد تحيرت الناس من خفتها وفى يدها حسام مشتهر فأخذ بالبصر ثم قصدت الى مينا البحيرة لئلا تملك عليها فتظهر عليها الاعداء (قال الروى) هذا وان المراكب أقبلت وهى مزينة بالرجال وعلى صدرها الجواشن والدروع وفى مقادم المراكب الاعلام والصلبان والملك غضب المسيح فى مركب عظيم كانها اقليم لانه يسع خمسة آلاف فارس وكان سبع طبقات وعلى رأسه صليب من الذهب الأحمر وفى صدره مرآة من الجوهر وهى مشدودة بحبال الابريسم الى أطراف المركب وقد اعتدوا بالآلات النفط والسلاح وفيه سرير من الصندل مغشى بالذهب الأحمر عليه مطارح من الاطلس القسطنطينى والملك جالس وعقبه اللعين بين يديه وأكابر العلماء والاقاسسة ينظرون اليه والبطارقة فى خدمته والشعر يلوح من جبهته وهو كانه الاسكندر فى دست سعادته والبترك الكبير أشار اليه بالانجيل وتلاوته (قال الراوى) فلما نظرت الملكة زنانير إلى تلك الهيبة الزائدة والمركب الواردة وترادف البطارقة وصيحات العمالقة وكثرة الضجيج فكانه البحر ساعة يهيج وهم قد قربوا من الخليج ولحت مرايا الفولاذ فاخذت بالأبصار وحيرت النظار وحصل فى قلب زنانير من ذلك هم كثير وقالت ماذا يكون التدبير واصطفت الصفوف على جانب البحر وعليهم الحديد والزرد النضيد وعمروا ايضا المراكب بالرجال واشارت اليهم القتال وقد عملت فيهم السهام وحام عليهم حايم الحمام ونادت زنانير فى اصحابها وقالت ويلكم لاتدعوهم يصلوا إلى الساحل وامر الملكة زنانير ان تجمع العوام من البلد ويجروا حبال المنجنيقات ويعبوا الفرادات وكثرت الآفات ونزلت عليهم البليات وأرميت المراسى وأجتمعت المراكب إلى بعضها البعض وكانت ساعة يشيب فيها الصغير ويحير من هولها الكبير وأرملت النساء وكثرت القتلاء وولى النهار وأقبلت غياهب الإعتكار وأضرمت النيران وتحارس الفريقان واجتمع الملك غضب المسيح بقومه وقد تحير من الملكة زنانير وما فعلت

ذلك اليوم وانها لم ترمى سهم إلا وتصيب وتهلك الناس بما فعلت لأنها كانت ارمى أهل زمانها فعند ذلك عقبة للملك غضب المسيح أيها الملك الكريم أعلم أنها من معرفتها ملكت الخليج حتى لا يكون لنا إلى الساحل طريق ومن أساء لايستوحش ولا بد أن يكون هلاكها على يدك فقال الملك يا أبونا طب نفسا وقر عينا فغدا ترى مما أفعل بها ولا جعلتها عبرة لمن اعتبر (قال الراوى) هذا ما جرى للملك غضب المسيح وعقبة (وأما ماكان) من الملكة زنانير فانها لما انفصل القتال رجعت إلى حصنها وأمرت الرجال أن يبيتوا على الساحل وأمرت البطارقة فأخرجوا الشموع والمشاعل وأتت لهم بالشراب والطعام ولم يغلق باب الحصن فى تلك الليلة الا ترتب الناس وتخرج المنجنيقات والفرادات وغيرها مثل قسى الزيادات والجروح وزينت القلعة بالكبورة والجواشن والدروع فتحيروا أصحابها مما رأوا منها ومن همتها وعزيمتها وقويت قلوبهم مما عندهم من العدد وعبت الرجال صفوفا على ساحل البحر كانها سد من حديد وعمرت ألف مركب من الكبار والصغار والحراقات وألبست البحرية والملاحين الدروع والكبورة وجعلت برسم النفط والنار عشرة حراقات وجعلت فيها كبار الروم من طباخين النفط وصناعة احراق المراكب والمعروفين بالهجوم على القتال فى المراكب وأمرت الرجال فنصبوا المنجنيقات على ساحل البحيرة ونقلت اليهم الأحجار وشدوا الحبال ولم يأخذها تلك الليلة نوم وكان ذلك كله بتدبير لؤلؤ ومشورته (قال الراوى) وكان لؤلؤ قد رجع تلك الليلة التى هرب فيها عقبة من عند الملكة زنانير وطلبه فى الدار فلم يجده فعند ذلك قامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وندم على تركه لعقبة غاية الندامة وعلم أنه كان كاذبا فى جميع ماادعاه ثم أن لؤلؤ رجع من ساعته إلى عند الملكة زنانير وأخبرها بأن الملعون قد انهزم من عنده فعظم عليها وكبر لديها وأمرت المنادى أن ينادى فى الحصن والربض فلم يطلعوا له على أثر ولم يظن أحد أنه يركب البحر وصدقت زنانير كل ماقاله لؤلؤ والحكيم اقليدس عن عقبة أنه صحيح وأخبرت الملكة أن عقبة مع الملك الواصل وأنهم رأوه عنده فى أحسن هيئة وأحسن زينه فلما سمعت زنانير ذلك تحيرت وقالت وحق المسيح ماهذه النوبة إلا منه وما حرض هؤلاء القوم علينا إلا هو ولقد أخطأت يالؤلؤ باطلاقه وخلاص القيد من رجلية فقال لها لؤلؤ أيتها الملكة الكريمة لقد رأيت منه ومن مكره وخدعه مالم أراه من أحد سواه فانا لله وانا اليه راجعون والآن قد وصل مع هذا الملك ولا عملن أيتها الملكة عما تتحدث به الناس إلى يوم القيامة فتكونى على ما أنت عليه (قال الراوى) فطاب قلبها بكلامه وأمرها بالاحتفاط وحفظ الشاطىء واظهار ماتقدم ذكره من العدد وغيرها

وكان فى مشورته الصلاح فلما اصبح الصباح ارتفع الضجيج والصياح وتقدمت المراكب كأنها الطيور بلا جناح وتضاعف من الفائتين الهميم والصراخ واثخنوا الناس بالجراح وفتكت الزراقين بالنفط وأحرقوا مراكب كثيرة بجميع ما فيها من الروم وأصحاب غضب المسيح وتكاثرت مراكبه على على مراكب الملكة زنانير فولت الادبار وعمل فيهم الصارم البتار فاستندوا الى الساحل وقد ضايقوهم بكثرتهم وطلعوا من المراكب الى شاطىء البحيرة ولم يبق فى المراكب من أصحاب زنانير أحد وأما أصحاب الملك فانهم ماقدروا على الدنو من الساحل لكثرة الرجال والعدد فعند ذلك أقبل لؤلؤ على الملكة زنانير وقال لها أيتها السيدة الكريمة لايروعك هذا الأمير من انهزام أصحابنا الى البر لأنه أمكن لنا وأصلح بما نكون معهم فى البحر لانهم أظهر منا بكثرة مراكبهم فاذا صدقنا نحن الهزيمة أحرمناهم أن يطلعوا على وجه البر واذا قاموا فى المساء كنا أظهر منهم فقالت وحق المسيح لو انهم معى على وجه الارض لكان أحب الى وكنت التى هذا الملعون المشار اليه بغضب المسيح وأريح النصرانية منه ومن شره ومن غضبه فقال لها لؤلؤ أيتها الملكة فما رأيت ولا حدثت باعظم من هيكله ولا صورته وقد عولت اننى أدخل عليه فى بعض الصور التى حفظتها من أستاذى أبو محمد البطال وهى صورة ما عرفها أحد ولعلى أبلغ من هذا العدو أربا فقالت الملكة زنانير يا لؤلؤ هب انك خبيت عليهم فمن أين لك الوصول اليهم فقال لؤلؤ سوف ترين العجب منى اذا صرت بينهم مختفيا (قال الراوى) فهذا جرى بين لؤلؤ وبين الملكة زنانير (وأما ماكان) من الملك غضب المسيح فانه خلا باقى ليلته بأصحابه وقال لهم قد رأيتم اليوم مالقيتم من هؤلاء الأعداء من النار والنفط والقتال الصادق حتى تمكنوا بشدة حربهم وقد غلبوا وطلعوا الى البر وما بقى فى غد الامضايقتهم والطلوع اليهم وبعد ذلك نصير معهم على البر وأقتحم الاهوال بنفسى وترون ما أفعل فلم يبق أحد من البطارقة إلا وقبل الأرض بين يديه ودعا له بالمعونة ثم قال له عقبة أيها الملك الكريم وهل هى الا امرأة ذات ضلع أعوج وعقل أهوج ولقد كانت الى الزواج أحوج من مقاومة الملوك والصولة على كل غنى وصعلوك فقال له الملك طب نفسا وقر عينا فان برزت معها فى الأرض واحدة سوف تبصر هذه الملاحدة ثم تقدم إلى الملك وساروه ثم قال عزمت على أمر يكون فيه الصلاح وهو أهون الأمور وان شئت فتحت الحصن بلا تعب فقال الملك ياماريتون إذا أنت فعلت ذلك كان لك عندى اليد البيضاء وأننى خائف من المسيح أن يعجل علينا بما فعلت هذه الملعونة فقال له الحكيم ماريتون إذا أنت أردت ذلك ابعثنى اليها رسول أبلغ منها الغرض

والسول وأخدع لها فى الرسالة وأتجمل لها فى المقالة وأدبر الحيلة على قلع الحصن من يدها وأطيل بذلك أسفها ولهفها وأعمل أيضا على تلاف هذا المسلم الذى عندها لأننى سمعت عنه أنه صاحب مكر وحيل ودهاء فقال له اصبر أيها الحكيم حتى نستخبر هدية عيسى وننظر ماذا يأمر به فقال له الأمر إليك أيها الملك ثم اطلعوا عقبة على ماعزم عليه الحكيم ماريتون فقال له عقبة ليس هذا صواب وربما انخرقت هيبة الملك بكونه يبعث إلى امرأة لان عندها عيار المسلمين وهو غلام أبو محمد البطال وقد حصل فى قلبه من الملكة زنانير هوى وعشق وبعد هذا انى خائف أن يكون قد صار معنا فى هذه المراكب ويدبر الحيلة علينا ويوصل الاذية الينا فانه أحيل من على وجه الارض فخذوا حذركم منه واستيقظوا لانفسكم من مكيدته فقال ماريتون وبلغ من قدر أبو محمد البطال أن يكون له غلام بمثل هذه الصفة فقال له عقبة نعم فقال ماريتون وحق المسيح انى كلما رأيتك أخاف على نفسى منك بأن تكون غلام أبو محمد البطال فلما سمع الملك ذلك صلب على وجهه وخاف على نفسه وقال كيف العمل ياهدية عيسى فقال عقبة أيها الملك ما دمت انا عندكم أقول أنه يخاف منى ولايجسر أن يتقرب من مكان أكون فيه ولكن عندى رأى وفيه المصلحة فقال له الملك وماهو رأيك فقال له أيها الملك أرى أن من الرأى المضاجرة لهؤلاء القوم والمطاولة من يوم إلى يوم وتبعث مائة مركب فيها عشرة آلاف بطريق يكونوا شجعان شداد أجلاد فى البحيرة على الأرض الصافية وهى بين قلعة الملك صلبوتا وقلعة الملك شعشعونا الذى أسلم وتطلعون هناك بالخيل وتركبونها وتسيرون مع البحر إلى قلعة الملك صلبوتا ونداوم نحن القتال على هؤلاء القوم الأعداء إلى أن يصلوا الينا ويرتفع الصياح وتملكون الميدان الأخضر حتى نستريح من هذا العسكر الذى فى الساحل ولا يبق علينا بعد ذلك تعب ولا نصب فانى قد تلمحت فيك السعادة وآتانى علمى بأنك تملك فى هذه السنة بلد القسطنطونية لأنك أحق بها ممن لا يقدر أن يدفع عنه خصمه وقد ارتفع اسمه فقال له الملك وحق المسيح هذا هو الصواب ولقد أتيت بفصيح الخطاب وما يفعل هذا الأمر إلا أنا بنفسى فقد قتلنى الغيظ بكونى فى هـــذه المراكب على وجه الماء ولا أقدر على بلوغ الغرض من الأعداء.

﴿ تم الجزء السادس والعشرون ويليه الجزء السابع والعشرون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السابع والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وأن الملك صاح فى وجوه قومه وأكابر مملكته فانضمت اليه المراكب من كل جانب وهى ألف مركب فانتخب منها ماتتى مركب كثيرة السلاح والخيل وركب فيها وأمر على بقية الملوك التى فى المراكب بطريق بغداد مخدعونا كثير الآفات كأنه شيطان فى صورة إنسان ثم قال له الملك أرى تضايق هؤلاء القوم وتكون فى المركب الكبير الذى كنت أنا فيه ويكون البترك بين يديك وهدية عيسى وتحرضون الناس على القتال وتعوذوهم من المسيح ببلوغ الآمال وإذا كان وسط النهار وسمعتم الضجة فاعلموا إنى صرت معهم أرض فى واحدة فاذا وصلوا إلى فاطلعوا أنتم من المراكب واقصدوا إلى باب الحصن فأملكوه ومن انهزم اليكم فاقتلوه ثم تركهم وسار (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم تخف هذه النوبة على الملكة زنانير لأن الأعداء ما ناموا فى تلك الليلة من كثرة الأصوات وترتيب الآلات وفرقت العدد من قلعتها على وجوههم من البطارقة الكبار الذين رباهم الملك صلبوتا ثم وعدتهم وطيبت قلوبهم قالت لهم اعلموا أننى قد ثبت عندى أن القوم قد انقسموا علينا قسمين قسم من البر وقسم من البحر وعند الصباح يقدمون علينا ونكون نحن مشتغلين بهؤلاء القوم الذين فى البحر فيدهمونا القوم فى البر فربما ظهروا علينا ومافى الرأى إلا أننا نجتمع تحت الحصن ونحترز لأنفسنا ولا نبالى ان صعدوا هؤلاء من المراكب أم لا فان كانت علينا التجأنا الى هذا الحصن المنيع ولا نبالى بالجميع وان كانت لنا فقد زال عنا وعنكم العنا وأبعث الى الملوك وأحثهم على الاسراع الى والقدوم على وأوعدهم بكل جميل وأرجو

من السيد المسيح أنه يرد عنى هذا العدو فما رأيت أقوى من شوكتهم ولا أحمى من جمرتهم ولا أشد من قتالهم ولا أنفذ من سهامهم ولا أصيب من نبالهم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلم يبق أحد إلا وقبل يديها ودعا لها وللحكيم اقليدس بعدها وطلبت لؤلؤ بعد ذلك فما وجدته فضاق صدر الملكة زنانير وتكدر عيشها فقال لها الحكيم اقليدس أيها الملكة أنا رأيته وقد خرج فى صورة مارأيت قط أحسن منها وأرجو من السيد المسيح أن يظفره بما يهوى ولا يشغل لك قلبا فلا تظهرى خوفا فما فعل ذلك إلا فى مرضاتك ليتقرب به اليك فقالت له الملكة وحق المسيح إننى خائفة عليه وما كانت غيبته منى بالرضا فقال لها أيتها الملكة اعرضى عن هذا وانظرى فى المهمات فكانك بالعدو وقد ضايقونا (قال الراوى) فلما أصبح الصباح على القوم نظر أصحاب المراكب وإذا بالملكة زنانير وأصحابها قد تأخروا عن المينا وقربوا من القلعة فقال لهم عقبة ما أظن الأعداء إلا قد علموا بما دبر الملك فاطلعوا بنا اليهم فعندها طلعت الفرسان ودنا الجمعان واختلط الفريقان ونفدت السهام فى الوجوه والأجسام واختلط اللئام باللئام ودار بينهما كاس الحمام وعجل الله على الجميع بالانتقام والحتف والحمام وكثر الكلام وقد تعالى النهار وارتفع الغبار ووصلت عساكر غضب المسيح كأنها الليوث الكواسر وهو فى أوائلهم كأنه الأسد المغاور واسع المناخر عريض الأكتاف كبير الرأس تام الخلقة وهو على جواد هائل من الخيل شديد الحيل أشهر اللون مليح الكون وهو راكب عليه كأنه البرج المشيد وهو فى سرجه كأنه فرعون وقته وفى يده عامود حديد وهو لايلوى على أحد ولا يكترث بعدد ولا يخاف من العدو بل قد هجم كأنه الأسد وخلفه عشرة آلاف بطل وكل من معه قد حمل فرجعت عساكر الملكة زنانير إلى الجبل وقد كثر بهم الخبال والفشل وارتفع عليهم الصياح وعلا وزال الشك والخلا وكانت الرجال قد طلعت من المراكب والتقت الجيوش ببعضها بعض وارتجت بهم الأرض وهجم اللعين على الرحال وارمل النساء والعيال وكان إذا ضرب الفارس طحنه وطحن فرسه فانكشفت البطارقة من بين يديه وتعوذوا بالمسيح من شره وتقدموا الى الملكة زنانير وأقسموا عليها بمريم والإنجيل المعظم بأن لاتقربى الى بين يديه ولا تقدمى عليه وهى تأتى الى الحملة عليه فعند ذلك انطرح الحكيم اقليدس عليها وقال أيتها الملكة الكريمة بحقى عليكى لاتقربى هذا الملعون اللعين الجبار المهين ولعل المسيح يدفع شره عنا وينصرنا عليه من غير أن تخرجى اليه فانه بطل لاكالأبطال وشجاع لا كالشجعان وما كأنه من البشر وعليكى بالتأنى فى الأمور والمطاولة ولو طلعنا

إلى الحصن وحامينا عن أنفسنا إلى أن تقدم علينا العساكر من كل مكان كان أصوب لنا فقالت له الملكة أما طلوعنا إلى الحصن فهو قريب اذا أردنا ذلك وأما قدوم الملوك فانى قد وصل إلى الخبر بأن الخلاف قد وقع بينهم وتفرق شملهم وأن المسلمين فى قلعة شعشعونا يدبرون فى السعى الينا والحضور إلى قتالنا وأما المسيح فانه قد غضب علينا وأما الفرج فما أطلبه إلا من المسيح ومن الملك دقيوسا فانه فى القلعة الشهباء ودولاب الفلك الاعلى وأريد الليلة أكتب اليه كتابا وأبعثه على جناح الطائر وأخبره بهذه القصة وأوعده بكل وعد جميل فقال لها الحكيم حبا وكرامة أيتها السيدة الكريمة ثم كتبت كتابا تقول فيه أما بعد أيها الملك دقيوسا ومن هو مبادر إلى طاعة السيد المسيح عيسى نريد ان تعرفنا ماتم عليك من خلاف الملوك ولولا أمور جرت عندى وإلا قد كنت سرت اليك وقدمت عليك وانني شاكرة لك ذلك على نصحك لى وكيف انك قاتلت الملوك من شأنى وأعلمك اننى قد وصل إلى قتالى الملك غضب المسيح فى خلق كثير وفيهم الملك بنفسه وفيهم هدية المسيح وهو الشيخ النجيح وقد قوى عزمه على أن يأخذ الحصن منى والسعى إلى سائر القلاع بعدى وقد أطمع نفسه بالمحال فساعة وقوفك على هذا المقال لايكون لك جواب إلا أن تأتى أنت وتقدم علينا بجميع عساكرك ولا تتأخر عن هذا اللعـــين الذى وصل الينا وهجم بشره علينا واذا حضرت وقوى عزمى بما معك من الفرسان سوف ترى ما أفعل به فى الميدان وما تتحدث به الناس إلى آخر الزمان ثم إنها لما أصبحت علقت الكتاب على جناح الطير وأطلقته فما بزغت الشمس حتى نزل الحمام الى البرج وأخذه البراج وأتى به إلى الملك دقيوسا وقبل الأرض بين يديه فأخذه الملك وقرأ الكتاب الى آخره وعلم مافيه فصلب على وجهه اشفاقا على الملكة زنانير وخوفا على زوال ملكها من بعدها لأنه كان عند الملوك مبجلا مكرما وكان يحدث نفسه ويطمع فى الملكة زنانير ويزعم أنه يتزوجها ولكنه كان يمنعه من ذلك هيبتها ويخاف من غضبها لأنها كانت تصله بالخلع والمال والهدايا فى كل عام (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الملك دقيوسا ما فى الكتاب وفيه نوع من التعرض به والرغبة فيه كاد فؤاده أن يطير فرحا وسجد شكرا للمسيح وصاح فى وجوه بطارقته وأصحابه فأجابوه من كل مكان ثم اجتمعوا حواليه حتى يسمعوا ما قد حدث عنده من ذلك الكتاب الذى وصل اليه وكل منهم قد أشهر سيفه خدمة للملك فيما ينتدبه اليه فقال لهم لايتخلف منكم أحد من كل من يحمل السلاح إلا ويتبعنى إلى قلعة الملكة زنانير فقد نزل عليها غضب المسيح فى خلق عظيم كثير وجم غفير وقد أشرفوا على أخذ الحصن والدولاب الكبير وهذا الأمر

يلزمنا عاره وما منا أحد إلا ولأبيها عليه الفضل من بعيد ومن قريب فقالوا كلهم السمع والطاعة أيها الملك الكريم والسيد العظيم فلو قلت لنا لجوا نارا لو لجناها أو القوا أنفسكم إلى البحر لألقيناها (قال الراوى) وما مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار إلا والقوم على ظهور الخيل وهم خمسة آلاف فارس وراجل والملك دقيوسا فى أوائلهم كانه الفيل الهائل وله همهمة وزمجرة وقد اشتعلت المشاعل وألهبت الشموع واجتمعت الجموع وساروا فى بقبة ليلتهم وعند الصباح أشرفوا على قلعة الملكة زنانير صاحبة الوجه المنير والطرف الكحيل (قال الراوى) فوجدوها وقومها فى بحر الهلكة فلما وقعت العين على العين وتحقق الصدق من المين فعند ذلك قال الملك دقيوسا لأصحابه دونكم والحملة عليهم ولا تهملوا هؤلاء اللئام ولا تسمعوا منهم كلام (قال الراوى) ثم حمل وحملوا ودارت طاحون الحمام وتاروا القعود والقيام وصاروا معهم فى الخيام وأصابت القواضب فى الأبدان وتمايلت الشجعان من شرب كأس الحمام وتضاعف البلاء ودام ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى انسدل الظلام ونزلوا الفريقين فى الخيام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فانهم لما رأوا هذه العساكر سائرة فى طلب الملكة زنانير خافوا على الملك عبدالله شعشعونا ومن معه من المسلمين وحمل الأمير من ذلك هم عظيم فقال له الأمير أبو محمد البطال لا تضيق صدرك أيها الأمير فانى لا بد لى م ـ المسير وانظر ما يجرى بين هؤلاء العساكر ثم أنه لبس زى بطريق فاخر وسار من النهار فوصل إلى عسكر غضب المسيح فى ظلمة الاعتكار فعبر عليهم وقد توكل على الملك العلام الذى كل من توكل عليه كفاه وجعل يدور بين المضارب والبيوت والأزقة والخيام فبينما هو كذلك وإذا هو بشخص آخر يدور معه ففزع منه البطال وأراد أن يتركه ويسلك طريقا آخر فقال له ذلك الشخص أيها الأمير أبو محمد يعز على أن أراك منهزما وتهرب منى وأنا أشوق الناس اليك فما أعجل ما نسيتنى (قال الراوى) يا سادة يا كرام فرجع البطال ينظر من ذا الذى عرفه وإذا به غلامه لؤلؤ صاحب الملكة زنانير فوقع فى صدره وجعلا يبكيان من الشوق وهنؤا بعضهما بعضا بالسلامة وسأله أبو محمد عن خبره فقال له أيها الأمير أما أنا فعلى جملة السلامة والعافية وما أخذتنى فى الله لومة لائم إلا أنه قد نزل بنا العدو الذى ماسمعت بمثله فى الأخبار لأنه جبار لا يلتقى وانما يقاتل الانسان مثله وأما هذا فانه شيطان فى صورة إنسان فما يطمع أحد فيه لأنه حكى لى عنه بأنه يلكم الجمل فيجعله معقور والأسد فى كفه كالعصفور فى يد أحدنا والله العظيم لقد خفت منه على نفسى وعلى الأمراء وعلى

الملكة زنانير فانني عارف بشره ومكره وما نزلت فى هذه الليلة من القلعة إلا لعلى أظفر به حتى أذبحه من أذنه إلى أذنه فما وجدت اليه سبيلا فقال له الأمير أبو محمد وقد عظم عليه وكبر لديه نسأل الله العظيم أن يكفينا شره إلا أنت يا لؤلؤ كيف عرفتنى فقال له وحق الرب العظيم الأزلى القديم لما رأيتك الليلة وأنت بين الخيام تمشى يمنة ويسرة فما خفيت على شمائلك ولا غابت عنى فعايلك وانى حذرت أنك مولاى وانظر حذرى فشد الله بك أذرى فعند ذلك تعجب أبو محمد البطال من كلام غلامه لؤلؤ ثم سأله غلامه لؤلؤ عن الأمراء وكيف هم فقال له أبو محمد البطال ويلك يا لؤلؤ لقد عملت فى هذه النوبة عملا أبلغ به عند الله تعالى يوم القيامة سؤلا وعملا ثم حدثه أبو محمد حديث الحصن واسلام الملك الصابر واسلام عشرين ألف فارس معه وقد صار الحصن للمسلمين ملكا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع لؤلؤ ذلك من كلام أبو محمد كاد فؤاده أن يطير فرحا ثم شكر الله تعالى على ذلك ثم قال يامولاى قد عولت أن أعمل شيئاً وذلك أننى رأيت عقبة خارجا من عند الملك ومعه راهب آخر لا أعرفه إلا أننى سألت عنه فقيل لى هذا الحكيم ماريتون وقد عزما أن يدبرا حيلة على الملكة زنانير وعلى أيضا ويأخذون القلعة بمكرهما فقال أبو محمد البطال وكيف تعمل يا لؤلؤ وعقبة لايجوز عليه حيلة ومعه خاتم السم فأى شىء حضر بين يديه مسموما رشح ذلك الخاتم فى أصبعه ويعرف أيضا الطعام المبنج فقال له لؤلؤ أيها الأمير أما الخاتم فانه فقده من زمان وأنا أعلم بذلك فقف لى حتى أمضى وأعود فقال له أبو محمد البطال الى أين تمضى يا لؤلؤ فى هذه الساعة فقال له اعلم يامولاى أننى عاينت سماط الملكة وفيه صحون حلوى كما علمت وأريد منها شىء وأجعل فيه البنج ولعلى اطعم الملعون عقبة منه شىء وكذلك الملعون الحكيم ماريتمون ثم أنه مضى وغاب ساعة وعاد ومعه صحن منها وهو طرى كأنه العجين فعندها أخرج أبو محمد البطال من خلف أذنه قرطاس فيه بنج مصحون مثل الكحل لو وضع منه حبة فى زق خمر لأسكر كل من شم رائحته ثم دره على الحلاوة من فوقها ومن تحتها وعجنها ثم عاد وبسطها فى الصحن كما كانت ثم أنه غير صورته ووجهه أحمر ولحيته كبيرة شقراء وكان لابس زى أصحاب الملك غضب المسيح ودخل على القاضى عقبة أسرع من البرق بقلب قوى وجنان جرى ولما صار بين يدى عقبة صلب على وجهه وخدم وترك الصحن بين أيديهما ثم قال لهما أن الملك بعد خروجكما حضر له شىء من الحلوى فأكل منها وقال لابد ما يأكل منها هدية عيسى فان هذه الحلاوة الحارة توزن الرأس وتطيب الأنفاس ثم أمر لكما بهذا الصحن (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك لم يشك فى قوله وقام وخدم للملك

وكذلك الحكيم ماريتمون قال لعقبة وحق المسيح ما هذه الاكرامة زائدة لك عند الملك وإلا فما أتحفك بهذه الحلاوة وما جرت للملك قط عادة بمثلها ولا لولده ثم جعلا يأكلان وقد طاب لهما وخرج لؤلؤ من عندهما وجلس بره الخيمة ساعة إلى أن علم أن البنج قد تمكن منهما فدخل هو وأبو محمد البطال عليهما ورفع كل واحد منهما واحد على أكتافه وخرجوا وقد أسدل الظلام وطلب كل واحد منهما أصحابه والتفت أبو محمد يطالب لؤلؤ فما رآه فعظم عليه وكبر لديه وأقام ينتظره فما جاء أحد اليه فأخذ أبو محمد الذى كان حامله وطلب غلامه صافى وركب بغل وسار طالب الأمير عبدالوهاب (قال الراوى) وكان الذى وقع فى قسم أبو محمد الحكيم ماريتمون وعقبة وقع فى قسم لؤلؤ وخرج به من العسكر ودنا من غلام له اسمه كورك وهو غلام رومى كانه القمر المنير وكانت قد وهبته له الملكة زنانير وقد علمه فى تلك المدة الحيل والمكر وأسلم على يد لؤلؤ وعلمت الملكة زنانير بذلك فلم تنكر عليه احتراما للؤلؤ (قال) وكان لؤلؤ قد تركه فى موضع حريز فلما وصل اليه قال له ويلك معك مركوب قال له نعم فقال شد عليه هذا الشيخ السوء فقد أعمانى صنانه فلا ستر الله عليه فأخذه كورك من يده وشده على بغل وركب الغلام خلفه وركب لؤلؤ بغل آخر وساروا طالبين القلعة فلما وصلوا إلى القلعة رآوهم البطارقة فتصايحوا عليهم فكلمهم لؤلؤ بالرومى ففرحوا بسلامته ولم يجسروا على فتح الباب خوفا من الملكة زنانير فعند ذلك مضى اليها بطريق من الذين على الحرس وأخبر بذلك خادما لها اسمه رمابان المسلم قد وصل وهو خارج الحصن وما يعقل ولا نعلم ما عليه (ياسادة) فمضى الخادم وأخبر الملكة بذلك فأمرت بفتح الباب وكانت لما فقدت لؤلؤ ضاق صدرها وخافت عليه فلما وصل فرحت بسلامته وأمرت الخادم باحضاره بين يديها فرمى نفسه عليها وجعل يقبل قدميها وهى تمنعه من ذلك ثم قالت له ان كنت يا لؤلؤ قال لها عند أبغض الناس إليك وأكرههم لديك فقال يا لؤلؤ وحق المسيح أحب الناس إلى أنت وأبغضهم إلى عقبة الذى يدعى أنه هدية عيسى فقال لها وقد غاب صوابه عند ذلك الكلام يا مولاتى ههنا قد حضر إلى عندك لؤلؤ الجريح وعقبة الشيخ النجيح ثم أن لؤلؤ أمر بحضار عقبة إلى بين يدى الملكة زنانير فحضر وهو على أسوأ حال (قال) فعندها وثب لؤلؤ ونشقه بقليل من خل الخمر وقليل من الخردل فعطس وأفاق فلما نظر روحه فى ذلك القالب النحس عاد على نفسه بالملامة فلا كتب الله عليه وعلى الحكيم بسلامه (قال) فلما رأته الملكة زنانير أخذها عليه الضحك حتى تمايلت عن سريرها كأنها غصن بان إذا لعبت به نسائم الأشجار وأخذ نور ثغرها بالأبصار وقالت له كيف أنت أيها الهدية من أكل الحلاوة الطريه فلاستر المسيح على هذه الطلعة القبيحة فهذا البلاء الذى نحن فيه كله منك

كان الينا وأنت الذى حرضت هذه العسكر القادم علينا ثم وثبت الملكة زنانير اليه وصارت تصفعة فى عنقه إلى أن نزل الماء الأصفر فى عينيه وغشى عليه وتورمت عروق رقبته واحمرت أودانه وغاب صوابه وسال لعابه ولؤلؤ يقول لها بحياتى عليكى لا تخفى عنه العذاب (ياسادة) والمحب إذا أقسم عليه بحياة حبيبه أبر قسمه ثم التفت لؤلؤ إلى عقبة وقال له ياويلك أين تلك الدموع المتأثره والخوف من الآخرة والدعوات الصالحة فى تلك الأيام الرائحة أين ذلك الضعف وقلة النشاط واللهف ولكن لما لعبت بالدين أوقعك رب العالمين فلا فرج الله عنك وأراح المسلمين منك ثم أن الملكة زنانير أخرجت سكينا لها فولاذ مجوهرة كانها القضاء أو البرق اذا أضاء برأس كانه مبضع وقفا كانه أصبع طويلة النصل تصلح للقطع والوصل ثم أقسمت انه لابد لها من قتله فى تلك الساعة فقام لؤلؤ اليها وأيقن أنها تقطع رأسه وتخمد أنفاسه وعقبة قد انتفض واصفر وجهه وأيقن بالموت لا محالة وقال للؤلؤ إن كان منام عبد الوهاب صادق فكيف تمكن الملكة من قتلى فعلم لؤلؤ انه صادق فى كلامه ثم خاف من الملكة أن تبطش به فوثب اليها وجعل يقبل يديها وساقيها وقال أيتها الملكة اقطعى منه شيئاً كرامة لايمانك فقالت بالله يالؤلؤ دعنى أريح منه عبدة المسيح والمسلمين من هذا الشيخ اللعين المهين فقال لها لؤلؤ أنا أسألك فيه اليوم فلا تخيبى سؤالى فعند ذلك ضحكت الملكة زنانير وقد قالت قبلنا فيه الشفاعة لاجلك وعلى فعاله نكافئه وحق دينى يالؤلؤ إن ظفر بك ما أبقا عليك وكان يشرب دمك فقال لها لؤلؤ يامولاتى قل كل يعمل على شاكلته ثم انها قطعت دقنه فبقى عبرة لمن اعتبر وأضحوكة لمن نظر ثم ان الملكة أمرت البطارقة أن يضعوا فى رجله قيد ثقيل ويضيقون عليه ويترك فى مطمورة الدم ثم قالت هذا باروا حكم أى وقت هرب قتلتكم عوضه (قال الراوى) فانزلوا عقبة فى موضع لايرى الإنسان فيه صاحبه بالنهار وأما لؤلؤ فانه أقام عند الملكة زنانير بعد مضيه وعول على الخروج الى داره وموضع منامه وأغلق باب القصر على الملكة وكان فى قلبها من سبب غضب المسيح ونزوله على قلعتها وكيف بقيت محصورة فى القلعة (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح بعث الملك غضب المسيح خلف عقبة والحكيم ماريتون على انه يحدثهم فى التدبير على القلعة والمشورة فى أمور عرضت له فسارت الغلمان الى الحكيم فوجدوا غلام الحكيم ماريتون مذبوح ولا لعقبة ولا الحكيم ماريتون خبر فرجع رسول الملك اليه وأخبره بالخبر فقال الملك وحق المسيح إن هذه نوبه مدبرة ثم انه ارتاع لذلك وبقى كانه واقف على جمر الغضا وقام بنفسه وقصد الى الخيمه فرأى غلام الحكيم ماريتون

مذبوح وعلى وجهه مطروح فعند ذلك أيقن الملك بأخذ الاثنين وقال لا أثر بعد عين ثم ركب جواده وطلب الاثر وأخذ فى الطريق خلف الامير أبو محمد (قال الراوى) وفى تلك الساعة التى سار فيها الملك غضب المسيح وصل فيها الملك دقيوسا وهجم على بقية أصحاب غضب المسيح ما بين جريح وطريح واسير وذبيح ومكن منهم الحسام فهذا ما كان من سبب غيبة غضب المسيح (قال الراوى) يا سادة وان الملعون جد خلف أبو محمد البطال وصار يقفوا أثره وتبعه عشرة آلاف فارس وهو كانه الجمل الهايج أو البلاء الدايج وما عنده خبر بما تم على أصحابه من الويل والوبال وما نزل بهم من الشدائد والاهوال (قال الراوى) وسمعت زنانير بهذا النصر والفتح ففرحت بعد الانقباض والحصر وأمرت الاصحاب والبطارقة بضيافة الملك دقيوسا ثم أخرجت من الاطعمة والاقامات والاموال مايعجز عن حمله الجمال وعند الصباح فتحوا باب القلعه وخرجت البطارقة والعمالقة والشاوشية والجنائب بالتخوت الاطلس والسروج الذهب الاحمر المرصعة بالدر والجوهر وخرجوا الشمامسة والرهبان والبترك الكبير والحكيم اقليدس وعليه خلعه ملكية أطلس وعلى صدره زردية تسوى عشرة آلاف دينار وهذا الحكيم اقليدس هو الذى ربا الملكة زنانير (يا سادة) ونثر عليها فى حال خروجها الدراهم والدنانير وعلى رأسها تاج من الذهب الأحمر مكلل بالدر والجوهر وعلى صدرها أكليل وعليها درع ماله فى الدنيا عديل وهو محبوك باللؤلؤ الكبار وقد أخذ نوره بالابصار ووجهها كانه درة القمر إذا اكتمل وظهر ومن أين للبدر تلك العيون والسحر فى تلك الجفون والهيئة التى على تلك الصورة وهى مستبشرة مسرورة فسبحان من خلقها من ماء مهين ثم جعلها فتنة للناظرين فلما رآها الملك دقيوسا ترجل وباس الأرض وقد زال عقله مما شاهد من جمالها وقدها ودلالها فلما رأته الملكة وقد ترجل قالت له اركب أيها الملك حتى أشير عليك بما تعمل (قال الراوى) ولما ترجل الملك الى الملكة زنانير وتذلل بين يديها أشارت اليه بالركوب وقالت له اركب وابشر بنيل المنا وابشر بنيل المطلوب ثم قالت له أعلم اننى قد عزمت على شىء أريد أن أقوله لك فقال لها وما هو أيتها الملكة قالت اعلم أن غضب المسيح قد أخذ جماعة من أصحابه وقد راح طالبا عسكر المسلمين وقلعة الملك شعشونا ولاسيما قد سرق الحكيم المسمى بماريتون وقد سرقه رجل عيار يقال له أبو محمد البطال وقد عولت اننى أبعث معك عسكر كبير وتسير فى أربعين ألف فارس وراجل فتكون عند الصباح قد أشرفت على القوم وتبتدرهم بالحملة فوحق المسيح أن فعلت ذلك ما كان يسلم منهم أحد ويكون لكم الفعل والمليح

وان أردتم أن تنزلون على المسلمين حتى تكون لكم الهيبة فى قلوبهم فافعلوا فما أفلح قوم غزوا فى ديارهم وإننى أكون لاحقة بكم فى غداة غد وتكون لك عندى اليد البيضاء والمجد الأوفر ثم انها خلعت عليه خلعة سنية لها قيمة كانت ادخرتها عندها من أجدادها وكذلك خلعت على أصحابه الخلع الملاح وطيبت قلوبهم وأعطتهم من المال ما أذهل الرجال فشكروا لها تلك الفعال وقال لها الملك دقيوسا سمعاً وطاعة أيتها الملكة ثم انه رد من ساعته رؤس الخيل وسار من وقته وساعته والعساكر بين يديه وعن يمينه وعن شماله ومعه أيضا عسكر الملكة زنانير وقد ولت عليهم بطريق يقال له فارغوم ابن قيطون وكان هذا الملعون يلقب فى الروم بآفة الزمان لشره ومكره وتجلده على البلاء وصبره على الأذى وكان هذا الملعون يقلع الشجرة بعروقها ويصطاد الأسد بيده ويقطع الطريق على القوافل وحده ويعوقها ويصيح فى العساكر الكثيرة فيوقفها وكانت الملكة زنانير تكرمه وتعطيه وتخبيه لمثل هذا اليوم وكان هذا الملعون قد ربى فى دارها تحت حجر الملك صلبوتا فخلعت عليه ذلك الوقت وأوعدته بكل جميل وقالت له يا فرغوم لقد ضاق صدرى وعيل صبرى من هذا العدو العظيم والجبار الجسيم الذى اسمه غضب المسيح وقد خفت من شره وغدره فقال لها فارغوم أيتها الملكة الكريمة والسيدة العظيمة وحق المسيح والبترك الكبير وراهب قونية وباب البيعة والمزامير والمذبح ومن له المشيئة والارادة لأعملن عملا يتحدث به المحدثون فى سائر الأقطار وأتركه عبرة بين الملأ وأجعله عرضة للبلاء فشكرته الملكة زنانير على هذا الكلام وساروا من ساعتهم (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه لما أخذ الحكيم ماريتون عاد يطلب لؤلؤا فما وجده ووجد غلامه فأخذه ورجع طالب عسكر المسلمين (ياسادة) وكان الأمير عبد الوهاب لما غاب عنه أبو محمد اشتغل قلبه لذلك وأقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها أيتها الأميرة والله العظيم لقد طال مقامنا فى هذه الديار وقد حدثتنى نفسى بأن عسكر الروم قد خرجت فى طلب ملطية لاننا قد انقطعنا فى هذه الأرض وأنتى فقد من الله عليكى بالعافية وقد أسلم على أيدينا خلق كثير وجم غفير وما لنا الا اننا نأخذ معنا هذه العساكر التى قد أسلمت كلها والملك الصابر ونسير الى قلعة الملك عبد الله شعشعونا ونأخذ عسكره أيضاً ونطلب قلعة الملكة زنانير فأما أن تفتح لنا باب الشباك الذى للبحر حتى نخرج الى ديارنا فى المراكب وإما أن نحاصرها ونأخذ منها القلعة غصبا ونملك ماعندها من الأموال والرجال نهبا باذن الملك المتعال فقالت الأميرة ذات الهمة الأمر اليك يا بنى أجرى الله الخير على

يديك ومتعني بطول عمرك فما أشرت به فهو المراد ولكن حتى نشاور هذا الملك الصابر ونأخذ رأيه فان الله تعالى قد أعطاه وله الأموال والرجال فقال لها الأمير عبد الوهاب صدقتي أيتها الأميرة ثم بعثوا الى الملك الصابر يستدعوه اليهم فوجدوه فى سجود وركوع وخضوع وقد أسال الدموع وله أنين وحنين وتضرع بين يدى رب العالمين (قال الراوى) فلما سمعوا الرجل صدق إيمانه فرحوا ثم استدعوا به الى عند الأمير عبد الوهاب فقال السمع والطاعة لمن كان سببا لهدايتي وسعادتي ثم وثب معهم وسار حتى دخل على الامير عبد الوهاب الزاهد العابد ثم حياه أحسن تحية فقاموا له جميع الامراء قيام وأكرموه لما أنعم الله عليه من الاكرام بدين الاسلام وهنوه وبشروه فقال الامير عبد الوهاب اعلم أيها الملك السعيد والاخ الرشيد اننا قد طال شوقنا الى ديارنا ومقامنا ههنا يطول وبطئنا عن عساكر الاسلام غير صواب وما بقي لي صبر عن أولادي وأهلي وبلادي وقد عزمت الرحيل إلى بلاد الاسلام وجهادي فى الكفرة اللئام ولكن بين أيدينا هذه الكافرة الملحدة زنانير وقد منعتنا من العبور إلى بلادنا فان فسحت لنا عن الطريق فقد استرحنا من التعويق وخرجنا إلى بلادنا والله كرهنا المقام فى هذه الديار وإن هى أبت من ذلك أقمنا على حصارها وربما أخذنا حصنها قهراً وأنت قد من الله عليك بالإسلام ونريد رأيك فى هذا الامر فان لك المعرفة فى هذه الأرض وأنت أعرف بها منا (قال الراوى) فلما سمع الملك الصابر ذلك من كلام الأمير عبد الوهاب أجابه بكل ما يسره وبشر الامراء وأوعدهم بالخير والسلامة والرجوع إلى بلادهم فى أحسن زى وأكمل أهبة ثم قال أيها الامير الزاهد المجاهدان هذه البلاد أطيب من بلادكم وأرق هواء وأصح ماء وأفرج وأمكن للعباد ولكن حب الوطن من الايمان وهو أشوق الاهل والاخوان فما تلاموا فى شوقكم إلى بلادكم ولكن بين أيدينا قلاع كثيرة العدد والعدو ولها حصون سبعة وآنية رفيعة ومواضع تمنع العدو من العبور ورجال كالعقارب يقطعون والخلاص من بين أيديهم صعب شديد الى أن تعبرون فى ديارهم وتصالحوهم على المال الجزيل ويكون العبور عليهم برضاهم فانني أعلم أنهم فى عالم عظيم لا يحصى عددهم إلا الله تعالى فقال الأمير عبد الوهاب أيها الأخ الأمير والسيد الخطير هم أكثر من الملك دقيوسا صاحب قلعة الباب وأول أعمال أقاليم البحيرة وقلعة الملك صلبوتا والدولاب الكبير وهل يكونوا أكبر منا شوكة وعدد ومعنا الملك عبدالله شعشعونا وهو اليوم قد صار من أصحابنا وعلى ديننا ومن جملة أعواننا فقال له الملك الصابر وقد تبسم من قول الأمير عبد الوهاب أيها الأمير أتدرى عن من أقول لك انهم

فى عالم عظيم فقال الأمير اللهم لا فقال الملك هؤلاء من أرض يقال لها هزم بالرومى اى الماء المالحة وهم بين قلعة الملك شعشعونا وهو اليوم قد صار من أصحابنا وقلعة الملك صلبوتا من نواحى الغرب وآخرها جبل يقطعها ويقطع البحيرة مسيرة أربع فراسخ وهم من علوه كأنه قد لحق بالسماء لارتفاعه وعليه أربعة حصون كأنها الأموية السود ولها حجارة صم جلمود فلو دب نملة عليها لما قدرت أن تتسلق عليها ولا يعمل فيها حجر منجنيق وبعدها قلعة السحاب الذى للملك دقيوسا وهو يقرب للملكة زنانير وقد تقدم ذكره ووصفه وسبب هذا الحديث الذى أخبرتك به اليوم أنه قد وصل إلى جاسوس من بلاد ملكون وأخبرنى أنه قد جمع العساكر وهو طالب بلاد الملك صلبوتا وأخذ الحصن والدولاب من ابنته زنانير وهو فى عالم لا يحصيهم إلا الله تعالى فان قصدوا الينا لا بد من قتالهم ويعطى الله النصر لمن يشاء فان ظفرنا الله بهم كسرناهم فما أقدرنا على قلعة الملكة زنانير وأخذها لأنها امرأة ناقصة العقل والتدبير وببعض حيل أبو محمد نبلغ منها السؤل والأمل (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من كلام الملك الصابر تحير فى هذه النوبة وافتكر فيها ثم قال له أيها الملك اعلم أن الله تعالى قد وعدنا بالنصر والظفر على من طغى وكفر وما نبالى بالعساكر قلت أو كثرت لأنها بنعمة ربها كفرت وها نحن نسير إلى قلعة الملكة زنانير فان لقينا فى طريقنا هذا العسكر الذى قد وصل الينا خبره فربما ظفرنا الله به وكسرناه وإن كانت الأخرى فما أطيب الشهادة فى سبيل الله تعالى الذى أخرجنا من العدم إلى الوجود لأنه الملك المعبود الذى بدأنا من القدم وأوجدنا من العدم وقدر أرزاقنا وقسم آجالنا وأجلى العمى عن قلوبنا وأنعم فلله الحمد والشكر على ما قسم وقد قال فى محكم كتابه إذ شرح لسائر الأمم أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وألطاف البارى جلت قدرته خفية وقد عودت بالنصر والظفر وها نحن سائرين وعلى الأعداء قادمين ثم أمر العساكر باصلاح شأنها وقضاء حوائجها وأخذوا الأهبة للرحيل واستعدوا للتحويل (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما الأمير أبو محمد البطال فانه لما طالت غيبته على الأمراء شق ذلك عليهم وضاقت صدورهم وقالوا ترى فى أى أمر قد غاب فنرجوا أن يكون عليه خير وسلامة إن شاء الله تعالى فقال الأمير عبد الوهاب ما أبو محمد إلا قد تعيش فى هذه الديار فلا أخلانا الله منه ولا من طلعته وحسن مشورته وبركته فقالت الأميرة ذات الهمة أو يكون قد سمع بأن عقبة فى بعض القلاع أو الحصون أو الأديرة وقد أشار اليه وإنى لخائفة عليه من مكر عقبة اللعين وحيله بأن يوقعه فى أيدى الكفار أو يهلك فى هذه الديار فكم وقع وخلصه الله تعالى فانا لله وإنا اليه

راجعون (قال الراوى) ثم باتوا تلك الليلة على نية الرحيل وما للناس حديث ولا شغل قلب إلا فى غيبة الأمير أبو محمد (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر محمد سيد الملاح ضرب بوق الرحيل وركبت العساكر والمواكب والدساكر وسارت الكتائب وجنبت الجنائب وماجت الأباعد والأقارب وظهر الملك الصابر فى زى لم يقدر عليه أحد من الملوك وكذلك الملك عبد الله شعشعونا وسائر عساكر الاسلام ثم ركبت الأميرة ذات الهمة الزاهدة العابدة المجاهدة وسائر بنى كلاب والأمير عبدالوهاب وسائر من معه من بنى كلاب والسودان الأنجاب وقد ارتجت الارض فى طولها والعرض فلما رأى الأمير عبد الوهاب إلى تلك العساكر وكثرتها والمواكب واضطرابها والأبطال وزمجرتها شكر الله تعالى على ذلك وقال الحمد لله على هذه العطية الذى شد بها أذرى فى هذه الديار ويفنوا طوائف أهل النار (قال الراوى) فبينما هم على نية المسير وإذا بصيحات عظيمة وفرح واستبشار والصلاة على محمد المختار فقال الأمير عبد الوهاب ما الخبر وما موجب هذا الصياح فقالوا له يا مولانا هذا غلام أبو محمد البطال قد أقبل وهو مستبشر بسلامة مولاه ومعه حديث لا يقدر يقوله إلا للاميرة المجاهدة العابدة والامير عبد الوهاب فنادى الامير العجل العجل على به فما كان بأسرع ما حضر بين يديه فلما رآه انطرح على أقدامه يقبلها ثم قال يا مولاى سيدى أبو محمد يسلم عليك ويقبل أياديك ويقول لك العجل حتى أملكك اللعين عقبه ودير الحوار بين وفيه مال لا يحصى وذخائر لا تفنى وأوانى من ذهب وفضة مالا يوجد ولا يوصف فقال فقال الأمير عبد الوهاب الحمد لله الذى جئت وخبرتنا بأن مولاك سالم فى الحياة فقد فرحنا والله بسلامته من بعدما غمنا فراقه وطول غيبته فقال غلام أبو محمد يهنيك أيها الأمير الزاهد والخصم المجالد بما فتح به عليك العلى الواحد وهذا كتاب أبو محمد اليك يخبرك أيها الأمير بأنه قد وصل إلى عسكر غضب المسيح وعمل على رجل متحيل ملعون يقال له الحكيم ماريتون وأخذه ورجع اليكم طالب القدوم عليكم فرأى غبار الأعداء وهم طالبين وصادف ديرا يقال له دير الوثن فدخل اليه وفيه راهب من رهبان قمامه وقد صار فيه خادم ولأصحابه منادم وفيه من الأموال والرجال مالا عين رأت ولا أذن سمعت وفيه حصن منيع عالى من جبل شاهق وأشهق من الملك الدابق وفيه مياه متدافقة تأتى من بين جبلين وفيه أيضا عين تنبع وتنحدر فى وادى إلى أن تسيح على وجه الأرض وهو مليح قد كونه خالق الأرض والسماء وفى هذا الدير عجل من ذهب أحمر ورجلا من فضة بيضاء كانها من الرخام الجلمد وأناه من الزبرجد وعيناه من الياقوت الأحمر

وقدماه من العود القمارى وتحته حوض من رصاص أبيض وفيـــه فواره تطلع من الأرض فى قضيب من رصاص وهو مجوف لايفطن به الناظر ويتحير منه الخاطر وإذا صار الماء فى جوف ذلك العجل يسمع له بربرة وخوار عظيم ثم يخرج الماء من موضع آخر وعلى ظهر العجل صليب من الياقوت الأحمر يسوى ملك تبع وقيصر فتنة للناس وشغل لأهل الكفر والأرجاس وعلى هذا الدير واليا يقال له الخرطموس كأنه فى حلية الجاموس كثير الفساد كأنه من آل عاد يتغدا بخنوص ويتعشى بفرخ جاموس ويشرب ثلاثة أذقاق من الخمر فى كل يوم وليلة ويصيد الأسد قناصا ولا يجد الخصم من يديه مناصا ولا خلاصا فهو آفة الزمان وبليـة كل إنسان وأعجب مايقول أبو محمد البطال فى كتابه ان عندهم فى الدير رجلا علويا قد كبر سنه ودق عظمه وزاد إيمانه وارتفع وشأنه اتضح عند هذا المتجبر مكانه فالعجل العجل قبل حلول الاجل فان هذا الامر من أفضل العمل حتى تنالون السؤل وغاية الامل ثم ختم الكتاب بهذه الابيات يقول

رجل صالح تقى نقى علوى فى قبضة الكفار
فى عذاب وكربةوانكسار وانفرد بخدمة الجبـار
فالحقوهوخلصوهمنالأسر تفوزوا بخدمة القهار

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الامير عبد الوهاب ما فى هذا الكتاب تفكر وحار وأسبل الدموع الغزار حمية للشيخ العلوى وغيرة للدين المحمدى وكذلك الاميرة ذات الهمة المجاهدة الراكعة الساجدة الزاهدة العابدة فانها نادت الله أكبر الله أكبر يابنى والله مابقى يسعنا التخلف عن هذا الامر ولو كان فيه تلاف أرواحنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان المساء قد أدركهم والظلام قد غشاهم والتعب قد أهلكهم نزلوا فى ارض كثيرة الطمأ فقاسامنها العسكر فى تلك الليلة أشد ضرا وأوفى بلاء وشرا ولسع منهم خلق كثير واجتمع الأمير عبد الوهاب بالملك صابور وسأله عن ذلك الدير ومن فيه فقال له الملك الصابر ومن أين لك أيها الأمير خبر بذلك الدير فقال له أيها الملك هذا كتاب محبك وأخوك الأمير أبو محمد البطال الذى كان سبب هذه السعادة وإرشادك إلى هذه الحالة المسعودة فى الدنيا والآخرة صاحب الأفعال وخائض الأهوال وقد آمن على يد الأمير أبو محمد البطال خلق كثير من النساء والرجال ولو لم يكن أيهـا الملك الكبير فى الأمر إلا الرحمة لهذا الشيخ العلوى الذى قد بلغنى أن الأمير أبو محمد البطال قد صار عندهم مقربا وبه ننال المطلوب من عنـــد علام الغيوب فقال له الملك الصابر

أنى أريد أن أشير عليك أيها الأمير برأى صائب فقال وما هذا الرأى فقال له أعلم أن هذا الدير أحصن من سائر الحصون الذين فى البحيرة وهذا العجل المذكور هو حسرة أهل الدنيا وفيه هذا الجبار المسمى بالخطرموس فانه لايعد الرجال ولا يخاف الأبطال والأهوال ويعد فى الحرب بألف فارس من كل بطل مداعس وله فى الدير بيوت ومساكن وله فى الدير عالم عظيم فعند ذلك قال له الأمير عبد الوهاب أيها الملك كم بيننا وبين هذه الدير فقال له إذا أسرنا فى هذه الليلة نكون عند الصباح فى أرضه وهى أرض يانعة الانهار كثيرة الاشجار والأثمار والازهار الجميلة (قال الروى) ياسادة ياكرام ثم انهم صبروا ساعة من الليل بقدر ما استراحوا ونادوا له فى القوم بالرحيل فى تلك الليلة وقد طلع القمر واشتهر فى ظلام الليل اذا اعتكر وصار كانه مائدة من الذهب الاحمر اذا انشرت على لازورد أزرق مزهر (قال الروى) ياسادة ياكرام ثم قالوا الآمراء لغلام الامير ابو محمد البطال سر أمامنا فسار أمامهم وهم سائرين خلفه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من شيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهالة القاضى عقبة فانه لما أنفصل حاله مع الملكة زنانير ورمته فى المطمورة خلص منها بحيلة عجيبة وأمور غريبة وقتل الموكلين عليه وكان رجعته الى الفساد قريبة فلم يكن له ملجأ ولا ملتجأ الا الهرب الى قلعة الملك عبد الله شعشعونا وقد أكمن فيها مختفيا لئلا يعرفه أحد من أصحاب الأمير عبد الوهاب فأقام الى أن سمع أن غضب المسيح قد وصل الى أرض الملك شعشعونا ففرح بذلك غاية الفرح وقال لعل المسيح أن ينصر عقبة فى هذه النوبة وعسى أن يهلك المسلمين (قال الراوى) وكان الملعون عقبة قد أوى عند رجل نصرانى يقال له ختمور من أرض الملك شعشعونا قال وكان هذا الرجل لم يسلم حتما ولكنه تظاهر بالاسلام ويكتم دين الضلال فلما حصل عقبة عنده جلس فى هذه النوبة وانه سمع منه فى بعض الايام خبر هذا الملعون الخرطموس وأعلمه بدره وان بينه وبين الخرطموس صحابة وقرابة من النساء وكان هذا النصرانى حداد صانع جيد فبعث اليه الخرطموس يقول له تعال الينا فقد احتجنا اليك لتعمل لنا شغل وتعود الى أهلك وان شئت تخذ أهلك والحق بنا حتى يكون لك مالنا وعليك ما علينا (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة والأمور المطربة الغريبة فلما وصل الكتاب الى النصرانى أخبر عقبة بذلك وقال له هذا هو الصواب وكان قصد الملعون عقبة الهرب من المسلمين لئلا يفطنوا به وليكون فى موضع يدبر فيه على هلاك المسلمين فقال له اعلم ياهذا أن قعودك بين هؤلاء مما يغضب عليك المسيح فكيا نك بالمسيح وقد غضب على هؤلاء القوم وأنزل

بهم عذابه وحل بهم عقابه فانه لا يمهلهما أكثر من هذا فدبر فى خروجنا ليلا فقال سمعا وطاعة (قال الراوى) فلما كان الليل ساروا يقطعون الأرض الى أن وصلوا الى دير الوثن وسمع بهم أيضا الوالى خطرموس ففرح بهم وبوصولهم فخرج الى لقائهم وقد زاد فى اكرامهم ثم تقدم الى خطرموس النصرانى الحداد وقال أيها الملك الكبير والسيد الخطير اعلم أن هذا الشيخ الذى تراه هو شيخ ملة النصرانية وقوم دين أهل ماء المعمودية هذا هدية المسيح هذا الشيخ النجيح هذا مخرب مساجد المسلمين هذا عمارة دين الكافرين هذا صاحب المشورة والرأى وصاحب الحيل والخداع فعليك بخدمته ورفع منزلته والنظر اليه بعين الخدمة (قال الراوى) فلما سمع الخطرموس بذكر اللعين عقبة ترجل إلى خدمته وإلى لقائه وعانقه وأركبه إلى جانبه ودخل به إلى الدير هذا والملعون عقبة فى أكرم منزلة وأوفى درجة فلما صار فى أعلا الدير وهى الطارمة طارمة الوالى كانت على سن جبل شاهق عالى فى الهوى مشرفة على الدير جميعه كثيرة الشبابيك محلاة بما فيها من الآلات الذهب والفضة ثم أجلس الملعون عقبة فى أكمل هيبة وأجمل رتبة وخلع عليه خلعة فاخرة ففرح الملعون عقبة بما وصل اليه وكشر عن أنيابه وفتح عينه الصحيحة وقال ما المسيح إلا رضى عنى وقربنى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فبينما هم فى خلوتهم وإذا قد دخل عليهم راهب يقال له الخادوعس وهو فى جملة البطارقة وعليهم غفارات من الاطلس والخادوعس بينهم كأنه القمر المنير وهو طويل الشعر مليح الشكل طيب الرائحة فلما نظره الوالى قام إلى خدمته واجتهد فى كرامته ثم ان عقبة أكرمه غاية الاكرام ثم سأله عن حاله فأخبره الوالى وقال له أيها الهدية هذا أحظا الناس إلىّ وأعزهم على هذا حاجبى الذى قرأ الانجيل فأحسن منه التبجيل وعرف التحريم والتحليل فاستنطقه ايها الشيخ النجيع (قال الراوى) وكان هذا الراهب المسمى بهذا الاسم هو الامير أبو محمد البطال صاحب الحيل والاعمال وكان قد سمى نفسه عندهم بهذا الاسم وقد صار عندهم مبجل ولا يأكل الوالى إلا باذنه ولا يأخذ إلا برأيه (قال الراوى) وأن الأمير أبو محمد البطال لما رأى عقبة اللعين عرفه فى ساعة الحال وعلم أنه صاحب العظائم والأهوال الثقال وأيقن بالبلاء وحمل الأذى وقال إنا لله وإنا اليه راجعون هذا والله سبب البلاء وإفساد جميع ما عملت من العمل فيا ترى من أين أتى هذا الشيخ السوء فى مثل هذه الساعة ثم أطرق برأسه إلى الارض هذا وكان اللعين عقبة متفكر وقد تخيل فى نفسه من وقت ما قال له الملك ان هذا يحفظ الانجيل فقال عقبة فى نفسه ما أدرك أن يكون المسيح قد ظفرنى بعدوى فى ذلك الزمان وفى هذا المكان قبل الممات وكان قد عرف البطال معرفة

تامة فالتفت إلى الملك الخرطموس وقال أحسنت أيها الملك الكريم والمولى العظيم فيمن أحسنت الظن فيه وتلمحت الخير فيه والدين واستأمنته على مالك وعيالك قال هذا حاجبي فقال عقبة وحق المسيح هذا مخرب البلدان ومذل دولة الصلبان وآفة كل إنسان هذا أبو الاهوال هذا الذى اسمه أبو محمد البطال هذا الذى أسلم على يديه شعشعونا وحرضهم لما أضعفونا ثم ان عقبة التفت إلى ختمورس وقال له ويلك وأنت لم تعرفه فقال صدقت ياشيخ فانه من يوم دخل البحيرة ما أفلحت أهلها ووقع الخلاف بينهم فلما سمع الخرطموس هذا الكلام تحير فى أمره وقال للبطارقة ويلكم ارفقوا به حتى نعلم صدق ماتقولون ويلكم هذا صاحبي وحاجبي ومشيرى وكبيرى وهو على دينى ويقرأ الانجيل ويظهر لى مافيه من التحريم والتحليل فامهلوا عليه الى أن نستصح خبره وأمره ونرى حيله ومكره فان صح عندى ماقلتم فيابشراه وسوف يرى منى العذاب وان كان بخلاف ذلك رجع العتب عليكم وأوصل الاذية اليكم فقال عقبة لقد قلت الصواب وقد رضينا هذا الجواب وأنت تقول ان صاحبك يقرأ الانجيل ويتلوا مافيه من التحريم والتحليل وهذا من جملة الخداع والاباطيل وأشتهى أن تحضر لى شيئا من القرآن حتى ترى مايفعل فان كفر به فهو من أهل ملتنا وان أبى فاعلم انه كما ذكرنا وهذه سعادة من المسيح إذ ظفرنا به من غير حادثة حدثت علينا (قال الراوى) فلما ان سمع الخرطموس من الوالى هذا الكلام تعجب منه ومن حسن معرفته ورأيه وخبرته وبصيرته ثم أقبل على أبو محمد البطال وقال له ماتقول ياهذا فى كلام هذا الشيخ الصالح فقال أبو محمد أيها السيد الكريم ما أدرى مايقول ولو كان شيخا صالحا ما قال مثل هذا المقال فى حق مثلى أنا إلا أنه يريد أن يقطع منك رزقى والآن أحضروا لى المصحف حتى ترون ما أفعل به ويبان الحق وأذكروا لى ماتريدون حتى أبين لكم فيه الصدق فعند ذلك قال الخرطموس الآن قلت الصواب فقال البطال وأى شيء مذموم حتى يكون نبى العرب فقال الملك ومن هو مذموم فقال البطال أنا المذموم ولا أرضى أقول نبى العرب ولا أسميه فقال الملك الخرطموس لعقبة كيف ترى أيها الشيخ اعتقاد صاحبى هذا وهو لايرضى أن يسمى نبى العرب بمحمد فقال عقبة يامولاى وهذه من جملة حيله ومكره (قال الراوى) وكان عقبة لعنه الله أعرف الناس بقصص الأنبياء وأحوالهم فقال اعلم أن مقصود البطال بقوله مذموم لأن المنافقين كانوا يسموا محمد مذموم وزعموا أن جبريل أتاه وقال له أنت محمد وهؤلاء يسمونك مذموما فما يصل اليك شيء من ذلك وهذا قد استعمل هذا فى حق نبى العرب حتى إذا وقع فى العطب سما مذموم فلما سمع البطال ذلك من كلام عقبة لعنه الله قال ياشيخ ما أكثر

كلامك ومكرك وغدرك وأعرفك بالعلم فلو كنت تعلم به لكنت أوفى الناس عند الله ثم أن البطال أقبل على الخرطموس وقال له اعلم أيها السيد ان هذا الشيخ قد رمانى بالقبيح واتهمنى فى دينى ولا بد لى من اظهار سره فى هذه الساعة وأغلبه بين يديك أما زعم انه يعلم الانجيل وأعرف الناس به وانه أعلم أهل زمانه وأعلم علماء النصرانية فقال له الملك يا أبونا صدقت ونعم ما قلت فقال أبو محمد أنا أسأله أن يقرأ شىء من الانجيل فى فرد موضع وأقول له على فصل واحد فان هو تكلم ووصل الى الموضع الذى أريد على ماهو عليه من الكلام ولا يسكت علمت انه صادق فيما ادعاه ومافى زمانه مثله ويبقى دمى بين يديك حلال وان هو سكت فاعلم انه يكون قد عجز وسكته المسيح بدعائى عليه واجابنى فيما دعوته عليه فقال الملك الخرطموس وحق المسيح انك قد قلت الصحيح وقد رضيت أنا بذلك وما بقى عليك كلام ولا ملام ثم قال الملك لعقبة تقدم أيها الشيخ فلما سمع عقبة كلام أبو محمد البطال قال يا ويلك ما هذا أمر يدفع عنك العذاب وانت تعلم اننى أقرأ الانجيل وأحفظه حفظا جيدا ومافى الروم من يحفظه مثلى وأى شىء يسكتنى فيه فقال له الملك اقرأ قال له أبو محمد أقرأ يدور ورعا حافظ حرد يودمان يارح باس جيادش جيادش صاحونا داهر داشع سواحور هناهودا اشع وتم على قراءتنا من هاهنا وأنت تتلو الإنجيل قال فشرع عقبة يقرأ إلى عند داعس وسكت عن الكلام وأراد أن يقرأ أغرادون يوما شع كى ورمون أدرمون هودا نودا خودا وأى شىء فأخذته عيطه وانكنف لسانه وتمسك بقدرة الله تعالى وأراد أن يتكلم فما قدر على الكلام وبقى الملك يضحك عليه ضحكا عاليا ويقول له تكلم الآن يا بونا هذا كله والملعون عقبة ساكت لايتكلم حاير لايرد جواب ولا يبدى خطاب وقد حار من هذه الأفعال والأمير أبى محمد البطال يقول أحسنت يا لعين أسكت يارجيم ثم أن الأمير أبو محمد البطال جعل يقرأ فى سره قوله تعالى اليوم نختم عن أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (قال الراوى) كل هذا واللعين عقبة شيخ الضلالة ومعدن الجهالة من هو ملعون فى الدارين جعل يتململ ويتقلقل وقلبه ينفطر وقد ذاب كبده وازداد حسرة وكمدا وهو يتكرب وخيتمور النصرانى يتعجب من فعل أبى محمد ووجهه قد قطب ومن سكوت عقبة قد تحير (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك نكتة عجيبة وحالة غريبة وهو لو سافر الإنسان عليها إلى العراق وسائر الآفاق لايطلع على مثل هذا الكلام ولم يكن ذلك عند أرباب الأفهام وذلك إنى أشرحه

وأقول بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الرسول أن هذا الفصل إذا قرأه أحد من علماء النصرانية وكان أحد من المسلمين حاضر لايقدر ينطق ويقول أن بينكم محمدى فاخرجوه وسبب ذلك أنها معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت فى هذا الفصل وفى هذا الفصل مجموعة وبين الناس مسموعة فقطعوها وبدلوها الملاعين من الإنجيل وكتموها من أول الزمان وكتبوا عوض هذا الكلام دمارا وكذبا وقالوا أن المسيح أمرهم بتكذيبه وحتم على قلوبهم البعد منه وقد كذبوا فيه لعنهم الله (قال الراوى) فلما أراد عقبة أن يصل إلى هذا الكلام قال أبى محمد البطال اللهم إنى أسألك بحرمة أسمائك التامات والكلمات المباركات أن تحق الحق تبطل الباطل وأسألك بالقدرة والعظمة أن تمنع لسان من يسب الأخلاق المحمدية لأنك أظهرت معجزة محمد سيد البرية وأبقيت أعلام صاحب المنزلة العلية فعند ذلك سكت اللعين عقبة بالكلية وانقلبت صورته وأقبل الملك عليه وقال تكلم يا أبونا وهو لايرد جواب ولا يبدى خطاب فعند ذلك غضب عليه الملك ومقرع رأسه أربع خمس مقرعات وقال وحق دينى أننى أخاف من المسيح أن يحرقنى بالنار لكمتك وأحرمتك لذيذ الحياة وأعقبتك الوفاة ولكن ما يفوتك منى (قال الراوى) وأن الخرطموس قال للأمير أبو محمد البطال أريد أترك هذا الملعون طول دهره فى ذلة الأسر والهوان وأعذبه بأنواع العذاب على ممر الليالى والأزمان فقال له البطال اعلم أيها الملك أن هذا الشيخ مسلم وإنما يدخل على الروم بهذه الحيل لينال عند الروم جميع الأمل وهو لايعتقد فى الأديان شيئاً ومالى أتركه موضع الشريف العلوى وأعذبه بعذابه وأطعمه من طعامه وأسقيه من شرابه وأزيد حسرته على أهل دينه وأوريه كيف أعذبه عذابا ما أعذبه أحدا من العالمين فقال له الخرطموس وحق المسيح لقد قلت الصحيح ثم أقبل على قريبه خيتمورس النصرانى وقال له لاشك إنك على دينه فقال خيتمورس لا وحق المسيح أيها الملك خيتمورس سكت على غيظ معه ثم أقبل على أبى محمد البطال ووكله بعقبة وقال له سلمته اليك وأمرك فيه نافذ فلا تفتر عنه بالضرب لا ليل ولا نهار (قال الراوى) فأخذه الأمير أبى محمد البطال وأتى به إلى عند الشيخ العلوى وصار كل يوم يطعم العلوى ويسقيه ويضرب عقبة حتى صار لحم عقبة ينتثر عن عظمه (قال الراوى) وأن أبى محمد البطال لما تم مع عقبة وصار تحت يده يعذبه بالضرب الوجيع والأمر الشنيع بعث إلى الأمير عبد الوهاب كما ذكرنا وشرح له القصة كما وصفنا وأن الأمير أخذ العساكر وسار بها طول النهار والليل إلى أن طلع الفجر ودار

قرن الشمس ووقع على الجبال ضوءها وأنست الدنيا بها وسارت الكتائب والمواكب، وأن الأمير عبدالوهاب رجع إلى طبع العرب وأنشد يقول

نسير إلى أرض دير الوثن ٭ ونأسر من حل ذاك الدمن
ونخلي المنـــازل منهم كما ٭ قبلهم قد خلت ممن سكن
ونظفر بالعلج علج الغرور ٭ وشيطان قوم لهم قد فتن
ونأخذ أموالهم كلها ٭ وفى السر نأتى جهاراً علن
وننزل بالخرطموس الهوان ٭ ونوقعه فى أمره والفتن
ونلقى الشريف العفيف الذى ٭ يرى فى ثياب الردى والمحن
ونرضى النبي بهذى الفعال ٭ وهذا الجهاد لمن فطن
وعقبة فى أسره والهوان ٭ حليف العقاب رهين المحن
ونرجو الثواب غداة الحساب ٭ إذا أظهر الحق ما قد بطن

(قال الراوى) قال ولما طلعت الشمس ظهر لهم بنيان الدير كأنه فى السماء أو معلقا فى الهواء ونظروا الى تلك الديار والرياض الواسعة والأنهار الدافقة والأزهار المختلفة والمرج كأنه شقة أرجوان أوحلة ديباج أو تاج من ذهب وهاج مبدعة الحياض جميلة الرياض كأنها قد سرقت من الجنان لما فيها من الأشجار والثمر والافنان فكأنه غافل عنه رضوان (قال الراوى) فلما طلعت الشمس على سرايا الاسلام وطلعت البيارق والأعلام ونظروهم أهل الدير والقلعة ففروا باجمعهم الى فوق الدير وخاف كل منهم خوف الغير وركب الخرطوس كانه فحل جاموس جعل يهدر ويبر بركانه الجمل أو الليث اذا هدر وقدهم بنفسه أن يلقى ذلك العسكر القادم ثم ارتقى الى ذروة الجبل ووقف على ذلك المضيق الذى ما لاحد عليه تسليق ولايصل اليه حجر منجنيق وبين يديه ألف بطريق وفى أيديهم والحراب والمزاريق وهو كانه العتيق (قال الراوى) فلما نظر الخرطموس الى عسكر المسلمين وهم كانهم البحر الزخار غاب رشده وأفتكر ورجع الى خيتمورس وقال أيها الملك هذا عسكر المسلمين وفيهم أصحاب الملك شعشعونا الذى أسلم وما كان قصدهم الينا ولا كانوا يعرفون هذه الأرض ولا هذه القلعة وأن أخطأت حذرى فما بلانا الا هذا الرجل الذى عندنا وهو الذى أسمه خدعوس وهذا أبى محمد البطال بلا محال وهو الذى بعث إلى هذا العسكر وأقدمه علينا وحق المسيح أيها الملك اننا قد ظلمنا هذا الشيخ النجيح فبادر الأمر قبل الفوات قبل أن تأتيكم الآفات فلما سمع الملك من خيتمورس قال ويلك أما رأيته على ديننا وكل يوم

ينزل إلى هذا العلوى ويضربه الضرب الوجيع فقال خيتمورس وحق المسيح ماهو صحيح فابعث الساعة إلى الموكلين عما كان يعمل خدعوس فاخبروه أنهم كانوا يرونه يكرم العلوى ويتحدث معه ويطيل المكث عنده ويرجع إلى عذاب الشيخ النجيح ويضربه حتى يغيب عن الوجود كل يوم مائة سوط حتى أشرف على الهلاك فلما سمع الملك ذلك أرسل إلى أبى محمد البطال فلم يجده فقامت عليه القيامة وأمر باخراج عقبة وأكرمه غاية الاكرام وندم غاية الندم وأمر لعقبة بالجائزة والكرامة وطلبوا أبى محمد فلم يجدوا له خبر ولا وقفوا له على أثر وكان سبب غيبته أنه ضرب عقبة فى تلك الليلة حتى كاد أن يقضى عليه وكان أبى محمد يقول له ويلك قل للمسيح يخلصك من هذا العذاب ثم خرج من عنده إلى ظاهر الدير فرأى مغارة كبيرة فدخل فيها يغير وجهه ويدهنه بدهن كان معه يدهن به فى كل يوم وانه دخل إلى تلك المغارة على غرة منه فرآها مظلمة طويلة فجعل يدور فيها إلى أن وصل إلى باب عظيم من الحديد وعليه قفل كبير فتعجب من ذلك ورأى فى أعلا الباب شباك عظيم فتسلق إلى الشباك فأحس بشىء ثقيل فجذبه اليه وإذا به مفتاح حديد لذلك القفل فقال الله أكبر ولعل أجد من هذا الباب منفذ إلى هذا الدير الصعب ثم قام وفتح الباب ثم نزل فهب عليه هوى عظيم ثم دخل إلى هذا السرداب وانسل فيه بقلب أقوى من الصخر فوصل إلى ضيعة فانسل فيها إلى أن خرج إلى مرج وسيع عظيم وسمع هناك جلبة عظيمة فالتفت وقد طار عقله فرأى شجرة عظيمة سدت عليه ذلك الموضع الضيق وبقى أبى محمد فى موضعه خنيق فعند ذلك قال كلمة لايخجل قائلها وهى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون هذه والله كانت الخاتمة وهاهنا أموت وأقبر ومن هاهنا أحشر ثم جعل يمشى إلى أن أتى مكان مظلم لايكاد أن ينظر مابين يديه وتعب من كثرة المشى وبكى وجعل يقرأ من القرآن ماتيسر إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونامت العيون وهو فى بكاء وانتحاب وضيقة صدر وعويل وجعل يقرأ ويدعو ويقول ياقريب الفرج اجعل لى مما أنا فيه مخرجا وخلاصا انك على كل شىء قدير يانعم المولى ويانعم النصير وهو عليك سهل يسير فان لم ترحمنى يالهى فما بقى لى خلاص من ضيق الأقفاص إلى يوم العرض والقصاص (قال الراوى) فبينما الأمير أبى محمد كذلك اذلاح ضوء من شباك عالى فى هذا المكان فعند ذلك أيقن بالفرج وأمل أن يكون له من هذا الضيق مخرج فالتفت واذا هو يسمع صوت فسار نحوه فرأى شباك صغير فى أعلا ذلك المكان وقد نظر من داخله نور موقود وقد ملأ الضوء ذلك المكان ثم سمع صوت امرأة رخيمة الغناء لذيذة الكلام كثيرة الضحك والابتسام وهى تضاحك شابا من الروم وهو فى مقابلتها وهى تتكلم بالعربى

وكذلك الغلام وهى تقول وحق المسيح ان أشعار المسلمين ملاح لا سيما فى الخمور والازهار وصفات الأوتار ونغمات الأطيار فقال لها الغلام أيتها السيدة أنتى ملكة الجمال وفريدة الحسن والكمال فلا بلانى المسيح بفقدك فأين تحفظين من أشعار العرب فانشدت وجعلت تقول

اشرب على جوهر ومنثور * فى قدح مخروط بلور
والأرض قدأهدت لنا نرجسا * لصندل مما حوت كافور

فقال لها الغلام أحسنت يابنت العم فأين أنتى من قول الشاعر حيث يقول هذه الأبيات

قم ياندىمى نصطبح قهوة * أرق من دمع مهجور
تجلى علينا سلسلا أبيضا * كأنها كاسات بلور
فيالها من خمرة لونها * شبه ياقوت وبلور

(قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة ياكرام ثم جعلت تنادم الغلام طول ليلتها وتشكوا له ألم الهوى وتباريح الجوى ثم قالت الجارية لاأبلانى المسيح بفقدك ياابن العم فقال لها الغلام وكذلك أنا أقول وأخبرك أنى سمعت بأنه قد صار معنا فى أرضنا رجل يقال له أبى محمد البطال وهو عيار المسلمين الذى يسرق بنات الملوك ويطير بهم فى الهوى واذا ذكر حضر وإذا نشأ خرج من تحت الأرض واذا أراد ينزل من السماء نزل وانى أخاف أن يسمع بكى فيأخذك منى ويبعدك عنى ولكن أموت كمدا ولا أرجع أراكى أبداً فقالت الجارية وقد صلبت على وجهها لما ذكر أبى محمد البطال وحق المسيح لقد أفزعتنى من هذا الشيطان الذى ذكرته أكثر مما أخاف من أبى أن يطلع علينا ونحن على هذه الحالة فقال الغلام ياابنة العم لو اطلع أبوكى علينا كان أقصى امره أن يوصلك الى وهذا هو الغرض وأما خوفنا من هذا الرجل الذى يسموه البطال بأن يقطع منكى الآمال فقالت له الجارية وحق المسيح ما يقدر ابن آدم على مثل ما تقول الان يكون دينه الحق وغيره على البطال فلذلك ينصره إلهه لما معه من اليقين والا فما كان يسلم وهل يقدر آدمى أن يصاح له باسمه ويذكره ويحضر فقال لها اسكتى يا ابنة العم فهذا المشار اليه يسرق الكحل من العين والجبة من بين القميصين ولو وقف على حفظها ألفين فقالت الجارية وحق المسيح فأنا أريد الساعة ان أصيح له فان كان على الحق فهو يكلمنا (قال الراوى) وهو يسمع هذا والله أحسن مافى هذه السيرة وليتحدث بها من غاب ومن حضر الى يوم القيامة ثم قال فى نفسه أنا أكلمهم لعل الله أن يجعل لى مخرجا وان يفرج عنى هذا الضيق الذى أنا فيه وهذا الغلام الذى عندها لاشك انه على وجه الخفية والاستتار وأحب ما لهذا

الغلام أن يحظى بها ولو طلبت أنا لهم الخلاص من هذا الموضع افعلوا ثم ان أبى محمد تقدم إلى تحت الشباك ووقف فقالت الجارية يا ابن العم قد اشتهيت أن أصيح له وأبصر معنى كلامك ان كان صحيح وما ذكرت من دينه فقال لها الغلام ا كفينا شره فقالت الجارية لابد من ذلك ثم صاحت يا أبى محمد بحق دينك أظهر وكلمنا ان كنت من البشر (قال الراوى) ياسادة فلما سمع أبى محمد كلامها وصياح الجارية وهى تناديه باسمه فأجابها ولباها وقال لها لبيك لبيك ها أنا أبى محمد البطال وقد سمعت المقال وأتيت اليكما فى عاجل الحال ثم كلمهم بالرومى وقال لهم افتحوا لى الشباك حتى اننى أجمع بينكما وان شئتم هربت بكما فلما سمع الغلام صوته كاد ان يطير من الفرح وقد غلب عليه نار الهوى وقد أيقن بالفرج وقال ماهذا الا أمر سماوى ومافى البشر من يفعل ذلك ولعل قد جاءنا على يد هذا الرجل هذا ماجرى من الغلام وأما الجارية فانها لما سمعت صوت أبى محمد البطال وقد جاوبها وصلبت على وجهها وهربت فقام الغلام خلفها وردها وهى ترتعد من الفزع وتقول للغلام وحق المسيح اننى خائفة أن يطير بى فى الهوى ويحرق قلبى بنار الهوى فعند ذلك قال لها الغلام بحق المسيح عليكى أن ترجعى ولعل ان يكون لى ولكى فرج وخلاص مما نحن فيه على يد هذا الرجل (قال الراوى) وان الغـــلام ناداه يا أبى محمد بحق دينك كيف خرجت من تحت الأرض ومن أعطاك هذه المنزلة فقال البطال اعلم ياهذا ان ديننا على الحق وأنتم على الباطل ونحن ناجون وأنتم غير ناجون ولو انك أيها الفتى أسلمت ولربك أسلمت تخلصت من العذاب وسقاك ربك كاسا من الرحمة ويتجاوز لك فى الحساب وأوصلك الى هذه السيدة فى الحلال وتخلصوا من عصابة الكفر والضلال فقال الغلام للجارية ماتقولين فى هذا الكلام فقالت أنت الرجل ولك الرأى فعند ذلك قال لها انا أعلم ان المسلمين على الصحيح وانهم على الحق وهذا الرجل يعطينا العهد منه والميثاق ويحلف لنا انه لايغدر بنا فعند ذلك قال أبو محمد البطال وحق الواحد الأحد المتعال ذو العزة والجلال الذى حرم الحرام وحلل الحلال وجعل مريم ابنة عمران يضرب بها الأمثال اننى لكما ناصح أمين فى المقال ومثلى من يكون من الناصحين لأجمعن بينكما على طول السنين وأعمل لكما عملا جيدا فقال له الغلام وكيف تعمل فقال لهم اقلعوا الشباك ودلوا لى حبل حتى أصعد اليكم وأدلكم على ما تعملون أنا وأنتم فقالت الجارية وقد رغبت فى الإسلام هذا هو الصواب ثم فتحوا باب الشباك ثم دلوا له حبل من الابريسم فطلع فيه أسرع من البرق فلما رأوه عندهم صلبوا على وجوههم فقال دعوا عنكم التصليب فما بقى غير الإسلام

والترتيب واجتماع المحب مع الحبيب والآن قولوا كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان وهى قول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلك يسعدون وتجدون السعادة فيما تقولون (قال الراوى) فأعلنوا بالشهادة والوحدانية لله تعالى وقد أسلموا وحسن اسلامهم فطاب قلب البطال بذلك وقال الحمد لله رب العالمين لا أبالى بعد هذه النوبة أى موتة أموت ثم تحدث معهم بالرومى والعربى باقى ليلته وأخبرهم بشرايع الاسلام والإيمان والدين ثم قال لهم اعلموا أن عساكر الإسلام واصلة الى هذا المكان وكأنكم بها وقد أقبلت وما هو الا بقدر مايصلوا اليكم ويصيرون عندكم وقد ملكتم أنفسكم وجاءتكم السعادة وبعدها تأمنون على أنفسكم وتعبدون ربكم على الحقيقة جهرا وتمحى عنكم كل خطيئة ووزر فاكتموا ما أنتم عليه حتى يأتى اليكم اليسر والفرج وكانت هذه الصبية يقال لها زنوا وهى بنت الملك الخرطموس وهذا الغلام ابن عمها قرنبيار وان أباه مات ونشأوا الاثنين على المحبة والوداد والصحبة إلى هذه الأيام (قال الراوى) ياسادة فهذا ما كان من هذه الأمور وهؤلاء (وأما ماكان) من الملك الخرطموس فلما طلب البطال فلم يجده قامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة هذا وقد نزلت جميع عساكر الاسلام على الدير وتفرشوا من حوله كانهم الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر فقال عقبة أيها الملك الكريم اعلم ان البطال مادام انه معنا وفى أرضنا فلا نأمن من مكره وغدره وهو معنا فى أرضنا وهو يدبر علينا وأخاف منه لئلا يدبر على تسليم الحصن المسلمين وقد ملكونا ولو كنا فى عدد الرمل فقال الخرطموس ابشر أيها الشيخ النجيح فاننى أكفيك مؤنتهم وشجاعتهم وأما ما ذكرت من كون عيار المسلمين عندنا فانه أحقر حقير بأن يطأ الى بساطى أو يقدر على أبدا فقال عقبة فى نفسه وحق المسيح يا ألف غفلة لئن عزم البطال على أخذك لتصفعن بالدرة قبل السياط ولتنتفن هذه اللحية الكبيرة بنشاط ولو كنت وزير السيد سليمان الدمرياط وليدوس على رغم أنفك وأنت على هذا البساط (قال الراوى) ياسادة وان المسلمين زحفوا فى ذلك اليوم الى الحصن ووقع بينهم القتال بالنشاب وحجارة المنجنيق وقتل خلق كثير ووصل الخبر الى الامير أبو محمد البطال بأن الملك فى حصار المسلمين وان الامير عبد الوهاب نازل على الدير فقال أبو محمد الحمد لله على ما أنعم به علينا ثم أقبل على بنت الملك وقال لها أعلمى أيتها السيدة السعيدة أن الجلوس بين الكفار مما يغضب الملك الجبار وهذا عسكر الإسلام وقد نزل على الدير والليله أعمل على خلاصكم ومهما كان لكم من الذخائر والاموال خلصوها عندكم حتى

تأخذوها معكم وتكون لكم عدة تستعدوابها باقى الزمان فقالت نعم مارأيت ياأبا محمد واعلم انى ابنة الملك الخرطموس وهذا الغلام ابن عمى وهو فقير لا مال له وان أبى يبغضه لأنه فقير ولم يعلم بأنه يلتم بجدار بيتى ولو علم لصلبه على أعلا الدير وأحرقه بالنار وأنا كثيرة المحبة له فقال لها أبو محمد طيبى قلبك فانك أيتها السيدة له وهو لكى وابشرى بدين الإسلام الذى تحظين به غدا عند الملك العلام الذى لا يشغله شان عن شان الذى أرسى الاعلام وأخبر الاقلام وأبرم الاحكام وخلق الضياء والظلام ثم صبروا الى الليل واشتغلوا بنقل الاموال والحلل والذخائر الغوال مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لأن الجارية فتحت خزائن أبيها الملك الخرطموس ونقلوا منها ما عجزوا عن حمله لثقله وقالت مالنا طريق الا من الجبل الذى خلف الدير لأن هذه الطارمة تشرف على الجبل وفيه طريق أعرفها من زمان وهى تخرجنا الى عسكر الاسلام فقال أبو محمد الله يتولى حفظك فما أصبح وجهك وما أعذب لفظك (قال الراوى) فلما كان الليل عزموا على النزول من الطارمة فقال الأمير أبو محمد اعلمى أيتها الأميرة والسيدة الخطيرة من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ولا يسلم من المعاطب والنوائب وقد رأيت من الرأى أن تقيمى فى هذا المكان وتكونى لنا من جملة الاعوان وتسلمى لنا هذا المال وتدلينا فى الحبال انا وهذا الغلام فلا ضيع الله ما تفعلى معى من الإكرام فان طال مقام المسلمين على الحصار ولا يصلون الى الدير عملت الحيلة عليهم من عندك من هذه الطارمة وترضين بهذا الفعل رب العالمين وتظهرين الارض من الكافرين فقالت له يا أبو محمد هيهات هيهات أن أتخلف بعدك لحظة واحدة فانت أخذت مهجة قلبى وثمرة فؤادى وأنا أيضا لا آمن أن ابى يفطن بى فيكون ذلك سببا لهلاكى وأكون قد فارقت حبيبى وقرة عينى فقال لها أبو محمد الامر اليكى فى ذلك ايتها السيدة ولو قعدتى ما كان عليكى بأس ولو فطن بكى أباكى لاخذتك من حجره على رغم أنفه (قال الراوى) وان الجارية أخرجت لهم زنبيلا كبير وشدت فيه حبل من الابريسم فاول من نزل فيه الغلام وبعده أبو محمد البطال وصارت تدلى لهم من الأموال والجواهر والتحف الجسام وبقيت هى حائرة كيف تنزل وكانت لها داية عجوز كبيرة السن قد علمت بحالها وعزمت أن تعلم بذلك أبيها فعلمت الجارية بها فصاحت على أبو محمد البطال فتسلق فى الحبل وصار عندها فحدثته بحديث الداية وقالت لا نأمن من هذه العجوز النحس أن تحدث أبى بخبرنا فقال وأى شىء أو خبر فى حياة هذه العجوز ثم مكن الخنجر من نحرها وذبحها من الوريد الى الوريد وراحت الى لعنة الله الحميد المجيد

ورجع الى الجارية ودلاها الى الأرض وتموا فى الجبل سائرين وهم على غاية من الوجل وكانت الجارية اعرف الناس بالسلوك فى تلك الطريق ثم سلكت بهما طريق آخر لا يسلكه مخلوق وأخرجتهم نصف الليل الى عسكر المسلمين فلما رأوهم الحراس صاحوا عليهم فناداهم الامير أبو محمد البطال وقال لابأس عليكم فأنا أبو محمد البطال فأين السيد المجاهد الامير عبد الوهاب فى أين هو نازل فقالوا له هذا مضربة أيها الأمير وهذه نيرانه فنادى الأمير أبو محمد السلام عليك أيها الأمير الزاهد والسيد المجاهد (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب فى تلك الساعة قائما يصلى وهو متفكر فى أمر هذا الحصن وهو متحير مما لقى من القوم فى ذلك اليوم فلما سمع الصوت أوجز فى صلاته ثم سلم ووثب قائما وخرج الى باب المضرب فرأى الامير أبو محمد البطال واقفا على باب مضربه فنادى الله أكبر الله أكبر ثم وقع كل واحد منهما على صاحبه وتعانقا ساعة وهنأ كل واحد منهما صاحبه بالسلامه وتبادرت الامراء اليه من كل جانب ومكان وكذلك الاميره ذات الهمة شكرت الله تعالى على سلامته من تلك الاهوال وسألوه عن الشخصين اللذين هم معه فأخبرهم بالحال فحمدوا الله على سلامتهما ثم أمرت الاميره للجاريه والغلام بخيمة كبيرة فضربوها لهما ثم تولى الامير ابو محمد أمر الجارية وابن عمها وأحضروا جماعة من المسلمين وزوج الجارية للغلام ودخل عليها من ليلته وبعث اليهما الامير ابو محمد الفرش والطرح والصناديق لرسم المال الذى معهما ثم زادا كرامهما فقالت الجارية للغلام كيف ترى بركة دين الاسلام ولولم يكونوا هؤلاء على الحق لما تم لهم جميع هذا الامر ثم سموا الغلام عبد الله والجارية سعيده وجعل الأمير أبى محمد البطال يحدث الأمير عبد الوهاب بالدير وما فيـــه من الأموال والذخائر وحديث العجل وهم يتعجبون منه وحدثهم بحديث الشيخ العلوى ومازال يحدثهم إلى أن أصبح الصباح وعلا من الطائفتين الصياح وجردوا الصفاح ووصل الخبر إلى الملك الخرطموس بأن بنته قد فقدت وأنهم طلبوها فلم يجدوها ووجدوا دايته مذبوحة فطار عقل الملك وعيل صبره وقصد إلى بيت ماله فوجد ذخائره قد عدمت فعلم أن المصيبة من ابن أخيه فطلع إلى الطارمه فوجد الحبل مقطوع فعلم أن أبنته قد أخذت ومعها الأموال وكذلك ابن عمها ورجع إلى أصحابه وهو يبكى ويلطم على وجهه فقالوا له أيها الملك ماهذا البكاء فقال لهم إنى أصبت فى مالى وأبنتى وهذا العدو قد نزل بأرضى ولا شك أن المسيح قد غضب على ثم أقبل على الملعون عقبة وعرفه بذلك فقال أيها الملك لا يروعك ذلك الأمر ولا تخاف من المسلمين فوحق المسيح لأعملن عملا فى هذه النوبة يتحدثون به إلى آخر الزمان فقال له المسيح يتولى حفظك أيها الشيخ النجيح فوحق

المسيح ما بى نزول العسكر على كما قد نزل بى من أجل أخذ ابن أخى وأبنتى واخراقه بحرمتى وأخذه لأموالى الذى أدخرتها لوقت شدتى على طول الزمان فقال له عقبة . أيها الملك دعنى من هذا الكلام واعلم أن هذا العدو لايندفع الا بالمكر والحيلة والخديعة وإنى جاهل بهذه الأرض وما أعرف أين يقع القتال منها فقال له الملك اعلم أن هذا المضيق لايقدر أحد أن يصل الينا منه أو يقدم علينا فقال له عقبة أريد منك الساعة أن تأمر أهل القلعة أن يحفروا جبابا وأبيارا ولو قدروا على حفر الطريق كلها فليفعلوا وإذا تكاملت الحفائر سقفوها بالأخشاب ويجعلون الحفر والسراديب واصلين الى باب الدير واعلم أصحابك اذا خرجوا يقتلون ساعة ويتأخرون عنهم ويظهروا العجز ويختفون فى الحفائر والمغائر ورؤوس الجبال فاذا دخل العدو معنا وطمع فينا وعبر المضيق فأول من يدخل أمراء المسلمين وكبرائهم وكلما دخلوا يتأخرون واذا صاروا معنا فى أرض واحدة التى هى أرض المضيق وقعوا فى الحفر فنزل عليهم الزراقين بالنفط الطيار ويقفون على الأبواب التى للسراديب ويضربوهم بالنار فى السقوف المعمولة والقتال بين الناس فما يمضى ساعة الا وقد أحرقت الأخشات ونزل بهم العذاب ونأخذهم أخذ باليد وتكون هذه النوبة من أفعال عقبة ونتخلص من هذه النوبة الصعبة (قال الراوى) فلما سمع الملك الخرطموس ذلك من كلام عقبة فرح فرحا شديداً وأستصوب رأيه وأمر أهل الريف والقلعة أن يحفروا فى ذلك المضيق كما قال الملعون عقبة وواظبوا على ذلك العمل نهارهم أجمع وطول ليلتهم وعند الصباح وقع القتال بين الطائفتين وأقاموا على ذلك أربعة أيام وهم لا يفترون عن القتال هذا والخرطموس قد فتك بالناس وهو كأنه الجمل الهائج فما ضرب رأسا الا قطعه ولا ترسا الا خرقه ولا درعا الا ومزقه فشكا الناس ذلك الى الأمير عبد الوهاب مما قد نزل بهم من هذا الشيطان الكذاب الناظر لنفسه بعين الإعجاب وقالوا أيها الأمير ما رأينا قط مثل هذا الرجل الا أن يكون الموصوف بغضب المسيح فقال لهم الأمير عبد الوهاب أصبروا على لأنى أراهم قد ضعفوا واليوم طول النهار لم يزالوا الى خلف يتقهقروا وغدا أن شاء الله تعالى أكفيكم أمر اللعين ويظهر لكم الشجاع من الجبان المهين فلما أن سمعوا الناس كلامه ودعوا له وعوذوه بالواحد المنان الذى لايشغله شأن عن شأن فلما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح أشرف عقبة على النقب الذى على الحفر فوجده قد تكامل واستوى فكشر على أنيابه مثل أنياب الكلب ورجع الى الخرطموس وأصحابه وأمرهم باستعداد النفط وكانوا قد سقفوا المكان

وردوا عليه التراب كما كان وداسوه فى نهارهم وباتوا على أيسر حال وأنعم بال والمسلمون لايعلمون ماقد خفى عنهم من المكر والمحال فلما أصبحوا جردوا الصفاح وخرج الخرطموس كأنه من أولاد قوم عاد وخرجت الأرواح من الأجساد وفرحت الأعداء وشتمت الحساد وحملت سودان الامير عبد الوهاب بسواعد شداد وحملت من بعدهم بنى كلاب الأنجاب (قال الراوى) ياسادة وكان الامير عبد الوهاب فى أوائل القوم وراشد بن ضمرة ثم حمل من بعده الأمير أبو الهزاهز وله زمجرة مثل الرعود وحمل الملك صابر ولم يتأخر وكذلك عبد الله المظفر ثم ان الكفار تأخروا عن المضيق وأظهروا التمزيق وحملوا المسلمين فيهم وأرموا أنفسهم عليهم والبطال يصيح عليهم لاتفعلوا ياقوم ما هذا الا مكر منهم وقد ظن أبو محمد انهم أكمنوا لهم كمين فى موضع ولم يعلم بالحفر والنار التى فعلوها وقال فى نفسه ما دام عقبة عندهم لم نأمن منهم أن يعملوا حيلة علينا وصار يأمر المسلمين بالرجعة وهم لايلتفتون الى قوله فعند ذلك رجع البطال إلى ورائه وهو يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون فقالت الأميرة ذات الهمة ما بالك يا أبو محمد فقال لها أقسمت عليك بالله العظيم وبحق محمد الرسول الكريم إلا ماوقفتى مكانك ولا تتبعيهم فانى خائف عليكى من كيد عقبة اللعين فان تم عليهم أمر فتكونى أنت سالمة وتعملين على خلاصهم فلما سمعت الأميرة ذلك من كلام أبو محمد وقفت مكانها ثم قالت ومن يقدر يا أبو محمد على هذا العسكر الجرار بحيلة أو خديعة والسودان معودين بهذه الجبال والقتال فى المضايق فقال لها الأمير أبو محمد أما أنا فقد خفق قلبى وطار عقلى ولبى وأرجوا لهم السلامة من ربى (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا ماجرى من أبو محمد وجماعة المسلمين (وأما ماكان) من عقبة فانه لما رأى جميع الأمراء قد حصلوا فى المضيق أقبل على الملك الخرطموس وقال له ماهذا التوقف وقد ظفرك المسيح بمناك وهناك بما أعطاك وهذه النوبة ماتمت لملك الروم ولا سمع بمثلها ولا قدر صاحب القسطنطينية على شكلها فأمر الساعة أصحابك أن يلقوا النار فى النفط والبارود وقد هلكوا جميع أهل الايمان ونصرت دولة الصلبان عند ذلك سار الخرطموس الملعون الى قومه وصاح ياويلكم أوقدوا النيران ففعلوا ما أمرهم به فى عاجل الحال ودام القتال بينهم وشعلت النيران وتزايدت الأهوال وتزلزلت الأرض وعظمت الزلازل فما كنت ترى فى ذلك الوقت الا رأسا قد طار وماء قد فار وشجاعا قد صال وجبانا قد مال وطلعت السودان فى الجبال كأنهم العقبان وفى أيديهم العمد والقضبان كأنهم السلاهب وطمع الأمير عبد الوهاب فيهم هو وأصحابه

أهل الفضل والمفاخر ولا زال داعي فيهم وهو خلفهم كأنه الطير الطائر ونثر الرؤوس عن الأبدان وعدم الصبر والأمان وتقدم الشجاع وتأخر الجبان وفتحت أبواب النار لأهل الكفر والطغيان وتزخرفت الجنان لأهل القرآن والإيمان وكان ذلك الوقت كما قال فيه الشاعر

يوم كثرت أهواله ونزاله ٭ كصفات يوم البعث من أحواله

فمنهم من يلقى النعيم بخيره ٭ ومعذب يلقى الردى بضلاله

(قال الراوي) ياسادة يا كرام قال فبينما الناس في فرح من الظفر ولم يعلموا ماخبيء في عالم الغيب إذ نزل خاسف القضاء والقدر وقعوا الكل في الحفر واستبشر من كفر ورجع الأمير عبد الوهاب إلى ورائه وتأخر وظن انه من المضيق قد ظهر فقال انا لله وانا اليه راجعون هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون (قال) فبينما الأمير عبد الوهاب راجع إلى ورائه إذ وقع في حفرة كبيرة فلولا انها كانت قليلة النار لكان قد هلك واحترق جماعة من المسلمين ووصلت أرواحهم الى عليين وأخذا الأمير عبد الوهاب قبضا باليد وكذلك سائر الأمراء وعملوا في رقابهم الحبال وقد نزلت بهم الأهوال وترادفت عليهم الكفار الأندال ونزلت السودان من رؤوس الجبال فأخذوهم بلا ضراب ولا طعان وأوثقوهم في ثياب الذل والهوان وأسر في ساعة واحدة خمسة آلاف فارس مابين أسود وأمير أجــد ووصلت الهزيمة الى عند الأميرة ذات الهمة فقامت عليها القيامة وأخبروها ان كل الأمراء قد هلكوا وباقيهم قد ملكوا ومن لم يحترق بالنار ضربوه بالشفار (قال) فلما سمعت الأميرة ذلك الكلام لطمت لطما شنيعاً وأسبلت عبرتها وكذلك أبو محمد البطال قامت عليه القيامة ونادوا والإسلاماه ثم هيئوا خيولهم هذا والأميرة ذات الهمة تنتحب وتنشد وتقول :

ياصاح قد صح وعد البين واشتهرا ٭ فمل إلى الدير علك تسمع الخبرا

قد كنت ذا قدرة من قبل فرقتهم ٭ وما قدرت لهم ان أدفع القدرا

ان الرجال أياديهم مطهرة ٭ وطال ما جاهدوا في الله من كفرا

أين الأمير الذي كنا بطلعته ٭ نغنى عن البدر في الظلما إذا سفرا

تراك ياولدي ذا اليوم ما ولعت ٭ بك المنية والمسعود من أسرا

قد كنت أفزع من هذا وأحزره ٭ والدهر مازال حتى حقق القدرا

أحبابنا طال شوقي نحو رؤيتكم ٭ ما بالكم قد أطلتم بعدنا السفرا

اذا تذكرت أياما لنا سلفت ٭ عاد الفؤاد من التذكار منفطرا

وحقكم لانقضت العهد بعدكم ... ولم أبت فرحا من بعدكم بطرا
ولا ركنت الى الهوى ولا طرب ... ولا برحت حليف الهم منحسرا
ترى تعود الليالى مثل ماسلفت ... حتى أكون لذاك الوقت منتظرا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما فرغت الأميرة من شعرها نادت وأولداه واثمرة فؤاداه وامهجتاه فعند ذلك بكا الأمير أبى محمد البطال وحثا التراب على رأسه وجعل يبكي والناس يبكون ولم يزالوا كذلك الى أن قدم عليهم ميمون الجماس وقد احترق جنبه من النار وهو ينادى الأمان الأمان من النار ياحنان يامنان ياقديم الإحسان فقالوا له يهنيك السلامة ايش معك من الأخبار فقال البشارة بسلامة الأمير عبد الوهاب فانه سالم من النار والالتهاب فقالت له الأميرة ذات الهمة يا ميمون بحق الواحد القهار عبد الوهاب سالم من هذه النار فقال لها ميمون يامولاتى رأيته سالم وحق من فلق الحبه وبرأ اسمه أنه سالم من هذه النار بل هو فى جملة الأسرى وبعينى رأيته أطلعوه الى الدير وأنا أنظر اليه ومعه مقدار خمسة آلاف أسير من أصحابنا والأمير صابر معهم ولكن عبد الرحمن بن الملك عبد الله قتل رحمة الله عليه ووصل الى جنان عدن وجماعة من المسلمين (قال الراوى) فلما سمعت الأمير ذات الهمة ذلك سجدت لله شكرا وقالت الآن قد طاب قلبي بوصول ميمون وأخباره لنا الصحيح ثم أقبل الأمير أبى محمد على ميمون الجماس وقال له كيف كان الأمر فقال يامولاى ما ضربوا بالنفط لا من قدامنا ولا من خلفنا ولا من فوق رؤوسنا الا أننا لم نشعر الا وقد انخسفت بنا الأرض ذات الطول والعرض ثم وقعنا فى الحفر والنار تعمل فيها ولولا يامولاى التراب نزل على النار لكنا هلكنا جميعا والأمير عبد الوهاب فقال أبى محمد البطال هذا هو الحساب الذى حسبته من أول النهار ثم رجع الناس فى اسوأ حال وأنضموا كلهم الى الأميرة ذات الهمة وقد قويت قلوبهم وشكروا الله تعالى على سلامتها وقالوا أيتها الأميرة والله ما دمتى فى قيد الحياة ما نبالى بمن فقد من أصحابنا وأخواننا هذا ما جرى لهؤلاء (وأما الأمير عبد الوهاب) ومن معه من الأصحاب فانهم لما أخذهم البطارقة وأطلعوهم إلى القلعة وملوا بهم المطامير وأن الملك الخطرموس قال على بأمراء المسلمين فما كان بأسرع مما أحضروهم بين يديه وعقبة جالس إلى جانبه فلما وقعت عين عقبة على الأمير عبد الوهاب قال مرحبا بالأسود الزنيم مرحبا بالشيطان الرجيم عجبا كيف سلمت يا أسود من تلك النار فكيف ترى حيلة القاضى عقبة فابشر بالضرب الوجيع وترى من يصلب على باب الزهب بالقسطنطينية ولكن أريد أن أصلبك على هذا الدير

وأجعل لحمك تأكله الطير ثم قدموا بعده الأمراء فصار يبصق على وجوههم ويهددهم بالقتل والعذاب ثم أن الملعون عقبة ألتفت إلى الملك الخطرموس وقال له ياملك هذا هو قاتل النصرانية وهادم دين النصارى المسيحية هذا الذى تخافه الجن تحت الأرض فقال الخطرموس ويلك أسكت ياشيخ النحس فما أكثر هذيانك فكم تصف لى هذا الأسود وأقل بطريق عندى لايرضى أن يقوم إلى قتاله وحده بل بجميع عسكره ويلقاهم وحده الكل بنفسه فقال له عقبة أيها الملك وحق المسيح لولا حيلتى عليهم لطال الشرح عليكم إلا أنه هو شجاع عند قومه ذليل عند مثلك وكان يقول للملك هذا من خبثه ولعنته ثم أن اللعين عقبة قال وأين اللبوة الرقطاء فما أراها مع الجماعة فى السلاسل والأغلال فلعلها قد هلكت بحيلتى فقال له الأمير عبد الوهاب أسكت ياشيخ النحس وبيت النار وعدو الملك الجبار والله ما هى إلا فى الحياة وهى مع العسكر متخلفة ولم تظهر فى ذلك اليوم بل كانت لربها قائمة وعندها الأمير أبو محمد البطال وكانك وبالبلاء قد أخذك من كل مكان فعند ذلك قال الخطرموس وقد غضب من كلامهم أيها الشيخ النجيح وحجة المسيح قد عولت على شىء أريد أن أفعله فقال له عقبة يامولاى وما هو الأمر قال أضرب رقاب هؤلاء الذين حصلوا فى الأسر وأرمى برؤسهم إلى أصحابهم فاذا رأوا ذلك ترتاع قلوبهم فيولون على أعقابهم ويعلمون أن كل من أسرناه منهم نعمل به هكذا ويكون ذلك دواه ويكون سبب لأنكسارهم بلا مطاولة ولا تقييد فقال له عقبة لعنه الله وقد فرح فرحاً شديدا أو كاد عقله أن يذهب أيها الملك هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب فلا زلت موفقا فى كل الأمور والاسباب وكان قصد الملعون عقبة لعنه الله أن يعجل بالذهاب على الأمير عبد الوهاب ويستريح خاطره من كل جانب وبقى الذى يريده رب الأرباب يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان عقبة أراد أن يبطل بقتله الأمير عبد الوهاب دولة بنى كلاب ويضعف ركن الأميرة ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم العابدة للحى القيوم ثم انه التفت إلى الملك وقال له اعلم أيها السيد الجليل والمولى النبيل ان هذا الأسود قال أنه رأى فى المنام أن نبيه ﷺ وهو يقول لابد انك تصلب الشيخ النجيح على باب القسطنطينية ويعجل هلاكه وتمحو أثره من الأرض حتى لايبقى له ذكر يذكر ولاخبر ينشر وأريد يامولاى أن تعجل به حتى يصح أننا أصدق منهم ولايتكلمون بكلام مليح ولالفظ صحيح (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الملك كلامه تعجب منه وضحك ضحكا عاليا وقال إنى وحياتك يا أبونا لأبلغك منهم فى هذه النوبة مرادك لاننا ان رجعنا الى الأمر الحقيق ولفظ التصديق ان

كنت السبب فى وقوعهم فى هذه المحنة ثم نادى برفيع من صوته قدموهم فكان أول من قدم الأمير عبد الوهاب ترس قبر النبي الأواب صلى الله عليه وسلم ولقد أيقن الأمير بالذهاب وقرأ قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ثم قال الحمد لله الذى قضيت منيتى بين أعدائك وقتلت فى سبيلك وأنا أرجو أن تؤمنى من غضبك ثم تشهد وقرأ شيئا من القرآن هذا وعقبة يقول يا أسود يا زنيم ماهذه أشياء تدفع عنك ضرب الرقبة فلم لاتقرأ قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ومن شر غاسق إذا وقب (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن السياف استأذن الملك فى قتله وقال له عن أمرك أيها الملك فقال له اضرب فهم السياف أن يرفع يده بالضرب واذا بالصراخ قد نما وعلا والزعقات والرجفات أخذتهم من كل جانب فالتفت الملك واذاهو بقومه وهم بين صارخ وعائط وهم يتكردسون على بعضهم من خوفهم ففزع الملك من هذا الأمر الشنيع وقال لهم ما وراكم ومن بشرد رماكم فقالوا وراءنا الموت الأحمر والبلاء المكدر قد ملك الدير من كل جانب الحقونا انجدونا وخذوا لأنفسكم النجاة لأن الدير حصل فيه عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى من المسلمين فعند ذلك تغير لون الملك وغاب عن الصواب فعندها فرح الأمير عبد الوهاب والأمراء والاصحاب وقالوا أيها الأمير أبشر بالفرح فما نظن إلا أن الأمير أبو محمد البطال قد عمل حيلة وقد ملك بها الدير فالحمد لله على الخير قال وأما عقبة اللعين لما سمع أن الدير قد ملك وقد صار فيه عالم عظيم تغوط فى لباسه وصار عبرة بين جلاسه وعلم أنه مابقى له مهرب ولاخلاص فسيب على نفسه واصفر لونه وتغير كونه وطار عقله وأيقن أنه قد ظفروا بهأعداءه (قال الراوى) ثم أن الخرطموس صاح بأصحابه ويلكم من أين دهينا فقالوا وحق المسيح مالنا علم إلا أننا لانشعر إلا والاعداء معنا فى الدير فسمعنا التكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير فعند ذلك جئنا منهزمين وللنجاة طالبين فلا تعجل على هؤلاء الأمراء فلعل ان نفادى بهم عنا وعنك (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى ذلك أن الأمير أبو محمد البطال لما تم على الأمراء ماتم ضاق صدره وعيل صبره وأقبل على ابنة الملك الذى سموها سعيدة وقال لها أيتها الملكة السعيدة المؤمنة الرشيدة أنظرى ماقدجرى علينا هذه النوبة من مكر هذا اللعين عقبة فقالت ماالذى تشتهى أيها الأمير أن أفعل فقال لها الأمير أبو محمد اعلمى أن أبوك مشغول بالأسارى ولو أن لنا طريقا إلى الدير لكنا نخلص أصحابنا أو كنا نستخنى إلى أن نروح إلى الدير ونملكه وقد بلغنا المراد وخلصنا جميع الأمراء من الاصفاد وإلا نحن نقع فى أمرهم وتحت أسرهم فأبوكى ماتطلب إلا أننى وابن عمك وان رآكما مايبقى عليكما ساعة واحدة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعت

كلام أبو محمد البطال قالت له فما رأيك أيها الأمير فنحن ندلك على طريق لا تزال أنت وأصحابك سائرين فيها الى أن تصير فى وسط الدير بعد ساعة من الليل فقال لها أبو محمد هذا هو المراد فقد بلغنا من الله تعالى كل خير وزال عنا كل هم وضير فقالت له يا أبو محمد الطريق الذى جئت منها ادخل فيها أنت وأصحابك وسيروا الى أن تقدموا الى الجبل والى شجرة جوز فى جانب الشعب فاذا وصلت اليها ترى مغارة كبيرة مظلمة فأوقد شمعة وادخل أنت وأصحابك فيها الى أن تصل الى حجر أصم فى وسط الطريق فتعاونوا عليه حتى تزيلوه من موضعه فاذا زال من موضعه فادخلوا حتى تصلوا الى شباك فشدوا فيه الحبال واجذبوه حتى ينقلع فاذا انقلع ادخلوا منه الى موضع مضيق وفى المضيق ماء جارى ليلا ونهار فخوضوا فيه الى أن تصلوا الى جب عظيم وفيه ماء الا انه دون القامة وهو معقود بالحجارة الى رأس البئر فاذا وصلتم الى ذلك المكان ارفعوا رؤوسكم تنظرون الى رأس الجب وعليه دلو وحبل ثخين كبير فاصعدوا فيه الى بيت كبير يسمى خزانة الماء ولا يعلم بذلك الموضع الا أنا وأبى وبعض من الخواص الذى من ذلك المكان وقد اطلعتم على الحال وجليته وصحته (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع أبو محمد ذلك الكلام من ابنة الملك فرح فرحا عظيما وأخذ معه مائة من السواد ومائة من بنى كلاب وسلك بهم فى تلك الطريق ولم يزل الا أن وصل الى الشجرة كما وصفت الجارية ودخل بهم الى المغارة والأميرة ذات الهمة فى أوائلهم الى أن وصلوا الى الصخرة فشالوها بالحبال وتعاونوا عليها الرجال بهمم الاسلام فأزاحوها من مكانها ودخلوا كما ذكرت الجارية لهم وأزالوا الشباك وصاروا الى الجب المذكور وأوقد أبو محمد شمعة فكان أول من طلع فى الحبل أبو محمد البطال وبعده الأمير ميمون الجماس وبعده الدموك وباغض الحياة ورأس العجل وصياع الضفادع وأبو عقلين وأكال السرطان وجماعة من السودان (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أنهم فتحوا الباب وطلعوا على الاسرار ورتب منهم جماعة فى وسط البلد الذى هو الدير فملكوها وضربوا كل من كان فيه بالسيف وسقوهم شراب الحيف ونادوا بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير (قال الراوى) ياسادة يا كرام ووصلت الاخبار فى تلك الساعة الى الخرطموس كما ذكرنا وكان الامير عبدالوهاب بين يديه كما وصفنا وقد قدموه تحت السيف كما شرحنا لجاءه الخلاص باذن الله تعالى (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الخرطموس بذلك رجع بالاسارى وأعطا ظهره الى الريض الذى للدير وجعل يقاتل وصار القتال يعمل بين الطائفتين قال وسمع المسلمين الذى خارج الدير صياحهم فعلموا انهم فى أشد الحرب فزحفوا الى المضيق وتسلقوا السودان الى رؤوس الجبال وترادفت الاهوال واشتد الزلزال

ونادوا يا آل كلاب ووقع القتال عند الريض ونزلوا السودان والأمير أبو محمد من الجانب الآخر وبقى الخرطموس فى وسط القوم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فيالها من ساعة شاب فيها الصغير وتحير فيها الكبير وضاع فيها التدبير وأخذ النهار وأتى الليل بالاعتكار ووقع الخرطموس فى بحر الاعتكار ورجعت كل طائفة الى مكانها وطلب الخرطموس الملعون عقبة فما عرف له خبر ولا عن أين راح ولا وقعوا له على أثر فعند ذلك أحضروا الاسارى الى بين ديه وقال للأمير عبد الوهاب قد عزمت فى هذه الساعة على ضرب رقابكم كلكم الا أن تبعثوا إلى عسكركم يرحلوا عنا وتسلموا الدير لنا ولكم من الأموال ما تشتهون فان أبيتم ذلك ضربت رقابكم وأنا كفؤا لمن بقى منكم فقال الأمير عبد الوهاب أنا أبعث اليهم من ساعتى هذه وأخبرهم بما جرى وأخبرك جميع ما ذكرت فقال الملك رضيت بذلك ثم ادعى الأمير بثلاثة من الأسارى فأمر الملك باطلاقهم فأطلقوهم وأرسلهم الأمير عبد الوهاب الى الأميرة ذات الهمة والى المسلمين ويقول لهم نحن فى عين الهلاك ولا حاجة لنا فى الدير وان لحيتوا على القتال هلكنا كلنا جميعا وقد عول على ضرب رقابنا وقد طلب منا الرحيل ولنا من الأموال ما نريد ونحن بين أيدينا أعداء كثير مثل غضب المسيح وزنانير وغيرهم من المشركين فأجيبوا إلى ماطلب بلا خلاف والسلام ثم خرجت الرسل الى العسكر وأعلموهم بالخبر فقالوا مبارك يكون ذلك فى غداة غد ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الخرطموس وحمل على المسلمين وجال فيهم يمين وشمال وكان أى فارس قاربه لايحتاج يضرب بسيف ولا سنان إلا يجذبه من سرجه ويضرب به الأرض يخلط بعضه فى بعض وطوله فى العرض والأميرة ذات الهمة لما رأت ذلك ونظرت فعاله نادته يا ابن الأندال المتجرىء على الملك المتعال يا كثير الضـــلال والمحال أما علمت انك تريد الصلح والهدنة على اننا نسلم لك الدير فقد نكثت عما قلت ونحن ما نكثنا فهلم الى اللقاء حتى نرى من يسعد ومن يشقى أنا أم المجاهدين أم الأمير عبد الوهاب والله يفعل ما يشاء فان ظفرت بك خلصت المسلمين وان ظفرت بى اعمل ما تريد وان بأسرى ترحل المسلمين (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الخرطموس كلامها قال فى نفسه ها قد فرج المسيح عنى ثم قال أكون أنا وانتى فداء لهؤلاء العسكرين فعند ذلك حمل عليها وحملت عليه الاخرى وكانت الاميرة ذات الهمة راكبة على جواد أصفر عالى مضمر كانه الماء اذا انحدر أو المطر اذا انهمر يجوز الوصف ويسبق الطرف ثابت القوائم طويل الشكائم يسر مع الرياح ويطير مع الطيور بلا اجناح

واصفر من خيول العرب تتبعه ۞ ريح الجنوب اذا جربته صبرا
يسابق البرق فى لمح فيسبه ۞ ويترك الطير من بغداد منبهرا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وعليها بشت ذهب مزرد يحير من رآه من كثرة ذهبه وطلاه وعلى رأسها بيضة عادية بالذهب مطلية وفى كفها سيف أخضر ورمح أسمر وهى معممة على البيضا ملثمة كأنها أسد غضبان أو شجاع ظمآن ثم طوت اليه السنان ونادت ياحنان يامنان ياذا الجود والإحسان أخمدنا هذا الشيطان كما أخمدت نار النمرود بن كنعان ثم أنها صاحت به وقالت له ويلك يا نسل عبدة الصلبان ويا عابد الصور المصورة فى الحيطان دونك والضرب والطعان فى ساحة الميدان واثبت بين يدى ساعة يسيره فأنا بالحرب بصيرة وبالطعان خبيرة ثم أنشدت تقول

أيها الخطرموس دونك والضرب ۞ فانى بالحروب وبك خبيرة
لا أبالى بكثر الخلق أن هم ۞ بارزونى بالصافنات المغيرة
فقتالى بين الانام عجيب ۞ إذ أنا حرمة وأم كبيرة
غير أنى عودت قتل الاعادى ۞ وبلوغ المنا وكنت صغيرة
فاسألوا عنى مالكا ورباحا ۞ عن فعالى فى أهل تلك العشيرة
كم تركت الملوك منى صرعى ۞ وبالنصر كنت من الهنى جديرة
آه ما أطيب الشهادة للمرد ۞ وطوبى ان لى أخذت أسيرة

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وان الخرطموس حمل عليها وتحته جواد عالى ململم كانه الغراب الأسحم أو الليل اذا أظلم بغرة كالدرهم وعليه صدرية زرد كأنها عيون الجرد وعلى رأسه بيضة حملية تأخذ بالبصر وعليها صليب جوهر ودائر البيضة كتابة بالرومى وبيده صارم ذكر يقد الصخور ويفرى النحور وصاح بها صوتا كانه الرعد اذا خفق ودام بينهما القتال واشتد العرق وأخذ كل منهما لنفسه بالحذر وقلق الأمير أبو محمد على الأميرة ذات الهمة ونادى يا ناصر الناصرين ويامؤيد على المرتضى على القوم الكافرين ثم أن المسلمين هللوا وكبروا هذا والفارسان فى عراك متدارك وأيقن كل واحد منهم أنه هالك ثم تقسطل عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ودام الانتظار وعظم الافتكار وتثلمت الصوارم وتعبت الأكف والمعاصم واعتمدوا على الرماح بعد ضرب الصفاح وحمل الخرطموس على الأميرة ذات الهمة وحاذا بضربة هائلة فحادث عنها وقد عطلتها بحسن خبرتها وصناعتها ثم عطفت عليه بطعنة على الحمام وانقطع الكلام فوافق السنان صدره طلع يلمع من ظهره ثلاثة اشبار فعند ذلك ضجت المسلمين من تلك الضربة وتعجبوا من

صناعتها وقوة زنودها وهال الموحدون وخسر الجاحدون وحملت السودان على أصحاب الخطرموس حتى يخلصوا أميرهم الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولم للأعداء ثبات بين أيدى المسلمين فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار بعد قتل ملكهم وعاجلتهم المسلمون بالدخول إلى الدير وقد زال الهم والضير وكان السابق إلى المكان الذين فيه الأسارى الأميرة ذات الهمة ودخلت إلى عبد الوهاب والأمراء الذى صحبته وقالت أبشروا بالسلامة والسرور فى يوم القيامة ثم حلت كتافهم وفكت قيودهم وقد أشتغل أصحابها بالنهب والقتل فلم ينفلت من الروم أحد وكان يوما عظيما ثم ركب الأمير عبد الوهاب فى جماعة من الأصحاب وقد تضاعفت الأفراح وشكروا الله تعالى على السلامة والنجاح وأما الأمير أبو محمد البطال فما كان له شغل إلا أنه جمع الأموال وحفظها من النهب وغلق عليها الباب على بيت الصنم والعجل الذهب وطلعت الأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب وباقى الأمراء والأصحاب وجلسوا فى مجلس كان الخطرموس يجلس فيه ليشرف على الدير وتلك الديار النصرة والأراضى المزهرة وجمعوا أهل الإسلام الأموال والرجال والجراهر والجوار الروميات والمماليك من أولاد النصارى مالا يحصيه إلا الله تعالى وأن الأمير أبو محمد قدم الأموال بين يدى الأمير عبد الوهاب فذهل عقله وحار لبه وقال يا أبو محمد من أين هذا لك فقال يا أمير من خزائن الله التى لاتفنى ونعمته التى لاتحصى وهذه أموال الكفار وقد أصبحت اليوم للمؤمنين الأبرار وهنا أوفى وأعظم وأفضل وأكثر من هذا إلا أنه فى الدير عجلا من الذهب وأقل ما يكون وزنه عشرة قناطير وفيه من الفضة والجوهر وغير ذلك مالا قيمة له فافعلوا الآن ماتريدون فيه من الرأى (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأن الأمير عبد الوهاب لما سمع كلام أبو محمد البطال قال له يا أبو محمد هذا كله ما يفوتنا بل نريد منك أن تورينا الشيخ الشريف العلوى حتى نخلصه مما هو فيه ونفرج عنه فقال له الأمير أبو محمد صدقت أيها الأمير فقوموا بنا إلى خلاصه لنربح الأجر والثواب من رب الأرباب ومسبب الأسباب فعند ذلك قالوا الأمراء كلهم هذا هو الصواب فأول من وثب الأميرة ذات الهمة وقام من بعدها أبنة الملك الخطرموس وقد حسن أسلامها وإيمانها وكان ابن عمها قد قتل فى هذه النوبة لأنه أحب الجهاد فى سبيل الله تعالى فاستشهد ومضى إلى رحمة الله تعالى فأخذتها الأميرة ذات الهمة وقالت لها أنا أزوجك إن شاء الله تعالى من تريدى من الأمراء فشكرتها على كلامها ثم أنهم دخلوا إلى الشيخ الشريف العلوى فرأوه فى الذل والهوان وفى رقبته غل وفى رجليه القيود الحديد

وسلسلة طويلة وهو على ذلك لا يقطع الصلاة ولا يفتر عن ذكر الله والتسبيح والتقديس وهو مواظب على قراءة القرآن وصابر على بلاء عبدة الصلبان وكان الملعون الخطرموس كلما رآه على تلك الحالة والمواظبة يزداد عليه حنقا وغيظا وكلما ضربوه يقرأ قوله تعالى وأصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين أتقوا والذين هم محسنون ويقول يارب اجعل لى من السجن فرجا ومخرجا يا من خاص يونس من بطن الحوت يامن نجى يوسف من السجن بعد أسبع سنين يا من يسمع أنين المضطرين يامن أنار القمرين أسألك بحرمة محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلا ما خلصتنى من أيدى الكفار وأخرجتنى من هذه الديار إلى مجاورة الأبرار قبل خروج روحى من الجسم واجتمع مع أهل الإيمان فقد طال أمرى وعيل صبرى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهو كذلك وإذا بأبو محمد ناداه قال له أبشر ياشيخ بالخلاص والإجتماع مع أهل الايمان والأهل والأولاد فهذا الأمير عبد الوهاب وهذه الأميرة ذات الهمة وقد جئنا لخلاصك من هذه القيود وأطلاقك بمعونة الرب المعبود فابشر أيها السيد بقبول دعاك وسؤالك وبلوغ آمالك (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأنه لما بشره بالخلاص فرح الشيخ بذلك وقال الحمد لله رب العالمين ثم فكوا القيد من رجليه وأزالوا ذلك الضر عنه وألبسوه أفخر الثياب وأسقوه شيئاً من الشراب وتركوه إلى أن رجعت روحه وقويت نفسه وأحضروه إلى بين يدى الأمير عبد الوهاب وسألوه عن سبب أسره وقالوا له من أين أسرت وكيف وصلت إلى هذا المكان فقال اعلم أيها الأمير أننى من أهل البصرة وكان لى مال ونوال ورجال وأهل وعيال وكنت أتاجر فى اللؤلؤ والجواهر وكنت كل قليل أسافر فسبب الله تعالى أننى دخلت إلى هذه البحيرة ثم عرضت أموالى على الملك صلبوتا وغيره من الملوك فاشتروا منى ما صلح وتركوا ما لم يكونوا محتاجين اليه ثم أعطونى أموالى وسرت حتى وصلت إلى هذا المكان فلقينى هذا الكافر المتجبر الفاجر فأخذ مالى وجواهرى ثم أعتقلنى عنده وسألنى عن دينى فأخبرته بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو سبب أسرى ثم سجننى عنده وأرسل على العقوبة وأن رجلا قدم عليه من منذ عشرة سنين وكان حكيما يقال له ماريتمون فلا جزاه الله خيرا جاءه برسالة من عند ملك يقال له غضب المسيح فسأله عنى فأخبره بأننى شريف وأننى أنتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه بأخذ مالى فقال له لحكيم ماريتمون اعلم أيها الملك أنك ما تتقرب إلى المسيح بأفضل من أخذ أموال هذا الرجل وعذابه فى السجن فلما سمع الملعون بذلك صار يضاعف العذاب

لى فى كل وقت الى الآن فقال له الامير عبد الوهاب والامراء الحمد لله الذى جعل خلاصك على أيدينا ونرجوا شفاعة جدك يوم القيامة فقال له الشيخ اعلموا أن الله قد وعدكم على فعل الخيرات النجاة يوم القيامة لان الله تعالى قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يرى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد خلصتمونى من أيدى الكفار والله يتولى معونتكم أن الله قريب مجيب كريم حكيم عفو ستار ثم أنشد يقول

دع مهجتى تزداد فى خفقانها ✻ ليس التزمل فى الهوى من شأنها
وأعذر فان حشاشتى مشعولة ✻ لاشك أن الدمع من أجفانها
عبراتها زفراتها عثرتها ✻ تنسيك بالمكنون من كتمانها
آه لنفس طال ما سليتها ✻ فى الامر بالاعراض عن أشجانها
واعبرتى لولا تلهف زفرتى ✻ طرف لقام الحشر من طوفانها
لكن أداريها بحسن تنفسى ✻ متبرد الآلام من نيرانها
هذا الذى قاسيته من علتى ✻ حلو فكيف المرء من أحزانها
من رام ألحاظ العيون تعرضا ✻ لسيوفها لم ينهج من عدوانها
نلت المشقة والعنا من بعدهم ✻ هيهات تغنى العين من سلوانها
لو دام اسرى عجلت روحى الى ✻ دار البلا وخلا فسيح مكانها
وعدمت أهلى أن اراهم ثانيا ✻ وبسيف ذلهمة وهيبة شأنها
ارجو الرجوع الى لفا من أصبحوا ✻ بالذل بعدى عادنى اعوانها
لكن بترس المصطفى وبأمه ✻ فهى التى فاقت نساء زمانها
كم جاهدت فى الله حق جهاده ✻ وأذلت الشجعان من انزالها
لله ما ضم الازار من النقا ✻ والنصر والتأييد من أركانها
اما الامير فلست انسى فضله ✻ ما دامت الافلاك فى دورانها
قد عم أهل الارض نيل سماحة ✻ موجودة طورا ومن أحسانها
فاذا تطاولت الكرام أكفها ✻ قسما له طالت على أقرانها
بطلى يجود على العدو تكرما ✻ لولاه لالتحقت بكل هوانها
وأبو محمد الأمير فلم يزل ✻ فى كل مكرمة رضيع لبانها
ياصاحب الكرم البديع ولم تزل ✻ تحكى انا الدنيا على لقمانها
ذا حكمة وفصاحة قد فضلت ✻ فى هذه الدنيا على شجعانها
ومن بكم شمس الثغور منيرة ✻ ماغرد القمرى على أغصانها

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما فرغ الشيخ من شعره ونظمه ونثره قبل الأمير عبد الوهاب رأسه وكذلك الأمراء وقالوا نحن أولى بالمدح إلى جدك الكريم الطاهر المطهر فقد قال من لم يزل سميعا بصيرا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ولم يبق أحد من المسلمين إلا وبكى من طيب سمره وفرحوا بمدحه ثم ان الأمير أبو محمد البطال قال للأمير عبد الوهاب أيها الأمير ينبغى أن تجازيه على مدحه وشعره بما هو أهله فقالت الأميرة ذات الهمة هذا هو الصواب ومانقنع له بشىء قليل فعند ذلك جعل له الأمير عبد الوهاب من وسط الغنيمة بعشرة آلاف دينار ويكون معهم فى أكلهم وشربهم وبعد ذلك يتوصل إلى أهله وبلده فدعا لهم أحسن الدعاء (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم رجع القوم إلى العجل الذهب فرأوا من صنعته العجب ثم انهم صبروه قطعا وفرقوه على الناس فاستغنوا غنا لافقر بعده ولم يتركوا شيئا من الذخائر التى جمعت عنده لاكثير ولاقليل وان الأمير عبد الوهاب بعث إلى الملك صابر يستدعيه اليه لأمر يشاوره فيه فلما مضى الرسول إلى الحاجب الذى له وكان قد أسلم معه وكان اسمه رضوان فلما رأى رضوان رسول الأمير عبد الوهاب سلم عليه وقال ياأخى ماالخبر فقال انالأمير يستدعى بالملك صابر الى حضرته ليشير عليه برأيه ومشورته فقال له الحاجب ياأخى أنتم تطلبونه من عندنا وهو بالأمس عندكم وقد بعث اليه الأمير عبد الوهاب من أمس اثنين من خواصه أخذوه الى الآن ماسمعت له خبر وقد اشتغلت قلوبنا لغيبته فقال له الرسول لابالله يا أخى فقال بلى والله العظيم ما أقول إلا الصحيح أيها الرسول الكريم فقال الرسول إنا لله وإنا اليه راجعون ياأخى امضى معى إلا الأمير حتى يعلم بهذه القصة (قال) فسار الحاجب إلى أن وصل الى عندالأمير عبد الوهاب وأخبره بالحال فلما سمع ذلك قامت عليه القيامة وكذلك الأمراء وعلموا انها من أعمال اللعين عقبة (قال الراوى) ياسادة وكان السبب فى ذلك الحكيم ماريتون وعقبة لعنهم الله وذلك ان الحكيم ماريتون لما أقام فى أسر الأمير أبو محمد البطال فى الدير كان قد قام عليه الحرس فلما هرب وخلص من الخرطموس عقبة الآخر معه وأقام فى الدير إلى أن علما أن المسلمين قد وصلوا إلى الربض من داخل الدير فعلما أنهم يملكونه فاخذا فى الهرب واختفيا فى الجبل إلى أن قتل الخرطموس وملكوا المسلمين الدير وخلصوا الأسارى وخرج الملك صابر من خيمته واشتغلوا الأمراء بخلاص الشريف العلوى المأسور وقسموا الأموال فقال عقبة اعلم ياحكيم ان المسلمين قدملكوا هذا الدير وهلكوا أهله وقتلوا الملك وأسلمت ابنته وماأظن المسيح إلاغضب عليها فقال الحكيم ماريتون ماذا تريد يجرى على قلب الملك غضب المسيح

اذا سمع بهذا الحديث فقال عقبة يا أخى ماهذا موضع الكلام فالحمد للمسيح الذى أنا وأنت أحياء فبينما هم فى الكلام وإذا بجماعة من بطارقة الملك عبد المسيح قد أتوا فى طلبهما لاننا قد ذكرنا أن غضب المسيح قد طلب عقبة والحكيم فما وجدهما فصعب عليه وركب فى طلبهما فى عشرة آلاف بطريق وصار يقتفى أثرهما فلم يلحقهما وكان البطال لما أبصر غباره قصد إلى الدير فلما أيس غضب المسيح من لحاقهما أرسل هذه البطارقة ليأخذوا خبرهما فوجدوهما قد خلصا فلما أن رأوهما عرفوهما فسلموا عليهما واشتد بهما ظهورهما فأمروهم أن يكمنوا فى هذا الجبل وقال عقبة للحكيم بعد ما بقى معنا هذه البطارقة مابقينا نرجع للدلك الإبحيلة نعملها ونمضى بها عند الملك فقال له الحكيم ماريتون ومالذى تعمل ياعقبة فقال اعلم ان المسيح خلقنى ومانزل فى قلبى لمسلم مثقال ذرة من رحمة ولاسيما من كان نصرانيا وسلم فلو قدرت عليه فى ذلك الوقت لأكلت لحمه وشربت من دمه فقال له الحكيم وأنا كذلك أحب إلى خراب المساجد فقال عقبة اعلم أيها الحكيم ان هذا الملك صابر قد أسلم وحسن اسلامه بالنارنجيات والمحال من أبى محمد البطال وقد بلغنى أنه ماينام فى الليل ولا يفطر النهار من كثرة عبادته وأنا قد بغضته وكيف لى لا أشرب من دمه وأنا قادر فى هذه الليلة على أخذه بالحيلة العجيبة الذى تسمعها فقال له ماريتون وكيف تعمل فقال عقبة أدخل أنا وأنت إلى العسكر وهم مشتغلين فى نهب الدير والملك صابر لا يقدم عليه أحد ونزل ودخل الخيمة واشتغل بالصلاة فيدخل بعضنا اليه ويتحدث معه ويقول له ان الأمير عبد الوهاب يدعوك اليه فى حاجة عرضت له وخذ معك من أصحابك من أردت وان أردت تكون وحدك فافعل فان انخدع أخذناه ومن معه وسرنا به الى شعب الجبل الأزرق هنا لك تخرج أصحابنا ويأخذوه ويرضى المسيح بذلك فقال ماريتون هذا رأى مليح (قال الراوى) وكان هذين الشخصين فى تلك الليلة كأنهما ابليسين وقد قيل فيهما :

اسمع مقالى فى الشيوخ السفلة أهل النقائص والفعال المرزله
قد كفرا بخالق البرية وأشركا بعالم الخفيـــة
ولم يخافوا خالق الانسان بلاهم الإله بالهوان
هم ماريتون وعقبه بلاهما ربى بكل نكبة
هذا بناموس أتى وعله وذاك بالفهم وصدق الحكمة
اجتمعوا أثنتيهم للفتنة فادعوا عليهم بالغضب واللعنة

(قال الراوى) ياسادة وان ماريتون قال لعقبة الملعون أيها الشيخ النجيح أدخل أنت عليه فانه أعرف الناس بى فقال له عقبة فأين حيلك ياملعون ومكرك فقال ماريتون أنا

أدخل اليه ثم انه غير حليته ولباسه وأظهر انه مسلم ودخل الى العسكر وأتى الى مضرب الملك صابر والناس نيام وصوت الملك خارج من مضربه وهو يقرأ وكان قد علمه أبو محمد البطال شيء من القرآن فدخل عليه ماريتون فلم يجد عنده أحد فصاح ماريتون ببعض الحجاب فقام اليه فعلم انه رسول فقال له ماحاجتك فقال له أريد الملك يحضر الى عند الأمير عبد الوهاب يطالعه على أمر فقال له الحاجب قف مكانك ثم دخل الحاجب على الملك فوجده قد فرغ من صلاته فأعلمه بالرسول فقال آمره بالدخول فدخل عليه فوجده فى تضرع وخشوع ودعاء وهو يقول هذه الأبيات

حسبي الله سيدي وإلهي حسبي الله ان قلبي لاهي
أحمد الله سـيدى وإلهى ماله ضد فى الأنام يباهى
أشكر الله سيدى وإلهى أنا ساهى والموت ليس بساه
أتوب إلى الله سيدى وإلهى منه كربى ومنه حالى وجاهى
أحمد الله سـيدى وإلهى بعلى المرتضى وأهل التناهى
باسم ربى محي القلوب كما أحـ يا نبات الثرى بعزم المياه

﴿ قال الراوى ﴾ يا سادة يا كرام فلما فرغ الملك صابر من شعره قال الحكيم لعقبة كيف تعمل فقال عقبة كيف ترى يعنى سوف ترى ما أعمل به فلما صار قدام الملك سلم عليه وقال عقبة هذه أحوال الصالحين الصادقين وعلامات المؤمنين اعلم أيها الملك الكريم ان الأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب فى هذه الساعة قد مضى الى شعب ذريق فى جماعة من قومه وكأنه وصل اليه خبر لايعلم جليته ونحن أقرب الناس اليه ولم يطلعنا عليه بل انه أرسلنا اليك خدمة لك حتى تأتى اليه فان رأيت ان تتفضل أنت ومن تحب من أصحابك وان كنت مشغولا فأذن لنا ان نرد الى الاميرة ونقيم عذرك فلما سمع الملك صابر ذلك من كلامهما قال أقوم طاعة للأمير عبد الوهاب ثم انه خرج ومعه عشرة من قومه ثم مشى ماريتون قدامهم كأنه سبع ولم يزلوا سائرين حتى وصلوا الى الجبل الازرق فعند ذلك صاح ماريتون فى الرجال فخرجوا كأنهم أسود الغاب فقال خذوا هؤلاء الكلاب وبضعوهم بالحراب فما كانت الا ساعة حتى قتلوا العشرة وأما الملك صابر فانه تحير وصبر وجرح جراحات غير قاتلة للقضاء والقدر ثم استسلم فأخذوه وقيدوه فلما صار فى الذل والهوان أقبل اليه عقبة وقال له كيف رأيت دين الاسلام ان رجعت عما أنت عليه أنعمت عليك والا فابشر بطول العذاب فقال له الملك صابر والله ياملعون ما أعرف شيئاً مما تقول ياشيخ الضلال وان كان لى أجل فهين على ما نفعل وان كانت

أتت الوفاه فوا سعادتاه انى وصلت إلى رب الأرباب ومعتق الرقاب (قال الراوى) ياسادة فلما سمع عقبة ذلك زاد عليه حقدا وأخذ له سوط من جلد الجمال وكان الملك صابر مكتوف اليدين ولم يزل عقبة يضربه وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وكلما سمع عقبة كلامه يقول له أزعجتنى لما بتذكر محمد وقال له ماريتون ويلك ماأجلدك فقال له الملك صابر ويلك الساعة قد كشف لى الحور العين وقد برزت الى باب الجنة وهن يقولون الينا الينا لتتخاص من عقبة هذا الكافر الفاجر فان نقلت الليلة فأنت عندنا من الصلاح نحن أشوق ومن رأى هذا فكيف يسأل عن غيره ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاه ثم أنشد يقول

ياسادتى لى حبكم مشرب ... رضيت بالقتل فلا تغضب
واننى أطمع فى وصلكم ... حتى كأنى فى الهوى أشعب
واننى أنشد فى حبكم ... بيتا ومن يسمعه يطرب
ان عذاب الحب متعذب ... فعذبونى فى الهوى عذبوا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عقبة كلام الملك صابر قال له يا قرنان وحق المسيح لابد أحملك الى الملك غضب المسيح يقطع لحمك ويبضعك بضعا ثم انهم أخذوه ومضوا طالبين غضب المسيح ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا اليه ودخلوا عليه ومعهم الملك صابر (قال الراوى) ياسادة فلما رآهم الملك استخبرهم عنه بعد ما هناهم بالسلامة وخلاصهم فأخبره الحكيم ماريتون بحاله وكيف أسلم فلما سمع الملك ذلك غضب وقال له ويلك ما كفى ما كنت فيه حتى تركت دين المسيح وأسلمت أنت وجيشك والى المسلمين سلمت فلا عذبنك بأنواع العذاب ثم لطمه على وجهه قلع عينه من عظم لطمته فقال له الملك صابر ويلك ياملعون هذا جهد ما تقدر عليه وأنا سمحت بروحى وبعت نفسى فى رضى ربى فقال له غضب المسيح أنا ما أقتلك حتى أعذبك أشد العذاب وأقطع منك كل يوم عضو وأرميه للكلاب (قال الراوى) ياساده وان غضب المسيح أقبل أعلى عقبة وجعل يسأله عن حاله وكيف ترك الخرطموس فقال له عقبة أعلم أيها الملك أن الخرطموس قتل شهيد فى طاعة المسيح وأما أبنته مريم فانها أسلمت وصارت من جملة المسلمين وملكوا الدير وأخذوا كلما فيه فلما سمع غضب المسيح ذلك بكا على الخرطموس وعلى اسلام ابنته ثم انه أمر البطارقة ان يحتفظوا بالملك صابر وان يضيقوا عليه وبات بأيشم مبيت الى الصباح فعند ذلك أمر بالركوب وقال وحق المسيح مابقيت من المسلمين ولابد ماأسير اليهم ولا بدمن قتل الملكة زنانير الفاجرة وكسر عسكرها

وعسكر المسلمين وأجعلهم عبرة لمن اعتبر (قال الراوى) ياسادة فما تم كلامه الا وغبار ثار حتى سد منافس الاقطار وأظلمت منه الدنيا ثم انقشع ذلك الغبار عن عسكر جرار وبان من تحته بريق البيض ولمعان الدروع وعشر رماح وعلى كل رمح صليب وتحت كل صليب عشرة آلاف فارس وفى أوائلهم الملك دقيوسا والى جانبه الملك الفارغوم وهو كانه المجنون وهو ينادى يا مخذول ياملعون جاءك البلاء النازل وينزل بك النوازل وقد خسر من غضبت عليه الملكة زنانير صاحبة العقل والتدبير (قال الراوى) فلما سمع غضب المسيح ذلك غضب وصاح فى قومه وحمل كانه الجمل والتقى العسكر بنفسه وطعن فى الصدور وخشف الظهور وحملت الجموع على الجموع ولمعت الجواشن والدروع وطارت الاكف من المعاصم وبقيت السيوف بلا قوائم وانحلت الغرائم وانصفت الأرض من دماء الجماجم وعتك فارغوم فى العوالم وحلف غضب المسيح انه لايرجع الا بأخذ الإثنين وكان قصده الملك دقيوسا فحمل عليه وقصد اليه فلما نظره الملك دقيوسا علم انه مابقى له منه خلاص وقد وقع فى شرك القناص هذا وقد استعجله غضب المسيح بضربة وقع السيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (قال لراوى) ياسادة وكان غضب المسيح فى ثلاثة آلاف فحمل على أربعين ألف من أصحاب دقيوسا فرجعوا على اعقابهم وقد أدركهم الليل وقد أيقنوا بالويل ثم رجع غضب المسيح الى خيامه وقد أشفى غليله بضرب حسامه وعوذوه القسوس والرهبان وداروا حوله بالصلبان وأقبل عتبة عليه وجعل يقبل يديه ثم قال له أيها الملك أنت المنعوت فى الانجيل والعظم بالتبجيل واليك ترد الامور وقد قرأت فى الانجيل المسطور وهو فى السند الرابع أن انسانا يكون أشجع أهل زمانه يظهر من بحيرة الفلك يملك الأرض فى طولها والعرض فلما سمع الملعون ذلك فرح وقبل رأس عقبة المفتون وخلع عليه وعلى ماريتون ثم قال لعقبة أين الاسود حتى يلتقى هذا الليث الهمام فقال غضب المسيح من هو هذا الاسود فقال عقبة يامولاى هو أمير المسلمين الذى يقال له عبد الوهاب فضحك غضب المسيح من كلامه وقال له يا أبونا فهذا نسبه فكيف عمله فهو الذى يسمى ذات الهمة أم غيره فقال له عقبة بل ذات الهمة والدته وهى أفرس منه فاسأل المسيح يظفرك بها فكم لها فى رأس الشيخ النجيح من الضرب الصحيح فقال له الملك أيها الشيخ سوف أجمع بين الملكة زنانير وبينها وأقتل المسلمين غصبا وعنفا لانى أشتهى لقاء الرجال وقتال الابطال فقال عقبة وابردها على كبدى اذا جمع هذا الرجل بين الشمطاء ذات الهمة وبين زنانير وأنت أيها الملك الضرغام

ـه أعظم من أقوام (قال الراوى) يا ساذة يا كرام فلما سمع الملك ذلك ضحك منه وعلم أن فى قلبه من المسلمين النار وقال يحق له أن يقول مثل هذا وأكثر فهذا ما كان من غضب المسيح (وأما ما كان) من حديث فارغوم وأصحابه فانهم باتوا فى أيشم مبيت وفارغوم يقول لهم فى غداة غدا آخذ لكم بالثار فلما أصبحوا ركبت الطائفتين من الكفار للحرب والكفاح وقال فارغوم لأصحابه اعلموا انكم أن قصرتم عن حرب هؤلاء فانكم تهلكون ولا بد من الخروج اليه وان هو برز الى اخذته اسير وقدمته إلى الملكة زنانير ذليل حقير (قال الراوى) يا سادة وما تم كلامه حتى حملت الطائفتين واختلط العسكران وقام غضب المسيح الى أن التقى بالامارغوم فصاح عليه صيحة عظيمة أذهله وأستجاده بطعنة فى صدره أطلع السنان من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأوه أصحابه قتيلا أنقطعت قلوبهم وطلبوا الهزيمة وكانت لهم أوفى غنيمة وتبعهم غضب المسيح وغنم الأموال والرجال ورجعوا إلى أماكنهم ثم قال غضب المسيح لقومه أطلبوا بنا عسكر المسلمين حتى نستأسر أبطالهم ونقتل رجالهم ثم باتوا إلى الصباح ورحلوا إلى جبل عظيم عالى وإذا بهم قد لقيوا هنا لك عسكر المسلمين وكتائب الموحدين فلما رأوا المسلمين ذلك ركبوا وحملوا وفى أوائلهم الأمير عبد الوهاب وهو ينادى يا آل حام يا آل حام كروا على الكفرة اللئام وأصبروا صبر الكرام وأسندوا ظهوركم إلى هذا الجبل وألقو بوجوهكم عسكر الروم وحمل الأمير عبد الوهاب فى ألف من بنى كلاب واحترق ميمنة الروم كأنه الشهاب الثاقب وطعن فيهم كأنه القضاء النازل وخرج هو والألف الذين معه سالمين وقد قتلوا ألف من الروم وطال بينهم المطال وقطعت الاكف والمعاصم وحمل غضب المسيح فى خمسة عشر ألف وطلب السودان الانجاب فنزل على الروم العذاب هذا وقد بربرت السودان وزمجرت الحبشان وكان الروم لايعتل على نفسه إلا والأسود ضربه عرقبه ودحرج عليه حجرا قتله فقتل منهم خلق كثير وترجلت السودان عن الخيل وأنزلوا بالروم الويل إلا أن غضب المسيح فتك فى الناس فتمصدته بنى كلاب بالنشاب فقتلوا الجواد الذى تحته فوقع الى الأرض ثم قام الملعون وحوله من أصحابه خمسة عشرة ألف ودام بينهم الضراب ونزل عليهم العذاب وقد صبروا بنى كلاب والسودان وحفظوا مواضعهم وأعتمدوا على خالقهم ثم نادى الأمير عبد الوهاب يارب الارباب يا معتق الرقاب ويا منشىء السحاب ومسبب الأسباب وناصر محمد فى يوم الأحزاب ويامن فتح على عمر بن الخطاب انصرنا على هؤلاء الروم الكلاب وثبت هؤلاء العصابة اليسيرة على

هؤلاء الكفرة اللئام ثم أنشد وجعل يقول هذه الأبيات

إلهى جد بنصرك لى فانى ☆ عن الاسلام من حسبى أحامى
وقومى عزمنا ببنى كلاب ☆ كذا سودانها من آل حام
ورد الكافرين وهم حيارى ☆ كما قد جاولوا قوما كرام
وقد رفعوا الصليب وعظموه ☆ وجاؤا بالقساقسة اللئام
وذا غضب المسيح يريد منا ☆ نفوسنا لا تملها الحمام
وأن قتيلهم يضحى ذليلا ☆ إلى نار توقد باضطرام
وان الهنا يرضى علينا ☆ اذا متنا كراما فى الصدام
فكروا يا بنى عمى عليهم ☆ وجودوا يا بنى حام وسام
كأنكمو بأمى فى جيوش ☆ ضراغمه مع الليث الهمام
وعند الصباح يأتونا جميعا ☆ وترتج البسيطة بالزحام
الا أن الشجاعة صبر شخص ☆ لما يلقاه من ضرب الحسام
ألا أن الشجاعة صبر ألف ☆ على ألفين فى وقت القتام
وأنتم رايحون فلا تولوا ☆ لأن الكفر معكم فى انعدام
صلوا صبرى بصبر واحتساب ☆ أعينونى عليهم بالصدام
وصلوا بالقوى أزكى صلاة ☆ على المختار والصحب الكرام

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعوا العرب شعر عبد الوهاب استنجدوا وكذلك السودان من الحبشان وقالوا أيها الأمير كيف نولى الأدبار ونحرم من الأجر والصواب من الملك الجبار فحاشا وكلا أن نختار نفوسنا عليك أو ننجل بها بين يديك فطب نفسا وقر عينا فنحن نحفظ هذا المقام ثلاثة أيام (قال الراوى) وكان السبب فى انفراد الأمير عبد الوهاب ومجيئه فى هذه الطائفة اليسيرة وذلك أنهم لما فقدوا الملك صابر خافوا عليه وركب الأمير فى ألف فارس من بنى كلاب والسودان الأنجاب وأخذ أبو محمد البطال معه وركبوا يطلبون الأثر وأوصوا الاميرة أن تلحقهم بباقى العسكر فلما جرى لهم ما قدمناه من ملتقاهم بالملك غضب المسيح أرسل الى الاميرة يستحثها على المسير والنجدة (قال الراوى) ولما كان عند الصباح أرتفع من الطائفتين الصياح وعملت الصفاح وكثرت الجراح وذهبت الارواح فبينما هم كذلك واذا قد طلعت عليهم غبرة فزاد القتام بها ظلام وأمتلأت البرية صياح وتقسطل فى الجو غيرة وزكام وأسفر الصباح عن أسنة كالنجوم الزاهرة ودروع لامعه ومواكب متواتره وعساكر

متقاطرة وروايات أسلاميـــة ووجوه محمدية وقد أمتلأت منهم تلك الأرض والبرية وهم ينادون الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحيانا بالظفر ونحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم سيد البشر (قال الراوى) ياسادة وكان السبب فى ذلك ان أبو محمد البطال ركب جواده وكربه طول النهار أجمع إلى أن وصل إلى الأميرة ذات الهمة وأعلمها بالقصة على جليتها ثم قال لها العجل العجل يا أميرة فقد بلى الأمير عبدالوهاب بما لايطاق وربما اننا لانلحقه ولا من معه سالمين فعند ذلك طار عقل الأميرة ذات الهمة على ولدها وركبت جوادها وأطلقت عنانه ولم تلو على أحد ثم تلاحقت بها الفرسان والشجعان من عصابة أهل الايمان فى أربعة آلاف عربان وأصحاب الملك صابر فى عشرين ألف عنان وساروا على أهبة منهم وفى قلوبهم النار على ملكهم وعليهم ذلة وانكسار (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما وصلت الأميرة فى تلك الجموع ورأت الكفرة وقد احتاطوا بولدها كما يحيط البياض بسواد الحدق والأمير عبد الوهاب بينهم كأنه الواله المنصاب وهو ينادى جاءكم النصر من عند الرحمن يا أهل الايمان فهذه ذات الهمة والدتى فارسة الزمان وحولها جند الملك المنان فعند ذلك قويت قلوبهم وحملوا وكذلك الأميرة ذات الهمة وصلت إلى ولدها وأفرجت عنه وعنهم بعد ماقتل جماعة من بنى كلاب والسودان الأنجاب ووصلت أرواحهم إلى الجنان وكان جريدة من قتل من الكفار أربعة آلاف فارس مغوار (قال الراوى) فلما رأى غضب المسيح من قد وصل من المسلمين تأخر إلى ورائه ورتب عسكره وأما عقبة لما سمع بالأميرة سيب على نفسه واصفر لونه وحملت الاميرة ذات الهمة فى تلك الجموع ولمعت الجواشن والدروع وحامت عقبان الحمام على أهل المنازل والربوع فما كانت إلا كحلب ناقة حتى بقت الرؤوس تتطاير مثل أوراق الاشجار وقد خرج الامير عبد الوهاب من المعمعة فى ألف فارس وهم يتمايلون من التعب سكارى من النصب وعليهم خلع الفوز والقرب من الله تعالى الذى بعث سيد العرب والعجم النبى المنتخب فعند ذلك أقبل اليه الامير أبو محمد البطال وعانقه وهناه بالسلامة فشكره على فعاله وقال له ياأبو محمد كم لك من يد علينا وكم كربة فرجتها عنا فالله تعالى يتولى حفظك فقال له أبو محمد بعد ماشكره أيها الامير لقد فعلت فعلا يتحدثون به الناس على قوارع الطرق الى قيام الساعة إذ صبرت وأنت فى ألف فارس على خمسة عشر ألف فارس مدة يوم وليلة وفيهم هذا الجبار الذى لايبالى بكثرة المواكب وهذا من أعجب العجائب فقال الأمير عبد الوهاب والله يا أبو محمد ان الذى قتل من أصحابى فى هذه النوبة قطع ظهرى وحيرنى فى أمرى وان حياة كل مسلم عندى خير من ألف من

من الروم ولكن صبرا على ماقضاه الحى القيوم (قال الراوى) ثم ان الأمير نزل فى الخيام وهو كانه سكران هو ومن معه من الاخوان وأما الأميرة ذات الهمة فانها حملت بمن معها على الروم ففرقت جمعهم ومزقت شمل الشجعان وهجمت على كل بطل وجبان وسقتهم كاس الذل والهوان وحمل معها حسان بن صفوان ومرة بن مروان وصابر بن معدان وكامل بن عمران وراشد ابن ضمرة وأبو الهزاهز وميمون الجماس ومصادم الجبال وأبو الأهوال وقراقد وولده قرقود وباغض الحياة وماجد ودمدم وكردم والمكروم وقشعم والدجروح وأبو العلم والسم والعلقم والدموك ومداد الملوك ورأس الغول وأبو الدموك ومرتاب وضراب الرقاب وملاكم الهوى والجلاد وأبو ناب وأبو العربان وزهر البان ورأس الحجار وأبو عمار وانتخبت أيضا بنى كلاب وطاب لهم الضراب ثم صاح غضب المسيح فى قومه عن صوت واحد وقد صار فى خمس وعشرين ألف فارس منهم دبور ومرقى وكادور وكركوك وجوان نقولا ودويا وكنديا سطيل وابن عمه خنور ونقولا وبطرس وجرجس وحمباش وغرغور وكركور واستليو اوكرابيج وسحاب أخو غضب المسيح وعمل البتار وطلع عليهم الغبار ودارت طاحون الحرب وقصفت الأعمار وكان غضب المسيح إذا حمل تفرج له المسلمون ميدانا فلا يعود من حملته حتى يقتل الخمسة والستة فاستغاث المسلمين من شره وقالوا والله انه فارس عظيم فالله يدفع عنا شره فعند ذلك حملت عليه الأميرة ذات الهمة وأنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات

اليكم يابنى عمى وقومى ٭ فقد حرمت بعد اليوم نومى
وكروا فى اللئام بصدق عزم ٭ وتسبيح وتقديس وصوم
ففى شهر الصيام لكم ثواب ٭ فيوم الصائمون بكل يوم

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان قتالهم هذا فى شهر رمضان وقد صبروا على عبدة الصلبان الأوثان واعتمدوا بالواحد المنان الذى لا يشغله شان عن شان الى أن صار وقت العصر وقد أبصر المسلمين مالم ينظروه قط من الروم أو من غيرهم مثل قتال غضب المسيح وأصحابه فبينما هم كذلك وإذا بغبرة قد طلعت من وراء الروم وقد أظلم الجو وعدم الضوء وتزلزلت الارض ومن عليها من كثرة الركض ثم ظهر من تحت تلك الغبرة عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس كانهم جذوع النخل وهم يرقصون على خيولهم رقص المدامه فى الأقداح وبينهم الملك هرعونا كانه المجنون وهم يلتقطون أصحاب غضب المسيح ومن ظفروا به ضربوا عنقه (قال الراوى) ياساده وكان السبب فى وصول هذا العسكر وهو انه لما بلغ عسكر الملك

زنانير بأن دقيوسا والفارغوم قتلوا عظم عليهم وكبر لديهم وكان عند الملكة زنانير ملك يقال له مرعونا وهو نازل عند الملكة زنانير فلما سمع ذلك وعلم أن الملك صعب عليها فعندها تقدم إلى الملكة زنانير وقال لها وحق المسيح والمذبح والصليب لا رجعت الا بغضب المسيح وكسر عسكر المسلمين فشكرته على ذلك وسار من وقته وساعته ونزل فى أرض واسعة على الماء وسأل عن الأخبار فقيل له ان غضب المسيح والمسلمين فى القتال فاصبروا إلى الليل واحملوا عليهم وانه عزم فى غد يحمل على غضب المسيح وعلى المسلمين أيضا ثم انهم باتوا على غاية القلق وغضب المسيح قد أخذه عليهم غاية الحنق فحضر عند ذلك الحكيم ماريتون وقال له انى أريد أن أبعث الى هذا الكلب رسول وماله الا أنت، وأهدده وأعرفه قدره ومكانه وأقول له أن يتأخر عنا وعن الماء حتى يشربوا الناس وأفرغ من المسلمين وأرجع اليك فقال عقبة أيها الملك ماهذا صواب ولا هذا رأى فقال له غضب المسيح ولم ذلك أيها الشيخ النجيح قال لأن الأمر يطول وما نبلغ مقصود وعندى رأى وهو صالح وانه لميزان راجح فقال له غضب المسيح وما هو فقال تبعث اليه أيها الملك على وجه الخديعة وتقول له اعلم أيها الصاحب ان الملوك كلهم تحت طاعتى وقدشهدوا الثقلان بشجاعتى ولا أخاف من الابطال ولا أكترث بالاقيال ولى الولاية على جميع القلاع وقد حكمت لى ملوك الارض والحكماء بأنى أملك الارض فى طولها والعرض وما جئت فى هذه النوبة إلا طاعة للملكة زنانير ورغبة فى الاجتماع بها وان أنصرها على عدوها وأرجع إلى قلعتى والآن فقد كان الغدر منك فى الاول فى قتالنا وكسر أصحابى فى غيبتى وقد مضى ما مضى ولاجل الملكة زنانير أقابل السخط بالرضى ونريد فى غد نجتمع على المسلمين ونحمل عليهم حملة واحدة حتى لايسلم منهم واحد ونظفر بأموالهم وما قد ملكوه من الحصون ونعود معكم وقد أخلينا الديار من المسلمين وتطيب قلوبنا أجمعين ونرجع إلى خدمة الملكة زنانير فليعلم مرعونا ذلك وليعتمد على قولى ومشورتى ولا يخالف نصيحتى فيعتب عليه الشيخ النجيح فلما سمع غضب المسيح ذلك من كلام عقبة غضب غضبا شديدا حتى كاد أن تخرج روحه ولاح السخط فى وجهه ولم يبق أحد من الحاضرين عنده الاوخشى من سطوته وشره ثم تقدم الحكيم ماريتون وأشار الى عقبة بالسكوت عن مثل هذا الحديث فسكت فعند ذلك قال الحكيم ماريتون أيها الملك هذا الشيخ النجيح ما يعلم ما أنت عليه من المنزلة العظيمة عند الملوك لانه غريب فى هذه الديار ولا تؤاخذه بهذا الذنب اذ هو أعلم علماء النصرانية وما قال هذا الكلام الا على وجه النصيحة والاشفاق عليك وكان ماريتون قد فزع على عقبة

من غضب المسيح لانه ما غضب قط أحد الا لطمه خسف أضلاعه (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام ما ريتون عرف صحة قوله له وسكت عن عقبة فبال عقبة فى أثوابه وملا سراويله و نشف ريقه وشخصت عينه الصحيحة وأطرق إلى الارض مليا ثم قال فى نفسه لاستر المسيح عليك فسوف ترى يا كلب الروم كيف يكون حالك مع المسلمين فما أخزاك وما أكفرك وان الملك أمر ان يكتب لمرعونا خلاف ما قاله عقبة يقول ستعلم أيها الملك اننى إذا فرغت من المسلمين وقتل أبطالهم أجمعين أريد أن أنزل بك من الويل والعذاب الاليم مايكون عاقبته الاعجاب وما أفعل بالملكة زنانير إذا وصلت إلى ديارها وأقبلت إلى حسنها وأما أنت فأحقر عندى من نملة وأخس من قملة وأصغر من برغوث وأنحس من ديوث ومالك عندى جواب إلا ان ترحل غد عن الماء أنت وقومك حتى أفرغ من المسلمين واقيال الموحدين وأعود اليك وأريك وبال أمرك وما فعلت بأصحابى وأسقيك كاس عذابى (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم بعث الكتاب مع بطريق من البطارقة فسار به البطريق إلى آن دخل إلى مرعونا ليلا ثم أعطاه الكتاب فأخذه مرعونا وقرأه فلما فهم مافيه تغير لونه واضطرب كونه واحمرت عيناه وكاد السخط أن يقتله وقال لرسول غضب المسيح ياويلك قول لمولاك ستعلم عاقبة كلامك وما قلته من شقشقة لسانك وما فعلته من هجومك على ديارنا وأما أنت تنهانى وتأمرنى بالطاعة لغيرك وتغيرنى على ذلك فهى ملكة الدنيا زنانير وأما قتال المسلمين فهيهات أن يلقاهم غيرى فانى أغنمهم وأفوز بالمال الذى معهم ويكون لى اليد البيضاء عند الملكة زنانير وان أنت أبيت ذلك فدونك والقتال فى غد ومن نصر منا قاتل المسلمين (قال الراوى) ياسادة فلما وصل الرسول إلى غضب المسيح وسمع ما قاله مرعونا كفر ونخر وغضب غضبا شديدا وداخله من مرعونا ما أثار عليه جنونه وقال بل يكون غد قتالنا مع أصحاب الملكة زنانير ثم أنفذ إلى الأمير عبد الوهاب يقول انعزلوا عنا فى غد فانه وقع بيننا وبين هؤلاء الواصلون وهم يريدون قتالى وأنا أريد قتالهم وكل من نصره المسيح يكون له حديث عجيب (قال الراوى) فلما وصل الرسول الى الأمير عبد الوهاب وسمع انه قد وقع بينهم الخلف فحمد الله تعالى على ذلك وقال هذه نوبة جيدة وهذا كله من تدبير البارى جلت قدرته فلا أبقى الله لهم باقية وفرح المسلمون بذلك لأنهم عاينوا من غضب المسيح ماهالهم وإذهلهم ولما وصل عسكر الملكة زنانير قالوا انهم يجتمعوا هم وغضب المسيح عليهم فلم يوفق الله تعالى بينهم فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الأمم من عباد المسيح وزحف مرعونا وتقدم وكذلك غضب المسيح صاح فى قومه وحمل ووقع

بينهم القتال واشتعل وتعلق كل إنسان بخصمه واشتغل ودارت راحات الحرب كما يدور المرجل وقتل منهم خلق كثير وقد فتك فيهم مرعونا ونكل وقد عزم عسكر غضب المسيح وعلى الحرب عول وأقبل الليل بديجوره وانسدل ورجعت كل طائفة إلى مكانها واعتمدت على عبادة صلبانها ثم قال غضب المسيح فى نفسه ما القتال كل يوم بصواب ولكن أخرج إليه بعض أصحابى فلعل أن يقتله فاذا قتل بلغنا ما نريد من القوم ولا يضيع غدا كما ضاع اليوم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من غضب المسيح (وأما ما كان) من مرعونا فانه أقبل على المقدم الذى بعسكر غضب المسيح وكان قد أسره وهو فى القيود فسأل عنه فقالوا له هذا أشد من غضب المسيح وكان قد قطع على نفسه مائة ألف دينار ومائة حصان وغير ذلك فقال مرعونا لما سمع هذا القول الأمر للملكة زنانير تحكم فيه بما تريد ثم أنه أحضره وأحضر جماعة من أصحابه من البطارقة الخواص وسلم اليهم ماغنموا من الأموال وسلم اليهم أيضا الملك صابر وكان معهم أخذوه وأمرهم بالاحتفاظ بهم وبمن معه وقد أكد بحفظ الملك صابر الليل والنهار حتى يوصلوه إلى الملكة زنانير فبينما هم كذلك قد عولوا على الرحيل وإذا ببطريق كبير اللحية كثير الهيبة قد تقدم اليه وسلم عليه وقال له أيها السيد الكبير هذا وحق المسيح هو الرأى الجيد لأن هذا أسلم وترك دين النصرانية وسلم الحصن إلى المسلمين فقال له مرعونا صدقت أيها البطريق فقال له بحق المسيح والدين الصحيح مكنى منه حتى أفعل به ما أريد فى هذه الليلة بين يديك دون القتل فقال له مرعونا أيها البطريق مالى إلى هذا من سبيل فان قتله ماهو لى فقال له البطريق يامولاى وأنا أريد أن أعذبه بعذاب ما يموت منه وأتقرب الى المسيح بذلك وتكون قد شاركتنى فى الثواب فعند ذلك قال له مرعونا اعلم ياهذا اننى قد غولت ان أرسلة مع البطارقة الى الملكة زنانير فسر معهم فى هذه الليلة وعذبه بما شئت من العذاب فعند ذلك باس البساط وقبل الأرض وخدم لمرعونا وإذا ببطريق آخر قد تقدم وقال له أيها السيد الكبير وأنا أريدان أشترك معه فى عذابه ويكون لك على ألف دينار فى ذمتى (قال الراوى) ياسادة ولما سمع مرعونا بألف رغب فى المال وقال تسلموه أنتم الإثنين واجعلوا منه بالكم فقال البطريق الأول وعندى أيها الملك حصان خاص شديد الحيل قوى اليدين مدور الكفل ديال الذنب فى جريه يسبق العواصف وصهيله كالرعد القاصف أحلى فى العين من الف دينار وأشرف من الحصون والقلاع راكبه فى أمان إذا أخذا فى الجريان فان رأى السيد الكبير أن يشرفنى بالرسالة إلى الملكة زنانير فهذا هو المأمول وأقود له هذا الحصان خدمة منى اليه (قال الراوى)

وكان هذا الملعون أعشق الناس فى الخيل فعند ذلك رغب فى المال والحصان وأقبل على الإثنين وقال لهما اعلما أن هذا الملك صابر ماهو هين حتى أفرط فيه وأسلمه إلى واحد منكم ولكن أنا أقبل الحصان منك ومن البطريق الآخر الالف دينار وأسلمه اليكما على شرط أسير معكما حاجبى بولص بن يوحنا ومعه عشرة من البطارقة يكونوا معكما ليوصلون المال والاسارى الى الملكة زنانير فقال له البطريق الاول يا مولاى قد رضينا بذلك فقال الآخر ماأرضى أنا بهذا ان أدفع الف دينار ويكون معى شريك فى الثواب من أجل عذاب هذا المسلم الذى غضب المسيح عليه فقال له مرعونا الآن قد أشهدت على نفسك بالمال وأناما آخذه منك لى وإنما هو للملكة زنانير فتحتاج أن تقوم بما قات فلم يجسر البطريق أن يخالفه ثم حملا اليه ماضمنوه وأخذوا الملك صابر معهم وكل واحد منهم يهدده بالضرب والعقوبة وهو يقول الحمد لله صبرا على قضائه وحكمه إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فقال بطريق منهم أيها الملك أنا أريد أضاعف عليك العذاب حتى يزيد لك ربك فى الثواب فقال له الملك صابر اعلم أيها البطريق أنى إذا ضربتنى أموت لأنى ما بقى جسد يقوى على الضرب فقال لهم حاجب مرعونا وقد رحمه ياقوم لاتضربوه فيموت ويفوت الملكة زنانير الأموال وأقل ما تأخذ فى فداه ألف ألف دينار وهو بأرواحكم فقالوا له أيها الحاجب نحن ندرى كيف نعمل به ثم تموا سائرين ومعهم الأموال والرجال العشرة من البطارقة إلى أن أظلم عليهم الظلام وطاب وقت المنام فنزلوا عند جب عظيم فيه ماء بارد فأراحوا عنده واستراحوا وكان مع الحاجب الذى بعثه مرعونا شىء من الخمر فاجتمعوا اليـــه العشرة وجعلوا يشربون إلى أن تهور الليل فسكروا وأنطرحوا إلى الأرض جميعهم (قال الراوى) وأن البطريق الذى وزن المال قام قائما وأيقظ صاحبه الذى أعطى الحصان وقال له ما بقى نوم فقم بنا إلى عذاب الملك صابر فان قلوبنا عليه حنقة ونال بذلك الثواب فقام الآخر كأنه الطود العظيم وأخذوا معهما سوطان لو ضربا بهمـــا جملا لبرطع الى اليمن ثم دخل الأثنين إلى الخيمة التى فيها الملك صابر فوجدوه وهو يقرأ القرآن ويدعو الله تعالى ويسبحه ويقدسه ثم قال يامن لاتخفى عليه خافية ياخفى اللطف يا لطيف الصنع ياحسن التجاوز يامن هو واسع المغفرة يا باعث الموتى من القبور يامنقذ الغرقا أنت الله الذى لا اله الا أنت وحدك لاشريك لك ثم أنشد يقول

ألا فى سبيل الله مافات من عمرى ٭ ولم أيادر أمى تقضت ولم أدرى
ولابد من موت فصبر على القضا ٭ ولابد من بعث ولابد من حشرى
وأنا لنبلى ساعة بعد ساعة ٭ على قدر الله مختلف يجرى

وما هى الا رقدة غير أنها ٭ تطول على من كان فيها الى الحشرة
ونصبوا الى الدنيا لنشرب صفوها ٭ بغير قنوع من غدآها ولم ندر
وكل من الأيام فيها مغرر ٭ كما غرر الغواص فى لجج البحر
عجبت لنفسى كيف تدعا الى اللقاء ٭ ويحملنى منه المركب الوعر
أرى الحتف مكروها وانى لذائق ٭ بجرعنى حتفى وأحنى على ظهرى
يكن الفتى على نفسه متحرزا ٭ فيأتيه أمر الله من حيث لا يدرى
وكنت أسيرا فى يد الكفر أولا ٭ فأسلمت لله العظيم من الكفر
وصرت له عبدا قبولا وطائعا ٭ وأحكم أسرى كى يضاعف لى أجرى
وهددنى البطريق بالضرب والبلا ٭ وما الضرب عندى ما تضيق به صدرى
ألا انما الضرب العظيم انقطاعنا ٭ عن الله فى يوم القيامة والحشر
اذا كان راض عنى خالق الورى ٭ فانى صبور للعقوبة والضر
تمسك بمن لا يبرح المجد عنده ٭ ودع كلما تحتاج فيه الى العذر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أن فرغ الملك صابر من أنشاده جعل يسبح الله تعالى ويقدسه فبينما هو كذلك اذ سمع حس البطريقان وقد دخلا عليه فأيقن بالعطب والضرب العنيف وقال بسم الله توكلت على الله فدخل اليه الأول وفى يده شمعة توقد وفى الآخرى مجلد وقال له يا مسلم ستعلم ما يكون من حالك غدا عند المسيح اذ هو عذبك بالنار اذ تركت دينك ودين آبائك الأولون فقال له يا ويلك لو لم ينكشف لى عن الحق ما تركت دين آبائى وأجدادى ولكن تركت دينهم لما رأيت من قدرة الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وعلمت أنه الحق كما قال الشاعر

واعجبا كيف يعصى الاله ٭ أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية ٭ تدل على أنه الواحد

(قال) فلما دخل البطريق على الملك صابر وقال له انى سمعتك فى تسبيحك تذكر محمد فقال له ويحك وانى راض بالله وبمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وبأهل بيته الطاهرين وأنى بهم أتوسل وأشرب غدا من نهر الكوثر شربة لا يكون بعدها ظمأ فاياك أن تقصر عن ضربى فان الضرب مصنوع والعذاب مدفوع وأما الحق فهو الحى القيوم ويجمع الخلق الى يوم لا ريب فيه اليه كل الخلق مجموع (قال الراوى) ياسادة يا كرام وأن البطريق قال للملك صابر يا هذا لا يقدر ربك يكفنى عنك حتى لا أضربك

ولا أعاقبك فقال له نعم فقال البطريق فمن أين لك هذا قال من كتاب الله تعالى قوله تعالى قل رب السموات والأرض قل الله أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل يستوى الظلمات والنور والآية (قال الراوى) فلما سمع البطريق كلامه ترك الجلد من يده ودخل اليه يقبل رأسه وبين عينيه وقال له صدقت أيها الملك الصابر أنت كاسمك وانما سألتك عن هذا كله حتى أستخبرك فى دين الله الملك العلام فالحمد لله الذى هدى مثلك إلى دين الإسلام على يد مثلى فقال له ومن أنت يا أخى الذى قد من الله علىّ بك فى هذه الساعة فعند ذلك كشف له البطريق عن وجهه وقال أنا أخيك أبو محمد البطال فعند ذلك تحير الملك صابر وقال سبحان الذى خلقك فى أى صورة ما شاء ركبك ومن هذا الذى معك يا أخى قال أبو محمد أيها البطريق اكشف عن وجهك حتى يعرفك الملك فلما كشف عن وجهه عرفه الملك صابر وإذا به بديع غلام أبو محمد البطال فقال لا إله إلا الله لقد خلقكما الله فى أحسن صورة ولكن ما يدرى الإنسان أى صورة يعرفكما بها فقال أبو محمد طب نفسا وقر عينا وابشر بالخلاص فقال له الملك صابر وكيف نخلص ومعنا عشرة موكلين بنا وهؤلاء الأربعة النيام على باب الخيمة فقال له أبو محمد البطال كأنك بى وقد فرغت من الأربعة ثم نادى أبو محمد يا بديع إسحب برجل واحد واحد إلينا فقال له الملك صابر يا أبو محمد ينتبهوا أصحابه إذا انتبه فقال أبو محمد لقد ناموا نومة لا يقوموا منها إلى يوم القيامة ثم سحبوا رجل بطريق واحد من الأربعة وإذا به بلا رأس فقال الملك محمد يا أبو محمد فايش صاب رأس هذا البطريق فقال له أبو محمد أيها الملك طارت فى الهوى ثم سحبوا رجل آخر وإذا به مثله كالخشبة بلا رأس وكذلك بقية الأربعة (قال الراوى) وأن الأمير أبو محمد وغلامه بديع خلصوا الملك صابر مما هو فيه وقاموا إلى العشرة فذبحوهم عن بكرة أبيهم واحتووا على الغنيمة والاسلاب وطلب الأمير أبو محمد بهم صوب الأمير عبد الوهاب من طريق غير الطريق التى أتوا منها وكان يعرفها الملك صابر المعروفة الجيدة فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من مرعونا وعصب المسيح فانهما لما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا الجرد القداح وطلبوا الكفاح وحمل بعضهم على بعض ولم يزالوا فى القتال العظيم إلى وقت العصر فانكسرت عساكر عصب المسيح وطحنتهم العساكر طحن الحصيد وألقوهم على الصعيد وأما الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فانهم فرحوا بكسر عسكر عصب المسيح وقالوا هذه فئة كفانا الله شرها وأما مندويل فانه غنم من عسكر عصب المسيح غنيمة عظيمة ثم بأوا فرحين مستبشرين فلما كان وقت الصباح أمر مندويل لعسكره الركوب

لقتال عسكر المسلمين هذا وقد نادى الأمير عبد الوهاب فى عسكره بالركوب فركبت الأميرة ذات الهمة والأمير ظالم وأبو الهزاهز وجميع العساكر وكانوا قد أراحوا واستراحوا فى هذين اليومين وقد وجدوا الراحة فى نفوسهم واستراحت خيولهم ثم ان الاميرة ذات الهمة قالت للامير عبد الوهاب يا بنى اعلم أن العساكر بمقدمها وما لنا لا نطلب هذا الملعون مندويل فان قتلناه ملكنا هذا العسكر وانكسر بعد قتله ولا يقام له قائمة فقال لها الأمير عبد الوهاب والله يا أماه فقد أردت أن أقول لكى هذا فقالت يا بنى أناله وسوف ترى ما تصنع به هذه العجوز وترى منى ومنه العجب فقال لها الأمير عبد الوهاب الله تعالى ينصرك عليه وعلى أعداء الله قال فبينما الأميرة مع ولدها فى هذا الكلام وإذا بالملعون مندويل برز إلى وسط الميدان وهو على جواد أشهب ديال الذنب مليح الشب وطيء الركب يسوى قنطار من الذهب ولما صار بين الصفين نادى برفيع من صوته من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا مندويل مقدم عسكر الملكة زنانير فلا يبرز لى إلا أميركم وأمه (قال الراوى) يا سادة ياكرام فما استتم كلامه وما أبداه حتى خرجت اليه الأميرة ذات الهمة وقد ساوته فى الميدان فحمل الكلب عليها حملة منكرة وصوب اليها القنطارية فلما نظرت الأميرة إلى قنطاريته واصلة اليها وطالبا صدرها فانقلبت عن سرجها أسرع من البرق الخاطف وصارت حزام للفرس فلما جاوزها السنان عادت إلى سرجها وطلبت خصيمها أشد الطلب فألوى خصمها عنانه وأراد الهرب من بين يديها فأدركته بطعنة بين كتفيه اطلعت السنان من بين ثدييه فلما نظرت الروم إلى مقدمها قد قتل حملوا على المسلمين بقلوب حنقة فتلقتهم الإسلام بقلوب أقوى من الصخر وقاتلوهم قتالا عظيما فما كانت إلا ساعة حتى ولوا الأدبار وطلبوا الفرار وقتلوا منهم المسلمين فى تلك الساعة عشرة آلاف فارس وملكوا المسلمين خيامهم وأثقالهم وبلغت الكسرة إلى الملكة زنانير ورحلوا المسلمين طالبين حصنها فجرى عليها من قتل مقدمها وقتل عسكرها أمر عظيم حتى كادت أن تذهب روحها وكان عندها الحكيم أقليدس فلما نظر ما قد حل بها قال أيتها الملكة أنا أشير عليكى برأى صائب وهو أنكى تكتبى الساعة إلى الملك عزبيل بالمدينة الكبرى وتعرفيه بما جرى عليكى وعلى عسكرك من المسلمين وتهدى له الثياب الذى أتتكى من بلاد الإسلام لأنها مطلوبة عندهم وتبعثى له من الأموال ما تملى عينه فانه ما يقعد عنكى وربما أنه يطمع فى زواجك فيحامى عنكى بنفسه أو يبعث لكى ولده مريخنا فى أحسن تجميل وأكمل هيبة حتى تنالين من عدوك ماتريدين وهذا أوفى ما عندى من الرأى فلما سمعت الملكة زنانير ذلك من الحكيم

أقليدس قالت وحق المسيح لقد أشرت ياأبونا بالصواب الأمر الذى لايعاب فلاأخلانى المسيح منك ولامن مشورتك الصائبة ثم انها كتبت الكتب من وقتها وساعتها على ماذكرنا من مشورة الحكيم أقليدس الذى أسلم على يد لؤلؤ وهو يكتم إيمانه ثم انها أخرجت الأموال والثياب والتحف والهدايا ما يعجز عنه الوصف فتحير لؤلؤ مما رأى وقال فى نفسه لقد أوتيت هذه الملكة ملكا عظيما فكأنها بلقيس زمانها وحواء فى أوانها أوسارة وقدرتها أوزليخة وخلوتها فهى بديعة الجمال تامة الكمال حوراء العيون كأنها القمر إذا اكتمل وظهر ثم أن الملكة زنانير بعثت جميع ماذكرناه إلى قلعة قوشارة والمدينة الكبرى ثم أوصت الحجاب بما يفعلون فعند ذلك أجابوا بالسمع والطاعة وانهم ساروا وهى على مقالى النار الليل والنهار ولا تأكل ولاتشرب هذا ولؤلؤ ليله مكروب ونهاره معتوب ولسان حاله ينشد ويقول

وكان فؤادى خاليا نحو حبكم ۞ وكاق بذكر الحق يلهو ويمدح
فلما دعى قلبى هواكى أحبه ۞ فلست أراه عن ودادك يبرح
رميت ببين منكى ان كنت كاذبا ۞ وان كنت فى الدنيا بغيرك أفرح
فان شئت واصلتى وان شئت لاتصل ۞ فلست أرى قلبى بغيرك يفرح

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الملكة زنانير قالت للؤلؤ الزم من اليوم المجلس الفلانى ولا تخرج منه فما بقى لى لذة ولا شراب ولا خلوة ولا عتاب فقد جاءنى مالم يكن فى الحساب وقد هلك أكثر أبطالى والأصحاب وقد قتلهم الأمير عبد الوهاب والى الآن وأنا مشغولة معك فى تصفيف القنانى والأقداح واختلاس المطيبة فى الغناء والاصطباح وهذا مما يغضب على السيدة مريم والمسيح المكرم والقس والبترك المحترم فلا كانت شهوة بزوال مملكة والوقوع فى المهلكة فقال لها لؤلؤ أيتها الملكة المحترمة صدقتى فيما قلتى ووفقتى فيما نطقتى ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب والآن قد اتضح لكى الأمر فتهيئ الآن ودعى عنكى غفلة الزمان وأما خادمك لؤلؤ فهو عبد نعمتك وانما أنا أدخر نفسى ليوم شدة أو طمع فى نجدة فاننى أبذل المجهود وأنصح فى الحاجة وأجتهد فى المطلوب وقد لاقيتى منى بعض ذلك فى نوبة كنتى أسيرة عند الأميرة ذات الهمة فى القيود والأغلال نخاطرت فيكى بروحى الى أن كنت سبب الخلاص من تلك الأقفاص فانى أخى روحى إلى مثل ذلك وانى أغار عليكى من نفسى ومن الهوى اذا هب فكيف لا أغار من أبناء جنسى ثم بكى بكاء شديد وقال

معشر الأصحاب قولوا ۞ هل لكم ناصح كلؤلؤ

انى من حفظ ودى ٭ لم أرى يوما أحول
لم أغير لو تغيرت ٭ المعالم والطلول
قد ملكت العقل منى ٭ هل الى الوصل سبيل

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعت زنانير كلامه وشعره ونظامه رق قلبها عليه وحنت اليه وقالت فى نفسها وحق المسيح إنه صادق فى جميع ماذكره ثم أقبلت عليه بتبسم حلو عذب وريق أحلا من الجلب والشهد ووجه كالمصباح وخد كاحمرار التفاح وقد كأنه القضيب ولفظ أحلا من الاجتماع بوصل الحبيب وقالت له ياحبيبى وثمرة فؤادى قد فهمت ماأشرت اليه وعلمت صحة الذى عولت عليه وأنت عندنا محترم وعلى حجابنا مقدم وكل يوم تنال منا أذية وطرد وبلية وبعد هذا اليوم مابقينا نواجهك بعتب ولا لوم فعندذلك قام اؤلؤ على قدميه وأشار الى الأرض لأنما لاكرامها له فأمرته بالجلوس والاكرام ورجعت إلى قصرها وأخذت أهبتها فهذا جرى ههنا (وأماما كان) من أصحابها وحجابها فانهم وصلوا الى قلعة الملك عازبيل ودخلوا عليه بعد الاستئذان من الغلمان وأخبروه بأن قد وصل اليهم الرسل فأذن لهم بالدخول عليه فلما مثلوا بين يديه خدموا وسلموا وللأرض قبلوا ثم ناولوه كتاب الملكة زنانير وأحضروا تلك الهدايا والخلع السنية ثم انه قرأ الكتاب وفهم مافيه من الخطاب فأمر عساكره بالخروج الى ظاهر البلد ويأخذوا الأهبة للسفر ويستعدوا للقاء (قال الراوى) ياسادة وكان الحكيم أقليدس قد قدمته على الحجاب فأقاموا فى الضيافة ثلاثة أيام ودخلوا طالبين قلعة الملكة زنانير وهم فى مائة وأربعين ألف عنان وولده مريحنا فى عشرة آلاف من أصدقائه وبنى عمه واخوانه وقرائبه وهو بينهم كانه القمر فى ليلة أربعة عشر وهذا الغلام له وصف وكلام ولابد أن نسوقه فى مكان بعون الله سبحانه وتعالى لانه كان أحسن من كل من ولدته النساء فكانه يوسف زمانه أو أحد الولدان وقد غفل عنه رضوان وخرج من الجنان وسنذكر صفاته فى موضع الحاجة اليه (قال الراوى) وان الاخبار وصلت الى الملكة زنانير بوصول الملك عزبيل فى مائة الف واربعين ألف وولده مريحنا فى عشره آلاف من بنى عمه واخوانه وأصدقاءه فأمرت بإخراج الخيام والسرادقات وان ينصبوهم فى الميدان الاخضر وأحضرت لهم من التحف والاوانى والاقداح والصوانى ماملات به الأرض ثم انها نحرت النحائر من البقر والغنم والخنازير والدجاج والطيور وما تقصر عنه السطور ولقيتهم من مسافة أربعه أميال وهى تزهو بذلك الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال والبطارقة والعمالقة عن يمينها وشمالها وعليها بدنة

من الجوهر وعصابية من الدر وقد أزهى جبينها وأبدر وهى تتمايل بين الكواعب تتماجب وترشق القلوب بكل سهم صائب وترمى المهج من أصحابها بالحاظها بالعذاب الواصب قال فلما وقفت الوين ورآها الملك عزبيل أراد لزوم هيبته واحترام مملكته على انها تبديه بالسلام وتسعى اليه سعى الاحترام فلم تعبأ به بل صاحت عليه البطارقة والحجاب والقساقسة والرهبان والبترك ونادوا ياملك الأرض ، الأرض بين يدين السيدة فى الدنيا وسيف المسيح المحترم صاحبة الدولاب الاكبر والفلك الأصغر فابدأها بالسلام والتحية والإكرام واخدمها فانك على العدو مساعدها (قال الراوى) يا ساده ياكرام ونظر الملك عزبيل الى حسنها وجمالها فلم يبق له قلب إلا خفق فترجل من الخوف والفزع وفؤاده قد خفق فنادت الملكة زنانير بلسان طلق أيها الملك قد أعفيناك من تقبيل الركاب وأبحناك لثم هذا الثغر ورشف الرضاب ليرفع المسيح عنى وعنك العذاب وسقيناك كاس الوصل والاقتراب وكان الملك قد اندهش مما رأى وارتعش فأشار اليها بوجهه فطاطت رأسها كانها الشمس عند الغروب فقبلها قبلة فى وسط فمها ولم يرى شيئا أحلا منها لاقبلها ولا بعدها ولا أعبق نكهة من بشر عرفها ثم قبل بعد ذلك عينها ونحرها فرأى ملمسا أنعم من ريش النعام ثم رجع وهو يقول وحق المسيح ماتسوى عندى منزلتى ولا مملكتى ماأنعمت به على الملكة زنانير من لذيذ قبلتى ثم أقبل من بعده ولده مريحنا بقد

أهيف وخصر نحيل كالمرهف وردف لتخصير الخفر قد أضعف

ووجه للبدر قد أكسف وخد كانه الوصف اذا وصف بحسن وافر وجبين ظاهر وخد كالورد الاحمر وشرب أخضر كما بدر وثغر كانه حق عقيق فلا يرى له طول يشينه ولا قصر يعيبه (قال الراوى) وعنق كعنق أبريق ووجه كانه البدر على التحقيق وعليه مزده أطلس وتحته قباء أخضر مغشى بجوهر وعلى رأسه تاج من الذهب الاحمر قد رصع بالجوهر وهو مرشح بغلالة لؤلؤ وقلادة فى حلقه من العنبر فى شريط من الذهب وفيها صلبان صغار وكبار من قطع العنبر والفيروزج والزمرد الاخضر مايحير منه النظر وفى يده مروحة وهى محبوكة باللؤلؤ الصغار وفى وسطها فتات المسك الازفر وقطع الندمع العنبر وشعره من وراءه كانه غربيد وقد استدار على كفل الفرس وقد طاطا رأسه من الخجل وكل من رآه قلبه به قد اشتغل وقد تبادروا القسوس الى هذا الشخص واحتاطو فى خدمته واشتغلوا بجماله عن مساءلته ولم يأمروه بالنزول عن بغلته وأقبلوا على الملكه زنانير وقالوا لها وحق المسيح أيتها الملكة مايصلح هذا الجمال الا لهذا الجمال لتنضاف الشمس الى القمر وينال كل منكما من صاحبه أشرف النظر فعند

ذلك غضبت الملكة زنانير من ذلك الكلام وقد علاها الخجل من الاحتشام وتكلل جبينها من العرق فكانه لؤلؤ نظام وقد انتشر وقالت لهم اخسؤا ياتيوس الغنم ويا ثيران البقر اقصروا عن هذه المقالة والخطاب فلا خفف المسيح عنكم العذاب (قال الراوى) وكان الحكيم أقليدس الى جانبها فصاح بلسان جرى وقلب قوى اليكم عن حضرة الملكة زنانير يا كلاب النصرانية ويا أخس من غمس فى ماء المعمودية لقد نطقتم بأقبح كلام وأشرتم بمشورة اللئام ورمتم أضعف مرام ومن أين للملكة زنانير كفوا أو يشرب معها صفوا وهي خادمة المسيح وصاحبة الفعل الملبح والعقل الرجيح ولقد أغضبتم المسيح والسيدة مريم وانكم أخس من تكلم وسوف يرى كل منكم قوله ويعلم (قال الراوى) وان الملكة زنانير عادت الى حصنها من ساعتها ومعها سائر عسكرها وكل واحد منهم قد خسر من هيبتها فلما حصلت فى قلعتها أمرت بضرب رقاب القسوس والرهبان الذين تكلموا بهذا الكلام هذا والحكيم أقليدس يحرضها على ذلك لحسن إيمانه وقوة إيقانه ثم أقبل عليها وقال أيتها الملكة هذا عسكر عظيم وبه تنالى ما تشتهين من عسكر المسلمين وهلاك غضب المسيح وتتركى هذا الملك عزيل على مقدمة الرجال وتطمعيه بعد ما يكسر العسكر من الاعداء بالوصل وقد قاتل بين يديك قتال الاول وحامى عنك محاماة الكريم عن الحريم ومنيه بعد ذلك بحتى وعسى ولعل ومتى وأما الولد الذى له فهو أخس من أن يذكر ولا هو كما قالوا القسوس فانكى أيتها الملكة أعظم شأن أن تخطبين وأرفع منزلة أن تتزوجين وهذا صبى وقد تحدثوا فى مبدأ الأمر بجهالته وقلة ديانته وفساد نيته والمقصود من قولهم هذا الكلام رغبة فى التمتع بالنظر الى هذا الغلام فانهم لم يعتقدون فيما يقولون ولا يعلمون فيما يعملون فعند ذلك قالت الملكة زنانير يا أبونا وحق المسيح أنك الصادق فى قولك واننى معتمدة على ما به شرت واعلم يا أبونا ان المرأة ضلع أعوج وأنها إلى البعل أحوج وأما أنا فلست كالنساء ولما قد أعطيت من الجمال البارع والكرم الشائع والأمر النافذ القاطع والنصر على الأعداء والخصوم والقهر لأبطال المسلمين والروم ومع ذلك فلا هذا الحصن المنيع والمال الوسيع الكثير وكل ملك من ملوك البحيرة لى مطيع وأما أنا ممن يرغب فى بعل أبداً ولا يركبنى فحل سرمدا لأنى مولعة بربات الحجال مستكفية بهن عن الرجال ومفتونة بالكواعب الاتراب ومشغوفة بدلالهن والإعجاب بهن فلا يأخذنى بهن خجلا ولا يعاب على إذا خلوت بملاح النساء من بنات الملوك والأمراء وأما لؤلؤ فانه يشرف نفسه ويحفظ دينه وصدقه فى صحبتنا ورغبته فى قربنا وعونه لنا على أعدائنا أوجب الاجتماع له فى ليل السرور ولا رغبة فى الذكور ولا يشغلنى

فى ذلك بلوغ وصل إلا لما أعرف من لؤلؤ ومن أخلاقه الطيبة ورغائب أخياره مع أحاديثه وما يسمعنى من أحاديث الملوك وما يتم للمسلمين من الغزوات فى الروم وبغرائب مولاه أبو محمد البطال عيار المسلمين والثانى لصدق محبته لنا وما جزاء من يحب إلا بحب فعند ذلك قال لها الحكيم أقليدس يطيل عمرك ويرفع قدرك فما أشرف هذه المهمة وأسعد هذه القامة إذ أنتى فريدة فى زمانك ولكن الطول على أقرانك والمسلمين يقولون حسن الوفاء من الإيمان وان شفقتى على لؤلؤ فهو من كرم نصرك وطيب أخلاقك (قال الراوى) وان الحكيم أقليدس قد ثبتت عنده محبة لؤلؤ للملكة زنانير لما وصلت إلى قلعتها أمرت حجابها أن ينزلوا الملك عزبيل وأصحابه فى الميدان الأخضر فى الخيام التى أعدتها لهم ويأخذون له الأهبة فى الإقامة والضيافة ثلاثة أيام وانها أحضرت جماعة القسوس الذين تحدثوا فيها لخلقت لحاهم وصفعتهم الصفع المؤلم وقالت وحق المسيح لولا حرمة الدين لما كنت أبقى على أحد منكم ثم سأل بهم الحكيم أقليدس بعد ذلك فوهبتهم له فعند ذلك أطلق سراحهم وأخرجهم من القلعة فمضوا بأجمعهم إلى عسكر الملك عزبيل فلما أبصرهم الملك شق عليه ذلك وقال لهم ويحكم من فعل بكم هذه الفعال وأنتم علماء النصرانية وقسوس أهل ماء المعمودية فقالوا أيها الملك فعل بنا هذه الفعال الكافرة الفاجرة المارقة من دين المسيح التى قد اتخذت لها من المسلمين خادما وجعلته لها منادما فقال لهم الملك ولم فعلت بكم هذه الفعال قالوا له حيث أشرنا عليها بالصواب وكنا لها من الخطاب لولدك مرجنا ورغبة فيك ليصير الملك كله اليك لأن هذه امرأة ولها هذا الملك العظيم والحصن الرفيع والدولاب المنيع وباب السلسلة وانها إن صارت لولدك صار الملك إليك وهل هى إلا امرأة ومن شأنها الحجاب وأيضا لها الحذر وغلق الباب وهذا غاية ما عندنا من الخطاب والآن قد مثلت بنا كما ترى وجعلتنا مثلا بين الورى فقال لهم الملك انى ظننت أنها أخذتكم بغير هذا الذنب وأما ما أشرتم عليها فانى مساعدها عليكم ولا جواب لكم عندى إلا الضرب والاخراق (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الملك أمر البطارقة أن يصفعوهم فصفعوهم حتى أخرجوهم من عنده أقبح خروج وكان السبب فى ذلك ان الملك كان قد عشق الملكة زنانير من قبل رؤيتها فلما رأى ما أعطاها الله تعالى من الحسن والجمال هام قلبه بها وقد قال الشاعر :

يا من كلفت به عشقا ولم أره ۞ والعشق للقلب ليس العشق للبصر
سمعت أوصافها الحسنى شغفت بها ۞ فكيف إن نلت ما أرجو من النظر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ولاسيما فى ساعة تقبيل ثغرها ثبتت محبتها فى قلبه وصدره

ولما سموها القسوس لولده مريحنا أخذته الغيرة أن يسمى عليها غيره من غرامه بها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملكة زنانير فانها أخرجت معلوفات والاقامات الى الملك عزبيل وعسكره حتى فضل عنهم هكذا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أمرت بدخول الملك وولده اليها ولما جاءهم الرسول فرحوا بذلك ثم انهم لبسوا أفخر ملبوسهم ودخلوا عليها فلما حضروا بين يديها زادت فى إكرامهم ثم أمرت الملك الكبير بخلعة فاخرة تصلح له ولمثله (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان الملك لما نظر اليها التهب قلبه بالنار ثم أمرت لولده مريحنا بخلعة من خلع أبوها الملك صلبوتا وكلها محبوكة باللؤلؤ الكبار والصغار والجوهر الذى يأخذ بالأبصار تساوى تلك الخلعة خراج الأمصار وتاج من الذهب وعصا من الجوهر وهو كأنه القمر فلما نظر الى الملكة زنانير تولى عليه الخجل وأطرق برأسه إلى الأرض من الهيبة والوجل وعرق جبينه وتكلل وانكسر شعره على خده وانسدل وتقوس حاجبه الازج واعتدل وصار كل من نظر اليه ابتهل وقد سارقته الملكة زنانير بأحد المقل فرأت ما أوجب لها النظر فعند ذلك أشارت بتفاحة من العنبر مصنوعة بالمسك الازفر مخوصة بزهر أحمر فأخذها الغلام بكف كأنه الخمر واللبن ومعصم كأنه قد خرط من الكافور أو صبغ من البلور كما قيل فيه

ولو أنه فى عصر يوسف قطعت ٭ قلوب رجال لا أكف نساء

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما رأت زنانير ما عنده من الجمال وما هو عليه من الكمال قالت وحق المسيح ان هذا الرومى مليح ثم جعلت تسارقه بالنظر وقد حار منها البصر وولى صبرها وانقهر ثم مدت يدها الى وجهه وحنكه ورفعته اليها بيدها وهو مطرق لا يلتفت اليها ثم قالت له ما اسمك ياغلام فعند ذلك كلمها بأعذب كلام وقال لها اسمى مريحنا ثم أشارت إلى يدها فقبلها وصلب على وجهه فقبلته فى وسط فمه ولزمته الى صدرها ساعة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما نظر الملك عزبيل إلى مافعلت بولده قامت عليه القيامة وزمجر وزفر وشخر ونخر وطغى وتجبر ونظر إلى ولده نظرة كاد أن يقلعه من الأرض فعند ذلك قام مريحنا على قدميه والورد الأحمر يقطف من وجنتيه وقد أعطى كل ملاحه فى الدنيا فهو غاية من تمنى كما قيل فيه

ياقوم لا تأخذوا بثارى ٭ فقاتلى جنتى ونارى
ظبى سالف وخد ٭ بحمرة فوق جلنار

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان لؤلؤ فى تلك الساعة واقف على رأس الملكة زنانير وقد تقطعت مفاصله بسكاكين الغيرة وكاد ان يموت تأسفا ويقضى تلهفا

وأيقن ان الملكة زنانير قد آثرت عليه هذا الغلام الموصوف بالحسن والجمال وهذه علائم الهوى ودلائل القبول للفتى (قال الراوى) وهو على ذلك الحال يتقلى على نيران الغرام وإذا بالملكة زنانير قد التفتت اليه فرأته على مقالى الحذر والخوف والاسا وقد كتبت دموعه فى قرطاس وجنته سور الحسرات وكلمات التأسف والندامات وقد خرج من حساب الاحياء وبقى واقفا كأنه من جملة الأموات فقالت فى نفسها وبلغ من الهوى الى هذا الحد ثم انها أومت إلى الارض من الحياء ورق له قلبها بما رأت به من الضر والبلوى فتداركت الامر وقامت فلم يبق أحد إلا وقام لقيامها ثم ودعت الملك وذهبت وقالت له الرحيل يكون غدا الى لقاء الاعداء فقال السمع والطاعة ثم أمرت الملكة زنانير باحضار لؤلؤ بعدما كان خرج وهو حائر العقل بما رأى من اقبال زنانير فراقه ثم بعثت الغلمان فى طلبه وأكدت عليهم فى كشف خبره فلم يجدوه فأنكرت أمره وقالت وحق المسيح لقد بلى منا بمالا يطاق (قال الراوى) وان الحكيم أقليدس رجع الى منزله فوجد لؤلؤ فى بيته وهو يبكى وقد عول على الخروج من القلعة والدخول الى عسكر المسلمين فعند ذلك لامه الحكيم أقليدس على فعاله وقال له اعلم انى أعرف الناس بهذه الامور وان زنانير لاترى فى ذلك قط وانما أشارت اليوم بالتفاحة الصغيرة الى الغلام لتغيظ أباه لانه قد حدثته نفسه بالملكة زنانير وهذه نوبة صعبة والكل يمضون وأنت تبقى وان كلامى لك حقاً فطب نفساً وقر عيناً أفانالك ظهراً وعضداً فعند ذلك أنشد لؤلؤ وجعل يقول هذه الأبيات :

يا عاذلى دعنى من العذل ... ما أنت صاحب حرقة مثلى
أنحلت جسمى عند عذلك لى ... فاليوم سلمتنى الى القتل
دعنى ومحبوبى فلى غرض ... فعسى يداوى الهجر بالوصل
عج بى إلى الوادى فان به ... قمرية ناحت من الشكل
وتمايلت فوق الغصون على ... آثارهم لتشتت الشمل
فعجبت منها ثم قلت لها ... جودى فديتك حالكى مثلى
ان الحمامة بالحمى عنقت ... ألفا وغاب وقد بكت مثلى
لو كنت أعلم ما تفوه به ... لكتبت وهى بشجوها تملى
يا من أقام قيامتى قل لى ... حتى متى تحملنى على المطل
يا صاح ليس العذل يردعنى ... العذل متروك من الجهل
ملكت زنانير الفؤاد وقد ... ملكتها من بعده عقلى

لم يبق لى سمع ولا بصر انى عدمت بهجرها كلى
قد أحرقت شمس الضحى كبدى بالله ولونى على القتل
وصلاة الله دائما أبدا ٭ على خير النبيين والرسل

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأن لؤلؤ جعل يبكى حتى ضج البيت من بكائه فقال له الحكيم أقليدس يالؤلؤ ما هذا البكاء فان الملكة زنانير سألت عنك وأرسلت الغلمان فى طلبك وقد ضاق صدرها لما تم عليك من الغيرة وأنى أقسم بالله العظيم ونبيه الكريم أنها أميل اليك من جميع من على وجه الأرض وأنها غنية عن الرجال وصادقة فى المقال فطب نفسا وقر عينا فقال لؤلؤ اعلم أيها الحكيم أن حفظ الدين من حفظ اليقين وأننى لا آتى معصية الله تعلى بملك الدنيا فكيف بشهوات الدنيا الفانية ولكن فظع قلبي لما وجده قد قيـــل

نريد محبة فى كل يوم ٭ فلا نسلو إلى يوم التناد
وذلك أنه لما وجدنا ٭ تراضعنا على ثدى الوداد

واعلم أيها الحكيم أن عندى من حب هذه الجارية مالا تطيق حمله الجبال وأنها أعلم بذلك فأسأل الله أن يجعل لى من هذا الضيق فرجا ومن هذا المحل مخرجا فقال له الحكيم أقليدس بالله عليك يالؤلؤ لاتحمل هما على قلبك فانى أخاف عليك فقال له لؤلؤ بالله عليك الا ما كتمت على لأجل أنى عندك حتى أجد لى سبيلا إلى الهرب وأطلب عسكر المسلمين واريح نفسى مما أنا فيه (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم قام الحكيم أقليدس من عنده وقد قرب الصباح وفتحت أبواب القلعة وخرجت زنانير إلى الميدان وعن يمينها وشمالها خواص البطارقة وكبراء العمالقة وأرباب الدولة وتحتهم الخيول العتاق وقد قامت الدنيا على قدم وساق وبين يديها الحكيم أقليدس والبترك وهم يتلون الإنجيل ويعوذونها بمزيم ذات التبجيل ولما صارت برا البلد قالت للحكيم اقليدس ما وقعت للؤلؤ على خبر ياحكيم قال نعم أيتها الملكة إنى لما مضيت إلى بيتى وجدته هناك وقد أشرف على الهلاك فقالت لبعض حجابها أمضى اليه وسلم عليه وائتنى به فمضى الحاجب اليه وأخذه وخرج اليها فلما رأته اعتذرت اليه ثم خلعت عليه وأركبته إلى جانبها (قال الراوى) ثم ركب الملك عزبيل وولده مريحنا وكان قد عزم أن يتوجه إلى قلعته غضبانا من الملكة زنانير حيث أنها أقبلت على ولده مريحنا فلولا أدركته بخروجها من القلعة لكان رحل فى عسكره (قال الراوى) ثم أقبلت عليــــه وسألته وولده عن ليلتهم فقبلوا الأرض بين يديهم وقالوا أيتها الملكة وحق المسيح لقد غمرتينا بالأنعام وأفضيتى علينا

جزيل الإكرام فقالت أريد منكم حسن العزم وصدق المحاماة عنى فقالوا أيتها السيدة الكريمة ما عندنا تخالف بل نتقرب من السيد المسيح بخدمتك ونصرتك على عدوك فقالت يكون الرحيل اليوم قالوا الأمر فى ذلك اليكى ثم سارت راجعة فما بقى أحد إلا ركب وطلبها وانقادت الجيوش والعساكر وازدحمت المواكب والدساكر وقد ارتجت بهم الأرض وكانوا فى تلك النوبة فى مائة وسبعين ألف عنان فوصل خبرهم إلى غضب المسيح فقامت عليه القيامة وقال هذه نوبة صعبة ما سمعنا قط بمثلها وما عاد صفالى عيش من يوم خرجت من قلعتى لامع المسلمين ولا مع الروم (قال الراوى) ثم أنه أحضر الحكيم ما ريتون الملعون عقبة وأجلسهم معه على سرير ملكه وأقبل عليهم وقال لهم اعلموا أننى قد ضجرت من طول المقام فى هذه الأرض وكلما أردت الرجوع إلى قلعتى جاءنى ما يشغلنى عن ذلك وكنت أرجو من المسيح أن يوقع فى قلوب الأعداء أن يطلبوا منى البراز من المسلمين وغيرهم حتى آخذوهم جميعا وأرضى بفعلى السيد المسيح وأشفى منهم غليل النفس وأن هم طلبوا منا المعامع فانهم ربما غلبونا وظهروا علينا كما فعلوا بنا فى تلك المرة لأننا فى قله وهم فى كثرة (قال الراوى) فعندها قام الحكيم ماريتون على قدميه قائما وأشار إلى الأرض لائما وقال أيها الملك الكريم المسيح يطول عمرك ويرفع قدرك ويملكك رقاب الأعداء فقد وجب على السيد المسيح نصرك وكرامته لك لأنك سيفه وغضبه ورضاه وسخطه وحافظ بلاده لأنك خرجت من قلعتك لنصرته ونصرة دينه وأن تأخذ الملك من هذه الجارية فى دين السيدة مريم وتسلم الدولاب الأكبر إلى علماء النصرانية لأنه موضع شريف لاسيما وهو مقام مريم الأوفر ولا يجب أن تكون هذه الجارية فى هذا الموضع المحترم وأما ما أشار اليـــه الملك من كثرة الأعداء فهذا ما يريعنا فاننا نرجو النصر من المسيح وأما الملوك وكثرة الشجعان فانى أحسن اليهم أن يخرجوا اليك فى اللقا والبراز وأن طال بيننا وبينهم المقام عملنا عملا تتحدث به الملوك وغيرهم إلى يوم القيامة ثم أن الملعون قعد وقد شكره الملك على كلامه ثم قام من بعده شيخ الضلال ومعدن الجهال عقبة لعنه الله وجزاه (قال الراوى) وأنشد إلى الملك هذه الأبيات

يا أيها الملك الذى ٭ زلت له الأسد القشاعم
أرضيت مريم بالفعل ٭ ولسوف تنصر أنت دائم
ورفعت حنا والقساقس ٭ والبتارك والمطارم
وستملك الدنيا على ٭ رغم الأعادى والمخاصم

وترى زنانير الطريــدة مالها من ذاك عاصم
وكذاك ذو الهمــة الخبيــثة انها من نسل ظالم
والأسود المغوار منســو ب الى عبد وكند بذاك عالم
والمسلمين جميعهم يفنيهمو ضرب الصوارم

(قال الراوى) فلما فرغ الملعون من شعره والنظام ضحك الملك من هذا الكلام ثم قال ياأبونا لقد أحسنت فيما قلت ولكن أراك تذكر ذات الهمة وعبد الوهاب وما تعلم انهم إذا كانوا بعدد الرمل والحصى أخذتهم أسارى والحبال فى رقابهم وهم يساقون سوق البقر وهم لابسين جبب الصوف وأشهرهم فى بلدى فقال عقبة المسيح ينصرك عليهم ثم قال فى نفسه وحق المسيح لابد أن تنتف ذات الهمة منك السباك وتصفع منك القزال فان المسيح مايرضى عنك ولا عن غيرك من النصرانية ويفزع من أهل دين الحنيفية (قال الراوى) هذا جرى لغضب المسيح (وأماماكان) من المسلمين فانهم باتوا تلك الليلة وقد عزموا على لقاء عسكر غضب المسيح وان الأمير عبد الوهاب قال مالنا إلا الخروج إلى لقاء الملعون ونحقق الظنون ويقر الله بالنصر العيون وقد انفرجت عنا هذه الكربة فهذا جرى لهؤلاء (وأماماكان) من عسكر الملكة زنانير والملك غربيل فان الملك أنفذ قدامه بطريق من البطارقة ومعه عشرة آلاف فارس وقال له اطلب عساكر غضب المسيح حتى لايهرب من بين أيدينا وان قدرت على لقاه فالقاه وسير على عجل لئلا يهرب إذا سمع بمجيئنا فامتثل البطريق ماقاله الملك بالسمع والطاعة ثم أخذ العشرة آلاف فارس وسار يطلب غضب المسيح وجد فى سيره ليلا ونهار ولم يزل كذلك حتى وصل اليهم وقدم عليهم فلما رأى غضب المسيح ذلك علم أنه عسكر الملكة زنانير فأمر أصحابه بالركوب فركبوا ثم حملوا عليهم ولم يدعهم يستريحوا وعمل بينهم القتال وكثرت الأهوال وعظم الزلزال واشتد الكرب وثارت نار الحرب وماكنت ترى إلا كف طائر ودم فائر وجواد غائر وقد فتك فيهم غضب المسيح وعمل معهم العمل المليح وترك دماء فرسانهم على الأرض يسيح فمنهم طريح وجريح ولم يزل كذلك حتى التقى بالبطريق المقدم عليهم وهو يجندل الأبطال ويبيد الأقيال فالتقاه غضب المسيح وعاجله بطعنة تركه بها طريح فما كان الا أن قتل البطريق المقدم حتى ولت أصحابه الأدبار وقتل منهم عالم كثير وغنم غضب المسيح غنائمهم ورجالهم ولم ينجوا من عسكر زنانير الا من كان فرسه سابق وبلغ خبر الكسره إلى زنانير وغربيل وعلموا بقتل المقدم فعظم عليه ذلك وقال غربيل وحق المسيح ماظننت أنه يجسر على مثل هذه الأمور وسيرى غضب المسيخ فعله وأجازيه بمثله

إذاأنا ضربته بسيفى وأهلكت من معه فقالت له زنانير الصواب فيماذكرت والرأى عندى اننا نهجم عليه ولعل المسيح أن يظفرنا به ثم انه أمر العساكر بالرحيل إلى لقاء غضب المسيح (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأماماكان) من المسلمين فانهم لما سمعوا بأن العسكر الذى لزنانير قد قتل منهم خلق كثير فرحوا بذلك ثم قال الأمير عبد الوهاب كفاية الله خير من توقينا ثم ان الأميرة قالت يابنى كونوا فى غد على نية الرحيل ووالله مالى شغل الا الأمير أبى محمد البطال لأنه من يوم وصل الينا ومعه الملك صابر رجع الى عسكر غضب المسيح وله اليوم أربعة أيام وهو فى عسكره وأنا خائفة عليه من عقبة الملعون فقال لها الأمير عبد الوهاب لاتخافين عليه من عقبة ولاغيره فانا ارجو له ولنا من الله أن يفعل مافيه الخيره ثم باتوا ينتظرون الصباح (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء (وأماماكان) من غضب المسيح فانه جلس على سريره وأحضر أرباب دولته وعقبة وماريتون فقال عقبة أبشر أيها الملك فقد جاءك النصر من المسيح وأول ذلك عسكر الملكة زنانير فقد قتل منهم عالم عظيم والعقبى للسدين واعلم أيها الملك ان فيهم العيار المحتال أبى محمد البطال سارق بنات الملوك وقاتل كل غنى وصعلوك ولاشك انه فى عسكرنا يدبر الحيلة على سرقة أحدنا وهو الليلة معنا فعليكم بالاحتراز لانه يتصور للرجل فى صورة ولده وهوجته فلما سمع غضب المسيح ذلك قال يا أبونا يصل الى هذا الحد قال وأكثر أيها الملك انه تصور للملك صابر على صورة المسيح وأسلم على يديه وأخرجة من دينه فقال له الملك أحقا ماتقول فقال عقبة وحق المسيح والدين الصحيح وكنيسة قمامة ودير الاقامة وكل من فيه من بنت غذراء قد وهبت نفسها للرهبان تقر بالمريحنا المعمدان لعل يمحى بذلك ذنوبها انى ما وصفت بعض حيله وفيه خصلة إذا ذكر حضر فقال غضب المسيح فهو فى هذه الليلة معنا فقال عقبة نعم وربما يكون واقف مع الجماعة يسمع ما يجرى بيننا من الكلام ثم انه قال أيها الملك أشتهى منك أن تمسك الباب ونحفظ كل من يخرج من السرادق فلعل المسيح أن يوقعه فى شبا كنا فعند ذلك أمر الملك بحفظ الباب وأحضر الكل بين يديه فعرفهم واحد واحد ولم ينكر أحد فقال عقبة أيها الملك ولعله لما شرعنا فى حديثه طلب لروحه النجاة فقال الملك ياشيخ هذا شىء ما أسمعه منك لأن ما أحدا يقدر على ما ذكرت ثم سأل بواب السرداق عمن خرج من عنده فقال أيها الملك ما خرج الادوحة محضية الملك مع الحاجب وقد أوهب لنا هذه الجبة الاطلس وقال لنا أن الملك يريد الرحيل فى هذه الليلة من هذه المنزلة لانها ضيقة على القتال وأخذ معه المحضية وسار ولا نعلم ما كان منهم

(قال الراوى) فلما سمع غضب المسيح ذلك قام قائما على قدميه والسيف فى يديه مجذوب وقال هذا ما أوعدنا به الشيخ النجيح وهو شىء ما كان لنا فى الحساب بان عيار المسلمين بحسر علىَّ مثل هذا ثم أن الملك دخل الى مضربه الذى فيه دوص المحضية فلم يجدها ولا جواريها ووجد خادمها مذبوح فايقن بأخذ الجاريه فصاح ولطم على وجهه ورأسه ولم يكن له بذلك عادة وأيقن بزوال ملكه بعدها (يا سادة) وكانت هذه الجارية أعز الخلق عند الملك لما حوت من الحسن والجمال والبها والكمال وحسن الرأى والتدبير وكان لها صوت كانه صوت الشحرور يشفى العليل عند سماعه وهى معه سفاحا لا نكاحا وكان الملك لا يكثر الخلوة مع النساء الا أنه كان يرى فى هذه الجارية لحسنها وحسن صورتها وطيب نغمتها فلما فقدها جعل يربر ويهدر ويزمجر وقد خرج من عقله ثم ضرب رقاب عشرة من البطارقة وقد خرج الى باب السرادق فضرب رقاب من كان عليه من البوابين ثم انه ادعى بالحكيم ماريتون وعقبه وقال لهم أرأيتم ماقد وقعت فيه ثم أخبرهم ان جاريته دوص فقدت مع جوارها وخادمها الخاص مذبوح فلما سمعوا ذلك عظم عليهم وكبر لديهم وقال عقبة فى نفسه أخذها البطال العيار المحتال وفاز منها بالآمال ثم قال أيها الملك ابعث خلفه الساعة العسكر الى طلبه فى كل طريق فانه ما وصل بها الى بعيد فقال الملك ياأبونا وحق المسيح لولا انها كانت متفقة معه لما فعل ذلك فكيف وهى أعقل أهل زمانها فقال عقبة أيها الملك ما رأى العيار أنه يروح من عندنا بلا معيشة وحيث انه ماقدر علينا اخذ الجارية فاشكر المسيح الذى كان بالجارية ولا بواحد منا فما دخل الا اليك فقال له الملك ياأبونا ياليت كانت الحيلة على أحدنا ولا تكن على حريمنا فان هذه الجارية عزيزة علىَّ فقال له عقبة أيها الملك يجب عليك أن تنفذ خلفه عسكر لهم يعثرون به فصاح الملك فى قومه بان يتفرقوا فى سائر الطرق فركبوا وساروا خلفه ساعة وعادوا وما لحقوا له خبر ولا وقفوا له على أثر وعلم الملك بذلك فقامت عليه القيامة وجعل عقبة يسليه فصاح الملك عليه بصوت كاد أن يفلق قلبه وقال له قم عنى الى لعنة المسيح ومقام العذاب الأليم فما أكثر هذيانك فعندها قام عقبة ومعه ماريتون وهما بالنجاة لا يصدقون فلما خرجا من عنده أقبل ماريتون على عقبة وقال له يا هذا كم أنهاك عن مجاهدة هذا الملك وأنت تزداد فقال له عقبة اسكت يا أخى فما رأيت أخس من هذا الملك ولا أخبث منه ولا بد لى ما أعمل على هلاكه فقال له ماريتون دع هذا الهذيان فان الملك قد فقد جارية ما على وجه الأرض مثلها فلا يلام من أجلها فقال له عقبة وحق المسيح لا عادت تخلص من أيدى المسلمين فلما سمع ماريتون ذلك ضحك من وسط الغيظ (قال الراوى) وكان السبب فى أخذ الجارية أن أبى محمد البطال كان فى العسكر وقد أتى

يسمع أخبارهم ومعه أربعة من غلمانه فأقام بينهم ثلاثة أيام ولم يقدر على الوصول الى الملك إلا فى هذه الليلة فلما حضر بينهم وسمع كلامهم وسمع ماقاله عقبة من الكلام فقال أبى محمد اللهم أرحنا من هذا الشيخ السوء وكان أبى محمد قد دخل فى صورة بطريق من البطارقة الذين لغضب المسيح ثم دقق الحيلة على سرقة الملك فلما نطق به عقبة قال أبى محمد لغلامه والله ما بقى لنا مقام ثم طلب الخروج من باب السرادق فسمع أبى محمد البواب الواحد يقول للآخر ترى يقيم الملك فى هذه المنزلة أو يرحل الى غيرها فان الماء علينا قليل فقال له الآخر لا بد له من المقام لأنه نصر على زنانير والثانى ان أراد الرحيل أول مايرحل بين يديه الجارية دوصه محضيته لأنها فى خيمة الخلوة وكانت يا سادة تلك الخيمة من الأطلس الأحمر موشحة بشرائط الذهب فقال له الأول يا هذا وأنت ما تستدل على رحيل الملك إلا بهذا فقال له نعم فعند ذلك سكت عن جوابه وأما أبى محمد فانه لما سمع ذلك قال أريد الليلة أخاطر بنفسى وأطلب الخيمة لعلى آخذ هذه الجارية (قال الراوى) ثم انهم خرجوا من السرادق فلم ينكرهم أحد وقصدوا إلى الخيمة والغلمان الذين حواليها نيام فقال أبى محمد ياسادة عند ذلك لغلمانه تفرقوا ثم صاح على الجوار بالرومى فاستيقظوا الكل فعند ذلك كلمته الجارية دوصه فقال لها الأمير أبى محمد أيتها الملكة الملك يقول لكى تركبى هذه الساعة مع الحاجب منكوريا وتسيرين إلى المنزلة الفلانية لأن الماء هنا قليل فلما سمعت الجارية كلام أبى محمد قالت له ومن هو الحاجب منكوريا فقال لها أنا فقالت سمعا وطاعة فانى قد ضجرت من هذه الأرض ثم أمرت جوارها بالنهوض وكانوا خمسة ثم قالت أيها الحاجب معى صندوقى الذى فيه مصاغى وجواهرى ما الذى أمر الملك أن تصنع فيه فقال أيتها الملكة يكون معى فقالت اعلم أن الخادم نائم وهو صاحبى فقال لها اركبى أنتى وجواريكى وقفى على الطريق كما أمر الملك حتى ألحقك بالخادم فقالت أفعل ما بدالك (قال الراوى) فأخرجها أبو محمد ومعها الجوار فلما رآها البواب الأول قال للآخر ما قلت لك أن الملك اذا أراد الرحيل خرجت هذه الجارية قبله (ياسادة) فسمعهم أبو محمد فاقبل على أحدهم وضربه بالسوط من كتفه الى كتفه وقال له يا كاب الروم كم تكثر كلامك فيما لايعنيك فقال الآخر قد قتلت له ولكنه لايدع دخوله فعند ذلك ضحك أبو محمد عليهم ثم قال وحق المسيح قد رحمته لانه من عباد المسيح وقد وهبته هذه الفرجيه الاطلس ثم قصد أبو محمد الى غلمانه ومعهم خيول مسروجة فى زى بطارقة الملك وكانوا قد سلوا الخيل من العسكر فسلم الجارية اليهم ورجع الى الخيمة أسرع من البرق فوجد الخادم نائم فذبحه من أذنه الى أذنه وحمل الصندوق وخرج فلما رآه البواب أدركه

وأراد أن يكلمه فقال له الآخر ويلك قد اشتاق قفاك الى الصفع يا ألف غفلة فما أكثر مكايدتك فقال وحق المسيح لقد رابنى هذا الامر وكيف يخرج الملك جواره بلا خادم هذا والامير أبو محمد سائر الى أن وصل الى أصحابه وقد ركبوا النساء وركب أبو محمد وصاروا إلى أن أبعدوا عن عسكر الروم وهم آمنين على نفوسهم وقاربوا عسكر المسلمين فميلوا رؤس خيولهم فقالت لهم الجارية ياويلكم ما الخبر فقال لها أبو محمد بالرومى أيها الملكة اعلمى اننى سمعت من الروم يقولون ان المسلمين لنا كامنين وأنا أخاف منهم فعجلت فى المسير فعند ذلك سكتت الجارية على غيظ منها وساروا وهم لايفترون عن المسير خوفا لايلحقهم من يعيقهم ولم يزالوا سائرين الى أن دخلوا بهم عسكر المسلمين فلما رأوه عرفوه فوقع فيهم الفرح والاستبشار بقدوم أبو محمد البطال وتبادرت اليه الامراء من كل جانب وهم له يهنون ثم التفتت الاميرة ذات الهمة وقالت له مامعك أيها الامير والسيد الخطير فقال لها تسلمى أيتها الاميره المجاهده هذه الجارية وهى بديعة الحسن والجمال زائدة البها والكمال فريدة عصرها وأوانها وهى محظية الملك غضب المسيح وهذا صندوق ملآن جوهر وهو أجود وأوفر ثم حدثهم بحديثه من أوله الى آخره وليس فى الأعادة أفاده (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأن الجارية دوصه لمـــا نظرت إلى عسكر المسلمين أيقنت بالويل والسبى ثم أقبلت على جوارها وقالت لهم ياويلكم قد أسرنا وحق المسيح وما هذا خبر مليح فأقبل عليها الأمير أبو محمد البطال وخاطبها بالرومى وقال لهـا أيتها الملكة اعلمى أنك الساعة فى أسر المسلمين وقد خلصتى من الكافرين فارجعى إلى دين الإسلام تفوزين بدار السلام وتصيرى فى جوار الملك العلام وإن أنتى أبيتى ذلك فابشرى بالذل الطويل والبكاء والعويل والويل الذى ليس بقليل واعلمى أيتها الملكة أن المسيح عبد من عبيد الله تعالى ومخلوق من خلق الله تعالى لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا وان أمه مريم أمة الله وهى خادمة لله تعالى وها أنتى أيتها الملكة الآن قد صرتى فى قبضة ملك الإسلام وترس قبر النبى عليه الصلاة والسلام المجاهدين فى طاعة الملك العلام الأمير عبد الوهاب وأمه هـــذه الأميرة ذات الهمة المجاهده فى سبيل الله تعالى صاحبة الأمل الرفيع والجناب المنيع والقدر العالى والعبيد والموالى وهى قاهرة الأقران وقاتلة الفرسان ومبيدة الشجعان ودامغة أهل الشرك والطغيان ومذلة عبدة الصلبان فتكونين فى خدمتها الى أن يظفرها الله تعالى بأعدائها ويبلغها منهم المراد وتشفى منهم غليل الفؤاد وترين بعد ذلك ما يصل اليك من أنعامها (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة فلما سمعت الجارية دوصه كلام الأمير أبو محمد البطال صاحب الأقوال

والأفعال طاطت رأسها وانكسرت نفسها فعند ذلك أخذوا المال منها وأبعدوا جوارها عنها (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الأمير عبد الوهاب نظر الى جارية لم يسمع قط بمثلها ولا بلغ أحد مثل حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فقال لقد بلغت هذه الجارية النهاية والبهاء والكمال والحسن والجمال فسبحان الخالق البارى المتعال (قال الراوى) وأول من نظر اليها بعين المحبة الأمير ظالم فوثب قائما على قدميه وغطا رأسها بكمه وقال وذمة العرب وشهر رجب والرب الذى اذا طلب غلب أيتها الأميرة لارآها أحد غيرى بعد يومنا هذا وأن هذه عندى لأوفى من زنانير وأنا أولى بها من كل أحد وأن أنا منعت عنها من ذلك لأقتلن نفسى لأن الله تبارك وتعالى قد حبب إلى هذه الجارية وبغض إلى زنانير وكرهنى فيها لأجل تولع لؤلؤ بها ومحبته فيها فقال له الأمير عبد الوهاب ياولدى هذه للسلمين تبتاع وزيدت أنت فيها وخذها ذلك الوقت لك ولا يدافعك فيها مدافع ولا يمنعك عنها مانع فقال له ظالم أيها الأمير لاتدخل معى فى هذه الطريقة وأنا ما أريد فى هذه السفره الطويلة إلا هذه الغنيمة فيجوز أن يزاحمنى عليها وأتى أيتهـــا الأميرة وعدتنى أنك تأخذى لى الملكة زنانير وتسلميها الى لما عاينتى مابى من الهوى وعظم تباريح الجوى وما رأيتيه من الضعف والتلهف والأسف والآن لما صعب على المرام من أخذ تلك الجارية قد أخلف الله تعالى علينا بهذه ومنزلة هذه عندى أوفى من منزلة زنانير وقد زينها الله تبارك وتعالى فى عينى فلا يدخل أحد بينها وبينى ثم أنشد هذه الأبيات ويقول

أذلهمة هذى حياتى ومنيتى ❊ وغاية آمالى هواها ومطلبى
مهاة لهـا من وجهها لون بهجة ❊ كبهجة بدر لاح فى جنح غيهب
ومالى عنها معزل غير أننى ❊ انا مسمعى ان يسمع القول من أبى
ولى من هوى دوصه غرام وانني ❊ سليت زنانير وعقلى قد سبى
وما عمى البطال إلا مهذب ❊ فجودوا بدوصه لى وقلوا تعتبى
فظالم فى يد من الوجد سبسب ❊ وما أنا إلا بالأمير المهذب
ولا تتركانى أشتكى لاعج الأسى ❊ وأبكى بدمع هاطل الودق صيب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن الأمير ظالم لما فرغ من شعره وما قاله من نظامه ونثره جعل يتنفس الصعدا ويبكى وجدا وكمدا فقالت الأميرة ذات الهمة يابنى قل من هذا البكاء ولا تخف فما ينظرها بعد هذا اليوم غيرك وهى لك ورب الكعبة وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أملكها لأحد غيرك ولا أحنث فى يمينى وعليك مطر

السماء وأنا أعوض بيت مال المسلمين من قسمى فطب نفسا وقر عينا فعند ذلك فرح الأمير ظالم لما سمع مقالها وشكرها على فعالها ثم قبل رأسها ولم يجسر أحد يعود يذكرها ولا يجيب حديثها (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عسكر غضب المسيح فانهم باتوا ينظرون الصباح وكل منهم قد عزم على الحرب والكفاح فلما برق ضياء الفجر ودرقرن الشمس وأحمر على الجبال وصل فى ذلك الوقت عسكر الملكة زنانير والملك غربيل وولده مريحنا والبطارقة والقساقسة والرهبان الشمامسه وملأت البيداء وضاقت بهم الأرض فى طولها والعوض وقد نفرت الوحوش من بين أيديهم من شدة ركض الخيل وهم سائرين كأنهم السيل ولما أشرفوا وجدوا عسكر غضب المسيح قد ركبت واصطفت صفوفه وتعدلت ألوفه وترتبت عساكره وأعتدلت دساكره وأنتشرت راياته وقويت عزماته ففعل الملك غربيل بعساكره كذلك وصفف الصفوف ورتب الألوف وكانوا قد ركبت الأبطال والخيول وجربوا النصول وقومت الأسنة وعلت الضجة والرنة وقد أعتدت الفرسان والشجعان للقتال والحرب والنزال وأول من فتح باب الحرب فى مقام الطعن والضرب مريحنا ولدا الملك غربيل وخرج إلى حومة الميدان وأشتهر بين الفرسان وهو راكب على جواد أصفر عالى مضمر بكفل مدور وله غرة كانها القمر ما ملك مثله كسرى ولا قيصر ولا بنى الأصفر وقد تقلد بصارم أبتر وأعتقل برمح أسمر وله سنان يخطف البصر وكان عليه جبة من الأطلس وهو كأنه القمر وقد أرخى له شعر كالليل إذا اعتكر وتحير فيه كل من نظر ولم يبق أحد إلا وعوذه بالمسيح من الشيطان وقال أنا الفدا لهذا الوجه المليح فلم يكن يلتفت إلى قولهم وخرج إلى الميدان كأنه الثمل السكران أو الغزال العطشان أو الرامق الحيران فلما رآه غضب المسيح سأل عنه وقال من هذا فقالوا له أيها الملك أنه ولد الملك غربيل فقال هذا ولده الموصوف بالحسن والجمال والبهـا والكمال فقيل له نعم هو هذا فقال أريد من يخرج اليه فى هذه الساعة ولا يقتله بل يأتينى به أسير (قال الراوى) ياسادة يا كرام فقال له عقبة أيها الملك وحق المسيح والذبح والذبيح أن مثل هذه الصورة الجميلة ما يستاهل القتل فقال له غضب المسيح أيها الشيخ النجيح إذا أخذناه سلمناه اليك لتربية على قدر خلقك ثم قال للبطارقة من جاءنى به فله ما أراد فعندها خرج اليه فارس هائل الخلقة شديد القوة والحيل ولما ساواه صاح به إلى أين يامغرور دونك والإستسلام وإلا علوتك بهـذا الحسام فلم يلتفت اليه مريحنا بل حمل عليه وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره

فعندها صاحت البطارقة والشمامسة والقسوس وجعلوا كلهم يعوذونه ويدعون له بالسلامة فأمر الملك غضب المسيح ثانى فخرج اليه فقتله والثالث جندله والرابع والخامس ولم يزل كذلك حتى قتل عشرة من الأبطال وولى النهار وأقبل الليل بالإعتكار ورجعت كل طائفة إلى مكانها وقد تحيرت الناس من شجاعته (قال الراوى) وأن الملكة زنانير (ياسادة) ادعت به إلى عندها وزادت فى أكرامه وما زجته ولاعبته وضاحكته وقالت إذا كان فى غد ما يتولى القتال غيرى فقال مريحنا أيتها الملكة لا كان ذلك أبدا بل نفسى لنفسك الفداء فاثنت عليه وشكرته وباتوا إلى الصباح فعند ذلك هم مريحنا بالخروج إلى الميدان ومقام الحرب والطعان وإذا هو بضجة عظيمة فمد نظره الى صوبها فرأى عشرة آلاف بطريق وقد ترجلوا فى ركاب شخص فتأمله وإذا بها الملكة زنانير وقدامها ترجمان فصيح اللسان ينادى يامعشر النصرانية هذه الملكة العظيمة قد خرجت تطلب قتال الخارجى المنافق غضب المسيح لترغم أنفه وتعجل هلاكه وحتفه فلما سمع غضب المسيح كلام الترجمان كاد أن يطير قلبه فرحا وتمايل عجبا ومرحا وقال هذا وحق المسيح الذى كنت أتمناه من براز هذه اللخنا ثم خرج أسرع من لمح البصر وقد همر وزجر وطلب زنانير وهو يقول ياويلك عليكى بملاعبة النسوان لا مبارزة الأقران فلما سمعت زنانير كلام غضب المسيح قالت وحق المسيح انك أخسر وأحقر ثم حملت عليه وحمل الآخر عليها وتطاعنا ساعة من النهار وعلا على الإثنين الغبار وركب فى ذلك اليوم الأمير عبد الوهاب وأبطال بنى كلاب وذات الهمة وجماعة من الأمراء الأعيان يتفرجون على القتال بين الملكة زنانير وبين غضب المسيح ولم يزالا فى كر وفر وأخذ ورد إلى أن كلا وملا واضمحلا وأخذهما التعب والويل والنصب فعند ذلك صاحت الملكة زنانير بالملك غضب المسيح صيحة عظيمة وحملت عليه وهى على قتله مصممة وقال كل من حضر انها قضت عليه الا أنها خانها كثرة اعجابها وجاءها مالم يكن فى الحساب فوقعت يد جوادها فى بيت اليربوع فانقض عليها غضب المسيح كأنه العقاب إذا انقض واختطفها قبل أن تقع على الأرض ومضى بها الى عسكره وقد ارتفعت من أصحابها الضجات وعلت الرايات ثم انه تركها فى مضربه ووكل بها من يحفظها بعد ما كبلها فى الحديد ثم رجع الى الميدان ومقام الحرب والطعان وطلب البراز وسأل الأنجاز فبرز اليه مريحنا وجال معه فى الميدان وأما عقبة لعنه الله فانه قام ودخل الى الملكة زنانير واشتمت فيها وجعل يقول لها يامطرودة من باب المسيح ظننت انكى تسلى منى فلما سمعت كلامه زاد بها الغيظ فوثبت اليه وهى تحجل فى القيود فولى من بين يديها هاربا فلحقته بوثبات ومسكته

من أطواقه مسك القرود وجعلت تلطمه الى أن سال الدم وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار وفى تلك الساعة دخل الحكيم ماريتون على زنانير ومعه جماعة من البطارقة فخلصوه منها وقال لها ماريتون ماهذه الفعال أيتها الملكة الكريمة بالشيخ النجيح وهذا مايرضى به السيد المسيح فقالت اعلم يا أبونا ان هذا الشيخ قليل الحياء وانا لابد لى من قتله ولو تلفت روحى فى أجله فقال لها عقبة ان خلصتى من غضب المسيح افعلى بى ماتريدين ثم خرجوا من عندها وطلبوا موضع القتال لينظروا ما يجرى بين غضب المسيح وبين مريحنا وماريتون يقول لعقبة ياشيخ طول روحك على الملكة زنانير فانها ماتكلمت بهذا الكلام الا لعلمها بمحبتك لها وحق المسيح لقد قتلتنى بكلامها وحيرنى ابتسامها فقال له عقبة اسكت ياويلك الليلة تكون فى اهتمامها ونهجم عليها فى منامها ونفك ختامها فضحك الحكيم ماريتون من كلامه الموزون ولما وصلوا إلى المصابيح وسمعوا صوت غضب المسيح وهو يقول وحق المسيح أنت أسير ثم هجم عليه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وحملوا أصحابه يريدون خلاصه فلم يصلوا اليه وكان قد أمسى المساء فانفصلوا من بعضهم ورجع غضب المسيح وقد أذهله مارأى من مريحنا وحسنه وجماله ثم سلمه الى الحكيم ماريتون وقال له إذا هجم الليل بغيهب السوداء ائتنى به فقد وقع بقلبى وملك خاطرى ولبى فقال له أيها الملك وحق المسيح انى أسير منه أن أواجهه بهذا الأمر ولكن سوف نتساعد أنا والشيخ النجيح على ذلك شاكراً لعقبة على ما قاله الملك غضب المسيح فقال له عقبة لاتعرف ذلك إلا منى ثم قام الملعون من ساعته فدخل على الغلام فرأى وجهه كأنه بدر التمام وله شعر أسود من سواد الظلام فلما وقعت عين عقبة على هذه الصورة الحسنة سال لعابه وبل ثيابه وبصبص له بعورته ودقق عليه حيلته وجعل يخدعه بأعاجيب الكلام ويهنيه بما وعده من الاكرام وقال له ياحبيبى ان الملك له اليك حاجة ويسألك قضاها فاحذر مخالفته وبلغ نفسه هواها ومناها فقال مريحنا ويلك ياشيخ السوء ياقبيح المنظر وما تستحى منى تواجهنى بهذا الكلام القبيح وأنت تقول انك هدية المسيح فقال ياولدى ماهذا عندى قبيح وإنما لمثلك مليح وان كنت تخشى من العقوبة والعار فاجعل فى ذمتى أنا وأنا المتقلد به وفى رقبتى ثم جعل الملعون يقبله حتى أكربه وضيق نفسه وهم أن يوقع به فعل وإذا بغضب المسيح قد هجم عليه وسمع ماجرى بينهما من المجادلة

تم الجزء السابع والعشرون ويليه الجزء الثامن والعشرون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا سادة وكان السبب فى وصول غضب المسيح انه لم يأخذه قرار ولا اصطبار شوقا إلى الغلام وزاد به الهوى والغرام فاجتمع بماريتون واستخبره عن مريحنا فقال له الشيخ عقبة قد دخل اليه يولفه لك فضحك الملك وسار من وقته وساعته إلى أن وصل الى الموضع الذى فيه الغلام وسمع عقبة يتحدث معه فى شان ذلك الأمر الذى قدمنا ذكره فدخل وعقبة هم أن يغضبه فلما رآه عقبة نهض قائما وقبل يديه وخرج وبقى الغلام مع الملك طول ليلته إلى الصباح حتى انه قتل الغلام من فعلة الزنيم وهو يقول له ماتستحى من غضب السيد المسيح أن يعجل بالوبال عليك (قال الراوى) وان غضب المسيح خرج من عند مريحنا وقد انكشف ستر الله عنه وعن عقبة (قال الراوى)وان الغلام من شدة ما جرى عليه تفطرت مرارته ومات لوقته وساعته فعند ذلك بلغ الملك موته فحزن عليه حزنا شديدا وقال لأصحابه لاتعلموا به أحد بما جرى له بل احفروا له وادفنوه ففعلوا ذلك وقد أراد الله أن يكون ذلك سببا لزوال ملكه (قال الراوى) وكان أبى محمد البطال فى ذلك الوقت مشاهد كل ماجرى لهم من أوله إلى آخره لانه دخل فى تلك الليلة فعندها تقدم للمضرب الذى فيه الملك زنانير فلما وصل اليه وإذا هو بشخص وعلى كتفه شىء يحمله وهو يخترق العسكر ويتخطى رقاب النوام قال الأمير أبى محمد هذا سارق لامحالة فياليت شعرى من يكون هذا فتقرب منه وحقق فيه النظر وإذا هو بغلامه اوقو فصفر له بسيم كان بينه وبينه فعرفه فسلم عليه فقال له الأمير أبى محمد ما معك يا وقو فقال

معى مولاتى زنانير ولكن أنت فيما جئت الى هاهنا فقال والله طمعا فى طلبها فقال له لؤلؤ والله سبقتك اليها فقال له الأمير أبى محمد دع يالؤلؤ كثرة الهذيان فلابد لى منها هذه النوبة ليكون سببا فى خروجنا من هذه البحيرة وسطوتنا على أعدائنا فقال له يامولاى الذى تريده أنا أضمنة للسلمين وحق رب العالمين أما تعلم ياسيدى مانزل بى من محبة هذه الجارية فعندها قال الأمير أبى محمد صدقت يالؤلؤ ولكن من يقع له غنيمة مثل هذه الملكة ويتخلا عنها فلابد منها فى هذه الليلة فقال لؤلؤ لأبى محمد اسمع منى التحقيق فأنا والله أصبر على كل شيء إلا على طلوع الروح فلاصبر عنها وهذه والله روحى من الدنيا فقال له الأمير أبى محمد والله لابدلى منها فعندها قال له لؤلؤ والله ان السماء أقرب لك منها فقال الأمير أبى محمد أنت تمنعنى منها ثم أن لؤلؤ أخرج من بين أثوابه خنجر عريض ثقيل يدب الموت منه قال فلما نظر أبى محمد الى لؤلؤ وقد أخرج هذا الخنجر قال له ويلك ياوقح الوجه ياولد الزنا تواجهنى بهذا الكلام فقال له لؤلؤ والله يامولاى لقد غلبنى الشوق اليها والغرام وانى بها مستهام وحليف المحبة والسهام قليل الرقاد ووالله العظيم لئن تركت سبيلى ليكون لك عندى عشرة آلاف دينار من مال الملكة زنانير قال فلما سمع الأمير أبى محمد عن لؤلؤ ذلك الكلام وتحققه رق قلبه وقال له قد وهبتها لك يالؤلؤ فى هذه الليلة فشكره على ذلك ثم قال له اعلم ان غضب المسيح هو فى سرادقه وقد وقع نائما كأنه ميت فاقصده لعلك أن تظفر به فقال له أبى محمد من يقرب هذا الجبار فلو انك معى كنا استعنا ببعضنا بعض فقال له لؤلؤ قد إكتفيت بمن معى فاذا أردت أنت ذلك فافعل عند ذلك ضحك أبو محمد من كلام لؤلؤ ثم ان لؤلؤ سار وعلى كتفه الملكة زنانير الى أن أخرجها من العسكر وأبعد بها وأمن على نفسه عند ذلك حطها عن أكتافه وحل كتافها وهى لاتعقل على روحها وكلمها لؤلؤ فعرفته وكانت الملكة زنانير لما أخذها لؤلؤ حسبته أبو محمد البطال عيار المسلمين فلم تتكلم وقالت دعنى أكون عند المسلمين أحب إلى أن أكون عند هذا الكلب غضب المسيح فيبلغ منى غرضه غضبا وأنا وحق المسيح قتلنى هذا العبد والجزع والكتاف وكانت متوهنة من شدة تلك الوقعة من وجع جنبها لما وقعت من على الجواد فى حومة الميدان (قال الراوى) وانها عرفت لؤلؤ وحمدت المسيح على ذلك وكاد قلبها يطير من الفرح ثم جعلت تسأله عن حاله فقال لها أيتها الملكة ما هذا وقت سؤال ثم تركها فى موضعها وأوصاها أن لاتبرح من مكانها ورجع الى العسكر وسرق حصان وسيف ودرقة ورجع اليها أسرع من البرق وسلم اليها الجميع واجتهد أن يفك القيد من رجلها فلم يقدر على ذلك وعالجه حتى كسر العوامل وبقيت الخلاخيل لانهم ماطلعوا لأن ساقها

غليظ فقال لها اؤاؤ يامولاتى اركبي واطلبي لنفسك النجاة فقالت له يا اؤاؤ كم لك على من أيادي وقد خلصتني مرتين من يدى الاعادى فابشر بما يسرك قال فتراى اؤاؤ على أقدامها يقبلها ثم ركبت وأردفت اؤاؤ خلفها على ذلك الحصان وسار بها فى طريق يعرفها حتى لايقع بهم أحد فلما توسط الطريق خرج عليهم عشرة فوارس من أصحاب غضب المسيح وكانوا قد خرجوا يقطعون الطريق فوقعوا بالملكة زنانير ولؤاؤ خلفها فلما نظروها فى ظلام الليل قفز الحصان فرماهما فوثبت زنانير كالاسد اذا غلبته فريسته هذا واؤلؤ قد قال مليح يكون خلاصها وحدها أقع انا وایاها فى قبضة غضب المسيح ما كان يبقى علينا ساعة واحدة مما فى قلبه منى فانا لله وانا اليه راجعون هذا والملكة زنانير لما رأت العشرة فوارس التقتهم بقلب قوى وجنان جرى فنثرت منهم الكفوف والمعاصم وطيرت الرؤوس والجماجم فجاءها سهم منهم خبط فخذها فى الغرق فحملت عليهم وجعلت تلتقطهم واحد بعد واحد حتى قتلت العشرة وقد وقع العائط الى غضب المسيح أن زنانير هربت فركبوا وطلبوا من كل فج ومكان فما وصلوا اليها الاوقد فرغت من العشرة ووصلت الى عسكرها فوقع فيهم الفرح والسرور بسلامتها وهى لاتصدق ذلك ولؤاؤ قد فرح بسلامتها وركوبه خلفها وهو ماسك كتفها وردفها فى حضنه كانه ملك الدنيا بما فيها هذا وغضب المسيح قد قامت عليه القيامة ودخل خيمته وسأل عن عقبه وماريتون فما وقع لهما على أثر ولا على جلية خبر فسأل عنهما الغلمان فقالو اوحق المسيح مالنا منهما خبر فأيقن أن عيار المسلمين سرقهما فندم حيث لاينفعه الندم وركب هو وأصحابه وكان عسكر المسلمين غافلا فما كانت غير ساعة الا والروم قد كبسوهم فى الخيام فيالها من ساعة خرجت منهم الارواح وكثر الصياح وزاد النواح ونادى الامير عبد الوهاب الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر وتصايحت معه الفرسان واتبعتها الحبشان وطارت الرؤوس وأخرجتهم المسلمين من خيامهم وهم صاغرون وقد أعز الله أولياءه وخذل أعداءه وقد تعجبت المسيح غضب من ثبات المسلمين وقال وحق المسيح ما أيقنت ان يسلم منهم أحد (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى غيبة الملعون عقبة والخنزير ماريتون انه لما رجع الامير أبو محمد البطال من عند اؤاؤ فبينما هو يمشى فى الطريق وزو فى أطراف الخيام فرأى ثلاثة أشياخ فصفر لهم فتقدموا اليه فلقيهم غلمانه فعرفهم واذا هم يانس وبديع فسألهم عن حالهم وعن مجيئهم فقالوا له غبت عنا فخرجنا من الخيام وقلنا انك ماتروح إلا اغضب المسيح فجئنا ومعنا كلما تريد من العدد فقال البطال والله أحوج ما كنت اليكم فى هذه الساعة اتبعونى فساروا الى خيمة عقبة وماريتون.

فدخلوا فوجدوا عقبة يغط فى نومه مثل الثور وماريتون إلى جانبه فقال البطال أنا لعقبة وأنت ياجوهر وياانس لماريتون قال فارموا أنفسهم عليهم فما أحسوا الا وهم فى الرباط وفى فم كل واحداً منهم أكره فأيقن عقبة بالبلاء وقال عاقبة الفساد ميشومة ولاشك ان المسيح غضب علينا البارحة لان الملك مريحنا من وقت فارقت روحه جسده ما أفلحنا ومن أجله غضب المسيح علينا ثم ان الأمير أبو محمد وغلمانه ساروا بالملعونين إلى خيامهم وكان أكثر فرح الأمير أبو محمد بماريتون فلطموهما حتى كان الماء الأصفر أن ينزل فى عيونهما وعقبة يقول كلما عملته البارحة لقيته اليوم وعاد عقبة يتلاوم هو وماريتون واذا هم بعيطات قد علت وضجات قد نمت وكان ذلك غضب المسيح لما ان كبس على عسكر المسلمين ورجعوا خاسرين (ياسادة) هذا جرى من هؤلاء وأما الملكة زنانير لما أمنت على روحها قالت من كان يكرمنى فيكرم لؤلؤ فلم يبق أحد من الروم إلا وأتحفه بشىء من المال والملبوس ثم أمرت حجابها أن يشدوا جراحها ولم تعلم أحدا برواحها (قال الراوى) ياسادة يا كرام وضمت عسكرها بعسكر عزبيل ولم تعلمهم بموت مريحنا وخلعت على حاجبه وأكرمت قومه وقد وصل جاسوس الى غضب المسيح يعلمه برحيل زنانير وانها ضمت العسكر الذى لعزبيل الى عسكرها وسارت وان الذى خلصها رجل من عندها يسمى لؤلؤ فقامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وعرف أنها مابقيت تقع فى يده ووصل اليه جاسوس آخر ان عقبة وماريتون اخذهم البطال وغلمانه وهم عند المسلمين فى أسوأ حال فغضب غضبا شديدا وقال الملعون أنا أعرف ذنبى وما فعلت مع أسيرى هذا وعسكر المسلمين لما رجعوا الى خيامهم أمرهم أبو محمد البطال بالحملة والعودة فركبوا وحملوا وللقتال تأهبوا وكثرة الشدائد وقل المساعد وركب غضب المسيح وصار الدم يسيح وعظم الزلزال وهلكت الابطال وزادت الاهوال وقطعت الاوصال وجال غضب المسيح على السودان وفتك فى الحبشان ونادى الامير عبدالوهاب بالله المستعان على عبدة الصلبان وضرب فى رقاب الفرسان وطارت الرؤوس عن الابدان هذا والامير عبدالوهاب يطعن فى الصدور حتى أعدمهم الفرح والسرور وكذلك الاميرة ذات الهمة يسمع لها ذلك اليوم عيطات وصرخات تحير الافكار وتم البتار يعمل الى آخر النهار ورجع المسلمين رابحين والروم خاسرين ورجع غضب المسيح مهموما مغموما حائرا فى فكره لاجل مريحنا الثانى من جهة عقبة وماريتون واسرهم وقال انا فى غد افتح باب الحرب واتولى الطعن والضرب وكذلك المسلمين باتوا على هذه الحالة ودخل أبو محمد على عقبة وقال له ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة أما آن لك أن

ترجع الى الإيمان وتترك عبادة الصلبان فقال له عقبة ولو أسلمت حل على مذهبكم العطب ويقال عنكم انكم كذبتم على نبيكم الذى اخبركم فغضب أبو محمد الغضب الشديد وضرب عقبة الضرب الوجيع الى أرمى لحم ابزازه وعلت انخاذه وكذلك فعل بماريتون وقال لعلمانه قد رأيت رؤيا وهوان أرفع هذين الكلبين الى قلعة الملك شعشعونا ويكونوا هناك فنأمن من مكرهم وحيلهم ثم أنه بعد ذلك دخل على الأمير عبد الوهاب وأعلمه بالحال فقال له أعمل ما بدالك وأخرج عشرة فوارس وسلم عقبة وماريتون اليهم وأمرهم برفعهم الى قلعة شعشعونا وان يحتفظوا عليهم فأخذوهما وساروا بعد أن حطوهما فى صندوقين وهما فى أسوء حال وساروا بهما الى قلعة الجوز وأنزلوهما فى سرداب طويل تحت طابق وسدوا عليها وجعلوا لهما طاقة صغيرة للشىء الذى ينزلوه لهما ثم انهم جعلوا عندهم من الزاد ما يكفيهما قال فلما رأى عقبة ذلك خنقته العبرة وأظهر الحسرة وهو شيخ كبير ولكن قال هذا فى طاعة المسيح ما هو كثير وان عشت سوف أفعل ما أتخلص به من المسلمين ومن شرهم وأخرب المساجد والمحاريب وأحرق كل منبر وخطيب وهو يقول هذا المقال والملائكة تلعنه والله على هلاكى قدير فهذا ما جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من عسكر المسلمين وغضب المسيح فانهم باتوا ينتظرون الصباح وكل يطلبون الكفاح فلما طلع النهار اصطفت الصفوف واهتزت السيوف فبينما الناس كذلك وإذا بعسكر غضب المسيح ترجلت بطارقته وتمخضت جوانبه وخرج الملعون غضب المسيح إلى بين الصفين وقد تسوك برجيع البترك (قال الراوى) وأنه لما عول على الخروج علق فى شواربه ذلك الرجيع وظن أن فعل ذلك نصره ولما أن خرج بين الصفين نادى مناديه يامعاشر المسلمين هذا الملك الضرغام صاحب الضرب والصدام ملك ملوك النصرانية وقد خرج إلى فارسكم عبد الوهاب ليث بنى كلاب لينظر من هو أعظم فى الشجاعة والقوة والبراعة وبعد ذلك فلا بد ما يسبقه كأس الحمام ويريح بقتله جميع الأنام وإلا تخرج اليه ذات الهمة الموصوفة بين العرب والعجم والترك والديلم فان أعمالها لاتخمد إلى طول الأبد وإن كان قبيح على الملك ان تقاتل امرأة ذات ضلع أعوج وعقل أهوج وما هى إلى الزواج أحوج إلا أنها تعد برجال ولها الوقائع والأهوال ولما حدثوا الملك بما هى فيه من الشجاعة والقوة والبراعة صلب على وجهه وقال مستخفيا بكلام القائل ان ظفرنى المسيح بها لاعرفنها أنها ما لاقت فى عمرها شجاع ولا قرم مناع وها الملك ينتظر جواب ويطمع الخطاب (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك أشتد حنقها وقالت أيظن هذا الملعون أن

ما يقدر أحد يقاويه ثم أنها عزمت على الخروج فاعترضها ولدها عبد الوهاب وقال لها يا أماه تظلميني فما دعى فى الأول إلا أنا وما أقدر أتخلف عنه فارجعى وأتركينى له فانى به ملئ ولا يجوز لى أن أقعد عنه فارجعى وما يكون جوابى عند الله تعالى إذا قال لى يا عبد الوهاب دعاك عدوى إلى الجهاد فى سبيلى فماذا يكون جوابى لربى عز وجل (قال الراوى) يا سادة فبينما الأمير والأميرة فى المشاجرة وإذا بفارس قد خرج كأنه سد حديد أو برج مشيد وهو على جواد سابق يفوت الباشق ويسبق اللاحق مطاع عليه صدرية زرد كأنها عيون الجرد وبيده رمح أسمر وفى يمينه صارم أبتر وهو يهدر ويزمجر وينشد ويقول

أنا الذى تدعوه يا أرزل الكفرى * إلى الحرب عن جد سيد وعن نصر
فدونك منى ضيغما عزماته * أحد من البيض المهندة البتر
أنا سيف دين وابن حسامه * يصول على الأعداء بالبيض والسمر

(قال الراوى) وان الأمير لما رآه لم يعرفه فسأل عنه فقيل له هذا ولدك قشعم فضاق صدر الأمير عند خروج ولده اليه وقال والله انى خائف عليه من هذا الجبار والبطل المغوار هذا وقد حمل عليه قشعم وحمل غضب المسيح عليه وتطاعنا ساعة من النهار وقد شخصت نحوهما الأبصار وصاح به غضب المسيح وطعنه طعنة شديدة فحاد عنها قشعم وصار لفرسه حزاما لشيء يريده الله انقطع حزام الفرس فوقع هو والسرج سواء فمع وقعته لم يمهله غضب المسيح دون ان وثب اليه وأخذه أسير وعاد به إلى قومه وقال لهم هذا بطل الإسلام فقال سوف آتيكم بالأب فدعوا له القسوس وقكشفوا له الرؤوس وقالوا هذا كله من بركة رجيع البترك الكبير أيها الملك الخطير فقال غضب المسيح ما أقول الا الصحيح من حيث شميت رائحته وهو يسطع علمت انه خالص مافيه من رجيع غيره شيء ثم رجع يهدر الى الميدان فخرج اليه الأمير ظالم وقد فاض دمعه وانسجم على فقد أخيه قشعم وهو على جواد عالى من الخيل كانه قطعة من الليل ومعه رمح طويل وهو مكثر من البكاء والعويل وحمل على الملك كانه الأسد إذا عاين فريسته ثم تطاعنا حتى تقصفت الرماح وتضاربا حتى تثلمت الصفاح هنالك عمدوا إلى الملاكمة والمصادمة والملاحمة والملازمة فرأى غضب المسيح من ظالم مالم يعهده من غيره طول عمره فقال له يا هذا أنت أمير العرب وملك المسلمين المنتخب فقال له ياويلك أنا أخو الفارس الذى انقطع حزام فرسه وكلنا أولاد أمير الإسلام والذاب عن الإمام فدع عنك هذا الكلام ودونك واللكام (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم تقدم الملك إلى الأمير ظالم من بعدما كان

قد تأخر عنه وتلاكما لكما لو وقع على الجبال لهدها ولم يزل معه فى أشد أمر إلى أن أضجره الملك وكان الملعون أخبر أهل البحيرة باللكام ثم أنه فعل فى الأمير ظالم وقد كش على مضاربه ولكمه فلولا وقعت فى كتفه كان قتله فوقع مغشيا عليه ثم أخذه أسير ولو لم يلكمه لم كان يقدر عليه ثم أن الملعون عاد به إلى عسكره وقد فرح بأخذه ووصل إلى قلب الأمير عبد الوهاب من ذلك أمرا عظيما وقال لقد جرت المقادير على ولدى فى هذه النوبة ثم أمر أهل العسكر أن لايعود أحدا يخرج اليه (قال الراوىَ) ياسادة يا كرام فبينما الأمير يخاطب أصحابه وإذا بفارس قد خرج اليه كأنه الجاموس فتأمله الأمير وإذا به ميمون الجماس فلا وأبيك ما حمل عليه بعد الوصول اليه وجاوله سوى لمحة عين حتى أخذه أسير ثم خرج من بعده قرقود بن اه الأمير قراقد فأخذه أسير فخرج اليه بردبن الأزهر فأسره بعد المشقة والضجر ثم خرج اليه راشد بن ضمرة وهو يقول يالها من سفرة أسرت فيها الأبطال وفنيت الاقيال وانه جال معه ساعة من النهار فأخذه أسير وخرج من بعده سعيد بن الفرج فأخذه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك وما قد نزل بأبطاله عظم عليه وكبر لديه وقال وحق من أرسى الجبال والأعلام وأجرى الأقلام وأبرم الأحكام وخلق الضياء والظلام لارجع خرج اليه غيرى فان هذا غاية الذل والهوان ثم ركب على جواد غير الذى كان تحته يقال له السابق وكان الامير عبد الوهاب لايركبه الا فى يوم عظيم وكان هذا الحصان يساوى وزنه ذهبا فى المنظر والمخبر يسبق الرياح ويطير بلا جناح راكبه فى أمان إذا جرى فى ساحة الميدان وقلده العنان (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولبس درع من عمل النبي داود وليس له نظير فى الوجود ولا سواه عند أحد موجود وعليه بيضة عادية لاتعمل فيها السيوف الهندية وفى يده قناة خطيه لها سنان كأنه المنيه (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان الامير برز الى حومة الميدان ومحل الضرب والطعان وجال وصال على ظهر الحصان وحمل على غضب المسيح فلما رآه غضب المسيح حمل الآخر عليه ثم هدر وزمجر وشخر ونخر ولحسامه أشهر وحمل على الامير وتضاربا أشد ضراب وتطاعنا واشتبكا والتزما وافترقا ودأما على الحال وهما فى الصدام والقتال فزاد بالملك الغضب وكان تحت فخذه ثلاثة مزاريق من الحراب القصار فاستلب منهم واحدة وضرب بها الأمير واصلة اليه وثب من على ظهر الحصان صار على وجه الأرض حتى جازته وخابت ثم انه عاد الى ظهر الحصان واستوى عليه فلما رآه قد استوى على ظهر جواده كأنه الاسد وهو ثابت يضحك على غضب المسيح ازداد حنقه عليه وأراد أن يرميه بمزاراق ثانى

فناداه الامير عبد الوهاب ياويلك ماهذا شرط البراز ولا فى حكم الحرب والانجاز لازرق المزاريق ولارمى النشاب وما أخرج هذين السلاحين الا أزل الناس وما افتخرت الابطال الا بضرب البتار وطعن الاسمر العسال (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك من كلام الامير أخذه الغيظ وضحك أشد ضحك يكون وجعل يقهقه حتى استلقى على قربوص سرجه ثم هدر وزمجر وكفر وتجبر ولحسامه أشهر وحمل على الأمير القسور كانه الليث الغضنفر فثبت له الأمير وصبر والتقاه بصدر فيه الإيمان مصور وتضاربا ضربا منكر كانه النار ذات الشرر وظهر كل واحد منهما على خصمه واشتهر وظن انه قد نال نصر أو ظفر ولم يبق فى أيديهما من السيوف الا المقابض واعتمدا على الرماح بعد ضرب الصفاح وتباعدا وتقاربا وتطاعنا ثم أوسعا فى الأرض ميدانا وأزعجا الأرض والبيداء وقد رمقهم العسكران بالاحداق وتطاولت نحوهما الاعناق وعظم من الفريقين القلق والاحتراز هذا والاميرة ذات الهمة على ظهر جوادها وهى على غاية القلق وقد علمت أن ولدها بلى بشىء ماله به طاقة فأردت أنها تحمل على غضب المسيح من شدة الاشفاق على ولدها والاحتراز وقد تعجبت العسكرين من ذلك الفارسين ولم يرجح أحدا منهما على صاحبه بحسن صناعته وشدة مضاربه ولم يزالا كذلك حتى تقصفت الرماح ثم حمل الملك غضب المسيح وقد زاد عليه الحنق اذا وقف معه الامير عبد الوهاب وطلب الخلاص منه والافتراق فلما افترقا رد غضب المسيح يده الى وراءه وأخذ مزراق من تلك المزاريق الذى تقدم ذكرها ثم أرسله الى الأمير عبد الوهاب أسرع من البرق البارق أو أقرب من نزول الودق فخرج من يديه كانه النبلة الصائبة لاتحققه النواظر ولا يعرف له أول من آخر وظن كل انسان أن الأمير هالك فلما عاينها الأمير عبد الوهاب وكان قد تأهب واحترز لنفسه فلما وصل المزراق اليه أرمى نفسه من على الجواد وقد استخار الوقعة من على الجواد إلى الأرض ولا يصل اليه المزراق فوقع المزراق كما يشاء الملك الخلاق بين عينين الجواد فخرج من دبره فوقع على الأرض وقد خرج المزراق منه فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى تلك الضربة تحير وكذلك كل من نظر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وإذا بالأمير عبد الوهاب بادر اليه وطعنه بالحربة وهو ثابت على الأرض فعبرت الحربة خائبة وغاصت فى الأرض إلى أن غابت من شدة ساعده فلما رأى الملعون إلى ضربته وقد خابت فوثب إلى الأرض عن حصانه وطلب الأمير عبد الوهاب ودخل فيه وبطل حكم السيف واعتمد على القوة ولم يزالا كذلك إلى أن أصفرت الشمس ثم أن اللعين غادر الأمير ولكمه فى مشعره كما فعل بولده مظالم فوقع الأمير وما فى عينة قطرة وقد

غاب عن الدنيا فعند ذلك حملت الأميرة تروم خلاصه فحالت الروم بينها و بينه ولم تقدر أن تصل إلى غضب المسيح وقد عملت الصوارم فى الجماجم وطارت الأكف والمعاصم وضاقت نفوس المسلمين مما شاهدوا من فعال ذلك الجبار وضاقت حضورهم عن الأمير عبد الوهاب ووقع فيهم الضراب ثم كشفت الأميرة رأسها ونادت يا آل عامر يا آل كلاب فأجابوها بالتلبية فصاحت ونادت بالحملة وقالت يالثارات الأمير والسيد الخطير دونكم والأعداء فهذا يوم الفراق والذهاب والعذاب على الروم يابنى كلاب لتخلصوا الأمير عبد الوهاب وترس قبر النبى الاواب فحملت السودان وبربرت الحبشان واشتد بين الطائفتين الطعان وكل قاب على الأمير حيران هذا وقد سبق الملعون إلى عسكره وسلم اليهم الأمير عبد الوهاب وقال ياويلكم احتفظوا عليه فانى وحق الإنجيل ما رأيت فى عمرى أفرس منه وما أخذته إلا بعد جهد جهيد ثم أن البطارقة تسلمته وتوكل به مائة بطريق وكان الذى استلموه كأنهم الأطواد أو بقية قوم عاد ثم أن الملعون تحسر وقال اين عين الحكيم ما ريتون والشيخ النجيح يروا ملك المسلمين والمقدم عليهم أجمعين فى قبضتى رهين فقال له طور مريم وكان هذا جبار عنيد وشيطان مريد وكان يقرب إلى الملك غضب المسيح وهو فى طبقته فى الشجاعة أيها الملك طول المسيح عمله ودفع قدرك وزاد فى فخرك وذكرك مادمت لنا سالما فلا تبالى عمن غاب أو حضر معنا لاننا كلنا بك والاصحاب مبتهلون بسلامتك وهى سلامة دين النصرانية فلما سمع الملك منه ذلك شكره وخلع عليه وامره بالحملة على المسلمين فحمل كأنه الهائج وفتح فى الارض ميدان واخترق الصفوف وجدع الأنوف وأبان الرؤوس واختلس النفوس ثم حمل بعده الملك غضب المسيح فى أربعة آلاف بطريق ففتكوا فى الناس وكان يوم عظيم وكانت الاميرة قد التقت طور مريم فى وسط المعمعة وصاحت به سوطا خلعت فؤاده من صدره ومالت الى نحوه وفتحا فى الأرض ميدان وكانت البطارقة قد أخبرته أن طور مريم قد التقى بأميرة المسلمين ففرح الملعون بذلك وقال أن أخذها أسيره أو قتيله فقد فاز بالجائزة لأن جميع الناس يزعمون أنها أشجع من ولدها عبد الوهاب ومالى خصم الا هذه المرأة فان هى قتلت نلت المراد وشفيت الفؤاد وما يبقى على حكم أحد ثم انه أراد أن يتفرج على قتال الأميرة مع طور مريم عند ذلك قرب منهم ونادى به الآن خذ حذرك من هذه التى قد مزقت القلوب وزادت الكروب وهى أم الأمير الأسود والعبد الأزبد فان قتلتها وخلصت منها فلك على خراج مدينتى قلعة الذهب سنة كاملة (قال الراوى) ولما رأت الجماعة حملت الأميرة على ذلك الكافر الفاجر

طور مريم تأخروا عن القتال ثم طلبته الأميره بقلب قوى أقوى من الصخر وأجرى من البحر وهى تقرأ سورة الاخلاص وصوبت السنان اليه فرأته فارساً لايطاق وعلقم مر المذاق سريع الانعكاف والانعطاف خفيف الانحراف يبطل الطعان ويعطل الضربان لكن جاءه مالم يكن فى الحساب من فارسة الزمان وسيدة الشجعان وقابلته بطعنة عامرية وعزمة كلابية فوقع السنان فى صدره خرج من خرزة ظهره وانقلب إلى الأرض ونادت الأميرة الله أكبر وفرحوا المسلمين بسلامتها واغتاظ غضب المسيح من أجل قتلها طور مريم وتعجب من الأميره وقال ان هذه امرأة عظيمة وانها أفرس اهل زمانها وأنا أعلم ان ما بقى من أجلها إلا هذه الساعة فقال له قس وكان له قدر عظيم عند غضب المسيح وهو مقدم على سائر القسوس أيها الملك الكريم المسيح يبلغك ما تريده من كل بطل شديد وتملك الدنيا وتأخذ أعداءك وأعداء الدين وهم هؤلاء وانى أشير عليك رأى فان رأيته صواب فاتبعه وان لم ترضى به فاتركه فقال له الملك قل أيها الشيخ الصالح صاحب الرأى الناجح ولا أخلانى المسيح من رأيك ورأى الشيخان الحكيم وعقبة فانهما عندى عماد الدين فقال القس قد رأيت اليوم مافعلت هذه المرأة بأبطال النصرانية وكيف قتلت طور مريم وهو أفرس أهل زمانه وأشجع أهل أوانه والمسلمين قد انكسرت شوكتهم بأسر امرأتهم لاسيما وهم بالعسكر كله ولم يبقى لهم محامى الا هذه المرأة فما امهلك لو كبستهم الليلة فى خيامهم والمضارب وتنال غاية المطالب وتستريح من القتال والمبارزة فان هذا عار عليك بأن تخرج إلى هذه وهى امرأة ذات ضلع أعوج وعقل أهوج فكيف ترضى لنفسك أن تخرج اليها وتقدم عليها وأنت الملك الخطير والسيد الكبير وأنا أرجوا من المسيح المعونة على ذلك فانه مع من نصح فى خدمته وصدق فى طاعته وأنا أعلم أن البدرة لمن بدر ولاينفعهم منا الحذر فقال له الملك أما ماذكرت من كبس القوم فهو عين الصواب ولكن مع غير هؤلاء الكلاب لأنه لاينطلى عليهم محال وهم أسود فى صفة الرجال وأكثرهم لون الظلام اذا اعتكر ولهم قراطيس كأنها قراطيس البقر البقر لايرهبون الموت ولا يخشون الفوت وأما ما ذكرت من خروجى الى هذه المرأة فانه عار وشنار فهذه مما لايصدق لأنها حامية الثغور وأميرة هذا العسكر وهى وحق المسيح أفرس من ولدها ومن كل من أسرته ولقد حدثنى عقبة عنها أحاديث لولا اننى شاهدتها لما صدقته فيها وأنه حلف بالإيمان ان هذه الأميرة حملت على عسكر وحدها وطعنت فيه وخرجت سالمة وهذا مايكون فى الفروسية أعظم منه (قال الراوى) وان الملك دخل إلى خيمته التى فيها الأمراء وقال كيف حالكم اليوم كانت نوبتكم وغدا نوبة ذات الهمة أميرتكم

لآخذنها أشد أخذه ويعيننى على أخذها المسيح وأحضرها اليكم وأشدها معكم أسيرة وهى ذليلة حقيرة بعد ما أخمد أنفاسها وأقهرها فى حومة الميدان وأجعلها عبرة لمن اعتبر وشهرة بين البدو والحضر وأوثقها كتاف ثم انه أقبل على الأمير المجاهد سيف الاسلام وذخيرة الأنام والمحامى عن دين النبى الأواب الأمير عبد الوهاب وقال له وحق المسيح ما أعجبنى فيك إلا ما أنت فيه من الشجاعة والبراعة واليقظة والنباهة ولقد فتحت أبواب الحرب كلها فبطلتها وعملت لك من الحيل مالا أقدر عليه ووافقتك فى ميدان الحرب بما لم وافقت به الأبطال وسلكت معك طريق تبهر الأقران وقد وجدتك للحرب خابر وللأبطال قاهر وشمائلك أعجبتنى ومواقفك أدهشتنى وخصائلك ترافقنى وشكلك لا يكاد أن يبلى ولا يهان ولا يزعج ولا يدان ولو أطعتنى على ما أقول ونطقت معى بالتالوت كما نقول فان وافقت على ذلك كان لك مالنا وعليك ماعلينا وأدفع لك من الأموال الجزيلة والقلاع والبلاد مالم يكن لك فى حساب وأقدمك على عساكر النصرانية وأجعلك عندى فى أعلا محل وأعلا منزلة وسلمت الملك اليك سيما وأنت أعقل أهل زمانك وان انضافت اليك والدتك الأميرة الكبيرة المكرمة الجليلة فاننى أشهد المسيح علىّ ان تكون عندى أعز من الكبد والروح فى الجسد وأكتب لها ديوانا ما لملوك الإسلام مثله ولا أكون إلا بحكمكم وأعطيك خراج قلعة الذهب ثلاث سنين وأخلع عليك فى كل شهر ثلاث خلع وأجعل جميع ملوك الرومانية يسجدون لك وأعطيك تبركا من رجيع البترك الكبير بترك قمامه شيئا يكون عندك إذا لاقيت العساكر وشفت الجحافل تنصر على أعدائك وتبلغ مناك فلما سمع الأمير ذلك قال أيها الملك أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين وأختار الدنيا واترك الدين ولقد أنبأنا سيد المرسلين محمد بن عبد الله خير الاولين والآخرين فى كتابنا ماهو مذكور فى إنجيلكم لو سمعتموه لكنتم مؤمنين ولو ذقت أيها الملك حلاوة الايمان فى قلبك لرجعت إلى ربك ثم بكى الامير عبد الوهاب حتى بل لحيته وكاد أن يفارق الدنيا وقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون ماشاء الله كان ومالم يشاء لم يكن أشهد ان الله على كل شىء قدير وان الله قد أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا وان الله يبعث من فى القبور ثم قال أيها الملك المغرور لا تعتقد انك فى الميدان قهرتنى ولا بسيفك أخذتنى ولا رجيع بترك قمامة نفعك ولا ضرنى وحق من برأ النسمة وأجزل النعمة ونور الظلمة وكشف عن قلوب المؤمنين غياهب الغمة لقد كان هذا مكتوب علينا فى اللوح المحفوظ من القدم فان كنت اليوم

قد قهرتنا فى غد ان شاء الله تقهرك الاميرة ذات الهمة فارسة الاسلام وقاهرة عبدة الصلبان والنازلة بالاقران الذل والهوان طاعمة الطعام والقائمة فى غياهب الظلام وأما قولك تنصر وارجع الى دينك يامغرور رأيت من يختار الدنيا على الآخرة ولئن فعلت ذلك فتلك إذا كرة خاسرة ثم قال أيها الملك لو كنت فى ميدان الحرب وواجهتنى فى موقف الطعن والضرب بهذا الكلام الذى ماسقط به أحد من الانام لكنت علوتك بالحسام ثم قال واعلم أيها الملك ان الحرب يوم لك ويوم عليك فان كان عليك فلا تضجر وان كان لك فلا تغتر فلو انك أيها الملك توحد الله وتقدسه وتمجده وتقر له بالربوبية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وتقر أن الله واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدكان لك مالنا وعليك ماعلينا وكنت تمضى معنا إلى بلاد الاسلام والمسلمين وتدخل فى زمرة الموحدين وتطأ بساط الخلافة ويخلع عليك أمير المؤمنين ويعطيك من البلاد والرجال ما يزيد عن أمنيتك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الملك ذلك من الامير عبد الوهاب شخر ونخر وكفر وطغى وتجبر وزاد كفره وشره وقال ياويحك لئن خرجت أمك لأخذنها ذليلة حقيرة وأقودها اليكم أسيرة ولاذيقنها طعم العذاب والنكال ولأجعلنها شنعة لأهل العصر والزمان ولا تظن انى كمن مارستم من الابطال ولهمن وافقته فى الميدان وانها عندى كالحبة فى فم العصفور أو الكلب فى الصحراء يدور وفى غد أصح فعالى وأوقع بها نكالى ووبالى وأجرعها الحسرات وأهمل منها العبرات ولا أرحم منكم أحد لا والد ولا ولد ثم أنه ضرب الأمير بيده وهو يسبح الله تعالى وكذلك الأمراء يسبحون الله تعالى ويقدسوه .ويوحدوه ويمجدوه ويهللون بلسان طلق لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عيسى بن مريم عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلما سمع عدو الله ذلك من الأمراء أزداد كفرا وحنقا (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأن غضب المسيح الملعون زادهم قيودا وضاعف عليهم الحرس وأوصى عليهم مائتين بطريق وقال لهم إياكم والمحتال أبو محمد البطال وحق المسيح لئن وقع فى يدى لانكلن به أشد النكال ولآخذن منه بتارى لأنه فرق بينى وبين مهجة كبدى وروحى فى جسدى الست دوصه التى أخذها هو ولآخذن ذات الهمة جارية لها ولا خرجنها من خيمتها والقسوس عن يمينها وعن شمالها والإنجيل بين يديها والمسيح والحواريين يوصى ويوشع يوصلون بركات القربان اليها ولا بقى عن ذلك تأخير ولاعنه مصير بل غدا يكون ذلك ببركة المسيح هذا والقسوس حوله والحاجب شمعون واقف بين يديه يخر له ساجد ويبجله قائم قاعد ثم أن غضب المسيح لعنه الله

انصرف من خيمة الأسارى وعاد إلى خيمته وهو فرحان مسرور بما ملكه من الأسارى (قال الراوى) هذا ما جرى من غضب المسيح (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فارسة الزمان ومقدمة الفرسان فانها رجعت واستوحشت إلى ولدها ثم نادت وأشوقاه يا آل عامر يا أرباب المفاخر ياعصبة الاسلام والتوحيد والإيمان فأجابوها بالتلبية فقالت لهم والله لقد قتلني الشوق إلى ولدى وقرة عيني الفارس الهمام والسيد المفضال ولقد عزمت على أنى أكبس هؤلاء اللئام وأنتقم وأخلص ولدى من أسرهم فقالوا لها أفعلى ما تشتهى فان شئتى ركبنا إليهم وكبسنا عليهم ورمينا أنفسنا عليهم ولا نبرح حتى نخلص أمراءنا ويعطى الله النصر لمن يشاء ثم أنهم طلبوا أبو محمد فلم يجدوه نعلموا أنهم إن شاء الله منصورين وعشموا بخلاص الأمراء وعلموا أن الأمير أبو محمد البطال مضى يحتال بحيله فأخرت الأميرة الكبسه حتى تنظر ما يكون من أمر أبو محمد البطال فانه خرج إلى عسكر غضب المسيح ولم يزل يتخط الفساطين والخيام إلى أن حصل عند خيمة الأسارى وطلب أن يحتال بحيلة يدخل بها على الأمير عبد الوهاب فوجد عليهم حرسا شديداً وهم مائتان بطريق غلاظ شداد وهم يتكلمون بكلام رومى مغلق ونظر إلى اللعين غضب المسيح وهو يضرب الأمراء فتقطع قلبه وأشتغل لبه وضاقت عليه الأرض بما رحبت فخرج من الخيام وقد أسبل على الأقطار الظلام وأما الأميرة فانها لما طال عليها الليل شكت أمرها إلى ربها ووقفت تناجى مولاها ونادت بلسان طلق وصدر حرق يا عالم الخفيات ويا من هو مطلع على النيات يامن يقدر ولا يقدر عليه يا كاشف الغم يا فارج الكرب والهم يامجيب دعوة الداعى إذا دعاه إلهى أنت أعلم مالا أعلم وأنت الأعز الأكرم وأكشف ما بولدى وبالمسلمين من الضر وفرج عنهم ماهم فيه من ضيق الأغلال وجور هذا الظالم برحمتك يا أرحم الراحمين ثم أشارت تقول

من معينى من مسعدى من مجيرى ٭ زاد وجدى وحسرتى للأمير
أين سيف المجاهدين والفارس الندب ٭ وكهف الإحسان للمستجير
أين عبد الوهاب مع ظالم القرم ٭ وأين صاحبي ونصيرى
أين سيف الحنيفية الولد الشهم ٭ وباب الرضى لكل أسير
أين يزد بن الأزهر الصاحب الصادق ٭ فى كل موقف ومشير
أين أصحابى الكرام تراهم ٭ فى القيود الحديد بعد السرور
أين تلك الوجوه قد أوحشونى ٭ لم تغيب عن خواطرى وضميرى

أين أبى البطال يكشف ما بى * من الغم والجوى وحر السعير
عز صبرى بعد الأمير فمن لى * برجوع الأمير ابن الأمير
عز صبرى بعد الجماعة والصبح * بعيد على والتأخير
صح انى سأكبس القوم فى الليل * البهيم المشعشع الديجور
صح عندى سأصدم القوم بالعزم * وبالصدق فى العدو والكفور
وافقونى على المصاف بضرب * الهام وبالسيف المهند البتور
ساعدونى على ملاقاة خصمى * بحياتى أطعنوهم فى الصدور
فلعل الاله يشفى فؤادى * وأذيق العدا عذاب السعير
وأنال عن أعدائنا كل قصدى * وبضرب موهن للظهور
وأذيق الكفار منى عذابا * شافيا للفؤاد ثم الصدور
فلعل الاله يكشف ضرى * بشفا خاطرى ورد نصيرى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما فرغت الأميرة من شعرها بكت بكاء عظيم وبكا كل من كان حاضرا فدخل عليها الامير أبو محمد البطال وقال لها أصبرى الى أن يصبح الصباح ويسهل الله بما فيه الخير والصلاح وعند الصباح تحمل القوم والله ياأميره والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لقد كنت الآن فى عسكر غضب المسيح فوجدته أكثر احترازا على نفسه من كل أحد ورحت عسكر الملكة زنانير فوجدتها كثير الاحتراز وان عضب المسيح وجدته وقد وكل بالأمراء مائتين بطريق يتكلمون بكلام لايفهم وكل من استغربوه مكسوه وقيدوه وقد وقع فى أنفسنم أننا ما نخلص أصحابنا الا بالسرقة والحيلة والمكر والخديعة ولكن ينظر الله الى عسكر الإسلام وملة دين محمد عليه الصلاة والسلام ووالله لقد تسببت فى خلاصهم فى هذه الليلة بكل سبب فلم أجد الى ذلك من سبيل وانى أحرص على خلاصهم من غيرى وان عندى من أمرهم ماعند المرأة الثكلا فلما سمعت الأميرة دعت له واثنت عليه وقالت ثبتك الله يا أمير وابقى حسناتك وطول عمرك وجعلنالك الفداء وكفاك شر شماتة الاعداء ولم يزالوا فى شكوى وحمل هم المأسورين والدعاء لهم الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فادعت الاميرة بحصان أحمر أغر محجل كان قوائمه قد أقلبت فى قالب حديد فقدم لها وقد أفرغت عليها درعها ولبست لامة حربها واستوت على ظهر حصانها وخرجت الى ميدان حربها ونادت يا آل كلاب يا حزب الملك الوهاب هلموا الى عدوكم وصابروا الى ربكم وافعلوا الخير لعلكم ترحمون(قال الراوى) ياسادة يا كرام فحملت السودان ووجوه بنى كلاب وفرسان

المسلمين وأبطال الموحدين وقدنادوا هلموا الى عدوكم واكشفوا ما بأصحابكم من الضرفان الله آخذ بأيديكم وناصركم على عدوكم ومطلع عليكم انه بما تعملون خبير ثم التقت الفريقين وزحفت أبطال الطائفتين وزاد الغبار وعلا القتار فما كنت ترى الا زند طائر وفرس غائر ويد مقطوع ودم فائر والناس بين صابر وشاكر ثم حملت الأميرة على القوم ففرقت شملهم ولم تزل تهجم فى عسكر غضب المسيح الى أن وصلت الى صاحب العلم فقتلته فقام الصياح الى الملك بأن ذات الهمة قد صارت مع القوم فى الخيام وان عسكر المسلمين قد اختلط بعسكرك أيها الملك فعند ذلك أمر باحضار جواده فقدم له جواد أشقر عالى مضمر مدور الصدر واسع المنخر فصار على ظهره وقد طغى وكفر وبرجيع البترك تبخر ثم أخذ عامود حديد وقد خرج وخرجت الشمامسة بين يديه وقد ترجل فى ركابه من قومه خمسة آلاف فارس وخرج وهو يزمجر وصار بين العسكرين فبلغ الخبر الى الأميرة فبادرت الى موقف الجلاد ونظرت ما يكون من الاضداد وعلمت أن عدو الله يريد المبارذة وموقف المناجزة وقد أخذت أهبتها للقاه واستعانت بالله ثم قالت ما أبردها على كبدى فلعل الله أن ينصرنى عليه وآخذ منه تار ولدى وأشفى كبدى وآخذ منه بحقى وأخلص المسلمين من بد هذا الكافر المهين فهى كذلك واذا قد ضربت بوقات غضب المسيح وكان الملعون له بوقات عظيمة اذا ضربت ارتجت الأرض بما رحبت وتسمعها العساكر من مسيرة ثلاثة فراسخ وتقدم الملعون وقدامه الترجمان ونادى يامعاشر المسلمين ويا أبطال الامير الذى أصبح فى يدينا أسير هل اعتبرتم بأميركم وسلمتم الى هذه الملك أمركم لأنه فارس النصرانية والمحامى عن ماء المعموديه هذا غضب المسيح الفارس الجحجاح هذا قابض الأرواح هذا مختلس الابطال عند الكفاح هذا الذى أقرت بشجاعته الابطال هذا المعروف يوم النزال هذا الذى ملك قلعة الذهب أين أميركم أبو محمد البطال يرى عماد دين المسيح هذا صاحب قلعة الدر والدولاب الفضة وحل الفيروزج هذا غضب المسيح هذا الذى أسر أميركم بالامس أين الأميرة ذات الهمة الكبيره المحترمة التى تفتخر بشجاعتها فى الميدان أين هى حتى تخلص ولدها وأصحابها فلتخرج وتقدم الى ملك النصرانية فما تم كلامه حتى برزت الأميرة وصارت قدامه فلما رآها الملك تقدم اليها وبيده عمود حديد وقد علم انها قصدت المبارزة اليه فقصدها الآخر بقلب قوى وقد التقيا ببعضهن وتباعدا واقتربا وقد صوبت الأميرة السنان الى صدره وطعنته فتلقا طعنتها بدرقة كانت معه وهى من جلد دواب البحر فغاص الرمح فيها ولم يصل اليه فاتكا على الرمح قصفه ثم حمل عليها

وعاجلها فى ميدان الحرب والمسلمون قد هموا بالحملة ليخلصوا الأميرة من يديه فما كان من الاميرة الا أنها أسرعت وانثنت على الملعون وجاولته فى المعمعة هذا والعسكرين منتظرين ما يجرى بينهما وقد تيقنت المسلمين انه يهلكها وقالوا انه استظهر عليها بقصب رمحها وكان الملعون قد جال بالعامود الحديد عليها وصوبه اليها فخرج من يدعوا لله وهو كالبرق الخاطف فتحققت الأميره وقالت فى نفسها انه إن وصل الى أهلكنى ونظرت الروم وقد أدركها فرفعت نفسها الى الأرض وقد تأخرت عن جوادها فوقع العامود على الحصان فقصف أضلاعه وعجل بانقلاعه فكبرت المسلمين لما تحققوا سلامة الاميرة ثم انها وثبت اليه كالفهد الجائع أو الاسد الهائج وداخلته إلى الميدان وقد علمت انه ان خرج بجواده عنها أهلكها فعاجلته وتعلقت بلحيته مع أطرافه وجذبته إلى الأرض فوقع عن جواده كأنه النخلة العظيمة إذا قصفتها عواصف الرياح ولما ان صار على الأرض جلست الأميرة على صدره وكانت الخودة قد انكشفت عن جبهته فضربته بيدها على جبهته أخسفتها وقد صرخ صرخة سمعوها العسكرين ومازلت الأميرة من على صدره حتى استوفت عمره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا ما كان من أمر الأميرة (وأما ما كان) من السودان لم يعلموا ان الاميرة سالمة فهلعوا ثم حملوا على المشركين فهزموهم باذن الله بعد ان طحنوهم ومالوا عليهم بالسيف كما يدور الرحى فقتلوا منهم خلق كثير وحملت الاميرة ذات الهمة وأمراء المسلمين والامير أبو محمد قدامهم حتى وصل الى خيمة الاسارى الذى فيها عبد الوهاب وأصحابه وأولاده فدخلت الاميرة الى ولدها فوجدته قائما يصلى وهو مقيد مكتف اليدين هو وأولاده (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا جرى ولما رجعت الاميرة بعد خلاص ولدها والامراء معها وتوجه الامير عبد الوهاب وألف فارس يمسكون الطريق على الكفار ورأوها السودان وهى تنادى الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وأهلك من كفر وجحد وطغى وتجبر الحمد لله الذى من علينا بقتل هذا الظالم الغاشم وضفرنا به يابنى عمى دونكم وعسكر هذا الملعون فأرواحهم طعاما لسيوفكم وأموالهم لكم غنيمة فدونكم وإياهم فحملت الرجال وتزاحمت الابطال ووقع الحرب وجرى بينهم من الطعن والضرب مالا يقدر على وصفه الواصفون ورجعوا الى الخيام واستقر بهم المقام ثم مضت الاميرة والامير أبو محمد إلى خزانة الاموال التى لغضب المسيح فوجدت فيها من الاموال الجزيلة والتحف العظيمة التى لا لها حد يوصف ولا يعرف فأحاطت عليها ووكلت بها من يحفظها ثم الاميرة عادت الى الخيام فوجدت نار الحرب مسعرة

والمجاهدين من المؤمنين مستظهرة ثم نظرت إلى طائفة من المسلمين وقد أحدقت بهم طائفة من الكافرين ومعهم شيطان مريد وجبار عنيد وبطل صنديد وشجاع لا كالشجعان فتقدمت اليه فوجدته ولد غضب المسيح لعنه الله وقد فتك فى الاقران وهم على الابطال وقاتل قتال شديد وخاض فى الاهوال فألقت الاميرة نفسها عليه وتقدمت الى الميدان ووثبت اليه وثبة الاسد الجيعان وخطفته من على جواده وجلدت به الارض هشمت أضلاعه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فعندها ولى الجيش الادبار وتمكنت فيهم البواتر الصفاح وحكموا عليهم وجاروا بالرماح والجؤوهم إلى المضيق فما نجى منهم الا من كان جواده سابق وقد انخلع من الجزع فؤاده وبضعوهم المسلمين وقد أخذوهم قبضا باليد وأوثقوهم فى الحبال ولم يزالوا كذلك إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وأخذت الاميرة رأس غضب المسيح على السنان وطافت به على كل من كان بقى من عسكره فمن صفا إلى الاسلام قبلته وشكرته ومن ركن إلى دين الكفار قتلته ثم انها استوعبت جميع عسكره واستولت على جميع ما تركوا من أموالهم وخيامهم ورجعت إلى خيامها وقد فتح الله لها وعلى يديها وأقر بالنصر عينيها (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الخبر قد وصل إلى الملكة زنانير بأن الاميرة قتلت الملك غضب المسيح ففرحت بذلك فرحا عظيما ولكن دخلت هيبة الاميرة فى قلبها وقالت ما يكون مثل ذات الهمة فى شجاعتها وبراعتها الا أنا ولقد لقيت الابطال ومارست الشجعان فلم أجد أشد جنانا منها (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انها قالت فى نفسها ان عسكر المسلمين قويت شوكتهم ولم يكن بقى لى من عسكرى إلا شرذمة يسيرة فلا آمن على ملكى ونفسى ان تصنع فى وفى عسكرى كما فعلت بعسكر غضب المسيح فهذا ما كان من حديث الملكة زنانير (وأما ما كان) من حديث حاجب الملك عزبيل فانه لما قتل مريحنا ولد الملك جمع أصحابه وتقدم عليهم وأحسن اليهم وخلع عليهم وأكثر لهم من النعم فاجتمعوا عليه وقالوا له امض بنا إلى بلادنا حتى ندبر دولتنا ونحسن إلى الضعيف ونواسى الفقير وننعم على الغنى ونزوجك بابنة الملك وان نحن قعدنا ههنا ما نأمن عساكر المسلمين أن ينزلوا على حصن الملكة زنانير وما ندرى ما يكون منا ومنهم ولقد ظهرت علينا قوتهم وثباتهم وما يكون مثل عسكر غضب المسيح ولا أقوى ملكا منهم وقد قتلوه وملكوا أمواله ورجاله وان الحاجب عزم على هذا وأراد أن يرحل ليلا ولا يدرى به أحدا وقالوا له أصحابه هذا هو الرأى السديد لاننا إذا كنا فى بلادنا استرحنا من صداعهم وأرحنا رجالنا وتوفرت أموالنا فعلم الحاجب صحة قولهم فجمع أصحابه عن آخرهم وأمرهم بالرحيل آخر الليل (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما جاء آخر الليل ارتحل

بقومه وأصبحت زنانير تطلبهم فما وجدتهم فصعب عليها ذلك وبقيت متفكرة وفى أمرهم حائرة وما تدرى ماذا تصنع فى تدبير ملكها ولم يكن لها إلا أنها أحضرت الحكيم الذى لها وأمرت أن يشدوا لها جوادها وخرجت هى وعسكرها يطلبوا عسكر المسلمين فلما قربت منهم جاءها الجاسوس وأخبرها بما جرى على عسكر غضب المسيح وكيف قتل ولده وواحد وثلاثين ألف يوم واحد وأسر خمسة عشرة آلاف فارس وأن الأميرة حصل لها من علو الشأن والذكر ما تفتخر به على ملوك الاكاسرة وقويت على الجبابرة (قال الراوى) يا سادة يا كرام لهذه السيرة العجيبة المطربة الغريبة وأن الأميرة لما جمعت الأموال والغنائم ورجعت المسلمين من كل فج عميق هنوا بعضهم بعض بالسلامة فأحضرت الأسارى ثم جمعت المسلمين ونادت معاشر المسلمين رحمكم الله كل من ملك من أموال المشركين الكفار شيئاً وغنمه فهو له حلال ولا يسأل عنه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فشكروها على ذلك وهنوها بسلامتها وسلامة ولدها واستقرت تلك الليلة فى مكانها وسكن روعها وأمنت من كيد عدوها (وأما زنانير) فانها لما خرجت إلى البرية تريد الوصول إلى عسكر الأميرة وسمعت ذلك الخبر ونظرت إلى من معها من العسكر فوجدته خمسة وعشرين ألف وأما عسكر الملك عزبيل فانها أرجلت كما ذكرنا فقالت لمن معها من البطارقة الصواب عندى أن أرجع إلى حصنى وأحفظ حرمتى فأشاروا عليها بالرجوع فرجعت وهى لا تصدق بالنجاة (وأما) الأميرة ذات الهمة فانها لما أستقرت فى خيمتها واطمأنت وسكن روعها بخلاص ولدها وجمع الله بينها وبين الأمراء شكرت الله على ذلك وأثنت عليه فقام رجل من أصحابها فقال

كم كربة فرجتها الأميرة حقا * وكم همام عظيم على موته القاع ملقا
وكم رأينا فصيحا قد أعدمته النطقا * ووصفها الآن غربا وذكرها شرقا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما فرغ الإعرابى من شعره ضحك كل من كان حاضر عليه وخلعوا عليه ثم فرقت الغنائم على المجاهدين هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من زنانير فانها رجعت من طريقها وهى حزينة القلب لأنها رجعت وهى خائفة ضيقة الصدر فأحضرت الحكيم اقليدس ولؤلؤ وجماعة من البطارقة وأهل المشورة وقالت لهم أعلموا أن غضب المسيح كان مشتغلا بعسكر المسلمين واشتغالهم عن قتالنا وفرغوا ولا بد لهم من المسير الينا والحملة علينا فما الذى تشيروا به علينا أن نفعله فقالوا لها البطارقة أيد المسيح الملكة ذو الرأى العالى أنك لم يبق حولك من الملوك سوى الملك كرجار صاحب قلعة المسمار وقلعة الوشار ابعثى اليه كتاب وهدايا فانه يأتى فى عسكر

جرار نحو عن المائة ألف غير الرجال فان أتاكى فهو يكفيكى أمر المسلمين (قال الراوى) ياسادة ياكرام قالت زنانير هذا هو الرأى الصائب ثم أمرت الوكلاء وأصحاب بيت المال أن يحضروا لها من الأمتعة الفاخرة والذهب والخيل والبغال ومماليك الروم ما يزيد عن الوصف وكان عندها حاجب اسمه شعشعونا وكان ربى فى دولة أبيها وكان جبار عنيد وأحضرت خلعة من الجوهر والحرير الأحمر مكللة بالدر والجوهر وتاج من الزمرد الأخضر مكلل بالذهب واللآلىء واليواقيت واختارت جواد كان لأبوها صلبوتا كان يفتخر به على الفرسان وكان يدخره لمقاومة الأقران وعليه سرج قيمته ألف ومائة دينار وأن الحاجب خرج لوقته وساعته ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى قلعة الملك كوجار وكان خارج القلعة حراس يمنعون من يدخل اليها حتى يشاوروا الملك عليه فلما وصل حاجب زنانير إلى عند الحراس واستخبروه عن حاله فقال انى رسول زنانير بنت الملك صلبوتا صاحب قلعة الدولاب وكان بين صلبوتا وبين كوجار وكان صلة وقرابة من النساء وكان دائما يتحفه ويهاديه وينجده إذا وقع فى شدة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فمضى بعض الغلمان ودخل على الملك وأخبروه بالقصة فأمر له بالدخول إلى القلعة فلما دخل قدم له الهدايا والتحف والخلع فتعجب الملك من كثرة الهدايا وطرب طربا عظيما مما جاء له وقدم عليه وقدم عليه وقدم له فرس ما فى بلاد الروم مثله فصلب على وجهه وفتح كتاب الملكة زنانير وقرأه فلما علم ما فيه صلب على وجهه وأمر برسول الملكة زنانير أن ينزل عنده فقال له الملك كوجار حدثنى بما جرى للملكة زنانير فقال له أيها الملك المسيح يمدك بالتأييد اعلم أن ما فى الأمر مهلة لأن المسلمين قد حصلوا معنا فى القلاع وقد وطئت سنابك خيلهم أما كننا وما خوفى إلا والملكة منتظرة إلى قدومى بفرج من المسيح (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن الملك كوجار كتب اليها جواب كتابها وأنفذ لها من الهدايا والتحف ما يزيد عن الوصف ومن الخيل والعدد شىء كثير ورجع رسولها فما كانت إلا مدة ثلاثة أيام إلا والرسول عندها فناولها الكتاب والهدايا فعند ذلك جمعت خواصها وقرأت عليهم ذلك الكتاب وكان يذكر فيه انه واصل إليها عقيب كتابها فسروا بذلك الكلام سرورا عظيما هذا وقد اجتهدت له الملكة زنانير فى الضيافات والاقامات (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها لما فرقت تلك الجموع واستقر قرارها سألت عن الملكة زنانير فقيل لها أنها قد عزمت على أنها تكسر عسكر المسلمين وخرجت مهمة لذلك ورأت عسكر الاسلام منصور وعسكرها قد قل ورحل عنها حاجب الملك عزبيل فرجعت إلى

قلعتها ولما سمعت ذلك قالت نجت ذات الهمة من الدنيا ورب الكعبة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فبينما الاميرة ذات الهمة متأسفة على سلامتها يعنى على الملكة زنانير فلم تشعر إلا والأمير أبو محمد البطال قد دخل عليها وهو معبث الوجه ضيق الصدر كثير الاسف لايستطيع الكلام أن يخرج من فيه فقالت له الاميرة ذات الهمة ماوراءك يابركة المسلمين ويا فارس الموحدين أخبرنى فقد أشغلت قلبى فقال لها الامير أبو محمد البطال يا سيدة الفرسان كنت قد أرسلت من عندى جاسوس إلى قلعة الملكة زنانير وقد عاد إلى فى هذه الساعة وأخبرنى بأن زنانير قد استنجدت علينا بملك من الملوك يقال له الملك كوجار وهو ملك قلعة المسمار وهذه القلعة ليس لها طريق فى البحر ولا لها الا طريق واحد وهو من مكان مضيق فى الجبل لا يصل أحد اليه لا بحيلة ولا بعسكر وأن بين هذه القلعة وبين البحر من ناحية بلاد الصين عشر فراسخ وأن لها حراسا من ذلك المكان الضيق ولا يصير اليها أحد إلا أن يعبرون الحراس ويستأذنوا عليهم الملك كوجار وأن هذا الملعون عدد عسكره مائة ألف بطريق خارجا عن الرجالة وهو شيطان مريد وجبار عنيد لا يطاق فى القتال ولا يساويه أحد فى حيل الرجال وأن قلعته عل ذروة الجبل لا يقدر أحد عليها يتسلق ولا تصل اليها حجارة المنجنيق وليس لها الا طريق واحد من أرض بلاد الصين ولهم لغة يعرفونها ولا يعرفها أحد سواهم ثم أن الجبل والموضع يا أميرة له حديث عجيب وصيغه تذكر فى موضعها ان شاء الله تعـالى (قال الراوى) هذا وأن الاميرة ذات الهمة أصغت لهذا الكلام من أبو محمد البطال ثم قال لها الامير أبو محمد البطال اعلمى أيتها الاميرة والسيدة العظيمة أيدك الله بنصره أن من الرى الصائب والكلام الصحيح الثاقب أن رحيلنا من هذه الأرض صواب لاننا نرجع بالعسكر ونلتجىء الى قلعة الملك الصابر ونريح أصحابنا ودوابنا وندبر فى أنفسنا تدبيرا ونتنسم أخبار هذا الجبار فلعل الله تعالى أن يهلكه على يد غيرنا كما أهلك من تقدم ويكفينا الله شره وإن طغى وتجبر دبرت من الحيل ما أحتال بها عليه وأوقعه فى شرك الهلكة وقيد التلف والله يظفرنا به أنه على كل شىء قدير وان عجزت عنه وأتى الينا فالأميرة العابدة الزاهدة قد أولاها الله من قوة الايمان ماتقهر به عبدة الصلبان والأوثان ومن العزم الصادق فى الاسلام ما تنصر به دين سيدنا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ومن النهضة والكفاية مالا تحتاج معه إلى مساعدة عناية فانكى قتلتى ذلك الفاجر غضب المسيح وكذلك ولده وحاجبه طور مريم فما بقينا نخاف عليكى ولا أخشى أيضا عليكى إلا من ملك الموت لاغير فان عزرائيل

لايقدر أحد على ممارسته ولا يمانعه أحدا من خلق الله تعالى (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك الكلام حمدت الله تعالى وأثنت عليه وذكرت الله وصلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وشكرت الأمير أبي محمد البطال وأثنت عليه وشكرته على شهامته وقالت له أنت ركن الاسلام وعماده فلا أعدمنا الله رأيك وسداده ثم قالت ما كنت فاعلة أمرا حتى أشاور أصحابي وبني عمي (قال الراوى) ثم أن الأميرة ذات الهمة نادت بأعلى صوتها يا آل كلاب يا آل كلاب يا من أنتم معودون لنصرة دين الله الملك العلام أنتم عوني على الشدائد وذخيرتي في الاوابد وسيفي في جلاد الاعداء وركني في كل ما ألاقيه عند وقوف الاعداء ولقد ذكر لي أبو محمد البطال ما قد ذكره من الرأى وما سمعه من خبر هذا الملعون المهين الجبار العنيد وقد أشار علينا بالرحيل الى قلعة الملك الصابر وإن رأيتم ذلك صوابا لا بأس به واني لموافقة لكم على ما تريدون ومتبعتكم فيما به علي تشيرون فقالوا لها ثبت الله نعمتك وكمد حسدتك وبلغك في الآخرة منيتك ونحن طوعا لامرك وما من أحد الا وهو عونا على الاعداء ولو كانوا الروم في عدد الرمل والحصى أو ملوك الارض بما رحبت التقيناهم بسيوف حداد وسواعد شداد ونتوكل على الله عز وجل رب العباد فانه الكريم الملك الجواد (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الاميرة ذات الهمة منهم ذلك الكلام شكرتهم وأثنت عليهم وقالت لهم جزاكم الله خيرا فانه خلقكم لعبادته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس ليعبدوني ومن الله عليكم بنصرته ورحمته واختاركم على جميع خلقته بفضله (قال الراوى) وما قام الأمير أبو محمد البطال من مقامه الا وغلامه جوهر عليه قد أقبل من ناحية بلاد الملك كوجار واخبره بحالته وقص عليه قصته وأخبره بانه أكد الامر في مجيئه الى المسلمين وانما كان سبب ذلك الملعون عقبة لعنه الله لأنه كان ذلك الملعون تحيل على الفرسان الذين ساروا معه الى قلعة الملك عبد الله شعشعونا وصار له من يأتيه بالاخبار ليلا ونهار ولما سمع الملعون ماجرى على الملعون غضب المسيح حزن عليه وكذلك الملعون ماريتون وسمع بان الملكة زنانير كاتبت الملك كوجار تطلب منه النجدة فكتب اليه كتاب يقول فيه اعلم أيها الملك الكبير والسيد الجليل انني هدة عيسى وقد أرسلني إليك أعلمك على ما جرى على دين النصرانية من قوم يقال لهم المسلمون وقد أتوا إلى جزيرة البحيرة وقد ملكوا منها بلاع كثيرة وقتلوا الملك الدهمار وثنوا بالملك الخرطموس وثلثوا بالملك غضب المسيح وأخذوا دير الوثن وملكوا قلعة الدولاب الصغير وأتوا

إلى عند الملك الصابر وخيلوا عليه بالخيالات حتى ترك عبادة الاوثان والصلبان ودخل فى دينهم واتبع قول نبيهم وطلبوا يأخذوا قلعة الملك صلبوتا وابنته زنانير وأخذوا أختها صلبان وأسلكوها لعبد من عبيد المسلم العيار المحتار الكثير الفساد الذى ماله شغل إلا الحيل على ملوك الروم يسوق ملوكهم وبناتهم ويأخذهم المكر والعيارة أكبر من الحملات والشطارة وان الملك غربيل أتى لنصرة الملكة زنانير صاحبة الدولاب الكبير والردف الثقيل والخد الاسيل والفعل الجميل فعملوا عليه حتى قتلوه وقتلوا ولده وأفنوا رجالهم وقتلوا أبطالهم وما نجى منهم إلا من كان جواده سابق وقد أفنوا أهل دين النصرانية وأبادوا كل من انغمس فى جرن ماء المعمودية وقد قتلوا الملك غضب المسيح وولده وأهلكوا عسكره وجنده وقد قتلوا فى يوم واحد مقدار خمسين ألف وما لهم دأب الا قتل الرجال وأخذ الأموال وخراب البلاد وهلاك العباد وهم فى يومنا هذا ينزلون على قلعة الملكة زنانير فاذا وقعت على كتابى هذا لا يأخذك اصطبار ولا يلحقك هدو ولا قرار دون أن تجمع العساكر المسيحية والابطال الرومية وتعمد الينا بجيوشك وخيلك وأبطالك ولا تتوانا عنا فنهلك وان تأخرت عنا فادعوا عليك لانى قريب العهد من المسيح وتنصر دين آبائك وأجدادك وان تأخرت عن ذلك كان وباله راجع عليك واذا ملكوا قلعة الملكة زنانير رجعوا كلهم عليك وكل محاصر فهو مأخوذ فالعجل العجل فان دين المسيح على وجل ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه الى غلام الحكيم وأوصاه أن يوصوه الى الملك كوجار ويكتم حاله وخبره وأمره (قال الراوى) هذا وقد وصل كتاب الملعون عقبة عقب كتاب الملكة زنانير ففتحه وقرأه وعلم رموزه ومعناه فأمر الوزير أن ينادى فى العساكر بالرحيل فخرج من الروم عالم عظيم لم يعلم عددهم الا الله عز وجل وما كانت الامدة ثلاثة أيام حتى تكاملوا فى مائة ألف مقاتل وراجل كانهم النخيل الطوال حتى ملؤا الأرض ذات الطول والعرض قال (الراوى) ياسادة ياكرام ثم قال غلام البطال وأنا قد فارقتهم وهم نازلين على أرض الجزيرة الخضراء وكان بينهم وبين عسكر المسلمين يوم واحد فما أستتم خطابه وكلامه ومرامه الا والعجاج قد ثار وأزال ضوء النهار وهو كأنه الليل بالاعتكار ثم انكشف ذلك الغبار عن رجال وأبطال لا كالأبطال مختلفين الأشكال قد تعودوا بخوض الاهوال ركاب على خيول كالسلاهب وسروج كالذهب تلمع وبايديهم القنطاريات الرومية وعلى رؤوسهم البيض العادية لابسين الدروع السابريه وبأوساطهم المناطق المجلية وبأيديهم السيوف الأفرنجية لهم سطوات عنترية ولهم أجسام عارية إذا همَّ أحدهم أن يقتلع الإسد اقتلعه وقد

ملؤا الأودية وملؤا البرارى الأجنبية (قال الراوى) ياسادة يا كرام وقد ضربت لهم المضارب والخيام وأركزت الأعلام ونصبت للملك كوجار خيمة من الديباج الأحمر بأبواب من الذهب الأصفر وقد رصعت بالياقوت والجوهر وقد نصب له فى وسطها سرير من العرعز مرصع بالدر والجوهر وقد جلس عليه وشرع باب الخيمة وقد ترجل بين يديه خمسة آلاف فارس من بطارقة دولته وكبراء مملكته ونزلت الروم الملاعين مقابلة عسكر المسلمين وشرعوا خيامهم وأضرموا نيرانهم وأعدوا خيولهم ولم يولوا أدبارهم (قال الراوى) ثم أن الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال والأميرة ذات الهمة لما رأوا إلى عسكر الملك كوجار وقد ملأت الفضاء قالوا سبحان الذى خلقهم وتكفل بأرزاقهم وعبدوا سواه لا إله إلا الله تعالى عما يقول الجاحد علوا كبيرا ثم أدرك القوم المسا وهجم عليهم جيش الدجا (قال الراوى) ياسادة يا كرام ونرجع إلى حديث الملعون عقبة وكيف كان سبب خلاصه وذلك أنهم لما حبسوا غلمان الأمير أبو محمد البطال فى قلعة الملك عبد الله كان عند المطمورة امرأة عجوز سحاره مكاره قطعت ألف مدينة وفرحت ألف قلب حزينة ولها أبنة أسمها مريم وقد أسلمت ظاهرا وهى منافقة سرا (قال الراوى) وأن الملعون عقبة جاس فى ذات ليلة من بعض الليالى وقرأ فصلا من الإنجيل بحسن صوته فسمعته العجوز وبنتها فقالت البنت يا أماه أما تسمى قراءة ذلك الشيخ الكبير وما تستحى من حرمة الانجيل من السيد المسيح أن نترك مثل ذلك الرجل النفيس والسيد الرئيس محبوسا فى المطمورة ولا نخلصه (قال الراوى) ياسادة فعندها سمع الملعون عقبة منها ذلك الكلام فأخبر الحكيم بخبرها فقال له أحسنت أن يكون لنا من يقدر على خلاصنا ونحن فى هذه المطمورة إلى الآن هذا الملعون عقبة قرأ ثانى ليلة وصلا من الانجيل ما قدر على قراءته مع حسن صوته أكثر من تحسينه فى الأول فجاءت الصبية تسمع من مكان إلى جانب المطمورة وكانت أمها تسقى الماء من جانب ذلك المكان فقالت الصبية يا أماه نخلص ذلك الشيخ المسكين من هذه المطمورة فقالت لها ما نقدر من المسلمين فعند ذلك كلمها الشيخ القاضى عقبة الملعون وقال لها يا بنية أنا هدية المسيح وهذا الحكيم ماريتون وقد اعتقلونى المسلمين من أجل أننا نذب عن دين المسيح ونحامى لأمته فهل لك أن تخلصينا من هذا الموضع ونكون لكى ذخيرة ولأمك فى غد حتى تدخلى جنته (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك لأن قلب الصبية لما سمعت كلامه وهزيانه وفشاره فدلت له حبل البير إلى عنده فى المطمورة فرفعته وتعاونوا هو والحكيم ماريتون وأخرجتهم ثانى ليلة إلى خارج

القلعة فى زى النساء (قال الراوى) يا سادة يا كرام فما زالوا سائرين حتى أبعدوا عنها وقد انقطع خبرهم منها وأمنوا على نفوسهم وكان الملك كوجار وأصحابه قد نزلوا بازاء المسلمين فوصلوا فى مسيرهم حتى أتوا إلى عسكره ودخلوا إلى حضرته وأعلموه بما جرى عليهم من المسلمين وشرحوا له قصتهم وما تم على الكفار والروم من المسلمين وقعد الملعون عقبة والحكيم ماريتون يحادثوه بحيل الأمير أبو محمد البطال وشجاعته فى الحيل والخداع وشجاعة الأمير عبـــد الوهاب وكذلك والدته الأميرة ذات الهمة وجماعة الأمراء من بنى كلاب وبنى حام السودان (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان الملك كوجار قد سمع بما تم لهم مع المعلون غضب المسيح وتمنى أن ينظرهم أو يشاهد أحوالهم فلما حصلوا فى حضرته وتحقق صدق مقالهم أكرمهم غاية الأكرام وأنزلهم عنده فى محل الأعظام وقال لهم لقد فاز من كنتم عنده وتشيرون فى حله وعقده وكانوا كل ما حدثوه عن الأمير أبو محمد البطال من الحيل والأعمال وعن الأميرة ذات الهمة وشجاعتها وبراعتها فكان يكثر تعجبه (قال الراوى) ثم باتت العساكر تنتظر الصباح وقد اشتاقوا المسلمين إلى ضرب الصفاح وما زالوا فى أرغد عيش وأهناه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما ان أصبح الله بالصباح وأضاءه بنوره ولاح ركبوا عسكر المسلمين وأبطال الموحدين أجمعين وقد اصطفت الصفوف ووقعت العين على العين وقد ثار العجاج وقد كثر الازتعاج وطلع الغبار وبعد ساعة من النهار انكشف الغبار عن خادم من الروم قد ظهر وعليه ثوب ديباج أحمر وعلى رأسه تاج من الذهب بمنطقه مرصعة بأنواع الدر والجوهر ومعه جماعة من البطارقة مقدار ألف فارس وعلى رؤوسهم أطباق من الذهب وفيها من الجوهر والياقوت مالا يحصى له عدد ولا يعرف له ثمن ومن ثياب الاطلس والخيول المسمومة ما يعجز عن وصفه الواصفون ولم يزالوا سائرين إلى أن دخلوا قدام الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما رآهم الامير عبد الوهاب والامير أبو محمد البطال أنكر تلك الحالة وما أعجبته وأن الخادم لما وصل إلى الامير عبد الوهاب قبل الارض بين يديه ولم يزل يخدم إلى أن وصل اليه وأخذ يده فقبلها ثم أنه وقف له بين يديه على قدميه قائما وأشار بيده الى الارض لائما فقال له الامير عبد الوهاب بالرومى أجلس فجلس فقال له كيف سيدك فقال له يامولاى اعلم أن سيدى أتى على نيـــة إنه يقاتلكم ويستأصل شأفتكم ويأخذ ثار الملك غضب المسيح وغيره منكم ولم يزل هذه النية نيته الى ليلة البارحة نام وانضجع فبينما هو راقد فى منامه اذ رأى نبيكم محمد صلى الله

عليه وسلم قد دخل عليه ومسك بيده وأجلسه اليه وقال له أيها الملك لاتكفر بالله الواحد القهار ولا تخرج عن ملة نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم المختار وبعد ذلك تأتى الى ولى من أولياء الله تعالى ومجاهد فى سبيل الله تعالى وعصابة المسلمين تريد أن تهلكهم فمن أمرك بهذا الامر ومن حسن لك هذا الفعل القبيح ارجع عن هذه المقالة ولا تفعل هذه الحالة فيغضب عليك الرب العظيم ويدخلك النـــار وبئس القرار ولئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبده وكن من الشاكرين (قال الراوى) ثم انه انتبه من منامه قلقا مرعوبا فزعا مما رأى فى منامه ولذيذ أحلامه وقد رغب فى الاسلام والدخول فى ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وقد سير لكم هذه الهدية على سبيل التقرب اليكم فان رأيتم ان تأتون اليه فتكون لكم المنة عليه ليجدد إسلامه على يديكم وإسلام من رغب من أصحابه فيكم وان لم تختاروا المضى اليه فهو يأتى اليكم والسلام (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام قطب وجهه وافتكر فى نفسه وما أعجبه ما أتى به الخادم واشتغل خاطره وقال ما يكون هذا صحيح والله أعلم ان تكون منه حيلة ومكر وخديعة وأما الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة فانهم قالوا حبا وألف كرامة فنأتى اليه ويجدد إسلامه على يدينا وقد فرحوا بذلك وقالوا لعل الله تعالى أن يهدى هذا الملك الى دين الاسلام والايمان ويكون قد أراد الله له خيرا هذا وقد أجمعوا رأيهم على انهم يسيرون اليه فتقدموا الى العسكر وقدموا عليه الأمير راشد بن ضمرة وأبو صخر الكلابى وقدموا على السودان الأمير ميمون الجماس وركبوا فى خمسين فارس من أمراء السادات من بنى كلاب والسودان الانجاب وكان الامير أبو محمد البطال عزم على التخلف وراءهم وخشى ان تتم عليهم حيلة من الملك كوجار وأشار عليهم بالقعود فلم يفعلوا فقالت له الاميرة ذات الهمة والله ياأبو محمد يابطال لابد أن تمضى معنا ومن أين ان تعرف للروم حيلة أو عبارة حتى انهم يحتالون علينا ثم ان الامراء لبسوا أسلحتهم وقد خرجوا من عسكرهم والامير أبو محمد البطال قد ضاق صدره وتقسم فكره وقال فى نفسه ليت شعرى مايكون من أمر هذا الملك وأنا أعلم أنه مايتم منه خير فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وإنا اليه راجعون (قال الراوى) وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى عسكر الملك كوجار ودخلوا مع الخادم يقطعون المضارب والخيام وهم شاهرين فى السلاح ولا يقدر أحد ينكر عليهم ذلك ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى خيمة الملك كوجار ومعهم الخادم فوجدوه جالس فى خيمة من الديباج الاحمر وهو نائم على سريره

وقدامه خادم مليح يروح عليه فلما وصلوا إلى باب الخيمة وثب الخادم وقبل الارض بين أيديهم وقبل يد كل أمير منهم وأمرهم بالدخول فدخلوا وصعدوا إلى باب الخيمة فقعد الامير عبد الوهاب والجماعة والاميرة ذات الهمة والملك نائم لم ينتبه فلما طال جلوسهم قال لهم الخادم ان الملك قد نام وانه قدكان منتظركم وما يصدق أن يراكم ولكن مما دخل عليه ليلة البارحة وأصبح قلقا مرعوبا منه فان كنتم تمضون إلى هذه الخيمة وتريحوا نفوسكم فيها إلى أن يتنبه الملك من منامه فافعلوا مابدالكم فقالوا له ان هذا هو الرأى الصائب ثم تنافروا وخرجوا من خيمة الملك وما زالوا سائرين إلى أن دخلوا إلى الخيمة وهى خيمة قريبة من خيمة الملك فلما صاروا فيها ما استقر بهم القرار حتى انخسفت بهم الارض ووقعوا فى حفيرة عميقة فوقعوا جميعا ولا بقى منهم أحد فاخذوهم الروم قبضا باليد ودخل عليهم العارض وأخذوا بالحيلة وما زالت الروم يرشقوهم بالحجارة حتى استغاثوا ونادوا الامان الامان وقد أرموا العدد من أيديهم وهم يقولون إنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لاراد لامره والامير عبد الوهاب وبنى كلاب قد تحققوا الهلاك ونظر الامير عبد الوهاب إلى أصحابه وافتقدهم فوجدهم قد مات منهم عشرة من الرجال وهم فهر الكلابى والامير عوف والامير مرشد الكلابى وهولا ومصباح وربيعة ومن السودان طمطم الصغير وسعادة الكبير وشكلح ونهاق الحمير وبطن الزير فعلم الامير عبد الوهاب بموتهم فصعب عليه وكبر لديه (قال الراوى) فهذا ماجرى لهم وهم فى الحفيرة (وأما ماكان) من أمر الملك كوجار فانه أمر أصحابه بالحملة على عساكر المسلمين وأبطال الموحدين فحمل جميع العسكر الرومانى على العسكر الاسلامى وصار المنادى ينادى قدامهم ويقول اطلبوا النجاة لانفسكم فقد قتلت أمراكم وأسرنا الاميرة ذات الهمة وأخذنا من معهم قبضا باليد وأين تمضون والمسيح قدغضب عليكم وظفرنا بكم فنأخذكم قبضاً باليد كما اننا أخذنا أصحابكم قال فما لبثوا المسلمين معهم إلا ساعة واحدة وولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار (قال الراوى) هذا وقد طلبوا قلعة الملك عبدالله وما زالوا كذلك والروم خلفهم إلى أن انسدل الظلام والمسلمين فى الانهزام حتى وصلوا إلى قلعة الملك عبد الله فاعلموه بالقصة وماجرى فصعب عليه ذلك وكان قد تفقد القاضى عقبة والحكيم ماريتون فما وجدهم فقامت عليه القيامة (قال الراوى) ثم ان الملك عبد الله قال لهم ياقوم انفذوا بعضكم فى طلب أصحابكم وتفقدوا أجنادكم فقالوا من ذا الذى يكشف أخبارهم أو يعرفنا باحوالهم وقد فقد معهم الأمير أبو محمد وغلمانه قال وأما الامير عبد الوهاب ومن كان معه من الأصحاب فانه لما جرى عليهم ماجرى ووقعوا فى الحفيرة

فلم يجدوا أبو محمد البطال ولا غلمانه فاعتقدوا انهم عدموا فصعب على الأمير عبدالوهاب فقدهم وبكا بكاءاً عظيما وقال فقد والله أبو محمد فواحزناه عليه واأحرها على كبدى ولا حياة لى بعيش طيب بصفوا بعد فراقة (قال الراوى) فهذا ماكان من حديث الأمراء المسلمين الذين انهزموا فانهم صبروا الى أن تكاملوا ولم يتخلف منهم قدار الملك كوجار من يقول لا إله الا الله محمدرسول الله ثم رحلوا إلى قلعةالملك الصابر وأعلموه أيضا بماجرى على المسلمين وكيف تمت الحيلة عليهم فبكاالملك الصابر بكاءاً شديدا وعظم عليه ذلك وقال لهم خذوا عسكرى فهو خمسين ألف فارس وامضوا الى أصحابكم واكشفوا أخبارهم فلعل الله سبحانه وتعالى أن يسهل خلاصهم ان كانوا أحياء يرزقون فقالوا له أيها الملك سهل علينا قليل فلعل الله أن يسهل علينا ونسمع لهم خبر ونعمل على قدر مانسمع ثم أقاموا عندالملك الصابر حتى تكامل العسكر وهم فى بكاء وانتحاب وأسف على الأميره ذات الهمة وولدها الأمير عبد الوهاب وبقية الاصحاب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأماما كان) من الأمراء المأسورين فان الملعون كوجار لما انكسر عسكر الإسلام وولوا الأدبار ورجع عسكره اليه سالمين وقد زاد كفره وطغيانه تجبر وصلب على وجهه وأحضر القاضى عقبة لعنه الله فاكرمه وزاد فى اكرامه وخلع عليه وعلى الحكيم ماريتون وأقعدهم الى جانبه وأمر باحضار الأمراء فاحضروهم بين يديه فاول من تقدم الأمير عبد الوهاب فقال له الملعون عقبة هذا أمير المسلمين هذا الليث القسورهذا سفاك الدماء هذا مهلك دين النصرانية وان المسيح قد رضى عليك وظفرك به هذا والأمير عبد الوهاب قد نكس رأسه وهو يسمع كلامه فالتفت الى أمه الأميرة ذات الهمة وقال لها يا أماه أقول أن هذا الملعون عقبة فقالت له الأميرة يا أبنى انه عقبة لاشك فيه وما أوقعنا فى هذا البلاء الا هو والحكيم ماريتون (قال الراوى) هذا وان الملعون عقبة التفت الى الملك كوجار وقال له إن أنت أيها الملك أهلكت هؤلاء الجماعة أصلحت عسكرك ودين النصرانية وملكت بلاد الاسلام بأسراها واطاعتك ملوك الأرض من شرقها وغربها لأن هذا عماد دين الإسلام وسيد الموحدين ومهلك الكافرين وأحب ما اليه سفك دماء عباد المسيح ثم قطب الملعون على وجهه وتمثل بقول هذا المقال

ما أظن الزمان يأتى بهذا ☆ غير انى رأيته فى المنام

(قال الراوى) ثم أن الملعون فرح فرحا عظيما ولما قدم الأمير عبد الوهاب بين يديه قال له الملك كوجار أيها الأمير أنت أمير المسلمين وأبطال الموحدين وما كان عندك من الرأى والخبرة والمشورة ما تحفظ به نفسك فلو كان عندك معرفة الملوك ما كنت صغيت الى عبد

خادم مملوك لايدرى من الكلام مايقول ولكن مازالت الملوك تنخدع والعساكر تنكسر وتنتصر فهل لك أن ترجع الى ديننا وتتنصر ويعودلك مالنا وعليك ماعلينا وتفوز من سخط المسيح وأقدمك على عسكرى وأعطيك من النعم أكثر مما قد راح لك من العسكر ماتريد على بلوغ غرضك وتفتح من بلاد الإسلام وقلاعهم ما يكون لك ولذريتك الى يوم القيامة (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام أطرق الى الأرض وقال

اذا كانت الأجساد للموت أملت ٭ فأطيب شىء أن نموت من السيف

وأما القاضى عقبة فانه التفت الى الملعون كوجار وقال له أيها الملك انه لايسمع كلامك ولا يصغى الى ماتقول من مرامك فاضرب رقبته فانك لاتأمن منه هذا أشد بأسا من كل من على وجه الأرض هذا قد قال فى نفسه انه يريد يملك القسطنطونية الكبرى ويصلبنى على باب الذهب وان نبيه محمد قد أخبره بذلك وقصدى أن أكذبه فى رؤياه بان أعجل عليه حتفه وأرغم أنفه وأعلمه بأن المسيح قد سلطنى عليه وأوصلنى بسعادتك اليه (قال الراوى) وكان قصد الملعون عقبة أن يكذب الأمير عبد الوهاب فلم يلتفت اليه الامير عبد الوهاب بل انه توكل على الله وسلم نفسه لقضاء الله وهو مع ذلك يقرأ القرآن ويقدس الرحمن هو والاميرة ذات الهمة قال ولم يزل الملعون عقبة يحرض الملك كوجار ويوبخه حتى انه سلم الأمير عبد الوهاب الى بطريق من البطارقة يريد أن يمثل فيه قضاء الله تعالى وقدره فلما أخذه ذلك البطريق وهو خارج به جعلت الأميرة ذات الهمة تبكى عليه فالتفت الملعون عقبة وقال أنتم تزعمون أن نبيكم محمد يخلصكم قد يجىء فى هذه الساعة اليكم ويخلصكم من هذه الشدة هذا وان الأميرة ذات الهمة لما سمعت قوله اشتد غضبها وزعقت عليه وقالت له أسكت قبحك الله ولعنك وقبح من يقول بقولك ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية لقد زاد بخسك وبطل حسك ثم تمطت الأميرة فى كتافها وقد قطعته ووثبت الى بعض البطارقة لكمته لكمة فى صدره فوقع ميتا وأخذت منه الحسام وجعلت تضرب فى القوم يمينا وشمالا والروم تفسح لها وقد هالهم فعالها وهى تقول ويلك ياكلب الكلاب ويا أنجس من وطىء التراب هكذا يكون نصيب الملوك وغدرهم نأمن إلى قولك ونأتى إلى منزلك تعود تفعل بنا هذه الفعال ولكن كل ذلك بارادة الله تعالى (قال الراوى) وأن الأمير عبد الوهاب لما رأى البطريق الموكل به اشتغل عنه بنفسه تمطاى كتافه قطعه ووثب إلى أبو المزاهز فحله من كتافه وقال له حل باقى أصحابك ثم أنه خطف سيف من بعض القتلاء ودعس فى البطارقة دعس الذئاب حتى

خلص أبو الهزاهز من أصحابه واستلم كل واحد سيف فالتفت الملعون عقبة إلى الملك كوجار وقال له نظرت عيناك مثل هذه الفرصة فما قدرت على تدبيرها وأن هؤلاء إذا ركبوا الخيل قاموا بعسكرك جميعه وهم أربعون فارس إلى أن تصل اليهم النجدة (قال الراوى) أن الأمراء مازالوا يقاتلوا إلى أن صاروا عند جبل الملك فأخذ كل واحد منهم جواد فركبه بلا سرج ولا لجام وهزوا سيوفهم بأيديهم وكانت عليهم عددهم وقد صبروا على حكم الله ورضوا بقضاء الله وما زالوا يقاتلون والملك يوبخ البطارقة وهم يحملون على الأمراء من كل مكان والأمراء يلتقوهم بالعضب اليمان ويطرحوا الرؤوس عن الأبدان والأميرة ذات الهمة كأنها الأسد الضارى والأمراء من حولها وما يلقاهم كتيبة فى ألف أو ألفين إلا ومحقوها وإلى الهلاك والبوار أوردوها والقاضى عقبة يصيح قدام الملك واحسرتاه والهف قلباه امرأة تقاتل وتناضل مائة ألف من الروم وأبطالها أين الشجاعة أين البراعة أين اليقظة أين حزم الملوك مائة ألف لابسين مدرعين لأربعين فارس ولا يقدرون أن يمسكوهم قبضا باليد ولو كان كل ألف فارس لفارس فلما عاينهم القاضى عقبة والحكيم ماريتون لعنهم الله قد ركبوا السوابق وهم عليها كالشواهين الكاسرة علموا أن عساكر الروم تنكسر ولا لهم طاقة بهم فضاقت أرواحهم وهموا أن يقتلوا أنفسهم ونادوا يا أهل دين النصرانية ويا ملوك الرومانية أربعين فارس يقاتلوكم وأنتم فى مائة ألف فماذا تكون حجتكم إذا وقفتم غدا بين يدى السيد المسيح وما لكم منه فسيح غير العقوبة فى الضريح وصار الحكيم ماريتون من جانب يحرضهم والقاضى عقبة يوبخهم والملك كوجار من جانب على القتال يحرضهم والحق تعالى يبطلهم ويخذلهم وقد أطلع الله على المؤمنين ونصرهم وبالملائكة أيدهم (قال الراوى) والتفتت الأميرة الى ولدها الأمير عبد الوهاب وقالت له أرى من الرأى أننا نقاتل عن أنفسنا ونمانع عنها ونتأخر إلى أن نصل إلى هذا الجبل ونسند ظهورنا اليه ونلتقى عدونا إلى ان يظلم الظلام نستتر به وعسى نتصل بعسكر الاسلام فقال الأمير عبد الوهاب الرأى ما ترين أيتها الأميرة ثبتك الله بالقول الثابت وجزاكى عن نفسكى وعنا خيرا فكم من كربة فرجها الله على يديكى (قال الراوى) وما زالوا مع المشركين فى كر وفر وهزل وجد والاميرة ذات الهمة والامراء صابرين يلتقطون أرواح الكفرة ويلقوهم شمالا ويمينا حتى صار القتلى كالاعجاز الخاوية فما ترى لهم من باقية وسالت الدماء وأرملت النساء وتعجب الملك كوجار منهم وصلب على وجهه وقال للقاضى عقبة ما رأيت ولا سمعت فى المتقدمين أن امرأة حملت فى مائة ألف فارس

وكانت أسيرة ففرجت عن الاسارى معها وركبت الخيول وقتلت الابطال الفحول إلا هذه العجوز التى كانها الغول فقال عقبة والذى يخفى منها أكثر مما ظهر لك ولو بارزتها فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب لشاهدت منهـــا العجب ورأيت فارسة لا كالفرسان وشجاعة لا كالشجعان (قال الراوى) وما زالت الاميرة ذات الهمة مستندة بالجبل تحامى عن المسلمين وهم مع ذلك لايفترون عن التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وأن عقبة لعنه الله والحكيم ماريتون قالوا للملك أيها الملك لو تعلقت أنت ونحن فى الهواء أو صعدنا إلى السماء أو غطسنا فى الماء لا بد لابو محمد البطال منا لاننا دبرنا على قبضه وعرفنا على هشمه وقلنا أن المسيح يسعدنا وبعدونا ويظفرنا ونخلى الارض منه ونملك دياره ونخلى بلاد الروم فى عسكر المسلمين فلما حصلوا فى أيدينا فرطنا فيهم حتى قويت شوكتهم واستظهروا علينا وذلك بسوء رأينا وقبيح تدبيرنا ولو كنا طميناهم فى الحفيرة وأرميناهم بالحجارة ولا طلعنا بأحد منهم من الحفيرة وطمست أخبارهم وانقطعت آثارهم لكنت ظفرت بهم غاية الظفر وأقعدت بهم أهل البدو والحضر ومنعت أحدا من المسلمين أن يعود الى القلاع ولا يذكرها لابحرب ولا بخداع ولكن فرطت أيها الملك والمفرط أولى بالخسارة (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك قال ارجوا من المسيح أن يوقعهم فى يدى وآخذ منهم الحق وأضيق عليهم الطريق ثم صاح فى عسكره فوثبوا اليه كالعقبان وأمرهم بالحملة على الامراء الموحدين. (قال الراوى) وأن الروم حملوا على الامراء المجاهدين فلما رأوهم المسلمين قد حملوا قالوا كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انا لله وإنا اليه راجعون كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال الراوى) وان الأميرة ذات الهمة تقدمت إلى الروم الملاعين فحملوا عليها بأجمعهم ففرقت شملهم وقتلت منهم فى ذلك اليوم هى وولدها الامير عبد الوهاب أكثر من خمسمائة فارس كأنهم الليوث العوابس فعادوا الى وجه الأرض مثل الشجر المنقض ثم التفتت الأميرة ذات الهمة الى ولدها الأمير عبد الوهاب فوجدته قد غاص فى عسكر الكفار وكان تحته جواد خفيف وكذلك كانت خيول أصحابه لأنها كانت اذا طلبت لحقت وإذا طلبت لم تلحق (قال الراوى) وعند التفات الأميرة ذات الهمة ضربها رجل من الكفار بمزراق كان فى يده فلو تمكن منها لهلكت فعندها صاحت الأميرة ذات الهمة صيحة سمعها كل من فى العسكر وكان فى اعتقاد الملك كوجار أن يؤلمها فى موقف المبارزة ويحاربها فى ميدان.

المحاربة فلما رأى شدة بأسها وقوة مراسها دخل فى قلبه منها حرارات وحذرا عظيما وخطبا جسيما (قال الراوى) هذا وقد تقدمت الأميرة ذات الهمة الى موقف الطعن والضرب ونادت بأعلا صوتها ياملعون يا ابن الأرجاس الانجاس والشيطان الخناس ما نفعتك حيلتك ولا مكرك ولا خديعتك ولقد نظر الله الينا بعينه التى لا تنام وكلأنا بحرزه الذى لا يضام وسوف ترى عقيب ماصنعته مع تلك العساكر الاسلامية وان كنت تعزم على المبارزة فابرز الآن يالئيم ويا ابن الزنيم يا أخس النصرانية وأقبح من غمس فى جرن ماء المعمودية هل سمعت بملك أخذ ملك غدرا ألا وان أحسن ما ظفر العدو بعدوه فى موقف الطعن والضرب وأخذه أما قهراً واما بالسيف ابرز الآن يا كلب النصرانية لاذيقنك ماذاق غيرك من الملوك الملاعين بقدرة من يقول للشىء كن فيكون فيقبح علينا الغدر ولكن من أين للمشركين بالله أمان وقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز على لسان محمد صلى الله عليه وسلم أولئك هم المعتدون (قال الراوى) فعندها أراد الملعون كوجار ان يخرج اليها يعنى الى الأميرة ذات الهمة فمنعه الملعون عقبة لعنه الله وقال له أيها الملك ان هذه المرأة شيطانة مريدة وجبارة عنيدة لا يقدر لها أحد على مراس إذا طلبت الحرب والطعن والضرب وحق المسيح انها تبقى تلتقط الأبطال والشجعان ولا تبالى أيضاً بملاقاة الاقران ولو كانوا فى عدد القطر والمطر ولقد شاهدتها وحدها وهى راجلة وقد هجمت على عسكرك وفيه مائة ألف أو يزيدون وقتلت أبطالهم ورجالهم وقد أخذت ولدها من بينهم وخلصته ولا يقدر أحد أن يقاومها فى ميدان الحرب ولا فى موقف القتال والطعن والضرب (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وان الروم قد حملوا حملة رجل واحد على الأميرة ذات الهمة وجميع الامراء حتى ألقوهم الى الجبل وجعلوا يرمونهم بالحجارة من كل جانب ومكان وهم مع ذلك صابرين وعلى قضائه من الشاكرين ثم انهم باتوا تلك الليلة وقد أحدقوا بهم الروم من كل جانب ومكان وطلعوا على الجبل يحرسونهم فما زالوا كذلك حتى هجم عليهم الليل المعتكر وأسود ديجوره الأغبر (قال الراوى) فبينما هم كذلك وهم يستغيثون بالله عز وجل ويقولون ياعظيم الرجاء يامجيب الدعاء يا عالم السر وأخفى يامن نجى يوسف من البئر يامن وقى موسى كيد فرعون وكفى ياكاشف الضر عن أيوب وعن ذا النون (قال الراوى) وعندما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قام الامير عبد الوهاب وأمه الاميرة ذات الهمة لعبادة ربهما فرأوا فى صدر البرية غبرة وهى منعقدة وقد علت على الجبال وثورتها حوافر الخيل وبعد أن انكشفت وانقشعت

فرأوا الاعلام العباسية والعساكر المحمدية معلنين بالتسبيح والتقديس والتمجيد لله عز وجل الفعال لما يريد (قال الراوى) فعند ذلك أرسل الامير عبد الوهاب من يكشف له الخبر وإذا هم بعسكر الملك الصابر وعسكر المسلمين وفى أوائلهم الامير سعد ابن عم الاميرة ذات الهمة وقد قطع الارض فى تلك الليلة طالب الفرج من الله تعالى بعسكر الاسلام والايمان (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى ذلك أن الامير أبو محمد البطال لما وصل مع الاميرة ذات الهمة إلى عسكر الروم ودخل مع الامير عبد الوهاب إلى خيمة الملك كوجار ورآه نائم على السرير ولم يقوم لهم ولا كلمهم فلم يخف عنه انها حيلة احتال بها عليهم فخرج من الخيمة يريد الدخول إلى المكان الذى فيه الحفيرة فانسلخ من ذلك بالحيلة وصار كأنه من أولاد الروم وكانه قد تربى معهم الى ان هزبت المسلمين أيضا طالبين قلعة الملك عبد الله شعشعونا وأطلعوا الأمراء من الحفيرة وأحضرهم الملك كوجار إلى بين يديه وأراد قتل الامراء وتخاصوا الامراء كما ذكرنا اليكم وركبوا ظهور الخيل ووقفوا يقاتلوا فخرج الامير أبو محمد البطال من عسكر الروم وركب جواد سابق وسار إلى أن وصل إلى قلعة الملك الصابر فوجدوه مريضا وله عدة ليالى وأيام فى المرض فعند ذلك أعلمه بما تم وجرى على الأمير عبد الوهاب وأمه الأميرة ذات الهمة وجماعة المسلمين الموحدين فصعب ذلك عليه وكبر لديه وأمر باحضار الشاويش وأمره فنادى فى عسكره بالرحيل وهو مع ذلك يبكى فحضر من أصحابه خمسين ألف فارس وقد أخبرهم الأمير أبو محمد البطال بما جرى على الأمراء وأخبرهم أنهم قد ألجأوهم إلى الجبل ثم أنه نادى فى بنى كلاب وقال يا طالبين الأجر والثواب هذا يوم النجدة والنخوة والمروءة هذا يوم طلب الثواب من الله عز وجل رب البرية فلما سمعوا ذلك المقال من الأمير أبو محمد البطال شكروه وأثنوا عليه وذكروا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصلوا عليه (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أنهم تجهزوا وخرجوا أيضا فى خمسة وخمسين ألف فارس مثل الليوث العوابس وما زالوا سائرين طول ليلتهم إلى أن أصبح الله تعالى بالاصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وكان الأمير أبو محمد البطال قد سار بهم فى طريق يعرفهـــا تمضى بهم إلى الجبل الذى فيه الأمراء محصورين وكانوا قد شاهدوا فى ذلك النهار قوة وشدة عظيمة أشرفوا منها على الهلاك وأيقنوا بالتلف وسألوا الله أن يفرج عنهم ما قاسوا والله قريب مجيب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما رأوا الرايات الاسلامية والأعلام المحمدية تحققوا بالنصر والظفر وأن الله قد قرب فرجهم وحسن خلاصهم ونصرهم على عدوهم فنادوا بالتهليل والتكبير

والصلاة على البشير النذير وحملوا كلهم حملة رجل واحد على عسكر الروم فارموهم عن أماكنهم وتعتعوهم عن مواضعهم وردوهم على أحقابهم وفرج الله عن الأمراء ما كانوا فيه من الضيق وهنوا المسلمين بعضهم بعضا بالسلامة وكذلك الأمير أبو محمد البطال لما رأى الأمراء سالمين سجد شكرا لله تعالى وحمده وأثنى عليه وجعلوا يهنوا بعضهم بعضا وقص لهم الأمير أبو محمد كيف كان خروجه من عند الروم بعدما خلصت الأمراء من المطمورة فقالت الأميرة ذات الهمة جزاك الله عنا كل خير فانك لم تزل تفرج عنا وعن المسلمين ما يقعوا فيه من الشدة والأهوال (قال الراوى) وأن الملك كوجار رجع إلى منزله وجمع أصحابه ومن كان معه وأحضر القاضى عقبة والحكيم ما ريتون وصاروا يتحدثون بأخبار الأمراء وما رأوا من أفعالهم وعظم قتالهم فقال الملك كوجار إذا كانوا المسلمين قد وقعوا فى أيدينا وأخذناهم قبضا باليــد وقدمناهم لضرب الرقاب وخلصوا من وسط أيدينا وقد قاتلوا قتالا شديد فكيف يكون أمرهم وقد عظمت شكوتهم وأتت النيهم نجدتهم فقال له عقبة أيها الملك بلا شك أن المسيح لقد صار مسلم يساعد المسلمين وينصرهم على دينه لأنهم قد كانوا أربعين مسلم وخلصوا من مائة ألف من أبطال الرومية وعماد دين النصرانية فقال له الملك كوجار أسكت أيها القاضى عن هذا القول فما أحمقك وأقل عقلك فقال له أيها الملك إنما قلت ذلك حنقا وغيظا عليهم فلعل المسيح أن يسمع إلى قولى ويظفرنا بهم ثم أخذوا يتذكرون فى شطارة الأميرة ذات الهمة ووصف شجاعتها وإذا ببطريق كان قد سمع كلامهم فقال لقد رأيت من هذا الأسود أمرا ما رأيته قط من هذه العساكر ولا من جميع عساكر أهل الأرض فى الطول والعرض ولقد حضرت مع المصادفات عدد لا يحصى ولا يعرف فما رأيت أشد بأسا ولا أقوى من هذه الابطال ولقد رأيت هذا الاسود فى حملاته فما كان يطعن فارس إلا وهده ولا ضرب شجاعا إلا وقده وكذلك الأميرة ذات الهمة كانت ضربت درقه قد قلعتها نصفين وأرمت صاحبها قطعتين وأردته إلى الأرض صريعا يمج علقما ونجيبا (قال الراوى) فلما سمع الملك كوجار ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال العجب من ذلك وحق المسيح لآخذن جميع عسكرهم ولابد لى أن أفتك بهم ولا طوفن بهم البلاد وهم محمولين على الجمال وأوقع بهم أشد النكال (قال الراوى) ياسادة يا كرام فبينماهم كذلك على هذا الكلام وإذا قد ورد عليهم جاسوس الملك كوجار وأخبروه أنه مقيم فى عسكر الموحدين وأنه قد حضر موت الأمير أبو محمد البطال ووقفت على قبره ودفنه لأنه كان فى الوقعة وقد حملت عليه الروم وأثخنوه بالجراح وبقى مطروحا على

وجه الأرض قتيلا وأن المسلمين غسلوه وكفنوه ودفنوه فلما سمع الملعون عقبة ذلك الكلام صلب بيده على وجهه وقال الآن قد أمنت على نفسى ثم قال للملك كوجار لقد دخل على قلبي من ذلك سرورا ولولا أننى سمعت بموته ما كان دخل على عينى منام فلما سمع عقبة كلامه قال فى نفسه والله أنك أخس الملوك هذا وأن الأمير أبو محمد البطال لما اجتمع مع الأمراء من بنى كلاب والامير عبد الوهاب قال له ابشر ياأخى بالثواب فلقد رأيت من أمرك العجاب وانى قد رايت من الراى التمام شيئاً اريد أن أفعله لعل الله تعالى أن يظفرنى بهذا الملك والملعون عقبة والحكيم ماريتون فقال له الامير عبد الوهاب وما ذلك الوهاب وما ذلك الامر الذى تريد أن تفعله أيها الأمير قال أبو محمد البطال قد رأيت وعلمت أن لابد لهذا الملك من جاسوس معنا فى العسكر وأريد أظهر انني مت واذا علم الملعون عقبة بذلك اطمأن قلبه وكذلك عسكر الملك كوجار ومن معه وقد رأيت من نفسى أن أموت وتحملونى الى القبر وتدفنونى وتمضوا عنى فاذا رأت الجواسيس ذلك العمل عيانا بيانا وقد تمت الحيلة على هذا الملعون ونأخذ إن شاء الله تعالى بالثار وأيضا نكشف ما نزل علينا من العار فلما أن سمع البطال المهاب الأمير عبد الوهاب من الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام والخطاب قال هذا هو الصواب والامر الذى فيه لايعاب ولقد رأيت لك رؤيا يتم لك به ماتريد أن تفعله فقال له الامير أبى محمد وما هو الأمر أيها الامير قال تخرج الى القتال والنزال وتطرح روحك بين القتلى وتلطخ ثوبك وبدنك بالدماء ونظهر للناس انك مقتول ونخرج نطوف عليك ونحملك الى المضارب والخيام وتظهر البكاء واللطم والعويل عليك ونأخذ بعد ذلك خشبة نكفنها وندفنها وقد تمت الحيلة فقال الامير أبو محمد البطال وهذه الحيلة أيضا من تمام السعادة والاقبال (قال الراوى) فما لبث الامير أبو محمد البطال الا قليلا من النهار وقد فقدوه المسلمين فخرجوا جميع الرجال والابطال وطافوا بينهم فعند ذلك وجدوه بينهم وقد تغيرت حالاته وهو ملقى على وجه الارض وثيابه ملطخة بالدماء فعند ذلك حركوه الرجال فلم يجدوا فيه نفس فقال الأمير عبد الوهاب فى نفسه ماهذه حيلة منه وانما هذا قضاء الله قد نزل به لامر يريد أن يفعله بالمسلمين ثم نادى الأمير عبد الوهاب بوالدته الاميرة ذات الهمة وأعلمها بقصته فقالت له الاميرة ذات الهمة هذا أمر ياولدى قد جرت به عادته ولاهى بأول حيلة أحيال بها ولا أول صنعة فعلها (قال الراوى) يا ساده يا كرام فعند ذلك حملوه الى المضارب والخيام وارخوا عليه الشراع وحركوه فلم يتحرك وطلبوا له نفس فلم يجدوه فقال الامير عبد الوهاب الامه لاميرة ذات الهمة قد انقع نفسه وبقى

مثل الخشبة الملقاة وما هو ممن بقى له فى الدنيا حياة وانه بعيد ان يرجع الامير أبوا محمد البطال ولا بقى يركب معنا ظهور الخيل الجياد أو يقاتل الاعداء الاضداد فعند ذلك بكى الامير عبد الوهاب بكاءاً شديداً ماعليه من مزيد وصاح صياحاً عظيما (قال الروى) فعند مادخل عليه الامير ظالم ولد الامير عبد الوهاب فكلمه فلم يتكلم وحركه فلم يتحرك وسأله أن يكلمه فلم يجيبه فقال له الامير ظالم ياعماه ما نريد منك هذا اللعب والمزاح لقد قطعت قلوبنا وقوست ظهورنا وأحرمتنا لذيذ الكلام فلم يكلمه الامير أبو محمد البطال فدخلت عليه الاميرة ذات الهمة وقد تحسرت عليه وبكت وجعلت تقول واسيداه وا أميراه وا أبو محمداه لقد قطعت قلوبنا فلا كان عقبة الملعون ولا كانت ساعته (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلم يجيبهم الامير أبو محمد البطال بجواب فقالت له الاميرة نا شدتكم الله العلى العظيم والنبى الكريم وبالقرآن العظيم الا ما أطلعتنا على أمورك واحوالك وكلمتنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك تحرك الأمير أبو محمد البطال على حيلة وقد استوى جالسا نفرحوا به فرحا عظيما هذا وقد قال لهم الأمير أبو محمد البطال أنا ما فعلت ذلك لأعلمكم هل يخفى حالى وأمرى عن الروم الملاعين ولكن خذوا الآن أهبتكم واصنعوا ماقلت لكم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك أخذوا خشبة وكفنوها وشالوها على أعناق الرجال وجاؤا بها الى القبر ودفنوها وقد دخل على قلوب المسلمين من فقد الأمير أبو محمد البطال أمر عظيم وخطب جسيم ومشوا حفاة عراة ومرقوا أطمارهم وحثوا التراب على رؤوسهم كل هذا يجرى منهم والجاسوس واقف بينهم يشاهدهم (قل الراوى) فلما تحقق الجاسوس موت الامير أبو محمد البطال خرج مهرولا لملك الروم وأعلمه بموته كما ذكرنا وقال لهم مازلت واقف حتى دفنوه والمسلمين انقطعت ظهورهم فعندها قام الملعون عقبه قائما على قدميه إلى الجاسوس وقبل يديه وأسافل قدميه وقد قال له لك أيضا عندى ألف دينار وللسيد المسيح عشرة آلاف دينار يفرقها على من يريد (قال الراوى) هذا وان الملعون عقبة خر ساجداً بعد ماصلب بيده على وجهه ودخل على قلبه الفرح بموت الامير أبو محمد البطال وقال قد مات أبو محمد قد آمنت على نفسى من كل آفة وأمنت على دين النصرانية وما بقى بعده يقوم للإسلام قائمة ولا بقوا يفتحوا قلعة من قلاع البحيرة أبدا ثم طاش عقـــله فرحا وبات تلك الليلة وقلبه منشرحا وهو يقول وحق المسيح والدين الصحيح لأخربن مســـاجدهم ولأحرقن الجوامع ولأذبحن الصبيان على صدور النسوان ولأيتمن الاولاد من الرجال وآخذ بثار الملك

الخرطموس وآخذ ابنته منهم واجعل ذات الهمة أيضا خادمة للكنيسة وابنها يرعى الخنازير وأترك المسلمين قليلاين العدد إلى أبد الأبد ما قام قائم وقعد (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا ما يقوله الملعون عقبة والملك كوجار والحكيم ماريتون يضحكون عليه ثم ان الملك كوجار أعطاه عشرة آلاف دينار فتسلمهم الملعون عقبة وحملهم إلى خيمته قال وكان معه غلام اسمه سموطا أكفر أهل زمانه يشرب الخمر ويكثر من الفجور ويكفر بالله الواحد الغفور (قال الراوى) يا سادة هذا وان الملك كوجار اختبر الملعون عقبة فما وجد له دين فاستخدم ذلك الغلام معه وكان للملعون عقبة خيمة كبيرة وفيها آلة السلاح وصناديق كثيرة فيها قماش وغير ذلك هذا وقد أخذ المال وسلمه إلى غلامه سموطا وهو فرحان به فقال له يا مولاى هل يقدر البطل الذى تصفه أنت بأكثر ما أقدر أنا عليه ولولا اشتغال قلبي بالملك كوجار لما سلم منى هذا الكلب ابن العواهر وبعد هذا فقد كلفتنى إلى خفظ هذا القماش الذى عندى فى الخيمة فقال له الملعون عقبة ياولدى هذا رجل يصعد الى السماء بغير سلم ويتحيل للمرأة فى صورة زوجها وهى لا تشك فيه ويجامعها وهى لا تنكره ولا يذكر فى موضع الا ويحضر ولا تراه أيضا فى مكان الا ويوقع بأهله من المكر والخديعة والحيل ما يعجز عنه الثقلان ولا يخطر على قلب انسان ولا يفطن به أحد الا وقد غاص فى التراب فقال له الغلام سموطا وحق المسيح لو عاش وظفرت به لاسلخن جلده كجلد الكلاب وأتركه أحدوثة لمن حضر وغاب فلما سمع الملعون عقبة من غلامه ذلك الكلام ضحك الى أن استلقا على قفاه وقال له يا ولدى لقد كفانا المسيح موت اللص المحتال أبو محمد البطال فلا رحم السيد المسيح منه مغرز ابرة ولا جمعنا معه فى الدنيا ولا جمعنا معه فى الآخرة ولقد سكن الآن روعى وملأ النوم عينى وان لى مدة خمس سنوات لم ألتذ بالكرى ولا عرفت طعم المنام ولقد دخل على قلبي المسرة يدفع عنى هذه المرة والمضرة (قال الراوى) وذلك أن خيمة عقبة الملعون كانت بعيدة عن خيمة الملك كوجار لأنه كان قصد بذلك أن يخلوا بنفسه مع مماليك الروم ويكثر الفساد معهم فعند ذلك طمع الملعون عقبة بموت الأمير أبو محمد البطال فقال لغلامه أخرج خيمتى الى خارج المرج وذلك المرج كان كثير الأشجار والأزهار غزير المياه والأثمار هذا وقد جلس الملعون عقبة هناك منفردا بنفسه وقد سكن روعه وطاش عقله من الفرح (قال الراوى) فبينما الملعون هنالك جالس فى خيمته واذا هو بشاب من أولاد الملوك كأنه البدر الطالع وبين يديه رومى آخر وفى يده شمعة فعندها تقدم ذلك الشخص الى الملعون عقبة وسلم عليه وقبل الأرض بين يديه وقال له ياقاضى اعلم اننى رجل مذنب ومفرط فى

دين السيد المسيح فلما رأيت أنك نذرت عشرة آلاف دينار من مالك تريدأن تتصدق بهم، فرغبت أنا الآخر فى الصدقة موافقة لك وما أملك من الدنيا يامولاى غير هذا الألف دينار فخذها وتصدق بها على من شئت من العباد واجعل ثوابها لك (قال الراوى) فعند ذلك اندهش الملعون عقبة من ذلك وفرح الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد لانه نظر الى وجه مليح كانه القمر المنير بشعر طويل أجعد وطرف كحيل أحور وخد أسيل فقال الملعون عقبة لعنه الله وحق المسيح هذا أحسن من بنات الروم والملوك وأريد أن أخلوا به فى هذه الليلة قبل أن أموت (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم ان الملعون عقبة تسلم الألف دينار من الفتى وقال له أنت من الخواص أو الملوك فقال انامن خواص الملك وان الخزانة كلها بحكمى ولو كان بالنهار لكنت جئت لك بأكثر من هذا فقال الملعون عقبة وأين هى خيمتك فقال إلى جانب خيمتك أيها الشيخ فان كنت ترى فى نفسك أنك تزورنى ساعة من الليل جئت اليك عاجلا (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولم يصدق الملعون عقبة بذلك الخطاب فقال له خذ غلامى معك عرفه بهذه الخيمة وإذا كان بعد ساعة من الليل جئت اليك وقدمت عليك (قال الراوى) وكان ذلك الكلام من الملعون عقبة حزم ورأى ولكن لايعرف أحد أن الملعون عقبة قد خلا مع الخادم الخاص فعند ذلك رجع الخادم الى خيمته ومعه غلام الملعون عقبة فعرفه بالخيمة وعاد الغلام راجعا إلى خيمة مولاه فلما ان رآه الملعون عقبة عاد مسرعا فقال له ويلك ياغلام عرفت الخيمة قال نعم يامولاى الموضع قريب فقم بنا اليه وكان غلام الملعون عقبة قود من هامان على فرعون فعند ذلك خرج الملعون عقبة من الخيمة وقد أخفى نفسه ولم يأخذ معه ضوء خيفة أن يراه أحد هذا وقد سار الى ان وصل الى خيمة الخادم ولما دخل اليه تلقاه الخادم وأكرمه غاية الاكرام وجعل الملعون عقبة يسامر الخادم ويحادثه ويضاحكه وقد أخذ معه فى الحديث الذى يقرب الانسان إلى البسط والخلو فقال له ذلك الفتى ما تقول ياشيخ فى هذه الساعة فى نبيذ طيب فقال له الملعون عقبة لعنه الله يا بنى إيش أقول فى العافية فعجل ياولدى به فان السيد المسيح يرضى عنك بهذه الفعال فعند ذلك أمر الخادم لغلامه أن يحضر له نبيذا كثيرا كثيرا ونقلا غزيرا وآلة حسنة فأحضر له الخادم الجميع بين يديه ثم جعل الخادم يشرب ويسقى الملعون عقبة والملعون عقبة لعنه الله تعالى يشرب ويتكرع ويطرب والى الخادم يتقرب هذا وان غلام الملعون عقبة سموطا قد دارت فيه الخمرت وعملت فى رأسه السكرة وكثر منه هذيانه هذا والملعون عقبة لعنه الله تعالى وخزاه وجعل النار متقلبه ومثواه سكر ثم جعل يقول هذه الليلة غفل الدهر عنها فاغتنمها وخذ نصيبك وحظك متها هذا

وأن الملعون عقبة التفت الى غلامه سموطا وقال له بحق عليك الا ما انطلقت الى أخى الحكيم ماريتون وتسلم عليه من قبلى وتدعوه الينا حتى يطيب قلبه معنا فان هذه الليلة من من أحسن الليالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك سار هذا الغلام وهو فرحان مسرور فأتى بالملعون ما ريتون الى عندهم وقد جلس الآخر يشرب معهم فقال له القاضى عقبة هل مز عليك من عليك من عمرك أطيب من هذا المجلس الذى نحن فيه فقال له الملعون ماريتون ياقاضى عقبة كم لك على من منة وكرامة فالمسيح يجازيك بأحسن الجزاء ويعطيك من عنده اوفى عطاء (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وان الملعون عقبة قد أقبل على ذلك الخادم وجعل يعانقه ويبوسه ويقول له المسيح ويحفظ على هذا الوجه المليح فقال له الخادم يا قاضى ما يرانا المسيح ويحرمنا من دين النصرانية ثم قال له ذلك الخادم وما تشتهى يا قاضى فقال له أطلب اختلى انا وانت لانك فى الدنيا كنت لنا منادم فلا تحرمنا من اقل الثواب فقال له الخادم يامولاى وما يكون علينا فى ذلك اثم ولا عتب فيما اشرت به فقال له الملعون عقبة يا ولدى المسيح يجعل لك منه علو ومقدار فى تلك الدار وان واصلتنى فان وصالك لى مما يقربك لاعلى الدرجات فقال له الخادم افعل ما تحب وماتختار فعند ذلك طار عقله وكذلك الحكيم ماريتون فقال فى نفسه هذه ليلة غفل الدهر عنها ثم انه التفت إلى الحكيم ماريتون وقال له ياأخى تكون لى عندك هذه اليد البيضاء وتشكرنى عليها طول الزمان ولكن أول مايتقدم اليه أنا حتى أمهد لك الطريق فقال الحكيم ماريتون الامر اليك أيها الاخ العزيز الشفيق (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك أخذ الخادم بيد الملعون عقبة لعنه الله تعالى ودخل به إلى خيمة أخرى وأعطاه قدحا من الشراب الرائق وحياه أيضا بتفاحة طريه لها روائح زكية فأخذها الملعون عقبة لعنه الله وكشر عن أنيابه وقبلها ووضعها على رأسه وضمه إلى صدره وشكره على ذلك شكرا جزيلا وقد شرب ذلك القدح فقال له الخادم أيها الشيخ النجيح وهدية السيد المسيح سمعتك الآن تذكر عيار المسلمين المسمى بالأمير أبو محمد البطال وتعد حيله فاذا رأيته بين يديك تعرفه معرفة تمام فقال له الملعون عقبة يا ولدى وكيف الذى أجرى فى ذلك الوقت ذكر أبو محمد البطال على لسانك وأن ذلك الشيطان قد وصل إلى دار الوبال والذل والخبال وما بقى يرجع يمشى قط بين الرجال فقال له الخادم بلى وحق الاله العظيم ونبيه الكريم أنه لحاضر يسمع كلامك ويفهم نظامك (قال الراوى) فلما سمع الملعون عقبة ذلك المقال انتبه من منامه وصحى من سكرته وطار السكر من رأسه

وفتح عينه الصحيحة وقد تسلق بيضه إلى حلقة والتفت اليه فرأى ذلك الخادم المصبيح قد كشف بيــده عن وجهه المليح وقد انكشف للملعون عقبة ذلك التزويق وإذا به الأمير أبو محمد البطال صاحب الأقوال والأفعال وهو على الصورة الأولى على التحقيق فقال له الأمير أبو محمد البطال كيف حال سيدنا القاضى عقبة فقال له الملعون عقبة لا أخلانى الله من هذه الطلعة الميشومة وما أبركها على من ليلة (قال الراوى) فلما سمع الملعون عقبة كلام الأمير أبو محمد البطال وعرف صوته مات فى جلده الموتة الكبيرة ثم جعل ينظر اليه طويلا ثم قال له الملعون عقبة أنت ما مت فقال له بل مت وما تعلم يا قاضى عقبة أن الله تعالى يبعث من القبور فقال له الملعون عقبة ويلك يا شيطان وهذا اليوم يوم البعث والنشور فقال له الأمير أبو محمد البطال يا قاضى عقبة أنا مثـــل حمار العزيز أماته الله تعالى مائة عام ثم بعثه فقال له الملعون عقبة ويلك ياشيطان لاعشت ولا بقيت ولا ستر عليك السيد المسيح ياشيطان ليتها كانت القاضية وليتك مت مثل حمار العزيز مت مائة عام ولكن أنت لم تمت ثلاثة أيام فلا قرب الله ديارك ولا أنصحك بسلام ثم أن الملعون عقبة أراد أن يصيح فعاجله الأمير أبو محمد البطال وقد هزه ثلاث مرات فدار البنج الذى سقاه اياه فى ذلك القدح فى رأسه فاعتقل لسانه ودخل البنج معه وداخت رأسه ثم أنه استوى فى نومه (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن الأمير أبو محمد البطال شده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف ثم أنه بعث بعد ذلك إلى الحكيم ماريتون وأحضره الآخر إلى عنــده فقال الحكيم ماريتمون وحق المسيح لقد استوفى القاضى عقبة حقه من ذلك الخادم وبقت أيضاً حاجتى أنا ثم ان الملعون ماريتون قام قائما على قدميه وهو فرحان فقال له غلامه سموطا يا حكيم الزمان وأنا الآخر أيضا من الفقراء المحتاجين فما يتصدق على ذلك الخادم بشيء وينال ثوابى فقال له الملعون ماريتون سوف أقول له عنك ولا بد ما أرغبه فى ذلك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك ناوله ذلك الغلام قدحا فيه الهم والغم والبلاء فشربه إلى آخره وخلاه مكانه ومشوا قاصدين إلى الموضع الذى فيه الخادم والقاضى عقبة (قال الراوى) فلما دخل الخيمة التفت الحكيم ماريتون الى القاضى عقبة وإذا هو يبصبص بعين واحدة فأخذه الضحك عليه وقد قال فى نفسه من كثرة ماحط ذلك الشيخ على ذلك الغلام مابقى يقدر يتكلم بكلام فأشار اليه الملعون عقبة بيده يقول له سوف ترى العجب مما يحل بك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك خرج لهم الأمير أبو محمد البطال فى صورته الاولى التى خلقه الله فيها فلما رآه الملعون

ماريتون قال للقاضى عقبة ويلك يا ابن ألف نحس أما هنا صديقك ومحبك الامير أبو محمد البطال الذى زعمت انه قد مات ثم جعل الملعون ماريتون يمسح عينيه بكمه وقد صح عنده انه الامير أبو محمد البطال واقف على ماريتون هو وغلامه فأداروه كتاف وعملوا فى فمه أكره وجعل الامير أبو محمد البطال يلطم الملعون ماريتون لطما شديداً متداركا فعند ذلك انطلق لسان الملعون عقبة فى ساعة الحال وقال له ياشيخ تمتع بهذا الخادم فهناك به السيد المسيح وطيب عيشك المليح فقال له الحكيم ماريتون كأنك يا قاضى عقبة سعيت إلى هذه المنفعة (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن الأمير أبو محمد البطال أوثقهم كتاف وعمل الاكر فى أفامهم ثم خرج إلى الغلام سموطا وهو مرمى على وجهه فقال له الأمير أبو محمد البطال ها قد استجاب الله دعوتك وقد جمعنا الله فى مكان واحد وجعلت أنك تسلخ الأمير أبو محمد البطال سلخ الكلاب وتطعم لحمه للكلاب والذئاب ولكن أريد فى هذه الليلة أوريك ما يصنع الله بعبـــاده الذين جحدوا بربوبيته وخرجوا عن دين نبيه صلى الله عليه وسلم وأجعل رأسك بين الرؤس وأذيقك النكال الشديد والعذاب الأليم (قال الراوى) ثم أن الأمير أبو محمد البطال عمد اليه وكان قد شرب وخالطه الشراب وكان قد سقاه قدحا فيه من ذلك الدواء الممزوج ما أذهل به عقله وأزال به لبه فذبحه من الوريد إلى الوريد وقطع رأسه وخلاها فى ناحية ورمى جثته فى ناحية وخرج مسرعا إلى خيمة الملعون عقبة لعنه الله فأخذ العشرة آلاف دينار التى كان دفعها له الملك كوجار يتصدق بها وأخذ الألف دينار الذى دفعها هو للملعون عقبة لعنه الله تعالى وخرج الأمير أبو محمد البطال وهو يقول هذه بضاعتنا ردت الينا (قال الراوى) ثم أن الأمير أبو محمد البطال أحضر العشرة آلاف دينار قدام القاضى عقبة والحكيم ماريتون لعنهم الله فعندها تعجبوا منه غاية العجب وقد قال الملعون عقبة للحكيم ماريتون ياويلك ما السيد المسيح إلا مسلم حصل لنا عشرة آلاف دينار وعاد أخذها منا دفعها للمسلمين ثم جعل يتحسر ويبكى بكاء شديدا ودخل على قلبه من فقد المال أضعاف ما دخل على قلبه من السرور وفتح لهم عينه الصحيحة وصار ينظر اليهم (قال الراوى) إلى هذا الكلام العجيب والأمر المطرب الغريب هـــذا وأن الأمير أبو محمد البطال أخذ الملعون عقبة والحكيم ماريتون ثم أنه جعلهما فى صندوقين وشالهما على فرس وأخذهما وسار ولم يزال سائر بهما حتى وصل بهما إلى حرس المسلمين وكان الحرس فى هذه الليلة الأمير ظالم ولد الأمير عبد الوهاب فلما رأى الأمير أبو محمد البطال فرح به فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقد نزل اليه مسرعا ثم أنه اعتنقه وإلى صدره ضمه وقبله

ما بين عينيه وسأله عن طريقه فاخبره بما رآه من الملك كوجار وكثرة عساكره وبطارقته فعند ذلك تعجب من ذلك الأمر وأخبره أيضا بظفره بالملعون عقبة والحكيم ماريتون الآخر (قال الراوى) ثم ان الأمير أبو محمد البطال أخرج الملعون عقبة من الصندوق فلما رآه الأمير ظالم ولد الأمير عبد الوهاب ضحك الى أن استلقى على قفاه وقال له يا ملعون كم تغدر وتخون ويوقعك الله وتنصب للمجاهدين فى سبيل الله حبالا يوقعك الله تعالى فى أشراكها كل ذلك ببركة هذا الأمير أبو محمد البطال سيف المجاهدين ونقمة الله على الكافرين ثم أن الامير ظالم جذبه اليه وصار يصفعه على رأسه وتارة على وجهه ثم أن الأمير أبو محمد أخذ عقبة والحكيم ماريتون بعدما أوصى الأمير ظالم باليقظة وأعلمه بأن الروم لاينامون عنه وعن طلب الملعون ماريتون لايصبرون (قال الراوى) ثم سار الامير أبو محمد البطال إلى أن قدم على الامير المجاهد الأمير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة سيدة بنى كلاب فوجد عسكر الاسلام مستيقظين وبرحمة الله تعالى فرحين وبما وعد الله ورسوله صابرين (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة لما رأوا الأمير ابو محمد البطال فرحوا به فرحا شديدا ثم نظروا إلى الملعون عقبة والحكيم ماريتون فزاد فرحهم هذا وقد قال له الأمير عبد الوهاب أهلا وسهلا بشيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهالة لقد فرحنا بقدومك أيها الملعون ومابقى من أمراء سادات بني كلاب أحد الا وقد صفعه على أجنابه وأكتافه (قال الراوى) فعند ذلك التفت الأمير عبد الوهاب الى الملعون الحكيم ماريتون وقال له ياحكيم لم لاتسلم على الأمراء وقد صرت عندهم ضيف فقال الحكيم ماريتون ياسيدى أنا رجل غريب فى هذه البلاد وما أعرف فيها أحد لا أبيض ولا أسود فعندها جعلوا الامراء يصفعوه فى رأسه والملعون عقبة لعنه الله واقف يضحك عليه ويقول له هذا ما أعطاك خادم الملك كوجار ولقد كان لك فى عطائه الفرحة الكبرى وقد تلذذت فى هذه الليلة بمخالطته فتنزه طيب السيد المسيح عيشك فان هذه الليلة ليلة عظيمة فقال له الحكيم ماريتون أدعو لك تذوق مثل هذه اللذة فقال له الملعون عقبة أما أنا فقد أخذت نصيبى (قال الراوى) فعندها ضحكوا جميع الأمراء من قولهم وبما يلاغوا بعضهم بعض (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب سأل الامير أبو محمد البطال عن جميع أحواله وبماجرى له فى طريقه وهو أيضاً يخبره بقصته وكيف كانت غيبته وكيف كانت طريقه وكيف صفة ما أخذ هؤلاء الكلاب وقد أخبره أيضاً بالقصة التى جرت عليه من أولها إلى آخرها وكيف تمت هذه الحيلة على هؤلاء (قال) فلما سمع الأمير عبد الوهاب من الأمير أبو محمد البطال ذلك ضحك

ضحكا عالياً حتى استلقى على قفاه وصار يتعجب من دقائق حيله ثم انه قدم بين يديه تلك العشرة آلاف دينار الأخر فقال له الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد تقول ان الحيلة تمت لك على هؤلاء فكيف تمت حيلتك على أخذ هذا المال فأعلمه الأمير أبو محمد البطال انه المال خصه الله به لأن الملعون كوجار دفعه له قربان فأخذه الملعون عقبة يتصدق به لما سمع بموت الامير أبو محمد البطال صاحب الأقوال والأفعال ثم قال له الامير عبد الوهاب اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد سهل لى هذا المال أستعين به على الجهاد وبلوغ المراد فى هذه الديار والبلاد فان الله سبحانه وتعالى يبارك لنا فيما أعطانا وينصرنا على أعدائنا (قال الراوى) ثم ان الأمير أبو محمد البطال قص عليهم قصته وكيف انه وصل إلى الملعون عقبة فى زى خادم الملك كوجار وكيف جاء اليه الملعون عقبة يريد أن يفسق فيه وكان كلما حدث الأمراء بحديث الملعون عقبة يضحكون عليه وفى رأس الملعون عقبة باللطم ينزلون (قال الراوى) وما بقى أحد من الامراء الا ونزل على الملعون عقبة بالصفع حتى تورم قفاه وكادت روحه أن تذهب والحكيم ماريتون لعنه الله يضحك عليه وهو يقول له هناك السيد المسيح ينظر هذا الوجه المليح وأيضاً الصفع الصحيح (قال الراوى) فهذا ماجرى هاهنا الأمير أبو محمد البطال مع الملعون عقبة نسل الأندال (وأما ما كان) من أمر الملك كوجار فانه لما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أنفذ الملك كوجار خلف القاضى عقبة والحكيم ماريتون يستدعيهما للحضور إلى مجلسه لمشورة معهما فيما يريده من أمر القتال وأحوال العسكر فى النزال فمضوا الغلمان إلى خيمة الحكيم ماريتون وطلبوه فلم يجدوه والملعون عقبه الآخر قد فقدوه ووجدوا غلامه مذبوح مقطوع الرأس ملقا فصعب ذلك الأمر عليهم وكبر لديهم ومضوا إلى عند الملك وقد أعلموه وأطلعوه على قصتهم وما جرى عليهم من أمرهم فعند ذلك صعب ذلك عليه وكبر لديه واغتم لذلك غما شديد ماعليه من مزيد ثم انه قال ليت شعرى كيف تمت هذه الحيلة على هذين الرجلين وهما أحيل أهل زمانهما وكيف كان سبب أخذهما (قال الراوى) ثم ان الملك كوجار أحضر الجاسوس الذى أخبر أيضا بموت الأمير أبو محمد البطال وقد قص عليه القصة والحال فحلف له ذلك الرجل السيد المسيح والإنجيل الصحيح أنه شاهد الأمير أبو محمد البطال وهو مرفوع على أعناق الرجال مصخم بالدماء مزمل مثل القتلاء (قال الراوى) فعندها تعجب أيضاً الملك كوجار لما سمع من الجاسوس ذلك الكلام وقد تقسم منه فكرة واشتغل لذلك الكلام سره وخاطره وقال وحق المسيح ماهؤلاء الرجال من الإنس وما هؤلاء إلا من الجن ولقد رأيت امر

ما رأيت قط مثله ولا سمعت به فليت شعرى تم على هذين الشخصين حيلة وقد قيل لى ان الذى كان لصهم وعيارهم قد مات (قال الراوى) ثم ان الملعون كوجار أمر عسكره بالحملة على المسلمين فركبوا عن بكرة أبيهم واجتمعت الجموع ولمعت الجواشن والدروع وخرج جيش الكفار الماحق على أهل جيش الله الابرار الصادق وكرت الأبطال واشتد القتال وعظمت أيضاً البلايا والاهوال ودقت الكؤسات ونعرت البوقات وقد صاحت العسكر أن من عظم المصيبات وكثرة الحسرات واشتدت البليات وجرت الغمرات وأنت القلوب أيضاً بالزفرات واشتهرت الصوارم وقطعت العلاصم وقد تعدت السهام من الجماجم وتعدت الرماح من الظهور والحيازم وما لهم من الله من عاصم وثار الغبار ثم هاجت المسلمين الأبرار وزعقت الأسنة بدماء الكفار وامتلأ الجو بالغبار فما كنت ترى الا رأس طائر وفرس غائر ودم فائر وفارس على مانا له من قدر الله وقضائه صابر (قال الراوى) وكيف يكون حال أربعون ألف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أحاط بها مائة الف من المشركين وقد زاد فى العدد عليهم ستين ألف فارس هذا والمسلمين على ربهم يتوكلون وان المشركين بربهم يكفرون ومازالوا فى كر وفر وطعن وضرب إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل عليهم بظلماه ورجعت كل طائفة إلى مكانها ولولا هجوم الليل على العسكرين لكان قد نال المسلمين شدة عظيمة هذا وقد باتوا الكفار على حذر من المسلمين والمسلمين على وجل من الكافرين وقد اطلع على المسلمين الحى الذى لا يموت (قال الراوى) هذا وقد خرج فى ذلك اليوم الأمير عبد الوهاب وأولاده الأمير ظالم وأخيه الأمير قشعم وقد نظرت الامير ذات الهمة الى ذلك الأمر فاشتد غضبها خوفا من الله تعالى وباتت تلك الليلة قائمة على قدميها ونادت إلى ربها ومولاها وهو الواحد الأحد الفرد الصمد وقالت اللهم يامن فلق الحبة وبرا النسمة وتردى بالعظمة وياعالم السر والنجوى يارب الأرباب يامعتق الرقاب يامنشىء السحاب وياهازم الأحزاب ويامن خلق آدم من تراب أنت قلت وقولك الحق ادعونى أستجب لكم انصر عصابة الاسلام وعسكر نبيك محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وأن هذا الملعون كوجار قد طغى وبغى وتجبر وبنبيك قد كفر وبالباطل قد أمر فظفرنا بناصيته وأكسر حدته وأخذل قوته يا أرحم الراحمين (قال الراوى) هذا وان الأمير عبد الوهاب افتقد أصحابه فوجدهم أكثرهم جراحا ومما نالهم مرضا فقال كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم الى والدته الأميرة ذات الهمة وقال لها ياأماه قد رأيت رأى لابأس به وفيه أيضا مصلحة لنا وللمسلمين فقالت له يابنى وماهو فقال انى طفت على العسكر فرأيت

أكثرهم جرحا وهذه أرض وخمة وعدونا قد قويت شوكته وأصحابنا قد قصروا عن القتال وقد رأيت من الرأى أن نرحل الى ورائنا الى عند الملك الصابر ونجتمع به ونأخذ رأيه وقد بلغنى انه قد عوفى من مرضه فاذا استرحنا فى قلعته يفعل الله مايشاء بعدذلك لأنها قلعة حصينة وهواها طيب ولكن الله تعالى يكفينا شرهذا الملعون ويكون هلاكه على يدغيرنا أو يرده الله على عقبيه خاسرا وتأخذ هذا الملعون عقبة معنا الى قلعة الملك الصابر ونكتفى شره وندعه هناك ونوصيه عليه لان أصحابنا قد ضعفوا (قال الراوى) وان الاميرة ذات الهمة قالت لولدها الامير عبد الوهاب يابنى أما الرجوع إلى ورائنا فلا تسمع الملوك الأكاسره وجميع الرومانية اننا ذلينا ورجعنا هاربين الى ورائنا ونحن فى أربعين ألف رجلاونحن كنا أربعين نفس لما تمت علينا الحيلة ونجانا الله تعالى منهم وفى غد ان شاء الله تعالى يظفر بهم المسلمين والله معكم أينما كنتم (قال الراوى) وكان قد فقد من المسلمين مائة فارس فبكى الأمير عبد الوهاب لما سمع ماقالته الاميرة ذات الهمة وتوكل على الله وقال فى نفسه اذا كانت هذه امرأة وهذا قولها ثم أن الاميرة ذات الهمة قالت له ياولدى فى غد ان شاء الله تعالى أصطلى نار الحرب بنفسى وآخذ تار المسلمين من هذا الجبار اللعين فاذا ظفرت به فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب فترى منى مايسرك ويشفى قلبك وغليلك ان شاء الله تعالى والله ينصر دينه ويحامى عن ملة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ياسادة ياكرام ومازال القتال بين العسكرين والعين تقع على العين حتى انهزم الظلام وحام طائر الحمام وأصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ومازالت جيوش المسلمين راكبين وعلى سيوفهم ورماحهم متكئين ولامر الله صابرين ولحملات الكفار منتظرين وقد اطلع عليهم الحى القيوم رب العالمين (قال الراوى) هذا وقد أمر الملك كوجار أصحابه بالركوب فركبوا على الخيل وتأهبوا وترتبوا وللدروع الثابورية تدرعوا ولميدان الحرب تسابقوا وطلعوا وللقتال اجتمعوا ولرب العالمين أغضبوا ومارجعوا ثم ركب الملك كوجار على حصان أحمر عالى مضمر وقد أمر بالركوب وترجل فى ركابه عشرة آلاف من بنى الاصفر وأقبل الى ميدان الحرب يتبختر ولله قد عصى وكفر وتجبر (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم تقدمت المسلمين الكرام وتأخرت الفجار اللئام وقد نادى الامير عبد الوهاب بصوته الجهر ألايابنى الاعمام تقدموا وللحرب تأهبوا وعلى ربكم توكلوا وقفوا فى ميدان الحرب تغنموا ولاتخسروا ولاتندموا على قتال الكفار الكلاب ولا تسأموا فان ظفركم الله بعدوكم وعدوه نلتم أجر الجهاد وأيضا شفيتم من أعداء الله

وأعدائكم الاكبادفان الله قد أقرن أجركم بأجر نبيه محمدا ﷺ ومن حصلت له شهادة فقد فاز عند الله ونال ثوابه وحشر الى رضوانه فى جنات عدن (قال الراوى) ولم يزال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن أظلم الظلام وأتى عليهم الليل بالادلهام فعند ذلك أقبل الملعون كوجار على جماعته وقال لهم ارجعوا بعد ماقتل من عسكره عشرة آلاف وقال طول عمرى مارأيت أصبر من هذه الطائفة على القتال والنزال فقال له بعض أصحابه اعلم أيها الملك انه قد وصل الىّ اليوم خبر ولدك أنه أتانا فى عشرين ألف بطريق من أصحابنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فبينما هم فى الحديث واذا هم بشيخ كبير قد أقبل عليه وانطرح بين يديه فتأمله الملك كوجار واذا به الملعون عقبة لعنه الله فعند ذلك فرح به الملك كوجار لما رآه غاية الفرح وقال له يا أبونا وأين الحكيم ماريتون فقال له ياولدى ما قدرت على خلاصه وأما المسلمين فما بقى لهم قوة وأكثرهم مجرحين (قال الراوى) وأما خلاص الملعون عقبة فانه كان له حديث عجيب وذاك انه كان له صديق مجوسى وهو فى دين النصرانية وانه تخرق من ذلك ومدح دين المجوسية ودخل معه فيه وتكلم فى أهل عباد النار وصادقه فلما أسر هذا الملعون عقبة تحيل الرجل المجوسى حتى عرف موضعه وخلصه وكلما رأى أحد هرول فى مسيره حتى دخل عسكر الملك كوجار (وأما الأمير) أبو محمد البطال لما فرغ تلك الليلة من المشورة مع الأميرة ذات الهمة دخل يتفقد الملعون عقبة فلم يجده فقامت عليه القيامة وأعلم الأمراء بذلك وقال مابقى لنا مقام ههنا وقد وصلنى خبر بان الملك كوجار ميرون قد أتى فى عشرين ألف بطريق (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان الملعون عقبة يتوقع على الأمير أبو محمد الأخبار ويقول لابد لى منه وكان الخادم جوهر يسمع كلام الملعون عقبة فى عسكر الروم فرجع الخادم الى مولاه وأخبره فقال الأمير أبو محمد البطال مابى الا شماتة الملعون عقبة والاذيح الملك عندى هين لكن أخاف أن ينظرنى فيفعل بى ما شاء فقالت له الاميرة ذات الهمة فما يكون العمل فقال لها يا أميرة نرحل لأن أكثرنا مجرحين وهذه النجدة أيضا جاءتهم والملعون عقبة خلفى (قال الراوى) فعند ذلك شاورت الأميرة ذات الهمة أبطال بنى كلاب فقالوا لها ياأميرة الرأى الذى قاله الأمير أبو محمد البطال هو الرأى الصواب فقال لهم الأمير أبو محمد البطال ان هزبتم طمع العدو فيكم ولكن أسير بكم فى هذه العقبة التى فى هذا الجبل وأخرج بكم عند الصباح وأنتم عند قلعة الملك عبد الله شعشعونا ونستريح هناك ونسير الى قلعة الملك الصابر وما بقى لاحد علينا وصول ولا سبيل ويقف واحد منا بخمسة آلاف فارس على رأس العقبة ويرحل الجريح منا والضعيف فان تعلق أحد

خلفنا من الروم تلقاه القوم الذى يقفون فى الساقة فقالت له الأميرة ذات الهمة لله يا ولدى يا بو محمد (قال الراوى) ثم انهم حملوا من غير ضجة فقال الأمير أبو الهزاهز للاميرة ذات الهمة و بلكى ياستاه أنا أقف فى رأس العقبة ودع يحمل كل نصرانى فى الدنيا فقال له الأمير أبو محمد البطال ما لها الا أنت وما فينا أحداً خالى من الجراح غيرك فضحك الامير أبو الهزاهز من كلامه وقد أخذ معه ألف فارس من السودان كانهم الجمال هذا وقد رحلت العساكر ولم يبق الا السودان وقد وقع الصائح للملك كوجار برحيل المسلمين فرحل خلفهم وطلع الجبل على غرة من أمرهم فعند ذلك نادت عليهم السودان كانهم فروخ الجان ورموا عليهم الصخور والأحجار الكبار منها والصغار هذا والأمير أبو الهزاهز قد رمى من يده فى رأس الملك كوجار حجرا كبير على حين غرة منه ففلق دماغه نصفين فكان الرجل الاسود يوثب على الرجل الرومى فيضربه بالحجر فى صدره يقلبه فيضربه الآخر فيقتله (قال الراوى) فما كانت الا ساعة واحدة حتى ولوا الكفار الادبار ورجعت أيضا المسلمين الابرار فما صدقوا بالنجاة وقد صاح الأمير أبو الهزاهز فى قومه وطار من شدة الفرح فؤاده كيف انه ضرب الملعون كوجار تلك الضربة وهزم عسكره وحده هو وسودانه قال فعند ذلك فرحت الأميرة ذات الهمة بذلك العمل غاية الفرح العظيم وسرت السرور الزائد الذى ما عليه من مزيد وصاروا يرمون عليهم الأحجار ونالوا بكسرهم منالا عظيما ما ناله أحد وصار بهم فى الجبل وهم فى ظلام الليل فعند ذلك أدرك عسكر المسلمين هذا وقد وصلت عسكر المسلمين ووصلت الأخبار الى الأميرة ذات الهمة بما فعل الأمير أبو الهزاهز وكسره للعساكر فعند ذلك شكرته الشكر الزائد ثم أن الأميرة ذات الهمة دعت له بالنصر والظفر فقال لها أيتها الاميرة العظيمة انتى أولى بالدعاء منى فشكرته الاميرة ذات الهمة على ذلك (قال الراوى) ثم أن المسلمين ساروا بقية ليلتهم على مثل ذلك العمل الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعندها وصلوا الى قلعة الملك الصابر فلما نظر الى عسكرهم نزل اليهم وهناهم بالسلامة وتلقاهم كجرى العادة أحسن ملتقا وأنزل لهم الاقامة وأكرمهم غاية الكرامة (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء الاقوام (وأما ما كان) من أمر الملك كوجار فانه لما فتح الامير ابو الهزاهز رأسه رجع مرعوبا فالتقاه ولده ميرون وداوى رأسه وشده ثم جلس على سرير ملكه وأحضر بطارقته وكبراء عشيرته وكان الملعون عقبة حاضرا فسألهم عن رحيل المسلمين فقالوا مالنا وحق المسيح علم برحيلهم ايش كان سببه وما بقى لنا يقاتلنا الا الجن وقد فتحوا رأس كل من فى العسكر فقال له الملعون

عقبة أيها الملك لا تسمع كلام هؤلاء الرجال فما التقاهم إلا عبيد الامير عبد الوهاب السودان وهم أعظم من الشياطين والجان وهذه الحيلة من حيل البطال وخداعه فقال الملك كوجار وحق المسيح يا أبونا المسلمين الساعة فى الجبل وقد أكمنوا لنا مكيدة ويعملوها فقال الملعون عقبة هيهات هيهات أيها الملك ان كانوا يقفون الا فى قلعة الملك الصابر فقال له الملك كوجار وكيف ذلك ياشيخ فعند ذلك شرع الملعون عقبة يحدثه بحديث الملك عبد الله شعشعونا وكيف أنه سلم الحصن للمسلمين وما جرى له وكيف دخل فى دين الإسلام وكيف ترك دين آبائه وأجداده وكذلك الملك الصابر مضى أبو محمد البطال اليه واحتال عليه وزخرف له من هذيانه وأسلم معه خمسين ألف أو يزيدون والملك كوجار يتعجب من حديثه وقال وحق دينى ما سمعت بهذا الخبر إلا فى هذه الساعة منك فان هذا من أعظم الامور أن الرجل يخلى دينه ودين آبائه وأجداده الاولين ويتبع دين الإسلام وحق المسيح لئن ظفرت بهذين الخارجين المطرودين عن باب السيد المسيح لاذيقنهم العذاب ولا جعلنهم عبرة لمن اعتبر ثم أن الملك كوجار قال له يا أبونا وما الذى تشير به على أن أعمل ففى قلبى من هذه الجارية زنانير نيران لاتطفى وأيضا من الحصن الذى لها وهو الحصن الرفيع والدولاب المنيع ودولاب السيدة مريم لا يصلح لامرأة ولا أدرى أرحل أنا أو المسلمين ما دام أنهم معنا فان بفواتهم تفوت الملك المصلحة وتقوى القوم فعند ذلك قام ميرون ابن الملك كوجار وكان هذا الملعون ميرون قد سمع بصفات الملكة زنانير فما بقى يريد الرحيل إلا عندها ليراها أوانه يلقاها فى الحرب لعله أن يظفر بها فى موقف القتال والضرب فقال له أيها الملك أنا الرأى عندى أن نرحل فى غد إلى الملكة زنانير ونحاصرها ونقاتلها ونضيق عليها فان هى سلمت حصنها الينا فلا كلام وتسلم منا وتأمن منا على نفسها وتكون محسوبة علينا ومنا والينا وان لم تسلم الينا الحصن فهى أخبر بما يجرى منا عليها ونملكها بالسيف قهرا ونأخذ ما قد عدمناه من الاموال التى ادخرها أبوها من آلات الحرب وغيرها من زمان الاوائل ويصير هذا الحصن لنا فهو أطيب من حصننا لانه أنزه المواضع والريض مليح الاركان يصلح للجولان فعندها قبل الملعون عقبة منه مشورته لانه كان الآخر يطلب المسير اليها وكان قصده بذلك سلامته وخلاصه من يد الامير أبو محمد البطال (قال الراوى) ياسادة ياكرام فبينما هم سائرين وإذا بالجواسيس قد وصلت إلى الملكة زنانير وأخبروها بوصول الملك كوجار اليها وقدومه عليها كيف أنه أتاها قاصد الى نحوها بذلك العسكر الكثير فقالت الملكة زنانير لا شك فى أنهم قد كسروا المسلمين وان كان ذلك الامر

صحيح فهو يكون قتلهم الملك كوجار وقلع آثارهم من هذه الارض والديار (قال الراوى) وكان عندها عشرة بطارقة من أصحابها وهم من وجوه قومها وكبرائها وكانت تأخذ رأيهم ومشورتهم وكان كلا منهم يعد بجماعة من البطارقه وفيهم اثنين أحدهما أرمنى واسمه أبو الفتح وكان قتال الضباع كانه الجمل الهايج وكان تحت يده خمسة آلاف من جيشه وقومه وبنى عمه والثانى كرجى ولكنه كان ذميم الخلقة غير أنه كان سريع الانعطاف وهو للأرواح خطاف وكانت الملكة زنانير تحبه وتتعجب من قتاله وطعنه ونزاله ولما أنهم حضروا بين يديها أخبرتهم بما قد قاله الجاسوس وكيف حدث أيضا الملك كوجار نفسه بأخذ الحصن منها فلما أن سمعوا من الملكة زنانير ذلك الكلام قالوا لها أيتها الملكة متى جاءنا التقيناه بأرواحنا وكل واحد منا يلتى هذا الملك ومع ذلك نحن أقوى منهم شوكة وأشد وأشجع وما نقصر عن اربعين ألف مقاتل ولو كانوا فى مائة ألف مقاتل ولا لهم الينا تسليق ولعل المسيح يجعلهم طعاما لسيوفنا وأموالهم من نصيبنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما ان سمعت الملكة زنانير كلامهم فرحت به وخلعت عليهم وقوت قلوبهم ثم أن الملكة زنانير أخرجت من عندها الاسلحة والزرد والخود والجواشن والدروع وغير ذلك شيئاً كثيرا وهو شيء لم يخرج من عهد أبيها ثم قالوا لها أيتها الملكة الرأى عندنا ان تفرقى على الناس العدد والزرد وسارعى إلى لقاهم قبل وصولهم الينا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك امرت الملكة زنانير عساكرها وهم خمسة واربعين ألف فساروا وهم راكبين على الخيول السوابق والملكة زنانير سائرة بينهما مثل القمر المنير وعلى وجهها خمار ديبقى مثل الهوى فسارت كأنها البدر إذا انجلا وهى تموج فى سرجها والحصان يأكل الأرض من تحتها وبين يديها سبعة آلاف راجل كأنهم النخيل الطوال بالعدد الكاملة ولم يبق قس ولا مطران ولا بترك ولاشماس الا ومعه الانجيل وكان أقرب الناس اليها الحكيم اقليدس وإلى جانبه لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال وعليه لامة حرب كاملة وهو راكب على حصان مضمر وكلما نظر اليها وهى تمايل فى سرجها مثل القضيب إذا لعبت به الأرياح ليس لها مثال فى الدنيا وهى ترشق بسهام ألحاظها من عيون الغزال ولؤلؤ كلما رآها يقول سبحان خالقها من ماء مهين (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وقد أشرفوا على القوم بخيول كالسلاهب وقد سمع الملك كوجار أن الملكة زنانير فى طريقه فتعجب من جسارتها على كل حال وكونها تريد اللقا على البعد من حصنها فقال له ولده ميرون ان هذه سعادة عظيمة لنا بخروج الملكة زنانير من حصنها وظهورهم من بلدهم لنا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما ان وصل الملك كوجار بعسكره كان الليل

قد أقبل فنزلوا وضربوا خيامهم وباتوا على ذلك العمل الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك ركبت الروم على الخيول لأجل القتال والنزال والطعن والكفاح ولعبت الأبطال مع الأبطال بالأرواح وجرى الدم وساح وقد اختلط الجبان بالبطل الجحجاح وقد تواقعت الأهوال وقطعت الرؤس والأوصال وهمهم كل شجاع وصال ولم يقع فى ذلك اليوم فداء بذهب ولا بمال وصارت الرؤس مثل الأكر بين يدى الأبطال وسالت الأدميه مثل السيل إذا سال وعاد النهار مثل الليل وجرى لكل طائفة منهم البلاء والويل لاسيما أصحاب الملك كوجار فانهم قتلت فيهم البطارقة الذين للملكة زنانير وقاتلوهم قتال ماسمع بمثله أحد فى الرجال وصدقوه صدق من قد ترك الدنيا وبغض الحياة وركن الى الوفاة (قال الراوى) ياسادة هذا وان الملكة زنانير جعلت تحرض أصحابها على القتال والحرب والنزال وتوعدهم بالعطايا والأموال وقد التقت عليها الجيوش وهى بزردية ضيقة العدد ومحكمة النظام وجوادها مجفجف ما يبان منه غير حماليق البصر وصارت كأنها الأسد الجائع وهى تطوى الميدان وقد رفعت الخمار عن وجهها وهى عادتها إذا عرق جسدها فكل من نظرها تذهل عقله ويرجف قلبه من هيبتها وجمالها وهى تطحن الرجال وتميـــل مثل غصن البان (قال الراوى) ياسادة ياكرام فبينما هى تجول وتصول إذ عثر الجواد بها فطارت من فوقه لكثرة ماعليها من الحديد وقد صارت فى وسط الاعداء هذا والملعون ميرون قد نظر اليها ومعه الف بطريق أجلاد أنجاب فانكب عليها أخذها أسيرة بلا طعن ولا ضراب وكان ذلك بتقدير الملك المنان الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن هذا وان العساكر قد رجعت عن بعضها البعض فما بقى أيضا يسع لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال تلك الارض ذات الطول والعرض وكاد ان يقفل روحه من شدة ما جرى عليها ثم قال للحكيم اقليدس أنا أريد منك عشرة فوارس أنجاد شداد لعلى ان أعمل على خلاص الملكة زنانير فقال له الحكيم أقليدس حباً وكرامة فعند ذلك حضرت تلك العشر فوارس فى ساعة الحال فقال لهم أريد منكم من بعض ثياب الملك كوجار فقالوا له سمعا وطاعة ثم انهم غابوا هؤلاء الرجال ساعة زمانية وأتوا اليه ومعهم ثياب تكفى جماعة فعند ذلك لبس لؤلؤ زيهم لان زيهم كان غريب (قال الراوى) فبقى لؤلؤ كأنه واحدا منهم فقال الحكيم إقليدس أريد منك الف فارس يكونوا قريبا من عسكر الملك كوجار فقال له سمعاً وطاعة ثم ان لؤلؤ سار بالليل واختلط بالقوم وكان الملك كوجار فى تلك الساعة قد جلس على سرير مملكته وبين يديه شمعة تقد وجميع العساكر قيام بين يديه وولده ميرون قد أتى الملكة

زنانير وهو يعضدها ويخدمها وهى باكية العين حزينة القلب مطرقة إلى الارض فأمر الملك كوجار بحملها إلى سرادقه وكان الملعون عقبة حاضرا فى ذلك الوقت وقد فرح بأسرها لان قلبه ملآن منها وفيه حرارات زائدات وما عذبه الامير أبو محمد البطال بمثل ماعذبته هى لما وقع فى يدها فقال الملعون عقبة احتفظ بها أيها الملك فان لؤلؤ غلام أبو محمد البطال مايتخلى عنها فعند ذلك ضحك الملعون ميرون وقال هذا الشيخ أرعن وخائف وأنا فى هذه الليلة أرفع السلم الى عندى لاتقدر عليها الجن فضلا عن الإنس (قال الراوى) ثم ان الملعون ميرون أخذ الملكة زنانير وطلع بها إلى طارمته ثم انه زاد فى إكرامها وقدم لها الطعام الفاخر فأبت الملكة زنانير ان تأكل كل ذلك غيظا لما قدجرى عليها من أسرها وقد زاد بها. ابن الملك كوجار حبا وقد شغف بها شغفا عظيما وهوأيضا يقول فى نفسه ترفق بها عسى أن تطاوعنى على ماأريد (قال الراوى) هذا وقدجعل عقبة يوصى ميرون بحفظها والاحتراز عليها من لؤلؤ غلام الامير أبو محمد البطال فقال ميرون فى نفسه وهذا الشيخ قد بلانا المسيح به فهذا ما جرى لميرون والملكة زنانير (وأما ماكان) من لؤلؤ وأصحابه فانهم لبسوا زى عسكر الملكة زنانير والملك كوجار هذا وقد سار بهم لؤلؤ الى أن دخلوا عسكر الملك كوجار وقد سمع ورأى ما جرى بين ابن الملك كوجار وبين الملعون عقبة من الكلام جميعه فلما أتى الملعون ميرون الى خيمته فدخلها ورجعت البطارقة عنه هنالك ذهب لؤلؤ الى مكان استتر فيه من اللعين عقبة الى أن دخل الليل عليه ثم أن لؤلؤ سار من مكانه حتى دخل الى الخيمة وأخفى نفسه فيها لعله يسمع كلاما وكان الحرس قريبا منه فى ذلك المكان فعندها سمع الملعون ميرون وهو يراود الملكة زنانير عن نفسها وهى تأبى وتجاوبه باغلظ ما يكون من الجواب وكلما لين لها الكلام اغلظت عليه أيضا فى الخطاب فلما رأى لؤلؤ الى ذلك غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولم يقدر يقربها فقام ابن الملك الى ناحية أخرى بعد ما قاسا منها الجهد الجهيد ومن شدة ماجرى عليه غلب عليه النوم فنام (قال الراوى) فلما رأى لؤلؤ الى ميرون قد نام انتهز الفرصة وتخطا رقاب الحرس وهان عليه هلاك نفسه فلما نظرت الملكة زنانير الى لؤلؤ عرفته فاشار اليها بيده انى قد أتيت طالبا لخلاصك فساعدينى على ذلك (قال الراوى) فلما أن سمعت الملكة زنانير من لؤلؤ ذلك الكلام فرحت الفرح الشديد وقد تهلل وجهها ونهضت قائمة وأتت اليه فتخطى بها رقاب الجرس النيام وسار بها فى الليل وقد سلكوا بعض الطرق الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فنظر لؤلؤ غلام البطال واذا بصومعة راهب فقصدها لؤلؤ واذا به شيخ كبير فنزل اليه وفتح الباب وترحب بهم

وأمرهم بالدخول الى عنده واحضر لهم مأكولا ومشروبا فاكلوا وشربوا (قال الراوى) ولما فرغوا من أكلهم وشربهم سألهم الراهب عن حالهم فاخبروه ببعض القصة وأنكرت الملكة زنانير اسمها لخوفها هذا وقد جعل الراهب يلح اليها بالنظر فاعجبه حسنها وجمالها ووسوس له الشيطان وقد قال فى نفسه اذا ناموا أقتل أنا هذا الرجل وآخذ هذه الجارية لنفسى (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وان لؤلؤ حسب هذا الحساب الذى حسبه هذا الراهب فقال لؤلؤ أنا لا أنام هذه الليلة حتى أننى أبصر كيف يكون حالنا وأمرنا فلما ان كان تلك الليلة جعل لؤلؤ روحه نائم ووقعت الملكة زنانير ساعة ثم نامت (قال الراوى) فلما علم الراهب انهم نائمين حسب انهم قد غرقوا فى النوم فصبر عليهم ساعة وهجم عليهم فلما قرب منهم قام لؤلؤ مثل الأسد وصاح به يا أخس الرهبان الى أين إلى أين وتقدم اليه ومسكه من مراق بطنه ورفعه وقد جلد به الأرض وقد مضت روحه إلى النار وبأس القرار (قال الراوى) فلما جرى ذلك الأمر نادى لؤلؤ بالملكة زنانير وقال لها أيتها الملكة قومى انظرى فعندها وثبت الملكة زنانير أسرع من البرق وقد نظرت الى الراهب وهو ملقى كأنه النخلة السحوق فسألته الملكة زنانير عن ذلك فحكى لها جميع ماتم وماجرى فشكرت لؤلؤ على ذلك ثم أنهم فتحوا باب الدير وخرجوا وهم يتحدثون بحديث ذلك الملعون وقالت له لابد له أن ينفر علينا الملك ميرون فقال والصواب عندى أننا نقصد حصنك أيتها الملكة فقالت وحق المسيح لقد كان قلبى غير مستريح منذ دخلت المسلمين الى هذه الديار ولاسيما ماجرى مع ملوك البحيرة والآن فى قلبى منهم النار التى لاتطفى واللهيب الذى لايخفى والصواب عندى أننى أصحبك الى بلاد الاسلام وحق المسيح هذا هو الصواب وأفارق مالى وملكى فى هواك ونحظى أيضا بجمال الملكة زنانير وهذا ماهو فى هوى نفسى كثير (قال الراوى) فهذا ماجرى للملكة زنانير ولؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال (وأماما كان) من الملك ميرون فانه لما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح خرج من خيمته فقال له الملعون عقبة لعنه الله أيها الملك ما فعلت بالملكة زنانير فى هذه الليلة فقال له الملعون ميرون وحق المسيح مانعتنى عن نفسى وماقدرت عليها فقال له الملعون عقبة أيها الملك كنت أخذتها غصبا (قال الراوى) وقام الملعون عقبة لعنه الله بعد ذلك الكلام قائما على الأقدام وأخذ بيد الملعون ميرون وتقدم به إلى الخيمة التى كانت فيها الملكة زنانير ليدخل اليها ويتحدث معها وينظر الى حالها فلما دخلا الى الخيمة فلم يجدوا لها أثر ولا وقعوا لها على خبر فلما نظر الملعون عقبة وميرون إلى ذلك بقى ميرون متحير متفكر فى أمره فلطم على وجهه حتى خرج الدم من

منخريه فقال الملعون عقبة ياملك النصرانية أنا ماقلت لك احترز عليها وأنا أعلم أن ما خاصها الا لؤلؤ غلام الامير أبو محمد البطال ولكن ان تركته يخاص ويروح بها ما أنا القاضي عقبة ابن مصعب ثم انه شدعليه وخرج هو وغلامه فقال له الملعون ميرون وأنا معكم (قال الراوى) وكان هذا الغلام الذى للملعون عقبة اسمه مرتوما فلما نظرهم الملعون ميرون وقدعزموا على الرحيل قاو لهم وأنا معكم فلم يخالفوه ثم انهم أخذوه معهم وساروا ولم يزالوا سائرين مدة ثلاثة أيام حتى أشرفوا فى اليوم الرابع على ساحل البحر وإذا بحراقة سائرة فأومأ اليها الملعون عقبة لعنه الله وناداهم فقربوا اليهم وأخذوهم معهم ولم يعرفهم ميرون بنفسه مخافة أن يكونوا أعـــداء له أو لابيه الملك كوجار فيأخذوه أسيرا (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين فى تلك الحراقة وقد أخذ عقبة غلامه وابن الملك كوجار وقعدوا يتحدثوا فقال بعض البحرية للآخر يا أخى كنا سمعنا بأن الملكة زنانير ابنة الملك صلبوتا عشقت لرجل مسلم وأخذها وخرج معها إلى بلاد الاسلام فقال واحد منهم ياقوم كيف تجاها من هذا الموضع (قال الراوى) هذا كله يجرى وعقبة يسمع هو وميرون الكلام الذى يجرى بينهم هذا والمركب سائره بهم تقطع السير من شدة الريح والريس ما سك الصارى وهو يقول يا قوم اعتدلوا وأرجعوا الى قدام فقال له بعض البحرية وما الخبر ياريس فقال له انى نظرت إلى ريح أسود وقد أقبل علينا من صدر البحيرة على قوة النو ومن وراء ذلك الريح ريح أسود عظيم وانى خائف منها والنو قد تغير على كثرة الماء وقد بدأ يضطرب منه المركب التى لنا وما رأيت فى البحر أشد من هذا الريح الذى طول عمرى ما رأيت أشد منـــه وهو يدل على غبار عظيم فالمسيح يسلمنا منه (قال الراوى) فلما سمع عقبة من الريس ذلك الكلام طار قلبه وتحير فى أمره وقال فى نفسه ما هو كثيران غرقنا هاهنا ولكن أنا رجل كثير الفضول وإلا أيش كان لى أنا هذا فى الأمر حتى خرجت من موضع كنت فيه آمن على نفسى ولا كان شىء يلزمنى ولا ها هنا من يطلبنى وما برحت حتى أرميت نفسى فى المهالك وأن المسيح لا يرضى عنى بذلك (قال الراوى) ثم أن عقبة التفت إلى غلامه مرتوما وقال له يا غلام إذا قضى علينا المسيح بقضاء وتم علينا أمر من الأمور وسلمت أنت فبلغ عنى السلام لأهل ماء العمودية وقل لهم مضى الشيخ النجيح ولا تقول لأحد من المسلمين على هلاكى حتى لايشتموا بى المسلمين فوحق حنا ومريم والصليب ما أسفى على هلاكى ولا أسفى إلا على أن مابقا للسلمين من يشغل قلوبهم فقال له غلامه ياسيدى حاشاك من الغرق وأنا أكون فداك من جميع الشرور فقال له عقبة وحق المسيح ان نفسى تحدثنى بالشر وما

هذا الأمر إلا أمر عجيب وما ذكرته لك فوحق المسيح انى خائف منه (قال الراوى) فما استتم عقبة كلامه حتى خرجت عليهم ريح باردة قوية وقد انقلب البحر أسفله الى أعلاه وكثر زبده وعلا موجه فبينما هم كذلك واذا هم بموجه مثل الجبل العظيم التقت على تلك الحراقة فاقلبتها وقد قطعتها وافترقت من سائر الجنبات وحل بأهل المركب الشتات هذا كله يجرى عليهم وعقبه قاعد فى مكانه لم يبرح منه فعندها قصد اليه بعض البحرية وجذبه بيده من لحيته وقال له يا شيخ النحس كل واحد يلزم موضعه ومكانه فوحق الإنجيل لولا أنك شيخ كبير لارميناك الى البحر فما أقل عقلك ولكن أنت معذور وما تعودت بركوب البحر (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا هم بمركب صغير قد أقبلت من صدر البحر فالتقطت الغرقا كلهم من على وجه الماء فهو كان سبب سلامتهم وقعدوا فى ذلك المركب الصغير وانقلب الريح بريح طيب ذلك اليوم والثانى واذا بريح قد خرج عليهم فطير القلع والمقاديف وقد سقط الريس من على رأس التابوت فقال عقبة هذا هو الهلاك الأكبر بعينه وما بقى لنا من يأخذنا من ها هنا فيالها من سفرة ما أعظمها وأيشمها (قال الراوى) هذا والارياح زادت واشتد الريح وأسود الأفق ولم ينظر الواحد منهم صاحبه وأيقنوا بالغرق وكادت تزهق نفسهم وقد ردهم الريح العاصف الى ورائهم وزاد بهم البلاء ولم يبق لهم قلع يلقوا به الهوى وهاج البحر بهم وماج وتأججت نيرانه وتطاير شراره وزاد أرعاده وأبراقه (قال الراوى) ثم أن الريح قد هدى وعاد البحر استوى وساروا الى أن قاربوا باب البحر واذا أيضا بالهوى قد عاد أقوى وأصلب مما كان وقد عاد أسود واذا هم بالمركب قد اشتال وانحط هكذا مدة سبعة أيام فلما أن كان بعد السبعة أيام صبت عليهم أرياح باردة وكان هذا آخر حسابهم فلم بقوا يقدروا يخرجوا أيديهم مما أخذهم من الرعد والبرق والبرد (قال الراوى) وقد جعل المركب تسير مع حدة الهواء والماء ولا يردرأسه كانه الفرس الجارى اذا ملك عنانه أو جرى فى ميدانه ولم يزال على ما هو عليه الى أن قالوا أهل المركب ياويلكم أستغيثوا بالسيد المسيح فعند ذلك قام الملعون عقبة لعنه الله قائما على قدميه فى وسط المركب وأخرج رأسه وأشار الى من فى المركب وقال ما كنتم بالذين تهلكون وأنا معكم ثم أن الملعون عقبة أومأ بيده الى البحر وقال أيها البحر أسكن بحق من أكل لحم الجمل وأحسن القول والعمل ولم يأخذه فى ذلك كسل وبحق ورق الشجر وهفيف الريح عند السحر وبحق معجزات مريم فلقد حيرتنى وفى بلاك أوقعتنى إلى يوم المحشر وقيام الساعة ولقد خسرت فيك البضاعة وأوحلتنى فى هذه

الساحة فبحق عامود القدرة وبحق الرهبان أقسمت عليك أيها البحر أسكن فأنا هدية المسيح التقديس تقديسا (قال الراوى) فعندها سكن البحر لما يريده الله تعالى من بعد اضطرابه وهدأ جريانه وانقطع الريح وسار المركب على الإستواء وزال ذلك البرد الذى حل بهم من ذلك الريح البارد فلما نظروا أهل المركب ذلك من عقبة الملعون أقبلوا عليه وصاروا يترامون على أقدامه يمسحوا بها وجوههم ويقولون له ياحجة المسيح فى عباده وأخبر من فى بلاده فما كنت الا بركة منزلنا وما جاء بك المسيح علينا إلا رحمة لنا ثم سار المركب ساعة من النهار وقد دخل فى قلب عقبة رعب عظيم وخطر فى قلبه شيئاً مايجسر إبليس أن يتظاهر به قال فى نفسه ما أنا إلا على الحق لأن عقبة لعنه الله لما نظر إلى البحر قد هدأ من جريانه واضطرابه قال فى نفسه وما دين المسيح الا دين صحيح وإلا ما كنا سلمنا من هذه البليات ولو ان مسلم يتوسل ويدعو لما استجاب المسيح منه وأما المسيح عيسى بن مريم على الحق (قال الراوى) وأن الملعون المفتون الخنزير الذى عظمه ولحمه لم يكن فيه شعرة توحد الملك الجليل وهو عقبة بن مصعب السمى لما تكلم بهذا الكلام أمر الله تعالى ملائكة البحر أن تأمر الماء أن يطلب وتصفق أمواجه ويعلوا زبده وفى ذلك الوقت أحاطت المركب بالبلاء وبكل من فيه فقالوا لعقبة لعنه الله ياشيخ ماللبحر قد تغير بعد ما كان قد هدى ووقف عنا البلاء وها هو قد عاد الى ما كان عليه فما أنت الا خبيث فى دعاك فليتنا ما كنا نظرناك ولا رأيناك فما أنت إلا شيخ الضلال ورأس الفتن وماأنت الا كما قال الشاعر

حل بنا الويل والبلاء ❊ وأقبل الشؤم والقضاء

(قال الراوى) ولم تزل المركب سائره والمقادير تجرى حتى نطحت الجبل بهم وكان هذا الجبل فى البحر فلم يتمالك كل من فى المركب أن يضبطوا راس المركب لحدته وعظم خفته فدق الجبل وانقطع القول والعمل ولم يبق لأهل المركب من ذلك حيل وقد تفصل المركب قطعا وتبضع بضعا وطلبت كل قطعة منه مكان فعندها غرق ميرون ابن الملك كوجار وسلم عقبة لعنه الله لأنه خبير بكسر المراكب لأنه كان معه عادة لما قد قاسى فى طول عمره من الشدائد فعندها تعلق بلوح من ألواح المركب ثم انطرح على وجهه لعلمه أن شدة الريح لابد أن يكسر المركب فتعلق عقبة بذلك اللوح من ألواح المركب وقد عانق اللوح بكلتا يديه والتزمه كالتزام الصغير لثدى أمه وحدفه من البحر فى غار فى الجبل فعند ذلك غمض الملعون عقبة عينيه وجمع مثل الكلب أذنيه وبقى الماء يدفعه تارة ويحطه أخرى وهو فى ظلمات البحر فبقى على شهيق ونهيق وزفير وهو لم يعلم ما يريده الله

به من قضائه وقدره وقد أيس الملعون من روحه وهو سائر تحت الجبل نهاره وليله فى الظلام ولا يعلم أين هو سائر إلى أن أخرجه الماء فى اليوم الثانى إلى فضاء من الأرض وإذا بالماء قد سكن والهوى قد فتر ففتح الملعون عقبة عينـــه الصحيحة وقد استنشق الهوى وخلا روحه من على اللوح وكان ذلك سبب سلامته ثم تمَّ سائر وهو غريق والماء يضربه كما يشاء الله من سلامته إلى أن قذفه إلى ساحل البحر فلما صار على وجه الأرض وإذا هو بناس على الساحل فلما نظروه مسكوا بيده وجابوه إلى ملكهم فلما رآه عقبة قبل له الأرض وسجد فقال لهم الملك من هذا الذى معكم فقالوا له أيها الملك هذا غريق وقد وجدناه فقال لهم لا يكون من تحت الجبل الأحمر والميل الأصفر فقالوا له قومه نعم (قال الراوى) وكان هذا الجبـــل على ساحل البحر وهو جبل عظيم مسيرته خمس فراسخ فى البحر وكان يقال له الجبل الأحمر لأنه كان كالعقيق الأحمر فلما سمع الملك ذلك الكلام من بطارقته بقى ينظر اليهم طويلا وقال لهم ياقوم لقد كانوا آباؤنا يقولوا ان هذا الجبل ما رأينا أحد انجا من تحته ولا يعلم أحد منا ماوراء هذا الجبل ولولا أن المسيح له بهذا الشيخ عناية عظيمة لما كان مسلم من هذا الجبل ولا شك إلا أنه من بعض القديسين قد أرسله الينا السيد المسيح فلما نظره عقبة قال له أعلم ياسيد الملوك أن حديثى عجيب وأمرى مطرب غريب ثم أن عقبة جعل يحدث الملك وكان يسمى شمس الفلك بجميع ما جرى عليه وجعل يحدثه بقصته من أولها إلى آخرها فعند ذلك قال له الملك وحق المسيح يا شيخ ما حديثك إلا أحسن من حديث ذلك الراهب الذى أتى الينا من أيام ومعه أبنته ولقد حدثنى بكل عجيبة ما سمع أحد بمثلها (قال الراوى) فلما سمع عقبة بذكر الراهب الذى كان عنده وبنته الراهبة التى كانت معه فقال فى نفسه وحق المسيح أن كان يصدق حذر القاضى عقبة ولا يخيب زجره ما هو إلا لؤلؤ والملكة زنانير هذا وأن عقبة قال للملك ياسيدى صف فى الآن صفة القس والراهبة فقال له الملك ياشيخ أما الرجل فهو طويل من الرجال مليح الصورة والشكل طويل الشعر مقرون الحواجب أسود العينين دقيق المحاسن يتعجب منه كل من ينظر اليه ويراه كانه القمر المنير أو البدر المستنير وأما الجارية التى معه فما سمعت ولا رأيت أحسن منها ولقد سألته أن يزوجنى بها فقالت لى الجارية وحق المسيح والسيدة مريم ما يمكننى لأننى وهبت نفسى لدير قامه وإنى أيها الشيخ رأيتها كانها الفضة المسبوكة قد صبها المسيح فى قالب الجمال وأخرجها إلى الخلق ففاقت جميع النساء بهاء وكمال وانى إذا ذكرتها أبقى متحير فى أمرى وان كنت نائم أحلم بها انها قدامى وإنى نادم غاية الندم كيف لم أضبط القس عندى يعنى

القس الراهب فعسى ان كان طال بها المدى أحسنت إلى وحنت على (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك الكلام قال له ياسيد ملوك النصرانية لقد تمت حيلته عليك وقد تخلص من يديك فهذا الراهب الذى ذكرته فتنة النصرانية وسراق الملوك وقاتل من غنى وصعلوك وانه رجل محتال وانه يعرف باللصوصية وهو ألعن أهل زمانه من الملة المحمدية هذا أيها الملك هو حسرة الملك هرقل والملك منويل ملك أرض القسطنطونية وهو الذى أخذ حلة الملك ارمانوس وأخذ التاج من على رأس الملك أصطفانوس وقتل الملك الفالوغس وأخذ بنته أصطفانوس وهو قاتل الرهبان والقسوس هذا لؤلؤ غلام البطال العيار المحتال والجارية التى نظرتها معه فهى الملكة زنانير ابنة الملك صلبوتا صاحب بحيرة الفلك وقد احتال عليها وأخذها وهرب بها وقد انقلبت البحيرة عليها بمن فيها وقد تفرقت المراكب فى سائر طرقات البحر وبقايا الملوك قد ركبوا البحر يفتشوا عليها بمن فيها فكيف وقع فى يدك ثم خليته ينفلت ثم قال عقبة آه ثم أواه لو وقع فى يدى ما كنت أبقيته وكنت نتفت لحيته وسلخت جلدة رأسه وضربته بالسياط حتى كنت أنزل لحمه عن عظمه وكنت آخذت هذه الصيدة منه لأنها قد أطاعته ولكن ماوجدت من يعرف طلبها غير الذى قد اصطفته لنفسها الا انه لما دخل عليها قلت لها انا مرادى فيكى قالت ولمثلى يقال هذا المقال وأنا لاأرضى لنفسى بالرجال ولا أشتغل إلا بربات الحجال ولكن ان وقعت بها وبدلك الشيطان لاتركن فى أرجلهم القيود الثقال ولأسحبنهم بالسلاسل والأغلال واقطع من ذلك الكلب القذال وأيضا انتف دقنه مع السبال (قال الراوى) هذا وان الملك شمس الفلك أمر الغلمان أن يأتون لعقبة بثوب يلبسه فأتوه بثوب أطلس مقصب بالذهب وعلى طرازه مكتوب حنا ومريم والصليب ثم أنه أجلسه إلى جانبه وابتدأ عقبة يحدثه بعجائبه والملك قد أصغى اليه وأقبل بكليته عليه ثم قال له يا أبونا أريدك أن تقيم عندى وتكون صاحب حلى وعقدى فقال له عقبة هذا الامر اليك أيها الملك وها أنا لك وبين يديك (قال الراوى) وأما عقبة فانه صار الآمر الناهى فى تلك المدينة لايقطع الملك شمس الفلك أمر إلا بأمره ورأيه ومشورته وتدبيره المعكوس المنحوس (قال الراوى) فهذا ما جرى ها هنا من الكلام (وأما ماكان) من أولاد عقبة فانهم قد قال بعضهم لبعض ياقوم وحق المسيح لقد انقطعت أخبار أبونا عنا وما يصح منا ان نخلى أبونا يمضى هدر فقالوا نبعث أحدنا يقفو أثره ويطلع على خبره ولا يأتى الينا الا بالكلام الصحيح فقال لهم حصيصه يا أخوتى أنا آتيكم بخبر أبيكم (قال الراوى) ثم ان حصيصه قال لاخوته يااخوتى يسير

كل واحد منكم على طريق فقالوا له ما لنا مثل طريق السويديه وتخرج منهم إلى أرض الناووس ونقصد إلى طريق بالوشمساط إلى بلاد الكرد ونطلب بلد السلسلة ونخرج منها إلى انكورية وننزل من وراء قونية ونطلب قرية الارمن العليا وندخل إلى طريق حصن برسوما ونطلب الكهوف الشطبه ونأتى إلى بعض النواويس ونتم منها الى ان نشرع على البحر فان رأيت مركبا فاركب فيها وادخل إما القسطنطونية واسأل عنه فان أعطيت خبره فهو المنى والسؤال والا أكون قد أخذت الخبر من البلد من دار الملك منويل ولا آتى اليكم إلا بخبر صحيح البيان ولا تسمع من أحد فليس الخبر كالعيان ثم انه تزيا بزى الرهبان وجعل على رأسه برنس أسود وشد فى وسطه زنار وجعل على أكتافه ما سوحة سوداء وخرج وسار حتى وقع فى بلاد الروم فاصار الى أى موضع أتى اليه تسألوه فيقول لهم أنا ابن الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فيرفعون قدره ويكرموه ويبجلوه ولم يزل يدور من مكان الى مكان ويسأل عن أبوه فلم يسمع له خبر حتى وصل الى أرض القسطنطونية ثم انه دخل عليه الوزير ابن الثلجى وقبل الأرض بين يديه وسلم عليه وعرفه بنفسه بأنه حصيصه ولد الشيخ النجيح فقال الوزير وحق الصليب والإنجيل ماسمعنا له خبر فقال له ولا سمعتم لأبى محمد البطال خبر فقال له بلى سمعنا ان أبو محمد البطال دخل إلى بلاد الملك صلبوتا صاحب بحيرة الفلك وتم له كل نوبة عجيبة وان كان أبوك فى ذلك المكان بخبره يظهر أينما كان فقال له حصيصه يامولانا أنت حققت الخبر بأن أبو محمد البطال هناك قال نعم

تم الجزء الثامن والعشرون ويليه الجزء التاسع والعشرون

سيرة الأميرة ذات الهمة

ولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المتانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء التاسع والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فأقام حمصيصه ابن عقبة أيام قلائل وخرج طالب بحيرة الفلك ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى جبل عالى فصعد فوق رأس ذلك الجبل وإذا هو بالبحر من تحته يتلاطم بالأمواج فقعد ساعة زمانية ينظر فبينما هو كذلك إذ لاحت منه التفاتة فرأى الى دير هناك فقال فى نفسه امضى إلى ذلك الدير وانظر إيش فيه فان كان فيه أحد أبيت هذه الليلة عنده وان كان خالى فابات أيضا فى جانبه الى الصباح فانظر ما يكون من أمرى (قال الراوى) ثم أن حمصيصه أقبل الى ذلك الدير وإذا فيه رجل شيخ كبير فلما نظر حمصيصه إلى ذلك الشيخ سلم عليه فرد عليه السلام ثم سأله عن حاله بعد ماقدم لهمن عنده زاد وأطعمة فاكل حمصيصة وكان قد مسه الجوع ثم قعدوخلع ماعليهمن الثياب وانطرح فلما أخذ له غفوة وقد استراح فقال له ذلك الشيخ ياغلام من أين جئت فقال من بلاد الاسلام طالب الى جناب ملك القسطنطينية فلما وصلت اليه قضاحاجتى من عنده وخرجت أزور وأدور هذه البيع والكنايس والديوره المباركة وأتبرك بها وبمن كان فيها ثم أن الملعون خرج من عنده وسار طول ليلته ونهاره حتى أقبل على دير هناك فدخل اليه فلم يجد هناك أحد فبات فيه تلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح خرج من الدير وجعل يسير طول نهاره إلى أن أقبل عليه الليل واذا هناك كهف فدخل اليه ونام الى الصباح فلما أن أصبح الله تعالى بالصباح نظر إلى الكهف فنظر فيه عدة قبور فقام ينظر اليها واذا مكتوب عليهاهذهقبور الرهبان الذين خرجوا من ديار الاقامةهاربين على وجوههم لا يلوون

إلى راحة بل طالبين السياحة وقدناموا تحت حيط البيعة فسقط عليهم الجدار فماتوا شهداء وعاشوا سعداء (قال الراوى) فلما نظر حمصيصة الى ذلك قال الهرب الهرب وكان يريد أن يترهب فقال ياسيدى يامسيح نذرا على لك عندى وفى عنق اذا رجعت لا أغسل بالماء جسدى أبدا ولولا الحاجة الى شربه ما قربته أبدا ثم أن حمصيصة خرج من ذلك المكان وقد أصبح عليه الصباح ثم جعل يسير ولم يزل سائر الى أن أتى عليه الليل بالاعتكار فوصل الى غار فدخل فيه وبات الى الصباح فلما أصبح طاف فى ذلك الغار وإذا فى وسطه صنم من النحاس وعنده شيخ كبير جالس وهو تارة يسجد للصنم وتارة يدعوا بين يديه فلما رآه حمصيصة قال ياشيخ من تكون فقال له ياولدى أنا عبد منقطع هاهنا من مدة عشرين عام أعبد هذا الصنم وقد رأيت على عباءته البركة العظيمة فلهذا ما أفارقه وقدنهانى عن عبادته خلق كثير وأنا أحتال عليهم وأغتالهم وأرميهم فى تلك الحفيرة التى تراها بين يديك فقال له حمصيصة المسيح يقويك ياأبونا على ماأنت عليه ثم انه سار على وجهه ولم يزال سائر طول نهاره وليلته فوجد كهف فدخل فيه وبات تلك الليلة ولما كان وقت الصباح قام ودخل إلى صدر الكهف وإذا هناك صخرة كبيرة وفضاء عظيم ولم يزل سائر حتى وصل إلى باب مضيق فدخل فيه وإذا به قد خرج من ذلك المضيق إلى بيعة عامرة وقلاية عالية وأماكن متسعة وتلك القلاية مبنية بالحجارة مبلطة بالرخام والاسفيداج من فوق حائط البيعة مكتوب عليها باللازورد أسطر بالذهب واذا هناك مباخر وقناديل بلور وثياب حرير برانس وستور معلقة وأسرة مصفوفة وكراسى من ذهب عليها الأناجيل ودنان مصفقة وعلى رؤوسها كيزان وهى مملوأة بالخمر وصناديق بالنذور وملآنة من الذهب والفضة وثياب بعضها على بعض وقبور ونواويس وفيه أيضا توابيت وإذا هو يلوح على بعض النواويس عليه مكتوب هذه قبور السادة وهم مكرة الصالح وعين الخالص ويوحنا الصادق ولوقا الناجح وبطرس الفالح وجرجس الروحانى واصطفانوس الروحانى فلا رحم المسيح من رآهم ولايتبارك بصناديقهم ولايتفقدهم بشىء من خالص ماله ونواله (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكانت هذه البيعة يأتى اليها النذور من سائر بلاد الدوم فتجمع فى تلك الصناديق من العام الى العام فتأتى ضعفاء الروم فيأخذوها وكان لايقدر أحدا يأتى الا اذا دارت السنة واذا جاءوها قبل أن تدور السنة فلا يقدر أحد عليها فلما نظر حمصيصة الى ذلك قال وحق المسيح ما معى شيئاً أتركه ولكن لابد لى أن آخذ منه شيأ وكان حمصيصة عمد الى قنديل من الذهب الأحمر فأخذه وخرج ليطلب الباب اذا هو بالباب مسدود وقائلا يقول له دع من يدك ما أخذته وإلا هلكت

فتركه حصيصة ولم يأخذه وقال السلامة خير من العطب فوجد الباب مفتوحا فقال ان هذه البيعة كانت مسجدللسلمين وكان قد صلى فيها ناس كثيرة من المسلمين اذ أنذروا نذرا يحملوه اليها ويقيموا بقوانينها وقوانين أعيادها فعند ذلك تغلبت عليها الروم وقد استخلصوه منهم وحازوه اليهم وغيروه كنيسة ودفنوا فيه أصحابهم وملوكهم وقد صاروا يتبركون بها وصارت عندهم معجزة لذلك الإوان هذا وان حصيصة لما خرج من ذلك المكان وسار يومه أجمع الى أن أشرفت على دير هنالك أقبل عليه واذا هو بباب مغلوق فلم يزال يعالجه حتى دخل اليه وإذا أيضا هنالك رجل جالس فسلم عليه فرد عليه السلام بكلام الروم فقال له يا هذا من أين دخلت علي والباب مغلوق فقال له حصيصة أنا ولد من لايغلق فى وجهه باب ولا يكون دونه حجاب لأنه الشيخ المهاب وهو فى عقله مهاب فقال له يابنى وحق المسيح مانعرف من هو بهذه الصفة الا الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح القاضى عقبة فقال له حصيصة ياهذا وانا ولد من به تكلمت وبه الى السيد المسيح توسلت وتقربت وهو حجة المسيح على عباده ورحمته فى بلاده وأنا من بعض أولاده فأنا ثمرة فؤاده وأنا سواء عينه الذى يبصر بها ويده التى يبطش بها وأذنه الذى يسمع بها فقال له ذلك القس الكبير وأنا رشاده وهداه (قال الراوى) وكان هذا القس غلاما لعقبة وكان اشتراه من مدينة شمس الفلك وحصن الدولاب وأنفذه الى هذه الدير وجعله فيه ليأخذ له أخبار من يمر عليه من المسلمين وقد أعطاه صفة الأمير أبو محمد البطال أوخبره بما جرى له معه وجميع ما يتزيا فيه وقال له اذا مر بك أحد من المسلمين فأنفذ الى وطالعنى بقصته وأمره (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما اجتمع حصيصة بغلام عقبة فى ذلك الدير وجرى بينهما هذا الكلام والمشاجرة والخصام فوسوس له الشيطان وقال يوشك أن يكون هذا من غلمان أبو محمد البطال أو أبو محمد البطال بنفسه وقد حذرنى سيدى من مكره ومن حيله وربما أنه جاءنى فى هذه الحيلة ليتمم على العبارة أيضا والنصيبة ولولا أنه أعلمنى بأحواله وما هو إلا أبو محمد البطال المكار المحتال (قال الراوى) وكان اسم هذا الغلام سربيل هذا وأنه لما تحدث معه حصيصة بذلك الكلام قعد عنده وأخرج له زاد يأكله وكان قد جاع فأكل حصيصة بحسب الكفاية وقام انضجع ونام من ألم التعب والنصب الذى كان قد جرى عليه وثب له سربيل قائما على قدميه وثبة الشيطان وأوثقه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وقيده وضربه ضربا شديدا ما عليه من مزيد وما زال يرفسه إلى أن غشى عليه ثم أنه ألقاه فى سرادب هناك ولم يزال سربيل إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح فوقف على شاطىء البحر بعد ما خرج من باب

الحريم يرتقب مركبا يأخذ منه الأخبار ولم يزال طول النهار إلى أن أتى عليه وقت الغروب فلم يأتيه أحد فبات تلك الليلة وحصيصه فى القيد والضرب والعذاب (قال الراوى) يا سادة فلما أن كان بعد العشاء الأخيرة تقدم سربيل إلى حصيصه وقال له ويلك تريد تحتال على وتريد أن توصل كيدك إلى والسيد المسيح قد ظفرنى بك لاقطعنك قطعا ولا بضعنك بضعا وفى غداة غد يكون الحساب بيننا (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وأن سربيل لم يمض عليه آخر النهار وإذا هو بمركب صيادين قد أرسى على ساحل البحر فنزل اليه سربيل ونادى أدخل إلى المدينة وأدخل على الشيخ النجيح وتقول له غلامك سربيل هو قاعد فى الدير والباب مغلوق عليه فلم يشعر إلا ورجل عيار قد فتح عليه الباب فقال ودخل عليه من غير أن يستأذنه وأن خادمك قد نفر قلبه منه ولم يزال يؤانسه ويحادثه حتى أكل زاده وقد أنضجع فى منامه فعندها كتفته وأوثقته كتاف وأرميته إلى السرداب وهو منتظر منك الجواب فأدركه بأمرك وعاجله بما يكون من فهمك قبل ما تأتيه يد عالية عليه فتخلصه منه فيحل منه أمر تكرهه فالعجل العجل فلا تتوانا عنى ساعة واحدة فان الفرصة قدحلت فلا تتوانا عنى والسلام (قال الراوى) كانت المدينة منه قريبة هذا وأن الرجل الملاح لم يزال سائر باقى ليلته ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أتى إلى المدينة ولم يكن بأعجل مما أتى الى عند عقبة فدخل اليه وسجد بين يديه وأطلعه على ما كان من حديث سربيل وكلامه وما فعله فى حق والده حصيصه (قال الراوى) فما كان بأسرع مما ادعا بحراقة لطيفة وعشرة من أولاد البطارقة وأمرهم بالركوب فيها والمسير الى الدير الذى فيه غلامه سربيل ويتسلمون منه ذلك الغلام ويشدوه ويوثقوه كتاف ويضربوه ضربا وجيعا ولا يصلون به البيعة الا أن ينتقمون منه بالضرب والعذاب هذا وقد اعتقد عقبة فى نفسه الخبيثة أنه غلام الأمير أبو محمد البطال أو مولاه وقال هذه نعمة نعم بها السيد المسيح على ويكون قد ظفرنى بأعداى فأبلغ منهم مناى وآخذ بيدى تارى فرد الله كيده فى نحره (قال الراوى) فعند ذلك خرجوا أولاد البطارقة وركبوا فى تلك الحراقة وهم أشد كفرا ونفاقا من عقبة ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الدير وطلعوا من الحراقه وأتوا الى عند سربيل فعندها وجدوه فى أنتظارهم فسلموا عليه وقالوا له أن الشيخ النجيح قد أرسلنا اليك نتسلم عدو دينه ودين آبائه وأجداده هذا الكلب المحتال والعيار المغتال (قال الراوى) فعندها قام إلى البطارقة وهم معه فاحتملوا حصيصه وطلعوا به من هذا المكان وهو أيضا فى غاية من الذل والهوان فاوثقوا كتافه وقووا

شداده وأطرافه وأوجعوه ضربا وأخرج واحداً منهم سكينا كانت معه فصار يضربه بها شمالا ويمين إلى أن تركه مشرحا وهو ملقى على وجهه طريحا وصاروا تارة يسحبوه على وجهه وتارة يضربوه بالسياط وتارة ينتفوا سباله واشتفوا منه بالعذاب الأليم وعذبوه وجاروا عليه وما رحموه وجرحوه جراحات غير قاتلة وبها قد اثخنوه وقاسا منهم أنواع العذاب (قال الراوى) هذا وقد احتملوه إلى عند الحراقه وأتوا به اليها وقد سكت حسه وصار كأنه قد سكن رمسه فأرموه فيها وعادوا وما زالوا يعاقبوه حتى كسروا يديه وشرحوا لحم كتفيه وكسروا ألواح صدره وكسروا عظام رجليه وتركوه ملقا وهو يستغيث بلا يغاث وهو يسألهم بالمسيح والشيخ النجيح فيقولون له أن المسيح قد أرسلنا إلى تعذيبك ورماك فى يد هديته ولعلك تكون من غير أهل ملته (قال الراوى) هذا وقد عذبه عذاب الهداهد وحصيصه قد أيقن بالهلاك وما زالت البطارقة معه على تلك الحالة وهم سائرين معه حتى وصلوا به الساحل وطلعوا إلى البر ومضى واحد منهم وعرف عقبة فعند ذلك انفد اليه معهم من حمله ودخل به عليه فعندها عرفه فقال هذا ولدى وحق المسيح والدين الصحيح فيالها من مصيبة ما أيشمها ولوعة ما أشدها وأعظمها ثم أن عقبة أخذ رأس ولده فى حجره وصار يناديه فلا يكلمه ويسأله عن حاله فلم به يعلمه فلما رآه على تلك الحالة لطم بيده على وجهه ورأسه فعند ذلك عاتب نفسه وناح وبكى وعدد على ولده ثم نادى وقال يامسيح لما قد أوقعت ولدى فى هذه المصيبة ولكن أنا الذى أوقعت ولدى فى هذه النكبة ولاظلم لغلامى ولاذنب أبداً لأننى بذلك أوحيته ثم انه التفت إلى ولده وقال له ياولدى كيف تم عليك هذا الأمر فلم يكلمه فشق ذلك عليه وكبر لديه وصعب عليه وكادت روحه أن تزهق وتذهب حنقا وغشى عليه حرقا ثم انه أمر الغلمان ان يغسلوا ماعليه من الدماء فغسلوه ثم انه ادعى بشراب فقطره فى حلقه وجرعه وقد أيس من حياته (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد بلغ الخبر إلى الملك شمس الفلك بماجرى على ولد عقبة فصعب ذلك الأمر عليه وكبر لديه وضاق صدره فأرسل اليه الأطباء فقطبوا جراحاته وداووه وبعد أيام فتح عينيه وتكلم وحدث أباه بما جرى عليه أيضا فى طريقه من الشدائد والأهوال ودخوله إلى أرض القسطنطونية ومافعل معه الوزير ابن الثلجى وبما أكرمه به فعند ذلك فرح عقبة بعافية ولده ودخل الحمام وأخلع الملك شمس الفلك عليه خلعة ثنية وقال له يا ولدى لك الأجر والسيد المسيح يضاعف لك الثواب بما أعطاك وهناك بما نلته من زيارة عباد المسيح فان ذلك الشيخ الذى يسجد للصنم النحاس من أصحابى ومن خيار من يقتدى به ولو كنت حدثته بحديثك أطلعك عليه وهو فى كل

وقت أيضا يزورنى والى صحبته يدعونى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ماجرى لمقمبة وولده حصيصة (وأما ما كان) من لؤلؤ غلام أبى محمد البطال والملكة زنانير فانهما لما أحسن الله خلاصهما من ذلك الدير وقتل لؤلؤ ذلك الراهب الذى أراد قتله سارا فى البرارى والقفار والسهول والأدغال وكانت اذا تعبت أركبها على كتفه واذا نامت سهر عليها وما زالوا كذلك على هذه الحالة من دير إلى كهف ومن صومعة إلى شميف حتى وصلوا إلى جزيرة فيها أديرة وصوامع وكهوف وأشجار وأثمار تأخذ بالابصار وبعد ذلك قال لها لؤلؤ أيتها الملكة النفيسة والسيدة العظيمة الرئيسة من هينا نستدل على موضعنا ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وان لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال والملكة زنانير طلعوا الى تلك الجزيرة وسكنوا إلى دير خراب وأقاموا فيه ثلاثة أيام فلما ان كان عليهما فى اليوم الرابع من الأيام واذا هم بمركب سائرة فى البحر فلوحوا اليه بالاشارة فقالوا أهل المركب لاشك انه غريق فنحمله معنا من أجل السيد المسيح فلما دخلوا الى البر فوجدوا لؤلؤ والملكة زنانير معه فرفعوهم معهم أيضا فى ذلك المركب وقد سألوا لؤلؤ عن حاله فجعل يحدثهم بأحاديث عجيبة وأقاويل مطربة غريبة وهم يتعجبون والمركب تسير بهم فى البحر والارياح هادئة كما يشاء الله تعالى فساروا ذلك اليوم اجمع وتلك الليلة على مثل العمل والرواح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك لاحت لهم جزيرة فى وسط البحر فقربوا المركب اليها وصعدوا من ذلك المركب يتفرجون فى تلك الجزيرة فطلع لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال معهم وكذلك الملكة زنانير معهم وهو لايفارقها لحظة واحدة فلما مشوا فى تلك الجزيرة رأوا فيهم حجر ينبع الماء من وسطه فوقفوا أيضا على جانبه وهم يتعجبون منه كل العجب وصار لؤلؤ غلام الامير أبو محمد البطال ينظر الى ذلك الحجر ويتعجب منه (قال الراوى) يا ساده يا كرام فبينما لؤلؤ على تلك الحالة واذا براهب عليهم قد أقبل وفى يده قنديل من البلور وفى وسطه حجر وكرر النظر اليه مبهوت فوقف عند ذلك الرجل الراهب وسلم على لؤلؤ بالرومى المغلق فرد عليه السلام فلما تحدث لؤلؤ معه قال له يا أخى الى أين تمضى بذاك القنديل فقال له ذلك الراهب يا أخى الى مقبرة الزيت فقال له لؤلؤ وهل للزيت مقبرة فقال له نعم ونحن هاهنا لانشعل قناديلنا الا من دهن الحوت وما لنا شىء من الادهان الا دهن السمك فقال لؤلؤ يا أخى ومن اين تعلمون بهذه الدابة لو أنك تقدرون على ذلك فقال له يا أخى اعلم أن فى هذا المكان من الحيتان شىء كثير وكيف رأيتم لاتذهل عقلك من عظم خلقتهم وان لنا من السنة الى السنة حوت واحد يظهر لنا فى

أول السنة وفى آخرها فاذا ظهر وطلعت عليه الشمس حمى جسده ويذوب شحمه فيقطر من محاجره عينيه ومنخريه ومن دهن بدنه فعند ذلك نمضى نحن إليه ونقف على رأس المقبرة فتجىء الينا ريح الصبا فيسوق الريح ذلك الدهن إلى المقبرة فاذا امتلأت المقبرة تحرك الحوت فيمتلىء ذلك المكان منه وذلك شىء قل اولو فعندها ذلك مضيت معه إلى تلك المقبرة فرأيتها ورأيت ذلك الراهب وقد أخذوا الزيت منها وأخذت جميع الرهبان منها يحتاجون اليه فأخذتنى لذلك البهتة والدهشة فعندها مضى ذلك المركب الذى كنا فيها عنا وتركنا وسار فقالت له الملكة زنانير يالؤلؤ اومضى ذلك المركب عنا وخلانا وتركنا فمن أين لنا طريق نسير فيها أو نستدل عليها فقال اؤ اؤ يا ملكة نتوكل على الله ثم قال كلمة لا يخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انهم أقاموا هنالك أياما ينتظرون الفرج من الله تعالى ويبتهلون اليه فى الخلاص والسلامة (قال الراوى) فهذا ماكان من حديث اؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال والملكة زنانير (وأما ماكان) من حديث الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ومن كان معهم من الأصحاب فانهم لما مضوا إلى قلعة الملك الصابر أقاموا فيها حتى استراحوا وبرئت المرضا من أمراضهم والجرحا من جرحاتهم وصاروا ينفذون الى البحر ويطلبوا من يعود من المراكب ليسألوهم عن أخبار البحر فمرت بهم مركب فى بعض الأيام فسألوه عن أخبار البحر فعند ذلك أخبروهم ان البحر قد انقطعت السيار منه لأن فى جزيرة العود ملك يسمى شمس الفلك وعنده وزير غير صالح وقد أشار عليه ان كل مركب حضر يأخذه ويأخذ كل من فيه من السفارة فلأجل ذلك امتنعت التجار من السفر فى البحر وما بقى مركب يلوح فى تلك البحر خوفا من أخذ أموالهم وما معهم وان هذا الوزير الذى عند هذا الملك يزعم ان له أعداء يطوفون فى البر والبحر عليه وقد احترز بذلك فلا يدع أحداً يطلع إلى تلك الجزيرة إلا يأخذ ماله ويقتاله (قال الروى) فقال لهم الأمير عبد الوهاب وأنتم كيف انفلتم من ذلك المكان فقالوا له يا أمير صانعنا بنصف أموالنا التى معنا حتى فتحوا لنا باب البحر وخرجنا وكان هذا الملك شمس الفلك قد ملك باب ذلك البحر جميعه فلما ولى الملعون عقبة وزارته وصار متولى أموره وأحواله جعل على ذلك الباب مركبا ورجالا بسلاسل حديد بالنوبة يحفظونه ليلا ونهاراً فلم يقدر أحدا يمر عليه الا أخذه ثم انه جعل يستبيح ماله وروحه وان الملك شمس الفلك أعجبه ذلك وصار عنده فى أعلا منزلة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما ان سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام قال وحق محمد ﷺ ان كان هذا الوزير الا عقبة وانه قد صار عند الملك شمس الفلك بمكان عظيم واستولى على عقله وقد أعجبه ذلك

التدبير منه ولقد فعل هذا الفعال من خوفه منا فنطلع على أموره وأحواله فيفسد عليه ماصنع ثم انه التفت إلى الامير عبد الوهاب وقال له أنا أريد أن أركب فى مركب وأمضى إلى جزيرة الحوت حتى يظفر أينا يقهر صاحبه واحتال عليه ان شاء الله تعالى وآخذه فى قبضتى فقال له الأمير عبد الوهاب لا تفعل أيها الأمير هذه الفعال فان هذه الطريق طريق بعيدة خطرة ذات أهوال وأخطار وركوب بحار ونخشى أن يجرى عليك أمر من الأمور فتهلك فتكون حسرة فى قلوبنا الى أن تقوم الساعة ونكون قد أمنا من عدونا فيطرقنا الزمان فيك ونخاف أيضا من الملعون كوجار ان يدهمنا بعسكره ولا تكون أنت معنا فكيف تكون أحوالنا من بعدك وأحوال المسلمين من بعدك وان قعادك معنا تدبر أحوالنا وأمورنا وتستعين بالله سبحانه وتعالى على أعدائنا والله سبحانه وتعالى لطيف بخلقه فعال لما يريد من أمره (قال الراوى) فلما ان سمع الأمير أبو محمد البطال كلام الأمير عبد الوهاب قال له يا أخى اعلم من كان به مرضين فليداوى الخطر فيهما وأما انا فلا أخالفك فى أمرك وكون حيث كنت مساعدا للمسلمين أنا وأنت والله سبحانه وتعالى ينصر عصابة المسلمين فلا تقنط ولا تخف انا أسير إلى جزيرة العود ولا أبرح منها إلى أن أشاهد ملكها وأدبر لعقبة أمرا من الأمور وأوريه هل يقهرنى أم أنا أقهره وأفتقد أخبار غلامى لؤلؤ فقد انقطعت أخباره عنى وانقطع بذلك ظهرى وأنا قد اشتقت إلى رؤياه وما يجرى له مع الملكة زنانير وأنا خائف ان يقع مع الكفرة أو فى يد ذلك الملعون فيبطش به فيروح هدرا وعقبة لا يأخذه عنا هدوء ولا قرار ولقد بلينا به يجيش علينا ويقتص آثارنا وكلما يقطع فى أيدينا فنريح الأرض من رؤيته ونقطع عن الخلق ضلالته وغوايته لكانت المسلمين يرتاحوا منه ويبلغوا أغراضهم من أعداء الله وأعداء دينه (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب قال اما ماذكرت من أمر لؤلؤ فانه أكثر حيلة وأشد بأساً من ذلك فلا تخاف منه ولا تضجر عليه ودعنا نتربص لعدونا فان عمد الينا وقصد الينا لقيناه وان هلك مع غيرنا فقد كفانا الله شره ورد كيده فى نحره وما عودنا الله الا بالخير والنصر المبين هذا وان الاميرة ذات الهمة قالت له يا أمير أبو محمد إنما الشطارة عند وقع المكيدة واليقظة عند الهجمة والصبر عند الشدة والتدبير قبل حلول الرزية وقهر الأعداء بالمؤانسة وأنت سيف هذا الدين وعماد الأمة المحمدية والملة الإسلامية وأنت نور الناظر وشغل الخاطر والسيف القاطع والشهاب اللامع فكيف يكون حال من يفارق حبيبه ويعدم نفسه ويبعد عنه نوره وأنيسه فلا أخلانا الله منك ولا عدمنا مشورتك وانك إذا غبت عن أعيننا لاتبرد قلوبنا إلا

برؤيتك فكيف يطيب على قلوبنا ان ندعك تمضى الى بلاد عدوك وحدك وان ظفر بك حكم فيك بأمره ووصل اليك بكيده وشره. ولا نقدر نصل اليك فنجتهد فى خلاصك من يده وهذه آخر فرصة يفترسك فيها وأن كان غلامك لؤلؤ قد انقطع خبره فلك أيضا فى العسكر غلمان كثيرة فلا أعدمنا الله النظر اليك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير أبو محمد البطال من الأميرة ذات الهمة ذلك الخطاب والكلام قام لها قائما على قدميه وخدمها وشكرها وقال لها أيتها الأميرة روحى فداكى وفداء ولدكى الأمير عبد الوهاب وأننى بالشكر أولى منى لانكى فارسة الاسلام وناصرة دين سيدنا محمد خير الانام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام هذا وأن الأمير أبو محمد البطال أرسل غلامه إلى عسكر الملك كوجار يكشف له خبره ويبصر له أحواله (قال الراوى) فعندها وجد كوجار على أشد حال يكون لأجل فقد ولده وما بقى أحدا فى العسكر يزحف لقتال ولا يطلب نزال وأنه مما حل على قلبه نزل عن سرير مملكته ولبس ثوب أسود وفرش لهرماد أسود وجلس عليه ولا يقدر أحدا من عسكره يخاطبه بجواب (قال الراوى) هذا وقد لزموا الأمراء عند الملك الصابر لأن قلعته طيبة الهوى لكثرة ما فيها من الخيرات هذا وقد صحت الأميرة ذات الهمة وقويت واستقبلت أصحابها واشتاقت نفسها الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وكذلك المسلمين أشتاقوا إلى لقاء عدوهم (قال الراوى) فهذا ما جرى من أمر المسلمين (وأما ما كان) من أمر الملك كوجار فانه داخله من فقد ولده امرا عظيما وخطبا جسيما وحزن عليه لما طلبه فلم يجده فقال ولم يجد الملكة زنانير وقد تفقد عقبة الآخر فلم يجده فقال فى نفسه وحق المسيح والدين الصحيح ويوحنا ومريم والإنجيل المكرم والعيد الأكبر والنور المكرم المعظم ما جرى هذا الأمر قط على ملك من الملوك قبلنا أكون أنا فى مائة ألف فارس وما تم علىَّ هذا إلا من لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال هو الذى سرق ولدى وسرق الملكة زنانير ولا بد لى من أظهار خبرهما (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك أحضر وزيره بين يديه فى الوقت والساعة وقال له ما تشير به على أيها الوزير فقال له أيد المسيح ملك النصرانية انفد الآن من عندك جواسيس الى عسكر المسلمين وجواسيس إلى قلعة الملك الصابر واكشف أيضا قلعة الملكة زنانير فان كان لؤلؤ غلام البطال سرق ولدك وسرق الملكة زنانير فانه يمضى إلى قلعة الملكة زنانير فتنزل عليها أيضا بعد ذلك تقاتلها وتلتقط منها أبطالها وربما تأخذها فى ميدان الحرب وتنادى ولدك بها وأن كان محمد أبو البطال طرقنا إلى عسكرنا وهو الذى عمل الحيلة عليهم وأخذهم ننزل على قلعة

الملك الصابر ونشد القتال عليهم ونهلكهم فى البر والبحر وأيضا نلتقط المسلمين ونأخذهم أشد اخذ ونخلص ولد منهم ولا تجزع ولا تخاف فان المسيح يساعدك ومريم تحفظك وتحفظ ولدك (قال الراوى) ثم أن الملك كوجار ارسل من عنده الجواسيس ودفع اليهم الأموال وأرسلهم إلى قلعة الملكة زنانير وقلعة الملك الصابر ليكشوا له الأخبار ثم أن الملك كوجار سأل عن الشيخ النجيح القاضى عقبة فلم يلق له خبر ولا وجد له حس أيضا فى العسكر فصلب بيده على وجهه وقال انا ما سمعت قط أن بدخل لص إلى عسكر يسرق الملوك والحكماء والوزراء فى ليلة واحدة ثم بكى بكاء عظيما وقال ليت شعرى ما فعل الدهر بولدى وثمرة فؤادى فوا أسفاه عليه فعندها تفرقت الجواسيس فى أقطار الديار والبلاد وساروا من عند الملك كوجار فغابوا عنه أياما وليالى وعادوا اليه وما وقعوا له على خبر وما وجدوا له أثر فعندها انفذ الملك كوجار الى بلاده ورستاقه وأمر أن يعمل له خمسمائة مركب حربية فعملت المراكب معدة فى القتال للبحر وقد لبثوا الرجال الحديد والزرد النضيد واعدوا المراكب وأرموا عليها اللبود الطلاقانية وحطوا على ظهورها الأعلام الحرير والعمد الحديد المعده لقتال البحر وفى المراكب الزاد الكثير ورفعوا معهم الخيل وكلما يحتاجون اليه من آلة الحرب وغير ذلك وفيهم رجال معدة للقتال عليها الدروع والخود والحرير الأطلس ومعهم الأتراس وسائر الآلات وهم رجال طوال غلاظ شداد من بقايا قوم عاد جبابرة من أولاد العمالقة لايبالون بالموت ويخشون من الفوت (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما اقبلوا على الملك كوجار فى هذا الزى والمنظر الذى وصفناه فرح بهم وقام أيضا اليهم ومعه عشرين ألف فارس وراجل وهم ايضا فى أحسن زى وأكمل هيبة بجملين راكبين على الخيول السوابق العتاق وبأيديهم القنطاريات الرومية الماحقة الرقاق والسيوف الرقاق وهم مثل النخيل الطوال الرجل منهم إذا كان قاعد على وجه الأرض يكون مثل منا اذا كان واقف ثم تقدم الملعون كوجار الى عريف البحر وقال له وأنت الذى تكون متولى هذا الأمر بنفسك تكون المشير والمدبر لأمورها وأحوالها ثم انه ادعى أيضا بالنواتية وأمرهم بامتثال أمره فى البر والبحر ودفع لهم من النفقات كفايتهم وأفرغ عليهم من العدة والكسوة وغيرها شىء كثير ثم أنه علق على المراكب السلاح وجعل فيها النواظير حتى انهم ينظروا كل من يأتى اليهم من السفار والأعداء وغيرهم ويعرف إختلاف الأهوية وما يضر منها وما يقع وما يكون الصلاح فيه أيضا للسير وما يتغير من أوقاته وأمرهم انهم لا يسيروا فى البحر إلا فى الأوقات الهادئة الطيبة الرائقة وانهم يكونوا على

أهبة ويقظة وحذر وأمرهم انهم اذا رأوا مراكب أكثر منهم يجتمعوا جملة واحدة ولا يتفرقوا ولا يهجموا على عدو حتى يختبرونه (قال الراوى) فعند ذلك اجتمعت المراكب واستأذنوا الناس أيضا الملك كوجار فى المسير بعد مارفعوا الشراع على المراكب وقدم أيضا الملك كوجار رجل بطريق على سائر المقاتلين وكان جبار من الجبابرة ثم ساروا فى البحر وكان أسطوله كبير عظيم له جلجلة وهيبة وسطوة ثم انهم ساروا وطاب لهم المسير على مثل هذا مدة عشرين يوما فاذا جن عليهم الليل يرسوا بالمراكب فاذا أصبح الله تعالى بالصباح يسيروا بسيروا وتخرج المراكب كأنها البر أو الطير الطائر فى الهوى الى أن بقى بينهم وبين جزيرة العود يوم واحد فعند ذلك تغير عليهم البحر وظهر الهواء واضطربت بهم الأمواج وظهر من البحر عجائب وأهوال وعلا من الماء العجاج وظهر الارتجاج وتصافقت الأمواج وصاح وضرب الاسطول بعضه ببعض وارتفع وقد داخل أهل المركب الخوف والفزع وداخلهم الويل والحزن وأخذتهم الرعدة وأحاطت بهم البلية والشدة وقد عملت فيهم الخمـــدة واضطرب بهم البحر وقد داخلهم القلق والاضجار وتصايحوا من جميع الأقطار وقد أمر الله تعالى ملوك البحـار أن تقلب عليهم الأنهار وأمر ملوك الأرياح أن ترسل عليهم خوافق الأرياح وعاد النهار ليلا وبقى أسفل البحر أعلاه وقذف البحر مافى أعلاه وقذف البحر مافى باطنه وارماه وحل بهم الويل وانقطع أملهم من كثرة السيل ونادى بهم الرجل الملاح ياويلكم اصبروا وامسكوا عنى فقد تارت علينا الأرياح واختلفت كالضرب بالصفاح وقد حل قبض الأرواح وان أنتم اضطربتم سقاكم البحر كاسات الحمام وقذفكم من هذه المراكب الى محل الانتقام فويل لكم وسخط عليكم وغضب المسيح عليكم فقد أهلكتمونى بصراخكم وأشغلتمونى عن أحوالكم والى متى هذا الوسواس فانكم أشر الناس وكلمـــا زاد الأمر زاد البحر هياج وتلاطمت الأمواج فعند ذلك زادوا فى الصراخ وعلا منهم الصياح وزاد العذاب الواصب وقد رموا أنفسهم بالشهاب الصائب وغضب الله عليهم رب المشارق والمغارب لانهم أعداء دينه ودين نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم ريح أسود فانذهل كل من كان فى المراكب وضجر وقلعت مافى رؤوس الجبال وتغير وازداد البحر هيجان وزفر وزجر وضرب أهل المركب ودمر وبقى كل من فيها فى هم وغم وفكر وقلعت أغصان الشجر فعند ذلك تداعوا أهل المراكب بالويل والعويل واصطدم بعضهم ببعض فما سلم منهم لا قليل ولا كثير وانحطت المراكب الى الفرار ودارت طلعت الى أعلا البحار وتواترت عليهم الارياح الأشجار العوال وقد نزل عليهم البلاء من

رؤوس تلك الجبال وجاءهم العذاب من الله ذو الجلال ورماهم الله تعالى بعذاب عظيم لا تطيقه الجبال ولا الرماح، قد دارت عليهم الدوائر وذهبت عنهم الدخائر وعميت الابصار والبصائر والبطائر ولم يبقى منهم لا جليد ولا صابر ورشقهم الدهر بسهام الغدر وضاع الامل والصبر فما بقى منهم من له جلد وحل بهم الويل والكمد وكان يومهم يوم منحوس وجاءتهم العكوس وما بقى منهم الا من هو فى البلاء والنحوس فكم هلك فى ذلك اليوم من النفوس ولم ينفعهم فى ذلك اليوم لا سيف ولا دبوس ووقع البطريق المقدم عليهم فى النحوس وأصبح جسمه فى البلاء مغموس وبطل دق الطبل والناقوس وصاحوا حنا ومريم والصليب (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولم يتموا كلامهم حتى فرقت الارياح مراكبهم فقطعتها ولطمتها الامواج فكسرتها وفصلت الواحها ومساميرها وصار كل من كان فيها فى قاع البحر وهلكت البحرية والبطارقة فما كانت الاساعة والرجال يلعبون على الماء يميناً وشمالا وقد تقطعت بهم المنية أوصالا وسحبوا من البلاد أوصالا وأذيالا وماكانت الا ساعة حتى هلكوا الكل عن بكرة أبيهم وصارت الأخشاب على وجه الماء ولم يبق لهم منجد ولا مجير لأنهم أشركوا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد القدير وهذا صنع الخبير (قال الراوى) يا سادة يا كرام لقد بلغنى ممن أثق به أنه لم يسلم من هذه المراكب سوى سبعة أنفس طلعوا على ألواح من ألواح المراكب (قال الراوى) وكانوا أهل هذه الجزيرة وقوف على شاطىء البحر ينظرون إلى تلك المراكب وقد أقبلت وبعد ذلك تكسرت فلما انكسرت نظروا اليها وصاروا يلتقطون كل من يطف عليهم من الغرقى وكان الموج يلعب بهم يميناً وشمالا (قال الراوى) هذا وانه قد طلع منهم رجلا غريقا الى جزيرة العود فلما رأوه قالوا اهذا من أصحاب الملك كوجار ولم يزالوا يلتقطون الغرقى واحد بعد واحد حتى أنهم التقطوا خلقا كثيرا فى ذلك اليوم والليلة فلما ان كان من الغداة عندما أصبح الله تعالى بالصباح وإذا قد أقبلت هؤلاء السبعة أنفار الذين سلموا وطلعوا على الألواح وهى تلعب بهم الأمواج والارياح فوثبوا اليهم وأطلعوهم من الماء فلما وصلوا الى البر وطلعت عليهم الشمس حتى هلكوا ولم يسمع أحدا منهم كلام ولا وقعوا لهم على نظام (قال الراوى) وكان عقبة واقفا على هذا الخبر وهو فى جملة من حضر فقال وحق المسيح لقد سلمنا من الغرق كاغرقوا هؤلاء وإنما المسيح نظر الى وسلمنى من الشدائد ثم انه سار الى عند الملك شمس الفلك وقال لهم المسيح يرضى عنى ويرضى عنك أيها الملك (قال الراوى) فهذا ما كان من العسكر الذى غرق فى البحر وأما الملك كوجار وبقية عسكره الذى كان فى البحر فان الملك لما أرسل المراكب أقام ينتظران يصل اليه أحدا بخبر المسلمين والملكة زنانير

وما جرى لولده فلما وصل اليه الجاسوس أخبره انه لم يطلع لولده على خبر ولم وقعوا له على أثر فصعب ذلك عليه وكبر لديه وشخر ونخر وكفر وتجبر وأحضر البطارقة بين يديه واستشارهم فيما يصنع فقالوا له الرأى عندنا ان تقصد المسلمين وتهلكهم وتلتقط فرسانهم فاذا حصلوا فى أيدينا وأهلكناهم عدنا إلى قلعة المملكة زنانير وحاصرناها وفتحناها إما بالامان وإما بالحسام (قال الراوى) ولم يزالوا على هذه الحالة حتى أتاهم الجاسوس الثانى وأخبرهم عن خبر عسكر المسلمين انهم قد خرجوا فى طلبهم وهم قاصدين قتالهم فعندها توجه الملك كوجار الى قتال المسلمين ومعه مائة ألف فارس ولم يزل سائر يقطع الأرض فى الطول والعرض حتى وصل الى قلعة الملك الصابر وبقى بينه وبينها مسافة يوم واحد فرأى عجاج عظيم طاير وغبار عساكر قد قام من صدر البرية سائر حتى طبق الافق فوقف عسكر الملك كوجار وقد انكشف ذلك الغبار عن رايات محمدية وعساكر إسلامية فتأملوا الرايات وإذا مكتوب عليها بقلم الرضى لا إله إلا الله محمد رسول الله نصر من الله وفتح قريب وأسنة الرماح تبرق والبيض على رؤسهم تشرق والخيل فى الميدان تسبق والرجال من فوق الصافنات ترشق وهى سائرة مثل الأسود الضارية والزعقات منهم متوالية والأبطال فى منازلهم حامية وقد صالت الأقران وهاجت الفرسان ودقت الكوسات وضربت البوقات واشتدت الوقعات وعظمت المصيبات وكثرت الحسرات وصاحت الرجال بالرجال ودمدمت السودان ونفخت البوقات والأعلام وطلعت الشجعان إلى الميدان لأجل القتال وتقدمت الأبطال وتأخر الجبان ولمعت السيوف والطوارق وبرقت الجواشن والبيارق واصدمت الأقران بالسيوف المواحق ونادى الخصم بخصمه وقد تقدمت عساكر المسلمين إلى الكافرين بقلوب مسرعة وصدور منشرحة وهم بالمرهفات الماضية معتقلين بالرماح الخطية العالية راكبين على خيول كالسعالى مسمية للقتال عوالى فمنهم أحمر ديال ومنهم أصفر معدود للنزال ومنهم أشقر يسبق ريح الشمال وقد استتروا بالدرق وظهر منهم على أعداء الله الغيظ والحنق وما منهم الا من هو للقتال أسبق والى لقاء الله أشوق بأيديهم الرماح الخطية وعلى رؤوسهم البيض العادية وعليهم الدروع الداوودية وعلى خيولهم السروج العربية والامير عبد الوهاب قد احتاطت به العساكر الإسلامية وإلى جانبه الاميرة ذات الهمة العامرية ومن حولها العساكر المنصورة ومعها الملك الصابر مقدم العساكر كأنه البدر فى ليلة تمامه ومن حوله أصحابه وعساكره ودساكره والبطارقة الذين كان أعدهم من أصحابه وهم الجماعة الذين أسلموا على يديه مع الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) فلما نظر اليهم الملك كوجار وأصحابه أى الى ذلك العسكر الجرار

والفرسان الذين كأنهم البحر الزخار وهم قاصدين الى ملاقاة عدوهم صابرين على رضا ربهم والأمير عبد الوهاب سائر فى أوائلهم كأنه البحر الزاخر أو الأسد الكاسر وهو ينادى بأعلا صوته يامعاشر النصرانية والمنغمسين فى جرن ماء المعمودية قد أتتكم حملة القرآن وصوام شهر رمضان هذا وقد نادى الملك كوجار فى أصحابه هذا عدوكم قد أقبل عليكم وأشرف بجنده لديكم فانظروا ماذا تريدون واصغوا لأنفسكم مايكون لكم منه الخلاص فان هذا اليوم قد حصل فانهضوا الآن الى ملاقاة عدوكم واحموا بأنفسكم وصونوا حريمكم واعلموا ان البدرة لمن بدر وان الخصم مايرجح عليه خصمه إلا إذا حضر (قال الراوى) فبينما هم فى مثل ذلك الكلام وجيش الإسلام عليهم قد أقبل وتواتروا عليهم وهجموا على عسكر الملك كوجار هجمة واحدة وقد حف بهم النصر والرشد وأعلنوا بالهاليل والتكبير والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير ووقف كل بطل منهم كأنه الصنديد (قال الراوى) فلما سمعوا الملك كوجار وإلى ما أشار به من نظامه خدموا الكل بين يديه وقبلوا الأرض تعظيما إليه وقالوا أيها الملك الجليل والسيد النبيل وما يكون من عدونا والمسيح قد رضى غلبنا ولنا عساكر قد ملأت الأرض والرجل منا يعد فى الحرب بألفين فابشر أيها الملك بما يسرك فإننا ندفع عنك ما يضرك فما كانت إلا ساعة حتى وقعت العين على العين واختلطوا المسلمين بالكفار وتقدموا السادة الأبرار فعند ذلك تضاربوا بالسيوف القواطع وتطاعنوا بالرماح النوافذ وقطعت الأكف والأصابع وامتلأ الميدان من العرق والمدامع وقطعت الأصابع والأضالع وبان الشاطر من الجازع والقوى القلب من الجبان الفازع وطلع الغبار وأظلم النهار وقدح من حوافر الخيل الشرار وانذهل الجبان وحار وتحكم فى رقاب الأعداء الصارم البتار وهرب الجبان وبقى ذاهل محتار ولم بقى يجد له من أيدى المسلمين مخلص ولا فرار وشخصت الأبصار ووقع الذليل فى الانبهار وجرى الدم وفار والتفت اللئام بالأخيار وحملت اللئام الفجار على أمة محمد المختار الطاهرين الأبرار ففاضت دماهم مثل النجيع وأحسنوا فى الله الصنيع ووقفوا فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وقوف الصابرين عند ملاقاة الكافرين كما قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين هذا وقد حمل الملك كوجار على ميمنة عساكر المسلمين وكان فيها أبو مقلاع الأسود فطلبه الملك كوجار فانهزم من بين يديه خائف أن يصل كيده إليه فهو كذلك إذ لقيه الأمير عبد الوهاب فقال له إلى أين يا أبو مقلاع فقال له يا أمير الحذر الحذر لقد كنت فى الميمنة وأنا مثل الأسد العرين فلم أشعر إلا وفارس قد صوب

وأتى إلى بكليته وأراد أن يطعنى فسبقته ساعة وراوغته ولولا أن من الله على بقذموع الأسود فأشغله عنى حتى نجوت والا كان أدركنى فدونك وإياه أيها الأمير (قال الراوى) فعند ذلك تبع الأمير عبد الوهاب مكان قزموع الأسود وأطلق عنان جواده فبينما هو فى حملته والخيل ترعد والنار توقد والصبر قد نفذ فلم يشعر إلا بقزموع الأسود وهو مختبل فنادى أيها الأمير أدركنى وبنجدتك خلصنى فقد دهمنى من الأمر ما أشغلنى يامولاى فبينما أنا واقف فى القلب وإذا أنا بأسد غضنفر وبطل قسور قدقصد الى وصوب قنطاريته الى وأراد تعجيل حتفى ورغم أنفى فلولا أن من الله على بأبو ترمال والا كنت مطروح على رؤوس التلال فرده عنى يا مولاى (قال الراوى) فعندها طلب الأمير عبد الوهاب ذلك الصوب المذكور الذى أشار اليه أبو ترمال وقد هجم على فارس فى ميدان الحرب وضايقه وقد تجالدا بالسيوف حتى تكسرت وبالرماح حتى تقصفت فقال له الأمير عبد الوهاب تنحى يا أبو ترمال ودونك والراحة (قال الراوى) فعندها تنحى عنه أبو ترمال وتولى قتاله الأمير عبد الوهاب فوجده الملك كوجار وقد فرق أبطال المسلمين من يمين وشمال فلما رأى الأمير عبد الوهاب الى الملك كوجار وهو يصنع ذلك الحال فتقدم اليه وعول بكليته عليه وساق فى ميدان الحرب جواده حتى أنه وصل اليه (قال الراوى) فلما رآه على تلك الحالة تقدم الى قتاله وطعنه ونزاله فقال له تقدم ياعدو الله الى قتال الأبطال وموقف الشجعان فلا بد ما أجعلك كأمس كان فبان كأنه ما كان (قال الراوى) فعندها تقدم كل واحد منهم الى لقاء صاحبه ولزم فى الميدان صدق مضاربه فتحاربا حرباً شديداً وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت فأرموا ما بقى منهم الى وجه الأرض وعادوا الى السيوف حتى تثلمت ولم يبق فى أيديهم الا المقابض وثار الغبار وطال النهار وضجت الكفار وركن عدو الله الى الفرار وكل من الفريقين قد شخصت منهم الأبصار وقد تعجبوا من الأمير عبد الوهاب كيف أنه صبر مع ذلك الرجل الجبار وال ماشاهدوه منه فى مقام الأخطار (قال الراوى) فلما تكسرت السيوف وود كل واحدمنهمأن يسوق صاحبه الى الحتوف فرد الملك كوجار يده الى عاموده وكان عامود من حديد فجال فى ميدان الحرب وموقف القتال والطعن والضرب ولحق الأمير عبد الوهاب والملعون قد صوبه الى نحوه وهو قاصده كأنه حجر منجنيق أو صاعقة نزلت من السماء الى المضيق فأحرق عنان فرسه وانحرف عن موقفه فأخطأه العمود ونزل الى الأرض حفر فيها حفيرة عظيمة فعندها هلل وكبر الأمير عبد الوهاب وكبرت المسلمين معه وكان قد نذكر الكلمة المعروفة عند وقوع الأهوال وهى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فسيكفيكهم الله وهو

السميع العليم (قال الراوى) ثم رجع الامير عبد الوهاب اليه وأقبل بكليته عليه هذا والملك كوجار قد وقف وقوف الرجال ونكل بالأبطال وفتك فيهم بالسمر العوال والمرهفات الحداد الثقال وهو يصيح فى موقف القتال والنزال وهو يقول أنا الأسد الجحجاح أنا المعروف يوم الكفاح أنا الملك كوجار أنا البلاء النازل على الأبرار فلما رآه الامير عبد الوهاب وقد زاد سره لما أن رآه فعند ذلك قصد صاحب العلم الذى له وقد قتله وعلى وجه الأرض والرمال جندله هذا وقد نظر كوجار إلى فعال الأمير عبد الوهاب فنادى فى عسكره ياويلكم مافيكم من يخرج الى هذا الفارس يردعنا شره ويكسر عدته فانا قد اصطليت نار الحرب بنفسى وقد بددت الرجال بسيفى وترسى فأين البطارقة الشدادوأين السيوف الحداد وأين العصبة الذين هم من بقايا قوم عاد ثم أن ذلك الملعون قد حمل على الأمير عبد الوهاب فجالا طويلا واعتركا مليا وثار بينهما الغبار وكثرجيش الفجار وأظلم ضوء النهار وسار كالليل من كثرة الاعتكار وسار قسطل الغبار مثل النار والتفت الحرب على ساقها وأيقنت الأرواح بفراقها من شده مذاقها وتعاركا وتباعدا وتصادما وافترقا وتضايقا واصطدما بالرماح وقد تقاتلا يالبيض الصفاح واختلست من كل فريق منهما الأرواح وكل منهم عل صاحبه قد عدد وناح وتقاتلا قتال يذهل الأبصار وتحير منه الأفكار وتتعجب منه النظار وكان الملك كوجار كل مافتح بابا من أبواب الحرب سده عليه الأمير عبد الوهاب وكان كل واحد منهما اذا حمل على صاحبه يذهل الآخر ويقهره فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وكل فريق منهم يقوو صاحبنا أقوى وأشجع وهو يقاتل خصمه ويمنع (قال الراوى) ولم يزل الأمير عبد الوهاب على ملاقاة خصمه فى ذلك النهار حتى ضجرت الخيل من تحتهم ثم ان الملك كوجار قال للأمير عبد الوهاب ياأمير العرب هل لك أن نرجع الى الراحة فقد كلت الخيل من تحتنا وقد ضجر ذلك العسكر من كثرة وقوفنا فان كنت تصبر إلى غد فنحن نخرج الى مقام الحرب ويكون قد تجددت الراحة للخيل ولنا فقال له الأمير عبد الوهاب اخسأ ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية أما أنا فلله الحمد والمنة مايأخذنى من القتال عيا ولا تعب ولاضجر ولانصب وكيف أجد ذلك وأنا فى أمان الله رب العالمين وقد أمرنا ربنا بقتال الكفرة الملاعين وأعداء دينه ودين نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد حمل كل واحد منهما على صاحبه فجالا طويلا واعتركا مليا وثار عليهما الغبا وصار ضوء النهار كالظلام وجالوا وهم راكبين على ظهور الخيل وجرت الدماء فى الميدان مثل جرى السيل (قال

الراوى) ولم يزالوا كذلك فى كر وفر ودم يراق وأسير يساق وكل واحد منهما قدحصل فى كرب السباق ثم أن الأمير عبد الوهاب قال للملك كوجار أيها الملك مايخلصك منى الا أن آخذ رأسك وأخمد أنفاسك وأبطل هراسك أو تقرأ بالشهادتين وتقول قولا عدلا مخلصا وهى قول أشهد لااله الاالله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وان الله يبعث من فى القبور (قال الراوى) فلما سمع الملك كوجارذلك الكلام والخطاب صعب عليه وكبر لديه وبخر ونخر وطغى وكفر وتجبر وقال ياأمير العرب أتظن أنك محسوب عندى من الأبطال أو ممن نخشاك فى يوم النزال فلابد لى أن أقطعن منك القذال وأيتمن منك الأطفال ولابد أن أرملن منك النسوان وأجعلك أنت وعسكرك شهرة بين العربان وشنعة عند أهل الرتب أتظن أننى كمن لاقيت من الأقران أو من مارسته فى موقض الشجان أنا الملك كوجار أنا الموت الأحمر أنا الأسد الغضنفر أنا الهمام القسور أنا الذى تقرلى الأبطال فى المواقف أنا الذى تخشى سطوتى الألوف المؤالف أنا الذى ضرباتى مثل الأرياح العواصف أنامبيد الأبطال والشجعان أنا الليث الهمام أنا مجرع الأبطال فى الوغا كؤس الحمام اثبت ان كنت من أهل الطعان أو لك قوة وجنان (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب من الملك كوجارذلك الكلام والهذيان فقال اخسأ ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية أتظن أن لك عندنا مقدار أو أنت معدود من الأقران ما أنت الا كلب هدار وكافر من حملة الكفار فتبالك ولما صنعت بنفسك فلابد ما أسكنك دار البور وتروح الى جهنم وبئس القرار ان ربى عزيز جبار أوماعلمت أننى أنا الأسد القمقام وفارس الاسلام وناصر دين سيدنا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأتم السلام وساقى الكفار كؤس الحمام فدونك منى والصدام وأسرع الى حومة الوغا والزحام (قال الراوى) هذا وان كل واحد منهما حمل على صاحبه فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر وحمل وهاج وماج فلما رأى كوجار الى ذلك الحال صعب عليه وكبر لديه وشخر ونخر وزاد فى كفره وتحير واندهش مما حل به وقد انبهر لما عاين من ذلك الفارس الغضنفر (قال الراوى) هذا والأمير عبد الوهاب قد حار مما عاين من ذلك الفارس الرئبال ثم أن الملك كوجار هم بالحملة على ذلك الفارس الرئبال وترك الأمير عبد لوهاب فلما حمل عليه تثنى ذلك الفارس اليه وحمل بكليته عليه وطعنه برمحه فانكسر ولم يعمل فيه عمل ورد يده الى قائم سيفه وتجالدا حتى انكسر السيف ولم يعمل فيه شيأ من العمل فرماه من يده وضايقه فى الميدان وهمز بحصانه حتى صار معه فى طابق الجولان ومد يده اليه ومسكه من جلابيب درعه

وجذبه جذبة شديدة اقتلعه بها من بحر سرجه وشاله على يده حتى بان بياض أبطيه وجلديه الأرض فشك أضلاعه فى بعضها البعض ووثب عليه كما يثب الاسد على فريسته وقعد على صدره وقد أخرج خنجر من وسطه فحزبه رأسه وأبطل حواسه وأخمد أنفاسه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (قال الراوى) ثم وثب الأمير عبد الوهاب الى جواده فركبه وصاح على عسكر الملك كوجار فأيقنوا بالذل والشنار وركنوا الى الهرب والفرار ونادت المسلمين الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا بالنصر والظفر وقد خاب من جحد وكفر وفاز من بالله تعالى انتصر أركبوا يامعشر المسلمين فقد قتل عدوكم وعدو الدين فقد جاء نصر والفتح المبين وحمل كل فريق على صاحبه وثار الغبار وقد فاضت الدما مثل البحار ودارت رحا الآجال وتقطعت منهم الآمال وولوا الكفار على أدبارهم وهلكوا فى أسحارهم وصاح وصاح عليهم صائح الحمام وتأخرت عن ذلك الوقت السادة الكرام فعند ذلك أصبحو فى اشراك البلاء وقد وقعو تحت المذلة والندم وقد خضعوا وندموا حيث لاينفعم الندم فهلكوا عن آخرهم اذزل بهم القدم وكان عليهم يوم محوس وخاب ماقد حذروه البطارقة والقسوس وقطعت منهم الرؤس ولم يرجع منهم ديار ولا نافخ نار فعندها ولواا الادبار وركنو الى الهرب والفرار (قال الراوى) ياسادة ياكرام وما زالت المسلمين خلفهم حتى ملكوا أولادهم وأيتموا أطفالهم وأهلكوا أبطالهم واقيالهم وقد غنموا المسلمين خيولهم وفساطيطهم وما خلص منهم الا من أراد الله بخلاصه فأصبحوا فى دار البلا قاطنين وتحت الاسر والذل حاصلين وبعد الأمر والنهى حامدين ذلك تقدير العزيز العليم (قال الراوى) ثم أن المسلمين رجعوا الى قلعة الملك الصابر وقد فتح الله لهم وعلى أيديهم وأقبل بالنصر أعينهم ونالوا من عدوهم مايتمنوا حالا حسنا وأهلكو من كان يعبد من دون الله وثنا وحازوا الغنيمة صغيرها وكبيرها جليلها وحقيرها وكانت الأميرة ذات الهمة هى التى قد قتلت الملك كوجار ونادت فى المسلمين كل من أخذ شيأ فهو له هذا وان الامير أبو محمد البطال ما كان له شغل الا خزانة الملك كوجار ختم عليها وخفظها فنقلوا منها مالا يعلمه الا الله تعالى فلما من الله على المسلمين بهذا الفتح العظيم والنصر الجسيم وعادوا الى قلعة الملك الصابر واستراحوا وغنو المسلمين غنيمة عظيمة ما غنموا قط مثلها (قال الراوى) يا سادة ياكرام فهذا ماجرى لهؤلاء الاقوام (وأما ماكان) من لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال والملكة زنانير فانهم أقاموا فى الجزقرة كما قد ذكرنا وقد طال بهم الامر فبينما هم فى بعك الايام فقال لؤلؤ للملكة زنانير قومى بنا ندخل الى هذه المدينة

فخرجوا اطالبين ساحل البحر لعلهم يجدون لهم فرجا أو مخرجا فبينما هم على ماهم عليه واذا هم بمركب فى تلك البحر سائرة وكانوا أهله خرجوا من جزير شمس الفلك فلوحوا بأيديهم لأصحاب المركب فلما نظروهم أهل المركب قربوا المركب الى البر ورفعوهم الى عندهم فلما حصلوا فى المركب سألوهم عن حالهم وماسبب انقطاعهم فى تلك الجزيرة فقال لهم لؤلؤ اعلموا ننا كنا فى بعض المركب وغرقنا وسلمنا نحن وقد أنفدنا السيد المسيح الى هذه الجزيرة فعند ذلك قالوا لهم ابشروا بالسلامة فبينما هم كذلك يعنى لؤلؤ والملكة زنانير قعود فى وسط المركب واذا بأهل المركب نزلوا الى الطبقة السفلى فقالوا يا راهب أن معنا شيخ كبير وهو قس عظيم وهو من جملة أربار الدولة وهو معنا طالبا الى أرض القسطنطونية ومعه ولد له مريض ى (قال الراوى) هذا وان لؤلؤ أقبل على القوم وجعل يستوصف منهم صفة ذلك القس فأعطوه صفته فقال لؤلؤ فى نفسه هذا عقبة وحق محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وكان سبب نزول عقبة فى ذلك المركب وهوان ولده حصيصة ثقل عليه مرضه فى تلك الجزيرة التى لشمس الفلك لأنه كان مرض من العقوبة التى عوقبها فى الدير ولم توافقه تلك الاهوية المختلفة وكان عقبة قدحل به المرض وساءت به الأحوال وقد انقطع الملك عن الدخول عليهم وقد تركهم وزالت عنهم تلك النعمة فلما علم عقبة من الملك انه مل عنه فسأل الملك أن يبعثه فى بعض المراكب الى أرض القسطنطونيه فعند ذلك أمر لهم الملك بالمركب الذى فيه لؤلؤ والملكة زنانير فعند ذلك أمر الملك أن يرفعوا عقبة إلى المركب وجهزه وأعطاه عشرة آلاف دينار ومثلها ثياب وقد أمر الملك أن يرفع جميع مايحتاج اليه فلما حصل عقبة فى المركب نزل فى الطبقة السفلى فلما استقر به المكان اختفى وماكان يدع أحدا ينزل اليه الا من كان يخدمه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما علم لؤلؤ والملكة زنانير أن عقبة معهم فى المركب أخذوا لأنفسهم الحذر لئلا يعرفهم ولم يزالوا سائرين إلى ان وصلوا إلى بعض الجزائر ثم انهم ربطوا المركب وطلع عقبة وولده وساروا بريح طيب مدة عمرة أيام الى أن وصلوا الى خليج القسطنطونية وإذاقد تغير عليهم الريح وقد قلق البحر وماج وتصافقت به الأمواج وكثر بهم الانزعاج وقد علا منه ظلمة كأنه الليل الداج فلما عاينوا أهل المركب الى ذلك الحال العظيم والامر الجسيم فعند ذلك نادوا الأمان الأمان ونادت الملكة زنانير ياسيدى يامسيح الأمان الأمان أتوسل اليك بالقربان والقس والمطران وبدير نجران ليسكن البحر من الفوران وأما عقبة فانه قال وحق المسيح ماهو كثيران تغرق المركب ونحن مرضى ثم ان الريح اشتد عليهم وقد تكدر وقد رجع أسفله الى فوقه ولم يزال كذلك طول ليلته الى

ثانى الأيام ولم يسكن إلا بأمر الله تعالى فعند ذلك نزل عليه مطر بطول الليل إلى السحر فعند ذلك سكن الريح وذهب عنهم ما كانوا يجدوه من الهلاك وانزعاج البحر فعند ذلك ردت الريح المركب إلى خلفه مدة عشرة أيام ثم انهم عادوا إلى المكان الاول الذى كانوا فيه فعندها قال لهم الربان بعدما سلمنا من الغرق مانحن الا بخير ثم انهم عادوا ورفعوا القلوع وقد أصلحوا ما كان تغير عليهم من النو ثم انهم سدوا فى اللجة عشرين يوما الى أن وصلوا الى أرض القسطنطونية فبلغ الخبر الى الملك منويل بأن مركب قد وصلت وفيها الشيخ النجيح (قال الراوى) ففرح الملك منويل لما سمع بذلك الملعون فأمر الوزير وخاله اصطفانوس وعمه الفرغولص وابن عمه ان يخرجوا إلى لقاء الشيخ النجيح فعند ذلك طلعوا الى لقاه هذا وقد طلع كل من فى المركب وأول من صعد الى البركان لؤلؤ والملكة زنانير وقد دخلوا من جملة من دخل وستر عليهم الملك الستار فلما حصلوا فى البلد أقبل لؤلؤ والملكة زنانير الى الكنيسة الكبرى التى فى البلد فدخلوها وانطرحوا فيها وهما فى صفات الرهبان وقد أخذوا لهم غفوة من التعب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم انهم قد أقاموا فى تلك البيعة وكان مع الملكة زنانير مايقوم بهما من نعمتها ومما كانوا أخذوه من طريقهم من دير الراهب وكان إذا سأل لؤلؤ أحدا عن الملكة زنانير يقول له هذه زوجتى الى ان أتاهم فى بعض الأيام البترك وسأل لؤلؤ عنها فقال له أيها الأب الكبير والسيد النبيل أنا رجل من بلد الملك صلبوتا وهذه زوجتى خرجنا الى التقرب إلى السيد المسيح ونزور البيع والادبرة والروحانيين الذين فيها ونمضى إلى البترك الكبير الذى فى كنيسة قمامه ونتبرك بدير نجران وكنيسته (قال الراوى) فلما سمع الراهب ذلك الكلام رق له قلبه ومال اليه ونظر الى الملكة زنانير فقال مارأيت فى النصرانية أحسن من هذه المرأة وانى لابد لى أن أفوز بها وأحظا بنظرها ثم انه عزل لهم بيتا فى الكنيسة وحمل لهم مايقوم بكفايتهم وصار كل يوم يحضر الى عندهم ويتحدث معهم فوجد لؤلؤ عالما ماهرا بقراءة الإنجيل وتفسيره وصار يحدثه بأخبار الأوائل وأحاديثهم وما جرى على الملك الصابر والأمير أبو محمد البطال وحديث الملك شعشعونا عبد الله والملك الدهمار فكان الراهب يتعجب عجبا عظيما (قال الراوى) وكان عقبة يدخل فى كل يوم إلى الكنيسة ويتقرب فيها ويشاهد أحوالها وكان لؤلؤ يشاهده ويحقق رؤيته ورؤية ولده حصيصة وكان عقبة لما كان فى المركب جرى عليه شدة عظيمة وأرسل الله عليهم الهوى حتى سلموا من الغرق وقال فى نفسه لاشك ان المسيح قد غفل عنا ولولا ذلك لما يرمينا فى هذه الهلكة ونحن مرضى ويتفق علينا المرض والغرق فنروح ثم

أقاموا فى البحر مدة عشرين يوما لا يصلون الى البر ولا يرونه وطلعوا إلى الجزيرة ولاحت لهم فى البحر فتنزهوا فيها وأقام ذلك اليوم كله زنانير ولؤلؤ قعود فى المركب يشاهدوه وقد عرفوه وتحققوه فلما حصلوا فى البيعة كما وصفنا صار عقبة يدخل كل يوم إلى تلك البيعة ويتقرب فيها ويمر بالبيت الذى فيه لؤلؤ وزنانير وبقى على ذلك مدة وقد بقى مراده أن يخرج من البلاد بزنانير فلم يجد الى ذلك من سبيل (قال الراوى) فبينما لؤلؤ فى بعض الأيام جالس وإذاهو بمارس الحاجب وأخوه دارس وقد دخلوا من باب البيعة فعندها قام لؤلؤ إلى مارس وسلم عليه وطلب منه شيئا فالتفت مارس إلى لؤلؤ عرفه وان مارس طاف فى البيعة وعاد الى داره وأنفذ فى الوقت والساعة خلف لؤلؤ فلما دخل عليه قبل يديه فأجلسه مارس لجانبه وأول ماسأل عن حال سيده أبو محمد البطال فأخبره بعافيته وأخبره بما تم له فى بحيرة الفلك من العجائب والغرائب وأخذ للقلاع والحصون ومارس شاخص اليه ثم قال يالؤلؤ بالله عليك كيف خلفت الامير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة فقال له يامولاى ماهم الاسالمين بحمد الله بالخير والمنة ثم انه حدثه بحديث زنانير وماتم له من أجلها وأخبره أنها معه فى القسطنطينية فقال له مارس فأين هى الساعة فقال له يامولاى فى البيعة ونحن مقيمين بها (قال الراوى) فلما سمع مارس أن زنانير فى البيعة بعث غلامه اليها وأحضرها إلى عنده فلما نظر اليها قال له والله يالؤلؤ ماضيعت المحبة ولقد كنت أشتهى أنظر اليها من كثرة ماكانوا الناس يصفوها من بطارقة الروم وغيرهم وكانوا يوصفوها لى ويوصفوا لى أبوها وماكان فيه من الحشمة والوقار والمملكة فقال يامولاى ان حصلت معى فى بلاد الاسلام فكان مالحقنى شقاه ولا أصابنى شدة فقال له مارس أنا ان شاء الله أنسيت فى ذلك (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من حديث الأمير عبد الوهاب وعسكره فانهم أقاموا عند الملك الصابر ماشاء الله ثم عولوا على الرجوع الى بلاد الاسلام فقال لهم الملك الصابر وأنا أريد أكون معكم فقال الأمير الأمر اليك فى ذلك فعند ذلك أصلح المراكب التى فى البحيرة وأوسقها بالمال والرجال ولم يترك فى قلعته شيئا فعند ذلك نزلوا المسلمين فى المراكب وأقلعوا طالبين بلاد الاسلام ووصلوا الى بعض الجزائر فعندها صعدوا اليها وأخذوا منها مايحتاجون اليه وعادوا لمراكبهم فأقلعو بريح طيبة وقد سكن لهم البحر كما شاء الله وطال بهم المسير لانهم كانوا بعدوا فى بحيرة الفلك (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد ذكر الطبرى وغيره والمسعودى أن مابعد بحيرة الفلك الميزان وان الملك الصابر تغير عليه الهوى فمات الى رحمة الله تعالى وحزنوا عليه الأمراء حزنا عظيم ودفنوه فى بعض الجزائر وطلبوا الرجوع الى بلادهم فمنعهم الأمير عبدالوهاب فلم يقبلوا منه عند ذلك سلمت الأميرة اليهم الأموال وقدمت عليهم عبد الرحمن ثم أقامت

ذلك اليوم وودعتهم وساروا طالبين قلاعهم فلما وصلوا اليها فرحوا الناس برجوعهم فعندها أخبروهم بموت الملك الصاير فعند ذلك بلغ ولده عبد الرحمن فاغتموا عليه الناس وكذلك ولده حزن عليه وجلس فى العزاء ثم انه حكم فيهم بالعدل والرعية وسار فيهم سير أبوه ونظروا الناس منه مالم ينظروه من غيره وكانت الأميرة تكاتبه كل قليل ويكاتبها فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من الأميرة فانها سارت بعساكرها فى البر لان المراكب خمسين مركب موسوقة بالأموال والرجال بها وسارت هى فى البر وجعلت تقطع الطريق أربعين يوما حتى وصلت الى أول بلاد الثغور فلما وصلوا بشروا بعضهم بعض بالسلامة فلما وصلوا اليها يعنى ملطية وهب عليهم نسيم أرضها ورأوا القلاع التى يعهدوها والأرض التى يألفوها (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك تقدمت الأميرة بين أيديهم وجعلت تنشد وتقول

بلغنا الأمانى بنيل المرام ☆ وجئنا البلاد ثلاثا وعام
وخضنا البحار وحزنا الفخار ☆ وجئنا السبايا بدور التمام
فتحنا الحصون نعم والقلاع ☆ وجبنا المناع ونحن الكرام
أخذنا المراكب وما قد حوت ☆ من المال والسبى ملء الأكام
وطفت البلاد وعلو التلال ☆ وكل الوهاد من الفين عام
وشيعون مع شمشعونا فتكـ ☆ ـت به وأسرت ألفين غلام
وصابور أسلم مع ابنه ☆ نعم وانتقل لدار السلام
وأهلكت عزبيل وكوجارهم ☆ وغضب المسيح فهو ابن اللئام

(قال الراوى) فلما فرغت الأميرة من شعرها أخذ الناس البكاء من كل جانب من فرحهم بها ويلتقوا أهليهم والأولاد وكانوا أهل القلاع بانت لهم الاميرة فقالوا لبعضهم فبعضهم هذا عسكر قد أقبل فخذوا احذركم منه ولم يزل الغبار طالع الى الاعنان الى أن قرب العسكر وقد لاحت لهم الرايات وعليها مكتوب لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظروا الى السودان فقالوا أهل القلاع هذا والله عسكر الاميرة فلا أوحشنا الله منها فعند ذلك فتحوا القلاع وخرجوا الناس الى لقائها وكان ذلك اليوم يوم عظيم ولم يشاهدوا الناس مثله عيد ولاغيره ولا مجىء الخليفة وقد زينوا ملطية لقدومها وأخرجوا أطباق الذهب وفيها المباخر بالند والعود والعنبر ونثروا عليهم الدراهم والدنانير (قال الراوى) فنزلت العساكر واستقروا وأمنوا وكان لحقهم من التعب مالم يلحقهم قط فى سفرة ولافى غزاه وقد فرحوا أهلهم بسلامتهم وما أحسن الديار بالقطان وما أوحشها اذا خلت من

السكان فعندها سألت الاميرة عن أصحابها الذين كانوا فى المراكب فلم يعطوها خبر فقالوا والله ما عاد مر بنا أحد لاقريب ولا بعيد عند ذلك بعثت الاميرة إلى سبك غلام البطال الذى فى دير النذور تقول له لك علم بالمراكب التى كانت لنا فى البحر (قال الراوى) فمضى الرسول إلى ما أمرته الأميرة فجد فى سيره إلى أن وصل سبك وأعلمه بذلك فقال له اعلم أنه وصل من خبرهم بأنهم أخذتهم مارية ابنة القيطفور فعندها عاد الرسول إلى الأميرة وأعلمها بما قال سبك غلام البطال (قال الراوى) وكان السبب فى غيبة المراكب سبب غريب عجيب وسنذكره إن شاء الله على الترتيب وذلك أنه كان فى طريقه على ساحل البحر قلعة تسمى قلعة الأغر وكان فيها رجل من جبابرة الروم وكان له بنت تسمى مارية وكانت من الجبابرة وكانت مارية هى التى تدبر أمر القلعة تقعد فى منظرة لها فى أعلا القلعة تكشف بها بحر البحيرة فاذا عبر مركب تنظره فلما كان يوم من الأيام وإذا هى بمراكب المسلمين ظهرت لها فى البحر فقالت لمن حولها إنى نظرت إلى مراكب مقبلة من كبد البحر وهم أصطول ولا شك أنهم رجال كثير واعلها تكون الحمل بتاع منويل ملك القسطنطينية وإنى عولت على أخذها فقالوا لها الأمر إليك فى ذلك فعند ذلك أمرت رجالها أن يطلعوا فى المراكب وكان عندها خمسمائة مركب حربية فعندها سارت الملكة مارية إلى لقاء الخمسين مركب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما قاربتهم عرفتهم أنهم مسلمين فقالت لأصحابها ويلكم دونكم وإياهم فما قولكم فى خمسمائة مركب اجتمعت على خمسين مركب بما فيها من الرجال وما كانت إلا ساعة حتى أخذوهم عن بكرة أبوهم قبضاً بالكف وأخذوا ما كان فى المراكب وأنوابه إلى القلعة التى لها فرفعت المال إلى خزائنها هذا وقد عملت القيود فى أرجل المسلمين وطرحتهم فى المطامير وعزمت تبعث المسلمين إلى مدينة اسلامبول لهذا السبب الموجب لأخذ المراكب وأن الأميرة لما سمعت بأخذ المراكب ادعت بأبو محمد البطال وشرحت له ما سمعت من المقال وقالت يا أبو محمد قد أخذت مارية صاحبة قلعة الأغر المسلمين أسارى وقد قال لى الرسول عن قول سبك عن من حدثه أنهم بعثوا الأسارى مدينة اسلامبول قال فلما سمع الأمير أبو محمد كلام الأميرة قال وما تريدى فى هذا الأمر فقالت له يا سيد الأمراء ما كنت بالذى أعمل عملا دون مشورتك فقال لها أما مشورتى فمالنا الا أننا نسير الى بلاد الروم وننزل على قلعة الأغر ونحاصرها ونأخذ مارية وما فى قلعتها وننهب أموالها ونقتل رجالها ولا نبقى صغير فى قلعتها ولا كبير لأجل مافعلته وأنت تعلمى أن هذه القلعة من أقليم اليونان ومتى كان أقليم لاهل اليونان مضى قوام وكان لهم فلاحة وعلىّ باسيدة الأمراء أن أسلم اليك مارية بنت القيطفور (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة كلام أبو محمد شكرته على ذلك واستدعت بأمير العسكر ثم قالت له نادى

فى الناس بأخذ الأهبة واصلاح أمرهم حتى نسير الى قلعة الأغر فعندها تداعوا بأخذ الأهبة فلم تكن الا أيام قلائل حتى فرغوا الناس من جميع ما يحتاجوا اليه فعند ذلك أمرت الأميرة ابنها وأمرته أن يقدم السودان فى مقدمة العسكر ففعل ما أمرته وركب فى أربعين ألف اسود وركبت بنو عامر وبنو كلاب وعلم عمرو بن عبيد الله بذلك ثم أنهم ساروا وقطعوا الأرض فى الطول والعرض أربعون يوم الى أن وصلوا قريباً من قلعة البحيرة وكانت مارية فى منظرتها وهى مشرفة على البحر والبر ولما نظرت الى العساكر أقبلت أمرت بغلق باب القلعة ففعلوا ذلك فلم تزل العساكر دايرين حول قلعتها (قال الراوى) ونظرت الى تلك العساكر من حول القلعة فقالت لبطارقتها أرى هذا العسكر على أوائله سودان مثل الليل الدامس وهذه أشياء ما عهدنا بها فى بلادنا (يا سادة) وكان لها وزير يسمى عبد القداس فقالت له ما الذى ترى فى أمر هذا العسكر فقال لها هؤلاء العسكر الذين تسمعى بهم فى بلاد الثغور مع أمير المسلمين الذى يقال له عبد الوهاب ولا شك فى ذلك وما أنى اليوم الا لحربنا لأننا قد أخذنا مراكبهم وقد أخذنا مراكبهم وقد أتوا لطلبهم فخذوا لأنفسكم الاهبة فلما سمعت الملكة مارية ذلك أمرت البطارقة أن يزينوا القلعة بالعدد وصرت بإخراج المنجنيقات والفرادات والطلاقات بما استداركما ذكرنا وبقت القلعة كأنها عروس قد زينوها وهى تشرق من لمعان الدروع والكارغنديات والسيوف والقنطاريات والخود الساطعة والجواشن اللامعة وقد اصطفت أولاد البطارقة على الابراج وكثر منهم الانزعاج وتصايحوا على المسلمين وقالوا يا أصحاب صاحب المعراج نراكم جئتم الينا فما لكم فى قلعتنا مطمع لانها مشحونة بالابطال ثم انهم عطعطوا على المسلمين ورموهم بالاحجار وحذفوهم بقوارير النفط والنار فتأخروا المسلمين الى ورائهم من كثرة الاحجار وأخذهم الابتهار من كثرة الكفار وكانت هذه القلعة لاحقة بالعوائق وما لاحد عليها طريق وهى مبنية بالحجر الاسود وتكحيل الاحجار بالرصاص المذاب وهى كأنها الحديد وما على وجه الارض أحصن منها ولا أكفر من أهلها وعادتهم أن يأخذوا السفن التى تعبر عليهم واذا أرادوا فلا يعبر عليهم عابر الا أخذوه وقد اجتمع فى هذه القلعة من سائر أموال الدنيا مما أخذ من التجار والملوك ومن السفار فى البحار (قال الراوى) ياساد ياكرام فلما كان فى هذه الأيام ونزلت الأميرة ذات الهمة وفعلت مافعلت احتاطوا المسلمين بالقلعة بعيد منها ونزلوا حواليها ودام الحصار على القوم وبقيوا على ذلك أربعين يوم فلما ضاقت بهم الأرض وأشرفوا الروم على الهلاك لقلة الزاد وشدة الحصار واستغاثوا من داخل القلعة وهموا بفتح الابواب فلم تمكنهم

مارية من ذلك ثم فتحت الاحباب التى لها فى القلعة وأخرجت القمح والشعير وأوسعت عليهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان أبو محمد البطال كل ليلة يدور من حول القلعة والأميرة لعلهم يجدوا فيها حيلة أو قضية فلم يجدوا فبينما هم كذلك فى ظلام الليل واذا هم بعشرة بطارقة سائرين فتبعوهم الى أن أبعدوا ودارت الاميرة ذات الهمة وأبوا محمد البطال عليهم فقبضوهم وأخذوهم أسارى وأتوابهم الى العسكر الذى للسلمين وأدخلتهم الاميرة الى خيمتها فعند ذلك قعدت بهم وقالت لهم اخبرونى من أين جئتم فقالوا أيتها الاميرة نحن الساعة خرجنا من القلعة وقد بعثتنا مارية الى حصن النور الذى لاخوتها فقالت الأميرة ذات الهمة من أين جئتم فقالوا لها من مطرح نعرفه وندخل منه ونخرج ولا يعرفه أحدا سوانا لاننا جواسيس مارية فقالت الأميرة ذات الهمة وحق من رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ماء جمد لئن لم توقفونى الساعة على المكان لاقتلنكم عن بكرة أبيكم فقالوا لها أيتها الاميرة قوموا معنا حتى نوقفكم على الموضع (قال االر وى) ياساده ياكرام فعند ذلك نهضت الاميرة وأبوا محمد معهم الى أن أتوا الى ذلك المكان فلما عرفوا صحة قولهم عادوا الى عسكرهم وقيدوهم بالقيود الثقال وجعلوهم فى خيمة ووكلوابهم عشرة من السودان فلما أمسى المساء عليهم صبروا عليهم الى أن تنصف الليل فعند ذلك نهضت الاميرة وتقلدت بحسامها وأخذت أبو محمد معها وأتوا الى ذلك المكان فوجدوه سرداب مبلط بالحجر والكلس فدخلوا وما كانوا أعلموا أحدا بما هم فيه ثم انهم ساروا فى ذلك السرداب فوجدوه ضيق حرج فبقيوا يزحفون على بطونهم الى أن أفضى بهم السرداب الى فضاء واسع فتأملوا واذاهم بإنسان قاعد يحفظ باب السرداب وعلى باب ذلك المكان طابق من حديد اذا صعد الإنسان منه وطبقه ما أحدا يقدر يزيله من مكانه الا اذا كان من داخله (قاالراوى) ياسادة يا كرام ولما أن نظر الامير أبو محمد والأميرة الى ذلك رجعوا إلى وراءهم وخرجوا لايفطن بهم أحد ولما ان رجعوا كان آخر الليل وفى ليلتها أعلمت ولدها وقالت حاصرهم وقاتلهم فى غد واشغلهم بالقتال فأجاب إلى ذلك وعند الصباح ركبت المسلمين على الجرد القداح وقدموا للأصوار بالمناجنيق والأحجار فوقع القتال والحرب والنزال والإسلام بعيد عن الأصوار خوف من الأحجار والأمير يقول ياقوم كل محصور مقهور ولم يزالوا كذلك الى أن أمسى المساء وخندست الظلماء عند ذلك أخذت الأميرة معها من رجال الاسلام خمسين فارس وخرجت بهم الى ظاهر العسكر وهم معتدون والاميرة فى أوائلهم كأنها الأسد العرين إلى أن أشرفوا على المكان ثم انهم ترجلوا عن خيولهم وقد تشددوا واستعدوا وولجوا فى ذلك السرداب وفى

أوائلهم البطال الى أن وصلوا إلى الرجل الذى جالس على باب السرداب وانفرد من الجماعة وهمزه صار على الأرض وبادره بالخنجر فى لبته أخرجه من نقرته وأشار إلى الرجال وسراة الأبطال صعدوا الى القلعة ولم يعلم بهم أحد وأرسل البطال خلف الرجال وهم يأتون أفواجا أفواجا ولما ان تكاملوا ألف بطل فكانوا يضرب بهم المثل ولما ان تكاملوا اصاحت الأميرة بصوتها المجهر الله أكبر فتح الله ونصر فجاوبوها أصحابها بأصوات مثل الرعود القاصفات فثارت أهل القلعة من مراقدها وانقلعت القلوب من معادنها وقام القاعد واستيقظ الراقد فما كانت إلا ساعة حتى طرقت أهل القلعة النوائب وأحاطت بهم المصائب والروم تحيروا فى أمورهم وقال بعضهم هؤلاء من السماء نزلوا أو من الأرض طلعوا وأما أبو محمد ماكان له شغل الا أنه أتى إلى باب القلعة فوجدوا عنده بطريق قاعد فقال له من أنت فقال أنا بواب الباب واذا بالسودان خلف البطال كانهم الجن فقال ياويلكم دونكم وهذا القرنان فتواثبوا اليه وهووا عليه فأظهر لهم المفاتيح فأخذوهم منه وقتلوه وفتحوا الباب وصاحوا الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر الغزاة الغزاة يا أحباب الله عند ذلك سمعوا المجاهدين فأقبلوا الى نحوهم مسرعين من عشرة وعشرين وفى دون ساعة امتلأت القلعة من الموحدين وحملو على أعداء الله الملاعين وعملت الصفاح فى الأشباح واختلست الارواح وزعق الغراب الصياح فهذا قتيل وهذا أسير وآخر فى دمه جديل واذا بمارية وصل اليها الخبر بأن العلعة قد ملكت وأهلها قد هلكت فثارت من مكانها كانها اللبوة الشمطاء أو الحيلة الرقطاء وطلبت القتال والنزال فرأت الاميرة تجول وتصول فصاحت على بطارقتها دونكم وهؤلاء الانذال وهذه العاهرة التى نكلت بالرجال ولما ان رأت الروم مارية اشتدت عزائمهم وجاؤا من كل مكان وجانب وحل بالروم النوائب ودارت الدوائر وتفطرت المرائر ودارت البطارقة بالاميرة من كل جانب يرومون قتلها فوجدوا ما أملوه بعيد والوصول اليها صعب شديد وصارت ان ضربت حلت وان صدمت هدمت وصاحوا المسلمين بالملك القدير جابر الكسير ومغنى البائس الفقير وهو نعم المولى ونعم النصير ولم تكن الا ساعة حتى طلبوا أهل القلعة الخروج وهدرت سباعها ورأت المجاهدين قدامها وضاقت عليهم الاسباب وعملت السيوف فى الرقاب وهلكت الشيوخ والشباب فبينما الاميرة تجول وتصول وتهلك الرجال الفحول واذا قد لقيها البطال وهو يقول الامان الامان يا سيده الفرسان فقالت ما وراءك وما الذى اعتراك فقال يا أميره لولا عبد المجيد الكلابى والا كان ذلك النهار ذهابى فالحقيه والا ما تلحقيه فقالت فى أى صوب فقال

لها قبالك فطلبت الاميرة التى أشار اليها واذا بعبد المجيد منهزم وهو يلتفت الى ورائه فقالت له الاميرة ما بالك فلما رآها اطمأن خاطره وهدأت سرائره وقال ورائى الموت الاحمر والاسد الغضنفر لانى كنت فى قتال الكفار واذا ببطريق راكب على جواد أحمر فى يده سيف أبتر معتقل برمح أسمر فصدمنى فوجدته فارس كرار وبطل مغوار لولا ان من الله على بميمون الاسود والا كان أهلكنى فقالت الاميرة فى أى الجهات ذلك الملعون فقال لها على حالك فسارت من مكانها قليل واذا بميمون الاسود مقبل وهو يكد جواده وهو من الخوف قد اتخلع فؤاده فلما رأته الاميرة قالت له ما وراؤك قال القضا الذى لا يرد والبلا الذى لا يعد واذا خلفه بطريق كأنه فتيق يخرق الحديد بيديه بتمز على جواد أدهم وفى يده قنطارية من السلاح وان هذا البطريق هو الذى نكل بالابطال وقهر الاقيال فصاحت عليه الاميرة صيحة أذهلت عقله وقالت له دونك ياعدو الله والنزال عند ذلك حمل الملعون عليها وصوب قنطاريته اليها وهم بطعنها فقرعت رأسه بسيفها فأبرته كما يبرى البارى القلم فأصابها واخترط حسامه غمده ووقف معها فى ميدانها فتضاربا بالسيوف حتى أوردا مورد التلاف ولم يزالا على ذلك حتى لم يبق فى أيديهما الا المقابض وعادوا الى الخناجر فى الاضلاع والمحاجر عند ذلك دنت منه الاميرة وضايقته حتى احتك الركاب بالركاب وأخرجت رجلها من ركابها ورفصته ألقته على التراب وداسته بحوافر جوادها كسرت أضلاعه وأمرت بعض السودان قطع رأسه ولما أن أهلكته صارت تهلك النفوس وتقتل كل بطل عبوس واذا بميمون الجماس قد أقبل وهو ينفخ فقالت له ما وراك فقال الحق ولدك فانه فى مقام الخطر مع فارس غضنفر فلما سمعت بذكر ولدها تفتت كبدها وذهبت من عندة كأنها اللبوه قد فقدت شبلها وصارت تقطع الرؤس واذا بالامير يحاول بطريق ويحاوله وقد رأى منه الامير انه فارس فلما رأت الاميرة الى شمائل البطريق الذى مع ولدها عرفت أنها مارية وكانت الاميرة قد غيرت جوادها بجواد من الخيل الشاردة ورأت ولدها وهو مع خصمه لا يقدر يقهره فحملت الاميره على ماريه وطعنتها بالرمح الذى فى يدها فانكسر فى صدرها من كثرة الزرد ولم يعمل معها شيء ثم انها تأخرت الى بين الصفين وقد تعجبت منها العريقين والعسكرين وقالت أصحاب مارية ما هذا الا فارس ممارس وليث مخالس ورجعت الاميرة ثانى مرة وهمت على الاثنين وقرعت رأس ولدها بالسنان وان مارية لما رأت الى ذلك فهالها فعالها فأدعت بجوادها وكان جواد أدهم كانه ليل أظلم واحدث فى يدها ثلاثة مزاريق فصارت كانها شعلة نار وتقدمت الى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب ولما أن عاينتها الاميرة قد قصدت اليها

وحملت عليها أخذت حذرها منها وازداد شكرها وتولى نصرتها ربها وقرأت قوله تعالى أن ينصركم الله فلا غالب لكم وأن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وتقدمت الأميرة اليها فاستلمت ماريه مزاريق من تلك المزاريق وهزته إلى أن قدح النـــار من أطرافه وأعتدلت وأرسلته تخرج كأنه صاعقة (قال الراوى) فزاغت منه الأميرة وألقت روحها إلى الأرض فذهب عنها المزارق خائب بعد ما كان صائب ورجعت إلى سرجها أسرع من ريح الشمال وكانت ماريه قد جازتها فصاحت عليها الأميرة صيحة عظيمة أدهشتها فنفرت مارية العنان ورجعت لها بالسنان فصاحت عليها صيحة ثانية وقالت لها يا كافرة يا جاحدة وبلغ من قدرك أن تقاومين الأخيار فى مقام الأخطار وحادت عن طعنتها وضربتها بالحسام صفح وكانت ضربة مشبعة على صدغها فمالت من على الجواد فمدت يدها اليهـــا ومكنتها من أطواقها أخذتها قبل أن تصل إلى الأرض كأنها الثواب الخالق فاتوهمت مما عليها من اللباس فنزل اليها بعض السودان وشدها كتاف وقوى منها السواعد والأطراف وأما الأمير لما رأى من والدته تلك الفعال حمد لله وأثنى عليه ورجعوا إلى أصحابهم وهم فى القتال المنافقين وما أمسى المساء حتى ملكوا القلعة وغنموا ما فيها من المال والنوال ثم قالت الأميرة أطلبوا الروم الذين أنهزموا فطلبوهم وأسروا من أسروا وقتلوا من دنا أجله وبعد ذلك أمرت أن يقدموا ماريه بين يديها فى أسرع وقت قدموها إلى بين يديها ذليله حقيره فطلبت منها الرجال الذين كانوا فى المراكب مع المال فقالت يا أميرة أرسلتهم إلى القسطنطينية (قال الراوى) فلما سمعت كلامها صعب عليها وكبر لديها وأحضرت أبو محمد البطال وقالت له أكتب كتاب الى منويل وخوفه وهدده بالقتل اذا لم يأتى بالاسارى فقال سمعا وطاعة فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) من الفقيرة الى الحقيرة الذليله الى المجاهدة فى سبيل الله أمير العرب من السادة الأنجاب وقوم بنى عامر وبنى كلاب والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال يعلموك أيها الملك الذى ليس له من دون الله عاصم يا ويلك تركت عبادة من خلقك وأنشأك وبستره الجميل أعطاك وأن طلبت منه أعطاك ورغبت فى عبادة الأوثان ودين الصلبان وسمعت كلام القساقسة والرهبان وما يقولون من الزور والبهتان فلا شك أنك قليل الدين فاسد اليقين وبعد فانا قد نزلنا بالعساكر الصابره والعصابة الفاخرة وأمة محمد الطالبين ثواب الآخرة على قلعة الكلبه ماريه الفاجرة ونصرنا عليها رب الدنيا والآخرة وحزمنا ما فيها من الأموال والدخائر الغوال وأخذنا ما كان أخذلنا من الأموال والنوال وأخذنا معه

ما أدخروه الملحدين على طول السنين جزاء بما عملوا الظالمين وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين وأن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم فهو خير للصابرين وقد أخذنا ماريه ذليله حقيره ووقعت بين يدى الأميرة أسيرة وقابلها الله بما جنت وزادها بما صنعت وأكتسبت وقد بلغنا أنها سيرت اليك أبطال المسلمين وأنك قيدتهم وأستخدمتهم وأريتهم الهوان وأقسم بالله العظيم وبنبيه الطاهر المطهر الكريم لئن ذهب منهم انسان أو واحـــد لادهمنك أنا ونفسى ولا أفك قيودهم الا أنا بيدى وأذيقك الويل والنكال وأقطع منك الفعال فان كنت تختار مقامهم فأنا عندك عن قريب ثم أن الأمير أبو محمد البطال قرأ الكتاب وختمه وطواه والى أسود من السودان أعطاه له وكتبت ماريه كتاب آخر من عندها وأعطته الى بطريق من الاسراء وساروا بالكتب من عند الاميرة ونزلوا فى مركب الى القسطنطينية وبعد عشرين يوم وصلوا اليها ودخلوا الى البلد ودفعوا الكتب الى منويل بعد الاذن فقرأت على جميع الخواص والبترك وسمع ما فى كتاب ذات الهمة شق عليه وكبر لديه وقال لهم الملك منويل ماذا تقولون فقالوا له يا ملك الزمان لا تبلينا بهم وقد جئناهم لئلا يملكوا بلادنا وينهبوا أموالنـا فقال لهم صدقتم فيما قلتم ثم أنه أطلق الاسراء وأكرمهم وخلع عليهم وأرسل للأمراء منهم هدايا وتحف وأرسل يعتذر للأميرة فلما وصلت الرجال للأمراء فرحوا وقال أبو محمد البطال ياليت شعرى ما صنع غلامى لؤلؤ مع زنانير وكيف كان حالهما لما خلصها لؤلؤ من ميرون بن كوجار ولكن لله الامر من قبل من بعد (وأما ماريه) لما رأت منويل قد أرسل الى الاميرة الهدايا والتحف وهو يتذلل لهـا فى السؤال فذلت نفسها وهان عليهـــا ملكها وكانت ماريه ذات يوم من الايام دخلت عليها الاميرة وسلمت عليها وجلست عندها وتحدثت معها وآنستها فقالت ماريه والله يا أميرة ما رأيت أشد منك بأس ولا أقوى منك مراس ولا أشفق منك على أسراك لقد خاب من عاداك وقد سعد من والاك وقد أردت أن أكون فى هذه الساعة فى جملة من أطاعك وأسلم على يديك وأترك دينى وأتبع هواك فقالت يابنية اذا أسلمتى تكنتى من حزب الرحمن وتنجى من النيران وتفوزى بالجنان ويكون لكى مالنـا وعليكى ما علينا وأن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيآت وقد قال فى كتابه العزيز قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ولقد أحسن من قال هذه الابيات

من اتخذ الاسلام دينا نجا غدا * من النار والكفار فيها تخلدا

ومن يتبع دين الضلالة والشقا * فذلك فى نار الجحيم مؤبدا
ومن يتبع دين النبي محمدا * فذخرا له يوم القيامة محمدا

(قال الراوى) فلما سمعت مارية ذلك الكلام هدى الله قلبها وشرح للإسلام صدرها فنطقت وقالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن كل دين غير دين الإسلام فهو باطل وأن عيسى بن مريم عبد من عباد الله ففرحت الاميرة بأسلامها ودقت البشائر بالطبول وأعادت اليها قلعتها وأموالهم وهى مكرمه مبجله وجمعت أصحابها وأعرضت عليهم الاسلام فمن آمن آمنته ومن ومن أبى قتلته وقالت الاميرة يامارية قد بقيتى مالكة لنفسك ووجب حقك علينا لانكى خرجتى من زمرة الكفار وبقيتى من جملة طائفة النبي المختار فقالت مارية يا أميرة افعلى معى ما أنتى أهله ففرحت الأميرة وزوجتها لرجل من بنى كلاب يقال له عبد الرحمن الكلابى ونزلت عنده ألف من السودان وزوجت السودان من بنات البطارقة وارتحلت الاميره من عندها بعد ان قعدت فى القلعة شهر كامل وعلمتها الصلاة وسارت الاميرة والامير عبد الوهاب فى المقدمة وإلى جانبه البطال وهم طالبين دير النذور الى أن وصلوا إليه فتلقاهم الأمير ضيغم وسبك غلام البطال وسلموا على بعضهم البعض ولما أن استراحوا جمعوا الاموال التى كانوا تركوها فى الدير قبل دخولهم إلى بحيرة الفلك واشتروا منها ألفه جمل برسم حمل الغنائم والاموال وحملوا الحمول على الجمال والدواب وتوجهوا إلى الثغور وهم فرحين مسرورين بما فتح الله على يديهم والأميرة تنشد وتقول هذه الأبيات :

رجعنا سالمين إلى البلاد * ونلنا ما نريد من الاعادى
وأخلصنا اليقين لرب صدق * فبلغنا من الامر المراد
وظفرنا بما رمنا وعدنا * نطيع الله فى أمر الجهاد
وأسلمت الملوك على يدينا * وعادوا مذعنين الى الرشاد
ومارية هداها الله حقا * إلى دين النبي خير العباد
وطهرها من الآثام فضلا * من الله المهيمن ذو الجواد
تعالى الله لا شيء سواه * ولا أحد سوى رب العباد
إله قادر رب قدير * رؤوف سيد رب جواد
حليم لا يؤاخذ بالخطايا * غفور الذنب فى يوم المعاد
وحى قادر رب سميع * بصير النمل فى الليل السواد
على متكلم باقى كبير * مريد عالم بأسرار العباد

سأسكن فى الجنان بأمر ربى ٭ وأطلب راحتى يوم التناد
بذلت النفس فى مرضاة ربى ٭ لعل الله يبلغنى مرادى
وان الله يسكنى جنانا ٭ مع السادات من حازوا الرشاد
محمد الشفيع لكل عاص ٭ رسول الخالق الفرد الجواد
عليه صلاة ربى كل وقت ٭ وجمع الصحب والآل الجياد

(قال الرواى) وجدت الاميرة فى سيرها إلى أن وصلت إلى ملطية فخرج إليها عمرو وسادات بنى سليم ورأوا ما معهم من الاموال فتعجبوا مما حصل معهم من الاموال والغنائم فلاموا عمرو عن التخلف عن الجهاد وأقر بالاميرة قرارها وشاعت أخبارها وكان البطال مشتاق إلى سماع أخبار لؤلؤ وزنانير فهذا كان من أمر هؤلاء

(وأما ما كان) من حديث لؤلؤ والملكة زنانير فانه لما أتى بها إلى الكنيسه فكانت إذا سكتت يسليها ويحادثها وإذا نامت يسهر عليها فلما كان ليله من بعض الليالى وهى نائمة استيقظت من منامها وجلست على حيلها وهى وجله فقال لها لؤلؤ ما ورائكى ياسيدتى وسمعها تقول صدق الله العظيم وصدقت وآمنت بما قال رسول الله صلى عليه وسلم وقد رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وفى يدها درة بيضاء تضىء كأنها كوكب درى فلما سمع منها لؤلؤ ذلك فرح فرحا شديدا وقال لها أعز الله الملكة الكريمة وأعادها إلى ملكها سليمة ما ورائكى اعلمينى بأخبارك فقالت له يالؤلؤ بينما أنا بين المنام واليقظة وإذا برجل قد دخل على وقال لى أنتى زنانير بنت الملك صلبوتا فقلت نعم يا سيدى فقال ارجعى إلى الله عن قريب ووحدى القريب المجيب الذى خلق فأبدع وكل شىء له خضع الذى خلق عيسى وموسى وابراهيم وهو الله الرب العظيم حتى تكونى من نساء المجاهدين وتحشرين مع أمة خاتم النبيين فقلت له يا رسول رب العالمين إنى أخاف من المسيح عيسى بن مريم فقال لى أن المسيح عبد الله وأنه صدق برسالتى وآمن بى قبل ظهورى فقلت له يارسول الله أريد برهان واضح فأومأ بيده المباركة إلى وقال لى خذى هذه الدرة فهى آية كبرى واسلمى وتزوجى بلؤلؤ فانه قاسا عليكى أمور عظيمة وأحوال جسيمة فأخذت منه هذه الدرة وآمنت على يديه وانتبهت وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ففرح لؤلؤ بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد (قال الراوى) فهذا كان من أمر لؤلؤ وزنانير وسلامه وهو لا يقدر على الخروج من اهله من عتبة لانه لما تعافى ولده صار [illegible]
[illegible]

فى البحيرة ولؤلؤ فى البيعة المقدم ذكرها وهو مختفى ولايظهر الا اذا علم ان عقبة ماهو فى البيعة ويحرص ان يخرج من البلد فما يقدر على ذلك وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماهذا التأخير الا لأمر من الأمور وكل يوم يمر عليه مثل سنة فهو كذلك وقد خرج لؤلؤ يوم من بعض الأيام من البيعة الى الحوائج وإذا به رأى عقبة داخل البيعة فعرفه معرفة تامة (قال الراوى) ثم ان عقبة أراد ينفى الظن عنه ويطمن لؤلؤ فدخل البيعة عند القس الأكبر وجعل يحادثه ويقصد بذلك ان يطمن قلبه ويظهر انه ما عرفه حتى يقبضه قبضا بالكف ثم انه عاد الى لؤلؤ فى بر الكنيسة وأخرج له نفقه من كمه وقال له يا حبيبى اجعلنى فى حل بما أتهمتك ولقد وقع لى فى خلدى وظنى انك عبد لى قد ربيته لنفسى واصطفيته لخدمتى فخاننى وتركنى مريض وأخذ مالى من عندى وهرب ولئن أوقعه المسيح فى يدى لاشفيت منه فؤادى وآخذ منه بثارى وأننى عارى واما أنت ياولدى حيث ما فت من بلد اليونانيين كتب المسيح سلامتك وقضا حاجتك وبلغك أمنيتك لاتخاف ولاتفزع (قال الراوى) ثم ان عقبة عاد الى الكنيسة ثانى يوم وجلس ودارت من حوله الرهبان وقعد معهم يحادثهم فى الأديان ويقص ماجرى له فى بحيرة الفلك مع البطال وعبد الوهاب الى أن تعالى الوقت ثم خرج من البيعة وقصد الى داره وجعل ينظر فى باله ويقول هو لؤلؤ لا كلام ولا يمكن ان ينفرد بنفسه ولابد أن البطال معه ولئن كان معه أكون قد ظفرت بالمراد وأشفيت منهم غليلى ولكن أمضى الى الملك وأعلمه بالقصة وآخذ من عنده رجال وأقبض عليهم وأصلب البطال على باب الذهب ويكون ذلك من العجب وأقول أنتم تقولون ان نبيكم قال تصلبونى فأنا قد صلبتكم وأما لؤلؤ فانه خرج من الكنيسة فحس قلب لؤلؤ بالشر به فما كان له شغل الا أنه أخرج زنانير الى دار الحاجب مارس وقال ان عقبة مايغفل عنا ندونك ماتفعل بنا فأمر مارس غلمانه ان يمضون البيعة ويأتوا بزنانير الى منزله فقال انزلوا فى ذلك السرداب وأنا أمضى الى الملك وأبصر مايعمل ذلك الملعون قال لؤلؤ يامولاى ان عقبة خبيث والساعة يمضى الى الملك ويأخذ من عنده رجال ويمضى الى البيعة فانقلنا فى مكان غير هذا فأنفذ مارس الى أخيه دارس وأخبره بما جرى فقال دارس انقلهم الى دارى فانما أكتم لامرهم وأخفى لأثرهم (قال الراوى) فهذا كان من لؤلؤ وزنانير وأما ما كان) من القاضى عقبة فانه قام من وقته وساعته وهو فرحان ويظن فى نفسه أنه بلغ من لؤلؤ المراد وقصد الى الملك وأخبره أنه قد أتى بخبر صحيح فقام له الملك قائما على الأقدام عند دخوله عليه وقال له ما حاجتك أيها الشيخ النجيح فقال أيها الملك ان الذى كنت أخبرتك خشداد وأرجو أن أشاد فقد بلغنى المسيح إياه وأوقع فى يدى لؤلؤ وزنانير

والبطال ونلت منهم الآمال لانى مضيت الى البيعة أتقرب فيها فوجدت لؤلؤ وقد كتم أمره وغير زيه ونشر على أكتافه شعره وقد خرج من البيعة يقضى بعض الحوائج ولما رأيته كاشفته واستخبرته على حاله فأخبرنى انه من خواصك ورجع قال أنا من اليونان وهو نازل فى الكنيسة وأريد عشرين بطريق يمسكوه وقدامك يحضروه وإلى بين يديك يوصلوه وتشفى قلبى منه ومن زنانير فقال الملك أنا أخبرت انهم فى بحيرة الفلك وان مارية صاحبة قلعة العلق وصل كتابها الينا تذكر ان العرب نزلوا عليها وملكوا قلعتها وفيها ذات الهمة وولدها والسودان الذين يتبعوها (قال الراوى) فلما ان سمع عقبة ذلك تغير لونه واصفر كونه وانتقض وضوءه وقال ياملك اذا قبضنا على لؤلؤ وسيده البطال نملك به سائر الأطلال ونحتوى على ملك المسلمين ونفتخر على الأولين والآخرين ولايبقى لك عدو الى يوم الدين فقال ياشيخ اعلم ان هؤلاء ماهم من خلقة المسيح وإنما هم فى صفة الطيور الطائرة والنجوم الزاهرة ولكن خذ من البطارقة ما تختار وأوقع بهم الدمار فأخذ عشرين بطريق غلاظ شداد كانهم من بقايا قوم عاد وأمرهم ان يمتثلوا أمره فمضى الى البيعة فى طلب لؤلؤ والبطال ولما أن وصل اليها طافها فوق وأسفل ولم يدع مكان حتى فتشه فلم يجد أحدا فأجهد نفسه فلم يجد أثر فقال ما المسيح الا مسلم حتى انه يحامى لهم وينصرهم وندم حيث لاينفعه الندم الذى انفلت لؤلؤ من يده وكيف تحدث بامره عند الملك حتى يملكه والايكذبه فهذا ما كان من عقبة (وأما ما كان) من الحاجب مارس فانه أراد ان يمضى الى دار الملك ينظر مايكون من أمر عقبة فهو ماشى فى الطريق وقد قرب من البيعة واذا بعقبة ومعه عشرين بطريق وهم خارجين منها يريدون الملك وقدامهم عقبة مهرولا فقال ياأبونا مالى أراك على هذه الحالة كان ذلك حاجة تريد قضاها فقال عقبة أى والله وأى حاجة وأنت تعلم بحاجتى احتفظ بها عندك وسلم أعداء الملك اليه فان فعلت ذلك فقد نصحت الملك وقمت بواجب حقه وان اخترتم على الملك الذى أنت عنده فى تلك المنزلة والرتبة فسوف يكون ذلك حال آخر فقال مارس ومن لى أنا بذلك وحق المسيح والدين الصحيح وحنا ومريم والإنجيل المكرم ماهم عندى (قال الراوى) فقال له حاشاك من هذا اليمين سوف ترى كيف يظهر كذبك فقال مارس يالعين وشيطان رجيم وحق من فلق الحبة وبرأ النعمة وتردى بالعظمة وتفرد بالواحدانية وقهر العباد بالموت وحق الذى هدانى للدين القويم وشرفنى بأنى من المسلمين انهم عندى وكان كلامه له بينه وبينه ولئن تكلمت فيهم ما كان لك عدو غيرى وأقابلك على فعلك وأتكلم عند الملك وسوف ترى العجب ولا عجب من أمر الله تعالى ثم إن مارس رجع الى داره وأخبر أخته أرمانوسه بما جرى له فقالت يا أخى

انقلهم الى عندى فما لاحد عليهم طريق والملك ما يصدق فى مخلوق عند ذلك نقلهم عندها فانزلتهم فى مكان حريز وجلس مارس فى داره وكذلك أخيه دارس وأما عقبة فانه رجع الى الملك وأعلمه بالقصة وانه طاف البيعة وقال ياملك اعلم أن أعداءك معك فى بلدك وأنت غافل عن نفسك والنار تلهب من تحت ثيابك فأفق على روحك من قبل أن تنزل بك النوازل وتتزلزل بك الزلازل (قال الروى) فقال منويل وقد زاغت فى أم رأسه عيناه كيف العمل يا أبانا وايش الذى تقول فقال المسيح يوريك معى العجب فقوم وشدازرك وأنا أخرجهم من تحت تخوم الأرض وأملكك جارية ما على وجه الأرض أحسن منها ولا ابهى ولا أجمل فهى تكفيك باقى عمرك لأن طلبوها ملوك بحيرة الفلك فما رضيت بهم وأسرتها ذات الهمة وخصلها لؤلؤ وما جابها الى تلك الارض إلا حتى يخرجك من ملكك فقال الملك ما تصنع أيها الاب الكبير الذى اليه فى أمورنا نشير فقال ياملك اذا كانوا عين قومك الذين يأكلون خيرك ويرفلون فى نعمتك يخامرون عليك ويختاروا أعداك عليك كيف يكون حالك اذا أخذت الحيات والعقاء تجعله فى ثيابك فمن يفعل ذلك الامر غيرك (قال الراوى) فقال الملك اطلعنى على جلية الحال وصحة هذه الاقوال فلو كان ولدى لافعلن فيه رأيك واسمع فيه مقالك فقال عقبة أيها الملك زنانير ولؤلؤ وسيدة البطال عند حاجبك مارس لانه خرج من دينه ويقينه وتبع البطال فى زخاريف المقال والخرافات وأبواب النار نجيات حتى انفسد دينه فانهض حتى املكك جارية ما نظر احدا من الاولين والآخرين شكلها فقال الملك وحق المسيح لقد شوقتنى اليها ولئن أوقعتها فى يدى يكون لك عندى اليد البيضاء والكلمة العليا (قال الراوى) عندذلك أمر الملك الى مائه بطريق يكونوا معه تحت طاعته ويسمعون كلامه ويمضوا الى دار مارس ويلبسون لامة حربهم ومعهم سلاحاتهم ويهجمون الدار ويوقعوا بهم النكال وسوء الاحوال فخرج بهم عقبة شيخ الضلال ومعدن الكفر والمحال وكل منهم لبس درعه ولامة حربه وأخذ سيفه والا عمدة الحديد والطورق واللتوت والخناجر وما زالوا سائرين مع عقبه حتى وصلوا الى دار مارس فكسروا الابواب وهجموا الدار وطافوها يمينا وشمال وفوق وأسفل وبيوت جيرانهم فلم يجدوا شيأ مطلقا عند ذلك قال الحاجب مارس ياويلكم تسمعون من هذا الملعون ما يقول فى حق الناس من القبيح لانه ما يتقرب من الملك الا بمكره ودهاه وكذبه وقيادته فقد أبعده الملك كوجار ونفاه شمس الفلك وسيف الدولاب مما عاين منه من المكر وهو يقوى على الأعداء ثم نهض مارس الى عقبة ومسكه من شوب لحيته وضربه ضربا وجيعا على رأسه وناصيته حتى أنزل الماء الاصفر فى عينه الصحيحة وخطف عامود من

حديد وضربه فى رأسه فتح رأسه شبرا وصاح على من عنده من الغلمان وهو فى أوائلهم أوقع بهم فعل ووقعوا فيهم بالدبابيس واللتوت وجرى بينهم وقعة عظيمة سالت فيها الدماء وخرج الملعون هاربا على وجهه البطارقة خلف وقدام حتى وصل الى ملك الروم وأخبره بالقصة وإذا بمارس دخل على الملك وقد قطع ثيابه وكسر سيفه ونتف شعره وضرب بيده على صدره وأطلع لسانه وقال أيها الملك أيدك المسيح وساعدك ونجتك مريم من الشدائد وأجرتك على جميل العوائد اذا كنت أنا وأخى فى خدمتك وقد أفنينا أعمارنا وهجرنا ديارنا وفارقنا أهلنا وكل الملوك بلغك انهم يطلبونا فى خدمتهم ويرغبونا ونحن مانختار أحدا سواك من الدنيا ولا ظهر لك علينا خنا ولا جرى لنا سابقة بما يذكر عنا ونحن نقول نحن ترجمانك وخواص حجابك فكيف هذا يخرق فى حرمتنا ويدخل هذا فى ديارنا ويكشف على حريمنا وينهب أموالنا فما الذى تسمع الملوك الاكاسرة أو القياصرة بما جرى لنا وان كان الملك كرهنا ومل من عشرتنا فليطلق سبيلنا ونأخذ طريقنا ولا نقيم فى بلد أحد من ملوك النصرانية ولأهل ماء المعمودية لأن الناس ما يخدمون الملوك والأكابر الا يحصل لهم الحشمة والوقار والعز والافتخار فاذا هتكت حرمتهم كيف مقامهم عندكم فقال الملك وما جرى عليك من الأمور فانك مكرم عندنا زائد الكرامة والتبجيل ولو كان عندك ما ذكروه ما صدقنا فيك وما أحد يمد يده بسوء اليك ولا وصل اليك بأذية (قال الراوى) ثم أنه طلب عقبة إلى بين يديه وشدد فى الانكار عليه وقال ويلك يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية كم تكثر كذبك على مارس وتقول فى حقه مقال لايليق بمقامه وهو راغب فى خدمتنا ناصح لدولتنا ومن حين أتيت الينا وأنت ترمى الفتن بين خدامنا وأصحابنا أفضح المسيح من أوصلك الينا ولارعى طريقك فما أقل عقلك وما أسقع ذقنك لأنك من الجاهلين فلعنك المسيح ولا أبقاك وما أكثر شقاك فما أنت إلا شيطان مريد وجبار عنيد ثم أمر مارس أن يأخذه اليه ويعمل معه مراده وينتقم منه كيف يشاء ثم قال الملك للبطارقة من أمرك أن تفعلوا هذه الفعال وإنما أنا قد قلت لكم أن رأيتم أحدا فى دار مارس كما قيل وإلا ارجعوا من حيث أتيتم وكل من أخذ شيئاً يرده مكانه ومن صنع مكروها يعتذر اليه فلو كان فى دولتنا عشرة مثلهما لم يطرقنا طارق سوء أبدا وان مارس أخذ عقبة من قدام الملك وأتى إلى داره لعقبة ويلك يا كافر يامفتون كيف رأيت عملى من عملك فما أصنع معك ولولا خوفى من الله تعالى وأنت كلب حقير وما فى قتلك فخر ولا فائدة لما تركتك تعيش وحق المنضجع بيثرب والذى رفع السماء وعلم آدم الأسماء وتردى بالوحدانية والبقاء أن لؤلؤ وزنانير

وأن كانوا ما هم عندى أعرف مكانهم ولكن لايرانى ربى أن آخذ نزيل عندى وأسلمه إلى مثلك كافر كيف يكون ذلك وقد تحرموا بزادى وحرمتى وأمتسكوا بذمتى وهم أخوانى فى دينى وملتى ولكن أنا أفعل معك بخلاف ما فى باطنك وظنك وخذها عندك يد بيضاء ولكن أعامل وجه ربى (قال الراوى) ثم أن الحاجب خلع عليه خلعة وأوهبه نفسه وقال أخرج من دارى وخرج عقبة ووصل إلى الملك فرأى عليه الخلعة والكيس النفقة فقال يا أبانا ما فعل معك مارس قال ياملك أعطانى خلعة ونفقة أصلح بها شأنى فقال له الملك أما تستحى من المسيح أصحابنا يفعلون معك الجميل ويعطوك أثوابهم ومالهم وأنت تفعل فى حقهم القبيح وتوقع بيننا وبينهم العداوة فما الذى حملك على ذلك فقال يا ملك التوفيق عزيز وأيضا الطبع لم يتغير والمسيح يفعل ما يختار فقال الملك الزم دارك ولا تعود تقربنا من مكانك (قال الراوى) فخرج عقبة من بين يديه وقصد إلى داره والغيظ كادان يخنقه وقال فى نفسه ما الذى تفعل ياعقبة تمت عليك هذه الأمور الصعبة ووقعت فى هذه الورطة وإذا لم أعمل عمل وأدبر تدبير وإلا أكون عند الملك كذاب وتنحط منزلتى عنده ثم بعدذلك أنقدحت فكرته أن يقعد على باب الذهب وقال فى نفسه أقعد ولو سنة كاملة وأبصر من يخرج من الباب فما يقدر لؤلؤ فى ذلك البلد على المقام ثم أن عقبة جعل يداوم على القعاد على باب الذهب وعاشر البوابين وأوعدهم بالأموال والنوال (قال الراوى) فهذا كان منه ما فعل وما دبر (وأما ما كان) من لؤلؤ وزنانير فانهم أقاموا عند ارمانوسه أخت مارس مدة شهر كامل وهم مختفين فى أكرام وأنعام فهم يوم من بعض الأيام جلوس وهما يتحادثان وإذا بمارس دخل عليهم وسلم وجلس يحدثهم فقال لؤلؤ ما الذى دبرت فى أمرنا فقال مارس ماالذى أقعدك إلى الآن وقد أنقطع عنك الطلب ولا بقى عقبة يقدر يفتح فاه بما فعلت معه فقم وأخرج وأنت باختيارك فقال لؤلؤ والله أن قلبى منقبض وأخاف أن يكون عقبة قد نصب لنا مكيدة فقال مارس أن هذا شهر كامل ما ذكرك بلسان فقوم أن أردت فقال لؤلؤ يامولاى الرأى أن تكشف لى الطريق فقال مارس لا تخاف الذى ستر عليك أولا يستر عليك ثانيا ثم أن لؤلؤ لبس الملكة زنانير ثوب رفيع من الصوف الأسود وجعل لها ماشوحه ولحية سوداء وقلنسوة وفعل بروحه الآخر كذلك ودفع لها فى يدها عكاز وفعل الآخر مثله وخرجوا من دار أرمانوس أخت مارس وهما فى الخفيه والقلب يحس بالنكبة وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى باب الذهب ومارس خلفهم يقتص الأثر وكان عقبة قاعد على باب الذهب على مصطبة ولؤلؤ ما زال يمشى خلف زنانير حتى سبقته وخرجت

من الباب وكانت ترجمة عظيمة وأراد لؤلؤ أن يخرج من خلفها فرآه عقبة من بين الجماعة فوثب قائما على الأقدام وصاح على البوابين دونكم ولؤلؤ غلام البطال فتجارت البوابين مسكوه ووصلوا إلى زنانير وجذبوها وشحطوها وضربوا لؤلؤ ضربا وجيعا وكان مارس من خلفهم وقد رآهم وقد مسكوهم فلم ينطق بحرف واحد فرجع إلى داره ولم يطلع أحدا على أخباره خوفا لا ينسب ذلك اليـــه ووقع الصائح فى البلدان الشيخ النجيح وقع بغلام البطال ومعه زنانير بنت صلبوتا فسمع الملك بخبرهم فقال من أين قبضوا قالوا من باب الذهب وقد عبروا عليه وقد غيروا زيهم فأمر الملك من حضر من حوله من البطارقة وقالوا عجلوا بحضوره فخرجت البطارقة فوجدوا عقبة قاصد الى ناحية الملك وهو قدام البطارقة ومن حوله وقدامه ووراءه جمع عظيم وهو يقول شكرا للمسيح الذى ظفرنى بعدوى وعند الملك رفع قدرى الذى ظفرت بلؤلؤ غلام البطال الذى أشد من سيده على النصرانية وأهل الملة المسيحية والبطارقة يضربوه من كل جانب ومكان وترادفت عليه النوائب والأحزان وما وصلوا به إلى قصر الملك منويل حتى أهلكوه ولما ان دخل عليه وهو على تلك الحالة عند ذلك قال بارك فيك المسيح ياشيخ فما أشد حيلتك وما أكثر احترازك فلا أخلانا المسيح من رأيك ولامن طلعتك وقوى عزمك ونظر منويل إلى لؤلؤ وهو مثل الخرقة المبلولة فقال ما الذى نفعل بهذا يا أبونا فقال ياملك اضرب رقبته ونستريح من شره فقال الملك أين أبونا البترك فتبادرت اليه الغلمان ولما ان حضر البترك قام له قائما وقبل يده وأوقف لؤلؤ وزنانير بين يديه وقال ماتصنع مع هؤلاء يا أبونا قال البترك اعلم انه قد جرت عادة الملوك إذا قبضوا على أسير لايفرطوا فيه ولا يهينوه لاسيما وهذا سيده يخشى من سطوته وشدته ونخشى ان تدركنا أمراء العرب والأبطال فاذا كان عندنا هذا أو غيره أسير فربما يأخذون أحدا من أصحابنا فيكون الذى عنده له فداء وربما يكون هلاكه سبب لمجىء عسكر الإسلام اليك كما فعلوا بالملكة ماريه وما عندى من الرأى إلا أن نترك هذا فى السجن ونتلطف بزنانير لأنها بنت ملك كبير ونجعلها من بعض حضاياك ولو كانت راغبة فى المسلمين ماجاءت الى بلادنا وكانت مضت اليهم فاستصوب الملك رأيه ومقاله وامر بلؤلؤ أن يمضوا به إلى السجن ويطعم ويسقى ويداووه إلى أن يبرأ فاذا برىء قيدوه واحتفظوا به ووكلوا به عشرة من البطارقة فمضوا به الى مطموره ضيقة مظلمة فطرحوه فيها وهو فى غاية الأذى وأقام على تلك الحالة وفى كل يوم يأتيه عقبة ويضربه ويؤذيه أشر الأذى ويقول له هات من ينفعك ان كان أستاذك يقدر

يخلصك فقد غلب عملى على عملك ولؤلؤ يستعين بالله على بلاه وصابر على أذاه وكلما أذاه يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد أقام فى المطمورة تحت الأرض لاينظر لاشمس ولا قمر مدة أربعين يوم (قال الراوى) ياسادة ياكرام (وأما ماكان) من زنانير فان منويل رأى مافيها من الحسن والجمال والقدر والاعتدال والبهاء والكمال والعفة والمعرفة والدهقنة ووجه كأنه القمر فى ليلة تمامه فهام بهاقلبه واشتغل خاطره ولبه وقال فى باله ان هذه تكفينى مابقى من عمرى وقد فرح بوصولها اليه فرحا شديدا ما عليه من مزيد وصار يداعبها ويلاطفها وأخذها إلى محضيته وكان يميل اليها ويعتقد فيها الخير والسياسة والأدب فدخل بها اليها فرأت من زنانير من الفعل والأدب والعفة مالا عين رأت ولا أذن سمعت فرق قلبها عليها وقالت لها أنتى أختى وأنتى عندى أعز من روحى التى بين جنبى (ياسادة) ثم ان منويل طلب ان يبوسها فرفعت زنانير رأسها اليه وقالت ياملك أيدك المسيح وحفظك ورعاك أنت ملك النصرانية ومن غمس فى جرن ماء المعمودية ما أخذتنى فى مجال الحرب ولا الطعن ولا الضرب وانما أخذتنى من بلدك وقد أتينا بأمان المسافرين والتجار المترددين وما نحن من أهل دين المسلمين حتى انك تأخذناغصبا واغتيالا فارعى فينا مثل ماترعى فى حريمك ولا تأمن الدهر يفقدك حبيبك فاذا غدرت فلا بد للدهران يغدر بك قريب ويرى حريمك فى أيدى الرجال الأجانب فان أحسنت لاسراك أحسن المسيح مثواك (قال الراوى) فرأى عندها من العقل والأدب والسياسة مالا رآه من غيرها فتركها عند المحضية وأمرها أن تجرى عليها الاكرام والانعام وتداديها فى الكلام ولما ان خرج منويل طلب مارس وأخيه دارس وكانوا عولوا من يحتالوا على خلاص لؤلؤ ولما ان وصلوا اليه وصاروا بين يديه أمرهم أن يرسلوا ارمانوسة إلى زنانير تلاطفها بالمقال فقالا سمعا وطاعة (قال الراوى) فهذا كان من أمرهما (وأما ماكان) من الامراء لما ان عادوا إلى ملطية خرج الامير عمرو بن عبيد الله إلى لقائهم وهناهم بالسلامة واستقر بهم القرار وأنست بهم الديار فقال الأمير أبو محمد للأميرة ذات الهمة أنا أريد أن أمضى إلى القسطنطينية لأجل غلامى لؤلؤ لأنى ما أعرف ما كان منه وما جرى مع الملكة زنانير وقد سمعت أنهم ركبوا فى البحر وأشرفوا على الغرق ثم انه ودع الأميرة وطلب بلد الروم ولما ان وصلها دخل من باب الذهب فى زى الرهبان وقصد إلى دار مارس واجتمع به وهناه بالسلامة وسأله عن لؤلؤ فقال انه فى قيد الحياة وإنما هو أسير وكذلك زنانير عند ملك الروم فقال البطال يا أخى أريد منك أن توصل خبرى اليها وتعلمها أنى فى البلد فأجاب إلى ذلك وقصد إلى

نحو أخته أرمانوسة وقال لها اعلمى ان أخينا أبو محمد البطال حضر عندى من أجل غلامه لؤلؤ وقصدنا ان توصلى خبره الى زنانير فقالت سمعا وطاعة ثم انها مضت إلى عند حضينة الملك فلما رأتها وثبت اليها وقبلتها ونظرت الى زنانير وقد أنست اليها وبعد ساعة طلبت شربة من الماء فنهضت حضينة الملك تأتى بالماء فقالت أرمانوسة لزنانير اعلمى أن أبو محمد البطال قد حصل فى البلد لأجل خلاص غلامه لؤلؤ ففرحت زنانير فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم قالت فى نفسها ان خلص لؤلؤ بقيت أنا ههنا ثم قالت زنانير أنا الساعة أدخل على الملك وأسأله أن أمضى إلى الكنيسة واجتمع به هناك ولما أن سمعت أرمانوسة مقالها قالت نعم الرأى وبعد ساعة خرجت أرمانوسة وأعلمت البطال بذلك الأمر (وأما ما كان من زنانير فانها مضت إلى الملك منويل وقبلت الأرض بين يديه وأعلمته أنها ضيقة الصدر وأريد أن أدخل إلى الكنيسة أتعبد فيها ففرح منويل وظن أن ذلك حق فالتفت إلى الخادم الخاص وهو غلام صغير وقال خذ ستك وكون معها فى دخولها وعند خروجها فقال سمعا وطاعة وانها صارت فى كل يوم تمضى إلى البيعة فلما أن كان فى بعض الأيام مضى أبو محمد فى زى العوام فوجد الناس يهرعون ويتسابقون فسأل عن ذلك فقيل ان زنانير محضية الملك قد أتت إلى الكنيسة تتعبد فيها عند ذلك دخل مع الناس إلى أن وصل إلى الهيكل فوقعت عين زنانير فى عين البطال فعرفته وأدنته منها وقالت له ما أجفاك على الاصدقاء كيف يكون غلامك أسير فى الذل والتعتير والهوان وأنت لا تسعى فى خلاصه وحق الرب ما ظننت أن فيك ذلك الجفاء وقلة الوفاء وكان كلامها بالعربى حتى لا يفهم ما يقولون فقال أنا ما جئت إلى فى خلاصه فقالت أنا أعمل على خلاصه وأنت تمضى بنا إلى بلاد الاسلام فقال لها قولى لى ماذا تصنعى حتى أننى أعرف الخطأ من الصواب فقالت أننى أعود إلى الملك وأطيب قلبه واجالس معه على الطعام وألاعبه وأمازحه وأكون كل يوم أمضى إلى البيعة وأعمل على خلاص لؤلؤ ونمضى إلى بلاد الإسلام ففرح بذلك واستبشر وصارت زنانير كل يوم تتردد إلى الكنيسة وأن منويل سألها عن حالها فقالت يا ملك أنى سألت المسيح يعطف قلبي عليك ويميله اليك فقال لها لا بقيتى تقطعى التردد إلى البيعه فأنا لست أمنعك عن الزيارة (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من معلمها الذى رباها وهو الحكيم أقليدس فانه نال من فقدها منال عظيم وحال جسيم حتى صار لا ينام الليل ولما ضاقت به الحيل اجتمع بكبراء الملك صلبوتا وقال لهم يارحمة المسيح اعلموا أن مالنا صبر على فقد زنانير فلا بد لى أن أمضى واكشف خبرها ثم أنه بعد أيام وصل اليه الخبر أن لؤلؤ وزنانير نزلوا فى بعض المراكب

إلى القسطنطينيه فقال فى نفسه ما لى إلا أن أمضى وا كشف الخبر وأدبر على خلاصهم وأوصى بحفظ الحصن وكان الذى أوصاه بطريق يقال له مقلاعوس وخرج من الجزيرة ونزل فى مركب إلى أن وصلا الى القسطنطينية واجتمعا بالبطال وتعارفا وأخبره البطال بحديث زنانير ووصل خبر الحكيم الى منويل فأحضره الى بين يديه وقال يا أبونا لقد شرفت مدينتنا بقدومك الينا وسمعت زنانير بحضور الحكيم عند الملك فأرسلت تقول أريد أتبرك بذلك الشيخ العالم ولما وصل اليها عرفته وكلمته وسألته عن الجزيرة قال بخير وكل أهلها مشتاقين الى رؤياك ثم أنه أعلمها بحديث البطال وأنه اجتمع به فى الكنيسة (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أنهم أقاموا يدبرون فى خروجهم من البلد شهرا كاملا ثم أن زنانير اجتمعت بالبطال فى الكنيسة وقالت أريد أن تمضى معى إلى القصر فقد دبرت حيلة تخلص بها لؤلؤ فقال سمعا وطاعه ثم نهض معها بزى الفقراء وأوقفته عند الستر الخاص فنظر اليه الملك فسأل فقالت هذا راهب من الكنيسة ضعيف الحال صعلوك أريد أن أهبه شيئاً فلما أن سمع منها ذلك أمر الخادم أن يدفع له ألف دينار فأخذها ودعا للملك وخرج كانه طالب الباب وكان خبير بالقصر ومنافذه فدخل من الدهليز إلى بعض الخزائن وخرج منها إلى بعض الأبواب وإذا هناك جماعة ولما أن رأوا البطال قالوا هذا الراهب الذى دخل مع الملكة زنانير وأعطاه الملك ألف دينار ثم قالوا قف ساعة ياراهب وقال بعضهم نرسل هذا الراهب يستأذن فى قتل هذا المسلم ويعود الينا بعلامة من الملك ثم أن الجماعة زوقوا لابو محمد خاتم الملك أخذه وطلب إلى الملك فغاب قدر ساعة وعاد يقول أن الملك يقول لكم سلموه إلى هذا البطريق وأشار إلى أقليدس ثم أنه أخرج لهم خاتم الملك وقال هذا علامة الملك فلما أن رأوا الخاتم باسوه وسلموا لؤلؤ إليه فأخذه وخرج إلى باب المينا فما لحقوا أن يقفوا على الساحل حتى لحقتهم زنانير وكانت سرقت خاتم الملك وأرسلته إلى مارس وأعلمته بالقصة فطلع فى جملة من غلمانه وأرسل الخادم بالخاتم زوقه للحكيم أقليدس وتمت الحيله ولحقتهم زنانير ونزلوا فى مركب وأقلع بهم البطال لانه خبير بالبحر وقصد بهم إلى أفرنجة وفادا البلد وأبعد عنها وسار وبعد عشرة أيام وصل إلى قلعة زنانير فاستبشروا بها وفرحوا فرحا شديد وزينوا الجزيرة لاجل وصولها ولما استقر بهم القرار قال البطال يا ملكة الحمد لله الذى جمعكما على الإسلام فقال لؤلؤ يطيل لنا عمر هذا الحكيم لأنه جمال الدين وناصح للمسلمين فقال أبو محمد البطال يالؤلؤ تقول ذلك المقال فى حق أهل الضلال فقال لؤلؤ معاذ الله لا تقول هذا المقال فانه أخينـــا فى الله ولما أن سمع أقليدس قال أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله ففرحت

زنانير وقالت وكذلك أنا أقول أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ففرحت وفرح البطال بذلك وقال الحمد لله على ذلك وأقامت زنانير تعرض الإسلام على قلعتها فمن أسلم أنعمت عليه ومن أبى عملت على قتله ولما أن كان بعد ذلك بأيام رفعت مالها ونوالها فى مراكب وعبت أشغالها وإذا بمركب أقبل فى صدر البحر فخرج الحكيم أقليدس يكشف الخبر ولما أن قرب اليهم سألهم من اين والى أين فقالوا نحن من عند الملك شمس الفلك وقد أتينا نهنى الملكة بخلاصها ورجوعها إلى حصنها وأن الملك يسألها الصلة به والزواج ولما علم الحكيم بذلك رجع إلى زنانير وأخبرها أن الملك يخطبك والرأى أن نسير كما نحن ونقول للرسول أن الملكة رضيت بذلك فارجع إلى الملك شمس الفلك وأعلمه بذلك فاذا صرنا قريبا منه أرسلنا اليه أن الملكة لاتدخل إلا فى الليل فاذا أتى الليل تحايلنا عليه لعله يأتى الينا فنأخذه ونسير على حالنا فقالت زنانير أنت نعم المشير (قال الراوى) ثم أنها صارت بمراكبها إلى أن وصلت إلى جزيرة شمس الفلك وكانوا الرسل وصلوا اليه وأخبروه بالحال ففرح وأخرج خواص دولته فنزلوا ورأت زنانير إلى ذلك علمت أن الحيلة تمت عليه فقالت للحكيم كيف الحال يا أبى العمل قال تأمرين أصحابه بالرجوع إلى جزيرتهم وتقول الملك أريدك أن تطلع إلى المركب حتى أطلعك على ما معى فانى لا أشتهى أن يطلع عليه غيرك ولا يكون معك أحد لأنى أريد أعرض عليك ذخائرى وأموالى التى هما من عهد أبائى وأجدادى لأنى ما تركت خلفى شيئاً أبدا الا وأتيت به اليك وانى أريد أن أنقله إلى قلعته فاذا فعل ذلك وطلع إلى المركب وصار عندك ولم يكن أحد عندكم لحادثيه ولاعبيه وأمرى الريس أن يرد رأس المركب الى صواب مراكبنا فاذا صار مركبكم عندنا وصرنا فى مركب واحد فى وسط اللجه نأخذ الملك شمس الفلك إلا بلاد الإسلام معنا أسير (قال الراوى) وأن الملكة زنانير نزلت فى مركب منفرده ومعها بعض البحرية وأن الملك شمس الفلك قرب من مركب الملكة زنانير وأن الحيلة تمت عليه وجرى ما ذكرناه وفعلت ما أمرها الحكيم أقليدس وسارت المركب طالبه بلاد الإسلام هذا والملك غارق فى محبتها باهت إلى حسنها وجمالها وإلى ضياء وجهها ولم تزل المركب الى أن قربت من مراكبها وأهل الجزيرة ينظرون الى ذلك ومركب الملك قد التصقت بمركبها الكبير عندها أمرتهم أن يرفعوه الى المركب الكبير بعد أن أوثقته كتاف لأنها أقوى منه وأجد ثم أمرت برفع القلوع والملك شمس الفلك قد حصل فى قبضة الاسر والناس من أصحاب الملكة زنانير قد فرحوا بذلك النصر والظفر ولم يزالوا سائرين بالمركب إلى أن أبعدوا

عن الجزيرة أرادوا أن يتبعوهم بمراكبهم فقال بعضهم لبعض لعل الملك يا قوم أراد هذا والليله يبان الحديث ثم أنهم تموا على ما هم عليه وجعلوا ينظرون ماذا يكون من الملك إلى الصباح (قال) ولما أصبح الله بالصباح لم يزالوا على الانتظار الى أن تضاحا النهار فلم ينظروا للمراكب آثار وأما مراكب الملكة زنانير ساروا وهم طالبين بلاد الإسلام (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما أهل الجزيرة شمس الفلك فلما أيسوا من ملكهم أعتمدوا على ولده وكان اسمه توما فأقعدوه فى مكانه فهذا ما جرى لهؤلاء قال (وأما ما كان) من الاميرة ذات الهمة فانه أخذها القلق على الأمير أبو محمد البطال وقالت للأمير عبد الوهاب يابنى أعلم أن الأمير ابو محمد البطال قد غاب عنا خبره وأخاف من أن يكون تم له أمرا من الأمور فقال الأمير عبد الوهاب والله يا أماه انى كذلك وما يسعنى فراق ابو محمد البطال ولا فقده فياليت شعرى ما الذى غيبه هذه المدة ولا بد من ارسال جواسيس تبحث لنا عن خبره فان هذه نوبة عظيمة ولقد انقطع خبره عنا فى كرة واحدة ثم انهم ارسلوا بعض الجواسيس الى سائر الأقطار لتأتى بخبره اينما كان فهذا ما كان منهم (واما ما كان) من الملك منويل فانه لما فقد لؤلؤ والملكة زنانير التفت الى عقبة وقال له ايها الشيخ النجيح أرأيت كيف هرب لؤلؤ وزنانير بعد ما ظفرت بهما فقال له عقبة يا سيد بنى الاصفر لولا أنك تسمع منى وقتلت لؤلؤ لما كان تم عليك هذه الأحوال ولكن أنا فى كل مره أشير عليك برأى وأنت لا تأخذه بالقبول فقال له يا أبونا ما كان رأيك الا جيد ولو كنت قتلت لؤلؤ خلصت منه ولكن اذا أراد المسيح أمر ابلغه عند ذلك قال له عقبة أشتهى من السيد المسيح ان يظفرنى بأبو محمد البطال وغلامه لؤلؤ مرة أخرى وأنا أريك كيف أعمل معهم ثم أن الملك لم يعط صبرا عن الملكة زنانير لأنه كان فى قلبه منها نار لا تطفىء فهذا ما كان من الملك منويل (قال الراوى) وأما ما كان من الجواسيس الذين أنفذهم الامير عبدالوهاب فانهم رجعوا يخبروا انهم ماسمعوا للبطال خبر فأيست الأميرة ذات الهمة وولدها عبدالوهاب من البطال (قال) فلما كان فى بعض الأيام واذا هم بقوم تجار من الروم وقد عبروا عليهم فقالوا لهم من أين أتيتم فقالوا من بلاد البهرجان فقالوا لهم هل معكم خبر من صاحب لنا اسمه أبو محمد البطال فقالوا له وهل الأخبار الا معنا ثم انهم أخبروه بماوقع لههووغلامه لؤلؤ والملكة زنانير والحكيم اقليدس والحيل التى دبروها على الملك شمس الفلك وكيف أخذوه من الجزائر معهم والكلام الذى تقدم شاهده وحكيناه فقالت الأميرة ذات الهمة لله درك يا أبو محمد (قال الراوى)

فهذا جرى ههنا (وأما ما كان) من أبو محمد والملكة زنانير فانهم لما أخذوا الملك شمس الفلك لم يزالوا سائرين فى البحر شهرين كاملين الى أن وصلوا الى قلعة مارية ابنة الغيطفور وكانت قد اسلمت كما ذكرنا وكان فى القلعة قوم من قبلها يحفظونها فلما نظروا الى تلك المراكب التى للمسلمين أخرجوا لهم الزاد والعلوفات واذا بالمراكب قد دخلت الى المينا وأقاموا فيها بقدر ما أكرموهم ثم انهم ساروا طالبين السويدة وقد سخر الله لهم الارياح الى أن وصلوا اليها وتقدموا الى صاحب السويدية وسلموا عليه وقالوا له نريد منك أن تقيم لنا خيل توصلنا إلى ملطية فقال سمعا وطاعة وأحضر لهم من الخيل مااحتاجوا اليه ثم انهم ركبوا وساروا وخلوا المراكب على حالها بعد ماوصوا بها صاحب السويدية ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى ملطية فلم تعلم الأميرة إلا والخادم الذى لها قد دخل عليها وقال لها يامرلاتى لى البشارة فقال الأمير عبد الوهاب والأميرة وما بشارتك فقال لها ان الأمير أبو محمد البطال قد وصل ومعه لؤلؤ والملكة زنانير عندها أمرت الأميرة ذات الهمة الفرسان أن يلتقوا بهم من أبعد مكان فلم تكن غير ساعة والامير أبو محمد دخل عليها فلما نظرته قامت اليه قائمة وسلمت عليه سلاما شافيا وقالت له كيف حالك أيها الامير والله لقد أوحشتنا ثم انها أقبلت عليه تسأله عن ماجرى له ومن عقبة فأخبرها بما تم له وكيف خلص الملكة زنانير ولؤلؤ من القسطنطينية واسلام الحكيم ففرحت الأميرة بذلك ثم دخلوا الكل بين يديها وجلسوا فى مجلسا والحكيم اقليدس بصحبتهم فترحبت بهم وعانقتهم وأقبلوا المسلمين يهنوا لؤلؤ بالسلامة والظفر والغنيمة وأما البطال فانه ماتسعه الدنيا من فرحته بخلاص لؤلؤ والملكة زنانير من ذلك الخطب العسير ثم انهم أقاموا على ذلك أيام وكان الأمير عمرو بن عبيد الله يجلس عند الأمير أبو محمد ويسمع منه ماقاساه من الاهوال فى تلك المدة الطويلة وهو يحكى له على ماجرى وهو يتعجب من تلك الاحكام وبعدها قالت الاميرة للؤلؤ ايش عندك من زنانير فربما أتى فى الغيب مالم يكن فى الحساب فقال لها لؤلؤ والله ماأستحسن ان أقابل الملكة زنانير فى ذلك فقالت له الأميرة هاأنا أشرع لك فى ذلك ثم ان الاميرة خلت بالملكة زنانير وقالت لها اعلمى ياملكه ان لؤلؤ قاسا من أجلك الشدائد والاهوال وأريد أزوجك له فى الحال وأحضر لكى القاضى والشهود وأعقد عليكى فماذا تقولين فقالت زنانير ياأميرة افعلى مابدا لك فلست أخالف أقوالك فعند ذلك أرسلت الاميرة احضرت القاضى والشهود وعقدوا العقد للؤلؤ على زنانير وتمت الامور والاصباب وعملت الاميرة الولائم والافراح مده أيام ودخل بها لؤلؤ ونثروا الدراهم والدنانير ولما دخل بها لؤلؤ فمازال عندها من المساء الى الصباح ومن

الصباح الى المساء مدة ثلاثة أيام وبعدها خرج من عندها فهنوه جميع الاصحاب وشكر للاميرة (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء من الخير الجزيل (وأما ما كان) من القاضى عقبة الذليل فانا ذكرنا انه عند منويل ولما أن طالت عليه الايام ولم يبلغ مرام ودع الملك وقال أنا مرادى أمضى الى ملطية لئلا تطول غيبتى فربما ينكرون على فقال له الملك سير فى دعة المسيح فرجع الملعون الى داره واجتمع بولده حصيصة وقال له ياولدى وحق المسيح ما اشتهى ان انظر الى مسلم ولكنى ما أقدر اغيب عنهم خوف من الانكار وجهز ماله وخرج من البلد وسار الى أن وصل الى ملطية فكان وصوله اليها فى اليوم الذى زوجوا فيه زنانير على لؤلؤ فلما أن سمع بذلك الخبر كاد فؤاده أن ينفطر وقال ياليت شعرى متى وصلوا الى ههنا وحق دينى ما أترك لؤلؤ يتهنى بها ولا يوم واحد ودخل على عمرو فقام له قائما على الاقدام واستوحش منه وقال أين كانت هذه الغيبة يا قاضى قال ياولدى كنت فى بيت المقدس الشريف ازور الانبياء والصالحين واعبد رب العالمين فانطلا كلامه على عمرو ثم أن عقبة دخل على صديق له نصرانى وحدثه بحديث زنانير فقال له ياقاضى فنى عمرك وانحنى ظـــهرك ووقعت اضراسك وقطعت أصابعك فى معادتك الى هؤلاء القوم ولا تبلغ منهم غرض ولا تشفى منهم مرض فاترك عنك الحسد وأرميهم عن قلبك وريح نفسك فقال عقبة انى وددت إنى لا أحضر فى تلك الديار فى تلك الايام التى تزف زنانير على ذلك المملوك لؤلؤ وقد حرت فى أمرى وضاع جلدى وصبرى كيف أعطل عليه فرحه ولا أدعه يفرح بها ثم انه خرج من عند صديقه والحسد كاد أن يهلكه ودخل الى عمرو بن عبيد الله وقال أيها الأمير كيف تجرى ذلك الامور ولا تعلم بها حتى انك تطالع بذلك أمير المؤمنين لانك أمير الثغور واليك ترجع كل الامور فقال عمرو ايش جرى ياقاضى قال قد قدم البطال من بلاد الروم ومعه الملكة زنانير بنت الملك صلبوتا وقد املكوها على لؤلؤ وهى من الحسن على جانب عظيم وبالله أقسم ما تصلح جوارى الخليفة التى فى قصره أن يقدموا لها النعال فلو أوصلتها إلى عند الرشيد ليكونن لك اليد البيضاء عنده فاكتب اليه كتاب وعرفه بتلك الأسباب فقال عمرو أكتب يا قاضى فكتب فصل بسم الله الرحمن الرحيم أعلم يا أمير المؤمنين أن امراء قد وصلوا من بحيرة الفلك ومعهم جارية ما رأت العيون ولا تحدث المتحدثون بمثلها ولا شكلها فى الحسن والجمال والبهاء والكمال وقد طالعت بذلك أمير المؤمنين فان أراد الجارية يبعث يطلبها قبل أن يفرط فيها الفرط وتخرج من يدك وعلق الكتاب على جناح طائر فما أمسى المساء الا وهو فى بغداد فأتى به البراج اليه وقراه عرف رموزه ومعناه فلما علم

ما فيه ضرب به الارض وقال ما كتب هذا الكتاب إلا من يريد لنا الأسواء أليس قد قاسوا عليها شدائد وأهوال وأمور وأحوال فكيف ينبغى لنا أن نأخذها منهم وقد قاسوا عليها شدائد وأنا أقسم ان واجهنى عمرو فى أمرها مرة ثانية ضربت رقبته وكتب له كتابا ان يكف لسانه عن تلك الألفاظ واحفظ حرمتك ولا تكثر كلامك وزيل الحسد من قلبك لهؤلاء القوم الذين يحفظون ثغور الاسلام ولو اتكلنا عليك وعلى بنى سليم أخذتنا الروم من بغداد وباعونا فى البلاد وعلق الكتاب فى جناح حمام فما بات إلا فى ملطية ولما ان وصل الكتاب الى عمرو فلم يقدر يعلم به أحد (وأما الأمير أبو محمد) فانه اجتمع بالأميرة وقال قد عولت ان أشرع فى وليمة الزفاف فقالت افعل ما تريد فأمر أن تذبح الذبائح من الغنم والبقر والمعز فذبحوا ألف من الغنم ومثلها من البقر وكذلك فعلت الأميرة والأمير عبد الوهاب وعملت السماطات الهائلات وحضرت الأمراء والسادات من بنى عامر وكلاب وحضرت أيضا سادات بنى سليم وكان عمرو قد أنفذ البقر وصارت الناس تتقرب اليهم بكل مايقدرون عليه وعم الخير على الغنى والفقير وفعل الأمير عبد الوهاب ما أمكنه ثم ان البطال أخذ بيد لؤلؤ وقصد به الى الأمراء فتواثبوا اليه وأجلسوه بينهم وأعطاه كل واحد من الخلع والأموال وشقق الحرير ماقدر عليه وغير ذلك مما يكسوه من بلاد الروم من أطلس ومدخر وفضة وذهب حتى صار عنده شيء كثير فقال لؤلؤ لسيده يا مولاى انى أرى الدنيا أقبلت على بما فيها من المال والنوال وزنانير ما أراها فقال ياولدى الساعة تحضر ثم التفت الى الأميرة وقال لها أين الملكة زنانير قالت تحضر (قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة ظهرت المواشط والنسوان وزنانير بينهم وقد أخرجوها للجلاء وهى كأنها البدر المنير فى الفلك المستدير وهى تتعاجب فى مشيتها وخطرتها وقد لبست من الحلى والحلل مايعجز عن حمله جمل وقلن له يا لؤلؤ تسلم زوجتك وادعوا لسيدك أبو محمد البطال ثم ان المواشط جلوها على الجماعة عشرين خلعة وفى كل خلعة يقوم لها ويأخذ الخلعة (ياسادة) ثم خرجت فى الخلعة الحادية والعشرين فى قباوشربوش وفى وسطها منطقة جوهر مرصعة من ذهب أحمر فأقبل لؤلؤ على الناس وقال لهم قوموا فقد بلغت الأرواح فما بقى غير البوس والعناق وشيل الساق ولمس السقاق فقالت الأميرة كأنه أخذته الصفرا فى رأسه من قلة النوم وكثرة السهر فقوموا بنا فخرجت النساء والرجال ولم يبق الا لؤلؤ والبطال فقال له يا ولدى أبصر كيف تكون واحذر وواضب العناق وإذا انحدرت انحدر الى العراق ومن العراق الى الشام وغرب وشرق وجس وملس وهمس وجمس وطبطب وحطب فقال يامولاى لاتخاف على انافى هذه الفصول فأنا أفعل أكثر مما تقول وأزيد عن ذلك محصول

وقدبلغت المسؤول ونلت المأمول وافعل أبلغ من ذلك واسلك أعظم المسالك ولو أصبح لؤلؤ هالك فتبسم البطال وخرج من عنده وخلاه ولما خلا للؤلؤ المكان التفت الى زنانير وقال يا سيدتى ما بقى الا العمل فلا تخافى فقالت انا لك وبين يديك افعل بى ما تريده فما أحد يمنعك لأنك صبرت صبر الكرام وقد ظفرت بنيل المرام وقد أعطاك ما تتمناه العلام فقال والله ماظننت ان يكون هذا الأدب فقالت إذا كان صاحبك شفيعك فلا تبالى بمن عصاك ولا من يطيعك وإذا كان حبيبك قرب فلا تبالى بمن رضى ولا من غضب (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع مقالها علم انه عندها فى منزلة علية فقام وخلع أثوابه وزاد نشاطه ولها به وأخذ الساقين وصار بين الفخذين وعمد إلى الباب وأقعد النشاب وحرر وقرب وقام القلوع وزاد به الولوع وحل الممنوع فأسيب الدروع وأخرب الأطلال والربوع ولاحسب رجوع وزاد فى العمل ولاأورى تعب ولا ملل (ياسادة) فقالت والله ما كنت أظن أن فيك هذا كله لما كنت أنظر فيك من الزهد والعبادة والآن أنا بين يديك أعمل ما تريد فقال ياسيدتى والآخر عبادة وكل عبادة لها أوقات وأقام معها ثلاثة أيام بلياليها وهم فى أتم سرور وغبطة وحبور (قال الراوى) يا سادة ياكرام بينما الناس وهم فى الثغور آمنين فرحين إذا بالبرج دخل بكتاب إلى الأمير عبد الوهاب فقال خير ان شاء الله تعالى اللهم أعطنا خيره وأكفينا شره وفك ختمه وقرأه وإذا فيه أن الرشيد بالله تعالى توفى إلى رحمة الله تعالى فرجع من الميدان وهو ضيق الصدر متهم الفكر حيران وقد وقع البكاء والانتحاب لما أن علموا الأعراب وقال الأمير عبد الوهاب يالها من مصيبة ما أعظمها هيهات إن كان يخلف الزمان بمثل أمير المؤمنين الذى كان يأخذ بيد المظلومين وينتقم من الظالمين وكان الرشيد ما عنده من خلق الله تعالى أحب اليه من ولده الأمين الذى من زبيدة فلما أن كان ليلة من الليالى قالت زبيدة يا مولاى أعلم أن الموت لابد منه وأن كان رزقك هؤلاء الأولاد وكلهم سادات ولهم جماعات وأخاف أن تقع الفتنة بينهم بسبب الخلافة فقال الرشيد أن أمرنا بالخلافة لواحد منهم يكون فيها كسر القلوب للباقين ولكن قومى بنا فى هدو هذه الليلة حتى نشرف عليهم وأنظر إلى فعالهم وإلى خصالهم وننظر من يصلح للخلافة فقالت سمعا وطاعة ثم أنهما نهضا إلى ماأرادا فأول ما أتيا إلى حجرة المؤتمن رضى الله عنه فرآه وعلى جسده مدرعة من صوف وهو قائم يصلى بخشوع وخضوع وجريان دموع وقد ترك الدنيا من وراء ظهره وأقبل على الآخرة بوجهه فقال لها ما تقولين يا بنت العم قالت أرى غلام عابد زاهد وقد ترك الدنيا وما عليها فقال لها هذا الفتى أفنى شبابه فى

عبادة ربه فلا يصلح للخلافة ثم أنهما انصرفا وأتيا الى حجرة المأمون بالله فوجدوا الشمع تقاد بين يديه وعنده جماعة من العلماء والفقهاء وأهل النجوم وأرباب العلوم وهم يلقون عليه المسائل وهو يخبرهم بأفصح جواب فقال الرشيد ما تقولين فى ولد المأمون قالت وما عسى أن أقول فى غلام فصيح اللسان ثابت الجنان فقال الرشيد هذا ما يصلح للخلافة ثم أنهما مضيا الى مقصورة المعتصم فوجدوه جالس على كرسى من الحديد الصينى وبين يديه الزرد والعدد وآلة الحرب وكل حسام مهند وعنده الصقالة والجلايين وأهل صناعة السلاح وقد أخذ سيف بيده وهزه وهو يقول للصناع هذا عيبه كذا وكذا ويحتاج الى كذا وكذا فقال الرشيد ما تقولين فى ولدى المعتصم قالت زبيدة وما عسى أن اقول انى أرى أسد شديد وشجاع صنديد فقال هذا ولد العامرية ما يصلح للخلافة ثم مضيا الى الأمين واذا بين يديه جوار نهد أبكار كانهن الأقمار عليهن الثياب الرفاع القصار من غير سراويل وهو يدخل يده من كم واحدة ومن ذيل الآخرى فقال الرشيد ألا ترين الى ولدك مثل هذا يصلح للخلافة فقالت أن هو الا بضعة منك قال الكل بضعة منى ولكن مثل هذا ما يصلح أن يكون امام ولا يتولى أحكام ولكن من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ثم عاد الى مجلسه والغيظ كاد أن يخنقه فلم تزل زبيدة به وهى تلاطفه وتلح عليه بالسؤال والمقال من قبل ولدها حتى لأن قلبه عليه وزال حقده ثم أخذ ورقة وكتب له كتاب يقول فيه بفضل بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا ولدى يحفظك الله احفظ العلم وخذ لك نصيب من الفهم واسلك الى الصلاح سبيلا وخذ لك من انواره أكليلا لعل ينشرح بوعظه صدرك ويزداد بالاجتهاد عمك اعلم وفقك الله وعلمك الخير وصرف عنك كل شر وضير ارجع الى الله يا ولدى من قريب وانتهى عن ما انت عليه مريب واذا لم تنتهى بالمواعظ والا نفضتك من يدى كنفض التراب من القبور وطرحتك اطراح ما يمحى من الصدور (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم انه طوى الرقعة واعطاها لمسرور وقال له اعطيه اياها وقال الرشيد لزبيدة قومى بنا ننظر ماذا تعمل فيه المواعظ فمشيا ووقفا من خلف الستر ومسرورنا وله الرقعة فأخذها وعركها وفضها وقرأها وشقها نصفين ورماها قطعتين وجعل ينشد ويقول

وما العيش الا مع الغانيات ٭ صباح الوجوه ذوات الخدور
وشرب المدام بماء الغمام ٭ كذا الاصطباح بجنب البدور
ونابت على وريح زكى ٭ وفرش وطىء وطيب عطور

فهذا النعيم وهذا النديم ٭ بحظ مقيم وطول السرور
ومن بعد هذا وهذا جميع ٭ نفوت القصور ونهو القبور

(قال الراوى) ياسادة فرجع وهو على غاية من الكدر وعول أن يرسله الى خراسان ولم تزل زبيدة بالرشيد وهى تلاطفه حتى انه جمع دولة الهاشميين وقال لهم ياقوم إذا أراد الله أمرا بلغه ومادامت الدنيا لاحد من قبلى ولا من بعدى وان ولى عهدى من بعدى محمد الأمين ابن زبيدة فامتثلوا الحاضرين أمره ووصيته وعدنا الى سياق الحديث وترتيب الخبر (قال الراوى) لما أتت الكتب مع النجاب وسلمه للامير عبد الوهاب ناوله لولده ابراهيم وفكه وقرأه ورجع من الميدان وهو ضيق الصدر واجتمع بالأمير عمر بن عبيد الله وأعلمه بذلك وعلموا الناس فوقع البكاء والانتحاب لموت الرشيد خليفة الاسلام وورد على قلب الأمير عبد الوهاب مالم يرد على قلب بشر وقال يالها من مصيبة ما أعظمها فهو كذلك واذا بالأمير أبو محمد البطال دخل وسلم وقال قد صح عندك موت الرشيد قال نعم وأنه بعد مجيئنا من بحيرة الفلك اشتد بالامام المرض وقد عقد المبايعة لولده الأمين ثم من بعده لولده المأمون وكان قدمات الرشيد سنة ثلاثة وتسعين ومائة وكانت أيام خلافته ثلاثة وعشرين سنة وكان استوزر يحي ابن خالد والفضل ابن الربيع وجعفر البرمكى وتولى الأمين ليلة الخميس ليلة النصف من جمادى الآخر سنة ثلاثة وتسعين ومائة وسارت الأخبار الى سائر الأقطار بذلك الأمر ورجع الفضل ابن الربيع إلى بغداد وقلده الوزراة وضيف الأمين الفقراء سبعة أيام والعلماء مثلها ودخلوا عليه الشعراء يهنوه بالخلافة فكان من جملتهم من رثا الرشيد بهذه الأبيات وهو أويس شاعر زمانه وفصيح أقرانه

ياعين جودى بالدموع دواما ٭ فلقد عدمتى خليفة واماما
جودى على من كان فيه مودة ٭ بين الأنام وسائر الأعواما
لم تصح مذمات الامام ولا بدت ٭ للشمس نورا بعده أعواما
فسقا الغمام ضريحه غدقا كما ٭ كانت يداه على الأنام غماما
لله قبرا ضم منه مكارما ٭ وروى سحاب ثرائه اكراما
عجبا لقبر قد يوارى لحده ٭ شمسا وبحرا فائضا وهماما
لو كان يفدى لافتداه تطوعا ٭ أيضا ولاقوا بعد ذاك حماما
لو كان يمنع سيدا لجلاله ٭ ما أنفدت فيه المنون سهاما
لو كانت الصدقات تحى ميتا ٭ أعطاه صرف الدهر منه ذماما
لهفى على الكهف الذى ما أمطرت ٭ الا وأصبح وبلها أنعاما

لهفى على القبر الذى تحت الثرى ☼ ما كان أمهله فدا ومراما
أودى فاخلف ذكره احسانه ☼ بين الأنام بنجـله اذ قاما
نجل الزمان حيا الورى بحياته ☼ واستيقظوا أيامه أحلاما
من للأرامل واليتامى بعده ☼ ويفقد من هجر الأنام وصاما

إلى أن قال

وإذا ولى المولى الأمين خلافة ☼ أحيا بطول حياته الاسلام

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ووصلت الكتب من العراق بخلافة الأمين إلى الثغور يأمرهم بالانحدار حتى يبايعوا الأمين على الخلافة عند ذلك أخذ أهبته عبدالوهاب والامير عمرو بن عبيد الله والاميرة ذات الهمة وخلفوا الاميرظالم على ملطية وقالوا للبطال انحدر معنا الى العراق فقال ياقوم أن الرشيد كان يرى لنا كل خير وما أقول ان بقى لنا قرار فى هذه الديار فقالت الاميرة ان القوم محتاجين الينا فان كانوا معنا كما كان غيرهم والا تركنا لهم بلادهم ونمضى الى بلاد الآباء والاجداد ونقيم عند بير معاوية وماء النظيم ولم تزل الاميرة تلاطف البطال حتى أجاب وقد علمت الاميرة أن كلامه حقا ولفظه صدقا ورحلوا سادات بنى عامر وكلاب وعمرو وسادات بنى سليم ومقدمين السودان الانجاب واتصلت الاخبار الى بلاد الروم وعلم بذلك منويل فورد على قلبه السرور والفرح (قال الراوى) وبينما هو فى فرحته واذا بكتاب ورد عليه من عقبة يعلمه بموت الرشيد وانك تجمع العساكر والاجناد وتخرب البلاد وتهلك العباد وتكثر الفساد حتى تقع الهيبة عند الخليفة الجديد والا يطمع فيك واقطع الحمل الذى كنت تحمله لابيه ولا تقصر عن ذلك لان الدولة صارت دولتين والولاية والرياسة والخلافة طوع يدى فالعجل العجل ولما علم منويل بذلك قال ان هذا الشيخ ناصح لنا قوى ثم نظر نحو آخر الكتاب رأى ان الامير يرى فى عقبة أكثر من غيره من الخلفاء المتقدمين وأنا سائر إلى بغداد أرمى الفتن بين الخليفة وبين عبد الوهاب وذات الهمة وفى هذه النوبة أملك البلاد وأرض الحجاز ولما أن سير عقبة الكتاب انحدر إلى بغداد فكان وصوله اليها عند وصول الامير عبد الوهاب فى يوم واحد وكانوا قد تجمعوا الولاه من سائر الاقطار حتى انهم يجددوا المناشير من الامام الجديد وكانوا الناس يعزونه فى أبيه ويهنوه بالخلافة ودخل عليه الامير عبد الوهاب ومن خلفه الرجال والاصحاب والاميرة وأبو محمد البطال وانهم لما وقعت أعينهم عليه وهو على دست الخلافه تذكروا أيام الرشيد بالله فزاد بكاهم وانتحابهم وكان البطال أمامهم وقال السلام على الامام ابن الإمام الذى أنار غياهب الظلام وجعل يقول

لاقبلنا فى ذا العزاء فداء ٭ أحسن الدهر بعده أم أساء
حسرات تعامل الصدر حزنا ٭ وحتوفا تفلق لها الاحشاء
ودموع تجرين من أمق العين ٭ دموعا مبدولة بالدماء
كيف نسلو من فارق الجود والمجد ٭ وفاق كل البهاء والعلياء
يا لها من مصيبة عمت الخلق ٭ جميعا وحطت العظماء
وإذا مابدا الأمين بديلا ٭ عاد فينا هذا العزاء هناء

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فهم كذلك وعلى مثل ذلك إذ سمعوا صياح عالى وصراخ نامى وجلبة عظيمة فالتفتت الناس واذا بالقاضى عقبه وقد طول شعره وصبغ أثوابه البيض بالسواد وكذلك عمامته ولبس على بدنه ثياب الحداد ومن حوله جماعة من الكتاب والولاه ولما قرب من محمد الأمين وعرفه وثب له قائما ولم يفعل ذلك فى حق غيره من أهل الأرض وأما القاضى عقبة فانه صاح يالها من مصيبة هدمت سناء المجد وانفجع لها الغنى والصعلوك واظلم محراب الدين وغابت شمس السعادة عن العالمين ودامت للإسلام أسفا وقطعت الاكباد لهفا ثم انه أبكى العيون وأثار الشجون وجعل ينشد ويقول

من زلزل الجبل المنيع المرتقى ٭ وقد توطا منكبى وكونى
من أسكت المنطوق بعد فصاحه ٭ ببراعة وشجاعة ومعانى
مابال وجه الدين أصبح عابسا ٭ من بعد عز دائم اللمعان
انى أرى الإسلام بعد امامه ٭ يدنو بطرف مولع حيران
يا عزنا وامامنا كم زفرة ٭ تدع الزفير وتستحث جنانى
لو استطيع جعلت قبرك ناظرى ٭ وجعلت تربك كحل فى أجفانى
من للخلافة والعلوم ونشرها ٭ بين العوالم فى أعز مكان
من للفتاوى والسلالات التى ٭ مازالت تكشفها بحسن بيان
من للشريعة اذا تطاول ملحدا ٭ لعبادها بالزور والبهتان
من للعلوم المشكلات وشرحها ٭ والقول والتاويل والبرهان
من للتهجد فى الظلام وطوله ٭ فى ليلة وتلاوة القرآن
من فى نهار الصيف يجهد نفسه ٭ صوما ويطلب طاعة الرحمن
مولاى لو نظرت عيونك عقبة ٭ يبكى عليك بلوعة الاحزان

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فابكا العيون بما أتى والشجون أسفا وسالت

الدموع على الخدود دما وكحلت الاجفان عمى فوثب الأمير قائما وقال يا قاضى لقد عرفت كلامك واسمع جوابك ولا لك الا مايسرك وسوف أفعل ياقاضى بما سمعت من الخطاب فقال قل يا مولانا فقاموا الناس لقيام الامام وسكتوا حتى سمعوا الخطاب فقال الامام اسمعوا يامعاشر الناس أجمعين اعلموا أنى أوافى القاضى ما كان يرى الرشيد وأعظم فليفهم منكم من يفهم ويعلم من يعلم وهو مدبر دولتى ومشير خلافتى وصاحب رأيى ومشورتى ومن عاداه فقد كره أيام ولايتى وأقسم إن عاداه كبير أوصغير لاقطعن أنفه والوح قحفه وأجعل يومه كامسه وكان أخوه المأمون واقف بحجبه وهو واقف قدامه فقال يا أمير المؤمنين اعلم أن خير القول أصدقه وأحسن الأشياء من تحققه إن سلك القاضى طريق الخير ويلزم طريق قضاه ويترك من الأمور مالا يعنيه فيكون مكرم عند كل واحد وعلى رأيه المعتمد وان هو سلك طريق الفتن ومشى مع الناس بسوء الظن فهذا لايصبر عليه أحد من الرجال الكرام ولا يرى أحد أن روحه تنام فكما هو عندك مكرم يجب أن يكون عند غيرك معظم وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وأنت تعلم إنى رضيت بما عقد ابيك من المبايعة على انك تحكم بما أمر الله وإن كنت لاتفعل ذلك واتبعت الهوى فانعزل عن الخلافه حتى يتلوها من هو يعلها ولما أن سمع الأمين كلام أخيه المأمون ضربه بسوط كان فى يده على وجهه وصاح على أرباب الدولة فقبضوا على المأمون ونوى على قتله فوثب الأمير عبد الوهاب وباس الأرض قدامه وقال يامولانا لاتفعل ولا تقطع ما بينك وبين أخيك فيشمت بك حاسديك ولو نظر الرشيد فعلك بأخيك لما سره ذلك (يا سادة) وأما ما ذكرت من أمر القاضى فنحن لاجل محبتك له نسير له عبيد وخدم ولا نخرج من طاعته ولا حكمه (قال الراوى) وكان ذلك المقال برأى أبو محمد البطال لأنه قال لعبد الوهاب تلافا قلب الأمين والا قتل أخيه المأمون ونقتل نحن فى هذه الفتنة وان خلصنا من هنا ورجعنا الى ملطية مانرجع نأتى اليه (قال الراوى) وان عبد الوهاب لما قال ما قال هدى فؤاده وخمدت ناره وسكن غضبه وقال هذا الذى أريد منكم ولا ترجعوا ترموه بشىء مما كنتم تقولوه ودعوا عنكم الهوى وانظروا فى عبادة الملك الأعلى ثم خلع على الأمراء وصرفهم من عنده بسلام وأن الامين قد أوقف ألفين مملوك تحجبه وقد خلع عليهم من خزائن الرشيد وان عقبة لما سمع من عبد الوهاب ذلك المقال علم انه من البطال خديعة يطلب الانصراف فوثب عقبة ودخل بيت الحرم وجلس عند زبيدة من خلف

الستارة وقال لها انتى تعلمى انى كنت أنتظر هذه الايام حتى يكون لى قولا وفعلا ونقعد هنا وحق الفرد الذى ليس له قبل ولا بعد فأنا ما أريد للإسلام الا خيرا وما أنا ممن يستحل دم عصفور وأنا ناصح لكم من أجل هذا الاسود عبد الوهاب وأبو محمد البطال وربما زينوا للمأمون ان يطلب الخلافة لنفسه وأنتى تعلمى أن المأمون ابن أمه ولأجل هذا يميل اليهم ويميلون اليه ومن ذلك ماهو لكم صديق ولا محب ولا شفيق وأنا أقسم إن خرج من بغداد سوف يخرج منه ما أقول لكم فقالت له ياقاضى وما يكون العمل والذى تشير به علينا يعمل فقال ياسيدتى تدعى ولدك يدعو عبد الوهاب والبطال وسادات القوم إلى بين يديه ويقبض عليهم وقد أمن شرهم ومكرهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام ومن وقتها أرسلت خلف ولدها وأمرته بما قال لها عقبة وقالت ياولدى ما أشار إلا الصواب وفى ثانى الايام أرسل اليهم فأجابوا بالسمع والطاعة الا أبو محمد البطال فانه تباعد وقال لعبد الوهاب لاتدخل بينهم فانى أخاف عليك من هذه النوبة وأنا أعلم أن عقبة مايسكت عن مكيدة يفعلها وربما دبر على هلاككم فى هذه النوبة الصعبة فلما سمعوا كلام البطال قالوا ادعنا نهلك ولا تكونوا مخالفين لامير المؤمنين فقال البطال افعلوا بأنفسكم ماتريدون ودبروا ماتشتهون فقالوا لابد لنا من ذلك ثم انهم تجمعوا ودخلوا إلى قصر الخلافة فلما وصلوا الى الباب الثانى أخذوا الغلمان سلاحهم وتوكل بكل واحد منهم ثلاثة وخمسة وكان ذلك بوصيه عقبة ولما مثلوا بين يدى الأمين أمر الأمير عمرو بن عبيد الله أن يقبض عليهم فامتثل الامر وقبض على الأمير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة ومالك بن طوق وهارون العلوى وبردا بن الأزهر ومالك بن بشر وسعيد بن الفرج ومدركة وعبد الله ومثل هؤلاء السادات وهم مائة سيد من سادات العرب والأمير عبد الوهاب يقول فى نفسه الإمام يمتحنا ان كنا طائعين أو مخالفين فدعنا نمكنه من أنفسنا ولما ان قبضوهم وضعوا فى أرجلهم القيود وأمر الفضل بن الربيع أن يتوكل عليهم ويمضى بهم الى داره وأمر عمرو بن عبيد الله أن يأتى بالبطال ومن بقى من أمراء الاعراب والسودان ولا يأتى الا بهم ولو كانوا تحت تخوم الأرض فركب من وقته ومعه سادات بنى سليم وعشرة آلاف من أجناد العراق ومضوا خلف البطال ومن بقى من بنى عامر وكلاب (وأما ما كان) من البطال لما أن مضى عبد الوهاب ومن معه الى الامام أقبل البطال على القوم وقال اسمعوا منى لاتقيمون بعدهم يقبض عليكم ارحلوا فى هذه الساعة الى ملطية فأنا أعلم ان الأمراء يقبض عليهم لأنى أشرت عليهم فما قبلوا منى ويد الخلافة لاتطاولها يد فارحلوا وأنا خلفكم فاذا صرتم فى ملطية سوف يشير عليكم ظالم بما تعملون وأما أنا وغلامى

أعود الى البلد فهو معهم فى الكلام واذا بغبار قد علا حتى سد الفلا فقال البطال هذا عسكر قد أتاكم وما المطلوب الا أنا فاذا سألوكم عنى فقولوا مامعنا منه خبر وإنما نحن سمعنا ان أمراءنا قبضوا عليهم فرحلنا طالبين ملطية وتركناه هو وغلمانه يفعلون مايشاؤون وإذا هم قد وصل اليهم وقال ياقوم أين أبو محمد البطال قال مولانا قبض ومن معه من الأصحاب وطلب منا أبو محمد البطال وأنا مالى قدرة أن أخالف الامام وسوف أكون الواسطة فى صلحهم فقالوا مامعنا منه خبر ولكن نحن سمعنا ذلك فرحلنا الى أهالينا فقال عمرو ان كان هذا مقالكم فليأتى معى المقدمين والأعيان يعلمون الامام ان البطال ماهو عندكم حتى يعلم الامام إنى صادق فى المقال فقالوا المقدمين نحن مانرجع عن طريقنا ولا نعود ايش عمل معنا من الطيبات وهل نحن عادمين عقولنا نرجع لمن يجعلنا فى الحبوس ويشتفى منا برأيه المعكوس فقال عمرو إذا لم ترضوا باختياركم رجعتم بغير اختياركم عند ذلك رفعوا أصواتهم بالصياح مانعود أبدا فعندها أشار عمرو على من معه فحملوا عليهم فتلقوهم الاعراب والسودان الانجاب فيالها من ساعة بان الشجاع من الجبان واختلف الضرب والطعان واشتعل نار الحرب وزاد البلاء والكرب وفقدت الأهل والاصحاب وجزت الرقاب وشاب الشباب وتقنطرت من على الخيل الرقاب وهلك فى ذلك اليوم من دنا أجله من العبيد والأحرار ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل إلى أن أمسى المساء ونصرت بنى عامر على بنى سليم وأرموهم بالمذلة والضيم وفنيت عساكر العراق ورجع عمرو مكسور وحار فى كل الأمور وندم حيث لاينفعه الندم وغنمت بنى عامر الاسلاب والخيل وساروا من وقتهم طالبين ملطية وساروا سير الجد فزعا من الطلب لأن العساكر قدامهم فى البلاد كثيرة والجيوش غزيرة (قال الراوى) وكان السبب فى لم العساكر أن الأمين فتح الخزائن وأرسل إلى سائر العرب من بعد منها ومن اقترب والأعاجم والترك والديلم وأما أبو محمد لما انهزم عمرو وعساكر بنى سليم سار ومعه غلمانه خلفه وهو يضحك على ما جرى عليهم حتى وصل إلى بغداد ولم يعرفه أحد لأن دخولهم فى الليل وكان الأمين سلم أخوه المأمون إلى الحسن الى ابن طاهر (قال الراوى) يا سادة ياكرام وكان الحسن ابن طاهر من كبراء الدولة وساداتها وكان له خمسمائة مملوك مشترى ماله كامل العدد والخيل والسلاح وله خدام وغلمان ومحبين وأصحاب وكان الرشيد فى حال حياته يوليه العراق إذا كان فى سفر أو غزاة وإذا كان حاضر ما يبرح من مجلسه وله فى القصر دار مليحة مثل دار الرشيد وان الأمين سم

اليه المأمون وقال له ما أعرف حفظه إلا منك أجعله فى دارك لأن البطال لابد له أن يأتى الينا لأنه هرب ولا نأمن من مكره وشره (قال الراوى) وكان الحسن بن طاهر يرى فى المأمون مالا يرى فى الأمين والأصل فى ذلك أن المأمون كان إذا رأى رجل شريف من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتسب إلى بنى هاشم يرفع قدره ويعلى مجلسه ويجلس دونه ويعطيه كلما يطلب من أمانيه ويقول للحسن ابن طاهر انى أرى فى أولاد على ابن أبى طالب مالا أراه فى أبى الرشيد وإن كان لى دولة لارفعن قدرهم وكان الحسن بن طاهر يحب المأمون من ذلك الوجه وكان الأمين لما ولى الخلافة قتل جماعة من الأشراف يحذر منهم ويخاف من شرهم وكان ذلك برأى الفضل بن الربيع وكان البطال عارف بالحسن بن طاهر وتسلمه إلى المأمون وعنده فيه محبة وكان البطال ينادمه فى أكثر الأوقات ويحدثه بفضل الاشراف وآل بيت محمد صلى الله عليه وسلم ولما أن دخل بغداد دنا من قصر الخلافة فسمع أن المأمون عنده فطاب قلبه بذلك إلا أنه متفكر كيف يتوصل اليه وإذا بغلمان الحسن بن طاهر قد خرجوا من الدار فى بعض الحوائج ولما أن رجعوا اختلط بهم ودخل إلى القصر وتوصل إلى دار ابن طاهر وكان قد أنزل المأمون فى سرادب وهو متفكر فيما يعمل فى حقه وإذا بأبو محمد دخل ودنا منه وكشف عن وجهه ففرح به وقام إلى لقائه وسلم عليه وقال أنت فى ذلك الوقت جئت فى فكرى فى خاطرى ولى الأمور جرت وأشياء حدثت لابد لى منها وأريد فيها رأيك (يا سادة) ثم أن الحسن بن طاهر صرف غلمانه الكبار والصغار وأغلق باب الدار وقال يا أبا محمد أنت تعرف أن المأمون له علينا حق واجب وما يلزمنا من إعانته ويعز علينا ما جرى على الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب من يد ذلك الظالم الغاشم الفضل بن الربيع وعقبة قد صح عندى كفره وما يخفى على أمره وهذا لايتم ولا ينتظم وقد صار عقبة الآمر الناهى وقد عزمنا أن أهرب أنا والمأمون وأبذل مالى وما أملكه فى محبته وأقصد بلاد العجم والنهروان وأدخل بلاد خراسان ولى من المال ألف ألف دينار أنفقها على الرجال وأحمى عنه جهدى وطاقتى وأعمل كلما أقدر عليه من عزيمتى وهمتى فقال أبو محمد البطال نعم ما عزمت وإن تم المأمون ها هنا يعمل عقبة على قتله لا محالة ثم قال قال وأنا الضامن لك فيما تنفقه جميعه من المال يعود اليك أضعافه ولكن قصدى أنا الآخر تشير على فيما أعمل فى خلاص عبد الوهاب فقال الحسن ابن طاهر مالك اليه سبيل وما فى الأمر إلا أننى اذا هربت بالمأمون ما يقدر يفرط فى أحد منهم لأنه يعلم

أن المأمون يرى فيهم ويشد معهم ومع ذلك أنتم لكم مثل ظالم فانه يخرب البلاد ويخسف العباد ويمنع الحجاج فاخرج من عندى من الليل فقد أخرجت غلمانى وانتظرنى خارج بغداد ونادى على الرحيل بالمأمون فقال أبو محمد البطال ما أقدر على الإنصراف ولكن أنا أمضى عند جوهر ومسرور فقال له إن الذى تذكرهم مالهم من الأمر شىء وأن أمر المأسورين بيد الفضل بن الربيع فلا تتعرض لهلاكك وهلاكهما فقال أبو محمد البطال ما أريد منهما الا يخفون أمرى الى أن ادبر روحى (قال الراوى) وأن ابو محمد البطال مضى إلى دار جوهر ودخل عليه وسلم فقال كيف أتيت الى ههنا قال لا تسأل عن حالى بما جرى لى من الأمين وما بنا الا شماتة الأعادى فقال جوهر على ماذا عولت أن تفعل وعبد الوهاب فى مطمورة فى دار الفضل بن الربيع وهى دار جعفر البرمكى قديما وقد توكل بها عقبة وخمسين غلام من الارمن وكل من يتعرض لهم هلك نفسه فقال أبو محمد البطال سوف ترى العجب ان شاء الله تعالى (قال الراوى) يا سادة ياكرام فهذا كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الحسن بن طاهر فانه أخرج المأمون مع أساسه وقماشه ليلا وقد جمع أهله وماله ورجاله وأصحابه وما أصبح الصباح الا وقد قلع من الأرض وأعطى العرب الأموال وكانوا أصحابه يقضى لهم المصالح على أيام الرشيد فسلكوا به البرارى والقفار وقصدوا إلى النهروان من دون البلاد لأن فيها أهله وقومه وأصحابه ووقع الصوت من الغد بهروب الحسن ابن طاهر بالمأمون فعظم على الأمين وكبر لديه وقامت عليه القيامة وشق ثيابه وضرب رقاب البوابين والحرب ولا أحدا يقدر يقف بين يديه وانقلبت عيونه وظهر جنونه ودخل على أمه زبيدة وأعاد عليها القصة فادعت فى عاجل الحال بالقاضى عقبة وكان عند الفضل بن الربيع وأعادت عليه سورة الحال فقال عقبة لاخوف عليكم وما عسى أن يقدروا يفعلون وأنا أدبر على هلاكهم سريع ولكن أنا حسبت لكم ذلك الحساب ولا بد أن يحدث أمر من الأمور فلا تهملوا أمره فربما تقوى شوكته وترجعون تطلعون اخماد النار فلا تقدرون عليها ولا تقبلون اليها ولما ان سمعوا ذلك من عقبة علموا أنه حقا وصدقا فاجتمع الفضل وعقبة عند الأمين فقال عقبة ماترى من الرأى قال الأمين مافى الامر الا تسير العساكر إلى بلاد العجم فى سائر الأقاليم من العرب وغيرها حتى يأخذوه أسير ويأتوا به ذليل حقير وأما الحسن ابن طاهر سوف أجعله عبرة لمن اعتبر وأشهره فى سائر البلاد بين العباد فقال الفضل وان ظفرت بأخيك ماذا تصنع فيه يامولانا قال الأمين أقسم قسما

صادقا ان قتلته الاقبل ان أقتل الحسن بن طاهر ثم انه شرع فى تجهيز العساكر والكتائب والمواكب حتى جمع ثلاثين ألف فارس وقدم عليهم الفضل بن الربيع والأميردان ابن جحفل بن البارع وكان من عرب شائس وما كان وصل أرض العراق قط إلا فى ذلك الايام لأنه قدم لأجل المال والنوال فسار فى مقدمة العساكر وهو يقطع البلاد والأمصار (قال الراوى) ثم ان اللعين عقبة أقبل على الامين وقال يا أمير المؤمنين اعلم أن ترك الحزم من العجز والتقصير فى الأمور ومن سوء التدبير وهذا القصر تجعل لك على كل باب من أبوابه ألف غلام من الترك غلاق الالسن يحرسونه بالنوبة ليل ونهار فان البطال ما يقعد على صاحبه وصديقه عبد الوهاب وأنت تعرف فعاله وقد شاهدت أعماله وما أخوفنى أن يكون معنا فى القصر ففتش القصر كله وأول ماتفتش دارامك زبيدة ولا تأمن على نفسك منه (قال الراوى) فلما ان سمع الامين كلام عقبة فزع على روحه وعول ان يفتش القصر بأسره وان جوهر لما سمع ذلك الكلام اصفر وجهه ورجع على عقبة فقال البطال ما بالك فقال خذ لنفسك النجاة وإلا هلكت وأنا معك فقد جرى من الامر ماهو كذا وكذا فقال البطال هذا شىء ما كان لنا فى حساب فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اعطينى ملبوس الشتاء وهو ازار وخف وسرموجة ونقاب وشعرية ودعنى أخرج فى زى الجوار فأتى له جوهر بما طلب فلبس وخرج من باب القصر وكان أبو محمد إذا لبس لبس النساء يليق فيه وكان عقبة قام من عند الامين وقعد على باب القصر ومعه الغلمان وقد غلق الباب فلم يجد البطال سبيل إلى الخروج فرجع وراءه ولم يدرى أى مكان يمضى وقال ان مضيت إلى دار جعفر يكون سببا لهلاكى وان طلبت الخروج ما أقدر عليه وبقى فى حيرة من أمره فنظر عقبة الى البطال وهو يحتار فى أمره وهو ملفوف فى الايزار فأقبل على غلمان الدار وقال أقسم ان كان هذا الا رجلا لان مشية المرأة تقدم الشمال على اليمين وهذا يقدم اليمين على الشمال وان فاتنى حذرى هذا أبو محمد البطال فقال بعض الغلمان يامولانا نخشى أن تكون جارية من جوار القصر فصاح عقبة صيحة شديدة ياويلكم خذوه فان هذا الخبيث المحتال أبو محمد البطال ولو انها زبيدة ما أهمنى ذلك وان أيام الرشيد ماكان يتم فيها ما أريد وأنا اليوم كل الرعية بيدى ولا يعمل الامام إلا ما أريد ولكن أصبروا حتى نعلم أين يمضى وعند من يدخل (قال الرواى) فلما سمع أبو محمد البطال ذلك لم يقصد دار جوهر خوفا عليه بما سمع من قول عقبة عند ذلك صاحوا عليه الغلمان ولحقوا البطال وقد ضاقت عليه المذاهب وعزت

عليه المطالب ولم يجد سبيل إلى الهرب وزاد عليه الامر فقبضوه قبضا بالكف وكشفوا وجهه فعرفه عقبة وعرفوه الخدام فقام الصائح بالقبض على البطال ومسك عقبة لحيته ويهزها ويقول أنا ما أحدا يمكر مكرى ولا يعمل عملى وان عقبة صعب فى الامر وبلغ الخبر إلى الامين فأعجبه ذلك الامر وقال ما فى الدنيا مثل ذلك الرجل الناصح وكان أبى يرى فيه الخير لان كرامات الاولياء والصالحين والا من أين له أن يعرف أن البطال معنا فى القصر والحمد لله الذى سلمنا منه وما كان يخلص عبد الوهاب ويجرى علينا منه خير أبداً ويقوى جناح أخى المأمون

﴿ تم الجزء التاسع والعشرون ويليه الجزء الثلاثون ﴾

سيرة الأميرة

ذات الهمة وولدها عبد الوهاب

جزء ٣٠ — ٣٩

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم ان الأمين أحضر أبو محمد البطال الى بين يديه بعدان ضربه عقبه علقة إلى ان غشى عليه ولما ان حضر قدامه قال له ياشيطان قد أتيت تخلص عبد الوهاب وان كل مايقوله القاضى فهو صحيح لأنكم منافقين على هذه الدولة العباسية وادعى بمسرور فحضر وقال له وتربة المهدى إذا لم تضرب رقبة البطال لآخذن ما بين عينيك فقال عقبة يامولانا أنا مالى قلب ان أنظر إلى عصفوريذبح بين يدى من خوفى من الله سبحانه وتعالى ولكن من يريد هلاكك لايأخذنى عليه شفقة أبدا وأنا ماأشتهى ذلك فقال الأمين ياقاضى أنت رجل من أهل العلم والعمل تأخذك الشفقة على جميع الناس وأما مسرور فانه شق ذيل البطال وعصب عينيه وولى يأتى بسيف النقمة فدخل على زبيدة وباس الأرض وقال يا سيدتى ان للبطال على مولانا الرشيد رحمة الله عليه خدم كثيرة ومن الحقوق ما أنتى عالمة بها غير منكرة وله أيضاً عليكم خدم وصحبة وما أظهر فى الدولة نفاقا ولا عداوة ولا قال لم غرض الأمين علينا خليفة ولا خرج خارجيا ولا قتل نفسا بغير حق وإنما طلب خلاص عبد الوهاب كما تفعل الأصحاب مع الأصحاب فلا تمكنى مولانا بقتله فربما يندم حيث لاينفعه الندم وارعوا ماله عليكم من الخدم فعند ذلك أرسلت زبيدة تقول ياولدى كأنى فى أمرك فان العجلة من الشيطان واجعل البطال مع عبد الوهاب فى السلاسل والأغلال حتى ننظر مايكون من أخيك وأيضا فان لهم من يطلبهم ولا يغفل عنهم وهو ظالم ولقد علمت ماجرى على أبيك معه فى أرض الحجاز وكأنك به وقد سار اليك ووصل لديك فان أنت ظفرت به فهو المراد وان كانت الأخرى

ترضيه بخلاص من عندك من الرجال ولما ان وصلت الرسالة الى الأمين قال هذا هو الصواب وقال الفضل الذى ذكرته أمك فهو السداد فأمر ان يمضوا بالبطال عند عبد الوهاب فعمل عقبة فى رقبته حبل وكان ثقله خمسين رطل من بين رجليه ويديه وأنزلوه فى المطمورة وكان الأمير غافل عن ذلك وإذا به نازل عليه والحبل فى رقبته فضحك فقال البطال لماذا تضحك يا أسود لا أضحك الله لك سنا فقال الأمير أنا ماضحكت إلا انى مارأيتك دخلت علينا مثل هذه النوبة ولا فى بلاد الروم فقال له اسكت ياعبد الوهاب فاننا من هينا نحشر مادمت انك تخالفنى لأنى قلت لك لاتدخل فما طاوعتنى فعدت أنا من بعدك فأصابتنى هذه المجرى (قال الراوى) فهذا كان من هؤلاء (وأما ما كان) من القاضى عقبة فانه قال للأمين يامولانا استدرك الأمر قبل الفوات ولا تهمل الأمور تدخل عليك الآفات فقال الأمين مادامو هؤلاء فى السجن فانهم يموتوا كمدا والحسن بن طاهر والمأمون أرسلت خلفهم العساكر وكأنك بهم وهم بين يديك يحضرون فقال عقبة مابقى الاظالم تطلب تخرجه من الثغور من قبل ان يطلب خلاص أبيه فالبدرة لمن بدر وربما يهرب إلى أرض الحجاز ولا تبقى تقدر عليه وكان قصد القاضى عقبة حتى تخلى الثغور من حماتها ويرسل لملك الروم يخرج على البلاد ويحيف على العباد ولا يكون قدامه من يمنعه ويأتى إلى العراق وكل الآفاق ولما ان سمع الأمين ذلك قال للفضل بن الربيع ما أعرف ذلك الأمر إلا منك فقال سمعا وطاعة ثم انه جهزه وقال ياقاضى اعلم ان عمرو مامضى فى أمر وأفلح وما يمضى فى تلك النوبة إلا الأتراك فقال عقبة يامولانا لاتغفل فان عقبه خبير بملطيه ومن أين وصل اليها وان يامولانا الحرب له ساعات والشهادة لها أوقات والمعامع لها آفات ثم ان الفضل بن الربيع أحضر العرب الذين قدموا فى تلك الأيام وخلع على المقدمين وكانوا ثلاثين ألف ومائة وسبعين ألف وهم عرب من سائر الطوائف ومن كل الآفاق وقال لهم أن أمير المؤمنين يقول لكم إن أتيتموه بهذا الرجل ظالم فانه يعطيكم أقطاع من حد حلب إلى دمشق وتنقلون أهلكم وأولادكم هناك وتستريحوا من البرارى والقفار فلما سمعوا ذلك قالوا نريد منشور بخط أمير المؤمنين فأخذ لهم خطه وقدم عليهم الامير عمرو بن عبيد الله فى سادات بنى سليم وكان ذلك برأى القاضى عقبة وأردفهم بخمسين ألف ترك (قال الراوى) فهذا كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أمر بنى عامر وبنى كلاب لما انهزموا بعد كسرة بنى سليم على بغداد فانهم ساروا وجدوا حتى وصلوا ملطية ودخلوا على ظالم شقوا الثياب وأدخلوا العمائم فى الرقاب وزادوا فى البكاء والانتحاب وهلبوا الخيل وهشموا الرماح وقالوا أيها الأمير

هذه نوبة عظيمة ليست كالنوب ادرك الأمير والاميرة والافرط فيهم الفرط ونفد الامر فلما سمع ظالم إلى مقالهم ونظر إلى حالهم جعل ينتفض مثل السعفة فى الريح العاصف وقال ياويلكم أوضحوا لى الحال وبطلوا التلويح فى المقال عند ذلك تقدم جابر بن جعفر وأشار اليه يقول

ألا أيها القمقام قد بطل العتب ... وهذى أمور تحتها حادث الصعب
لقد قبضت ساداتنا بظلامة ... ونار الشتاء فى الحوائج لاتخب
فسر نحو أطراف العراق ولاتكن ... جبانا فهذا اليوم قد أمكن الضرب
وان طلب المأمون منك معونة ... فكن له معينا ماله أحد يصبو

(قال الراوى) ثم انه قص على ظالم جميع ماجرى من الأمور وهو كلام يضيق الصدور فما أتم القائل ذلك المقال حتى صاح ظالم صيحة عظيمة تفتت المرائر وكل من سمعها صار حائر وطار الزبد من شدقيه وقامت مقل عينيه وقال مابقى الا الرحيل ثم انه من يومه رحل من ملطيه وقد استخلف أخاه ضيغم وعنده جماعة من سادات بنى كلاب وقال له احفظ البلد ولا تكن مثل غيرك جبان فقال ياأخى ما أحتاج منك وصية وسار ظالم طالب إلى بغداد من دون البلاد وأنشد يقول

اترك الخلق والبلاد جميعا ... واشتغل بالاله عن كل شىء
من توكل على الإله كفاه ... وحماه من كل ميت وحى
فاختلاف الدهور تأتى بغتة ... ورجاء العباد يورثك غى
فسأل الله أن يمن علينا ... بالرضى والهدى بفضل على

(قال الراوى) ثم أن ظالم لم يزل سائر حتى وصل إلى نصيبين فكان وصوله اليها يوم وصول عرو ومن معه من الجيوش فرجعت الطلائع إلى أصحابها وأعلموا أن ظالم وصل وأيضا قالوا لظالم بما وصل اليه من تلك الجيوش والعساكر والدساكر فلم يفزع بما سمع بل رجع إلى طبع العرب والسادات من ذوى الرتب وقال

تفزعنى قومى بكثرة جمعهم ... إذا حملت أبطالها فى الكتائب
وأجدع آناف الرجال بصارم ... صقيل يقد الهام بين المضارب
يكون أبى فى الأسر مع كل سيد ... واقعد يوما قاصراً غير طالب
واشرب ماء باردا بعد فقده ... وكيف يلذ العيش بعد الحبايب
سأترك أطلال العراق خلية ... وأخرب منها جانبا بعد جانب
علينا من الرحمن ألف عقوبة ... ولاشربت روحى شراب المطالب

ولانلت من دهرى سرورا بعيدهم ٭ ولا وصلت نحو الحبيب ركائبى
إذا لم أطالب عقبة بعد فعاله ٭ وكل امرىء يبغى قفار السباسب

(قال الراوى) فهذا كان من أمر هؤلاء (وأما ماكان) من القاضى عقبة فانه نزل من قصر الخلافة يتنسم الأخبار إذ ورد عليه غلام من غلمانه وقال يامولانا على الباب رجل يريد الدخول اليك والوصول إلى بين يديك فقال على به فدخل وقبل الأرض وقال يامولانا هذا كتاب منويل اليك وهو يأمرك أن تمضى اليه لعل المسيح ان يؤخر أجله حتى ينظر اليك نظرة قبل موته فأخذ عقبة الكتاب وفضه وقرأه وإذا فى أوله كلمة كفرهم ونحن وأنتم نقول لاإله إلا الله محمد رسول الله أما بعد فان المسيح يقول ان الموت دهليز القيامة ولا بد لكل أحد من دخوله وهو الذى أفنى الآباء والأجداد ولا ينجو منه أحداً من العباد وقد حضرنى الذى أرهج الملوك وأخلى أسرتها والسادات عند معاقل دولتها وقد حضر القساقسه والشمامسة والمطران والبترك الكبير زعربان وقالوا لى ان المسيح مايرضى عنك حتى يحضر عندك الشيخ النجيح وحجة المسيح ويلقنك كلمه القدس ونحن نقول ان الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ليس له شريك ولا وزير ولا ضد ولا ند ليس كمثله شىء وهو السميع البصير خضعت له الملوك وقمع الجبارين (قال الراوى) ولما أن قرأ عقبة ذلك الكتاب ورأى فيه أن المسيح مايقبل منويل إلا إذا كنت عنده قال ان هذا شىء لم يكن لى فى حساب وبقى لايدرى مايعمل وضاقت عليه الحيل ثم أنه أحضر غلام من غلمانه كان يدخره للأمور العظام وقال له امضى إلى القسطنطينية وربما إنك لاتلحق الملك ثم كتب له كتاب يذكر فيه كلمة كفرهم وشركهم أما بعد أنا فى شغل مايسعنى فيه الحضور اليك وان دخلت بلاد الروم يكن ذلك عقد مذموم وان قعادى فى بغداد فيه هلاك العباد ولعل المسيح يظفرنى بما أريد من هلاك عبد الوهاب لأنى عملت على سجنه ومعه أصحابه ورفقاءه فاذا قضى المسيح بقضا فنحن نجتمع على طول المدا وان قضى عليه المسيح فالأمر اليه من قبل ومن بعد ويعز على ان ينسب اليك الموت فان كان الأمر كذلك يجلس ميخائيل مكانك ولا يكن له همة إلا تجهيز العساكر والعشائر وأنا أرى له ذلك من طريق الدين واليقين وأنا أسأل لك الحواريين وأريد بذلك أن يكون لك هيبة عند الخلق والسلاطين ثم أرسل غلامه مع الذى أتى بالكتاب واعتدوا اليه فى السير فما وصل إلى القسطنطينية حتى هلك منويل وعجل به إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) فهذا جرى ههنا (وأما ماكان) من الأمير ظالم فانه التقى بالعساكر على نصيبين والمقدم عليهم الأمير دارم وجحفل وعمرو

وأنهم لما أصبحوا أرسلوا إلى الأمير ظالم يقولون أما بعد ان النصيحة من الدين وهى واجبة على المسلمين ونحن قد أرسلنا اليك أمير المؤمنين وأمرنا بالقبض عليك وعلى من معك أجمعين ونحن معولين على ذلك والرأى عندنا انك لاتجرد سيف فى وجه أمير المؤمنين فيكون ذلك سببا لهلاكك ودمارك وسلم نفسك تسلم وان كنت تخالف تندم حيث لاينفعك الندم ومعلوم أن الإمام لابد له ان يصلح مع الأمير والأمراء ويذهب الغبن ويأتى الرضاء ولما ان وصلت تلك الرسالة إلى الأمير ظالم أرسل لهم جوابها يقول أما بعد فلا بد لى من القتال والطعن بالرماح الطوال والضرب بالطوال والضرب بالسيوف الصقال وختم الكتاب بهذه الأبيات يقول

سيعلم منى جحفل القوم أننى ❊ إذا ما التقينا جحفل وابن جحفل

(قال الراوى) وما أرسل جواب الرسالة حتى صاح فى الرجال فقاموا الأبطال وفى دون ساعة صف الرجال وعبى الأبطال فقال عمرو للأمير جحفل هذا ظالم أعظم من أبيه عبدالوهاب لأنه أسد الغاب وان كنا أكثر منه فى العدد وأزين فى المدد فانه شجاع الحرب كاشف كل أمر صعب فقال جحفل هذا عندك أنت بعد الأبطال وأما أنا فلا أبالى فقال عمرو وأنت ما تملك الثغور وفيه عين تطرف وإذا أخذناه بلغنا من الإمام كلما نريد ويكون لنا كل يوم أحسن من عيـــد فقال جحفل سوف ترى ما أفعل وقد اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وتزاحمت الألوف وكان يومهم يوم مخوف وزحفت الأبطال إلى أقرانها وجالت الخيول فى ميدانها والشيوخ حملت على شبانها وقطعت الصوارم فى أعناق رجالها وتكاثر ذلك الجمع على الأمير ظالم وزادت العوالم وعملت السيوف البواتر ودارت الدوائر ولم يمنع الموت المغافر وهؤلاء ينادون الأمين يامنصور وهؤلاء ينادون المسلمون يامنصور وقد ضاقت من الطائفتين الصدور وحاروا فى كل الأمور ومن كل جبار فجور ووقعت الفرسان من على السروج وكانوا كأنهم يأجوج ومأجوج (قال الراوى) ولم تزل الحروب قائمة والرجال بعضها إلى بعض متلاطمة والصوارم تقطع والرجال من على ظهور الخيل تهوى وتقع إلى أن دخل الليل وطلع نجم سهيل حتى طلع النهار وقل من الناس الاصطبار وزاد الأمر وقل الصبر وأمسى المساء وكان ثانى يوم أثقل عيار وأقوى أفعال وقتل ارجال وتجندل أقيال إلى أن أقبل الظلام وثالث يوم جرى فيه ما يحير الأبصار من النظار لما قاسوا فيه من الأفعال ورابع الأيام بردت نار الحرب قليل وتصففت الصفوف وتقابلت الألوف وجردت الصفاح وزاد الصياح وإذا قد خرج من عسكر الأمين فارس طويل نبيل فى تقاطيع الفيل كأنه من قوم قابيل تحته حجره دهما وسما كأنها ليلة عتما

اسمها بين الخيول سلبا وبين عينيها غره كالقنديل ومعرفة كأنها منديل وعلى بدنه درع زرد وقد احتكمت أحكامه وعراه فيال بيضاء حبيه ما يتمناه لا يرهب إلى يد ولا يخشى وفى يده قناة سمرا وعلى الفارس حله من فوق درع أحمر وعمامة صفرا وقد تقلد بعمامة خضر من الهند وسقاية السند فلويل كل الويل لمن لاقاه أوقف بين يداه ولما ان اشتهر رفع عن وجهه برقع الزرد وصاح بأعلى صوت مالنا من هلاك الناس من حاجة أين من ينتصر للمأمون ومن يخلص أباه المسجون دونه والحرب وموقف الطعن والضرب وأشار يقول

ألا أيها المغرور كف عن الحرب وسلم إلينا قبل أرديك فى قرب
فان أمير المؤمنين أباحنا دماكم والآخذ الثار بالصارم العضب
ولم يبق يوما للكلابى دولة وقد ادبرت أيامهم فهى كالحقب
فهل مخـبر عنى يقول لظالم بأنى سأسقيه الحمام بلا شرب
وقد أهلك الحجام من بعد أمه وساروا أحاديثا تسطر فى الكتب
وما هو عظم قتل ظالم بعدهم ونملك أقطار البلاد على حرب
ونملك أقطارا من القفر عنوة وأين عبيد الله من سادة نجب
ولم يبق من يخشاه فى ملطيـة وأنت مقيد فى المذلة والكرب
فنحن فحول تعلم النـاس أننا بأن لنا قلبا جسورا على الصعب

(قال الراوى) ولما أن سمع ظالم شعره علم أنه المندم الذى عليه المعتمد حيث قال فى حق الأمير والده وجدته وأنهما قتلا فدمعت عيناه وهم بالخروج اليه وإذا قد سبقه الأمير سيف الحنيفيه وقال يا أخى أناله ولا مثاله وصاح على جواده خرج من مكانه به كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وعليه لامة حربه يطول شرحها ويعجز الواصف عن وصفها وهو يقول

أرى الدهر لا تصفو إليه المشارب له كل يوم فى البرية عاطب
زمانا كثير الغدر مع كل سيد يجازيه بالتفريق عند النوائب
سلام على الدنيا إذا مات سادت كرام أصول من أناس أطايب
سلام على أرض الحامين نلتقى أمـير كلاب والأمور عجائب
سآخذ تاراً للأمـير وأمه إذا صلصلت سمر القنان القواضب
وأترك أطلال الأمير وعقبة يحوم عليه الطير من كل جانب
ولا يطمع المأمون من بعد فقده أمير كلاب إذ دهتـه المصائب

ونأخذ تارات الأمير وأمه ولا نسكن الاطلال وهى عواطب
ونطلب أطلال الحجاز لفقده وان ضاق عنا شرقها والمغارب
فدونك يانسل الكلاب صميدع تعود خوض الليل وهى غياهب
اما سمعت أذناك بيتا تمثلا لقد ذل من بالت عليه الثعالب

(قال الراوى) ولما ان سمع جحفل تلك الأبيات وما نطلق به من الإشارات شاظ غيظا وحنقا وكان بطل لايطاق وعلقم مر المذاق فحمل عليه وقوم سنان رمحه عايه فتلقاه سيف الحنيفية بهمة قوية وتقاتلا وتقاربا وتضايقا وافترقا والتصقا حتى شهدت لهما الرجال لأن ما مثلهما فى العسكر وتقاتلا حتى لم يبق فوق قتالهما قتال وطارت عليهما طيور الآجال وتحكمت السمر العوال وكلت السواعد من النزال ووقع بهما الضجر والملال ولا يزالا على ذلك المنوال إلى أن أذن الله للنهار بالارتحال ونادى منادى الحرب بينهما بالاتصال وان الأمير جحفل لما ذاق حرب سيف الحنيفية وكان قد سأل عنه رجل من بنى سليم فقال له هذا سيف الحنيفية الذى تضرب به الأمثال هذا ابن المفضل إلا زيد والبطل إلا مجد هذا عمدة عبد الوهاب عند الطعن والضراب ولما أن عاين منه فى الحرب ماعاين علم أنه منه بعيد والوصول إليه صعب شديد فوقف ثم ضحك ضحكا عاليا ونادى يافارس العرب لقد تعجبت منك كل العجب والحمد لله الذى لعبد الوهاب مثلك لأنه لايبالى بما يكون ولو نزل به ريب المنون لأنك والله فارس أوحد وبطل مددو مثلك قليل لايوجد ولقد ندمت على كسر قلوبكم بقولى أن الأمير هلك وكان للأمر فيه مشترك لأن الكذب شين والصدق زين وأبوك صديقى من أعوام وسنين ولقد رزقه الله نعم البنين ووالله ياولدى ماهو إلا سالم ومن معه من الرجال إلا كارم لم ينقص منهم أحد ولكنى رأيت شيخا يقال له القاضى عقبة يحرض الأمين على قتلهم وما أخوفنى إذا طالت الأيام يهلكوا الرجال الكرام ولقد خشع قلبى شعرك وكيف ذكرت أن الأرض قد ضاقت عليك من جهة والدك وتقلقلت أحشاى وكدت أن أصرع فى مكانى إلا أنى رأيت ذلك من صفة النسوان لامن صفة الرجال الشجعان وأردت أن أختبرك فى الميدان وأبصر ماتحدثت به فيك الشجعان فرأيت العقول قد قصرت عن إدراك فقال سيف الحنيفية وقد فرح بسلامة أبيه ياشيخ لقد خففت عنى ما كان بى وفتحت لى باب الفرح فقول ما أنت قائل فقال ياولدى أن ماينكر الخير الاكل ندل بخيل وهو أن للأمير علىّ صنائع من الجميل وهو أن تحت يدى مائة ألف عنان وأنا أرجع من وقتى هذا وأقبض على عمرو سيد بنى سليم وتتفرق العساكر

من بعده وأسير معكم إلى بغداد ونخلص عبد الوهاب ونبلغ المراد ونضرب بسيوفنا أمام المأمون (قال الراوى) فقال سيف الحنيفية وقد طار قلبه فرحا على أبيه إن فعلت هذه الفعال ياشيخ يرفع قدرك عندنا لأنك بالمعروف توافينا فقال جحفل وقد أغمد سيفه ورمى قناته أعطنى يدك ياولدى حتى لا أفسد حالى عند الأمين وبعد ذلك تبعدونى وتواقعونى فى الهوان (ياسادة) فأغمد سيفه ومد يده وقد أشغله بذكر أبيه من النظر فى العواقب وجحفل أخذ سيف الركاب أسرع من البرق وضربه فى رأسه شق جبينه فوقع سيف الحنيفية إلى الأرض أسرع من طرفة عين فانكب عليه أخذه وأما ظالم لما علم بذلك حمل كانه جمل وأبان الجفا من الزال وبطلت الحيل وزاد الوجل وكان السابق جحفل عمد يأخذ سيف الحنيفية وقاتلت بنى عامر وكلاب واشتد الطعن والضراب وكان يوم عظيم يشيب فيه الطفل الفطيم وإذا بالسودان وصلوا إلى بنى سليم وخلصوا سيف الحنيفية وعادت الناس وتخلص بعد أن قتلت العوالم وتقدم إليه ظالم فرأى فيه الروح فشدوا جراحه وضمخوه بالطيب وبات ظالم فى أعظم ما يكون من الهم والغم إلى أن أصبح الصباح ركب الأمير ظالم جواده وكان أول من فتح باب الحرب وقد اشتمل بلامته وتقلد بصمصامته وقفر الجواد إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج إليه فارس فأسره والثانى جندله والثالث أراده والرابع ألحقه بأخاه والخامس أعدمه قواه والسادس أهواه والسابع عفره بدماه ولم يزل كذلك فى أسر وقتل عشرين فارس وصاح ياجحفل هذا فعل لا يقبل وأمر لا يهمل تطلبنى للأمين وتغفل عنى اليوم دونك والهياج وكان جحفل رجل خبيث ولما أن ناداه ظن أن ظالم ضجر من القتال ومن طرد الرجال فركب على جواد كافورى أخضر كانه البحر الأذخر وشاهر سيف قاطع ودرع مانع وحمل على ظالم وهو ينشد ويقول

أياظالما لاقاك ليثا غشمشما ❊ مطاعا كميا قسوريا مقدما
يصول على الأعداء فى حومة الوغا ❊ تعود خوض الليل والليل مظلما
أنا جحفل لا انثنى عن مبارز ❊ ولا أرعوى من باسل قد تقدما

(قال الراوى) وبعد الاشعار مد البطلين إلا سنة وقوما إلا عنه وفتحا فى الأرض ميدانا وأجاد ضربا وطعانا وبعد ساعة من النهار اختبروا بعضهما غاية الاختبار فخرج من الاثنين ضربتين قاتلتين وأصليتين كان السابق بالطعنة الأمير ظالم فرقعت فى صدره نور السنان من ظهره وأشار إلى العسكر فحملت وأعنة خيلها أرسلت وصدمت بعضها بعض وجالوا طولا وعرض وصدموا بعضهما بعض ووقعت الرجال على وجه الأرض وشابت

الذوائب وقطعت المضارب ولاح للموت علائم ودلائل وأخذت الناس فى الهرب والسودان تكلب بالعزب فما كان لهم أوفق من الهرب لما لاح لهم لائح العطب فانهزمت بنى سليم وتبعت أهل العراق وقد لحقهم الهم والضيم وملك الأمير ظالم الأموال والرجال ونهب وسلب وخيل ومتاع ماله حد محدود (قال الراوى) ورحل فى أعقابهم طالب العراق ونهب القرى والسواد وأهلك خلق كثير وأخاف العباد ووصلت عساكر الأمين إلى بغداد وهم على غاية من الذهل والانكاد وقامت الناس على قدم وساق وقالوا العوام من يكون هذا الصعلوك حتى يضرب فى وجه الخليفة بالسيف (قال الراوى) ودخل الأمين على أمه وأخبرها بالقصة فصعب عليها وكبر لديها وأرسلت الى الفضل تقول أما بعد فان ما يفهم أرباب الدولة أصحاب الهمم على رقاب سائر الأمم الا حتى يكفوه الأمور ويقوه كل محذور فان كان فيك أن تذب عن أمير المؤمنين وتحامى من حوزة الدين وأنت بالأموال والرجال ممكن وأمين وان كان قلبك لايطيق ما أقول فانعزل عن ذلك الشغل ودع غيرك به مشغول على انى لا أعرف للرشيد ذنب الا قتل البرامكه وأنت كنت السبب ومن يوم هلكوا ما رأينا لك عسكر منصور ولا أبصرنا عدونا مكسور ولما ان وصلت الرساله اليه أرسل خلف عقبة فلما ان حضر حدثه بما جرى وان ظالم أسر العساكر وأول ما يطلب أنا وانت فضحك القاضى ضحكه باردة وقال طلبى من هو أقوى منه جنان وأطول سنان ولم يقدر على ذلك الهزيان بل لعبت بعقله وأخذته على غفله منه ووثب من عنده ودخل على الأمين وسلم وقعد وقال اعلم أيها المولى ان الآمال ما تصل اليها الرجال الا بالمال وأنت قد ورثت من أبيك خمسمائة خزانة فى كل خزانة خمسمائة ألف دينار ومن حولك عسكر ما يقصر عنه حساب الحاسب ولا يدركه ديوان كاتب والرأى عندى انك تنفق خمس خزائن وقد أتوك الرجال من كل مكان وجانب فقال الأمين ياقاضى ها أموالى بين يديك افعل بها ماشئت ان تفعل لا اعتراض عليك عند ذلك كتب عقبة الكتب الى كل مكان وبذل الأموال وفرق على العرب الذين من أعمال البصرة والطماعه والمفسدين فأتت اليه الناس من كل مكان وجانب ووصلت اليه عساكر خراسان حتى قد اجتمع فى بغداد ستمائة ألف ووصل الخبر ان الأمير ظالم قد ملك الموصل ونصيبين وأربل والبوارنج وتكريت رونا وعكبرا وبقى بينه وبين بغداد قدر فرسخين وعقبة يقول للعساكر والفضل بن الربيع لا ترحلوا من مكانكم وافعلوا جميع ما أقول لكم وعلى الضمان أن ما يسلم منهم أحد وان رحلتم فلا آمن عليكم ثم ان عقبه ادعى بالأمير وضم اليه خمسة آلاف وامره أن يسير الى المحول ويكمن هناك وأمر الأمير هدبار

الكردى الديلمى ان يأخذ عشرين ألف من الديلم وعشرين الف من الأكراد ويكمن بهم عند قرية زبيده الخاص وجماعة من العرب للامير غيلم ابن جعفر البصرى وكانت العرب تضرب بهم الأمثال وكان قد ضمن غفارة البريه من أرض البصرة الى أرض الحجاز من أجل مشاجرة جرت بينه وبين أخيه مرداس واقام الفضل بن الربيع مكانه بباقى العساكر والجنود (قال الراوى) فهذا جرى هنا (واما ماكان) من ظالم لما ملك البلاد أرسل الجواسيس تنظر اخبارالقوم فوجدوا الدنيا مختبطه بالرجال مايقدر الطيران يطير وكل ذلك كان من عقبة حتى لايطلع أحدا على المكمن وان غلمان البطال كانوا ببغداد يطلبون خلاص الأسرى فما وجدوا لهم سبيل ولما نظروا ما فعل عقبة والفضل بالمكامن قال لؤلؤ لمن معه من الغلمان هذه والله نوبة عظيمة وان تم على ظالم ذلك الأمر وحصل بين الكمنا هلك بمن معه لا محاله فقالوا فكيف يكون العمل قال لؤلؤ الرأى أننا نقصد ظالم ونعلمه بالكمنا من قبل ان يحصل بهم وهم كانهم البحر الزاخر فقال له نعم ما رأيت ثم انهم ساروا حتى وصلوا اليه ولما وصلوا اليه فرح بقدومهم وسألهم عن الأمير ومن معه من الرجال فأخبروه انهم فى قيد الحياة الا انهم فى سجن الأمين فقال الحمد لله وقد زاد نشاطه وظهر ابتسامة وقال هذا قصدى عند ذلك اخبروه بالكمنا انهم متفرقين فى المواضع فقال هذا ما يمنعنى عن مرادى ثم أنه جمع مقدمين الأعراب والسودان الانجاب والملك البطليموس والكندفرون وقال ياقوم اعلموا أن من تضرب رقبته بالسيف ما يبالى ان كان السيف يمانيا أو هنديا أو افرنجيا وكذلك أنا ماأبالى من أحدوانا نيتى ان أخير روحى على أهل الأرض فى الطول والعرض وما أبالى أى موتة أموت فقالوا كلهم عن لسان واحد افعل ماشئت واصنع ما هويت فما منا أحد الاترك الدنيا وراء ظهره فشكرهم واثنى عليهم وعند الصباح أدعى بالملك البطليموس وقال خذ معك من العسكر وانفرد فى هذه الجهة وتخرج عليهم اذا خرجوا عليها وضم اليه خمسة آلاف من بنى عامر وكلاب ثم ادعى براشد بن ضمره وضم اليه عشرة آلاف وقال اقصد الى اليسرى وكن هناك مكمنا ثم ادعى بقرارة بن بكار وهو أفرس من ركب الجواد وكان من الفرسان المعروفين بالحرب والجلاد وضم اليه ثلاثين الف عربان وسودان وهو كانه الأسد الغضبان وقد قل الموت فى عينه وهان (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأماماكان) من عقبة والفضل فانهم كانوا جالسين فى خيمة واحدة والعساكر مقيمة يطلبون الاذن فى لقاء ظالم قبل وصوله اليهم وعقبة ينهاهم عن ذلك ولا يمكنهم من ذلك وهو لابس السواد يزعم انه حزين على الرشيد وقد حلف انه مايلبس بياض حتى

مايبقى أحد من أعداء الأمين لاعدو ولا حاسد ولا مبغض وهو يحرض الرجال ويخلع عن السادات الخلع الغوال ويعطى الهبات ويفرق الأموال المتكاثرات ويقول ما أسعد من قتل من هؤلاء فانه يدخل الجنة بغير حساب لأنهم يطلبون هلاك أمير المؤمنين وهم منافقين على هذه الدولة العباسيه ومع ذلك ان الامام وعد أن من قتل ظالم أعطاه بوزن رأسه ذهبا غير الخلع والأموال وكل واحد من الطاعه يقول أنا له ولأمثاله (قال الراوى) ولما أن كان وقت الظهر وإذا قد بان لهم غبار حتى سد الأقطار وغيهب شمس النهار وعاد الوقت كالليل عند الاعتكار وأقبل الأمير ظالم وأشرف على العساكر والعشائر وفى دون ساعة وقعت العين على العين وتبادرت المعشرين وصاحت الرجال من سائر الجنبات وركبوا على ظهور الصافنات وهزت السمر الخطيات واشتهرت السيوف المشرفيات ونفرت الوحوش من الغابات وحجب القفار نور الشمس فلم تنظر السموات وكانت الخلق بعدد الجراد والنبات وسحبت الرياح ذيولها من الجنبات وأشرف الأمين من باب قبة الذهب ينظر النصر لمن يكون من هذه الطوائف القادمات ومايجرى بينهم من الكائنات وأما القاضى عقبة لما رأى إلى تلك الحالات أخذه الزمع والفزع من هذه الأمور المقضيات وقال فى نفسه ماهو بكثير ينكسر ذلك العسكر وأقع أنا فما كان أحداً لى ينفع وأصير فى بلية وأقع فى هذه الأمور الصعبة فصاح فى الفضل بن الربيع وقال ماهذا الانتظار البدرة لمن بدر أمر بالعسكر بالحمله وأمر الكمنا ان تخرج عليهم ولم يبق منهم باقية (قال الراوى) هنالك أشار الفضل إلى الرجال بالحمله فحملت الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب وفى دون ساعة بانت العجائب وقحمت العجاج وعاد النهار كأنه الليل الداج وقوموا الرماح وعملت الصفاح وارتفع من الطائفتين الصياح وزهقت الأرواح من الأشباح وجاء الجد وبطل المزاح وضاقت الأماكن الفساح وانغلقت الأبواب وضاع المفتاح وامتلئت بالقتلى الأماكن وسمحوا بالأنفس بعد ما كانوا بها شحاح وخرجت الكمنا من سائر الجهات والجلبات وفتك فى الرجال ظالم وطعن بالرماح وضرب بالصارم وفلقت الرؤوس والجماجم ونشرب من الشجعان العمائم وجزت الغلاصم وجرت على الأرض سواقى الدما وأقبل الليل والناس تهوى وتقع على ظهور الخيل وأظلم عليهم الليل ودهم الناس الهم والويل فالتقى الأمير غيلم ابن جعفر بالأمير ظالم وجرى بينهما حرب دائم مالاعين رأت ولاأذن سمعت (وقد قال القائل) ان ماجرى لاحد مثل ماجرى بينهما لأنهما كانا كأنهما جبلان تصادما أو بحرين تلاطما أو كبشين تناطحا عند ذلك ضايقه ظالم ولاصقه وسدعليه طرائقه وضربه على عاتقه طلع الحسام يلمع من علائقه وتوكلت السودان والحبشان بعساكر

الأمين وكان يومهم متين زمجرت فيه الأقران وعبست الفرسان ووصلت أصحاب ظالم إلى صاحب العلم الذى كان للخليفة معقود وتحته الفضل وعقبة فصاح الأمير ظالم على من معه من العوالم فدار من حول العلم خمسة آلاف من الفرسان وحمل بالسودان والاقران فنظر عقبة إلى ذلك الكردوس وقد حمل بريد العلم فأيقن بالهلاك والعـدم ففزع وارتاع وارتعب وصار لايدرى إلى أى الطريق يذهب وما كانت إلا لحظة حتى أدركهم ظالم وطلبت عساكر الأمين أن تمنعه فلم يقدرون عليه ولا وصلوا اليه وفرشوهم على التراب وأذاقهم ظالم أليم العذاب وداسهم بسنابك الدواب وضربت منهم الرقاب وفرشوهم على وجه الصعيد وذلت الأحرار والعبيد ووصل ظالم إلى الفضل وضرب حامل اللواء وقع إلى الأرض صريع وقبض على أطواق الفضل واقتلعه من سرجه وبطل هرجه ومرجه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما نظرت الناس إلى العلم وقد نكس والمقدم قد انعكس وقد صار فى قبضة ظالم وقد حل به العظائم فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وطلبوا الأهل والديار ولم يعقل الأخ على أخيه ولا الولد على أبيه ولم تزل الرجال تقتل والسؤال لايقبل بطول ذلك النهار وخرج من سنابك الخيل شرر النار وماجوا تلك الخلائق كأنها البحار وملك الأمير ظالم الخيام وما فيها بحدا الحسام ونظر الأمير بالله من المنظرة إلى ذلك فتيقن انه هالك وقال ماهذه إلا نوبة عظيمة وشورة مذمومة وأظهرت بنى عامر وكلاب شدتها وأبدت سطوتها وحملت السودان بحملاتها ودنوا من بغداد يريدون أن يملكوها فوجدوا السماريات والعشاريات والسفن الكبار والصغار قد مضوا إلى الجانب الآخر من الدجلة لأجل الحصار وكانت الدجلة فى أوفى مايكون من الزيادة فطلب ظالم العبور فلم يقدر ولا وجد له سبيل وأدرك الناس المساء وبقى على غاية من الهم والغم من ذلك الأمر فقالوا غلمان البطال أيها الامير لايهمك ذلك فنحن غدا أن شاء الله تعالى ندبر لك فى العبور فلا زلت مؤيدا منصور وبات الأمير ظالم على جانب الدجلة وقد غنموا من الغنائم مالاعين رأت ولا أذن سمعت (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان عقبة من أول مارأى ظالم وقد صمم على العلم فارق الجيش وعبر إلى الجانب الآخر ولو كان ظالم تبع عسكر الامين لما أنهزم لما كانوا قدروا على قطع الجسر وإنما كانوا اشتغلوا بنهب الاموال والرجال وان عقبة لما سار إلى الجانب الآخر أمر بقطع الجسر وأخذ المراكب ثم انه مضى إلى الأمين ماذا يكون ياقاضى قال يامولاى من هذا كان يفزع الرشيد ولكن لاتخاف فماهناك إلا الخير وإذا زاد الأمر وقدروا أن يعدوا الينا فأنا أدبر لك ماتفعل مع أنهم لاسبيل لهم إلى الوصول اليك ولا القدوم عليك وبات ظالم على جانب الدجلة إلى أن أصبح الصباح فأحضر ظالم غلمان

البطال وقال أريد منكم ماوعدتمونى به من العبور فقالوا سمعا وطاعة أيها الأمير نحن اليوم ننظر إلى المراكب التى فى ذلك الجانب ونصبر إلى الليل ونعبر اليها سباحا ونسوقها كلها إلى عندك ثم أقاموا إلى أن دخل الغلس بظلام الليل واختلط الغتام وقل الكلام فرموا بأرواحهم إلى الدجلة وسبحوا إلى الجانب الآخر فوجدوا الناس على الشاطىء جانحة فتقدموا إلى معبر يريدون أن يدخلوا منه على أنهم يسحبوا بعض المراكب وإذا برجال توائبوا عليهم وكانوا أكثر من عشرين رجل قبضوهم قبضا بالكف وكان ذلك من عمل عقبة وتدبيره لأنه قال لابد لغلمان البطال يعملون شيئاً وربما أتوا سباحا فرتب تلك الرجال وأصاب فيما عمل وان الأمير ظالم انتظر غلمان البطال طول ليلته إلى أن أصبح الصباح فيأس منهم وأعلم أنهم أخذوا فجمع قومه وقال لهم كيف الرأى فى العبور من ذلك البحر الزاخر (قال الراوى) ياسادة يا كرام فقال رجل من الملثمة أيها الأمير ما لهذه الدجلة قرار فتأخذ البقر من القرى والسواحل واذبحها كلها ونضجها وملح جلودها ثم تنفخ الجلود حتى تصير مثل القرب وتربطهم مع بعضهم بعض بالحبال وتركب أنت والجماعة عليها وقد عبرتم بهذا الحال وتجدبون خيولكم على أيديكم ويكون معنا الرماح الطوال والسيوف الصقال فاستصوب ظالم ذلك الرأى وأمر السودان أن تمضى إلى القرى والسواحل ويأتون بالبقر (قال الراوى) ياساده يا كرام فما كان الا شىء قليل حتى أتوا بشىء كثير لايحصى له عدد فأمر أن تعرى من جلودها ففعلوا ونفخت وربطت بعضها فى بعض وركبت عليها الامراء والسادات والابطال والاقيال إلى أن وصلوا إلى جانب الدجله الآخر ونظروا أهل بغداد إلى فعالهم وفى أيديهم الحرب الرقاق مجنبين الخيل العتاق فقامت الدنيا على قدم وساق وماجت الأرض بأقطارها والدجلة من جوانبها ووقفو أهل بغداد ومن يدعى العياقة والشطارة وعساكر الامين وقد عظم الشان وظهر الكتمان وقد صبرت العرب والسودان وهم كانهم الغيلان وكان يوما عظيما مانظرت مثله العيان ولا سمعت به الاذنان إلى أن وصلوا إلى الشاطىء ورمت الرجال بعضها على بعض وتضاربوا بالسيوف طولا وعرض واختلطت العرب والعجم وعاد الوجود عدم وزجر الشجاع ودمدم وحمل ظالم ودهم ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل إلى وقت العصر وقد أنكشف الرجال من الساحل وحل بهم الويل الواصل وحصل على الشاطىء أكثر من مائة ألف من الرجال إلا أن العرب أكثرها ركبت الخيول العربيات ورموها إلى البحر سباحا فاندهلت الناس مما رأوا وعاينوا وأمسى المساء ولم يبق أحد من أصحاب ظالم الا وعبر بأمواله ورجاله وعبروا الخيل والعدد ولبسوا

على أجسادهم الدروع والزرد وتقلد بكل حسام مهند وكان ذلك اليوم مثله مايوجد وبات الامير ظالم وهو يقول لابدان أدخل إلى القصر وآخذ الامين من قبته وأرمى حجارة قصره إلى البحر (وأما) الامين فانه لما رأى إلى ذلك قال هذه دولة قد آن أوان خرابها وماكان قبضنا على عبد الوهاب بصواب لأنه سببا لهلاك هذه الدولة وما كان رأى عقبه الا رأى منكوب وشورته مذمومة وإذا به دخل وقال يامولاى لاتحمل على قلبك لاغم ولا هم فان زحف عليها بأبطاله ورجاله أخرج عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب وقدمهم من فوق الاصوار التى للقصور وهول عليهم بالقتل يرجع عنك ظالم ولا يقدر يهجم ولا بدلى ماأدبر على هلاكه فى هذه الليلة قريب غير بعيد فان تم لى ما أريد فهو المراد ومسرة الفؤاد (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما أن سمع الامين ذلك المقال سلا من قلبه ما كان يجده من الغم والهم والكرب وأما غلمان البطال فان عقبة لما قبض عليهم أنزلهم إلى عند سيدهم فى المطمورة ولما أن نظر إلى غلمانه أيس من الخلاص فقال أن هذه نوبة عظيمة إذا كانوا كل يوم يأتوا بأصحابنا قوم بعد قوم وسأل عبد الوهاب عن ولده ظالم فأخبروه أنه سالم فطاب قلبه وقوى عزمه وفرح بأخذ الفضل وقال والله أن الفضل أشد الناس عداوة لنا لاكان ولا استكان ولا عمرت به أوطان وأن عقبة قام من عند الأمين وقد نجح بباله حيلة يعملها ما سبقه إليها أحد من الناس وذلك أنه أدعى بمائة من العرب عرب الحجاز وضمن لهم على سرقة ظالم عشرة آلاف دينار فقالوا كيف نعمل فى حقه وهو كانه الأسد فقال أنه مايفكر فيكم لأنكم كلكم عرب ولا ينكر حاله عندكم بسبب ولا سيما إذا ستركم الليل بستوره والغياهب وإنى أقول لكم أيضا كيف تفعلون وذلك انكم تمضون إلى العسكر وتختلطون بهم فاذا علمتم أن العيون قد نامت والأصوات همدت تمضون إلى سرادقه تأخذوه إذا هجم عليه الكرى ولكم المال الذى ذكرت وإذا لم تقدروا على أخذه تذبحوه فى مرقده وإذا لم تقدروا على ذلك تقصدوا إلى آنية الماء وتوضعون فيها ذلك الدواء فقالوا ياقاضى دع عنك هذا كله نحن نضمن لك هذا كله عن يد رجل يقال له مالط السلال معروف بسل الخيل وسرقة الرجال وأخذ الأموال وهو من الرجال الموصوفين للمهمات والشدائد وحسن العمل فقال وأين الرجل أحضروه وعلى الضمان بكل مايطلب من المال وأيضا كلما ضمنته لكم لاأرجع فيه فغابوا ساعة وأتوا ومعهم الرجل وهو شيخ كانه شيطال طويل الساقين مفتول الذراعين مقلوب العينين خفيف الذراعين فلما أن رآه عقبة عرف الشجاعة فيه وإلى فراسة عقبة الانتهاء فقال له ماسمك ياشيخ فقال اسمى مالط فأعاد عليه ماقاله

عنه العرب فقال ياقاضى طب نفسا وقر عينا فما أنا إلا كما تريد وفوق ماتريد وأن شئت أسرق ملوك الهند وولاة السند وعدول البصرة وأجمع أموالهم فى كرة فقال ياهذاتقدر تأتينى بالمشار إليه ولك على كل ماتريد فقال سمعا وطاعة فقال عقبة خذ معك من يساعدك من هؤلاء العرب حتى يعينك على ماتفعل فقال يامولاى ماأحتاج إلى أحد أنالى من العمر ستين سنة ولا ليلة تمضى إلا وأسرق فيها أما فرس أو رجل أو حمار أو شىء أبيعه بجملة من المال وها أنا ماضى إلى ذلك الرجل الذى ذكرت فكون منتظر قدومى عليك فى نصف الليل ثم مضى الشيخ مالط السلال وما خطر كلامه على بال عقبة لأنه سمع منه شىء زائد عن الصفة وظن أنه هذيان وفشار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فما مضى من الليل إلا شطره حتى أقبل مالط إلى دار عقبة وكان عقبة نزل من القصر إلى داره وهو قلق لأجل انتظاره وقد عول عقبة على الهرب وإذا بالشيخ داخل عليه على أكتافه شىء يحمله ومن حوله أربع رجال معهم أربع سيوف مسلولة كانها صواعق وكانوا هؤلاء الأربعة أولاده يمشون معه فى كل امر مهم وأما أسماؤهم فكان الأول اسمه ثعلب والثانى أبو البرق والثالث المخايل والرابع أبو السحاب وكل واحد منهم فى طبقة أبوه فى السرقة والمكر والخديعة وأن مالط حط الذى على أكتافه قدام عقبة وأذا به الأمير ظالم وفى فمه أكرة وهو مكتوف اليدين والرجلين فقال له كيف قدرت عليه ياشيخ وهو البطل الذى لا يرام والأسد الهمام قال الشيخ أخذته وهو غارق فى بحر الكردى نائم وأنا المعروف بوطىء رقاب الرجال فى ظلام الليل وسل كل أطواد الخيل كانى سهيل فقال عقبة ابشر بالغناء إلى الأبد الذى لافقر بعده ولكن امضى بنا إلى الخليفة وهو معك حتى آخذ لك من الخليفة ما يغنيك فنهض عقبة ومالط أخذ ظالم على أكتافه والأربعة أولاده ودخل إلى القصر ولما وصل إلى الأمين (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان الأمين فى تلك الساعة مانام ولا دخل عينه منام من كثرة الفزع والجزع ولما أن رأى عقبة قال ماوراءك ياقاضى وهل معك فرج قال نعم يامولانا هذا المحمول ماأقول لك على اسمه حتى أوصله إلى المطمورة عند أبيه وأكتفى شره ومكره ثم سار به إلى المطمورة وأنزله فى قعرها ورجع إلى الأمين وقال يامولانا لابد للعساكر تتفرق والجيوش تتمزق هذاظالم الذى قاسا منه الرشيد فى أرض الحجاز كل أمر صعب فلما ان سمع الأمين ذلك المقال فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد لأنه كان أيقن أنه منه هالك فقال ياقاضى هذه يد بيضاء ما أقدر أكافئك عليها فسير بنا إليه فلا بد لى فى هذه الليلة من قتله لأن فى قلبى منه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى ففرح عقبة بما قاله وقام بين يديه حتى وصلوا إلى

المطمورة وإذا بأشخاص وقوف وفى أيديهم السيوف المذهبة والدبابيس المعرقة ولما نظر عقبة إلى ذلك أنكره غاية الانكار ومسح عينه الصحيحة وقال من أنتم أخبروا أمير المؤمنين فقالوا ياقاضى نحن السادات الكرام الانجاد والاخلاء الأحباب الذين نقطع منكم الرقاب نحن أبطال الاعراب هذا عبد الوهاب وهذه ذات الهمة الضاربه بالسيف القرضاب وهذا البطال قارع الباب وهذا مالك أسد الغاب وهذا فلان وهذا فلان (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى ذلك سبب ياله من سبب يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب وذلك ان عقبة لما عمل على غلمان البطال وأخذهم من الشاطىء وأنزلهم فى المطمورة فقال البطال لغلامه لؤلؤ اعلم ياولدى مادخلت قط إلى سجن وأنا خالى من الحديد إلا فى تلك النوبة فهل فيكم أحد معه شىء من العدة فقال لؤلؤ طب نفسا وقر عينا مافينا أحد إلا ومعه من المبارد والمثاقب والسكك فى وسطه ففرح البطال وقال يالؤلؤ أنا أعرف ان أسنانك أحد من السكاكين أقرض كتافى فلم يزل يقرض كتافه حتى أضعفه وتمطى فى باقيه قطعة عند ذلك خلص البطال الباب الذى فى رقبته أولا وأخذ بعده من لؤلؤ مبرد وبرد القيود ولم يزل يعافر فى المطمورة إلى أن فتح الباب ومضى إلى دار جوهر فلما رآه فرح به وقال ما كان من الأمين ومن معه أو تكون خلصت وحدك وتركته فيكون ذلك سبب هلاكه فقال الكل قد خلصوا فقال فى قلبي غصه قال جوهر هذه مفاتيح الخزانة افتح وخذ من السلاح ماتختار فأتى البطال إلى خزانة السلاح وأخذ السلاح وأتى إلى الأمراء ولما ان تكامل عددهم قال عبد الوهاب ما انتظاركم نملك القصر بما فيه حتى نبلغ من عدونا المراد فقال البطال ماهذا صواب ولكن اصبروا فأنا أعرف عقبة وحاله ولا بد أن يعود الينا فى هذه الليلة ولا بد أن يدبر أمر من الأمور ثم انه عمد إلى باب المطمورة وغلقه كما كان وصبروا الأمراء مكانهم وإذا بعقبة أتى وأنزل ظالم ولم يعلم ان الرجال خلصوا ولما ولى عنهم نظروا الأمراء إلى الذى نزل اليهم وإذا به ظالم فخلصوه مما هو فيه وسلموا عليه وسلموا له عدة وفتح البطال باب المطمورة وصعدوا فما خرجوا الجميع إلا وعقبة قدام الأمين وقد أتى يريد ان يقتلهم ومعه الحجاب ومماليك الدار ومعهم الشيخ مالط وأولاده والخليفة وأجناده ونظروهم الأعراب فرفعوا أصواتهم فى ظلام الليل وانطبقوا عليهم ووقع الصائح وعملت الصفائح وان ظالم سبق الكل وطلب عقبة ليضربه بالحسام فغدا هارب وللنجاة طالب فعطف على مالط وضربه قسمه نصفين وإلى نحو واحد من أولاده والثانى والثالث والرابع هنالك ارتفع الصياح والصراخ فثارت أهل القصر من البيوت والمقاصير واستيقظوا

النيام من الخدام والجوار والمماليك وأما الأمير عبد الوهاب فانه قبض على الأمين وثرت بنى عامر وكلاب الرجال نثرا وأبو الهزاهز وظالم رموا فيهم الصوارم وصعدوا الرجال من فوق الأسطحة والحيطان وسبق البطال إلى باب القصر وغلقه وصمم هناك هياج الكردى واحتياطا على عقبة حتى لايسلم من تلك النوبة الصعبة وقد أضمروا على قتله (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم ان الأمير عبد الوهاب نادى وأقسم بالله العظيم الذى مايرمى سلاحه لأضربن رقبته فرمت الرجال والخدام سلاحهم لما أن أيقنوا بموتهم وملك القصر فى أقل من ساعه وان البطال أقبل على ظالم وقال ياولدى اركب وامضى إلى عسكرك من قبل ان يعلم بك أحد بأنك عدمت تتفرق الناس فاذا رأوك اطمأنوا وإذا كان عند الصباح ازحف إلى القصر ونادى المأمون يامنصور ويجيبوك عوام البلد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فخرج ظالم إلى عسكره وقومه وأما الأمير أبو محمد البطال قلب القصر وجوانبه فلم يجد لعقبة خبرولا أثر فمسك الجوار وعلقهم من أرجلهم فما أحد أنبأ عن عقبة خبر وأما عسكر ظالم هجموا البلد وهم يقولوا المأمون يامنصور وصاحوا العوام بمثل ذلك خوفا من السيف وغيظا من الأمين إذ هو فى أول ولايته فعل فى حق الأمراء تلك الفعال ودخل ظالم القصر وزالت دولة الأمين كأنها لم تكن وتقدم ظالم إلى أبيه وقال ماهذا الانتظار أرسل فى هذه الساعة إلى المأمون يأتى ويأخذ الخلافة فقالت الأميرة هنا رأى آخر قالوا وما هو الرأى فقالت لاتقتلون الأمين ولا تفعلوا فيه فعل بل ارسلوا خبف المأمون فاذا أتى إلى ههنا يتولى أمر أخيه يفعل معه مايريد والأمين بين أيديهم قائم على الأقدام وهو يبكى وقد صار فى مقام الذل والخبال وندم حيث لاينفعه الندم وقد صار فى قبضتهم جزاء بما قد فعل فى حقهم وعزم الأمير عبد الوهاب على انفاذ الكتب مع النجابة إلى المأمون وإذا بالستر اشتال وعشر سرارى من الخواص قد خرجوا من خلف الستارة وفيهم الست زبيدة بنت القاسم وهى تبكى وتنذر ولدها وتدق بيدها على صدرها وقد لبست السواد من ثياب الحزن والحداد فلما رأتها الأميرة وثبت قائمة على الأقدام كيف انها خرجت على الرجال الأجانب من خدرها وأيضا الأمير عبد الوهاب كذلك وقد نصبوا لها الجوار كرسى من الأبنوس والعاج مصفح بالذهب الوهاج فجلست عليه وقالت للأمير عبد الوهاب اعلم أيها الأمير ان المحسن يحسن لمن أساء اليه ولا يندم على ماوصل من الأذية اليه وأنت تعلم أن الأمين ماله ذنب ولا غرض وإنما حمله على ذلك النميمة والكلام وان كنت ماترعى له حرمة ولا تتولاه فارعى مابينك وبين أبيه الرشيد والا لأجل انى ماخرجت على رجل أجنبي قط الا ان كان على القاضى عقبة

لأجل أنه من أهل كتاب الله فلا تضيع حرمة ولدى الأمين واتق رب العالمين فى أمرنا وان كانت المدة انقضت فلا اعتراض على الله فيما يفعل ثم انها زاد بها الأمر نخافت على ولدها من القتل فبكت وأشارت اليه تقول

ألا يا أمير المؤمنين وليثهم ✡ تفكر أيام الرشيد الموافيا
ولا تنس ماقد كان فى الدار ساكنا ✡ وأدركتهم والناس من كان راضيا
فقد كنت بين الناس أدعى عزيزة ✡ فمذ مات أضحى العز بالذل واهيا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما سمع الأمير من الست زبيدة تلك الأبيات بكى بكاء شديد ماعليه من مزيد حتى كاد أن يغشى عليه وكذلك الأميرة ذات الهمة وسائر الأمراء والأصحاب أيضا البطال الا ظالم وأبو الهزاهز وسيف الحنيفة فانهم لم تدمع لهم عينا لأنهم تذكروا ماصنع بهم من البلاء وقالوا الجميع لا بد لنا من قتله ولو كان الرشيد ماسك بيده واتفقوا فيما بينهم سرا وتحالفوا على أن يحلوا به المهالك (قال الراوى) وان الأمير لما فرغ من بكائه وثب قائما وقبل الأرض قدام الأمين وأشار الى الثرى لاثما وخاطبه بأمير المؤمنين وأقبل على الأميره وقال لها ما ترين من الرأى قالت ياولدى وما عسى أن أرى وما فى الأمر الا أنك تخرج العساكر وتمضى الى ملطية والأمين بالله على الخلافة كما أراد أبوه الرشيد ولا تدخل بين الأخين ودعهم يدبرون نفوسهم بما أرادوا فقال نعم ما رأيتى ولكن اطلبوا عقبة أينما كان (قال الراوى) ففتشوا جميع القصر ولم يتركوا فيه مكان الا وفتشوه فلم يجدوا لعقبه أثر ولا جلية خبر (قال الراوى) وان الأمير أبو محمد وظالم لم يعجبهم ذلك العمل وقالوا للامير ماهذا صوا وما كان الامين الا لقتل جواب فقال الأمير قد أعطيته ذمامى ولا ارجع فى كلامى ولا امكن منه أحد وان تعرض له أحدا بسوء علوت رأسه بحسامى واستمر الأمر على ذلك وخرج الأمير من القصر بعد ماودع الأمين ووالدته وقبل الأرض بعد وخرجت معه أمراء العرب ومقدمين السودان وأقام فى بغداد إلى يوم الجمعة وخطب الخطيب ودعا للامين فوق المنبر وبعد ذلك مضى الأمير الى الجانب الآخر من الدجلة وعول على الرحيل وقد تشرفه الأمين وأعطاه الثغور دون عمرو بن عبيد الله فأبى عبد الوهاب ذلك وقال معاذ الله أنا ما أنسى جميل عبيد الله وما فعل فى حقى أتركه لأجل أبيه أن يكون عمرو الا أميرنا وقائد جيوشنا فأحضره الأمين وخلع عليه وعلى الباقيين من أكابر بنى سليم من الخلع الفاخرة وأصلح بينه وبين عبد وصاروا فى فرح وسرور وغبطة وحبور وقد عزموا على الرحيل واذا قد وصلت الأخبار من الثغور على أجنحة الطيور أن ملطية قد أشرفت على الأخذ من ملك الروم ميخائيل

وقد نزل عليها بألف ألف وثمانمائة ألف وان الأمير لما سمع ذلك عول على الرحيل والجد والتشمير لعله أن يلحق الثغور من قبل أن تؤخذ الا ظالم وسيف الحنيفية وقفوا وكذلك أبو الهزاهز على خلاف الأمير وقالوا هذا لا يوافقنا ولا يعمل بعملنا ونحن لا نقعد عن نصرة الذى أمدنا وهو المأمون فقال سيف الحنيفة وأنا معكم ثم انهم اتفقوا على ذلك وعند الصباح يرحل الأمير من ناحية ونحن من ناحية ولما ان كان نصف الليل أرسل ظالم يحرض أبو الهزاهز فأرسل له الجواب يقول أنا قد حلفت لاأرجع عن ماأنا عليه عازم وقد أوصيت سودانى فكن أنت على أهبة من أمرك ورحل ظالم فى الليل وعند الصباح أرسل عبد الوهاب إلى أبو الهزاهز وسيف الحنيفية يقول رأيتما مافعل ظالم كيف أنه رحل بغير علمى فقال أبو الهزاهز نعم انه رحل إلى الكوفة من أجل زوجته صباح بنت الملهب لأنها أتت من أرض الحجاز ومعهم عرب كثير وقد اقسم انه لا يدخل تحت طاعة الأمين ولابد أن ينصر المأمون وأنا وسيف الحنيفية كذلك فقال عبد الوهاب دع عنك الحماقة يا كلب العرب فقال الحماقة عند هؤلاء الكثيرين الغدر ونحن مانطيع من يجعلنا فى الحبال ولما أن وصل الأمير عبد الوهاب ذلك الجواب التفت إلى أبو محمد البطال وقال له ماأعرف رجوع ظالم الا منك فقال سمعا وطاعة وركب جواده ووصل إلى المكان وقال اسمعوا ما أشير عليكم ياقوم ارجعوا الينا ولا تغضبوا علينا فما لكم عندنا الا الحبوس والقيود فى كل حين وبالله أقسم لولا استقبح فراق عبد الوهاب لما وافقته يوما واحد بعد طول الصحبة وماكنت الا معكم وبعد ذلك لوى أبو الهزاهز عنان جواده وسار وله شخير وزفير ورجع أبو محمد الى عبد الوهاب وقال أيها الأمير أنا والله سلمت من أن يضربونى السودان بالسيوف لأنى خاطرت معهم بروحى وقلت لهم ارجعوا ففزعوا على ولولا سيف الحنيفيه لكانو قبضوا على (ياسادة) فظن الأمير أن كلامه حقا وصدقا وقال مابقى الا الرحيل إلى الديار لعل ان يلحق قبل الكفار وسار يحث الركاب (وأما) الأمين لما علم من الجواسيس ان ظالم رحل إلى ناحية أخيه قال مادام عبد الوهاب معى لاأبالى ثم أنه أرسل الكتب إلى الشام وديار بكر والحجاز والعراق وبلاد العجم والديلم وهو ينشط العساكر تأتى إليه وأيضا منتظر العساكر الذين أرسلهم لأخيه المأمون (قال الراوى) ولحق الأمير أبو الهزاهز للامير ظالم وساروا يد واحدة إلى أن وصلوا إلى الكوفة وكان وصول زوجته بنت المهلب ومعها من العرب خلق كثير انضموا إلى ظالم صار فى عشرين ألف أبو الهزاهز معه عشرة آلاف وساروا قاصدين إلى المأمون إلى أن وصلوا إلى بلاد العجم فسألوا عنه فقيل انه فى غرنه وانتصر له أهلها فجد ظالم فى سيره حتى وصل إلى غرنه

وفى ذلك اليوم كانت عساكر الأمين اشرفت على أخذ البلد وطلبوا من دغفل الأمان فقال لا أمان لكم عندى إلا أن تسلموا إلى المأمون والحسن بن طاهر وكانوا أهل البلد عولوا على ذلك وإذا قد أشرف عليهم ظالم ومن معه من الرجال إلا كارم وزاد غبارهم ونما حتى وصل إلى عنان السما فقال دغفل لرجل من أصحابه يقال له فاتك وكان فارس شديد وبطل صنديد وضم إليه مائة ألف فارس وقال له يا ابن العم أن الأمين بطأ عليه خبرنا فظن اننا عاجزين عن المأمون والحسن بن طاهر وأنا فى ذلك اليوم أتسلمهم وان هذه العساكر قد قدمت علينا وانا ما أريد منهم ناصر فليضمون من حيث أتوا فأنا قد قضيت الحاجة وان أبوا عن ذلك فاعلمنى حتى أردهم على أعقابهم وهم صاغرين فقال فاتك أيها السيد وإذا لم يرجعوا فأنا أردهم هزائم وآخذا أموالهم غنائم وسار قدام الجيش حتى وصل إلى إلى ظالم والسودان وقدامهم أبو الهزاهز ولما وصل فاتك قصد إلى ظالم وعلم أنه المقدم أشار اليه باسلام وقال أيها السادات الكرام والأمراء العظام فما ذا أتيتم ولاى أمر تعنيتم فان كنتم نجدة من عند الأمين فالأمير دغفل قد قضى الحاجة وسوف تبطل اللجاجة واشرف على أخذ المأمون والساعة يتسلم البلد فانه ما يحتاج اليكم ولا إلى نجدتكم فما استتم كلامه إلا وأبو الهزاهز صاح صيحة عظيمة دعره وقال أرجع إلى صاحبك وقل له قرب منك الأجل وخاب الأمل وبطلت الحيل وانا أبو الهزاهز مهلك كل بطل فقال فاتك وما فى نيتكم تعملون فقالوا نصطفى الخلافة للمأمون لأنه أحسن ما يكون ويملك الأرض شرقا وغربا بعدا وقربا (قال الراوى) ياسادة ياكرام قال فاتك والله يقصر باعك عن ذلك يا كلب السودان واخس العبيد ثم أنه صوب السنان إلى بين يديه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه ولما رأى أبو الهزاهز ذلك انقلب سواده إلى بياض وصاح يا ابن العواهر سوف ترى عن ما أنت قائل وكان ظالم عارف فاتك أنه من الأبطال فقال لأبو الهزاهز خذ حذرك منه لانى قد سمعت عنه وعن دغفل صاحب عجائب وغرائب وكنت أتمنى أن التى الامـــير دغفل فى الحرب لانه من الاقيال وهو الذى يقال فيه

إذا اجتمعت أبطال نجد وغيرها ... من العرب فى صداتها والزلازل
وضاقت على الإنسان فى حومة الوغا ... مذاهبه فى معرك الخيل فاسأل
عن البطل الفحل الهمام الذى به ... يقام سنان العز والمجد دغفـــل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام عند ذلك تقدم أبو الهزاهز إلى فاتك وقوم السنان فتلقاه فاتك بصدر منشرح ثم حملا على بعض وارتجت من تحتهم الأرض وتطاعنا طعنا أمر من

الصبر وأحر من الجمر وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وبعد قليل وصل رمح فاتك إلى صدر أبو المزاهز فضربه بالحسام طيره وزعق عليه وطابقه وضايقه وضرب بيده إلى درعه ومزق بطنه وجذبه أقلعه من سرجه فحملت أصحابه بين يديه يريد خلاصه من يد قناصه هيهات هيهات فتلقتهم السودان كأنهم الجان أشبعوهم ضربا وطعان فولوا منهزمين وإلى دغفل طالبين عند ذلك زمجر وشخر ونخر وقال ياويلكم وكم يكونوا هؤلاء حتى أسرفاتك فقال بعضهم يكونوا ثلاثين ألف فقال فاتك أرغم أنفه من كان يقدر يخرج من بين هؤلاء العالم ولو كانوا بعدد النجوم فقالوا يا أمير دع عنك ذلك الكلام واستعد لضرب الحسام وتفليق الهام قد وصل إليك ظالم ابن الأمير عبد الوهاب الذى ملك أرض الحجاز وأذل الأبطال فى البلاد (قال الراوى) عند ذلك أقبل على من حوله من المقدمين وكان عسكرهم ثقيل لأن عسكر خراسان قد انضاف إليه حتى صار فى مائتين ألف ترك وعجم وديلم فصاح فى عساكره وأبطاله وجنوده وأقياله وانحرف إلى ظالم ومن معه من الرجال إلا كارم واما أهل البلد من أول ما رأوا إلى غيار ظالم كيف ركب دغفل إليه وفعل ما فعل وقد جردوا السيوف وبانت الحتوف واصطفت الصفوف وعلمت أهل البلد أنه وصل إلى دغفل عدو فامسكوا عن تسليم المأمون بعدما كانوا عولوا أن يسلموا إليه وكان المأمون عول أن يهرب لأنه أيس من الحياة وأيقن بالغتام وهو يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأنشد

إذا ساعدتك ليالى الدهر فى غرر ... لاتأمنن وكن منه على حذر
فالدهران سر يوما كاملا فله ... مصائب حيرت للعقل والبصر
كم من لئيم حوى سعدا وتخدمه ... أكارم الناس بين البدو والحضر
وكم كريم أصيل عارف ورع ... مخفوض مقداره بالاسر مغتدر
فنسأل الله يغنينا ويسعدنا ... يوم الحساب بطه سيد البشر

(قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا والمأمون يقول يامن قهر سلطانه كل سلطان يامن خضع له كل انسان يامن بيده رقاب الإنس والجان بدلنى بعد خوفى أمان بحق محمد سيد ولد عدنان (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصلت اليه العساكر وهم ينادون أمير المؤمنين المأمون ورجع دغفل فقال لقومه ومن حوله ياقوم ماأحسن الفرج من وسط الضيق والحرج وطار قلبه فرحا وقال أرجو من الله الفرح القريب (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان المأمون يحفظ القرآن بالروايات وله اتصال بالعلوم المشكلات وعلم النجوم والعربية والنحو والمنطق وما كان يوجد فى عصره مثله فى الكرم المفرط والزكاء والفهم

والمعرفه وكان ذا قدر عظيم (قال الراوى) وكان مع ذلك محبا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه مروءة ودين وكرم للمسلمين ولا يأتيه قاصد ويرده خائب ولا يحقر فقير ولا يراعى غنى وانه لما علم بذلك قال للحسن بن طاهر هذا والله مالم يكن لنا فى حساب ولا قرأت هذا فى كتاب أما تعلم من هؤلاء الذين انتصروا لى من دون العباد فقال الحسن لا والله يا أمير المؤمنين فقال المأمون أن كان أحد انتصر لى صحيح مايكونوا الاسادات بنى عامر وبنى كلاب فقال الحسن ياأمير المؤمنين أن الأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب كما تعلم فى المطامير التى تعرفهم وأيضا ساداتهم وغيرهم مايقدروا على شىء من ذلك ثم انه أرسل جواسيس وقال لهم خذوا خبرا لقوم القادمين الذين ردوا عنا ذلك الشيطان دغفل قال الجاسوس سمعا وطاعة وغاب إلى وقت الظهر ورجع يخبران القوم معهم سلطان السودان أبو الهزاهز وظالم ابن الأمير عبدالوهاب وقد احتكم الأمر بالبراز بين ظالم وبين أبو الهزاهز فطاب قلبه وسر فؤاده وقال لولم يكن فيهم الاظالم ومعه العرب والسودان كان فيه الكفاية والله ماقصروا عنى الذين أتوا إلى نصرتى ولا غفلوا عن معونتى ومن يكون أعلى منى محبة لبنى عامر وكلاب بما فعلوا معى وإذا لم أرعى لهم ذلك الفعل لارعانى الله (قال الراوى) ياسادة يا كرام فقال الحسن بن طاهر أن هذا الفرج الذى أتانا من وسط الشدة لابد ان يتحدث به الناس إلى قيامة الساعة ولقد فعلت السودان ومقدمهم أبو الهزاهز فعل جميل أركب أنا وغلمانى ونكون مساعدين لهم فقال المأمون ما هذا صواب يا أمير حتى ننظر النصر لمن يكون (قال الراوى) ياسادة يا كرام (وأما ما كان) من دغفل فانه لما صاح مقابل عسكر ظالم خرج على جواد ملهوب كأنه ريح الهبوب بحافر مقلوب صبور طلوب وطىء المركوب وأشار يقول

ظالم جاءك الموت من كف دغفل ... يبيد صناديد الوغا بالمهند
وتبكى عليك النائحات لأننى ... سأتركك طمعا للعقاب المسود
فدونك ماتختاره من غضنفر ... تعود ضرب الهام فى كل معهد

(قال الراوى) فلما ان سمع ظالم مقاله بعد ماشاهد اقباله قفز اليه على جواد خلوف وفى يده حسام أحسن ما يكون من السيوف ودرع يمنع عن صاحبه الحتوف وقد شخصت له الناس الوقوف وحمل بقلب ملهوف وأجابه يقول

سيعلم دغفلا أنى ظالم ... أذا مارمت أبطال كرام
وسارت أجسم الأبطال دوما ... على البطحاء من ضرب الحسام

ونار النقع من كروفــر ٭ وغاب الجو من كثرة القتام
وجاءت نحوك الأبطال تبغى ٭ عيونك انها عــين اللئام
وتندم حيث لا ينفعك ندما ٭ من الموت المبرح فى الأنام

(قال الراوى) ياساءة يا كرام ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه فتقاتلا وتناصلا وتعاركا وتماحكا وزاد بهما الوجل وعملا أوفى عمل وصارت الأعين لهما ناظرة وزاد الغبار وغابا عن الابصار وهما فى قتال وجدال وأخذ ورد وهزل وجد والحديد اذا وقع على الحديد طن وقد أقاموا فى الحرب الشديد والطعن الأكيد والأمر السديد فلله درهما من بطلان شديدان ومازالا على هذا القتال الى أن خرج منهما ضربتان واصلتان قاتلتان صائبتان كان السابق بالطعنة دغفل فحصلت فى صدر جواد ظالم مرقت تلمع من دبره وطعنة ظالم وصلت الى صدر دغفل مرقت تلمع من ظهره فوقع عن الجواد فقفز ظالم صار على ظهر جواده وحمل على من والاه فقال بعض المقدمين ايش نقول للخليفة اذا رجعنا بلا قتال ولا نزال عند ذلك حملت الأبطال على الأبطال والرجال على الرجال ولعبت الخيل برؤوس السادات وتمنى الجبان الممات وكلت الرماح الخطيات والسيوف المشرفات ووقع بالناس الضجر والملال وذهب المحال وما ثبتت عساكر الأمين إلا قدر ساعة من الساعات وولت الأدبار وركنت إلى الفرار وتشتتوا فى السهول والأوعار وملك الأمير ظالم أثقالهم وأموالهم وخيامهم وأرسل ظالم يستأذن فى القدوم على المأمون فجلس المأمون على سريره وأقام بين يديه الحجاب من الاتراك والحسن بن طاهر يحجبه والخدام قيام فى خدمته ودخل عليه الأمير ظالم وأبو الهزاهز ومقدمين العساكر وخاطبوه بأمير المؤمنين وفرح المأمون وقرب ظالم إليه كما كان الرشيد يعمل بأبوه الأمير عبد الوهاب وساله عن أبيه فاحكا له القصة من أولها إلى آخرها (قال الراوى) وأن الحسن بن طاهر لما جرى ذلك طمع أن يكون المأمون أمام العصر حتى يكون صاحب الرأى والتدبير فكتب الكتب إلى بلاد العجم إلى يوقاشان يعرفهم أن المأمون هو الامام ويوعدهم بالأموال وأرسل إليهم التحف وطلب الرجال والاقيال فتسارع إليه المالك والمملوك والغنى والصعلوك حتى صار عنده مائة ألف وفيهم خمسين ألف من الديلم يرون فى المأمون دون الأمين وجعلوا يأخذون الأهبة للحرب والطعن والضرب وفى قليل وصلت الأخبار إلى الأمين أن المأمون قد جمع أهل همدان وبلد ساوه وقليشان وأهل أصفهان وأعمال فارس وقد طاعوه أهل غزنه والرى وكرجان وأهل تشاوز إلى أرض بلخ وفتح باب كوسان وأطاعته سائر الأقطار فقامت عليه القيامة وأحلت به الندامة (قال الراوى)

وكان الفضل بن الربيع لما أصلح عبد الوهاب والأمين رجع إلى ماكان عليه فى خدمة الأمين جيش العساكر والجيوش وكاتب الكرج وسائر الامم وأرسل إلى الطائف وعدن وأرض الحجاز وصنعاء واليمن وأهل الشام وديار بكر ومصر إلى الصعيد الأعظم وإلى القيروان حتى تجمع عنده خمسمائة ألف غير عساكر بغداد ولما تكاملت عنده العساكر والجنود فرق عليهم العدد والزرد وأنفق عليهم مائة خزانة من الأموال وقد أتاه خمسين ألف من الاكراد ومن الأرياف والجبال حتى ضاقت بهم الأرض والوهاد وقد برز الأمين على تل عفور وأقسم لابد له أن يهلك المأمون ومن يلوذ به على أعالى الرماح وبعد ذلك طير الطيور إلى الثغور يطلب فرسان بنى عامر وكلاب والسودان الانجاب ومقدمهم الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب لما رحل من بغداد قاصد إلى ملطية وجد فى السير وإذا بصابر المرعشى لاقاه فى الطريق فسأله عن حال البلد فقال يامولاى إلحق وإلا ماتلحق لأن ملك الروم ميخائيل نزل عليها بعساكر عدد التراب وقطر السحاب وما أقول أنك تصل إلى أخذ البلد لأنه فى عزمة قرية وله من الهيبة والقوة ماهى فى الملوك الذين من قبله (قال الراوى) وكان ميخائيل فيه هذا الفعل لأنه كان جبار جسور على الأمور والاخطار عند ذلك سار الأمير وجد فى سيره حتى أشرف على البلد وقد رأى منها ثلاث بدنات وثلاث أبراج وصاحوا الرجال والنسوان والشيوخ والشبان والامير ضيغم يقاتل ويناصل من دون الباب والعيون تدمع والقلوب تخشع والرؤوس تقطع والأسنة تلمع والأرض من النجيع تكرع والنفوس من الموت تشرب كاسات جرع والرايات ترفع وسحائب الدما تهمع والحسام فى العظام يقطع وجفت الالسن من الخوف والفزع وضاق بالناس المتسع وانفطرت المرائر من الهلع وتشوشت العقول من الفزع والجزع وبلى ضيغم ومن معه بمالا يدفع وكم جهد أن يدفع أو يصنع ورق حبل الرجا وتقطع وولولت النسا خوفا من الفضيحة والشنع فكم من فؤاد قد انصدع وكم جبان طلب النجاة فلم يجد إليها مدفع وكم من شجاع خالطه الخوف والفزع وكم من جواد من الجماجم وقع وكم من حامل سقطت قبل أن تضع لما عاينت هول المطلع وصاحت الشوخ إلى المرجع (قال الراوى) فهم كذلك وعلى مثل ذلك وإذا بغبار قد بان وطلع وأظلم منه الآفاق وانقشع حتى سد الخافقين واسترجع ثم علا ذلك الغبار واتسع وبعد ساعة بان من تحته رماح تلمع وسيوف تسطع وخيول تدفع وحديد يتشعشع (قال الراوى) ولم تزل الأبطال قادمه والغبار عاتمه وظهرت سادات عامر وكلاب والسودان الانجاب وفى مقدمة القوم البحر العباب والأسد القلاب والسيف القرضاب

الامير عبد الوهاب وهو يصيح يا آل عامر يا آل كلاب ما أحسن الفرج بعد الضيق والحرج ولما علم ميخائيل بذلك الأمر تأخر عن البلد وأخذت الاسلام فيما كان وقع حتى يأمنون عاقبة ذلك العسكر ونظر ميخائيل إلى عسكر الأمير عبد الوهاب فاستقله فى عينه وأخذه الطمع ولا يعلم أن فية كل أسد صميدع وقال للملوك أعلموا أن المسيح قد أخلف بين كلمتهم وفرقهم من بعضهم وأهلك طليعتهم وموته سبب هلاك العالم وقد أتانا هذا الاسود الزنيم فى قلة وأنا أقسم بالمسيح بن مريم والبيت المقدس وإلا وقدت الصليب بالخشب فقالوا له يا ملك لأى شىء هذه الايمان الصعبه قال أن قصرتم عن قتال عبد الوهاب فى تلك النوبة لا تتقمن منكم لأن هذا ذل وشنار وتسقط حرمتنا عند كل قس وشماس وعند جميع الناس إذا منعنا عبد الوهاب عن مرادنا بتلك العصابة اليسيرة فقالوا نحن إلى لقاء اشوق من العطشان إلى الماء البارد الزلال لأن ما منا أحدا الا وحسره على أخوه أو أبوه (قال الراوى) وأما الأمير والسيد الخطير لما قرب منهم لم يمهلهم دون أن نادى بكلمه الاخلاص المنجيه يوم القصاص التى يغفر بها ذنب كل مذنب وعاص وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وأيضا كبرت الأميرة والعرب وجدت الرجال فى الطاب وكادت الأرض بهم أن تنقلب وعضت الخيل على لجمها وقطعت من شدة الحرب حزمها ورشحت جلودها ونضجت كبودها وصبرت الرجال على غمها وهشمت العظام لحمها فكم من روح قد فارقت جسمها وفرق عسكر الأمير بين تلك العساكر وعظمها وكلت الصافنات من تواتر صدمها ووقعت الرجال من ظهور الخيل وحل بالنصرانية الذل والويل وصارت الدما على الأرض كانها سيل وعاد النهار من كثرة الغبار كالليل ومالت الرجال عن السروج وكانوا كانهم يأجوج ومأجوج ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والسؤال لا يقبل ونار الحرب تشعل إلى أن مضى النهار وارتحل وأقبل الليل بظلامه ورجع كل قوم إلى مقامه لأن الليل يمنع الرجل عن مراده واضرمت النار وتحارست الفريقان ونزل عبد الوهاب فى مقابلة. ميخائيل وقال البطال أيها الأمير اعلم أن هذا عسكر ثقيل ولقد رأينا منهم فى ذلك النهار أمرا وبيل ورأيت منهم صبر ما أعهده منهم الآن فقال للبطال نعم لأنهم من حمية ملكهم لأنه أشجع من أخيه منويل وكلما نظرت الكتائب إلى ملكها صبرت كصبره ومع ذلك أنهم فى عالم عظيم ولو صبروا ولم يقاتلوا وسلوا أنفسهم الينا ما نفرغ منهم فى شهر ولا فى اثنين وما لهم الا الحيلة وإلا توقفنا معهم طويل ولقد قتل منا جماعة يعزوا علينا وبان فينا النقص ولم يبان لكثرتهم ولعمرى لقد قتل منهم ناس كثيرة ولا بان فيهم وأنا أريد أدخل

اليهم أنا وغلمانى وأتوصل إلى مارس وأخيه دارس وأسألها هل هما عنده مثل ماكانوا عند أخيه من المنزلة وانظر من فقد من أهل البلد فقال عبد الوهاب نعم الرأى ولكن انظر ما بين يديك ولا تفرط فى روحك فما تدرى مايكون فقال البطال أنا أمضى وأتوكل على الله ثم انه أخذ غلمانه وقال تفرقوا من كل ناحية إلى جهة وكل جهة واحد من جانب فكان السابق أبو محمد فوجد لؤلؤ هناك فنظروا إلى ميخائيل وهو جالس على كرسى من الأبنوس والعاج مصفح بالذهب الوهاج والملوك عنــده يقولون ان العرب صبرت على القتال مع قتلتها ونحن أضعافهم فقال الملك يقاتلون عن بلدهم وحريمهم والاولاد فقالت الراهبة شوما ياملك الآن من علينا المسيح بالنصر وسوف تأخذ بثار من مضى فسمع حسها أبوا محمد وإذا بها شوما فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم من خلص تلك الملعونه لاننا قد ذكرنا فى الاول أن البطال كان أخذها من القسطنطينيه قبل دخولهم إلى بحيرة الفلك وتركها فى ملطيه وكان لخلاصها سبب ياله من سبب وهو أن الأمير أبو محمد قال تركها فى أسوأ حال فى مطموره وكان قد عول على قتلها وحرقها بالنار ويكون يوم فرح وسرور إذا خرجوا من بحيرة الفلك فأتاهم من الرشيد نعى الرشيد فى كتاب وأتاهم كتاب الامين يطلبهم كما تقدم ذكره وان ميخائيل لما نزل على ملطيه وكسر ضيغم وحاصر البلد أول يوم واشرفت على الاخذ أرسل شومدرس إلى ضيغم يقول له اعلم أنى عولت على أمر لكم وأنا مالى منه مضرة وأنا الذى أحوجت إلى الخروج لأجل الراهبة لأنها بركة المسيح فى الأرض وخليفته على عباده وقد أشرفتم على أخذ الحريم وعندى رأى جيد وهو أنكم تسلمون إلى الراهبة وأنا وحق المسيح أرحل ميخائيل عنكم فى يومى هذا ووصلت الرسالة إلى ضيغم فى وجوه قومه وقال ماترون من الرأى قالوا وما عسى أن نرى وقد أشرفنا على أخذ البلد وكل ما فيه والصواب أن تجبه إلى ذلك فلا كانت شوما ولا استكانت فأرسل ضيغم إلى الملك يعلمه بالاجابة فقال الراهب أيها الملك أنا أرسلت اليهم أطلب الراهبة وخلاصها لأنى أعلم إذا رأوا الغلبة يقتلوها وقد تخلوا الدنيا من بركاتها لانها من الصالحين ويبلغون أغراضهم بقتلها وقد أجابوا إلى ذلك فلا نقاتلهم اليوم فاذا خلصت افعل ما تريد (قال الراوى) فبطل الملك القتال وتأخرت العساكر عن البلد وتقدم شومدرس ومعه جماعة من الروم وحلف اذا خلصت الراهبة يرحل الملك من يومه فأخرج شوما بعد أن خلع عليها ولما أن صارت عندهم زحف الملك بالعسكر إلى البلد واشرف أهــله على الهلاك والذهاب ففرج عنهم رب الأرباب بقدوم الأمير عبد الوهاب ومن معه من بنى كلاب والسودان الانجاب فهذا كان السبب فى خلاص الراهبة وأما البطال لما وصل إلى

السرادق ورأى إلى الراهب والراهبة ورأى شخص آخر فتأمله وإذا به القاضى عقبه فقال كيف تبعنه ذلك الملعون إلى هاهنا (قال الراوى) فهو كذلك وإذا بشخص خرج من الخيمة التى بجانب سرادق الملك وهو حامل شىء ثقيل على أكتافه والروم قد وقعت إلى الأرض كانهم قتلاء مما حصل من القتال والملك يشاور الملوك فيما يفعلون ولما ان رأى البطال إلى ذلك الشخص أنكره واتبعه الى أن خرج من خيام الروم وطلب خيام المسلمين فقال البطال فى نفسه ربما يكون أحد من غلمانى ظفر بشىء فدنا منه وناداه من أنت فقال له من أنت قال له أنا البطال وأنت من تكون قال له لا تخاف يامولاى مرحبا بك قال من أنت ومن هذا الحمل الذى على ظهرك قال له يامولاى أنا أبو يخلف والذى على ظهرى ستى شمسه التى تنصرت من أجلها ومن محبة ملك الروم ما يفارقها فى السفر ولا فى الحضر ولما قدمتم أنتم قدرت على أخذها فى هذه الليلة ولكن عندى بشارة وهوانى أعمل على عقبه حيلة آخذه بها وأسلمه اليكم فقال البطال اذا فعلت ذلك يكون لك عندى يد بيضاء وسار به الى أن وصل إلى عبد الوهاب فنظر معه الى جارية ليس لها مثيل كانها ظبية القناص أودرة الغواص فقال الأمير لأبى محمد هذه أحسن من نورى فى الحسن لافى الدين فاذا أراد أبو يخلف يبيعها يأخذ من الأموال ما أراد فقال أبو يخلف لا أبيعها لأنى من أجلها دخلت فى دينهم وان أغصبتمونى على أخذها صرت خائب فشفق عليه الأمير وقال له طب نفسا وقرعينا فما أحدا يتعرض لك فيها أبدا وخذ لك نفقة وكلما تحتاج اليه فقال ياأمير وحق الصديق أنا ماأريد الا بيت أكن أنا واياها فيه ولا أحدا ينظر وجهى فى تلك السنة فضحك عليه وقال اذا رحل ملك الروم نجعل لك بيت فى البلد وخذ ما تريد فقال وأنا الآخر أعمل عمله يرحل عنكم ذلك العسكر وذلك انى أدخل الخيمة التى كانت فيها ستى شمسه أنا ومن يتبعنى فاذا دخل الملك علينا قبضناه لأنه ماياتى الا وحده من فرط محبته لها فقال البطال نعم ما أشرت ادفع الجارية عند من تريد فقال أنا أجعلها وديعة عند ستى ذات الهمة وجعل يقول لهـــا بحق الصديق والبيت العتيق لا تدعى أبو يخلف يدعى عليكى باقى عمره فقالت طب نفسا وقر عينا فما يكون الا ما تريد ثم أخذتها وسار ومعه البطال وتوصلوا الى سرادق الملك ميخائيل واذا بغلمان البطال يتلفتون اليه ولما وصلوا اليه قالوا لك البشارة فان عقبة رأيناه هنا (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء عقبة وسلامته من نوبة القصر ان زبيده رمته فى فرشها التى تنام عليه وأرخت عليه ستر فلم يقدر أحدا يدخل الى ذلك المكان ولما ان خرجوا الأمراء من القصر قال عقبة أنا أريد أمضى الى دارى واخفى أمرى فقالت زبيده امضى يامسكين ولما ان خرج اخذ احد غلمانه

وجد فى السير فى طرقات يعرفها حتى وصل إلى ملك الروم قبل قدوم الأمير بايام وأخبر الملك بما جرى فى بغداد وأما أبو يخلف فانه مضى الى الخيمة الصغيرة ووقف هناك قال البطال أدخل ياأبا يخلف وغلمانه جعلوا يطوفون من حول السرادق فطال القعاد تلك الليلة وعقبة يقول اعلم يا ملك انى خاطرت بروحى وقطعت الأرض حتى وصلت اليك بعد ماقاسيت شدائد ولولا أنى أعظم الناس سعادة ما كنت سلمت ممـــا لاقيت من الفتن التى جرت بين الخليفة وأخوه وأخذ الأمراء ولكن سلبوا وان هذه الغزوة أول غزواتك فلا تهمل أمرك كما قالوا العوام فى أول غزانه كسر واعصاته ومن أول طريق عدم السعادة والتوفيق فقال ميخائيل لك على أن أفعل ما تريد والمسيح عليه الاعانه ثم قال لمن عنده من جبابرة الروم كل من أتانى برأس مسلم أعطيته مائة دينار ومن أتانى برأس واحد من الأمراء أعطيته عشرة آلاف دينار وغدا أنزل أنا والملوك الى مقام الحرب ومن أتانى برأس عبد الوهاب أعطيته جميع ما طلب فقال عقبة هذه هى الملوك ولكن هنا شىء آخر وهو ان تحفظ نفسك فى هذه الليلة وكل الملوك من اللصوص خصوصا أبو محمد البطال لأنهم ما يقدرون علينا الا بالسرقة وان ذلك الرجل الذى تنصر الذى اسمه أبو يخلف فضحك الملك وقال اتظن ياشيخ أنه مجنون وما هو غافل وهاهو معى هاهنا ومالى صبر عنه وانه يعجبنى كلامه من دون الاسلام فقال عقبة على به حتى أدبر له حيلة لأنه معروف عندهم ولا ينكروا عليه إذا رأوه عنـــدهم ولما ان سمعوا غلمان البطال الى ذلك رجعوا وسبقوا إلى سيدهم وأبو يخلف وأعلموه بالقصة قال البطال امضى اليهم وافهم ما يقولون والذى تسمعه اخبرنا به فقال أبا يخلف أنا لاأفعل ذلك ولا أرجع اليهم فانى أخاف أن يدرون بضيعان ستى شمسة وهم يقولون أنى أحبها فيتهمونى بها ويأخذوها منى وكانت تخرج روحى من جسدى وان أخذوها وأيضا خواص الملك يضحكون على ويقولون أنت تحب شمسه أقول أحبها لأجل المسيح فقال البطال لابد من دخولك وربما انفتح لى أمر آخذ به عقبة فقال يأقرنان أخاف أن يعلمون بضيعان ستى شمسة فيصلبونى وتروح أنت تأخذها وتتملأ بجمالها وهذه حيلة لاتجوز على فقال البطال وحق المصطفى ما كنت أبرح من هاهنا حتى إنى أخلصك أو أموت دونك فطب نفسا وقر عينا فعند ذلك رماها أبو يخلف على أحمالها ومضى إلى سرادق الملك والغلمان قد خرجوا فى طلبه فلقوه فسلم عليهم وجعل يقلب حولته بين يدى الملك وهو يضحك عليه وكل من حواليه إلا أن عقبة أقبل على الراهب شومدرس وقال له أنا أنكرت فعل ذلك الشيطان بين الروم وما يخرج منه خير أبدا وكنت عولت أن أعمل عملا افتكرت العاقبة فقال الراهب انه يحب الملكه شمسه

وهو مقصوص الجناح لاسبيل له من عندنا على الرواح فقال له إذا كان الأمر على ما ذكرت والحال على ماوصفت فأنا الساعة أعمل حيلة على اخذ عبد الوهاب فقال له كيف تريد أن تعمل فقال أخرج أنا وحرب بن شيبان وأنت فى ألف فارس ونكون مكمنين فى بعض المواضع ويمضى أبو يخلف إلى عند عبد الوهاب ويقول له أيها الأمير إنى قد وجدت فرصه من زمانى وبها اسلم إليك الملك ميخائيل والراهب شومدرس ولا يذكر له إنى ها هنا فما كانوا يقبولوا منه ذلك من حذرهم فاذا تم له مايريد يأخذ منهم عشرة أبطال ومن جملتهم البطال ويقول أنا لشومدرس أسوقه وأوصله إليكم ويكون حرب بن شيبان بالقرب من ذلك المكان فاذا أقبلوا يأخذهم من ساعتهم قبضا بالكف ويركب الملك بعد ذلك ويدهم عسكرهم وهم على غير أهبة فينهبر من تلك الحالة وقد أفنوهم بلامحالة (قال الراوى) فلما ان سمع شومدرس ذلك الخطاب قال له لقد أشرت بالصواب وأتيت بالأمر الذى لايعاب ثم أعلموا أبا يخلف بذلك فقال لهم هذا رأى سديد وأنا أمضى اليهم وألعب بعقولهم فعندها خرج عقبة وشومدرس وحرب بن شيبان فى جماعة من متنصرة العربان وساروا حتى بقوا بين العسكرين وأبا يخلف معهم وكان البطال قد سمع جميع ما جرى من الأمر فسبق إلى عسكر الأمير وأعاد عليه القصة ففرح بذلك وصبر إلى أن وصل أبو يخلف وقال يامولاى أريد منكم ألف فارس فقال له الأمير سمعا وطاعة فقال أبا يخلف وأريد أن تخلوا الخيام لأن الحال قد استقر ان ملك الروم يدهمكم بعساكره فقال له الأمير لقد أصبت الرأى ياأبا يخلف لأنهم إذا دخلوا المضارب لم يجدوا فيها أحد فاذا عادوا خارجين عطفنا عليهم ومكنا الصوارم من الجماجم ثم أن الأمير انتخب الأبطال مثل الأميرة ذات الهمة وهارون العلوى ومالك بن طوق وبشير بن الأقطع وسعيد بن الفرج وراشد بن ضمره ومن يجرى مجراهم ثم التفت الأمير إلى أخيه عبد الله وقال له أنت خليفتى على العسكر لأنى سائر إلى هذا الأمر ثم أوصاه ما يفعل فقال له سير فى دعة الله فأنا آخذ الفرسان والأبطال وما تخاف عليه من الرجال وأخلى الخيام وأبلغك المرام (قال الراوى) فعندها سار الأمير هو ومن معه فعندها أقبل أبو يخلف على الأمير وقال له من خلفت خلفك إذا حمل حرب ابن شيبان عليك فقال الأمير طب نفسا وقر عينا فما بيننا إلا من لو انفرد لحرب بن شيبان ومن معه لكان ملياً بهم ونحن عشرة دع نلتى أهل القسطنطونية فدع الناس لقتال الملك ميخائيل وعسكره ونحن نؤمل أن نفرغ من هؤلاء ونعود إليهم فقال له أبا يخلف وحق الصديق أنا ما أقف معكم بل أوصلكم إليهم فاذا أحملوا عليكم أطلب أنا الخلاص لنفسى فقال له الأمير أفعل ما بدالك فنحن ما نكلفك

بقتال ثم انه سار بهم إلى أن وصلوا إلى عسكر الروم هنالك مضى أبو يخلف إلى حرب ابن شيبان وهو فى ألف فارس والراهب شومدرس وعقبة عنده وهم يحرضوا حرب بن شيبان على أن يأخذ القوم على غفلة منهم إلا أن أبا يخلف لما ان أقبل عليهم قال له عقبة ما الذى أبطاك فقال له حتى لعبت بعقول الرجال وها أنا قد جلبت لكم عشرة ما فى المسلمين مثلهم فقال له عقبة صفهم لى فجعل يصفهم له واحد بعد واحد وعدهم بأسمائهم فقال عقبة يالها من مسرة ما أعظمها إلا أنكم لاتطلبوا معهم مطال بل مكنوا منهم السيوف الصقال ولا تبقوا منهم صغير ولا كبير فما منهم إلا كل سيد وأمير ولعل المسيح أن يكون قد نظر الينا وإلى أهل ملة النصرانية وأنا أسأله أن ينصركم على الملة الحنيفية لاسيما هذا الأسود الزنيم وأمه ذات الهمة فان ظفرتم بهم فما يقوم للسلمين بعدهم قائمة ثم قال له وأين تركتهم فقال له ها هم تحت الفجرة فدونكم واياهم فانى قلت لهم ها أنا ماضى أسرق لكم الملك ميخائيل فقال عقبة ما أطمعهم فى المحال والطمع ويضرب أعناق الرجال فعندها صاح حرب ابن شيبان وحمل وهو يظن أن القوم على غير أهبه هنالك التقوه الابطال بوجوه وقاح وعزائم صحاح وكان البطال قد قال لغلمانه أعلموا أن مال لعقبة وشومدرس فى هذه الليلة إلا نحن فان ظفرنا بهم انكسر هذا الجيش ورحل من بين أيدينا وكنت آمر الأمير عبد الوهاب أن يرحل بنا إلى بلاد الروم ونصلب عقبة على باب الذهب كما نروم مادام أن الدنيا على هذه الصفة وما فيها خليفة معروف فقالوا افعل ما تريد فقال لهم اقصدوا بنا المكان الذى كان فيه حرب بن شيبان فما هم الا فى ذلك المكان فساروا طالبين الموضع إذ لقيهم أبو يخلف وهو ملهوف من شدة مارأى يلهث وينفخ وأذياله على أكتافه وحولته قد انقلبت فى أم رأسه فقال له البطال إلى أين فقال إلى ستى شمسه لأن كلب الروم الساعة يحمل على المضارب يظن أن العسكر فيها وتؤخذ شمسه لامحاله فاذا سلمت هى فلا أبالى بمن هلك من الطائفتين فضحك أبو محمد وقال هكذا يكون المحب لأن قلبه معلق بسوء الظن فهل عندك علم من عقبة فقال له نعم إلا أنه صعد هو وشومدرس إلى هذا التل ينتظرون مايكون من حرب ابن شيبان فعندها تركه البطال وسار وقد طار من شدة الفرح وما زال سائر إلى أن قربوا من التل وقد أخذوا حذرهم وإذا بعقبة يقول لشومدرس ايش ترى فى هذه النوبة فقال له الساعة يأخذون الامارة والملك قد حمل أما تسمع الصياح قد علا من جميع النواحى والدنيا قد انزعجت (قال الراوى) وكان الملك ميخائيل لما ان رأى حرب بن شيبان وقد حمل وسمع الصياح حمل هو أيضا طالب عسكر الأمير عبد الوهاب والسودان الأنجاب فلما ان صار فى الخيام وأراد أن يهجم عليهم وإذا بهم صاحوا عليه من كل جانب

ومكان ووقع القتال بين الطائفتين (قال الراوى) فهذا ماكان من آمر العسكر (وأما ماكان) من أمر البطال فانه لما ان أشرف على عقبة وسمعه وهو يقول لشومدرس ذلك الكلام فرح وتقرب اليهم وإذا بعقبة قد افتكر وقال ياأبا الشر الرأى عندى أن لاتقيم فى هذا المكان لأنقلبي خائف من الهوان فقال له شومدرس وما الذى حل بك من الخيال ومن أى شىء أنت فزعان فقال له وحق المسيح خوفا من أبى محمد البطال فضحك شومدرس وكشر عن أنيابه وقال له أنت بقيت شيخ خرفان فطيب قلبك فوحق الرهبان لو كان أبو محمد ذبابة على وجهى لما فزعت منه ولا طردته فلما أن سمع البطال منه ذلك المقال صاح على غلمانه خذوهم فا كبوا على القاضى عقبة أخذوه أسير وملكوا شومدرس ذليل حقير وبعد ذلك أقبل أبو محمد على عقبة وقال له كيف أنت ياقاضى فقال له بخير إذا لم أرى وجهك الذى ما أشتاق اليه قط فقال له البطال أما أنا فانى مشتاق اليك وماأصدق أن أجتمع بك ثم أقبل على الراهب شومدرس وقال له ياويلك ياقرنان أنت تقول لو كان أبو محمد ذبابة على وجهى ما باليت به ولا طردته فقال له شومدرس ويلك ياشيطان أنا ماعلمت انك ههنا فلا تبقى لهم باقية وإذا بهم يسمعون ركض الخيل وقد أقلب الآفاق فقال عقبة ياراهب أنا أحس أن الأرض تتزلزل وما بقى ينفعنا إلا الدعاء والتوسل بالمسيح (قال الراوى) وكان الملك ميخائيل لما سمع الصياح وقد علا ركب فى عسكره ومال إلى ناحية الإسلام فرأى الخيام خاوية على عروشها فانكر ذلك وعاد يطلب الخروج وإذا بعسكر الإسلام وقد ظهر وصاحوا فى وجوههم (قال الراوى) وأما البطال لما كان سمع عقبة وهو يقول للراهب نحن نقيم هاهنا فقال الراهب نقيم هاهنا فزعا من البطال فقال الراهب طيب قلبك ياقاضى فلوكان البطال فى ذلك المكان ذبابة على وجهى ماطردتها وسمع أبو محمد ذلك أقلب عليهم أخذهم أسارى وقال لعقبة كيف ترى حالك ياعقبة قال بخير إذا لم أرى وجهك الذى ماأشتهى ان أراه ولا أنا مشتاق اليه فقال ان كنت ماأنت مشتاق إلى أنا مشتاق اليك وما صدقت ان أجتمع بك فقال للراهب وأنت ياشيخ تقول لو كنت ذبابة على وجهك ما طردتها فقال ياشيطان ماعلمت ان الفال موكل بالمنطق ثم ان البطال وقف مكانه ينظر مايكون (وأما الأمير) لما حمل على حرب بن شيبان والألف فارس فان الأميرة تلقتهم بالعقب اليمانى وجالت على الشجعان واشتد الكرب واختلف الطعن والضرب وتكلم الصارم العضب وصار السهل صعب ولم تزل الرجال تقتل والدم ينزل والسؤال لايقبل وكان ليلا لاسيما وقد التقى الأمير عبد الوهاب بحرب ابن شيبان فعرفه بركبته والعرب من حوله فطعنه بعقب الرمح أرماه وانكبت عليه

الأميرة أخذته أسير ونظرت أصحابه إلى ذلك ولوا منهزمين وعلى أعقابهم راجعين وأما الأمير بعد حرب بن شيبان انحرف إلى من انفرد إلى ميخائيل وصاح فى سواد الليل ياويلكم أنا عبد الوهاب وأسود بنى كلاب وصاحت الأميرة أنا أم الأشبال وتبادرت الأمراء من كل جانب وبدلوا فى أيديهم القواضب (قال) وحملت الرجال على الرجال والأبطال على الأبطال واشتد القتال وزاد الزلزال وتضاربوا بالنصال فقال ملك الروم وحق المسيح هذه نوبة مدبرة ورجع إلى وراه فاندفعت تلك الأمم بعضها على بعض ووقع العنانى الكفار بسيوف الأبرار والرمح يعمل فى ظهورهم وقد حيروهم فى أمورهم وخرج ضيغم من ملطيه بمن معه من الرجال فملكوا الخيام والمضارب بما فيها واحتوى على جديدها وباليها وأصبح الصباح بنوره اللامع والدنيا من أهل الكفر بلاقع وماكانها نزل بها نازل ولاطالع للروم فيها طالع واقبل الامير عبدالوهاب الأسد الريبال وقال له ماكان من أمرك فى ساحة المجال فقال ياأبو محمد نحن كنا الليلة فى ملاقاة الرجال ومعاناة الحرب والقتال والشدائد والاهوال فأى شىء عملت أنت الليله قال أخذت عقبة وشو مدرس وتمت عليهم الحيلة ففرح بمقاله وشكره على فعاله وملكوا الاثقال وقد امتلأت من الغنائم عيون الرجال وشكروا الله الملك المتعال على ما أولاهم من النصر على أعداهم وبلوغ الآمال وأحضروا عقبه وشومدرس إلى بين يدى الامير عبد الوهاب فخاطب عقبة بأشد الخطاب وعاتبه أمر العتاب وقال له ياشيخ الضلال إلى متى هذا الامهال والله لاوفين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه أمر الناس بأخذ الاهبه بعد ثلاثة أيام للدخول إلى بلاد الروم الشام فى أثر عسكر ميخائيل لعل أن يتيسر لهم صلب عقبة صاحب الاباطيل وأرسل إلى آمد يستنجد بمن فيها من الاكراد وقال والله لقد أضربنا سير أبو الهزاهز فى هذا الوقت وكان حضوره غاية بلوغ المراد فقالت له الأميرة ياولدى سبب غيابه عن هذه الاطلال والعالم ولدك الامير ظالم لأنه أحمق وليست الحماقه من شيم الكرام فقال البطال والله إن ظالم معذور على كل حال وأما أنتم فانكم خلقتم مثل الجمال مالكم مرائر وما تبالون بما تدور به الدوائر ولا تفكرون فى قول المثل السائر من استغضب ولم يغضب فهو حمار ومن استرضى ولم يرض فهو جبار أما تنظروا ما فعل الامين معكم من الفعال فلو فعل بعضه مع غيركم من الناس لما تعرضوا بعد ذلك الى خدمة بنى العباس والامير ظالم ليس له نفس تصبر على حمل المظالم والامور العظائم وأبو الهزاهز كبرت نفسه ومل مما هو كل يوم مقبوض عليه مشتت هو وأصحابه وأقرب الناس اليه من أبناء جنسه ومن

أجل ذلك زادت بهم الغبون ومضوا ينصرون المأمون ولعمرى إن عادت الدوله للمأمون ليراها لهم من أكبر مايكون ويراعيهم فى جميع الحركات والشؤون ويواليهم القلاع والحصون ويجازيهم على هذا الاحسان باحسان ويكون عنده فى أعز مكان حتى يدرج فى الاكفان فتعجب الامير عبد الوهاب من كلام البطال وقد علم من كلامه أن له غرض أن يكون من حزب المأمون بينما هم كذلك فى السؤال اوالجواب إذ جاءت الوفود من سائر الجنبات إلى الامير عبدالوهاب من أرض السويدا وسجستان والرقه وحران وجبال الاكراد والتركمان فساروا فى عالم عظيم ورحل إلى البلسين وهو فى مائة ألف بطل ثم أن البطال ألبس لعقبه فروه مقلوبه وعمل على رأسه طرطوروكل به عشرة من الفرسان من كل بطل مخبور وأركبه على جمل عجول والسودان من حواليه على سوابق الخيول وهو كلما أراد أن يتكلم أخذوه بأسنة الرماح وهو فى أسوأ حال وأشد بال وافتضاح وشومدرس قباله على جمل آخر وقد جمعت فيه هذه المعانى والسودان يفعلون به كذلك ويسلكون به تلك المسالك وقد أيقن كل واحد منهما أنه هالك وشرب المهالك (قال الراوى) وأن الأمير أبو محمد أخذ على طريق حصن الكوكب من أجل الخشبة التى عليها يصلب عقبة ولما أصبح الصباح ساروا يقطعون الأرض والآكام والسبسب سيراً وجنب حتى وصلوا إلى حصن الكوكب ونزل اليهم الامير نافع وسلموا على بعضهم البعض فى تلك المواضع واستراح الخاص والعام فى ذلك المقام مدة سبعة أيام وفى اليوم الثامن أمر الناس باخراج تلك الخشبه وكان لها شعبتان منتصبه فأمر البطال للسودان أن يرفعوها وبطبولهم وبوقاتهم يزفوها وان يرقصوا من حواليها وان يقلبوا الدنيا بصياحهم وركضوهم وضجيجهم هذا وان عقبة لما نظر إلى هذه الخشبه وقعت فى قلبه نكبة وأى نكبة فقال له شومدرس ما حالك أيها الشيخ النجيح وحجة المسيح أما تنده الحواريون حتى انهم يخطفوك ومن بينهم يخلصوك هذا كله وشومدرس خائف على نفسه أن يكون له معه نصيب وقال أرجوان لايصلبون الا من قال لهم نبهم عليه وأشار بذلك اليه لاننى لما قطعوها من بين الاشجار ما كنت خرجت إلى هذه الديار ولا كان وقع بينى وبينهم عداوه ولا عدوان فقال له عقبة دع عنك هذا الهزيان فوحق المسيح أول ماتقع فى رأسك الحرارة وأول مايخمدوا انفاسك وان أرادوا أن لايفعلوا ذلك أقول لهم أنه أشر منى عليكم عند جميع الملوك والممالك مع انهم عرفوا فعائلك معهم فى الحصون وغيرها ولا أخليك تعيش بعدى فى هذه السنة وتأكل خيرها فقال شومدرس أنا ما أقول للقوم انى مسلم وأكون قاضى من قضاتهم ومدرس

وأقرضهم بنفاق قرض وأنسى القدوم على الله فى نهار العرض واقتنى وآثار معاداتهم فى جميع أقطار الارض وأما أنا لخالى عندهم معلوم وشرحه مفهوم وقد علموا أننى راهب الروم وأما هذه الشجرة فما قطعت إلا على اسمك ولا يطلب عليها إلا جسمك فغضب عقبة وحار ذهنة وضرب شومدرس ونتف دقنه ومسك شومدرس دقن عقبة وضربه وجعلا يتلاكمان حتى كاد أن يطير أحدهما رأس صاحبه وما زالا كذلك حتى برز الدم من أنفهما هذا والأمراء من بنى كلاب والسودان الانجاب يتضاحكون عليهما وسار منهم ساعة وأعلموا البطال بما جرى بين شومدرس وعقبة من الشتم والضرب واللكم والنكبة فسار إليهم وافرق بينهم وعاد إلى الأمير عبد الوهاب وقال له إذا وصلنا إلى القسطنطينية فيكون على هذه الخشبة صلب الاثنين فقال ماهذا صواب لأن هذا مما يشتفى به عقبة من شومدرس فى وقته وساعته ونحن ماقصدنا إلا تفطير مرارته ثم انهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين وجعلوا يقطعون الأراضى والرسوم وهم داخلين إلى بلاد الروم هذا وقد وصلت الجواسيس إلى ميخائيل بخبر ذلك الأمير البطال وأن المسلمين ركبوا تلك الركبه معمولين على صلب عقبة فقال ميخائيل ياالها من كربه وأى كربه ونوبه أتت بالنحوس وأمور تجز فيها الرؤس عندها أقبل عليه ارمانوس ابن أخت الملك منويل وله حديث عجيب وأمر مطرب غريب يأتى ذكره فى أماكنه فلما سمع كلام الملك ميخائيل وما فيه من القال والقيل فقال له ياملك هذا أمر مايجب فيه التراخى للخصوص والعموم فاكتب الآن الكتب وسيرها على أجنحة الطيور إلى سائر أقاليم الروم وتكون الكتب جميع مافيها من التسطير بخط البترك الكبير وتعلم بعلامتك عليها وتستحث الروم على القدوم فيها عند ذلك كتب الكتب وسيرها إلى البلاد فأقبلت الروم من سائر الجهات وقد ملؤا البرارى والفلوات فما وصل الأمير عبد الوهاب إلى برج الديباج إلا وقد ملئت أرض القسطنطينية من الأروام والاعلاج هذا وقد أشرف الأمير عبد الوهاب ورأى جيوش كانها البحر العباب فتعجب غاية الاعجاب وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله الله أكبر فما تظن ياأخى ياأبو محمد أن يجتمع للنصرانية مثل هذا العسكر ثم أن الأمير عبد الوهاب بعد ذلك الخطاب كشف رأسه وحمل وحملت عساكره وفعلوا مثل مافعل وحملت عساكر الكفار وعمل الصارم البتار وقل الأنصار وعلاعليهما الغبار ومالت الطوائف بعضها على بعض وارتجت جنبات الأرض فيالها من ساعة طارت فيها الرؤس ودارت طاحون الحرب والضروس وشربوا من الموت أمر كؤوس وتساوى الشجاع والجبان وعمل الصارم اليمان ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب

تشعل وحمى الوجل هذا وعقبة ينادى من على ظهر الجمل وأذل شريعة الصليب من بعدى واحسرة ملوك النصرانية إذا حان فقدى وهو تارة ينادى بالافرنجيه ويحرض الاقوام وتارة يندب ويصيخ وتارة يقول ياللمسيح وكل من يسمع من الروم هذا الكلام يرمى نفسه على الموت ولم يحسب حساب الفوت ولم يزل القتال يعمل بينهم على هذه الحالة أربعة عشر يوما بلياليها وديار الروم تخرب من أهاليها حتى قتل من الروم خلائق مثل عدد النجوم وقتل من عسكر المسلمين عالم عظيم فى ذلك الخطب الجسيم فلما كان اليوم الخامس عشر وقد احتد الأمير عبد الوهاب وخرج عن الحد فهجم على الملك ميخائيل هجمة العدم والموت والندم وهو تحت الاعلام وقد أرمى بسيفه الفصال جماعة من كبار الأروام إلى أن وصل إليه وحمل بكليته عليه وهاجمه مهاجمة الأسود وطعنه طعنة واصلة إليه فلولا ما كان عليه من الزرد لكان قضى عليه لكنه أوثقه بالجراح وأرماه على وجه البطاح وقد حملت الأميرة على الملك الاندرياس وطعنته فى صدره بقوة باس وصعوبة مراس أطلعت سنانها من ظهره ذراعين بالقياس وطعن راشد بن ضمرة ملك اليونان قتله وطعن مالك بن طوق ملك الأرمن جندله وكانت ساعة يالها من ساعة بانت فيها أصحاب الشجاعة والقوة والبراعة وتنكست جميع الصلبان وهرب ميخائيل فى واسع القيعان ودارت عن الروم الدوائر وانفقعت منهم المرائر وصار شجاعهم حائر وجبانهم باكى النواظر وجمعهم مفلول وصنديدهم مغلول وحاميتهم مقتول على وجه الأرض مجدول فلما نظر عقبة إلى عسكر الروم وكثرته وقلته بعد كثرته فاضت عبرته وانفطرت مرارته هذا وقد تقدمت أبطال بنى كلاب والسودان الانجاب يقدمهم فارسهم الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة والأمير أبو محمد البطال وزحفوا الجميع إلى باب البلد والعرب معهم السلالم ونصبوا الخشبة ونظر عقبة فصار يستغيث بالمسيح فجاوبته الروم من كل جانب ومكان وارموا أنفسهم على الناس حتى كشفوهم عن الباب هكذا عشر مرات وامسى المسا واندقت الروم وغلقت باب الذهب وطلعت الناس على الاصوار وقد استعدوا بالحجارة الكبار والصغار وبات الامير فى تلك الليلة فرحا مسرورا ولما ان أصبح الصباح أمر الناس بالركوب وطلب الأمير عبد الوهاب القاضى عقبة فما وجده ولا رآه وسأل عنه ما أحدا أعطاه عنه خبر ولا جلية أثر ولا شومدرس ولا حرب بن شيبان فصعب على الأمير وكبر لديه وطلب الموكلين بهم وكانوا عشرين وسألهم عنهم فقالوا كأنه سحرنا لأننا لاعلمنا بهم لما عدموا من بيننا فصعب ذلك على الأمراء وكبر لديهم (قال الراوى) وكان السبب فى خلاصهم أن حرب بن شيبان لما عدم من قومه وأصحابه قال

بعضهم ياقوم إن قعدتم عن حرب فهو هالك لامحاله لأن البطال فى قلبه منه أمر عظيم وان لم يصلبوه مع عقبة قتلوه لامحالة فقالوا مالنا قدره على الوصول إليه ولا قدوم عليه وأنتم ترون إلى عسكر ميخائيل وقد انهزمت ولاله قدره أن يدفع عنه ولا عن الشيخ النجيح فقام من بين الجماعة رجل كأنه طود أو بعير حل من قيوده قال ياقوم ايش يكون عندكم ان خلصته مما هو فيه قالوا له خذ ماشئت من المال والنوال فاتفق الامر على خمسة آلاف دينار وكان ذلك الرجل يقال له أبو الزيبق وهو من أقارب حرب بن شيبان إلا أنه قليل المال زرى الحال سلال الخيل هجوم على الامور الثقال فى ظلال الليل ولما ان سمع مقالهم قال ما قولكم فيمن يخلص لكم الثلاثة فقالوا ما يقدر على تلك الأفعال إلا كل شجاع فأخذ بيدهم على المال ومضى كما ذكرنا حتى وصل إلى عسكر الأمير وجعل يتحدث بين العرب بكل لسان وينتقل من مكان إلى مكان حتى وصل إلى السودان الموكلين ودخل عليهم وجعل يقول لعقبة ياشيخ كم تكذب على الأديان فلابد من صلبك كما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والسودان يسمعون كلامه ولا أحد يشك فيه لأنه رجل بدوى فما أنكروه ولا ارتابوا منه فقام أبو الزيبق وتقدم إلى حرب بن شيبان ورفصه فى صدره ألقاه على ظهره ودنا من عقبة وفعل به كذلك وجعل يحدث بمساويه وفعله الذميم وأنه شيطان رجيم ولم يزل كذلك حتى ثقل على السودان النوم وهو يتثاوب فى وجوههم حتى لعب الكرى بعيونهم وبرد الهوى فناموا الكل جل من لا ينام فعند ذلك سبح أبو الزيبق وهو نائم على وجهه حتى وصل إلى حرب وقطع كتافه وفك قيده وقال له انج بنفسك واطلب النجاة وأتى لعقبة وقطع كتافه وشاله على أكتافه ووضعه من خارج العسكر ورجع إلى الراهب وفعل به كذلك ووصلوا إلى ما منهم وان عقبة ضمن لأبو الزيبق الغنى وكذلك حرب بن شيبان وأوعدهم بسرقة البطال (قال الراوى) ونرجع إلى ما كنا فيه من حديث عبد الوهاب وما جرى له من الهم والاكتئاب فهو كذلك إذ وصل إليه نجاب ومعه كتاب ففتحه وقرأه وإذا به من عند الأمين بالله فتغير لونه واضطرب كونه فقالوا له أصحابه ما الخبر وما فى هذا الكتاب الذى غير حالك وزاد من أجله بلبالك فقال ياقوم هذا من عند الأمين يذكر فيه الحسن بن طاهر مضى بالمأمون إلى النهروان ولحقه عساكر وان سيف الحنيفية وظالم ومعهم قوم عرب فرجوا عن المأمون والكرب وقتلوا المقدم الذى كان على عسكر الأمين ووصلت السالمين إلى بغداد وأن أمير المؤمنين جمع عساكر وأجناد عدد التراب وتوجه الأمين إليه وان زبيده فى بغداد وقد رتبت أربع مائة مقرىء يقرؤن ويدعون للأمين وقد انتصروا له الاكراد حتى صاروا على أبواب بغداد بثلثمائة ألف غير عسكر الأمين

وسارت الكتائب إلى حرب المأمون وأرسل يعلمنى بما فعل ظالم وأبو الهزاهز وسيف الحنيفية وهو يقول إنك حلفت بنبيك الكريم إنك لاتنافق وبعد رحيلك أرسلت ولدك وعبيدك ومعهم نصف عسكرك يعاونون المأمون على قتالى وإن لم ترسل إلى ولدك وترده عن ما هو عازم عليه وإلا أرسلت الكتب إلى سائر الأرض أن الرشيد بايع لى بالخلافة من بعد موته ثم توليت الخلافة برضا العالم وأنت الذى أخرجت أخى أن يطمع ولولاك ماقوى عزمه على ذلك ولو كان فعل مافعل فكيف يكون عندك من الرأى فقالت الأميرة ياولدى دع عنك ذلك الكلام واكتب للنجابه كتاب إلى ولدك تأمره أن يخرج يده من تلك النوبة لأنه عار إلى الأبد وربما تنقص منزلتنا عند بنى العباس لأن القوم بعد ذلك يصطلحوا ويصبح ظالم هالك ولا يكون لنا بعد ذلك عند الأمين مقام ولما ان سمع الأمير ذلك المقال علم أنه كله صواب فكتب كتاب يقول فى أوله (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا الكتاب من الوالد الحنون إلى ظالم أما بعد اعلم ياولدى أن الرشيد أوصى بالخلافة لولده الأمين فلاتتعرض أنت له بوجه من الوجوه ولاتسمع من أبو الهزاهز فانه قليل العقل جاهل لأن السودان مالهم خبره بتصاريف الزمان وأعطى الكتاب للنجاب وقال له سير قدامى وطيب قلب الأمين وأنا سائر خلف كتابى وسوف أفعل مافيه الصواب فعاد النجاب بالكتاب وأما عبد الوهاب أقبل على وجوه قومه من الاعراب وقال ياقوم الذى جئنا من أجله نصلبه فقد هرب وما لنا إلا نرجع إلى الديار ننظر مايكون تلك من الاخبار فقالوا هذا هو الصواب ورحلوا ثانى يوم حتى وصلوا الى حصن يانس المتعزب ورد الخشبة مكانها وقال لكل أجل كتاب ولكل عمل حساب (وأما عقبة) لما خلصه أبو الزيبق قال ياولدى امضى إلى القسطنطينية وحق المسيح لاضيعت تعبك ودخل على الملك وهناه برحيل الإسلام فبجله الملك وأكرمه فقال ياملك ماكان سبب سلامتى إلا ذلك الرجل فأعطاه أموال وجوار وأقطاع فقال أبو الزيبق ياملك لابد لى من هذا الشيطان البطال فقال عقبة قواك المسيح ولكن ياملك لابد لى ان أمضى إلى بلاد الإسلام لأنى تركت الدنيا قائمة وأنا ما أريد دما الإسلام الا مسفوحة وأجسادهم مطروحه وحريمهم مهتكة وقد عولت على السير وآخذ معى أبو الزيبق الذى أوصل إلى قلبى كل مسرة وخلف عند الأعداء المضرة فقال ميخائيل وحق المسيح يشق علينا فراقك عند ذلك جهز نفسه القاضى عقبة وأخذ معه أبو الزيبق وكان اسمه مخارق وأخذ جماعة من العرب المتنصرة وسار فى طرقات يعرفها حتى خرج من بلاد الروم وقطع خلفه بلاد الكرج والأرض إلى جبال موسى واخراط وقصد إلى حران إلى الجزيرة إلى الموصل الى تكريت إلى بغداد

وقال لمن معه من العرب اقصدوا إلى عسكر الأمين وأقيموا عند العرب إلى حين أحتاج اليكم وأطلبكم ثم انه ترك مخارق فى بغداد ودخل على زبيدة بغير استئذان فنهضت له قائمة وبكت فى وجهه وقالت ياقاضى عند الضيق يتخلى المحب والصديق عند مااحتجنا الرأيك وتدبيرك تمضى وتتركنا فقال لها بعد ان قبل يديها ياسيدتى لاتسألى عن حالى وما جرى إلى لأنى كنت فى بعض المساجد المهجورة أصلى وأعود لأمير المؤمنين بالنصر والظفر على من طغى وفجر فعلم بى أبو محمد البطال فدبر على وأخذنى وسلمنى الى عبد الوهاب وبعد ذلك دخلوا بى إلى بلاد الروم وحملوا خشبة حتى يصلبونى عليها على باب البلد وقال لهم ملك الروم اتركوه فأبوا وقاتلهم عنى حمية وقالوا نحن ماتحمل دم هذا الرجل عندنا فيكون ذلك عار وشنار فسخر الله لى رجل من العرب فسرقنى وقد أوعدته بكل خير وقد أتيت به إلى تلك البلاد حتى يبلغ من مولانا المراد فأخبرينى ماجرى من بعدى وأين أمير المؤمنين وأين المأمون وهل تقابلت العسكرين أم لا فقالت ياقاضى على بذلك الرجل الذى ذكرته حتى أحدثك بما جرى من بعدك وأطلب من ذلك الرجل حاجة فان قضاها فأنا أعطيه مناه وفوق رضاه فقال عقبة سمعا وطاعة ثم خرج من عندها غاب قدر ساعة وعاد ومعه أبو الزيبق ووقف خلف الستارة وقال هاهو يامولاتى قولى له ما مرادك وما تكون حاجتك فقالت له ان الحسن بن طاهر قد سار مع المأمون ومعه ثلثمائة ألف فارس سوى الأكراد وانضاف اليهم أهل الأرض وولدى مضى اليه فقال لها أين القوم اليوم قالت ما زالت الكتائب تمضى بينهم بالمصالحة والمأمون يأبى ولا يطأ بساط ولدى ويقول دعه يعطينى خراسان ومهما أراد من البلدان وباقى الأرض له وإذا طلب منى عساكر خدمته وولدى يأبى ذلك وقد سار اليه ونزلت العساكر قصاد العساكر وما منعهم عن بعضهم إلا شهر رمضان وفى هلال شوال يتحاربون ويعطى الله النصر لمن يشاء فلا تنسانا ياقاضى من دعاك المبارك وان عزمت على الرحيل فما يستغنى ولدى عن رأيك ومشورتك وتأخذ ذلك معك لعله أن يسرق المأمون والحسن بن طاهر وظالم مقدم ذلك العسكر فاذا عدم تنقلل الجيوش والعساكر وهو الذى كان فى زمن الرشيد خارجيا وفى زمن ولدى منافقا (قال الراوى) فقال هذه المسائل كلها ببركاتكم تقضى عند ذلك خرج عقبة من عند زبيدة ومعه أبو الزيبق وهما الاثنين نجسين وقد سيرت زبيدة معهما رجال يوصلاهما إلى الأمين ولما وصل عقبه إلى الأمين فرح به فرحا شديدا وقال ياقاضى أنا فى شغل وأنت فى شغل فقال عقبة يامولانا تشتغل أعداءك مثل شغلى ونصيبهم ما أصابنى فى

هذه السفرة لأنى محمول على جمل أعوى كحالة الكلاب وما كان سببها إلا عبد الوهاب حتى انه يصلبنى على باب الذهب وأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها فقال الأمين أقسم بالله قسما صادقا ان كتب عبد الوهاب وصلت إلى مع النجابة ويقول انه سائر إلى ولده ومن معه وهو يعتذر لى فى المقال وان مامعه مما جرى خبر فقال عقبه يامولانا وحق أياديك الجميلة ان كل ماجرى من الأفعال الصعاب كان سببها عبد الوهاب وهو الذى يحسن لهم الأقوال (قال الراوى) ثم أخبره بقصة أبو الزيبق فقال على به فقال سمعا وطاعة وبعد قليل حضر بين يدى الأمين فأحضر قدامه أربعين كيسا ملآنه ذهب أحمر وقال وحق اتصال من حمزة وعقيل لئن أخذت لى المأمون أعطيك هذا الأربعين كيس وان أخذت لى أحد الثلاث إما ظالم أو أبو الهزاهز أو الحسن بن طاهر لك عشرة آلاف فقال أبو الزيبق وقد لعب المال بعقله وحياة عينيك يا أمير المؤمنين ما يمضى عليهم أكثر من هذه الليلة وغدا أجمع الجميع عندك فى الخيمه وأقام أبو الزيبق عند الأمين بقية يومه وقصد الى سرادق المأمون فكان المأمون جالس على سريره وعن يمينه ظالم وعن يساره أبو الهزاهز والحسن بن طاهر يحجبه وهم قيام فى خدمته وله هيبة لم تكن لاحد من الخلق وعنده الفقهاء وأهل الدين والقراء وأهل النحو واللغة والشعراء وكل ذى عقل وأدب وهو يتحدث مع كل أحد فى علمه وفنه وما يليق به وهم يعوذوه بالله العظيم من الشيطان الرجيم وقد عظم فى عينهم أكثر من الرشيد لأنه كان فاضلا عالمـــا واعظا عارفا فى كل فن من الفنون (قال الراوى) ولما وصل أبو الزيبق الى السرادق نظر الى كل شاعر مجيد يمدح المأمون بكل نوع بقصيد وهو يعطى ويهب ويفرق الفضة والذهب فتقدم أبو الزيبق ودخل مع الناس إلى محل الشعراء من العرب وكان ذى أدب فرمقوه الناس بالاحداق ولما تقدم تطاولت اليه الاعناق ولما أتى قدام المأمون أشار بيده وقال هذه الأبيات

جمع العـــلم والبها والمعانى ٭ وكذا الجود والندا فى مكان
ورأيت المـــأمون سلمه الله ٭ على غاية من البرهان
كامل الوصف والمعانى جميعا ٭ عالمـا ذاكرار رفيع الشان
ماله فى محاسن العقل والقو ٭ ل من العالمين فى الخلق ثانى
طلعت غرة الخـــلافة لما ٭ قام فى حقها بلا كتمان
وعلى ساميا على الخلق يعلو ٭ بالمعانى والجود والعرفان
قد أتيت عسكر الكرام وفيهم ٭ كل ذى نعمة بلا نقصان

فهم السادة المصابيح حقا * وأعيان الأبطال والأقران
ولقد زاد رفعة وعلوا * يفنى فائقا على الفتيان
يا أميرا غضنفرا قسوريا * قاهر الأبطال فى الميدان
من رجال الحروب ليثا هصورا * ساميا صائلا على الشجعان
مثل ظالم يكون فى يوم حرب * وهياج فى ساحة الصحصحان
ان هذا المأمون أعلى عباد الله قدرا علا على كيوان
وبهذا رأيت ظالم قد صار * خادما حازما مدا الأزمان
سوف يردى الأبطال فى يوم حرب * بحدود الصفاح ثم اليمانى
وتراهم من سيفه فى حساس * وتراهم صرعى على النهروان
وبسيف الأمير ذو الفخر والمجـ * ـد فهو أمير السودان والحبشان
هو أبو الحرب والهزاهز والنقـ * ـع مع الضرب فى الوفاء والطعان
ويعيش سالما عزيزا وملكا * وافر حظه مع السلطان
وأنا الشاعر الغريب المعانى * والعراقى ومعدن الاحسان
ليس عندى الا الوداد لمن كان * كريم الاحسان سمح البنان

(قال الراوى) ياسادة ولما سمع المأمون ذلك الشعر طرب فرحا واهتز على سريره مرحا وأمر له بخلعة سنيه والف دينار خليفيه وقال له طيب الله أنفاسك ياشاعر وأمر أن ينصب له خيمة بالقرب منه ونقل اليه كلما يحتاج اليه من فرح وطرح وأوانى وستور ووسائد وأمر له الأمير ظالم بألف دينار لما عرض بذكره مع المأمون وخلعة سنية وفعل أبو الهزاهز مثاله وخلعت عليه الأكراد لما عرض بذكرها وصار غنيا بعد ماكان فقيرا وصار أبو الزيبق عند القوم فى أعلا مقام ووصلت كتب الأمير عبد الوهاب وقرئت الكتب ان ظالم لا يدخل بينهم ولا يتعرض لقتال ولا حرب ولا نزال وان هؤلاء أخوين يفعلون مع بعضهم ما يشاؤون فمد يديه الأمير ظالم الى الكتاب أخذه من يد القارىء ومزقه والتفت إلى النجاب وقال له ويلك وأين أسود بنى كلاب وذمة العرب مارأيت أصبر منه على الذل والهوان فقال النجاب أنه وصل إلى الموصل معول أن يأتى إلى الأمين ويكون له عدة عند كل شدة ومعين لأنه وصلت اليه من بغداد عدة كتب يستنجدوا به وانه لما وصل إلى الموصل قال له الأمير أبو محمد على ماذا عولت أيها الأمير أن تفعل فقال له أقصد الى الأمين فقال البطال ان فعلت ذلك يكون آخر صحبتى معك لأنك تعلم ماجرى علينا منه وأنا أعرف انك ماتملك نفسك عند الغضب وتأخذك الحمية وتقاتل ولدك ظالم

و تكون له مصادم وربما يجرى بينك وبين ولدك أمر من الأمور فقال عبدالوهاب ياأبو محمد ان أحسن الناس من وفى بالعهود وأنت وقع فى قلبك خيفة مما جرى علينا فى الحبوس فقال أبو محمد نعم نحن كل يوم مع الامين وزبيدة فى الهوان والاحزان وأنت سائرفى تلك النوبة إلى الموت والعدم لأن ظالم بطل وأى بطل وأيضا نفسى تحدثنى أن دولة الامين لاتدوم وتحتاج أن تلقى ظالم وربما أن ينصر عليك فى الحرب فيكون ذلك عار والصواب أن ترجع الى ملطية وقل أنا ما أدخل بينهم لأنهم أخوين وتأمن من عتب الامين والمأمون فلما سمع عبد الوهاب ذلك غضب وقال يابطال انك مهين لأنك صغير القدر فقال البطال اعلم أن الخلافة الآن صارت لامرأة وصبى وعقبة عندهم يأمر وينهى علينا وأنت تصير على الذل والمهانة فغضب عبد الوهاب وقال ومتى صار عقبة يأمر على وينهى فقال البطال على الضمان انك مصفوع مادمت على ذلك اليقين وأنا ربما أهرب وآتيك فى وقت الشدائد واخلصك وأنا والله ضجرت من هذا كله وأنا مرادى أمضى إلى عند المأمون وأكون مع ولدك وافعل انت بروحك ماتريد وأن أتيت الينا وقاتلتنا مع الأمين لابد أن أجعلها عليك أيشم السنين (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان الامير أبو محمد رجل كياد ويعلم أن الخلافه إن صفت للامين كان ذلك سببا لهلاكهم بما يكون من عقبة وزبيدة وان الأمير عبد الوهاب لما سمع من البطال ذلك المقال رقصت شعرات شواربه وقام على حيله ورفصه برجله فى صدره كاد أن يقضى عليه وقال ويلك أن الامين والمأمون مافيهم من يقدر يخاطبنى بذلك الخطاب وما قدرك حتى تقول ذلك المقال ومسك قوائم الحسام حتى أتت الأميرة ذات الهمة وردت ولدها وقالت للبطال ما أنت الا قد نظرت لروحك أمر عظيم وأنا ماأرضى لك ذلك ويكفاك ماجرى منك فى نوبة نورى وخرج منك على عبد الوهاب الذى تعهده وكنت أناعو نالك والآن تأمره أن ينافق على الامين ويكون ناقضا للعهد والميثاق وان صفت الايام للامين كيف يكون منزلته عنده وأيضا لما تسمع العرب بقبيح من قولك إذا لم ترجع فعلت وصنعت ولا يجرى ماجرى علينا من الاعداء وان كان ولدى فأنا أصبر منه فى الحرب ومقام الطعن والضرب وأما قولك تأخذه وهو نائم فهذه صنعة البهائم لا صنعة الرجال الاكارم وما بينى وبينك بعد ذلك الا تعليق الجماجم ولا بد لنا من السير إلى الامين وان كنت انت رجل افعل ما تراه وانظر مايجرى عليك وفى وقتها الاميرة أرسلت إلى سائر الجهات تطلب الرجال وقد نوت الارتحال (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما سمع الامير ظالم من النجاب قال ياويلكم أما سمع فى طى الكتاب من ذلك المقال فقال النجاب يامولاى الكتاب كتب إليك قبل ذلك الكائن وفى ذلك اليوم أو

غد يكون أبوك دخل بغداد ومعه فرسان شداد وما يهل شهر العيد إلا وهو قبالكم وأن البطال هو الذى حثنى على السير وأوصانى أن أقص عليك هذه القصة فقال ظالم والبطال مع عبد الوهاب أوفى ملطية مقيم فقال النجاب لا ولكن أخذ غلمانه وترك خيامه ومضاربه فى عسكر عبد الوهاب ولا شك فزع من ذات الهمة وعبد الوهاب أن يحقدوا عليه ولما سمع ظالم ذلك الأمر دخل على المأمون وأعاد عليه تلك القصة فاصفر لونه وبعد أن كان أسمر صار أبيض وسكت غيظا على عبد الوهاب واضمر فى نفسه إذا ملك الخلافة يجعل ظالم مكان أبيه وعول على أذى الأمير والأميرة وقال معلوم انهما ماضيا مع الأمين إلا وهما يريدان قتلى التفت إلى ظالم وقال ياأخى أنا والله حرت فى أمرى وأنت وأبو الهزاهز كل واحد منكما سيفى وترسى الذى اشتد به فى الشدائد وهذا عبد الوهاب قد قصدنى بأبطال عامر وبنى كلاب وأنكم تعرفوه ولا تنكروه فاعلمونى ما يكون منكم حتى آخذ لروحى فى الهرب من اليوم وأكون فى بعض المواضع أعبد الله إلى أن يأتينى اليقين ثم أنه بكى من شدة الغبينة والقهر وحذر من الفتن وقال والله انى ماأريد هذا إلا لإقامة الحدود حتى لا يكون تدبير العامة مع صبى يقضى على الناس بغير الشرع فلما أن سمع الأمير ظالم ذلك قال ياأمير المؤمنين ايش ذلك المقال وحق من خاطب موسى فسمع وتجلى للجبل فانصدع ونظر إلى الليل فتقطع ورفع ووضع ووصل وقطع وشتت وجمع وضر ونفع وأعطى ومنع ماأختلى عنك وفى عين تطرف وتدمع وإن أتاك ذلك الأسود لاقطعن بهذا الحسام قذار وأرمل عيانه وأيضا أبو الهزاهز قال مثله عندذلك جدد المأمون معهم العهد والميثاق وأشهدوا رب الآفاق وقال اشهدوا على أننى إن أعطيت ماأريد يكون ظالم مقدم على العرب العربا بعدا وقربا شرقا وغربا وبات المأمون مسرور بعد ذلك المقال وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أتى ظالم إلى سرادق المأمون فلاقاه الخادم وهو مذعور وقد تغير لونه واضطرب كونه فقال ظالم ماوراءك قال يامولاى انى انتظرت أن يخرج فما خرج ودخلت الخيمة ما وجدت فيها أحدا ووجدت السرير منه خالى (قال الراوى) فلما سمع ظالم ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال للخادم امسك مامعك واكتم هذا الكلام ولا تخبر أحدا آخذ ما بين عينيك لئلا تتفرق العساكر وتهرب العشائر ثم ان ظالم مضى إلى خيمة الحسن بن طاهر وسأل عنه فقيل أنه من نصف الليل مارأيناه ولا شك أنه عند المأمون فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم رجع الى مضربه وهو لا يسمع ولا يرى ولا يدرى ما يعمل وقد ضاقت به الحيل (قال الراوى) ياسادة يا كرام وبينما هو كذلك واذا هو بشخص داخل عليه وباس يده وقال يا مولاى أدرك

مولای أنت وأبو الهزاهز وعشرة فوارس على عجل فتبينه واذا به غلام البطال لؤلؤ (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى ذلك وغياب المأمون أن أبو الزيبق بعد احسانه اليه ذلك الاحسان الزائد لم يزل يحكم العمل ويتقن الحيل الى أن مضى من الليل قدر نصفه وكان المأمون صلى العشاء الأخيرة واضطجع بعد صلاة ورده وغرق فى نومه هجم عليه أبو الزيبق ألقمه الاكرة وشد يديه على رجليه وحمله الى مضربه وأتى الى الحسن ابن طاهر وقال ياسيدى ان الامام يدعوك سرا من غير أن يكون معك أحد من أجل حديث قد سمعه من الأمير ظالم فلم يخالف الحسن بن طاهر دون أن وثب معه ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى الخيمة التى لابو الزيبق فما دخل اليها حتى وثب اليه كأنه شيطان فى صورة انسان وقال أقسم قسما صادقا ان تكلمت لآخذ ما بين عينيك وقبض عليه وألقمه الاكرة وشد يديه إلى رجليه والصقه بجانب المأمون ومضى الى ظالم فلم يجد له عليه من سبيل فرجع إلى خيمة أبو الهزاهز فوجده جالس فى الخيمة كانه الأسد والنار تضرم بين يديه ومن حوله جماعة من السودان وهو يقول ان أتانا عبد الوهاب فى تلك النوبة ما يفصل بيننا الا السيف وهو جالس على ركبتيه وعيونه كاجاجين الدم فرجع أبو الزيبق وهو يقول ما بعد الربح الا الخسران ولا بعد الزيادة الا النقصان وكان قد وعد عقبة أن يرسل له عشر رجال يكمنون من برا العسكر فى خرابه هناك لحمل المأمون ووضعه هناك ورجع إلى الحسن بن طاهر ووصلت اليه الرجال من عند عقبة ففرح وأخذ المأمون والحسن بن طاهر وساروا فى طريق منحرفة إلى قرب الصباح فقال أبو الزيبق نكون ههنا مكمنين فلا بد للخيل ماتسير خلفنا وإذا بهم نظروا مسجد على الطريق إلا أنه خراب وفيه خرائب دائرة مظلمة فقال نكون ههنا ويمضى واحد منكم إلى القاضى عقبة يعلمه يجهز لنا رجال وعسكر يأخذوا مامعنا ويسلموه إلى الأمين يقتله ويرمى برأسه الى قومه فتذل عساكره وتتقهقر جيوشه ودساكره ثم انه أرسل واحد إلى ذلك المعنى ودخل المشهد وكان بالأمر المقدر والبلاء المدبر ان كان وصول البطال ومعه غلمانه وذلك انه لما وقع بينه وبين عبد الوهاب ماذكرنا وذكر انه راجع إلى ملطية فقطع البلاد ومنع عن مقلتيه الرقاد حتى وصل إلى عسكر الأمين فميل عنهم ووصل إلا المشهد وقد علم ان الذى بينه وبين عبد الوهاب مايكتم ولا يخفى عن الأمين فعزم ان يمضى إلى المأمون بثلاث وجوه احدهما حماية له والثانى خوف من عقبة لأن دولته لاتدوم والثالث لاظهار عجز عبد الوهاب وماقالت الأميرة ذات الهمة لايقدرون على شىء يشرع هو فيه (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما وصل البطال وغلمانه إلى ذلك المشهد فقال هذا المشهد الذى بناه المأمون

فى حياة الرشيد ولم يتمه وهو مشهد الحسين بن علىَ بن أبى طالب وهلموا بنا إليه لعل الله يسهل علينا طريقنا وعند الصباح نمضى إلى المأمون وكان أبو الزيبق لما وصل إلى المشهد ودخل وسمعه البقال فقال لغلمانه انفردوا فى ذلك الجانب حتى انظر هؤلاء القوم ثم أن البطال سمعه وهو يقول واحد منكم يمضى إلى عقبة ليرسل الينا الرجال الكماة يأخذوا المأمون فقال البطال لغلامه امضى ياولدى إلى عسكر المأمون وقول لظالم وأبو الهزاهز يأتوا إلى ههنا فلو وصل المأمون إلى أخيه فى تلك الليلة ما وصل إلى الأرض من دمعه قطرة ولم يكن أحسن من ذلك الاتفاق فى وصول البطال فى تلك الليلة ولما أن نظر المأمون روحه فى المشهد الذى كان بناه وسمع بأذناه ما قال أبو الزيبق للعشرة أن يمضوا إلى الامين ويأتوا بالرجال فدمعت عيونه حسرة وغرامه ولهفا وندامه وقال ما بقى إلا الاهلاك وطلب أن يتكلم فما قدر من الا كرة فلا كها بلسانه حتى نزلت من فيه وأقبل على أبو الزيبق معاتبا وقال أعلم ياهذا أنك توصلت إلينا بالمديح والمقال المليح فلا تسلمنى إلى الاعدا اشرب شراب الردىء وارحم قرابتى من سيد البشر فى ربيعة ومضر صاحب اللواء فى المحشر من يسقى أمته من نهر الكوثر الذى علا على الانام وجلا دياجى الظلام وانقشعت لظهوره غياهب الظلام وان لم ترعى ذلك أرعى ما وصل إليك من الاكرام والانعام وان لم تعمل بذلك فأنا قريب هالك وإذا أردت المال فعلى وحق صاحب البرودة والقضيب والناقة والنجيب أعطيك من أجلى وذلك الرجل الذى معى خمسين ألف دينار وانك إذا وصلتنى إلى الامين ما يعطيك أكثر من ألفين فقال أبو الزيبق لقد رغبتنى فى المال وزدت فى النوال ولكن لابدلى أن أوفى بما ضمنت للأمين لان الواسطة بينى وبينه ما أقدر أخالفه ولو بذلت جسمى للتلاف فقال المأمون ياهذا لا تفعل ولا تكن هلاكى سبب فقال أبو الزيبق دع عنك ذلك المقال فانى لا أسمعه (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أن سمع المأمون ذلك قال له ياهذا مادينك قال من النصارى وحق دينى ويقينى لابد لى أن أسلمك إلى الأمين وكان البطال كلما جرى بينهما وهو يسمع ذلك ولما أن قال من النصارى عرفه وكان يعرفه سابقا فحقق المعرفة فقال لغلمانه والله أن هذا كله من عقبة قالوا له أسكت ولا تتكلم كلمة واحدة فما نحن من رجاله ولا من أشكاله فلا نتوسل له فيضيع أمرنا اصبر إلى أن يأتى النفير ويشتد الهجير وأنت بعد ذلك على أخذه قدير فسكت على مضض إلا أن أحشاه تتقطع وخاف أن يسبق أصحاب الامين وأما المأمون فانه أيس من ذلك الوجه وجعل يسأل رب الارباب الذى إذا دعى أجاب وجعل يدعوا بدعاء كان سمعه ماسأل به عبدا وهو فى شدة الا وفرج عنه فلا والله ماتم المأمون دعاءه

إلى مولاه حتى أتاه الفرج وكان المنادى الذى ناداه عنده فى المشهد وهو البطال لأنه لما سمع من أبو الزيبق فلم يجد الصبر عنه بل قال لغلمانه أن أهملنا أمره تأتى رجاله عقبة تأخذه ولا يبقى لنا سبيل إلى خلاصه وأريد أن أبذل المجهود وأرمى روحى على هؤلاء الكفرة الجحود ولكن أنا أعلم أن المأمون بطل من الابطال وقيل من الاقيال ثم أنه زحف على بطنه حتى وصل إلى المأمون أراد المأمون أن يصيح فقرصه قرصة لطيفة فعلم انه مشفق فقطع كتافه وقال جاءك الفرج وانى قد أرسلت إلى ظالم وكانك به يكون عندنا فقام المأمون وقال من أنت الذى من الله بك على فقال أنا البطال خادمك ومعى ثلاث رجال بأيديهم السيوف الصقال فقال اعطينى سلاح ادافع به عن روحى وأموت موت الكرام فسلم اليه سيفا ماضيا وخلص الحسن ابن طاهر وهم كذلك وإذا بالرجال عند طلوع الشمس وقد هجمت على المشهد ومعهم السيوف الصقال والعدد والزرد والعمد وكانوا عالم عظيم وفى أوائلهم الفضل ابن الربيـــع وعقبه الشنيع وقد أخفى نفسه عن الجميع وكانوا هؤلاء أسبق وكانوا على أهبة وفى دون ساعة وقع الصياح وجردوا الصفاح وصعدوا على سطح المشهد ومال الأمير أبو محمد البطال وأيضا المأمون تلقى الابطال من دون الرجال بصدره وقال لأموت أسير والموت أرمى روحى عليه ولم يزالوا يقاتلون ويناضلون حتى خذلت منهم المناكب وقد قال القائل

لا تقاتل بواحد أهل بيت ٭ فضعيفان يغلبان قويا

(قال الريوى) ياسادة ياكرام فما أصبح الصباح حتى أخذوا المأمون والحسن ابن طاهر وقاتل البطال بعدهم ساعة وأخذوه وأيضا غلمانه وما ملكوا البطال إلا بعد جهد جهيد وحرب شديد ونظر عقبة الى ذلك فقال يالها من ساعة ما أسعدها ونعمة ما أتمها انقضت حاجتـــين فى حاجة وحق المسيح ان وقوع البطال غاية مرادى ومسرة فؤادى وساروا القوم وعقبة ماتسعه الدنيا من الفرح الى أن بقى بينهم وبين عسكر الأمين قدر فرسخين وأبو الزيبق فى المقدمة وهو يقول أنا البطل الفارس العائق ولى صارم باتر ما حق ترانى إذا أظلم الخائق لباب الملوك أنا طارق نهارى فى حربها غائص وليلى لا بطالها سارق لأنى أصول لضرب الفحول لهذا دعونى أبازيبق ومالى قصد سوى همتى أطابع الذى فضله دافق يقال له عقبة فى الورى وأنا لخدمته عاشق (قال الراوى) هذا والمأمون قد أيس من الحياة وأيقن بالوفاة وكان البطال مربوط إلى جانبه فقال وحياتك يامولاى كلما تم علينا من عقبة ويكفيك وهذا الملعون أبو الزيبق يقول لولا ما صنعت ما فعلت فقال المأمون بالله عليك دعنا من هذا الكلام فبعد ساعة نشرب شراب الحمام وما بقى الاجل الا ان كان

ساعة وأريد أن أجعلها طاعة وقد تمت علينا هذه القضية المدبرة فدعها تكون من الزيبق أو من عقبة أو من غيرهم ومعلوم أن عقبة ما يختارنى دون الأمين لأنه يريد هلاكى وهو يعلم أنى أميل اليكم وأيضا زبيدة ومحبتها له (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهم كذلك واذا هم باقوام من الغزوهم سائرين قدام رجعوا منهزمين لا يلوول على أحد فقال لهم محمد بن هارون ما بالكم راجعين تدقون بعضكم بعضا قالوا يامولانا وراءنا المـــوت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر لأننا سبقنا فى المقدمة نشعر الامام بالنصر والظفر ولما وصلنا إلى أجمة القصب وجدنا فيها أقوام جسام هناك كانهم الجواميس على خيل دهم سود دمس قد أشهروا القواضب وهم كانهم السلاهب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن غلام البطال لما سار من المشهد كما ذكرنا ووصل إلى ظالم وقال يامولاى أدرك مولاى أبو محمد فانه وصل إلى المشهد الذى فى كربلا فوجد المأمون والحسن بن ظاهر هناك وهم مع أبو الزيبق مشدودين الوثاق وقد أرسلنى مولاى حتى تدركهم فالتفت ظالم الى أبو الهزاهز وقال له اركب وسير إلى المشهد وخلص الامام وخذ معك ثلاثة آلاف لأنى أخاف أن تعلم الناس انه عدم فينهزمون لأنى ضابط العساكر فقال صدقت أنا أكفيك ذلك الأمر ثم انه أخذ الرجال وسار فى الوقت والحال الى ان وصل إلى المشهد وقال ربما يسبقونا ويأخذوا المأمون وقال غلام البطال انا مانلحقهم وقد فات الأمر فيهم وما فى الأمر إلا اننا نكمن ههنا فى أجام القصب فما لهم عبور الا من علينا فلم يلبثوا الا قليل حتى بانت نواصى الخيل ووقعت العين على العين وزال الشك وذهب المبين وشاهد المأمون إلى ذلك فجعل يقول

ما أظن الزمان يأتى بهذا ✿ غيرانى رأيته فى المنام

وأما البطال لما حقق أبو الهزاهز فقال له ماتكون الا فارس مناجز فاليوم يبان الشجاع من العاجز هناك صاح أبو الهزاهز فى السودان والأقران دونكم وخلاص المأمون فانه غاية السرور وخذوا هذا الشيطان الملعون عند ذلك صاح الفضل بن الربيع فى رجاله دونكم وهؤلاء السودان اللئام وكأنكم بالأمين وقد سمع الصائح يأتى اليكم فحملت الرجال على الرجال والأبطال على الأبطال وفرغت الآجال وعمل الحسام الفصال وزاد الحام وفلق الهام وضاقت الصدور وحاروا فى الأمور ودام الكفاح وقوى الصياح وولى الجبان وطلب الرواح وبيعت الأرواح بالسماح وأقبلت عساكر كأنها شقائق إلا أنها ماوصلت حتى خلص أبو الهزاهز المأمون ومعه وقطعت الرؤوس وزهقت النفوس وسالت على عساكر الأمين من الشمال ومن اليمين وصدموا أبوالهزاهز بصدور الخيل

فتلقاهم وطرح الرجال وإذا بالأمير ظالم قد أقبل كأنه الأسد الكاسر ومعه جميع العساكر وحملوا كأنهم موج البحر الزاخر ووقع القتال واشتد النزال وجرت الدماء كأنها السيل الهطال واشتد البليات ودامت الكربات والاجساد على الارض مطروحات وضاقت كل الجهات وتمددوا عساكر الامين فى تلك الفلوات ونصر الله الامير ظالم وركب ومن حوله المماليك والاعلام وإذا بغبار قد علا وثار إلى أن سد الاقطار وبعد ساعة تقع وبان من تحته سادات بنى عامر وكلاب والسودان الانجاب وفى مقدمة القوم الامير الاوحد والصارم المهند الامير الاجل الاميرعبد الوهاب ومعه خلق بعدد التراب وقطر السحاب وان الامين لما رآه استقبله فى رجاله وفرسانه واعلمه بما فعله ولده وانه انتصر للمأمون (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكانت العساكر قد افترقت من القتال وأن عبد الوهاب قال للأمين أماولدى وأبو الهزاهز على الضمان أردهما عن قنالك وعن حربك ونزالك وأما أخيك المأمون دعه يمضى إلى النهر وأن يقيم هناك فقال الأمين أنا أريد أن يطأ بساطى ويعترف بالخلافة ويبايعنى وإذا رجعت إلى بغداد أعطيه مايشاء من البلاد (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان قصد الأمين أن يقبض عليه ويقتله وأن الأمير عبد الوهاب لايعلم شيأ من ذلك لأنه سليم القلب حسن الظن والسريرة وسريرته عامرة بالله تعالى عندذلك أرسلت الأميرة ذات الهمة للمأمون والحسن بن طاهر تقول له أما بعد فان العاقل من نظر إلى مابين يديه ويفعل فعلا تحمده الناس عليه وأنت تعلم أن الرشيد قبل مماته أوصى بالخلافة للأمين وإن وصل إليك الأمر والنهى بعده خدمناك يامولانا مثل ماخدمنا أباك وأجدادك رضى الله عنهم وقد اتفق الرأى أنك تطأ بساط الأمين وتقبل سؤالى وتمضى معنا إلى بغداد بحيث أنك تقول لظالم أنك دخلت تحت الطاعة ورضيت بالخلافة لأخيك الأمين وبعد ذلك يصل إليك من الهدايا منه والمواهب والخلع والخيل والجنائب وتنال ماأنت له طالب وبعد ذاك يعطيك أخيك جميع ماتشتهى من البلاد والاقاليم ونحن نخاف أن تدخل عليكم العين وتدخل الناس بينكما بكلام الشين وتكونوا أخوين تعودوا ضدين ويقع بينكما الشر والعناد وتشمت الأعواء والحساد (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما أن وقف المأمون على ذلك الكتاب أحضر الجماعة الذى يعتمد عليهم من أرباب دولته وقال ياقوم هذا الكتاب من عند الأميرة ذات الهمة وعبد الوهاب وهم يذكرون كذا وكذا فما أنتم قائلون وبه على تشيرون فقال له الحسن بن طاهر أقسم بالله ياأمير المؤمنين وباتصالك من محمد سيد المرسلين ماتقع فى يده إلا وتكون مفارقا للدنيا وساعة وصولك إليه يضرب رقبتك ولو كان الرشيد حيا ويشفع فيك ما يقبل

شفاعته ولا ينفعك أحد لاذات الهمة ولا عبدالوهاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام وهم كذلك وإذا برجل أقبل من ناحية عسكر الأمين ولما قرب إليه أعطاه كتاب لطيف ففتحه المأمون بيده وإذا به من عند الخادم جوهر وهو يقول فيه الله الله يامولاى لا تسمع من كلام أخيك ولا كلمة واحدة لأنك أن وقعت فى يده قتلك من ساعتك لأنه أرسل إلى بغداد وقتل أولادك كلهم وهم صغار لاعقل لهم ولا ذنب لهم فكيف يكون حالك معه وأنت تطلب منه الخلافة إذا ظفر بك لأن هذا رجل قد خرج من الأمور ولا يفكر فى عواقبها ولا يخاف من خطرها فاياك ثم إياك أن تقع فى يده أو أحدا ممن يلوذ بك فكل من وقع فى يده ما يشوف نسيم الهواء أبدا وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر والسلام فلما سمع المأمون بذلك قال صدقت ياأبن طاهر فيما قلت فقال الرأى عندى ان تكتب إلى الأمير عبد الوهاب كتاب فقال هذا هو الصواب فأمر بكتابة الكتاب وكتب فيه (أما بعد) فان وطىء البساط ما تجد روحى لذلك انبساط وان كان امير المؤمنين حفظه الله وحماه ورعاه يعقبنى من ذلك فأنا اسامع المطيع فى جميع الأحوال وسامع الأفعال ولو أعطانى قرية من البلاد قبلتها وشكرت الله على ذلك وإذا لم يفعل ذلك ويطلب شيئاً آخر فأنا مستعين بالله تعالى فى جميع الأمور والسلام (قال الراوى) ياسادة ياكرام ووصل الكتاب إلى الأمين فلما سمع ما فيه غضب الأمير عبد الوهاب وقال ما بقى إلا القتال والحرب والنزال فقالت الأميرة تمهل ياولدى فأرسل الأمير عبد الوهاب إلى المأمون ثانى مرة ولم يجبه إلى ما طلب فأرسل إلى الأمين يقول ما بقى إلا القتال ومعاناة النزال وملاقاة الأبطال وما النصر إلا من عند الله العزيز المتعال ومن كان باغيا على الآخر فان الله يخذله ويذله ويطالبه بدماء المسلمين وأنت أيها الأمير لو تركت هذا وازلت هذا العناد لكان خيرا لك فى دينك ودنياك وأنت بتلك الأمور خبير (قال الراوى) ولما سمع الأمير عبد الوهاب جواب المأمون صعب عليـــه وكبر لديه وأرسل إلى ولده ظالم يقول (اما بعد) فانت تعلم أن الله تبارك وتعالى فرض عليك طاعة ولى الأمر وطاعة الله وطاعة الوالدين والرفق بهما على الحالتين ولين الجانب وترك الجفا والذى أمرك به أن تعتزل أنت وأخيك سيف الحنيفية وأبو الهزاهز عن عسكر المأمون واعلم أن شدة عزمه على مخالفة أخيه ماشد عزمه الا أنتم ومن معكم من الفرسان والشجعان السودان وأنا الذى لاأبغض عهد الرشيد ولا أكون لدولته مخالفا بل أكون لهم مؤلفا ولو كان الرشيد وهب للمأمون الخلافة لما كان يسعنى فى الله مخالفته وما يليق بى أن نتخلا عن الأمين فيقع على التوبيخ من المسلمين ولا أقدر أن أرده عن ماطلب لأنه

اليوم طاعته علىَّ فرض وعلى الناس جميعا فان أجبت إلى ذلك عفا الله عما مضى وإلا وذمة العرب العربا والسادة النجبا يكون هذا لهلاكك سبب وما أنت عندى أجل من والدى الحارث وظالم ابن الصحاح وقد قتلته لأجل الدّين والحميـــة للسدين وختم الكتاب بهذه الأبيات

ان كنت ياولدى قبلت نصيحتى ... وسمتها ورأيت ذاك صوبا
ورجعت عن حرب الامين فلاتكن ... فى صحبة المأمون تبغ حرابا
ولئن جهلت لمـــا أقول فانه ... يعفيك حزنا ما عليه عتابا
ولئن أطعت أباك عشت مسلما ... من كل نائبة وحسن ثوابا
أن الأمين هو الخليفة هكذا ... فعل الرشيد فلا تكن مرتابا
وأبو الهزاهزمع أخوك فلاتكن ... إلا وأنتم كلكم أحبابا
وعلىَّ أصلح كلمـــا جانا به ... مأمون من أمر لديه مهابا
ولئن أبيت فاننى لك قاتل ... فى موقف الهيجا بلا كذابا
لا تنظرن للملثمـــة التى ... قد جبتهم إذ ينصروك ضرابا
وكذلك أندال العبيد فانهم ... مشط الحجاز وقد عرفت كلابا

(قال الراوى) ثم أن الأمير أرسل إلى ولده ذلك الكتاب فوقف عليه بحضرة المأمون ولمـا ان سمع ما فيه شاظ غيظا وأقبل على البطاو وقال له املى ما أقول وإلا أكتب أنت قد استولى على وعلى عقلى ولبي ورشدى فقال البطال أكتب أنت ما تراه فان عجزت عنه أنا أريك ما أفعل بذات الهمة وعبد الوهاب ولا بد لى ما اترك ذات الهمة تطحن الحنطة والشعير حتى يكون لسانها عن ما تكلمت به قصير فأنا قد سمعت من كلامها بعد ماجرت عن حسامها كلام بليغ (قال الراوى) عند ذلك كتب الأمير ظالم إلى أبيه كتاب يقول فيه (أما بعد) أن التعدى من شيم اللئام والتعصب مع الحق من خصال الكرام وهذا المأمون هو ابن أمير المؤمنين الرشيد على كل حال وأنه ما طلب الخلافة قط وإنما بلغه أن أخيه قد أضمر على عطية وتبين له أنه يلح فى طلبه وإلا كان أعطاه بعض المواضع وما كان وصل من هذا شىء وقد وصل الأمر إلى دونه وان من حوله رجل يسمع قوله ولا يغمد القول وأن من دونه رجال من كل بطل منازل لا يسمعون كلام المغازل ولا يصغون إلى عذل عاذل وأما قولك انك قاتلى فهذا من غاية الطمع فلا تطمع نفسك بالظفر فى كل الأوقات نهيهات وأنا خائف من الخجل وأما قولك إنك تبذل فى الدين المجهود وتطلب العفو من الملك المعبود فأنا أيضا كذلك فوحق ذمة

العرب لئن لم تقصر عن هذا الحال وترجع عن القتال لاكان قتلك إلا على يدى وان كان ذلك يوجب العذاب فان أردت أن تنتصر للأمين وتكون على ما ضمنت حريص مكين فاخرج إلى الميدان ومقام الطعان حتى أخضب من دمك هذا السنان يامن يدعى الدين والايمان ويطلب اصلاح الامر والشان كيف يستحن الأمين أن يرسل إلى بغداد ويأمر بقتل أولاد المأمون وهم أطفال صغار ماجرى عليهم قلم ولاهم من أرباب الحرب والقتال ولاهم غرض فيما نحن فيه من الأحوال وما جرت العادة أن يقتل البرىء بالسقيم ولا يرضى بذلك رب العالمين وإن أنت أعنت الأمين بعد هذا الظلم المبين فما يكون لك دين والرأى عندى أن ترحل إلى وطنك وتقعد فى سكنك لأن البغى مصرعة الرجال ويقود إلى الهلاك والوبال ودعه تتفرق رجاله وتتخلى عنه أبطاله وان أنت أبيت ذلك فاعلم انك عن قريب هالك لأن هذا المسلك من أضيق المسالك وما الخلافه إلا للأمام المأمون لأنه أكبر منه فى السن وأوفر فى العلم والعقل والذهن (قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير ظالم من كتابة الكتاب طواه وأعطاه للرسول وقال له قل له مشافهة لاخفيه يخرج عن هذا الامر ولا جعلته كيوم مضى فعاد الرسول بالجواب إلى أن دخل على الأمير عبدالوهاب وأعطاه الكتاب فقرأه ولما أن فرغ من قراءته بلغه الرسول ما قال الامير ظالم من الخطاب فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك عظم عليه وكبر لديه هذا وقد سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك المقال قالت يابنى نحن قد ثبتنا فى هذه القضية وقد جعل الامين العهد فى رقابنا وما بقى الا قتالهم وان كانوا أحبابنا ولم يبق شىء بعد الاعذار والانذار ثم انها قالت للأمير وأنت على ماذا عولت فقال لها على القتال والحرب والنزال وفى غداة غد يكون الحرب والظفر والضرب (قال الرواى) ثم ان الأمير عبد الوهاب بعد ذلك أرسل إلى الأمين يقول له يا أمير المؤمنين انى قد نهيت ولدى فلم ينتهى وأنا قد عولت فى عداة غد على القتال وان أتولى بنفسى النزال وسوف ترى ما يحل بهم غد ولا يكون لهذا الأمر غيرى والسلام فلا تترك أحـــدا من قومك يقاتل معنا حتى أشفى غليل قلبى ويزول العنا ففرح الأمين بذلك وشكره على قوله وما يريد أن يفعل من فعله هذا وقد باتت الناس تلك الليلة وهم سهارى يصلحون العدد والصفاح وأسنة الرماح ولم يزالوا على مثل ذلك الى أن أصبح الله تعالى بالاصباح وأضاء بنوره ولاح عند ذلك ركبت الرجال على ظهور الجراد القداح وتقـــلدوا بالصفـــاح واعتقلوا سمر الرماح وتقدموا الى مقام الحرب والكفاح وترتبت أيضا بنى كلاب والسودان الانجاب وفى أوائلهم الأميرة ذات الهمه والأمير عبد الوهاب وسملق وطماطم وأبو الهول وقراقد

وسودانه (قال الراوى) ولما نظر الأمير ظالم الى ذلك الشأن ركب كانه الأسد الغضبان وركب المأمون وركبت عساكره الكرام ودساكره أهل الاحترام وركب أبو الهزاهز البطل الهمام وسودانه المعروفين بالحرب والخصام فى مقام الصدام وركبت أبطال الديلم وفرسان العجم الذين قد انضافوا إلى المأمون وركب البطال فى موكب عظيم من العسكر وكان ذلك اليوم يوما منكر وتقدمت سودان أبو الهزاهز مثل عندم وغيلم وطمطم وكردم وملجاج والتحفوخ وأبو قراقد ودحروج وارتجت الأرض فى ذلك اليوم من ركض الخيل وعاد النهار كانه ظلام الليل فكان القيامة قد قامت والحسرات دامت وصهلت الخيل وتدفقت العساكر كانها السيل وترتبت الصفوف وتعبت المئات والالوف وقد جعل الأمير ظالم الملثمة فى الميمنة والبربر فى الميسرة وعبيدة معه فى القلب وكذلك فعل أبو الهزاهز بأصحابه والديلم والاعاجم وكذلك فعل الامير عبد الوهاب فى رجاله وعبأ أبطاله ولما ترتبت الصفوف قدام الامير عبد الوهاب ركب الامين فى ألف فارس من الحجاب ولهم هدير كانهم أسود الغاب (قال الراوى) ولما تقابلت الصفوف واشتهرت المئات والألوف خرج الأمير ظالم إلى وسط الميدان ورمقته الطائفتان وهو على جواد من الخيل الجياد عظيم الهيكل قليل المثل سريع إذا انتقل يطرب المسامع إذا صهل سابق إذا جرى قراب إذا سرى قد تعود خوض الأهوال والوغا لايبعد عليه فسيح البيدا كما قال فيه الشاعر :

سبقت الريح لما كان تحتى ٭ حصان لايقاس به حصان
قوائمه الرياح إذا تبدى ٭ رأيت البرق فى كفى عنان

(ياسادة) وعليه درع سابورى وبيضة عادية وفى يده قنطارية خلنجية متقلد بصفيحة هندية ثم انه ساق الجواد إلى ان صار بين الصفين ونادى برفيع من صوته معاشر الناس من عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى فما بى خفى أنا من لايخفى عليكم حاله وتعرفون حربه وقتاله أنا الأمير ظالم بن القناصة وقد تعصبت للمأمون وسوف أكون أول من قاتل أباه فاسمعوا منى ما أقول واتركوا عنكم الفضول ودعوة يخرج إلى وان كان ماسمع فبلغوه ثم انه لعب برمحه فى وسط الميدان حتى حير عقول ذوى الألباب وصال وجال وأنشد يقول

ألا أيها الأقوام كفوا عن العتب ٭ فانى وبيت الله للغبن فى كرب
ومن ناله صبر على السجن دهره ٭ بمطمورة فى كل يوم بلا ذنب
وما للورى مثل الامام الذى به ٭ أصول بسعى فى الاعاجم والعرب

(قال الراوى) فلما سمع عبد الوهاب لم يأخذه صبر هذا وقد صاح أبو الهزاهز وبيده حسام وحمل حتى صار عند الأمير ظالم وطلب البراز فبرز الأمــير عبد الوهاب وقال اقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين لابرزت الا لكما أنتما الاثنين فلما سمع أبو الهزاهز وظالم أراد كل واحد منهما الحملة وإذا قد خرج من عسكر ظالم فارس وله هدير وهمير وزمجره وزئير كانه شهاب نار أو كوكب سيار وركبته مستوية وذلك الفارس سيف الحنيفية وقال والله العظيم لاتخليت عن أخى بنفسى وإذا بفارس برز من عسكر عبد الوهاب وعليه لبس أحمر وقد هدر وزمجر وله همهمه وتحته حجرة دهما ململمه وكان ذلك الفارس ذات الهمة وهى تقول دعنى يابنى ابرز الى الثلاثة وخرج من بعدها مالك بن طوق وبعده راشد بن ضمره وسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر وهارون العلوى وقال وقد بلغ من قدر هذا الأسود الزنيم والبطل اللئيم أبو الهزاهز ان يذكر الأمير فى شعره فسوف نسقيه الحمام وبرزت أبطال السودان من عسكر أبو الهزاهز وكان يوم عظيم خرج من الملثمه عشرة وبرز من البربر جماعة ونظرت بنو كلاب إلى تطاير الجيوش فحملت ولم يبق تنظر عساكر ظالم وسيف الحنيفية وأبو الهزاهز والمأمون وحملت عساكر الأمين ومالت الكراديس ولم يزل السيف يعمل والرجال تقتل الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ولم يزالوا طول الليل يتحاربون فلما أصبح الصباح تفرقت الديلم وضعفت أبطال العجم الذين مع المأمون وولت هاربة وللنجاة طالبة وصاح الحسن بن طاهر فلم يسمع ولم يلوى الأخ على اخاه ولا الولد على أباه ولاالرجل من يليه لكل منهم شأن يغنيه ووقف ظالم وأبو الهزاهز وتضعضعت العبيدمن أولاد الحبشان وصبرت رجال ظالم حتى انتثرت منهم الجماجم فرح الأمين بالنصر وبين يديه عقبة وهو يدعو برفيع من صوته ويقول وما النصر الا من عندك ياناصر انصر أمير المؤمنين واحفظ الأمير المهاب عبد الوهاب سيف المجاهدين واحفظ أمه الأميرة ذات الهمة ذات الصلاح والدين فضحك الأمير عبد الوهاب وقال ما فى الأرض أكثر خديعة من هذا اللعين وأمر أن يمسكوا عليهم رؤوس الجبال والطرق والدروب فما وصلوا أرض الحصا الا وقد سبقوهم بنو كلاب لأن عسكر الأمين ما فيهم الا من معه الفرس والفرسين وكان الأمير عبد الوهاب قسم الفرسان مع كل أمير فرقة على أبواب الدروب وأدركهم الليل وصار المأمون والحسن والبطال ومن معهم فى وسط الأعداء وأيقن كل واحد منهم أنه هالك وعاطب هذا والمأمون نذر على نفسه النذور من حج وصوم ان سلم (قال الراوى) فلما تنصف الليل وإذا بالصياح من كل جانب فسألوا الناس ما الخبر فقالوا فقدمالك بن طوق وسعيد بن

الفرج وبرد بن الأزهر وجماعة من حماة العسكر فقالوا الناس يكونوا عند الأمير عبد الوهاب فمضوا إلى الأمير عبد الوهاب وجدوه أيضا قد فقد فقالوا امضوا بنا إلى مضرب الأميرة فمضوا اليها فوجدوها كاللبوة التى عدمت أشبالها وقائت ما مصيبتنا إلا من البطال فقال الأمين وتربة المهدى ما تركته يشم الهوى فقال له عقبة يا أمير المؤمنين ذلك شيطان يقلب بحيله الدول فلما سمع أبو الزيبق ذلك صعب عليه وقال له لا تقل هكذا فأنا أوصل مولانا اليه ومعلوم انى وصلت الى المأمون الا أنه ما كان فى الحساب أن يخلص وسوف ترون كيف أوقع البطال وأخلص الذين معه (قال الراوى) وأما البطال فانه لما نظر الذى جرى على المأمون وسمعه يقول اننا فى غد نؤخذ فقال له البطال يامولانا لا تخاف لأنك فى موضع أمين ومن وراء ظهرك هذا الجبل الحصين فقال له المأمون وأى أمان لنا ونحن بين الأعداء وقد أحاطوا بنا فقال البطال اعلم أن من وراء ظهورنا هذا الجبل الذى مثله ليس يوجد ولا طريق عليه لأحد ولا يصل اليه أبيض ولا أسود ونحن اذا وقع القتال نسند ظهورنا اليه ونحتمى به ونمانع عن نفوسنا فقال المأمون يا أبا محمد وايش جهد ما نقاتل فقال له البطال يامولاى سوف اشغلهم فى تلك الساعة بأخذ الأمراء الذين لهم وألقى الفزع فى قلوبهم فقال له المأمون يا أبا محمد ان كنت عزمت على شيء فبادر فعندذاك ادعى البطال بغلمانه فلما حضروا أقبل عليهم وقال لهم اعلموا أنى قد ضمنت للمأمون انى فى هذه الليلة أسرق الأمراء فقالوا له افعل ما بدالك وها نحن بين يديك فقال لهم انى قد جعلت على كل واحد منكم واحد من الامراء الاكابر وواحد الامين ان فدروا أنا لعبدالوهاب وكل من لم ينجح منكم فما هو منى ولا له عندى حساب فقالوا له غلمانه يامولانا علينا أن نبذل المجهود ونطلب الاعانة من الملك المعبود وهو الذى يعيننا على بلوغ المقصود ويحل عنا هذا الأمر المعقود (قال الراوى) ولما فرغوا مما دار بينهم من الكلام سير أبا محمد فى كل طريق منهم غلام وهو يقول لهم أنت عليك فلان وأنت عليك فلان ولم يزل على ذلك الاهتمام إلى أن فرق سائر الغلمان على التمام قصد كل خصمه فيما له من الخيام وكان البطال قد سيرهم خفية خوفا من جاسوس يعلم ماهم فيه ربما يفسد عليه ماأبرم من المرام ولما ساروا الجميع ولم يبق إلا البطال قصد إلى خيام الأمير عبد الوهاب ومن تمام الاتفاق أنه كان للأمير عبد الوهاب غلام يقال له مقبل وكان يحب البطال محبة عظيمة حتى أنه ما كان يقدر يصبر عنه فى أكثر الأوقات ولم يكن راضيا بفعال الأمير عبد الوهاب فى حق البطال لأن أبا محمد كان يشفق عليه ويدخره فى مثل هذه النوبات فلما دخل أبو محمد فى تلك الليلة إلى خيام الأمير ما كان له سواه قعيده ودخل

عليه فلما أن رآه الغلام بكى وقال له والله ياأبا محمد ماهان على ماجرى عليك فى مقاطعة مولاى عنك ومخالفته لك فى هذه الفعال ونسى ماجرى عليكم من الحبس فى المطامير فقال له البطال اعلم أن عبد الوهاب ماله عقل ومع ذلك فانه يرى ذلك من كرم النفس لأنه يحسن لمن أساء إليه فقبل الغلام يده وقال له يامولاى فما الذى تريد وما هو الذى عزمت عليه فقال له البطال اعلم أنى أريد أن آخذ هذا الأسود الزنيم مولاك وأريد أن تساعدنى على ذلك فقال له الغلام افعل ماتريد ولكن كيف يكون التدبير فى أخذه وهو فى تلك الساعة مستيقظ ولكن اصبر على قليل حتى أنه ينام ونأخذه على غفلة منه فقال له أبا محمد اعلم أنى ما أقدر على الهجوم عليه لأنه كما تعلم جبار من الجبابرة وأنا أخاف أن يحس بى فيثور من نومه فيأخذنى قبل أن أشد كتافه ويسير بى إلى الأمين وأنا أعلم إنى أن وقعت فى يده قتلنى فقال له الغلام فكيف يكون التدبير فى أخذه إذا كان على هذه الحالة فقال له أبا محمد خدمنى هذا الدواء واجعله له فى اناء الماء فاذا شرب منه نلت المنى فقال له الغلام وما هذا الدواء ياأبا محمد لايكون شىء يقتل مولاى فقال له البطال أعوذ بالله من ذلك أو أن يكون كذلك لأنك تعلم مابيننا من المودة والصحبة وهو أعز من روحى التى بين جنبى ولكن الكيد والمخالفة قد أحوجتنى إلى ذلك فعند ذلك أخذ الغلام من أبا محمد ذلك الدواء وألقاه فى إناء الماء الذى يشرب منه الأمير فلم يكن إلا لحظة حتى طلب الأمير عبد الوهاب الماء ليشرب فأتاه الغلام بالكوز الذى فيه الدواء فأخذه الأمير وشرب منه فما لحق الغلام يأخذ منه الكوز حتى وقع إلى الأرض وهجم البطال لفه فى الدراج وأخذه وسار به إلى عند الأمير ظالم وأوصله إليه فلما صار بين يديه فوثب الأمير ظالم إليه وامتشق سيفه من غمده ولم يعلم البطال مايريد أن يصنع لأنه أبيه فبهت إليه وإذا به قد هزه إلى أن أبرق الموت من آخر يده وضربه به من شدة ما عنده من الحرارة فوصل ذباب السيف إليه لأن الضربة كانت قصيرة من أجل ما عنده منه فلو كانت واصلة لكان قضى عليه فمع وجود أجله وقعت الضربة فى قائم سرير المأمون وكان من الحديد الصينى قطعها نصفين ولما علم الأمير ظالم أن ضربته خافت تقدم إليه وهم أن يضربه ثانية ليقضى عليه فصاح به البطال وقال له ماهذه الفعال ثم رمى روحه عليه عند ذلك وثب المأمون من على سريره وأخذ السيف من يده ومنعه من ذلك وقال له ماالذى حملك على هذا الأمر قال الأمير ظالم لأنه جبان وقد ألبسه الله ثوب المهانة والهوان ولبس من المذلة مالم يلبسه أحد غيره من الفرسان وكلما أهانوه قوم أكرمهم ومع ذلك فانه يطلب الخلافة للأمين حتى يكون المشير له عقبة ليرمينا كل يوم فى نكبه وذمة العرب

لابد من قتله فقال له البطال اصبر يا ولدى فما هذا وقته وكل هذا إليك وهو بين يديك ومع ذلك فانك ماجوز لك هذه الفعال إلا إذا كنت أخذته فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وأما فى مثل هذا الوقت فما هو أسيرك لأنى خاطرت بروحى وملكته فكيف يجوز لك أن تنال ماتريد من غير تعب ولا عنا ومع ذلك فان الذى فعله ماهو من المهانة ولا من مذلة النفس وإنما فعله مما عنده من الدين والوفاء فقال المأمون معلوم ولكن لو كان انعزل عنى وعن الأمين لكان خيرا له فى الدنيا والدين وكان يقول هذين أخوين ومع ذلك فهو يعلم أنه باغى على ولو فعل ذلك ماكان يتوجه عليه عتب ولا لوم منى ولا من غيرى ولكن نحن ما نؤاخذه بذلك و نرعى له ماسلف من الخدم وبالله ماذكر منه الرشيد يوم إلا وكنت ارفع شأنه وأعلى مكانه وكنت أقول أنه يكون لى عونا وهو يعلم ما جرى لى من أخى المأمون وكان ذلك مَن أجله فقال البطال يامولاى هذا كله لامر قدر وكان (قال الراوى) هذا وقد أتت غلمان البطال وكل غلام يحمل أمير من أمراء بنى كلاب إلى أن صفوهم قدام المأمون وأبو محمد البطال وظالم فقال المأمون وقد فرح مانفعل بهؤلاء نحبسهم ياأبا محمد فقال البطال يامولاى مالعبد الوهاب وهؤلاء الامراء حبس هاهنا ولكن نصبر لعلى أن آخذ الاميرة ذات الهمة وبعدها أعلم أن بنى كلاب تأتى كلها إلى الامير ظالم والسودان إلى الامير أبو الهزاهز ويقوى بهم عزمك ويشد ظهرك فقال له المأمون فما الذى تشير به الآن علينا فقال البطال نرسل الامير عبد الوهاب ومن معه الى بلد مرو عند اختلاط الظلام واختباط المواكب واشتغالها لأنى أعلم اننا لو تركناهم هاهنا لانأمن عليهم من هذا الشيطان أبو الزيبق رفيق عقبة الذى مدحك فقال المأمون لاترجع ياأبا محمد تذكره ولا تبعدعنا لأنى لا آمن على روحى منه لانى ماشعرت بروحى إلا وأنا على أكتافه فلا كتب الله عليه سلامه فقال له أبو محمد يامولاى لو كان فعل معك مثل مافعلت انا بعبد الوهاب ومن معه من الاصحاب لكان بلغ القصد والارب انظر كيف أتوا اليك وهم فى صفة الاموات ولكن مايحسن هذه الامور والآن ارسل عبد الوهاب ومن أخذنا معه من الامراء مع قوم من الاعجام على البغال تحت غسق الظلام ففعلوا ذلك إلى أن كان وقت الصباح أرسل الامين من عنده رسول إلى البطال وهو يقول وحق الملك الوهاب أن لم ترسل الامير عبد الوهاب هو ومن معه من الاصحاب الذين احتلت عليهم فى هذه الليله وأخذتهم بالحيله لاطلبنك على دجله بغداد وأجعلنك عبرة للعباد إلى يوم الميعاد (قال الراوى) وكان الذى حمله على ذلك الكلام عقبة لأنه علم أن البطال هو الذى عمل هذه الأعمال فقال فى نفسه لعلى أن أصل إلى هلاكه بهذا السبب ولما سار الرسول من

عند الامين ووصل إلى البطال وأدى اليه ما حمل من المقال قال البطال سبحان الله الاميره ذاك اليوم تقول عليك بسرقة الجوار من بلاد الروم لانك ماتقدر على سرقة الابطال وفى هذه الساعة يقولوا هذا المقال ويطالبونى بمن عدم لهم من الاقيال وهذا بخلاف ماكانوا عليه من الحال وأرسل إلى الامين يخوفنى بالتهديد والوعد والوعيد وهذا شيء عنه بعيد والصواب عندى انه يلزم ناموسه ويحفظ من معه وأما قوله انه يصلبنى على دجلة بغداد فان قدر على دعه يفعل مايشاء إن شاء يصلبنى على الفرات أو على الدجلة أو على نيل مصر (ياساده) فلما أن سمع الرسول من البطال بذلك المقال رجع فى عاجل الحال واخبر الامين بما قال فقالت الاميره ذات الهمة أنا أعلم انه كثير اللجاج والاحتيال ولم يبق غير القتال ثم انها زعقت على الرجال فركبت ولما ترتبت الصفوف زحفت الزحوف هنالك ركب الامير ظالم ومن معه من العوالم وكان المأمون قد ركب وركبت معه الفرسان وقد أسند ظهره إلى جبل يقال له جبل الرغل وكان من أسفله كثير الاشجار وليس فيه للخيل مجال ولا تقدر الفوارس فيه على قتال وكان ذلك من تدبير البطال ولولا ذلك المكان الحصين كان البطال أخذ المامون وسار فى جنح الليل ونجى الا انه أعجبه هذا المكان وعلم انه إن ترك هذا المكان وسار لحقته المواكب والكتايب فيهلكوه هو ومن معه من الرجال الاطايب فقال فى نفسه ما لنا مثل هذا الموضع الحصين (قال الراوى) وكان مع الامير ظالم من جملة العبيد ألف عبد كل واحد منهم اذا ترجل كان أفضل من ألف فارس ورجل وكان مع أبو الهزاهز سبعة آلاف أسود من كل بطل أمجد بالسيوف والعمد وصدور الزرد فلما أن ركبت الأميرة فى رجالها وعولت على قتالها وهجمت على عسكر الامير ظالم فتكابست الخيل ولم تجد سعة المجال وقد رموها عسكر الاميرظالم بالفرادات والاحجار والثقال فقاتلت الاميره ذات الهمه قتال شديد ما عليه من مزيد وتلقت تلك الاحجار والجلاميد إلا أن الأمير ظالم ومن معه كانوا فى ذلك اليوم رابحين والأميره ومن معها خاسرين لأن أعدائها عليها مرتفعين وعندهم الحجارة وهم آمنين لأنهم من خلفهم ليس لأحد عليهم عبور فلاجل ذلك تمت لهم هذه الامور (قال الراوى) ولم يزل القتال يعمل إلى أن ولى النهار وارتحل هنالك انفصلت الطائفتين عن القتال وقد ملت الخيل والرجال فنادت الاميره ذات الهمه وهى تقول والله لو كانوا هؤلاء القوم معنا فى سواء الأرض لكانوا فى يومنا هذا من الهالكين وكان يوم الانفصال ولما نزل الأمين ودارت به الجنود أقبلت عليه الأميره ذات الهمه وقالت له ياأمير المؤمنين ماأنا خائفه إلا أن يكون أخيك المأمون فى قلبه من ولدى الأمير عبد الوهاب شيئاً

فيقتله وينزل به العدم ولا ينفع بعد ذلك الندم فقال لها عقبة ما أظن ان المأمون يفعل به شيئا من ذلك لاسيما وولده ظالم عنده هنالك فقالت الأميرة والله ياأمير المؤمنين ان ظالم رجل مجنون ولا يفكر فى العواقب ولا يبالى بقتله لأجل حميته وحظ نفسه وان قتل أباه فما يقتله إلا من أجلك لأن ظالم يريد قتلك على عجل ومن حنقه يعجل قتله بالأمراء والأمير عبد الوهاب يرعى قلوب الخلفاء ويقول لعل وعسى اليوم أو غدا أبلغ المنى ويزول هذا الشقاق والعنا ونبقى فى هنا

تم الجزء الثلاثون ويليه الجزء الحادى والثلاثون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الحادى والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فلما سمع عقبة كلام الأميره للأمين قال حسب الظالمين رب العالمين اللهم اصلح فساد قلوب المؤمنين ووفق كلمة أولاد أمير المؤمنين وأنا أقسم أيضا أنى أكون للامير عبد الوهاب الفدا من نائبات الردا واننى أيتها الأميرة العابدة الزاهدة المجاهدة تعلمين ان كلما يقال عنى محال وهو من هذيان البطال ولكن فى بعض الأحيان تصدقيه فى المقال لأنكى معروفة بالصلاح والدين وتكونى غائبة فى زيارة الأولياء والصالحين وأكون أنا كذلك فلما تعودى تسمعى فى كلام البطال وتصدقى مايقول من المحال وترمونى من كلامه كل ساعة بالمصائب والأهوال فلا يحملكى الهوى على ركوب الأهوال وأنا ماأتكلم فى حقكم إلا بالخيرات وماتقبلوه من المجاهدين فاسئل الله يعطيكى ماتؤمليه من الدين والوفاء ولو كان الأمر كما يقول البطال وخدمت أنا هذا المولى وصرت عنده من الدوله لكان يترك عنده هذا المرام لأجل هذا الإمام ولايجد من أحد منكم ولا من غيركم كلام (قال الراوى) فلما أن سمعت الأمير من عقبة ذلك الكلام استحت من الأمين ورجعت فى الكلام وقالت ياعقبة صدقت وأنا أعلم دينك فما يحتاج أن تصف لى نفسك فقال لها صدق الله قولك فتبسمت ثم التفتت إلى الامام وقالت يامولانا أنا أعلم أن هذا الموضع الذى تحصنوا فيه هؤلاء الأقوام موضع لايرام ومالنا عليه من سبيل إلا بالحصار والمضايقه عليه من جميع الأقطار ونطاولهم الى أن يقل من عندهم الزاد ونأخذهم قبضا باليد ويزول الغرر والنكد وإن لم تفعل ذلك فمالنا عليهم من طريق ولا لنا اليهم من ذلك المكان تسليق فقال لها الأمين افعلى ماتريدين فالأمر فى ذلك اليكى وزمام العسكر كله فى

يديكى فعند ذلك أمرت العساكر أن تدور من حولهم لئلا يهربوا فى ظلام الديجور ففعلوا ما أرادت الأميره من تلك الأمور وقد فرح الأمين بذلك لأنه يقول كل محاصر مقهور (ياساده) واضرمت النيران إلى الصباح وركبت الفرسان يطلبون الحرب والكفاح ووقع القتال والحصار بطول ذلك النهار إلى أن أقبل الليل بظلام الاعتكار وعادوا عن القتال ولم ينالوا منال (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الحال عشرة أيام وعشرة ليال فضجر المأمون من ذلك وضاق صدره وتحير فى أمره وقل من عندهم الزاد وقال للبطال ياأبو محمد ان مابقى لنا صبر على القتال فهل لك أن تعول بناعلى الانهزام تحت غيهب الظلام فقال له البطال ياإمام امهلنى ثلاثة أيام أخر فانى فى هذه الأيام ماقدرت أن أعمل عملا فى هذه الليالى الماضية لانهم كانوا على يقظه من أمرهم والآن فقد اطمأنوا فلعلى أن آخذ فى أحد الثلاثة أيام اما ذات الهمة أو الأمين أورجل آخر فقال المأمون ومن هو ذلك فقال له يامولانا ماهو ممن تخافه ولاتحذر منه فظن المأمون أنه أبو الزيبق وكان البطال قد أعنى بهذا عقبة إلاأن المأمون أجابه وأقام تحت الانتظار فلما أقبل الليل خرج البطال وحده حتى يخفى أمره وسار إلى أن وصل إلى عسكر الأمين ودخل بينهم ولم يزل يتجسس إلى أن دخل على الأمين فى سرادقه ووقف بين أرباب دولته فوجد الأمين فى تلك الساعة قد أحضر عقبة وأبو الزيبق وطلب منهم المعونة وعقبة يقول لابو الزيبق أنت قد وعدتنا انك تخلص الامير عبد الوهاب ومن معه من الرجال وتسرق أبو محمد البطال فقال نعم وأناقادر على ذلك المقال فقال له الأمين نحن نريد أن تنجز ماوعدت وتفعل ماذكرت ولك علينا كلما أردت فقال عقال سمعا وطاعة الليله أفعل ذلك بسعادة أمير المؤمنين وبركة القاضى عقبة ثم انه أقام عندهم إلى أن أغلق الظلام وسار من عندهم إلى أن دخل عسكر المأمون وكان مسيره قبل أن يطلع البطال على أموره إلا أن أبو الزيبق تزيا بزى الملثمة وقد اشتمل بالايزار مع أربع جواز وسار ودخل من خلف العسكر حتى لاينكر عليه أحد ثم انه طلب مكان البطال فلم يجده بل وجد غلمانه فى حديثه وهم يقولون الله تعالى يهون ويستر عليك ياأبو محمد من الأعداء الذين مضيت إليهم لأن عندهم شيطانين وهم أبو الزيبق وعقبة ولقد عرضنا عليه أنفسنا فأبى وما سار إلا وحده ولم يسمع من أحدنا (قال الراوى) فلما ان سمع أبو الزيبق من غلمان البطال ذلك المقال قال أحسنت الذى جئت أنا فى طلبه مضى هو فى طلبى والذى أتيت أنا أعمله سار هو يعمله وان لم أتبعه على عجل فقد بلغ الأمل وتمكن فى غيابى وفعل مثل فعله الأول ثم أن الملعون رجع طالب عسكر الأمين ولم يجسر أن يحرك ساكن (ياسادة) وكان البطال لما أن دخل فى

عسكر الأمين وجد المجلس على حاله والكل فى حديثه وحديث أبو الزيبق وعقبة يقول ما يجىء صاحبنا إلا بأحد الثلاثة أما ظالم واما المأمون وأما البطال فلما سمع ذلك أبو محمد رجع على عقبيه وخاف على المأمون ولم يزل سائر إلى أن أتى إلى نصف الطريق ونزل فى وادى متواطى يقال له وادى السيل فتلاقوا الاثنين فى ذلك المكان فلما رآه البطال زعق عليه وقال له من أنت وقد عرفه فقال له أنا أبو الزيبق فمن أنت يا أنجس من تزندق فقال له ياويلك يانسل الأندال أنا أبو محمد البطال فمن اين أتيت فقال له من عسكر المأمون فمن اين أتيت أنت يازربون فقال له والله ان لم تحسن المقال أنزلت بك الحيال ياويلك أنا جئت من عسكر الأمين فقال أبو الزيبق أنا ماجئت إلا لخدمتك ولكن ما وجدتك ولا وجدت لك فى العسكر خبر قعدت إلى حضرتك على الأثر فقال له البطال وكذلك أنا لأن النسخة التى كتبتها لى أنت قرأتها ولكن الساعة ما بقى غير حكم للسرقة واللصوصية وما بقى غير الحرب والقتال ويعطى الله النصر لمن يشاء ثم قال أريد أسألك عن شىء وأصدقنى فى المقال فقال له أبو الزيبق قل مابدالك وأنا أجيب سؤالك فقال له أريد منك ان تحدثنى ما سبب مقامك فى عسكر الأمين وأنا أعرف إنك من العرب المتنصرة فقال أبو الزيبق ويلك يابطال أنت ما تعلم إننا كنا غلمان الشيخ النجيح وكل شىء أمرنا به ما نخالفه فيه ونمثله ونقضيه فقال له البطال اعلم أن العاقل له بصيرة بخصمه وإنى أعلم انى ما أنا من رجالك فى الحرب ولا أخاطر بروحى معك فى طعن ولا ضرب وانا أسلم إليك روحى بسلام من غير قتال ولا صدام فخذنى وسر بى إلى الأميرة لانى أعلم أن الاميرة ذات الهمة ما دامت عنده فهى لا تمكنه من قتلى ولاسيما وولدها الأمير عبد الوهاب عندى لكن هل لك أن تبيعنى روحى وأنا أدفع اليك أضعاف مايصل اليك من الامين فقال له أبو الزيبق وقد ضحك ياأبو محمد ماأنا ممن يصغى إلى هذيانك ويسمع من شقشقة لسانك وينطلى عليه زورك ومحالك أتريد انى أستأمن اليك وتغتالنى ببعض الخناجر التى قد أفنيت بها كثيرا من الملوك والأكابر والأمم فقال له البطال معلوم لأنى إذا سرت فى ظلام الديجور على نية السرقة فما أحمل غير السيف كما ترى وأنا أرمى سيفى ودرقتى بين يديك والأمر بعد ذلك كله اليك فقال أبو الزيبق لاتطيل واعلم ان هذا مايدخل فى أذنى فوالله ماأنت فى هذا الوقت الاخزانةسلاح فلا بارك المسيح فى عمرك (قال الراوى) فلما سمع البطال من أبو الزيبق ذلك الكلام علم انه رجل لاينخدع ولا يلين لأنه من القوم اللئام فعند ذلك امتضى سيفهما والتقيا فى تلك الساعة واعتمدا بعد اللصوصية على الشجاعة هذا وكل واحد منهم

يريد أن يحمل صاحبه سالم حتى يحظى عند قومه بالثناء والمكارم فجعلا يتضاربان بالسيوف صفح وصار البطال يخادعة ساعه ويقارعه ساعة إلى أن تعب من حربه فعند ذلك ضحك وقال أحسنت يالؤلؤ حط من معك ودونك وهذا الكلب الذى يستحق غضب الرب فلما سمع أبو الزيبق من البطال ذلك الكلام ظن ان كلامه حق وان بعض غلمانه قد وصل اليه فالتفت ينظر إلى من وراءه حتى انه يتأهب إلى لقاءه فهجم عليه البطال وضربه بالسيف كفح لاصفح فكانت ضربة واصله فوقعت فى كتفه فغاص السيف فى بدنه ووقع إلى الأرض فوثب أبو محمد على صدره وشده كتاف قوى منه السواعد والأطراف وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وشاله على أكتافه وسار به إلى عسكر المأمون ودخل عليه وأرماه بين يديه وكان المأمون فى تلك الليلة لم ينام بل هو والامير ظالم وسيف الحنيفية وأبو الهزاهز فى حديث البطال وما يريد ان يفعل من الفعال وما يتم له من الأعمال والمأمون يقول أنا ما أخاف على أبو محمد إلا من أبو الزيبق ان يظفر به فى نوبة خطيرة وان سلم منه فما أخاف عليه من أحد غيره (قال الراوى) فبينماهم فى ذلك الكلام وإذا هم بالامير أبو محمد البطال الهمام قد دخل عليهم وأبدا السلام ورمى أبو الزيبق عن أكتافه كاد أن يرض منه العظام وقال لظالم دونك أيها الفارس الضرغام وهذا النحس ابن اللئام ولما عرفه الإمام أبدا الابتسام وقال له ياأبو محمد كيف قدرت على هذا الشيطان الذى لايرام فأعاد عليه القصة وما جرى له معه فى جنح الظلام فتعجبوا من ذلك غاية العجب فقال ظالم مافى حياة هذا الملعون خير ولا يحصل منه فائدة ثم أقعده الأمير ظالم ووبخه على فعاله وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى سقر وبئس المستقر (قال الراوى) وبعد ذلك عزم البطال على رجوعه إلى عسكر الامين وقد أمن على نفسه من منصوبات أبو الزيبق ومكايده وقد أخذ غلمانه معه فى تلك المره خوفا من الوقوع فى المضرة الا أنه ماغاب إلا شىء يسير وعاد هو وغلمانه وقت السحر وهم يحملون الاميرة ذات الهمة وهى مثل الخشبة لم تتحرك فلما رآها المأمون زاد عجبه (ياسادة) وكان السبب فى أخذها مقبل غلام الامير عبد الوهاب الذى هو محب لابو محمد البطال لانه فعل بها مثل مافعل بالامير عبد الوهاب من الفعال لان البطال لما قتل أبا الزيبق أخذ غلمانه وسار إلى عسكر الامين ما كان له غير مقبل أتى اليه وسلم عليه وأعلمه بقتل أبى الزيبق ففرح وقال له يا أبا محمد وما الذى تريد بعد ذلك فقال له أريد الاميرة ذات الهمة حتى تنفصل هذه النوبة المبرمة ثم انه أعطاه من ذلك الدواء فأخذه منه ووضعه لها فى الماء فلما شربت منه أقبلت فانقض

عليها أبو محمد وأخذوها غلمانه وعاد فى عاجل الحال الى ان دخل على المأمون وقال له هاهى الاميرة ذات الهمة ففرح عند ذلك المأمون وقال مثلك يا أبو محمد فى هذا الزمان لايكون لانه علم ان بعد فقد الاميرة لم يكن فى بنى كلاب من له كلمة مسموعة وكذلك السودان بعد عبدالوهاب لم يضربوا فى وجه الاميرة ظالم وسيف الحنيفية بسيف (قال الراوى) ياسادة ولما ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قام من عسكر الامين الصياح وكان فى خيام بنى كلاب فسأل الامين عن هذه الاسباب فقيل له ان الاميرة ذات الهمة قد عدمت فى فى تلك الليلة فعظم عليه وكبر لديه فهو كذلك وإذا قد وصل اليه الخبر بقتل أبو الزيبق فزاد به الخطر ولم يكن له ذلك الوقت مصطبر دون ان أمر العساكر بالركوب والزحف على الاعداء ففعلوا ذلك وزحفوا اليهم وعولوا على قتالهم عند ذلك ركب الامير ظالم فى عساكره وصاح يا آل كلاب يا آل كلاب عند ذلك أجابته بنى كلاب عن بكرة أبيهم وكانوا ستين ألف عنان وقالوا جميعهم لبيك يا أميرنا وابن أميرنا وانتقلوا من عسكر الامين إلى عسكر المأمون هذا وقد صاح أيضاً أبو الهزاهز يا آل حام يالون الظلام فأجابته السودان عن بكرة أبيهم من كل مكان وقصدوا اليه واختلطوا ببنى كلاب ومن معه عن السودان الانجاب وعادوا كما كانوا أحباب (قال الراوى) فصار الأمير ظالم فى عالم عظيم بعدد التراب وقطر السحاب وصدم بهم عسكر الأمين فكسره أعظم كسره هذا وقد عمل السيف فى أقفية عسكر الأمين وسمع للسيف رنين وفى الأوداج طنين لأنهم لما رأوا الى تلك الأحوال والأمور الكبار ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وتفرقوا فى السهول والأوعار فغنم الأمير ظالم أموالهم ورجالهم وفرح المأمون بذلك وقال للحسن بن طاهر والأمير ظالم ألا اطلبوا أخى قبل أن يصل إلى العراق فركبوا وساروا خلفه ودخلوا إلى النهروان هذا وقد تخلف المأمون مع الثقل وأقام لهم فى الانتظار وقد تركوا عنده عشرة آلاف فارس وكان ذلك بتدبير الحسن بن طاهر لأنه قال له أقم أنت ههنا لحفظ الثقل والمال الى أن نعود عسى أن نظفر به وننال المقصود لأنى أعلم أن ما تتم لك الخلافه ما دام هو فى قيد الحياة وان أمرتنى بقتله قتلته ودفعت اليك رأسه ولا يكون على ملام فقال له المأمون أنه قتل أولادى وقد وجب قتله فان لم تقدر على أسره فلا تعود الا ورأسه فى حزامك ليهدأ قلبى وتنال مرامك (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما كان) من الأمين فانه لما انهزم من قدام ظالم ما زال فى هزيمته حتى وصل الى النهروان فوقف وقد وقفت معه العساكر لما ان انقطع عنهم الطلب ولما علموا به أهل السواد أقبلوا عليه من جميع الوهاد وخرجت باقى العساكر

من بغداد فقوى بهم عزمه وعول على لقاء أخيه مرة أخرى وكان من جملة من وصل إليه فارس يقال له القاسم بن بكرون الكردى فى ثلاثين ألف فارس وكان رجلا عظيم صبور على الأهوال والكرب يقول الشعر ويباهى العرب وكان فى بعض السنين قد وصل إلى ملطية مع الرشيد وتطاعن هو والأمـــير عبد الوهاب على وجه اللعب فى الميدان فلم يجد أحدا منهمـا موضع للطعنة من صاحبه وانفصلوا على سلامه ولما ان قدم فى هذه الأيام على الأمـــين قال له طب نفسا وقرعينا فأنا اقسم بالنبي العربى واصحابه لما تركت ظالم بين يديك الا مقطع بالحسام وأنا الذى أسلم اليك المأمون والسلام (قال الراوى) وكان هذا الكردى يرى فى الأمين شيئا عظيما ويكره المأمون وسبب بغضه له أنه كان يحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا الملعون يكره ذلك ويقول ان الامامة انقطعت من بعد عثمان بن عفان رضى الله عنه وان عليا رضى الله عنه لم يكن يستحقها ولما ان سمع بابن عبد الوهاب الامير ظالم أنه يريد الامامة للمأمون دون الامين قال الآن طاب قتله ثم انه بات تلك الليلة وهو مسرور هذا ولم يبق أحد من العربان الا وقد خرج من بلاده وأتى يطلب القتال (قال الراوى) ولما ان وصل الحسن بن طاهر نزل فى مقابلة عسكر الامين وقد دقت الكؤسات ونعرت البوقات ونشرت الرايات وبات الآخر فى ذلك المكان الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الابطال من الجانبين على ظهور الجرد القداح واصطفوا يطلبون الحرب والكفاح فتقدم القاسم الكردى الى بين يدى الامين وقال يا أمير المؤمنين أنا أريد أن أقاتل فى هذا اليوم أعداك وأبلغك منهم مناك فشكره وأثنى عليه وأوعده أن يعطيه ما يشتهيه وخلع عليه خلعة سنيه وامره يتقدم للقتال فركبت الاقيام واصطفت الابطال وجردت النصال وركب الامين فيمن معه من الابطال هذا وقد ركب أيضا الحسن بن طـــاهر وفعل مثل هذه الفعال وخلع على الرجال وبذل الاموال وكان رجلا عظيما مهابا بذولا وهابا ووصف العساكر والدساكر والاكراد فى مقابلة عسكر الامين وأرادوا الحملة من الشمال واليمين الا أن عسكر الاكراد لم يصبروا الى أن تعتدل الصفوف بل حملوا وعلى القتال عدلوا وانطبقوا على عساكر الحسن ابن طاهر فتلقتهم الابطال من بنى كلاب والسودان الانجاب وجودوا الطعان والضراب فكان يوما من أيام الدهور الدوائر وتفطرت فيه المرائر وعاد الشجاع رابح والجبان حائر وهو من هول ماعاين فى ذلك اليوم خاسرا وهذا مسكور وهذا كاسر وهذا دمه من جراحه فائر وهذا جواده قد خرج من المعمعه غاير وهذا خطفت مقل عينيه النسور الكواسر وهذا بدنه عن رأسه طائر وهذا قصمت ظهره البواتر (قال

الراوى) وكان الأمير ظالم قد وصل اليه حديث هذا الكردى المسمى بالقاسم وما ضمن للامين فى مقام القتال والتلاحم من جواسيس البطال فقال ظالم وأنا أقسم بالامام الانزع والبطل الأورع والفارس الصميدع الذى ماداخله قط فزع ان كان لابد لى ما أنكله غاية النكال وأعدمه نفسه وأرمل بعده عرسه ومن هو هذا الكلب الملعون حتى يتعرض لذكر الإمام على رضى الله عنه وأنه لا ينال الشفاعه الا من أحب الجماعه وان كان هذا باغضا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد مرق من الدين وخرج عن اجماع المسلمين لان سائر الطوائف قد اجتمعت على حب على رضى الله عنه وقد روى أنه لما التقى الوليد ابن المغيره بعلى كرم الله وجهه وكان الوليد يمشى مرحا فقال له الامام على كرم الله وجهه أقصر عن هذه المشية واترك الإعجاب فقال له الوليد وكيف لا أكون معجبا وأنا أطول منك سنانا وأمضى منك حساما (قال) فلما أن سمع طاهر بن الحسن ذلك الكلام من الأمير ظالم وكان محبا للامام فقال له ياأمير ظالم ومن أين سمعت هذا الخبر قال سمعته فى بغداد وكان الحسن ابن طاهر يحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل الأمير ظالم على الخيل العتاق ونذر أن يتصدق بألف دينار إذا هو وصل إلى العراق (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن الأمير ظالم جعل يخترق القوم ويفرق الصفوف والعساكر ويجندل الأكابر والصغائر ومراده أن يقع بالقاسم الكردى فى المعمه فما التقاه وأحالت العساكر بينه وبين لقاه ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن أقبل الليل بظلامه وانسدل ونادى المنادى بالانفصال وافترقت الطائفتين عن القتال ولما نظر الأمين ماوقع فى ذلك اليوم من الحرب تعجب وأمر بحصر من قتل فى ذلك اليوم من الاكراد والعرب ففعلوا ذلك فلم يقدروا لأنهم رأوهم خلق كثير فى عدد التراب وقطر السحاب وحمت بهم الاوصاب وكانت السودان فى ذلك اليوم قد صبرت على الحرب وكذلك بنى كلاب ولما نزلوا وأكلوا الزاد وتحادثوا فى مالقيوا فى ذلك اليوم من المصاب فما كان لهم حديث إلا فى أصحاب القاسم وصبرهم فى ذلك اليوم على ضرب الصوارم وقطع الجماجم ورى المعاصم فقال لهم ظالم والله يابنى الاكارم ماثباتهم إلا بذلك الظالم القاسم وانى طلبته فضاع منى بين المواكب ولكن فى غد أنا أطلب القتال وأدعوه للبراز والنزول وأجعله معه يوم الانفصال فشكره الحسن نائب المامون على ذلك المقال وكان الامين ومن معه من الرجال لما رجعوا من الحرب والقتال أخذوا يتذاكرون فيما لقبوا من السودان وبنى كلاب الاقيال فاقبل القاسم على الامين وقال له يا أمير المؤمنين لقد طلبت اليوم ملاقاة ظالم ولد عبد الوهاب البطل المصادم أو مقدم السودان الضراغم فما اجتمعت بأحد منهم من كثرة العالم ولكن فى غداة أنا أخرج

إلى البراز وترى مايكون من الانجاز (قال) فلما أن سمع الأمين من القاسم ذلك الكلام أخلع عليه وأوعده بأن يعطيه الموصل وأعمالها إلى أبواب الرحبة ففرح بذلك واستبشرت الاكراد وفرحت بأقطاعها والبلاد التى أقطعها لهم الأمين وسكنهم فى البلاد والحصون لأن الاكراد ما سكنهم إلا الجبال والآفاق دون الحصون والرستاق ولما أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قال الأمير ظالم للحسن بن طاهر يا أمير امسك العسكر فانى قد عولت فى هذا اليوم على براز هذا الرجل الكردى الذى يدعى الدعاوى ويزعم أنه لعلى بن أبى طالب مناوى فلما سمع الحسن من ظالم ذلك الكلام قال له من الاشفاق عليه أيها الأمير لا تكن مبادرا إلى هذه الأمور فان الدهر غرور والمخاطرة لاتحمد عواقبها لأن هذا الرجل ما ادعى فى حضرة الأمين بالحرب إلا وهو يعلم أنه بها ملى والرأى عندى أن تصبر عليه حتى يخرج إلى الميدان ويطلب براز الاقران فاذا صار فى محل الجولان مايخفى عليك حاله وتجرب حربه وقتاله فعند ذلك تخرج إليه على بصيره فعلم الأمير ظالم أن قوله حقا وكلامه صدقا (ياسادة) هذا وقد اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف واهتزت السيوف وصهلت الخيول من تحت الفرسان وتقدمت الأبطال والشجعان واعتد الفريقان ونادى منادى الغيب سبحان الملك الديان وإذا بالاكراد قد ماجت وصاحت بلغاتها وبربرت وفتح بينهم زقاق فبهت الأمير ظالم ومن معه من الرفاق وإذا بفارس قد خرج من بينهم على جواد أبلق كثير السباق له قوائم رقاق صنعة الملك الخلاق لايشكو مللا ولا تعب مشيه خبب وجريه عجب طويل الذوائب صاحبه آمن من المصائب الرياح فى قوائمه والبرق فى دعائمه والجنوب فى شكائمه وهو منية من طلب وشهوة من ركب كما قال فيه بعض واصفيه .

كانه مثل المنايا سرعة * أو غضب الله أتى بلا مهل
صهيله يطرب من يسمعه * كانه اسحاق إذا غنا صهل
معتدل الأعطف فى وثبته * يسابق الغيث إذا الغيث همل

(قال الراوى) وفى كفه سيف صقيل بتار قاطع للاعمار يأخذ بالأبصار معتقل برمح طويل غليظ نبيل عليه سنان كانه القنديل ولما نظرت الناس إلى ذلك الفارس عظموه وهابوه لأنه كان منتصب فى سرجه كانه عامود حديد وعليه الزرد النضيد ولما صار بين الصفين وقف واشتهر بين الفريقين ونادى ياأبطال بنى كلاب وياشجعان السودان الانجاب من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى فما بى خفا أنا القاسم بن بكرون الكردى أمير الاكراد ومبيد الابطال يوم

الجلاد فاتركوا عنكم هذا العناد فانى قد ضمنت للأمام الامين ان أصلح هذا الفساد وان أبيتم فما بيننا إلا الحرب والجلاد فدونكم ومقام الطراد ثم أنه صال وجال وترنم فى حومة المجال وأنشد وجعل يقول

أيا سادة الابطال من آل عامر بلوغ الامانى فى حدود البواتر
أنا قاسم الهامات تحت عجاجها ومشهر سيفى فى الأمور الكبائر
وإنى محب للأمين لانه يقول مقال الطيبين القياصر
ولا أشتهى يعطى الخلافة غيره وتدفن أعداه ببطن الحفائر
ولاسيا المأمون من كانت أمه تعد من السودان بين العواهر
ولا بغضتى إياه إلا لانه يحب عليا بين باد وحاضر
وما بعد عثمان بن عفان رابع وهذا اعتقادى يوم تبلى السرائر

(قال الراوى) إلا أنه ماتم كلامه حتى خرج إليه فارس من أهل الكوفة وكان فارسا شجاعا وقرما مناعا إلا أنه كان شيخ كبير فانى وكان حافظا لكتاب الله تعالى والسبع المثانى وقد عبر عليه من العمر تسعين عام إلا أنه ماتغيرت شجاعته فى مقام الصدام ولما ان صار معه فى الميدان وقاربه فى محل الجولان نادى به قاسم الكردى ياويلك ما تكون من عساكر المأمون فقال له أنا خندق الفارس المصون بل الويل لك ياابن بكرون سوف ترى مايحل بك من الغبون إذ كنت باغضا لابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياعلى ما أحبك إلا مؤمن تقى وما سخطك إلا منافق شقى فقال أبو القاسم من أين تكون ياشيخ فقال له من الكوفة فضحك الكردى حتى استلقى على ظهر الجواد وقال له ويلك أنت من البلدة التى خرج الماء منها حتى أهلك جميع العباد وهو الطوفان وبعد ذلك خرجت إلى قتالى ياقرنان وأنت شيخ كبير مهان ولكنى على قتل مثلك لهفان (قال الراوى) ثم أنه حمل عليه وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه إلى الجنة وأمطرت عليه سحائب الرحمة والمنه ثم أنه صال وجال وطلب البراز والنزال فبرز إليه ابن الشيخ خندق وسار إلى أن وصل إلى عند أبيه ونظر إليه وهو يشير بيديه فعلم أن الروح فيه فقال للقاسم أعلم أن أبى فى حياض الموت فهل لك أن تصبر على حتى أودعه وأعود إليك فقال القاسم افعل فانى لم أعترضك حتى تركب جوادك فلما سمع ذلك نزل وأتى إلى عند أبيه فوجده على آخر نفس فبكا عليه وصاح فقال له يابنى لاتبكى فانى قد رأيت فى هذه الساعة الإمام على كرم الله وجهه وهو

يقول لى أبشر فو الله لاخلصنك يوم القيامة (قال الراوى)فلما سمع ولده منه ذلك وثب وهو يبكى ويقول للقاسم ابشر بالعذاب فان أبى فى الجنة فلما سمع القاسم ذلك منه غضب ولم يمهلهدون ان طعنه قبل ان يركب فىجانبه الأيمنطلع السنان من الجانبالأيسر وطلب البراز فهم ظالم أن يبرز اليه فمنعه أبو الهزاهز وخرج اليه وهو على جواد هائل وفى كفه حسام ناصل فوجده منتظرة وهو يقول

إنى أنا القاسم قسام القمم   مسود الحدة مبيض الشيم
وقد ألفت الحربفى عمل الفطم   ولقد لقيتالترك أيضا والعجم

(قال الراوى) فوقع الحديد على الحديد وقاتل كل جبار عنيد وبهت كل شجاع صنديد وتصادما تصادم الجبال وهاجا مثل ما يهيج الجمال وأخذا فى الكر والفر والصد والرد والعراك و الاشتباك وهمهما بعد ذلك ودمدما وصاحا وزمجرا وكان ذلك اليوم عليهما أطول من سنة لأجل مالقيا من المضاربة والمطاعنة وقد التف كل واحد منهمـــا بصاحبه واحترز من وقع مضاربه حتى امتدت لهما الأعناق وقام الحرب بينهما على قدم وساق وجرى العرق وازورت الحدق واشتد القلق وعادت كل طائفة تدعوا لصاحبها بالنصر على خصمه (قال الراوى) ولم يزل الحرب بينهمـا على ذلك العيار يطول ذلك النهـار إلى أن أقبل الليل بالاعتـكار ولم يرزق أحد منهما على صاحبه انتصار فقال أبو الهزاهز لقد كنت أرى كل فارس أجالده تضعف فى آخر النهـــار منه اوصال ويلحقه الـكلال والملال إلا هذا الشيطان فانى رأيته كلما طال عليـه الحرب ازداد قوة ونشاط وشدة وانبساط ولما ان ولى النهار واظلمت الأقطار نادى منادى الفريقان بالانفصال فرجع كل واحد منهما عن صاحبه ووقف ينظر إليه شذرا ويرمقه حذرا فقال أبو الهزاهز لخصمه يا قاسم إن أردت الإنصراف فافعل وان كنت تريد المقام فترجل وأنزل عن جوادك فى هذا المقام وأنا أفعل كذلك ونقيم فى هذا المـكان إلى غداة غد نعود على ما كنا عليه من الطعان (قالالراوى) فلما أن سمع القاسم من أبو الهزاهز ذلك المقال ضحك من قوله وقال له أقسم بعظيم الايمان انى قد رأيت عبد الوهاب وقاتلته فما رأيت فيه من الشجاعه مثل مارأيته منك وقد عجبت من ثباتك على سرجك وشدة فخذك على جوادك لأنه قد انحل حزامه من منذ ساعتين وأنا أقول الساعة يقطع الارض وآخذه أسير وأنت من شدة فخذك على ظهره لم تسقطوهذا شىء مايقدر عليه احدا غيرك فلما أن سمع أبو الهزاهز منه ذلك الـكلام ظن ان قوله حق فقال الحمد لله الذى أعلمتنى بذلك والا فما كنت أحس بروحىإلا وأنا علىوجه الارض

(ياسادة) وكان ابوا الهزاهز مع شجاعته معه بلادة الحبشه وهو ناقص العقل على كل حال فطأطأ وهو مثل الفيل الاسود لينظر إلى حزام فرسه فانقض عليه القاسم مثل العتاب وطعنه فجاءت الطعنة فى فخذه فخرقته ودخلت من فخذه إلى جنب الحصان مرقت من الجانب الآخر ولو كانت الطعنة عاليه لكان عجل عليه ولكن كان أجله باقى فعند ذلك وقع الجواد إلى الارض وأبو الهزاهز معه وهو غائب عن الوجود ولما ان صارعلى وجه الارض وهو مخبط مع الجواد لايقدر يخلص نفسه فانقض عليه خصمه القاسم أسرع من البرق فأخذه أسير بعد أن خلصه من الجواد وقاده ذليل حقير ورفعه ومضى به إلى الأمين ففرح به فرحا عظيم و نظر إلى أبو الهزاهز وهو مجروح وكانه جسد بلا روح (قال الراوى) ولما أن صار أبو الهزاهز قدام الامين وبخه بالكلام وقال له ويلك وبلغ من قدرك أن تضرب فى وجهى بالحسام وتشاقق الامام فلم يرد عليه جواب لأنه غائب عن الصواب ثم أن الامين أمر بضرب رقبته فقالوا له أرباب دولته يا أمير المؤمنين مهل عليه إلى غداة غد حتى اننا ننظر مايكون من أمرنا مع غيره وأنت قادر بعد ذلك على قتله فلم يلوى عليهم وقد وثب الامين بروحه وجذب حسامه وجعل يضربه به حتى ظن انه قضى عليه وكانت المضارب كلها فى غير المقاتل بإذن الله خالق العباد وجاعل الجباله أوتاد ولما أن فعل به الآمين هذه الفعال أمر أن يرمى خارج السرداق فشالوه وقد ظنوا انه شرب كاس الحمام وأرموه بظاهر الخيام (قال الراوى) وكان لؤلؤ غلام أبو محمد البطال فى عسكر الأمين وقد شاهد تلك الأمور فى هذه النوبه فصبر حتى نامت العيون وأتى اليه فرآه وهو ملقى على ظهره والكلاب تحوم من حواليه وهو يعبث بيديه ورجليه فدنا منه وجلس عنده وطرد الكلاب عنه ووضع يده على جسده وجس فؤاده فرأى الروح فيه والنفس يطلع وينزل فلفه فى كساء أسود كان اللؤلؤ ملتفا به كبعض عرب الحجاز وحمله وسار به الى عسكر الأمير ظالم وجعله قدامه فلما نظرت اليه السودان وأمراء الحبشان صاحوا واق واق ماهذا المصاب والله لاتركنا من العرب إنسان ولا من الأكراد فرسان ثم انهم بكوا عليه ونتفوا شعورهم وهلبوا خيولهم وكثر ويلهم وثبورهم هذا وقد تقدم اليه البطال وشال عنه ذلك الكساء وجسه بيده فوجد الروح فيه تتردد وعروقه تضرب فعلم انه فى قيد الحياة فجعل يعصب مايحتاج اليه التعصيب ويدهن بالمراهم ما يحتاج الى الدهان وقطب ما يحتاج إلى التقطيب وسقاه بعد ذلك من الشراب الذى يعرفه ففتح عينيه وعادت روحه اليه هذا وقد بات الأمير ظالم فى غم عظيم وحنق على الأمين وعلى

ذلك القاسم الكردى المهين هذا والسودان تضج بالبكاء والنحيب وأبو محمد يسليهم ويسكتهم إلى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الأبطال على ظهور الجرد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتدوا بالرماح ولما ان تكاملت المواكب كان أول من برز إلى مقام الحرب والكفاح الأمير ظالم وهو كأنه الأسد المهاجم وقد اسودت الدنيا فى عينيه لأجل ماتم على أبو الهزاهز لأنه كان يعز عليه ولما ان صار بين الصفوف نادى لايخرج إلى إلا الرجل الكردى المعروف المسمى بقاسم فانى أنا الأمير ظالم فلاق الجماجم ومطير البراجم ثم انه أنشد يقول :

سيعلم ذا قاسم بأنى أبيده ... إذا ما التقينا فى مقام المعارك
وآخذ ثارى من غشوم معاند ... وأتركه شلوا صريع السنابك
فدونك واقصدنى وكن ذو حمية ... إذا جالت الفرسان عند التشابك

(قال الراوى) ولما ان فرغ الأمير ظالم من شعره خرج اليه قاسم الكردى وعليه خلعة الأمين ولامة حرب تسوى عشرة آلاف دينار وحمل على الأمير ظالم من غير نظيم ولا نثار وأطبق عليه بفؤاد قوى وجنان جرى وتضاربا وتحاربا وتشابكا وتلاصقا وقد ملىء غيظا وحنقا وسمعت أصوات الصوارم مثل المطارق إذا وقعت على السنادين وتعاركا عراك من له على صاحبه دين وقد طلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ولم زالا على ذلك العيار إلى ان تضاحا النهار ولم يصل أحدهما إلى الآخر وتعجبت من قتالهم كل من حضر فقال الأمير ظالم عمرى ما رأيت أحسن احتراز منه هذا والكردى حمل على الأمير ظالم بعد أن افترقا للراحة ساعة وقد أشار القاسم يقول

أياظالما وافا لحربك قاسم ... وفىّ كمىّ ماضى العزم حازم
شجاع همام قسورى صميدع ... تعود ضرب الهام يوم التزاحم
وحقك لو لاقينا عمرا وعنترا ... لما سلموا منى ولا عاد سالم
وما أنت عندى من رجال أعدهم ... ولكن مثلك فى عداد البهائم
سأسقيك والمأمون بعدك سرعة ... كؤس المنايا من حدود الصوارم
وأرديكما تحت الغبار تنوشكم ... من الجوعقبان النسور القشاعم

(قال الراوى) فلما أن سمع الأمير ظالم منه ذلك الشعر والنظام صارت عيناه مثل أجاج الدم أو قطع العندم وحمل عليه بقلب قوى وجنان جرى وتضاربا وتطاعنا ساعة من الزمان وبعد ذلك اختلف بينهما طعنتين قاطعتين فاما طعنة قاسم الكردى فانها وقعت فى صدر

جواد ظالم أخرقت جوفه وأما طعنة ظالم فانها وقعت فى صدر قاسم الكردى خرج السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد ووقع إلى الأرض والمهاد وهو يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه هذا وقد صاح الأمير ظالم فى أصحابه وقال لهم احملوا بارك الله فيكم واعلموا أنها حملة الانفصال فعند ذلك حملت بنى كلاب والسودان الانجاب هذاوقد نظرت الاكراد إلى سيدها قتيل فلم تجد صبر دون أن حملت على الأمير ظالم وبربرت بلغاتها ونظر الأمين إلى ذلك فزاد به الخبل وأمر باقى العساكر بالحملة فحملت وحكمت الصوارم فجارت وماعدلت وتعلقت الرجال بالرجال واشتد الحرب والقتال وزاد الزلزال وتقهقر الجبان وفر المهان وتقدم الشجاع وطعن الفرسان وكان يومهم يوم عسير أصبح شره مستطير وثار الغبار وقل الاصطبار وحارت الأفكار (قال الراوى) لهذه الأخبار فبينماهم فى أشد ما يكون من القتال والحرب والنزال وإذا بمنادى ينادى من تحت الغبار إلا وأن الأمين قد قتل ومضى كانه ماكان وهذه رأسه على ذلك فدونكم بابنى كلاب وأعداءكم اللئام افلقوا منهم الهام وافعلوا فعل الكرام (قال الراوى) وكان السبب فى قتله الأمين كلام عجيب وأمر غريب وذلك أنه كان له غلام يقال له روزبى وكان جميل الصورة بهى المنظر وكان الأمين يحبه محبة زائدة وكان الغلام يحب سرية من سرارى الأمين وقد تم له معها وقائع فبلغ الأمين من بعض الجوار بذلك فلم يزل يتجسس إلى أن نظر ذلك فقتل الجارية ومن محبته فى الغلام ابقاه وكان الغلام محبا لهذه الجارية وامق بها ولما أن قتلها الأمين حزن عليها فعول على قتل مولاه ولم يزل ينتهز الفرص حتى أتت عليه هذه الأحكام ووقع القتال بينه وبين أخيه المأمون فصبر ذلك الغلام إلى أن جرى من الامر ماجرى ونظر إلى العسكر وقد أبعدت عنه واختلطت بعضها ببعض وقد اشتغل كل واحد بنفسه وقد بقى الامين واقف وليس عنده أحد غير صاحب العلم والدماء من الأوداج تفج والرجال تبطح والشجعان تذبح فوجد ذلك الوقت الغلام إلى قتل الأمين سبيل فعول على قتله من أجل أنه يأخذ ثار محبوبته وقد زين له الشيطان ذلك وحمله على قتله عيان فبينما هو مقدم ومؤخر فى ذلك وإذا بفارس قد طلب العلم الذى تحته الأمين وكان ذلك الفارس هو الحسن بن طاهر والفوارس من خلفه وما زال فى حملته إلى أن قتل صاحب العلم ولما رأى الغلام إلى ذلك الشأن أقبل على الأمين وهو على غفلة منه وطعنه فى ظهره برمح كان فى يده فوقع الامين عن سرجه وكان الحسن بن طاهر لما أن قتل صاحب العلم طلب الامين ليأخذه أسير إلى عند أخيه فرآه وقد وقع من على سرجه فقال يارجال هــذا أمير المؤمنين قد قتل فترجلت إليه الرجال ونزل إليه الحسن فوجده ملقا وفيه ذلك الجرح العظيم فلما علم أنه

هالك أراد الحسن انهزام العساكر فقطع رأسه فى عاجل الحال وأمر الصايح أن يصيح بقتله فنادى بذلك النداء وقد زالت دولته وزالت سلطنته فسبحان من لايقهر سلطانه ولا يذل شأنه وقد شال الرأس على السنان على رمح طويل فلما سمعت الناس بقتل الامين ولوا على أعقابهم منهزمين وملك أخيه المأمون مكانه وأمر الحسن ابن طاهر للخدم بجمع الاسلاب والخيل الشاردة والعدد المبدده والسلاح وأسنة الرماح والاعلام والامتعة والانعام والاثقال والخيام وفى عاجل الحال سير الحسن ابن طاهر إلى المأمون يأمره بالرحيل على عجل وقد كتب اليه كتاب يقول فيه يا أمير المؤمنين اعلم أن الله تعالى قد أعطاك الناو ظفرك بالنصر على العدو وان كان العدو أخوك لأنه قد قتل أولادك وأشمت بك حسادك ولو قدر عليك ما أبقاك ومع ذلك فانى ماقدرت عليه إلا بعد الجهد الجهيد والحرب الشديد وما ادركته إلا وهو مشرف على العطب وقد شرب من غيرى أمر مشرب وتفرقت عساكره فى كل قفر وسبسب فان كان الكوكب قد أفل فان البدر على الناس قد استهل وأضاء واكتمل وان بنى العباس كما قد قال فيهم بعض واصفيهم هذه

نجوم سما كلما غاب كوكب ٭ بدا قمرا تأوى اليه الكواكب

(قال الراوى) ولما ان فرغ الحسن ابن طاهر من كتابة الكتاب أرسله مع نجاب والرأس فى صحبته فلما وصل الكتاب والرأس عظم ذلك على المأمون وقال تبا للدنيا ما زالت تفرق بين الأقارب وتفجع فى الحبايب وترمى بالمصايب وما أعرف المنكوب الا أنا لأنه ابن والدى وهو الغم الأكبر وقتل أولادى وهو صدع فى الفؤاد لا يجبر وقتل أخى وهو قص الجناح عند أهل النظر ولقد قصم ظهرى فقد القرايب والأهل ولقيت فى زمنى أمرا غير سهل (قال الراوى) ثم ان المأمون ترجل بعد ذلك وسجد على التراب وتواضع للملك الوهاب وبعد ذلك ركب ورحل فى عاجل الحال وسار من وقته طالب الحسن ابن طاهر وهو على النهروان هذا وقد وصلت الأخبار الى العراق وجفلت الناس وخافت أهل بغداد من المأمون أن يأمر من معه من العساكر ينهبهم عند القدوم لأجل ما فعلوا فى حقه فكان الأمر بخلاف ذلك ولما وصل المأمون الى النهروان تلقاه الحسن ابن طاهر والأمير ظالم ومن معهم من الفرسان ووجد الأرض هامدة من الأعداء فتعجب من تقلب الزمان واحتوى على الأموال والرجال والمضارب والخيام والسرادقات والأعلام والعدد والخيول الانعام وأقام على النهروان ثلاثة أيام ورحل فى اليوم الرابع بمن معه من العساكر والفرسان طالبا مدينة بغداد وقد ارتفعت على رأسه الأعلام والبنود

وانجرت تلك العساكر والجنود الى أن دخل بغداد فى طالع مسعود وطلع الى قصر المملكة فى يوم مشهود ونادى فى بغداد بالامن والامان فأخذه الدعاء من كل جانب ومكان ولما ان دخل الى القصر وجلس على السرير فى مقعد الخلافة وبايعته الحضور فأطلقت عند ذلك الطيور الى سائر الامصار من المشرق إلى المغرب بأن يخطب للمأمون ويكتب اسمه على الدرهم والدينار وان الأمين قد قتل وانتقل الى دار القرار فما أمسى المساء الا والخبر قد وصل الى اقصى البلاد ففرحت بخلافته جميع العباد لما يعرفون من فهمه وفضله وتفقهه فى الدين وعدله (قال الراوى) فهذا ماكان من أمر المأمون وما يتم له من الشأن (وأماما كان) من أمر القاضى عقبة القرنان فانه لما ان قتل قاسم الكردى ونظر الى الرجال وقد حملت على الرجال والأبطال على لا بطال علم أنه يوم شديد الأهوال وكان معه غلام يقال له أبو فروة وكان كثير الاحتيال فأقبل عليه عقبة وقال له اعلم يابنى ان الأمور مدبرة وما أخوفنى أن يقتل الأمين ويبقى الأسود الرنيم وولده ظالم الرجيم والبطال اللئيم فى دولة المأمون مقدمين واقع أنا فى ايديهم فيفعلوا بى ما يريدون ولا يعود المأمون يسمع لى كلام ولا يبقى لى فى هذه الأرض مقام ومالى أحسن من الانتزاح والرواح من ذلك المكان فقال له غلامه والى أين تسير فقال إلى بغداد وسوف ترى ما أفعل من المكايد ثم ان الملعون أخذ غلامه وسار وما لحق أن يصل الى داره الا وعسكر الأمير قد وصل فى أثره منهزما وهو يخبر بقتل الأمين فعندها قال عقبه لغلامه أبو فروة هذا هو الحساب الذى حسبته ولكن أطلب عرب من أرض الحجاز فمضى الغلام الى حاجة مولاه وغاب ساعة وعاد ومعه أقوام من العرب فلما صاروا عند عقبة ترحب بهم وأكرمهم وقال لهم أريد من يحملنى إلى مكة وله على مائة دينار فقالوا له نحن نحملك واليها نوصلك فقال لهم قبل كل شىء خذوا هذا الذهب ثم انه أعطاهم مائة دينار وقال لهم إذا وصلتم إلى مكة اعطيتكم ماتريدون وما تشتهون فلما نظرت العرب إلى ذلك المال وقد سمعوا ماوعدهم به أخذهم الاندهال وقالوا متى يكون ذلك قال لهم فى هذه الساعة فأخذوه وساروا به من يومهم وغلامه أبو فروة معه وما زالوا يقطعون الفيافى والقفار ولا يقر لهم قرار الى أن وصلوا الى مكة وكان قد أخذ معه من بغداد خمسة آلاف دينار (قال الراوى) ولما ان وصل الى مكة اكترى له دار وأقام بها وقربه القرار وجعل يفرق على أهل مكة الدرهم والدينار وكان معروفا عندهم فجعلوا يعظموه ويكرموه وأقام فى مكة يعلم الناس العلوم فى الحرم ويعمل الدروس فى ذلك المقام المعظم (قال الراوى) فهذا ماكان من عقبة الملعون (وأماما كان من المأمون فانه جلس على سرير الخـــلافة وأطلق من فى الحبوس وأزال المظالم

والمكوس وصارت الناس يأتون اليه ويعزونه فى أخيه ويهنوه بالخلافة التى وصلت اليه وكان قد سمع ان أصل ماجرى بينه وبين أخيه من الست زبيده فعزم على اخراجها من القصر فوصل اليها الخبر وكان قد ورد عليها من قتل ولدها الأمين أعظم من ماجرى عليها من موت الرشيد أمير المؤمنين وانه لما ان بلغها ان المأمون يريد اخراجها من القصر هجمت عليه فى داره وهى صارخة ودخلت ولما ان صارت بين يديه بكت وأنت واشتكت وكان عليها لباس السواد وأكثرت من النوح والتعداد وقد تغيرت أحوالها بعد فقد رجالها وقالت له يا أمير المؤمنين اياك والاغترار بالدنيا فانها مكارة وبار بابها غدارة سرورها أيام وشرورها أعوام وفرحها منام وملكها حمام وطعامها سمام فانظر فى عواقب الملوك الخالية والأمم البالية كيف أصبحت منازلهم خالية وقصورهم خاوية وهم فى القبور الخالية وعظامهم بالية ولم يبق منهم باقية والعاقل اللبيب من اتعظ بغيره ومعلوم انى كنت حزينه فانما حزنى على أبيك وأخيك ولقد عجبت من فعالك مع أخيك الأمين فلو كان له الآن لسان لكان قال هذين البيتين ثم بكت الست زبيده وأشارت تقول

أخى المأمون ما تسمع ندائى ... وقد قطع الورى منى رجائى
وبعد الملك قد أصبحت فان ... وفى عمرى نفذ سهم القضاء

ثم أنها بكت وانتحبت ثم صاحت ونادت واسيداه وأذلاه وولاداه وأعزاه واابناه ثم استرجعت بعد ذلك وأشارت تقول هذه الأبيات

تذكر آثار من قد مضوا ... ففاض الدمع سحابا هتونا
فرددت فى النفس تذكارهم ... ليحدث فى القلب داء دفينا
وقد لمت نفسى وعزيتها ... وقد أعنت النفس أن لاتلينا
أيا نفس ما تنظرى قصرهم ... لفقدانهم مظلما كالحزينا
ينوح غراب المنايا عليه ... ويبكى المنازل والذاهبينا
فياعين جودى بفيض الدموع ... لموت الرشيد وفقد الامينا
وكيف السرور وقد مكنت ... سيوف الأعادى ياقوم فينا
محمد يا واحدى لوترى ... زبيدة تبكى عليك العيونا
لقد أظلم القصر ياواحدى ... وقد شمت الضد والحاسدينا
وقفت على داركم داعيا ... أنادى بكم أيها الغائبون
فاين الرشيد وأين الأمين ... وأين الرجال واين البنونا

وأين الحماة وأين الولاة   وأين الرعاة إذا مادهينا
وأين الذى كان ركنى بهم   شديد وكنا بهم آمنينا
فنادتنى الدار من بعدهم   درست وقد هلك العامرينا
وأين الملوك وأهل الوفا   ومن كنت ترجين أو تحذرينا
أما تنظرى قصرهم مظلما   وهم فى الثرى كلهم خامدينا
إلى أن بقوا تحت بطن الثرى   وكانوا كمثلك فى القصر حينا
فلما سمعت جواب الديار   فأظهرت ما كان عندى دفينا
وما كنت أحسب ياواحدى   بأن الفراق سريعا يكونا
فاين الرشيد يرى ذلتى   تهددنا النـاس أن يخرجوا
ديارك تبكى إذا أصبحت   وقد هلك الأهل والاقربينا
وما كنت أحسب مأموننا   يخيب فيه الرجا والظنونا
فياذلنى بعد ساداتنا   ويا حزننا بعدهم أجمعينا
وقد كنت آمل مأموننا   يكون لضعفى وحالى معينا
فمن لى سـواك إذا نالنى   زمانى بأمر عظيم يشينا
فانت لنا اليوم بعد الأمين   فلا تشمت بنـا الحاسدينا
ولاتك تغترون نظر إلى   إناس مضوا لنا سالفينا
وقد ترحل الآن من بعدهم   تكون إليهم من اللاحقينا
أليس مصير الورى للفنا   ولو عمر المرء فيها سنينا
يساقون سوقا إلى ربهم   فهم للشقاوة أو يسعدونا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع المأمون ذلك من كلام السيدة زبيدة بكى حتى غشى عليه فلما أفاق من غشوته وثب إليها وقبل رأسها وقال ياسيدتى كان ذلك فى الكتاب مسطورا وما كان قصدى أن أفعل به هذه الفعال ولو وصل إلى سالما ما كنت قتلته أبدا وكنت تركته وانتزحت عنه إلى خراسان فما خلانى من يده وأنا لكى اليوم أوفى مما كان الأمين وبالله أقسم ما خالفت لكى قولا ولا كان على أمركى أمرا وأننى مدبرة القصر ومن خالفك أناله مخالف وانى لرأبك مؤالف ثم ردها إلى قصرها فرجعت إلى دارها (قال الراوى) وأرسل المأمون وأتى بالأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب والأمراء كلهم وأخلع عليهم وقال لهم اعلموا أنى قد صفحت عنكم وقام عندى عذركم لأنه من خدم الخلفاء يجب أن يكون من أهل الوفاء وأرسل إلى الأمير عمرو بن عبيد الله

وخلع عليه وعلى بنى سليم وقال للبطال لاتفارقنى وقال للأمير عبد الوهاب والأمير عمرو بن عبيد الله ارحلوا إلى ملطية وتكونوا فيها وأقسم بالله قسما لئن رجع وقع بينكم خلف فانى على باب ملطية أصلبكم فما أنا الرشيد ولا أنا الأمين ولا يدخل على محال ولا يعجبنى القيل والقال ولا يقع فى قلوبكم ان كلامى لغرض لاطاعتكم للأمين فوالله ليس الأمر كذلك ولكنى أريد أعلمكم حسن الطريقة وأقيم كلمة الحقيقة (قال الراوى) ياسادة ياكرام وسار الأمير عبد الوهاب وقلبه مكسور بهذا الخطاب وكذلك عمرو بن عبيد الله وصار الحسن بن طاهر مدبر العساكر وارتفع عن الوزاره وتسلم من المأمون سلطنة العجم من أول بلاد همدان وأصفهان ومرو الى توريز وبخارى وخراسان إلى أرض بابان وبلد الديلمان وجعله فيها ولقبه ذا اليمن فسار اليها وأعطى المأمون الوزارة للفضل بن سهل وكان رجلا اديبا لبيبا دينا ورعا وكان حسن الظن فى كل أحد ولا سيما فى القاضى عقبة حتى انه كان يقول أن عقبة من أصحاب الكرامات وخلع المأمون على الامير ظالم وشرفه وأعطاه أموال عظيمة وسلم اليه منشورا بانه أمير الامراء على كل العرب وعلى كل من ضرب فى البيداء طنب وأحضر أبو الهزاهز وكان قد برىء مما كان فيه من الجراحات وقال له تمنى على فقال اعطينى الامارة على كل اسود فى الأرض فقال لك ذلك ففرح أبو الهزاهز وقال لاأرجع أدع عبدالوهاب ولا غيره يحكم على السودان أبدا ثم أن المأمون قال لظالم اختار أن شئت من الموصل إلى الرحبة وان شئت من حلب إلى أرض دمشق فقال ما أريد الا أكون عند أبى فى ملطيه فى وجه الروم فقال له لك ذلك وعقد له الرايات والأعلام وشرف أبو الهزاهز وساروا إلى ملطيه (قال الراوى) ثم أن المأمون خلى بالفضل بن سهل والحسن بن طاهر وقال لهما عندكما خبر من القاضى عقبة فقالوا لا والله ياأمير المؤمنين قال لهم صح عندى انه زين للامين قتلى وأريد آخذ منه ماأراد أن يأخذه منى فقال له الحسن إذا رأيت ذلك يا أمير المؤمنين فما تجد عقبة إلا عند السيدة زبيدة فأرسل المأمون بحسن تدبيره يقول أيتها السيدة لقد خفى عنا القاضى عقبة وما أرى له خبر ولقد كنت فى هذه الايام نحتاج إلى منادمته ومحادثته إذ هو كهف العلوم وخبير بالطب والفقه والنجوم فويل للملك لايكون القاضى عقبة جليسه وخليفه لايكون آنيسه فاذا كان عندك منه خبر فاعلمينا حتى نرسل اليه ونحضره (قال الراوى) ياسادة ياكرام كان ساعة وصل الرسول من عند المأمون إلى زبيدة كان قد وصل اليها بالاتفاق العجيب والأمر الغريب كتاب من عند عقبة فقالت ما كنت أعلم له خبر ولكن الساعة وصل إلى كتاب

من مكة يعزينى فى ولدى الامين ويرثى لحالى وهو مقيم فى أرض الحجاز من أن يرحل الامين إلى النهروان فلما سمع الخارم ذلك أخذ كتاب عقبة وعاد به إلى المأمون ففضه وإذا فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم (أما بعد) أيتها السيدة فان الله قد حكم بالموت على الخلائق وعزاهم فى نفوسهم من له الفضل والمنه (قال الراوى) وكان عقبة أخبث أهل زمانه فعلم أن هذا الكتاب أن يقع فى أيد المأمون فكتب بعد التعزية إذا كان مولانا المأمون سالما فلا تأسفى على هالك وان كان من ارباب الشرف والممالك واعلمى أن لكل أجل كتاب ولكل عمل حساب ولكل أمر سبب وقد علم كل ذى عقل وأدب أن الامين اليوم فى الجنة مستقر وعدوه فى سقر وإذا كان قد مضى فالمأمون فوق الرضى ثم أنشد

قالوا مضى جبل شامخ * فقلت قد جاء ركن شديد
وقد قيل أن الامين انقضى * وقد مات قهرا فقلنا شهيد
وقد نقل الملك من بعده * لمأموننا وهو ماقد نريد
فيارب كن راحما للامين * وأبق أخيه زمانا سعيد

وبالله أقسم بالحق مابلغنى الاكل خير فقد ساءه قتل أخيه وبالله العظيم انى داعى له ليل ونهار على أنه ليس ينبغى الجفا إلا إننى بعد مولاى الرشيد قد عولت على الانقطاع فى طاعة الملك الحميد الفعال لما يريد ولا أرجع بعد مجلسه الشريف أحضر مجلسا ولا اكون لغيره نديما ولا مؤنسا لاننى أعلم انى كثير الاعداء خصوصا من بنى كلاب والأمير عبدالوهاب وأبو محمد البطال وغيرهم وهذا المأمون أعلم أهل الأرض الا انه على كل حال معه حدة الشباب وأخاف ان يقتلنى ومابى موتى لأن الموت لابد منه لكن أخشى ان أكون سببا لتحريم الجنة ومن أنا حتى يأثم من أجلى وأريد موتى يكون عندالبيت الحرام والسلام (قال الراوى) وان المأمون لما قرأ الكتاب رق قلبه وقال ظلمنا هذا المسكين بحديث البطال لأنه ذكر انه فى عسكر الامين يدبر على هلاكنا فقال الفضل ابن سهل ياأمير المؤمنين معلوم انك تعرف منزلة عقبة عند الرشيد فلا تسمع فيه كلام الاعداء فهو الرجل الذى لو أقسم على الله ابر قسمه ولايجوز أن يكون مجلسك خاليا من مثله فقال المأمون أكتب اليه كتاب وأمره فيه بالمجىء الينا ليكون عندنا ويدبر ملكنا برأيه الحسن فقال الفضل السمع والطاعة وكتب الكتاب وأرسله إلى مكة فى طلب عقبه وسعت هذه الاخبار حتى وصلت إلى الآمير أبو محمد البطال العيار المحتال واعلم بها الأمير عبد الوهاب فقال الأمير ان هؤلاء القوم لا يعمل فيهم

الجميل والساعة تنظر كيف يعمل عقبة ويلعب فقال الأمير ظالم ما يكون المأمون يسمع فينا لأنه عرف ما عملنا معه لاسيما لما أردت قتل أبى وقطع حسبى ونسبى وضربته تلك الضربة المعروفة وهذا فى خدمته ومحبته فقال البطال سوف ترى مايجرى علينا منه مادام عقبة عنده وأنا معول على أننى أسبق إلى الكوفة لعلى ان آخذه من الطريق واقتله فى موضعه ونستريح منه فقال الأمير عبد الوهاب اعلم اننا ما أقمنا فى ملطية شهرا كاملا والرأى عندى ان تقعد ونستعين بالله على هذا الشيطان ونحسب ان الرشيد مامات (قال الراوى) ووصلت الكتب الى مكة واجتمع الرسول بعقبة فأعطاه الكتب فلما قرأه وفهم معناه فرح بذلك وأقبل على الغلام وقال له ياأبو فروة الآن طاب المسير اليهم وسوف ترى ما أصنع فيهم (ياسادة) وان عقبة سار ليل ونهار يقطع الفيافى والقفار حتى وصل إلى بغداد ليلا وتوصل حتى دخل الى السيدة زبيدة ففرحت بقدومه وبكت فى وجهه وقالت ياقاضى ذهب ولدى كانه ماكان فوا أسفاه عليه وواشوقاة اليه فلما سمع عقبة ذلك أظهر البكاء والأسف واللوعة واللهف وقال لها هذا الذى كنت من أجله قد عولت على المقام فى مكة لأن مالى قلب أنظر الى هذا القصر بعد أمير المؤمنين الأمين وانتى تعلمين ان المأمون ماله عين ترانى لأنه يعلم انى أميل اليكم دونه وما سبب هذه النوبة الا ظالم فقالت اما ظالم فكلما قلته عليه صحيح لأنه هو الذى قوى عزم المأمون والا ماكان له قدرة أن يلتقى المأمون الأمين فى تلك العساكر التى تجمعت وأما عبد الوهاب فما رأيت منه الا أنه كان مع ولدى حتى وصل اليه المأمون ثم كان قبض على الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة فضحك عقبة وقال معلوم انك سليمة القلب هذا كله من عبدالوهاب وعمله ومكره يخاف من كلام الناس وانما أظهر انه مع الأمين وعلم ولده ظالم وقال له امضى الى المأمون وهذا كله صنعة البطال وأنا أعرف أن هذه الحيل كلها منه وبالله العظيم لو انى استحل لكنت اعمل أنا عمل أوقع بين المأمون وبينهم حتى لا يرجع المأمون ينظر اليهم ويعمل على قتلهم فقد أخذنا بالتار منهم وان لم يقتلهم فهو يعذبهم فى أيامه ولايفرحوا فى أيامه كما فرحوا فى أيام الرشيد فلما سمعت زبيدة ذلك من كلام عقبة وهى امرأة على كل حال فقالت ياقاضى ومن لى بذلك لعلى آخذ بتار ولدى واشفى فؤادى وكبدى فهو يقبض عليهم ويقتلهم فقال القاضى عقبة انظرى هذه الكتب كتاب من الأمير عبد الوهاب وكتاب من الأميرة ذات الهمة وكتاب من الأمير ظالم وكتاب من أبو محمد البطال وقال لها اذا دخلت أنا على المأمون وتحدثت معه بما يجب ان يكون تنفذى انت الكتب (قال الراوى) وبات عقبة لعنه الله عند السيدة زبيدة طول الليل الى الصباح

فلما أصبح الصباح خرج متنكر من القصر ويقول قد وصل القاضى عقبة وهو مريض ففعل ذلك وشاع الخبر فى القصر وبلغ المأمون ذلك فأرسل اليه بدلة حسنة وبغلة النوبة فقال عقبة اقسم لا مشيت اليه الا راجلا ولو كنت فى سياق الموت فرحا بهذه الأيام وكم ليلة بت فيها وعينى ساهرة ادعو له حتى رأيته فى هذه المنزلة وسار الى ان دخل الى المأمون وقد اظهر الوجع والمرض وكان عقبة شيخا كبيرا فاذا اظهر الضعف يبقى كانه ميت فلما وقعت عينه على المأمون قبّل الأرض وانشد يقول

روحى فداك فقد رأيتك سالما * فى نعمة الله التى آتاكها
فأتمها واطالها وادامها * لك أيها المأمون من اعطاكها
واعزك الله القوى بنصره * فى ظل كل ولاية ولاكها
وكلاك من ريب الزمان وصرفه * ومن المكاره ربنا وقاكها
وعليك من بعد السلام تحية * موصولة من كل من حياكها
انى كسوتك من ثنايا حلة * يبقى على مر الزمان شراكها

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع المأمون ذلك وثب قائما وا كرمه وأدناه وعظمه وعلاه ونهض له الفضل بن سهل وطاهر بن الحسن وأرباب الدولة كلهم حتى لم يبق قاعدا الا وقام حتى كانهم كانوا خدام وأقبل المأمون عليه وجعل يسأله عن حاله فقال يامولانا لى بمكة مدة وما أردت أحضر هذه الفتن لأنى رجل أهل من الشفقة والدين وقلة الكلام فما رأيت أن أدخل فى هذه الأمور ثم اقبل على بعض القراء وقال له اقرأ لنا ما تيسر من القرآن فجعل القارىء يقرأ الآية وعقبة يتكلم عليها من جهة التفسير حتى بكى الكبير والصغير وأما الفضل بن سهل فانه طاب قلبه وخرق ثيابه وكان يوما عظيما لم يسمع قط بمثله وأخرج المأمون خلعة سوداء خلعها عليه وهى خلعة عباسية تسوى الف دينار مصرية وقال هاتو البردة اعملوها على أكتافه فان العلماء ورثة الأنبياء (قال الراوى) ولما تمكن من قلب المأمون قال يامولاى كيف الحال على والدتك فى كتاب الله السيدة زبيدة فانى ما اشتغل قلبى بقتل الأمين لأنه ظالم نفسه وأراد هلاك الخلق فرجع ذلك عليه وقد قال على كرم الله وجهه من حفر لأخيه المؤمن قليبا أوقعه الله فيه قريبا وقد حملت حزنا من حزنها وما ورد على قلبها من بعد الرشيد وفقده ثم بعد ذلك ولدها ولكن بعد أن بمد الله فى عمرك هانت وكان هذه الشدائد على قلبها ما كانت فقال المأمون ما نحن ياقاضى إلا بحكمها وهذه الأمور التى جرت مقدرة ولا يملك الانسان لنفسه نفعا ولا ضرا فقال يامولاى أريد أدخل اليها كى أسلم عليها فقال المأمون لك ذلك فقال يامولاى يكون معى الخدم والوزير

الفضل بن سهل لأنى ماأسلم عليها إلا من وراء الستار وقصدى بهذا الفعل أن لاتقول أننى أنافقها لأن لى أعداء كثيرة وبالله أقسم لا مضيت اليها إلا على ماذكرت (قال الراوى) وكان قصد عقبة بذلك أنها إذا أظهرت الكتب لايقال أنها منه ثم قام عقبة ومعه الخدم وظاهر بن الحسن والفضل بن سهل ووصلت الخدم إلى زبيدة يشاوروها فى قدومه وهى قد أظهرت أنها لم تره ولم رأته من مدة مديدة وكان قد قال لها وأوصاها أنها تظهر الاشتياق إليه وقد أظهر هو ذلك (ياسادة) فاذا هى من وراء الستار تقول مرحبا بمن كان لناركنا وناصح لا إله إلا الله ياقاضى من حين قتل ولدى مارأيناك ولا بعثت لنا كتاب تعزينا فيه والمأمون بنفسه عزانى وطيب قلبى وأعطانى كل ماطلبت فبكى عقبة وقال أيتها السيدة ومن أولى منه بهذه الفعال وهو من أهل البيت الطاهر والعنصر الفاخر وأما أنا عبدكم وأنا كما قال عمرو بن معد يكرب لما قيل له حدثنا شيئا من حديث الجاهلية فقال شغلتنى الحنيفية عن غيرها وكذلك أيها السيدة أنا شغلنى خوف الله عن هذه الدنيا وما فيها ولى إليك حاجة قالت وما هى أيها القاضى الجليل فما حوائجك عندى إلا مقضية فقال لها أريد أن يكون قلبك طيب على ولدك المأمون وتدعين له ولا تدعين عليه ولا تسمعين فيه كلام مخلوق فما كان له فى قتل أخيه غرض فقالت أيها القاضى أن بكيت فيكون بكائى لمصاب الأمين وفقده وأما المأمون فما قابي الاطيب عليه وهو ولدى فى كتاب الله عز وجل فقال عقبة اللعين وما معنى هذا الكلام فقالت هذا معناه ثم صاحت بالخادم وناولته الكتب فأخذها من يدها وخرج وأعطاها له فنظر عقبة إلى الخط فرماه من يده وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله لالمستها بيدى لأن القوم أعدائى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأخذها طاهر بن الحسن فقام عقبة وخرج وقد علاه الصفار فقال له المأمون ماحالك أيها القاضى فقال ياأمير المؤمنين انى وقعت على أمر من الأمور وأظنه بهتان وزور لأن القوم وإن كانوا من أصل طيب مايحسن أن يكون هذا منهم ويجرى ذلك فى حقك فلما سمع المأمون ذلك تغير لونه ونظر إلى طاهر فرمى اليه الكتب فلما وقف عليها المأمون وعرف مافيها تغير لونه فكان فى الكتاب الأول من عند عبد الوهاب إلى السيدة زبيدة أما أنا أيتها السيدة فقد فعلت فعال مع الحجام بن مراحل وندمت عليه ولولا ولدى ظالم لكان أنف راغم لأنه ظن أنه يعطيه امارة من العرب والثغور ويخرج منها بنى سليم ويدفع عن بنى كلاب ويجعل ظالم مقدما على عساكر الترك والعجم موضع طاهر بن الحسن حتى ينال بذلك العز الفاخر ثم بعد ذلك أسمعنى الكلام الغليظ بعد مانالنا عليه من الخدم وقد عولنا على قتله قبل أن يتمهد له البلاد وتعطى الخلافة لإحدى

ولديكى أما المؤتمن وأما المعتصم ودع يكونوا صغار ونحنى لهم خدم والثانى كتاب ظالم يقول لها مافعل ويظهر لها الندامة ويقول لها أنا أقابل المأمون وقد عولت أن أسير ومعى ثلاثين ألف من بنى كلاب والسودان الانجاب وننحدر إلى بغداد وندخل من باب البر ونقتل المأمون فى فراشه وتصبح عساكر السودان وبنى كلاب على العراق وما تنتطح فيها كبشان فلما نظر المأمون إلى ذلك انقلبت عيناه فى أم رأسه وفتح كتاب البطال وإذا فيه يوعدها بالمعاونة على أنه يكون الوزير مكان الفضل بن سهل فقال المأمون أحسنت يا أبو محمد مايصلح للوزارة إلا أنت فقال الفضل بن سهل والله ياأمير المؤمنين ماحضور عقبة إلا مبارك ولولا ذلك لكانوا لعبوا بعقل السيدة زبيدة ويعملوا المعتصم خليفة فقال المأمون الآن كيف نعمل حتى نقبض عليهم ولا يحدث منهم حادث يشوش ملكى فقال عقبة أشير على أمير المؤمنين بشىء وبالله العظيم لولا أن عبد الوهاب وهؤلاء أعدائى وإلا أشرت على أمير المؤمنين بأمر يأخذهم منه بلا تعب ولا نصب ولكن أخاف أن يقال أن لى فى هذه النوبة غرض فلما سمع المأمون ذلك قال ما هذا وقت السكوت ولا ترعى لهم وترعنى ولقد وجب عليهم القتل باجماع المسلمين فى هذه النوبة فقال عقبة ماأقول هـذا الرأى إلا لأمير المؤمنين والفضل بن سهل وطاهر بن الحسن فأمر المأمون الناس بالانصراف واختلى عقبه بهم وقال ياأمير المؤمنين إنك أن أرسلت اليهم تقبض عليهم لاتقدر على ذلك وان أنت قد دعوتهم إلى العراق تذكر أحوالهم ويجىء بعضهم ولكن أقول لك كلمة ماسبقنى اليها أحد بشرط أن لايخرج هذا الكلام لأحد لأنى ما أفزع إلا انك ما تضرب رقابهم ويخلصون ويخرجون فيقتلونى ويعملون على انقطاع دولتك فقال له المأمون لك ذلك انهم مايقعون فى يدى ويرجعون يمشون على وجه الأرض أبدا فقل ما أنت قائل فقال يامولاى اركب الساعة فى الف فارس ولا يعلم بك أحد ويكون معك البازات والصقور والكلاب والفهود واقصد الى الرقة فاذا دخلتها أنفذ الى عبد الوهاب وقول له هذا زمان الربيع وقد ضحكت الأرض عن ثغرها وأشجارها وقد عولت على الفرجة فى دمشق وغوطتها والترب والمرج جميعه شهر من الزمان وأريد تسير أنت والأمير ظالم فما بقى لى صبر على فراقكما وكذلك الأميرة ذات الهمة والأمير أبو محمد البطال فهو نعم النديم فاذا وصلت يا أمير المؤمنين إلى هناك ووصلوا اليك تقبض عليهم وما ينكرون هذا الأمر عليك وان شئت تضرب رقابهم وتتم الى دمشق على نية الفرجة فافعل وتكون قد ظفرت فقال المأمون لله درك ياقاضى فيما دبرت فلقد فتحت لنا نعم الباب ثم انه عول على ذلك وأخذ لوقته ألف فارس مماليك ترك وأمر طاهر

أن يسير بعده فى عشرة آلاف فارس من الترك وأخذ آلة الصيد والقنص وسار ليل ونهار حتى وصل الى الرقة والقاضى عقبة معه مختفى وقد قال له يامولاى لاتخرج من بغداد حتى تظهر انك قبضت على حتى يسمع الناس ذلك فان لهم عيون هاهنا لمثل هذه الأشياء وان الأخبار سوف تصل إلى ملطية فقال المأمون صدقت يا قاضى ثم انه أظهر انه قبض عليه ويريد قتله وقال له أنت تريد ان تعمل على هلاكى مع الأمين وأنت أوقعت بيننا حتى هلك ولا بد من قتلك وشاع هذا فى بغداد وكتب الأصدقاء إلى الأمير عبد الوهاب تعلمه بذلك فقالت الأميرة ذات الهمة ألم أقل لك أن عقبة ما يتفق على المأمون كذبه ومحاله وهو يعلم ماقد فعل مع الأمير ففرح الأمير وسائر بنى كلاب واغتموا بنى سليم فقال الأمير أبو محمد والله ان نفسى تحدثنى ان هذا كله حيلة وسوف ينكشف الخبر وأقاموا كذلك الى أن وصل المأمون إلى الرقة فى أحسن زى وقد انزعجت الآفاق ولم يكن أحد من الخلفاء أظرف من ركبته ولا أحسن من دولته ولا أعظم من هيبته وسوف يذكر ذلك فى مكانه (قال الراوى) ووصل رسول المأمون إلى عبد الوهاب بما قد ذكر وفرح بذلك إذ أرسل المأمون اليه دون بنى سليم وقال للأميرة وأنت أيضا وظالم وأبو محمد البطال خذوا أهبتكم حتى نسير فى غداة غد فى عشر فوارس فقالوا سمعا وطاعة هذا والبطال غير طيب القلب للمسير وأن الامير تجرد فى عشرة فوارس منهم الاميرة ذات الهمة وظالم وأبو الهزاهز والبطال فقال الأمير ضيغم فأنا قد اشتهيت الفرجة فى دمشق لانها جنة الدنيا وهذا زمان الربيع والأرض تبتهج بأنوار الأزهار والبلابل تحاكى صوت الهزار وهذا زمان الفرجة ولابد لأمير المؤمنين مايخلع عليكم ويشرفكم فى هذه النوبة وقالوا أمراء بنى كلاب ونحن أيضا مانعقد ولا بد من المسير معكم حتى نحظى أيضا بالخلع مثلكم (قال الراوى) والعرب فيهم الطمع العظيم فلما قالوا ذلك انتخب منهم تمام العشرين أمير من خيار قومه وسادات عشيرته وقالوا سيروا بنا وعلى الضمان بالخلع لكم ولكن نحن سائرين على وجه الفرجة وسار الأمير عبد الوهاب بأمراء بنى كلاب حتى إذا وصلوا رأس العين (قال الراوى) ياسادة يا كرام ووصل الخبر إلى ملطية من قبل الأمير عبد الوهاب يأمر بنى كلاب كلهم أن يسيروا إلى آمد فان المأمون ماقصده الفرجة بل قصده أن لا يبقى صغير ولا كبير إلا وينهض إلى آمد وهناك يكون الملتقى (قال الراوى) وكان هذا من تدبير عقبة حتى يخرج بنى كلاب من ملطية وأرسل إلى الأمير عمرو بن عبيد الله يعلمه بالقصة سرا ويطيب قلبه ويقول له لولا أعمل هذا العمل لكان المأمون قدم بنى كلاب عليكم وصار ظالم عنده فى موضعك ولا يبقى لبنى سليم ذكر ماقام قائم وقعد

وضرب فى البيداء وقد وكان الأمير عمرو بن عبيد الله لما وصلت الرسالة الأولى للأمير عبد الوهاب بالفرجة عظم عليه ذلك وكبر لديه وكادت مرارته أن تنشق وقال ما بقى لى ولا لبنى سليم عند المأمون منزلة وماقتل أخاه الأمين وفيه شىء من الخير ومادام قد أرسل اليهم وأمرهم بالمسير ويدعوهم إلى الفرجة ونحن ماجرى لنا فى بغداد ذكر ولا أعرض علينا ذلك وبقى كذلك على نهاية من الغم إلى أن وصل اليه كتاب عقبة بتطبيب قلبه فدعا بنى سليم فقالوا له بنى سليم هل يريد منا أكثر مما نحن فيه وقد أهاننا المامون هذه الإهانة التى ماعليها من مزيد وجعلنا لبنى كلاب عبيد وصاروا عنده بمنزلة أهل الرأى السديد حتى جعلهم له ندماء ونحن ماعرض بذكرنا فقال اعلموا ان كان قد نزل بى من الغم أعظم مما نزل بكم إلى أن وصلنى كتاب الشيخ الزاهد الصالح العابد القاضى عقبة ثم أوقفهم عمرو على مكنون هذه القصة فطابت قلوبهم بالفرح وذهب عنهم الهم والترح لان الحسد يعمل فى الانسان مالا يعمل الحسام ولهذا قال على كرم الله وجهه لله در الحسد ما أعد له بدأ بصاحبه فقتله وأقام عمرو بن عبيد الله وبنى سليم ينتظرون الخبر يصل اليهم بقتل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب هذا وقد عولوا السفهاء من بنى سليم على نهب بيوت بنى كلاب وأخذ أموالهم وهتك حريمهم فمنعوا المشايخ من ذلك وقالوا اصبروا حتى نرى ما يكون فان كان الأمر كما قيل فما أقدركم على نهب أموالهم وأخذ رحالهم (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان عقبة لما خرج من بغداد مع المأمون فعل هذه الفعايل وكتب أيضا كتاب وسلمه إلى غلامه أبو فروة وقال له امض بهذا الكتاب إلى القسطنطونية الساعة واقطع البلاد فقال يامولاى ومافى هذا الكتاب فقال فيه هلاك مائة ألف أو يزيدون ولعل المسيح يكون قد نظر إلى دين النصرانية ونصره على دين الحنيفية فأخذ الكتاب وسار يقطع الأرض فى الطول والعرض إلى أن وصل إلى مدينة القسطنطونية وحضر إلى بين يدى الملك ميخائيل وقرأ عليه كتاب عقبة وكان فيه (أمابعد) أيها الملك ان قيمة الأشياء أربابها وقيمة الأحباء أصحابها وأنا قد دبرت تدبير يكون فيه لأعدائكم التدمير وقد عملت أعمالى وفرقت الجيوش والمأمون قد قتل أخاه وبعد ذلك فانى قد ألقيت بين الأسود الزنيم الذى هو عماد دين الاسلام وذات الهمة العاهرة التى لها فى القلوب حرارات وظالم واللص أبو محمد البطال الذى قد ربى على الخديعة والمحال وأنا قد أخرجت المأمون من بغداد حتى يقتلهم وقد وصل إلى الرقة وأنا آمره أن لايقتلهم إلا عند الخانوقة فأريد أن يكون وصولكم إلى ذلك الموضع فى أربع عشر من بعد عيد الصليب حتى أسلم لكم الجميع مع المأمون (ياسادة) وما قصدى بقتل المأمون عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب

ولكن أريد أن يكون هلاكهم بسيوفكم وأصلب عبد الوهاب وأبو محمد البطال وذات الهمة على الأخشاب فالعجل العجل (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أن سمع الملك ميخائيل ذلك قال ماأظن أن يكون فى الأرض واحد أصلح من هذا الرجل وكم يضرب على دين النصرانية وكم يعاقب وهو على صبره ينظر فى مصالح الروم الآن جهزوا العساكر حتى أسير بروحى فلى أسوة بالشيخ النجيح فى خدمة المسيح ثم تجرد فى أربعين ألف من العرب المتنصرة وسار بطلب الموضع الذى قد ذكرناه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ووصل الأمير عبد الوهاب الى الرقة ففرح به المأمون وأظهر الاستبشار بقدومه وكذلك البطال والاميرة ذات الهمة وظالم وسائر الأمراء وان المأمون أكرمهم غاية الإكرام وأنزلهم فى الخيام وخلا بعقبة ليلا وقال له قل لى كيف أقبضهم أوأقتلهم فقال ياأمير المؤمنين ترسل الساعة خلفهم حتى تشاورهم فى أمر من الأمور على أنهم إذا قبضت منهم ستة لايقدرون الباقون أن يمتنعون فأرسل المأمون إلى عبد الوهاب يقول له تفضل أيها الأمير أنت والأمير ظالم والأميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال فانه قد وصلنى من العراق أمرا وأريد أطلعكم عليه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فقاموا كلهم لما وصل اليهم الخادم إلا الأمير أبو محمد فقال له الأمير عبد الوهاب أجب أمير المؤمنين فقال له الأمير أبو محمد لقد أخذنى مرض وضير وما أقول انى أسلم فى هذه الليلة إلى الصباح والله يجعل العاقبة خير فعرف أمير المؤمنين حالى وابسط له عذرى وان كان عنده شراب من الأشربة الذى تسكن الأرياح فليمن علىّ به فى بعض من الأقداح (قال الراوى) ياسادة يا كرام وجعل أبو محمد يئن ويتأوه وكان ذلك من أبو محمد حيلة وخبرة بالامور لأنه حدثته نفسه وقال ماهذه العزمه وانقطاع كتب عقبه الا لأمر يحدث ثم أنه وثب من الخيمة فقال له بعض بنى كلاب مابالك أيها الأمير قال ان المغص الذى بى قد زاد وأريد أخلو بروحى فى الوهاد وخرج من الخيمة ينتظر أمر الأمراء ومايتم لهم ويجرى (قال الراوى) ياسادة يا كرام ودخلوا الامراء سرادق المأمون وهم يظنون أنهم آمنون فلما تمثلوا بين يدى المأمون أمر بالقبض عليهم فجردت الغلمان السيوف وقبضوا عليهم فاستسلموا لقضاء الملك الرؤوف فصاحت ذات الهمة وقالت ياأمير المؤمنين ماهذا الفعل الذى يقبح من غيرك فكيف يحسن منك قال ياعجوز السوء هذا الفعل تنكريه وهذا خطك إلى زبيده وأنت توعديها بقلع مملكتى وتلاف مهجتى ثم أطلعهم على الكتب التى ذكرناها فقالت ذات الهمة والله لاشك انه خطى ولو كنت مارأيت خطى لكنت شككت فى خط ولدى عبد الوهاب. (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان الامراء والأميرة لماقرأوا ذلك القول لزبيده.

ونحن نقطع رأس المأمون ونسلم الامر إلى المعتصم قال بعضهم لبعض هـذا والله قد زور علينا وعلى خطوطنا ولو ضرب المأمون رقابنا فى هذه النوبة رقابنا لـكان معذور لان ما يسمع هذا أحد من الناس ويصبر عليه ثم عملوا القيود فى أرجلهم وقال عقبة يا أمير المؤمنين قل للغلمان يكتمون هذا الأمر حتى يقبضون على اللص المحتال أبو محمد البطال الذى طلب أن يكون مكان هذا الوزير فما بقى هنا لك من يقدر أن يدفع ولا يمنع فمضت الغلمان اليهم وجاؤا بباقى الأمراء أسارى حيارى برأى عقبة والأمير أبو ليس معهم (قال الراوى) وأن الأمير أبو محمد البطال صار يكذب نفسه تارة ويصدقها تارة حتى لم يبقى من الليل الا نصفه ووصلت الغلمان وقبضوا على الباقين وأخرجوهم من الخيام وقيدوهم بقيود الدواب فقال أبو محمد هذا والله الذى كنت أحذره وكان حسانى وما قبض عليهم المأمون الا لأمر عظيم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وان البطال لما تحقق ذلك طلب الطريق هاربا وهو الى ملطية طالبا وهو لا يعلم ما قد جرى من قضيتهم فهو سائر وإذا بأربعة أشباح فى ظلام الليل والواحد يقول للآخر ان لحقنا مولانا أبو محمد البطال فهو المراد فان الأمر الذى خطر بباله صحيح فتأملهم وإذا بهم غلمانه الأربعة (ياسادة) وكانوا قد خرجوا من ملطية لما سمعوا هذه الأخبار الردية وأخرجت بنى كلاب (ياسادة) من ملطية وجرى عليهم ماجرى فأنكروا هذا وقالوا لبعضهم الحقوا بنا الأمير أبو محمد البطال فان كان فى خير فرحنا به وان كان فى شدة عملنا على خلاصه فلما وصلوا اليه ولقيهم فى الطريق وهو لا يعرف من الفزع والجزع والحزن والهلع فقالوا له ماوراءك أيها الأمير فأعاد عليهم القصة من أولها وما جرى لهم وكيف كان عليهم الحال فعجبوا من ذلك وقالوا ما بقى أحد يعرف الجميل فقال لهم البطال أنتم ايش أخرجكم من ملطية فقالوا ما بقى فيها أحد من بنى كلاب لأنه وصل كتاب مع رجل بدوى يأمرهم أن لا يبقى أحد من بنى كلاب لا صغير ولا كبير الا ويمضون إلى آمد فلما سمعوا ذلك مضوا الى آمد فما وجدنا فيها أحد فلما رأينا ذلك علمنا انها حيـــلة ورجعنا وبنى كلاب معنا فلما وصلنا إلى ملطية وجدنا الأبواب مغلقة وطلع الأمـير عمرو بن عبيد الله على الأصوار وناد يامعشر بنى كلاب قد علمتم انى عبد مأمور وقد أرسل المأمون يأمرنا أن نخرجكم من البلد والآن تمضون إلى عبد الوهاب وتنظرون ما جرى له مع المـــأمون ومع ذلك فما هو الا انفسد حاله مع المأمون فلما سمعوا ذلك ساروا طالبين الأمير عبدالوهاب وقد سبقناهم حتى لقيناك والحمد لله على رؤياك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ما جرى وأما المأمون فان عقبة قال له ياأمير المؤمنين ارحل الساعة بالليل فان الأخبار ماتنكتم وتسمع عنك الروم انك جئت

إلى هاهنا من أجل هؤلاء وربما سألك فيهم سائل أو يحول بينك وبينهم حائل ارحل من يومك هذا فاذا وصلت إلى برية الخانوقة هناك ان أردت أن تسحبهم على وجوههم فافعل وان أنت وصلت برية الخانوقة هناك ان أردت ان تسحبهم على وجوههم فافعل وان أنت وصلت إلى بغداد أرميهم فى حبس الدم فلايخرجون منه أبدا وان أردت قتلهم فى الطريق فافعل وإذا أنت وصلت إلى هناك فما تبالى بأهل الارض (ياسادة) ورحل المأمون باقى ليلته وسار الى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وهم سائرين الى وقت الضحى وأوسعوا فى البر وإذا بغبار قد ملأ الاقطار والامصار فقال الفضل ابن سهل لطاهر بن الحسن انظر من يأخذ لنا خبر هذا الغبار (قال الراوى) ياسادة ياكرام وانبسط الغبار شرقا وغربا وسهلا ووعرا حتى اسود الافق واظلمت الطرق وعدم النور وذهب بياض الجو واسودت الجهات ونفرت الوحوش من الغابات وهبت الرياح العواصف رائعة زوابع العبرات ثم انكشف الغبار وبان القتار وظهر ما تحته للابصار (قال الراوى) ياسادة ياكرام وإذا بها خيول بجفجفه وأصناف مختلفة وصلبان قد رفعت وسيوف قد لمعت وخيول قد صهلت والأرض بحوافرها قد تزلزلت وهم ينادون باختلاف لغاتهم فلما نظر المأمون الى ذلك اصفر لونه وتغير كونه وانتفض وضوءه وقال فى نفسه وما ظالم الا ويبلى بظالم ثم قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال انظروا إلى هذه النوبة إلى شؤم هذا الاتفاق وصاح المأمون بالغلمان وقال ويلكم يحمل بعضكم عليهم وبعضكم يحل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فقد وقعنا فى هذه النوبة التى قد عملت علينا وعليهم وهذا بظلمهم وحملت الاتراك وقد أحاطوا بهم من كل جانب وعملت المضارب وسالت الدماء مثل السيل وجرت الخيل ووقع بركابها الويل وقتل شجعانها وأبطالها وأقرانها واشتهرت أهوالها ولم يزل السيف يعمل والدم يبزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى وقت العصر وعقبة قد التصق الى أصحاب المأمون وقد أظهر الفزع والجزع وهو يقول ليت روحى كانت فداء أمير المؤمنين وقد أتى مولانا مالم يكن فى الحسبان فادعوا الله ياأمير المؤمنين فان دعاك مستجاب مبارك لعل الله تعالى يكشف عنا هذه الغمة ببركتك فلما سمع أمير المؤمنين ذلك أيقن إنه هالك وقتل من العسكر ألف وثمانمائة وأسر الباقين وأخذ المأمون والفضل بن سهل والحسن بن طاهر عن بكرة أبيهم والقاضى عقبة فى الجملة وهو يقول وا اسلاماه واشيبتاه ياقوم أهينوا شيبتى والطموا قفتى ولا تؤذون أمير المؤمنين المأمون خليفة الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه والمأمون يسمع ذلك وهو يقول فضحنا والله القاضى عقبة ياليته يسكت عسى انى أخفى بين الخلائق

ويأتى فى العرضيات مالم يكن فى الحسبان وعقبة ينادى بلا هدوولا قرار (قال الراوى) ياسادة يا كرام وأخذوا الأمراء كلهم على البغال وفى أرجلهم القيود الثقال (قال الراوى) ياسادة يا كرام والأمير عبد الوهاب قد نظر إلى هذه المصيبة ورأى عقبة ينادى بذلك النداء فقال لعنك الله فما هذا كله إلا فعالك ولقد تضرب رقابنا ورقبة المأمون فقالت الأميرة مابقى لنا إلى النجاة سبيل إلا أن يشاء الله تعالى (قال الراوى) واحتوى الملك ميخائيل على الأموال والرجال والأمراء وأصحابهم وعملوا فى رقابهم الحبال وفى أرجلهم القيود الثقال زيادة على ما كانوا فيه وقال لأصحابه اطلبوا القسطنطونية فاذا نحن وصلنا ضربت رقاب الجميع وجمعت العساكر وسرت إلى بلادهم أهلكها وساروا بقية يومهم إلى أن أقبل الليل بظلماه فأمرهم بالنزول وجمع الأسارى بعضهم إلى بعض وهم فى القيود والشدة ثم أقبل ميخائيل على قومه وقال إن هذا يغضب المسيح إذ جعلنا الحبال فى الشيخ النجيح مع هؤلاء الانذال وإنما نطالب كتمان سره واخفاء أمره وقد تم لنا ما نريد والمسيح يعوضه الثواب بما جرى عليه فى مرضاة دين النصرانية ثم أقبل على عشرة من البطارقة وقال امضوا إلى عند الإسراء واسحبوا الشيخ النجيح واظهروا أنكم تريدون ضربه وعقوبته وأتونى به لنخلصه مما هو فيه فانى اخشى أن يغضب علينا المسيح قال فمضوا البطارقة إلى عقبة وتصدون وأوهموا انهم يضربوه وهو يتاوه وسحبوه إلى أن أتوا به إلى سرادق الملك فلما وقعت عينه عليه نهض وقبل وجهه وقال أيها الشيخ النجيح انشر علينا جناح رحمتك مما قاسيت من القيود والشد الوثيق فقال عقبة أيها الملك بهذا الفعل ينكتم أمرى فلا تسألنى حتى لايظهر كلما أبرمناه فقال له الملك ميخائيل المسيح يطول فى عمرك فانك عماد دين أهل النصرانية والملة المسيحية فقال عقبة اعلم أن ماقلبى طلب لأجل أن ماوقع فى قبضتى شيطان الانس والجن أبو محمد البطال العيار المحتال وما أقول أننى أصل إلى القسطنطينية أنا ومن معى سالمين مادام البطال قد سلم فى هذه النوبة وجعل عقبة يعض أنامله أسفا ولهفا ويقول أن وصلت إلى القسطنطونية سالم وهو معنا فأنا أكشف وجهى بعد ذلك وأسلم اليك الأرض بأكتافها والبلاد والنواحى بأطرافها واخراب المساجد والجوامع واهدم المآذن واجعل للرهبان فيها مساكن واسفك دم الرجال والنساء وأشق بطون الحبالى حتى لايبقى على وجه الأرض مسلم فقال له الملك ميخائيل طب نفسا وقر عينا فلو أن عساكر الاسلام جميعا قد وصلت حتى يخلصوهم من يدى لما قدروا على ذلك لأن معى ستين ألف وغدا يصل أرمانوس فى مائة ألف ويلقانا فى الطريق فقال عقبة ان أردت أن تأمن على من معك من الهرب فاثقب أكعابهم واعمل

فيها الأوتاد بعضها إلى بعض وأظهر أنك قد فعلت ذلك بى أولا ثم ابتدىء بالمأمون وثنى بطاهر وثلث بالشيخ النحس الذى يظن أنه من أولياء المسلمين وهو الفضل بن سهل الوزير ثم ذات الهمة ولكن تثقب أكعابهم بمسمار قد أحمى فى النار زائد المنفذ ثم عبد الوهاب وظالم واحرص أن لاتعطب قوائمهم فلما سمع ميخائيل ذلك قبض على عقبة وأظهر أنه يثقب كعبه وجعل عقبة يستغيث فقال المأمون لبعض الروم ماالذى يصنعون بذلك الشيخ المسكين فقال أن الملك حنق عليه وقد أمر أن يثقب كعبه وهو يقول بىءولا بالمأمون أمير المؤمنين فقال المأمون وقد بكى مارأيت قط أدين وأشفق علينا من هذا القاضى عقبة ولقد كذب الذى قال أن له عند الروم منزلة عظيمة فهذا كله محال عليه.

(قال) ثم أمر الملك ميخائيل فأحضر بين يديه المأمون وثقب كعبه (ياسادة) وهذا رجل كعبه رقيق لم يتعود شدة ولا قاسا نائبة فجعل يستغيث وقد أشرف من ذلك على الموت ثم أخذ من بعده الأمير عبد الوهاب وأوقع عليه العذاب وضربه حتى غشى عليه وثقب كعبيه وعقبة يقول اصبر أيها الأمير على هذه المصيبة فهذا كله فى سبيل الله اصبر ياعبد الوهاب وابشر بما قد كتب لك من الثواب فلم يصبر عن الجواب بل قال يالمعلون أن لى من الأجر مالا عين رأت ولا اذن سمعت وأنا أعلم أن هذا كله فى سبيل الله تعالى وليت كان لى ألف روح حتى ابذلها فى طاعة ربى ويسفك دمها فى الجهاد فى طاعة رب العباد ثم أحضرت الأميرة وفعل بها كذلك وهى صابرة لا تتكلم فقال لها المعاقب بالعربى ويلك لما لاتصيحين مثل أصحابك كانك تتجلدين على العذاب فقالت ويلك الذى أصيح له بندای هو عالم بشكواى فلما سمع عقبة ذلك بكى ثم قال والله لقد صدقتى أيتها الأميرة وهذا اعتقادى واعتقاد المسلمين ويقين المؤمنين الموحدين وغمز البطريق حتى يزيد فى ضربها ففعل ذلك وهى مكتوفة اليدين مقيدة الرجلين ولم تزداد إلا صبرا فلما زاد عليها الأمر قالت كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وفعل بالأمير ظالم كذلك وبالأمير ضيغم كذلك وجعل ضيغم يقول هذا جزاء من يكون بملطية ويريد الفرجة بدمشق الشام فضحك الأمير عبد الوهاب من وسط الغيظ وفعلوا بالأمراء واحدبعد واحد إلى الصباح ورفعوا القوم على البغال وهموا بالارتحال وإذا بغبار ثار وطلع وتلملم وأتسع وانكشف وانقشع وظهرت من تحته ليوث الحرب وأبطال الطعن والضرب وكان كذلك أبو محمد البطال ومعه أبطال بنى كلاب (قال الراوى) وذلك إنه لما وصلت بنى كلاب إلى ملطية وقال لهم عمرو بن عبيد الله أنا عبد مأمور وان القوم ساروا طالبين الأمير عبد الوهاب وقد استدل

عليهم من أمرهم كل باب فلقيهم الأمير محمد أبو البطال كما ذكرنا فى الطريق فلما نظر إليهم بكى فى وجوههم ونادى وا أميراه وا أميرناه واشماتة أعداه الا وأن هذه كانت حيلة من عقبة الملعون وقد حمل المأمون علينا وزور كتب على خطنا كأنما كتبناها بأيدينا وقد قبض على الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وباقى الأصحاب فقالت بنو كلاب الأنجاب فما الذى تشير علينا أن نفعل فقال إن كانت لكم نخوة فأنتم أكثر من أربعة آلاف والمأمون فى عشرة آلاف تقصدون إلى الرقة فان كانوا بها مقيمين أخذنا الكل من ظاهرها وشفينا الغليل من عقبة ونصلبه بين يدى المأمون وما علينا من أهل الأرض ملام فقالت بنى كلاب والله ما يقع عيوننا عليه إلا ونهبره بالسيوف والصوارم ولا تخاف لومة لائم فعندها سار بهم البطال وفرح بهم وقال لابد أن أجعل ظن المأمون فينا صحيح وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا حتى وصلوا إلى الرقة فقيل لهم من أمس رحل المأمون طالب دمشق فجعل البطال يقتفى أثرهم فلما كان من الغد نهارا أشرف على الملك ميخائيل ومعه البطارقة والعمالقة وهم قد رفعوا الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب على الدواب وكان الملك ميخائيل قد أمن على نفسه لأن ما فى الرقة عسكر والنجدة منهم بعيدة ولا علموا بهذه الأسباب ولا بمجىء بنى كلاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان هذا من عمل القاضى عقبة لأنه طلب أن يخرج بنى كلاب من ملطية إذا قتل الامير والاميرة ولم يعلم ان هذا يكون وانه لما نظر إلى ذلك أيقن أنه هالك وأقبل على نفسه يعاتبها ويقول إذا أراد المسيح هلاك النملة جعل لها جناحين فيالها من نوبة ما أعظمها وغزوة ما أيشمها ومابى إلا أننى قد ثقبت منهم الكعاب وأرجع أقع فى أيدى بنى كلاب لاسيما وفيهم هذا المجنون ظالم ثم أقبل على الملك ميخائيل وقال هذه عساكر المسلمين قد وصلت فعلى ماذا عولت أن تعمل فقال الملك ياقاضى لاتفزع ولا تجزع فما أنا مثل الملك منويل ثم أشار إلى البطارقة ان يلقوا القوم من غير إهمال ولا اغفال وصاح فى العرب المتنصرة فأجابوه وقالوا ما نبالى بهم ولنا نجدة تأتى مع هاشم بن شيبان هذا والبطال لما رأى الصلبان قال هذا والله تتمة حيلة عقبة قد كاتب الروم أن يحملون على الأمراء ويأخذوهم أجمعين احملوا بارك الله فيكم (ياسادة) والأمير عبد الوهاب قد أيقن بالخلاص حين عاين أصحابه ورجاله وأبطاله وكانت باقى عساكره مفرقين فى القلاع والأماكن وحملت الأبطال على الأبطال وأشتد الزحام وصالت النصال على العظام وغشى الغبار البصر ونزل الدم وانهمر ومال من الفارس فى سرجه التعب والضجر وحارت الألباب من خوف الصارم الذكر

واندرس رسم الجبان واندثر وطلب السلامة والسفر ولم يبق شجاع إلا وانبهر ولا بطل إلا وقصر ولا ضيغم إلا وهدر ولاقسور إلا وزمجر وعثرت الخيل بجماجم البشر وقرفيهم القضى والقدر وظهرت بنو كلاب على الروم وكان يومهم يوم مذموم وبقيت الخيل تقع وتقوم وغشيهم الغبار مثل الغموم هذا والبطال قد انفرد فى ألف من الأبطال إلى ظاهر العسكر وكان كل من هرب من المعمعة قتله كل ذلك خوفا من هروب عقبة هذا والأمير عبد الوهاب قد كاد قلبه أن يطير من الفرح بعد الشدة التى هو فيها هو وامه وأولاده وقد قتل صاحب العلم وانهزم وزال ركنه وانهدم وحمى القارس ودمدم وانقطع طمع عقبة وانحسم وبكى عوض الدموع دم ولم يبق لجيش الروم غير أنه ينهزم وإذا بالخيول قد تسارعت والبيارق قد سطعت والبيض قد لمعت والاسنة قد تشعشت والأفئدة قد تصدعت والمواكب كأنها المراكب قد أقلعت وقد طلع أرمانوس فى مائة ألف عنان وكذلك هشام أخوا حرب بن شيبان ولما علم بذلك عقبة فرح وقال هذا تمام السعادة وما أظن أن المسيح يغفل عنى هـذه النوبة فكنت أعتب عليه (ياسادة) وأما الأمير عبد الوهاب فانه لما سمع ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا مالم يكن فى الحساب وزاد به الهم (وأما البطال) فانه أقبل على قومه وقال لهم اياكم أن يخامركم فزع أو يلحقكم جزع فعبد الوهاب وذات الهمة مانتحو البلاد بسيوفهم وانما فتحوها بسجارتهم فبادروا إلى خلاص الامير عبدالوهاب والا فهو هالك وأنتم كذلك وأنا أول من يحمل فاصدموهم قبل ان يصدموكم فعند ذلك أكبوا الرؤوس فى قرابيص السروج وحملوا حملة رجل واحد وقد تقدم هياج الكردى وبناته وأبطال العرب والعبيد ونادى المنادى بينهم بالتزاحم حتى جزت العلاصم وفلقت الجماجم وهلكت العوالم وقد التصق القاضى عقبة وهو مشدود على فرس إلى الفضل ابن سهل فقال له الفضل أيها القاضى عليك بالدعاء فقال عقبة اعلم أن دعائى ماحجب وقد دعوت جهدى ولولا ذلك لما بقى أحد منا الا هالك ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالإعتكار وغابت الأرواح من الخوف والفزع والأنبهار ونزلت الروم الأشرار والمتنصرة الكفار وأضرمت من حولهم شعل النهار وكان الحرس طول الليل بالرجال والخيل فلما أصبح الصباح عمدوا الى حمل السلاح وجردت الصفاح وشرعت الرماح وجالت الصافنات فى البطاح وتصادمت الجيشان ودام بينهما الطعان إلى الظهر وإذا بغبار من بلد الروم قد ظهر وانكشف وإذا به الملك دنكسار وهو مالك الصقلب وقد خرج خلف الملك خدمة له وطلبا

للغزاة وأدرك القوم وهم على غاية الجهد وقد صبروا بني كلاب على ماهم عليه فلما نظروا إلى تلك العساكر رأوا الدنيا قد مالت عليهم بالاعداء وما لهم مقصد يقصدون اليه وهم فى وسط العجاج على ماهم عليه وقد ضاقت منهم الانفاس وكثرت عليهم الارجاس فعند ذلك طلب كل واحد منهم هواه وكان أول من انهزم أبو محمد البطال وقال مابى موتى مثل مابى من شماتة الاعداء وقتل من بنى كلاب ستمائة ومن الملثمة والبربر ثلثمائة ومن السودان أربعمائة وكانت نوبة ماسمع بمثلها وأخذ الامير هياج الكردى أسير ففرح عقبة بأخذه مثل فرحه بأخذ الامير عبد الوهاب لأن بينهم العداوة القديمة كما قد ذكرنا وقتل له أربع بنات وانهزم ثلاثة وكانت هذه أخت وقعة الفنا (قال الراوى) ياسادة ياكرام وطابت الدنيا لعقبة وجمعت الاسلاب وقطعت الرؤوس من القتلا ورفعتها العرب المتنصرة على الرماح وطلبت القسطنطونية ونظر الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة إلى ماحل بهم وبالناس فنسيوا ماهم فيه من العذاب وبكوا على الشيوخ والشباب ونظر عقبة إلى الرؤوس التى على الرماح فجعل ينادى هنيئا لكم أرواحكم فى الجنة قد وصلت إلى رب كريم والأمير عبد الوهاب وذات الهمة قدانفطرت منهم المرائر وكذلك المأمون يبكى على نفسه ويقول ليت كان ملكى زال ودولتى انقرضت ولا جرى على الناس ماجرى وربما ان عبدالوهاب وذات الهمة قد كاتبوا زبيدة خوفا من انكسار قلبها فعجلت أنا بذلك لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذه النوبة أموت ويتحدثوا الناس بهذا الفعل الردىء بعدى ماقام قائم وقعد إلى الأبد ثم جعل ينظر إلى الأمراء وهم مثل السباع الا انهم لاسبيل لهم إلى الخلاص فقال لوكنت أحضرتهم فى بغداد ثم أوقفتهم على فعالهم كان أصلح مماجئت إلى هذا المكان الذى جاءت الروم اليه فلاستر الله على عقبه فما كانت شورته إلا ميشومة ولا آمن أيضا أن يكون قد اتفق هو وزبيدة على هذه الحيلة على هؤلاء الأمراء لما بينهم من العداوة والبغضاء وزورت عليهم تلك الكتب ولكن إذا نزل القضاء عمى البصر فأين كان عقلى ثم جعل يعاتب نفسه وساروا بهم إلى أن بقى بينهم وبين القسطنطونية يوم واحد وأمر الملك ان تزين البلد ويخرج أهله إلى لقاء الملك وهو يقول هذا مالم يقدر عليه الملك منويل فى عمره وبات فى هناء فلما أصبح رفع الأسارى على البغال وسبق البشير إلى البلد وزين البلد وغلقت الدروب والأسواق وزينت الجدران والأصوار بالثياب الأطلس وأثواب الديباج من الرومى القسطنطينى والملكى والمقصب والمذهب والمدثر وأقبلت الأموال على الدكاكين وقطع العود ونوافح المسك وغير ذلك وأخرجوا حكماء الروم كل عجيبة

وغريبة ولعبت أهل الخيالات وسكبت الخمور وذبحت الأغنام وروت المدام واصطنعوا الطعام ولبسوا الخواص والعوام وخرجت البنات العذارى والنسوان وفرحت الصبيان وعلقت الصلبان وخرجت القسوس والرهبان ولم يبق شماس ولامطران ورفلت النسوان فى أثواب الديباج وكشفت الوجوه المزينات على الشراب مع ترافة الأبدان واحمرار الاقحوان ولعبوا بالعيدان وتواترت الأصوات والألحان من طيبة الأشجان وكان ذلك أطيب زمان وهو زمان الربيع الموصوف بكل لسان والأرض ضاحكة عن ثغور الاقحوان والبنات قد أينعت أحداق أزهاره وارتفعت عنها الأجفان وعروق الحشائش كانها المرجان والنوفر يتوارى فى مياه الغدران وسكرن النسوان وخرقن الغلائل الإنطاكى والكتان وبانت طيات مدارج تلك الاعكان ولم يزالوا كذلك حتى وصل الملك ميخائيل فى ذلك الموكب الثقيل وأخذه الدعاء من الرجال والنساء من كل مكان وعبروا الاسارى والمأمون فى أوائلهم والفضل بن سهل ذو الرياستين وطاهر بن الحسن ذو اليمينين وأحمد بن أبى خالد ومحمد بن داود والحسن بن سهل فجعلت الروم تصيح بهم حتى أرادوا أن يرجوهم بالحجارة فمنعهم من ذلك البترك وقال لايجوز ان يكون هذا إلا من الناس الصعاليك وهذا خليفة المسلمين وما ندرى كيف يكون الحال ثم عبر بعده الامير عبد الوهاب وحوله أمراء بنى كلاب والسودان الانجاب وعقبة بينهم والروم يعلمون ان ذلك حيلة منه ونظر إلى الامير عبد الوهاب وأولاده ضيغم وقشعم وظالم وسيف الحنيفية وأمه ذات الهمة وجميع الامراء المعروفين الذين أذلوا الروم ورموا نفوسهم عليهم وأخذهم اللطم من كل جانب ورموا عليهم الاشياء القذرة وعقبة يقول للأمير عبد الوهاب مابنا هذه الاشياء النجسة مثل مابنا اننا لانقدر نصلى فى هذه الثياب التى علينا ولكن هذا فى سبيل الله وما لاحد فى هذا حيلة ثم جعل عقبة ينادى برفيع من صوته معاشر الروم أرفقوا بهؤلاء الامراء ولا تضربوهم فهم عماد المسلمين وقوام دين الحنيفية وربما جرى بيننا وبينكم الصلح فابقوا للصلح موضع وهذه ذات الهمة وعبد الوهاب وأصحابهم وهذا ظالم الذى قد سمعتم صفته فلما سمعوا ذلك من كلامه أكثروا الضرب واللطم لهم دون أصحابهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام والأمير عبد الوهاب قد علم مراد عقبة (ياسادة) ودخل الملك من باب الذهب فقال على بالمأسورين فقدموهم اليه فضرب منهم مائتين رقبة من أصحاب المأمون من الترك وكل من كان معهم من الأسارى إلا الأمير عبد الوهاب وتمام العشرين والفضل وطاهر وان الملك ميخائيل أمر بهم إلى بلاد البلاط التى فى القسطنطينية والمأمون معهم وقال يكونوا هنالك الى غداة غدفان كان المأمون يسلم

لى البلاد والا ضربت رقبته ورقبة كل من معه ثم أمر الملك باحضار عقبة من بينهم فلما صار بين يدى الملك قال قد علمت ان مايهلك فى هذه النوبة غيرى لامحالة لأنك ما أخذتنى الا وتريد قتلى فقال الملك وهو يضحك نعم أريد قتلك لأنك راهب المسلمين فقال المأمون ياهذا لاتقتله ولا تفعل به شيئا فانه شيخ كبير وما وقعنا هذه النوبة إلا برأيه وتدبيره ولو قتلتنى ما قدرت على أخذ البلاد لأن أخى المؤتمن قد أوصى له الرشيد بالخلافة وهو يكون الخليفة بعدى ولا تقدر على أخذ البلاد لأن الله لايخلى أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من أنصار وان أنت أطلقتنى على انى أعتمد معك العهود على اننى ما آخذ منك الخراج الذى كنت تحمله إلى الرشيد عشرين سنة وأعطيك من الهدايا والتحف ماتريد فقال الملك ميخائيل هذا مقالك أنت لابد من قتلك وقتل هذا الأسود عبد الوهاب وحق المسيح والإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل لاعاد عبد الوهاب يخلص ولا أمه ولا أصحابه ماطرد الليل النهار ولا بد ما أجمع سائر الروم لهم وأحرقهم فى قدور النحاس فقد أحرقوا الكبود وأنحلوا الأجساد وقتلوا الآباء والأجداد وسبوا الذرارى والأولاد وما صار للرشيد علينا من الأموال فى كل سنة وقهرنا على طول الأعوام إلا بهذا الاسود الزنيم والبغل اللئيم ابن مرزوق الذى فعل مالا يقدر عليه مخلوق ولولاه لكنا ملكنا رقبة الرشيد وجعلناه لنا من جملة العبيد وما قامت دولة بنى العباس إلا بهؤلاء القوم فلما سمع المأمون ذلك علم أن قوله صحيح فندم على فعله بهم إذا لم ينفعه الندم وتنفس صعدا ولهفا وأظهر حزنا وكلفا ثم رفعوا الكل إلى دار البلاط وأنزلوهم فى المطامير ووكل بهم ألف بطريق وحلف ان كل من هجع منهم فى ليلته أرمى رقبته وأخذ الملك ميخائيل عقبة اللعين اليه هذا والامير عبد الوهاب قد أيقن فى هذه النوبة بالهلاك (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من بنو كلاب فانهم لما انهزموا فى تلك الوقعة وقتل منهم من قتل وساروا طالبين ملطية فلما أشرفوا عليها ونظر الامير عمرو بن عبيد الله اليهم غلق الابواب وكان قد استقدم بنى سليم عن بكرة أبيهم كى لايحتاج المأمون إلى بعض الخدم فكانوا ثمانين ألف عنان فلما أشرفوا بنى كلاب ونظروا اليهم بنى سليم وإلى ماحل بهم فظنوا ان ذلك من المأمون فارتفع صياحهم عليهم وقالوا ذهبت دولة بنى كلاب وما أشرع المأمون فيهم القتل إلا وقد حلت دماهم وأموالهم ثم ان السفهاء من بنى سليم هجموا على البنات العربيات من بنى كلاب فقالوا لهم ويلكم يا أندال العرب ماهذه الفعال بالحرم ماهذا شيم الكرم فنادى منادى بنى سليم ان رجالكم قد قتلت وأبطالكم قد ملكت ولم يسلم منهم إلا القليل والباقى بين اسير وقتيل فعند ذلك

ارتفعت الضجات وكشفن الرؤوس على السادات وانجرحت القلوب وكان ذلك اليوم يوم عظيم لم يسمع قط بمثله ولم تبق دار من دور بنى كلاب الانهبت إلادار الأميرة علوى فانها كان فيها القناصة أم ظالم ونورى زوجة البطال وانهن لما نظرن إلى ذلك أخذن السيوف وقلن والله لايقدر أحد أن يدخل الينا وفينا عين تطرف ونادت الأميرة علوى ياويلكم ماتدعون حرمة الجوار وقرب الديار ولا جميل الأمير عبد الوهاب مرة بعد أخرى فقالوا لها أن الأمير عبد الوهاب قتله المأمون فسلى روحك تسلى وإلا سوف تندمى فقالت والله لا كان ذلك أبدا وهجم عليها الأمير عطارد وكان من أقارب الامير عمرو بن عبيد الله فى مائة رجل وكان شيطانا مريدا وجبارا عنيدا كارها للأمير عبد الوهاب وقال ويلك اخرجى إلى دار غيرها فما قصدنا إلا أخذ الأموال فقالت له الأميرة علوى ياويلك كيف تأخذ أنت أموال الأمير عبد الوهاب إن كان هلك كما زعمت فما أنت وارثه ولا لك عليه دين وإن كان سالما فسوف ترى عاقبة ذلك فلما سمع عطارد ذلك صاح برجاله خذوهم فالتقتهم القناصة بساعد قوى وجنان جرى فما كانت إلا طرقة الطارق حتى قتلت منهم أربعة وعشرين رجل وصاح عطارد بالرجال وتكاثروا عليها فحملت نورى فكشفتهم عنها وحملت القناصة على عطارد وضربته بالسيف على رأسه نزلت الى حد اضراضه وقتلت نورى من القوم جماعة وبلغ الخبر إلى الأمير عمرو فجرد عليهم وقال ياويلكم من أمركم بهذا فعظم عليه وكبر لديه وحملت بنو سليم الاموال التى أخذوها من بنى كلاب وكانت شىء كثير تزيد على خمسمائة الف دينار وقالوا له فى دار الامير عبد الوهاب مثلها أو أكثر وقد قتل ابن عمك فلا أقل مما تأخذ الأموال بتارك فأمرهم بالقتال وقصدتهم الرجال وقاتلوا القوم أجمع يومهم وليلتهم وأخذن بعد أن كثرت فيهن الجراح ورموهم بالحجارة من أعلى الدار ونهبت دار الأميرة علوى والاميرة ذات الهمة ورفعوا الاموال الى دار الامير عمرو بن عبيد الله ووصلت بنو كلاب من ظاهر الصور وصارحوا ويلكم ما فعل بنا هذا المأمون وانما هم الروم والملك ميخائيل وأعادوا عليهم القصة فلما سمع الامير عمرو بن عبيد الله ذلك أرسل الى الرقة فلما علم صحة الخبر عظم عليه وكبر لديه وجمع بنى سليم وشاورهم فى رد الاموال فقالوا أيها الامير اما الملك فما يستبقى الأسود ولا من يلحقه من النسب ويخلص كل من معه بالأموال والرأى عندنا أن نخرج نساء بنى كلاب الى عندهم ونقول لهم الأموال التى كانت فى بيوتكم هى كانت أموال المأمون نريد نشتريه بها وقد مننا عليكم بالحريم فاذهبوا حيث شئتم (قال الراوى) ياساده فلما سمع الامير عمرو بن عبيد الله كلامهم أخرج النساء

التى لبنى كلاب ونساء عبد الوهاب وعلوى والقناصة ونورى فلما حصلوا عندهم أخبروهم بما جرى عليهم وسألوهم عمن هلك منهم فقالوا أكثر من عطب من عسكر بنى كلاب الذين وفدوا من الحجاز والمثمة وغيرهم ثم قال ان القوم ساروا بهم إلى آمد ودخلوا بهم اليها فلما سمع ميمون الجماس بالقصة قامت عليه القيامة وقال ماصنع البطال هلك أوسلم فقالوا سلم ولكن لما أظلم الليل طلبناه هو وغلمانه فما وجدناه (ياسادة) هذا وان الامير عمرو بن عبيد الله عول على مكاتبة الملك ميخائيل فى شأن المأمون ليضمن له كل مايريد (قال الراوى) ياسادهفهذاماجرى ههنا (وأما الملك ميخائيل) فانه لما صار فى قصره أحضر عقبة معه وأجلسه فى دست المملكة وقال له أنت شيخ زماننا نتيجة عصرنا وأواننا ولولاك لما وصلنا إلى مثل هذا فقال له بحياتك إن طول المسيح فى عمرى لانصبن لك الرايات والأعلام فى الحجاز ولا يتم لنا هذا الا أن تفعل ماأقول لك فقال وما ذلك قال اذا أصبح الصباح تعجل بهلاك هؤلاء المأسورين الذين عندك وأول ماتبدأ بالمأمون حتى تقع لك الهيبة فى قلوب العباد وتملك البلاد ثم تجمع الكتائب والمواكب وأنا أسير معك وأقول ما تصنع بهم وما الذى فيه راحة لنا فقال له الملك ميخائيل طب نفساً وقر عينا فان شئت أجعلك تضرب رقابهم بيدك حتى يكون أشفى لفؤادك إذا بلغت مرادك من أعداءك وحسادك فقال عقبة فما عندى من الرأى إلا أن ترسل الساعة البطارقة يأتون بالاسود الزنيم وأصحابه فتضرب رقابهم وهذا الليل مامضى منه أكثر من نصفه وكان ميخائيل قد نصب مجلس الشراب فرحا وعقبة إلى جانبه وهو يأكل من لحم الخنزير ويشرب من الخمر العصير هو والملك ميخائيل والملك يقول له هذا هو الرأى الصحيح (قال الراوى) فهو كذلك وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما وقد أقبلت البطارقة بالضجيج والعجيج فقال الملك ياويلكم ماوراكم ماالذى دهاكم فقالوا أيها الملك ذبح منا سبعين ووقع رؤوس أربعين وما ندرى ماجرى على المطمورة التى فيها المأسورين من المسلمين (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه لما أصيب الأمير أبو محمد البطال فى عسكره وعلم أن الأمير عبد الوهاب وقد صار فى يد ميخائيل ضاقت عليه الدنيا وتوسوس وقال لأصحابه ما لرواحنا وجه من الوجوه ونحن قد فقدنا وهلكنا لفقد الأمير الأوحد والبطل الأمجد الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وظالم ومن معهم من الأصحاب وما يدخلون إلا بلد القسطنطينية وعقبة مع الملك فما يبقى عليهم لأن الملك ميخائيل ما ينظر فى عاقبة وهو جاهل وعقبة يحسن له ذلك وقد هلكوا أصحابنا ولا بد لى من إتباعهم فقالوا ونحن معك لأنك تعلم أن عقبة ما يخفى

عليه زينا وإن أخذنا فقد أمن على نفسه ويحث الملك على قتل الأمراء وقتلنا معهم فقال البطال سير وابنا وتوكلوا على الله وسار البطال ودخل هو وغلمانه إلى القسطنطينية ولم ينكر عليهم أحد ولما أفرد المأمون هو وأصحابه فى مطمورة ووكل بهما خمسمائة بطريق وتوكلوا بالمطمورة التى فيها الأمير عبد الوهاب مثل ذلك هذا وان البطال دخل مع البطارقة وجلس معهم وجعل يقول لهم إياكم والنوم فقد سمعتم ما قال الملك ميخائيل فى حفظ هؤلاء الأسارى الشياطين ثم أبسط معهم فى الحديث والمسامرة وفى بعض الأوقات (ياسادة) يتلو الإنجيل ويقرأ المزامير بصوت شجى يصرع الطير من الهوى حتى أخذ بعقولهم وجعل يزحف من موضعه حتى قرب من الموضع الذى فيه خابية المـــاء الذين يشربون منه وحك أذنه فأخرج منها قطعة بنج اقريطش ورماها فى الخابية فما هم إلا أن شربوا منها حتى وقعوا سكارى على الأرض وقد أمنوا أن يطرقهم طارق (قال الراوى) ولما أن نظر البطال إلى ذلك وثب قائما وقد قال لغلمانه أذبحوا الذين حول المطمورة فقد ناموا حتى تأمنوا على أنفسكم فوثبوا إليهم وأنطرحوا بالخناجر عليهم فذبحوا منهم جماعة وقصدوا إلى الأمير أبو محمد البطال وفتحوا المطمورة ونزلوا إليها فكان أول من نزل وأخرج الاميرة وفك قيدها أبو محمد البطال وقد أعطاها خنجر وقال لها كل من دنا منهم اذبحيه فأرادت ذلك وإذا قد أنتبه النائم على شخر القتلى وصاح الصائح وتواثبوا البطارقة من كل جانب وجاءت البطارقة إلى المطمورة الذى فيها المأمون وقد نظر الامير أبو محمد إلى ذلك فنجا بروحه وغلمانه والاميرة ذات الهمة وخرج من الموضع الذي دخل منه هو وغلمانه والاميرة ذات الهمة ولم يزالوا إلى أن أتوا إلى دار البطريق مارس وطرقوا الباب فخرج وهو مذعور وكان قد ورد على قلبه مالو طرح على الجبال لما طاقته فلما أن رآه فرح بهم ودخلوا داره وقد سارت البطارقة إلى ميخائيل وهو كما ذكرنا والبطارقة حوله فى مجلس الشراب وأخبروه بالقصة ومن قتل فأمر الملك بانتقاد المطامير فرجعوا أخبروه بأن ماعدم أحدا من الأمراء وأعمى الله الكل عن الاميرة ذات الهمة فقال الملك ياقوم أن هذا العجب والمطمورة ماأخذ منها أحد وهذا بابها مفتوح والرجال قد ذبحوا وما هذا إلا فعل البطال وكأنه يقول لو أننى أردت خلاصهم لقدرت عليهم ولكن أن قتل منهم أحد لذبحتكم كما ذبحت حرب بن شيبان وحق المسيح لا تعرضت لواحد منهم بقتل حتى يقع فى يدى البطال أطلبوه فلا بارك المسيح فيكم فعند ذلك طلبوه فلم يعرفوا له خبر ولا وقعوا له على أثر ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقال الملك قد عولت انى أرسل عبد الوهاب ومن معه إلى قلعة الشيطان وآخذ المأمون وأسير

إلى البلاد وأهلك العباد واقتل أهل البغى والفساد فقال عقبة هذا هو الرأى السديد والامر الرشيد ثم أحضرهم بين يديه وطلب الاميرة ذات الهمة فلم يجدها فعظم عليه ذلك وقال وحق المسيح هذا عجيب قد انفلتت اللبوة الشمطاء فقال عقبة فى نفسه محسنك ياولد الزنا كلما اصطدت أنا شيء تطلقه أنت فأمر الملك فأسرعت الخيل فى طلبها فساروا ورجعوا وما وقعوا لها على أثر فعند ذلك قال ميخائيل إذا أنا ملكت البلاد لابد لى من أخذ هذا الشيطان البطال ويكون قتله وقتل هؤلاء المأسورين فى يوم واحد فقال عقبة أيها الملك لاتمضى الى بلادالإسلام حتى تنفذ هؤلاء إلى قلعة الشيطبان (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان عقبة عارفا بتلك القلعة وله فيها مال عظيم وكانت هذه القلعة مبنية بالحجر والحديد والكلس ذكر فى أنثى بعضها على بعض فليس مثلها على وجه الارض وان هذه القلعة على رأس جبل فاذا صعد ابن آدم على رأسه يرى الجمل من أسفل مثل العصفور ومن حولها جبل لايرام كامل دائرة مغاير لايحصيها إلا الله تعالى وفيها عالم عظيم صغار العيون ليس لهم لحاء وهم جنس من جنس المغلبيط وأنخرهم وهـــذا الجبل يقال له جبل العجائب لأن بليناس الحكيم كان قد ترهب فيه زمانا وكان فى سفح الجبل برج عظيم وفى وسطه صخرة خضراء ينبع منها ماء أحلى من الشهد (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما رأى بليناس ذلك بنا فى ذلك المكان ديرا عظيما وجعل الدير دائر بتلك الصخرة والعين وجعل للقبة أربعة أبواب من النحاس وعمل فى الباب الذى يلى الشرق أسد باسط ذراعيه مفتوح الفم يدور على لولب ورقى اليه الماء من تلك الصخرة إلى أن خرج الماء منه إلى بركة تحت باب القبة الشرقى وعمل فى البركة أنابيت يخرج الماء منها وغرس من حول ذلك الدير بساتين وكروم تسقى من ذلك الماء وقد جعل فى الباب الثالث صنما احتكم صفته ورتب حكمته فمن توجه إلى الدير من العدو دار الصنم ويرجع إلى الجهة التى يأتى العدو منها ثم تتحرك يديه جميعا فتهتز فيها جلاجل مصنوعة تستمع على بعد من الدير فاذا فعل الصنم ذلك اخذوا أهل الدير أهبتهم وتحضروا لعدوهم وجعل فى الباب الرابع صنم آخر من النحاس الطيلثون الذى لايبلى علوه عشرين ذراع وجعل وجه مما يلى الشرق وصنع جرسا عظيما معلقا فى يده فاذا جاءت ساعة من الساعات التى يتعبدون فيها وصلواتهم حرك الصنم جسده فيتحرك الجرس فعند ذلك تأهبوا الصلاة ثم انه عمد الى جانب الدير فبنى فيه مجلسا مربعا على لوالب الحديد تدور على ممر الساعات وعمل فى وسطه دكة مرصعة بالجزع اليمانى وصنع لها درج وجعل للعقبة باب من الفضة وقفله بقفل حكمته ومن داخل الباب أربع شخوص جلوس على هيآت الخدم بأيديهم

مراوح ثم غير باب المجلس وطلسمه وكتب عليه وهو يقول هذا ماصنعه بليناس الحكيم بن بطليناس اليونانى من حكمته وانه نظر فى علمه وأما أعطاه الله من حكمته فرأى انه متى ظهر فى هذا الدير شخص وفتح له باب هذا المجلس وباب الدكة فانه يكون له شأن وأى شأن ويملك ملك عظيم (قال الرارى) ياسادة يا كرام وكان هذا الدير له شان عظيم وذكر فى بلاد الروم ولايسكنه إلاملك أو ملكة يترهبوا وكان له من النذور شىء لايقع عليه احصاء وكان يسمى بالرومية كريكانوس معناه دير النذور ولما شاع ذكره وانتشر فى النصرانية أمره وعلوه وعلموا به ملوك النصرانية والقسطنطونيه فبنوا بالقرب منه قلعة مانعة مرتفعة شاسعة مبنية بالكلس والحديد ليس لهاطريق ولاعليها تسليق وتركوها خزانة لهم وسموها قلعة ديابيك معناه قلعة الشيطبان وكانوا الملوك يتوارثون وكان بذلك الجبل أولئك القوم الذين ذكرنا صفتهم انهم صغار العيون وكان البطال دخل سائر بلاد الروم الا هذا الجبل لم يقدر يدخله وسبب ذلك انه لم يعرف بلسانهم وأيضا انهم فى مغائر ذلك الجبل ولا لهم سوق ولا مدينة ولا طريق وكان الشتاء إذا اشتدعليهم بالثلوج فيبقوا فى تلك المغائر هم وخيلهم وعندهم جميع مايحتاجون اليه ولهم من الكروم والثمار فى ظهر ذلك الجبل مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولم يخرج أحدا منهم إلى بلاد الإسلام ولا قاتلوا بين يدى أحد من الملوك فاذا أصاب ملك الروم كائنة يوجه اليهم البترك يطلب منهم النجدة ويقول لهم ان المسيح قد فرض عليكم الجهاد فيقولوا صدقت إنما افترض علينا أن نجاهد بين يدى ملكنا لابين يدى سواه (قال الراوى) والأصل فى ذلك أن القوم كان لهم ملك يقال له نسطوريا ابن شمعون وكان عارفا كثير الحيل شجاع بطل لايقاس به ولم يزل كذلك حتى قدح همته وقرأ شيئا من الحكمة وبنى على باب مغارته التى يسكن فيها هيكل عظيم وجعل على الهيكل فارس من النحاس بيده بوق من الفضة فاذا قدم إلى زيارته ملك أو قد نوى له الغدر فى نفسه يزعق ذلك الفارس ببوقه فلا يظهر ويرجع ذلك الملك خائبا مما أمل فلما حضرته الوفاة قالوا له قومه أيها الملك من يملكنا بعدك فقالوا اعلموا انى أردت أن أجعل لكم ملكا من الملوك منكم وأجعل أمركم إلى ملك القسطنطونية فأتانى الشيخ وقال لى لاتفعل ذلك فان هذه البنت التى خلفتها سوف يكون لها أمرا أومن بعض أولادها ولدا يكون ملكا لقومك جميعا ويملك سرير الملك الاكبر ويملك البلاد من المشرق إلى المغرب وتعود الدنيا كلها مسيحية فلا تطيعوا أحدا من بعدى من الملوك وكونوا ملوك أنفسكم فلما سمعوا ذلك من كلامه فقالوا هذا الذى نريد ونصير أعز الناس وأعلام ويعود الملك فينا وطمعوا

فى ذلك قال وكان قصد الملك يكون الملك فى ذريته أبدا فقضى انه مات وترك ابنة عاقلة لبيبة اسمها مارية فتزوجها رجل اسمه جرجيس ابن قلفطون فصار ملك القوم ولم يرزق غير ابنة فسماها بطوانة فلما كمل عقلها وهبت نفسها للسيح فأخلوا لها الرهبان قلايه برسمها وكان أبوها وأمها يزوروها فى الشهر مرة هذا فى أيام توفيل ابن لاوون وكان على قلوب المغلبيط من القلعة أمر عظيم لانها حاكمة عليهم فى سن ذلك الجبل ولا سبيل لهم اليها ولم تزل ابنة الملك فى قلايتها لاتنزل الايوم الصلاة فى بيعة ذلك الدير وهو يوم الاحد وتعود وكان قد ترهب فى الدير ابن ملك البرجان وكان اسمه فرسيس بن مطليس وكان أجمل خلق الله تعالى فمد عينه إلى الجارية فهواها فلما رأت منه المحبة أحبته أيضا ولم يزالا كذلك الى أن وجدا لهم غفلة من أهل الدير فاجتمعا فعلقت منه فلما تبين حملها خافت من أهل الدير على نفسها وأيضا من أبيها الملك فقالت لابن ملك البرجان هات أعلمنى كيف الحيلة فى الخلاص لأنى ان رأوا حملى قتلونى الرهبان فقال لها لاخوف عليكى وكان قد قرأ شىء من الحكمة ومن العزائم والنار نجيات وأنه ضرب مندل فى الحكمة ثم بخر وعزم ليلة الأحد وأحضر ملوك الجان فى المندل وقال لهم لايبقى أحد منكم إلا ويمضى إلى راهب من الرهبان الذين فى الدير فى نومه ويقول له أن الحوارى قد عبر الليلة على ديركم ورأى حسن عبادتكم فشكره فعلكم ولم يرى أقوى عبادة من بطرنة ابنة الملك ثم تقول له انه قال لها انها قديسة زمانها وقد أشار إليها بعامود فى يده فحملت فعظموا ماعظم الحوارى ثم أصرفهم من المندل واستخرج خاتما كان معه لايظهره لأحد وكان هذا الخاتم صنعة الحكيم هرمس إذا مر الذى كان فى أصبعه على أى موضع كان رفرفت عليه الطيور وإن أمسكه انسان ألقت الطيور عليه أنفسها وانه طبع بخاتمه على طين وألقاه بالليل على سطح قلاية الجارية وناولها الخاتم وقال لها اعمليه فى شعرك ففعلت ذلك ورجع إلى قلايته وقد اتقن أمره وذهب كل واحد من الجن إلى راهب من رهبان الدير وألقوا اليهم أن الحوارى قد فعل كذا وكذا فلما كان عند الصباح يوم الأحد ضرب التمثال بجرسه قال كبيرهم رأيت البارحة فى النوم كذا وكذا فقال كل واحد منهم وأنا رأيت ذلك ثم خرجوا إلى وسط الدير وإذا بالطيور حائمة على قلاية الجارية يرمون أنفسهم على السطح فبقوا كذلك حائرين وصلبوا على وجوههم وطرقوا الباب عليها وكانت لاتحضر معهم قط ولا تشاهد أمر من الأمور ولا تبرح من قلايتها بطول الدهر إلا أنها صار نهارها وليلها فى عبادة عشية وابتكار (قال الراوى) ياسادة يا كرام فخرجت وهى حاملة فى تسعة اشهر فما هى إلا أن ظهرت حتى ألقت الطيور أنفسها

عليها وجعلت ترفرف حواليها فازداد وتعجب وصفقوا لها ومرغوا خدودهم على فؤادها وقالوا لها أيتها السيدة الكريمة ماهذا فقالت رأيت البارحة السيد الحوارى وقد أشار إلىّ بعامود كان فى يده من النور فعلقت وهذا بيان ماترون فعظموا شأنها وارتفعت أصواتهم بقراءة الإنجيل فلما زاد أمرهم وإذا قد أخذها الطلق فولدت من ساعتها غلاما ذكر فأطلقوا البخور وقدسوها ثم انهم أخذوا المولود وطافوا به الدير كله وانهم عبروا به على المجلس الذى يدور فانفتح له بابه فرقصوا به وعطعطوا ومسحوا به على وجوههم ودخلوا به إليه وإذا بباب الدكة قد انفتح وقامت الأشخاص الأربعة وبأيديهم المراوح يروحوا عليه وتركوا الجارية هنالك ومولودها قد سموه كوشانوش وشاع ذلك فى المغلبيط وفى جميع أجناس الروم وكتبوا الكتب إلى بترك القسطنطونية وإلى رومية المدائن وأقبلوا بالأموال والنذور من الشموع والستور وكبر كوشانوش وترعرع وتعلم طرف من الحكمة وعلمه أبوه شيئا مما كان يحفظه ثم مات منويل وترك ميخائيل وقد صار لكوشانوش من العمر عشرين سنة وقد عظم شأنه وارتفع مكانه وسار خبره إلى أكثر الروم وهم يقولون هذا بركة المسيح فلو قال للواحد اقتل نفسك لفعل (ياسادة) هذا وقد سلمت إليه الخاتم المعلوم المعمول بالحكمة فاذا ركب لاتزال الطيور ترفرف عليه وأخذ أموال الدير وكان شىء كثير وأخذ مال جده لأمه فتقوى به وجاءت حكماء بلاد اليونان منهم فرهيوس وشيطالوس ومهداووس وتوارثوا كتب بليناس الحكيم فلما رأوه وما هو فيه بنوا له قصر وسموه قصر طانيا وقد انطلى عليهم أمره ومعنى اسم القصر نصف الدنيا وصنعوا فى وسط القصر حجر من الرخام طوله سبعون ذراع وعلى رأسه مجلس للملك وأمروا أن لايصعد معه أحد ولا يطلع إليه غيره وعملوا فيه مرآة عظيمة وكان ذلك المجلس يشرف على سائر الجبل وكان لايغيب عنه أحدا ممن يخدمه إلا أطلع فى تلك المراية فينظر إليه وهو فى الحالة التى هو فيها فاذا حضر عنده سأله عن ماكان يعمل فان صدقه قال صدقت وإن كذبه قال كذبت كنت بتعمل كذا وكذا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فاستعبد الروم بذلك الأمر وبلغ خبره إلى الملك ميخائيل فهم أن يسير إليه بعساكره فقال له البترك أيها الملك إن أنت فعلت ذلك أخرقت حشمة ملكك لأن هذا قد صار عندهم معظم ويقال انك خدشته وما تدرى مايجرى عليك منه (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وكوشانوش كان يصيد السباع من الفلوات حتى نفرت من تلك الأرض وكان يمضى خلفها الفرسخ والفرسخين حتى يصطادها وكان هائل المنظر عظيم الهيكل كانه الجمل وقومه أزيد من ثلثمائة ألف فارس سوى

ما بينهم من غير تلك البلاد وسمع كوشانوش بما اعتدوا فيه وقد أخذه الطمع وقال أنا ملك الأرض ثم أقبـــل على قومه وقال لهم خذوا الأهبة لقتال الروم وفتح القسطنطونيـة حتى تصير لنـا المملكة وبعد ذلك تصير الروم كلها من تحت أيديكم وتملكوا البلاد شرقا وغربا وبعدا وقربا فقالوا أيها الملك لو كانت لنا هذه القلعة التى للملك ميخائيل التى تسمى قلعة الشيطبان لرفعنا اليها جميع الذهب والفضة وغير ذلك فقال هذه القلعة كيف قدروا يملكوها ملوك الروم وهى عندكم فى بلادكم فقالوا المغلبيط أيها الملك كانت لنا أول الزمان ثم أخذها الملك منويل بحيلة عجيبة لأنه بذل للرجال الأموال فسلموها اليه وللملك ميخائيل فيها أموال عظيمة وفيها ألف بطريق بالديوان على الملك وهم فى هذا الجبل عندنا فقال وحق المسيح والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لارجعت عن أخذها والا تتحدث الروم عنى اننى ما قدرت على أخذها قلعة الى جانبى ولا وصلت اليها ثم انه سار بعد ان لبس عدة جلاده وركب جواده وسار الى قلعة الشيطبان ونادى بأعلا صوته يامعاشر البطارقة وأهل هـذه القلعة الشاهقة من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا أعرفه بنفسى أنا كوشانوش عامود النور وهذه القلعة كانت لجدى فى الزمن القديم فمن طاعنى كنت له كفيلا ومن عصانى صيرته قتيلا فشاشت الناس وأحاطوا بالغلام من كل جانب ومكان فهم ذات اليمين وذات الشمال وبذل فيهم السيف اليمان فنادت أهل القلعة الأمان الأمان أنت أحق بهذا الـكلام وأطاعوه وجمعوا له الأموال وصار تحت يده ثلاث آلاف من الافيال ولا يعلم الملك ميخائيل بما جرى فى القلعة لأنه كان مشتغل بقتال المسلمين كما ذكرنا فى هذه الوقعة (قال الراوى) وفى تلك الأيام وصـل الى القلعة ألف بطريق من عند ميخائيل ومعهم الأسارى على ذلك الحال الوبيل وهم الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وأمراء بنى كلاب والسودان الانجاب وما عدم منهم الا الأميرة ذات الهمة لأن البطال قد خلصها كما ذكرنا فى هذا الـكتاب وكان الملك لما أخرج الأمراء من البلد مضى عقبة وقعد على باب الذهب يترصد وقال للملك اعلم ان أبو محمد البطال ما خلص ذات الهمة الا وهو مقيم فى القسطنطونية عند من يعلم أنه مخـــامر على دين النصرانية كما أخامر أنا على دين الحنيفية ولـكن أنا أعلم أن الأمراء اذا اخرجوا لا بد ما يتبعهم البطال ولو كان فى رجليه القيود الثقال لأنه شيطان محتال وما يعلم اننى على الباب جاثم وعندى البطارقة بالصوارم فلو كان فى صورة الجن عرفته وبادرته وأخذته وان عقبة (ياسادة) قصد هنالك وأخرج الملك الأمـــراء من القسطنطونية وأخرج معهم لأهل ذلك الجبل هدية سنية هذا وان الأمير أبو محمد البطال سمع أن

عقبة قاعد على باب الذهب فلم يقدر ان يخرج خلف الأمراء فقلقت ذات الهمة لذلك السبب فقال لها أبو محمد دعى عنك القلق البارد فلو خرجنا فى بطون الخيل تحت ظلام الليل لحل بنا من عقبة الويل وما لنا الا الاصطبار والرجوع الى الملك الجبار وساروا البطارقة الى أن وصلوا الى القلعة وأوصلوا الى القوم هدية عظيمة لها قدر وقيمة فسألوهم عن الأسارى فأخبروهم بحقيقة أمرهم والأخبار وقالوا ما هؤلاء الذين أخربوا بلاد الروم من سائر الأقطار وقد وصل الملك الى أخذهم وأخذ الخليفة الذى هو ملك المسلمين الأبرار وساروا طالبين القلعة وان كوشانوش لما نظر الى ذلك أقبل على قومه وقال لهم كونوا على أهبة فانى أريد أن أسير خلفهم وأدخل القلعة وأكون لها بسيفى مالك فارحلوا فى أعقابهم تجدونى قد أخذتها سرعة فقالوا أنت وحدك وهؤلاء ألف بطريق ومثلهم فى القلعة فقال لهم دعوا هذا فلو كانوا فى عدة النجوم وقطرات الغيوم لا بد لى من هذا ولا أتخلا عنهم وسوف ترون ما يكون منى ومنهم ثم أخذ سيفا وترسا وسار حتى دخل فى جملتهم وقد لبس زيهم فلم ينكروه لكثرتهم ولما دخلوا فى القلعة لم يصبر حتى يصلوا أصحابه بل صاح فيهم وقد سل سيفه ونادى من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا قاتل السباع وقناص الاسود أنا كوشانوش بن عامود النور وقد وعدنى المسيح أنى أملك الارض فى طولها والعرض وهذه أول ما أملك من البلاد فان أردتم النجاة فدعوا عنكم الجلاد وان أبيتم ذلك فوحق حنا ومريم والمسيح المكرم ما أبقى منكم لا صغير ولا كبير فلما ان سمعوا القوم كلامه قالوا هذا مجنون وحق الرهبان يطمع أن يخرجكم من القلعة ويأخذ من أيديكم هذا المكان ثم انهم صاحوا وحملوا على انهم يقتلوه فضرب واحد منهم قتله وثانى جندله فلما رأوا ذلك حملوا عليه وأشهروا القواضب وأحاطوا به من كل جانب وقطعت الرؤوس واختلست النفوس ودارت طاحون المنية وحامت عقبان الزرية وفاضت الدما من الاجساد وعملت الصوارم الحداد وقتل منهم كوشانوش فى نهاره مائة وعشرون بطريق وضربهم ضربا شديداً أشد من نار الحريق وملك باب القلعة عليهم وقهرهم فلما عاينوا ذلك خافوا أن تأتى قومه فيهلكون عن آخرهم فأرموا أنفسهم عليهم حتى حصلوا الباب وولوا منهزمين هاربين فالتقوهم أصحاب كوشانوش فقتلوا منهم خلق كثير وما سلم منهم الا من كان فى عمره تقصير وملك كوشانوش القلعة وفرح فرحا عظيما ونظر إلى حصن لم يرى أحسن منه فى سائر الأقاليم فقال هذه تصلح لجمع الأموال لا لجمع الرجال لأن مايحتاج إلى القلاع والحصون إلا الجبان دون الشجاع ونظر إلى الأمراء وهم فى ذلك

الكتاف الشديد والقيود الحديد فقال مايجوز هذا بل أنا أطلقهم فى القلعة فاذا جاءوا أهلهم وطلبوا خلاصهم رميناهم من أعلا القلعة برؤوسهم وان أرادوا أن يشتروا أرواحهم بالمال فعلت ذلك معهم وأوهبتهم نفوسهم ثم دنا من سيف الحنيفية وحل كتافه بيده وقيده من رجليه فوثب سيف الحنيفية قائما كأنه الجمل حتى كأنه مارأى بؤس ولا ضرر وطلب كوشانوش على عجل وقد أخذ سيف من سيوف القتلى بيده وطلب عجلة قبل أن تصل قومه اليه ويدخلوا القلعة ويشتد الأمر عليه فلما رآه كوشانوش وقد أخذ السيف وهجم عليه صاح به كوشانوش وقد صاح أيضا سيف الحنيفية وحمل كل واحد منهما على صاحبه وصرخ به كوشانوش صوتا كأنه الرعد القاصف وضربه بالسيف على رأسه صفحا مثل البرق الخاطف كاد أن يقضى عليه فوقع إلى الأرض مافى عينه قطرة ورد القيد فى رجليه كما كان وقعد إلى الأمير ظالم يفك قيده وإذا بالصياح قد علا فنظر إلى باب القلعة وإذا بقومه قد دخلوا عدد الجراد فلما وقعت عيونهم عليه وقعوا إلى الأرض يقبلون بين يديه فأعاد عليهم حديث سيف الحنيفية فقالوا أيها الملك لقد أردت أن تطلق هذه السباع الفاردة الضارية من قيودها لأن هؤلاء آفة الدنيا وخراب بيوت النصرانية وجعلوا يحدثون بأخبارهم وما وصل اليهم من الأحاديث عن الأمير عبد الوهاب فلما نظر اليه تعجب منه غاية العجب ثم قالوا أيها الملك نحن قد عولنا إذا ملكنا القسطنطونية سرنا إلى بلاد الإسلام ولا ندرى كيف يكون أمرنا مع هؤلاء ويوجب أن يكونوا هاهنا ونوكل بهم من يطعمهم ويسقيهم فاذا كانت لنا بلاد الإسلام فنحن قادرون على قتلهم وان كانت علينا جعلناهم فداء لمن يؤسر منا فقال كوشانوش على الضمان أن أفتح لكم الأرض ولكن افعلوا ماتريدون ثم وضع الأمراء فى المطمورة ووكل بهم من يقوتهم ويقوم بأمرهم وتجهز طالب القسطنطونية (قال الراوى) ووصل الخبر إلى الملك ميخائيل أن القلعة قد أخذت فعظم عليه وكبر لديه وأما اللعين عقبة فانه فرح غاية الفرح وسمع الملك ميخائيل ان كوشانوش قد طلبه فى ثلثمائة ألف وقد اتبعه من حوله مثل ذلك وانه فتح القلعة وحده وفيها الفين بطريق فعظم فى عينه وقال هذا أشد على من المسلمين لأن أولئك يريدون الأموال وهذا يريد الملك ففزع من ذلك فزعا عظيما وجمع أرباب دولته وأعاد عليهم النوبة فقال مارس ودارس أيها الملك مافى الأمر الا أنك تطلق خليفة المسلمين على أن يكون لك عونا على عدوك وتصالحه على سنين على أن يكون لك عونا على عدوك وتتفرغ أنت فقال نعم ما رأيتم ثم انه أخرج المأمون وخلع عليه وعلى كل من كان معه من خواصه وأطلق الأسارى جميعهم وصالحه أربع سنين على أن يكون

له عونا على عدوه ولم يصدق المأمون بالخلاص وسيره مع ألف بطريق الى ملطيه وخرج الأمير عمرو بن عبيد الله إلى لقاهم وسيره مع بنى سليم إلى العراق وكانت الدنيا قد قامت على قدم وساق والعالم قد اجتمع فى بغداد من كل الآفاق ليسيرون إلى بلد الروم (ياسادة) وكان عمرو بن عبيد الله قد أحضر الأموال التى أخذها من بنى كلاب وقال للمأمون هذه أخذتها من بنى كلاب على اننى أنفقها على العساكر وأطلب خلاصك فقال المأمون والله ما مثل بنى كلاب ولو عدمت مشورة القاضى عقبة لكنت مسعود ولقد سألت ميخائيل فى خلاصه فقال مايبرح عندنا فى السجن فهو الذى جيش علينا عساكر المسلمين ثم أمر المأمون لعمرو بن عبيد الله أن يرد أموال بنى كلاب عليهم بحيث لايعدم لهم درهم واحد وسير ذلك لهم الى آمد ويعتذر اليهم ويقول لهم ان المأمون يعتذر اليكم بما فعل مع أمرائكم وهو الذى لاينام ولا يتهنى بطعام حتى يكون السبب فى خلاصهم كما كان السبب فى أسرهم ففعل عمرو بن عبيد الله ما أشار به الخليفة وكان قد فرط فى أموالهم فى مائة ألف دينار فخاف من الخليفة واحتاج إلى وزن ذلك من ماله وتضعضعت أحواله وأرسل ذلك اليهم وأعاد ماقاله المأمون عليهم فطابت قلوبهم وقالوا نرجو من الله خلاص المأسورين من أمرائنا (قال الراوى) لهذا الكلام وان المأمون لما وصل إلى العراق فرحت بذلك الآفاق وفتح الخزائن وأخرج الأموال من عهد جده والأموال التى كنزها الرشيد وأنفقها فى عساكر الترك والعجم وأمر الديلم وأمر الناس ان ينادوا بالغزو إلى بلاد الروم وقال لا بد لى أن أسير إلى بلاد الكفار وأضربهم بالصارم البتار وأطلب هذا الذى خرج على ميخائيل كوشانوش وأكون معاونة فى مقابلة فعله فى خلاص الأمراء الاجلاء وبرز الخيام والسرادقات إلى تل عقدقون وخرجت الجيوش من بغداد بعدد الجراد (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فان الأميرة ذات الهمة قالت له ياأبو محمد إعلم إنى لو كنت مع ولدى فى الأسر مشاهدة له لكان على طيب وسهل على من غيبته ولا أعلم ما كان من حاله فقال لها يا أميرة ماتجىء الأشياء فى كل وقت بالأستعجال بل الأمهال فقالت الأميرة أنا ما أقيم لأنى ما أقدر أتوصل إليه بالسرقة لأنه فى موضع ما للطير عليه سبيل وهى قلعة الشيطبان وهم فى أسر هذا الذى قد ظهر للبغليبط كوشانوش وأخاف أن يهلك ولدى وما بلغت المنا وقد عولت على أننى أمضى إلى ملطية وآخذ بنى كلاب والسودان الأنجاب وأسير إلى بلد الروم وأنفق الأموال التى لنا فى ملطية فى العرب والأكراد ولا أدخل هذه البلاد إلا بجيش عرمرم فقال أبو محمد لاتفعلى واصبرى فان بنى كلاب قد نهبت أموالهم

وأخذت رجالهم وأخرجت نسوانهم وأخذوهم ومضوا إلى آمد وهم عنـــد ميمون الجماس فلما سمعت ذلك قالت ومن فعل بهم هذه الفعـال فقال لهم البطال فعلوا بهم بنو سليم وعمرو بن عبيد الله فلما سمعت ذلك قالت فعلوا غير فعل العرب وخرجوا عن كريم النسب ووالله لولا عاقبة هذا الأمر وان أنا عشت وزال عنى ما أنا فيه من فراق الأولاد والأقارب الاجواد لاتركن ملطية من بنى سليم بلقع يهيج فيها الغراب الأبقع ثم أنهـا خرجت مع البطال من القسطنطونية كأنهم من أهلها فلما ان حصلت فى ظاهرها قال لها البطال أنا مقيم ههنا أنا وغلمانى على بركة الله تعـــالى وانتى سيرى كذلك على بركة الله تعالى (قال الراوى) فاستقامت الأميرة على الطريق وإذا قد عبر عليهـا بطريق لابس لأمة حرب وهو على فرس من الخيل الجياد شديد الحيل متقلد بسيف أبتر كثير الجوهر يساوى عشرة بدر فلم يحس الفارس إلا والأميرة وثبت عليـه مثل الأسد الغضنفر ولـكمته فى دماغه طيرت مخه وليست لبسه بعدما عجلت عطبه وأخذت حصانه وسارت به وودعت البطال وقالت له عليـك بالحرص فى خلاص الأمراء وأنا التى لا أغيب إلا القليل ثم ولت وهى تقول هذه الأبيات

لنا كل يوم زفرة وعليـل ويفقدنا دور لنـــا وطلول
ويضحى اجتماع الشمل منا مشتت فمنـــا اسير للعدا وقتيل
وتغدر جيران لنـا بعد فقدنا وتنهب أموال لنـا وخيول
ولا فى بنى العباس شخص يرى لنا فعال ولا يرعى لنا بجميل
سأجمع قوم من كرام عشائرى كرام لعمرى والـكرام قليل
وأطعن بالسيف اليمـانى يمنة ويحكم فى هام العداة صقيل
وأترك أثار الدماء على الثرى تسيل كما سالت لذاك سيول

(قال الراوى) ثم أن الأميرة سارت تقع الفيافى والقفار والأودية والامصار ولا يقر لها قرار حتى وصلت إلى أول الدروب وإذا بمائة فارس ما بين رامح وتارس وهم كالليوث العوابس من العرب المتنصرة وفيهم حرب بن شيبان لأن الملك ميخائيل كان قد أرسله فى حاجة له من بعض الحصون فهو فى رجوعه اذلتى الأميرة ذات الهمة وأنها لما نظرت إليه عرفته وعرفت رجاله فقالت هذا والله أول الغنيمة وآخذ تار بنى كلاب من هؤلاء اللئام ولوضاربتهم بالحسام إلى وقت الظلام ثم ترجلت عن جوادها وافتقدت حزامه ووثبت وصارت على ظهره من غير أن تضع رجلها فى الركاب وأخذت القنطارية الخلنجية هذا والقوم ينظروا إليها فقال بعضهم لبعض ما أحسن تمايل

هذا البطريق فقال لهم حرب وكان من فرسان زمانه وأرباب البصيرة فى الحرب ومقام الطعن والضرب فقال وذمة العرب العربا بعداً وقربا ما هذه قط ركبة رومى وما هى إلا وثبة العربيات وقد رابنى أمر هذا الفارس وان صدقنى حذرى ولم يخطىء نظرى فهى ذات الهمة لأنها قد خلصت من عند الملك بحيلة أبو محمد البطال وقد قتلت بعض الروم وأخذت عدته وطلبت بلاد الإسلام وإن كان الامر كذلك فنحن نتقرب اليوم عند الملك بأخذها ثم أطلقوا إليها الاعنه وقوموا نحوها الاسنه وقالوا من أنت أيها الفارس قل واخبر وإلا أخذناك بالرماح وما بين عيناك فنادت الأميرة ذات الهمة ويلكم يا كلاب العرب المتنصره اللئام يامن تركهم الملك العلام وجعلهم محطبا لدار الإنتقام وأحرمهم بكفرهم دار السلام ما اسرع ما نسيتمونى أنا أم الأشبال وولدى الأسد الريبال واليوم آخذ منكم بالتار وأكشف عنى العار فى طاعة الملك الجبار فلما سمعوا كلامها عرفوها ولم ينكروها وقالوا الحرب بن شيبان لقد صدقت فيماقلت فقالوا أحملوا أنتم فانى أصبح خاطرى مشغول من منام رأيته البارحة رأيت كأن حية قد طوقت على رقبتى وسحبتنى صوب بلد المسلمين وقد أشتغل خاطرى من ذلك فقالوا هذا أضغاث أحلام ثم هموا على الأميرة فما كانت إلا ساعة حتى أصرعت من القوم ستين بستين حملة وملكت عليهم الطريق وضربتهم ضربا أحد من الحريق ولم تزل كذلك حتى مضى النهار وقد فرغت من عصابة الكفار وأخذت حرب بن شيبان أسير وشدته على فرسه وسارت تقطع الأرض ذات الطول والعرض حتى وصلت إلى آمد ووقع الصوت بقدومها وكان يوما عظيما عند بنى كلاب والسودان الانجاب لأنهم مثل الغنم بلا راعى ونزل ميمون الجماس وسألوها عن خلاصها كيف كان فأخبرتهم بذلك وأعلمتهم أن الأمير عبد الوهاب وأصحابه فى قلعة الشيطبان ثم قالت لميمون الجماس أريد كلما كان عندك من الأموال التى فى الخزائن فقال سمعا وطاعة (قال ياسادة) وبذلت للعرب الأموال من بنى كلاب وغيرهم لأن بنى كلاب قد نهبت أموالهم ورجالهم واشترت لهم ما يحتاجون اليه ووعدتهم بكل جميل وخلعت على السودان من النوبة والحبشان وسألت عن باقى المثلثة فقالوا لها رجعوا كلهم إلى بلادهم ولم يبقى منهم غير أبو يخلف وأنه حضر عند الأميرة فقالت له وقد نظرت إليه وما عنده من الهم على من قتل من قومه فقال لها ماتركت لى ستى شمسه عقل أحزن به على من قتل من أصحابى فضحكت عليه الأميرة ذات الهمة وقالت له استراح من العقل وأرسلت الكتب إلى بنى كلاب والنجاب وحلفائها ولم تزل كذلك إلى أن وصلت إليها الاعراب من كل فج وواد حتى صارت الأميرة فى خمسين ألف عنان سوى عشرين ألف من السودان أو يزيدون وقالت

لهم خذوا الأهبة للرحيل (قال الراوى) فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من كوشانوش فانه لما قبض على الأمراء وفعل بهم مافعل ورفع أمواله إلى القلعه وترك فيها بطريق وقال له هذه لاتفتحها لأحد غيرى فقال سمعا وطاعة وسار فى ثلثمائة ألف فارس طالب القسطنطينية وبلغ الخبر إلى الملك ميخائيل فجمع الملوك والعساكر فاجتمعت له ثلثمائة ألف إلا أن طاعة هؤلاء الثلثمائة ألف لكوشانوش خلاف طاعة الروم للملك ميخائيل ولو قال لهم ارموا أنفسكم فى بحر لفعلوا (قال الراوى) وكان الملتقى فى مرج تصف الدنيا وهو مرج طوله يوم وعرضه مثل ذلك كانه الزمرد من كثرة النبات ووقعت العين على العين واضرمت النيران وتحارب الفريقان إلى أن أصبح الصباح وكان كوشانوش حارس القوم على جواده لم ينام طول ليلته هذا وأن البطال هو وغلمانه قد اختلطوا مع عساكر كوشانوش من النهار وقالوا هذا الملك أحب الينا من غيره لأنه قد وعده المسيح أن يملك الأرض وأقاموا معهم والمغلبيط يظن أنهم من بطارقة مدينة القسطنطينية وقد استأنسوا اليهم وأن البطال قال لغلمانه اطلبوا موضع الملك كوشانوش فان نحن ظفرنا به فهو الذى نريده لأنى ما كنت أطلقه إلا بالأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب ودع مايجرى بينه وبين ملك الروم (ياسادة) وأن البطال لما رآه قد تولى الحرس بنفسه جعل يرقبه وقال لابد له من الكرى ولم يزل كذلك وهو مثل الشيطان يدور من حول عسكره حتى صار الربع الأخير من الليل (ياسادة) فترجل من على فرسه والأمير أبو محمد يرقبه هو وغلمانه ثم أن كوشانوش قصد قنية من العسكر وطرح رأسه على حجر ونام فقال البطال هذا الذى كنا نريده وماسهرنا إلا من أجل هذا ووالله لقد استعجلت الأميرة بالمسير وإلا ما كنت برحت إلا والأمراء قد خلصوا بهذا الذى تأخذه الساعة ثم إن البطال سار واتبعوه غلمانه حتى قعد عند رأسه وله غطيط مثل همرات الأسد على الفريسة فقبض البطال على ذراعيه وقال لغلمانه اعلموا أنه جبار من الجبابرة شدوا يديه حتى أنه إذا أفاق لا يكون له علينا سبيل قالوا هذا هو الصواب ثم شدوا يديه بزنار ابريسم وقالوا قد وقع الخبيث ما نراه إلا كانه ميت وعولوا على حمله وإذا به قد ثار قائم وهو يضحك وتمطا فى كتافه قطعه وأخذ البطال ورفعه بيده فى الهواء حتى بان بياض ابطه ولطم به لؤلؤ كاد أن يقضى عليه وأراد سبك أن يهرب مع بديع فوثب وثبة تزيد على عشرة أزرع وقبض على رجلين سبك وضرب به الارض ونظر بديع إلى ذلك فسلم نفسه وقال ما أيشمها علينا من سفره وأقبل الملك كوشانوش على البطال وقال له ويلك وحق المسيح والانجيل ومافيه من التحريم والتحليل رأيتك وعلمت انك من أصحاب ميخائيل وأنك ماجئت إلا لمصيبه فلما رأيتك تراقبنى طول الليل علمت

أن المطلوب أنا ففعلت هذه الفعلة حتى أنظر قصدك ماهو فلما قعدتم عند رأسى وقلتم إن لم نربط يديه ما نقدر عليـــه فأردت أن أوريك أن شد يدى لا يمنعنى عنك (قال الراوى) ثم قبض على الأربعة وسار بهم طالب عسكره وهو يظنهم من الروم أصحاب الملك ميخائيل فلما صار فى عسكره وأخبر قومه بالخبر فلما أصبح الصباح قال لقومه هؤلاء يجب أن نرمى إلى الروم رؤوسهم حتى لا يرجع أحدا منهم يجسر على مثل هـــذا ثم سلمهم إلى قومه وكشف رؤوسهم وجردت السيوف وأيقنوا بالحتوف فقال البطال هـذه نوبة ما وقعنا قط فى أردىء منها وجعل يتشهد (قال الراوى) فهو كذلك اذ نظر بعض البطارقة ممن كان سافر الى بلاد الاسلام فعرفهم وقال ويلكم ما هؤلاء من أصحاب ميخائيل هذا شيطان الانس والجن هذا أبو محمد البطال العيار المحتال المختبىء فى جفون الرجال وفى ثياب ربات الحجال وهو رفيق الاسارى الذين عندكم هذا الذى تصفه الروم وتقاسى منه البلاء والهموم (قال الراوى) فلما سمع كوشانوش ذلك ضحك وقال هذا الذى وصفتموه فقال نعم أيها الملك فقال الملك أنا أرسل هذا الى عند أصحابه وإذا فرغتم من الملك ميخائيل وفتحت البلاد فأنا أوريكم أى قتلة أقتلهم ثم عمـــل القيود فى أرجلهم وأرسلهم الى القلعة مع الرجال فلما حصلوا القلعة وفتحت المطموره التى فيها الامراء والامير عبد الوهاب يقول والله أنى طيب القلب مادام البطال خلفنا والامـــيرة ذات الهمة ولا بد للبطال مايجىء إلى هذا الموضع ولو كانت القلعة معلقة فى الهواء فأجابه البطال ها أنا قد جئت اليك ولـكن فى فى رجلى قيد وزنه عشرة أرطال بالدمشقى (قال الراوى) وأنزلوا البطال وغلمانه فلما رآه عبد الوهاب عظم عليه وكبر لديه وقال ياأبو محمد الأميرة ذات الهمة معك فقال لا ولـكن ما دام هذا الشيطان كوشانوش ههنا فهو يحشرنا كلنا فى هذا الجب وبالله ما سلمنا من القتل الا بشعرة واحدة وأعاد عليه قصته فتعجب الأمير من ذلك وقال له كلما تصف فهو قليل وأخذ هذه القلعة من الألف بطريق وسلم ولدى سيف الحنيفية ان يعطب فقال البطال ومن أين لـكم المـــأكول فقال قد وكل بنا من يرمى لنا فى كل ثلاثة أيام ما نسد به الرمق ولا شك أن هذه المطمورة تحت الأرض لأنها بعيدة القرار مظلمـــة فى الليل والنهار فقال البطال والله ان مقامنا ههنا أريح لنا من خدمة بنى العباس فى ملطيه وما صفا لنا عيش يوم واحد ولـكن كان قدوم آثاركم من الحجاز فى ساعة غير محمودة (قال الراوى) وان الملك كوشانوش اصطفت عساكره وعساكر الملك ميخائيل وعولوا على اللقاء فقالت اصحاب الملك ميخائيل أيها الملك من قبل أن تفنى الروم هل لك أن

ترسل اليه من يقولوا له ان كان حملك على هذا طلب مال أو نوال فنحن نعطيك وان كان غرضك القلعة فقد أخذتها ونحن نعطيك فوقها ما أردت وان كان قصدك غير ذلك فأعلمنا فان الملك ما يريد اهراق دم النصرانية خوفا من المسيح فلما سمع الملك ميخائيل ذلك الكلام من قومه رآه صوب واستدعى بالبترك وعقبة وشومدرس وسيرهم الى الملك كوشانوش (قال الراوى) ياسادة وسار البترك وعقبة وشومدرس فلما وصلوا اليه جعل البترك يقول له أيها الملك اعلم أن المسيح قد نهى دين النصرانية ان يهرق بعضها دم بعض لأن هذا فساد الأرض والملك يقول ان كان قصدك الأموال والرجال فهو يعطيك الذى تريد وعندك المأسورين الذين أخذتهم ولو طلبت أوزانهم أعطوك ومما فتح من بلاد المسلمين يعطيك قسم مثل ما يعطى الستة عشر ملك وأنت مقيم فى مقاطد ولا تقيم الفتنة فى هذا الدين فيغضب عليك المسيح كما قد نقل الينا مع الرهبان الزهاد عن الآباء والأجداد فقال ويلكم هذا عهد بعيد وأنا أقوى منكم لأن أمى رأت الحوارى فى النوم وأشار اليها بعامود من النور فحملت بى ثم أخبرها بأنى أملك الأرض ذات الطول والعرض وأول ما أملك مدينة القسطنطينيه ثم قبض عليهم وقال لبعض البطارقة أوصلوا هؤلاء الى البطارقة الذين فى القلعة وانزلوهم فى المطمورة التى فيها الأسارى من المسلمين فقالت البطارقة السمع والطاعة أيها الملك الكريم (ياساده) هذا وعقبة قد كشف رأسه وأظهر ناموسه وهو يصيح أيها الملك لا تفعل فانى كنت أهلك واعلم ان مقامى فى بلاد الاسلام عونا على القوم اللئام وبينى وبين هؤلاء المأسورين أمور لا تخفى وأخاف أن يقتلونى ان صرت فى هذه المطمورة معهم فان كان ولا بد من ذلك فاقتلنى بسيفك ولا أقتل بسيوف أعدائى فقال كوشانوش وحق المسيح لا بد من نزولك الى ذلك الموضع لأنى أقول فافعل ولا أعود فيما أقول بخلاف سائر الملوك ثم أقبل على أحد البطارقة وقال له قل للاسارى الذين فى المطمورة أنا أقسم بالمسيح وحق العامود الذى ضربت به أمى حتى حملت بى أننى متى سمعت ان أحدا ضربه لاقطعن أيديكم وأصلبكم على باب الحصن (قال الراوى) وكان هذا يمينه المغلظ وكان اذا اجتهد يقول وحق العامود إنه يكون كذا وكذا (ياساده) ودخلوا به إلى القلعة ووصلوا بهم الى المطمورة وكانت القلعة ملآنة من البطارقه وأولاد العمالقه وغيرهم وكان كوشانوش لما مسكها قد أخذ من الأموال التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ومن ودائع ملوك الروم وانه لما ملك ذلك لم يرفع منه الى خزائنه شيئا بل فرقه على العساكر التى معه وهم قومه المغلبيط فأصلحوا به أحوالهم وزادوا فى التجمل وقال لهم أريد أجمع الاموال وأبنى لكم كنيسة من الذهب والفضة

وأرصعها بالجواهر ويكون طولها أربعون ذراعا وعرضها كذلك حتى تفتخرون بذلك على سائر أهل الإمصار والاقطار (قال الراوى) ولما وصلوا البطارقة إلى القلعة وفتحو المطمورة فقال البطال لاشك أن هذا الشيطان كوشانوش قد بدا له رأى فى قتلنا أو قصد اليه عقبة وعرفه على ذلك لأنه لايقعد عنا من سائر الجهات والله المعين على ذلك وانه فى الكلام وإذا بشخص قد دلوه البطارقة بالحبال لأن الموضع عميق القرار منقور فى الجبل إلى قراره والظلمة على راس الجبل كما ذكرنا فتأمل البطال والامير عبد الوهاب وقد طارت قلوبهم فزعا وخوفا أن يكون ذلك الشخص هو الاميرة ذات الهمة لانهم لايعلمون ما كان منها واذا به البترك الذى للملك ميخائيل ومن بعده نزل القاضى عقبة فلما وقعت عين الامير ظالم على القاضى عقبة صاح وقال أهلا وسهلا بشيخ السفلة جئت مليح على غفله ولطمه على رأسه فطار الدم من نفوخه وتقاطرت الاكف عليه وكذلك على الراهب شومدرس فجعل يصيح ويستغيث فنزل اليهم البطريق والسيف مجرد بيده وجعل يضربهم على رؤسهم صفحا فأمسكوا عنهم وقال لهم ان الملك كوشانوش اقسم بالاقسام العظام أن من مد يده منكم الى هؤلاء الثلاثة أرسل من يقتلكم فى هذه المطمورة فقال البطال سمعا وطاعة ماتتعرض لهم بعد ذلك وصعد البطريق والتى عليهم الطابق (قال الراوى) ياساده ياكرام وان ظالم أراد أن يقتل عقبة وطرح يده فى حلقه وقال دع يقضى الله ما هو قاض فقال البطال ماهذا صواب وانت تعرف هذا الشخص الذى قد خرج الى الملك ميخائيل وانه فى صورة ابليس وهو جبار من الجبابرة ورؤوسنا كلها مرهونة بهذا الشخص السوء وما يستوى ذلك وانما الاحسن يقتل الإنسان عدوه ويظفر بالسلامة من بعده وأما ان تقتل به فهذا غير صواب فامسك ظالم عنه واقبل البطال على عقبة وقال له ويلك ياعقبة ما الذى اوقعك ههنا بحق دينك وان كان مالك دين فقال عقبه ويلك ياخبيث لقد أقول أن فى الأرض اعظم من هيبه هذا الاسود عبد الوهاب حتى رأيت هذا الملك كوشانوش فالمسيح يقوى عزمه فلا يصلح للملك وفتح البلاد غيره ولا لقتال المسلمين سواء وهو يملك الأرض جميعها لامحالة والدليل على ذلك انكم وقعتم فى يده من غير تعب ولا نصب وهذه علامة السعاد ودلائل بلوغ الارادة ثم أعاد عليهم قصته مع كوشانوش فتعجبوا من ذلك وضحكوا فقالوا لاتضحكوا فأنا مصيرى أخرج وأنتم لا بد لكم من ضرب رقابكم وأنت يابطال كيف كان وقوعك فأعاد عليه قصته من أولها إلى آخرها فكشر على أنيابه وضحك وقال لعلى دعائى يكون مستجاب فأرسل المسيح لنا من يمهد الارض فى طولها

والعرض ولا يبقى مسلم فصاح الأمير عبد الوهاب وقال والله ياملعون ما أبالى دخول الموت على أو خروجه فكف ألفاظك والاقتلتك وقتلت هذين الكلبين شومدرس والبترك فقال عقبة ماتقدر علي قتلى أبدا لانك فى ذلك عاجز وأنا ماأبالى أن أقتل فقتل أولادك وأحبابك وأصحابك بدمى فقال شو مدس والبترك أيها الشيخ النجيح أقصر عن هذا الكلام فما أنت تصير عند الموت مثل واحد منهم وأنت تعلم ذلك فلا تكن سببا لهلاك نفسك وهلاكنا معك فسكت عقبة (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ماكان منهم (وأما ماكان) من الملك ميخائيل فانه لما أرسل البترك وعقبة وشومدرس إلى الملك كوشانوش يرجوا الصلح على مافى نفسه فلم يقدر على ذلك فبلغه أن كوشانوش قد قبض عليهم فصف الملك العساكر وماجت الأرض بتلك العساكر التي ليس لها أول من آخر حتى خيل للإنسان ان الارض قد قلعت من تخومها والسماء قد سارت بنجومها وقد تصايحت أبطال الملك ميخائيل وسبعة عشر ملك وجميع أجناسها مثل الانجبار والبنجاك والارمن الملافطه والبنادقه والصقالبة واليونان والزعاوره وطائفة القسطنطونية وركب الملك ميخائيل ورفع الاعلام ونشرت الرايات والبيارق وظهرت السيوف والطوارق واشتهرت الصوارم المواحق والاسنة الخوارق وركب كوشانوش معول على الحمله على تلك العساكر جميعها بنفسه من غير انفساح ولا انتزاح لأنه رجل جبار ولا ينظر فى عاقبة هذا وقد مالت الكتائب على الكتائب وارتفع الصياح من كل جانب وعملت من السيوف رقاقها وزاورت من الابطال احداقها وقام الحرب على ساق وهزت النصول بعد امتشاقها وأزبدت من الشجعان أشــداقها وانبط فى ذلك المرج اعناقها وجرت الدماء بانهراقها ونودى فى قبائل الانفس بمحاقها وودعت الارواح الابدان وداع فراقها وطارت رؤوس الهياكل من أعناقها ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالإعتكار وقد جرت الدماء مثل الانهار (قال الراوى) ياسادة ولما كان فى اليوم الثانى قتل من الروم أكثر من أربعين ألف فارس وكان ذلك ما بين العسكرين فعند ذلك برز الملك كوشانوش إلى الحرب ومقام الطعن والضرب على جواد وقاح قد غذي بلبن الاقاح يسبق الرياح بوجه كالمصباح وعليه ثوب ملكى قسطنطي ومن فوقه درع بصفائح ذهب أحمر قد نظمت بشراريب الحرير الاخضر من فوقه ثوب ملكى مدثر فى وسطه زنار حرير برمانتين جوهر وعليه صليب ياقوت أحمر وفى يده صارم ذكر مليح الجوهر له متن أخضر أمضى من القضاء والقدر كأنه البحر إذا ذخر ينزل فى الحجر يقدح منه الشرر ومعه قنطاريه خلنجية عليها سنان

أفرنجى بطارقة هرقلية بخاصرتين علية مليحة الادهان كثيرة الالوان لايعمل فيها يمانى وعلى رأسه بيضة ساطعة بثلاثة طبقات الواحدة بولاد والثانية فضة والثالثة ذهب مرصع بالجوهر (ياسادة) وان كوشانوش صال و جال و نادى برفيع صوته يامعاشر الروم مالنا فى اهراق دمكم حاجة ولا نريد نفنى عبدة المسيح ولكن لا بد من الملك أن يكون لى ولا أترك أحدا سواى يتولاه ولا يحكم فيه غيرى فليخرج إلى الملك ميخائيل فأنا إن ظفرت به كان الملك لى وأن هو ظفر بى عادوا هؤلاء العساكر تحت حكمه ويكونوا فى خدمته (قال الراوى) فلما سمعوا الروم ذلك قالوا ومن هو هذا الكلب حتى يخرج اليه الملك ونحن نفديه بأرواحنا فقال من خرج إليه وقتله أو أسره فله على بوزنه ذهب (ياسادة) فما بقى فيهم إلا من طلب الخروج إليه وجردوا السيوف على بعضهم البعض فأصلح الملك بينهم وضرب القرعة فوقعت على الكندفرون ملك الملافطه فخرج فى لامة تامة على جواد سابق وفى كفه سيف ماحق ورمح خارق وحمل عليـــه من غير أن يتكلم وأن كوشانوش نادى من أنت قال ملك الملافطة فقال ويلك ومن أنت حتى تخرج إلى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فصرخ الكندفرون وأبعد جواده فى المرج حتى حما الجواد ورجع إليه ومعه قنطارية لو طعن بهـا جبل لنفذت فيه وقصده بالطعنة طالب صدره حتى إذا وصلت إليه ضرب بيده إليها وجذبها اليه وقبض على السنان من ثلثيه ومده اليه حتى حك الركاب بالركاب هنالك ضربه على وجهه خلط الزرد مع رأســه وقطع أنفه ونزلت أضراسه ووقع فى الحال إلى الأرض طريحا والملوك قد نظرت إليه ونظرت الملافطه إلى ملكها وقد صار على وجه الأرض جديل من غير سيف ولا سنان فقال الملك ميخائيل أعيدوا القرعة بينكم حتى نرى من يخرج إليه فقال ملك الأرمن اما أنا فلا أزاحم على القرعة فمن أراد أن يخرج من غير قرعة فليخرج فقال الملك ميخائيل من أتانى به زوجته ابنتى نور العين (ياسادة) وكانت هذه الجارية قد شاع ذكرها فى بلاد الروم كلها بالحسن والجمال والترف والدلال والبها والكمال وقال لا أريد لها مهر إلا رأس كوشانوش فما فيهم إلا من رغب أن تكون الجارية زوجته ويحظى بذلك الحسن والجمال والترف والدال (ياسادة) فبرز إليه ملك اللان وكان اسمه توماس بن يعلونا وكان فارس لايطاق وعلقم مر المذاق حتى صار عنده بين الصفين فصاح به كوشانوش ولم يطل الخطاب حتى أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه إلى أصحابه ولم يزالوا الملوك يخرجوا اليه فارس بعد فارس وهو يأخذهم حتى أخذ خمسة عشر ملك أسارى ولم يجرد سيفه وإنما يطاعنهم بالرمح ثم يهاجمهم

ويأخذهم حتى أخذهم فشهدت الروم أنه أوحد أهل الأرض فى الطول والعرض ولم يبق من الملوك غير ملك الأرمن فكان أسمه الكندفرون بن قطسه فقالوا له البطارقة أيها الملك ابرز اليه لعل يكون المسيح قد جعل أبنة الملك زوجتك فقال أنا قد عولت على الرهبانية ما أحب زواج (قال الراوى) وان الملك كوشانوش نادى برفيع صوته يبرز إلى الملك ميخائيل وأنا وحق المسيح قد تعبت ولا نعتمد على غيره فما هذه صفة من يريد يملك رقاب العالم وإلا وحق المسيح الساعة أحمل بعساكره ولو كانوا بعدد النجوم فنيتهم فعندها قال الملك ميخائيل ما فى الأمر غير اللقا والمبارزة ثم أنه ظهر على جواد كريم مثل الليل البهيم يسبق النسيم وعليه درع داودى وثوب ديباجى متقلد بسيف قوى المسمار ماضى الشفار قاطع للأعمار وهو فى تنور ذهب بالفضـــة مكوكب وحمل على كوشانوش وصاح كل واحد منهما على صاحبه وجالت الخيل حتى عاد النهار مثل الليل (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد سمع الفريقـــان صراخهما وقد علا صياحهما وانكشف الغبار عنهما وإذا بالملك كوشانوش حمل على الملك ميخائيل كأنه الفيل ونظرت الروم إلى تلك الحملة فحملت تطلب خلاص ملكها وحملت أصحاب كوشانوش ولم يزال الحرب الشـــديد بين العسكرين إلى غروب الشمس وقد أوصل الملك كوشانوش الملك ميخائيل إلى قومه وحمل على صاحب العلم وطعنه فى صدره أطلع السنان من ظهره ومال العلم فولت عساكر الروم منهزمين وصوارم المغلبيط تعمل فيهم وقد ضاقت عليهم الأرض فى الطول والعرض وأصبح الصباح وملك كوشانوش الخيام والمضارب والرجال والأموال وقوى عزمه واستدعى بعسكره وانضاف اليهم مائة ألف من زى المغلبيط وعمل كوشانوش القيود فى رجل الملك ميخائيل وكذلك الملوك وأرسلهم إلى قلعة الشيطبان إلى المطمورة التى فيها الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فقالوا له خواص دولته لم لاتأخذ معك الملك ميخائيل الى القسطنطونية حتى يسلموها اليك فقال لى رأى آخر سوف أفعله (قال الراوى) ياساده ياكرام وسارت البطارقة ومعهم ميخائيل والملوك وفتحوا المطمورة وأنزلوهم فيها فتعجب الأمير عبد الوهاب من تقلب الأوقات والزمان بأهله وتغير الدول على غفلة وجعلوا المسلمين يلعنون عقبة والملك ميخائيل فنهاهم الأمير عبد الوهاب عن ذلك وقال دعوه فعند من زوال دولته مايغنيه عن الكلام (قال الراوى) ياسادة وسأل البطال عن القصة فأعاد عليه الملك ميخائيل حديث كوشانوش فعظم ذلك فى قلب الأمير عبد الوهاب وقال يفعل الله مايشاء وفرح عقبة بذلك الا أنه لم يظهره من أجل الملك ميخائيل بل أظهر التوجع هذا وان الملك كوشانوش جمع الأموال والرجال

والعساكر وسار طالب القسطنطونية وقد انحشر فيها عالم عظيم لايحصى عددهم إلا الله تعالى ونزل عليها وغلقت دونه الأبواب وعمل القتال عليها عشرين يوم وكل يوم يزداد عسكره وهو يعطى ويوهب ويخلع حتى لم يبق مما أخذ من عسكر الملك ميخائيل درهم واحد فلما كان اليوم الحادى والعشرين رمى اليهم سهم من بعض الأبراج فيه كتاب مكتوب يقول له فيه أيها الملك قد عرفنا قرب منزلتك من المسيح وانك تعبد الملة المسيحية كما كانت أول مرة فاذا كان هذه الليلة ازحف إلى هذا البرج ونحن نرفع الرجال ونساء البلد اليك فلما قرأ كوشانوش ذلك الكتاب فرح وقال انصبوا السلالم إلى برج الزاوية فنصبت وطلعوا الرجال ونزلوا إلى باب الذهب فكسروا الأقفال وانقلب البلد وعمل السيف إلى الصباح فنادوا أهل كوشانوش يامنصور فأمر برفع السيف عنهم وملك البلد والقصر وكلما فيه من الأموال وجلس على سرير المملكة ونادى المنادى بازالة المظالم والمكوس ومن أراد الديوان كما كان مع الملك ميخائيل وزيادة فعليه بالملك كوشانوش فانه يعطيه أكثر مافى نفسه وما يريد منكم درهم فسمع ذلك أهل البلد والناس فقالوا هذا هو الملك حقا (قال الراوى) وفتح كوشانوش الخزائن التى من عهد منويل وتوفيل وفرقها على الناس وخلع ورد المظالم وكتب الكتب إلى سائر الأقاليم الرومية يقول لهم ان ملوككم عندى أسارى وقد عولت على الخروج إلى بلاد الإسلام فان أطعتمونى وسرتم إلى فلكم عندى اليد البيضا. وإلا وحق المسيح سرت اليكم ومحوت آثاركم فلما وصلت الكتب الى الأقاليم أزعنوا بالطاعة وصارت له الهيبة فى قلوب الروم وجاءت العساكر من كل مكان حتى بقى فى الف الف وأربعمائة ألف عنان ولم يتخلف غير ملك الافرنج فانه أرسل يقول له ما أدخل تحت طاعتك حتى تنفذ إلى ولدى من أسرك فما نحن والروم سواء فلما سمع كوشانوش ذلك عظم عليه وكبر لديه وكاد أن يهلك من شدة الغضب وكان إذا غضب يخرج من جسده شعر مثل الابر وهذا بخلاف صفة الروم لأن الروم تضرب الأمثال بنعومة أبدانهم فسار اليه فى مائة الف فارس من قومه فلما تقابلوا برز اليه مللك الأفرنج فحمل كوشانوش عليه ولم يطل بينهما القتال حتى طعنه كوشانوش فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وحمل بأصحابه على الافرنج فما أقاموا أكثر من ساعة وانهزموا بعد أن قتل منهم عشرة آلاف وحمل رؤسهم على القنطاريات وخرب أرضهم وسبا نساؤهم وعاد إلى القسطنطينية وعمل رؤسهم صوامع وعظم أمره وزاد شره وأرسل إلى جميع الآفات يجمع العساكر حتى صار بظاهر القسطنطينية الف الف سوى أصحابه الذين خرجوا معه

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما رأى انقياد العساكر إلى طاعته بفلاسفة الروم والحكماء وقال لهم أريد أن تصنعوا لى حكمة أفتخر بها على جميع ملوك الروم القدماء فقالوا أيها الملك السمع والطاعة امهلنا حتى ندبر ذلك ونحققه ثم اجتمع بعضهم على بعض واجتمعوا برأيهم المتفق أن يستخرجوا له دهنا يدهن به ويدخل النار فلا تحرقه وكان كل من غضب عليه ألقاه فى النار وهى معه أينما سار لاتفارقه فلما فعلوا ذلك أعجبه وأكرمهم كرامة عظيمة

تم الجزء الحادى والثلاثون ويليه الجزء الثانى والثلاثون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقاني وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثانى والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
باكز نفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا ماجرى للملك كوشانوش مع فلاسفة الروم وحكماؤهم (وأما ماكان) من الأميرة ذات الهمة فانها حملت على قلبها من أجل أسر ولدها الأمير عبد الوهاب وأولاده وسائر أصحابه وسمعت أن هذا الخارجى قد ملكهم وأخذهم أسارى ولم تعلم هم سالمين أو شربوا كؤس الردى فورد على قلبها من ذلك هما لو ورد على جبل ماحمله ثم أنها جمعت العساكر وعولت على الدخول إلى بلد الروم وقد لحقتها حمى فى الليلة التى عولت على الخروج فيها إلى بلد الروم ثم زاد بها الحال فى اليوم الثانى وتولد منها مرضا عظيما واجتمع عليها الفكر من أمر الأمير عبد الوهاب وأصحابه وكيف حصلوا فى أيدى الأعداء فقالت معلوم أن الموت لابد منه وما قصدى إلا أن يكون قومى وولدى حاضرين عندى ههنا فلوجه ربى الحمد والشكر على ماأعطانى وتفرقت العساكر القادمين والجند الوافدين عليها ومكثت الأميرة على ذلك زمان طويل حتى لم يبق هنها إلا الخيال فلما أيست من اللقا وما فيه من الاجتماع بولدها لحقها الاكتئاب والانتحاب فبكت بكاء شديد وأنشدت تقول

طال سقمى واستزاد مصائبا * وأصبح عظمى عارى اللحم واهيا
وزادت على قلبى هموم كثيرة * وصرت خيالا لاأجيب المناديا
ولو كان مابى بالجبال تصدعا * جلاميدها من بعض ما قدد هانيا
وما بى سوى فقد الأمير الذى به * يطيب زمانى فى الورى وحياتيا
لقد شمت الملعون عقبة والعدا * وأصبح ربعى خاليا منه واهيا
تراه أسير أم تراه مجندلا * فاندبه حتى قد تحين وفاتيا

لقد بكت الخيل الكرام لفقده * وصارت عليه بانتحاب بواكيا
وقد كنت أرجو عزة فتعذرت * على وخانتنى جميع الأمانيا
وأصبحت لا أقوى لطرد ذبابة * وأعجز عن ردى جواب المناديا
فلو ان لى حيل بمقدار اننى * أجرد لرمحى واستقر حصانيا
لكنت وبيت الله من بعدواحدى * تركت بلاد الكفر قفرا خواليا
أيا فارس الهيجاء ياضيغم السرا * وياسيدا فى حربه غير وانيا
ويا ظالما لو تنظرونى مريضة * وقد زاد ما بى فقدكم وشجانيا
كفى حزنى انى أنادى باسمكم * ولا لى مجيبا قد تسمع ندائيا
سألتكمو بالله الأرثيتمو * ورقوا لما بى وارحموا سوء حاليا
سلامى عليكم طال شوقى اليكم * ولى مرض قد هدمنى توائيا
فان نحن عشنا يجمع الله بيننا * وان كان موتى قبل يوم دنائيا
فهذوا على قبرى بآمد واندبوا * على وروحوا وأذكروا مادهانيا
وقولوا لابنى عانق القبر ساعة * اليك لعل الضم يروى صدائيا
وصلى إله العرش ربى دائما * على المصطفى مين جاء للخلق هاديا
كذا الآل والاصحاب ماهبت الصبا * وما تاح قمرى قصور شجانيا
وما ضحكت زهر وما سحب بكت * ومارقص الغصن الرطيب العواليا
وما لعلع الحادى المجد لطيبة * وما قد دعا لله فى الليل داعيا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما فرغت الأميرة ذات الهمة من شعرها والنظام غشى عليها بعد أن قالت هذه الأبيات وارتفعت الضجات وخرقت بنى كلاب أثوابها وعظم مصابها وأرخت العمائم فى الرقاب وكذلك السودان والأصحاب ولطمت عليها نسوان بنى كلاب وأقامت الأميرة فى الغمرات وقد أخذوا لها فى أمور الممات وإذا بها قد جرت دموعها على خدودها مثل المطر الهطال وهى تقول فى غشوتها الحمد لله على كل حال ياولدى لو نظرت عيناك الى ما حل بى من المرض الذى أشرفت منه على الوفاة وما عاقنى عن طلبك والدخول إلى خلاصك سواء فالحمد لله الذى جمع شملك بشملى قبل موتى والشكر لله ثم فتحت عيناها وقالت أين ولدى الأمير عبد الوهاب الساعة كنت أنا واياه فعلموا الناس ان خياله قد زارها فى غشوتها فما منهم الا من جرت دموعه من عيناه وقال الساعة مضى يأتى بالطبيب ليداويكى من هذا السقام فسكن مابها من الآلام ببركة سيدنا محمد خير الأنام وعلمت ان ذلك الاحتلام والالتئام انما كان أضغاث احلام فعادت الى ما كانت عليه من

السكرات فبكوا غلمانها عليها وأجروا العبرات وعظمت الحسرات وأقامت الأميرة فى غشوتها ذلك اليوم حتى وصل صابر المرعشى من بلد الروم وقدم بقلب محترق بالنار وسأل عن الأميرة فأخبروه بحالها وسألوه عن الأمراء فقال هم سالمين ولكن أريد الأميرة حتى أقول لها مامعى من الأخبار فوصل الخبر الى الأميرة ذات الهمة فكادت من فرط الحسرات ان يقضى عليها ثم قالت سندونى فسندوها ووقع فيهم بذلك الاستبشار ودخل عليها صابر المرعشى فقالت له وقد تنفست صعداً هات مامعك يامبارك فهل معك علم من الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأمراء الأبرار فقال لها الكل سالمين الا انهم فى قلعة الشيطبان وأنا أسأل الله تعالى ان يخلصوا منها و يملكونها منهم فقالت والبطال ما كان منه فقال لها أسير هو وغلمانه وهم عند الأمير فقالت هل معك علم من عقبة الملعون قال نعم هو عندهم الآخر أسير فقالت كيف ذلك فأعاد عليها القصة جميعها وان ميخائيل والملوك جميعهم فى أسر الملك كوشانوش وقد أخذ منه القسطنطونية وقتل ملك الافرنج تونير وقد جمع كوشانوش العساكر وبذل الأموال للكبير والصغير وقد وصل الى البلستين فى الفى الف من الروم فطاب قلب الأميرة بذلك (ياسادة) بسلامة ولدها ومن معه من الأصحاب وطمعت لهم فى الفرج من عند اللطيف الخبير ووجدت فى نفسها راحة عظيمة ونشاط كثير ولم تعبأ بذكر الجيوش ولا بكثرتها فهذا ما كان منها (ياسادة) وأما ما كان من كوشانوش فانه رحل طالب ملطية وكان الأمير عمر بن عبيد الله مقيما فيها وقد جمع العساكر حتى صار (ياسادة) فى مائة ألف عنان فبينما هم كذلك واذا بالغبار قد طلع كانه الدخان واسود منه ضوء النهار وانكشف ذلك الغبار عن بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وبريق الزرد النضيد وصلصة الحديد وظهرت الصلبان والاعلام والشجعان كانها سباع الآجام وهمهمت الخيول ولمعت أسنة الدحول وأشرف الملك كوشانوش وهو فى المقدمة وله همهمة ودمدمة وقد أوقر الجواد لعظم خلقته وعقره من ثقل جثته وضربت الطبول عند النزول ومدت الطوائل لصواهل الخيول وحفرت المعالف ورجفت الرواجف وأحدقوا بملطية تلك العساكر فبقيت كانها المركب فى لجة البحر وانصمت الاسماع من كثرة الركض ونفرت الوحوش من الفلوات وضاقت الجنبات ونظر عمرو إلى ذلك الجمع العظيم فتغيرت منه الأحوال وقال لبنى سليم اعلموا أن الروم قد ما خرجوا فى عسكر مثل هذا العسكر فما عندكم من الرأى من اطلاق الطيور إلى العراق بهذا الخبر ونستدعى بالمأمون أن يأتينا بالعساكر ويعيننا على هذا الأمر المنكر ونغلق الأبواب ولا نتعرض لقتال حتى تأتينا عساكر الخليفة وتقوى منا الهمة الضعيفة وتخرج الساعة إلى هذا الجيش

العرمرم ونلتى هذه الطوائف والأمم فقالوا أيها الأمير قد علمت أدام الله علاك أن بنى كلاب كان يكون أكثر عددهم ستون ألفا وأقل من ذلك وكان إذا نزل عليهم من نزل أرموا أرواجهم فيهم للهلاك ولو كانوا أعداءهم بعدد التراب وقطرات السحاب ولهذا كان لهم عند الخليفة مكان ويرفع لهم قدرا وشأن وما نحن دونهم فى ضرب الحسام ولا فى ظن السنان ولا بد ماترى نفوسنا عليهم ولو كانوا عدد النجوم فان كانت لنا فهو المراد والذى نروم ونتال بذلك القدر الرفيع عند كل أحد ويعلو ذكرنا مثل بنى كلاب إلى أبد الأبد فعند ذلك فتحوا الباب وخرجوا بنى سليم فى تكامل العدد وفى أيديهم السيوف والعمد وفى أوائلهم الأمير عمرو بن عبيد الله كانه الأسد الغضبان وقد هموا بالقتال على من كفر وجحد وأم عمر وتقول ياولدى لو كنت تقاتل من وراء الاصوار لكان أحب إليك من أن ترمى روحك فى هذا البحر الزخار يا بنى لاتسمع من كلام بنى سليم فماهم قوم يدفعون عن أنفسهم ضيم ولا تشبههم بليوث الغاب أبطال بنى كلاب ولو كانوا بنى كلاب الساعة عندكم ولو كانوا مع بعض جندكم فانتم طلبتم أن تخلى منهم الديار حتى تبقى لكم الثغور وحدكم فانظروا الآن كيف يكون ملاقاة الرجال وتحقيق القتال وصدق الفعال وركوبكم العار ورميتم بالمذلة والشنار فلما سمع كلام أمه لم يلتفت اليها ولا أقبل بوجه عليها وخرج إلى ظاهر البلد وقد قطب فى وجهها وجرد واستعد فى مائة ألف فارس بالسيوف الرقاق والرماح الدقاق والخيول العتاق فلما نظروا الروم إلى ذلك قالوا لكوشانوش أيها الملك هذا صاحب ملطية خرج إليك فى مائة ألف فتبسم من قولهم وضحك وقال وحق المسيح لو كانوا هؤلاء كل واحد منهم مثل الذى عندى فى الاسر فى قلعة الشيطبان وهم مثلهم فى القوة والشجاعة لكنت مليابهم وحدى فى معترك الضراب والطعان ثم ادعى برجل من قومه يقال له قسطون وكان مقدما فى بطارقة النصرانية وقال له قد انتدبتك لهذه العصابة الحنيفية التى هى عسكر ملطية فقال السمع والطاعة وانتخب مائة فارس من البطارقة القوية واصطفت صفوفهم فى مقابلة بنى سليم وطلبوا القتال بالسوية وحمل بعضهم على بعض وارتجت الأرض وعملت المرهفات وحكمت المشرفيات وهمهمت خيول السادات وطلع الغبار إلى عنان السموات ونصروا بنى سليم على أصحاب البطريق وإذا وأذاقوهم طعنا أمر من الحريق وعادت الروم منهزمة وبنى سليم خلفها مصمصمة وقد نثروا منهم الرؤس نثرا وسالت الدما نهرا وطرحت الرجال صبرا وقطعوهم عشرا عشرا وعاد ربح الكفار خسرا فلما رأى كوشانوش إلى ذلك عظم عليه وكبر لديه وركب لوقته وساعته فركبت العساكر والدساكر وزحفوا على بنى سليم مثل البحر الزاخر فعندها

فاضت الدما من المناخر فقلقت الاضلاع وتفطرت من الهلع المرائر ودارت عليهم الدوائر ونفذت الأحكام والمقادير وحسر عن ساعديه البطل المغاور وكان يوما عظيما على بنى سليم انهزمت فيه وتكسرت وقتل منهم عالم عظيم ودخلوا على البلد وقد نقص منهم العدد هذا وكوشانوش قد غضب وزجر وصاح فى عسكره وهدر وأقسم لابد له من أخذ البلد فى ذلك النهار فقالوا له أيها الملك هذه البلد حصينة الاصوار وقد نزلنا عليها مع سائر الملوك طرق معده فلم نقدر عليها فلا تعجل فى طول الحصار فلما سمع كوشانوش ذلك قبض على الذى خاطبه بهذا الخطاب وأمر أن يضرب منهم عشر رقاب ثم زحف إلى البلد وهو يزعق فأحدقت به الروم كما يحدق البياض بسواد الحدق وزاد الحنق وترجل معه مائة ألف بطريق كأنهم نار الحريق وستروه بالدرق وقد جرى منهم العرق وقد تقدمت النقابة إلى الصور وضربوه بالمعاول وزحفت المحافل ونقبوا الابراج وكان يوم انزعاج فما كانت إلا ساعة انهدم جانب الصور وجرى القدر المقدور وهجمت الروم إلى البلد وارتفع صياح نساء بنى سليم وانعقد وطلب النجاة لنفسه كل أحد فلم يرى لها سبيل ولا وجد وكان الذى أخذوا منهم أسارى أربعين الف وقتل من دنى أجله وانهزموا الباقون وملكت الاموال والرجال والنساء والبنات والبنون وأخذوا الامير عمرو ابن عبيدالله برقبته أسير ولم يتركوا من نساء بنى سليم لا صغير ولا كبير (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن ملكت البلد وأسرت بنى سليم بأجمعها وكان من جملة من أسر منهم ومن العرب والسودان ثلثمائة ألف أسير ما بين صبي وأمرأة ورجل وسار بهم إلى القسطنطونية وكان يوم دخولهم يوم عظيم (قال الراوى) ووصلت الاخبار إلى بنى كلاب وهم فى آمد ففرحوا بما جرى على بنى سليم فقالت الاميرة ذات الهمة وقد برئت من المرض ودخلت الحمام وركبت الخيل وعادت إلى صحتها وزيادة فوقها ببركة النبى صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما يسرنى ذلك ولا يعجبنى أن تسبى الحرائر فى أيدى الكفار والأشرار وحملت على قلبها من ذلك أمرا عظيما (قال الراوى) وسار كوشانوش طالب العراق وقد وسمع أن الخليفة جمع العساكر فلم يلتفت إلى ذلك وقال ان العراق كرسى بلاد الإسلام فاذا ملكت العراق أخذت سائر الآفاق ولا أضيع أوقاتى فى الهزيان (قال الراوى) وسار طالب لقاء الخليفة وسار الخليفة طالب لقاءه فى الموضع المعروف بالمعامع وكان المأمون فى ألف ألف وفارس فلم تصبر العساكر بعضها على بعض دون أن حملت الخيل على الخيل جرت الدما مثل السيل وعمل القتال إلى الليل وأنفصلوا فلما أصبح الصباح أرتفع الصياح وعملت الصفاح ولم يزل القتال يعمل ثلاثة أيام هذا وكوشانوش ركب فى ذلك العسكر الكبير والجم الغفير فلما صار فى وسط المعمعة

حمل طالب الموكب الذى فيه المأمون وطعن صاحب العلم فقتله وطعن الوزير الفضل بن مهل فجند له وكان ملاصقا للمأمون وقد ظن الملك أنه الخليفة (قال الراوى) فلما رأت العساكر ذلك ظنوا أن الذى قتل هو المأمون فانهزمت الجيوش وتمزقت وتفرقت الكتائب والمواكب وانهزم الباقون إلى العراق وصار كوشانوش وقد ملك الاموال والاثقال بما لاعين رأت ولا أذن سمعت وأخذ من الاسارى عالم عظيم لايحصى عددهم الا الله تعالى وأرسل تلك الأموال والأسارى الى القسطنطونية وجائته الاخبار بوصولها وسار طالب بغدادولم يلتفت للموصل ولا لغيره حتى وصل الى بغداد ونادى المنادى فى بغداد بالغزاة وخرج المأمون ثانيا فكسره كوشانوش وتم طالب البصرة والعساكر تتبعه ولم يتعرض كوشانوش إلى بغداد وقال لعسكره معلوم ان البلاد لكم لايعارضكم فيها معارض وإذا أخذنا الخليفة صارت الأمور خفيفة ونملك البلاد من غير مرافع ولا ممانع وان أنا اشتغلت بنهب الأموال لربما يعود الخليفة ويجمع العساكر وتطول الأيام علينا وأنا على عجل من أمرى لأن الاسكندر خرج من دياره فملك الأرض فى ثلاثة عشرسنة وأنا أريد أملكها فى عشر سنين (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولحق المأمون بالبصرة وكانت الأنهار والمياه على زيادتها وقد جاز الماء على الأقاليم وصارت الدنيا خراب مقفره ولم يكن له سبيل إلى العبور إلى البصرة فقيل له أيها الملك اقطع النخل واعمل الجسور فقال افعلوا ذلك فقطع فى عشرة أيام أكثر من مائة ألف نخلة وعمل الجسور فلما ان سمع الخليفة بذلك عول على الهرب الى خراسان (قال الراوى) وأن كوشانوش صبح معول على العبور وإذا بخمسة نجابين يخرقوا العسكر حتى وصلوا إلى كوشانوش فباسوا الأرض وخرقوا أثوابهم وإذا هم من العرب المتنصرة وجعلوا يحثون التراب على رؤسهم وقالوا أيها الملك العجل العجل فان البلاد قد نزل بها الويل فقال ويلكم ما الخبر (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى ذلك أن الأميرة ذات الهمة وجدت الراحة من المرض كما ذكرنا بفتح ملطية ومضى كوشانوش إلى العراق فجمعت بنى كلاب وقالت اعلموا أن ما بقى لى صبر على ولدى وأريد المسير الساعة إلى بلاد الروم فانها خالية مافيها ديار وما رحل كوشانوش إلى هذه البلاد إلا وقد خلت سائر الأماكن من الاجناد وقد عولت على الدخول إلى بلاد الروم لعلى أظفر بملك من الملوك أو قلعة من القلاع فتكون فداء لولدى ولعل الله يسهل خلاصهم بما لم يكن فى الحساب ثم انها جمعت العرب والسودان ورحلت إلى بلاد الروم فى خمسين ألف من العرب وعشرين ألف من السودان وسارت الأميرة تقطع الأرض حتى وصلت إلى القسطنطونية فغلقت الأبواب فى وجهها ثلاثة أيام فلم تجد اليها سبيل

فما كان لها غير الرحيل وقصدت حصن يانس المتعذب تطلب لها منه خبر فلما إن وصلت إليه فرح بقدومها وقال لها الحمد لله على سلامتك وأننى مشتاق اليكى مع ما أننى خائف من هذا الشيطان كوشانوش الذى خرب البلاد التى كانت لى حول حصنى وما كنت أقدر أركب من يوم ملك القسطنطونية ومع ذلك كله فمالى عيش هنى من خوفى على الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فقالت الأميرة أما أنا فلا تسأل عن حالى فهل عندك علم من ولدى فقال نعم فى قلعة الشيطبان وأنا أعرف أهل الأرض بها لأننى أقمت فيها سنين والآن فاغتنموا خلو بلاد الروم ثم ارحلوا بنا اليها لعل نتوصل إلى فتحها ان شاء الله تعالى فلما سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك قالت له بارك الله فيك يايانس وسار معها فى أربعة آلاف بطريق فلما وصلوا الى قلعة الشيطبان ونظرت الأميرة الى حصن ماللطيور عليه سبيل فقالت الأميرة ليانس لو بقينا على هذه القلعة أعمار النسور ما قدرنا عليها فقال أيتها الأميرة اننى عارف بمكان أسلم اليكى القلعة فى أقل الأيام وبقيوا يقاتلوا أهل القلعة ثلاثة أيام فقتل من الناس جماعة فقالت الأميرة ليانس أين الذى وعدتنى به فهذا الذى نحن فيه خسارة كل يوم يقتل منا جماعة وما نقدر على قتل واحد منهم لأنهم فى مكان حصين فقال يانس والله لقد كنت أعرف مكان فى هذا المكان وأنا صغير ويدخل الواحد منه الى القلعة لأن هذه القلعة ولدت فيها وفيها ربيت وكان عمى ملكها وقد تاه عنى المكان وأنا فى حيره من منذ ثلاثة أيام فهو معها فى الكلام وإذا بشخص يلوح من ذروة الجبل فلما ان رآه ارتاعوا منه وبهتوا ينظرون واليه يشخصون ثم ان السودان أولاد الحبشان توائبو كالعقبان وجردوا السيوف من أغمادها وقصدوه واذا هو أبو محمد البطال ومن ورائه غلامه لؤلؤ فوقع فيهم الفرح والصياح ثم حملوهم الى عند الأميرة فلما وقفوا بين يديها ووقع نظرها عليه قالت ياأبا محمد قال لبيك يامولاتى الحمد لله على سلامتك فقالت ايش عندك من الأخبار فقال لها ابشرى أيتها الأميرة ببلوغ المنى وقتل الأعداء (وقال الراوى) ياسادة يا كرام وكان له حديث عجيب وأمر غريب وذلك ان الملك كوشانوش لما أسر الملك ميخائيل والملوك معه وأنزلوهم الى المطمورة وكان معهم مارس ودارس أيضا مأسورين وكانت تلك المطمورة التى فى قلعة الشيطبان يقال لها مطمورة الفناء وكانت مادخلها أحد وخرج منها وكان كوشانوش لما ملك هذه القلعة فرح بها غاية الفرح وقال ما على وجه الأرض مثلها ثم انه رفع اليها نساءه ونساء الخواص ومن سائر بنات البطارقة الكبار وأربعة آلاف جارية ورفع فيها اموال الرجال كلها وكذا ملاه المغلبيط على طول الاوقات

والأيام ثم ادعى ببطريق يقال له صليبا ابن قضيب وكان ذو عقل ورأى الا أنه خلق من الغضب والصخب ليس فى قلبه رحمة وكان أوحش خلق الله وجها وأبخلهم يدا الا أنه كان شجاعا لا يلتقا وبطلا عند اللقا مبارز للحروب كاشف للكروب وكان مصرا على المعاصى وان كوشانوش قال له قد عرفت فيك من الشجاعة والبراعة وقد أمرتك على كل من فيها فما أعجبنى فى هذا الأمر سواك فأنت تحت يدك من أجنادك ألف وقد أضفت اليك ثلاثة آلاف أخر فشكره صليبا على ذلك وقال أيها الملك طب نفسا وقر عينا فلو جاء كل من فى الدنيا من المسلمين والروم لما قدروا على هذه القلعة وأنا فيها وان تم عليها حال من الأحوال فأنا المطلوب بها قال كوشانوش ولهذا اخترتك دون غيرك وضم اليه الثلاثة آلاف (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان لهذا البطريق زوجة يقال لها مليكة قد أجمعت الروم انه لم يكن فى بلاد الروم كافة من يضاهيها فى الحسن والجمال والبهاء والكمال وكان خبرها قد سارت به الركبان وقد وصل حديثها الى ميخائيل فشغف بها على الصفقة وارسل الى أبيها يخطبها منه وبذل له الأموال وماأراد من الأحمال فقال أبوها ومن مثلى وقد خطب الملك ابنتى (ياسادة) وكان هذا صليبا قد رأى مليكة وقد كشفت رأسها عجبا بحسنها وجمالها وانه لما رآها هام بحسنها وجعل يهدى لأبوها من التحف والأموال ماأبهره ثم خطب الجارية بعد خطبة الملك ميخائيل لها فأبى أبيها ان يزوجه اياها وكرهت هى أيضا ذلك فلما سمع صليبا ذلك جعل يرغب أبيها فى الأموال فان المال يلعب بعقول الرجال ويهادى سائر البطارقة ويسألهم ان يسألوا أباها وهو مع ذلك قد رغب فى الملك ميخائيل وان هذا صليبا طرح روحه على الملك كوشانوش وحمل اليه ما يسوى عشرة آلاف دينار وديباج وجواهر فأحضر أباها وزوجها له كرها منه ودخل بها وهى أبغض الناس اليه كما ذكرنا من سماجة خلقته وقبح صورته وكان له عشرة أولاد كل واحد يعد بألف فارس وتحت أيديهم فى الحصن ثلاثة آلاف بطريق والبطريق صليبا يعد بالجميع فلما دخلوا الملوك القلعة وهم أسارى فى الذل والقيود فى أرجلهم والملك ميخائيل فى أولهم وقد خرجت نسوان البطارقة التى فى القلعة ينظرون اليهم وخرجت مليكه زوجة صليبا تنظر الى ملك الروم وعلى بدنها ثوب أحمر وفوقه بدنة لؤلؤ فى قدر اللؤلؤ الكبار وقد أرخت ذوائب فى مثل سواد الليل الدامس والظلام المتغامس وقد بهتت اليها النواظر وهى مكشوفة الرأس والبطريق صليبا بين يديها يحجبها من محبته لها وأنه لما نظر إلى الملك ميخائيل بين الملوك مأسور فى ذلة الأسر وخجلة القهر فقال لها وقد أراد أن يوريها الملك ميخائيل ملك القسطنطونية وجعل يقول لها ماأخر الرجال

بالملك والأموال وإنما فخرها بالشجاعة والنوال فلما عاينت ذلك اليوم قال لها يامليكة أنظرى إلى الملك ميخائيل يساق مثل النساء ماكان فيه أن يمنع عن نفسه فنظرت مليكة إلى الملك ميخائيل وكان مليح الشباب بشعر أجعد وخد مورد طويل القامة كانه قضيب بان أو غزال عطشان وقد خجل من نظر النسوان وقد غمض عينيه بأجفان كانه مقاديم أجنحة النسور وقد أطبقها على مقتلين نرجيستين مراض وقد أحمرت منه الوجنات فصار يسبى المخدرات فلما نظرت إليه مليكة كان مثل سهم مرق أخذ بمجامع قلبها وأحتوى حسنه على لبها فقالت لاحفظ الله الملك كوشانوش كما أحرمنى مثل هؤلاء فليت لو تزوجت بهذا الملك وبت معه ليلة واحدة ومت ولا أخذنى صليبا بن قضيبا ودفع الملك ميخائيل وقد سمع كلامها فسأل الجوار عنها فأخبروه بها فبهت ناظره اليها وانها لما رأته يحدق بالنظر اليها ضحكت وتمايلت وانعطفت وشدت الزنار على خصرها حتى كاد خصرها ينخصر وظهر ردفها مثل تل رمل فلم يبق أحدا من الملوك الاوغاب رشده مما رأى وأنزل القوم فى المطمورة وكان قلب الملكة مليكة نزل معهم فيها وقد تمكن حب الملك ميخائيل من قلبها وكتمت أمرها لحمى مزاجها ووقعت مريضة وهم لايعلمون بها وكان لها قهرمانة فدخلت عليها فوجدتها تبكى وتقول كلام بالرومى يقتضى الهوى والمحبة والجوى فأنكرت حالها وقالت لها أيتها الملكة أظهرى ذلك إلى فانى فى موضع السر والجوانح وإن دام كتمانكى هلكتى فقالت لها اعلمى انى عاشقة رامقة فقالت لها القهرمانة كنتى أعلمتينى بهذا فى الأول فلو كان من تحبيه تحت الأرض لا وصلتكى اليه وأوصلته اليكى ومن هو الذى تحبيه وما اسمه لقد علا نجمه فقالت لها الملك ميخائيل الذى كان خطبنى فى الأول فقالت لها القهرمانة وحق الانجيل والمسيح مايصلح لعناق هذا الوجه المليح غيره ولقد أرميتى قلبك فى موضعه ولا بد مما أجمع بينكى وبينه اليوم فى أقرب الأوقات ثم خرجت القهرمانة من عندها وقد طيبت قلبها بذلك الخطاب ودخلت على زوجة البطريق الذى هو موكل بانزال الطعام إلى المطمورة فقالت لها أن الملكة مليكة تدعوكى اليها فوثبت مسرعة فلما وقفت بين يديها باست الأرض وقالت بما تأمر الملكة حفظها المسيح فقد أعطاها وجه مليح فقالت لها القهرمانة اعلمى أن الملكة تريد أن تعطيكى شيأ تفتخرين به على أبناء جنسك ثم أنها خلعت عليها خلعة كاملة من ثياب مليكة فذهلت المرأة وقالت ياستى بم استوجبت هذا فقالت لها لكى علينا أضعافه من كل ماتريدين شىء من المال والجواهر واللؤلؤ وغيره على أن الملكة قد أحبت هذا الملك ميخائيل وهى تريد النزول اليه تتحدث معه قدر ساعة واحدة فقالت سمعا وطاعة وأن مفاتيح المطمورة عندى وزوجى مايفتح عليهم إلا فى كل

ثلاثة أيام ينزل لهم مايحتاجون اليه من الزاد إلى اليوم الثالث وأنا إذا خرج زوجك صليبا إلى الصيد والقنص وخرج زوجي معه وخلى لنا المكان افتح لكم باب المطمورة وتنزلين واتى آمنة مطمئنة وتفكين قيده وتجلسين معه يوما كاملا فقالت الملكة مليكة أنا اليوم أخرج لكى صليبا إلى الصيد والقنص ونخلو نحن بانتهاز الفرصة ثم أرسلت خلفه فدخل وقبلها بين عينيها وقال لها وحق المسيح أن روحي هي المريضة لمرضك وكيف لى أن أصل إلى غرضك فقالت له اعلم انى نمت الساعه فرأيت فى منامى القديس الشهيد ومريحنا المعمدان وهو يقول لى قد قرب صلاحك وقد وصلنى إلى فرحك وخلاصك من هذا المرض الشديد والألم ولكل شيء سبب قولى لزوجك صليبا يخرج إلى الغابات فيصطاد لكى سبع أحمر طويل الوبر تأكلين من لحمه وقد برئتى وشفيتى فى الحال فلما سمع ذلك باس الأرض فرحا فقال لها ها أنا الساعة أخرج فى مائة فارس وندور الغابات والفلوات ولو بقيت عشرة أيام ما آتى إلا به ثم أنه ركب لوقته وساعته لأنه محبا لها ويطلب أن يتقرب إلى قلبها بكل مايقدر عليـــه ويصل إليه وخرج معه مائة فارس من البطارقة وخرج البطريق الموكل بالمطمورة مع صليبا لأنه كان يزدار الملك وقد أوصى زوجته بالأسارى فعند ذلك خرجت الملكة مليكة والقهرمانة إلى بيت زوجة البطريق وقد صارلها عندها منزلة عظيمة (قال الراوى) ياسادة ياكرام وفتحت زوجة الطريق باب المطمورة ونصبت سلم خشب زائد الطول يصلح لحفر الابيارى ونزلوا بين يديها وإذا بالمكان واسع تحت القلعة كلها ونظروا الملوك إلى من قد نزل وإذا بها الملكة مليكة وقد أضاء المكان من حسن وجهها وانها ابعدت عنهم إلى جانب من الموضع الذى هم فيه وقالت أريد الملك ميخائيل فحمل اليها وقد حار كل من فى المطمورة من ذلك وقالوا لاشك أنهم يقتلوه وقال قوم لابل قد سمعوا ان كوشانوش قد هلك فنزلوا يطلبوا منه الأمان إلا أبو محمد البطال فانه أقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له اعلم أيها الأمير ان نزول هذه الجارية زوجة البطريق فى هذه الساعة لأمر عظيم وفى هذا الوقت ماهو إلا لسبب من الأسباب وهذه قيادة لنا فيها منفعة وأريد أن أزحف إلى عندهم وأدبرهم بعقلى وجعلت مليكة تشكو إلى الملك ميخائيل مالاقت من هواه فقال لها وحق المسيح عندى أضعاف ذلك وهو الذى سلانى عما أنا فيه فى هذا السجن بعد المملكة والأمر والنهى وجعل كل واحد منهما يضم اليه صاحبه ويقبله وأبو محمد يزحف اليهم حتى وصل قريبا منهم فصاحت عليهم زوجة البطريق وقالت له ويلك ما الذى تريد أرجع وإلا وحق المسيح قطعت رأسك فقال لها ياستاه أنا ماجئت الأخدمة للملك ميخائيل لشيء له فيه

صلاح فلما سمع الملك ذلك من كلام البطال علم انه ما جاء إلا ليدبر فى خلاص الكل فقال له تقدم إلى عندنا وأشارت هى أيضا اليه فزحف حتى وصل إلى عندهم وباس الأرض وقال لها بالرومى ما يصلح هذا الجمال المليح إلا لمثل هذا الملك ومعلوم أن هذا الخارجى كوشانوش مايدوم ملكه ولو كان هذا الملك بينه وبين هؤلاء الأمراء هدنة لماتم عليه هذا الأمر كله والآن فان أردتى أن تكونوا زوجة الملك ميخائيل وتملكى الروم جمعا فدبرى فى خلاصه وخلاص من معه من الملوك وهؤلاء السباع الضاربة الكواسر والليوث الجواسر وهم وحق دينى يفتحون هذه القلعة وبعدها يملكون مدينة القسطنطونية ويكسرون الملك كوشانوش ويحلوا به الرزية ولو كان عساكره فى عدد القطر ورمل البرية فقال الملك ميخائيل مافى كلامك شك ولا ريب أبدا فقالت مليكه اعلم أيها الملك ان فى القلعة أربعة آلاف بطريق لاسيما هذا الكلب الزنديق صليبا الذى بان منه ما بان على التحقيق فقال لها ميخائيل وحق المسيح أن هؤلاء المسلمين لو أطلق منهم رجل واحد لكان مليا لقتال كل من فى القلعة فقالت إذا كان الأمر على ذلك الحال فاستوثق منهم بالإيمان والعهود وها أنا صاعدة وأدبر لكم فى الخلاص من ضيق الأقفاص ثم انها صعدت وهى فرحانة ورجع الملك والبطال الى الأمير عبد الوهاب وأخبره بتلك الأوصاف وقال له ميخائيل أريد أستوثق منكم بالإيمان الزكية أنكم تكونوا معى حتى أفتح مدينة القسطنطونية وتكفونى هم هذا الملك كوشانوش ولكم على كل عام المال الذى كنت أحمله للخليفة وفى هذه القلعة من الأموال مالا يحصى بمقال يكون لكم حلال فحلف الأمير عبدالوهاب على مايريد من الأسباب وكذلك أصحابه وقال له الأمير انى أريد أصافيك لعلى أجد فيك مالم أجده فيمن أفنيت عمرى فى خدمتهم (قال الراوى) وحين صعدت مليكه وصل صليبا ومعه سبع أحمر وكان قد رآه ودموعه تجرى ووبره كثير لأنه كان محموم لأن الأسد كل قليل يحم ولولا ذلك ما كان أحدا يقدر عليه فأكلت من لحمه ولم تفق وهو شىء يسير وأظهرت العافية من غير تنكير ثم طلبت البطريق الموكل بالمطمورة وقالت ماقولك فيمن يخليك صاحب هذه القلعة ويصير لك بذلك الشجاعة والسمعة وتنظر مايسرك ومايزيل همك وضرك وتصبر من قبل الملك ميخائيل وتصير بين قومك جليل (ياسادة) ولعبت بعقله بالمال فقال لها أنا بحكمك فى كل حال فقالت له انزل إلى الأسارى وفك قيودهم وأنزل لهم العدد حتى تبلغهم مقصودهم وتكمد عدوهم وحسدوهم (ياسادة ياكرام) وفى ذلك اليوم نزل عسكر الأميرة ذات الهمة على القلعة وأشهروا اسيوفهم وقاتلوا الناس والامراء لايعلمون إلا ان مليكه قالت للأمراء أنتم ضعاف من قلة

الماكول فاصبروا ثلاثة أيام وصارت ترسل لهم الدجاج المسمن والخرفان الرضع وذلك
كله بين أيديهم تضع وهم فى أرغد عيش وأجل رفعة وسمع الامير عبدالوهاب ان القلعة
محاصرة فسأل عن ذلك فقالوا له ماندرى من هم ولكن هاهنا موضع فى القلعة ينفذ إلى
الجبل فان كان فيكم من يخرج ويكشف الخبر ويقفو الاثر فافعلوا ولا تخافوا من أحد
من البشرفانهم أما أصحاب الملك ميخائيل أو أصحابكم الابطال البهاليل الليوث الافاضيل
قال فخرج البطال وغلامه لؤلؤ الفريد المفضال كما ذكرنا فى هذه الاقوال وترجلت الاميرة
ذات الهمة وسارت مع البطال ولؤلؤ إلى الخرق وساروا تحت الارض ساعة طويلة
ثم وصلوا إلى أزج معقود ولكنه مرتفع ودخلوا منه إلى الموضع الذى فيه الامراء
ولما نظرت الاميرة إلى ولدها أرمت روحها عليه فلما نظر اليها الامير عرفها وهى
مثل الخلال فجعل يقبلها ويبكى وسألها عن حالها فأخبرته بمرضها وسالتهم عن
أحوالهم وقالت أيها الامير إنى ما أرى عليكم أثر الاسر وأراكم مطلوقين والعدد
لابسين فأعاد عليها القصة وحدثها بما جرى لهم فسجدت شكرا لله تعالى
فصعدت وصعد الامير عبد الوهاب وظالم وسيف الحنيفية وأبو الهزاهز ومالك
ابن طوق وسعيد ابن الفرج وهارون العلوى وورد بن الازهر ومالك بن بشر وراشد بن
ضمرة وقشعم وضيغم وابراهيم أولاد الأمير عبد الوهاب وسائر الأمراء والملوك الستة
عشر والملك ميخائيل والأمير أبو محمد البطال وغلمانه وغيرهم فلما صاروا فى أعلا الحصن
نادوا الله أكبر فتح الله ونصروحيانا بالظفر ومعهم القاضى عقبة وشو مدرس الكشيحان
وكان ميخائيل قد حلف للأمراء لايتعرضون لهم فى هذه النوبة ولما وقع التكبير فى الحصن
انزعج باهله وصاح البطريق صليبا فى قومه وقال ويلكم كان المأسورين قد حلوا من
قيودهم وصاح فى بطارقته وأمرهم بالقتال وجرى بينهم حرب شديد ما عليه من
مزيد فبينما الناس قد امتزج بعضهم ببعض وقد امتلأ منهم الحصن طول وعرض إذا
التقى ظالم بالبطريق صليبا فضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه ووقع
صريعا وقتل سيف الحنيفية ثلاثة من أولاده والأمير عبد الوهاب وأبو الهزاهز
وذات الهمة وسملق قد صرعوا البطارقة وقتل منهم أكثر من سبعمائة بطريق
ونادى المنادى من وسط القلعة كرياليسون فأرموا سلاحهم والعدد وفتح باب الحصن
ودخل المسلمون مثل السباع الضارية وقد بربرت السودان بلغاتها وزجرت بصفاتها
وأظهرت ما كان من كل مكتوم من هؤلاء وقالوا للامراء نعطى الامان لمن كفر برب
الأرض وسمواتها وضربوا الرقاب الكل سوى البطريق الموكل بالمطمورة فانهم وفوا

له كما انه وفى لهم واحتوى القوم على الاموال وملكوا القلعة وما فيها من المال وزوجت مليكة لميخائيل ودخل عليها من ليلته وكتب ميخائيل الى الافرنج الذى كان كوشانوش قد خرب ديارهم فأعلمهم بسلامته وان المسلمين معه وهو طالب القسطنطونية فاجتمعوا وساروا اليه فى عشرة آلاف بطريق وان الملوك كتبوا الى أقاليمهم واجتمعوا من عشرة وعشرين وانضافوا الكل اليه حتى صاروا فى مائة ألف وقال الأمير عبدالوهاب للاميرة ذات الهمة ماعندك من الرأى فقالت نسير الى بلد القسطنطونية واعلم أن فيها ألف يسير نساء وصبيان ورجال وغيرهم فنخلصهم فعند ذلك ادعى الامير عبد الوهاب ببنى كلاب والسودان والانجاب وقسم بينهم الاموال التى اخذها من القلعة وهى أموال جمه وبلغ الامير أن عمرو بن عبيد الله نهب أموالهم ورجالهم فعظم ذلك على الأمير وقال لقد أحسن الذى كان هذا فى غيبتى ولكن قدكفى نفسه ورجاله وأمواله وأولاده وعياله وقد سمعت انه فى القسطنطونية أسير ذليل حقير ثم ضم الأموال وقسمها عليهم وكان أقل من ملك منهم ثلاثة آلاف دينار ذهب وسار الأمير عبدالوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب ومعه الملك ميخائيل الى جانبه وهو يقول له على وجه الملاعبة أيها الامير أعلم انك قد فعلت مع الخلفاء مافعلت وماعوت لك ذلك وحق المسيح والإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل لئن أردت المقام عندى وأنت على دينك لاعطيك عمورية الكبرى وأضيف اليها ألف قرية اقطاعا لك فقال الأمير أن دخلت على الشرط الذى أقول فأنا أفعل ذلك وأكون مجاورك ومن طلبك مانعت عنك بسيفى فقال ميخائيل وحق المسيح لو قلت لى أخرج من ملكك لخرجت وسلمته اليك فقال الأمير ماأريد إلا أن تدعنى فى هذه النوبة أصلب هذا الملعون عقبة (ياسادة) وكان هذا عقبة الى جانب الملك وهو يمدح عبد الوهاب ويقول ما فى الزمان مثل هذا الأمير لأنه فارس الزمان وانه لما سمع ذلك أقبل يضاحك الأمير ويقول له دع عنك هذه المحون الساعة فما المزاح فى مثل هذا الوقت طيب وان كان هذا فى قلبك فيكون فى غير هذا الطريق لأنك قد حلفت وحلف كل أمير معك وجرى الصلح انك لاتتعرض لنا بشى فى هذه المرة هذا والأمير ظالم فى قلبه النار من عقبة وهو معول على قتله اذا فتحوا القسطنطونية وقال يجرى ما يجرى يا سادة وصار القوم طالبين مدينة القسطنطونية حتى وصلوا اليها وطلب الملك ميخائيل القاضى عقبة حتى يستشيره ففتشوا عليه فلم يجدوه (قال الراوى) ياسادة ياكرام وذلك لما سمع من كلام الأمير عبدالوهاب قال هذا الاسود الحجام مالذوت عليه سبيل وما هذا الا شيطان من الشياطين وأخاف ربما فتح القسطنطونية لأنه مافيها من يحامى

عنها ولا يريدون أهلها إلا الملك ميخائيل وخاف أن يجد لهم رأى ويصلبونى ومالى موتى مثل مايرانى نلت منهم مرادى ولا شفيت غليل فؤادى فلما أمسى المساء ودخل الليل هرب وسار طالب عسكر كوشانوش وأينما كان من الأرض يقصده ولم يزل سائر الى أن التقى بعساكر كوشانوش راجعين على ملطية (قال الراوى) وكان الملك كوشانوش لما سمع بهذا الخبر وهو على أرض البصرة لم يفزع ولم يخرج ولم يدخله من ذلك هلع بل قال لاصحابه فرطنا فى أمرنا وما طرأ علينا هذا الا بترك الاسارى فى القلعة ولو كنت ضربت رقابهم لكنت على أمان منهم والآن أنا فعلت هـــذه الفعال وأن رحلت على استعجال لا آمن من عسكر المسلمين أن تتبع آثارنا والامصار أمصارهم وأنا قصدى أن أمضى إلى بلد الروم ولو كانوا فى عدد التراب أو النجوم طحنتهم ورجعت إلى هذه الديار وأخرب الامصار ولكن برحل خلفنا رحلة بعد رحلة وننهب البلاد ونهتك العباد فقالوا له الذى تراه أيها الملك هو الصواب فرحل عند ذلك إلى خلفه ونهب وقد أجفل الناس بين يديه واحترز أهل بغداد لنفوسهم وقد هربت السيدة زبيدة بجوارها وأولادها طالبة بلاد العجم وأن عسكر كوشانوش نهبوا القرى والرساتيق والعالم تجفل بين يديه وهو لايمر ببلد الانهبه فما وصل إلى ملطية إلا ومعه مائة ألف أسير ومن الأموال مالا يقع عليه إحصاء (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد دخل إلى ملطية وعقبة قد دخل عليه فى صورة رجل راهب حتى لايعرفه المأسورين من أرض العراق وقد صبغ لحيته خضراء كأنها لحية فرعون وكان ذلك اليوم يوم الأحد وقد بطل الملك كوشانوش المسير فى ذلك اليوم (قاقا الراوى) ياسادة ياكرام وكان هذا رسمه فى كل يوم أحد تجمع إليه الرهبان والقسوس ويتناصرون بين يديه وكل من فيه آية يقولها وحكمة ينعها أو معرفة ينشرها وكان كوشانوش فى جمع الأشياء ماهر وإذا رأى رجلا خبيراً عالماً بأبواب العلم قربه وأدناه وأوصله وحياه ولما دخل القاضى عقبة فى تلك الصورة لم يعرفه أنه هو الذى أسره ولا عرفه أحدا وعليه ثوب صوف أخضر واسع الأكمام وقد انحنى حتى يقول القائل أنه قد فنى من طول الأيام والشهور والأعوام فلما دخل عليهم تعجبوا إلى كبر سنه وضعفه ووثب من الملوك والقساقسه والرهبان والشمامسه والمطارنه والأساقفة وأكرموه لأجل غربته والثانى لأجل كبره لأن الكبير قد وصى بالرأفة فى سائر الأمم وان عقبة لما جلس (ياسادة) فى أعلا مكان وأرفع موضع مد يده إلى كوشانوش ومسحها على رأسه وقال مرحبا بسيف المسيح فأعجب الملك ذلك وقال له يا أبونا ممن طريقك فقال يابنى من القمامة وأنا راهبها

ومدبرها اليوم من تسعين سنة على طول الأيام والشهور والأعوام وما خرجت منها قط إلا فى هذه النوبة لأن المسيح أمرنى بذلك وقال لى أدلك على عبادة أعظم مما أنت فيها فقلت وما هى يامولاى قال الجهاد بين يدى الملك كوشانوش فهو يكون ملك الأقطار وسائر الأمصار وأنه يجب على نصره فامضى إليه وحذره من الملك ميخائيل فانه قد ملك القلعة وخلص هو وسائر شياطين المسلمين والسبب فى ذلك أن الملكة مليكة خانت عهد المسيح وفعلت الفعل القبيح وقد وصلت القاهرة ذات الهمة ومعها خمسين ألف عنان ومعهم ميخائيل فى مائة ألف من أهل البلاد وقد ملكوا القسطنطونية فخذ حذرك منهم ولا تهمل أمرهم ولاتأمن شرهم فان أنت أخذتهم وقتلتهم فقد بلغت المراد وملكت البلاد وان لم تصل إلى ذلك فأنت عن قريب هالك فلما سمع كوشانوش ذلك تعجب وقال لكل شىء سبب ولولا هذه الملعونة لم يتم على هذا وكان أبوها معه فى العسكر فدعاه وأوقفه بين يديه وضرب رقبته وكان إذا غضب لايهدى غضبه حتى يرى الدماء تسيل بين يديه مثل النهر فدعا بالمأسورين وضرب منهم ألف رقبة وكلما قتل إنسان يقول عقبة وابردها على كبدى هذا الذى كنت أريد من زمان وحق المسيح لادبرن على هلاك ميخائيل وهذا الأسود الزنيم عبد الوهاب حتى يملك كوشانوش الأرض ذات الطول والعرض وأقبل كوشانوش على الرهبان وقال لهم تحدثوا معه فجعلوا يقولون سمعنا كذا ويفسروا الإنجيل فقال عقبة إذا كنتم مثل الدواب فلا تنطقوا فى مجالس الملوك ثم ابتدأ وجعل يقص عليهم كل ما قالوه ويفسر عليهم كل ما عملوه وجعل يقرأ الإنجيل بكل لسان ويفسره بكل لغة وأنهم لما سمعوا ذلك من كلامه وثبوا كلهم من جانبه وجلسوا بين يديه بعد ما أعتذروا إليه (قال الراوى) ياسادة ياكرام وجعلوا الحكماء يتحدثون بفضل علومهم وما وصلوا إليه من غريب الحكمة فقال عقبة هذا الأمر سهل وجعل يصف الأشياء التى عملوها حتى كأنه هو صنعها وتلا عليهم كل حكمة قالوها وقال هذه ناقصة وزاد عليها كذا وكذا وذكر لهم من كتاب حكماء الزمان مالا يحسنون أن يسمعوه فاقروه له بالفضل عن بكرة أبيهم وعظم فى عين الملك كوشانوش فوثب له قائما وقال يا أبونا اعزرنى فما عرفت مكانك والا وحق عامود النور ان جلست إلا فى الدست وأنا دونك على كرسى ذهب فوثب عقبة وقال لقد حلفت بعامود عظيم وهو كريم وعقبة (ياسادة) يدرى أن أمه قد حبلها بعض الرهبان ولكن قصد يعظم قصته وقصة العامود عنده (ياسادة) وعند الروم حتى يتم له الناموس عليهم وصار عقبة عندهم فى منزلة مانالها أحد من البشر فلما مضى يوم الأحد رحل كوشانوش فقال له عقبة أنت معك من

الأسارى عالم عظيم فلا ترحل إلا على سفك دم ولا تنزل إلا على صفة ذلك هذا وقد كثر صياح المأسورين وجعلوا يدعون على عقبة ويقولون مازلنا فى عافية ونرجو الحياة حتى وصل الينا هذا الراهب الملعون فعمت علينا المصائب وجعلوا ينادون واسلاماه وادين محمداه وكلما زادوا فى ذلك زاد عقبة فى القول والتحريض عليهم (قال الراوى) وسار كوشانوش يقطع المنازل ويدق الحصا والجنادل ليل ونهار وغدوا وأبكار لايقر له قرار ولا يستطيب المنازل والديار بل سائر يجد فى سيره حتى وصل الى قرب القسطنطونية بعد احدى وعشرين يوما (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأماما كان) من الملك ميخائيل والأمير عبد الوهاب وجماعة الأصحاب فانهم لما وصلوا الى باب القسطنطونية نزلوا ونظر اليهم اخلاطون الذى كان فيها من قبل كوشانوش وكان عنده عالم عظيم من القسطنطونية ومن المغلبيط فخرج الى لقاء ميخائيل ومعه عسكر ودساكر وكان رجل خبير بالحرب وخدائعها ولم يصبر دون أن حمل على عسكر الأمير عبد الوهاب وعسكر ميخائيل وطلب بذلك أن تكون له الهيبة عليهم فوقع فى نكبة ما لها دواء لأنه كان فى ضميره أنه يكون هو الظافر بهم وكان يقول ما فى الأرض من يقوم بمقام الحرب قدامه الا الملك كوشانوش فانه يقوم بى ولا أقوم به (قال الراوى) وعملت السيوف وطارت القحوف وجدعت الأنوف وشربوا شراب الحتوف وكان يوم مخوف ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل الى أن صارت الشمس فى قبة السماء وكان وكان الزمان زمان الحر الشديد فلما انفصل الجمعان خرج فارس من وسط المغلبيط على جواد أشهب ديال الذنب واسع الصدر قصير الظهر ثم حمل على الناس ونادى يامعاشر الأبطال من الروم والمسلمين أنا أفلاطون مقدم على هذا العسكر والقسطنطونيه وما بينكم وبين أخذ البلد الا قتلى فهل من مبارز فانى أحب يوم الهزاهز فخرج اليه من الروم فارس فجعل يقتل ويأسر حتى أخذ ستة عشر فارس وخرج اليه من بنى كلاب أربعة فعند ذلك أرادت الخروج الأميرة ذات الهمة على ما بها من المرض فلم يمكنوها من ذلك سادات بنى كلاب وإذا بالأمير عبد الوهاب هم بالخروج فتعلق به الأمير ظالم وقال هذا أول جهادى فى طاعة الله فهو سبب فتح هذه البلد ولولا انه واثق بنفسه لما خرج الينا (قال الراوى) ياساده ياكرام فحمل الأمير ظالم وهو يقول

ستعلم يا كلب عقور بأننى * صبور على دفع العدا بالقواضب
وتعلم من منا يكون مجندلا * اذا حكمت فينا سيوف المضارب

أنا ظالم المعروف فى الحرب واللقا * اذا صهلت أفراسها والجنايب
أقاتل عن دين النبى محمد * وخير الورق مابين ماش وراكب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وحمل كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا وتجاوبا وتماحكا وتعاركا واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة ظالم فوقعت فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره فوقع قتيلا وعلى الأرض جديلا وصاحوا المسلمين وحملوا على عسكره فما كانت الا ساعة حتى قتل منهم عشرة آلاف بطريق وصاحوا أهل البلد من داخلها ميخائيل يامنصور ودخل الأمير عبد الوهاب وكل من معه من الأصحاب فوجدوا فى القصر أموالا عظيمة وهى التى أخذها كوشانوش من ملطية ومن سائر البلاد والمواضع والجهات ووجد الأمير عبد الوهاب الاسارى فيها بعدد التراب من بنى سليم وبنى كلاب فجعلوا ينادون وا أميراه وا سيداه فبكى الأمير وقال قد فرج الله عنكم ونظر الى بنى سليم فى الحبال والقيود فلم يقبل عليهم فجعلوا يدعون له ويعترفون بالذنب وهو لا يلتفت اليهم حتى مر بالأمير عمرو بن عبيد الله فقال ياعمرو ومثلك تكون الجيران والأصحاب فعندها قام الأمير عمرو بن عبيد الله بين يديه وبكى وقامت أمه تنشد وتقول

ألا أيها المولى الذى طاب أصله * ونال العلا فى شرقها والمغارب
علوت على كل الأنام كمثل ما * علت شمسا من فوق مالى الكواكب
ألا جد بعفو منك ياسيد المنا * ويامعدن الأبطال ياابن الاطايب
وان كان عمرو قد أسافى فعاله * فأنت الذى ترجى لدفع النوائب
فارعى عبيد الله من أجل دينه * وأفعاله فى عاليات المراتب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فبكا الأمير عبد الوهاب وقال ماأدرى إلى متى يكون هذا الجفاء ولكن مالقيت فى هذا الاخير وأطلق الاسارى من بنى سليم وهم أربعين ألف من سائر البلاد وصار الأمير عبد الوهاب فى عالم عظيم وأقام كذلك عشرة أيام فلما كان فى اليوم الحادى عشر وإذا بالغبار قد علا من سائر الأقطار واظلم منه النهار وتزلزلت منه الأرض والديار ونفرت الوحوش من القفار وتزايد الغبار حتى عميت منه الأبصار واقبلت جيوش الكفار كأنها أمواج البحار فعلم الأمير عبد الوهاب أن الملك كوشانوش قد وصل إلى أهبة القتال وكان الأمير أبو محمد قد أرسل غلامه أبو الليل يأتى له بالأخبار فرجع ومعه أحمد الشمشاطى فقال خبرك يامولاى أنه قد وصل إلى الملك كوشانوش وراهب بيت المقدس وهو أعلم أهل زمانه واحكمهم غلب كل قس عنده وراهب واشار على الملك أن لا يرحل إلا على قتل مائة أسير فهو يفعل ذلك فى كل مرحلة وقد قتل أمم كثيرة والناس ينادون وا اسلاماه وادين محمداه

فبكى الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وقال لعن الله هؤلاء الرهبان فوالله ما نعرف لأى وجه يأمرون بسفك الدماء فقال البطال اعلم أيها الاميران قلبي يحدثني أن هذا الراهب ماهو راهب بيت المقدس وما هو إلا عقبة وقد دخل على كوشانوش بهذه الحيلة حتى ينال مايريده والآن فقد طاب أخذه من منامه وأنا أمضى وغلمانى معى وأوريك كيف آخذه من قبل أن يفتح لكوشانوش ألف باب من الحيل فقال الأمير عبد الوهاب اعلم ياأبو محمد أن هذا كوشانوش كما سمعت عنه ورأيت وأنا خائف عليك منه ومن عساكره أن يعرفك أحدا منهم فقال البطال معلوم انى ماأرمى عينى فى عين عقبة ولكنى اختلط بالقوم فان قدرت على خلاص الأسارى فعلت ذلك وإن لم أقدر فأنا أعلمكم ما تصنعون (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولبس البطال ثياب البطارقة البنجاك وكذلك غلمانه معه حتى دخلوا عسكر الملك كوشانوش ونظر إلى سائر الطوائف من الروم يمدحون كوشانوش وكرمه وحسن أفعاله وقالوا مانريد ميخائيل ولا أحدا من الملوك ولا نريد إلا هذا الفارس وهو علا نجمه أنه يملك الأرض ذات الطول والعرض وبعد ذلك فان الراهب مقلاطون راهب بيت المقدس قد جاء اليه برسالة من عند السيد المسيح أنه يكون ملك الدنيا وما بقى إلا خدمته والدخول تحت طاعته (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان كوشانوش قد أخذ فى هذه النوبة من الأموال والرجال من العرق وغيرها مالا تحمله الجمال ولا تقله البغال وقد قال لسائر الطوائف وحق المسيح لارجعت إلى بلد الروم ومعى من هذه الأموال درهم واحد ثم أنه فرقها عليهم فاستغنوا الجميع واتفقوا على محبته وطابت قلوبهم لخدمته وكانوا مشفقين على مملكته فما بقى بينه وبين القسطنطونية غير أربع فراسخ نزل على مرج القضاء وسار الملك كوشانوش عن القسطنطونية فقيل انها قد فتحت وقتل كل من فيها من البطارقة والمقدم عليهم وقد صار الملك ميخائيل فى دار عزه كما كان على غاية السرور فعظم ذلك عليه وكبر لديه فقال له الروم هذا لانبالى به أيها الملك فهذا وحق المسيح أو أن هلاكهم ونحن نضرب بالسيوف بين يديك فى وجوه الحبايب والقرايب فقال الملك كوشانوش وحق المسيح مابى إلا هذا الأمر لأنى طيب القلب أن ألقى كل من فى القسطنطونية من أهل النصرانية والحنيفية وأن مابى انهم قطعونى عن طريقى بعد ما كنت فتحت بلاد الاسلام وفتحت مواضع مواضع ما يفتحها أحد من الانام وما بقى إلا أخذ الخليفة من البصرة وقد أخذت الدنيا فى كره فقال عقبة وقد سمع كلامه أيها الملك أن فى القسطنطونية رجال ماهم كالرجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما وقد تركوا الدنيا وراء ظهورهم وأقبلوا على الآخرة بوجوههم

وقد هان عليهم الموت واستعذبوه وما فيهم إلا من يقول أنه مايرى أن يبرز لك فانظر لنفسك قبل أن يغلب الأمر عليك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع كوشانوش كلامه ضحك ضحكاً عاليا وقال ياأبونا أنت معزور لأنك ماتعرفنى فقال أما أنا فانى عارف بك ولكن اسأل عنهم من غيرى وحلفهم بالمسيح والانجيل انهم يصدقوك عند ذلك حدثوه الروم بأخبارهم وفعالهم فعظموا الأمراء فى عين كوشانوش وقال أيها الشيخ الراهب دبر لنا مايكون فيه الصلاح وباب النجاح لعل المسيح يعقبنا برأيك الفلاح فقال عقبة مافى الأمر إلا انهم إذا صاروا بقربك ووقعت العين على العين تكون قد دعوت اليك خمسة ملوك ومعهم خمسمائة ألف وترتبهم إذا اصطفت الصفوف وجردت السيوف وعولوا الناس على الصدام يصيحون ويقفزون إلى عند الملك ميخائيل وهم ينادون ميخائيل يامنصور وإذا حملوا عليك فاثبت لهم وإذا انفصلوا عنك وصاروا مع الملك ميخائيل وآمن اليهم هناك يطبقون عليه وعلى الأمراء فى خمسمائه ألف فارس وتحمل أنت وباقى العسكر فأنا أعلم أنك إذا فعلت هذا مايبقى منهم صغير ولا كبير وندمرهم تدمير فقال كوشانوش للشيخ النجيح أنت فما ابرك رأيك وأحلا كلامك ثم ادعا فى الحبال بملك المغلبيط وضم إليه أربع ملوك أخر فصاروا فى خمسمائة الف وأوصاهم بذلك فقالوا سمعا وطاعة وقد قال عقبه لكوشانوش هذا الأمر لايظهر منكم فى العسكر فما نأمن أن يكون فى عسكرك جاسوس فيعلم القوم بذلك فينفسد علينا ما دبرنا (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان هذا الأمر قبل قدوم أبو محمد البطال إلى عسكر كوشانوش هذا وعبد الوهاب قد جمع سائر الأمراء والملك ميخائيل معهم وقال لهم أن القوم قد نزلوا بالقرب منا والرأى أن ننزل إليهم ولو كانوا فى عدد النجوم وقطرات الغيوم فقال ميخائيل اعلم أيها الأمير أن هذا العسكر الذى معه عالم لايحصى عددهم ولايدرى مددهم والقسطنطونية بلد حصين ولولا ماعمل علنا وسلمت من داخلها والا لواقام عليها عمره كله لما وصل إليها فقال الأمير عبد الوهاب وما هو الرأى عندكم فقال الرأى اننا نقيم خلف الأصوار ونقاتله وننظر فعاله ولينظر أيضا إلى رايات المسلمين وهى سود عباسية عليها مكتوب نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما نظر كوشانوش انقلبت عيناه فى أم رأسه وخرج شعر بدنه من ثيابه (ياسادة) ونظر عقبة إلى ذلك فقال كوشانوش هذا هو قاتل الأسود الحجام ولعل المسيح يكون قد أقام هذا الملك لهلاك هؤلاء المسلمين الذين قد فطروا مرارتى وعملوا على هلاكى وتلاف مهجتى

هذا وقد ركب الملك كوشانوش وركب ألف ألف عن يمينه وألف ألف عن شماله ووقع التبسع من خلف ظهره عند ذلك أظلم الضوء وعاد النهار كالدجا وصاحت الخلائق وحققت الحقائق وشابت من هول ذلك المفارق وصهلت الصافنات وتزلزلت الجنبات وهدرت السباع فى الغابات تروم افتراس السادات وتحسر الناس على ما فات وعملت المرهفات وخرقت الجيوب السمريات ولعبت والرماح بالأعلام والرايات وتقطعت قلوب الكماة هذا وقد ركب الأمير عمرو بن عبيد الله فى أربعين ألف من بنى سليم وجعلوا يلذون بركاب الأمير عبد الوهاب وهم كلهم إليه معتذرين وعلى ما فعلوا نادمين ومن الأمير خلجلين هذا وقد أشار كوشانوش إلى المواكب كلها بالحملة فحملت مثل الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر وحمل الأمير عبد الوهاب فى سائر بنى كلاب وحمل بين يديه الأمير قراقد وأبو الهزاهز فى السودان الانجاب وحمل ظالم فى عبيده وحمل عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم ونادوا باسم الملك القدوس وكان يوما عبوس تطايرت فيه الرؤوس وخرجت من الأجساد النفوس ورفعوا أصواتهم الرهبان والقسوس هذا والناس بين ناكس ومنكوس وذبحت البطارقة ذبح التيوس وحميت على رؤوسهم الشموس هنالك صاحت الملوك الخمسة ونادت ميخائيل يامنصور وكانت هذه الملوك التى تقدم ذكرها (قال الراوى) ياسادة يا كرام وأحدقوا بالملك ميخائيل وجعلوا يعتذرون إليه ويقبلون الأرض بين يديه فقال لهم ما هذا وقت الإعتذار وفرح الأمير عبد الوهاب بذلك وقال الحمد لله الذى خالف بين كلمتهم لأن هذا الشيطان كوشانوش فى عالم عظيم وان لم ينفصل جمعه وإلا تعبنا معه (ياسادة) فهو فى الكلام وقد مال إلى ميخائيل كى يهينيه فبينما هو كذلك وإذا بالخمس ملوك وأصحابهم قد صاحوا صيحة واحدة فكان الخضرا انطبقت على الغبرا وأطبقوا على الملك ميخائيل والأمير عبد الوهاب وعساكرهم وحمل كوشانوش معاونالهم وحصر الأمير عبد الوهاب الملك ميخائيل بين خمسمائة ألف واشتغل باقى الناس بما هم فيه وبقى الأمير يدافع عن نفسه هذا وان الأميرة صاحت بجوادها وقد عملت بالحال واحترقت الرجال وصناديد الأبطال ووراءها الأمير عبد الوهاب وكان منها بقدر رمية سهم فنظره الملك كوشانوش فانقض عليه انقضاض الباز وهاجمه مهاجمة البطل المغوار وصوب قنطاريته اليه فوقع السنان فى صدر إبراهيم مرق من ظهره (قال الراوى) ياسادة يا كرام وما كان للأمير عبد الوهاب ولد من علوى غيره وان الأميرة لما رأت ذلك صاحت صوتا أذهل الناس ونادت وأولداه واقتيلاه فظنت بنى كلاب أن الأمير عبد الوهاب قتل فانهزمت بنى كلاب طالبين القسطنطونية وأنهزمت الروم

من أصحاب الملك ميخائيل وقد قتل منهم عشرة آلاف وكل يومهم يوم طويل وقبض الأمير ظالم والأمير سيف الحنيفية وقشعم وضيغم وأبو المزاهز وقراقد وقرقود وسائر الأمراء والسودان عن بكرة أبيهم لأنهم وقفوا مع الأميرة ذات الهمة ولم ينهزموا هذا وقد التحم القتال بين كوشانوش والأمير عبد الوهاب ما عنده من قتل ولده إبراهيم من خبر غير أنه صاح يا آل حام يا آل حام يا أولاد الكرام جاهدوا فى دين الملك العلام حتى تجاوروا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فعند ذلك بربرت السودان وصاحت الحبشان وحمل الأمير عبد الوهاب والأمير ظالم وسيف الحنيفية ففرقوهم شرقا وغربا وبعداً وقربا بعد أن قتلوا منهم خلق كثير وخلصوا الملك ميخائيل فلما امن على نفسه ترجل وباس الركاب فى رجل الأمير عبد الوهاب فقال له الأمير عبد الوهاب وولده ظالم وذمة العرب لابد لنا مانكافئك بالجميل ونردك إلى سرير ملكك هذا وان القاضى عقبة لما رأى ذلك جعل يصيح بالرومى وينادى بكل لسان ويحرض الملوك على القتال ويقول ويلكم اعلموا أن الملك ميخائيل قد أسلم فلا تبقوا عليه ولا على أصحابه ولا على المسلمين وكانت الروم (ياسادة) كلما سمعوا كلامه يزدادوا تحريضا على القتال (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان البطال يراقبه وقد شك فيه ثم قال هذا والله عقبة ولولا انى أعلم ان مايتكلم بهذا غيره لما عرفته وقال لغلمانه ويلكم اهجموا بنا عليه فى وسط المعمعة وقطعوه بالخناجر فهذا وقت الاغتنام فقصدوه فبينما هم كذلك وإذا بصياح يصيح فتبينوه وإذا به الملك كوشانوش وقد أخذ الأميرة ذات الهمة أسيرة (قال الراوى) ياسادة يا كرام وذلك انها كانت من أثر المرض الذى كان بها وانفجعت لقتل إبراهيم وانهد قواها وانها أرمت اليه روحها لحذفها كوشانوش بعامود حديد كان فى يده كثير الحلق فخرج كأنه حجر منجنيق فلولا البعد لكان قضى عليها فوقع بين أكتافها على غفلة منها فوقعت إلى الأرض بنفسها فأخذها أسيرة أسرع من البرق فلما نظر عقبة إلى ذلك قال أحسنت ياشجاع زمانه وفريد عصره وأوانه هذه والله الغولة الشمطاء والحية الرقطاء وحق المسيح مالك نظير فى الأرض بعد ما أخذت هذه العاهرة التى قد قطعت الأكباد وخربت البلاد ولولاها لكان دين النصرانية قد علا وزاد وسمع الأمير عبد الوهاب بالخبر فحمل وحمل من بعده ظالم وسيف الحنيفية وبردين الأزهر وهارون العلوى وكشفت السودان الرؤوس وبان منهم كل بطل هموس هذا وقد ترادفت الأبطال وتراجعت أبطال بنى كلاب كأنهم الذئاب ووراءها بنى سليم كأنها أسود الغاب وحملوا وقام الحرب على ساق وقد عملت السيوف الرقاق وأحدقوا السودان بالملك كوشانوش كأنهم زبر الحديد أو حجارة الجلاميد وكان

قصدهم خلاص الأميرة ذات الهمة وهو يحمل عليهم تارة وهم يحملون عليه تارة فبينما هم كذلك وإذا بالأمير ظالم قد أقبل وإلى كوشانوش قد وصل وأطبق عليهم وحمل وكذلك كوشانوش حمل عليه والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان له رن والأمير ظالم استقبله وهو ينشد ويقول .

ألا قل لكوشانوش سوف تنوشه ... سباع الفيافى دائرات السباسب
ويبقى طريحا فى الفلاة مجندلا ... يحوم عليه الطير من كل جانب
ويعلم هذا الجمع من هو خاسر ... إذا اختلفت أسيافنا بالمضارب
إذا كنت كوشانوش فى الحرب اننى ... هروس لابطال الوغا فى الغياهب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انهما تطاعنا طعنا تعجز عنه الابطال الصناديد وأيقن الجميع لظالم أو لكوشانوش بهلاكه فعند ذلك صاحت العبيد وحملوا عليهما ففرقوا بينهما فكانت ساعة لايدرك مثلها (ياسادة) هذا وكوشانوش قد صاح بالبطارقة ليأخذوا منه الاميرة ذات الهمة فاول من سبق وبادر إلى أخذها كان أبو محمد البطال وغلمانه وهو يظن انهم من بعض الاصحاب والتحم القتال إلى أن مضى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه ونادوا بالانفصال عن القتال وقد وقع التلاف بالرجال واسودت الآفاق بظلامها ورجع عبد الوهاب ولم يدخل البلد وضربت مضاربه ومضارب ميخائيل ملك الروم إلى ظاهرها (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا والملك ميخائيل قد أخذ بيد عبد الوهاب واقعده معه على السرير وقال له أيها الامير ما كنا اليوم إلا رابحين لو سلمنا من فقد الاميرة ذات الهمة (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا كله وما عند الامير خبر من قتل ولده إبراهيم وظالم يقول أيها الامير ما أظن أحدا فى الناس مثل قوة هذا الكلب كوشانوش ولقد رأيت اليوم منه مالم أره من أحد (ياسادة) فهم فى الكلام وإذا بالامير أبو محمد قد دخل عليهم ومعه الاميرة ذات الهمة وقد سكن مابها وهى تمشى على مهل من الالم الذى لحقها فلما رآها الامير وثب اليها قائما واعتنقها وحمد الله تعالى على سلامتها وقام لها أيضا الملك ميخائيل وكل من كان فى السرادقات من روم واسلام وقال لها الأمير ياأماه كيف حالك جعلت فداك وماكان لكى أن تلقى نفسك فى مقام الحرب وأنت مريضة ومتوعكة من آثار المرض فقالت والله (ياسادة) ماأخذنى الملعون مواجهة وإنما نظرت إلى الأمير إبراهيم وقد طعنه الملعون فى صدره أخرج السنان من ظهره فغاب عنى رشدى وخاننى جلدى ونزلت اليه حتى أرفعه من تحت أرجل الخيل لعل يكون فيه روح فضربنى الملعون بعامود على غفلة منى وسوف أوريه غب هذه الغفلة فى غداه غد إن شا الله

تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب بقتل ولده إبراهيم صرخ صرخة عظيمة كاد أن يقضى عليه ونظر إلى أولاده وهم قيام فى خدمته فلم يراه بينهم فقام وقعد وغاب عقله وقلق قلقا عظيما وبكى بكاء شديدا وقال واحسرتاه على المجاهدين فى سبيل الله ثم قال خذوا المشاعل وطوفوا المعمعة لعل تلقوه ففعلوا ذلك وصاروا يقلبون القتلى وهم لايعرفوهم من وطىء الخيل فبينما الأمير أبو محمد يطوف بين القتلا إذ سمع أنين ضعيف فتأمله واذا به الأمير ابراهيم وهو فى نزاع الموت فبكا البطال وحمله إلى عند أباه وهو مخضب بدماه فلما نظر اليه علم انه هالك فضاقت عليه المسالك وبكا عليه بكاء شديد ثم انشد يقول

رياح الصبا بالله بالله باغى * الى أرض علوى عظم ماقدرزانيا
لجعت فى إبراهيم فى موقت الوغا * وقد كان إبراهيم بيننا محاميا
الا ياحمام الايك خبر لامه * وقولا لها صبرا على ما دهانيا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم صار الأمير يقبل وجهه ويمسح عوارضه ويقول وددت من الله تعالى لو كلمنى كلمة واحدة فلما تهور الليل فتح عينيه فقبله الأمير وبكى وقال له يابنى هذا الوداع متى الأجتماع هذا الفراق متى التلاق (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولقد حدثنى ثابت بن الفضل بن حازم بن كامل ابن يوسف بن المثنى بن الفرج بن مالك عن أبيه مالك بن بشر الكلابى الاقطع قال كنت حاضر ثلث الليل والأمير عبد الوهاب يقول له يا ابراهيم هذا الوداع متى الاجتماع هذا الفراق متى التلاق وإذا بابراهيم قد فتح عينه وقال ياأبتاه أما التلاق فبين يدى الملك الخلاق وأما الاجتماع فى دار مافيها انقطاع وهو مقعد صدق عند مليك مقتدر ثم قال ياأبتاه بلغ سلامى الى والدتى وأخضب توبى بدمى واحمله إلى علوى فالله يصبرها على هذا البلاء ثم تشهد بعد ذلك وقضى نحبه ولحق بربه فضجت الناس بالبكاء والنحيب هذا والأمير عبد الوهاب (ياسادة) يبكى وينتحب ثم انه رثاه وأنشد يقول

الى الله أشكو ثقل ماقدأصابنى * فقد خاننى صبرى وقد حرت فى أمرى
لفقد حبيب كان بيننا كالبدر * يزيد وبيت الله حسنا على البدر
فاضحى جديلا فى التراب معفرا * قتيلا بحد السيف فى بلد الكفر
ولو علمت علوى بما قد أصابها * لكان لها دمع على خدها يجرى
وحق النبى الهادى الشفيع محمد * نبى الهادى والعالم الطاهر الطهر
لانتقمن اليوم أو بعده غدا * من القاتل الملعون فى معمع القفر

وأقطع أعناق الرجال بصارمى ٭ وآخذ نار السيد العالى الذكر
وما مات من أضحى قتيلا معفرا ٭ بطاعة رب الخلق فى البر والبحر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وحذن الأمير على ولده ابراهيم حزنا عظيما وعول ان يصبر ابراهيم ويلفه فى ثيابه ويحمله الى آمد نحو أمه وبات الناس طول ليلتهم يبكون على الأمير ابراهيم هذا والأميرة ذات الهمة دموعها لا ترقأ الى ان برق ضياء الفجر وصلى القوم صلاة الصبح (ياسادة) هذا وقد دقت النواقيس وقس كل قيس ذات اليمين وذات الشمال وصاح كل راهب ومطران ورفعت الصلبان وكفروا بالرحمن وطلع الغبار الى العنان وركب أهل الايمان فى مقابلة أهل الطغيان (ياسادة) هذا وان عقبة كان تلك الليلة قد علم بموت ابراهيم فورد على قلبه مسرة عظيمة ومما أصابه من الفرح أحضر تلك الليلة المغانى والدفوف والشبان والزمور وامتلأ المكان من شرب الخمور وقام ورقص وقال وقال هذا واحد من الجماعة قد اشتفيت منه وبات على ما هو عليه فلما أصبح الصباح أضاء بنوره ولاح أقبل على كوشانوش وقال له يامولاى لقد فعلت الفعل المليح وأرضيت السيد المسيح بقتل ابراهيم بن الأسود الزنيم وبأسر ذات الهمة لولا انك سلمتها الى من لا تعرفه ولولا ذلك كانت هلكت فقال كوشانوش يا أبونا أنا سلمتها الى بطريق أشقر ومعه ثلاثة من حوله كانهم أولاده فقال عقبة هذه وحق المسيح صفة أبو محمد البطال العيار المحتال ومعدن المكر والخداع وغلمانه الأنذال (قال الراوى) ياسادة يا كرام واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وقد ركب أيضا الملك ميخائيل وعلى قلبه من الهم والغم غير قليل من أجل الأمير عبد الوهاب هذا وقد صاح الصائح فى الفريقين فحملوا على بعضهم بعض وعمل الصارم اليمانى فى أعناق الرجال وطاب الطعان وملت الخيل من الجولان وأبيض من الهول الخافقان ولم تزل الحرب دائمة والطيور حائمة والقيامة قائمة والخصوم متلازمة وقطعت من الخيول القوائم وفنيت العوالم وطار القمم وشابت اللمم ولقطت الطيور العيون من المحاجر وعملت البواتر وتفطرت المرائر ودارت الدوائر وشابت الذوائب وحكمت البوارق وانحلت العوائق وطارت السواعد وبان فعل البطل الماجد وامتلأت البطح لما قد وقع عليها من الاشباح ولم يبق فى أكف الرجال غير مقابض الصفاح وأعقاب الرماح ولم يزل السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالإعتكار ونادى المنادى بالانفصال إلى اليوم الثانى وأما السودان فانها عادت وهى كأنها خيول قد قطعت الشكال وهى تتراقص كانها الاسود فى الدحال هذا وقد

أضرمت النيران وتحارسوا الفريقان وكان الأمير عبد الوهاب لا يجد الصبر من فقده ابراهيم فلما زادت بحار الأحزان على قلبه أنشد وقال

ياعاذلى دعنى واترك العذلا ... وابكى على من فى فيافى الحرب مجندلا
ياقرة العين عندى والحبيب لما ... والعين أعظم شىء يطرق الرجلا
هذا الفراق متى يرجى دنوهم ... إلى القيامة والإنسان قد ذهلا
ياقرة العين عندى والحبيب لما ... لله ذلك لى من فارس بطلا
لهفى على ولد كانت خلائقه ... دين ومعرفة ما أن له مثلا
ياريح الا ماحملنى نحوهم خبرا ... عن الهلال الذى فى الأرض قد أفلا
ياعاذلى دعنى من ملامك لى ... فليس لى مهجة تقوى على العذلا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فما سمع أحد شعر الأمير عبد الوهاب إلا وبكى فلما جن الليل قام للصلاة وتلاوة القرآن ولم يزل كذلك الى أن أصبح الصباح هذا والبطال قد مضى إلى عسكر كوشانوش من أول الليل فوجد عقبة وهو فى ذلك اللهو والطرب والدفوف والمغانى وقد أقام على باب سرادقه خمسمائة بطريق بالسيوف المجذبة والدرق المكوكبة لأنه كان شديد الحذر لأن الملك كوشانوش قد جعل أمور العسكر وتدبيرها اليه وقد تولى الحرس بالبطارقة فلم يجد البطال حيلة يصل بها إلى مايريد لأن عقبة ساعة فى الحرس وساعة فى مضربه ليتم له الفرح والسرور وحواليه البطارقة وأولاد العمالقة (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأصبح الصباح كما ذكرنا فى اليوم الثالث وركبت الحبشان فقال الأمير عبد الوهاب أننى ما أبلغ مرادى من كثرة العدد وما فى الأمر إلا أننى أخرج بين الصفين وأطلب البراز (قال الراوى) فهو معول على ذلك وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم يفتح باب الحرب على سبيل المبارزة وكان كوشانوش قد أمره بذلك لأنه قال لعقبة أعلم أن هذا الامر يطول ويفوت المأمول وكيف هؤلاء المسلمين يقاتلون مع الملك ميخائيل فقال عقبة اعلم أيها الملك أن المسلمين مايقويهم على القتال إلا ثلاثة عبد الوهاب وظالم وذات الهمة فلو عدموا هؤلاء الثلاثة هدموا العسكر ويبقى ثلاثة أخر قشعم وضيغم وسيف الحنيفية فما كانت بنى كلاب تقيم بعدهم يوم واحد وكنت تملك البلاد وتهلك العباد فقال كوشانوش فما فى الامر إلا أننى أرمى روحى على البراز ولى خرجوا إلى كلهم فى مرة واحدة لقتلتهم الجميع فقال عقبة لاتبارزهم إلا واحد لواحد ولو عليك نذر إنك متى أخذت أسود بنى كلا وهو عبد الوهاب تسلمه إلى فقال سمعا وطاعة ثم أن كوشانوش أمر ذلك الفارس بالخروج يطلب القتال ويروم النزال خرج إليه قشعم كأنه الربان

وأطبق عليه الحصاد ومد إليه السنان وتذكر أخيه إبراهيم فبكى بكاء شديد وأنشد

إلا من لى بقربك يا اخيا ومن لى أن أبنك ما لديا
لطوعك خطب دهر بعد نشر كذلك خطبه نشرا وطيا
وكانت فى حياتك لى عظات وانت اليوم اوعظ منك حيا
قتيلا فى بلاد الروم ملقا كسانا حليه حزنا وعيا
بكيتك يا أخى بدموع عينى فلم يغنى عليك البكاء شيا
سئمت من الحياة لفقد انسى واخطأ العالمين إذا لديا
ولا رضيت عن الأيام دهرى بما صنعت بما جارت عليا
سآخذ ثاره جهدى سريعا ولا أبغى الحياة بها اليا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأطبق قشعم على الفارس وما أطال بينهما القتال حتى اختلف بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة قشعم فوقعت فى صدر الرومى خرجت من ظهره وطلب قشعم البراز فخرج إليه ثانى فقتله وثالث جندله ورابع أعدمه وخامس أراده وسادس أفناه وسابع طرحه إلى الفلاه وثامن وتاسع فما أبقاه ولم يزل يقتل واحد بعد واحد حتى قتل سبعة عشر بطريق من كل بطل عميق فقال الملك كوشانوش وقد نظر إلى الروم وقد عجزت عن مبارزته فقال من هو هذا الفارس الذى قد نكل بالاقيال وجزعت منه الأبطال ولاشك أنه أمير من أمراء المسلمين فارس من فرسان الموحدين أو الفارس المنسوب عبد الوهاب وفارس بنى كلاب فقال عقبة يامولاى هذا ولده قشعم أخو الفارس الذى قتلته بالأمس إلا أن هذا أفرس منه فلما سمع ذلك غضب وقال من يبرز إليه فما هو من أبرز إليه بروحى مخافة البطارقة من شره وجعل الملك كوشانوش يقول لواحد بعد واحد أبرز إليه فان برز إليه طائعا أو كارها لأن كل من أمتنع أرماه فى النار المضرمة الذى تقدم ذكرها فجعل يخرج إليه فارس بعد فارس من خيار البطارقة المذكورين والأبطال المشهورين حتى كملوا خمسة وأربعين فارس وعاد الأمير قشعم إلى أبيه وقد أمسى المساء ففرح به وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وبكى لفقد أخيه إبراهيم فقالوا أيها الأمير لك من الأولاد ما يسليك عنه فقال لاتقولون هذا فان ما من ولد الاوله منزلة فى قلبى وأصبح الناس فى اليوم الرابع فخرج سيف الحنيفية وكان الأمير ظالم معول على ذلك فمنعه سيف الحنيفية من ذلك وقبل رأسه وأقسم عليه بذمة العرب لاتفعل وخرج إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فلما صار فى الميدان أطلق عنان الحصان وأسيل دمعه وأبدى لوعته على فقد أخيه

إبراهيم وأنشد وقال

ياعين جودى بالدموع السواكب   على السيد المقتول وابن الاطايب
وجودى على إبراهيم الدمع دافقا   فقد كان موصوفا بكل العجائب
ولولاه ما كانت بقلبى حرارة   على أحد من موبقات النوائب
سآخذ له بالثار من كل غاشم   وأتركهم صرعا فوق الترائب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم حمل على القوم من قبل أن يطلب منهم مبارزة فقتل من الميمنة ثلاثة وحمل على الميسرة قتل ثلاثة وحمل على القلب قتل فارسين كانا عن يمين الملك كوشانوش وكانا أعز الناس عليه وأحظاهم لديه وعاد سيف الحنيفية إلى ساحة الميدان بعد أن خطف مهج الاقران وطلب البراز فخرج إليه فارس بعد فارس وهو يلتقطهم بالسنان من غير مطاولة فقال كوشانوش وحق الإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل من جاءنى برأسه أعطيته وزنه ذهبا وجوهر فما كانت إلا ساعة حتى خرج إليه جماعة من البطارقة وأولاد العمالقة كل واحد يعد بألف فارس وهو يطرحهم على الأرض حتى طرح منهم عشرين فارس وانقطع الناس عن الخروج إليه فلما نظر كوشانوش إلى ذلك قامت عليه القيامة وانقلبت عيناه فى أم رأسه مثل أنابيت الدم وخرج إلى الميدان وهو على جواد أدهم مسوم معلم بغرة كالدرهم سريع هبوب مهوب طلوب وطىء المركوب معود على الهيجان خواض العجاج محجل الأطراف من الخيل الاشراف وفى يده حسام ماضى الشفار قوى المسمار كأنه شعلة من النار وهو فى كف رجل جبار وحمل على سيف الحنيفية حملة منكرة وقال له بالرومى دونك والقتال يانسل اللئام فعلم سيف الحنيفية قوله لأن جنسه من المغلبيط وتربا بينهم كما ذكرنا فحمل عليه سيف الحنيفية وهو يرتجز ويقول

ويلك قد لاقاك ليثا معودا   يخوض المنايا فى مقام الوقائع
خبير يضرب السيف فى كل معرك   إذا قصرت أبطالها فى المعامع
همام شجاع باسل ذو همة   عليه لفقده الأح لسعة لاسع

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وقد حمل كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا بالسيفين حتى لم يبق فى أيديهما غير المقابض وتطاعنا بالرمحين حتى شهدت لهما الفريقين وشخصت لهما الأبصار وطلع عليهما الغبار وقامت الحرب على ساق وتقابضا بالكفين وجذب بعضهما بعضا وكان كوشانوش أقوى من سيف الحنيفية وأطول باع وأشد ذراع فأنشب مخاليبه فى أطواقه وجذبه أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه إلى البطارقة

وقال لهم أحفظوه فما رأيت فارسا أقوى منه فقال له يامولاى إن كان فيك تلتق رجل فيه قوة عشرة رجال من هذا وهو ظالم بن عبد الوهاب وإلا فارجع فقال كوشانوش وحق المسيح لو اجتمع مثله مائة بطل من الابطال لقيتهم وحدي ووجع يطاب البراز فهم الامير ظالم يبرز اليه فمنعه أبوه عبدالوهاب وقال يا بنى لاتجمعوا على فراقكم فقد كفانى مادهانى ولكن أنا أخرج اليه وماله غيرى فقال له ظالم هذا لايكون أبدا وسوف تره الساعة أسيرا أو بعد بلاوهم بالخروج فمنعه ضيغم وقال كانكم تنقصوابى وصاح بجواده وحمل على الملك كوشانوش وتطاعنا ساعة ثم أن كوشانوش طعنه طعنة واصله فلو وقعت فيه لكان قد قضى عليه إلا أنه خرج عنها عرضا وان كوشانوش أقلب القنطارية أسرع من البرق وطعنه فى صدره ألقاه على ظهره وقاده ذليل حقير فقال عقبة ما أبرك هذا اليوم إلا أن المسيح قد فتح لنا أبواب النجاح وعاد علينا بالنصر والصلاح (قال الراوى) ياسادة ياكرام هنالك خرج الامير ظالم على جواد أصفر مليح الخبر صافى الجوهر حسن المنظر من أشرف خيول العرب يسوى عشر بدر أحسن من الابجر الذى كان لعنتر وفى يده صارم ذكر فهمز فى الميدان وضرب جواده بالسوط فانسبط من تحته حتى تم حزام الأرض ورجع إلى طبعه وأنشد يقول

أرى الدهر لايبقى على فرد حالة ... وما زال خوانا لكل خليل
مضى مثل إبراهيم قتيلا وبعده ... أخوه أسيرا ان ذا لجليل
سأضرب من تاراهما بمهند ... لعمرى ثقيل فى الحروب صقيل
ولا كل من نادى بانى همامها ... يكون له الدعوى بعد ومقيل
لاقتحمن الروم حتى أخوضهم ... ولو علقت أقبالها بديول
ويعلم كوشانوش فى الحرب اننى ... خلاف الذى لاقاه قبل حلول
فيا ابن الذى قالت أتانى مسيحنا ... تقرب حتى صار لخل لخول
لجاءت بنذل قد يؤمل انه ... يملك أقطارا وربع طلول
ومن بعدا هذا ظالما يستفره ... ويتركه فى القاع بعد قتيل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وهم ظالم بالحملة فالتفت كوشانوش إلى بطارقته لما طال عليه مقال ظالم فى شعره وقال لهم بحق المسيح إيش يقول هذا فما كان فيهم من يحسن يفيده غير عقبة فانه تقدم وباس الأرض وأعاد عليه شعر ظالم بلغته وزاد من عنده أضعاف ماقال ظالم فانقلبت عيناه فى أم رأسه وصاح صيحة أزعج بها من حوله وطار الدم من مناخيره وقام شعر جسده كما ذكرنا وهدر وبربر وأطبق على ظالم وزعق فكان مثل بحرين تلاطما أو جبلين تصادما وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر إلى أن وقفت

منهما الجوادين اوخدرت الساعدين ووقف كل واحد منهما ينظر إلى صاحبه شذرا ويرمقه حذرا ثم عادا إلى الكر والفر والصد والرد حتى ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وأعطى كل واحد صاحبه قفاه يريد المسير إلى طائفته فعند رجوع ظالم أخرج كوشانوش من تحت فخذه حربة وهزها وضرب بها ظالم فوقعت فى كتفه فغاب ظالم عن رشده فأكب عليه كوشانوش وأخذه أسير وقاده ذليل حقير ووقع الصائح بين العسكرين وارتجت الأرض من وقع حوافر خيل الفريقين ونظرت أعين المعشرين وإذا بحصان قد خرج من المعمعة وهو يجرى ولم أحدا يملك لجامه وقد قال القائل ما أوحش الديار بعد أصحابها والخيول بعد ركابها وسمع عبد الوهاب بأن ولده أصيب فقال والله ان كان ولدى أخذ إلا أخذ غادر إلا أنا رأيته رابح عليه (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكانت الأميره ذات الهمة قد قالت للأمير عبد الوهاب اعلم ان كوشانوش فى طبقة عالية من الفروسية وأنا خائفة على ظالم منه وان كان فارس شديد وأنا أقول والعياذ بالله ان جرى على ظالم شىء فما خرج اليه غيرى فقال الأمير عبد الوهاب ماهذا صواب وانتى فى حالة المرض ضعيفة وأخشى عليكى يفعل بك كوشانوش كأول مرة والبرازلى أجمل وأنا أفديك ياأماه بنفسى وأقيك بروحى فاتى الإسلام كله (قال الراوى) وبات الأمير عبد الوهاب وجميع الأصحاب فى هم وغم لايوصف والملك ميخائيل قد ورد عليه ما تركه يأكل زنديه وهو خائف من انقلاب كوشانوش عليه فلما اشتد على الأمير ذلك تزايدت عليه الزفرات وتضاعفت الحسرات وجرت منه العبرات فكتب بالدموع المنحدرات على الوجنات بسطور اللهفات يقول

ديارى من الأحباب أصبحت قفرة ... وقد كان منها واحد بعد واحد
فهذا قتيل فى التراب معفر ... وهذا أسير فى أكف المصايد
مضى ولدى إبراهيم وهو مجاهد ... وكان له دره بكل المساجد
وقد كان صواما وكان مصدقا ... وكان سخى الكف عند المقاصد
وكان شجاعا ماجدا ذو حمية ... وكان مطيعا غير عاص لوالد
ومن بعده سيف الحنيفية الذى ... له صولة فى موقفات المشاهد
شجاعا كميت باسل غير قاصر ... ملبح كريم الأصل ندب مجالد
وضيغم قد ولى فولت مسرتى ... وأشمت أعدائى به وحواسد
وغم علينا فقد ظالم بعدهم ... ومن مثلهم يوم الوغا والأوابد
أبادوا سيوف الهند فى كل كافر ... وأفنوا رماح الخط فى كل جاحد

لقد كان ظالم منى فى مثل مقلتى وكان كيا فى الحروب مساعد
وقد كان ركنى ان عزتنى ملة وكان يقينى فى الوغاو معاضدى
بقيت كأنى لم أكن قط والد ولا والدا لى يلتجى فى الشدائد
ومع ذا وذا نفسى بهذا جليدة بطاعة مولاها وحفظ الموارد
غدا ننظر الهيجاء بين صميدع ويشهد لى من كان فى الناس جاحد
ويعلم انى مثل الذى مضوا وان كنت شيخا لا تذل مقاصدى
ومن مثل مالى قد قتلتم لواحدى حشاشة كبدى بالسيوف الجدايد
سآخذ له بالتار حتى ترونى أجول غدا فى ألف ألف معاند

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وبات الأمير ليلته قلقا حتى أصبح الصباح وكان كوشانوش لما أخذ الأمير ظالم وحمله إلى العسكر ورآه عقبة فصرخ صرخة كادت مرارته تنفطر مرحا وضرب بالبرنس الذى كان على رأسه الأرض وقال أيها الملك بعد أخذت ظالم مالك فى الدنيا مقاوم وهو فى طبقة أبيه لابل أفضل لأن هذا كل يوم فى زيادة وأبيه فى نقصان فقال كوشانوش لقد رأيت من هذا الصبى على صغر سنه مالم أره من أحد غيره ولولا انى ضربته بالحربة وكان منحرف إلى عسكره لما كنت قدرت عليه وقد بقى الاسود عبد الوهاب وذات الهمة وقد أفنيت هذا الجمع فقال عقبة المسيح يشد أزرك وما بقى غير ما قلت وقد ملكت الارض فى الطول والعرض فقال كوشانوش طب نفسا وقرعينا وحق المسيح لو كانوا فى عدد التراب وقطر السحاب بعدما آخذ عبد الوهاب مايكون لهم عندى حساب وبات عقبة طيب القلب على ماوعده به كوشانوش وأما ظالم فانه أشرف على الموت من تلك الضربة ورفعوا الاسارى إلى خيمة عقبة ووكلوا بحفظهم ألف بطريق يمين وشمال وأقبل عقبة على كوشانوش وقال مرحبا وأهلا وسهلا بالفارس الهمام والليث الضرغام ومن هو صديقى وصاحبى على طول الأيام كيف ترى بركة الجهاد فقال ظالم ياكلب النصرانية ويا أخس من غمس فى ماء المعمودية لو نظرت الى ماأعدالله لك ولأوليائه وأحبابه لما كنت تستعظم ماترى ولو نظرت مقعدك فى النار ومقعد كل منافق جبار لما وجدت بهذه النقمة التى أنت فيها لذة ولا طرب ولا سرور فغضب عقبة من كلام الأمير ظالم وقال له ويلك اننى أريد أنتقم منكم فى هذه الليلة حتى يزداد ثوابك أكثر ثم ضربه حتى غاب عن الدنيا وظن انه مات وسحبته الغلمان إلى جانب السرادقات واخوته ينظرون اليه ويبكون عليه ولا يقدرون على نفع ولا مضرة هذا وعقبة عن له رأى وهو انه يضرم

نارا ويرى الكل فيها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الخيالة وزحفت الرجالة على بطون القتلى وقد صبغت الأرض بالدما وطلب الامير عبدالوهاب البراز فعلت الخيل ركابها وهمزتها الرجالة بأعقابها حتى أدمت المهاميز أجنابها وصدمت الكباش الكباش ودام الصدام وقد قويت قلوب أصحاب كوشانوش وصاح الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب ولم يزل الصارم يعمل فى الأعناق طول النهار حتى أقبل عليهم الليل وضعف الجبان وقل منه الحيل وباتوا يتحارثون الى الصباح وخرج كوشانوش وقد ترجل عقبة فى جملة الرهبان بين يديه وهو فى تلك الصورة ولم يعرفه أحد غير البطال فقال للأمير عبدالوهاب تريد يا أمير تعرف عقبة وتراه بعينك فقال وأين هو الملعون فقال ترى الملك كوشانوش قد خرج فقال لاشك فى ذاك فقال ترى هو عن يمينه فنظر الأمير اليه فكاد أن يطير حمية للدين ثم هم بالحملة ليطعنه فلاحت من عقبة التفاته فنظر الى البطال وهو يشير للأمير عبد الوهاب فعرف الخبيث وكان قدام الملك فتأخر إلى خلفه وقال أيها الملك قد حصنتك من أعداءك بأربع أناجيل (قال الراوى) وخرج الملك كوشانوش على جواد أبلق كأنه البرق إذا برق أو الرعد إذا خفق أو النجم إذا زرق وعليه درع داودى وعلى رأسه بيضة لامعة وفى يده صمصامة قاطعة تنفذ فى الدروع المانعة وان الأمير عبدالوهاب لما رآه وقد توسط مقام الحرب وموقف الطعن والضرب لم يصبر دون أن أقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها أوصيك بنفسك خيرا أنا خارج إلى هذا الجاحد متوكل على الملك الواحد فقالت الاميرة ياولدى هذا مالا يكون ولا أدعك تخرج اليه وعيناى تحمل الماء فى دار الدنيا وها أنا خارجة اليه وقادمة عليه وآخذ ثارى منه فان ظفرت به فهو المراد ونشفى منه الفؤاد وان كانت الأخرى فافعل بنفسك ما تريد ثم انها أنشدت تقول

بنى دع الحرب كى أصطليها * فلقد شاب رأسى والله فيها
فمالى سواك فدع ذا وذاك * فانى سأكفيك ما تبتغيها
ولا تتركنى بلا واحد * فتنقص حياتى وأشتهيها
إذا ما تدلت عناقيدها * من الموت كنت التى أجتنيها

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فنظر الامير عبدالوهاب الى وجه الاميرة وهو ناقص زائد النقصان فقال لا والله لايكون ذلك أبدا ولا أسلمك لشرب كاس الردا وأريد أن أكون لك الفدا ثم انه أشار يقول

أذ لهمة كنى من العزل وأعلى بانى همام فى الوغا غير معجم

ولا تحسبيني فى الوغا مثـــل ظالم ولا تجمليني فى الحروب كضيغم
أما تعلمى انى تعودت خوضهـا وان كنت لاتدرى بذلك فاعلمى
وحق النبي المصطفى خير الورى ومن خص بالآيات من آل هاشم
لاقتحمن الحرب حتى تريهم على الأرض صرعا للنسور القشاعم
فلا تنكرى نفسى فانى همامها تبدلت فى الدنيا مقام المكارم
سأترك كوشانوش فى الأرض ثاويا وأضربه بالسيف يوم التلاحم
وأتركه فى القاع طعما لوحشها ولو كان فى ألف من الروم لاحم
أنا ابن حماة المجد فى موقف الوغا إذا خاضت الاقران وسط التزاكم
وما عرفوا أهل الصليب بانني تقدمت فى الهيجا على كل عالم
ترى همتى فوق الثرى ما أكفها وعزمة صدق من فؤادى سالم

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فعندها صاح الأمير بجواده وقد ذهلت الأميرة من كلامه وسرعة جوابه وانقطع خاطرها عن رد مرامه فتركت الشكوى ورجعت بالدعاء إلى عالم السر والنجوى ونادت يا إله الأرض والسماء يا من تجلى لجبل الطور فتقطع وخاطب موسى وعرف قلب العابد الخائف لخضع وتبع نور جلاله فاتشعشع هذا ولدى وحشاشة كبدى المجاهد فى سبيلك على طول الأيام والأعوام المجتهد فى طاعتك المتواضع لكل الأنام لايشتغل بماخولته من الأنعام الضارب فى أعدائك بالحسام وأنت المتفضل عليه بالسلامة والاكرام فأسألك يارب الأنام الا نصرة الإسلام ولا تشمت بنا الكفرة اللئام فأنت ذو الجلال والإكرام والجود والانعام فلما فرغت ذات الهمة من دعائها وخرج الأمير عبد الوهاب وجواده يركض فلما نظر كوشانوش اليه والى ركبته استدل على قوته وشدته وصدق فروسيته وشجاعته ولما وصل الأمير عبد الوهاب اليه أشار يقول هذه الأبيات

أتاك وبيت الله منى غضنفر له صولة فى الحرب ليس لها مثل
ألا خبروا ياقوم من كان ميتا على الفرش والآجال خير من القتل
ألا إنما الإنسان عمر بلذة ولا خير فى عمر إذا لم يكن فضل
فدونك كوشانوش حربى فان تشا زيادة أقران فذاك هو السهل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فصاح عقبة صيحة عظيمة من خلف الملك كوشانوش وناداه بالرومى خذ حذرك أيها الملك فهذا هو الأسود الزنيم والبطل اللئيم هذا شيطان الإنس والجان هذا الذى تفزع به الروم الصلبان هذا عبد الوهاب هذا مفنى الإخوة

والأصحاب هذا هادم الأطلال وجاعلها خراب هذا مشوش قلوب أهل الكتاب فلما علم الملك كوشانوش انه الأمير عبد الوهاب فرح بلقائه وحمل عليه وحمل الأمير عليه فما نظرت العيون ولا سمعت الآذان مثل ماجرى لهما فى الحرب وموقف الطعن والضرب (قال الراوى) وفتحوا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وحملا فى الميمنة حتى غابا وفى الميسرة حتى قيل قد ذابا هكذا طول النهار إلى وقت العصر وأيست كل طائفة من صاحبها الاان الأميرة ذات الهمة مازالت باكيه العين من وقت الضحى الى أن صار العصر وإذا بها تضحك وتقول تمام الإحسان ياحنان يامنان يامن لايشغلك شأن عن شأن فقال لها بعض الأصحاب أيتها الأميرة هذا كوشانوش قد ساوى ولدك فى القتال طول النهار إلى هذه الساعة فقالت اعلموا ان ولدى قد زاد عليه بكل درهم ألف والساعة يأخذه أخذا بالكف (قال الراوى) فما تمت كلامها حتى ارتفعت الصيحات وزادت الضجات وعظمت الزيات وصاحت الأميرة بالسودان وبنى كلاب كونوا على أهبة الحملة فانى خائفة من غدر الروم لأنهم مجبولين على ذلك وهو شعارهم ودثارهم فارتفع الصياح أكثر من الأول وإذا بالأسد الوثاب وفارس بنى كلاب الأمير عبد الوهاب فعل كفعله ودنى بعضهم من بعض وتماحكا وتعاركا وكل واحد منهما جذب صاحبه ورفص جواده بأحد رجليه الا ان عبد الوهاب ثبت همته ونور أريحته وصاح به صيحة المعروفة فى الحرب عند هجمته ومد اليه يده وقبض على أطواقه وأخرج رجله من الركاب مثل البرق البارق ولكن جنب جواده فخرج من تحته يرتعد كالسعفة فى يوم ريح عاصف وبقى كوشانوش على ساعده فتأوه فصاح فيه الأمير فمن صيحته ارتعدت الجبابرة وخافته الأكاسرة ولم يزل يسير به إلى نحو عساكره (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وعقبة قد صاح صيحة كادت مرارته تنفطر وأشار إلى العساكر بالحملة فحملت وعلى خلاص ملكها عولت وبذلت نفوسها وما قصرت وكذلك الأميرة ذات الهمة أيضا قد حملت وبنى كلاب خلفها مثل أسود الغاب وتبعتها السودان الأنجاب وعملت الصوارم الحداد وفلقت الجماجم وشوشت العمائم وذبحت العلاصم ولم يزل السيف يعمل فى المفارق ويقطع العواتق والخيل عضت لجمها وتقطعت حرمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها حتى ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وقد سبقت الأميرة ذات الهمة إلى الأمير عبد الوهاب وخلصته من المواقف العظام الصعاب وعاونها على ذلك سادات بنى كلاب والسودان الأنجاب وخلص الأمير عبد الوهاب وكوشانوش معه أسير ذليل حقير وقاتلا الملك ميخائيل وأصحابه ذلك اليوم فى الروم قتال عظيم ما نظر مثله الناظرون وبذل المجهود

ورجع كل عسكر إلى موقفه وموضعه وأضرمت النيران وتحارسوا الفريقان هذا والأمير قد أحضر كوشانوش وقال له ويلك ياملعون لقد تجبرت على الله تعالى والله مبيد الجبابرة وقاصم الاكاسرة وكيف وأنت كافر برب الدنيا والآخرة وتجعل روحك ابن المسيح وأمك غير طاهرة (ياسادة) فلم يتكلم غير أنه قال اعلم أن عندى أولادك ومائة أسير من بلاد الإسلام فاطلقنى فى غد وأنا وحق عامود النور الذى ضربت به أمى أطلقهم كلهم فقال الأمير أقسم قسما بالله تعالى لولا خوف الله تعالى لسلمتك إلى السودان وأتركهم يضربوك بمثل العامود الذى ضربت به أمك حتى لاترجع قط تقسم بهذا القسم (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأما القاضى عقبة فانه لم ينم تلك الليلة إلا يطوف على قبائل الروم ويطمن قلوبهم ويوعدهم بخلاص الملك كوشانوش وقال فى غداة غد أخرج أولاد الأمير عبد الوهاب إلى بين الصفين وأقول لسياف الملك يهول عليهم بضرب رقابهم فلو كان عند الأسود الزنيم والبغل اللئيم مثل الملك كوشانوش ألف لفداهم بواحد من هؤلاء فطاب قلوب الروم وباتوا على ماهم عليه فلما أصبح الصباح صاح القاضى عقبة بالبطارقة وأولاد العمالقة وأمرهم أن يسحبوا سيف الحنيفية وضيغم وظالم فلم يجدوا منهم أحدا فضاقت على عقبة الأرض بما رحبت وانفطرت مرارته وقام وقعد وقال اعلموا أننى ما بعثنى المسيح من بيت المقدس إلى عند الملك إلا ان عاش وزيره ومدبره ومشيره وإن مات كنت موضعه وإذا كان الملك جاهل حكيم هو أفضل مما يكون جاهل عديم ومعلوم أن كوشانوش مع العدو أسير فان خلص فهو الذى نريد إن لم يخلص فاحسبونى إياه أحكم فيكم بأحكام السيد المسيح وأعلمكم شرائع الدين الصحيح واعلموا أن من قتل منكم يصل فى مقام الحواريين ويصير فى أعلا عليين وجعل عقبة يقرأ عليهم الإنجيل ويتلو عليهم المزامير وكان قد صبغ لحيته خضراء وكل شعر بدنه وعارضيه ورأسه وصار فى قالب عجيب فلو بقى مع أولاده ماعرفوه قط (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما أن سمعوا ذلك من كلام عقبـــة قالوا أيها العبد الصالح والرجل الناصح نحن كنا نطيع كوشانوش للدنيا فكيف لانطيعك أنت من أجل السيد المسيح ليكون ذلك أجمل وأولى ولو أضرمت نارا لولجناها فلما علم ذلك منهم جعل يدعو كل قوم ناحية ويتقدم عليهم بطريق يصلح للتقدمة ويقول أنت فلان وأبوك فلان وميلادك فى البلد الفلانى وقد أخبرنى المسيح أن يكون منك مايرضيه وتصل إلى مال كثير غير قليل فلما سمع القوم ذلك قالوا هذا شىء لايقدر عليه إلا السيد المسيح وجعل عقبة يكلم كل طائفة بلسانها ويخبرهم بأسماء الآباء والأجداد لأنه يعرفهم الجميع فصاروا

القوم له عبيد ورأوا الجهاد بين يديه قربان إلى المسبح هنالك صف صفوفهم وجردت سيوفهم وهانت عليهم حتوفهم هذا والأمير عبد الوهاب عنده الملك كوشانوش. وهو حائر لايدرى مايعمل هل يطلب به فداء أولاده أم لا وقال فى نفسه مالنا إلا أن نشاور الأمير أبو محمد البطال فى هذا الأمر فسأل الأمير عنه فقيل قد فقدناه من البارحة نصف الليل فبقى الأمير حائر فى نفسه من غيبته يظن شرا وخيرا وهو لايدرى ما تجرى به الافلاك من سعادة أو هلاك فبينما هو كذلك وإذا قد أقبل عليه لؤلؤ غلام البطال وقال له يامولاى يهنيك الزمان فقال بماذا قل وأوجز قال له يامولاى قد سرق مولاى أبو محمد البطال أولادك ضيغم وسيف الحنيفية وظالم فعند ذلك سجد الأمير شكراً الله على التراب لرب الأرباب وقال الحمد لله الذى لم يضيع سعى البطال ثم أقبل على ميخائيل وقال له ماترى قال له إذا وصل البطال بأولادك قلت لك ما يكون فبينماهم كذلك إذ دخل عليهم البطال ومعه ضيغم وسيف الحنيفية وظالم يتوكأ على سبك غلام البطال وهو معصب الجرح فعندها وثب الأمير قائما على قدميه ووثب بنو كلاب والسودان الانجاب كانهم ليوث الغـــاب فرحا بالبطال وبالأمراء القادمين واعتنق ظالم وكشف جرحه فوجده قد صلح فعند ذلك أقبل عليه الملك ميخائيل وقال له أيها الأمير الآن ما بقى من تخشاه وقد خلصوا أولادك وبرد فؤادك وقد بقى الأمر يحتاج إلى شىء واحد وذلك أنكم تخرجون الساعة إلى بين الصفين وتضربون رقبة كوشانوش فى مقابلة ولدك إبراهيم فاذا هلك انقطعت أطماع عسكر النصرانية من حياته وتهرب الطوائف متفرقة ولعلهم يأتون الينا فقال البطال لعمرى أن القياس كذا يكون بلا محالة فعند ذلك سلم عبد الوهاب الملك كوشانوش إلى السودان والعبيد والحبشان وقال لهم أخرجوا هذا الملعون إلى مقام الهياج فاذا وقفتم هنالك أضربوا رقبته فقالت الاميرة والله لايضرب رقبته غيرى لاشفى منه نفسى لانه قتل ولد ولدى وهو الامير إبراهيم وخرجوا العبيد والاميرة ذات الهمة من خلف كوشانوش والسيف فى يمينها ونظرت الروم إلى ذلك فتصايحت فقال عقبة ائتونى بأسارى المسلمين واسحبوهم عاجل فجعلوا يسحبون الرجال يمين ويسار من النسوان والرجال والاطفال هنالك كبرت الاميرة ذات الهمة وضربت كوشانوش بالسيف على رقبته فطارت ستة أذرع فلما نظروا الروم إلى تلك الضربة صلبوا على وجوههم وهموا بضرب أعناق الاسارى فقال عقبة خلوا الاسارى واحملوا عليهم فما أرى النوبة إلا الصعبة فحملوا حملة رجل واحد فى ألف ألف فارس وحمل الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب وحمل الملك ميخائيل وقاتلت طوائف الروم عسكر ميخائيل

وقالوا نحن قد أرسل الينا المسيح راهبا يكون ملكا لنا وهو زاهد فى الدنيا (قال الراوى) ياسادة يا كرام وعمل القتال إلى أن دخل الظلام وانفصل الضياء وادلهم الغيام ورجعت كل طائفة إلى مقامها ولما استقر الأمير فى سرادقه دخل عليه ميخائيل فوثب له الأمير قائما وأجلسه معه (ياسادة) وان الملك ميخائيل أقبل على الأمير وقال أيها الأمير مامنع الروم أن يرجعوا الى طاعتى الاراهب قمامة وقد ذكر انه رسول المسيح وهو أبيض اللون أخضر الذقن يعرف سائر العلوم والاحكام ولقد أرسلت اليهم البترك الكبير ليردهم إلى الطاعة فرجموه بالحجارة وقالوا نحن مانعرف الاراهب المسيح مقلاطون وقد جاءنى من عندهم جاسوس يذكرانهم يجعلون محل ملكه فى مدينة الصخر خلف إقليم الصقلب وقد ذكروا أن هذا الراهب يعلم الغيوب ويخبر بما فى طى الكتاب مكتوب وان كان الأمر على ماقد ذكر فقد ذهب ملكى وزال سرير عزى فضحك البطال وكذلك الأمير عبد الوهاب وقالوا له ماتعرف هذا الراهب فقال لاوحق المسيح فقال البطال هو الشيطان المارد والكلب المعاند صاحب الحيل والمكايد عقبة الذى لايعرف الصديق ولا يرى له فى الدنيا رفيق ليس له غرض الاسفك الدما وقتل العبيد والموالى فهو من دين النصرانية مطرود عن الصليب ومن دين الإسلام قد طرده القريب المجيب ولا يعتقد دين بل ينافق على كل العالمين فقال الملك ميخائيل دعونا الساعة فما هذا وقت مزاح والارواح قد طارت من أقفاص الاشباح ومع ذلك فما أقول لكم ان عقبة مسلم لان حاله لاينكتم غير انه لايريد أن يبق فى الأرض غير دولتى وان أعناق الخلق تحت قبضتى وما قطعه عنى غير الخوف منكم والا كان يريد عسكرى ويعمل على هلاك هذا الراهب مقلا طون فقال البطال أيها الملك تحلف لنا أنت والبترك بالإنجيل أن هذا الراهب اذا قبضناه وبين يديك طرحناه وصح عندك انه عقبة تبيحنا صلبه بلا ممانعة ولا مدافعة لأن لله علينا عهود لابد من صلبه على باب الذهب إن شئت طائعا أو كارها فقال الملك اعمل أنت على قبض هذا الشيطان فوحق المسيح لئن كان عقبة وفعل فى حق هذه الفعال لانتقمت منه قبلكم وأمكنكم من صلبه ان شئتم على باب الذهب أو باب النحاس عند ذلك أحضر البطال البترك وحلف الملك باراذته على هذا أربعين يمينا عندها طاب قلب البطال وقلب عبد الوهاب وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وعملت بين الفريقين الصفاح وصاح غراب البين فيمن صاح وامتلأت تلك البطاح من القتلى عشرة أيام فلما كان فى اليوم الحادي عشر انهزمت عساكر الروم وتبعتهم عساكر الأمير عبد الوهاب وأصحاب الملك ميخائيل يوما كاملا الى أن أرموهم إلى شجر العلق ووقفت عساكر الروم

وكان القتال ذلك اليوم يزيد عن الوصف ونادوا أصحاب كوشانوس عمن تقاتلون وقد ملكت أثقالكم وقبائلكم وخيامكم ونصرنا المسيح عليكم وما انهزمنا خوفا من سيوفكم بل لأمور تقتضى هلاككم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب والملك ميخائيل ذلك رجعوا على اعقابهم وكان الأمير عبد الوهاب قد خلا بولده ظالم وأمه فى السرادق تعلله فلما أشرف الأمير على المنزل رآه خاليا من الأصحاب ينوح عليه البوم والغراب فزاد همه والاكتئاب ونادى يامسبب الأسباب أسألك بفاتحة الكتاب ان تفرج عنا وتعطينا الثواب ثم بكى وكذلك أمراء بنى كلاب والسودان الانجاب لما قد حل بهم من العذاب ونظر الأمير عبد الوهاب الى ابراج القسطنطونية وعليها خمسمائة ألف بطريق والراهب مقلاطون فى أول الناس وهو يقول لاطهرن الأرض من المارقين فبقى الملك ميخائيل حائر وبكى وجرت دموعه وكذلك الأمير عبد الوهاب لاجل فقد الأحباب والأمراء والأموال التى أخذوها من قلعة الشيطبان لأنهم قد كانوا أودعوها فى البلد وخرجوا الى القتال جرايد ولم يعلموا ان هذا يتم عليهم (قال الراوى) وكان هذا من عمل القاضى عقبة وذلك انه أقبل على قومه وقال لهم ويلكم نحن فى عالم عظيم ولو سلمنا أنفسنا اليهم ليقتلونا لما فرغوا منا فى سنة وعلى الضمان وحق المسيح ان من قتل منكم أوصلته إلى دار الكرامة والدوام والسلامة فى جوار سمعون الصفا والشهيد مركوركيس بن صعوان ومائة ألف قسيس ومائة ألف مطران وفى جوار حسان وروح وريحان ويكون المسلمين حفاة عراة وهم يستغيثون بى فلا أسمعهم ويستجيرون بى فلا أجيرهم (ياسادة) وان عقبة لما خاصبهم بذلك هان عليهم الموت فى طاعة عقبة وهم يقولون راهب المسيح قد تكفل خلاصنا ثم قال لهم قد طال مقامكم مع هؤلاء وما فى الأمر الا يرحل الليلة منكم خمس ملوك فى خمسمائة ألف فارس يتواروا عن العيون ثم يصيحون صيحة واحدة ويطبقون عليهم وتلتقى العساكر بعضها ببعض ويصبرون معهم ساعة جيدة وينهزمون بين أيديهم فلا بد من اتباعهم وأوسعوا أنتم فى الهرب إلى آخر القلعة ارجعوا عليهم تجدونا نحن قد ملكنا الخيام والمضارب بما فيها وآخذنا البلد التى هى القسطنطونية بحيلة عجيبة ومكيدة غريبة (قال الراوى) ياسادة يا كرام وفعل ذلك عقبة وتم له هذا الأمر واخذ الأمير ظالم والأميرة ذات الهمة لأنه لم يتخلف فى المضارب سواها فمانعت عن نفسها واحدق بها مائة الف فارس ورموا عليها الطوارق حتى كادت للحياة تفارق واخذت الأميرة ذات الهمة وظالم وجميع ما فى المضارب وسرداق الملك ميخائيل والاموال والعدد وملكوا القسطنطونية (ياسادة) ورجع الأمير عبد الوهاب كما ذكرنا فما وجد له خيمة يأوى

اليها وأمر عقبة العساكر أن تخرج عليهم من مدينة القسطنطونيه فخرجت وأطبقت عليهم العساكر ومن خلفهم وكانت ساعة تضرب بها الأمثال ويتعوذ منها صناديد الرجال ودارت طاحون الحرب والأهوال ودام القتال وقتل من أصحاب الملك ميخائيل خمسين ألف ومن أصحاب الامير عبد الوهاب ثلاثة آلاف فارس من كل بطل مداعس وانهزم ميخائيل لاجل ماحل به من التنكيل الاان الامير عبد الوهاب ترجل وترجلت سائر بني كلاب والسودان الانجاب وضربوا قوائم الخيل بالسيوف فبروها ووقعت إلى الارض وقتلت ركابها وصرعت أبطالها بسيوف أولاد حام الكرام المجاهدين فى دين الملك العلام فما كانت إلا ساعة حتى قتل من أصحاب عقبة خمسين ألف أو يزيدون ورموا الناس إلى البلد صارخين صاغرين وولوا بين أيديهم مكسورين ونظر ميخائيل إلى الطلب عنه قد خف وقد انقطع وسمع دوى فى الهواء فرفع رأسه وقد طار فؤاده من الفزع وإذا بقائل يقول الحرب الحرب يا أولاد حام وهم ميخائيل وقال لمن معه من الروم اما تسمعون ما أنا سامع فقالوا بلى أيها الملك منادى ينادى يا أولاد حام وهم السودان فقال أعوذ بالمسيح من هذا الفعل القبيح هذا مالا يليق بنا ان نفعله مع المسلمين ولاسيما عبد الوهاب وقد بذل نفسه دوننا كذا وكذا مرة وما انقطع عنا الطلب إلا وقد اصطلاها بنفسه فارجعوا بنا ثم رجع والبطارقة معه فما وصل إلا والامير رمى الناس إلى البلد وعظم القتال باقى النهار فلما كان فى اليوم الثانى عشر عادوا إلى القتال وبقوا فى مقابلة الامير عبد الوهاب إلى الظهر وانهزموا بعد ان قتل منهم أكثر من اليوم الاول ورموهم إلى الباب فمات منهم خلق كثير من الرجال وغلق الباب وان عقبة لمارأى ذلك حنق وأخرج ألف أسير من أسارى العراق وضرب رقابهم على الصور وأرمي أبدانهم إلى ظاهر البلد وهم ينادون لا إله إلا الله محمد رسول الله مرحبا بقضاء الله وصارت الرؤوس تتطاير وهى تنطق بالشهادة وعقبة يقول من لم يجحد هذا الكلمة والا قتلته فما منهم يقول إلا القتل ولا أحول عن الكلمة التى عليها خلقنا وعليها نموت ان شاء الله وقتلوا القوم عن بكرة أبيهم وعجل الله بأرواحهم إلى الجنة والامير عبد الوهاب يبكى على أحوالهم وهو خائف أيضا من عقبة ان يفعل بالامير ظالم وأمه ذات الهمة مثلهم وكل من يقتل ويرمى إلى الارض يأمر الرجال أن يبصروه وأقام الامير يحاصر البلد شهرا كاملا وفيه عسكر عظيم فقال الامير والله أنا خائف أن يطول المقام وتفنى الايام ولكن مالى إلى الرحيل سبيل ولو أقمت هاهنا أعمار النسور وحشرت من بين القبور (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا والسودان وأمراء الحبشان يطوفون الضياع ويأخذون العلوفات فلما طال على الامير المطال أمر باحضار البطال فطلبوه فلم يجدوه فقال الامير لغلامه صفوان أين مولاك فقال

له يامولاى من أمس ماراًيته ولاراًيت غلامه وقد اشتغل قلبى عليه فاسأل عنه السودان فانه أكثر مقامه فيهم وهو يألفهم أكثر من بنى كلاب فمضى الغلام ورجع وهويخبرهم انهم فقدوه وغلامه معه فبقى الامير بين الخوف والرجاء وكان عقبة غرضه فى المحاصرة والقتال لاجل أن يضعف الامير وأصحابه لانه أخبر الناس بهم وعساكر الروم الذين فى خدمته قد احتوى على قلوبهم وقد هان عليهم الموت وقالوا أطلقنا حتى نخرج إليهم فقال ماهذا وقته اصبروا لما أقول لكم وكان لعقبة موضع فى مدينة القسطنطونية مدفون فيه ثمان مائة ألف دينار مدخرة من أيام منويل وانه أقبل على ملوك الروم وقال لهم البارخة أتانى المسيح وقال لى ان كنت محتاج إلى نفقة ففى الموضع الفلانى ثمانمائة ألف دينار فتصرف فيها الساعة وسوف أسلم أليك مطلب الجوهر حتى تدفع لكل ملك جوهرة تسوى خراج القسطنطونية مائة سنة ثم أن عقبة فتح ذلك المكان فلما رأوا الروم ذلك قالوا هذا هو راهب المسيح لاشك فيه وهو خليفته فى الدنيا وصاروا إذا دخلوا على عقبة يقبلون الارض ويشيرون إليه بالتسليم كما يشيرون إلى الصور والتماثيل وأن الامير أبو محمد لما رأى هذا الملعون عقبة وما هو فيه سار بغلمانه إلى ساحل البحر ثلاثة أيام بالتمام فقالوا غلمانه إلى أين قد عولت بنا فقال قد عولت على أننى أسلم إليكم رقبة القاضى عقبة فى هذه الليلة وأفرق هذه العساكر وأشتت هذه العشائر ونفتح القسطنطونية ونصلب عقبة على بابها فقالوا لاشك أن هذا قد رأيته فى المنام فقال سوف ترون ما يفعل البطال بصدق الفعال (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما كان فى اليوم الرابع أشرف على جزيرة قريبة من البر وعلى ساحل البحر زوارق وشلنديات فعبر الابطال وغلامه إلى الجزيرة والتفت إلى غلامه يانس وقال له خذ هذه الخمسة دنانير وأنزل بالعجل واشترى بها صوف جافى من ثياب الصيادين وشبكات وهذه عشرين دينار اشترى بها غنم وحطها فى الزوارق وسمك وملح فنحن غدا إن شاء الله مقلعين إلى القسطنطونية وسوف أوريكم صنعة يعجز عنا أهل المشارق والمغارب ويقع فى هذه الشباك من ترجو أن يقع وهو القاضى عقبة (ياسادة) وأن غلام البطال فعل جميع ما أشار به مولاه ولبس البطال وغلمانه الثياب ومشوا فى الجزيرة وهم يقولون من أراد أن يربح بالدرهم عشرة فليحمل الغنم والسمك إلى القسطنطونية فلما سمعوا ذلك تبادروا الطماعين وحملوا الغنم والسمك والعسل والغلة فى المراكب الصغار والكبار وكان الذى أقلع معه إلى البلد اثنى وأربعين مركب والبطال فى جملة القوم وغلمانه وقد حمل معه جماعة بالكرى ودخل القوم إلى المينا وطلبوا أن تفتح لهم المينا حتى تدخل الزوارق بالاغنام والسمك فقال عقبة لاهل القسطنطينية تعرفون هؤلاء القوم فقالوا انعم

أيها العبد الصالح نعرفهم ونعرف أسماؤهم وأولادهم وكل أهل هذه الجزيرة تحمل إلينا السمك والأغنام لأنها جزيرة ما فى الجزائر خصب منها يقال لها جزيرة الحوت (قال الراوى) فلم يقبل عقبة كلامهم حتى أطلع إلى القوم ونظر إليهم وأنهم ما معهم عدو فلم يلتفت إليهم وأيضا من رائحة السمك لم يقف ورفعت السلاسل وفتح باب المينا ودخلوا البلد والبلد على كل حال محاصر وفيه خلق كثير وجعلوا يشترون من القسطنطينيه من أسلاب القتلى وثياب الديباج وغيرها هذا والبطال صبر إلى أن هدى الظلام واختلط القتام ونام من نام وقد سأل بعض النسوان عن الأميرة ذات الهمة فقالوا هى فى القصر الذى فيه راهب المسيح وكل ليلة يكويها بشحم الخنزير وكذلك الجروح التى معها وأن البطال لما ان كان وقت العشاء دخل إلى القصر هو وغلمانه فى جماعة من يسلم على عقبة لأن الروم ما عادتهم الحجاب والبطال خبير بالقصر وأنه قصد إلى اصطبل تمليخا أم قسطنطين وكان عارفا به إلى أن ذهب من الليل هجعه وخرج هو وغلمانه وفى أوساطهم الخناجر وهم متوكلين على الملك القادر ودخلوا إلى القبة التى فيها القاضى عقبة فنظروا إليه وقد أخرج الأميرة ذات الهمة وهو يعاقبها وهو يقول لها ياعاهرة هذا أوان قتلك وحق المسيح لاحان عليك البغال والحمير هذا وهو يضحك ويقول فى آخر ضحكة أعوذ بالمسيح ومريحنا المعمدان وبدير شمعون الصفا مما أخاف واحذر من طوارق الليل والنهار وصاح بالغلمان وأمرهم أن يخرجوهم على وجوههم إلى البيت الذى هو فيه وكان البيت قريبا منه وخرج الأمير ظالم وقد إلتحم جرحه من تقطير شحم الخنزير إلا أنه فى البلاء العظيم من العقوبة فلما نظر هو الأمير أبو محمد فرح وقال الحمد لله هذا أمر قد تيسر ثم أنه صبر حتى رقد النوام وأطلع الحى العلام فدنا إلى ذلك البيت وفتحه ولم تحس الأميرة إلا وهو قد دخل عليها وقبل يديها فقالت له من الأرض صعدت أو من السماء نزلت فاخبرنى بأمرك فقال ما هذا وقت سؤال ففرحت الأميرة وقطع كتفها وكذلك الأمير ظالم وقد فرح وقال ياأبو محمد ما أخذنى الملعون عقبة الا اغتيال وإلا كان أحقر من أن يصل إلى أو يقدر على وبعد أن التحم جرحى وخلصت بعون الله تعالى لابد أن أقاتل وأبذل المجهود فأنت على ماذا عولت فقال قد عولت على أخذ عقبة فلعله فى موضعه فنأخذه من منامه فقال الأمير ظالم اعلم أنه محترز على نفسه خائف من الطلب وهو فى هذا البيت الذى نحن فيه ولكن ما نعلم مكانه فقال البطال اعلم أنه لما أخرجكم كنت ذلك الوقت مشاهد لفعله وصبرت على فعله وقد أخفيت الغلمان فى ذلك البيت الذى تروه ودخلت اليكما وقد مضى من الليل نصفه ومع ذلك فلابد من مراصدة القبة لعل يخرج منها ثم عطف وصفر لغلمانه فحضروا عنده

كالبرق الخاطف أو السحاب الواكف وكل واحد منهم بيده خنجر امضى من القدر وقام الأمير ظالم والأميرة معه وتقدم إلى القبة فتحوها ثم هجموا فوجدوا عشرة من البطارقة نيام فذبحوهم عن آخرهم هذا والأمير ظالم قد اغتنم فرصة الغفلة من البطال حتى لا يمنعه من السرير ووثب الى السرير فوجد شخصا نائما فقعد على صدره ومكن الخنجر من نحره ومسك دقنه وذبحه من أذنه فالتفت البطال إلى ظالم فوجده قد جم على فريسته والمذبوح يخور فى دمه فرجع عليه باللوم وتمنى أن يكون هو المذبوح وقال له ويلك ياظالم قتلت عقبة بن مصعب وما هذا إلا جهلا منك وغضب البطال غاية الغضب فقالت الأميرة ياأبو محمد امضى فقال ظالم أنا كنت قد أقسمت متى وقع فى يدى قتلته فقال البطال انك ناقص العقل فقالت الأميرة فات ماذبح يا أبا محمد نأخذ رأسه معنا ونصلبه على باب الذهب فاطلبوا بنا النجاة لأنفسنا لأنا لانقدر نفتح البلد وفيه ألف ألف بطريق وما هو صواب ان نخاطر بأنفسنا ونكون قد ألقينا بأيدينا إلى التهلكة ودع عقبة فلا رحم الله صدره ولا بل ثراه الى ان قد استراحت الروم والمسلمين من شره فعندها خرجوا القوم وهم موتى من الفزع والجزع والهلع ورأس عقبة فى يد الامير ظالم وأتى به البطال إلى باب القصر وفتحه بعد ان قتلوا الرجال الذين كانوا عليه ودخلوا فى أزقة البلد وداروا إلى وقت الفجر وفتح باب المينا وخرج البطال وهو أعمى أصم لقتله عقبة وكيف ما اشتفى منه وطلعوا الى المراكب ودفعت بهم الغلمان وطنبت القلوع فخرجوا الى البحر والدنيا بعد غلس وقد وقع الصياح فى بلد القسطنطينية من أربع حنباتها وانقلبت بأهلها فقال البطال لغلمانه قدفوا بالمقاديف ياأولاد العواهر حتى نخرج إلى الشط قبل ان تركب خلفنا المراكب فما هذه النوبة مثل غيرها وماكان يصل إلى الأرض من دمانا قطرة فعند ذلك أجهدوا نفوسهم كما أمرهم البطال وقد نظروا أهل البلد الى ذلك فقدفوا المراكب كالجنائب وكان البحر ذلك اليوم زايد لأن الهواء كان عاصف والأمواج مثل الجبال ترفع المراكب إلى النجوم وتحطها إلى التخوم وقدفت بالمقاديف فلحقت مركب البطال وتكاثرت عليه الرجال وكانوا قد أخذوا عدة المقتولين هنالك أخذ كل واحد بيده حسام ووقفت الأميرة فى المركب على مقدمه وظالم على مؤخره والبحر فى عب عبابه وهم فى قبضة ملك الموت ودارت بهم المراكب وفوقها الرجال مثل السلاهب وقرب منهم مركب خفيف مثل هبوب الريح ونطح مركب البطال فلما نظر ظالم الى ذلك جمع أياله وهمز همزة صار فى وسط المركب كالعقاب الكاسر والطير الطائر وكان فيه أربعين بطريق وكل واحد منهم مثل العتيق فأطبق عليهم وضرب واحد منهم بالسيف على

عاتقه أطلعه يلمع من علائقه ودار واستقبل القوم بصدر مافيه غير الملك المتعال فسقاهم شراب الوبال ولم يكن لهم سبيل إلى الخلاص والانتقال وجال وصال وبلبل الخاطر بضرب يهد الجبال فأرموا أنفسهم إلى تلك الأهوال والأمواج التى تشيب الأطفال وملك المركب وصعد إلى مركب البطال فوجد الأميرة فرغت من المركب التى قدامها وأقلبت أسفله أعلاه وسقتهم المنية كاسها ورجعت الى البطال والعرق قد كلل جبينه وضاقت الأماكن الفسيحة عليه وهو يصيح فلا يجاب ويدعوا بالويل والانتحاب فنزلت الأميرة عليه ونثرت الرؤس نثرا وأبادتهم عشرا عشر ونظروا الباقين إلى ماحل بالموكلين فعولوا على الهرب إلى مينة القسطنطينية (يا سادة) وسمع الأمير عبد الوهاب التكبير فى البحر ورأى تلك المراكب فرجف قلبه وركب الى الساحل فى سادات قومه فوجد الصياح عالى والصراخ نامى وفى القسطنطينية العويل والبكا قد ملأ الخافقين وزعاق وضجيج فبقى الأمير عبدالوهاب حائر (ياساده) ونظر إلى أربعين مركب قد لحقت المركب الذى فيه الأمير أبو محمد البطال وقد قربوا منهم ورموا الحديد على أربعين قامة وبقت المراكب على وجه الماء كانها الخيل على مداود ها تلعب والأميره ذات الهمة قد كبرت وهى تضرب يمينا وشمالا والأمير ظالم كذلك وسمع الأمير عبدالوهاب تكبير الأميره كما ذكرنا فعرف الصـــوت وقال والله هذا تكبير الأميرة ذات الهمة وصوتها وصوت ظالم فحمد الله على ذلك وسمع أيضا صوت أبو محمد البطال وزعقاته فقال والله ما كانت سفرة أبو محمد الا المثل هذه البضاعة وما هذا الا لأمر عجيب وحال غريب هذا والأميره ذات الهمة قد حمت جانب المركب الواحد من عشرين مركب والأمير ظالم (ياسادة) وقد حمى الجانب الآخر وقد انفتح عليه الجرح الذى فى كتفه من كثرة المضارب وظهرت عليه البطارقة وقد أشرفت المركب على الأخذ فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى هذا كله قال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالوا أبطال بنى كلاب والله إن قعدنا عنهم هلكوا وملكوا فقالوا أبطال السودان أيها الأمير فكيف الحيله فى الوصول اليهم والقدوم عليهم وبين أيدينا هذا البحر الذخار الذى نراه كانه يشعل النار فقال الأمير عبد الوهاب أما أنا فلا صبر لى عنهم ولا أترك والدتى وولدى وأحب الناس إلى مهجتى الامير أبو محمد البطال تتحكم فيه سيوف العدا ولا بد لى أن أشرب قبلهم شراب الردا ثم أن الأمير عبد الوهاب قلع ثيابه وبقى بسراويله وأخذ سيفه ودرقته ورمى نفسه إلى البحر فنظر الأمير قراقد إلى ذلك فقال البحر شفاء وأنا أعمل مثل الأمير عبد الوهاب ثم نزع ثيابه وبقى فى سراويله كانه الجاموس

العظيم الذى مابجسده شعر وأخذ بيده سيف وترس ورمى نفسه إلى البحر ورمى الأمير قرقود روحه خلفهم وكذلك الأمير أبو المزاهز والامير ضيغم وسعادة الاسود ومندل وكردم وطمطم وطماطم وسحلفات البحر وأبو الغهب وجودر الصفدى وموقف الحبشى وأبو ضفدعة والاشوص وجراد ومفلح العقل وشاوب الدم وتمام الاربعين أمير من أولاد حام الكرام الضاربين بالحسام الناصرين لدين الاسلام ودين الملك العلام ولم ينزل أحد من بنى كلاب لما رأوا تلك الاهوال هذا والمراكب (ياسادة) فى القتال الشديد الذى ماعليه من مريد وقد أيقنوا بأخذ المركب ولم يكن عند الاميره ولاعند ظالم ولاعند أبو محمد البطال خبر من الامير عبد الوهاب الا كل واحد مشتغل بنفسه وان الامير جعل يصيح طالبا لهم وقد سبق كل السودان ووصل إلى بعض المراكب وتعلق به وصار فى الحال فى وسطه ونادى الله أكبر أنا عبد الوهاب وضرب طولا وعرضا وسقاهم من الموت كاسات أمر مر الصبر ونثر الرؤوس نثرا وأبادهم خمسا وعشرا فقتل من القوم من قتل وأرموا الباقين أرواحهم الى البحر وملك المركب بما فيها من العدد وما أحسوا من فى المركب الثانى إلاوقراقد وقرقود وأبو المزاهز قد صاروا فى مركبهم وعمل الصارم فيهم ونثروا الجماجم نثرا وطلعت باقى السودان فى المراكب كأنهم السلاهب وعملت القواضب وكثر الصياح من كل جانب ونادوا الروم بعضهم لبعض ياويلكم خلوا المراكب فان البحر قد انقلب أمواجه سوذان فاطلبوا النجاة وإلا هلكتم بلا محاله فعند ذلك تخلوا عن مركب أبو محمد وقد قتل منهم خلق كثير وأما المراكب التى ملكتها السودان ما بقى فيها من الروم انسان وقصد الأمير عبد الوهاب المركب الذى فيها أبو محمد وقد قتل منهم خلق كثير ونظر الى الاميرة ذات الهمة وإلى ولده فرمى نفسه عليهم وكذلك فعل بالامير أبو محمد البطال وشكره على فعاله وقال لله درك فقد صار لك على من الايادى مالا أنهض بشكره وساروا حتى وصلوا الى الشط ونزل ظالم وفى يده رأس عقبة بتلك الشيبة الخضراء فقال لهم الامير عبد الوهاب ماهذا الرأس قالوا هذا رأس عقبة فكادت مرارته تنفطر ثم وثب إلى الرأس وجعل ينظر اليه ويتبينه وإذا به صحيح العين وكان عقبة أعور فهدأ روع الأمير عبد الوهاب وقال ماهذا رأس عقبة ألا ترون إلى عينيه صحاح فتقدم أبو محمد وجعل ينظر اليه وقال الحمد لله ماهو رأس اللعين عقبة وأنا ماأردت قتله حتى أشتفى منه ونهتك ستره ونخرب الكنيسة التى فى داره ونصلبه على باب الذهب كما أمرنا سيدنا سيد البتر وعادوا القوم الى الخيام وقد ضاق صدر الأمير ظالم كيف لم يظفر بعقبة وقال ماأقول الا أن هذا شيطان من بنى آدم هذا ماكان (وأما ما كان) من عقبة فانه لما دخل

من القبة وصار فى البيت مخفى ما يهتدى أحد إليه إذ سمع شخير البطارقة لما ذبحوهم فعلم أنه هو المطلوب دونهم فجلس وصبر إلى طلوع الفجر وعلم أن هذا فعل البطال وأنه ما يقيم فى البلد إلى تلك الساعة فصعد إلى البيت فوجد الكل صرعى والشيخ شموط مذبوح على تلك الحالة فضحك وقال لقد سعد شموط بصبغ لحيته ونومه فى مكانى وأظن أن الفاعل به أبو محمد البطال ولقد ظن أبو محمد أننى أنا أنام نومة العرايس على الفرش وما يعلم بأننى أعلم بعقول الأمم وأقلب دول العرب والعجم ثم انه سحب جثة شموط إلى جانب البيت وغسل الدم ورمى ماهناك من الفرش ورد الطابق الذى على البيت وصاح صوتا فأرعب الناس فتبادرت إليه البطارقةوقالوا مالك أيها العبد الصالح قال أعلموا أننى كنت البارحة مع المسيح فى روضة المنافى جرن فى جزا وشمعون الصفا الذى فيها عيسى ومريم وأن شموط نظر إلى ذلك فقال ما بقى فى الدنيا حاجة وأنا أريد العيش السليم وقد أقام مع الحواريون فلما سمعوا الروم ذلك صلبوا على وجوههم وقالوا ياأبونا ما حال المسيح لاخذك وأخذ شموط إلا وقدامكم لصوص المسلمين يدهمون هذا الموضع ويقتلون من فيه فخلصك المسيح من اعدائك فتى نصل نحن إلى هذا المقام وشاع فى البلد قتل البطارقة وسلامة راهب المسيح فخرجوا من القصر ونظروا إلى المراكب الهاربة فى البحر وخرجت إليه المراكب كما ذكرنا وأقبلت الروم على عقبة وقالوا له ياأبونا ما بقى لنا فى الحياة راحة ولا بد لنا من الخروج إلى هؤلاء المسلمين فقال دونكم والباب أخرجوا إليهم فما بقى غير هذه الوقعة وكان قد ورد على قلبه من خلاص الأميرة ذات الهمة وخلاص الأمير ظالم أمر عظيم وفتح باب الذهب وخرجت الناس مثل الجراد المنتشر وقال لهم عقبة من قتل منكم فى هذه البلية بين الصفوف إلا اعداء عبر به المسيح بالليل وأوصله إلى جزائر المنا ومن سلم حمله بالحياة إلى ذلك المكان فما فيهم إلا من رغب أن يكون اما قاتل أو مقتول فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى القوم التفت إلى أبو محمد وقال له ما سبب خروجهم فى هذه الساعة وقد كانوا محصورين قد وصل إليهم نجدة فقال البطال أعلم أيها الأمير أن عقبة الشيطان الرجيم ما كان إلا مختفى فى موضع وكأنه قد خرج بعد الذى حصل منا فى مكانه ولعب بعقول الناس وقال لهم أنا كنت الليلة عند المسيح وعند السيدة مريم ومالى من الوقائع وقد سرقت الجوار من بلاد الروم وفتحت الادبره ولى مثل ذلك كثير فقال له الأمير وما الرأى عندك ياأبا محمد فقال الرأى إن أنت فعلت ما أقول لك عليه تخلصت من كثرتهم ومن قتالهم ولا يضرك ولا يطول مقامك عندهم بلا فائدة فقال الأمير دبر هذه النوبة بفعلك فما فينا من يخالفك فقال له طب نفسا

وقر عينا فاذا حملوا عليك الكفار فاعلم أنهم يقاتلوك قتال ما رأيت مثله قط مما قد شعب رؤسهم الملعون بزوره وبهتانه فاذا حملوا قاتلهم قليل وأطاب الهرب والفرار وأقصد طريق ملطية فهم طامعون فيك من كلام عقبة فلا بد أن يتبعوك إلى الدروب فارجع عليهم فانها تكون نوبة عظيمة ما يصل منهم إلى البلد أحد فقال الأمير عبد الوهاب نعم ما رأيت ياأبا محمد (قال الراوى) واصطفت الجيشان وتصادمت الجمعان وتقابلت الأبطال وكان يوم مشهود يشيب لهوله الطفل المولود فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى الروم وقد أطبقوا على أصحابه عندها رد عنان جواده منهزما وولى هاربا ولما رأوا بنى كلاب ذلك ولو امنهزمين خلفه وتبعتهم السودان وصاحت بهم الروم وقد طمعت والقلوب ترجف من هول تلك الساعة وقد شقيت والدموع وقد كفت والروم خلفهم طالبين وقد أيقنوا أنهم منهزمين فتبعوهم فى ذلك العالم وقد أوسع الأمير فى الهرب وجدوا الروم خلفه فى الطاب إلى وقت الظهر ثم رجع الأمير عبد الوهاب فى سادات بنى كلاب والسودان الأنجاب وقد كشف رأسه وقال يابنى الأعمام لهذا اليوم تدخر النفوس فعند ذلك تجارت العربان والسودان وصاح دونكم هؤلاء اللئام واصبروا صبر الكرام وقاتلوا بالحسام فى طاعة الملك العلام فرجعوا سادات بنى كلاب كأنهم أسود الغاب وتبعتهم السودان الأنجاب فأشبعوا الروم طعنا وضربا (قال الراوى) فلما نظرت الروم إلى القوم وقد عطفوا عليهم مثل السباع قال قائلهم ويلكم إن القوم قد استخرجوكم وأنتم قد بعدتم عن البلد فارجعوا وإلا ما بقى منكم أحد (قال) فانهزم القوم وعملت الرماح فى ظهورهم حتى مزقت الصدور ومع بنى كلاب خيل كأنها النعام فلاوأبيك مازال السيف يعمل طول النهار إلى الليل وتفرقت البطارقة ذات اليمين وذات الشمال فما وصلوا إلى القسطنطونية إلا وقد قتل منهم مائة ألف بطريق أو يزيدون لأن أصحاب الأمير خمسين ألف ما فيهم إلا من قتل الواحد والأثنين والثلاثة وكذلك أصحاب الملك ميخائيل فلما نظر عقبة إلى ذلك فزع من مز فتح الباب وكان بالليل فخاف من ذلك خوفا من أن يدخل منهم أحد من أصحاب الأمير عبد الوهاب فيملكون الباب (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل طول الليل إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد فاضت الدما على البطاح وأمتلأت الأرض من القتلا والأشباح فعند ذلك اندعوا منهزمين على وجوههم فما أصبحوا الا والأمير عبد الوهاب قد ملك العدد والاسلاب مالا يحدولا يعد (قال الراوى) ياسادة ونظرت أهل المدينة الى تلك العساكر قد انهزمت فقالوا ازلم نصيح ميخائيل يامنصور والاما يكون لنا نجاة ولامنجأ من هؤلاء القوم يسفكون دماءنا ولا يبقى منا راهب ولا قسيس ولا راهب المسيح

فصاح القوم عن بكرة أبيهم ميخائيل يامنصور وارتفع الصياح عند الصباح ودنوا إلى باب المدينة وهو باب الذهب وكسروا الاقفال وفتحوه ودخل الملك ميخائيل والامير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب وهم لايصدقون بذلك لان الظفر عظيم مع حملتهم على ذلك العسكر العظيم ولم يكن البطال له شغل إلا أنه خلف باب الذهب وامر ان لا يفتح باب من ابواب البلد وقال للأمير عبد الوهاب معلوم أن عقبة ماخرج من البلد والبلد قد غلقناه والموضع فقد رميناه بالرجال والابطال والملك ميخائيل بقى فى قبضتنا مايقدر يتكلم كلمة واحدة بسببه وقد عنى به الزمان وقدجرى لناماجرى بيننا وبينه وقد فعلنا فى حقه مافعلنا وقدملكناه سرير ملكه والآن نلزم الباب (قال الراوى) ياسادة فعندذلك توكل الامير عبدالوهاب بباب البلد وأقلبوا أول البلد وآخره وفتشوا القصر وجميع المواضع على عقبة فلم يجدوه فقال البطال ما هذا إلا شيطان فى صورة إنسان (قال الراوى) وكان عقبة لكثرة ماحضر من الحروب وشاهد من الخطوب قد عرف غوائلها ولما التقى الأمير عبد الوهاب مع الروم بان له رجحان الإيمان على أهل الكفر والطغيان وعلم أن الأمور تؤل إلى الهلاك وانه إذا أقام هلك فلم يكن له إلا أن أقبل على عشرين بطريق من المغلبيط وقال لهم اعلموا اننى لم أقاتل هؤلاء المسلمين إلا لأمر من الأمور وانى قد عولت أن أنزل فى بعض هذه المراكب إلى جزيرة المنا التى فيها شمعون الصفا وأصحاب مريم وعيسى وعندهم قد غدا صاحبكم شموط أخذ عندهم آية من الآيات ومعجزة من المعجزات يقهر هؤلاء المسلمين فمن كان منكم معول يأتى معى يرى المسيح فى يومه هذا فليفعل ويتبعنى (قال الراوى) ياسادة فلما سمعوا القوم ذلك باسوا الأرض بين يديه وقالوا متى يكون رجوعنا قال فى هذه الليلة لأننى لا يمكننى المقام لأجل هذه الحروب فقالوا العشرين بطريق كلنا نروح فى خدمتك إلى أين أنت قاصد قال إلى جزيرة فرغان بن مقرب وكانت هذه الجزيرة فى وسط البحر وفيها عشرين راهب فى عشرين صومعة من قديم الزمان وكانوا الناس يحملون اليهم من القسطنطونية النذور وغيرهم ويعظمون ذلك الموضع فقالت البطارقة لعقبة أيها العبد الصالح إذا نحن وصلنا اليها وقدمنا عليها ما نصنع فقال سوف أكشف لكم عن أبصاركم وترون الجزيرة التى ذكرتها لكم وهى من الياقوت الأحمر وفيها لعب من الجوهر والزبرجد الأخضر لا يراها أحد إلا صفا وحار وصار ذا أهل الوفا (قال الراوى) وساروا القوم طالبين الجزيرة طول النهار إلى وقت المسا والتصقوا إلى الجزيرة التى فيها الرهبان فعندها وثب عقبة إلى قربة الماء وأخذ قدحا من الزجاج وملاه من مائها وقال لأحدهم انزل فى هذا البحر حتى تطهر من هذه الدنيا وتعالى اشرب من هذا الماء وارمى روحك إلى المركب

ساعة فانه سوف يقع عليك النوم فما تفتح عينك حتى ترى الجزيرة التى ذكرتها فعمل ذلك البطريق ما قال واغتسل وشرب الماء وقد قلع الله عنه ثوب الحياة والعافية ووقع إلى الأرض لساعته وجعل عتبة يفعل ذلك بواحد بعد واحد ويمزج من ذلك الماء بالدواء المسموم حتى ماتوا الكل عن بكرة أبيهم وراحوا إلى سقر وشربوا كاسا أدهى وأمر فقال عتبة الحمد للمسيح لأننى علمت اننى قد نجوت ولم يعلم بى أحد ولا يتبعنى ولا يكيدنى ثم ان عتبة نزل من المركب إلى الجزيرة وقطع الحبل المشكوك إلى الشجرة بعد ان لبس السواد من ثياب الرهبان وغير تلك الصفة التى كان فيها ونصب قامته ولما قطع الحبل الذى للمركب أتت الرياح وضربت المركب فى لجج البحار وهى تمر مر السحاب ومشى عتبة فى الجزيرة قدر نصف فرسخ الى أن وصل إلى الصوامع نصف الليل والقناديل فى الصوامع تلمع وتسرج وفيها شيوخ وشباب مترهبين لا ينامون فى الليل ولا يفطرون النهار إلا أن علمهم كما قال الله تعالى وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ثم ان عتبة قصد الى بعض المواضع فسمعه بعض الرهبان وهو يترنم بالإنجيل وكان عتبة طيب النغمة كما قد ذكرنا وقد فتح حلقا شجيا نديا منتهيا وقرأ الإنجيل كما ذكرنا فكاد كل راهب يصرع فى موضعه (قال الراوى) وتقدم عتبة الى الصومعة الثانية والثالثة والرابعة ولم يزل كذلك الى أن طاف للعشرين صومعة ومضى فاختبى فى جانب الجزيرة حتى أصبح الصباح وأشرفت الرهبان من رؤس القلايا والصوامع وقالوا لبعضهم هل سمعتم ماسمعنا قالوا ما فينا الا من قد سمع الإنجيل ومعلوم اننا فى وسط البحر وما لأحد علينا طريق إلا فى كل سنة يوما واحدا وقد عرفوا الناس هذا من طول الايام وقديم الزمان وما هذا إلا المسيح عبر بنا فى هذه الليلة اما ماسمعتم طيب تلك النغمة وحسن تلك التلاوة لانه أطلع على صدق أسرارنا وجودة صبرنا على هذا الانقطاع عن المخلوقين (قال الراوى) ياسادة هذا وان عتبة صبر الى وقت الظلام وخرج على حسب العادة الاولى وجعل يتلو الإنجيل ويبكى فأشرفوا عليه وقالوا له ياهذا الا ماظهرت لنا بحق ماتتلوه من الإنجيل حتى نعدل اليك ونقرأ الإنجيل عليك ونزداد أيضاً من بركاتك فقال عتبة ها أنامقيم على بركة المسيح فعند ذلك نزلوا الرهبان وفى أيديهم الشموع فلما نظروا الى هيئته جعلوا يقبلون الارض بين يديه وهو يكلم كل واحد منهم بلغته ويعظمهم وهم يبكون على فعالهم لانهم من أولاد الملوك القدماء الذين زهدوا فى الملك فقال لهم عتبة لاتبكون واعلموا انكم من خيار الناس وأحب الى المسيح لانى أقمت فى بعض الجزائر هكذا مثلكم مدة من السنين وضاق صدرى فسألت السيد المسيح

أن ينقلني الى أحب الخلق اليه كيما آنس بهم فنقاني اليكم وقال لى قم الى أحب الناس الى وهم على النصرانية وقبلة الشريعة المسيحية فكن معهم ثم أخذ بيدى وطرحنى البارحة أمس عندكم ففرحوا بذلك وأقام الملعون عقبة عندهم يعلمهم شرائعهم ويقرئهم الانجيل وصار يعلم القوم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ماجرى من عقبة (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما ملك البلد أقبل على الملك ميخائيل وقال له الآن رد الله عليك ملكك وهى القسطنطونية وملك الملعون كوشانوش ولى عليك أن تحمل الأموال إلى ملطية وما بينك وبين المأمون بالله معاملة والصلح بينى وبينك مقيم واعلم ان عقبة وحق محمد المصطفى هو الذى عمل هذه الفتن كلها وماهرب إلا حتى لاتقع عينك عليه لأنه متى وقع فى يدى صلبته على باب الذهب من غير ممانعة ولامدافعة فقال له الملك ميخائيل لو طلبت ولدى تفعل به مهما أردت وحق المسيح مامنعتك عنه فى مقابلة ما فعلته معى من الجميل وأوليتنى من من التفصيل ولك على المال الذى كنت أحمله الى الخليفة فى كل عام وهدايا أفضل من ذلك ولكن أريد أن تمن بأفضالك على وتتم ذلك بالأمير حرب بن شيبان فهو مقدم المتنصره فقال الأمير عبد الوهاب ماعندى له خبر فقالت الأميره ذات الهمة يلى أيها الأمير أنا أخذته وهو فى آمد وعلى أرسله اليك وحق ذمة العرب لاحلت عن قولى فطاب قلب الملك ميخائيل وأخلع عن الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمه وعلى كل الأمراء وأعطاهم الأموال والهدايا والتحف ماعجزت عن حمله البغال والجمال (قال الراوى) ثم أن الملعون شومدرس دنا من الملك ميخائيل وقال له أيها الملك لاعيش لخائف وأنا خائف طول دهرى أنا وزوجتى شوما وما خلصت من ملطية إلا بعد ما كنت آيس منها وأنا أشتهى أن أصطلح أنا والأمير أبو محمد البطال على أننى أحلف بالانجيل ماأتعرض له يوما من الأيام قط ويعطينى الأمان ويعطى الراهبه شوما أيضا كذلك (قال الراوى) ياسادة فضحك الملك ميخائيل وأعاد القصة على الأمير أبو محمد البطال فقال الأمير أبو محمد ان فى قلبى أمور لابد من انجازها وعلى يمين اننى لابد ان أسحب الملعونة شوما بكعبها مثل رأس الغنم فقال الملعون شومدرس معلوم انك الساعة هذه ما تقدر عليها والكريم يصون الحريم ومافى هذا الكلام الذى تقوله صواب وأنا أطلب منك الصلح على أنك عارف بى وبها ولك على حق الصلح عشرة آلاف دينار رومى مدفونة عندى فى القسطنطينية أسلمها اليك ويكون العهد بيننا إلى مدة خمس سنين ولاتتعرض لى ولا لها فقام الأمير أبو محمد البطال لما سمع بذكر المال لانت عروقه فقال نعم ولعمرى ما أنت إلا رجل ماتؤذى وكذلك زوجتك والكلام يجرى بين الناس وماعندى أنت إلا كريم الأصل والعقل فضحك الأمير عبد الوهاب وقال

ماأخرجَ البرطيل إلارجل حكيم (قال الراوى) ثم أن الملك ميخائيل أصلح بين الأمير أبو محمد البطال وبين الراهب شومدرس وعول الأمير عبد الوهاب على الرحيل إلى ملطية والأمير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم وبنى كلاب والسودان والأنجاب وقد أخذوا التابوت الذى فيه الأمير ابراهيم ولد الأمير عبد الوهاب المجاهد فى سبيل الله الصائم القائم وخرج الملك ميخائيل لوداعهم وسائر ملوك الروم يوما كاملا (قال الراوى) ياسادة فلما رجع الملك ميخائيل أقبل الأمير أبو محمد البطال على الأمير عبد الوهاب وقال له أيها الأمير اعلم ان فى قلبى نيران لاتطفى وأمور لاتخفى ونسير إلى ملطية ويكون عقبة قد قتل منا من قتل وأسر منا من أسر ويسلم الملعون فى هذه النوبة ومانؤثر فيه أثر وهذا مالايتم على فقال الأمير عبد الوهاب وماالذى تفعل وهذا الملعون مانعرف له مكان فقال الأمير أبو محمد البطال لابد مايظهر لاسيما اذارجعت أنت ويسمع برجوعك إلى ملطية وأنا الذى لاأتبعكم وبالله لاخرجت من بلاد الروم حتى آخذ عقبة فأنت ايش نيتك ياأمير فقال إلى ملطية ولا أرجع إلى الخليفة ولا إلى غيره وان كان الأمير عمرو يطلب المقام فى ملطية فما أمنعه فاننى أرعى له العهد القديم من الآباء والاجداد وان لم يفعل ذلك فالامر اليه وان طلب المأمون منى ملطية قلت له ان كنت امام المسلمين اسكت عنها وان طلبت القتال وأحوجتنى أن أخلع العذار فما يكون لنا خليفة غير القرآن المجيد ولانخرج عن أحكامه ولانريد عن حلاله وحرامه ووعده ووعيده وزجره ووعظه نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونقيم الحدود ونطلب القرب من أقطار الحجاز لأن العز باقى فى سيوفهم وأبذل لهم الأموال التى آخذها كل سنة من ميخائيل وهى ستمائة ألف دينار وهدية ثياب وأقدم له ولدى ظالم على سائر العساكر والبس الصوف وانقطع فى مسجد فقد فنى عمرى وخدمت من لايرعى لى خدمة ولايعرف لى حرمة ولو انفردت إلى خدمة الله تعالى سنة من الزمان لوجدت منه الأمان من النيران فما يقطع قلبى إلاخوفى من ربى لان الموت قد قرب وطريقى بعد المسير بعيد وزادى قليل وقلبى عليل وقد أذن الرحيل وقد شدت نياق التحويل وعبروا الأصحاب بأعمالهم وبقى ظهرى ثقيل وما يبقى بعد كل شىء الا الملك الجليل ثم بكا الأمير عبدالوهاب وبكت الأميرة ذات الهمة وقالت يابنى أمك أولى بالبكاء منك لأن لها أعمال لاترضاها لنفسها فكيف لربها ثم قالت والله ياولدى ماكنت أخترع الوقائع وأخوف المعامع الاطلبا للجهاد فى طاعة الله فهو أصلح لك فما وفالك احد من الخلفاء حتى يفى لك المأمون وأنا أيضا أفعل مثل فعالك فودعهم الأمير أبو محمد وهو يبكى لفراق الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمه وهو ينادى وقد رفع طرفه إلى السماء وناى يارب البيت الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام لاتحشرنى يوم

القيامة الا مع الأميره والأمير وقال والله لا أتزهد حتى أسلخ عقبه وبعدها مالى فى الدينا حاجة إلا لقاكم ثم أخذ غلمانه وكلما يحتاج اليه من حوائج حيله وطلب قرية البترك وهى من كبار قرى القسطنطونيه وفيها عالم عظيم وأقام هناك يتنسم الأخبار ويقفوا الآثار وسار الأمير عبد الوهاب حتى وصل الى ملطية وهى خالية وقد أشرفت بنى سليم وأولادهم ونساءهم فلما نظروا إلى الوطن بكوا من فرط الفرح بالعوده اليه ودخلو بنى كلاب ومعهم الرجال والأموال وأرسلوا الأمير عبدالوهاب إلى آمد إلى ميمون الجماس يأمره ان يسير نساءهم ورجالهم الى ملطيه ويعرفه بما فتح الله على يديه من الظفر والنصر والغنائم وان يطلق حرب بن شيبان ويرسله إلى القسطنطونية فلما وصل الرسول إلى ميمون الجماس فرح بذلك فرحا شديدا وسارت الأميره علوى وهى مشتاقه إلى الأمير إبراهيم وكان محبوبا إلى قلبها لاينقطع ذكره عن لسانها ولم ترزق من الأمير عبد الوهاب غيره وكان ريحانة قلبها فما كانت صورته تغيب عن عينها حتى إذا وصلت إلى ملطية وجدوا بنى كلاب والسودان الانجاب قد ملكوا الأماكن ومعهم الأموال والرجال والجوار الروميات حتى ضاق منهم الفضا وسدوا البيدا وشرعوا فى اعادة ماخرب من ملطية وعادت أعمر ما كانت (قال الراوى) فلما قدمت الأميره علوى إلى دارها والتقت بالأمير عبد الوهاب واعتنقتها وادارت عينها ذات اليمين وذات اليسار فلم ترى ولدها ابراهيم فقالت واين ولدى وحشاشة كبدى أيها الأمير فبكا لقولها فصاحت ومسكت بيديها احشائها وقد أحس قلبها بالفراق وحانت منها التفاته فنظرت التابوت فمالت اليه فأخبرها الأمير بالحال فأرمت روحها اليه وصاحت وصرخت ونادت واحبيباه ياولدى ماهذه عادتك إذاقدمت من غزاتك اين محبتك وشوقك إلى ياواحد أمه ياابن المنقطعه ياغريب عن وطنه ياقتيل الغربة ياجديل الوقعة ثم أنت وحنت وبكت وأنشدت تقول

آلا لا يلمنى عاتب وعذول ... فقلبي مريض والفؤاد عليـــل
وشوقى نيران وعقلى مؤول ... وعيشى مذموم لديه عليل
وكيف يلذا العيش من بعدما اتى ... حبيبى إبراهيم وهو قتيل
فيا واحدى بالله الا اجبتنى ... ورق لقابى فى الأنام كليل
يعز علىّ أن نظرت لمقلتى ... خيول عليها فى الهياج فحول
وكنت إذا ماجئت من بعد غزوة ... تبشرنى دارى بكم وطلول
وقد اصحت دارى عليم حزينة ... ولى فى أثرها زفرة وعويل

لقد كنت صوام النهار مراقبا ... وليلك قوام وأنت نحيل
فياقاتل ابراهيم إلا رحمتني ... فمالى سواه مؤنس وخليل
ألا فاكشفوا تابوته كى أضمه ... فمالى إلى صبر عليه سبيل
ألا وأخبرونى هل تخضب عارضا ... له بدم الاوداج وهو جديل

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انقطع خاطرها لما وصلت إلى هذه البيت وقالت عليك سلام الله ياإبراهيم ووقعت إلى الارض مغشيا عليها ولا بقى طرفا إلا وبكى ولا قلبا إلا أقلقته ولافؤاد إلا أحرقته فلماأفاقت وكان الأمير أمر أن يرفع التابوت عنها وما أفاقت الأميره علوى الا وقد دفن فى ملطية على يمين الباب الشرقى وبنيت عليه قبة عظيمه وانقطعت الأميره علوى إلى مجاورة قبره وقدأقام الامير عبدالوهاب للعزاء ثمانية عشر يوما وهلبت الخيل وكسرت السيوف والرماح وحزنوا بنى كلاب نواصيهم وكذلك السودان أقاموا بالبكاء والنحيب على قبره وكان موت الامير إبراهيم ودفنه فى مشهد عظيم وذبح الامير عبدالوهاب الذبائح وعقر الخيل وكذلك الامير عمر وبن عبيد الله وأكلوا الناس وأطعموا الفقراء والمساكين وتصدقوا على قبره بأموال تعجزعنها الالسن فبينما هم كذلك واذا بالحجاب قد أتت ومعها الكتب من المأمون إلى الامير عبد الوهاب فلما وقف عليها قال والله لولا انكم رسل لضربت رقابكم ثم التفت إلى الاميرة وقال من يلومنى على مصالحة ملك الروم فقالت أيها الامير ما الذى أتاك من الاخبار فقال سوف يكون هذا سبب سفك الدماء وارمال النساء فقالت اعلمنى ياولدى ماالخبر حتى أشير عليك بماتراه (قال ياسادة) فأرمى اليها بعض الكتب وإذا فيه (أما بعد) أيها الامير الخطير الحمد لله على ماأولاك من الظفر بأعداك وذلك بحسن صبرك وجزيل رأيك ولقد نلت عند الله المنزلة العالية بقتلك كوشانوش ونلت الثواب العظيم يوم تكون الجبال كالعهن المنفوش ومع ذلك فانى لما خرج كوشانوش إلى العراق كانت طريق خراسان مسدودة بالثلج فماقدرت العساكر يظهر فتم له ماتم لانقطاع العساكر عنى وقتل وزيرى أحمد بن سهل وقد نصبت مكانه أخوه ذو العلمين وجمال الدولتين فى موضع الوزارة وقد وصل الينا الخبر بما قد وصل اليك من الاموال والرجال ولنا منه الخمس ونريد خط ميخائيل على حمل المال الينا فى كل عام وان أبى فسوف أرميه وتربة الرشيد بعساكر أولها عنده فى البلاد وآخرها يأخذون الزاد من بغداد وقد انفقت جميع المال فى قتال كوشانوش وقد جمعت الرجال من الآفاق وأنا أريد منكم الساعة الاموال التى هى من ميخائيل والخمس مماوصل معك فقد وصل الى الجاسوس وأخبرنى بأن الطمع ألقى قولن زينة ابليس

من عينيك وصالحت ملك الروم على أنه يحمل الاموال اليك وهذا مالا أرضاه لك ولا أصدقه منك فان كان ذلك بحقيق وذلك يؤول إلى الصدق فاستعد للحرب جلبابا وللمسألة جوابا فانى سائر اليك بعسكر قد ملأت الآفاق من شام وعراق وإن أنت أرسلت مالنا عندك من الأموال وكاتبت ملك الروم أن يعود إلى ما كان عليه من حمله المال الينا فأنت عندنا فى أعز مكان ولا ترجع إلى قول حاسد ولا تصغى إلى قول معاند والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى وتقرب إلى قلوب بنى عم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما وقفت الأميرة على الكتاب قالت اعلم أيها الأمير انى قد ضجرت من الحرب وماأريد قتال المسلمين والصواب انى أكتب اليه كتاب وأذكر فيه كلام وخطاب فان رضى به وبما فيه فهو الذى نريد والا فليصنع بعد ذلك مايريد ثم أحضرت دواة وقرطاس وكتبت إلى المأمون بخط يدها تقول فى أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (أما بعد) أطال الله عز مولانا الامام ابن الامام الصوام القوام صاحب البردة والحسام الذى اختاره الله للمسلمين امام الزاهد العابد المجاهد أدام الله عزه وخذل ضده ثم دعت له فى الكتاب وقالت فى عقيب رعائها ياأمير المؤمنين ان الأموال والرجال الذين لولاهم كان كوشانوش استولى على بلادك وسبى حريمك وقتل أولادك وغير عليك مرادك وأشمت بك أعاديك وحسادك وأيضاً أيها المولى أنت تعلم أن القوم كانوا انهزموا بين يديك من البصره والذى وقع لعبد الوهاب جمع به الرجال يكونوا برسم القتال لانك تعلم ان هذه النوبة التى أردت قبضه فيها وقتل عشرة آلاف فارس ولهم معك بين يدى الله وقفة طويلة وكنت قد ذهبت دولتك وزالت نعمتك ومهجتك فوافقناك وبلغناك مناك وأما قاضيك الذى هو ركن الاسلام عقبة فقدشهد عليه الملك ميخائيل وجميع أهل دولته بالكفر والتعطيل وأحسب ياأمير المؤمنين انما نحن فى الدنيا ودعنا فى ملطية فى وجوه الكفره لالك ولا عليك ولا تلح علينا فيخرج الأمر من يديك ويدينا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كتبت الأميرة ذات الهمة وقرأه الأمير عبد الوهاب فأعجبه مافيه من الخطاب وأقامت الأميرة تنتظر رد الجواب ووصلت الكتب الى العراق ووقف عليها المأمون ورماها الى الوزير ذو العلمين الحسن سهل وقال له ماتقول فى هذا الكتاب فقال الوزير ياأمير المؤمنين ان الصدق أفضل الأشياء وأعلاها وأجمل الأقوال وأبهاها ومانصبتنى لك وزير الاحتى أقول لك مافيه الصواب لتعمل عليل ومافيه الخطاب اعلم أن دولة بنى العباس ماكان سبب سعادتها الابالأمير المهاب والفارس الوثاب الاجل عبد الوهاب وله الخدم القديمة والأفعال

العميمة وبعد ذلك مافيكم من يرعاها وعرف قدره وما عملت معه فى هذه الأيام مكرمة أردت القبض عليه سلط الله عليك وقد قتل من سودانه من قدعلته من الأبطال وهلكوا طائفة البررة وقد كان منهم رجال وأشرفت أنت على الهلاك وقتل أخى فى محبتك ورضاك ولا تقل كوشانوش هو الذى فعل وصنع فلوكان عبد الوهاب فى ركابك لم يقدر كوشانوش يعبر ملطية والا فقد خلص الآمير وأصحابه من فم الآسد بعد ما قاسوا مالا قاساه أحد وقد رضوا بالمقام فى تلك البلد والرأى عندى ترسل لهم التشاريف والخلع والخيل والجنايب والسيوف والمراكب فوالله لانشأ لك مثل عبد الوهاب أبدا فلا تخوفهم بوزن الأموال وسير الرحال ودعهم يكونوا فى الثغور يحاموا عن دين الاسلام والملك الغفور حتى تتم لك الأمور وتبقى ماعشت مؤيدا منصورا فلا أفلحت دولة يكون عبد الوهاب لها مناويا وقد علمت منزلة من يكون لها معافيا فانه محامى عن دين الله مجاهد فى سبيل الله فدع عنك يا أمـــير المؤمنين الردى واطلب طريق الرشد والهدى والا فسوف تسأل فكيف الاعتذار بين يدى الله غدا وقد نصحتك ورأيك أعلا فلما سمع المأمون ذلك من كلامه علم أنه صواب وقال له بلين الخطاب ماأظن أن عبدالوهاب يرجع الى طاعتى بعد هذه النوبة التى جرت عليه بسبب حركتى وقتل ولده إبراهيم فى ذلك الموقف العظيم فقال له الوزير يا أمير المؤمنين أنا أقدر بعون الله أن أفعل فعلا يكون فيه الصلاح ولا تعرف رجوعه الى الطاعة الا منى لانه كريم الحسب والنسب من أشرف العرب لايعمل معه الغضب فقال المأمون كذلك ففتح ذو العلمين الوزير الخزائن وجمع الهدايا والخلع والرايات مالا يقع عليه أحد بعدد الرمل والحصى لسائر بنى كلاب والسودان الانجاب وكذلك لامير الروم البطليموس والكندفرون والخيل والنخافيف وكتب إلى الامير عبد الوهاب يستعطفه ويعزيه فى ولده ويذكر له ماجرى مع المأمون من كلامه والضمان الذى ضمنه وانه بعدذلك يكون عند الخليفة فى الامكان وهم الوزير أن يرسل الكتاب وإذا بغلام قد خرج من دار السيدة زبيدة إلى الوزير وباس الأرض وقال يامولانا معلوم ان القاضى عقبة فقيه المسلمين ماله من أميال عند الروم وهى ما تلزمك فيه بشىء بل تشتريه بمالها وتبغى بذلك مرضاة الله تعالى فلما سمع المأمون ذلك من السيدة زبيدة قال سمعا وطاعة فلك أن أسال الأمير عبد الوهاب عنه (ياسادة) وسير الخلع والتشاريف إلى ملطيه مع ولد الوزير وكان ولد نفيس فاضل أديب ماجد ووصل كتاب الطائر إلى ملطيه قبل ذلك وقد انتظرت الأميرة والأمير لقدومه وركبوا إلى لقائه لما بلغهم من كلام أبيه فى حقهم (قال الراوى) ياسادة

باكرام ووصل طاهر بن الوزير بتلك الخلع والتشاريف وغير ذلك وكان الذى وصل
إلى ملطيه من المال مائة ألف دينار بصناديقها سوى الخيل والرايات والهدايا ولبس الأمير
الخلعة وكذلك الأميرة وأمراء بنى كلاب والسودان الأنجاب ومن يلوذ بالأمير من
الإخوان والأصحاب وانتظروا بنى سليم الخلع فما كان لهم فيها نصيب فدخل الفهار الجهال
إلى عمرو بن عبيد الله وقالوا له ماترى ان الخليفة ما ذكرنا مع من ذكر فقال عمرو
دعواءكم لطامع ولاترجعون إلى حسد هؤلاء القوم فقد عملتم معهم كل قبيح وقابلوكم بالجميل
(ياسادة) وأما الامير عبد الوهاب فانه قال للأميرة ماتقولين يا أماه فقالت يابنى لا تخيب
ظن الوزير فانه قد أحسن الظن فيك ولعل الله قد أخلف لنا عوض الوزير جعفر البرمكى
رحمه الله فأجاب الأمير بالسمع والطاعة والخدمة وقال مضى مامضى وأنا العبد والخادم
وكان قدمنع خطبة المأمون فعاد خطب له ثم ان طاهر بن الوزير قد عول على الانصراف
فأقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له هذا كتاب السيدة زبيدة اليك وهذا كتاب المأمون
وهم يسألوك عن القاضى عقبة وهو يقول معلوم ان الرجل كان معنا مأسور فى بلد الروم
ومع ذلك فما عندى الله منه خبر ولنا أسوة بأخى وصاحبى البطال وماعندى منه خبر
وسوف أرسل إلى بلد الروم وأسأل عن ذلك ورجع ولد الوزير إلى العراق هذا جرى
من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه أقام فى قرية البترك شهرين
لم يسمع لعقبة خبر ولا وقف له على أثر فلما كان فى بعض الأيام نظر إلى قوم من أهل
القرية طرحوا فى البحر عشر مراكب كبار وملؤها غلة وعسل وخمر وزيت فتقدم أبو
محمد إلى رجل منهم وقال الى أين تريد هذه المراكب فقال الى جزيرة الرهبان ووصف
له حديثها وكان أبو محمد البطال قعد فى هذه القرية متزيى بزيهم على صفة الأرمن وعليه
لحية بيضاء قد هندمها وأتقنها بشىء لايهتدى اليه إبليس ولا يقدر عليه راهب ولا قسيس
وقد ترك غلمانه كصفته ولا سيما لؤلؤ كان يشبهه بكل نوع وباقى الغلمان يلاحقونه بالمكر
والحيل فقال أبو محمد فهل يمضى إلى هذه الجزيرة سواكم فقال أقل مايكون فى هذه
الجزيرة ألف ألف مركب من سائر بلاد الروم فقال أبو محمد البطال ان صدقنى حذرى
ان كان عقبة الا فيها ثم انه أخذ معه كلما يحتاج اليه من آلة الحيل والمكر ومن المسك
والعود والشمع والثياب ووضعه فى بعض المراكب وأقلع من يوم الخميس فأصبح يوم
الجمعة وقد اصطفت المراكب وطلع كلها على الجزيرة ونزلت الناس من المراكب وحملت
النذور وان أبو محمد قال والله لقد رأيت من الأموال والرجال والزادمالا عين رأت
ولا أذن سمعت ثم قال والله ماوطئت هذا الموضع وأخاف أن عقبة ماخفيت أخباره

فى بلد الروم إلا وهو فى هذا الموضع وماجئت الى هاهنا الا لامور إما أراها هنا وأظفر بالشيخ السوء عقبة لأن الناس على ماقيل ان من يقيم ههنا مايمضى الى العام الآتى فاتركوا من ينزل على سبيل الخفية ويكشف خبر هذه الجزيرة وأهلها فقال لؤلؤ أنت يامولاى مالها سواك فقال مالها غيرى ثم وثب وأشرف مع الناس على الموضع وقد أخذ معه شيء من الزاد وشمع وزيت وجعل يفرق على الرهبان ونظر إلى صومعة وقد أحدقت بها الناس من كل جانب فسأل عنها فقالوا أن راهب وصل إلينا وقد عول على الرهبانية عندنا وأعادوا عليه الحديث فسار أبو محمد وجعل يستتر بالأحجار الصوامع خوفا من عقبة حتى وصل قريبا منه فوجد عقبة قد كبر أردانه وأرخى طيلسانه وجعل أكمامه على فخذيه مرميه وقد مشط لحيته وهو يتلو الإنجيل بأحسن الألحان وأطيب الأشجان وقد رمت القسوس والرهبان خدودها على التراب يطلبون العفو من رب الأرباب وهو يقول قال المسيح قالت السيدة مريم فعند ذلك رجع أبو محمد على أثره إلى أن وصل إلى غلمانه وهو على غاية المسرة وقال هذا الذى أريد فقالوا له غلمانه ما الذى رأيت فقال عقبة ها هنا وقد صار مقدم القوم وهذه النذور كلها تحمل اليه وأعطيته شمعة وهى أيشم شمعة وقعت فى يده فى هذه السنة فياعجباه الذى ماعرفنى ولا تميز فى وجهى ولا أظنه الا أمن طلبى له فالحمد لله على ذلك وجعل يترقب الليل حتى يأتى فلما جن الليل وثب قائما ومشى صوب الصومعة التى فيها عقبة وكانت مبنية من الصخر الأسود ذكر فى أنثى ولها باب من الحديد ولا سبيل إلى دخولها ولا طريق عليها ولا نقب ينقب ولا لأحد عليها سبيل فرجع أبو محمد إلى غلمانه وقال أما الليلة فمالنا إليه وصول لأن الملعون محترز فى السفر والحضر كذلك فى النهار وعزة الله لارجعت من هـــذه الجزيرة بعد هذا التعب إلا به ولابد أن يطول على المقام فى هذه الديار ولو بقيت ههنا عمر النسور كله فاما ان أظفر بمنائى وأما أن أموت بدائى وأقام الأمير أبو محمد كذلك ثلاثه أيام إلى ليلة الأحد وقد أيس من الوصول إليه فجمع غلمانه اليه وقال لهم قد عولت على المقام ههنا حتى أصل إلى ما أريد أو يملكنى هذا الشيطان المريد فهو معهم فى هذا الكلام وإذا براهب نزل من بعض الصوامع ومعه رهبان فالراهب الأول شيخ مليح وهو حلو اللسان ووراءه وقد كانوا عند القاضى عقبة فى الصومعة التى وصفناها ولم يزل ماشى إلى أن وصل إلى أن وصل إلى المركب التى فيهـــا أبو محمد البطال وغلمانه فوقف هنالك وقالوا الاثنين الآخرين هذاهو المركب بعينه فأنكر ابو محمد هذا الأمر وقال لغلمانه مامعنى هذا الكلام فقالوا ما يعلم السراير إلا الله تعالى فقال الأمير أبو محمد البطال والله ما هذا إلا أمر

عظيم ولقد رأيته الساعة وهو خارج من الصومعة التي فيها عقبه لعنه الله ووقف ينظر قال فلما وصل الراهب إليهم وصار معهم بحيث أن يسمع كلامهم فوقف قريبا من المركب ونادى ياأبو محمد أظهر إلى الماهر الذي فما هذا فعال من يجيء إلى هذا المكان فشال الأمير أبو محمد رأسه وقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فنادى أحدهم يا أبو محمد دع عنك التغافل فأنت أبو محمد وهذا لؤلؤ وهذا سبك وهذا يانس بلا محالة (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك أقبل على الراهب وقال له ويحك أيها الراهب ما هذه الأسماء التي تنادي بها ونحن لانعرفها وكان أبو محمد يكلمه بالرومى المغلق حتى كأنه من خلف الجزائر السبعة عشر وقال الراهب وحق ديني انك أبو محمد وهؤلاء غلمانك كما قال الذي أنفذني اليك وعرفني بك وبأصحابك هؤلاء الذين بين يديك فأخرجوا الى حتى أقول لكم ماتعود به حياة أنفسكم وأقول ما قيل لي فلما سمع أبو محمد ذلك أقبل على غلمانه وقال بان الامر وعلم الملعون بنا وماسكت عنا الا علم ان الهوى لايصلح لإقلاعنا عن الجزيرة ومالنا الا الهرب سبيل وقد أرسل هذا الراهب الينا يظهر انه قدر علينا وأنه قد أمهلنا وما بقي في الامر الا اننا ندفع المال وهذا الالف دينار الذي سرقناها من ضيعة البترك من دار الوالي لهذا الراهب ونطلب منه الامان وان يخفى أمرنا الى وقت يطيب الهوى لاقلاعنا فهو كذلك والراهب قال لهم ياهؤلاء انزلوا فالحاجة التي جئت فيها لكم قد قضيت فعند ذلك صعد الأمير أبو محمد ولؤلؤ وسبك وبديع قال فلما رآهم الراهب ونزلوا مشى بين أيديهم وعلم انه البطال وغلمانه فقال لهم الراهب اتبعوني ياحملة القرآن ياصوامين شهر رمضان فتبعه أبو محمد وغلمانه وهو مفكر في هذه القضية الغريبة والأمور العجيبة ولم يعلم باطنها ولم يزل بهم الراهب حتى وصلوا صومعة منفردة عن الصوامع ثم أقبل على إحدى الشابين الذين معه وقال لهم ياأولادى أأتونا بالوضوء فقد آن وقت العشاء فغاب واحد وأتى بالوضوء ثم أقبل الراهب على الأمير ابو محمد وقال له اسمع مني ما اقول قبل ان اطلعك على الامر فأنا أشهدان لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الشفيع لمن صلى عليه من امته وان عيسى روح الله وكلمته

(قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا حصل من الراهب ومن معه وأبو محمد البطال حار في أمره وعقله وتبلبل خاطره من فصاحته وارتعش جنانه وضربت أسنانه من خوف الله تعالى لانه لايعلم ما السبب في ذلك ثم أنه أقبل على الراهب وقال له أيها الشيخ كل أمرك عجيب وأريد أسألك عن معرفتك لي فقال الراهب اعلم يامولاى أن

إلى ههنا عشرين سنة ولى هذين الشابين وهما أولادى الذى أصول بهما على الدهر فلما كان هذه الليلة الماضية غلبتنى عيناى فرأيت فى المنام شخص يمشى على وجه البحر ومن حوله جماعة وهو ذو حسن وجمال وهيبة وكمال فسألت عن القوم من المقدم عليهم فقالوا هذا السيد المسيح فتقدمت اليه لاسلم عليه نصاح وقال لى أرجع يامن غضب عليه الملك القدوس فقلت له أنا من المنفردين فى هذه الجزيرة فى طاعتك فقال لى يامسكين قد هبت ريح الشقاوة على شجرة أعمالك فبقيت بلا ظلال فقلت وكيف السبيل إلى النجاة فقال لى اتبع النبى الامى التهامى القرشى المدنى الذى مكتوب اسمه فى التوراة والإنجيل الذى ختم الله والأنبياء بنبوته وسبح الحصا فى راحته وأنا أرجو النجاة يوم القيامة بشفاعته إن مريم يوم القيامة تفتخر بفاطمة ابنته فقلت وكيف أفعل ياروح الله وكلمته فأشار بيده إلى شخص عن يمينه عليه أكبر الكمال والجمال والهيبة والبهاء والدلال تضرب به الأمثال فقال لى ذلك الشخص بعينه قل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فقلتها ثم أخبرنى بنفاق عقبة الملعون وماقد أعد الله له من انتهاك الستر وما أعد الله له من العقوبة فى دار الآخرة والمصائب على رؤس الأشهاد والفضيحة يوم الميعاد وكذلك فى الدنيا بين العباد ثم قال لى أيها الراهب حقنا اليوم عليك واجب ولنا اليك حاجة وهو أن رجلا من أمتى وصل اليك واسمه أبو محمد البطال ومعه غلمان له فلان وفلان وقدموا فى طلب هذا الملعون الذى كذب برسالتى ولم تصدق قولى ونبوتى ويستبيح دماء أمتى ويخرب ديار أحبتى وسوف يتحدث اليك بين يديك بما يهتك الله به ستره ويكشف للناس مكتوم أمره فاذا أفقت من منامك أعرض الاسلام على ولديك فان الله تعالى قد هداهم واذهب أنت إلى مركب وناده باسمه وعاونه على خصمه ثم أنى أفقت وأنا مسرور بما فتح الله على من جميل الامتنان وجزيل الاحسان وعرفنى الهدايه والايمان وأخبرت أولادى بما رأيته فى المنام فلم يصدقونى وقالا لى قم بنا إلى المركب الذى وصفت فان كان الرجل هناك كما قد ذكرت فنحن نتبعك فيما أخبرت ونعلم أن مقالك صدق وهما معى فلم نزل إلى أن وصلنا اليك والآن فها أنا بين يديك وولدى أسلما لما صدقت لهما فى علمى ومع ذلك فانى أبوهما ونحن بحكمك فافعل ماشئت فنحن بين يديك لأجل حاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ تم الجزء الثانى والثلاثون ويليه الجزء الثالث والثلاثون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثالث والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال الأمير أبو محمد وقد جرى دمعه على خديه وقال الحمد لله على كل حال الذى رضينى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أكون من أمته ثم قال اعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ماقال انه يريد ان يقربنى بين يديك بأمور فيها فضيحته الا وسوف يكون ذاك وقد ضاق الوقت وما يتم لنا شىء حتى تمضى هذه المراكب فى غداة غد فاذا لم يبق أحد منهم تدعوه الى صومعتك ونكون فيها مختفيين ثم تتحدث معه فاذا انبسط معك فى الحديث قل له اعلم انى رأيت السيد المسيح فى المقام الاعلى وهو يقول انك أحب الخلق اليه وانك المجاهد فى بلاد الإسلام وان حلولك ومسكنك فى بلاد الإسلام فى ملطية واسمك عقبة يقول لك أبشر فقد قرب ظفرك بالاعداء ووصولك إلى ماتهوى وهلاك الاسود وأبو محمد البطال وتبلغ ماتريد فانه إذا سمع هذا منك فلا بد له أن يتحدث معك بمساويه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فأقبلت المراكب من كل جانب وودعت الرهبان وعادت طالبة ديارها ومشوا الرهبان إلى بعضهم وكان هذا الراهب الذى قد أسلم قبل قدوم المراكب وعقبة بيوم واحد وان الراهب دخل على عقبة فقام له قائما وأكرمه غاية الإكرام فقال له أيها الراهب والشيخ العالم والرجل الناصح أريدك الليلة تكون عندى فى صومعتى فقال عقبة وحق المسيح ان قلبى يحب طاعتك ثم قال حبا وكرامة ثم أن عقبة أتى معه إلى صومعته فلما استقر به الجلوس جعل يحدثه ويضاحكه وقال أيها الشيخ الصالح قد رأيت البارحة السيد المسيح وهو يقول لى عنك كذا فقال له عقبة وحق المسيح لقد صدق فى كلامه ولقد كنت فى شك حتى

أتيتنى بالعلامة والبراهين وكان الراهب قد علمه البطال مايقول له وعلمه علائم ودلائل فقال عقبة اعلم اننى أقل ماعلمت فى بلاد الإسلام أن لى فى ملطية تحت الأرض كنيسة فى دارى فى الجانب الأيمن وكنيسة أخرى فى الجانب الأيسر وهى تحت عامود السور وفيها مذبح وهى مبنية بالرخام والذهب والفضة والزمرد وغير ذلك وقد أنفقت عليها أموال لاتحد ولا توصف وعليها الصلبان معلقة والسيوف وفيها بئر لايعرف له قرار وقد قتلت فيه من المسلمين بعدد النجوم فى السماء وأكثرهم من بلاد الحجاز وخرسان وغيرهم ومن قدرت عليه من أهل ملطية خلقا لايحصى وأيضا لى كنيسة أخرى فى ملطية تحت الأرض وفيها خمسة وأربعون قسا من خمسة عشر إقليم يكفرون بدين الاسلام وأنا أطعمهم وأسقيهم الخمر وأنزل اليهم فى ظلام الليل وربما قمت عندهم تحت الأرض الشهر والإثنين وربما عملت على تجار المسلمين وربما عملت على قتل المسلمين وانزلتهم اليهم واقطع رؤسهم واعدامهم نفوسهم كل هذا أيها الراهب أجاهد فى سبيل دين المسيح لعلى أنال منه الثواب الراجح وأكون لديه ناصح فقال الراهب وقد أشار اليه البطال من داخل الخزانة وقد طار قلبه من الفرح قل له أين هذه الكنيسة الاخرى وفى أى موضع من ملطية فقال له الراهب ذاك فقال عقبة هى فى مطية وما يحتاج إلى كشف السؤال فقال الراهب لعقبة لعل المسيح يسهل لنا زيارتها فقال هى قريب من دارى فى الجانب الآخر من غير المكان (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يكون فى الارض أكثر جدالا من عقبة ولا أخبث منه وانه لما نظر إلى تفتيش الراهب عليه وكان اسمه عبد المسيح وولده عبد الصليب والآخر عبد مريم فلما سمع ذلك كان كأنه نائم فاستيقظ وأنكر لجاجته عليه وسؤاله وقال فى نفسه لقد أنكرت أمر هذ الراهب من ثلاثه أوجه أحدها أنه ما أجابنى قبل اليوم إلى موضعه والثانى سؤاله لى فى هذه النوبة والثالث تفتيشه على فى الكنيسة والرابعة انى أرى المراكب كلها قد أقلعت إلا مركب واحد ملصق إلى الجزيرة وإن صدقنى حذرى ولم يكذبنى خاطرى فقد وصل أبو محمد البطال إلى ههنا وحق المسيح لامحالة وما رأى لى هذا المنام إلا حيلة وهذه مناصبه ومكايده لأنه كثير الإحتيال عجيب الأعمال كثير المحال ومالى إلا أظهر لخارج الصومعة كقضاء حاجة وأمضى إلى صومعتى وأفتش عن هذا الذى خطر بنا فان كان صحيح فقد قرب هلاك أبو محمد البطال فوثب عقبة أن يخرج من الصومعة فأوما ابو محمد إلى الراهب وقال اعلم انه قد عول على الهرب فقال الراهب ماله إلى هذا السبيل لأن الباب قد أغلقته وهو من الحديد ثم قال الراهب إلى اين أيها العبد الصالح والرجل الناصح

قال أريد أمضى إلى حاجة لابد منها فقال الراهب مالى إلى فتح الباب سبيل لأن المسيح قد قال إذا حصل عقبة عندك فى هذه الصومعة فلا تدعه يخرج حتى يحدثك بحديث هذه الكنيسة التى فيها الرهبان التى إلى جانب داره التى فيها العامود فقال عقبة افتح فما اقول لك اين هى ابدا ولو حضر المسيح فعندها صاح البطال وخرج كأنه مارد من الجان ونادى ياقرنان لم يحضر المسيح فنحن بعض تلامذته وجرد بيده خنجرا يأخذ بالبصر ونظره عقبة وإذا به الأمير أبو محمد البطال فلما رآه غاب رشده وخرج اوّاوّ من الجانب الآخر وكذلك سبك ويانس فلما نظر عقبه إلى ذلك اقبل على نفسه يلومه وقال مالى وللجزائر كنت قعدت فى أرض اليونان أو بلاد الحبشان ثم التفت وقال ويلك ياابو محمد وصلت إلى حيلتك إلى ههنا الآن خلنى فى هذه الجزيرة حتى اعطيك وحق المسيح ثلثمائة ألف دينار وكلما كسبت فى هذه السنة فقال البطال دع عنك الخداع ثم قال لغلمانه خذوه فأخذوه أسرع من طبق الجفن وقلع عوارضه والدقن وكانت ليلته أيشم الليالى عليه وطرح الجنزير فى رقبته والاكرة فى فمه والقيد فى رجليه وكان الهوى طيب للأقلاع وأقبل البطال على الراهب قال له ما الذى ترى تقيم ههنا أو تمضى معنا فقال له الراهب اعلم يا أبو محمد إنى كنت على طريقة وهى غير الحقيقة مصاحب الرهبان المنفردين عن الأوطان فكيف الآن وقد عرفت خالق الإنسان فقال البطال اعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم يقول لارهبانية فى الاسلام وأنتم قد أسلمتم لله تعالى ولا ينبغى لكم الرهبانية بل تسيرون إلى بلد الحنيفية فقال الراهب إلى أين تمضى فقال نمضى إلى أى موضع أردت وعلى أى طريق شئت والواجب عندى أن نسير إلى السويدية ياراهب ولو أقمنا فى البحر ماأقمنا وعليك الأمان من كل ماتخاف شره وروحى مبذولة دون روحك فلاتخاف من أحد فقال الراهب اعلم ان الهوى قد طاب وغدا يطلبون الرهبان الشيخ السوء فما يرونه وربما رجع وانفلت من أيدينا ودبر على هلاكنا ومالنا إلا المسير وسرعة التشمير والاتكال على الملك القدير فقال البطال هذا هو الرأى الصواب ثم انهم قاموا من ليلتهم وطلبوا المراكب ورفعوا عقبة وكلما يحتاجون اليه من الزاد والماء وغير ذلك وقد سماهم الواحد عبد القدرة والآخر عبد الله وسمى نفسه عبد الفعال لما يشاء ورفعوا عقبة فى المركب وقد انفطرت مرارته ودامت حسرته وأيقن بالهلاك وسوء الارتباك وشرع البطال له القلاع وملأ القلع وطلب السويدية من بلاد الله تعالى وأقام كذلك وقد طاب له الهوى ثلاثة أيام ثم هبت عليهم ريح أسود صرصر عاصفة مزعجة فانزعج البحر وهاج وأزبد واصطفقت أمواجه وثار العجاج وارتفع قسطل الهياج وأزبد طياره وعظمت زخاره وطار شراره وأظلم

مناره وسبحت حيتانه وطلع من القرار ماله وزادالبحر سواد حتى صار مثل ظلام الليل
وغلقت الملائكة الموكلون بالبحر أديال سواحله وقد كان ذلك الوقت فى أشد ما يكون
من الحركة وقدكاد ان يفرق مافيه بزلازله وغوائله فمنعت الملائكة من مراده لما سبق فى
المشيئة من سلامة خلق الله تعالى وحياة عباده هذاوالبطال ينادي ياسلام سلم والراهب يقول
يامنجي نجي وغلمان البطال ينادوا العفو العفو وعقبة يقول ماكان المسيح يغفل عنكم حتى
تصلون سالمين وتبلغوا منى المنا وتشمتون بى الأعداء ولابد للسيح مايفرقكم وتأكلكم
حيتان البحر فعندها وثب البطال وطلب عقبة وجعل يلطمه على وجهه ورأسه من كثرة
غيظه وحنقه وقال ياملعون وايش هذه القدرة التى للسيح حتى يقدر على هذا البحر
الزاخر الذى ليس له أول ولا آخر يهيجه ويسكنه وإنماهومدبر بالقدرة ومكون بالمشيئة
قد حفت به الملائكة الكرام الذى جعلهم الله خدام فى الضياء والظلام عقبة هذا مالأسمعه
ولايقدر هذا الا الذى أحيي الموتى من القبور وخلق من الطين طيور وأقام الموتى قبل النشور
وله هذه الأمور وجعل يصفق بيده ويرقص بأكتافه ويغايظ الأمير أبو محمد البطال فقال
له البطال ياويلك ياعدو الله وهل المسيح إلاعبد مخلوق بل هذه صفة من رفع فوقنا سبع
طبقات وجعل الأرض مهاداو الجبال أوتاداو أحصى المخلوقات أزواجا وأفرادا وقدر الأمور
والازدياد وهو جعل البحر يوم القيامة جماد وجعل للناس بعثا وميعادا وهيألنا قلبا
وفؤادا ولم يخلق الخلق إلالميعاد وهدانا لدين الاسلام توفيقا وارشادا وهداية وسدادا
وما المسيح إلا عبد الله ورسوله ولا يقدر على شيء من الذى ذكرت إلا باذنه ومراده
وهو عبد الله فضله على طائفة من عباده حتى بعث النبي الواضح والعلم اللائح صاحب
المقام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود الذى حن إليه الجزع وسلمت عليه
الأسود والضبع وكلمته السباع وشهد بنبوته الشجر والمدر وخاطبه البعير بأحسن
خطاب والحصى والحجر ووطىء بقلمه السموات السبعة وسمع صلاة من يصلى عليه
يوم الجمعة ومالت إليه النخلة والجزع وحيته بالأكرام الغزال ونبع الماء من بين أصابعه
كالزلال فهو النبي المرتضى والحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى دعا الخلائق إلى
عبادة الله الفرد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد الذى رفع السماء بغير عمد وبسط
الأرض على ماء جمد وأرسى الشوامخ على الأرض وجعل لها مستند عرف الخلائق طريق
الحقائق فلم يقعد عن معرفته إلا الزنديق الفاسق وبعد ذلك ياملعون بعد أن أعلم أنك
قد هلكت ما أبالى ولو غرقت ألف مرة وإن زاد الأمر علينا فأنا أشد يديك ورجليك
حتى إذا غرقت لا يكون لك إلى الخلاص سبيل ولا تجد لنفسك مناص هذا وعقبة قد

زاد كفرا ونفاقا حتى زاد الأمر وأسود الأفق وأشتد الريح وأظلم البحر فلما صار كذلك لم يبق أحد يقدر أن يرى رفيقه وأيقن كل منهم بالفراق وكادت نفوسهم تتعلق من الفزع والغرق وردتهم الريح العاصفة والرعود القاصفة وقد أدار القلع البطال مع الرياح كذلك ستة وعشرون يوما وهم يقلعون مثل النسور طائرين حتى خيل لهم أنهم خرجوا من دار الدنيا إلى ذار الآخرة واشتغل كل واحد منهم بنفسه دون صاحبه وجعلوا يتضرعون إلى الله بالدعاء وعقبة المنحوس يقول وحق المسيح أننى أفرح بحياتى وبهلاكى مادام خلصت النصرانية منك ومن غلمانك فلم يجبه البطال وأقبل على الراهب عبد الفعال لما يشاء وولده عبد القدرة وعبد الله وجعلوا يقولون الحمد لله الذى ختم لنا بالشهادة والله ما نبالى بعد أن كان منا ما كان فى دار الدنيا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما كان فى اليوم السابع والعشرين نظر البطال إلى جبلين شامخين فى الهوى وهما ملتقيان والبحر يعبر من بينهما وكان هذا موضع يسمى قرن الدنيا وبحر تلك المواضع حالك السواد يأخذ الرجل منه الزعاد وهو مع ذلك منتن الرائحة والجبلان ليقول أحدا إلا انهما فى السماء لعلوهما والثلج عليهما متراكم هنالك هبت عليهم ريح هامدة باردة فلم فلم يغنى عنهم اللباس ويبست الأيدى وأدارت الريح المركب من جوانبها فصارت تدور فى البحر فلم يحسوا إلا والمركب قد صدمت جبلا فى البحر ولم يعلموا به فتقطعت قطع وأطبق عليهم الموج المتراكم فعندها صار كل منهم يشهد للملك العالم إلا عقبة اللعين النادم وعظمت الموجات وصارت كالجبال الراسيات وهذا الجبل الذى كسر المركب فى لحفة جزيرة كافورية فتعلق الراهب عبد الفعال لما يشاء وغلمان البطال بتلك الجزيرة وغرق ولدا الراهب رحمهما الله تعالى وأما البطال وعقبة فلم يعرفوا لهما خبر وكانت تلك الجزيرة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار تنزل من رأس الجبلين المذكورين بعد ساعة سكن الريح وهدى البحر وأبقى الزمان غلمان البطال فى تلك الجزيرة يبكون على البطال وهلاكه وكونهم منقطعين مالهم إلى الخروج من سبيل فقال لهم الراهب لكم أسوة بى قد عدمت أولادى وأنا صابر لحكم الله تعالى وهذا دليل على إنى صرت مقبولا عند الله فانه إذا أحب عبدا أبتلاه وقد أبتلانى بفقد أولادى فاحسبوا أنكم خلقتم فى هذه البقعة ولكم من الفواكه الصيفية والشتوية ما تأكلون ولكم ما تشربون من هذه المياه المنحدرة من أعلا هذه الجبال الشواهق ونعبد الملك الخالق والموت قريب منا فهانت عليهم الدنيا وأقبلوا على خدمة المولى شهرين كاملين ثم قالوا أيها العبد الصالح أما ترى هذه الجزيرة واسعة ومانعلم أن هل فيها عمران أم لانقم بنا حتى ندور فيها وننظر

عجائب مخلوقات الله تعالى وننظر إلى هذين الجبلين فقال ذلك اليكم وأنا موافقكم على ذلك فنهضوا وجعلوا يطوفون الجزيرة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع نظروا إلى شجر رمان كثير ونظروا إلى شجرة كبيرة تظلل مائة فارس (قال الراوى) ياسادة يا كرام وتحت الشجرة كلام فقصدوا إلى تلك الشجرة فوجدوا تحتها صنم من حديد فى صورة إنسان وعليه أسطر مكتوبة وبين يديه شيخ كبير السن وهو يقول بلسان الأرمن أيها الرب الخالق ارحم هذا الشيخ الذى أفنى عمره فى طاعتك فلما أن نظروه ضجوا بالتوحيد وكلموه بلسانه فتعجب منهم وقال ياقوم وحق الرب هذا أنالى هنا مائة عام من منذ ماكنت غلام فما رأيت خلقا سواكم فمن أين أنتم. وصلتم إلى هنا فقال له الراهب عبد الغفار اعلم اننا قد احترنا فى أمرك وعبادتك لهذه الصورة التى بين يديك والعبادة لاتكون إلا لخالق الخلق اخبرنا بحالك حتى نخبرك بحالنا فقال لهم اعلموا أنى من مدينة قرن الدنيا وهى مدينة كانت فى لحف هذا الجبل وفيها عالم عظيم وكان فيها ملك يقال له عبد البحر الكبير وكانوا أهل مدينتنا كلهم يعبدون البحر ويعبدون له على طول الزمان وقد جرت عادتهم بذلك حتى كثر فيهم الفساد واستباحوا الفروج حراما حتى لم ينكر ذلك كبرائهم فغضب عليهم البحر وزاد على ماكان وارتفع إلى نصف الجبل وقد علا على المدينة فأخربها ولم ينجى منها مخلوق إلا أنا وذلك الوقت إنى كنت ابن عشرين عام فرمانى الموج إلى هذه الجزيرة ولم أعلم كيف وصلت إلى ههنا وأنا متعلق بهذا التمثال ثم نقص البحر ورجع إلى ماكان عليه من الأول وقد هلك ذلك الخلق وقد علمت أن ماأنجانى من ذلك الهول المهول إلا هذا وهو لاشك أنه خالق المدينة التى كنت فيها وخالق هذا البحر وإن كنت على عبادته من منذ مائة عام لا أنام الليل ولا أنظر النهار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعوا منه ذلك قالوا والله هذا عجب ثم قال له لؤلؤ أيها الشيخ لقد ضيعت دهرك وأفنيت عمرك وهذا الذى أنت تعبده ليس له أذن تسمع ولا قلب يخشع بل أنه ذليل يخضع فأين أنت ممن خلق الليل والنهار وخلق الفلك الدوار والسموات والأرض والشمس والقمر والنبات (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الشيخ ذلك ضحك وقال فهذا الذى مدحته وعبدته أين مكانه فقال لؤلؤ اعلم أنه بكل مكان وهو خالق ريان وليس كمثله فى مكان فلما سمع الشيخ مقاله قال فكيف عرفتموه قال لؤلؤ أرسل الينا رسلا وبعث الأنبياء وأنزل عليهم الكتب فلما سمع ذلك قال وهل أتاكم كتاب قال نعم قد جاءنا نبيا بكتاب شريف وهو أشرف الكتب فقال الشيخ أنا أعلم أن كتب الملوك حسان أشراف فأسمعونى هذا الكتاب الذى قد نزل عليكم فعند ذلك ابتدأ لؤلؤ يقرأ سورة الكهف إلى أن وصل

إلى قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا عندها صاح ذلك الشيخ ووقع على الأرض مغشيا عليه وقد فتح الله سبحانه وتعالى قفل قلبه ثم بكى وقال ترى ياقوم هذا الملك يقبلني من بعد هذه الغفلة الطويلة وكثرة الأعراض فان لى مائة وعشرين عام آكل خيره وأعبد غيره ولا منعنى رزقه ولا خيره فقالوا نعم يقبل التوبة ويعفوا عن السيئات بابه مفتوح وجوده للواردين ممنوح قال وكيف أقول حتى أسير مثلكم قال لؤلؤ قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلم من قلب خالص ونية وجعل لؤلؤ يعلمه مايحتاج اليه من وضوء وغسل وخلافه ثم أنه قال له ياهذا مقامنا فى بلاد الاسلام أفضل من سائر البقاع فهل تعرف لنا من هذا المكان خلاص قال نعم وأنا صحبتكم حتى إنى أعرف أمور دينى ولكن بين أيدينا عجائب وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسهل علينا ثم قال أقيموا بنا ههنا ثلاثة أيام حتى أعبد الله تعالى فى هذه البقعة التى طالما عصيت الله فيها فأقاموا كما قال ثم ساروا والشيخ بين أيديهم سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن أقبل عليهم الشيخ وقال اعلموا أن فى هذه الجزيرة مدينة صغيرة على جانب البحر وهم يعبدون النار والنور وكان فى قديم الزمان بيننا وبينهم حروب على هذا فهم يعبدون النار ونحن نعبد البحر فلما هلك أهل مدينتنا ازدادوا هؤلاء كفرا وقالوا أن النار أهلكتهم وأن لهم من دود الحرير شيء كثير وأن كل واحد منهم يتحصل له فى كل سنة ألف رطل أبريسم وتأتيهم المراكب من القسطنطونية يشترون منهم ذلك الحرير وقد بقى بيننا وبينهم ساعة واحدة وإذا رأونا لأبدان يسألونا عن ديننا فقال لؤلؤ دعونى أنا أكلمهم فقالوا افعل مابدالك وبعد ساعة اشرفوا على مدينة بيضاء مثل الحمامة وفيها عالم أحسن الخلق وجوها (قال الراوى) ياسادة ينكرام ولما قاربوهم قالوا لهم من أين أنتم فقال لؤلؤ نحن قوم من سعاة الأرض على دين المسيح ونحن بطارقة الملك ميخائيل وقد زهدنا فى الدنيا ونحن أولاد هذا الراهب الكبير الفانى قالوا ومن أين أقبلتم فى هذه الطريق وما فيها عمران ولا سكان ثم حملوهم إلى ملكهم وعرضوهم عليه فقال ما نعرف ما تقولون اضرموا لهم النار فان أهلكتهم فهى غضبانة عليهم وأن انكفت عنهم فهى راضية عليهم فسحبوهم على وجوههم وأضرموا النار وقد أرادوا أن يرموهم فيها وإذا بثلاثة مراكب قد أقبلوا من بلاد البرغل ومعهم الزيت والخمر والزبيب والكتان ليأخذوا به الحرير فلما رسوا على ساحل البحر فرأوا النار وهى تضرم

فأتوا لينظروها ويريدوا أن يعرفوا ماسبب ذلك فنظرهم لؤلؤ فعرفهم بصفتهم فكلمهم بلغاتهم وقال ياقوم نحن على دين المسيح وقد طلبنا الترهب والسياحة فى الأرض إلى أن دخلنا فى هذه الجزيرة وقد تعدوا هؤلاء علينا وهم يريدوا احراقنا وما نعلم لذلك سبب فاشتروا نا منهم فلما سمعوا القوم ذلك أقبلوا على الملك وقالوا أيها الملك نحن لانمكنك من حرق هؤلاء لأنهم من أهل ملتنا وحق المسيح إن أنت فعلت ذلك ويبلغ الخبر إلى الروم فتسير اليك المراكب ويكون ذلك سببا لزوال ملكك فدعهم ولك علينا كل ما أردت من الأموال فأجابهم إلى ذلك ولما قضوا حاجتهم أخذوهم إلى بلاد البرغل ثم قالوا لغلمان البطال إلى أين تريدون قالوا نقصد القسطنطينية حتى لايعرفهم أحد ولما وصلوا إلى بلاد البرغل خرجوا منها وقصدوا حصن يانس المتعذب فلما أقبلوا عليه فرح بهم وسألهم عن البطال فأخبروه بقصته فورد على قلبه مالا يرد على قلب بشر وقعد له فى العذاء سبعة أيام وفى ظنه انه مات فى البحر غريق ثم نظر يانس إلى الشيخ الذى كان يعبد الصنم والى حسن وجهه وقيل له انه أسلم وقد سموه عبداللطيف فجهزهم بالدواب وجميع يحتاجون اليه وساروا وهم طالبين مدينة ملطية وهم فى عيشه هنية (هذا ماجرى لهؤلاء) اسمع ما كان من عبدالوهاب لما طالت عليه غيبة البطال فكتب إلى ملك الروم ميخائيل يقول أنت تعلم مالقيت فى خدمتك من التنكيل وأخى أبو محمد البطال قد دخل بلاد الروم فى طلب عدوى وعدوه وهو القاضى عقبة والآن ماأعلم ما صار عليه من الاحوال وأريد منك من كل بد وسبب أن تسأل عنه أين ماكان ماذا والا أنقض مابينى وبينك من الهدنة وحسن الارب لأن البطال غائب سبعة شهور وماأنقطع عنا إلا وهو مسجون أومدفون وأزيد على قسمى قسما برب العالمين لئن لم أعلم خيره منكم لاتركن دياركم خرابا وهيضبا (قال الراوى) هذا ماكان من عبدالوهاب (وأما ماكان) من أمير المؤمنين المأمون لما حصل الصلح بينه وبين عبد الوهاب وصار له عنده المنزلة العالية ورفعة الجناب فكان المأمون يطلب من يحادثه فقال الوزير يامولانا أنت غافل عن نزهة الزمان وفريد عصره ولأن أبو محمد البطال فطلبه الخليفة فلم يطلع له على خبر ولا جلية أثر فتأسف عليه ثم انه بعث إلى ملك الروم لاجله كتاب فرأى ملك الروم فى الامضا المأمون فأمر المناداه أن تنادى فى سائر بلاد الروم وجزائرها وقراها فلم يقع له على أثر فأرسل إلى عبدالوهاب والى المأمون يقول وحق المسيح والإنجيل والابرئت من دين النصرانية وقطعت زنار الملة المسيحية أننى لاأعلم لابو محمد خبر ولا جيلة أثر فعلم الأمير انه ما عنده علم وكذلك المأمون وأما محبين عقبة فانهم قالوا يا أمير المؤمنين أنا نعرف بأن

موجود من لايعرف البطال أن يتحدث بين يديه بحرف واحد فقال من هو قالوا هو القاضى عقبة العابد الزاهد الذى قد طالت غيبته ولم نعلم هو مقتول أم هو مأسور (قال) المأمون والله لقد ذكرتمونى به فأرسل إلى ملك الروم يقول أن كان القاضى عقبة عندك فى الاعتقال فأنا أحسن لك فى المال على قدر ما تشاء وان كان ماهو هناك فاحرص لنا على خبره فرد ميخائيل الجواب يقول أما الرجل خلص منا لاننا نعرف انه قسيس المسلمين وهو عندنا بمنزلة البترك الا أننا لانعلم ما بينه وبين البطال من الدخول والعداوة والأهوال وقد عدما الأثنان ولا شك أن أحدهما هرب فتبعه الآخر وهذا ما عندى من الخبر وفى تلك الأيام وصلوا غلمان البطال ففرح عبدالوهاب بقدومهم وفى ظنه أن البطال معهم ولما توجه لؤلؤ لعبد الوهاب شق ما كان عليه من الثياب ولطم على وجهه وزادفى الانتحاب وفعل يانس وسبك كذلك فعظم على الأمير وكاد أن يقضى عليه وسألهم عن حالهم فأخبروه بما جرى من الابتداء للانتهاء فكان ذلك عليه أعظم من قتل ولده ابراهيم وكذلك الأميره ذات الهمة وقعدوا للعزاء سبعة أيام وقال لغلمان البطال لاتذكروا عقبة فيشمتوا بالبطال بنى سليم ويقولون لولا انه دخل خلف ذلك الصالح المسكين لما كان من الهالكين ولا بد أن يلعنوه باقى أعمارهم وربما سلم عقبة فتبقى أعظم شماتة إلى الأعداء ثم أن عبد الوهاب سأل عن الراهب فأخبروه بخبرهما فأكرمهم غاية الإكرام وأفرد للشيخ موضعا للعبادة وقال لعبد اللطيف أفرد لك دار صغيرة برسمك لانك رجل نحيف فقال مالى بذلك حاجة وما تعودت إلا بالوحدة وأحب أن أكون فى خراب البلد من ظاهرها ثم خرج إلى الخراب وصار الأمير كل يوم جمعة يخرج اليه ويقضى حوائجه وهو يأبى ففى يوم من بعض الأيام رأى الأمير الأمير فى منامه قائلا يقول قم ياعبد الوهاب إلى تشييع جنازة الاحباب فقد قبضنا روح الغريب بعيد الدار شاط المزار ثم أفاق من نومه باكى العين وقال للاميرة انى قد رأيت كذ وكذا قالت لايكون الشيخ العابد قد قضى نحبه فقم بنا اليه فقاموا ووصلوا اليه فوجدوه مستقبل إلى القبلة ووجهه يشرق بالنور وقد قضى نحبه ولحق بربه فجهزوه ودفنوه وقد أيس الأمير من البطال وفرحت بنى سليم وقالوا مايفتح باب الشر والمصائب لعبد الوهاب إلا هو ولايسعده فى الحروب وفتح البلاد غيره حتى ظهر لعبد الوهاب هذا الاثم وها قد ولت سعادته ولا بقى يفلح فبلغ الأمير ذلك فسكت ولاتكلم هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير ظالم فانه مرض مرض شديد وصار مثل الخلال حتى لغاية أن توفت زوجته ولم يعلم بها وبلغ خبر مرضه إلى المأمون فأرسل إليه أبا سعيد الطبيب حكيم زمانه فلما حضر عنده جس نبضه فلم يظهر له منه شىء من العلل فقال للأمير ولدك الغالب أن فيه نظرى من الجن ومالى فيه طلب ولكن عليك بالقرآن والمعزمين

وأرباب الرقا والعارفين فأحضر الأمير المعزمين فأظهروا صناعتهم ثم عرفوا أن ولده قد تعافا وقد زال ما به ودخلت عليه جدته ذات الهمة يوما من الأيام فوجدته يتنهد وهو فى أشد الآلام وينشد يقول

وجاؤا إلينا بالعزائم والرقا وصبوا على الماء من ألم النكس
وقالوا به من الجن نظرة ولو صدقوا قالوا به نظرة الإنس
وبى علة لا أشتهى أن أذيعها لعظم الحيا منى ومن شرف النفس
فأصبح حيرانا وأمسى مولها وأصبح من نار الغرام على أمسى

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذات الهمة شعره فرحت بانكشاف سره وقد علمت أنه عاشق فدخلت عليه وسألته عن ذلك فأنكر حاله وجحد مقاله خجلا منها فخرجت من عنده ولما كان وقت الليل قصدته وحدها من بعد رقده وإذا به ينشد مرة أخرى من فؤاد مخيف بصوت ضعيف هذه الابيات،

خليلى قبل الصبح بالله عرجوا ولا تتركانى فى الظلام مخرجا
وعوجوا على صب قتيل معذب تراه إلى نحو الحبيب ماجلجا
ولولا حيائى من أبى وعهوده لسرت إليها قبل مايذهب الدجا
هى السؤل للقلب الكئيب الذى به لواعج نيران تهيج موهجا
فلا سلوة ان لم أنل ما أريده وأضحى قتيل بالمنايا مسهجا
وإنى كئيب فى هواها متيم وفى كل ألفاظى إليها ملجلجا

(قال الراوى) ثم أنه بكا بكاء شديد فتركته الأميرة حتى سكت وقالت ياولدى لقد علمت مابك من شعرك ونظامك فأطلعنى على سرك فأنا ماأحدث أباك بل أساعدك على بلاك ولا تقل أن أبو محمد كان أسرع منى أو اجسر وأنا وأنت وغلمان البطال خلفى نلتق جيشا عرمرما فأخبرنى بما عندك حتى ترى العجب منى عندها قال أيتها الأميرة لما كنا فى قلعـــة الشيطبان ونحن فى الأسر والهوان رأيت الجارية مليكة التى هويت الملك ميخائيل كأنها قد طرحت فى رجلى قيدا ثقيلا وكنت أول من عاهده أن لا أخون فكتمت أمرى وهذه قصتى وان أنتى ساعدتينى وإلا أنا من الهالكين بلا محاله فقالت طب نفسا وقر عينا وأعلم أن أبو محمد ماهلك إلا فى بلاد الروم ثم أنها صبرت عشرة أيام ودخلت على عبد الوهاب وحدثته بحديثه ثم قالت له وما الرأى فى ذلك فقال وما عسى أن أرى وأنا قد حلفت للروم إلى أجل معلوم وما جنى ميخائيل جناية يستحق عليها فسخ الهدنة ولا يحيل منى أن أرسل اليه من أجل زوجته وهذا لايجوز أبدا ودعه يموت

مثل ظالم ألف ولد فقالت الأميرة أما علمت مافعل ميخائيل من الفعل الوبيل وأنه ارسل كتابه إلينا يقول فيه وإلا قلت أن الله واحد أحد فرد صمد فهذا يدل على أنه يستهزىء بنا وبالله والله العظيم ما أترك ولدى ظالم يهلك تلهفا ويموت أسفا وأنا التى أريد أن أدخل إلى بلاد الروم وأطلب هذه الجارية من الحى القيوم فقال لها عبد الوهاب إن بلاد الروم قد التمت وعادت إلى طاعة ميخائيل ومع ذلك أن شومدرس وزوجته شامو فى المدينة وهم أشر النصرانية وأخاف عليكى منهم فغضبت الأميرة من كلامه وقالت والله لادخلت بلاد الروم فى هذه المرة إلا وحدى ومعى فقط ظالم ولؤلؤ وجوهر ويانس وكان جوهر مقيما بمدينة آمد فلما أن سمع بهلاك مولاه فى بلاد الروم أتوا إلى لؤلؤ لأنه كان عاقلا عارفا بالأعمال إلا أنه دون البطال وكانوا غلمان البطال كلهم فى خدمته وخرجت الأميرة من عند ولدها ودخلت على ظالم وقالت له قد عزمت على الدخول إلى بلاد الروم فقم أنت على حالك وكن طيب الخاطر قال فوثب قائما وقال مالى على ذلك من سبيل ولا اصطبار وإذا صرت معك لذلك تحصل لى العافيـــة فأخذت الأميرة ما تحتاج اليه وسارت ومعها ظالم وغلمان البطال (قال الراوى) هذا ما كان (وأما ما كان) عن بلاد الروم فان شومدرس قال لشوما فى يوم من الأيام ان فى قلبى من فقد ولدى نار شديدة لاترام لأنى للآن ماأخذت له بالثأر وما كان يمنعنى إلا أبو محمد البطال لأنى وقعت فى يده مرار عديده ولولا فى أجلى تأخير لكنت هلكت وقد حللت بى المقادير ولكن ما بقى الآن من أخاف منه بالكلية ولا بد لى أسير إلى ملطية وأدبر فى هلاك الأمراء بكل نية أما عبد الوهاب وإما سيف الحنيفية وأبيها يكونوا عوضا عن ولدى ويرتاح من ذلك كبدى فقالت شوما وأنا أريد أمضى معك ولا يتم لك أمرا إلابى أنت لعبد الوهاب وأنا لذات الهمة قال أريد أشاور فى ذلك الملك ميخائيل ثم أنه من وقته دخل عليه وحدثه بما أراد يفعل قال لو صح ذلك ومات عبد الوهاب وأمه ذات الهمة لكنت أملك سائر البلاد من الاسلام روح ياأبونا وافعل ما بدالك فما لهم عندى لاعهد ولا ذمام ولا يمين فعند ذلك قام وأخذ معه مائة رجل من العرب المتنصرة وقال لهم أريد اعمل عملا تتحدث الناس به على قارعة الطريق ثم خرج الملعون وصبغ لحيته حتى صارت كالليل الدامس ولبس زى تاجر من تجار الروم وأخذ معه أربعين بغل تحمل أنواع القماش فقال دارس أيها الملك اننا مانرضى لك بهذا الفعل لأنهم قد صنعوا معك معروف وقتلوا عدوك كوشانوش وقد ردوا اليك بلدك من بعد ما كانت خرجت من يدك فقال الملك أو ما تعلم انهم قد قتلوا من الروم عالم بعدد النجوم ولا بد لى ما احتال على هلاكهم

بأى وجه كان ولو أبذل نصف ملكى وكيف انى لا أكره من يقول إن الله واحد أحد فرد صمد فسكت دارس عن كلامه ثم قال لأخيه نكتب لعبد الوهاب ونعلمه بهذه الحيلة خوفا عليه من الاسر أو القتل هذه شروط الاخوان (قال الراوى) وسار شومدرس ببضائعه وأمواله ومعه العرب المتنصرة حتى وصل إلى دير الصليب وهو من ضمن أحكام مدينة ميخائيل وهى القسطنطينية وكان بالتقادير وصولهم وصول الأميرة ذات الهمة وأصحابها فى وقت واحد ونزلوا فى جانب الدير وهم متنكرين فنظرهم الملعون شومدرس فأنكر أمرهم وقال لشوما أن هؤلاء قد أنكرهم قلبى وأنا خائف أن يكونوا من لصوص الاسلام وقد دخلوا فى كشف أخبار أبو محمد البطال وهم فى ظنهم أنه سالم فقالت له أصبر أنا آتيك بأخبارهم فى هذه الساعة ثم سترت وجهها وأخذت معها ثلاثة قربانات من خبز الديوره وجاءت اليهم وسلمت عليهم بالرومى وقالت خذوا هذا كاوه وادعوا إلى بالعافية فنهص لؤلؤ وأخذ منها القربانات وهى قد عرفتهم إلا ظالم فلم تعرفه ثم أنها رجعت وهى تعثر فى اذيالها من الخوف والفزع فقال لها شومدرس ما بالك فقالت له ياشيخ قد حل بك الهم والبلاء أفق من نومك إن كنت نائم قال شومدرس ويلك قد قطعتى ظهرى بهذا الكلام وكيف عرفتهم ومن هم وكيف عرفتى أن فيهم العجوز الشمطاء ذات الهمة قالت عرفتها بغلمان البطال وهم لؤلؤ وسبك ويانس وبديع فلا تكن ارعن كيف انى لاأعرفهم وقد بقيت مأسورة عندهم سابق مدة شهور وأيام ومعهم غلام أشبه الناس بظالم إلا أن عليه آثار مرض فقال شومدرس من بعد ما اسودت الدنيا فى عينيه وحق المسيح إن كان كما ذكرتى وعلمو بنا فما هى إلا سفرة مشئومة علينا لأن كل واحد من هؤلاء يريد لرأسه عسكر كامل ثم أنه التفت للعرب الذين معه وقال لهم اعلموا أنه قد تم من الأمر ما هو كذا وكذا وما أظنه أكيد وقد عولت على أننى أطلق الطيور إلى الملك ميخائيل واعلمه بهذه القصه حتى أنه يرسل الينا حرب بن شيبان فى جماعة من الفرسان ويأخذون هؤلاء ومعهم ذات الهمة ويكون الظفر والمال لغيرنا مثل من حضر إلى بيت العروس حضر الأكل والشرب والعروس أخذها خلافه والغالب أن هذه ليس ذات الهمة لأن شوما كبرت وخرفت ولكن هؤلاء قوم اسلام ولاشك فيهم وأناأقول لكم على ماتفعلون فقالوا ياأبونا لو اضرمت لنا النار لولجناها قل وأوجز فقال اعلموا أن النوم سلطان وهؤلاء القوم من أثر التعب والسفر فى غاية وهم الآن آمنين ومتى ناموا نهجم عليهم وتضعون سيوفكم فيهم فلا يقوم للقوم من بعدها قائم فلما سمعوا القوم منه ذلك قالوا هذا هو الرأى الصواب وإن لم يكونوا نيام فلا تفرطوا فى أرواحكم فان فيهم الذى قد قطعت

وقاب العرب وافنت بطارقة الروم وهى فاطمة بنت مظلوم ثم انهم أرسلوا واحد منهم فرأوا القوم نيام والأميرة وحدها جالسة على الأرض والسيف مجرد أمامها وظالم يراعى النجوم بما به من لوعة الحب وترادف الهموم وهو يبكى ويقول

أبات ونجم الليل يجرح مقاتى وجسمى وقلبى للهموم نديم
وقائلة لم لا تنام اجبتها دعينى ورأى أننى لسقيم
أما مسعف أشكو اليه صبابتى أما منصف ابكى اليه رحيم

(قال الراوى) فلما سمع الرجل ذلك عاد إلى قومه وأخبرهم بما قد رأى فلم يتجاسروا أن يدنوا منهم أو يقوم واحد من مكانه فلما نظرت شوما ذلك قالت أشير عليكم بما تفعلوا وفيه سلامتكم ونأخذهم من غير قتال ولا نزال قالوا وما ذلك قالت تقوموا وتدخلون الدير وتقولون لأهله أن هؤلاء الذين بجانب الدير هم لصوص المسلمين ونريد منكم إذا أصبح الصباح يخرج سيدكم ومقدمكم ويقول لهم أن يحضرون طعامه قبل رحيلهم ويقول انى ماعبرنى عابر من هذا المكان إلا وأضيفه ويأكل زادى وهذا نفعله مع الأمة المسيحية ومن سائر الروم ثم يحلفون عليهم فاذا صاروا معهم فى الدير يعملون لهم الطعام فى البيت الذى فيه الصور وهو بيت من الرخام وبابه من الحديد الصينى لو اجتمعت عليه من الخلائق ألوف لما قدروا ان يفتحوه فاذا صاروا فيه وتحصلوا من داخله يغلق عليهم الباب وترسل إلى الملك ميخائيل كتاب فهو يأتى ويأخذهم وأنتم سالمين فقالوا البطارقة المسيح يطول عمرك فما أبرك من رأيك ثم ان القوم رجعوا إلى مواضعهم ينتظرون الصباح وهم معولين على الرحيل إلى مدينة القسطنطونية (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والأمر المطرب البديع الغريب قال فعند ذلك إلتفت لؤلؤ إلى الأميرة ذات الهمة وقال لها اعلمى أيتها الأميرة ان هذا الدير له فى كل سنة عيدما يبقى فى بلاد الروم بنت ملك الا تحضره ويحملون الشموع والنذور اليه وهو عيد النساء وان النسوان يباهون الرجال بما يحملون اليه من الأموال والرحال ويوم الأحد بعد أربعة أيام يكون عيد النساء ويحضر فيه كل ملكة للروم فلعل الجارية التى هى زوجة الملك ميخائيل تسير اليه فى جملة النسوان فتقرب علينا الطريق ونفوز بالسعادة والتوفيق ومع ذلك فانى أرى الأمير ظالم وقد زاد به الضعف وماله فى تلك الأيام قدره على ركوب الخيل وهذا المكان أخف لناوله ماذام بهذا المرض الشديد فقالت الأميرة ذات الهمة هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ولم تعلم ماسبق لهم فى أم الكتاب حتى ذهب ديجور الظلام وأشرف ثغر الصباح بالابتسام هنا لك أقبلوا أهل الدير إلى الاميرة ذات الهمة ومن معها وكان اللعين

شومدرس الذئب الاجرب قد رتب معهم ما قالت اللعينة شوما فأتوا الجميع اليهم وصلبوا على وجوههم وقالوا لهم أيها القوم القادمون علينا والواردون الينا اعلموا انه قد جرى لنا فى موضعنا هذا عادة ولا بد لنا من فعلها ولا نستحسن أبدا نقطعها وهو اننا نطعم طعامنا لكل من يعبر علينا ويصل الينا وقد شاع عنا ذلك فى بلاد الروم فلا تقطعوا عنا ماتعودنا عليه طول أعمارنا من الرسوم وأخلاق البطارقة تجيب إلى الاكرام فنحن نبلغكم مرادكم ونهلك أعداءكم إذا كنتم تدخلوا معنا إلى الدير (قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة يا كرام فلما سمعت الاميرة ذات الهمة ذلك الكلام أجابت اليه بحسن اهتمام ولم تعلم بما قدره عليها الملك العلام وكذلك غلمان الامير أبو محمد البطال ثم ان لؤلؤ التفت إلى الاميرة وقال لها أيتها الاميرة والسيدة الخطيرة ان لنا فى دخولنا إلى هذا الدير منافع عدة وهو اننا ندخل إلى هذا الدير وننظر اليه وإلى من الذى فيه فاذا أقبلت اليه النسوان من كل جانب ومكان وكانت فيهم الملكة مليكه زوجة الملك ميخائيل أخذناها وإذا لم تجىء فربما ينظر الامير ظالم إلى بنات البطارقة الذين كأنهن البدور الطوالع فلعل أن يميل قلبه إلى واحدة منهن والا خاطرنا بنفوسنا وددخلنا إلى القسطنطونية وبذلنا المجهود فقامت الاميرة ومعها غلمان البطال ودخلوا معهم الدير فقالوا البطارقة وهذا الغلام لم لايكون معنا فقالت الاميرة هو مريض شديد المرض لايقدر على أكل الطعام ولا له قدرة على القيام فعند ذلك دخلت الاميرة ذات الهمة إلى الدير والغلمان معها وصاروا فى بيت الرخام وهم متقلدون بالسيوف الرقاق من تحت أثوابهم وجلسوا من حول الطعام والرهبان على رؤسهم قيام ثم خرجوا من عندهم على أنهم ينقلون اليهم أنواع الطعام وانطبقت الرجال على الباب فغلقوه وطرحوا عليه الاقفال الحديد وتصايحت العرب والرهبان وجعلوا يضحكون ويقولون أخذنا مخربة الاطلال والدمن وصاحبة المصائب والفتن فقالت الاميرة كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله لقد عميت بصيرتنا ومكنتهم القدرة منا ومانى إلا الامير ظالم لانه ماله قدرة وأما نحن فقد وقعنا بلا محاله وخرجت الرجال إلى الامير ظالم فأخذوه أخذا بالكف وما فيهم الا من هو عليه حنق لما بينهم وبين الامير عبد الوهاب من الحروب والوقائع وخرج شومدرس ولا لايصدق بالنصر وقد دارت الرجال بالأمير ظالم وهو مكتوف وقد عول شومدرس على ضرب عنقه وقال من أخذ تاره فى آخر عمره ومات فلا حسرة فى قلبه وهذا أقتله عوضا عن ولدى دهر شوم فقالت له العرب المتنصرة اعلم ياأبونا أن الملك ميخائيل مايعمل إلا بمشورة الشيخ النجيح وهذا

له عنده حكم عظيم مثل الاسود عبد الوهاب والصواب انك ترسل الى الملك يرسل اليك مائة فارس ويفتح على هؤلاء ويأخذهم من القبة ويحلون الكل اليه وبعد ذلك فأنت تأخذه من الملك ميخائيل تفعل به ماتريد وكان الرسول الذى مضى إلى ملك الروم الشيخ دغفل المتنصر لأنه قال ان أرسلت طائر سارت الروم كلها إلينا ونريد ما يكون لأحد مع المتنصرة شركة حتى ينالون عند الملك ميخائيل مكان عظيم (قال الراوى) وسار الرسول على ذلك ثلاثة أيام ووصلت النسوان يوم السبت إلى الدير من كل جانب ومكان ونظر الأمير ظالم وهو فى جانب الدير إلى بنت الملوك والبطارقة فتذكر الجارية وما حل بالأميرة ذات الهمة من أجله فتنهد وأنشد

الليل من سهرى على نهار　　يزداد طولا والدموع غزار
أرعى نجوما ما تغيب كأنها　　افلاكها وقفت فليس تدار
وألوم قلبا فى هواك حذرته　　منه فما أغناه منك حذار
لما رأت عينى إلى أعطافها　　والخصر ملتف به الزنار
وخفت حتى حرمت عضوا ناحلا　　وضعفت إذ دارت بى الكفا
قد كنت أضحك أن رأيت متيما　　وأقول هذا فى البرية عار
حتى رأيت جمالها وكمالها　　ولقيت ما فعلت بى الأقدار
قد كان دمعى فى النوائب جامدا　　واليوم عينى للبكاء تعار
ورأيت ذلهمة لأجل مطالبى　　صارت أسيرة عصبه الأشرار
خدعت بحيلة كافر ذو حيلة　　شومدرس الملعون والغدار
وبقيت فى قيد بأحجل أننى　　بى يأخذون لدهرشوم الثار
والله لولا أننى ذو لوعة　　مما أحن وفى فؤادى نار
ما كان جمع القوم لما أقبلوا　　وصلوا إلى وصدهم بتار
وتركتهم وسط الفلاة لو أنهم　　فى كثرتهم الأوراق والأمطار
ما كنت أول وامق ذو حسرة　　قتلوه دون هواه وهو عوار

(قال الراوى) فلما كان يوم الأحد وصلت من القسطنطينية النسوان أفواجا أفواجا ودخل خادما مثل القمر المنير وخلفه عشرين جارية كأنهن الأقمار وفى أوائلهن جارية الزنار على خصرها والصليب فى صدرها وهى مثل الغزال العطشان تفوق بالحسن جميع الإنس والجان وكانت هذه مليكه زوجة الملك ميخائيل محبوبة الأمير ظالم فخانت من ظالم التفاته فنظر إلى مليكة فطار قلبه من بين جنبيه وصاح ووقع

مغشيا عليه فنظرت مليكة إليه نصاحت وإيماه ما هذا فقالوا لها هذا ظالم ولد الأمير عبد الوهاب وهو أسير وكذلك ذات الهمة وأعادوا عليها القصة فدنت من الأمير ظالم وقالت وحق المسيح ما رأت عيني قط أحسن من هذا ظالم فما الذي غيره وهو فارس الخيل شديد الحيل فقالوا لها أنه مريض (قال الراوى) وما زالت واقفة حتى أفاق وهى تتعجب منه لأنها قد نظرته مرار وكيف يفعل بالفرسان ويبلبل الأقران وما زالت على أقدامها واقفة حتى أفاق وحدقت إليه بعيونها النرجسية (قال الراوى) فرجعت قوة ظالم إليه حتى حدثته نفسه أنه يهجم على كل من فى الدير وصبر إلى الليل وتمطا فى كتافه قطعه وكان القوم آمنون منه لما عاينوا من مرضه وقالوا هذا ما يعيش إلى أن تصل خيل الملك إلينا وما هو الا يهلك هذا وقد قالت مليكة للخادم وحق المسيح أن هذا المسلم لما خلص ميخائيل هو الذى قتل أكثر من كان فى القلعة وفعل معنا كل جميل ولا بد أن أسأل الملك فيه حتى لايقتله فقوموا بنا إليه حتى نطيب قلبه وسارت فى جوارها والحسن قد أجارها والخادم والشموع بين يديها وقد صاح الخادم على أهل الدير والعرب المتنصرة فتفرقوا حتى لايقفوا فى طريق زوجة الملك ميخائيل ووصلت إلى عند الأمير ظالم ونصب لها كرسى من الذهب وقالت بالعربى طيب قلبك وحق المسيح والإنجيل لاتركت الملك يقتلك ولو أراد الملك لما قبلت منه وكان (يا سادة) الملك ميخائيل قد هام بحبها وتشوش عقله بسببها لايقر له قرار ولا يصبر على الجلوس مع البطارقة الكبار بل من المجلس إلى الدار هكذا طول النهار ثم قالت مليكة وايش الذى يؤلمك فأنا وحق المسيح أداويك بالذى يكون فيه العافية كرامة لخدامتك لنا فى قلعة الشيطبان هذا والخادم قد طرح السيف الذى معه بين يديه وهو يلعب مع بعض الجوار وظالم منطلق اليدين فقال فى نفسه ماهذا وقت القعود مالى إلا أن أقوم الساعة وأرمى نفسى على كل من فى الدير وآخذ الجارية واخلص الأميرة قبل أن يفطنوا بنا الأعداء فلما حدثته نفسه بذلك وقالت له مليكة أنا أداويك قال الأمير ظالم أما سبب مرضى فأتى من هذه الدنيا غرضى فلما سمعت ذلك خجلت واحمر وجهها فصاح الخادم وقال ويلك يا كلب العرب وحمال الحطب اليوم أحسن خطابك ياقليل الأدب فعندها قام الأمير ظالم كانه المجنون ووثب وثبة وخطف السيف من بين يدى الخادم ونادى ياابن العواهر واللخنا الكوافر لمثلى تقول هذا المقال وضربه على رأسه نزل السيف إلى أضراسه فولت النسوان وتبادرت الاقران وهمهمت الشجعان وسمع شومدرس بذلك فعض يديه لهفا وصاح فى الرجال وقال لهم اغلقوا الباب حتى لايهرب ظالم وحملوا عليه وقد جردوا السيوف

وأظهروا الحتوف وحمل الأمير ظالم عليهم وهو يرتجل ويقول هذه الأبيات

سيعلم شومدرس أننى * سألحقه الآن مع دهر شوم
وما كنت فى أسره باكيا * ولكن هواها لقلبي ظلوم
نهاري مريض وطرفى غضيض * وليلى أبيت وأرعى النجوم
إلى أن رأيت جمال الحبيب * فعادت إلى حياة تدوم
سأترك ذا الدير من جمعكم * قفار عليه غراب وبوم
أنا ظالم فاعرفوا همتى * ولولم يكن فى غير الرسوم

(قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى نصف الليل وقد قتل الأمير ظالم من القوم سبعين رجل من أهل الدير وعشرين راهب وهرب باقى الرجال وشومدرس قد رفع ثيابه على أكتافه وشوما زوجته خلفه يطلبون الباب فوثب الأمير ظالم وحال بينهم وبين الباب ولم يزل يضرب فيهم حتى قتل الباقين ولم يبق إلا الراهب شومدوس وشوما وانها لما نظرت إلى الأمير ظالم أيقنت بالمهالك وولت هاربه تريد الملكة مليكة لأنها الملعونة لما نظرت إلى الأمير وهو يذكرها علمت أنه مادخل إلى بلد الروم إلا بسببها وما كان مريضا إلا من شوقه اليها وأن شوما أرادت أن تستجير بها فسبقها الأمير ظالم من حنقة عليها لأنها كانت طول النهار تلطمه على وجهه وفى أوقات تعول عليه وأعوذ بالله من بول العجائز وصنابه وكان يقاسى منها البلاء وهو موثوق بالكتاف وعليه ذل الهوى وشغل القلب وما كان يقدر يجاوبها ولا يمد يده اليها فلما هربت علم مافى نفسها فوثب وثبة على وثبة كانه الأسد وضربها بالسيف على إحدى كتفيها فقطع إلى أن خرج من بين فخذيها ووقعت شطرين وعجل الله بروحها إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) ولما نظر شومدرس إلى ذلك أيقن أنه هالك فسلم روحه وقد طار عقله فقال ظالم والله لما أكف عنك القتل حتى تشتفى منك جدتى ذات الهمة (قال الراوى) ثم دنا إلى باقى الرهبان الذين فى الدير وقال افتحوا باب بيت الضيافة يا كلاب الرهبانية وإلا قضيت عليكم عن آخرهم يا أولاد الحرام ففتحوه فى الحال (باسادة) ونظرت الأميرة إلى ذلك فحمدت ربها على هذا النصر وسألت ظالم عن هذه القصة فأعاد عليها مجىء الجارية فقالت والله لو كتب هذا الحديث بماء الذهب على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم أن الأميرة وثبت كاللبوة الضاربة وقبضت على قائم سيفها وأخذت درقتها وقصدت وسط الدير وكذلك الأمير ظالم ولؤلؤ وأصحابها بين يديها كانهم شياطين الأرض وقبضت الأميرة على مليكة وبنات البطارقة وما معهم من الأموال وهو مالا عين رأت ولا أذن سمعت وقيدوا شومدرس وأخذا الجارية مليكة ورأس شوما وساروا

ولو كان لهم أجنحة لطاروا طالبين بلاد الاسلام يقطعون الفيافى والقفار والأديرة والامصار خمسة أيام فلما كان اليوم السادس لحقتهم الخيل مثل قطع الليل فى عشرة آلاف فارس كالليوث العوابس هذا والأمير ظالم قد ذهب مابه من المرض ونال من الجارية مليكة الغرض ونظر إلى ذلك هو والأميرة ذات الهمة ورأوا حرب بن شيبان مقدم العرب المتنصرة فاستندوا إلى جبل يقال له الجبل الأحمر وأرسلت الأميرة ذات الهمة لؤلؤ ليأتى اليها بالنجدة ثم حمل ظالم وتلاقا الفرسان ومزق الاقران وأباد الأبطال وهو يهدر كانه الجمل الهائج فى الربيع ثم أنه قال لذات الهمة جدته دونك وأى جانب منهم وأنا للجانب الآخر ثم دكس على الخيل وهو ينشد ويقول :

ألا فاخبروا عنى مليكة اننى ٭ خلاف الذى كانت تريد لها بعلا
وقد علمت انى تركت رجالهم ٭ على سادة فى الدير من صارمى قتلا
وخلصت غلمان الأمير جميعهم ٭ وذلهمة أكرم بها مالها مثلا
وحزت الذى يهوى فؤادى وغيرها ٭ من المال والديباج بالرمح والاسلا
وأعطيت شوما ضربة عربية ٭ قطعت بها رأس لها قسمة عدلا
وزوجها قد أضحى لدينا مقيدا ٭ حزينا كئيبا يندب الأهل والخلا
وأدركنا حرب بن شيبان سرعة ٭ بجيش تضج الأرض من كثرة وجلا
وما لامنى فى الجيش بالحرب لائم ٭ زجرت عدوى ثم ناديته مهلا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وحمـــل حرب بن شيبان وقال ويلكم انطبقوا عليهم وارفعوهم على الرماح وقطعوهم بشفار الصفاح فلما سمعوا كلامه حملوا عليهم واشتد الكرب وزاد الحرب وأسندوا المسلمين ظهورهم إلى الجبـــل ونادت مليكة وهى تحرض الروم على القتال ونادى شومدرس عـــلى العرب المتنصرة يقول ارحموا الشيخ العالم وخلصوه من يد هذا الظالم وارحموا من قد أصبح أسير ومفارق لزوجته شوما هذا وقد توقدت عليه الشمس فحميت عليه الجلاميد واندهـــل الفارس الصنديد وأجاد الهمام الشديد ولم يزل القتال فى تلك النهار إلى وقت الزوال وقد قصرت الخيل التى تحت الأميرة والأمير ظالم وقد أشرفت على الهلاك فنادت ذات الهمة إنزل بنا يابنى حتى نصل إلى هذا الجبل فلعل الفرج يكون قريب فهذا ما كان من الأميرة ذات الهمة (وأما ما كان) من غلمان البطال فانهم لما وقع بهم الملل رفعوا مليكة مع الجوار والأموال إلى أعلا الجبل ومعهم أبو الشر شومدرس وقد تحصنوا الكل هناك وقعدوا عندهم يحرسوهم هذا والأميرة لما قالت لظالم اطلع بنا إلى الجبـــل

وكان الأمر كذلك فترجلت خلفهم الرجال وكل واحد منهم كانه شيطان حتى وصلوا إلى باب الكهف فلما نظروهم الغلمان نزلوا عليهم رمى بالاحجار ودحرجوها عليهم من الاعلى إلى الادنى فهشمت الرجال فعند ذلك عادوا راجعين وقتل منهم أربعة وعشرين وتكسر سبعة وقد حجب الظلام بينهم فهذا ماكان من هؤلاء (وأما حرب ابن شيبان) فانه أقام الحرس عليهم خوفا من هروبهم وهو لايقدر يصعد اليهم لأن الكهف الذى هم فيه ضيق المطلع وذات الهمة قد وجدت راحة ثم طلبت من غلمان البطال الماء فقالوا والله يا أميرة من خوفنا ماأخذناه هنا هذا وقد اشتد بها الظمأ فعندها قام سبك وقال أنزل وأجيب لكم الماء وتوكل على رب الأرض والسماء قال ولم يكن له طريق الا على القوم فنزل وهو يقرأ فى هذه الآية وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون هذا ولم يزل يخترق المضارب والخيام ويدور فى أوساطهم حتى أتى إلى مضرب حرب بن شيبان وهجم عليه فوجده نائم ومن حوله الغلمان وهو آمن على نفسه ويقول أن القوم محصورين من داخل الجبل فى المغارة ولم يخطر فى باله أن يطرقهم طارق هذا وان سبك قرب من قربة الماء وعول على حملها فحدثته نفسه أن يأخذ حرب ابن شيبان فخاف أن يفيقوا ولا يحصل له ويعدم أخذ الماء فتركه ولم يتقدم اليه ثم تقدم وقد سحب من وسطه خنجرا أمضى من القضا وذبح الرجال الذين حوله وكانت عدتهم عشرين ثم دنى من حرب بن شيبان ووضع الكورة فى فمه وهو راكب صدره الخنجرة فى يده وحمله على أكتافه وقربة الماء فى يده الثانية وقد خرج من السرداق وعبر على الرجال النيام وهو من خلف الخيام حتى وصل إلى الجبل هذا وقد وقع الصوت فتبعته الرجال وحرب بن شيبان على أكتافه فهم الأمير ظالم وذات الهمة ونزلوا إلى الرجال سقوهم كاس الهوان ودام القتال إلى الصباح وقد بدأ الضوء ولاح وقتل من القوم مائة وعشرة وتخلص سبك بما معه وحمد الله على ماأعطاه إلا والغبار غبر فجعلوا القوم ينظرون اليه وكانت هذه الغبرة غبرة أرمانوس صاحب ملك الروم ميخائيل ومعهم عشرين ألف من البطارقة والرهبان لأنه قد قام من القسطنطينية إلى البنجاك ونصب فيها ملك لأن ملكهم كان قتل فى يوم حرب كوشانوش فلما عاد وسمع بهذه القصة سار إلى العرب المتنصرة فوجدهم قد عولوا على الهرب والفرار وان أرمانوس لما أقبل ورأى ذلك سأله عن الحال فأخبروه بأسر مليكة وقتل الراهبة شوما وشومدرس الآخر أسير فعظم عليه وكبر لديه فقال وحق المسيح لأقولن لميخائيل أن يقطع ديوان العرب المتنصرة ثم قال ماهذا عليكم ذل وعار وان يكون رجل وامرأة يقوموا فى مقابلة عشرة آلاف من العرب

فقال له رجل من العرب وكان مجروح أنت حلفت انك تقول للملك ان يقطع خبزنا ورواتبنا فوالله ما بينك وبين الموت الاحتى ينزلوا اليك ويخرج روحك من بين جنبيك فلما ان سمع ارمانوس ذلك الكلام غضب وهم أن يقتل ذلك الرجل فقالوا رجاله ماهذا صواب أن تقتله وماندرى مايكون منك ومنهم فدعه سالم حتى يرى ماتفعل بهم وما يفعلون بك وان كانت لك لامانع من قتله على كلامه فتركه وأمر البطارقة أن يصعدوا إلى الجبل هذا وقد عمل القتال والحرب والنزال بطول ذلك النهار ولم يزالوا على ذلك المنوال أربعة أيام وفى اليوم الخامس وغبرة قد قامت وانقطعت عن أربعة آلاف فارس فى الحديد غواطس ولؤلؤ فى مقدمة الجيش وهو يصيح قد جاءكم الفرج من الله تعالى الحنان المنان الذى لايشغله شأن عن شأن فبلغ الخبر لارمانوس مقدم الروم بأن يانس المتعذب قد أقبل فأرسل اليه ارمانوس يقول ماالذى قد أخرجك من حصنك وأتى بك إلى ههنا فلما ان وصل اليه الرسول وسمع منه ذلك فأنفذ اليه مع الرسول يقول له فعلك الردىء لأن بينكم وبين الإسلام هدنة بعشرة سنوات وأنتم قد أرسلتم شومدرس حتى يعمل على الاميرة وعلى عبد الوهاب وهؤلاء لهم عيون وارصاد فى بلاد الروم ومع ذلك فانهم لما سمعوا بذلك ساروا لمن خرج فى طلبهم وهو يريد عطبهم بغير جناية وصلت منهم فلما سمع أرمانوس ذلك من الرسول انفذ ثانى اليه يقول دع عنك هذا الكلام وحق الإنجيل ماأنت الا مسلم وتريد أن تصلح نوبتك معهم فلما وصلت الرسالة اليه أرسل يقول له أما ماذكرت فانه صحيح وانا فلا أنقض عهد القوم الذى بينى وبينهم فلما سمع أرمانوس ذلك قال البطارقة اعلموا أن الملك منويل مامات إلا بحسرة هؤلاء فاحملوا عليهم وخذوهم هذا وقد نظرت الاميرة ذات الهمة إلى ذلك فنزلت ونزل الامير ظالم من الجبل وحملوا على الروم ومكنوا منهم الحسام وفلقوا الهام وزلزلوا الاقدام ولم يزال السيف يعمل والدم يبذل حتى وصلوا الى عند يانس وهو فى وسط الروم فطلعت العرب إلى الجبل المرتفع العالى وملكوا غلمان البطال وقد أخذوا شومدرس وحرب ابن شيبان وخلصوا امليكة من الكتاف وعلم ظالم بأخذ مليكة فصاح مثل الجمال وقد أحدقت به الخيل والرجال من كل جانب ومكان وما زالوا كذلك حتى ذهب النهار وافترقت الفرسان وتحارس الجيشان إلى أن أصبح الصباح وذات الهمة شكرت يانس على فعله وقالت له لله درك أيها الأمير الأجل الماجد والبطل المجاهد فقال لها طيبى نفسا وقرى عينا واشرحى صدرك فوالله ما منا أحد إلا وقد هان عليه القتل فى سبيل الله فدعت له الأميرة وقالت له هل طايرت الطيور إلى ملطية وعرفت الأمير بهذه القضية فقال لها نعم وقد قلت فى آخر الكتاب العجل العجل فطاب قلبها ولما أصبح الصباح

وقع الحرب والكفاح وقتل جماعة من أصحاب يانس وقد بان فيهم النقص ولم يبان في الروم لكثرتهم ولما كان في اليوم الثامن والغبار غبر حتى سد الأقطار وبان من تحته صلبان وعسكر ميخائيل وقد وصلت وهي مائة وعشرين ألف فارس وكان السبب في ذلك انه قد أبطأ عليه خبر العرب المتنصرة ووصل اليه خبر الجارية مليكة فسير أرمانوس يكشف له الخبر فغاب عنه خبره فقام بنفسه وقال وحق المسيح لو دخلت إلى بلاد المسلمين لم أزال وراءهم ولا أرجع إلا بها ثم انه سار حتى لحق الناس كما وصفنا وكان وصوله آخر النهار وقد أخبروه بخلاص شومدرس وقتل زوجته فقال ميخائيل وحق الإنجيل لاقتلن بثأر شوما الراهبة إلا ذات الهمة العاهرة عشاقة العبيد ولابد من يانس وأصحابه ذات اليمين وذات الشمال فهذا كان السبب وأما يانس لما رأى ذلك تغير لونه فقالت له الأميرة ماحالك قال لها اعلمي أيتها الأميرة القتال في موضع الغلبة مذلة والعاقل من ينظر في العواقب وما أنا ما أنا خائف الا عليكي لأنك ركن الإسلام فقالت له الأميرة اعلم يا يانس أن الرأي عندي ان تركب انت واصحابك ويهربون تحت الليل وانا افديكم بروحي وأرد من يتبعكم فان سلمت أنت واصحابك بلغت الغرض من سلامتك فقال لها يانس والله ماأسفي على قتلي وقتل أصحابي مثل ما بي أنتم والرأي عندي ان تأخذي الامير ظالم وتنجوا واذا سلمتم فما أبالي بعد بأي موتة أموت قالت له الاميرة اصبر سوف يأتيك الفرج واما انا في غداة غد أريد أرمي روحي تحت الصليب الذهب والعلم الاخضر واقتل ميخائيل ومتى قتل هجت عساكره ولا تقام لهم راية ومازالوا في ذلك حتى أصبح الصباح فركب الملك ميخائيل وقال للبطارقة ياويلكم خذوهم وبسيوفكم انهبوهم فعند ذلك حملت البطارقة مرة واحدة واحدقوا بهم كما يحاط السوار بالمعصم أو الخاتم بالاصبع فوالله ما كانت الالحظة حتى أخذوا يانس أسير وثلاثة آلاف من أصحابه وقتلوا الباقي في سبيل الله ولم يبق غير الأمير ظالم وذات الهمة وأخذوا لؤلؤ غلام البطال ودارت الأبطال بظالم وذات الهمة وقد أيقنوا بفناء الأعمار وقد كلت خيولهما ووقفت عن الجولان وتكردست عليهم البطارقه ومال الملك ميخائيل وصاح ياويلكم شيلوهم على أسنة الرماح فهجمت عليهم البطارقة ولم يبق في أخذهم إلا شيء يسير وإذا بالغبار غبر وقد ظهرت الأسنة وتراكمت الاعنة فوقفت الروم ينظرون إلى ذلك وإذا برايات اسلامية واعلام محمدية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي أوائل الخيل عبد الوهاب وخلفه سائر الأصحاب من أبطال بني كلاب والسودان الانجاب فلما نظر ميخائيل إلى ذلك أقبل على قومه وقال لهم اعلموا أنني قد نظرت البارحة منام أشغل قلبي وسرى هذا وقد خرجت الأميرة بين العساكر وتعجبت

إلى ذاك الفرج الذى قد أتاها فنادت الله أكبر وحملت فخرجت الصفوف وجدعت الانوف ولوحت القحوف ولعبت فى أوساطهم بمردوف فبينما هى كذلك وإذا بشخص قد أقبل عليها مبادر فلما رأته حملت عليه فكشف عن وجهه اللثام وإذا به صابر المرعشى الجاسوس الذى للاسلام فنادته ما معك من الأخبار ياصابر فقال لكى البشارة أيتها الأميرة من جهتين أحدهما بقدوم الأمير عبد الوهاب ورجال بنى كلاب والوجه الثانى حديث لله فيه رضى وهو معها فى الكلام وعبد الوهاب قد حمل ونادى الله أكبر وقد حملت بنى كلاب والسودان الانجاب وبنى سليم وغيرهم من الاعراب وعظم المصاب وقد سالت الدماء وحمل ظالم وهو ينادى على البطارقة والرهبان خاب أملكم ياعابدين الصلبان اليوم تشربوا كاس الهوان وما كانت إلا ساعة حتى انطرحت البطارقة على وجه الأرض فى الطول والعرض وحمل عبد الوهاب وطعن صاحب العلم فقتله وهجم على ميخائيل تعلق بجلباب درعه أخذه أسير فلما رأت البطارقة ملكهم أسروه المسلمين وولوا الأدبار وهم طالبين الديار وقد أخذوا مليكة وشومدرس ومانجى من أصحاب الملك إلا من جواده سابق وفى أجله تأخير وخلصوا الأمير يانس وأصحابه ثم أنه أقبل على ذات الهمة وهناها بالسلامة ثم أقبلت على صابر المرعشى وقالت له أن قلبى متعلق بكلامك فما الذى قد قلت قال لها ما أغفلك عن الجنة التى قد فتحت أبوابها فقالت له الأميرة بأى شىء فقال سارعى ياأميرة فهى قصة عجيبة وذلك اننى قد عرض لى حاجة يوم فى بلاد الصقلب وقد قصدتها وطلبت حاجتى فلم أقدر عليها وكان طريقى إلى تلك الحاجة من بحر الروح وهو الاقليم الثامن من جهة أرض يهودا ابن يعقوب عليه السلام فقالت ذات الهمة وعبد الوهاب وما كانت حاجتك الذى قصدت من أجلها إلى هذه البلاد التى قط ما سمعنا بها إلا منك فقال يامولاتى اعلمى أن لى بنت لاتنام الليل ولا النهار من الضربان الذى بها وكنت سمعت أن فى بلد الصقلب حكيما يعمل دهان لذلك الداء ويقال له دهن السواكن وهذا الدهن إذا وقع على صاحب الضربان سكن مابه لوقته وساعته ولو كان له عام مع صاحبه وثمن الدرهم من ذلك الدهن بثلاثة دنانير ذهب أحمر فلما سمعت ياأميرة بذلك من الذى أخبرنى بهذا الدواء هان علىَّ أن أجيبه ولو الدرهم بعشرة لأجل راحة بنتى فسافرت حتى وصلت إلى بلد الصقلب وسألت عن الحكيم فقال لى أنه قد سار من هذه الأرض لأنه ما كان من الصقلب بل كان من الأرض الثامنة من طائفه يقال لها القرازمة لأنهم لم يقولون أن المسيح روح الله بل يقولون أنه إله سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون الجاحدون علوا كبيرا فلما أن سمع عبد الوهاب وذات الهمة ذلك اقشعرت أبدانهم ثم قالوا والله ما سمعنا بهذا الحديث فى طائفة من الروم

من قبل هذا اليوم ثم قال صابر ولما سمعت يامولاى بهذا الحديث حملنى الاشفاق والصبر حتى وصلت لتلك الأرض وكان بينها وبين الصقلب كما بين ملطية والقسطنطينية ولا يوجد فى طريقهم من الماء إلا فى كل ثلاثة أيام مرة ولذلك لم يدخل اليهم قط من عسكر الروم أحد إلا ويهلك من شدة الظمأ وأما فى زمن الشتاء فلهم فيه برد شديد وتعلو الثلوج على بعضها حتى تسد الطرقات فلا سبيل لأحد عليهم ومع ذلك فانهم فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى ولهم حصون وضياع وقلاع وقد رأيت لهم مراكب كثيرة فى البحر وتدخل مراكبهم إلى السند والغرب وهم حسان الوجوه والملك الذى لهم مثل أربعة رجال جل الذى خلق وصور وسألت عنه فقيل لى أنها أنثى ليس ذكر ولها وجه كانه القمر المنير والله ما تصلح الملكة نورى أن تكون لها خادمة ولا شمسية ولا ملكية الكل عندها لايسووا شىء وبالله أيها الأمير أشتهى أن تكون هذه الجارية ملكة لكم من دون الرجال فقالوا هى بنت الملك وانها فى الشجاعة بمكان عظيم وأنها إذا غضبت على كل من فى الأرض وأرادت لأخذت أموالهم وقد بلغ من قوتها أن تأخذ بقوائم الجمل العظيم وترفعه عن الارض بقوة زندها وساعدها ساعة ثم تضعه على الأرض من يديها وقد عطبت قوائمه من شدة قبضتها عليها ومع ذلك قد وهبت روحها للسيح وهى يقال لها كرنة وكل من أرسل من الملوك لها أنه يريد الزواج لابد أن تقتله ولم ترضى لها بعلا ولها فى البحر ألف مركب حربى بالعدد والرجال ولقد دخلت إلى تلك البلد فرأيت فيها من الأمول مالا عين رأت ولا أذن سمعت وفيها كنيسة يقال لها كنيسة العهد وفيها الرهبان شىء كثير وأننى لما نظرت إلى ذلك رأيت أربعة أبواب وعلى كل باب فارس وبيده قوس وبأيدى الفرسان البوقات إلى دخول الانسان لأن الانسان إذا رأى إلى تلك الاشخاص يظن أنهم من بنى آدم حتى لا يصل أحد من الأعداء اليها وهذا كله من عمل الناس القدماء من اليونان بطلا سمهم ويقتلون كل من قرب عليهم ومن فوق الاسوار المنجنيقات والفرادات والحجر على الصور مرصوص كيمان بجنابهم ثم أننى دخلت من باب تلك المدينة وقصدت إلى البيعة التى لهم وأنا فى زى الرهبان السائحين فى الأرض وقد سمعتهم يقولون سيروا بنا إلى الكنيسة التى فيها المسلمين الاسارى حتى نعذبهم كما جرت عادتنا فلما أن سمعت ذلك طار عقلى فسرت مع القوم حتى دخلوا لها وبقوا فيها ومديت نظرى فرأيت فى وسطها أربعمائة رجل ومائة امرأة والكل عرايا وفى أعناقهم الجنازير ومع كل واحد منهم كلب مثل الخنزير وهم مشدودين فى سلسلة طويلة وإذا أرادت الكلاب الخروج من الكنيسة منعتها السلاسل التى فى رقابها ورقاب المأسورين فتكشر الكلاب عن أنيابها فينهشوهم

وهم يستغيثون فلا يرحمهم أحد ورأيت الملكة كرنا وهى تحلف بالإنجيل وتقول لافرجت عنكم من هذا الذى أنتم فيه حتى تقولون ان المسيح هو الإله وهم يقولون لاكان ذلك أبدا ولو شربنا شراب الردا فلا رب إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى خلق عيسى ابن مريم لا إله غيره ولا معبود سواه وان محمد رسول الله وهم يقرؤن القرآن فأخذتنى الغيرة الإسلامية عليهم وصبرت حتى خرجوا الناس وقد انغلق الباب وأنا فيها فسترت وجهى عن نسائهم والجميع مثل البدور ولا أدرى من أى بلد قد أتوا بهؤلاء إنى ثم دنوت اليهم من جهة الرجال فرأيت شيخ مليح الصورة فتقدمت اليه وسلمت عليه بلسان العربى فلما سمع كلامى رد على السلام وبكى فقلت له يامولاى من أين أرضكم وكيف وصلتم إلى هذه الديار التى هى فى أيدى الكفار فقال الشيخ اعلم ياولدى انى أنا كنت ملك لهؤلاء القوم الذين تراهم من حولى غير انى مااغتريت بالملك عن عبادة ربى ساعة واحدة قط عن المفروض على ولا ألتى الله سبحانه وتعالى بظلم مخلوق واننى قد عزمت على الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام وقد تجهزت ومعى خواص من دولتى وقد خفنا من السير فى البر فركبنا البحر فى سفينة وقلعنا من بلادنا إلى جهة الاسكندرية لأن بلدى فى أقصى بلاد الملثمة وأنا يقال لى عبد الودود وما حملنى على ذلك الاشوق إلى بنتى وهى فى أرض الشرق ومتزوجة بأمير يقال له ظالم ابن عبدالوهاب أمير بنى كلاب فقلت أولا أحج والثانى أزور ابنتى وأجدد بها عهدى قبل الموت ولما ركبنا البحر أقمنا فيه عشرة أيام وقلنا اننا قد قربنا من البلاد وإذا قد هب علينا ريح عاصف أحرمتنا أن نسير الى امامنا وأقامت الريح علينا هكذا عشرة أيام ونحن لا نعلم الى أين سائرة بنا المركب ثم سكن الريح فأرمينا المراسى على أربعين قامة فى البحر وقد فرغ مامعنا من الزاد والماء حتى صار الانسان لايقدر أن يقف على طوله من الجوع ثم هبت الريح ثانى ساعة فأرمتنا إلى هذه المدينة وهذه الجزيرة التى ماكانت لنا على بال فأخذونا هؤلاء ونحن لانقدر ان نمنع عن نفوسنا وأخذوا كل ماكان معنا من المال وهو شيء لاتحمله الجمال وهم لايطعمونا إلا فى كل يوم وليلة مرة واحدة ونضرب الضرب الكثير الذى لانطيقه على اننا نرجع عن كلمة التحقيق ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم الشفيق ونقول كلمة كفرهم وهذا لايكون أبدا فلما سمعت منه ذلك قلت له أيها الشيخ ابشر فان الله سبحانه وتعالى قد فرج عنك وعن كل من معك فبكى وقال يا بنى بماذا فقلت له اعلم اننى أنا صاحب هذا الذى قد ذكرت واسمه ظالم ابن عبد الوهاب واننى قد دخلت هذه الديار لأجل سبب من الأسباب وما كان لى هذا فى حساب وما بينك وبين

الفرج إلا بمقدار ماأصل الى المجاهدين الذين قتلوا وفتكوا فى بلاد أعداء الدين وأذلوا العباد شرقا وغربا وهم المؤمنين بعدا وقربا فكأنك بهم وقد ساروا اليك وهم رجال بعدد النجوم يحملون الحديد فى طاعة الله الملك المجيد فسألنى عنكم فأخبرته بسلامتكم فبكى فرحا وقال لى يا أخى عجل بالرحيل ولا تقصد التطويل وإذا وصلت الى الأمير عبد الوهاب وظالم ابنه زوج ابنتى فقل لهم ان جماعة من أمة محمد مظلومين وقد تمكنت منهم الأعداء وهتكوا الرجال منهم والنساء وهم ينادون بالملك الأعلى وهم عراة الأجساد جياع البطون وفاض به الحال فأنشد يقول :

بلغى ياريح قصتنا ٭ واذكرى مابى من المحن
لأمير طاب عنصره ٭ وسقاه الوابل الهتن
فى سبيل الله نصرته ٭ لمدى الأيام والزمن

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وان صابر المرعشى قال ثم اننى صبرت الى أن أصبح الصباح وكنت سألتهم كم لكم وأنتم فى هذا العذاب فقالوا اثنين وعشرين شهر فودعتهم وخرجت أقطع البرارى والقفار وأنا أصل سير الليل بسير النهار حتى وصلت فى هذا النهار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عبدالوهاب والأميرة هذا الخطاب فبكى وزاد به الانتحاب وكذلك والدته ذات الهمة وقد مزق الأمير ظالم ما عليه من الثياب وفاق لبنت عبدالودود وكان كأنه فى منام واستيقظ وعبد الوهاب حلف وقال والله لانمت على فراش ولا خلعت عن جسدى الحديد ولاملأت جوفى بطعام حتى أشرف على جزيرة مطلبونة وأطلب من الله المعونة ثم انه قال للرجال ياإخوانى من أراد منكم الرجوع من هنا إلى ملطية فليرجع قالت المجاهدين لاوالله ماتفوزون أنتم وحدكم بالأجر والثواب ونحن خلف الباب وظالم يذكر ماجرى له لما كان عندهم من الكرامة وقد ترحم على البطال وقال هذه الدنيا دار نكد ولا ينجو منها أحد ثم أنه قال ارحلوا بنا من وقتناهذا فقالت ذات الهمة اعلم أيها الامير إنك تريد ترحل إلى هذه الأرض البعيدة ونخاف من عسكر الروم أن ينطبقوا علينا من خلفنا ولكن الواجب أن نصالح ملك الروم هذا على كل شىء كان عليه من المال والهدنة إلى أربع السنين وبعد ذلك نمن عليه بروحه ونطلقه من الإعتقال ونحمله جميلة بذلك ورأيك فى ذلك أوفى فلما سمع عبد الوهاب من أمه ذلك رآه عين الصواب فأحضر الملك ميخائيل وقال له رأيت روحك ياملعون كيف غدرت وأردت أن ترسل شومدرس يعمل على هلاكنا فقال ميخائيل أنا ماأعرف منك إلا العفو والمعروف فعندها وقع الصلح على أن مليكة يأخذها ظالم ولا سبيل لأحد عليها ويزن

المال ودية من قتل وإخراج الجزية فى كل عام على القدر الذى عرف بحمله للخليفة فقال ميخائيل فى سره أنا أنجوا فى هذه الساعة بروحى وبعد ذلك أجتهد فى خلاص مليكة وأقطع عليه خمسين ألف دينار هذا وقد سلم عبد الوهاب ميخائيل وشومدرس إلى يانس المتعذب وقال خذهما عندك حتى يحضر المال أطلقهما فقال سمعا وطاعة ثم سار عبد الوهاب وهو طالب مدينة مطلبونا وسار معه عشرة آلاف فارس من بنى سليم ومثلهم من بنى كلاب والسودان كانت عدتهم أربعة آلاف أسود وكان ظالم أرسل مليكة إلى ملطية وقد تقدم أمامهم صابر المرعشى يدلهم على الطريق ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى الأقليم المعروف ببلاد مطلبونا فرأوه أقليم عظيم وبلد هائل هذا وقد وقع الصائح بوصول العرب وجفلت أهل الإقليم وكان الأمير ظالم سائر فى المقدمة فأول ما ورد مكن منهم السيوف والقوم آمنين منذ ما خلقت الدنيا ولا يكون أحد فى يوم من الأيام قد تعدى عليهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد انقلبت الأرض وما انفض ذلك اليوم حتى صار على ظاهر البلد مائتين ألف من الرجال وهم خلق طوال والقسى والنبال فى أيديهم فقال الأمير لا إله إلا الله سبحانه الخالق البارىء وإن كان قتالهم على قدر أجسامهم فلا بد أن نلقى منهم تعب شديد هذا وقد أدركهم المساء فباتوا فى ذلك المكان حتى أصبح الصباح فقالت الأميرة ذات الهمة ما الذى ترى ياأمير من الرأى فما أرى لهم صوت ولا صياح فقال الأمير عبد الوهاب ما هذا منهم إلا احتقارا بنا والله هذا يدل على أنهم أبطال الأرض فى الطول والعرض فبينما هم كذلك وإذا بفارس قد أشرف عليهم ولم يسلم بل صاح بالرومى ياويلكم من أنتم وماتريدون ولماذا جئتم طالبون هل أنتم من عساكر ميخائيل الذين يقولون أن له شريك ولا يقولون أنه وحده هو الرب فأعلمونا من قبل أن ندوسكم بحوافر الخيل فلما أن سمع الأمير ذلك المقال وهو ينظر إلى الصورة من بعيد وهو كأنه الجبل الأسود وقد صار مفتكر فيه وفى الصورة والوصول إليه ثم أنه صاح على ذلك البطريق وقال له ارجع لمن أرسلك وقل له نحن من أصحاب منويل ولا ميخائيل نحن من أصحاب المظلل بالغمام وهو الشفيع فى يوم الزحام وما جئنا إلى هذه الأرض التى لكم إلا غيرة لله ولرسوله ولا بد ما تخرب دياركم فقال له الرسول بعد ماصلب على وجهه من كلامه ويلك ولم ذلك فقال له الأمير لأنكم كفرتم بالرحمن الذى لا يشغله شأن عن شأن فلما أن سمع البطريق منه ذلك رجع وهو غضبان إلى أن وقف قدام الملكة وقال لها اعلمى أن هؤلاء القوم الذين قد جاءوا أرضنا مسلمين من بلاد بيت المقدس وهم المجاهدين مثل القوم الذين عندنا مأسورين وقصدوا لهذه الأرض لأجل خلاص الذين عندنا ويريدون أن

يفتحوا بلادنا كما فتحوا بلاد الروم ومرادهم يأخذوا الديار فلما أن سمعت الملكة من الرسول ذلك قالت له ولِمَ لم خضبت سيفك من دمائهم فقال لها أيتها الملكة إنى لم أقدر أفعل أمر حتى تأذنى لى وها نحن بين يديكى فأى بطريق أذنتيه حمل عليهم ورد عسكرهم مكسورة فقالت من يخرج إليهم فوحق المسيح لو كانوا بعدد النجوم وخرجنا إليهم كان ذلك نقصا بنا وكان لها بطريق مقدم على عساكرها يقال له قفتخور وهو جبــــار عنيد يعد بألف فارس فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عبد الوهاب فانه لما مضى الرسول بقى واقف منتظر الجواب وهو كذلك وإذا بالعساكر قد تفرقت وانصرف أكثرها إلى البلد والباقى منهم مائة ألف بطريق هذا وقد اصطفت الرجال واشتهرت النصال وكانت تلك الساعة إذا نظر إليها الناظر طار عقله من هؤلاء العساكر وطولهم لأن أقل ما فيهم طوله ستة أذرع بذراع القوم فقال عبد الوهاب لوالدته يا ترى ما شأنهم فاننى أراهم قد افترقوا فقالت يا بنى أن القوم قد احتقرونا وقسموا العساكر هذا وقد نظر الأمير إلى خيل القوم وإلى زينتهم فعلم أنهم ملوك الأرض ثم صاح عبد الوهاب فى رجاله وقال ما وقوفكم اصدموهم قال وأبيك ماسمعت الرجال من عبد الوهاب ذلك حتى هجموا عليهم وهم يصيحوا الله أكبر الله أكبر ففرقوهم شرقا وغربا وطعنوهم بالرماح فانكسرت الرماح مما عليهم من الملبوس ولم تعمل فيهم وكان أكثر الدرق الذى معهم من جلد الدواب التى تخرج من البحر وقد ذكرنا أنهم كانوا يضربوا بالنبال جيداً عند ذلك صاح مقدم العسكر قفتخور وأوتر قوسه وضرب عبد الوهاب فجاءت للقضاء فى جواده نفذت منه ثم قال لجماعته كل واحد منكم يفعل كفعلى عند ذلك فعلوا وما كانت الا ساعة حتى بطحوا الخيل ولما نظرت العرب إلى ذلك أيقنوا بالمهالك ولما رأت ذات الهمة إلى ذلك صاحت بالسودان وقالت يا آل حام يا آل حام ثم أنها ترجلت وترجل معها أربعة وعشرين ألف من السودان من كل بطل أمجد وحذف عمامته عبدالوهاب إلى الأرض وقال أقسم بالله قسما صادقا لاركبت جوادى حتى أخضب سنانى ويدى من دم الأعداء هذا وقد حملت الأميرة والامير ولهم هماهم ودمادم وهدير وقد نظرت السودان إلى فعل ذات الهمة وعبدالوهاب وكيف انه كشف رأسه وأرمى عمامته فقال بعضهم لبعض كيف يكون الامير مكشوف الرأس ورؤوسنا نحن تحت اللباس وأرموا العمائم وصارت كل رأس مثل قدر النحاس ونادوا كلهم بصوت واحد واق واق فخيل للروم أن السماء قد انطبقت على الأرض وثبتوا قلوبهم وحملوا عليهم وصوبوا الرماح اليهم حتى إذا وصلت الرماح اليهم ضربتها الأبطال بالصفاح حتى تطايرت قطع هذا والسودان قد بركت على

الركب كأنهم سد من حديد وصفوا دروقهم على وجه الأرض فصارت كأنها حصـــن من الحصون وتحتها قلوب حبشان لايخافون من المنون (قال الراوى) ياسادة يا كرام وهجموا على الخيل عند تقصف الرماح وتلم الصفاح وضربوا قوائمها بالصوارم فبروا منها القوائم ونظرت العرب إلى ذلك فترجلت وما كانت الاساعة حتى طرحوا الخيل على وجه الأرض (قال الراوى) وترجلت الروم وعلقت الرجال بعضها ببعض باللحاء وامتلأ الأرض من القتلى وفاضت الدماء وعملت الصوارم فى الهامم ووقعت الرجال من شدة الصدام ونفذت السهام فى لبات الرجال الكرام وصار النهار مثل الليل الديجور لم تعرف العرب من العلوج ولاحت أبدان البطارقة مثل الثلوج ووقعت الأقيال من السروج وتقدم قفتخور وقد هاج كما يهيج الجمل وقتل من السودان والعرب نحو أربعين وهو قد ترجـــل وجعل يزبد كالفحل من الابل ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجع كل قوم إلى مكانهم وأضرمت النيران وتحارس الفريقان وأقبل الأمير عبدالوهاب على الأميرة ذات الهمة وقال لها ياأماه أقسم بالله رب الأرض والسماء إن كنت مالقيت من سائر الطوائف أوقح من هؤلاء القوم وما رأيت مثلهم ولا أصبر منهم على القتال ولا أثبت فى الحرب والنزال ولقد لقيت منهم اليوم تعبا عظيما ونصبا ورأينا من سيوفهم عطبا ولابد لنا معهم من هول عظيم لايصبر عليه الا كل كريم ثم سأل عن الأمير ظالم فقيل انه مجروح فعظم عليه وكبر لديه وقال علىّ به فأحضر بين يديه فسأله الأمير كيف سبب جرحه فقال حملت على هذا الملعون المقدم على الروم فلما أقبل احتقرت به وحسبت انه من بعض بطارقة الروم وتطاعنت أنا وإياه ساعة من النهار فطعن جوادى فقتله ولحق السنـان فخذى فوثبت إلى الأرض والا كنت قد عطبت ولو لم تدركنى السودان لكان قد قضى على من ذلك الجرح فقالت الأميرة مالهؤلاء القوم إلا البراز والا مانصل إلى مانريد وباتوا على ذلك والسودان قد غنموا من اسلاب الروم ماليس لاحد مثله وهم يختصمون ويقاتلون طول ليلتهم وبعضهم يغنى بلغة السودان ويضحكون ويلعبون (قال الراوى) ياسادة يا كرام وأما البطريق قفتخور فانه لما رجع إلى قومه قال لهم وحق المسيح لقد سار الينا الملك منويل فى أبطال الروم وسائر الطوائف فما لقينا قط أشد من هؤلاء المسلمين وما لنا أن نخرج اليهم واحد بعد واحد حتى نأخذ أبطالهم ونأسر أقيالهم (قال الراوى) ولما أصبح الصباح ارتفع منهم الصياح وزاد الصراخ وقد ركب

قفتخور وركب عسكر الروم كلهم لانهم وصاحت اليهم الخيول من البلد واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وتزاحمت الالوف وكان ذلك اليوم يوم مخوف وكان أول من خرج إلى الحرب الأمير أبو الهزاهز وهو راكب على جواد أدهم أسحم كأنه الليل المظلم وهو ماسح القوائم كأنها دعائم يسبق بجريه الريح الهبوب كريم منسوب سليم الاطراف سريع الانعطاف سهل القياد بقوائم شداد منية الطالب ورغبة الراغب يسبق الجنائب ولا تبعد عليه المشارق والمغارب راكبة فى أمان من المعاطب والأمير أبو الهزاهز من فوقه أعظم سوادا من هباب الحداد ولكنه كريم من الحبشان الاجواد فى يده قناة سمراء صلبة الأنابيب حسنة التكعيب وعلى رأسها سنان كانه كوكب أو نار ذات لهب أو حمة عقرب ثم أنه جال وصال ولعب فى حومة الميدان وأنشد وجعل يقول

ألا يا كلاب الروم قد هلك الكفر ۞ ولاح لنا نجم السعادة والنصر
رجال كماة ليس فى الخلق مثلهم ۞ اذا حكمت فى طول أبطالها البتر
وسوف ترى أبطالكم قد تجندلات ۞ وطار على أجسامهم طائر النسر
فهل فيكم ليث شجاع مبارز ۞ فيبرز نحوى قبل أن يأتيكم أمر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فما تم كلامه حتى قفز اليه فارس من الروم يقال له دقيانوس وكان من الأبطال المشهورين وحمل على أبو الهزاهز حملة صادقة وفى يده صمصامة بارقة وتحته حجرة سابقة وقد استتر بطارقة من عمل البنادقة وله همهمة مثل الرعود الخافقة وأخذ فى الاقبال والادبار والراحة والقتال والضرب بالنصال والطعن بالعوال والانعطاف والانفتال والركض والخبب والافتراق والانطباق والوقوف والسباق وقد قامت الحرب على ساق وزمجر أبو الهزاهز وطلع منه الزبد على الأشداق وتعندمت عينيه واحمرت منه الأحداق ونظروا الروم إلى فارس لايطاق وتضاربا بالسيوف الرقاق وعض كل منهما أنامله على صاحبه لهفا وجعل ينظر اليه أسفا حتى لاح المضرب لأبو الهزاهز فضربه على عاتقه أطلع السيف من علائقه وكبرت سادات بنى كلاب وزمجرت السودان الأنجاب هنالك زعقت عساكر الروم زعقة واحدة ورأيت الأمور متزايدة وإذا ببطريق تدخرج من المضيق على جواد مثل الفتيق يسبق البرق البارق ويفوت الطرف الرامق لايلحقه الطير السابق وفى يده سيف ماحق ورمح خارق ولما حققت الحقائق وأبصرته الأبصار الروامق وإذا به قفتخور الذى تقدم ذكره وقد قام شعر بدنه مثل المسلات وله همهمة مثل أسد الغابات فقالت الأميرة ياعبد الوهاب اعلم أن خير القول أصدقه فالحق أبو الهزاهز والا ماتلحقه فما هو من رجال هذا الملعون (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان قفتخور

حمل على أبو الهزاهز وحمل أبو الهزاهز عليه وقد ظن أنه مثل البطارقة فلما اختبره اختبار خالص علم أن حاله معه ناقص فالتفت إلى الأمير وصاح بصوت مثل صوت الجاموس الحقنى ياعبد الوهاب فقد حل بى العذاب فقال الأمير عبد الوهاب للأميرة ذات الهمة قفى موضعى ثم حمل عبد الوهاب كانه أسد الغاب وكان على جواد أبلق مليح كالبرق إذا برق أوالرعد اذا خفق لمشيته رونق وبيده سيف لوضرب به أصول الشجر لحق ورمح لوطعن به الجبل خرق (قال الراوى) ياسادة ياكرام وحمل كل واحد منهما على صاحبه هذا ويفتخور قد أخرج يده من جلباب درعه وكان له ساعدان كانهما اسطوانتان ثم أنه هممهم وللامير عبد الوهاب صدم وعليه هجم فغضب الأميرعبد الوهاب من فعله ونهمه (ياسادة) واحتكم القتال بينهما وطلع الغبار عليهما ونظرت الفريقان اليهما ووقعت الخيل من تحتهما وحمى الحديد عليهما وتطاعنا بالرمحين وتضاربا بالسيفين حتى لم يبق فى أيديهما غير القبضتين وافترقا فى الميدان حتى قيل أنهما لا يرجعان والتصقا حتى قيل أنهما لايفترقان ثم انكشف الغبار وكل واحد منهما قدبان حنقه على صاحبه وجعل ينظره ويرمقه ومناه عنقه ثم رجعا إلى ماكانا عليه من الكر والفر والنهى والأمر والحلو والمر واختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنه البطريق حتى اذا قرب السنان من الأمير عبد الوهاب انقلب واذا به لفرسه لبب ورجع الأمير أسرع من الأجل اذا اقترب وطعنه فى صدره أطلع السنان من ظهره فعند ذلك حملت الروم على الأمير عبد الوهاب فصاحت الأميرة بصوت جوهرى يهد الجبال وتفزع منه الأبطال ويذل لسماعه الأسد الريبال ونادت فى بنى كلاب دونكم وهؤلاء الكلاب وحملت السودان الأنجاب واختلط الصناديد ولان الحديد وكانت ساعة عظيمة يشيب لهولها الطفل الوليد وبان عند ذلك الضعيف من الجليد وقطعت المفاصل وبانت المقاتل وتشوشت العمائم وفاضت الدماء مثل فيض الغمائم وهلكت من هول ذلك اليوم العالم وانكسرت الروم وكان يومهم يوم مذموم وقتل منهم ذلك اليوم خلق كثير فأخذوا الناس أسلابهم وخيولهم وأموالهم وجعلت السودان يتراقصون ولا يخافون عواقب الفناء ولا يبالون وجعلت السودان تخلع ماعليها من اللباس وتلبس من أثياب القتلا حتى السراويل وقد نظروا إلى أبدان كأنها اللؤلؤ أو الثلج الأبيض هذا وقد وصلت الأخبار إلى البلد بقتل يفتخور فركبت الملكة كرنه وقد انقلبت البلد بأهلها وخرجت وضربت بين يديها البوقات وهم من الذهب والفضة وهى لا تخاف من كثرة العساكر ولم تفزع لقتل البطريق المقدم ذكره وضربت لها الخيام هذا وقد أمسى المساء ونزلت بظاهر البلد ونزل عبد الوهاب فى مكانه وطلب الأميرة

فلم يجدها فعند ذلك ضاق صدره وسأل عنها سائر الناس وكلا منهم يقول لانعلم لها خبر ولا أثر فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ولكن انظروا الأمير ظالم حتى انه يركب فى مع السودان الحرس الليلة والا يكبسونا فطلبوا الأمير ظالم فلم يجدوه فعظم عليه وكبر لديه وقال والله هذا ماكان فى الحساب فبات طول ليلته لايعلم هل هم قتلوا أم أسروا وعند الفجر ارتفع الصياح من السودان الذين كأنهم جن سليمان وأرموا الدروع والجواشن وبقوا بالسراويل مثل الجانب ولما نظرت الملكة كرنة إلى ذلك صلبت على وجهها وقالت لقومها ويماه هؤلاء كأنهم لاشك من دواب البحر فقالوا لها أيتها الملكة سمعنا ان فى الأرض من خلق المسيح من هو بهذه الصفة فقالت لهم اعلموا ان لاشك هؤلاء أقوى من بنى آدم فى العفة والشدة ثم انهم لعبوا بالطنابير وهم يرقصون فقالت كرنة وحق البحر إذا ذخر ان هؤلاء الذين نسمع بهم ويقولوا عنهم انهم عفاريت ومن الذى يقدر أن يقاتلهم ثم أمرتهم أن يهجموا عليهم حتى انها ترى قتالهم كيف يكون فأطلقوا عليهم الخيل فتلقتهم السودان بقلوب كأنها حجر صوان ساعة من الزمان واندقت البطارقة هاربة وإلى الملكة طالبة قالت ياويلكم ما الخبر فقالوا أيتها الملكة الإنسان يريد أن يقاتل إنسان مثله وهؤلاء كأنهم العفاريت المتمردين ولالنا قدرة عليهم قالت لهم الحق عندى أنا الذى فرطت فى قعودى عنكم ولكن فى غداة غد لأفعلن بهم فعلا يتحدثوا به إلى آخر الزمان وأجعهم على المأسورين الذين فى الدير وأصب عليهم أنواع العذاب هذا ماكان من الملكة كرنة وقومها (اسمع ماكان) من عبد الوهاب بات وأصبح وقد ركب فى رجاله وأبطاله وجعل ضيغم فى الميسرة وأخيه سيف الحنيفية فى الميمنة وقد استوحش العسكر لذات الهمة وغيبتها وكل طائفة تريد أن تعمل أكثر من الطائفة الأخرى هذا وان الملكة كرنة لما نظرت الى ذلك صفت عساكرها وترتبت للقتال فمد نظره عبد الوهاب فرأى عشرة آلاف بطريق قد وقفت على صف واحد قال فى سره وذمة العرب انى وددت من الله أن تكون هذه العدة للمجاهدين فى سبيل الله واذا بالصياح قد علا ونما هذا والملكة قد حملت وأشارت الى أصحابها بالحملة وكانت أصواتهم على قدر خلقتهم فارتجت الارض فى الطول والعرض وقد جاوبوهم السودان بالبربرة والدنقرة وكان أول من اندفع من القوم الملكة كرنه وهى رويدا حتى بقيت بوسط المعمعة كأنها فارس ذكر من عظيم خلقتها وطلبت أبو الهزاهز فارتما عليها بذلك القد والهيكل وهو كما نفهم السامعين أوصافه وأنشد

اليوم يوم الضرب فى ذا الكافرين والطعان بالخيطة والعوالى

فى طاعة الواحد ذو الجلال ... ولا نمل يوما فى القتالى
فانظروا اليوم إلى فعل العبيد ... فى موقف الحرب والنزالى
فهذه الوقعات من أشغالنا ... ولا نرهب لساعات النبالى

(قال الراوى) فتلقته الملكة كرنة حملة رجل جبار ولما نظر اليها نظرة أعقبته ألف حسرة ومن ثيابها الذهبية والطلعة البهية تخبل عقله وضاع حواسه فطمعت نفسه فأرادأن يأخذها أسيرة على قيد الحياة حتى تكون له زوجة وهو لها بعل ويكون له الفخر والفضل على أصحابه وقد همَّ أن يهجم عليها ليأخذها وإذ بقراقد انقض عليه كانقضاض الباز من جو السماء على أضعف الطيور وحمل عليها فصاح عليه أبو الهزاهز ويلك ياقراقد فما أجهلك خليها واطلب غيرها لأنى أريد أن أحظى بها وهى لى وأنا لها فقال قراقد لا كرامة ولا عزازة لك والله ولو يكون أسرتها لايتم لك ذلك ارجع أنت وتخلا عنها فما أنت من أهلها ولا من رجالها فغضب عند ذلك أبو الهزاهز وقال له وبلغ من قدرك أن تقول لى مثل ذلك يا ابن الحرام وأنت تعرف اننى أثبت منك جنان وأقوى فى حومة الميدان والطعن بالسنان وأما أنت فمصرى ولا قيمة لك ولا شأن وكم فى الصعيـــد مثلك يا ابن الألف قرنان فلما سمع قراقد ذلك صاح مثل الجمال وحمل كل واحد منهما على صاحبه هذا والملكة كرنة قد علمت ان كل واحد من هؤلاء أراد أن يحمل عليها فرده الآخر فوقفت وأرادت تعلم من فيهم الأقوى لأنها رأتهم كبار الأجساد كأنهم من قوم عاد هذا ولما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك الحال فرق بينهم بعـــد أن قامت عبيد هؤلاء على عبيد هؤلاء وقتل ما بينهم أربعة وعشرين من الطائفتين ولما استقر بهم القرار زعق عبد الوهاب على أبو الهزاهز وعلى قراقد وقال لهم اعلموا ان الرجال الذين قتـــلوا بينكم أنتم المطالبين بهم يوم القيامة قال أبو الهزاهز اننى ياسيدى لا أرجع إلا أقتل هذا الأسود قراقد حتى تكون المطالبة واحدة وقال قراقد مثل ذلك وقد زاد الكلام وكل واحد راح إلى مضربه والحسام مجرد فى يده وغلظة الأكباد فى داخل الأجساد فغضب الأمير عبد الوهاب وقد أمر بالقبض عليهم والاعتقال وقد طرح فى ارجلهم القيود ففعلوا بهم فى ذلك وقد قال لهم أخبرونى عن سبب هذه الفتنة التى جرت بينكم فقالوا له بسبب كرنه فقال لهم الويل لكم كنتم طرحتم القرعة وعلى كل من وقعت عليه يبرز إليها فى الأول ومع ذلك فما فاتكم شىء من ذلك وفى غداة غد عند الصباح إذا ركبت الرجال تروم الحرب والكفاح نرمى بينكم القرعة وتخرجوا إليها واحد بعد واحد واعلموا أنه على ما قيل لى انها اشجع من

البطريق الذى قتل وكل منكم يحترز على نفسه ولا يرجع إلى مثلها فقد هلكوا الناس بينكم واشتفوا الأعداء بفعالكم وانا فعندى من الهم والغم لفقد الأميرة وظالم الذى مثلهم ما يوجد ولا اعلم لهم خبر هل هم قتلاء أم أسراء وفقد ولدى إبراهيم قد أذهب صبرى وجلدى وأيضا أننى قد أصبت فى مثل ابو محمد البطال الذى مثله ما يوجد وما لحياتى بعده رونق فياليت الفراق لم يخلق لأننى والله متفكر فى هذه المدينة ولو رزقنى الله النصر على العسكر لبقيت مشتغل لأنهم ينهزموا ويدخلون كلهم فى مثل هذه البلد التى هى أحصن من آمد ولو أقمت عليها أبد الآبدين ودهر الداهرين لما كان لى اليها من وصول ولا إلى نحوها دخول ولو كان عندنا أبو محمد البطال لكان حالنا قد انبرم وعقد الرأى قد انتظم (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد بات الأمير عبد الوهاب على غاية من الهم والغم ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح تارت الرجال من مراقدها وحلت الخيل من مقاودها وجردت الأبطال سيوفها من أغمادها وتبادرت إلى مقام جلادها وركبت ظهور جيادها وكانت الملكة كرنه فى تلك الساعة تقول وحق المسيح لقد رأيت من الاسودين قتال مليح وأن هؤلاء القول مادخلوا إلى ديارنا الاوهم فى غاية الهمة وفتحوا ستة عشر أقليم من بلاد الروم إلا وهم أفرس أهل الأرض ولولا ذلك ما ثبتوا بين أيديكم ساعة واحدة وقد عولت فى غداة غد ان أخرج إلى البراز وأنظر إلى قتالهم فليس الخبر كالعيان (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا ولما أن أصبحوا من الغد كان أول من خرج إلى البراز وإلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب كانت الملكة كرنه وهى على جواد شديد الحيل والإمكان عظيم الهيكل وهى مع ذلك أحسن الناس وجها كما قد ذكرنا أول من الظرف والبياض بخد أحمر وطرف أكحل وقد أسيل وثغر جميل وخصر نحيل وردف ثقيل وقد ظهرت فى حلة سوداء على بياض يسلب الفؤاد وقد وقفت بين الصفين وصلبت على وجهها فعند ذلك صاح أبو الهزاهز يامولاى قارع بيننا فعندها قارع فوقعت القرعة على قراقد ثلاث مرات فعند ذلك خرج قراقد وهو فرحان كانه الفتيق على جواد له كالحريق وفى يده صارم رقيق ومازال حتى قرب منها فلم تمهله دون أن حملت عليه وقصدت إليه وقد حمل عليها بفؤاد جرى من حرصه عليها وكانت قد خرجت كما ذكرنا فى ثوب أطلس مدفون فيه زرد متزايد العدد كأنه عيون الجرد بأزرار ذهب فخلعت الثوب وأرمته عن بدنها وحملت على قراقد غير مكترثة به فمد قراقد عينه فنظر إلى مدرج أعكانها وبياض جسمها فأشغله ذلك عن الاحتراز من سنانها فلم يشعر دون أن طعنته بعقب الرمح فى صدره وقع على ظهره فانقضت

عليه أخذته أسير وقادته ذليل حقير وطلبت بعد ذلك البراز فخرج إليها أبو الهزاهز وقد شمت بقراقد لحمل عليها وحملت عليه وتضاربا وتطاعنا فانحرف كل واحد منهما عن طعنة صاحبه إلا أنهما فى حدة جرى الجوادين حك الركاب بالركاب فألقوا رماحهم ولم يلحقوا أن يتضاربوا بل تقابضوا بالكفوف ثم صاحت الملكة كرنة على أبو الهزاهز بلسان الرومى ومدت يدها إليه وهو فى هرجه ومرجه أخذته من بحر سرجه ورجعت به سلمته إلى رجالها شدوه كتاف وقووا السواعد والأطراف ثم عادت إلى الميدان وطلبت البراز فخرج لها الأمير ضيغم فأخذته فخرج إليها مالك ابن طوق فأخذته فخرج إليها الأمير راشد فأخذته وكذلك صندل أخذته فخرج فرج وكان من عبيد أبو الهزاهز ما قام معها إلا شىء يسير فأخذته فازداد بعبد الوهاب الحقد والحنق فخرج إليها وأنشد يقول

لعمرى ما حرب النساء بسائد ولا كنت شاهده مالم يشاهد
وعاينت منها لبوة زاد شرها على كل ليث كان فى الحرب ماجد
فلا بد من حربى لهـا لو أننى بقيت قتيلا بين واش وحاسد

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما فرغ من شعره ونظمه حمل عليها والتقوا مثل البحار إذا تلاطمت أو جبال تصادمت وفتحوا فى الأرض ميدان فقلع الأمير سنان رمحه وحذفه فى الهوى وتلقاه نزل محتكم بالسوى ثم دق بكعبه الأرض كأنه التحم ببعضه بعض فلما نظرت كرنه إلى ذلك الفعل الذى فعله فلم يعظم عليها دون أن ضربت بيدها إلى الرمح الذى معها وخلعته أنبوب بعد أنبوب ورمته إلى الأرض واعتمدت على الحسام ثم هجم عليها الأمير بالرمح وأراد أن يطعنها فضربت رمحه برته كما يبرى الكاتب القلم ثم تقابضوا باليدين وجالوا بالجوادين وقد خذل منهما الزندين فمع القضاء والقدر وقع جواد الأمير فى جحر اليربوع فنزل فيه إلى نصفه فانكبت عليه أخذته أسير وقادته ذليل حقير وأن الناس لمـا نظرت إلى ذلك وما حل بالأمير أرادوا الحملة عليها حتى يخلصوه من يدها فمنعهم من ذلك سيف الحنيفية وقال لهم إن حملتم عليها هلك الأمير لأن هؤلاء لا ينظرون فى عاقبة ولا يعرفون من هو الأمير ووالله ما أخذأبى إلا غصبا لأنه قد خانه جواده وأنا أريد أن أخرج اليها فان أخذتها فهو المراد ولمن كانت الأخرى فافعلوا بعد ذلك مابدالكم (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وأن الملكة كرنة لمـا أخذت الأمير وسلمته إلى البطارقة رجعت طالبة البراز فهم سيف الحنيفية أن يبرز اليها وإذا بغبار قد طلع من بين العسكر وفارس على جواد أشقر بعمامة رسيسة

وثياب دنيسة وثيابه ممزقة وفى كفه حسام مثل الصاعقة وهو مضيق اللثام وعيناه تلوح كأنها عيون الأرقم وانحذف على الملكة كرنة كأنه شهاب هنالك صاحت عليه وقومت الرمح وهزته حتى التف طرفيه على بعضهم وضربته ضربة شاذة فتلقى ذلك الفارس وضرب رمحها براه كما يبرى الكاتب القلم فوقعت له فى قلبها هيبة عظيمة ثم عاد اليها ذلك الفارس وزاوغها وطعنها بعقب الرمح واتكأ عليها جعل أعلا مافيها ظهرها ثم وقع عليها شدها كتاف وقوى منها السواعد والاطراف فهجم عليه فارس من رجالها وهو يريد خلاصها من يده فما كان الفارس المذكور إلا أنه قام من الأرض واثب كالأسد وضرب قوائم جواده عرقبه وقبل وقوعه من فوق الجواد ضربه بالحسام طير منه الهام هذا والروم قد حارت من فعل ذلك الفارس وعجبوا مما عاينوا وقد عاد بها الفارس يطلب عسكر المسلمين فناداه سيف الحنيفية من أنت أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام فقد أشفيت الغليل وأرضيت الرب الجليل فكشف اللثام عن وجهه وإذا به الاميرة ذات الهمة فلما أن رأوها صاحوا وقد فرحوا وأخذها الدعاء من كل جانب ومكان واجتمعوا وسلموا عليها وقد سألوها عن حالها (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى غيبة الاميرة والأمير ظالم وهو أن الأمير ظالم قد قلق على الملك عبد الودود وقال مابقى لى قرار وعبد الودود فى تلك الحالة التى حدثنى بها صابر المرعشى فقالت له الاميرة ذات الهمة وما الحيلة فقال لها اعلمى أن الحيلة أننى قد أخذت اليوم من أسلاب القوم القتلى وفى غداة غد ألبسهم وأسير فى جملتهم وصابر المرعشى معى فاذا صرت فى البلد قصدت إلى تلك الكنيسة فان وجدتهم سالمين فالحمد لله رب العالمين وان كانوا هالكين بردت هذه النار التى فى قلبى ولعل الله تعالى أن يرزقنى النصر على الروم إذا صرت فى المكان الذى فيه عبد الودود وكل ذلك من أجل مافعل فى حقى من غير معرفة بى لأن الجميل لمن بدأ به (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما ان سمعت الأميرة من ظالم ذلك الكلام قالت له وأنا معك أيها الأمير الأجل الكبير القدر العالى المحل سائرة لأننى عنك غير صابرة وما أدرى مايكون من أمرك ومع ذلك فاننى قد اشتقت إلى هذا الرجل الذى قد وصفت دينه وزهده وحلاوة فعله الجميل الذى لم يسبقه اليه أحد لأنه أعطاك عسكره ونعمته وزوجك بابنته وقد باتوا تلك الليلة ولما أن أصبح الصباح لبس كل واحد منهما زى القوم وقد ساروا على ماذكرنا إلى أن اختلطوا مع القوم وكان ذلك اليوم الذى كسر فيه البطريق قفتخور وقتل ودخل عسكره منهزم مكسور وسارت الأميرة وظالم معهم ودخلوا البلد وكانت الملكة كرنة قد خرجت إلى القتال فقصد ظالم إلى الكنيسة التى فيها الاسارى

وقد دخل مع جماعة من الروم لأنهم كانوا إذا دخلوا إلى كنائسهم يتقربوا بضرب هؤلاء المسلمين الاسارى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فدخل صابر المرعشى بين أيديهم فجعلوا الروم يلطموهم على وجوههم وتنظر الأميرة ذات الهمة اليهم وكذلك ظالم وصابر المرعشى وقد تغيرت أحوالهم وقد مات منهم جماعة وعبد الودود أنحلته الاحزان وأشعلت فى قلبه النيران وقد أسبل الدمع من الأجفان فأنشد يقول

المرء ليس له علم بجبرته ﴿ وليس ينجو من الأشياء بفطنته

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ونظر ظالم إلى عبد الودود فى تلك الحالة فعرفه وقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأقبل على الأميرة ذات الهمة وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وهم أن يجرد سيفه ويضرب فى الروم فقالت له الأميرة على ماذا عولت عليه فعرفها بما فى نفسه فقالت له لا تفعل واعلم إن فعلته يكون سببا لهلاكنا وهلاك عبد الودود معنا لأن البلد بلد عظيم وهو حصين واذا غلقت الأبواب ولو أننا بعدد التراب لافنونا بالقرضاب ولكن اصبر وترفق بنفسك ياولدى واعلم ان العجلة من الشيطان وعقبها ندامة وليس فيها سلامة (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد خرجوا البطارقة ولم يبق غير ظالم والأميرة هذا وان صابر كشف وجهه وتقدم إلى عند عبد الودود فلما ان نظره عرفه فقال له مرحبا بك ياأخى قد أوعدتنى انك توصل خبرى إلى الأمير ظالم بما قد حل بى ونالنى من هذه الأمور التى أنا فيها وهؤلاء المأسورين والله مابنا إلى الانقطاع عن عبادة ربنا ثم بكى بكاء ضعيف الخوى من الجوع فأنشد

كادت غداة فراقكم كبدى ﴿ تفنى وكاد القلب ينصدع
مذغبتمو وأقمت بعدكم ﴿ لم يبق لى فى لذة طمع
ولقد فزعت لبعدكم زمنا ﴿ لوكان يغنى الخوف والفزع

(قال الراوى) فلما سمع ظالم شعره صاح وقال يامولاى ليتنى لم أخلق بعد ماجرى عليك هذا وأنا فى الحياة مقيم لكن هذا كما قال الله العظيم وكان ذلك فى الكتاب مسطورا هذا وقد كشف ظالم عن وجهه فنظر اليه الملك عبد الودود فعرفه فغاب عن الدنيا وغشى عليه لفرط ما قد ورد عليه من الفرح والسرور وكان قلبه يصدق ونفسه تكذب وصار قلبه بين الخوف والرجاء وبكى الأمير ظالم ثم أنه أفاق من غشوته وهو يقول

ما أظن الزمان يأتى بهذا ﴿ غير أنى رأيته فى المنام

(قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد اعتنقه الأمير ظالم وضمه إلى صدره وقال له أبشر

أيها الملك فقد أتاك الفرج من عند صاحب الفرج وقد قال له وهذه الأميرة ذات الهمة سيدة المجاهدين وناصرة دين رب العالمين فلما أن سمع ذلك فرح وقد فرحوا لملثمة الرجال والنساء غاية الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وخلعت الأميرة كسوة من التي على أبدانهم وستروا بها بعض النسوان وقد تباشروا بالفرج ثم أقبل الملك عبد الودود على الأمير ظالم وقال له يا بنى كيف الخلاص مما نحن فيه فقال له اعلم أن عسكر الأمير عبدالوهاب على ظاهر البلد وهو فى مائه ألف فارس وأنا والأميرة ذات الهمة هاهنا عندكم فقال له عبد الودود يا بنى ماأقول أن أحدا فى دار الدنيا مثلك فى الشجاعة والبراعة فقال له يامولاى هذه الأميرة اذا وزنت أنا وهى فى العيار كانت هى قنطار وأنا درهم ووالدى عبدالوهاب مثلها فى الشجاعة فابشر أيها الملك بالفرج والسرور إن شاء الله تعالى فبكى من الفرح والسرور وبكوا النسوان وقالوا ماأطيب الفرج من وسط الشدة هذا وقد باتوا عندهم يتحادثون وقد حلهم الأمير ظالم من الكتاف وعند الصباح خرجت الملكة كرنه وجرى ماجرى وأسرت الملكة كرنه قراقد وأبو الهزاهز ومن معهم من الأصحاب وقد أرسلتهم إلى البلد فبينما الأمير ظالم على ماهو عليه اذدخل الأمير قراقد أسير ومعه عشرة من الأبطال يقودوه وبعده أبى أبو الهزاهز ومعه عشرة أخر ودخل بعده مالك ابن طوق وبعده راشد بن ضمره وبعده الأمير هياج الكردى فلماأن نظرت الأميرة إلى ذلك دنت إلى ناحية أبو الهزاهز وقالت له ياويلك ومن الذى فعل بكم هذه الفعال فعرفها بالقصة وقال لها وأنتى هاهنا قالت نعم ويلك أخبرنى فقال لها وإيش أخبرك يغنيكى نظرك من حمل حديثنا لأنه عبره لمن اعتبر عند كل أحد من البشر واعلمى اننا كلنا قد أسرتنا الملكة كرنه وكانك بعبدالوهاب يأتيكى إلى هاهنا وفى رقبته حبل طويل فقالت له الاميرة ذات الهمة لابشرك الله بخير ياأسود يازنيم فقال لها الساعة تبصرين صحة القول (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أن سمعت الأميرة من أبو الهزاهز ذلك الكلام أقبلت على الأمير ظالم وقالت له اعلم انى مابقيت أقدر على المقام هاهنا وها أنا خارجة وما مجىء هؤلاء الأسارى إلا جيد لنا لانه قد صار عندك أبطال العرب ولعلى أقدر على عدة أرسلها اليكم مع صابر المرعشى لان هذه البلد لو أقمنا على ظاهره ألف عام لما وصلنا اليه ولا فى المنام وأنتم إذا كنتم فى البلد قدرتم ان شاء الله على فتح الباب لانى خائفة لايتم على عبد الوهاب أمر من الامور فيحملون هؤلاء على أصحابنا فلو انهزموا رمية سهم لعب السيف فيهم وما كان ينفلت منهم أحد لان الديار ديار الاعداء فكن أنت عند هؤلاء فان القوم مشتغلون بالقتال وما يأتى اليوم اليكم أحد (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انها خرجت لوقتها وساعتها واختلطت مع القوم والعساكر

والعالم عظيم والجم غفير إلى أن خرجت من البلد ودارت عسكر الروم ونظرت إلى الامير عبد الوهاب وقد خرج إلى الملكة كرنه واتفق له معها ما اتفق وأسرته فلما نظرت إلى ذلك خرجت بذلك الزى وأخذت كرنه أسير كما ذكرنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام ورجعنا إلى ما كنا عليه من الحديث وأن الروم لم ينهزموا ولكنهم حملوا يريدون خلاص الملكة وقد صارت فى يد قناصها وضربت الأوداج وعاد النهار مثل الليل الداج واختلط الاعراب والاعلاج وصار النجيع مثل البحر العجاج وانتثرت الرؤوس وتشوشت عمائم الرجال وحملت أسود الحرب واختلف الطعن والضرب وكان ذلك اليوم يوم صعب واشتد الكرب واستغاث المسلمون إلى الرب وحامت عليهم العقبان وعملت الصوارم فى نواعم الأبدان ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى وقت العصر ونادى المنادى بالانفصال عن القتال ونزل عسكر الروم فى موضعه فقالت الأميرة عمرى قد فنى فى كشف الكرب ما رأيت أصبر من هؤلاء على الحرب فلما نزلت الأميرة أحضرت كرنه قدامها وهى ذليلة حقيرة ونظرت إلى ذات الهمة فقالت وحق المسيح ما كنت أقول ان على وجه الأرض قط من يقوم مقامى فى الحرب ولم أجد أحدا يجسر على ذلك فمن أنت أيها الفارس فكشفت الأميرة اللثام عن وجهها وقالت أنا امرأة مثلك أنا أم الفارس الذى خانه جواده وإلا ما كنتى قدرتى ماسكتى قياده وهو عبد الوهاب وسيد بنى كلاب فقالت كرنه وحق المسيح انك أقوى منه وأخبر بالحرب ومع ذلك فلقد رأيت منه ما لا يصطلا بناره ولولا انكبابه بالجواد لما بلغت منه المراد والآن فما ينفعكم كونى عندكم لأنى أعلم أن أهل البلد قوم لا ينظرون فى عاقبة وما لهم عقول وأخاف أن يقتلون ولدك فيكون عاقبة ذلك على (قال الراوى) ووقع الفدا بالملكة كرنا وسارت إلى عسكرها وسار الأمير عبد الوهاب إلى عسكره وهو يقول والله أن العجب والمعايرة هى مر المذاق أنا عايرت أبو الهزاهز وقراقد كيف أنها أخذتهم وملكتهم فعثر بى جوادى ونفذ فى حكم الله ثم فرح بالأميرة وقال لها معكى خبر ولدى ظالم فقالت نعم أنه كان من الأمر كذا وكذا ثم أخبرته بما جرى فبكى الأمير عبد الوهاب بما وصفت له من أحوال المسلمين وأبطال الموحدين فقال لها على ماذا دواتى فقالت على أنك أنت الساعة تحمل على القوم وتقاتل الأعداء لعلى أدخل البلد مع المنهزمين وتحاصر أنت البلد لعل الله تعالى يسهل فتحها لأن فيها ملك الأرض ونطهرها من كلمة الكفر ثم نخلص المأسورين ففرح الأمير عبد الوهاب بمقالها وقال الحمد لله الذى أخلف على عوض أبو محمد فى تدبيره وان كنت لا اسلوه ماغردت

الحمائم على الأغصان وحن الغريب إلى الأوطان ثم ان الأمير عبد الوهاب ركب فى ساعته بأبطاله ونظرت الروم إلى ذلك فعلموا أن القوم قد عولوا على القتال والنزال فركبوا وركبت الملكة كرنه وقد انكسرت نفسها وحملت فى أوائل الناس وحملت الروم فى ذلك الهول العظيم وزاد الأمر وضاق الصدر وعيل الصبر ولفح الحر وقطعت الآمال وارتجت الأرض من عظم الزلزال وعضت الخيل لجمها وانقطعت حزمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها وكان يوم عظيم وطعن الأمير عبد الوهاب صاحب العلم فقتله وآخر فجندله ولم يبق من العرب والسودان إلا من قتل واحد من الكفار وقد امتلأت الأرض من القتلا ونظرت الملكة كرنه إلى ما حل بها من هذه النائبات التى قد نزلت على عسكرها فخافت وألوت عنان جوادها ودخلت البلد وانهزم الجيش من ورائها ودخلت الأميرة ذات الهمة فى جملة الناس فى الزى الذى دخلت به أول الناس ودخل معها لؤلؤ وسبك وجوهر مع جملة المنهزمين من بعض الأبواب وكان للمدينة أبواب ودخلت الناس لا يعقل الأخ على أخيه ولا الولد على أبيه وأغلقت الأبواب وأمنوا أهل البلد على نفوسهم لأنهم لو نزل عليهم كسرى لم يقدر عليهم) قال الراوى وسارت الأميرة وغلمان البطال إلى الكنيسة وقد نظروا إلى عبد الودود فقال لهم مالنا نسمع الصياح فقالت الأميرة أبشر فقد قرب الفرج وانكسرت عساكر الروم وقد صار عندك أبطال العرب وسار الأمراء عند باب البلد ونحن نؤمل من الله تعالى يكون الفرج قبل الصباح فباسوا القوم الأرض شكراً لله تعالى على هذا ولما أمسى المساء قالت الأميرة لغلمان البطال أنتم الآن أخبر منا فى هذا الشأن فما عندكم من الرأى لأن البلد حصين وهذه الأبراج التى للاصوار لو أراد كل واحد يحتمى فيها كانت مثل حصن وكل برج كبير عظيم ولكن كيف الوصول إلى أن نملك بعض الأبراج لأن الصور كله ما له درج يصعد إلا من القصر الذى للملكة كرنه وهو مكان رفيع لا يصل اليه واصل ولا يقدر عليه حامل فقالوا لها وماذا تفعلى أيتها الاميرة نحن مادخلنا إلى هذه المدينة إلا فى يومنا هذا ولكن نخرج وندور فى البلد ونقول لك مايكون إن شاء الله تعالى ثم ان الملكة كرنه دخلت إلى البلد ثم غلقت الابواب وبقيت فزعة جزعة فقالوا لها البطارقة من إيش هذا الفزع الذى قد نزل عليكم وان هذه المدينة لو نزل عليها أهل الدنيا لما وصلوا إليها ولا قدروا عليها فقالت اعلموا أنى وحق المسيح ما كنت أقول أن فى الأرض من يقوم مقامى ولا يروم مرامى ولقد رأيت من هذه المرأة التى هى أم المتقدم على هذا العسكر مالا يظن أنه يكون فى بشر ومن هم بهذه الصفة فلا آمن مكرهم وحيلهم ومافى الأمر إلا الاحتراز

على كل حال فان من أهمل الأشياء فقد ندم وقد قال أرسطاطا ليس الحكيم من لم ينظر فى العواقب ماالدهر له بصاحب ثم أنها أرسلت إلى الملك عبد الودود ومن معه لتأخذه بألف بطريق فلم يمكن الأميرة الدفع وكذلك باقى الاسراء من الأمراء فقال ظالم أيتها الأميرة خاب والله ما أملناه كيف نسكت عنهم فهم أن يجرد سيفه فهمزت عليه الأميرة وقالت أمسك عليك ياظالم ولا تعجل فنحن مع القوم وهم مالهم خبرة بناوبأعمالنا ونحن نعمل على فتح بعض الأبواب ونملك بعض الابراج ونرفع الرجال وقد ملكنا البلد إن شاء الله تعالى وكلما بقينا كان خيرا لنا ولو طلبنا الساعة منهم القتال لم نقدر على ذلك لأن القوم عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وكنا نهلك ولا نصل إلى مانريد فسكت الأمير ظالم وحملت البطارقة الاسارى إلى قصر الملكة فأنزلوهم فى المطامير وأفردوا للأمراء مطمورة أخرى وجعل فيها ضيغم وأبو الهزاهز وقراقد ومالك ابن طوق وراشد ابن ضمرة ثم أطبقت عليهم هذا وقد بقى فى البلد الأميرة ذات الهمة وظالم وصابر المرعشى وغلمان البطال والباب قد غلق وأن الملكة كرنة قالت لقومها ماذا ترون من الرأى فقالوا وما عسى أن نرى فى ذلك مالنا إلا نصعد على الصور فما للاعداء عبور ونرميهم بالسهام والأحجار ونقتل منهم الصغار والكبار وهم إذا أرموا علينا فلا تصل لنا فقالت هذا هو الصواب وصعد القوم على الاصوار بالعدد اللامعة والدروع المانعة والدرق الحديد الصينى وهم على علو ذلك المكان وجعلوا يصيحون على الناس ويسبوا الأمير عبد الوهاب فركب فى السودان وزحف إلى البلد فرأى ما أمله بعيدو البلد لا يقدر عليه أحدو لم يصعد اليه سهم ولا حجر وأرموا عليهم الأحجار فقتل من السودان اثناعشر رجل فلما نظرت إلى السودان حنقت وبربرت وهدرت وأقبلوا على الأمير عبد الوهاب وقالوا أيها الأمير والله ليس لنا صبر على هذا الأمر ولا نقدر على هذا البلد ولو أقمنا طول الاعمار لأنه ما مثله فى البلاد والامصار فقال لهم فما الحيلة فقالوا انصعد إلى هذا الجبل الذى بين أيدينا ونقطع الأشجار ثم نعمل سلالم فلو كان الصور ألف قامة عملنا سلالم فى طوله فعند ذلك قال لهم الأمير عبد الوهاب افعلوا ما بدالكم واجتهدو فى خلاص أمرائكم وانصروا دينكم فلما أن سمعوا ذلك ساروا إلى الجبل وقطعوا الأشجار من أصولها فكان مالا يعد ولا يحصى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا جرى لهؤلاء وأما الاميرة ذات الهمة ومن معها فانها فى البلد محصورة لاتقدر على الصور ولا تصل اليه وفى المدينة مائة برج ومائة بدنة فى كل برج مائة بطريق وهم ينامون فيهم وبين كل برج وبرج مائة ذراع ولا سبيل لأحد من عسكر الأمير عبد الوهاب أن يتقرب من الصور لان الحجر يأتيه من ذلك الارتفاع فيهلك به فأقاموا على ذلك وقد ضاقت عليهم الامور

أيام عدة وقد فرغت السودان من السلالم لانهم أوصلوها إلى بعضها البعض فصار السلم طول البرج وكان فى عسكر الامير عبد الوهاب ثلاثين ألف رامى يرمون على الحدق وأن الامير ركب ورفعت السلالم ومشت الرجال تحتها وتقدمت بين يديها أصحاب القواس الحديد ورمت بالنبل ثلاثين ألف رامى عن يد واحدة فلما أرمت النبال تصايحت الروم وألقوا عليهم الطلاقات والحجارة ولعبت الفرادات وكثر الصياح وزاد الصراخ وصبرت السودان وزحفت الحبشان وقد قتل منهم جماعة حتى ألصقوا السلالم إلى الابراج وطلعوا فيها مثل الجن وأتاهم من الاحجار ماليس له حد ولا مقدار فقاتلت الرجال وتناصلت الابطال وهم مع ذلك صابرين وإلى رؤوس الاصوار سائرين وهم لربهم شاكرين فلله درهم لقد أشفوا الغليل وأرضوا الملك الجليل فقالت الملكة كرنة أأتونى بالنفط فأتوها به فضربت بعض السلالم فاحترق والتهب ورجعت الرجال من عليها عندها عاينوا اللهب ولم يزالوا فى القتال الشديد والحرب الاكيد وهم على مافاتهم قلقون إذ لم تتم لهم السلالم فيصعدون هذا والملكة كرنة قد أقبلت على قومها وقالت لهم اعلموا أن ما بلى أحد بمثل ما بلينا به من هؤلاء القوم وهم مايخافون الموت وإلا ما كانت هذه الفعال فعالهم ولا شك انهم يرون فى دينهم أن هذا الفعل يقربهم إلى ربهم فهم يطلبو بذلك مرضاته ولما كان عندنا بقايا نفط لما قدرنا على رميهم عن السلالم ولو صاروا معنا فى الابراج كنا هلكنا بلا محالة وقد كان ملك الجزيرتين خطبنى كما علمتم ورديت رسالته كما فهمتم وأظنه مشغوف بحبى راغب فى مواصلتى وله فى جزيرته عالم عظيم ماله أحصى بعدد الرمل والحصى وقد رأيت من الصواب أن أكتب إليه كلام أعرفه بما جرى علينا من هؤلاء السودان والعربان فهو يسير الينا ويحمل عنا هذه الملة لأنه أقل ما يأتى الينا فى ألف مركب واضمن له انى أزوجه بروحى وأكتب أيضا إلى جزيرة مقلاطوس الذى طلبنى من الاول وخطبنى وما أنعمت بذلك وفى قلبه منى حسرات وأضمن له ماأضمن لساترون فانه يأتى الينا فى عسكر جرار وأقول لهم تدفعون عنى هذا العدو الذى قد نزل علينا والبلاء الذى أحاط بى وأترك عن نفسى التعب وأستريح من النصب والسعيد من كفى بغيره فقالوا لها هذا هو الصواب أيتها الملكة لاننا قد دفعنا إلى مالا طاقة لنا به فعند ذلك كتبت الكتب على ماشرحناه ثم علقتها على أجنحة الطيور وسيرت أيضا الحرقات الخفاف بنسخ الكتب (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان فى كتابها إلى الملك مقلاطوس (أما بعد) فانى أكره الرجال لأنى كنت قادرة على حماية بلدى من كل عدو يطرقنى والآن فقد

بليت بمالا أطيق لأنى قد سارت إلى العساكر المسلمين من أرضهم وقد قصدوا إلى ونزلوا على بعد أن أخربوا بلاد الملك ميخائيل وأذلوا كل من فيها من ملك جليل وقد قتلوا من بطارقتى بعدد التراب وقطر السحاب وبلد محصور بعدما أصبح جيش عزى مكسور ولم يبق لى طاقة بالخروج اليهم ولا الهجوم عليهم لأن فيهم رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما وقد ندمت على ماكان منى اليك وقد كتبت اليك هذا الكتاب على انك تسير إلى بروحك وقومك فان أنت صرفت عنى هذا العدو كنت لك كما تر من الجناح وأن لم تفعل ذلك فقد أرسلت الملك الجزيرتين وطلبت منه ايضا ماطلبت منك على أن تكون لحسنى وجمالى حائز ولا يحجزنى عنك حاجز ومن قعد منكم فهو الذليل العاجز وكتبت لساترون أيضا مثل ذلك (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان للملكه كرنه قهرمانة وهى عجوز طاعنة فى السن إلا أنها مثل الافعى كلما طال عمرها زاد شرها وكانت لاتزال فى القصر مع الملكة كرنه وهى ترى فيها أمر عظيم (يا سادة) وان الأمير ظالم من ضجره قال للأميرة ذات الهمة وغلمان البطال ماهذا صواب نقيم ههنا محصورين ولابد أن نطلع مع أهل المدينة إلى قصر الملكة نعمل الليلة على أخذها فقالوا غلمان البطال والأميرة مالنا غير هذا الأمر إن شاء الله تعالى (ياسادة) وانهم لما أصبحوا دخلوا مع جملة الناس للسلام على الملكة كرنة وأهل المدينة قدلاح لهم الفرج لأجل ماقد سمعوه من أخبار الملكة وكيف كتبت إلى ملوك الجزائر وسارت الأميرة والأمير ظالم وغلمان البطال الى القصر وسلموا مع جملة البطارقة وخرجوا كانهم يدورون فى القصر فتفرقوا فيه مع البطارقة يريدون أن يخفون أمرهم ويكتمون حالهم فلما تصرم النهار وأقبل الليل وتفرقت البطارقة إلى الابراج والاصوار وقد بقى فى القصر مائة غلام وهؤلاء منفردين منهم (ياساده) وان القهرمانة نظرت اليهم فأنكرتهم وقالت وحق المسيح أن هؤلاء القوم وان كان لبسهم لبسنا فانه تكلف لا تطبع وقد كنت أسمع فى قديم الزمان أن المسلمين يفتحون البلاد بالحيل والخداع وما هؤلاء إلا من الاعداء بلا محالة ثم قالت للملكة كرنة ذلك فلما سمعت كرنة ذلك صلبت على وجهها ثم سارقت الأميرة ذات الهمة بالنظر فعرفت عيناها فتغير وجهها حتى كانها قد عاينت ملك الموت من تلك الهيبة التى قد دخلت فى قلبها الشدة فزعها ورعبها وأخبرت البطارقة فقالوا أيتها الملكه أن آجالهم قد ساقتهم الينا وما جهد هؤلاء أن يعملون فنحن الساعة نحمل عليهم ثم نقطعهم بالسيوف ونسقيهم شراب الحتوف فقالت كرنة خلوا عنكم هذا الطمع ولا تقولوا أن آجالهم ساقتهم الينا فربما فيها يكون آجالكم أنتم قد حضرت لأنى أعلم من هؤلاء القوم

مالا تعلمون وقد شاهدت منهم مالا تشاهدون ولو لا نعرف منهم ذلك كان القصر ملكوه وتهلك منهم وتملك البلد أعوذ بالمسيح من ذلك الأمر القبيح فقالوا وما الذى تأمرين به فقالت من الرأى أنكم تأمرون من على الصور من البطارقة عشرة آلاف ينزلون اليهم لكى يقبضون عليهم ومع ذلك فانى أقول انى لا أقدر عليهم بأقل من عشرين ألف بطريق وكل هذا احتراز من فرد شخص أعرفه فانه وحده يريد عشرة آلاف وما أدرى ان كان الباقى مثلها فما يكفينا أربعين ألفا فضحكوا البطارقة من قولها وقالوا أيتها الملكة الكريمة قد وقع لهم فى قلبك هيبة عظيمة وسوف ترين ما يسرك من حالنا وحالهم (ياسادة) وتفرقوا البطارقة وصعدوا على الأصوار وتحدثوا مع المقدمين من البطارقة وأولاد العمالقة فأخذوا العدد ونزلوا من الأصوار بالتروس المكوكبة والسيوف المجذبة والعمد المذهبة والحراب المركبة وهمهمت الأبطال ونزلوا إلى القصر فى أزيد من ثمانين ألف بطريق فعندها أقبلت الأميرة ذات الهمة على الأمير ظالم وقالت له يابنى ماقلت لك لايزال بك جهالة الصبا وعجل الهوى حتى أرميتنا فى أيدى الأعداء لنشرب شراب الردى إلا أن القوم قد علموا بنا وبالله ماصعدوا هؤلاء القوم ورجعوا على أعقابهم فى هذا الخلق العظيم إلا وقد وقع بنا الإنكار فخذ الآن لنفسك ولا تموت إلا كريم فقال الأمير ظالم أيتها الأميرة ما تم إلا الخير اقصدى انتى مطلع الابراج حتى لايقدر أحد على النزول من الأعلاج وأنا أكفيك مؤونة من قد نزل وأرغم آنافهم وأعجل تلافهم فعجبت الأميرة من قوله ونظرت إليه وقد قامت عيناه فى أم رأسه فقالت لله درك ودر أبيك فأنتم المجاهدون فى سبيل الله الذابين عن ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت يابنى قد وقعنا فى هذه النوبة ولكن ما بقى لنا إلا الاعتماد على الله تعالى والضرب بالحسام فى طاعة الملك العلام فان كانت المنية قد حضرت فهو المراد فى طاعة الملك الجواد المنزه عن الآباء والأجداد الخالى عن الصاحبة والأولاد مهلك الأمم الطاغية أهل الفساد تعالى ربنا عما يقولون أهل الفساد يابنى وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه ألف ضربة بالسيف أهون من موتة الفراش وان نحن كان لنا فى الأجل تأخير فما نبالى بأهل الكفر والطغيان غير إنى أقول انى أجلد منك للقاهم فانفرد أنت بنفسك إلى مطلع الصور من هذا المكان ويكون معك غلمان البطال وأنا أحمل عليهم وألقاهم وأصبر على أذاهم وبلاهم فقال ظالم مالى وجه ألقى به ربى ولا أبى إذا أسلمتك للعدا فقالت له الأميرة أسمع ماأقول ولا تخالف رأيى فعند ذلك عول على ما قالت وصاحت البطارقة وأشارت الملكة إلى الأميرة وغلمان البطال ونظرت الروم إلى ذلك فأكبوا طالبين الحملة وإذا بصياح قدعلا

وصراخ قد نما من جانب البلد حتى خيل للناس أن البلد قد أنقلبت فقالت الملكة ويلكم ما الخبر لا يكونوا المسلمين قد فتحوا احد الأبواب (ياسادة) وان الأميرة لما سمعت الأصوات اختلج بقلبها مثل ماظنت الملكة وبقيت مرتقبة الخبر هذا والروم قد كفوا عنها من الفزع والجزع ومضت البطارقة ورجعوا وهم يتصايحون الصياح العظيم فارتاعت الملكة كرنة من ذلك وصدقت الأميرة ما كان قد خطر بقلبها فقالت ماخبركم ومن بشره رماكم فقالوا أيتها الملكة ما وراءنا إلا الخير والسرور كرنة ويلكم والغبطة والحبور وقد ذهب عنا كل هم وغم وغرور فقالت وما ذلك قالوا برأيك السديد الذى ما عليه من مزيد قد أمتلأ البحر مراكب من ناحية مقلاطوس أكثر من اربعين مركب والشمع يقيد فى وسط البحر وفى غداة غد يهلك هذا العدو ولا يرجع إلى بلادهم منهم أحد ولا يقصدنا عدوا بعدها أبدا ففرحت بذلك وصلبت على وجهها وقالت لقد أسرع مقلاطوس إلى وحق المسيح لا أملك روحى إلا له لأنه كان أسرع إلى قضاء ماطلبت وإنجاز ما أملت وإنما ما ترادف الرجال إلا للحماية وصاحت بهم الآن أخذوا هؤلاء القوم فعندها حملت البطارقة على الأميرة ذات الهمة حملت حملة عظيمه وقد أيقنوا بأخذها فقطعت الأميرة المعاصم وجزرتهم جزر البهائم وألقت عليهم البلاء القائم ومكنت منهم الصوارم وكذلك ظالم قد وصل إلى المطلع ولم يأخذه فزع وكل من طلب النزول لرأسه قطع وهو مثل الأسد الاذرع حتى أنقطع من النزول الطمع ونادى منادى البطارقة ويلكم ألا وإن الموت الأحمر قد وقف فى هذا الباب فلما قربوا وسمعوا ذلك تجنبوه ونظر ظالم إلى البطارقة وقد أحدقت بالأميرة وقد أنقطعوا عما كانوا عزموا عليه فرجع إلى الأميرة ذات الهمة وقد أحدقت بها الأبطال وهى تضرب يمين وشمال وقد دعست فيهم دعس الجمال (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك كشف الأمير ظالم الناس عنها وضربهم بالقواضب وأحدقت بهم الروم من كل جانب وقد علا الصياح هذا والأمير عبد الوهاب يسمع ذلك الصياح فى البلد وقد نظر ذلك الأسطول الذى فى البحر فزاد الصياح لأجل ذلك ونظرت الملكة كرنة إلى الرجال وقد قتلت والأبطال وقد جندلت فنادت ويلكم افتحوا باب القصر حتى يدخل إلى القصر العوام ففتحوا ودخلوا فصار فى القصر من العالم مالا يحصى ولم يزل الأمر كذلك إلى أن أصبح الصباح وقد قتلوا فى هذه الليلة بعضهم بعضا وامتلأت بالقتلا الأرض هنالك ضربوهم من فوق رؤوسهم بالحجارة وأكبوا عليهم الدرق وتكاثروا عليهم فأخذوهم بعد تعب عظيم وقتال جسيم واحتووا على الأمير ظالم والأميرة وغلمان البطال وصابر المرعشى هذا والأمير عبد الوهاب ماعنده من هذا خبر إلا أنه خائف عليهم وقد طال أمرهم

وغاب خبرهم عنه فقال لبنى كلاب اعلموا أنى قدرابنى بطء أصحابى فى هذه المدة كلها فقالت له بنى كلاب أيها الأمير الأجل إذا كانت الأبواب مغلقة والابراج شاهقة فمن أين لهم خلاص فقال لهم الأمير عبد الوهاب لعمرى يابنى عمى ما الأمر الأصعب نسأل الله سبحانه وتعالى تيسير كل عسير وهذه النار التى قد لاحت فى البحر ماهى إلا مراكب حربية بحرية وهى نجدة لأهل البلد والرأى عندى اننا إذا أصبح الصباح وتحققنا انها مراكب رحلنا عن البلد ونرجع إلى خلفنا رحلة واحدة ونظهر أننا قد فزعنا من هذا الأسطول الذى لهم حتى يطمع أهل البلد فينا ويفتحوا الابواب ويعولوا على الضراب ويخرجون من الأبواب فان كانت الأميرة وظالم معهم محصورين ومن الخروج ممنوعين فهم يخرجون معهم فقالوا صدقت أيها الأمير وعولوا على ذلك (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلع الصبح ضاحكا بعد ماكان حالكا وقد ظهرت المراكب من كل جانب عليها أنواع اللبود والملابس كانهم عرايس وهى تجرى بهم فى موج كالجبال وعلى ظهرها القنطاريات العوال فى أيدى الرجال والسيوف الصقال والقسى والنبال وفى أوائلهم مركب كبير طويل مغشاة بالذهب والفضة وعشر ثياب من الديباج الاطلس الأحمر عوضا عن اللبود الطلاقيات وذلك المركب كان فيه الملك مقلاطوس وهو جبار من الجبابرة (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا والأمير عبد الوهاب لما نظر إلى ذلك الأمر أمر أن تدق الطبول وتضرب البوقات والنفير للرحيل ففعلوا ذلك ورحل الأمير ونظروا الروم والملكة كرنة إلى ذلك ورحيل الامير طمعوا وقالت الملكة كرنة الذى أخذناهم حامية الجيش الذى للسلمين وما بقى لهم من يقوم مقامهم وانهم فى شدة النوائب فلم يكن لهم غير الهرب يرجون بذلك النجاة وينجوا من العطب ثم أمرت بفتح الأبواب وخرجت الرجال على الخيول العتاق وبأيديهم السيوف الرقاق وانقلبت الأرض على ساق وقدم (ياسادة) هذا وقد التصقت المراكب إلى الساحل وهى أربعين مركب فى كل مركب منهم ثلاثمائة رجل الاخس مراكب فى كل واحد منهم ألف وخمسمائة من البطارقة (ياسادة) والملك فى المركب المتقدم ذكره وزعقت الروم بعضها على بعض وقد انقلبت بهم تلك الأرض وفرقت عليهم الملكة الخيل وركب منهم من يصلح للركوب وتبعوا عسكر الامير عبد الوهاب فعندها صاح الامير على أبطاله الآن احملوا بنا عليهم وعودوا بنا اليهم فان كانت الأميرة سالمة أو مطلقة فتكون قد خرجت عن البلد وإن كانت الاخرى فأكون على علم من أمرهم ثم أقلب عنان جواده ونادى الله أكبر وألوت السودان الاعنة وقوموا الأسنة وثبتوا الاجنة وحملوا حملة رجل واحد

وعملت الصوارم فى الجماجم وطارت البراجم وحامت عليهم الحمائم ونثرت السواعد والمعاصم وصبرت المسلمين صبر الكرام وخرجت الدماء مثل أمطار الغمام ولم يكن إلا عاطب وسالم ومقصوم وقاصم وفرحان ونادم وكانت النجاة هنالك أكبر الغنائم حتى قتلت العوالم ورأيت عساكر الروم هزائم والخيل تعثر بالجماجم وقد أرخت لها اللجائم وقتل من الروم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن أتوا إلى البلد هنالك نزل من المراكب أكثر من عشرين ألف بطريق وحملوا على المسلمين ودارت طاحون المنون ورجعت الرجال المهزومون واختلط الكافرون والمسلمون (ياسادة) ولم يزل الناس يقاتلون إلى أن ذهب النهار مندرجا وأقبل الليل بالدجا وضرمت النيران وتحارست الفريقان (ياسادة) وأن عبد الوهاب لم ينظر من الاميرة خبر ولا أحد من أصحابها له أثر ظهر فتحير وقال كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال هذه نوبة لم تكن لنا فى حساب وضاق صدر الامير عبدالوهاب وبنوا كلاب والسودان الانجاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا جرى ههنا وأما الملكة كرنة فانها فرحت بقدوم مقلاطوس (ياسادة) وكانت أكثر المركب مانزل أصحابها لانها مثقلة كبار فما نزلوا إلا فى وقت الظهر وكان وصولهم من الكثرة فى آخر وقت وانقلبت بهم الدنيا فقال الملك مقلاطوس الملكة كرنة غدا أخرج إلى المقدم الذى على العسكر وآخذه قبضا بالكف وأشتفى منه وأشفيكى وقد وصل معى أكثر من سبعين ألف بطريق وأنا آمرهم أن يحملوا على هؤلاء حملة واحدة وقد تركوا الدنيا والارض منهم خامدة (ياسادة) وكان مقلاطوس موصوف بالشجاعة والقوة والبراعة لا يمل من القتال ولا يفزع من الاقيال فهو فارس لا يطاق علقم مر المذاق ومع ذلك فما كان ينام الليل من حب الملكة كرنة وقد وعدها أنه يرمى روحه فى غداة غد إلى البلاء فقالت ان فعلت ذلك فما يضيع عندى فقال مقلاطوس أنا ما أريد هذا الكلام وأننى ما أتيت إلا أقيد رجلى فى رضاكى حتى أبلغك آمالك ومناكى فان كان كلامك حقيقة فتحلفى لى أنك ماترجعى عن قولك بل تزوجينى روحك فقالت وحق المسيح أنا أحلف لك على ذلك بكل يمين حلفتنى إياه فقال لبعض غلمانه أننى ما أريد أحلفها إلا بين يدى البترك حتى أؤكد عليها فى اليمين ولا يكون لها عذرا هنالك مضوا غلمانه إلى المراكب وقصدوا المركب الكبير الذى للملك وأنزلوا بتركهم من المركب فى حراقة وساروا به إلى عند الملك فنظرت الملكة كرنة إلى بترك مليح الشيبة كثير الهيبة مقلوع العين اليمين عليه ثياب الصالحين فسلم عليهم وجلس إلى جنب الملك وتكلم وترجم وتكلم فى المسيح انه الإله

القديم وأجاب عن ذلك بأدلة لايقدر عليها الروم فسبي عقولهم (ياسادة) وكانت الملكة كرنة قد أحضرت من عندها من القسوس والرهبان والشمامسة والاساقفة والمطران والجاثليق والبترك فلم يقدر أحدا يتكلم قدامه بل حيرهم فى الكلام وأبهتهم فى النظام فقالت الملكة كرنة وقد باست رجلى الملك ويديه ورأسه وعينه وحق الصليب لقد شرفك المسيح علينا بهذا البترك الذى مارأينا مثله من أين لك هذه البركة النازلة والشقاوة الشاملة فقال لها اعلمى أيتها الملكة ان له عندى سنة وكان فى البحر غريقا ثم وصل الينا سعادة وتوفيقا فقالت الملكة أيها الشيخ الصالح ومن أين كانت طريقك فقال لها ان أردتم أن أخبركم بخبرى أشرط عليكم شرط أن لايعرفه أحد فقالوا السمع والطاعة ثم دخلوا البلد تلك الساعة (ياسادة) وسمع عبد الوهاب بدخول الروم إلى البلد فلم يدرى ماسبب ذلك (ياسادة) فلما صاروا فى البلد وغلقت أبوابه وجلست الملكة كرنة على سرير عرعر ونصبت للبترك كرسياً من الذهب الأحمر فجلس عليه وهو متعجب من ذلك البلد وأصواره وقد قر قلبه وفؤاده وقالت له الملكة كرنة حدثنا الآن بحديثك ياأبونا وحديث هذا البحر الذى خلصت منه بعد الغرق وهو لو وقع فيه أهل الدنيا لما نجى منهم أحد فقال لهم اعلموا إنى حجة السيد المسيح ويقال لى الشيخ النجيح ولى فى بلاد الإسلام أفعال عظيمة وأمور غير ذميمة سيما مع هؤلاء القوم الذين هم عليكم نازلون ولكم مقاتلون وقد قتلت منهم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى وبعدد الكواكب السيارة فى الأفلاك ومع ذلك فقد أجهدنى الزمان وغالتنى فيهم الأيام ولولاهم لكانت قد رفعت من الدنيا كلمة الإخلاص ولم يبق لمن يقولها خلاص وكان فيهم رجل عيار محتال ليس كمثله فى الرجال يقال له أبو محمد البطال وكان كثير الاحتيال على الاقيال فهربت منه إلى جزيرة الرهبان وأقمت فيها ثلاثة أشهر من الزمان حتى سمع بخبرى ذلك الشيطان فأتى إلى ذلك المكان ولعب بعقل بعض الرهبان وأحاله عن دينه وهو دين الصلبان ثم انهم مالوا إلى وحملوا على وقبضونى وطرحونى فى مركب إلى من يسقينى شراب العطب وهم يريدون اخذى إلى من كونهم يحملونى اليه بغير ذنب ولا سبب فلما ان توسطنا لجج البحار تخالفت علينا الأمواج حتى صارت كأنها الجبال الشامخة وعصفت بنا الرياح اللواقح وقد غضب عليهم السيد المسيح من أجلى فلم يضيع دعائى وفعلى فانكسرت بنا المركب عند بحرى قرنى الدنيا وهما الجبلان الشامخان وقد جعل الموج يرفعنى ويضمنى ويشيلنى ويحطنى إلى ان لاح لى مكان المركب وقد انفلت ومن المركب انقطع فعند ذلك صرت على خشبة راكبا وأملت النجاة والسلامة من بعدما كنت عاطبا وقد قذفنى الموج من بين الجبلين إلى بحر

قدر الدنيا مرار لا يقاس بالبحار وأيست من البر وهاج الهم على والفكر وقد استولى على سلطان البحر فعاد ضحكى بكا وصرت أتوسل إلى المسيح بالدعاء وبلغت روحى إلى التراق وجرت مدامعى من الآماق وأيقنت الروح بالفراق وعاد الصبر كالصبر وبلغت الروح منى الضر وطلعت على طلائع الحمام وخرس لسانى عن الكلام وقد بلغت روحى إلى الحناجر وقرحت بمدامعى المحاجر وقد صرت على ذلك المنوال فى البحر مدة عشرة أيام وأنام بلا طعام ولا منام إلى أن كان فى الليلة الحادية عشر سكن البحر من بعد الغليان والزمجرة والهدران ثم انى بقيت لا أقدر على الحركة والسكون حتى رمتنى الأمواج إلى الجزيرة التى فيها الملك مقلاطوس وصرت مقدما فيها عند الملك على سائر الرهبان والقسوس وأيضاً انى قد نسيت كلما جرى على عند هلاك شيطان الإنس ومهلك كل بطريق وقس أبو محمد البطال العيار المحتال وقد هلك معه الراهب وما بقى بعده إلا هلاك الأسود الزنيم أمير بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب ومن بعده اللئيمة العاهرة التى هى بربوبية المسيح كافرة ومن بعدها ظالم الزنيم الغاشم فلعل أن تبلغ نفسى ذلك قبل الممات ولو ساعة من الساعات (قال الراوى) فلما ان سمعت الملكة منه ذلك الكلام قالت وحق المسيح لقد كنت أسمع بذكرك أيها الشيخ النجيح وفعالك مع منويل وما تصنع مع المسلمين لأن التجار تحمل الينا الأخبار التى تجرى فى الأمصار فقال مقلاطوس طيبوا نفوسكم وقروا عيونكم فما بينكم وبين هؤلاء الاعداء إلا صبيحة غد وأسقيهم شراب الردا ولا أبقى منهم أحدا فقال عقبة دعنى آخذهم بالحيلة والا نوبتكم معهم طويلة واعمل على هلاككم عمله وإلا فما تقدرون عليهم ولا تصلون اليهم لأنى أعرف الخلق بهم لاسيما ان كانت فيهم أم الأسود التى مثلها لا يوجد وكل من فى الأرض لا يقاومونها لأنها فريدة العصر ومخربة كل قلعة وقصر فقالت الملكة كرنة المسيح قد كفاك مؤنتها وهى عندى أسيرة ذليلة حقيرة مشدودة كتاف ولكن قد صح عندى أن كل ما وصفت فيها حقا وقولك فى شجاعتها صدقا وأنا قد أختبرتها وهى عندنا أسيرة فى مطمورة فى هذا القصر وأمير يقال له ظالم وجماعة من سودانهم وعربانهم أسارى (ياسادة) فلما سمع ذلك عقبة طار عقله وباس الأرض وقال للمسيح الشكر فى سائر الأيام والليالى لأنه ما نجانى من تلك الأهوال إلا لأجل هلاك هؤلاء الأنذال وبعد تلاف أبو محمد البطال فما يبقى فى قلبى حسرة إلا إذا أهلكتهم الليلة وما أبالى بعدها متى يكون حمامى ثم أنه ارخى الحزن وبكا بكاء شديداً وتكلم بالإنجيل حتى ترك الدموع تسيل فقالوا وما هذا البكاء أيها

الشيخ الصالح والرجل الناصح فقال بكاى أن أموت وما وفيت بالعهد الذى عاهدنى به المسيح ويكون قولى عنده غير صحيح فقالوا ولا ذلك فقال إنى عاهدت نفسى إننى لابد أن أشرب من دم هذه العاهرة ذات الهمة جرعة أطفىء بها نار كل من هلك من عباد المسيح الأخيار فقالت له الملكة ياهذا أن المسيح قد أوصلك إلى ما تحب وبلغك الأرب فلا يذهب عليك عهدك ولا يزال ذلك فقم إليهم ونحن بين يديك وان شئت أن تنزل إليهم وحدك فهم وحدهم فى المطامير وفى أرجلهم القيود والمسامير وفى رقابهم الاغلال والجنازير وشد اليمين على الشمال وهم فى ناحية منفردين عن المأسورين الأولين من المسلمين (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك فتح عينه الصحيحة وقد كاد من السرور يغشى عليه وقال من عندكم من الاسارى سوى من قد جرى ذكرهم فقالت له الملكة كرنة ملك الغرب يقال له عبد الودود الملثم وأعادت عليه قصته وأنه خرج من أرض المغرب يريد مكة فلما سمع عقبة ذلك قال أحسنتى يامكة هذا وحق المسيح الذى زوج أبنته لظالم لما دخل بلاد الغرب من مدة سابقة وأن البطال وظالم قد كانا يذكر أن من دينه كل شىء زائد ولولاه كان البطال وظالم قد هلكوا من السنة الأولى وحق المسيح لابد ماأخضب شيبتى من دم لبتـه واذبح الجميع ولا أبقى منهم فطيم ولا رضيع فيالها من ليلة ما أبركها ومن سفرة ما أسعدها ومن أيام ما أحسنها ثم وثب قائما وأخذ معه بعض الغلمان ومعه سيف مشهور وسوط مضفور لو ضرب به الجمل لأصبح مقبور (يا سادة يا كرام) أن الملكة كرنه ومقلاطوس أرادوا القيام معه ليحضروا معه النوبة فقال وحق المسيح لايصحبنى منكما أحد فلى مع القوم موافقة وخطاب وعتاب وجواب وان فى القتل لهم راحة ولكن مرادى غير ذلك وهو أننى أنزل اليهم وأسطو عليهم فاذا أشفيت منهم الفؤاد رفعتهم اليكم ويكون قتلهم على يديكم ونرمى فى غداة غد برؤوسهم إلى هذا الأسود فما يبقى لهم بعد ذلك سند ولا عمد ويكون ذلك سببا لهزيمتهم وسببا لهلاك عسكره وهزيمته من غير زاد وإلا فيهلك فى تلك الطريق القفرة والمواضع الوعرة (ياسادة) فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا الأمر فى ذلك اليك دونك وما تحب فعند ذلك سار عقبة إلى أن نزل إلى المطمورة الذى فيها عبد الودود فدنا اليه ثم قبض عليه وعلى شيبته وجعل يضربه بالسوط وهو يقول صبرا لحكم الله تعالى له الحمد من قبل ومن بعد ولم يزل يضربه الملعون حتى غشى عليه ولم يترك أحدا إلا ضربه وصعد يريد ذات الهمة وظالم وغلمان البطال وصابر المرعشى (قال الراوى) ولو علم عقبة ان غلمان البطال أيضا هناك لكان طارعقله فرحا بهم وبهلاكهم على يديه لكنه تحقق هلاكهم

فى البحر الزاخر فعند ذلك أقبل إلى نحوهم (قال الراوى) وكان بالأمر المقدر أن الروم لما أنزلوا ظالم والأميرة وغلمان البطال إلى عند الأمراء فى المطمورة وحطوا فى أعناقهم الأغلال وفى أرجلهم القيود الثقال أقاموا فيها ثلاثة أيام وقد مد لؤلؤ يده الشمال إلى رأسه ليحكها وإذا فى رأسه مبرد بولاد لو وقع على جبل لبرده من عمل الهند وسقاية السند وهو قد كان قديما لأبو محمد البطال فقالت الأميرة ذات الهمة ما الذى يبكيك يا لؤلؤ يا بنى اصبر لحكم ربك فقال لها ياستاه ما بكيت مما أنا فيه وإنما بكائى لأنى قد لقيت فى شعرى مبرد كان لمولاى الأمير أبو محمد البطال وقد أعطانى إياه فأخذته الأميرة ذات الهمة وبردت قيدها وقيودهم وفتح لؤلؤ الأغلال (قال) أبو الهزاهز أنتم كنتم اثنين ودخلتم إلى هذا المكان والآن نحن الساعة جماعة ولو طلعنا على غفلة ملكنا القصر بلا محالة وهم على غير أهبة من أمرهم فقال قراقد وهياج وظالم وضيغم ورائد وذات الهمة هذا هو الصواب (ياساده) والقوم قد عولوا يصعدون والقاضى عقبة قد أشرف على باب المطموره وأمر بفتحها فوجدها مخلوعة وذلك أن أبو الهزاهز وقراقد كانا عالجا الباب حتى فتحوه وهموا أن يصعدون فسمعوا الكلام فرجعوا الى المكان ولم يعلموا من قصد اليهم وأشرف عليهم (ياسادة) وان عقبة لما عاين ذلك أقبل على البطارقة وقال لقد سلمنا أن نعدم التوفيق فقالوا له كيف ذاك فقال لهم اعلموا أن المسلمين قد قلعوا الباب وكسروا القيود وفكوا الأغلال ولو كنا نزلنا اليهم ماكان مر بنا ليلة أثقل منها لأنى أعرف الناس بهم (ياسادة) ثم صاح عقبة صوتا كالرعد القاصف فقام كل قاعد واستيقظ كل راقد فقالوا ما أدراك فأعاد عليهم القصة التى ذكرناها فقالوا ياهذا مالهم إلى ذلك من سبيل فقال عقبة اسمعوا منى ما أقول لكم وافهموا واصغوا إلى ذلك القول أطبقوا الباب عليهم وادعوا بالرجال والبطارقة وقال لهم احفظوه حتى لايطلعون الليلة اليكم ولا تناموا إلى وقت الصباح واعلموا ان وصولى الليلة اليكم من أبرك الأشياء عليكم وإلا كانوا القوم قد مكنوا السيوف فيكم فلما سمعوا ذلك من كلامه فعلوا ما قال لهم وأقاموا على ذلك الموضع الف من الرجال بالسيوف الصقال والعمد الثقال وقد بقيوا فى حيرة من أمرهم وعقبة قد حذرهم وقال لاتنامون إلى ان تطلع غرة الصباح فلما كان وقت السحر وإذا بالصياح قد ارتفع وكان الظلام بدا أن ينقشع وصعدوا على الأبراج وإذا بالبحر قد امتلأ كله بالمراكب كأنها الجبال والشموع والمشاعل فى أربعين مركب وفيها الملك ساطرون فلما نظر الى ذلك مقلاطوس عظم عليه وكبر لديه وقال للملكة كرنة ما الذى أحوجكم ان ترسلوا إلى الملك ساطرون فقالت وما عليك منه أنا قصدى

من يصرف هذا العدوعنى ومن قدر على صرفهم كنت له زوجة وأنت صاحب البداية لأنك كنت السابق وان أعطاك المسيح ماتريد رجعوا هؤلاء القوم وما أملوه بعيد وان كنت ماتقدر على ذلك وضرت من هؤلاء القوم هالك فما يضرك ماجرى على بعد ذلك فقال صدقتى أيتها الملكة كرنا وأنا أقول انى فى بركة هذا الشيخ الذى معى لو أردت أن أفتح البر والبحر لصح لى ذلك (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأرسلت الملكة إلى الملك ساطرون تشكره على ذلك وتحدد عليه الشرط الذى وصفنا مع مقلاطوس فلما سمع ساطرون أن مقلاطوس قد وصلت مراكبه إلى الساحل قبله وان كرنة أجابته إلى التزويج به وان مقلاطوس قد سبا عقلها وملك قلبها ومعه بترك يزعم أنه أعلم أهل زمانه من الشرق إلى الغرب قال وبلغ من قدر مقلاطوس ان تكون هذه الجارية له عروس ومن أحق بها منى هذا مالا أسمعه وحق المسيح لابد لى أن أحرق مراكبه وأقتل أصحابه وأقاربه فجعلوا أصحاب الملكة كرنه يقولوا أيها الملك الكريم لاتفعل فان الملكة مارغبت فى مقلاطوس لأجل مال ولا جمال ولارجال ولانوال وقصدها مطاوعة هذا البترك الذى قد أبهر بعلمه سائر العلماء وهو يزعم أنه من حواريين عيسى بن مريم القدماء (ياسادة) فلما سمع ساطرون ذلك قال ان كان سبب رغبتها لأجل هذا البترك فعندى وحق المسيح راهبا كان يسوح على وجه الماء اسمه مقلعونا وله علوم لايصل إليها واصل ولايشاكله فيها مشاكل ولا يماثله فيها مماثل ولو أن عندى البترك الذى عندهم ألف بترك لم يقدروا أن يتكلموا مع مقلعونا اذا حضروا ومع ذلك وحق المسيح لابدما يرون ماأعمل وقد أملتهم إلاأن يصبح الصباح وقد جعلت مبادرة هذا اللعين مقلاطوس الذى قد أتى يريد العروس وهذامالا يصل اليه ولا يقدر عليه وأنا فى حياة الدنيا ورجع رسول الملكة كرنه اليها وأخبرها بما قال الملك ساطرون وما قدعول عليه فقالت كرنه معلوم ان كل واحد من الملكين قد تفضل وأنا ماأنا راغبة فى أحدهم دون الآخر لأن مالى فى مواصلة رجل حاجة إذا لم يكشف عنى هذا العدو وأنا قد جعلت الخروج فى غداة غد لهذا الملك مقلاطوس كما جرى بيننا العهد والميثاق بأنه يكون أول من يقاتل وان كان الفتح والنصر له كنت على ما استحلفنى الشيخ الصالح والبترك الذى هو على أهل العلوم راجح (قال الراوى) هذا جرى ولما طلعت الشمس فتح باب البلد وخرج منهم كل من جحد وكفر وافترى على الفرد الصمد وخرجت كرنة وخرج الملك مقلاطوس (ياسادة) وأما الأمير عبد الوهاب فانه كان كثير الاكتئاب لايعلم بالمأسورين هل هم سالمين أو عاطبين وبقى كذلك هذا وقد خرجت العساكر فهان عليه الأمر وأقبل على بنى كلاب

والسودان وقال لهم عليكم بأخذ الأسارى لعل تكون لنا فدية لمن فى أيديهم وان كانت الأميرة ذات الهمة مأسورة فيكون لنا من يخلصها فقالوا سمعا وطاعة وخرج الملك مقلاطوس وقد عول أن يرمى روحه للموت الأحمر من أجل الملكة كرنة سما وقد وقع له ضد آخر وقد اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وعولوا على الحملة وإذا بالصياح من البحر قد علا والصراخ قد نما وكان ذلك من أصحاب الملك ساطرون لأنه لما نظر إلى مقلاطوس وقد عول على الخروج الى عسكر عبد الوهاب خشى ساطرون من فوات الأمر ولم يعلم مابين يديه وقال ماهذا صواب إذ حكم مقلاطوس على هذه العصابة القليلة يعنى عسكر الأمير عبد الوهاب فيكسرهم ويفوز بهذه الجارية دونى ثم انه ادعى بالراهب الذى عنده مقلعونا لحضروعليه زربقانة صوف أخضر وعلى رأسه برنس أسودوله شعر طويل وهو قصير من الرجال عليه آثار العبادة والترف والدلال فقال له الملك ساطرون أيها الراهب اعلم أن حق عليك واجب وأريد أن تساعدنا بما يكون عندك من علمك فقال الراهب مقلعونا قل أيها الملك ماتريد حتى أشير عليك بالذى فيه السداد فقال اعلم انى رامق بهذه الجارية كرنا صاحبة المدينة التى يقال لها مطلبونا ومع ذلك فان قلبى قد دخل عليه العارض يوم طمعتنى بالوصال وقدوصل اليها أيضا مقلاطوس فى مراكب مثل مراكبى ومطالبه مثل مطالبى وقد كنت أريد ان يكون أنا أول من خرج الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب والملكة كرنه قد أمرت ان يكون القتال اليوم بهذا الشيطان وأخاف أن يكشف هذا العدو عن هذا البلد ويأخذ الجارية وأرجع أنا بالحرمان لاننى قد رضيت بالحكومة وأنا أعلم أننى إن طلبت القتال اليوم تأبى الملكة كرنة لأن معهم شيخ يزعم أن ليس فى الروم من يعلم علمه وسألتهم عن اسمه فأخبرونى أنه من ديار الروم عند ملك القسطنطونية اسمه الشيخ النجبح وحجة السيد المسيح وهذا لعمرى يكون أرفع لمنزلته ان يكون الراهب برهان المسيح وحجته فلما سمع مقلعونا ذلك تفتحت عينيه وتغير لونه وأصفر وجهه وقال هؤلاء القوم النازلون بهذه المدينة هم روم أو غير ذلك فقال الملك ساطرون قد قالوا لى أصحاب الملكة كرنه انهم مسلمون أصحاب رجل من العرب يقال له عبد الوهاب ومعه قوم سودان أبطال شجعان لايبالون بالقتال ولايهابون الحرب والنزال رجال المامع وليوث الوقائع غير أن رسول الملكة كرنة ذكر لى ان لأميرهم أم يقال لها ذات الهمة أفرس أهل الأرض فى الطول والعرض وقدأخذت أسيره ومعها جماعة من السودان وغيرهم وهم تحت الأسر الشديد والضرب الأكيد الذى ماعليه من مزيد وقدكان هذا التبرك قد عول على قتلهم وقتل الأميرة ذات الهمة لأن بينه

نوبة عظيمة وأمور جسيمة وهذا سبب حديثهم أيها الراهب وماسمعته من رجال كرنه (قال الراوى) فلما سمع الراهب مقلعونا ذلك وثب قائما وزرف طرفه دمعا ساجما وقال له أيها الملك وهذا الراهب الذى لهم هل تعرفه انه عندهم جديد أوقديم فقال الملك ساطرون ياراهب زعموا أنه عندهم من عام أول عند الملك مقلاطوس لانهم يزعمون أنه وجدوه غريقا فى البحر كما وجدناك (ياساده) فلما سمع الراهب مقلعونا ذلك قال وكيف وصل هذا العدو إلى هذا المكان وإلى هنا وقد أرسلت الملكة كرنة اليك وكيف طرق المسلمون هذه الديار فقال له الملك ساطرون أيها الراهب يزعمون أن سبب هذا كله مركب طلع من الغرب فيه رجل يقال له عبد الودود بن اسماعيل وكان معول على الحج إلى مكة وان الريح أرمت مركب عبد الودود إلى هذه الجزيرة فهم فيها أسارى وسمع خبرهم هذا العسكر فجاء من أجلهم فلما سمع الراهب مقلعونا ذلك كادت مرارته ان تنشق وتزهق عند سماع هذا الكلام وقال أيها الملك هذا عجز منك والرأى عندي أنك الساعة تحرق هذه المراكب التى لهذا الشيطان مقلاطوس حتى تنكسر همته وتقتل رجاله التى فى صحبته حتى لايبقى لها من يدفع عنها العدو الذى قدنزل عليها غيرك ولاتعتمد فى الملمات على سواك وأماماذكرت من أمر هذا البترك الذى عندهم فاحرص أن تدعوه إلى مناظرتى وسوف ترى مايسرك فلما قال لنلك ساطرون هذا الكلام أعلم أصحابه بذلك فتحابوا من كل جانب وجردوا القواضب وسمعوا أصحاب مقلاطوس الصياح فى البحر فأقبلوا عليه وأخبروه بالخبر فغضب وزمجر وقال وحق المسيح لقد أشغلنى هذا الملعون ساطرون عن هؤلاء المسلمين ولابد لى أن أبدأ به اطلعوا الساعة إلى مراكبكم فطلبوا المراكب فكانت فى المينا فصعدوا فيها ولولا كانت السلاسل على المينا كان ساطرون أحرق مراكبهم وكانت أربعين مركب مابين صغيرة وكبيرة وكذلك مراكب ساطرون وخرجت بعضها عن بعض كأنها العرايس المجلية عليها اللبود الطليقانية ووقفت الرجال بالسيوف الهندية والرماح الخطية والعمد الهرقلية والحراب الحبشية والقنطاريات الأندلسية وضربوا المراكب بقوارير النفط وقد هاج البحر فى تلك الساعة ولما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك قال الحمد لله الذى رد كيدهم فى نحرهم وأقام ينتظر مراكب الملكين وكيف يكون القتال بين الطائفتين ولمن يكون الطعن من الجماعتين وصادمت المراكب مصادمة البطل الجحجاح وتناطحت مثل الكبش فى النطاح وعملت الصفاح وتطاعنوا بالرماح واشتد العطب والحرد وعمل الصارم المهند وكان يوم عسير على من كفر وجحد ولم يزل القتال بينهم طول النهار وقد عظم ذلك على الملكة كرنه وقد خرج الأمر عن يديها وتكسرت

المراكب وهلك من فيها فلما نظرت الملكة كرنه إلى ذلك ركبت بنفسها وقدم لها مركب حربى وخرجت اليهم ودخلت بينهم وقالت لهم ويلكم ما نريد أكثر من هذا بأن يكون المسلمون سالمون وأنتم بسيوفكم عاطبون يقتل بعضكم بعضا ولا تكفرون فاذا كان ولا بد لكم من هذا فارجعوا إلى موضعكم فمالى حاجة فيمن لا يكشف عنى الأعداء لأنى فى موضع لايقدر عليه عدو ولو أقاموا حتى يشيب الغراب وينقطع الحساب وتنشف البحرين من الماء وتعدم الشمس من السماء ويذهب النهار والظلماء لما وصلوا إلى ولا يقدروا على وأنا أقسم بالانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لئن رجعتم بعد خروجكم إلى القتال لا نال أحد منكم مراد وترجعون بحسرة الفؤاد فلما سمعوا ذلك من كلامها افترقوا بعضهم من بعض وجرى الشرط بينهم انهم إذا أصبح الصباح ينزل الملك ساطرون إلى قومه وينزل الملك مقلاطوس فى قومه ويقف كل قوم إلى جانب ويعتمدوا فى ذلك على المبارزة فمن ظفر بعبد الوهاب فهو المحكم فيها أو الآمر والناهى فى البلد وهى بحكمه (قال الراوى) فهذا جرى ههنا وأما عقبة فانه نزل إلى المطمورة ومعه البطارقة بالسيوف البارقة وقال لهم اعلموا أن الاسارى قد فكوا القيود وهم فى المطمورة وفيهم ولد الأسود عبد الوهاب وما أقدر على النزول اليهم إلا أن يعودوا إلى ما كانوا عليه من الاغلال والسلاسل والقيود فعند ذلك نزلوا البطارقة حتى صاروا فى أسفل المطمورة وصاحوا بالرجال اعلموا أن القيود فى أرجلكم ونظر الأمير ظالم إلى ذلك فوثب كانه الأسد الغضبان إلى بعض البطارقة وقبض على يده فكاد أن يطحن عظمه وصاح بالبطارقة فولوا هاربين ووقع البطريق إلى الأرض ميت ووقع السيف من يده فأخذ ظالم وأخذ ترسه أيضا وصاح بهم هنالك انطبقوا عليه فمكن حسامه (ياسادة) فلقد ترك الرؤس بلا قوائم والاكف بلا معاصم ونظر عقبة إلى ذلك فعلم أنه قد سلم القوم إلى الهلاك فصاح بالبطارقة فجعلوا ينزلون واحدا بعد واحد وهو لقوائمهم يقطع وآنافهم يجدع وكانت الأميرة ذات الهمة قد أخذت سيفا آخر وكذلك أبو الهزاهز وكل واحد منهم قد استقبل وأما المائة الاولى فانهم عاجلون حلول المنية والاجل وحل بهم البلاء المنزل وقال عقبة فى نفسه أرى كل من نزل اليهم لايطلع نخشى من الملكة كرنه لاتعتب عليه فى هذا التدبير المفسود إذ كان سببا لهلاك رجالها والبطارقة الخاصة (ياسادة) وأن عقبة فكر فيما يفعل فما كان له إلا أنه صاح بالبطارقة على بالاخشاب والحطب وإلا فقد سلموا المأسورين من العطب فعندها تارت الرجال إلى الأخشاب والاحطاب وجابوها من كل جانب ومكان وأرموها عليهم فلما رأت الاميرة ذلك قالت كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا تلافنا

وصاحوا أيضا الامراء الذين فى المطمورة لاتحرقونا فانا نهلك فصاح عقبة لابد من ذلك إلا أن ترموا السيوف وتعملون القيود فى أرجلكم وإلا وحق المسيح أهلكنا كم كلكم بالنار فعند ذلك أرمى ظالم وذات الهمة السيوف من أيديهما وسلما أنفسهما إلى الاعداء وأطفيت عنهم النار ونزل عقبة هنالك والاميرة قد سمعت صوته وهى بين مكذبة ومصدقة حتى لاح لها طلعته وبان لها عورته فحينئذ عرفته وعلمت أن هذا كله من حيلته فقالت كلمة لايخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال لها عقبة لو كان معك الإنس والجن لما قدروا أن يخلصوكى فى هذه النوبة من يدى وأما أبو محمد فما بقيتى تريه أبدا وحق المسيح أن المسيح قد غرقه فى البحر وسلمنى وإلى جزيرة مقلاطوس أوصلنى ثم بعد ذلك إلى قبض روحك أرسلنى وعلى هلاك من معك حرضنى وبتلاف الملك عبدالودود ومن معه أمرنى وعلى هلاك الأسود الحجام قد سلطنى فأيقنى بقولى ولا يداخلك فى ذلك شك (ياسادة يا كرام) ثم دنا منها وضربها الضرب الوجيع وفعل بكل واحدمنهم كذلك (ياسادة) ومافى هؤلاء إلا من ظفر به عقبة وفعل به مثل مافعل بالآخر فلما ضربهم الضرب الوجيع بكوا من شدة الضرب الذى كأنه النار واعتراهم الوجع ولحقهم القلق وأضرمت فى أكبادهم نار الحريق فلما علم أنه قد انتقم منهم صعد من المكان والبطارقة معه وقد أشفى غليله وهو واثق بقتلهم بعد ذلك كله وسمع بصلح الملكين فركب من وقته وساعته فى حراقة لطيفة والشمع بين يديه يقد حتى وصل إلى الملكة كرنه وقال لها لا زلتى مصلحة لاجماع الأمور مسلمة من كل محذور

﴿ تم الجزء الثالث والثلاثون ويليه الجزء الرابع والثلاثون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الرابع والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم أن عقبة سار إلى الملك مقلاطوس وقال له أيها الملك لاتشغل قلبك غدا تحضرون الحرب كلكم وموقف الطعن وحق المسيح لاعملن لك على هلاك العسكر بعد أن أحصل المقدم عليهم أسير ذليل حقير وأنا أوريك ما يكون منى وبما تحدث به الاولون والآخرون وان كنت ماتعرفنى فأنا أعرفك بنفسى أنا عرقة البلاء أنا سخطة المسيح على الأعداء أنا شوم زمان هذه الدنيا وبعد ذلك فانى قد سمعت ان الملك ساطرون معه راهب جليل المقدار ويريد أن يناظرنى وها أنا ماضى اليه على أننى أنظر إلى هذا الراهب بحجة المناظرة وأدبر على هلاكه ولا تعرف أيها الملك هذا الأمر الا منى والسلام ثم ركب فى جراقة وسار الشيخ إلى أن وصل مركب الملك ساطرون (قال الراوى) وفى تلك الساعة كان هو والراهب مقلعونا يتحدثون وعلى مثل هذا يدبرون وان عقبة لما وصل إلى المركب صاح أيها الملك الكريم الجناب الرفيع الركاب لازلت موفق للصواب انا البترك الذى وصفونى بحضرتك وقد اشتقت إلى مشاهدتك أناظر من يدعى عندك العلم فى مجلسك حتى يتبين لك أهل العلم من أهل الجهل فشكره على ذلك الملك ساطرون وأمره بالصعود وقد قام له قائما ورفع موضعه لما أن سمع أن الملكة كرنة قائمة به فظن فى نفسه انه يقضى نوبته عندها فلما استوى عقبة جالس مد عينه إلى جانب الملك فنظر إلى الراهب مقلعونا إلى جانبه وهو يخاطبه فجعل ينظر اليه فقال له الملك ماحالك أيها البترك فقال له يامولاى وحق المسيح أن هذا

الراهب الذى عندك أشبه الناس برجل كان خراب بيوت النصرانية الذى أرمل العيال ويتم الأطفال وأخذ الرجال وفتح الحصون والقلاع وملك الأماكن والبقاع ومع ذلك لولا أنى رأيت ذلك الشخص وقد هلك لكنت أقول انه هو فكلمه الراهب بلسان أهل الجزيرة وقال له أيها البترك انت الذى تدعى انك أعلم الخلق من الغرب إلى الشرق والمسيح قد أمرك أن لاتفعل ذلك وان لا بد له مما يسألك عن دعواك وممن تقول انك أعلم منه لايرضاك أن تكون له تلميذ وبعد ذلك كله فأنا لاأفتخر بهذا وانما افتخر بالمنزلة من السيد المسيح هل تقدر أنت الساعة أن الايصبح الصباح الا وقد رجعت إلا المراكب ومعك أمير المسلمين عبد الوهاب فقال عقبة لا وحق المسيح لا أقدر على هذا فقال الراهب مقلعونا وأنا فى هذه الساعة أنزل ولا أعود اليك وقت السحر الا ورسه معى ولو كانوا فى عدد التراب وقطر السحاب لوطئت أعناقهم ثم وثب قائما وقد أبهت الملك ساطرون والقاضى بهذا عقبة الكلام

(قال الراوى) وكان هذا الراهب (ياسادة) أبو محمد البطال وانما قال ذلك المقال خوفا من عقبة انه يسترجع رأيه فيعرفه ويعمل على هلاكه ثم أن الراهب مقلعونا وثب قائما ونزل فى بعض الحرقات وقد قال لمن معه من البطارقة تكونوا معى وتسيروا معى فى هذه الحراقة وسار حتى طلع إلى ذلك الساحل هذا وعقبه قد طار عقله فرحا وظن أن ذلك حقا وقال وحق المسيح ما كنت أريد قتله الا على يدى أو بحضرتى ولكن أنا آخذه الساعة ثم انه ودع الملك ساطرون وقال له أيها الملك أنا لك مساعد وأقول للملك لاتأخذ أحدا غيرك بحيلتى واعمل هذا لما يصلنى من برك وأعطاك فوعده الملك ساطرون بكل جميل (قال الراوى) وان عقبة قد نزل من ساعته وسار حتى أتى إلى مركب الملك مقلاطوس فوجده على غاية القلق فى انتظاره فلما وصل اليه قال له أن الملك ساطرون ما هو من رجال الحرب وما كان تكلم ذلك إلا وقد عول على أخذ الأمير الذى لهذا الجيش سرقه وذلك أن الراهب الذى عنده قد نزل فى خمس رجال وقد ضمن له أن يأتيه به والرأى عندى أننى أنزل أنا ومائة من البطارقة الذين عندك إلى ساحل البحر فنكون هناك مقيمين وبين الرجال جاثمين فاذا أقبل به أخذناه منه فلما سمع الملك مقلاطوس ذلك قال الأمر اليك أيها البترك وأمر بحراقة كبيرة فيها أربعون رجلا وسار عقبة إلى أن وصل إلى الساحل وهو يقول لولم يكن فى الأمر إلا قتل الراهب فهو الكفاية لأنه على صورة ذلك العيار أبو محمد البطال وجلس عقبة على الساحل (قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد البطال لما نزل أوقف البطارقة وسار

حتى وصل إلى عسكر عبد الوهاب وكان الأمير نائم فى مضربه وقد افتكر فى غيبة ولده ظالم والأميره وغلبت عيناه الكرى (ياسادة) وفى تلك الساعة رأى الأمير أبو محمد البطال فى المنام فانتبه مرعوبا ودموعه تجرى وعنده عبده صالح عند رجليه فناداه ياصالح وكان نائما فناداه لبيك قال لقد كنت أشتهى أن أرى الأمير أبو محمد فى النوم والآن فقد رأيته ولم يكن لى لسان أسأله مالقى من ربه فهو فى الكلام وأبو محمد صار مع عبد الوهاب فى المضرب وقد سمع كلامه فناداه أنت تشتهى أيها الأمير انك ترانى فى المنام وأنا أشتهى أن أراك فى اليقظة أنا أخوك البطال (قال الراوى) فيالها من ساعة ما كان أسرها على عبد الوهاب (قال) فجعل الأمير يقبله ويضمه إلى صدره وهو لايصدق بذلك ويقول أرجوا من الله تعالى أن يطلعنى على خبر الأميرة والاسارى فقال الأمير أبو محمد الأسارى فى المطمورة عند كرنة وخبرهم عندى وعقبة عند الملك مقلاطوس وقد نزلت على اننى أسرقك ولا بد له أن يتبعنى من حرصه عليك فقم فى عشرين بطل أو أربعين وقد اخذناه الساعة فوثب الأمير عبد الوهاب وادعى بعشرين من السودان وأعلمهم أبو محمد أن هذا الراهب هو عقبة فغابت عقولهم وجعلوا يبوسون التراب شكراً لله تعالى رب الارباب الذى إذا دعى اجاب وسار بهم إلى الساحل فوجد عقبة والبطارقة معه فحملوا عليهم ومكنوا السيوف منهم فقتلوهم عن آخرهم وأخذوا عقبة قبضا باليد ولطمه البطال إلى أن غشى عليه وكتفوه السودان بتلك الايادى الخفاف وأحدقت به البربر والحبشان وقال له أبو محمد البطال ياشيطان كيف رأيت فعل ربى جمعنى واياك حتى لاأموت الا وقد اشتفيت منك فقال له عقبة ويلك وما للموت عليك طريق ولقد نفر قلبى منك لما سمعت أن اسمك مقلعونا وعلمت انكم من ههنا حقيقا تقلعونا (قال الراوى) واخذه عبد الوهاب إلى مضربه وهو مسرور بقتل هؤلاء البطارقة وبأخذ عقبة وباجتماعه بأبو محمد البطال (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب أقبل على البطال وقال له كيف كان سبب سلامتك فقال أيها الأمير جرى على كل غريبة وعجيبة تطرب منها المستمعون وذلك إنى أيها السيد الخطير لما انكسر بنا المركب ساق الله تعالى لى لوح من الألواح التى للمركب فكانت تارة ترفعنى وتارة تضعنى وتارة أيقن بالوفاة وتارة أطمع فى الحياة وقد خان النطق لسانى وذهبت القوة من بنانى فحينئذ هانت على روحى وأيقنت بالوفاة وهممت أن أترك ذلك اللوح من يدى لما ضعف صبرى وجلدى ووقع الخذلان فى جسدى وتعود النفس أنها تتعلق بأذيال الطمع وتتأسف على الحياة فأعود إلى الإمساك خوفا من الهلاك وأطمع بمطامع

لمالى وأسأل ربى كشف مابى من أحوالى حتى تعود إلى القوة والنشاط وبقيت كذلك أيام متواتره وكأنى قد خرجت من دار الدنيا إلى دار الآخرة وقد فنيت قوتى وذهبت جلادتى وزالت الأمنية من عيشتى ونسيت أهلى وعيالى ولم يخطر بقلبى ذكر أحد من أهل مودتى ولم يبق لى غير الأسف على تلاف مهجتى فلذلك أرخيت روحى عن اللوح الخشب وسلمت نفسى إلى شرب العطب ويامولاى هنالك جاءتنى موجة كأنها الجبل الشامخ أو الطود الباذخ فدفعتنى دفعة واحدة فظننت أنى قد وصلت بها إلى شرب كأس الحمام وندمت على إفلات اللوح من يدى لما عاينت من الأهوال العظام فهناك عبثت بيدى ساعة سياحته وتعلق أملى إلى أن أصل إلى ذلك اللوح توصلا للراحة وإذا أنا قد وقعت رجلى على رمل ناعم وسكن ذلك الموج القائم المتلاطم فبقيت فى حكمى حاكم وهززت روحى وأنا على الحقيقة قائم فمددت بصرى وإذا أنا بجزيرة مد البصر فيها من الأشجار والأطيار مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فدخلتها وأمنت على روحى من هلاكى فى البحر وفرحت بحصولى على تراب البر إلا أننى قد خرجت من البحر العجاج كأننى بيضة الدجاج لا أقبض يمينا ولا أسطو شمالا وقد لقيت مما جرى على أهوالا فوقفت هافتا وإلى الجوباهتا ولم أزل كذلك حتى حميت الشمس على ودفيت عظامى ووجدت النشاط والقوة والإنبساط وكثر طمعى فى الحياة وقد أيقنت بأن الله أعادنى إلى دنياه فلما صرت قائما على قدمى ونظرت إلى الجزيرة بعينى وإذا أنا بجزيرة واسعة بعيدة شاسعة كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار قد غردت فيها الأطيار عامرة الأوكار كثيرة الأزهار طيبة النبات أرجة الجنبات عليها من الثمار رطبا ويابسا وقد ضحك وجه الأرض بعدما كان عابسا وقد جمعت الرياض الأنيقة والحياض العجيبة الوريقة والأوراق الزمردية والثمار العسجدية والأزهار الفضية وعين ماء سارحة فيها طيور الماء سابحة فلما نظرت إلى ذلك وشاهدت ما شاهدت حينئذ طلع طالع السعود على ووجدت قوتى قد عادت إلى فوقعت على الثمار وقوع رجل ذو حاجة قوية واضطرار وقد زادت بى الفاقه ولم يبق بى على الصبر عاقة فأكلت حتى وقعت طريح من الثمار من كل فن مليح ورجع لى ما ذهب من القوى والحيل وعدل عندى الثمر مقام الخبز واللحم المشوى ثم شربت من ذلك الماء الزلال وانهلت ما أصلح من الحال وعدت إلى حال الصحة فى الجوانح والاصابع ثم إنى سرت طالبا طريقا يكون لى فيها إلى النجاة سبيل وطامع فى النجاة وأنا مع ذلك خالف من سبع يفترسنى أو وحش يأكلنى حتى انتهيت إلى جبل عالى فعلوت على

ذروته وحصلت على قمته وإذا بى قد أشرفت على ساحل عظيم وعنده مركب كبيرة كأنه الجبل فى الهيكل والتجسيم فنزلت نحوه وأنا أغدو وأهرول كالولهان الحائر وأسير سير الخائف الفزعان وذلك من خوفى من العطب لى لايقلع المراكب ولا أجد لى إلى سواه مذهب يامولاى فلم أزال كذلك وأنا أنادى بالعزيز المالك الذى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه وقد خطر على قلبى فى ذلك الوقت ذكرى فبكيت شوقا إليك وإلى سلامتى وكيف الوصول اليك وافتكرت فى طول غيبتى وأنشدت هذه الأبيات

ترى نلتقى من بعدطول المراحل ... ومن بعد تفريق وحزن مواصل
ومن بعد مكثى فى البحار تحطنى ... وترفعنى أمواجه كالجنادل
حياة وقد هانت على منيتى ... وأطلقت لوحا أوثقته أنامل
ولم يبق فى البحر عزم وقوة ... وصرت كأنى عاطل من مفاصلى
فلم أدرحتى صرت فى الرمل قائما ... وقدصرت فى أرض على متن ساحل
وعاينت أشجار وفيها منافع ... لكل عليل خامض البطن ناحل
فأمعنت فى كل وصرت مؤملا ... نجاة وإنى سالم من مقاتلى
فعاينت من تحت السواحل مركبا ... عليه رجال فى قلوع هواكل
فسرت إليهم عادم العقل خائف ... وقد زاد شوقى ثم أدنت بلابلى
وذكرنى دهرى حبيبا فقدته ... وسيد سادات الرجال الفواضل
فقلت لعلل الله يجمع بيننا ... ونرجع فى اطلالنا والمنازل

(قال الراوى) هذا والأمير عبد الوهاب يسمع ويبكى وأبو محمد البطال يحدثه ويبكى ثم قال يامولاى لم أزل كذلك حتى وصلت إليهم فلما عاينوا صورتى وأبصروا عظم انطلاقى وسرعتى خافوا من جانبى وظنوا أن خلفى رجال يرومون أخذ المركب وما فيه من الأموال فحينئذ رفعت الرجال القلوع وقد جردت من عينى سواجم الدموع وأيست من السلامة والرجوع إلى الأطلال والربوع و نظرت المركب وقلوعه مثل أجنحة النسور فهنالك قصرت عما كنت عليه من الجريان وعدت إلى حال النفير عند انقطاع الأمل من حياة الإنسان يامولاى فرفعت صوتى إلى تعالى الله وقلت يامن إذا أخذ بيد المقصرين لحقوا السابقين ومن إذا نظر إلى المنقطعين سبقوا السابقين أسالك بحق من اصطفيته من أطيب قريش فرعا وأجلهم موردا ومنبعا فنفع الله به العباد نفعا وصدع به الشرك صدعا إلا أخذت بيدى لقد ذهب صبرى وجلدى ولم يبق لى طمع فى

الرجوع إلى بلدى وأهلى وقد أقلع هذا المركب وتركنى وساروا مقلعين ولم يأخذونى وقد استغثت بك فدلنى على ما أعمل فقد ضاقت على الحيل يامولاى فوالله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ما هدى صوتى من الدعاء العظيم وفرغت من النداء حتى هاجت رياح الهوى لما يشاء الله تعالى وبقيت متفكر فى ذلك بالمركب قد أتى من صدر البحر راجعا وقد داروا القلوع وطلبوا من البحر ولعب الهوى فى مقلوع وطلب المركب هواه وهم لايقدرون على الاقلاع به لأن الهوى يردهم إلى ذلك الساحل غصبا عليهم وما زالوا حتى وصلوا إلى الموضع الذى كانوا عليه وأرموا مراسى البحر هناك هرولت اليهم طالبا نحوهم أنادى برب المشارق والمغارب ولى دمع ساكب حتى وصلت إلى الساحل وخلعت عنى ثوب الفزع وأرميت روحى إلى البحر سياحة حتى وصلت اليهم وإذا هم قوم يهود فجعلوا يشتمونى وبالحجارة يرجمونى فناديت ياقوم أنا رجل غريق وقد جرى على ما لاأطيق ثم كلمتهم بلسانهم العبرانى فلما سمعوا منى لغتهم ألقوا إلى الحبال ورفعونى بلطف وامتهال وصرت معهم فى المركب جالس وأيقنت بالحياة بعد ماكنت آيس وجعلت أحدثهم كيف كانت غرقتى وحالى وهم يعجبون مما جرى لى ثم سكن الهوى لما صرت معهم فى المركب هناك رفعهم القلوع وساروا ثلاثة أيام بريح طيب وفى كل يوم أصل بهم فقلت لهم يا قوم إلى أين أنتم سائرون قالوا إلى أقصى بلاد الهند فقلت لهم مبارك وقد هان على ذلك عند سلامتى وقلت أنا من هناك أتوصل إلى البر ولا أرجع ركوب البحر يامولاى فأقمت معهم ستة أيام ثم هاج البحر وقد أظلم الليل وترادفت الأمواج ونار البحر العجاج فبقيت فى مقدمة المركب وتمسكت باحدى ألواحه فما أنا إلا أن مسكت ذلك اللوح حتى اصطففت عليها موجات من الجانبات فكسرت المركب وشرب كل من فيه شراب العطب وركبت أنا على ذلك اللوح كأنى ما برحت وقد زاد على الأمر ووصل إلى الضر وعيل صبرى وهاج البحر على يامولاى فلما كان وقت الصباح وإذا بالخشبة تضرب الساحة وقد انفتح الضيا وذهب غياهب الدجا يامولاى فلما كان هذا الأمر مددت عينى فنظرت جزيرة عامرة فيها عالم عظيم كثير وهى جزيرة هذا الملك ساطرون الذى وصلت معه فقصدته وكلمتهم بلغتهم ثم إنى بعد ذلك يامولاى ادعيت انى سائح فى الدنيا وانى من رهبانهم فألبسونى أفخر أثوابهم فتزهدت فيها ولبست الصوف وأقمت عندهم هذه المدة الطويلة حتى وصل كتاب الملكة كرنة يذكر أن عبد الوهاب نزل عليها فوالله ما صدقت أنكم تأتون إلى هذه الأرض والبلاد فلما وصلت الى ههنا وسمعت الصفة

معول على الدخول إلى المركب وأسير إلى الملك ساطرون وأقول له أيها الملك لقد سلمت أمير المسلمين إلى أصحابك يجيئوا لك به وإذا أنا بذلك الشيطان الذى هو بترك مقلاطوس نزل خلفى برجال من أصحابه معول على انه إذا وصلت أنا بأمير المسلمين أخذوه منى غصب عنى فعلم المسيح ماقد أملوه من الغدر وأضمروا من الخديعة والمكر فظفر بنا المسلمون فقتلوا أصحابى وأصحابه أجمعين وأسروا البترك وسلمت أنا أن أهلك فرميت روحى إلى البحر سباحة وأنا أنوح على أصحابى ونفسى أعظم نياحة وأريد أيها الملك إذا نزلتم فى غداة غد إلى الساحل لقتال هذا العسكر النازل أكون أنا قد نزلت فى مركب للملكة كرنة ووصلت معها إلى مدينة مطلبونا فأنظرها وأشاهدها وبعد ذلك أتوصل إلى ترغيب الملكة كرنة اليك دون صاحبك مقلاطوس فان هى أجابت إلى ذلك وإلا نظرت إلى البلد ومن أين توصل اليه ثم أعمل بعد ذلك أيها الأمير على خلاص الاميرة ذات الهمة والامير ظالم ولدك وعبد الودود ومن معهما من الرجال الكرام وأسلم اليك البلد فى ليلة واحدة أن شاء الله تعالى ثم ان أبو محمد البطال قال وما دام ان البحر ماغرقنى فما أفزع من كل أحد فى الوجود مادمت فى طاعة الواحد المعبود (قال الراوى) هذا والأمير أبو محمد يتحدث مع الأمير عبد الوهاب وعقبة يسمع ومرارته تنفطر وقال له ياأبو محمد مارأيت قط أحيل منك ولا أمكر منك فقال البطال لا كلام حتى أفرغ من هذه الأمور الثقال وتبصر ما أنزلها عليك من الأهوال وأخرج كلما قاسيته من دماغك فقال عقبة ياأبو محمد لاتفعل فان جرى عليك أكثر من هذا فى البحر وأقمت فيها عشرة أيام وقد زاد على البلاء وأيقنت بالهلاك والردى فهنالك رفعت رأسى إلى السماء وقلت إلهى وسيدى أنت تعلم انى ما كفرت بك إلا بسبب واحد وهو من طريق كياد أبو محمد البطال وكان ذلك من طلب المباهات والمباراة فى دار الدنيا وطردى من الله تعالى لأنه يفعل ما يشاء لااعتراض عليه فى ملكه فقالت يامولاى أنا أعلم أنك أنت الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد المنزه عن الصاحبة والولد وأنا عبد قد خدعتنى نفسى فأعطيتها مناها والآن فما للعبد الآبق إلا الرجوع إلى مولاه وكاشف ضره وبلواه وأنت الملك الكريم الذى لايضرك كفرى ولا يزيد فى ملكك منكرى وقد تبت إليك واعتمدت عليك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد نذرت على نفسى مائة ألف دينار صدقة لله تعالى فى بيت الله الحرام على صعاليك أهل زمزم والمقام وما كان ذلك من رغبتى فى الحياة ولا خوفا من الوفاة بل اردت أن أسجد لله سجدة واحدة بإخلاص النية صادق الطوية معترف لله بالوحدانية

لعل يغفر لى زلك وزلتى ويتجاوز عن خطيئتى ويرحم شيبتى فعند ذلك عجل بسلامتى وقد ندمت على ماكان منى فى الزمان الأول ثم انى لما وصلت إلى مركب مقلاطوس ماصدقت تصلون إلى هذه الديار حتى صح لى أنكم بنو كلاب الاخيار والمقدم عليهم هذا البطل الكرار إلى أن دخلت على مقلاطوس على أن يسمح لى بالنزول اليكم وأظهر له أننى أريد أسرق أميركم وكان قصدى بذلك القرب اليكم وأقص قصتى عليكم فدهمتمونى بالأبطال وعاجلتمونى بالإقبال والآن فان الأمر قد اقترب والقلب قد انقلب وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثانيا وثالثا ولا يقول قائلا أن هذا فزعا من الموت ولا من خوف القتل فافعلوا بى ما أردتم ثم بعد اسلامى أنتم فى حل من دمى فقد قال الله تعالى قل الذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف (قال الراوى) فلما سمع عبد الوهاب ذلك من كلام عقبة وتضرعه وبكاه ونظر إلى شكواه قال لعل الله تعالى أن يكون قد هداه وعاد إلى دين الاسلام لما رأى من البحر وعجائبه وغرائبه ودلائله وأما الأمير أبو محمد البطال فانه عرف خيانته وقال للأمير عبد الوهاب لاتسمع من هذا القرنان فهو الذى تعرفه وما احتاج أصف لك وهو الذى لاتنكر فاحتفظ بهحتى أعود إليكوسوف يتبين لك مايدعيه أنه محال بما يلوح لك من محاله وعمله وأفعاله ثم سار أبو محمد البطال حتى وصل إلى الملك ساطرون وتحدث بما ذكرنا ولما أصبح الصباح وأشرقت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح وذكرت محمد سيد الملاح فعند ذلك نزل الأمير أبو محمد فى مركب الملكة كرنة هذا والملكان قد نزلا إلى البر ونزل معهما عالم عظيم والملكة كرنة قد أرسلت اليهم الخيل والعدد وساروا إلى مقاتلة الأمير الأسود والبطل الامجد الأمير عبد الوهاب وترس قبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى أيديهم السيوف والعمد هذا وأبو محمد البطال عند اشتغالهم بالقتال قد خرق الدروب ووصل إلى المطمورة وفتح بابها فوجد الأميرة وهى تقول لمن معها ياقوم ماأعجب أمرنا وكيف هذا الملعون عقبة لحق بنا من دون الأمير أبو محمد البطال صاحبنا وولدنا ولكن تموت الأخيار وتبقى الاشرار ثم أن الأميرة تنهدت تقول

أبا محمد طال الشوق ياولدى ... حتى بقيت بلا صبر ولا جلد
وقد تغير قلبى من فراقك لى ... حتى بقيت بلا قلب ولا جسد
أبا محمد يامن لا نظير له ... فى الفضل والعلم والتدبير والرشد
أبا محمد لو أبصرت سادتنا ... وظالم فى عذاب دائم الكمد
أبا محمد لو أبصرت ذا الهمة ... موثوقة بقياد الذل والنكد

ولو نظرت إلى عبد الودود وقد أمسى أسيرا على حال من الكمد
من المصائب يبغى عقبة أبدا وأنت نائى عن الاحباب لم تعد
ما كنت احسب أن الدهر يوقعنا فى كفه ونكون اليوم فى صفد
وقد توائبت الأبطال من فرح مثل السباع وقد أطلقتهم بيد
حتى أتانا بشبوم الفعل عقبتهم تبدل العيش بعد الصفو بالنكد
من بعد ما بردت كفى قيودهم ثم ارتقيت لأبغى نجح مقتصدى
ونزل الروم والأبطال فى طمع أن يقتلونا لأجل الواحد الصمد
فقام ظالم نحو القوم مبتدرا استملك السيف نحو القوم منفرد
ثم أنثنى نحوهم والرءوس قد نثرت نثر الجواهر من عقد بلا عدد
حتى أمرهم بفعل النار مرتجيا أحراقنا لم يخف من واحد أحد
فلم يكن غير تسليم النفوس إلى أعدائنا للقضا والحير والأمد
وأن قلبي لا يبكى على أحد إلا عليك وطرفى اليوم فى سهد

(قال الراوى) وما استتمت الأميرة شعرها وفرغت من نظمها ونثرها حتى نزل الأمير أبو محمد البطال وفتح باب المطمورة ودموعه مثل الجمان وقد هيجت عليه نيران الأحزان ونادى أيتها الأميرة لا كان يوم لا ألقاكى فيه فقد لقيت مالا يلقاه أحد وتهججت من بلد إلى بلد وبقيت على وجه الماء والموج والزبد وها أنا غلامك أبو محمد فنزل إليها وسلم عليها وثبتت المعرفة به أنه أبو محمد فصارت تمسح عينيها وتعجب من هذه السيرة الذى ما روى أحسن منها اتفاق ولا أغرب منها سباق وقالت سبحان الملك الخلاق ما سمع أحد بمثل هذا الإتفاق فى سائر الآفاق ثم غشى عليها من الفرح وتبادروا الرجال إلى أبو محمد يقلبوه ويسلموا عليه أبو الهزاهز وظالم ووقع البكاء من فرح التلاق مثل البكاء يوم الفراق وكانوا كما قيل

هجم السرور على حتى أنه من عظم ما قد سرنى أبكانى
ياعين قد صار البكا لك عادة قد تبكى من فرح ومن أحزان

وأفاقت الأميرة ذات الهمة من غشوتها لأنها كان غشى عليها وسلمت على أبو محمد وسلم على غلامه لؤلؤ وقال له ما كنت أعطيتك مبرد يقال له مخجل القفل ايش فعل به الدهر فقال له غلامه لؤلؤ هاهو معى فأخذه أبو أبو محمد وفك عنهم القيود والأغلال وقال لهم أبشروا بالفرج من الملك المتعـال وأعلموا أن الدهر لا يبقى على حال فسألته الأميرة ذات الهمة عما جرى له من الأهوال فقال لها ما هذا وقت سؤال

فهل رأيتم عقبة المحتال فقالت الاميرة لعن الله من ذكرت فأننـا من ضربه فى أسوأ حال وقد كاد الملعون أن يقضى علينا الاجل فقال أبو محمد لقد سمعت ما قد قال وما أبدا من المقال وأخاف أن ينطلى على الامير المفضال سيد بنى كلاب وزعم أنه لما غرق فى البحر المتلاطم بالامواج التى مثل الجبال وعاين ما عاين من الأهوال فانه رجع عن طريق الكفر والضلال وعاهد الجليل المفضال أنه لا يرجع إلى طريق الضلال وأقر أن الله تعالى واحد لا والد له ولا ولد ولا عم له ولا خال وأنه يمسك السموات أن تقع على الأرض وأرسى الجبال وقد صدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الصادق فى المقال المبعوث من أكرم العرب والمخصوص بالإرسال وأنا علمت أن كل ما يقول عقبة خوفا من النكول وقد بركته عند عبد الوهاب وهو يضع له زخاريف المقـال والمحال وأنا خائف أن يلعب بعقله بالفيل والقال وأخاف أن يخدعه وينفلت من يده ولا نظفر بعدها أبدا ما أضاء النهار وغشيت الليالى فقوموا بنا نبصر ما نعمل فبكى الأمير ظالم من شدة الفرح ويأخذ عقبة وقال لله درك يا أبا محمد فما أفرح إلا إذا كنت عندها حاضرا ودع أنت عقبة فى يدى وسوف ترى ماأعمل به (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان أبو محمد قال لهم أنتم لاتبرحون من مواضعكم إلى الليـل فأنا أجيب لكم العدد وافتح إن شاء الله تعالى البلد ثم خرج أبو محمد من المطمورة وقصد الموضع الذى فيه عبد الودود الصالح العابد الراكع الساجد ومن معه من أصحاب الرجال والنساء والأطفال وان أبو محمد أظهر للروم أن يتقرب إلى المسيح بضرب المأسورين والعقوبة لهم فسأل عن عبد الودود وأصحابه فأرسل اليهم وهم يقبلون يديه ورجليه وهو يدعوا لهم حتى وصل إلى الموضع فيه المأسورين ففتح عليهم البطريق الموكل بهم ونزل أبو محمد اليهم فسمع عبد الودود وهو يقول لا إله إلا الله سبحان الله وقد ضجوا أصحابه بالدعاء إلى الله تعالى وهو يقول لهم ياقوم عليكم بالصبر فانى سمعت فى الخبر أن الصبر طريق إلى الجنة والفرح من الملك المتعال أعجب فقالوا قد فنى الصبروذهب الجلد ووصل الينا الضرر فقال لهم عبد الودود معلوم إنكم ماخرجتم من بلادكم وأوطانكم الا فى طلب زيارة قبر نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم والحج الى بيت الله ربكم والآن فقد وصلتم إلى الثواب العظيم فى طاعة الملك الوهاب فخذوا القضا بالرضا واعلموا أن الله تعـالى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فان كان لكم فرج فانه يذهب عنكم مانزل بكم من هذه الأهوال والأغلال وان اعطيتم فقد نلتم الأجر فى الآخرة وخلصتم من الدنيا الغادرة ونجوتم إذا صارت الملوك دائرةوالصحائف على الرؤوس طائرة والجنة

مزدلفة للمؤمنين ظاهرة والجحيم مظلمة على الكافرين قاهرة هناك تحمدون ما جرى عليكم من كل كافر وكافرة وتعلمون أن بضاعتكم غير خاسرة وأقسام ترابكم وافرة وأقدامكم تخطر بهذه الجنود على الصراط عابرة والجبال فى ذلك اليوم سائرة والأرواح بالبقاء الأبدى والعيش السرمدى متباشرة وتعوضون بهذه المجاعة والجوع تجدون موائد حاضرة ويقال لكم يامن شقيتم فى الدنيا تنعموا فى الدار الآخرة جزاء بما صبرتم على عقاب كل كافر وكافرة (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك بكوا وقالوا دع يفعل الله بنامايشاء فهو الذى لايرد قضاؤه وأمره وإذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (يا سادة) فهم كذلك والأمير أبو محمد البطال نزل اليهم فى تلك الساعة وقال لهم ابشروا ياصفوة الله وأحبابه فانه إذا أحب عبداً ابتلاه إذا وجده صابرا على بلاه وفى جميع أموره شاكرا ثم حانت منه التفاتة فرأى البطال فتح له باب الانس فأنس به عن غيره ونظر عبد الودود إلى الأمير أبو محمد البطال وعليه ثياب الرهبان وهو بعيد العهد منه فلم يعرفه فدنا منه الأمير أبو محمد البطال وجعل يقبله ويرتشفه وعبد الودود قد عجب من ذلك وقال ياهذا أرى منك تودد أهل الإيمان ولبسك لبس أهل الكفر والعدوان فاكشف لى عن معنى هذه القصة بحق من لاتراه العيون الذى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فقال له أنا خادمك أبو محمد البطال الذى وصلت مع الأمير ظالم إلى عندك وبهذا الرأى الذى قد توصلت اليك حتى أشرفت عليك ففرح عبد الودود وقال يا أخى كيف أنت وكيف دينك فقال الأمير أبو محمد البطال أنا من الله فى كل عافية وما بقى لهم من الهموم عليكم ثم أن الأمير أبو محمد البطال فك قيودهم وخلصهم وقال لهم كونوا على ما أنتم عليه فاذا جاء الليل أرمى عليكم كلما تريدون من الأكل والشرب والطعام حتى تعود اليكم قوتكم وأرمى اليكم عدة تدفعون بها عن نفوسكم وقد خلصتم ان شاء الله تعالى ففرحوا بذلك وقال لهم الملك عبد الودود ما قلت لكم ان الله سريع الحساب سريع الرضا لمن احتسب وجعل الامير أبو محمد البطال طول النهار يرمى اليهم المأكول والمشروب والملبوس وأهل البلد على الأصوار يشاهدون القتال طول النهار وينظرون لمن يكون الظفر (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وأبو محمد يدور فى القصر حتى أرمى لعبد الودود وأصحابه ما كفلهم ووجدوا القوم الراحة وأرمى لهم ثياب كثيرة وعقارات حتى استوفوا كلهم عددا ثم فتح لهم خزانة السلاح وأنزل إلى الأميرة ذات الهمة وأصحابها وكل مايحتاجون اليه فقالت الأميرة ذات الهمة لاكان يوما لا أراك فيه يا أبو محمد وأقام الأمير أبو محمد يرتقت الليل وهو يسمع الصياح من ظاهر البلد وقلبه خائف على الامير

عبد الوهاب من الملك ساترون لما يعرف من شجاعته وقد كان حذر الامير عبد الوهاب منه وقال له لاتبرز اليه فأنت تعلم انى خبير بالامور والحروب وقد رأيت أبطال الدنيا ومثل هذا الجبار مارأيت فقال له الامير عبد الوهاب اعلم انى ما أنتصر على الناس بحيلى ولا بقوتى وإنما أعتمد على معونة الله تعالى (قال الراوى) وكان من الامر انه لما اصطف الصفان وقام الجيشان عن اليمين وعن الشمال وقد خرج أهل البلد ووقفوا فى الجهة الاخرى فبقى الامير عبد الوهاب وأصحابه فى وسط بحر زاخر ولكن لما عاين ذلك أقبل على رجاله وأنشد يقول

إذا طلبوا القوم من كل جانب * ضربناهمو ضربا بحد القواضب
ولم نخش صوتا من عظيم فعالهم * ونبذل فيهم نائبات النوائب
ونشبع وحش البر من كل كافر * وتبديهم نسوانهم بالمصائب
إذا اجتمعوا من كل فج وموضع * نفرقهم فى شرقها والمغارب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأوقف رجاله صفين فجعل فى الصف الاول أبطال بنى كلاب كأنهم سباع الغاب وقدم عليهم الامير سيف الحنيفية وقال له اعلم يا بنى أن ضرب السيف ما يكون إلا لمثل هذا اليوم وأفرد منهم ألف فارس وسلمهم إلى الامير سملق ووقف عبدالوهاب فى الصف الثالث فى ألفى بطل أبطال قال شجعان فى أيديهم السيوف الصقال والرماح الطوال هذا والروم قد ترحوا القرعة بينهم وبين الملكين ساترون ومقلاطوس المنحوس حتى ينظروا لمن يكون له الحرب فى الاول والقتال من الملكين فوقعت القرعة على الملك مقلاطوس ثلاث مرات فقال له الملك أساترون أخرج فهذا الامر إلى المسيح فقال الملك مقلاطوس لقومه ابدؤا القوم بالحملة الى وقت قيام الشمس فى قبة الفلك وإذا تعبوا أبطال المسلمين من الحرب وضجوا من الطعن والضراب هنالك أناديكم بالانفصال فانفصلوا فأخرج أنا فى الحال وحدى إلى مبارزة الرجال والأمير عبد الوهاب فارس بنى كلاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهنالك حمل الروم على بنى كلاب والعبيد الأنجاب وتلقتهم العرب وحمل عسكر الأمير عبد الوهاب وعمل الصارم القرضاب وعثرت الصافنات برؤوس السادات وأظلت من الغبار الجنبات ونفرت الوحوش من الغابات وقطعت الظهور وخشعت الصدور وصعبت الأمور وأطلع الحى صاحب الأمور وطارت الرؤوس وضاقت الأنفاس وعظم البأس واشتد المراس وحامت العقبان والطيور على الأجسام المطرحة ورامت العقبان عيون السادات المبطحة فمالت الخيل تحت ركابها وقد فجعت بأصحابها واستوت الشمس فى كبد السماء واشتد الظمأ ونادى الملك مقلاطوس

بالانفصال ورجعوا عن القتال كل قوم إلى مكانهم الأول وقد خمدت من العطش أنفاسهم وكان الأمير عبد الوهاب قاتل فى ذلك اليوم القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد فما هو إلا أن شرب الماء وروى من الظمأ وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم على جواد مضمر مثل لون الغيوم له غرة مثل كبار النجوم مليح الخطرة واسع الخطوة قوى العصب ذيال الذنب بصاص الشعر سائل الغرة بين عينيه درة وعليه سرج من العرعر مصفح بالذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والجواد يأكل الارض من تحت صاحبه ومن فوقه فارس كالليث العابس على رأسه بيضة عادية مضيئة واسعة مجلية براقة بهية لاتعمل فيها المشرفية ولاالرماح السمهرية ومن تحتها زفادة مليحة أبريسمية وعلى بدنه غلالة رومية ومن فوقه منطقة فى خلالها زردية ودرع مقصب بعواميد من ذهب أحمر شعشعانية والزنار فى وسطه من فوق ذلك كله علامة النصرانية وأهل ماء المعمودية ومعه قنطارية خلنجية وصفيحة هندية وله ركبة تدل على الفروسية ثم وقف بين الفريقين واشتهر بين الصفين ونادى بعد ماصلب على وجهه بالرومى ياجماعة المسلمين ومن دخلوا إلى هذه الديار والاقاليم مغدورين إلا وقد دنت آجالكم من ذاخرجت اليكم وإلى قتالكم فيخرج إلىّ فارسكم الذى عليه تعتمدون وبطلكم الذى به تصولون وشجاعكم الذى به تفتخرون فمن عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أعرفه بنفسى أنا الملك مقلاطوس ابن دقيانوس ابن كندرافوس ابن أفراطوس (قال الراوى) ياسادة ياكرام فما استتم كلامه حتى خرج اليه فارس من بنى كلاب (ياسادة) وقوم قناته بين يديه وكان من أبطال العرب واسمه تمال ابن الديال فخرج وهو يقول

ستعلم ياابن الكافرين الجواحد ٭ بأنك تبلى بالامير المجاهد
ويلقيك فوق الارض ملقا معفرا ٭ تنوشك وحش البر مع كل جاحد
فدونك قد لاقاك ليث غضنفر ٭ وأنت الذى تبقى طعام الاساود

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وكل واحد منهما حمل صاحبه وتقاربا وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وتطاعنا بالرماح حتى تقصفت واختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة مقلاطوس فوقعت فى صدر الكلابى مرقت من ظهره وعجل الله بروحه إلى الجنة ثم جال على شماله وطلب البراز وسأل الانجاز وهو يظن أنه قد قتل الامير عبد الوهاب فنادى بالادلال والاعجاب أما صبركم فقد قتل وعطب فهل بقى فيكم من يأخذ له بثأره ويكشف عنه عاره فلم يستتم (ياسادة) حديثه حتى خرج اليه بطل همام وأسد ضرغام على جواد كالغمام بدرع قصير طويل الأكمام وفى كفه حسام ورمح معتدل القوام والفارس شمائله تدل على أنه فارس همام تلوح الشجاعة بين عينيه وتشهد له لاعليه حتى قرب من مقلاطوس

وأشرف عليه ومد السنان اليه وكان ذلك الفارس الأمير الأجل والكهف الأطل أمير بنى كلاب الأمير عبد الوّهاب وترس قبر النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلما قرب من الملك مقلاطوس وأشرف عليه وكان الأمير نظر إلى المقتول وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ رحمك الله ياتمال وأنشد

ستعلم مقلاطوس ذا اليوم انني ❊ سأسقيك كاس الموت من كف أسود
وأترك منك الرأس ملقى كانها ❊ على الأرض شيطان يمر بمرصد
وأترك منك الجسم ملقى معفرا ❊ طريح بضربات الحسام المهند
وأبذل روحى للاله تطوعا ❊ وأنصر دين الهاشمى محمد

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وأطبق كل منهما على صاحبه وإذا رفع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن وقدحت النار من صم الجلاميد وكان الحديد محاربة الصناديد فتقاتلا قتالا شديدا وتحاربا وجذبا إلى السيفين بعد أن تطاعنا بالرمحين حتى تتقصفت وطالت الأعناق وشخصت الاحداق ولم يزل السيف بينهما يعمل حتى صاح الملك بالأمير صيحة عظيمة سمعها الجيشان من كل مكان وقلقت القلوب إلى ما يكون بينهما من الحروب العوان وكل طائفة تدعوا لصاحبها بالنصر والظفر واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة الأمير عبد الوهاب فوقع فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فكبرت المسلمين وضبجت الموحدين وبكوا أهل مقلاطوس عليه وعظم عليهم ماوصل اليه وخرج الملك الارقم والنسر القشعم ساترون إذ لم يبق مطلوبا سواه وظن انه ظفر بالملك كرنة ثمن فرحه خرج على جواد أصفر مليح المنظر جيد المخبر صافى الجوهر وعليه درع زرد لايعمل فيه الصفاح ولا تخرقه عوامل الرماح وبيده حسام أخضر وهو كالموت الأحمر فلما نظره عبد الوهاب فتأمله وهو بجواد كالجبل العظيم لتمكنه فى سرجه شهد له بفروسيته وعلم انه الملك أساترون الذى حذره منه البطال ومن قتاله ووصف له ما هو فيه من الشدة لنزاله فاستعد الأمير عبدالوهاب لقتاله ولقاه فى تلك الساعة قصد أبو محمد البرج لما رآه قتل الملك مقلاطوس ونادى بلسان الرومى حتى يسمع الأمير عبد الوهاب ويأخذ حذره من الملك أساترون يقول خذ حذرك أيها الملك من هذا البطل الذى بين يديك وانجز أمره فانه استطال عليك فانه المقدم على عساكر المسلمين كما أنت المقدم على عساكر الروم أجمعين (قال الراوى) فعلم الأمير عبد الوهاب أن أبو محمد البطال يحذره من خصمه فحمل عليه وأكب رأسه فى قربوص

سرجه وكذلك أساترون فنظرت الملكة كرنه وهى جالسة تنظر اليه ونظر إلى شمائلها فقوى نشاطه واشتد انبساطه وأخذ فى الكر والفر وزاد الأمر وعيل الصبر ودام الضرب والحرب والرجوع والطلب وطلع عليهما الغبار وارتفع النقع إلى وقت الاصفرار فلما كان الليل قد أقبل رجع كل بطل منهم إلى مقامه وكل واحد منها مايصدق بالصباح حتى يصبح يخرج إلى خصمه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه ما صدق أن الظلام يأتيه حتى طلب المطمورة وسار نحوها بعزمه ليخرج الاسارى هذا والعساكر قد بهتت والدساكر اصطفت وكان أول من طلب البراز وخرج إلى الميدان الأمير عبد الوهاب فما تم الكلام حتى خرج اليه الملك أساترون وقد غير زيه وأشار إلى الأمير بالحملة فأطبق عليه الأمير عبد الوهاب وأخذ فى المطاولة والمناصلة والحرب والصدام واللكام وتجريع الحمام وإذا بالتكبير من تحت الغبار قد علا وقائل يقول الله أكبر وكان ذلك الامير عبدالوهاب وكان قد أطبق على خصمه الملك اساترون وطعنه فى لبته أطلع السنان يلمع من نقرته فلما نظرت العساكر إلى الملكين قد قتلا تصارخا بعضهم على بعض ويلكم التار التار وأطبقوا على الأمير عبد الوهاب فصاح سيف الحنيفية فى بنى كلاب وحمل وحملت السودان وأختلف الطعن والضرب وتقدمت الشجعان وعمل الصارم اليمان وظهر أهل الايمان على أهل الشرك والطغيان فلما نظرت الملكة كرنه إلى الملك مقلاطوس قتيل وإلى الملك أساترون جديل وبقيا العسكرين اللذين لهما مثل الغنم بلا راعى والأمير عبد الوهاب قد جعل سيفه فى رقابهم ورمحه فى صدورهم وقد أجرى الدماء جريا ونثر الجماجم على الأرض وأنكسرت الروم وتفلل العسكران وطلبوا كلهم عند المساء البحر هاربين وإلى النجاة طالبين وطلعوا إلى المراكب وهموا بالاقلاع إلى بلادهم فأرسلت اليهم الملكة كرنة تقول لهم انكم أخذتم بثار ملوكهم وها أنا خارجة اليهم وأضم كل من فى البهم مع عسكركم وعسكرى فيكون عالم لايحصى وأمر عظيم والمسيح فرض عليكم الجهاد ولم يأمركم بالهرب ولو أشرفتم على الموت والعطب وماعدم من الخلق الا الملكين وأننى أعطيكم المال والخلع والخيل وكلما تريدوه من العدة وغيرها من السلاح فأنا أحمل اليكم ماتعتدون (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان الناس يعرفون كثرة أهوالها وشجاعتها فأجابوها إلى ذلك الطائفتين جماعة الملكين ووقفت عند ذلك الرجال وأطاعتها الابطال وفتحت خزائن الأموال وفرقتها على الرجال وقالت مابقى فى الأمر إلا أن نرمى نفوسنا عليهم ونصل اليهم وأهل البلد لم يبق فيهم مقدم ولا كبير

ولا صغير الا وأخرجه اليهم بالعدد الكامل هذا والبطال عدل إلى نحو الابواب يطلب ان يكون فيها بواب ويأخذ الأمراء ويخرج فى ظلام الليل فلم يجد للابواب سبيل فقال مالهذا النوبة الا القصر والسلام ورجع إلى المطمورة التى فيها الأميرة ذات الهمة وقال لها أن الأمير عبد الوهاب قتل الملكين وكسر العسكرين وأفنى الجمعين وان الناس الليلة ماينامون الا فى اصلاح العدد وعولوا أن يخرجوا كلهم من البلد حتى لم يبق هنالك الا النسوان والرأى عندى الامهال إلى الصباح فانى أخاف عليكم منهم وفى القصر أكثر من مائة وخمسين ألف وباب البلد مايقدر عليه أحدا وكذلك الابراج مانصل اليها ولا مانقدر عليها لأن طلوعها صعب المراس فلما سمعت الاميرة ذات الهمة ذلك قالت رأيك أعلى فقال الامير ظالم مافى الامر إلا الانجاز ونضرب القوم بسيوفنا ولو كانوا عدد التراب فقالت الاميرة دع عنك ياظالم هذا الامر فانهم لو سلموا لنا نفوسهم حتى نقتلهم مافرغنا منهم فى شهر وربما انهم يتكاثروا علينا فلا يبقوا منا أحد فدعهم إلى أن يخرجوا غدا من البلد ونملك الباب عليهم ونشبعهم قتال فما يكون لهم مقام ويكونوا كلهم لسيوفنا طعام فقالت الامراء كلهم هذا هو الصواب ومعلوم أن فينا من يلقى أكثر من قرينة إلا أن تكون الاميرة ذات الهمة فما عليها حساب فانها ترمى روحها فى أهل الارض متكلة على الله المتعال وأقاموا على ذلك الحال والبطال رجع إلى عبد الودود وجعل يبشره بما أعد الله له من الثواب ويصف له كثرة الشوق اليه وكيف غرق فى البحر وما جرى عليه فى هذه المرة فعجب عبد الودود من ذلك ولم يزل الامير أبو محمد البطال عندهم إلى انصباح وقد ارتفع الصياح وإذا بباب البلد فتح وخرجت الملكة كرنة على جواد من الخيل الجياد شديد الحيل قوى العصب ديال الذنب وخرج معها مائة وخمسين ألف بطل ولا بقى فى البلد إلا من ليس له جلد من الرجال ونزلت الرجال من المراكب واجتمع العسكر كله فى جهة واحدة وهم أمم متزايدة هذا والامير قد ركب فى بنى كلاب والسودان الانجاب كانهم سباع الغاب واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وزحفت الرجال والابطال تروم القتال وهزوا الصوارم الصقال وهموا بالحملة بعضهم على بعض وقد تزلزلت الارض من كثرة الركض والخيل قد صهلت والاكباد من الفزع تململت ولم يبق إلا أن تقع الناس بعضهم ببعض وإذا بسواد قد طلع وغبار قد علا حتى ملا البر والاودية والشعاب فأنكروا ذلك عسكر المسلمين وأبطال الموحدين (ياسادة) وأما البطال فانه كان قعد على رأس الابراج يراقب الحملة والقتال بين المسلمين والكافرين ويخرج الاميرة ذات الهمة ومن معها من الامراء والرجال ويأخذ البلد بالابطال الذين

معه فلما نظر إلى ذلك الغبار والسواد المدلهم والغبار المتراكم فارتعد قلبه وطار خوفا على الامير عبد الوهاب وتفكر فى القياد وقصد إلى الاميرة ذات الهمة وأعاد عليها خبر الغبار وقال لها كيف الحال مع ميخائيل أحرب أم سلم وهدنة فقالت بل سلم لأن دخولنا فى هذه النوبة إلى الملكة مليكة من ظالم وظالم حبها وأعادت عليه الحديث والضعف وكيف كان ثم قالت وما أعلم ماكان بعد ذلك يا أبو محمد فقال لها البطال أيها الأميرة الصالحة ماصالحكم ملك الروم ميخائيل إلا من تحت السيف وفى قلبه من الملكة مليكة النار الموقدة التى لاتطفىء واللهيب الذى لايخفى وما هو الاجمع العساكر من سائر بلاد الروم وسار اليكم فى هذا الوقت الصعب فقالت الأميرة اطلع واكشف لنا الخبر فان كان الأمر كذلك فنحن نخرج نملك البلد ولو بقينا محصورين سنة وعشرة مابلينا بهم ولا يكون لهم علينا من سبيل ونفتح الباب وندخل عسكرنا إلى البلد ونأمن من كل أحد ونقعد هنا فى هذا البلد إلى أن يضجر الملك ميخائيل ويرحل عنا فقال البطال الرأى عندى غير هذا ولكن حتى أنظر هذا الذى خطر ببالى إن كان له حقيقة أم لا (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان الأمر كما قال البطال لأن الملك ميخائيل لما خرج من الأسر ورجع إلى القسطنطونية وأمن على نفسه وعدم الجارية مليكة محبوبته صعب عليه فوقع على فراش الضنا وزاد معه العنا وهان عليه الهلاك والموت والفنا وقال البترك ياأبونا ماأعرف فى هذه النوبة حياتى إلا منك وإلا أنا هالك ياأبونا وجعل يقبل رأسه مرارا ويديه فقال له البترك السمع والطاعة ولكن الصبر مليح أصبر حتى أن يظهر خبر الأمير عبد الوهاب ومضيه إلى أين فما ألجأهم إلى صلحك فى هذه المرة والرواح على سبيل الإعجال إلا لأمر عظيم ثم أرسل خلف الجواسيس الذين لهم حتى يعلم قصدهم والسبب الذى أوجب رحيلهم وصلحهم فلما حضرت الجواسيس أخبروا انهم قصدوا مطلبونا وأخبروا بذلك فقال البترك أيها الملك أن القوم قد دخلوا إلى أماكن مالهم منها فرج ولا مخرج وهى مدينة مطلبونا وذلك الاقليم فيه خلق كثير والملكة كرنة هى من الشجاعة فى طبقة الأميرة ذات الهمة والرأى انى آخذ كل راهب وقيس وأدخل الاقليم كلها وأسير فيها وأرى ما اشتملت عليه من العجائب وأكشف رأسى ورأس الراهب شومدرس وننادى بالغزو فى بلاد النصارى ونقول لهم أن الأمير عبد الوهاب فى نفر قليل وقد دخل إلى أقصى البلاد وما أبقى لهم أثر ولا يخرج أبدا وما بقى يخرج منها إلى بلاد الاسلام وقد أباد الأمم وفلق القمم وشابت من فعاله اللمم ففرح الملك ميخائيل بذلك وخرج البترك وجمع ستة آلاف فارس وسبعة آلاف راهب وقسيس وشماس

وبترك وحائليق قدام الملك الكل يتلوا الإنجيل وينادوا بالغزو الى بلاد المسلمين وأتت الملوك والعساكر من سائر الأقطار ولم يبق فى بلاد الروم ديار ولا نافخ نار ولا من يعقل ويشد زنار وأنى واجتمع على باب القسطنطينية ألف ألف وخمسمائة ألف وألف مركب فى البحر فيها ثمانين ألف مقاتل وأمرهم يسيروا فى البحر الى مدينة مطلبونا لنجدة الملكة كرنة ولما عول ميخائيل على الرحيل قال شومدرس أيها الملك قبل كل شىء أنا أسلم إليك حصن يانس المتعذب بكل ما فيه وان شئت أن نبيعهم أرواحهم فافعل وإن شئت أن تضرب رقابهم فهو أحسن وأجمل فقال الملك وكيف نصل اليه وما فى الحصون أحصن منه وطلبه أبى ما قدر عليه وأخى منويل فى عمره الطويل مات قهرا وما قدر عليه وأخى منويل فى عمره الطويل مات قهرا وما قدر عليه فقال له شومدرس على أن أسلمه إليك بمعرفتى وأنا بركة المسيح فى الأرض وسوف ترى العجب ثم أخذ ورقة وكتب فيها ما أراد وسلمها إلى رجل من العرب المتنصرة وأركبه نجيب وقال له خذ هذا الكتاب وإذا وصلت إلى حصن يانس المتعذب فأعطيه هذا الكتاب فقال له سمعا وطاعة وسار البدوى يطلب حصن يانس المتعذب ورحل ملك الروم بعد أربعة أيام فوصل إلى تل الاسد ومفرق الطرق فقال شومدرس للملك أيها الملك أدخل قدامنا واكمن فى هذه الساحة خلف الشقيق فى مائتين ألف وخلفها مائتين ألف فان يانس المتعذب اليوم أوغد يصل إلى ههنا ليصير إلى نصرة الأسود عبد الوهاب فارس بنى كلاب وقد حل به العذاب لما يحضر إلى ههنا فلما سمع الملك كلامه فرح بذلك الفرح الشديد وقال له سوف يكون لك عندى كلما تريد وأجازيك على هذه الأعمال إلى الأبد (ياسادة) وسار المتنصر إلى حصن يانس المتعزب وكان شومدرس علمه ما يقول فلما وصل إليه رفع صوته وبكى ولطم على وجهه وشق ثيابه وتشوق بالدموع وأنشد

أهل من مجيب للكرام الاطايب ... أحاطت به الأعداء من كل جانب
وصارت حواليهم سباع كواسر ... صراغم غاب فى فضاء السباسب
سباع أسود فى بطون أكفهم ... رماح وأسياف حداد قواضب
وقد أسروا للست ذا الهمة التى ... لها شرف ما بين ماش وراكب
وقد قتلوا السودان فى كل ساعة ... ولم يبق الأعاطب وابن عاطب
وقد كتبوا هذا الكتاب اليكم ... لعلكم أن تنصروا الحبايب

(قال الراوى) ثم أرمى الكتاب اليه ففاضت العيون بالمدامع وذهل من كلامه كل سامع وأخذ الكتاب وقرأة وإذا فيه بفضل بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (أما بعد) السلام عليك أيها الأمير الأجل الرفيع القدر والمحل ان الأحكام إذا نفذت بها السهام يبقى منها العاقل جاهل ويصبح النذير ذاهل فقد ذهب ما أملته من الأمل وذهب منى العمل فى هذه النوبة ولا كان يهوى على أن أقعد عن خدمة المؤمنين وما وصلنا إلى أرض مطلبونا لأجل قوم أسارى مغاربة مسلمين حجاج وطائفة موحدين لله رب العالمين فأخذت علينا المواضع من سائر الجهات وأتتنا الروم من سائر الجزائر القاصيات والدانيات فظفروا القوم بنا لأجل العجلة التى كانت معنا وجعلت العين علينا منهم وأنا فقد التجأت إلى جبل أسمه المشارق وأشرف كل من معى على البوايق والهلاك من قلة الزاد وقد قطعت الأكباد فاذا قرأت كتابى هذا فسير إلى ما استطعت من الزاد وأن قدمت لنصرتى نلت ماتريد من الثواب وعلى أن أعوضك ما فيه أمثال ذلك والسلام وان يانس لما سمع ذلك بكى بكاء شديد ماعليه من مزيد وقال لقـــومه ما بقينا نقعد بعد هذا الكتاب عن نصرة المجاهدين وأبطال الموحدين ارحلوا بنا بجميع الزاد والجمال والاحمال والعلوفات والدواب والخيل والبغال والحمير ولم يزل سائر ولم يعلم ما قضاه الله تعالى فلما حصل فى الوادى خرجت عليه أربعمائة ألف من الجانبين وحملت عليه مثل طرفة عين فأخذهم قبضا بالكف وكتفهم وعلى خيولهم شدهم وأنفذهم إلى القسطنطونية وسار ميخائيل حتى أشرف على عسكر الأمير عبد الوهاب فلما أنكشف الغبار وبان ذلك الجيس الجرار ولاح العلم الأخضر والإزدهار الأصفر تغير لونه وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) ياسادة ياكرام وعلمت الملكة كرنة بذلك ففرحت وأرادت أن تميل اليه وكانت غلقت الباب خلفها الملكة كرنة فوقفت لعزة نفسها وتكبرها وكانت الأميرة نظرت الى ملك الروم ميخائيل عرفته من كلام أبو محمد البطـــال وقد أنكشف لها الحال ونظرت الى الأهوال ظاهرة فقالت ما فى الأمر الا نملك البلد ونصيح الى الامير عبد الوهاب يدخل الينا بعساكره واذا صار خلفنا مثل هذا البلد نجزنا فى شغل آخروها أنا خارجة اليه وأترك ميخائيل يبات فى أمر وبيل فخرجت الأميرة وقصدت الأبواب ونادت الله أكبر الله أكبر فأجابوها أصحابها بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم فمثل أبو الهزاهز والأمير ضيغم وظالم وقراقد ومالك وهارون العلوى وكل بطل أمجد وكل واحد من هؤلاء يلقى بلدوعسكر وحده وأما أهل البلدلما راوا قتلتهم طمعوا فيهم وأطلقوا علهم دون الخمسة آلاف من العوام والسوقة فثارت عليهم فتركوا الرؤوس بلا معاصم والأبدان بلا جماجم وكانت ساعة مامثلها ساعة ولا شاهدت

العيون شكلها وجرت الدماء فى الأسواق فهذا مقطوع وهذا روحه فى التراق فتركوا الدنيا ملآنة من القتلا ولم يبق أحد من أصحاب عبد الودود الا وبذل المجهود وعمل البتار وقطعت الأعمار وقتلت الأبطال شىء مايقع عليه عيار ونادوا الباقين الأمان الأمان وضجت النسوان واستجاروا بهم من قتل الصبيان وسمعت كرنة الصياح من داخل البلد فلم تقدر على الدخول لأن الأبواب مغلوقة فضاقت عليها الدنيا والأرض بما رحبت وما وصلت فرحة الروم الى قلوبهم حتى جرت هذه الغصة وملكوا سرير المملكة كرنة ومستقر عزها وأموالها وأموال الروم وأولادهم ورجالهم فلما ملكت الأميرة ذات الهمة البلد وملكت مفاتيح الأبواب والقلعة واستولت عليها وطلعت من القصر ولبست النساء والرجال الدروع العادية والبيض الهندية والزرد وفرقت عليهم العدد الكاملة من كل شىء ووقفت الأميرة فى أوائلهم على الصور والأمراء كذلك وقفوا من أعلى الصور ونادوا عن لسان واحد الله أكبر الله أكبر فضجت الأصوار والأبراج والبحر العجاج والآفاق والأقطار ووقع على تلك الأرض من التكبير والتهليل الابتهاج وكان الملك عبد الودود مع الأميرة داخل البلد والأسارى الذين خلصهم أبو محمد البطال (ياسادة) وأما الأمير عبد الوهاب فانه ورد عليه من قدوم الملك ميخائيل هم كثير لما رآه فى ذلك العسكر الثقيل مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا بقى يدرى ما كان من أمر الأمير أبو محمد البطال ولا من أمر الأميرة ذات الهمة فلما سمع التهليل بذكر الملك الكبير علم ان البلد أخذت ونادت الأميرة ذات الهمة بصوتها من أعلى الصور بصوت كأنه الرعد القاصف فسمعه كل من كان واقف أيها الامير الماجد والاسد المجاهد ابشر فان البلد ملكتها وكل من فيها قتلته وأسرته فاحمل واضرب هذه الملعونة كرنة بالصارم المهند حتى تصلوا إلى الصور واجعلوه وراء ظهوركم ولا تبالوا بعد ذلك بعدوكم فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الخطاب أرمى روحه إلى الارض شكراً لرب الارباب ومعتق الرقاب ثم كشف رأسه وحمل وحملت أصحابه معه حملة رجل واحد بقلب قوى بالله عز وجل ونظرت الملكة كرنة إلى ذلك البلاء الذى نزل عليهم فألقت نفسها على عسكر الامير عبد الوهاب وجرى بينهم الدم وسال وكانت مقتلة عظيمة يشيب من هولها الاطفال وفرق الامير عبد الوهاب الناس شرقا وغربا وأشبعهم طعنا وضربا فاندقت عساكر كرنة منهزمين هاربين ومنهم من طلب ميخائيل وعملت فيهم الصوارم والقواضب ولم يكن للأمير دأب الاسار حتى وصل إلى البلد وصار الصور من وراء ظهره ونظر الملك ميخائيل الملكة كرنة وقد وصلت اليه وشكت مانزل بها لديه واعتمدت فى أمورها عليه فقال لها لاتفزعى

فأنا غداة غد آخذ لكى بالثار وأخلص لك البلد وأكشف عنك العار ثم نظر حسنها وجمالها فنسى مليكة وهام قلبه ولبه بمحبة الملكة كرنة ثم قام لها وقال لها ابشرى ببلوغ الارب وهلاك الاعداء وغدا تصل مراكبى الذى أرسلتهم فى البحر وآخذ لكم لكى البلد وأخلصها من أيديهم واعلمى انى ماجئت الى هذه الديار ونزلت وتركت أرضى وخليت سرير ملكى الا من أجلك وفزعى عليكى وعلى أصحابك (قال الراوى) ياسادة يا كرام ففرحت كرنة بكلام ميخائيل وأما الامير عبد الوهاب فرح بوصوله إلى البلد وطلع القصر ونظر إلى نعم فى القلعة لاتحصى ولا تعد ولا يرى لها مثل واعانق الامير ظالم وشكره على فعله فقال له دعنى من هذا العناق والله العظيم لئن لم تطاوعنى على ما أريد لاقتلن روحى فقال الامير عبد الوهاب له قل ماشئت فقال أريد آكل من كبد عقبة قطعة فلما سمع الامير عبدالوهاب ذلك قال له يا بنى اسمع حديثى وحديثه فقال البطال مادام صار لكم حديث فان الملعون قد هرب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماالذى جرى لك يا أمير عبد الوهاب مع عقبة فقال الامير عبد الوهاب انك لما أسرته وتركته فى القيود والاغلال صار يقرأ القرآن ويبكى فظننت ان ذلك حقا وصدقا فحنيت عليه لما سمعته يقرأ القرآن وهو مقيد ويبكى من خوف الملك الديان وجعل يسجد ويركع لله ويندم على ما فاته ويتأسف ندماً ويقول.

ندمت على ما كان منى جهالة ✡ ومن يتبع ماتشتهى النفس يندم
أماتعلموا ان الحساب أمامكم ✡ وان وراكم طالب ليس يظلم
وقدانقضى عمرى بكفرى وشقوتى ✡ وماكنت إلا من رجال جهنم
إلى أن رأيت البحر قد هاج موجه ✡ وهبت به ريح العذاب المحتم
وقد صرت فى بحر عميق قراره ✡ وقد زاد دفع الموج والليل مظلم
وغاب فلاحى ثم لاحت معاطبى ✡ وبحت بما قد كنت أخفى وأكتم
فقلت إلهى إن سلمت فاننى ✡ أعود إلى دين النبى المكرم
وأقر بأن الهاشمى محمد ✡ نبى الهدى المبعوث طه المعظم
وقد عدت يامولاى للعفو طالبا ✡ وأنت بحالى عالم لاتعلم
فجد بالرضا والعفو ياخير غافر ✡ بحرمة أركان الحطيم وزمزم

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما فرغ من هذه الأبيات غشى عليه ساعة ونادى يامولاى افعل بى ماشئت فما أعبد غيرك ولاأقصد باب سواك وان كنت ماتقبلنى فدلنى إلى من أرجع وماذا أصنع مولاى احرقنى بالنار ولاتوقفنى للحساب ولاتهتكنى إذا قامت الخلائق

القبور وضاقت الأمور وانفطرت المرائر فزعا وطارت العقول هلعا وانقطع أصحاب الذنوب فكيف تكون حالتي وإلى من أهرب وهي بعدد أوراق الشجر وقطر المطر ولو وزنت ذنوبي لرجحت على ذنوب أهل الأرض ولم يبق شيء الا وقد فعلت وأنت أعلم به مني وما أكن أعظم من فرعون وقد قلت لموسى لو استغاث بي لأغثته وسمعت كلامه وأجبته ولي أنا شيبة بيضاء وصحيفة سوداء فافعل بي ياسيدي مايشاء ولم يزل يقول مثل ذلك إلى وقت السحر ووثب قائما وقد ضعف عن القيام وطلب يتعبد فى وقت الظلام وإذا به يعثر فى القيام ويقع فقلت فى نفسي قد يكون قد رجع إلى الله تعالى من من قريب وأناما أمنعه من باب الله عزوجل ومالى منه إلاماظهر ولعل يأتى من الغيب عجب ثم وثبت اليه وفكيت قيده بيدى فنادى لاتفعل يامولاى ولاتفك القيد من رجلى فانى عبد ظالم عاصى سعيت بقدمى إلى مالا يرضى ربى فلاتفك القيد من رجلى فلعله اذرآنى مقيدا فى الدنيا يرحمني فى الآخرة فزادنى ذلك منه يقينا ولم يزل يقوم ويقعد ويركع ويسجد ولم يبق من من الليل الا ساعة واحدة ثم غلبنى النوم فانتبهت فما رأيته وبقيت بالرجال فى طلبه فلم يجدوه فندمت على ذلك لان عساكر الملك ميخائيل أشرفت علينا فى هذه المراكب والكتائب وهذا حديثي وحديثه فعندها دق البطال على يده وقال له ماأنت الا حمار وجازت عليك حيلة هذا الملعون الغدار وعملت فيك خباثته ومكره ولعنته ثم ضاق صدر البطال لأجل ذلك وقال أقسم بالله لولا خوفى من عطبك ما صحبتك بعدها أبدا لأنك لاتسمع ماأقول فقال له الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد أريد تشتمني ولا تلعنه فربما يكون قد أسلم حقا كما ذكر وهام فى هذه الجبال فقال له البطال أيها الامير أنت سليم القلب حسن الظن وسوف ترى مايجرى علينا من عقبة والساعة يكون قد مضى إلى الملك ميخائيل يسعى فى هلاكنا وسوف يدبر أمورا لا يهتدى اليها الجن ولا بد ما يصل إلى ميخائيل ويحدثه حديثي وسلامتي ويحذره من حيلتي ولا يقر لى ما أريد أفعله ويبطل على أعمالى (قال الراوى) فقال له الامير عبد الوهاب ياأبو محمد إذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت وأن عقبة قد فك قيده بحيلته ونجا بصنعته فانى أعلم وأتحقق أنه فى سلاسل القضا مسحوب وهو فى قبضة الغالب ولا ينجو منه هارب ولو كان فى الحجب وبات الأمير والأميرة يرقبون الصباح وأما الامير ظالم فانه صعب عليه خلاص عقبة وكبر لديه وسلم الامير عبد الوهاب على الملك عبد الودود ووعده بكل جميل وشكره على فعله مع الأمير ظالم فى بلده (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما عقبة) فانه لما فعل تلك الفعال طلب الهرب وكان لما رأى الأمير عبد الوهاب

غلب عليه الكرى وهمَّ يذبحه من الوريد إلى الوريد فنظر الصياح أدركه فخشى يفوته الأمر فخرج وهو لا يصدق بالنجاة بما عمل فى المطمورة مع الأميرة فجعل يدور فى ميدان الخيل وهو لايدرى إلى أى موضع يهرب حتى لاح له الغبار وانكشف عن عسكر جرار مثل البحر الزخار فنظر إلى العلم الأخضر فعرفه فطار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال وحق المسيح هذه عساكر ميخائيل ثم دخل عليه وقصد اليه وكان ميخائيل نصب له سرير وجلس عليه وقد أندلهم عليهم الغلس فأقبل على شومدرس والبطارقة وقال ما عندكم من الرأى فصاروا يشيرون عليه كل منهم برأى وهو لا يعجبه قولهم فتنفس صعدا وأظهر كمدا وقال ما ينتج الزمان قط مثل الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة ولو أنه كان هنا لكان دبرنا وكان إلى الرأى السديد أرشدنا الذى ما يعيبه عايب فهو فى الكلام وعقبة عبر عليهم فصاح الملك ميخائيل صوتا أذهل الناس وقام قائما فرحان به وقال هذا هو العبد الصالح الذى اذا ذكر حضر فجعل الملك والملوك يقبلون يديه وهو كما قيل فيه يديه تقبل وعمله لا يقبل ثم ابتدا يحدث الملك بكل ماجرى له من أوله إلى آخره ومارس وأخيه دارس يسمعون ويلعنوه ثم أقبل على الملك وقال له على ماذا عولت عليه فى غداة غد فقال فى غداة غد أطبق عليهم من كل جانب ومكان فقال له عقبة أيها الملك انهم ملكوا المدينة التى ما على وجه الأرض مثلها ولا سبيل لنا إليها ولا قدرة لأحد عليها ويطول مقامك ههنا ولكن عندى رأى وهو إنك إذا أصبحت لا تتعرض لقتال بل ترسل إلى اسود بنى كلاب وتقول له هذا البلد تحت ولايتى وأنتم مصالحونى على الهدنة وعظم على مافعلت وبلغنى السبب الذى لأجله دخلت وإلى هذه البلد والمدينة وصلت وهو لأجل هؤلاء المأسورين المغاربة والآن فقد أخذتهم وخلصتهم فخذهم وسير على شرط أنه ما يخرج معك من المدينة مايساوى درهم واحد فان فعلت ذلك فانى مقيم على المصلحة والهدنة وأن أبيت فالحرب بيننا واقع فى اليوم الثانى وربما تندم حيث لاينفعك الندم إذا زل بك القدم بين الامم فكتب بما ذكرنا وأرسله إلى الامير عبد الوهاب فلما قرأه الامير عبد الوهاب بحضرة أبو محمد البطال والامراء عرف أن عقبة هو الذى دبر هذا التدبير وهذه المكيدة فضاقت عليه المذاهب والارض وعلى من معه من الاصحاب والامراء فرد الجواب الامير إلى الملك ميخائيل يقول أما نحن فمعك مصالحون على أننا لانتعرض لمدينة القسطنطونية أبدا وأعمالها وأما هذه البلدة التى نحن فيها فما عليها صلح وكل مافيها من الاموال فهو لنا لان فيها نعم كثيرة لاتحصى وأيضا أن معى السودان الذين تعرفهم ولا تنكرهم وعتبوا على فى هذه النوبة

لما وقع بيني وبينك وقالوا ان أنت صالحت ملك الروم ميخائيل فنحن ما نصالحه أبدا وهذا رزقنا انساق إلينا وما رددتهم عنك إلا حتى أدرى ماسبب قدومك وهجومك إلى هذه الديار فان لأبيت أنت إلا ما ذكرت سوف أرميك برجال وأى رجال هانت عليهم نفوسهم فى طاعة الله لا يخافون الموت ولا يخشون الفوت يرون الضرب بالصوارم أطيب من نوم النائم فى طاعة الملك العالم الذى لا يضيع أجر المحسنين وقد اشترى نفوس المؤمنين (قال الراوى) فلما رجع الجواب إلى الملك ميخائيل عظم عليه وكبر لديه وقال لعقبة ماذا ترى من الرأى فقال له لا تعجل فان العجلة تورث الزلل والندامة فلما سمع الملك ذلك سكت وكان النهار قد انقضى وقرب المسا وسائر الطوائف اخذوا الاهبة إلى غداة غد للقتال فلما دهمهم الليل اقبل عقبة على الملك ميخائيل وقال له اعلم انى أريد أدبر حيلة على المسلمين وهو أن تأمر أربعمائة الف فارس يتفرقون فى أربع أماكن ثم بعد ذلك تأمر كل بطريق يكون له خيمة يحفر قدام خيمته جب أو جبين من الذى يأخذ الفارس والفارسين وتسقف ويعمل فيها تراب وإذا أصبح الصباح هنالك تلتقى العساكر ويأتى الاسود عبد الوهاب الزنيم وتصبر على القتال ساعة من النهار ثم تولى منهزما وتأخذ فى لحف الجبل الشرقى فاذا تبعوك ينفرشون فى الطلب وما منهم الا من يطلب الخيام يريد النهب فيقعون فى الحفر ويخرجون الكمنا عليهم فما يسلم منهم احد فلما سمع ميخائيل ذلك قال من يلومنى على محبة هذا العبد الصالح الذى هو من أوتاد الارض ثم طلب الملوك وأخبرهم بذلك سرا (ياساده ياكرام) فما قولكم فى ألفى الف وخمسمائة الف دارت عليهم النقباء على حفر الحفائر فما مضى من الليل غير قليل حتى عملوا شغلهم كما ذكر الملك (قال الراوى) فلما أصبح الصباح ثارت الرجال إلى الخيول ركبوها وإلى الرماح اعتقلوها ودارت رحاب الحرب وركبت رجال الطعن والضرب وخرج الملك عبدالودود ودارت فيه القوة وكذلك سائر اصحابه وكان فارس مذكور وبطل مشهور وتركت الأميرة ذات الهمة ظالم وسيف الحنيفية فى المدينة فى مائة فارس من السودان ومائة من بنى كلاب ونسوان الملثمة وأولادهم وخرجت الاقران والفرسان وتصادم الجيشان وعملت الصوارم فى الأبدان وهاجت الخيول بالجولان واحتكم الصارم اليمان ورفعت الروم الصلبان وضجت المسلمون بتلاوة القرآن هنالك ألوى ملك الروم العنان وقوم السنان فنظرت سائر الملوك الرومية وسائر الطوائف إلى العلم الاخضر انقلب طالب الهرب فركب كل أحد إلى هواه

طالب ميخائيل الجبل فعندها قصد ميخائيل الجبل وفرح عبد الوهاب بذلك السبب ونظرت السودان الخيام خالية فعدلوا على نهب الخيول والأموال وكذلك بنى كلاب وعبد الوهاب وساروا طالبين الخيام فصاح البطال قف أيها الأمير ان الأمر منكر وليس للروم عادة تنهزم بهذه الهزيمة وهى فى مثل ذلك العسكر الجرار الذى كانه البحر الزخار فقال الأمير عبد الوهاب فما الرأى عندك يا أبو محمد فقال اصبر ساعة وتأنَّ على نفسك يبان لك صحة الخبر لأن هذه حيلة دبرها عقبة عليكم فعندها صاحت السودان واق واق صيحة أزعجت الجمعان ما هذا مليح منك ولا تقطع أرزاقنا بأيدينا وما نبالى ان كانت حيلة أو غيرها فنحن نميل عليهم بسيوفنا (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين الى الخيام وكذلك بنى كلاب طمعا فى المال والكسب والحطام فما كانت الاساعة حتى وقعت السودان فى بطون الجباب والحفر المحفورة ووقع الصياح وارتجت الأرض فى الطول والعرض من شدة الركض ورجع ملك الروم ميخائيل فى العالم العظيم الذى ذكرناه وصدموا عسكر الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب وطحنوهم طحن الشعير وفرقوا ذات اليمين والشمال ورجع الأمير عبد الوهاب الى خلفه وسمع الصياح ودقت الخيل بعضها ببعض وطلب الامير عبد الوهاب أحدا من بنى كلاب فلم يجد أحد فظن أنهم قصدوا النهب فمال اليهم ليصيح عليهم فوقعت فرسه فى بعض الحفر المحفورة وأطبقت عليهم جيوش الكفرة من كل جانب ومكان فهلك أبو الهزاهز وأصحابه السبعة آلاف أسود وملكوا قراقد وسودانه الانجاب وثلاثين ألف من بنى كلاب وأخذوا سملق وبردين الازهر ووقع الامير عبد الوهاب فى حفرة فهلك فرسه وطلب الصعود فلم يقدر فقبص قبضا بالكف ووقعت الاميرة ذات الهمة فى بعض الحفر والامير أبو محمد يدق يد على يد ويقول لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) وما جاء وقت العصر حتى أسر من المسلمين سبعين ألف مسلم ولم يسلم من الكل الا البطال لانه كان قد أخبر الامير عبد الوهاب بما أخبره ولم يقبل عنه لان الامر قد فات ولماجرى هذا فتح الامير ظالم وسيف الحنيفية الباب وقد أرموا العمائم عن الرؤوس وأرادوا يطلبون العجاج فمنعهم الامير أبو محمد من ذلك وقال لا تفعلون يا أولادى فانى أخشى عليكم ما يسلم منكم أحد وأيضا فان البلد كادت تخرج من أيديكم وأنا أؤمل أن أفادى هذه البلد بالاسارى وهذه نوبة قد حسبتها ونهيتهم عنها فما فعلوا وماسمعوا وهذه أخت وقعة الفنا فانا لله وانا اليه راجعون ثم بكا أبو محمد البطال ودخل البلد وأمرهم بغلق البلد فغلقت الابواب وصعدوا على الابراج والاصوار ينظرون هذه النوبة العظيمة (قال الراوى) وسار الملك ميخائيل ونزل موضع الأمير عبد الوهاب وفرحت الملكة كرنة وأيقنت ببلوغ المنى وعلمت أن البلد ما بقى فيه أحد

إلا القوم الذين على الأصوار (ياسادة ياكرام) وأظلم الليل وقد حل بالناس الويل وأما الملك ميخائيل فانه أمر باحضار عقبة فلما حضر دخل وقبل الأرض بين يديه فصاح به الملعون ميخائيل لاتفعل أيها الشيخ النجيح بحق المسيح ثم ان ميخائيل نزل من على سرير ملكه وباس الأرض قدام عقبة وقال له هذا بعض حقك وهو على واجب لانك قد أهلكت مائة الف من المسلمين وسلمت إلى أمراء المجاهدين وأبطال الموحدين من المسلمين الذى كنت أخاف منهم على طول السنين فقال عقبة وحياتك أيها الملك لابد لى أن أقطع من الارض كلمة الإخلاص وما كان يحمى بلاد الإسلام إلا هؤلاء المجاهدين ولكن أيها الملك على ماذا عولت تفعل فقال ميخائيل وهل لنا رأى غير رأيك فقال عقبة الرأى عندى اذا أصبح الصباح انك ترمى رؤسهم كلهم وعد أسلم اليك ما بقى فى البلد فقال ميخائيل وحق المسيح على هذا عولت (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه أقبل على الامير ظالم والامير سيف الحنيفية وقال لهم لاحياة لى بعد فقد الاحباب دلونى من الصور فى الحبال ادخل الى عسكر المسلمين وأبصر من سلم منهم ومن عطب ولعلى آخذ ملك الروم أو عقبة فمن أخذته منهما كان سببا لخلاص الأسارى (ياسادة) فأنزلوه فى الحبال وسار يطلب عسكر الروم وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وهو يكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وسار حتى دخل عسكر الروم فوجد الاسارى ينتظرون الصباح على أقبح حالة وكذلك عبد الوهاب والأميرة ينتظرون الصباح وقد حاطت بهم الرجال وفى أيديهم الصفاح وهم يقولون لهم ياويلكم ما بقى لكم من أعماركم إلا بقدر ماتذهب الغياهب ونضرب أعناقكم بالقواضب (ياسادة) فعظم ذلك على الأمير أبو محمد وبقى لايدرى ما يعمل ونظر سرادق الملك فى مقابلة الموضع الذى فيه الأمير عبد الوهاب والأميرة والملوك كلهم قائمين قابضين على قوائم السيوف وارباب الدولة كذلك والناس على غاية من الفرح (ياسادة) ويحق ويحق لهم فى هذه النوبة التى ما ظفروا قط بمثلها من بنى كلاب (ياسادة) ونظر أبو محمد الملعون عقبة وهو إلى جانب ميخائيل الأيمن وشومدرس إلى جانبه الأيسر وعقبة يقول أيها الملك قد طاب قلبى بما فتح المسيح عليك من النصر والظفر الذى ما ظننا انه يكون أبداً والمسيح قد نظر اليك فقال ميخائيل هذا كله ببركتك وما وصلنا اليه الا بمشورتك وما سعدنا الا بطلعتك ومشاهدتك فقال عقبة أيها الملك أريد أن أقوم الى موافقة الاسود الزنيم عبد الوهاب والبغل اللئيم وأمه ذات الهمة وأعلمهم انى قد ظفرت بهم على رغم أنفهم ثم أن عقبة أخذا معه مجلد لو ضرب به جمل

لملك وقصدا اليهم والبطارقة من حوله والراهب شومدرس معه حتى وصلوا الى عند الامير والاميرة والملك عبد الودود وأبو الهزاهز ومالك بن طوق وراشد بن ضمرة وغيرهم من الامراء المذكورين والرجال الموصوفين فلما وصل اليهم ونظر عبد الوهاب الى الملعون عقبة فعجب من فعاله وابتدأ بمقاله وقال له ياويحك يا ابن الزنا ما كنت قد ذكرت أنك قد ندمت على ما فعلت وعلى مافات ورجعت إلى خالق الأرض والسموات وقال الملعون يا أسود ما أرجع إلى ما ذكرت حتى أقتلك وأقتل بعدد كل شعرة فى بدنك مائة مسلم مسلم يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك ياحجام أما علمت إنى لعبت بعقلك حتى تم لى عليك ما أريد وأنا الذى دبرت هذه الحيلة عليك ما بقى فى قلبي حسرة وهذه آخر ليلتكم من دار الدنيا وغدا تصلون إلى دار الآخرة وتنالون الجنة والخلود لأجل ركوعكم والسجود ثم أن الملعون عقبة أخرج صليبا وقبله وادعا بالخمر فشرب ثلاثة أقداح وأشار إلى عبد الوهاب ينشد ويقول هذه الأبيات

أيا أسود ياحجام يا ابن العواهر ألم تدريا ابن مرزوق أنى ماكر
أنا السيد المعروف والاوحد الذى حفظت علوم مثل بحر زاخر
أنا عقبة المعروف من تذكرونه بأنى خبيث كاذب القول غادر
أنا عقبة المحتال والغدر شيمتى وليس أنا يوم الكريهة قاصر
ويكفيك إنى كنت فى البحر غارقا وعدت سلمامنه والبحر زاخر
وقلت بأنى قد رجعت موحدا وقلت لكم أن المهيمن قادر
ونزهته عن صاحب ومؤانس وعن ولد بين البرية ظاهر
وما كان ذاك القول إلا خديعة لأنى بقولى سالب العقل ساحر
إلى أن غفلت عيناك والليل فاحم وأظلمت الأقطار والليل عاكر
وأملت أن أذبحك فى الليل عاجلا ويفرج بذا قلبا جحودا وكافر
فأدركنى ضوء الصباح وإننى رأيت مقامى تعتريه المحاضر
فما كان لى إلا الفرار ولم أكن أرجو قدوم الروم والجيش سائر
إلى أن بدا لى عسكر قد تقدمت مواكبه إذ أدركته العشائر
وفاضت على الأرضين من كل جانب وقد همهمت أبطالها والدساكر
وقد زمجرت أقيالها وفحولها وقد نخرت ساداتها والمعاشر
ولاحت لى الصلبان حتى كأنها نجوم الثريا طالعات زواهر

فلما رآنى ملك الروم أشرقت ... عليه شموس النصر فانسر خاطرى
وقال إذا ما جئت أنت مسلما ... فكل كبير للحوادث صاغر
فشاورنى فى أمركم فمنحته ... مقالة ذى فكر على الهول جاسر
وأكمنت أبطال النزال جواثم ... وعلمتهم أن يحفرون حفائر
فلما بدأ وقت الصباح تهازمت ... وما فيهم إلا هزبر مغاور
وقد طمعت فرسانكم فى رجالهم ... وساروا يهمهموا كمثل الاباعر
فلم تشعروا حتى رأيتم خيولكم ... مكردسة قد أرهقتها المعاشر
وعاد عليهم كل وليث غضنفر ... وسلت عليكم مرهفات بواتر
فلم ينجو منكم سالم أو مخبر ... ولم ينجوا غدار ولم يبق ناكر
وسبعين ألفا قد أسرنا وبعدهم ... فكم من قتيل ضمنته المقابر
فمن ذا له فعل كفعل ومن له ... كمثل الذى دارت عليه الدوائر
أرجى بهذا كى أنال مثوبة ... وأنجو بها من كل ما أنا حاذر
وسوف ترى فعلى إذ لاح لائح ... من الصبح حقا إذ ترنم طائر
وقد صار جيش الروم يرمون رؤسكم ... ويفنوا صغارا منكمو وأكابر
واسرى إلى أرض العراق مبادرا ... وأملك ما تحويه تلك المعاشر

(قال الراوى) ولما فرغ عقبة من شعره طارت الدمعة من عينين عبد الوهاب وظهرت عليه آثار الإكتئاب وما أقبح الذل بعد العز والفقر بعد الغناء والغربة بعد الوصل وطول المرض وعدم الأطباء وندم الأمير عبد الوهاب ولم ينفعه الندم وضربه عقبة الضرب الوجيع هذا والأمير عبد الوهاب يقول صبرا لحكم الله ثم أن الملعون عقبة فعل بالأميرة ذات الهمة كذلك ولم يبق أحد إلا ضربه والبطارقة قيام من حوله يتعجبون (قال الراوى) ثم أن الملعون عقبة رجع إلى سرادق الملك ميخائيل (ياسادة يا كرام) وأن الملعون شومدرس لما نظر إلى هذا الظفر الذى ما أمل أن يصل إلى مثله أحد من البشر وأنه من تدبير القاضى عقبة داخله الحسد وقال هذا الشيخ النجيح قد نال بهذه الفعال عند الملك ميخائيل وصار له فى قلبه المنزلة التى ما نالها أحد ولعمرى أنه حقيق بالإكرام بعد هذه الفعال وهذا أقوى من الذى عملته أنا مع يانس المعترب وأصحابه ولكن ما يصل فعلى إلى مقابلة عقبة وفعاله إلا إن كنت أفعل فعلا أفتح به هذه المدينة مطلبونا لأنى رأيت الملك ميخائيل لما وصفت له الملكة كرنة ما فى البلد من الأموال والآنية وكل شىء حسن وأن البلد حصين لا يصل

اليه وأصل ولا يقدر عليه آمل ومالى إلا أننى أمشى فى ظلام الليل من حول البلد وأدبر فيه بحسن بصيرتي ودقيق حيلتى وإلى أن أصبح الصباح من غير أن أعمل عملا أخاف أن يسبقنى الملعون عقبة ولا أقدر على شىء أفعله ثم أن الملعون شومدرس سار طالب البلد وهو يظن أن أبى محمد البطال هالك فى هذه الوقعة (ياسادة) وكان الأمير أبو محمد البطال قد نظره وهو يجيل فكره فعلم أنه فى تدبير أمر من الأمور فخلاه إلى إن وصل إلى قرب من الصور وهو خلفه مثل القط والفار والسامر والسمار هنالك انقض عليه انقضاض النسور وضرب بيده إلى فمه ومكن الخنجر من نحره وقال والله أن صرخت أو تكلمت لأفطعن أمعاءك فلم يقدر الملعون شومدرس يتكلم وعلم أنه أن صاح هلك لامحالة وعمل الأمير أبو محمد البطال الاكره فى فمه وشد يديه ورجليه ودنا من الصور تحت البرج الذى فيه الأمير ظالم وصاح بظالم (ياسادة ياكرام) وكان الأمير ظالم مثل الوالهة الثكلى أو الحبة على المقلا لا يدرى أى السالم من العاطب ولا المنكوب من الناكب وأن الأمير ظالم نادى ياأبو محمد قال نعم دل لى الحبل بالعجل فقال الأمير ظالم إيش عندك من الأمير عبد الوهاب فقال سالم وكذلك الأميرة ذات الهمة وكل من معهم من السودان الانجاب وبنى كلاب ولكن القوم على نية قتلهم فى غداة غد والله الأمر من قبل ومن بعد ولكن مافيهم من بنام الليلة من فرحهم بما قد وصلوا اليه من هذه النوبة الذى يشيب لهولها الطفل الوليد ويذل لها البطل الصنديد فدلوا الحبال وارفعوا من معى وارفعونى فقد قرب الصباح وما قدرت على أننى أدنو منهم لفرط يقظتهم وعقبة اللعين قد حذر منى إلى الغاية وإنما يسرق اللص من النائم وأما القائم فلا يمكنه ذلك (ياسادة) فدلوا الحبال ورفعوه بعد مارفعوا الملعون شومدس (قال الراوى) وجعل الأمير أبو محمد يحدثهم بما جرى من حال الأمراء المأسورين والأمير ظالم وسيف الحنيفية يبكون فقال الأمير ظالم والله لابد لى فى غداة غد ماأفتح البلد إذا عولوا أن يضربوا رقابهم وأحمل عليهم حتى أقتل ويعلم الناس أنى ما طمعت فى الحياة بعدهم ثم أن الأمير ظالم أنشد وجعل يقول هذه الأبيات

سلام على الدنيا إذا كان والدى يضحى بذى الارجاقتيل الأعاديا
وذا الهمة الست التى طاب أصلها وعنصرها فى عصرها والبواديا
وأبطال سادات الرجال ومن همو يصولوا على كفارها بالعواليا
سأفتح باب الحصن من غير فزعة وأضرب فيهم بالحسام اليمانيا
ولا أبتغى من بعدهم طيب عيشة وكيف ومن أهواه فى القبر ثاويا

(قال الراوى) فبكى البطال وقال يا بنى إذا كان الأمر على ما قد ذكرت فوالله ما فينا من يتأخر وكلنا إذا ظهرت نظهر وأيضا إذا رأيناهم قد عولوا على قتلهم وإن يكن غير ذلك فنادى بهم أنت وقل لهم إن أردتم البلد فاطلقوا الأسارى حتى نسلمه اليكم ونرجع عنكم وإن كنتم ماتفعلون ذلك فأسالكم وحق المسيح هل أبو محمد البطال معكم أسير أو قتيل عفير فان قصدى بذلك ياولدى انهم إذا سمعوا بقتلى تركوا عنهم الحذر وغرقوا فى بحر الفكر وأنزل اليهم فى هذه الليلة الثانية لعل الله عز وجل أن يسهل لى أخذ الملعون عقبة والملك ميخائيل وما كان يبقى أحدا من أصحابنا فى الأسر (قال الراوى) لهذا الحديث العجيب والأمر المطرب البديع الغريب فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وارتفع الصياح وجردت الصفاح وأيقنوا بنى كلاب والسودان الأنجاب بالعطب إذ لم يبق لهم إلى النجاة سبب (قال الراوى) والأمور مخفية لايعلمها إلا صاحب المشيئة رب البرية (ياسادة) هذا وقد نصب للملك ميخائيل سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وأمر أن يسوقوا الأسارى بين يديه فى مقابلة البلدليرى من قد بقى فيه من المسلمين وأقبل الملك ميخائيل على عقبة وقال اين عينين الملك منويل يرى هذه النوبة وكيف قد جعل المسيح هلاك المسلمين على يدى وفى أيامى فضحك عقبة وقال ما دام المسيح يحفظ شيبتى سوف ترى ما يأتيك من الاحسان والأفعال الحسان التى يعجز عنها كل إنسان فشكره الملك ميخائيل على ذلك ثم أنه قال اطلبوا الراهب شومدرس حتى يأخذ بثار الراهبة شوما الصالحة فقال عقبة وكأنها قد قتلت شوما فقال الملك نعم وأعاد عليه قصتها وحدثه أيضا كيف احتال الراهب شومدرس على يانس المتعزب وأخرجه من الحصن وأسره ومعه ثلاثة آلاف من بطارقته وأصحابه وانهم فى القسطنطونية أسارى ففرح بذلك وباس الأرض وقال شكرا للمسيح الآن قد مضى هذا وقد شفيت الغليل ولم يبق فى قلبى لا كثير ولا قليل فوحق المسيح لقدكان فى قلبى من هذا المنافق على دين النصرانية مثل ماكان فى قلبى من هذا الأسود الزنيم والآن مافى الأرض مثل شومدرس ولا يهتدى إلى هذه الفعال غيره وأرجو أن لايفرق المسيح بينى وبينه فى الدنيا والآخرة فقال ميخائيل اطلبوه فطلبوا شومدرس فى موضعه فما وجدوه فعظم ذلك على القاضى عقبة وقال أيها الملك الذى قتل شوما هو ظالم وهو فى المدينة أقتل أنت الساعة هؤلاء الذين عندك وإذا حضر اليك شومدرس فأنا أسلم اليك هذه المدينة ومن فيها ويقتل خصمه بيده وربما يكون قد مضى لمصلحة (قال الراوى) وكان عقبة قد علم أن شومدرس

ما فقد إلا وقد أخذ نخشى أن يكون الملك يتوقف عن قتل الأسارى من أجله فعندها صاح ميخائيل بالرجال وأمرهم أن يسحبون فى أيديهم الأسارى إلى الميدان ويضربون رقابهم .وأعوذ بالله من غلبات الرجال وحضور الآجال وسحبت الأسارى من كل جانب وجردت القواضب وجعل كل إنسان يوحد الله ويتشهد وفتح باب مطلبونا وخرج الأمير ظالم وطاب له الموت فى طاعة الملك القدير فغضب الملك ميخائيل وقال ما يكون قط أعظم من هذا ان يكون فى مائة وخمسين فارس تحمل فى ألفى ألف ويلكم خذوهم حتى نقتلهم كلهم فى مرة واحدة وأطبقت عليهم الكتائب من كل جانب (يا سادة) فهم كذلك وإذا بغبار قد طلع من خلف العساكر حتى ملأ الأقطار وأظلم منه النهار وهى مواكب وجحافل قد ملأت الفضاء وسدت المستوى ونظر عقبة إلى الجو وقد اسود فقال وما عسى أن يكون هذا العسكر ولا شك أن عساكر الروم المتخلفين قد أقبلوا ليلحقوا الملك ثم دنا الغبار وانكشف وقد وقف الناس عن القتال ولاحت رايات سود عباسية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عقبة ويلك هذه نوبة مدبرة وما أظنه إلا الخليفة المأمون (قال الراوى) وكان ذلك عسكر المأمون والسبب فى مجيئه إلى هذه الديار أن يانس المتعزب لما وصلت اليه العرب المتنصرة تخبره بما جرى على الأمير عبد الوهاب من تلك الحيلة التى ذكرنا دبرها التى شومدرس وانه أطلق كتاب الطائر من عنده الى بغداد يخبر بذلك. فلما علم المأمون بالأمر استشار وزيره ذو العلمين فقال الوزير اعلم يا أمير المؤمنين أن عبد الوهاب له عليك وعلى أبيك من الخدم والمكارم مالا عين رأت ولا أذن سمعت وأنت بذلك اعلم ومع ذلك فانك كنت قد فعلت معه ما نفر قلبه منك ويجب عليك أن تسير اليه لأجله ولأجل المسلمين وان كان سيرك لأجله فيكون فى مقابلة ما فعله من الجميل فى طول الأيام والسنين وأيضاً فانها غزاة تربح فيها الثواب وتطأ بلاد الروم وتزل لك الرقاب وأنت أخبر بالصواب (قال الراوى) فاستصوب المأمون ذلك الرأى وبرز من يومه وكانت العساكر مجتمعة فى العراق وكتب أيضاً الأخبار على أجنحة الطيور إلى سائر الأمصار بأن تلحقوا الجيوش والعساكر إلى ملطية وأقام بها عشرة أيام ورحل فى ألف ألف من الترك والعجم والعرب والديلم والأكراد وغيرها وسار معه أحمد الشمشاطى دليلا وأخذه فى مواضع قريبة (قال الراوى) وقد كان الملك ميخائيل لما أخذ يانس المتعزب قد اشتغل سره وكان من ثقل عسكره يرحل فى اليوم والاثنين مقدار رحلة واحدة والمأمون لأجل عجلته يسير بالليل والنهار

ولا يأخذه هدو ولا قرار وقد قدم فى مقدمة العساكر الأمير عمرو بن عبيد الله (قال الراوى) ولم يزل كذلك حتى أشرف عليهم الوقت ولما علم عقبة أنه المأمون وقد أتى فى عسكر العراق أقبل على الملك ميخائيل وقال له إياك أن تغفل عن هؤلاء المنافقين يعنى ظالم وسيف الحنيفية ومن معهم ولكن خذهم فاذا وصل هذا العسكر أضرب رقاب هؤلاء الأسارى معهم عن بكرة أبيهم وارميهم برؤسهم ففى ذلك تقصم ظهورهم وتحل عزائمهم انهم إنما جاؤا إلى هذه الديار طمعاً فى أن هذا الأمير سالم ولولا ذلك الطمع ما جسر أحد من هؤلاء أن يطأ هذه الأرض فاضرب رقابهم وقد بلغت المراد فقال الملك ويلكم اطبقوا على ظالم ومن معه فحملوا عليه من كل جانب ومكان وقاتل ظالم فلله دره لقد أشفى بقتاله الغليل وأرضى الملك الجليل وفعل أصحابه مثل فعله حتى لعبت الخيل بالجماجم واسترخت الايدى عن قبض الشكائم ووقع ظالم عن جواده وأصحابه كلهم ولم يبق الا أن يؤخذوا أخذاً بالكف وقد قرب العسكر من العسكر ونظر عمرو بن عبيد الله إلى ذلك فقال ياأمير المؤمنين الناس فى القتال وان الروم قد أحاطوا بقوم كانهم رجاله وأريد الحمله فقال له افعل فحمل فى مائة ألف فكشف الروم عن ظالم ونظر ملك الروم إلى ذلك فعظم عليه وأمر ملك الأنجار وقال له أدرك ملك الصقلب فى مائة ألف فحمل فقال المأمون لمروان بن صالح صاحب الجزيرة فحمل فى سبعين ألف وقال ميخائيل للبنجاك فحملت ونادى المأمون فى الاتراك فحملوا وصاح ميخائيل فى الزغاوره فحملوا ونادى المأمون بعساكر الشام فحملت وزاد الأمر وركب ملك الروم ومال بكثرة عسكره على الإسلام فعندها نشر المأمون لواء الحمد ولبس بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعمم بعمامته السحاب وكبر فكبرت الأمم فدقت النواقيس وأنطبقت الطوائف بعضها على بعض وارتجت الأرض فى الطول والعرض وتفحرت من الركض وفاضت الدماء من الوريد وذل الفارس الصنديد وثقل على الأبدان الحديد وقدحت حوافر الخيل النار من صم الجلاميد وبان الفارس المجيد ولم يزل السيف فى قمم الرجال وأعناق الأبطال حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصل الجمعان وتراجع الجيشان ونزل المأمون فى موضعه وقد خلص الأمير ظالم ومن معه من الرجال وقتل منهم خمسين من الأبطال والباقى مثخنين بالجراح لما ترادفت عليهم الصفاح وان المأمون أحضر الأمير ظالم واخلع عليه وقال له أيها الأمير المهاب أبشر من الله تعالى بالثواب ومع ذلك فانى حائر فى هذه الأسباب فاخبرنى أين ولدك الأمير عبد الوهاب وأين بنى كلاب والسودان الأنجاب (قال الراوى) فأعاد ظالم عليه القصة التى دبرها عقبة

على الأمير ومن معه وكيف وقعوا فى الحفائر قال وكانت الروم لما ملكوا المسلمين قد تمموا الحفائر ولم يعلموا أن عسكر المسلمين يطرقوا هذه الديار الليلة ولو علموا بقدومك ياأمير المؤمنين لكانوا سدوا عليكم الضروب والمضايق ولم يكن لأحد منكم طريق إلى هذه الديار فقال المأمون أيها الأمير معلوم انكم قد جرى عليكم ماجرى وعقبة الميشوم عدم ولا نعلم له مكان ولا ندرى ماشأنه فكيف يصل إلى هذه الاراضى فقال ظالم ياأمير المؤمنين اعلم انه كان قد غرق هو والبطال وجرى لهم حديث طويل حتى وصلوا إلى هاهنا فى الاساطير وأعاد على المأمون القصة من أولها إلى آخرها فقال المأمون أن كان الأمر على ماذكرت وصح أن عقبه هاهنا فهذه النوبة تكون سببا لاشهاره ثم قال له والأمير أبو محمد ايش صنع الله به فقال ياأمير المؤمنين هو حاضر ولكن لما حملت على الروم وأنا فى طلب أن أرمى روحى إلى الهلاك قبل أن يهلك الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب لأنهم كانوا قد أشرفوا على ضرب الرقاب ما أعلم ما كان منه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع المأمون ذلك منه قلق قلقا عظيما وقال والله ما آمن عليه فى هذه الليلة من أقيالها وما البطال الا قد هلك وعظم عليه ذلك (يا ساده) وأما البطال فانه لما أحدقت الروم بالأمير ظالم ومن معه من الأصحاب علم أنهم هالكين فطلب لروحه النجاة وإذا بعساكر المأمون قد ظهرت وجرى ماذكرناه رجع البطال وقصد الأمير عبد الوهاب وهو بين الأسارى وعندهم خمسه آلاف بطريق بالسيوف المجذبة وهم قيام على رؤسهم وكل من تحرك من الاسارى ضربوا رقبته فلما رآهم البطال كذلك وكان عليه زى البطارقة فصار فى جملتهم وجذب سيف بجوهر بيده ووقف على رأس الامير عبدالوهاب والاميره ذات الهمة وقال أشتهى ياحجام تقوم من مكانك أو تتحرك من موضعك حتى أعلو رأسك بهذا السيف فرفع الامير رأسه ونظر إلى ذلك المتكلم واذا به البطال فبكى الامير فنظر اليه البطال بعيون كانها النشاب وقال له لاتبكى ولا تلح إلى بالنظر ولا تكلمنى بالعربى فانا لانأمن أن يكون فيهم من يعرف بلسان العربى فسكت الامير وجرى ماذكرنا من القتال طول النهار إلى الليل ورجع ملك الروم إلى موضعه وكان عقبة راكب على جواد تحت العلم إلى جانب ميخائيل وهو يقول أيها الملك طيب قلبك فلو أتى أهل الارض لما بالبيت بهم مادام هذا الاسود وأمه تحت قبضتك وأما المأمون فلا اعتبار بقدومه وان البطال لما نظر إلى ميخائيل وقد نزل فزع من عقبة أن يأتى فى طلب الامير عبدالوهاب فيراه ولا يخفى عليه أمره ونظر إلى البطارقة الذين عنده متوكلين بالاسارى وقد التفتوا صوب الملك ميخائيل وقد أمسى المساء والملك قد ضاق به المنزل الذى كان فيه لان

عسكر الإسلام قد ضيقت عليه الأرض وفى هذا الاشتغال لقى الفرس وأقبل على الامير عبد الوهاب وأمه وقطع كتافهما بحد السيف فوثبت الاميرة والأمير أمامها فى جمله الناس والبطال معهما (ياسادة) وأن البطارقة الذين كانوا متوكلين بهم التفتوا فلم يجدوهم فوقع الصوت وثارت البطارقة من كل جانب وقد اظلم الليل ونالهم فى تلك الساعة الويل لأن البطال وأصحابه التفوا فى وسط البطارقة مثل والسيل وفاز البطال ببلوغ المنا والنيل وتخلص الأمير والأميرة ولم يزل بهما البطال إلى أن أوصلهما إلى عسكر المأمون وتخطا الخيام التى قد ضربت والمفازات التى قد نصبت حتى وصل إلى سرادق المأمون وإذا به جالس وأرباب الدولة قيام بين يديه والوزير ذو العلمين جالس والمأمون يقول والله انى خائف من أن يحدث ميخائيل نفسه بقتل الأمير عبد الوهاب وبعد ذلك فما بقى قتلهما بقتل كل من فى بلاد اشنم وتنقطع دخول عساكر المسلمين ديار الكافرين والرأى عندى أنى أرسل الساعة اليهم وأقول لهم وتربة الرشيد لئن أرميت من رأس واحداً منهم شعرة أو محجم دم لا بد لى أن أقتلك ولو كنت فى حجر أمك وأصحابك عشيرتك وأولادك وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر وقال المأمون من يكون الرسول فقال ظالم أنا ياأمير المؤمنين أو أكون مع بعض ماتراه لأن فى قلبى النار التى لا تطفى فقال الوزير وأنا معك ولى أسوة بك هذا والبطال واقف على باب السرادق يسمع فعندها هجم عليهم ومعه الأمير والأميرة وقبلوا الأرض بين يدى المأمون وسلموا عليه وتقدم البطال وقال ياأمير المؤمنين هـــذه والله هـم الرجال الموحدين والخلفاء الأكرمين ولولا قدومك لكانوا الكفرة قد سفكوا منا الدماء وأرملوا النساء وشتموا الأعداء فطار عقل المأمون من الفرح بسلامتهم ونهض لهم قائما وسلم عليهم وقال مرحبا بالأمراء المجاهدين الذين قد ألفوا ركوب الخيل وخوض الليل فى طاعة الله تعالى ثم قال مادام أن الله قد أطلق سبيلكم فما يقدر ميخائيل يسفك دم أحد من المسلمين حتى يبصر على ماذا تنفصل النوبة فقال البطال يامولانا لو كان عقبة غير حاضر لم يجسر على ذلك ولكن عقبة عنده وهو يزين له الليلة قتل الأبطال ويأمره بهلاك الرجال ويطلب بذلك هلاك الاسلام سيما وقد عدم الأمير والأميرة فى هذه الليلة وسوف تنشق مرارته فقال المأمون وقد سمع كلامه اعلم أنى ماأخوض مع الخائضين إلا أن رأيت بعينى فقال البطال إذا كنت تريد هذا فما يتم لك أن تراه وأنت مقيم ههنا وإن أردت ذلك أيها الامام الذى جعله الله تعالى ركنا للاسلام تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقيم حدود الله فى هذا المنافق الفاسق الذى يلعب بالأديان وبعقول الخلفاء فلما سمع المأمون ذلك قال وكيف

الحيلة قال له تقوم الساعة وألبسك ثياب كما أريد وعلى الضمان بسلامتك ورجوعك فى ساعة واحدة حتى ترى هذا مشاهدة وتسمع كفره بلسانه فان أنت أخذت لله تعالى بالحق أرحت منه الخلق وإلا فانت تعلم ماهو سائلك عن ذلك إذا خشعت الأبصار وحارت الأفكار وذلكل جبار وأزلفت الجنة وسعرت النار (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع المأمون ذلك وعلى كل حال معه جدية الشباب وجسارة الصبا وعزمة الخلافة وقوة السلطنة فوثب قائما وقال إلى متى أسمع هذا من أيام الرشيد بالله أمير المؤمنين ونحن كل يوم معكم ومعه نخوض مع الخائضين تارة تصدق وتارة تكذب ونقول أن هذا غرض منكم لهلاك عقبة لما بينكم وبينه من العداوة وأنا أريد أطلع على مضمون هذه القصة العجيبة التى قد طال أمرها ولم نقف على مكتوم سرها فقال الوزير وأنا ثالثكما (ياسادة) وأن البطال مضى وأتى بثياب البطارقة وألبس المأمون ووزيره ذو العلمين وإنما سمى ذو العلمين لأنه كان أكتب أهل زمانه وفيه دين وأدب وفضل وكان قد ألقى الله تعالى بغضه لعقبة على أنه لم يطلع على مقاله وسار بهم البطال حتى وصل عسكر الروم وكان الملك ميخائيل لما سمع ذلك الصوت الأول عند عدم الأمير والاميرة عظم عليه وكبر لديه وأتى عقبة وسأل البطارقة عنهما فقالوا كان عندنا بطريق مثل الشيطان فاطمأنينا اليه من كثرة ما رأينا من حفظه لهم طول النهار واشتغلنا بالنظر اليكم فلم نشعر إلا والمكان خلا منهما فهز عقبة دقنه وقال وحق فلسيح لقد خلصهم البطال وقال للملك وهو على غاية من الهم إذا كان أصحابك لايحفظون ما أمرهم بحفظة فنحن كل يوم تحت الذل (قال الراوى) ياسادة ياكرام فغضب الملك وضرب رقاب الموكلين الذين كانوا يحفظوهما (ياسادة) وأوصى الباقين الذين هم موكلين بالاسارى أن لا ينامون ولا يرقدون حتى يدبر ما يراه فى ليلته إما يقتلهم بالليل وإما يتركهم ثم أمر بإيقاد الشموع فأوقدت مائة شمعة فى السرادق حتى عاد الليل كالنهار وهكذا عادت ملوك الروم ووقفت الغلمان على أبواب السرادق (ياسادة) وفى تلك الساعة أشرف البطال والمأمون الوزير ذو العلمين حتى وصلوا إلى باب السرادق والبطارقة والخواص قيام أكثر من ألف بطريق فصار البطال فى جملة القوم وأوقف المأمون إلى جانبه وقد نظر المأمون إلى الملك ميخائيل والسيوف بين يديه مجذبة فندم على مجيئه وخاف على نفسه من أن يفطن به أحدا فيهلك وبقى يرتعد مثل السعفة فقال البطال أنت تكون الليلة سبب هلاكنا فلا تفزع وقوى قلبك وعزمك واعلم أن الله إذا ستر لايقدر مخلوق يفضح وهذا الملعون عينه من باب السرادق وأخاف أن يفطن بنا فنظر المأمون إلى السرادق

وإذا بميخائيل على سرير من العرعر مصفح بالذهب الأحمر مرصع بالجوهر وعلى رأسه قواضب تزهر وتماثيل العنبر ونظر إلى سبعة عشر ملك على سبعة عشر كرسى من الذهب وميخائيل جالس فى الدست وإلى جانبه طراحة قسطنطينى أطلس ملكى ولونها يأخذ بالبصر وقد زاد نورها على ضوء الشمع وعليها شيخ طويل اللحية عليه غفارة تسوى خمسمائة دينار وقد حبكت بالجوهر واللؤلؤ فلما نظر المأمون إلى ذلك أقبل على البطال وقال من هذا الشيخ فقال هذا قاضيكم فانظر صورته وعورته وشيبته وسوف تسمع كلامه ونغمته وأنه أدعى بالطعام فأحضر الدجاج والحلوى وثلاث حنانيص سمان من أولاد الخنازير قد شويت ودهنها ينقط فقال عقبة أيها الملك معلوم أن لحم الغنم والطير طيب وما فى سائر اللحوم أطيب من لحم الخنزير ولو لم يكن فى أكله إلا معاندة المسلمين لأنهم يزعمون أنه حرام عليهم ولعل هذا يشبهه المدام وأخذ عقبة القدح وصار يشرب منه حتى اكتفى فعند ذلك أرخى البرنس عن رأسه عند سكره وكان اجلح من مقدم رأسه فعرفه المأمون وقال ما بقى فى هذا شك هذا والله القاضى عقبة فلعنه الله ولعن من لا يأخذ حق الله منه أن قدرت عليه فى هذه النوبة ثم جعل يسمع كلامه وقد اعتقل لسانه ثم أخذته الغيرة للإسلام وطارت الدمعة من عينيه حنقا وإذا به يقول أيها الملك معلوم أن الأسود الزنيم وأمه قد سلما وما كان عبد الوهاب يحمى الإسلام بسيفه وما كان يحميه إلا بأمه وبالاسارى الذين عندك وهم أبطال بنى كلاب والسودان الانجاب والرأى عندى أن تضرب منهم الساعة ألف رقبة من وجوه السادات الذين هم شجعانهم حتى تأمن من عواقبهم فاذا أصبحت قتلت الباقين فى مقابلة المسلمين فيكون ذلك وهنالهم فقال ملك الروم أيها الشيخ النجيح معلوم إنك ما سموك المسلمين عقبة إلا وأنت عاقبة خير لنا وعاقبة صعبة عليهم وهذا المأمون قد وصل فى هذا الجيش العظيم وما أقدر بعد خلاص عبد الوهاب أسفك دم هذه السودان ولا من بنى كلاب قطرة دم لأنى أعرف أن طالبى عبد الوهاب والبطال اللص المحتال فقال عقبة أما ما ذكرت من المأمون فهو أخرق من أن يفزع منه لأنه فى صورة النسوان وما عليه هيبة الخلافة ولا السلطان والعسكر الذين معه عسكر العراق ومجمعة الآفاق ما بين غسال ودقاق وما تم عسكر الا بنى كلاب الموصوفين بالطعان والضراب وان أنت قد أخذتهم فلا يداخلك من هذا فزع ولا يقع فى قلبك هلع ومع ذلك فانى ما أبالى بهم وأنا أقول لك غدا يكون عليهم فيه الغلبة ولا يجدوا سبيلا إلى الهرب فعند ذلك أقبل البطال على المأمون وقال له كيف ترى يا أمير المؤمنين فقال أبو محمد أقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام إنك متى ما أتيتنى

به أعطيتك وزنه ذهبا وهى تكون آخر ساعاته من الدنيا وسوف ترى ما أصنع به فو الله ليطولن الوقوف ومعكم الرشيد من أجل هذا الملعون عقبة وأما أنت يا أبو محمد فسوف أغنيك غناء لافقر بعده فقال البطال ياأمير المؤمنين أقسم بالله قسما صادقا مافعلت ذلك فى طلب مال ولانوال ولا قصدت إلا أن تأخذ حق الله منه (ياسادة) هذا والملك ميخائيل قد أقبل على البطارقة وقال لقد قال الشيخ النجيح الحق أريد الساعة تسحبونه مائة من الأمراء المأسورين مثل أبو الهزاهز وقراقد وغيرهم حتى لايبقى لنا فى المسلمين من نخاف فما نخاف من عبد الوهاب إلا بهم فمضت البطارقة إلى ما أمرهم به فعند ذلك خرج البطال والوزير والمأمون وهم لايعقلون حتى وصلوا إلى عسكرهم وقال المأمون لايجب أن أغفل عنهم فأسأل عن دمائهم بين يدى الله تعالى فقال ظالم هذه ليلة الإنفصال وأرسل المأمون إلى الأمراء فركبوا فى كتائبهم وركب فى تلك الساعة أكثر من أربعمائة ألف وركب المأمون وقال الأمير عبد الوهاب معاشر الناس أعلموا أن الاسارى فى لحف الجبل فميلوا عنهم وإلا طحنتهم بحوافر الخيل وسار على الهوينا حتى قاربهم وقد صهلت الخيل فارتجت الدنيا وتصايحت الروم ونادى المنادى من طرف عبد الوهاب أحملوا بارك الله فيكم فحملوا وثارت الروم على مابها من التعب فى ظلام الليل وعملت الصوارم فى الجماجم وقطعت الاكف والمعاصم وقال الأمير أبو محمد للمأمون أقصد بالخيل لحف الجبل حتى نخلص الاسارى فعندها مال المأمون وعبر وعبرت معه الجيوش والعشائر (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان عند الاسارى البطارقة الذى تقدم ذكرهم فلما نظروا إلى العساكر وقد انقلبوا عليهم ولو امنهزمين وترجل المأمون عند المأسورين وترجلت الرجال وأطلقت الأبطال هذا وعبد الوهاب قد فتك بالناس ووضع عليهم المذلة والبأس ولما خلصوا الأسارى أخذوا الخيل والقواضب وركبوا الجنائب وأخذوا السيوف الرقاق والتراس الصفاق والرماح الدقاق والخيل العتاق وانضافوا إلى عسكر العراق وأبو الهزاهز فى أوائلهم مقدم السودان من أولاد الحبشان وهم مثل السباع وقد زادهم الغيظ على الروم وجعلوه عليهم ليل ميشوم (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا والبطال قد ترك المعمعة وطلب رأس المضيق فزعا من هروب القاضى عقبة ووصلت الأميرة ذات الهمة إلى سرادق الملك ميخائيل ومعها ألف بطل من الأكراد وظالم فى أوائلهم فملكته وكل من فيه من الرجال هذا وقد مال المأمون على الجانب الآخر فملكه (قال الراوى) يا سادة ياكرام ولقد حدثنى رواة هذه السيرة وهم سعيد بن مجاهد والفصيح بن أديب الزمان وكان منادم المأمون انه لم يكن للروم وقعة

أيشم من هذه الوقعة ولم يبق أحد من عسكر المأمون الا وقتل الواحد والإثنين (قال الراوى) ياسادة ياكرام وفى تاريخ الروم انه قتل فى هذه النوبة من الروم ألف ألف ومائة ألف وخمسين ألف وركب كل واحد هواه ومنهم من أرمى روحه إلى البحر فغرق وطلب من بقى من الروم طريق القسطنطينية وتفرق الناس وأخذت الملكة كرنة أسيرة ولم يزل السيف يعمل طول الليل إلى الصباح وقد أصبحت الدنيا منى الروم بلقع مايرى فيها الأمن هو قتيل عفيرا وأسير حقير هذا والمأمون ماله شغل الا طلب عقبة فى السرادق الذى فيه الملك ميخائيل وفتشه من بين الملوك فلم يجده فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال اطلبوا أبو محمد يشير علينا بما نعمل فطلبوه فعلم عبد الوهاب انه ما غاب إلا بسببه ودخل البلد والمأمون معه وسائر عسكره خوفا من رائحة القتلى وهى مطلبونا مدينة كرنة فنظر موضع مارأى قط مثله ورأى من الأموال والرحال مالا يوصف وقد خلص الملك عبد الودود ودنى من المأمون فأكرم المأمون مثواه وخلع عليه وأعطاه مناه وقال له ان شئت فأنا أقطعك الغرب كله فقال هيهات ليس قصدى المملكة وإنما قصدى بيت الله تعالى وأكون فيه الى أن ألتى الله تعالى وجمع المأمون كلما فى ذلك البلد من الأموال وأقام ينتظر البطال فهو كذلك وقد أحضر ميخائيل بين يديه وقال له ياويلك وأين عقبة فقال هرب ومالى علم به وما كانت طلعته علينـــا الا ميشومة وما أقول ان بقى فى بلد الروم بعد هذه النوبة أحد ولقد كان لى فى البحر ألف مركب ومالى بها علم وانى أظن أن المراكب سبقت (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكانت المراكب قد سارت من القسطنطينية وهبت عليها ريح سوداء فغرق منها أربعمائة مركب ودخلت الباقون إلى جزيرة الملك سائرون ورمتهم الرياح إليها فلم يستطيعون الدخول إلى ساحل مطلبونا (قال الراوى) ياسادة ياكرام ورجع أبو محمد البطال بعد ثلاثة أيام وهو ولهان على الملعون عقبة ابن مصعب القاضى فقال له الأمير عبد الوهاب هل معك منه علم فقال والله ما خرج من هذه الطريق فأما أن يكون فى الغرقا أو فى القتلى وإما أن يكون قد طلع فى بعض المراكب التى كانوا ههنا من الجزيرة التى للملك سائرون ومعلوم أن أهلها كلهم قتلوا فقال أمير المؤمنين للأمير أبو محمد البطال هل ظفرت بالملعون عقبة القاضى فقال لا والله يا أمير المؤمنين ووالله انى وددت لو هلكت ولا يكون قد انفلت منى فى هذه النوبة وما ذهب الملعون عقبة إلا فى البحر إلى بعض الجزائر ولا بد لى من طلبه أينما كان ولو الى آخر الدنيا فقال أمير المؤمنين المأمون أقسم بالله لابرحت من هذا المكان حتى تعود إلى بهذا الشيطان الملعون عقبة فان أنت أتيت

به يا أبو محمد إن شاء الله تعالى سرت به من ههنا إلى القسطنطينية معكم وصلبته كما تشتهون وكذلك هذا ملك الروم وكل من معه حتى لا يرجع أحدا من الروم إذا نظر إلى الرايات الهاشمية والأعلام العباسية يجرد فى وجوهها سيفا ولا يطلب لها حيفا ولا يكذب لها حلفا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير أبو محمد البطال كلام أمير المؤمنين المأمون فرح فرحا شديد ما عليه من مزيد وقبل الأرض بين يديه وقال الحمد لله الذى جعلك تنظر الحق وتوافق عليه غيرك يرى ذلك ويكذب ناظره لأن الله قد أعمى بصائرهم وسمع الأمير عبد الوهاب والأمير ظالم والأميرة ذات الهمة ذلك فقبلوا الأرض بين يديه وقالوا هذا الذى نريد يا أمير المؤمنين ونصلب أيضا هذا اللعين ميخائيل لأنه عاهدنا وكذب فى أمانته والمصالحة التى بيننا وبينه وتعبنا وقتل منا حتى من الله علينا بقدومك ودارت دائرة السوء على الكافرين ونصر الله الموحدين (قال الراوى) ياسادة يا كرام وتجهز الأمير عبد الوهاب ونزلت بنى كلاب والسودان الأنجاب فى المراكب والأمير أبو محمد البطال المقدم عليهم لأنه عارف بجزيرة ساترون وودعوا الخليفة المأمون وساروا فى طلب عقبة الملعون وكان البطال قد تحدث مع الأمير عبد الوهاب وقال له اعلم بأن المأمون قد وفد فى عساكر العراق وخراسان وغيرها من الآفاق وما فى مطلبونا ورستاقها ما يكفيهم لأن معه عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وكنت لما رمانى البحر فى الغرق ألجأنى البحر إلى هذه الجزيرة التى للملك ساترون فرأيت فيها من الأموال والرجال مثل ما فى مطلبونا مرار وما لا يحصى لأنه من مال البطارقة الأول من حين قامت الدنيا وهو مكان ما طرق وبلد ما نكب ولا يفتخروا أصحابها إلا بالقناطير من الأموال والمال الذى فى مطلبونا أصله من ذلك المكان فقالت الأميرة والله لقد رأيت الصواب يا أبو محمد نحمل نحن الكلفة عن عسكر العراق فقال الأمير عبد الوهاب نعم الرأى فرفعت القلوع فكأنها أجنحة النسور وقد تقدم أبو محمد البطال وكان فى أوائل المراكب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبو الهزاهز وقراقد فانهما لم يقلعا مع الأمير عبد الوهاب والسبب فى ذلك أن كل واحد منهم يروم أن يطلب المملكة كرنة من المأمون والمأمون فى نفسه من وقت ما رآها غير ما فى نفوسهم وكان أبو الهزاهز هائما بحبها وقد قال فى نفسه المأمون يعلم أن لى عليه خدم كثيرة وقراقد يقول أنا أيضا خدمته فى كل النوب وما فيهم إلا مع هو طامع والعشق هو الطمع ولم يكن فيهم من خاطب المأمون بشىء من ذلك ولكن كل واحد منهم يطلب قدوم الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما

ماكان) عقبة فانه لما سمع الصوت علم أن عسكر المأمون عول على أن يكبس عسكر الروم فى ظلام الليل فخرج لوقته من السرادق وطلب ساحل البحر فوجد جماعة من أهل جزيرة ساترون وقد سمعوا الصياح فجردوا الصفاح وأرادوا أن يخرقوا المعمعة وكان القاضى عقبة بصير بالأمور وأنه أقبل على أولئك القوم وقال لهم على ماذا عولتم فقالوا على القتال فى هذه الساعة فقال لاتفعلوا فان الروم آخر أعمارهم فى هذه الساعة فاقبلوا منى واصعدوا إلى هذه المراكب فان كانت لكم فما أقدركم على النزول وإن كانت عليكم فأنتم تكونوا من دون الكل سالمين (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعوا ذلك رأوه صواب وصعدوا إلى بعض المراكب وهو معهم وكانت الكسرة فى تلك الساعة فقال عقبة كيف رأيتم وحق المسيح ما سلم غيركم فأقاموا ينتظرون أن يلحقهم من أهل الجزيرة أحد فما رأوا أحد فساروا إلى أن وصلوا إلى جزيرة ساترون وأخبروا بقتل الملك وهلاك الناس فوقع فى الجزيرة الصراخ والبكاء وكان فيها من الخلق مالا يحصى (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان عليها الستمائة مركب الذين سلوا من مراكب القسطنطونية وردتهم الريح إلى تلك الجزيرة فسألوهم عن الملك ميخائيل فظهر لهم عقبة فعرفوه وجعلوا يرمون أنفسهم عليه فعظم عقبة عند أهل الجزيرة وقالوا أهل القسطنطونية هذا بركة المسيح فى بلاده فقالوا أهل الجزيرة هذا راهب أو مطران فقالوا أصحاب ميخائيل هذا الذى إذا عدم من الدنيا ذهبت منها البركة هذا حجة المسيح وجعلوا يحدثوا أهل الجزيرة بفعاله وعلمه وما هو عليه من جهاد المسلمين فلما سمعوا ذلك من كلامهم أكرموه وعظموه وقالوا أهل المراكب أيها الشيخ النجيح إنما نحن كنا قد خرجنا من بلد القسطنطونية على أننا نقلع إلى مطلبونا فثارت علينا الرياح وهاج البحر الأسود وغرق منا أربعمائة مركب وخلصنا نحن من العطب وأرمتنا الريح إلى ههنا وما قدرنا نقلع بعد ذلك فان الهوى لايوافقنا فقال عقبة بلاه الله بنكبه إذا طاب لكم الهوى فأقلعوا بنا إلى مدينة القسطنطينية لأن الملك ميخائيل لايرجع لاهو ولاكل من معه فافهموا هذا منى وانى لكم ناصح وأعاد عليهم القصة ثم دخل كنيسة الجزيرة وتلا الانجيل وتكلم عليه فأبكى العيون وأحرق القلوب وذكر ملكهم ساترون ومن هلك وجعل يعزيهم فيه ثم قال عقبة اتركوا الساعة عنكم مامضى وخذوا فيما قد أتى لأن المسلمين لابد أن يطلبونى ويأتون اليكم بلا محالة لأن الذى كلف عندكم هو أبو محمد البطال الذى تضرب به الأمثال وقد عاين ما عندكم من الأموال وأخاف أن يقول للسلمين ما قد أبصر ويقول لهم سيروا لأجل الغنيمة وإن ظفرنا بالملعون عقبة فهو الذى نريد وإلا فتملكون المال الذى

ما عليه من مزيد فقال القوم لما سمعوا ذلك أيها الشيخ وكيف ياتون اليكم ونحن فى هذه الجزيرة ألف ألف بطريق وفيها من العدد مالا يوصف وهى مسيرة خمسة أيام وسوف نرسل إلى من حوالينا من البطارقة يأتون إلى هنا وما نبالى بأهل الارض فى الطول والعرض وأيضا فما يقدر مركب من المراكب يلصق الينا لان عندنا النفط ونحن نعمله ولو وصل الينا أهل الخافقين لاحرقناهم فعند ذلك طاب قلب الملعون عقبة وقال لايطيب قلبي ولا يسكن فؤادى ما دام أن الامير أبو محمد البطال والأمير عبد الوهاب فى طلبي ولعل المسيح لايورينا وجوههم فما هم إلا شياطين ثم جعل الملعون عقبة يرغبهم فى الجهاد وينظرون الروم إلى ما هو عليه من الهلع والجزع يهونون عليه ذلك وهو يقول لهم أنا أدرى من هو خانى وحق المسيح ماأخرجهم يكبسون الناس إلا الأمير أبو محمد البطال فانه قال المأمون عقبة هنا ولا شك كذبة وقد أخذه ودخل به فى ذلك العسكر العظيم ونظرنى وأنا آكل لحم الخنزير وأشرب الخمر وأقول للملك ميخائيل ما قلت وإنى بعد هذه النوبة إن وقعت فى يده أو فى أيديهم ما يكون لى منهم خلاص وعندهم مثل الأمير أبو محمد البطال لابد ما يتبعنى وكان (ياسادة) طول نهاره يقرأ على روحه كتب الآفات فقال له راهب من أهل الجزيرة يا أبونا أرمى هذا الهم عنك فان فى هذه الجزيرة رجال أكثر مما فى القسطنطونية فاعتمد على المسيح فقال عقبة المسيح ما يقدر يعمل فى هؤلاء لا كثير ولا قليل وهذا شىء قد ثبت عندى مرة بعد أخرى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهو معهم فى الكلام والبوقات ضربت وقالوا هذه فى البحر قلوع قد أشرقت ولعلهم أن يكونوا الذين سلوا فقال الملعون عقبة خلوا عنكم هذا الهذيان فوحق المسيح أن دخلوا إلى جزيرتكم ما تفلحون أبدا والرأى عندى أن لايبقى منكم فى المراكب أحد فهولاء المسلمون ومالكم بهم طاقة فقالوا نحن نفعل هذا ولنا فى البحر مراكب بعدد النجوم والكواكب وما فينا بطريق إلا وله مركب ومركبين وأقل ما تكون مائة ألف مركب مع العدة التى فيها والرجال ومراكب القسطنطونية ستمائة مركب ونرفع معنا النفط فلا ينجو منهم صغير ولا كبير فلما سمع عقبة ذلك منهم ضحك وقال لايجوز ذلك الأمر وان توانيتم عن الشيخ النجيح شرب كأس المهالك (قال الراوى) هذا والمراكب قد قربت وأهل الجزيرة قد أرموا إلى الماء مراكبهم ورفعوا العدو واللبوس والزرد مما يصلح للبحر فما فرغوا من أشغالهم إلا والمراكب قد صارت معهم وهم ينادون بكلمة الإخلاص الذى يغفر الله بها لكل عبد عاص وهى قول لا اله إلا الله محمد رسول الله (قال) وسمع الملعون عقبة كلمة الحق

ومذهبة الأباطيل فقال ياه من يوم ثقيل هذا وقد قربت المراكب من المراكب وجردت القواضب وعملت الرماح وأرخت اللبود وتصايحت الجنود ورميت الكلاليب وظهرت الأعاجيب وعظم القتال واشتد النزال وتراشقوا بالنبال وهاج البحر العجاج وهبت نسائم الموت الفجاج حتى كان المركب يرتفع مد البصر ثم ينحط حتى يقال ذهب ودثر وتخرقت القلوع وأشرف الأمير عبد الوهاب على الغرق فى هذه النوبة والوقوع واختلطت المراكب بعضها ببعض وأحرقوا ثلاث مراكب من مراكب العدو وكذلك الروم أحرقوا من مراكب الأمير عبد الوهاب خمس مراكب لأن النفط كان مع الطائفتين فعند ذلك رموا الرجال الذين فيها أنفسهم إلى البحر طلبا للنجاة وتعلقوا بمراكبهم وكانوا الروم يضربوهم بالنفط وهم لايروهم وأن الأميرة رأت ذلك الهول العظيم تعوذت بالله السميع العليم ولاصقت المراكب وطلبت المقدم عليهم ووثبت فيهم وكذلك الأمير ظالم وثب صار معهم وضربوا بالسيوف وقطعوا منهم القحوف وأرموهم إلى البحر وأقر الله أعين المسلمين بالنصر ووجدوا المراكب ملآنة بالنفط ففى الحال قسمت النفط على السودان فما كانت إلا ساعة حتى أحرقوا منهم ثلاثين مركب وملكوا عشرين فاندقت المراكب بين أيديهم ولم يزل القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى أظلم الليل وأسود البحر فمال الأمير عبد الوهاب إلى بعض جوانب الجزائر فارسا هناك وأما الروم فانهم قالوا لقد كان الرأى مع الشيخ النجيح ولقد كان من الصواب أن لانخرج إليهم حتى ينزلوهم علينا وما كان يسلم منهم أحد والرأى أن نأخذ أهبة الحرب وآلة الطعن والضرب فعند ذلك ساروا إلى الجزيرة ونظر الأمير عبد الوهاب اليهم ففرحوا لأن قتالهم فى البر كان أحب اليه من البحر وتقدمت المراكب إلى الساحل ووقفت البطارقة فى وجوهها فأرمت السودان أنفسها عراة وفى أيديهم السيوف الهندية والترس والحديد الصينى ولم يزالوا كذلك ترمى روحها وهى حاملة بسلاحها حتى صار على وجه الأرض منهم خلقا كثيراً (قال الراوى) وارتفعت الروم من الساحل ولم يزل الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة على الساحل وسارت الابطال والأقيال وعملت هناك الرقاق فى أهل الكفر والنفاق ونظر الملعون عقبة إلى ذاك وقد صار معه فى الجزيرة خلق عظيم فأيقن بالهول الجسيم وقال لذاك الراهب ويلك ياراهب الجزيرة فقال لاوحق المسيح مالنا فرج ولالنا خلاص إلا فى البحر فنادى الملعون عقبة واذلاه واهرباه ياقوم هلكت وحق المسيح (قال الراوى) ولم يزل القاضى عقبة يعمل وقد نظروا والروم إلى قتال ما عهدوه فولوا

منهزمين وقد قتل منهم عالم عظيم فنادوا الأمان الامان فرفع الأمير عبد الوهاب السيف وقال لهم لكم الامن على نفوسكم والأموال حتى تأتونى بالشيخ عقبة الذى وصل لكم فقالوا جميع الروم لعنه الله فما كانت طلعته علينا الا مشؤمة ثم انهم طلبوا عقبة فلم يجدوه لاهو ولا ذلك الراهب الذى كان معه فبقى الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال والأميرة ذات الهمة وأهل الجزيرة كلهم على حيرة فهم كذلك وإذا ببعض الروم قد أشرف على الأمير عبد الوهاب وقال يامولاى لى الامان على أهلى ومالى وأنا أصف لكم مغارا فيها الراهب والشيخ الذى تطلبوه فقال الأمير عبدالوهاب أيها البطريق لك الأمان على أهلك ومالك وجميع ما يكون لك فى هذه المدينة فلما سمع البطريق ذلك من الامير عبد الوهاب فرح وأخذ معه الرجال ودخل إلى المكان كبسه وكانت مغارة كبيرة قديمة واسعة مسيرة يوم تحت الارض فأخذ الأمــير أبو محمد البطال معه مائة من السودان ودخلوا تحت الأرض فما كانت الا ساعة حتى خرجوا والقاضى عقبة معهم وقد تسلمه ظالم يسحبه من مقدمه على حر وجهه وخلقته حتى فككه وتقلعت أسنانه وهو يستغيث فلا يغاث هذا والسودان قد أحاطوا بالملعون عقبة وجعلوا يضربوه بالعصى وجماعة منهم يصفعوه وهو يهرول بين أيديهم إلى أن وصلو به الى عند الأمير عبد الوهاب فلما نظر اليه وثب قائما وبصق فى وجهه وقال ياعدو الله قادك الاجل وانقطع منك الأمل ثم أن الأمير عبد الوهاب أمر العساكر أن ينهبوا مافى الجزيرة فنهبوا جميع ماكان فيها من الأموال والرجال وكان مالا يقع عليه عدد وأوسقوا المراكب وقعد الأمير عبد الوهاب عشرة أيام ترفع الأمول إلى المراكب حتى ضجر من ذلك ثم أقلع فى اليوم الحادى عشر إلى أن وصل إلى ملطبونا وأشرفت القلوع وكان الخليفة المأمون قد ضاق صدره لأجل غيبة الأمير عبد الوهاب ولا يدرى ماكان منه فلما أشرفت المراكب دقت الكؤسات وضربت البوقات ولم يزل الامير عبد الوهاب سائر فى المراكب حتى وصل إلى البر ثم انه أمر بنقل الاموال وفرح المأمون بذلك الفرح الشديد فقال الوزير ذوالعلمين للخليفة المأمون ياأمير المؤمنين مثل هذا الرجل يفرط فيه أحد فقال المأمون هذا ماكان يوقع الفتن بيننا غير الملعون عقبة لا كان ولا استكان فوالله لابد أن أهتك ستره وأزيع أمره حتى يلعن إلى الابد ثم أن الخليفة المأمون سأل الناس هل وقعوا بالملعون عقبة فأخبروه انه قد وصل معهم فزاد المأمون فرحا ونزل الامير عبد الوهاب وعقبة معه وهو يقول ياعدو الله قم الى أمير المؤمنين فقد هتك الله سترك وبان له مكتوم أمرك (قال) فلما سمع عقبة ذلك علم

ان المأمون قد أطلع عليه فقال عقبة فى نفسه هذه نوبة نحسه فلما أقبل الامير عبد الوهاب ودخل على المأمون أكرمه ورفع مكانه وعظم شأنه فعند ذلك قدم الامير عبد الوهاب اليه الملعون عقبة فوثب المأمون بنفسه ورفسه فى صدره ألقاه على ظهره وقال له ياعدو الله أكفر بعد أيمان وشك بعد أيقان فقال عقبة يا أمير المأمنين لا تنظر إلى الظاهر وأنظر الى الباطن فأنا أعرف ذنبي وأقر بحالى ياأمير المؤمنين كنت عند الملك ميخائيل مأسور منذ ثلاث سنين وهو يضربنى ليل ونهار ولما سار إلى هذه المكان أخذنى معه لأنه كل يوم يضربونى لانى ناظرت البترك الذى لهم وأقمت لهم الدليل على أن الله تعالى واحد أحد ليس له صاحبه ولا ولد فغضب ملك الروم من كلامى وأوجعنى وآلمنى ضربا فقلت له ياهذا ماتصدك بهذه الفعال الذى تفعل بى فقال الملك ميخائيل أريد منك التنصر والا فانت لاتزال تحت العقوبة حتى تموت فرأيت ياأمير المأمنين انى هالك وأننى لم أعتقد الكفر بقلبى على ان ماكانت نيتى الا خالصة وكان منى مارأيت بعد طول الضرب وكثرة الكرب وأيست من حياة الدنيا فلما سمع الخليفة ذلك الكلام من عقبة داخله الشك فقال أبو محمد يامولانا لا تسمع هذا المقال فهو محال ولكن أنا آتيك بالدليل ثم ان أبو محمد قال للسودان ائتونى بالملك ميخائيل فلما أحضروه وثب أبو محمد وأمر العبيد فمدوه بين يدى المأمون وضربه حتى كاد أن يهلكه من الضرب الوجيع وأعاد عليه حديث عقبة وقال له ان لم تصدقنى قتلتك تحت الضرب فقر ملك الروم وهو ميخائيل أن عقبة نصرانى فضحك عقبة وقال للملك ميخائيل ياملك الروم ماينبغى أن تقول فى حق الا مثل هذا المقال فقال المأمون قد أوهمنى كلامه على اننى لابد لى من قتله وارغامه وأبتم بعد ذلك المقلدون دمه لأنكم تعلمون منه مالا اعلم (قال الراوى) فلما سمع الملعون عقبة ذلك بكى وقال الحمد لله جعلت دمى فى رقبة غيرك لأنك ماتعلم بواطن الأمور وكيفيتها لأننى أنا إنما فعلت ذلك مما وقع على من العقوبة ودخلت فى دين النصرانية فلا تغتر بالدنيا ياأمير المؤمنين فانى شيخ كبير وبعد ذلك فأنت فى حل من دمى ولو علمت ان هذا كان يجرى على منك ما كنت أجبت الروم بلسانى لشدة العقوبة لأننى إذا مت بسيوف الكفار كان أعظم لى أجرا عند الملك الجبار فقال له الأمير أبو محمد البطال ياعدو الله وعدو رسوله دع عندك هذا النفاق فقد هتك الله سترك فى الآفاق ولا بد من صلبك وطرح القيد فى رجليك بالاتفاق (ياسادة) وأخذ الخليفة المأمون فى تقسيم الأموال على الامراء من المسلمين وكان مالا يوصف وأما أصحاب الاميرعبد الوهاب ومن معه من الاصحاب والسودان الانجاب فانهم استغنوا غناء لافقر بعده مما

لايوصف وعرضت بنات البطارقة وقسمت على الرجال وقد وصفنا مافى عسكر الروم من العشائر والالوف والجيوش والصفوف وما فيهم الا من وقع فى قسمته الجارية والإثنين وأخذ المأمون أربعمائة جارية مثل الاقمار إلا أنهم ما فيهم من يحاكى الملكة كرنة فى حسنها وجمالها كانت كأنها قضيب بأن تنثنا وقد برعت فى الحسن والجمال والكمال والمأمون قد شوق بها فلما كان يوم القسمة تعرض لها ولنفسه انتخبها فقال الامير المناجز المسمى أبو الهزاهز بعد أن قبل الارض يا أمير المؤمنين وخليفة المسلمين لى عليك خدم كثيرة ومواقف غير يسيرة وأنا يا أمير المؤمنين قد سبتنى هذه الجارية كرنة بطرفها الفاتر ولحظها الساحر وقد تحيرت فى ميدان محبتها وغرقت فى تيار عشقها ومودتها وقد كان أمير المؤمنين محمد الامين تغمده الله برحمته بود لو قطعنى بالسيف قطعا وبضعنى بضعا لاجل خدمتى لك الصادقة وأريد يا أمير المؤمنين من انعامك تمن على فانى فى وجد وغرام لا أقدر على المنام ولا تهنأ بطعام ولم صبرت لهذه الايام الا أنتظر مولانا الإمام ثم ان الأمير أبو الهزاهز أشار إلى المأمون وأنشأ وجعل يقول

أمير المؤمنين سميت حتى * علوت على الخليفة أجمعينا
وجاوزت الثريا فى علو * وقدرك شائع فى العالمينا
فجد لى يا إمام بها سريعا * واعلم بى لأنى ذو حنينا
ولا تأمن على الأقطار منى * واترك كل من فيها رهينا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع المأمون ذلك من كلام الامير أبو الهزاهز غضب من كلامه وقال له المأمون يا كلب العبيد لمن تقول هذا التهديد والوعد والوعيد أنا أقسم بالله لو لم تفعل هذا البيت الاخير لكنت أوصلتك الى ما تريد ولكن هذه الجارية لاتصلح الا فى قصور الخلفاء وملوك البلدان والشرفاء ولا يتمتع بها شيطان ولا يأخذها أحد من السودان ثم ان المأمون أمر به ان يمد فلم يقدر الأمير أبو الهزاهز أن يمتنع طمعا أن يرق له قلب الخليفة المأمون فبطحه الى الأرض وضربه مائة سوط وسأل فيه الوزير ذو العلمين ولم يتكلم الأمير عبد الوهاب لأنه لم يعجبه ما خاطب به المأمون من الخطاب (قال الراوى) يا سادة يا كرام وقام الامير أبو الهزاهز من تحت الضرب والأخراق وأصعب ما كان عليه ان الملكة كرنة كانت حاضرة وهى كأنها الغزالة النافرة فأشار اليها الأمير أبو الهزاهز وأنشأ يقول

إلا مبلغ عنى كرنة لأننى * قليل هواها لا أفيق لما بيا
وقد أخرق المأمون من بعد رفعتى * وأشمت بى من أجل ذاك الاعاديا

ولى من هواها حرقة فلو انها * مقسمة فى الخلق ماتوا لمابيا
وقد صدنى عنها من لا أطيقه * ولا أستطع يوما أكون مناويا
سيندم إذ لايقبل الناس عذره * ويعلم انى سوف أمضى لشانيا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأراد الأمير عبد الوهاب أن يخاطب الخليفة المأمون لأجل الامير أبو الهزاهز فقال له الامير أبو محمد لاتضيع الكلام لانى قد صح عندى اشتغال قلب المأمون بحبها وبغيته فى قربها فعندها رفعت الاموال على الجمال ونادى منادى المأمون بالارتحال والملعون عقبة قد شوه به الامير أبو محمد وقد جعل على رأسه طرطور اسود وعليه الصلبان وفى رقبته الخرز والودع والاجراس وهو مع ذلك يقرأ القرآن ويقول صبراً صبراً فلعلى أعوض فى الجنة بالواحدة عشرا ورفعت الملكة كرنة فى هودج قد عمل لها وهو مغشى بالذهب الاحمر والديباج والاطلس وسائر الالوان ملبس والملك ميخائيل ينظر والملوك كلهم فى القيود الثقال والسلاسل والاغلال وهم من حولها وألف غلام ترك والملعون عقبة وسائر الملوك وهو قد أيقن أنه من هذه النوبة مايسلم وبأن أجله قد اقترب وان ستره مع المأمون قد انهتك وانما يعلل نفسه بالحياة والخليفة المأمون مع ذلك صمم على صلبه وكان الامير أبو الهزاهز من فرط مابه من الصبابة ولوعة الكآبة قد رجع إلى المأمون وقبل الارض بين يديه وقال يا أمير المؤمنين كلما يصلح للولى على العبد حرام وقصدى ان توهبنى ذنبى وتسامحنى على ماكان منى فظن المأمون أن هذا منه على الحقيقة فقال له المأمون أنت أخطأ ونحن ما نؤاخذك ثم أن المأمون أخلع على الأمير أبو الهزاهز خلعة سنية وفرح الأمير عبد الوهاب بتلك القضية وقال الحمد لله الذى لم يقع بيننا الخلف حتى لا تشمت بنا الأعداء (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما سمع الأمير أبو محمد البطال هذا من كلام الأمير عبد الوهاب قال له والله أيها الأمير إنى أعرف الناس ياأبو الهزاهز وأنت تعلم أنه بطل من الأبطال وقيل من الأقيال وله الكبد الغليظة وأنا خائف عن الملوك وعلى الملعون عقبة من غائلته فقال الأمير عبد الوهاب للأمير أبو محمد البطال ياأبو محمد ما مع أبو الهزاهز من قلة العقل ما يعمل هذا العمل (قال) وسار الأمير أبو الهزاهز مدة عشرة أيام مع الناس بسودانه السبعة آلاف ثم أن الأمير أبو الهزاهز بكى فى وجوه سودانه ولطم على رأسه اللطم الشديد حتى بربرت السودان من حوله وبكوا كلهم لأجل بكاءه لأنه كبيرهم وابن عمهم فلما هدى صياحهم وبكاؤهم رفع الأمير أبو الهزاهز صوته وأشار إلى سودانه وأنشأ وجعل يقول

ألا يا بنى حام إنى راحل عن دياركم ... ومستبدل من أرضكم منزلا سهلا

لقد ملكت كرنا لقلبي وصيرت ... فؤادى لطول الشوق مستحملا ثقلا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعت السودان وأبناء الحبشان ذلك أحمرت أحداقها وغلظت أرواحها حتى أنقطعت أطواقها وقالوا قل أيها الأمير ما تريد فكلنا لك عبيد ومعلوم أنا وصلنا من بلاد الحجاز إلى هذه الديار وضربنا بسيوفنا فى وجوه الكفار ومع ذلك فلو كنا فى الحجاز نرعى القنصوم وننام فى حرارة مسموم وأنت معنا خير لنا من إقامتنا ههنا فى هذه الأرض وهى كلها للخليفة المأمون وأين لنا مستقر فقال أبو الهزاهز فما الذى ترون عندكم من الرأى فاننى قد غلبنى الهوى الهوى وأنسانى ما فى الدنيـــا فقال له السودان ما فى الأمر إلا أننا نرسل إلى الملك ميخائيل بعض السودان ونأخذ عليه العهد والميثاق على أننا نخلصه فى هذه الليلة ولسائر الملوك من الوثاق ونأخذ الملكة كرنة ونطلب مدينة القسطينية ونمنع عنه من يطلبه بالكلية على أنه يزوجك بالجارية كرنة ويعطيك ما تتمنا فلما سمع الأمير أبو الهزاهز ذلك من كلام السودان أبتهج وأيقن بالفرج وقال لهم لقد أطلعتمونى من بحر كثير اللجج وسوف أرسل إلى القاضى عقبة وأقول له إنى أخلصه ولسائر الملوك وإنى أكون من رجالهم ثم أن الأمير أبو الهزاهز أرسل الأمير شحتوف إلى القاضى عقبه ولا صحته وبلغه رسالة الأمير أبو الهزاهز فلما سمع الملعون عقبة ذلك الكلام أيقن بالنجاة بعد المهالك وقال معلوم أن الأمير أبو الهزاهز يعرف منزلتى عند الملك ميخائيل ولو كانت أبنته أو زوجته لطلقتها منه وزوجته بها وحق المسيح وإنى بعد ذلك أترك الملك ميخائيل يلبسكم كلكم الأطلس ويركبكم على السروج الذهب والفضة وأن أردتم المقام على دينكم فلا أكراه فى ذلك لكم وأن أردتم الدين العتيق فان الروم يزوجوكم بناتهم ويحلبون لكم الأموال التى لاتحصى وضمن الملعون عقبة الأمير شحتوف ألفى دينار إن تم هذا الأمر فرجع الأمير شحتوف إلى الأمير أبو الهزاهز وقال له أيها الأميران الأمر قد احتكم والحال قدانتظم وأنبرم ففرح الأمير أبو الهزاهز وذاك الحال وقام الأمير أبو الهزاهز باقى النهار إلى أن أقبل الليل بالإعتقار نزل الخليفة المأمون راح يستريح وعلق الناس على الدواب وما عندهم خبر عن هذه الأسباب وكان الأمير أبو الهزاهز قد تقدم إلى السودان وأمرهم أن ينزلوا على رأس الطريق وأمرهم أن يكونوا على اهبة وجعل السودان تفتقد سيوفها وقد غلظت أكبادها وشدت جميع خيولها عند نزولها ولما مضى من الليل نصفه والأمير أبو الهزاهز يرقب النجوم وهو حليف الفكر والهموم فأنشأ وجعل يقول

بنى حام هذا الليل قد غاب نجمه وقد حان أن يأتى الصباح ويطلع
وفى كبدى نار وعقلى مولع وقلبى محزون وسرى مودع
بنى حام هذا الليل ليل اجتماعنا فقوموا الى ضرب السيوف وأسرعوا
فموت الفتى خير له من مقامه بأرض هوان يشتكى ليس ينفع

(قال الراوى) ياسادة يا كرام هنالك ركبت الرجال وتبادرت الأبطال وهممت الأقيال والناس آمنون بعضهم من بعض وكانت تلك الليلة الحراسة للأمير أبو الهزاهز فخرج فى ألفين أسود من سودانه فلما عول الأمير الهزاهز على ذلك وسار إلى أن وصل إلى قريب السرادق التى للمأمون فدخل إلى خيمه صغيرة قد انفردت للملكة كرنة ومعها الجوار من بنات البطارقة وخيمة اخرى على بعد منها فيها الملك ميخائيل والقاضى عقبة وسائر الملوك والأتراك الموكلين من حولهم فقسم الأمير أبو الهزاهز السودان نصفين النصف الأول يأخذون القاضى عقبة ومن معه من الملوك وأنفرد هو بمن معه طالب سرادق الملكة كرنة كيما يهجم عليها ليأخذها إذ لاح للامير أبو الهزاهز شبح فوقف ينظر اليه حتى دنا منه فنظر أبو الهزاهز فاذا هو الامير أبو محمد البطال ولؤلؤ ويانس وسبك (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى ذلك أن الامير أبو محمد البطال من خوفه لايهرب لايهرب عقبه فكان يفتقده فى الليل فصادف للامير أبو الهزاهز تلك الليلة وهو فى ذلك الجيش العرمرم وهم ثلاثة آلاف أدهم والباقون قد مضوا على ماذكرنا فأنكر الامير أبو محمد لابو الهزاهز وقال مابال الامير ابو الهزاهز قد ركب فى هذه الساعة فى هؤلاء الجماعة فقال الامير أبو الهزاهز للامير أبو محمد البطال لامر لابد ان تقف عليه وقد رأيت ذلك صوابا فقال له الامير أبو محمد البطال وقد نفر قلبه قل ماعندك واوضح فأنت تعلم انى محب مشفق ناصح وكان ذلك من الامير أبو محمد البطال خديعة لأنه قد علم مافى نفس الامير أبو الهزاهز ومسك على لحيته وقال لغلمانه لو كان الامير عبد الوهاب يقبل منى لكان حصل له الخير فقال أبو الهزاهز ياأبو محمد أنت تعلم انى ان حلفت أصدق أم أكذب فقال الأمير أبو محمد بل تصدق فقال الأمير أبو الهزاهز أقسم قسما بمن شرق الشرق وغرب الغرب لئن لم تدير كتائك لاخذت مافى عيناك فلما سمع الامير أبو محمد البطال كلام الامير أبو الهزاهز ونظر الى سواده وقدغلب على سواد الدجا وأشداقة ترغى مثل فحل الابل فسلم الامير أبو محمد نفسه للقضاء وكذلك جميع غلمانه فقال له امير من السودان ما قصدك ايها الأمير بأخذ الأمير ابو محمد البطال فقال ابو الهزاهز ياويلك لو كنا عدد التراب لكان يتبعنا إلى اى موضع سرنا ويسرق الملكة كرنة ومن أراد

منا ولا بد لنا من الاحتراز منه والصواب آخذه وغلمانه ثم أن الأمير أبو الهزاهز هجم على المضرب الذى فيه الملكة كرنه فوجدها والجوار حولها والشموع تقيد بين يديها والسودان معه وقتل الجوار والخدم الذين حولها وحول مضربها وأخذها على بعض بغاله وشدها شدا وثيقا وقد وقع الصوت فى الظلام الليل ونفرت الخيل (قال الراوى) يا سادة يا كرام وقام كل قاعد واستيقظ كل نائم وأخذت السودان عقبة والملك ميخائيل والسبعة عشر ملك وساروا على ظهور الخيل وسارت بهم السودان (يا سادة) وطلبتهم الخيل من عسكر المأمون وهم لايعلمون منهم فرجعت عليهم السودان كزبر الحديد وهم فرسان صناديد وقد حملوا عليهم حملة واحدة فعادوا منهزمين وقد أثخنوهم بالجراح فلما رجعوا على تلك الحالة لقيهم الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة فقالوا لهم ياويلكم ماحالكم هل عرفتم من القوم فقالوا ما رأينا الا رماح ممتدة ووجوه مسودة وسواعد مشتدة فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك جد هنالك فى المسير إلى أن أصبح الصباح وضاء بنوره ولاح فلم ير الامير عبد الوهاب لاحد خبر وكان عقبة وملوك الروم لهم خبرة بتلك الطرقات فأخذوا على الطريق اليسرى وهى طريق لايسلكها الا الوحش أو خائف وطلبوا مدينة القسطنطونية والامير عبدالوهاب لما أصبح الصباح رجع إلى أن وصل إلى المأمون وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت لفقد الملكة كرنه وعلم أن الذى أخذها هو الأمير أبو الهزاهز وهو الذى خلص عقبة والملك ميخائيل وسائر الملوك فورد على قلب الخليفة المأمون وعلى الامير عبد الوهاب وعلى الاميرة ذات الهمة وعلى جميع الناس مورد عظيم وقال الامير عبد الوهاب والله ليحملهم عقبة على التنصر وما مع السودان من العقل مايصدهم عن ذلك ثم بكى الامير عبدالوهاب والاميرة ذات الهمة والامراء فعند ذلك قال المأمون والابرئت من السلالة الهاشمية العباسية إن كان لابد لى منهم ولو كانوا تحت الارض فقال الامير عبدالوهاب للخليفة المأمون احضروا الامير أبو محمد البطال حتى نشاوره فقالوا قد فقدناه فصعب ذلك على الامير عبدالوهاب ثم بعد ذلك سار المأمون فى تلك العساكر العظيمة وهو قلق الاحشاء طالب مدينة القسطنطونية سيما وقدعلم أن عساكر الروم قد هلك أكثرها وهو طامع فى قتل الامير أبو الهزاهز وكل من معه وصلب عقبة ولم يزل سائر إلى أن أشرف على القسطنطونية وكان الامير أبو الهزاهز قد وصل قبلهم بخمسة أيام وان الملك ميخائيل أقامه وانزع عليه المال حتى وراه عن اعين السودان واغناهم وخلع عليهم من الخلع مالا عين رأت ولا أذن سمعت (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان أهل القسطنطونية

كانوا فى الحزن والعزاء على من هلك من اهلهم وأصحابهم وعلى فقدهم الملك ميخائيل ولولا الملك أرمانوس كان بها لكانت العوام نهبت بعضها بعضا فلما دخل الملك ميخائيل إلى مدينة القسطنطونية فرحوا به وسكن ماكان بهم من الخوف ووجد بها من سلم من تلك الوقعة ثلثمائة ألف والباقون تفرقوا فى بلاد الملك ميخائيل وأعطى الأمير أبو الزاهر مائة جارية وعشرة خدم مثل البدور وأنزله فى دار المرجان وهى دار مرخمة بالرخام والمرمر والاسرة والستور والمقاطيع ونقل اليه من الفرش الديباج والخز والأقبية الفضة والذهب مالا يقع عليه احصار واحضر البترك وكان هذا برأى عقبة لأن عقبة قال للملكة كرنة هذا يكون لك زوج فأبت ذلك فقال عقبة للجارية كرنة اعلمى انه قدمن علىّ الملك ميخائيل وعلى سائر الملوك وعلى الراهب شومدرس وعليكى أنتى أيضا بالخلاص من أيدى المسلمين وإذا أنتى كنتى سببا لخلاصنا فلك بهذا الثواب الجزيل عند المسيح ولا بد للسلمين مايصلون الينا وينزلون علينا وما بقى فى اليد أحد من عسكر هؤلاء السودان الذين قد وصلوا معناهم سبب حماية البلد وحفظ النصرانية فلا تخالفينى ولكن إذا طاب الزواج فقولى أنا ماأفعل هذا ولا أزوج روحى لمسلم فيسخط على المسيح وان أنتم غصبتمونى على ذلك قتلت روحى (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأحضرت الملكة كرنة والأمير أبو الهزاهز فرحان وقد غاب رشده وغاب صوابه وزاد غرامه ووجده وقد قال عقبة للملك ميخائيل اعلم أن هؤلاء السودان ماكان أبو الهزاهز إلا بهم وهم أبطال الحرب وكل واحد منهم مثل أبو الهزاهز وما فيهم من له خبرة بالدين ولا له عقل يعرف به بين الملتين فأحضرهم وزيد فى أكرامهم وزوجهم من بنات البطارقة ان أردت الحماية فلما ان سمع الملك من عقبة ذلك الكلام أحضر السودان وأعطاهم الخلع الأطلس والمراكب الذهب وأفرد لهم الدور وجمع بعد ذلك الملوك والبطارقة وقال لهم اعلموا أن هؤلاء ماساروا الينا ومنوا علينا الا وقد رغبوا فى ملتنا وان يصيروا من أهل ملتنا وشريعتنا وما بقى لنا حامية سواهم وها أنا قد أعطيتهم الأموال حتى صاروا فى جملة البطارقة مثلكم وأنا أشير عليكم ان تحكموهم فى أموالكم وتزوجوهم بناتكم فى مرضاة المسيح فأجابوا إلى ذلك وأحضروا فى عاجل الحال البنات وهن مثل الشموس الطالعات وقدموهم إلى السودان فلما نظروا إلى تلك الوجوه الصباح والى العيون الصحاح والأموال المباح طارت عقولهم فقال لهم عقبة كل من أراد الزواج فايتقدم فتقدموا الجميع وقالوا ياقاضى مافينا إلا من هو راغب فى ذلك فقال اختاروا من تلك البنات ماتريدون فوقعوا عليهم مثل المجانين ولما عرف كل واحد زوجته أمر عقبة الى البطارقة أن يأخذوهم إلى دورهم

ويوروهم ماهم فيه من الجواهر والمال الفاخر بعـــد ان خطب للروم خطبة بليغة وقال فى بعضها ان المسيح كتب على نفسه كتاب ان كل من كان له بنت وزوجها لمسلم حتى ينتصر بنيت له بيتا فى سقر وأعطيت أبوها بجاورية القديسة مريم فى مثل المقام الأوفر (قال الراوى) ياسادة ياكرام والروم ليس لهم معرفة بالعلوم لأنهم الدواب فجعلوا يقولوا لبناتهم وقد خفن من المسيح فأجابوهم وفعلوا ذلك ولما وصلت السودان إلى دور البطارقة ونظروا إلى تلك الزينة طارت عقولهم وقالوا مانخرج من خلاف الملك ولم يزل عقبة يلعب بعقولهم حتى نصر الجميع وأنزلهم فى جرن المعمودية ودخل كل واحد منهم بزوجته وقد نظروا إلى هذه النعمة فقالوا هذا هو العيش الهنىء وكذلك أبو الهزاهز قاده الهوى الى أن أجابهم إلى التنصر وهو لايعقل مايقول من شدة العشق والغرام ودخل بالملكة كرنة ونال مايتمنى وفى صبيحة ذلك اليوم وصل المأمون فى تلك العساكر العظيمة فنزل على مدينة القسطنطونية ولم يزل حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وإذا بالصياح قد علا من الأبراج فنظروا الناس وإذا به الملك ميخائيل وسائر الملوك من حوله وقد طلعوا عوام البلد والجند وكانوا عالم كثير بعدد الجراد لأن المدينة من أعظم المدائن والأقاليم (قال الراوى) فلما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك أقبل على الخليفة المأمون وقال له ان فى مدينة القسطنطونية عالم كثير ولكن ما أقول أن الملك ميخائيل يفتح الباب للقتال ولا يخطر له ذلك على بال لأن العوام لاتصبر على القتال فهم فى الكلام وإذا بالأبراج قد امتلأت من العرب المتنصرة والسودان وعليهم كلهم الثياب الأطلس كل ثوب يسوى مائة دينار وفى أوساطهم المناطق الجوهر والزنانير الحرير الأصفر وعلى رؤسهم القلانس الملكى المدفر والصلبان على صدورهم من الذهب الأحمر والسيوف المحلاة تأخذ بالبصر وهم مثل النحل الطوال فتأملهم الأمير عبد الوهاب وإذا بهم السودان أصحاب أبو الهزاهز فقال الأمير عبد الوهاب كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا هو الذى كنت أتوقعه قد كان وبكى الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وأمراء بنى كلاب ورمت عمائمها على التراب وقلقوا على الأمير أبو محمد البطال وغلمانه لأنهم مايعلمون لهم خبر (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الأمير عبد الوهاب لما رأى ذلك أخذته الحمية فى الله تعالى ونادى ويلك يا أبو الهزاهز أكفر بعد إيمان فبقى أبو الهزاهز لايدرى مايجيبه فقال له عقبة وكان قائما فى الصف الأول يفكر فى طلب حيلة يعملها يهلك بها عساكر المسلمين قل له ياأبن مرزوق ما فعلت الكفر بعد الإيمان وإنما فعلت الإيمان

بعد الكفر فلم يعلم الأمير أبو المزاهز ما يقول وما علم ما تحت هذا اللفظ فصاح بصوت جوهرى مثل بعبعة البعير يا ابن مرزوق ما فعلت الكفر بعد الإيمان ولكن الايمان بعد الكفر ثم صار يقول ما بقى إلا عيسى ومريم فصاحت السودان مثل ذلك فما دخل على قلب الأمير عبد الوهاب حسرة أعظم منها وأمر الناس أن يرجعوا إلى القتال (قال الراوى) فبينما الأمير فى هذا الكلام وإذا هو بخمس بطارقة قد وصلوا إليه وسلموا عليه وأعطوه كتاب فلما قرأه الأمير عبد الوهاب وفهم معانيه دق بيد على يد وتغرغرت عيناه بالدموع وقال هذا كتاب قد وصل من حصن يانس المتعزب يخبرونا بأنه قد تم عليه حيلة لأنه وصل اليه رجل يزعم أنه من عندنا حتى خرج طالبا إلينا لينجدنا فأخذوه وأخذوا كل من معه وهم ثلاثة آلاف فارس وهم فى مدينة القسطنطونية وأنا والله أخاف على يانس المتعزب من عقبة الملعون (قال) وعمل القتال بينهم طول النهار إلى الليل وقد قتل من عسكر الخليفة المأمون جماعة كثيرة فلما أمسى المساء جرى حديث يانس المتعزب بحضرة الملك ميخائيل وأصحابه فى الحصن ففرح الملعون عقبة وأمر باحضاره وقال له ياخبيث إلى متى تعيش ولم أضرب رقبتك وكم أضرب فى حصنك ولا بد لى مما أستوفى ذلك منك ثم أن عقبة ضرب يانس المتعزب حتى غشى عليه وفعل الأمير أبو محمد البطال وغلمانه كذلك وكان الملعون عقبة له فى القسطنطونية مائة ألف دينار وديعة ففرقها كلها على السودان وجعل يذكر الأديان ويقول أن دين المسيح هو الدين الصحيح ويقول يا أولادى أنتم تعلمون أن هذه شيبتى قد أبيضت فى هذه الأشياء ولم يبق دين إلا وعرفته ولا كتاب منزل الا سمعته وحفظته ولو كان لى فى ذلك رغبة لما تركته وجعل الملعون يذكر فضائل عيسى بن مريم واحياءه الموتى وأنه أبرأ الأكمه والأبرص بأذن الله قال فدخل ذلك فى قلوبهم وفى عقولهم وقالوا لقد مضى زماننا وقال له شحتوف العبد لقد ربحت ثوابا فانظر لنا خدمة نخدم بها المسيح حتى يرضى عنا فقال عقبة أنا أقول لكم ما تصنعون وتصير لكم اليد البيضاء عند الملك وتكونوا قد أرضيتم المسيح فقالوا له وما ذلك أن أردت أن نفتح الباب ونخرج إلى عند الخليفة ونرمى أرواحنا عليه فقال عقبة وبهذا أردت أن أشير عليكم ولكن أنا أريد حياتكم وسلامتكم وأنا أدلكم على شىء اسلم عاقبة فقالوا له قل لنا ذلك فقال أريد منكم الساعة ألف بطل من أبطالكم ونفتح الباب تخرجون بثيابكم التى دخلتم بها إلى عندنا وهى ثياب الإسلام وتمضون إلى حصن يانس المتعزب ويكون معكم حرب بن شيبان فى ثلاثة ألف بطل من الفرسان فاذا أنزلتم وأشرفتم

على الحصن فارفعوا أصواتكم بالتكبير فان أهل الحصن لاينكرون من فعالكم شيئا فاذا فتحوا لكم الباب فقولوا فتحنا بلد القسطنطونية وخلص الأمير عبد الوهاب إلى يانس المتعزب ومن معه وهم ينتظرون الأموال والرجال ولكن الأمير عبد الوهاب قد سمع أن ملك الدوقس قد وصل اليكم فى خمسة آلاف لأنه قد علم أن ما عندكم رجال وقد أرسلنا الأمير نكون معكم إلى أن يعود اليكم فاذا فتحوا لكم الباب فاهجموا عليهم واقتلوا كل من هناك وأرجعوا إلى الملك ميخائيل ومعكم زوجته التى هام بها ظالم وهى الملكة مليكة التى كانت سبب دخولهم إلى بلاد الروم (قال الراوى) فأجابوا السودان إلى ذلك وأفرد الملعون عقبه من السودان المجاهيل حتى لاينكر عليهم أحد وقدم عليهم شحتوف العبد وساروا فى ألف أسود مع حرب بن شيبان يقطعون الطريق والأرض طولا وعرض إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فقال أبو الهزاهز ما هذا الراى صواب أن نقاتل من خلف الجدران مثل النسوان هذا مالا يكون أبدا وما فى الأمر إلا أننا نفتح الباب ونخرج للطعان والضراب فقال له عقبة دعنى الساعة فما هذا وقته واصبر انا أقول لك متى يكون هذا الامر (قال) وجعلوا يقاتلون من فوق الاصوار ويتراشقون بالنبال والاحجار وقد رجعت الابطال إلى الميدان وجعلوا يشتمون السودان هذا والامير عبد الوهاب رفع رأسه إلى الصور وهو يعظم ويخوفهم من الله تعالى وهم يشتموه فعند ذلك اقسم الخليفة أن لايبرح من بلد القسطنطونية حتى يصلب بنى خام الكل على ابراج البلد حتى يصيروا عبرة لمن اعتبر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من شحتوف العبد فانه سار كما ذكرنا حتى وصل إلى حصن يانس وفعل كما علمه عقبة ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فأشرفوا اهل الحصن عليهم فلما نظروا اهل الحصن وهو حصن يانس المتعزب إلى السودان ذهب عنهم الشك وفرحوا فرحا شديدا لانهم كانوا خائفين من الروم ثم نزلوا اليهم وفتحوا لهم الباب ونزلوا بالطعام والاكرام وسألوهم عن الامير عبد الوهاب فأخبروهم السودان بما علمهم عقبه ففرحوا بذلك فرحا عظيما فقال لهم شحتوف دعونا ندخل إلى الحصن فانا نخاف أن يكون اليوم أوغدا عساكر الروم عندكم فقالوا حفظ الله الامير الذى لا يغفل عنا ثم فتحوا الباب فدخلوا السودان والعرب المتنصرة معهم ولما صاروا داخل الحصن صاحت العرب بكلمة الكفر وكذلك السودان فاندهلوا أهل الحصن وانقلب ذلك الحصن بأهله وقد حاروا من هذه الصفة ونظروا إلى سودان عبد الوهاب الذين يعرفونهم قد بذلوا فيهم السيوف وأسقوهم شراب الحتوف وأخذ الجارية مليكة وأخذوا من

الاموال مايسدعين الشمس وسار شحتوف طالب القسطنطونية بالسبي والتحف وترك فى الحصن حرب بن شيبان وكان عقبة أوصى السودان وقال أحرصوا لا ينفلت من الحصن أحد حتى لايخبروا الاسود الزنيم فأخاف عليكم منه أن يلحقكم فتهلكون وعندى فى ذلك شيء آخر وهو أنى أريد أن أدبر حيلة على عبد الوهاب فقبلوا رأيه وقتلوا رجال الحصن وأبادوا الابطال وساروا إلى مدينة القسطنطونية فلما علم عقبة بذلك فرح ثم أدعى ببطريق يقال له بولص وكتب معه كتاب وختمه وقال له تخرج الليلة وتبعد خلف عسكر الخليفه وإذا أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح تصعد إلى الامير عبد الوهاب وتعطيه هذا الكتاب ثم تسير من عنده إلى حصن يانس المتعزب وتعطى هذا الكتاب الآخر إلى حرب بن شيبان ليعمل بما فيه فقال سمعا وطاعة وأخذ البطريق الكتابين من عقبة وخرج فلما أصبح الله بالصباح وصل إلى الأميرعبدالوهاب وأعطاه الكتاب فقرأه وضحك واستبشر وقال الحمد لله فقالت له الأميرة ذات الهمة مافى هذا الكتاب حتى أظهرت الفرح فقال الأمير عبد الوهاب بشارة ياأم عظيمة ثم أنه قصد الى سرادق الخليفة المأمون واستأذن نأذن له فدخل فقال المأمون ما حالك أيها الامير فقال يا أمير المؤمنين هذا كتاب الأمير أبوا محمد البطال فأخذ الخليفة الكتاب وفتحة وإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فانى لما قبض على عقبة وأبو الهزاهز الذى طردهما الله عن باب الرحمة وكان القدر المقدور انى نهيتهم عن ذلك فقبضوا علىَّ وعلى غلمانى خوفا أن ألقى عليهم الأمير عبدالوهاب ولم أزل فى القسطنطونية معهم إلى أن نزلتم على البلد نخاف عقبة منى على البلد فأخذنى واخذ معه الراهب شو مدرس وقال للملك أرمانوس يسير بهم إلى قلعة الجاثليق ليكونوا هناك فهو أحفظ لهم وانهم وصلوا بنا إلى مرج السنديان وإذا قد خرج عليهم مائة فارس من حصن يانس المتعزب فقتلوا الرجال وخلصونا على انهم يفادوا بنا الأمير يانس المتعزب فلما عرفونى فرحوا بى واخذوا عقبة وشو مدرس والملك أرمانوس وجميع البطارقة وانى كنت فى حالة ماأقدر أصفها لكن منَّ الله علىَّ وخلصنى من الضرب الذى كان يضربنى عقبة وكذلك غلمانى وقد أمرت بضربه حتى اشتفى منه وهو يكفر ويشتم المأمون ويقول افعلوا بى ماشئتم ومولانا أمير المؤمنين قددخل فى قلبه الشك من كلام عقبة ويخشى انه مايصدق كلامنا فيه إذاحققت الحقائق فان قدرت أن تأخذه معك وتسير الينا حتى يسمع كفره وهو لايعلم به ويعلم أيضا انه كان السبب فى تنصر الأمير أبو الهزاهز وانى قد عرفت حال يانس المتعزب وأصحابه وأين هم محبوسين وبهم اقدر أفتح مدينة القسطنطونية وعلى أن أرد

أبو الهزاهز إلى الإسلام فاذا قرأت كتابى فاسرع الحضور واحرص أن يكون معك الخليفه أمير المؤمنين حتى تنفصل القصة فى أمر عقبة (قال الراوى) فلما سمع الخليفة المأمون مافى الكتاب قال والله ياعبد الوهاب إنى لما قال لى عقبة ذلك المقال دخل فى قلبى التكذيب لما رأيت بعينى وسمعته بأذنى ولكن قد صدق الامير أبو محمد البطال فى قوله وإذا كان الليل تمضى أنا وأنت والاميرة ذات الهمة وعشرين من بنى كلاب ولا يعلم بنا إلا الله ونكون هناك سرا ثم أقاموا إلى الليل فقال الامير عبد الوهاب للأمير ظالم كن موضعى فانى ماضى إلى حصن يانس المتعزب وأعاد عليه القصة فقال الامير ظالم لوالده أريد أمضى معك لئلا يرى المأمون الملكة مليكة فيأخذها وكنت ألحق بأبو الهزاهز فاستخلف ولده ضيغم وأمره بالحصار حتى يضيق على أهل البلد واستخلف الخليفة موضعه على بن سهل الهاشمى (قال الراوى) وساروا الامارة فى خمسين أميرمن بنى كلاب وبنى سليم وفيهم عشرين أميرمن السودان والاميرة ذات الهمة وسعيد بن الفرج وهارون العلوى وراشد بن ضمرة والوزير أحمد ذو العلمين وساروا يقطعون الارض خببا وركض والبطريق الذى جاءهم بالكتاب قد سبقهم إلى حرب بن شيبان وناوله الكتاب وإذا فيه كن على أهبة فاذا دخلوا القادمين من الامراء والامير عبد الوهاب أقبض عليهم ولا تتهاون فيهم فبقى لهم فى الانتظار (قال الراوى) وساروا حتى وصلوا إلى حصن يانس المتعزب فى ثالث يوم ففتح لهم باب الحصن وقد خرج اليهم البطريق الذى أتاهم بالكتاب فباس الأرض قدام الخليفة وقال يامولاى ادخل أنت ومن معك إلى ديار يانس المتعزب حتى لايعلم بكم عقبة (قال) فلما دخلت الأمراء وصاروا من داخل الحصن وكذلك الخليفة والوزير وأما الأميرة فانها قام شعر بدنها فقال الأمير عبد الوهاب ما أبكاكى أيتها الأميرة فقالت ياولدى والله لقد أخذتنى وحشة خذوا أهبتكم وجردوا سيوفكم واعلوا أن هذه النوبة آخذ لكم عقبة والملك ميخائيل على الحقيقة وبالله العظيم ماهى الا حيلة قد دبرت علينا ولكن إياكم أحد يخرج من الباب حتى يتم لنا مانعمل بعد ذلك فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من الأميرة علم انها مجربة زمانها وانها ماقالت ذلك الكلام إلا وقد نفر قلبها مما هى فيه هناك غلقوا المتنصرة الباب وجردوا القرضاب وتواثبوا الرجال على الأمير عبد الوهاب مثل سباع الغاب وهم ثلاثة آلاف فارس من أبطال العرب المتنصرة كل واحد يريد لرأسه جماعة (قال) ونظر الخليفة المأمون إلى ذلك فطار عقله من الخوف والفزع ووقف به الوزير ذو العلمين إلى جانب باب الحصن ووقفت الخدام بين يديه ولما نظر الأمير عبد

الوهاب إلى ذلك كبر وزجر وهدر وصال على من طغى وكفر وضربهم بالحسام الذكر والأميرة ذات الهمة تضرب فى أعناقهم وقد تصايحت السودان فطارت الرؤوس كأنها الأكر والتقى الأمير عبد الوهات بحرب بن شيبان فى المعركة وهو يرتجز ويقول

إنى أنا الفارس فى الطعان ✿ اسمى حرب وأبى شيبان
ليث كمى قاتل الأقران ✿ لا أنثنى فى معرك الشجعان

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب أجابه على شعره يقول .

يامن هو الكافر بالرحمن ✿ وغره بربه الشيطان
اصبر فقد لاقاك غير وانى ✿ فى طاعة المهيمن الديان

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم الأمـــير أكب عليه وضربه بالسيف فوقع على الترس قطعه نصفين وقسم البيضة قطعتين و وقع حرب ابن شيبان من قوة الضربة إلى الأرض فأخذه الأمير عبد الوهاب سير ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل منذ يومين والباب قد أغلق عليهم فلم يقدر واحد منهم على الخلاء وحتى قتل منهم ألف وثمانمائة رجل وأرموا الباقين السلاح وطلبوا الأمان فأخذ الأمير عبد الوهاب عددهم وأمر أن يكتف بعضهم بعض ففعلوا ذلك (قال الراوى) وان الأميرة ذات الهمة لما فرغت من ذلك أخذت العجعاج ابن حرب بن شيبان وهو ولده الأكبر وقالت له قد عولت على قتل أبيك وقومك وعشيرتك إلا أن تفعل ماأقول لك فقال العجعاج ياهذه لاتفعلى فأنا وحق المسيح لو قلتى لى اقتل الملك ميخائيل أفدى به أبى وكل عشيرتى لفعلت ذلك فقالت الاميرة ذات الهمة ماأريد منك إلا توصل هذا الكتاب إلى عند القاضى عقبة ثم تعودت على أثرك وأنا وحق من تقصد بيته الحجاج من كل فج والبيت ومن حج والتلبية ومن ضج وأنت تعرفنى بالوفاء لاسيما إذا حلفت إذا أنت مضيت وأوصلت الكتاب إلى عقبة ورجعت ولم تحدثه بما جرى بل تقول له ان القوم قد وقعوا فأسرعوا اليهم فانى أطلق أباك وعشيرتك وقومك فلما سمع العجعاج بن حرب بن شيبان ذلك أخذ عليها العهود وقالت له أنا أحلف لك بالبيت الحرام وزمزم والمقام لئن حدث منك غير ما ذكرت لك ضربت رقابهم يوم يصل لى الخبر فقال العجعاج سوف يبان لك ما أعمل ثم سار يقطع الأرض فى الطول والعرض حتى وصل إلى القسطنطونية وكانت الأميره كلفت حرب بن شيبان حتى كتب لها ذلك الكتاب الذى أعطته لولده وكان قد كتب فيه (أما بعد) أيها الملك فان المسيح قد أعطاك مناك وبلغك هواك من القوم ببركة الشيخ النجيسح وشورته وقد حصلنا الخليفة المأمون وملكنا عبد هالواب

والأميرة ذات الهمة والأمير ظالم وسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر ومالك بن طوق وهارون العلوى والوزير ذو العلمين وفلان وفلان فاقصدوا الينا وتسلموهم منا فما نقدر نخرج بهم لأن عساكرهم فى طريقنا وسار بالكتاب حتى وصل إلى القسطنطونية ليلا من باب المينا وأوصل الكتاب إلى عقبة فلما قرأه باس الأرض ونهض ودخل على الملك ميخائيل فقال له هذه نوبة ماتم لنا مثلها ثم سلم اليه الكتاب فلما قرأه فرح فرحا شديدا وقال ياحجة المسيح هذه نوبة ماقدرنا قط على مثلها ولا وصلنا إلى شكلها بأخذ عبد الوهاب والخليفة المأمون والآن سر بنا حتى نشفى منهم الفؤاد ونضرب رقاب الأعداء والحساد وبعد ذلك نأخذ البلاد ونطهرها من أهل الفساد

﴿تم الجزء الرابع والثلاثون ويليه الجزء الخامس والثلاثون﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الخامس والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم قال الملك ميخائيل الرأى أن نسير اليهم فى مائة بطريق ونأخذ معنا الراهب شومدرس فقال أبوالهزاهز وأنا معكم حتى أستوفى من الخليفة المأمون بما فعل فى حق (قال) وان الملك ميخائيل جمع وجوه بطارقته وأخذوا معهم الراهب شومدرس وعقبه من فرط الفرح قد عميت بصيرته ولم ينظر فى عاقبته والأمير أبو الهزاهز سائرحتى يستوفى فى ظلامته فهم على ذلك إذ سمعوا صياح من عسكر الخليفة وصهيل الخيل وقعقعة اللجم وضجيج العرب (قال الراهب) يا سادة ياكرام وكان السبب فى ذلك أحمد الشمشاطى جاسوس الأمير عبد الوهاب لأنه كان فى مدينة القسطنطونية واطلع على ما أجمعوا عليه فى الرأى وقد وصل العجاج بن حرب ابن شيبان بكتاب أبيه يذكر ذلك الذى كان فيه من أجل الخليفة والأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة وكيف تمت الحيلة فلما رأى الملك ميخائيل سائر اليهم ضاقت عليه الأرض بما رحبت وبقى لا يقدر يرمى روحه من الاصوار لأن فى ذلك سبب العطب والبوار فهو كذلك إذ فتح باب الساحل وخرجت منه البطارقة ووقفوا ينتظروا قدوم الملك ميخائيل وشومدرس وعقبه فخرج أحمد الشمشاطى فى الجملة وقصد إلى العسكر ووصل الأمير ضيغم وأخبروه بالخبر فأخذ معه الرجال الأجواد وقال اطلبوا الحصن وأحدقوا به قبل أن يسبقوكم اليه وهو حصن لا يبالى بنزول أحد عليه لأنه عالى البنيان فجمع العسكر كما ذكرنا (يا سادة) وجمع عسكر العراق ولم يأخذهم صبر على المأمون (قال الراوى) وعلم عقبة بذلك فقال وصل الخبر اليهم وما نقدر على الرواح فنؤخذ لكن الساعة تخرجون وتطرحون أنفسكم عليهم وقد أخذتموهم كلهم وملكتم خيامهم ورجالهم (قال الراوى) وفتح باب البلد وخرجت السودان كأنها

جن سليمان وأبو الهزاهز فى أوائلهم وأربعمائة الف من بطارقة الروم ومن عوام القسطنطونية ما لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقد رفعت اصواتهم ونادى مناديهم ويلكم هذه رؤس أصحابكم عبد الوهاب وذات الهمة وسائر الامراء وهذه رأس المأمون (قال الراوى) وكان هذا برأى عقبة لانه قد ضرب مائة من أصحاب يانس المتغرب وأخذ رؤسهم البطارقة وخرقت بها الناس وكانوا بين تصديق وتكذيب والامير ضيغم يصيح ببنى عمه وكل أمير يصيح بقومه وهم لايعلمون ولايعقلون وسمعوا ذلك الصياح والرؤس تتناثر عليهم وتقع فأيقنوا بالهلاك الجميع فأما الرجل الحازم الشجاع فانه دفع ما جمع له من الاموال وترك ما نقل من الرجال والأثقال وأخذ ما خف على البغال وركب كل انسان هواه وعملت الصوارم فى أقفية الاكارم وانكشفت عن الرؤس العمائم وبريت المعاصم والغلاصم وقطعت القوائم (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان الامير أبو الهزاهز فى أوائل الناس وهو يرتجز وينشد ويقول

الليل مثلى وأنا المجنون	من بعدما أخرق ينظرون
سوف ترون ضيغم شطون	يبكى على فقد العيون
وحق من يعلم ما يكون	لست على فقدكم محزون

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولم يزل السيف يعمل فى المفارق حتى خاض فى الدماء الجواد السابق ولم يقف أحد من العسكر غير الامير قشعم والامير ضيغم فى عشرة آلاف من بنى كلاب الرجال الذين يحيبون الامير عبدالوهاب ويجاهدوا فى طاعة رب الارباب والامير فراقد المصرى فى خمسة آلاف أسود من حنقه على الامير أبو الهزاهز ومن معه وأما العساكر فغلبت على أمرها وتفرقت وطلبت بلاد الاسلام دون بلاد الروم وقد ظنوا أن الرؤس التى لها ومن ذكروا على الحقيقة قد هلكوا وأما الامير ضيغم أقبل على قشعم وقال له ياأخى ان أردت النجاة لنفسك فافعل فو الله لا أردت الحياة بعد السادات الكرام الضاربين بالحسام فى الكفرة اللئام وقد رغبت بعدهم فى شرب كاس الحمام فلما سمع الامير قشعم ذلك قال وأنا أيضا لاصبر لى ولا بقيت أريد الحياة مادام أهلى قد قتلوا فى سبيل الله (ياساده وحمل الامير قشعم وهو ينشد ويقول

سلام على الاحباب فى كل ساعة	سلام محب صادق غير كاذب
لقد خانهم دهراً لم يجمعهم	وغادرهم صرفا بحد القواضب
وأصبح بيت الفخر قفرا وأصبحت	معالمهم مهدومة بالمصائب

فياعين هذا موقف بدلت به ... الأرض حينا بعد فقد الحبايب
اذا قتل المأمون للكل أسوة ... بما صنعت أيدى الردى للحبايب
ومن بعده ذاك الامير الذى به ... تطول على كل الورى بالمراتب
ومن بعدهم سيف الحنيفية الذى ... له شرف فى شرقها والمغارب
ومالك والقمقام برد وبعده ... لهياج ليث الحرب عند المعاطب
وهرون لاتنساه ثم سعيدنا ... ومدركة بل ذاك ابن الأطايب
وراشد لاتنساه أعنى ابن ضمرة ... وابن أبى القمقام فخر الأعارب
ومالك أعنى بابن بشر وانه ... له الزهد والنهضاء على كل صاحب
ومطاف وابن الصامت الذى لنا ... وابن أبى الديال مع ابن طالب
فياعين جودى لى بدمع وَاله ... ولا تبخلى فيهم ديول السحائب
فيارب أفنى أهل كفر بصارم ... وأتركهم صرعى ببطن السباسب

(قال الروى) ياساده ياكرام ولم يزل السيف يعمل كذلك الى أن أصبح الصباح وقد ملكت الروم الخيام والاموال والجمال والاثقال والرجال ونهبتها عوام البلد وبقى الامير ضيغم فى عشرة آلاف من بنى كلاب والامير قراقد فى سودانه الانجاب إلا انهم مالوا الى وادى الفيل يطلبون أن يسترون ظهورهم وقد حالت الروم بينهم وبين الطريق وقد منعتهم منه وقد أحدق بهم أكثر من أربعمائة ألف إلا أن الامير ضيغم قد أحدق به بنى كلاب وقد مدت رماحها نحو عشرة آلاف رمح مثل آجام القصب وقد نظرت الروم من ذلك العجب والامير ضيغم يقول ياابن العم معلوم أن الامير عبد الوهاب قد مضى فلا تعطبوا أرواحكم من أجلنا واطلبوا لأنفسكم النجاة فقالوا لا والله مانراعى إلا الولد بعد الأب ومن لم يفعل ذلك فليس من أهل الوفاء وإنما هو من أهل الخيانة والجفاء (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وسودان الامير أبو الهزاهز قد طرحت أرواحها على سودان الامير قراقد لأن جنسهم نوبى والذى مع أبو الهزاهز حبشان وهما ضدان وتضاربوا بالسيوف حتى خدرت السواعد والكفوف ونظر الامير قراقد الى الأمير أبو الهزاهز وهو يترنم بهذه الأبيات :

إنى أنا الأدهم فوق الأدهم ... يوم الوغى المعروف بالقشمشم
لست أبالى عند قتل المسلم ... لاحسبي غير دين ابن مريم
أنا ابن حام من رجال كردم ... صب مصور قصور مفخم

(قال الراوى) ياساده يا كرام وأن الامير قراقد لما نظر اليه حمل عليه وأطبق وزاد به الحنق والتهب فى قلبه من أجله نار الحرق وأنشد وجعل يقول :

ألا أيها المغرور فى منهج القصد ... وأصبح مطروداً عن الملك الفرد
ومن قلع الإسلام من بيت قلبه ... وخص عن الرحمن بالبعد والطرد
وأصبح بعد الاعزاز بربه ... كفورا وأضحى اليوم من عصبة الجحد
لأجل كرنا وهى ابنة أغلف ... ومهتوكة لا تستميل الى الرشد
وخليت دين الهاشمى محمد ... نبى الهدى خير الورى صاحب الحمد
أيا لون شيطان ويا شبه فاحم ... ويا كلب لا كانت خصالك من عبد
فدونك من ضربة قرقدية ... لها صولة تأتيك من صارم هند
أنا ابن حماة الدين من حام مولدى ... أدين بدين الله ذى الطول والمجد

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير أبو الهزاهز ذلك من شعر قراقد ونظامه انقلبت عيناه فى أم رأسه وكان الامير راكب على جواد أدهم مثل الليل المظلم يسبق الوابل والعقاب النازل والمقيم الهاطل ومعه حسام عريض فاصل معتقل برمح عامل وحمل على الامير قراقد وهو ينشد :

ألا يا لهذا القرد قراقد ... ستصبح من سيفى على الارض خامد
تريد كرنة أيها المصيبة ... فوجهك وجه القرد والقرد راقد
ولونك لون الكلب والكلب أسود ... وشخصك شخص الذئب والذئب قاعد
وما أنت لى فى اللون قط مشابه ... فلونى حنطى ولونك فاسد
ستعلم أنى لا أبقى عليكم ... وأسكنكم قفر الديار الغراقد
وأنصر ميخائيل حتى ترونه ... عليه عقود النصر وسى قلائد
وأعلو بسيفى رأس كل غضنفر ... وأقتل من أضحى من النفوس حاسد
وما ذاك من كفر ومن مهابتى ... لديكم ولكن الامور شدائد
أيضربنى المأمون والناس حضر ... وطرف لكرنا ناظر وهو جامد
ودهمة مع ابنها ليس ينكروا ... فعال لديه والبلا متزايد
وبالأمس جسمى بالسيوف مبضع ... لأجل حمى المأمون والخلق شاهد
ولم يرع لى هذا وقد كنت عنده ... رفيعاً وقد خابت لديه المقاصد
وعاين أن الخير ليس بنافع ... وأن ضرورات السرور قواصد
فرمت رضا الشيطان فيما فعلته ... وقلت له أنت لى بمساعد

فعلت جميلا مع أناس فضيعوا وحافظت بالمعروف والعز قاعد
وكان جزائى منهمو كل محنـة وأين الذى يجزى وأين المعاضد
وحسن إبليس كل قبيحة وعاضد فعـل منه كف وساعد
فعدت الى الدين العتيق حميـة وعـزة نفس طبعها العز وارد
أصبت لعمرى عنـدهم كل فرحة وأنى لهم مادمت فى الناس حامد

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما فرغ أبوالهزاهز من شعره حمل كل واحد منهما على صاحبه واعتمد على صدق مضاربه وقد كشرا عن أنيابهما وطار الزبد من أشداقهما فلو اطلعت الملكة (كرنة) فى ذلك الوقت على سماجة وجوههما لكانت أبصرت الويل من أشداق تزبد وصنان يفوح وينعقد ولكنهما (ياساده) كانا أبطال الوغى وليوث الثرى وفرسان الهيجاء وأخذوا فى الكر والفر والهزل والجد والطرد والرد وانعقد عليهما الغبار وغابا عن الأبصار فعند ذلك شد أبو الهزاهز على قراقد وأنشد يقول :

قراقد جاك الموت من حد صارمى ومن كف ليث فى الحروب مصادم
فى كمى وفى قسورى غضـنفر عبوس هموس فى الوغى غير نائم
تعود ضرب السيف فى كل معرك وفاق الورى إذ كان للقوم هازم
أنا فارس الهيجاء والضيغم الذى علا شرفا فوق الرجال القماقم

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير قراقد شعره حمل عليه وأجابه على شعره يقول :

ألا أيهـا المغرور بالقول والذى له موقف فى فعـل أهل المـآثم
فأنت ردىء الاصل والعقل ناقص رجعت إلى كفر اللئام الأراقم
ستصبح منى ثاوياً فوق مهمه تحوم عليـك الطير مع كل حائم
وأنصر دين الهاشمي محمـد نبي الهدى المبعوث من آل هاشم

(قال الراوى) ياساده يا كرام وحمل كل واحد منهما على صاحبـه واحترز من طعنه ومضاربه وتجاولا وتقاتلا وتنازلا وتناضلا وتقاربا وتحاربا وتلاصقا وتضايقا والروم قد أحـدقت بالامير ضيغم ورجاله مثل ما يحدق البياض بسواد الحدق والاحرار بتداوير الأمق . هـذا كله يجرى وما عند الامير عبد الوهاب خبر لأن الامور تجرى والمقادير تسرى والقضاء يعمل والخلق غافلون عن ذلك (ياساده ياكرام) وأن الاميره ذات الهمه انتظرت قدوم ابن حرب بن شيبان فـلما

رجع فأخذت فى الأهبة ولم تزل فى الانتظار حتى مضى الليل والنهار (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما كان فى بعض الليالى ذكرت العسكر فعظم عليها وكبر لديها وأرسلت ما لك بن طوق يكشف الخبر ويأتى فى يومه فسار حتى خرج إلى الطريق فلقى ثلاثة من بنى كلاب وهم هاربين فلما نظر اليهم ما لك بن طوق عرفهم فطار عقله لذلك فسألهم عن حالهم فقالوا له أنت سالم ماقتلت مع المأمون والأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة فبهت الأمير مالك من قولهم وسألهم عن حالهم وباطن قصتهم فأخبروه بالأمر من أوله الى آخره فلطم الأمير مالك بن طوق حتى جرى الدم من أنفه وقال تمت والله علينا الحيلة ويلكم الأمير عبد الوهاب والاميرة والخليفة وجميع الامراء سالمين وقد أخذوا حرب بن شيبان ثم ان الامير مالك بن طوق رجع وهو يلطم ويصيح حتى وصل إلى الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة والخليفة وقد بقى فى قلب الاميرة ذات الهمة النار لأجله الامير ضيغم وقشعم وقراقد وسودانه ومن بقى من بنى كلاب فأخذت حرب بن شيبان ومن معه وطرحوهم فى الابراج والقيود فى أرجلهم وتركت عندهم الثلاثة الذين لقيهم مالك بن طوق وسار الامير عبدالوهاب والاميره ذات الهمة وجميع الامراء يقطعون الارض خببا وركض الى أن وصلوا إلى العسكر وكان قد تخلف الخليفة والوزير فى حصن يانس المتغرب (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامير ضيغم والامير قشعم والامير قراقد فانهم لم يزالوا والقتال يعمل بينهم هذه الايام كلها وأبو الهزاهز وقراقد كل واحد منهما ينظر الى صاحبه شزرا ويرمقه حزرا ولم يظفر أحد منهما بصاحبه ولكن قد قتل من بنى كلاب جماعة ومن السودان جماعة وكان ذلك اليوم قد أيقن أصحاب ضيغم وقراقد بالهلاك والوقوع فى الارتباك وإذا بغبار قد ثار حتى ملأ الاقطار وتطاولت الروم إلى ذلك الغبار والامير قشعم يقول ترى عاد الينا أحد من بنى كلاب ورعى الله أيام الامير عبد الوهاب وإذا بالغبار قد انجلى وفى أوائل الناس الامير المهاب الامير عبد الوهاب وفى يده صارم ذكر مشتهر وهو يقول أنا الفارس المهاب المقدم على بنى كلاب وصاحت بعده الاميرة ذات الهمة أنا اللبؤة المصمصمة وحمل الامير ظالم وهو ينشد ويقول

ستعلم أبطال الهياج بأننى ... أبيد الاعادى بالسيوف الصوارم
وانى أنا المعروف فى حومة الوغا ... اذا عثرت خيل الردى بالجماجم
سأحمل فى أبطال ذى الروم مسرعا ... ولا انثنى عنهم لكثر العوالم

(قال الراوى) وحمل بعده قاتل الأبطال بالمشرفيه والمعجل لهم بالمنيه الأمير سيف الحنيفية وحملت من بعدهم الأميره ذات الهمة والأبطال والأقران والصناديد والشجعان (قال الراوى) وكان الخليفة قد تخلف فى حصن يانس كما ذكرنا من خوفه وفزعه والوزير ذو العلمين معه وقد كتب الوزير الكتب وأطلق الطيور التى فى حصن يانس من حمام ملطيه بخبر بأن الخليفة المأمون سالم وسائر الأمراء وهم فى حصن يانس المتغرب وانما ذلك حيلة من الملك ميخائيل (قال الراوى) ونظر الأمير ضيغم الى أبيه عبد الوهاب وسته الأميرة ذات الهمة وأخوته وقومه وعشيرته فأيقن بالسلامة من تلك المهالك (ياسادة) ونظر ميخائيل إلى الامير عبد الوهاب وقد تخلص وأتى فعظم عليه وكبر لديه وأما عقبة فانه دخل إلى القسطنطونية وأما الملك ميخائيل فانه صاح بالبطارقة وقال ويلكم ما هم إلا خمسين فارس خذوهم على أطراف الرماح وقطعوهم بالصفاح (قال الراوى) وكان الأمير قراقد أشرف على العطب من أبو الهزاهز وإذا بصيحة أخذته من خلفه فالتفت الامير قراقد ينظر من هذا الذى يصيح وإذا به فارس مضيق اللثام معتدل القوام وصاح بالامير قراقد فأخرجه من مقام الحرب وحمل على أبو الهزاهز فما طال الخطب ولا تردد الطعن والضرب حتى حمل ذلك الفارس على أبو الهزاهز وقبض على مراق بطنه مع حلق درعه وقلعه من سرجه ونظر السودان إلى ذلك وأن أميرهم أبو الهزاهز قد أخذ فحملت على ذلك الفارس تريد قطع قوائم الجواد الذى تحته (قال الراوى) وكان الذى أخذ أبو الهزاهز هى الاميرة ذات الهمة وهو مثل الطود وعليه ذلك اللبس الفاخر فبينما الاميره ذات الهمة كذلك إذ قص اليها مالك بن بشر الاقطع وراشد بن ضمرة فسلمت أبو الهزاهز اليهما فصار معهما فى أذل مقام (ياساده) هذا وقد حملوا سودان أبو الهزاهز على الاميرة ذات الهمة وقد كشفت رأسها والقت لثامها من على وجهها ونادت ويلكم يابنى حام هذه أفعال الكرام أن تكفروا بالملك العلام فو الله لاهجرنكم فى الله ولأضربنكم بالسيف فى سبيل الله وإن كنتم عندى الاعزاز الاحباب لكن طاعة الله أولى ثم بكت الاميرة ذات الهمة ورفعت رأسها الى السماء ونادت يارب أهديهم فانهم لايعلمون وكشفت الاميره ذات الهمة رأسها فبانت دوائبها فلما نظرت السوان ذلك قالوا لبعضهم بعض واق واق وقد حملت الاميرة وهى تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله اللهم رد قلوب عبادك الشاردة فانى مشفقة

عليهم كشفقة الوالدة (يا سادة) فلما سمعوا السودان ذلك من كلام الأميرة بكوا بخشوع وفاضت من عيونهم الدموع وعلموا أنهم قد طردوا من باب الله تبارك وتعالى فصاحوا كلهم الله أكبر الله أكبر واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وحملوا على الروم حملة واحدة وانضافت عليهم سودان الأمير قراقد فقطعوا من الروم السواعد وأنزلوا على الكفرة الأوابد فما كانت إلا ساعة حتى رأت عساكر الروم منهزمة والأعلام محطمة وصاحب العلم قد قتل والملك ميخائيل قد أسر ونزل الأمير عبد الوهاب بعد القتال وباس التراب شكراً لرب الأرباب الملك التواب الذى إذا دعى أجاب (يا سادة) وأن الأمير عبد الوهاب قال ويحكم حدثونى بهذه القصة التى جرت فقال الأمير ضيغم ما أعلم إلا أن أحمد الشمشاطى وصل الينا وذكر أن الملك ميخائيل قد وصل اليه ابن حرب بن شيبان وقال لنا ان الأمير والأميرة وأمير المؤمنين ومن معهم قد أخذوهم أسارى فقال الأمير عبد الوهاب ان الذى دبرناه عاد علينا دمار وفى تلك الليلة والساعة رحل الامير عبد الوهاب إلى حصن يانس المتغرب بالسودان الانجاب وبنى كلاب خوفا على أمير المؤمنين المأمون وعلى الحصن من حرب ابن شيبان (قال) فأدرك الحصن فرأى قد حدث بعد الامور أمور (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن العرب المتنصرة قرض بعضهم كتاف بعض فانحل من الكتاف عشرة وتواثبوا على الثلاثة الموكلين بهم وهم فى غفلة عما يراد بهم وملكوا عددهم وقد خلص بعضهم بعضاً وملكوا الحصن والعدد وكلما يحتاجون اليه وأخذوا المأمون والوزير ذو العلمين وجعل المأمون يعتب على الوزير ويقول له أنت كنت السبب فى دخولنا إلى بلاد الروم من أجل عبد الوهاب ونحن كل يوم فى عذاب وسوف نهلك نحن وإياه فى كرة واحدة فقال الوزير يا أمير المؤمنين اعلم أن الله تبارك وتعالى يبتلى العبد إذا وجده صابراً على البلاء شاكراً على القضاء قابله على الصبر بالسعادة وعلى الشكر بالزيادة (قال الراوى) ولما وصل الامير عبد الوهاب الى الحصن وجده مغلوق ووجد الرجال فى أعلاه بالاتراس الصفاق والحراب الرشاق والسيوف الرقاق فأقبل على الاميرة ذات الهمه وقال لها كيف ترين هذه النوبة كلما حللنا عقدة انعقدت أقوى منها وأصعب منها فقالت له الاميرة اعلم يا بنى أن الامور مقدرة والافعال بالمشيئة مدبرة ولا لنا تعرض عليه ولا ملجأ إلا اليه (قال الراوى) وارتفع الصياح من العرب المتنصرة وجعلوا يشتمون الامير عبد الوهاب ويقولون له قتلنا الخليفة الذى لكم فقال الامير عبد الوهاب ويلكم يا كلاب المتنصرة اعلموا أن معى الملك ميخائيل ذليل حقير

وسوف أضرب رقبته وأقسم بالله العظيم لا برحت من موضعى حتى أفتح الحصن وإذا دخلته لا أبقى على صغير ولا على كبير فقالت العرب المتنصره افعل ما شئت فما فينا من يسمع كلامك وها المأمون وصاحبه عندنا أسارى فان أردت أن تطلق الملك ميخائيل فنحن نطلقهم فقال الأمير عبد الوهاب أنا أسلم اليكم الملك ميخائيل على أن تسلموا الى الحصن والمأمون وصاحبه فقالوا العرب المتنصرة ما نفادى إلا الملك بالخليفة وصاحبه لا غير (يا ساده) وبقى الامير عبد الوهاب حائر فى أمره لا يدرى ما يفعل لأن الموضع حصين (قال الراوى) وان الأميرة ذات الهمة أقبلت على الامير أبو الهزاهز وقالت له ويلك ما الذى حملك على الكفر بعد الايمان وأنت عندنا أكبر الحبشان وأكرمهم ورفع الامير أبو الهزاهز رأسه الى الاميرة ذات الهمة وقال لها أيتها الاميره والله ان الضرب بالحسام أهون على مما أضام وقد فعل المأمون الفعل الشنيع وضربنى الضرب الوجيع ولو لم يكن ذلك قدام الملكة كرنة لكان ذلك هين على ولو كان بالسيف ولكن أصعب ما يكون هوان المحب قدام المحبوب ولم يكفيه ذلك حتى هددنى بالمهالك ونازعنى فى الملكة كرنه ولم أرى فى هذه النوبة خلاص إلا بهذه الفعلة وقد قال القائل

تلجى الضرورات فى الامور الى سلوك ما لا يليق بالادب
ما حامل نفسه على سبب الا لامر يليق بالسبب

وبالله أقسم وبزمزم والمقام والبيت الحرام والمشاعر العظام لا أحول عن محبتك ولا أنسى مودتك وكذلك الامير عبدا لوهاب له على أيادى كثيرة قد سلفت لا أقوم بشكرها ولو علمت أنه يحمينى من المأمون ما قصدت سواه لكن قد قيل يد الخلافة لا تطاولها يد وقلت إن استجرت به لزمته الحميه والنخوه الأبيه فتقتل الرجال وتهلك الابطال ويكون ذلك سببا لفرج أهل الضلال وقد عفى الله عما سلف (يا ساده) ثم ان الاميره ذات الهمه حلت كتاب أبو الهزاهز وفكت قيده وقبلت رأسه وقالت أريد منك أن تفعل فعال تبيض بها وجهك عند الله وعند المأمون وتكون لك اليد البيضاء وتشكر عند المأمون بكل لسان فقال لها الامير أبو الهزاهز وما الذى أفعل أيتها الاميره فقالت له الاميره ذات الهمه تمضى أنت وأصحابك فى هذه الليلة وتبعد فاذا كان الصباح تشرف علينا أنت وسودانك بهذا الملبوس الذى أعطاه لك الملك ميخائيل ومعهم الرايات والصلبان وأننا ساعة نراكم نميل إلى الحصن وحرب بن شيبان ما عنده خبر أنكم رجعتم الى الاسلام وأنه لما يراكم يفتح لكم وينزل اليكم فاذا طلعتم إلى الحصن

نقبض على حرب ابن شيبان وتضع السيف فى أصحابه فقال الامير أبو الهزاهز لله درك والله هذا هو الامر السديد ويشفى الغليل (ياساده) وأن الامير أبو الهزاهز وأصحابه لما أظلم الظلام أبعدوا عن العسكر وأقاموا ينتظرون الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرقت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح فعند ذلك رجعوا طالبين الحصن كما ذكرت الاميرة ذات الهمة وقد طلع الغبار ونظر حرب بن شيبان الى ذلك الغبار وقد علا فقال انى مفكر فى أمر الملك ميخائيل أن يكون أحد من المسلمين سرقه لأنهم كلهم لصوص فحرب بن شيبان على ذلك وقد حدق بعينه الى نحو الغبار إذ بان من تحته رايات الملك ميخائيل والصلبان ومن تحتها عسكر السودان فلما نظر حرب بن شيبان الى ذلك جعل يصيح على الامير عبد الوهاب وأصحابه ويقول لهم ويلكم ياأندال العرب وحاملين الجلة والحطب حل بكم الويل والحرب وجاءتكم العساكر المنصورة والدساكر المشهورة فعلمت الاميرة ذات الهمة أنه قد تم لها ماتريد فقالت للأمير عبد الوهاب ارحل بنا يابنى فرحلوا وقد أخذهم من الحصن الصياح وأمر حرب بن شيبان أن يفتح باب الحصن ففتح ووقف ينتظر العساكر القادمة ساعة وانكشف وبان من تحته الامير أبو الهزاهز والبطل المناجز والسودان من ورائه كأنهم الغربان فلما رآه حرب بن شيبان بكى من شدة الفرح وقال المسيح قد شد ظهر النصرانية بهذا الامير الكريم والرجل العظيم ولكن قد طال فكرى فى الملك ميخائيل كيف أسر ثم ان حرب بن شيبان نزل الى استقبال الامير أبو الهزاهز وسلم عليه وقال له أيها السيد كيف أسر الملك ميخائيل وأنت سيفه الصقيل ورمحه الطويل فقال الامير أبو الهزاهز اعلم أنه سرق ليلا وأنت تعلم أن فيهم رجال ما نشأوا إلا على اللصوصية والسرقة ولكن لابد لى من أن ألحق بهم وآخذهم عن بكرة أبيهم فما هم إلا فى قلة لأن عسكر المأمون قد انهزم كله وما بقى إلا هؤلاء الذين رأيت فاترك أيها الامير فى الحصن مائة من السودان ومائة من أصحابك المتنصرة وسر بنا خلفهم حتى نخلص الملك ميخائيل وبعد ذلك أريك ما أصنع بهم وبعبد الوهاب فقال حرب بن شيبان نعم ما رأيت . هنالك صعد من السودان الى الحصن مائة فارس يريدوا ألفين لرؤوسهم ولما علم الامير أبو الهزاهز بهذا الحال قبض على حرب بن شيبان وجذبه واقتلعه من سرجه وصاح بأصحابه خذوهم فما فيهم إلا من قبض على أطواق واحد من العرب المتنصرة ولما سمعت الاميرة ذات الهمة الصياح رجعت على عقبها وتصايحت العرب من سائر الجهات وارتفعت من الحصون الصيحات ودارت على المتنصرة

طاحون الآفات وضربوهم بالمشرفيات فقتل منهم أربعمائة فارس وأخذوا الباقين منهم أسارى ثم دخلوا الى الحصن وكانت المائة السودان قد أحاطت بالمائة المتنصرة الهوان ثم باس الامير أبو الهزاهز الارض قدآم الخليفة المأمون وأعلمه الامير عبد الوهاب بما كان منه ففرح المأمون وأعلمه الامير عبد الوهاب أيضا بعودته الى الاسلام فرضى عنه وأخلع عليه ثم ان الامير عبد الوهاب أقبل على المأمون وقال يامولاى أنا أعلم أن صدرك قد ضاق مما جرى عليك من الأثر وأيضا فقد وصلت الأخبار الى سائر الامصار بذلك وأخاف أن تتشوش الدنيا عليك فان رسمت أن تسير معك ألف فارس من بنى كلاب توصلك الى ملطية فانى مايمكننى أرجع حتى أنزل إلى مدينة القسطنطونية ولو بقيت عليها عوض السنة عشر سنين لابد من فتحها وأخلص أبو محمد البطال ويانس المتغرب وآخذ عقبة شيخ الضلالة اللعين وأصلبه على باب الذهب فان صلبه قد وجب وقد وقفت يا أمير المؤمنين على كفره وبان لك مكتوم أمره فقال الامير أبو الهزاهز والله ما تقدر ترحل الى بلاد الاسلام حتى تخلص لى الملكه (كرنة) وما رجعت إليكم إلا بشرط أنكم تقيمون معى حتى أخلصها فأنا أسير محبتها وقد صرت فى قلبها وكان المأمون كما ذكرنا قد رضى على الأمير أبوالهزاهز وخلع عليه لما علم أن خلاصه كان على يديه . ثم ان الامير أبو الهزاهز أنشأ وجعل يقول :

نسير الى أرض العدو ولوأننا ... نقيم بها حتى نذل الأعاديا
وآخذ كرنة وهى عندى عزيزة ... وأملكها بالسيف من كل حاويا
كرنه حياة القلب هى غاية المنى ... لها نظرة تشفى غليل فؤاديا
وهذا الذى قد نلته من وصالها ... بطول بقى المأمون فى السعد ناديا
وما كان ذاك الضرب إلا دعابة ... وانى له عبد بطول حياتيا
فلا ترحلوا حتى أراها أمامكم ... على محمل تسرى بهن انتحابيا

(قال الراوى) فلما سمع المأمون شعر أبو الهزاهز أظهر الجلد وأضمر له الغدر وانه يأخذ منه وقالت السودان مانرحل حتى نأخذ ثيابنا وأموالنا فقال الامير عبدالوهاب نرجو من الله تعالى ذلك فقال المأمون ما أرحل من ههنا حتى أصلب الملعون عقبة على باب (القسطنطونية) فانه نصرانى لا محالة فقال الامير أبو الهزاهز : يا أمير المؤمنين ما فى كلامك هذا شك وقد بلغ التناهى وهو الذى دبر الغدر على

عساكرك حتى انهزم ونهبت أموالك ورجالك (ياسادة) وهم فى الكلام وإذا قد دخل عليه راهب عليه ثياب سود فأنكره الأمير عبد الوهاب وقال لأصحابه أبصروا هذا الراهب لايكون جاسوس فلما تصايحوا عليه كشف عن وجهه وإذا به لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال فلما رآه الأمير عبد الوهاب فرح به واستبشر وناداه لؤلؤ فقال لبيك يامولاى فقال ماوراءك فقال يامولاى هذا كتاب اقرأ مافيه وافهم معاينه فقرأه الأمير عبد الوهاب فلما علم مضمونه سجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذى قرب علينا الأمر وسهل علينا النوبة وهكذا نؤمل من الله تعالى صلب الملعون عقبه فى هذه الكرة إن شاء الله تعالى ثم ان الأمير عبد الوهاب نادى فى الناس بالرحيل فقال له المأمون أيها الأمير ما فى هذا الكتاب فقال الأمير عبد الوهاب سوف تقف عليه إن شاء الله تعالى هذا كتاب الأمير أبو محمد البطال فيه أمور نريد أن نعلمها وأحوال نريد أن ندبرها ولكن لاتقف عليها الابعد إبرامها (قال الراوى) وسار الأمير عبد الوهاب حتى نزل على القسطنطونية وقد غلقت أبوابها وطلعت الرجال على أصوارها وكان الأمير عبدالوهاب قد ترك الملك ميخائيل فى حصن يانس المتغرب ولما نزل الأمير عبد الوهاب على المدينة كان لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال قد سبقه اليها ودخل على أبو محمد وأعلمه بذلك الامر (ياساده) وكان السبب فى ذلك الكتاب أن أبو محمد تسبب فى فتح المطمورة التى كان فيها وخرج منها هو وغلمانه وخاطر بنفسه مماجرى عليه من الملعون عقبه وكان يأتى اليه ومعه بطريق برسم خدمته ومعه شمعه فينزل اليهم ولم يزل يضربهم حتى يسيل دماؤهم وان الأمير أبو محمد البطال مماجرى عليه لم يزل يعالج قيده حتى فكه من رجليه وفك قيود أصحابه وقال لهم قد ضاق صدرى ولابقى لى جلاد على هذا الملعون عقبة وجرأته على الله تعالى وكفره ثم بكى الأمير أبو محمد البطال وقال لأصحابه اعلموا ان الله تعالى قد فك عنا قيودنا فاذا نزل الملعون عقبه الينا يأخذ كل واحد منا قيده ويضربه هو وصاحبه حتى يهلكون فان علموا بنا الروم وقتلونا فنكون شهداء ونصير يوم القيامة سعداء وان لم يعلموا بنا فنحن نكونا سببا لأخذ البلد فى هذه الليلة (قال الراوى) وفى اليوم الثانى نزل عقبه اليهم بعد هذه الوصيه وما علم ان قرطاس النقوع قد عبوه له فقال له الأمير أبو محمد البطال ويلك ياملعون ومن بأعماله مفتون الى متى هذه المبارزة لله تعالى وأنت تعلم أنه واحد أحد لايشاركه مشارك وكل شىء سوى وجهه هالك لاتشبهه الا مثال ولايقاس بالاشكال ولا يوصف بالصاحبة والولد ولايدخل فى حساب ولا عدد ليس له وزير ولامشير

وهو نعم المولى ونعم النصير بعلم ويحصى ويميت ويحيي هو على كل شيء قدير (قال الراوى) فلما سمع عقبه هذا الكلام وفهم هذا النظام قال له لقد أطلت الخطاب وانما نزلت لأجل العقوبة والضرب ثم ان عقبه وثب الى الامير أبو محمد البطال ليضربه هنالك وثب أبو محمد وضربه بالقيد على قمته فتح رأسه فى ثلاث مواضع فوقع الى الارض مغشى عليه لايدرى أين هو وتواثبوا غلمان البطال إلى ذلك البطريق وضربوه الضرب الوثيق حتى سقط ميتا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم ان الامير أبو محمد طلع هو وغلمانه من المطمورة وترك عقبة فيها وهو لايعلم بنفسه ومضى أبو محمد وغلمانه الى دار مارس وأخيه دارس فلما راهم مارس فرح بهم واستبشر بخلاصهم وسأله الامير أبو محمد البطال عن الامير عبد الوهاب فأعاد عليه ما جرى من أول القصة الى اخرها فقال الامير أبو محمد هل عندك علم من يانس المتغرب فقال مارس نعم هو وأصحابه فى دار البلاط فقال الامير أبو محمد انى أريد أن أدبر فى خلاصهم وأسلم اليهم العدد وآخذ البلد وقد ضربت الملعون عقبه ضربة وما أقول انه يشم الهوى ويشرب الماء بعدها ثم ان أبو محمد قال لمارس اصبر على ما أنت عليه حتى أرسل الى الامير عبد الوهاب ينزل على باب الذهب وبعد ذلك نضع السيف فى أهل البلد فقال مارس افعل ما تريد فانى من وراء معونتك فكتب أبو محمد كتاب الى الامير عبد الوهاب وأرسله مع غلامه لؤلؤ كما ذكرنا ورجع لؤلؤ الى مولاه كما وصفنا ووصل عبد الوهاب كما شرحنا ورجعنا الى سياقة الحديث (قال الراوى) وان الروم تقاتلوا بقية نهارهم على الاصوار الى أن أمسى المساء وأظلم الدجا فأتى مارس وأخيه دارس الى دار البلاط وفكوا قيد يانس المتغرب وقيود أصحابه وفرقوا عليهم العدد ثم أقبل مارس على أبو محمد البطال وقال له اعلم انى قد عملت الليلة عملا وأنا خائف منه ولكن قصدى ان نكشف هذه الغمة على المسلمين ولقد ضجرت من مقامى فى أرض الكفرة ولولا اعلم ان مقامى هنا فرج للاسلام ما كنت أقمت ثلاثة أيام وقد حصلت لك على مفاتيح المينا فلما سمع الامير أبو محمد كلام مارس فرح وقال افتح الباب حتى أمضى الى الامير عبد الوهاب فيدخل البلد ومعه الف رجل وقد بلغت غايه الأمل فان كان عقبة سالم صلبناه على خشبه على باب الذهب فعند ذلك أعطاه مفاتيح باب المينا ففتحه الامير أبو محمد وسار حتى وصل الى الامير عبد الوهاب وأخبره بذلك الخبر فقبل الامير عبد الوهاب الأرض شكراً لله تعالى على ما أولاه من جميل العظائم ثم

ان الامير عبد الوهاب وثب الى الاميرة ذات الهمه وأعلمها ثم انتخب ألف فارس أبطال اقيال وسار حتى وصل إلى باب المينا فوجده مفتوح على حاله فدخل الامير عبد الوهاب ورجاله فلما تكاملوا فى البلد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير اللهم صلي وسلم عليه وخرج الامير يانس المتغرب أيضا برجاله ومعه أصحابه الثلاثة آلاف يكبرون وطلبوا السودان باب المينا وملكوه وجاءت بنى كلاب وطلبوا الدخول وقد ثارت الروم من أماكنها وقصدت باب المينا وتضاربوا بالصوارم وقطعت الجماجم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى انهزمت الروم ودخلت السودان البلد ودعسوا فيمن جحد وكفر وحصدوهم مثل الحصيد وألقوهم على الصيد وما كانت إلى ساعة واحدة حتى صار فى البلد أكثر من عشرة آلاف من السودان مثل السباع وقد كثر من الروم الصياح وطارت رؤسهم من الاشباح وبقى القتال يعمل الى الليل عندها صاحت الروم لورك لوورك يعنى الأمان الأمان فرفع الامير عبد الوهاب عنهم السيف وفتح باب الذهب وهرب من هرب من خوف العطب وفرح المأمون بذلك ودخل على كرسى مدينة القسطنطونية وفتح الخزاين وأخرج ما فيها من الأموال وكان مالا عين رأت ولا أذن سمعت ومضت السودان الى منازلهم وأخذوا أموالهم ونسوا أنهم خاصة دور غيرهم وكذلك الملكة كرنة والملكة مليكة ثم ان الامير أبو محمد البطال سلم الملعون شومدرس الى الامير عبد الوهاب فقال عبد الوهاب للامير أبو محمد البطال وأين عقبة يا أبا محمد فقال الامير أبو محمد عندى وتحت يدى فاستوثق من المأمون فى صلبه فى هذه النوبة وقد بلغنا المنى فعند ذلك أقبل الأمير عبد الوهاب على الخليفة المأمون وقال له يا مولاى نريد ما وعدتنا به من صلب عقبة كما ذكرت لنا وقال المأمون هذا هو المراد ومسرة الفؤاد فلقد هتك ستره فى أيامى ولا بد ما أوقع به انتقامى (يا ساده) فمضى الامير أبو محمد إلى تلك المطمورة وفتح بابها فوجد عقبة جالس وهو يئن أنين ضعيف وقد عملت عليه الضربات التى فى رأسه فقال له ما حال الشيخ النجيح يئن ويصيح الساعة أصلبه ويستريح ثم تعلق الامير أبو محمد بذقنه وأخرجه من المطموره إلى أن وصل الى عند الخليفة المأمون فلما رآه المأمون لطم وجهه وقال له يا عدو الله لقد هتك الله سترك وبان للناس كفرك (ياساده) وبات الناس على أن عقبة يصلب فى غداة غد فقال الامير عبد الوهاب يامولانا ما أريد أصلبه إلا على الخشبة التى رأيتها فى المنام ثم

إن الامير عبدالوهاب أرسل الى حصن يانس يأتى بالخشبة هذا والملعون عقبة لايجيب أحد بكلام لأنه قد أيس من الحياة ومن الجرح الذى فى رأسه وأيقن أنه هالك (ياساده ياكرام) ولم تمض إلا أيام قلائل حتى وصلت الخشبة التى قد نام الأمير عبد الوهاب تحتها وسمعها تئن وتقول اعلم أن الله تعالى قد جعل صلب عقبة على فاذا استيقظت فاقطعنى حتى يأتى إنفاذ المشيئة وتمام الإرادة وانتشب الموت له فقال المأمون انصبوها على باب الذهب وارفعوه عليها فهذا الأمر قد قضى له وأنجزه الله له هذا وعقبة ساكت لايتكلم فلما أيقن بالهلاك وسوء الارتباك نادى ياأميرالمؤمنين وخليفة المسلمين أجب سؤالى فى سماع مقالى ورفع رأسه إلى السماء ونادى : مولاى افعل ما شئت ما أعبد غيرك أنت الواحد الأحد الفرد الصمد لذى لم يشاركك فى ملكك أحد . مولاى وإن كان لابد من هلاكى فلا يكون لخليفة المسلمين فى دمى وظلمى شيئا فأنت أكرم الأكرمين ثم إن عقبة قال : إلهى وسيدى هذا المأمون ربيته على مناكبي ولا أعلم أنه يكون سبب معاطبي ومصيبتى ورجوته لكبرى فكان سببا لهوان شيبتى ولكن هذا مقبول وعلى رأسى محمول ثم إن عقبة أشار الى الخليفة المأمون وجعل يقول :

أنت الإمام وأنت خير الأمة ... أنت الذى ترجى لدفع ملمتى
أنت الذى شرف الزمان بعدله ... لماذا ترخص للبرية قتلتى
قد كان مولاى الرشيد مراعياً ... لعلو مرتبتى وطيبة عشرتى
إن كنت ماترعى أباك وفعله ... فلقد حملتك فى الزمان الصبوتى
ما طال ما كان الرعب مقرباً ... دون الأنام على السرور بحضرتى
فارحم كبير السن عبداً صالحا ... يتلوا لقرآن بحنة وبرنة
ولغربتى ولوحدتى ومودتى ... وارعى لحسن مجالسى فى صحبتى
لا تشمت بى الأعادى بفعالهم ... فتكون معهم داخلا فى قبضتى
أنا جاحد دين النصارى كلهم ... ومكسر الصلبان وسط البيعة
وحق مولانا الخليفة لم أكن ... أبداً أقول بقولهم فى خلوتى
وأنا الذى شهد الأنام بعلمه ... وبحفظه لعلوم هذى الأمة
كم ليلة قضيتها بتلاوة ... وتخشع وتخضع فى ركعتى
كم وقفة لى فى الحجاز وقفتها ... فى يوم سبت أو بيوم الجمعة
كم طفت بالبيت العتيق ملبياً ... وأقبل الأركان عند الطوفة

كم زرت قبر المصطفى وحبيبه منى السلام وقد بدت لى عبرتى
يا طال ما عرفتكم بمسائل ضاعت على الفقهاء عند المحنة
ماأنت أول من قرا فى حضرتى درس العلوم وكم حفظت لخطبتى
كم من كتاب قد شرحت علومه يسرته لكم وكم من آية
ولقد أسرت مع القسوس معذبا متباعدا عن موطنى وأحبتى
وضربت حتى لم يكن لى قوة لعذابهم والضرب أتلف مهجتى
ويقول لى شيخ لهم ياعقبة قسم لربك مريم القدسية
وبحق مولانا المسيح وربنا لازلت مضروباً بسوط بليتى
حتى تعود إلى المسيح وتمتلى من لحم خنزير لنا ومدامة
فأجبتهم وعلمت أنى مكره لما جرى لما عدمت جلادتى
وفعلت ماأبصرت كى أنجو به من الضرب الوجيع وقد آليت سلامتى
ما قلت انك ناظراً مترقبا هذا لعظم مذلتى ومصيبتى
وتنصرت سودانكم بحربوتى وتفرقت أبطالكم بخطيتى
وأتيت نحوك والرجال تسوقنى وهم يسحبون بلمتى وبلحيتى
حتى أتيت وقلت انك عادلا لا ترتضى أفعالهم بظلامتى
إن كنت لاترجى لدفع بليتى ولعظم ما أقاسى من النكبة
ياسيد الخلفاء حاشا انه من يستجير بك قليل النصرة
أو أن تعود القاصدين إليكم عود الأحبة بعد دفن الميتة
والله مابى أن أموت بصلبهم بل يهجوا بى فى البلاد بلعنتى
ويموت أكثرهم على إثامة فى ظنهم أنى تركت شريعتى
وإن فعلتم ذاك من إهمالكم قدرى فما تخشون رب العزة
فغداً ترونى فى القيامة صارخاً متعلقا بكم بذيل خليفتى
وأقول يارب العباد أما ترى خصماى فى الدنيا وأهل الشقوتى
خذ لى بحقى منهم عنوة غداً فى جنان عدن لعظم رزيتى
وأرى الرشيد على الصراط وحوله أحبابه يسرون نحو الجنة

(قال الراوى) ثم ان عقبة بكى وصاح : وا رشيداه واسيداه وادیناه وا إسلاماه وا ناصراه وا محمداه وا حجاه وا صوماه وا صلاتاه وا زكاتاه وا تهجداه

واتلاوتاه (قال الراوى) فلما سمع المأمون ذلك من كلام عقبه بكى وبكا الأمير عمرو ابن عبيد الله وجماعة من بنى سليم ونادى عمرو بن عبيدالله واذلاه وا إسلاماه وكذلك بنى سليم وفى تلك الساعة أشرفت العساكر راجعة والكتائب التى كانت انهزمت متسارعة (يا سادة) ثم ان الأمير أبو محمد والأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة والسودان والانجاب وبنى كلاب أقبلوا على الملوك وقالوا يا أمير المؤمنين لا تسمع مقاله ولا ينطلى عليك حاله هذا شيخ الضلال هذا صاحب الزخاريف فى المقال والمحال هذا الذى خرب البلاد هذا الذى أباد العباد هذا الذى فتت الأكباد هذا الذى أيتم الأولاد فقال المأمون أنا ما أسمع مقاله ولا ينطلى علىّ محاله هذا الذى لا أجيب سؤاله بعد ما شهدت فعاله ولكن ما أصلبه إلا بمحضر من العالم ليكون ذلك أعظم لمصيبته وأقوى لشناعته وإنى أرى الجو قد اسود ولا شك أنه غبار قد امتد وهم العساكر التى كانت تفرقت رجعت وكأنكم بأعلامهم طلعت (يا سادة) وكان ذلك من المأمون بخلاف ما فى نفسه لأنه لما جرى ما قد ذكرناه وأنشد عقبه الملعون هذا الشعر كما تقدم فندم المأمون على ما فعل فى حقه وقال والله ان له علينا خدمة وربما يكون كما ذكر يجوز أنه ما فعل ذلك إلا من العقوبه وشده الخطب ولو فعل بى هذا أشرفت على الهلاك وكنت أدفع عنى ما أقدر عليه ومع ذلك فانى ما سمعت منه الكفر بالرحمن ولا يستحق القتل على الخمر وإنما عليه الحد ثمانون جلدة وقد ضرب أكثر مما يجب عليه وأنا الساعة إن قلت لهم ما فعل ذلك فلا يسمعون منى لان بنى كلاب والسودان ههنا ومالى طاقة بهم وأنا وحدى وليس عندى أحد من العساكر ولا يغلب بنى كلاب مغالب ولكن ما فى الامر الا أننى أجيبهم الى ذلك حتى تأتى العساكر وامنعهم من ذلك ومن نازعنى فيه أرغمت أنفه ولوحت قحفه ولا أقتل هذا الشيخ المسكين وأدخل به النار يوم الدين وهو حافظ كتاب الله العزيز وله الفضل والعلم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فبينما المأمون كذلك اذ جاءت اليه العساكر وقد سكت الامير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال وسائر الامراء (قال الراوى) يا ساده يا كرام ولو كان الامير ظالم علم أن ذلك من المأمون مرافعة لكان ضرب رقبة عقبه وشرع بعد ذلك فى صلبه (يا ساده) وكانت العساكر القادمه أربعمائه ألف عنان فتفرقوا ذات اليمين وذات الشمال وهم فراحا بما قد وصلوا اليه من الغنائم والاموال (قال الراوى) يا ساده يا كرام ورجعت بنى سليم فى ستين ألف عنان ودخلوا الى مدينة القسطنطونية وقد وقفوا على ذلك فعظم عليهم وكبر لديهم وأن الخليفة

المأمون أقبل على الامير عبد الوهاب وقال له أيها الامير الاجل الرفيع المحل انا قد عولت على صلب عقبة ولكن بعد أن لا يتبقى لنا شغل حتى لا تقع الفتنة بين بنى سليم وبين بنى كلاب والصواب عندى أنك تخرج الاموال والرجال والسبايا والصبيان الى ظاهر البلد وتقسم الاموال على الناس أولا وبعد ذلك نفعل ما نريد من صلب هذا الشيطان عقبه فقال الامير عبد الوهاب هذا هو الصواب وأخرج الإميرعبدالوهاب الاموال والرجال وأن الخليفه المأمون أكرم السودان الانجاب وفضلهم على بنى كلاب وكذلك فعل ببنى سليم فصعب ذلك على بنى كلاب وقالوا ذلك للاميرعبدالوهاب فقال لهم رضاكم علىّ وأنا أعوضكم غير هذا بقتل عقبة ولو وزنا من عندنا أموال الارض وكذلك خلاص عبد الودود ومن معه وما نريد بعد ذلك شىء وبات الناس على أن عقبه يكون صلبه فى غداة غد وكان عقبه قد توكل به أصحابه وأصدقاه من غلمان المأمون فلما تنصف الليل أرسل المأمون اليهم علىّ بعقبه فأحضره بين يديه فاعتذر المأمون له فبكى عقبـه وقال يا مولاى خرب بيتى وانقطع ظهرى مثلك من يعتذرالى وأنا أعلم أنه ما حملك على تلك الفعال وعلى صلبى غير هؤلاء القوم الجهال الذين لا يخافون الله تعالى ولا سيما الامير عبد الوهاب ووالله انه رجل مجاهد فى طاعة الملك الواحد ولكن ما يغنى هذا أن يرمى مثلى وأنا صوام قوام فى هواجر الليالى وخناديس الظلام بمثل هذا المقـام ولو قتلنى من غير هذا التشنيع لكان قريب وعلى سهلا وقلت للموت أهلا فقال المأمون لعقبه والله هذه قلوب أهل التقوى الصابرين على البلوى والشدائد والأوابد أيها القاضى أريد الساعة رأيك ولابد ما نشق العصى مع الامير عبدالوهاب وبنى كلاب فى غداة غد وهذا الشيطان أبو الهزاهز قد فعل مافعل فضحك عقبه وقال سبحان الله هذا كفر بالرحمن وشد أبو الزنار وصار من جملة الروم فى كل مكان فلما أن رجع اليكم صدقتموه وأنا فما جاهرتكم بشىء من ذلك وتصدقون فى فوالله ان هذا أمر عجيب ولا يليق بعقـل الفطن اللبيب يا مولانا ان كنت عولت على هذا الامر فان أبوالهزاهز وعبد الوهاب فى شوكة قوية وان كانت منك المعاندة والقتال فهو سبب لهلاك الرجال وفقر الابطال وما أشتهى هذا لانك تعرفنى ما أحب سفك دم ولا ذبحت قط ولا عصفور من الرحمة التى فى قلبى ولكن تدعو الساعه بالملك ميخائيل وشومدرس وجملة الملوك وتسلمه مفاتيح القسطنطونية وتعطيهم الامان على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وتأخذ على ملك الروم العهود والمواثيق على أنه متى خرج اليك من الامير عبد الوهاب أمراً تكرهه كان ذلك

عونا عليه واذا فعلت ذلك فلابد للروم ما تجتمع عليه ويكون ذلك منهم عدة وعمدة على عبد الوهاب ثم ترسل الساعة الى الأمير قراقد وتقول له معلوم انك عملت مع عبد الوهاب ما عملت ما تابع رأيك ولا كنت عنده فى منزلة أبوالهزاهز يوما قط وقد علمت مافى قلبك من الملكه (كرنه) التى هى منية القناص ودرة الغواص وقد عولت على اننى أعطيك إياها وكل مالها وجواهرها وأرغم أنف أبوالهزاهز وتكون مقيما فى الحجاز أو فى العراق وأنا أرعى خدمتك دون غيرك (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم إن عقبة قال للخليفة المأمون يامولانا فاذا فعلت ذلك يصيرلك عبد وخادم وأنت بعد أن تبلغ المنى من الملكه كرنه إن شئت تعطيها له وان شئت تصطفيها لنفسك فما تصلح إلا لك فهى بغية العباد وما مثلها فى سائر البلاد وترسل مثل ذلك الى الامير أبوالهزاهز وتقول له قد عولت على رأى وأريد الحديث معك فاذا أتى اليك وصار عندك فى السرادق فاقبض عليه فتسلمه الى ضده الامير قراقد وتقول له احفظه عليك وقد سلمته إليك وترفع الليلة (كرنة) الى خيمتك فاذا أصبح الصباح وعلم الاميرعبد الوهاب بذلك تقول له أنا أعمل بغلمانى ما أريد وأنا أعلم انه ماينكلم فى هذا بكلمة واحدة لأنه طامع بصلبى وما يعلم أن الله قد فتح بصيرة مولانا الخليفة للهدى وفضله بالعقل والتدبير واذا قال لك عبد الوهاب ياأمير المؤمنين نريد ماوعدتنا به من صلب عقبة فقل له اننى ما أقدر أسد أفواه الناس وأخاف اننى إذا رجعت الى بغداد وعقبة قد صلب لايصدقوا اننى اطلعت على أمره واذا أنا رجعت وهو مع غلمانى وهومهتوك الستر أنادى فى مدينة بغداد حتى تعلم كل العباد ثم اصلبه بعد ذلك على الدجلة ولا يلعنوه الناس طول الزمان ويجعلون بقتله من أهل النيران فاذا امتنع من ذلك وطلب أخذى تمنعه بنى سليم وغيرها وهو فى جماعة من بنى كلاب دون الثلاثين ألف وقد تفرقت العساكر التى معه مجتمعة لأنها غنمت وسارت فقال المأمون : نعم مارأيت ثم أرسل الى عبد الملك ميخائيل لحضر وكان أسير كما ذكرنا وسائر الملوك كما وصفنا ومائة ألف بطريك ومافى مدينة القسطنطونية إلا الشيوخ والنسوان والعجائز وأما البنات فان المسلمين قد أسروهم ولما أحضروا أمر المأمون بإحضار عقبة فأقبل عقبة على الملك ميخائيل وقال له ويلك اعلم أن الله تعالى قد أوقعك لما فعلت فى حق تلك الفعال لأنك عاقبتنى عقوبة لو وقعت على الجمال ما ثارت بها وانتقم الله منك قريب غير بعيد ويلك أنت ما أغضبتنى على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وتوكلت بعقوبتى شهرين كاملين فقال الملك ميخائيل هو كذلك فقال شومدرس

معلوم انكم ما تحبون علماءنا ولا نحب علماءكم (قال الراوى) ياساده يا كرام لهذا الحديث العجيب فقال الخليفة هذا هو الصحيح إلا انى الساعة قد عفوت عنكم بواسطة هذا الشيخ (عقبة) الذى فعلتم فى حقه مالا يطيق فى دينه وصلاحه وأنتم خدمى وخدم آبائى وأجدادى وقد مننت عليكم بأرواحكم والهدنة بيننا هى أربع سنين على أنه ما كان من هذا الأسود الزنيم والبغل اللئيم بخلاف ما أريد وكنتم عليه لا له فقبل ميخائيل الأرض وكان قد أيقن بالموت وسمع هذا الكلام فوقع على قلبه أحلى من الماء البارد على كبد الظمآن وقال أنا عتيقك يامولاى وأنت ما يليق بك إلا العفو ولقد ندمت على مافعلت فى حق هذا القاضى الذى لكم مما كنت أعافيه وهو يقول : (واحد أحد) فعلمت أنه شديد فى دينه وما أصابنى ما أصابنى من الأذية إلا بسببه إلا انى أغضبته على شرب الخمر (ياساده يا كرام) ثم أطلقه بعد ما تقرر ماذكرنا من الهدنة هو والراهب شومدرس وأرسل المأمون الى الأمير قراقد وقال له اعلم انى قد علمت مافى قلبك من الملكة (كرنه) وانى ماأردتها فى الأول إلا لك لأنى رأيت الأميرعبد الوهاب وذات الهمة وأبو محمد البطال ميلهم إلى أبو الهزاهز وآخذ الجارية منه وأعطيك إياها وهذا الشيخ عقبة له علينا خدم وأن كل ما قيل عنه محال وهو الذى أشار على أن أقبض على أبو الهزاهز وآخذ الجارية منه وأعطيك إياها وتكون من وراء معونتنا على أن هذه العساكر كلها معنا وأنت عندنا مقيم بالعراق فان جرى من عبد الوهاب مالانريد تنصرنا عليه وأعطيك مكانه (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الأميرقراقد بتسليم الملكة (كرنه) إليه وكان فى قلبه النار من هواها فقال ياأمير المؤمنين كل مايقولوه عنهذا الرجل الصالح محال وبينهم وبين صلبه ضرب الرقاب وقطع الأوصال ومورث الوبال ولكن اقبض الليلة على أبو الهزاهز وآخذ الملكة (كرنه) من خيمته وانظر ماأفعل فقال المأمون سمعا وطاعة افعل ذلك وكن أنت على أهبة واكتم مامعك (ياساده) قال وكان أبوالهزاهز لما دعا المأمون قراقد خرج إلى حاجة فنظر الى الخادم الذى للخليفة وقراقد معه وقد دخلا إلى سرادق المأمون فأنكر ذلك لما يعلم مافى نفس المأمون منه فأنكر وعند ذلك قصد إلى خيمة البطال وهومدهوش فقال له ماوراءك فأعاد عليه القصة فقال البطال لا تبرح من مكانك حتى أمضى وأشرف عليهم وأعود إليك ثم ان البطال أتى الى أبو الهزاهز وقال له كن على حذر فان المأمون قد غدر والساعة يأتيك الخادم فلا تذهب معه ولكن رده بالتى هى أحسن وقل له أنا ماأقدر

على المجيء معك اسبب من الاسباب ولسوف يعرف به مولانا ويعزرني فيه وها أنا أمضى الى الامير عبد الوهاب وأعرفه بهذه الأسباب فانى قد حسبت هذا الحساب وماكان استمهال المأمون بصلب عقبة إلا خديعة منه حتى تصل عساكره ومايقدرون والله على ما يريدون فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ياساده) وسار البطال حتى دخل على الأمير عبد الوهاب من غير استئذان الى داخل المضرب فلما رآه وثب اليه وقال له ما وراءك يا أبو محمد ما الذى أتى بك إلى هذا المكان فى هذا الوقت الذى لا أقدر أتحدث معك فيه لأنه وقت وردى من الليل وأريد أن أقضى حق الله تعالى قبل المخلوقين فقال له البطال دع عنك الطمع فان لله تعالى أمرا لابد من إنفاذه فقال عبدالوهاب وكيف ذلك قال البطال اعلم على أن أبو الهزاهز قد غدر به المأمون لأجل قراقد لحال من الاحوال وانى مضيت فوجدت عقبة بجانب المأمون وهو يشير اليه لحال من الأحوال وقد جرى كذا وكذا وقد عولوا على قبض أبوالهزاهز وأخذ كرنة منه وقتله وقتل رجاله وفى قلب المأمون منه الذى تعلم والهوى أيضا الى كرنة غالب عليه وقد تألم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب جعل يرعد مثل السعفه فى يوم ريح عاصف وقال أحقا ما تقول يا أبو محمد قال أى والله حقا أقول فقال الامير عبد الوهاب هذا آخر الزمان بطلت الاقوال والأعمال وكذبت الناس فى الأقوال يا أبو محمد امضى الى أبو الهزاهز وقل له يمضى اليه ودعه يقلبه البغى حتى ننظر ما يكون منه فوالله انها أدمية قد فارت وكأنى بهامن أجسادها قدطارت وبعد ما مضيت القضية ونصبت الخشبة على باب الذهب اقسم لم أنزلها حتى أصلب عليها عقبة فاخرج وقل لابو الهزاهز حتى يمضى اليه ودعه يقبض عليه وأنا الساعه أدهمه بالسودان وآخذه من ذلك المكان ودع يجرى مايجرى قال البطال ان الخلق كثير والعالم غزير قال الامير عبد الوهاب آخذه وأهجم على مدينة القسطنطونية وأغلق أبوابها وأصلبه والكل ينظرون اليه وليس فيهم من يقدر على راحة يوصلها اليه ليعلم المأمون أنى غير عاجز ولا مغبون ارجع أنت وقل لابو الهزاهز كما قلت لك حتى آخذ لك المضرب الذى فيه كرنة واهجم أيضا على الخيمة التى فيها الاسارى وآخذ ميخائيل وباقى الملوك وأصلب ميخائيل وعقبه وأهلك الاثنين ولا ينتطح فيها شاتان فلما سمع البطال هذا الكلام مضى وقلبه على جمر الغضى فوجد الامير أبو الهزاهز جاثيا على ركبتيه وهو يهدر قال له البطال كيف خاطبت رسول الخليفة قال أبو الهزاهز هاهو بين يديك نائم فنظر البطال اليه فاذا هو ميت وقد ضربه على صرصوره فمضى الى رحمة

ربه وهو ملقح بين يديه فى جانب الخيمة (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما رآه البطال ونظر الى ذلك الحال قال له ويلك قتلت رسول الخليفه قال أبو الهزاهز أى يا أبو محمد وان أكثرت أنت الآخر فضولك وكلامك قتلتك معه فقال له البطال دع عنك غلاظة الطبع وجفاء السودانية فان الامير عبد الوهاب يأمرك ويقو لك امضى الى الخليفة وهو خلفك بالسودان فان هو قبض عليك تكون الحجة عليه ونأخذه الساعة والقاضى عقبه معه فقال أبو الهزاهز لو علمنا ان الامر هكذا مالنا قتلنا رسول الخليفة ولكن أمر الامير طاعة ثم أنه سار الى خيمة المأمون من ساعته فما هو الا أن دخل حتى تبادرت اليه الاتراك والديالم فعند ذلك صاح أبو الهزاهز صيحته المعروفة بصوت شنيع حتى اسمع العسكرين وأذهل الفريقين والمعشرين (قال الراوى) ياسادة يا كرام وسمع الامير عبد الوهاب صياحه فكاد فؤاده أن يطير وينفطر وصاح فى الرجال وسراة الابطال هذا وملك الروم ميخائيل قد تحقق وعلم ان عقبة قد أتقن النوبة وكان عقبه قد أرسل الى الامير عمرو بن عبيد الله وقال له خذ الاهبة فى هذه النوبة تتخلص من بنى كلاب وما يبقى لك فى هذه النوبة فى ملطيه من تخافه وقد سخط مولانا الخليفة عليهم فاذا وقع الصوت خذ الاهبة وأهرق دماء بنى كلاب واضربهم بالصارم القرضاب فلما سمع الامير عمرو بن عبيد الله صياح أبو الهزاهز ثار فى ستين الف عنان من بنى سليم وثارت الترك وثار الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة فى بنى كلاب والسودان الانجاب وخرج المأمون وركب قراقد بين يديه فلما ركبت الابطال وتصايحت الاقبال زحف بعضهم على بعض وتواقعت الفرسان على الفرسان على الارض هنالك اقبل الامير أبو محمد البطال على الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وقال ماكان إرسالنا لابو الهزاهز صواب قال عبد الوهاب اعلم انى قلدته البغى ومابقى أحد الا ودارت عليه الدوائر واقبلت الاميرة ذات الهمة على ولدها وقالت له اعلم يابنى ان لاجل همتك وقوة عزيمتك تهلك باقى عشيرتك لانك فى قلة وهذا المأمون فى كثرة قد صبروا أصحابك على البلاد هم والسودان قد صاروا مع قراقد لان المأمون اطمعه فى كرنة أنه يعطيها له ويجعله عوضا عن أبو الهزاهز وأن يجعله من اخصائه ويبلغه ما يتمناه فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الخطاب رآه صواب (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان الامير قال يا أماه كيف الحال أنا لا أقرر على الرحيل لانى أنا الذى أقدشرت على أبو الهزاهز أن يمضى اليه حتى قبض عليه ثم انخلا عنه فكيف يكون التدبير وكيف انحلال هذه العقدة وهذا أمر غير الجميل

ولا يفعل هذا إلا كل ذليل والمأمون لا يبقى عليه لأن فى نفسه الذى تعلمين (يا ساده) وأقام الأمير عبد الوهاب إلى عند الصباح وقد تغلغل عسكره من واحد واثنين قال وأرسل ميخائيل إلى سائر الجهات بأن الصلح وقع بينه وبين المأمون على عبدالوهاب وبنى كلاب وقد وقع أيضا بينهم السودان وقد اختلفوا وتكررت المودة التى بينهم وأريد أن لا يختلف منكم لا كبير ولا صغير بل يقصدون إلى مدينة القسطنطونية وأمر بسد المواضع على الأمير عبد الوهاب حتى لا يبقى له مسلك ولا مهرب وأرسل إلى سائر المذاهب والمنافذ والرساتيق التى لسائر الدروب والحصون القريبة والبعيدة قال وسمعت الروم بذلك من سائر الجهات فاستبشروا وجاءت البطارقة من كل مكان من حنقهم على الامير عبدالوهاب لا يخافون إلا منه ومن بنى كلاب لا من الخليفة ولا من عساكر العراق ولما أن سمعوا أن المأمون وسائر العساكر اتفقت عليهم زاد فرحهم وساروا الى أن وصلوا الى مدينة القسطنطونية وفرح المأمون بذلك لانه قد صار فى سبعمائة ألف مقاتل وقد علم بسد الدروب على الامير عبد الوهاب فرح واطمأن قلبه (قال الراوى) يا ساده ياكرام وبلغ الامير عبد الوهاب ذلك فعظم عليه وكبر لديه وعلم أن الصواب كان مع الاميرة ذات الهمه فى الرحيل والانتزاح قبل هذه الامور التى جرت والاحوال التى طرت فلما رأت الاميرة قدوم ولدها قالت له دع عنك الآن ما مضى وخذ فيما هو آت قال يا أماه ما أنا بأول من قتل ظلما وان كان لى فى السابقة أنى أموت حتى أشتفى من عقبه فلا يقدر مخلوق أن يتعرض وان قضى لعقبه أنه يلعب برأسى وعوارضى مخضبة بالدماء فالامر لله سبحانه وتعالى الذى يفعل ما يشاء لأننى عبد وما للعبد أن يعترض على المولى فلما سمع الامير ظالم ذلك قال والله ان أمركم لعجيب انما يفزع من الموت من يطمع فى الخلود والدوام فيخاف من ضرب الحسام وتصاريف الحمام فدع الموت يأتى بكل الاسباب والله لابد لنا من الطعان والضراب ونترك الرقاب والارض بالدماء مخضوبة والاكف مقطوعه والآناف مجدوعه وقال سيف الحنيفيه كذلك لأن من ذاق طعم الموت مرارا فلا يبالى رحل الموت وأقام وسار (يا ساده) وقالوا بنى كلاب نقسم بالله تعالى لقد كبر علينا المأمون ومكر بنا بعد ما عاين من عقبه بعينيه ماعاين وشاهد ما شاهد ورجع اليه وغضب على أبو الهزاهز وسودانه وأطلق ملك الروم وما فى المصائب أعظم من هذا وان الصبر على القتال وضرب الصقال ولا غبن الرجال وتكلمت سودان أبو الهزاهز وسودان الامير عبد الوهاب بمثل ذلك وقالوا ما فينا أحد الاوطاب قلبه على الموت والشهادة (قال الراوى) يا سادة ياكرام ولما

أصبح الصباح ركب ملك الروم فى بطارقته وهم ثلثمائة ألف والمأمون فى أربعمائة ألف وقد قدم الامير عمرو بن عبيد الله والترك والديلم وعرب بنى سليم بين يديه وقد جعل عمرو مقدما على الجميع وأمرهم بطاعته وأن يقاتلوا فى ركابه ويكونوا من جملة رجاله وأصحابه وقدم قراقد على سودانه وأضاف اليه ثلاثة آلاف من الهنود وألفين من الديلم فصـــار قراقد فى عشرة آلاف فارس ما بين مدرع وتارس وقدم الباشا على الترك وبندويه ابن ميكائيل على الاكراد والكل تحت ركاب الامير عمرو بن عبيد الله وهو صاحب التقدمة وملك الروم ميخائيل قدم على كل طائفة بطريقا معروفا بالشجاعة موصوفا بالبراعه وكان الملعون فرق الجيش أربع فرق وجعل فى الفرقة الاولى الصليب الاعظم والى جانبه علم من أعلام الخليفه المأمون علامة الصلح وأنه مطيع له وقدم عليه أرمانوس بن مدارس وقدم على الطائفة الثانية ارموس وعلى الثالثة معدسود بن نقولا وعلى الرابعة برصوما بن ماريحا (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما نظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك أقبل على يانس المتغرب وقال له اعلم أننا من تحت البلاء خلصناك وهذه النعم وهذه الأموال التى وصلت اليك والى أصحابك هى عوضا عن ما مضى وهذا عبد الودود من وقت ما خلص ما هدى له قلب ولا تهنأ معنا نخذه اليك وعود إلى حصنك وخذ أصحابك واطلب أهلك وإذا وصلت اليهم فاعرض على القوم الذين فى حصنك من بنى كلاب والسودان هذا الأمر فان أرادوا المقام عندك فليفعلوا فان ما لهم طريق الى بلاد الاسلام لأن الدروب مسدودة عليهم وإن أرادوا المجىء الينا لمعونة أصحابهم فليفعلوا فما لهم طريق الا الينا قال يانس المتغرب لما سمع كلام الامير عبد الوهاب ايش هذا الحديث أيها الامير هيهات هيهات أن أمضى الى حصنى وأنت ههنا قد صرت غريقا بين بحرين زاخرين وجبلين شامخين ولى أسوة بك أيها الأمير (قال الراوى) يا ساده يا كرام فقال الامير عبد الوهاب امضى أنت يا مبارك الى ما قد ذكرت لك ولا تخالف لى قولا فما بى الا أن يتم علينا أمرا من الامور فيكون الاعدا تبلغ الغرض من الجانبين فقال عبد الودود أيها الامير والله ما رجعت الى الاوطان ولى ولقومى عين تطرف ولابد من القتال والضرب والنضال والموت لابد منه ولكن النسوان الذين معنا يمضون مع الامير يانس الى حصنه فقال الامير عبد الوهاب ذلك اليكم وأبواب الجنة مفتحة بين أيديكم ولابد من انقاذ الثقل الذى لنا فاذا حصل فى الحصن قاتلنا نحن على قدر ما نجد من القوة والجلد والاتكال على الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا يخيب من عليـــه اعتمد وان لم يكن لنا على المقام اصطبار ووقع بنا الانبهار طلبنا الفرار والهرب

من صورة العطب وتركنا الاعداء فيسلم من سلم ويعطب من عطب ثم إن الامير عبدالوهاب قسم أمراء بنى كلاب أربع فرق وكانوا عشرين ألفا دفع الى ولده الامير ظالم راية بيضاء مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأمره أن يقف بها فى الميمنة فسار الامير ظالم كأنه الأسد الهاجم حتى أتى الى المكان الذى أمره به والده وهو ينشد ويقول :

لقد عايرتنا أم هند بأننا ... قليل وأن الخائنين كثير
فقلت لها لا تجزعين فإننا ... رأينا كثير الجاحدين قليل
سنصبر صبر الأكرمين وتنظرى ... من الضرب عند النقع كيف يقيل
أنا ظالم المعروف فى كل معرك ... سأجعل عمران الرجال قصير

(قال الراوى) ودفع الراية الثانية إلى ولده الامير سيف الحنيفية وقال له يا ولدى هذه نوبة ما تم علينا مثلها ولك اسوة بأبيك نخذ هذه الراية واعلم أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وانظر الى مابين يديك واعلم انهم فى سبعمائة ألف فارس ونحن فى هذه القلة فلا تحمل إلا وقد طابت نفسك على الموت واجعل أكثر قصدك الى الروم فقال سمعا وطاعة وأخذ الراية وكانت حمراء مكتوب عليها بالأصفر (سبحان من قهر الجبابرة بالفناء والقياصرة بالموت) وسار بها الاميرسيف الحنيفية وهو ينشد ويقول :

إذا غدر المأمون من بعد حلفه ... وصدق شيخ الكفر والجحد والجهل
واتبع رأى السود من أجل عقبة ... وخلصه من قبضة الصلب والقتل
ومن بعد هذا يطلب الروم حربنا ... وسوف ترى منا رجالا بلا ذل
ونطعن لبات الرجال ونذننى ... إلى ضرب أعناق الأكارم بالنصل
فقد وجلال الله أخلف وعده ... وجار علينا بالمقال وبالفعل
أنا سيفهم واليوم يظهر جوهرى ... عليهم ولا الرأى بقولى ولا عدل

(قال الراوى) وسلم الأمير عبد الوهاب الراية الثالثة وهى مسودة مكتوب عليها بالبياض : (من اعتصم بالله نجا) وسلمها الى الملك عبد الودود ملك الملثمة لأنه أقسم عليه بالله العظيم وكان الملك عبد الودود طاعنا فى السن إلا انه فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق بصير بالحرب خبير بالطعن والضرب وانه لما أخذ الراية هزها وتذكر ماجرى عليه من الأهوال فرفع صوته ولعلع بنغمته وأنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

لقد ذهب أكثر عمرى سريعة ... وزادى قليل ليس يمكننى غيره قط
وقد ضعفت عيناى من طول مدتى ... وحل برأسى الشيب إذ نزل الوخط
وكان شبابى للجهاد مطية ... لها عزمة زالت بهيجانها البسط
إذا عثرت خيل الرجال برؤوسهم ... لديها واغبرت داميمها الملط
ولم يبق إلا درهم بعد مائة ... وفى كل يوم درهمى سوف ينحط
وقد أبصرت عيناى دهرا عجائبا ... ولم ترى يوما مثل ما أبصرته قط
يهين أمير المؤمنين مقدماً ... بفضل ودين لايجور ولا بسط
ويسمع من قول الذى صح كفره ... لقد ابعدوا بين الحكومة والشطط
ألا مبلغ عنى الخليفة انه ... سيندم إذ سيست من الخطب النفط
ويبلغ منه عقبة ما يريده ... ويسمع فى اعراضه الكلم السقط
أيرفع فيكم عقبة بعد ذلة ... ويهمل مولانا الامير وينحطط
وتكثر أوباش اللئام ولا يرى ... كرهط كلاب حين يفقدهم رهط
وسوف ترى منا رجالا تعودت ... هلاك العدا بالأبيض اللون والخطط

(قال الراوى) ودفع الراية الرابعة الى الاميرة ذات الهمة فأخذتها بعدماهزتها ورجعت الى طبعها العربى وأنشدت تقول :

كل يوم لى غرام وأحزان ... وحظى منه فى الزيادة والنقصان
فيوم نخوض الروم فى معرك الوغى ... ونطلب من رب البرية غفران
ويوم تعود المسلمون بأسرهم ... علينا وأبطال لديها وأقران
فمن بين أيدينا رجال جميعهم ... يروا حتفنا بين البرية بهتان
يريدون قتل السيد البطل الذى ... له موقف لايدعى ذاك إنسان
ولو ظفروا يوما لكان قتالهم ... لهم شرر ولى بعاد حرمان
ومن دون هذا لبوة عامرية ... ستترك هامات الطوائف ميدان
وأنتم لدينا لا نبالى بجمعكم ... ومن خلفكم أيضا قسوس ورهبان
وسوف يبين الحق فينا وفيكم ... إذا ضمنا فى موقف الحرب ميدان

(قال الراوى) وأخذ الامير عبدالوهاب الراية الخامسة وهزها وكشف رأسه وخفف لباسه وبقى فى غلالة انطاكى وقد اعتجر ببردة يمانية ونادى : يا آل كلاب يا آل كلاب فأقبلت عليه مثل الذئاب وقالوا له لبيك ها نحن بين يديك فأمرنا بأمرك فما فينا من يخالفك (قال الراوى) فهم كأنهم زبر الحديد أبطال صناديد

وهم قد ضربوا صفوفا وفى أيديهم السيوف فلما نظر المأمون الى ذلك أقبل على وزيره ذو العلمين وقال له أما ترى الى الأسود الزنيم والبغل اللئيم يؤمل أن يلقى هذا الجمع العظيم الذى هو مثل الليل البهيم فعندها قال الوزير: يامولانا إن كنت تسمع ماأقول فما مثل هذا من يفرط فيه ولايجب علينا أن رجلا فى عشرين ألفا يريد أن يلقى سبعمائة ألف . هذا لايجب طرده فافعل ماتريد واحسبنى من جملة العبيد لأنه يقال فى الأمثال (إذا كان النصح لايقبل فترك القول أنفع) ومولانا إذا كان لايلتفت الى قول مملوكه ولايعول على حديثه فلا حاجة له لأنه قد صح عند المملوك يامولانا وعند المسلمين جميعا أن القاضى عقبة أسلم وما به قد أحكم وأنت أخبر الناس بالأمر قبل أن يحصل التدبير فسكت الخليفة المأمون ولم يلتفت الى كلام الوزير ذو العلمين بل فى الحال أرسل الى الامير عبد الوهاب يقول له اعلم أن الذى قد ثبت عندى وعند المسلمين وعلماء الموحدين أن القاضى عقبة قد أسلم وأن الذى جرى منه ماهو باختياره وقد شهد له الملك ميخائيل وحلف قدامى بالإنجيل أن هذا كله منه وانه أغضب عقبة حتى فعل مافعل وقد عاد الى دين الاسلام واعترف بالوحدانية للملك العلام وبعد هذا مالى منه إلا الظاهر والباطن لله تعالى وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتيه المنافق المتجرىء على الملك الخالق فكيف أقتل أنا هذا الشيخ وهو إمام من أئمة المسلمين وعالم من علماء الموحدين ولايجوز أن يكون كافر وهو يحفظ كلام الملك القادر والآن قد عفى الله عما سلف فسلم إلينا الملكة كرنه والسبعة آلاف أسود أصحاب أبو الهزاهز الذين تنصروا وشتمونى وقد علموا اننى أنا خليفة المسلمين وعملوا فى حقى ما عملوا وجردوا سيوفهم فى وجهى وعادوا بعد ذلك ورجعوا الى دين حتى نحقن دماءهم ويسلموا مذعنين للحق وهذا أبو الهزاهز يهددنى فى شعره ويعرض بذكرى فى نظمه ونثره وأنا أخبر الناس بأمره واذا لم تفعل ذلك انصرف حيث شئت وبعد ذلك اطلب لك غيرنا فاننى ما أريد صاحبا إذا قلت لا قال نعم ثم يخرق بى فى كل يوم ويقوم مقامى ويطلب قتالى وحربى ونزالى حتى كأنك صرت من أمثالى وأشكالى وإن أنت أبيت ذلك فسوف ترى ماترى فلما وصلت الرسالة الى الامير عبد الوهاب رد الجواب فى ظاهر الكتاب وهو يقول يا أمير المؤمنين : أما بعد فإن الله تعالى يقول : (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) وحاصله لو أردت أن تجعله خليفة العصر والزمان وصاحب الامر والنهى لفعلت ذلك وهو عليك هين وأما قولك أن أسلم إليك السودان من أصحاب أبو الهزاهز

فان ذلك بعيدا جدا ولا أفعل ذلك أبدا ولكن ان أردت الانصاف وحقن الدماء الذى للسلمين فاطلق لنا أبو الهزاهز حتى أنصرف عنك والارض واسعه وأما قولك أسلم لك الملكة كرنة زوجة الأمير المجاهد والأسد المراصد فهى فى جوارى وتحت زمامى فهذا لا يكون ولو شربت كاس المنون وسوف ترى العجب وإلى الله عز وجل المنقلب (قال الراوى) فلما وصلت الرسالة الى المأمون بهذا اللفظ عظم عليه وكبر لديه وقالت له مقدمين الطوائف الصواب يامولانا لا تحمل على قلبك فنحن اليوم ان شاء الله تعالى نأخذهم بأسرهم ثم ان خشترين الكردى تقدم اليه وقال له يا أمير المؤمنين أنا آتيك برأس عبد الوهاب على أنك تعطينى قلعة المنشار وتزوجنى زوجته القناصه أم الأمير ظالم فإن ظالما ماجاء نجيبا إلا منها ومن نجابتها فلعل أن أرزق منها ولدا ذكرا يكون لى به ذكرا بعد الموت فقال المأمون لك ذلك على (قال) وكان خشترين الكرى هذا من أجهل الأكراد وأكثرهم فساد جبار من الجبابرة وانه لما خرج الى الحرب وموقف الطعن والضرب نادى يخرج لى الأمير عبد الوهاب فإنى أعطيت على قتله قلعة المنشار وزوجته القناصه زوجتى بعده مهرها لا يخرج اليه غيرى (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك قامت اليه القيامة وأراد الامير عبد الوهاب الخروج اليه فلم يمكنه الأمير ظالم وقال أقسمت لا يخرج اليه غيرى لأنى أنا أحق بمهر أمى قال وخرج من بعده الأمير عمرو بن عبيد الله السلمى فخرج اليه عبد الودود بعد أن استأذن الأمير عبد الوهاب وخرج من بعده الأمير سيف الحنيفية ليندونا وخرج الامير مالك بن طوق فخرج اليه دريدرس الرومى وخرج من بعده أرمانرس فخرج اليه أفخر من لبس الملبوس وأزال العكوس وطابت عند رؤيتها النفوس الاميرة المجاهدة ذات الهمة وهم كل واحد منهم ان يحمل على خصمه وإذا بصياح قد علا والصراخ قد نما فى عسكر المأمون فتأملوه الناس بالأعناق وشخصت نحو الصياح الأحداق وإذا به الأمير أبو الهزاهز وهو يضرب الأبطال يمينا وشمال وبيده حسام كأنه درابة باب وهو يضرب ويصول وهو هائج كالجمل إذا انحل من العقال (قال) وأحدقت به السودان قراقد وهو يفصل فيهم فصل الشعير وقد تكفل بذلك الجمع الغزير وهو يطلب الخلاص والذهاب الى عسكر الأمير عبد الوهاب (قال) فلما نظرت سودان أبو الهزاهز الى ذلك طلبوه وبأرواحهم فدوه وقالوا له جود يا أبو الهزاهز فى القتال ها نحن قد جئناك ثم حملوا وأرموا أرواحهم الى القتال مثل الطائر إذا

رأى فراخه ورمى روحه يطلب خلاصهم وهو لا يفكر فى عاقبة أمره وضربوا فى عساكر المأمون ضربا شديدا حتى رموهم على الصعيد واختلط بعضهم ببعض وكذلك المبارزون (قاله) ونظر الى ذلك المأمون وصاح بالعساكر كلها وقال لا تدخلوا بين أبو الهزاهز وسودانه وقراقد وسودانه والهنود والديلم خلوا بعضهم لبعض حتى يشتفوا من الصرب فان هذا يوم عظيم يشيب لهوله الطفل الفطيم (قال) فلما قال المأمون ذلك أمسكوا عن القتال والحرب والنزال وكان ذلك برأى الوزير الكامل والرجل الفاضل ذو العلمية لأنه لم يعجبه فعل المأمون ولا أراد سفك الدما وهلاك الورى وكان قد قال ذلك على وجه الاشفاق وقامت الحروب على ساق وعملت الصوارم وفلقت الجماجم وشوشت العمائم وعمل الصقيل وشوش الوجه الجميل وخرس اللسان الجليل فما كانت إلا ساعة واحدة حتى أفنوا سودان قراقد خلق كثير وان أبو الهزاهز التقى بقراقد فى وسط العجاج وضربه ضربة أوثقه بها فوقع الى الارض وانقض عليه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير واقتتلت الهنود والديلم وحل بهم البلاء والنقم (قال) ولما نظرت سودان قراقد أميرها قد أسر خافوا من عاقبة الامر وذكروا أيادى الامير الذى سلفت ووصلت اليهم فنادوا عبد الوهاب يا منصور ومالوا اليه وأقبلوا عليه وفى تلك الساعة خرج الامير ظالم وقد قبض على رقبة خصمه زوج أمه وقاده ذليل حقير أسير وخرج الملك عبد الودود بالامير عمرو بن عبيد الله وخرج عبد الوهاب بخصمه وهو يجره من أذنه وخرجت الاميرة ذات الهمة بخصمها وكل واحد قد أخذ صاحبه فلما نظر المأمون الى ذلك عظم عليه وكبر لديه وحمل بالعساكر كلها هذا وقد عظم أيضا على ملك الروم ميخائيل أسر رجاله وحماة أبطاله فحمل وأما الامير عبد الوهاب فانه قال لقومه بيعوا النفوس مادام المشترى يراكم بعين رحمته لتدخلوا جنته (قال) وأما الملك عبد الودود فإنه قال لا إله إلا الله محمد رسول الله هذا يوم الشهادة وكان فى تلك الليلة قد رأى ابنته فى القوم التى كانت زوجة ظالم ابن الامير عبد الوهاب وهى تقول يا أبت أنت الليلة ضيفى لأنك غداه غد شهيد وأنا شهيدة لانى مت غريبه وموت الغريب شهادة فلما سمع ذلك أيقن بالشهادة فى ذلك اليوم فحمل وهو ينشد ويقول

إبنتى لما رأتنى قالت ستمس عندنا من غير بعد
وتصبح حين تلقانا شهيدا على حسن المقام بدار خلد
كذلك من يموت غريب أهل غريب الدار من أهل وسعد

فقلت لها سأحمل فى غداة   واطلب منه انجاز الوعد

(قال الراوى) وحمل فى البطارقة وحملوا عليه وأحاط به الف فارس فقتل منهم فى ذلك اليوم سبعين وقتل من بعد ذلك وعجل الله بروحه إلى الجنة دار الفضل والمنة ولم يزل السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن أمسى المساء وأقبلت غياهب الدجا وقد تضعضع العسكر الذى للامير عبد الوهاب لما قد أحاط به من المواكب والكتائب وتأخر إلى ورائه قدر نصف فرسخ فتصايحت به الأبطال وسراة الاقيال وأحاطوا به مثل السوار فى المعصم حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الرجال وهمهمت الأبطال وأحاطوا بهم من كل جانب وندبت النوادب وعظمت المصائب وعمل القتال واشتد النزال كذلك طول النهار الى الليل فنزلت الرجال عن الخيل وقد أيقن المأمون انه فى غداة غد يأخذهم بلا قتال ولانزال فما مضى من الليل هجعة الا ديانس المتغرب قد دخل عليه وقال يامولانا أموالنا تؤخذ فى غداة غد فيسلم من يسلم ويعطب من يعطب فقال الأمير عبدالوهاب يا أخى سألتك بالله العظيم وباليوم الآخر خذ الأثقال وامضى الى حصنك كما قد ذكرت لك فرحل الأمير يانس بالأموال والنساء التى للملك عبد الودود وطلب الأمير عبد الوهاب البطال فلم يجده فخشى عليه أن يكون قتل فى الحرب فهو على غاية من الكرب وقد أتى حالك الظلام وأطلع الحى القيوم العلام الذى لاينام واذا بالبطال قد أقبل وهو يلهث من حمل ثقيل فقال له عبد الوهاب ماوراءك يا أبو محمد جعلت من الاسوأ فداك وما حملك فقال هذا ملك الروم ميخائيل فعند ذلك فرح الأمير عبد الوهاب وكاد من الفرح أن يطير واذا بغلمان البطال قد اقبلوا فقال الأمير وما معكم فقال لؤلؤ أنا معى المانسطر ومع سبك البطرك ومع بديع الكلب شومدرس الملعون ثم قال يا أخى هذه نوبة الروم ونريد أن نمضى الى عسكر المأمون وسوف نرى ما يكون ففرح الامير عبدالوهاب وقال لله درك يا أبو محمد فمثلك فى البلاد لايوجد (قال) وسار البطال وغلمانه معه باقى ليلته الى عسكر المأمون وقد ذهب من الليل أكثره ولم يبق الا أيسره فلماوصلوا الى عند السرادق كان الملعون عقبه قد خرج من عند المأمون لأنه كان عنده يدبر له المصالح ويشير اليه برأيه الناجح وقد سير معه مائة من الاتراك يرمون على الخندق كأنهم الشياطين وقال لهم المأمون هذا حفظه عليكم وهو برؤسكم وأنا أقسم بحق آبائى وأجدادى الطاهرين لئن حدث عليه حادث لاضربن رقابكم فقالوا يا أمير المؤمنين لو اجتمع أهل الارض فى طولها والعرض لما قدروا أن يسرقوه منا ونحن أخبر

بالحيل وبنا يضرب المثل وكل من رأيناه طاف بالخيمة سقيناه كاس المنية ونوقع به كل البلية (قال) فلما نظر أبو محمد الى ذلك وعقبه خارج من هنالك قال لغلمانه اعلموا اننى قد تم لى الدست على عقبة والساعة آخذه بلا محالة ثم خلاهم ومضى الى خيمة سلارنوش وكان من خواص المأمون وهو أمير محتشم أخفس العينين قصير أزرق أشبه الناس يأبى محمد البطال (قال الراوى) ياساده يا كرام وكنت اذا حدثت الخليفة الواثق بالله تعالى يتعجب من حسن هذا الاتفاق فدخل أبو محمد الى خيمة سلارنوش فوجده نائم فأخذه قباه ومنطقته وشربوشه وقوسه وحجفته لان سلارنوش كانت لحيته من غير شعر لم فيها غير شعرات شقر قليلة وله عرف بين عينيه وكان أبو محمد قد رآه وعرف زيه فلبس قباه ومنطقته والقلنسوة الذهب على رأسه ونتف لحيته وبرق وجهه وأقام له عرف بين عينيه مثله حتى أنكره أصحابه وصار سلارنوش على الحقيقة وأخذ فى يده دبوسا بعدأن لبس ملبوسه وسار طالب الخيمة التى فيها القاضى عقبه وأول من لقيه فى طريقه غلمانه لؤلؤ ويانس وسبك وجوهر فلم يعرفوه بل قال لؤلؤ ليانس لا شك ان المأمون قدم هذا الشيطان المريد والجبار العنيد على حفظ عقبة فى الليل فلما سمع الامير أبو محمد كلامهم طاب قلبه وعلم أنه قد تم له ما يريد فصاح بهم بالتركى المغلق من أنتم فى هذا الوقت وكان لؤلؤ يعرف بالتركى فكلمه وقال قد أتاكم والله ما لم يكن فى الحساب اقبضوا على الخناجر حتى اذا زاد عليكم هذا الشيطان فى القول اضربوه فما معه أحد ثم أقبل لؤلؤ عليه وقال له أيها السلار الاجل الرفيع المحل نحن من حماة الليل من قبل المأمون فلما سمع أبو محمد كلام قال تكذب يانذل يابن الانذال كأن كلامك كلام غلام البطال فلما سمع لؤلؤ ذلك أصفر لونه وتغير كونه ثم قال هلكنا ورب الكعبة أنا خبير بهذا السلارنوش يريد لرأسه ألفا من الابطال دونكم واياه قبل أن يلقى عليكم الصياح فعند ذلك ضربوا بأيديهم الى الخناجر وصاح فيهم أبو محمد بالعربى هذا جواب من يريد يمشى فى الليل فلو كنت سلار على الحقيقة لما كانت خناجركم تنفع وكانت رؤسكم تقطع وتصفع فلما عرفوه تعجبوا منه ومن عظم حيلته وغريب صنعته (قال) ثم ان الامير أبو محمد سار حتى وصل الى خيمة عقبة وكان ترك الترك كلهم يدورون حول الخيمه وخمسين على بابها قد أوتروا القسى وعملوا فيها السهام وهم قعود فى خندس الظلام وقال لهم عقبة لو تخيل لكم اضربوه بالسهام فان أبا محمد المنصور فى كل كنيسة فى كل صورة أراد ثم أنه قددخل الى الخيمة وأخذ فى حجره مصحف قديم وقعد يتلو القرآن والمصحف من عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المأمون قد أهداه له وهو بخط أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه وكان لا يفارق المأمون بالله فى سفر ولا فى حضر وكان عقبه قد طلبه تلك الليلة وقال يا أمير المؤمنين أريد أن أقرأ فى هذا المصحف الى الصباح حتى تعود بركته علىّ وما يقرأ فى هذا المصحف أعرف منى لأنى خبير بقراءته وهو خط ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على عليه السلام فقال له المأمون خذه اليك فانك حقيق بما ذكرت فأخذه عقبه وجعل يقرأ فيه على غير طهـــاره إلا أن المأمون له الظاهر والله تعالى متولى السرائر لأنه كان أعلم أهل زمانه ولما دخل الخيمة رفع صوته بقراءة القرآن حتى لا ينام وأطرب الأتراك بحسن صوته وطيب نغمته وجعل يقرأ حتى أبكى العيون ولم تكن قراءته إلا لعنة منه من خوفه أن لا ينـــام الأتراك ويتم عليه أمر من الأمير أبو محمد البطال وأبو محمد وغلمانه والترك من حواليه فلما عاينوه لم ينكروا من أمره شيئا انه سلارنوش وأبو محمد قد غلق عينيه حتى صار تركى من ألف سنة ونظروا ثيابه وعدته وشربوشه وقدسه وهيبته فلم ينكروا من أمره شيئا فلما حققوه قاموا اليه وسلموا عليه وجعلوا يقبلون يديه ورجليه وقالوا له ما الذى أتى بك فى هذا الوقت أيها السلار الأجل فقال لهم مولانا أمير المؤمنين أرسل الى الساعه خادمه منهج وقال لى مولانا يقول لك الحق الغلمان الذين أرسلتهم إلى خيمة القاض عقبه فهو خائف عليه لأنه رجل مطلوب من هؤلاء القوم وما يحفظه أحد مثلك وقد أتيت اليكم ولى أسوة بكم فعندها دخل أحدهم الى عقبه وأعلمه وكان عقبه يسمع بهذا السلارنوش وانه عند السلطان من خواص الغلمان الذين بين يديه ففرح بذلك الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وقال لا عدمت همة أمير المؤمنين أدام الله له الرفعة والتمكين فهو الامام ابن الامام المفضل على سائر الأنام وأريد اخرج إلى هذا السلارنوش المحتشم الذى هو عند مولانا مقدم واشكره على هذه الفعلة التى وقعت فى حقها وموضعها ثم خرج والمصحف فى يده وهو يقرأ فسمع أبو محمد صوته وهو خارج اليه فحمل من خروجه هما عظيما لما يعلم من لفتته وخبثه فقرأ هذه الآية (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وان عقبة لما نظر الى أبو محمد وعليه القبا وعلى رأسه ذلك الشربوش المرصع بالدرر والجوهر وهو يتلألأ من البلخش والفيروزج رمى نفسه عليه وأخذ المصحف وجعل يمر به عليه ويقول بحرمة ما فيه اشفيه وعافيه كما جعل نفسه لى الوقاء وعرف أبو محمد كلامه فقال

فى قلبه آمين ان لم أنتقم منك بالعين ثم قال أيها السلار ادخل معى الى الخيمة على السرير الذى أنا عليه حتى أقرأ لك هذا الكتاب وأفسر لك الحكمة ووعده ووعيده وتنزيله وكل حرف نزل فيه فى معنى وكان عقبة خبير بلسان الترك على سائر الأجناس فكان أبو محمد كذلك ودخل أبو محمد وعقبة معه وجلسا على السرير وجعل عقبة يقرأ ويبكى وجعل أبو محمد يبكى وحدث الامير أبو محمد للامير عبدالوهاب أنه سمع من عقبة فى تلك الليلة من التفاسير الغريبة والأمور العجيبه مالا سمعه من الأئمة الكبار فى سائر الأقطار والأمصار وكنت فى طول ليلتى مفكر فى رواية الأحكام وطرده عن دين الاسلام ولم يزل عقبة يقرأ إلى أن ذهب أكثر الليل وخاف أبو محمد أن يصبح الصباح عليه ويفوته المقصود عند ذلك تناوم ورمى بنفسه على السرير فقام عقبة يقرأ إلى الغلمان وأيقظهم وقال قد سهرت أنا والسلار إلى قرب الصباح وأنتم نيام فكونوا الآن مستيقظين فانى أريد أن آخذ هجعة من الليل فكونوا على يقظة من أمركم ولا تغرقوا فى نومكم فان الشيطان أبو محمد البطال لا يغفل عنكم فقالوا له سمعاً وطاعة ودخل عقبة معولا على النوم ورمى المصحف من يده وقال لقد تصدعت الليلة رأسى من قراءة هذا المصحف غير أنى أسمع الناس فيه قال إلا أن عقبة قد تصدع على أنه لا يسمع كلمة قط لكن الضرورة والحاجة تدعو إلى ذلك احتفاظا على روحى الطاهرة التى ما تموت على دين الحنيفية بل على كلمة المسيحية هذا والامير أبو محمد يسمع كلامه ويقول لعنك الله ثم انطرح عقبة فألقى الله عليه سلطان النوم الذى لا يقدر الانسان على دفعه فلم يقدر يفتح عينيه وكان ذلك عقوبة من الله تعالى له لما فعل بذلك الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان الأمير أبو محمد البطال علم منه ذلك فوثب قائما على قدميه إلى الغلمان الترك كأنه يقضى حاجة فوجد الكل نيام فلم يلتفتوا الكل اليه ولا إلى كلام عقبه بل انكب كل واحد منهم على الآخر بقدرة الله تعالى لينفذ الله حكمه عند ذلك رجع إلى عقبة وقعد على صدره وطرح الخنجر على نحره فلم يضطرب كل ذلك لما ألقى الله عليه من النوم وشد يديه الى رجليه وأخذه على كتفيه وخرج والبارى جل جلاله ستر عليه وما هو إلا أن ابعد عن المضرب وتخطا رقاب النيام وإذا بغلمانه قد تلقوه وقالوا له ايش عملت قال قد أمكن الله منه ثم سلمه اليهم ورجع أبو محمد وأخذ المصحف الذى كان للمأمون وكان بخط الامام على عليه السلام ولم يزل سائر حتى وصل للأمير عبدالوهاب انشقاق الفجر الاول وقد سبق اليه لؤلؤ يبشره بذلك فورد على قلب الأمير من الفرح ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقال على حجة لله تعالى إلى البيت الحرام وزيارة قبر محمد

عليه أفضل الصلاة والسلام وأحمل فيه ألف منقطع إلى بيته الحرام العتيق وعلى أضعاف ذلك إن أنا صلبته فى هذه النوبة والله لأجهدن فى ذلك وبالله التوفيق وقويت نيته على ذلك وكان عنده ميخائيل أسير وكذلك البترك والبطارقة المتقدمين فقال الامير عبد الوهاب إذا أنا كسرت المأمون صلبت عقبه وأنا اؤمل من الله تعالى النصر عليه وإنى والله ما قصدت بذلك إلا غيرة للدين وحمية للمسلمين ولم يزل كذلك إلى أن برق الصباح وأضاء بنوره ولاح ووقع الصياح فى عسكر الملك ميخائيل وصاحت البطارقة من كل جانب ومكان وارتفع الصياح والعجاج وأرسل المأمون يكشف الخبر فقالوا ان الملك ميخائيل قد سرق وسرق معه فلان وفلان وان عالم النصرانية وراهب الملة المسيحية شومدرس قد سرق فلما سمع المأمون ذلك قال والله ما فعل هذه الفعال إلا أبو محمد البطال وهذا شيطان ولا يمكن الاحتراز منه ولقد كسر حدة الروم وألقى فيهم البلاء والهموم وما بقى بعدها من يجرد حسام ولا يجسر ان أحدا ينام هذا جرى للملك الذى للروم الليلة وسوف يأتى لنا الليلة الثانية ثم قال لبعض الحجاب امضى الى الصالح عقبة واركبه بغلة النوبة حتى نطلقه على هذه القصة الصعبة ونخبره بما قد جرى على الملك ميخائيل وصحبه والحمد لله رب العالمين التى كانت للروم ولا لنا ونأخذ نحن حذرنا بغيرنا أن السعيد من كفى بغيره ولعل القاضى عقبه يصف لنا شيئا نحترز به من هذا الشيطان الذى هو فى صورة إنسان وكيف يكون هذه الأيام حربنا لهم لأن القوم فى قلة وقد أقاموا بقتالنا هذه الأيام كلها وهذا ما كنت أقول أن أحداً يفعل مثله والآن فأشيروا على بما أفعل والا آمر الناس بالركوب ويحملون فى مائتين ألف ويقاتلونهم طول النهار فاذا مضى النهار ركب غيرهم ويقاتلون طول الليل فاذا أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح افعل بهم كذلك حتى يقتلوهم بأسرهم بالسيف ويأخذوهم على سهرهم وتعبهم وضجرهم وتسقيهم شراب العطب (قال) فمضى الحاجب ومعه جماعة من غلمان الدار وهم الأتراك الخاص والعام الى أن وصلوا الى المضرب الذى فيه عقبه فلم يجدوه ولا الأتراك لأن الأتراك كان قال لهم المأمون رؤوسكم مرهونة بهذا القاضى عقبة فلما أصبحوا نظروا عقبة أن يخرج من المضرب فلم يخرج أحد فدخلوا الخيمة فلم يجدوه فظنوا أنه قد مضى الى خيمة سلارنوش فقصدوا الخيمة فوجدوه فى خيمته نائما على سريره كأنه الأسد فدنوا منه ونادوه فاستيقظ فقالوا له يا مولانا حاجب الخليفه قد وصل يطلب القاضى عقبة وهو من وقت أن خرج معك ما رأيناه فقال لهم سلارنوش يا ويلكم أنتم مجانين ونعمة الخليفة من أمس

ماخرجت منها فقال له واحد منهم : ياهذا أما أنت جئت إلينا البارحة وعلى رأسك القبع الذى تفتخر به على سائر البشر بالدر والجوهر وفى وسطك منطقتك وعليك قبالة الذى من عمل تنيس الذى وزن كل مثقال منه بدرة فلما سمع ذلك وثب قائما وقال ماهذا وقت مزاح وبالله ما أملك ما أتجمل به سواه ثم طلب القبع فما وجده والقبع فقده والسيف عدمه وطلب المنطقة فما وجدها فجعل يلطم رأسه ويبربر بالتركية فلما أن سمع الغلمان ذلك علموا أن الحيلة قد تمت عليهم وأن عقبة قد سرق فقال بعضهم لبعض ياويلكم اطلبوا لأنفسكم النجاة قبل أن يعلم الخليفة بذلك فيضرب رقابكم فقالوا إلى أين نهرب إن نحن أقمنا فى العسكر هلكنا وإن مضينا إلى الروم رددنا الى المأمون وما لنا ألا نهرب الى الأمير عبد الوهاب فطلبوا عسكره إلى أن وصلوا الى الامير عبد الوهاب وقصوا قصتهم عليه فضحك حتى استلقى على قفاه وأعطاهم الأمان على أنفسهم ودخل رسول المأمون يطلب عقبة فما وجده فرجع الى الخليفة وأعلمه بذلك فضاقت عليه الارض بمارحبت ثم وصلت قصة السلارنوش وما تم عليه فقال كانت نوبة هؤلاء والليلة نوبتى وبالله أقسم ما أسلم منهم إلا أن تنجز نوبتهم بالعجلة ثم انه صاح بالنقباء وقال اركبوا وتجردوا وأمر الناس بالركوب فركبت الأبطال والأقيال وهممت الاسود والضراغم والنسور القشاعم وهزوا السيوم والصوارم وأعدوها لضرب الجماجم ونظر الامير عبد الوهاب الى ذلك فركب فى رجاله وأبطاله وقال له الاميردع عنك الفزع والجزع واحتفظ علىعقبه اليوم يكون يوم الانفصال وضرب أعناق الجهال فلا تضيق صدرك فأنا إن شاء الله تعالى أفرق العساكر مثل طرفة عين وأصلب عقبة فى غداة غد على رغم أنف الأعداء وكذلك يكون إن شاء الله تعالى ودونك أنت والقتال إن بلغت ماتريد وإلا وأنا وحق المصطفى آخذ المأمون بحيلة ما تهتدى اليها الجن (قال الراوى) ياساده ياكرام واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وأرسل المأمون الى عسكر الروم يقول لهم الملك ميخائيل قد سرقوه لصوص المسلمين من بنى كلاب وقد أخذوا قوما من عندنا ممن يعز علينا وقد عولت اليوم على هلاكهم وانى أمرت الناس فى هذا اليوم أن يبذلوا فيهم السيوف والآن قد تعين قتلهم فاحملوا أنتم من خلفهم وأنا من بين أيديهم حتى لايبقى لهم باقية فأجابوا لذلك ونظر الامير عبدالوهاب الى الجيش وقد عدل عن الحملة فحمل من ذلك هماً عظيما فقالت الاميرة ذات الهمة يابنى أقسم الناس قسمين واختارلنفسك من شئت من الفريقين فقال الامير عبد الوهاب أنا والسودان للروم وانت وبنى كلاب

للمأمون ثم حمل الناس بعضهم على بعض وارتجت جنبات الارض طولا وعرض وعملت الصوارم وفلقت الجماجم وقطعت العلاصم ورمت الاميرة نفسها فى بحر زاخر ليس له أول من آخر ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل وقد تضايقت الصفوف وتضاربوا بالسيوف وماهو إلا أن حمل الامير عبد الوهاب على الروم حتى صبحهم صباح ميشوم وطير الرءوس حول القتلى فى الميدان وخاضت الخيل على جماجم الأقران ونصر الله أهل الإيمان على أهل الصلبان فولوا بين يديه هنهزمين والى القسطنطونية طالبين ولم يبق منهم أحد ولم يجدوا على قتال الامير عبد الوهاب صبر ولا جلد وطلبوا الأبواب هنالك رجع عنهم البطل الوثاب وأسد الغاب الامير عبد الوهاب طالب أمه الأميره ذات الهمه وكانت الكتائب والمواكب قد أحاطت بها من كل جانب فحمل الامير عبد الوهاب على الناس وصدمهم بالحراب والتراس واشتد الباس وعظم المراس حتى أمسى المساء وقد لاقى كل خصم من خصمه البلاء ونزل الاميرعبدالوهاب فى مقابلتهم وقد قويت نفسه على قتال المأمون والتفت الى الأمير أبو محمد وقال له : يا أخى أريد عقبة فأتى به بين يديه فمده الامير وضربه حتى نزل لحم كتفيه وقال له : ترى ياملعون من يغلب منا ومنهم وكيف يكون صلبك فى هذه النوبة فقال عقبة وأين أنتم من المسيح المعظم ومريحنا المكرم أن ينتقم منكم ويعيننى على قتلكم فوثب الامير ظالم الى سيفه وقال أنا ما أدرى هذا الانتظار الذى تنتظرونه لهذا الجاحد إلى متى فقال الأميرعبد الوهاب نحن ننتظر ماوعدنا الله ورسوله ونريد بذلك تصديق المصطفى صلى الله عليه وسلم فسكت الامير ظالم على غيظ منه وكان قد حزن على عبد الودود ودفنه فى أثوابه وقد نال الشهادة من الجانبين الغربة والقتل فى سبيل الله وأقبل أبو محمد على الامير عبد الوهاب وودعه وقال الآن قد سلمت إليك عقبة وها أناذا ماض الى المأمون وهوالخطر العظيم فان سهل الله تعالى أخذه فانى لم آت به إليك بل أغربه فى بعض المقابر التى فى هذا الجبل حتى تتفرق عساكره وبعد ذلك أحمل عقبة إليه وأخفيه وهولايعلم حتى يسمع كفره ونصلبه بعد ذلك فى رضاء المأمون أولى وسار البطال وقد فرح عبد الوهاب بهذا المقال ودخل الامير أبو محمد البطال عساكر المأمون فوجد المأمون أقام حول السرادق ألف ديلمى بالحراب المسقية والسيوف الهندية فعند ذلك رجع البطال وترك غلمانه حول السرادق ولم يغب أكثر من ساعة حتى رجع إليهم وله شعر أسود مسبول على الأكتاف وهومنقوش مشدود الرجلين بالزنانير الخضر وقد علق

عليه لحية كبيرة ممشوطة مفروقة ووقف فى جملتهم ومضى عليه أكثر الليل فخشى أن يصبح عليه الصباح فحمل نفسه على الخطر العظيم والأمر الجسيم وقلع وتد من أوتاد السرادق وهجم قاصد الى سرير المأمون فوجد الخدم نيام ذات اليمين وذات الشمال وعلى سرير المأمون شخص نائم فدنا منه وقد تيقن بأخذ المأمون فلما صارمعه كشفه البردة عن وجهه وإذا به محمدبن إبان السلمى (قال الراوى) ياساده ياكرام وذلك أن المأمون لما أخذ البطال ملك الروم ميخائيل والقاضى عقبة أقام على نفسه الحرس الشديد الذى ما عليه من مزيد وقال فى نفسه : إن هذا الشيطان الذى هو فى صورة إنسان إذا أتى لايمنعه حرس ولا بواب ولايجب أن آخذ أمره على الاهمال لأنه عيار محتال وقد أخذ القاضى عقبة من بين مائة ألف وظهر فى صورة أصدق الناس إليهم وأنا أخشى فى هذه الكرة أن يخرج فى زى أمراء الديلم ويضع السكين على نحرى فأحتاج أن أسلم روحى إليه وإلاقضى على (قال) فبينما المأمون يقرأ على نفسه كتب الآفات ويضمر فى نفسه البليات وإذا بمحمد بن أبان السلمى قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وخلفه ألف رجل من بنى سليم وقال ياأمير المؤمنين وخليفة الأئمة الراشدين قد أخذ الامير عمرو بن عبيد الله كما علمت فى الحرب وقادوه ذليل حقير والقاضى عقبة قد سرق من مقامه وأخذ من مرقده ولابد للبطال الليلة مما يقصد إليك حتما مقضيا لأنه يقول مايتم لنا صلب عقبة إلا إذا تفرقت عساكر المأمون ونسقيه كاس المنون ولا سبيل إلى تفرقها إلا بأخذه ولا يقدر على ذلك إلا من طريق اللصوصية وقد رأيت ياأمير المؤمنين أن تقيم الحرس على نفسك حول السرادق ثم تتركنى نائم فى موضعك ويكون حول السرير الرجال وفى بيت الحريم الأبطال بالسيوف القاطعة والدرق اللامعة فاذا وصل هذا العيار المحتال أبو محمد البطال خرجت عليه الابطال والرجال وتكاثروا عليه ثم يقودك فى الحال ويكون يا أمير المؤمنين قلبك آمناً من جهته ولايقدر عبد الوهاب يفرط فى الأسارى وإن أردت أن تفتدى به كل من عنده فذلك أحب اليك وأحفظ لديك فلما سمع المأمون ذلك قال هذا هو مليح حسن ان تم هذا الامر فقال محمد بن أبان السلمى هذا يتم لسعادتك يا أمير المؤمنين ولعل الله تعالى أن يرحم عقبة ويخلصه من هؤلاء الذين استحلوا دماه وقد أقام له فى قلوبهم أكثر الغرض السوء ولايراقبون الله تعالى فى أمره والثانى أنت تعلم مافى قلوبهم من أجل عمرو بن عبيد الله كونه أمير الأمراء فما نأمن عليه من شرهم فلما سمع المأمون ذلك فرح فرحا شديداً وأجابه الى قوله وخرج محمد بن

أبان السلمى وأعلم أمراء بنى سليم بذلك ففرحوا وانتخبوا من سادتهم خمسين فارس وفرقوهم حول السرادق والخيام وأما المأمون وحرمه فإنهم قد راحوا إلى خيمة أخرى فى جانب العسكر ودخل محمد بن أبان السلمى إلى سرير المأمون وأقاموا يراقبون وصول الامير أبو محمد البطال حتى أظلم الظلام واطلع الحى القيوم الذى لا ينام وإذا بأبو محمد قد أقبل فى سرعة أمره وجعل يمشى على بطنه كالحية الرقطاء أو اللبوة الشمطاء يدب كدبيب النمل على حبل الرمل وقلع وتدا من أوتاد السرادق وقد كشف عن النائم وإذا به محمد بن أبان السلمى فأنكر أبو محمد ذلك وعاد راجعا هنالك خرجت عليه الرجال وتبادرت نحوه الابطال وفى أيديهم السيوف الصقال والدرق الثقال ونادوه ياخبيث جاءك العطب وما بقى لك الى النجاة من سبب فلا تطمع فى الهرب فعلم أبو محمد أنه إن هرب وقع فى العطب فسلم نفسه اليهم فأخذوه وكتفوه ومافيهم إلا من ضربه إلا رجل منهم يقال له العربيد بن بكار فإنه لم يضربه فقالوا له وما الذى منعك من ضربه ولم لا تأخذ حقك منه وقد أمكنك الزمان منه قبل أن يحمل الى المأمون فقال كل من يشير بهذا الرأى على نفسه وأما أنا فقد امتثلت أمر أمير المؤمنين بكونى معكم وأما ضربه فمالى فى ذلك من حاجة لأنى أخذت بالنصيب الأوفى وذلك أن فى بعض الأيام كان أمير المؤمنين الرشيد طلب أبو محمد وكان ساخطا عليه وقد عزم على قتله إذا قدر عليه وما قدر عليه إلا بعتبه لأنه نصب له حيله وأخذه بها وحمله الى بغداد وسيره مع الامير عمرو بن عبيد الله من ملطيه فى مائة فارس من بنى سليم وكنت فيهم فمافينا إلا من لطمه وضربه وهو صابر صبر الكرام وقضى من القضاء أن الرشيد بالله أطلقه فما فينا إلا من سرق ثيابه وماله وقطع أذنه وهذه أذنى مقطوعة وفعل ذلك بالمائة رجل وكان لا يرفع الخنجر على أحدنا حتى يشترى روحه منه على قدر حاله فان أمرتمونى أتولع به مرة أخرى حتى أنه يقطع أذنى الاخرى وأبقى إذا وضعت العمامة هتيكه عند الناس فلما سمعوا ذلك من كلامه ضحكوا عليه وقالوا هذه النوبة ما بقى يسلم أبدا فطب نفسا وقر عينا ثم أخذوه ومضوا به الى المأمون فلما علم المأمون بذلك خرج من الخيمة التى كان فيها وفرح فرحا شديد ما عليه من مزيد وأحضر أبو محمد البطال بين يديه وقال له يا كلب العرب وأخس من ضرب فى البيداء وتد وقد طنب مثلك من يهجم على مثلى والله لأقتلنك شر قتلا حتى يعتبر بك الخاص والعام والحاضر والباد وجميع من فى الأرض والبلاد من الخلق والعباد فلما سمع أبو محمد ذلك رفع رأسه الى المأمون وقال أما قولك يا كلب العرب فما يخلد ذلك

من وجهين إما لبخلى وإما لصورتى ولا يحل لك أن تجعل رجلا مسلما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو رجل مجاهد فى سبيل الله كلباً فان كان هذا لصورتى فلا يجوز لك أن تتجرأ على خالقى وإن كان لبخلى فأنت تعلم أن هذا ما هو طبعى فقد وقع فى يده أموال الدنيا مالا تحمله الجمال والبغال ومضى الكل فى ضيافة الضيوف وإغاثة الملهوف وأنت تعلم أن عقبة كفر بالرحمن وشرب الخمر بين يديك فى خيمة الملك ميخائيل وبات سكران وقد امتلأ بطنه من لحم الخنزير ورجعت الى تصديقه وكذبت ماشاهدته بالعيان وسمعت قول زوره والبهتان وأما قولك انى قد تجرأت على سرقتك فقد سرقت من تشرفت به أنت وهو أمير المؤمنين الرشيد بالله لا كان ممن ينطلى عليه محال عقبة وينكب كل يوم بنكبة والأمير عبد الوهاب كل يوم من أجله مطلوب وهو لايعرفه إلا اذا كانت سيف الروم تخطفه ويرجع عبد الوهاب إلى كرم أصله وجميل فعله فيخلصه مما هو فيه وبعد ذلك لايرى له أن يعود يسمع كلام عقبة حتى أخذه الله إليه وهو على ما كان عليه من حماية شيخ الضلالة ومعدن الجهالة وسيندم إذا حضر الموقف وسمع من الله سؤاله فهنالك اغتاظ المأمون وقام العرق الهاشمى بين عينيه فبدأ أبو محمد البطال بالكلام وقال : وتولى أخوك الأمين على أحكام المسلمين فأخذتنا الحمية لأجل إخراجه لك من العراق وتشتتك فى الآفاق ولم نزل معاضدين وعلى أخوك لك مساعدين حتى قتل مظلوما ورحل الى أبيه مرحوما وبعد ذلك توطدت لك قواعد الخلافة والمملكة خاصة بعد ما كانت مشتركة فلا تغتر يا أمير المؤمنين بالمملكة فلابد أن تندم على فعلك فى اليوم الطويل والرأى عندى أن تصالح السيد المسدد ترس قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم فياأمير المؤمنين مامثله قط فى هذا الزمان يوجد ولاتنكر فعله وأعطيه ماطلب وبلغه ما أحب ولا تنكر من حقه عليك قد وجب واخلع على من معه من سائر العرب وسلم عقبة اليه وقلده دمه فهو وحق النبي المحتشم الهاشمى محمد صلى الله عليه وسلم كافر فاجر وبعينى رأيته قد تنصر فلايغرك حلاوة مقاله وتسمع من احتياله فلو وصل اليك ما أبقى عليك وان لم تسمع منى ما أقول فهاأنا بين يديك افعل ماتشاء فان الامير عبد الوهاب يغفل كل من كان عنده وبعد ذلك ماتدرى ماتلقى منه فان كان النصر والظفر له فهو يأخذ بثارى ويلزم الأمر أن يسلم الخلافة الى سلالة المصطفى وابن عمه المرتضى وفاطمة الزهراء وهوموسى الرضى وتبقى فيهم الى يوم القيامة وان كان النصر لك فلابد لعقبة مايعمل عليك ويخرج الروم من بلادهم اليك ويخربون ديارك ويهلكون أنصارك ويعجلون بوارك (قال) فما هو

إلا أن وصل لهذا الكلام حتى انقلبت عين المأمون فى أم رأسه لأن أبو محمد شنع فى الكلام وقلبه وثيق بالأمير المهاب وأن عنده عقبة والأمير عمرو بن عبيد الله وجماعة من عسكر المأمون وكان ظن أبو محمد أن المأمون يحمله على مثل هذا وكان الخليفة على كل حال نفسه نفس السلطنة وفيه حدة الشباب فأخذ مصحف وقال ويلك إيش قصدك أن تصلب عقبة فقال أبو محمد نعم يا أمير المؤمنين قال المأمون وحق مافى هذا المصحف المنزل على النبي المرسل لابد لى فى غداة غد من صلبك على باب القسطنطونية حتى لايرجع أحد من الناس يتلفظ فى مجالس الخلفاء بمثل هذا المقال ثم أمر بضربه فضرب حتى غاب عن الدنيا وندم الأمير أبو محمد على قوله ذلك وعلم أن مافيه احتمى لامثل ما كان الرشيد بالله فأيقن أبو محمد بالهلاك وقال والله ان المأمون ما يبالى أن يسلم عقبة أو هلك وكذلك عمرو بن عبيد الله ما عنده منه خبر والأمير عبد الوهاب ماعنده خبر من هذا الحديث فلما كان انفجار الفجر وذهبت غياهب الدجى وأقبلت عساكر الضيا عند ذلك رجعوا غلمان البطال وقصوا القصة على الأمير عبد الوهاب فصعب عليه وقال كيف أخذوه هل وقعت عليه عين فقالوا له يا أمير سمعنا من قوم بنى سليم يتحدثون أنها حيلة رجل يقال له محمد بن ابان السلمى وانه جرى كذا وكذا وخاطب المأمون بغليظ الكلام فعند ذلك أقسم بالمصحف والطلاق لابد له من صلبه على أى حال كان فقال الامير عبد الوهاب لاحول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم ربما فعل ذلك ولا ينظر فى عاقبة أمره ولابد ما يكون اليوم حرب تسفك فيه دماء المسلمين منا ومنهم وهذا سبب يكون فيه تلاف ابطال الموحدين ولكن عليه نستعين بالملك الحق المعين الذى بيده نواصى الخلق أجمعين فقالت بنى كلاب : اعلم أيها الأمير أنه قد قتل منا فى هذه النوبة سادات كانوا لنا عدة فان كان المأمون قد عول على صلب البطال فنحن وإن كنا فى قلة وهم فى كثرة فنحن رجال وأى رجال قد قطعوا من الحياة أطماعهم وطابت لهم الوفاة وإذا رأيت المأمون وقد قدم الخشبة لأبى محمد البطال وأمر برفعه عليها وتحققت ذلك من صحة يمينه ارفع أنت أيضا عمرو بن عبيد الله عوضا عن صاحبنا أبو محمد فان أراد المأمون الفداء والصلح فعلنا ذلك وإلا فدعه يصنع مايصنع وإن سلم أبو محمد فى هذه فما يسلم من غيرها وعظيم الأهوال والأحداث مثل يسيرها فقالت الأميرة المجاهدة : هذا والله هو السداد والصواب وصاحت السودان وأبناء الحبشان والله لا تركت أبو محمد يصلب وفينا من له ساق وركب

ولو شربنا شراب العطب (قال الراوى) وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ووقع الصياح فى عسكر المأمون وكان ذلك أصوات بنى سليم يستغيثون الى المأمون من أجل عمرو بن عبيد الله وهو لايلتفت اليهم وقد حلف أنه يصلب البطال ولا يبرح من تلك الأرض حتى تأكل الطير من لحمه وأمر المأمون العساكر بالركوب فركب خمسين ألف تركى ترمى عن قوس واحد وخمسين الفى من الأكراد وخمسين الف أجناد وخمسين الف من عسكر الشام والسواحل والباقون من عسكر العراق ومجمعة الآفاق وهم أربعمائة الف بالخيل الجائلة والعدد الكاملة ونادى الأمير عبد الوهاب فى خيله ورجاله وأصحابه وأحبابه فركبوا وقد رموا العمائم عن رؤسهم وقدموا على الموت نفوسهم ووصلوا الذين كانوا فى حصن يانس المتغرب وهم الف فارس فوجد الأمير الراحة بهم وأمر السودان أن يخرجوا الخشبة لصلب عقبة وأمر أن يقدم اليها وقد أيقن بالتلاف وزحف المأمون وقد ألصق الخشبة إلى صور البلد وأومؤا الروم من فوقها أى أسوار البلد من الرجال والنساء يتفرجون على البطال وقد فعل الأمير عبد الوهاب أيضا كنفاله ورفع الخشبة والبطال مشدود اليدين وعقبة كذلك وقد ارتفع الصياح من سائر الأقطار وطلع الغبار وهمهم كل جبار والروم قد ربطت جمال الخشبة التى لأبى محمد البطال إلى الأبراج وكثر الانزعاج وهمت الرجال برفعه والأمير عبد الوهاب قد أمر السودان فقدموا خشبة أخرى لعمرو بن عبيد الله ففعلوا ذلك ونظر المأمون إلى فعال الأمير عبد الوهاب فصاح بالأكراد والديلم احملوا عليهم قد صلب البطال وبعد هذا فهو بين أيديكم إذا خلصنا الشيخ الصالح والقاضى الناصح وما يفوتنا ما نحن فيه من اليمين الذى حلفته فى هذا اليوم ويجوز أن يكون فى غد (قال الراوى) وختشى الأمير عبد الوهاب أن يفرط فى أمر محمد البطال من أمر من الأمور فأقبل على السودان الأنجاب وقال لهم كيف تطيب قلوبكم أن يصلب الامير أبو محمد البطال دونكم والحملة فحملت السودان وبربرت الحبشان وطلع على أشداقها الزبد ألوان وكذلك الامراء من بنى كلاب ترجلت على الخيل والركاب وزعق المأمون فى كتائبه ففعلوا كذلك والتقت الطائفتان وعمل السيف والسنان ولم تزل السودان وأبناء الحبشان تخترق الصفوف إلى أن وصلوا الى خشبة البطال والرجال حوله مثل يأجوج ومأجوج فقتلوا الرجال وأبادوا الابطال ونظرت عساكر الديلم والعجم والترك إلى السودان عندها هرب الديلم وحلت بهم النقم وأنزلوا السودان خشبة البطال فعظم على أمير المؤمنين المأمون وصاح بعساكره فترجلت خمسين ألف

أكراد وخمسين الف من سائر الطوائف ورفعت الخشبة وأوترت القسى من الاتراك معولة اذا رفع البطال يرشقوه بالنبال هنالك ترجلت الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب وصاحوا فى السودان يا آل حام ما بينكم وبين الامير أبو محمد البطال الا أن يرفعوه على الخشبة ويرشقوه بالبنال هنالك هاجت السودان وبربرت الحبشان وتواثبوا الى الحبال فصاروا فيها معلقين مثل الجراد المنتشر وقطعوا الحبال وحازوا الامير أبو محمد البطال وتكردست عليهم الرجال بالتراس وبحلقت السودان أحداقها للناس فلما نظروا الناس والعالم الى ذلك الامر من السودان الامجاد فاندقوا منهزمين والى المأمون طالبين وتخلص أبو محمد من العذاب ونصر الله الامير عبدالوهاب ووقعت له الهيبة فى قلوب الروم فجعلوا يستغيثون من فوق الاسوار ويقولون حنا ومريم والصليب (قال الراوى) وأن الامير عبدالوهاب اشتغل بقتال المأمون فخرجت الروم على غفلة ونهبوا ثقل المأمون وثقل الامير عبدالوهاب وكان شيء لايحصى بعدد الرمل والحصى ولم يكن للبطارقة همة الا للملك ميخائيل وعقبة وشومدرس فخلصوهم وساروا على وجوههم الى اقليم بلاد الروم ورجع الامير عبد الوهاب فى غاية من الانحتاب لما قد قتل ولم يذكر عقبة ولا الاسرى حتى جمع الغنائم والاموال وعول على الارتحال وافتقد عقبة والملك ميخائيل فلم يجدهم فعظم ذلك عليه وكبر لديه وضاقت عليه الارض بما رحبت (وأما المأمون) فما كان له رجعة الا أنه سار الى الديار وقد حل بعسكره البوار وساروا قاصدين ملطية ولم يزل المأمون سائر ليلا ونهارا حتى وصل الى ملطية ولم يكن له همة الا نهب أموال بنى كلاب والسودان الانجاب وكان الذى أخذ لهم ما لا يقع عليه احصاء بعدد الرمل والحصى من آلة العدد والسيوف والزرد وغير ذلك من الاموال والجوار وفرق الكل على عسكره وقبض على نساء بنى كلاب وأولادهم وعلى نساء الامير عبد الوهاب والاميرة علوى والقناصة وكانت قد انقطعت للعبادة وندمت على زمن الجهالة وقدنزل بهم الى العراق وكثر فيهم البكاء والزعاق وصار بهم الى بغداد وخرج العوام يشترون السبايا واذا بهم عربيات من النساء الكلبيات والصياح منهم عالى فعظم ذلك على الناس وسألوا عن الحال فقيل لهم ان الامير عبد الوهاب قدنافق على الخليفة والاصل فى ذلك أنه أراد صلب عقبه العابد الزاهد فلم يمكنه المأمون من ذلك وغدر به وأخذ ماله وأثقاله. فعاد المأمون الى ملطية وأخذ جميع أموالهم ونسائه وعيالهم عوضا عن ماذهب له وعقبة وعمرو بن عبدالله عند الامير عبدالوهاب أسارى فاذا أطلقهما أطلق الخليفة

لهم نساؤهم (قال) وجمع المأمون والنساء والاطفال وأفردلهم الدور والمواضع وجعلهم فيها فأنكروا أهل بغداد ذلك حتى اذا كان يوم الجمعة وخطب الخطيب الخطبة فلعن الاميرعبد الوهاب وذكر انه خرج عن الدولة العباسية وأنه يصلب العبد الصالح عقبه وأن العوام لعنوا الامير عبدالوهاب وأصحابه وقالوا هذا أراد أن يقتل قاضى المسلمين وبركة الاسلام وعمدة الشرائع والأحكام وقوم يقولون والله ما يفعل الأمير عبدالوهاب شيئا من ذلك ولا يرى غير عبادة الله تعالى والجهاد لأن فيه دينا ومعرفة ويقينا وصلاح ولولا أنه رأى من عقبة شيئا يستوجب عليه الصلب لما طلب ذلك فعندها اختلفت الأقاويل وانقطعت الصلاة وجردت السيوف وقامت الصفوف ونزل الخطيب وقد تبادرت اليه المتعصبون لعبد الوهاب وأبو محمد البطال وطلبوا قتله فردهم المتعصبون لعقبه وكانت نوبة عظيمة قتل فيها جماعة وبلغ الخبر الى المأمون فعظم عليه وكبر لديه وقال لغلمانه اركبوا فى أربعمائة وفرقوا بين الناس وقال المأمون إذا كان هذا من عمل الناس فى حقه فى بغداد وهو غائب فكيف لو كان حاضر لكان أكثر الناس معه وهو خليفة مثلى وما لى إلا بذل الأموال فى سائر الاقطار ولا أبقى من بنى كلاب ديار حتى لم يبق لهم آثار وكتب المأمون إلى سائر الآفاق وسير الكتب على أجنحة الطيور إلى جميع الولاة يسأل عن رجل يكون أوحد أهل زمانه فى الشجاعة والقوة والبراعه ويكون له قوم وعشيرة وأهل وأقارب ونسائب ويعرف بالفروسية والضرب بالمرهفية حتى أعطيه كل ما طلب وأعطيه الامارة على الثغور موضع الامير عبد الوهاب ويحصل له على المال الذى يحمله له فى كل سنه وهو مبلغ مائة ألف دينار سوى ما يناله من القرى والضياع والاقطاع (قال الراوى) ووصل اليه جواب ما نعرف من يقتل عبد الوهاب فى موقف الضراب والطعان فضاق صدر المأمون وبقى فى حيرة من ذلك إذ دخل عليه صاحب برج الحمام بطائر منسوب وعلى جناحه مكتوب وإذا به من أرض الحبشه من عند رجل يقال له الهدلموس ابن مناطح التيوس وهو ملك الكرادمة والحبش وهو لم يدخل تحت طاعة الخلفاء قط لانه بعيد الديار كثير الجنود والاعوان وهو رجل من الجبابرة وقد بلغنا عنه لم يضحك قط ولا يعرف شريعة ولا مذهب ولا يتبع دينا ولقد كان طول ذلك مصر على المعاصى وكان المأمون قد كتب إلى سائر الأمصار يطلب من يدفع عنه هذه الغمه فلما وصل كتابه إن الهدلموس احمرت عيناه وابيضت شفتاه وقال ما كنت أقول أن على وجه الارض من يعرف بالفروسية والشجاعة والقوة والبراعة غيرى والآن قد اجتمع الناس على ما قال هذا الذى قد ملك الغرب بأن ما فى الارض مثل هذا الرجل الذى

يقال له عبد الوهاب وأنه قد خرج على سلطانه خارجا وقد أرسل يعرض الأمور ويطلب النجدة والنصر ويذكر فيه إلى سائر العجم والترك والديلم وقد عجزوا عن هذا الفارس المقدم وقد عولت على المسير اليه واطرح روحى عليه فقالوا له أيها الملك اذا أردت ذلك عرض له بحديثك وعرفه بموضوعك وبعد ذلك تجرد الابطال فعندها سير ذلك الكتاب وعرف الخليفه كما وصفنا ووصل ذكره للخليفة كما شرحنا ففك المأمون ختمه بيده وقرأه وعلم مافيه ومعناه واذا فيه مكتوب أيها المالك رقاب العجم والعرب والمستولى على الامم أما بعد فانى وقفت على كتابك وقرأت مافيه وعرفت معانيه فأما ماذكرت من عبد الوهاب الذى من أجله أسير اليك فى جماعة من بنى كروم مثل الغسق اذا أظلم على خمسين ألف أدهم واترك أرض عدوك يصيح فيها الذئب والسمعمع وأردفها بخمسين ألف من الحبشان كأنها أولاد الجان وفيها عشرون ألف من بنى عقفور الذى ذكرهم فى الاقطار مشهور الذين ختمت على أفواههم بالاقفال حتى لا يأكلون لحوم الرجال لانهم بلا عقول يهتدون بها الى الصواب فهم على طبع الدواب وأنيابهم كأنياب الكلاب ولكن أنا محتاج الى شيء أدارى به أجسامهم لان ما عليهم الا الانطاع فى أوساطهم وقد سمعت أن ذلك كثير عندكم وفى دياركم وأما الخيل والسيوف والرماح فعندنا كثير وإذا وصل الى ماطلبت سرت اليه وقتلته ولوكان فى الارض ألف مثله (قال) فلما فهم ذلك المأمون طار عقله فرحا لان الرشيد كان كاتب هذا الهدلموس ابن مناطح التيوس فلم يقدم عليه ولا التفت اليه (قال الراوى) ولقد سألنى الواثق بالله يا امير المؤمنين لما وصلت فى منادمته عن هذا الحديث قال وكيف مناطح التيوس قلت ياأمير المؤمنين قد سألت رجلا شديد البأس من أصحاب الهدلموس عن ذلك فقال لى ان أباه كان رجلا شديد البأس صعب المراس قوى الأساس كان رأسه تدور عليه فى بعض الأوقات فلا تهدأ عليه حتى تعبر التيوس الكبار فيناطحهم حتى يهربون من بين يديه فتهدأ رأسه ورأسه مثل الصخرة الصماء ولم يمت حتى عدم عقله (قال الراوى) ورجعنا الى سياقة الحديث (قال) وان المأمون فتح الخزائن وأخرج الثياب وغيرها وأرسل الى بلاد الخابور والحزبه وغيرها من سائر الأقطار يطلب الثياب الجافية من القطن فلم تكن الأيام قلائل حتى صار عند المأمون ألفى ألف ثوب من الخام وأخرج مع ذلك قوم يخيطونهم فكان عدتهم عشرة آلاف من سائر الأجناس وقال للوزير أحمد بن سهل سر مع هؤلاء القوم بهذه الثياب والأموال وأوعده عنى بكل جميل فقال الوزير يا أمير المؤمنين اعلم أننى رجل ضعيف وقد كبرت عن أثقال الوزارة فان أعفيتنى

من هذه الأشياء وإلا انظر إلى هذا الأمر غيرى وكان ذلك من أحمد بن سهل من طريق مراعاة الأمير عبد الوهاب وهو قد صح عنده كفر عقبه ونفاقه وبقى المأمون لا يدرى من يرسل مع تلك الاموال والثياب لأنه يريد رجل صاحب رأى وتدبير ومقال حتى ينجح أمره عندهم ويدخلون تحت طاعته وهو كذلك إذ دخل عليه الخادم صلاح خادم الست زبيده وقبل الارض بين يديه وقال يامولانا السيدة تقبل الارض بين يديك وتقول لك قد وصل الشيخ عقبه وهو عندها وهو خائف من الحضرة أن يكون فى قلبه شيء مما عاينه من ذلك الانكار فى حالة الاضطرار وهو يتشفع بك اليك ليدخل عليك وأريد تبيض وجهى ولاتردنى فى مسألتى ولو كان كما يقال عنه كان أقام عند الكفرة فى بلاد الفجرة والعياذ بالله تعالى فلما سمع المأمون ذلك قال والله لقد فرج الله عنى بقدومه كربة وانشرح قلبى لاننى كنت خائفا عليه أن يصلب لاننى تركته مع السودان فى الذل والهوان والثانى مالى من ينوب فى هذه الخدمة مثله فعود الى السيدة زبيده وقل لها ان القاضى لا يحتاج شافع فانه عندنا فى المنزلة الرفيعه التى هى عندك أوفى فعلى به سريعا إن كان سميعا مطيعا فغاب الخادم قليلا وإذا به قد رجع على التعجيل وعقبه خلفه قد عبى أردافه وجنح طيلسانه وكان حافيا فتعجب منه المأمون من حفاه فلما أن دخل قال السلام عليك يا إمام العدل والانصاف ومن فاق شرفه على سائر الاشراف يا أمير المؤمنين إنى قد نذرت أنى اذا وصلت الى هذه الحضرة منذور لانى رأيت فى طريقى كل محظور حتى وصلت اليك والى الست زبيده التى لم تزل داعية لك شاكرة فعند ذلك فعلت النذر لانى أتبرك بهذا التراب الذى التصق بقدمى وانى فعلت كما قال الله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا والحمد لله الذى جعل نفسى بقدومها عليك فاخرة فنالت بذلك الدنيا والآخرة وهناك بما ألبسك من المفاخر فى قديم الزمان وآخره فتعجب الخليفة المأمون من هذا الكلام الفصيح والقول المليح وقال من يكون بهذا العلم الغزير كيف يصدق فيه أن يكفر بالعزيز القدير هذا ما لا أسمعه فيه ولا أشمت به أعاديه ثم أقبل على عقبة وقال له خذ هذا الكتاب واقرأ ما فيه وانظر الى معانيه فأخذه عقبة وقرأه ففرح واستبشر بذلك وأيقن أن الامير عبد الوهاب هالك لأن الملعون لما أخذته الروم لم يجسر أن يقيم فى بلد الروم وقال لا بد للبطال أن يطلبنى ولو كنت تحت تخوم الارض وأعطى المتنصره المال الكثير الذى ليس بقليل وقال للملك ميخائيل ها أنا الحق المأمون وأشير عليه بما

يكون حتى يطلب العبد الزنيم ويبليه بكل بلاء عظيم لانى اذا وقفت بينهم نلتم أنتم ما تريدون من الجانبين (قال) ثم سار الى أن وصل الى بغداد وجرى له ماجرى وقرأ الكتاب فكادت روحه أن تزهق من الفرح إلا أنه لم يظهر ذلك للمأمون بل أقبل عليه وقال له ما الذى أقول لا أبق الله لك يا أمير المؤمنين عدوا ولا حاسدا ولا مضادا ولا معاندا وأما الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فان الله تعالى يصلحهم ويعيدهم الى الهدى فقد لعب بهم الشيطان وزين لهم أعمالهم الردية حيث أنهم فعلوا هذه الفعال ومنوا أنفسهم بالمحال وان هذا الهدموس ان سار اليك يريدله مالا عظيما على أن الانسان اذا بلغ غرضه فهو المراد ومسرة الفؤاد ثم ان عقبه قال يا أمير المؤمنين وان كانوا قد رمونى بمالا يشبه بى فاننى أقول بما لا يليق بى لان طبعى طبع الخير فان كان لابد من هـــذه الامور فهو اليك ولعمرى ان فيه الصواب من اقامة الهيبة وبلوغ الغرض وتأديب سائر الولاة التى من قبلك فى الاقطار وجميع الامصار وأنت اذا قدرت تعفو وتصفح فهو أحسن وأفلح وارفع الى قدرك وأجمل لهيبتك والرأى عندى أن ترسل الى هذا الملك والا انفسد عليك النظام وتطمع فيك العوام فقال المأمون وقد عمل معه تحريض عقبة دعنى يا قاضى من اشفاقك فلا لى مما أقلع من الأرض آثارهم وأخرب ديارهم وبالله لاسار الى الملك الهدلموس رسولا غيرك فهؤلاء بين يديك وتحت حكمك فلما سمع عقبه ذلك أظهر أنه كاره له ثم أجاب وأخذ الاهبة فى ثلاثة أيام وسار فى اليوم الرابع هـــذا ماكان من عقبه (وأما ماكان) من الامير عبد الوهاب ما عنده من ذلك الخبر ولكنه لما كسر عسكر المأمون كما ذكرنا ورجع الى الخيام وقد نهبت الاموال والاثقال وسأل عن الاسارى وعقبة وشومدرس والملك ميخائيل ففقدهم عظم عليه وكبر لديه وضاقت عليه الارض بما رحبت وجمع باقى الثقل وأقام فى رستاق بلد الروم وضياعهم شهراً كاملا وغار على بلا الكرج وكافرة ترك والبنجاك وأخـــذ من السبايا والاموال بعدد الحصى والرمال حتى عجزت عن حمله الجمال والبغال وسار طالب حصن يانس المتغرب وأقام به عشرة أيام وأعطاه حتى أغناه وسار يقطع القفار حتى أشرف على نهر قباقب والبدنون ونزل على باب ملطيه وقد أعطى الامير قراقر جارية كان قد انتخبها لنفسه كأنها النفس الضاحية وأصلح بينه وبين أبو الهزاهز ووبخه على فعاله ولما نزلت بنى كلاب والسودان الأنجاب على ملطيه فوجدوها قفراء خراب يصيح عليها البوم والغراب خالية الجنبات موحشة العرصات ومافيها إلا شيخ كبير السن وعجوز قليل الذهن وكان المأمون لما

أخذ نساء بنى كلاب كما ذكرنا أقامت بنى سليم فى ملطيه وانهم خافوا من الامير عبد الوهاب على أنفسهم فأخذوا أموالهم وأولادهم ونساءهم ورحلوا إلى البر الأقفر فلما وصل الأمير وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فعظم عليه وكبر لديه لفقد أهله وتباكوا بنى كلاب والسودان الأنجاب على حريمهم والعيال وأقبل الأمير عبد الوهاب على قومه وقال لهم ماتريدون من الرأى فقالوا لاصبر لنا والله لقد كسبنا العار والفضيحة والشقاء وان كان قد أعطى نسائنا وبناتنا للعجم الذين مالهم دين ولايخشون من رب العالمين فلابد لنا مانرمى أرواحنا الى العراق ونضرب بالسيوف الرقاق فقال الامير عبدالوهاب : إذا كان الأمر على ماذكرتم والحال على ما وصفتم فأقيموا وأريحوا بنا الليلة وغداة غد نفعل ما يكون فقالوا له افعل ما تريد فكلنا لك عبيد (قال) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح رحلوا طالبين آمد حتى وصلوا اليها ودخلوها ووضعوا فيها الأموال التى معهم والأثقال وأوصوا عليها ميمون الجماس ثم ركب الأمير عبد الوهاب وقال سيروا حتى ترون العجب وسار الأمير عبد الوهاب مع أبطال بنى كلاب وفى قلوبهم النار من عظم الفضيحة والعار ولم يكن المأمون فعل ذلك بل سلم أمرهم الى الوزير أحمد وكان مبرماً فى حظهم مشفقا عليهم زائداً لهم فى الكرم (قال) وخرج الأمير فى عرض البر على سجستان وحران والرتة والخابور إلى أن قارب الرحبة وسار على ساحل الفرات حتى وصل الانبار فكتب صاحب الانبار الى المأمون يعرفه بوصول الأميرعبد الوهاب الىالانبار وانه أخذها إلا انه مانهب لأحد مال ولانوال ولاشىء يساوى درهما واحداً فقال للوزير أحمد بن سهل ما ترى فى هذه النوبة فقال ما أرى من الرأى أوفق من أن نطلق نساءهم وأولادهم وتأمرهم بالرجوع فان فعلت بهم هذا طابت قلوبهم واستقروا فى أماكنهم وتبادروا الى خدمتك فقال المأمون اعلم اننى أنا إن فعلت ذلك فانهم يطمعون ويصيرون كأنهم الحاكمون علينا ولابد ما أخرج اليهم ثم ان الخليفة المأمون نادى فىالعساكر بأخذ الأهبة ففعلوا ذلك وخرج الناس فى عالم عظيم مقدار ثلثمائة ألف فارس وكان الأمير عبد الوهاب قد وصل الى العراق فى ستين ألف فارس مابين رامح وتارس من كل بطل مداعس وليث ممارس (قال الراوى) وكان الامير عبد الوهاب لما أن وصل الى آمد جمع الأكراد والأجناس وصاروا فى عالم عظيم . هذا وقد بلغ الخبر للأمير عبد الوهاب أن الخليفة المأمون قد جند الجنود وقد برز من مدينة بغداد وهو فى ثلثمائة ألف فارس وقد وصل الى تل عرقوف وأشرفت

العساكر على بعضها البعض وكان إشرافهم على بعض عند الصباح واشتهرت النصال وجالت الفرسان وتصادمت الابطال وحملت المواكب على المواكب وتبادرت الخيل من كل جانب وأقبلت عساكر العراق وقد بدا فيها الصراخ والزعاق وأظلمت من الغبرة الآفاق والتقوهم بنى كلاب بالرماح الرقاق وطلبوا خلاص حريمهم وأولادهم والأموال وجال الفارس الريبال وخاف الجبان من الآجال وهممت الاقيال وحمل أبو الهزاهز البطل المناجز وحمل قراقد البطل المجالد وكذلك سودانه وقاتلت بنى كلاب عن الحريم وحل بالناس البلاء العظيم ونظرت العرب الى عساكر العراق وقد وقع فيها النقص والمحاق وزاد فيهم القتل فولوا منهزمين وعلى الأعقاب راجعين (قال الراوى) وحمل أبو الهزاهز وقراقد وكل ليث مجالد وصدمت السودان عساكر العراق فبددوهم فى الآفاق ووقع فى عسكر المأمون المحاق وبددوهم فى العراء ومالت الأعلام والرايات وتنكست المنجنيقات والازدهارات وصاح فيهم صائح الشتات وطلبوا الانهزام وحل بهم عظيم المرام وأبصر المأمون الموت فاجاه فطلب لنفسه النجاة وطلبه الأمير عبد الوهاب فى سادات بنى كلاب والسودان الأنجاب وما منهم إلا من أمل أن يخلص حريمه ويهلك غريمه ودخل المأمون بغداد وقد انذهل عقله وحار فى أمره فلما اطمأن على نفسه قال لوزيره أحمد بن سهل ماترى أيها الوزير ما يكون من الرأى فقال الوزير يامولانا ما يكون لاتضيق صدرك من هذا الامر فنحن نعود نجمع العساكر ونلقاه مرة أخرى وبالله المستعان فأنا أظن اننا مانقدر عليه ولا نصل اليه وأنا قد أشرت عليك من الاول فما قبلت منى ومن الرأى عندى أن ترد عليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم وإلا نهبوا بغداد وتنخرق الهيبة وتشمت الأضداد وتنخرق الحرمة فى سائر البلاد فقال المأمون افعل ما تريد فعند ذلك أخرج الوزير أحمد بن سهل نساء بنى كلاب ونساء السودان وأولادهم وأموالهم واجتمعت الأصحاب بالأصحاب والاحباب بالاحباب وشكروا الوزير على ذلك الحال وسأله الأمير عن القاضى عقبة فقال له أيها الامير اسمع منى وخذ حذرك وارحل بقومك الى ديارك فان الأمر عظيم والخطب جسيم وأعلمك أن عقبة من مدة شهر ونصف شهر قد توجه الى بلاد الهدلموس ابن مناطح التيوس لأن المأمون قد أرسل اليه وطلب منه الإعانة على الأعداء فأجابه على ذلك وقد وصل الينا كتابه بالسمع والطاعة فلما سمع الأمير ذلك صعب عليه وكبر لديه فقال البطال ياأخى خذ الآن أهلك وأولادك وارجع بهم الى آمد وانزلهم فيها فما تخشى من أحد بعد

ذلك فقال الامير عبدالوهاب والله لقد أشرت بالصواب وأتيت بالأمر الذى لايعاب ثم أمر الناس بالوحيل فرحلت بنى كلاب والسودان الأنجاب الى أن وصلوا إلى آمد ودخلوها وقسم الامير عبد الوهاب الأموال التى وصلت معه من بلاد الروم وأقام ينتظر ما يكون من الامور ثم أرسل الى أرض الحجاز يجمع العربان وضمن لهم المال والنعم فأجابوه الى ما طلب . هذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من عقبة فانه قطع تلك الارض فى طولها والعرض حتى وصل الى بلاد الحبشة وتوصل الى أن دخل على الملك الهدلموس فوجل كأنه جاموس أوصل أزبد وجهه وجه أسد وهو كبير الأذنين عبد الذراعين هائل الكتفين كبير القامة كأنه دعامة وهو جالس على سرير من الأبنوس ومن تحته قطع من جلود الأسود وهو بارك على ركبتين والشرر يطير من أماق عينيه والرجال من بنى عقفور تحجبه وهى تخافه وترهبه ولا تجسر من هيبته أن تكلمه وعلى أفمامهم الأقفال وهم مثل الاسود فى الرجال ولهم زمجرة وهدير وأصواتهم كأنها أصوات الحمير (قال) فلما رأى عقبة ذلك ارتعدت فرائصه وزادت وساوسه وأخذه منهم فزع عظيم وأحس كأن قلبه قد انقطع من هول ما قد رأى وعاد لايسمع ولايرى وقال هؤلاء القوم هم الزبانية الذين وصفهم الله ومحمدبن عبدالله نبيالمسلمين ونحن نقول لاإله إلاالله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم يوم القيامة يسحبون الناس الى جهنم وما أقدر أصل إلى ما أريد إلا بثبات الجنان وانطلاق اللسان ثم إن الملعون تقدم إلى قدام الملك الهدلموس وسلم وأطلق لسانه وتكلم ثم أدى الرسالة التى للمأمون وزادها بشيء من عنده لا يكون نثر كلام وفنون وما زال بفصاحة لسانه حتى تعجب الهدلموس من ثباته وفصاحة لسانه وراق له حلاوة كلامه ولما استوفى مقاله ونظامه أمر أصحابه أن يقدموا له الجمل الذى أنفذه المأمون فرفعه الهدلموس إلى خزائنه فقال له عقبة إذا أنت قتلت عبد الوهاب وأمه الأميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال المحتال فلك على وحدى ثلثمائة ألف دينار سوى مايصل إليك من المأمون وتقر به العيون ثم ان عقبة أشار الى الهدلموس فقال :

رمانى زمانى بذل وبوس ... وأفقدنى سادة كالشموس
وألبسنى العار هذا العدو ... وأفردنى من جميع الأنيس
ولما تحيرت فى قصتى ... وصلت الى الملك الهدلموس
فلا زلت فى نعمة جمة ... مسلمة من أيادى العكوس

فان قيــل لى انه أسـود   فقــد زين العاج بالآبنوس

(قال الراوى) ثم جعل عقبه يقص على الهدلموس مساوئ الامير عبد الوهاب ويبغضه فيه حتى وقعت بغضته فى قلبه فى تلك الساعة ولا رآه ولا أبصره فقال الهدلموس لعقبة أقم عندنا حتى أجمع بنى عقفور من الرجال وأعمل على أفواههم الاقفال وآخذ معى الرجال حتى نهلك أعدائكم الذين فعلوا بكم ففرح عقبة بذلك وأقام عنده ينتظر وعده وفى بعض الأيام خلا الملك الهدلموس بعقبة وقال له ياشيخ العرب هذا الخليفة الذى أرسلك من الذى أستخلفه فقال محمد بن عبد الله نبى المسلمين وماهم إلا على الدين المتين فقال الهدلموس : إذا كان الأمر على هذا الحال فما نحن إلا على الضلال وما نعرف ما نعبد من الأرباب فهل تعرف لنا دينا يهدينا الى الرشاد ويوصلنا الى رب العباد حتى يبقى بيننا وبينكم نسب ونخدمكم لأجل هذا المذهب فقال له عقبة وقد تهلل وجهه من الفرح وقال يا ملك الزمان أنا أدلك على دين الملوك الكبار وأصحاب الأقطار والأمصار ويكون صاحبه فى أمان من الاخطار وبنجية من عذاب النار ولكن ما أقدر أبوح بشىء من ذلك حتى آخذ عليك العهد والميثاق انك إذا عجبك هذا الدين تكتمه ولا تظهره لأحد غيرك لأنى شيخ كبير وقد فنى عمرى واحدودب ظهرى من كثرة قراءة الكتب القديمة والمذاهب المستقيمة حتى ارتضيت لنفسى دين من تكلم فى المهد صبيا وأحيا الموتى من القبور وأبرأ الاكمه والابرص وخلق من الطين طيورا ذكورا وإناثا وأتانا من الله القديم بالإنجيل وبين لنا فيه التحريم والتحليل وصار عقبة يصف دين النصرانية وجرن ماء المعمودية حتى أقر بكلمة الكفر الداعية الى الهلاك ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فأجابه الملك الهدلموس الى ذلك وقال له علمنى كيف أقول حتى أصير نصرانيا قال قل الروح القدس فقال الهدلموس مثل ما قال ثم سأله عن هذا الكلام فشرح له ذلك وقال له عقبة اعرض هذا الدين على رجالك سراً من أصحاب المأمون الذين قد صحبونى وإن سألوك عن ذلك قل لهم هذا ديننا من قديم الزمان وبعد هذا لا أرضى أن تكون تحت أمر المأمون ونهيه بل اذا قتلت عبد الوهاب وكسرت بنى كلاب عملت لك على هلاك المأمون وخليفة المسلمين وأعطيك سرير ملكه وأجعلك صاحب بغداد وأملكك رقاب العباد وهى منصب الخلافة وهذا الملك الذى أنت فيه مايساوى قليل ولا كثير فقال الهدلموس : ياشيخ العرب أنا أسير معك الى ما تشاء ومهما أمرتنى به امتثلته ومهما قلته لى عملته ثم ان الهدلموس أدعى بالعقلاء من قومه وبنى عمه وخواص

أصحابه واعلمهم بما قاله عقبة وأنه قد أجابه إلى ما أراد ولم يزل كذلك حتى نصرهم عن آخرهم وقال لهم ابشروا الآن بما تريدون من الفضة والذهب لأن ملك الروم ميخائيل ملك مدينة القسطنطونية له سبع عشرة إقليم وفى كل إقليم ملك من قبله فان أنتم نصرتم على عبد الوهاب أرسلت اليه يأتى الى معونتكم فعند ذلك ثاروا على عقبة من كل جانب ومكان وقالوا له اسكت ياشيخ وأنت تقول هذا الكلام لأنك رجل دللتنا على دين نعتقده فوحق هذا المسيح الذى كنت قد وصفته بهذه المحامد ان رجلا واحد من بنى كردم وبنى عقفور يريد كل من وصفت من هؤلاء القوم والملك الهدلموس يريد لرأسه عشرة آلاف فارس فلا ترجع تذكر هـذا الكلام يحل بك الانتقام (قال) فلما سمع عقبة ذلك قال هؤلاء الذين يقتلون عبد الوهاب ويشتتوا أهله وأولاده فلا كفاه المسيح شر ما يحذره طوال المدان دون البرية ثم قال وأما البطال فسوف يسقونه شراب الوبال هـذا وقد جهز الهدلموس عشرة آلاف فارس من بنى كردم وخمسين الف من الحبشة وركب الأقفال على أفامهم والبسهم الثياب الملونة وسلم أمرهم إلى بنى كردم وسار من بلاده فى ذلك الجيش العرمرم وهم بالرماح الطوال والسيوف الصقال على خيول دهم ووجوه عتم والسنة غشم وقد علا منهم الصياح والزعاق وهم طالبين أرض العراق وعقبة القرنان يطوى بهم المنازل ويورد بهم المناهل الى ان قرب من بلاد العراق أنفذ الى الخليفة المأمون يقول زين البلاد وزخرف بغداد والتقينا بالعساكر والأجناد فقد أتاك قوم يهلكون بنى كلاب والسودان الأنجاب وكذلك عبد الوهاب فلو كانوا بعدد التراب (قال الراوى) فلما وصلت الرسالة من عقبة الى المأمون نادى فى بغداد فزينت الأسواق وخرجت عوام البلد وصاروا يقولون هلك عبد الوهاب وقوم يقولون الله ينصره لأنه مجاهـد فى سبيل الله وركب المأمون فى غلمان الدار وتصففت الناس على الدجله والأغانى فيهم كذلك فبينما هم على ذلك الحال إذا أشرف عليهم عقبه وقد رتب السودان كتائب ومواكب والملك الهدلموس فى أوائلهم وعلى رأسـه الرايات وخلفه الطبول والبوقات وعليه بدلة من الحرير وعمامه مطرزة بالذهب وكانوا أكثر الناس يدعون على عقبة المنحوس الذى أتى بالهدلموس بن مناطح التيوس وكان عقبة يعـلم بذلك فلما وقعت العين على العين وتقابلت الطائفتين صاحت الكرادمة وبنى عقفور صيحة واحدة فزعزعت الجوانب وفزعت النسـاء والعوالم ونفرت الخيل ونزل الهدلموس وأصحابه فى الخيام التى كانت ضربت لهم بأمر المـأمون فلما نظروا أهل بغداد إلى هـذه الوجوه المظلملة كانوا بنى

كردم خمسة وعشرون ألف والكل بأيديهم السيوف وهم موكلين ببنى عقفور وعلى أقفامهم الأقفال وفى أيديهم السيوف الصقال وكان هذا من تدبير عقبة حتى يقيم له الهيبة فى قلوب الناس فلما عبروا بين الخلائق غضبوا وأظهروا الزبد على الأشداق وصاروا يجذبون السلاسل وبنى كردم يضحكون عليهم فاندقت الناس قدامهم هاربين بين أيديهم فلما نزلوا فى الخيام أمر المأمون لهم بالعلوفات والاقامات هذا وأهل بغداد تركوا البيع والشراء ومابقى لهم فرحة الا عليهم ولما كان فى اليوم الثانى ركب الوزير احمد بن سهل والقاضى عقبة وأرباب الدولة ومعهم بغلة النوبة بمركب ذهب مرصع بالدر والجوهر وقدموها الى الهدلموس فركب وترجلت بين يديه ألف أسود وسار الوزير ينظر اليه ويقول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هلك الأمير عبد الوهاب من هذا الجبار وقومه وما فى الأمر الا اننى اكتب اليه كتاب حتى يوسع فى الأرض ولا يأوى إلى بلد فان هؤلاء القوم جبابرة (قال الراوى) ووصل الهدلموس إلى قصر الخلافة فنظر الى قصر عظيم البنا واسع الغنا ونظر الى مراتب الديباج وأسرة الذهب وتماثيل العنبر والجوهر ونظر إلى أربعة آلاف غلام بالمناطق الذهب والثياب الأطلس ونظر الى الحريم والخدم والخزائن والأموال فالتفت إلى السودان وقال لهم هذا هو الملك بعينه وهذه هى الدنيا فان وصلتم إلى هذا الخليفة فاقتلوا الناس وأنا أقتله واقعد موضعه ونقيم فى هذه البلد الطيبة أخير لنا من بلاد الحبشة (قال الراوى) وهؤلاء قوم بلا عقول فصاحوا صيحة واحدة وجردوا السيوف وهموا أن يفلقوا الجماجم فانهزمت منهم الأعاجم والأتراك والديالم فصاح المأمون للوزير ما الخبر فقال له الساعة تضرب رقابنا وتملك بلادنا وينقلب الملك الى السودان فقال له المأمون قل لى ما الخبر فقال له اعلم ان الملك قد عظم فى أعين السودان وقد عولوا على قتل الناس ويملكون القصر وقد صدق الامام على كرم الله وجهه إذ قال من حفر لأخيه المسلم قليباً فقد أوقعه الله فيه قريباً (قال الراوى) وان عقبه لما نظر الى ذلك لم يعجبه وخشى أن يفوته مطلوبه فقال إذا أنا أهملت أمرهم اشتغلوا بقتال أهل العراق ويبلوا بما لايطاق ويهرب الاسود الزنيم عبدالوهاب وما شفيت القليل وأموت عليل ثم أنه وثب الى الهدلموس وكلمه بلغته وقال له ويلك ياملك الزمان ماهذا الاستعجال والخزائن خالية من الاموال فاصبر أجمع لكم أهل الآفاق وتسيروا إلى الى هـذا الذى أتيتم من أجـله فلا تهملوا أمره فقد عجزت عنه أمراء الآفاق

ومعه عشرين الف من جنسكم أبطال أقيال فاذا فرغتم منهم فالعالم كلها لكم عبيد فلما سمع ذلك الهدلموس أمر لمن معه أن يمتنعوا عن ما عزموا عليه ثم أنه صار وعقبة خلفه وهو يوصيه إذا دخل يقبل الأرض بين يدى الخليفة ثم سار حتى وصل إلى المأمون وصاحت عليه الخدم يأمرونه بتقبيل الأرض للخليفة فلم يسمع ولم يلتفت إلى كلامهم بل سلم بيده وصعد حتى جلس مع الخليفة فى الدست على السرير وله صنان يغلق الدماغ ويسكر الجمال وزاحم المامون حتى أخرجه من الدست من عظم جثته وصاحت الخدم عليه فقال لهم المأمون خلوه فهو ضيف ولو جلس الضيف على الرأس والأكتاف لكان يحتمل وقال الهدلموس للخدم ان عدتم صحتم على قمت قعدت على أكتافه فقد أبا حتى ذلك فقال له المأمون من عاندك اضرب رقبته ثم التفت إلى أصحابه وقال لهم والله ما يقعد على أكتافى إلا وقد خرجت روحى ثم ان المأمون اقبل عليه وقال له متى أتيت إلى بهذا الاسود الزنيم عبد الوهاب اقلبت المال عليك حتى أغنيك عن الناس ثم خلع عليه وأركبه جواد أحمر بمركب ذهب مرصع بالدر والجوهر بكنبوش أطلس أصفر وسيف مجوهر ابتر ورمح أسمر وخلع على أمراء السودان من الأحمر والأصفر والأبيض والأخضر (قال) وخرج الهدلموس من القصر والمأمون لايصدق بذلك وادعى بعقبة وقال له ما أعرف رحيل هذا إلا منك والا وقعت بنا الخسارة ويشمت بنا عبدالوهاب فعندها خرج عقبة الى الهدلموس وقال له اعلم أيها الملك ان الذى وصلت من أجله ربما سمع بحديثك ومجيئك فيهرب فى البر ولاتقدر تلحقه لأن العرب مأواهم البرارى فارحل من وقتك قال سوف افعل ذلك وحق المسيح فعلم عقبة أنه قد خلا فى قلبه دين النصرانية ففرح وقال والله ذرنى فما فى الارض مثلى ثم دخل على المأمون وأمره أن يحمل اليهم الزاد والدنانير والعليق فحمل اليهم وسير معهم عقبة والوزير احمد بن سهل فى خمسين الف ترك وأعجام وساروا وقد أوعدهم الخليفة المأمون أن يسير خلفهم بالعساكر (قال الراوى) وكان عقبة بالنهار فى عسكر المأمون وفى الليل فى عسكر السودان خوفا من البطال وكان كتاب الوزير قد وصل الى البطال والأمير عبد الوهاب فقالوا بالله المستعان وأمر الناس بأخذ الأهبه وقد صار فى مائة الف وأربعين الف فقالت الاميرة هذا لم يكن لنا فى الحساب وقد بلغ المأمون وعقبة منا المراد وفعله قد جلب الينا منفعة (قال الراوى) هذا وان البطال قد وصل اليه الخبران عقبة على مقدمة العسكر فأقبل على الامير عبد الوهاب فقال له اعلم أن العساكر ماتصل إلا بعد عشرة أيام

ولكن أريد أسبق هـذه العساكر وانظر كيف أدبر عليهم فهذه نوبة عظيمة وأريد أن يكون معى أبو الهزاهز وطاطم وطمطم وسماق وعندم و بو الهول والمذودم وكاكنى وأبو فروة والقرطم ومن هؤلاء السودان الغشم عشرة حتى أفرقهم فيهم لأن عقبه لا يعرفهم فاذا ظفرنا به يقل عنا الطلب فما أشعل هذه النار علينا إلا هو فقال الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد أنت تعلم أن عقبة ما يغفل عن نفسه وهو يعلم أنك لا بد لك من المسير اليه وأخاف أن يرصدك فتهلك أنت والعشرة الذين قلت عليهم وهم حامية السودان والرأى أن نقيم إلى أن يشرفوا علينا وننظرهم فما يخفى علينا الابطال من الأنذال ونلقاهم ونبذل فيهم المجهود ونستعين عليهم بالملك المعبود ومعلوم أن هذا المنحوس الذى يقال له الهدلموس قد ذكر أن مافى طوائف السودان من النوبة والبربر والحبشة والكرادمة والأزادرة أفرس منه وقد وعدهم بقتلى وأنا توكلت على ربى وهو يكشف كربى وما عودنا إلا بالخير فقال البطال إذا أنت فزعت على أصحابك فأنا وحدى أسير وأستعين بالملك القدير وأخالطهم وآخذ الأخبار من الوزير أحمد بن سهل فيما عولوا عليه وأنظر أمرهم فليس المشاهد مثل الغائب ثم إنه ودع الامير وسار وقد تظاهر بزى أهل البصرة ثم انه سار إلى أن دخل الى نصيبين فوجد العساكر كالليل الحالك نازله هنالك فقال البطال لقد رأيت الجيوش فما فزعت إلا من هذه على شرط أن الانسان ما يقاتل خصمه إلا إذا كان له عقل وأما هؤلاء كالحمير يرمون أنفسهم إلى الموت ثم خرج من عسكرهم ودخل عسكر الوزير مختفيا فلقيه غلامه لؤلؤ فقال ادخل يامولاى وطيب قلبك فان عقبة فى خيمة الهدلموس وقد حدثنى بعضهم أنهم كلهم نصارى يعبدون المسيح وهذا مما يوافق عقبة حتى يتم له ما يريد ثم ان البطال قصد الى خيمة الوزير ودخل عليه فلما رآه الوزير عرفه اصرف جميع الغلمان الا فرد غلام كان رباه صغير ثم أقبل على البطال وقال له والله العظيم ما أردت المسير اليكم بغرضى وقد كتبت اليكم ترحلون فما قبلتم منى فقال أبو محمد البطال اعلم أن الأمير عبد الوهاب لا يداخله الفزع ولا يعتريه الهلع بل يسلم نفسه إلى الأقدار والواحد والمائة والعشرة كلهم عنده سوى لأنه زهد فى هذه الدنيا وقد رأيته ألف مرة يكشف عن صدره ويطلب أن تصل أسنة الكفار اليه فعاتبه فى ذلك فقال يا أبو محمد لا تعزلنى إذا رأيتنى فى ذلك فانى أكون سكران من شوقى الى الله تعالى وهو قد عول على القتال فقال الوزير الرأى عندى أن ترجع الى الأمير وتقول له إن الوزير أحمد بن سهل يسلم عليك ويقول لك من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وأنا خائف عليك فاطلب النجاة لنفسك وان لم تفعل ذلك فما تبرح من

آمد ولا تخرج اليهم فهذا هو الرأى السديد السليم وأنشده عنى هذه الابيات :

أبا محمد ارجع نحو سيدنا ... أعنى الأمير الذى فاق البريات
ذاك الهمام الذى أضحت عزائمه ... أمضى من المرهفات المشرفيات
ابن الأميرة لازالت موفقه ... على قتال النصارى ذى الضلالات
فقد أتوك جيوش الحبش تتبعها ... أولاد كردم فى عظم الجماعات
والهدلموس كمثل إبليس يقدمهم ... بعظم هيكله تخشى البليات
وسوف يلحقنا المأمون يتبعه ... جيشاً عظيما وأبطال العجاجات
فاطلب ديارك من أرض الحجاز ولا ... تركن الى الحرب مع هذى السعودات
لا تعجبنك كلاب فى تكاثرها ... فالهدلموس مقيم بالقبيلات
وسوف أبذل مجهودى لأجلكمو ... ولو شربت بكم كاس البليات
لا أبتغى سوى الرحمن يغفر لى ... ماكان منى من قبح الخطيات
وقد كبرت فلا فعل يخلصنى ... ولى كتاب ملآن بالقبيحات

(قال الراوى) فقال البطال لقد بكيت حين أنشدنى الوزير هذه الأبيات بكاء شديدا وقلت جزاك الله خيرا وكان لك زخرا لقد أخلف الله لنا الوزير جعفر البرمكى رحمة الله عليه وأدام لنا بقاك ثم ان أبو محمد عول على الخروج من عنده وإذا قد وصل نجاب يخبر أن المأمون قد وصل فى أربعمائه ألف وبعد أربعة أيام يكونوا عندكم فلا تبرحون من أماكنكم حتى يصل فقال الوزير السمع والطاعة

(قال) وكان المأمون قد استضعف هذا الرأى وقال ماهذا صواب أن تقتل بنى كلاب والسودان الانجاب وما المطلوب إلا عبد الوهاب وذات الهمة وأبو محمد البطال اللص المحتال وان عقبة حلف لى بالله العظيم أن هذه الفتن كلها من هذه الثلاثة واقر بنى كلاب على مواضعهم لأن ما عندنا مثلهم وأراد هؤلاء السودان الى مواضعهم ونستريح منهم وأأمر على بنى كلاب من أرضاه يسارع الى خدمتى ثم انه سار حتى وصل الى نصيبين فى اليوم الخامس من مسيره الى الموصل وركب الهدلموس وعقبة المنحوس وتقدم الوزير وقبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين ماكان الصواب أن تسير أنت بنفسك أناكنت ألقى هذا الأمر بنفسى فما كلمه المأمون فلما أن استقر فى الخيمة صاح فى الهدلموس وقال خذ هذا المنافق على الدوله وسلمه الى بنى عقفور يأكلون لحمه ولا تطلق عنه العذاب الا بمائة الف دينار والف ثوب أطلس غير ما يصل اليك منا (قال) فلما سمع الهدلموس

ذلك صاح بالسودان فتوثبوا إلى أحمد بن سهل وكان شيخاً كبيراً صائم النهار قائم الليل ولم يكن اختار الوزارة لسبب جمع المال ولكن لمرضات الملك المتعال (قال الراوى) وكانت هذه المكيده من الشيخ اللعين عقبه بلاه الله بألف وخمسمائة نكبة وذلك أنه لما سار من بغداد مع الوزير والعساكر جعل الملعون يسامره ويحادثه ويذكر عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب بالقبيح ويقول هؤلاء خوارج وقتلهم حلال والوزير لا يصغى إلى كلامه فما خفى عليه أن الوزير يميل إلى عبد الوهاب ويراعيه ويرى فيه الرأى الجميل وكان عقبه قد اجتمع فى بغداد وجعل يحرضه على الأمير عبد الوهاب فقال له اعلم أنك مطالب بهذا بين يدى الله تعالى وهذا ما لا يجب أن يكون شغلك لأن هذه الأعمال توجب سفك الدماء وشماتة الأعداء وتلاف الأمراء من أمة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم فامتنع عن هذا وإلا كان لك ولهم يوم عظيم فلما سمع عقبه ذلك قال أيها السيد وكان هذا الذى كنت تسمعه منى كنت ممن أستحله أو أسمح لأحد فى عمله أوليس أعلم أن ما يحامى عن الدين وينصر المسلمين وأمير المؤمنين سوى الأمير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب فلله درك من وزير ما أطيب عنصرك ومحضرك وانما أردت بذلك أنا أختبرك بعدما صح عندى من جميل فعلك ومزيد فضلك وانما قلت ربما تطاوع غرض أمير المؤمنين لأن هذا الذى نحن فيه قبيح فى حق عبد الوهاب وانما كان الواجب علينا نرعى له قديم الخدمة وعظيم الحرمه ونفديه بالروح والمال الا أنه نافق فالله يهديه ويكفيه شر هذا الهلوس فانه عول على أكل لحمه فانه لا يفرق بين لحم الدواب ولحم الآدميين ثم انه خرج من عند الوزير فوجد غلاماً أرمنياً يقال له اصطفانوس فقال له لى اليك حاجه فقال الغلام وما هى الحاجه قال الحقنى الى خيمتى فلحقه الغلام وجلس يحادثه وقال له ويلك اعلم يا ولدى أن كل ما يقال عنى فى دين النصرانية صحيح وأنا ما أصبر على هذه الأشياء الا طلبا للثواب فان كنت على الدين الصحيح تكلمت معك وهذا أستاذك يشد من عبد الوهاب شدا عظيما وهو الذى أخرب الكنائس وخذ هذه المائة دينار لك ولك عندى كل شهر مثلها على شرط أن مهما جرى لمولاك الوزير من حديث غريب عرفنى به قال نعم فلما وصل البطال الى الوزير وتحدث معه واصرف الوزير الغلمان ولم يبق عنده غير اصطفانوس فلم يخف منه الوزير لأنه رباه فلما سمع ما قال البطال وما أنشده الوزير من الشعر فخرج من عندهم إلى أن وصل الى عقبه وأعاد عليه القصة ففرح بها وقال لك على فى

هذه مائة دينار أخرى ثم سأله عن البطال فقال قد خرج فعند ذلك عمد عقبة إلى عشرة من السودان سودان الهدلموس وعشرة من الترك وسيرهم مع ولده مصعب وقال اربطوا له فى الموضع الفلانى إلى آخر إجادة الطريق الذى تمضى إلى آمد التى فى وسط المضيق وكونوا هناك عسى أن تأخذوا أبو محمد ومن معه فهذه أكبر حاجتى وسير الرجال من الترك والسودان كل واحد يريد لرأسه مائة فارس (قال) ورحل أبو محمد من عند الوزير وما عنده من هذا خبر ثم كتب عقبة الى المأمون يحدثه بما جرى من ذلك وفيما قيل لأبو محمد البطال وما قال الوزير فعظم ذلك عليه ثم سار مجداً حتى لحق به وقبض عليه كما ذكرنا وسلمه الى السودان فأخذوه إلى خيامهم وخرقوا أثوابه وسحبوه على وجهه وعقبة يظهر التوجع والتفجع وضربوه ضربا شديداً وطلبوا منه المال فقال والله ما بى أن يأخذونى مثل ما بى من أمر هذا المأمون ولكن لى قرى وأملاك وأراضى تساوى مائة ألف دينار والله العظيم إن كنت أملك منها شيئا لأنها كلها كانت موقوفة على صعاليك المسلمين ومساجدهم وسقاياتهم وهو الذى قد تركه فقد وهبته ولو قتلت من أجل ذلك فما رجعت فيما وقفت فى سبيل الله تعالى فافعلوا بى ما شئتم فما أنا بأول من قتل ظلما وإن كان الخليفة يرى ذلك ويسلمنى اليكم فليفعل ما يريد فهوالمطالب به يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم (قال) ومع هذا الضرب الذى جرى عليه لا يفتر عن قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم . وأما الأمير أبو محمد البطال فانه لما سار من عند الوزير ولم يعلم بهذا الامر الذى قد نزل من بعده ولم يزل سائر حتى وصل إلى ذلك المكان المضيق الذى ذكره الملعون عقبه وقد سبقته الرجال ونزلوا فيه وأطلقوا فيه خيلهم ترعى وهم جلوس مثل السباع وأن أبو محمد وغلمانه لما وصلوا الى هنالك قال لهم أبو محمد اصبروا على قليلا واطلبوا غير هذا الطريق فى لحف الجبل فى هذه العقبة وانظروا الى بطن الوادى فانى أخاف من عقبة لأنه خبير بهذه المسالك ونخاف ممن يقصدهم من آمد فيكون قد طرح الكلب لنا فى هذا الموضع رجالا يظفرون بنا وما هو ممن يعجز عن مثل هذا لأنه شيطان فى صورة انسان فطلع لؤلؤ ورجع وقد تغير لونه فقال أبو محمد يا لؤلؤ ما وراك فقال الموت الاحمر والامر المنكر ولقد سبقك عقبة الى ما خطر ببالك وقد سمعتهم يذكروا الوزير بالسوء والنفاق وانى والله خائف عليه فقال أبو محمد وكيف ذلك قال رأيت عشرة من سودان الهدلموس وعشرة ترك ومعقب بن عقبة وهو يقول ان البطال لابد من

أخذه اليوم أو غدا وسوف يعمل عقبه على هلاكه فى هذه النوبة وقد كاتب الخليفة فيه وأما عبد الوهاب فما بقى له حياة إلا بقدر ما يصل اليه هذا العسكر العظيم فلما سمع البطال من لؤلؤ ذلك ضاقت عليه الارض بما رحبت وقال والله مالنا الى المضى من سبيل ووالله لابد مما أثر فيهم أثر حتى لايرجع أحدا من أولاد عقبه يتعرض لى وأعود الى عسكر المأمون وأنزل به الهوان من أجل الوزير لأنى إن قعدت عنه هلك لامحالة ثم ان البطال أمر الجماعة بالمقام فى مواضعهم وقلع ثيابه ووضعها بين الأحجار ورجع أبو محمد من خلفه الى قرية هناك يقال لها قرية الأكراد فمكث غير بعيد وعاد وعليه طرباح ولفائف برجليه وله شعر أسود طويل وله لحية كبيرة شمطاء ممشطة وعلى رأسه ظرف لبن وبين أكتافه مخلة ملآنة خبز وهو كردى من ألف سنة وانه لم يقصد الى محل غلمانه بل قصد الى الجادة والمضيق فلما وصل إليهم وثب اليه ولد عقبة معقب ونظر اليه فلم يشك أنه كردى فقال من أين أنت ومن أين طريقك فقال من قرية الكرد فقال له وماهذا الذى معك قال لبن وخبز أريد أوصله الى هذه القرية التى فى رأس هذا المكان الى قوم يأكلونه ويعطونى بعض الإحسان فضحك ولد عقبة وقال هذا رزق ساقه المسيح إلينا فقوموا خذوه فتواثبت السودان وأخذوه ووقعوا عليه بحنق وأكلوا الخبز وشربوا اللبن (قال) فوالله ما استقر فى أمعائهم حتى وقعوا الكل على الارض صرعى ودنا منهم الأمير أبو محمد فأما أصحاب الهدلموس فذبحهم ذبح التيوس . وأما الاتراك فتركهم بعد أن أخذ خيولهم وعددهم وذبح معقب بن عقبة وصاح بغلمانه وأرسل الخيل والاسارى والأسلاب مع غلمانه يانس وسبك ورجع الامير أبو محمد ومعه لؤلؤ وجوهر حتى دخل عسكر السودان وجعل يطوف أقطاره وسمع أنين ضعيف من بدن نحيف فقصد اليه واذا به الوزير أحمد بن سهل وكانوا قد ضربوه السودان حتى ضعفت قوته وهدئ صوته ونظرهم فوجدهم نيام فتعجب أبو محمد وهجم عليه فقال الوزير وقد طار قلبه فزعا من العقوبة : من أنت ياهذا فقال له أتاك الفرج من عند صاحب الفرج أنا غلامك أبو محمد البطال فقال له يا ولدى أوجز وأدرك الأمر قبل أن تهلك بسببى فدنا منه وقبل رأسه وقطع كتافه وخرج وهو يقرأ هذه الآية : (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون) وسار الى أن خرج به من العسكر ثم أتاه بحصان أدهم مثل الغراب الأشحم فأركبه إياه وخرج الى العسكر الذى للمأمون وأراد الدخول فيه فوجد الحرس شديد فخاف من الوقوع فرجع وهو مستبشر بخلاص

الوزير على يديه وساروا فى تلك الليلة فما أصبح الصباح الا وهم عنـد المضيق وقطعوا
الارض والجبـال والأودية والتلال على غير جادة معروفة حتى وصـلوا الى
آمد ودخلوا على الامير عبد الوهاب وأخبروه بالقصة التى جرت
وحديث الوزير أحمد وعودة الأمير أبو محمد من أجله وقتل
ابن عقبة ففرح بذلك ثم بقى فى حيرة من أجل الوزير
لايدرى هل يقيم أو يسير الى أهله فقالت الاميرة
ذات الهمة هذا والله قد حسبته للوزير لأنه
رجل نصوح والاشرار دائما مسلطة على
الاخيار وما كان عقبة بالذى يقعد
عنه فلما سمع الامير ذلك بقى
كالحبـــة على المقلا
أو كالمرأة
الثـكلى

(تم الجزء الخامس والثلاثون ويليه الجزء السادس والثلاثون)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء السادس والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ووصل الاميرأبو محمد وغلامه لؤلؤ وجوهر والوزيرأحمد معهم ففرح الامير عبد الوهاب وأكرمه وقال له ياوزير اعلم أن الوزيرجعفر فعل فى حقنا كل جميل وقتلوه ظلما وسبب قتله عقبة لأنه قد تعود أن يلعب بعقول الخلفاء فأقم أنت ههنا حتى يفرق الموت بيننا فشكره الوزير على ذلك وأقام الامير عبد الوهاب يتنسم الأخبار ويرسل الرسل الى الأمصار حتى قصدته العرب من أرض الساحل ومن عسقلان فهو كذلك واذا بالجو قد اسود بالغبار وأظلمت الاقطار وأشرفت العساكر وقد ملأت القفار وأقبلت العساكر والجيوش وهى تتدفق مثل موجات البحار وقدام الجيوش الملك الهدلموس وهو مثل الأسد الهدار ثم أقبلت الكرادمة وبنى عقفور ولاحت أبدانهم مثل سواد الفار فلما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك تهلل وجهه فرحا بالسودان الذين أقبلوا لقتاله رجاء أن يكونوا من جملة أعوانه فقال الأمير أبو محمد ما زلت تحبهم حتى أرسل الله إليك كل السودان الذين فى الدنيا وأنا أسأل الله تعالى أن يكفينا شرهم (قال الراوى) ياساده ياكرام وباتوا الناس على ذلك وسودان الهدلموس يتعجبون من سود حجارة صوار آمد والطبع يميل الى الطبع فقال لهم الهدلموس إذا رجعنا الى بلادنا أخذنا معنا هذه الحجارة نعملها بيوتا لنا فبلغ ذلك الى الملعون فضحك عجبا واهتز طربا وقال هؤلاء رجال الحرب .

(قال الراوى) ياساده ياكرام وباتوا الى أن أصبح الصباح فتواثبت العساكر وتجمعت العشائر وكان قد وصل معه عساكر خراسان وجميع الخلاءق من كل مكان وهو فى عالم عظيم لايحصى بعدد الرمل والحصى وانه لما وصل الى نصيبين وقبض على الوزير وجرى من القصة ماجرى وسار طالب آمد فتخلف عقبه مع غلامه دينار

ودخل المضيق ينظر ما كان من أمر ولده معقب فوجده قتيلا وفى التراب جديلا فخرق أثوابه وعظم ويله ومصابه ونتف ذقنه وسار حتى وقف بعسكر المأمون والهدلموس (قال) ولما نزل المأمون على آمد كما ذكرنا وعلم أن الاميرعبد الوهاب قد غلق الأبواب وصار من وراء الحجاب أقبل على الهدلموس وقال له انظر كيف تعمل مع هؤلاء القوم إن قاموا ولم يخرجوا إلينا وهم فى البلد الرفيع والحصن المنيع فقال الهدلموس نعمل السلالم وتطلع فيها الرجال من كل جانب فهم فى الكلام وباب الجبل قد فتح وكان السبب فى ذلك الاميرعبدالوهاب لأنه كان جمع أولاده والسودان وبنى كلاب وقال لهم معاشرالاسلام والأصحاب إيش ترون فى هذا الأمرنخرج اليهم أو نصعد فوق الأصوار فقالوا لا والله بل نخرج إليهم ولوكانوا فى عدد يأجوج ومأجوج (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انهم فتحوا الباب وخرج الامير عبد الوهاب فى خمسين ألف فارس من كل بطل مداعس فلما نظر المأمون الى ذلك قال لأرباب دولته ووزراء مملكته: ترى الأسود الزنيم والبغل اللئيم يظن أنه يلقى هذا الجيش العظيم فقال مسرور ياأمير المؤمنين ويجوز التفريط فى هذا الرجل الناصح لدولتك الضارب بسيفه فى قمم أعدائك وحسدتك فلم يلتفت الى كلامه فصاح عقبه وقال يامسرور طول زمانك تتعصب للأمير عبد الوهاب وبنى كلاب (قال) وكان فى قلب عقبه نارلاتطفى منأجل قتل ولده معقب وقال فى نفسه وحق المسيح ومامسح والبيعة والمذبح لآخذن فى تار ولدى عشرة آلاف مسلم وأذبحهم ذبح الغنم. ولما تكامل عسكر الأمير خارج المدينة ركب المأمون فى عساكره وأما الهدلموس فانه أرسل الى المأمون يقول له: ما هذا الوقوف الذى قد حل بكم من هؤلاء الأندال وأخس الرجال وأنا أقسم بمعبودى لايتعرض أحدا منكم لقتال ولا حرب ولا نزال بل أنا أحمل فى ألف رجل من قومى فما أترك منهم أحدا (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك أمرالمأمون عساكره بالنزول وراحت الخيول ونزلت الجيوش إلى أن أمسى المساء وتحارسوا الفريقان ولم يقع بينهم فى ذلك اليوم قتال وأوقدت النيران إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وركب المأمون فى موكبه الخاص والمظلة على رأسه يطلب الفرجة على العساكر والدساكر وركب الملك الهدلموس فى جميع أصحابه وقد أطلق بنى عقفور وفك الاقفال عنهم وأعطاهم السيوف والأتراس وحملوا الناس وأقبلت السودان كأنهم الجواسيس وصاح الامير عبد الوهاب يا آل كلاب يا آل كلاب وصاح الامير أبوالهزاهز والامير قراقد وسملق وكوكبه وثعلبه وبغل الدار ورأس

الغول وناب الكلب والمرافق والاشوص ودقت الطبول وهمهمت الفحول على أعناق الناس بالسيوف وتقابلت الالوف وكشفوا الرءوس وبان الأسد العبوس من الجبان المنحوس وأما أبو الهزاهز فأخذ يصيح يا آل حام يا آل حام يالون الظلام انظروا كيف تضعون الحسام فعندها حملوا واذا بالجماجم قد تدحرجت على وجه الارض (قال) وما كانت إلا طرفة عين حتى قتل من عسكر الامير عبد الوهاب أربعمائة فارس من السودان ومن الأكراد خمسمائة وتأخر عسكر الامير عبد الوهاب الى باب البلد لأنهم نظروا الى قوم لا يفكرون فى العاقبة ولا يعرفون الموت ولا يخشون الفوت برؤوس مثل المراجل وأصابع مثل المدارى فلما نظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك أيقن بالذهاب وصاح فيهما الرجعة ياويلكم إياكم والفرار فيفنيكم الصارم البتار فعندها حملت الرجال وانتخت الأبطال ورموا نفوسهم على السودان فكشفوهم عنهم وأبعدوهم فهنالك حملت بنو عقفور وهزموا الناس الى الصور وكان يومهم يوم مشهور وضاقت الامور وسالت الدماء من النحور فرأيت الصنديد فى أدميته يخور وحامت عليهم النسور وجالت الخيول الصافنات وزمجرت الرجال مثل سباع الفلوات وأيقنت النفوس بالممات ولم يزالوا كذلك طول النهار الى وقت الليل وفتح باب الجبل ودخل الناس خائفين من إدراك الأجل ولم يكن لهم طاقة بما قد نزل وما كان لهم من حديث إلا ماشاهدوا من الهدلموس ورجاله فقال الامير عبد الوهاب والله لقد طلبته فما وجدته (قال) وأما الهدلموس فانه لما رجع الى منزله افتقد رجاله فوجد قد عدم منهم ثمانمائة بطل فعظم عليه وكبر لديه وبات وهو على غاية من القلق. وأما عقبة فانه فرح فى ذلك اليوم الفرح الشديد ونادى: قد آن لى أن أرى عسكر الاسود الزنيم مكسورا مهزوم ولعلى أن أراه فى غداة غد مخذولا معدوم (قال) وبات الناس الى أن أصبح الصباح فقال الامير لوالدته ياأماه إيش ترين من الرأى قالت الخروج الى هؤلاء الأندال لكن بشرط أن لا تأمر الناس بالحملة والقتال حتى تخرج الى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وتطلب البراز وتصال الانجاز لعل الله تعالى أن يظفرنا بالهدلموس وقد تشوش أمرهم ولم يبق لهم مقام لفقده وتختلف بعد ذلك الأهوية وإن أمرت الناس بالحملة هلكوا بالجمله وقد شاهدت ماجرى عليهم بالأمس ومامعنا من يقوم بهؤلاء القوم الذين تراهم مع هذا الشيطان فقال لها صدقت ثم انه أمر بفتح الباب وخرج بنو كلاب والامير والاميرة وخرج باقى الناس من سائر الطوائف وهم كارهين ولم يدع الامير أحد من الناس فى البلد من الذين تخلفوا

فى اليوم الاول إلا وخرج حتى أبو يخلف يطلب أن يكسر السودان ولما نظر الى ذلك العسكر قال وحق الصديق مايقاتل هؤلاء إلا من عدم التوفيق الناس يقاتلون الإنس وأما جن سليمان فما لأحد بهم طاقة فضحك الامير عبد الوهاب من وسط الغيظ وقال لو تركتك طول الزمان ما تركتك فى هذا اليوم حتى تقاتل معنا فهم فى الكلام والسودان قد ركبت الخيل وأقبلت مثل الليل وكانت خيولهم دهم وأرادوا الحملة فعلمت الاميره ذلك وأرادت أن تخرج الى البراز فسبقها سيف الحنيفية وهو راكب على حجرة عربية معتدلة مستوية لها نفس حمية وغرة سايلة مضية وفى يده قناة خطية وطلب البراز فبرز اليه فارس أسود أدهم مثل الظلام المعتم وفى يده حسام مثل الجمر إذا انضرم فحمل عليه سيف الحنيفية ولم يتكلم ونظر منه مالم يراه من غيره وجرى بينهما كروفر وهزل وجد وأخذ ورد حتى كلا الجوادين هنالك اختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة سيف الحنيفية فجاءت بين عينيه طلع السنان من بين كتفيه فوقع قتيل وفى دمه مجندل جديل ولم يزل يقتل فارس بعد فارس الى أن قتل ثمانية عشر فارس وأخذ منهم جماعة أسرى فلما نظر المأمون إلى ذلك قال من هو هذا الفارس، فما رأيت أحسن منه شمائل ولا أظرف منه مقاتل فقال له عقبة يا أمير المؤمنين هذا سيف الحنيفية وسمعت كيف ذكر أنه يريد أن يجعل الخلافة فى أولاد موسى الرضى فقال المأمون ما فى هذا شك فبينما هم كذلك واذا بفارس من عسكر السودان قد ظهر كأنه برج مشيد أو قطعة من حديد وكان هذا الفارس الهدلموس وهو كأنه فحل جاموس وهو راكب على حجرة عربية مستوية وهو كأنه بعير ورجلاه يخطان فى الارض وفى يده درقة حديد صينى لا يقدر على حملها أحد فلما علم سيف الحنيفية أنه الهدلموس وهو يهمهم ويدمدم فصاح عبد الوهاب : الله أكبر الله أكبر يابنى ارجع عنه وتأخر فلا وأبيك ما كانت إلا ساعة حتى صاح الهدلموس صيحة واحدة ارتاعت منها النفوس وكادت القلوب تنقطع وما بقى قائم إلا وكاد أن يقع من شدة ذلك الصوت الأشنع فغاب رشد سيف الحنيفية وظن أن مائة ألف قد حملت عليه هنالك هاجمه الهدلموس وأخذه من سرجه أسير وقاده ذليل حقير (قال) فقلق الاميرعبد الوهاب لذلك قلقا عظيما وأما الاميره ذات الهمه فقد انقلبت عيناها فى أم رأسها مثل حدقتى النمر ثم نزلت عن جوادها وافتقدت حزامه ولجامه ووثبت الى متنه من غير أن تضع رجلها فى الركاب ثم حملت عليه والمسلمون يضجون لها بالدعاء فتطاولت اليها العساكر ونظر اليها عقبة فصاح : آه هذه والله اللبوة الشمطاء

والحية الرقطاء قصف المسيح عمرها وكفانا شرها ثم انها حملت وأنشدت تقول

أيها الهدلوس الذى دنا حتفه بالحسام الصقيلا
جردت فينا حساما ستسقى به بكاس المنون شرابا وبيلا
ستصبح فى المقام متعفرا تجول عليك جياد الخيولا

(قال الراوى) يا ساده ياكرام ثم انهما تطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر وأخذا فى الكر والفر والاقبال والادبار والضرب بالبتار حتى تقسطل عليهم الغبار وغابا عن الابصار ولم يزالا كذلك حتى تصرم النهار فعند ذلك هجمت الأميرة عليه هجوم الأسد وطلع على أشداقها الزبد وضايقته وسدت عليه طرائقه وضربته ضربة واصلة فالتقاها بالدرقة التى فى يده فطار الحسام من كفها قطعتين فلما نظر الهدلوس الى ذلك صدمها صدمة بالترس على غفلة منها لأنها كانت تنتظر ضربته على رأسها فكاد أن يقضى عليها لأنه قد اتفق حيله مع حيل الجواد فألقاها عن جوادها فوثب الى الارض ليأخذها فثارت الاميرة وهى لاتعقل على نفسها مما حل بها وتعاركا وتماحكا وقد طمع فى أخذها بالمعاركة وهى راجلة أشد مما كانت راكبة إلا أن هذا رجل جبار لو دخل تحت جمل لحمله وأنه قبض على أعضائها ودخل تحتها وحملها ثم نهض بها وهى على كتفيه فلما نظروا سودانه الى ذلك فرحوا فصاحت عساكر العراق أحذت ذات الهمة فلما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك دهش ناظره وعمى خاطره وإذا بصرخة عظيمة هائلة جسيمه فما من الطائفين إلا من تخبل من هذه الزعقة وإذا بها الأميرة ذات الهمة وقد مسكت بيدها على رأس الهدلوس وعضرت عليها بقوتها حتى طار الدم من أذنيه ثم لطمته بعد ذلك على رأسه بشدتها فوقفت ثناياه من فمه وسقط مغشيا عليه فوقعت الاميرة من فوقه وهو لا يعلم أين هو ثم تركت يدها تحت إبطيه ورفعته على أكتافها وعاد محمولا بعد ما كان حاملا ونظر عقبة الى ذلك فجعل يمسح عينه الصحيحة ويقول سبحان القادر على كل شىء ثم الاميرة سارت به الى الامير عبد الوهاب وبنو كلاب والسودان الانجاب ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل وكان السابق الى الاميرة الامير ظالم وضيغم وقشعم ومالك ابن طوق ومالك بن بشر وأخذوا الهدلوس من على أكتافها وقد وقعت الاميرة مغشيا عليها من ثقله وشدة معاركته (قال الراوى) يا ساده ياكرام ولم يزل السيف يعمل ونار الحرب تشعل الى أن أمسى المساء وغندست الظلماء ودخل الامير عبد الوهاب الى آمد وطلب أبو محمد فلم يجده فهو كذلك وإذا بلؤلؤ غلام البطال دخل عليهم ومعه

سيف الحنيفية ففرح به الأمير وسأله عن أبو محمد فقال له يامولاى انه سار فى طلب عقبه فأوقف له على الباب من ينتظره فى هذه الليلة فبقى الامير عبد الوهاب على مقال النار من أجل أبو محمد البطال من خوفه عليه من حيل عقبة ومكره وخبثه ثم انه أحضر الهدلموس لما أفاق فحضر وهو خجلان مما نزل به وقد نظر نفسه أسير ونظر الى الامير عبد الوهاب والى أبو الهزاهز فأنس اليهم لانهم سود لان الجنس يألف الجنس فقال من يكون هذا الفارس الذى أسرنى وكان كلامه الى أبو الهزاهز فقال له أيها الملك اعلم أن الفارس الذى أسرته أنت فى الاول فانه صبى حديث السن وأما الفارس الذى أسرك أنت فانها امرأه وهى أم السيد الخطير والبطل النحرير والامير الاجل الكبير الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب ومالك رقاب السودان الانجاب (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الملك الهدلموس ذلك الكلام قال ان هذا لا أصدقه لانها صرخت وطرحت يدها على رأسى حسيت أن السماء قد وقعت على الارض فقالت الاميرة وقد كانت بالقرب منه وهى تسمع كلامهم ويلك والله انى لما وضعت يدى على رأسك قرأت هذه الآية الشريفة قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون والآن قد أشركت يا ملعون ومن هو بجهله مفتون ومغرور (قال الراوى) يا ساده ياكرام وقد أمسى المساء وقال الأمير لوالدته قومى بنا الى الصلاة يا أماه فعمدوا الى المحراب وكل واحد منهم صلى ما عليه من الصلاة وبعد الفرض الورد وهى مائة ركعة كل ليلة وكانت هذه أورادهما لا يتركوها سفرا ولا حضر هذا وقد تنحنح الامير وفتح فمه وحنجرته وقرأ فى القرآن العظيم بصوت حنين وكانت الاميرة تصلى ودموعها تجرى على خديها خوفا من الله تعالى حتى مضى من الليل أكثره ولم يبق الى أيسره ونظر الملك الهدلموس الى ما به فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب والى ذلك القيام والقعود والركوع والسجود والخوف من هيبة الملك المعبود وقراءة القرآن الذى تقشعر منه الجلود فناداهما وقد خشع قلبه من تلاوتهما ومن صلاتهما وفزع مما رأى منهما وقال لهما يا هؤلاء ما هذا البكى والحزن والشكوى الذى أراه بكما فقالوا له خوفا من ربنا وخالقنا فقال لهم ومن هو ربكما قالوا ربنا الذى يرانا حين نجلس ونقوم ورفع سرادق الغيوم ويعلم عدد النجوم وابرام القضاء المحتوم وهو الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم فقال الملك الهدلموس من هو هذا الرب هل هو الذى يقال له المسيح أم غيره فقالت الأميرة وقد صاحت عليه يا ويلك

كأنك تظن أن المسيح رب يعبد وما هو الا مأمور مستعبد وهو يخاف من العقاب من العقاب ويعبد الله طمعا فى الثواب وخوفا من طول الحساب وان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمع الملك الهدملوس ذلك المقال قال لعن الله ذلك الشيخ الأعور الجاهل الكذاب وقد كنت أحسبه عاقل ولا شك أنه على الضلال لأنه ملعون محتال مرتاب كذاب فقالت الاميرة عن من تعنى بهذا الخطاب فقال لها عن عقبه الذى جاء الينا من عند الخليفه ومعه كتاب وكنت أنا لا أتدين بدين ولا أعرف كلام النصارى ولا المسلمين وانى قلت له أيها الشيخ أى الأديان أفضل حتى أتبعه فوصف دين النصرانية وقال هذا هو الدين الصحيح فقالت الاميرة الآن فقد عرفت الحق فعود الى الله من قريب واعلم أنه قريب مجيب فقال لها دعينى حتى أشاور عقلى ونفسى وأنظر ماذا يكون من قومى (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما أصبح الله بالصباح والأمير عبد الوهاب يقول اللهم اجعل هذا العبد من جملة من يقاتل فى سبيلك ويشهد على عقبة عند أمير المؤمنين هذا ولما أن أصبح الله بالصباح لم يأتى البطال كما ذكر لؤلؤ للأمير عبدالوهاب ولم يأتى فأيس منه وقال لوكان سالما ما غاب عنا (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من المؤمنون فانه لما أسرت الاميرة ذات الهمه الى الهدملوس عسر عليه وأحضر عقبة وأرباب الدولة بين يديه وقال هذا ما لم يكن فى الحساب فقال عقبة يامولاى لا تحزن على الهدملوس واعلم أنى وجدت السودان ماعندهم لفقده لاجزع ولا فزع ورأيتهم مسرورين برجل قدموه عليهم وهو أسود كأنه فيل ويذكرون أنه أحق بالملك من الهدملوس وهو يقول له كردم فبات المأمون وقد خف عنه ماكان يجده من ذلك الهم ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح أقبل الامير عبد الوهاب على بنى كلاب وقال لا بدلى من الخروج الى القتال ثم انه فتح الباب وخرجت الناس من السودان وبنى كلاب وسائر الأمراء والأصحاب ثم انه صف عساكره وكتائبه ونظروا سودان الهدملوس الى ذلك فركبوا كلهم وصاحوا واق واق فارتجب الأرض من سائر الجنبات وقد اجتمعوا من حول الملك الجديد كردم وقالوا له أيها الملك هذا أمير الجيش الذى عرفت أن الخليفة يطلبه أما تراه قد برز بعسكره فصرخ كردم صرخه عظيمة وخرج الى الميدان وهو من فوق جواد فاخر واسع الحوافر يفوت جرى الطير الطائر ويسبق السحاب السائر وفى حلقه قلادة من الجوهر تسوى عشر بدروهو من فوقه كأنه الأسد اذا هدر هذا ولما أن صار فى الميدان طلب البراز وسال الى

الانجاز فخرج اليه فارس من فرسان الحجاز فما كانت إلا قدر طرفه عين حتى أنه أخذه وخطفه من سرجه خطفه الخاطف فخرج اليه من بعده الأمير ظالم وحمل عليه وحمل كردم الآخر عليه وقد تقاتلا وتطاعنا طعنا شديد ليس عليه من مزيد ولم يزالا كذلك الى أن حميت الرمضا واكفهر الحصى والجندب وتوقد الجلمد وحمى القصطل واسود الجو وعدم الضوء (قال الراوى) ياساده ياكرام ولم يزالا كذلك إلا أن أمسى المساء ونادى منادى الانفصال فانفصلوا ورجع الامير ظالم فدنا منه أبوه وقبله بين عينيه وقال له يابنى كيف رأيت خصمك فقال يا أبتاه دعنى من السؤال وهنينى بالسلامة من تلك الاهوال هذ وقد دخلوا الى البلد وقد انقطعت أخبار أبو محمد البطال وما بان له خبر ولا أثره ظهر (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وحال غريب لابدما نذكره على الترتيب بعدالصلاة والسلام على سيدنا محمد الحبيب وذلك أن المأمون أرسل فى تلك الليلة الى السودان يقول لهم ما فى الامر إلا اننا نضيق عليهم من كل جانب حتى لا ينجوا منهم هارب فقال كردم يا مولانا لا تعجل بل فى غداة غدا أفعل ما يكون فيه الصواب فلما سمع عقبة ذلك الكلام فرح واستبشر وخرج من عند المأمون وقد نصب للبطال اشراك حيلة وتلصص عليه حتى وقع فأخذه ولم يعلم به المأمون ولا غيره دون أنه حمله الى بعض المغائر ووضعه فيها وهو مكتوف ووضع على صدره صخرة عظيمة هائلة بعد ما ضرب له فى الأرض أربع سكك وربط يديه ورجليه وقال وحق المسيح ما أقتلك حتى أقرض من لحمك فى كل يوم بالقراض قطعة بعد قطعة لانك قد فتت كبدى بقتلك معقب ولدى وتركه عقبه فى المغارة وخرج وعاد الى العسكر فى الحال وترك البطال فى أسوأ حال (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ماكان السبب فى غياب البطال ونرجع الى ماكنا فيه من الاقوال بعد الصلاة على النبى المفضال هذا وقد أقبل الأمير عبد الوهاب على الهدلموس وقال له ياهذا لا تظن أن اكرامى لك خوف من سودانك بل هو تقربا الى قلبك لعل الله تعالى أن يهديك الى الصراط المستقيم والدين القويم فلما سمع الملك الهدلموس الى ذلك دمعت عيناه ولان قلبه وقال كيف أقول حتى أصير مسلما فقال له تقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله ففى ذلك الوقت أقر الهدلموس بالشهادين فوثب الامير عبدالوهاب اليه وعانقه وقبل مابين عينيه وقال له هذا الذى كنت أرجوه لك فقال الهدلموس يامولاى أعلمنى ايش السبب الواجب الى الفتن بينك وبين الخليفة المأمون فقال له كل مانحن فيه من عقبة لانه كافر برب العالمين

ويتجرأ فى الكلام على سيد المرسلين فقال له إذا كان الأمر كذلك فأنا آخذه لك وأسلمه اليك وإن طلبت أمر السودان الذين لى يكسرون عسكر المأمون وتأخذوه أسيرا وان شئت جعلت لك الخلافه وأقاتل بين يديك الى أن أموت لأن ما بقى لى رغبة فى الرجوع الى ديارى فقالت له الاميرة بارك الله فيك أيها الملك الكريم والفيل العظيم بل نريد منك فى ليلة غد نشدك بحبل وتنزل من الصور وتذهب الى عسكرك وتقول لهم انك قد هربت بالليل وتقول لهم لا بد أن أفعل بهم وأصنع فلا بد أن يصل الخبر الى الخليفة فيرسل اليك عقبة فاذا جاء اليك يهنيك بالسلامه هنالك أقبض عليه ثم تأمر بعد ذلك أصحابك بما تريد فانهم لايخالفوك فقال لها ابشرى فوالله ما يصل اليك عقبة إلا وهو أمرد مما أنتف ذقنه وأنهش بأنيابى آذانه (قال الراوى) ياساده ياكرام ولم يزالوا فى مثل ذلك الكلام بطول الليل الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فتح الأمير عبد الوهاب باب آمد وقد خرج فى رجاله وهيأ ابطاله وكذلك فعلت سودان الهدلموس وقد خرج كردم فى مقام الحرب ومنزل الطعن والضرب وهو كأنه جمل حل من عقال بالحديد مسربل سربال فوق سربال فقالت الأميرة أنا أخرج اليه فقال ظالم بل أنا أخرج اليه فأقسم الامير عبد الوهاب لا يخرج اليه أحدا غيرى فقالوا دونك وما تريد فعندها خرج الاميرعبد الوهاب فقال له ظالم أيها الامير كلا منا قد حلف أنه يخرج اليه وما فى الأمر إلا اننا نتساوى ونخرج اليه أبو يخلف فقال أبو يخلف ما أنا مجنون حتى أحنث الامير فى يمينه فدع الساعة هذا المزاح فما هو وقته وإلا وحق الصديق أخذت ست شمسه ورحلت عنكم وما تجدون بعد ذلك مثلى فضحك الاميرمنه ثم انه حمل على كردم حملة منكرة صادقة ومد اليه رمح وطارقة هذا وانهما تدانيا وتلاقيا وتطاعنا فسبقه الامير بالطعنة فجاءت فى صدره خرج السنان من ظهره فوقع الى الارض صريع فلما رأت السودان الى ذلك حملت على بنى كلاب ساعة فلم يجدوا بنى كلاب لهم طاقة بقتالهم فدخلوا الى البلد مندفعين فنظر الامير عبد الوهاب الى ذلك فعاد ودخل معهم البلد وصار من وراء حجاب وقد رجعت السودان عنهم ولم يزل الصياح بينهم الى الليل فلما أظلم الليل أخذ الملك الهدلموس حبلا قويا غليظا شديدا وقد شده فى وسطه وأنزلوه من الصور ولما أن صار على وجه الارض حل الحبل من وسطه وسار إلى العسكر ودخل عليهم وعرفهم بنفسه فصاحوا لما عرفوه بتلك الاصوات الشنيعة أو قد جعلوا يقبلون يديه ورجليه ويهنوه بالسلامه (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا ولما أن وصل الخبر الى عسكر المأمون فسألوا عن ذلك فقيل ان الهدلموس

رمى روحه من على الصور وقد قال انه فى غداة غد يخرج الى ذات الهمة لأنه لما كانت أخذته كان ظن أنه أهلكها وما أخذته إلا على غفلة منه فلما سمع المأمون ذلك فرح وقد أرسل عقبة فى الحال الى الهدلموس وقال له امض اليه وتغمم له مما جرى عليه وانظر كيف كان السبب فى خلاصه فقال السمع والطاعه ثم ان عقبه أقبل على ولده عامر وعلى غلامه جبروقال لهما انى كنت قد عولت على اننى امضى الى هذا الشيطان أبو محمد البطال وأقتله ودع يجرى بعد ذلك ما يجرى لأننى قد تركته على الحالة التى تعلموها وما أظن انه بعدها فى الحياة والآن فى هذه الساعة جاءنى خبر الهدلموس انه خلص من يد الأعداء وهوأفرح لقلبى من ذلك لأنى كنت خائف من هذه الطوائف أن يختلف أمرها وأريد أن أمضى إليه وأقوى عزمه على ما يعمل وسار عقبة حتى وصل الى الهدلموس فلما رآه قام له قائم على قدميه وما كان يعهد منه ذلك وجعل عقبة يهنيه بالسلامه وقال له أيها الملك خاطرت بروحك فحدثنى كيف أرميت روحك من ذلك الصور الشاهق فقال له الهدلموس هذا وأنت رجل عاقل كيف يقدر على ذلك أحد من الناس ولكن أنا فتحت باب السر الصغير وخرجت منه وانى قد عولت أن أنزل الرجال تعبر منه وتملك البلد وتقتل كل من فيه وهم نيام لأنهم آمنون لأجل أن بلدهم حصين فطار عقل عقبه من الفرح لما سمع ذلك الكلام وقال أيها الملك وحق المسيح اننى أشتهى أن أرى ذلك الباب حتى أعلم به الخليفة فيكون على أهبة فقال له الملك الهدلموس قم بنا حتى تراه فقال عقبه ما أبركها من ليلة وأنا أخبرك أيها الملك أن عندى أبو محمد البطال فى مغارة فى ناحية عن الطريق فسر معى أيها الملك حتى تراه (قال) وكان الهدلموس سمع الامير عبد الوهاب يذكر أبو محمد ويطنب فى حديثه . وكان حلى فى قلبه دين الاسلام وقد وقع حب الامير والاميره فى قلبه لما رأى من حسن دينهما واعتقادهما ووادهما وإخلاص نياتهما فقال فى نفسه ما الفائدة اننى آخذ هذا الشيخ النحس وأدع صاحب الامير والاميره أبو محمد البطال فى الاعتقال والذل والهوان فى ذلك الجب الذى لايعلم هو فى أى مكان (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا وعقبة يقول أيها الملك فى قلبى نار لاتطفى ولهيب لايخفى من البطال فقال الهدلموس أرنى إياه حتى أشفى غليل صدرك منه فقال له حباً وكرامة ثم سار بين يديه وهو يقول ما مرّ على البطال ليلة أيشم من هذه الليلة وما زالوا سائرين حتى وصلوا سائرين حتى وصلوا الى ذلك المغار فدخل عقبه ودخل بعده الملك الهدلموس وهومثل الفحل الجاموس وقد سد باب المغارة بهيكله وجسمه وكبر خلقته وهذه المغارة كانت

وهى تحت الجبل هذا وأبو محمد كان فى ذلك الوقت قد أشرف على التلف فلما دخل عقبة عليه رفع الحجر عن صدره وقال له يا أبو محمد أبشر فقد جاءك الفرج واعلم أن هذا الملك الهدلموس قد أتى إلى زيارتك ويريد يتلف نفسك من بين النفوس ويعجل رحلتك ويجعل ليلك ليل منحوس ثم إنه أخرج زناد وقدح وأشعل شمعة وأخرج سكينا أمضى من القضاء وأنفذ من البلاء لو انها وضعت على جمل قطعته نصفين ظهرها يعمل فى الأجساد كما تعمل السيوف الحداد ثم قال يا أبو محمد قل لنبيك يخلصك منى فقد انقضت مدتك ثم وضع السكين على نحره وقد برك على صدره فأيس البطال من الحياة وأيقن فى ذلك الوقت بالوفاة وقال هذه نوبة ما كانت لى فى الحساب وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها أحيا وعليها أموت وعليها أبعث إن شاء الله فقال عقبة يا أبو محمد إنى أريد أن أذبحك ولقد كنت أشتهى أن أعيش فى كل جيل وأعمر فى كل قبيل حتى انى أنصر دين الانجيل وأقتل هذا الدليل الضليل وأسفك دم من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أرجو بذلك الثواب العظيم فقال أبو محمد يا ملعون إن الله سبحانه وتعالى لبغضته لك قد بغض اليك كلمة الاخلاص وجعلها ثقيلة على لسانك حتى لا تقدر تقولها وأما قولك تعمر وتعيش عمراً طويلا فابشر واعلم أن ذكرك لا ينقطع لسوء فعالك وسواد أعمالك وسوف تلعن بكل شفه ولسان فى سائر الأوقات والأزمان وتحمل إلى محل الذل والهوان وفى القيامة تساق الى النيران وتلبس ثياب من قطران وينادى عليك هذا فلان ابن فلان الكافر بالملك الرحمن (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما أن سمع عقبة القرآن من أبو محمد ذلك الكلام الذى موزون بميزان فاغتاظ منه غيظا شديداً وهم أن يذبحه فقبض الملك الهدلموس على قفاه بتلك الأيادى الخفيفه والانامل اللطيفه وعصر على حلقه كاد أن يقضى عليه وقد بزرت منه الاحداق وغشى عليه وكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وقال له خلى يا ويلك عن ولى الله يا عدو الله قبل أن أذيقك شىء آخر من الرمضا فان شئت أن تغضب وان شئت أن ترضا فان عقوبتك على فرضا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلماسمع عقبة ذلك الكلام من الهدلموس تعجب وتحير وأطلق يده من أبو محمد ووقع الى جانبه مغشيا عليه فدنا الهدلموس من البطال وأطلقه من الاعتقال وأزال عنه تلك الأغلال وأبو محمد غائب فى دنيا أخرى وهو متعجب من تلك القضيـة ولا يعلم كيف القصة ولا من أين أتى الفرج من وسط الرزية وقد طار قلبه فرحا وقال

سبحان الله كنت لما رأيت الهدلموس أيقنت بالبلاء والبؤس وكان قدومه سببا لزوال العكوس وقد قيل فى المعنى

لكل شيء من الأشياء ميقات والأمر فيه أخى محو واثبات
ورب ذو كربة كانت مضرتها ظاهر وباطنها فيه المسرات

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم ان أبو محمداً أقبل على الهدلموس وقال له بحق من جعلك وليا من أوليائه بعد أن كنت عدواً من أعدائه قل لى ما السبب فى ذلك فأعاد عليه القصة التى جرت والاحاديث التى طرت ففرح أبو محمد وقال الحمد لله الذى جعلك ركنا للاسلام وعونا لاهل الايمان على أهل الشرك والطغيان لأن الله عز وجل قد علم نية الامير عبد الوهاب ويستاهل والله أن يجاب لان ما عنده من حب الدنيا خبر ولا فى قلبه منها أثر وقد أقبل على الآخرة بكليته وانقطع الى الله عزوجل بجملته وتلذذ بخدمته ثم ان أبو محمد عمد الى عقبه وشد يديه ورجليه وأراد أن يحمله بعد ما طلع من تلك المغارة فمنعه الملك الهدلموس من ذلك وقال أنا يا أبو محمد أحق بحمله وقد رضيت بأن أكون حمالا ثم حمله على أكتافه وسار الى أن وصلوا الى أمد فصاحوا فأجابهم الحرس وقالوا من أنتم فقال لهم الامير أبو محمد افتحوا الباب فأنا أبو محمد البطال فمضوا الحراس واعلموا الامير عبد الوهاب بذلك فقام بنفسه مسرعا وهو لا يصدق من الفرح وفتح الباب فرأى أبو محمد والهدلموس ومعهم عقبه المنحوس ففرح غاية الفرح وقال خذوه واكتموا أمره حتى نفعل به ما نريد فقال الهدلموس من يمنعكم من قتله أيها الامير فما فى حياته فائدة لانه شيخ نحس فقال الامير عبد الوهاب ما يمنعنى من قتله الا أشياء وأمور سوف تطلع عليها وهوأن الخليفه المأمون وعسكره كل يوم فى زيادة ونحن فى نقصان وأقرب الاشياء البارحه وصل اليه عسكر من مصروعساكر من الشام فى خمسين ألف مقاتل وما ندرى ما يكون منا ومنهم فقال الهدلموس اذا كان الأمر على ما ذكرت فأنا أعود الى قومى وأعلمهم بما من الله به على من الاسلام وأنا أعرف أن أكثرهم يدينون بدين الاسلام فاذا أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح لا تقيموا فى البلد بل اخرجوا وصفوا صفوفكم وجردوا سيوفكم لانكم على نية الحرب وموقف الطعن والضرب وأنا أحمل على المامون وهو مقابلى فانا أخذه أخذ بالكف ونأخذ كل من فى الموكب وقد انكسرت عساكره وتفللت دساكره فقال أبو محمد البطال هذا هو الصواب وهو رأى جيد (قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا وقد مضى الهدلموس وأغلق الامير الباب وعاد الى موضعه

وهنأ أبو محمد بالسلامه وقال له ياأبو محمد خرجت من عندى تحتال على عقبه وقعت أنت فى يده فقال البطال أيها الأمير لاتسأل فما على وجه الأرض أخبث من عقبه فكم من مرة أحذره ثم أقع فى يده وانى أخبرك أيها الأمير بما جرى لى مع هذا الملعون فى هذه الكرة وهو انى لما خرجت من عندك ومضيت الى عسكر المأمون لآخذه فلقينى غلام من غلمان عقبه وأنا فى زى صعاليك الأكراد فما عرفته ولا رأيته فى غلمانه قط فقال لى ياكردى قلت له لبيك فقال تعال معى حتى أعطيك شيئا من الزاد ثم انه أخذنى وأبعد عن العسكر وقال لى لاشك أن لك عيال وأطفال إلا أن الأكراد كلهم لصوص فما قولك فيمن يعطيك ألف دينار مصرية وتسرق لى رجلا واحدا وتأخذ منى هذا الدواء وتوضعه له فى مأكوله أو مشروبه فقلت له ومن هو هذا الرجل أعلمنى به فإن كنت أقدرعليه صرت اليه وإلا رجعت من حيث أتيت فقال أبعد عن العسكر حتى أنفذ لك من يتحدث معك ويعرفك بالذى تريد أن تسرقه لأنه مايقدر يجىء إلا فى الخفية فلما سمعت منه ذلك أيها الأمير غرنى الطمع وكان الميعاد بيننا الليل فسرت الى المكان المعين واذا بالرجال خرجوا علىّ وأخذونى فى جب من داخل المغار الذى خلصنى منه الهدلموس ولولا انه أتانى وأدركنى وخلصنى وإلا كنت من الهالكين وذلك من فضل ربى الذى خلصنى من تلك الشدة (قال) فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب ذلك تعجب ورفس عقبه برجله ففتح عينه فرأى الأمير عبد الوهاب واقف عند رأسه والأميرة ذات الهمة الى جانبه والسودان من حواليه فكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه فقال له الاميرأبو محمد انظر ياملعون كيف خلصنى الله منك ببركة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى قلت لى : قل له يخلصك أبشر يامعلون بالويل فوالله لأنتقمن منك أشد الانتقام ولأضربنك ضربا ما تحمله الأنام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من الملك الهدلموس فانه سار الى قومه وهو على غاية الفرح ثم أحضر المقدمين وأرباب دولته وكانوا عشرة أنفس وقال لهم اعلموا انى كنت مغرور بدار الغرور وهى دار ربحها خسران وعزها ذل وهوان وهو انى رأيت دينا فيه فائدة كبيرة وقد رضيته لنفسى وهو يسكنى ويسكنكم فى دار البقاء وهى دار نعيمها لايزول وعيشها لاينفذ ولايحول فما أنتم قائلون فقالوا افعل أيها الملك ما تريد فنحن كلنا لك من جملة الخدام العبيد ولا نخالف لك قولا ولا نعصى لك أمرا فقال لهم اعلموا أن الخالق سبحانه وتعالى بخلاف الخلائق وهو منزه عن الصاحبة والولد وليس له ضد ولاشبيه ولا ند وأناقدانفتح

لى باب الهدى والنجاح وأريد أن أكون من أهل الفلاح ولقد رأيت من الأمير الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمة شيء لم أره من أحد غيرهما أبدا من التمسك بالدين والوفاء واليقين والركوع والسجود والخوف من أهوال يوم القيامة والوقوف بين يدى خالق الخلق وباسط الرزق وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أنتم قائلون فلما سمعوا منه ذلك قالوا أيها الملك الكريم والفيل العظيم وما تقول فيما صنعه معنا الرجل عقبه فقال لا أعقبه الله خير ولا عافية فقد قبضت عليه وسلمته الى الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمة حتى انهم ينزلوا به كل رزية وعذاب فلما سمعوا ذلك قالوا هانحن بين يديك مهما أمرتنا به فعلناه فشكرهم على ذلك وقال لهم انى قد عولت على أخذ المأمون ونسلمه اليهم حتى تذهب عساكره ونبقى نحن والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ومن معهم من الأصحاب نتعلم شرائع الاسلام وحدود الإيمان ونفرق بين الحلال والحرام وندخل معهم الى بلاد الروم ونجاهد فى طاعة الحى القيوم ونقيم ههنا وما نرجع إلى ديارنا ومن أراد المقام هنا أقام ومن أراد الانصراف الى أرضه وبلاده فشأنه وما يريد فقالوا له نعم مارأيت وها نحن نمضى إلى أصحابنا ونعلمهم حتى يكونوا على أهبة من أمرهم ثم انهم تفرقوا وكان الذى آمن منهم باطن وظاهره أربع أمراء يقال لأحدهم شارب الدماء والثانى المقرود والثالث أبو الخلق والرابع أبو القرون وهؤلاء الذين حلى لهم دين الاسلام ودخلوا فى الإيمان فمضوا الى أصحابهم وأخبروهم بذلك الشان وأشاعوا فيهم كلمة الاسلام فلما سمعوا ذلك أجابوا وقالوا نحن ما نخالف قول مولانا فقالوا لهم خذوا أهبتكم لما يأمركم به الملك الهدموس وأما باقى الأمراء الستة فلم يعمل معهم كلام الملك الهدلموس شيئا وقالوا نحن ما نعرف إلا دين المسيح على طول الأيام والسنين والأزمان وهذا الملك قد صغى الى هؤلاء القوم وتبعهم فأجمعوا أمرهم على رأى واحد وانهم يكونوا لبعضهم بعضا فى الرخاء والشدة (قال الراوى) ولما أن أصبح الصباح وقد تقرر أمر الأمراء الذين أسلموا أن يقبضوا على المأمون والأمراء الذين على دينهم فانهم عولوا أن يخبروا المأمون وأن يكونوا من حزبه وينصروه وكان المقدم على هؤلاء الستة رجل جبار يقال له عملاق وكان لا يطاق علقم مر المذاق وانه أقبل على الخمسة الأخر وكان أسماءهم شمراح والكرداج وديناس والعروس والشحطبان فقال لهم المقدم عليهم الصواب أن تفعلون فعلا تشكرون به وهو انكم ترسلون إلى المأمون وتعلموه بهذه القصة وتقبضون على الهدلموس وتسلمونه اليه

وتعرفونه ان لولا فعلنا ذلك معه لكان قد هلك حتى نأخذ منه الاموال فعند ذلك أسلموا الى المأمون وعرفوه مايريد أن يفعل الملك الهدلموس وأن عقبة مقبوض عند عبد الوهاب فلما سمع المأمون ذلك فزع غاية الفزع وأرسل اليهم الأموال والخلع وقال على أن أعطيكم أضعاف ماوعدتكم به وأن المأمون أرسل يطلب عقبة فلم يجده فعلم تحقيق القصة وأن عقبة أخذوه ولا بقى له من عندهم رجوع إلا بعد حرب شديد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك الهدلموس فانه ادعى بالشيظبان وقال له أعلم أصحابك بهذا الأمر الذى عولنا عليه فقال انى أعلمتهم (قال) فبينما هم كذلك واذا المأمون أرسل يقول أيها الملك أرسل الأمراء الذين عندك حتى أخلع عليهم ليكون ذلك أنشط لقتالهم فقال الهدلموس اذهبوا اليه وخذوا الخلع وقولوا له يركب اذا أصبح الصباح حتى ينظر الى قتالنا فاذا ركب انطبقنا عليه وأخذناه أخذاً بالكف (قال) فمضوا الامراء الى المأمون فخلع على الستة الذين أقاموا على الكفر الخلع السنية وأركبهم الخيول العربية بالركابات الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر ورجعوا الى الملك الهدلموس وقد أصبح الصباح فنظر معهم كل مليح فسألهم عن باقى الأمراء فقالوا انهم عند المأمون مكرمين وهو يدعوك اليه حتى يخلع عليك خلعة سنية ما نظر أحدا شكلها وكذلك باقى الأمراء حتى يكونوا بين يديك يحجبوك فاذهب اليه كى لاينكر أمرك ويأخذ حذره منك (قال الراوى) فعند ذلك ذهب الملك الهدلموس طالبا المأمون هذا وقد رتب المأمون الرجال وفى أيديهم السيوف الصقال والعمد الثقال فلما أن سار الهدلموس طالبا الى المأمون أقبلوا الأمراء الستة على قومهم وقالوا لهم إن المأمون قد وعدكم كلكم أن يفعل معكم مثل هذه الفعال فاصدقوا الآن فى القتال وسمعوا أصحاب الأمراء الاربعة الذين أجابوا الى الهدلموس أن المأمون قد قبض على أمرائهم فانعزلوا فى أربعة آلاف هذا والامير عبد الوهاب قد فتح باب البلد ووقف ظاهرها فى عساكره وأما الهدلمرس فانه وصل الى الخليفة وهو آمن على نفسه إذ صاحت به الرجال ليقبضوا عليه فعندها جرد سيفه وحمى نفسه فصاحت عليه الرجال أصحاب الشيظبان : المسيح المسيح ونادوا اصحاب المأمون : لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد سمع الامير عبد الوهاب التكبير فطلب الى سرادق المأمون ومعه بنى كلاب والسودان الأنجاب وانضاف اليه أصحاب الهدلموس الذين آمنوا فصاروا خمسين الف اسود وانطبقوا بعضهم على بعض وعملت النصال فى قمم الرجال وخابت الظنون والآمال وهبت عليهم رياح الأهوال واصفرت أوراق الآجال وخرست

الألسن الناطقات وبربرت عند ذلك السودان وهاجوا مثل ما تهيج الجمال وبكت السماء بدمع النداء على تلك الرمال وضجت الارض من الدم الذى عليها قد سال من الأوصال وزاد الجراح واسودت البقاع فما عرف الإنسان اليمين من الشمال وهدرت سباع الويل وقطعت قوائم الخيل وسالت الدماء مثل السيل وما أسرع ما دارت الأفلاك والمقادير حتى دخل الغبار فى المناخير وما زال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى وقت الظهر والامير عبد الوهاب قد وصل إلى موكب المأمون وقد قاتل الملك الهدملوس القتال الشديد ولم يكن معه ترس يلتقى به ويمنع عن نفسه فأثخن بالجراح من وكز أسنة الرماح والبيض الصفاح وأخذوه أسير هذا وقد زاد الحرب والويل الى أن دخل عليهم الليل ورجعت الفرسان تتمايل على ظهور الخيل وانفصلوا عن القتال ورجع الامير الى مقامه والسودان قد أفنوا بعضهم بعضا وقتل من الذين أقاموا على الكفر خلق كثير وهلك من بنى كلاب جماعة وكان يومهم يوم عسير هذا وقد باتوا الناس على ما هم عليه وعند الصباح اصطفت عساكر السودان فأول من فتح باب الحرب كان الشيظبان وجال على الأقران وحمل على الشجعان فقتل عشرة من فرسان الأبطال الشجعان فلم يجسر أحد بعدها يتقدم اليه فخرج اليه أبو الهزاهز وجال فى الميدان فانقض عليه الشيظبان وجرى بينهم حرب أكيد يلين له صم الجلاميد وبعد ساعة أخذه أسير وقاده ذليل حقير فخرج من بعده طارق الحجازى وتطاعن هو وإياه ساعة فوجد طارق فى نفسه التقصير فألوى عنان جواده وولى منهزما فخرج اليه راشد بن ضمرة فأسره وخرج اليه الامير ضيغم وقاتله إلى أن تقضى النهار وأقبل الليل ورجعوا الى الخيام (قال الراوى) ياساده ياكرام ياأهل الذوق والأفهام وباتوا الناس إلى الصباح ولما أن كان ثانى الأيام خرج الشيظبان الى الميدان فبرز اليه خمسة من السودان فسقاهم شراب الهوان وثلاثه من الأكراد فعند ذلك خرج الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب البطل الهمام وهو يقول :

ترانى الهمام غداة الطعان بصير فى الأمور بحسن المعانى
كريم الليوث ألا انثنى اذا جالت الخيل فى الصحصحان
تعودت فعل الكرام الذين لهم موقف الحرب والموت دانى
فكم لى جديلا على فدفد بوكز السنان وضرب اليمانى

(قال الراوى) وحمل بعضهما على بعض والتحما واصطدما وتضاربا وتحاربا وتجاولا حتى زاد الأمر وعيل الصبر وزاد الشر وصاح به الامير المهاب المقدم على الأصحاب صيحة عظيمة حيره وأضجره ولاصقه وقاربه ومسك الى جلباب درعه ومراق بطنه وهزه اقتلعه من سرجه ودفعه الى غلمانه (قال الراوى) وخرج من بعده الكرداخ فأخذه أسير ولم يزل يخرج اليه واحد بعد واحد حتى لم يبق من الستة المقدمين على السودان إلا الشمراخ وانه خرج الى الامير وقد ضمن للمأمون أخذه وكان فارساً شجاعا وبطلا مناعا وهو مع فروسيته خداعا وانه حمل على الامير فجرى بينهم حرب شديد وطعن أكيد يشيب له الطفل الوليد ويذل منه كل جبار عنيد ولم يزالا كذلك ساعة وأعيوا جواديهما ووقف كل واحد منهما ينظرالى صاحبه شذار ويرمقه حذار فقال شمراخ : أيها الأمير ماهذا الكلام الذى عرضتموه على صاحبنا حتى انه صار منكم ورغب فى دينكم ولم يحسن يعيده علينا ولا عمل كلامه فى قلوبنا ونحن فى شك من ذلك وانى أريد أن أسمعه منك (قال) فطمع الامير عبد الوهاب فى إسلامه وعودته الى دين الاسلام ليكون ركناً لأهل الإيمان فجعل يحذره وينذره ويسبح الله تعالى ويكبره فعند ذلك بكى شمراخ وقال اننى أقول بقولكم فقال الامير لوجه ربى الحمد والشكر ثم قال له سر معى الى أصحابى فانهما إخوانك المسلمين (قال الراوى) لذلك التبيين : فسار الامير وشمراخ بين يديه والامير قد آمن إليه فعندها أخرج شمراخ من تحت فخذه حربة ماضية أمض من القضاء وضرب بها الامير عبد الوهاب على حين غفلة منه فوقعت فى جسده فجرحته جرح بالغ ولولا ما كان عليه من اللباس لكان قضى عليه فوقع الأمير الى الارض فلما رأت الاميرة ذات الهمه الى ذلك صاحت : وا ولداه وا قرة عيناه هذا والله الفراق الذى ما بعده تلاق وقد حملت فى قومها تطلب ضارب ولدها وحملت بنى كلاب وانضافت اليهم السودان الأنجاب وهم يقولون : وا أميراه وا عزيزاه وكان يوماً عظيما عليهم فقال جوهر الخادم ياأمير المؤمنين قد قتل الامير المجاهد والبطل المجالد عبد الوهاب وإن كان قتل ما ينتج بمثله الزمان وقد بقيت أمه حليفة الا كتئاب ودائمة البكاء والانتحاب وقد ذلت من بعده بنى كلاب بأجمعها فاصطنعها وإلا هلكت من هذا العالم الكثير فقال له ياجوهر ما أفعل ذلك إلا أن يطلقوا عقبة (قال) وقد التحم القتال وزاد الزلزال وتقابلت الجمعان وعمل بينهم الصارم اليمان والطعن بالسنان وصبرت الفتيان والشجعان وكلت الخيل من الجولان

واستولت الاقران على الاقران والفرسان على الفرسان وتصادمت الجمعان وتثلم الصارم اليمان وكان الامير طارق الحجاز لما انهزم من بين يوى الشيظبان فرجع الى العسكر وغير جواده وركب وتقدم على السودان فى ستين ألف عنان وحمل بعضهم على بعض وعادت الوجوه مشؤمه والاناف مرغمه والخيل مصدمة والقصة غير مبرمه والابداق مكومه والاشباح مطروحه والدماء مسفوحه والآمال اختلفت والفرسان عن الخيل قد انطرحت وقد حامت عليهم عقبان الفلا تطاب الاماق والمنا ولم يبق إلا لعل وعسى ولم تزل الرماح تلتقط الارواح حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد هلك من الطائفتين خلق ما يقع عليهم عيار إلا أن الاميرة ذات الهمة كانت أظهرت الاهوال فى قتالها وعلى ولدها زاد بلاها وكربها (قال) وكان شمراج قاتل فى ذلك اليوم قتالا عظيما وأخذت الاميرة وأصحابها لما انفصلت من الحرب والقتال وطلبت ولدها عبد الوهاب فلم تجده بين القتلا ولم تقع له على خبر فدارت عليه وفتشت المعمعة أولها وآخرها فعظم عليها وكبر لديها ورجعت إلى آمد وهى خائبة مما كانت له طالبه وقد فاضت عبراتها وزادت حسرتها وتضاعفت لوعتها فأشارت تقول :

لقد عدم المجد بعد الامير ... وزال الذى كان قطب السرور
سأبكى على فقده مثل ما ... بكته خيول الوغا فى الثغور
فمن ذا يكون مثل الامير ... مجيرا لأهل الهدى والسرور
فياعين جودى على فقده ... بدمع غزير كمثل البحار
لقد جار شمراخ فى قتل ذا ... الماجد البدر نعم الامير
وليس الخديعة من شان من ... يخاف الفضيحة يوم النشور
لقد طرفت من أجلا المعمعات ... فكم من جريح وكم من عقير
ولم ترى عينى له جثة ... وقد زاد مما دهانى زفير

(قال الراوى) هذا وقد باتت الاميرة على غاية من القلق والحرق وقد أكرمت السودان الذين للملك الهدلموس وفرقت عليهم الخلع والمال والملبوس وشرفتهم وشكرتهم على فعالهم وقالت غدا أخرج الى الميدان وآخذ بثارى من شمراخ الذى قتل ولدى وفتت بفعله كبدى (قال الراوى) فهذا ما كان من الاميرة ذات الهمة (وأما ماكان) من المأمون فانه لما انفصلت الوقعة أمر الرجال أن يطلبوا الامير عبد الوهاب فى ميدان المعركه وكان قصده بذلك ان كان مجروحا

يداويه وقد ندم على فعله وتفريطه فيه وقال ما يكون مثله فى ذلك الزمان ولولا نفاقه علينا لساويته بروحى غير أن القاضى عقبه حلف المصحف أربعين يمين أنه يريد ينزع الخلافة من بنى العباس ويجعلها فى العلوين هذا وقد فتشوا الرجال سائر الجهات فلم يجدوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فظنوا أنه قد أخذ من المعمعة (قال الراوى) هذا وقد وصل الخبر الى عقبة وهو فى آمد محبوس وموكل به جماعة بأن الامير عبد الوهاب قد قتل ففرح الفرح العظيم وقال ما أبالى بعد هذا اليوم ان مت أو عشت فتى أرى أمه قد لحقت به وكذلك أبو محمد البطال العيار المحتال وأقاموا إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح وفتح باب البلد وخرجت الرجال ومعهم السيوف والعدد وعلى أجسادهم ثياب الزرد هذا وقد ركب المأمون وبين يديه الفقهاء والقراء وسائر الطوائف وفى عاجل الحال اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وقد تزاحمت الألوف وتعازموا على شرب كاسات الحتوف وجردت البيض الثقال ومدت السمر العوال هذا وقد خرجت الاميرة ذات الهمة والى جانبها القناصة وقد ركبت مساعدة والاميرة علوى وزوجة هياج الكردى التى اسمها الغيدا وبناتها هذا والاميرة قد ظهرت فى ذلك اليوم وعليها ثياب الحداد والسواد وقد وقفت فى مقام الحرب والجلاد هذا وميمون الجماس قد كشف رأسه وخفف ما عليه من لباسه وصار ينادى هذا يوم نأخذ فيه التار ونكشف العار هذا وان الاميرة صاحت بجوادها وكان جوادا سامى يسبق البرق التهامى وكانت قد طلبته ونادت برفيع من صوتها يا معاشر الأوباش أنا الثكلى على ولدها أنا أم الشهيد المرحوم فاطمة بنت مظلوم فلم يبق أحدا على أخذ التار غيرى وأنا حريصة على أخذ تارى وان أولاد عبد الوهاب أشبال فليخرج الى قاتل ولدى ثم إنها أشارت تقول :

لقد خاننى المأمون بعد رجائى ... سأشكو الى الرحمن عظم مصابى
وما نالنى من ظلمه وفعاله ... وقتل رجالى يوم حرب صحابى
وهذا أمير المؤمنين الذى غدا ... أراجى به الغفران عند خطابى
فو الله لا زالت خيولى مغيرة ... وسيفى موقوف لضرب رقابى
الى أن ترى بغداد ان مر عابر ... عليها مجيبا يوم سبق ركاب
يضيق بها ربعا لما فى ربوعها ... من اليوم حقا أو صياح غراب
تخاف صياح البوم فى عرصاتها ... تفاقد فيه روح كل مصابى
وأترك قصرا للخليفة خاليا ... من الناس مهجورا كليل خرابى

فمن بعد فقد السيد الماجد انحنى تقوم ظهرى ثم خاب ركابى
وماكان لى بين البرية غيره فأضحى جديلا لا يرد جوابى
ألا ماترون الخيل تصهل بعده وأحداقها مطروقة بعذابى
سآخذ من ثارى الذى مضى وأضرم فى الهيجاء نار حرابى
ومن بعد أخذ الثار منه فاننى أعود اليكم فاسمعوا لخطابى

(قال الراوى) فلما أن فرغت من شعرها خرج اليها من عسكر المأمون فارس يقال له أبو النجا وهو من الابطال المعروفين والاقيال الموصوفين وقال أنا آتيك بها يا أمير المؤمنين فقال له المأمون لك بوزن رأسها ذهبا ان أنت قتلتها فعند ماساق جواده وقد أتى اليها وكان فى يده حسام فأنشد يقول:

أذلهمة جاءك البلاء المؤجل لان شراب الموت حقا معجل
وسوف ترى منى شجاعا إذا بدا يثور له فى الحرب حومة قصطل
فقد وعدنى وزن رأسك جوهر وكل مرادى أن أريد التعجل
وقد مات من قدكان فينا منافق على السيد المأمون والناس غفل

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انه حمل على الاميرة ذات الهمة وهى قدحنقت عليه لأجل كلامه وهى حزينة ثكلى مثل الحبة على المقلا ثم انها حملت عليه وحمل عليها وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح وقد أشرفا على تلاف الارواح وطال بينهما الامر فعندها صاحت عليه الاميرة ولاصقته وضايقته وحكت الركاب لركابه وتعلقت بدرعه والثياب وجذبته اقتلعته من بحر سرجه وجلدت به الارض بشدة حيلها فلم يقم من موضعه ثم انها طلبت أن يخرج اليها من السودان غيره فخرج اليها فارس غيره فقتلته وخرج لها آخر فجندلته وثالث أردته ولم يزل كل من خرج اليها تقتله وخرج اليها جماعة بعد جماعة وهى تتركهم رؤس بلا أبدان (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك حملوا باقى السودان على الأميرة ذات الهمة ولم يرض شمراح أن يخرج وقد قال من أكبر العار أن تقاتل الرجال النسوان وعيب على أن أخرج الى ذات الخدود النواعم والمأمون يقول له لا تستصغر شأنها ولا تحتقر مكانها واعلم أنها أشجع من ولدها الذى قلته وان أنت أخذتها أعطيتك ما تريد فلما أن سمع شمراخ ذلك هم أن يخرج اليها وإذا قد سبقه اليها من السودان عشرون وكانوا من الشجعان (قال الراوى) ياساده ياكرام ان ماكان فى الستين ألف أسود مثل هؤلاء وما خرج كل واحد منهما إلا وهو يريد قتال الاميرة وحده لما فيه من الشجاعة فخرجوا الكل بالاتفاق اليها

وقد جعل كل واحـد منهم يسأل أخيـه أن يؤثره بالخروج اليها فامتنعوا من ذلك وأطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما أن نظرت الأميرة الى ذلك صاحت الله أكبر طاب والله القتال فخرج الأمير ظالم والأمير سيف الحنيفية وضيغم وقشعم والقناصة ونورى والأميره علوى وبنات هياج الكردى ومالك ابن طوق وراشد بن ضمره وهارون العلوى وما زال يخرج جماعة بعد جماعة الى أن خرج ثلاثون فارس وهم الأبطال الذين هم عماد الدين هنالك خرج من السودان عشرة أخر هذا وقد حمل كل واحد من السودان على واحد من أهل الايمان وبقيت الأميره ليس لها مقارن هنالك قال المأمون لشمراخ اعلم أن مرادى أعطيك التقدمة على سائر عساكر السودان وغيرهم على شرط فقال له شمراخ افعل ماتريد واعلم أننى لك من جملة العبيد فعندها خلع عليه ثوب من الديباج القسطنطينى منسوج بالذهب وأعطاه عمامة قصب وقد أركبه على مهر قرطاسى مليح البياض ليس له انقباض كأنه زهر الرياض عليـه سرج كثير الجواهر يبهت النواظر ودفع حسام باتر كأنه متن البحر الزاخر وقال له أريدك أن تخرج الى أم الأسود واعلم أنها معدودة بسائر الرجال من بنى كلاب ومابقى لهم حامية غيرها وقد برزت أبطالهم الى أبطالكم وهذه النوبة سبب الانفصال والانقطاع الحرب والقتال فاننى أريدك أن تخرج اليها وتأتينى بها أسيرة (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما أن سمع شمراخ من المأمون ذلك الكلام قال له يامولاى لقد عظمت هذه المرأة عندكم لما وصفت بأكثر من هذه المناقب وسوف أسقيها شراب المعاطب ثم أنه حمل لوقته وساعته وقصد نحو الأميره فلما أن رأته عرفته أنه هو الذى غدر بالامير عبد الوهاب ولم يخف عليها ركبته فلما أنها حققته صاحت بالجواد وحملت عليه بكليتها وقد تصاعدت زفراتها وزادت حسراتها فأنشدت تقول

أشمراخ جاك الموت من كف لبوة	محسرة بعـد الأمير المحاميا
فيامن لحاك الله كيف تسلطت	يداك على حلف الندا والمعاليا
قتلت أمير كان يجمع شملنا	وينصر دين الله والنفع عاليا
قتلت أمير الدين والزهـد والتقا	ومن كان قواما ولم يك هاربا
قتلت أميرا كان لله عمدة	له شرف فوق الثريا مناويا
وما كان لى بين البرية غيره	فأصبح فى القفر والارض ثاويا
وماظفرت يمناك إلا خديعة	وما كان يا شمراخ عنها مؤويا
وسـوف ترى منى أموراً عظيمة	وتصبح رغما للخليفة ناسيا

(قال الراوى) ياساده يا كرام ثم أن الاميره حملت شمراخ وهى على جواد يسبق الرياح وفى كفها صفيحة تلتهب كالمصباح وارتفع الغبار على وجه البطاح وطارت الخيول بغير جناح وسمحت بالأرواح الرجال الشحاح وتأخرت تأخر الكباش الى النطاح ونادى المنادى لا براح (قال الراوى) وما رأيت فيما مضى تقدم أحسن من هذين الفارسين وقد تحيرت فيما جرى بينهما عقول الطائفتين وطارت قلوب الفريقين فعندها رفعوا الموحدين أصواتهم بالدعاء واستغاثوا خواص المجاهدين هذا وقد طلعت النسوان العربيات والقناعات الكلابيات على أصوار آمد يضجون الى الله بالدعاء هذا ولم يزل القتال عمال بينهم ساعة من الزمان فبينماهم فى الانتظار وإذا هم بجواد قد خرج من وسط المعمعة وهو خالى من راكبه وسار الى أن وصل الى عسكر بنى كلاب فتبينوه واذا به جواد الاميره ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم رضى الله عنها فلما أن نظرت بنى كلاب الى ذلك وقع بهم البكاء والعويل فى العسكر من كل جانب وقالوا فقد الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه فلا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم انتظروا من يخرج من تحت الغبار فلم يخرج أحد هذا وقد نظروا أصحاب المأمون كل من كان يتعصب لعقبه وقد شمت بنو سليم لما أن رأوا الى ذلك الجواد وهو خالى منها (قال الراوى) ياساده يا كرام فلم تكن إلا مقدار شى بيضة أو در ناقة ولماذا بجواد ثانى غائر وقد خرج من وسط المعمعة وقد نزل من كل جانب شقة من الفارس والجواد يركض من شدة الفزع وقد ضربته الاميره بسوط كان معها فتأملوا الرجال إلى الثياب وإذا هم بالثياب التى خلعها المأمون على شمراخ ثم ظهرت بعده الاميره ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم أمة الحى القيوم وهى تهدر من تحت الغبار كأنها برج مشيد فلما أن نظر الى ذلك أبو يخلف صاح بجواده فخرج من تحته مثل البحر إذا انحدر أو البرق الخاطف وقد نادى برفيع من صوته بحق الصديق الجليل هل يحسن أحد يفصل هذا التفصيل أحسنتى يامفصلة الشجعان وجاعلة كل واحد اثنان فلما أن نظروا أصحاب المأمون الى أبو يخلف ظنوا أنه يريد المبارزة فخرج اليه فارس من الاكراد وقد صمم على أبو يخلف فلما أن رآه أبو يخلف رجع إلى ورائه منهزما والكردى من خلفه مصمما وأبو يخلف يركض بين يديه حتى إذا وصل الى الاميره ذات الهمه ترجل عن الجواد بين يديها وقال لها إركبى يامولاتى وادركى هذا القرنان (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أن رأى الكردى فعاله رجع من فزعه من الاميره لاتركب الجواد وتطلبه فصاح أبو يخلف إلى أين تهرب ياقرنان يافرخ ياديوث إنما المليح أن تجى الساعة

حتى أننى أقطع قفاك هذا وقد خرج من بعدها الامير ظالم ورأس خصمه معه ومن ورائه ضيغم وقشعم وسعيد بن الفرج وهارون العلوى ومن ورائهم النسوان الملكه نورى وعلوى والقناصه وعيون المها بنت هياج الكردى وأختها وقد ظفروا الثلاثين أصحاب الاميرة ذات الهمة بالثلاثين أصحاب المأمون ففرح عسكر بنى كلاب والنسوان الأنجاب هذا وقد حملت العساكر على العساكر ولم يزل السيف يعمل طول ذلك النهار الى الليل ثم عادت كل طائفة إلى مقامها وأما الأميره ذات الهمة فانها قالت أما عبد الوهاب فقد قتل وأما أنا فما بقى لى بعد الأمير عبد الوهاب مقام وإنما كان قتالى ومقامى من أجله فاذا كان تحت التراب فقد بقيت هذه الديار من بعده خراب وأنا ما بقى لى أحد ألومه وأننى أترك هذه الديار خراب وأرحل منها وفى غداة غد وحق البيت الحرام أصلب عقبة على صور آمد حتى لا يشمت بولدى الحاسد فقالوا لها أصحابها هذا هو الرأى السديد وأنتى تعلمين أن مالنا هدو ولا قرار وكلنا نقاتل فى القوم الاشرار (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم أنها دخلت الى مدينة آمد هى وجميع السودان وسائر الأبطال من بنى كلاب الفرسان الاقيال هذا وقدبلغ عقبة على مافعلت الاميره ذات الهمة فقال قصف المسيح ظهرها وقطع عمرها فما أكثر شرها فما مات عبد الوهاب ما دامت هذه العاهرة فى الحياة ثم أنه سمع أنها تريد أن تصلبه فقال تفعل وحق المسيح مالى من هذه النوبة من خلاص هذا وان الاميره ذات الهمة أمرت النجارين أن ينجروا ويصلحوا خشبة لاجل أن تصلب عليها عقبة بن مصعب القاضى بتاع المأمون وتلطخها بالقطران وتضرمها بالنيران ثمأنها أخرجت الاخشاب وأمرت بنجارين أن يعملوا ملعباتصلبه عليه هذاولما أنأصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قال لها الامير أبو محمد البطال على ماذا عواتى قالت على صلب عقبة فقال لها أبو محمد البطال أيتها الاميره ما هذا صواب لأننىما أيست من الامير عبد الوهاب وخاف أن يكون قد وصل الى المأمون فاذا سمع بصلب عقبه ربما يصلب الامير عبدالوهاب فقالت الاميره يا أبو محمد مارأيت الامير قدسقط عن جواده الىالارض فقال أيتها الاميره نعم لكن قد طلبناه فما وجدناه فقالت له ربما يكون قد سحبته الوحوش وأبعدوا به عن المعمعة ولكن يا أبو محمد قد علقت قلبى وأنا أرسل الى المأمون أسأله عنه فان كان سالما فأنا أطلبه منه وأسلم اليه آمد وأرحل عن دياره فقال لها البطال افعلى مابدالك هذا وقد ركب المأمون فى جميع موا كبه وقدصف دسا كره وعبا عسا كره وكذلك الاميره قد صفت الصفوف وأشهرت السيوف وركبت أيضا

السودان وأصحاب شمراخ وغيرهم من الأبطال الاقران وقالوا لابد لنا من أن نأخذ التار قد أسرت ساداتنا (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انهم حملوا حملة رجل واحد وقد نظر المأمون الى حملتهم فأشار الى عساكره وأبطاله بالحملة فحملوا عن بكرة أبيهم فهنالك عمل المرهف الأبيض ورأيت الرؤوس تقطف والارض ترجف والسماء قد احتجبت عن العيان والابصار قد غشيها القتام والقتار ولم يزالوا كذلك حتى ذهب النهار وطلعت ظلمة الليل بالاعتكار ونادى المنادى بالانفصال وقد رجعت الطوائف عن القتال ودخلت الاميرة الى البلد وقالت على بالأمير أبو محمد البطال حتى أشاوره فى الرسالة الى المأمون وأطلب من المأمون الأمير عبد الوهاب وقد عولت انى أصلب عقبة والآن قد علق قلبي بالأمير عبد الوهاب بعد ما وقع بى الإياس منه لأن المحب مولع بسوء الظن وقد طلبت أبو محمد البطال فلم تجده فعظم عليها وكبر لديها وقالت والله ما غاب الامير أبو محمد البطال إلا فى طلب ولدى الامير عبد الوهاب ثم أقامت على مقالى التار وما تدرى ما يكون وماجرى له (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان من الاميره . وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال فانه لما أن وقعت الوقعة لبس لبس الاكراد وسار الى عسكر المأمون ودخل الى ناحية الاكراد واختلط بهم وجعل يتحدث معهم بلسانهم ثم سألهم عن الملك الهملوس فقالوا له هاهو ههنا فى الأسر ومعه أصحابه الأربعة من السودان وقد سلمهم المأمون الى أصحاب أبى القاسم الكردى وهم عنده فى مضربه وقد وكل بهم مائة فارس من الاكراد فصار يتحدث معهم فقال لهم لو كان مع الخليفة رأى لكان قتل أسود بنى كلاب وأخذ رأسه أرمى بها اليهم لانهم مايصدقون على أنه قتل فقالوا له انه أراد أن يفعل ذلك فلم يقدر عليه فقال لهم أبو محمد ولم ذلك فقالوا انه طلبه فى المعمعة فلم يجده فبقى أبو محمد البطال فى تعجب عظيم من أجل ذلك ولايدرى ما كان من أمر الامير عبد الوهاب وقال ان قصته لايطلع عليها أحد إلاالله تعالى وقد أراد أن يرجع يعرف الاميره بذلك فرجع الى نفسه وقال دخل إلى خيمة أبو القاسم الكردى فلعل الله تعالى يسهل لى خلاص الملك الهدملوس ليكون هو ومن معه عدة لنا وأيضا فانهم يجمعون السودان الاربعين ألف لأنهم مثل الغنم بلا راعى وما أسلموا إلا عن قريب وأخاف أن تختلف أهويتهم ويقصرون عن نصرة الاميرة فى هذا الوقت العظيم (قال الراوى) ياساده ياكرام وكانت الاميره لما أن فقدت الامير عبد الوهاب قد افتقدت بنى كلاب الذين وردوا عليها من البرية فوجدتهم قد انهزموا وساروا طالبين ديارهم فانغمت كذلك هذا وأن

الامير أبو محمد البطال سار طالب الا كراد الذين هم موكلين بالملك الهدلموس فلما أن وصل اليهم رأى من حول الملك الهدلموس مائة من الأكراد وفى أيديهم القواضب المجذبة والدرق المكوكبة والجميع قيام من حول الملك الهدلموس وأصحابه فحصل عند ذلك أبو محمد البطال عندهم وسارفى وسط الاكراد واختلط بهم وجعل يتحدث معهم بلغاتهم فى حديث الأوائل من ملوك الا كراد ويقول لهم انهم كانوا بنوعمنا يفعلون ماهو كذا وكذا ويقول كانوا يصنعون كذا وهو يتثاءب فى وجههم حتى هجم الكرى عليهم فجعل يتناوم حتى قعدوا الجميع ورقدوا فلما أن رقدوا القوم سمع أبو محمدالبطال الملك الهدلموس وهو يقول لأصحابه كيف ترون هـذا الأمر لما أن فارقنا ديننا واعترفنا بالتوحيد لرب العالمين وقعنا فى هذه الشدة من أجل هذا الذى اعتمدنا عليه فقال بعض أصحابه الذين معه هذه علامة القبول وصحة هذا الدين لأنه متى أن صفت الدنيا لأحد فهو من دينه فى نقصان وأى من كانت عليه دار نكد فقد عنى به الفرد الصمد ونحن ما نؤمل الفرج إلا من الله تعالى (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمع الأمير أبو محمد ذلك وثب من وسط الجماعة وهم نيام وقد أنزل الله عليهم الكرى فما فيهم من يسمع ولا يرى ثم انه دنى من الملك الهدلموس وقطع كتافه فقال له الهدلموس من أنت فقال له أنا صاحبك أبو محمدالبطال الذى خلصتنى من ذلك المكان من يد عقبة الشيطان ثم انه دنى من الأمراء الأربعة وقطع كتافهم فلما أن حلوا من الاعتقال تواثبوا مثل السباع ثم خرج أبو محمد بهم من ظاهر العسكر فقال الهدلموس ياأبو محمد انى قد سمعت شيء وما أدرى هل هو صحيح أم لا فقال الامير أبو محمد وماهو أيها الملك فقال انى سمعت أن الاميرعبد الوهاب قد قتل فأخبره البطال بالخبر وقال له اننا قد طلبناه فما وجدناه فى المعركة ولا سمعنا له خبر وأن المأمون طلبه أيضا فما وجده وانها منه حيلة حتى لايطلع أحداً على خبره فقال له الهدلموس دع عنك الرجوع واعمل شيء من أعمالك التى تعرفها ونأخذ الملعون وان أحدا لحقك من القوم فأنا وهؤلاء الأربعة نكفيك مؤونة العسكر جميعه فقال البطال هذا هو الرأى الصواب لأن العسكر مايرحل عنا إلا بأخذ المأمون ويكون عندنا حتى ينكشف لنا خبر الأمير عبد الوهاب فما نبت له أجنحة وطار ثم ان الامير أبو محمد سار هو والاربعة معه وكان معهم من سيوف الاكراد وعدد كاملة ولما سار بهم فما شك أحد فيهم إلا انهم من الموكلين بالغفر وساروا الى خيمة جوهر خادم الخليفة وأوقف الرجال من خلف الخيمة ودخل فوجد جوهر وغلامه صافي فلما نظرجوهر الى البطال

لم يعرفه بل قال من أنت فقال أنا خادمك البطال فوثب اليه جوهر وعانقه وقال له ياأبو محمد كيف حزنك على الامير عبد الوهاب فقال لاتسأل عن حالى وحال الاميره لكن ما أيست منه ولا من حياته ولا من سلامته فقال جوهر لاتكن فى شك من ذلك لأنه لما برزاليه الملعون شمراخ وجرى ماجرى من روايتهما وقد أبصرناه وهو مولى فنى عاجل الحال أخرج من تحت فخذه حربة فماخرجت من يده حتى وقع الامير الى الارض فقال البطال ما فينا إلا من رأى ذلك وطلبناه فما وجدناه فقال جوهر وكذلك المأمون أظهر أنه ما وجده وما أظن إلا انه أخذه وسيره الى بعض الجهات وأظهر أنه ما وجده حتى لاتطلبه الأميره (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع البطال ذلك قال جوهر يا أبو محمد ان المأمون لوجرى عليه مثل ماجرى على الامير عبد الوهاب ما نالنى مثل ما نالنى على الامير وقد عولت أن أسير الى أرض الحجاز وأجاور فى مكة المشرفة ولا فائدة فى الإقامة بعد هذه الفعال التى جرت مع الامير عبد الوهاب فقال البطال انى عولت على أخذ المأمون فى هذه الليلة حتى يكون سببا لتفريق هذه العساكر ونخلص من ذلك الأمر الذى نحن فيه ولا لنا حاجة بهلاك من بقى من الرجال وهم سالمين ولكن هم الذين أخرجونا وأبلونا بأرواحهم بغير اختيارنا وأن الجميع طالبين هلاكنا فقال جوهر إن كنت عزمت على أخذ المأمون فأنا أعاونك على ذلك لكن هذا أمر لايتم لك وأنت وحدك ولا يكون إلا بجماعة ولكن أنا أخبرك بخبر وهو أن المأمون فى كل ليلة يخرج هو وخادم لاغير ويوسع إلى جانب الشط ويبعد ويمرح وينشد الأشعار وقدقرب وقت خروجه ولكن مايطيب قلبى أن تتبعه وحدك لأنه إن صاح صيحة لتسارعت اليه الرجال وأتت اليك من سائر النواحى وما كان يصل الى الارض من دماءك قطرة ولكن أريد أن ترجع الى الأميره وتبلغها عنى السلام وعرفها ماأنا عليه من حزنى على الامير وعرفها بما حدثتك به فاذا كانت الليلة الثانية سير أنت ومعك مائة من بنى كلاب وبعض السودان من الأنجاب ويكونوا مكمنين عند الشاطئ فتأخذه وقد انفصلت هذه النوبة فقال البطال والله انى فى حيرة من قولك هذا وأريدأن تخبرنى ماسبب خروج المأمون فى كل ليلة فقال جوهر إن به هوى واشتياق وفى قلبه نار الفراق من الملكة كرنة التى أخذها أبو الهزاهز وهى التى أحوجته أن يسمع كلام عقبة وانه فى كل ليلة يخرج وينشد الاشعار ويشكو اللوعة والهوى فى جنح الاعتكار فى ظلمة الليل وفى ضوء القمر وهبوب الرياح ووقت السحر فقال صدقت وان الله لايضيع لك كل ماتفعل وهذايكون الليلة لأنك ماذكرت ذلك

إلا من أجل الإشفاق لأنك قلت يكون معك مائة وأنا معى فى ذلك الوقت عشرة آلاف فقال جوهر وأين هذا الجمع العظيم فقال إنهم على باب الخيمه التى لك فقال جوهرا حقا ما تقول يا أبو محمد فقال نعم أنا أريك إياهم فى تلك الساعه (قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم ان الأمير أبو محمد خرج وأتى بالهدلموس والأربعه معه فلما نظر جوهر اليهم عرفهم فقال من خلص هؤلاء من القيود فقال البطال عبدك أنا الذى خلصت قيودهم وأتيت بهم اليك فقــال لا شك أن بينك وبين المرده والعفاريت والارهاط قرابة وإلا ما كنت تقدر على هذه الأشياء ولكنك بلغت المنا لأن هذا الهدلموس بعددعشرة آلاف أقيال وان هؤلاء الأربعة يقاربوه فى القوة والشجاعه ولكن إن سمعت منى أن عقبة نصرهم وهم على دين النصرانية فقال البطال كان ذلك ولكن اليوم ما هم إلا مسلمين لأن فيهم من أسلم لما أسلم البحاشى وفيهم من هو نصرانى ولما مضى عقبة اليهم رسولا وجد القوم ما لهم عقول فلم يزل الملعون يلعب بهم حتى نصرهم والا فان هؤلاء ومن يتبعهم أسلموا على يد الأمير عبد الوهاب فقال جوهر الهدلموس وللاربعه أحقا ما يقول البطال فقالوا كلهم نعم فقال جوهر الآن قوموا معى وأنا أريكم المكان الذى تقفون فيه وتأخذوه منه لانه استحق العقوبة فى متابعته الى غرض عقبه وان أقمتم الشهادة أنتم والسودان الذين معكم فيكون سبب صلب عقبه فى هذه النوبة فقال الهدلموس نحن نصلبه من غير شهادة غيرنا ثم انهم خرجوا من المضرب وجوهر معهم وقد خاطر بنفسه محبة للاميره والأمير وأيضا حمية للاسلام ولم يزالوا سائرين الى الدجلة فقال لهم جوهر كونوا مكانكم فأقاموا هناك (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما أقاموا غير قليل واذا بشخصين أقبلا فقال لهم جوهر هذا صاحبكم فدونكم واياه ولا تعلموا أحداً أنى كنت معكم فقال البطال للهدلموس خذوهما ولا تخافوا منهما فتواثبوا مثل الجمال وكان الخادم الذى للخليفه ممشوق القامه كانه الغزال فلما سمع حس الرجال سكع بركبه الى الارض فنظر الرجال فخلا الخليفه وتركه وساروا لما هجموا عليه أخفى أبو محمد البطال حسه عنه حتى يدخل الفزع فى قلبه ويزداد خوفا فصاحت فيه السودان وقد دهمه الهدلموس كانه من بعض العمار أو من مردة الجان وقال له يا أمير المؤمنين لا تخاف أنا خادمك الهدلموس ثم أنه جذبه اليه كاد أن يخلع كتفيه وقال له تتكلم فهو خير لك من قتلك فسكت المأمون وقد زاد الخوف والفزع من الهدلموس أن يقتله (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما الخادم فانه لما انهزل ما زال يجرى الى أن وصل الى العسكر

فصاح وجلبت فثارت الرجال من أماكنها وتبعوا الصوت وتنادرت الابطال وثارت الاقيال وسألوا الخادم عن القصة فأخبرهم وقال أدركوا أمير المؤمنين من قبل أن يفوت فيه الفوت فعندها سارت غلمان الدار والامراد والأكراد وأرباب الدولة والأتراك وثاروا الذين كانوا موكلين بالهدملوس وأصحابه فوجدوهم هربوا وسمعوا أن أمير المؤمنين قد خرج من سرادقه إلى الشط فأخذوه السودان فساروا الموكلين فى طلبهم وهاجت الناس من كل جانب ومكان وفى لحظة واحدة أحدقوا بهم ثمانين ألف فارس ومثلهم رجاله وأما الهدملوس فانه وقف فى وجوههم هو وأصحابه وضربوهم ضربا أحر من الجمر وأمر من الصبر وفىدون ساعه سالت الدماء وأرملت النساء (قال) وأبو محمد البطال لما رأى أصحـــابه وقد دارت بهم الرجال وأحاطت بهم الشجعان تركهم فى القتال وقصد إلى أمد وإذا بالرجال على الأصوار وهم فى حيرة من ذلك الصياح وكـذلك الأميرة ذات الهمه فصاح أبو محمد البطال فأجابته الرجال فعرفهم بنفسه وقال لهم اعلموا أنى خلصت الهدملوس رمن معه من أمراء السودان وما كفانى ذلك حتى دبرت على أخذ المأمون وما فعلت ذلك إلا حتى تتفرق عنا العساكر ونتفرغ إلى طلب الأمير عبد الوهاب وإذا بالرجال قد أدركتنا ودارت بالهدلمرس وأصحابه الاقيـال وقد وقعوا فى بحر زاخر ليس له أول من آخر فانظروا ماذا تفعلون فقالت الأميره ذات الهمه وأبردها على كبدى إذا أخذت ثار ولدى (قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم فتحت باب آمـــد وخرجت فى ثمانين ألف فارس وراجل وسارت بهم وأبو محمد البطـال أمامهم حتى أوصلهم الى المـكان الذى فيه الهدملوس وأصحـابه وكانت الرجال أحدقت بهم ذات اليمين وذات الشمال فحملوا عليهم حـملة صادقة وقد جردوا فى وجوههم السيوف البارقة ومزقوهم بعدا وقربا وأشبعوهم طعنا وضربا ووصلوا الى الهدملوس وأصحابه فوجدوهم قد عرقبوا الخيل وأنزلوا على ركابها الذل والويل وأنزلوا من عليها من الركاب بعدما صبوا عليهم العذاب وكانوا كل من قرب اليهم أهلكوه وللحيـاة أعدموه فصارت الأبطـال تتعوذ منهم وفى القتال تحايدهم ويقولون ما هؤلاء إلا شياطين تصوروا لنا فى صفة الآدميين نعوذ بالله من شر هـذه الليلة وشر هؤلاء الشياطين هنالك وصلت الاميرة ذات الهمـه اليهم وفرقت عنهم الأبطـال وخلصتهم من بين تلك الرجال وأنقـذتهم من تلك الأهوال وأركبته وأصحـابه على الخيل العوال وقد ركب باقى عسكر المأمون وعملت السيوف

وشربوا كاس المنون وطارت مقل العيون هذا ولم تزل الناس بالسيوف يتجادلون حتى مضى الليل ورحل عساكر القتال وأقبل النهار بضيائه البسام فأخذت الأميرة الملك الهدلموس وأصحابه والمأمون معهم أسير الى آمد فلما أرادت الدنو من البلد وإذا بها تسمع الصياح من داخل البلد وكل من فيها من فوق الاصوار وهم ينادون المأمون يا منصور وكان المأمون مع الأميرة وأبواب البلد مغلقة والسيف يعمل فى جوانبها وإذا بالرجال الذين على الاصوار من السودان وعقبة بينهم وهو يقول أمير المؤمنين يامنصور وقد ذبح الرجال والأطفال وعملت الخناجر فى المحاجر والاوصال ونهبت الرجال والاموال وكان تخلف فى البلد فى تلك الليله سيف الحنيفية فانه لم يصحب الاميره وكذلك قشعم وضيغم والقناصة وبنات هياج الكردى وأما الباقون فقد خرجوا فى جملة الناس (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب فى ذلك أن عقبة فى تلك النوبة أيقن بالهلاك وسوء الارتباك فصار حائر لايدرى مايعمل وهو غائص فى بحر الحيل والمكر وصار كلما دخلوا عليه الموكلين من السودان يبكى ويكلمهم بلسانهم ويقول لهم سوف تهلكون بظلمى لانكم سلمتمونى الى الأعدا وقد رأيتم مافعل المقدور بالهدلموس لما قبض عليه المأمون وهو عنده مسجون وإن هذا الذى جرى عليه بما فعل فى حق ومعلوم أن المأمون له سائر الارض جميعا وأكثر أصحابكم عنده وهم جنده ومايزال ههنا حتى يأخذ هؤلاء القوم وتتفرقون أنتم ولا يبقى منكم على وجه الأرض أحد وربما يصلبكم على أصوار البلد والرأى عندى أن تبيضوا وجوهكم عند الخليفة أن تطلقونى مما أنا فيه وبعد ذلك تغلقون الابواب وتجزرون من أهل البلد الرقاب وتنهبوا منهم الاموال فان عندهم أموال ماتنهض بها الجمال وتسلمون البلد إلى أمير المؤمنين وتكونوا عنده من المعزورين وتكونوا عندى أنا أعز من عينى اليمنى (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان شمراح الذى قتلته الاميرة له أخ وهو مع السودان وكانوا يرجعون الى مشورته وكان قد أضمر فى نفسه أنه يقتل الاميرة عوضا عن أخاه ويهرب فلما سمع ذلك الخطاب من عقبة وكان فى برج الذاويه مقيد مشبوح لما فى قلبها منه وعولت على صلبه من كثرة الهم والاحزان وكثرة ماحصل لها من النيران فوقع ذلك الكلام بموقع عظيم من قلب أخو شمراح وفى عاجل الحال جمع السودان قبل خروج الامير تلك الليلة وقال لهم اعلموا أن أخى قد قتل وما فينا إلا من يهلك نفسه مثله لانكم التجأتم الى قوم كلهم هالكون بلا محالة وكأنكم بالخليفة وقد أخذ البلد ولا يبقى منكم على أحد ويقتل هذه المرأة التى لا عقل لها ولا نأمن أن

يهلكنا المأمون وان عفا عنا يعطى أصحابنا المال ويحرمنا ويكون ذلك علينا أشد من القتل إذا رجعوا أصحابنا إلى أهاليهم بالمال والدنانير والملابس ونمضى نحن مفلسين والرأى عندى أنكم تقومون الى ذلك الشيخ عقبة صاحب الخليفة وتطلقوه فاذا خرجوا إلى القتال نغلق نحن الابواب وننهب الأموال التى لبنى كلاب ويكون لنا بذلك اليد البيضاء عند المأمون فما أنتم قائلون فى ذلك الأمر والشأن (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعوا السودان من أخو شمراح فقالوا ما مشورة إلا مشورتك ورأيك هو الصواب (قال) فلما سمع الكادوم كلامهم فرح فرحا شديدا وقال إذا كان فى غداة غد وخرجت ذات الهمة الى القتال فعلنا نحن ما قدرنا عليه من الاعمال فوافق خروج الاميرة تلك الليلة وكل هذا من القدر المقدور وتمام المشيئة والارادة هنالك قال لهم الكادوم لايخرج معهم منكم أحد فهذا الامر جاءكم كما تريدون هذا ولما خرجت الاميرة وأصحابها ولم يبق فى البلد أحد غلقوا الابواب فقال لهم راس الفتن عقبة وقد أعلموه بما عولوا عليه من نهب الاموال قبل كل شيء اهجموا على ظالم وسيف الحنيفية وقشعم وضيغم وهم فى مكان واحد خذوهم وهم على غير أهبة من القتال واقبضوا عليهم حتى يتم لكم ما تريدون هنالك هجموا على الامير ظالم وهو على غير أهبة ومن معه وما كانت إلا ساعة حتى ملكوا البلد بما فيه ارتفع الصياح ولم تسمع الاميرة الصوت وفرغت من القتال وجاءت الى البلد فوجدت عقبة على برج الباب وهو ينادى أمير المؤمنين يامنصور والسودان ينادون مثل ذلك والابواب مغلقة والأصوات من كثرة الصرخات ناعقه فضاقت على الاميرة الارض بما رحبت وقالت كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله ومالم يشاء لم يكن (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا جرى من الأمر والشأن (وأما ما كان) من الاميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال فانه قال والله ان هذا لم يكن فى الحساب وأما أنا فقد حسبت هذا وكنت خائف منه وخاطرت بروحى فى خلاص الهدلموس وأصحابه حتى لا يتم علينا مثل هذا ولكن سبقت بذلك المقادير فقالت الاميرة دع مامضى فما يكون الرأى عندك إذا التصقنا الى الصور تأخذنا الاحجار وان طلبنا القضا نحن فى خسارة لأن العساكر من بين أيدينا ومن خلفنا ولكن أنا الساعة أقدم المأمون وأضرب عنقه فى مقابلة ولدى ودع يهلك من يهلك ويسلم من يسلم ثم انها بكت وأنشدت وجعلت تقول

أبو محمد ان الخطب قد دانا ... بعد الامير الذى قد كان يكلانا
أبو محمد ما أبكى على أحـــد ... بعد الامير الذى قد كان يرعانا

لابد من قتلة المأمون فى ولدى ... واترك الخيل فى الهيجاء تغشاها
واضرب البيض والازيال عالقة ... واترك الدم مثل القطر هتانا
وارجف الأرض من بعد ومن قرب ... واقتل الأرض بيضانا وسودانا
حتى أرى نار قلبي وهى هامدة ... بعد الأمير الذى أولانا إحسانا

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فهذا ما كان من الأميرة (وأما ما كان) من عسكر المأمون فانهم سمعوا الصياح وكانوا قد عولوا على الهرب مما سقوهم بنى كلاب من شراب العطب هذا ولما أن علموا أن آمد صارت بحكم المأمون أقاموا هنالك وفيها عمرو بن عبيدالله وأما أبو يخلف فانه لما نظر عقبة ضحك عليه وقد رد عليه شمسة فأخذها وجعل يقبلها ويقول هـذا كله بطول بقاء القاضى عقبه وأما القناصة ونورى وزنانير وبنات هياج الكردى فان عقبه طلبهم كل الطلب لينتقم منهم لما فى قلبه من النوبة الأولى فما وجدهم وأنه فتش البلد كلها عليهم ولما أعياه الامر من تخليصهم رجع وفتح الخزائن وأخرج الأموال وهتك النسوان وأعطى السودان من الأموال حتى ملا عيونهم وبقى فى حيرة من أجل النسوان الذى لم لقاهم وقال ما هم إلا خرجوا مع ذات الهمه فى حال خروجها بالرجال وما هم فى البلد ولو كانوا فيها كنت رأيتهم ولكن أنا أعلم أن الأميره لها بعادة ثم فتش البلد مرة أخرى وقد نظر إلى عين زعور ونظر إلى البيوت التى للعرب فمسك على لحيته وقال ان صدقنى حذرى ولم يخطىء زجرى فهن فى هـذه البيوت ولابد ما أهتك ستورهن وأسلمهن إلى السودان وأنال بذلك الأجر والثواب من المسيح إذا هتكتهن (قال الراوى) يا ساده يا كرام وقد ذكرنا فى غير هذا الديوان أن الامير عبد الوهاب كان زوج بنات الأمير هياج الكرى بأولاده وقد زدن فى العباده والجهاد فى سبيل الله وقد قصد الملعون عقبة أن يهتكهن لأجل عبادتهن فقال للسودان دونكم وهؤلاء البيوت وفتشوها ولا تدعو فيها حرمة الا وتخرجوها فقال له عمرو بن عبيدالله دعنا يا قاضى من هـذه الاشغال وبهذه الأعمال واعمل على خلاص أمير المؤمنين المأمون من يد ذات الهمة لأن الخليفة بنفسى منه الخيفه فقال له عقبة أنت رجل عادم عقلك هل تقعد ذات الهمه عن هذه البلد وفيها أموالها وأهلها ونسوان مأسورات فى أيدينا وبعد ذلك ما لها سبيل الى آمد ولا عادت تنظر نفسها فيها وتكون من تحت يدك وأنت فى ملطيه وأنا أريد أشفى قلبى من هؤلاء النسدة الذين يتجارؤن على القتال وملاقاة الاقران وأخذ الاموال ولو كان المأمون حاضر عندنا لما قدرنا نفى لهؤلاء السودان بما وعدناهم لانى حلفت

لهم انى أعطيهم أموال بنى كلاب وإذا لم يبق فى الأمر حيلة ضربت رقبة ظالم وسيف الحنيفيه حتى أخلصكم منهم فى هذه النوبة وتستريحون منهم وكذلك أولاد الأسود حتى لا يبقى على وجه الارض غير المأمون وأنت تكون فى هذه الثغور ملازم وبعد ذلك نطرد بنى كلاب والسودان الذين مع ذات الهمة من أصحاب قراقد وأبو الهزاهز وسودان عبد الوهاب فانهم ما يختاروننا على أولادهم فقال عمرو بن عبيد الله نعم ما رأيت وكان عقبه أضمر فى نفسه غير ذلك القول وعول على تسليم آمد إلى الروم لأنه يقول إن صارت فى أيديهم ما تعود تخلص (قال الراوى) يا ساده ياكرام ولما صاح بالسودان دخلوا هذه البيوت أخرجوا جميع النسوان ففعلوا فلم يرى عقبة فيهم القناصة فسأل عنها فقالت له امرأة منهن أيها الشيخ نحن عرب الحجاز من بنى مدركة ابن الصلت قد جار علينا الزمان ورمانا بطوارق الحدثان فأتينا من ديارنا نطلب عناية من جواركم فما هذه الفعال التى فعلتوها معنا فقال عقبة نحن ما ظلمناكم بل طلبنا غيركم وهم النساء الذين قبضوا علينا وعلى أمير المؤمنين فارجعوا إلى مواضعكم وانصرف عقبة وقد ثبت عنده أنهن خرجن مع ذات الهمه (قال الراوى) يا سادة ياكرام وكان السبب فى أمرهن حديث غريب وحال عجيب يحير عقل كل عاقل لبيب وذلك أن القناصه أقبلت على نورى وقالت لها أيتها الأميره أن عقبه فتش البلد كله ولم يظفر بطائل ولم يبق فى البلد موضع نتوجه اليه إلا ان كان هذا الموضع الذى نحن فيه فاخرجى بنا حتى يأتى ويفتش هذا الموضع نعود اليه فقالت لها لقد صدقتى فيما قلتى فخرجوا وقدوصوا أصحاب البيوت بالكتمان وفى تلك الساعه التى خرجن فيها أتى عقبه ولما رأوه أخفوا أنفسهم وكل واحدة منهن طلبت مكانا تختفى فيه وقد أيقنوا بالهلاك وأما القناصة فانها لم تجد غير العين بتاع الماء فولجت مكان النبع وإذا هى بازج معقود فدخلت فيه تختفى وإذا هى تسمع ضجيج السودان فظنت أن الطلب وراها فسارت فى الماء وقد أحست بالغرق وما زالت فى الماء الى أن اتسع عليها المكان تحت الارض فعندها قامت قائمة ومشت إلى أن تعبت فنظرت بعد ذلك إلى نقب يبان منه الضوء فطلبته وقد جاءت اليه فرأته من خارج الصور والماء من تحت النقب داخل الى البلد فخرجت من ذلك النقب وكان وقت العصر واذا هى بعساكر المأمون فقالت القناصه إن أخذنا آمد فما نأخذها إلا من ذلك المكان ثم انها صبرت قليل حتى استراحت وسارت الى عسكر الاميره ذات الهمه ولم يكن أحداً خرج اليها فى ذلك اليوم بل أرسل

اليها عقبة يقول لها إن سلمتي الينا المأمون أنا أطلقكم وأطلق نساء بنى كلاب والسودان لا غير وفى غداة غد يكون القتال (قال الراوى) يا ساده يا كرام فبينما هى على ذلك وإذا بالقناصه دخلت عليها وهى كأنها الوالهة لا تقدر على الكلام مما جرى عليها من الخوف والتعب وقد أخبرتها بالذى جرى على التمام فلما سمعت الأميرة قامت قائمة وقالت أطلعينى على هذا المكان والسلام لأننا نبلغ منه ما نريد من أهل الضلال فقالت لها القناصه اصبرى حتى يظلم الظلام فصبرت الأميرة إلى أن أتى الليل بالسواد وسارت إلى ذلك المكان وأخذت معها عشرة آلاف من السودان بعد ما عرفتهم بالأمر والشان وقد عرتهم من الثياب وأخذوا سيوفهم والملك الهدلوس فى أوائلهم كأنه نخل من الجمال والأربعة الأمراء الذين كانوا معه وساروا جميعهم حتى أشرفوا على المكان الذى طلعت منه القناصه والأميره بين أيديهم ومعها مقدمين السودان وأمراء بنى كلاب مثل سعيد بن الفرج وراشد بن ضمره وهارون العلوى ومالك بن طوق والأمراء المذكورين ووصلوا الى العين فكان أول من دخل القناصه والاميره وأبو الهزاهز وقراقد والهدلوس وميمون الجماس وقالوا لابو محمد البطال ما تنزع ثيابك وتنزل معنا فقال لهم والله لا أنزل حتى أسمع حسكم فى البلد والا فما اغر بروحى وساروا يمشون فى الماء الى أن دخل عليهم الليل وهم سائرين حتى لم يبق من الليل الا القليل فضاق عليهم المكان فحبوا على بطونهم والقناصه والاميرة قدامهم الى أن انتهوا الى داخل البلد ووصلوا الى المكان الذى نزلت منه القناصه قال فعندها صعدت القناصه والأميرة بعدها الاميره تقول لا يتكلم منكم أحد حتى تتكامل الرجال وكان وقت خروج الاميرة من العين وقت خروج علوى ونورى وبنات هياج الكردى وهم طالبين بيوت العرب فلم يحسوا بأنفسهم إلا وهم فى وسط هؤلاء ونورى تقول لزنانير والله ما أظن أن القناصه الا أخذت وأنا والله خائفه عليها لكن لله الامر من قبل ومن بعد (قال) فلما سمعت القناصه ذلك من نورى قالت الى وأنا القناصه طلعت غواصه وأنا الحمد لله سالمه وقد أتيتكم بالاميرة والرجال ولما أن رأوها النسوان فرحوا بها وشكروا الرحمن وقد هممن أن يصيحوا فقالت لهن القناصه الزمن السكوت حتى تطلع جميع الرجال وتكاملت الابطال وكانت العسكر الذى كانوا بالبلد من السودان مرتبهم عقبه أكثرهم من فوق الاصوار هذا وإن الاميره دنت من باب الجبل وكسرت الاقفال ونادت باسم الملك المتعال فصرخت الامراء من بنى كلاب والسودان الانجاب وكانوا القوم نيام فسمعوا الصياح معهم فى البلد وصاروا السودان لا يلوون على

أحد بل صاروا كل من رأوه قتلوه وأما الاميره فانها أخذت جماعة وطلبت البرج الذى فيه عقبه وأخذت معها الهدلموس وأبو محمد البطال وقصدت المكان الذى كان فيه ظالم واخوته فأطلقت الجميع وأعطتهم السيوف القواضب وقد أحاطوا من كل جانب وعملوا فى ذلك الوقت كل العجائب وعادت الأميرة الى المكان الذى كان فيه عقبه وقد أضمرت على قتله ولما طلعت الى البرج طلبته فما وجدته هذا وقد ملكت البلد بعد ضرب الحسام وتفليق الهام وأفنت السودان اللئام ودارت على عقبة بن مصعب جميع الاماكن فما وجدته فأرسلت جماعة فى طلبه وأقامت فى قلبها نار لا تطفى ولهيب لا يخفى من أجل عقبه ثم قالت علينا بالخليفة المأمون الظالم الغشوم فطلبوه فلم يجدوه (قال الراوى) ياساده يا كرام وأن ذلك الكلام ينقسم على ثلاثة شعب الأول حديث المأمون وذلك أن الاميره لما أخذت البلد بعد الإياس تركت المأمون فى العسكر ومعه رجل من صعاليك العرب من بنى كلاب وكان يقال له ضيبة بن شافع وكان معه أولاد وكانت بنى كلاب لما فتحت لهم الاميره باب البلد دخلوا لأجل أولادهم وأموالهم ونساءهم ولم يبق منهم أحد فقال المأمون : ياهذا افعل معى جميل وأنا أعطيك وأولادك كل واحد ألف دينار ذهب أحمر وأعطيكم خيول تركبوها بمراكب ذهب إن أنتم أسرعتم الى بغداد فان الاميره قد نكبت فى ولدها الامير عبد الوهاب وما كان ذلك باختيارى ولا بمرادى وأخاف من حرقة قلبها أن تأسى علىّ ولا ترعى جانبى ولا تفكر فى عاقبة أمرها لأن الدنيا قد ضاقت عليها لفراق ولدها قال فلما سمع ضيبة بن شافع ذلك الكلام قال من أنت حتى انك تعطينا هذا الذهب الكثير فقال له ياشيخ أنا خليفة المسلمين وإمام الموحدين فقال يامولاى قولك مسموع لكن تعطينى يدك على ما تقول فأعطاه يده وقال والله لأزيدنك أنت وأولادك (قال) فلما سمعوا يمين المأمون ركبوا خيولهم وتقلدوا برماحهم ونصالهم وأركبوا المأمون على جواد سابق من الخيل وساروا فى غسق الليل لا يعيقهم عن الطريق عائق لاسيما وقد حققت الحقائق وساروا فى الليلة التى دخلت فيها الأميرة البلد (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما كان وقت الصباح طلبته الاميره فما وجدته فعظم عليها وأرسلت خلفه الرجال مع هياج الكردى فغابوا ورجعوا ولم يجدوه (قال) وأما الاميره فانها قبضت على عشرة آلاف اسود من أصحاب الهدلموس والباقون قتلوا بعضهم بعض وقد ملك كل واحد هواه وقد أخذ ماصح له من المال وطلب طريق الهرب والانهزام وأما الاميره لما ملكت البلد شكرت الله على ذلك

إلا انها ما تلتذ بطعام ولا بمنام ولزمت الأحزان وصارت تندب الأهل والخلان وقد اشتد بها الشوق الى ولدها وعظم قلقها ووجدها وتزايد أنينها كيف اختلسته الأيام ومن جملة قولها هذه الأبيات :

بكيت على الامير بدمع عيني يحق لى البكاء على الامير
فياولدى لقد شمتوا الأعادى لفقد نالهم من كل خير
أياولدى لقد خلفت عندى لفقدك لومة تبدى زفير

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما فرغت من شعرها بكت حتى غشى عليها وقد أقامت على ذلك الحال فهذا ما كان منها . وأما ما كان من الامير عبد الوهاب وترس قبر النبي الأواب فانه لما أن ضربه شمراخ بالحربة ووقع الى الارض وجرت عليه تلك الأمور والأسباب وكانوا أولاد عقبه نظروه لما وقع لأنهم كانوا فى العسكر يدبرون على خلاص أبيهم عند اشتغال الناس وأخذوه وإلا كان هلك تحت أرجل الخيل فلما صار فى أيديهم قالوا مادام هذا الاسود الزنيم عندنا فأبونا سالم ثم شدوا جراحه وأطعموه شيئا من الزاد حتى رجعت روحه اليه وساروا يطلبون العراق وكانوا سببا الى سلامته بالاتفاق (قال الراوى) ياساده ياكرام وساروا غير قليل حتى وقعت بهم سرية خيل من سودان الهدلوس وكانوا قد أخذوا من خزانة المأمون أموال جمة ونعم ضخمة لماوقعت الكسرة عليهم وساروا وأبعدوا عن العسكر بمقدار أربعة فراسخ بالعراق فوقعوا بأولاد عقبة فقتلوا منهم اثنين وأخذوا منهم الامير عبد الوهاب بعد ماعرفوه وكانوا هؤلاء من بلاد الحبشة وكان اسم ملكهم الدمدمان وكان ملكا جليل القدر والذكر وله بلاد وقلاع ورساتيق وضياع ولم يزالوا سائرين ليل ونهار وغدوا وإبكار يوصلون سير الليل بسير النهار إلى أن وصلوا اليه وقدموا عليه ونظر الى تلك الاموال التى معهم ونظر أيضا الى الامير عبد الوهاب وفيه جراحات كثيرة ورأى الى وجهه فرآه صبيح وله قدم مليح وقد كان الامير عبد الوهاب قد وكزه الشيب فقال لهم : ياويلكم ماهذا الذى معكم فقالوا له أيها الملك هذا يقال له عبد الوهاب أمير الثغور وهو صاحب بلاد وحصون وقلاع وقدر وشان وقد وقع بينه وبين الخليفة الذى للبيضان الخلف وضرب معه مصاف ووقع هذا الامير فى المعمعة وأخذوه اثنين فأخذناه منهم ونحن عائدين الى هذا الوطن فقال لهم الدمدمان اسجنوه يشترى نفسه بالمال أو يموت وهوعلى هذا الحال فسحبوه على وجهه وانزلوا عليه الذل والهوان وسجنوه فى ذلك المكان وبقى عندهم على ذلك

الشان (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان منه ومن حديث الاميرعبد الوهاب وماجرى فى ذلك الزمان . وأما ما كان من حديث المأمون فانه لما أن أطلقه الشيخ ضيبة من الاعتقال وأخذه هووأولاده ولم يزالوا سائرين الىأن وصلوا الى ميافارقين اجتمع حوله جماعة من المنهزمين وساروا معه الى أن وصلوا الى بغداد ودار السلام وكان يوم دخولهم يوم عظيم وصار الناس يتحدثون مع الخليفة بما جرى مع الامير عبد الوهاب وقد أمر الخليفة أن يلعنه على المنابر فغضبوا الناس من ذلك الشان وهم المتعصبين للأمير عبد الوهاب وقد فرح بذلك المبغضين له ومتعصبين الى عقبة شر الأشرار . هذا وقد جرى الخصام بين الناس حتىتقاتلوا بالسيوف وكان يوم حتوف ولما أن أمسى المساء اهتدوا الناس عما كانوا فيه وسمع الخليفة بذلك الانزعاج فسأل عن الخبر فأخبروه بما جرى فسكت غيظا منه فهذا ما كان من المأمون وأما ما كان من الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمة فانها جمعت السودان الذين تبعوا الملك الهدلموس وخلعت على الهدلموس خلعة وكذلك الامراء الاربعة أمراء السودان وخلعت على باقى السودان وأنزلتهم فى أحسن مكان فى بقاع آمد وقد أقاموا فى نعم هذا والاميره تتقلى على مقالى النار من أجل ولدها الامير عبد الوهاب وترس قبر النبى الأواب وهى تندبه ليلا ونهار وعشيا وإبكار حتى رثى لها الحسود ورق لها الحجرالجلمود وقد عجزت عن القيام والقعود ومابلغت مقصود وانها جعلت اتكالها على الملك المعبود الذى أخرج المـاء من الحجر الجلمود والنار من العود وكان الأمير عبدالوهاب أيضا قد رق جسمه واندق عظمه وانقطع من بلاد الثغور أمله وهو فى تلك الديار الغريبـة والبلاد الشاسعة الوسـيعة واشتغل عن الناس كلهم بنفسه وهو فى تلك الجراح فأقام مريض سـنة كاملة إلى أن حضره طبيب من اليهود وطرح عليـه دواء فأ كل اللحم الخبيث الميت وا كتسى لحماً طرياً وبقى شهر كامل يداويه إلى أن برىء مما كان فيه وعاد الى أحسن ممـا كان عليـه (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما نظر الملك الدمدمان الىالامير عبد الوهاب وقد شفى من جراحه وأصاب العافية أنزله الى جب عميق وقال له ياابن الخالة ما تبرح من ههنا إلا بألف قنطار ذهب فعـلم أن القوم مجانين (قال الراوى) ياساده يا كرام هـذا جرى للأمير عبد الوهاب . وأما ما كان من القاضى عقبه فانه لما هرب سار على وجهه من (آمد) فى تلك الليلة وهو قد سلم من الموت بعينه سار على وجهه وقال فى نفسه : إلى متى أعلل نفسى بالمحال إن رجعت الى بغداد وطلبتنى الاميره ذات الهمه

يسلمنى المأمون إليها وبلاد الروم أخاف من ذات الهمه وما لى إلا بلاد الحبشة أقيم بها باقى العمر (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم سار الى أن وصل الى أرض الحبشة وسمع عن القرامدة أن لهم ملك يقال له الدمدمان فقال أروح اليه وأقيم عنده فسار وطلب القرامدة وقصد الملك الدمدمان فوجد عنده من السودان مالاعين رأت ولا أذن سمعت بعدد النجوم والتراب فدخل اليه وسلم عليه ووقف بين يديه فوجده ملك رفيع الشان قوى الغلمان كأنه النمرود بن كنعان وكان لما سار الهدلموس الى نصرة المأمون أرسل الى هذا الدمدمان حتى أنجده بهؤلاء القرامدة وهم الذين رجعوا إلى بلادهم (ياساده) وكان هذا الملك الدمدمان رجل عظيم الشان قليل الدين كثير المواكب قد جرى بينه وبين الهدلموس مواقعات ومحاربات ولم يظفر أحدا بصاحبه فلما كان فى بعض الأيام قهر الدمدمان الهدلموس وأسره وحمله الى دياره وأطحنه الشعير والقمح سنة كاملة فلما علم أنه أذله وأهانه سرحه الى دياره فما كان فيها إلا من تحت يده وكان له من حوله ثلثمائة قرية يخرج من كل قرية مائة ألف اسود فهو فى عالم لايحصى وأن الامير عبد الوهاب أقام عنده فى ذلك القليب لايعرف الليل من النهار وهو يهدده بالقتل وهو يقول له أريد من المال ماهو كذا وكذا والامير عبد الوهاب يقول له على كل ما تريد أرسل الى قومى وعشيرتى بكتاب مع رجل من قومك فمع وصوله يأتيك المال لأن قومى لايعلمون انى ههنا لأنهم رأونى وقد وقعت فى المعمعة جديل فتوهموا أنى قتيل فقال الدمدمان أنا أرسل الى قومك واحد من عندى وأنت ما تبرح من ههنا حتى يأتى المال وخلاه بعد ذلك فى الجب ونساه فكان ذلك على الامير عبد الوهاب أشد من القتل لأنه كان فى موضع مظلم معتم واسع موحش وكان يبقى اليوم والاثنين والثلاث حتى يفتح الباب عليه ويرمى له قليل من الزاد وهو مع ذلك صابر ويقول إلهى وسيدى ومولاى افعل ماشئت من قضاك فما أتكل على أحد سواك وعزتك انى أرى ما قد أحللته بى من البلاء أفضل من العطاء (قال الراوى) ياساده ياكرام ودخل عقبه كما ذكرنا على الدمدمان وعلم أنه ملك عظيم فاستقبله هو وخدمه وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد ونادى أيها الملك الهمام والسيد القمقام هل لعبدك الغريب زمام بعد ما جارت عليه الاحكام وقد ضعف منى القوى وانقطع الكلام وارتعشت الأقدام وقد جاءك من بلد لم يزل فيه يضام قوم لم ينظرون كبير ولا يحترمون عبادتى بل ينتظرون قتلى قد خلع الله الرحمة من قلوبهم وقد صار هلاكى غاية مطلوبهم ولم يخبرنى أحد

إلا هلكوه ولا دخلت على أحد أستجير إلا أهانوه وقد حمونى الملوك فى الاقطار فما منعوهم منى ولادفعوهم عنى حتى خليفة المؤمنين المأمون صاحب البلاد والحصون أشد منى وجاهدهم حتى قتل أحد خصومى وقد بقت له أم عجوز عبوسة وقد أخذت الاموال غصبا ونهبت الرجال نهبا وأشبعتهم طعنا وضربا وخافت منها الخلائق بعداً وقرباً وفرقتهم فى كل واد وشعبا واستخدمت الفرسان عجما وعربا وثارت على البلاد ونهبتهم نهبا وقهرتهم قهرا وغصبا إلى أن طالت أفكارى وتركت ديارى وفارقت أوطانى وقصدت جنابك الكريم وركنك العظيم وعزك المقيم فطلبت منك الزمام وقد وصل معى عشرة آلاف دينار على سبيل الهدية تعظيما لشأنك وأكون من بعض غلمانك على انه متى سمعت بى هذه الجبارة وأتت إلىّ فأتت تحمينى وتكفينى شرها فما لى أحد سواك وقد طرحت نفسى بفنائك على ماقد سمعت من حماك ثم إن عقبه أشار الى الدمدمان بقول هذه الأبيات :

فطفت البلاد لما قد دهانى فسرت الى الملك الدمدمان
هو الملك السيد الملتجا مبيد العدا وعين الزمان
وقد طلبونى الأعادى على جياد الخيول العراب الحسان
والله إن رأيت الزنيم البهيم قتيل جديل على الصحصحان
وسوف يجازيه عنى المسيح بعظم العذاب وذل الهوان
وقد بقيت أمه بعده تريد هلاكى بحد السنان
وقد جارنى منهمو سيد عظيم المحل رفيع المكان
وسار إليهم بسمر القنا وخيل الفنا وبيض اليمان
فعاين منهم رجال المنون وأيقن بالموت لما حمانى
وقد سرت للروم من بعده لما قد زارنى فيستخرجانى
وانى منها ذليل حقير مهين أسير لما قد دهانى
وان سرت أبغى بلاد الشام إلى أرض مصر الى القيروان
الى الغرب والشرق لا أحتمى لأجل الاميره ذات المعانى
إلى أن قصدتك يادمدمان لعلك تكشف ما قد دهانى

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الدمدمان ذلك من كلام عقبه قال أيها الشيخ الأجل الرفيع المحل طب نفساً وقر عينا فإنى قد أجرتك من كل من أكل

الخبز وشرب الماء وإن أردت أنفذت معك رجال وأبطال الى بلاد عدوك فاخرب ديارهم واقتل صغارهم وكبارهم واخمد نارهم فانا أفعل فانما أنت تصف هؤلاء القوم بهذه الصفة لما قد وقع فى قلبك من الفزع (قال الراوى) ياساده يا كرام وان السودان من بنى كرذم الذين كانوا قد مضوا مع الهدملوس الى أرض العراق لما نظروا عقبة عرفوه ومضوا إلى الملك الدمدمان وأخبروه بحاله وجلالة قدره وأعماله فلماسمع الدمدمان مقالتهم أقبل على عقبة وقال له ياشيخ لاتحسب أننا مثل الهدملوس لأنه ماكان يصلح أن يكون لنا عبد ولكن ياشيخ من هو العدو الذى كان لك فأعاد عليه جميع أحواله وما يقاسى من الامور ما يحل به من البلاد ووصفهم بين يديه وفضلهم على جميع الورى ثم وصف شجاعة الاميرة وأطنب فيها فتعجب الدمدمان أن تكون هذه صفة امرأة ثم أقبل على قومه وقال لهم هل فيكم من رأى هذه المرأة فقالوا نعم أيها الملك وهى التى قتلت شمراخ وأسرت الهدملوس وهذا الذىعندك أسير هو ولدها (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع عقبة ذلك بقى متحير لا يدرى ما معنى ذلك الكلام إلا أنه قال أيها الملك ما بقى لها ولد بعد الاسود الذى هلكه القضاء والقدر وحلت به العبر فقالوا له السودان لا تتحدث بما لا تعرف لأن هذا ولدها ونحن عارفون به ورأينا انعامه فقال عقبه من أوصله اليكم فقالوا رأيناه فى الطريق مجروح وهو مع اثنين حتى عميوا وأهلكناهم وأخذناه منهم الى ههنا فعلم عقبة أنهم أولاده ثم قالوا وخلصناه وحملناه معنا لما نعرف من حاله وداويناه فقال عقبة وقد أخذه المغص لأجل قتل أولاده وقال لاشك أنه من أمراء بنى كلاب أو واحد من أولاد عبد الوهاب ثم أقبل على الملك وقال له أريد أن تمن علىّ بالنظر اليه فأمر الملك بإحضاره فساروا السودان ونزلوا إلى الجب وأطلقوا الامير عبد الوهاب فعرفه وجعل يمسح عينه الصحيحة ويدق بيد على يد ولم يجد صبر دون أن قال يا ابن مرزوق وأنت بعد فى الحياة فنظر الامير عبد الوهاب الى المتكلم وإذا به عبة فطار عقله ولبه وقال هلكت وذمة العرب بلا محالةهذا شىء لم يكن فىالحساب ثم قال نعم يا ويلك أناسالم بعون الله تعالى فقال عقبه أبشر الآن بالذل والهوان فقال الامير يا ملعون بالله المستعان الذى لا يشغله شان عن شان فأقبل عقبة على الدمدمان وقال يا مولاى معى فى مكان قريب عشرة آلاف دينار وهذا الرجل أكبر أعدائى وأريد أنترده إلى الجب الذى كان فيه وأرسل من عندك من يحمل المال لك ويقدم به عليك وبعد ذلك أتسلمه منك وأقطعه بالسيف قطعة قطعة وأشرب من دمه جرعه بعد جرعه

فقال الدمدمان لما سمع كلام عقبة خذه اليك فقد سلمته اليك فقال عقبة للسودان احملوه إلى المكان الذى كان فيه فحملوه اليه وفى الحال كتب عقبه الى بغدام الى أقوام نصارى كان لعقبه عندهم أموال من عهد ميخائيل فأمرهم فى الكتاب بحمل الأموال والخلع وأعطا الكتاب لمائة رجل ممن يثق بهم الملك الدمدمان وضمن عقبة لهم المال الجزيل الذى ليس بقليل وقال لهم تعجلوا فى السير وإذا وصلتم إلى بغداد فاكمنوا أنتم هناك إلى أن تأتيكم الاموال (قال الراوى) يا ساده يا كرام ومضوا هؤلاء إلى ما أمرهم عقبه وقد تمت على الأمير النصبه وصار عقبه كل يوم ينزل الى الامير عبد الوهاب ومعه جماعة من السودان ويضربه الضرب الشديد ولم يزل يعاقبه حتى أيقن بموته وأشرف على التلاف ولم يبق فى موته خلاف ومع ذلك فما كان يقطع القرآن وله كل ليلة ختمه وكان كثير البكاء والنواح على الأميره والدته وما جرى على قلبها من فراقه والأخرى قد أيقنت بهلاكه وعقبه يقول له فى كل يوم يا أسود يا حجام ما جئت فى هذه الديار حتى قتلت ذات الهمة وسائر أولادك ونهبت أموالك وهتكت عيالك وما بقى الا البطال ومن فزعى منه هربت إلى هذه الديار ولابد لى مما أدبر على قتله وأنا فى هذا المكان وأكون على روحى فى أمان وأما أنت فسوف ترى من البلاء ما لا يحمله انسان ولولا أنى أريد أحمل المال الى الدمددمان والا كنت قتلتك من زمان ولكن أريد أتمتع بقتلك فى هذا الأوان فقال له الامير عبدالوهاب لا تفرح فكل ما أنت فيه فان وان فى الغيب لعجب والمقادير تسرى بكل سبب وانى اؤمل من الله تعالى أن الدست ينقلب لأنى والله صافى المذهب فضحك عقبة وكشر عن أنياب مثل أنياب الضباع حتى انقلب وقال هذا أمل بعيد وأنت تتمنا هلاكى بأضغاث أحلام لانك قليل العقل بين الأنام فقال عبد الوهاب يا ملعون أنا ما أشك فى ذلك وسوف ترى العجب من من مالك الممالك ويكون هلاكك سريع (قال الراوى) يا ساده يا كرام فهذا جرى ههنا وأما السودان الذين بعثهم الدمدمان من قبل المنحوس عقبة فانهم ساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض حتى وصلوا كتبان الأرائك وارض العوسج وأرسلوا واحد منهم يقال له اثرون فأخذ الكتاب وسار الى أن وصل الى بغداد وسال عن سوق التجار فدلوه عليه فسأل عن أرمانوس النصرانى فأرشدوه عليه فدفع الكتاب بعدما سلم عليه فأخذوه من يده فلما رأى عنوان الكتاب قبله وطرحه على رأسه ثم انه أخذ الاسود الى داره وقال له ما اسمك قال له اثرون بن ابو العروق فقال له النصرانى وحق المسيح ما تدخل انت فى دار أحد ويفلح أبدا ولكن سير بنا الى دار

اصحاب الكتاب فانه ارسله الى عشرة من اصحابنا ولكن لا تعلمهم ايش اسمك فضحك الاسود ولم يعلم معنى الكلام ثم انه سار به الى دار واحد من الجماعة وجمع بقية الناس الذين اسمهم فى الكتاب واوقفهم على ما فى الكتاب فقالوا سمعاً وطاعه ثم حمل كل واحد منهم عشرة آلاف دينار وكتبوا رد جواب الكتاب واعلموه فيه بخبر الاميره ذات الهمة انها قد انفلت عساكرها ومضت دساكرها لأن عقبة لعنه الله كان أرسل سألهم عن ذلك الكتاب وقالوا له لم يبق عندها من العساكر الا الهدلموس وأصحابه وعشرين ألف من بنى كلاب والباقون تفرقوا عنها والمأمون يكاتبها ويستعطفها ويطيب قلبها وهى ترد رسله خائبين وقد اشرفت على العمى واحد ودب ظهرها ونبشرك بأن ملك الروم ميخائيل قد جلب لهم من ثلثمائة جزيرة ومن سبعة عشر اقليم وهو فى فى عالم عظيم يزيدون على اربعة آلاف الف وهو فى عساكر لم رأى أحد مثلها قط وهو فى نية الخروج الى بلاد الاسلام إلا أن الشتاء والأمطار تمنعهم من ذلك (قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم خرجوا بالأموال والرجال والجمال والبغال مع غلمانهم واثرون الأسود معهم حتى وصلوا الى أصحابه فأخذوهم وعادوا راجعين والى عند عقبة مسرعين فرحين وقطعوا البلاد ليلا ونهارا هذا وعقبة يوقت لهم الاوقات لانه قد ايقن عند وصول المال بقتل الامير عبد الوهاب (قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا والفلك يدور بالعجب ويجرى على خلاص الامير عبد الوهاب بكل سبب لأنه قد أتى بالفرج لذات الهمه ولولدها عبد الوهاب وفى كل ذلك سبب بتقدير مفرج الكرب وذلك ان عقبة لما صار للملك الدمدمان نديم ويحدثه بجميع العجائب ويأتيه بالغرائب ويتكلم عنده بكل لسان غريب ويظهر له العبادة والدين وسلب عقله بحسن البراهين حتى استولى على حكم القصر الذى للدمدمان وان السودان من كثرة ما استولى على قلوبهم صاروا يتقربون اليه بكل ما كان ويتبركون به الى أن كان فى بعض الايام وقد أخرج الامير عبد الوهاب وعاقبه اذ اقبلت ميمونة بنت الملك الدمدمان وكانت ذا عقل معروف وجمال موصوف وقد ذكر الذى نظرها أنه ما كان فى السودان مثلها ولا أحسن منها لأنها كانت بصاصة السواد كبيرة الحدق قاعدة النهد ثقيلة الردف مكحولة المقل وهذا بخلاف السودان (قال الراوى) يا سادة يا كرام وقد وصل اليهم رجل من اليمن من أرض زبيد وعدن وكان ذا عقل وفضل وأدب وانها تعلمت منه الخط بالقلم وأحاديث العرب والعجم وتعلمت بلسان العرب وكانت كريمة الأصل والنسب (قال الراوى) ياسادة يا كرام ونظرت

الى عقبة وهو يعذب الامير عبد الوهاب ويعاقبه أشد العقاب وكانت قد سمعت عنه أنه هو الذى قهر أمراء السودان فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وكانت ميمونة تحب الفرسان ولقاء الشجعان وان أصحاب ذات الهمة وأصحاب الخليفة ما رأوا فى ذلك الزمان أفرس من الأميرة ذات الهمة وبعدها ميمونة هذه بنت الملك الدمدمان وأن هذه ميمونة لها فى الاوائل أحاديث عجيبة وأمور غريبة وسوف نذكرها ان شاء الله تعالى فى مكانها ونستغفر الله تعالى من الزيادة والنقصان وانما سطرت هذا التاريخ حتى يسمعه أهل العقول والاذهان ونحن نصلى ونسلم بأجمعنا على سيد ولد عدنان المبعوث كافة الى الانس والجان ولما نظرت الملكة ميمونة الى الامير عبد الوهاب ألقى الله تعالى محبته فى قلبها حتى زاد هواها به مثل هوى زليخا ليوسف فقالت لسودانها على هذا الشيخ السوء المهين وإنهوه عن ضرب هذا المسكين فقالوا ياستاه انه قد اشتراه من أبيكى بالمال فقالت لسودانها أليس المال يصل الينا فقالوا نعم قالت أقطع رأس هذا الشيخ السوء الليلة فقد لاح لى أنه ظالم غاشم فقالوا افعلى ياسيدتنا ما بدا لك فانتى صاحبة الأمر والنهى (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك قالت لعقبة بنفسها ياشيخ مالك وهذا الرجل المسلم الذى عندنا تضربه ضربا وتنهب مهجته نهبا فان لم تأتى بما وعدت به الملك من المال مع الرسل الذى أنفذتهم أليس تعلم أن ضرب هذا الرجل جزاف والملك الدمدمان أعمى القلب لا يفهم ما تعمل ثم إنها من شدة ما لحقها من الغيظ على عقبة طوت يدها والاربعة عشر عقدة وتلقت عقبة ونفضته بلكمه ولا حافر بغل على صرصور أذنه فوقع وقد اشتالت رجله وشرشر فى سرواله وقالت له ياشيخ يا أعور يامنحوس ان عدت من اليوم ضربت هذا الرجل أو كلمته ضربت رقبتك ورقبة كل من يرضى لك بهذا الفعل فقال عقبة لما سمع كلامها وقد اشتد عليه قدام الامير عبد الوهاب وصار عنده أمر من ضرب الرقبة من هذه المرأة فقالوا له هذه الملكه ميمونة بنت الملك الدمدمان فلما سمع عقبة ذلك ضحك خبث ومكر وخداع منه وقال أيتها الملكه أنا قد أرسلت الى بلدى من أجلكى أتى بالحلل والثياب وغير ذلك فقالت دع هذا المحال ياظالم وزخرفة المقال كان مالى رغبة فى الاموال لأن أموال أهل الشرق والغرب كلها فى قبضتى وإنى قد عولت أن أسير فى مائة ألف من قومى وأملك البلاد وأقيم فيها حدود الله تعالى وكل أحد يعرف صدق قولى وان قومى مالهم عقل يدبرون به أنفسهم ويعبدون الذى خلقهم ورزقهم وأقام بأودهم وبذلك أمرنى مؤدبى وعرفنى طرائق الدين وهدانى الى خدمة رب العالمين (قال الراوى) ياساده

ياكرام ثم قالت له أنهيك ثم أنهيك فلا تتعرض لهذا وإلا فلقت رأسك يا قرنان يا ابن الألف قرنان بهذا الحسام فقال عقبة فى نفسه من أين لنا هذه الملعونة قصف المسيح عمرها (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انها حملت الامير عبد الوهاب الى بيت من بيوت القصر وحملت اليه كل ما يحتاج اليه من الفراش والطرح والوسائد والأوانى والمأكول والمشروب بعد ما قلعت من رجليه القيود ففرح الأمير عبد الوهاب بذلك وشكر الله تعالى وجعل يقرأ ويصلى الى أن انسدل الظلام واطلع الملك العلام وأما ميمونه فإنها أقبلت على جوارها وقالت لهم اعلموا أن الشوق والهيام والمحبه والغرام والاشجان قد هتك ستر الكتمان وقد رجع الآن الى الاعلان وأريد أن أرسل الى هذا الرجل كتاب وأطلب منه رد الجواب لأننى والله قد أحببته محبه لافساد ولازنا ولست أنا ممن سلك طريق الخنا ثم إنها أخذت دواة وقرطاس وكتبت اليه (أما بعد) أيها الامير قد أضحى فؤادى فى يديك أسـير وان قلبى إلى مشاهدتك مستطير وأنا قد عدمت رقادى ودام سهادى وقد صرت كما قيل :

غريمى غرامى فيك والأسـقام ... من عظم صـد يضنى الأجسـام
إن كان طرفى بعدكم ذاق الكرى ... وحقـكمو فالقلب ليس ينـام
وكيف يذوق النوم جفنى ومقلتى ... لها مدمع فوق الخدود سجام
ولى شافع يدنى اليك من الهوى ... وحق جوارى واجب وزمامى
سأحميك من كل الأنام لأننى ... أراك كريم والكرام كرام
وأقتل هذا الشيخ إن كنت راغبا ... وأسـقيه كاسا مازجته بحمام
وأضرب راس الدمدمان بصارم ... له من دماء الدراعين عوام
فان كنت ترعى لى فعالى فاننى ... عبيدة رقٍ فى الهوى وغرام

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما فرغت من الكتاب طوته ثم سلمت الكتاب الى بعض جوارها وأرسلته إلى الامير عبد الوهاب فسارت الجارية بالكتاب وسلمته إلى الأمير عبد الوهاب فلما قرأه قال معاذ الله أن أطلب الفرج إلى منه ثم أقلبه الامير عبد الوهاب وكتب على ظهره يقول :

أيام هذا كفى فلست ألام ... وعن خدمة الجبار لست أنام
وكيف يرى حبى صوابا وإنه ... ستبلى عيونى فى الثرا وعظام
فلا خير فى الدنيا إذا كنت فاسقا ... على ذنوب أثبتت وأثام
وفى الليل أقوام كرام تراهم ... قيـام وفى حر النهـار صيام

فمالكى فى حب صلاح فاننى رأيت التقى رأى لديه سلام

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما وصلتها هذه الابيات بكت وقالت والله هذا مرادى ونيتى ثم كتبت اليه تقول :

ألا أيها العبد الذى صح دينه فأنت لعمرى من رجال أطايب
وحق الذى أعطاك كل فضيلة وعرفك الارشاد يابن الاناسب
سامحك ودى ليس أبغى قبيحة ولست أريد الفحش مثل الكواعب
ولكن رأيت القلب قد مال ميلة اليك محب صادق غير كاذب
سأبعث رأس الشيخ عقبه سرعة وأسقيه كاسا من شراب المعاطب

(قال الراوى) ياساده ياكرام وبعثت اليه بالأبيات فقرأها وكانت ميمونة ما رغبت فيه من طريق الزنا ولا أحبته محبة ريب وخنا ولكن سالمة موافقة لها على مؤالفة قلبها ووعدته أنها تكرمه غاية الاكرام وتمكن من رأس عدوه الحسام وتوقع بعقبه الهوان وتقاتل من أجله أباها الدمدمان وكان أباها يزيد على الهدلموس فى الشجاعه الدرهم عشرة ثم إنها سارت لوقتها طالبة البيت الذى فيه عقبة وفى يدها حسام ماضى الضريبة قد سقى بماء المصيبه مضاربه غير مخيبه إن وقع على جمل قطعه أو على جبل صدعه قوى المسمار ماضى الشفا وكأنه شعلة نار كما قال فيه الشاعر

حسام ماضى الحد أكول الخصر والغمد
له أفعال فى الأعدا كفعل النار فى البرد
وعند الأخذ والرد يبان الضد والضد

(قال الراوى) ياساده ياكرام ووصلت ميمونه الى الدار التى فيها عقبه معولة على أنها تقطع رأسه وتخمد أنفاسه وتتقرب بذلك إلى قلب الأمير عبدالوهاب وقد هان عليها لأجل الهوى وتباريح الجوى فلم تجد عقبة فى الدار فعظم عليها وكبر لديها وكان عقبة قد أحس بالشر لأنه رأى ميمونة قد فعلت فى حق الأمير عبد الوهاب كل ذلك الفعل وكان عقبة خبير بمذهب القياده وأبوابها فلم يخف عليه أنها نظرت إلى الأمير عبد الوهاب بعين الهوى ونظر الجوى فلما صح عنده هذا الحديث خرج هاربا من البيت ودخل على الدمدمان وأعاد عليه جميع ماكان من أمر ميمونه فقال له الدمدمان اعلم أيها الشيخ أنك سلمت من خطاطيف المنون فلا ترجع تقع فى عينها فلابد ما وقع فى قلبها أمر منك فما أبقيت قط ترجع إلى مافعلته وقدكان لها أخ

يسمى ميمون قد هزم الجيوش والوحوش وقبض الأسود وأباد الجبابره وأسر الأكاسره وكان وقع بينها وبينه على غنيمة وكان خرج هو وإياها فيهاوكانت مع الف فارس من خيل اليمن فقتلوا أكثرهم ولم يبق إلا أقلهم وانتهزوا الغنيمة منهم فلما وصلوا إلى ههنا وحضرت القسمة قال ميمون ما آخذ إلا سهمان وأنت سهم واحد لأنك أنثى وأنا ذكر فقالت له يا هذا والله انا ما اعطيك الا سهم واحد ان اردت والا فقم واركب جوادك والبس عدة جلادك وافعل انا مثل فعالك ونلتقى فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب فان انت ظفرت بى فوالله ما آخذ من هذه الغنيمة درهم واحد وإن انا ظفرت بك فسوف ترى ما أعطيك فقال رضيت بهذا الامر ثم ركب جواده وفعلت مثله ثم انهما التقيا فى ميدان الحرب فما طال بينهما إلمقام حتى أخذته أسير وقالت له لقد مننت عليك بنفسك وخذلك نصف سهم فقال لها أنا ما أخذت سهما كاملا آخذ نصف سهم (قال الراوى) يا ساده ياكرام فلما سمعت ذلك من كلامه جردت حسامها وضربته اطارات رأسه عن جثته وفرط فيها الامر ولم أعتبها فى الفائت فلا تقع بعد ذلك فى عينها حتى يأتى مالك وتهاديها وتخضع لها وترضيها ثم ان الملك الدمدمان ارسل الى ميمونة يقول لها يا بنيه هذا الشيخ رجل قاضى رفيع القدر عالى الذكر من أرباب الأحوال فلا تتعرضى له بحال من الأحوال فيحرمنا المال فى عاجل الحال فانه لابد لنا من مال عظيم على قتل هذا الرجل المسلم (قال) فلما سمع عقبة ذلك قال فى نفسه وحق المسيح هذه الميشومه ما كانت لى فى حساب فلا جعل المسيح فى عمرها بركة فقد خرجت علينا خارجى ثم قال أيها الملك ان كان الأمر كما ذكرت فما أعود الى البيت الذى كنت فيه فانى لا آمن على نفسى ان تقتلنى بل أكون عندك ههنا مقيم وسوف يصل اليك منى مال عظيم فقال له الملك كن عندى كما تريد فأقام عنده عشرة أيام وقد زاد غرام الملكة ميمونة بالأمير عبدالوهاب وكلما أرسلت اليه تطلب منه الزيارة والخلوه على وجه المذاكرة والمؤانسه يمتنع من ذلك حتى لم يبق لها اصطبار واضرمت فى فؤادها شعل النار فدخلت اليه فى ثلاث جوار وفى عاتقها صارم بتار تطلب بذلك إقامة الهيبة وعلو كمال الرتبة ثم سلمت عليه فرد عليها السلام بأحسن رد وحياها بأحسن تحية وجعل يغض بصره وينظر الى الأرض فثارت ميمونة ونادته الا وان الاكرام يتم عند الكرام فارفع رأسك وانظر الى من أتلفها الوجد واضر بها الجهد وزاد بها الانزعاج ودعنى من العلل والاحتجاج وتكلم معى بما يوافق فان قلبى بهواك رامق فقال لها الأمير وقد جرى من طرفه الدمع الغزيز اعلمى أننى رجل كبير

السن ضعيف الجسد وقد أيقنت بالموت وانا على أهبة وأريد ان أعمر لى قبر وافرش لى فراش من الطاعه وأتزود للرحيل فما بقى من عمرى الا القليل وأنا أقسم بالله قسما رب الأرض والسما انى ما صح عندى قط أنى نظرت الى شخص نظرة فيها يغضب الله تعالى لانى أعلم أنى مسؤول عن نظرى مطالب بخطيئتى فأخاف أن أنظر اليك لأجل هواك فاخسر الدنيا والآخره ثم ان الامير عبدالوهاب أنشد يقول هذه الأبيات

أميمونة كنى فنى القلب راحة ... ولا أبتغى يوما ركوب هوائى
فلله روحى يوم اقصى منيتى ... فان صلاحى فى الحساب بقائى
أما سمعت أذناك يوما بأننى ... رأيت التقى من شيمة الكرماء
وعقل وفضل واسع وسماحة ... وجود من الرحمن بعد رجائى
كلامى موقوف على الصد دائماً ... فمالى زخر غيره للقائى
ولولا عذاب الله بادرب ساعة ... اليك ولكن المنون ورائى

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما فرغ الأمير من شعره وقد سمعت ميمونة نظمه قالت والله انى بكل ما نظمته عارفه لكن الهوى هو الذى يحملنى على المخالفة لأنى قد زاد بلائى وعظم هنائى فاجب وداوينى لان عندك شفائى وأنت طبيبى ومناى ثم أنشدت :

أيا بغيتى دون الورى ومناى ... وأربى الذى قد سرنى ودوايا
وحقك ما صاولت بعدك سلوة ... ولا سامنى للقدر صدق وفايا
وسوف ألاقى الموت ان دام هجركم ... على ولم أظفر بنيل منايا
وحق الذى أعطاك عفة آدم ... وهيبة موسى مع جلاء بهايا
يميناً بان لا كنت عنك صبورة ... ولو كان حتفى فى الورى وفنايا
ولا رمت عتقاً من هواك واننى ... على لو أبلانى فطول بلايا
فرق لمن أمسيت تملك رقها ... وعبرته ممزوجة بدمايا
فان كنت ترضا بى اليك مطية ... وأحمد من كل الورى بلوايا
واضرب أعناق الرجال بصارمى ... واقطع ملك الدمدمان برايا
وان كنت يا هذا تظن بأننى ... كمثلك فى الهيجاء يوم لقايا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما سمع منها الامير عبد الوهاب ذلك الخطاب رفع رأسه اليها يا هذه لك قدرة وقوة جنان على ملاقاة الشجعان فى حومة الميدان اذا تضايقت حلق البطال فقالت نعم اذا كان ملكت ألف فارس

تركتهم على وجه الأرض نواعس فضحك الأمير عبد الوهاب من قولها وقال من أين للنسوان اقتدار على الشجعان ياملكة فقالت ما أدعى شيئا إلا وأنا فيه صادقة فهل تقدر تطاوعنى وتقوم أنا وأنت نتصارع فى هذا المكان لأن هذا يؤثر فى القلب آثار وأخاف اننى ربما يكون أجلى قريب فأقبض على الموت فى غير الطاعة وأخسر عندقيام الساعة ثم انه نهض ووثب قائما الى المحراب وخرجت ميمونة من عنده وقد بهتت وزاد غرامها ووجدها وهيامها وأن كل إنسان حريص حذرعلى مامنع منه وقد نظرت الى شرف نفسه وعفة روحه وفرجه ونضارته فتضاعفت المحبة وكثرت الصبابة صبابة منه وزاد بها الأشجان (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان من ميمونة مع الامير عبد الوهاب . وأما ما كان من الرسل الذين أنفذهم عقبة والدمدمان من أجل المال فانهم لما تسلموا المال لم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى الديار وأثرون ابن أبى العروق فى أوائلهم كأنه مثل البعير ووصلت الرجال والاموال الى عقبة وقد حمل من المال الى الدمدمان الى أن غاب رشده مما رأى وقد فتح الدمدمان الرحال وفرق على السودان الخلع والاموال ولم يبق أحد إلا وفرق عليه من ذلك المتاع هذا وقد فرح العالم بما حصل لهم من الاموال والخلع وقال عقبة أيها الملك سوف أريك ما أصنع وسوف أبعث الى آخرين وآتيك بأكثر من هذا ولكن أيها الملك أنا وفيت ما وعدتك به وأريد منك أن توفى بما ضمنت لى فقال الدمدمان قد سلمته اليك فافعل به ما تشاء وامضى الساعة اليه ولا تأتى إلا برأسه فقال عقبة أخاف أيها الملك من السيف الذى وقع فى رأس ميمونة يقع فى رأسى لأنى رأيتها أيها الملك قد أحبته حبا شديدا وقد أعلمتك بهذا وماجرى منها فى النوبة الأولى فقال الملك صدقت ياشيخ وادعى الدمدمان بعبد من عبيده يقال له (مشتاق) وكان ذلك طوله قصبة وعرض مصطبة هائل الخلقة منزعج الحواس من أولاد الخناس فقال الدمدمان امضى الساعة بهذه الهدية الى الملكة ميمونة وقول لها إن أباك قد أرسلنى اليك لآخذ رأس الرجل المسلم الذى عندك لأنه قد باعه الى القاضى عقبة الذى حمل الينا الاموال الجمة والنعم الضخمة ومن الواجب أن نقابله على صنيعه بمثله حتى نكون قد أعطيناه شكله ووفينا له ماوعدناه كما وفى بما قال ولا يكون لأحد علينا فضل ولا منة (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع العبد من الدمدمان ذلك الكلام وثب قائما على قدميه وأراد المسير اليها فاعترضه عقبة وقد أخرج له سقط فيه أثواب ديبق تسوى

خمسمائة دينار تصلح الى النساء الأقمار وصار مع الرسول الى أن وصل الى باب الدار التى فيها ميمونة وعبدالوهاب واذا بها جالسة على الباب وهى كثيرة الاكتئاب وعليها آثار البكاء والانتحاب فسلم العبد عليها وقبل الارض بين يديها وكان من فرسان أبيها وليوثه وشجعانه وقدم لها ما معه من المال والنوال وأيضا ذلك السفط الذى أتى به عقبه ثم انه قبل الارض بين يديها وأظهر الضعف والكبر فرحمته لكبر سنه وردت عليه السلام وقالت للعبد فبماذا أتيت ؟ فأعاد عليها التى أتى بها من عند الدمدمان (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ميمونه من العبد ذلك انقلبت عيناها فى أم رأسها وصار سوادها الى بياض وفى عاجل الحال امتشقت حسامها من غمده وقالت ارجع الى عقبة وقل له مالأحد اليه وصول ومن أراد به سوء فعلت به هكذا وجعلته مقتول وضربت العبد على الهام أطاحت رأسه بالحسام وقالت وأنت ياشيخ الضلال سلامتك المال الذى أتيت به وكان كلامها بانزعاج فولى عقبة منهزما لما سمع هذا المقال وهو ما يظن أنه سالم إلى أن وصل الى الدمدمان فقال له مابالك أيها الشيخ الكريم وأين العبد مشتاق فقال يامولاى أما مشتاق فقد بلغت نفسه الى التلاق وقد فارقك فراق مابعده تلاق وكان يومه يوم الفراق فقال الدمدمان وكيف ذلك فأعاد عليه القصة (ياساده ياكرام) وقال يامولاى ما بقى لى عندك مقام بعد ما سحبت على الحسام (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الدمدمان من عقبة ذلك وأن الرسول قتل وارتد قوله عليه شخر ونخر وصاح صوت كأنه الرعد فى الغمام وقال للسودان أقسم برب الأنام ومحيي الموتى من القبور بعد ما كانوا عظام ائتونى بها فلا بد من قتلها هى وإياه فى هذه الساعة فسبق اليها الخبر ممن تثق به ويشفق عليها وكان لها جند وأعوان عشرة آلاف وأكثرهم مشترى من مالها وهم لها جند وخدام وكانت بهم تقطع الطريق وتخون السبيل وتملك الدساكر وتحيف على العشائر وتأخذ الأموال غصبا وباقى العساكر بالديوان وانها لما سمعت بتلك الأخبار أخذت الامير عبد الوهاب وخرجت من البلد ومضت إلى حصن لها وكان بالقرب منها حصن يقال (حصن الحجر) وكان فيه أموالها ورجالها فجعلت الأمير عبد الوهاب فيه فعلم الدمدمان بذلك فأرسل وراءها عساكر ودساكر كثيرة من رجاله وعساكره وأبطاله وقد تبعها بباقى الرجال ولما أشرفوا على الحصن نزلت الملكه ميمونه ولم تكترث بهم بل انها تصففت الصفوف قصاد الصفوف وترتبت الألوف واشهرت السيوف

ولاحت الحتوف وقد حملت السودان على بعضهم بعض واقتتلوا على وجه الارض وتدكدك الحصى من كثرة الركض ودام بينهم القتال وكثر الزلزال واشتد الضرب بالنصال ثلاثة أيام وفى كل يوم تزداد عساكر الدمدمان من سائر البلدان وفى اليوم الرابع خرج الدمدمان الى وسط الميدان بعد أن لبس عدته واشتمل بلامته وهو مسربل بالحديد والزرد النضيد وهو راكب على جواد من الخيل الجياد وهو جواد مليح الرونق وفى يده حسام فصال قاطع للاوصال وتقدم حتى صار قريب من عسكر ميمونه ونادها : يابنت الشيطان هذه فعال البنات مع الآباء والأمهات اخرجى الى قتالى ونزالى حتى انى أحرمك من بعد هذا اليوم ركوب الخيل وتدور عليك دوائر الذل والويل فلما سمعت ميمونه من أباها ذلك الكلام قالت لقومها وكانت خبيرة بالأشياء عارفة بالأمور الكبار وقد سمعت الأحاديث والاخبار وتخاف من الفضيحة والعار وقالت والله انى أستحى أن أخرج الى قتال أبى وأنا ما فعلت هذه الفعال إلا لأجل ماذممت لمن عندى وهوذلك الرجل الغريب ولاشك أنه صاحب مقدار وأيضا إن فى قلبى من المحبة شعل النار من كثرة الغرام فانظروا من يخرج اليه وله مهما طلب من المال فعندها خرج اليه من قومها فارس طويل وسيم على جواد من الخيل مثل الليل البهيم وله حديث عظيم يقال له (مشعول) وهو فارس مهول بساعد مفتول وفى يده حسام مصقول وحمل على الملك الدمدمان وتجاولا فى الميدان فما طال بينهما المطال حتى ضربه الدمدمان بالحسام أسقاه شراب الحمام فوقع الى الارض صريع يمج علقماً ونجيع فصاح الدمدمان : ياميمونه إن الأهل والاصحاب ما بيننا وبينهم خشونه وان لهم علينا حق الخدمة فلايجب علينا أن نسفك دماءهم وأنت قداحتويت على هذا الرجل ولم أدرى لأى شيء اخترتيه فان كان حمية منك فأعلميني وإن كان كياد لمن اشتراه فأخبريني وان كان قصدك البرازا برزى لى وإن كان من هوى فى قلبك فعرفينى لأنك يابنتى قد فضحتينى فلما سمعت ميمونه من أباها ما قال وتفوه به بين الرجال خرجت اليه ومالت بكليتها عليه وهى شاكة فى السلاح وعولت أن تسقه شراب الاقتاح وكان الدمدمان فصيح اللسان يقول الشعر والنظام ولما رآها معولة على حربه قال ياميمونه صدق الذى قال عنك إن فى قلبك هوى من ذلك الرجل وتحى هذا العربى وأنت تعلمين أن هذا عار ملحق بى يا ويلك أين نفسك الشريفة فى جميع الأحوال أين ضربك لأعناق الرجال أين ملاقاتك للأبطال ثم ان الدمدمان أنشد وجعل يقول :

أين ذاك السداد والعقل والفضل ثم قتل الرجال يوم الوطاء
بعد عزم ونخوة وعلاء واقتدار فى حومة الهيجاء
اننى ذات نخار والمنطق عذب ثم ذات الصواب والارثاء
كيف تحمين من أبيع بمال ضاق منه الفلا ووسع الفضاء
بعد ما كنت تضربين رقابا من رجال موصوفة بالوفاء
قد فضحتى أباك من قبح فعل شائع فى الورى بغير خفاء
أو يكون الذى يشاع محال فأرغمى أنف سائر الأعداء
أو ترد الذى أخذناه جهراً مثل أثمانه يكون الفداء
أوحق الإله أترك سيفى ناهلا من دماك بعد الضماء
فأنا الدمدمان يعرف شانى كل من فى البلاد والبطحاء

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمعت ميمونة من أبيها ذلك الكلام قالت يا أعمى القلب والبصيرة أتظن أنى أحببت هذا العربى لأجل خنا أو من أجل زنا لا ومن شرق الشرق وغرب الغرب وإنما أحببته لأجل ماتبين لى أنه شجاع وقرم مناع ومما قد سمعت عنه أنه أفرس أهل الارض فى الطول والعرض وهو الامير المهاب وترس قبر النبي الأواب الامير عبدالوهاب مقدم بنى كلاب فقال لها الدمدمان لو كان فارس لكان قتل من أخذوه أسير وجابوه إلى ديارنا ذليل وهم ألف فارس لاغير (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الامير عبد الوهاب راكب فى ذلك النهار وقد سمع من الدمدمان وهو يقول لو كان فارس كان حمى نفسه من الألف فارس الذين أتوا به فساق جواده وأتى الى الميدان وقال لميمونه إن هؤلاء الألف فارس الذين يذكرهم أباك ما أخذونى من على ظهر جوادى وانما أخذونى لما غدر بى شمراخ وهم أخبر بذلك وأنتم أيضا رأيتم حالتى لما أتوا بى اليكم وأنا فى حالة الإعدام والتلاف والآن برئت مما حصل لى من الأسقام والآلام وقد منّ الله على بالشفاء مما كان بى من الجراح ووجدت العافية والسلامة من الله تعالى وانى أريد أن أبين لأباك ما أنا فيه من الشجاعة وإن أردتم ذلك ائتونى بآلة حرب وما يصلح للطعن والضرب وهو رمح أسمر نبيل وسيف أبتر صقيل وأبصروا منى إن شاء الله تعالى فوالله إن خرجت إلا لألف فارس وأنت أيتها الملكه بالاختيار إن شئت قطع رؤوسهم وان شئت أخذتيهم أسارى وان شئت أشغلتيهم بالطعن المتواصل الذى غير قاتل وان شئت أخذت عمائمهم على رؤوس الرماح وان شئت ألف السنان بالقماش وألطخها بالمغرة

والزعفران ثم أحمل على الألف من غير سنان وإن شئت أضفت اليهم الملك الدمدمان وأنا ما قلت هذا إلا وأنا قادر عليه بقدرة الله مكون الاكوان وملون الألوان الذى كل يوم هو فى شان (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ميمونه من الامير عبد الوهاب ذلك الأمر والشان أعجبها قوله ووقع على قلبها أحلى من الماء على كبد الظمآن فقالت أيها الامير أما الشجاعة فإنها ظاهرة من بين عينيك والبراعة لائحة عليك وإن كنت ما شاهدت منك فإنها تشهد لك لاعليك وأما أبى فلاتذكره على شفتيك فانه جبار وليس على فروسيته عيار وإن كنت رأيت حرب الهدلموس فان أبى يزيد عليه بكل درهم قنطار فلا تعرض نفسك للبلاء واعلم أنه بطل الابطال لايخاف من الاهوال فقال لها أيتها الملكه سوف ترين العجب العجاب ان شاء الله تعالى الملك الوهاب ثم إنه وثب قائما على الاقدام وقال على بعدة كاملة فأحضرت له عدة كاملة للحرب وما يصلح للطعن والضرب فأخذ الامير الدرع وأفرغه عليه وقد تمنطق وما زال حتى لبس عدته وميمونة تنظر اليه وتستدل على فروسيته فقالت لله درك هذه الآلة أنت بها حقيق لأنك حزت الشجاعة مع حسن التوفيق ثم انها أمرت أن يأتوها بجواد غير مسروج واسع الدفان عالى الجنبات وثبت الركابات شديد الحزامات لترى كيف يضع السرج عليه كل هذا من إشفاقها عليه فأتوه بذلك وكان الامير عبد الوهاب عرف قصدها ومافى قلبها وأراد الآخر أن يريها شيئا مما معه حتى يقوى قلبها ويذهب خوفها فدنى من ذلك الجواد وكان جواد عالى شديد أسود كأنه قطعة حديد مليح الشعرة واسع الخطوة يسوى من المال بدرة فمسك الامير على قوائم الجواد وصاح صيحة مزعجة فلم يقدر ذلك الجواد أن يتحرك ولايرفع يده من شدة حيل الامير فتركه الامير واذا بالجواد يرتعد فقال الامير علىّ بغير هذا فتعجبت ميمونه من ذلك هنالك أتوه بجواد غيره أجود ما يكون من الخيل وهو شديد القوى والحيل فأسرجه وألجمه وحزمه وجذب الحزام حتى لعبت قوائم الجواد وتقلد بحسام صقيل ووثب الى ظهر الجواد من غير أن يضع رجله فى الركاب واعتقل برمح طويل فتبسمت ميمونة وتقدم الى الميدان ونظر يمينا وشمالا فأشارت ميمونة تقول :

لقد علقت روحى بحب مهفهف　　كثير الحيا فى دينه مفضال
لقد كمل الاوصاف من غير ريبة　　وفاق بأصل طيب وجمال
وعز ودين كامل وشجاعة　　وعفة عبد صالح وكمال
وقد كنت لا أرضى الرجال حمية　　وقد صرت أرجو أن يرق لحالى

(قال الراوى) ياساده يا كرام ولقد تعجب أمير المؤمنين الواثق بالله لما أنشدت هذا البيت الاخير وقد كنت لا أرضى الرجال حميه وقد صرت أرجو أن يرق لحالى فقال أمير المؤمنين الواثق بالله لله درها لقد صدقت فى الهوى ولم يكن معها محال فى تلك الشكوى بل أنها عزمت إلى الصدق (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم تلوى إلى كتمان هذا والأمير عبد الوهاب قام إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب ونظر إلى الدمدمان كأنه فيل من أفيلة شراسان ومن حوله مائة الف فارس كأنهم الغربان وميمونه تتخضع بين يدى الأمير عبد الوهاب وهى تقول لقد رضيت أن أكون لك خادمة لعلك أن ترضانى منادمه ثم أنها صاحت على أبيها وقالت أيها الملك ان الأمير عبد الوهاب قد نزل وعلى قتالك قد عول إلا أنه قد طرح عنكم الكلف وقد حلف أن لايخرج اليه إلا الألف أسود عن بكرة أبيهم وأن اشتهيت يكونوا قتلى أوأسارى فلما سمع الدمدمان قال للسودان انى أريد الذين جابوا هذا الرجل العربى فما كان بأسرع ما اجتمعوا من حواليه وصار كل واحد يقول أنا كنت معهم إلا رجل اسمه أبو الحجاش كان مع القوم الذين أخذوا الأمير فقال له النقيب ما كنت معهم وكان شاهد فقال الأمير عبد الوهاب على مدينه آمد وعلم أن الشمراخ ما وصل اليه إلا بالخديعة فقال ما كنت معهم فقالوا السودان بل كنت معنا فاعترف بعد أن شهدوا عليه فقال له النقيب كيف تأخذون فى هذه الخلع من الملك فقال أيها الملك أنا ما أريد خلع بل أريد أن أكون عريانا فى هذه السنه ولا أخرج إلى هذا الفارس وسوف تنظرون كيف يسقيهم شراب المنون وما كان هذا الرأى مبارك وما الملك وفرقته إلا مجنون لأن أصحابنا سلموا من المنون وهو يريد هلاكهم هذا الوقت ما هذا منه إلا ظنون فقال يا ويلك ان سمع الملك هذا منك ضرب رقبتك بالحسام قال أبو الحجاش دع هذه المشاجرة أنا ما قلت لك ما كنت معهم فضحك النقيب من كلامه ووقفوا القوم قدام الدمدمان فقال لهم اخرجوا إلى ذلك الفارس فقال واحد منهم يقال له هازم الجيوش يا مولاى أرى هذا الفارس احقر وأذل أن يخرج اليه اثنان ولكن أنا أخرج اليه وحدى وأقطع رأسه وأخمد أنفاسه وأهدم أساسه فقال الدمدمان ان فعلت ذلك أعطيك وزن رأسه ذهبا وفضه ففرح بذلك واستبشر وحمل وصار فى الميدان وفى عاجل الحال تلاصقا ملاصقة الطيور على الأغصان وزاوغ الأمير مزاوغة الثعبان فانقض عليه انقضاض العقبان وضربه ضربة بالصارم اليمان فزاغ عنها الأمير أسرع من البرق إذا لمع فى سواد الليل فى اقطار النواحى والبلدان وعطف عليه كأنه سرحان وقد

رفع يده إلى أن بان سواد بطه وضربه ضربة من يغار على الدين والايمان فوقع السيف على رأسه فلقه نصفان ونزل السيف إلى بدنه قطع سرته والمصران ووصل السيف إلى السرج والبطان فقطعهم ووصل الى ظهر الجواد ووقع الفارس نصفان كأنه نشر بمنشار أو قسم ببكار فضجت الفريقان من ذلك وهاجت الشجعان ونادت ميمونه أحسنت أيها الأمير هذه والله ضربات الفرسان فليتها فى رأس الدمدمان حتى لايجور فى حكمه على إنسان فعند ذلك رجع الأمير إلى همته النفيسه التى هى غير خسيسه وأنشد وجعل يقول

إلا أن هذا اليوم أطلب قصدا بثارى وما قد صح من جوركم عمدا
أنا بن حماة الدين من آل عامر حماة كمال كلهم فى الورى أسدا
إذا ضربوا بالسيف لم يبق مانع ويصبح من عاداهم فى الورى نكدا
إذا حملوا فى الف أو قد تضاعفوا فانى بسيفى سوف أشبعهم جهدا

(قال الراوى) ياساده ياكرام فقال أبو الحجاش من هذه الضربة وأمثالها قلت ما أنا معكم والنقيب يقول خذ الخلع والأموال فصاح الدمدمان على باقى الألف وقال ياويلكم احملوا عليه بجمعكم فحملوا السودان وعليهم صدور الزرد وفى أيديهم السيوف والعمد فخافت ميمونه على الأمير وتقدمت اليه وقالت أيها الأمير إن رأيت فى نفسك تقصير فانعزل من الميدان وأنا أفرقهم شرقا وغربا وأشبعهم طعنا وضربا فناداها هيهات هيهات هذا وقد أقبلت الخيل كأنها قطع السيل ووقع الطعن والضراب وجزت الرقاب وصار الطعن خطأ وصواب وهممت هيبة فى قلوب الشيوخ والشباب وعمل سيف الأمـــير فيهم كما تعمل النار فى الأحطاب كأنهم قوم يتحللون الحرام ويتجاهرون بالمعاصى على الملك العلام هذا وقد جال الأمير عليهم وحام كأنه جارح أو عقاب وطلع الغبار وتقصطل القتار وتطاولت اليهم أعناق الرجال وقلقت ميمونة على الامير عبد الرهاب غاية القلق وخافت عليه غاية الخوف والوجل وطلبت تدخل إلى المعمعمه من أجله فيكون عليها عار فصبرت غاية الاصطبار وفى قلبها الجمر ولهيب النار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فبينما هى كذلك من الخوف على الامير وإذا بجواد غائر فتأملوه وإذا به جواد بعض الفرسان وخرج بعده ثانى وثالث ورابع وخامس وسادس وقد زاد الامر الى أن خرج خمسون جواد خالية من ركابها وفارغة من أصحابها فبهتت الرجال لخروج الخيل من المجال وزاد الامر حتى خرج تمام مائة حصان (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد دام القتال إلى وقت العصر وخرج ثلثمائة حصان وهى غائرة من الميدان فقال الملك ياويلكم ما بال هذه الخيل خارجة من تحت

العجاج خالية من ركابها فقال أبو الحجاش أنا أقول لك أيها الملك عن ذلك وهو أن القوم كانوا عالم عظيم فقتلوا بارادة السميع العليم لما طمعوا فى الخلع والجاه المقيم وأنا لما قلت ما أنا معهم بقيت فى عافية من غير حكيم وأنا راكب على جوادى هذا كما ترى وأنا فى الدنيا مقيم والآن دع عنك هذا الأمر والتوانى وأمر المائة الف تحمل على ذلك الفارس من قبل أن تهلك الرجال وتفنى الأبطال فقال الملك ياملعون إما هذه الخيل فقد ترجلت جميع أصحابها وقد زحفوا اليه وكأنهم أتوا به فأما أسير ويتركوه على الأرض عقير فهو فى الكلام وإذا قد خرج من تحت الغبار مائة أسود وأتوا إلى قدام الملك الدمدمان فقال لهم ما حالكم وما وراءكم وما نالكم فقالوا له أيها الملك وراءنا الموت الأحمر والأسد الغضنفر الذى قهر الرجال وقدر عليهم فى المجال وهو القضاء الذى لا يرد والبلاء الذى لا يصد فقال أبو الحجاش أنا قلت لك هكذا فقلت ترجلوا ولكن صدق الملك هم ترجلوا ما بقيوا يركبوا بعدها أبدا هذا وقد انهزموا باقى السودان تشتتوا فى كل جانب ومكان وبعد ساعة انكشف الغبار وفى الميدان ستمائة طريح ما بين قتيل وجريح فلما نظر الدمدمان لم يأخذه صبر دون أن مال إلى الغدر وحمل على الأمير عبد الوهاب وأشار اليهم فحملوا ولاعنة خيولهم أرسلوا فلما رأت ميمونة الى ذلك الحال تأهبت إلى الخروج إلى الميدان وإذا بالملك صاح على قومه وقال لهم دونكم وهذا القرنان جرعوه الموت ألوان من رؤس السنان فدونكم وهذا الشيطان الذى نكل بالشجعان وهذه معيرة تبق علينا مدى الزمان ولولا أنى أخاف من العار ويقال إن الملك الدمدمان خرج الى الميدان وحارب واحد من العربان لاقدر له ولا شأن وإلا كنت خرجت اليه وأخذت روحه من بين جنبيه فحملت السودان بأسرها المائة الف على الأمير المجاهد والبطل المجالد فلما رأت ميمونه الى ذلك صاحت على قومه وهى أمامهم وهم عشرة آلاف أسود من كل بطل أوحد فحملوا على بعضهم كأنهم العقبان (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها حملت السودان على السودان وصاروا كأنهم جن سليمان أو كواسر العقبان وكانت ساعة تقشعر منها الأبدان ولم يجرى مثلها فى مبتدأ الزمان لما قتل فى ذلك اليوم من كهولها والصبيان وما تعلم النفس أى وقت أتاها الهوان هذا وقد انقطع الأجل وحامت عليهم طيور الوجل وعمل الصارم فى القلل وتخسفت الأرض من وقع الحوافر ولم يعرف الأصاغر من الأكابر وكانت ميمونة وأصحابها أسبق الى الأمير عبد الوهاب وأدركوه وهو فى الطعان والضراب فلله دره من فارس ما أنجبه وبطل ما أهيبه فانه أحمى نفسه من

ذلك الجمع الذى ليس بقليل وأردى بضرباته كل فارس نبيل وبطل جليل وأدركته ميمونه بباعها الطويل وحسامها الصقيل ورمحها الكعوب النبيل وشجعانها من حولها كأنهم أولاد قابيل ولم يزال القتال عمال إلى أن ذهب النهار بالاشراق وأقبل الليل بسواد الأغساق ونادى المنادى بالافتراق إلا أن كان الدمدمان معه مثل ما كان مع بنته ميمونة أمثال لأنه كان كثير الأبطال ومعه جنده والاقيال وكان مع كثرتهم قتل منهم أربعة آلاف فارس ريبال فقال لقومه إن هذه مصيبة عظيمه كيف قد جرت على قومنا هذه الفعال لكن فى غداة غد اخرج الى ميدان الحرب واقطع رأس هذه الملعونة وأيضا رأس عبد الوهاب فى فرد ساعة وبعدهم يذعنوا لى سودانها بالطاعة فقالوا له خواصه أيها الملك ما هذا صواب ان تقتل جندك وأولادك سيما وهذه ميمونه حسامك الصقيل ورمحك الطويل وما حملها على القتال الا الرجل الأسير وما من الرأى إلا أنك تعمل على قتله ان قدرت وإلا تأخذ فى المبارزة فان كنت تعول على ذلك فافعل فانك إن قتلته ما يبقى بينك وبينها معاندة أبدا فقال لهم لقد قلتم الصواب وفى غداة غد أبرز اليه وأخذ روحه من بين جنبيه (قال الراوى) ياساده يا كرام إن هذا كله يجرى واللعين عقبه القرنان يسمع ويرى لكنه فى غمرات وحسرات وأقاويل وحسابات وهو يقرأ على نفسه كتب الآفات لأن هذا كله بسببه وهو يقول ما هذه العاهره إلا فارسة خيل وخواضة ليل يا مسيح انزل عليها الذل والويل وما هى إلا قد عشقت هذا الأسود وهذا الدمدمان قد عول أن يخرج اليه وأخاف أن يظفر به عبد الوهاب فيقتله ويعود عسكر السودان الى طاعته والى طاعة هذه المقطوعة النخاع فتأخذنى وتسلمنى الى عبد الوهاب فيعذبنى بأشد العذاب وان كان هذا يجرى فما هو صواب لأن هذا ما كان لى فى حساب وصار عقبة يقول مثل هذا وأمثال وهو فى قيل وقال وبعد ذلك أقبل على الدمدمان وقال له أيها الملك كل ما وصل اليك من المال فأنت فى حل منه وسوف يصل اليك فى هذه الأيام مثله أضعاف مضاعفة واجعل المال الذى يصل تمنى ثانيا لذلك الرجل الذى هو بغيتى واليه كانت رحلتى وأنت تريد تبارزه فى غداة غد وهذا الأمر شهوتى وأبلغ به من قتله أمنيتى ولكن لا يصلح من مثلك أن تبرز لمثله فاذا برزت اليه ربما أن تقتله أو يلوح لك عليه مضرب وأنا أعلم أنه بها يعطب وما أبلغ منه أرب وأنا أريد أن أتسلمه بالحياة حتى أوزن لك وزنه ذهبا مرار فان أردت أن تأخذ ميمونه فانك تقدر على أخذها وبعد ذلك ما يكون له من يحميه ونأخذه بعد عدم حمايته فقال الملك

ما أشرت إلا بالصواب ياشيخ وفى غداة غد نعمل ما يعود نفعه علينا (قال الراوى) يا ساده ياكرام وأن أبو الحجاش كان واقف يسمع الكلام فقال يا شيخ ماكفاك أنك كنت ميشوم على ملطيه وعلى آمد وعلى عساكر المأمون وقد أخربت البلاد وأهلكت العباد وجئت الى هذه الديار حتى تخرب أطلالها وتهلك أبطالها وترمى الفتن بين نساءها ورجالها وتخلى المنازل العوال من سكانها وعندى رأى وهو عين الصواب إن قبل الملك منى وهو أن يأخذ الشيخ من ذقنه ويذبحه من أذنه إلى أذنه ويقبل رأى ميمونة فى ذلك الرجل الذى قد نزل بها وقد رأيت شجاعته وبراعته لأنه فارس العرب العربا بعدا وقربا شرقا وغربا وتخلع عليه وتسيره إلى بلاده وإن كانت ميمونة تتزوج به فهو الصواب وتصير فى ملك عظيم وترجع تأخذ أرض اليمن بمصاهرة هذا البطل الكريم وتخلص البلاد التى أخذتها منك الملوك لأن أيها الملك خلف هذا رجال وأى رجال مافيهم الا من هو مثله فى الشجاعة والبراعه وله أم تفزع منها الجن وهى التى أسرت الهدملوس وخلفها مائة ألف عرب وسودان وإن واحد منهم مثل هذا الرجل عبد الوهاب فى الحرب والضراب فلا آمن عليك منهم ولا على قومك من أمه لأن ماعندها خير منه وتظنه أنه مات وانقبر ولا كانت سارت اليك فى عسكر عرمرم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الملك الدمدمان من أبو الحجاش ذلك أقبل على عقبة وقال ما تقول ياشيخ فى هذا الرأى فانى أراه رأى تمام وهو جيد مابه سقم ولا آلام فقال عقبه يامولاى اعلم بأن هذا رأى ميشوم من رأس هذا الملعون ابن اللئام فلما تسمع منه أيها الملك هذا الكلام فانه يسرى فى بلاد العرب ويشيع فى سائر الأقطار وتتكلم به العوام والملوك ويقولون إن رجل وصل إلى ديارك وطلب ذمامك وأكل طعامك وبعد ذلك تسقيه شراب الردا بحسامك وبعد ذلك فما قصدك هذ المتكك بأن بنتك يشاع عنها أنها هويت هذا العربى وغلب رأيها على رأيك وقتلت جالك وبلغت أغراضها وأنت قد عجزت عن رجل واحد فكيف حالك إذا بلغ هذا الخبر إلى الملوك فانه غاية العار والذل والشنار وما أظنه أن تراه صواب أن يأتى رجل اليك يطلب الاجارة تسقيه كاس المهالك وتعود سفرته بعد الربح الى الخساره وتهين شيبته ولا ترعى ذمته ولا حرمته ثم إنه بكى وأن واشتكى ودخل بيت المكر والخداع وأشار اليه وجعل يقول :

ألا أيها السيد المرتجى لقيت المسرة فى كل عام

أيحمد هـذا بقوم كرام لعمرى هـذا فعال اللئام
إذا كنت ماترعى الى شيبتى ولم ترع ماقد مضى من زمام
فدعنى أسـير بلا راحـة بطول النهار وجنح الظلام
إلى من يفرج إلى كربتى ويكشف عنى ثياب الغرام
ومالى فى أرضكم مقصد ولا طاب لى فى رباها مقام
لعلى أفوز بشخص يكون حياتى به أو لآخذ الذمام
وأنت الذى لم تزل محسنا إلى كل من رام بذل الزمام
ومثلى لا تهملوا أمره فقد جئت أبغى جميل المقام

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الملك من عقبه ذلك الشعر والنظام عجب منه غاية العجب وقال له ياشيخ أنا أقسم بجدى حام نسل السادات الكرام وجندى وعشائرى والبيت المعظم والحطيم وزمزم ان مكنت منك أحدا من أعدائك حتى أشرب كاس الردا ولا بد أن أملكك رقاب أعدائك وأبلغك قصدك ومناك وسوف ترى فى غداة غد العجب العجاب ثم أنه أمر بضرب أبو الحجاش فضربه ضربا وجيعا وأطلقه فلما أن أطلقه خرج من عسكره وقصد عسكر الملكة ميمونة وهو يبكى حتى وصل اليها (قال الراوى) ياساده ياكرام وكانت الملكة ميمونة مسرورة القلب بسلامة الأمير عبد الوهاب هذا وقد زاد حبه فى قلبها وتضاعف كربها وقالت ماهذا إلا فارس شجاع وبطل مناع ومثل هذا من يكون لذوات الخدور ويكون محاميا لأصحاب الستور فهنته بالسلامة وقالت لا تحسبنى أنى أسلمك إلى الاعداء بعد مالاح لى منك هذه الشجاعة ولقد فعلت فى حقهم فعال أهل البراعة فقال الأمير عبدالوهاب اعلمى أيتها الملكة وذمة العرب لو أن عساكر الملك الدمدمان حملت على واحد قوابى من كل جانب لكان فى ان شاء الله تعالى ما منعت عن روحى بطول النهار وأشبعتهم طعنا وضربا تحت الغبار ولا أسلم لهم روحى وفى عين تطرف ثم انه أنشد :

لحى الله عبدا الا يريد لرأسه ثلاثون ألفا من ليوث سلاهب
وما ذاك إلا باعتقاد وحشية بقدرة ربى تنتجز لى مطالبى
ألا فاعلمى أن الذى جاء طالبا لقتلى ردى الاصل من بيت كاذب
كفور برب الخلق والكفر قوله وقتلة ذاك الشيخ خير الرغائب

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولما فرغ الأمير من شعره قالت ميمونه يامولاى إذا كان هذا قصدك ففى غداة غد يكون ما يكون وقد هان على قتل أبى وأنال منك

مطلوبى وأربى وقد برح الخفاء وزادت زفرات الهواء وما لقلبى سواك قط ومن وصالك يكون الشفاء من غير ريبة ولا فحشاء فان كنت ترضى أن أكون لك زوجة فأنا أعد نفسى من اليوم لك أمة وان كنت ترى نفسك بالمحل الذى لا ترانى له أهلا فقد رضيت أن أشاهدك صباحا ومساء ثم أقاتل بين يديك الاعداء وأناضل سائر الورى خاصة فى المولى وأبرد ما أجد من نيران الهوى وأوافقك على عبادة المولى ولا أرى لك عوضا فى الورى ثم انها أنشدت :

ألا أيها المولى الذى شاع ذكره ... وفاق على كل الورى بالعجائب
سموت على كل الأنام كمثل ما ... أضاءت لنور الشمس فوق الكواكب
لقد شاهدت عيناى منك صميدع ... يصول على أبطالها بالمضارب
كمى وفى ماجد ذو حمية ... عطوف رؤف صادق غير كاذب
سخى كريم ان ينددا غضنفر ... ومثلك من يرجى لغوث الكواعب
فجد لى بوصل منك يا غاية المنى ... فانى من نار الهوى فى المصائب
إذا أغرقت أبطالها فى وقائع ... ومعركة صارت كلون الغياهب
فلا تعرضن عنى فانى ذليلة ... ومثلك مذخور لدفع النوائب

فلما سمع الأمير عبد الوهاب شعرها ضحك من كلامها فبينما هم فى الكلام وإذا بأبو الحجاش دخل عليهم فلما نظرت اليه ميمونة عرفته فقالت له ما الذى جاء بك الينا فقال يامولاتى انى قد غضب على الملك الدمدمان لأجل ماتكلمت به من الرأى الجميل لأن قرب هذا الرجل عقبة يخرب الديار الواسعة ويفنى الأمم العزيزة وما ساقه الله الينا إلا ليخرب هذا الاقليم كما خرب غيره من الاقاليم وإنى أشرت على الملك وقلت له ما هو كذا وكذا على قتله ويزوجك بهذا الامير الاجل حتى تكون المملكة واحدة والدوله متساعده وتصير العرب له ركنا وعمدة وسكنا فلما سمع منى ذلك ضربنى الضرب الوجيع وقد أتيت اليك واتكالى بعد الله عليك فقالت ميمونة أيها الشيخ لقد أشرت عليه بالرأى الجيد والأمر السعيد والتدبير السديد لكن التوفيق منه بعيد (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب من أبو الخجاش ذلك الكلام أكرمه وأوعده بكل جميل والخلع السنية والأوصاف الرضية هذا وباتوا تلك الليلة الى الصباح وأشهروا البيض الصفاح واصطفت الصفوف وتقابلت الجمعان هنالك خرج الملك الدمدمان على جواد سابق فى الجولان وعلى صدره زرد

مضاعفة العدد كأنها عيون الجراد لايعمل فيها الصارم المهند وعلى رأسه
بيضة مادية لامعة مضية وشاهر فى يده سيف أخضر اللون مليح
الكون قوى المسمار ماضى الشفار كأنه شعلة نار
قاطع للأعمار ولما صار فى وسط الميدان صال
وجال وتقلب على أربع جنبات المجال وقال
ياميمونة يامن هى فى عقلها مفتونه
اليوم آخر أيامك وسوف أسقيك
كاس حمامك وأجعل رأسك
قدامك وسوف تذهب
الشفقة الأبوية
بهذه الأفعال
الردية

انتهى الجزء السادس والثلاثون ويليه الجزء السابع والثلاثون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء السابع والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة من أبيها الملك « الدمدمان » ذلك الكلام ضحكت وقد صاحت بجوادها فخرج من تحتها كأنه البرق الخاطف أو السحاب الواكف حتى قاربته ونادت برفيع من صوتها وجعلت تقول :

ستعلم يا دمدمان الوغى إذا ارتفع النقع يوم الهياج
وحكمت بالمرهفات التى لها البرق فى ظلمات العجاج
ألا ان هذا عفيف الفعال شريف الخصال كريم النتاج
ستعلم يادمدمان القتال اذا ما ذبحت كذبح الدجاج

(قال الراوى) فلما سمع أبوها كلامها وما قالته من نظامها نزل عن جواده وافتقد حزامه وعلا على ظهره وأشهر حسامه وانقلبت فى أم رأسه عيناه ولا بقى يعرفها بين يداه وطلع الزبد على شدقاه وصاح صيحة عظيمة أزعج بها الصفين وارتاع منه العسكرين وأراد أن يحمل عليها وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار من ناحية دياره وبعد ساعة انكشف الغبار وبان ما تحته للنظار وظهر خيول تقطع السرى وقد بان منها النحول والانطوى من كثرة السير المتواتر على طول المدى وقد ملكت تلك البطاح والبيداء فخفق قلب الأمير عبد الوهاب وقال ياترى هذه الخيول أصحاب أم أعداء . وأما الملك الدمدمان فانه لما شاهد ذلك الغبار النامى تشوش قلبه واشتغل خاطره وابه وتوقف عن الحملة ونادى على بعض غلمانه وقال اركب على جوادك الأشقر واكشف خبر هذا العسكر وانظر من أين هذا الجيش قد ظهروالى نحونا بدر فان كانوا لنا أصدقاء فبشرهم بالخلع والثياب وان كانوا علينا فلهم الذل والعذاب (قال الراوى) وأن هذا الغبارلم يكن كما خطر بقلب الأمير عبد الوهاب لأن الاميره

ذات الهمة كانت انقطعت عنها الاخبار ولا تعلم ان كان ولدها فى قيد الحياة أم لا بل ذهبت عنها العساكر والعشائر وقد رجع عمرو بن عبيدالله الى ملطيه وعمرها وأقام بها بعربان بنى سليم وكانوا مائة وخمسين ألف فارس كأنهم الليوث العوابس وقد أضاف اليه المأمون عشرة آلاف من الاتراك لأنه كان فى خوف عظيم من ملك الروم لأنه جمع الجيوش من الجزائر وتوطنوا الروم فى بلادهم وفى تلك السنة منع الملك ميخائيل المال المقدر عليه ولم يكن للمأمون جسارة أن يطالبه بالمال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من العسكر القادم على الملك الدمدمان فانه كان رجل جبار لايصطلى له بنار ولايعدا له على جار يقال له عنقش ومن حوله مائة ألف عنان وكان يومئذ فى زاوية من زوايا اليمن وهوالذى انتزع الحصون التى كانت فى يد الملك الدمدمان حتى نشأت له ميمونة التى نحن فى حديثها فكانت تغير على أرضه وعلى بلاده فالويل لمن تلقاه فلما أن رآها عنقش على هذه الصفة تبلبل خاطره بها وأحبها وأرسل يخطبها من أبيها وضمن له رد الحصون التى كانت فى يده ويزيده أموال جسيمة ونعم نخيمة فأنعم له الدمدمان وقد فرح بذلك واستبشر وقد شاور ميمونة فى ذلك فغضبت وقالت مالى الى ذلك من سبيل ومالى رغبة فى الرجال ثم انها أخذت رجالها وأموالها ورحلت الى حصنها المسمى بحصن الحجر وأقامت فيه وكان هذا قبل ماتأتى هذه الاسباب وبعدها أتى عقبة الى تلك الديار وجرى ماجرى من الاخبار فبلغ اليه الخبر مع عبد كان عند الملك الدمدمان لأنه لما أن جرى لهؤلاء ماجرى كان حاضر فسار العبد حتى وصل اليه وقال يامولاى جرى ماهو كذا وكذا وميمونة هويت رجل من العرب نقى اللون مليح الكون إلا انه فى الشجاعة بمكان عظيم وقد وقع بينهما وبين الملك ودخلت الى حصنها وأبوها سار اليها يطلب قتالها وقتل ذلك الرجل الذى عندها فلما سمع الملك عنقش انتخب من قومه خمسين ألف فارس كأنهم الجن أو الأبالس وقد سار يقطع الأرض فى الطول والعرض حتى وصل الى الدمدمان وقد ذكر أنه ماجاء إلا خدمة له وإشفاقا عليه فلما سمع الملك الدمدمان ذلك قام وتلقاه وخدمه وسلم عليه ثم قال له أيها الملك لا تخرج الى القتال وتباشر النزال وأنا فى عداد الاحياء لا كان ذلك أبدا ثم انه صاح فيمن معه من الرجال وسراة الابطال وصاح على جواده فخرج من تحته كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب حتى صار فى موقف الحرب ومحل الطعن والضرب فجال وصال وتقلب فى أربعة أركان المجال حتى حير عقول الرجال وأشار الى نحو ميمونة وجعل يقول :

أميمونة فى القلب منك محبة ... ممكنة فى القلب ليس لها مثل
فوصلك ريحانى وروحى وراحتى ... وقتلك عندى لايقاس به القتل
فكيف رضيتى بالكلابى صاحبا ... وليس له أصل نبيل ولا فضل

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة كلامه همت أن تخرج اليه واذا هى بفارس خرج من وسط عسكرها فتبينته واذا به الامير عبد الوهاب وترس قبر النبي الأواب وقد انقض على عنقش انقضاض العقاب أو الماء اذا نزل من السحاب وهو يقول:

لمثلى يقال بأنى ذليل ... وانى كمى شجاع الجنان
دع العذل ياصاح فى حبها ... وصل فى الحقيقة يوم الطعان
وما بغيتى وصل ميمونة ... وماشان طرفى من طرف زان
وإنى رأيت ثياب التقى ... ليس الكريم شريف المكان

(قال الراوى) هذا وقد حمل كل واحد منهما على صاحبه وما طال بينهما الخطب ولا كثر العتب حتى صاح به الامير بصوت جهورى نحل به الانتفاض من الفزع كأنه فى زمهرير ومد يده اليه وتمكن من جلباب درعه ومراق بطنه أخذه أسير وقاده ذليل حقير هذا ولما رأت قومه الى ذلك حملوا عليه يريدون خلاصه من يد قناصه فحملت ميمونة وحمل الدمدمان وطلع الغبار الى العنان وحملت الاقران على الاقران والفرسان على الفرسان ولم يزل القتال بطول النهار وأقبل الليل بالاعتكار وسالت الدماء مثل السيل . هذا وقد طلب الدمدمان الى عقبة حتى يأخذ رأيه فلم يجد له خبر وكان الملعون لما رأى الامير عبدالوهاب وميمونة قد اصطلحا قال مابقى لى فى هذه الديار مقام ولكن أسير وأستنفر باقى الناس الذين فى تلك الديار من السودان وسائر الحبشان على لسان الملك الدمدمان وأعمل على قتل هذا الشيطان لأن ماله ههنا لا ناصر ولامعين غير هذه العاهرة بنت العواهر قطع المسيح عمرها ورغم أنفها وعجل خنقها ثم انه ترك القوم وهم مشغولين فى القتال وولى وسار ينفر الناس (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة . وأماما كان من الملك الدمدمان فانه لماطلب عقبة فماوجده فانغم لذلك وبات تلك الليلة وهو ضيق الصدر ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ركبوا الفريقان الى الحرب والكفاح وكان أول من خرج الى الميدان الملك الدمدمان بعد أن ركب على ظهر جواده واعتد بعدة جلاده ونادى وقال ويلك ياميمونة الى كم هذا التطويل اليوم يوم أبوالهزاهز وسوف يبان من يكون عاجز ويظهر البطل المناجز (قال) فلما سمعت ميمونة منه ذلك حملت وأوسعت فى ميدانها وقومت

سنانها بين آذان حصانها وعمل بينهما الحرب ووقع الطعن والضرب واصطدما والتطما وطلع عليهما الغبار حتى غابا عن أعين النظار وشخصت الابصار وقام الحرب بينهما على ساق وتطاعنا بالمثقفات الدقاق وبعد ساعة انكشف عنهم الغبار وانجلا من عليهم القتار وأعنوا الجوادين ووقفوا بالفرسين وكل واحد ينظر إلى صاحبه شزراً ويرمقه حذرا ووقفوا الاثنين فى تلك الساعة حتى يأخذوا لهم راحة ثم ان الملك الدمدمان أقبل على ميمونة وقال لها : ياميمونة يامن هى فى عقلها مفتونة اعلمى أنى ماحسبت عنك مضاربى ومنعت عنك مصائبى إلا لما أجد فى قلبي من الإشفاق عليك وإلا كنت طيرت رأسك وأخمدت أنفاسك والآن فقد عفوت عنك فدعى هذا الجد فى معصيتى وعودى من قريب الى طاعتى وإلا ضربتك بسيف نقمتى وسلمى إلى هذا الرجل الذى قد احتمى بك وان أبيت سوف تندمين وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر ثم انه أشار اليها وجعل يقول :

فلقد ضجرت من الفضيحة والشناعة والوبال
ما ليس يدرك حده إلا أعاجمة الرجال
عودى إلى وسلمى هذا الذى يطلب قتالى

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة كلامه وما نطق من نظامه أجابته على شعره تقول :

يامن تعلل بالمحال ماهذه شيم الرجال
هذا كلام ذو الجهالة والضلالة والخبال
هيهات أفعل ما تقول ولو وقعت على الرمال
أو أن أسلم من حميت إلى المنية والوبال
وأنا أقول لك الصحيح بلا خفاء فى المقال
إنى أموت بحبه والهواء بلا محال
ما فى البرية كلها من بين أكتاف الرجال
مثل الذى وصله شفى سقمى وصبرى عنه خال
ويصول فى هيجائها ما بين معترك المجال

(قال الراوى) فلما سمع الدمدمان ذلك من كلامها وما أبدته من مرامها تولى عليه الغضب وعلاه الصخب وحمل عليها وحملت عليه وجرى بينهما حرب عوان تشيب لهولها الولدان ويذوب منه الصوان وما لبثوا غير قليل حتى خرج من الاثنين

ضربتين قاطعتين فأما ضربة الملك الدمدمان خرجت عنها ميمونة أسرع من البرق الخاطف وضربته جوابها فأخذها فى الدرقة وكانت من الحديد الصينى فقدتها نصفين فأرمى روحه الى الأرض قبل وصول الضربة إلى رأسه فسلم من العطب ولم يكن له سبيل الى الهرب فجعل يصيح ويجلب هنالك حملت الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب وتناخت الفرسان من كل جانب ومكان وحمل الامير عبد الوهاب فى أوائل سودان ميمونة وضرب الرقاب ضربا ونهب الأرواح نهبا وخاض الامير بجواده شرقا وغربا ومن ذلك النهار سفكت الدماء وامتلأت الأرض من القتلا فماكنت ترى إلا دم فائر ورأس عن بدنه طائر وصار هذا رايح وهذا خاسر وكان الملك الدمدمان لما أن ألقى روحه على الأرض لحقوه قومه وقدأركبوه جواد آخر وأخذ عدته ورجع إلى القتال كأنه بعير حل من عقال وصار ينكل بالأبطال وعدد الفرسان على وجه الرمال وهو كأنه الأسد الريبال (قال الراوى) فبينما هو فى المعمعة إذ رأى الامير المفضال فناداه ياابن العواهر ياتربية الأندال أنت الذى كنت سبب هذه الفتنة وجلبت لنا هذه المحنة ثم انه حمل عليه وهو ينشد ويقول :

رويدك قد وافاك ليثا غضنفرا كمى وفى فى الوغا غير قاصر
صبور إذاماالحرب وارت مبيدة رؤس الورى بالمرهفات البواتر
وأنت بلا شك تكون مجندلا على الأرض تبقى بين وحش وطائر
وانى وحق البيت أضربك ضربة تصير صريعا تحت وطىء الحوافر

(قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك الكلام من الدمدمان وفهم ما نطق به من الشعر والنظام صعب عليه وغضب وقطب وأجابه يقول :

أيا من يرى الغدر من شانه دينا ويخلف قولا قديما
ستعلم ياصاح ان قد برزت ترمْ قتالى أمرا عظيما
وقولك عشقت لميمونة وقد صرت بالفعل هذا أثيما
والله ماكنت ذا ريبة وربى بما قد بلانى عليما
فدع عنك هذا المقال المحال فانى سأسقيك كاسا حميما

(قال الراوى) هذا وقد حملوا على بعضهم وكل منهما همز على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وتضاربا وتحاربا وتباعدا وتقاربا وافترقا والتزقا وبالجوادين تصادما واشتد عليهم القتال وزاد الزلزال وتطاعنا بالسمر العوال وبعد ذلك امتشقوا البيض الصقال وتضاربوا على

القلل العوال والدرق فى أيديهم كأنها سندال عليهما الخبط بالنصال (قال الراوى) لقد حدثنى الامير عبد الوهاب فى جامع المنصور بالله فى بغداد فقال لى والله مارأيت فى الحرب وموقف الطعن والضرب مثل الملك الدمدمان ولقد رأيت منه الهول المهول وقلت انى أكون منه مقتول وأشرفت منه على التلف وقد تعجبت كل العجب من ميمونة كيف أنها ظهرت عليه وما زالت معه القتال حتى قلت إنه هالك لا محالة وأنا لا أدرى كيف رمى روحه عن الجواد من ضربة ابنته لما انقطعت درقته مع تلك الفروسية والشجاعة والبراعة فبينما أنا كذلك معه وأنا راكب معه مركب خطر وأنا أنتظر إلى القضاء والقدر وإذا به عن جواده وقف وقد رفع رمحه على كتفه وأنشدنى أبيات خطرت بباله وكانت هذه الأبيات سببا لنجاتى من الهلاك فأنشد وجعل يقول :

أيا أسود الجلد عد سالما	وأطلب ديارك ثم ارحل
فلو شئت قتلك فى ساعة	فعلت فعد سالما واعقل
فميمونة وسط هيجائها	تناصل لأجلك بالمنصل
وإن عدوك من بيننا	عدمناه من مجمع الجحفل
فعد نحو أرضك أوفى وجد	إلى ربع دارك والمنزل
ولا تبغى لبنتى ميمونة	فتلقى حمامك بالمنصل
ولا تسمع الناس بهذا الكلام	فهـذا لعمرى لا يحمل

(قال الراوى) فقال الأمير لما سمع كلامه قلت له والله لقد هنتينى بالسلامة وأنا راكب على هذا الجواد العتيق الذى كأنه شعله حريق وعلى جسدى هذه العدة الكاملة وما أريد أن يكون بينى وبينك معاملة لأنى أراها تذكر الهوى وتباريح الجوى وأما أنا فقد كبر سنى وهى تقودنى إلى مالا أهوى وأنا أريد أن أشتغل بعبادة المولى ولا تسمع العرب عنى ذلك الخبر المذموم أنى كنت عند رجل وأنا مأسور فهويتنى ابنته والهوى لا يكون إلا عن رعاية ومعاتبة ولعب وهراش ومزاح لا يليق الى مثل ثم أنى خرجت من المعمعة لاكن متحير من فروسيته وما صدقت أن أخلص من يده وصرت واستقمت على الجادة وجديت فى المسير ولله المشيئة والتدبير (قال الراوى) هذا ولم يزل السيف يعمل بين القوم الى وقت العصر وكان قصد الملك الدمدمان باطالة الحرب حتى يبعد الأمير عبد الوهاب وينقطع عنه الأطماع والأسباب انهزمت سـودان الملك الدمدمان وقال لهم اطلبوا دياركم والأوطان فقد قضيت الحاجة

وبطلت اللجاجة فساروا طالبين ديارهم وأما ميمونه فانها فرحت بذلك ورجعت الى حصنها وطلبت الأمير عبد الوهاب فلم تجده فعظم عليها وكبر لديها وكاد عمرها أن يدنو وذهب نفسها قلقا وحزنا وقد مزقت ثياب الاصطبار بأنامل الافتكار وأمطرت سحائب الدموع على دوارس الربوع وتأوهت تأوه المهجور وقد بهتت بهوت المسحور وقالت لقومها ياويلكم اطلبوه بين القتلا فو الله ما فرحت بعده أبدا ولو ولو شربت كاسات الردى وما أنا أول من مات وهلك وجدا وحزنا وصبابة من الهوى وهجرانا ودعه يكون لى سالما والسقم لى ملازما فعندها قاموا الغلمان وتبادروا فى الفلاه وجعلوا يفتشون بين القتلا فلم يأخذها اصطبار بل إنها لحقتهم وجعلت تدور هى بين القتلا يمينا وشمال فلم تجده فقالت ماهو إلا أسير وما رجع الدمدمان وهو فى ذلك العسكر الكبير إلا وقد أخذ الأمير أسير فأقبلت على قومها وقالت لهم أنتم نعم الأصحاب فان رأيتم المسير معى صواب فسيروا وإن كان غير صواب فاقعدوا ههنا وماعليكم ملام ولا عتاب فأنا سائرة خلف أبى الدمدمان أخلص الامير عبد الوهاب فان قدرت وإلا شربت كاس الحمام والتدمير فقالوا لها أيتها الملكة كلنا خدامك ولم نزال قدامك فشكرتهم على ذلك وسارت فى الليل وكان قد أسبل سواد غياهبه وطمست كواكبه وقد حملت الهموم وجعلت تنادى فى الليل الهادى وا شوقاه إلى حبيبى وا أسفاه على سقمى وطبيبى وا شوقاه على الرجل اللطيف صاحب النسب الشريف ثم إنها أشارت تقول هذه الأبيات :

وا حسرتاه وا حسرتين فيه يزيد سهودى
يا قوم هل أيامنا الغر الحسان لنا تعود
وأرى الأمير مسلما لايشمتن بنا الحسود
وأبيد جمع الدمدمان ولا أرق ولا أحود
وله مقام فى الهوى طرفى بمنصبه شهود
وله التهجد فى الدجى والعالمين به رقود
لكن رأيت فؤاده يجفوا علىّ ولا يجود
أتراه يرحم عبرتى وأنا وغلمانى عبيدى
هيهات أن يحيى الوصال وقد توافاه الصدود

(قال الراوى) وما فرغت من كلامها حتى زادت زفراتها وحسراتها وتضاعفت لوعتها ولم تزل سائرة بطول ذلك الليل حتى أدركت أباها على مكان يقال له ثنية الغزال

فلم تتمالك دون أن صاحت على قومها وحملت وما أهملت وحكمت الصوارم فى العواتق والجماجم وعملت وهتكت الابطال وقتلت وركب الدمدمان والتحمت الأقران بالأقران فكان يوم له شان وأى شان هذا وأن الملكة ميمونة حملت على أبوها وصاحت يادمدمان أين الأمير الكريم والفارس العظيم المتعبد فى جنح الليل البهيم فقال لها الدمدمان وطلب بذلك أن يقطع رجاها منه سقيته شراب الحمام وقد ضربته بهذا الحسام الصمصمان (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة من أبيها ذلك لم تتمالك عقلها دون أن حملت عليه فى الحال وهاجمته مهاجمة الأسد الريبال وطعنت أبيها وقومت السنان بعد ما جردت الحسام وطعنته فى صدره طلع الرمح يلمع من ظهره فنظرت السودان الى ماحل بالملك الدمدمان فولوا الادبار وركنوا الى الفرار. وقد عمل فيهم الحسام البتار الى نصف النهار وأسرت منهم جماعة وأحضرت المأسورين الى بين يديها وقالت ويلكم أنتم قتلتم السيد الفاضل فوالله لازالت الأحزان لى قرينة ولازلت بعده باكية حزينة وان كنت قد حرمت لقاءه فى الدنيا فلابد أن أعمل عملا يرضى به المولى لعلى أن أراه يوم القيامة فى المنزل الأعلى فقالوا الأسرى والله ما قتلناه ولكن كان من الأمر ماهو كذا وكذا وقد سار الى صوب أرضه والبلاد (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة ذلك صعب عليها وكبر لديها وقد تعجبت مما عمل الامير عبد الوهاب ولكن الهوى أقام عذره عندها فقالت لاشك أستحى أن تسمع العرب عنه مثل هذا ثم انها انتخبت ألف فارس من عبيدها بالخيل والنجب وقالت لهم جدوا بنا فى المسير فأنا أعلم أننا نلحقه فى اليوم الثالث . هذا وقد سارت وأضمرت فى نفسها أنها تخرق بالأمير وتكسر نفسها عنده وقالت إن لم أقرع رأسه بالرمح ما أبلغ منه مراد ولا أنال منه مسرة الفؤاد ثم انها ما زالت سائرة فى كر وجر وهى تغير الجنائب حتى لحقته فى اليوم الثالث كما قال فى ذلك المكان الذى ذكرته وهو نازل على الماء فقالت لقومها تواروا عنى فأنا أريد أن أغير لباسى وأتزيا بزى العرب وأفعل ما أشتهى وأريد وبعد ذلك أعرفه بنفسى فقالوا لها افعلى مابدا لك (قال) ثم انهم تواروا عنها فى مكان آخر ثم انها أخذت أهبتها وتلثمت وصارت كأنها من العرب ودنت منه ونادت : ياهذا خذ حذرك فأنا اليك واصلة وقاصدة وعنك ليس بحايدة حتى آخذ جوادك وعدة جلادك وأعدم حسك لأولادك وكان الامير جالس على الماء وكان وقت الضحى وقد فرغ من صلاته وسمع نداها وقد عقدت القاف فشال رأسه الى المتكلم واذا به فارس واحد فضحك الامير وقال ياهذا امض الى حال سبيلك واعلم

أنى ما أنا ممن يطمع فيه فدع عنك مطامع العرب وإلا أوردتك موارد العطب فقالت له دع عنك هذا فلا بد لى من الذى عزمت عليه ولا أرى على نفسى أن آخذك على غفلة منك فيكون ذلك على عار فقم وخذ أهبتك الى الضرب بالبتار إن كان فيك حمية وانتصار مثل الرجال الأخيار وإلا فاطلب الهزيمة والفرار واعلم أنى ما أتبع هزيما ولا أوذى غريما لأنى أرى ذلك على أمراً عظيما (قال الراوى) فلما أن سمع الامير ذلك بقى كأنه أسير عاين وقال ماينبغى أن أقعد ثم وثب الى جواده صار على صهوته بعد أن اشتمل بلامته واختطف الرمح من التراب وفعلت ميمونة مثل فعاله وفتحا فى الارض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وتقسطل الغبار وغابا عن الأبصار وحمى الهوجل وغليت الحروب كغليان المرجل وتخلى الامير عبد الوهاب عن نفسه وقال لقد حملت على وأنا غير مكترث بها ومهمل أمرها وما كنت عرفتها ولم يزالا يتجاولان حتى زاد بينهما الأمر وعظم الشر وضاق الصدر وعيل الصبر ونفح البر وأوهج الحر ولم يزالا يتضاربان حتى ظن السودان أن الفارسان قد عطبا فعظم ذلك عليهما وبعد ساعة انكشف الغبار وانجلا القتال وكل واحد منهما ينظر الى صاحبه شزرا ويرمقه حذرا فنظر الامير الى طول مقامه مع ذلك الفارس فنبه عزيمته وحمل عايه وأما ميمونة فانها أخذها منه الانبهار وتأخرت ساعة لتأخذ لها راحة ثم رجعا الى ما كانا عليه من ضرب البتار وعقد عليهما الغبار فما كانت إلا ساعة حتى خرج من الاثنين ضربتين وكانا بالرمحين فكان السابق بالطعنة الامير عبد الوهاب فلما رأتها ميمونة همزت عن جوادها صارت على وجه الارض وإذا بها واقفة على أقدامها وقد سبح الرمح على سرجها ثم انها عادت الى سرجها أسرع من البرق الخاطف أو السحاب الواكف فصارت على ظهر الجواد من فوق الرمح وكان الرمح انتشب فى السرج فأراد الامير أن يخلصه فما قدر على ذلك لكونها عليه وهى مثل الجبل العظيم ثم انها أقلبت الرمح فى يدها كأنه قلم كاتب وطعنته بعقبه فانطرح على الارض وقد ذهل عقله مما رأى ونزلت اليه فى الحال قبل أن يقوم وشدته كتاف وقوت منه وثاقه وقد قرعته بالرمح رأسه وولت طالبة الى قومها وتركته مكانه (قال الراوى) هذا ولما أن سارت ميمونة قام الامير على حيله وصار كأنه نائم فاستيقظ من نومه ووقع فى قلبه مالاتقله أرض ولاسماء وابن آدم حريص على مامنع منه فناداها : أيتها الملكة مثلى من أساء ومثلك من عفى وقد برأتينى بالجميل سلفا وقد عطفت أولا فلا تفسدى ماعملت بالجفا فأموت ههنا أسفا ثم انه أشار يقول :

أميمونة عودى الى الوصل واعلمى بأنى جهلت الأمر والحال فافهمى
ظننتك ترثى لى ولم أدر ما القضا بأنك مثـــل السيد المتقدم
ولم تر عينى مثل شخصك فى الورى ولا شاهدت ما بين ترك وأعجم
وقد هاج قلبى فى هواك صبابة وقد عزمت روحى على الوصل فاعلمى
ولم تتركى ما فات من عظم زلتى فانى على ما كان فى الحال مغرم

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة كلامه قالت له قم يا ابن العواهر فوالله لوكنت أرى كبدى قطعة بعد قطعة وأتجرع من الغرام جرعة بعد جرعه وأبكى عليك حتى ما يبقى فى عينى دمعه ما كان لى بمواصلتك مرجعة ثم انها أشارت تقول

أيا من له فعل قبيح وهمه يريد جميل الفعل غير جميل
وحق الذى أبكى السموات إذا بدت سحائبها من أربع وصول
ومن رفع السبع الطباق ولم يزل خليقته من أكرم وبخيل
فعدد ونح وابك على من هجرتها وكن غارقا فى عبرة وطلول

(قال الراوى) يا ساده يا كرام لقد سئل الأمير عبد الوهاب عن ذلك فقال لقد مرت بى الأوقات من فرح وسرور وترح ما مر بى حسرة أعظم من هذه الحسرات وهى مولية عنى وقد أنشدتنى هذه الأبيات هذا ولما أن سارت عنه طالبة أرضها أيس منها الأمير وما زال يرقبها إلى أن غابت عينها فوثب إلى جواده ركبه وبقى حائر لا يدرى إلى أين يسير ولا إلى أين يذهب وقد صار فى حيرة ودهشة كما قال بعضهم :

وقف الهوى بى حيث جئت فليس لى متـاخر عنه ولا متقـدم

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما حدث للامير هذا الأمر الخطير ركب جواده وقلق فؤاده وبهت فى ذاته واحتار ولم يكن له بد من الانصراف الى الأهل والديار فسار يطلب قومه وعول أن يجمع العساكر ويسير بهم إلى ديارها ويأخذها فهذا ما كان منه وما حصل له من الأمور الثقـال (وأما ما كان) من الأميرة المجاهدة أم الأشبال فانها لما أن كسرت العساكر المأمون من آمد تفرغت للأحزان ومكثت للبكى والاشجان وتفرقت العرب من حولها وبقيت فى آمد مع أولاد عبد الوهاب وسودان ظالم وسودان أبو الهزاهز وقراقد وبنى كلاب الذين ربيوا معهم فى مكان واحد وكانت الأميره تندب الامير الليل والنهار والامير أبو محمد البطال يضرب إلى سائر البلاد وسائر الأقطار حتى وصل الى أقصى خراسان ورجع خائب ومضى الى أرض الشام فلم يجد

أحداً يعطيه خبراً عن الأمير وأيضاً عقبه ما رأى له ذكر يذكر فقال مالى الى أن أسير إلى القسطنطونيه فسار النهار وأقام مدة عند بطريق البطارقه مارس فابصر الملك ميحائيل وقد جمع من العساكر ما سد الفضا والطرق والبيداء وقد عول على الخروج الى بلاد الاسلام ولم يزل أبو محمد مقيم فى جملة العساكر حتى رحل الملك ميخائيل وسار البطال وقد حمل هما عظيما وقد علم أن ما فى ملطيه من يقف بين أيديهم وبنى كلاب ما يقاتلون من أجل ما فى قلوبهم من بنى سليم ومن المأمون وانهم برحوا من آمد وكان الامير ظالم سار من الأول بالرجال الى أرض العراق وكبس الديار وغنم الأموال واخرب الاطلال الى أن خلا الديار بلاقع وسير اليه المأمون جيش عرمرم فكسره وقد أرسل اليه عسكر وقالوا له يا أمير نحن قوم ضعفا فبالذى يجمع عليك الامير عبد هاب بعد الإياس ويامن خوفك يوم تخاف الناس الا ما كشفت عنا أذى وعفوت عنا لانك تعلم أننا لا سودان ولا نحن من أهل قتال ولا نزال (قال الراوى) يا ساده يا كرام فعندها رحل الأمير ظالم عنهم وسار الى آمد ودخل على جدته الأميره وهى فى بيت الأحزان وهى لابسه السواد لفقد الأمير عبدالوهاب فقالت بالله عليك يا ولدى وبحق عليك وبالذى يجمع عليك الشيخ الكبير والسيد الخطير الا ما تركت الناس من يدك فما لهؤلاء ذنب وما المصيبة الا من اللعين عقبه ان وقعت عليه أو وقع فى يدك فافعل به ما تريد ونسأل الله تعالى أن يظفرنا به حتى نأخذ منه التار ونكشف العار وأما هؤلاء فما لهم ذنب (قال الراوى) يا ساده يا كرام فترك الأمير ظالم الغارات فهذا ما كان من ظالم والاميره (وأما ما كان) من صاحب الأعمال والأمور الثقال أبو محمد البطال وغلمانه الأشبال فانهم أقلبوا الأرض شرقا وغرباً وبعداً وقرباً الى أن خرجوا مع ميخائيل إلى أن قربوا من ملطيه وجاءت الجواسيس الى الامير عمرو بن عبيد الله وقد أخبروه بالحال فكتب كتاب الى المأمون بالله خليفه الزمان يخبره بذلك الأمر والشان ويذكر فى الكتاب يا أمير المؤمنين قد جاءنا من ملك الروم ما كان يوعدنا به وقد سار الينا بعساكر بعدد النجوم وقطر الغيوم فادركنا بالعساكر ومدنا بالعشائر والا أخرب البلاد وأخاف العباد ويكثر فى الارض الفساد فلما وقف المأمون على الكتاب قال واحزناه على الامير عبد الوهاب ومن معه من بنى كلاب والله انهم ما كانوا يكاتبوها حتى تسيل الدماء ثم انه تمثل يقول هذا البيت :

ندمت على ما كان منى جهالة ومن يتبع ما تشتهى النفس يندم

ثم انه أقبل على الوزير الصالح أحمد بن سهل وكان أرسل له الامان الى آمد وحلف له بأجل الاقسام فسار اليه وقال ايش معك من الرأى أيها الوزير فقال لقد قلت لمولانا أميرالمؤمنين ان عقبة عاقبته مذمومة على سائر الناس فغضب عليّ وأشمت بى الاعداء ثم انك ضيعت الامير المجاهد فى دين الملك الواحد رضى الله عنه والله اننى قد بت عنده ليالى كثيره فرأيته يسجد ويركع فقال المأمون يا وزير أنا أقول انى خسرت الدنيا والآخرة بخطيئته وماعملت فى حقه فان كان هلك فواحسرتاه عليه وواخسارتاه وان كان سالم سوف أفعل فى حقه ما يجب على وما يستحقه فقال له الوزير يا مولانا الصواب عندى أنك تسير العساكر الذين فى العراق الى عمرو فان نصروا فهو الذى نريد وان كانت الاخرى والعياذ بالله أسير أنا بروحى الى ذات الهمه ولكن ارسل الى العساكر الذين فى خراسان تأتى ههنا على ظاهر بغداد والنهروان فقال يا وزير لقد قلت الصواب ثم انه أمر أن يكتب الكتب الى سائر الاقاليم يأمرهم بالحضور ولما أن اجتمعت العساكر وكانوا ثلثمائة ألف وقدم عليهم رجل مقدام على الامور العظام يقال له بشر السلمى وكان هذا بشر السلمى كبير القدر والشان والسن فى سن الامير عبد الوهاب وكان يروم الاماره والامير عمرو يدعوه اليه فلم يرض بذلك وكان يختار البراوى والقفار ولا يرغب لا فى المدن ولا القرى ولما أن أرسل المأمون الكتب الى سائر الناس وسمع بشر السلمى أن الامام يطلب العساكر فأتى اليه قاصد المعاش والمكسب وأيضاً الجهاد فى سبيل الله تعالى ولما أن حضر عند المأمون أعطاه الرايات والاعلام والمنجنيقات وقدمه على تلك العساكر كما ذكرنا وصار يقطع الارض قاصداً الى ملطيه (قال الراوى) يا ساده يا كرام لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب الذى نحب أن نسوقه بين أيادى السادات الحاضرين على الترتيب حتى أن المستمع يلذ ويطيب لكن بعد ألف صلاة وسلام على النبي الحبيب صاحب البرده والقضيب والناقه والنجيب الذى كل من صلى عليه ما يخيب صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ما حن لوطنه كل غريب وما اشتاق محب لحبيب يا سادات الوجود يا كرام صلوا على سيدنا محمد البدر التمام فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من أمر الملك ميخائيل فانه لما أن رحل بالعساكر من على القسطنطينية وجد فى سيره حتى أنه وصل الى نهر قباقب ووصل الى نهر سليمان فأقام هناك ثلاثة أيام ولم يتعرض لقتال ولا حرب ولا نزال (قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا والامير عمرو بن عبيد الله أمير بنى سليم قد جمع العساكر وحصن ملطيه وغلق الابواب وطلعت

الرجال من فوق الاصوار فعند ذلك التفتت أم عمرو بن عبيد الله الى ولدها عمرو وقالت له اعلم ياولدى أن هذا ما هو إلا عسكر كبير عظيم وهو كأنه الليل البهيم فقال الامير عمرو لأمه والله يا أماه انهذا عسكر ثقيل ما له أول يعرف ولا آخر يوصف وما بيننا ياأم عمرو وبين الأخذ إلا بمقدار ما يزحف الينا هذا العسكر الجرار وتؤخذ أخذاً بالكف ويحصل لنا من ذلك الاضرار فقالت له اعلم يا ولدى أن هذا كله مما قدمت يداك وجنته مساعيك ولكن ياولدى اعلم أن الله ليس بظلام للعبيد وإن هذا والله ياولدى كله بخطيئة الأمير الأجل والكهف الأطل أمير الثغور الأمير عبد الوهاب وترس قبر النبي الأواب وماصنعتم مع بنى عمنا بنى عامر وبنى كلاب والسودان الأنجاب فو الله ما يحمى الثغور غيرهم وسوف تتحكم الروم فى البنـــات العربيات والنساء وتنهب المخدرات فوا أسفاه وا ذلاه إلى الأبد إذا ذلت العربيات وعملت فى الرماح السمهريات ولكن صدق من قال قاتل الله الحسد ما أعدله بدا بصاحبه فقتله وما أحسن قول بعضهم :

خليلى إن البغى مهلك أهله ... وإن على الباغى تدور الدوائر
ومن يحتفر بئرا ليوقع غيره ... سيوقع فى البئر الذى كان حافر

وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه من حفر لأخيه المؤمن قليبا أوقعه الله عز وجل فيه قريباً وانكم يا ولدى ياعمرو أنت وقومك مستحقين ذلك من الله عز وجل مالك الممالك فسكت الأمير عمرو عن جواب أمه ثم إنه جمع المقدمين من سادات بنى سليم وقال ياقوم والله إن بنى عامر وكلاب ما غلقوا أبواب ولا احتموا بجدران وكان كلام عمرو تحريضا لهم على القتال حتى لا يقال إن ماكان يحمى الثغور إلا الأمير ومن معه من الأجناد فقالوا له والله أيها الأمير ما أمرنا بغلق الأبواب غيرك فقال لهم افتحوا الآن الباب وعولوا على القتـــال والضراب وسارعوا ياقوم إلى مرضـاة ربكم لأن الجهاد فرضا على المؤمنين عند ذلك فتحوا الباب فى رابع يوم وركبوا على ظهور الخيل واعتقلوا بالديول وتقلدوا بكل صارم مصقول ولبسوا على رؤسهم البيض العادية والثياب الرومية والدموق الملكيه المكوكبة المجلية وقد خرجت الاتراك وهم الذين تركهم المأمون عوضا عن الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) ياساده ياكرام وان ملك الروم لما نظر إلى تلك الفعال ادعى فى ساعة الحال بملك من ملوك الملافط وكان ذلك الملك خرج فى تلك السنة من جزيرة البحرين وتلك الجزيرة يقال لها الجزيرة المشعب والملك يقال له

أفلاطون وكان جبار عنيد وشيطان مريد وقال له ميخائيل نحن نريد نكسر هذه العصابة الاسلامية والطائفة الحنيفية ونفنى هذه الأمة المحمدية فقال له سمعا وطاعة وسوف ترى فيهم العجب فى تلك الساعة فضحك الملك ميخائيل ثم بكى فقالت له الملوك مالنا نراك تبكى لا أبكى المسيح عيناك وبعد البكا تضحك فقال بكائى وضحكى له سبب فما الضحك إلا من شأن لما نظرت اليكم وإلى همتكم وإلى هذه العساكر التى قد اجتمعت لأنها ما اجتمعت لملك قبلى (وأما) بكائى لأنى قد تذكرت الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وليس له خبر لا فى بلاد الروم ولا بلاد الاسلام وما هو إلا قد أهلكه لا محالة لأنه كان طول عمره يتعصب للنصرانية ويسعى فى مصالح الملة المسيحية ويجاهد فى الأمة المحمدية والملة العباسية ولو كان على وجه الأرض لما انقطعت عنا كتبه فهذا كان سبب ضحكى وهذا سبب بكائى فقال الدمستق اعلم أيها الملك أنه جاءنى رجل نصرانى وهو عاملا لعقبة وله عنده مال وقد صدفته ههنا فان شئت حملته اليك تأخذ منه الأخبار عنه فقال الملك على به (قال الراوى) ياساده ياكرام فما كانت إلا ساعة حتى حضر بين يديه وخدم وتقدم فسأله الملك عن أخبار القاضى عقبة فقال يامولاى وحق المسيح إن خبره كله عندى وحديث الأمير عبد الوهاب أيضا فقال الملك أليس قد ذكروا عنه أنه قتل فقال لا وحياتك ياملك ولكن من مدة وصل الى كتاب من عند عقبة بحديث عجيب وفى الحقيقة أيها الملك أنه اتفاق غريب ثم أنه حكى له القصة من أولها إلى آخرها ولا فى الاعادة إفادة وأنه اشترى الأمير من ملك يقال له الدمدمان حتى أنه يقتله فقال الملك ميخائيل هذا رجل مجاهد بماله ونفسه فى سبيل المسيح (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا يجرى والامير الأجل أبو محمد البطال واقف يسمع ويرى مع جملة البطارقه القيام فلما حقق ذلك كاد قلبه أن يطير فرحا وهو يظن أنه فى منام أو أضغاث أحلام ثم أنه خرج من بين البطارقة القيام واجتمع بغلمانه وقال لهم الآن وقعت على خبر الامير فسيروا بنا الى آمد ثم أخبروهم بالخبر فقبلوا الارض شكرا لله تعالى وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا إلى آمد واجتمعوا بالاميرة فلما رأتهم فرحت بهم غاية الفرح هذا ولما أعاد عليهم الامير ماسمعه من المقال قال لها أيتها الاميرة سيرى بنا إلى الحبشة فما بقى لنا مقام ههنا بعد ما نسمع خبر الامير فقالت له صدقت أنت تعرف تلك الديار فقال لها المدلوس أنا أخبر الناس بها لانها بلادى وأعرف كل من فيها من الشجعان ولكن أيتها الاميرة سيرى بنا وإن كانت لملكة

ميمونه بنت الملك الدمدمان مع غرماءتا فما يرجع منا إنسان إلا أن كان يعنى بنا رب العالمين رب الانس والجان وبركة الجهاد فى طاعة رب العباد فقالت إرحلوا بنا والله الموفق للصواب فعند ذلك رحلوا القوم وكان ذلك من قبل أن يقع بين ميمونة وبين أبوها الخلف وقد ساروا وخلفوا فى ميدان آمد ميمون الجماس وعنده النساء والأولاد والرجال وعنده ألف فارس ودخلوا إلى البرارى والقفار والسهول والاوعار يوصلون سير الليل بالنهار والاميرة تحت الرجال على المسير من شوقها الى ولدها الامير ثلاثة أشهر تمام وهم طالبين الى تلك الديار وكانلما يريده الله من الاراده وانفاذ المشيئة وتمام السعادة أن اليوم الذى انفصل فيه الامير من ميمونة وفى قلبه منها النار التى لا تطفى واللهيب الذى لا يخفى كان وصول الاميره ذات الهمة فبينما هم كذلك سائرين إذ لاح لهم غبار وكانت الاميرة من شوقها الى الامير عبد الوهاب سائرة فى مقدمة القوم وأولاد الامير معها وهم كأنهم أشبال من حول لبوة كاسرة وهى تقول يادليل الطير فى هذا الليل دلنى على ولدى لانك يارب تعلم أنه مجاهد فى سبيلك ومحامى عن ملة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فبينما هى سائرة إذ لاح لها فارس مقبل عليها من عند ذلك الوادى فتميزته وعاينت ركبته فقالت ياظالم قال لها لبيك يا ستاه قالت له يا ولدى وذمة العرب ما كان هذا الفارس وركبته إلا كأنه ولدى أباك (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندها صاح الفارس وكان قرب منها وسمعها فقال نعم أنا ولدك ورب الكعبة وإن الله سبحانه وتعالى جمع بيننا فوقعت الاميرة الى الارض فخرت ساجدة لله تعالى وكذلك الامير وجرت الدموع من الاجفان وبكت العيون من الفرح كما تبكى من الاحزان هذا وقد وصلت الخيل وترجلت ركابها وارتفع الصياح والتكبير والصلاة على البشير النذير وما زالوا على ذلك الحال الى أن تكامل الجيش وأما الامير أبو محمد البطال فانه دنى من الامير عبد الوهاب وجعل يقبله ويقول ما أبركها من ساعة وما أحسن هذا الفرج من بعد الشدائد فو الله ان هذا أمر من أعجب العجائب وكان الامير عبد الوهاب فى أول النهار فريد فما مسى عليه المساء إلا وهو فى عسكر عدته خمسين ألف عنان فانظر ياهذا الى تلك الالطاف ما أعجبها وهذه المقادير ما أغربها فقالت الاميرة يابنى هل معك خبر من عقبة فقال لاتسألينى عن حاله فها أنا غائب من أعماله فقالت له لمعنى فى ذلك (قال) فأعاد عليها الحديث الذى جرى مع ميمونة وعقبه والملك الدمدمان وإنه لا يقدر على الرجوع إلى مديار إلا

بميمونة ثم إنه جعل يصف لها شجاعتها وبراعتها وإقدامها فى الميدان على الفرسان والشجعان فقالت الاميرة لقد شوقتنى إليها وان شاء الله فى غداة غدنسير اليها ومعلوم على ذلك الـكلام أن عقبه ماخرج من هذه الديار وهو فيها مقيم ونحن إن شاء الله تعالى نورده موارد العطب والبوار وسوف أوصلك من ميمونة ماتحب وتختار فقال البطال أيتها الاميره دعى كلام الامير وارجعى بنا إلى الديار لأن ملك الروم أمره عظيم وأيضا أنا أعرف الناس بتلك الديار وما فيها من المغاور والاخطار وربما تقوى الروم على أهل الايمان وأنا أعرف أن الملك الدمدمان وغيره من ملوك تلك الديار لهم عساكر كثيرة وأما ميمونة التى تذكروها فقد رأيتها فى الحرب فما رأيت شكلها ولا فروسيتها فقالت الأميرة لقد عظمتم هذه المرأة وما يكون امرأة بهذه الصفة إلا أن يكون مصادفه أقدار وكل شىء من الله الذى عنده كل شىء بمقدار وأنا لابد ما أسير اليها واختبرها والله الموفق للصواب ثم إنهم عولوا على ذلك وباتوا تلك الليلة فى ذلك المكان فلما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أصبح الامير متوعك البدن فأقاموا من أجله ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع رحلوا وإلى ميمونة طلبوا (قال الراوى) يا ساده يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أمر الملكة ميمونة بنت الملك الدمدمان فانها لما فارقت الأمير عبد الوهاب وهو كثير الاكتئاب فكان عقبة لما سار من عند الملك الدمدمان وسمع ما تقدم من أبو الحجاش من الخطاب وهو فى قتال ابنته فسار إلى نواحى ذلك الاقليم ينفر الناس على لسان الملك الدمدمان فاجتمع له فوارس من بنى دمدم ولم يزل سائر الى أن وصل الى حصن بنى دمدم وبنى دمدم هم الذين يأكلون لحوم الآدميون ولهم ملك عظيم كأنه الليل البهيم واسمه الغسق وكان هذا الغسق خطب الى ميمونة من أبيها وأنفذ له الف فارس من أصحابه بالمهر الجزيل الذى غير قليل فلما أن وصلوا إلى الملك الدمدمان اعلم ابنته بذلك فأبت أن تكون له أهلا أو يكون لها بعلا وركبت اليهم بمفردها وقتلت منهم جماعة وانهزموا الباقين وكان من جملة المقتولين ولد الملك الغسق وأما المنهزمين فانهم دخلوا على الملك الغسق فأخبروه بذلك فورد على قلبه أمر عظيم وقد حلف وشدد فى الاقسام لابد من قتلها فهو على مثل ذلك واذا قد ورد عليه عقبة فقبل الأرض بين يديه وقال أيها الملك ان كان الملك الدمدمان مات فأتت تأخذ ميمونة وتأخذ أرضه ودياره فسار الملك الغسق فى بنى دمدم وعدتهم مائة ألف وعقبه سائر أمامهم وهم

طالبين الى ميمونة فصادفها لما وصلت قريب من الحصن يوم وليلة وكان عسكر الدمدمان انضاف الى عسكر (الغسق) فصار الملك الغسق فى عسكر جرار كأنه زخار وقد تكاملت عدتهم ثلثمائة ألف فارس فكان الملتقى بميمونة فصاح الملك (الغسق) برجاله فحمل عليها بعض العساكر ووقع القتال ذلك اليوم والثانى والثالث وقد قتل من قومها جماعة وما بقى معها غير عبيدها الذين لها فقاتلت القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد ثم انها التجأت إلى تل عالى يقال له (تل الغراب) وأصحابها من حولها إلا انها بقيت محصورة لكن طاولت الناس بالبراز فقتلت خلق كثير فقال (الغسق) مالها إلا أخرج اليها وآخذها أسيرة وقداستسلموا الىأصحابها وأقتلها شر قتلة (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان الملك (الغسق) برز الى الميدان ومحل الضرب والطعان وطلبها أن تبرز اليه وقد ظننا أنها قد قتلت ولده وهو جبار لا يصطلى له بنار أشجع من الدمدمان . هذا وأن ميمونة لما نظرت إلى نفسها وهى بقيت فى نفر قليل وأحدق بها ذلك العالم العظيم إلا لمن معها رجال أقيال ألفوا الى الحرب والقتال مافيهم إلا من يقول أنا الى ذلك الجيش وقد أظهروا قوتهم وشجاعتهم وأسندوا ظهورهم الى (تل الغراب) وقاتلوا القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد وقد خرج الملك (الغسق) الى ميمونة على جواد أدهم يسبق الرياح ويفوت غرة الصباح لو انطلق على البحر الزاخر لم يخشى عليه من الغرق وعلى صدره زرد ضيقة العدد متقلد بحسام بارق وللدروع الداوديه خارق ثم انه صاح بصوت جهورى كأنه الرعد القاصف : ياميمونة لقد فعلت الفعل الشنيع لقتلك أباك من أجل رجل عربى هجرك وقلاك ورحل عنك وخلاك وقد شمت بك أعداك وسوف أسقيك شراب فناك لأنك قتلت ولدى (هلدم) وقد مزجت مدامعى عليه بالدم وأنا الذى آخذ التار وأكشف العار وأضربك بالمرهف البتار إلا أن تزوجينى نفسك وتملكينى ديارك وقومك وأكون مقام أبيك وأنا وقومى نحميك (قال الراوى) ياساده يا كرام ولما أن سمعت ميمونة ذلك الكلام همهمت ودمدمت وكانت يومئذ بنت خمسة وعشرين سنة إلا انها قوية الحيل خواضة الليل قليلة المثال وانها علمت أن العالم فى عالم عظيم وكم جهد ما تقاتل وتناضل ومالها جيش تعتمد عليه ولا شىء ترجع إليه ولا معها زاد ولا علف للدواب فرجعت الىعقلها ودخلت إلى بيتالمكر والخداع والحيل وقالت أيها الملك ما جرت عادة تخطب بنات الملوك هكذا فى حومة الميدان واعلم انى ما قتلت ولدك إلا من الملك الدمدمان لأنه هو الذى أمرنى بذلك لأنه كان أجابك

ظاهراً ومنعنى من ذلك باطنا وإلا فما أسعدنى اذا كنت لك أهلا وأنت لى بعلا فان كنت على صدق تلك الرغبة فلا تؤاخذنى بما سلف من تلك النكبة وتحلف لى بالايمان وأجل الأقسام انك لاتقصد إذلالى ولا كسر هيبتى وإن كنت ما تطاوعنى على ما أريد فأنا ما أسلم روحى لأحد ولوقطعت بالسيوف وشربت كاس الحتوف (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الملك (الغسق) منها ذلك طار قلبه وقال هكذا أكبر آمالى وأنا وحق من رفع السماء وأغسق الظلماء وأجرى الماء أن قصدى بذلك إلا رغبة فيك فقال إذا كان الأمر على ما وصفت هناك ارحل أنت من بعدى وانزل قريب من الحصن حتى أفتح لك الباب وأخرج لكم الضيافات والعلوفات وارسل لى أهل بلدى ومشايخهم وترسل أنت الى سادات قومك ومشايخهم وهذا الشيخ الذى عندك القاضى عقبه لأنى قد أسأت عليه وما أريد من القول افعل معه إلا كل جميل وأبلغه كل ما يتمناه لأنى قد ظلمته لما منعته من ذلك الرجل الغادر فان له من المعرفة نصيب وافر وسوف أسلمه اليه ولو كان تحت تخوم الأرض السابعة آتى به وأسلمه اليه (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الملك الغسق ذلك قال لها هذا هو الصواب وانى أعطيتك الزمام فسيرى الى حصنك أنت ومن معك لكن تصبرى حتى أعلم قومى بما دار بيننا من الكلام لكى لايتعرض منهم أحد اليك وأن زمامك زمامى وآمالك من آمالى والسلام ثم صبرت ميمونة الى أن رجع الغسق إلى قومه وأعلمهم بما قد جرى من الاحكام ففرحوا قومه بذلك وقالوا أيها الملك اذا تزوجت بها تصير فى قبضتك ومثلهم لمثلنا لا ينافس وعسكرها بنا لايقاس . هذا وقد سمع عقبه ما قالت فى حقه ففرح وقال ان هلك الأسود وأمه ذات الهمه فما أبلغ ذلك إلا بهؤلاء لامحالة ثم ان الملعون خرج اليها وهو راكب جواد عالى من الخيل وقد أرخى لحيته على صدره وهى بيضة وكبر همته وتلك الشيبة البيضاء كما قال (شيبة كره الله لقاها فأخرها لشقاها) هذا ولما أن صار قدام الملكة ميمونة ورأت الى ذلك الشيخ الأعور الذى بفرد عين ولما صار قدامها سلم وترجم وحياها بأحسن التحيات قال أيتها الملكة التى علمت بالحق وحسن الفعال وكملت الخصال والحسن والجمال ومقاومة الرجال فى المجال ومبيدة الأبطال لاعدمتك على كل حال وانى شيخ كبير وبقى حالى عبرة لمن اعتبر وبكى على حالى البدو والحضر ويلاين لى القلب ولوكان من صلاب الحجر وما كنت كذلك الرجل شاكيا ومن يديه باكيا إلا انه قتل أولادى وأشمت بى حسادى وكان لى من الاعادى ومع ذلك فانه كان يظهر الصلاة فى الليل حتى

لو رآه أحد على هذه الاستقامة يعود على وعلى ضعفى بالملامه ولم يدر بالامور المخفية وقد حسبت أن أكون منك قتيل وقد هربت منك فزعا والتجأت الى هذا الملك (الغسق) وأنا هلعا وقد تقطع قلبى قطعا وتجرعت كاس الحمام جرعا والآن فقد ظهر لى ما فعلتى مع ذلك الرجل من الفعال وجازاك بأصعب الافعال وقد رأى منك الإحسان اليه إذ فعلتى فى حقه ذلك الامتنان وحملتيه على كذا وكذا حصان وجرأتيه على قتل أصحاب الملك الدمدمان حتى يكون ذاته منك قريب وقلبك عليه انقلب إنى أرى لشىء عجيب فجودى على بالامتنان وعودى الى بالأمان فما لى إلا المشى تحت ركابك ثم إن عقبة أشار اليها وجعل يقول :

أميمونة رق لحالى وشيبتى ألا وارحمى ذلى لذيك ووقفتى
ولا تقطعى بالخوف قلبى فإنه يطير اذا شاهدت من عظيم شيبتى
ألا فارحمى من لا يضيع لربه صلاة ولاصوماً ولافرض ركعة
ألا فارحمى شيخاً غريباً وزاهداً عليه من الأثقال عظم مصيبة
ألا فارحمى هذا الكبير الذى بكت عليه لحاب الله من غير زلتى
نهارى وليلى لم أزال مروعا كذاك ثيابى والزمان وشيبتى
ألا فارحمى ذلى وما قد أصابنى ألا فارحمى حالى وضعفى وحيرتى
ألا اننى قد كنت أعلم بالذى يكون من العدو من فرط حيلتى
وحقك مافى الارض صاحب مثله لمثل الذى قد كان فى قبض نعمتى
ولكن منعتينى المراد واننى أسائلك مما أتى من بليتى

(قال الراوى) وكانت ميمونة معولة على القبض عليه فرق قلبها له وقالت لقد نصحنى هذا الرجل الذى هو الامير عبد الوهاب عند جميع قومى وعشيرتى وطلبته فامتنع وما أراد وصالى ثم انه رحل عنى من بعد حسن فعالى ثم انه رجع الى أهله سالما وغانما بعد ما كان عاطبا وأنا على لهيب النار أتقلى وأتلوى ولابد لى أن آخذ ذلك الشيخ المسكين ويكون عندى حتى يبلغ سؤاله وهواه ثم أقبلت على عقبه وقالت له ياشيخ لاتحزن وانى وحق كلمة التحقيق والبيت العتيق والركن الوثيق ومقالة الحق والتحقيق وهى (لاإله إلا الله محمد رسول الله) لابد أن أهلك عدوك وأسلمه اليك فدعا لها وشكرها على مقالها ثم انه رجع وميمونة رحلت من يومها ورحل الملك الغسق عقبها (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب وأمه

والأصحاب فانهم لم يزالوا سائرين إلى أن أتوا إلى المكان الذى كانوا فيه القوم فوجد القتلى مطروحين فتحير من ذلك ولا علم ما جرى من بعده ونظر الى مكان الوقعة فوجد الدما والقتلى قريبة العهد لأنه ربى فى الوقائع وخوض المعامع ونظر الى القتلى وهم من السودان فانغم من ذلك وقال لو كان هؤلاء قتلوا فى طاعة الله الملك المنان الذى لا يشغله شأن عن شأن لكانوا ناجين من النيران وتأمل الأمير فى جنبات المعمعة يمين وشمال وإذا برجل تارة يقوم وتارة يقعد فقال الامير انظروا الى ذلك الشخص فتسارعت اليه الفرسان وإذا به رجل جريح لم يكن له نهضة يسير مع ميمونة فأتوا به ونظره الأمير وإذا به أبو الحجاش فقال له من جرحك فأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها وكيف قتلت ميمونة أباها وجاءها الملك الغسق فى ثلاثمائة ألف فارس وأشرفت منه على التلاف وقد تقرر الأمر بينهم على الزواج وتراضوا على ذلك الحال ورحل خلفها من أول النهار (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب لما سمع ذلك الكلام طار قلبه وخفق لبه وخشى لا يكون الملك الغسق تزوج بها الحقيقة فأقبل الأمير على والدته وقال لها النار أهون علىّ مما أنا فيه من الوجد والغرام وقد أجاد من قال هذا البيت

النار أبرد من نار بأحشاى والسيف أهون من هجرى لمولاى

فقالت الأميره يا ولدى ما فى الأمر إلا أننا نرحل ونجد فى السير فان وجدنا الأمر قد انتجز فنحن نفعل على قدر ما نرى (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك رحلوا وأخذوا معهم أبو الحجاش بعدما شدوا جراحه وخلع عليه الأمير عبد الوهاب وساروا يقطعون الأرض فى الطول والعرض وقد ذكرنا أن أول من سار ميمونة ولم تزل فى كد وجد إلى أن وصلت إلى حصنها وأمنت على نفسها هى ومن معها وقد كان عندها فى الحصن من جميع ما تحتاج اليه وعندها من المأكل ما يكفيها طول الأيام وعدة شهور وأعوام وكان حصنها منيعاً شاهقاً فى الهوى واسع الفضا قد بنى من الحجر الجلمد الصد وله باب من الحديد الصينى وقد رحل من بعدها الملك الغسق وهو اليها كثير الشوق والقلق لأنه كان يهواها لما شاهد منها من الفعال وعاينها فى الحرب والقتال ولما عاين منها ذلك لم يجد له صبراً عنها بل سار خلفها ولم يزل حتى نزل على ظاهر الحصن فوجده مزين بالسلاح والرجال من على الأصوار والابراج وهم مثل ظلام الاغلاس فأنكر ذلك الحال وأقبل على القاضى عقبة وقال له لعل يكون بدا لها أمر

من الامور فانثنت عن ما قضت عليه ولم نقيم على ما اتفقت عليه فقال له عقبه أنها لا تفعل ذلك أيها الملك فما عهدى بها إلا حازمة الرأى وها أنا ماضى اليها فعن اذنك أيها الملك أن أسير اليها وأنظر أين هى وان كانت على الوعد أم لا فقال له أيها الشيخ ان فعلت ذلك فقد طوقتنى بمنن لا أقدر أوفى بها اليك فى طول الاعمار فسار عقبه من ساعته بعد ما أخذ أهبته وحمله الملك على حصان وأنفذ معه عشرة من السودان وسار إلى أن وصل إلى الحصن فلما نظرته الملكة ميمونة قالت هذا الشيخ قد وصل وما أتى الا برسالة من الملك الغسق فى أمر الزواج أيظن أنى قلت ذلك على الحقيقة ولم يعلم أنى قلت على وجه المحال (قال الراوى) ثم أمرت أن يفتح له الباب فدخل فوجد حصن رفيع المكان شديد الاركان لا يقدر عليه إنسان ولا اليه طريق ولا يصل اليه سلم تسليق وكانت ميمونة تحدث قومها وتقول لهم انى لا أحتمى من وراء الجدران ولا الحيطان بل انى أنذر هذا الفارس على لسان هذا الشيخ فان هو انتهى ورجع والا خرجت اليه فى كل صباح بكل فارس جحجاح واضرب قومه بحد الصفاح فكونوا حاضرين واسمعوا ما أقول من الخطاب (قال) هذا وقد وصل عقبه الى الحصن وفتح له الباب فتقدم وسلم وترجم وهو واقف بين يديها على الاقدام وصار الى الارض لاثما وقام وهو يرتعد خبثا منه ولعنه فردت عليه السلام وقالت يا شيخ لا يجوز لك أن تسجد الى مخلوق مثلك وإنما السجود للخالق المعبود فقال لها أيتها الملكة إن السجود من طاعة من قربه وأدناه ثم أعاد عليها رسالة الغسق وما هو فيه من القلق فانظرى الآن ما عندك وانجزى الى من دنا من ديارك فقالت له أما أنت يا قاضى فقد سبق لك عندى قولا واثقا ولولاه كانت رجليك تسبق رأسك وأما الملك الغسق فوالله ما أرضاه لى أهلا ولا يكون لى بعلا قال فبينما عقبه وميمونة فى الكلام إذ سمع صياح علا وصراخ قد نما حتى سد البيدا وسمعت ميمونة ذلك الاعلام فارتقت الى الصور والملعون عقبة معها ونظروا الى الدنيا صارت ظلام من كثرة الغبار والقتال وكان ذلك من وقع حوافر الخيل التى لبنى كلاب والسودان الانجاب الذين تعودوا الجهاد فى طاعة رب العباد وبعد ساعة بانت الاعلام العباسية والرايات الخليفية والفرسان الكلابية فما تعلم ميمونة ما الخبر وأما القاضى عقبه فانه اصفر لونه وارتعب كونه وقال أيتها الملكة عن إذنك انزل الى الملك الغسق واصرفه عنك وارحله الى بلاده فقالت له تمهل حتى أكشف هذا الخبر وهذا الغبار وانظر من أين أتى وما سببه فقال لها يا ملكه أنا أمضى وآتيك بالاخبار فقالت لا تطيل فى الخطاب ولا تكثر العتاب واعلم أنك ما تبرح من ههنا حتى أنظر ما يكون وما كان

وقصد ميمونة أنها رأت حرقة قلبه وقلقه على الخروج لما شاهدت ذلك الغبار فقالت له يا قاضى مالى أراك قلقا وقد اصفر وجهك حين عاينت ذلك الغبار الذى أقبل فلا شك أنك تعرف منهم أحد فقال لها أقول ولى الأمان فقالت لك ذلك فقال لها اعلمى أن هذا عسكر بنى كلاب والأميرة ذات الهمة ولا شك أنها وصلتها أخبار ولدها وأتت بعساكره وأنصاره فقالت دع عنك الفزع والجزع فاهم مثل ربع عسكر الملك الغسق فقال لها لا تحسبي بنى كلاب مثل عسكر الملك الغسق بل انهم أشد منهم وأقوى وحربهم نار تحرق لا سيما إن كان فيهم الأشقر الأزرق العينين فهو أيشم من عسكرين (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة وميمونة وأما ما كان من الملك الغسق وأصحابه فانه لما رأى الى الغبار أمر بكشف الأخبار فخرجوا جماعة وعادوا وأخبروا أنهم قوم عرب وأما أصحاب الملك الغسق العشرة الذين كانوا صحبة عقبة فانهم لما سمعوا ذلك الصياح قالوا لعقبة ما الذى يقعدنا فقال لهم ارجعوا الى الملك وقولوا له ان الملكه ميمونة مقيمة على العهد الذى كان وقد وفت بما ضمنت ولكن أعاقها عن ذلك عائق وهو هذا العسكر القادم لأنه عسكر الأمير عبد الوهاب لأنه لما أن كان عندها عولت على قتله فما فعلت وقد أوهبته نفسه ومنت عليه بروحه وقد طلب وصلها فما أرادته ولا أجابته وطردته وهجرته وهاهو قد رجع بعسكره وهو يروم أخذها فان كان لك نخوة فدونك وإياه لأن بغيتها أخذ رأسه وأخماد أنفاسه ثم أنهم ساروا ووصلوا إلى الملك وما معهم من المقال فقال لهم وأين القاضى عقبة فقالوا له يامولانا خلفناه عندها حتى يكشف أخبار هذا العسكر الواصل وقد اجتهد على أن يصل معنا فما مكنته الملكة ميمونة فقال الملك الغسق ما عوقت على صاحبنا إلا وهى راغبة فينا ثم انه صبر حتى نزلت العساكر فى الخيام فصاح الملك الغسق فى أصحابه السودان فأجابوه ثلثمائة ألف عنان كأنهم جن سليمان فعظم على بنى كلاب ذلك لأنهم وصلوا وهم تعابا من السير والسرا وأما السودان أصحاب الملك الغسق لم يصفوا صفوفهم وقد حملوا وعلى القتال عولوا وانطبقوا من كل جانب وهم الى الحرب مثل السلاهب وقد جردوا فى أيديهم القواضب وحامت طيور المصايب وتنهلوا كؤس النوايب وأظهروا فيما بينهم العجايب وسدوا الطرق والمذاهب فكان ذلك دابهم بطول ذلك النهار هذا وميمونة مشرفه عليهم من أعلى الصور وتنظر الى ما حل بالطائفتين من البوار فقالت والله ان هؤلاء ليوث الحرب وأبطال الطعن والضرب هذا ولم يزل القتال يعمل الى أن هجم الظلام ودنا وقت الانفصال وافترقوا الطائفتين عن الحرب والقتال وباتوا الى أن أصبح

الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فثارت الطائفتين الى الكفاح وجردوا البيض الصفاح وكان الامير قد أقبل على أبو الحجاش وقال أريد منك أن تمضى الى عسكر الملك الغسق لأنك تعرفهم ولا ينكروا عليك وتنظر لنا أخبار الملعون عقبة فقال سمعا وطاعة (قال) فمضى وما غاب غير قليل وعاد فى سرعة التعجيل وأخبر أن عقبة فى الحصن وقد قبضت عليه ميمونه ولم تدعه ينزل من عندها ففرح أبى محمد البطال وكذلك الامراء فقال البطال أنا أخاف أن يهرب من الحصن وكنت أشتهى من يمضى الى ميمونه فى صفة رسول فقال له مالك ابن بشر رضى الله عنه على ذلك وانى أريد أن أمضى اليها وأقضى حاجتك لأن لى فى ذلك أعظم الثواب فقالت الاميرة بارك الله فيك افعل ما بدا لك فسار الامير مالك بن بشر الى أن اتى الى باب الحصن ونادى رسول من عند الأميره المجاهده رضى الله عنها فأمرت ميمونة أن يفتح له الباب وساروا به الخدام فعرفه عقبه ونظر اليه وضحك فقالت الملكه ميمونه ما الذى يضحكك ياشيخ فقال لها من فعال الامير عبد الوهاب حيث أرسل اليك هذا الشيخ لأنه ساحر من سحرة هذا الزمان وقد قصد بطلوعه اليك يسحرك حتى يرجع قلبك إلى محبته ويعمل الحيله على مثل هذا المعنى فلما سمعت ميمونه من عقبه ذلك الكلام فصاحت على السودان دونكم وهذا الشيخ اقتلوه ولا تسمعوا له كلام فما غير أن قالت ميمونه ذلك حتى أخذت الامير مالك السيوف من كل جانب ولم يخاطبه منهم مخاطب وان الملعون عقبه لعنه الله هو الذى جزر رأسه بيده وهو يقول انقطعت شجرة السحر من الدنيا ثم انه رمى رأسه من اعلا الحصن الى ناحية بنى كلاب فلما نظروا الى ذلك أعلموا الأمير عبد الوهاب فوقع الصراخ والبكاء والانتحاب فهم كذلك وإذا بالغسق قد خرج الى الميدان وقال لا يخرج إلى إلا الامير عبد الوهاب أميركم فخرج اليه الامير طارق الحجازى وهو على جواد سابق وأنشد وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

أيا فارس القوم فى حربها ... لهامات أقيالها فالق
أيا غاسق خلى ميمونة ... فميمونة منك هى طالق
وما قصدها إلا هذا الأمير ... أمير المصمم والناطق
فكم من شجاع بهذا المكان ... أكون لهاماته فالق

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الغسق ذلك من كلام طارق وكان فصيح اللسان ثابت الجنان يتكلم بلسانين فعمل معه ذلك التوبيخ والكلام عملا عظيما وناداه يا ابن الثواكل ويامن وحش البر من جسده آكل سوف ترى

من تكون ميمونة منه طالق ومن يصير لها معانق ثم أنشد وجعل يقول :

نفيت من العنصر الاكرم ولا كنت بالأسود الادهم
ولا ذقت طعم الكرى ثانيا ولا عشت فى لذة المطعم
إذا لم أخليك فى أرضها وجسمك فى حلة من دم
ومن قبل ذلك أنى أرى أميرك فى حالة المعدم
وتبكى على ما مضى سالفا من العيش والوطن الأكرم
وآخذ ميمونة عاجلا وأنعم بالصدر والمعصم
فلونى على لونها مشبه كلانا يشبه بالاسحم
وفى معرك الخيل أبطالها إذا عضت الخيل على الالجم
وترى لنار الحرب مشعولة وآتيك بالعرب والأعجم
أيا طارق جاءك غاسق وقلبه من الوجد لم يفهم
ألا دونك الآن حربى فقد عدمت الرشاد ولم تعلم
وإلا وحق نبى الهدى محمد والركن مع زمزم
لقد أشفق اليوم من رحمة على قتله الرجل المسلم
وان شئت فارجع وقل للامير يبارزنى ان شئت أن تسلم

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع طارق كلام الغسق قال فى نفسه أعوذ برب الفلق من شر ماخلق هذا والله رجل ما أنا من رجاله ولا أعد من أشكاله ولقد عجلت على هذا الأسود بالخروج وان رجعت عنه افتضحت بين العرب والسودان ولا أرجع أرفع رأسى معهم فى كل مكان ولقد عرفت من هذا الرجل ما لا يعرفوه وشاهدت منه ما لا شاهدوه ثم انه عول على القتال وحمل وعلى الله توكل وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار وانه حمل على الغسق وألقى نفسه عليه فكان بينهما ساعة يشيب لهولها الوليد ويذل لها البطل الصنديد ثم انكشف الغبار وزال القتار وقد أخذ الغسق طارق أسير وله همهمة وزفير (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما نظر الأمير ظالم الى ذلك عول على الخروج فسبقه سيف الحنيفية كأنه العقاب الكاسر وحمل عليه وحمل أيضا الملك الغسق كأنه البرق اذا برق وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر فوقف الجواد من تحت سيف الحنيفية فألقى نفسه عنه وولى منهزما بين يدى الغسق فلم يتبعه بل قال لنفسه ما يستاهل هذا الشاب أن يموت قتيلا لأنى نظرت منه أمرا مهولا فعند ذلك

خرج اليه الهدلموس على جواد مليح الخطوة سائل الغرة عالى الصهوة كثير المرح والنخوة له غرة كالقنديل صنعة الملك الجليل بيده صارم صقيل كيفما مال فالأجل معه يميل معتقل برمح طويل على رأسه سنان أزرق مثل لسان الحية البضاض أوقبس يلوح فى الايماض وملك الموت يناديه هذا سبب مرادى وكان عليه خلعة المأمون التى خلعها عليه أولا وهى تشعل ذهبا فلما نظر الغسق الى الهدلموس قد برز اليه فى ذلك الزى ظن أنه الاميرعبد الوهاب لأنه ماكان يبان منه الاحماليق الحدق أوتداوير الأمق فقال (الغسق) هذا عبد الوهاب والله ماهذا إلا ملك عظيم وإلا ما كان عليه هذه العدة فى مثل هذه الأراضى الواسعة والبلاد البعيدة وسوف أسلبه روحه وأسكنه ضريحه فإن أنا أهملت أمره ربما مالت اليه ميمونة والى وصاله ونال منها آماله ورغبت فى كثرة أمواله لأن السودان يريدون المال (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما عقبة فانه لما نظر الى الهدلموس أقبل على ميمونة وقال لها من هو هذا الفارس لأنى لم أعرفه ولارأيته قط فى عسكرالمسلمين ولاشك أنها ذات الهمة لأن عبدالوهاب ماهو فى هذا القالب فقالت ميمونة أنا لا أعرفه باللبس وأما القد والاستواء فى السرج والركبة فهو الملك الهدلموس وهو قليل المثل فى القوة إلا انه لايقوم مقام (الغسق) إلا أن له فى الغيب عجب فتعجب عقبه من معرفتها مع شجاعتها ثم انه رجع الى مكره وحيله وقال ان رجعت هذه الى (الغسق) فأنا أملك بها الارض فى الطول والعرض وان كان فى القدر السابق من حظ الامير عبد الوهاب قد تعجل لى العذاب ونادى المنادى فى البلاد الرومية بالخراب وانقطعت من ملة النصرانية الاسباب وأن الملك الهدلموس لما قارب بنى دمدم عاد اليه يطلب القتال فقال له (الغسق) أنت الامير عبد الوهاب فقال لا بل أنا خادمه الهدلموس ومختطف الرؤوس مع النفوس فلما سمع (الغسق) ضحك من كلامه حتى انه استلقى على ظهره وقال له ويلك ياهدلموس قد سرنى هذا الملبوس الذى عليك وفرحت إذ وصل اليك ولكن الرأى عندى أن تحفظ الروح التى بين جنبيك فما يكون أحدا من الناس أشفق منى عليك واعلم بأنى ما أقدر على هذا وما أنت ممن يجهل مقامى ولامكانى وما يخفى عليك شأنى وقد أسرك الدمدمان على طول الزمان قبل أن تخرج من ابنته هذه الشجاعة وأنا قد أسرته مراراً عديدة وأسير أسيرى فاعتبر ياهذا بعقلك ورد الى فهمك ولا يغلب عليك جهلك وعد عن صاحب القريحة وخاطب الملكة المليحة وقل للأمير عبد الوهاب يتولى هذه النوبة الصعبة وإلا فما ينفعه التعلل

والامتناع ولا أنا ممن يضجر من الطعان ثم أشار ينشد ويقول هذه الأبيات :

ألا أيها الملك الهدلموس ... رويدك قد جاءك هما وبؤس
أنا قاطف الروس يوم الوغى ... وحسبك من قاطف الرؤوس
أنا سالب النفس بالمرهفات ... وحسبك من سالب للنفوس
فلا تكن أحمق جاهلا ... فما للمقام غير العكوس
فاقعد سالما ويك لا تلتقى ... لتخرج الى خاطب العروس

(قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها ألوى الهدلموس عنان جواده ورجع الى مكانه وقال للأمير عبد الوهاب : (العاقل من اذا حذر اعتبر) لقد ظننت انه تغيرت أحواله لما شاب وما علمت أنه قد زاد نشاطه وشجاعته وانبساطه فعدت عنه فعندها أراد الامير ظالم أن يخرج اليه فقال له الامير عبد الوهاب والله لا فعلت ذلك يابنى ولا تركتك تخرج اليه ولكن أنا له ثم إن الأمير عبد الوهاب نزل عن جواده وافتقد حزامه وركب وحمل كأنه العقاب فلما صار بين الصفين عرفه عقبه وقال لميمونة هذا أسود بنى كلاب فلما نظرت ميمونة الى الامير عبد الوهاب أخذها من المحبة دهشة عظيمة ثم أنها زجرت نفسها كالعاتبة لها وجعلت تنشد وتقول :

أياقلب لم تهوى الذى فيك لم يعى ... ونارى الجوى تعلو ولا هى تخمد
وإن أردت أن تهوى الأميرالذى له ... ترى الغدر منه والمقام المعند
فإنى وحق الله والركن والصفا ... ومن قام فى الظلماء والليل أسود
أمكن من نفسى الحسام حمية ... وأغدو ولو كانت لى النار مرقد

(قال الراوى) ياساده يا كرام وعلم عقبة أن هذا من هواها للأميرعبد الوهاب فتبسم فقالت له يا قاضى وحق من زجر البحر وأنبع الماء من الصخر لا كان لى بعلا ولا كنت له أهلا فطاب قلب عقبه عند ذلك وجعل يذكر سوء خلق الأمير عبد الوهاب وكان الامير عبد الوهاب قد حمل على الملك (الغسق) وحمل الغسق عليه ونهق ونادى وقال أنت الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب قل وأوجز فقال الامير عبد الوهاب نعم أنا الذى وصفت فعند ذلك نهض (الغسق) اليه فوقع الحصان من تحته من شدة ثقله وحيله فتبادرت السودان بغير ذلك الحصان فصار فى صهوته وأنشد وجعل يقول :

أيامن يروم اليوم ميمونة التى ... هواها بقلبى من شهور وأعوام

رويدك قد لاقاك ليثاً غضنفراً يفوق الورى من كل جود وأكرام
أنا فارس الهيجاء فى موقف الوغى بطول وإكرام وحزم وإبرام
وقوة قلب فى الهياج وسطوة وليث وخواض المعارك مقدام
سأسقيك كاس الموت من بعد ساعة وتصبح ملقى بين فج وايكام
ونحن بنى حام الذى ليس مثلنا إذا نسيت منا لدام وأكرام
ترى جئت قصداً للعروس وطامعا فمن دونها آساد وجل وآجام
ولابد أن آخذ بثارات عقبه فلم تتركوه بين كفر وإسلام
سأسقيك ياهذا وأثنى بلبوة ترى بنت مظلوم على غاية إكرام
وإن كان فى قتلى لها نقض حشمة فما أنتموا إلا لئام وخدام

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك من شعره غضب وقال ماهذا إلا رجل جبارمعجب بنفسه غدار ولولا انه يريد الملكة ميمونة أن تكون له ضجيعة لكنت أتوصى وأرجوه أن يكون معى فى قتال الروم ثم حمل عليه وأشار اليه يقول :

أيامن به تخليط عقل وعلة تدل على جهل كثير وإعدام
تفزع مثلى بالهياج واننى خبيراً بها مذ كنت طفلا باقدام
أما سمعت أذناك يوماً بموقفى إذا ازدحمت مابين روم وإسلام
أنا من حماة الحرب من آل عامر اذا أشرفت أعرابها عند إعجام
سأتركهم روس بلا جثة لها وأجسام قوم قد خلصن من الهام
أتطمع يا هذا بميمونة وقد أتتك ليوث الحرب من كل هجام
ألا اننى لابد ألقيك ثاوياً طريحا على ظهر الفلاة بإرغام
وآخذ عروسا فهى نعم قرينة تجاهد فى الروم الطغاة بإكرام

(قال الراوى) ياساده ياكرام فهنالك صاح (الغسق) صوتا خيل للناس أن الأفق قد انطبق والبحر قد اندفق وافترق وحمل كل واحد منهما على صاحبه فكانا مثل جبلين قد تصادما أو بحرين تلاطما وأن عقبة لما نظر الى ذلك اشتد كفره وعناده ورجع الى فجوره وهو يقول يامسيح لهذا الوقت أريدك أن تنظر الى هذا (الغسق) بعين رحمتك فما له سوى جودك وعنايتك. هذا والمسلمين يدعون للأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب (اللهم بحق نبيك المختار أن تنصر الأمير على هذا الكلب نسل الكفار فعندها أخذا فى الكر والفر والهزل والجد وتأججت الفلاة

بنارها واحمرت الأحداق وازورت من غبارها وقدحت الاحجـــار نارها وطار شرارها وطلبت الطيور أوكارها وهربت الوحوش من أوعارها (يا ساده) وكانت تلك الأرض كثيرة الحر لأنها الإقليم الخامس وهى مثل الليل الدامس ونزلت الفرسان عن الخيول من العسكرين وطلبوا الظلال من الفريقين هنالك نزلت الملكه ميمونة وصحبها عن الاصوار وأقبل الأمير عبد الوهاب على الغسق وقد عظم قلقه وجرى عرقه وطلع لسان كل واحد منهما على صدره من شدة العطش فقال يا هذا معلوم أن كل واحد منا ما يقصر عن قتال صاحبه ولـكن دع هذا الأمر إلى أن يبرد النهار فقال الغسق هذا ما يكون أبداً أيها الرجل الجبان المعود بالنوم بين الجدران وملاعبة النسوان ولولا معك صنعة من الدفاف وخفة الانعطاف لـكنت أخذت روحك من بين الأكتاف (قال الراوى) يا ساده ياكرام فصبر له الأمير عبد الوهاب على مضض وكان قد شقه عطش عظيم ولم يزالا كذلك حتى برد النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار فهنالك غير الجوادين وشمر عن الساعدين ولم يزالا فى قتال وصدام حتى مضى النهار بالضياء وخلع النهار ما عليه من ثياب الهناء ونثر ثياب السواد على الدنيا وبرد نسيم الهوى ونادى منادى الطائفتين بالانفصال وافترقا ورجع كل واحد منهما الى أصحابه وأقاربه وأحبابه واخوانه وأما الأمير عبد الوهاب فانه لم يزل تلك الليلة سهران من شدة العطش والظما لأنه عمل معه عمل عظيم وباتوا الى الصباح وكان اليوم الثانى أشد من الأول وفتحا فى الأرض ميداناوزادوا ضربا وطعانا (قال الراوى) يا ساده ياكرام فبينما هم كذلك وإذا قد أشرف من باب القلعة فارس طويل على جواد نبيل وعليه ثياب مثمنة وبرده يمانية وقناة عدنية وصفيحة هندية وقامة مضية والفارس ملثم معمم وقد ضرب الجواد بهاميزه ولطم فخذيه جنبيه والجواد من تحته قد ضرب برجليه ويديه محاجر عينيه وقصد الفارسين وأشار الى البطلين وقال لهما دونـكما وإياى واحفظا رؤسكما فقد عولت على قتالـكما وأخذ أرواحكما فلما أن سمعا ذلك من كلامه وما نطق من نظامه قالا له فمن أنت أيها الفارس اكشف لنا عن حسبك وبين لنا عن نسبك حتى نعرف من نقاتل فلم يكلمهما دون أن أحمل عليهما وأخذا منه حذرهما وجالا معه لحظة من النهار وفى جولاتهما قرع رأس الأمير عبدالوهاب ثلاث مرات بالرمح فعلم الأمير عبد الوهاب أنه قدر عليه وعفى عنه (قال الراوى) يا ساده ياكرام ثم انقض على الملك الغسق وقد حارت الأبطال من فعاله وعجبوا من أعماله وناداه الملك الغسق ما القتال على غرة محمود فاكشف لنا من أنت قبل أن تصير مجندلا

فما مثلك إلا الملكة ميمونة وما هذه الفعال إلا فعالها فلما سمع الفارس ذلك من كلام الغسق أقبل عليه وقال له يا ابن الخنا كيف يخفى عليك من أنا ثم كشف عن وجهه اللثام وكان الأمير عبد الوهاب اشتهى أن ينظر اليه لأنه رآه أشجع منه ومن الملك الغسق فجعل يتطاول الى معرفته فلما كشف عن وجهه واذا بها الأميره ذات الهمة وقد انقلبت عيناها فى أم رأسها وانما كان قصدها فى جولانها على الفارسين حتى تنظر اليها ميمونة ففرح الامير عبد الوهاب بوالدته وحمل عليها الغسق وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر فلا وأبيك ما كانت إلا لحظة حتى اختلف بينهما طعنتان كان السابق الغسق فجاءت الطعنة شاردة الى صدر الاميرة فخرجت عنها أسرع من البرق وأما رمح الأميره فانه وصل الى صدره فلم يتحرك له بل ضرب رمحها بسيفه أبراه كما يبرى البارى القلم فجالت الأميرة عليه جولان الأسد وأشارت تقول

أين الشجاعة والأقدار يا غاسق ... فنى الفؤاد منك النار تحترق
لو رمت قتلك كان رمحى نافذا ... منك ومن خلق الانسان من علق
فدونك الآن حربى يا لعين فقم ... فرأسك اليوم بالصمصام تنفلق

(قال الراوى) يا ساده يا كرام وجعلت الاميره تعلم عليه على البيضا وتضربه بالسيف صفحا فى كل مجال فلما نظر الى ذلك أيقن أنه هالك هذا وميمونة تتعجب من ذلك وتقول لعقبة يا شيخ ما رأيت قط فارس أشجع من هذا الفارس وانه بطل مداعس وقد شوقنى حسن قتاله وفعاله ونزاله فهل تعرفه قال نعم قصف الله عمرها وقطع نخاعها هذه أم الأمير عبد الوهاب والمقدمه على بنى كلاب التى وصفتها لأبيك لما استجرت به فقالت يا شيخ أنت ما وصفت الا موصوف وسوف تراها مفضوحة بين الصفوف وان الاميره ذات الهمه هاجمت الغسق ولم يبق فى أيديهما من السيوف الا المقابض وتعاركا على الخيول عراكا مهولا حتى وقعا على الأرض فعندها أخذته الاميره ذات الهمة ورفعته على رأسها فكبر الامير عبدالوهاب فقالت الملكة ميمونة لله درك فما أقوى ساعدك فى رفع هذا الرجل الجبار مما عليه من المكر والدمار (قال الراوى) يا ساده يا كرام وحملت السودان تروم خلاصه فحملت بنوكلاب وحمل الامير عبد الوهاب وعمل القتال الى الليل وان عقبة أقبل على ميمونة وقال لها انفذى الى هذا العسكر وقولى لهم لا ترحلوا فأنا لكم دون صاحبكم وأنا أحميكم من هذا العدو وأخلص لكم صاحبكم فلا تتفرقون وأنا أسقى الكل شراب المنون وتنظرون منى ومن الاميرة ذات الهمة ما يكون فقالت له يا شيخ لقد قلت الصواب ثم أرسلت اليهم ذلك الخطاب

فطابت قلوبهم ورحلوا من أماكنهم وصاروا ينزلون حول الحصن وطول ليلتهم الى الصباح وقد فرح الامير عبد الوهاب بأخذ الغسق وقال له قو اشتهيت أن تكون لنا ركننا من أركان المسلمين فقال له الغسق يا هذا ما تحتاج مع هذه الاميره الى ركن ولا الى قنطرة والله ما شاهدت عينى قط مثلها الا أن تكون الملكة ميمونة (قال الراوى) يا سادة ياكرام وفتح باب الحصن ونزلت ميمونة فى خمسة آلاف فارس من السودان وأولاد الحبشان كأنهم زهر البستان لانهم كان عليهم ثياب الخز التى أتى بها عقبة ونظرت الأميره الى ميمونة وقد ظهرت فى أوائل الخيل فطار قلب الأمير عبد الوعاب عند رؤيتها وقال للأميره يا أماه هذه التى وصفت لك وصفتها وهى قد خرجت فى هؤلاء السودان الذين كأنهم جن سليمان وقد انضاف لها سائر السودان من أصحاب الملك الدمدمان وصارت فى هذا العسكر العظيم الذى مثل الليل البهيم (قال الراوى) يا ساده يا كرام وان الاميرة نظرت الى ميمونة وسوادها فقالت له هذه ميمونة قال الأمير نعم أيتها الاميره هذه وجه الليل ومصادمة الخيل فقالت الاميرة اعلم أن هذه يا بنى ما سيمتها سيمة الابطال والصواب أن يكتب الامير اليها كتاب يكون فيه استعطاف لخاطرها واعتذر اليها وقل لها ان الخطأ مركبٌ فى الانسان على طول الزمان وما لك مثل أبو محمد ترجمان (قال الراوى) فادعى بالامير أبو محمد وقال له يا أبو محمد اكتب عنى كتاب الى الملكه ميمونة واقدم أنت به اليها وقبل الركاب فلعل الملك الوهاب أن يهديها الى الايمان وتقول كلمة التوحيد وتبقى لنا ركنا وثيقا اذا هى أسلمت وصارت من حزب الرحمن وتفوز بالصلاح والفلاح والرشد والنجاح وقد ذكرت لى أن عسكر مدينة القسطنطونية الذى قد ملا الفضا وسد المستوى اذا أنا سرت معك فعلى ثلثه وأنت وأمك الثلثان (قال) فكتب أبو محمد كتابا على لسان الامير يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الوهاب الحزين فى طول الزمان والسنين الى الذى قد ضربته بسيف الهجران المتأسف على زمان كان وهو معترف بالخطأ الذى قد سلف وقد كثرت منه الاشواق والتلف وهو محترق بنار الاسف ثم انه ضمنه هذه الابيات يقول :

أيا من لها فعل جميل وعطفة ... وجود وإحسان وفضل بيان
عليك سلام من محب متيم ... يبات يراعى النجم بالهجران
فعودى الى عهد الرضى واغفرى له ... فمثلك من يمحى الذنوب باحسان

(قال الراوى) يا ساده ياكرام وأخذ الامير أبو محمد الكتاب وتجهز ومعه غلمانه للمسير وقد أقبل على الامير عبد الوهاب وقال اعلم يا أمير أنى مخاطر بنفسى

لانها قتلت الامير مالك بن بشر وما كان سبب قتله إلا عقبه وأنا لا أرحل اليها حتى آخذ منها الامان فقال له الامير لا عدمتك من مساعد ونصير ثم سار الامير أبو محمد فلما قرب منهم نظر اليه عقبه وهو فوق الصور وتحقق أبو محمد وغلمانه وقد أقبل نحو الملكة ميمونة فقال هذا الميشوم قد أقبل والساعه يلعب بعقلها ويخامر لبها وههنا يصلبونى بكعبي ثم نادى برفيع من صوته أيتها الملكة احفظى روحك من هذا الوارد عليك فانه مخرب البلاد والدمن وصاحب الافعال والفتن (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها رفع الأمير أبو محمد رأسه اليه وقال له دع عنك يا قاضى الدعابة فما أتيت إلا فى طلب المصالحة لنا ولك والملكة ميمونة وكانت ميمونة لما نزلت من حصنها قد ضربت لها نوبتيه مقابل عسكر الامير عبد الوهاب ولم تعزم على مباشرة القتال حتى تعلم ما كان منهم وماكانت الا ساعة حتى وصل الامير أبو محمد البطال اليها وسلم عليها وقال لها نعمتى صباحا ولقيتى خيرا ونجاحا أيتها الملكه الذى قد شاع ذكرها فى البلاد بالشرف الشامخ والمجد البازخ والكرم الزائد والفضل المتزايد حتى وجب على كل ذى لب ودين أن يقصد اليها ثم أنشد يقول :

أميمونة زال الصدود مع الهجر ... فعودى الى عهد الوصال مع الستر
ولا تهجرين السيد الماجد الذى ... له عرف يبدو على البدو والحضر
كريم وفى ماجد ذو حمية ... تزيد عطاياه على عدد القطر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم ناداها أيتها الملكه قال الله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ وكنا قد أرسلنا اليك رجلا بالامس من أصحابنا من أهل القوة والشجاعة والفروسية والبراعه حليف المحراب قوام الليل بين يدى الملك الوهاب كثير البكا والانتحاب من خوف العقاب يوم المآب فقتلتيه وهذا شيء لا يفعله أحد من قبلك ولا سمع الا منك فى البر والفدفد وأنا قد جئت اليك مخاطر بروحى إلا أننى واثق بجميل ظرفك وطيب عنصرك وهذا كتاب الامير عبد الوهاب اليك فان أجبت بالاحسان فلرنى الشكر والامتنان وهو المعهود منه بالاحسان وان كان غير ذلك فأنا أرجع اليه وأعيد القصة عليه وأنا أعلم أنه يموت أسفا ويعض أنامله لهفا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت ميمونة ذلك من البطال وقع فى أذنها حلاوة منطقه وقالت للسودان بالحبشية ارفعوا قدر هذا الرجل وعلوا مكانه وقولوا له يجلس على السرير وحدثوه أن ما فعلت ذلك بالرجل الكلابى الا بمشورة القاضى عقبة لانه زعم أنه سحار يسحر بنات الملوك وحذرنى منه فدفعت شره عنى ومكره وما قتلته حتى تقلد عقبه بدمه وقال انه

فى رقبته (ياساده) فلما سمع أبو محمد ذلك من كلامها أشار اليها وخاطبها بلغتها وقال صدقت أيتها الملكة فعظم فى عينها ثم انه دفع اليها الكتاب فلما فهمت ما فيه من الخطاب أقبلت على أبو محمد وقالت له ياهذا والله لقد أعجبنى حسن كلامك وجودة أنغامك وأنا لا أكون له قرينة أبدا ولو انطبقت الخضراء على الغبراء بل اجعل لقدومك على حق وذلك انى أجود عليكم بأنفسكم فارحلوا من مواضعكم ولا أتبعكم أنا ولا أحد من أصحابى فقال أبو محمد وقد أيس من إجابتها أنا راجع من وقتى وساعتى الى قومى وأقص عليهم هذه القصة وأنا أعلم انهم لا يرحلون إلا بسفك الدماء فقالت ميمونة اعلم أنى الى ذلك أشهى من الظمآن الى الماء البارد وقتل صاحبكم أشهى من الحديث معه ساعة واحدة (قال الراوى) ياساده يا كرام فرجع البطال الى الأمير عبد الوهاب فى الحال وأعاد عليه المقال فكاد قلب الأمير أن يطير من شدة ما لحقه من الغيظ والحنق فلما سمعت الاميره ذلك وقد عاينت ولدها على تلك الحالة قالت وما الذى أذهب الخشية من قلبها حتى تخاطب ولدى فى قول الزور والخبث والمكر الذى معها ونطقت بمثل هذا الكلام وسوف آخذها بيدى غصبا وعنفا وليس لهذه الفاجرة إلا السيف والآن إذا كان فى رأس الأحمق خلط ما يداوى إلا بالصفع ثم انها وثبت الى جوادها وركبته وتصايحت بنى كلاب وركبوا الخيول العراب والجنائب وجردوا القواضب وركبت ميمونة فى السودان كأنها الجان وقد كشفوا الرؤوس وكذلك فعلت السودان وأبو الهزاهز والهدلموس فأعجب عقبة ذلك وقال هذا هو الرأى السديد وإلا لو جرى بينهم صلح ما كان يقع إلا علىّ أنا (ياساده) واصطفت العسكرين وتقابل الجيشين ولم تصبر السودان دون أن حملت على الأمير عبد الوهاب وعملت الصوارم فى الجماجم وفتكوا غلمانها فى عسكر الامير عبد الوهاب حتى ردوهم الى الخيام وعمل الصارم وقلق الهام وهشمت العظام وصبرت الكرام وولت الكفرة اللئام وعضت الخيل على لجمها وقطعت من شدة الجرى حزمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها ولم يزل السيف يعمل الى أن أقبل الليل بغياهبه وولى النهار بكتائبه فأضرمت النيران وتحارس الفريقان الى أن أصبح الصباح وكان عقبة على مقالى النار يقوم ويقعد وهو كأنه مقبوض عليه فى صورة مطلوق لأنه كان فى الحصن والباب عليه مغلوق وانه أرسل الى ميمونة يطلب النزول حتى يدبر أمر القتال ويشير بحسن الفعال فقالت مالنا ياهذا حاجة بربك نحن ندبر أمرنا بأنفسنا وأنت

لاتبرح من هـــذا المكان فان كان الظفر لنا فهو المراد وإن كانت علينا فدينا أنفسنا بك لأنهم ما جاءوا إلا بسببك (ياساده) فلما سمع عقبة ذلك انفطرت مرارته وزادت حسرته وقال ما كنت أستاهل من هذه الملعونة المقطوعة النخاع إلا هذا الكلام وأنا أعلم أن آخر أمرها تسلمنى اليهم ثم بات فى أيشم ليلة (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان منه . وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه لما أصبح الصباح ركب وركبت الاميره ذات الهمه وظالم وقد أقسم على نفسه أنه لايصطلى الحرب ذلك النهار إلا هو بنفسه وقال لقد عظمتم أمر هؤلاء السودان وسوف ترون ما يكون الأمر منى ومنها ثم انه خرج الى مقام الحرب على جواد سابق طويل شاهق وبيده حسام بارق ونادى : هل من مبارز هل من مناجز ودنا يروم ملاقاة الرجال وقال لايغرها ظفرها بالأمير لأن الامير يكره قتال من أحسن اليه فدونك اليوم والقتال فلما سمعت ميمونة ذلك ضحكت فبان بياض أسنانها وقالت هذا شاب قليل المحصول ثم صاحت فى جوادها وخرجت الى ظالم فلم تكن إلاساعة حتى وصلت اليه وقد حمل عليها وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

وليس كمن لاقاك فى الحرب مثلنا ... لأنك حقاً من ذوات الكواعب

دعى الحرب والهيجاء تلقين فرحة ... وسعد وتوفيقا على كل واجب

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ميمونة ذلك فلم تجاوبه ولم تمهله دون أن مدكل واحد منهما القناة على صاحبه وقد أعجب ميمونة سرعة انعطافه وجودة قتاله فقالت له لقد كنت مشفقة عليك حتى علمت أنك ولد الذى لايثمر معه الجميل بعد أن قتلت أبى من أجله وكان أملى قد تمسك به الى أن ظهر لى ماأملته وأنا أقسم بالله لابد لى من قتله على كل حال ثم انهما تطاعنا طعناً أحر من الجمر وأمر من الصبر وفى سرعة جريانها قرعت رأس الاميرظالم وقالت له خذها ولو أرادت غيرذلك كانت فى محاجر عينيك فلما قالت ذلك لم يسمع منها ويرجع عن القتال بل طلب القتال وسرعة النزال فجالت عليه وأدارت وصدمت بعقبة حاجبه وقالت خذها ولو أردت أن أعدمك نفسك لفعلت وان عدت الى مثلها ندمت فلم يسمع لها ظالم فجالت عليه الثالثة وتضاربا وتقابضا على السرجين وتصادما على الفرسين فجذبته ميمونة من سرجه وسلمته الى السودان وقالت لهم خذوه وعذبوه وبالمال الى أهله بيعوه (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندها تسلموه السودان وسلبوه الثياب وضربوه ضرباً وجيعا وناداهم عقبة اقتلوه ولكم على من المال كل ماتريدون فلما سمعت الاميره ذلك صاحت بجوادها

فخرج كالبرق الخاطف فلما رأتها ميمونة عرفتها أنها (الغسق) والنوبة الماضية فصاح عقبة بملء رأسه : أيتها الملكة هذه التى خرجت اليكى هى المسكر كله وانها إذا قتلت انكسرت هذه المواكب وانقلبت هذه الكتائب فعندها نادته الاميره ذات الهمه بأعلى صوتها : ياملعون سوف ترى العجب وما يكون فقال عقبة ياميمونة دونك والهياج وادخلى معها معترك العجاج فعندها رجعت الاميره الى طبعها وأنشدت تقول :

أميمونة ما على من قال انى ... همام يكنى بالشجاعة والفضل
ألا إنما الانسان يفضل فى الوغى ... بطعن القنا والضرب بالبيض والنصل
رويدك فقد لاقيت لبوة غابة ... معودة طعن السباع عن الشبل
ستلقى عجوزا لا تمل من اللقا ... إذا وقفت كل الورى خشية القتل
أنا بنت مظلوم الذى شاع ذكرها ... أبيد ليوث الحرب فى موقف القتل

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم التقت الاميره ذات الهمة وميمونة فى المعركة حتى أشرفا على حياض الموت وقد أخذا ميمنة وميسرة وكانا تارة فى القلب وتارة يغيبان عن الأبصار وتارة يلتحمان وتارة يفترقان وتارة يلتقيان وتارة يقفان وكل واحد ينظر الى صاحبه شزار ويرمقه حذار طول النهار الى وقت العصر وقد لقيت الاميره ذات الهمه منها الهول المهول فتطاعنا بالرماح حتى تقصفت وتضاربا بالصفاح حتى تثلمت ولم يبق فى أيديهما غير المقابض فألقياهما من أيديهما وتقابضا على الجوادين وتعاركا على الفرسين الى أن سقطا كلا منهما الى الارض وكان الوقت وقت الغروب ونادوا الناس بالانفصال وانفصلوا ولو وزنت كل واحدة منهن على رفيقتها لما رجحت وأن ميمونة أيست من القدرة على الاميرة ذات الهمة فلما كان ثانى يوم خرجوا الى القتال والحرب والنزال فجرى بينهما أعظم مما جرى فى اليوم الاول وأشد هول ولما زاد بميمونة الأمر وقفت ورفعت كفها ولطمت الأميره حتى تهين منزلتها فلم تبال الاميره بلطمتها بل لطمتها جوابها واذا أعلى مافى ميمونة رجليها وألقت الاميره نفسها عليها ودارتها كتاف هذا والنيران تعمل بين الفريقين وعملت السودان وبنو كلاب وتصادم الجمعان وعمل الصارم اليمان وصالت الشجعان وفر كل جبان الى أن أصبح الصباح وكانت ميمونة قد قطعت الكتاف وتعاركت هى والاميره ذات الهمة أكثر الليل ولم يعلم بهم إلا الامير أبو الهزاهز فانه ترجل اليهم وحمل رجلين ميمونة من الارض وخرجوا بها الاثنين الى أن وصلوا الى الخيام ورجعت

العسكرين ورجعت كل طائفة الى مكانها وأن الاميرة ذات الهمه أحضرت ميمونة وقالت لها اعلمى اننى قد عولت على قتلك إن لم تسلمى الينا الملعون عقبة فلما سمعت ميمونة ذلك وكان قد ألقى الله محبة الاميره فى قلبها وعجبت من فعلها وحسن قتالها فقالت أيتها الأميرة ما أحوجك الى هذا وأنا أسلم إليك الحصن وكل مافيه والقاضى عقبة وغلمانى الخمسة آلاف وأسير معكم الى بلادكم إن كان الله عزّ وجل يغفر لى تلك الأيمان التى قد حلفتها أو أجد من يفتينى بها والآن زوجينى بالأمير عبد الوهاب فما بقى لى صبر عنك ففرحت الأميره ذات الهمه والامير عبد الوهاب وأبو الهزاهز وبنى كلاب وصاروا يطلبون الحصن ليأخذوا القاضى عقبة ويقعوا به كل نكبة وقالت ميمونة للأميره ذات الهمه : عفى الله عما سلف الآن زوجينى بالأمير عبدالوهاب وأنا أكفر عن هذه الأيمان التى حلفتها وأدخلينى عليه الليلة فقال أبو الحجاش هذا هو العجب كذا بالعجله فقالت الاميره على قد مراد الامير عبد الوهاب ثم ساروا طالبين الحصن وبنو كلاب جردوا سيوفهم وأطلقوا الامير ظالم فجرد سيفه مع القوم ودخلوا الى الحصن فوجدوا فيه من الأموال مالا عين رأت ولا أذن سمعت وطلبوا القاضى عقبة فما وجدوه ولا وقعوا له على أثر فعظم ذلك على الأمير عبد الوهاب وكبر لديه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملعون عقبه لما نظر الى الاميره ذات الهمه وقد رجحت على الملكة ميمونة لأنه لعنه الله كان أعرف الخلق بملاقاة الأبطال والشجعان وجعل يزن الأميرة وميمونة فى ذلك اليوم فوجدهما كفؤا حتى إذا كان فى اليوم الثانى بان له من الملكة ميمونة التقصير فعلم انهم يملكونه ويكون حتفه فى ذلك المكان فأقبل على عبد يقال له (الطمطمان) وقال له ماعندك من الرأى فقال ما تراه فقال قد عولت على المسير الى بلاد اليمن وأتسبب حتى أسمع أخبار ملك الروم وأعمل على هلاك المسلمين ثم انه أوعد العبد بالمال الجزيل فدلاه من الأصوار وأخذه وسار يقطع البرارى والقفار ويجد فى السير ليلا ونهار (ياساده يا كرام) فهذا ما كان من الملعون عقبه وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه فتش على عقبه فلم يجده فلما أيس منه بكى وكذلك الاميره ذات الهمه فلما نظرت ميمونه الى ذلك قالت والله انى متعجبة من فعالكم مع هذا الشيخ وكيف نالكم منه هذا الأمر وما أراه إلا شيخ ضعيف وعليه آثار الدين وشيم الصالحين فقالت الاميره ذات الهمه لا والله ياميمونه ثم جعلت تحدثها بما هو عليه من الخبث واللعنه فقالت ميمونة إنى متعجبة من خروجه من هذا الحصن ثم افتقدت الاصوار فوجدت الحبال معلقة وافتقدت

الرجال فوجدت قد فقد منهم العبد الطمطهان فقالت ذهب وقد أفسد على رجل من الابطال ثم انها أرسلت خلفه شرقا وغربا وقام الامير عبد الوهاب لما صح عنده هروب عقبه فتأسف عليه كيف هرب فقال أبو محمد للأمير عبد الوهاب أنت تعلم أن العراق متشوش والروم قد ظهرت وأن العساكر معوقة وخراسان طرقها مسدودة بالثلوج حتى يخرج الى لقاء ملك الروم وأنت فما كان أمرك مع المأمون طيب والرأى انك تقيم حتى ننظر مايكون من الأخبار وأما أنا فلابد لى أن أفتش وأتبع هذا الملعون فما أقول إلا انه قصد الى بلاد اليمن وأنا أعرف المكان الذى هم فيه وقد وهبت نفسى لله تعالى إما أن أهلك بسببه وإما أن أظفر به فما بقى فى عمرى قدر مامضى وأنا أقسم بالذى خلق السموات من دخان والبحر خلقه من النيران لابدلى من عقبة القرنان ولا رجعت إلا وهو معى ولو هلكت بسببه دون طلبي فعليك سلامى كلما حن الغريب إلى الأوطان وترنم طائر على الأغصان فبكى الاميرعبد الوهاب وقال والله ياأبا محمد مامنا إلا قد احترق كبده وان فاتنا بعد هذه الامور وهذه الاحوال فمانحن إلا رجال بأقل من هذا تنفطر المرائر ويعود العقل حائر (قال الراوى) وأن الاميرأبومحمد أخذ غلمانه وسار يقطع البرارى والقفار ثلاثة أيام ليلا ونهار وهو يلقى رسل ميمونه ويسألهم هل معهم منه خبر أو وقعوا له على جلية أثر فقالوا غلمان الامير أبومحمد يامولانا لو أن عقبة سلك هذه الارض كان خبره قد ظهر فارجع بنا فقال هيهات أن يكون ذلك أبدا ماطرق طارق الليل والنهار ولو ركبت البحار ودرت القفار وسار يقطع الارض حتى دخل الى بلاد اليمن وفتشها فلم يجده وسار الى زبيده وسأل عنه فقيل له مارأينا إلاشيخ وصل الى هنا ومعه واحد أسود كأنه بعيروسارمن ههنا الى جده فسار أبو محمدخلفه وسأل عنه فما وقع له على خبر (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان الملعون عقبه لما دخل الى جده أخفى أمره وقعد فيها ثلاثة أيام وأقلع منها الى عبدان وكان له فيها مقارض نصرانى وكان اسمه توما وكان يخبر مصر والصعيد فنزل عنده وقد أكرم الطمطهان ذلك اليوم غاية الإكرام وقال له بات الليلة عندى وأعطيك خمسة آلاف دينار تمضى بها أين شئت ثم ان عقبة خلا بتوما النصرانى وقال له اعلم أنى قد عولت على قتل هذا العبد فقال له توما ياقاضى لاتقطع المودة والمعروف وانه قد خاطر بنفسه من أجلك وكان السبب فى خلاصك ولولا هو مابقيت أنت وانك قد أخبرتنى عنه بما فعل معك فقال له عقبة هذا أمرقد عرفته ومايخفى على ذلك ولكن دعنى أقتله فإن قتله عندى صواب من وجوه شتى أحدها أنه من أمة محمدبن عبدالله والثانى فإنه إن رجع إلى

البلاد فانى لا آمن أن يكشف خبرى وأنا أريد أن أكون ها هنا حتى اكشف أخبار الروم لأننى قد سمعت ان الملك ميخائيل قد سار فى عساكر بعدد النجوم الى عساكر الاسلام ثم أنه صبر حتى اختلط الظلام وتعشا الطمطمان وقام فوثب اليه أسرع من البرق ووضع الخنجر على نحره وذبحه من أذنه إلى أذنه وقال الآن طاب قلبي إلا اننى أريد من يحمل كتابى الى ملك الروم فقال له توما اكتب يامولاى وأنا أرسله مع بعض غلمانى حتى يوصله اليه فعندها كتب عقبه بما جرى له وسيره مع غلام توما وأقام ينتظر ما يكون من أخبار الروم فوقع فى مرض حتى أشرف منه على الموت ثم أنه ادخل عليه توما الأطباء وجلب اليه الادوية من بلاد مصر فجعل كلما شرب دواء ازداد ضعفا وزاد به البلا وطال به المرض نحو ثمانية شهور (قال الروى) فهذا ما كان منه وأما أبو محمد البطال فانه مضى إلى مكة والمدينة وطاف تلك الأرض فما سمع له خبر ولا وقع له على أثر فكادت مرارته تنفطر واقبل على غلمانه وقال لهم والله لقد فرطنا فى أمر عقبه وما وصل الى هنا وما هو الا فى عبدان حتى يتوصل إلى أرض الشام ويدخل بلاد الروم وأخاف أن يفوتنا وأنا لا أزال فى طلبه إلا أن أهلك بسببه ثم ان أبو محمد بعد كلامه اقلع إلى عبدان وتغير عليه الهوى فى لجج البحر وأقام فى البحر شهر وقصد هو وغلمانه إلى بعض الخانات ونزل بها واقبل على غلامه لؤلؤ وقال له اخرج الساعه واقصد السوق الذى يباع فيه الثياب واسأل عن توما النصرانى فانا أعرفه وهو من أصحاب عقبه وان كان الملعون وصل إلى هنا فما هو إلا عنده فلما سمع لؤلؤ كلام أبو محمد خرج من عنده وقصد الى السوق الذى فيه البحار وسأل عن توما فأرشدوه اليه فوقف من بعيد ينظر اليه فوجده يدق يد على يد وعنده جماعة يتغممون له فقال لؤلؤ لبعض الناس الذين انصرفوا من عنده يا مولاى ما بال الشيخ توما عليه آثار الحزن فقال اعلم أنه قد أتى اليه رجل غريب نزل عنده واسمه القاضى عقبه وقد اشتد به مرض وله من يزم ما مرض الى الآن اثنى عشر شهرا وهو راقد ضعيف ولا يجد له طبيب يعلم هذا المرض الذى نزل به ويأخذ ما يشاء من الأموال فقال لؤلؤ الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء ثم رجع لؤلؤ من وقته وساعته إلى الخان الذى فيه البطال وغلمانه وهو يضحك فقال له أبو محمد ما هذا الضحك يالؤلؤ ونحن فى هذا الضيق والضر فقال له يامولاى فرج الله عنا وعنك ثم أعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها (قال الراوى) يا سادة ياكرام فسجد البطال شكرا لله وقال الحمد لله رب العالمين ثم أقبل على لؤلؤ وقال له انزل إلى السوق وأتينى بعمامة وثوب خام فنزل لؤلؤ وأتاه

بما طلب نخيط من الخام ثياب على صفة ثياب الأطباء وتعمم وركب له عوارض كبار وتختم من اليمين واليسار وحمل على كتفه خرج فيه عقاقير وخرج يتمشى فى السوق ولؤلؤ بين يديه يقول هذا طبيب الغرب جميعاً وكان مجاور فى مكة فلما سمع توما ذلك ادعا به اليه وقال يامولاى عندى مريض صفته كذا وكذا فقال له أبو محمد أنا ابرئه من ذلك المرض فى ثلاثة أيام ولكن قيل لى انك سقيته ادوية كثيرة ما كانت تصلح له وأنا أريد منك أن تحمله إلى الحمام وتخليه له ولايكن فيه غيرى وغلمانى ولا تعلم أحد واغلق الحمام علينا وعليه يوم وليلة ومن الغد ترى العجب وقد نزلت عليه العافيه فلما سمع توما ذلك من كلامه فرح ومضى إلى الحمامى ورغبه بأو فى أجره وأخلا له الحمام وجعل فيه الماورد وأطلق له العود والند وحمل عقبه إلى الحمام وهو فرحان بذلك وقال له توما قد جاك الفرج من عند المسيح على يد رجل مغربى ففرح عقبه بذلك (ياسادة) وأما البطال فانه اخذا شنان ودق عليه قزاز وقال يالؤلؤ أريد أهلك عقبه فى هذه النوبة ثم ان توما أرسل غلمانه الى البطال ويقول له أرسلنا مريضنا إلى الحمام كما رسمت وليس عنده أحد فافعل ما بدالك ولك عندى مائة دينار فقال أبو محمد للغلام أبشر أيها المولى ولم يزل يتقاعد حتى أتى وقت العشا ودخل الى الحمام واغلق بابها وانصرف توما وغلامه الذى أرسله إلى داره كما قال له أبو محمد ثم ان أبو محمد دخل على عقبه فلما نظره عقبه قال أعوذ بالمسيح من هذا الوجه القبيح لأن فيه مشابهة من البطال هذا وقد دنا منه وجلس عند رأسه ودخل لؤلؤ بعده فحقق فيه النظر فعرفه فاستوى جالسا وقال له يا قرنان متى صرت طبيباً قال من يوم أصابك المرض وأريد الليلة أخدمك حتى تزيد عليك علتك وتزداد مصيبتك فقال عقبه لاتفعل يا أبا محمد فأنا على آخر نفس (ياساده) فما أمهله من كلامه حتى مال عليه البطال وجعل يقشر قفاه بالقزاز والأشنان والدما يسيل وهو يصيح حتى غشى عليه وأقبل أبو محمد على لؤلؤ وقال له اخرج الى البحر لعل أن تجدلنا مركب توصلنا إلى بعض الأماكن فخرج لؤلؤ وغاب ساعة وعاد وقال يامولاى قد اكتريت لنا مركب فعندها خرج أبو محمد البطال وغلمانه ولف عقبه فى ايزاره ورفعوا رحلهم الى المركب فلما أصبحوا قال لهم الريس وقد نظر الى الشيخ عقبه وقال ما هذا الرجل منكم فقال البطال هو والدى وهو مريض وأرجو من الله له العافية ثم ساروا وأما توما فانه لما أصبح طلب عقبه والطبيب فما وجد لهم أثر ولاخبر فعظم وكبر لديه وعلم أنها حيلة قد تمت عليه فهذا ما كان من توما وأما ما كان من أبو محمد البطال فانه سار الى ساحل اليمين

وركب البر وصار يداوى عقبه الى أن عوفى ووجد الشفاء ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى حصن الملكة ميمونة وقال لبعض غلمانه أسبق اليهم وبشرهم فلما وصل الغلام وبشر الأمير عبد الوهاب فركب وكذلك ركبت الأميره ذات الهمه وكان يوما عظيما وركبت الملكة ميمونه أيضا وكان الأمير عبد الوهاب قد دخل بها وخرجت بين يديه فى خمسمائة أسود فلما وقعت عين عقبه عليها وهى الى جانب الأمير عبد الوهاب قال لها حمل الله عليكى لبغال أوما قد حلفتى وقلتى ان مالكى الى لزواج سبيل فضحك الأمير منه ومن قوة قلبه ولما سمعت الملكة ميمونة ذلك جردت سيفها وأرادت أن تضربه فقال لها الأمير عبد الوهاب على مهلكى حتى نعود إلى الحصن فرجعوا والأمير ظالم وسيف الجنيفية يتوقعون قتله وسائر الأمراء كذلك وقبلوا على الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة وقالوا أيتها الأميره ما بقى لنا صبر عن هذا الملعون إلى أن تصلبوه على باب مدينه القسطنطونية ونخاف أن يموت ولا ندرك له الوقت وقد طال فيه الأمر ومللنا من الصبر فلما قالوا ذلك الخطاب بقى الأمير عبد الوهاب حاير فى رد الجواب يقدم فى قتله ويؤخر ويشتهى تصديق رؤياه فى المنام وما قاله رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك قد شاع بين الأنام فأقبل عليه مالك بن طوق وقال له أيها الأمير الأجل الرفيع القدر والمحل والرأى عندى قتله فربما انك ما تقدر عليه مرة أخرى ثم ان مالك بن طوق بكى الى الأمير مالك بن بشر أشار يرثيه يقول

ألا أيها المولى الأمير الذى به فصول على الأعدا فى كل مشهد
دع المطل فى قتل اللعين فانه عدو لدين الهاشمى محمد
ولا تنس حقا لابن بشر وقتله وكان زكى الدين حقا موحد
وكم من قتيل قد ثوى من فعاله وكم من أسير قد ثوى تحت فدفد
سأبكى على ذاك المجاهد دائما بدمع يجرى فوق خد مورد

(قال الراوى) ولما أن سمع الامير عبد الوهاب شعر مالك بن طوق بكى وبكت المسلمين وقالوا والله لقد صدق مالك فيما قال فى حق مالك بن بشر وان له فعال تزيد على ماقال وما قتله الا هذا الملعون فقال الامير معاشر الناس خذوه واضربوه هذه الساعة الضرب الوجيع حتى نشتفى منه وبعد ذلك ضرموا له النار واحرقوه فيها وما كان قصدى وارادتى إلا اصلبه على باب الذهب كما أمرنى النبى المنتخب فعندها تواثبوا اليه وشدوا اليه يديه الى رجليه وضربوه حتى غمى عليه وقد جمعوا له الحطب واضرموا له النار ووقعت السودان حوله بالسيوف يطلبون قتله قبل دخوله إلى النار (ياساده)

وان عقبه أفاق من غشوته ونظر الى ما أعدوه لحضرته فصاح بأعلا صوته وا برداه على كبدى ولو لم يكن فى حرقى الا تكذيب قولكم إذ قال لكم نبيكم أصلب وأنا اليوم أحرق حتى تعلموا ان دين المسيح هو الصحيح لانى رأيته فى المنام وشكوت له أنكم تصلبونى على باب الذهب وذكرت له أن نبيكم قد وعدكم بذلك فقال لى لاتخف من ذلك فما يقدرون عليك ولايصلون اليك ولايصلبوك وهذا الكلام قاله لتبطيل قولكم فيما ذكرتموه ثم ان عقبه قال احفظوا عنى هذه الابيات

لقد بلغت روحى جميع مراديا ونلت الذى أهوى برغم الأعاديا
لتكذيب ما قلتوه من زور قولكم ونعتكمو من كاذبات الأمانيا
ولو صلبوتى موضع يوعدوننى لأبصرت جيش الروم فى القوم غاديا
وجالت عليهم صافنات سوابق وحكمت فيهن السيوف المواضيا
وما قتل مثلى ها هنا من غنيمة وقد عدمت ابطالنا وحماتيا
وليس كلاب يقدرون على الذى تمنوه من صلبى وصدق وناتيا
فدونكموا هـذا الذى تطلبونه فذلك الذى أملت قبل مماتيا

(قال الراوى) فلما فرغ عقبه من هـذه الابيات وسمعوا بنى كلاب والامير عبـد الوهاب هـذه الصفات كادت منهم الارواح أن تخرج من الاشباح حنقا مما احترقت الاكباد فقال لهم الامير عبد الوهاب وقد داخله حمية العرب وحق النبى المنتخب دعوه فلا بد لى من صلبه على باب الذهب فان المصطفى صادق لايـكذب ثم قال له ستنظر ما نريك طعنا فى بطارقة الروم حتى لايبقى لك من يحميك ونرفعك على باب الذهب وينفذ فيك حكم الله تعالى ثم ان ميمونة وضعت القيود فى رجليه وقالت أقسم بالله تعالى لو لم يكن هنالك الا أنا وغلمانى ولو كانوا الروم فى عدد النجوم لابد من صلبك فضحك عقبه وقال صدقتى يا عاشقة ونسيتى تلك الايمان والعهود السابقة واشتغلتى بهذا الأسود الزنيم بن مرزوق وهو اليق بك من أن تصلبى رجل من أوتاد الارض وشيخ من شيوخ المـلة المسيحية فعظم ذلك عليها وكبر لديها وأرادت أن تضربه ضربة تورثه بها النـكبة فقال لها الامير عبد الوهاب دعيه فما قصده الا قتله على هذه الصفة فلا تعطيه مناه (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان الاميره أقبلت على الامير عبد الوهاب وقالت له اننا قد طال بنا المطال فى هذه الديار ونسوان بنى كلاب فى آمد وكذلك أهلك وان الروم قد خرجوا فى عساكر قد ملأت الخافقين

وما نعلم ما كان منهم فقال أبو محمد معلوم أن آمد ما يقدرون عليها وبعد ذلك دع يفعلون بالمأمون ما أرادوا فما بقى بيننا وبينه معاملة فقال الأمير لا والله يا أبا محمد ما بقى غير الرحيل ثم انهم أخذوا فى أهبة التحويل وحملت الملكه ميمونه أموالها وأثقالها وحمل معها من عسكرها خمسة آلاف سودان أبطال أقيال وعقبة يعاين ذلك وقد انفطرت مرارته ودامت حسرته (قال الراوى) ورحل الأمير عبد الوهاب وجدوا فى المسير حتى وصلوا الى وادى الظبا وإذا بغبار بين أيديهم طالع وقتار لامع فقالت الأميره ذات الهمة هذه غبرة جيش أو وحش فابصروا من يكشف لنا الخبر فقالت ميمونة أنا أكشف الخبر فقال لها الأمير عبد الوهاب انت لغير هذا الأمر فقالت والله لا يكشف هذا الخبر غيرى فقال الأمير ما نأمن عليك أن يكون هذا عسكر غائر فقالت أيها الأمير أنا أخبر الناس بهذه الديار وهذه الأرض فاسأل غلمانى فأنا طول زمانى أخوض الليل وحدى ولا يغرنك أنى وقعت الى الأرض لما تصارعت أنا والأميره ذات الهمه وانما رجلى وقعت فى نقره فى الأرض وقد حسبت أنها انحلت منى وقد أعلمت الأميره بذلك وهى تشهد لى وقد رجعت وقطعت الكتاف وعاركتها ولولا أبو محمد هذا مسك رجلى لما قدرت على ولابد لى مما أكشف هذا الغبار بروحى فلا تغير على عادتى فقال لها دونك وما اخترت فعند ذلك صاحت بجوادها فخرج من تحتها كأنه البرق الخاطف والسحاب الواكف وهى على متنه كأنها قد خلقت منه مثل العامود الرصاص فضحكت الاميره ذات الهمه لما ولت فقال لها الاميرما هذا الضحك أيتها الاميره فقالت له عجباً أيها الامير والله كل ما قالت لك هو صحيح وقد أعانى الله عليها ولما وقعت رجلها فى مكان البربوع وما رأيت مثلها فى الشجاعة والبراعة فقال الامير هو كذلك ولقد رأيت منها أمراً عظيما (يا ساده) وإن الملكه ميمونة خرجت مثل النجم الثاقب أو الكوكب الصايب حتى وصلت الى تلك الغبره ودخلت فيها فاذا هى بمائة فارس مثل الليوث العوابس فى السلاح الشاك وفى أوائلهم فارس عظيم المنظر هائل المخبر كانه البعير وله زمجرة وهدير وان ميمونة قد صاحت بهم واعترضتهم فى طريقهم ونادت من أين أنتم قادمين والى أين أنتم سائرين أسرعوا بالجواب وإلا ضربت رقابكم وصببت عليكم العذاب فلما سمعوا ذلك من كلامها بهتوا وصاح بهم المقدم عليهم وقال لهم خذوا هذا الرجل الذى خلقه عليه نازل فعندها حملت عليها الخيل كأنها قطع الليل فحملت فى أواسطهم وجالت فى أعراضهم ثم طعنت فارس بعقب الرمح فوقع وكذلك ثانى وثالث ورابع وخامس الى أن أرمت من القوم خمسة وعشرون

رجلا (قال الراوى) فعند ذلك عطف عليها العبد المقدم ذكره على القوم وقدعلمت أنه أشجعهم وأقواهم فحمل عليها حملة صادقة والتقيا وتضاربا وأبصرت منه فارس عديد شديد البأس ثابت الأساس فقاتلته ساعة ثم عطفت عليهم وصارت تطعنهم بعقب الرمح ترميهم الى الارض فقال واحد منهم الحمد لله الذى ألهم هذا الفارس أن يطعننا بعقب الرمح وإلا فما كان يبقى منا أحد ثم أنها أشارت الى المقدم عليهم انها تطعنه وأدارت الرمح أسرع من البرق البارق وطعنته بعقب الرمح فى صدره أرمته على ظهره (يا ساده) ولم تزل حتىأرمت من القوم تمام الأربعين فعند ذلك استسلموا الباقين فأمرتهم أن يكتفوا بعضهم بعضا ففعلوا ذلك وتركت منهم خمسة يسوقوا الخيل هذا والامير عبد الوهاب قد ابطت عليه الملكة ميمونة وخاف عليها من تلك الغبره فركض فى طلبها وركضوا معه الفرسان (قال الراوى) وظهرت الملكة ميمونة والرجال بين يديها فقال الامير عبد الوهاب لله درها فما أرفع قدرها وما أعظم أمرها ولابد لها أن تجاهد فى سبيل الله وتظهر كلمة الحق ومقال الصدق (قال الراوى) ووصلوا اليهم ومد الأمير عبد الوهاب عينيه وإذا فى أوائل الناس فارس مكتوف ورأسه مكشوف وإذا به الشيخ أبو يخلف ونظر الى المقدم عليهم وإذا هو ميمون الجماس ثم عرف الباقون وإذا بهم أبطال بنى كلاب فتغير وجهه وطار عقله ورشده وقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم نظر إلى عمه مدركه وأخوه عبد الله وبرد بن الازهر وكان قد تخلف فى آمد لمرض كان قد لحقه وخيولهم قد انطوت من كثرة السير وفى ركابهم ضفاير البنات وشعور المخدرات وفى أيديهم الجراحات وعليهم ثياب الآفات من الجوع والسهر وقد غير حالهم التعب وقد أذهب حركاتهم وعلاهم الذل والانكسار لما أسرتهم وهى لا تدرى من هم القوم فرجع عليها الامير بالعتب واللوم وقال لها ما شاء الله كان والله ما وصلوا هؤلاء الى هنا الا وقد ملكت الحريم والصبيان واحتووا الروم على ذلك المكان ونادى أطلقوهم فأطلقوهم ونظر أبو يخلف الى الامير عبد الوهاب وأصحابه فعرفهم فطاب قلبه وقوى عزمه وشال التراب على رأسه وصار ينادى وهو يقول والإسلاماه واديناه واستى شمساه (قال) فضحك الأمير والأميرة من وسط الغيظ ثم قال الامير عبد الوهاب هذا رجل مجنون ثم انه أقبل على ميمون الجماس وقال له ما وراك ومن بشره رماك فقد فطرتم فؤادى وعدم رشادى فعند ذلك بكى ميمون الجماس وجعل يكفكف عبرته وينشد :

ألا يا أمير المؤمنين أتيتكم ... وقد ذبح الاطفال بعد الحرائر
وأصبحت الاطلال للشرك مرتعاً ... وقد قتل الولدان والعقل حائر
وقد هدمت بغداد من بعد عزها ... وقد رقت الاعلاج فوق المنابر
وجالت خيول الروم فى وسط آمد ... ولم يبق إلا كافر وابن كافر
نعم وكذا المأمون فى وسط عزه ... يروم اجتماعا بعد كسى العشائر
ولو نظرت عيناك كل مدينة ... واهلوها يبكوا لوقع البواتر
وقد ذكروا أيامك البيض سالفاً ... وظنوك تحت التراب جوا المقابر
ولو علموا منك الحياة لبادروا ... اليك ونادوا يا مصون الحرائر
فبادر الى الاسلام قبل هلاكهم ... فأنت الذى ترجى لدفع الكبائر

(قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الانشاد ارمى نفسه من على ظهر الجواد وحثا التراب على رأسه ونادى وا إسلاماه وتصايحوا بنى كلاب وا أولاداه وا أهلاه ثم بعد ساعه هديت الزعقات وبعد ذلك أقبل الامير على السادات وقال لهم دعوا ما فات وجدوا فيما هو آت فقال عقبه وهو يسمع هذه القصة والبليه يعز على أيتها الاميره ما هذا الذى قد نزل بكم وما بقى فى هذا اختيار وحق المسيح لقد صعب على إذ لم أكن حاضرها فقالت له ميمونة والاميره وماذا كنت تعمل يا قاضى فقال لهم كنت أسلم نساء بنى كلاب كل واحدة الى ثلثمائة علج وأقل لهم اصلبوا هؤلاء الاقمار كما أردتم أن تصلبونى وتحرقونى بالنار فعلمت الاميره انه يريد الفحش والكياد فقالت لعنك الله يا شيخ السوء لو قبلوا منى لأنجزوا وعد الله فيك هذا وان الامير عبد الوهاب قال لميمون الجماس دع عنك هذا النظم والشعر وأخبرنى بجلية الحال فقال ميمون يا مولاى أخبرك بأن ملك الروم وصل الى ملطيه فى عساكر ضاقت بها البرارى والقفار والاودية والاوعار أولهم فى ملطيه وآخرهم فى القسطنطونيه وان الامير عمرو بن عبيد الله كاتب المأمون فما وصل عسكره الى نصيبين حتى أخذت ملطيه ووصل الينا ملك يقال له قراقونا بن منويل من ملوك الجزاير ماولد مثله فى النصرانية فى شجاعته وبراعته وقد ذلت له كل دولة ورأينا منه من القوة والصولة ما لم نراه من الملوك الاوائل وانه يا مولاى قد نزل علينا فى أربعمائة ألف فارس وهم أقوام مثل النخيل الطوال فعملوا أبراج من الخشب حتى ارتفعوا عن صور آمد وأكثر من ذلك ولم يكن فى البلد من يحميه فأخذوه وملكوه بكل ما فيه فعند ذلك دق الامير يدا على يد وقال له كيف سلمت أنت فقال لم أكن فى آمد حاضر يا مولاى لاننى صح

عندى أخذ ملطيه فخرجت أطلب الاكراد من الأزقاق وأجلبهم من الآفاق حتى صرت فى عشرة آلاف ورجعت وأنا طيب القلب لكون معى قوم يحفظون البلد من داخله فوجدته قدأخذ فتفرقوا عند ذلك الأكراد وطلبوا الجبال وتركوا البلدفطلبت عند ذلك عسكر المأمون إذ لم يبق لنا سنداً غيره وحرضته على خلاص البلد ممن أخذها وأن ميخائيل سار الى المأمون والتقاه فكسره بعد ثلاثة أيام من القتال وبلى بما لاطاقة له به من كثرة العدد وتزايد المدد فانهزم وتبعته الخلق فكان أولهم على نهر عيدى وآخرهم على باب آمد وملطيه وأخذت البلاد بالكليه (ياساده ياكرام) وأن الامير عبد الوهاب لما سمع ذلك قال له ثم ماذا قال ثم ان العراق حفل كل من فيه وتفرقوا شرقا وغربا والمأمون أخذ أولاده وقد رحل الى بلاد العجم وطلبت زبيدة النجاة لروحها فلقيها مركب من مراكب عقربونا فأخذوها وكل من كان معها والأموال وحصلت فى آمد وجلس ميخائيل موضع المأمون وقد قسم العسكر نصفين وعمد الى النصف الواحد وقال لهم أريدكم أن تمضون الى الحجاز واطلبوا ذات الهمه وبنى كلاب وادخلوا الى مكة واتركوها إذا عبر بها العابر لايعرف إن كان فى تلك الأرض عمران والنصف الآخر أرسلهم الى غزة فى طلب المأمون وقدكف الأذية عن الناس وقال أنا الملك ولا أخرب الديار وقد بقيت الدنيا من باب آمد الى القسطنطونيه اليه سوق واحد ثم اننا نحن دخلنا البريه على اننا ندرك الاميره ذات الهمه ونبصر ما كان منها وكأنك بالعساكر الذين خلفنا طالبة مكة وقد وصلت فخذوا أهبتكم فإنها واردة عليكم فى اليوم أو غدا ومعه العرب المتنصرة أربعين ألف وملك الأرض والأثقال والجمال والبغال فقال الأمير لما أن سمع هذا الكلام الله بين المسلمين وبين المأمون الذى فعل ما فعل حتى خلت الدنيا للروم فقالت الاميره ذات الهمه الله بيننا وبين عقبه لأنه يلعب بعقول أهل الأرض وماهذا الملعون إلا إبليس لايهتدى لفعاله وقبح أعماله وأن عذر المأمون عندى واضح ثم انهم ساروا ثلاثة أيام أخر سير الرفق حتى لا تتعب الخيل وكان جملة جريدتهم خمسة وخمسون ألف فارس فلما كان فى اليوم الرابع لاح لهم غبار حتى سد الاقطار وأظلم النهار وظهرت رايات الكفار (قال) فلما نظرت ميمونة الى ذلك أمرت بضرب بوقات السودان الذين معها وانقلبت عيونهم وظهر جنونهم وقالت لهم سيروا بنا اليهم قدام جيش الأميرعبد الوهاب حتى يروا منا العجب العجاب (قال الراوى) ياساده ياكرام ولاحت لهم الصلبان وعرفت الاميره ذات الهمه أنهم الكفرة الفجار وكذلك الامير

عبد الوهاب فأقبل عند ذلك على أصحابه وقال لهم بفصيح خطابه اعلموا بارك الله فيكم ان هذا العدو قد وصل وكأنكم به عليكم قد حمل وهو على نية السير إلى مكة والبدرة لمن بدر والغلبة لمن اشتهر وما يلقى الرجال إلا كل ليث غضنفر وكل شجاع قسور فحاموا عن دينكم فعند ذلك بربرت السودان وزمجرت الحبشان وأخذت الأهبة للقاء الأقران والحرب والقتال فى طاعة الملك المتعال الواحد الأحد المنان الذى لايشغله شان عن شان ونصردين سيدنا محمد سيد ولد عدنان الشفيع فى أهل العصيان صلى الله عليه وسلم فعندها رفعوا بنو كلاب أصواتهم بتوحيد الملك الديان ورفعت الروم أصواتها بكلمة الكفر والطغيان (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن ميمونة أقبلت على سودانها وقالت لهم هذه أول ساعة أطعتم فيها ربكم ونصرتم دينكم وأعنتم أميركم فتولوا اليوم القتال وجردوا القواضب وأظهروا العجائب فقالوا سمعا وطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبرزوا الى القتال فى طاعة الملك المتعال واحمرت أحداقهم وطار الزبد من أشداقهم وأكبوا الرؤوس فى قرابيص السروج وحملوا حملة رجل واحد وميمونة فى أوائلهم وكانوا قد خرجوا من عسكر الأمير ولم يعلم بهم واختلط العجاج وأقبلوا الكفار أفواج وأطبقوا على ميمونة وأصحابها مثل البحر العجاج المتلاطم بالأمواج واختلطت السودان بالأعلاج وقطعت الرقاب والأوداج وصار الدماء مثل المطر العجاج وأضرمت نار الهياج وغرقت الملكة (ميمونة) فى بحر لجاج فخشى عليها الامير عبد الوهاب وأشار إلى بنى كلاب والسودان الأنجاب فحملوا جميعهم حملة رجل واحد فيالها من ساعة كشف الحق فيها قناعة واختلط أهل الشرك وأهل الطاعة وكل من اشترى قدم لنفسه أربح البضاعه. ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه فعند ذلك انفصل الفريقان ونزلت الجيشان وأضرمت النيران وتحارس الفريقان ثم إن الأمير عبد الوهاب أقبل على وجوه قومه وقال لهم: أقسم بالله تعالى قسما لئن اجتمعت الإنس والجن على هؤلاء القوم لما قدروا عليهم لأنى قد لاقيت جبابرة الروم فى سائر الأوقات والأيام والساعات فما رأيت فى الحرب ولا مقام الطعن والضرب مثل هؤلاء القوم ولا أثبت منهم ولقد لقيت فى وسط العجاج فارس راكب على برذون كريم كأنه الليل البهيم والراكب كأنه هيكل عظيم من هيا كل الفرس وفى رجليه حقين زرد بطائنه ومهاميزه عسجديه وعلى جسده زردية مشرفة مضيه لا تعمل

فيها السيوف الهندية ولا الرماح الخطية وفى يده صمصامة يمانية تدب فى حافتها المنية وفى خصره زنار أخضر وفى عنقه قلاده من الجوهر وعلى رأسه مغفر فحمل على وحملت عليه واعتركنا ساعة فرأيت منه من الشجاعة مالم يستطيع دفاعه ولولا الخيل تكردست علينا فى وسط المجال وأفرقت بينى وبينه لكان سطى على ووصل الى فقال الأمير ظالم والله لقد رأيته بهذه الصفة واعتركت أنا وإياه حتى كاد أن يسقينى كاس العطب فما كان لى غير الهرب ولقد نثر الرؤس نثرا والرجال خمسا وعشرا عشرا فقال أبو الهزاهز والله لقد بادرته وكنت عنه عاجز ورأيت الهرب فوز للفائز فقالت الملكة ميمونة والله رأيته على بعد منى وسيفه يقطر دما ولكن لم أقدر على الوصول اليه من كثرة كراديس الخيل فقالت الاميره ذات الهمة أما أنا فرأيت هذا الفارس وإلا فما كان هذا اليوم انقضى إلا بالانفصال فقال لهم ميمون الجماس ذلك الفارس الذى قد أبصرتموه عقربونا وأنى رأيته وسائر البطارقة يعظموه والملك ميخائيل يخدمه ويخلع عليه ويكرمه ولقد نظرت له سبعة أولاد كل واحد أشد بأسا وأثبت أساسا يقال الكبير منهم سمرطون والثانى مطرونس والثالث شهربون والرابع ماريسون والخامس عروة المسيح والسادس درنجوس والسابع دقيانوس ولكل واحد منهم ألف بطريق شراء ماله وقد علموهم الفروسية وصناعة الحرب وهم عند الروم فى أعلا مكان والرأى عندى أنكم لاتفرطوا فى أنفسكم ولا تعرضون للقتال والبراز فليس المشاهد بالنظر كمثل من سمع الخبر (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزالوا كذلك إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فضاقت الأماكن الفصاح وجاء الجد وذهب المزاح وطلبت الأبطال مكان الكفاح وهموا بالحملة على بعضهم البعض واذا قد خرج من الروم شيخ كبير مقصص الذقن محلوق السبال أجلح الرأس أنمش الوجه وبين يديه ثلاثين قسيس وأربعين راهب وخمس شماس وخمسة عشر مطران وهم يقرؤن الانجيل والروم كلهم قد صقعوا له إكراما لقدره (قال الراوى) وكان هذا الشيخ المتقدم ذكره بطرق البطارقة فى سائر جزائر الروم وهو بدين النصرانية أخبر من بطرق الملك ميخائيل وأعظم من شومدرس وكان اسمه عضريطون بن طالون وكان أسد قسور وليث غضنفر لايرهب الابطال ولايخاف الأقيال معود لمحاربة الرجال والأبطال (قال الراوى) ياساده يا كرام وأنه لما خرج الى الميدان كان غريق فى لامته فحمل على الملكة ميمونة فرأت منه مالم تراه من أخوته السبعة وأخذت خذرها منه ولم يزالا فى كر وفر وهزل وجد كلما فتح أحدهما باب سده الآخر بالطعن والضرب الى أن

اختلف بينهما طعنتان واصلتان كان السابق بالطعنة الرومى لأجل طوله وقع فى صدرها خرق الدرع الذى عليها وجرحها جرح مؤلم لم تقدر بعده أن تقف على ظهر جوادها وأما طعنتها فوقعت فى صدره طلع الرمح ثلاثة أكعاب من ظهره فوقع على الأرض صريع يمج علقها ونجيع وأما الملكة ميمونة فانها طرحت صدرها على قربوص سرجها والنصارى التهت بابن الملك لما قتل وأيقنت الملكة ميمونة بالبوار فصعب ذلك على الأمير عبد الوهاب ووقع الصياح فى عسكر الروم وظهر الملك عقربونا فى ذلك الزى الذى تقدم وصفه ونعته فأراد الأمير عبد الوهاب أن يخرج اليه وإذا بفارس سبقه اليه كانه شعلة نار وفى يده صارم بتار وكان ذلك الفارس الأميره ذات الهمة نخشى عليها الأمير عبدالوهاب وقال لها خذى حذرك منه أيتها الأميره فالتفتت اليه وأشارت تقول هذه الأبيات :

يخوفنى الأمير من البلايا ومن فى الناس ينج من المصير
فإن الموت حتم للبرايا ويأخذ للغنى مع الفقير

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم انها صاحت فى جوادها فخرج من تحتها كالبرق الخاطف والتقته بقلب غير راجف وحمل كل منها على صاحبه فارتجت الأرض من كثرة الركض ولم يزالا فى أشد قتال ووقع نزال الى وقت المغيب واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة عقربونا فأخذتها فى الجحفة ثم ضربته ضربة واصلة فوقعت على رأسه نزل السيف إلى أضراسه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما نظرت الروم الى ملكها وقد قتل هنالك حملوا على المسلمين وحملت الفريقان والتقى الجمعان وتبادرت الشجعان وانهزم الجبان وضاق على الفتيان المكان وانقطع الكلام وصال القمقام وصبرت الكرام تلك الليلة وذلك النهار وفى اليوم الثانى الى وقت الظهر فتمايلت الأبطال على سروجها وتعلقت سودانها بعلوجها وتضاربوا بالخناجر فى المحاجر وطارت عليهم النسور الكواسر وامتلأت الارض بالقتلى وتخضبت بالدماء وجوه الورى وكان يوما عبوسا ونادى المنادى فى ملة الاسلام بالنصر وفى ملة الروم بالذل والهزيمة والقهر واندقوا منهزمين وفى ميدان الغلبة مقهورين وأخذ الراهب شومدرس أسير والبطرك عضريطون والرهبان الذين معه وملك الامير عبدالوهاب من الاموال والرجال والاثقال ومن الفضة والذهب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت حتى استغنوا السودان ولبسوا الثياب الاطلس وجمع الامير الغنائم والاسلاب وعول على الارتحال وأحضر شومدرس وقال له يا عدو الله رأيت كيف أوقعك الله معى فقال يا أمير أنا

ماحدثت نفسى بالدخول الى بلاد الاسلام إلا بمشورة البترك عضريطون وقد علمت أن هؤلاء الرهبان الذين معه سوف يربطون فقال الامير لو لا أعلم أنك ماتبرح بيننا وبين ملك الروم لأضربن عنقك وأما هذا البطرق فسوف أحفر له حفرة وأحرقه فيها وكل من معه حتى لايبقى أحد بعده يطمع فى عهدالبيت الحرام وزمزم والمقام فقال شومدرس يامولاى خلى هذا البطرك حتى تنظر ما يكون فان آمد قدأخذت ولوأردت أن تأخذ كلما فيها من النسوان والأموال والأولاد بهذا البطرك وأنا معه إن أجابك الى ذلك فقال الأمير صدق شومدرس ثم أقام هنالك إلى أن برئت المجروحين من السودان والعرب أجمعين وبرئت الملكة ميمونة (ياساده) وسارت العساكر تقطع الأرض بالطول والعرض حتى وصلوا الى الكوفة فوجدوا أهلها خائفين وسأل عن ملك الروم فقيل أنه فى العراق وقد خرج على المأمون خارجى من الديلم وحاصره وملك الروم قد ملك البلاد واستأنست به العباد (ياساده) فأرسل الأمير عبد الوهاب الى البصره وأرض النجف يعلم الناس بوصوله والعسكر الذين معه فقصدت اليه العرب والعجم وما مضى عليه عشرة أيام حتى صار فى مائة ألف فارس من السودان والعرب والعجم ورحل يطلب بغداد فى تلك العساكر وهو معول على لقاء الملك ميخائيل وكان الملك ميخائيل فى ألفى ألف وثلاثمائه ألف وهو فى عالم عظيم (يا ساده) ووصلت العرب المتنصره الذين هربوا من الوقعة التى كانت لهم مع الأمير عبد الوهاب وسلم منهم من سلم وساروا فى البرية حتى وصلوا الى الملك ميخائيل وأخبروه بالخبر فقال يا ويلكم وما فعل عقربونا فقالوا عقربوه فى التراب وسقوه من المنية أمر شراب فقال الملك يا ويلكم ومن فعل بكم هذه الفعال فقالوا أبطال بنى كلاب والأمير عبدالوهاب ومعه رجال مثل سباع الغاب وقد زاد فيهم جارية يقال لها ميمونة ومعها خمسة آلاف أسود من كل بطل أجد وهى مثل ذات الهمة فى الفروسية وقد أسروا الشيخ شومدرس والبترك عضريطون فصاح الملك يا ويلكم غضب علينا المسيح فيالها من مصيبة ما أعظمها وبلية ما أصعبها فهل سمعتم مع هذا كله للقاضى عقبه خبر فقال أيها الملك وهو معهم فى البلاء والقيود والأغلال يلطم الليل والنهار ولا له معين يعينه ولا مساعد يساعده والراهب شومدرس هو الذى رآه وأعطانا خبره فلما سمع الملك هذا الكلام قال له وقد تغير وجهه من الغيظ الساعة أسير اليه فى ألفين فارس فلا أبقى معهم باقية وتصبح الديار منهم خالية وأخلص الشيخ النجيح وحجة السيد

المسيح ويرى الذى كنت أوعده به أخذ البلاد وقتل العباد وإظهار ملتنا ونصر شريعتنا فلما سمعوا القوم ذلك قالوا أيها الملك لا تعوق العساكر فإن القوم سائرين اليك ولو كنت فى عدد قطر السحاب ولا شك أنهم اليوم فى الكوفة فقال لهم الملك ويلكم وكم يكونوا فقالوا يا مولاى ما ندرى ولكن رأينا الدنيا كلها سواد من كثرة السودان الذين معه كأنهم الجواميس وأقل ما معهم ألف أسود عليهم صـــدور الزرد فصلب الملك ميخائيل على وجهه وقال يا ويلكم ما كأنى أرى هذا إلا فى المنام وحق المسيح إن كان هذا صحيح لا رجع منا إلى القسطنطونية فهد فقالت الروم أيها الملك عين الصواب تنتظر القوم وأما قول المتنصر ألف ألف فهذا لا يسمع كلامهم وسير اليهم العساكر تلقاهم فهذا لا يسمع فقال هذا هو الصواب فعند ذلك وثب اليه ملك من ملوك جزائر السوس يقال له اسطالوس بن تمليخا وكان رجل لا يقاس بالرجال فى شدة الأهوال خبير بأحوال الزمان بصير بطوارق الحدثان وهو أشجع من الملك عقربونا وتحت يده مائتين ألف فارس (قال الراوى) يا ساده يا كرام وان الملك اسطالوس أقبل على الملك ميخائيل وقال له أيها الملك أنا لهـذا الأمر وأنتم قد فزعتم من هؤلاء السودان لما لهم فى قلوبكم على طول الزمان وسوف أسير اليهم فى هذه الرجال الذين معى فلما سمع الملك ميخائيل ذلك من كلامه فرح فرحا شديداً وقال له ما أنت الاوفى منى ثم أرسل الى ملك آخر فى مائتين ألف يقال له قرطاطوس وكان رجلا شديد البأس صعب المراس ومعـه رجل حكيم قد جالس الحـكماء وغيرهم من الهرامسة والهراقلة وهو ذو مكر وحيل وخديعة ما سمع بمثلها فلما حضر إلى عند الملك ميخـائيل عرفه بالقصة فقال أيها الملك لو رسمت لى أن أسير الى هذا بروحى الى لقى أعداك وأوصلك الى هواك لفعلت ذلك فشكره الملك وبارك عليه ومسح على وجهه وتجهزت العساكر وبرزت الى ظاهر بغداد واجتمعوا فى أربعمائة ألف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس ورحلوا القوم وقد فرح بهم الملك ميخائيل وقد تقدم الملك اصطاطوس بعساكره ومن بعده قرطاطوس وكان قد وعد الملك أن يخلص البترك عضريطون ويأخذ عنده اليد البيضاء لانه سيد النصرانية وينال عند المسيح المنزلة العليـة فشكره الملك على كلامه ووعده وضمن له مال كثير وحال خطير وساروا على هذا الوصف المتقدم ذكره وجعلوا يقطعون الارض بالطول والعرض وكذلك الامير عبد الوهاب سار من الكوفه يوم ونصف وكان الملتقى عند حصن بنى ثعلبه على شاطىء نهر الثعابين والقنطرة ووقعت الطلائع على الطلائع والتحم القتال طول النهار وانفصلت الرجال

عند انسدال الظلام ونزلوا فى مواضعهم وأضرموا النيران وتحارس الفريقان الى أن ذهبت عساكر الدجى وأقبلت عساكر الضيا فتقدم الملك قرطاطوس الى الحكيم مرقان فلم يجده هذا والعسكران قد ركبت مع تبليج الصباح وجردوا البيض الصفاح وركبوا متون القداح وحملت الناس بعضها على بعض وكان أول من حمل الملك قرطاطوس وقد تقدم الى الملك اسطالوس وقال له امسك نفسك عن القتال ودعنى اليوم أصطلى الحرب بنفسى وأفديك بروحى وأقاتل عنك بنفسى وعسكرى فإن ظفرت بهم كانت الغنيمة لك والذكر لى وفى اليوم الثانى قاتل أنت على هذا الوصف فقال له افعل ما بدا لك (قال الراوى) يا ساده يا كرام فعندها برز الملك هو وعساكره وقاتل ذلك اليوم قرطاطوس قتال السادات وعملت المرهفات وتطاعنوا بالسمهريات وحامت عليهم طيور الآفات وأضرمت نار الحرب من سائر الجهات والجنبات وأيقنت النفوس بالممات وأشعلت نار المنيه فى أرواح البرية وقطعت ثمار النفوس بأكف الويل والبؤس وهربت سباع الاجل من سيف كل بطل وزعقب غربان الفراق على الابطال بالارهاق وعلت البيض اليمان فى مفارق السودان فأضحكت وعود الهام على صوت الدمادم وبرق ضياء الصوارم فاندهلت أبصار العوالم ولم يزل القتال قائم إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونادى المنادى للفريقين بالانفصال ورجعوا عن معترك القتال وأما الامير عبدالوهاب فانه اجتمع بالاميرة ذات الهمة وقال لها يا أماه هذا عسكر خشن ما رأينا فى بلاد الروم من هو بهذه الشجاعة فقالت لعمرى انهم كما ذكرت وقد فقدنا الامير أبو محمد البطال والله انى خائفه أن يكون قصد الى آمد من أجل نورى ليعمل على خلاصها وخلاص السيدة زبيده حتى يبغضها فى عقبة فلما سمع الامير ذلك من الاميره قال لها يا أماه ربما يكون ذلك ولدها قالت له ياولدى ربما يكون ذلك وكان أبو يخلف حاضر فقال لا كتب الله له السلامه فقال له الامير عبد الوهاب لم ذلك فقال انه لما راح لم يعلمنى ولم يأخذنى لعلى أن أخلص ستى شمسه فقالت الاميره ذات الهمه يا أبو يخلف هذا عجب منك كيف ما تنصرف هذه النوبة من أجلها لانى أعرفك أنك قليل الدين فاقل صدقت ياسيدتى وقد كنت عولت على ذلك ولكن ماقبلوا منى وقالوا قد علمنا أنك شيخ كذاب مرتد والاوحق المسيح انلم تروح قتلناك فما كان لى غير الهرب فضحك الامير عبد الوهاب وقال هذا رجل فيه خير وما يقول الا الصحيح (يا سادة) فبينما هم مع أبى يخلف فى الكلام واذا قد دخل ميمون الجماس على الامير عبدالوهاب

وقال له يا مولاى على باب السرادق رجل يطلب الوقوف بين يديك فقال الأمير على به فخرج ميمون ومعه رجل طويل القامة كبير الهامة فصيح اللسان فسلم على الأمير بأحسن سلام وحياه بأحسن تحية وإنعام فأكرمه الأمير غاية الإكرام فلما استوى الرجل جالساً شرع يحدث الأمير وقال اعلم أيها الأمير أن الله تعالى قد أوجب نصيحتك على العالمين وإذا دخلت أنا بالمسرة على قلبك فكأنما تدخل على قلبي وقلوب المؤمنين وقد أطلعنى الله على شيء ولك فيه الفرح الأكبر ثم ان الشيخ أخرج ملحمة مكتوبة بالذهب يذكر فيها أن ملك الروم الذى يكون فى آخر الزمان يقال له ميخائيل وأنه يملك بلاد الاسلام مدة أشهر ثم يأتى رجل يقال له حسام الموحدين وناصر المسلمين وترس قبر محمـــد خاتم النبيين وهو رجل عربى ونسله من بنى كلاب فيقهره ويملك باب القسطنطونيه ويأخذ أموال تسد الفضا ويبنى من الرؤوس مئذنة يؤذنون عليها سبعة أيام ويحرقوها بعد ذلك وانى كنت بالبصرة مقيم وهذه الملحمة عندى وكنت اذا قرأتها أبقى بين المصدق والمكذب حتى أتى هذا الوقت المعلوم ورأيت ذلك وسمعت أن الملك ميحائيل قد ملك بغداد والقرى والبلاد وقتل العباد فلما تحققت ذلك سرت اليك ليطيب قلبك ويقوى عزمك ويشد ظهرك وانظر أيها الأمير إلى هذا العجب فى آخر هذه الملحمة ثم انه فتحها واذا فيها صورة أشبه الأشياء بالقاضى عقبه وعلى رأسه مكتوب هذا فرعون الملة الاسلامية ويقال له عقبة وله أمور صعبة وفى آخر هذا التاريخ يكون زوال عمره وانهتاك ستره وصلبه على يد هذا الرجل الموصوف ويبلغ منه مناه وينال من صلبه ما يتمناه وقد أتيت اليك ناصح وأنا ذو عائلة وكثير العيال (قال الراوى) فأخذ الأمير الملحمة بيده ونظر الى ذلك الخط القديم الذى فيها وتلك الصورة وذلك التاريخ فشكر الله تعالى وقال اللهم لك الحمد على هذه النعمة وقالت الأميره أبشر يا بنى فإن الله تعالى له فيك ألطاف خفيـة ما دمت فى ملاحم الأنبياء مذكور وفى الكتب القديمة مشهور وفى مقام الهياج جسور قال فبكى الامير من الفرح وقال للرجل أبشر فوالله ان صح ذلك ونصر الله تعالى الموحدين لاعطينك فوق مناك فقال له الرجل أبشر فهذه آثار الحق قد ظهرت وأعلام النصر قد انتشرت يا مولاى وفى قلبى شيء آخر وهو الذى ذكر فى الملحمة موجود فى هذا الزمان فقال له الامير نعم فطب نفساً وقر عينا فان الأمر كله تحقيق والمقال مقال تصديق فقال له الرجل يامولاى تمنيت أن أراه ليزداد الفرح ويزول عنى الترح فقال الامير الساعة أريك هذا الملعون وهو عندى أسير وله أفعال مثل أفعال فرعون ثم جعل يحدث الرجل

بأفعاله وما يعمله من احتياله ثم ان الأمير قال للرجل قم معى حتى تراه ثم انه أخذ بيد الشيخ وهوفرحان وسارت الاميره معهم والملحمة مع الامير عبد الوهاب الى أن وصلوا الى الموضع الذى فيه الملعون عقبه والراهب شومدرس والبطرك عضريطون والسودان موكلون بهم من كل جانب وفى أيديهم القواضب ثم ان الامير دخل الى المضرب والشيخ معه والأميره ذات الهمه فتواثبوا السودان يقبلون يديه ونظروا الى ذلك الشيخ ويده فى يد الأميرعبـــد الوهاب وهو يحادثه فرحبوا به أيضا ثم ان الأمير دنا من عقبة وقال له ياملعون كم تكذب بدين الإسلام وهو دين الحق انظر كيف جرى حديثك وهتك سيرتك من أول الزمان على ألسنة العلماء والحكماء وقد دنا بوارك وخراب ديارك وهلاك ميخائيل ثم سلمه الملحمه فلما نظرعقبه اليها وعرف معانيها تغير لونه واضطرب كونه وقال فى نفسه : هذه آثارالبلاء قد ظهرت وما هذه الملحمة إلا صحيحة ولكن لو أتتنى الأربع كتب تشهد على بذلك ماصدقت هذا القول ثم إن عقبة فتح الملحمة وأبصرعورته وشيبته وصورته وماقد كتب على جبهته فطارت الدمعة من مقلته وقال الآن طاب لى الموت بعد أن سمعت أنى فرعون الملة الاسلامية وتشهد لى أنى عدوها وما أبالى بالموت أى وقت جاءنى ثم انه رمى الملحمة من يده وأقبل على الامير عبدالوهاب وقال له دعنى من هذا كله يا ابن مرزوق فان هذاالأمر كله محال والأمر يدل على مافى خلاف هذه الملحمة لأن أرضكم قد ملكت ورعيتكم قدهلكت وهذا العسكرالذى رأيتموه ولقيتموه طائفة من خمسين طائفة ممن قدأتى إليكم فعند ذلك رفع الشيخ صاحب الملحمة يده وضرب عقبة على وجهه وقال والله العظيم ياملعون أنا أعلم أنى أدخل الجنة بهذه الضربة وسوف ترى ماأعدالله لك من شدة العذاب ثم خرج الامير عبد الوهاب من عند عقبه وأمر الغلمان أن يضربوا للشيخ مضرب إلى جانبه وأن يحمل اليه كل ما يحتاج اليه من فرش وشراب (قال الراوى) ولما تنصف الليل وثب الشيخ من موضعه وأخذ معه سيف مجرد وطلب المكان الذى فيه عقبه فوثبوا اليه السودان ليمنعوه من الدخول اليه فلما رأوه عرفوه وأكرموه وانه قد أقبل على السودان وقال لهم اعلموا أن الاميرعبد الوهاب قد عول أنه إذا أصبح الصباح أعطانى بوزن عقبه مال وانه أمرنى أن أتوكل به لئلا يهرب ثم بقى على ماهو عليه حتى بقى من الليل أيسره وهو جالس ما يتكلم بل يساهر السودان حتى ناموا فعند ذلك دنا من الملعون عقبه وعرفه بأنه الحكيم (مرقان) ففرح بذلك ثم انه قطع كتافه وفك قيده وثنى بالراهب شومدرس والبطرك وأخرجهم من المضرب وفى تلك

الساعة كان الأمير أبو محمد البطال قد دخل الى عسكر أسطاطوس وعرف جميع أحوالهم وأعمالهم ولم يزل حتى وصل الى خيمة الملك واذا به يتحدث مع أصحابه فى فى غيبة الحكيم (مرقان) ويقول لهم انى خائف عليه من البطال وكان قدوعدنى أنه يخلص البترك والراهب شومدرس والشيخ النجيح وكان فى نية أبو محمد أن يسرق إحدى الملكين وان قدر سرق الاثنين (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك التفت الى غلمانه وقال لهم ارجعوا بنا على عجل حتى ننظر ما يكون وخذوا بنا على مكان عقبة الملعون فقالوا له أيها الامير مانكون قد وصلنا الى ههنا ونرجع بلا فائدة (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك حتى نام الملك أسطاطوس فهجم عليه الامير أبو محمد كأنه نسر قشعم وغلمانه أصحاب الهمم وهو مخبول سكران وجعلوا الأكرة فى فمه وهو لايعقل على نفسه وكتفوه وحملة لؤلؤ وخرج من السودان ولم يعلم بهم أحد فقال لهم أبو محمد سيروا بنا قبل أن يتم على عقبة أمر فساروا طالبين عسكر الامير عبد الوهاب واذا بأشباح خارجة منه واحد بعد واحد فقال الأمير أبو محمد والله هذه القصة على جليتها وهؤلاء جماعة الرهبان والقسوس وكلهم شبان وقدأخذوا الساحة من سيوف السودان وإن تكلمنا هلكنا ورب الكعبة وان صرحنا جفلوا منا فى هذه البرية فقالوا غلمانه أيها الامير مافى الامر إلا اننا نطرح الملك فى بعض المواضع ونرمى أنفسنا على هؤلاء الكلاب وننهشهم بالقتال ويكون بعضنا قدمضى الى الاميرعبدالوهاب ويخبروه بالحال فقال لهم افعلوا مابدا لكم فان هذا هو الصواب ثم أتى أبو محمد الى مكان فى موضع متواطى فوضع فيه الملك وجرد سيفه وأخذ قوسه وأدار أذياله فى منطقته وفعلوا غلمانه مثل فعله وإذا هو بوقع حوافر الخيل فى ظلمات الليل وفارسين قد تجنبت الطريق وقد احتكت ركاب أحدهما بالآخر وهما يتحادثان فنصت أبو محمد بأذنه اليهما ليسمع مايقولا واذا أحدهما ميمونة والأخرى ذات الهمة وقد خرجا فى آخر الليل يطوفان حول العسكر فزعا من طارق يطرقهم فدنا الامير أبو محمد من الاميره ذات الهمه وقال لها : يامولاتى فقالت أبو محمد قال نعم فقالت ماحالك فقال لها خذى هؤلاء الشياطين الذين بين يديك فقدتمت الحيلة عليكم وانهزم عقبة من بين أيديكم فعند ذلك مالوا الاثنين عليهم ومكنوا الصوارم من الجماجم فقتلوا خمسة عشر راهب وقسيس واستلموا الباقين وأخذالراهب شومدرس والبترك عضريطون وطلبوا الحكيم مرقان والشيطان عقبه فما وجدوهم فصعب ذلك عليهم وكبرلديهم وسارت الاميره ذات الهمه يمين وشمال وقد ثارت الرجال من العسكرين وأيس الامير أبو محمد من الامير تيز

وخاف عليهما من عدوهما ثم انه وصل الى الامير عبد الوهاب وأخبره بما جرى فقامت عليه القيامة وقال ياأبو محمد ما أظن هذا من الرجل الذى عندنا وربما يكون قد فعل هذا غيره فقال له الأمير أبو محمد يا أمير ألا أن أبعث من يبصره فطلبوه فلم يجدوه فقال الأمير عبد الوهاب كلمة لايخجل قائلها (لاحول ولا قوة إلا بالله العلى للعظيم) فقال له الامير أبو محمد لما نظر الى تأسفه : اعلم أيها الامير مافعل هذه الفعال إلا الحكيم مرقان على الحقيقة قال ومن كثرة ما أصاب الامير عبد الوهاب من الغم على هروب عقبه اللعين لم نام الى الصباح ثم ان الاميره ذات الهمه رجعت وباقى السودان الذين كانوا معها ولم ترجع ميمونة فلما أفاق الامير عبد الوهاب أخبروه بذلك فصعب ذلك عليه وكبر لديه وقد عظم على غلمانها السودان فخشى الامير أن تنفر قلوبهم من المقام أو يتذكرون أوطانهم ويتركوه فى هذا الحال فأخذ بخاطرهم وخلع على المقدمين منهم ثم أحسن اليهم وقال لهم معلوم ان الملكه ميمونه مايصيبها شىء وان كانت قد أسرت فأنا ان شاء الله تعالى أخلصها (قال الراوى) فهذا ما كان وأما ما كان من الملك أسطاطوس فان أصحابه لما فقدوه كثر صياحهم وعظم نواحهم وأرادوا أن يرجعوا الى الملك ميخائيل فقال لهم أسطاطوس أنا لكم دون صاحبكم وأيضا إن كانوا المسلمين قد أخذوه فأنا أخلصه لكم ولايقال عنكم انكم تركتموه ورجعتم ثم انه ركب وصف الصفوف من عساكره ودساكره وكذلك الامير عبد الوهاب قد أقبل على الاميره ذات الهمه وقال لها أيتها الاميره قلبي على جمر اللظى من أجل الملكه وفقدها ومانكون قد حملناها إلى ههنا إلالفقدها وهلاكها وبوراها وأيضا انى أحمل العار والشنار فى تركها وانها مايسمح الزمان بمثلها وأريد أن أخرج إلى براز هذا الملعون وأبصر ما يكون بيني وبينه فقالت الاميره ذات الهمه اشتغل أنت ياولدى بالعدو الذى بين يديك حتى آخذ أنا ألف فارس وأسير فى طلبها فقال لها افعلى ما بدا لك فأخذت معها ألف فارس من الليوث العوابس الذين ليس لهم فى الحرب مقايس وسارت . هذا والامير عبد الوهاب قد طاب قلبه لأجل انفراد الاميره فى طلب ميمونه (قال الراوى) ونرجع الى سياق الحديث وقد ذكرنا أن الصفوف قد زحفت على بعضها وتقاتلت من غير براز وشجعانها قد همهمت وفرسانها قد دمدمت وحملت الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب وعملت القواضب وارتفع الصياح من كل جانب حتى مضى النهار وقد أقبل الليل بالاعتكار وانفصل الفريقان عن موقف الطعان فقال الامير لأصحابه لما نزل فى

خيامه قد لقينا من هؤلاء القوم ما لم نراه من أحد غيرهم وما فيهم فارس إلا وفيه من القوة والشجاعة ما لم يوجد فى غيره وبات الأمير مشتغل من أجل الاميره ذات الهمه والأميرة ميمونة ولم يزل إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وثارت الطوائف من أماكنها وركبت صوافنها وصهلت جوانبها فأدوت الجبـــال وجردت الصقال واعتدت بالعدد الثقال والحراب والنبال واشتغلت الفرسان اشتغال وهمت الطوايف أن تحمل على بعضها البعض من غير براز ولا نزال هنالك ظهر فارس من عسكر الروم على جواد كريم وسيم سابق إذا طلب من أشرف خيول العرب يساوى قنطاراً من الذهب وهو فارس هائل المنظر عظيم المخبر على رأسه بيضة ساطعة وفى يده صفيحة قاطعة ومن وراه فارس أعظم منه هيكل شهدت له العيون لما أبصرته والفوارس لما شاهدته بأنه أوحد عصره ونتيجة دهره وهو فى دخوله غير خجلان وفى خروجه غير وجلان وهو معجب بنفسه على جواد كريم من العيوب سليم وعلى الفارس درع داوودى وثوب قسطنطينى وخفين أديم طائفى ومهـماززين ذهب مغربى والفارس كأنه العتيق أو مثل شعله الحريق ثم انه تقـدم الى جانب صاحبه وصاح بعضهـما ببعض واعتركا على وجه الأرض فأنـكر الأمير عبد الوهاب ذلك ولم يعلم السبب فى ذلك ولم يزالا كذلك حتى خرج من أوساط الروم راهب طويل ومعه ثلاثة يحملون الإنجيل فدخل بينهم وقال ما هذه الفعال التى تفعلا والقتال الذى تقتتلا وأنتم فى وجوه الأعداء (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن هذين الفارسين آخرين أحدهما يقـــال له سرطاس والآخر يقال له ساوس وهما أولاد الملك الذى سرقه البطال وكان الواحد منهم يطلب الملك بعد أبيه فقال الآخر هذا لا أفعله ولا يتقدم أحدنا على الآخر حتى يقهر فى ميدان الحرب ومقام الطعن والضرب فقال الأكبر افعـل ما بدا لك فخرجوا الى الميدان وموقف الضرب والطعان فعند ذلك خرج اليهـما الراهب وقال لهما ما هـذا واجب ومن الرأى أن يرجع أحدكما والآخر يقاتل المسلمين فمن أخذ منكم الامير الذى يقال له عبد الوهاب فارس بنى كلاب كانت المملـكة له والمدينة مدينته فلما سمعوا ذلك قالوا هذا هو الصواب ويكون هذا الملك اسطاطوس بيننا شاهداً ثم رجعوا الى حضرة الملك فرفع مقامهـما وقال لهما على ماذا عولتما فقالا على الخروج الى قتال أمير المؤمنين وسيف المجاهدين فمن أخذه منا فهو الملك بعد ابيه فلما اتفقا على ذلك أمرهما أن يتقارعا على من يخرج فى الاول فوقعت القرعة على سارسطارس فخرج وهو الفارس الموصوف وقد أمر الترجمان أن ينادى معاشر المسلمين وأبطال الموحدين هذا الملك سارسطارس

يقول لكم أنه يريد البراز فلا يخرج الى قتاله الا أميركم المشهور وفارسكم المذكور عبد الوهاب (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك هم أن يخرج فتعلق به الأمير ظالم وقال له أنا أخرج اليه فقال له أنا المطلوب فكيف تخرج أنت فقال والله يا أبتاه لا يخرج اليه غيرى فقال له الأمير عبد الوهاب نتقارع أنا وأنت فتقارعا فوقعت القرعة على الأمير عبد الوهاب فخرج وخرج ظالم لأجل اليمين فلما نظر الملك الى ظالم وقد خرج مع الأمير عبد الوهاب صاح الملك وقال ما أنصفت يامسلم فارسين لفارس فعند ذلك خرج أخيه الآخر للأمير ظالم وحملا الاثنين على الأميرين وتقاربا وتباعدا وجرى بينهما قتال شديد وحرب أكيد ما عليه من مزيد حتى طلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وعمل بينهما الصارم البتار وصبرا حد الاصطبار فبينما هم كذلك واذا بجواد تحت الغبار قد خرج خالى من صاحبه وخرج من بعده الامير ظالم وقد قبض على مراق بطن خصمه وجذبه اقتلعه من سرجه وهو فى يده مثل العصفور وأقاموا الناس ينتظرون من الامير عبد الوهاب وخصمه وقد اختلف بينهما طعنتين كان السابق بالطعنة الرومى لاجل طول رمحه فبطلها الامير وطعنه معاجلة فى صدره مرق الرمح من ظهره فوقع صريعا يمج علقما ونجيعا ونظرت الروم الى ما جرى على الملكين من الاميرين فصلبوا على وجوههم وحملوا وحملت أيضا عساكر الامير عبد الوهاب وأبطال بنى كلاب والسودان الانجاب وتمكنت الصوارم من الجماجم وتشوشت العمائم وتقطعت من الخيل القوائم ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وعظم الشر وضاق الصدر وقل النصر وعضت الخيل على لجمها وتقطعت من شدة الجولان حزمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها واسود الجو وعدم الضوء وعمل الحسام وفلق الهام وقل الكلام وتعثرت الاقدام ولم يزالوا كذلك حتى انقضى النهار وأقبل الظلام والامير عبدالوهاب ضيق الصدر كثير الاسف على الملكة ميمونة وسير الامير خلفها فما طلع لها أيضا خبر وفؤاده بالنار يستعر هذا وقد تحارست الفئتان وأضرمت النيران حتى لاح الصباح مبشرا بالنهار لاجل الحرب والطعان فثارت الابطال من أماكنها وركبت الرجال تطب ميدانها وحردت نصالها وأيقنت النفوس بتلافها ونفرت الوحوش من أماكنها وركب الامير عبد الوهاب وكذلك الملك اسطاطوس فى البطارقة والعمالقة وقد قال لقومه الى متى هذا التطويل وأنا أقسم بالمسيح والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل والصوامع العالية والرهبان الذين لدير انطاكية وكل

شماس فى الجزاير القصية ومريم القديسة التى شاع أمرها وكان عيسى ابنها والذى قال الله واحد أحد فرد صمد لا خرج الى قتال المسلمين غيرى فان ظفر بى أميرهم فاطلبوا الملك ميخائيل فما لكم بقتال هذا الرجل طاقة ولا سبيل فان الروم اجتمعت على أنى فارسها الذى لا يطاق فى محل الصدام وصنديدها الهمام وليثها القمقام وسوف ترون الساعة كيف أقتل أمير العرب وجماع الحلة والحطب وأوقع به العطب وترون أجله على يدى قد اقترب وكان الملك اسطاطوس فارس شديد فى الحرب لا يطاق وعلقم مر المذاق ولا يقاس أحد بشكله وليس فى الروم مثله وانه فى ذلك الهندام ظهر على جواد مجتمع ململم بغره كالدرهم وقد وقف فى ميدان الحرب ومقام الطعن والضرب وفى يده حسام عضب ونادى برفيع من صوته أيها المسلمين الذين تقاربت آجالهم أين الاسود البطل الامجد حتى يخرج الى ويرى قتالى ويشاهد نزالى فهو الفارس الذى ليس فيه خفا (ياسادة) فما استتم كلامه حتى خرج اليه فارس من أصحاب الملكه ميمونة فقتله وخرج اليه فارس آخر فجندله وثالث قهره ورابع أسره وخامس أراده وسادس أهواه ولم يزل كذلك حتى قتل من الفرسان اثنى عشر فارس ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يخرج اليه ولا يبرز اليه فعند ذلك قال الملعون أين صاحبكم وحامى جيشكم ومقدم عسكركم ان لم يخرج الى القتال ويدع عنه المحال لا بد ما أحمل فى وسط قومه وأضرب بسيفى قمته (قال الراوى) فخرج اليه الفارس الوثاب وترس قبر النبي الاواب الامير عبد الوهاب وقد لاح عليه نور الايمان وعلائم الاسلام والبرهان وهو يقرأ سورة الاخلاص المنجية لكل عاص من هول يوم القصاص ثم ناداه أيها المغرور بكلام الزور والضلال وتابع طريق المحال والكافر بذى الجلال الكبير المتعال الذى رفع السماء بغير عمد وبسط الارضين على ماء جمد وهو الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الابيات :

ألا أيها المغرور بالزور والجهل ... ستعلم ما تلقاه من صارم النصل
تفزعنى فى حومة الحرب واللقا ... ومن كان مثلى لا يفزع بالقتل
وحق النبي الهاشمى محمد ... نبى الهدى خير الورى سيد الرسل
وحق الذى ناجى لموسى مكلما ... وقال أنا الرحمن فاسألنى الفضل
وأصبح ذاك الشامخ اليوم هادما ... وقد دكدكت أعظامه هيبة الكل
كريم عظيم ماجد ذو حمية ... على وفى قادر مالك السبل
لاقتحمن الحرب حتى أريكموا ... فعالى واقدامى وحسبكموا فعلى

(قال الراوى) فلما سمعه اسطاطوس وما ذكر من كلامه صلب على وجهه وقال أقسم بالمسيح الذى دينه صحيح إنى أرى أعلام النصر لنا لائحة وقد أهلكنا العباد وأخذنا البلاد ولو كان لكم عند الله منزلة كما تقولون كنتم علينا منصورين فقال له الأمير عبد الوهاب أقصر ويلك عن هذا الكلام فى مثل هذا المقام أما قولك أن النصر لكم فكذبت لأن الله لا ينصر الكافرين وإنما يسلطكم على الخلق لذنوبهم الذى تقدمت وهو يؤدب الأخيار بالأشرار وسوف ترى ما يكون فدع الجدال ودونك والقتال (قال الراوى) فلما سمع الملك مقاله حمل عليه وحمل أيضاً الأمير عليه فيا لها من ساعة ما أعظمها عمل فيها الصارم العضب واشتد الكرب وعمل السيف بينهما طول النهار إلى وقت الاصفرار ولم يصل أحدهما إلى صاحبه فعند ذلك صاح الأمير عليه وتقدم إليه وضربه ضربة كلابية من يد فارس جرى وساعد قوى فرفع السيف على رأسه نزل إلى صدره فوقع صريعاً يمج علقما ونجيعا فلما وقع حملت المسلمين وأيضاً حملت المشركين ولم يزل القتال عمال طول النهار حتى ولوا الروم الأدبار واندفقت عساكر المشركين وتبعوهم المسلمين (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه جمع أموالهم وأسلابهم ورحل طالب الأميرة ذات الهمة وهو لا يعلم ما كان منها وكان من حديثهم أن الملعون عقبة لما أن خلصه الحكيم مرقان وخرج مع البترك والرهبان فقال له عقبة دع المسير معهم فان ورانا الطلب العظيم ولا بد للمسلمين ما يعبرون خلفهم فأخرج بنا من من هذا الطريق الأخرى فعند ذلك خرجوا وقد أخذوا جوادين فركبوهما وطلبوا البرية فى مواضع ما تسلكها الجان لانها قليلة الماء والكلا لو سلكها الضب لعطش أو البوم لدهش وأنهم ساروا طول الليل (قال الراوى) فلما اطمأن عقبة على نفسه نزل يستريح وقد اتكأ على جنبه ووضع يده تحت كتفه وقال الحمد للمسيح على خلاصى من هؤلاء الشياطين وكنا ذكرنا بأن الملكه ميمونة قد سارت خلف الراهبين وسلكت على غير طريق وكان القضاء قد ساقها على الطريق الذى سار فيها عقبة الا انها ما تعرف تلك الأرض ولا سلكتها أبدا لانها غريبة وهى أرض معطشة مدهشة فسارت الى وقت الظهر فوقع الجواد من تحتها من شدة العطش وحمى الحر عليها ولم تعرف لنفسها ضرا ولا نفعا فقالت فى نفسها يقتل الارض خابرها وتقتل الارض جاهلها ثم انها وقعت من على الجواد وكان ذلك بالقرب من عقبه وكان الملعون خبير بنوائب الزمان وتصاريف الحدثان وانه نظر الى ميمونة وتحققها من البعد وقال للحكيم مرقان هذا فارس قد وصل الى هذه الارض فى طلبنا وما وصل الى هاهنا الا وهو جاهل بهذه

الارض وقد اشتد به الظمأ من عدم الماء وما هو الا هالك لا محالة فقم بنا نطلب الموضع الذى هو فيه فجاءوا اليها فوجدوها شاخصة الى السماء وهى لا تدفع ولا تنفع فلما رآها عقبة صاح حتى كادت مرارته تنفطر وقال هذه ميمونة وحق الانجيل المطهر وأبردها على كبدى ما استيقظ المسيح من نومه إلا هذه الساعة ثم دنا منها وشد يديها الى رجليها ووضع الاكرة فى فمها وحملها هو والحكيم مرقان الى الماء وقال عقبة اعلم يا حكيم مرقان انى قد بلغت المنى وأنت ما خرجت مع الملك الذى جئت معه فى طلب مال ولا نوال وأنا أسأل المسيح أن يوصلنا الى موضع الأمان حتى أعطيك عشرة آلاف دينار فشكره مرقان على ذلك ومدحه ثم انهم أرادوا المسير فقال له عقبة اصبر ياحكيم فلا بد ما يتبعها أحد إما عبد الوهاب وإما أمه ذات الهمة اللبوة المصممة وكان معهم الماء والزاد لان الحكيم مرقان حسب ذلك الحساب (ياسادة) فما لبثوا إلا يسير واذا هم بالأميرة ذات الهمة والمائة فارس الذين معها وقد وقعوا فى تلك الأرض المعطشة المهلكة وكان ذلك فى أيام القيظ وكان ورودهم فيها وقت الظهر ولم يكن معهم الا قليل من الماء وقد فرغ منهم من كثرة الحر فقال بعضهم لبعض انزلوا بنا هاهنا فى بعض المواضع نستريح ويبرد النهار ثم نسير وما صدقوا باتفاق النزول حتى وقفوا كلهم كالسكارى لا فى أعينهم قطرة ماء من شدة الحر وما حصل لهم من التعب والنصب والعطش والظمأ وكذلك الاميرة ما نزلت حتى رأت مات من المائة جماعة من شدة العطش وصارت يقظانة على باقى الجماعة ولكن ما فيها ما يرد جواب ولما أن عاين عقبة ذلك أتى اليها فوجد الاميرة جالسة لا غير فلما رآها الملعون على هذه الحالة كاد عقله أن يطير فرحاً وقال ان المسيح استيقظ من نومه ثم ان الملعون شد الاميرة كتاف ووضع أكرة فى فمها وقال قد بلغت المنى ثم رش عليها الماء حتى أفاقت ونظرت الى عقبة والملكة ميمونة علمت أن القضاء نفذ وأن عقبة أقبل على الحكيم مرقان وقال له ما بقى بعد هذه الغنيمة شيء فسر بنا وجعل يدور على الخيل ينظر بقية الذين كانوا مع الاميرة فوجدهم جميعا ماتوا الا رجال فسقاهم الماء فردت أرواحهم وعاشت نفوسهم فأخذهم وسار بعد ما شد الاميرة ميمونة وسار يقطع الارض فى الطول والعرض فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه لما طال عليه الامر ساروا يقطعون البلاد وسودان ميمونة يبكون على فراقها والامير يقول لهم لعل الاميرة تصل اليها وتجتمع عليها هذا والامير وصل الى العراق وسمع ماقد جرى على الروم وكانت العسكر المكسورة وصلت وأخبروا الملك ميخائيل بأن الامير عبد الوهاب قتل الملوك وكل غنى وصعلوك وأخذ الاموال والاثقال والرجال والخيام والخيل

تم الجزء السابع والثلاثون ويليه الجزء الثامن والثلاثون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الثامن والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فصعب ذلك على الملك ميخائيل ونادى فى عسكره بالأهبة للسير إلى بلادالاسلام وخرج واجتمع معه العلوج والبطارقة والزغاورة والبنادقة والافرنج والملاقطة والبنجاك حتى صار عالم لايحصى وسار بهم ولما قرب من الامير عبد الوهاب وقد علا منهم الغبارحتى سد الأقطار ونظر الامير عبد الوهاب بعد ماانقشع الغبار وقد ركب ومن معه من العساكر الى الرايات وقد نشرت الأعلام وأحدقت بمخائيل وفى أيديهم القنطاريات والعمد وعلىخودهم فصوص الجوهر والياقوت الأحمر وعلى رأسه علم أخضر والحبال الابريسم مع كل واحد من البطارقة حبل طوله عشرون ذراعا وتحته البطرك الكبير وسائر الرهبان وجميع القساوسة . هذا وصف الروم العسكر ذات اليمين وذات الشمال لما رأى الأمير عبد الوهاب ونادى بالحملة فنزلت بهم الارض واختلط الجمعان وعمل الصارم اليمان وبربرت الحبشان وحملت الكفار على الأبرار وتقطع ما طال من الاعمار حتى انسدل الظلام ودقوا النواقيس والمسلمين يضجون بتلاوة القرآن ويصلون على سيد ولد عدنان وعمل القتال فى ذلك النهار وفى اليوم الثانى الى الليل وباتوا الناس على مضض من القتال الشديد ولما كان فى اليوم الثالث أقبل الامير عبد الوهاب على قومه وقال لهم معلوم اننا أرمينا أنفسنا على عالم عظيم ولو سلموا نفوسهم انا فرغنا منهم شهراً كاملا وأنا فلابد لى من البراز فقد عيل صبرى وخاننى الدهر فى الأميره وهذه قصة عميت علينا وأنا أسأل من بيده مفاتيح القلوب أن يفرج عنا هذه الكروب وأن يجمع بينى وبين الملكه ميمونة التى تغربت وهى عندى أجل من السمع والبصر لأنها قد عولت أن تقاتل فى الكفار حتى دخلت علينا العين بشؤم عقبة وأنا فزعان علىالاميره ومن معها وهم ألف فارس

وماهم إلا بعدوا عن العمران ثم انه بعد ما فرغ من هذا الكلام خرج الى مقام الحرب والنزال وطلب البراز فخرج اليه فارس وعليه عدة كاملة وحمل على الامير ورفع الوهق يرميه على عنق الامير فعلم الامير ذلك ثم رفع الامير السنان وطرح الوهق ثم ضربه على صدره خرج السنان يلمع من ظهره فخرج اليه ثانى فقتله وثالث جندله ورابع أقبره ومازال يقتل واحد بعد واحد إلى أن قتل خمسة وأربعين فارس فعند ذلك أدعى الملك بالدمستق وقال له أتعرف هذا الفارس فقال ما أسرع مانسى الملك أما هذا فهو الأسود الزنيم المهاب الامير عبد الوهاب فصلب على وجهه وقال أنا أخرج وآخذ رأسه من بين كتفيه فقالوا أيها الملك نحن نفديك بأرواحنا فقال لهم من أتى به أسير أو قتله أعطيه عمورية الكبرى وأعمالها فلما سمعوا ذلك تضاوبوا على الخروج وكل واحد منهم يطلب البراز والطلب الى الامير عبد الوهاب فقال لهم ارموا القرعة فكل من وقعت عليه فهو يخرج اليه فتقارعوا فوقعت القرعة على ميخائيل البحرى ولم يكن ميخائيل فى قوة الميلاص إلا انه لم يخالف البطرك وكان فى اليوم الرابع هذا الاتفاق وقد عول ميخائيل على الخروج واذا برجل وصل الى الملك ومعه كتاب مختوم فتقدم الدمستق وأراد يأخذ الكتاب من الرجل فامتنع الأعرابى من ذلك وقال أنا ما أسلمه إلا للملك لأن فيه أوفى بشارة ثم عمد الى الملك ميخائيل وأعطاه الكتاب فأخذه وفضه وقرأه وعرف مضمونه ومعناه ولما تأمله دمعت عيناه وأقبل على الدمستق وقال له اخلع على هذا الرجل وأعطى له ألف دينار فحضر ألف دينار وخلعة وأعطاهم لذلك الرجل وباتوا عند الملك تلك الليلة بعدمارجعوا من الميدان وتفرقت الصفوف وقد أخفوا ما فى الكتاب ولما أصبح الصباح خرج ميخائيل البحرى الى الميدان وخرج اليه الامير عبد الوهاب ولم يطاوله بل طعنه فى قلبه فعندها خرج اليه الميلاص كأنه جبل من رصاص وتقاتلوا طول النهار الى أن أمسى المساء ورجع كل واحد منهما الى أصحابه وهو يصف مالاقاه من صاحبه وكان الامير يقاتل ذلك اليوم وقلبه مشغول وماهو طيب لأجل غيبة أمه والملكة ميمونة فقال الامير أبو محمد والله لقد رابنى هذا الامر وأريدأن أمضى الى عسكو الروم فلعلى أطلع على خبر ولم يزل حتى وصل الى عسكر الروم واجتمع بمارس فقال له أهلا وسهلا والله اننى حامل همكم وأنتم على هذه الصفة وهذا عالم عظيم والرأى انكم ترحلوا تحت الليل وتجمعوا العرب وتعودون فقال أبو محمد أنت تعلم أن عبد الوهاب لا يفعل ذلك وأيضا ان قلبه مشغول بالأميره وغيبتها ثم أعاد عليه ماجرى (قال الراوى)

ياساده ياكرام فعند ذلك ضحك دارس وقال ما أخوفنى أن يكون الاعرابى والعسكر الذى سارفى مائة بطريك من أجل هذا الأمر فقال أبو محمد البطال وكيف هذا السبب فقال له دارس اعلم أن من أمس وصل الينا رجل أعرابى ومعه كتاب وقد اطلع الملك على ما فيه وعلم معانيه فعند ذلك جهز مائة بطريك وأرسلهم مع كافر زنديق فقال أبو محمد لما سمع ذلك الخطاب : أتعلم أين الكتاب فقال له قد أخذه الدمستق وقرأه ورأيته قد وضعه فى رأسه (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك أقبل أبو محمد على غلمانه وقال من منكم يمضى الى خيمة الدمستق ويأتينى بهذا الكتاب فقام لؤلؤ ومضى وعاد من وقته والكتاب معه واذا هو بخط عقبة أبلاه الله بالنكبة وهو يقول (أما بعد : أيها الملك انى قد جرى لى أمور وأحوال وعجائب لا تقال وأنا فى هذه الكرة لاأقدر أشرحها وشدائد لاأقدر أصفها وبعد ذلك سوف أجتمع بك وأعرفك بما جرى وتبكى على ما نالنى وبعد ذلك فما مضى تعبى وعذابى ونلت أربى وأن المسيح ومريحنا المعمدان قد خلصنى ببركة الحكيم مرقان وانه لما خلصنى أخذت به فى طريق أعرفها عن علم صحيح وقتلت فيها مائة من أعداء المسيح وأنا ما أفعل هذه الاسباب إلا انى أعلم أن المسيح مايخلينى من الثواب ولقد أخذت ميمونة التى هى أفرس من ذات الهمه ولو كنت بليت بها ما كان مضى عليك سنة أيشم منها ثم انى أخذت ذات الهمه وهلك معها مائة أسود وبعد ذلك ففى نفسى أمور أذكرها لك ويكون ذلك بينى وبينك وأريد أن لا يكون جواب هذا الكتاب إلا مائة فارس ومعها مائة جمل وعليها راوية ملآنه ماء واذا دخلوا الى تلك الارض حملوا على تلك الجمال الدروع والعدد التى كانت على المائة أسود حتى نستعين بها على قتال الاعداء وتقطع أيضا رؤوس الباقين ورأس ذات الهمة معهم وهذا يكون سببا لهلاكهم جميعا وأما ميمونة فقد سألنى حكيم الزمان الحكيم مرقان أن يتزوج بها ويبلغ منها مايروم ويأخذها معه الى جزائر الروم ونحن كلنا مالنا حاجة فى قتلها ودمارها وانها إذا أبعدت عن طريق المسلمين ماتعود الى ديارها ومع ذلك تكون طريقكم على الارض البيضاء ذات الاكم واقصدوا هناك (تلال الصنم) فانى هنالك مقيم وكل من دخل الى تلك الارض من المسلمين صارعديم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع أبو محمد ذلك المقال وثب من وقته وساعته ومضى الى الاميرعبد الوهاب فوجده ضيق الصدر وماعلى قلبه من عساكر الروم مثل ماعلى قلبه من أمر ميمونة وذات الهمه فدخل عليه أبو محمد وهو يدق على يد ويتمثل ببيت شعر يقول فيه :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

فقال له الامير عبد الوهاب دعنا ياأبو محمد من هذه الامثال وحدثنا ان كنت سمعت شيئا من الاقوال فعند ذلك رمى اليه الكتاب فقرأه الامير عبد الوهاب ثم بقى يرعد مثل الزعفة من غيرته على ميمونة ثم نادى فى الحال بجماعة من الرجال ثم نادى ابن سيف الحنيفية وابن ظالم وابن ضيغم وابن أبو الهزاهز حتى انتخبت مائة فارس ثم أقبل على البطال وقال له ياأبو محمد من يعرف هذه الطريق التى تنتهى الى هذه التلال فقال أبو محمد البطال أنا أيها الأمير أخبر بها وأعرفها معرفة خبير (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما سير الملك المائة فارس من الروم والإفرنج وأمر عليهم ملك يقال له (مزلقونا) وكان من الافرنج والروم يخشون سطوته وفى ظنه أنه يبلغ مايروم لأنه كان فارس شجاع وبطل مناع وله صوت عظيم واذا زعق دوت منه البقاع ثم انه لم يزل سائر حتى وصل الى عند عقبة فوجده فى تلك الارض الصعبة ومعه الاميره ذات الهمه والملكة ميمونة وهم فى حالة مذمومة لأن الملعون عقبة أقام مدة من الأيام لم يطعمهم شيئا من الطعام حتى ذهبت قوتهم من الأجسام وما فعل ذلك بهما إلا حتى تذهب قوتهما خوفا منهما (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما نظر مزلقونا اليهم صلب على وجهه ثم أقبل على عقبة وقال له لا ضيع لك المسيح هذه الفعلة ثم نزل وقد بلغ المأمول إلا انهم ما استقر بهم المقام والنزول حتى ظهرت لهم رايات من خلف تلك التلول وتحتهم فرسان لهم صولة وشدة فظن عقبة أن ملك الروم أرسل لهم نجدة ثم بقى باهت الى نحوهم وهم مقبلين من تلك الفلاة الى أن حقق أنهم السودان الغزاة ومكتوب على راياتهم (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعند ذلك اصفر وجهه وتغير لونه وقال أعوذ بالمسيح من شر هذا اليوم القبيح وبعد ذلك فإننى رأيت فى المنام منام أضعف كبدى وهو كأنى راكب على ثور وذنبه فى يدى وأقول ان عساكر الروم قد انكسرت وحلت بهم النحوس أو يكون للمسلمين جاسوس (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع (مزلقونا) من عقبة ذلك الخطاب قال له أيها الشيخ هون عليك هذا الباب فلو انهم بعدد التراب لما وصلوا إليك بسبب من الأسباب ثم انه ركب فى ساعة الحال وركبت معه البطارقة من أهل الضلال وكانوا هؤلاء القادمين مع أبو محمد البطال فلما قرب منهم ميزهم عقبة وعرفهم وعرف عدتهم ثم أقبل على مزلقونا وقال له اعلم أن الذى وصل اليكم فى عددكم فقال مزلقونا أقصر أيها الشيخ عن هذا المقال الذى لايتدبر واعلم أن أقل من معى يريد لرأسه هذا العسكر (قال الراوى) هذا ما تم

لهؤلاء من الأقوال (وأما ماكان) من أبو محمد البطال فانه أقبل على من معه من الرجال وقال لهم اعلموا ان الملك ميخائيل ما أرسل هؤلاء الرجال فى مثل هـذه الأشغال إلا وهو يعلم أنهم أبطال أو أنهم يصبرون على الحرب والقتال والطعن والنزال فلما سمع الأمير ظالم كلامه قلع لثامه وصاح فى أصحابه فسمع عقبه خطابه وقال وحق المسيح هذا ظالم واليوم تنحل بالروم العزائم ثم ان الأمير ظالم أطلق لحصانه العنان وساقه حتى قرب من أهل ملة الصلبان ونادى يا كلاب النصرانية جاكم البلا وحلت بكم الرزيه ثم أشار يقول

ألا يا كلاب الروم جاءكم الأمر   فقد نصر الاسلام وانخذل الكفر
ويصبح هذا الكلب عقبه خاسئا   أسيرا ذليلا لايفك من الأسر
أنا بن حماة الدين من آل عامر   لى الشرف الأعلى مع العز والفخر
ألا خبروا الملعون عقبه اننى   سأتركه طعما لوحش مع النسر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع عقبه من ظالم ذلك الكلام لطم على وجهه حتى جرى الدم من مناخيره كالمزاريب وقال وحق المسيح لقد حسبت هذا الحساب وعلمت أنها سنة ميشومة على أهل دين النصرانية ثم صاح سيف الحنيفية وتبعه فى الحملة برد بن الأزهر ولم يلوى عنانه وتبعه هارون العلوى وحمل مذكره كأنه القذاف ثم حمل بعدهم ظالم وعطاف (ياساده) فلما نظر مزلقونا الى أبطال الاسـلام وقد حملوا كأنهم أساد الآجام أقبل على من معه من الكفرة اللئام وقال وحق المسيح والكنائس ما يخرج إلى هؤلاء إلا فارس بعد فارس حتى يبان البطل الممارس من الجبان الناعس (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك خرج من عسكر الروم فارس مثل الفيل وكان كافر ملعون يقال له مقلعون ثم حمل إلى نحو المسلمين وطلب البراز من الموحدين فخرج اليه أبو الهزاهز وصار له فى ساحة الحرب مبارز وحمل عليه من غير كلام وجال معه ساعة بالحسام ثم تطاعنا بالرمح اللزام هذا وأبو الهزاهز أظهر جلده وصبره وطعن خصمه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فلما نظر مزلقونا إلى فعال أبو الهزاهز علم أنه بطل مناجز فهم بالخروج اليه فسبقه بطريق من الروم وحمل عليه وكان كافر ملعون يقال له قسطة بن قسطون ثم أنهما تضاربا بالصفاح وتطاعنا بالرماح ثم زاد حنق الاثنين وتطاعنا طعنتان واصلتان إلا أن أبو الهزاهز كان السابق بالطعنة فطعن عدو الله فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم كبر لما ترك خصمه على الثرى عفير فأجابوه المسلمين بالتهليل والتكبير فنادى عقبه

من الهم الذى هو فيه وحق المسيح لو بارزه ملك الموت لما قدر عليه فلم يتم عقبه مقاله حتى هم بطريق بالخروج اليه فصاح مزلقونا عليه وقال له ارجع عنه فما فيكم من يصلح لقتاله ولكن أنا له ولامثاله ثم أنه خرج وقد زاد به الغيظ والحراد وطلع شعر بدنه من الزرد ثم حمل على أبو الهزاهز من غير كلام وأشار إلى نحوه بالحسام فلما قرب منه صاح فى وجهه صيحة كدوى الرعد فقامت فرس أبو الهزاهز على رجليها ثم هجم عليه وضايقه وتقرب اليه ولاصقة ومد زنده اليه وكان زنده كزند البعير وقبض على أطواق درعه وهزه أخذه أسير وسلمه لبعض خدمه وعاد إلى الميدان وطلب البراز من الفرسان فخرج اليه مدركة فأخذه وخرج عمار بن سعد فأسره وخرج بعده طارق الحجازى فأنزل به الذل والأسر وخرج راشد بن ضمره فأخذه وقد حل به قهره وخرج بعده ثلاثة من السودان فتركهم قتلا فى ساحة الميدان وخرج بعدهم معروف بن مالك فأسره وبرز اليه الأمير غياث فأخذه وخرج من بعده ميمون الجماس فأنزل به الذل واليأس وبرز اليه منصور بن خضر فتركه فى ذل الأسر وخرج مره بن فهر فأخذه وخرج مقلد الكلابى فأخذه ولم يزل على ذلك الحال وهو للابطال ممارس إلى أن أخذ خمسة وثلاثون وبعد ذلك أمسى المساء وأقبل الليل والظلماء وباتت المسلمين فى هموم واتراح إلى أن أصبح الصباح هذا وعقبه يوصى مزلقونا ويقول له إجتهد فى أسرهم وإلا أسرونا ويصفعونا حتى يعمونا فقال له ويلك من بقى منهم وقد اخذت أبطالهم فقال له عقبه أستيقظ من غفلتك وأنتبه من رقدتك فأبطالهم بعد ما خرجوا لمبارزتك بل إن أخذت ظالم وضيغم وسيف الحنيفية وقشعم فأنت منهم تسلم وإلا هؤلاء الذين أخذتهم ما هم رجال الهواش وكلهم لاش فى لاش فعند ذلك برز مزلقونا إلى الميدان فخرج اليه ظالم كأنه الأسد الغضبان وفى يده حسام بتار قاطع للاعمار وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما نظر عقبه إلى ظالم وقد اشتغل بقتال مزلقونا أقبل على من معه وقال لهم اعلموا إن هؤلاء المسلمين قد أسر أكثرهم وما بقى إلا أقلهم وهذا الملك مزلقونا ما فيكم مثلة فان قدر هذا المسلم عليه فهو يخلص أصحابه من يديه وإن ظفر مزلقونا به فما تبالون أنتم بأصحابه والرأى عندى أن تحملون كلكم على أخوه لأنه فى الشجاعة مثل أبوه وإن قدرتم عليه فاقتلوه واحملوا عليهم لعلكم بعد هذه النوبة تسلموا ولا تخالفونى تندموا (قال الراوى) ياساة يا كرام فركبوا عن بكرة أبيهم وحملوا على سيف الحنيفية وأصحابه فما فيهم إلا من أيقن بهلاكه وبواره

والتقت الخصوم بالخصوم وصارت الخيل تقع وتقوم وبعد ذلك عثر جواد سيف الحنيفية فصار ملقا بين بطارقة النصرانية فأخذوه أسير ولم يبق غير ظالم وضيغم وهم يقاتلون المائة لأن المسلمين أسروا أجمعين وأخذ البطال وغلمانه ونزل بكل واحد منهم هوانه فعند ذلك فرح عقبه بتلك النوبة التي تدبرت ونادى بأعلى صوته يالها من مسره قد أقبلت ولم يستتم عقبه ذلك المقال حتى نظر إلى غبار وقد طلع من تحت التلال ثم انكشف عن خمسة وأربعين من الرجال وفي أيديهم السيوف الصقال (قال الراوي) ياسادة يا كرام وكان السبب في ذلك أن القوم الذين كانوا مع الأميره ذات الهمة كانوا صرعى على آخر نفس لأن عقبه ما كان قتل غير عشرة ووجد الآخرين مغشي عليهم فظن أنهم قد ماتوا فتركهم وأنهم قد نزل بهم ركب من العرب المتنصرة فعرفوا بأنهم السودان الغزاء ووجدا أكثرهم بالحياة فعند ذلك سقوهم فعادت اليهم أرواحهم ثم أطعموهم شيئا من الطعام وواظبوهم ثلاثة أيام ونحروا لهم خمسة من الجمال حتى عادت اليهم القوة وانصلح منهم الحال وبعد ذلك قالوا لهم بعد أن حصلت لكم السلامه والتوفيق نحن نخرجكم إلى الطريق ثم ساروا بهم يقطعون الربا والآكام إلى أن أشرفوا على ظالم وضيغم والمسلمين قد حل بهم الأسر والآلام (قال الراوي) ياساده يا كرام فعند ذلك طعن الأمير ظالم لمزلقونا في صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فعند ذلك حملت الفرسان وهم رجاله غير فرسان وأبرث قوائم الخيل وأنزلوا بالروم الذل والويل هذا وقد ترجلت الروم وكان ذلك اليوم يوم مذموم وأنزلت بهم السودان الذل والهوان ولم يسلم منهم إنسان الا عقبه والحكيم مرقان فاخذوهما وأطلقوا الأسارى الذين قد أخذوهما سابقا بعد ما أيقنوا بهلاكهما ثم إن الاميرظالم أقبل على عقبه ومسك بذقنه وقال له إلى كم يمهلك الله يا ملعون ثم أنه هز السيف في يده حتى لمعت بوارقه وضرب الحكيم مرقان على عاتقه فأطلعه يلمع من علائقه ثم مال إلى عقبة وأراد أن يسقيه كأس النكبة فناداه يا ظالم لا تقتلني فتبقى في قلوب المسلمين حسرات لانهم يذكرون أن محمدا صلى الله عليه وسلم وعدهم بصلبي وأنت أيها الامير لا تقدر سوى على ضربي فقال البطال لما سمع ذلك المقال كف عنه أيها الامير يدك ولكن قيده وأحمله إلى والدك فهو يعذبه العذاب الشديد أو يفعل به ما يريد فعند ذلك تركه ظالم وهو على سلامته نادم ثم بعد ما استراحوا من هذا الأمر والقتال رحلوا وساروا يقطعون السهل والتلال هذا والسودان قد ركب بعضهم على خيل البطارقة وبعضهم ركب الجمال التي كانت معهم يريدون يحملوها

العدد والأثقال (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أقبل أبو الهزاهز على عقبه وقال له ويلك يا ملعون تقول عنى بأنى ثور فو الله لابد ما أنزل بك العـذاب والجور وألطمك حتى يفور الدم من رأسك فوراً ثم تقدم ونزل عن الذى كان محمولا عليه وحمله على أكتافه وقد أضمر أنه يورده تلافه ثم أنه سار به فصار تارة يقع به وتارة يقوم ويلطمه على رقبته حتى ورمت ثم جانب به ظالم وخاطب عقبة وقال له أنا ثور كما تقول وقد حملتـــك على رقبتى (قال) فضحك الامير ظـــالم وقال له يا أبو الهزاهز ما عدنا نسميك من اليوم إلا ثور (قال) ولما سمع من ظالم هـذا الكلام قال والله يا أمير لانطحنه برأس ما للجواميس مثـل قرونهـا حتى تبصر من ينكسر قرنه قرنى أو قرنه (قال) فعند ذلك تضاحكت عليه الفرسان واشتفوا بمـا أنزل بعقبه من الهوان وقد أنزلوه من رقبة أبو الهزاهز بعد ما نطحه حتى شج رأسـه ثم حملوه واستقاموا على الطريق وساروا وجدوا فى المسير من غير تعويق (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ماكان من هؤلاء وما تم لهم من الاسباب (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب فانه لما انفصل ظالم عنه وراح بقى الامير على جمر اللظا إلى الصباح فعند ذلك ركبت الفرسان الخيول العتاق وقامت الدنيا على ساق ثم ان الملك الذى ضمن لميخائيل أخـذ الامير عبد الوهاب خرج وطلب البراز فخرج اليه الامير عبد الوهاب وهو كثير الاكتئاب مشغول القلب لاجل الغياب لمثل ظالم وأبو محمد وميمونة والاميره وجميع الاحباب فانشد وجعل يقول

ألا ليت شعرى ما الذى كان منهمو ... وما فعلت أيامنا بالحبايب
لقد بعدت عنى الاميرة بعدما ... الفت محياها كألف الكواعب
وهل وصل الملعون عقبة منهمو ... إلى قتلهم بالمفصلات النوائب

(قال الراوى) ثم أنه حمل على خصمه وضايقه وأخذا فى الجولان وفتحا فى الارض ميدان هذا وميخائيل قد أشرف حتى ينظر ما يتم بينهما من الاسباب ووقف أبو الفرج المقرىء من خلف الامـير ثم ان الفارسين تطاعنا بالرمحين حتى تقصفت وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت وتقابضا باليدين وتعاركا على الجوادين (قال) فعند ذلك زعق الفارس الرومى ويلكم الحقونى وإلا أخذنى هـذا المسلم وتعدمونى فعند ذلك أمر ميخائيل للعساكر كلها أن تحمل فحملت كأنها الجبال والتقت الرجال بالرجال وتضاربا بالسيوف الصقال ودارت بينهم طاحون الآجال فقصرت الاعمار الطوال وقتل من أصحاب الامير خلق كثير لان الروم ترجلت منهم أربعمائة الف من البطارقة الثقال

ورمت خيل المسلمين بالنبال فقتلت خيل كثير ورجال وداموا على ذلك الحال إلى أن عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال فعند ذلك افترق العسكران ونزل الفريقان وكان الظفر فى ذلك اليوم للكافرين وأيقن ميخائيل عند الصباح أن يملك جميع المسلمين فلما كان عند الصباح سارت العسكرين تطلب الكفاح وانتظروه المسلمين الأمير أن يخرج من مضربه فلم يخرج وتقدموا إليه ليبصروه فما وجدوه فضاقت صدورهم وحاروا فى أمورهم وأيقنت السودان والعرب فى ذلك اليوم بالعطب وأما سودان ميمونة فأقبلوا على بعضهم البعض وهم قد خافوا من الهلاك والذهاب وقالوا والله إن وقوعنا فى هذا الجمع ما هو صواب ولكن اهربوا بنا من قدام هؤلا الأمم وخلوا يعطب من يعطب ويسلم من يسلم لأن عبد الوهاب قد فقد ولا طلع له خبر فعن من نحامى ونلتى الهلاك من هذا العسكر فقال بعضهم ما هو صواب ولنا أسوة ببنى كلاب وأما المسلمين فانهم لما فقدوا الأمير حل بهم القلق والتحيير وأقبلوا على بعضهم البعض وقالوا الرأى أنكم تقدموا هذا الملك الذى عندكم أسير وكذلك البترك والرهبان وشومدرس الخنزير وهولوا عليهم بالقتل وعدم الحياة حتى يروهم الروم فان كان الأمير عندهم فهم يطلبوا المفاداة فعند ذلك طلبوا السودان الموكلون بشومدرس والبترك عضرطون ومن معهم من الرهبان فما وجدوا منهم إنسان فضاقت صدور المسلمين وحل بهم أمر عظيم (قال الراوى) وكان السبب فى هروبهم ذلك أن شومدرس لعب بعقول سودان ميمونة وقال لهم اعلموا أن الملكة ميمونة قد هلكت ومعها ذات الهمة وجماعة من السودان ولم يبق منهم إنسان وأنتم ترو هذه العساكر وقد أحدقت بكم وان لم تفعلوا ما أقول لكم والا هلكتم كلكم عن آخركم فقالوا له وما الذى تشير به علينا من الفعال فقال تطلقونا من هذا الأسر والاعتقال وانا أعطيكم مهما طلبتم من المال وان أردتم أن تقيموا عند الملك وأنتم على دينكم فهو يفرح بكم ويعطيكم وينعم عليكم ومن بنات البطارقة يزوجكم فقالوا لشومدرس لما سمعوا منه ذلك المقال قل لنا ما نصنع من الفعال فقال لهم أول الشيء تفكوا عنا هذه السلاسل والأغلال وان قدرتم على أخذ عبدالوهاب فهو أوفق لهذه الأسباب ولكن أريد أن تعلمونى الى أين مضى البطال فقالوا لا نعلم له خبر ثم أطلعوه على ما اتفقوا عليه من الأموال فقال ما لكم علم بتلك الحالات ويلكم أدركوا بنا الملك قبل الفوات وتمضى الساعة منكم عشرة الى عند الأمير عبد الوهاب وقولوا له أيها الأمير نحن الساعة على ما نحن عليه من حفظ ما وكلتنا به واذا بشيخ قد لاح الينا فقصدناه فى هذا الظلام الأسود فاذا به أبو محمد البطال فلما رآنا

وعرف أننا من السودان أقبل علينا وهو فرحان وقال لنا امضوا الساعة الى الأمير عبدالوهاب ودعوه يمضى معكم ويسرع بالعجل لأننى أريد أخذ الملك ميخائيل وبأخذه تنكسر الروم ويكون غدا صباحهم صباح ميشوم فإذا صار هنا وأنتم من حواليه فيخرج المقدم منكم اليه ويكون فى جماعه ويقبض عليه وبعد ذلك نسير تحت الليل على غير الطريق السالكه ونخرج من خلف العسكر نحن وأنتم وتدخلون على الملك ميخائيل وعبد الوهاب معكم فهذا يكون سبب غناكم (قال الراوى) فعند ذلك مضت السودان وفعلت ما أمرهم به شومدرس الخنزير ومضى معهم الأمير ولم يعلم بما تجرى به المقادير فوقعت عليه الرجال وأخذوه فى ساعته وقالوا له إن نطقت بكلمة قطعنا رأسك وأخمدنا أنفاسك (قال الراوى) فلما نظر الامير الى السودان وفعالهم علم شومدرس لعب بعقلهم فعند ذلك أداروا كتافه وشدوا أطرافه وأخذوه وساروا كلهم وشومدرس والرهبان أمامهم ثم قال لهم شومدرس اعلموا بأن الخيل لابد أن تجد فى طلبنا فاكمنوا باقى يومكم هاهنا وإذا جن الليل علنا سرنا وطلبنا عسكرنا ثم إنهم أقاموا ذلك اليوم مكمنين فلما أتى الليل ركبوا وساروا طالبين عساكر الكافرين إلا أنهم ما ساروا غير ساعة من الليل حتى سمعوا قدامهم حوافر الخيل فقال شومدرس لما سمع هذا الحس والليل قد اعتكر ظن أنها سيارة الملك ميخائيل فقال ابعثوا من يكشف لنا الخبر (قال الراوى) وكان هؤلاء القادمين فرسان المسلمين والملكه ميمونة والسودان المجاهدين وظالم فى أوائلهم وهو ينشد ويقول

ألا مبلغا عنا الأمير بأننا ... أتيناه بالشيخ اللعين الغادر
لنقتله والشيخ شورس الذى ... له حيل ما بين باد وحاضر
وسوف نذيق الروم فى صبح يومنا ... ضرابا بأسياف حداد بواتر

(قال الراوى) هذا والملكه ميمونة تقول والله لانتقمن اليوم من الروم ومن اللعين عقبة ولانزلن به نكبة وأى نكبه فلما سمعوا غلمان ميمونة كلامها عرفوها وأقبلوا بعضهم لبعض وقالوا والله هذه مولاتنا ولا فيها شك ولاهزل ومابقى من الرأى إلا أننا نقبض على هؤلاء القوم الكفرة ونلتقى أصحابنا ونقول هؤلاء لعبوا بعقولنا ثم إنهم أقبلوا على شومدرس والروم ومن معه وقالوا أتدرون ماهؤلاء القوم النادمين فأجابهم شومدرس اللعين وقال لاقالوا هؤلاء من ينزلوا بك البلاء وهذا ظالم ومن معه من الرجال وهذه ميمونة وذات الهمة والبطال ونقول ان معهم عقبة شيخ الضلال وقد عولوا على أن يصفعوا منك القذال وينزلوا على رأسك بالنعال فقال شومدرس

لما سمع منهم الكلام وقد حلت به الخيفه والله إن عقولكم خسيفة ويلكم اطلبوا غير هذه الطريق من قبل أن يحل بنا وبكم التعويق فقالوا له السودان قد عولنا على أمر ونحن نشاورك فيه فقال وما هو اكشفوا لى عن معانيه فقالوا قد عولنا على أن نلطمك حتى تورم رقبتك ونسحبك الى نحوهم بلحيتكم ونعتذر اليهم من فعلتك (قال الراوى) فلما سمع كلامهم قال لهم ويلكم لاتفعلوا واصبروا ولا تهملوا وأنا أعطيكم من المال كل ما تطلبوا فقالوا له اسكت ياقرنان فهذا شىء لا يكون أبدا فى هذا الزمان لأن مولاتنا ميمونة لها فضل علينا وإحسان وهى مالكة رقابنا دون كل إنسان ثم انهم بعد ذلك صاحوا الينا يامعاشر القادمين أبشروا بالنصر المبين فعند ذلك أتتهم الخيل وطلبت الصياح فى ظلام الليل وكان أول من سبق اليهم ظالم وقال ويلكم ما الخبر من أنتم الذين سائرين فى هذا البر الاقفر (قال الراوى) فعند ذلك أخبروه بقصتهم وما تم لهم من نوبتهم هذا والفرسان قد داروا بهم فى كل مكان وقبضوا على شومدوس ومن معه من الرهبان وكذلك الملك وحلوا الامير عبد الوهاب من الوثائق والعذاب واجتمعت الاحباب بالاحباب وفرحوا بهذا الاتفاق الذى ما يسطر مثله فى الاوراق ثم ساروا بقية ليلتهم وجدوا فى قطع التلال والهضاب والامير عبدالوهاب خائف على بنى كلاب (ياساده) وكانوا قد قاتلوا ذلك الكفرة اللئام وقد صبروا صبر الكرام ودام الحرب بينهم إلى أن انسدل الظلام ثم نزلوا وقد أيقنوا بالمعاطب ودارت بهم الروم من كل جانب وكان عليهم ليل طويل ومابقى لهم إلى الهرب سبيل فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر سيدنا محمد سيد الملاح ركب الملك ميخائيل وأمر الروم بالحملة على المسلمين واذا بغبار قد علا وانكشف عن الامراء المجاهدين وهم مقبلين كأسد الغاب ومن بين أيديهم الأميرة ذات الهمة والملكه ميمونة والامير عبد الوهاب قال وكانت ميمونه قد عولت على ضرب رقاب السودان فقال لها الامير ما هذا صواب لأنهم قد لعب بعقولهم هذا الذى يلعب بعقول الملوك (قال الراوى) ولما وصل الأمير عبد الوهاب ومن معه من سادات بنى كلاب وعرفت الابطال الانجاب فعند ذلك قويت منهم القلوب ونعشت منهم النفوس وأيقنوا بذهاب الهم والبؤس هذا والامير قد كب رأسه فى قربوص سرجه وحمل ففعلت الابطال مثل ما فعل ولما نظرت الروم الى وصول الامير ومن معه ما منهم إلا من غاب صوابه وأيقن بعدمه ومصابه (قال الراوى) وكان أول من حمل وطلب العلم الاخضر والصليب الجوهر الامير عبد الوهاب ومعه رأس مزلقونا فعظم ذلك على ميخائيل وأيقنت الروم بالهلاك

الوبيل ثم ان الملك أقبل على وزيره وقال له ويلك لا بد من الحيلة تمت علينا حتى فشى سرنا وظهر أمرنا وقتلت رجالنا فقال له الوزير وحق المسيح ما كان هذا الكلام الذى ذكرتم إلا صحيح لأن مالنا سر مكتوم لا عن المسلمين ولا عن الروم وأنا أعلم بأن علينا من خواصنا عيون وهم الذين يعلمون المسلمين بما يكون ثم رجع ملك الروم ولم يقاتل ذلك النهار وكذلك رجع الامير عبد الوهاب فهذا ما كان من ملك الروم وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه قد افتقد عسكره فوجده قد فقد أكثره فعظم ذلك عليه وكبر لديه وأقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها ياأميرة مالنا إلا المبارزة والمطاولة لعل أن نظفر بهم لأن فى غيبتكم وفى النهار الذى قبض على فيه فنى أكثر العسكر فقالت الملكه ميمونه اعلم أن العساكر اذا هلك المقدم عليها لا يثبت أحد منهم وأنا قد رأيت من الرأى الذى أراه بأننى فى غداة غد أهجم على ملك النصرانية نسل الطغاة ولا أرجع حتى أخرج سنان رمحى من قفاه فقالت الاميرة وأنا معك وأعينك على هذا الأمر فقال الأمير ظالم وأنا الثالث فقال لهم الأمير لا كلام حتى يصبح الصباح وإذا طلع النهار طلبنا منهم البراز وأشبعناهم كفاح ثم انهم بعد ذلك غرقوا فى بحر المنام وقد سلموا أمرهم للملك العلام فلما طلع النهار ركبت العساكر من السادة الأخيار وكذلك فعلوا القوم الكفار بعد أن اصطفت الصفوف ثم خرجت ميمونه الى بين العسكرين وهى على جواد أدهم مثل الليل اذا أظلم وهى دهما راكبه أدهم وقد تعممت بعمامة سوداء وأحداقها احمرت حتى حكت العندم ثم نادت برفيع من صوتها اعلموا أيها الكافرون أن المكاثرة من أحوال الصبيان وما يركن اليها إلا كل جبان والمبارزة من أحوال الأبطال والشجعان (قال الراوى) فلما سمعت الروم مقالها صلبت على وجوهها وخرج اليها بطريق كأنه شعلة حريق فلم تمهله أن يوسع فى كره بل أوقعت سنانها فى صدره أطلعته يلمع من ظهره قال فلما نظر الملك الى ذلك حلت عنده هموم زائده وقال وحق المسيح ماجال صاحبنا مع هذا الفارس إلا جولة واحدة فخرج اليها ثانى فلم يكن لها مدانى وخرج الثالث وهو على قتلها قد عول فألحقته بالأول هذا وقد صارت البطارقة تخرج اليها وهم عليها حنقين الى أن قتلت منهم خمسة وعشرين ثم نادت يا أندال أما أنتم رجال يخرج منكم ثلاثين وإن شئتم خمسين أو مائة أو ألف حتى أوردكم كؤس الحتف فقال الملك وقد عظم عليه ذلك المصاب وقال هذا ما رأيناه من ذات الهمه ولا من عبد الوهاب فياقومى من هو هذا الفارس المهاب فقال الدمستق وقد كان عقبه ذكر فى كتابه أنه قد قبض على

ذات الهمة وهذه يقال لها الملكة ميمونة وذكر أنها امرأة سوداء وحكى عنها أنها أسرت عبد الوهاب قبل أن يتزوج بها وصالت أيضاً على ذات الهمة وما هى إلا هذه فانفذ إليها فقال للدمستق انتخب إليها مائة فانتخب لها مائة فارس من كل فارس فتولا وقال من أتانى برأسها وزنت له وزنها مال (قال الراوى) فعند ذلك خرجت إليها المائة بطريق وخرجوا على ميمونة كأنهم النار ذات الحريق قال وهذه قصة تضرب بها الأمثال وتتحدث بها الرجال وهى أن مائة فارس تخرج إلى امرأة ذات ضلع أعوج وعقل أهوج قال وإن الملكة ميمونة لما نظرت إلى ذلك الحال وشاهدت من برز لها من الرجال والأبطال نزلت عن جوادها وافتقدت حزامه لئلا يخونها وقت المجال ويبلغ العدو منها مرامه فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك التفت إلى الأمير وقال ماهذا صواب وهو أن نخلى الملكة ميمونة وحدها قدام هؤلاء الكلاب فقالت دع عنك هذا الخطاب ولا تخاف على ميمونة من هذه الأسباب لأننىَ أنا عرفت منها مالا تعرفه أنت فدعها تلتقيهم كلهم حتى يكون لها الهيبة فى قلوبهم (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك المقال سكت حتى ينظر على أى شيء يكون الحال هذا والبطارقة قد حملوا عليها فى ساحة الميدان فالتقتهم بصدر الحصان وعملت فيهم كما يعمل الذئب فى الأغنام هذا والفرسان قد تعبوا من صبرها ونظروا إلى حسن كرها وأيقنت الروم بأخذها هذا وقد فاجأها فارس يقال له شماطا بطعنة على غرتها وكان قد أتاها من وراءها واستغنم غفلتها فلما هجم عليها من وراء ظهرها لم تشعر إلا والرمح قد قرب من صدرها فأرمت السيف من كفها وأخذت الرمح بيدها وجذبته بقوتها فصارت فرس شموطا عندها ومسكت بيدها إلى عامود من حديد كان تحت ركابها وضربته عجلت منيته ثم إنها جعلت تبرى الرماح وقد كثر عليها الصياح من جميع النواح هذا وهى لم تكترث بصياحهم فأخذت الرمح وجعلت تلتقط به لبات الرجال ولم تزل على ذلك وهى كأنها الأسد العرين إلى أن طرحت منهم خمسة وأربعين فلما نظر الملك ميخائيل إلى كل من بارزها صار قتيل فقال أما تنظر أيها البترك إلى هذا الفارس النبيل فوحق الانجيل إن الروم الأراذيل ما فيهم لهذا الفارس مثيل (قال الراوى) فعند ذلك قال ملك من ملوك النصرانية يقال له طالوت المسيحى أيها الملك وحق المسيح ان هذا الفارس لاحت لى منه النجابة وانه صاحب خفه ورشاقة وأن هذه الرجال الذين خرجوا اليه ماهم به طاقة وسوف أتيك به الساعة أسير أو أتركه قتيل عفير ثم صاح بجواده وطلب الميدان فلما نظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك الشأن والى ما قد غدر والملاعين حين

رأوا التقصير من أصحابهم وقد قتل منهم خمسة وأربعين (قال) وأيضاً لما نظرت الأميرة الى طالوت وقد حمل قالت هذا فارس بطل وأخاف أن يُنزل بميمونة حلول الأجل فقال لها الامير وعلى ماذا عولتي عليه أيتها الاميرة قالت اخرج اليه واشغله عن ميمونة ثم صاحت بجوادها حتى أدركته وصاحت ويلك يا كلب النصرانية ما هذا الفعل الذى فعلته لقد عدمت عقلك وبان غدرك وجهلك فدونك والحرب لا أم لك ولا أب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع كلامها ومرامها وأراد أن يجاوبها بجواب واذا بالمنادى وهو يسمع الخطاب ألا وانها أم الاسود الامير عبد الوهاب خذ حذرك منها والا أنزلت بك الهلاك المبين واقتلها فان قتلتها أحب الى من جميع المسلمين فلما سمع الخطاب حمل على الاميرة وأخذ معها فى الصدام وجرى بينهما حرب شديد يشيب الطفل الوليد ولم يزالا على ذلك الرواح حتى سمعت الاميرة فصنتت له واذا هو قد أذهل السامعين واذا هو صوت ميمونة وهى تصيح على الكافرين وقد قتلت ثمانين ونفروا من بين يديها الباقين وطلبت الامير فى ساحة المجال وقد علمت أن خصمها خلاف من لاقت من الرجال أرادت أن تعينها على ذلك البطل الصميدع فأشارت اليها الاميرة ذات الهمة بأن ترجع ثم أنها ضايقت خصمها فى الميدان وصوبت اليه رأس السنان فاختلف من بينهما طعنتان فسبقته الاميرة بالطعنة مفاجأة فوقع السنان فى فاه أطلعتها من قفاه ثم ان الاميرة جالت على شلوه وطلبت البراز فخرج اليها فارس على جواد أصفر عالى من الخيل مضمر فانقض عليها انقضاض القضى والقدر فلم تطل الاميرة معه بل ضربته على خودته نزل السيف الى قمته وكبرت الواحد الاحد وطلبت البراز فلم يبرز اليها أحد فعند ذلك أشارت للمسلمين بالحملة فحملوا على عساكر المشركين وسمع للسيف فى الرؤوس طنين وما ثبتت الروم غير ساعة واحدة وأعطت القفى وتبعتهم أمة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ولم يبق أحد من الملوك الا وانهزم وحل بهم الهلاك والعدم وطلبوا آمد الى الملك راقونا الذى تقدم ذكره هذا وميخائيل فى أوائلهم هارب وقد حلت به وبمن معه المصائب ولم يرى أحد أعظم من تلك الكسرة وفرحوا المسلمين بالسلامة والنصرة وحازوا من الاموال والاثقال والانعام والجمال والاعلام والخيال أما ما لا يحصيه الا الملك العلام واستغنت بنو كلاب والسودان والانجاب وحل لهم النصرة على عبدة الصلبان (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الملكة ميمونة لما خلا سرها من القتال ضربت رقاب السودان وأنزلت بهم الهوان والتدمير

وهم الذين كانوا عملوا على الأمير فلما علم الأمير بذلك صعب عليه ذلك وقال لها من ذا الذى حملك على هذا الأمر الذى فعلتيه فقالت حتى لا يرجع أحداً يطمع فى مثل هذا الفعال ولا يعمل على أحد من الرجال فلا تقول إن ما كنا لاقيناك ما كنت اليوم عند ميخائيل تقاسى الأسر والعذاب ثم إنها من وقتها ادعت بمقدمين سودانها وضربتهم بالعصى قدامها وقالت لولا أنتم غفلتم على أصحابكم ما تم على الأمير ما تم منكم وأنا أقسم بالله لو تم على الأمير فى هذه النوبة أمراً لكنت ضربت منكم ألف رقبة فعند ذلك اعتذروا إليها فيما جرى وكان ووقعت هيبتها فى قلوب السودان (قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا والأمير حل به أمر عظيم وهو مشغول القلب بآمد ومن فيها من الحريم فسار عند ذلك طالباً إليها من خوفه عليها وتسامعت به العرب والأكراد فأتت إليه من سائر البلاد وأما ميخائيل فانه لم يزل سائر بعد ما قاسى تلك الشدائد حتى وصل إلى آمد فلما سمع الملك قراقونا بقدومه ونظر إلى عساكره مكسورة معه غلق الباب فى وجهه وعطعطت عليه الكفار من فوق الأصوار وقال له قراقونا لعن المسيح قوماً تكون أنت ملكهم وأنت بهذا الادبار لأن هذا الذى فعلتموه غاية المذلة والعار (قال) فعند ذلك سار البترك إليه ودخل عليه وخوفه من ذلك الفعل الذميم ولامه كيف غلق البـــاب فى وجه الملك ولم يزل البترك يورد له الأقاويل ويأتيه بأخبار كلها زور وأباطيل حتى فتح الباب إلى ميخائيل ولمه إلى صدره وقبل غرته ثم إن قراقونا سأل ميخائيل عن عقبة وما جرى له فى تلك النوبة وأخبره بما تم له من النكبة وكيف وصلت أذية المسلمين إليه فعظم ذلك عليه وفرك من شدة الغيظ يديه وقال وحق المسيح ما أتيت من جزيرة الضرس إلى هذه البلاد إلا شوقاً إلى نظرة من دون العباد لأن كتبه كانت تصل الى فى كل عام على ممر الشهور والأيام وبعد ذلك ما قضى الى به القضاء أن ألقاه ولا أنظره ولا أراه لأن كتبه تدل على أنه خبير بتصاريف الزمان وتشهد بأنه أعلم من كل بترك ومطران وأنه فى دين النصرانية أخبر من جميع القسوس والرهبان وصاحب علم غزير وأجل منزلة من البترك الكبير فقال ميخائيل لقد صدقت وحق السيد المسيح لأن ما فى الأرض مثل هذا الشيخ النجيح وبعد ذلك فانه هو والبترك عضريطون وجميع الرهبان أسارى وكلهم فى الذل والهوان ثم ان الملك ميخائيل أقبل على الملك قراقونا وجعل يخبره بفضائل عقبة ويحدثه بمكره وحيله على المسلمين ومنافعه وتعصبه للمشركين ثم انهم بعد ذلك الكلام أقاموا منتظرين عساكر المسلمين (قال

الراوى) يا سادة يا كرام فلما كان فى بعض الأيام طلعت غبرة عظيمة وقتام وكثر الغبار ثم بانت الصناجق الاسلامية والرايات المحمدية وارتفعت أصواتهم بالصلاة على خير البرية صلى الله عليه وسلم (وأما) المأسورين والمأسورات الذين هم فى آمد فانهم كانوا فى ضيق وشدائد وطال عليهم المدا وهم يقاسون الضر والأذى وكانوا أكثر من ثلاثين ألف أسير ما بين شيخ وكبير وامرأة وطفل صغير فلما كان ذلك اليوم سمعوا المأسورين التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم واستبشروا بقدوم المسلمين وأيقنوا بخلاصهم من المشركين فلما وصلت عساكر الاسلام قال قراقونا اللعين للملك ميخائيل وحق السيدالمسيح وأمه القديسةوالذبيح والبيع المنكوسة لا قاتل معى فى ذلك اليوم أحد غير ولدى ميلوسا وأنزل بالمسلمين ضرا وبؤساً ثم قسم قراقونا عسكره نصفين وكان كل قسم عدده مائتين ألف ثم ادعا بولده ميلوسا وكان له من العمر عشرين سنة الا انه ما كان يعوز من الفيل الا خرطومه ومن الجاموس الا قرونه فلما ندبه أبوه الى قتال المسلمين فرح اللعين (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك حمل الأمير عبد الوهاب بمن معه من الأبطال وحمل ميلوسنا ابن قراقونا فى مائتى ألف وتصادمت الخيل فى بعضها البعض وارتجت الأرض من كثرة الركض وارتفعت من الفرسان أصواتها وأيقنت الأرواح بمماتها لأن عسكر الأمير كان أكثره ما أتى الا فى طلب الغنيمة والنهب وما كانوا من رجال الحرب وما كان معه من يثبت للقتال والضرب الا أبطال بنى كلاب فلما صدمهم ميلوسا بمن معه من الفرسان المسرعة انهزمت العساكر المجمعة ونظرت بنى كلاب الى هزيمتهم وكيف مضوا وخلوهم فانهزم منهم جماعة وتبعوهم فلما نظرت الاميرة ذات الهمة الى ذلك الامر الخطير ترجلت وترجل الامير وعملت مثل عملهم بنو كلاب وهجمت على الروم الكلاب فلما نظرت ميمونة الى ذلك البلا قالت لمن معها لا يحمل أحداً منكم حتى أحمل أنا لان الروم الكلاب لابد لهم أن يترجلوا فى طلب الامير عبد الوهاب واذا ترجلوا وحملوا كشفوا رؤوسكم واحملوا وأنا أقسم بمن حرك الحواس كل من رأيته منكم مغطى الرأس أخمدت منه الانفاس وأنا مقصدى بذلك الا انهم اذا رأوا رؤوسكم فانها رؤوس العفار فيحيل بهم الموت المميت وأول من يكشف رأسه أنا وأقتحم قسطل الغبار ولا على فى ذلك فضيحة ولا عار اذا كان ذلك فى طاعة العزيز الغفار

فلم تكن (ياساده) إلا ساعة حتى ترجلت الروم وأقبلوا كالغيث اذا انسكب من العتوم فعند ذلك كشفت ميمونه رأسها فلاح لها شعر اسود مثل الغسق وفعلت السودان مثل فعالها كما بينهم اتفق وصاحت : يا آل حام يا آل حام يا أبناء الكرام أنا بنت الملك الدمدمان فجاوبتها السودان من كل مكان وهجموا على الروم كأنهم الغيلان (قال الراوى) وكان فى أصحاب الملك (قراقونا) أقوام عمرهم ماراأوا سودان ولا خطر ببالهم على طول الزمان أحد لونه أسود فلما نظروا فى ذلك اليوم الى السودان أخذهم الفزع والرجفان فهجمت السودان على الصفوف وضربوهم بالسيوف . هذا وميمونه قد خاضت العجاج وأرمت القوم أفراداً وأزواج فلما نظر (ميلوسا) ابن قراقونا اليها قوم سنانه وحمل عليها وتلقاها برأس السنان وقد علم أنها المقدمة على السودان (قال) فلما نظرته ميمونه تلقته وحملت عليه وقالت هذا لا شك مقدم الجيش لعظم خلقته وان أسرته لم يثبت أخذه من بعد ثم أكرت عليه كأنها الأسد الا كرد فألقى (ميلوسا) روحه عليها وظن أنها ذات الهمه وتطاعنا ملياً وتضاربا وفيا ثم التصقا وافترقا وفتحا فى الارض ميداناً وأجادوا ضربا وطعانا فاختلف بينهما ضربتان قاطعتان واصلتان من ساعدان شديدان فكان سيف ميمونه أسبق اليه من سيفه اليها فوقع على رأسه نزل الى أضراسه ووقع سيفه على عنق جوادها لما هجم عليها فبرى رقبته كما يبرى البارى القلم فوقعت الى الارض وانقلب الجواد عليها فأحدقت بها الرجال من كل جانب ومكان وطعنوها بالرماح وضربوها بالقواضب الصفاح وما عند الامير عبد الوهاب منها خبر من تلك الأسباب وأخذت من تحت حوافر الخيل أسيرة جريحة لأن فخذها كان تحت الجواد لما وقع عليها وقد أثخنت بالحديد الذى كان عليها وحمل (قراقونا) فى مائة ألف من الكافرين ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل طول النهار الى الليل حتى كلت الخيل وزاد على الروم البلاء والويل (قال الراوى) ياساده يا كرام فعند ذلك نادوا الفريقين بالانفصال ورجعت كل طائفة الى مكانها وأقبل الظلام فعند ذلك افتقد الامير عبد الوهاب لعقبة وشومدرس لأنه كان وكل بهم برد بن الأزهر ومالك بن طوق ومائة فارس وطلب الأمير ميمونة فلم يجدها بين الناس فوقع به الوسواس وسأل عنها الرجال فقيل له قد رأيناها وقد فعلت ماهو كذا وكذا وما أخذت إلا بهذه الصفة لأن الجواد قد أصيب بنفسه وأصيبت هى من بعده ولم نقدر على الوصول اليها وقد اشتغل كل واحد منا بنفسه فبكى الأميرعبد الوهاب ولم يقدر أن يتجلد وقد

جعلت الأمير ذات الهمة متغيرة على ذلك رحمة على ولدها وقالت له قلل من البكاء فقال الأمير عبد الوهاب والله ما أبكى إلا لأجل نصرة الاسلام من مثلها إلا أن مانظر أحداً شكاها وقد قالت بعد ما انكسر الملك ميخائيل من بغداد وحق من رفع السماء بغير عمد لاعدت تركتك فتعرض لى بحال من الأحوال لأننى ما أبرح راكعة ساجدة وبسيفى فى يمينى شاهرة فى سبيل الله تعالى واعتمادى عليه وأنا أحبها لأجل ذلك قال فبكت الاميرة ذات الهمة وبكوا الناس لما سمعوا ذلك وقالوا هذه صفة المسلمين الذين مدحهم الله تعالى (قال الراوى) ياساده ياكرام وقد حملت الملكة ميمونة الى الملك قراقونا وقيل له هذه الملكه ميمونة زوجة الأسود الزنيم اللئيم وهى على ماوصفت الشيخ النجيح انها أعظم من الاميرة ذات الهمه . هذا وقد نظر قراقونا الى الملكه ميمونه والى حسن سوادها وتجعيد شعرها بعد أن كان معول على قتلها فوقعت فى قلبه محبتها وكان ذلك سببا لسلامتها وكان معول على قتلها فوقعت اليه محبتها وقد تفقد جراحها بالدواء واذا هى بها جراح سليمة فشدوها ورفعها الى البرج الذى فيه الأسارى (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وقدأصبح الله بالصباح وقعد الأمير عبد الوهاب على مقالى النار من أجل زوجته وهولايعلم بماكان منها هذا وقد ركب الملك ميخائيل الى قراقونا فى سائر العساكر وطلبوا البراز الى المسلمين ولما نزلوا الى الميدان وموقف الحرب والطعان ورتبوا صفوفهم واستعدوا للقتال والامير عبد الوهاب قد أقبل على السودان وقال لهم قد أنقلت عنا العساكر وهذا عسكر مثل البحر الزاخر وما يوافقنا إلا الصبر ياقوم فى المعاملة وارموا الدنيا من وراء ظهوركم واستقبلوا الآخرة بوجوهكم فقالوا الكل فى صوت واحد : أيها الأمير هذا غاية مرادنا وسوف ترى اليوم قتالنا وحربنا ونزالنا ثم انهم حملوا على الروم حملة واحدة وكانت حملة صادقة تهد الجبال وتقصر الاعمار الطوال وفى دون ساعة اشتد القتال وعظم النزال ودام الزلزال وكثرت الأهوال واسود من كثرة الغبار فى الجو وعدم الضوء وكثر النور ساعة من النهار واذا بجماعة من البطارقة أشارت على الروم بالرجوع وانحدر (قراقونا) إلى وسط الميدان وأشار بيده ورأس السنان الى الامير عبدالوهاب وقال دونك أنت ملك وأنا ملك فعوّل الأميرأن يخرج اليه فمنعته الأميرة من ذلك وقفزت بجوادها الى الميدان فتأخر (قراقونا) إلى ورائه وأشار الى قومه بالحملة فحملت بعد ما كانت تأخرت وعلى القتال عولت عند ذلك حملت الطوائف على الطوائف وعاد الجبان قلبه خائف وكثر الجراح والكلام وسار الغبار كأنه

الغيوم والخيل تقع ولا تقوم ولم تزل الحروب قائمة والرجال متلازمة إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار فرجعوا عن الحرب ونزلت كل طائفة فى مكانها وتحارست فتيانها وقد أحاطت الروم بالإسلام من كل جانب ومكان وطمع ميخائيل فى الاسلام لما رأى العساكر تفللت (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا جرى ههنا وأما ما كان من (قراقونا) فإنه ترك العساكر خارج البلد ودخل الى أمه لما وضعت الحرب أوزارها وأظلمت الدنيا وأقطارها وجلس وأحضر ميمونة قدامه وطلبت نفسه وصالها فأمر غلمانه أن تأتيه بصناديق الأموال والجواهر واللآلئ وكان قصده أن يميل قلب ميمونة اليه بكثرة الاموال وتعطيه كل ماخطر بباله فلما أن رأت إلى تلك الأموال وكثرتها قال لها قراقونا بلسان العرب أيتها الملكة هذا كله لك وبين يديك وأنا أكون عبدك وخادمك ولاأبخل بروحى عليك واعلمى أن جزيرتى يقال لها جزيرة الضرس وفيها قلعة على رأس جبل نابت فى وسط البحر شاهق فى الهوى ما لأحد عليها طريق ولا إليها تسليق وفيها جندى وقومى وأهلى وعشيرتى وفيها عالم عظيم كلهم من تحت أمرى ونهيى وسائر بلاد الروم تأتيها بالتجارات ويقصدونها من جميع الجهات وأتزوج بك على مذهب السيد المسيح والإنجيل وتكونى سيدة ملك الروم ميخائيل لأنه فى حكمى وتحت نهيى وأمرى وإن أبيت ذلك أصب عليك العذاب صبا الذى لا تطيقيه ولا قدرة لك عليه (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ميمونة ذلك المقال من (قراقونا) قالت له أيها الملك الجاهل فى المقال والفعال المعجب بنفسه وماله بين الأنام أما ماذكرت من الاموال وكثرتها فما أنت بأكثر مال من قارون الذى كان له ألف بغل تحمل مفاتيح بيوت الأموال ولا من إرم الذى أنشأ إرم ذات العماد الذى بنى له عمارة وجعلها لبنة من فضة ولبنة من ذهب ورصعها باللؤلؤ والجوهر المنتخب فلما أن أتاه أمر الله ما نفعته داره ولا منعت عنه أنصاره وقال الشاعر فى حقه :

لاتغرنك نفسك بالمال الذى أنت جامعه ... واخزن فانك بجمع المال مخزون
لو كان يفتخر بالمال جامعه ... لكان أفخر خلق الله قارون

وأما ما ذكرت من حصنك وقلعتك فان الموت لايرهب القلاع ولا الحصون فلا تغتر ياهذا بما ذكرت واعلم أنه قليل زائل وإنك تخلى الأطلال والمنازل فارجع إلى دين الاسلام من قريب عسى أن يغفر لك القريب المجيب وتنجو من النار والتعذيب (قال الراوى) ياساده يا كرام وأن كلامها وقع على قلب

(قراقونا) أحلى من الجلاب لأن المحب يستعذب من حبيبه مر الخطاب على كل حال إن كان سيئا أو حسناً فقال لها أنا الساعة أبطل ذلك المقال وأقوم أنا وأباك الى الصراع وقوة الزند والباع فإن أنا صرعتك وغلبتك تكونى بحكمى وتدخلى فى دينى وإن أنت صرعتيني أطلق سراحك وأعتقك فقالت رضيت بما تقول غير انك تحضر القسوس والرهبان حتى يشهدون عليك بما تقول وكان ظن قراقونا أنه يغلبها وتطيعه عما فى قلبي منها من المحبة والهوى وتباريح الجوى ثم انه أحضر القسوس والرهبان وأعلمهم بما صار بينهم من المقال ثم حلها من وثاقها فقامت على حيلها وملكت نفسها كأنها بعير حل من قيود ووثب قراقونا إلى نحوها ثم انهما تقابضا وتلازما وتماسكا وتجاذبا ثم إن قراقونا صاح صيحة عظيمة وجذبها الى عنده فوجد ما أمله بعيد ووصوله اليها صعب شديد ثم انها طاولته وماحكته ساعة حتى علمت أن حيله تناقص وضعفت قواه فلطمته بين أكتافه وإذا بأعلاه رجلاه فوقع الى الأرض وقد خلعت قلبه من تلك اللطمة ثم انه قام والخجل قد علاه والقسوس والرهبان الذين حداه ولو كان معها حسام كانت أحمت نفسها من كل من حولها وربما قتلت قراقونا ثم انه صاح فيمن حوله من البطارقة يعيدوها الى الشد والعقال ففعلوا ذلك ووضعها فى قيد وتركها فى مكان وبات طول ليلته يتألم ويتوجع الى أن طلع الفجر وبان أمر بفتح الباب وخرج ومن حوله قومه وغلمانه وكان ميخائيل قد ركب وتكاملوا البطارقة من حواليه ووصل قراقونا فصكع له ميخائيل وخدم وقال له ياملك على ماذا عولت أن تفعل قال على قتال المسلمين وأفنيهم أجمعين عند ذلك تصففت السيوف وترتبت الألوف وكان الامير عبد الوهاب أيقظ منهم محترز على روحه إلا انه زائد الافتكار على ميمونة وقد تحقق أنها مأسورة وهو من أجلها مشغول القلب والفؤاد وأبو يخلف المغربى يقول له يامولاى هون عن قلبك هذا البلاء فأنا وأنت فى المصيبة سواء لأنك أصبت فى ميمونة وأنا أصبت فى شمسه عسى ربى أن يخلصهما سريعا وينزل على أعداءنا الهلاك للجميع فصاح به الأمير: قم ياقرنان من وجهى وإلا تركت السودان يصفعوك فقال يامولاى الصفع لى فيه راحة من البكاء لأن أسر شمسه وحبها قل منى الحيل والقوى فضحك الامير من وسط الغيظ وزاد به اهتمامه وقد نظر الى الروم صفوا صفوفهم فأقبل على الأعراب وقال ياقوم اعلموا أننا فى المصيبة سواء وقد عميت أبصارنا وصممت آذاننا وأنتم مافيكم إلا من له فى آمد الزوجة والاثنين والولد والولدين والأخ والأخوين فقالوا كلهم عن لسان واحد : أيها الأمير لاخير

فى الدنيا بعد فراق الاحباب (قال الراوى) ياساده يا كرام واذا بفارس خرج واشتهر من عسكر الروم على جواد كأنه ظلوم يسبق برق الغيوم وبادر واشتهر كأنه نار سقر وعلى صدره زرد مضاعف العدد كأنه عيون الجرد لايقطع فيها الصارم المهند ولا الرمح المسدد ومن فوقها ثوب أصفر مفرد على رأسه بيضة عادية ململة مجلية شاهر سيف كأنه صاعقة لمعانه بارقه ومضاربه ماحقه على جواد أجرد له قوائم كأنها عمد ولما أن صار فى وسط الميدان كشف عن وجهه برقع الزرد فبان له وجه جميل وقد أسبل وكان ذلك الغلام من أولاد أكابر البطارقة وصاح بالرومى اخرجوا إلى ياأهل الإيمان حتى أريكم كيف يكون مقام الشجعان فما تم كلامه حتى قفز اليه راشد ابن ضمرة وهو راكب على حجرة سابقه تسبق البروق البارقه وهو معتقل برمح وفى شماله طارقه وحمل على الرومى وهو ينشد ويقول :

دونك كلب الروم حرب ابن راشد   غشمشم فى الحرب غـــير عائد
فى طاعة الله الملك الواحـــد   منزه عن صاحب ووالد
سوف ترى انى أسـد ماجد   يضرب فى الهيجا على المعاضـد

(قال الراوى) ياساده ياكرام وحمل راشد فتركه يصول ولايجول دون أن ضربه راشد ضربة تركه على الارض مجدول فخرج اليه ثانى قتله وثالث جندله ورابع جعله لأصحابه تابع وخامس وسادس وسابع إلى أن قتل عشرة فوارس وأسر أربعة فقال (قراقونا) لاشك أن هذا عبد الوهاب زوج ميمونة وان لم أقتله ما أنال منها غرض فخرج اليه قراقونا وساواه فى الميدان وصاح فيه ياشيخ العرب وحمالة الجلة والحطب دع عنك هذا الاعجاب فإنك فى قولك كذاب وانك ما ظفرت إلا بالدون وأنت لم تزل مغبون ولا خرج اليك فارس مذكور ولابطل مشهور وهاأنا قد خرجت اليك حتى ألقى العذاب عليك ثم حمل على راشد بعد ماصلب على وجهه فتلقاه راشد بصدر منشرح وغلب عليه الفرح وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وجرى بينهما ماحير الناظر وأدهش الخاطر وحام على رؤوسها من الحمام طائر هذا وقراقونا صاح فى راشد صيحة عظيمة أدهشه وأرعشه وحيره وهجم عليه وهو فى حيرته أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه الى أصحابه ورجع الى الميدان وصاح يافرسان الاسلام لايخرج لى الأمير عبد الوهاب فانى قد أسرت عروسه وسوف أسكنه رمسه (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما نظر الاميرالى راشد وقد أسر وسمع ماسمع كادت مرارته أن تنفطر وحمل عليه وهو على جواد قليل المثال وأشار اليه وقال

ألا أيها المغرور دونك ماجد صدوقا بلا كذوب وفيا بلا مهل
عفيفا شجاعا صادق القول لم يكن له ريبة فيما يقول بلا فعل
وإن كنت تزعم أنك اليوم واصل الينا ونلت القصد يا صاح والسؤل
كذبت وبيت الله ما أنت واصل إلى ذلهم فى الدين منزلة الفضل
وحق الذى جاز السموات عابرا إلى قاب قوسين الجلال مع السبل
نبى الهدى خير الورى قاتل العدا حليف الندا والجو والبر والبذل
لأقتحمن الحرب حتى تخالها من أجل إشتدادا الحرب نارلها شعل
وصلوا بنا ياسامعين على النبى محمد خير الخلق جمعا مع الرسل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما أن سمع قرافونا شعر الأمير فلم يجبه بجواب ولا أبدا خطاب دون أن حمل عليه كأنه شهاب وصاح فيه سوف ترى يا عربى من يكون المصاب ومن ينزل عليه اليم العذاب ومن يكون معفر على وجه الأرض بالتراب ثم أنهم حملوا على بعضهم بعض وضجت من تحت أرجل خيلهم الارض وجالا طويلا واعتركا عراكا وبيلا وتضاربا بالسيوف التى هى أعجل لشرب كاسات الحتوف وسمع لهما قرقعة على الدرق وكثر منهما القلق وأزور الحدق وكانا تارة يظهران وتارة يختفيان وتارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وقد حجبهما الغبار من أعين النظار وكان ذلك قدر ساعتين من النهار ووقفا عن القتال وكل واحد ينظر إلى صاحبه شزرا ويرمقه حذرا ثم أنهما رجعا إلى ماكانا عليه من الحرب والطعن والضرب وأخذوا فى القتال بالسيوف الصقال ولم يزالوا على ذلك الحال وتلك المنوال إلى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونادى مناديهم بالانفصال وكان قراقونا رأى فى نفسه تقصير مع الامير والامير كلما طال عليه النهار ازداد نشاطا وقوة وانبساطا ولما رجع عنه علم أنه رجع اليه عجل محاقه فرجع الى آمد وهو لايصدق بالنجاة كذلك الامير عبد الوهاب رجع مقهور من أجل ميمونة ومن أجل النساء والاولاد والاموال التى فى آمد ولا له نجدة تأتى اليه والعدو كثير بين يديه فشكى حاله وأمره الى الذى خلقه والى والدته فقالت له يا ولدى سوف ترى من ألطاف البارى جل وعلا ما لم يكن فى الحساب وقد باتت المسلمين يعضون على الانامل مما جرى عليهم من ذلك الهم الفاضل (قال الراوى) وأما ميخائيل فانه جمع وجوه قومه وقال لهم هذا أمر يطول مع هؤلاء الرجال الفحول ولعمرى أنها فضيحة وعار وذل وشنار أن نكون فى ذلك العالم العظيم الذى كأنه الليل البهيم وأعداؤنا فى تلك الطائفة اليسيرة والعصابة الحقيره وقد ثبتوا قدامنا

الثبات وأنا فى غد ما أسمع قول القائل ولا أدع أحد يبارز ولا يناضل بل أقسم العسكر أربعة أقسام فيكون كل قسم ستمائة الف قسم يقاتل من أول النهار إلى نصفه والقسم الآخر يقاتل من نصف النهار إلى آخره والقسم الثالث يقاتل من أول الليل إلى نصفه والقسم الرابع يقاتل من نصف الليل إلى طلوع الفجر وأطاولهم بالقتال الليل والنهار وغدوا وابتكار الى أن يهلكوا ويفنوا بالصارم البتار (قال الراوى) هذا ما كان من ميخائيل (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لايدرى بما دبروا اللئام فلا يشعر عند الصباح إلا والأبطال جردت الصفاح وركبت الخيل الجرد القداح وطلبت الحرب والكفاح حتى زلزلت الأرض والبطاح فعندها ركب الأمير عبد الوهاب وركبت الأميره سيدة الاعراب قدام الأصحاب ثم إن الأميره ضمت السودان إلى بعضهم والاعراب ناحية عنهم وإذا بالجاسوس وصل واعلم الامير عبد الوهاب بما دبر الملعون ميخائيل والوغد اللئيم وأنهم عزموا على أنهم يتقاسموا عليكم فرقة بعد فرقة أناء الليل وأطراف النهار ويوصلوا اليكم المشقة فقال الأمير هذه نوبة يكثر فيها هلاك الرجال وفناء الأبطال فقالت الأميره ياولدى أنت فى السودان وأنا فى العرب وتلقاهم أنت تارة وأنا أخرى بعد أن نعلق على الخيل ونسقيها ونأكل ما يمسك رمق الفؤاد (قال الناقل لهذا الخطاب) فقال الأمير هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب وكان قرافونا أرسل إلى ميخائيل قاتل أنت اليوم وأنا أقاتل غدا فأجاب إلى ذلك ثم إن ميخائيل أدعى بخمس ملوك وأمرهم أن يقاتلوا عبد الوهاب إلى وقت الظهر ثم رجعوا الخمس ملوك وانعزلوا وتقدم غيرهم فانعزل عبد الوهاب بمن معه وتقدمت الاميره بمن معها هذا والسودان فرشوا الارض من القتلى فصاحوا الروم نحن ما نقاتل السودان ارجعوا حتى تقاتلوا غيرنا فقالت الطائفة الاخرى لا نسمع ولا نطيع ولا يقاتلهم غيركم عند ذلك وقع الخلف بين عساكر ميخائيل فتضاربوا مع بعضهم فسأل ميخائيل عن الخبر فاخبروه بما جرى فأفصل بينهم وباتوا ليلتهم الى أن أصبح الصباح فوجدوا باب آمد مفتوح ولكن ما خرج منها أحدا فانكر ميخائيل ذلك وأرسل يكشف الخبر فقالوا أيها الملك ان قرافونا ما أصنع له خبر فى آمد ولا جلية أثر وأنه رحل من أول الليل وترك أخيه لوقا لانه كان يرى الى الابواب ولما علم ميخائيل بذلك قال وحق المسيح ما رحل قرافونا الا الى القسطنطونية وملك سريرى ولا يرجع يخلص من يده والعالم كلها تطيعه وأيضا جزيرته فيها عالم عظيم ثم انه من ساعته أمر الرجال بالرحيل فرحل من وقته وصاح فيمن معه من الرجال دونكم والجد فى المسير فعلم بهم الامير

عبد الوهاب فقال لاصحابه دونكم وهؤلاء الاندال وتبعتهم الرجال تقتل وتنهب فى
الاموال والعيال والخيل والبغال وشيء يكل عن وصفه اللسان ورجع الامير الى آمد
فوجد الماسورات على حالهم ولم يفقد منهم الا ميمونه وشمسه زوجة أبو يخلف
والسيدة زبيدة بنت القاسم ونورى زوجة البطال وزنانير زوجة لؤلؤ أخذهم قراقونا
ومضى بهم الى جزيرته وقال لاخيه الحقنى بعد ثلاثة أيام وأخذ معه أكثر عساكره
وما خلا عند أخيه الا القليل من الرجال ولما أن وصل قراقونا الى ساحل البحر
وجد هناك مراكبه الذى أتى فيها فنزل على الساحل الى أن أتاه أخاه ونزلوا فى المركب
وقصدوا الى جزيرتهم وسوف نذكر أخبارهم (قال الراوى) وكان قراقونا فعل
ذلك الفعال لاجل محبته الى ميمونه وما لاقاه من الامير عبد الوهاب فى الحرب لانه
لم يقدر عليه وأيضا لم يصبر على فراق ميمونه فأخذها وأخذ نورى وقد علم أنها بنت
عين المسيح وأخذ معها من أخذ من النسوة وقد علم أنهم من أصحاب الانساب ورحل
بهم الى أرضه وبلاده (قال الراوى) فهذا ماكان من قراقونا (وأما ما كان) من
ميخائيل فانه رحل خوفا على بلده ومحل ملكه وسأل على قراقونا فقالوا له مضى الى
جزيرته وأخذ معه أموال الاسلام التى كانت فى آمد فقال وحق المسيح لابد لى أن
أعمر المراكب وأسير اليــــه ولو كان فى آخر الجزائر فقالو له أرباب دولته يا ملك
لاتقسم بالمسيح فانه اذا هل الى دياره لايقدر عليه أحد لان مكانه حصين وهى قلعة
الضرس لانها من فوق سن جبل عالى وهو فى البحر وتفرقت الاجناد والروم الى
بلادها (قال الراوى) فهذا كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الامير عبد الوهاب
فانه أقام فى آمد وفرحت بنى عامر وكلاب بنساها وأولادها ولم يفقــد غير الذى
ذكرناه وقد أصيب الامير فى أهله وأبى محمد فى زوجته فبكى الامير من شدة الغيظ
والغبينة فقالت له الاميره ياولدى ان الله تبارك وتعالى قد فرق جمع الروم ولابد أن
تكتب كتاب الى ملك الروم ميخائيل وتذكر فيه ان عساكر خراسان قد وصلت الى
الخليفة ولو لحق بكم ماكان يرجع منكم أحد وأيضا أنت وغيرك تعرفنا ولا تنكرنا
ونحن الذين فتحنا البلاد أول وآخر من أقطارها وبلادها وأمصارها وأنت قد أخذت
ميمونه ونورى والسيدة زبيده وزنانير وأنت تعرف وولد القناصة فانه يخرب البلاد
من أجلها فأرسلها الينا ومن معها من النسوة والا الحرب بيننا وبينك قائم وحق الملك
الدايم ولا بد أن أسير اليك وأنزل عليك البلا والمصايب ولا أرجع لما آخذ أنفاسك
وأعدمك أهلك وناسك وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر وها أنا منتظر بما

يرد الجواب وأسير اليك بعساكر الشام والعراق وانهب بلاد الروم لا أخلى لكم قايمة تقوم فقال الأمير لله درك أيتها الاميره ما أسرع رأيك وما أخبرك بالصواب ثم انه أمر البطال ان يكتب كتاب بهذا الخطاب فكتب من وقته كتاب بمثل ذلك وختمهوادعى بميون الجماس وضم اليه عشرة من السودان كل واحديقوم مقام المائة وكان ذلك برأى البطال مثل ميمون الجماس وحازم وهادم والقعقاع وأبو كراع وهازم الجيوش وملاكم الريح وأبو سطيح وملابط البغال وأبو اشكال والارقط والانعط والاشمط وسلم الكتاب إلى ميمون الجماس وأمرهم أن يسيروا إلى حصن يانس المتغرب ويرسل يانس رسول من عنده الى ميخائيل يعلمه أن عبد الوهاب أمير بنى كلاب قد أرسل اليك رسول بكتاب وما على الرسول إلا البلاغ فان أنت أذنت لهم أتوا اليك بالكتاب وإن أنت أردت وصل اليك الكتاب فقبل ميمون الكتاب وسمع الكلاب وسار بمن معه إلى أن وصـــل إلى حصن يانس المتغرب ودخل عليه ففرح بهم لما رآهم وسلم عليهم وهناهم بالسلامه وسألهم عن الأمير والاميره فقالوا له بخير وعافية وقد أرسلنا بكتاب وأخبروه بالقصـــة وحال ميمونه وما جرى عليها فقال الحمد لله الذى جعلها ركنا للاسلام فقال ميمون الجماس ان ميمونه أسرت وأخبره بالقصة وأنها أخذت وما أتينا الا بسببها وهذا كتاب اليك ترسله إلى ميخائيل إننا رسل فلا أحد يتعرض لنا وإن أردت الكتاب يأتى اليك من غير رسل معه يصل اليك فارسل يانس من عنده رسول بما ذكرنا فرجع إلى يانس الجواب أنه يرسل الرسول اليه لأن الرسول لايعارض فعند ذلك سار ميمون الجماس وأصحابه من حصن يانس إلى أن وصـل الى مرج الرياض واذا قد خرج عليهم الف بطريق كل واحد كأنه العتيق يمزق بيديه الحديد تمزيق (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هؤلاء البطارقة سبب ياله من سبب لأن ميخائيل لما قر قراره فى بلده ومحل عزه ووصـل اليه الخبر أن رسول عبد الوهاب واصل اليه أخبر مقدمين قومه بذلك وقال مالنا حاجة من عندهم برسول ولا خطاب ولولا قراقونا هذا الملعون انهزم مما وقع فى قلبه والا وكنا ملكناهم ولا بد لنا من غزوهم فى كل عام لأن عندهم الشيخ النجيح وغضرطونا بن طالوت ولا نقدر على خلاصهم الا بالجهاد فقالوا له المقدمين يا ملك هنا رأى وهو أنه اذا وصلوا اليك هؤلاء الرسل أقبض عليهم حتى يخلص من عندهم ولا يزالوا عندنا حتى نبلغ قصدنا فقال الملك ميخائيل هذا لا يكون ولا أخرج عن سنة الملوك وان عوقت على الرسل يكون ذلك عار وذل علينا وشنار قالوا أكابر دولته لا بدلنا من

أخذهم ولاندع الشيخ عقبه بعدهم فى الأسر يغضب علينا المسيح فقال ميخائيل للبترك ماتقول يا أبونا فى ذلك الكلام قال البترك الرأى أن تأخذوا من كان عندهم من علماء الدين وهم عقبه وعطرطونا بن طالوت فقال الملك حينئذ الرسل عشرة أرسلوا اليهم الف بطريق شداد غلاظ يكمنوا لهم بمرج الديباج فاذا أخذوهم يمضوا بهم الى بعض الحصون فإذا الاموا المسلمين على ذلك الفعل أقول أنا ما عندى خبر من هـذا أبدا ثم أنهم انتخبوا الف بطريق من جبابرة الروم كل واحـد يعد برجال وأكمنوا فى مرج الديباج والرسل ما عندهم من هـذا خبر لأن ظنهم ان ما أحدا يعارض الرسول فبينما هم سائرين إلى أن وصلوا الى المرج خرجت عليهم البطارقة من الـكمين وهم على ظهور الخيل وانحدروا عليهم كأنهم السيل ولما أن رأى ميمون الجماس الى ذلك قال لأصحابه اعلموا ان ملك الروم قد غدر وأرسل لنا هؤلاء البطارقه حتى يأخذونا فما أنتم قائلون فقالوا أيها الأميران غدر غدرنا وان حارب حاربنا وان صالح صالحنا وان هؤلاء الذين أقبلوا الينا لايخلوا أن يكونوا كما خطر ببالك وأكثر من ذلك لأن الملوك لايليق بهم أن ينحدرو بالرسل ثم أنهم ترجلو عن خيولهم وشدوا حزماتها وافتقدوا الجاماتها وأستعدو لحربها وكفاحها وجردوا فى أيديهم سلاحهم وبعد قليل ركبو على الخيول وتقلدوا بالنصول وقد وصلت الروم اليهم وصاحوا عليهم يا كلاب السودان ويا أخسر الفرسان الصواب أن تسلموا أرواحكم والا أخذنا رؤوسكم عن أبدانكم فنادوهم يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية نحن ما أتينا كم نطلب قتال ولا حرب ولا نزال بل نحن رسل من عند الأمير عبد الوهاب الى ميخائيل فان غدر فالله تعالى ينصرنا عليكم وأنا ميمون الجماس ومن معى أصحاب الوقائع المشهورين فى المعامع فدونكم وما أردتم فقالوا نحن لانعرف لاكذا ولاكذا سلموا نفوسكم فلا بد من أخذكم ثم أنهم حملوا عليهم من كل جانب ومكان وضاق على الهارب وسيع الامكان وفى السودان أسود كأنه حجر جلمد ناره فى الحرب ما تخمد فجعل ذلك الأسود يبرى الرؤس ويختاس النفوس ويبرهم هبرا وينثرهم نثرا ويمدهم خمسا خمسا وعشرا عشرا وأما القعقاع نكسهم فى وسيع البقاع وأبلاهم بالأوجاع وقد قسمهم ثلاث وأرباع وأظهر فيهم قوة الزند والباع وأما أبو سطيح صار عليهم يصيح وخلى كل شجاع على الأرض سطيح وفى دون ساعة أسقوهم كاسات البلا وامتلأت الأرض بالقتلى وحامت عليهم عقبان الفلا وتشتتوا فى الخلا وزاد العجاج ورأت الروم من السودان ذلك فصارت أعينهم حولا وداموا على ذلك العيار الى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد قتل من الروم أكثر من مائة

وثلاثين ودخل الليل ونزلت الرجال من على ظهور الخيل وأحاطوا الروم بالسودان وقد ملكوا عليهم الماء واحتووا عليه لأن الروم كانوا أسبق اليه والسودان كانوا خاليين من الماء لأن بلاد الروم تعم بالماء (قال الراوى) ولما جن الليل زاد بالسودان العطش والظما فقال ملابط البغال يابنى الخاله هؤلاء الأعداء ما عندهم ماء فقالوا له نعم لأنهم سبقونا عليه فقال ملابط البغال والله مانهلك نحن من العطش وهؤلاء عندهم الماء وكان ملابط البغال أضره العظش فقال ميمون الجماس وما الذى نفعل قال نركب الخيول ونحمل عليهم فان نحن متنا بسيوف الكفار نموت فى طاعة الجبار أخير ما نموت من قلة الماء فنموت فطيس ولكن اصبروا حتى تروا العجب حتى أركب جودى ثم انه ركب جواده وقارب الروم وصاح عليهم بصوت مذعور ويلكم ياعبدة الصلبان وحق من جعل الارض ميدان والسماء إيوان ماتبيتون أنتم ريانين ونحن عطشانين يا إما تقضوا حاجتى وتملوا قربتى وإلا قاتلتكم طول ليلتى فما أنا ممن يمل من القتال ولا أخاف من الاهوال فان طلبتم الراحة من القتال خلونى أورد الماء وإلا دونكم والقتال والحرب والنزال ثم أنشد وقال :

أيها الكافرون بالعلام ... سوف أفنيكم بحد الحسام
لست أخشى اللقا ليلا لأنى ... أشبه الليل فى سواد القتام
ومعى رجال سادة أسود ... ألفوا الحرب من زمن الفطام
ليس فيهم إلا همام جسور ... من بنى حام عمدة الاسلام
فاتركونى على السقاة وإلا ... حملت فيكم بالطيبين الكرام

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعوا الروم قوله ورأو شخصه قالوا لبعضهم البعض خلوه يملا قربته ويمضى عنا ويكفينا نوبته ويريحنا من سواده وكان فيهم بطريق وهو المقدم عليهم يقال له القمصان وكان جبار عنيد وشيطان مريد فقال لهم ياويلكم ما تريدون فضيحة أكثر من هذه الفضيحة أن نكون ملكنا الماء على عدونا ونمكنه من وروده وقد أشرف على التلف فقالوا له وما الحيلة وما عندك من الرأى ندعه يحمل علينا هو وأصحابه ويحرمونا الراحة فقال ومن يكلفكم الى ذلك وحق المسيح لو أن معه كل مسلم فى الدنيا ويطلبون فى هذه الليلة قطرة من الماء ما نمكنهم منها وها أنا الساعة أخرج اليه وأنظر هذا الاسود وآخذ روحه من بين جنبيه فقالوا له ان فعلت ذلك كانت غاية مرادنا إلا أنهم عملوا معنا ماشهدت فوثب عدو الله القمصان وركب على ظهر الحصان وكان له جواد سابق يسبق الرياح وانحدر الى ملابط البغال

وصاح فيه دونك ياحجام والصدام فى الظلام وحمل عليه كأنه قطعة من غمام وركبت الروم حتى ينظرون ما يكون وفى دون ساعة ارتفع الصياح حتى عم الربا والبطاح وركب ميمون الجماس فيمن عنده من الأجناس وهم أولاد حام الشداد البأس ووقفوا ينظرون ما يكون منهم فى الأغلاس ودام الحرب واشتد البلا والكرب وتضاربوا بالصارم العضب ثم ان ملابط البغال تقرب من خصمه وصاح به صيحة عظمية وطعنه بالسنان فى صدره أطلعه يلمع من ظهره ثم حمل بعده على الروم وتبعه ميمون وأصحابه وعملت الصوارم فى الجماجم وقطعت الكفوف والمعاصم وزاد سواد الليل العاتم ووقعت البراجم ولم يزل القتال عمال إلى ذهب الليل بالارتحال وأقبل النهار ونظرت الروم الى بعضهم البعض وقد امتلأت من قتالهم الأرض وكان قتل منهم فى تلك الليلة مائتين فارس وأيقنوا بالزوال والفنا وعمهم البلا والعنا وألووا رؤس خيلهم وطلبوا إلى القسطنطونية وتبعوهم السودان الى آخر النهار ورجعوا وأنزلوا على الماء وقالوا لميمون الجماس على ماذا عولت أن تفعل قال نرجع الى حصن يانس ونذكر له ما فعل بنا ملك الروم فقالوا هذا هو الصواب (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انهم رجعوا الى يانس بعد أن استراحوا وأعلموا يانس بما جرى فقال وهل طمع الكفار إلا بما يليق بهم ولكن سوف أذكر له ما جرى ثم إنه أرسل كتاب الى ملك الروم يذكر فيه أنك فعلت فعال لا تليق بالملوك وقد قطعت الرسائل أما تعلم أن المسيح عادل ولا يرضى بهذه الفعال ولهذا عسكرك أبد الدهر مكسور وجيش الاسلام عليك منصور نحن ذكرنا لك أن القوم معهم كتاب فان أعجبك اعمل بما فيه وألا يرجعون من حيث أتو وأرسلت تطلبهم وبعد ذلك تغدرهم (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان ميخائيل قد وصلت اليه المنهزمين وسألهم عن المقدم القمصان ومن وكان مقدم على السودان فقال مقدم الرسل ميمون الجماس ومعه فلان وفلان فصلب على وجهه وقال لعنكم المسيح فقال له رجل منهم يقال له قبطه وحق المسيح ان هذا ملابط البغال وحده يلقا منا ألوف مؤلفه لأنه مقوم بصفوف مصففة ولا تضحكون علينا فما مر بنا أيشم من هذه المرة التى قتل فيها القمصان ولو كانوا أصحابنا الملوك ملوا له القربة كنا خلصنا وبطلت عنا تلك الوكبة وما زالوا إلى أن وصل كتاب يانس الى ملك الروم فرد الجواب اليه يقول أنا ما عندى من هذا خبر فأرسل الرسل ودع عنك مامضى (قال الروى) فأرسل يانس الرسل ومعهم مائة فارس من عنده فلما وصلوا تلقاهم البترك ورحب بهم

وقال قسط لما نظر ملابط البغال هذا الذى وصفته لك يا بأبونا لما أتى يطلب الماء فصاروا الروم ينظرون إلى تلك الوجوه الدمس والألوان الطمس وهم يصلبون على وجوههم ويتعوذون وينظرون إلى ملابط البغال ودخلوا على الملك وأوصلوا الكتاب إليه فأخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه وقال لوزيره أنا أريد أن أصالح عبد الوهاب على ذلك الكلب قراقونا لأن ما كسرنا غيره وأعمر المراكب وأدخل أنا والمسلمين إلى جزائره وأدبر على قتلته ويكون لى الجزيرة وللاسلام النهب والمال الذى فيها لأنه منافق على دولتى فقال الوزير ما هذا صواب يا ملك اطرح الاسلام على قراقونا وكل من هلك استرحت منه لأنهم يقولون اطرح الكلب على الخنزير فكل من هلك كان ربحا كثيراً فلما سمع الملك من وزيره ذلك الكلام التفت إلى ميمون الجماس وقال له يا هذا وحق المسيح وما مسح والبيعة والمذبح إن أسراكم ما معى منهم خبر ولو كانوا عندى وتحت خوذتى لأطلقتهم إليكم ولكن لكم علينا المساعدة على خلاص أصحابكم على شرط أنكم تطلقون القاضى عقبة والبطرك عطرطونا والرهبان الذين معهم ان فعلتم ذلك فأنا أصالحكم وأعمر لكم مراكب من عندى وأملاها آلات وان أبيتم ذلك فأنا أسد عليكم الدروب وأمنعكم من العبور والوصول وها أنا أعلمتكم بالحال فقال ميمون ها أنا راجع الى الأمير عبد الوهاب وأعلمه بما جرى فأمر لهم بالخلع وألف دينار فأخذوها ورجعوا الى يانس وأخبروه بما جرى لهم فقال يانس والله لشعرة من مسلم أحب الى من كل كافر على وجه الأرض مثل عقبة وغيره وان فعلتم ذلك فانه عين الصواب فقالوا صدقت ثم انهم ودعوه وساروا قاصدين ملطية الى أن وصلوا الى الأمير وأعلموه بالرسالة على تمامها فعند ذلك أطرق الأمير برأسه الى الأرض ساعة ورفعها الى الأمير أبو محمد البطال وقال له ما عندك من الرأى فقال والله يا أمير لقد عميت مقاصدى وخابت مطالبي ووقعت بين بحرين زاخرين وأمرين عظيمين أحدهما لأجل ميمونة ونورى ومن معها من النسوة وهى زبيده والقناصة وخلاصهم من الجزاير ومالنا قدرة على خلاصهم واطلاقهم الا أن أطلقنا عقبة وشومدرس والبترك والرهبان على أن خلاص عقبة فى هذه النوبة من العجب وأشد الأشياء علينا لأننا نؤمل أن نفعل به ما وعدنا به سيد الانام ما دام أن الخليفة غائب من بغداد وهو فى خراسان ومعه عمرو بن عبيد الله وبنى سليم والديار خالية من المأمون لانه يشد من عقبة وكانت تمت عليه تلك النكبة ولكن لم يكن فى الحساب قطع العنان والساعة

خلاص زبيده ومن معها أحب إلينا من عقبة وألف مثله فقالت الأميرة يا ولدى هذا الذى يقوله أبو محمد رأى جيد ولا بد منه وهو أوجب وكان البطال يقول ذلك المقال لأجل زوجته نورى لأنه من أجلها على مقالى النار (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكانت نورى لما مضى أبي محمد مع الأميرة إلى الأمير عبد الوهاب يأتى بميمونة كانت نورى حامل فوضعت ولد قبل وصول البطال وهى فى آمد مأسورة وكان ولد زائد الحسن والجمال ولما أخذها قراقونا كان الولد معها والبطال ما عنده من فقدها مثل ما عنده من فقد ولده لأن نساء بنى كلاب وصفوا له حسنه وجماله (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما عزم الأمير أبو محمد والأمير عبد الوهاب على ذلك الرأى أحضر عقبة بين يديه وقال له يا ملعون إعلم أن خلاصك فى هذه المرة من أعجب الأشياء لأجل ما لك من الرزق والعمر الطويل الذى تستوفاه ثم أعلمه بالقصة واستحلفه بالمسيح أن يكون لهم عونا عند ميخائيل حتى يجهز لهم المراكب وكذلك حلف البترك ثم أطلقهم بعد اليمين وساروا وهم فراحا بسلامتهم فى تلك المرة وكان عقبة أيقن بالموت والعدم فقال بمن معه سيروا بنا إلى دير الأنوار حتى نصلى صلاة الشكر للمسيح على سلامة نفوسنا وإن وصلنا إلى القسطنطينية أريكم كيف أفعل وما أتقن من العمل ولا بد ما أبلغ منهم الأمل وأبليهم بالرذية والزلل فهذا ما كان من عقبة ومن معه من الأشرار (وأما ما كان) من المجاهدين الأخيار وجند الملك الجبار فان الامير عبد الوهاب أقام فى ملطية يدبر فى جمع العساكر حتى يسيروا إلى قراقونا ويعمل على خلاص المأسورين وينتخب الرجال والابطال ويجمع العدد والذود (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهو يشاور البطال فى يوم من الايام فى خلاص الاسارى واذا هو بنجاب داخل عليه من أرض العراق ولما أن صار بين يديه أخرج كتاب ناوله للأمير فأخذه الامير وتبينه واذا به من عند المأمون بالله فتعجب الامير من ذلك وقال للنجاب المأمون خرج من غزوته أم لا فقال النجاب يا مولاى ان أخبارك لما تواترت الينا أنك كسرت الروم وأرحت الاسلام مما نزل بها من الهموم ففرح الامام بذلك وسمع الخارجى الذى هو محاصر المأمون بذلك الخبر بأنك كسرت عباد الصلبان فوقع به الرعب وخاف أن تقصد اليه فصالح الامام ورحل راجعا الى بغداد ومعه عساكر تسد الفضا وتملا المستوى ويشكر الله تعالى على سلامتك ويسلم عليك ويقول لك لا تؤاخذه بما جرى منه وساعة وقوفك على هذا الكتاب ترسل اليه الصدر الاجل والكهف الاطل الامير أبو محمد البطل لامر فيه غرض والسلام (قال الراوى) ياسادة يا كرام

فعند ذلك تبسم الامير عبد الوهاب والتفت الى الامير أبو محمد البطال وقال له جهز روحك الى حضرة الامام فانه أرسل يطلبك مع النجاب فقال البطال السمع والطاعة لله ولامير المؤمنين ثم تجهز من يومه مع النجاب وساروا يقطعون الارض الى أن وصلوا الى بغداد ودخل البطال على المأمون بالله وهو فى دست الخلافة جالس على سلة خلافته فقبل الارض بين يديه وقال السلام على الامام بن الامام الذى فاق الانام أمير المؤمنين وابن عم خاتم النبيين أدام الله مجدك وعلا قدرك وعلاك وعرفك كل ولاية ولاك وتغمدك برحمته وكلاك ودام فضلك وكثر رزقك وهلك ضدك وجعلك ترفل فى أثواب السعادة وزادك الله فوق ذلك زيادة (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان البطال يتكلم بذلك الكلام والامام متبسم فى وجهه متعجب من طلاقة لسانه وجودة منطقه وكلامه وقد زاد فى اكرامه واعظامه وانعامه وأجلسه بين يديه فى أعز مكان ثم أقبل على أبو محمد وسأله كيف كان حاله فى غيبته فحدثه بكل ما جرى من الامور ثم قال البطال يا أمير المؤمنين لو أنك لا تسمع فينا كلام الاعداء ماأبصروا المسلمين سوء أبداً وانما تكلموا الاعداء فى حقنا بشى فسمعت أنت منهم فطمعت الروم اللئام فى بلاد الاسلام لما سمعوا ما جرى بيننا من اختلاف الكلام (قال) فلما سمع المأمون ذلك الكلام أظهر الغضب والحرد وبان ذلك فى عينيه وأشار الى الغلمان فقبضوا عليه فأمرهم أن يدخلوه الى خزانة وقال سوف أنزل به الاهانة ثم أمر الامراء بالانصراف ونفض فى وجوههم يداه وخرجوا وهم لا يصدقون بالنجاة (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما خلا المأمون بنفسه أمر باحضار البطال الى عنده فى مجلسه ثم قال له يا أبو محمد أتعرف لماذا دعوتك الى وما سبب ذلك الكلام فقال لا والله يا أمير المؤمنين فقال له أمير المؤمنين أتعرف يا أبا محمد مدينة يقال لها خرشنة قال نعم يا أمير المؤمنين أعرفها وهى داخلة جوا بلاد الروم ولم يبق اقليم الا دخلته وعرفته الا هذه خرشنة لان صاحبها ترك عليها الحرس والارصاد فقال له المأمون ومن هو صاحبها حتى أنك منه على نفسك حريص قال له ياأمير المؤمنين رجل جبار يقال له برصويص فقال المأمون اعلم يا أبو محمد أننى من مدة شهر من الزمان صليت وردى وقرأت شيئاً من القرآن ثم انضجعت على فراشى وغرقت فى بحر المنام فرأيت ابن عمى محمد صلى الله عليه وسلم وهو فى أكمل شىء من البهجة والانوار وعليه حلة الافتخار وعلى رأسه تاج السكينة والوقار ومعه أصحابه وأقاربه الاخيار فلما رأيته وثبت لى قائماً وأثنيت بالصلاة عليه فلما رآنى أعرض عنى بوجهه فقلت يارسول الله

فما سبب هذا الإعراض فقال يا ابن العباس فى أيام دولتك تمثل الأعداء صورتى وتخرق بحرمتى ولا تغار لى من أجل ذلك وإنما أنت مشتغل بملكك ومالك فقلت يا رسول الله وكيف ذلك فقال ان برهويص الملعون عدو الله صاحب مدينة خرشنة قد صنع صورة من النحاس الاصفر الذى على صفة الذهب وقد زيا بزى العرب وهو يضعها كل يوم قدامه وهو يسبها عند قيامه وعند قعوده وأريد أن تأمر المحب لملتى والذاب عن شريعتى السعيد فى الدنيا والآخرة بما له من الافعال هو أبو محمد البطال وهو الذى يزيل هذه الغمة بما له من الفعل والعزيمة والهمة ، واعلم يا أبو محمد اننى ما رأيت تلك الرؤيا والمنام الا فى ليلة الجمعة انظر تلك الرؤيا وقول لى ذلك المقال ومن أجل ذلك ها أنا أرسلت اليك وقصيت هذه القصة عليك وما رأيته والسلام فانظر ماذا ترى برأيك الحميد وما عندك من الامر الرشيد فيما قاله النبى صلى الله عليه وسلم فقال له البطال ياأمير المؤمنين ان لكل مقام مقال والذى أعرفك به يامن جعله الله لنا امام ان مدينة خرشنة مانعة الاصوار عالية الجدار لا يطمع فيها طامع ولها خندق من حولها دائر ما دار والخنادق ملآنه بالماء الخرار ومن داخل الخندق سبعة أصوار كل صور أعلى من الذى قبله وما لاحد عليها سبيل ولا وصول (قال الراوى) يا سادة ياكرام فقال المأمون فكيف السبيل الى الوصول اليها والى فتحها فقال البطال اعلم يا أمير المؤمنين أن ما لنا سبيل اليها إلا بالحيله وإلا قصتنا فيها طويلة فقال الامام ولهذا اختارك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلك الامل والمأمول فأطرق البطال برأسه الى الارض مليا وافتكر فى هذه القضية ساعة من النهار وقال يا مولانا اذا كان الامر كذلك فأخرج من فى السجن يستحق القتل واسقيه كأس المهالك وقول هذا البطال بعد اشهاره فى شوارع بغداد حتى ينظره أكثر العباد ويكون وجهه مسلوخ حتى لا يعرفه أحدا من الناس وبعد اشهاره اصلبه على قرن الجسر بدجلة بغداد واترك الجثة على حالها حتى تصل الاخبار مع السفار والتجار الى سائر البلاد الامصار من الاقاليم الرومية وغيرها من سائر الاقطار وانا بعد ذلك يا أمير المؤمنين اعمل الحيلة وادبر المكيدة على الروم الاشرار لان الروم يا أمير المؤمنين محترزين منى غاية الاحتراز لاجل ما أعمل معهم من الاعمال وأيضا عندهم من يعرفنى فى أى صورة كانت وهو الراهب شومدرس وأيضا من لا يذكر اسمه اذا عملت عملا وأتقنت مكيدة يبطلها علىّ ولا يتم لى ذلك الا بهذه الفعلة (قال الراوى) يا سادة يا كرام

فقال المأمون أحسنت يابطال والله إنك لصادق فى المقال فلله درك ياعيار العرب والعجم وأنا والله مثلك لايوجد فى سائر الأمم ولافى سائر الارض فى طولها والعرض ثم ان الامام دعا بمسرور سياف النقمة وقال له من عندك يا مسرور مستحق القتل فى السجن فقال يامولاى عندى عيار غدار مكار لايصطلى له بنار واسمه عامر بن الأبرص وقد أحرق قلوب أهل بغداد وأهلك البنات وهتك الأحرار وذبح الأولاد فتبسم الخليفة وقال سبحان من يسهل الامور وأن هذا والله هو العجب حتى يكون لكل شيء سبب فقال البطال وكيف ذلك يامولاى فقال إن هذا الرجل المذكور يشبهك فى الصورة والقد والمنظر وكأنكما أخوين من بطن واحد وأب واحد فقال البطال صدقت ياأمير المؤمنين لأن الله إذا أراد أمراً هيأ أسبابه فقال الإمام يامسرور عند الصباح أخرج ذلك الرجل المذكور من السجن واضرب رقبته واصلبه على رأس الجسر ولا تخرجه من القصر إلا وجهه مسلوخ والمنادى ينادى عليه معاشر الناس هذا البطال نسل الأرجاس عدو دولة بنى العباس وان خرج ذلك الحديث من فمك أخذت مابين عينيك وأعدمك الأنفاس فقال مسرور السمع والطاعة يامولاى ثم صبر الى الصباح وأخرج العيار من السجن وحوله جماعة من مماليك الدار وفعل به ما قال الامام وخرج به من القصر والمنادى ينادى كما أمر ولى الأمراء واخترقوا به الاسواق حتى وصلوا الى رأس الجسر وضربوا رقبته وصلبوه على جزع نخل وأشاعوا عليه بعد ذلك يحرقوه بالنار (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك هرعت أهل بغداد النساء والرجال والبنات والصبيان وصارت المحبين يعملوا المآتم فى الدور والأزقة والحارات وارتجت الخلائق والمعالم من سائر الجهات . كل ذلك يجرى والبطال قاعد عند الإمام فى المنظرة يعدها حسنات وسيئات وشاعت الاخبار أن البطال صلبه الامام بعد الاشهار وكان أول من سمع ذلك الخبر المدهش عقبة وشومدرس فكتب عقبة كتاب الى ميخائيل يخبره أن المأمون أهلك البطال فاشكر المسيح على هذا الحال وبلوغ القصد والنوال واسأله تمام القصة وأمره أن يزين جميع البلاد القصية والدنية وأرسل كتاب مع غلامه الى القسطنطونية (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما وصل الكتاب الى ملك الروم كتب الكتب وأرسلها لسائر الأقاليم فانقلبت بلاد الروم من سائر الجهات وارتفعت فى جميع الكنائس الضجات واختلفت الروايات وأوقدوا الشمع بالنهار وسكبوا الخمور فى الاسواق وشربوا العقار ولعبوا بالطنبور والزمور وتناهلوا فى الامور وأداوموا الفرح والسرور وزينوا الرهبان البيع والهياكل وظهرت

بنات البطارقة كأنهم البدور الكوامل ولبسوا أفخر الملابس وأتوا زمرا زمرا إلى البيع والكنائس وهن يتهادين كأنهن العرائس فقال الملك للبطرك ياأبونا أرخ هذا اليوم عندك حتى نجعله عيد مثل عيد الصليب للنصارى حتى تفرح فيه الرجال والنساء والبنات العذارى (قال الراوى) ياساده يا كرام وأيضا وصلت الأخبار الى ملطيه بصلب البطال فما أحدا صدق ذلك المقال حتى أرسل الامير واستصح الخبر من بغداد فأتاه الخبر أن البطال نفذت فيه الأقدار وصلب وكان الذى كان لحزن عليه الامير ولبس السواد وكذلك الأمراء الأجواد وجلس له فى العزاء وهو كثير البكاء والنواح والتعداد وكذلك الاميره جرى عليها ما لم يجرى على إنسان لأنها كانت تحبه محبة عظيمة وقالت والله إنه ماقتل إلا مظلوم فيافرحة أبناء الروم ثم زاد بها الأمر والحسرات فرجعت إلى طبع العرب وجعلت تنشد وتقول :

أى طود من الشريعة مالا ... هاوياً بعد ما أمال الجبالا
كان حصناً للمؤمنين حصينا ... يدفع الهائلات والأهوالا
وحساما إذا ضربت به الكفر ... صير الكل فى الهوا كالرمالا
وهما اذا ماالتقت به الابطال ... ترامت بعزمه الابطالا
كم به حكمة أباد بها الروم ... ولقد خلا ديارهم أطلالا
كم صليب أباده بعد ما أقبل ... فى جحفل يروم القتالا
كم حصوناً أتى اليها وفيها ... عصبة تنظر الرشاد ضلالا
وتقول المسيح رب قدير ... جل ربى سبحانه وتعالى
ففتحها برأيه وسبي النسوان ... منها وقسم الأموالا
ترس قبر النبي جسر همام ... بطل فاتك مزيدا حويلا
صائم قائم يسموه أهل الجهل ... من فرط جهلهم بطالا
قتلوه ظلما ومات شهيداً ... وغداً يلتقى كريما تعالى
فجزاه رب السموات خيرا ... يوم يجزى الانسان بالأعمالا

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولما سمع الامير ذلك النظام من الاميره قال والله إن هذا ما كان فى الحساب وتناثرت من أجفانه العبرات وتحركت عنده اللوعات وقال والله لقد شمتت فيه الاعداء والحساد ومات ولم يبلغ من (عقبة) مراد فوا حسرتاه على ذلك الرجل المحتشم والبطل الغشمشم ومن هو على الرجال مقدم كيف فقد من الدنيا وكيف يكون حالنا بعده إذا أتتنا الرزايا ومن يبلغنا المنى

فوا ذل (نورا) من بعده وياما تقاسى لفقده من الذل والشنار وما تلاقى فى بلاد الكفار ثم زاد به الوسواس وقال والله بعده ما أطعت بنى العباس ولا حضرت حرب ولا مراس واشتغل بعبادة الله وأنشد يقول :

وحق محمد خير الأنام ... وسيد سادات البيت الحرام
لقد انهد ركن الدين لما ... سقى البطال كاسات الحمام
وصار منكس الأعلام يبكى ... بأجفان الشريعة فى الظلام
على الرجل الذى قتلوه ظلما ... واشفوا منه أولاد اللئام
لقد أمنت بلاد الروم حقاً ... وصار مخيفها حلف الزمام
وفتحت الكنائس للنصارى ... وباتوا عاكفين على المدام
وأشقى عقبة الملعون فينا ... وزاد ضلاله نسل الحرام
وكان مشرداً فى كل أرض ... يرى البطال خوفا فى المنام
فيارباه قد قضيت عمرى ... وقد أفنيت عاماً بعد عام
وقلبي واثق بالوعد لكن ... أرى الأيام تغدر بالكرام

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما سمعوا الحاضرين تلك الأبيات زاد منهم البكاء والحسرات وبكى ظالم بكاء شديداً ما عليه من مزيد وجعل ينشد ويقول :

ياعين جودى واهملى بدم ... لفراق من أهوى وقد باتوا
هلكوا وباتوا ذاهبين على ... رغم وهم فى القبر سكان
وحياتهم وحياتهم قسما ... لا خنت عهدهموا ولوخانوا
إن الفراق يزيد فى لهفى ... طول السنين لهم وما باتوا
ولقد مضوا وتفرقت بعدهموا ... فكأننا صم وعميان
لا كان يوم فراقكم فلقد ... بكت العيون وبان كتمان
شربوا الحمام فصرت ذو قلق ... والقلب فيه لذاك أحوان
كنا نرد القوم عن بلد ... فيه لنا ظعن وولدان
ونريد وجه الله خالقنا ... ولنا خيول ثم فرسان
والمغلبيط عبيدنا وهموا ... بالمكر كل منه قد عانوا
والروم والافرنج كلهم ... كانوا لنا مال وغلمان
وبه الله قد عز دولتنا ... وبه قد مال صلبان
وكذا البنجاك تعرفه ... وكذا تخشاه يونان

وكذا الانجار تحذره ويموتوا أينما كانوا
لولا عيارته وحيلته هلكت كلاب ثم سودان
أبكى على البطال ما طلعت شمس النهار ونام وسنان
أبكى على البطال ما طلبت نفس الغريب هناك أوطال ٨
أبكى على البطال إن له حر بقلبي ووهج ونيران
أبكى على من كان يسعدنا ويغننا حسن وإحسان
أبكى على من كان يحفظنا بروحه سراً وإعلان
من ذا يساعدنا إذا عدمت أرواحنا وانهد أركان
غير الذى قد عز مطلبه لهفى عليه جزاه غفران
كذبوا العداة عليه حين وشوا قولا فلا عاشوا ولا كانوا
سمع الإمام كلامهم ومضى فيه القضاء وجد عجلان
ما زال يرعانا ويحفظنا نعم له فضل وإحسان
منهى بنى العباس انهمو خير الورى نصحا وإيمان
والرب فضلهم وأكرمهم وبذاك قد جاءنا نص قرآن
لكن حرمنا الحظ عندهموا والربح أضحى وهو خسران
سمعوا كلام الحاسدين ومن صاغوا الأحاديث بهتان
ولقد مضى البطال وا حزنى تبكيه أبطال وشجعان
ياما فتحنا بلاد بحيلته أيضا ونكسر كل سلطان
حتى إذا غدر الزمان به أضحى عليه وهو حردان
كان الخليفة راضيا فرحاً أضحى العدو وهو فرحان

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما فرغ ظالم من ذلك الكلام والأبيات العظام المطربات زاد من الحاضرين العبرات وكثرت على البطال الحسرات وعظمت اللهفات وأسبلوا الدموع الجاريات وقالوا رحمك الله يا بطال وأسكنك الجنان العاليات هنالك بكت السودان وصاحوا : يا آل حام يالون الظلام ياعبيد الملك العلام ووثب من بينهم أبو الهزاهز البطل المناجز ودمعه من العيون فازز وأن أنين الحيران وتأوه تأوه الولهان وأنشد يقول :

أياصاح استمع العجائب وأجرى من دمعك السواكب
كيف العزاء وقد فجعت بسيد ندب مصاحب

كانت خصـائله مـلاح ... منيرة مثل الكواعب
إن كان دمعى ما يفيض ... ففى فؤادى خمر لاهب
ومسـالما للمسـلمين ... محارباً مع من يحـارب
قـد طال ما باد العلوج ... وحل عنـدهم المصائب
يأتيهـم فى صورة الـ ... بطريك أو ترتيب حاجب
ويصير بطرك من قمامه ... أو دير نجـران كراهب
ويصـير مثـل الجاثليق ... بلحية بيضا وشـارب
لو شاء قال أنا المسيح ... ولم يكن فى ذاك كاذب
تبـكى عليـه المسلمين ... من الأصادق والأصاحب
تبـكى عليـه مبـارداً ... وخنـاجراً تتلوا كلالب
والبنج حـين ينحطه ... وسـط المطاعم والمشارب
كم أكرة قـد حطها ... فتصـير وسـط الفك قالب
ونراه يفتقـد الـكتا ... ف جنح ليـل والغياهب
هو صـانع فى ضربه ... ما كان أحسن ما يعاقب
وبالعصى الخشب الطوال ... إذا تقطعت المخالب
وكما يلاصـق خصـمه ... قد حطه فوق المنـاكب
وتراه يعـدو كالحصان ... فى جنح أغسقت الغياهب
ويروغ فى خطواته ... كمثـال روغات الثعالب
فجرت عليـه قصـة ... ما كنت لهـا أحاسب
ادعى على هذا الامام ... بعـد ما سـارت كواكب

(قال الراوى) ياساده يا كرام ولما فرغ أبوالهزاهز من هذه الأبيات قام ميمون الجماس (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان فى سودان ميمون جنس يقال لهم الدمادمة وكانوا إذا حزنوا أو نابتهم نائبة يقطعوا آذان بعضهم بعضا ويرموها على وجه الأرض فلما أن سمعوا أبيات أبوالهزاهز قطعوا من بعضهم الآذان وكثر البكاء والأحزان . وكانوا بنو سليم رجعوا الى ملطيه وكذلك عمرو بن عبيد الله وأصلح الأمير بينهم ولما سمعوا بنى سليم بموت البطال كان عندهم هناء وسرور وعند بنى كلاب وبنى عامر وعبـد الوهاب عزا وسؤددا وحزن واكتئاب وقالت جهال بنى سليم ذهبت دولة بنى كلاب وتقطعت بهم الأسباب لأنهم كانوا يصولوا ويجولوا بالبطال

وهو الذى كان يفتح لهم القلاع والحصون فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من أمر الكهف الأطل والأمير الأجل صاحب الأقوال والأفعال والمناصف فى الأحوال الأمير أبو محمد البطال فانه لما علم أن أخباره وصلت إلى سائر الاقطار من بلاد الروم وغيرها من سائر الأمصار قال للامام المأمون يامولاى احضر لى الآن النجارين الحذاق فى صناعتهم حتى أعمل ما أريد مادام ان حالى مكتوم وأمرى غير معلوم فعند ذلك أحضر له جماعة من النجارين الحذاق الذين فى بغداد ولما أن حضروا اختلا بهم البطال وقال لهم أريدكم أن تصنعوا لى قبة من خشب الصاج يكون لها اثنى عشر باب وتدهنوها بما أصنعه لكم من الدهانات حتى يكون لها لمعان يأخذ بالأبصار ويذهب العقول ويحير الافكار ثم إنه رسم لهم طولها وعرضها وسمكها وتكون مفككة من بعضها بعض ثم انه استعملهم فيها وطاب لهم العمل وجعل على كل باب صليب من الذهب العجيب الذى يذهل عقول أصحاب اللب واستخرج دهان قد استفاده من كتب اليونان وشيء من كتب الحكماء القدام أهل الفضل والعرفان ودهن تلك القبة وأبوابها حتى صارت تذهل عقل كل إنسان ويتخيل لكل من يراها أنها من الجنان قد أخرجتها خدام رضوان ولا كأنها مسكتها أيادى ولا نجرت بمعمار ولما أن تكاملت طلب من الامام الجواهر النفيسة واليواقيت والبهرمان والفيروزج وقضبان البلخش والزمرد الذبابى والعقيانى ورصعه جميعه فى تلك القبة وعلى أبوابها وأركانها ودائرها وكتب على دائرها أسطر من الانجيل فيها تعظيم وتبجيل هذا كله يعمله والمأمون بالله يشاهده ويتعجب مما يرى من الأعمال وقد حل به الانذهال وما فرغ من شغلها حتى أخلا خزائن بنو العباس من الذى كانوا جمعوه على طول الزمان (قال الراوى) فانشرح صدر المأمون اليها واشتغل قلبه وباله فيها فقال يا أبو محمد بالله عليك إذا أنت فرغت من حاجتك من هذه القبة ارجع بها معك حتى اننى أجلس فيها من داخل البستان إذا أردت النزهة فقال له البطال سمعا وطاعة يامولاى ثم انه جعل للقبه أدوار من المعدن الخاص الذى نوره يخطف الأبصار ومن فوق ذلك هلال ومن فوق الهلال قطعة بهرمان لم يوجد مثله فى ذلك الزمان وجعل من داخلها فى الأربعة أركان عمدان ومن خارجها أربعة مثلها وكل عامود مدهون بدهان عجب له نور يخطف البصر وعلى كل عامود هلال بأربعة فصوص من المعدن بثلاث قطع جوهر شفاف وقد أقامت الصناع فى عمل تلك القبة شهر كامل وما تمت هذه القبه حتى فرغت خزائن بنى العباس من الجواهر والمعادن

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولما تمت هذه القبة من الأفعال الغريبة التى ماسبقه أحد من حذاق الرجال بهذه الكيفية تقدم الى الخليفة وقال له يا مولانا عليك بكتمان سرى ولا تذيع أمرى واستوثق من النجارين بالمصحف والطلاق حتى لايشيع خبرى ولايعلم بى بشر ثم ان الخليفة حلف النجارين بالأيمان الغلاظ أنهم لايقولون بما صنعوا ولا بما رأوا وأحسن اليهم إحسانا زائدا وقيل إن الإمام جعلهم فى البستان وأرسل الى أهلهم ونساءهم وأولادهم النفقات الزائدة ثم إن البطال انفرد بنفسه فى مكان منعزل عن العالم وأخذ حوائج معلومة يعرفها واستخرج دهن معه ومراهم معدومه فى ذلك الزمان ثم صنع من ذلك الدهن مائة وعشرون شمعة كل شمعة إذا أوقدت يخرج منها أنواع عجيبة كذا وكذا ألوان من أزرق وأحمر وأصفر وأخضر وأسود وأبيض وكل لون لايشابه الآخر ثم انه عمل اثنى عشرة سترة من الديباج الملون وجعل على كل باب من أبواب القبة ستر من تلك الستور وصنع عشرين صليب من الذهب الأحمر كل صليب عليه أربع قطع من الجوهر الشفاف ووزن كل صليب ثلاثة أرطال ثم انه لما تم أشغاله أحضر جماعة من غلمانه الذين يدخرهم لمهماته الثقال وقال لهم يا أولادى تفرقوا فى سائر الأمصار من بلاد الروم وسيحوا فى الارض وطوفوا فيها طولا وعرض ويظهر كل واحد عاهة من العاهات واحد يكون أعمى وواحد يكون زمن وآخر يكون أبرص وآخر يكون مفلوج وآخر يكون أجزم ثم دهن كل واحد بدهان فظهرت عليهم تلك العاهات والأمراض وقال لهم طوفوا على الصوامع وعلى الديور والكنائس وأظهروا ماعليكم من العاهات للرهبان والقساوسة والمطران حتى ينظرون ماعليكم عيان (قال الراوى) فساروا غلمان البطال بعد ما أوصاهم وقال لهم ياأولادى إذاسمعتم أن المسيح قد ظهر فى دير خرشنه الذى يسمونه دير الصلبوت وهرعت الناس اليه أقدموا مع جملة الناس فقالوا سمعا وطاعة وتفرقوا فى تلك الساعة وهم يطلبون بلاد الروم متوكلين على الحى القيوم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال رحمه الله تعالى فإنه لما أرسل غلمانه وعلمهم مايعملون ومايفعلون أقام فى قصر الخلافة يدبر أمره مدة شهر كامل بعد فراغ القبة وهو يناسى الناس ويخفى أمره ثم انه بعد ذلك خرج من دار الخلافة واخذ معه جميع ما يحتاج اليه وأخذ جميع ماعمله من الشمع والصلبان وأخذ القبة مفككة من بعضها بعض موضوعة فى الصناديق وجميع ما يحتاج اليه من الآلات وخرج من بغداد فى الليل وتوجه الى بلاد الروم متوكل على الحى القيوم حتى ينزل على

أهلها الهموم والغموم وسار يكمن بالنهار ويسير فى الليل إلى أن قرب من مدينة خرشنة وكان عيد الروم الأكبر قد بقى له أيام قلائل وكان لمدينة خرشنة دير كأنه حصن يقال له دير الصلبوت وهو مبنى بالرخام وتأتى إليه النذور من سائر الأقاليم من أقصى بلاد الروم مرصع بالرخام الملون من الأربع جنبات ومن داخله أربع صوامع على كل صومعة قبة ومن فوق القبة شخص من النحاس الأصفر الأندلسى مطلى بالذهب الاحمر على صفات الصنم وحول كل صنم من هؤلاء الاصنام آلات الملاهى يدقون بها فمنها طبول وزمور ومنها صنوح إذا جاءت ساعات كفرهم تضرب تلك الآلات بطريقة حنينة تحير العقول وكانوا قد زينوا ذلك الدير لأجل السعود بالزينة الفاخرة وكان ذلك الدير له سيط فى بلاد الروم وتأتيه النذور من سائر الاقاليم ولا يفتح ذلك الدير إلا فى يوم عيد أو يوم سعيد ولما أن قرب البطال من ذلك الدير أمر غلمانه يمشون قدامه بالزينة الفاخرة وهم فى صفة الرهبان والقسوس ففعلوا ذلك وكان قد أخر اثنين من غلمانه لاجل خدمته وقد ركب على وجهه لحية بيضة كبيرة شمطانقية البياض وقد أظهر الرعشات والكبر وغلمانه يسندوه وهو يرتعش بينهم من الكبر والذى يراه يقول هذا جاوز المائة سنة ولما أن وصل إلى باب الدير أمر غلمانه يقرءون الإنجيل ساعة وبعد ذلك تقدم لؤلؤ وطرق الباب فأشرق عليه راهب من أعلاه وكان فيه من الرهبان اثنى عشر راهب على عدد الحواريين الذين كانوا للمسيح فلما أشرف الراهب قال من تكون أيها الطارق إلزم الادب ولا تكفر فى شرع المسيح فصاح لؤلؤ يا ويلكم أنتم غافلون عن من وصل إليكم ووفد عليكم فقال الراهب من نزل بنا ومن وصل إلينا فقال له اعلموا يا قوم أن هذا الملك كرجان بن ميلاص صاحب جزائر الرصاص والبحر الاخضر وقد ذكر أنه رأى السيد المسيح فى النوم وقد أمره بالزيارة إلى قمامة وعين سلوان الذى قد اغتسلت فيها مريم بنت عمران فزار وأتى فى طريقه على ذلك الدير لما شاع ذكره فى سائر البلاد ولما ذكر عنكم من العبادة فى دين المسيح وإن هذا الملك لما سمع من المسيح ذلك رمى الدنيا من وراء ظهره واتى اليكم ومعه من النذور شيء كثير ومن جملة ما معه ألف شمعة مطيبة وألف شمعة مكوفرة وألف شمعة من ذهب أحمر ومائة صليب من الجوهر وغير ذلك من الخيرات شيئا كثيرا لا يعد ولا يحصر ولما أن سمع الراهب ذلك المقال انذهل ونظر الى البطال وعلى بدنه مدرعة من الشعر هذا وغلمانه يعضدوه ويسندوه وهو بينهم يرتعد من الكبر غره الطمع وقال له أيها السيد أنت الملك كرجان بن الملك ميلاص قال لؤلؤ نعم هذا المشار اليه فى كل الامور عند ذلك

نزلوا جميع الرهبان وفتحوا له الباب واستقبلوه بالسلام والاكرام والاعظام فدخل البطال وغلمانه الى داخل الدير وصعدوا الى أعلاه فعظموه وأكرموه ومن زادهم أطعموه فنظر البطال وغلمانه الى بنيانه الى ذلك الدير فرأوه عظيم البناء واسع الفناء ليس للطارق عليه سبيل ولا اليه وصول (قال الراوى) يا سادة ياكرام ولما أن كان آخر النهار نوى أن يرمى الرهبان فى مكيدة وينزل عليهم المصيبة وقد اجتمعوا من حواليه فأمر غلمانه أن يأتوه بطعام أهل الجنة فى الجنة حتى يأكلوا منه هؤلاء الرهبان ويكون لهم بذلك الاحسان والمنة ففى عاجل الحال أحضر لؤلؤ خبز مسبوك مختوم عليه ختم وقال البطال ياأولادى كلوا من هذا فكل من أكل لقمة واحدة ذهبت عنه الآلام والاوجاع والاسقام وحشر مع الحواريين الكرام ولما أن سمعوا الرهبان ذلك المقال انطلى عليهم المحال وقد قال وحق المسيح كل من أكل لقمة أنعم عليه المسيح ألف نعمة ثم قال يا أولادى وحق المسيح والدين الصحيح وسوف ترون بركة هذا الطعام الذى يشبع الجيعان ويأمن الخائف الفزعان لانى أطعمت منه قبل خروجى من جزيرتى بعض الرهبان فبعد مدة من الزمان مات ودرج فى الاكفان وليلة ماحصل فى الناووس رآه بعض القسوس وسأله عن حاله وما الذى جرى له وما فعل به بعد الموت فقال له لقد غفر لى المسيح بتلك اللقمة مائة ألف خطيئة وسيئة وحشرنى مع القديس وصاحب الذبيح فلما سمعوا الرهبان هذا الكلام والهذيان صلبوا على وجوههم وزادت رغبتهم فى ذلك الخبز واللباب وتعجبوا والى الزاد تقدموا وطلبوا أن يطعمهم فلما أن أطعمهم كل واحد لقمة فما أكل سواها وأرادوا أن ينهضوا من مواضعهم فما قدروا بل انقلبوا الى الارض صرعا وبقوا مثل السكارى الذين من الخمر شربوا فنهض البطال وغلمانه ومكنوا الخناجر من الحناجر وذبحوهم فى الحال وارموهم فى جب هناك فى الدير ولقوا من طعام البطال كل خير ولما أن خلا الدير من أهله ولا بقى فيه أحد الا البطال وغلمانه أخذ غلمانه وصعد فوق أعلى الدير ونصب تلك القبة التى صنعها فى بغداد لتلك الاسباب وعلق الستور على أبوابها وهى ستور ملونات وأنوار تلك المعادن لامعات وأوقف كل غلام من غلمانه على باب وقد ألبسهم الحلى والحلل وهى من عجائب ألوان القماش من المدارع والزرنياقات والبرانيس الملاح الملونات وكانت وجوه غلمانه تلمع من كثرة البياض وكان قد صقلهم بجير الفضة وقشر بيض النعام وزبد البحر واقليم الذهب وتوتى مدنى فصارت وجوههم كأنها المرآة المصقولة والانوار من معدن القبة ووجوههم ساطعة لامعة وهم كأنهم الحور والولدان وأوقد من الشمع احدى عشر شمعة كل شمعة فى يد

واحـــد من غلمانه بألوان مختلفة من أحمر ومن أصفر وأخضر وقد زادت الأنوار وأذهلت النظار ولما أن اكتملت هذه الصفات واحتكمت بذلك الآلات أمر غلمانه أن ترفع أصواتها بتلك اللغات بقراءة الانجيل بأطيب النغمات ففعلوا ذلك وصار يغير لهم الحركاب بطريقة حنينة وكان قد غلق باب الدير وأوثقه بالأقفال بعد أن أهلك من فيه من النساء والرجال (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما ما كان من صاحب خرشنة فانه كان نائم على سطح قصره فسمع أصوات شوقت خاطره فقام على أقدامه فرأى أنوار تلك الشموع مختلفة ولمعات تلك المعادن والجواهر شيئاما رآه ولا أبصره فى طول عمره ولاسمع بمثله فانذهل عقله وحار فكره فأرسل من ساعته وأحضر القسوس والرهبان وأوراهم تلك الأنوار المختلفة الألوان فتاهت أفكارهم وزاغت أبصارهم وقال بعضهم لبعض أبشر أيها الملك يسرك ويشرح خاطرك وصدرك واشكر المسيح ومزمار السليح واعلم أن المسيح قد نزل من السماء وآن أوان زوال الدنيا وبان للناس الهدى وقد نزل من السماء ولولا أن أعمالنا صالحة لما خصنا المسيح بهذه الآيات الراجحة وأنه نزل على دير الصلبوت ونحن رأينا هذه المعجزة والكرامة قبل أن نموت فاسعى بنا الى المكاشفة حتى ننظر إلى هذه المعجزات المختلفة ثم أنهم سمعوا اقراءة غلمان البطال بتلك الاصوات الندية فرفعوا الآخرين أصواتهم وزادوا فى قراءتهم الانجيل وقد أضلهم وأغواهم ابليس اللعين باذن الملك الجليل وقد نزلوا من القصر وكشفوا الرؤس وغيروا ما كان عليهم من الناموس ومشوا حفاة وكل منهم عقله وفكره قد تاه والملك ماشى حافى وكلهم من وراه فعند ذلك صاح الملك على البوابين ففتحوا له الباب واقلقوا أهل خرشنه بعد الرقاد وخرجوا من البيوت وهم مدهوشين مذهولين ومعهم البنات والبنين ووجوههم والرؤس مكشوفين وكل من سألهم عن الخبر يعلموه بما رأوا من العبر ويعرفوه بجلية الأثر (قال الراوى) ياساده ياكرام وكل من سمع بذلك الخبر ومد عينه ينظر ويزعق ويمزق ثيابه من عليه ويكثر من البكاء والانتحاب ويطلب إلى ذلك الدير ومن فرحتهم بتلك الأسباب خرجوا من البلد وخلوها مفتحة الأبواب وهم هاجين على وجوههم وبرصويص الملك بين أيديهم ومن حوله القسوس والرهبان والجاتليق والمطران والبترك الكبير الذى هو بدين النصرانية خبير وكلهم طالبين الدير وبقلة عقولهم يظنون ان هذا من المسيح رحمة وخير وداروا من حول الدير زمرا زمرا إلى أن ظهر الفجر وانفجر وما أصبح الصباح الا وحول ذلك الدير ناس لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل والحصى وقد نظروا وعاينوا الى تلك القبة العجيبة والأنوار الغريبة وهم

من حول الدير وغلمان البطال من أبواب تلك القبة فى صفة الحواريون معهم صحف من الانجيل يقرؤن فيها بطريقة حنينة تشفى القلب العليل ونغمات أحلا من السلسبيل والروم من ذلك حارت عقولهم وتاهت أفكارهم وزاغت أبصارهم وصاروا فى ركوع وسجود وحصل لهم هيبة وخضوع وأما صاحب خرشنه برصويص فانه تقدم الى تحت الدير وهو يقوم ويقعد ويسجد ويركع ويذل ويخشع ورفع رأسه من السجود وخضع ومن حوله خلق كثير ورهبان وقسوس والكل مكشوفين الرؤس وهم يتزاحمون مثل التيوس والكل فى أيديهم العكاكيز الآبنوس ومعهم المباخر فيها قطع الند والعود وهم يدرون من خول الدير وقد سلب عنهم كل نعمة وخير وكان عليهم المقت والذل والضير وما زالوا على تلك الحالات حتى داروا من حول الدير سبع دورات وهم بالانجيل يرفعون الأصوات وهم على هذا الحال والشال (قال الراوى) فعند ذلك تكلم لؤلؤ لما خرج من باب القبة صاح يا أهل خرشنة أبشروا بمن هو لكم زاير وقد أتاكم بأحسن الأخبار ويخبركم وبفضل الصليب وشد الزنار ويحلل لكم شرب الخمر العقار ويترك أرضكم تحترم وتزار فاهجروا كنز الدرهم والدينار ولا تجعلوا للدنيا عندكم قدر ولا مقدار واعلموا أن حب الدنيا خساره وبضاعتها بئس البضاعة فما أغفلكم يا أهل قرشنة عن ما نزل بكم من الرحمة والمنا التى عقباها الجنة فقد أتاكم المسيح وسكن فى ذلك الضريح فأبشروا بالسعادة الجزيلة والبركة الطويلة فإن المسيح قد نزل بقربكم وأختار اجتماعه بكم وهذه أنوار ظاهرة وآيات باهرة زاهره ومن كذب فيه خسر الدنيا والاخرة وقد نزل من السماء ونشر رحمته على الدنيا قبل الاخرة فكأنكم بالدين وقد ظهر والشرع قد انتشر فعليكم بالصدقات وترك الشهوات وإطعام الطعام للفقراء والايتام والمساكين من القسوس والرهبان والجانليق والمطران (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما فرغ لؤلؤ من ذلك الهذيان والخطاب غاب عنهم الصواب وزادوا فى البكاء والانتحاب ووقفوا على وجوههم ساجدين على التراب وقد استولى على قلوبهم الشيطان وأنساهم ذكر الرحيم الرحمن (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم إن صاحب خرشنه برصويص أرسل الى الملك ميخائيل كتاب يقول فيه كلمة كفرهم ونحن نقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الملك أعرفك ان السيد المسيح نزل الى خرشنه بعد أن نظر اليهم بعين رحمته وقدرته وقد مد علينا الطاقة وذلك لما علم أن دين محمد علينا استطال وقد أكثروا علينا الاقوال واستحلوا سبى حريمنا والعيال فنزل المسيح على دير الصلبوت

وقد نظرنا بأعيننا قبل أن نموت وهو مجاور لنا فى الدير وقد أوعدنا إننا نسكن الجنة ولا نموت وساعة وقوفك على هذا الكتاب ترسل الكتب إلى سائر الأقاليم التى تحت يدك وجميع بلاد الأروام يجمعون العلماء الذين للدين من جميع الأمصار (قال الراوى) وإن صاحب خرشنه أرسل الكتاب فلما وصل إلى القسطنطونية النجاب وقدم لميخائيل الكتاب وقراه وفهم معناه كتب الاخر كتب كثيرة وزاد إعجابه وأطرق برأسه الى الأرض ساعه وزاد طربا أدعا بالعلماء من أهل دينه وأخبرهم بما وصل اليه من برصويص وأن المسيح نزل من السماء فخروا كلكم ساجدين وإلى الأرض لاثمين وقال البترك يا ملك ان هذا القول صحيح وأنا فى هذه الأيام كنت منتظر الى المسيح لأن فى كتبنا مذكور أنه ينزل الى الأرض ويعيد السنن والفرض وعلامة ذلك أن المسلمين كثرت وكلمتهم اشتهرت وعمرت الجوامع والمساجد واخرجوا البيع والصوامع وواظبوا على الجمعة والجماعة ان الدليل على صحة ذلك الأقوال هلاك العيار والمحتال أبو محمد البطال ولو كان موجود فى الدنيا الى الآن لكان هذا القول منه محال وزخرفة أقوال والآن ما بقى فى ذلك الأمر لاشك ولاريب فأعزم بنا أيها الملك على المسير حتى ننظر ما جرى من ذلك التأويل ونسمع الحواريون وهى تقرأ الانجيل (قال الراوى) فعند ذلك أرسل الملك الكتب الى سائر الاقاليم يخبرهم بتلك الاحكام ويأمرهم أن يجمعوا العلماء والرهبان وكل قس ومطران ويأتوا فى عاجل الحال وأن الاجتماع فى خرشنة على دير الصلبوت ولا تأتوا الا بالزينة الفاخرة والعساكر المتكاثرة وبعد ذلك برز ميخائيل من القسطنطونية وهو فى جماعة قوية وعزمة جرية وعلى الحقيقة ان البطال أزعج بلاد الروم بهذه الاعمال التى لايهتدى اليها غيره من الرجال وشاع ذلك الخبر فى بلاد الروم جميعا من سائر الاقاليم والامصار وزاد الكلام بين الناس من سائر الاجناس (قال الراوى) وأما عقبه الخناس فانه لما سمع بذلك الخبر وهو فى بعض الديور قال للراهب شومدس ترى ياراهب سمعت بذلك الخبر فقال شومدرس وقد تعجب أيها القاضى أنت أخبر منا فى دين العرب وتعرف كل دين ومذهب هل عند المسلمين ينزل المسيح الى الارض ويقيم فى دار الدنيا قال نعم أنهم يقولون أنه ينزل من السماء الى الارض اذا أكثرت ذات الفتن وعظمت المحن وتبع كل أحد هواه وكل وكل انسان يعمل ما يتمناه وأكلت العدول البراطيل وظلمت القضاه فى أحكامها وفسقت العلماء فى المدارس وكذبوا فى الاقوال رؤس المجالس وكثر الفسق والعصيان وقل المعروف بين الناس والاحسان واشتغلت الرجال بالصبيان بدلا عن النسوان

فحينئذ ينزل عيسى عليه السلام وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام ينزل بالباب الشرقى من الشام ويحكم فى الأرض أربعين عام ثم أنه يتزوج ويأمر الرهبان بالزواج ويشد من شريعه سيدنا محمد صاحب اللواء والمعراج ويكسر الصليب ويحرق الزنار ويأمر بقتل الخنزير ويصير للمسيح البنات والبنين مثل ما كان لسيد الكونين ثم ينتقل ويدفن فى حجرته بين أهله وصحابته هكذا قالوا علمائهم ولما أن سمع شومدرس مقاله قال له يا قاضى نحن عندنا فى الانجيل ونقل الينا عن البترك شمويل أنه قال إذا غلب دين الصليب وصار للمسلمين مالنا نصيب وأكلوا الاسلام لحم الجمل بالخل والزيت وصار لهم منبرا وخطيب وحرموا ماء العنب الذى يطرب به الانسان ويطيب وتهدمت الصوامع وذل الناقوس وخضع وتضعضع دين النصرانية وتتعتع عند ذلك يغضب المسيح ومريحنا وشمعون الصفا وسائر الحواريون أهل الدين فهنا لك تعود أرواحهم إلى أجسامهم بلا عناء ولا خفاء عند ذلك ينصروا الدين العتيق وتعلوا مقالة التحقيق ويأتون إلى المسلمين مجاهدين ولا يتركون أحدا يهتدى لطريق الا من يتعلق بأذيال الجاثليق ولا شك أن هذا هو الوقت المعلوم والزمن المذكور المفهوم والدليل على ذلك وعلى صحة مثل ذلك وتصديق الحديث هلاك البطال الخبيب لأن المسيح قبل ظهوره وقبل أن يبان ويرى صورته صلب وانحرق كما يقولون جثته وأنا فى هذه الأيام بانت لى كواكب السعود وعلمت أن المسيح إلى الأرض يعود (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما أن سمع عقبه ذلك المقال دخل عليه المحال من محبته لدين الضلال لان الله تباوك وتعالى ويفعل ما يشاء ويهدى من يشاء وإن كان عالما فاضلا فما هو بأعلم من إبليس اذضل وغوى وبعدان كان من الملائكة المقربين صار من المطرودين ورحم الله من قال

الهى متنى مسلما وموحدا ... وكن لى أنيسا يا أجل أنيسا
وأركنى باللطف والفو والرضا ... بنوح وابراهيم ثم بموسى
وعيسى بن مريم والنبى محمدا ... أولى العزم ياغفار ياقدوسا
وصلى على خير النبين أحمد ... سلاما ماحدا حادوسار العيسا

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان عقبه قال الراهب قم ياراهب حتى نمضى ونأتى ونكشف ذلك الخبر لان السمع ما هو مثل النظر ثم ان الملعونين جمعوا رأيهم على المسير فجمعوا رهبان دير النذور وبذلك بشروهم بالخبر وأوعدوهم بالخير وساروا بهم يوردون لهم الاخبار ولم يزالوا سائرين وهم يجدون السير حتى وصلوا الى الدير يوما وصلوا الى دير الصلبوت الا ومعهم جماعة من الرهبان والقسوس والمطران والكل

لا بسين المدارع الشعر كأنهم الغربان وغالبهم عوران وقلوبهم خالية من الايمان وكان وصولهم الى الدير عند قدوم الليل فنظروا الى الروم وهى واصلة الى خرشنه كأنهم السيل وأنوار الدير تلوح وترتج باختلاف الألحان وهم ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وابليس قد تفرغ لضلالهم وغرهم لقصر آجالهم ولما قرب عقبة الى تحت القبة وسمع أصوات غلمان البطال فقال لشومدرس اسمع يا راهب فقال له أبو الشر ياقاضى هؤلاء الحواريون حقا وصدقا الذين دخلوا مع المسيح فى الهيكل وسمعوا الكلام الصحيح المنزل من غير كذب ولا تلويح وهذه القبة لا شك ولا ريب التى ارتفعت فيها روح المسيح من على الجبل وقد زال عنها الخبل وعشنا الى أن انكشف عنا الغطا وسوف تنال من المسيح الجزيل من العطا ولقد سعدنا بالقدوم الى هاهنا وانجلا عنا الهم والغم والعنا فياليت البطال عاش الى أن ينظر الى هذه القدره ويتفكر فى هذه العبره لأنه كان فى ضلال مبين فلعنه المسيح الى يوم الدين ثم انهم قربوا الى تحت القبة وأتقنوا القراءة من غلمان البطال وإذا هم بطريقه حنينه غريبه تجلب الافراح الى القلب الحزين كأنه شرب الراح فقال عقبة وحق المسيح هذه الارواح الروحانية والانوار الشعشعانية وهذه قراءة ما يقدر عليها بشر من هذه الخليقة ولا يقدر أحدا أن يتم بهذه الطريقة ثم ان الملعون جعل يسجد ويركع وعيونه تدمع وقلبه يخشع ويتبرك بالسطور وقد غلب على قلبه الفرح والسرور وقال لقد راق الزمان وصفا وظهر الحق الذى عن المسلمين قد خفا ولاحت أنوار القدرة الظاهرة والآيات الزاهرة والدلالات المتكاثرة ثم انه رفع رأسه من تحت القبة وقال أسألك أيها المسيح الساطع بالنور الذى هو من قدرتك مشهور بانتشار الميت من القبور وإخراجه قبل النشور ووقوفه مذعور فى المكان المشهور من خلف الويل والثبور وبإخراجه من لحده ووقوفه بين يديك وحده وسؤاله عن ما عنده يامن لا تغيره القدرة التى كانت فيه ولم تلهه ملاهيه بل كانت الأنوار عن عيون أعداه تخفيه وهى ظاهرة عليه ياصاحب الاشراق والميلاد والتلاق ياذى اللسان الفصيح الأعظم يامن فى أحشاء أمه قد تكلم وأمه المبراة من التبجيل الشاربة عين السلسبيل المطهرة من دنس الدنيا الدنية يامن هو مرفوع إلى السماء العليه أسألك بحق ما أقسمت به عليك وبما توسلت به اليك ألا ما كشفت لى الحجاب وأوريتنى النور من بعد الخطاب وجعلتنى من حامية الأحباب (قال الراوى) فما أتم عقبة ذلك الكلام حتى ظهر نور يأخذ الأبصار ويذهل الخواطر والأسرار وعلا وزاد حتى حير عقول

العباد وبعد ذلك ظهر لؤلؤ من أحد الأبواب ونور فى وجهه قد أضاء وزاد فى اللمعان حتى بقى كأنه شهاب وقال ابشر أيها الشيخ النجيح ومن هو حجة السيد المسيح فما أنت عندنا إلا مقبول وكلامك عندنا مسموع غير مردود لأنك أنت ودعاك وكلامك عندنا مستجاب وليس دونك يقفل باب لأنك الحجة على العباد وأنت الطريق الى الصواب والرشاد وقد قرب الوقت والمآب ولا بد لنا نرفعك ونرفع لك الحجاب وتصل إلى محل المكاشفة ونقعدك على بساط المآنسة والملاطفة واعلم أن المسيح يسلم عليك وعلى أصحابك الرهبان والجاتليق والمطران وعلى الراهب أبو الشر الذى تقرب من أجلنا فى كل مكان فبشره أننا قبلناه وقبلنا زوجته الصالحة شوما وولدها دهر شوم لاسيما شوما التى ما منعت قس فى طول عمرها وتصدقت فى محبتنا بعقرها ولا منعت أحدا من نفسها وكانت تخفض للرهبان حسها وتصلح أسها المنقطعة للعباد فى كل دير وكل مكان وأيضا ولدها دهر شوم الذى عاش عمره فى الهموم وقد جمعناهم فى الجنة يلعبون ويمرحون وفى الوادى الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر يتبخترون (قال الراوى) فلما سمع عقبة تلك الألفاظ والمدح صلب على وجهه وسجد من شدة الفرح الذى على قلبه طفح وأما شومدرس فانه دمعت عيناه ومن شدة فرحته ومسرته بما سمع عن ولده وزوجته وقال وحق المسيح الموجود لقد كان ظنى مفسود والآن نلت غاية المقصود وزال عنى الشكوك والحفود وأنا أعلم أن ولدى وزوجتى فى أعلا عليين فى الوادى الأحمر راتعين لأن الراهبة من حسن عبادتها على يقين وكان لها أربعين سنة ما اغتسلت بالماء لأنها كانت من كثرت طاعتها يأتوها زمر زمر فتقضى حوائجهم وتتلقاهم بالرحب والسعة (قال الراوى) فبكى عقبة وقال فديت تلك الراهبه الصالحة ما كان أطيبها عند التقديس ثم كشف رأسه وجعل يدور من حول الدير ويقرأ فى الانجيل ويقول خلالها مرمومى وعلما سلاما وأسمار طلالا وأودو واشاما ثاما علوا آمين آمين وعاد إلى جانب القبة وصلب على وجهه وصكع وقال ستر حالا وذورا ورحا قديسا (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم بعد ذلك داخله الطرب وظن بعقله الفاسد أنه بلغ الإرب فرجع إلى طبع العرب وأنشد وقال

مولاى لك الفرح والسرور ... وها نحن من حولك ندور
جئناك من أبعد مكان ... بقصد إنا لك نزور
فاغفر لنا يا إله ... وسامح ذنبنا يا غفور
وارحم الشيب جميعا ... فاننا فى غرور

وانظر إلى الشيخ ساجد وقد أتى لك نفور
قد ضاع عمرى وولى وانى على بلائك صبور
وما له قط ناصر عنـــد انهار النشور
خذ له الحق من عداه وآخـــذ لهمو بالثبور
واجعله عندك مقرب فى مقعـــد بسرور

(قال الراوى) ياساده يا كرام ثم انه التفت الى الراهب وقال له ادع أنت الآخر وتضرع بنية ويقين لعل عينك وعينى يرجعون ونعود مردان مثل أهل الجنان فصاح شومدرس وكشف رأسه وقال أسألك يامسيح بأمك القديسة الطاهرة المطهرة بالبيع المكنوسة المفروشة والهيا كل المأنوسة التى جعلتها محل الطاعة ومنزل أهل الشفاعة وبحق الاخوان الذين صحبوك وفاتوا أهلهم ورافقوك وبالأناجيل الأربع وما بينوا فيها من البدع وبالآيات التى ترفع وتضع وتنهى وتروع وهو إنجيل لوقا وانجيل متى وانجيل مرقص وانجيل يوشع أن ترد على العور وتجعلنا آية إلى يوم البعث والنشور وتجعلنا فى أحسن صورة وأحسن من حور الجنان الحور الحسان الذين عند رضوان (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندذلك قال لؤلؤ وهوعلى باب القبة وقد صاح أبشر ياشيخ العلوم بالنعيم الدائم الذى لايزول وفى هـذه الأيام نحضركم الى عنـدنا على بساط القدرة ونردكم الى العالم فى أحسن صورة ولا يكن فى ذقن أحد منـكم ولاشعرة منظورة ولـكن ما يفعل المسيح ذلك حتى تحضر من حوله جميع أمته ويبين لـكم من يطعن فى ملته ويبطل شريعته واختفى عنهم لؤلؤ ولم يزالون يطوفون من حول الدير بالمباخر إلى أن هجم الليل (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أبو محمد البطال فانه أحضر واحد من غلمانه وقال له ياولدى انطلق من وقتك وساعتك من هنا الى الأمير عبد الوهاب وأعلمه بتلك الأمور والأسباب وإذا وصلت اليه عرفه فيما بينك وبينه بما عاينت وشاهدت من الاحتيال وما دبرت من الأعمال وقل له يجمع العساكر والرجال والأبطال وأن يسير ومعه خمسة آلاف من الأعراب ويقصدون الى ذات الأبرق ويكون وصولهم فى اليوم الفلانى وتلحقه بقية العساكر مع أحد أولاده تـكون المسافة بينه وبينهم يومين وإذا وصل الأمير الى المـكان المذكور أوصيه بما يعمل إذا هو وصل فعند ذلك سار الغلام ممتثلا لما قال مولاه من الـكلام فى عاجل الوقت والحال قاصد الى ملطيه حتى يعرف الامير

بتلك القضية . هذا والروم كل يوم واردة والى دير الصلبوت قاصدة حتى يشاهدون السيد المسيح وعقبة يأخذهم أفواجا أفواجا ويقدمهم من تحت القبة وينظرون الأنوار الطاهرة والأمور الباهرة التى يعجز عنها كل إنسان ونظروا تلك الشموع فى الليل على سائر الألوان وقراءة الإنجيل ولهم حنين بترتيل واذا طلع النهار وتظهر الشمس ترمى جرمها على تلك القبة وذلك الدهان وأنوار تلك المعادن والجواهر التى يأخذ نورها بالأبصار وقد أضلهم الشيطان وأنساهم عبادة الرحيم الرحمن خالق الإنس والجان تبارك الله العزيز الديان عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا (قال الراوى) ياساده ياكرام وعقبة بن مصعب يبشرهم بالخيرات وينتظرون قدوم الملك ميخائيل ومن يأتى معه من الخواص والعوام من أهل الصليب والزنار وبعد قدوم عقبة بثلاثة أيام أشرفت عساكر ميخائيل وقد ملأت الأقطار والبرارى والقفار والأودية والأوعار وقد أشرفوا ووصلوا إلى الدير نصف النهار فأظلمت الاقطار من كثرة الغبار وقد ضجت تلك الخلائق التى اجتمعت من سائر الاقطار من البرارى والبحار وما كان ذلك إلا قدر ساعة من النهار وقد انكشف ذلك الغبار وزال القتار وبانت العساكر للنظار وهى متدفقة كأنها موجات البحار وقد تزينوا الجميع بأفخر الزينة لأجل القدوم على المسيح وهم بالثياب الروميات من الأطلس وغيره من كل لون فاخر بقطع الجواهر عليهم مضيئة وهم من فوق الخيول العربية الأعرجية وعليها السروج العسجدية ومعتقلين بالقنطاريات الخلنجية والسيوف الهندية والبيض العادية والدروع الداودية وهى بالذهب مطليه وهم فى زينة بهيه وفى مواكب وكتائب وخيول مسومه وجنائب وملك الروم فى موكبه كأنه كسرى أنوشروان ومن حوله عبدة الصلبان وبين يديه ومن خلفه خلق لا تحصى ولا تعد من القساوسة والرهبان والجاثليق والمطران لأن بلاد الروم انقلبت بأهلها لما أن سمعوا بظهور المسيح (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما غلمان البطال أصحاب العاهات فانهم قد أتوا مع جملة الخلائق الذين أتوا وعند وصولهم الى الدير نظروا ماحوله وما عليه من الأنوار وما قد شمله من الهيبة والوقار وقد ترجل كل من أتى راكب وأقبل ميخائيل وعلى رأسه الرايات والأعلام وضجت الخلائق من سائر الجهات ونفرت الوحوش من الغابات وتجلى عليهم عالم الخفيات خالق جميع المخلوقات وأنزل عليهم غضبه وضلهم إبليس فى الإقوال والافعال والكل متبادرون الى الدير يريدون البركات وينظرون من السيد المسيح المعجزات هذا والبطال ينظر الى كثرة الخلائق وضجيجهم

ويستغفر الله ويقول لغلمانه والله ما حسبت ذلك الحساب وما علمت أن بلاد الروم تنقلب ذلك الانقلاب اللهم انى أسألك ياحنان يامنان يارب الأرباب يامعتق الرقاب يامسخر السحاب يامن اذا دعى أجاب يامن أنزل على عبده الكتاب صب عليهم سوطا من العذاب وكن لعبدك الضعيف عونا على أهل الكتاب يارحيم ياتواب (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأما عقبة القرنان فانه التقى بموكب ميخائيل ومعه شومدرس الكحشان ولما قابلوا الرهبان بشروهم وهم العلماء والحكماء والفلاسفة بنزول المسيح من السماء وبعدهم التفت الى الملك ميخائيل ومعه شومدرس الدليل الى أن صاروا بين يديه وقبلوا الارض قدامه وقالوا أيها الملك الرحيم والسيد العظيم تعيش وتبقى زماناً طويل واعلم أن هذا اليوم يسعدفيه من يسعد ويشقى فيه من يشقى فى حضرة السيد المسيح الذى ظهر لنا من الضريح فلما سمع الملك ميخائيل ذلك الكلام قال بشرهما المسيح بكل خير أخبرونى إن كان ذلك الخبر صحيح فقال عقبه أيها الملك السعيد أنا أخبرك بالقول الرشيد لأنه أعلمنى بكل مافى صدرى وعرفنى بكل ماعملت فى طول دهرى وأيضا الراهب شومدرس أعلمه بخبر زوجته وولده وما جرى لهم من الأمر المكتوم وأظهر لنا جميع أحوالنا وأمورنا فقال الملك إن كان الأمر كذلك فهو المسيح بلاشك ولا ريب ونظر الملك الى تلك القبة والأنوار فبقى كأنه سكران ومال على الأرض طربا واهتز عجبا وأسرع الى ناحية القبة مهرولا بعد ماحفى أقدامه وزاد خشوع وفاضت على خديه الدموع وهى تجرى مثل السحاب وأكابر الروم والملوك فعلوا كفعله وجعلوا يسألون المسيح مثل سؤاله (قال الراوى) هذا والبطال وغلمانه زادوا فى تلاوة الإنجيل بصوت له حنين يشفى القلب الحزين وكانت الملوك والروم كلهم يسمعون التلاوة وقد زادوا ضلالا على ضلالهم وقد حسن لهم إبليس وجه المحال وأرسل اليهم من يغويهم عن عبادة الملك العلام وبينما الناس فى ازدحام من سائر الأجناس من تلك الأمم وعلى القدم ألف قدم وإذا بصياح أهل العاهات والبلايا وقد أقلب الدنيا والناس محتبكة ومزدحمة وقد عاينوا الأهوال لأنهم رأوا من حول الدير خلق بعدد التراب وقطر السحاب وقد ارتفعت الضجات وانقامت الزعقات وأتوا أصحاب البلايا والعاهات وقد زاد بهم الفرح والمسرات ووقفوا على باب الدير وقد زادت من حولهم الأصوات ونادت غلمان البطال الذين هم أصحاب العاهات نسألك يامسيح أن تكشف عنا مانزل بنا من الأمراض المخفيات والظاهرات إلا انهم قد زاد بهم الفرح والسرور بما قد تم لسيدهم من الأمور

ورأوا شيئا من عجائب الدهور فقالوا ارحمنا يامن لناغفور وادخلنا الجنان والقصور والولدان تخدمنا والجور لاجل ما أبليتنا فى دار الدنيا بكل أمر محذور ورزقتنا الامراض وتركتنا فى سائر البلاد ندور ولا نجد من يكشف ما بنا ولا تأتينا آجالنا نستريح من ذلك العذاب الذى جاءنا ونالنا لأننا ماتهنينا فى الدنيا بمنام ولا تلذذنا بطعام ولا شراب ولا قعود وما صدقنا تأتينا أيامك وقدومك ونحن سالمين من الموت والحمام فساوينا بخلقك وأوسع علينا من رزقك وأنقذنا مما نحن فيه ببركتك وفضلك وقربنا إلى عندك واجعلنا فى جنابك وارحمنا وأجرنا من عذابك وقنا نقمتك إنك بنا رحيم وبعبادك رؤف كريم ثم إنهم بعد ذلك الدعاء والتوسل قعدوا على باب الدير حتى كادوا يهلكوا أصحاب العاهات ولولا الملك بنفسه والحجاب يمنعون بالناس بالسياط والضرب وإلا كانوا أهلكوهم (قال الراوى) يا سادة ياكرام فبينما الناس كذلك وعلى مثل ذلك وهم يضجون ويستغيثون قدر الساعة من الزمن وإذا ببديع فتح الباب ولمعان وجهه يأخذ بالأبصار وادخل أصحاب الامراض وهو يقول ادخلوا و بشروا بنيل الغرض وزال المرض والشفاء وبلوغ الغرض وفى ذلك الوقت طل البطال بوجهه وهو كأنه دائرة القمر ونوره يأخذ البصر ولما أن رأوه الروم زاد عجبهم وضجيجهم وتحيرت أفكارهم وزاغت أبصارهم فعند ذلك أمر غلمانه بقراءة الانجيل جهارا حتى تشتغل أفكارهم وتحير أسماعهم فقرأوا قراءة سالمة من الغلط واللحن حتى حيروا الافكار بحنين وأنين يشفى القلب العليل الحزين وأما أصحاب العاهات لما صاروا من داخل الدير رجعوا على عجل وعليهم دلائل الخير وفتح لهم الباب فخرجوا وعليهم من الحرير ألوان وثياب الديباج وعيون الأعمى فتحت وبقيت مثل السراج وأما المقعد مشى وزاد به الفرح والابتهاج والمزمن قد انتشا والمكسح دب ومشى والأخرس نطق باللسان والبيان والابرص عاد لونه كما كان (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما أن رأى الملك إلى ذلك البرهان غاب صوابه ولا بقى يعرف مابه ووقعت الملوك على الأرض كأنهم موتى مما أصابهم من تلك الدهشة وصارت الكفار يتبركون بهم والذى ما يصل اليهم يأخذ من تراب أقدامهم والرهبان من حولهم يزدحمون وصار على القدم ألف قدم وأما عقبة الملعون صار كالمجنون مما عاين من تلك الأمور ويقول الراهب اطلب من المسيح أن يرد عليك عينك حتى أتقدم أنا بعدك يرد لى عينى وكلما أراد الراهب أن يتقدم تزاحمت الناس والامم حتى كادت الناس أن تهلك فتقدم عقبة ونادى

يامسيح نحن الشيخين الأعورين ارحمنا ورد علينا عيوننا فغلق باب الدير فصاح عقبة يا ويلكم ان سيدنا المسيح ما يقدر فى ساعة واحدة يرضى كل انسان ولا يتحمل ذلك الضجيج والعجيج من كل الأجناس وأما خوفنا أن تحملوا عليه فى السؤال فيصعد إلى السما ونحن نبقى على ما نحن عليه من العمى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه كان يسمع الأخبار حتى كثرت الأقاويل وهو يكذب ما يسمع من المقال حتى كثر الحديث بين الناس وصححوه بنظر العيان وصححه هو أيضا مما سمع ونظره بالنظر إلا أنه مشتغل القلب على النسوان الذين أخذهم الملك قراقونا وهم القناصة ونورى وميمونة وزبيدة بنت القاسم وهو حائر كيف يخلصهم من جزيرة الضرس وقلعة العمد لأنها قلعة على سن جبل وقد عدم البطال وهو جناحه الذى به يطير وجواده الذى عليه يغير وقد وقع به الاياس ولزم العبادة ولا يلتفت الى أحد من الناس وكان فى بعض الاوقات يدعى على المأمون خليفة بنى العباس الى أن صح عند ظهور المسيح تعجب من ذلك كل العجب فجمع سادات العرب ووالدته الأميرة ذات الهمة ولما أن حضروا عنده قال ياقوم لقد كثر الحديث بذلك العجب الذى قد ظهر فى مدينة خرشنة والبحيرة وما بقى أحد الا وقال المسيح قد ظهر فى دير الصلبوت وله هيبة ووقار وان الدير يرهج بالانوار وقد اجتمعت هناك الروم من سائر الاقطار وكل قليل يأتينا جاسوس بهذه الاخبار وأنا ما يصح عند ذلك المقال ولا عند أهل العلم وأهل الفضل وانما يكون ظهوره فى الوقت المعلوم حتى تأتى على الناس أيام الاهوال وذلك اذا كثرت المذاهب وفشى الفسوق وقد تظاهرت به الرجال والنساء وداوموا على شرب الخمور صباحا ومساء وعظمت الامور وضاقت من الناس الصدور وخرجت الدواب والاعور الدجال وظهرت العجائب والاهوال وكثر بين الناس الزنا واللواط والمحال وشهدت بعض الناس على بعضها بالزور وأكلوا أموال اليتامى بالبهتان والفجور ومشت العلماء فى الاسواق ومن خلفهم الغلمان واتخذوا من أموال الترك ما يغنيهم عن النسوان وكثر الظلم والغش فى القرى والبلدان وطلعت الشمس من المغرب فى فلكها وقد استقامت واستغاثت الارض من كثرة الزنا والفسوق الى ربها ومالكها هنالك ينزل عيسى بن مريم عليه السلام أرض دمشق وهى جنة الشام ويحكم فى الارض أربعين عام ويتزوج على سنة محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ويموت ويدفن فى الحجرة وهذا الذى ظهر فى دير الصلبوت قد ظهر

وبان قبل هذا كله من هذه الكائنات وقدمت اليه الروم من سائر الجنبات وأنا أقول والله أعلم ان بعض الحكماء أو بعض الفلاسفة فعل بهم تلك الفعال حتى يأخذ أمواله وينكح نسوانهم وأنا لا بد لى أن أمضى الى نحوهم وأطرح روحى عليهم ومعى فرسان الاسلام لأن هذا أفضل ما يكون من الجهاد فى أهل الشرك والفساد فقالت الاميرة ياولدى ما الاخبار الا تواترات وكثر الحديث بين الناس والصواب المسير الى الجهاد ونربح الثواب من رب الأرباب ولعل ذلك يكون لفتح خرشنه سبب الذى مات البطال وقلبه فيه البلاء منها وكان يقول لى يافاطمه كل بلاد الروم أدخل اليها وأقدر عليها إلا خرشنة مالى وصول لأن لها سبعة أصوار وسبعة خنادق وأيضا صاحبها برصويص جبار عنيد وشيطان مريد ثم انهم بعد ذلك الحديث أخذوا فى أهبة المسير اليها (قال الراوى) ياساده ياكرام وفى تلك الايام وصل بديع غلام البطال الذى أرسله مولاه ولما وصل بادأهم بالسلام وأخبر الامير عبد الوهاب سرا بينه وبينه ففرح به وسأله عن ذلك الامر كيف كان فقال تم له كذا وكذا فتعجب الامير من ذلك الاتفاق وقال والله ان ابليس مايهتوى الى ذلك الفعل ولا يقدر على ذلك العمل لاننا سمعنا أنه أبرأ الاعمى والابرص والمكسح والمزمن فقال بديع اعلم يامولاى أن أصحاب العاهات كانوا من غلمانه وقد أرسلهم قبل رواحه الى بلاد الروم ويظهرون العاهات وباقى الدير مع جملة الناس وأنا كنت من جملة أصحاب العاهات وأظهرت روحى فى بلاد الروم أنى أعمى وبعد أن خرجت من عنده من الدير فتحت بعد العمى ورأيت شيأ يخبل العقول ويترك الصحيح مذهول لانى رأيته عجائب ما يهتدى اليها انسان وسوف تقف عليها وتنظرها عيان لان العيان أصح من سماع الآذان (قال الراوى) ياساده ياكرام فأرسل الامير خلف والدته فأتت اليه فى محل خلوته وأعاد عليها ما سمع من غلام البطال فتبسمت من شدة الفرح ومن اعجابها قالت أقسم ياولدى أن هذا الامر لا بد أن يؤرخ ويكتب وماهى قليل لو كتبت بماء الذهب لما فيه من الايناس والعجب لان والله يا ولدى هذه الفعال ما تخطر على قلب انسان والساعة على ماذا عولت أنت أن تفعل فقال أسير مع الغلام وأفعل بما أوصانى به من المقال لعل أن أسير اليه سرعة وأتفرج على هذه الصنعة وبعد ذلك أنزل على الخليفه وأتحلل منه لما قلت فى حقه لانى دعوت عليه من غير علم فقال بديع يامولاى ومعى كتاب أمرنى سيدى أن أوصله اليك وهو مختوم ترسله لامير المؤمنين يعمل بما فيه فعند ذلك أخذ الامير الكتاب وسلمه الى البراج وأمره أن يعلقه

على جناح طائر من الحمام ثم ان الأمير تجهز من يومه فى خمسة آلاف فارس وباقى العسكر مع ولده ظالم وقال له اتبعنى بعد يومين على خرشنه حتى نبصر ما دبر البطال وأوصاه أنه يكتم الحديث عن النساء والرجال ورحل الأمير من ملطيه وصحبه غلام البطال وقال له ماقال لك سيدك أن تفعل فقال يامولاى أوصانى أنك لماتصل الى وادى الابرقين تنزل فى وادى الآس فاذا وصل اليك عسكر الروم وقدامهم عقبة المذموم فلا تمانعون ولا تقاتلون بل سلموا أرواحكم اليهم واظهروا لهم الحيرة والانذهال فقال بعض الأمراء وكيف نسلم أرواحنا من غير حرب ولا طعن ولا ضرب فقال لهم الأمير لولا يعرف أن فى ذلك نوع من الصلاح ما أمرنا به (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انهم ساروا قاصدين بلاد الروم حتى وصلوا الى وادى الابرقين فعرجوا على وادى الآس وهم يسألون بديع عن فعل مولاه وهو يحدثهم بكل عجيب وهم يتعجبون من ذلك (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من فريد زمانه ونادر أوانه فانه أقام على ماهو عليه مع الروم من ذخاريف المحال حتى علم أن الامير عبد الوهاب خرج من ملطية لأنه كان أجل له أجل فعند ذلك زاد فى وقود الشموع المصنوعه التى نورها على سائر الانواع والالوان حتى دخل فى قلوب الروم الجزع والفزع والهيبة وزادوا غلمانه فى قراءة الانجيل وخرج تلك الليلة من القبة من الباب الذى من ناحية ملك الروم وصاح بأعلى صوته بعد أن قرأ شيئا من الانجيل أيها الملك الرئيس يقول لك السيد المسيح سيروا الى وادى الابرقين وانحدروا الى وادى الآس وخذ بعض حقى من الذين هناك فأنا الذى لا يخفى على خافية من أمر خافى (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما سمع عقبه ذلك المقال كاد عقله أن يخرج من شدة الفرح وقال هذا هو السيد المسيح حقا وصدقا وتقدم تحت القبه ونادى يا حوارى ومن هناك من الأعداء فقال له المسيح يقول لك ياحجتى على عبادى إن أسود بنى كلاب هناك ومعه جماعة من العرب وقد عول أن يكبسكم فى ظلام الليل ويحل بكم الويل ويحسبون أن النصر يدوم وان الدهر معهم والسيد المسيح يأمرك أن تسير اليه خمسة آلاف فارس على عددهم وكل واحد منهم يقبض على واحد وتوصى أصحابك لا أحدا يؤذى أحدا منهم لما توقفهم بين يدى المسيح ويعرض عليهم دينه ويقينه فان أجابوا غفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر وما مضى من أعمالهم ويسامحهم من موبقاتهم ولا يتولى ذلك الأمر إلا أنت والشيخ أبو الشر شومدرس وأيضا الشيخ النجيح وحجة المسيح لأنه حجتى على عبادى ومتولى أحكامى فى بلادى وتصرفه فى

خلق كتصرفى لأنه شيخ الشيوخ ونزهة الزمان وبركة الكنائس والبيع والصلبان ويكون شومدرس راهب الرهبان المقدم على كل قس ومطران وفى أيديكم العكاكيز والصلبان ومعكم مائة قس وجاتليق ومطران ومثلهم رهبان وجدوا فى المسير حتى توصلوا إلى أعداء الدين فاذا رأيتموهم رأى العين تقربوا منهم ولا تشهروا سلاح ولاسيف ولارماح بل إذاتصففتم قدامهم يتقدم حجتى على عبادى ووكيلى فى شريعتى فى أرضى وبلادى الشيخ النجيح الى قدام ولا يفزع ولايخافهم ويقرأ إئتوا وأنتم صاغرون وطائعين ويتقدم حجتى ويمسك شكيمة جواد عبد الوهاب وكل واحد يمسك واحد وإئتونى بهم أجمعين حتى أناقشهم على أعمالهم وما عملوا فى عبادى من أفعالهم وان كان الشيخ عقبه يخاف أن يفعل تلك الفعال فيقول عند لقاهم إئتونى صاغرين بحق من خلق من الطين طير ويرفع هذا الصليب فى وجوههم وينظر مايجرى عليهم من قدرتى ثم أرمى لهم صليب من شمع مكتوب عليه أسطر فعند ذلك أخذ عقبة الصليب وصار يقبله ويمر به على وجهه وصدره وهو يقول : آمنا آمنا انك أنت المسيح حقا وبما أنزلت الينا من البركات والكرامات والدلالات صدقا فقال ميخائيل ياشيخ وحق هذا المسيح لابد أن أسير معك وأنظر هذه القدرة الباهرة والمعجزات الظاهرة لأن المسلمين كلهم شجعان أقران كيف ينقادون معنا ونحن فى عددهم لأن الخمسمائة يريدون عسكر مدينة (قال الراوى) ياساده يا كرام فقال عقبه يامالك كان ذلك فى زمان حالهم كما تقول وأما الآن فقد ظهر البرهان ثم ان ميخائيل أخذ من ليلته خمسة آلاف فارس من الروم من كل بطل همام من البطارقة الذين يثق بهم فى الشدايد العظام من كل همام وثيق الذى يمزق الحديد تمزيق وفى ليلته ركب الطريق وعقبه قدامه راكب على حمار أبقع وإلى جانبه شومدرس الاوزع الابقع والصليب على رأسه والعكاز فى يده وقد انقامت حدته وهو لاتسعه الدنيا من فرحته وقد عادت إليه أيام شبوبيته وسروره وفرحته وشومدرس الى جانبه وهو يقول يارئيس الملتين ومقدم الطائفتين نحن فى منام أو أضغاث أحلام وهذا الامر صحيح وحق المسيح ما أصدق أن عبد الوهاب يسلم روحه بلاطعان ولاضراب لاهو ولا من معه من الاعراب إن كانوا نازلين فى ذلك المكان (قال الراوى) ياساده ياكرام وقد صاح فيه عقبه وقال امش يا كلب الرهبان بلا كثرة كلام ياخرفان أتكذب ماقال المسيح من البينات وتكفر فى شرع الرهبان وتشك فى بركة ذلك الصليب فيأخذ المسيح البركة منه لأن فيه معجزة من هو قادر ويعلم بما فى السرائر وان كانت نيتك

فاسدة فتهلك بهذه المجاهدة لأن المسيح لاتخفى عليه خافية (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من الامير عبد الوهاب ومن معه من الفرسان فانه قد نزل فى (وادى الآس) وأقام لأجل الراحة فلما كان عند الصباح أشرف عقبه ومن معه من العساكر والنهار من الغبار صار كأنه الليل العاكر وعقبه فى أوائلهم راكب على ذلك الحمار ولما أن وصلوا إليهم ركبوا عن بكرة أبيهم وتصففوا صفوف وكذلك عسكر الروم صاروا قدامهم والخيل وقوف هنالك تقدم عقبه وهو يقول : انقادوا صاغرين مسرعين أجيبوا الى الحق طوعا أو كرها بحق خالق الطير من الطين ثم ان عقبه هز الصليب الشمع فى وجه الامير عبد الوهاب والروم تتبعه وتقول مثل مقالته وكان الامير أوصى من معه بما عليه غلام البطال ولما تقدم عقبه وقال ماقال وأومأ بالصليب صار العرب يتمايلون كأنهم سكارى وكل واحد من الروم تقدم الى واحد منهم ويأخذ عدته من يديه ولا يتكلم بل يصيح به الرومى ويشده كتاف وعقبه لما شاهد ذلك حار وأخذه الانبهار وهتك ستر الأستار وهجم على الأمير وضايقه بالحمار وصاح ويلك سلم نفسك ياابن مرزوق من قبل أن يحرقك هذا الصليب بالنور وتصير هباء منثور فتمايل الامير فى سرجه وهم أن يشد يده فوقع السيف من يده وسلم نفسه اليه فشد كتافه وعقبة مثل المجنون ينادى : يابنى كلاب غدا توقفون قدام المسيح وتحضرون الحساب وينادلكم من العقاب وترون ما أعد لكم من العذاب إلا أن تتوبوا وتسألونى أنا حتى أسأله فيكم وإلا صب عليكم سوط من العذاب (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان الأمير لما سمع من عقبة ذلك الخطاب قال فى نفسه والله ماتكلم هذا الكلام إلا وقد رأى من البطال مايحير كل إنسان فقال لعقبه ياقاضى أنت أعرف منا بالأديان وعارف بتصاريف الأزمان لأن كل من فى بغداد يرجعون اليك ويصححون المسائل كلها عليك لأنك طول عمرك مشغول بقراءة كتب العلماء ونحن مشغولين بالطعن والضرب ومعاناة الحرب والآن قد صحت صحائح ولاح لى من هذا الصليب لائح لأنك أول ما قابلتنى به استرخت جميع عضاى وقل حيلى وقواى وكدت أن أقع على قفاى فان كان هذا من المسيح تبعناه وقلنا بقوله وصدقناه لأن من كانت هذه الفعال فعاله يجب أن يصدق فى مقاله وإن كان هذا سحر قد دبرتموه أنتم والحكماء فلا نحول ولا نزول عن ديننا ويقيننا فقال عقبة وأنتم ياملاعين بقى لكم دين أو يقين اصبروا بس لما تصلوا الى المسيح ومن

عنده من الحوراين الذين اطلعوا على السر المكنون وترون ماكنتم به تكذبون ثم انهم زجعوا بهم وهم فى سرور وحبور وعقبة قدام قائد جواد الأمير عبد الوهاب وهو عليه مشدود وهو معه فى خطاب وحساب وعتاب ويوعده من المسيح بالعذاب والعقاب وميخائيل اللعين الذليل قد ضل عقله وتاه فكره وهو فرحان الذى ظفر بالأمراء وكلهم ما يعلمون ماذا يقضى عليهم قدام المسيح ولا مايجرى لهم لما يقفوا قدام الضريح وجدوا فى سيرهم الى أن وصلوا الى الدير وقد زال عن الكفار كل ضير فنظر الامير عبد الوهاب ومن معه الى خلائق كأنها التراب سبحان مفنى الخلائق لأنه نظر حول الدير أمم ما عليها حساب وتلك الأنوار من أعلى الدير تلوح وقد ضربت تلك القبة من فوقه كأنها السراج الوهاج ومن حوله تلك الأمم والخلائق فتعجبوا من تلك الامور التى مايهتدى لها أحد ولا وصل اليها لا أبيض ولا أسود وعقبة قدام الامير ومن معه وقد ظهر الخشوع وقد ظهر البرهان وبان لنا ما كان عنا فى كتمان . وأما الروم لما أبصروهم مقبلين صاحوا فى وجوههم فردهم الملك ميخائيل ثم صاح عقبة فى العالم وقال : لاتسيئوا الأدب قدام المسيح فإنه عليكم يغضب ولما أن سمعوا كلام عقبة امتنعوا عنهم وتأدبوا ولما قربوا من الدير ترجل الملك ميخائيل ومن معه ومشوا حفاة مكشوفين الرؤوس والأمراء معهم وقد صفوهم خمس صفوف وصاح عُقبة بملء دماغه : ياشيخالون ياشيخالون إعلم المسيح بما فعلناه بأعداه ودعه يأمرنا بما نصنع فيهم فظهر لؤلؤ من إحدى الابواب وقال إن المسيح يأمركم أن تمضوا بهم الى البلد واتركوهم فى كنيسة الذهب حتى انه ينفذكم تأتون بخليفتهم لأنه خرج من بغداد ومعه جيش عرمرم من الترك والعرب والديلم فإذا وصلتم إليه ابذلوا السيف والعدد ولا تبقون على أحد وأنا أمسك عنكم أيديهم وائتونى بخليفتهم سالم أين ما كان لأنه قد سبق علمنا فيه نجعله عندنا مطران ونوصله إلى جزيرة الرهبان (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أن سمعوا ذلك الكلام ساقوا الامراء بين أيديهم حتى أدخلوهم الى البلد وأدخلوهم الى الكنيسة والامير يقول ألا ترون الى ذلك والله إن هذا من العجب وكأننا فى منام أو نحن فى أضغاث أحلام فتبسمت الاميره وقالت : أتظن ياولدى أن ينتج الزمان بمثل هذا الامير أبو محمد البطال لأن الله تبارك وتعالى جعله نقمة على الروم وهذا كله إلهام من الحى القيوم وانه حقيق من أولياء الله الصالحين على أن الروم يستحقون مايفعل بهم هذه الفعال ولولا ذلك ما كانوا يعتقدون الأرباب ويطلبون الشفاعة من الصور المصورة فى

الحيطان وقد أضلهم الله عن طريق الرشاد حتى ينطلى عليهم ذلك المحال (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما أن أدخلوهم الروم الى الكنيسة غلقوا عليهم الباب وكانت أيضا البلد خالية من أهلها وما فيها إلا النسوان وكلهم من حول الدير يتعبدون والى ربهم المسيح ينتظرون والبطال لما عرف أن الأمراء فى البلد تيقن أنها بقت فى يده فقال لغلمانه ما بقى فى الأمر إلا شىء واحد وهو أن عسكر الإسلام إذا أتت على أثر عبد الوهاب ما أقول انهم يلتقون هذه الأمم التى هى فى عدد التراب ولابد لى أن آمر ميخائيل يسير الى لقاء المأمون كما أوعدته حتى يضعف ذلك العسكر ويقل ويبقى أكثرهم عوام فيكونوا طعام لسيوف الاسلام وأنزل أنا الى (خرشنه) وأسلمها الى الخمسة آلاف الذين فيها وأفضل هذه النوبة ما دامت مبهمة فقالوا له افعل ما تريد فربما يأتى شيئا لم يكن لم الحساب (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان لؤلؤ ظهر من القبة وصاح صوتا مزعج حتى رمقته الأبصار وتطاولت اليه الأعناق وأمر ميخائيل أن يرحل الى لقاء المأمون ففرح بذلك أن المسيح خصه بهذا الامر دون غيره من الملوك ورحل من وقته وساعته وسار معه كل طامع وكل جبار وانطلى عليهم ذلك المحال . وجد ميخائيل طالب قصده ولم يعلم أنه سائر الى حتفه وعكسه فهذا كان من ميخائيل ورحيله . وأما ما كان من أبو محمد البطال فانه بات الى أن أصبح ولبس الزرنباقة التى صنعها فى بغداد وكانت من ريش السمندل (قال) وهذا السمندل طير فى بلاد الهند وكره فى النار ويبيض ويفقس فى النار وقوته من الجمر ومنه تعمل الملوك مناديل وكل ما علاها الوسخ ألقوها الى النار فتعود كما كانت أول مرة وأن البطال فرد تلك الزرنباقة على رأسه بعد أن طلاها بدهن السندروس المستخرج معه بالحكمة ولما لبسها قربها من النار فاشتعلت من سائر جنباتها حتى بقى بالتشبيه كأنه شخص من نار ودهن أركان الزرنباقة كل ركن بدهان من الذى استخرجه فى بغداد ولما أن تمكن من رأسه وشم الدهن رائحة النار صارت النار تشعل على سائر جسده بألوان مختلفة ولهيبها على قدر امتزاج الادهان وخرج البطال من القبة بتلك الصفة وغلمانه من حوله يضجون بقراءة الإنجيل ولما أن رأوه الروم بتلك الصفة بهتوا اليه وحارت أفكارهم وزاغت أبصارهم وتحيرت أذهانهم وضجوا وهجوا حتى قلبوا الدنيا وهم يقولون : اغفر لنا ياإلهنا وارحمنا وازدحموا من حول الدير حتى كادوا يقلعون حيطانه وتزلزلت أركانه وبعضهم يقول : انزل إلينا بحقك ولا تمنعنا من رحمتك ورزقك فانزل حتى نراك وتزول من قلوبنا الأشكاك (قال الراوى)

ياساده يا كرام فصاح بهم لؤلؤ : ويلكم ياعباد الصليب قللوا من ذلك الصياح والزموا الأدب فان المسيح نازل إليكم ويبلغكم منه الأرب ويعرفكم الزهد ويخطب لكم خطبة بليغة فى كنيسة الذهب وسوف تنظرون مايفعل بهؤلاء الاعراب وبأميرهم عبد الوهاب الذى لمعجزاته كذب ولكن قدموا صاحب هذه المدينة إلينا حتى نبشره برضانا عليه ونأمره مايفعل بأمرنا (قال الراوى) ياساده ياكرام فما كان بأسرع من حضوره وهو الملك برصويص وقبل الأرض ووقف بأدب وقد حار عقله مما سمع ومما رأى وكادت روحه أن تذهب فقال له لؤلؤ اسبق الى بلدك أنت وخواصك وأصحابك واحفظ الباب ولا تدع أحدا يدخلها إلا من تعرفه من ذوى الألباب والأنساب حتى ينظر المسيح الطائع من العاصى المرتاب ويختار لنفسه من يكون طائع ولقوله سامع (قال الراوى) ياساده يا كرام ولما أن سمع صاحب خرشنه ذلك المقال مضى الى البلد فى عاجل الحال وأخذ أصحابه وحجابه ممتثلا الى المقال عندذلك تبعوه خلق بعدد التراب وقطر السحاب وبقيت الرهبان والقساوسة والمطارنة تحت الدير وقوف حتى ينزل لهم المسيح وكل منهم له يشوف ويدور من حوله لأنهم علماء وعقبة وشومدرس والبطرك (مضرطونا) كل منهم باهت ونفسه خافت وعقبة ينظر الى تلك النار التى تشعل ونزل البطال وهو فى تلك القبة وأبوابها مشرعة . هذا وقد تلقوه الرهبان والشمامسة والمطارنه بالحفاوه والإكرام وشالوه على الأعناق فلم يزالوا على تلك الصفة حتى انهم وصلوا الى (خرشنه) ودخلوا بتلك القبة من الأبواب ومنعت الحجاب الناس من الدخول ولا تركوا أحداً يدخل إلا اذا كان معروفا ثم غلقوا الأبواب وقصدوا بالبطال إلى الكنيسة التى فيها الأمراء وصعدوا على كرسى عالى بعد أن خرج من تلك القبة فقال عقبة لشومدرس اليوم ياراهب تضرب من أعدائنا الرقاب وأنا أريد أسأله فى الامير عبد الوهاب وفى أمه وأقول له أشتهى يامسيح منك أن أصلبهم على باب الذهب الذى أرادوا أن يصلبونى عليه فقال شومدرس يا قاضى إن المسيح ليس له غرض فى القسطنطونية ولا فى ملكها وإن كان له غرض فيها كان نزل على كنيسة سوفيا ولو كان له غرض فى ميخائيل ما كان أبعده عن حضرته إلى بلاد الاسلام .

(تم الجزء الثامن والثلاثون ويليه الجزء التاسع والثلاثون)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء التاسع والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده ياكرام وكان البطال أرسل أربعة من غلمانه دخلوا مع برصويص وخواصه لما أدخلوا الأمراء وقال لهم اصبروا لما نقرأ عليهم قداس الثبات فلما دخلوا حلوهم من الكتاف وأمروهم أن يديروا أيديهم وراء ظهورهم وعند نزوله من الدير خلف من خارج الدير اثنين وقال لهم إذا رأيتم عسكر العرب وقد وصلوا أمروهم أن يضربوا السيف فيمن تبقى من خارج المدينة ويهجموا على الدير ويأخذوا ما فيه (قال الراوى) ياساده ياكرام وانه لما دخل الى كنيسة الذهب وقد ازدحمت بالخلق والأمم وبقى على القدم ألف قدم وكانوا كلهم من كبراء الروم ووجوه البطارقة والحجاب وأرباب المناصب حتى كاد المكان أن ينقلب وكانت تلك الكنيسة عظيمة القدر عندالروم لأن مابعد كنيسة صوفيا إلا تلك الكنيسة وأما البطال لما حصل فى الكنيسة خرج من تلك القبة بتلك النار والأنوار وصعد على كرسى عالى الى صفة المنبر وقد أدار وجهه الى ناحية الروم ونطق بلسان عربى فصيح وقال فى أول كلامه (الحمد لله ذو الجلال) فسجدوا الكل اليه ووقعت عليهم الخمدة شوقا الى سماع كلامه فأشار اليهم بيده ورفع الماشوحة عن وجهه فظهر منها نوراً يأخذ بالأبصار وقال: (الحمد لله الكبير المتعال الذى خصص الأشياء من غير مثال ورفع من فوقنا هذه السموات بلا علاقة ولامشال وسخرالشمس والقمر والنجوم العوال وبسط الارض الصماء على تيار الماء وأرسى من فوقها الجبال وأثبت الأشجار وأوثقها بالثمار وجعل الحر والظلال وفجر من صم الحجر الأصم ماء مالح وآخر كالزلال وأمر الأفلاك بالدوران فدارت يميناً وشمال وأطلع فيها شمسا وقمراً ونجما وهلال وجعلها خداما لبنى آدم حتى يعرف بهما عدة الشهور والسنين والأيام والليال

وذلل لنا الهوام على ضعفنا فأطاعتنا وماعصتنا على كل حال وقسم بيننا جميعا الأرزاق والآجال وجعل فى خلقه أراذل وفيهم من هو للهيبة والكمال لايدرك له وصف ولا مثال ولا يعرف له خلف ولا قدام ولايمين ولا شمال ولا ولد ولا والد ولاعم ولا خال ولاوزير ولامشير ولامعين على الأمور الثقال بل يسبح له الحصى والرمال والجبال وتسبح له موجات البحار عند هيجانها بريح الشمال ويحمده الذر تحت تخوم الارض إذ أتاه رزقه بغير سؤال وهوالذى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بنور الهدى لمحو رسوم الضلال وبين لنا الحرام من الحلال اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ما نطق لسان بمقال وما أشرق الصباح وأغسقت الليال صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم العرض والسؤال . أما بعد يامن حضر من الكفار أهل الشرك والضلال الذين ليس لهم بصيرة ولاحال من الأحوال اعلموا اننى أنا أبومحمد البطال ودققت عليكم الاحتيال وسخر الله لى قلوبكم وانطلى عليكم المحال لما يريد الله تعالى من خلاص الحريم والعيال الذين أخذهم قراقونا وهم عنده فى العذاب والنكال وإنى قد اشتقت الى صفح شومدرس وعقبه شيخ الضلال وأريد أنتف منهم السبال وأمعط شعورهم الطوال وألطم قزالهم بمسامير النعال (قال الراوى) ياساده ياكرام انه ما تم لأبو محمد البطال هذا المقال حتى خرجوا الأمراء فى الحال الى وسط الكنيسة ومعهم السيوف السقال وهم يهدرون كأنهم فروخ الجان والسودان كأنهم سباع الدحال وفى أقل من ساعة بذلوا السيف فيمن هناك من الرجال وأن الروم وقع بهم الانذهال وتحيروا من تلك الأسباب والأعمال ولم يبق أحد منهم يعرف مابين يديه كأنه سكران بغير خمار من فعل أبومحمد البطال (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما عقبه ابتلاه الله بكل نكبه فانه جعل يلطم على وجهه ويحثو التراب على رأسه ولوث لباسه وهو يلتفت يمين وشمال ويقول يالها من مصيبة ما أعظمها وللظهور ما أقسمها ياله من يوم ماأيشمه على أهل الصلبان ويااما فيه شدائد وأهوال وشومدرس يقول أناماقلت لك ياقاضى ياقرنان اننى أنارأيى هذه الفعال وأنت تقول لى اسكت ياراهب لايعلم المسيح بهذا المقال صدقت الآن ياقرنان انه ماهو المسيح ولابد اليوم ما تمحى آثارنا وتخرب ديارنا ونصير مثلا ما بقيت الليال وما منهم إلا من أراد الهرب ولكن ماقدروا على ذلك لأن أبواب الكنيسة مغلقة والسيف يعمل فى أعناق الرجال وهو كأنه الشقائق وفى دون ساعتين من النهار هلك أكثرهم وقد قبضوا على الباقين وشومدرس وعقبه شيوخ المنافقين وصاحب (خرشنه) اللعين وصفوا الكل قدام

البطال وقال ويلك لاتناديه بالمسيح فلا عاش ولا بقى يامسيح فغضب عقبة من ذلك وقال لا تناديه بالمسيح فلا عاش ولا بقى ولا صار فى عمره مستريح فصاح به البطال وقال له ويلك يا شيخ الزنادقه يا أهل العمى والضلال ان لم أكف أنا المسيح أكون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم صاحب القدر الرجيح والوجه المليح واللسان الفصيح ولولم تكونوا من أهل الضلال ما كان ينطلى عليكم ذلك المحال (قال الراوى) ياساده يا كرام فبينما هم كذلك إذ سمعوا الأمراء وقد رفعوا الأصوات بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير ورنين البتار فى رقاب الكفار وكان ذلك من الأمير ظالم لأنه لما أقبل ورأى الى كثرة تلك الخلائق من حول ذلك الدير صار حائر مايدرى مايعمل وإذا بغلمان البطال الذين أوقفهم سيدهم أقبلوا عليه وعرفوه بما جرى وأمروه أن يوقع بهم فعلا ويسقيهم شراب الردى فأشار بيده الى من معه وحمل وفى حملته اهتز السهل والجبل ونزل على الروم الزلال وضربوهم بالصوارم على أعلى القلل وأوقع فيهم ضرب البتار ولما سمع الأمير صيحات الرجال خرج من الكنيسة ببعض الرجال ووكل الباقين بالكنيسة ومن فيها من الاسارى ولما أن صار من خارج الكنيسة كبر الفرد الصمد وذكر الصادق محمد وبذلوا السيف فى أهل (خرشنه) وبقى السيف يعمل ظهر البلد ومن داخله وقد تفطرت من الجبان مرائره وبقت الرجال تصرع من داخل البلد ومن ظاهره ودام الأمر وقل الصبر ولم يزل الحسام يعمل والدم ينزل والرجال تقتل يوم وليلة الى الصباح فنادى من بقى من الأروام : لوريك لوريك يعنى الأمان ورموا ما كان معهم من السلاح وأما الذين كانوا من خارج البلد فإنه قد هلك منهم خلق كثير لا تحصى بعدد الرمل والحصى وتفرقوا الباقين هائمين على وجوههم وماسلم منهم إلا القليل وغنم ظالم ما كان معهم من الأساس والخيام والأموال وقرب من باب المدينة فرأى أبوه الأمير عبد الوهاب قد ملكها والتقى والده بالسرور والأفراح واجتمع بعضهم ببعض وشكروا البطال على مافعل من تلك الأفعال وبينما هم كذلك واذا بأبو يخلف المغربى وهو يقول : فين البطال حتى أشكره على هذه الفعال وأين عقبة شيخ الضلال وشومدرس شيخ المحال فلابد ما أصفعهم بالنعال بالجلود وان لم أفعل ذلك عشر أبو يخاف مع اليهود لأنهما كانا سبب فقد ستى شمه التى من أجلها حصلت تلك النكسة هذا وقد ملكوا البلد ودخلوا الى البطال وجعلوا يذكرون ما جرى عليهم من فراقه وما عندهم من الشوق الى لقائه ومن النسوة المأسورات فقال لهم البطال اعلموا

أن الأمر تيسر وهان و أنا ما فعلت تلك الفعال إلا من أجل (نورى) ومن معها من النسوان لأن ما لنا طريق إلا من ههنا ومن مدينة القسطنطونية ولكن أنتم قد سمعتم ما طلب ميخائيل من أجل العبور وربما ملك الثغور من هذه البلد وعند ما ملكنا هذه البلد تيسر الأمر وهان وما بقى يصل إلينا ضرر ثم انه أحضر صاحب (خرشنه) وقال له ويلك ياجاحد كيف ترى مافعل ربك رب الأرباب ومعتق الرقاب هل نفعك حذرك منى كيف مثلت الصورة يا كلب الكلاب واحتقارك بالنبى الأواب ثم انه أمر بإحضار الصورة فحضرت فعلقها فى رقبته وشنقه على باب الكنيسة ثم انه صعد هو والأمراء الى قصره الذى هو محل عزه فوجد فيه أموالا ثقالا شىء يعجز وصفه اللسان ولا تحويه دفاتر ولا ديوان من الجواهر والتحف والظرف ما يساوى ملك خراسان مراراً عديدة فقال الامير هذه الاموال ننفقها فى سبيل الله ونتقوى بها على السفر الى الجزائر ونعمل منها مراكب ثم انهم كتبوا كتاب إلى الامام بما فتح الله لهم من (خرشنه) وأعطوا الكتاب إلى نجاب فلما وصل إلى الامام الظفر شكر الله تعالى على ذلك وفرح بإزالة تلك البدعة التى أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فهذا ما كان من الأمراء وأما ما كان من ميخائيل لما سار بالعساكر على ما وصفنا من الدير مازال إلى أن التقى بالمأمون وكان الخبر وصل الى المأمون فى الكتاب الذى أرسله اليه البطال فلما وصل اليه كان على حذر ووقع بينهما القتال ثلاثة أيام ولما أن كان فى اليوم الرابع وصل الخبر أن عبد الوهاب ملك (خرشنه) وأن الذى كان المسيح هو أبى محمد البطال فحصل لميخائيل الوبال والنكال وخاف خوفا عظيما وألقى الله تعالى الرعب فى قلوبهم فانهزموا من قدام المأمون الى مدينة القسطنطونية فوجدوا فيها البكاء والعويل والحزن الطويل على من قتل من الرجال ومن هلك من البطارقة . ولما أن قر قراره علم أن عبد الوهاب لابد له من الدخول الى قلعة الفرس فصار يتفكر فيما جرى عليهم من ذلك الأمر النحس (قال الراوى) ياساده يا كرام وأما كان من الامير والسيد الخطير الامير عبد الوهاب وسيدى عبد الله غازى بطال ومن معهم من الرجال فانه لما فرغ من أشغاله وملك (خرشنه) وكل بها من يحفظها ورحل بمن معه قاصدالى يانس المتغرب وأما ملك الروم قال لابد لى أن أعمر المراكب واجعلها فى طريق عبد الوهاب حتى يلاقوه فى البحر ويشغلوه عن الوصول الى قراقونا ثم شرع فى ذلك . وأما ما كان من يانس فانه تلقى الامير عبد الوهاب أحسن ملتقى وهنأه بالسلامة وما وصل اليه من النصر والظفر

وأقام عنده ثلاثة أيام وأخذ أهبة الرحيل وقال ما أقدر أقيم أكثر من ذلك لأنى ماضى الى طرسوس الى عند على بن يحيي الأرموى وأسأله أن يجهز لنا مراكب من عنده الى قلعة الفرس لعل أن يكون لنا الوصول اليها بغير واسطة ملك الروم فهذا الذى أريده لأجل هلاك عقبة وشومدرس ودع يكون مهما كان وأنا أريد أن يكونوا عندك ياپانس خوفا من ملطية واذا كانوا عندك أكون أنا مسرور وخالى السريرة من جهتهم لأن ملك الروم لابد له منهم ولا يصلح إلا عليهم ثم ان الامير عبدالوهاب تركهم عنده وسار من على الحصن يقطع الارض فى طولها والعرض الى أن وصل الى طرسوس ووصل الخبر الى الامير على ففرح بهم ثم خرج من ثغر البلد الى لقاء الامير عبد الوهاب فلما التقى العسكران تقدم الامير على وقبل الارض بين يديه وأيضا خرجت أهل البلد وكان ذلك اليوم كأنه من بعض الأعياد ونزل الامير عبدالوهاب فى المنزل الذى كان برسمه اذا كان فى طرسوس وهرعت الفقهاء والعلماء والفضلاء والشعراء والصعاليك وغيرهم وكان عادة الامير اذا وصل إلى طرسوس يتصدق بخمسة آلاف دينار فأعطى وأوهب وفرق الفضة والذهب وبر الأرامل والايتام ثلاثة أيام (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما أن كان فى اليوم الرابع طلب على ابن يحيي وقال له أيها الامير إن القصد اننا مرادنا نقصد قراقونا فقال الامير على بن يحيي والله يا أمير ان سلامتك عندى هى الغنيمة الكبرى واننا من أول ما رأيناك ورد علينا السرور فأما ماذكرت من جهة المراكب فهى عندنا ونفديك بأرواحنا فكم يكفيك من المراكب يا أمير فقال له الامير عبد الوهاب فما يكون عندك فقال له الامير على بن يحيي عندنا مائة مركب كبار وصغار من المراكب العال الذى لا يوجد مثلهم فى هذا الزمان وأنت تملك بها إن شاء الله تعالى جزائر البشار وأما جزيرة الفرس التى فيها قراقونا فنخبرك يا أمير بأنها جزيرة حصينة لا يهتدى الى وصولها أحد وما لأحد عليها سبيل لأن المكان حصين وأيضا الطريق اليها بعيد وربما أن المراكب تتلف عند ملتقى الجبلين ومجمع البحرين لأن الوصول الى ذلك الموضع لا يكن إلا بعد أربعة شهور كوامل إذا كان الريح طيب معتدل ولما تصل الى ذلك المكان الذى هو مجمع البحرين هناك مكان وقد أحكمته الحكماء والملوك القدماء أن له سلاسل من الجبل الى الجبل الذى يليه وعلى السلاسل أقفال وعلى رؤوس الجبال صناديد الرجال يأخذون الخمس من كل من يعبر عليهم من التجار والسفار ولا يقدر أحدا يدخل إلا بأمر من صاحب الجزيرة ويكون معه تعريفا من ملك الروم ميخائيل واذا فعل

ذلك يسير بعد السلاسل يوم كامل حتى يدخل الى بحر مظلم يسير فيه سبعة أيام كوامل وبعدذلك يصل الى جبل متوسط مسيرة يوم كامل عرض وطول وفيه أضراس شاهقة فى الهواء وعلى سن منهم قلعة من الحجر الأسود بأطواق من الحديد والملك قراقونا فى تلك القلعة وفى تلك الجزيرة أشجار كثيرة عليها أثمار غزيرة وفيها عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى والوصول إليها صعب شديد فإذا عزمت على ذلك الأمر فالمعونة من الله (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب من الامير على هذه الاوصاف العظام والامور المهمات فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم والله ان هذه مواضع صعبة وأموركربة فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يساعدنا ويسهل علينا هذه الامور بجاه سيدنا محمد النبي الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت الاميره والله ياولدى إن هذا لأمر عظيم وحال جسيم ولا يتم لنا مانريد إلا اذا صالحنا ملك الروم وتسير مراكبه معنا وتكون طريقنا على غير تلك الجبلين المذكورين واذا وصلنا الى الجزيرة دبرنا على أخذ القلعة واذا لم نقدر على ذلك أخذنا كل مافى الجزيرة ونقبض على أهلها ولا نبرح منها حتى نفادى بهم أسرانا فقال لها الامير هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب فعندها قال الامير لوالدته افعلى مابدا لك وارسلى الى ملك الروم ميخائيل بما عولت عليه فقال الامير أبو محمد البطال هذا الامر يقتضى لخلاص عقبه وشومدرس واننا يسوءنا خلاصهم من يدى وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسهل على قبضه بعد ذلك ولكن احتالوا لنا على مائة مركب وعمروها بالرجال وتوكلوا على الله الكبير المتعال ولا تعرفوا دخولكم من بين الجبلين إلا منى أنا بعون الله فقال الامير عبد الوهاب كيف تعمل فقال له الامير لايهولك وصف الجبلين اللذين قد سمعت بهم واعلم انى لو أردت أن أجعلك ملك الروم ميخائيل بنفسه بمشيئة الله تعالى لما عز على ذلك فلا تشغل قلبك أيها الامير من هذا الامر فالله هو المعين على هذه الامور كلها فعند ذلك اهتم الامير فى إعمال المراكب والبطال يدبرها برأيه ومعرفته حتى تكون سريعة المشى والمسير خفيفة عند لقاء الاقران وقد أعانهم على ذلك الملك الديان الذى لايشغله شان عن شان فما مضى عليهم أكثر من شهرين حتى تم لهم اعمال المراكب المعلومه وهى المائة مركب ماعمل مثلها ولا أحسن منها فى الاسلام وكان يوم نزولهم إلى البحر يوم عظيم الشأن قرأت فيه الفقهاء القرآن العظيم وتصدق فيه الامير بألف دينار على الفقراء والمساكين وقد أخذه الدعاء من كل جانب ومكان من الخاص والعام سرا وجهرا وبعد ذلك أشحنت المائة مركب بالرجال والابطال والنفط واللبود

الطيلقانى وغير ذلك من الآلات ولبس الامير أبو محمد البطال وغلمانه لبس الخام والحرير الملكى ورتب له عشرين رجلا على صفة الخدم ولما فرغوا من أشغالهم دخلوا على الامير على بن يحيى الأرموى وأوصوه على الثغور وأن يكون على يقظة من الامور وأخذوا المراسى من ميناء طرسوس ورفعوا القلوع ولجوا فى البحار وطاب لهم الهوى بإذن من على العرش استوى وقلوع المراكب كأنها أجنحة الطيور (قال الراوى) ياسادة ياكرام ومازالوا سائرين الى ثانى نهارهم وإذا هم بمراكب سائرة فى البحر كأنها طيور طائرة وكواكب سائرة فى لجج البحار الزاخرة وكان البطال فى مقدمة المراكب فقال ياقوم إن هذا أسطول فى البحر سائر وماندرى ماهو فكونوا على حذر من أمركم واحترسوا من عدوكم فعند ذلك ساروا بقية يومهم وطول الليل الى وقت السحر فعندها قربت المراكب من المراكب وعلا منهما الصياح والزعاق من كل جانب ومكان حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ووقعت العين على العين وزاد الشك والمين واذا بالمراكب الذين رأوهم المسلمين أربعمائة مركب معمورة بالرجال المقاتلة بالدرق الكاملة والقنطاريات الخلنجية (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى ذلك أن ملك الروم لما بلغه خبر وصول الامير عبد الوهاب إلى حصن يانس المتغرب ورحل الى ثغر طرسوس الى عند الامير على بن يحيى فأرسل الجواسيس خلفه فغابوا أيام وعادوا إليه يخبرون بعمارة المراكب وإضافتها الى المراكب العتيقة وانه سائر فيها الى جزيرة قراقونا فصلب على وجهه وقال: ياترى أيظن الامير عبد الوهاب أنه يصل الى جزيرة الضرس هيهات هيهات إن كان يصل اليها ولو كان من الجن الطيارة لم يصل اليها ولم يقدر عليها فقالت كبار بطارقته: أيها الملك ان معه أقوام مثل الجن ما تقدر عليهم لاسيما صاحب الحيل الذى يضرب به المثل الذى عمل معنا كل أمر قبيح وظهر لنا أنه فى صورة المسيح حتى قال كل واحد منا إن هذا الأمر صحيح فقال الملك ميخائيل صدقتم فى هذا القول لعنه المسيح وأنا خائف أن يملكون ذلك المكان ويأخذون مافيه من الذخائر الغوال والأموال العظام فقالت جماعة منهم هيهات هيهات لأن ذلك المكان خلاف غيره لايطمع فيه طامع وأمر تلك القلعة بين الناس شائع فقال الملك لابد أن يدخلون الى ذلك المكان وأنا كنت أشتهى أن أظفر بقراقونا وأوافقه على فعاله ولكن الآن مابقى إلا اننى أصالح قراقونا وأتفق أنا وإياه على عبد الوهاب وهاأنا أبعث أربعمائة مركب الى قراقونا يقدمون عليه ويعلموه أن عبد الوهاب واصل اليه حتى يكون على حذر منه وعنده فى الجزيرة ستمائة مركب كبار وصغار يدعهم يكمنون

له فى عطف من البحر وإذا هو وصل اليهم يهجمون عليهم ويوصلون الأذية اليهم ويضربوهم بالنار فما يسلم منهم ديار ولا نافخ نار فاذا فرغنا من المسلمين فقدر بعد ذلك على أخذ ذلك اللعين قراقونا « قال الراوى » ياساده ياكرام فقالوا له قومه هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب فبادر إلى ما أشرت به من هـذه القصة وأسقيهم اصعب غصه فعند ذلك أمر الملك بتعمير المراكب فعمرها وملأها بالرجال والنفط الطيار ومن سائر العدد والآلات واقلعوا من القسطنطونيه فتلاقوا بمراكب الاسلام فى ذلك المكان كأنهم كان بينهم ميعاد ولما تقابلوا مع بعضهم البعض زاد بينهم الابرام والنقض وفى دون ساعة زاد الصياح بين الطائفتين وكثر الزعاق من الجانبين ونادوهم من أنتم فصاحوا الروم نحن أصحاب ميخائيل ملك الروم وسائرين إلى جزيرة الفرس فى مصالح للملك نقضيها وأمور نمضيها وكان أبو محمد البطال فى مركب حربى قدام المراكب وعنده الأمير عبد الوهاب وأبطال بنى عامر وبنى كلاب أنصار النبى الأواب فقالوا لهم مالكم وصول إلى الجزيرة ونحن لكم ولهم وسوف نقتل رجالكم وننهب أموالكم ونحرق مراكبكم ونردكم عن مطالبكم فلما سمعوا الروم ذلك الخطاب غاب عنهم الصواب وماجوا فى بعضهم بعض وميلوا عليهم مراكبهم وصاحوا بلغاتهم خذوهم على أطراف أسنة الرماح لقد قرب علينا المسيح الطريق وأراحنا من العنا والتعويق ثم أنهم وطوا القلوع وقدموا المراكب الكبار التى تصلح للصدام ووقف الأمير على جانب المركب ونادى يا معاشر العرب والسودان أبشروا بالأموال والنوال والثواب من الملك الوهاب دونكم وهؤلاء الكلاب ولما أن سمعوا من أميرهم ذلك الكلام والمقال فعلوا مثل فعال الروم الأندال وكل مركب من مراكب المسلمين انفرد إلى مركبين من مراكب القوم المنافقين وأما الأمير عبد الوهاب فانه قصـــد إلى الكبير الذى قدام المراكب وتصادمت المراكب مع بعضها بعض او بانت المعاطب وسلت السيوف فى الايادى والقواضب وقاتلوا قتال من أيقن أنه ذاهب وكانوا فى مكان ما ينجوا منه هارب وقد هاج عليهم البحر لما هب عليهم ريح الشمال وأتتهم الامواج كأنها الجبال وشابت من الرجال الرؤس من كثرة الاهوال ولاصق الامير المركب الكبير بعد أن صدمه صدمة تهز الجبال ووثب وثبة صار فيه وتبعته السودان كأنها جن سليمان وفى دون ساعة ملكوه ووضعوا السيف فى كل من فيه وعطف على الثانى من غير توانى فما طول به الخطب حتى بذلوا السيف فيهم وأبادوهم عن بكرة بينهم وإذا هم بالصياح عن يمينهم نامى والصراخ سامى وإذا بالامير ظالم وقد أخذ

مركب وكسر الثانى وأحرق بالنار الثالث وأما الاميرة انعطفت على المركبين الذين انفردت بهم ففى دون ساعة أهلكت من فيهم من الجماعة وأما ملابط البغال فانه نكل بالروم وفعل أمر مهول وأوردهم العذاب ألوان لان الاميره قبل خروجها من ملطيه قدمته على الفين من السودان لما بلغها ما فعل فى القسطنطونية لما أرسلته مع السودان بالرسالة وجرى له ما جرى من تلك الامور الصعاب وكذلك طاطم وفلاق الجاجم وكل من وصل الى مركب أوصل لمن فيها العطب هذا ولم يزل الصارم يعمل فى البحر حتى عاد بياضه الى سواد واحمرار وجود واضرب البتار وغرقوا أكثرهم فى البحار واحتووا على ما كان فيهم من العدد والاموال بعد ما شربوا أهلها شراب النكال ولا قوا لهم ناصر ولا ملتجأ وانقطع الامل والرجا وصار بعض المراكب حريق والبعض غريق والبعض أضافوهم الى مراكبهم وقال الامير سيروا على بركة الله تعالى فساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وجدوا فى المسير ليل ونهار الى أن وصلوا الى الجبلين المتلاحقين فقال لهم رجل شيخ يقال له مازن وكان عارف بالبحر وهو الذى عرفهم بالجبلين وقد بقى بينهم وبين الجبلين يومين فأمرهم أن يرموا المراسى وأقاموا يومهم وليلتهم الى عند الصباح قال الامير أبو محمد البطال ياقوم أرموا القلوع وأقيموا مكانكم وأنا أسير قدامكم فى هذه المركب أنا وغلمانى إلى أن أصل الليلة اليه والى هؤلاء القوم وأكلمهم بما يلهمنى الله تعالى اياه فى المقال فان شالوا السلاسل وفتحوا الاقفال والا أرميتهم بالذل وبالنكال وان كان فى غداة غد سيروا الى أن تلحقونى وتقصدونى فلا تجدون ان شاء الله تعالى الا كما تريدون وتشتهون ثم أنه بعد ذلك أخذ معه الشيخ مازن وغلمانه وسار فقال الشيخ يا أبو محمد أرسى بنا فى هذا المكان حتى يذهب الظلام فعند ذلك أرسل البطال المراسى وباتوا الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح ثم أنهم ساروا وتوكلوا على الله الكريم الفتاح وجدوا فى المسير مقدار ساعتين فأشرفوا على القرنين ونظروا الى الجبلين واذا هم شاهقين الى عنان السماء وهو مكان مرتفع لايقدر على وصفه انسان ولما نظرتهم الاروام الذين فى البرج الذى على رأس الجبل ونظروا الى تلك المركبين وهى موصوفة فنادوهم من أين جئتم والى أين تذهبون ومن أين أنتم فعند ذلك أجابهم أبو محمد البطال وهو فى صفة قسيس وقال لهم نحن من جزيرة أريس وما أتينا الى هذا المكان على حال التعجيل الا فى السر من عند الملك ميخائيل لانه نادى فى جميع أقاليم الروم من أجلكم وأمر أن لايحمل أحدا تجارة اليكم ولا الى جزيرتكم وذلك لاجل ما وقع بينه وبين الملك قراقونا

فأنزلوا وافتحوا ولا تعوقونا لأننا خاطرنا بأرواحنا وأموالنا وان علم الملك ميخائيل بنا أنفسد حالنا لأجل التجارة التى معنا وقد جلبناها لكم وهى قطن وكتان وخام جئنا بها من بلاد الاسلام فلما سمعت الرجال من أبو محمد البطال ذلك المقال فرحوا ونزلوا فى ساعة الحال ورفعوا السلاسل وفتحوا الاقفال فعند ذلك دخل البطال وألصق المراكب إلى الساحل وقد بلغ ما كان له آمل ثم انه صعد وصعدت من بعده الأميرة ذات الهمة وأقبلت الروم اليهم على نية أخذ المكسب والغنيمة ثم ان المسلمين صعدوا من المراكب الى البر وكل واحد منهم قد تجهز للسفر فلما نظرت الروم إلى فعالهم أنكروا حالهم وكانت الروم حمسين بطريق وكان فرسان المسلمين فى عدد الكافرين إلا أن بينهم وبينهم تفاوت عظيم فلما رأت الروم ذلك صاحوا عليهم خذوهم على أسنة الرماح فصاحت عليهم بنى كلاب الانجاب ففى مقدار ساعه من النهار قتلوهم عن بكرة أبيهم ولم ينفلت منهم انسان واشتغلوا بقتلهم ثم أنهم بعد ذلك طلبوا البرج وطلعوا اليه وأخذوا جميع ما فيه من الذخائر والأموال العظام وأقاموا هناك بقية يومهم وقد من الله المنى والمآرب فلما كان عند المسا وصل الأمير عبدالوهاب وبقية المراكب ومن فيها من الأمراء الانجاب ففرحوا بذلك الحال وشكروا الله ذو الجلال ثم انهم باتوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأنار بنوره ولاح واقلعوا فى لجج البحار وخدمهم الريح بأمر الملك الجبار ولم يزالو سائرين إلى أن وصلوا إلى الجزيرة وقد صفت منهم السريرة وإذا بهذه الجزيرة فى وسط البحر وهو محدق بها من كل جانب ومكان وفى وسطها جبل عظيم وهو فى وسط تلك الجزيرة راسب فى وسط ذلك الجبل ضرس شاهق فى الهرى مرتفع عن الثرى والقلعة مبنية على ذلك الضرس لا يقدر يصل اليها أحد من الانس وأما الجزيرة ساكن فيها خلق كثير وأمم غزيره فلما وصلت المسلمين اليها وأشرقوا عليها ونظروا الى تلك القلعة وارتفاعها اغناهم نظرها على السماع فعند ذلك قال الأمير عبدالوهاب لبنى كلاب اقصدوا الجزيرة وأنزلوا القلعة فوقعت بهم الصرخة وخرج قراقونا وقد أنزعجت منه الحواس وصاح فيمن عنده من الناس إلا وأن المراكب الاسلامية قصدت جزيرتنا من أجل المأسورين (قال الراوى) ومن ههنا ينقسم الحديث قسمين وذلك ان الملك قراقونا لما أخذ الأسارى وسار بهم الى جزيرته وهو مشغوف بالملكة ميمونة وقد أعرض عليها المال الفاخر واللالى والجواهر وقال لها هل لك أن تطيعين وتملكين رقاب الروم فعند ذلك قالت أقسم بمن خلق المخلوقات وصنع المصنوعات كلها على وحدانيته شواهد بأنه لا اله الا هو الواحد الأحد أنك متى دنوت منى هويت اليك

بيدى فأحرمك نسيم الهوى وأعدمك الحيل والقوى وان أنت أغصبتنى على روحى قتلت نفسى فدعنى فى حال حتى أنظر لنفسى وكان مرادها بهذا الكلام أن تقطع طمعه منها ويدعها ويعرض عنها وكان هذا من تعليم الاميره علوى فعند ذلك علم الملك قراقونا أنه متى تعرض لها قتلت روحها فما هان عليه فقدها لأن الهوى تعلق معه وملا قلبه وهو مدل بالمحبة اليها فأقام على ذلك مدة وأفرد لميمونه مكانا فى أعلا القلعة وتركها فيها وحدها وترك زبيدة وبقية النسوان فى أسفل منها وجعل عليهم الاقفال والحرس وكان أيضا قد نظر نورى ورأى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فقال لها أريد أزوجك بولدى شمس النصرانية وهو أحسن الناس وجها وابهاهم منظرا وهو أحب اليك من البطال العيار المحتال القبيح الوجه بين الرجال السمج الخلقة بين الابطال (قال الراوى) فلما سمعت نورى منه هذا الكلام قالت له اعلم أيها الملك ان ذلك لايكون أبدا ولو شربت شراب الردى ولالى رغبة فى الزواج وأما قولك فى أبى محمد البطال فانه رجل عيار محتال وقد فتك فى الكفار كل أمر مهول لم يقدر عليه انسان لامن الانس ولا من الجان وهو معين لعصبة الاسلام والمسلمين البررة الاتقياء فى الدنيا والاخرة المحفوفين بعناية رب العالمين وها أنت عن قريب تراه وقد صفت منه الأقدام ووقف فى خدمة مالك الملك وخالق الخلق الملك العلام خالق الضيا والظلام من جملة الخدام الذى لايخيب سائله ولا يضام اذا كانت هذه الصفة صفته وهو غدا يوم القيامة يبعث بوجه مضىء وخلق رضى وقد أعطى من الجمال ما لو طلع به الى دار الدنيا لكان يغنيها نوره عن نور الشمس والقمر وذلك فى مقابلة سهر الليل وملاقاة الابطال فى يوم النزال وقهر الاقبال والطاعة فى الجهاد للملك الكريم المتعال والصدقات بالاموال وها نحن مقيمين عندك فى المكان حتى ننظر ما يجرى من الملكة ميمونه وما يجرى بينهما وبينك من الفعال فان أجابتك الى مادعوت فانا أوقفها على ذلك الحال (قال الراوى) فعند ذلك أعرض عنها ثم أقبل على السيده زبيدة بنت القاسم فبكت لانها من بيت الشرف والاصل والتفضيل والفخر الجليل تنسب الى محمد سيد المرسلين صلى عليه وعلى آله وصحبه وسلم صاحب التحريم والتحليل والكتاب والتنزيل ونسبها متصل الى اسماعيل والى أبونا الخليل ابراهيم وما جرى عليها قط شدة ولا خرجت من بغداد الا الى الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام وبرت المسلمين بالعطايا والهدايا والخير المتواتر وعملت القناطر وكانت لها صدقات جارية وخيرات وافرة وافية وما كانت تتعصب لعقبة وتفعل معه تلك الفعال الا على نية القربة الى الله ذو

الجلال لأنها ماكانت تعلم مافى بطنه من الخداع والمكر والاحتيال وإنما كانت تأخذ بالظاهر من الأقوال والأفعال هذا وعقبة لعنه الله وأبلاه بكل نكبة يلعب بالأديان ومن جملة تلاعبه كونه يأخذ بعقول الرجال فكيف عقول النسوان ربات الحجال لأنه كان شيطان فى صورة انسان (قال الراوى) ولما قال لهم الملك قراقونا ذلك الكلام والمقال رجعت الى النفس الأبية والنخوة الهاشمية والهمة العربية والحمية العباسية والحماسه المحمدية وقالت له ويلك ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماءالمعموديه رضى الله فاك ما هذه الافعال ومثلك من يقول لمثلى هذا المقال ويتلفظ بالزور والمحال أتظن أن مثلى يبيع الهدى ويشترى به الضلال أتأمرنى أن أكفر بالله الذى خلق السموات السبع وهو باريها ومدحى الاراضين السبع الشداد على تيار الماء وهو منشيها ومحصى عدد أمواج البحار ومجريها ومنشىء السحاب الثقال وبالرعد والبرق يقويها وخالق الخلق من نطفه من منى يمنى ومحييها لا إله إلا هو ولا معبود سواه ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولوكره الكافرون فمن هو بهذه القدرة العظيمة كيف ينسب الى الأولاد والأزواج تعالى ربنا عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا فدع عنك ياعدو الله ماقلت ولا يكن هذا منك مرة ثانيه وإن شئت قتلى فاقتلنى فانى أنا المسعودة بذلك لأنى أصل الى رب كريم جواد حليم مالك الممالك والى دار أمان فى فراديس الجنان وحور وولدان وخيرات حسان وإن أردت المال والنوال والتحف الغوال فعلى المال المعجل فان أمرى لا يهمل (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الملعون من كلامها هذا المقال والبيان والبرهان علم أنها من أعقل النسوان وأعلاهن قدرا وشأن فاعرض عنها واقبل على الملكة شمسه واعرض عليها التنصر فقالت له أنا ماكنت إلا نصرانية ومن أهل ماء المعمودية وكنت مأسورة مع أنحس الخلق وأبشعهم صورة وهو شيخ أحول ثقيل وحاله مهيل وما كان المسيح إلا غضب علىّ وأوصل الأذية الى والا ماكان بلانى فيه ففرح بقولها وعلم معانيه وزوجها بولده شمس النصرانية بعد أن غمسها فى جرن ماء المعمودية وطهرها القس وقال لها قد طهرت الآن من أهل الملة الحنيفية وسلمها إلى شمس النصرانية وكان لها عرسا عظيما عطره فائح وقد ذبحت فيه الذبائح وعملت فيه الولائم للجى والرايح وسكبت الخمور وصارت الأقداح عليهم تدور واستحبوا أوقات السرور وألبسوها الحلى والحلل والملابس الملوكيه ودخل عليها شمس النصرانية فلما علمت الملكة ميمونة بذلك الامر صعب عليها وكبر لديها فقال لها الملك لورجعت الى ديننا

واتبعتني يقينا لكنت أنا وما أملك لكى من جملة الخدم وأفضت عليك الخيرات والنعم فك نعبا بكلامه إلى أن زاد بها غرامه ولعب الهوى بعقله وشذت منامه فشكى ذلك إلى القس فقال له أيها الملك أسلم جسها وإلا فأنت عندك من القوه والجلادة ماتغصبها على نفسها فهل هى إلا ضلع أعوج ولسان متلجلج وهى إلى الزواج أحوج فقال له الملك أيها الشيخ الصالح والقس الناصح والأب الكبير والمطاع إنها أفرس المسلمين فى الصراع وما بها توانى ولا عاقة وما لى إليها من طاقة فقال له القس فإذا كان الأمر على ذلك فاهجم عليها وهى نائمة فى جنح الظلام الحالك فقال الملك دع عنك هذا الكلام الكالح أيها الشيخ الناصح واترك عنك الملام فإن الجارية ما تنام ولا تلتذ فى ليلها بمنام إلا تصلى وتبكى وتدعى وتشكى والناس نيام وقد بلغنى أنها كانت سألت زوجها المهاب أسود بنى كلام أن لا يلم بها الفراش وكانت انفرت لنفسها لتأمن من الهراش وأخاف أن أدخل عليها وهى على يقظة من أمرها فما أسلم من شرها وتعدمنى حياة الدنيا وأصير من جملة الأموات بعد ما أكن من جملة الاحياء فقال له القس وقد كان رجلا محتالا عياراً مكارا خداعا قطاعا وصالا واسمه قطرون المسيحى فقال له أيها الملك أنا أعطيك شيئا تعمله لها فى حلاوة وتنفذه إليها فإذا أكلت منه قدر وزن مثقال وقع عليها من النوم مالا تقدر أن تقوم منه يوم وليلة فإذا أطعمتها من ذلك فإنك تنال منها كل المراد فإذا قامت ولا خبر لها أنت عند ذلك بالاختيار إن شئت أعلمها وإن شئت أكتمها فقال الملك عند ذلك الخطاب هـــذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم قال له إنى أخاف أيها الشيخ إن هى علمت ذلك منى يطول نوحها وتقتل روحها وكنت أموت بغصتها ولا أسلا محبتها فقال له لا تخاف فما عليك بأس ولا خلاف ثم ان الملك قال له افعل ما شئت من هذه الحيلة فإذا عملتها أرسلها إلى حتى أنى أرسلها إليها مع جملة الطعام فى الوقت المعهود وإنى أرجو منهـــا بلوغ المقصود (قال الراوى) وكان كل يوم يرسل إليها أطيب الطعام فزعا عليها لا يتغير لونها ويتبدل كونها طمعا فى وصالها وقربها واتصالها ثم ان القس عمل للملك تلك الحلاوة وعمل فيها العقاقير التى يجدها فى الكتب القديمة والمركبات المستقيمة أشياء ليس يعمل البنج عملها ولا يفعل فعالها لمستعملها ثم أرسل إلى الملك منها شيئا قليلا وشال الباقى الى وقت الحاجة اليه ثم ادعا الى الخادم الذى له وقال له امضى بهذا الطعام الى ميمونة ولاتزال عندها حتى تأكل الطعام وتتناول من بعده الحلاوة فاذا أكلت منها اعلمنى

بذلك فقال سمعا وطاعة يامولاى هذا والامور تجرى والمقادير تسرى والمدبر يدبر والعبد أسير القضاء والقدر ودخل الخدام الى البيت الذى فيه ميمونة وكان أعلى بيت فى القلعة وكان الملك قراقونا قد جعلها هناك حتى لايضيق صدرها وتنظر الى تلك المدينة التى هى فيها وكانت مراكبه كل يوم تسير تحت تلك القبة التى هى فيها ويلعبون بين يديها وهى تنظر اليهم وأن الخادم دخل عليها فوجدها وهى متغيرة اللون مضطربة الكون وقد ضرب سوادها الى الاصفرار وقلبها الى الانكسار وعليها آثار البكاء والأنين والاعتكار فأنكر ذلك من حالها فوقف الخادم قبالها وقال لها إن الملك يحييك بالسلام وقد بعث لك هذا الطعام وهو من الخاص لأنه من أطيب الأوز والدجاج التى فى الاقفاص وحلاوة السكر وانه لايطيب له شيء من ذلك يأكله إلا أن تأكلين منه وهو فى هذه المنزلة لايخالف لك أمراً ولا يفشى لك سراً فهو معها فى الكلام واذا هو بصراخ وبكاء معها فى البيت فتأمل ذلك الأمر الخطير واذا هو بكاء طفل صغير فتحير من ذلك الاتفاق فعند ذلك حصل له انقباض فى صدره وضيق فى نفسه (قال الراوى) ياساده ياكرام وكانت ميمونة كما ذكرنا فى أول الحديث انها حامل من الامير عبد الوهاب ولم تعلم بتلك الامور والاسباب فأقامت فى الأسر والإذلال حتى تمت لها سبعة أشهر بالتمام والكمال وأتى لها الوقت الذى قضاه الله تعالى وقدره فى البرية ودبره فى علم غيبه ومشيئته فوضعت ولداً مليحا سمينا رجيحا كبير الحدق مفتول الذراعين غليظ الساعدين طويل الباعين واضح المفرق كان قرطوسته قرطوسة عجل صغير بوجه أسمر مستدير وانه لما أن وضعته فى ذلك اليوم وقع له فى قلبها المحبة العظيمة والحنية المستقيمة التى تقع فى قلوب الأمهات الى الأولاد والبنات فوثبت بعد ولادتها وغسلت مابها من الأذى ونظفت ما كان من دم الولادة وقد قطعت سرته وكحلت مقلته وأخذت مئزركان للمائدة فشقته نصفين وبه قمطته وأرضعته وفى جانب البيت أرقدته وقد أخذها البكاء الشديد والافتكار لأجل ماأصابها من الغربة والكربة وبعد الديار والاسر والإذلال ونزول هذا الولد فى مثل ذلك الوقت والحال الذى هى فيه وعلمت وتحققت أن الملك اذا درى به لايستبقيه فزاد على قلبها ما لو وقع على جبال تهامة لهدها وزلزل ركنها وقطبها فلما رأى الخادم ذلك الولد الصغير وعاين صورته ونظر الى سوداه وخضرته وبكائه تارة وضحكه أخرى فضحك الخادم الرومى من ذلك الذى اتفق وجرى وقال لها من أين لك هذا الغلام الاسمر المليح القوام فقالت له ولدى وحشاشة كبدى من بعلى الامير عبد الوهاب لاتخش فيه ولا ارتياب فلما

سمع ذلك من كلامها قال لها صدقت فيماقلت وأريدك تعلمين أن الملك قد أرسل اليك معى هذا الطعام الفاخر فكلى منه وأنا حاضر فانه خاص المأكول ولا يوجد مثله عند غنى ولا صعلوك ولا مالك ولا مملوك فقالت اتركه هناك قدر ساعة فمالى قدرة على الاكل ولا استطاعة وأنا فى هذه الحالة فدع عنك الرقاعة فقال لها ولا من هذه الحلاوة فانها من السكر وعليها طلاوه فصاحت به : دع فضولك واذهب الى حال سبيلك فوضع الطعام مكان ما أمرته وخرج الى دار الملك ودخل على الملك وكان قد أبطأ عليه فنظره وهو يضحك مما اطلع عليه فقال له الملك ما بعد الضحك إلا الخير وذهاب الضير فما وراءك وماشاهدته هناك فقال أيها الملك المصون اعلم أن ميمونة قدجاءها ميمون فقال الملك ويحك وإيش هو ميمون يامجنون فقال يامولاى صغير أسود أجرد كأنه قطعة جلد وهو ولدها وثمرة كبدها وأعاد عليه القصة وأطلعه على باطنها وظاهرها فعظم ذلك على الملك وكبرلديه وحس أن روحه قد خرجت من بين جنبيه وقال له هل أكلت الحلاوه وتلذذت بما فيها من تلك الطراوه فقال له لا يامولاى فقال له ارجع وائتنى بها من موضعها تكون عندى مخبية لها إذا زال عنها وجعها ويأتى شفاها وينقطع دماها ولولا انى أخاف تشويش قلبها لذبحت ولدها فى هذه الساعة ولابد لى ما أقتله بعد بلوغ أربى حتى لايشتغل قلبها بغيرى لا ببنت ولا بصبى ولا تقبل أحدا سواى ويقبل دواى فرجع الخادم إليها وأخذ الحلاوة من بين يديها وأتى بها الى الملك وبقى على ذلك الحال أربعين يوماً ثم دعا الخادم وقال له خذ هذه الحلاوة مع هذا الطعام وامض اليها وبلغها منى السلام (ياساده يا كرام) وأن الخادم سار بالطعام الى الملكه ميمونة وطرحه بين يديها فوجدها كأنها المجنونة فلما رأت ما أتى به طلبت جزاءه وشالت يدها ولطمته فى قفاه وإذا أعلى ما فيه رجلاه وقالت له يا كلب النصرانية وأخس من انغمس فى ماء المعمودية لابد لى ما أرميك فى هذه الساعة فى البحر ويلك على من تريد تعمل هذه الحيلة وكل ساعة تجيب لى هذه الحلاوة وتحملها من منذ أربعين يوم حتى انى آكلها أنام يوما وليلة ويأتينى هذا الكلب الكافر بربه ويبلغ منى غرضه وأربه وأنا أمة موحـــدة ولا أنام الليل حتى أؤدى حق خدمتى لمولاى وعالم سرى ونجواى فهل يليق بكرمه أن يمكن منى الطغاة الفجرة ثم أخذت تلك الحلاوة وأرمت بها الى البحر ومسكت بعراقيب الخادم وقد رفعته بيديها ثم انها أخرجته من الطاقة بقوة ساعديها حتى انها ترمى به فى البحر فنادى : يامولاتى بحق دينك لا تفعلى فان رجعت الى مثلها فمهما شئت افعلى فقالت

يا كلب أقسمت على بعظيم وإلا كنت قد أرميتك فى البحر ثم انها أطلقته من يدها وقد كادت أن تقطع عراقيبه (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا والخادم قد عاين من عظم شدتها وقوتها شيء أشرف منه على المهالك فبقى فى حيرة من ذلك وقال ياهذه وحق المسيح والدين الصحيح لا خرجت من هـذا المـكان إلا حتى تعلميني على من أعلمك بهذا الأمر والشان وما علم به أحد إلا القس والملك فان كان لك فى هذا دلائل فأنا أتبعك فى دينك وأقول بقولك ويقينك وأقوم بأودك وأتسبب فى خلاصك وخلاص ولدك لان الملك قد عول على قتله فهاتى الآن ماعندك فقالت ياهذا اعلم أن سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أعلمنى فى منامى بذلك بلا خفى فلما سمع بذلك بقى بين المـكذب والمصـدق وكان السبب فى ذلك وفى إعلامها بأمر الحلاوة أن القس أعلم زوجته بهذا الأمر الذى ذكرناه من أمر الحلاوة فلما علمت بذلك أخفته وكانت محبة لزوجة الملك قراقرنا وهى مارية الذى زوجه القس بها وكانت زوجة الملك قراقونا قد حملت من الغيرة من ميمونة مالا حد له ولانهاية وكلما نظرت امتناعها منه تسر بذلك وتفرح غاية الفرح فلما أرادت هذه النوبة أن تتم على ميمونة سخر الله تعالى لزوجة القس أن تروح الى مارية وتعلمها بالقصة من أولها الى آخرها فقالت لها مارية زوجة قراقونا جزاك المسيح خيراً فلولاك كانت جرت القصة على ثم انها دخلت على ميمونة سرا من الملك وأعلمتها وأعادت عليها القصة من أولها الى آخرها وأطلعتها على ظاهرها وباطنها ففرحت وقالت ما يكون ذلك أبدا ولو سقيت كاس الردى إلا انى كيف يكون حالى فى سائر الأطعمة فقالت لها إذا أتاك شيء منه أرميه فى البحر ولا تأكليه فقالت سمعا وطاعة ولـما أن دخـل عليها الخادم بالطعام وفعلت معه تلك الفعال رجع الى الملك وأعاد عليه القصة فعظم عليه وكبر لديه وقال له ويلك وكيف علمت بذلك فقد زادنى هذا الـكلام غصة فقال يامولاى سألتها عن تلك الأحكام فقالت إن نبيها جاء إليها فى المنام وأخبرها بالقصة والمرام فبقى الملك فى غاية من الهوى والغرام والهم والغم والاضطراب وقد استدعى القس وأعلمه بما سمع من الـكلام فقال له يامولاى انها لاتقدر تحفظ نفسها منا ولاتبعد عنا ثم انه جعل فى كل يوم يطرح لها من ذلك الدواء ويرسله إليها فترميه فى البحر وتأكل ممـا تحمله اليها مارية فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وتحير من هذا السبب وقال للقس ما أرى هذا الدواء له فعل كما ذكرت ولا نفع كما أشرت فقال يامولاى لاشك انها

سوداوية لا يعمل فيها الدواء وما الناس فى الطباع سواء وإن أردت تعلم صحة قولى فاسق من هذا الدواء لمن شئت من أصحابك وانظر ما يكون ففعل الملك ذلك بواحد من غلمانه فوقع يوم وليلة لا يعقل على نفسه (يا سادة) ثم أقبل القس على الملك وقال له أيها الملك قد انفتح لى باب آخر وهو أنك تأخذ الولد الذى لها وتقول لها وحق المسيح ان لم تمكنينى من نفسك لأرمينه الى البحر وأرميكى بعده فان لم تفعل فارمى ولدها الى البحر حتى لا يبقى لها علة مع المسلمين ولعلك اذا رميته ورأت منك الجد تخاف على روحها وتسلم نفسها اليك فقال الملك هذا هو الصواب ثم أنه دخل عليها وقال لها ما قاله القس فلما سمعت ذلك منه ورأت المماليك من حوله والسيوف فى أيديهم مجذوبة فقالت له افعل ما شئت فانى موقنة بهلاك هذا الولد الطفل الذى قد وقع الى دار الدنيا وكذلك بهلاكى أنا ويكون ذلك فى طاعة ربى ولا أمكن كافر منى ولا أتركه يحظى بى أبدا (قال الواوى) يا سادة يا كرام فعندها غضب قراقونا من كلامها وقال لها لعنك المسيح فما أكثر لجاجك ولا بد أن أقتلك أشر قتلة ثم دنا من الطفل وأخذه برجليه ورفعه على يديه وأخرجه من الطاقة ونظر الى البحر والصغير ينظر اليه ويضحك ولا يعلم ما يراد به من ذلك فلما نظرت ميمونة ذلك طارت الدمعة من عينها ووهن فؤادها وعلم الملك ذلك منها فقال لها ماذا تقولين فقالت له افعل ماشئت (قال الراوى) فرما ولدها الى البحر فعند ذلك صاحت ميمونة وبكت وولولت ولطمت على خدودها ونادت واحبيباه واولداه وامظلوماه (يا سادة) وان الملك قراقونا خرج من عندها حتى تهدى من لوعتها وتفيق من سكرتها ويرجع اليها بعد ذلك عقلها ثم انه أحضر نورى زوجة أبو محمد البطال وقال لها ارجعى الى دينك الأول والا فعلت بك كما فعلت بميمونة أرميت ولدها الى البحر ولما سمعت نورى ذلك هيهات هيهات أن أختار الضلالة على الهدى والدنيا على العقبى ولا يكون ذلك أبدا ما قام قائم وقعد ولا أترك عبادة الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فعندها قال القس أفجعها فى هذا الولد الذى معها حتى ينقطع طمعها من المسلمين كما فعلت بميمونة فلما سمع ذلك من كلامه وقال لبعض خدامه خذوا ولدها من حجرها وانزل به الى القلعة واذبحه من أذنه الى أذنه وإتنى برأسه فقال سمعا وطاعة ثم انه أخذ ولد نورى ابن الأمير أبو محمد البطال ونزل ليذبحه ويأتى الملك برأسه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فصاحت نورى وبكت وقلقت غاية القلق ونادت من حرقها وقالت أيها الملك لا تفعل فانى أقبل مقالك فصاح الملك بغلامه اصبر قليل حتى ننظر ما يكون ثم قال

لها ارجعى عن دين الإسلام فقالت أيها الملك افعل ماتشتهى فو الله لا حدت عن قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رجعت عن عبادة الواحد الأحد القادر على كل شيء الرازق لكل حى الذى لا تدركه الأبصار ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وما أنا بأول من هلك لأجل الدين الأوفى والنور الذى لا يخفى فى شريعة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فعندها نادى الملك بغلامه انزل اذبح الولد وارمه إلى البحر واصعد إلى أمه وافعل بها كذلك فلا خير فيها فقد استولى حب الدين الاسلامى على قلبها حتى أنها لا ترجع إلى دين النصرانية وقد طردها المسيح عن الدين الصحيح (قال الراوى) وان الغلام خطف الطفل ونزل به (يا سادة) والعجب فى هذا الاتفاق الذى لم يجرى مثله فى الآفاق أن أبو محمد البطال لما كان فى بلد الغرب وأرض الملتمة رزق من نورى ولد ولم يراه ولما مضى إلى أرض الحبشة والملكة ميمونة فى نوبة الأمير عبد الوهاب على الحبشة رزق ولد ولم يراه ولم يعلم به إلا بعد وصوله وولدته وهى مأسورة وأن الغلام غاب ساعة ورجع وفى يده السكين وهى تقطر دما ثم ان الملك قراقونا قال لغلامه انزل بنورى حتى أصعد أنا الى ميمونة وأنا أقسم بالمسيح لئن لم ترجع إلى قولى لأرمينها فى البحر ثم وكل بنورى ذلك الخادم وصعد الى الملكة ميمونة وقال لها ويلك قد طال الخطاب وبطل العتاب ولا بد لى ما ألحقك بابنك إلا أن تقولى مقالى وتعودى الى طاعتى فلما سمعت ذلك من كلامه وما نطق به من سؤاله دمعت عيناها وأنشأت وجعلت تقول :

من ذا يدافع أسباب القضا بيد ... أمن له مقلة تقول على السهد
كم لائم لامنى لما بكيت دما ... لفقد أهلى وأشواقى الى بلدى
ولم يكن أسرهم لى فى مبارزة ... لكن جوارى هو فى فدفد صلد
وأصبح الشمل بعد الوصل مفترق ... حتى بقيت بلا بعـــل ولا ولد
ولو كنت ويك قراقون راكبة ... فوق الجواد وسيفى عالق بيدى
تركت أبطالكم حولى على شرف ... من الهلاك ولا أخشى من العدد
يا كلب يا قرقون ان لى رجل ... لا بد يأتى بأبطال وملك يدى
فك القيـــود ترى منى غضنفرة ... لها فى الحرب أنواع من الجلد
والله لو هلكت روحى لما طلبت ... الا النجاة بدين الواحد الصمد
لو كنت تطرحنى فى البحر مسلمة ... لكنت أبلغ ما أملت فى الخلد
لعل مولاى يا هذا يخلصنى ... فى اليوم أو فى غدا ولا فبعد غد

(قال الراوى) فلما سمع الملك قراقونا ذلك من كلامها ضحك وقال لها يا هذه ومن أين يأتيك الفرج أو يكون لك من هذا الضيق مخرج وإلى بلاد الإسلام مستخرج وبينك وبين ذلك البحر العجاج المتلاطم بالأمواج فابصري كيف يكون البحر محدق بنا ونحن فى مكان شاهق فى الهوى ثم نظر الى البحر مشرفا عليه واذا قد لاحت له فى البحر قلوع كأنها أجنحة النسور وان قراقونا لما نظر الى ذلك اصفر وجهه وتغير لونه وارتعدت فرائصه ونزل فى الحال طلب الخدم والغلمان وقال لهم أوقفوا النفير نعمر المراكب التى عملناها ثم نعمر الفنق أيضا وجملتهم ألف مركب ثم انه نزل صايحا (قال الراوى) هذا والملكة ميمونة قد أنكرت ذلك وتقدمت الى الشباك وقد ضاق صدرها وعزت نفسها وعولت أن تلقى روحها فى البحر وقد هانت الحياه وطابت لها الوفاة (يا سادة) حتى قربت من الشباك وعولت أن تسلم نفسها الى التلاف والهلاك واذا بالبحر قد امتلا والصياح من المراكب قد علا وقد قربت من الجزيرة وهى تنعى ومضت الى الصياح فسمعت قول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاد قلبها أن يطير فرحا وهذه الطاف البارى جلت قدرته يأتى بالفرج من وسط الشدائد وبالفرح من وسط الأوابد أنها بقيت مرتقبة ما يكون ولا تعلم هل هم عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان والأنجاب أو غيرهم من عباد رب الأرباب (قال الراوى) وان الملك قراقونا نزل صارخا فقالوا له البطارقة ما حالك أيها الملك فقال ويلكم البحر كله قد امتلا قلوع ومراكب بعدد الكواعب ولا شك أن الملك ميخائيل لما رحلت الى بلدى وسرت الى جزيرتى من غير اذنه واختياره صعب ذلك عليه وكبر لديه وقد أرسل الى عبد الوهاب وعساكر بنى كلاب وقال أنا أصالحكم على قراقونا الكذاب على أن الأموال والأسارى لكم والقلعة لى لأنه ما ملك قط مثلها ولا قدر على شكلها والآن فقد وصل هذا الأسطول العظيم مع أنى ما أعرف للاسلام أحد الا فى ساحل طرسوس فانزلوا ونادوا فى الجزيرة بعمارة المراكب فقالوا أيها الملك هون عليك هذا الأمر فان هاهنا ألف مركب كل مركب منها لو تبعه ألف مركب للاسلام ما لحقه ونحن فى هذه الجزيرة عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وسوف نرى من يكون بسعادتك ونصرة المسيح لك ثم نزل الناس ونادوا فى البلد فرفعت الدروع والزرد والحجارة والعمد وكل صارم مهند والجواشن والعدد وطلعت الروم بالقنطاريات والبوارق والتراس والطوارق ولم يسمع فى الجزيرة إلا زاعقة وزاعق فما ارتفع النهار الا وأسطول الامير عبد الوهاب قد قرب وقد صاروا أهل الجزيرة فى المراكب وأشهروا القواضب

ورفعت القلوع ونزل الملك قراقونا فى مركب يقال له نصف الدنيا وكان طويل عريض هايل لو صدم الجبال لمالت وفيه أبطال اللقا وقد انتخبهم من كل عشرة واحد وكل واحد منهم يريد لرأسه جماعة وكذلك المراكب كل مركب منهم فيها ملك من الملوك (قال الراوى) وسمعت السيدة زبيدة ذلك الصياح وقد علا فى الجزيرة من أربع جنباتها فسألت عن ذلك من بعض الجوار الروميات وكانت تلك الجارية قد رق لها قلبها وعلمت أن عليها آثار النعمة فقالت لها يا هذه اعلمى انه قد وصلت عساكر المسلمين إلينا ولكن ما أقول أنهم يقدرون على هذه الجزيرة ولو أن فيها أحد فكيف وفيها ألف مركب معمورة بأبطال البطارقة والعمالقة والملك قراقونا وابنه الذى كان فى القلعة شمس النصرانيه وهو مثل أبيه فى الشجاعة مرارا وفى الجزيرة بطارقة يقال لهم الألفية كل واحد منهم يريد ألف بطريق ولهم بطريق مقدم يقال له بطريق الدير قد وصل الينا من جزيرة السوس واسمه دوناريس وهو الذى ذكره قد طبق الآفاق بأنه أوحد أهل زمانه فى الشجاعة وله ألف مملوك معودة بقتال البحر يريدون الشجاعة فى مراكب الاسلام وحدهم سيما أن كانوا يخرجون فى المراكب التى لمولاهم دوناريس (قال الراوى) وان السيدة زبيدة باست الأرض وقالت ان كانت مراكب الاسلام قد وصلوا الى هاهنا فما بقى شىء وهى معودة بالنصران شاء الله تعالى لأن الذى أوصلها ما يخذلها وعلمت بذلك الأميرة علوى والقناصة والله العظيم لو كان لى سبيل الى الخلاص وملكنا مركب واحد من المراكب لخلصنا أنفسنا من الألف مركب التى لهؤلاء الكفرة (قال الراوى) وعمرت الروم أيضا مراكب دوناريس وسلمت اليه التقدمة على المراكب كلها ونزل أيضا شمس النصرانية فى مائة قطعة وقصد كل واحد يبين على صاحبه حتى يتقرب الى الملك قراقونا بما يصنع من القتال ورفعوا الى المراكب من العدد مالا يقدر عليه أحد (قال الراوى) وانفرشت الألف مركب فى البحر ونظر الأمير عبد الوهاب الى تلك المراكب وقد خرجت اليه مثل الجبال الشواهق والسفن اللواحق فقال للأميرة ذات الهمة ما عندك من الرأى فقالت له اعلم يا ولدى أن الملك قد خرج الينا فى هذه المراكب وهم أضعافنا ولا شك أنهم ألف مركب لأنهم افترقوا عشر فرق كل فرقة مائة مركب فافعل بنا مثلهم ثم فرق المراكب كل عشرين الى مائة والله بعد ذلك الموفق لنا والمعين على قتال عدونا لأننا غريبين الأوطان بعيدين عن العمران وليس عندنا هاهنا اخوان طالبين حماية الملك المنان الذى يأمر البحر الزاخر فيهدى ويزجره أن يفيض على أهل الدنيا فلا يتعدى فقال

لها لقد أشرت بالصواب ونطقت بفصل الخطاب ثم انه دعا بمراكب سودان ميمونة وكانت عشرين مركب قد أفردها لهم فقال لهم هذا يوم حمايتكم عن دينكم وأميرتكم فان كانت سالمة فهى تخلص بفعالكم وان كانت هالكة فيكون ذلك فى طاعة ربكم خالصون لوجهه تنالون به وجه الله ودار القرار فى جنات الفردوس الأعلى ومجاورة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أمرت عليكم ملابط البغال فقالوا والله العظيم لتنظرن منا إن شاء الله ومنهم العجب ففرح الأمير عبد الوهاب به وضمه الى صدره وقال له بارك الله فيك ثم أدعى بالاميره ذات الهمه وسلم اليها أربعين مركب وأدعى بقراقد وسلم اليه أربعين مركب وأدعى بأبوالهزاهز وسلم اليه أربعين مركب وأدعى بالأمير أبومحمد وسلم اليه أربعين مركب وصعد أبو يخلف الى المراكب وهو يقول يامولاى أقبل منى واصبر حتى تلتحم المراكب بعضها فى بعض وادخل الى الجزيرة تفتش على شمسه ونورا وفرغنا نحن من هذا الصداع واقبل منى ماأقول لك (ياساده) فضحك البطال منه وقال له اسكت ياقرنان وإلا أبخست الجماعة (قال الراوى) ودنت المراكب بعضها من بعض ونادى المنادى بالقتال وكان أول من التقى المراكب غلمان الملكه ميمونة وملابط البغال فى أوائلهم وصدم فى الحال مركب دوناريس بطريك الروم وهو فى مائة مركب ومعه فى المراكب الرجال وصناديد الأبطال المتقدم ذكرهم فرموا بعضهم بعضا بالنبال وتطاعنوا بالرماح الطوال وأحدقت بهم مائة مركب واصطدم بعضها ببعض وتناطحوا مناطحة الكباش وضج البحر من كثرة الاصطفاق وقامت الحروب بينهم على قدم وساق وتثلمت السيوف الرقاق وتقصفت الرماح الدقاق وتراموا بقوارير النفط من كل مكان وأضرمت فى اللبود الطيلقانيات النيران وعلقت بالخشب وأيقن الرجال بالعطب والذل والحرب والتصق ملابط البغال بمركب البطريك دوناريس وتشابكا ومدت الرجال الاسقالات وخطا بعضهم الى بعض والأمواج تضعهم وترفعهم هذا وملابط البغال قد نظر الى دوناريس وقدقصد اليهم وهجم عليهم وهو مثل العتيق ما شاهد مثله قط بطريك فبقى متشوق إلى لقائه حتى قاربه وأن ملابط البغال وثب من مركبه ومشى على الاسقاله وكان بينهم ستة أذرع فصار فى مركب البطريك فلما نظر اليه دوناريس صاح ببطارقته وقال لهم ويلكم هذا رجل وحده قطعوه بالسيوف وقد أخذتم المراكب بعده فعندها أحدقوا به من من كل جانب وهو يضرب الرجال ذات اليمين وذات الشمال حتى طرح الرجال وقطع منا كب الابطال والأقيال حتى قتل منهم خمسة وعشرون رجلا وهجم على

دوناريس واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة (ملابط البغال) فضربه بالسيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه فوقع الى أسفل المركب وعطف على الباقين فقتل منهم جماعة ورموا الباقى أنفسهم الى البحر يطلبون النجاة وأخذ المراكب بعد قتل المقدم . هذا والأمير عبد الوهاب قد شاهد ذلك وصار ملابط البغال عنده فى منزلة الأمير ظالم وقد قصدت الاميرة ذات الهمة الى مركب شمس النصرانية برجالها فأخذته أسير وقادته ذليل حقير وقتلت كل من كان فى المراكب (قال الراوى) بلا تطويل فما أمسى المساء حتى قتل من الروم عالم عظيم وأخذ من الروم مائة وأربعة وعشرون مركب ولم يقدروا على مركب واحد من المسلمين ورجعت مراكب الروم خاسرة ومراكب الاميرعبد الوهاب منصورة قاهرة . هذا والملك قراقونا على غاية من القلق على فراق ولده (قال الراوى) وأرسى الأمير عبد الوهاب مقابل الجزيرة وقد أمر الناس باليقظة وأن لايناموا حتى لايعمل عليهم حيلة بالليل وأن الملك قراقونا أقبل على أصحابه وقال : كيف ترون هؤلاء القوم فقالوا قوم كأنهم شياطين وما لنا بهم طاقة فقال لهم اعلموا أننى ما أقدر أصعد الى قلعتى ويأخذوكم المسلمين ويقتلوا أولادكم وينهبوا أموالكم والرأى عندى اننى آمر أهل البلد برفع الأموال كلها وأرسل إليكم البطريق نورس أخو دوناريس الذى قتل جهراً حتى يأخذ بالتار وتنصحوا فى القتال معه وإلا ملكت الجزيرة (قال الراوى) وأصبح الصباح وقد صعد قراقونا إلى قلعته ورفع الأموال إليها وأنزل البطريك نورس وكان جبار من الجبابرة ولما أصبحوا ونظرت المراكب بعضها الى بعض وقذفت الرجال بمقاذيفها وطلبت مراكب المسلمين وانفرد ملابط البغال بمراكبه وأصحابه وكبر تحت القبة التى فيها الملكه ميمونة وقد كشف السودان رؤوسها وملابط البغال يصيح بالرجال يقاطعون على مراكب الروم من خلفهم حتى يحولوا بينهم وبين الجزيرة ولا يكون لهم سبيل إلى الخلاص (ياساده ياكرام) وأن الملكه ميمونة اطلعت من الشباك ونظرت الى مراكب السودان وملابط البغال فى أوائلهم كأنه الجاموس فعرفت صياحه فصاحت من موضعها لله درك ياملابط البغال انظر حق مولاتك فعرف صوتها وكبر وكبرت السودان فرحا بسلامة مولاتهم وحمية النخوة وسارت المراكب وأما الأميرة ذات الهمة فانها انفردت بعشرين مركب وطلبت مائة مركب من مراكب الروم وكذلك الأمير ظالم أخذ عشرين مركب وانفرد بها وكذلك قراقد وأبوالهزاهز والامير عبد الوهاب والتصقت المراكب بالمراكب وعملت الرماح وتراموا بالحجاره من

كل جانب وأرميت الكلاليب فى حافات المراكب ودام القتال الى وقت العصر وولت المراكب منهزمة وقد غرق منها مراكب كثيرة وغرق نورس البطريك وكذلك أصحاب ملابط البغال قد كسروا من الروم ثلاثين مركب وأوردوا من فيها موارد العطب وقد قتل وهلك أكثرها وانهزم أقلها ووقعت الضجة والرجفة وقد ذكرنا أن على جانب الجزيرة مائة مركب وهى التى فيها البطريك دوناريس وهى برسم تجارته ونزلوا فيها وأقلعوا طالبين جزيرة السوس وبينها وبينهم يوم وليلة فى البحر (ياساده يا كرام) وأن الامير عبدالوهاب ملك كل ما فى تلك المراكب التى كان قراقونا قد عمرها وهى مائة مركب والبقية هلكوا (قال الراوى) وأن الأمير أبو محمد البطال نزل الى الجزيرة ونزل أصحابه ونزل الأمير عبد الوهاب وأصحابه ونزل الأمير ظالم وأصحابه ومابقى فى تلك الجزيرة من يمانع ولا يدافع لأنها لما انهزمت المراكب ملك بعضها المسلمون وهرب بعضها والذين كانوا صغار مثل الحراقات وغيرها ممن جرى مجراها رفعوا القلوع وطلبت جزيرة السوس ولم يلحقها مراكب المسلمين لخفتها وسرعتها (قال الراوى) وساروا المسلمين كلهم فى الجزيرة ووجدوا فيها من الرجال والأموال والديباج والذهب والفضة والأوانى والابريسم والحرير واللؤلؤ مالايقع عليه أحصى بعدد الرمل والحصى وغنم الناس غنيمة لم يكن مثلها وفرح الأمير بذلك إلا أن قلبه مشغول لا يكونوا المنهزمين قد أخذوا الاسارى معهم ثم أحضر شمس النصرانية ابن قراقونا وهدده بالقتل وقال له ويلك وحق سيد البشر صلى الله عليه وسلم وفخر ربيعة ومضر لئن كان أبوك قراقونا قد فرط فى الملكه ميمونه أو فى بعض الاسارى أو فى السيدة زبيده لأضربن رقبتك فقال له أيها المولى وحق المسيح إن المأسورات كلهن سالمات وهنّ على غاية من الاكرام وجعل يصف انفرادهن وأن الملك لم يتعرض لواحدة منهن فقال أبو يخلف ما أراك إلا وصفت الكل وما ذكرت السيدة شمسة وهى أحب إلينا من كل من عندكم فقال شمس النصرانية أما هـذه الذى ذكرت أنها رجعت الى دينها الأول واختارت النصرانية على دين الاسلام من حيث لم يكرهها أحد لان ذلك دينها ودين آبائها وقد تزوجتها أنا ثم انى ألبستها الحلل والحلى وهى عندنا فى أكرم موضع فلما سمع أبو يخلف ذلك انقلبت حولته وقامت شعرات لحيته ونادى : أحسنت يانحس كشف الله عنك ستره والله لابد لى أن أرفعك لقاضى المسلمين يحلق ذقنك لانك تتزوج نساء الناس بغير اختيارهم (قال الراوى) فلم يبق أحد إلا وضحك وأقبل أبو يخلف على الامير عبدالوهاب وقال له ياهذا مايروح من عندنا رهن حتى نأخذ شمسه

وكل ما عليها من الملبوس والجواهر بصداقها الذى عليه ولا بد لى بما أخصى هذا الرجل فقال الرومى لا بحق المسيح فعندى كل ما تطلبون من الاموال ومن الأسارى وخلاصهم واعلموا انكم لو أقمتم فى هذا المكان حتى ينكشف البحر وينبت الصخر ماقدرتم على هذه القلعة والعقل يدلكم على ذلك فقال الامير عبدالوهاب لما سمع هذا الكلام ياهذا إذا كان الأمر كما ذكرت والحال على ما وصفت فلابد لنا أن نزحف اليهافإن قدرناعليهاوإلاتسلم الينا أنت السيدة زبيدة وباقى المأسورات وأنا أعطيكم الأمان على نفوسكم وأموالكم ثم ان الاميرعبدالوهاب زحف والرجال معه اليها فوجد موضع لايقدرعليه إلا القضاء المبرم فأقام الأميرعبد الوهاب عشرة أيام وقراقونا لم يشرف عليهم إهمالا لهم لأنه يعلم أنه موضع لايقدر عليه أحد وأن الامير عبد الوهاب أقبل على الاميره ذات الهمه وقال لها ما يساوى كل ما عملناه شيء اذا كانوا المأسورات فى هذه القلعة ولا نقدر عليهم ولا نصل اليهم ولوأخذنا ملوك الروم جميعا فقال أبو محمد والله انى أعلم أن مقامنا ههنا علاله ومانقدر على الوصول الى هذه القلعة إلا أن يفتح لنا من داخل فقالت الاميره صدق البطال فى هذا الأمر إلا أن يكون ولد قراقونا نصالح به على المأسورات ونرحل طالبين ديارنا فانا ماجئنا إلا من أجلهم فاذا خلصوا مع هذه الغنيمة التى قد حصلت لنا فلا نبالى بما كان فأحضر الأمير شمس النصرانية وقال عولت الساعة على ضرب رقبتك إلا أن تفى بمقالتك فلما أن سمع الرومى ذلك من كلام الامير فرح وكان أبو يخلف قد فزعه من القتل فقال أيها الأمير اذا كان الأمر على ما ذكرت فقدمونى إلى مقابلة البرج الذى فوق الباب لأن أبى فيه يراكم وأنتم لا ترونه وحولى من السودان عشرة بالسيوف المجذبة فى أيديهم يلعبون على بها وأنا أصيح على أبى عند ذلك فلابد مايطلع عليكم بوجهه وأنا أقول له بعدذلك ماتسمعون به فتواثبوا اليه من كل مكان وأشهروا القواضب وعقدوا الضراح فى صرخة واحدة حتى كادت القلعة أن تنقلب وأشرف الملك قراقونا ينظر ماالخبر وإذا بشمس النصرانية مثل القمر والسيوف من حوله تلمع وكان قد ظن أنه هلك فلما رآه سالماً نادى برفيع من صوته يا معاشر المسلمين ما الذى يلجئكم الى قتله فنادى شمس النصرانية : أيها الانسان الظالم لنفسه وأهل جزيرته حتى انك تأخذ حريم هؤلاء القوم الذين قدفزعت منهم ملوك النصرانية وأخربوا مدينة القسطنطونية على طول الأيام والشهور والاعوام وبعد ذلك أنت تأخذ أسراهم حتى قد دخلوا الى هذه الأمصار فى هذه البحار وخربوا الديار وأبادوا البطارقة وقتلوا جميع العمالقة وقد ملكوا رقبتى وسوف يقتلونى

والآن فأنت فى هذا المكان فلو أقمت عمر النسور وهم كذلك لما برحوا من هذا المكان فصالح القوم واكتفى شرهم على شرط انهم يطلقونى ولا يتعرضون بعدها اليك ولا إلى وأعطيهم حريمهم ودعهم يسيروا الى مراكبهم من ساعتهم فلما سمع الملك قراقونا ذلك من كلام ولده قال له ويلك وحق المسيح لو كان لى ألف ولد لكل واحد منهم ألف جزيرة وبلد سألونى الجميع وقالوا لى سلم ميمونة أو واحدة من الحريم الى المسلمين مافعلت ولو قطعوك بالسيوف ثم انه رجع الى قلعته فلما نظر ولده الى ذلك اشتعلت فى قلبه جمرة ونادى : يا كلب افعل ماشئت ودع يفعلوا بى المسلمين ماشاءوا فلا ترانى بعدها أبدا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع الأمير ذلك من إسلامه فرح به وقال لقد رأيت منه شجاعة عظيمة فالحمد لله الذى خلص هذا الوجه المليح من نار جهنم فقال أبو يخلف إن أراد أن يسلم أو يتنصر أو يرجع يهودى فما بقى يبصر شمسه أبدا فضحك الأمير وقال ما يكون إلا ما تحب (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن الأمير أبو محمد البطال قال أريد أخذ غلمانى وأقوم أبصر إيش أعمل ثم قال لهم قوموا تعالوا حتى ندور حول هذه القلعة فلعل الله تعالى يفرح خاطرى بما يراه ناظرى فتواثبوا معه ثم ساروا الى القلعة فلما صار تحتها جعل يدور بعقله ويميز برأيه ونظرت الملكة ميمونة ذلك من الشباك العالى فصاحت بالبطال ونادته وقالت ياأبو محمد فلما سمع البطال كلامها عرف أنها ميمونة فناداها بالحبشية خوفا أن يكون عندها من يسمع كلامه ياميمونة فقالت له لبيك فقال ويحك أنت مطلقة فقالت قد كنت مطلقة لكن الآن وضعت فى رجلى القيود فقال لها هل تقدرين على حبل يصل إلينا حتى تطلع إليك الرجال إذا اختلط الظلام فقالت لا فقال أبو محمد عندى حبل ابريسم فى سلم ابريسم وهو الذى أطلع به الى القلاع ولكن من أين تصل إليك به حتى تعملين الكلاليب فى الشباك وقد فرج الله تعالى عنك وبلغك مناك فقالت إذا كان الأمر على ما ذكرت والحال كما وصفت فاصبر الى الليل وارجع إلى هذا المكان حتى أقول لك كيف تصل الى ذلك إن شاء الله تعالى (قال) ورجع البطال الى الأمير عبد الوهاب وأعلمه بذلك ففرح به وكان ذلك اليوم أطول الأيام عليه فلما ذهب النهار وأقبل الليل بغياهب الاعتكار هنالك نزل أبو محمد البطال ومعه الأمير ملابط البغال والاميره ذات الهمه وأبو الهزاهز والأمير ضيغم فقال الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد تقدم الى الشباك ثم تكلم ولعل الله تعالى يأتى بالفرج فتقدم البطال إلى تحت الشباك معلناً بتسبيح الله تعالى وإذا هو بشمعة قد وقعت من

الشباك توقد وهى مربوطة بزنانير ابريسم وقد كانت الملكة ميمونة قد فتلت تلك الزنانير ولم تصل الى البحر من طول المكان فأخذت ثوب أطلس وجعلت تعقده حتى علمت أنها قد اكتفت ولما سمعت كلام البطال قالت أخاف انى إذا دليته ما ينظره فربطت فيه الشمعة التى كانت عندها ورمت بها اليهم حتى ينظرون النار ولايخفى عليهم ذلك وانها ما وصلت اليهم إلا مطفئة إلا انهم نظروا آثار النار فقصدوها وأخذها الأمير أبو محمد وقال الحمد لله الذى جاءنا والله الفرج ثم انه ربط الحبل الابريسم الذى كان معه فى السلم برسمه الذى كان يصعد فيه الى القلاع ثم حركه فعلمت أنه ربط فيه الحبل فرفعته الى عندها على مهلها حتى صار عندها وطلعت الكلاليب اليها وربطت ذلك فى الشباك وكان من الحديد وكان الى جانبه خشبة طولها ذراع من الصاج فقلعتها وشدت الحبل وعارضته فأعلمت الأمير أبو محمد أنها قد شدت الحبل فقال لأصحابه: من فيكم يطلع ويتوكل على الله فقال الأمير عبد الوهاب أنا فقالت الاميره ذات الهمه لا والله لا كان ذلك أبدا ولكن أنا أصعد ثم شدت الحبل فى وسطها وصعدت فيه (ياساده) فهى تطلع والأمير عبد الوهاب يدعو لها وأبو محمد قد أمرهم أن يخرجوا بالمراكب حتى يشتد الحبل بارتفاع الأمواج حتى وصلت الاميره الى ذلك المكان بعد أن قاست الملكة ميمونة البلاء من ثقل الاميره ذات الهمه وذلك المكان بعيد لأنها كانت ترفعها وهى مستوثقة بالله الى أن طلعت اليها وقبضت بيدها الطاقة ومسكت ميمونة بها فصارت عندها (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما علم البطال أنها قد وصلت قال من يكون الثانى فلم يجسر أحد أن يطلع فطلع الامير عبد الوهاب وشد الحبل فى وسطه وصاح وجذباه الأميرتان فصار عندهما وطلع ملابط البغال ثالث وصار عندهم وصعد الامير ظالم (قال الراوى) ياساده ياكرام وصعدوا الكل عن بكرة أبيهم وقال الامير عبد الوهاب فكوا قيد الملكة ميمونة فكسروه ثم بشروها بالسلامة ودنوا من الباب ففتحوه وكان الملك قراقونا فى بيت زوجته مارية وهو آمن من هذا الموضع لايقع عليه الخوف إلا أن يكون من داخله ولايخطر هذا بباله فوقع الصوت فى القلعة والصياح وكان فيها جماعة من البطارقة والقس عند الملك قراقونا فى القلعة وانه لما سمع الصياح وثب وهو ولهان فلقيه الأسد الوثاب والنمر الغلاب الامير عبدالوهاب وضربه بالسيف على هامته نزل الى نصف قامته وجعلت الروم تضرب بعضها بعض وكل من صعد يطلب الملك قتلوه هؤلاء الامراء فلما أصبح الصباح إلا والقوم صرعى على الثرى وملكوا المسلمين القلعة وفتحوا الباب بإذن مسببه

الأسباب ودخلت أمراء بنى كلاب والسودان الانجاب وطلب الأمير عبد الوهاب موضع السيده زبيده فدخل عليها وقبل الارض بين يديها وبكى وذكر أيام عزها وأيام الرشيد بالله فبكت السيدة زبيدة وقالت لا ضيع الله لك ياعبد الوهاب هذا الاجر والثواب وتخلصت نورى وعلوى والقناصة وأخذت شمسة وبنات البطارقة وأخذوا من الأموال مالا عين رأت ولا أذن سمعت (قال الراوى) ياساده ياكرام وأقام الامير عبد الوهاب عشرة أيام حتى رفع الاموال إلى المراكب وعول على الاقلاع وإذا بمركب صغير من صدر البحر من صوب القسطنطونية وهو كأنه الطير الطائر والعقاب الكاسر (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان لهذا المركب حديث عجيب وأمر غريب وذلك أن فيه القاضى عقبة وشومدرس وقد أسرعت المراكب بشراعها فى ذلك البحر العباب وان عقبة لما وصل الى الجزيرة وقد نظر الى تلك القلوع فقال للراهب شومدرس وللرجال الذين معه ما هذه قلوع مراكب الروم بل هذه قلوع مراكب المسلمين و ما أخوفنى عليكم أن يكون أسود بنى كلاب قد عمل المراكب العوال وعمرها بالرجال ودخل الى جزيرة قواقونا وملكها واحتوى على مافيها من الاموال لأنى أعرفه شريف الهمة قوى العزيمة وحق المسيح ان كانوا نظروا إلى قلعنا فالساعة هم يقصدون الينا ويدورون حوالينا ويسقونا من ماء هذا البحر المالح إلى أن تبقى بطوننا مثل القرب بعد أن يلطمونا سر وجهر ويبلغون منا كل الارب هذا والامير يانس لم يسمع كلامهم وقد فرح بذلك وأقبل على عقبة وقال له ياملعون إن الله تعالى يسخر وعده فيك وكأنك بالبلاء قريبا يأتيك فلما سمع عقبة ذلك من يانس قال له لو يكون الامر بما أظهر خاطرى حتى أظهر فيك سرائرى ثم إن عقبة جعل يتعلل للمراكب وعقله من ذلك غائب وقد أيقن بالبلاء والمصائب وإذا بثلاث مراكب قد قصدت الى نحوه وطلبت صوبه وكان أحدهم البطال لأنه كان قد نظر الى مركب عقبة وانفراده وأنكر ذلك غاية الانكار وقال للامير عبد الوهاب هذا جاسوس قد أتانا إلى هذا المكان ليكشف منا الاخبار وخرج البطال فى تلك المركب طالب مركب عقبه ولم يزل كذلك الى أن دنا منه وقرب اليه فعند ذلك تأمل عقبه إلا راية مع البطال فى المركب وعليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما شاهد عقبه ذلك اصفر لونه وتغيرت أحواله وكثر خباله وضربت أسنانه بعضها فى بعض وركبته الحمى الباردة وحس أن روحه من بدنه صاعدة فقال شومدرس ما بالك وما الذى جرى لك وأراك قد انحلت

أوصالك فقال له ياقرنان ويا أخس الرهبان هذه مراكب المسلمين قد قربت منا وهى عليه أيشم السنين انظر الى هذه الرايه وها مكتوب عليها الكلمة التى تقولها المسلمين وقد قربت المراكب وصعبت الأمور فنظر عقبه الى السودان والأبطال من بنى كلاب والبطال على مقدم المركب كأنه السلهب فعند ذلك التفت عقبة إلى الروم الذين معه فى المركب وقال لهم يا ويلكم ارفعوا القلع الآخرة وقال للملاح ياويلك اقصد بنا الى جزيرة الملكين وإلا حل بنا الحين فان هذه المراكب الذى قصدت الينا فيها السودان والبطال ومعهم واحد يقال له ملابط البغال وهو من السودان الأقيال ومركبنا سريع السير لم يلحقها أحد فأوسع بنا يا ويلك فى هذا البحر وإلا ملكتنا الأعداء فعند ذلك أدار الملاح المركب هو ومن معه من الرجال لنحو جزيرة الملكين ولجت المراكب فى ذلك البحر الزاخر الذى ليس له أول ولا آخر وكانت هذه الجزيرة كبيرة وقد أحدق بها هذا البحر وفيها عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وهم لا يعتقدون فى دين المسيح وإنما كلهم مجوس يعبدون النار دون الملك الجبار القهار العزيز الغفار ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت هذه الجزيرة فيها ملكين أخوين وكانوا مجوس وكان اسم أحدهم مجوسا والآخر الموت الأحمر وهم جبابرة فى الأرض وأهل هذه الجزيرة كفار وهم أشد قوة من السباع ولكل واحد بدنة جوهر (قال الراوى) وكانت كل الجزائر تحمل الأموال إلى الملك ميخائيل صاحب القسطنطونية إلا هذه الجزيرة فانهم ماكانوا لا يلتفتون إلى أحد من الملوك لا غنى ولا صعلوك وان البطال لما نظر الى المركب وقد عرج عنهم صاح بالسودان ارفعوا يا ويلكم القلع الآخر واحملوا من خلفهم واطلبوهم أشد الطلب والا خلاكم هذا المركب وهرب فاطلبوهم من كل جانب لعلكم تصلون إليهم وأنال منهم ما أنا طالب فعند ذلك أشار لؤلؤ غلام البطال الى المركب وكان ملابط البغال قد نزل فى مركب أفرنجى صغير سريع السير وأنزل معه من بنى عمه عشرة من السودان وقال للأمير عبد الوهاب أنا لهم ولو كانوا فى أقصى الدنيا لما رجعت عنهم ولا رددت إلا بهم وصاح ملابط البغال فى أصحابه دونكم والطلب لهذه المركب وسارت المراكب من كل جانب ومركب عقبه سائر فى لجة البحر كأنه الطير الطائر وقلع القلع الثانى وطار المركب بلا توانى هذا وقد مد البطال بنظره فرأى شومدرس على جانب المركب فعرفه وقد فاته مركب عقبه بسرعة جريه واجتمع البطال بالأمير عبد الوهاب وقال يا أمير انى قد شاهدت شومدرس فى هذا المركب

بلا محالة وعقبة معه والله أعلم وما الأمر على يانس إلا قد جرى وتم فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من البطال قال له وإلى أين يمضى هذا المركب ونحن له فى الطلب وإن فاتنا فارجعوا إلى جزيرة الضرس حتى تبين هذه القصة فان كان الأمر على ما ذكرت لارجعنا إلى الثغور إلى بعقبة ونسير من ههنا إلى القسطنطونية ودع ما يجرى يجرى وما زالوا القوم فى طلب مركب عقبة إلى أن أظلم الظلام ورجموا طالبين جزيرة قراقونا وكان وصولهم إليها عند الصباح وقد افتقد عبد الوهاب المركب الذى فيه ملابط البغال وأصحابه الأبطال فلم يجدهم لأنهم ساروا فى طلب عقبة ولج له ملابط البغال فى الطلب وقال وحق حام الأكبر وما يشبهنا فى اللون من الجواميس والبقر لا بد لى من هذا المركب ولو سقيت شراب العطب ولما افتقده الأمير وما وجده خاف على ملابط البغال ورد على قلبه من أجل غيبته أمر عظيم مالا تحمله الجبال ولا تخفيه صدور الرجال ثم ان الأمير جهز ثلاث مراكب صغار وأمر أن يمضوا فى طلب ملابط البغال وأصحابه أن يقطعوا لجج البحر ليكشفوا خبره ويقفوا أثره واذا لم يقعوا به يطلبوا طرسوس ويدخلوا على ابن يحيى الأرموى وقال لهم اعطوه هذا الكتاب وخلوه يرد الجواب ثم ان الأمير أعطاهم طير من طيور جزيرة الملك قراقونا قال لهم خلوا الأمير على يرد على جناح هذا الطائر اذا انكشف لكم الخبر وأقلعوا تلك المراكب بريح طيبة ذلك أجمع فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملابط البغال فانه أقام مقلع خلف مركب عقبة طول النهار مع تلك الليلة الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وبينما عقبة ينظر الى خلفه اذ نظر الى مركب ملابط البغال خلفه وقد بقى بينه وبين مركب عقبة رمية سهم فصاح عقبة بقومه يا ويلكم هلكنا يا ويلكم دونكم والمقاديف فان مركبنا خفيف فقدفوا القوم ذلك اليوم والثانى والثالث وفى اليوم الرابع وصلوا الى جزيرة الملكين وقد أمن من عقبة القلب وقرت منه العين وقد نظر عقبة الى تلك الجزيرة فرآها جزيرة كبيرة وفيها المراكب محدقة بها من كل جانب ولما رأوا أهل الجزيرة الى تلك المركبين طلعت الرجال الى المراكب التى معهم معودين للحرب والقتال والطعن والنزال وتقدموا اليهم فسلم عقبة روحه اليهم واستجار بهم وقال لهم أنا كنت قاصد اليكم أطلب الذمام منكم وصار يكلمهم بلسانهم ويبكى ويحدثهم ويشتكى ونظر ملابط البغال الى ذلك فلم يرجع على أثره فلم يقدر على ذلك لأن الهوى كان الى نحو الجزيرة عمال وقد أدكته ثلاث مراكب عوال والتحم بينهم القتال واشتدت الأهوال وعظم الزلزال

وفى دون ساعة كسر ملابط البغال وأصحابه الأبطال مركب وأحرق الثانى وانهزم المركب الثالث الى البر وهو صائح ويقول ياقوم ادركوا هذا المركب وخدوه ففيه عشرة من الجن ولولا مر بنا كنا هلكنا فعند ذلك تبادرت اليه المراكب كلها وقد التفت مرابط البغال يطلب مراكب المسلمين فلم يرى منهم أحد ولا وجد أبيض ولا أسود وقد أحدقت به مائة وسبعين مركب فأقام مرابط البغال وأصحابه يقاتلوا الروم ثلاثة أيام وقد قتلوا ألفاً من ألف فارس ضرغام ولم يقتل منهم أحد وقد تكاثروا عليهم بعد أن خذلت منهم السواعد ولا وجدوا لهم معين ولا مساعد فأخذوهم قبضا بالكف وحملوهم الى أن صاروا بين يديه وقد أشرفوا على التلاف ورفعوا الى القلعة وهم قلعتين قلعة المنشار وقلعة الشهبا وكان عقبة لعنه الله لما دخل على الملكين وصف لهما حاله وما تم عليه وماجرى له فعرفوه بصفات ذكره وحكى لهم قصته وأمره وخبرهم بما جرى على قراقونا وأن القوم قادمين الى قتاله فقال له الملك طب نفسا وقر عينا فان الملك كان يحمل الخراج وأقل ما فى جزيرتنا من البطارقة والروم والعمالقة ومعنا رجال مثل رجال قراقونا أوفى وأشجع منهم ثم ان القوم أخذوا فى اصلاح مراكبهم حتى صاروا فى ثمانمائة مركب ووصل اليهم أيضاً أهل جزيرة السوسن فى ستمائة قطعة لأنهم جفلوا من جزيرتهم من أسطول الاسلام وقد صاروا فى عالم عظيم وهم خلق لا يحصى لهم عدد ووصلت الأخبار الى الأمير عبد الوهاب وسيد سادات بنى كلاب من طوسوس على جناح الطير بما جرى على يانس المتغرب وخلاص عقبة وشومدرس ويانس معهم أسير وبما جرى من الهم والغم فصعب ذلك على الأمير ودق بيد على يد أسفا على ما مضى وقال لا أعترض على القدر والقضا وتحير كيف انفلت منهم مركب عقبة وشومدرس وعلم أنهم دخلوا الى جزائر الروم وصار عقبة وشومدرس عند الملكين فى المنزلة الرفيعة وقال للملك مجوسا أنا خير لك من الملك فلما سمع الملك مجوسا من عقبة هذا الكلام قال له أنت عالم من علماء النيران وأنت على الحقيقة شيخ النار وقد نزلت البركه عندنا من وقت وافيت هذه الديار ودخل معهم ثم قال الملك ما بقى عليك فزع ولا خوف ولا جزع ولا بد لنا ما نسير الى القسطنطونية ونملكها بالكلية وبعد ذلك نسير الى بلاد الاسلام فقال عقبة أنتم الذين تملكون البلاد ان كانوا هؤلاء الملكين من الملوك الجبابرة وكانوا من العمالقة الأكاسرة وقد ذكر الراوى أن ما بقى من الجبابرة غيرهما وكان طول كل منهما عشرة أذرع فكان اذا غضب الملك على أحد منهم يضع يده على رأسه

فلا يرفعها عنه إلا وهو قد هلك من وقته ولا زال عقبة لعنه الله يصف له قوة الأمير عبد الوهاب وميمونة والسودان الأنجاب وان الملك مجوسا لما سمع وصف الامراء أراد أن يورى عقبة شيء من بعض شجاعته وقوته وبراعته وكانوا يتعاملون بالفلوس الكبار المصورة وان الملك مجوسا أخذ عشرين فلس ظاهرة الصورة وقد طرح راحتيه عليها وفركها فانمحت الصورة عنها فلما رأى عقبة ذلك قال متى أرى هذه الراحتين على رأس ذات الهمة وعبد الوهاب فضحك الملك من هذا الخطاب وقال ياشيخ لأملكن الدنيا وآخذ لك بالتار فشكره عقبه على ذلك فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما انقطعت عنه أخبار ملابط البغال وسمع بأخبار يانس المتغرب وماجرى عليه من سوء الحال وتحقق أنه كان فى مركب عقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال وهو لايعلم هل هو سالم أم شرب كاس الوبال ولما زاد به الحال أقبل على أبو محمد البطال وقال له أنت كنت السبب فى خلاص النساء من الاعتقال ومايسوى شيء هلاك ملابط البغال ان رجعنا الى الديار والاطلال حتى نكشف خبره ونقفوا منه الأخبار ونطلب هذين الملكين الملعونين وعقبة وشومدرس فقال له البطال اعلم أيها الامير أن هذا البحر يقال له بحر الجزائر وهو بحر كبير وأنا قد ركبت فيه مرتين لأجل حاجة كانت عرضت للرشيد ونظرت فيه العجائب وأبصرت فيه أوفى من مائتين جزيرة وأعظم ما رأيت فيه جزيرة يقال لها جزيرة السوس وهى منا دون اليوم وفيها عالم عظيم والى قربها جزيرة يقال لها جزيرة الملكان وفيها قلعتين الواحدة قلعة الشهبا والاخرى قلعة المنشار وليس للطير عليها سبيل ولا لنا اليها وصول وفيها ملكين أخوين أحدهما يقال له مجوسا والآخر الموت الأحمر والجن تفزع منهم وتهرب وأحدهما إذا مشى يساوى بقامته الأشجار لأنه يزيد عن عشرة أذرع ويطحن براحتيه الأحجار وكنت قمت فى الجزيرة عشرة أيام ولم أصدق أن أخرج منها خوفا من الملك أن يسقينى كاس الحمام لأنه لايرى فى الرهبان ولا القساقسة ولا لهم عنده قيمة ولا مقدار لأنه مجوسى يعبد النار والشمس والأنوار وينكر قدرة الملك الجبار خالق الليل والنهار وعندهم رجل كبير المقدار وهو من شيوح النار يقال له توزون ورأيت منه أمر عجيب يدخل النار ويخرج منها ولا يحترق ولا يصيبه منها ضرر ولا اضرار وما ذلك إلا سحر منه وفشار وان صدقنى حذرى عقبة وشومدرس ماقصدوا إلا هذه الجزيرة فقال الامير عبد الوهاب عند ما سمع من البطال هذا الخطاب فاطلبوا بنا جزيرة السوسن فان كان عقبة بها وإلا قصدنا جزيرة الملكين وان لم نجدهم هناك وإلا درنا

الى الجزائر ولو أقمنا عوض السنة سنتين فقال البطال افعل هذه الفعال فانه الرأى الصائب والأمر الواجب فعند ذلك أمر الامير عبد الوهاب الرجال بأخذ الأهبة للسفر ولما أصبحوا أقلعوا القوم الى جزيرة السوسن والامير عبد الوهاب قد قدم بين يديه مركب لطيف يكشف له الخبر فى طلب ملابط البغال والسفرة الذين معه من الرجال هـذا والملكة ميمونة قد انفردت فى عشر مراكب هى ومن معها من سودانها وأبطالها وأقرانها والبطال دليل القوم فى مركب لطيف وأن الامير عبد الوهاب لم يزل سائر الى أن وصل الى جزيرة السوسن فلم يخرج له منها مركب (قال الراوى) فقال البطال ما كان فى هذه الجزيرة أحد وما عهدى بها إلا ملآنة من الرجال والابطال وسراة الأقيال ولـكن جزيرة الملكين قريبة منهم كما قد علمت وقد بلغهم من المنهزمين فى البحر مافعلنا بقراقونا وجزيرته وقد هربوا أهل الجزيرة ولابد ما نأخذ خبرهم ثم إن البطال نزل من وقته وساعته الى الجزيرة ودخلها فوجد فيها من الشيوخ والرهبان الكبار الذين ماهم قوة على الهرب والفرار ولا فيهم نهضة الى غير تلك الديار وكذلك العجائز الكبار وأن البطال سأل بعضهم عن أهل الجزيرة فقالوا هربوا خوفا من المسلمين الذين وصلوا الى قلعة الضرس فقال البطال والى أين مضوا فقالوا الى جزيرة الملكين فى ستمائة مركب موسوقة بالرجال من سوى الشوانى التى تحمل الاموال والأثقال فرجع البطال وأعلم الامير بالحال فقال ياأبو محمد اقلع بنا اليهم وأن الله تعالى ينصرنا عليهم فعندذلك نشرت القلوع وساروا القوم فهم كذلك واذا بمركب قد لاح لهم وفيها الرجال يقدفون بالمقاديف لأن الهواء طالب الجزيرة ولا سبيل لهم إلى الاقلاع ولما نظروا إلى أسطول المسلمين طلبوا الهرب والذهاب ورفعوا القلوع وقد ساروا ولوكان لهم أجنحة لطاروا ولما نظر الأمير عبدالوهاب والبطال قد فعلوا تلك الفعال صاح بغلمانه ومن معه من الرجال ونزل فى مركب صغير وأخذ معه الاميره ذات الهمه وظالم البطل النحرير والامير عبد الوهاب وصاح بغلمانه أن يطلبوا القلع ويسرعوا فى المسير وما كانت إلا ساعة حتى أدرك البطال ذلك المركب واذا فيه جماعة من الروم مقدار مائتى بطريك ولاصقوا المسلمين ونظروا الروم الى مركب البطال وفيه عشرين رجل فأخذهم فيهم الطمع وقد حملوا عليهم الروم والتحم القتال بين الخصوم وصارت الرجال تقع وتقوم وعملت السيوف الصقال فى قمم الرجال وتراموا بالأحجار الكبار والصغار ومدوا الاسقالات وعبرت الرجال الى الرجال وقطعت منهم الآمال

وقد وثب الامير ظالم كأنه الأسد الريبال وصار معهم فى وسط المركب فى سرعة الوقت والحال وكذلك فعل الامير عبد الوهاب ولم يزل السيف يعمل والروم تقتل إلى أن خلا المركبِ من أكبر أصحابه وقد نزل عليهم سخط الله وعذابه ولم يبق إلا أقلهم ولما فرغ الامير منهم رفع السيف عنهم وقد وصلت اليهم مراكب المسلمين وقد أحدقوا بذلك المركب من الشمال ومن اليمين وقال البطال لبعض أسارى الروم من أين أنتم ومن أين أقبلتم وإلا وحق من زجر البحر أن يعلو على الأرض وبيده الإبرام والنقض إن لم تخبرنى بالصحيح وإلا طيرت رأسك ورؤوس أصحابك وأحرمك من الدنيا تستريح فقال ذلك البطريك لورك يامولاى نحن من جزيرة الملكين أصحاب القلعتين والملكين قد أرسلونا نكشف أخباركم ونبصر مراكبكم وأحوالكم وأن الملكين لهما من القوة والاستظهار مايذيب منه الأحجار ويلقى كل واحد منهم عشرين مثلكم مرة واحدة ومع ذلك فان مجوسا وأخيه الموت الأحمر الذين تضرب بهم الامثال فى القفر والمدن وهم كفء لكم وحق المسيح والدين الصحيح لقد صدقناكم فيما أخبرناكم فعند ذلك قال الامير عبد الوهاب للأمير أبو محمد البطال أحقاً ياأبو محمد الذى قالوه من المقال قال نعم أيها الأمير المفضال فان الذى نطقوا به صدقا والذى قد قالوه حقا وأن البطال أقبل على البطارقة وقال لهم اعلموا اننا قد ذهبت لنا مركب فى البحر وما ندرى ما كان منه من مدة شهر فقالوا له يامولانا المركب وصل الينا وكان بين يديه مركب آخر فيه شخصين أعورين واحد يقال له عقبه والآخر يقال له شومدرس ومعهم رجل أسير يقال له يانس المتغرب وهذا الذى يقال له عقبه عالم من علماء المجوس وانه على ديننا وانه كان فى بلدكم يكتم ذلك ونحن وحق المسيح ما نعبد إلا الصليب والملكين بخلاف ذلك وأما الشيخ عقبه فانه قد صار عندنا فى منزلة عظيمة وهو عند الملك فى المنزلة العالية والرتبة السامية لأجل خبرته فى دين المجوس وأما أصحابكم فانهم غدوا يقاسوا أنواع العذاب والبؤس حتى يقولوا انهم هلكوا مما يعاقبهم ذلك الشيخ عقبه المنحوس وقد قتل الملك (مجوسا) منهم قليل برأى ذلك الشيخ عقبه وقد حرض الملك على المسير الى بلادكم وبلاد الروم بالكليه وبملكه القسطنطونية يطلب بغداد ويملك العباد فلما سمع البطال وعبد الوهاب ذلك المقال فاضت عيونهم وأخذهم البكاء على ملابط البغال وأصحابه وأسر يانس المتغرب وسلامة عقبه ثم إن عبد الوهاب أقبل على المراكب وقال : ياجند الله خذوا الأهبة للسفر والقتال فقد بقى بيننا وبين الجزيرة القليل وهى ساعة واحدة فعند ذلك ساروا القوم بقية ذلك اليوم

وتلك الليلة وقد طاب لهم الهوى الى وقت السحر وعملت القلوع وسارت المراكب الليل والنهار وقدرفعوا المسلمين القلوع . وأما عقبه فانه قدأبطأ عليه خبرالمركب الذى أرسله الملك يكشف خبر مراكب المسلمين وما يعلم انهم قد هلكوا أجمعين فدخل على الملك (مجوسا) وقال له أيهاالملك وحق النار والنور والبيت المعموران قلبي خائف على المركب الذى أرسلناه لا يكون قد أخذ وهلك كل من فيه فقال له الملك لاتظن ذلك فان فيها رجال شجعان أقيال يريد كل واحد منهم لرأسه ألف فارس من أبطال المسلمين وكل من فى بلادالاسلام فقال عقبه أيها الملك دعنى من هذا الكلام فما فى القوم الذى تقول منهم واحد يلقى بطل من المسمين فلما سمع الملك هذا الخطاب من عقبه غضب غضبا شديدا وكان هذا الملعون مجوسى إذا غضب لايهدأ غيظه إلا بمن يقتله فان لم يرى الدم يجرى على الارض ما يهدأ فصاح على عقبه فغاب صوابه فقال له أخو الملك اهرب ياشيخ من بين يديه وإلاتبقى الساعة على الأرض مطروح ودمك مسفوح ففزع عقبه وقال فى نفسه هذا وحق المسيح يصلح للاسود وكان هذا الملك مجوسا لم يكن له ولد لأنه كان قدرزق سبعة أولاد وكانوا مثل الاسود وكان كلما اغتاظ يسفك أحدهم ولا زال حتى قتلهم إلا أن عقبة وثب من بين يديه هارب والى النجاة طالب وأمر الملك واحد يسفك دمه فقال أخوه هاتوا له بعض السودان يقتله حتى يهدأ غيظه وغضبه وإلا كل من وقع فى يده أهلكه فعندها خرجت البطارقه وأتوه بأسود وقد أعماهم الله عن ملابط البغال وقد ذكرنا أن الملك ضرب رقاب من قتل برأى عقبه وكان (ملابط البغال) قد نام تلك الليلة فأخذوا الأسود وساروا به إلى بين يدى مجوسا.فلما رآه ضربه بالسيف قتله فاما رأى مجوسا الدم يسيح سكن غضبه وعجل الله بروحه الى الجنة وطلب عقبة وسأل عنه فقالوا أيها الملك انه خاف منك عند ما بان غضبك فى وجهك فعندها أدعى بعقبه واعتذر اليه وقال ياشيخ اعذرنى فانى إذا غضبت لا أبصر شىء فقال عقبه وقد أعجبه قتل الأسود يحسبه أنه (ملابط البغال) فقال له أيها الملك لقد رضيت عنك النار فى هذه الفعال وهذه صفة الملوك الكبار وإلاما كانت تقع لك هذه الهيبة فى قلوب النساء والرجال وأما المركب الذى هذا الغضب من أجله فانه انقطع خبره أو يكون قدغرق وإلا إيش سبب قعوده عنا وخبره وكأنك بمراكب الاسلام وقد أقبلت وعلى القتال عولت وهم قوم لايفكرون فى عاقبة ولا يدرون ما يراد منهم فى كل نائبة وقد طاب لهم الموت وهان على قلوبهم وهم فى الموت راغبون فهم فى الكلام وإذا بالبحر قد لاحت فيه

القلوع مثل أجنحة النسور وبانت المراكب مثل الطيور والرجال على ظهورها مثل السلاهب وقد قصدت الجزيرة من كل جانب ولما نظر عقبة الى ذلك اصفر لونه وارتعدت فرائصه وكان الراهب شومدرس حاضر تلك الساعة عنده فأقبل عليه عقبة وقال له ياشيخ أبو الشر ههنا يصلبونا وحق المسيح فقال له ياشيخ السوء أنت ما قلت لى أنا ماأمنت على روحى إلا فى هذا الموضع ولابدأن نصلب ونصفع والى القسطنطونية مابقينا نرجع فقال له عقبة لكن من أين يقدرون يصلون إلينا ونحن فى جوار هذا الملك (مجوسا) وأخيه الملك (الموت الأحمر) وفى هذه الجزيرة أكثر من ثمانمائة ألف فارس غضنفر فسوف تنظر وتبصر فقال شومدرس إى وحق المسيح أبصرلطم يعمى النظر وطعن وضرب لايبقى ولايذر فقال ويلك اسكت عنا بهذ المقال وفى هذه الجزيرة رجال وأى رجال وأنا ما أردت إلا أمزح معك فى المقال . هذا والامير عبد الوهاب لما أشرف على تلك الجزيرة أمر المراكب أنها تتفرق وقد ضربت بوقاتها ورفعت الرجال أصواتها وسلت مرهفاتها وزمجرت ساداتها وكبرت قاداتها وأما الملك مجوسا فانه لما رأى ذلك لم يتزعزع من مكانه ولا قام من موضعه فقال له أخوه ما هذه الفترة أيها الملك فقال عسى أن أعمل مع هؤلاء الشرذمة وحق النار والنور ولو أردت أن أخرج إليهم وحدى فى مركب واحد لرأيت منى ومنهم العجب والآن فقد جعلت إليكم هذا الأمر والسبب فاخرجوا اليهم بالمراكب التى وصلت إليكم من جزيرة السوسن وهى ستمائة مركب وخذوا أيضا نصف الأسطول الذى لنا يكون مع أخى ثم قال لأخيه اخرج اليهم وكن منهم على حذر فان ظفرت بهم نلت الشرف الأكبر وإن لم تقدر عليهم فاعترف بالعجز حتى أخرج إليهم وأريك ما أصنع بهم وأترك الدنيا منهم خامدة فقال له أخيه وكان دونه فى الشجاعة أنا لهم وسوف ترى ما أفعل بهم ثم انه وثب قائما على قدميه وصاح بالرجال التى حواليه فصعدت الى المراكب إلا مركب الملك (مجوسا) فان الرجال عولوا على الصعود فيه ويخرجون الى الامير عبد الوهاب وعولوا على الضرب والطعان فقال لهم الملك (مجوسا) لاتفعلوا ذلك فان أخى قد طلب الخروج الى هذا العدو حتى يظهر مافيه من الشجاعة والقوة والبراعة هو ورجاله فى هذه الساعة فعند ذلك صعدوا رجال الموت الأحمر وقعدت رجال الملك (مجوسا) عن الحرب وصعده أخوه وكان مركب كبير وهبأ رجاله وأبطاله ومعه أربعمائة مركب وأضافت اليه المراكب التى من جزيرة السوسن وقد طلع فى المراكب عالم كثير وكان (مجوسا) له مائة مركب ومعه

رجال يريد كل واحد لرأسه ألف بطل لأنك كان يحب الرجال وقد فرسهم وعلمهم الحرب لأنه كان انتخبهم من الفرســـان وقد عول أنه يملك بهم البلدان ويملك القسطنطونية وبغداد ولما صار أخوه فى مراكبه ونادى فى البطارقة وقال ارفعوا المراسى وشرعوا القلوع فعندها خرجت المراكب ونظر عبد الوهاب ومن معه إلى هذه العساكر فأقبل عبد الوهاب على البطال وقال له ماترى فقال البطال وما عسى أن أرى غير الرأى الأول الذى عملناه فى الجزيرة وهو أن تفرق المراكب مع كل أمير أربعين مركب وندعه يلقى مائة مركب وقد سلمتم من العطب فقال عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم ان الامير ادعى بميمونه وسلم اليها غلمانها فى أربعين مركب وقال انتى ومن معك إلى مائة مركب فقالت سمعا وطاعة وكذلك قال لابو الهزاهز مثل ذلك وكذلك سائر أصحابه وأخذ الامير باقى بنى كلاب وقدم البطال على طائفة من العرب والعبيد فهذا ماكان (وأما ماكان) من أمر أخو الملك فانه لما نظر الى الأمير وقد انقسم فرق وأحزاب وأقبل على قومه وقال إياكم تتفرقوا ولكن الصقوا المراكب بعضها الى بعض كما تفعلوا بالخيل وصفوا الطوارق عليها من سائر الجهات واقبضوا فى أيديكم الحراب والقنطاريات فإنى سمعت من عقبة وشومدرس انهم أبطال شجعان فلما سمعوا رجاله قالوا هذا هو الصواب ثم إنهم ألصقوا المراكب بالمراكب وقد لمعت السيوف وصاحوا الروم صيحة واحدة فلما نظر عبد الوهاب الى ذلك صاح فى أصحابه وان الروم أطبقوا على المسلمين ولما فعلت الروم ذلك بمراكب المسلمين غرق من مراكب المسلمين اثنى عشر مركب ولما نظر الأمير صاح بالبطال وصرخ فى الرجال وإن البطال أمر الفرسان بقطع الحبال وأن يضربوها بالسيوف ففعلوا ذلك وقد خلصت المراكب بعدما أشرفت على الهلاك والوبال إلا أن البطال لما بطل ذلك على الروم وخلص المراكب منهم وقد بعدوا عنهم وأن ميمونة والأميرة أحدقت بهم مائة مركب وقد أشرفوا على الهلاك فأما مراكب ميمونة فقد غرق منها عشرين والباقى تعلقوا بجـانب المراكب ونظرت ميمونة الى الموت فلم يكن لها إلا أنها وثبت صارت فى مركب من بعض المراكب وكانت هذه مركب أخو الملك ولما حصلت فى مركب أخو الملك والسيف فى يدها مشهور وإنها ضربت حبال القلع بسيفها فتقطعت جميع الحبال فلما رأى أخو الملك الى فعالها أمر أصحابه فحملوا عليها وتزايدت عليها الأهوال فتلقتهم الملكة ميمونة بقلب أقوى من الجبال وتوكلت على العزيز المتعال ونظرت

باقى مراكب الروم الى المركب الكبيرة فطلبوه وهم ما يدرون ما السبب وقد صبرت ميمونة صبر الكرام وكان الامير عبد الوهاب قد نظر إلى مركب ميمونة وقد غرق كل من فيه ولم يعلم أن ميمونة قد حصلت فى مركب الملك بل أيقن أنها غرقت وكذلك مركب الأميرة لما أن علمت أن الروم قد أحدقوا بها وبمركب ميمونه وقد أشرفوا على الغرق وصارت فى مركب من مراكب الروم وهو مركب كبير وفيه ثلثمائة بطريق فضربت فيهم بسيفها وقد نثرت الرجال وأبادت الابطال وهبرتهم هبرا فلما نظروا الروم من الاميرة تلك الفعال نادوا ببقية المراكب الملتصقة بهم أدركونا وأعينونا على هذا الشيطان فعند ذلك أتتهم أربع مراكب وطلعت لهم الرجال من كل جانب والأميرة ترمى الرؤس عن المناكب وتوردهم المعاطب ولم تزل على مثل هذه الفعال حتى تأخرت عنها الأبطال ولم يرجع أحد يطلع اليها ثم ان الأميرة نادت الى مراكب المسلمين فأدركتها المراكب ولم يزل القتال يعمل الى وقت الظهر هذا والأمير ينظر الى المركب الذى فيه الملك والسيوف فيه تلمع والرجال تقوم وتقع وهو لا يدرى ما السبب وان مراكب الروم كلها قصدت اليها فقال الامير ان بعض فرسان المسلمين قد حصل فى بعض مراكب الروم وهو يحامى عن نفسه ثم قال لأصحابه اقصدوا بنا اليه ثم طلبهم الامير بمركبه وقصد المركب الذى فيه ميمونة ولوح الى المراكب كلها تتبعه فتبادرت نحوه المراكب ونظرت ميمونه الى مراكب المسلمين وقد قصدت نحوها فقوى قلبها هذا وميمونة قد أشفت غليل الفؤاد ولما نظرت الملك الموت الأحمر الى ذلك هدر ووثب قائما وقد زاغت عيناه وقال من هذه الفعال فعاله مايجب اهمال ثم أخذ فى يده ترس وأخذ حسام ووثب إلى ميمونة وان ميمونة لما أبصرته قالت فى نفسها ان قتلت هذا فهو سبب انهزام الروم ثم انها هجمت عليه وهجم عليها وتضاربا وتقاتلا وإن عدو الله نادى بميمونة وقال خذ هذه الضربة وقد ضربها فقعدت ميمونة تحت الترس وأشارت اليه تريد أن تضربه على صدره وقالت خذها يامشرك يا كفور وأنا أمة الملك الغفور هذا وقد وقع سيف الملك على ترس ميمونة قطعه ووصل الى البيضة فقطعها نصفين وخرجت ميمونة من تحت الضربة سالمة وعطفت عليه وضربته فوقعت الضربة على قوائمه فأبرتها كما يبرى الكاتب القلم ببركة سيد الأمم والنبى المحتشم سيد العرب والعجم وصاحت فى أثر الضربة عبد الوهاب يا منصور فوقع الملك إلى أرض المركب وهو فى دمة يخور وقد كبرت ميمونه ونادت الله أكبر

الله أكبر قتل الملك الظالم والكلب الغاشم عابد النار ونصر الله الأبرار أمة محمد المختار وقد نظروا أهل المراكب الى الملك وقد قتل وراح فوقع فى المركب الصياح وقد اضطرب القوم وعرف الأمير عبد الوهاب ذلك هجم عليهم بمن معه من الرجال ونادى باسم المتعال فجاوبته الأبطال وعملت فى الروم النصال وأبادوهم ذات اليمين وذات الشمال ورأوا من الموت الأهوال وكان أيضا أبا محمد البطال قد نزل فى ثلاث مراكب ومعه جماعة من السودان الاقيال ومعهم النفط المطيب العال فأحرق خمسة عشر مركب وقد شربوا أهلها كاس الوبال وتشتتوا فى البحار وقد وقع بهم الانكسار وخسرت مراكب الفجار وعمل فيهم الصارم البتار فركنوا إلى الفرار وولوا الأدبار وما وصلوا إلى الجزيرة إلا وقد ملكت المسلمين أربعمائة مركب كبار وقد فنى من فيها من الكفار ما بين غريق وحريق وقتيل بالسيف البتار ونزلوا بقية الروم فيما بقى من المراكب وطلبوا الجزيرة فمنهم من سلم ومنهم من عطب ومنهم من غرق ونظر عقبة الى ذلك فقال ما بى إلا شماتة الأعدا فقال له شومدرس لا تخاف أيها القاضى مادمت أنت عند الملك مجوسا فإنى أرى طالعك منحوسا فقال له عقبة دع عنك هذا الكلام فلا بد ما يقتل الملك مجوسا وأول ما يقصعوا رقبتى ورقبتك فدع عنك الملك فسوف ترى من هو من القوم ذليلا منحوسا وكل واحد منا من فوق هذه القلعة على رأسه منكوسا فضحك شومدرس فقال له عقبة فلا بد أن يلطموا قمتك الى أن نموت فقال شومدرس أما اللطم فهو واقع بى وبك وتصل الأذية اليك وأنت عليهم أيشم منى وأخبث ومن عطب رفيقه مايسلم وإن مجوسا لما نظر إلى ذلك الحال صاح فيمن عنده من الرجال فاجتمعوا اليه وقد صاروا أوفى من أربعمائة ألف شجعان فأمرهم أن يأخذوا الأهبة للقتال ويلبسوا العدد للنزال ولا ينزلون المراكب حتى يصعدوا المسلمين اليهم إلى البر ويأخذوهم كلهم أسارى ولا سلم منهم أحد هذا والامير عبد الوهاب قد أمر الناس بالنزول الى الجزيرة فنزلوا وظن الملك أن الحال خيره وعقبه قد لحقه الحيرة وهو يقول للملك مجوسا ما قلت لك أيها الملك أنهم شياطين الارض فى الطول والعرض وفرسان البر والبحر فقال الملك وحق النار وماتحوى من اللهب والشرار بعد أن قتلوا أخى لا تركت منهم ديار ولا أخلى أحدا منهم يرجع إلى الديار ومع ذلك فانى لاأقاتلهم حتى ينزل الجميع لأنهم قد أخذهم الطمع فينا ويظنون أن البطارقه الجميع هلكوا ولجزيرتنا قد ملكوا وما يعلموا أن الذين خرجوا اليهم ما يباشرون القتال وما

هم فرسان الابطال وان الذين التقوا بهم لا ثبات لهم فى القتال ولا خبرة لهم بالنزال ولا بد لى ما أطحنهم طحن الحصيد وأبلغ منهم ما أريد إذا حصلوا فى الجزيرة على وجه الصعيد ثم ان الملك أمر أصحابه أن يأخذوا الأهبة لقتال المسلمين وقد بقوا لطلوعهم إلى الجزيرة منتظرين وإن الامير عبد الوهاب صاح فى بنى كلاب والسودان الانجاب وأمرهم أن يلصقوا المراكب بالساحل ثم أمر باقى العساكر أن يكتمون أنفسهم ويخفون أمرهم (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب صاح بجميع أصحابه وألصق المراكب بالساحل فقال البطال قد رابنى أمر هذه الجزيرة وما أرى خرج منها أحد ولا قاتل ولا الملك الموصوف فى الأقطار وعلى ألسنة التجار بأنه جبار من الجبابرة وهو أعظم خلقة من أخيه إلا أن أخوه كان معروف بالحيل والأعمال مشغوفا بالنساء والدلال إلا هذا مجوسا فانه رجل مخلوق من الغضب ما ضحك ولا يزال عبوسا وهو يقول لو خرجت إلى بلاد الروم لملكت مدينة القسطنطونية من الملك ميخائيل وحدى من غير معونة جندى فقال الأمير اعلم ياأبو محمد أن عساكره قد قتلنا أكثرهم ولم يبق إلا أيسرهم ولابد لى من الصعود الى الجزيره فقال البطال أقسم بالله ماخرج الينا من البطارقة الذين أعرفهم أحد لأنى أعرف فى هذه الجزيرة رجال مثل الجمال وهم أصحاب الملك مجوسا وما خرج الينا إلا أهل جزيرة السوسن وأصحاب الملك الذى قتلته الملكة ميمونه وما كان من أهل الحرب وقد لقيت منه مالقيت فلا تخاطروا بأنفسنا وانزلوا من مراكبنا حتى ننظر مايكون فانى أخاف أن يكون عقبة قد أشار عليهم أن يخفون أنفسهم حتى تنزل اليهم رجاله وينزلون علينا بالخيل فيطحنونا طحن الحصيد فقال الامير عبد الوهاب وقد استصوب رأيه فما الذى نعمل فقال تكونوا على ما أنتم عليه فلا بد لهم إذا أيسوا من نزولهم أن ينزلوا عليكم فصاحوا بنى كلاب والسودان ما نفعل نحن هذا ولا بد من النزول وما بقى ههنا من ينظر الينا ولا يقدر علينا بعد ماقد هلك منهم ذلك العالم وملك أكثر مراكبهم ثم نزلت الرجال والابطال من كل أسد ريبال وفى أيديهم السيوف الصقال والرماح الطوال والحراب والنبال والعمد الثقال ونزلت السودان والحبشان ولم يبق فى المراكب غير السيدة زبيدة والأميرة علوى أما القناصه ونورى فإنهن خرجن وهن معلنات بالتكبير (قال الراوى) وإن الملك مجوسا لما علم أن الأمير عبد الوهاب وأصحابه قد حصلوا فى البر بالرجال وخرجوا الابطال من كل مكان وقيل إن هذه الجزيرة كانت من بناء الجن فى أيام سليم بن داود عليهما

السلام وهى بالحجر الأبيض فعندها خرجت رجال الروم على الخيل كأنها أبرجه حديد وفتح باب الحصن ونزل منه عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى ونزل الملك مجوسا وهو راكب على جواد من الخيل فى سود ظلام الليل قوى القوائم شديد الدعائم وعليه مركب من الحديد والملك مجوسا على ظهره ورجلاه تخط بالارض وهو غائص فى حلق الحديد مثل البرج المشيدة فلما نظرته العرب اقشعرت منهم الأبدان واصفرت الألوان وعجبت من عظم خلقته الشيوخ والصبيان والعرب والنسوان فقال الأمير عبد الوهاب سبحان الملك المنان العظيم الشأن الرفيع المكان والله ان هذا الخلق هائل بجثة عجيبة إلا أنه كافر رزقه غافل عن من أنطقه عابد للنار من دون الملك الجبار (قال الراوى) ثم أمر بالنار فاضرمت وأمر مجوسا عسكره أن يقف عن الحملة وكانوا مثل عسكر الأمير عبد الوهاب أربع مرات وأن مجوسا لما نظر إلى عسكر الأمير عبد الوهاب لم يكبر فى عينه بل حدثته نفسه أن وصل بقتالهم ملى وبحربهم وفى (قال الراوى) ثم أمر بالنار فاضرمت حتى علا شعاعها وارتفع لظاها وتقسطل دخانها وعظم عذابها ثم نزل عن فرسه ودنا منها والأمير عبد الوهاب ينظر اليه وإلى فعاله وكذلك الأميره ذات الهمه وقد طارت من عينيها الدمعة غيرة لله ولرسوله وللشريعة الاسلامية والملة المحمدية (قال الراوى) وان الملك مجوسا جعل يقبل الأرض ذات اليمين وذات الشمال وأن عساكره لما نظرت إلى فعاله سجدت كلها للنار من دون الملك الجبار ثم ركب وركبوا للقتال هذا والمسلمون قد ضجوا بقول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ياساده ياكرام وان الأمير عبد الوهاب جعل يرتب رجاله وأبطاله وقال لهم لا تتفرقوا بعضكم من بعض فتطحنكم الخيل على وجه الأرض فقالوا سمعا وطاعه ثم ان الأمير جعل الملكة ميمونة عن يمينه والامير ظالم عن يساره وفى الجناح الايمن ضيغم وفى الجناح الايسر القناصة ووقف الامير عبدالوهاب والاميره ذات الهمه تبكى فقال لها الامير ما هذا البكاء فى مثل هذا الوقت وهو وقت الفرح من أوجه عدد إما الظفر بأعداء الله وإما القتل فى سبيل الله فقالت يابنى أقسم بالله ما بكيت إلا لانعكاف هؤلاء القوم وسجودهم لغير الله فقال لها الامير يفعل الله مايشاء ويحكم ما يريد فنحمد الله تعالى على الهداية الى الاسلام فهم كذلك واذا بفارس قد قصد اليهم ووقف بازائهم وقال لهم بكلام عربى الا وأن الملك مجوسا قد نظر الى ضعفكم وصغر أجسامكم وقلة كلامكم وقد أخذته الحمية عليكم وكان قتلكم لا يزيد فى ملكه ولا يرفع قدره وهو يقول لكم أنه

قد عفى عنكم ولم يأمرنا بقتلكم بشرط أنكم تسجدون لهذه النار سجدة واحده وهو يعطيكم الامان الى أن ترجعون وتصعدون فى مراكبكم فهو يعلم أنكم قد ندمتم على نزر لكم وأنتم تعلمون أنكم قد صرتم فى قبضة عدوكم (قال الراوى) وأن الامير عبد الوهاب لما أن سمع ذلك من كلامه هم أن يجاوبه فسبقته الاميرة المجاهدة والسيدة العابدة التى ما أفطرت قط من الهجير الشديد ولم أرمت عن بدنها فى سبيل الله الحديد ولا نامت فى الليل أجمع إلا تقوم أكثره ولها فى الحج المواقف الكثيرة (قال الراوى) وأنها لما سمعت ذلك من كلامه خرجت اليه وقاربته وقالت له لعنك الله من بين الكفار كيف تدعوا الى سجود النار وربنا يدعونا الى دار القرار ولكن ارجع اليه وقال له ان كنت قد رحمتنا فنحن لانرحم من يكفر بالرحمن ويسجد للنيران وكيف يسجد لها وهى مخلوقة وقد دخلت عليها الآفات والعوارض من الجهات ونحن لا نؤمن بالسجود الا للملك المعبود خلى عنك المحال ودونك والمجال فلما سمع رسول مجوسا ذلك من كلامها رجع اليه وقص القصة عليه فنادى مجوسا على بالراهب تورون فحضر بين يديه شيخا قد عبر المائة سنة فقال له الملك أنت رسول اليهم فعندها رجع الراهب الى بين الصفين ونادى يا معاشر المسلمين أنتم تقولون أن دينكم الحق وهذه النار التى بين أيديكم وها أنا شيخ كبير ضعيف كما ترون ذهب حالى ولم يبق إلا خيالى فانظروا الى فعالى كيف أجوز هذه النار وأخرج منها ولا تأكل لى لحما ولا تحرق لى عظما ولا تشرب لى دما فان كان دينكم صحيح فافعلوا كفعالى (قال الراوى) ثم أنه دخل لوقته وساعته الى النار وجعل يدورها ويمشى فى وسطها برجليه وشرارها يتطاير عليه فلما نظروا العرب والسودان الى تلك الفعال دهشوا وعجبوا مما أبصروا وقالوا هـذا ما لايقدر عليه أحد من الناس (قال الراوى) ثم ان الراهب خرج من النار وقد تبادرت اليه الرجال وجعلوا يقبلون يديه ورجليه ونادى معاشر المسلمين ان كان دينكم حق فا فعلوا مثل فعلى (قال الراوى) ولما نظرت الاميره الى ذلك أرمت ترسها وسيفها وخرجت فلحقها الامير عبد الوهاب وهى طالبة النار والشعاع وقد عمل معها الوجل والسماع فقال لها الامير على ماذا عولتى يا أماه فقالت أخوض النار حماية للملك الجبار فاقسم بالله لاتركت باطل القوم يغلب حقنا فقال الامير عبد الوهاب يا أماه هذا سحر من الملعون لا محالة وإن دخلتى النار أحترقتى فقالت أقسم بالله يابنى لو تنفست الساعة على هذه النار نفسا واحدا من حميتى لدين الاسلام ونخوتى لله تعالى لاحرقت هـذه

النار بحرارة أنفاسى (قال الراوى) فردها الأمير عن ذلك فقالت أقسم بمن علم وزن الجبال وعلم دبيب النمل فى ظلمات الليال إن كان لابد مما أطرح روحى فيها (قال الراوى) ثم ان الأميرة نظرت الى النار ولها شرار كالجبال وقد قلق الأمير عبد الوهاب عليها غاية القلق ونظر الى وجهها وقد أنار من صدقها فى طاعة الملك الجبار وعن الدنيا قد أعرضت بكليتها وأقبلت على الله بحسن نيتها (قال الراوى) ولم يسمع فى قصص الأولياء أحسن من قصتها وعلم الأمير أنها بعد أن أقسمت لاترجع وأيقن سائر المسلمين أنها تحرق (ياساده) وتطاولت أعناق الروم والعرب اليها من كل جانب وجعل الأمير عبد الوهاب يعفر وجهه على التراب وينادى يارب الأرباب ويا معتق الرقاب ويا مسبب الأسباب ياعالم بما فى الأرحام لاتشمت بنا الأعداء فما قصدنا إلا إظهار دين الاسلام هذا والأميره ذات الهمة قد عمل معها الوجل من الله تعالى ولم تخف غير الله وضج المسلمون بالدعاء ودخلت الأميره ذات الهمة فى النار الكبيرة حتى إذا خاضتها وحصلت فيها وهى تقول الله الله الله أكبر الله أكبر الله أكبر (قال الراوى) فو الله لقد صارت النار تحت أقدامها ماذا وقفت فيها ساعة وخرجت والنار قد خمدت عنها كأنها لم تكن قط (ياساده) هذا والمجوس لما نظروا الى ذلك بهتوا لها وأما الراهب نورون فانه لما نظر الى فعال الأميره حار وقال للملك مجوسا وقد رآه متعجبا أيها الملك لاتعجب من هذا الفعل الذى فعل ولكن أعجب من فعلى فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أنا فكلما كنت أعمله فهو سحر علمنيه أبى وأما هذا الفعل فانه فعل ربانى لأن النار صارت رماد وما كنت أظن أن أمة محمد بهذا الصدق فو الله إن دين محمد هو الدين الحق المعروف والشرع الموصوف (قال الراوى) فلما سمع الملك مجوسا ذلك من كلامه صاح صيحة نفرت منها الخيل من أماكنها وقال للروم ويلكم قطعوه بالسيوف وأسقوه شراب الحتوف هذا صبا الى دين السحرة وصار من أولئك الكفرة فقال له الراهب أيها الملك افعل ما شئت ودبر ما هويت فو الله لا أبالى بعد ما قد هدانى (قال الراوى) فعندها جردت النصال وتبادرت الرجال وقصدوا الى الراهب من كل مكان وأداروا وجهه الى الاميرة وقالوا يا مسلم هذا الذى أضللته قد قتلناه ومن الدنيا أرحناه والراهب يقول يامسلم اشهد لى بها يوم القيامة انى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى وبالحق بشيرا ونذيرا صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الاميرة ذات الهمه ذلك فرحت واستبشرت وقد زاد ايمان المؤمنين وتباشرت الموحدين وقال

الأمير عبد الوهاب احملوا معاشر المسلمين بارك الله فيكم عضدوا إخوانكم فى الدين وأبشروا بالثواب من رب العالمين فقد هداه الله إلى دين الاسلام (قال الراوى) عندها حملت بنو كلاب والسودان الانجاب وفى أوائلهم الأمير عبد الوهاب وحملت الروم الكفار على المسلمين الأبرار والتقى الجمعان واختلط الجيشان وتقابل العسكران وعملت الصوارم الصقال وحامت طيور الآجال وهدرت سباع الهلاك والوبال ونظر مجوسا إلى صدق قتال بنى كلاب وجوزة طعان السودان الانجاب هنالك صاح فى رجاله وصرخ فى أبطاله وهم زهاء عن عشره آلاف فارس فأرما الخيل على الناس وصدموهم بالتراس فزجوا البعض إلى البحر وقتل من الناس أكثر من مائتى رجل ولولا الأميره ذات الهمه والملكة ميمونه والامير عبد الوهاب والقناصه وظالم وضيغم وأبو الهزاهز وسائر الامراء ممن ذكرنا من الابطال المعروفين والاقران الموصوفين وأنهم صبروا على الخيل وقاسوا البلاء والويل وقطعوا بالسيوف قوائمها وأظهرت الرجال عزائمها ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى بقيت الرؤوس بلا غلاصم والاكف بلا معاصم حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد بليوا الناس يومهم بالدمار هذا والبطال قد قال للامير عبد الوهاب والله لقد حسبت هذا الحساب وقرأت لكم عنوان الكتاب فكان رأيى لكم على أكمل الصواب الا أنكم رأيتم ما قلت لكم بطلان فعاد ربحكم خسران ولولا عناية الملك المنان لما سلم منكم انسان وقد نظرتم اليوم إلى هذا البطل المغوار وماقد فعل فى هذا النهار فاطلبوا بنا المراكب وأطلعوا اليها من كل جانب وتحصنوا فيها فما لكم قدره لقاء الجبابرة ولا فيكم لهذه العتاة وملاقاة هذه العصبة الفاجرة لانهم على خيول البحرية ولهم العدد البهيه وهم رجال وأى رجال وقد فنيت العدد الذين معكم وغدا يقضوا عليكم والرأى عندى أنكم تقصدون الى المراكب وتأمنوا من النوائب فقالوا بنى كلاب والله ان صعودنا الى المراكب من غاية الذل والعار ونهاية الانكسار والحرب سجال يوم لك ويوم عليك ودع يقضى الله ماهو قاض (قال الراوى) ثم أنهم غلبوا على رأى البطال وباتوا على وجه الارض وقد أضرمو النيران وأكثرو الحرس خوفا من الهوان والملك مجوسا قد جمع قومه وقال لهم لقد ظفرت اليوم بهؤلاء الرجال الذين بين أيديكم إلا أننى ماعملت اننا نلتقى هذا الملتقى ولقد رأيت فيهم رجالا لا يطاقوا وأبطالا لا يلاقوا ولا يمارسوا فى قتال ولا حرب ولا نزال وغداة غلمان أتو الى البراز وسرعه الانجاز لانى أرى هذا الشيخ الذى عندنا شيخ المجوس عقبه يصفهم بالشجاعة والقوة والبراعة ولقد لاح من ذلك

برهان ورأيته عيان بيان لأنهم لا يفكرون فى كثرة العـــدد ولا تزايد المدد فعلى بالقاضى عقبة حتى أتحدث معه وآخذ رأيه وأعرف منه الشجاع الخبير بالحرب والقراع ومن هو الجبان فما كانت إلا ساعة حتى حضر عقبة وهو فرحان بما جرى على المسلمين فى ذلك اليوم من الهوان والبلاء ولما دخل سلم عـــلى الملك ورحب به وأدناه وقربه وحاداه فقال عقبة أيها الملك الهمام والبطل الذى لا يرام كفتك النار تصاريف الزمان فقد شفيت غليلى وبلغتنى ما مولى وظفرت بسعادتك ليولى وما ظفر بهؤلاء القوم قط أحداً غيرك وأنا أرجو من النار أن تتم معك وتسلم هؤلاء القوم إليك وأنا أضمن لك بوزن كل واحدمنهم ذهب وتكون قد أرحت الروم من شرهم (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبة قال له طب نفسا وقر عينا فانا فى غـــداة غد أعطيك رؤوس الجميع ولا أريد منك رشوة فقال القاضى عقبة يا ملك إنى أخاف منهم أن يهربوا فى ظلام الليل وينجوا من الهلاك والويل ولا ننال منهم طايل فقال له الملك فما الذى تريد قال تنفذ مراكبك فى ظلام الليل ومعهم قوارير النفط يحرقون مراكب المسلمين حتى تنقطع أطماعهم من مراكبهم ونسقيهم شراب معاطبهم ولا ينجو منهم هارب فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبة قال يا أبونا قد نطقت بالصواب ثم ادعى بالرجال والأبطال وكانت المراكب ما فيها إلا الأميرة علوى والسيده زبيدة والمال الذى أخذه الأمير عبد الوهاب من جزيرة الضرس هذا والأمير ما عنـده مما جرى خبر والرجال من المسلمين آمنين من حوادث المصائب ولم تكن غير ساعة حتى أخذوا المراكب التى فيها علوى والسيدة زبيدة والمال وضربوا الباقى بالنار فى ظلام الاعتكار ووقع الصايح فى البحر وأيقن الأمير عبد الوهاب أن المراكب كلها قد عطبت والنساء قد هلكت والسيدة زبيدة قد أخذت واحترقت ولم يعلم أنهم أخذوهم الروم فقـــال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وانا إليه راجعون وأما الأميرة ذات الهمة فانها غابت عن الدنيا وقالت للبطـال ما ترى من الرأى يا أبا محمد فقال انا قلت لكم الصواب مراراً وأنتم ماتسلكون الا طريق الهلاك والدمار فقالت الاميرة يا أبا محمد فكيف قدروا على المراكب وكيف وصلوا اليها فقال هى مراكب الحصن فقالت الاميرة صدقت وما فعلوا ذلك الا ظنوا أننا نهرب من هذا المكان ففعلوا هذا الشأن وأرادوا أن يقطع الطمع بهذا السبب وأنا وحق النبى المنتخب سيد العجم والعرب لابد أن أترك الارض غداً بالدماء ريانة بالقتلى هذا والناس بقوا على غاية من القلق والدهشة والارق وعبد الوهاب على مقالى النار لاجل السيدة زبيدة وقال والله

لو هلكوا أولادى لكان أحب الى من هلاك السيدة زبيدة هذا وقد سار والكفار بالمراكب والاميرة علوة والسيدة زبيدة وقد قرب مجوسا الى الميناوأشعلت الشموع بين يديه ولما نظر الى المال فرح وقال للقاضى عقبة لقدكان ذلك صواب (يا سادة) ومدت السيدة زبيدة نظرها الى الملك وعظم خلقته وهو فى أعلى منزلة فلما نظرته عرفت عقبة وهو الى جانبه فلما نظرته قالت والله هذا عقبة ولا شك فيه وهو عند الملك فى أقصى بلاد الروم وبالله العظيم لقد صدق الامير عبدالوهاب والبطال فى الذى قالوه فيه ولا بد لى أن أقابله بما يستحق ولا بد أن أحرض المأمون على هتك ستره ثم انها رجعت الى عقلها وقالت مالى الا انى اعلمه بنفسى حتى لا يبقى فى ذلك تكذيب (يا سادة) ثم انها عولت أن تتكلم واذا بالصياح قد علا فقال الملك مجوساً لغلمانه ويلكم أبصروا ما الخبر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الامير عبد الوهاب والسودان الانجاب لما جرى عليهم ما جرى من أجل المراكب فقالوا فى غداة غد نستوفى منهم ونأخذ بثارنا فقال الامير عبد الوهاب مايجرى علينا هذا المجرى ونصبر الى غد ولكن قوموا بنا فى هذه الساعة نهجم على القوم فلعل الله تعالى أن يهدم منهم فى هذه الليلة ركنا من الاركان ثم ساروا فى ظلام الليل حتى وصلوا اليهم وحملوا عليهم وحمل الامير عبدالوهاب والاميرة ونادوا الله أكبر الله أكبر وهجمت الرجال من أهل الاسلام على الروم اللئام وعمل الحسام فى الظلام وعمل الصارم فى المفارق وكثرت البوايق وجرى الدماء ولم يزل السيف يعمل طول الليل وقد جرت الدماء مثل السيل حتى بدت غرة الصباح وجرى الدم وساح هذا كله والملك مجوسا قد اشتغل برفع الاموال الى القلعة المعروفه وأخذ السيدة زبيدة والاميرة علوى ورفع الكل الى الحصن هذا وقد دنا عقبه من النسوان ليعلم من هن وسأل فقيل هذه السيدة زبيدة زوجه الرشيد التى كانت تعادى المسلمين من أجلك وهى تعلم أنك زاهد الزمان وقد رأتك عند الروم فى أعز مكان وقد قالت ماكذب من قال انه منهم (قال الراوى) فلما سمع ذلك قال لقد خفى عنها حالى وأنا أرى عن نفسى لانى كنت فى طريق بيت المقدس وأخذتنى الروم ودخلوا بى وبهم الى بلاد الروم وأوصلونى الى هذه الجزيرة ولولا أننى قد لعبت بعقلهم وقلت لهم انى حكيم طبيب والا هلكت من زمان وحلت بى طوارق الحدثان وسوف تعلمون أن كلامى حقاً وقولى صدقاوما أوقفنى الله هنا الا لخلاص السيدة زبيدة لانها كانت لى ركن من الاركان (يا سادة) وكان عقبه قد عول على خلاصها ويهلك علوى فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الامير عبدالوهاب فانه لما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح صفف

رجاله وهيأ أبطاله وكان الملك مجوسا قد نزل وماعنده من العسكر خبر ولا من القتال الذى جرى طول الليل وهو يقول إنهم تحت قبضته وأنه خرج على جواد أصفر عالى من الخيل مضمر وفى يده حسام عريض مجوهر وبيده رمح أسمر ثم خرج إلى بين الصفين وطلب البراز وكان قصده أن يظهر للقوم شجاعته وقوته وبراعته ثم جال ولم يكن أكثر من جولة واحدة حتى خرج إليه أبو الهزاهز وكان مناجز فما طال بينهما الخطب حتى أخذه أسير وخرج من بعده مالك بن طوق فأخذه أسير وخرج من بعده ضيغم فأخذه وطارق الحجازى فأخذه وبرد بن الأزهر وهارون العلوى وسعيد بن الفرج ومدركة وعبد الله وعطاف وفهد بن قيس وطوق بن سنان وهو يأخذ واحد بعد واحد إلى أن ملك كل الأبطال ونظر الأمير عبد الوهاب إلى جبار من الجبابرة فخرج إليه فنادى يا عدو الله انزل عن الجواد وما هذا إنصاف ولا فعل الأشراف كن مثلى راجل حتى يبان منا المفضول من الفاضل لأنك مثل الجمل الهايل وأنت على هذا الفرس الصايل وأنا مقابلك راجل فكيف يتم لى أن أكون مجايل (قال الراوى) فلما سمع مجوسا ذلك من كلامه وما نطق به من نظامه ترجل من وقته وساعته ثم تقدم إليه فجالا طويلا واعتركا مليناودام بينهما الأمر حتى ازورت الحدق وجرى العرق وأخذ الرجال عليهما القلق (قال الراوى) فعندها رفع الأمير سيفه حتى بان بياض إبطه وهم أن يضرب مجوسا فبطل ضربته وحنق عليه الأمير عبد الوهاب ثم أنشد يقول:

أقول لها لما رأت شؤم صاحبي	وقالت الازل عنه يا ابن الأطايب
لقد ملك الاقران فى حامة الوغا	وكل هزبر صادق غير كاذب
وهذا الذى بارزته ليس كالذى	لقيت من الاقران يوم المصائب
فان مجوسا ليس فى الأرض مثله	وهيكله مثل الجبال الدواسب
فقلت دعيني واقصرى عن ملامتى	فما الموت إلا حاضرا غير غائب
إذا ما قصدت الله لم أخش غيره	ولو كان قتلى فهو أعلى المراتب
فما كل دم للتقرب صالحا	ولا كل عبد صالحا للمواهب

(قال الراوى) وحمل بعد ذلك الأمير عبد الوهاب على الملك مجوسا وحمل مجوسا عليه وكل واحد منهما قد هجم على صاحبه وتضاربا وتجاولا وتقاتلا واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة مجوسا وكان الأمير عبد الوهاب مليح الاحتراز بطل خبير بأفعال البراز فبطل مضربه أسرع من لمح البصر فضربه ثانيا فالتقاها الأمير بدرقته فوقعت على رأس الترس وكان من الحديد الصينى فلم يعمل السيف فيه شيء

ولم يزلا حتى لم يبق فى أيديهما غير المقابض فرميا الترسين وتقابضا باليدين وتعاركا بالساعدين فبقى الأمير قدامه مثل العصفور قدام الباشق الكسور هذا وقد طرح الملك كليته عليه وهمزه ليطحن عنقه فوجد الأمير منه شدة عظيمة لم يراها من غيره فلما بان له ذلك انحنى ودخل تحته فعاجله مجوسا واحتضنه ثم هزه ساعة إلى أن أدهشه وحمله وسار إلى أصحابه وسلمه إليهم وان مجوسا رجع وهو يقول وحق معبودى ما أقول ان بقى فى العرب من يقوم مقامه ولو كان مالكا سيفه لما قدرت عليه ولا وصلت اليه (قال الراوى) فعندها خرج إليه الأمير ظالم كأنه الاسد الغاشم ودنا نحوه وهو ينشد ويقول

ألا أيها الطود الذى ليس أخذه   همام الوغا يوما بحسن قتاله
ولكنها الاقدار تجرى على الورى   بغير اختيار المرء عند فعاله
وأنت لعمرى منذ حملك مثله   تقوم به لو كان ضعف مثاله
فدونك حربى يا مجوسا فاننى   سألقيك فى قفر الوهاد بحاله

(قال الزاوى) ثم حمل على مجوسا وحمل مجوسا عليه وقد علم ظالم أنه ما أخذ الامير الا لعدم سيفه وكبر جثته وثقله فبرز إليه بسيفين وضاربه وجاذبه حتى طار سيف الامير ظالم عندما هز مجوسا ترسه وصدم به الامير ظالم فوقع الى الارض وقد غاب عن الدنيا ولم يبق أحدا ممن رآه إلا وقال انه قد قضى عليه لاجل تلك الضربة والصدمة وهم مجوسا أن يرجع إلى القتال فهجم الظلام وافترقوا عن الصدام وباتت الاميرة ذات الهمة والملكه ميمونة أيشم مبيت وكذلك القناصة من أجل ولدها الامير ظالم والبطال قد اشتغل قلبه وقال أقسم بالله انى أخاف أن يطرحوا الحبال فى رقابنا ويقودونا أسارى وهذا عاقبة مخالفتهم لى لو صعدوا إلى المراكب كما قلت لهم ما جرى شىء من هــــذا وقد شالوا الامير ظالم الى عند الاسارى فقال الامير والله لو كنت مالك سيفى لم يصل هذا الملعون الى ولا قدر على وما أخذنى الا بقوة الساعد لان الله تعالى خلقه فى هذا القالب العظيم (قال الراوى) وان القاضى عقبة دنا من الامير عبد الوهاب وقال له كيف رأيت ياأسود يازنيم الى متى تمهلك الايام ويتخطاك الحمام وقد أبكر منك القضاء والقدر واشفى كربى وفرح قلبي فقال الامير عبد الوهاب ياويلك أحسن الى السيدة زبيدة فى مقابلة احسانها اليك فقال وحق المسيح أول ما أتقرب الى السيدة مريم بقتلها وان أبغض الناس الىّ من يعمل معى جميل فقال الامير لعنك الله ياملعون فقلت ساويت ابليس فى تجبره وتكبره وجميع خصائله ولا بد ما يأخذك الله أخذ عزيز مقتدر فقال عقبة وقد غضب من الامير عبد الوهاب وحق المسيح لاقتلناك أشر قتلة فسكت الامير ولم يرد جواب ولما أصبح

الصباح وأضاء بنوره ولاح جردت الصفاح وخرج مجوسا وصاح برجاله وفرسانه وأبطاله وقال لهم يا ويلكم ما بقى إلا أوباش القوم فدونكم وإياهم واقتلوا أقصاهم وأدناهم فعندها حملت الروم الكفار وعمل البتار وقطعت الأعمار وعلا الغبار وفتكت السودان بالروم وكان يومهم يوم مذموم ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وكان الظفر فى ذلك اليوم للمسلمين وقتل من الروم ثمانية آلاف ومن المسلمين مائة رجل وقاتلت الملكة ميمونة ذلك اليوم القتال الشديد وكذلك القناصة ونورى قد فعلن فعلا ما وصل إليه أحد وأقبل الليل وافترق الجيشان وخرج مجوسا وفتش بين القتلى لينظر من قتل من أصحابه فلم يجد الذين عدموا من المسلمين أكثر من مائة فقال وحق النور والنار هذا أكبر العار والذل والشنار ويلكم هذا وما بقى منها فارس معروف ولا بطل موصوف فقال له عقبة أيها الملك لا تقول هذا ولا بقى فيهم إلا من فتكت بالرجال وأهلكت الأبطال وهى ميمونة التى أحدقت بها أربعمائة مركب فنكلت بهم وقتلت أخوك الموت الأحمر فقال الملك وكان هذا الفعل ما هو فعل الأسود أمير القوم فقال له أيها الملك إنما فعال ميمونة زوجته ولقد قيل لى إنها أسرته فى مقام الحرب ولهم بعدها أخرى يقال لها القناصة تقتنص الرجال وتلعب بعقولهم وبعدها العجوز العاهرة والشايبة التى شيبت الروم وتركت الرجال تقع وتقوم فالويل كل الويل لمن أصبحت له طالبة فإنها لروحه بالسيف ناهبة (قال الراوى) فلما سمع الملك مجوسا كلامه انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال من هذه التى وصفتها فقال يامولاى هى التى لا يوجد مثلها فى الأرض وهى الأميرة ذات الهمة الكلابية وهذا الأسود ولدها وهى التى علمته الفروسية ومع ذلك فانه لا يوجد مثلها فى العراق ولا فى سائر الآفاق فقال الملك وقد شاظ غيظا وحنقا ويلك يا عقبة سوف أريك فى غداة غد ما أفعل وباتوا على ما هم عليه حتى طلع ضياء الفجر وتواثبوا الرجال إلى الميدان من المراقد وقد لبسوا العدد وان الأميرة ذات الهمة عبت الرجال والفرسان والأبطال وقالت اعلموا يا أحباب الله ان الله قد نصركم على عدوكم وبالأمس فعلتم بصدق النية والله الموفق فهى معهم فى الكلام واذا بفارس قد ظهر كأنه البرج المشيد وكان هذا الملك مجوسا قد خرج بنفسه ونادى بلغته بكلام يعرفه البطال وقال من بقى أخرجوه إلى هذا المقام حتى أذيقه طعم الحمام واعجل له الارغام فأعاد ذلك الكلام البطال على الأميرة ذات الهمة وقال لها ان الملعون قد

طلب قتال قاتل أخيه فقالت الملكه ميمونه أنا قاتلة أخيه وأنا أرجو من الله تعالى أن ألحقه به فقالت لها الأميرة ذات الهمة كونى انتى مكانى وأنا أخرج إلى هذا الملعون والله الموفق والمعين فقالت الملكه ميمونة والله ما يخرج إليه غيرى ولا يباشر الحرب غيرى وسواى وافعلى بعد ذلك ما تريدى وركبت الملكة ميمونة وحملت على مجوسا (قال الراوى) يا سادة ياكرام ونظر مجوسا إلى ركبة الملكة ميمونه وكان بصيراً بالحرب فعرف منها النجابة وعلم أنها لا تطاق ولا يصطلى بنارها ثم بان له سوادها واصفرارعيونها ورأى الشر خارج من عيونها فأشار إليها بالقنطارية دونك والقتال والحرب والنزال هذا وهى تتوقع مقاتله ثم انها صرخت بالحصان صوتاً هائلا فخرج من تحتها كأنه الريح الهبوب أوالماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب ثم ردت رأس الحصان كأنها هاربة منه فصاح بجواده طالباً لهـــا الى أن قادها وظن كل واحد أن الطعنة واصلة إلى ظهرها فانعطفت راجعة وضربت قنطاريته بحسامها فبرتها كما يبرى الكاتب القلم ثم ضايقته وقاربته وضربته فالتقى الضربة بدرقته الحديد فوقعت على راق الدرقة فنشب السيف فيه فجذبته وقد انكسر السيف فى الترس الحديد وطلع القايم معها ثم ان الملك مجوسا رفع يده بالسيف ليضربها فصاحت بالجواد وقد خانها حسامها ثم خرجت عنه وأخذت رمحها فلما نظر إلى فعلها أخذ حذره منها وقد مانع عن نفسه وقد أشار إلى قومه يطلب رمحا فأتاه بعض بطارقته برمح وأركزه له فى وسط الميدان فلما رآه أتى إليه واقتلعه وحمل على الملكه ميمونة وتطاعنا مليا وتحاربا إلى أن بقى من الرماح فى يد كل واحد منهم ثلاثة أذرع ورجعا إلى المدافعة واختلف بينهما ضربتان فسبقها عدو الله والملة بالضربة فوقعت على رأس جوادها فبراه كما يبرى الكاتب القلم فوثبت الى الأرض ثم ضربت قوائم جواده فبرتهـــا فوثب عدو الله إلى الارض وخطا إليها وجعل يطاول عليهـــا وكان مع ميمونه سيف الركاب فجعلت تضرب به يمين وشمال إلى أن تقصفت السيفين فعندها ولت ميمونة وتبعها مجوسا ولطمها برجليه فوقعت إلى الارض فأخذها وسلمها إلى صاحبه فلمـــا نظرت الاميرة الى ذلك قالت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انها استوت على حصـــانها وقد تزعزع عسكر المسلمين ولم يبق أحد من أمراء بنى كلاب الا وقد حزن عليها ثم خرجت الاميرة وعليها درع مليح النظام قصير الاكمام وصاحت على جوادها فخرج من تحتها كأنه البرق الخاطف (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم حملت على مجوسا وهى تنشد وتقول :

رويدك يا كلب المجوس فانني سأرديك فى هيجائها اليوم ناويا
وحق النبي الهاشمى محمـــد نبي الهدى خير الورى ذو المعاليا
لتلقن منى اليوم لبوة غابة معودة للحرب والنقع باديا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم انها حملت عليه وحمل عليها الى أن طالع عليهما الغبار وغابا عن الابصار ولم يزالا كذلك الى أن تقصفت الرماح وتثلمت الصفاح وحك ركابه ركابها وقد علا صياح العسكرين ورمقتها أبصار الفريقين وتقابضا على الجوادين وقد أيقن المســلمون أن الاميرة قد وقعت فى يده لما يعرفون من قوته وشهــامته ولم يزالا يعتركا الى أن وقفت الجوادين تحتها ووقعا إلى الارض قائمين ولم يزالا يعتركا ويصطدما الى أن صارت الشمس فى كبد السماء عند ذلك أخرج الملعـون يـده ولطم الامـيرة على رأسهــا فمن حرارة الضربة رفعت الاميرة يدها ولطمت مجوسا فى رأسه فرفع رأسه عنها فطوت يدها ولـكمته بما أعطاها الله تعالى من الحيل فوقعت فى صدره شقته وكسرت عظمه فوقع الى الارض ميتا فعندها سارت الاميرة ذات الهمة طالبة المسلمين وأبطال الموحدين ولم تجد الصبر عن المقام ونظرت الروم الى فعال الاميرة ذات الهمة فحملوا حملة واحدة وكان ذلك برأى عقبة وطلبوا الاميره ليقتلوها فصاحت فى أبطال بنى كلاب والسـودان الانجاب فثاروا فى موقف الصدام وعمل الحسام وتهشمت العظـام ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار الضاحك وأقبل الليل الحالك ونادت الطائفتين بالانفصال ورجع الكل عن معترك القتال وفرحت الاميرة ذات الهمة بما أولاها الله تعالى من النصر الا أن قلبها خائف على الامير عبد الوهاب ومن معه خوفا من عقبة أن يتلفهم فقال لها البطال اعلمى أن عقبة ما له فى الجزيرة أمر ولا نهى ونرجوا من الله تعالى الفرج والنصر وان الملعون عقبة لما علم أن الملك قد هلك أقبل على الراهب شومدرس وقال له وحق المسيح ماكان بقى غير هـذه العاهرة ذات الهمة وكنا قد بلغنا المنى وملـكنا سائر الاعداء ولـكن المسيح ما يفرط فيهم وقد حسبت هذا الحساب فقال شومدرس اعلم أن الخلق فى هذه الجزيرة كثير والجم غفير وما نخشى منهم ولا نفزع ولا علينــــا خوف ولا جزع (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان فى الحصن رجل يقال له عبـد الصليب وكان على دين النصرانية وكان الملك فى آبائه وأجداده قديما وانما مجوسا تغلب عليهم بكثرة الجزائر التى حولهم وكانوا يميلون الى دين المجوس فملك مجوسا عليهم الجزيرة وجعل

هذا عبد الصليب مقدما على النـاس وكان شديد البأس قوى المراس وأهل الجزيرة يريدوا هلاك مجوسا وهلاك أخيه حتى يصفى الملك لهذا عبد الصليب وهو كما ذكرنا شجاع وبطل مناع فهم على ذلك الروم قد عادوا إلى الحصن وسلموا على الملك عبد الصليب وخاطبوه بالسلطنة وهنوه بالملك وقالوا قد رجع الحق إلى أصحابه وأهله ففرح عبد الصليب بذلك وقال لهم اعلموا أن سوء تدبير مجوسا هو الذى أهلك الروم والبطارقة وكان أيضا مضاداً لدين المسيح وهو الدين الصحيح وسوف ترون فى غداة غد ما أفعل مع هؤلاء القوم وكان معه أربعة آلاف بطريق يقاتلوا مع الملك مجوسا طمعا فى هذه النوبة وكان قد ترك بعضهم فى الجزيرة وبعضهم فى الحصن وبعضهم فى قرية لطيفة بينهم وبينها مثل جانبى النيل وفيها كل مقام الملك عبد الصليب طول الأيام (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الملك عبد الصليب أخذ الأهبة للقتال والحرب والنزال وقد حضر عنده عقبة وشومدرس وهناه عقبة بالملك وقال أيها الملك اعلم أن المسيح يحلم على العاصى ثم بعد ذلك يأخذ فلا يقدر أحداً يخلصه من يده ولقد اطلع عليك فوجدك أحق بالملك من غيرك فرده اليك لأنك تطلب إعزاز دينه وإظهار شريعته ومع ذلك وان العدو وقد انقصم حيث أنك ملكت عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب من بنى كلاب والسودان الأنجاب وما بقى عند القوم من تخاف منه الا أن يكون التى قتلت الملك مجوسا ومن الصواب أنك تلقى الهيبة فى قلوبهم لأنهم اليوم يقاتلون وهم فى خلاص أصحابهم طامعون واذا قتلوا زالت أطماعهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الملك ذلك قال ما هـذا صواب لأنى ما أعلم هل يكون الأمر لى أم على فان كان لى فما أقدرنى على قتلهم وان كان على دبرت أمرى كما تدبر الملوك أمورهم ثم إنى أيضا لا أرى انى أقتل أسارى أسرهم غيرى وانما الافتخار اذا أخذت أعدائى الذين قتلوا مجوسا فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب حتى يعلمون أنى أشـد منهم بأسا وأقوى مراسا ثم انه أمر أن تطرح المأسورين كلهم فى سرداب القلعة المعروفة التى ما اليها وصول (يا سادة) وكان الأمير ملابط البغال لما أخذ المأسورين السودان وضربوا أعناقهم وهو من الضرب سكران ولما أفاق ولم يجدهم علم أنهم هلكوا وبقى كذلك فى الاصطبل الذى للدواب والقيـد فى رجليه وقد خاف من القتل فوجـد جب ظلم فيه زبل فرمى نفسه فيه حتى يخفى أمره وكتم حاله طلبا للنجاة ورغبة منه فى الحياة ولما ألقى نفسه اليه كان سببا لنجاته وان السياسة التى للخيل لما أظلم الليل عليهم دخلوا الى

الاصطبل وقدموا العشا فأكلوا وكانوا كلما يفضل منهم شيء يرموه إلى الجب فيأكله الأمير ملابط البغال ويعالج قيده فلم يقدر على فكه (قال الراوى) ياسادة ياكرام ومازال على ذلك حتى أصبح ذلك اليوم فركب عبد الصليب الى الميدان وطلب البراز والطعان فحملت الاميره عليه بلا مطال وطعنته فى صدره أطلعت السنان من ظهره فعندها حملوا الروم وتقاتلوا قتال معلوم وجرت الدما فى الأراضى والتخوم وصارت الخيل والرجال تقع وتقوم حتى أقبل المساء وأظلمت الأقطار والدجى ورجعت كل طائفة إلى مقامها وقد بلغت مرامها (قال الراوى) يا ساده يا كرام ولما أكل المسلمون الطعام وقعدوا للمشورة والكلام قال البطال للاميره ذات الهمه ياأميره أنا أشير عليك بخطاب تخلصى الأمير به من العذاب وكل من معه من الاصحاب فقالت ما هو يا أبو محمد قال تمضى انتى والمسلمين ثم تطلعون الى هذه المراكب وتسيرى فى البحر طالبة الديار وتظهرى الهرب والانكسار وأكون أنا وغلمانى لبسنا زى الروم فاذا رأوا أفعالك وأعمالك فلا بد أن يفتحوا القلعة وتبقا الرجال داخلين وخارجين فنختلط بالقوم وإذا كان الليل نقضى أشغالنا ونخلص الأمراء من الاعتقال وتعودى أنتى بالرجال عند الصباح فترى فى القلعة البكاء والنواح وترينا قد ملكناها فقالت الأميره يا أبو محمد أمهل على الى غداة غد حتى نرى ما نعمل وإلا فعلنا ذلك الوقت مرادنا (ياساده) فلما كان عند الصباح ركبت الرجال تروم الكفاح هـذا وقد ولو الروم عليهم ملكا بعد عبد الصليب وقد خرج ذلك اليوم يروم القتال والبراز فخرجت الأميره ذات الهمة اليه وقاتلته حتى طلع النهار وصارت الشمس فى كبد السماء وكحلت الاجفان بمراود العمى ثم ان الاميره صمصمت عليه بالطعنة فما كان له غير الهرب فلم يجد له لجا ولا ملتجا إلا الاصطبل الذى فيه ملابط البغال فكر اليه هاربا هذا وملابط البغال قد عالج قيده حتى فك قرونه منه ولما دخل اليه الملك خاف ملابط البغال منه فتعلق به وحمله وجلد به الارض فقتله وأخذعدته وركب جواده وخرج من الاصطبل وأظهر أنه من جملة الروم حتى قارب المسلمين ورأى الاميره فلكز فرسه صار حداها ثم سلم عليها وقبل يداها وقد هربت الروم طالبة الحصن فمن دخل الحصن نجى ومن تخلف وبقى ظاهره شرب شراب الردا وقتل منهم مالا يقع عليه احصاء ولم يبق فى الجزيرة إلا الصبيان والنساء وملكت الجزيرة بما فيها (وأما) ملابط البغال فان الاميره ترحبت به وقالت له الحمد لله على السلامة وأقسم بالله انى على غاية الحزن من أجلك وان النار فى قلبى من أجل

ولدى عبد الوهاب فهل عندك علم منه فقال لا وذمة العرب ثم أنه أعاد عليها القصة (ياسادة) وكانوا السودان قد مسكوا عقبة وشومدرس لما انكسرت الروم ولطموا عقبه حتى وقع ميت وحركوه فلم يتحرك فخلوه وأخذوا شومدرس وأعرضوه على الاميره ذات الهمة فقالت لهم وعقبه لم تروه فقالوا بلى قد رأيناه ولكنا قد لطمناه وزدنا عليه فى اللطم فمات فتركناه ملقا خوفا منكم ومن الامير عبد الوهاب فقال البطال ما هو الا قد مكر فأمضوا الساعه الى مكان تركتموه فيه ميت وهاتوه فمضوا اليه فلم يجدوه فقالت الاميره ما هو الا قد صعد الى الحصن أما بالحبال وأما من مكان يعرفه وأنا خائفة منه على الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وأناأرجو من الله أن نخلصهم من غير طول مقام فقال لها ملابط البغال أيتها الامـــيره هاتى السودان الى ودعى العرب فقد أخذوا حقهم من الجهاد وملاقاة الاقران الشداد وأنا أن شاء الله أعمل عمل آخذ به القلعة فقالت له افعل يا أبو محمد وافتح لنا الحصن فانى أراه حصين ما يقدر عليه بقتال ولا نزال فقال ملابط البغال أنا لابد لى ما أزحف اليه بالسودان فقال البطال دع عنك هذا الهذيان وهـذه المحاورة يا أبو محمـد وخذ فيما تراه من الرأى لئلا تطول الاوقات وتمر الساعات فلعل الله تعالى يسهل لنا ذلك وان كان لابد من القتال ياملابط البغال فا فعل فعندها صاح ملابط البغال بالسودان وزحفت الاميره ومعها بنى كلاب والسودان الانجاب وقد قطع البطال طمعها من الحصن بالقتال فعندها حملت وأوقدت نار الحرب طول النهار الى الليل وكانوا أهل الحصن رابحين لانهم مرتفعين بالاحجار والطلاقات الكبار والعمد وغير ذلك والمسلمون لا يقدرون على شيء من ذلك لان الحصن عالى (قال الراوى) ياساده يا كرام وأقام القتال على الحصن ثلاثة أشهر ولم يصلوا اليه ولاقدروا عليه ولم ينقبوا تلك الاحجار (ياساده) فطال على الامير ذلك وضجرت من المقام وهى لاتعلم هل الامير سالم أم عاطب (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان المقاتل لهم بطريق يقال له عبد السيد وهو بن عبد الصليب الا أنه كان أقوى من أبيه بأسا وأشد مراساوكان يريد لرأسه الف فارس وأن الاميرة أقبلت على البطال وقالت له قد طال مقامنا ههنا فقال لها أيتها الاميره لو أقمنا ههنا حتى لم يبق منا أحد ما بلغنا من هذا الحصن أرب الا بالحيلة ولكن لم نبرح حتى يفرج الله على الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وكذلك السيدة والاميرة علوى والملكة ميمونة والخدام فقالت هو كذلك الا أننى أردت أن أقول لك مانعمل فى أمر القلعة والحصن فلم نجد فيها

حيلة لمحتال ولا سبيل لنا اليها إلا بما لم يكن فى الحساب فقالت الأميرة كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ياساده) وأصبح الصباح وأضاء الله بنوره ولاح وهم فى القتال والحصار ورمى الأحجار وإذا ببطريق قد أشرف على الصور رمعه سيف مجوهر مشهور وقد أحاط به الف بطريق وبين يديه عبد الوهاب ونادى برفيع من صوته يامسلمين أنا عبد السيد بن عبد الصليب ولكم عندى هؤلاء الأسارى ولم أعجل عليهم ولو كان غيرى لكنت أخذت بثارى منهم ولو أقمتم على هذا المكان حتى يشيب الغراب وينشف البحر العباب وتلين صم الجلاميد الصلاب لما وصلتم اليه ولا قدرتم عليه والآن فقد ضاقت صدورنا منكم ومن مقامكم علينا فان أنتم خليتم ما فى أيديكم من الأموال والرجال والصبيان ولا يلحقكم من الجزيرة ما يساوى درهم واحد فقد أبحنا لكم المراكب تركبون فيها إلى بلادكم فنحن نعطيكم أصحابكم وإن أبيتم ذلك فوحق المسيح ونور الجاثليق والقناديل والستور والمذبح والبخور ومريم المعظمه والمقامات المكرمة والكنائس المرتفعة والصلبان المرصعه والاناجيل الأربعة أن خرج معكم من الجزيرة ما يساوى درهم واحد ولم تركبوا الساعه فى هذه المراكب التى قد بقيت وتقلعوا إلى أرضكم فقد خرج لكم هذا الهوى وهو طيب لكم ولا قلاعكم ولا أرميتكم برؤس هؤلاء المأسورين وأفجعتكم عليهم أجمعين ولا ينفعكم بعد ذلك نافع ولا أسمع فيكم شفاعة شافع ولو أقمتم بعد ذلك بقية أعماركم فما نبالى بكم فان فى هذا الحصن ما يقوم بنا طول الأيام فافعلوا ما تختاروا وحاربوا بما تريدوا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فحارت الأميرة من ذلك وقالت للبطال ما عندك من الرأى فى هذا الأمر يا أبو محمد فقال البطال ما عندى من الرأى إلا الرحيل ثم أنكم تنزلوا إلى المراكب وما يلتمس أحد منكم من الجزيرة ما يساوى الدرهم الواحد كما أشار هذا الملعون ثم تقلعوا من هذه الجزيرة ثلاثة أيام كما قد ذكرت لكم أول سيرة وأكون أنا وغلمانى فى بعض المواضع فما تعودون الينا الا وتجدونى إن شاء الله تعالى فى القلعة وتكون عزيمة هذا الملعون قد بطلت عن قتل الأمير عبد الوهاب وعن من معه من الأصحاب لانه على كل حال شاب وما يفكر فى عاقبة فلما أن سمعت الأميره هذا الخطاب وجدته صواب فتركت كلما فى الجزيرة من الأموال والنساء والصبيان ثم أصلحت المراكب وصعدت اليها ورفعت القلوع وقد علا عليهم العطعطه والصياح (ياساده) وكان هذا من تدبير عقبة لأنه لما وقع فى يد السودان وعمل تلك الحيله التى ذكرنا

وتخلص منهم وهرب وهو لا يدرى إلى أين يذهب حتى خرج من الجزيرة وصار خلف الحصن والقلعة مشرفة عليها فبقى عقبة يطلب منفذا ومطلعا فلم يجد ذلك فبقى على غاية من القلق إلا أنه هانت عليه الوفاة فقال فى نفسه ومالى أنا أقف ههنا حتى يجىء عدوى يتحكم فى فدعنى أموت عزيزا ولا أموت ذليلا وما فى الأمر إلا اننى أرمى روحى من هذه الصخرة الى هذا البحر الذاخر وأموت غريقا وأعلم ان القوم ماوصلوا الى ولا قدروا على وهم أن يرمى روحه من أعلا الجبل واذا بالصياح قد أخذه من أعلى الحصن وهم يقولون لاتفعل فتهلك ونحن نرمى اليك الحبال فتشدها فى وسطك وقد حصلت عندنا فبكى من شدة الفرح ثم قال ما أحسن الفرج بعد الشدة أرموا الى الحبال فى ساعتكم هذه قبل أن تدركنى الرجال بالسيف الصقال فلما سمعوا كلامه القوا اليه حبلا مفتولا فشده فى وسطه ومسكه بيديه ورفعته البطارقة الى الحصن وكان هو الذى يدبر أمر القتال الى أن ذهبت ثلاثة أشهر ولما طاب الهوى للمسلمين قال للملك عبد السيد ان هؤلاء القوم ما يرحلوا عن هذه الأرض ولو هلكوا عن بكرة أبيهم فقال له الملك وما الذى ترى من الرأى ونحن ما نقدر نخرج اليهم وقد رأيتم ما صنعوا بتلك العساكر وكيف أبادوا حماتها وأهلكوا امرائها وقد هلكت رجالنا وأقيالنا فكيف الوصول الى أن يرحلوا فقال أنا أقول لك وهو أن يخرج هؤلاء المأسورين وتنادى فى طائفة المسلمين وتقسم بالمسيح العظيم والانجيل الكريم لئن لم ترحلوا عن بلادنا وتخلون ما فى أيديكم من الرجال والاموال والا ضربت رقاب المأسورين الذين عندى جميعهم فانهم اذا سمعوا منك ذلك لايقدرون على الاقامة ولابد لهم من الاقلاع الى مدينة القسطنطونية ويطلبون من الملك ميخائيل أسراهم وأنت لو جاءك الملك ميخائيل بنفسه لاتلتفت اليه ولا تسلم اليه أحد ولكن اذا اقلع المسلمين من ديارك اضرب أنت رقاب هؤلاء المأسورين فتكون قد أخذت بثار أبيك الملك عبد الصليب والثانى أنك تهدم بهم أركان المسلمين وتكون قد نصرت هذا الدين (قال الراوى) فلما سمع ذلك من كلام اللعين عقبة فعل ما ذكرنا وتكلم بما شرحنا ونزلت الاميره من وقتها وساعتها فى المراكب ومعها رجالها برأى البطال وأن البطال لبس لحية كبيرة شقره بشاربين عراض طوال لايرى فمه منها وكذلك غلامه وكذلك كل واحد منهم فى زى وكانت الثياب الذى لبسها البطال وغلمانه من ملابس القوم التى غنموها وأمرهم البطال أن يتفرقوا كل واحد منهم فى جانب الجزيرة وأقلعت المراكب وغاب القوم عن الجزيرة وفرح القاضى عقبه وفتح

باب الحصن وخرج أهل الجزيرة إلى نسائهم وأولادهم من داخل الحصار كأنهم الجراد المنتشر (ياسادة) واختلط غلمان البطال فى جملة الناس واجتمع عقبه بشومدرس وكان قد هرب من المسلمين وقال له كيف ترى هذه الفعلة وقد خلصت أهل الجزيرة عما كانوا فيه ورحلت المسلمين وسوف أضرب رقاب المأسورين وافعل بهم ما أريد وما بقيت عمرى أخرج من هذه القلعة فلما سمع شومدرس ذلك من كلام عقبة قال له وحق المسيح لولا فعلتك هذه لكنت أنا من الهالكين وما خلصنى من أيدى السودان إلا المسيح وأنت كنت السبب فى ذلك (قال الراوى) وركب عبد السنيد فى الجزيرة وسار الى قرب المينا وصعد إلى الحصن والبطال قد حصل من داخل الحصن وطلب غلمانه فلم يجدهم ولم يرى غير لؤلؤ وأن الباقى قد تفرقوا فعظم عليه ذلك وخشى أن يعرف عقبه أحد منهم فيبطل عليه جميع أموره (ياساده) هذا وان الملك صعد إلى القلعة فأتى البطال إلى عند لؤلؤ فوجده قائم عند الباب الثالث على باب صغير مغلق فلاصقه البطال وقال له لؤلؤ قال نعم قال لقد حملت همك فما سبب وقوفك ههنا أصعد بنا نحو الأبراج لنقف فى جملة البطارقة لئلا ينكروا بعض الروم والملعون عقبة علينا فقال لؤلؤ ما وقفت ههنا إلا حتى أريك المكان الذى فيه الامير عبد الوهاب وأصحابه لأنهم كلهم فى هذا المكان وهو الباب الذى مقابلى وقد دخلت الدار فوجدت السيده زبيده مع بعض الجوار فاذا كان الليل عملت ما سهله الله عز وجل وأنا فما أطلع معكم ولكننى ادخل مع الملك الى الدار وأحصل عند السيده زبيده فقال له ويلك اعلم ان الأسطول مايعود الينا إلا بعد يومين أو ثلاث فان قدرت على هلاك الملك فافعل ونحن ندبر على هلاك البطارقة الذين فى القلعة وبالله التوفيق ولو أقمنا فيها سنة كاملة لما قدروا علينا حتى تأتى الأميره ذات الهمة ثم صعد البطال إلى الابراج مع جملة البطارقة ودخل الملك إلى الدار وخلع ما عليه من اللباس وصعد إلى بعض أبراج القلعة وصعدت البطارقة معه ممن هو معروف بالقلعة دون الحصن وان عقبه لم يصعد تلك الليلة بل أنه أقبل على شومدرس وقال له اعلم أن ذات الهمة لا تقعد عن ولدها عبد الوهاب وربما رجعت وانما أنا فعلت هذا حتى يفرجون لنا ويخلونا من هـــذا السجن ونأخذ لنا مهربا فقم بنا حتى نحضر عند الملك ونحذره ونحرضه على قتل الاسود ومن معه من السودان والرجان وأول ماتأمره بقتل السيدة زبيدة وان كانت قد فعلت فى حق كل جميل على اننى ما أشكرها على ذلك لان المسيح قد سخرها لى

وبعد قتل الأسود لا أحتاج اليها ولا إلى غيرها فقال شومدرس دع الملك الليلة يخلو بنفسه وندبر لنا نحن مكانا نبيت فيه ثم بعد ذلك نصعد اليه فى غداة غد فقال له عقبة نعم ما رأيت أيها الشيخ الصالح والعبد الناصح وباتوا فى الحصن لأمر يريده الله تعالى من اتمام السعادة وبلوغ الارادة وذلك أن البطال كان قد ركن إلى القوم واختلط بهم عند الظلام وأوقدت المشاعل والشموع وقدم بين أيديهم الشراب والملك فرحان بما قد وصل اليه والبطال قد تقدم الى الذى فيه الشراب وطرح فيه من ذلك الدوا الذى تعرفونه وبقى منتظرهم أن يشربوا وإذا برجال صعدوا حفاة عراة وبأيديهم السيوف وهم ينادون خذوهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك لؤلؤ لأنه عمل على فتح الباب الذى فيه الأمير عبد الوهاب ودخل للأمراء الانجاب وسادات بنى كلاب فوجدهم بغير قيود لأنهم كانوا قد أخرجوهم فى ذلك اليوم لضرب رقابهم وقد فكوا القيود عنهم ولما نظر لؤلؤ إلى ذلك تقدم فناداه الأمير عبد الوهاب من أنت فقال له يا مولاى أنا غلامك لؤلؤ ففرح بذلك وكان قد أيس من الخلاص وأيقن بالهلاك وسوء الارتباك فقال له أنت وحدك فقال لا ولكن معى مولاى البطال وسائر غلمانه والملك قد قدم الشراب وسوف يشبعهم فقال له الأمير ظالم أليس باب القلعة مغلوق قال نعم والملك والبطارقة كلهم على الأبراج فقال يالؤلؤ لو قدرت تحصل لنا على سيوف وجحف لأسقيناهم شراب التلف فقال أمضى فى طلب ذلك لعل الله أن يهىء لكم الخلاص ثم خلاهم وراح ودخل الدار التى فيها السلاح فوجد السيوف معلقة فأخذ منها ماأراد وقصد إلى دهليز القلعة وأخذ منها ما أراد وأتاهم بكلما أرادوه ويحتاجون اليه ودخل البيت الذى فيه الملكة ميمونه وأتاها بعدة كاملة (ياسادة) وعدنا إلى سياقة الحديث وأنهم صعدوا وهم يكبرون فوثب الملك عبد السيد وصاح بالبطارقة وكان فيهم من معه سيف وفيهم من لم يكن معه من آلة الحرب ولا من معه عدة الطعن والضرب وعلا الصياح وضربوهم بالصفاح وضرب الأمير ظالم عبد السيد على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه وسمع أهل الحصن الصوت وأهل الجزيرة فأتوا يطلبون القلعة فوجدوا الباب مغلوق ولاسبيل لهم إلى الدخول وسمع القاضى عقبه التهليل والتكبير فى وسط القلعة فعلم أن المسلمين قد خلصوا ووقعوا فى الناس بالسيف فانفطرت مرارته ودامت حسرته فقال له شومدرس إن فى القلعة خمسمائة بطريق وهم فى الساعة يأخذون المسلمين عن بكرة أبيهم فقال له عقبه وقد غضب ياشيخ النحس سلب عقلك وكثر جهلك وحق المسيح أن أقل ما فيهم يريد لرأسه كل من فى القلعة ومالى هذا

ولكن أخاف أنهم فى غداة غد يفتحون الباب وينزلون الينا قبل أن نهرب ويعود أسطولهم الينا فوحق المسيح ماكان هذا الفعل إلا من العيار المحتال أبو محمد البطال وما مضت الأميرة ذات الهمة إلا لهذه القصة والساعة تنظر الدائرة على من تدور وما تدور الا عليك فقم بنا ننزل من هذه البلد الى الساحل ونبذل المال لمن يأخذنا فى مركب ويقلع بنا الساعة إلى بعض الجزاير فلعل يكون لنا خلاص من هذه الأقفاص ثم خرج شومدرس وعقبة فى طلب الهرب فلم يلتفت اليهم أحد وكل إنسان مشغول بنفسه وقد رفع أهله الى الحصن الى أن أصبح الصباح وقد عادت مراكب الأميرة وأقبلت وعلى الجزيرة نزلت ولم يكن لها صبر على المقام وقد التهبت بنار الغرام حتى اذا أقربت من الجزيزة رأت السيوف وقد اشتهرت على الأبراج التى للقلعة وهم ينادون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نظر الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب الى المراكب فقالوا يالها من ساعة ما أبركها وسجد شكراً لله تعالى (ياسادة) ونظر عقبه إلى المراكب وقد أقبلت والى الجزيرة قد وصلت فقال يالها من ساعة ما أيشمها عليه وألصقت المراكب ونزلت الرجال والسودان الانجاب الابطال ولم يكن لعقبه ملجأ الا الحصن وكذلك الروم جميعا وزحفت الاميرة ذات الهمة الى الحصن وأقبل الامير عبد الوهاب الى أصحابه وقال لهم اعلموا أن الحصن حصين وقد أقاموا أصحابنا على حصاره طول الايام لما قدروا عليه ولا وصلوا اليه ومن الصواب أن نفتح باب القلعة وننزل الى الحصن فقالوا هذا هو الصواب وفتحوا الباب وخرجوا المجاهدين وأبطال الموحدين وقد ظهرت الملكة ميمونة شاهرة سيفها وخرج الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب الا البطال وغلمانه فانهم أقاموا فى القلعة يحفظونها هذا وقد نظروا الروم الى قلتهم فحملوا عليهم فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وأن الامير عبد الوهاب جعل يضرب الناس طول وعرض الى أن ترك الرؤس بلا علاصم والاكف بلا معاصم وتصايحت البطارقة وأولاد العمالقة وعملت الصوارم فى الهامات وأجادوا الضرب بالمرهفيات الى أن فرشوهم على التراب وضربوا منهم الرقاب وأهلكوا الشيوخ والشباب وسمعت الاميرة ذات الهمة الصياح فى الحصن فقالت والله انى خائفة عليهم لان الروم فى عالم عظيم والامير وأصحابه فى جماعة قليل فقالوا أيتها الاميرة صدقتى ولكن ما الحيلة فى الوصول اليهم (قال الراوى) ولم يزل الامير عبد الوهاب وأصحابه فى القتال الشديد الى الليل وصعدوا الى القلعة ولم يقدروا الروم أن يمنعوهم من ذلك وأما الروم فانهم اجتمعوا بعضهم على بعض

وقالوا أما نحن فهالكون لامحالة لأن هذا العسكر فى ظاهر الحصن وداخله معنا من هؤلاء الفرسان وقد بقينا فى وسط بحرين زاخرين فهؤلاء ينزلون الينا من القلعة فى كل يوم وقد فرغوا من كل من فى الحصن وفرشوا الحصن بالقتلى فى هذا اليوم وما يمضى هذا اليوم ويبقى منا إنسان ولاقس ولامطران ومالنا إلا نطلب منهم الأمان ويكون لهم الرجال والأموال ويحلفوا لنا أن لا يتعرضوا لنا (قال الراوى) ولما سمع القاضى عقبة ماعزموا عليه أقبل على شومدرس وقال له دبر كيف ترى هذه النوبة الميشومة فقال شومدرس ان صالحوهم ما أقول أنهم يتعرضوا لنا فقال له عقبة لا كتب المسيح عليك سلامة فما يقع الصلح الا على قفاى وقفاك ثم أنه أقبل على أهل الحصن وقال ياقوم لاتفعلوا هذا فأنا أخبر الناس بهؤلاء القوم ولا لهم عهد ولا ميثاق (قال الراوى) فلما سمعوا القوم كلامه قالوا أيها الشيخ النجيح فما الحيلة ونحن كما ترى هالكون فقال عقبه إن كان ههنا بالقرب منكم جزيرة ننزل أنا وهذا الشيخ اليها ونطلب منهم النجدة ونقصد سائر الجزائر فقالوا هذا هو الصواب أيها الشيخ الصالح وكان قصده الهرب فقالوا له مالنا من نطلب منهم النجدة الا أهل جزيرة النفط وهى مسيرة يوم وليلة وفيها عالم عظيم فى قدر أهل الدنيا وهى جزيرة طويلة مسيرة ثلاثة أيام طول وعرض ولكن ما نقول ان الأمر يطول علينا الى أن يأتوا الينا أهل جزيرة النفط مع أنهم ان أدركونا وخلصونا

تم الجزء التاسع والثلاثون ويليه الجزء الاربعون

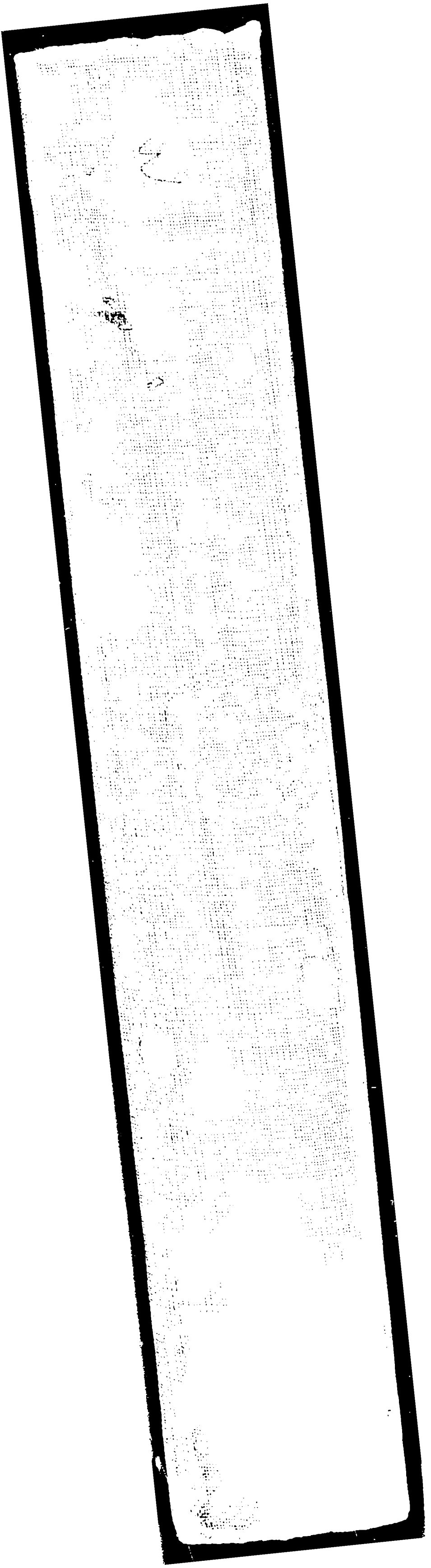

سيرة الأميرة

ذات الهمة وولدها عبد الوهاب

جزء ٤٠ - ٤٩

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

18 | 33 | 2

i 24875338

17 5 9 4

i 15678519

b 25218682

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال عقبة أنا أسير إلى جزيرة النفط فى أعجل مايكون فعندها عمروا له مركبا عظيما فركب فيه عقبة وشومدرس وأخذوا معهم عشرة بطارقة ولم يزالوا بالمقاديف إلى ان دخلوا إلى البحر وساروا طول الليل وقد أيقنوا بالسلامه وجدوا فى يومهم ذلك إلى الليل ووصلوا إلى جزيرة النفط فنظر عقبة إلى جزيرة لم يرى أحسن منها كثيرة الاشجار والاثمار وعليها مراكب بعدد المواكب (قال الراوى) فدخلوا اليها ورفع عقبة صوته بالانجيل وكذلك شومدرس إلى ان اجتمع حولهم خلق كثير وانقلبت تلك الجزيرة بهم وأوقدوا الشموع وفتحوا الكنايس ولما علم عقبة انه احتوى على قلوبهم حثا التراب على رأسه ونادى واديناه واقلة نصراه وامسيحاه وانجيلاه فقالوا له الروم وقد ارتفع بكاءهم وعلا صياحهم ماحالك أيها الرجل نحن لك وبين يديك فابتدأ الملعون عقبة يحدثهم بجميع ماجرى له ولأهل جزيرة بحر سامع المسلمين فلما فرغ من حديثه قالوا أيها الشيخ طب نفسا وقر عينا نحن من السوء نقيك ونبلغك أمانيك ونظفرك بأعاديك ثم انهم أخذوا أهبتهم واصلحوا أمورهم فى يومهم وليلتهم وكان لهم ملك يقال له شمراخ وهو جبار من الجبابرة وكان له مراكب تملا البحار وكان قد سمع بذكر عقبة على طول الايام وفعله مع أهل الاسلام وحيله للملك ميخائيل وكان يقول كنت أشتهى من المسيح ان يجمع بينى وبين الشيخ النجيح يوم واحد ودع أموت بعده (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما اجتمع به وعرفه قال له أيها الشيخ الصالح

ابشر فأنا وأهلي وقومي ومالي بين يديك وفى هذه الجزيرة ثلاثة آلاف وثلثمائة مركب حربي وعندي من الرجال مايملأ ذلك وأنا أسير بروحي اكراما لك وشكرا للسيد المسيح ثم نزل فى المراكب وملأها بالرجال صناديد الأبطال وسيبوا القلاع وساروا يوم وليلة إلى ان وصلوا إلى الجزيرة آخر الليل ودهموا الناس وهم آمنين (ياساده) وكان الأمير عبد الوهاب قد فتك بالناس إلى ان أشرفوا على التسليم وما منعهم من ذلك الا انتظار القاضي عقبة وكان قد أجلهم أربعة أيام (ياساده) وفى تلك الساعة كانوا بنى كلاب الذين مع الاميرة ذات الهمة قد هجعوا فى مواضعهم (قال الراوى) ونزل الملك شمراخ وأصحابه من المراكب الاعقبة وشومدرس فانهم لم ينزلا ونزل من الروم خلق كثير ودهموا الناس وهم فى مراقدهم فعمل السيف بينهم وكانت الأميرة ذات الهمه قد ملكت سيفها وخلص معها مائة رجل من بنى كلاب وأخذوا الباقى عن بكرة أبيهم وكان الرجل منهم يأخذ مائة رجل من الروم إلى ان ملكوهم وقتلوا منهم عالم عظيم وسمع عقبة بذلك فنزل من المركب وأتى الجزيرة وطلب الحصن وأعلم الروم فنزل من الحصن خلق كثير وحملوا على الأميره ذات الهمه وعمل القتال إلى الصباح هذا وقد نظرت الاميره إلى البحر فرأته كله مراكب وقد صاروا فى الجزيرة عالم بعدد التراب (ياساده) ولما سمع الامير عبدالوهاب هذه الضجة ظن أن ميخائيل أتى ينظر الجزائر وأهلها ويخلص عقبة من بين أيديهم وما يدرى ما عملت المقادير حتى طلع الصباح ونظر تلك العساكر فى الجزيرة والمراكب فى البحر وقد أقبلت من نحو جزيرة النفط والأميرة ذات الهمة وقد بقى معها من الرجال ثلثمائة وقد خلصوا والتجؤا إلى جانب الجزيرة ولولا انهم كانو على أهبة من أمورهم كانوا قد أخذوا أيضا (ياساده) وان الملك شمراخ صرخ فى الناس والرجال وقال خذوا هؤلاء المسلمين فحملت الناس على الأميرة ذات الهمه وقاتلوا قتالا شديدا لم يسمع مثله وان الأمير عبدالوهاب نزل إلى الحصن وفيه خلق كثير ولم يزل يضربهم بالسيف إلى ان أفناهم وملك الحصن قوة وقهرا ونصره الله تعالى نصرا وكانوا الروم قد فرحوا بوصول النجده اليهم فخرجوا اليهم من ضيق الحصار ولم يبقى فى الحصن الا القليل ولما ملكه الأمير عبد الوهاب نزل البطال وغلمانه فيه ونزل الأمير عبد الوهاب وسائر الامراء والأصحاب ونزلت الملكه ميمونة إلى معونة الاميره ذات الهمه وهم ينادون الله أكبر الله أكبر فتح ونصر ونظرت الأميره إلى ولدها ففرح قلبها وطاب لبها ونادى عقبة بالملك شمراخ يامولاى هذه حامية القوم والفرسان الذين هم معها هذه الابطال فاذركهم بالحمله فاذا أنت أسرتهم فانك تملك الأرض بالطول والعرض فقال

شمراخ على ذلك فسوف أبلغك مناك وأهلك اعداك (ياساده) ونظر شمراخ إلى الأمير عبدالوهاب ونظر الامير اليه فقال لميمونه ولظالم أنا أعلم ان هذا ملكهم بلا شك وما تنال مانريد الا بأخذ المقدم عليهم فقالوا له من أردته منا فهو يحمل عليه ويوصل الاذيه إليه (قال الراوى) فعندها صاح الأمير بجواده وكان جواد كريم وكان هذا الجواد لعبد الصليب فخرج مثل البرق البارق ومعه سيف ماحق وسنان خارق ثم انه حمل وخرق الصفوف وأظهر الحتوف حتى وصل إلى الملك ونظر عقبة فعرف الملك به وقال يامولاى هذا أمير القوم وهو قادم عليك وقاصد إليك فحمل عليه الملك وأخذ معه فى القتال والحرب والنزال وكان للملك أخوات يقال له عبد المسيح وآخر يقال له عبد النور وآخر يقال له عبد القداس وآخر يقال له شماس وكل واحد من هؤلاء يلقى الرجال ويعد بالأبطال وان الملعون عقبة جعل يحرضهم على قتال الأمير ويقول دونكم ونصرة أخيكم فهذا الفارس ليس هو كالفرسان فحملوا على الأمير كلهم فعندها حملت ميمونه على عبد المسيح وحمل ظالم على عبد النور وحمل أبو المزاهز على عبد القداس وحمل سملق على شماس هذا كله والرجال قد حملوا على الأميرة ذات الهمة وحملت الأميرة برجالها عليهم وحملت تلك العساكر العظيمة طمعا فى أخذها وعقبة يحرض الروم عليهم ولم تكن الا ساعة حتى طعن الأمير عبد الوهاب الملك شمراخ فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وطعنت ميمونة لخصمها أردته وكذلك ظالم وأبو المزاهز وسملق وعطفوا على الباقى من الناس فخرقوهم ميمنة وميسرة وامتلأت الأرض بالقتلا ونظر عقبة إلى ذلك فالتفت شومدرس وقال له ايش ترى من الرأى قال وما عسى ان أرى ما أرى الروم إلا مكسورين ولو كنا قعدنا فى الجزيرة التى تسمى جزيرة النفط كنا آمنين على أرواحنا وما جيناهنا إلا لآجالنا (قال الراوى) هذا والسيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن انسدم الظلام وانهزمت الروم عند قتل الملك وأخوته وأولاده (ياسادة) وكان فيهم بطريق يقاله له شماس وكان يحدث نفسه بالملك فصبر إلى وقت العصر وطلب المراكب طمعا فى نصف الجزيرة وهرب نصف الناس وعمل السيف فى الباقين وطلعوا إلى المراكب فهلك منهم خلق كثير وأما عقبة فانه طلب المراكب فلحقه طمطم وقد عرفه وضربه بالسيف صفحا فوقع على وجهه فأخذه أسير وأخذ شومدرس أيضا ورجع إلى أصحابه وقد خلصوا المأسورين عن بكرة أبيهم وحلوا أكتافهم وفتحوا الحصن وملكوا كلما فيه من الأموال والبدنة التى كانت تسوى ملك قيصر وجمع الأمير عبد الوهاب جميع ذلك وخلص السيدة زبيدة وعلوى وقال للسيدة زبيدة هل علمتى ايش يعمل عقبة ههنا

فقالت أيها الأمير أنا أستغفر الله مما كان منى من تعصبي له فقال والله كلما جرى علينا أيتها السيدة زبيدة من عقبة الشيطان وما جاء إلى هذه الديار إلا حتى يحرض هؤلاء على الخروج إلى ديار الإسلام ولم يعلم أنه قد جرت علينا الأحكام بما يشاء الملك العلام فقالت السيدة زبيدة قد ذكرت لك انى أستغفر الله تعالى من فعالى فى حقه وسوف أشهد عليه بما بان لى بين يدى المأمون لأنه رأيته بعيني عند الروم على غاية من الأجيال والاكرام والاعظام ولو لم يكن على دين القوم ما كان فى هذه المنزلة فقال الأمير ظالم وما الذى يمضى بنا إلى المأمون أقسم بالله يمينا أن أقلعنا من ههنا إلى القسطنطونية ونصلب عقبة عليها والله الموفق والمعين وان الأمير عبد الوهاب أخذ تلك البدنة الجوهر التى كانت للملك بحوسا وهى الذى كانت فريدة عصرها وزمانها ولقد ذكر الراوى قال حدثنى من أثق به أنها كانت خمس حبات ياقوت كهرمان كل حبة وزنها عشر مثاقيل ولؤلؤ كبار دون البيض ثم أقبل على البطال وقال له يا أمير كم تسوى هذه البدنة الجوهر فقال يا أمير مايقال لهذه ايش تسوى لأنها مالها نظير ولا قيمة (قال الراوى) ورجع الأمير بذلك السبى والأموال إلى المراكب وترك مالا قدرة له على حمله ثم رفع القلوع ولجج فى البحر وبقى أيام متواترة إلى أن وصل إلى بحر الروم وسار إلى أن بقى بينه وبين القسطنطونية ثلاثة أيام

(قال الراوى) فبينماهم سائرين إذ لاح لهم فى البحر قلعا لطيفا فلما نظرته أصحاب المراكب طلبته وحط هو القلع لما رآهم طلبوه ولا زالت المراكب إلى أن أدركته وكان ذلك المركب خفيف للهرب جيد للطلب فلما نظروا أهله إلى مراكب يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله قصدوا إليهم فلما قربوا منه عرفوه المسلمين وإذا به من ثغر طرسوس وقد أنفده على ابن يحى الأرموى ليكشف خبر الأمير عبد الوهاب لأن أخباره قد انقطعت عنه فلما نظروا أهل المركب إلى مركب الأمير ونظروا إلى ماقد فتح الله عليه من جميل الذكر وجزيل الأموال وكثرة السبي والرجال فهنوا الأمير ومن معه بالسلامة وقالوا أيها الأمير لنا ثلاثه أشهر نطوف البحر ونفتش الجزائر وما سمعنا لك خبر ثم رجعنا الى طرسوس وأخبرنا بذلك فوجدنا الدنيا منقلبة بأن أمير المؤمنين المأمون قد خرج من خراسان وقد سارت معه العساكر فى طلب المراد واصلاح العباد والبلاد ودخل الى بغداد وسأل عن أخبار فأخبروه بأنك قد كسرت عساكر الروم وأفنيت كتائبها ومواكبها وكيف دخلت فى طلب المأسورين وقد أمر الخطباء أن يخطبوا ويدعوا لك على المنابر وأنفذ بذلك الى سائر بلاد الاسلام ثم انه جمع العساكر من كل جانب ومكان ودخل الى بلاد الروم طالب القسطنطونية فى طلبك فلم يجدك فأرسل الى الملك ميخائيل وتقاتلوا ثلاثة

أيام وانكسرت عساكر الروم وقتل منهم خلق كثير بعدد النجوم ونزل المأمون على باب القسطنطونية وأقسم أنه لا يبرح من عليها حتى يرى وجهك وقد طال به المطال والمقام ولما رأى ملك الروم ذلك أرسل الى أفرنجه يستنجد بهم فساروا اليه فى مائة ألف قنطارية ولم يعلم الناس بذلك وميخائيل يطاوله ويقاتله من على السور الى أن وصلت عساكر افرنجه فلما قربوا منه أخفوا أمرهم وأعلموا الملك ميخائيل بوصولهم وقالوا نريد الكبسة فى الليلة الفلانية فقال لهم افعلوا ذلك فانى اذا سمعت الصياح خرجت من البلد فلما كانت ليلة الميعاد الذى الكفرة كبسوا العسكر الذين للمأمون ونهبوا الثقل جميعه وانتبه الراقد وقام القاعد وعلت الضجة وخرج ميخائيل من القسطنطونية وقتل من أصحاب المأمون خلق لا تحصى بعدد الرمل والحصى وتفرقت باقى العساكر وأخذوا المأمون أسير ودخلوا به الى القسطنطونية وقد أهانه الملك ميخائيل غاية الاهانة وقال له أين أميرك أسود بنى كلاب المسمى بالأمير عبد الوهاب وسودانة الأنجاب يخلصوك من هذا العذاب (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب هذا الخطاب عظم عليه وكبر لديه وقال وكم لهـذا الحديث قالوا يامولانا له شهرا كاملا وقد بلغنا أن المأمون مربوط الى سارية المذبح فى الكنيسه وهذا غاية الاهانة وأيضا قد بلغنا ان الملك ميخائيل قد هول على الخروج إلى بلاد الاسلام وما فعل هذا إلا وقد أيقن انك قد هلكت ونحن فقد انقطعت عنا أخبارك هذه المده كلها (قال الراوى) فعندها أقبل الأمير عبد الوهاب على البطال وقال له أنظر ماتعمل فى هذه النوبه فهى أهم الاشياء علينا كلها وعلى غيرنا فوالله ما أصيب المأمون الا بسببى وما دخل بلاد الروم الا من أجلى وقد هلك الناس فقال له البطال نحن كنا سائرين إلى القسطنطونية من أجل صلب عقبة والآن فقد تأكد الأمر بهذا الحال وسوف نخلص المأمون ونصلب عقبة لتهدأ منا القلوب وتسر العيون ثم ساروا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرفوا على مدينة القسطنطونية (قال الراوى) وكان الملك ميخائيل فى ذلك الوقت قاعد فى منظرته اذ رأى القلوع وقد ظهرت من كبد البحر وقد ملأته طولا وعرضا فعندها أمر بضرب البوق وطلعت الرجال إلى الاسوار وعلا الصياح وقد ظنوا ان المراكب مراكب الأمير عبد الوهاب أو مراكب الملك بجوسا وقد خرج بنفسه يريد أخذ الروم بعد أخذ الامير عبد الوهاب (ياساده) وكان الملك ميخائيل يفزع من الملك بجوسا على طول الابد وتزايد المدد ثم ان الملك جمع أهل القسطنطونية وقال لهم ماترون من الرأى فقالوا له نعمر المراكب بالرجال ونخرج اليهم بالعدد الثقال

فانهم لو كانوا فى عدد التراب لم يقدروا فى القتال وإن كانوا حربا حاربناهم وإن كانوا سلما سالمناهم فقال الملك ميخائيل إنى أخاف عليكم منهم لانهم عالم عظيم فاقيموا فى البلد حتى نبصر مايكون فقال ملك الافرنج وكان قد كسب من المأمون وعسكره شيئا كثيرا وقد استغنى عن عسكره ولم يأخذ منه ملك الروم شيئا يسوى دونهم واحد فرحا بما وصل اليه من أخذ المأمون وقد أمل أن يملك الأرض فى الطول والعرض هذا وقد أقبل ملك الافرنج على ملك الروم وقال له ها هنا كم مركب فقال ألف قطعة وأزيد فقال له أنا أعمرها برجالى واخرج اليهم بأبطالى وأريك فى البحر قتالى وأفرق هذه المراكب التى ظهرت وأحرق أكثرها بمعونة المسيح (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الملك كلامه فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وأمر أن تعمر به المراكب فعمرت ونزل ملك الافرنج وصاح فى عسكره وقال لهم ويلكم المسيح قد ساق لكم الغنيمة فى البحر كما ساقها فى البر (قال الراوى) فعندها رموا فى البحر خمسمائة مركب وهموا بعمارة الباقين فتصايحت البطارقة من الروم وقالوا أيها الملك ما هذه الفعال التى مافعلها أحد من ملوك الروم لأنك قد اخترت الشرف للافرنج وتركتنا نحن دونهم ولا شك ان هذه مراكب الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وقد جاؤا بمراكبهم موثوقة وما نقول لهم مخلص من هذا الاسطول الذى خرج اليهم ونحن قد أردنا الذكر لنا دون غيرنا وما بقى الامر الآن نعمر هذه المراكب الخمسمائة ثم نخرج اليهم حتى يذكر الروم وتكون الغنيمة بيننا مشتركة ومع ذلك نقيد ألف أسير مثل وزير المأمون وغيره ونصعد بهم على الأبراج حتى يبصرهم عبد الوهاب وتأمرهم أن يصرخوا صرخة واحدة حتى تنقطع قلوب المسلمين ويقولوا ما أخذوا هؤلاء إلا بعد أن أخذوا خراسان لتكون لنا الهيبة فى قلوبهم وكان هذا رأى الدمستق فقال الملك ميخائيل لقد أشرت بالصواب ثم انه أمر الروم أن يعمروا باقى المراكب ويزينوها باللبود الطيلقانيه ورفع الملك ميخائيل الأسارى على الأبراج وقد وصلت مراكب المسلمين وأبطال الموحدين (ياساده) وكان هذا قرمان ملك الافرنج ماملك أفرنجه قبله أشد منه بأس ولا أقوى مراس ولا أعظم حيله واغتيال وهو أحيل أهل زمانه وأمكرهم (ياسادة) ولما سارت المراكب انعزل ناحيه عن مراكب الروم وأمر أصحابه بالانعزال عنهم وقالوا إذا لزوهم مراكب الروم ولم يبق لهم سبيل إلى الهرب ولا إلى الخلاص سبب ندخل نحن عليهم ونأخذهم لأن القتال يريد التدبير والبصيرة فقالوا صدقت (قال الراوى) وكان المقدم على الروم بطريق يقال له أرميناس وقد قرب من مراكب الامير عبدالوهاب وسمع ضجيج المسلمين

وقد رفعوا رؤسهم إلى البلد فنظروا عليه عالم عظيم رجال وفى رقابهم الحبال فعلم الامير عبدالوهاب انهم قدرفعوا الأسارى حتى يقطعوا قلوبهم هذا وقد صاح مقدم الروم ويلكم لقدساقكم المسيح إلى الأجل وقدضاقت عليكم الحيل لأن خليفتكم قدقتل وكل من معه قد جندل والبلاد قدملكت وعساكركم قدهلكت ودما المسلمين قدسفكت والقرى قد خربت وصارت كلها للملك ميخائيل ثم قال ياعبدالوهاب سلم نفسك وتكون على دينك إن شئت الا أطبقت عليكم بهذه المراكب فلا ينجو منكم هارب ويسير كل أحد منكم عاطب (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبدالوهاب ذلك صاح بمراكبه وقدقسمها على ماجرت به العادة وقال للامير ظالم انفرد انت وأصحابك وكذلك الملكة ميمونه والأميره ذات الهمه ثم هموا على مراكب الروم وهى خمسمائة مركب وصدمت بعضها بعض وأطبقوا على الاسطول الذى للامير عبدالوهاب من كل جانب ومكان هذا وقدأرسل الملك ميخائيل إلى ملك الافرنج وأمره أن يطبق عليهم ليكون يوم المسلمين يوم عبوس هذا والمأمون قدعرف مراكب الأمير عبدالوهاب وقد صعدوا به على البرج الكبير مع المأسورين وفى أعناقهم الحبال وهم يؤملون الفرج بعد الشدة وقد رفع المأمون طرفه إلى السماء ونادى يامن لايخيب من دعاه ولا يقطع من رجاه هذا وقد صدم الأمير عبدالوهاب الملك أرميناس فغرقه أسرع من طرفة عين وقد أرمى أرميناس نفسه إلى حراقة لطيفة كانت قريبة منه ونجا معه ثلاث بطارقة وغرق الباقون هذا كله والملكة ميمونة قد صاحت بسودانها وقالت لهم افعلوا كفعلى وألصقت المركب من مركبه وضربت منه سقالاته وصارت معهم فى المراكب وأوردتهم موردالعطب وفعلت السودان مثل فعالها وعملوا مثل عملها وعملت العرب مثل ذلك ولم يمضى شطر النهار إلا وقد أوقعوا باكثر المراكب البوار وتأخرت المراكب فزعا من المعاطب وأوقع الله هيبة السودان فى قلوبهم ونادى المنادى بالخوف فيهم حتى صار الواحد من السودان يرى نفسه فى المركب فتلقى البطارقة أنفسها من شدة خوفها إلى البحر ولم يسلم إلا من كان فى أجله تأخير وقد هلك منهم خلق كثير وضرب الأمير عبدالوهاب المراكب كلها بالنار وسير مركب كبير إلى طرسوس فيها أموال وتحف وهدايا للامير على بن يحي الأرموى ويقول فيه ان الامير قد وصل الى القسطنطونيه فانفذ له الخيام والجمال والمضارب ويقول له أنا مقيم على الحرب لباب القسطنطونيه إلى أن افتحها ويفرج الله عن المأسورين الذين فيها وأصلب عقبه على باب الذهب فاسرع حتى تحضر صلبه فقد بطل محاله وكذبه وقدأخذه الله بذنبه (قال الراوى) ونظر ملك الروم إلى ذلك فاقبل على البطارقه والعمالقه وقال لهم وحق المسيح لقد نصروا عليكم فى البحر

وقد نزلوا إلى البر وما فيهم من هو على فرس فاخرجوا اليهم واطحنوهم بحوافر الدواب وانزلوا عليهم العذاب فقالوا له ابشر بكلما تريد ثم انهم أقاموا إلى الصباح وفتحوا الباب وخرجت البطارقه ونادى المنادى فى القسطنطونيه فخرج منها عالم عظيم هذا وقد طير ميخائيل الطيور إلى سائر الاقاليم بان عساكر المسلمين قد قدمت مع الأمير عبدالوهاب وهم فى عالم قليل وكلهم رجاله غير خياله فانقلبت بلاد الروم بأهلها وان الأمير عبدالوهاب سمع بأن ميخائيل قد طير الطيور الى سائر الاقاليم والعساكر قد تواترت من سائر الاقاليم والاقطار هذا كله وملك الروم لم يتعرض لقتال ولا حرب ولا نزال إلى آن امتلات الدنيا خلا ورجال وأقبلت العساكر من كل جانب وأصبح الأمير عبدالوهاب معولا على القتال لجمع الناس ثم وثب قائما على رجليه وقال معاشر المسلمين قد سمعتم ماجاء فى الكتاب عن رب العالمين فى جهاد الكافرين وبعد فالحمد لله الذى رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ماء جمد أما بعد ياعباد الله السامعين أن ميخائيل قد احتوى على المأمون أمير المؤمنين يطلب بذلك هدم ركن الدين وضعف قوة الموحدين وقد نفرت اليكم كتائبه ومراكبه والله مع الصابرين فهذه الجنة قد فتحت أبوابها والحور قد أظهرت اتجابها (قال الراوى) وركب الملك ميخائيل فى عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى وأشار بالحمله على المسلمين فدقت النواقيس من كل جانب ورفعت الصلبان بأيدى الكفره والكواذب هذا والمسلمين قد استعانوا بالطالب الغالب الذى لاينجو منه هارب ولا يغلبه غالب ثم التقوا الناس واشتد المراس ولم يزالوا كذلك إلى أن ضعف القوى وتكاثرت الاعداء وطال المدى ولله در الملكه ميمونه فى ذلك اليوم وفعالها لقد حزت رقاب الروم وصبحتهم صباح ميشوم وماقصرت فى قتالها ولا حربها ولا فى نزالها وكانت يومئذ راكبه وكذلك الأميره ذات الهمه وسائر الأمراء راكبين إلا الأمير عبد الوهاب فانه كان راجلا بين يدى البطال (ياساده) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجع كل قوم إلى مقامهم وطلب الأمير عبد الوهاب أبو محمد البطال فلم يجده فعظم عليه وكبر لديه وخشى أن يكون قد ملك من الوقعة هذا وقد أضرمت النيران وتحارست الفريقان وكان ملك الروم قد نزل ظاهر البلد فى تلك العساكر العظيمه ولم تمضى الليله الا فى حديث الأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب ثم أنه قال وحق الانجيل ومافيه من التحريم والتحليل لو تنصر هذا الأسود خلعت نفسى من الملك وسلمته اليه وكنت أكون فى مدينة القسطنطونيه من قبله ولو فعلت أمه كذلك لكنت لها كذلك فمالهم فى الأرض من يماثلهم وإلا ماصبروا وهم رجاله

غير خياله على هذا العالم العظيم فقال حرب بن شيبان أمير متنصرة العربان أيها الملك رجالى أقوى منهم وها عندى رجل قد قدم فى آخر النهـــار وهو كان فى أرض تيما مقيم وهو من أقاربى وأناسى ولقد كتبت اليه الكتب وهو يتمنع من المجىء إلا أنه هوى جارية وهى بنت صاحب حصن الضب فخطبها منه وقد طلب منه مال عظيم فلم يكن له إلى ماطلب منه سبيل غير أنه قدم على وقد ضمنت له عندك كل جميل وقلت له إنك توصله إلى ماطلب من الصداق الذى لا يعطيه أحدا فى الآفاق وقد ضمن لى أنه يأتيك برؤس القوم وهم الذين قد وصفتهم والابطال الذين عرفتهم وهم الأمير عبد الوهاب وأمة ذات الهمة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الملك ذلك قال ياحرب إلى متى هذا المنا وهؤلاء الاثنين ماوصل اليهما أحد فقال له حرب يامولاى هذا الذى ذكرت لك حقا وسوف ترى ماقد وصفته صدقا فقال وأين كان هـذا الرجل من قديم الزمان ولم يطلع له خبر فقال له يامولاى كان ملجحا فى البرية مقيما وحده والوحوش والسباع جنده يأكل من لحمها وأهله يطلبون أن يأتى اليهم فيأبى ذلك إلى أن قدم فى بعض الايام إلى مدينة يقال لها زبيد فنظر إلى ابنة ملك يقال له الغطريف واسمها نعامه فهويها وخطبها من أبيها فلم يقدر على خلافه خوفا منه لأنه شجاع شديد لايقوم مقامه أحد من الأحرار ولا من العبيـد ولا يقاومه أحد من الرجال لأنه بطل من الأبطال فقال له الملك وأين هذا الرجل وما إسمـه فقال له يامولاى هو أفخر نسب من العرب وإسمه الخطاف بن سهل وإنه لما أنعم له بالجواز طلب منه المهر العظيم وقصد بذلك بعده فأجابه إلى ماطلب منه وأغار على بعض العرب ونهب الأموال ولما رجع من الغارة ورد عليه كتابى أحثه على القـدوم على ففرح بذلك وقد أتى فى ألف فارس من قومه ممن يطلب الكسب وكان وصوله إلى أمس وقت غروب الشمس فقال الملك على به حتى أنظر اليه

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فادعى به حرب ابن شيبان فأتى وبنو عمه من حوله كأنهم الرماح الطوال وهى فى أوائلهم والموت لائح من بين عينيه وعليه من الشجاعة والقوة والبراعة فلما نظر الملك اليه أعجبته شمائله وخلع عليه وتصايحت به البطارقة والفرسان العمالقة أن يبوس الأرض فمنعته نفسه أن يفعل ذلك بل انه أشار إلى الملك يقول :

أيا ملك الروم العزائم ويامن له جاه رفيع المعالم
أتاك غلام يفلق الهام سيفه هموس عبوس ضارب للجماجم
ولا بد من قتل الذى قد وصفته وفضلته طرا على كل قادم

وأقتل أيضا أمه وأذيقهـــا شراب المنايا مع شراب السمايم
ولا بد لى من نصرة الروم قوة ولا بد مما أن أروى صارمى

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما لاحت للملك منه علائم الشجاعة والقوة والبراعة وسمع منه ذلك قال وحق المسيح لأعطينك فوق ماتريد وأزيدك أوفى مزيد ثم فرق الخلع على بنى عمه وأحضر البترك ونصره ونصر قومه عن بكرة أبيهم هـــذا والملك لايصدق بالصباح أن يصبح وكذلك الخطاف (ياسادة) ولم يكن عند الأمير عبدالوهاب من ذلك خبر فهذا كان من هؤلاء (وأما ماكان) من البطال وسبب غيبته فانه لما اختلط بالعسكران سار يريد القسطنطونية ثم دخل مع عسكر الروم إلى البلد فى زى بعض البطارقة ومعه غلمانه وكان المأمون مأسور ومعه ثلاثة آلاف أسير فى دار البلاط والوزير أحمد العابد الزاهد فقصد البطال إلى دار مارس ودخل عليه فلما حضر بين يديه قال له مرحبا يا أبو محمد ثم هناه بالسلامة واعتنقه وقال له يامولانا قد وصل اليوم كتاب من ملطية يخبران عساكر العراق والجزيرة وديار بكر قد اجتمعت وهى داخلة إلى بلاد الروم فى طلب خلاص المأمون فقال له البطال دعنى الساعة من هذا الكلام فان فى قلبى النار من أجل المأمون ولا بد لى من الدخول اليه فى هذه الليلة فى ساعتى هذه فقال مارس ياأبو محمد هو فى دار البلاط وعليه الموكلين الذين مارأينا قط مثلهم فلا تطمع فى الدخول اليه فوالله العظيم لقد عمل أخى على الدخول اليه فلم يقدر لأن الملك قد أوصاهم ووكل بهم جماعة من روم الجزائر وقال لهم كل من أراد أن يبصرهم فلا تخلوه واعلمونى وطالعونى به حتى أضرب رقبته لأن الشيخ النجيح كان قال لى إن عندى عيون المسلمين فقال البطال هـــذا مايمنعنى عن ذلك ولا بدلى من الدخول اليه وأخلصه وأتركه فى عسكر الأمير عبدالوهاب ثم إن البطال وثب قائما وطلب دار البلاط فلما وصلها وجد الرجال قيام وفى أيديهم السيوف والخمر بين أيديهم فسلم عليهم وقال لهم إن الملك أرسلنى اليكم وهو يقول لكم لاتحكموا الخمرة فيغلب على قلوبكم السكر وعساكر المسلمين بين أيدينا وفيهم البطال الذى تضرب به الأمثال فلا يأمن عليكم منه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعوا ذلك من البطال صلبوا على وجوههم وقال المقدم عليهم وحق المسيح صدق الملك ثم إن البطال دنا من الاناء الذى فيه الخمر وطرح فيه نصف مثقال بنج أزرق ولم يتناول القوم بعده أكثر من قدح حتى وقعوا صرعى فدنى البطال من الباب وفتحه ودخل إلى الدار وهو يقول ياجميل الستر إذا حائط البلاء فلما توسط الدار وجد الامراء فى أسوأ حال ووجد الوزير أحمد مريض وإلى جانبه المأمون وهو يقول ياهذا لو كان البطال فيهم

لقد كان يتوصل فى الدخول الينا و القدوم علينا وما كان يقعد عنا ساعة واحدة فقال الوزير أحمد يامولاى وماعسى أن يفعل أو يقدر يعمل وكيف تنفع ههنا الحيل أم كيف كان الينا يتوصل فقال البطال هاأنا قد وصلت اليكم قد حصلت وقد دنا الفرج من صاحب الفرج فقوموا معى حتى أريكم ما أعمل ثم إنه دنا منهم وفك قيوهم فلما نظر المأمون إلى البطال كاد عقله أن يطير فرحا (ياسادة) وإن البطال أخرجه وأخرج الوزير معه ومعهم جماعة من الرجال وأتى بهم إلى دار مارس فلما نظر اليهم الأمـــير مارس وإلى المأمون باس الأرض بين يديه وقال للبطال كيف وصلت اليه وعلى الباب البطارقة فقال أسقيهم دواء ولو أردت قتلهم لقتلتهم فقال مارس لله درك ياأبو محمد ثم إنه أرسل معه عشرة من غلمانه مسلمين ثم خرج البطال إلى المطموره التى فيها المأسورين والوقت فى غلسه يذبح البطارقة وأخذ ثيابهم فلبسها للمأسورين وقال كونوا على باب الذهب فاذا خرجوا الروم أخرجوا فى جملتهم فاذا حملت الرجال على الرجال احملوا عليهم وأنتم تقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذا يكون يوم الانفصال إن شاء الملك المتعال

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأصبح الصباح وفتح باب البلد وخرجت الروم فى طلب الحوائج وخرجت الرجال تطلب الحرب والقتال وحضور المصاف وقد أيقنوا أن الخطاف يأخذ الأمير عبدالوهاب فى يومه ذلك وقد خرجت الروم وخرجت الاسارى فى جملتهم وفى أوائلهم المأمون والبطال والوزير أحمد فلما حصلوا فى عسكر الملك ميخائيل نادوا بكلمة الاخلاص المنجية يوم القصاص وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربوا الروم بالسيوف وسقوهم شراب الحتوف على غفلة منهم وسمع الأمير عبد الوهاب التكبير من عسكر الروم فأجابهم بمثله وصاح بالناس لحملوا على الروم والبطال ترك النـاس حتى التحموا وقصد عسكر الأمير ومعه المأمون رافعا أذياله وهو يلهث ويعدو طالبا للخـــلاص فهو كذلك وقد لقيته الأميرة فقالت له يا أبو محمد قال نعم يامولاتى قالت ومن هو هذا الذى معك فقال هذا المأمون فلما سمعت الاميرة ذلك رمت روحها إلى الأرض وجعلت تقبل يديه فقال لها البطال ماهذا وقته اركبى واقتحمى العجاج واخبرى الامير بمن خلص من الاسارى (ياسادة) فعندها حملت الأميره والأمير وعملت الصوارم المرهفات وحطت المهج من أبدان السادات ودارت عنهم الآفات هذا وقد وصل المأمون والبطال إلى سرادق الأمير عبد الوهاب وقال له البطال قف ياأمير المؤمنين واسمع كلام عقبة فوقف المأمون ودخل البطال إلى عقبة وقال له كيف أصبحت ياشيخ الضلال فقال بخير اذا لم أرى وجهــك ولكن سوف

يضرب ميخائيل رقابكم كما ضرب رقبة المأمون وما بى أسف الا أنى ماحضرت قتله حتى أننى كنت أشرب من دمه لأنه كان مغاليا فى دين الإسلام والايمان مكثرا من قراءة القرآن (ياسادة) فلما سمع المأمون ذلك هم أن يهجم عليه ويضرب عنقه فغمزه البطال فوقف والتفت البطال الى عقبة وقال له يامأمون قد دنى أجلك وصلبك فقال عقبة كذبت وحق المسيح ماهذا صحيح وما أمرت حتى أشتفى منكم كما أننى اشتفيت من خليفتكم فلم يجد المأمون بعدها صبرا بل دخل اليه ورفسه أرماه على وجهه وقال له يامأمون هاقد أتيت بحمد الله سالما وأنا أقسم بالله قسما صادقا لاخرجت الى بلاد الاسلام حتى أصلبك وأبلغ منـــك المرام ثم ان المأمون سأل عن السيدة زبيدة فسار به البطال اليها وسلم عليها وباس رأسها وبكى فبكت وقالت ياأمير المؤمنين رأيت من عقبة كذا وكذا فصح عند المأمون كفره من سائر الجهات وعزم على أن يصلبه فهذا ما كان من هؤلاء.

(وأما ما كان) من ملك الروم فانه لما سمع التكبير فى عسكره ألوى رأس جواده ودخل إلى القسطنطونية ودخلت العساكر خلفه ولما أمن على نفسه جمع البطارقة ثم قال ليت شعرى كيف تم علينا هذا الأمر فقالوا لاعلم لنا فقال الملك ماأخوفنى أن يكونوا المسلمين خلصوا من الاعتقال انظروا ذلك فغابوا وعادوا وقالوا أيها الملك انا وجدنا أكثرهم قد هرب فضرب الملك رقاب الرسل وقال أنا أعلم أن هذا من أفعال البطال

(ياسادة) وكان ميخائيل قد سلم من القتل ذلك اليوم لان الامير ظالم كان قد صمم عليه بالطعنة وقصده فى موضعه وطعن الذى يحجبه قتله ثم طلبه فمنعه من ذلك الخطاف المتنصر ولقى منه ظالم مالم يلتق من غيره وجرحه أسال دمعه ورجع ظالم ولما طلب الملك الدخول الى بلد القسطنطونيـــة منعه الخطاف وقال له اثبت فانا وقومى نكفيك مؤنة الجميع فلم تفعل فقال له الملك اصبر حتى ترى هذا الحال ولما رأى الخطاف الملك وقد انزعج لاجل خلاص المأمون وانه قد صعب عليه فقال له الخطاف هون عليك هذا الأمر وحق المسيح لآتينك بهم أسارى وتراهم قدامك حيارى وأما قلقك على انفلات المأمون فسوف ترى ما يكون ثم انه أقبل على ابن عم له يقال له برق بن رياح وكان غلام أسمر طويل ممشوق رقيق الساقين كانه إذا مشى مخلوع من ركبتيه وقال له يابرق فقال له لبيك يامولاى قل ماتريد فانى اليه مبادر فقال له أريد منك رأس المأمون الليلة أو رأس الاسود الزنيم الأمير عبدالوهاب أو من ظفرت بهم من أمرائهم والاصحاب ولا تدع فرحهم يتم لهم بما وصلوا اليه فى هذا اليوم من خلاص أصحابهم فقال فقال سمعا وطاعة وسوف ترى مايكون فى هذه الساعة فدل لى موضعا أخرج منه فقال له

الملك نعم من باب السر ثم أمر أن يفتح له الباب (قال الراوى) ياساده يا كرام ولقد سألت عن هذا برق بن رياح فقيل لى انه من بنى تميم وكان إذا جرى ضرب برجليه كتفيه (ياساده) وانه لما فتح باب السر قال له الأمير خطاف انظر بين يديك ولا تقعد عن ممكن فان الملك يغنيك إلى الابد ماقام قائم وقعد هذا وان الملك متعجب من قول الخطاف لبرق لاترجع إلا برأس المأمون فعلم برق مافى وجه الملك من التعجب فقال أيها الملك لا تعجب فهذا أقل فعالى ولو أردت أخذت رؤسهم وهم ايقاظ فقال الملك أرجو أن لاترجع عن دين النصرانيه فما كنا نأمن من شرك (قال الراوى) ياساده يا كرام وان برق سار إلى ظاهر البلد ودخل إلى عسكر الأمير عبـــد الوهاب فوجده وهو فى سرادقه وقد نصب فيه سرير للمأمون وهو جالس والأمراء قيام والأمير والأميره يحجبوه فبقى برق ابن رياح متعجب وخشى أن ينكر أمره فقصد بعض الخيام فوجـــد على بابها رجال قيام فقال لاشك هذه الخيمة التى فيها المال ثم انه أرمى روحه إلى الأرض وجعل يسحب نفسه حتى وصل إلى أطناب الخيمة وقلع وتدا من أوتادها ومرق من تحته فصار من داخل الخيمة فنظر فيها شخصين فقال لاشك ان هؤلاء من أصحاب الأمير عبد الوهاب والذين على الباب يحرسوهم وما أنا آخـــذ الساعة رؤسهم وكان الذى فى الخيمة عقبة وشومدرس وأقام برق ينتظر نومهم فخشى أن يذهب الليل ولا يبلغ مقصوده فوثب على عقبه وقبض على حلقه فجاءت يده على القيد الذى فى رجليه فقال له ويلك من أنت فقال له قل لى أنت من أنت فقال يامولاى مابقى لى عقل ولا لب حتى أقول لك من أنا فقال برق ويلك قل وأوجز والا أخذت رأسك لأنى قد جئت من عند الملك ميخائيل آخذ رؤس أعداه وأقتل من يشناه فقال عقبه فمن أنت حتى قدرت على هذا الفعال ولا آمن عليك من الرجال فأنا وحق المسيح الشيخ النجيح وهذا الذى بجانبى شومدرس فقل لى من أنت الذى فرج المسيح عنى برؤيتك فقال له ياشيخ أنا برق بن رياح وسوف أخلصك من هذه الأحوال القباح فباس عقبه رجله فعرفه لانه كان قد سمع بحـــديثه من العرب المتنصره وطلبه مرار فما قدر عليه لأنه ماكان يقعد فى مكان ولا يقرله قرار بل عام فى مصر وعام فى الحجاز وعام فى الهند وعام فى العراق وقد اجتمعت العرب على انه لم يكن بعد عمرو بن أمية الضمرى أجرا من هذا برق بن رياح ثم قال له عقبه أيها المولى وحق المسيح لقد كنت متلهف عليك وعلى اجتماعى بك لأنال بك ما أؤمل وأنا وحق المسيح أضعك فى كفه والمال فى كفه وأزن بوزنك ذهبا فخلصنى مما أنا فيه وافعل بصاحبى كذلك (قال الراوى) فلم يزل يعالج قيده حتى فكه وفتحه فى الحال وكان شومدرس قدرقد

فايقطه (قال الراوى) وفى تلك الساعه قال البطال للمأمون يا أمير المؤمنين أريد منك الاذن فى ضرب عقبه فقال له قد أذنت لك فى ذلك ولا بد أن أنتقم منه فوثب البطال وقال لغلمانه قد بقى من عمر المامون بقية هذه الليله ثم تفتت كبده بما أذن لنا المأمون فى صلبه ونضربه بقية الليلة فقال الأمير عبد الوهاب وأنا معكم ومعه الأمير ظالم فقال والله لا أسير الا معهم ثم ساروا حتى وصلوا إلى باب الخيمه فوجدوا الرجال نيام من حولها وفى تلك الساعه كان برق ابن رياح قد فك قيد شومدرس وقال لهما أنا أحمل كل واحد منكما وأخرجه من العسكر وأعود آخذ الآخر هذا والبطال واقف على باب الخيمه وقال أقسم بالله ان الخيمه اضطربت على من هذا الجانب وقلع منها وتد فادخلوا وكونوا منها على حذر فقال الامير ظالم ما أخوفك ماتبرح جبان ثم هجم المضرب فسمع عقبه كلام البطال لما تكلم فقال لبرق وقدار تعدت فرائصه هذا البطال ومعه ظالم بن عبد الوهاب وما قد أتوا هذه الساعة الا لحالين اماقد علموا بنا أو انهم قد عولوا على صلبى فى هذه الساعه فقال له اصعد على أكتافى وانظر العجب فوحق المسيح لابرحت من المضرب الا وأسقى أحدهم شراب العطب ثم انه اختفى وقد هجم الامير ظالم فضربه برق بالخنجر الذى فى يده فوقعت الضربة فى كتف الامير ظالم فنفذ من الجانب الآخر ثم جذبه وأراد أن يثنى عليه فتأخر الأمير ظالم إلى ورائه هاربا وصاح وصاح الأمير أبو محمد والرجال من حوله فتواثبت النيام فى غسق الظلام وسمع برق بن رياح الأصوات وكثرتها فخشى على روحه ودنا من الجانب الآخر وخرقه بالخنجر الذى كان فى يده فخرج منه وقد نظرته الرجال وعقبة على أكتافه وقد أيقن أنهم قد ملكوه فلطم برق الأرض برجليه فكان كالهجين إذا سرى والجواد السابق إذا جرى فلما رأوا منه ذلك ايسوا من لحاقه وركبوا الخيل وقد غاب عنهم فى سواد الليل وقبضوا على شومدرس وضربوه الضرب الوجيع وطرحوا فى رجليه القيد وورد على قلب الأمير عبد الوهاب مالم يرد على قلب بشر لأنه كان قد عزم على صلبه فى غداة غد (ياسادة) وبطلت يد الأمير ظالم وقال له كيف رأيت قول الشيخ لكنك مثل أبيك طول الدهر يخالفنى وما خالفنى أحد إلا ودخل على قلبه مايؤلمه فالحمد لله ياولدى على سلامتك فقال له الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد إنما يحفظ الإنسان على نفسه من الانس وأما الجن الطيارة فما يقدر أحد يحتفظ منهم وما أقول إن هذا الشخص الذى أخذ عقبة آدمى فقد رأينا منه ماراعنا والخيل العتاق مالحقه فقال البطال والله انى فى هذا مفكر وما رأيت قط وما سمعت عن بشر يقدر على مثل هذا غيره إلا رجل من العرب فى أرض بنى تميم بن وائل وانى سمعت به ولا نظرت شخصه لأنه مايقدر يقيم فى مكان ولا تقر

منه الأوطان وانه يسبق الوحوش فى الجريان والخيل فى الميدان فقال الأمير عبد الوهاب لاشك أن شومدرس يعرف هذا الشخص الذى أخذ عقبه فان لم يخبرنى به والا أخذت الساعة رأسك فقال يامولاى وحق الانجيل وما فيه التحريم والتحليل ان هذا الشخص مارأيته ولاسمعت بمثله لأن حديثه كله كان مع عقبة غير أنى سمعته يقول أنا برق بن رياح السلال فلما سمع البطال كلامه قال هذا والله الذى وصفته لكم ولكن ياقوم كيف وصل إلى خلاص عقبة وهو مسلم فقال شومدرس ماسمعته يحلف إلا بالمسيح ويذكر ديننا الصحيح (قال الراوى) وبات الأمير عبدالوهاب والبطال بأنحس مبيت وأخبر المامون بسرقة عقبة فصاح صيحة عظيمه وهاله أمره وقال فاز عقبة ورب الكعبة فهم كذلك وإذا بالصياح قد علا من جوانب العسكر حتى ارتجت الدنيا وتفرقت الناس وأضاء البر من بياض الصوارم والأرض قد تزلزلت والأقطار قد تخلخلت فقال الأمير اكشفوا الخبر لعل يكون الملعون قد وقع (ياسادة) وكان الصياح قد أتى من خلف العسكر والخيل تصهل والرجال تقتل (قال الراوى) وكان ذلك الصياح من الأمير على بن يحيى الأرموى وقد وصل من ثغر طرسوس وقد انضاف اليه جماعة من المنكسرين ومنهم من جاء فى طلب الجهاد ومعهم الجنايب السباق والخيل العتاق وقد ملات الأرض بصهيلها

(ياسادة) وما جاء أحد منهم الا ومعه الفرس والفرسين والثلاثة يرومون بذلك التقرب إلى قلب الأمير عبدالوهاب فورد على قلبه من ذلك فرحا وسرورا وسلا عما كان فيه من أمر عقبة وقال أنا أرجو الله تعالى أن أربط ملك الروم وأصحابه وأقرنهم بالكلاب وأسحبهم الى بلاد الاسلام ببقاء أمير المؤمنين المأمون هذا وقد فرح المأمون بقدوم العسكر وأصبح كلهم خياله بعد أن كانوا رجاله (قال الراوى) وأما القاضى عقبة فان برق ابن رياح وصل به الى باب البلد فوجد الرجال منتظرين قدومه فدخل وغلق الباب وهم ينظرون على أكتافه شخص محمول وهم يقولون من هذا وهو لايكلمهم حتى دخل به على الملك ميخائيل فقال له أخذت الاسود فقال لا انى اشتغلت عنهم بهذا فلما رآه الملك عرفه فصاح صيحة أرعب بها كل من حوله ووثب له قائما واعتنقه فقامت اليه سائر الملوك وهنوه بالسلامة وجعلوا يقبلون يديه ورجليه وانقلب القصر بمن فيه وصاح بقاطنيه فرحا بالشيخ النجيح وقال له الملك ماتم هذا كله علينا الا بغيبتك ثم ساله عن حاله فاعاد عليه جميع ماجرى له وجميع أفعال المسلمين فى جزائر الكفار وأخذهم البدنة الجوهر فكادت مرارة الملك ميخائيل أن تنفطر وقال ما أخوفنى ان هذه الدولة المحمدية يقلعون دين النصرانية فقال عقبة وأبشرك بان ظالم ولد الأمير عبد الوهاب قتل وهو أشر من

أبيه لانه كان قد فعل كذا وكذا فقال برق لاوحق المسيح ماضربته الا فى يده الا أنه مايرجع ينتفع بها فقال عقبة أعطوه وأرضوه حتى يوقع بالكل التلف

(قال الراوى) وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وفتح باب الذهب وخرجت العرب فى أوائل الناس والارماح بين أيديهم كانها آجام القصب والصلبان على رؤسهم وعليهم سائر الالوان هذا وقد ركب الامير عبد الوهاب وسائر الاصحاب (ياسادة) ونظر عقبة الى الخطاف بن سلهب وكان قد سمع به وما هو عليه من الشجاعة والقوة والبراعه ففرح به وقال أيها الامير السعيد سعد جدك ورفع بجدك باتصالك الى هذا الملك الجليل الكريم ودخولك فى الدين القديم ولعل المسيح ينصر دين النصرانية ويعينك على هذا الاسود الزنيم والعبد اللئيم فلقد أهلك الروم قهرا وأوقع بهم ذلا واحتقارا وضعفا ثم أنشد وجعل يقول

لقد فتكوا بالروم من كل جانب ... وأفنوا هموا بالمرهفات القواضب
وقــد خربوا كل الجزائر عنوة ... وجازوا نعيا كالجبال الرواسب
وأضحى بجوسا مــع أخيه بجندلا ... نعم وقراقونا حليف المصائب
وقد أصبحت اطلالهم وهى قفره ... ولم يبق فيها غير صوت الغوارب
وان بنــات الروم تسبى كانهم ... بدور الدجا فى غاسقات الغياهب
وقد أخذونى أخــذة قلت اننى ... أكون بها فى حيزات المصائــب
إلى أن أتانى برق فى حندس الدجا ... وقد صرت محمولا كثير العجائب
وانى أرى الخطاف من نسل سلهب ... سيتركهمو صرعا بقفر السباسب

(قال الراوى) ياساده يا كرام ففرح الخطاف بشعره وقال ياشيخ وذمة العرب لآخذن لك التار وأكشف عنك العار ولا سقين أعداءك كاس البوار ثم خرج فى رجال الروم وقد قدم عليهم الملك ميخائيل ملك الصقلب والأمير حرب بن شيبان وقد انضاف اليه الخطاف فى خمسة آلاف من العرب على الجميع والرماح قد حجبت الرياح ان تقع على الأرض من كثرة اشتباكها والاسنة تلمع على رؤسها كانها رؤس الجبال الصوادى أو مصابيح رهبان فى الليل الهادى وصاح الصايح وجردت الصفايح وركبت الابطال على الخيول وصاح الأمير عبد الوهاب برجاله وصاح على بن يحيى الأرموى بأبطاله وركب المأمون وعقدت الالوية على رأسه والاعلام السود المكتوب عليها بالبياض لاإله إلا الله محمد رسول الله ﷺ (قال الراوى) هذا وقد ركبت الأميرة ذات الهمه وقد أخرجت يدها من جلباب ذراعها وفى يدها قناة سمراء كانها صارى مركب والملكة ميمونه

إلى جانبها وقد فعلت مثل فعالها هذا والأمير ملابط البغال قد زبدت أشداقه وطمح بصاته وصاح بالأمير عبد الوهاب يامولاى ماهذا يوم ممامع لأن الشجاع يدل بشجاعته فى مثل هذه الوقائع ونريد اليوم نفرج المامون على المبارزة فقال له الأمير افتح باب الحرب بالبراز قبل ان يحملوا عيلنا فهم على كل حال اضعافنا وإذا نحن قتلنا منهم مايبان لكثرتهم وان قتلوا منا يبان فينا لقلتنا (ياساده) وأن ملابط البغال لما سمع ذلك من كلام الأمير عبد الوهاب صاح بجواده وكان جواد كريم النسب من أشرف خيول العرب والأمير ملابط البغال فى ظهره كانه عامود حديد قد أقلب وعليه درع مكوكب ومعه رمح مكعب وحسام أخضر مشطب وصاح بالجواد فخرج مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف وأشار بيده إلى العرب دون الروم ونادى يامعاشر العرب الكفرة بالرحمن المرتده عن الايمان الذين عاد ربحهم خسران واكالين لحم الخنزير بعد صوم رمضان إلا أن العذاب عليكم قدوجب والعطب منكم قد اقترب وأنا أقسم بالنبى المنتخب الذى خاطبه الذراع وقد أشرقت بنوره البقاع وسلمت عليه الغزلان والسباع الذى نبع الماء من بين أصابعه وحن اليه الجذع وشهد بنبوته الذئب والضبع ﷺ لارجعت من مقامى هذا حتى أخضب حسامى من قدامى وأضرب بالسيف من خلفى وقدامى فهل من مبارز هل من مناجز هذا يوم الهزاهز ثم ان ملابط البغال انشد وجعل يقول

ايامن لهم فعل يدل على الجهل ... ومن تركوا الاسلام من عدم العقل
افيكم غلام قصورى غضنفر ... شجاع كمى لايقصر عن مثلى
يبادر نحوى كى يرى الناس حربنا ... ومشهدنا فى موقف الضرب بالنصل

(قال الراوى) وكان عقبه فى مشهد الحرب مختفيا يريد ان يدبر حيلة على الأمير عبد الوهاب لأنه رأى عسكر الروم وقد وقع بهم الرعب والانكسار ولولا ورد عليهم الخطاف لم يخرجوا إلى قتال بعد خلاص المامون من الأغلال (ياساده) ولما نظر عقبه إلى ملابط البغال فعرفه وصار يمدحه عند العرب ويصفه ويقول لايخرج اليه إلا فارس شديد وبطل صنديد فوحق المسيح إنه عندى فى طبقة الأمير عبد الوهاب فعندها خرج إليه ابن عم الخطاف وكان يقال له مبادر بن مزاحم وهو رجل شديد الباس قوى المراس ثابت الأساس برمح طويل وسيف صقيل وأنشد وجعل يقول ونحن نصلى على النبى الرسول

ايا أسود حجام جاك صميدع ... همام كريم لايمل من الكر
سلوب لأرواح الرجال وصايل ... عليهم كاسد الغاب ساكنة القفر
وهمته فوق السماء محلها ... بقلب قوى كالجلاميد والصخر

(قال الراوى) فلما سمع ملابط البغال شعره أجابه وجعل يقول

رويدك يامأمون سوف ترانى   وقد صرت جوالا على المهمه القفر
وخلوك مطروحا على الأرض صامتا   طريحا باطراف المدد والبتر
رضيت بدين الكفر من بعد ديننا   ومثلك من يرضى بمهلكة الكفر
فدونك منى طعنة قسورية   تخال لها نارا أحمر من الجمر
وقلت مقال الكفر ياندل عنوة   رويدك فردا واحدا ليس بالنكر

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وضاق بينهما الزحام فى موقف الطعن والحرب وصاح ملابط البغال صيحة مثل الرعد القاصف وضربه على مفرقه نزل السيف الى سرته فوقع من على جواده ميتا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وطلب البراز فعندها اضطربت العرب وخرج اليه ثانى فقتله ولم يزل يخرج اليه فارس بعد فارس حتى قتل من القوم عشرون فلما نظر عقبة الى ذلك قال ياقوم وحق المسيح لو خرج اليه منكم الف فارس على هذا الحال لاهلكهم ويلكم هذا ماله الا الخداع فهنالك خرج اليه الخطاف بن سلهب على جواد أشهب قوى العصب ديال الذنب وفى يده صارم يهشم العظام وقد ترجلت العرب بين يديه وله همه مثل همة الاسود وفى كفه صارم أبتر أخضر ثم حمل على ملابط البغال وهو يقول :

أيامن أتاه الموت فى ساحة الحرب   رويدك قد لاقاك فى موقف صعب
همام كمى قسورى غضنفر   شجاع براع لايمل من الضرب
سأسقيك كاس الموت فى حومة الوغا   إذا ما التقينا فى الهياج بلا كذب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وحمل بعضهما على بعض وعمل بينهما الخطب ولم تكن إلا ساعة حتى طعن الخطاف الملابط البغال بعقب الرمح ألقاه الى الارض ونظرت عرب بنى كلاب الى الخطاف كأن الرمح فى يده قلم كاتب يديره كيف يشاء ويطعن بيده كيف يشاء ثم ان الامير خطاف حمل على ميمنة عسكر الامير أقلبها على الميسرة والميسرة أقلبها على الميمنة وقتل ثلاث فوارس ثم عاد الى السودان فقتل منهم ثلاثة ثم طلب المامون وكان تحت اللواء فصاحت به الرجال والملكة ميمونة والاميرة ذات الهمة فلم يلتفت ولم يرجع حتى أوصل الطعنة لصاحب اللواء وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم ان الرجال طلبته فصاح بالحجرة التى تحته فخرجت كانها البرق الخاطف وهى منطوية تحته كانها ثعبان وهى تضرب برجليها يديها وبيديها محاجر عينيها ثم عطف وأدرك رجل من أصحاب على بن يحيى الارموى على جواد سابق فطعنه فى خاصرته اليمنى أخرج

السنان من خاصرته اليسرى هذا وقد نظرت إلى فعاله العساكر بالناس وقد تشوش عساكر الاسلام وقتل جماعة من الابطال وأسر الرجال فخرج الملك ميخائيل هنالك وخرج باقي الروم ودعاه الملك وشكره على فعله وأفرغ عليه خلعة سنيه وادها بالمال وصار يصبه عليه حتى غرقت قوائم فرسه ثم ناداه هذا كله يرفع الى خزائنك والذى طلبته من المهر عندي غير هذا فعاد وقد اشتدت حميته وتضاعفت عزيمته ولم يطلب البراز احتقارا بالناس بل يطلب موكب الامير على بن يحى الارموى فخشى الامير على ابن يحى الارموى على نفسه فتقهقر الى ورائه واندق عسكره فقتل منهم جماعه ونظرت الروم الى عسكر طرسوس قد انكسر من رجل واحد فخلت العرب وتضاربوا بالصفاح واختلت الارواح ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى ان ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه ونادى منادى الفريقان بالانفصال وعادوا من ساحة القتال وباتوا الناس كلهم ومالهم حديث إلا فى الخطاف فقال الأمير والله لقد صدقته صادق فى حروبه ووددت من الله تعالى ان يجعله من أنصار دينه وهو على كل حال تربية البر لا يعرف الاسلام ولا الكفر وانما المال لعب بعقله وما عندنا فى الفرسان من يفعل كفعله فقالت الأميره أما أنا مارأيته وقد وافقته الحجرة التى تحته وما كان فى سائر خيلنا فرس يدرك غبارها (ياساده) وأما ملك الروم فانه أكرم الخطاف غاية الاكرام وأقطعه البلاد وقدمه على سائر العرب المتنصره (قال الراوى) ياساده يا كرام وان عقبة خلا بالخطاف وقال له اقتل لى هذا الاسود الزنيم وقد نلت من الملك كما تريد لأنك أن أخذته أسير ربما يتخلص لأنه أخذ بالحيلة ألف مرة ويعود علينا كما ترى فقال له الخطاف انى أراك فصيح اللسان دون الروم وما أرى عليك شىء من آثارهم وما كانك إلا القاضى عقبه التى تصل الينا أخباره فقال عقبة هو ذلك أيها الأمير أنا القاضى عقبة الاجل المحترم وقد قرأت سائر الكتب وعرفت سائر الاديان فلم يروق لى غير دين النصرانيه فقال له الخطاف ياشيخ كل من أمرت بقتله فاربنى اياه فقد أتاك منه المراد ومسرة الفؤاد فقال عقبة سمعا وطاعه (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان برق بن رياح لما رأى فعل الملك ميخائيل مع الخطاف وما أعطاه داخله الحسد لانه سرق عقبه وما أعطوه درهم واحد فايقن ان مالهم فيه رغبة ولا نية فقال هذا الشيخ النحس خدعنى وقال انه يعطينى المال فكان قوله كله زور وبهتان وما فى الأمر إلا اننى أسرقه وأرده إلى الخيمة التى أخذته منها

(قال الراوى) ياساده يا أعيان وهذا بدوى وحدثته نفسه بذلك وقد عول على سرقة الخطاف بحيلة يتمها عليه وهوان يقول له نم معى إلى الموضع الفلانى فقد أخذت

المأمون حتى يأخده ويكون قد اكمن له هناك رجال من المسلمين حتى يأخذوه (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان هذا من الحسد الذى وقع به وغيب رشده فترك عقبة حتى نام ونام الخطاف ودنا من عقبة وحط الاكرة فى فمه وحمله على أكتافه وخرج به من المضرب الذى للخطاف ومن عسكر الروم فنظر عقبة إلى الذى يعدو به مثل الخيل العربية فقال فى نفسه مايقدر أحد يفعل هذه الفعال إلا برق بن رياح وكان لما خرج من العسكر أخرج الاكره من فمه فقال له عقبة من أنت برق بن رياح ابن عبد المسيح فقال له برق ياشيخ الضلاله ومعدن الجهاله خلصتك من المـــوت من عند المسلمين وضمنت لى المال الكثير وأوعدتنى بكل جميل ولما تخلصت وحصلت فى مأمنك ما أعطيتنى درهم واحد وهذا الخطاف قد قتل أوباش العرب ممن لا يذكر بالشجاعة وقد أعطيتموه تلك الاموال والعطايا فقال عقبة ياهذا انما نحن على نية دفع المال اليك وانما هذه الحروب شغلتنا عن ذلك فقال برق وأنا أردك إلى الخيمة التى كنت فيها عند المسلمين وأجمع بينك وبين الراهب شومدرس الذى كنت عنده فان أعطانى الملك المال عدت ورجعت سرقتك وان لم يعطنى فانا أبيعك للمسلمين بمهما طلبت فقال عقبة لا بذمة العرب فوحق المسيح ما كانوا يبقون على ساعة واحدة ولو أردت من الملك جميع مال الروم فان كنت لا تثق بقولى فخذنى وسر بى إلى أى موضع من بلاد الروم وإن أردت أنطاكية فلى فيها مالا جزيلا أعطيك منه ماطلبت وتنال أضعاف ماتريد على شرط أنك تأخذ لى راس عبد الوهاب وذات الهمة والبطال (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهو معه فى الكلام وإذا بشيخ قائم فى الظلام فى اعتكار الليل وهو قريب منهم يسمع كلامهم وكان هذا الشخص البطال وقد عرف كلام عقبة وعرف أيضا برق بن رياح فناداه أبو محمد يابرق قف واسمع كلامى فقال له برق مالك وما تريد وما الذى تشتهى هذا وقد عرفه عقبة فقال البطال فمات الموتة التى كتبت له ودخل على قلبه منه رجفة مادخل عليه مثلها قط هذا وقد قال البطال له ولا تسمع كلام هذا الملعون المنافق الكذاب الكثير المحال ولا تصغى إلى زخرفته فى المقال فاقبل منى ولا تخالفنى فى الأقوال وأوصله إلى الأمير عبد الوهاب وأنا وحق من شرق الشرق وغرب الغرب آخذ لك فى ليلتك هذه قبل الصباح بوزنك مال من عبد الوهاب وأعطيك أنا من عندى من الأموال التى كسبتها من بلاد الروم ما أغنيك بها إلى عقب عقبك وتكون عندنا مبجلا مكرما وتعود إلى دين الإسلام وملة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلا تتعب نفسك بحمل هذا الملعون إلى أقطار البلاد وخذ المال بلا تعب ولا نصب وتعود إلى دين محمد المكرم المنتخب وترفع نفسك بين العرب فقال برق صدقت

والله أما الأمير سيسير بنا إلى عند أميرك فأنا اسلمه إليه وان هو أعطانى ما أريد وإلا وذمة العرب عدت أخذته وقتلت أميركم واعلم أنى لو اردت قتله البارحة لفعلت لانى تبعته وقد خرج لقضاء حاجته ولو أردت لبادرته بخنجرى فى ظلام الليل وما كان يلحقنى لاحق ولا يعوقنى عائق ولقد أردت أيضا قتل ذلك النحس الاشقر الازرق العين أبو محمد الذى يقال له البطال وهو يأكل أول الليل كعكا يابسا مبلولا فى القصعة المدهونة لفعلت لانى كنت فى المضرب عنده وهو لايعلم وانى كنت أتيت على نية قتله فرجعت عن ذلك ولا بد ما أسرق الملك ميخائيل لاجل مافعل فى حق الخطاف ذلك الفعل واهمل أمرى واحتقرنى وأيضا أسلخ راسك ان لم توفى لى ماوعدتنى به فقال له عقبة وقد رجف قلبه وخاف ياهذا ألا تفعل وأنا أعطيك بوزنى ذهب مرتين (قال الراوى) ياسادة ياكرام والعرب طماعة لايعرفون إلا كثرة الأموال فقال للبطال قد سمعت ما قال هذا الشيخ فعندكم أنتم أزيد فقال له البطال وقد علم قلة عقله نعم ياهذا عندنا بوزنك ثلاث مرات فقال عقبة يابرق ابعدنى إلى مكان لايعرفه أحد من الناس وخذ منى علامة الى الملك ميخائيل فان هو لم يفرغ عليك المال حتى يطمك وإلا عد على واقتلنى فضحك البطال وقال ابصر الشيخ النحس كيف يريد يحتال عليك حتى يعيدك إلى الملك فيقبض عليك ويطلب منك عقبة ويأخذه منك ويقتلك بعد ذلك لانهم لايرجعون يثقوا إليك ولا يأمنوا لك فتذهب كما ذهب أمس فقال برق وذمة العرب لقد صدقت فسير الآن إلى الامير عبد الوهاب ثم انه وضع الاكرة فى فم الملعون عقبة وحمله على اكتافه وسار به خلف الأمير أبو محمد البطال ولم يزالوا سائرين إلى أن قربوا من عساكر الإسلام وكان المتولى حرس العسكر فى هذه الليلة الأميرة ذات الهمة وخلفها ماتين فارس من بنى كلاب بينما هى سائرة تخب بالجواد والرجال خلفها كأنهم الآساد إذ نظرت إلى شبح الامير أبو محمد البطال وخلفه شخص آخر حامل على أكتافه حمل ثقيل وهو يعد وبه مثل الجواد النبيل عند ذلك قصدت نحوهم الاميرة ذات الهمة وصاحت عليهم صيحة تفلق الصخرة الصمة وقالت من أين أنتم أيها الغادين وإلى أين أنتم قاصدين تكلموا وأسرعوا فى الخطاب من قبل أن تذوقوا مرارة الهلاك والعذاب عند ذلك أظهر لها الامير أبو محمد البطال علامة سر الليل ومال نحوها كل الميل فقالت الاميرة أبو محمد فقال نعم فقالت له ما أسرع عودتك أرجو أن تكون بلغت من الخطاف وعقبة إرادتك فقال لها البطال اعلمى أيتها السيدة المجاهدة ان الله تبارك وتعالى قد أوقع عقبة فى يد غيرى والسعيد من قضيت حاجته وسلمت مهجته فقالت له الاميرة وكيف ذلك فقال أخذه برق ابن رياح وهو الذى

تريه خلق حامله على أكتافه ولا ترى يقتفى ثم أنه بعد ذلك أخبرها بالقصه على جليتها ولا فائدة فى إعادتها (قال الراوى) باسادة يا كرام وبعد أن فرغ البطال من كلامه ترجلت الاميرة ذات الهمة من على ظهر الجواد وقبلت الارض شكرا لمن يعلم طولها والعرض وقالت فى هذه المرة إن شاء الله تعالى ينكشف ستر هذا الملعون عند أمير المؤمنين المأمون والك علينا أيها الامير كلما ضمنته ابرق بن رياح من الاموال ويكون عندنا فى غاية التعظيم والاجلال ثم ان الاميرة ذات الهمة عادت بهم طالبه نحو سرادق الامير عبد الوهاب مسرورة الفؤاد من تلك الامور والاسباب ولم تزل سائرة إلى أن وصلت الى سرادق الامير وترجلت من على ظهر الحصان وصاحت بالغلمان فاتوانحوها مسرعين كأنهم من مردة الجن أو الشياطين قائلين لها لبيك لبيك يا أم المجاهدين فقالت لهم هيا يا أولادى نادوا الامير عبد الوهاب فقالوا لها الغلمان الساعة نام الامير لانه تاخر فى السهر عند أمير المؤمنين وماصدق ان ينام ونخاف أن نيقظه يجرد علينا ويمقتنا بالتوبيخ والملام فقالت لهم الاميرة ذات الهمة نبهوه من منامه فان الذى تنبهوه من أجله الآن هو غاية قصده ومرامه عند ذلك دخلت الغلمان على الامير عبد الوهاب ونبهوه فانتبه قائلا أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى دائم لايموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شىء قدير سبحان مميت الاحياء ومحيى الأموات ثم قال للغلمان بعد ذلك خير يكون إن شاء الله تعالى ما الخبر يا أولادى فقالوا الغلمان خبر خير أيها الأمير يسر به فؤادك ويكمد أعداك وحسادك ثم أنهم أخبروه بالحال فكاد أن يطير قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح وأمرهم أن يوقدوا الشموع والمشاعل وخرج بعد ذلك من السرادق مسرعا بلا امهال نحو والدته والأمير أبو محمد البطال ولما وقعت عينه على والدته ذات الهمة تقدم إليها وقبل رأسها ويديها وعطف بعد ذلك على الأمير أبو محمد وسلم عليه وقبله بين عينيه وفعل ببرق بن رياح مثل ذلك وحياه بأعظم تحية وبعد ذلك عادوا الجميع نحو سرادق الأمير عبد الوهاب فوجدوا الغلمان قد أوقدوا المشاعل والشموع واقفين فى غاية الأدب والخشوع فدخلوا الجميع وجلسوا هذا وبرق بن رياح قد طرح عقبه بين أياديهم تضاحكوا عليه قاصيهم ودانيهم وبصق فى وجهه الامير عبد الوهاب وقال له لعن الله هذا الوجه السمج الكالح الذى مزج دمه بماء الفضائح والقبائح ابشر ياملعون بالصلب بعد العذاب الاليم والعذاب فى الآخرة أشد يالئيم فلعن الله ساعة نزلت فيها من بطن أمك إلى دار الدنيا يا أقبح من خنزير فلقد عم شرك الكبير والصغير وأراد الامير عبد الوهاب أن يقوم إليه ويشفى منه فؤاده

بالضرب والعذاب فمنعه من ذلك الامير أبو محمد البطال وقال له دعنا الساعة أيها الامير من هذا الحال فإن الضرب والعذاب لا يفوته ولا بد ان شاء الله تعالى من هلاكه وموته واعلم أيها الامير أن هذا الامير برق ابن رياح يجب أن يقرب ويعطى كل مايتمناه من فضة وذهب وجواهر ولآلىء وخيول مسومة ونوق وجمال ومضارب وخيام وسرارى وخدام حتى ينشرح خاطره ويطيب له عندنا المقام ونرجو الله تبارك وتعالى أن يشرح قلبه لدين الاسلام بجاه المظلل بالغمام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام فعند ذلك صاح عقبة وقال ياأبو محمد لا بلغك الله مرام وسلط الله عليك وعليه داء السعال والزكام لأنك ما اتفقت أنت وهذا برق ابن اللئام وصار لك من جملة الاصحاب والالزام الا حتى تحرموا على أعين الناس لذيذ المنام وكل من غفل عن نفسه تسرقوه يا أولاد الحرام فضحك الامير أبو محمد من كلامه وقال له تكلم ياقاضى بكل ماتشتهى وتريد من قبل أن تذوق العذاب الشديد وما هذا وقت مكافئتك ياشيطان مريد ثم تركه والتفت الى الامير عبد الوهاب وقال له أيها الامير المهاب بلغ الامير برق ابن رياح أمانيه واعطيه فوق ما يرضيه لانه والله رجل بقضاء الحوائج معروف وبخوض بحار الاهوال معروف حتى أكون قد وفيت له بما ضمنته عنك من الضمان وأكون عنده صادق اللسان فقال الامير عبد الوهاب على يا أبو محمد كلما يشتهى ويريد وأنا وجميع ما أملك بين يديه ولا أبخل بروحى عليه ولكن أنا والله ماأرضى له الكفر بعد الايمان وعبادة الصور المصورة فى الحيطان بعد عبادة مكون الأكوان وملون الألوان خالق الانس والجان الرحيم الرحمن سبحانه وتعالى لا إله سواه ولا معبود بحق إلا إياه مسبل ستره على من عصاه ومجيب دعوة المضطر إذا دعاه (قال الراوى) ياساده يا كرام فعند ذلك قال برق بن رياح ياقوم أما أنا فما أدرى إيش تكون الأديان ولا أعرف فيها لاقليل ولا كثير غير لا إله إلا الله ومحمد رسول الله فلكم على أن اسمع منكم ما تقولون وأفعل مابه تأمرون وهذا ماعندى والسلام (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أن سمع منه الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب فرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد وأمر خازنداره بحضور عشرة أكياس فى كل كيس ألف دينار فى أسرع وقت حضر وبين يديه فأقر برق بن رياح باستلامهم وقال له أيها الأمير خذ هذه الأموال منا على قبول بشارة المسرة وسلامتك أنت وصاحبنا من البأس والمضرة وأما مكافئتك على اتعابك فهى باقية لوقت آخر غير هذا الوقت لأنك تدرى مانحن فيه الآن ومن لم يكن عنده تمييز لم يكن إنسان

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انه بعد ذلك الكلام أمر غلمانه أن ينصبوا له

بجانب سرادقه مضرب كبير وثلاث خيام وينقلوا اليهم كلما يحتاج اليه الأمر من بسط وطراحات ووسائد وخلع وغير ذلك مما يلزم للاكل والمشروب وكان من جملة تلك العطايات ثلاث جوار روميات نهد أبكار كانهن الأقمار (قال الراوى) ياسادة ياكرام ففى عاجل الحال فعلت الغلمان ماأمر به الأمير عبدالوهاب بدون اهمال وبعد ذلك أتوا الى برق بن رياح وأعلموه بما أعده له الاميرعبدالوهاب من المضارب والقباب ومايلزم لها من أدوات وذهاب ففرح بتلك النعم والملبوس وتبسم بعد أن كان عبوس قال ولما أن نظر الامير أبو محمد البطال إلى انشراح صدر برق بن رياح قال له يا أمير برق هذا المال الذى تراه بين يديك وماعداه مما أعده الامير عبدالوهاب اليك فكل ذلك من ماله خاصة وأما أنا فسوف يصل اليك أضعاف ذلك ويكون لك إن شاء رب العباد اقطاع وبلاد وعساكر وأجناد تركب لركوبك وتنزل لنزولك وأنا ماأريد منك إلا أن تأتينى بالاخبار وتسرق لى كل من قدرت عليه من القوم الاشرار أعداءنا وأعداء الملك الجبار وأجعل لك على فى كل عام ألف دينار (قال الراوى) فعند ذلك قال الامير أبو محمد ياشيخ خذوا أنتم صاحبكم عقبة ودعونى أرجع إلى عساكر الروم وأخطف لكم الخطاف وآتى به اليكم حتى أنكم تأمنوا شره وغدره ومكره فهو والله أفرس العرب من بعد منها ومن اقترب وقد ضمن للملك ميخائيل أنه يخرج فى غداة غد إلى موقف الحرب ومقام الطعن والضرب ويدعو الامير عبدالوهاب إلى قتاله وحربه ونزاله وأنا أقول ان الامير لم يكن من رجاله ولا يعد من أشكاله وأنا أعرف الناس به ومن جملة غاراته ودواهيه أنه غار فى مائة فارس من بنى قراد على خمسة آلاف فارس من بنى دارم وكانوا أبطال أقيال أمجاد أجلاد ذى سواعد شداد ورماح مداد وسيوف حداد وخيول جياد فساق جميع أموالهم بعد قتل رجالهم وسبى نسائهم وعيالهم وعاد بعد ذلك بجميع الاموال نحو منـــازله والاطلال (قال الراوى) وفى ثانى الايام تلاحقت به الرجال والابطال وداروا به من اليمين والشمال ونادوه إلى أين تذهب برجالنا والاموال يا ابن اللئام الانذال ابشر الآن بالهلاك والوبال قال فلا وأبيك ماسمع منهم الخطاف ذلك الخطاب حتى وثب من على وجه الارض الى ظهر حجرة له يقال لها العفريته من نسل جواد يقال الشيطان وأنما كان يقال لها الجنيه لانها كانت اذا أطلق لها العنان مرت براكبها أسرع من لمع البرق الخاطف فلا يدرك أثر غبارها حجرة ولاحصان ولما وثب الخطاف وبقى على ظهرها صرخ صرخة شديدة أرعب بها قلوب الفرسان وحمل على الرجال حملة الاسد الغضبان والغاية أنه فعل بهم فعالا نظيفة أقول تعجز عن فعل مثالها الانس وكثير من

الجان ولم يزل على ذلك الحال حتى أنه قتل المقدم عليهم وأسقاه شراب الوبال وكان يقال له الامير شيظم ابن شاس وبعد قتله تقهقرت الرجال بين يديه وما قدروا على وصول أذيه يوصلوها اليه فعندها نادوا كلهم عن صوت واحد وقالوا له امسك يدك أيها البطل الهمام والاسد الضرغام فانت والله فارس عصرك ونتيجة دهرك ونحن بعد قتل الامير شيظم ابن شاس لم نريد أحد خلافك يكون أميرا علينا من الناس ونحن نكون بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك فلما سمع منهم ذلك الكلام أمنهم على نفوسهم وأعطاهم الزمام ورد عليهم جميع مانهبه من أموال ونوق وجمال ومضارب وخيام ففعل فعال الرجال الكرام وأبى أن لا يكون أميرا عليهم ولا على غيرهم وطلب الوحدة والعزلة عن الناس وسكن البراري الحوال كما تفعل اسود الدحال (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب من برق ذلك علم ان قوله صحيح مافيه كذب ولا تلويح فقال الامير لعمرى أنه فارس شجاع وبطل مناع ولقد رأيت منه مالم أراه من غيره وهو فارس شديد وما على فروسيته من مزيد فقال برق طب نفسا وقر عينا أنا الساعة ماضى الية وان شئت أيتك برأسه فقال البطال هذا الذى نريد حتى نأمن كيده وشره فقال برق اعلموا ان القوم آمنون من جانبي وما يعلمون انى قد أخذت عقبه وها أنا ماضى كانى اقتقذ الخطاف واقتطف رأسه وأعود وان شئتم سرقته فقال الامير عبد الوهاب ماأريد قتله ولكن كنت أريد ان الله يمن عليه بالاسلام وألاقى به الروم اللئام ولا بد لى فى غداة غد من الخروج اليه والقدوم عليه فقال له برق ماهذا صواب لانه غلام وفيه حدة الشباب وأنت عليك آثار المشيب وماأنت منه بقريب فقال له الامير يابرق ان كانت قد شابت لتى فما شابت همتى وما فى الامر الا أنه رجل أتى يريد قتالى فاعمل على هلاكه لا كان ذلك أبدا ولعل الله تعالى ينصرنى عليه ويكون مجاهدا فى سبيل الله تعالى تحت يدى ان أردت ان تعمل معنا جميل فخلص لنا صاحبنا ملابط البغال فقال سمعا وطاعه فعندها سلم الاموال كلها البرق وقال له خذ هذه الخيمه بمافيها لك من الرجال والاموال والقماش وآنية وخيل وغلمان فرفع المال الى خيمته ووهبه ثلاث جوار من بنات الروم مثل الاقمار وعبدين اسودين برسم خدمته فطار قلبه فرحا ثم انه عاد الى عسكر الروم فى طلب ملابط البغال

(قال الراوى) وان الامير قام لوقته ودخل على المأمون وقبل الارض بين يديه وقال له ياأمير المؤمنين عندى خبر عجيب ثم انه حدثه بالخبر من أوله إلى آخره فتعجب المأمون من ذلك وان الأميره وضعت القيود فى رجلين عقبه وقالت له ياملعون إلى كم يمهلك الله تعالى وأنت تشرك به وتأكل رزقه فقد آن أوان هلاكك ماعلمت ياملعون

ان سلامتك بالقدرة والمشيئه وان قيود الارادة لك مغلغله حتى توقعك بأيدينا ونصلبك على باب الذهب كما وعدنا النبي المنتخب سيد العجم والعرب فقال لها عقبة ياعاهره دعيني ودعي عنكى هذا الهذيان فهذا أمر بارد ولا أبالي أنا مما كان من أمري لأني قد قتلت من المسلمين شيء كثير شيء فتلته بيدي وشيء كنت أتسبب في هلاكهم وذبحت الولدان وخربت جوامع البلدان وصليت بالخلفاء بغير وضوء خديعة منه وبهتان وشربت المنكرات وسمعت الغانيات وقلت بالمحرمات وهتكت البنات وسبيت المخدرات ونصرت المسلمين والمسلمات ورميتهم بالآفات وكم ضربت فيهم من مره بوق الشتات وفعلت بكل قبيح ارجوا بهذا كله الثواب للسيد المسيح وسوف وتكون اولادكم يأخذهم الغضب من اجلي ومن سماع كلامي وتنفطر مرائرهم عند أخباري ومدامي فلما سمعت الأميره كلامه كادت مرارتها أن تنفطر ثم أمرت به فأتوا به اليها وأمرت بضربه فضربته السودان بطنا وظهر حتى غاب عن الوجود واختلط دمه وبوله ولحمه وقيل قد مات ثم أمرت به فرفع إلى عند شومدرس وهو غايب لايعقل وقد قالت ارجوان يكون صلبه في غداة غد ويكون أجله قد اقترب ونسقيه شراب العطب وهو يقول كم لنا نسمع مثل هذا الكلام وشومدرس قد داخله الجزع وهو يقول المسلمين قد ملكوني وربما داخلهم الغيظ مني فيصلبوني فبينما هو كذلك وإذا بالسودان قد دخلوا عليه بعقبه وهو في تلك الحاله وقد جيف في ثيابه ودماه سائله على اكتابه وكان معهم الضوء فمد شومدرس عينه فنظر إلى عقبة وهو في تلك الحاله فصبر عليه إلى أن أفاق وجعل يئن فأقبل عليه شومدرس وقال له ياقاضي من اكل وحده عض بوجده فكيف هذا الأمر فقال عقبه دعني فما هذا وقت المداعبه فقد ذهب مني المقال وقد قرب مني الارتحال ونزل بي من الضرب مالاتحمله الجبال ثم اعاد عليه امره فحرك شومدرس رأسه وقد غضب منه وقال له هذا وأنت محتال البلدان وشيخ الزمان اما تعلم ان العرب طماعه ومالهم الا مايقع في ايديهم في الحال وهذا رجل خاطر بنفسه لاجلك وحملك على اكتافه وبلغك مرادك وخلصك من وسط اضدادك بعدما عزموا على صلبك وهلاكك فوحق المسيح لو كان فعاله معي لافرغت عليه المال حتى أطمره فلارثا لك المسيح باشيخ السوء فما اقل عقلك فكادت مرارة عقبه أن تنفطر (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء.

(وأما ما كان) من برق بن رياح فانه قصد الى الموضع الذي فيه ملابط البغال فخلصه وأخرجه إلى مكان حريز وقال له قف حتى آخذ رأس الخطاف واورده مورد التلاف ولا اعني يقول الأمير عبد الوهاب ثم قصد الى خيمة الخطاف وأخذ الخلعة التي خلعها عليه من ملك الروم واراد ان يخرج واذا بالخطاف

قد قبض عليه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الخطاف انتبه بعد أن أخذ برق لعقبة فلم يجد عقبة فقال وذمة العرب ماأخذه إلا برق ووداه إلى المسلمين ويأخذ منهم ماطلب ثم قال لغلمانه احفظوا فرسى وإياكم أن تناموا فانى خائف من المسلمين أن يأخذوها وهى أحب إلى من كل من فى الدنيا ثم خرج من مضربه وقال وذمة العرب لابد له أن يعودوا كمن له عبدين ولم يزالوا حتى أقبل وعرفه الخطاف وقد دخل المضرب وقال لغلمانه كيف رأيتم العرب لو كنت نائما أخذنى ثم قال له لما قبضْ عليه ويلك ياملعون ياقبيح أين الشيخ النجيح فقال إنى وديته إلى الموضع الذى جبته منه فان ضمنت لى المال عنه فانا أمضى اليه وأعود به أسرع من البرق الخاطف فضحك الخطاف وقال له ياخبيث مثلى تلعب بعقله فلا بد لى من قتله (قال الراوى) وبقى ملابط البغال مكانه ينتظر قدوم برق فلم يأتى فبينما هو كذلك وإذا بشخص قد أقبل من نحو المسلمين فتامله وإذا به البطال فساله عن حاله فاخبره بخبر برق وإنه منتظره فعندها دخل البطال عسكر الروم وقد قصد مضرب الخطاف فسمعه وهو يتحدث بحديث برق وانه قبض عليه وهو يريد عند الصباح أن يحمله إلى الملك ميخائيل فعندها هجم البطال على الخطاف وبرق بين يديه فنظر الخطاف إلى البطال وهو فى زى البطارقة فقال له من أنت فقال أيها الأمير الاجل قم الى الملك قد سمع ماجرى لك فى هذه الليلة وقد عول أن يخلع عليك ويزوجك ابنته فقد غمرته بجميلك ويريد ايضا أن يوليك رقاب الروم باسرها ويدبر معك فى خلاص الشيخ النجيح فقال الخطاف وذمة العرب إننى أكفى الملك وحدى مؤنة العرب والعجم ثم أنه وثب مع البطال بعد أن شد برق كتاف وسلمه للبطال وقال له خذ هذا معك واحذر أن يطير من يدك فما كانت الطيور الطائرة تلحقه ويحجز بيننا وبينه الظلام فقال له البطال طب نفسا وقر عينا ولو كان مثله عشرة أوصلتهم بين يدى الملك وها أنا أقود هذا بين يدى قود البعير فقال الخطاف ما ناخذ أحدا معنا من بنى عمى فقال له الامير ماطلب الملك إلا أنت وحدك لأنه يريد يشاورك فى أمر لا يعلمه إلا أنت وفى الصباح تكون الخلع والتشريف ولم يزل البطال معه حتى خرج من المضرب فعندها دنا البطال من برق وقطع كتافه وقال له قم تم لى ما أريد من خلاصك وأنت تهرب ولا آمن أنا من هذا الجبار أن يقتلنى إذ علم أن قولى محال فقال له برق اصعد فوق أكتافى عاجل وقد أمنت الفارس والراجل (ياسادة) فركب البطال على أكتافه فعندها انقطع الحس من خلف الخطاف فالتفت ينظر إلى السبب وإذا ببرق يلطم الأرض برجليه والبطال فوق كتفيه فصاح الخطاف وتور عليه الابطال فما أقبلت الرجال حتى خرج من

العسكر هــذا والصياح قد علا والصراخ قد نما وتسامعت العرب وعمل فيهم الحسام المشطب إلى أن أصبح الصباح وركبت الروم واشتهرت السيوف واصطفت الصفوف وكان أول من فتح باب الحرب الخطاف على حجرته العفريته وهو فى أكمل زى وهيئة وإذا بالأمير عبد الوهاب ودعاه الى البراز نخرج اليه الامير وعليه عدة كاملة ولامه شامله وتقدم المامون ليتفرج عليهما هذا والخطاف تحته تلك الحجرة العفريته التى يقول فيها القائل حيث يقول :

وعفريته الخيل ما مثلها   تفوق الرياح إذا قصرت
فان سابقت برقها ليلة   تفوق البروق اذا ماجرت

(قال الراوى) وان الأمير عبدالوهاب جال على الخطاف وأنشد يقول :

رويدك ياخطاف وأفاك سالب   رؤس الأعادى عند ضرب البواتر
رويدك ياملعون انك كافر   جحود الرب عالم بالسرائر
وهاجرت دين الهاشمى محمــد   وخير الورى مابين ماش وحاضر
وحسبك يا ملعون أنك ملحد   وقد صرت منسوبا الى كل كافر
فهل لك يا هذا بان تك مسلما   وما شئت عندى من نفيس الجواهر
ومال وديباج وخز وفضة   وما قد أخذنا من ملوك الجزائر
وتنصر دين الحق ان صرت مسلما   وتصبح منسوبا الى كل طاهر
والا وبيت الله تاتيك ضربة   بكف همام قسورى مغادر

(قال الراوى) فلما سمع الخطاف كلامه شخر ونخر وتجبر وصدم الأمير عبدالوهاب وحمل عليه وهو يقول :

ألا يا ابن مرزوق أتيت بمنطق   بانك تسطو بالحداد البواتر
وسوف ترى منى لعمرك ضربة   تواريك شلوا بين صرعى المقابر
وطمعا لوحش البر من كل جانب   وأكلا لطير الأفق من كل طائر
وأحدوثة بين الأنام مقالة   تسير بها الركبان مع كل سائر
أرى الروم بالاموال والملك كله   وأنتم عليكم ذلة فى المحاضر
فان شئت تعفى من حسامى وسطوتى   فسلم الى اليوم نفسك صاغر
وتأخذ لميخائيل عهــد بانه   يخليك عبــدا رعيا للخنازر
وان ترضى حقا بالمسيح وأمه   فانت اذا تحظى بكل الذخائر
ويعطيك ميخائيل البلاد باسرها   تكون بحكمك عندهم فى الاوامر

(قال الراوى) ثم انه وقف ينتظر الجواب هذا والامير عبد الوهاب انقلبت عيناه فى أم رأسه وحمل عليه وحمل الخطاف عليه فيالها من ساعة ماأعظمها ومن نفس عزيزة ماأكرمها وكانا مثل الجبال اذا تصادمت أو البحار اذا تلاطمت هذا والاميرة قد وزنت الاثنين بميزان عقلها فكانا كفؤافلم يزالا يتعاركا الحصا وحميت الرمضا وقد تعب فرس الامير عبد اوهاب وحجرة الخطاف كلما مرت زاد نشاطها وقوى انبساطها ولما قوى عليهما الحر وقفا عن القتال فقال الخطاف ياابن مرزوق كيف تدعى انك ابن الحارث وأنت اسود اللون قبيح الكون فقال الامير عبد الوهاب ياملعون ان الله تعالى يخلق مايشاء وانما العجب ان أبى أبيض وأمى بيضاء كذلك وانا أسمر لتظهر قدرة القادر أنه يصنع الشيء من غير جنسه لأنه أوجد البحار من نيران والسموات من دخان ويجعل من الكافر مؤمنا ومن المؤمن كافر فقال له الخطاف إذا كان الأمر على ماتقول فدونك وما كنا فيه من القتال والحرب والنزال فمن ظفر منا بصاحبه تبعه فى دينه فقال الأمير أنا أفعل ذلك وشهد الله عليك أننى إن ظفرت بك ترجع إلى دين الاسلام وان أنا وقعت فى أسرك صرت مثلك على دين المسيح فقال الخطاف اعطينى يدك على ماذكرت فقال الأمير هذه يدى لك على ذلك فلما وقعت يدى الأمير فى يد الخطاف جذبه إليه فلم يتقلقل لأنه كان على يقظة من أمره فعندها تعاركا على الجوادين ولم يجد الخطاف إلى الأمير سبيل وقد وقعا إلى الأرض وأراد الخطاف الركوب فلم يمكنه الامير ونادى ياعزيز ياقوى ثم أنه لزم بوسطه ورفعه بقوته وشاله على رأسه فصاح بقومه ادركونى ياويلكم وخلصونى من يد هذا الاسود فلو كان معى سيف لما وصل إلى وهو عبد وشيمته الصراع فعند ذلك حملت أصحابه بنى تميم ونادى الامير عبد الوهاب بأعلا صوته يا آل كلاب فحملت الاميرة ذات الهمة والمسلمين جميعا وحملت الروم بسائر أجناسها وملوكها وطوائفها وحمل على بن يحيى الارموى فى عساكر طرسوس وعظم الخطب والبوس وذهبت النفوس وكان يومهم يوم عبوس اقتطعت فيه الرؤس وحمل الملك المدملوس بن مناطح التيوس وأبو المزاهز وملابط البغال والعبد مدلاج والامير هياج (قال الراوى) ولقد كانت ساعة من ساعات القيامة مانجا منها الا صاحب شهامة فاندقت عساكر الروم منهزمة ودخلت البلد وزحف المأمون إلى القسطنطونية وأمر الأمير باحضار الخشبة التى لعقبة فحضرت فى الحال وقد أغلق باب الذهب وصعدت الروم على الاصوار والابراج وأرموا بالاحجار والصخور الكبار وقتل جماعة من المسلمين الابرار ولقيت الناس غاية الاضرار وهان عليهم الموت لبلوغ الغرض لان فى قلوبهم من عقبة المرض وكان أبو محمد قد صنع السلالم فى هذه الايام

ووضعوا عليها الحبال والأخشاب وكانوا قدوصلوا مع الامير نافع وجميع الآلات المعدة لهذا اليوم وأخرج عقبة على أيدى الرجال وقد كشفوا رأسه ولطموا عنقه وأدموا وجهه ومزقوا أثوابه والبطال يكبر بين يديه ويذكر النبي ﷺ ويقرأ بين يديه هذا يومكم الذي كنتم توعدون (قال الراوى) وكان عقبة أرفع الناس صوتا فجعل يقرأ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياحبيب الله أعلمك يارسول رب العالمين ان هذا بعد الحجة والعمرة والاحرام والصلاة والزكاة والصيام والركوع والقيام والانقطاع فى المشعر الحرام والمواقف العظام وانى لم أغير عهدك ولم أنقض ودك فاشهد يارسول الله أنى أشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وان دين الاسلام حقا وما سواه باطلا فوالله أنى ما كنت أهرب إلى بلاد الروم وأقيم فيها وأخدم الكفرة والفجرة إلا من خوفى من هؤلاء القوم الذين كانوا نصبوا إلى العداوة وبغضوا إلى الاسلام وفعلوا فى حقى مافعلوا وهذا آخر فعالهم لكن هم المجاهدين فى سبيل الله وأنا أؤمل من الله تعالى الفرج بعد الشدة وان الله يعوضنى الجنان وان يعفو عنهم ولا يسكنهم بأثمى الى النيران لانهم مجاهدون فى طاعة الرحمن الملك المنان

(ياسادة) ونظرت الناس الى ذلك والروم قد فتحوا باب الذهب وأرموا أنفسهم على عقبة والتقوا المسلمين بالصدام من أجل عقبة نسل اللئام حتى ردوا الناس الى الخيام وحجز بينهم الظلام وعادت الروم وقد بذلت المجهود من أجل أهل الكفر والجحود وأما المامون فانه كان قد سمع كلام عقبة ولم يعمل فيه حبه بل قال والله لاصدقت مقاله بعدما عاينت من فعاله وقد كفانى ماقد رأيت من محاله وأما السيدة زبيده فانها لما أخبرت بذلك بكت وقالت ويجوز انه يهرب الى بلاد الروم ثم يدارى الكفره عن نفسه وهو على أيام الرشيد كان تارة يهرب إلى بلاد الحجاز وتارة إلى الشام وتارة إلى اليمن ولا يرى موضع يحميه من بلاد الاسلام والدليل على قوله انه دخل إلى بلاد النصرانية مدينة الملافطه ولو كان قصد إلى بلاد النصرانيه كان قد أقام عندهم بالكليه وسكن بلاد القسطنطونيه وما كان عنده خبر من أهل دين الحنيفيه والآن فقد أشرف على التلاف وهو مع ذلك ينادى بالله ويستغيث برسول الله ﷺ ولقد ندمت على ماقد قلت للمأمون فى حقه من ذلك الكلام وأنا أشعلت عليه النيران وأخاف أن الله تعالى يؤاخذنى بذنبه وأهلك بذنب هذا الشيخ الضعيف الذى هو مسكين ثم انها خرجت من مضربها ودخلت على المأمون وأعادت عليه ذلك فقال أقسم بالله لا تكلمت فيه بكلمة واحدة وهم المقلدون بدمه ولقد حلفت لهم بما حلفت انى لا أتعرض لهم بحال من الاحوال

(قال الراوى) وان الامير عبدالوهاب لما نزل رد غقبه إلى مكانه ووكل به السودان وقال للخطاف كيف رأيت ياويلك مقامك فقال الخطاف بلى ياأميرنا قد اعترفت بذنبى وأنا أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ وأريد أن أكافئك على هدايتى على دين الاسلام بأن أعمل الحيله على بلاد الروم اللئام لاننى لما حملت عليك رأيت ملكا رأسه فى السماء ورجلاه تحت تخوم الارض وقد أرمانى تحتك فصدقه عبد الوهاب فى قوله وفرح باسلامه وأما الأمير أبو محمد فانه قال أيها الامير ما أخوفنى أن تكون هذه حيلة منه فقال له عبدالوهاب ياأبو محمد الأمر بخلاف ذلك فقال البطال أيها الامير أما سمعت من قال إذا كان الغدر طباع فالثقة بكل أحد عجز فقال الامير عبد الوهاب ياأبو محمد اعلم انه لما هزنى وأراد أن يقلعنى من الارض حسيت بشخص قبض على رجلى هنالك انحلت عزيمتى فقال البطال افعل مابدالك فعندها قال الامير اطلقوه فسار الخطاف من وقته إلى القسطنطونية بعد أن قال للامير عبدالوهاب لاتظهر فى غداة غد للروم فان لى فى ذلك أرب وان الخطاف عرف الروم بنفسه فعرفوه وفتحوا له الباب فدخل وقد خضب يده بدماء القتلا فلما رأوه على تلك الحالة سألوه عن حاله فاخبرهم أنه قتل الامير عبد الوهاب ومعه ثلاثة من بنى كلاب ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وخلع عليه الخلع السنية وقال له أنت عماد دين النصرانية فقال أيها الملك إذا كان فى غداة غد أنا أريك كيف يكون السبب فى انكسار هذه العساكر وتفريقها وكيف آخذ لك ذات الهمة (قال الراوى) وبات الملك وهو لا يصدق بالصباح أن يصبح (ياسادة) وأما الامير الخطاف فانه خلا بقومه وتحدث معهم بما جرى له مع الامير عبد الوهاب فقال له بنى عمه والله مانحن طيبين إلا بدين الاسلام وقد كنا عولنا أن نأخذ كلما حصل لنا ونخليك ونرحل فقال لهم أنا غدا آخذ الملك وهو سبب غنانا من عبد الوهاب وباتوا مصرين على ذلك فلما أصبح الصباح فتح باب البلد وخرج الملك ميخائيل وخرجت ملوك الروم باسرها والعرب المتنصرة وقد زحف الخطاف وبنو عمه حول الملك وقد ركبت الاميرة ذات الهمة هذا وقد قال الخطاف لقومه افعلوا كما ترونى أفعل وان الاميرة لما ركبت نظرت اليها الروم وأصحابها خلفها ولم ينظروا إلى الامير عبدالوهاب ولا رأوا له خبر وأبصر الملك ذلك فصدق قول الخطاف وطمعت الروم فى عساكر الاسلام ثم ان الملك أمر الروم بالحملة فحملوا وحملت الاميرة ذات الهمة والتقى الجمعان وتقاتل الفريقان فعندها صاح الخطاف وهجم على ملك الروم وقبض على أطواقه وصاحت العرب بالتهليل والتكبير والصلاه على البشير النذير وحملت الاميرة ذات الهمة وظهر الامير عبدالوهاب

فى أوائل بنى كلاب والسودان الانجاب وعملت الصوارم فى الجماجم والرقاب وحملت الروم تطلب خلاص الملك من يد الخطاف وهيهات ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل إلى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه

(قال الراوى) وما كان للروم إلا الدخول إلى البلد وغنم الامير عبد الوهاب من الاموال الى كانت مع ملك الروم مالا عين رأت ولا أذن سمعت وأخذ ملك الروم أسيرا وأعطاه للعرب والسودان وقال أريد منكم غدا أن تجهدون حتى نصلب هذا الشيطان عقبة فقال الخطاف والسودان لا تعرف هذا إلا منا ثم جعل الامير عبد الوهاب يهب العرب أصحاب الخطاف من الجوار التى وصلت معه من الجزائر (ياساده) وقد ذكرنا ان الامير عبد الوهاب خلص المأسورات وخلص يانس المتعزب وخلص شمسه زوجة أبو يخلف وكان شمس النصرانية بن قراقونا قد تزوج بها كما ذكرنا وأسلم على يد الامير عبد الوهاب من أجلها وكان فارس شجاع وبطل مناع وكان الأمير عبدالوهاب قد قال معلوم إن هذه الجارية كنتم أخذتموها وقد أعطيناها لهذا المغربى والآن قد أسلمت لما أسلم هذا الغلام وأنا أعطيها له فما تقولون فى ذلك فقالت المسلمون نعم مارأيت أيها الأمير لأن هذا رجل مجاهد فى سبيل الله وأبو يخلف قط ما أفلح وإن أنت لم تزوجها بهذا الغلام رجع إلى دين النصرانية وهذه شمسة ما كانت مع أبو يخلف إلا على دينها وهى للمسلمين من جملة الغنيمة وإننا إذا أعطيناها له لم يعترض أحدا عليك (ياسادة) فاعطوا له شمسة ولقبوه شمس الحنيفية وزوجوه بها (قال) وسمع أبو يخلف ذلك فعلم أنه إن تكلم لاينفعه الكلام وصبر وفى قلبه النار ذات الاضطرام وهانت عليه المنية وعول أن يفعل فعلا سوف نذكره وباتت الناس على غاية المسرة وإن الأمير عبد الوهاب عند الصباح ركب إلى خدمة أمير المؤمنين ليشاوره فى الزحف إلى البلد ليصلب عقبة فلم يجد المأمون فى خيمته ووجد فراشه ملآن بالدم فرجع فزعان عليه ولم يعلم للمأمون خبر وأخبر الأمير عبدالوهاب بنى كلاب فوقع البكاء والانتحاب فقال لهم البطال ياقوم لو كان قتل لبقى جسده وما هو إلا قد مانع عن نفسه حتى خرج ثم دخلوا إلى السرير وإذا جسد ملقى فعرفوه واذا هو جسد الخادم قمر (ياسادة) وإن الامير عبد الوهاب طلب عقبة وشومدرس فلم يجدهما فقال هذه تمام النكبة

(قال الراوى) وكان ذلك من عمل أبو يخلف لاننا قد ذكرنا فى الحديث المتقدم قلة عقله وانه تبصر مرارا وانه لما أيس فى هذه النوبة من الجارية شمسة وعاين من المسلمين

وقد تعصبوا عليه وزوجوها لشمس الحنيفيه لأنهم قط مانظروا هـذا أبو يخلف صلى صلاة ولا يغفل أحدا عن ثوبه إلا ويسرقه وعلى شمسة ينفقه ولما صح عنده أن شمسه قدخرجت من يده وان كلامه لايسمع وليس له من المسلمين شافع يشفع ففكر مايصنع وقال مالى الا أعمل فى خلاص عقبة الذى قد أشرف على الهلاك ولم يبق غير صلبه فان أنا خلصته لابد أن يعمل معى كما عملت معه ونعيش أنا وهو فى بلاد الروم (قال الراوى) وهوغير مجهول فى عسكر الأميرعبدالوهاب وعمد الى السودان الذين هم موكلون بالخيمه التى فيها شومدرس وعقبة وقال لهم غدا نشفى قلوبنا من هذا الشيطان وصار يتمسخر لهم وهم يضحكون عليه ثم قام ودخل الى الخيمة وقال لابد أن أشفى فؤادى من ضرب عقبة فى هذه الليلة فظنوا السودان أن ذلك حقا فلما دخل عليه ونظر عقبة اليه فظن أنه قد أتى ليضربه فقال له ويلك غدا تشفى من صلبى وان ضربتنى عصاة واحدة هلكت لامحالة فلما سمع أبو يخلف كلامه قال له ماجئت لاجل ضربك لكن قد بعثنى اليك المسيح حتى أخلصك ولكن لى اليك حاجة أقولها لك وأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها وما جرى له من حديث الجارية شمسة وما صنعوا الامراء وعقبة يخبثه يبكى ويقول واحسرتاه عليك هذا جزاك اليوم منهم بعد طول الصحبة وهذا الذى حملنى على التنصر وأن أصير من حزب الروم من فعالهم معى فقال الآن مضى مامضى ولكن أريد الساعة تعرفنى كيف أصنع حتى أدبر فى خلاصك وخلاص هذا الشيخ معك فقال عقبة اعلم أن هؤلاء السودان قتلهم عندى أهون من شرب المـاء فقال أبو يخلف وكيف ذلك قال تقدم وخذ هذه الصرة من تحت ابطى فتقدم اليه وأخذها وقال له مافيها فقال له احذر أن تشمها ولكن اخرج الى عندهم فان حضرهم طعام فاطرحها فيه فان لم تقدر على ذلك فاطرحها فى الماء الذى يشربوه فقال سمعا وطاعة ثم انه جعل يضرب الارض وعقبة وشومدرس يستغيثون به وبعد ذلك خرج الى السودان وقال لهم ضربتهما حتى كادا أن يموتا فتركتهما وأبقيت على عقبة لاجل الامير عبد الوهاب ثم جعل يحدثهم بما كان جرى له مع شمسه ثم قال لهم وهل عندكم شىء نأكل فقالوا له اصبر فان لنا فى الحفيرة طرموس فاذا خرجناه من النار فدونك واياه فضحك وطاب عيشه وكان قد تهيأ لهم وأخرجوه من النار وبردوه فى جفنة وقعد أبو يخلف وسقا لهم الطعام وترك لهم فيه ذلك الدواء وجعل يحدثهم فما أكل الواحد منهم غير لقمة فيقع فجرد خنجره وذبح الاثنين وعلم أنهم هلكوا فدخل على عقبة وقال له قد قضيت الحاجة فقال له أخرجنى أنا وشومدرس الى برا العسكر حتى نكسر قيودنا ففعل ذلك

فقال له عقبة هل تقدر على خلاص الملك ميخائيل فقال لا ولكن أنا أقدر على أخذ المأمون فقال له ويلك كيف ذلك فقال سوف ترى ثم دخل الى العسكر ووصل الى خيمة المامون وكان كل ليلة يدخل عليه ويسامره وكان المأمون يعجبه حديثه فاتى تلك الليلة فقال له الخادم اعلم أن قلب مولانا الليلة غير منشرح للحديث فقال له وسر على ولا بد مما أدخل عليه وأضحكه وأساله أن يشفع لى عند الامير فى ستى شمسة فضحك الخادم واستاذن له فدخل وجعل يحادث المامون ويضاحكه والخادم قد رعنده حتى ناما الاثنين وسمع غطيطهما فوثب الى الضوء فى الحال فاطفاه وذبح الخادم ورماه الى السرير لعنة منه حتى اذا رأى ذلك أحد يقول المأمون قتل فتنخبط العساكر وتنقسم أفكار الناس وينقطع عنه الطلب ثم سد فم المأمون بالفوطة التى كانت على رأسه وطرح الخنجر على نحره فقد أفاق فقال له ان تحركت أخذت رأسك هكذا وطرح رأس الخادم على صدره فسكت حتى شد يديه ورجليه وبقى مثل الاكرة وحمله وسار به الى عقبة وقال هذا المأمون ففرح وقال ويلك كيف نفعل ان طلبنا به مدينة القسطنطونية أخذنا لامحالة ولكن أطلب بنا دير الشقيف فقال أبو يخلف ومن يعرف دير الشقيف فقال عقبة أنا أعرفه أحمل وسر ثم ان أبو يخلف حمله وساروا الى أن وصلوا الى دير الشقيف وكان أبو يخلف قد تعب وعقبة يقول له وحق المسيح لابد أن تعطى بوزنه ذهب فقال أبو يخلف أنا ما أريد ذهب بل أريد ستى شمسة وما يخرج المأمون من تحت يدى الا بها فقال عقبة لا تعرف هذا الا منى ولكن اصبر حتى أطلع الدير وآتيك بمن يحمله فقد قتلك التعب فقال أبو يخلف ما نبالى اذا كان ذلك خلاص ستى شمسه هذا والمأمون يسمع كلام عقبة وقد انكشف الغطاء وتحقق أن كلام عبد الوهاب والبطال فيه حقا فصعد عقبة وعاد ومعه خمسة رهبان شبان فحملوا المأمون وطلعوا به (ياسادة) وكان هذا الدير فى رأس الجبل وفيه مغاير ومصانع وسراديب الى قعره نافذة وغير نافذة صنعة الروم القدماء فانزلوا المأمون فى بعضها فلما اطمأن عقبه وشومدرس فقال عقبه هذا موضع لا يهتدى إليه أحد ولو جاؤنا المسلمين ماخذنا منهم لأننا ننزل فى بعض السراديب وأعرف الخروج منها إلى سائر الطرقات (قال الراوى) وكان فى هذا الدير عشر مواضع فيها عشرة رهبان خمسة شيوخ وخمسة شبان وكان عقبة له بهم معرفة من زمان فلما حصلوا عندهم سألوهم عن ميخائيل فقال عقبة ان ميخائيل أسير ونحن أيضا كنا مأسورين ولولا هذا الرجل صنع معنا جميل كنا هلكنا وقد أخذنا خليفة المسلمين المأمون وبه نخلص ميخائيل وننال به كلما نريد ثم قال عقبة من يوصل كتابى إلى مدينة القسطنطينية فقال بعض الرهبان أنا ياقاضى فكتب كتاب إلى حرب بن شيبان سوف

تذكره فى موضعه ثم أخذه الراهب وسار طالب البلد فهذا ما كان هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه أركب الخيل يمينا وشمال يطلب بلاد الروم على المأمون فما وجدوا له خبر ولا وقعوا له على أثر وفقدوا أبو يخلف فعلموا أن المصيبة كلها منه فقال البطال والله لقد حسبت هذا الحساب وعلمت أن الغرام يحمله إلى البلاء إلى هذه الأسباب أليس يا أمير أنا وانت روحين فى جسد هذا وقد رأيت ماجرى بينى و بينك بسبب نورى (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان الأمير زحف إلى القسطنطونية وقاتلها فلم يلتفتوا إليه أهلها ولا عبأوا به لأنهم عالم عظيم والمكان حصين وقد انكسرت نفوس الناس والعساكر الاسلامية بعدم الخليفة وخلاص عقبة بعد ما أملوا صلبه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ملا الأقطار وطبق على سائر الديار والأمصار فقال الأمير عبد الوهاب امضوا اكشفوا الخبر فهنالك مضوا وعادوا أخبروا بأنها عساكر العراق وقد اجتمعت من أرض الجزيرة وديار بكر والشام وبغداد وقد أتوا من أجل خلاص المأمون ولم يعلموا بما جرى من قصة الأمير عبد الوهاب وخروجه من الجزائر وقد عقدت الرايات على رأس ولى العهد وهو المعتصم بالله (ياسادة) وكان هذا أبو إسحق المعتصم ابن هرون الرشيد ولم يكن فى بنى العباس له نظير فى شدة باسه ولا قوة مراسه وحزمه ورأيه وحكمته وعلمه وقد وهبه الله تعالى قوة زائدة حتى كان يقال له اسد بنى العباس ولما وردت الأخبار إلى بغداد بانكسار المأمون وانه مأسور جمع المعتصم هذه العساكر ودخل إلى بلاد الروم ولما تحقق الأمير عبد الوهاب ذلك ركب لاستقباله ومعه سائر الأمراء وكذلك السيدة زبيدة أم المعتصم بل أمه مولدة من الكوفة أسمها ماردة فنزلت عساكره على باب القسطنطونية وسال المعتصم عن المامون فأخبروه بما وقع له (قال الراوى) وكان وصول المعتصم فى ثانى يوم من شهر ربيع الأول وفى اليوم التاسع منه مات المامون لأنه جرح جرحا وثيقا قاتلا وعارضه عليه مرض وسوف نذكره فى موضعه وذلك فى سنة سبعة وعشرين ومائتين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وزحف المعتصم بالله إلى القسطنطونية وقاتل أهلها قتالا شديدا فلم يقدر منها على شىء هذا والبطال يضرب فى الأرض يمينا وشمالا فبينما هو كذلك إذ لاح فى بعض الليالى راهب سائر على عجل منه فقال لأصحابه هذه الساعة قد قدم من القسطنطونية وما هو إلا رسول اما من عند عقبة واما إلى عقبة فقال بعض غلمانه وكم رأينا نحن فى هذه الليالى من رهبان فلا تشغلنا عن طريقتنا واطلب بنا الحصون والقلاع فقال هذا ما أسمعه ثم تقدم اليه وقبض عليه ففتشه

واذا هو معه كتاب من حرب بن شيبان يقول فيه قد شكرت المسيح على سلامتك وحصول الخليفة المامون تحت قبضتك لكن لاتبرح من مكان أنت فيه فان العساكر نازلة علينا ونحن فما نخرج اليهم ولا نلوى عليهم ولابد لهم مايخرجون من بلادنا ويتعرفون ولا يقدرون يتعرضون لميخائيل لاجل غيبة المأمون فصاح البطال وقال مدوه فمدوه وضربوه إلى ان كاد أن يقضي عليه وقال أصدقنى يا ملعون إلى أين أنت ماضى وإلا أقسم بالله قسما صادقا قطعت رأسك وأخمدت أنفاسك وأنا أبو محمد البطال العيار المحتال أما تعرفونى ياعبدة الصلبان والضلال فقال يامولاى أناسائر إلى دير الصوامع وفيه هذا الشيخ الذى مشوم على ومعه شومدرس ورجل آخر يقال له أبو يخلف وخليفتكم معهم أسير فقال البطال انهم فى موضع وعروان طلعنا اليهم نزلوا تحت ومافى الامر الا ان الأميرة تأخذ ثياب هذا الراهب وتطلع اليهم وسيفها تحت أثوابها فاذا فتحوا لها الباب أشهرت سيفها ثم تقتل الرهبان وتأخذ عقبة ومن معه فما يقدر يصعد اليهم إلا واحد لاغير ثم انه سار إلى الأميره وأخبرها بذلك ففرحت وأخذت ثياب الراهب ولبستها وأخذت البطال فهندم لها دقن بيضاء تشبه دقن الراهب وقال لها اطلعى دير الصوامع فنحن لانقدر نتبعك فان عقبة له عيون فقالت أنا عارفة بالمكان أكثر منك يا أبو محمد ثم سارت الاميرة ذات الهمة (ياساده) هذا كله يجرى وما عند الأمير عبد الوهاب خبر ولا عرفه البطال بشىء من ذلك وكل ذلك احتياط منه لاينكشف الحال ويأمن العاقبة (قال الراوى) ياساده ياكرام وسارت الاميرة ذات الهمة وهى موقنة انها تلقى أهل الدير ولوكانوا ألف رجل ولم تزل صاعدة إلى أن وصلت إلى الباب ففرحت الرهبان لماعاينوها وأخبروا القاضى عقبة بعودة رسوله من مدينة القسطنطنية ففرح الفرح الشديد وقال هذا الذى أريد افتحوا الباب حتى أسمع مافى الكتاب من الجواب فنزلوا وفتحوا الباب وذات الهمة قد طاطت رأسها إلى الارض وأظهرت التعب والعيا ولم تزل حتى دخلت إلى الدير فعند ذلك اخترطت سيفها وضربت واحدا منهم على عاتقه أطلعت السيف يلمع من علاتقه ورمت تلك اللحية فعرفها أبو يخلف وعقبة وشومدرس فأخذوا فى الهرب ونزلوا فى السرداب وان الاميرة استعجلت من طريق الخرص فقتلت من الرهبان خمسة وشدت الخمسة وأدركت الموضع الذى فيه عقبة وشومدرس وأبو يخلف ونزلت خلفهم طالبة لاخذهم وقد فرحت بذلك وكان القاضى عقبة قد نزل السرداب الذى فيه أمير المؤمنين وكان واسع كبير فلما نزلت الاميرة اليه قالت والله ما كنت أظنه بهذه السعة والا ما كنت قصرت عن طلبه ساعة واحدة ثم انها

لم تزل سائرة فيه إلى أن انتهت إلى المكان الذى فيه المأمون فوجدته وقد ضربه عقبة بخنجر كان معه حتى يأمن من شهادته عليه فوقعت الضربة فى جوفه فهرب عقبة وأبو يخلف معه وان الاميرة ذات الهمة لما نظرت الى المأمون عرفته وأبصرت دمه يسيح فشدت جرحه ثم أخذته ورجعت طالبة باب الدير وإذاهى بالبطال وعيناه يلوحان كأنهما عينان أرقم ومعه غلمانه وجماعة من المسلمين ونظروا الى المأمون فى ذلك الحال فخيط أبو محمد جرحه فوافقه على الضربة بريح القولنج فصار يتغاشا منها وبها مات المأمون ولم يتكلم بعدها الا انه ينظر اليهم ويفهم ما يقولون وطلبوا عقبة فلم يقدروا عليه ولم يخرج لعنة منه إلى أن أمن على نفسه وخرج من مواضع يعرفها وحمل المأمون إلى العسكر ودخل عليه المعتصم وأحضر له الاطباء وأسقوه الدواء هذا والقتال يعمل على القسطنطينية ليلا ونهارا فقال البطال انى خائف ان يطول مقامنا ههنا فقال الامير يفعل الله ما يشاء (ياسادة) ودام الامير عبد الوهاب على البلد بالقتال وهو لا يصل اليها بحال من الأحوال وكل يوم يقتل من الروم عالم عظيم ونادى المنادى فى بلاد الروم بأن الملك ميخائيل مع المسلمين أسير ودارت عليهم القساقسة والرهبان والشمامسة والمطران ونادوا فيهم بالغزو والجهاد فلم يبق فيهم من له نهضة إلا وسار معهم واجتمع لهم عالم عظيم لايحصى بعدد الرمل والحصى ووصلت عساكر الروم من كل جانب وملوا الأرض فى الطول والعرض ووصل ملك الارمن فى مائتى ألف فارس رماة وملكهم يقال له ملكان بن قالان وكان ملكا عظيما موصوفا بالشر والمكر والعزم والقوة والشجاعة وترادفت العساكر من كل جانب وعمت المصائب واصطفت العساكر فلما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك ضرب معهم المصاف ووقف أبو اسحق المعتصم فى مكان أخيه المأمون وعقدت الاعلام على رأسه وحملت الروم وقدقت نواقيسها ورفعت أعلامها وصلبانها وصاحت قساقسها ورهبانها ومطرانها وحملت شجعانها واظلم النهار فعاد مثل الليل من شدة القتال وكان أول من خرج للمجاج المعتصم ففزع عليه الأمير عبدالوهاب ان يصاب والمأمون فى تلك الحالة فلا يكون له عوض فصاح وحمل بين يديه وطعن الروم فى الصدور وشق القلوب والنحور وكذلك الأمراء قد تقدموا بين يديه يطلبون التقرب اليه لأنهم علموا أن الخلافة تصل اليه هذا وقد طلعت الفترة وأظلمت الغبرة وصارت الرؤس منثرة وقطعت الرجال خمسة وعشرة والمعتصم قد فلق بضرباته القمم وأحدقت به الأمم وهو يحمل على الكفرة ويقتل الطغاة الفجرة فقال له الأمير عبدالوهاب ارفق بنفسك فان الحرب له ساعات وغوائل ولا نأمن عليك من هذه العساكر فلما سمع

ذلك أشار إلى الأمير عبدالوهاب وهو يقول :

دع القول فى هـــذا المقام فاننى رأيت البرايا ليس تنجوا بالقصر
وحق النبى الهاشمى محمد نبى الهدى باب التقى طاهر الطهر
لاقتحمن الحرب حتى أذيقهم سهام المنايا بالمهندة البتر
ولا خير فيمن قال أنى شجاعها ويجبن فى يوم الهياج عن الكر
ولا بد من فتح البلاد بأسرها وأضربهمو بالسيف أو ينقضى عمرى

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ففرح الأمير عبدالوهاب وقال والله لتكونن له فى بلاد الروم أخبار وآثار (ياسادة) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار واضطرمت النيران وتحارس الفريقان إلى أن برق ضياء الفجر ونادى المنادى بالركون فركبت الخيل الصوافن وتارت الابطال من الأماكن وجردت السيوف من المعادن ووقع للمعتصم فى قلوب الناس هيبة عظيمه لم تقع لأحد من الخلفاء وهمت الناس بالحملة على بعضهم بعضا وإذا قد خرج من عسكر الروم فارس على جواد مليح الصفات فى لون النبات يسبق الطير الطائر والكوكب السائر أسرع من الفلك الدائر لايلحق الريح منه الغبار سريع الحركة فى الركض والمشوار كأنه وجنة عاشق امتنع من زيارة الديار كما قيل فيه :

ولى فرس كمثل البرق جريا وشبه التبر والذهب الجديد
إذا جارى الرياح وسابقته سبقها ثم عادت للمزيد

(قال الراوى) والفارس كأنه برج مشيد وعليه ثلاث زرديات وفى يده سيف من عمل الهنـــد ثقيل ورمح طويل وقد دنا وكشف عن وجهه وإذا به نقى الخد من الشعر ثم نادى برفيع صوته يامعاشر العرب وأهل الفخر والأدب اسمعوا كلامى فليس فيكم من يقوم مقامى فوحق المسيح إن حملت عن الميدان حتى آخذ أبطالكم وأبيد أقيالكم وآخذ المقدم عليكم قدامى أو أشرب كاس حمامى فدونكم والحرب ومقام الطعن والضرب فقال الامير عبدالوهاب وقد تعجب من كلامه من فيكم يبرز اليه فلقد أفصح فى المقال فلعل الله تعالى أن يهديه من الضلال فتوقفت الابطال عن الخروج اليه والقدوم عليه فصاح يامعاشر العرب وحق المسيح أنا صاحب الدروب وما خرجت قط لقتال لأن أبى كان يمنعنى من ذلك لأجل الشفقة على إلى أن لحقت روحه الحواريين ومعى من عسكرى مائة ألف فارس من الارمن وهم الذين بطحوا خيولكم بالامس ولو أنهم

لقيوكم اليوم ماسلم منكم أحد بل كانوا يهلكوا خيولكم ويعدموكم نفوسكم وماخرجت إلا أطلب أن يخرج الى خليفتكم الذى ينتسب إلى بنى العباس لأنه رجل عربى يحامى عن دينه وإن كان هذا على صاحبكم المأمون شيء لايهون فليخرج إلى أسودكم عبدالوهاب فإن أخباره عندى يوم بيوم وأنا كنت أقول إننى أقصد اليه وأبارزه فى أرضه وموطنه وهاهو حاضر الآن فدعوه يخرج الى حتى يشهدوا الجمان من هو العاجز أو الجبان (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام عول على أن يخرج اليه وإذا بموكب المعتصم قد اضطرب وشاشت العرب والعجم والديلم وضجت سائر الامم فالتفت الأمير عبد الوهاب لينظر ما الخبر وإذا به المعتصم قد خرج وهو معول على القتال فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك أرمى روحه عن الجواد ومضى اليه ساعيا راجلا غاديا ووقف بين يديه ثم قال يامولاى لا تفعل فما تقدر على هذا الملعون حتى تخرج اليه فدعنى حتى آخذه أسير أو أتركه بدمائه عفير فقال المعتصم أيها الأمير المقدم اركب فأنت عندنا مبجل مكرم ولما علمت أنك بهذه الصفة ماصحبت معى أحدا من بنى سليم بل تركت عمرو بن عبيد الله فى ملطيه هو وولدك سيف الحنيفية وأعطيتهما الامارة بالسويه فإنى أحب الأبطال ولو أساؤا فى الاقوال والأفعال وأما قولك لا تخرج إلى هذا الأرمنى فوالله مادعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى ولا تأخر وهو سيد السادات وحبيب رب الأرض والسموات ونحن ماتشرفنا إلا بنسبتنا اليه فلا نفعل إلا أفعاله ولا نخرج عن أعماله صلى الله عليه وسلم ونقاتل باجتهاد كما كان فى قتاله أين أنت عنه ياعبد الوهاب يوم جاءه الحجر فى الحرب فانكسرت رباعيته وأدميت جبهته والله تعالى يقول ياجبريل اهبط إلى حبيبى محمد رسول الله ﷺ وادركه فان وقع من دمه قطرة واحدة على الأرض حرمت عليها النبات أبدا فلاينبت عليها ورقة خضراء. فأتاه جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام فوجده قد التقط دمه فى صحن كفه ورفع إلى السماء طرفه ونادى رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فناداه جبريل أحسنت يا كريم يارسول الله فوالله ياعبد الوهاب لايخرج اليه أحد غيرى فما أنال الجنة إلا بضرب السيف فى أعداء الله فبكى الأمير عبد الوهاب حتى كاد أن يقع على الأرض لأنه كان خاشع القلب غزير الدمع كثير الخوف من الله تعالى ثم ان المعتصم أنشأ وجعل يقول :

ألا أيها العـــذال كفوا واجملوا ⁂ وعن مثل هذا اليوم بالله فاعدلوا
فليس شريف النفس من كان قاصرا ⁂ عن النقع فى الهيجاء والحرب تشعل

وإن شريف النفس من كان عابدا كثير قيام الليل والناس غفل

(قال الراوى) ثم انه صاح بجواده فخرج من تحته كانه البرق الخاطف أو السحاب الواكف وكان لونه أحمر فى لون الرعاف سليم الاطراف لين الانعطاف وعليه صدرة زرد كانها عيون الجرد لا يعمل فيها الصارم المهند ومن فوقها بردة رسول الله ﷺ وفى يده حسام عمل اليمن كثير الثمن إذا وقع عليه جسد إنسان طرقته طوارق الزمن ثم حمل على ملكان ملك الأرمن وصاح أيضا ملكان بجواده حتى قاربه وكان قد رأى الأمير عبدالوهاب قد ترجل له فعلم أنه جليل المقدار فناداه ياهذا بحق دينك من أنت من المسلمين فقال ياويلك أنا المعتصم بالله بن الرشيد بن المهدى بن المنصور بالله بن عبدالله بن العباس عم النبى ﷺ القرشى العربى الذى اصطفاه الله من عباده مات أباه وأمه وكمله جده وعمه حتى ألبسه عز وجل الشرف الأكبر فزاد ذكره وفخره فدونك والقتال فهذا مقام المجال وقلة المقال (ياسادة) فلما سمع ملكان كلام المعتصم حمل عليه وطلع عليهما الغبار هذا والأمير عبدالوهاب فى غاية من القلق وكذلك سائر الناس

(قال الراوى) وفى تلك الساعة سمع الصياح من خيمة المأمون وقد خرج الخادم وهو يقول أجيبوا أميركم أمير المؤمنين فما تكلم إلا فى هذه الساعة وقد طلب المعتصم وسائر الأمراء فقال الأمير عبدالوهاب ان نحن طلبنا المعتصم يتشوش عليه أمره وربما يظفر به خصمه وإن قلنا أن الخليفة مريض فرحوا به الروم وظنوه مات وإن حملنا نطلب المعتصم ماندرى يسلم المأمون أم لا فسيروا بنا اليه ودعوا المعتصم على ماهو عليه ثم انهم ساروا ودخلوا على المأمون فوجدوه جالس وهو مسنود وقد فتح عينيه فقبلوا الأرض بين يديه فكان أول كلمة تكلم بها قال يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه يامن لا تغيره الدهور ارحم من قد أخرج من القصور إلى القبور ثم أقبل على الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال وقال لهم بالله عليكم حاللونى بطيبة من قلوبكم مما كان منى اليكم من أجل عقبة ولا تقصرا فى طلبه وصلبه فهو الذى جرحنى وكنت قبل ذلك مريضا فوافق ذلك ماكنت أجده وإن قدرتم على أبو يخلف فلا تبقوا عليه فهو الذى عصر جوفى قبل أن يصل بى إلى الدير واعلموا أن الخلافة من بعدى لأخى المعتصم بالله أبو اسحاق فبايعوه على ذلك ومالى لأاراه فاخبروه بقتاله لملك الارمن فقلق المأمون قلقا عظيما وقال لو تم عليه أمر لخرج من بنى العباس ادركونى به فقالوا سمعا وطاعة فقال هذا وقته حتى يحضر بين يدى المأمون مادام قد تكلم ويعرفه ماصنع به عقبة ويشهد عليه ويوصيه فما نأمن أن يكذبنا عقبة عنده ولا يسلمه

الينا ولا يسمع فيناقول قائل (قال الراوى) فما وصلوا إلى مقام الحرب إلا والمعتصم قد طعن الأرمنى فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فوقع عن سرجه ونظرت الأرمن إلى ذلك فاندقت منهزمة وعمل السيف فيهم ونهبت أموالهم ورجالهم وتقدم الأمير عبد الوهاب إلى المعتصم وقبل الأرض بين يديه وقال أيها المولى ادرك أمير المؤمنين فانه على شرف الموت ولك الهنا بولاية الملك من بعده فأنتم بنى العباس كما قيل فيكم :

نجوم سماء كلما غاب كوكب   بدا قمر تأوى اليه الكواكب

(قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك صاح صيحة عظيمة وترجل ودخل إلى المأمون ودنا منه وضمه إلى صدره وقبله (قال) ففارق المأمون الدنيا لوقته وساعته هذا وقد علا البكا والصياح فى ذلك اليوم وتلك الليلة إلى الصباح

(قال الراوى) وبويع المعتصم بالله أبو اسحق محمد بن هرون الرشيد وكانت أمه أحظى النساء عند الرشيد وكانت بيعته بنص المأمون عليه دون أولاده لرؤيا رآها من النبى صلى الله عليه وسلم وكان أبوه قد أخرجه من الخلافة وعهد الى الأمين والمأمون والمؤتمن فساق الله سبحانه وتعالى اليه الخلافة وجعل الخلافة اليه والخلفاء من أولاده وهو الذى يقال له الثمن والثامن لأنه كان له ثمانية آلاف دينار وثمانية آلاف سريه وثمانية آلاف مملوك وهو ثامن الخلفاء من بنى العباس ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة وفتح عموريه وهى من أعظم مدن النصارى وكان شجاعا سخيا بالمال اقطع أبو تمام مدينة الموصل وبناسر من رأى واتسع له جدا حتى صار له سبعون ألف مملوك (قال الراوى) وان المعتصم صبر المأمون ليحمله معه وقال الامراء مابقى الأمر يحتمل الاقامة لئلا تختبط العراق وتتشوش الآفاق وتخرج الخوارج فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم أحضر المعتصم الملك ميخائيل وقال اضربوا رقبته فقال ميخائيل بالله يا أمير المؤمنين لا تفعل فان العبد يكون فى خدمتك كما كان لابيك واخوتك واحمل اليك ما كنت أحمله اليهم مرتين وأقدم الساعة فى العاجل ألف ألف دينار ضيافة لقدومك وفرحا بخلافتك ثم أشار بعينيه إلى البطال ولك عشرة آلاف دينار فقام البطال وقبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك وكبت حسدتك وأعداك وهناك بما أعطاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك هذا الملك ميخائيل أحب الينا من غيره فرضى المعتصم وفى الحال أرسل الملك ميخائيل وأحضر المال وتسلمه الامام المعتصم وقد أرسل الأمير عبد الوهاب إلى ثغر طرسوس وأتى بما فيه من الغنائم التى من خرشنه وساروا إلى أن وصلوا إلى ملطيه وخرجوا جميع الناس إلى لقائه وجعلوا يعزون المعتصم فى أخيه ويهنوه بالخلافة وأخذ

المعتصم بيد الأمير عبد الوهاب وبيد الأمير عمرو بن عبيد الله وأصلح بينهما وسار المعتصم إلى ان دخل بغداد واستقرت له البلاد ودخلوا عليه الشعراء المندوبون وهنوه بالخلافة بعد ما ارثوا المأمون ودخلت الست زبيده إلى قصرها وقد رفع المعتصم قدرها وقال لها أنا عوض ولدك الامين وأريد من حسن رأيك ما تقربين وأنا أطلب بركاتك وأرعى قرابتك وانتى صاحبة الأمر والنهى فقالت إذا كان الأمر على ماذكرت فلى اليك حاجة وأريد ان تقضيها لى وقر بهذا الملك وصار لك مشير ووزير فقال لها ومن هو ذلك فقالت نفذ إلى الاقطار وإلى سائر الامصار تطلب القاضى عقبه لتسلم أمر الخلافه اليه فيدبر أمرك وأمر المملكه وقد يحصل لك برأيه البركه وكان المعتصم من قبل ان تتكلم زبيده قد عول على ذلك ولم يعلم ان الامور التى جرت كلها من تحت رأسه فقبل المعتصم ذلك الفعل وطلبه فى سائر الآفاق ووصل الخبر إلى عبد الوهاب وهم يسيرون فى ميدان ملطيه فلما ان سمعوا ذلك هانت عليهم المهالك وقال لقومه ولعل الله يريد ان يمهله إلى أجل معلوم لاننى أرى كل من ولى من بنى العباس يرفع قدره على الناس ولله تعالى فى هذا أمر لابد من انفاده فهم فى هذا الكلام وإذا بغبره قد طلعت وارتفعت وانكشفت عن ألف فارس والمقدم عليهم رجل شيخ طويل الشيبه مليح الهيبه عليه آثار الخير والباس والقوة والمراس وألف فارس على الخيول العربيه وعليهم ثياب البياض من دق العراق وقباطى مصر وإلى جانب الأمير المقدم عليهم شاب مليح الشباب عليه ثياب مثل الهوى وله شعر اسود كانه عناقيد العنب قد نزل على قربوص سرجه ووجهه يخجل البدر فلم يبق ناظر الا وتحير وقالوا ما هذا بشر فسبحان خالق الصور وهو كما قال فيه جميل ابن معمر هذه الابيات

مليح العيون مريض الجفون ... كثير الفتون صحيح المقل
مليح القوام كبدر التمام ... شهى الكلام كطعم العسل
يميت الحبيب ويضنى الطبيب ... ويحيى المحب ويشفى العلل
بوجه جميل وخد أسيل ... وطرف كحيل ثقيل الكفل

(قال الراوى) وان الامير لما رآهم فقال كنت أرجو من الله عزوجل ان يكونوا هؤلاء القوم يصلون إلى بنى كلاب والله إنهم يكونوا جمال موكب إن يكونوا فيه وقال عمرو بن عبيد الله إن كانوا القوم فى بنى سليم لينكشف عنا بهم الضيم فهم كذلك وإذا بالقوم قد صاحوا صيحة واحدة يا الكلاب يا لكلاب فأجابهم الامير عبد الوهاب والسادات الانجاب وقد حلقوا عمائمهم إلى الهوى فرحا بهم وبهذا الامير الذى يقدمهم الذى سلب القلوب بحسن منظره وقده وقوامه وانتظام ثغره وكبر ردفه خصره فتلقاهم الأمير وأعطاهم الدور والمنازل وحمل

اليهم كلما يحتاجون اليه واكرمهم غاية الاكرام وكذلك بنى كلاب عن بكرة ابيهم وكذلك الامير عمرو بن عبيد الله لاجل الأمير عبد الوهاب وكذلك بنى سليم حملت اليهم الاغنام والطعام والخلع والثياب ولم يزالوا كذلك فى اكرام مدة عشرة أيام ولما كان اليوم الحادى عشر اجتمعوا فى دار الأمير عمرو بن عبيد الله فقال الشيخ المقدم ذكره يا معاشر العرب وأصحاب الشرف والرتب أنا قد تركت اهلى ودياري وقصدتكم على نيه المقام عندكم أجاهد فى سبيل الله عز وجل وفى غداة غد يصلون أهلنا وحريمنا وأولادنا وأنتم قد فعلتم من الجميل معنا مالا نقدر عليه أن نصفه ومن عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا عطارد بن عوف ملك أرض سبأ وبلقيس وأخى الأشعث وقد وقع بينى وبينه أمور فرأيت الانتزاح أجمل حتى لا يتمادى الأمر بيننا إلى قطع العلاصم وتطيير الجماجم وقتل الأهل والأقارب والأصحاب فقصدت أرضكم أرجو المقام عندكم ومعى هؤلاء القوم وهم أقاربى وأصحابى وأبطالى وما فيهم رجل إلا ويريد لرأسه جماعة من الأبطال وقد رغبوا فيما طلبت وطلبوا مارغبت وهذا الغلام الذى ترونه بين يديه فيما هو عليه من الطرف والجمال يريد لراسه ألف مدرع من الأبطال وسوف ترون منه ومن أصحابى وعشائرى فى الجهاد ما يسركم ويكمد أعدائكم فان انعمتم علينا بالمقام فى دياركم أقمنا عندكم وإن أبيتم فنحن نرحل إلى بلاد الروم ونفتح بسيوفنا ما يكون لنا فيه الكفايه ونحن نرجع فى النسب إلى بنى كلاب وأما بنو سليم فلنا فيهم أصدقاء وأصحاب فعندها وثب الامـــير عبد الوهاب وقد امتلأ قلبه سرورا وفرحا وقال له أيها الأمير الاجل الرفيع المحل العالى القدر نعم عندنا تكونون على خير منزل وأحسن مقام ولكم الفنا والرحب والسعة والكلأ والمرعى والوداد وكلما أنتم فيه فهو لكم وكلما احتجتم اليه من المال والعدد والخيل والسلاح فعلينا وأولادكم أولادنا وما لنا شيء محجب عنكم هذا الأمير عمرو بن عبيد الله يفرح بقدومكم لأنكم تشدون أزره وتحمون ثغره وهو المقدم علينا كلنا صغيرنا وكبيرنا فعندها قال الامير عمرو بن عبيدالله للامير عبد الوهاب هذا هو الصواب ولكم علينا من العطاء مثله وأوفا إذ أنتم من أهله وقرمه وطابت القلوب وأقام الأمير عطارد بن عوف ووصلت ثالث يوم نسائهم وأموالهم وأقبل لهم من الأموال والرجال ما بعثوا بنى سليم وبنو كلاب عندهم نفراء ثم إن الامير عطارد ساق إلى الامير عبد الوهاب ألف جمل موفوره من هدايا العراق واليمن وحلل أرض مصر وكذلك الامير عمرو وسائر السادات واستقرت بهم الدار وكان هذا الغـــلام ولد عطارد إذا خرج وركب لم يبق صغير ولا كبير ولا امرأة إلا وصعدوا إلى الأبراج والعلالى والأسطحة ينظرون وجه الغلام وكانت فروسيته أشبه

الناس بالأمير عبد الوهاب وكان إذا حضر الميدان ولعب مع الناس الاكره والصولجان يظهر على كل أحد وكذلك فى ضرب الصفاح وطعن الرماح ولعب ذات يوم مع الامير ظالم ولد الأمير عبد الوهاب وانداده فقهرهم وأخبر بذلك الامـــير عمرو والأمير عبد الوهاب ففرحا به وشرفه الأمير ورفع قدره حتى صار عنده أعز من أولادهوأحبه محبة عظيمة حتى حسدته أكثر الشباب من بنى سليم وبنى كلاب وبلغ الغـلام ذلك من حسدهم فصار كلما جاء من الهدايا من الاميرين أعطى سائرالشباب والحساد والأصحاب وأوهبهم وزاد فى إكرامهم حتىأحبوه سائر الشباب لفروسيته وصاركل أحد مايحلف إلا بحياته ولما كان بعض الايام خرج على نيةالصيد والقنص فدخل نحو بلاد الرومفلقى ألف فارس من الأرمن وقد أغاروا على بلاد الاسلام فخلص الغنيمة وقتل منهم جماعة وأسر منهم رجال ورد الغنيمة وكان فى جملة الرهبان الاسارى القاضى عقبة لانه كانت وصلت اليه الأخبار إلى بلاد الروم لأن المعتصم قد طلبه فى سائر البلاد وأنه قد استوى حاله معه ووصلت أيضا اليهالجواسيس يخبروه أن المعتصم قد سمع كلام الست زبيده وانه يريد أن يجعله مدبر أمور خلافته ففرح عقبةاللعين بذلك وقال هذا الذى أريد لأن المعتصم ما اطلع على قط فى أمر من الأمور وماهو كثير المعرفه مثل المأمون ومالى إلا أن أتوصل إلى بلاد الاسـلام وأطلب أرض الحجاز وأوصل أخبارى من هناك إلى بغداد وقد بلغت المراد وسار الملعون إلى بلاد الارمن وقال انزل معهم وأتوصلمناى وأخرج مع حجاج العجم إلى مكة ثم خرج معهم فأول مرة وصلوا اليها غاروا عليها وأخذوا مافيها وساروا وهم طالبين الأخرى وعقبة اللعين يسير بهم فى طرقات يعرفها وما سار معهم أيضا إلا لاجل غلام له فى هذه الارض يقال له نجا وهو معروف بالحيل وهو فى طبقته فى الغدر والحيله فاجتمع به وركب كل واحد منهم على بغل وعولوا على الدخول الى بلاد الحجاز على طريق بلاد العجم وعقبة يقول للأرمن ان أردتم الغنا والملكلايفنى فاقصدوا ديار بنى كلاب فهى أمنية الاطلال وفيها الاموالوفى تلك الساعه وفاهم عمرو بن عطارد وفعل بهم مافعل وقتل من قتلوأخذ من الاسارى من أخذ وكان فى جملةالاسارى القاضىعقبة اللعين وغلامه نجا وساق الغنائم بين يديه وعاد طالب ملطيه فقال عقبة فى نفسه هذه نوبة مدبره وحق المسيح ما أصل الى ملطيه إلا يهلكونى بلا محاله ولا يبقى على عبد الوهاب ولا البطال ساعة واحده وربما يقع بين بنى كلاب وبنى سليم بسببى على أن بنى كلاب يغلبون بنى سليم ويهلكون أبطالهم ويبيدون فرسانهم ويقتلونى فما أدرى من أين أتى هذا الشيطان الذى مارأيت قط أحسن من وجهه ولا

أشجع منه وإن عمرو بن عطارد نزل وقد أمسى عليه المسا وقد بقى بينه وبين ملطيه سبع فراسخ وإن القاضى عقبة ابتدأ بقراءة سورة آل عمران إلى أن وصل إلى قوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار هذا وقد سمع عمرو بن عطارد القرآن بأطيب صوت وألذه فوثب إلى القارىء وهو عقبة فقبل رأسه وعينيه وقال له أيها الشيخ أنت رجل مسلم مؤمن قارىء القرآن وأنت مع هؤلاء الكفرة بالرحمن فقال يامولاى أنا رجل مأسور عندهم أخذونى سنة خروج الروم إلى الحجاز وملكوا بغداد ولى معهم أعوام وقد أظهرت أنى منهم وصرت معهم حتى يخرجونى معهم الى بلاد الإسلام ففعلوا ذلك حتى لقيتنى أنت أيها الأمــير الذى أعطاك الله عز وجل الجمال والكمال والاقتدار بالشدة والفروسية على الرجال والابطال ثم بكا وقال يامولاى لى أولاد أطفال وهم من أهل بيت ولم يكن عندهم منى خبر إننى مأسور وما يظنون إلا أننى قدمت من زمان فامنن على بالاطلاق لأجل الواحد الخلاق ثم ابتدأ عقبة يذكر أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحكام الدين فعلم الأمير عمرو بن عطارد أنه من أهل العلم فحل كتافه وقال له خذ من هذه الغنائم ماأردت وإن أردت المسير معى إلى ملطيه فأنا أدع الأميرين الكبيرين عمرو السلمى والامير عبدالوهاب الكلابى يكرماك ويحملاك إلى أرضك بيت المقدس وإن أردت المسير من هنا فافعل فقال عقبة أيها الامير إننى شيخ كبير السن وأريد العجلة فى أمرى لعلى أرى أولادى قبل الموت فأنا خبير بهذه الأرض فقال عمرو هذا اليك واما أنا فى هـذه الأرض فما لى خبرة بها وأنا غريب من أرض سبا ونحن من بنى الأشعث وأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها فعرفه وقال فى نفسه وحق المسيح لاخضبن هذه الوجنات بالدماء ثم قال يامولاى أنا أقيم الى أن ترحل من ههنا وأرحل بعدك على هذا البغل وقدم له الأمير عمرو طعاما ليأكل هو وغلامه وقال له كل أيها الشيخ الصالح فقد من الله عليك بالخلاص وخذ من هذا المال ماشئت فقال اللعين عقبة لاحاجه لى فى ذلك لأن الدنيا فانية والآخرة باقية وأكلوا الطعام والأمير عمرو صار يأكل ويلقمه هذا والقاضى عقبة قد ضرب إلى خلف أذنه وأخرج من ذلك الدواء المعروف ووضع منه فى لقمة وقال يامولاى كل هذه اللقمة على سبيل البركة فأخذها الأمير عمرو من يده وأكلها فما استقرت فى إمعائه حتى وقع عليه النوم فوثب عقبة اللعين وشده كتاف وحل المأسورين وجميع الغنيمة وحمل الأمير عمرو على بعض البغال وطلب بلاد الروم وكانت الأخبار قد وصلت الى ملطيه بأن الأرمن قد غارت على سواد ملطيه فركب الأمــير عبدالوهاب فى بنى كلاب ودخل الى بلاد الأرمن وكان عقبة قد سلك غير تلك الطريق الذى

سلكها الأمير عبد الوهاب وطلب بلاد البرغل وقد فرح بأنه أخذ بطلا من أبطال المسلمين وانه من أجله تكون حروب ووقائع ومعامع هذا وأم عمرو زوجة عطارد قد قلقت على ولدها وقالت لأبيه ابنك قد دخل الى بلاد الروم وأخاف أن يكون قد أرمى نفسه للبلا فركب والده عطارد فى قومه وهم غرباء وبنو سليم يمنعوهم من ذلك لأنهم قد حسدوا الأمير عبد الوهاب من سببهم فساروا على غير طريق فوقعوا بما يريده الله تعالى على طريق عقبة وكان الامير عطارد خبير بأخذ الامراء وانه عرف حافر فرس ولده عمرو فقال هذا حافر فرس ولدى ولكن أرى الفرس يسير بالراكب حيث يشاء ولكن ما أظن ولدى سالم فهو كذلك اذ نظر الى الغلام الذى كان مع ولده قتيل وفى الأرض جديل فبكى وبكت الامراء من قومه وكشف رأسه ونادى واحرباه واغربتاه واولداه وسار يقطع الارض كذلك ليل ونهار ستة أيام فأدرك عقبة فى فج العقيق فصاح بقومه فتسارعت اليهم الخيل واذا بغبرة قد ظهرت من بين أيديهم ثم انقشعت عن عشرة آلاف بطريق من الصقالبه سائرين الى ميخائيل فى طلب ابنته ارمانوسه لملك الصقلب والمقدم عليهم بطريق عظيم كأنه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد فعندها صاح عقبة بالرومى وقد عاين المسلمين هؤلاء وحق المسيح مسلمين وقد أحدقوا ببعض الروم احملوا عليهم فحملت على الامير عطارد عشرة آلاف وقد تعبت خيولهم فمدوا الرماح الى الروم وكشف الامير عطارد رأسه ونادى أيها المسلمين ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه فدونكم والاعداء فعندها حملت القوم على الروم وعملت الصوارم فى الجماجم وشوشت العمائم وثبتت العرب الاكارم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وقد طعنت العرب فى وجوه الروم وكان يوم الكفرة يوم مذموم سالت فيه الدماء وأرملت فيه النساء وان عقبة رأى من العرب دلائل الشجاعة فارسل جماعة من البطارقة الى نواحى العرب المتنصره وطير الطيور الى القلعة والحصون فجاءت الروم من كل جانب ولم يزل القتال يعمل الى ثلاثة أيام بلياليها وفى اليوم الرابع وصلت اليهم أكثر من خمسين ألف بطريق وأحدقوا بالامير عطارد وأصحابه من كل جانب ومكان وجردوا القواضب وأيقنت المسلمين بالمعاطب وقد وقفت الخيل عن الجولان ونادى عقبة ياويلكم سلموا أنفسكم من الموت فهم قد عولوا على ذلك واذا بغبرة قد لاحت لهم وأشرقت عليهم من خلفهم ثم انها انكشفت عن عشرين ألف اسود ومثلها من بنى كلاب يقدمها الأمير عبد الوهاب وضيغم وظالم وميمون وعشرة آلاف من بنى سليم وكان سبب ذلك ان الأمير عبد الوهاب كان

دخل إلى اطراف بلاد الروم وغار وقتل وسبى واخرب وعاد إلى ملطيه وسأل عن الامير عطارد فأخبروه بخبره بجرد الأمير عبد الوهاب على الأمير عمرو بن عبيد الله وكيف تركه سار وحده وقال له لقد فرطت فى امرهم وهم قوم غرباء ومالهم خبره ببلاد الروم فقال الأمير عمرو بن عبيد الله وما علمت انه يدخل إلى بلاد الروم إلا برسم الفرجة والصيد وان الأمير عبد الوهاب نادى فى بنى كلاب والسودان الانجاب وقال فى غداة غد نرحل على اثرهم فهم كذلك وإذا بالجاسوس وصل اليه وعرفه بهذه القصة وان القوم قد احدقت بهم عشرة آلاف بطريق وهم الذين ذكرنا فقال البطال لابد ما يأخذون عليهم الدروب وتطلبهم الروم من كل جانب فارتحل الأمير عبد الوهاب من وقته وساعته فى اربعين ألف وصحبه الامير عمرو فى عشرة آلاف من بنى سليم كرامة لقلبه وساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا إلى ان اشرفوا على القوم كما ذكرنا وهم مشرفين على الهلاك ونظر عقبة إلى ذلك فما كان له غير الهرب والفرار وتبعته الكفار وفازوا بالنصر الابرار واخذوا الاموال وخلصوا الرجال وخلصوا الامير عمرو بن عطارد من وثاقه وسألوه عن حاله فأخبرهم بما جرى له فقال البطال هو عقبة ورب الكعبة فقالوا بنى سليم الناس يتشابهون فقال البطال دعونا من هذا فقد برد الامر وقد شبعنا من الحروب والمعاداه والخصام على طول الايام وأنت تعلم ياأمير عمرو وان كان الغضب فى غير الله يورث النار فقال الامير عمرو بن عبيد الله ياأبو محمد ماهذا بغضب انت تعلم ان أمير المؤمنين المعتصم بالله قد أمر ان لايتعرضن أحد لعقبة لانه قد رأى منه الرأى المحمود وقد طاب قلب الامير عبد الوهاب وسائر الامراء فلا تحملهم ان يدخلوا بأنفسهم بأمر يكون عليهم فيه وبال وما مقصودنا هذا فقال البطال والله اننى صادق وان كان المعتصم قد رضى بهذا وكذلك الامير عبد الوهاب فما على من هذا وسوف يبان صدقى من كذبى اذا رآه الامير عمرو بن عطارد وعرفه فبالله عليك ياأمير عمرو ماتقول فيمن أراد قتل هذا الوجه الجميل الذى ترحم حسنه الكفره على انه لم يعرفه ولا وصل اليه منه أذيه فقال الامير عمرو بن عبيد الله ياأبو محمد اذا أنت أتيت به وعرفه الامير عمرو بن عطارد وقال هو هذا فأكون أول من يسارع فى ذلك فقال البطال لقد أنصفت فى هذا المقال ثم أقبل على غلمانه وأخذه معه برق بن رياح وتزيا بزى الروم وكان قد هربه ودخل فى طلب عقبه ورحل الامير عبد الوهاب وبنو سليم وبنو كلاب وجعلوا يقطعون الأرض طول وعرض حتى وصلوا الى ملطيه وخرج الناس ينظرون الى تلك الغنائم والامير عمر بن عطارد لايشبع أحد من نظره لانه كان أوحد أهل زمانه فى الحسن والجمال ويوسف أوانه فى الملاحة بعيون أحسن من عيون

المها و كلام يشبع الجائع عن الغدا إذا سمعه المريض كان له شفا (قال الراوى) ولقد بحثت عن قدوم الأمير عطارد بن عوف من أرض سبا و بقليس إلى ملطيه فأخبرنى بعض شيوخ العرب وقال اعلم أنه كان السبب فى هذا ان الأمير عطارد كان له أخ يقال له الأشعث وهو المقدم على القبيلة كلها لخفة ركابه وشجاعته وقوته وبراعته وكان أصغر من عطارد وإنما تقدم كما ذكرنا من شره ونكده وكانت العرب تخاف منه لهيبته ومكره وكان الأمير عطارد صاحب الرأى والمشورة وهو صاحب معرفة وفهم ثاقب ويعرف أحاديث العرب وهو صاحب أدب وكان إذا رأى من أخيه شىء لايعجبه يزجره عن ذلك ويقول له اتق الله فى أمر الناس واعلم أن كل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة وهو تارة لايسمع وتارة لايقبل ففى بعض الأيام أخذ رجل من بنى مره قد اتهم بجمال سرقت فأنكر وحلف فلم يصدقه ولم يزل يضربه إلى أن أشرف على التلاف فبلغ الخبر إلى أخيه عطارد فسار إليه وقال له ياهذا لقد تعديت فيما فعلت معه وما ظهرت عليه بينة فقال لا أتركه يهلك أو يرد الابل فقال له عطارد أقسم أنى لاأدعك تفعل به شيأ فغضب الأشعث وقال له ويلك وأى تعرض لك على ثم هجم عليه وقد جرد سيفه وضربه فى رأسه فقطع أدوار عمامته وأوضح جرحه وجال الرجال بينهما وان الأمير عطارد انضاف اليه المشايخ وأهل العقل والسن وقالوا نحن لانرضى بهذا ونحن لك وبين يديك ونحن نقاتل معك فقال عطارد يابن عمى ما هذا صواب نحن فى ألف فارس وهو فى عشرة آلاف وأنتم عقلاء قومى وسادات عشيرتى وما أريد أن أقطع يدى بيدى ولكن أقول لكم ما قد عولت عليه فقالوا له وماذلك فقال لقد عولت على الانتزاح والرحيل من هذه الأرض فقد قال القائل هذه الأبيات

إذا كنت فى أرض يهينك أهلها ولم تك مكروما بها فتغرب
فان رسول الله لم يستقم له بمكة أمرا فاستقام بيثرب

فقال له قومه أيها السيد كلنا نرحل لرحيلك ولكن إذا نحن تركنا أرضنا ومقامنا ومنشانا ومربانا فعلى من نعتمد فقال قدعولت على مجاورة الأمير المجاهد والسيد المجالد الأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب وأكون عنده مجاهد فى سبيل الله عز وجل بقية عمرى فقالوا أصحابه أيها الأمير كلنا معك نسير فقال إذا كان الأمر كذلك وقد عزمتم على الرحيل فلاتتركوا من أموالكم وأغنامكم شىء يسرح فانى أول الليل أرحل فمن أراد الرحيل معى فليأت على أهبة من أمره ودخل الأمير عطارد على زوجته فنظرت إلى دماه

فقالت يا ابن العم من فعل بك هذا وأنت سيد قومك ورأس عشيرتك فقال لها من لا يمكنني أن أقطع شجرته ولا أضيع قرابته وهو ضجيعي فى الاحشا وخليلي فى الدنيا أخى الأشعث وقد عولت على الرحيل على جميل والا عاد الامر بيننا على ضرب الرقاب وغير الصواب فقالت له نعم ما رأيت يا ابن العم لانك أخذت بقول الشاعر

إذا تغيرت الديار بأهلها فدع المقام وأسرع التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا فى بلدة تدع العزيز ذليلا

(قال الراوى) ثم انه صبر إلى الليل وان ولده عمرو قال له يا أبتاه ان الخصم الذى لنا ليس بغريب وهو عمى وأما لو كان غير عمى لبسطت اليه يدى ولكن صبرت كصبرك ولما تنصف الليل رحل ورحلوا معه قومه وبلغ الخبر إلى أخيه الاشعث فلم يصعب عليه وقال دع يغدوا الى حيث يرجع وسار الى أن وصل الى ملطيه كما ذكرنا وجرى ما جرى (وعدنا الى سياقة الحديث) وأقام الامير عبد الوهاب فى انتظار البطال وما قد مضى يفعل من الافعال وما كان الامير عبد الوهاب يركب فى كل يوم ويركب الامير عمرو ابن عطارد ثم يسيرون ساعة ويأخذون الاخبار وعبد الوهاب يقول ان البطال يقع بعقبة ويهتكه عند بنى سليم فى هذه النوبه وأقام يعد الساعات والايام فبينما هو ذات يوم يسير وإذا بغبرة عاليه من نحو الارض التى أشرف منها عطارد فأرسل الأمير عبد الوهاب من يكشف له الخبر فرجعوا يخبرون أن زوجة الاشعث وأمه وهى أم عطارد وكانت طاعنة فى السن وقد غلبها شوقها الى ولدها عطارد وقد عتبت على الاشعث فلم يصغ الى عتبها فقالت يا بنى اعطينى الاذن حتى أمضى اليه على وجه الزيارة وأبل شوقى منه وأعود فقال لها ذلك اليك فقالت زوجته وأنا والله أيضا قد اشتقت الى زوجة عطارد وهى ابنة عمى وأريد أجدد بها عهدا فقال لكما ذلك ولكن من يوصلكما الى تلك الأرض مع كثرة المراحل ولا آمن عليكم من الاعداء فقالوا افعل ما تراه فامر بمائة فارس من قومه وقال لو كنت أقدر على ولدى عامر لسار معكم وحفظكم من كل من على وجه الارض وكان للاشعث ولد يقال له عامر وهو أفرس أهل زمانه لكنه كان فى صورة مجنون وبالمقام مع الوحش والسباع مفتون وكان له من العمر اثنى عشر سنة ترك الاهل والوطن وطلب البر وطلبه أبوه فلم يقدر عليه ولم يطيق أن يمنعه من ذلك فأخذ أموال العرب نهبا وغصبا الى ان صار له من العمر عشرين سنة فصار يفترس السباع ولا ياتى إلى الحى إلا بعد السنة والسنتين وأمه تبكى عليه وتشكى نار فراقه وتسأله القدوم فيأبى ذلك وكانت تخاف عليه من أبيه لأجله فى الاتفاق لما يريده الملك الخلاق أنى فى تلك

الليلة زائر الأمه وكان له غائبا عنها ثلاث سنين ففرحت بقدومه وقالت له يا بنى ماجئت إلا فى وقت الحاجة إليك اعلم أن أباك حرد على عمك عطارد ومن عام أول قد رحل إلى ملطيه وهو عند ابن عم لنا سيد بنى كلاب أمير يقال له عبدالوهاب وقد رغب فى المقام هنالك ليجاهد فى سبيل الملك المالك وقد غلبنا الشوق إليه وهذه العجوز الكبيرة قد اشتاقت إليه وهو عمك وقد عولت فى غداة غد أن أسير إليه فسير معنا على مائة فارس ومعنا هدايا ونحن نخاف ولا نأمن على نفوسنا من الاعداء ونبقى عبرة بين العرب وأريد منك يا بنى أن تسير إلى تلك الديار وتشاهد أقاربك من بنى كلاب وتعرف الا بطال والاقيال وتقضى حق عمك عطارد وتنظر إلى ابن عمك عمرو فقال وذمة العرب لقد كان فى قلبى هذا من غير عمى لانى أسمع أخبار هذا عبد الوهاب وبما هو عليه من الشجاعة والقوة والبراعة وما فعل هو وأولاده مع الخلفاء من الجميل وكنت قد عولت أن أسير وحدى إلى ملطيه وآخذها منه ومن أصحابه ولو كانوا بعدد التراب وقطر السحاب حتى يكون لى من الذكر مثل ماقد شاع لهم فى البلاد والاقطار والآن فانا أسير معكم فان كانوا قد أحسنوا إلى عمى فانا أتجاوز عنهم وإن كانوا قد أساؤا عليه فانا أفعل بهم مقابلة فعلهم وآخذ عمى وأعود الى أبى وان أبى ذلك فانا أرغم أنفه وألوح قحفه فلما سمعت أمه مقاله فرحت بمسيره معها ثم انهم أقاموا الى الصباح وأخذوا أهبتهم وساروا وكلما نزلوا على قوم أخرجوا لهم الاقامات والذبائح والضيافات الى أن وصلوا الى ملطيه كما ذكرنا وكان عامر مليح الصورة كبير الحدق أسود الشعر وان الامير عطارد لما سمع بقدوم أمه وزوجة أخيه فرح فرحا شديدا وسار اليهم وترحب بهم وأنزلهم عند أهله وفرح بابن أخيه وأنزله فى دار منفرده لما يعلم مراده بانه يحب الوحدة وأنزل أمه معه وأصبح عامر أتى الى الميدان يلعب مع الفرسان وكان لعطارد بنية اسمها غمرة فنظرت الى ابن عمها وهو يلعب فوقع فى قلبها منه محبة عظيمة ونظرت الجارية الى ابن عمها فى الميدان بتلك الشجاعة والبراعة مع ذلك الحسن والجمال فسلب عقلها ولم تتم تلك الليلة إلا وشكت حالها الى أمها وقالت مالى عنه صبر فاما أن تعلمى أمه بهذا الحديث والا فانا أعلمها بهذا الامر وانى أنا غمرة ما أنا عمرو وتبقون فضيحة بين العرب فعذلتها أمها فلم تقبل العذل فقالت لها اذا كان الامر كذلك فما أحبتى غريب وانما هو ابن عمك ولحمك ودمك وغدا تاتى أمه وأكون قد خلعت ثيابك على أنى أغسل رأسك فاذا نظرت اليكى عرفت وفعلت ذلك الفعال وعلمت أم عامر بالحال فعادت من ساعتها الى ابنها وقالت له يا بنى ما أغفلك عن الظبية الفاخرة والدرة الزاهرة التى لا يوجد مثلها ذات الدلال البهج والكلام الغنج

والشعر السبج والوجه الجميل والظرف الكحيل والخد الاسيل والردف الثقيل فلقد سعد من ظفر منها بوصال وهى غمرة ابنة عمك وأعادت عليه حالها وسبب كتمانها فلما سمع عامر كلام أمه لم يلتفت اليه ولاعبأ به ثم خرج من وقته الى الصيد والقنص وكان يأكل لحم الاسود وأما الجارية فانها سلبت الرقاد وعدمت السهاد ولم تزل تعالج الكروب الى ثانى مرة فرأتهم زوجة الاشعث قد أكرموها غاية الاكرام ثم قالوا لها ما كان من ذلك فقالت انى وصفت لولدى أمر غمرة وما هى فيه فلم يرد على جواب فقالت ارجعى اليه وعيدى عليه فلعله يكون قد استحى أن يجيبكى فقالت حبا وكرامة ثم مضت اليه ووصفت له أضعاف ذلك فقال لها كفى عن هذا المقال فما قصدى بالكواعب الاتراب انما قصدى شن الغارات وضرب الرجال وان أنتى عدتى عاودتينى فى هذا الحديث أخذت مابين عينيكى فعادت أمه إلى أم غمرة وأعلمتها بالقصة فورد على قلبها من البلاء مالا عين رأت ولا أذن سمعت فقالت غمرة سوف تتحدث الناس بفعلى معه على طول الزمان ومن هو هذا الكلب حتى يقول أنه يقتنص السباع سوف يرى مايكون وكذلك أم غمرة عظم عليها وكبر لديها وقالت لعله مايعلم ان ابنتى بهذا الوجه الصبيح والقوام المليح والعقل الرجيح ثم قالت لامه املك أن تأتينى به إلى ههنا فقالت سمعا وطاعه وخرجت من عندهم هذا وغمره قد وقع بها البلا وزادبها الجوى وقالت يعرض على مثله مثلى ويأبى ذلك فوحق ذمة العرب لاحرمت منام الليل فقالت أمها يابنيه اصبرى فلعل أمه تاتى به وتتحدث معه وانى من خلف الحجاب فاذا رفع رأسه ارفعى رأسك واظهرى اليه ويكون وجهك مكشوف فلو أنه من الملوك مااستطاع الصبر فلما سمعت كلام أمها صبرت على ماهى من الغرام والهوى وتباريح الجوى وأنشدت تقول هذه الأبيات .

الليل من سهرى على نهـــارا	يزداد طولا والدموع غزارا
أرعى نجوما ماتغيب كأنهـــا	أفلاكها وقفت فليس تدارا
وألوم قلبا فى الهوى حذرته	منه فما أغناه فيــه حزارا
قد كنت أعجب ان رأيت متيما	أعجب بما صنعت به الأقدارا
يامن يقل تصبرى فى حبـــه	كيف السلو وفى حشاى النارا
أقسمت ان دام الفلا من عامر	مكنت منــه الصارم البتارا
ثم الصلاة على النبى المصطفى	خير الأنام الهـــاشمى المختارا

(قال الراوى) وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر محمـــد سيد الملاح فدخلت أم عامر وكانت قالت له يابنى اعلم أن امرأة عمـــك قد غلبها الشوق اليك

ولا تقدر على لقاك فقم بنا اليها فقال لها اذهبي وأنا خلفك فذهبت ودخلت وأخبرتها بقدومه فما كانت إلا لحظة وهو واقف على الباب فقالت امرأة عمه مرحبا بالأمير ابن الأمير صاحب الوجه المنير سعد جدك وهلك ضدك فقال لها كذلك وبك يا امرأة العم ثم جلس وجعلوا يتحدثوا فقالت له أم غمره يابنى ما كنت أريد هذا الجمال والكمال الا لذلك الدلال والغصن الميال لانها يابنى ابنة عمك ولحمك ودمك وأنت أحق الناس بها فأطرق عامر إلى الأرض خجلا وقد طار الشرر من منخريه ورفع رأسه عنهم إلى جانب الدار فتزينت له غمره كأنها ظبية شاردة مثل القمر ليلة أربعة عشر فلما رآها علم أنهم مادعوه إلا لأجل ذاك فأقبل على امرأة عمه وقال لها اعلمى أيتها الأميرة إننى لو كنت أرغب فى وصال الكواعب كنت أحب الناس بالأقارب ولكن ماهذا شعارى ولا أشتغل بالنسوان عن فعالى وما قصدى إلا ملاقاة الأبطال ومنازلة الأقيال ثم أنشد وجعله يقول هذه الابيات :

إذا اشتغل الناس بعد القتال　　بطيب المنام وليل الوصال
فمالى شغل بذات الفخار　　وذات الكمال وذات الدلال
ولكن أرى القلب لاينثنى　　عن الأسد يوما وقتل الرجال
وخوض المعامع من شيمتى　　وصيد الاسود بجنح الليالى
وقبض السباع وقتل الضباع　　وأخذ القلاع بروس النصال
ويا آل قومى انهضوا سرعة　　فانى عزمت على الارتحال

(قال الراوى) فخجلت أم غمرة فكادت مرارة غمرة أن تنفطر غيظا وخجلا وهوى ولولا خوفها من الناس لكانت أرمت روحها عليه وإنما رجعت إلى عقلها وصبرت نفسها وخرج عامر وأمر رجاله بأخذ الاهبة للرحيل ففعلوا ذلك وحمل اليه عمه الهدايا والخلع وكذلك الامير عبد الوهاب والامير عمرو بن عبيد الله وباتوا على نية الرحيل فى آخر الليل عند طلوع نجم سهيل هذا وغمرة قد أضرمت فى قلبها جمرة وأعلمت أمها بحالها فعذلتها فقالت يا أماه اعلمى أن الهوى ماخلالى قرى ولو وجدت الصبر لكان أكبر اختيارى وبلوغ آمالى ولكن ما أجد اليه سبيل وقلبى مدنف عليل وجسمى قد عزم على الرحيل ثم فاضت دمعتها فأنشدت تقول هذه الابيات :

قلبي عليك وأنت تغدى　　وهواك من أسباب رشدى
إن كنت غبت فلم يغب　　دمعى الملم بصحن خدى
وحياة من أنا فى الهوى　　عبدا له بل عبد عبد

ماكان وجدى من كثير ولا كثيرا دون وجدى
ثم الصلاة على النبى خير الانام وجل قصدى

(قال الراوى) ولما كان وقت السحر حملوا الاحمال وحدا الحادى بالجمال فطار قلب غمرة المشتاق والتهب بنيران الفراق لما سمعت حنين النياق فأنشدت تقول هذه الابيات :

حدا حادى العيس ليلا وساقا وقد حملوا خيلهم والنياقا
أيا حاديا قد قسى قلبه سقيت المنية كاسا دهاقا
أما نظرت مقلتاك التى تموت بهم لوعة واشتياقا
فارفق بعيسك ياحاديا وارحم فؤدا غدا ذو حراقا
وصلوا بنا ياجميع من حضر على المصطفى من ركب البراقا

(قال الراوى) وسار القوم وطار من جفن غمرة النوم وأصبحت ذلك اليوم على الفراش وطال بها المرض ثلاثة أشهر ودخل أباها عليها وأنكر حالها وأتاها بالمنجمين وأصحاب الرقى هذا وأبطال بنى سليم وأبطال بنى كلاب يزوروها ولا يشكوا فى أنها الاميرة غمرة ولم يفكر أحدا فى ذلك الامر ولما خرجوا المنجمين جعلت تنشد وتقول هذه الابيات :

وجاؤا اليها بالتعاويذ والرقا وصبوا عليها الماء من شدة الباس
وقالوا بها من أعين الناس نظرة ولو علموا قالوا بها أعين الناس

(قال الراوى) ثم زاد غرامها وأشرفت على شرب كاس حمامها فقالت لامها اعلمى أن قد ضاق صدرى وحرت فى أمرى وقد عولت على الخروج إلى بعض المروج على سبيل الفرجة والصيد والقنص فلعل مابى ينفرج فقالت لها أمها وقد فرحت بقولها افعلى يابنية ماأردتى ولا تطلبى من لايطلبك ولا تريدين من لا يريدك ثم إن غمرة ركبت على جواد لها يقال له اللحوق من الخيل المسومة مليح العنق طيب الخلق صبور على سير الطرق إن طلب لحق وإن طلب يلحق راكبه غريب من المغرب والمشرق يفوت الرياح مليح الصهيل نقى لاالغره حسن التحجيل ثم انها سارت إلى أن صارت فى المرج وخلت بنفسها وأنشدت تقول هذه الابيات :

ان كنت أضمرت سوا أو هممت به يوما لما بلغت روحى أمانيها
ان كانت النفس تدعونى لاسكنها سواك واحتكمت فيها أعاديها
ولا تنفست إلا كنت فى نفسى تجرى بك الروح فى مجاريها

كم دمعة فيك ما كنت أخزنها وليلة كنت أفنى قبل أفنيها

(قال الراوى) ثم قالت ويحك يا نفس ما المليح ان يسلم محبوبك وانتى فى محل الهلاك اطلبى دياره وامحى منه آثاره وقد ذهبت عنك ماتجدين من ألم الهوى وتباريح الجوى ثم انها توجهت طالبه أرض قومها ومنازل عشيرتها وصارت تقطع الأرض لا تلوى إلى جدران ولا إلى عمران وصارت تنزل على أحياء العرب وهم يكرموها ويقولون هـذا الامير عمرو بن عطارد بن عوف ملك أرض سبا وبلقيس ولم تزل مجدة فى سيرها تطوى الأرض حتى وصلت إلى ديارها وهي تعرف المواضع التى يكون ابن عمها فيها وانها قصدت بعض الغابات التى كانت تسمع انه يأوى اليها فاكمنت فيها ثلاثة أيام وقد ضجرت من المقام وهى تظن انه داخل عليها ففى صبيحة اليوم الرابع عولت أن تدخل الغابة وتهجم عليه واذا قد أشرف فارس على جواد أدهم موسوم أعلم مثل الغراب الاسحم مجتمع ململم بحافر كالدرهم وعليه ثوب حرير ومن فوقه ثوب عمل القائم وقد اعتقل بقناة سمراء وعلى رأسها سنان يلتهب كانها قبس على مرقب متقـلد بحسامه وكانت السباع فى تلك الأرض نفرت من خوفها منه لانه أفناها على طول الأيام وان غمرة لما نظرت اليه عرفته فضيقت لثامها وجردت حسامها وركبت جوادها وغيرت كلامها وأخذت القنطارية فى كتفها ونادت يا ابن الانذال ويا ردى بين الرجال ويامن هو محسوب من ربات الحجال خذ حذرك فانى قاتلك واريح منك العرب وأسقيك كاس العطب فقد شاع فى الناس شرك وبان غدرك وأنت أخس وأقل فلما سمع كلامها ضحك ونادى ياويلك ماأظنك تعرفنى أومن بين الانذال تحسبنى فقالت وكيف لاأعرفك وأنت أحقر الناس قدرا وأكثرهم غدرا واليك أتيت اطلب لاسقيك شراب المعاطب ياويلك أليس أنت عامر بن الاشعث انزع ما عليك من لباسك واعطينى جوادك وأرح نفسك فأنا غلام قد خطبت ابنة عمى وقد قطع على عمى مالا عظيما وأنت وماعليك أول الغنيمة وان كان قتالك على عار وشنار فلما سمع عامر ذلك الكلام الغليظ من غمرة وقد ذكرنا ماهو عليه من الشجاعة والقوة والبراعة فانقلبت عيناه فى أم رأسه حتى صارت كانها أجاجين الدم ونادى يا ابن العاهرة اليوم أعدمك عرسك واختلس نفسك ثم نزل عن جواده وافتقد حزامه وشده حتى لعب برجله على الأرض ثم أخذ الرمح وحمل على الاميره غمره وحملت غمره عليه أيضا وتطاعنا طعانا أمر من الصبر وأحر من الجمر ولا يزالا كذلك حتى حمى عليهما النهار وغشيهما الغبار ونظر عامر إلى فارس ما رأى قط مثله ولا عاين شكله لانه لقى أبطال بنى كلاب فى ملطية مثل الامير ظالم وسيف الحنيفية ولم يكن فيهم من هو بهذه الفروسية ثم اختلفت بينهما طعنتان

كان السابق بالطعنة الاميره غمره وقد أدارت الرمح فى يدها وطعنته بعقبه فى صدره ارمته إلى الارض وانقضت عليه أسرع من البرق ومن العقاب على اللحم وكشفت رأسه وقرعت ناصيته وكان عليه أشد من القتل وسلبته ثيابه ولم تدع غير سرواله ثم قالت له ياابن الانذال اخلع السروال والا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام قطعت راسك وأخمدت أنفاسك فقال عامر لا تفعل ياوجه العرب خلى على السراويل ليسترنى فقالت لاوذمة العرب أنت قريب من أهلك وأنا بعيد الديار ومالى من السراويل غنى ولو بعته بنصف دينار فاخلع ياويلك فخلع السروال وبقى قاعد كيوم ولدته أمه ثم ركبت وطلبت البرية وبقى هو قاعد إلى أن اظلم الظلام وقد صار فضيحه ثم قال أسير فى الليل والظلام يحجبنى إلى ان اصل الى بيت الداية وآخذ من عندها ما يسترنى وصار طالب ذلك فهذا ما كان منه واما ما كان من غمره فانها سارت حتى وصلت الى حى عمها ابو عامر فنزلت ودخلت على الداية فانكرتها فكشفت اللثام فعرفتها الداية فقامت اليها وتعلقت بها وضمتها إلى صدرها وقبلت وجهها وقالت لها يا بنيه ما الذى جاء بك فأخبرتها بالقصة من أولها إلى آخرها وقالت وحق من مرج البحرين وأنار القمرين لا كان لى بعلا أبدا وهذه ناصيته وثيابه وحصانه فاذا أتى اليكى فقولى له يا نذل العرب تقول ماشغلى الكواعب الأتراب وانما شغلى صيد الاسد من الغاب وخوض المواكب وضرب الرقاب ويكون هذا المقام مقامك ثم ودعتها وسارت تقطع الارض طولا وعرض إلى ان وصلت الى ملطيه وقد قامت عليها الدنيا على ساق وقالوا قتل الامير عمرو بن عطارد وهلك فى بلاد الروم لانه ما كان يعرفها وصار الأمـــير عبدالوهاب يرسل الى بلاد الروم شرقا وغربا وبعدا وقربا ويأخذ خبره وخبر البطال وغلمانه وهو لا يأتيه من أحد منهم خبر ولا أثر وكان لهم حديث عجيب سوف نذكره فى موضعه فلما وصلت غمره فرح الناس بها وهنوها بالسلامة وأن أباها سألها عن سبب غيبتها فقالت له اشتقت إلى البر ورائحة الشيح والقيصوم كما قد اعتدت لانني فيه ربيت ولما أقمت بملطيه وانقطع عنى ذلك زاد بى المرض فقمت وطلبت البر حتى صح جسمى وعدت فانطلا عليه ذلك ودخلت على أمها فقالت لها يا غمره أين كانت هده الغيبة فاعادت عليها قصتها من أولها إلى آخرها فعجبت أمها من شرف نفسها وعلو همتها وقالت والله ياأماه ما بقى فى قلبى منه لا قليل ولا كثير وما عندى اليوم أبغض منه وطاب قلبها وعاد إليها حسنها وجمالها وخلا بالها فهذا ما جرى لغمره (وأما ما كان) من الأمير عامر فانه لما هجم عليه الليل طلب الحى وهو بتلك الحالة يده الواحدة على دبره والأخرى على قبله حتى دخل على دايته وقال لها اذهبى إلى أمى وأتينى من عندها بثياب فانه قد جرى على فى

يومى هذا إنما جرى على أحد قط مثله وقد لقيت فارسا ما رأيت قط مثله وجعل يحدثها بماتم له مع الفارس ويصفه فقالت له الداية عندى ثياب ألبسك إياها وما أحتاج أمضى إلى أمك فقال على بها فقدمت له ثيابه بعينها وقالت له البس فلما رأى ثيابه عرفها فأطرق إلى الأرض خجلا ثم قال لها من أين وصلت لكى هذه الثياب فقالت له اكتم أمرك فان الفارس الذى فعل بك هذه الفعال أقرب خلق الله اليك وما أراد أن يفضحك بين العرب وهى ابنة عمك غمره وهى تقول لك يا ابن العم أنا أردت أن أجرب كلامك فرأيته بخلاف ما قلت والكذب يشين بالرجل أين مقاومتك الفرسان والسادات واقتناصك الأسد من الغابات وقد قهرتك جارية ذات غنج ودلال وهى بعض ربات الحجال وقد أقسمت قسما بعد هذا اليوم لا كانت لك أهلا ولا كنت لها بعلا فلما سمع كلامها وقع فى قلبه نيران الهوى وهاج به واشتكا وثارت به أشجانه وكثر غرامه وعظم زفيره والتهابه وسار إلى بيت أمه وهو ينتفض مثل الزعفه وبقى كذلك عشرة أيام لا يسمع له كلام لحزن أباه عليه الحزن الشديد الذى ما عليه من مزيد وقال والله لقد كان عزنا وشرفنا وإن هلك يهلكنا وإن الداية تحدثت مع أمه بالقصة فحدثت أمه أباه فقال لها هذا أمر قريب أنا أسير بروحى فى خمسة آلاف من قومى ومعى ولدى والأموال والرجال وأخطبها لولدى ولقد قطعت لحمى ودمى وقطعت ظهرى وأخى له مثل هذه الجارية الذى قد قدرت مثل ولدى مع ذلك الوجه الجميل والطرف الكحيل ومن أجلها صار ولدى هكذا عليل نحيل وهو بالهجران والقلى قتيل ثم أقبل عليه وقال له يا بنى لقد فرطت فى أمر ابنة عمك لما عرضت نفسها عليك وصارت مثل العبد بين يديك وهى درة الغواص وظبية القناص فلو نظرت فى العواقب لما حل بك هذه النوائب ولكن أقول إن الأمير عبد الوهاب إذا قصدنا إليه وقدمنا عليه يصلح بيننا ويجمع شملنا وأزوجك بها ونعود إلى أوطاننا بجمعنا وأهلنا فطب نفسا وقر عينا ثم أنه أقام يتعدى الرجال للرحيل والمسير عشرة أيام وصحب معه من الأموال والتحف والهدايا والجمال مالا عين رأت ولا أذن سمعت وكان من مشايخ العرب وقد نشأ له مثل هذا الغلام عامر الذى ما يقدر عليه باد ولا حاضر ثم إن الأشعث أخذ معه وجوه قومه وسادات عشيرته مقدار خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس بالعدة الحسنة والخيول المسومة وسار يقطع الأرض فى الطول والعرض والأمير عامر معهم يعد المراحل وهو من هوى ابنة عمه ناحل يتقرب قرب المنازل وبعد المنازل وهو ينشد ويقول :

ولو أن شرق الأرض بينى وبينها   لقال الهوى لى إنها لقريب

وقد صار قلبي بعد ما كان جافيا يطير اليها إن ذا لعجيب

ولم يزل القوم سائرين إلى أن وصلوا ملطيه وقد سبقتهم الخيل تخبر بقدومهم فبلغ الخبر إلى الأمير عطارد بقدوم أخيه الاشعث ففرح وخرج إلى لقاه وخرج الامير عبدالوهاب والاميرة وأمراء بنى كلاب والسودان الانجاب والامير عمرو بن عبيد الله وسادات بنى سليم ولم يتخلف أحد لما يعرفون من علو منزلة الاشعث وحسبه ونسبه ووقعت العين على العين والتقت أبطال الطائفتين وقد ترجلت العرب بعضها إلى بعض وقد ساروا على وجه الارض هذا وإن الاشعث اعتنق أخيه عطارد وبكى وأن واشتكى وأنشد يقول

أنا أسأت فهل للذنب مغفرة السيف يخفو وبدر التم ينكسف
إن اللئام إذا ما استعطفوا أسرفوا والاكرمين إذا ما استعطفوا نصفوا

﴿ تم الجزء الاربعون ويليه الجزء الحادى والاربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الحادى والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال الامير عطارد لاخيه الاشعث نزولك مقبول ومهما عملته معى على الرأس والعين محمول فشكرته العرب وركبت الخيول وساروا إلى باب ملطيه وقد ضربت الاشعث مضارب وقباب فى الميدان ونزلت أبطاله وعشائره وقد أخرجت لهم الضيافات والعلوفات وانقاد بين أيديهم الخيول العربيات وذبحت الذبائح وعقرت العقائر ونحرت الابقار والابل والاغنام وأقاموا فى زائد الاكرام مدة عشرة أيام ولما كان فى اليوم الحادى عشر حمل الاشعث الهدايا والتحف والظرف إلى الامير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب وأمر الامير عمرو بن عبيد الله وأكابر بنى سليم وأمراء السودان واجتمعوا سائر أمراء بنى كلاب وغيرهم من السادات فى دار الامير عبد الوهاب الكبيرة وكان ذلك عادة عندهم فى كل يوم خميس يجتمعون فيها ويقرؤن القرآن العظيم ويتحدثون وتنشد الشعراء وكان هذا رسم الامير عبد الوهاب هذا وأن الامير الاشعث صار لهم فى أبطال قومه ووجوه عشيرته ففرح بهم الاميرين عبد الوهاب وعمرو وأجلسوهم ولما أخذوا مواضعهم قام على أقدامه الاشعث وقال معاشر العرب الكرام أحمد الله وأشكره وأصلى على نبيه ورسوله وإننى أتيت بعد ما تعديت على أخى هذا وكان هذا جهلا بمقامه لانه من بيت الشرف والفضل ولكن عثر لسانى بالاذلال عليه ومع ذلك جئت معتذر اليه والبارى جل وعلا يقول وهو أصدق القائلين (فاعف عنهم واصفح) ومع ذلك

فانى قد أتيته خاطب وفى كريمته راغب ذات الجمال الرائق والحسن الفائق والشرف السابق وهى الاميرة غمرة بنت أخى عطارد وله على من المال ألف دينار وعشرة آلاف ناقة سودات الحدق حمرات الوبر شملات قدر الحزام ذخلن البيت الحرام وعشرين ألف من الاغنام ومائة راس من الخيل المسومة الجياد ومائة عبد ومائة أمه واشهدوا على أننى خلعت نفسى من الامارة وتركتها لولدى عامر وأخى عطارد وأكون أنا من تحت أيديهم على طول الزمان وقد انقضت أيام الصبا والجهالة ودنا المشيب وأنا من الموت على ارتحال قريب وأريد أقبل على السميع المجيب والإله القريب الذى إذ دعاه الداعى باخلاص وجده مجيب فابكا العيون من ذلك الكلام وعجبوا من فصاحته والنظام هذا وقد تطاولوا بالاعناق إلى الامير عطارد ووقع ذلك الكلام على الناس كالماء البارد على كبد العطشان لانهم مايعلمون لعطارد ولد سوى عمرو ولم يعلموا أنها جارية وإن الامير عطارد خجل بين الحضور لما صار ذلك الكلام بين العرب مشهور هذا وإن غمرة لم تكن حاضرة لانها أحست بالشر به تلك النوبة لانها كانت السبب فيها وان الامير عطارد أقبل على من حضر وقال معاشر الناس من السادات وامراء الذين أحسنو الينا الجوار واغنونا عن الاهل والديار اعلموا أن حديثى من أوله عجيب وأمرى غريب وقص عليهم قصة ابنته من أولها إلى آخرها فتعجبوا الناس من شجاعتها وهى جارية فقالت الاميرة ذات الهمة لله درها من جارية ما أنجبها ولم يبق أحد من بنى كلاب ولا من بنى سليم الا وتمناها وقال كل منهم ليته مايزوجها لابن أخيه حتى أخطبها أنا من بعده وكذالك قال الامير عمرو بن عبيدالله والله إن مثل هذه الجارية مايوجد على وجه الارض وأريد أن أكون مثل الامير عبدالوهاب لان له نسوان يحامون عنه وعن أنفسهم وهذا الرجل عطارد يكون خلف ظهرى هذا وقد صاروا الناس ينتظرون مايقول عطارد فقال ياأخى ان طلبها ولدك فهى له امه ولا امنعها عنه ولكن هذه الاشياء متعلقه بالنسوان والاميره غمرة باختيارها وانا إسألك المهلة فى ذلك اليوم فان الكريم عند قوله وانا لااقول قولا واعود فيه فقال الامير عمرو صدقت ايها الامير المهاب هذا الصواب وقد انفض المجلس وخرج الامير عطارد وهو خجلان من العرب إذ صار ابنه عمر وغمرة وكان مع خجله فرح بتلك الاموال والعطايا التى ذكرها أخوه الاشعث وكان ماعنده خبر مما فعلت غمرة فى حق ابن عمها فدخل إلى منزله ووصل الى زوجته وهو يضحك فقالت له ماهذه البشاشة يا ابن العم لازال سنك باسما وعدوك نادما فقال لها اعلمى ان أتانا الامر كما نشتهى ونريد ثم أعاد عليها القصة من أولها إلى آخرها فرأى منها الفترة وقالت ها أنا الساعة أمضى

اليها وأقص عليها القصة ثم انها قامت من عنده ودخلت على ابنتها غمرة وأعلمتها بالحال فضحكت وقالت وحق من دحا الأرض وأرسى جبالها وعلم عدد مالها ووزن أثقالها ومن يطالب النفس بأعمالها وقدر أرزاقها وآجالها إلا كنت له أهلا ولا كان لى بعلا ماطرد الليل النهار وإن غصبت على فى هذه القضية سقيت روحى كاس المنيه واستريح بالكلية من هذه القضية فعادت أمها على أبيها وأخبرته بالحال فناداها اليه وعاتبها وقال لها يا بنية هذا ابن عمك ولحمك ودمك فقالت باأبى دع عنك الأمانى وان وصاله ليس هو من شانى وإن غصبت على ذلك فانا أفعل إحدى الحالتين إما أن أقتل روحى أو أدخل إلى بلاد الروم وأكون معهم على مايريدون وآخذ ديوان ميخائيل وتبقوا بذلك معيره جيل بعد جيل وأكون مسلمة أصبح إلى دين عبدة الانجيل فلما سمع أبوها منها ذلك قال يا بنية لا إكراه فى الدين وأقام إلى ثانى يوم ولما تجمعوا الناس كان أول من تكلم الأمير الأشعث وأشار إلى الأمير عمرو بن عبيدالله وقال أيها الأمير الكبير والسيد الخطير أنا اريد من أخى عطارد ماوعدنى به فى اليوم الماضى فأقبل عطارد على الأمراء وقال ياقوم إن الأمر خرج من يدى وقد وقعت بين أمرين خطيرين الاخ أخى والزوج ابن أخى والجارية ابنتى ثم أنه ذكر لهم ماسمع منها من الخبر فكاد قلب عامر أن ينفطر ووقع مغشيا عليه فرق قلب الأمير عبدالوهاب عليه وكذلك كل من حضر وقالوا إنه قد بان لنا عذرك ولا بد مانسير اليها فنسألها أن تهب لنا هذا الذنب ثم دخلت الأميرة ذات الهمة ونساء الأمراء عليها وقالوا لها أيتها الأميرة الكبيرة والسيدة الخطيرة قد أتيناك كى نسألك فى ابن عمك فقالت لهم سألتكم بالبيت العتيق الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام إن غصبتمونى على هذا الأمر فوحق الذى تجلى على الجبل لجعله دكا وخر موسى صعقا لا كان ذلك أبدا وان أكرهت على ذلك قتلت روحى فهذا ما كان من غمرة وأما الامير عبدالوهاب فانه سكت عن ذلك وقال يفعل الله مايشاء فبينما هو جالس وإذا قد أقبل عليه جاسوس وتقدم اليه وساوره فى أذنه بكلام فوثب على قدميه وطلب الجواد وركبه وعلى رأسه تخفيفة النوم ولم يلحق أن يتعمم وقد أوصى الاميرة ذات الهمة أن تلحقه بخمسين فارس على عجل وسار يوما كاملا الى أن لاحت له غبرة فضحك الاميرعبد الوهاب وقال لمن معه انظروا ما الخبر فى هذه الغبرة واذ قد بان له صابر المرعشى وقد أخبره بماجرى من ذلك الشاب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الغبار حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك بأن الامير أبومحمد البطال لما أخذ غلمانه وودع الاميرعبد الوهاب وسار وبرق بن رباح الساعى معه لجعل يطوف بلاذ الروم من أجل اللعين عقبه المذموم حتى

أنه يهتك ستره فى هذه النوبه فسار الى اثنى عشر اقليم من أقاليم الروم فلم يطلع له على خبر فهم أن يرجع بالخيبة الى بلاد الاسلام واذا قد لقيه راهب وهو الى بيت المقدس طالب فقال له الامير أبو محمد وهو فى صفة مطران أيها الشيخ الراهب من أين وارد والى أين أنت قاصد فقال له اعلم أن قدومى فمن بلد أريس وهى زاوية من بلاد اللان وأنا مقصدى البيت المقدس أزور قمامة وما سبب خروجى اليه الا أن الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح القاضى عقبة يذكر لنا فضلها فى كل يوم وأن المسير اليها له فضل عظيم فقال له الامير أبو محمد ياشيخ الرهبان لقد هيجتنى وهيجت شوقى إلى من ذكرت أترى يجمع المسيح بينى وبين الشيخ النجيح فقال له نعم يا سيدى فقال الامير أبو محمد ياليت شعرى أين مقامه حتى أزوره على الرأس لا على القدم فقال له ذلك الراهب اعلم أن له عندنا زمان مقيم لانه ذكر لنا أنه فزعان من المسلمين وأن عليه الطلب العظيم من أبو محمد البطال فقال له المسيح يكفيه شره ويوقيه من مكره ثم ودعه وسار وقد أقبل على غلمانه وقال لهم سيروا بنا إلى بلاد أريس فقد سهل الله علينا وعرفنا مكانه (قال الراوى) ثم ان الامير أبو محمد سار هو ومن معه من الغلمان يقطعون الارض ذات الطول والعرض إلى أن دخلوا الى تلك المدينة المذكورة فقال الامير أبو محمد لغلامه لؤلؤ يا ولدى ما لنا مثلك ادخل الى هذه الكنيسة وانظر لنا الملعون عقبة فى هذه المدينة أوفى أى الاماكن فقال غلامه لؤلؤ أنا لا آمن منه على نفسى أن يرانى فيعرفنى ولكن الرأى عندى أن يدخل برق بن رياح التميمى فقال الامير أبو محمد لو كان برق بن رياح يعرف بلسان الروم لكان جيد فقال برق بن رياح أنا ما أعرف الا القليل وها أنا اذا أردتم أن أدخل البلد وأدور فيها وأسأل عن الشيخ النجيح وان كان هناك من يعرفنى غدوت وخليت الكل ولا يلحقونى الى أن أجيء اليك وأقدم عليكم وان أخذوكم مضيت وخليتهم يفتصلون بكم فقال الامير أبو محمد أصح الله بدنك هذا رأى جيد قوى ثم أنه قد قال الى لؤلؤ سير أنت الى البلد واقصد الى تلك الكنيسة التى لهم واكشف لنا الاخبار عن يقين فسار ودخل الى البلد ووصل الى الكنيسة فوافق دخوله يوم الاحد فوجد فيها عالم عظيم ونسوان وشيوخ وشبان وقسوس ورهبان فدخل البيعة التى فيها ذلك العالم واذا هو بالملعون عقبة وعليه ثياب ملونه وبرنس الرهبانية وهو جالس بينهم يتلو الانجيل ويقول معاشر الروم اعلموا أنى قد عولت على الخروج الى بلاد الإسلام لاننى كنت نائم فى هذه الليلة فى المذبح فرأيت السيد المسيح وهو يقول لى لقد غفلت عن الجهاد فى المسلمين فقم وسير وأنا بعدك فلا تتهاون فى ذلك وأنا أساعدك وأكون معك معين واعلموا أننى فى هذه الليلة أنام فى المذبح وأسير

فى غداة غدا إما فى البر أوفى البحر إلى مدينة القسطنطونية وقد علمت أمور سوف تقيم دعوة النصرانية إلى أبد الآبد هذا ولؤلؤ يسمع ويستروجهه بين العواميد (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما أن سمع ذلك المقال فرح وخرج إلى أستاذه البطال وأخبره بما سمع من الملعون عقبة من المقال فقال الامير أبو محمد أنا أخاف أن يركب فى موكب لما نقدر عليه ولكن ادخلوا بنا كلنا إلى هذه البيعة حتى نأخذه منها والله الموفق المعين (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان الأمير أبو محمد قد تزيا بزى الرهبان الذين لبلاد اللان ودخل هو وغلمانه وأقعد برق بن رباح فى الموضع الذى كان فيه مقيم ولم يزال الامير أبو محمد حتى دخل تلك الكنيسة وبات فيها عالم عظيم لوداع عقبة اللئيم (قال الراوى) يا سادة ياكرام فلما أظلم الظلام نظر الأمير أبو محمد الى أبو يخلف وقد علق له عقبة فى حلقه صليب وحلق نصف رأسه وتركه بصورة شماس وحفظه عقبة شيئا من الإنجيل وهو يحرض الكفرة الملاعين على سب الأمـــير عبد الوهاب ويسال المسيح أن يمكنه منه ومن الامير أبو محمد البطال وهو باكى العين حزين القلب على ستة شمسة وكان الامير عبـــد الوهاب قد زوجها بالملك ابن قراقونا زواجا صحيحا لانه نظر منه دينا جيدا واعتقادا صالحا وأبو يخلف قط ما أبصره صلى صلاة ولاركع ولاسجد ولما دخل بلاد الروم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير وكان هذا كله من قلة عقله وكان عقبة عول ان يأخذه معه إلى بغداد ليتم به إلى عند الخليفة مايريد هذا وقد نامت الناس والأمير أبو محمد يراقب عقبه حتى تنصف عليهم الليل ولؤلؤ يقول ياهؤلاء مابقى من الليل الاالقليل عندها وثب الأمير أبو محمد وأتى إلى باب القبه وفتح بابها وغلامه معه ولما ان توسط المذبح صاح عليهم الصائح وقد جردت الصفائح وقد هجموا عليهم البطارقة أخذوا الامير أبو محمد وغلمانه قبضا بالكف (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا والأمير أبو محمد يقول لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم تمت علينا الحيلة إنالله وإنا اليه راجعون

(قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب فى ذلك أبو يخلف لما ان دخل لؤلؤ إلى البلد عرفه إلا لؤلؤ فانه لم يعرف أبو يخلف لأنه كان بين الرهبان فدخل أبو يخلف إلى عقبة وأعلمه بذلك الشان فقال له عقبة اياك ان يكون اشتبه عليك قوله وأمره فقال لاوحق المسيح والصديق وستى عيشه فضحك عقبة وقال له عقبة لاتحلف هكذا فان كلهم مايعتقدون فى عائشة ولا فى الصديق فقال له أبو يخلف وكذلك هو وحق الصليب ما أعتقد فى المسيح ولا فى غيره ولا أعتقد الا فيمن يخلص لى الست شمسه فهو يكون المسيح وعائشة وموسى بن عمران فعلم عقبة انه ماله عقل ولا يعتقد فى دين من الاديان أصلا

فأعجب عقبة كفره وأقام كذلك الى ان دخل لؤلؤ فقال له هاهو فوقعت عين عقبة عليه فقال هاهو لؤلؤ وحق المسيح صدق أبو يخلف فيما قال ولكن لم أقدر أحدق اليه بالنظر فيكون مني على حذر وما أتى إلى هنها الا حتى يسمع عني خبر ولا شك ان مولاه الامير أبو محمد معه بلا محاله ولكن فى هذه الليلة اقبض عليهم وسوف اظهر لهم انى راحل حتى يزداد حذرهم على ويطمعوا فى أخذى ثم اعرض بذلك السفر والمقال حتى يدخلون الى الكنيسة ثم انه قال ماقال ومضى لؤلؤ الى مولاه البطال ودخلوا واخذوا كما شرحنا هذا وعقبة قد طار فرحا بأخذ الامير أبو محمد اعظم عنده من فتح بغداد لانه كان أقسم انه متى ظفر بواحد منهم فما يبقى عليه وقد اوقد الشموع من حواليه وقال له مرحبا ياأبو الحصين اوحشتني هذه الطلعة التى ماقصدى أراها الا وهى على هذه الحالة وأحسن منها فقال له الامير أبو محمد أما انا ياملعون أيضا احمد الله تعالى على هذه الحالة وعلى غيرها لانني ارى المصيبة فى الأبدان ولا أراها فى الأديان (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عقبة من الأمير ابو محمد ذلك الكلام فقال ياويلك اذا كان الامر كما تقول أنت فسوف أنزل عليك من البلاء مالاتطيق حتى تأكل لحم الخنزير وتشرب الخمر والعصير وتتبرأ من دين محمد البشير النذير والسراج المنير فقال أبو يخلف على المشى ياقرنان الى مكة حافيـــا عريانا ولا بد لى ان أضرب راسك فى مقابلة ماعمل معى الأسود الزنيم عبد الوهاب فى أخذ ستى شمسه لانها مولاتى وما أقمت فى بلاد الشرق الا من اجلها

(قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وعقبة احضر الخل والخمر والملح والقصب وشحم الخنزير والسياط واحضر الأمير ابو محمد الى وسط الكنيسة ومده وضربه الى ان غاب رشده وكذلك فعل ايضا بغلمانه هذا والامير ابو محمد يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقبة يقول له ياويلك قل ربى المسيح حتى انني أخلصك من هذا الاسر هذا والامير ابو محمد يقول واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ويلك ياشيخ السوء من اين لنا فى الحياة ارادة وانت تقـــول لى اكفر بالرحمن فهيهات هيهات ان يكون ذلك ابدا ولو شربت كؤس الردا ولست اموت الا على دين الإســلام وعبادة الملك الديان فافعل الآن ماتريد فانى صابر وعلى ماتفعل بى شاكر عندها كاد بعقبه الغضب وقال وحق الإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل لابد من احراقكم بالنار حتى تعلموا ان المسيح احرقكم بالنار وانا سالم من الأضرار وكلما تقولوه من صلبى فهو زور ومحال (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما اصبح الله تعالى بالصباح

واضاء الكريم بنوره ولاح انقلبت البلد بأهلها يتفرجون على البطال وغلمانه وقد اقبلت بنات البطارقة واولاد العمالقة ينتظرون الى صاحب الاسم والافعال الذى قد شاع ذكره فى بلاد النصرانيه وقد ازدحمت الناس عليه وهم يلطمونه على حر وجهه وقد حل به الهم والغم والبلاء كله (قال الراوى) هذا وبرق بن رياح ماعنده منهم خبر ولا يعلم ايضا ماتم عليهم من العبر وهو مقيم فى المكن الذى كانوا فيه هذا وعقبة نادى فى الروم ان يحملون فى يومهم والثانى والثالث وقد اجتمع رأيهم على احراق أبو محمد البطال وغلمانه وقد أوقدوا الشموع فى البيع والكنائس فى النهار والليل فرحا باحراق البطال العيار المحتال هذا وعقبة وكل بالبطال أبو يخلف يحفظه وهو يدخل عليهم فى كل ساعة ويقول لهم فى غداة غد تحرقون بالنار والعاقبة للاسود الحجام ان يوقعه المسيح كما أوقعكم هذا ولأمير أبو محمد أقبل على غلمانه وقال لهم هذا كله من تدبير الأمير عبد الوهاب الذى أوقعنا فى هذا العذاب ومع ذلك فانه ما أفلح بما فعل لأن شمس النصرانية كان اسلامه حيلة حتى أخذ شمسة وهرب بها إلى بلاد الروم ولولا أن بنى سليم لحقوه وقتلوه لكان أخذ هذه الجارية وهرب إلى بلاد الروم وقد أخذتها الأميرة ذات الهمة منهم وحلفت أنه لا يصل اليها أحد منهم أبدا فقال لها الأمير عبد الوهاب ولم ذلك يا أماه فقالت له هذه الجارية لأبو يخلف المسكين المشتت عن دياره التى قد حصلت له مثل هذه الجارية وقنع بها من الدنيا لأنه من أهل الستر لا من أهل القتال وما تعطى هذه الجارية إلا له لأجل انكم قد كويتم قلبه بالنار فقال لها الأمير عبد الوهاب وحق ذمة العرب يا أميرة انى خائف من الله بما صنعت فى حقه وما قلت ان هذا شمس النصرانية يظهر منه هذا الحيل والمكر وأنا أقسم بالله ان كان أبو يخلف سالم غانم ليكونن له عندى أوفى مما قلى عليه وقد اتفق الحال على الانتظار تمام هذه السنة إلى أن يأتى ويعطوها له وان ما أتى وإلا أعطوها للامير عمرو بن عبيد الله لانه كان قد طلبها وأنا قد أتيت فى حجة طلب عقبة لعل ان أنظر إلى أبو يخلف وأعلمه بالقصة لاربح الثواب من الله رب الارباب فى ذلك المسكين وأنا أقسم يا لؤلؤ لولا هو ما كنت دخلت بلاد الروم فى هذه السنة ولما صدفناه ما أمهلنا الزمان إلى ان نعلمه بهذه القضية التى ينشرح بها صدره ولكن وقعنا بهذه الرزية وبلينا بهذه البليه ولكن قالت اليهود خير ما تعمل شر ما تلقى (ياسادة) وكان البطال يتحدث مع غلمانه بهذا لانه علم أن أبو يخلف قد خرج من القبة ليسمع مايقول البطال ويشرف عليهم ثم أن البطال قال بعد ذلك يا لؤلؤ وقد قالت الاميرة ذات الهمة أنا أعلم أن أبو يخلف مادخل الى بلاد الروم الا من الغيظ والحنق والا فهو انسان مغربى شديد فى دين

الاسلام مايتنصر ابداً والرجل اعقل من ذلك ولكن الهوى يحمل الانسان وابو يخلف لو علم اننا مادخلنا الى هذه البلاد الا بسبب مافعل فى حقنا هذه الفعال وبعد فانه معذور (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان ابو يخلف كان يسترق عليهم السمع فلما سمع ذلك كاد قلبه يطير فرحاولم ياخذه صبر دون ان دخل عليهم وسلم عليهم وبكى بين ايديهم وقال يا ابو محمد وحق المسيح والصديق وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب يعز على ماجرى لكم وما تم عليكم ولقد سمعت كلما قلتموه وتحدثتم به والآن فان الامر كما ذكرتم وما حملنى على ذلك الا الهوى فقال البطال يا ابو يخلف وسمعت الذى قلناه من أوله الى آخره قال له نعم وانا معتذر اليكم بما جرى منى عليكم ولكن يكون عوض هذا خلاصكم فقال البطال جزاك الله خيرا تكون قد قابلت الاحسان بالاحسان ولكن قبل كل شيء اعمل عملا ناخذ به عقبة لننال بذلك عند الامير عبد الوهاب منزلة رفيعه لان الامير وأمه لك فى احسن نية وقد اوجعتهم واوجعت قلوبهم لما تم عليك وسوف تنال عند الامير عبد الوهاب باخذك لعقبة وقبضك عليه المنزلة العالية السامية فقال لهم ابو يخلف اعلموا ان عقبة مايبيت فى الكنيسة ولا اعلم له موضع وان صبرتم الى الغداة غد حرقكم فقال البطال اعلم ان معنا رفيق وهو برق بن رياح الساعى وهو مقيم بالموضع الفلانى فاذا اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وذكر محمد سيد الملاح اخرج اول الناس حتى تصل اليه وتقدم عليه وتخبره بحالنا وتوصيه ان يكون اهبة وان يسرق لنا خيول نركب عليها ونهرب فليفعل ذلك وارجع من وقتك وساعتك الى عقبة وقول له لا تحرق القوم فاذا قال لك ولماذا فقل له انى خرجت اليوم الى ظاهر البلد لامر عرض لى فرأيت ذلك الرجل الذى سرقك الذى اسمه برق بن رياح مقيم فى موضع حتى يخرج عقبة فى طلبه فهو يهرب فاهم لا يلحقوه فقل ياقاضى عقبة لم لا تفتش هذه المقابر فانه لاشك مختفى فيها لأنها نواويس يختفون فيها فهو يشتغل طول نهاره بذلك فاذا كان الليل اعرف موضعه وأين يبات وعد إلينا فسوف ترى العجب وحل وثاقنا ودلنا عليه وقد كشف الله عنا الشدة فقال أبو يخلف سمعا وطاعة (ياسادة) هذا وقد وقع من كلام البطال فى قلب أبو يخلف النار وهو يظنه تحقيق فما صدق بالصباح أصبح حتى نزل كأنه مجنون ولم يرده إلا موضع برق بن رياح وكان قد أبطأ عليه خبر البطال وهو على مقالى النار إلا أنه لايقدر يظهر لأجل وصية البطال وأيضا فانه مايعرف بلسان الروم وقال لعلهم يدورون على مكان عقبة (قال الراوى) ياسادة ياكرام هـــذا وان أبو يخلف أتى إلى المكان الذى فيه برق ونادى برفيع من صوته يابرق أريد أقول لك كلام

فظن برق ان القوم قد فطنوا به فصار يجرى وأبو يخلف يغدوه خلفه ولا يقدر يلحقه فصار يقول له ويلك يافرخ الزنا كشف الله عنك ستره فلما سمع برق كلامه بالعربية أنس إليه وقال له ويلك من أنت قال أنا أبو يخلف وصاحبك البطال وغلمانه فلان وفلان وقد أخذوهم الروم وقد جئت برسالة من عندهم وانا أعمل على خلاصهم ثم أعطاه العلامة من عند البطال فعند ذلك أنس اليه ورجع إلى مكانه وقد قال أبو يخلف على الذى أوصاه البطال ودعا الى المدينة الى عند القاضى عقبة فوجده فى احراق البطال وغلمانه وقد أضرمت النيران ورفعت الصلبان وعقبة يبوس الأرض شكرا للمسيح ويقول هذا الذى كنت أريده أن يعطينى المسيح

(ياسادة) هذا وأبو يخلف قد دخل عليه وتحدث معه بما اتفق مع البطال فلما سمع عقبة ذلك قال اكتموا أقوال هؤلاء فلا شك انهم قد قدموا فى طلبهم فارقبوهم الى أن يدخلوا الى المدينة فان نحن طلبناهم لاشك يهربون وان عقبه أقام الى أن أمسى المساء وقال لابو يخلف كون الليلة عندى فى المذبح وغدا يدخلون القوم الى البلد لامحالة فإنهم اليوم أشغلهم التعب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم انأبو يخلف صبر الى أن تنصف الليل وأتى الى البطال وخلصه وخلص غلمانه وقصد بهم الى عقبة وقال خذوه فلما عاينوه تبادروا اليه وكتفوه وألقموه الاكرة وخرجوا به من البلد من باب القوافل وساروا الى أن وصلوا الى برق فوجدوا عنده ستة بغال كان قد اقتطعها من قافلة نزلت عليه فى أول الليل وكانوا من تجار الروم فمضى اليهم وقطع البغال وأقام الى أن أتى البطال وغلمانه وعقبة معهم وقد انفطر مرارته وعظمت حسرته وزادت بليته ولا يدرى من أين أصيب حتى نظر أبو يخلف وهو مطلوق معهم غير موثوق فعلم ان البطال قد لعب بعقله هذا والاكرة فى فمه ولا سبيل له الى الكلام (قال الراوى) وساروا به يقطعون الأرض فى الطول والعرض الى ان وصلوا الى وادى الغزال وقد بقى بينهم وبين ملطية ستة أيام إذ لقيه صابر المرعشى ورجع يطلب الامير عبدالوهاب ويبشره بقدوم البطال وقد اقام البطال مكانه حتى يأتيه الامير عبد الوهاب ووصل اليه الجاسوس كما ذكرنا وركب الامير ومعه خمسين فارس من بنى كلاب على عجل وقد دخل فى قلوبهم الوجل حتى لايسمع أحد من بنى سليم بقدوم البطال (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان الامير أدرك البطال وغلمانه ومعه القاضى عقبة فلما أن رآه الامير عبد الوهاب ووقعت عينه عليه كاد يطير من الفرح وقال له يا كلب النصرانية واخس من غمس فى ماء المعمودية قد أمكن الله منك فقال قد أوصلت هذا القرنان اليكم فتسلموه واحضروه بين يدى الامير عمرو

ابن عطار دفعرفه لانه هو الذى عمل عليه حتى يهتك ستره عند بنى سليم فقد حلفوا وحلف الامير عمرو بن عبد الله انه لا يرجع فيه ولكن لى عليه طلابة بالضرب الذى ضربنى اياه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أمر عقبة فمد على ظهره وضرب له أوتاد أربعة فى الارض وسحبه بطاق الاديم الطائفى وأخذ له سوط من جلود البقر طوله ذراعين ونصف فى غلظ السير العظيم وما برح حتى بله بالماء وضرب عقبة به الى أن نزل لحم ظهره وغاب عن الدنيا ولا هناك قلب يرحمه ولا من الضرب يمنعه لما قد انكوت منه قلوبهم وما تركه البطال حتى تعبت سواعده وأيقن له أنه شرب كاس مصائبه ثم إن الأمير عبد الوهاب نظر إلى أبو يخلف فقال ياأبو محمد إننى أرى أبو يخلف معكم لاستر الله عليه هذا الديوث فقال البطال مجنون ولا عليه لوم ولا حرج ثم أعاد عليه القصة كيف جرت فتعجب الأمير من سلامة البطال وباس الأرض شكرا لله الملك المتعال ثم أنه أقبل على أبو يخلف وقال له إن أردت أن تنجومنى وتأخذ شمسة التى كأنها القمر فحدث بنى سليم بجميع أحوال عقبة فى بلاد الروم وبكل مارأيت منه وساروا القوم إلى ملطية وكان الأمير عمرو بن عبيد الله لما ركب الأمير عبد الوهاب قد جمع قومه وقال ماأدرى ما أزعج عبد الوهاب إلى بلاد الروم فقالوا أيها الأمير مالنا علم ولقد كان الواجب عليه أن يخبرك بأمره لأنك المقدم ثم شالوا فى هذا وحطوا (قال الراوى) ودخل الامير عبد الوهاب إلى ملطية وعقبة بأسوأ حال فقال عمرو بن عبد الله هذا عقبة بلا شك وفى غداة غد تكون الحكومة هذا وقد انقلبت ملطية لما نظرت بنو سليم إلى عقبة فى ذلك الحال وهو مضروب والدما يخرج من مناخيره وهو رافع رأسه إلى السماء وهو يقول بهذا حكمت وبهذا قضيت لا مرد لقضائك ولا دافع لبلائك يامن مقاليد الامور بيدك أسألك خاتمة خير ياكريم يامن هو عليم اللهم صل على محمد عبدك ورسولك الذى بعثته من أكرم العرب ونسل عبد المطلب (قال الراوى) ياسادة يا كرام وسمعوا بنى سليم ذلك فرجعوا إلى دار الأمير عمرو بن عبيد الله وقالوا أيها الأمير لاصبر لنا على هذا وأنت تعلم أن القاضى عقبة هو ابن عمنا فى يد الأعداء وقد فعلوا به مالم يفعله أحد أبدا ومع هذا فما فعل شيأ يوجب هذا الضرب الذى تراه عليه ولو فعل بنا أحد من الناس دون ذلك فعلنا ما تقتضيه مروءتنا ونحن لا صبر لنا على هذا الأمر فقال عمرو بن عبيد الله اعلموا أنكم ما تقدرون على مقاومة بنى كلاب ولا على ملاقاة السودان وان تكلمتم وقع السيف بينكم وسفك الدما وتغلبون ولا تصلون الى ماتريدون ولا تنالون ماتشتهون ومع ذلك فان لنا مع

القوم حكومة وقد ذكروا أنه يوقفونه غداة غد قدام غمرة وان قالت هذا الذى خاص الماسورين وعلم على فقدى علمنا أن قولها حق وما لنا فى حماية كافر منافق جاحد اذا كان على هذه الصفة فقالوا أيها الامير هذا وأنت أعلم الناس بالاحكام وكيف يقبل قول امرأة لاعقل لها ولاشهادة وكيف يسمع قولها فى تكفير امام الاسلام حافظا لكتاب الله العزيز ويحفظ ثلاثون ألف حديث عن رسول الله ﷺ وأكثر علماء أهل بغداد قد قرأوا عليه العلم ويقرأ القرآن بالروايات المختلفات ويعرف العلوم وكل اللغات ونحن لا نقدر نصبر على هذا ولوهالكنا عن بكرة أبينا ومع هذا فانت أمير الامراء وما ندرى من هو أمير الامراء الاعبدالوهاب ولوكان الك أمر مقبول أومسموع لكانوا أحضروا القاضى عقبة الى دارك الى أن تحضر الاميرة غمره وتنظر وجهه وتسمع قولها فقال الامير عمرو بن عبيد الله وقد عمل كلامهم معه لقد كان الواجب أن يفعلوا هذا الامر وأيضا لو قالت هذه الملعونة ان عقبة فعل بها ذلك لما سمعنا منها لانها من بنى كلاب وما نامن أن يعلوها وما تقدر نخالفهم فكيف نمكنهم منه وأمير المؤمنين المعتصم بالله قد سير فى طلبه فى جميع الاقاليم والارض فى طولها والعرض وربما جعله وزير خلافته ومدبر مملكته واذا كان ابن عمنا وزير الدوله كنا طيبين ومع ذلك فإنى أكتب للخليفة كتاب ولايصبح الجواب الا عندنا (قال الراوى) ثم انه كتب كتاب يقول فى أوله (بسم الله الرحمن الرحيم) وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم ثم بعد ذلك ذكر ألقاب المعتصم ثم قال فى جملة ما كتب اعلم يامولانا ومن هو مالك رقابنا يا أمير المؤمنين ان البطال وصل هو وغلمانه ومعهم الزاهد العابد الورع القاضى عقبة وهو بأسوأ حال وأقبح صورة ودماؤه تشخب وعبراته تسكب وهو فى القيود والاغلال معذب وضرب السياط لاتحه عليه وعلى خواصره والقوم عزموا على قتله وقد ذكرت أن سيدنا ومولانا أرسل إلى جميع الآفاق فى طلبه فلم يعبؤا بكلامى ولادخل فى آذانهم خطابى والرجل فى غداة غد هالك وأنا خايف على مولانا من مالك الممالك وكل راع مسؤل عن رعيته وقد أعلم المملوك بما كان فليعمل أمير المؤمنين ما أراد وكبت الله أعداك والحساد وختم الكتاب وعلقه على جناح الطائر فما أمسى المساء إلا والطير بين يدى أمير المؤمنين المعتصم بالله ففك الكتاب وقرأه فلما علم ما فيه طارت عيناه فى أم رأسه ثم قال وصار هذا الكاب الأسود هو الخليفة يفعل مايريد ويقتل مثل ذلك الإمام العابد الزاهد عقبة فكيف يكون ذلك انه يظن أننى مثل الرشيد بالله مشتغل بالنسوان مولع بالنكاح عن ضرب الصفاح وطعن بالرماح أو يحسب أننى مثل المأمون مشتغل بعلم النجوم ومعرفة العلوم والقضاء بين الخصوم ثم دخل على السيدة زبيده وأعاد عليها القصة فبكت

وقالت أدرك الرجل وإلا هلك واكتب إلى عبد الوهاب أن لا يتعرض إلى هذا الرجل وكذلك لعمرو بن عبيد الله لا يغفل عنه فقال لها المعتصم إن هذين الشيطانين قد جبلا على العصيان وهما أبو محمد البطال والمأمون وأنا أقسم بالله وبالنبي المنتخب سيد العجم والعرب لا أبقيت على أحد من العرب الذين يقال لهم بنو كلاب وأنا أعرف كيف أعمل ما لا يعمله غيري ثم أمر من وقته وساعته أن يكتب كتاب يقول فى أوله (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فهذا الكتاب بخط يدى لما خطر ببالى إلى الأمراء خصوصا الأمير الأجل سيف المجاهدين وجمل دولة أمير المؤمنين (الأمير عبد الوهاب) سيد بنى كلاب وذلك أنى رأيت مناما أمرت فيه أن أدخل إلى بلاد الروم على نية الجهاد ولعل الله أن يفتح لنا البلاد ويذل لنا الرقات ونهلك أهل البغى والفساد فان وقع لك خبر الملعون عقبه فى أى بلد كان فى بلاد الله تعالى فاقبض عليه إلى أن أصـــل اليك وآخذه وأحدثك بما صح عندى من كفره وأصليه على باب الذهب كما أمرك النبى المنتخب وأنا فى رأس الشهر الثالث عندك فكن على أهبة من أمرك من إصلاح الزاد والعدد وكلما يحتاج للغزو وقد عولت أن أجعل كرسى الخلافة بالقسطنطونية ثم علق الكتاب على جناح الطائر وكتب كتابا إلى الأمير عمرو بن عبيد الله بالسر يقول فيه أبشر فسوف يأتيك منى ما لا تعرفه من الخلفاء المتقدمين من العزم والقوة والجزم فلا تتعرض لهم فانى قد دبرت النوبة فى كتاب لهم بكذا وكذا فأظهر التوجع على عقبة والسؤال فيه حتى يكون ذلك أوكد فى الأمر ثم ان المعتصم برز إلى العراق ودخل إلى خراسان بنفسه وقد سمعت به العجم فانقلبت الأمم وقالوا يا أمير المؤمنين كنت أرسلت الينا بعض غلمانك حتى كنا نسير اليك وإلى خدمتك فقال المعتصم هذا أمر لا يتم بالغلمان ثم تمثل المعتصم يقول

وماغلظت رقاب الاسد حتى ... بأنفسها تولت ما عناها
ولا تبعث رسولك فى مهم ... فما للنفس ناصحة سواها

(قال الراوى) فلم يبق احد الا وانضاف اليه وقبض على اكثر الولاه ممن كان يعصى على الرشيد والمأمون وطرحهم فى المطامير بالويل والتعتير ثم دخل إلى بلاد الترك والقفجق والديلم والخوارزميه واخلع على الملوك منهم وأعطى الأموال وفتح خزائن البلاد وأخذ مافيها من الأموال ونادى فى بلاد العجم بالغزو ولم يزل حتى صار فى الف الف وخرج فى أول العساكر وقد حضر ملك الترك وكان له قوس عظيم فلم يقدر احد من الاربعمائة الف تركى ان يوتر قوسه وكان فى أول زمانه يعالج بالصخور والحجارة (قال الراوى) وسار المعتصم إلى أن دخل بغداد وقد خافت منه العساكر ووقعت هيبته فى قلوب السلاطين والبلاد

(قال الراوى) ياساده باكرام هذا جرى واما بنى كلاب والأمير عبدالوهاب فانه لما حصل عقبة فى أيديهم فرحوا بذلك فرحا وما صدقوا ان الصباح يصبح وركب الأمير عبد الوهاب الى دار الأمير عمرو بن عبيدالله ودخل عليه وقال له أيها الأمير الاجل الرفيع القدر والمحل معلوم اننى ماابرم امرا الاعن امرك فلايميل بك الهوى وهذا قد كفرو تجرأ على الملك الاعلى وهذا عقبة وأنا أقسم انه اكفر أهل الأرض واكثرهم عتوا على الله تعالى واقلهم منه خوفا وقد قتل من المسلمين مالا يقع عليه احصاء فلاتتكلم الا بالحق فى ذلك فان بيننا وبينكم أمرا وهو الأميرة غمرة ابنة عطارد وانتم تعلمون انها ماتعرف الرجل ولا بينها وبينه معاملة ونحن الساعة نحضرها فى وسط الميدان ونحضر شيخا أعورا غير عقبة ويكون أعور فان قالت هو هذا علمنا ان قولها محال وان قالت ماهو هذا تركناه وقدمنا عقبة فما بقى عندى فى أمره شك وان فعلتم غير هذا علمنا انكم تخسرون بنى كلاب ويقع الحرب بيننا وبينكم ويكون عقبة ميشوم على خلق كثير فقال له الأمير عمرو بن عبيد الله وقد عظم عليه ذلك وكبر لديه ايها الامير ان عقبة له من يرحمه ويطلبه غيرنا وقد كتب أمير المؤمنين المعتصم إلى سائر الآفاق يطلبه ان وجده والآن فافعلوا فيه ماتريدون فيه برأيكم واحكموا فيه بأمركم فسوف نركب إلى الميدان ونسمع ماتقوله غمرة فى حق هذا المسكين الذى هوكل يوم فى بلية فخرج الأمير عبد الوهاب من عند الامير عمرو بن عبيد الله والكتاب وقع فى يد الأمير عمرو بن عبيدالله بذلك الأمر ففرح بذالك واعلم أكابر بنى سليم ففرحوا بذلك فرحا عظيما واتى البراج بالكتاب الثانى إلى الأمير عبد الوهاب ففتح الكتاب وقراه على بنى كلاب ففرحوا بذلك فرحا شديدا وادعى بالأميرة ذات الهمة والبطال وقرأ عليهم الكتاب فقالوا من الفرح هذا شىء لم يكن لنا فى حساب وكنا خائفين من قتله لاجل أمير المؤمنين المعتصم بالله فقال سيف الحنيفية وضيغم وقشعم والله مانلتفت اليه ولا نبالى به ولو لم يأتينا الكتاب ما كان لنا بد من أن ندخل إلى بلاد الروم نفعل به ما أمرنا به فى المنام فقال الامير عبد الوهاب معلوم ذلك وقد سهل الله تعالى علينا هذا الأمر من كل وجه ويد الخلافة لاتطاولها يدوقدومه يكون أمكن لنالانا نفتح مدينة القسطنطونية ونصلبه على باب الذهب فقالت الاميرة مافى هذا شك وخرجت الاميرة ذات الهمة والامير عبد لوهاب إلى الميدان وخرجوا بنى سليم وسائر الناس جمعا والامير عمرو بن عبيدالله والامير الاشعث وولده عامر وفى قلبه من غمرة البلاء وقد حدثته نفسه انه يغتالها فى بعض المواضع ويقتلها وركب الاميرعطارد بن عوف والاميرة غمرة إلى جانبه وكانت

قدوضعت القناع على وجهها بعدان عرف انها جارية واخرج عقبة هذا و بنى سليم قالوا اما نحن نقبل من كتاب المعتصم ونخاف ان يفرط الامر فيه ولا نقدر نحميه وان شهدت عليه غمرة قتلناها حتى لا تشهد عليه عند أمير المؤمنين المعتصم (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان أكثر العرب متفرقين فى البلاد وكذلك السودان الانجاب وما فى البلد سودان وعرب الادون العشرة آلاف وخرج الامير عمرو بن عبيد الله وقد خرج معه عشرون الف من بنى سليم وقد عزموا على قتل غمرة ان هى شهدت على عقبة وكثر الصياح واخرج عقبة على بغل للميدان وهو مكشوف الرأس وترجلت العرب وقد قبضت على قوائم سيوفها والأمير عبدالوهاب قد اوعز إلى بنى كلاب ان يكونوا على أهبة لانه قد أحس بالشربة وتقدمت الامـــيرة غمرة ونادى المنادى أيتها الاميرة انتى واقفة بين درجتين اما إلى الجنة واما إلى النار فلا تقولى الا الحق (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الاميرة غمرة لما عاينت إلى ذلك وإلى عقبة عرفته بلا شك ولا ريا وأشارت إلى الناس ان اسكتوا الجمـــيع عن ذلك فبدا عقبة بالكلام ونادى معاشر العرب الكرام معلوم انى ما أبالى ان دخل الموت على أو خرجت عليه لانى قد كبر سنى ونحل جسمى ودق عظمى وما بقى للحياة عندى قدر ولا قيمة ولا لى حاجة فيها ولكن أسفى على أقوام يشهدون على خطيئتى واكون أنا السبب فى ذلك وهذا كله من الشيطان أبو محمد البطال وهو الذى أخذنى من جبال بيت المقدس من مقام إبراهيم الخليل عليه السلام لأنى كنت طلبت العذلة فأتى إلى وأخذنى وأتى بى إلى بلد الروم حتى يشنع عنى أنى كنت عند النصارى وبينى وبينه وقفة بين يدى الله عز وجل (ياسادة) فعندذلك أحضر البطال أبو يخلف على أن يقول له تكذب لخانت منه التفاتة فنظر إلى شمس الحنيفية ابن قراقونا زوج شمسه وكان فى تلك الساعة قد وصل من قرية كان الأمير عبد الوهاب أقطعه إياها فلما ان رآه عرف ان البطال قد تلاها به ولعب بعقله فقال أبو يخلف يا أبو محمد تكذب وحق الصديق كنا كنا نزور إبراهيم الخليل فأخذتنى وأخذته وقلت لى اشهد عليه بالكفر ونحن نعطيك شمسة وأنا ما أبيع الآخرة بالدنيا الساخرة ثم وثب إلى الأمير عمرو بن عبيد الله وقال ياأمير أنا مستجير بك فقال له الأمير عمرو وصلت ياشيخ وقد أجرتك من كل من على وجه الأرض وما عليك خوف بعد ان قلت الحق ثم أقبل على الأميرة غمرة وقال لها ماتقولين فقالت وما عسى ان أقول اقسم وحق من خلق السبع الطباق وقدر الآجال والأرزاق هذا هو الشيخ الذى جرى على منه ماجرى من المكر والنفاق فضحك عقبة وقال هذا هو الجهل الكلى ان يسمع كلام ذات حيض فى مثلى وأنا أعلم

ان ذلك من قبل أعداء فافعلوا مابدا لكم فقد قال من لا يخشى ريب المنون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير عمرو بن عبيد الله ذلك وبنو سليم قالوا نحن ما نفعل ذلك حتى يأتى أمير المؤمنين وننظر مايكون منه فقال الأمير عبد الوهاب دعوا عنكم هذا الكلام فهذا كتاب مولانا الخليفة قد وصل إلى وهو يأمرنى ان أطلب عقبة ويعلمنى انه قد صح عنده كفره وهو قد عول على الدخول إلى بلاد الروم وصلبه على باب الذهب ثم أنه رمى الكتاب إلى الأمير عمرو بن عبيدالله فأظهر التعجب والانكار وأقبل على بنى سليم وقال لهم الأمر لأمير المسلمين إلى ان يصل الينا ونحتكم بين يديه فان كان قد صح عنده كفره فما فينا من يطالب تاره وكلنا نريد قتله إذا كان منا منافقا على الله ورسوله (ياسادة) فاغمدوا سيوفهم ورجعوا إلى بلدهم وأبو يخلف معهم وقد سأل الأمير عمرو بن عبيد الله فيه لعبد الوهاب فأجابه وسمع فيه شفاعته وقال ما نتعرض له لأنه كان السبب فى خلاص صاحبنا البطال وهو مجنون ماعليه حرج وان شمسة قد اخذت عقله وضيعت عليه دينه وقام الناس ينتظرون وصول امير المؤمنين المعتصم حتى وصلت النجابة الى ملطيه ودخلوا على الأمراء وامروهم بأخذ الأهبة واعداد الضيافات ويخبروهم ان المعتصم قد خرج من العراق بعساكر تملأ الآفاق بالتراس الدقاق والحرب الرشاق والسيوف الرقاق والرماح الدقاق وقد انضاف اليه عساكر العراق والجزيرة ووصلت عساكر الشام وديار مصر والمغرب وخراسان وقد طير الطيور الى اليمن والحجاز باجتماع العرب وسير الى الجبال يطلب الأكراد

(قال الراوى) وسار المعتصم يقطع الأرض فى الطول والعرض حتى وصل الى آمد وفيها ميمون الجماس فلما وصل اليه المعتصم احضر أرباب دولته وقال لهم من أول نفاق عبد الوهاب أنه أخذ هذه المدينة العظيمة وجعلها مع أصحابه السودان وطلبها الرشيد والمأمون فلم يسلمها لهما وما كان لهما من الهمة أن يعرفا كيف يأخذوهامنه وسوف ترون العجب (ياسادة) وخرج ميمون الجماس الى المعتصم وقبل الأرض بين يديه وقال يامولانا ما سبب هذه الحركة فقال نريد ان نفتح بلاد الروم ان شاء الله تعالى ونجعلها دار الاسلام وننصب فيها المنابر ونبنى المساجد والجوامع والمشاهد ونذكر فيها الملك الواحد على رغم أنف كل كافر وجاحد وقد رأيت من الرأى ياميمون ان تشهد معى هذه الغزوات وانما لا يصلح فى المقام بالحصون الا الشيوخ وانت بطل معروف وفارس مشهور ثم خلع عليه ففرح بخلعة المعتصم وقال يامولاى لقد شرفتنى على أبناء جنسى فما الذى عولت عليه فقال يكون هنا حصان التركى نائبك فى بلدك إلى أن تقدم من الغزو

إن شاء الله تعالى ثم تعود إلى موضعك من قبل عماد دولتنا سيف المجاهدين الأمير عبد الوهاب الكلابي (ياسادة) وكان هذا من المعتصم خديعة حتى يأخذ آمد من عبد الوهاب كى لا يبقى له مكان يأويه ولا موضع يعتمد عليه ولم يعلم باطن هذه القصة ميمون الجماس ولا أحدا من الناس (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان المعتصم ولى حصان التركى ومعه عشرون ألفا من الأتراك أبطال شجعان فدخلوا إلى آمد وملكوا القصر وخرجت السودان مع ميمون الجماس وغيرهم من العرب والاكراد وقدم لهم المعتصم السماطات وخلع عليهم ثم ان المعتصم رحل إلى ان وصل إلى حصن زياد وبقى بينه وبين ملطيه يوم واحد وخرج الأمير عبدالوهاب وذات الهمة وسائر بنى كلاب وبنوسليم بالأمير عمرو بن عبيد الله وساروا إلى لقاء المعتصم حتى وصلوا اليه فقبلوا الأرض بين يديه وكان اللقا فى الطريق فصاحت بهم الحجاب أن اركبوا فركبوا وسار المعتصم فى تلك العساكر والأمم التى ما اجتمعت قط لخليفة قبله ففرح بذلك الأمير عبد الوهاب وقال الأمير عبدالوهاب يا أبو محمد وذمة العرب بهذه العساكر يفتح إن شاء الله وتعود الدنيا حنيفية وتدمر الملة المسيحية فقال البطال يكون ذلك ان شاء الله تعالى ولكن ياعبد الوهاب قدخفق قلبى من المعتصم وأنا خائف عليك منه فقال اسكت بهذا الكلام فانه ماسار بهذه العساكر العظيمة إلا وهو على نية خالصة وقد هتك الله سترعقبة عنده حتى ينجز وعده (قال الراوى) ياساده ياكرام ونزلت العساكر وملأت الارض فى طولها والعرض وخلع على الامراء ثم أقبل على الامير عبدالوهاب وقال له يا أمير ما عندك من أخبار عقبة فقال يا مولانا جرى من أمره كذا وكذا وأعاد عليه القصة بأسرها فقالوا بنى سليم يامولانا هذا كله محال ولا يصدق عليه كلام الشيخ الرفيع القدر والمحل القاضى عقبة عند ذلك أمر المعتصم الحجاب أن يصيحوا على بنى سليم وقال لا يتكلم منكم أحد فاضرب رقبته فان هذا الامير عبد الوهاب ما نعلم منه الا الصدق وكذلك الاميرة ذات الهمة فصاحت الحجاب من مثلك ياعبدالوهاب ثم قال المعتصم وأما الاميرة ذات الهمة التى لها على أبائى الخدم فى سائر الآفاق فباس الامير عبدالوهاب الارض وكذلك ذات الهمة فصاحت الحجاب من مثلك يا أمير عبد الوهاب ومولانا أمير المؤمنين يثنى عليك فقال نعم قد سمعنا فى قول العلماء اذا سمعتم المولى يمدح عبده فاعلموا أن المولى كريم ولا أحد أكرم من أمير المؤمنين فى عصره كيف وأنت أمير المؤمنين وابن عم خاتم النبيين ﷺ أعز الله مولانا أمير المؤمنين بالدنيا والدين وقمع به المشركين فشكره المعتصم وقال أيها الامير قد عزمنا فى رأس الشهر على الرحيل الى بلاد الروم وقد بقى سبعة أيام ثم أمر

ان يخلى له الحمام الذى فى البلد فأخليت ودخلها وخرج منها الى دار الخلافة وهى بنيت لاجل نزول الخلفاء (قال الراوى) ياساده يا كرام وان المعتصم قال للامير عمر بن عبيد الله وخواص أمرائه ورتب تلك الليلة ان يقبض على الامير عبدالوهاب وأمراء بنى كلاب ممن يخشى مكانه وأمر ان يرسل الى القرى ويقبض من فيها وأمر الاتراك مع بنى سليم فلما تنصف الليل أرسل يطلب الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمه وأرسل الى دور الامراء وكان كل من أتاه رسول المعصم يأتى سرعه (ياساده) وكان البطال عندالامير عبد الوهاب لما جاءه رسول المعتصم ودعاه فقال البطال قل له سمعا وطاعه فاذا مضى دعنى أنا أسبق فان رأيت قد جاء لى رسول بأخذى فاخرج أنت من ملطيه بالكلية ومن سهل الله معك فخذه واقبل نصيحتى فوالله لقد رابنى ذلك المدح العظيم وهو ذم وقد نفر قلبى من ذلك وما هى إلا لمصيبة فقال الأمير سبحان الله يا أبو محمد مالك قلب سليم فقال البطال اسكت فقد قالت الأوائل إذا كان الغدر طباع فالثقه بكل أحد عجز فهو فى الكلام واذا ببعض الحجاب قد دخل عليه وقال أيها الأمير بغلة النوبة من مولانا أمير المؤمنين قد وصلت لتركب عليها فوثب قائما وقال ياأبو محمد لايخطر ببالك إلا الجميل ثم أنه خرج فوجد بغلة النوبة فلم يركب وقال لو مشيت على رأسى لمولانا أمير المؤمنين لكان أشرف الأشياء على وأجلها لدى وكذلك قالت الأميرة ذات الهمة (ياسادة) فما وصل الأمير عبد الوهاب إلى الخليفة إلا والمعتصم قد قبض على سائر الأمراء من بنى كلاب وأولاده الجميع وما عنده خبر حتى صار هو والأميرة ذات الهمة قدام المعتصم وقبلا الأرض ووقفا ينتظران الاذن فى الجلوس فلم يأذن لهما وقال وأين القاضى عقبة أريده الساعة فقال الأمير سمعا وطاعة فقال لا ياعبد الوهاب كانك أنت الخليفة تقبض على من تريد أذاه ويلكم خذوه فتولته خمسمائة من الأتراك فقبضوا عليه وكذلك فعلوا بالأميرة ذات الهمة عند ذلك أيقن الأمير عبد الوهاب أنه هالك ومضوا الغلمان وكذلك الأمير عمرو بن عبيد الله معهم وأتى بالقاضى عقبة وهو بأسوا حال فلما تمثل بين يدى الخليفة ونظر اليه جعل يستغيث ويقوم ويقعد ويقول بالله يا أمير عبد الوهاب اتق الله فى حق ذمة الاسلام ودعنى ولو شهر واحد لعلى ان أرى مولانا أمير المؤمنين المعتصم فاذا رأته افعل بى ماتريد بعد ذلك فلما رآه المعتصم بذلك الحال وسمع منه ذلك المقال بكى بكاء شديدا وبكى كل من كان حاضر عنده وقال مسكين القاضى عقبة قد خل وما بقى يعرف أحد ثم أنه وثب اليه بنفسه وقال ياقاضى أنا ولدك المعتصم وما جئت إلا من أجلك وها أنا وها عبد الوهاب وجميع أعدائك من بنى كلاب أضرب

منهم فى هذه الساعة الرقاب (ياسادة) فلما سمع عقبة ذلك الكلام صاح ووقع مغشيا عليه كالميت مافى عينه قطرة وظنوا أنه مات ولم يزل الى أن مضى من الليل أكثره وظنوا أنه لحق بربه وقضى نحبه ثم أفاق وقال ماهذه الا أضغاث أحلام (ياسادة) وان البطال لما أبطأ عليه خبر الامير عبدالوهاب طلب الإذن فى الدخول على الملكة ميمونه فخرجت اليه وقالت له ماحاجتك أيها الامير فقال لها الساعة يقبض على الامير عبدالوهاب لامحالة أو يكون قبض عليه وما أتى المعتصم الى ههنا بنفسه الا وقد انقرضت دولة بنى كلاب فاطلبى لروحك النجاة لعلكى أن تخلصين بعض الاسارى ثم خرج البطال يطلب لنفسه النجاة وثيابه تحت ابطه فأدركته الرجال وأخذوه ووقع فى الناس الصوت فخرجت بنو كلاب منهزمة وقد أخذت ساداتها وأمرائها وخرج الامير عطارد بن عوف والملكة ميمونة وكانوا سودانها كلهم حاضرين بين يديها وانضافت لها بنو كلاب والاميرة غمرة ابنة عطارد فى ألف فارس كالليوث العوابس ولحقتها نورى زوجة البطال والقناصة وعلوى وأما الأشعث وابنه عامر فانهما أقاما لان الامير عمرو بن عبيدالله كان قال لهما مازهد الامير عطارد وغمرة فيكما الا عبد الوهاب لانه طلب غمرة لولده ظالم وأما ميمونة فانها قالت لقومها اعلموا انثان ان أقمنا هلكنا من هذه العساكر والكثرة تغلب الشجاعة واذا كان قرب الصباح اطلبوا النجاة لانفسكم الى بلد الروم ففعلوا ذلك وأصبحت ملطية خاوية على عروشها من بنى كلاب والسودان الانجاب وكانوا قد أخذوا أمراء السودان جميعها مثل أبو الهزاهز وسملق وقراقد وولده قرقود وغيرهم

(ياسادة) وان المعتصم لما أصبح الصباح خرج الى ظاهر ملطية وقال لعمرو بن عبيد الله كيف رأيت هذه العزيمة التى لا كان الرشيد ولا المأمون يعرفانها ولا يعلمانها فقال يامولانا هكذا تكون عزيمة مثلك وفرحت بنى سليم ثم ان المعتصم أحضر القاضى عقبة وقال له ياقاضى قد أعطيتك السيف وخصومك ان شئت أن تضرب رقابهم فافعل ما بدالك فقال عقبة معاذ الله يا أمير المؤمنين أقسم بالله عز وجل لو ذبحوا لى مائة ولد وقالوا لى فى مقابلة ذلك أدع على من فعل بك ذلك مافعلت من رقة قلبى وكيف أرى هذا فى دينى أن أقتل رجلا منهم ولكن العفو عنهم أجمل فقال الخليفة هكذا يكون اعتقاد المسلمين ثم أنه ادعا بالحدادين وعمل القيود فى أرجل عبد الوهاب وذات الهمة وأولاده وكذلك البطال ومائة أمير وكتب على قيودهم مخلدين واقسم أنه لايفرج عنهم أبدا وقال ما أريد قتلهم لما سبق لهم من الخدم ثم أنه ادعا بالملك آت ملك الترك وضم له مائة ألف وقال له أوصل هؤلاء الى بغداد وكتب معهم الكتب الى نوابه أن

اطرحوهم في دار الدم وهى مطمورة فى دار الخلافة مادخلها أحد قط وعاد رأى الدنيا وقد قبضوا عليهم الخلفاء مرارا ولم يدعوا أحدا منهم فيها ثم قال للملك آت واذاوصلت الى بغداد ارجع الى بلادك فهى خالية وما لها من يدبرها وما نأمن من خارجى يخرج عليك فقال سمعا وطاعة ثم ان المعتصم أمر بالرحيل الى بلاد الروم وقال فى نفسه لايقولوا الناس انى دخلت الى ههنا بهذه العساكر الا لاجل هذا الاسود الزنيم والبغل اللئيم الذى لاقدر له ورفع منزلة عقبة وسلم اليه أمور الدولة (ياسادة) وكان برق بن رياح فى البلد لعله يسرق الامير عبد الوهاب وانه لما سمع ذلك خرج من العسكر فلقيه لؤلؤ غلام البطال وسأله عن القصة فقال قد جرى من الامر كذا وكذا وإنى أريد أن ألحق الملكة ميمونة وأعرفها ثم أنه لحقها وعرفها فلما سمعت ذلك قالت لرجالها دعونا من المسير الى بلاد الروم وسيروا بنا إلى أرض الرقة حتى يأتى الملك آت ملك الترك بالامراء ونخاصمهم فقالوا الرجال الامر اليكى ثم أعرضت من معها من الفرسان فكانوا ثلاثون ألف سوى سودانها خمسة آلاف أسود وسارت تقطع الارض على غير الجادة وملابط البغال قدامها وهو يقول أقسم لو كان المعتصم وجميع من معه من العسكر الذى فيه الامير عبدالوهاب لارمينا نفوسنا عليهم وكان برق بن رياح قدرجع وسار فى عسكر آت لعله يرزق غفلة وقد علم أن لؤلؤ فى العسكر وسائر غلمان البطال وان ميمونة لم تزل بجدة فى سيرها حتى وصلت إلى أرض نصيبين وقد سبقت القوم بيوم وليلة ففرحت وأراحت ذلك اليوم وليلة وسارت فكانت وقت الظهر على برقميد والعسكر عليها ووقع الصياح وعرفت الترك أعلام بنى كلاب والسودان الانجاب فركبوا وركب الملك آت واستقبلوا عسكر الملكة ميمونة وطمعوا فى أخذهم وتصايحت الابطال احملوا فان قتال الاتراك قتال غنيمة وان نحن توانينا بطحوا خيولنا بالسهام فاحملوا عليهم حملة رجل واحد فاذا صرنا فى صدورهم بطل حكم النشاب فصاحوا يا آل كلاب يا آل كلاب وحملت السودان الانجاب واختلط الفريقان وطارت الرؤس من على الابدان (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الملك آت قتل من السودان أربعة وأدركته الملكة ميمونة بطعنة فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره وكرت السودان فى وجوه الاقران وبربرت الحبشان وارتفع الصياح وعملت الصفاح حتى فرشوا الارض بالقتلا وبلى عسكر المعتصم بأنواع البلا ووقع عليهم بعد قتل ملكهم الخذلة فولوا منهزمين وتبعتهم السودان وأخذوا أموالهم وخيولهم وأثقالهم وكان انهزامهم نصف الليل لان القتال تم يعمل إلى ذلك الوقت وأقاموا السودان وبنو كلاب إلى الصباح وانهم قدموا الاسارى ليفكوا

قيودهم وإذا هم بغبار قد ثار حتى ملا الاقطار وقد أزعج سائر الافطار وخيل لهم ان الدنيا قد انقلبت فصاح البطال عجلوا بكسر قيودنا يا أولاد العواهر قبل ان تأتيكم العساكر ومالا يكن به من طاقة فقالت الملكة ميمونة لا بأس عليك وسوف نفك قيودكم يا أبو محمد ولكن لابد ما أعرف المعتصم شوم هذه النوبة إذا تركت البلاد العامرة خراب ينوح فيها البوم والغراب ويعلم ان ميمونة لاترعى له جناب اذ فعل معنا هذه الفعال من غير ذنب ولا أسباب وان عاد عبد الوهاب إلى خدمته فهو يكون من عدم مروءته ثم أشارت تقول

ألا أيها العاقــل المحترم وحق النبي الشفيع فى الامم
وحق الذى كان من ربــه على قاب قوسين فهو العــلم
لاقتحمن الوغا سرعــة واضرب أعناقهم والقمم
ولا أرهب الجمع فى عظمة من الترك فى خيلها والعجم
ولا أسمع القول من قائل ولا بد من قتلة المعتصم
وأحمى الحريم وأولادهم واترك حيهم يحــترم
وخلفى من السودان مثل السبا ع ولونهم مثل لون الظــلم
لهم همة فى مقام الحــرب تزيد على عاليــات الهمم

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فما فرغت من شعرها حتى قرب الغبار واظلم النهار وأطبقت الخيل كانها قطع الليل واسودت الأفق واستدت الطرق واظلم الجو ولاحت غبرة أخرى يمين وغبرة أخرى شمال وغبرة من قدامهم وغبرة من ورائهم (ياسادة) وان البطال ذل عقله لما رأى هذه الغبائر فصاح ياملكة دعينا من الاشعار واكسرى قودنا سرعة فما هذا الأمر عظيم وخطب جسيم (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى ذلك الغبار ان الملكة ميمونة لما عبرت على الرقة أنكر صاحب الرقة حالها وكان من بنى سليم يقال له مالك بن أبان السلمى فكتب إلى الأمير عمرو بن عبيد الله يعرفه بذلك فأوقف عليها المعتصم فقال عقبة خلص عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وسوف يخربون البلاد ويشتتون العباد فقال عمرو صدقت ياقاضى ولئن خلص عبد الوهاب يحل بنا العذاب ويجيش الجيوش من أرض الحجاز واليمن ومعه ميمونة تدخل إلى بلادها وتجلب كل من فى أرض الحبش وكذلك الهدلموس فقال المعتصم هــذا أمر ما أبالى به ولو هربوا إلى أقصى الدنيا أخذتهم ولكن كنت قصدى أدخل الى بلد الروم فخلى دخولها فى هذه السنة ونلحقهم أينما كانوا وان كان الأمر صحيح ولحقتهم السودان وبنو كلاب فأنا طيب القلب بان آت يزيد أهل

الأرض ثم انه فرق عسكره أربع فرق وأمرهم بالجد فى المسير حتى لاتفوته ميمونة (ياساده) وكان ميمون الجماس لما وقع الصياح هرب أيضا ولحقته طائفة من الأكراد والسودان وجماعة من البلاد الى ان صار فى عشرة آلاف فارس فطلبوا آمد فلم يفتح لهم حصان التركى الذى تركه المعتصم فى البلد فندم ميمون الجماس حيث لاينفعه الندم وقال مالى أن أقصد الجزيرة لعلى أجد موضعا يحمينى إذا طلبت وسار يقطع الأرض ساعة وقد شرف عسكر المعتصم من سائر الجهات ووقعت العين على العين وان ميمون الجماس لما نظر الى الدنيا وقد انتشرت بالعساكر بقى حائر مايدرى أين يروح ثم التف فرأى أعلام ميمونة وعسكرها ففرح فرحا شديداً ثم انه قصدهم وسألهم فأخبروه بخلاص الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) وفكوا قيد الأمير عبد الوهاب والأميرة وسائر الامراء ووصل المعتصم كما ذكرنا ووقف فى مقابلتهم وكان الامير عمرو بن عبيدالله قدفور الارض وظهر من بين أيديهم فى ثلاثين ألف فارس من بنى سليم وعسكر الأمير الأشعث وولده عامر وهما مغتاظين على الأمير عبدالوهاب وقد داخلهم قول الأمير عمرو بن عبيدالله فى حقه وأيقنوه صحيح وكان المعتصم قد اجتمع بالمنهزمين من عسكر آت وسألهم عن حالهم فقالوا يامولانا الامر عظيم والخطب جسيم لانهم أقوام سودان كانهم جن سليمان وقد قتلوا الملك آت واصطادوا الأبطال وقتلوا الافيال فعظم ذلك على المعتصم (قال الراوى) وأحدقت العساكر بعساكر ميمونة من كل جانب ومكان ولم تزل الناس تتقدم حتى صار نصف الليل وكان عند المعتصم جماعة لم يعجبهم هذا فى حق الأمير عبدالوهاب من جملتهم جوهر ومسرور ومن يجرى مجراهم لكنهم لايقدرون على الكلام ولم يزالوا كذلك إلى أن طلع الفجر ولم يركب المعتصم بل انه فى سرادقه وقد أهمل أمر الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحاب وما على قلبه من ذلك الا انه أمر بعض العساكر بقتالهم وانفرد لهم ثلثمائة الف مع الامير عمرو بن عبيدالله وركب عن يمين عسكره مائة الف وعن يساره مائة الف واصطفت الصفوف وازدحمت الالوف وصف الأمير عبدالوهاب أصحابه وهو يقول ياقوم كيف ترون هذه النوبه على هذا الحال فقالوا أيها الأمير مالنا طاقة بهذا العالم العظيم والصواب أننا نصدم هذا العسكر الذى بين أيدينا بجملة واحدة ونخرقهم إلى الجانب الآخر ونطلب النجاة لانفسنا ثم بعد ذلك نجمع الجيوش من الاقطار ونخرب هذه الديار فقال الأمير عبدالوهاب مافى الأمر غير هذا ولكن العساكر قد أحدقت بنا وان نحن ثبتنا بين أيديهم أكلونا فى هذا النهار من كل جانب ويطمع فينا كل أحد والهارب مطموع فيه ولكن ادفعوا عن أنفسكم بالمبارزة واقطعوا نهاركم واذا انسدل الظلام اندفعنا فى غيهب الدجا إلى حيث

يسهل الله تعالى علينا ذلك فقالوا صدقت أيها الأمير (قال الراوى) فهو معهم فى الكلام وإذا بفارس قد خرج من عسكر الأمير عمرو بن عبيد الله وكان ذلك الأشعث الكلابى أخو الأمير عطارد وصاح فى جواده فخرج من تحته كالبرق الخاطف أو السحاب الواكف وعليه درع داوودى وبيده سيف هندى ورمح خطى وترس مكى والجواد عربى ولم يزل سائر حتى قرب من صف الأمير عبد الوهاب ونادى ياابن الحارث لقد ظهر قبيحك وبان شنيعك لانى قد أتيت اليك وقصدتك وللفضل فما وجدتك وفى غمرة وفدتك وأنت تريدها لظالم ولدك وان كان ولا بد فاخرج إلى أو يخرج ولدك ظالم إلى ولدى عامر ليعلم أينا أقوى ساعد وأجرى جنان فى مقام الطعان والجولان فنهرق دمك بعد ما أجله الأمير المعتصم فاخرج حتى أذيقك حتفك وألوح قحفك فعندها نادى الأمير عبد الوهاب أصحابه وقال ياقوم أليس هذا الأشعث الكلابى قالوا نعم أيها الأمير ولقد قال انك طلبت غمرة لولدك ظالم فقال الأمير حاشا الله أقسم بالله ما كان ذلك أبدا ولقد طمع فينا كل قليل الدين وبعد هذا فانا متوكل على رب العالمين وها أنا خارج اليهم إلى الميدان وهم أن يخرج اليهم فسبقه الأمير عطارد وحمل على أخيه الاشعث وكان الاشعث فارس شديد وبطل صنديد فاخذه فى أول الميدان ولم يدعه يجول معه فى أول الجولان فخرج اليه فارس آخر وإذا به الأميرة غمرة فنادت برفيع صوتها ياعم يامن له الهم والغم اطلق سبيل الأمير عطارد والا وحق الملك الواحد الذى هو ممجد ماجد نكست عمامتك بين الاقران وفضحتك بين الشجعان فلما سمع الاشعث كلامها قال لها ويلك ماالذى زهدك فى ابن عمك وهو البطل المعروف والشجاع الموصوف فقالت لاتطيل الخطب ولا تكثر العتب فهذا مالا يكون أبدا فعندها حمل عليها وحملت عليه وطلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ساعة وانقشع عنهما الغبار وإذا بها تقود عمها الأمير الاشعث فقال لها اطلقينى وأنا أطلق لكى أبوكى فقالت اطلقه أنت فى الأول فصاح الاشعث بقومه ياويلكم اطلقوا عطارد فاطلقوه فعندها أطلقت عمها الاشعث فلما نظر الأمير عمرو بن عبيد الله إلى ذلك قال لقومه احملوا عليهم فما لكم فى مبارزتهم من طاقه وأكب رأسه وحمل وتبعته بنى سليم وأطبقت عليهم القوم من كل جانب وتمكنوا منهم القواضب وعملت الصوارم فى الجماجم وشوشت العمايم ونحرت الرجال كما تنحر البهائم ووقع بالجبان الخبل واشتد الوجل وعظم الأمر وضاق الصدر وكثر الشر وانفصلت العساكر وطلبت الراحة عندها ركب المعتصم فى تلك العساكر التى لا تعد ولا تحصى وضربوا صفوفا حتى ملؤا البقاع وأقبل

على قبائل الترك والعجم ونادى يامعشر الناس أنتم فى هذا الجمع العظيم ومالكم طاقة بقتال رجل وامرأتين فان أنتم قهرتموهم فوحق البيت العتيق لاعطين هذه الأموال لكم فقالوا يامولانا من هم المرأتين والرجل قال أسود بنى كلاب وذات الهمة وميمونه وأما غيرهم فلا نبالى بهم فلو اننا حملنا عليهم أفنيناهم بحوافر الخيول والدواب ولكن ماأريد أن يقال ان عسكر الخليفه جمعه قد حمل على شرذمة قليلون فما الذى أترك لقتال الاعداء

(قال الراوى) هذا وقد صاح المعتصم عليهم فخرج من العسكر ألف بطل كل واحد منهم يقول أنا للجميع وكان أحدهم يقال له كرمان لانه ملك الديلم صاحب كرمان وكان يضرب به الامثال والآخر يقال له شكرنا بن بادمان وكان مارمى سهما وأخطأ والآخر من العرب الخثاعمة يقال له فاتك بن مهلهل وهو سيد بنى خثعم وكان أطعن أهل زمانه وكل منهم يقول أنا للكل فقال المعتصم لا بل يخرج كل واحد منكم إلى واحد منهم فقالوا سمعا وطاعه هذا وقد وقف المعتصم والمظلله على رأسه وقد طلبت نفسه القتال والنزال لأنه كان من الشجاعة بمكان عظيم هذا وعقبة إلى جانبه يقرأ القرآن وهو يقرأ هذه الآيات (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ٭ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) وهو ينادى زادك الله شرفا يا محمد ويقول لقد كان ﷺ يتولى الكفار ويجاهدهم بروحه هذا وقد خرج الثلاثة فوارس فقال البطال هؤلاء ثلاث فوارس وهم أبطال الأرض فعندها صاح الأمير بجواده فخرج مثل البرق الخاطف وكان عليه عدة كاملة فمال اليه ملك الترك وقد وضع السهم فى كبد قوسه هذا ولما أن نظر عقبه إلى الأمير عبدالوهاب فقال حتى يسمع المعتصم يالك من فارس محتشم إلا أنك ماترى فى هذه الدولة العباسية شيء (قال الراوى) هذا وقد خرجت الأميرة ذات الهمة على جواد أصفر مليح مضمر وبيدها رمح من عمل سمير وحملت وهى تقول :

ألا فاعرفونى إننى بنت مظلوم صبورة قوم فى مقام المعارك
أصول على الأقران صولة ضيغم وأطعنهم طعنا كطعنة فاتك

(قال الراوى) وقد ذكروا عن هذا فاتك إنه كان يطعن بمطعنته الجمل الرمل يرفعه على رمحه هذا وقد حمل على الأميرة ذات الهمة وهو ينشد ويقول :

أذلهمة جتك المنية سرعة معجلة والله من كف فاتك
فدونك منى طعنة تصبحى بها طعاما لوحش البر عند الدكادك

(قال الراوى) فلما أن سمعت الأميرة ذات الهمة شعره فعرفته بالسماع عنه لأنه كان فى جبال عمان مع الاكراد فى عالم عظيم مثل الجراد ولم يخدم أحدا من

الخلفاء ولا دخل تحت طاعتهم إلا هـذا المعتصم فلما أن سمعت الأميرة شعره فأجابته تقول :

أيا فاتكا رفقا فإنك هالك ... وإن كنت طمانا برمح المهالك
دع الحرب ياهذا فإن الحرب سهلة ... فدونك حربا مثل وقع السنابك
ستضحى صريعا من حسام هزبرة ... وتبكى عليك البوم وحش المعارك
لتعلم أنى لست أخشاك طاعنا ... وأنت حقيرا فى عجاج المسالك

(قال الراوى) ثم أنها حملت عليه وحمل عليها هـذا وقد خرجت الأميره ميمونة وهى تجر قناتها وقد مال اليها كردمان وحمل عليهـا ولم يتكلم وهذا زى الديلم لأنهم لايحبون الكلام الكثير هذا وقد تصادمت هؤلاء الستة أبطال تصادم الجبال فى صور الرجال وزحفت اليهم الخيل حتى قاربتهم وضاق عليهم المجال حتى ينظرون اليهم الناس ويشاهدون هـذا وقد زحفت أيضا أولاد الأمير عبد الوهاب وكذلك البطال وسائر الأمراء والأبطال فقال إنى أخاف أن يظفروا أصحابنا على أصحابهم فينطبقوا عليهم عسكر المعتصم فكونوا على أهبة وأصدموهم بصدمة فقالوا سمعا وطاعة ثم جرد سيفه ظالم وضيغم وسيف الحنيفية وقشعم وأبو الهزاهز والأميرة غمرة والقناصة وسائر الأمراء وقد ضاقت الحلقة عليهم وكادت الاسنة تصل اليهم وكان خصم الامير عبدالوهاب قدلبس درعين وفى يده ترس حديد صينى خوفا من حسام الأمير عبد الوهاب وقد ضايقه حتى بطل حكم قوسه وقد تضاربوا بالحسام والدرق وجرى بينهما العرق وعظم القلق وطارت السيوف من أيديهم ولم يبق منها غير المقابض فتقابضوا بالاطواق ومر بهما قوة الجوادين وحيل الساعدين لجذبه الأمير أخذه من سرجه وقد كبر فأجابته الأميرة ذات الهمة وقد علقت فاتك وهو فى يدها كأنه جمل بارك فأجابتها الملكة ميمونة بوجهها الادهم وقد ضربت ملك الديلم على هامه طيرت رأسه أمامه (قال الراوى) فلما نظر المعتصم الى ذلك أشار بالحملة من شدة الحنق وقد زاد بهم الهم والقلق وأحدقوا بهم كاحداق البياض بسواد الحدق فصاح البطال هلك الامير المجاهد والبطل المجالد وهلكت معه الاميره والملكة ميمونة فعندها حملوا الابطال الاقيال وقد كشفوا الرؤس ونادوا بالملك القدوس هذا وقد حمل ملابط البغال والهدلوس هذا وقد نظر المعتصم إلى الابطال وحملتهم فقال يالها من مذلة عليكم وفضيحة لديكم أن تكون نحو ألف ألف وخمسمائة ألف مافيهم من يقوم مقام هؤلاء الابطال وأنا أعلم أنهم يضيعون فى كثرة الفوارس ويهربون فى ظلمة هذا الليل الدامس ولايكون لكم اليهم سبيل ويدخلون البرية ويجمعون العربان ويخربون الرستاق

والبلدان فقال عقبة لعمرى يامولاى لقد صدقت (قال الراوى) فعندها انتخت سائر العساكر وقد حملت عساكر خراسان وفم الضح وحلوان والصين وعبدان وقم وقاشان ودورق وسجسان وديليان وما وراء النهر إلى بخارا واندران وقد حملت أجناس الترك وعساكر العراق وبجمعة الآفاق والتركمان والاكراد والعرب وعساكر البلاد وكانت أكثر هذه العساكر مقصودها الأسر وقلة سفك الدماء الابنو سليم فانهم اعتمدوا على كلام قاضيهم عقبة لعنه الله تعالى وابتلاه بألف نكبة فى تحليل دماهم وبذلوا السيف فيهم هذا وقد عملت الصوارم فى الجماجم وقطعت العلاصم وبريت الاكف والمعاصم ودارت رحات الحرب وأضرمت النيران فتزايد الطعن والضرب واضطرمت الأرض بجنباتها وانقلبت وأيقنت الناس بهلاكها وانصبغت الأرض من دماء ساداتها وجالت الخيل بركابها وعثرت الخيل برؤس ساداتها وأيقنت الجموع المجمعة بشتاتها وحميت الشمس على الرؤس وأخذت الأسنة حياة النفوس وكان يومهم يوم عبوس هذا وقد هدر الملك الهدلوس وقد نظر المعتصم إلى القوم وقد أقاموا على قتالهم وكلما استراح عليهم جيش زحف إليهم جيش غيره وهم على أعظم شىء يكون وهم على البلاء صابرين فأخذته النحوة الهاشمية والحمية العباسية فكشف رأسه فنزلت ذؤابتيه وقد ترجل إلى الارض فترجلت الترك وكانوا مثل الجراد وأوتر المعتصم قوسه وضرب بعض الخيل بسهم فوقع ففعلت الترك مثل فعاله (قال الراوى) هذا وانهم قد أرموا عشرين ألف سهم فى عشرين ألف فرس فرموها كلها إلى الارض وقد وقع بها الفنا وكذلك فعلت فى بنى كلاب وما بقى فيهم إلا من جرح فرسه أو قتل فبقوا الجميع رجاله وقد زحف المعتصم واصطلا نار الحرب بنفسه فنظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك فقال كلمة لا يخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أقسم لو أنصفونا لعرفوناوالآن فنحن هالكون بين هذا الجمع العظيم ولو قدرنا على الثبات إلى الليل لتفرقنا بين التلال هذا وقد زاد الامر عليهم وأرميت الدرق عليهم فأخذوا أكثرهم قبضا باليد وقتل منهم وسلموا الباقين أنفسهم الا عشرين نفس منهم الامير عطارد والامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وميمون الجاس وظالم وضيغم وسيف الحنيفية وبرد بن الازهر وغمرة وهارون العلوى ومالك بن طوق وسعيد بن الفرج وقراقد وسملق وأبو الهزاهز وملابط البغال ومن يجرى مجراهم فانهم قد أحموا نفوسهم وقد تكردست عليهم الابطال (قال) وأما اولو فانه كان فى عسكر المعتصم هو وبرق بن رياح يطلبون أن يسرقون أحدا وقد أظلم الليل يتحول إلى ثلاث أربع مواضع ولا يدرك له مستقر وكان القاضى عقبة قد حذره وأنذره

وقال له اعلم أن غلام أبو محمد البطال لؤلؤ قد فقد وهو أيشم من أستاذه وقد انضاف إليه شيطان آخر فى صورة إنسان يقال له برق ابن رياح يخوض الليل ويسبق الخيل وما يقع أحدا على أكتافه إلا ويأمن من الحياة وقد حملني مرة وألقانى اليهم وهو الذى سرقنى من بيت المقدس فلا كتب الله عليه سلامة وكان أبو يخلف معى فأخذ المعتصم حذره فلم يقع عليه أحد وكان لؤلؤ وبرق مختفيان (قال الراوى) هذا وقد قال الامير عبد الوهاب لاصحابه اعلموا أننا قد وقعنا فى هذه النوبة وخلصنا وان وقعنا فى أيديهم مرة أخرى أذاقونا العذاب والهوان وقد ضجرت من هذه الحياة والهياج وشماتة الأعداء فى سائر الأوقات والموت أطيب من هذه الحياة وما أسلم روحى حتى أشرب كاس الحمام وأجرع مرارة الموت هذا وقد تقسطل عليهم الغبار وحمى الحديد على الأبدان وما بقى فيهم من يدفع عن نفسه أو يمنع أو يقدر على حركة من مكان إلى مكان هذا وقد تقدمت إليهم الديلم وأرموا عليهم الدرق وقبضوهم قبضا بالكف هذا وقد ركب المعتصم وقد فرح بالنصر وقد قال له عقبة والله هذه العزيمة التى لا يقدر عليها أحد سواك ياأمير المؤمنين ولقد طلبهم الرشيد والمأمون رحمهم فما فيهما من قدر عليهما أن يأخذهما بالسيف قهرا إلا ان كان أنت فالله درك يا أمير المؤمنين فهكذا تقطع ان شاء الله تعالى أصول الملحدين حتى لا يبقى أحدا على الأرض من المنافقين والمشركين إلا من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم النبيين والمرسلين ثم ان الملعون عقبة أنشأ يقول هذه الأبيات .

إذا كان الخليفة ذا نشاط وهمـــة ضيغم فى يوم حرب
حقيقا يملك الأرضين جمعـــا ويكشف كل نائبة وكرب
ويقتـــل كل نذل خارجى ويملك أرضها شرقا وغرب
وأبلغ منيتى فيهم سريعا ويأنس وحدتى بحبيب قلب

(قال الراوى) وقد فرح المعتصم غاية الفرح وانكشف عن قلبه الهم والغم والترح هذا وقد خلا عقبة به وقال له يامولانا هذه النصرة التى نصرتها توقع لك بها الهيبة فى قلوب الناس ولكن فى الأمر شىء واحد وهو ان نضرب منهم الساعة ألف رقبة حتى لا يرجع أحدا يطمع فى هذه الدولة المحروسة وتأمن من شر أهل النفاق فقال له المعتصم أيها القاضى الاجل اننى أخاف الخطية لكن هؤلاء الأمراء ما اضرب رقابهم لأن لهم على آبائى الخدم فيما تقدم ولكن أتركهم فى مطموره فى القصر وهى المطمورة التى تسمى الهلاك التى مادخلها أحد وسلم فقال له القاضى عقبة اللعين أيها الامام أنا أخبر بشرائع الإسلام اضرب رقابهم وأنت برىء من دمائهم وأنا المطالب بها وما قصدى بهذا ياأمير

المؤمنين الا حتى تهدى البلاد وتستقر العباد (قال الراوى) ياسادة يا كرام وما زال الملعون عقبة يلح على المعتصم بذلك الكلام حتى نظر قتلهم أفضل من قتل الروم اللئام هذا وقد أجازوا الناس قتلهم لما أن سمعوا من عقبة ذلك الكلام وكذلك كل من كان يحسد الامير عبد الوهاب فضرب منهم خمسمائة رقبة سودان وعربان وأما الاشعث فانه سأل عن الامير عطارد وقومه فاجابه المعتصم إلى ذلك وساله فى زواج غمرة بعامر ولده فأطلق سبيلهما وقد أعرض عليها المعتصم الزواج بابن عمها فأبت فاخبر المعتصم عمها بحالها فصار عامر يبكى بين يدى عقبة فرق له وقال هذه تصلح لابن عمها وما أفسد حالها ولعب بعقلها إلا الامير عبد الوهاب لانه أراد أن يزوجها بولده ظالم وقد لعبوا بعقلها حتى شهدت بالزور على (قال الراوى) فزوجها المعتصم لابن عمها كرها وأقبل على بقية العرب والسودان وأخذ عددهم وقال لهم من أراد منكم الديوان فليمضى إلى الامير عمرو بن عبيد الله ويكون عنده فى ملطيه فرجعوا السودان إلى الطاعة لاجل نسائهم وأولادهم وكذلك العربان من بنى كلاب هذا وقد أخلع المعتصم على الامير عمرو بن عبيد الله وأعطاه الامارة خاصة لنفسه وقال له قد وليتك بالثغور وإذا وصلت إلى قرارك واستقرت بك دارك زوج هذه الجارية إلى ابن عمها وان أراد المقام عندك فاعطيه الديوان الجيد ولا تقرب أحد من بنى كلاب سواهم فانا لا بدلى ما أفنيهم من الارض حتى لا يبقى منهم ديار فما يخرج علينا منهم خير من بعد هذه النوبة وهذه الفعلة (قال الراوى) ياسادة هذا وان المعتصم لما أن قبض على الامراء تشتتوا بنى كلاب وقد سلم الامير قراقد وولده قرقود ومعهما ثلاثة آلاف فارس أسود وقد التموا وقالوا مالنا حاجة فى ملطيه بعد الامير عبد الوهاب اطلبوا بنا مصر هذا وقد انضافت إليهما سودان الملكة ميمونه وقد قتل منهم ألفين فارس وبقى ثلاثة آلاف ومن أصحاب أبو الهزاهز ألف وسار بهم الامير قراقد إلى أن وصل إلى أرض الشام وقد طلبوا مصر (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وما ما كان) من المعتصم فانه رحل وسار إلى أن وصل إلى بغداد وقد زينت أسواقها والامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وميمونه وظالم وأبطال بنو كلاب المجاهدين على أقبح حال وعقبة لعنه الله راكب بين أيديهم وقد أركز المقرعة على قربوص سرجه وهو يقرأ برفيع صوته وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ففرح المعتصم لما أن سمع ذلك هذا وقد صعب على أكثر أهل بغداد من كبراء أهل البلد ووجوه الدولة وقالوا والله ما فينا إلا من هو عتيق سيف الامير عبد الوهاب ويفعل به هذا من أجل عقبة بلاه الله بنكبه هذا ولما أن دخل المعتصم إلى دار عزه أرمى الامراء إلى المطامير

والأمراء الكبار ارماهم فى مطمورة الهلاك ماطرح فيها إلا من استوجب عليه القتل فيموت ويهلك فيها وكان عليها ثلاث طوابق من الحديد الصينى وكان اولو غلام البطال قد دخل إلى بغداد ومعه برق بن رياح وقد ضاقت بهم المذاهب وأقام اولو وبرق سنة كاملة ببغداد على أنهم يقدرون يدخلون إلى القصر فلم يقدرون على الدخول ونظر اولو إلى المعتصم فنظر له همه مارآها لأحد قبله وانه كان فى بعض الأيام يتمشى على الدجله إذ ركب الخادم ودخل إلى البستان على نية الفرجة فلما أن حصل فى البستان لحقه اولو ووقف بين يديه وقال له يامولاى اعلم اننى رجل غريب ولى قوم أسارى فعسى أن تجود على بشىء من حطام الدنيا الفانية (قال الراوى) فلما أن نظر جوهر إليه وسمع حسه عرفه وعرف أنه يخفى امره عن غلمانه فعندها أقبل جوهر على غلمانه وقال لهم انصرفوا وتفرجوا فى البستان فلما ان مضت الغلمان من عنده قال له أنت اولو فقال له نعم يامولاى ثم أن اولو اندفع يبكى فبكا جوهر وقال له ياهذا ما أظن أنهم فى السلامة إلا أن يكون فى آجالهم تأخير فما الذى تريد فقال له اعلم اننى أريد منك أن تدخلنى إلى دار القصر لعلى ان أنظر إليهم فان خلصوا وإلا لى بهم أسوة فقال له جوهر وكيف تقدر على الدخول أو الوصول إليهم وعليهم ثلاثة أبواب وأقفال كثيرة لا أحد يقدر على فتحها فقال اولو يامولاى اعلم أن معى رجل لا كالرجال وبطل ليس كالأبطال يقال له برق بن رياح وهو سلال لو كان عليه ألف قفل فتحها فى الحال لأنها صنعته فقال له جوهر إذا كان الأمر على ماذكرت فأنا أعاونك على ذلك وان خلصوا تصدقت بألف دينار شكرا لله تعالى على الفقراء والمساكين ودعهم يخربون الديار ويقتلون عقبة اللعين ويأخذون منه بالتار فقال له اولو اننى أريد أن توصلنى إلى دارك من قبل أن يظلم الظلام وتنظر مايحل به من الويل فقال سمعا وطاعة ولو كان فى ذلك هلاك نفسى ثم قال وأين صاحبك ورفيقك فمضى اولو ورجع وبرق بن رياح معه فنظر جوهر إلى شيخ غريب ورجل عجيب كأنه قضيب فى دقة الديب هذا وان جوهر اقبل على غلمانه وقال لهم هؤلاء قوم ضعاف اكسوهم من ثيابكم (قال الراوى) فلما أن سمعوا الغلمان من سيدهم ذلك الكلام فرمى كل واحد منهم عليهم شيأ من ثيابه وقد تزايوا فى زى غلمانه ثم أنه قال لهم سيروا معى إلى الدار وقد ركب لوقته وساعته ودخل إلى القصر وغلمانه بين يديه وهؤلاء فى جملتهم إلى أن حصلوا فى داره ففرق غلمانه كل واحد منهم فى ناحيه إلى أن انسدل الظلام واختلط القتام وهجعت عيون النوام فقال اولو يامولاى فى قلبى النار فقال بسم الله أخرج إلى شغلك فأنت خبير بالقصر جميعه فأخذ برق بن رياح معه وخرج

وسار إلى أن وصل إلى الموضع فوجد عليه عشرة من الأرمن من قبل القاضى عقبة حتى لايرحموهم ويتهاونوا فى طعامهم وشرابهم (قال الراوى) وإن لؤلؤ ذبح العشرة أسرع من البرق ودنا من الطابق وقال لبرق لمثل هذه الليلة ادخرناك فتقدم برق وفتح الاقفال التى على الطابق أسرع من البرق ونزلوا إلى الأمراء وفكوا القيود من أرجلهم وبشروهم بالخلاص والأمراء لا يستطيعون القيام من الضعف والخوف ثم أخرجهم إلى جوهر وقال مانعرف الخلاص إلا منك فقال لمن الله الحياة بعدكم وتركهم فى سرداب الدار وقال لابد مايقع الصوت فى القصر وتغلق الأبواب فان سلمتم كان والا فلى أسوة بكم ولما أصبح الله بالصباح وقع الصوت بهروب الأمراء وعلم المعتصم بذلك وكان البطال قد قال لجوهر أن ينصب بالبرج الحبال حتى يوهم أن الرجال قد نزلوا منها فقال المعتصم ان تم على هذا فهو سبب موتى وصار يعض على أنامله أسفا ولهفا وبكا من حرقته وقال على بالقاضى عقبة فلما حضر قال له انظر الى هذه النوبة ياقاضى وما يكون العمل

(ياسادة) وكان المعتصم قد رأى فيه الرأى الحسن لانه انقطع فى العبادة وكان يصلى نهاره ويبكى طول ليله ويعظ الناس ويخوفهم وقد زهد غلمان الدار فانقطعوا الى العبادة ووافقوه على ذلك وانه لما سمع الصياح وأتاه رسول الخليفة خرج وهو فزعان ولهان حيران فوجد القصر لم يفتح إلا على حاله فسأل عن القصة فأخبره المعتصم بالامر فقال ياأمير المؤمنين من هذا قلت الك لاتبقى عليهم فانك لا نأمن على نفسك منهم فقال المعتصم مضى مامضى وفات الأمر وانقضى وقد وجدنا الحبال على جانب القصر الايمن وقد هربوا لامحالة وأريد الساعة أن أطير الطيور إلى سائر الجهات وأسير الخيل فى مشارق الارض ومغاربها فقال عقبة دع عنك هذا الامر فانا أقسم أنهم ماخرجوا من القصر ففتش عليهم فان هذه الحبال صنعة وحيلة من مناصب البطال فقال المعتصم وأين أطلبهم وقد فتشنا القصر عن بكرة أبيهم فلم نجد لهم خبر فقال عقبة يامولاى سلم هذا الامر إلى حتى أفتش دارك فى جملة ما أفتش حتى لا يبقى على اعتراض فيما سواها فقال المعتصم لك ذلك وان عقبة جعل يدور حيله منه ومكر إلى أن أتى إلى دار جوهر فرآه قد تغير كونه واصفر لونه فلم يخف عليه ذلك وانه دخل إلى داره فلم يجد أحدا فجعل يدور عقبة فى الدار فوجد بلاطه فقال للغلمان اكشفوا هذه البلاطة فكشفوها وإذا بامراء السودان فقال يامولاى القوم هنا فان المؤمن ينظر بنور الله تعـالى ونزلوا الغلمان الى القوم فشدوهم كتاف بالحبال وأخذوا برق بن رياح ولؤلؤ غلام البطال وملكوا الجميع وعملوا فى أرجلهم القيود وقال عقبة يامولاى ماجرا هؤلاء على دارك إلا هذا الملعون

يعنى برق بن رياح فأمر المعتصم بضرب رقبته فضربت وأراد أن يضرب رقبة جوهر فقال يامولاى ماعندى من هذا خبر فهم دخلوا إلى مثل هذا القصر ولم يصعب عليهم فكيف يصعب عليهم أن يخفون أنفسهم فى دارى وأنا أعلم منهم أنهم يعرفون كل موضع فى القصر وما فيه دار الا وقاموا فيها سيما هذا البطال لانه نديم الخلفاء من زمان فصدقه المعتصم وقال نعم من فعل هذا لايصعب عليه هذا الأمر (ياسادة) وان عقبة لما سمع هذا لم يعجبه بل قال يا أمير المؤمنين ان جوهر لم يكن هذا بعلمه وانه ما علم بهم حتى حصلوا فى داره فأخفاهم واستحى منهم بلا شك وقد أخطأ ولم يزل يذكره بكلامه حتى أمر المعتصم بجوهر أن يقيد ويطرح معهم ويضيق عليهم حتى بقى لايفتح عليهم الا فى كل ثلاثة أيام نوبة ينزلون اليهم مايترمقون به وانقطعت أخبارهم ونسيوا ولم ينتخى لهم طالب هذا والمعتصم قد أطاعته الأمم وحمل اليه من الأموال أضعاف ما كان يحمل إلى غيره وعقبة يكاتب ملوك الروم ويقول اياكم أن يظهروا أحدا منكم من بلاد الروم ولايؤذوا أحدا من المسلمين فان الخليفة مايتقاوم وانا قد عملت على الاسود وأمه وأولاده وأصحابه وضربت رقاب سودانه وأنصاره وفرقت الباقين فى مشارق الارض ومغاربها فلا يرجع يجتمع منهم اثنان والاسود وأصحابه فى المطمورة فى قصر المعتصم وقد وكلت بهم خمسين أرمنى يحفظوهم من الهرب وقد عولت على أننى أبذل اليهم الاموال حتى أنهم ينزلون اليهم فى الليل وتخنقوهم الكل عن بكرة أبيهم ويقولون للمعتصم انهم مرضوا وماتوا فاذا كان كذلك فاخرج انت هنالك واملك البلاد والعباد واخرب بيت المعتصم وسوف تجدنى فى بيت زبيده واول ماسلم اليك أموالها التى ذكرت انها تتصدق بها فى مكة وتبنى بها المصانع والقناطر والمساجد وهى مائتى الف دينار وانت احق بها من كل احد وفى هذه السنة تبلغ الغرض من الاعادى ويشتفى غليل الفؤاد بأن المسيح قد سهل لنا ذلك وأمكننا من اعدائنا وبلغنا ما أملناه (ياساده) وتطاولت الامور بالأمير واصحابه فيماهم فيه إلى تمام عام خمس سنين متواليه حتى ايقنوا الناس كلهم انهم قد هلكوا وانقطعت أخبارهم من الدنيا وقد ندبتهم النوادب وبكتهم الاحباب والاقارب وتمثلت بهم الشعراء ومن جملة ماقيل فيهم هذه الابيات

هل انت معبرا بآل كلاب ... صارت منازلهم كشبه خراب
حنت عليهم اليوم فى ارجائها ... وترنمت حزنا كصوت غراب
ومضى الأمير مع الأميرة والذى ... كانوا عماد الدين والمحراب
والمطعمون الناس لابسؤالهم ... والمفضلون على ذوى الانساب

قد أصبح الاسلام يبكى بعدهم بمدامع منهلة كسحاب

(قال الراوى) هذا وان الأمير عمرو بن عبيد الله صفت له الأمور فى السلطنه وأما عامر ابن الأشعث فانه قال للامير عمرو بن عبيد الله أريد ان أزف غمره على عامر فقال سمعا وطاعه ثم انهم أغصبوها وزينوها عليه فلما أخلوها معه شدت اكتاف وركبت جوادها وطلبت بلاد الحجاز فعظم ذلك على الأمير عمرو بن عبيد الله ولم يزل يتوسل اليها لعلها ان ترجع إلى ملطيه فلم تقبل ودخلت بلاد اليمن تأكل من صيدها وتندب الأمير وذات الهمه لأنها كانت قد ألفتها (قال الراوى) ولما كانت السنة السادسة جاءت الأخبار إلى ملطيه بأن ملك الروم ميخائيل قد خرج من القسطنطونية وبرز وقد عول على الخروج إلى بلاد الاسلام فى أمر عظيمة ماخرج قط مثلها فكتب الأمير عمرو بن عبيد الله إلى المعتصم بذلك وقال له كن على أهبة فانى ماأدرى ماالذى أخرجه إلى ذلك فأرسل اليه المعتصم يقول انا ماأعرف هذا الحديث ولكن متى سمعت انه قد خرج من القسطنطونيه فى يوم واحد فأنا أسير اليه وألقاه فى بلاد الروم وسوف يكون ماتراه مالا تقراه

(قال الراوى) ففرح الأمير عمرو بن عبيد الله بذلك الجواب وقال هذا والله يصلح للخلافة ويصطلى نار الحرب بنفسه ولقد كانت خلافته مباركه بقلاع دولة آل كلاب فعندها أرسل إلى سائر المواضع بجلب العربان (ياساده) وكان السبب فى خروج الروم فى تلك السنة أمر عجيب وحال غريب وذلك ان عقبه لما كاتب ملك الروم وقال له لا تتحرك حتى أعلمك بان الأمير عبد الوهاب قدمات هو وأبو محمد البطال وبعد ذلك تظهر كما تقول وطال على عقبة المطال وتحدث مع الارمن بان يخنقوا الأمير عبد الوهاب ويقولوا أنه قدمات وكانوا الارمن ينزلون إلى المطموره فيجدون الأمراء من الاسود فيقولوا اما نقدر عليهم لاننا نزلنا اليهم فى بعض الأيام وأردنا ان نخنقهم فطلبوا يقبضون علينا ويفعلوا بنا ماأردنا ان نفعل بهم وكان عقبة يقول لهم قللوا عنهم الأكل والشرب وباشروهم يوم بعد يوم حتى يذهب قواهم ففعلوا ذلك وكانوا الامراء كلما قل عنهم الاكل والطعام قد زادوا نشاطا وقوه وانبساطا من عند الملك العلام لانهم كانوا فى الليل يقومون على الاقدام فى طاعة الملك العلام وفى النهار يصومون وقد ضاقت معدتهم وانضمرت من قلة الاكل وصاروا يكتفون بالقليل من الاكل والقوة تأتيهم من الله تعالى هذا ماجرى لهؤلاء وأما ملك الروم فانه قد عول على الخروج إلى بلاد الاسلام حتى تاتيه الرجال والفرسان من القرى والبلدان حتى صار على باب القسطنطونيه عالم عظيم لايحصى بعدد الرمل والحصى وعزم الملك ميخائيل على الخروج وإذا قد ضرب بوق البحر على الابراج

(قال) فصعد اليه البطارقه ونزلوا وهم صارخين وقالوا ايها الملك قد أقبل علينا من كبد البحر قلوع بعدد النجوم حتى ان البحر ما بقى بيان من كثرة المراكب ولم نعلم ماهى ولا سببها ولا من أين أتت هذا وقد طلعوا أهل القسطنطونيه إلى الابراج ينظرون إلى البحر وقد امتلا مراكب فقال ميخائيل ان هذا أمر عظيم فيا ليت شعرى ما سبب خروج هؤلاء القوم

(قال الراوى) وكان السبب فى خروج هؤلاء القوم بهذه المراكب حديث عجيب وأمر مطرب غريب نحب نذكره على الترتيب بعد الصلاة على محمد الحبيب الذى من صلى عليه قط ما يخيب وكيف يخيب وهو يصلى على حبيب القريب ما ترنم طير على غصن رطيب وذلك انه كان فى جزائر البحر الاقصى جزيرة تعرف بجزيرة قمران لان فيها نبات العود القمارى وكان قد ظهر فيها بطريق يقال له بحرون المسيحى وكان أبوه وأمه من صعاليك الروم وكان لبحرون من العمر ثمانية عشر سنة وقد ظهرت فيه النجابة والقوة والشجاعه وكان فى قدر الجمل البازل غبل الذراعين عريض المنكبين كثير الثروه وانه قد قد قهر البطارقه وأباد العمالقه فرفع صاحب الجزيره قدره وعلا أمره وصار يقربه اليه ويمده بالاموال وعمرله المراكب فصار بحرون يدور بها فى البحر فما مرت عليه سنة حتى فتح مائة وستون جزيره التى حوله وصاروا يحملون اليه الخراج والى ملك قمارى وكان اسمه لوقا ففرح به الملك وزوجه بابنته ومال الجند اليه وصار بحرون فى عالم عظيم وسلم اليه الملك سرير ملكه وقوى بحرون واستفحل ولم يبق له معاند ولما كان فى رأس السنة رأى بحرون صهره الملك لوقا قد عبا هدية ومال وأرسلها مع جماعة من أصحابه إلى القسطنطونية فقال بحرون أيها الملك هذه لمن فقال ياولدى هذه للملك ميخائيل لان له رسم علينا على هذه الجزيره كلها وهو الحاكم على البر والبحر قال فلما سمع ذلك سكت وأقام سنة كامله وهو يخرج الاخشاب والأموال ويعمر المراكب وأرسل إلى سائر المراكب التى فى الجزائر فأحضرها وأرسل أيضا إلى سائر الجزائر وادعى بسائر كبار البطارقه وأنفق عليهم الأموال وقال لهم ماقولكم فى ملك القسطنطونية وأعطيكم الأقاليم وأفتح بلاد الروم والمسلمين وسائر الاقطار فقالوا أيها الملك ها نحن لك وبين يديك فعند ذلك أرمى المراكب إلى البحر فكان عدتها عشرة آلاف مركب من السفن الكبار فملاها بالخيل والعدد والسيوف والخود وأقلع طالب مدينة القسطنطونيه فلما أشرف على البلد ونظر اليهم ميخائيل أمر بعض البطارقة ان ينزل إلى مركب ويخرج اليهم ليكشف خبرهم وينظر من أين أتوا وماذا يريدون ويقول لهم ان كنتم خرجتم تريدوا الغزو فالملك ميخائيل خارج إلى بلاد الإسلام (قال) فخرج ذلك البطريق ونزل فى مركب وسار حتى

وصل إلى مراكب بحرون وكان بحرون فى المقدمة فلما نظر إلى ذلك المركب أمر باحضار البطريق الذى بين يديه فقال بحرون للبطريق من أنت فقال أنا رسول الملك ميخائيل وهو يقول لكم فيماذا جئتم وماذا تريدون فان كنتم جئتم تغزوا إلى بلاد الاسلام فهو أيضا قد عول على ذلك فقال له ارجع اليه وقل له يعلم ان ماللنصرانية ملك سواى وان لم يخرج من مدينة القسطنطونيه ويسلم ذلك إلى وأنا أعطيه بعض الأقاليم يكون فيه والا وحق المسيح أنزلت عليه بلاء مانزل عليه قط مثله (قال) فرجع البطريق بالمركب إلى الملك ميخائيل وأخبره بذلك الجواب فعظم عليه وكبر لديه والصقت المراكب إلى الساحل ونزل منها عالم بعدد الجراد المنتشر وأخرجت الخيل من السفن الكبار فركبوا عليها هذا والملك ميخائيل قد جمع ملوك الروم وقال لهم ترون من الرأى فى أمر هذا الخارجى الذى قد خرج على وعليكم فقالوا نلقاهم ولوكانوا بعدد النجوم وقطر السحاب فعندها خرج الملك ميخائيل بعساكره ورتب دساكره وكذلك الملك بحرون ثم أقبل بحرون على قومه وقال نطول فى القصة ونصف عسكرنا مانريد ان مثلهم فقال له وزيره وكان قد استوزر صبيا وكان أحسن الناس وجها وأزكاهم قدرا وكان أخذ بحرون بعض الجزائر فوجد فيها هذا الصبى وأهل الجزيره يسمونه مذبحون وكان أحكم أهل زمانه فأخذه الملك بحرون لنفسه وجعله وزيره ومدبره ومشيره وانه جعل يرتب العساكر (ياساده) وتقابلت العسكران كما ذكرنا وكانت بعدد النجوم وان مذبحون وزير بحرون أقبل عليه وقال له ان الحكماء قد قالوا ان الحرب خداع وعندى من الرأى مالا يقدر عليه أحد غيرى من سائر الحكماء فاسمع ما أقول وقد أخذت الملك وتدع القتال لغير هذا الوجه فقال بحرون هات ماعندك فقال أيها الملك تقول الساعه لعشرة من البطارقة وأنا معهم امضوا إلى الملك ميخائيل وقولوا له ان الملك بحرون غلامك وما وصل إلى هذه الديار الا ليجاهد قدامك ويفتح بلاد الاسلام ونضرب كل من فيها بالحسام فهو اذا سمع ذلك يقول فلما عولتم على قتالى وحربى ونزالى فأقول له انما أراد بذلك أن يصف عساكره ودساكره ويوريك أيها الملك قتاله وانى قلت له ماهذا صواب لان ربما هلك بذلك خلق كثير وعالم عظيم وما وصل إلى ههنا الا لما علم انك خارج إلى بلاد الاسلام فهو على كل حال يفرح بذلك ويخرج لكم الخيل والعدد وكلما تحتاجون اليه فاذا أنس اليك فاقبض عليه وقد ملكت القسطنطونية فقال بحرون وما يسمع عنى انى ملكت القسطنطونية بالحيلة وهذا مالا يكون أبدا ثم حمل وحملت العساكر معه والتقى الجيشان طول النهار وقتل من الجمعان مالا عين رأت ولا أذن سمعت وكان فى القسطنطونية مارس ودارس فكتبوا بذلك إلى أهل

ملطيه كتاب على جناح الطائر يقولوا فيه ان ملك الروم كان قد عزم على الخروج فى عالم عظيم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقد أشغله الله تعالى بملك قد خرج عليه من الجزائر خارجيا فى عالم لا يكيف ولا ينقطع له مدد وقد التقيا مع الملك ميخائيل وهم الظافرون علينا والسلام وإن الطائر وصل إلى أهل ملطية وقرأ الأمير عمرو بن عبيد الله الكتاب وعلقه على جناح حمام إلى العراق فما بات إلا عند المعتصم فلما عرف ذلك ادعى بأرباب دولته وعرفهم الخبر وأعلم عقبة بما كان من ذلك فقال عقبة ما كان مرادنا أحدا يتبدل بهذا الكلب ميخائيل لأنه ما بقى له عندنا هيبة وكذلك عساكره قد كان فى قلوبها من الإسلام الفزع وهؤلاء القوم ما فى قلوبهم من أهل الأرض حبه وما خرجوا إلا يريدون الأرض جميعا والله المعين عليهم ومن قد أذل أهل دينه من الأول يدل على أنه جبار من الجبابرة فقال عقبة صدقت يامولاى وربما يكون النصر الملك ميخائيل عليه وقال فى نفسه وحق المسيح إنى كنت أريد أن يأخذون ملك القسطنطونية حتى يفتحوا البلاد ويذلوا رقاب العباد واطلب من المسيح أن يجعل هذا ملك يملك الأرض فى الطول والعرض وأقام عقبة ينتظر الخبر وانه ادعى ببعض غلمانه وكتب معه كتابا إلى الملك بحرون يقوى عزمه ويقول له املك القسطنطونية واطلب بلاد الاسلام حتى أعطيك مقاليد الأرض (ياسادة) وأقام القتال بين بحرون وبين الملك ميخائيل عشرة أيام فلما كان اليوم الحادى عشر وقد قتلت الأمم حمل الملك بحرون وأرمى روحه فى أكثر من مائة ألف وزحزح الصفوف وطعن صاحب العلم قتله ومعه عسكر من وراه يحمى ظهره فانكسر عسكر الملك ميخائيل وظنوا أن الملك قد قتل فانهزموا ومنهم من قد استأمن إلى الملك بحرون وقالوا مانريد إلا الملك بحرون يكون ملكنا لأنه أشجع من الملك ميخائيل وأما ميخائيل فانه دخل إلى القسطنطونية ومعه قليل من الناس والباقون انضافوا إلى بحرون فصار فى عالم عظيم وغلقت أبواب القسطنطونية شهر كامل ولم يقدر عليها فقال بحرون لوزيره مذبحون كيف ترى فقال له دع عنك هذا أيها الملك فانك لو أقمت عمرك كله ماقدرت عليها وإن تركت الأمر فأنا أفتحها لك فى غداة غد (قال الراوى) وكانت الروم الذين استأمنوا إلى الملك بحرون وينظرون الى القس مذبحون وعلى وجوههم يصلبون فقال لهم الملك بحرون ما بالكم تتعجبون من صاحبى فقالوا وحق المسيح إنه يشبه رجلا فى بلاد الاسلام قد طير قلوب النصرانية وصورته فى الكنائس مصورة يقال له أبو محمد البطال فقال بحرون لمذبحون أتسمع مايقولون فقال بلى قد شبهوا مسلم وسوف يرون ما أفعل (ياسادة) فهم كذلك ورسل الملك ميخائيل قد أتت وهم قساقسة ورهبان ومطارنه

فقالوا أيها الملك الملك ميخائيل يقول لك ان قصدك المال فعليه المال وان كان أردت الاقطاع والبلاد فهو يعطيك أى اقليم أردت وان كنت طالب الجهاد الى بلاد الاسلام فهو يمدك بكلما أردت من المال والعدد وان كان على ديارك التى أنت فيها خراج أو مال فهو محطوط عنك وان كنت تريد المملكة فهذا لايتم لك أبدا ولا هذا حلال لأنى أنا وآبائى لنا المملكة وما تطيع الروم الا لى والمسيح جعل الملك فينا ومن طلب ازاحته عنا قسم المسيح عمره فلا تسلك طريق المظالم فتصبح خاسرا نادم ولو أقمت عمرك على بلدنا أعمار النسور فما لك الينا وصول (قال) فلما سمع بحرون قال أنا ما أدرى مايقولون وما لى فى المال حاجة فدع عنك اللجاجة وأما قولك الملك فينا فهذا قط لاأسمعه وحاشا المسيح أن يجعل الملك فيكم دون غيركم وإنما الملك فيمن ينصر الدين ويجاهد المسلمين ولو كنت ملك على الحقيقة لما حملت المال من بلد الروم الى بلد الاسلام وفى ذلك مايقوى به أهل دين الاسلام وتذل به النصرانية فأنا ماجئت ههنا راغبا فى مال ولا رجال بل أريد أملك الارض شرقا وغربا وبعدا وقربا حتى لايبقى فيها مسلم فإذا صارت الدنيا على الملة المسيحية علم الناس أننى أحق بالمملكة منك لأنى نصرت الدين العتيق وان كان لك رغبة فى هذا الدين فسلم لى البلد والمال وابعد حتى لايبقى لواحد منكم حكم حتى أسير الى بلاد الاسلام وأضرب فيهم بالحسام فإن أنا افتتحت البلاد وأخذت خليفة بغداد فهو المراد ولك أسوة بالعباد على أنك تكون أوفى الناس عندى مكان وأعلاهم شان وان أنا هلكت فأنت تنظر فى مصالحك كما كنت أول مره (ياسادة) ولما رجع الجواب الى ميخائيل بما قال بحرون عظم عليه وكبر لديه وقال هذا رجل ماينفع فيه الكلام اذا كان يروم هذا المرام واذا كان على هذه النية فما ينصره المسيح ودعه يقيم على باب الذهب ما أقام وأنا اسأل المسيح أن يفلفل جيشه وينقطع عزمه (قال الراوى) وأقام بحرون على البلد يحاصره حتى أعياه فقال له وزيره مذبحون أيها الملك هذا مقام كثير ومالك على الوصول من سبيل الا بما أقول لك وان تركتنى دبرت لك على أخـــذ البلد فى هذه الايام وتخرج الى بلاد الاسلام فقال له بحرون افعل مابدالك (قال) فعندها جعل يفكر فيما يفعل وقد أعيته الحيل فدعا بغلام يقال له مطران وقال له خذ كتابى هذا واقصد به إلى باب القسطنطونية وقل أنا رسول إلى الملك ميخائيل من رجل يريد يعمل معه جميل فأخذ الغلام الكتاب وسار إلى ان وصل إلى باب القسطنطونيه فصاحت عليه الروم والبطارقة فقال ياقوم أنا رسول إلى الملك ميخائيل (قال) فلما سمع ذلك أمر باحضاره فأرميت اليه الحبـــال فطلع وكان ذلك فى الليل فلما مثل بين يدى

الملك ميخائيل بإس الارض وقال يامولاى أنا غلام الوزير مذبحون وهو صاحب أمر الملك ونهيه وهذا كتابه فانظر إلى مافيه وافهم معانيه فأخذ ميخائيل الكتاب ونظر فيه وإذا فى أوله كلمة الكفر ونحن نقول لاإله الاالله محمد رسول الله ﷺ أما بعد أيها الملك من عرف وأنكر فقد غرق فى بحر الجهالة والغرور وانا أعلم ان المسيح انما جعل الملك فيك وفى آبائك طول الازمنة والايام والشهور والاعوام لانك من أهلها وأما هذا الملك بحرون فانه يحدث نفسه بمالا يكون ولعمرى انه شجاع فى نفسه ولا له فى الارض مساوى ولاقرين مناوى ومعه هذه العساكر التى قدسدت الفضا وملات المستوى وليس هو من أهله وقد علمت ان هذا مارأيتم له فاردت ان يكون لى عندك اليد البيضاء تراعينى بها وقد دبرت عليه حيله أن أزوجه بابنتك ويكون من تحت طاعتك وترفع أمواله إلى عندك إلى مدينة القسطنطونيه وترحل بعد ذلك إلى بلاد الاسلام فهو زوج ابنتك وان هلك فتكون قد كفيت شره وأمنت غدره (قال) فلما سمع الملك ميخائيل ذلك صلب على وجهه وقال هذه بغيتى وحق المسيح لولا هذا الوزير فرج عنى كربتى كانت قد انفطرت مرارتى ثم أقبل على غلام مذبحون وقال له ابشر أنت ومولاك وحق المسيح ان كان لا بد لى ما أعطيه وأعطيك شيأ يغنيك ويغنيه ويكون صاحبك صاحب الامر والنهى وأنا بحكمه وقد فوضت أمرى اليه دعه يفعل مايشاء فالمسيح يكافئه بالثواب (باسادة) ورجع الغلام وأعاد على مذبحون الكلام فقال الساعة علمت ان الملك قد صار فى يدى ودخل على بحرون وأعاد عليه القصة وانه يأخذ البلد بهذا الامر ففرح بذلك بحرون وقال كيف تعمل قال الوزير إلى غداة غد يكون ماتراه لاماتقراه (قال) ولما أصبحوا ادعى بالبترك والقسوس وغيرهم من الرهبان والجاثليق وسار الوزير معهم وقد حمل معه من الاموال مالاعين رأت ولا أذن سمعت من اللؤلؤ والجوهر وما أشبه ذلك وكان الملك ميخائيل لم ينم تلك الليله من الفرح وهو تارة يصدق وتارة يكذب إلى ان قيل له قد وصل الوزير مذبحون ومعه قساقسه وشمامسه وأموال ورجال ففرح بذلك وأمر بفتح الباب ففتح ودخل الوزير هذا ودارس ومارس أيقن بهلاك الاسلام من هذا العسكر العظيم والبطل الجسيم لانهم قد شاهدوا من بحرون مالم يشاهدوه من غيره وانه يرفع الفارس على قنطاريته ويضرب به فارس آخر فيقتلهما فقال مارس لاخيه دارس ائن صار هذا ملك دبرنا فى الهرب إلى حصن يانس المتعزب ونكون فيه الى ان نعرف ما يكون من أمر هذا الملعون فلما اجتمع مذبحون بالملك ميخائيل صلب على وجهه وقال وحق المسيح ان هذا الوزير يشبه أبو محمد البطال لص المسلمين (قال) وأعاد ميخائيل على

مذبحون حديث أبو محمد البطال ومذبحون يتعجب من ذلك وقد طاب له حديثه ثم انه قدم المال إلى الملك وقال قد انفصل الامر ونحن خاطبون ابنتك الكريمة لهذا الملك بحرون حتى تنتظم الكلمة والمملكة ولا يقع الخلف بينكم فقال الملك ميخائيل لو أرادها جارية لحملتها اليه وزوجتها به ثم أنه خلع على مذبحون وعلى من معه وفتح باب البلد وأخرجت الضيافات والعلوفات والأغنام وأنواع الطعام حتى امتلأت الدنيا مما حمل الملك ميخائيل اليهم وأقام الناس كذلك ثلاثة أيام ودخل الملك بحرون الى القسطنطونية فى خواصه والملك ميخائيل قد فرح به وقال بهذا أبلغ المراد من المسلمين وآخذ بغداد ودخل بحرون بابنته وأقام معها وشغف بها وقال للوزير مذبحون اعلم أننى قدعولت أن أقيم على ماأنا عليه فقال مذبحون ماهذا صواب لأنك تريد أن تكون ملك الأرض ولعمرى ماتكون بهذه الصفة إلا بعد الملك ميخائيل وجميع أهل بيته لأن الملك فيهم ومتى أغضبت الروم عملوا عليك وسلموا البلاد اليه فقال لعمرى لقدصدقت ولم يزل يدعو كل يوم أصحابه قوم بعد قوم حتى امتلأت الأرض منهم الى يوم من الأيام صاحوا بحرون يامنصور وقبض على ميخائيل وخواصه وأهله وماله وملك القسطنطونية فصاح أهل البلد بحرون يامنصور ودخلت اليه العساكر وطيرت الطيور الى الأقاليم فازعنت بالسمع والطاعة وسارت اليه البطارقة والأبطال وحملت اليه الأموال من كل جانب ومكان وذهبت دولة ميخائيل كأنه ماكان وأخذته مصايب الحدثان ووضع الملك بحرون فى أرجلهم القيود الثقال وأرماهم فى المطامير وقال ماأقتلهم خوفا من المسيح لأنهم يعلمون بشريعته (قال الراوى) وجمع بحرون الأمم على باب الذهب وكان جريدة عسكره ألف ألف فارس وكان عسكر الروم بهذا العدد وعسكر الجزائر مثله وكانوا عالم لايحصى بعد الرمل والحصى وأخرج الخيام وعول على الرحيل وأمر الناس بأخذ الاهبة وقد صحبه مائة ألف فارس مابين راهب وشماس وقس ومطران يطلبون الجهاد وخرج معه من لاخرج قط من صومعته هذا وقد حدثوه بحديث يانس المتعزب وقصته مع المسلمين وقالوا هذا مسلم فقال وكيف كان الملك ميخائيل يغفل عنه فقالوا أيها الملك ماكان يقدر عليه لانه فى مكان عظيم فقال بحرون أقسم بالاربع أناجيل ومافيها من التحريم والتحليل ومن أعلاه والبحر ومن أجراه ان خرجت من بلاد الروم وفيها من يعصى على وهذا من غاية العجز ولا بدلى من المسير اليه قبل الخروج الى بلاد الاسلام فاذا أنا أخذته علموا الناس انى قد أخذت من قد عجزت عنه الملوك على طول الاعوام والشهور والايام ثم انه استخلف موضعه بطريق يقال له مفلاطون بن مصحران ودفع اليه خمسين

فارس من عسكر الجزائر ورحل وقد سارت الجواسيس إلى حصن يانس المتعزب وأعادوا عليه القصة فأنفذ إلى الامير عمرو بن عبيد الله يقول له اطلب لنفسك النجاة وحرض الخليفة على الخروج فى عساكر الارض وأن تكون على أهبة فقد خرجت عساكر بعدد الجراد وأما انا فقد ساروا الى ونازلون على حصنى وما ادرى مايكون لان الامر عظيم والخطب جسيم وكلما فعلتم بالامير عبدالوهاب وامراء بنى كلاب تجدوه وتعضون الانامل عليه اسفا وتأكلون الاكف ندما ولهفا (قال الراوى) ولما وصل كتاب الطير إلى ملطية ووقف عليه الامير عمرو بن عبيد الله وعرفه جمع أمراء بنى سليم والاشعث اخو عطارد وولده عامر وكانت غمرة قد دخلت إلى برية الحجاز إلى ان سمعت بأن بنى كلاب قد هلكوا فجمعت الرجال وقطعت الطريق وخانت السبيل وملكت بلاد اليمن من صنعاء إلى عدن واقامت هناك وسمعوا قومها فساروا اليها واقاموا عندها وكان عامر ابن عمها على مقالى النار من اجلها والامير عمرو بن عبيد الله يقول اصبر حتى ننظر مايكون من أحوال الروم واضم اليك عسكر عظيم وتمضى اليها وتأخذها غصبا (قال الراوى) وملكت غمرة من ارض حضرموت إلى أوائل بلاد السر وإلى المشرق وبلاد اليمن كلها وقبائل العربان إلى زبيد وسواحلها (ياسادة) فهذا ما كان منها واما ما كان من الامير عمرو بن عبيد الله فانه لما اوقف الناس على كتاب يانس حملوا اهما عظيما وقالوا والله ماقال للناس اطلبوا الخلاص الا وهو يعلم ان ملطية ماتقيم قدام هذا العسكر العظيم ساعة واحده فقال عمر وهذا تفزيع لنا وسوف اجمع الامم من العرب والعجم الى ان يانى المعتصم حتى لا يقول الناس ان بنى سليم يقصرون عن فعلى بنى كلاب ثم كتب الى المعتصم بهذه القصه كلها وان الملك بحرون ملك القسطنطونية واخذ الارض والبلاد وقد عول على بلاد الاسلام وقد نزل على حصن يانس المتعزب فدبر ما تراه ساعة مايصل هذا الكتاب اليك وتقرأه فلما سمع المعتصم ذلك نادى فى الناس بالغزو فلم يبق احد الا وخرج وخرجت الناس والعساكر من الاتراك والديلم هذا وعقبه لما سمع ذلك امتلا قلبه شحما ولحما وقال ما كنت اظن ان اعيش الى مثل هذه الايام وهذا الزمان وماهذه الاسعاده للنصرانيه وقد ظهرت بالكليه وان اخذ حصن يانس المتعزب فهو اعظم عندى من اخذ بغداد ثم نزل الى داره واخبرهم بذلك وكتب كتابا الى الملك بحرون يقوى عزمه ويقول له انت الموصوف فى الانجيل بأنك تظهر آخر الزمان تطهر الارض وتملكها طولا وعرض ويعود الدين العتيق تحقيق بعدها كان اشرف على الزوال والتمزيق والآن خذوا المال والخراج واخرج وانا اسلم

اليك بغداد ولكن لاتظهر من بلاد الروم حتى تأخذ حصن يانس المتعزب لان ميخائيل ماسبب انكساره من المسلمين الامن حصن يانس وهو مسلم وسار رسول عقبة طالب الملك بحرون هذا وبحرون نزل على حصن يانس واحدق به ونظر الى الحصن مايقدر عليه احد ولا كل من فى الارض فقال مذبحون هذا ماتقدر عليه بقتال فقال بحرون انا ماملكى الا بك فافعل ماتريد فقال مذبحون بشرط ان يكون هذا الحصن لى و مافيه من الأموال فقال اوهبتك اياه ولو طلبت القسطنطونية اعطيتها الك ففرح (ياسادة) وقد اتفقت رواة الحديث ان ماسمع قط بمثل هذا مذبحون فى تسليق الحصون ان يكون رجليه إلى فوق ويديه إلى أسفل مثل العقرب وتشرح رجليه حتى يسيل الدم ويطلع ولو كان الموضع ألف قامه وأنه لما انسدل الظلام واختلط الفتام وتجلى الملك العلام أقبل مذبحون إلى الحصن ودار حواليه فرأى له قرنة خالية من الحرس لأنها كانت بعيدة من القتال فتسلق وجعل رأسه إلى أسفل ورجليه الى فوق شبيه العقرب وما كان غير ساعة حتى صار فى أعلا الحصن ودخل إلى دار يانس فرآه هو وزوجته والشمع يقيد فيه ومفاتيح الحصن بين يديه وهو يقول أسأل الله أن يكافىء من هو السبب فى زوال دولة بنى كلاب فطال ماا كتسبوا من الاجر والثواب وأما حصنى فلا يقدر عليه أحد بسبب من الأسباب فالتفتت من زوجته التفاته فنظرت مذبحون وهو مطلع عليهما من طاقة فى الحصن فاقبلت عند ذلك على يانس وقالت يامولاى رأيت هذه الساعة شخص فى هذه الطاقة وهو يطل علينا فقال هذا مما فى قلبك من الخوف لأن هذا المكان الذى ذكرتى انكى رأيتى فيه شخص مايصل اليه الطير الطائر (قال الراوى) فلما سمع ذلك مذبحون قصد إلى أعلا الحصن واختفى بين الشبابيك هناك وأقام طول الليل إلى الصباح ونزل يانس وقاتل ذلك اليوم من أعلا الحصن من فوق الصور كل هذا يجرى ومذبحون يدبر كيف يعمل على تسليم الحصن وحده وأنه قام هناك يومين وليلة حتى عرف الصعود والنزول تلك الليلة وأطفأ الشمع والقناديل وسرق مفاتيح الحصن من تحت رأس يانس وقصد باب الحصن فرأى هناك عشرين بواب فدنى منهم وذبحهم وفتح الباب وكان بينه وبين بحرون وقت معلوم فلما خرج من الباب رأى جماعة من أصحاب بحرون كانه قد امره بذلك فامرهم مذبحون بالدخول فما أحسوا أهل الحصن بهم إلاوهم عندهم وعمل الصارم فى الدجا وضرب بعضهم بعض وخرج منهم ألف نفر يطلبون النجاة فاخذوهم أصحاب بحرون أسارى وقد أخذوا الحصن بما فيه واحتووا عليه من سائر نواحيه وأما الأمير يانس لما نظر إلى ذلك أرمى نفسه من الصور بالحبال إلى ظاهر الحصن وسار تحت الظلام طالب ملطية قال وبحرون أنه سلم الحصن

إلى وزيره مذبحون بما فيه من الاموال وأقام الملك بحرون على الحصن عشرة أيام ورحل بعد ذلك طالب ملطية وقد ترك مذبحون بطريق من قبله وأضاف اليه خمسة آلاف فارس ورحلوا طالبين ملطية فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما يانس فانه لما نزل من الصور وسار فلحقه بعض من أصحابه من الذين سلموا من قدام بحرون وساروا إلى أن وصلوا إلى ملطية وساروا قدام الأمير عمرو فسأله الأمير عمرو عن حاله فاخبره بما جرى له فقال له عمرو ما وصلوا هؤلاء لحصنك الاوهم فى قوة زائدة ثم انه أدخلهم البلد وطيب قلوبهم وقال لهم اننا اليوم فى ثلثمائة من بنى سليم وغيرهم وقد بلغنى ان الخليفة قد وصل إلى الموصل فقال يانس أنا ما اقيم عندهم ولا عندكم لأننى أعلم ان هذا البلد يؤخذ بلا محالة وانا سائر الى الخليفة فقال له الأمير عمرو هذا الأمر لك ثم اعطاه هو وأصحابه من الخيل والعدد والزرد شىء يسير لأنه ما كان يرى لهم لأجل محبتهم فى الأمير عبد الوهاب فسار يانس حتى وصل إلى الموصل فوجد المعتصم عليه وقد عول على الرحيل ولما اخبروا المعتصم بيانس وقدومه أمر باحضاره فلما حضر يانس عنده قبل الأرض بين يديه ففرح به المعتصم وحياه ورفع مكانه وعلاه وسأله عن حاله فبكى الأمير يانس ثم اخبره بما جرى وقال له يامولاى ليس الخبر كالعيان فزول بما فى قلبك من الأمير عبدالوهاب وامراء بنى كلاب فانى اخاف يدق الناقوس على راسك فاستيقظ من غفلتك وان كان احد من اولاد الأمير عبد الوهاب سالم فاخرجه واخلع عليه وطيب قلبه ولبه بجمع بنى كلاب قال فلما سمع المعتصم ذلك قامت عليه القيامه وامر بضرب رقبة يانس وكان ذلك برأى عقبة لانه صاح عليه وقطع كلامه وقال له اسكت ياويلك من أنت حتى تقابل مولانا الخليفة بمثل هذا الكلام وقد حل قتلك على سائر المذاهب ياملعون قال فغضب المعتصم وقبض على يانس وقال له ما أقتلك حتى تعلم انى كسرت تلك الروم ثم أرسله الى بغداد وأمر ان يطرح فى المطمورة التى فيها عبد الوهاب وتفرقت أحبابه أصحابه (قال الراوى) وكان يانس لما سمع كلام المعتصم فرح وقال لى أسوة بعبد الوهاب وجماعة الأصحاب ولاخير فى الحياة بعدهم لانى ماعرفت الله الا بهم وسار وهو بين الخوف والرجا ولم يزل حتى صار فى وسط المطمورة وحده لان المعتصم قد أخذ أصحابه وقال أنا أخلص لكم الحصن وأهلكم فلاترتاعوا من ذلك فطمعوا فى قوله وقالوا هذا الذى تريد وساروا معه (وأما) يانس المتعزب فانه لما نزل إلى المطمورة وإذا بالمكان فى غاية من الظلمه فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ادفع ما أطيق وما لا أطيق ثم انه سمع أنين ضعيف ففتح يانس عينه لما توسط تلك المطمورة وإذا بأشباح بقيت بلا أرواح يبكى عليهم الحاسد

ويرحمهم العدو والمعاند (قال الراوى) ياسادة ياكرام ونظر يانس إلى الامير عبد الوهاب وقد طال شعره ونصل ظفره وتغيرت حالته وذهبت حركته والأميرة ذات الهمة كذلك والأمير أبو محمد البطال وسائر الأصحاب وهم على ماهم عليه من الذلة والانكسار والبلا فبكى يانس واشتد بكاه وقال واأميراه واأولاداه وا اسلاماه وا اهلاه واحصناه ونظر الأمير عبدالوهاب وأصحابه إلى يانس فعرفوه وقد أنكروا ذلك عليه وبكوا لبكاه وكانوا قد فنيت دموعهم لكثرة بكائهم وجوعهم واذاهو بصوت ضعيف يقول يايانس فقال نعم أنا الحزين الآيس الذى قد لاقى بعدكم ما أبكى العيون وقد ملكت الحصون وهتكت الحرائر ودارت عليهم الدوائر وما دام انكم سالمين فقد هان على الموت بعد نظرى اليكم فقالوا له حدثنا ماسبب قصتك فأعاد عليهم ماجرى له من أوله إلى آخره وحديث الملك بحرون ووزيره مذبحون وكيف أخذوا الملك ميخائيل وملكوا مدينة القسطنطونية وان بحرون قد أطاعته الأمم وهو فى عالم عظيم ومع ذلك فانه نزل على حصنى وما أقام إلا قليل وهم قد ملكوه وما علمت ما السبب فى ذلك وإنى هربت بروحى وقصدت إلى ملطية وسرت من ملطية إلى الموصل فوجدت عقبة على غاية الاعظام والاكرام عند المعتصم وعمل على قتلى ولو أن الأجل حصين فأمر بى المعتصم إلى ههنا والحمد لله الذى جمع بينى وبينكم ولى أسوة بكم وقد هان على جميع ماجرى لى لما نظرت إلى حالكم (قال الراوى) ياسادة ياكرام فعندها بكى الأمير عبد الوهاب وصاح وا اسلاماه وادين محمداه فسوف تخرب البلاد وتملك الأرض والعباد ونحن ههنا تحت الأرض لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا فقال الأمير أبو محمد البطال لا كتب الله عليهم سلامة لقد أكلت كبدى بقولك يا أمير ما كفى مانحن فيه وأنت تبكى عليهم فعوض ماتبكى عليهم ابكى على نفسك وعلى حالك وحال أمك وأولادك وأصحابك وعيالك فقال له صدقت يا أمير أبو محمد فى هذا المقال ولكن أين أنت من فرج الله تعالى واعلم أن الفرج قريب والله ياأبو محمد مابى نفسى ومابى إلا إلا المسلمون وهم ينادون وا اسلاماه وادين محمداه ونحن غافلون عنهم فقال له الأمير أبو محمد البطال قد كفاك الله هذا وأنت تحت الأرض ماتسمع شىء من ذلك الا نحن مثل بيت الماء لا نأذى ولا نؤذى (قال) فبكت الأميرة ذات الهمة وقالت للملكة ميمونة ما أظن جرى على أحد من المصائب مثل ماجرى علينا وعلى أولادنا ولا أدرى كيف يكون حالنا فقال الأمير أبو محمد البطال أنا أسأل الله تعالى أن ينصر هذا ملك الروم هذا الذى هو الخارجى ويسهل له الى عندنا المجىء حتى لا يبقى فى هذه الديار أحد فاما أن

يخرجنا من هذا البلاء وأما أن يقتلنا فنستريح من هـذه البلية أو يمن الله علينا بالفرج فاذا كان أهل ديننا قد فعلوا معنا هذه الفعال وجعلوا فى رقابنا السلاسل والاغلال فلعل الفرج يكون من يد العدو قريب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فضحكوا القوم من كلامه وقال له الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد سوف ترى من ألطاف الله تعالى مالم يكن فى الحساب فقد قال القائل :

كم فرحـــة مطوية لك بين أنياب النوائب
ومسرة قد أقبلت من حيث تنتظر المصائب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأقاموا القوم فى تلك المطمورة وهم ينتظرون الفرج راجين أن يكن لهم مما هم فيه مخرج فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من أمر الامام المعتصم بالله فانه وصل إلى نصيبين وكان الملك بحرون قد أشرف على ملطيـــة وكانت عساكره قد طبقت الأودية والتلال والهضاب والرمال والصحارى والشعاب وسائر الأرض طولا وعرض ونشفوا الأرض والمياه والعيون وقطعوا الأشجار وأخربوا الأقاليم وتلك الديار ونفرت الوحوش من كثرة عجيجهم وضجيجهم

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وتقسطل الغبار على الاقطار حتى أظلم النهار ولما انكشف الغبار بانت من تحته صلبان الروم وهى تكفر بالله الحى القيوم وقال الامير عمرو بن عبيدالله معاشر بنى سليم لاتخلوا الناس يابنى عمى يقولون ما كان يحمى الثغور الا الامير عبدالوهاب فاليوم يبان البطل الصنديد ويظل الجبان الشريد فقالوا أيها الامير سوف ترى منا العجب من ضرب يهد وطعن يقد (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أنهم لبسوا السلاح واعتقلوا بالرماح وأظهروا الزينة القوية وتقلدوا بالسيوف الهندية والسهام المسقيه والخشوت اليمانيه والهمم الجليه والجحف السلاميه والعزمات الحميه (قال الراوى) وخرج الاشعث وولده عامر والامير عمرو بن عبيدالله وقد ماجت بهم الأرض ذات الطول والعرض والغبار متراكد والزحام متزائد هـذا وقد وقعت العين على العين (قال الراوى) هذا وان الامير عمرو بن عبيد الله لما نظر الى ذلك العسكر الذى لهم لم يشاهد قط مثله ولا نظر الى شكله فعندها اقبل على قومه وقال لهم اعلموا ان العجل فى الامور مما يدل فيها القوم الكرام ويتعب الانسان فقالوا له قومه بنى سليم وما الذى قد عولت عليه ان تفعل فقال لهم يابنى عمى هـذا عسكر عظيم وقد طبق الرستاق والاقاليم والرأى عندى ان نعود الى داخل بلدنا ونقاتل من وراء الاصوار ونحتمى بالجدار الى ان يأتى المعتصم بالله الينا ويكشف هذه الغمة من علينا فقالوا له بنى سليم هذا ما لا

يكون ابداوما كان الأميرعبد الوهاب ينصر الالاجل إنه ما كان يفكرفى كثرة المدد ولا فى زيادة المدد ونحن فلابدلنا أن نرى أرواحنا فى هذا الجمع الغزير والجحفل الكثير فإن البدرة لمن بدر ولعل الله تعالى ان يخلصنا بالنصر والظفر ولا بد لنا من اللقى لأن لنا عند المعتصم بالله أعداء ولا لنا من يشكرنا عنده إلا أن ابن عمنا القاضى عقبة فانه يدعو لنا وما نفلح إلا ان كان بدعاء ذلك الشيخ الزاهد العابد والرجل المجاهد فقال لهم الأمير عمرو بن عبيد الله خلونا الساعة من هذا المقال واعتمدوا على ضرب البيض والنصال والسمر العوال وان اتكلتم على دعاء القاضى عقبة وقعتم فى نوبة صعبة وحل بكم كل وزية ونكبة فقالوا له بنى سليم سوف ترى العجب يا أمير (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وقد أشرف عسكر الملك بحرون على عسكر الأمير عمرو بن عبيد الله (قال) فلما رآه ضحك وصلب على وجهه وقال وحق المسيح والأربع أناجيل أنا وحدى أقوم بهؤلاء القوم الطناجير خذوهم قبل أن يطول المطال (قال) فما استتم الملك بحرون ذلك المقال حتى حملوا الروم وحملت العربان والتقوا الجمعان ودام الضرب والطعان وعملت الصوارم فى الجماجم والقواضب فى العلاصم والتوت فى البراجم وعظمت العظائم وزاد الشر وعظم الأمر وضاق الصدر وتطحطحت عساكر العرب وحل بهم الويل والحرب ورجعت بنى سليم إلى خلفها وقد قتل منهم أكثر من نصفها (قال) وان الملك بحرون لم يقف تحت الصليب على حسب العادة التى جرت للملوك بل كشف راسه وخفف عن لباسه وكان له شعر أسود أجعد وقد أخرج يده من جلباب درعه وهو ينادى ياويلكم أنا الملك بحرون ثم جعل يفتك بالرجال ويكفر بالملك المتعال (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلاحت منه نظرة فرأى الراية المنصوبة على رأس الأمير عمرو بن عبيد الله فقصد إليها حتى قاربها ونادى خذ الأهبة أنا ملك الروم وأنت لاشك ملك العرب فدونك والقتال والنزال فى هذا المقام قبل ان ارديك بهذا الحسام الصمصام (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير عمرو بن عبيد الله كلامه فرآه فصيح اللسان ثابت الجنان فطمع فيه غاية الطمع وحمل عليه وهو ينشد ويقول :

ألا أيها الفارس السيد ... رويدك انى فتى أجعد
يبيد الألوف بضرب السيوف ... إذا ضاقت الأرض بالجلمد
أنا عمرو ليث بنى سليم وقد ... ألفت المعامع فى المرقد
وحامية الثغور يوم الوغا ... إذا همهم البطل الأنجد

(قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون شعر الأمير عمرو بن عبيد الله انقلبت عيناه

فى أم رأسه وكان قد أمر العساكر بالنزول وبقى أيضا فى مائة ألف فارس فلما ان سمع شعره أراد يقول مثله إلا ان عجمة الروم منعته من ذلك وما كان يقدر يرد عليه الجواب وما كان فى أبناء الروم أقوى ولا أفرس منه فعند ذلك صاح فى الامير عمرو بن عبيد الله صيحة عظيمة خيل له بأن الارض قد ابتلعته فضرب رأس جواده طيرة وقد وقع الامير عمرو بن عبيد الله إلى الارض فمد إليه يده واختطفه من قبل أن يصل إليها فأخذه أسير وقاده بيده ذليل حقير (قال) فنظرت بنى سليم إلى سيدها وقد أخذ فعندها حمل الامير عامر ابن الاشعث وضايق الملك بحرون حتى يخلص الامير عمرو بن عبيد الله منه ومن يده ويكون له عنده بذلك اليد البيضاء (قال) فما طال به الامر حتى أخذه الملك بحرون أسير وانهزمت العرب ودخلوا الجميع إلى ملطية وهى عالية البناء فقال له وزيره مذبحون لا تعظم من ذلك فأنا فى هذه الليلة أسلمها اليك ولو شئت سلمت اليك بغداد وأنت مقيم فى هذا المكان فقال له الملك بحرون وما الذى تفعل فقال له مذبحون سوف ترى من فعالى العجب (قال الراوى) وأقامت الناس إلى أن أظلم الظلام واختلط القتام وصاحت الحراس وقد نامت أكثر الناس وقصد الوزير مذبحون إلى برج الزاوية ولبس ثوب أسود وتسلق فى البرج فصار مع الناس فى البلد وقصد الى دار الامارة لانه رأى الناس اليها قاصدين ليأخذون رأى الاميرة أم الامير عمرو بن عبيد الله وهى مثل الحبة على المقلا فزعا على ولدها الامير عمرو بن عبيد الله والناس يصبرونها ويقولون العسكر يكون عندك بعد غداة غد والمعتصم بالله الامام يخلصه وهى لا تطيق الصبر على ذلك (قال) وكان الوزير مذبحون واقف يسمع مايقولون الى أن تنصف عليه الليل بالظلام ونامت كل عين (ياسادة) وكان الوزير مذبحون قد حصل فى وسط الدار ولم تشعر به أم الامير عمرو بن عبيد الله الا وهو على صدرها الخنجر على نحرها فأيقنت بالقتل والعطب وقالت له ايش أنت فقال لها مذبحون أنا رسول ابنك أتيت اليكى وهذا خاتمه (قال الراوى) ثم ان مذبحون أخرج لها خاتم الامير عمرو بن عبيد الله الذى كان فى أصبعه وقال لها اعلمى انه قد استقر حال ابنك مع الملك بحرون وأنه قد اشترى روحه وماله بأنه يسلم اليه البلد فى هذه الليلة والا قتله عند الصباح وزحف اليكم وقدم عليكم وأنا أريد منكى أن تسلمى البلد من حيث لا يعلم بكى أحد لا أبيض ولا أسود لأن أهل البلد ان علموا بذلك لا يسلموه ويمضى ولدك الأمير عمرو بن عبيدالله رخيص وهو الذى أرسلنى اليكى بهذه العلامة حتى تعطى إلى المفاتيح وتعاونينى على فتح الباب وإلا هلك ولدك الأمير عمرو بلا محالة وحق المسيح (قال الراوى) ياسادة يا كرام وهـــذه امرأة على كل حال وقد

نظرت إلى الموت عيان بيان مع أنه قد أطمعها فى سلامة ولدها الأمير عمرو وأنها إن لم تفعل هذه الفعال وإلا اقتلها وقتل ولدها فعند ذلك قالت له خذ المفاتيح لا بارك الله لك فيها فهاهى فى ذلك الموضع فوق رأسك (قال) فعندها وثب مذبحون قائما من على صدرها وقد أخذ مفاتيح البلد بيده وقال لها تأتى معى من أجل غلمانك حتى إذا فتحنا الباب ودخلوا الرجال تكونى أنتى أمانى أيضا أمانى وفى ذمامى وإلا هلكتى فى ظلام الليل فعند ذلك قامت أم الأمير عمرو ومعه وذلك كله من الخوف والفزع وكان الآخر قد أخذها معه خيفة منها لأنه تفزع إذا مضى عنها وأمنت على نفسها ورجع اليها عقلها استدركت الرأى (قال) فلما وصل إلى الباب وفتح الاقفال وشرع الفردة وإذا بفارس قريب من الباب وقد صاح وحمل عليه وكان هذا الملك بحرون بنفسه وقد تداركت البطارقة ووقع الصوت فى البلد وتراموا أيضا بالأحجار من فوق الأصوار وهم لا يعلمون أن الباب قد فتح (قال) ولمـــا علموا بذلك نزلوا وعملت السيوف وقاتلت العرب عن حريمها وعن أولادها ونسوانها (قال الراوى) ولم يزل القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل على مثل ذلك العمل إلى أن مضى الليل بظلامه وأقبل النهار بابتسامه ونادوا عن لسان واحد الأمان الأمان فعندها رفع الملك بحرون عنهم السيف اليمان وأخذ منهم مالا يعد ولا يحصى من الأسارى والأموال والرجال وقد بعث الكل إلى أرض القسطنطونية وقال هذا أول الفتوح (قال) ولم يترك فى ملطية مايساوى الدرهم الواحد ورحل طالب العراق فبلغه أن المعتصم بالله قد قرب منه فقال لابد لى من المسير اليه والقدوم عليه ليكون ذلك أهيب لنا ثم أنه رحل بعساكره وقد أجهد الناس التعب والنصب ولكن من هيبته ماقدر أحد أن يتعرض عليه

(قال الراوى) وبلغ الخبر إلى المعتصم بالله بما قد تم وما قد جرى على ملطية فقال الخليفة ياقوم ماوقفوا بنى سليم بين يدى هذا العدو يوما واحدا من الأيام فعندها سمع الملعون عقبة بذلك الكلام فقال فى نفسه هذا الذى أريد وهذا أوان دولة السيد المسيح وهذا الوقت المعـــلوم الصحيح (قال) فبينماهم كذلك إذ أشرف عليهم الملك بحرون وعساكره وأبطاله على المعتصم بالله وهو فى كتائبه ومواكبه ووقعت العين على العين وكانوا المسلمين بعدد التراب وقطر السحاب لان المعتصم بالله كان قد جمع عالم ما اجتمع قط مثله ولا نظروا الناس شكله لامن بعده ولا من قبله (قال) ونظروا المسلمين الى عسكر الملك بحرون بزينة مليحة مانظروا مثلها من عساكر سواها من الدروع والجواشن والبيض والمغافر والخوذ والعمد والخيل المسومة والدرق المكوكبه

وأيضا السيوف المجذبة والصلبان الياقوتيه والرايات الخضر الهرقلية والبوقات الملكية وهو فى عزيمة قوية وفى أوائل عسكره أربعمائة ألف فارس من عساكر الجزائر كانهم النخيل العالية هذا وقد نزلت الامم حتى لم يبق فى الارض موضع حافر ولا قدم إلا وفيه الفارس والراجل والمقاتل والمناصل (قال) ونظر الملك بحرون الى عساكر المسلمين وكثرتها فلم يكترث بذلك بل قال الروم أنا قد عولت أننى لا أترك هذا اليوم يمضى حتى أقتحمن عسكر المسلمين وأبيد أبطال الموحدين فعند ذلك قالوا له الملوك أيها الملك إننا نعرف من هذه العساكر مالا يعرفه أحد غيرنا ومامنهم إلا من قد جربناه وهو فى قتاله مع الملك ميخائيل ومع الملك قسطنطين والملك منويل وتوفيل وأيضا فيهم الاتراك الذين يرمون الحدق ويطرحون الطير من جو الافق ونحن لا نأمن من شرهم ونحن فى أثر التعب واتركنا إلى غداة غد ونلقاهم فقال الوزير مذبحون مافى هذا الرأى من باس ولايذمه أحد من الناس إذا صبرتم إلى غداة غد بالناس فقد قال الحكيم ارسطاليس فى زمن الصبر يكون الاقتدار وفى العجلة يكون الذل والخسار ونقصان الامل

(قال الراوى) ولما سمع الملك بحرون مقالهم نزل ونزلت العساكر وأضرمت النيران وتحارس الفريقان على مثل ذلك العمل والرواح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وكان المعتصم بالله قد جمع أرباب الدولة فى تلك الليلة وقد قال لهم لعمرى مالقى أحد من الخلفاء مثل هذا العسكر الجرار الذى هو مثل البحر الزخار ولكن الرأى عندى أننى أكبس عليهم فى ظلام الليل وأخرج فى غداة غد الى الملك الذى لهم فى مقام الحرب وشدة الطعن والضرب فان ظفرت به بلغت المراد لاننى اذا أخذت الملك انكسرت العساكر (قال الراوى) فتحيروا الناس من عظم همة المعتصم بالله وقوة قلبه وشدة عزمه وجودة جفانه وفصاحة لسانه فقالوا له أيها المولى ماهذا صواب لانا كلنا لك وبين يديك ومن هو هذا الكلب حتى تخرج أنت اليه بنفسك وأنت ابن عم رسول الله ﷺ واعلم أن أقل غلاما لك فى غداة غد يأتيك به أسير ويقوده بين يديك ذليلا حقير ويأتيك به الى بين يديك عاجلا غير آجل (قال الراوى) فلما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أرسل المعتصم بالله من عنده رسولا الى الملك بحرون يقول له (أما بعد) فانك معجب بهذا الملك الذى قد وصل اليك لانك لست من أهله وقد ملك غيرك من ملوك الروم كثير وطلبوا هذا الذى أنت طالبه فأهلكهم الله سبحانه وتعالى وأباد الله سلطانهم وقد أهلك أعوانهم وما بينك وبين بيان ذلك الا أن ترى الجيشان قد التقيا وتصبح عزيمتك منحلة وجيوشك منفلة وينصر الله تعالى أمة

محمد بن عبد الله المصطفى ﷺ والآن فانك خرجت إلى بلادنا فان كان ذلك من أجل الأموال التى تدفع الينا فى كل عام من بلاد الروم ومن أجل الثغور وطمعا فى بلاد المسلمين فدونك وما تريد من القتال والنزال وسوف ترى رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما وهم معودين بضرب الصوارم وتفليق الجماجم ولا يخافون فى الله لومة لائم ولا يهربون من الموت ساعة واحدة ويرون الموت أيضا فى سبيل الله أو فى بضاعة قد قدموا ما أحسن من الأعمال فى مرضاة الله الملك المتعال والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى ولعنة الله على من كذب وتولى وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى ﷺ (قال الراوى) فلما أصبح الله تعالى بالاصباح أرسل المعتصم بالله رسوله إلى الملك بحرون بذلك الكتاب فلما وصل الرسول بهذا الكتاب إلى عند الملك بحرون فقامت عليه القيامة وزاغت فى أم رأسه عيناه وأخذ الكتاب بنفسه وكتب بيده فى ظهره يقول أما بعد فان الذى عهدته من أولئك فقد تغير لأن المسيح قد نصر دينه وأظهر شريعته ويقينه وقد بعثنى حتى لا أبقى فى بلد الإسلام لا كبار ولا صغار إلا أن يشووا كلهم بالنار وأنا أقسم بالشعانين والصلبان والكنائس والرهبان ان كان لا بد لى مما أكويك بين عينيك صليب وسوف ترى ذلك قريب ومع ذلك فان لا بد لى أن أفتح البلاد ولا أترك من يقول كلمة التوحيد إلا أن تزنوا الأموال مثل ما أخذتم من الملوك على طول الأيام وليكن فى كل عام عليك مثل ما كان يدفع اليكم من بلاد الروم وتلبس فى عيدنا ثوب من نسيج الروم عليه صليب مرقوم حتى أعلم أنك قد دخلت الطاعة والا فدونك والقتال والحرب والطعن والنزال وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر

(قال الراوى) هذا وقد وصل ذلك الكتاب إلى المعتصم بالله فلما سمع مافيه من الكلام والخطاب انقلبت عيناه فى أم رأسه وطارت الدمعة من آماق عينيه ولم يبق ينظر ما بين يديه وصاح بأرباب الدولة لأنه ماظهر فى الخلفاء مثله لأنه كان فارس همام وبطلا عظيما ضرغام وكان فيه من الحمية والدين والغيرة على المسلمين مالم يكن فى أحد من أجداده (قال) فلما ركبا الفارسين ارتجت الأرض بأهلها واصطفت المواكب فى سهلها وجبالها وقد جردت القواضب وركبت الجنائب وارتفع الصياح من كل مكان وجانب هذا وقد نظر الملك بحرون إلى انزعاج عساكر المسلمين فلم يعظم عليه ولم يكبر لديه بل أنه ركب وركبت العساكر ولم يبق أحدا يسمع صوت من يناديه من كثرة الضجيج والعجيج وحارت الأبصار من كثرة بريق الصفاح واصطفاق أسنة الرماح وضاقت الأماكن الفساح واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وحامت عليهم طيور الحتوف

(قال الراوى) هذا وقد قسم الملك بحرون عسكره ألف موكب بخلاف ما تفعل الروم وقدم الفرسان الطعانة فى أول الناس ورفعت البيارق واصطفت الطوارق وهزت الصوارم لضرب المفارق (قال) وكان المعتصم بالله قد عمل معه كلام الملك بحرون الى غاية فلم يجد الصبر على ذلك دون ان حمـــل وهو راكب على جواده وخرج الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وهو على جواده من الخيل شديد القوى والحيل قوى العصب مليح الركب ديال الذنب شريف النسب من أشرف خيول العرب وعليه درع داودى وسيف هندى وبيضة عادية وعمامة قصب مصفحة بالذهب وقد أرخى ذوائب الشرف على كتفيه وبردة المصطفى صلى الله عليه وســـلم وهى على رأسه وكتفيه ولواء الحمـــد على رأسه وقضيب ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وقد تنكب بقوسه (قال) ولم يكن فى عسكره من يقـــدر يأتى ذلك القوس الذى له (قال الراوى) هذا وان الأمراء وأرباب الدولة لما نظروا الى المعتصم بالله وقد خرج بنفسه حتى يصطلى نار الحرب بنفسه فقالوا ماهذا صواب ولو قضى عليه بقضاء لهلك الإسلام جمعا وما كنا نقدر على نفوسنا بضر ولا نفع (قال) ثم انهم تقدموا إلى بين يدى المعتصم بالله وقالوا له يا أمير المؤمنين لاتخرق شرع ولا تغير رسم وها نحن لك وبين يديك وان كان قصدك البراز فها نحن نبذل قدامك نفوسنا

(قال الراوى) ثم تقدم فارسا منهم يقال له مدلاج العبسى وكان هو الذى كان المعتصم بالله قد وعده ان يكون موضع الأمير عبد الوهاب فى ملطيه مع الأمير عمرو ابن عبيد الله وكان فى خمسة آلاف فارس من بنى عبس وكان هذا الرجل مدلاج من الابطال الموصوفين وكان يقول لو كنت فى زمان عنتر بن شداد ما كان الذكر والفخر طلع الا لى وهو الذى يقول :

انا مدلاج ليث الحرب جمعا مبيد الخلق من جن وانسى
ولست أخاف من خوض المنايا اذا علقت به سيفى وترسى
وعنترة الوغا ما كان مثلى اذا وقع الفنا بابناء جنسى

(قال الراوى) وانه أقبل على المعتصم بالله وقال له يامولاى وحق أياديك الجليلة ومكارمك التى هى غير قليله انى أخرج أنا وحدى إلى أبطال هذا العسكر كله ولايخرج فى هذا اليوم اليهم غيرى وانظر إلى فعلى فقد كان بين يديك رجـــلا ما كان مثلى وهو الأمير عبد الوهاب وكان يفتح باب الحرب بنفسه فقال له المعتصم بالله افعل ما بدالك (قال) فعندها فرح مدلاج بذلك الـكلام فرحا شديد ثم انه ركب على جواد كانه الليـل

الداج وقحم إلى وسط العجاج وفى يدة حسام يلمع مثل السراج ونادى من أعلاصوته ويلكم يا أعلاج الروم هــذا عليكم يوم ميشوم فدونكم والاسد الهجوم والفارس القدوم هل من مبارز هل من مناجز فهذا يوم الهزاهز ثم انه جال وأنشد وجعــل يقول هذه الأبيات :

اليوم يوم الضرب بالصفاح والطعن بالخطية الرماح
ويظهر الجد من المزاح ويصرخ الهجام فى البطاح

(قال الراوى) فلم يستتم كلامه حتى خرج اليه فارس من عسكر الروم وكان من الجزائر طوله طول قصبه وعرضه عرض مصطبه وهو مثل الجاموس وعليه ثلاث لبوس وهو راكب على جواد هائل الخلقة لا يمل من التعب ولا من المشقه وفى يده قنطاريه عليها سنان ماضى وهو على الأرواح قاضى (قال) ولم يسلم بكلام حتى أشار إلى مدلاج وحمل لحمل مدلاج أيضا وطلع عليهما الغبار وتقسطل العجاج وتطاعنا بالرماح ساعة زمانيه حتى أيس كل واحد منهما من الوصول إلى صاحبه ثم انهما قد أرميا الرمحين واخترطا بأيديهما السيفين وقد خرج منهما ضربتين فسبقه الرومى بالضربه فبطلها العبسى وضربه على عاتقه أطلع السيف يلمع من علايقه وخرج اليه ثانى وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وثامن وتاسع وعاشر ولم يزال يقتل منهما واحد بعد واحد إلى ان قتل فى نهاره خمسة وثمانين واحــد من البطارقة الكلاب الزنادقه (قال) فعندذلك هللوا وكبروا المسلمين وصلبوا على وجوههم المشركين وقالوا أصحاب الاقاليم لاشك ان اسود بنى كلاب قد أخرجوه من الحبس والملك يحرون قد تعجب من فعاله وأموره وأعماله وقال وحق المسيح ماهو إلا فارس حلو الشمائل فما يقال لذلك الفارس فقالوا له قومه ماندرى ان كان هو أسود بنى كلاب اوغيره (قال) ثم انهم جعلوا يحدثوه بحديث الامير عبدالوهاب وقوته وأفعاله وهو يتعجب من ذلك غاية العجب ثم قالوا ما للسلطان هذا عقل ولا بصيره مادام انه يفعل فى حق هذا الغلام هذه الفعال ولو كان فيكم أنتم من يأخذ هذا الفارس الذى نكل اليوم بالأبطال لاعطيته ما احب من القرى والأموال وأما أنا فما أعين نفسى عن الخروج اليه والهجوم عليه الا اننى قد أعطيت السلطنة حقها وما خرجت فى يومى هذا الا اننى أبرز إلى حومة الميدان ومحل الضرب والقتال والطعان وأطلب براز خليفة المسلمين وأقاتله بين هذه العساكر المجتمعين (قال الراوى) وكان الظلام قد قبل وانسدل واختلط القتال بالظلام ورجعت العساكر إلى المضارب والخيام وقد نزلت فى مكانها واضرمت نيرانها هذا وقد ادعى المعتصم بالله بالامير مدلاج وخلع عليه خلعة سنيه وأمده بالخيول

الملاح العربية وأعطاه خمسة آلاف دينار مصريه وقال لارباب دولته ها قد أخلف الله علينا الامير عبد الوهاب إلى هـــذا الفعال والضراب فقال عقبة يامولانا ومن هو عبدالوهاب فى مقابلة هذا الأسد الوثاب وانما كان الأمير عبد الوهاب يستعين بحيلة هذا الشيطان المكار المختال الامير أبو محمد البطال ويتكل على قتال السودان الانذال وهذا فى يوم واحد من الايام قد فعل ما أبصرته وقتل خمسة وثمانين من الرجال (قال) فعند ذلك فرح المعتصم بالله بذلك الخطاب والمقال وقال هذا على رغم أنف الامير أبو محمد البطال الذى يقول ان ما ينتج الزمان بمثل الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا كله يجرى من المعتصم بالله وفى قلب عقبة من الامير مدلاج نار لا تطفى ولهيب لايخفى (قال) ثم ان عقبة أنفذ الى الملك بحرون يقول له لقد رحم دين المسيح ودين النصرانيه بك ونصرهم على دين لحنيفية غير ان قلبى قد آلمنى من هذا الشيطان الذى قدقتل هذا اليوم الابطال ونكل بالرجال الاقيال وماكان ينجده فى العسكر فارس مذكور ولا بطل من الابطال مشهور وان كنتم أنتم ما تقدرون عليه فأنا أعمل على قتله والسلام (قال الراوى) فلما وصل رسول عقبه الى عند الملك بحرون فقال ياويلكم من هذ الذى براسلنا مراسل الاذلال من عند المسلمين الموحدين (قال) فأعادوا عليه خواص أهل مدينة القسطنطونيه قصه عقبه وفعاله وأموره وأعماله مع ابناء الروم وانه حجة المسيح فى دياره فقال لهم الملك بحرون ولماذا يقعد عند المسلمين دون الروم فقالوا له قومه حتى يدبر عليهم الحيل فقال الملك بحرون هذا وحق المسيح والدين الصحيح من جهل ملوكهم والا ولو كان فيهم نصفة لما كان هـذا الرجل عندهم بل كانوا يفتحون الديار والبلاد وقد استغنوا عن العيون وغيرها (قال الراوى)الى هذا الكلام ثم انهم باتوا الجميع على مثل ذلك العمل والرواح الى ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الأمم فكان أول من خرج إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب كان الأمير مدلاج العبسى وجعل يطلب البراز من الروم (قال) فلم يخرج اليه أحد لا أبيض ولا أسود فعندها صاح بهم الملك بحرون صوتا أرعبهم وخبلهم وصرخ بجواده فخرج من تحته كانه البرق الخاطف أو السحاب الواكف ثم انه وقف بين الصفين وكشف رأسه بين المعشرين وأعطى إلى غلمانه لباسه وبقى عاريا بالسراويل الذى كان عليه وقبض بيده على قنطاريه لاتحملها خمس رجال وأشار بيده إلى الأمير مدلاج وحمل عليه (قال) وكانت الروم لما حمل الملك بحرون ترجلت بين يديه مائة ألف من البطارقة فعرف المسلمون أن الروم مايفعلون تلك الفعال إلا الملك من ملوكهم وهو الملك بحرون هذا وقد عرف الأمير مدلاج

العبسى ذلك فقال هذا اليوم يكون سبب الغنائم ثم انه حمل وهو يقول هذه الأبيات

رويدك يا بحرون قد لاقاك ضيغما ... يصول على كل الانام الادانيا
أنا فارس الهيجاء مدلاج والذى ... له صولة فى الحرب إذ كان عاديا
سأنصر دين الهاشمى محمدا ... نبى كريم جاء للحق هاديا
وما عادتى إلا اقتناص أسودها ... إذا برزوا نحوى بحسن فعاليا
وفى يومنا هذا ترى الجمع فعلنا ... إذا ما التقينا بالقنا والمواضيا

(قال الراوى) هذا وقد حمل بعضها على بعض وتكافحا كانهما جبلين تصادما أو بحرين تلاطما ساعة زمانية من النهار ثم انقض عليه الملك بحرون وقد بطل عليه مضاربه وسد مذاهبه ولازقه وضايقه حتى حك ركابه بركابه ومد يده إلى أطواقه أخذه أسير وقاده ذليلا حقير فعند ذلك نظرت الناس إلى الأمير مدلاج العبسى وهو فى يد الملك بحرون كانه الطفل الصغير فعندها أتوه عشرة من البطارقة فسلمه من يده إليهم وطلب البراز وسال الانجاز فخرج اليه واحد بعد واحد حتى أسر منهم اربعين وقتل منهم خمسين وانسدل عليهم الظلام وباتت الناس على مثل ذلك العمل والرواح إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ثم ركبوا الروم اللاعين وركبت المسلمين الموحدين وأرادوا البراز فحملت الخيل بركابها وحملت الجيشان وتصادمت الفريقان وتطايرت الرؤس عن الأبدان وعمل الصارم اليمان وصارت الأرض وردة كالدهان وعضت الخيل على لجمها وعرقت أجسادها وعطشت أكبادها وفارقت الأرواح والأشباح وقد تقصفت الرماح وتثلمت بأيديهما الصفاح وجال البطل الجحجاح ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وقد ملكت الروم أكثر مضارب الامام المعتصم بالله وقد تأسف وندم على قدومه إلى هذا العسكر الخشن (قال الراوى) ولما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أرسل عقبة إلى الملك بحرون يقول له مابقى فى القصة إلا أن تفعل اليوم مثلما قد فعلت أمس وقد بلغنا المنى ومايرجع المسلمون يجتمعون فى مثل هذا العسكر أبدا وتملك البلاد وتأخذ العباد وهذا الذى كنت أطلبه من السيد المسيح لعلى من كلمة الإسلام والتوحيد أستريح (قال الراوى) هذا وقد ركب المعتصم بالله الإمام على نية الخروج إلى الملك بحرون فى يومه فكان أول من فتح باب الحرب وموقف الطعن والضرب وقد هزته النخوة العباسية والقرابة النبوية ثم انه ظهر راكب على جواد مليح صافى الجوهر رائق المنظر ويفوت البصر يسوى من المال عشر بدر وعليه الصفة التى قد ذكرناها من آثار سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم

(قال) ثم أنه وقف بين الصفين ونادى بالملك بحرون فخرج وعليه الصفة التى قد تقدم ذكرها وقد ترجلت بين يديه الارمن والدوقش والانجاز والمغلبيط والافرنج وسائر أجناس الروم والقساسة والشمامسة ورجال الجزائر ونظروا الناس اليه وهو فى أوساطهم يعلوهم بعظم قامته وهول خلقته (قال) وكان له هيبة عظيمة لم تكن لأحد من الملوك ثم انه سار حتى قارب المعتصم بالله وكان أمير المؤمنين المعتصم بالله قد قال لقومه لا تنظرون الى ولا تقولون هذا المعتصم بالله أمير المؤمنين الخليفة فأنا ما أدرى أن تكون الغلبة لى او على فان كانت لى فهو الذى أريدوان كانت على كنت أسيرا فأنا أرجو من الله عز وجل الخلاص وان كنت قتيلا فدبروا أموركم وارحلوا والا ما يبقى منكم أحد لا أبيض ولا أسود (قال) وكان المعتصم بالله ظن أن هذا الكلام لا يخفى عن المشركين (قال) وكان الملعون عقبة اللعين لعنه الله لما عول المعتصم على البراز أرسل الى الملك بحرون يخبره بخبره ويقول له ان قدرت على قتله لا تبقى عليه ولا يكون له دواء الا السيف فما هو الا أن تلطخ الأرض بدمه وما يبقى أحد من قومه وتملك الأرض ذات الطول والعرض وكان عقبة قد ختم الكتاب بهذه الأبيات يقول :

حمدت المسيح على فعله ... باظهاره الملك فى أهله
وأخذ البلاد وقتل العباد ... من المسلمين على فضله
ونصرة بحرون فى جيشه ... وعزمته اليوم فى رجله
وقد عول اليوم يغشاكم ... خليفتهم فهو من جهله
فلا تقعدوا اليوم عن ضربه ... ولا تمنع السيف من قتله
فما يبقوا الناس من بعده ... اذ حكم السيف فى متنه
أنا عقبة الخير لابد لى ... أملكك الوعر مع سهله
واضرب ناقوس دين المسيح ... على قبة العز فى قصره

(قال الراوى) فلما وصل الكتاب الى الملك بحرون فقال وحق المسيح أنا لقد اشتقت الى لقاء هذا الشيخ النجيح وأريد أجعله من تحت يد وزيرى مذبحون لأنه صاحب سرى وشريكى فى أمرى ويكون هذا الشيخ النجيح مدبر ملوك الروم (قال الراوى) ثم أنه خرج الى الامام المعتصم بالله وكان أشوق الناس الى لقاه واذا وقع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وقد ذكرنا اليكم ان سائر بنى العباس ما كان فيهم مثل المعتصم بالله فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب (قال) فتساويا فى ذلك الموقف وقد شخصت نحوهم الأبصار والأحداق وقامت الحرب بينهم على قدم

وساق وصعب ذلك على المسلمين وقد ضجت الموحدين وقالوا ماهذا صواب أن يكون هذا الملعون بحرون فى مقابلة أمـــير المؤمنين وابن عم خاتم النبيين محمد رسول رب العالمين ثم انهم عولوا على الحمله بأسرهم من غير اختيار المعتصم بالله (قال) وإذا قد خرج من عسكر الاكراد الأمير أبو المهندسين ابن خشترين وكان فارسا لايطاق وعلقما مر المذاق وكان أفرس من الأمير مدلاج (قال) وكان عقبة يبغض لهذا الرجل الكردى لأنه كان يمدح الأمير عبد الوهاب بين يدى المعتصم بالله وكان يقول يا أمير المؤمنين ما كان يجوز لأحد أن يفرط فى مثل الأمير عبد الوهاب ولا فى مثل الأميره ذات الهمة فان كان له سيئة واحدة فله ألف حسنة لأن أمير المؤمنين مثل هذا الرجل لاينكر فعله ولا يوجد يوم الهياج مثله وبالله العظيم أقسم أننى قد مارسته فى الحرب ولاقيته فى الطعن والضرب وكنت أقول اننى أنا أشد منه بأسا وأقوى مراسا وأنا ماأصدق ذلك الكلام لأن العرب والعجم والترك والديلم وسائر الأمم قد اجمعوا رأيهم أنه فارس هذا الزمان ونتيجة العصر والأوان وحاوى قصب الرهان وأدين أهل هذا الزمان والأوان وإلا ومن يكون هذه الصفة صفته فقد كان جيدا أن يعفى عنه ويتجاوز السلطان عن خطيئته (قال الراوى) وكان المعتصم بالله إذا سمع ذلك الكلام منه ينكسر غيظه وغضبه على الأمير عبد الوهاب وكان يقول أنا ما أدرى هل هم فى عافيه أم هم ميتون ولقد كان العفو عنهم أليق وتركهم لمثل هذا الوقت أوفق (قال) وكان عقبة إذا سمع ذلك الكلام يعظم عليه ويكبر لديه ويقول فى نفسه من أين أتى هذا الشيطان وحق المسيح لوكان هذا الكلام يبقى فى قلب المعتصم بالله كنت قد هلكت وكان عقبة لايرفع لهذا الرجل الكردى رأس ولا يعلوه بين الناس (قال) فلما أن كان فى ذلك اليوم آخذت الرجل الكردى الحمية فى دين الله عز وجل (قال الراوى) إلى هذا الكلام وكان فى كف أبو المهند حسام مهند يقطع الدروع الداودية ولا يبقى على جيشن ولازرديه وبيده رمح طويل وعليه سنان مثل القنديل ثم انه صاح بجواده فخرج من تحته كانه الماء إذا اندفق وقد سبق المعتصم بالله إلى الملك بحرون لأن المعتصم بالله كان قد خرج خروج الهوينا خروج الخلافة وترك العجلة هذا وإن الملك بحرون لما نظر إلى أبو المهند علم أنه فارس شديد وبطل صنديد فحمل عليه طمعا أن يقتل ذلك الفارس ثم ان أبو المهند حمل على الملك بحرون وقد أشار ينشد ويقول هذه الأبيات

أيا بحرون جاك الموت حقا ... وعاجلك الحمام بغير شكا

بكف أبو المهند عن قريب ... وتصبح فى قمار الأرض هلكا

قصدت إلى الثغور فصرت فيها   لتحويها يديك بغير ملكا
ولو كان الأمير بها مقيما   لكنت مقصرا عن أخذ تلك
يعز على أن يضحى رهينا   ويجلس فى المحبوس بغير إفكا
ومافى الارض من يحكيه فضلا   من الاعراب مع عجم وتركا
سأبذل مهجتى فى الله صدقا   وانصر دينه من غير شكا
وأنصر للخليفة فى مقامى   ولو كان الحمام بغير شكا

(قال الراوى) ثم ان أبو المهند حمل على الملك بحرون وحمل الملك بحرون عليه من غير كلام ولا نظام وأخذوا فى الصدام والملازمة والمداومة والانطراح على صدور الرماح وشفار الصفاح ونظرت الناس الى بطلين عظيمين لم يوجد مثلهما فى الخافقين ولا فى الفريقين وحمى الحديد على الابدان وملت السواعد من الطعان والا كف من ضرب الحسام اليمان والخيل من الجولان والمسلمون قد ضجوا من قراءة القرآن والروم قد دقت النواقيس وزمجرت الرهبان والقسوس وحنق الملك بحرون على أبو المهند فلم يقدر عليه ولا وصل اليه حتى نزلت إحدى يدى جواده فى جحر اليربوع وقد أشرف أبو المهند على الوقوع (قال) فعند ذلك انقض عليه الملك بحرون فأخذه من بحر سرجه كانه العصفور وسلمه الى أصحابه ماسور (قال) فعندها اضطرب عسكر المعتصم بالله وقد صاح الإمام المعتصم بالله ضجة هاشمية وحمل على الملك بحرون وهو ينشد ويقول

رويدك هذا اليوم والحرب شيمتى   وما كنت عن يوم الكريهة وافيا
أنا ابن كرام الاصل من نسل أحمد   نبى الهدى المبعوث للخلق هاديا
أنا ابن حماة المجد من آل هاشم   إذا ما بدت تحت الغبار العواليا
أنا لست أخشى الموت فى حمى الوغا   إذا عطعطت أبطالها بالاعاديا
وأنصر دين الله فهو معظم   وربى عظيم واحد ليس له ثانيا
منزه عن ابن وبنت وزوجة   تبارك ربى عن شبيه مضاديا
لقد ضل عبدا كان بالله مشركا   وقد قام فينا أحمد الطهر هاديا
لعمرى لقد أسأت الفعل فى خير سادة   كرام لهم فى الحرب فعلا مساويا
ولو كان حاضر منهم اليوم فارسا   لكنت قصيرا عن لقاء كاتيا

(قال الراوى) وقد حمل كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا حتى علا عليهما الغبار وغاب عن الابصار وقد مالت الميمنة على الميسرة من كل جانب ومكان ووقع الصياح

والصراخ فى عسكر العراق وقد ترجلوا الفقهاء والقراء والعلماء وعقبة سائر فى أوائلهم وهم يدعون الله عز وجل أن ينصر الإمام المعتصم بالله وينادون وعدك وعدك يا من لاتخلف الميعاد وقد زاد الغبار وقد حل بالمعتصم بالله الانبهار وأشرف عليه الملك بحرون وما بقى غير أخذه (قال) فعندها تصايحت المواكب وتزاعقت الكتايب وحملت من كل مكان وجانب وعملت الصـــوارم وقد قطعت الجماجم وخاضت الخيل فى البطون وقد دارت طاحون المنون وزهقت النفوس وطارت الرؤس ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وافترق الجيشان وقد طلبوا الملك بحرون فلم يجدوا له خبر ولا وقفوا على جلية أثر

(قال الراوى) فعندها شوش عساكر الروم فقال لهم الوزير مذبحون يا ويلكم إن كان الملك بحرون قد قتل فأنا ما مت وأنا فى هذه الليلة أكشف لكم الخبر فاكفوا أمره وإلا تفلل العسكر (قال الراوى) ثم ان مذبحون استخلف الترك لأنه يعلم أن الروم لايخرجون عن رأيه ولاعن مشورته ثم إنه لبس ثياب أبو المهند الكردى وخرج من عساكر الروم إلى عساكر المسلمين وصار يستنشق الأخبار حتى إنه صار بالقرب من عساكر المعتصم بالله فوجده جالس وأرباب الدولة حوله وعقبة يقول اعلموا أن الله عز وجل قد نصرنا عليهم بهذا الجبار الذى أسرناه الذى ما فى ملوك الروم مثله قال وكان الملك بحرون مقيد بين يدى المعتصم بالله (قال) وكان السبب فى ذلك أنه لما حمل الملك بحرون فى طلب المعتصم بالله انطبقت عليه أبناء الترك وصاروا يرموه من أيديهما بالسهام فلا تعمل فيه شيأ وذلك لما عليه من الزرد واللباس فرموا جواده من تحته وطرحوه إلى الأرض ثم انهم أخذوه أسيرا بعد ماتكاثروا عليه وأحضروه بين يدى المعتصم بالله فلما جلس على سريره فقال له أرباب الدولة يا أمير المؤمنين اقتله فان فى قتله تعويق هذه العساكر فقال لهم نعم مارأيتم ولكن فى غداة غد أقتله فقال الملعون عقبة ماهذا صواب لأن الحرب تعد على حالها وما ندرى مايكون منا ومنهم فالرأى أن تبقيه إلى أن ترى مايكون فقال لهم سنفعل ذلك إن شاء الله تعالى هذا وعقبة يجول فى ميدان فكرته ويدبر كيف انه يخلصه ثم ان المعتصم بالله وكل به ألف فارس فأحاطت به الرجال وبقى عقبة يطلب غفلة أو فرصة قال فعند ذلك دنا الوزير مذبحون من السرادق وإذا ببعض الخدم قد خرج لقضاء حاجة فتبعه الوزير مذبحون فلم يشعر به حتى انه قبض عليه ونزع ثيابه فلبسها وعاد كأنه الخدم بعد ماقتله ودفنه ولم ينكر أحدا عليه ودخل إلى بيت الحريم فوجدهم الجميع نيام والمعتصم بالله من شدة التعب والنصب مثل القتيل قال فدنا منه وقد

طرح الاكرة فى فيه وشد يديه إلى رجليه وحمله على كاهله وخرج به وقد أيقن بالسلامة وإذا هو قد رأى عشر رجال وهم بالسيوف الطوال وهم يرتقبون خروجه فلما عاينهم لم يكن له سبيل إلى الهرب فقال لهم وقد قوى عزمه من أنتم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملعون عقبة عرض على خلاص الملك بحرون فلم يجد إليه سبيلا فأرسل إلى الروم يطلب عشر رجال من العرب المتنصرة فما مضى من الليل ساعة إلا وقد أتوا فقال لهم أنا ماأنفذت خلفكم إلا لسبب خلاص الملك وما صار إلى فى هذه الليلة سبيل والمعتصم بالله فما عنده من السرقة خبر وما فى الأمر إلا انى سرقته قد خلص الملك بحرون ثم سار معهم إلى ذلك المكان الذى فيه المعتصم بالله ووقف يسمع ان كان المعتصم بالله يحس بهم أم لا فرأى القوم نيام (قال الراى) فهو كذلك وإذا بمذبحون قد خرج وكانوا المتنصرة معه وأخبروا الملعون عقبه بان الوزير مذبحون قد دخل إلى عساكر المسلمين فلما رأوه وقد خرج وناداهم فعرفوه وقالوا له نحن من أصحابك فعندها فرح وقد سلم المعتصم بالله إليهم فقال لهم الملعون عقبة أمضوا به إلى العسكر فاذا خلصتم وسمعتم الصياح من عندنا فامروا البطارقة أن تركب وتحمل أيضا طالبة السرادق فهذه ليلة الانفصال قال فضوا المتنصرة وقال الملعون عقبة لمذبحون ياولدى ماذا عولت عليه فقال له عولت ان أكون قريبا من الملك بحرون ونسير بعض غلمانه يسير الى عساكر المسلمين وينادى معاشر المسلمين قد أسر خليفتكم المعتصم بالله الامام فاذا شاش العسكر اخلص الملك بحرون فى ذلك الوقت ففعل الملعون عقبة ما أمره وفعل الغلام هذه الفعال وصاح فى العسكر فشاش وعلا الصياح والعياط من كل جانب ومكان قال فعند ذلك ركبت الروم وتبادرت الخيل فى ظلام الياهب وجردت القواضب وصار كل واحد منهما يأخذماخف حمله ويركب فرسه ويطلب الفرار والهرب قال وفى ذلك الوقت هجم الوزير مذبحون على الملك بحرون وخلصه من القيود ولما وصلت الخيل اليه اركبوه وأعطوه العدة الكاملة وملكوا المضارب والخيام والاثقال وانهزمت المسلمين ولم يزالوا كذلك على هذا العمل والرواح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وارتحل الملك بحرون فى أعقابهم الى أن وصل الى الموصل وكان قد انضاف اليه الملعون عقبة وعول أن يظهر نفسه ثم انه افتكر فى العاقبة وقال للملك بحرون اقصد الى أرض العراق وقد ملكت الافاق قال وكان سبب حملة الروم فى الليل كانت العرب المتنصرة لأنهم لما وذوا المعتصم بالله أعلموهم ففعلوا ذلك وكان حامله قد انقطع خلفهم وسيقوه التسعة رجال وقد تعب به ومن خوفه أن تعلم به المسلمين ويعلمون به قطع به فى عقبة عالية فمن

ثقل المعتصم بالله وقع به عند رأس القبة فقدخرج الى أسفل العقبة وما وصل الى وجه الأرض الا وقد انقطع كتافه ووثب الرجل المتنصر فوجده قائما فانهزم فلحقه الامام المعتصم بالله ومسكه من رجليه أرماه ولم يكن معه مايقتله به فلم يزال يخنقه الى أن مات وفات فيه الفوات وسار طالب عسكرهم فوجدهم قد انهزموا فتحير فى نفسه قال واذا ببعض الروم قد انقطع حزام فرسه فنزل ليصلحه فوثب عليه المعتصم بالله وامسكه فقتله وركب على ظهر جواده وطلب النجاة لنفسه ولحق بعسكره ودخل الى الموصل واما أن رآوه أرباب الدولة فرحوا به وسألوه عن حاله وعن أمره فاخبرهم بالقصة وماتم عليه فقالوا له ماكنا نعرف هذه الفعال والأمور والأعمال الا فى الامير أبو محمد البطال وما هذا الا أمر عجيب وحال غريب .

﴿ تم الجزء الحادى والاربعون ويليه الجزء الثانى والاربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وغوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثانى والاربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده يا كرام هذا وقد سألهم المعتصم بالله عن عقبة فقالوا له والله مالنا به علم ولاخبر قال فضاق صدره لذلك الخبر وأيقن ان دولته قد زالت وعلم ان الروم تابعة له فخرج إلى ظاهر البلد امله أن يجمع العساكر فوجد أكثرهم قد دخل العراق وطلبها فدخل البلد ودخل عليه الأمير نوفل بن أحمد فى خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس قال فعندها فرح المعتصم بالله فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقد وعده بكل جميل وكان هذا الرجل فارس عظيم وفيه دين زائد وأقاموا ينتظرون الروم وإذا بعساكر الملك بحرون قد أقبلت ونزلت فسدت الأرض ذات الطول والعرض هذا والمعتصم بالله قد عول على لقاه وجمع كل من فى الموصل من المهزمين وانضافت اليه العساكر الوافده وخرجوا إلى قتال الملك بحرون واصطفت الصفوف وتزايدت الالوف وحمل الملك بحرون وطلب البراز قال فخرج اليه نوفل بن أحمد راكب على جواد صبور على القتال والجلاد رفيع العماد (قال الراوى) فلما صار فى الميدان صال وجال وأنشد وقال :

سأحمى عن المولى الخليفة طاقتى ... وآخذ بحرونا أسيرا مذللا
وأنكس جيش الروم ياقوم سرعة ... وانصر خير الخلق ياطه المرسلا
محمد الهادى عليه صلاتنا ... ومازال مكروما مهابا مفضلا

فدونك يابحرون حربى فاننى أرى الموت فى الهيجاء أعلا وأنيلا

(قال الراوى) فلم يرض الملك بحرون أن يخرج اليه بل أنه قد قال لبعض البطارقة دونك وإياه فخرج اليه بطريق كأنه الفتيق راكب على جواد كانه الحريق فتطاعنا مليا وتضاربا وفيا فعند ذلك طعنه نوفل فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره وجال وصال ثم انه أنشد وجعل يقول :

ألا أيها الكفار بالله دونكم قتل غلام لا يمل من الضرب
يقول بأن الله لاشك وحد إله البرايا والشروق مع الغرب
سأفنيكم فى حومة الحرب سرعة بأسمر عسال مع الأبيض العضب

(قال الراوى) وحمل عليه فارس من العرب المتنصرة وهو راكب على جواد أدهم مثل الغراب وهو ململم فهمهم ودمدم وقد أشار ينشد ويقول هذه الأبيات :

ألا أيها المحتال فى حومة الوغا ستعلم أنى لا أمل من الضرب
أنا الفارس المعروف فى حومة الوغا إذا نفرت نفس الجبان من الهرب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما سمع الأمير نوفل ذلك الكلام حمل عليه بنية صادقة وقد ضربه ضربة قاطعة ماحقة طيرت رأسه وصارت على الأرض مطلقة وقد وقع جديلا وهو قتيلا يخور فى دماه فجال على شلوه وطلب البراز فعندها خرج اليه أخو المقتول وقد أنشد وجعل يقول :

أيا نوفل لاقرب الله شخصه قتلت أخى وهو الكمى المحاميا
لقد كان عبدا دينا غير قاصر ويسجد للصلبان والليل هاديا
ومن بعد ذاكم قد أباد موحدا وكم مسلما ألقاه بالسيف هاويا
لا تتقمن اليوم منكم لأننى سآخذ بالثار الذى كان ناديا
وإنى على ماكان من أجل دينه سأضرب أيضا طالبا لنجاتيا

(قال الراوى) فعند ذلك قطع عليه الأمير نوفل شعره وذلك من شدة كفره ولعنته وقد عجل عليه بطعنة فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره (قال) ولم يزل يخرج اليه فارسا بعد فارس حتى قتل خمسة وثلاثين فارس هــذا وقد انسدل الظلام واختلط القتام ودخل الأمير نوفل على المعتصم بالله الامام فخلع عليه وأعطاه مالا جزيلا فقال له الأمير نوفل يا أمير المؤمنين أنا ما أريد إلا الشهادة لأنها عندى أعظم السعادة لأن لى أم كبيرة كلما خرجت إلى الغزاه وعدت اليها سالما غانما تقول لى يابنى لو كنت سعيدا لكنت تصير شهيدا وأنا أؤمل من الله تعالى السعادة والشهادة

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما بات الأمير نوفل فى تلك الليلة رأى فى منامه ولذيذ أحلامه كأن حورية قد أقبلت عليه وقالت له يافتى ماتكون ضيفنا وأنا أكون زوجتك فقال لها وما يكون مهركى فقالت له الصبر على ضرب السيوف وطعن الرماح فى سبيل الله تعالى فقال لها فى غداة غد أكون عندكى إن شاء الله تعالى (قال الراوى) فلما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلع الشمس على رؤس الروابى والبطاح وسلمت على قامة سيد الملاح ركب الخليفة المعتصم بالله الامام وركبت المسلمين وكبرت أبطال الموحدين وصهلت الخيول ولم ينم الملك بحرون تلك الليلة بل أنه صار يتحدث فى فروسية الأمير نوفل وهو يقول وحق المسيح ما علمت أنه بهذه الشجاعة إلى هذا الحد كله وإلا كنت أول مبارز يبارزه ولا كان أفنى عباد المسيح هذا وقد برز الأمير نوفل طالب القتال والحرب والطعن والنزال فخرج اليه فارس من العرب المتنصره فقتله وبطريق من الروم فجندله فعند ذلك خرج اليه الملك بحرون بنفسه وحمل عليه حملة منكرة فالتقاه الامير نوفل بقلب قوى وجنان جرى وهو ينشد ويقول :

ألا مخبرا عنى العجوز بأننى أكون شهيدا كى أنال مراديا
ومن طلب الحوراء قدم مهرها فيصبر على ضرب الحسام اليمانيا
فما مات من كان فى الله قتله فطوبى له لاقا نعيما موافيا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وتطاعنا وتضاربا فعندها سبقه الملك بحرون بطعنة فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد ميتا لوقته وساعته وقد عجل الله بروحه إلى الجنه ودار الرحمة والمنة فعندها حملت الروم وحملت المسلمين وعمل السيف الصقيل والرمح الطويل وبقيت الرجال تزحف والأرواح تعطف والآدمية تنزف والسيوف تدرف وزاد الأمر وعيل الصبر وانكسرت العساكر وتخلت عن الخليفة الامام فعند ذلك هجم الملك بحرون فى خمسة آلاف فارس على موكب الخليفة الامام وأحدق به وقد افترقت الناس عنه ثم أنه قاربه ودنا منه وقبض بيده على أطواقه وجذبه اليه أخذه أسير وأقام يقاتل وقتل من الروم خلق كثير ولولا أن فرس المعتصم بالله اندقت رجله فى حفرة من حفائر الارض لكان قد قاتل بقية نهاره وربما كان سلم وفرح الملك بحرون بأخذ المعتصم بالله وباتوا ليلتهم إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وزحف إلى البلد فقاتلوه وألصق بالابراج فما قام إلا ساعة من النهار وقد هجم اليه وفتحه ثم نادى

برفيع من صوته ياويلكم لاتنهبوا ولا تقتلوا فان البلاد بلادى والرعية رعيتى ومابقى لهم سلطان غيرى ثم عول على الخروج إلى العراق بعد ان أنفذ المعتصم بالله مع ألف بطريق من البطارقة إلى أرض القسطنطونيه وساروا حتى وصلوا إلى تكريت ووصلت الاخبار إلى العراق ونادت العوام والله هذه المصيبة العظمى ان تكون أبطال المسلمين والاسلام وسباعها وليوثها فى الحبوس وتأخذ الروم من بيوتنا والله مانصبر على هذا ولا كرامة ولا عزازه (قال الراوى) ثم انهم اجتمعوا فى خمسمائة ألف عامى وقد أقلبوا الأرض بالصياح والعياط فعند ذلك سمعت السيدة زبيده ذلك الامر فقالت لهم ياقوم ماالخبر فأخبرت بالحال وأن المعتصم بالله الامام قدأخذ وأسر وان البلاد قد ملكت إلى تكريت وكانكى بالروم فى غد أو بعــــده هجموا علينا فى بغداد فعند ذلك قامت عليها القيامه وكثرت عليها الحسرة والندامه وقالت يا ويلكم فماسبب صياح العوام فقالوا لها يريدون ان يخربون القصر ويخرجون الامير عبد الوهاب وأصحابه السادات الانجاب وكذلك الامير أبو محمد البطال والاميرة ذات الهمة وسائر الرجال يكونوا قبالة للروم الملاعين الانذال فلعل الله تعالى ان يجعـــل الفرج على أيديهم وقالت السيدة زبيدة ومن غير مايفعلون أنا كنت معوله على ذلك (قال الراوى) ثم جازوا على المطمورة ففتحوها وكانوا الاسرى فى تلك الساعة يتحدثون وما عندهم من هذه الامور خبر والامير عبد الوهاب يقول ترى لنا من هذه المطمورة فرج أو من ضيقنا مخرج فلقد طال بكانا ههنا ولا فرج برحنا ولا صوت بدهمنا ثم أنشد وجعل يقول :

اذا حبسوا مثلى زمانا فانهم ... يلاقون هذا البغى والله مسرعا
فيا لت هذا الجيش فى معرك الوغا ... وأصبح مقتولا بسيفى مضيعا
وأعطى ثواب الله ان كنت قاتلا ... وان كنت مقتولا فاعلى وارفعا
لقد مضت الأعوام والقوم كلهم ... يريدون سجنى والمواضع شجعا
فيالهف قلبى أن أكون مقيدا ... ويصبح هذا السجن للجسم موضعا
ولقد بلغ الملعون عقبه جهده ... ونال برغمى ما أنال وأقلعا
فان يحبسونى فالجواهر دائما ... تكون لها الاصداف دارا ومرتعا
فياهل ترى فى جنة الخلد ونلتقى ... بذا لهمة يوم السرور ونجمعا
تراها ترانى بعد طول مغيبنا ... وقد علمت انى أعيش مضيعا
لئن منعونى سوف يبغون نصرتى ... اذا دهمتهم فى المعامع شرعا
وكرت عليهم صافنا عدوهم ... فروعت الابطال والقلب مصدعا

وما هذه الدنيا الدنية والاسا   لقلب امرئ فيها يرق ويخشعا
وماهى الا السجن حقا كمثلها   لقول رسول الله الحق يصدعا
فياليت من عندى يكون مخلصا   ودع يحبسونى أو أموت مودعا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما سمع الامير سيف الحنيفية شعر أبيه الأمير عبد الوهاب بكى بكاء شديدا ماعليه من مزيد وأنشد يقول :

لئن ضيعوا هذا الهمام الصميدعا   فقد أسرفوا والله فى الظلم شرعا
واصبحت الاطلال منا خواليا   ودارا ألفناها من الأهل بلقعا
وما ذنبنا الا بان قلوبنا   صحاح بصدق الدين والضيم مدفعا
أضاعوك يامولاى والله عامدا   ومثلك حقا لا يكون مضيعا
إلى كم يكون الحبس فى أرض ظالمة   وعقبة يغويهم بنا وهو مولعا
ولو أنصفونا ماراوا واحدا لهم   يكون أسيرا أو يكون مروعا
لانى اذا ماكنت يوما مخلصا   فلا يطمع الواشون فيمن أودعا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فعندها بكى الأمير أبو محمد البطال من شدة العبرة والاذلال وأشار ينشد ويقول :

لقد أصبحت مأسورا   بقيد بعد اغلالى
وقد لاقيت أهوالا   تنسى كل أهوالى
وقد أصبحت فى أسر   ذليلا بعد اجلالى
وقد لاقيت من دهرى   كثيرا غير اقلال
وما أبصرت طول الدهر   مثل اليوم فى مالى
وقد أمسيت مسجونا   وفقد الاهل والمال
وانى كنت محتالا   وما مثلى بمحتال
أنا البطال قد أصبحت   بطالا من أعمالى
بلاد الروم فى أمن   لأنى غير جوال
وعقبة فى مسرته   عزيزا خالى البالى
فان كانت لنا دول   سيلقى شوم أفعالى
وأسرق كل ما فى القصر   من خز ومن مال
وأضرم نار مجتهدا   وأحرق كل قتال
وأحرق سوق بغداد   وأفنى كل قوال

وأحرق أرض موصلهم وأرض سامر باعجال
وأترك بصرة صفرا بلا قاض ولا والى
فهذا نسبتى فيهم وهذا طالع الفال

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فعندها ضحك الأمير عبد الوهاب وكذلك سائر الأمراء من وسط الغيظ وقال الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد سائر الناس مالهم عندنا ذنب وما يعلمون القصة وباطنها وما المصيبة كلها إلا فى رقبة عقبة لعنه الله لانه قال ما قد قال وأنت تعلم أن الدنيا محبوبة وإن الناس يرون شيخا عالما يقرأ القرآن ويعظم الرحيم الرحمن ويتهجد مصليا قواما وبالنهار صواما ويحالى بيت الله الحرام فى كل عام ويزور قبر سيدنا وحبيبنا ومولانا محمدا عليه من الله أفضل الصلاة وأتم السلام ولا يعلمون منه غير هذا الكلام ويقولون انه يمشى على الماء وانه قطب الدنيا وما يعلمون أنه منافق ملعون كذاب وأن للناس الظاهر والله سبحانه وتعالى متولى السرائر فلا تجعل الذنب إلا له ولا تتهم أحدا من العباد غيره لكن ان فرج الله سبحانه وتعالى عنا فما يبقى لنا فى هذه الديار مقام ولا نخدم بعدها سلطان ولا امام ولا نريد غزاه ونمضى إلى بلاد الحجاز ونكون هنالك مجتمعين إلى أن يأتينا الموت فان كان الحجاز لا يطيب لنا فيه المقام قصدنا إلى بلد الروم وفتحنا عموريه أو مكتوريه ونكون هناك مقيمين نأكل من مكسب الروم ونأخذ الجزية التى ترفع فى كل عام إلى الخليفة المعتصم بالله الامام ونحن أحق بها وان كانت الأخرى وليس لنا من هذا المكان خلاص فالله تعالى يأخذ حقنا ويعلم اننا مظلومين وهو يفعل مايشاء ويحكم مايريد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهما على مثل ذلك الكلام وإذا بباب المطمورة قد فتح عليهم وقائلا يقول ابشروا بالفرج من عند صاحب الفرج (قال الراوى) ثم انهم أخرجوا الأمراء وقد طالت شعورهم وأظفارهم وهم أيضا لايعرفون من تغير أحوالهم ونحول أجسادهم هذا وقد أحدقت بهم العوام وألبسوهم الثياب وأركبوهم الخيل العربيات وأعطوهم بأيديهم العدد وأسلموا اليهم الأموال وقد نادت أهل بغداد اعلموا أن أموالنا ورجالنا وأنفسنا بين أيديكم خذوا الآن مهما شئتم هذا وقد كثر لهم الدعاء والضجيج فبكت النسوان وصاحت الصبيان ونادوا بالأمير عبد الوهاب من كل جانب ومكان هذا وقد نظر الأمير عبد الوهاب إلى البلد وقد ماج بأهله وقد حفروا حوله الخنادق وزينوا أبراجه بالعدد والطوارق وهما على نية الحرب والقتال والضرب فقال لهم ياقوم ماشأنكم (قال) فأخبروه بالقصة وان الروم قد وصلوا إلى الموصل وملكوها وان مع الروم ملكا يقال له بحرون مانظرت قط مثله العيون

قد أباد الأبطال وجندل الاقيال وأخذ أيضا الخليفة الامام وملك أرض القسطنطونية وأخذ حصن الأمير يانس المتعزب وقد توجه إلى العراق وان دمانا كلها متعلقة فى عنقك فلا تتخلا عنا يا أمير المؤمنين وعماد الدين فقال الأمير عبد الوهاب الله تعالى ينصر الإسلام والإيمان وما نتخلا عنكم وبالله المستعان فقال الأمير أبو محمد البطال لاحيا ولا كرامة وأنت كنت فى نية صادقة على أننى أحرق بغداد وأخليها من أهلها وهذا الذى قد حل بكم من أجلنا ولأجل مافعل سلطانكم معنا وانه قد ظلمنا وسبعة أعوام حسبنا وقد رأيتم أحوالنا ولم نكن أذنبنا ونحن لا ننصركم أبدا فقال الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد يابطال فما ذنب هؤلاء المسلمين الذين طول زمانهم لنا محبين ولا يسعنا التخلف عنهم لأجل الدين وما عذرنا عند الله تعالى إذا تخلينا عن نصرتهم وملكت الروم أموالهم وسبيت ذراريهم (قال الراوى) هذا وقد اجتمعت إليه الرجال وقوم من العرب وكانوا قد وفدوا من العراق على نية الجهاد فى طاعة رب العباد وهم ألف فارس من كل بطل مداعس وقد انضاف إليه من بغداد عشرة آلاف فارس فما خرج الأمير عبد الوهاب الى وأنا وعكيرا حتى صار فى خمسين ألف فارس هذا وقد وصل إليه الأمير يونس الكردى فصار الأمير عبد الوهاب فى جيش عظيم هذا والملك بحرون قد سار وطبق الأرض فى طولها والعرض ووقعت الطلائع على الطلائع (قال الراوى) وكان فى طلائع الملك بحرون بطريق يقال له نورس ومعه ألف فارس من كل بطل مداعس وكان فى طلائع الأمير عبدالوهاب ولده الأمير سيف الحنيفية ومعه خمسين فارس من كل ليث ممارس وأسود عوابس ولما التقت الطلائع بالطلائع طمع البطريق نورس فى طلائع المسلمين وذلك لأجل قلتهم فحمل عليهم

(قال) فعند ذلك التقاه الأمير سيف الحنيفية فما طال بينهما الخطب دون أن طعنه فى صدره بالرمح أطلع السنان يلمع من ظهره (قال الراوى) فنظرت الروم إلى تلك الطعنة فصلبت بأيديها على وجوهها وصاروا بالسيد المسيح عيسى بن مريم يستغيثون وقالوا كرياليسون وحق المسيح مارأينا مثل هذه الطعنة وماهذا من بنى آدم ثم انهم حملوا عليه بغضب وحنق فجال فيهم وحمل ومعه تلك الخمسين بطل وما كانت إلا ساعة حتى قتل كل واحد منهم الأربعة والخمسة وأما الأمير سيف الحنيفية فانه قد قتل سبعة وثلاثين فارس وقد انهزمت الباقون بين أيديهم وعمل السيف فيهم إلى أن وصلوا إلى الملك بحرون وهما مائتين وخمسين بطريق وقتلت الباقون فقال لهم الملك بحرون ياويلكم ماوراكم ومن بشره رماكم فقالوا له اعلم أن وراءنا الموت الأحمر والقضاء المقدر ولقد

لقينا فارس وهو أشبه الناس بك فى خمسين فارس فقتل منا من قتل ولو وقفنا بين يديه ماكان رجع منا اليك أحد (قال) فعندها غضب الملك بحرون وسار ولو كان له أجنحة لطار إلى أن وقعت العين على العين وقد نزل الأمير عبدالوهاب فى مقابلة الملك بحرون وكان الليل قد هجم (قال) ولما نزل الأمير عبدالوهاب أتاه الجاسوس وأخبره بأن عقبة معه وهو الذى قد أشار على الملك بحرون أن يرسل السبى والأموال التى أخذهم من الموصل ومسهم الإمام المعتصم إلى القسطنطونية وقد أرسلهم فى أول الليل مع عشرين ألف فارس (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الخطاب طار عقله وقال هذا أمر لا يمكن القعود عنه وما لهذا الامر غيرى فقالت له الاميرة ذات الهمة يابنى أنا أحمل عنك مضايق الامور وأفيك بنفسي من كل محظور فى طاعة الملك الغفور ثم إن الاميرة ذات الهمة انتخبت خمسة آلاف فارس كأنهم الاسود العوابس وأخذت معها الامير أبو محمد البطال والملكة ميمونة وقالت له أيها الامير أنا مالى عنك صبر وإن الطرقات كثيرة ولا ندرى أين يسلكون وأنت أخبر بها فقال لها الامير أبو محمد البطال سمعا وطاعة وعلى أن أخلص المعتصم بالله وأوافقه على فعله وأنا أقسم لولا أن الدنيا قد اضطربت لفقده لما كنت أعمل على خلاصه ولا عاونتكم عليه (قال) ثم انه سار يقطع الارض ذات الطول والعرض وقد سلك بهم الطريق الذى سلكته أصحاب الملك بحرون وسار بهم من مواضع يعرفها حتى وصلوا إلى قرب ضيعة الارمن الكبرى فاكمن هناك وأرسل غلامه لؤلؤ وقال له اسأل أهل هذه القرية هل تعـــداهم العسكر أم لا (قال الراوى) فمضى لؤلؤ وغاب ساعة وعاد وأخبر أن القوم يقولون ماعبر بنا أحد ولا تعداهم بعد عبور الملك بحرون المنصور فعلم أنهم أصدقوه (قال) فأقامت الاميرة ذات الهمة هناك ستة أيام ولم يأتيهم أحد فقالت ياأبو محمد أخاف أن يكونوا أخذوا على السويدية إلى طريق ملطية ودخلوا إلى بلاد الروم فقال الامير أبو محمد البطال مالهم طريق إلا من هاهنا وغدا يكونوا القوم عندنا وما أقول إلا أنهم مشتغلون بنهب البلاد وخرابها ونحن فقد استرجنا (قال الراوى) وكان الملك بحرون لما أراد أن يسير المعتصم بالله ومن كان معه من الاسارى والاموال فقال له عقبة أيها الملك لا تسير معهم إلا من يكون فيه شجاعة مثلك فعندها سير معهم بطريق يقال له حيدقوس وكان أبغض ما اليه رجل مسلم وإنه سار حتى وصل إلى نصيبين فالتقاهم عسكر الخابور والشط وحلب وهم طالبـــين الجهاد والمقدم عليهم عكرمة الشطى وسعيد بن هبيبة المازنى وكل واحد منهمـا فى عشرين ألف فارس فلما وقعت العين على العين عرفت المسلمين ذلك فقالوا لابد لنا أن نرى

أرواحنا عليهم فلامل الله تعالى أن يجعل لنا سببا لخلاصهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد التقى الجمعان وتقابل العسكران والملعون حيدقوس لما رأى ذلك لم يعظم عليه ثم انه حمل فى أبطاله وفتك بالناس ومكن منهم الحسام ثلاثة أيام ولما أن كان فى اليوم الرابع خرج وطلب البراز فخرج اليه المقدم زياد وهو ينشد ويقول :

اليوم يوم الضرب بالحديد فى طاعة الملك المجيد
جل عن الاشباه والحدود وعن مقال الكافر الجحود
سأنصر الدين مع التوحيد لعل أن أظفر بالمقصود
ألقا إلهى بدمى شهيد عسى أنال جنة الخلود
فقد مضى عمرى فى التفنيد وهذه طلائع السعود

(قال الراوى) وإن البطريق لما نظر اليه احتقر به وأنفت نفسه أن يخرج اليه فخرج اليه غيره فقتله وثانى فجندله وثالث ورابع حتى قتل من الروم احدى وعشرين رجلا فعندها حمل البطريق عليه وجرى بينهما ماأشخص الابصار وحير النظار وماكان غير ساعة حتى طعنه البطريق فى صدره أطلع السنان من ظهره فمال عن جواده فبكوا عليه أصحابه وحملوا وخلصوه وهو فى آخر نفس وهو متبسما ضاحكا وقال ان الجنة نصب عينى وما بينى وبينها الا بمقدار ماتخرج روحى من جسدى ثم تشهدومات رحمة الله عليه (قال) وطلب البطريق البراز فخرج اليه بنوعم المقتول وهو يأسرهم أول بأول إلى ان امتنعت الناس من الخروج اليه فعندها خرج اليه سعيد بن ضبية أمير الخابور وحمل كل واحد منها على صاحبه واخذا فى الكر والفر طول النهار وعاد كل واحد إلى قومه (قال) وكان المعتصم بالله الامام ومن معه قد أملوا الفرج لما رأوا عساكر المسلمين ولما جرى ذلك اليوم ماجرى أيسوا من الخلاص واقامو على مثل ذلك العمل والرواح إلى ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح فكان اول من خرج كان البطريق وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه الأمير سعيد لأنه كان مافى القوم من يقوم مقامه وهو ينشد ويقول .

سأنصر دين الهاشمى محمد برمح ردينى وسيف مهند
وقد نطق الانجيل حقا بفضله وخاطبه الذئب المقيم بفدفد
وددت بانى ألحق اليوم عاجلا بزياد فان الموت فى اليوم اوغد
وما هذه الا قليلا مارة فما اسطعت من معروفها فتزود

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولم يزالا كذلك والسيف يعمل بينهما إلى وقت الظهر وقد شخصت الابصار وحارت الافكار واختلفت بينهما ضربتان كان السابق بالضربة البطريق فوقعت فى الأمير سعيد فانطلق إلى ربه شهيد وعجل الله بروحه إلى الجنة ثم صاح البطريق فى رجاله وحمل والتقت العسكرين والتحمت الطائفتين وقد اضطربت المسلمين لفقد الأميرين وقد عملت الشفار وقل الاصطبار وذل كل جبار وبليت المسلمين بمالا طاقة لهم به فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار والهرب وغنمت الروم اموالهم واثقالهم وساروا هذا وقد كثر على المعتصم بالله الكرب فقال هذا وجه قد انقطع الفرج منه فقال له أبو المهند ياامير المؤمنين مايكون لاحـــد مثل الامير عبد الوهاب فوا اسفاه عليه فقال المعتصم بالله وقد جرت دموعه والله لقد صدقت لكن ما كان لنا هذا فى حساب ولا قلنا إنه يصيبنا مثل هذا المصاب وكل يوم يتعلم الانسان عقل جديد (قال) فكان هذا سبب اعاقة البطريق حيدقوس

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما ان كان فى اليوم التاسع من نزول الأمير أبو محمد البطال إذا شرفت عليهم عساكر البطريق حيدقوس ففرح الأمير أبو محمد البطال وقال للاميرة ذات الهمة اعلمى ان القوم فى الكثرة مثلنا اربعة اضعاف وهذا كله برأى عقبة وأنا فقد رأيت الجاسوس يصف مقدمهم بالشدة والباس والقوة والمراس وما آمن منه من كثرة معه وهؤلاء الذين معنا ماهم مثل بنى كلاب ولا مثل السودان الانجاب وعلى كل حال هم عسكر العراق ومامعنا من يقاتل الافرسان قلائل فلما سمعــت الأميرة ذات الهمة والملكه ميمونه ذلك المقال قالت صدقت ياأبو محمـــد يابطال فما الذى تشـــير به علينا فقال لهم نبقى فى المكامن إلى أن ينزلون ولخيامهم يضربون ولخيلهم يسرحون وعلى الأرض من تعبهم ينطرحون هنالك نخرج عليهم وقـــد فرقنا الرجال من خمس أماكن فى كل فرقة منا ألف فارس ونكبس عليهم من كل مكان وجانب ونضربهم بالسيوف القواضب وما يكون لأحد منهم مركب يركبه (قال الراوى) فلماسمعت الأميرة ذات الهمة ذلك من كلام الأمير أبو محمد البطال قالت له صدقت أيها الأمير فى هذا الأمر ولهذا قد أخذتك صحبتى لأننى لم أستغنى عن رأيك

(قال الراوى) ثم ضمت الأميرة ذات الهمة الى الملكة ميمونة ألف فارس والى الامير ملابط البغال مثل ذلك والى الامير أبو محمد البطال كذلك والى الامير ميمون الجماس كذلك وبقت الباقون معها (قال الراوى) وقد أقامت كذلك حتى كان وقت الظهر وقد حمى الحر وأوهج البر وأوقدت الرمضى واكفهر الحصى وصر الجندب وتوقد الجلمد وأوكر الطير

الى وكره فهنالك وصل عسكر البطريق و نزل وقد ظهر عليه التعب وعمل معهم العطش ومالت نفوسهم الى الراحة والنوم ونصبوا خيامهم وقد سرحوا لخيلهم وأكلوا طعامهم وأرمى كل واحد منهم روحه الى وجه الارض يطلب الراحة وهم آمنون لان ملطيه لهم فيها عسكر كثير (قال الراوى) فعندها ركبت الاميرة ذات الهمة فى ألف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس وقد أكبت رأسها فى قربوص سرجها وحملت فى أوساطهم وضربت بالسيف فى أعراضهم (قال الراوى) ثم انها نادت الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وظهرت من بعدها الملكة ميمونه وهى مهللة ومكبره ولربها ذاكره فى ألف فارس وقد ظهر من بعدها الامير ملابط البغال فى ألف فارس وكذلك الأمير أبو محمد البطال فى ألف فارس هنالك قام القاعد وقد استيقظ الراقد وتواثبت الروم الملاعين مولولين (قال الراوى) وكان البطريق حيدقوس قد سرح بعض خيله وعنده بعضها وهو قلق القلب كثير اليقظة هذا وقد نظروا وجوه الروم إلى فعله ففعلوا مثله فلما وقع الصائح وعملت الصفائح ركب فى ستة آلاف فارس والباقون ماقدروا على خيولهم (قال الراوى) ونظر البطريق حيدقوس إلى حملة الاميرة ذات الهمه وعسكرها فأقبل على أصحابه وقال لهم وحق المسيح ان أنتم تركتموهم حتى انهم يصلوا اليكم ضربوا منكم ألف رقبة وها أنتم أكثر منهم بأضعاف فاحملوا عليهم

(قال الراوى) ثم انه حمل فى ستة آلاف فارس فعند ذلك نظرت الاميرة ذات الهمة إلى ذلك فتركت باقى الخيل وراءها وحملت فى ألفين فارس وانطبقت بهما على الستة آلاف فارس فيالها من ساعة ما أعظمها وللقلوب ما أوجعها هذا وان المعتصم بالله لما سمع العياط والصياح ونظر إلى الرماح فقال ترى يكون لنا من هــذا فرج ومن هذا الامر مخرج فياليت شعرى من هؤلاء القوم الذين جاؤا إلى نصرتنا وحماية ملتنا فقال له أبو المهند يا أمير المؤمنين أول من حمل فى الموكب عرفته والباقى ماعرفته وهى الأميرة ذات الهمة العامرية (قال الراوى) فبكى الخليفة المعتصم بالله وقال هيهات هيهات أولئك فى المطمورة وقد صاروا أشباح بلا أرواح ولله على نذر عظيم ان أنا خلصت من هذه النوبه العظيمة أخرجتهم وأسلم اليهم ما كانوا فيه ولا أسمع فيهم كلام متكلم (قال الراوى) هذا وقد نظرت الاميرة ذات الهمة إلى البطريق حيدقوس وقد فتك أيضا بالرجال وأباد الابطال والاقيال فعلمت انه مقدم القوم وأرادت الحملة عليه اذ لقيتها الملكة ميمونة فقالت لها اياكى ثم اياكى وهذا البطريق فاننى ما رأيت أشد منه باسا ولا أقوى مراسا وأنا لى معه ساعة زمانية فى الكر والفر فما قدرت عليه وتركته (قال الراوى) فضحكت الاميره

ذات الهمه وقالت لها يا ميمونه انى مع ذلك معكى أثر الخوى من الحبس وسوف ترى من فعالى العجب ثم ان الأميرة ذات الهمة صاحت بجوادها على البطريق وحملت عليه ونظر البطريق حيدقوس اليها فعلم انها هى التى حملت فى الاول وهى مقدمة الجيش فكان إلى قتالها أشوق من العطشان إلى الماء الزلال واشتغلت الناس بالنظر اليهما عن الحرب والنزال وأخذا فى الكر والفر والهزل والجد والاخذ والرد والعطا والمنع والمصادمة والمقاربه إلى ان طلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ونادوا يالانفصال وبلوغ الآمال (قال الروى) ورجع كل منهما عن صاحبه لما ذهب النهار وأقبل الليل عليهم بالاعتكار ولما رجع البطريق ضم رجاله فوجد أكثرهم جرحى فقال ياويلكم لو قاتلوكم إلى آخر النهار ماكان بقى منكم ديار ولا نافخ نار فوحق المسيح والدين الصحيح مافى الكل مثل فارسين لقيتهما فى موقف الحرب غير الذى خرج علينا من الاول

(قال الراوى) فلما سمعوا قوله قالوا وحق المسيح لقدرأينا الفارسين الذى ذكرت ولقد لقينا نحن أيضا اثنين أسودين الواحد يصيح أنا الأمير ملابط البغال والآخر يقول أنا الامير ميمون الجماس ولقد جزروا فينا جزرا ونثروا الرؤس نثرا ولو انهم ألفين لما فعلوا فعل هذين الاثنين فلا كتب السيد المسيح عليهم سلامه واعلم واعجب من هذا تريد نعلمك به فقال لهم وماهوفقالوا رأينا الوزير مذحجون يقاتل معهم ولاشك انه قد وقع بينه وبين الملك بحرون وقد عاد إلى المسلمين وصارمعهم وهو الذى أعلمهم بنا فقال ياويلكم لايكون قد شبه لكم فقالوا له لا وحق المسيح مارأيناه إلا مكشوف الرأس والوجه وحديثه ودقنه وصوته فقال البطريق أنا ما أدرى هذه القصة كيف هى ولكن طيبوا نفسا وقروا عينا فأنا فى غداه غد أبرز إلى هؤلاء الأربعة الذين قد شاهدتموهم ومايثبت عسكرهم بعدهم ساعة واحدة (قال الراوى) وبات وهو معول على مثل ذلك العمل والرواح إلى ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وارتفع الصياح وجردت الصفاح وهموا بالحملة بعضهما على بعض فعندها خرج البطريق حيدقوس وهو راكب على جواد أبلق كأنه شعلة حريق فلما رأته الأميرة ذات الهمة قالت لأصحابها ياويلكم أوصيكم بنفوسكم فوالله لقد لقيت الجبابرة فما رأيت فارس أوفا من هذا ولا أصبر على البلا ولا يحس بالتعب ولا يجد بالنصب ثمان الأميرة ذات الهمه حملت وهى تنشد وتقول :

ألا مبلغا عنا الخليفة اننا ... رزينا بلاذنب فصرنا مواليا

تشتت منا الجمع بعد تواصل | وأشمت منا حاسدا ومعاديا
وخلفنا فى القيد والغل برهة | وأشغلنا عن خدمة الله عاديا
نصلى على ثقل الحديد وضيقه | ونبكى طول الليل والليل هاديا
فلا نعرف الاوقات من ظلمة بها | كان العشا والصبح أضحى مساويا
وقد بليت أحبابنا بتفرق | زمان وأضحى العظم بالسقم واهيا
وقد نبتت أظفارنا وشعورنا | علينا وأضحى القمل فى الجسم ساعيا
نبيت عطاشا نبتغى فضل جرعة | فياطوله سقما به الضر باديا
ولسنا لقينا ذلة ليس مثلها | ولم يرحموا منا ضعيفا وباكيا
ولما بدا يحرون للأرض مالك | وأصبح جيش الروم فى الارض ساعيا
وأخرجوا أهل العراق ترجيا | ايرجون منا ناصرا ومحاميا
فكنا كما يرجون ثم تراجعت | ليوث كلاب فى الحروب كما هيا
سأصلب رأس الشوم والشر عقبة | وأبذل فى الكفار عضب يمانيا
ولا خير فى الدنيا إذا كانت وانيا | عن الله فى موتى ولا فى حيانيا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم حملت على البطريق ولم يطل الخطب بينهما حتى طعنته فى صدره أطلعت الرمح يلمع من ظهره وحملت الرجال على الروم وكان يومهم يوم مذموم قتل أكثرهم وانهزم أيسرهم وخلصت الاميرة ذات الهمة الاموال والابطال والنساء والاطفال والمعتصم بالله وأبو المهند ومدلاج العبسى وأقبلت الاميرة ذات الهمة على الامير أبو محمد البطال وقالت له امضى الى حرارة الوقعة وسمع المعتصم بالله مرارة الحديث وقل له ياظالم هذه فعال من يريد لك وللمسلمين الخير واما أنا فما تقع عينى فى عينه أبدا ودعه يمضى الى بغداد فى هذه الخمسة آلاف فارس الذين معنا وأنا آخذ الامير ملابط البغال وميمون الجاس والملكة ميمونة وأبو المهند ومدلاج العبسى وأسير إلى ولدى الامير عبد الوهاب فإن قلبى عليه مثل الحبة على المقلا لاننى قد خليته فى كثرة الاعداء ولاأدرى ما كان منه ولو كان ملك الروم فى مثاله مره وعشرين فان قلبى طيب ولكنه الملعون فى عالم عظيم بعدد قطر المطر وورق الشجر وولدى عبدالوهاب وأصحابه على غاية من الخوى والتعب وان كل مامعه على خطر ولا حذر من قدر

(قال الراوى) هنالك مضى الامير أبو محمد البطال ودخل مضرب البطريق فوجد المعتصم بالله على غاية من الضيق وهو لايعلم من كان السبب فى هذه النوبة حتى دخل عليه الامير أبو محمد البطال وقال السلام على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ومن ينظر فى

أحوال المجاهدين ويحبسهم أيضا تحت الارض سبع سنين وأشمت بهم عقبة اللعين وسمع فيهم كلام الحاسدين وهذه فعال لا تليق بالائمة المهديين أما بعد فإنه لما وصل خبر أسرك إلى العراق وعسكرك فى الآفاق تشتتت وتزعزعت قلوب العباد من اظهار البغى والفساد فانتخوا لنا أهل بغداد وأخرجونا من ضيق السجن الزائد وعلينا من الضرب شواهد وخرجنا من الاغلال والقيود على رغم كل حسود وأقمنا فى بغداد هذه الايام حتى عادت الارواح للاجسام ووجدنا الراحه والقوى وذهب عنا الخوى وعلمنا ماحل بالمسلمين من الاعداء فقال الامير عبد الوهاب وقد عول هو ومن معه أن يمضون إلى الحجاز ويقيمون فى أرض نجد ولا يرجع يعرض نفسه إلى خدمه ولا جند فتذكر أسرك وكسر عسكرك فقال الامير عبد الوهاب هذا بين أيديكم ولكن بعد طاعة باريكم فانه الى الجهاد يدعوكم وما هو لاجل مافعل الخليفة بكم وشماتة أعاديكم تتركون مافيه بلوغ أمانيكم فاطلبوا نصرة الإسلام فان لم تجدون معروف عند الخلفاء فسوف تنالون من الله الوفاء (قال الراوى) هذا كله يجرى من الأمير أبو محمد البطال والمعتصم بالله باهت وقد طارت الدمعة من عينيه من الفرح ومن الحياء الذى قد نزل عليه ماله لسان يرد جواب عليه (قال) فلما علم الأمير أبو محمد البطال انقطاع الخليفة عن جوابه وإنه ساكت على مضض من عتابه فقال ياأمير المؤمنين وجمعنا ماسهل علينا من حد العراق وممن طلب الجهاد فى طاعة الله رب العباد (قال) ولما بلغ الأمير أبو محمد البطال إلى هذا القول رفع الخليفة الامام له رأسه وقال له ولقيتم الملك بحرون فلقد لقيت منه الذل من قبل ماتأتون فلا ستر الله تعالى على وزيره مذبحون فانه دخل إلى وقبض على وكان يمسك أذنى ويهز رأسى حتى كنت أقول أنه قد خلع رأسى من بين أكتافى فقال له الأمير أبو محمد البطال سرنا إلى الملك بحرون ووقعت العين على العين وسمعنا من الجاسوس بأن ملك الروم سيرك إلى أرض القسطنطونية فقال الأمير عبد الوهاب ماهذا صواب وإن كان قد أساء الينا فنحن نرعى له إلى الأبد وذلك لأجل قرابته من سيدنا وحبيبنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم واما أن نرجع إلى خدمته فلا كان ذلك أبدا وان نحن نصرنا فهو الذى نريدوان كانت الاخرى فنكون قد هلكنا فى طاعة الله الملك المجيد (قال) فتجردت الاميرة ذات الهمة والملكه ميمونة معى طلبا لخلاصك من يد قناصك وخلاص من معك من المسلمين وانها قد أرسلتنى أسلم عليك وهى تقول لك خذ عسكرك واذهب الى العراق حتى تتمهد البلاد وتقر بقدومك العباد وتجتمع لاجلك العساكر وهى تريد ان تمضى الى ولدها الامير عبد الوهاب فقد تركته على غاية من الخطر

فقال الخليفة المعتصم بالله وقد سمع ذلك المقال يا أبو محمد يابطال اعلم ان كلما عملتوه مايساوى حبة واحدة الا ان تصلح بينى وبين الاميرة ذات الهمة وبعدها يبطل قول القائل وعذل العاذل ولو بغضكم ولدى لضربت رقبته وأخذت مهجته وما أنت يا أبو محمد يابطال فما أعرف هذا إلا منك فقال له أبو المهند ياأمير المؤمنين مايقدر الامير أبو محمد على ذلك الحال فإن أردت أن تقابل فعالهم بمثله فدع عنك عزة النفس لاجل الله تعالى فلو فعلت معهم مالا فعله أحد مع عدوه فكيف على من له عليك وعلى آبائك خدم وبالله العظيم أقسم ان آباؤكم كلهم عتقاء سيوفهم من الاعداء مرار فان أردت صلحهم فاخرج الى من أنت عتيق سيفها وأمين خوفها وقد خاطرت لاجلك بنفسها ولقيت البطريق الذى تفزع منه صناديد الرجال وتخاف منه الشجعان والاقيال وأيضا تستعطف قلبها فان النبى ﷺ كان يمشى الى منازل الفقراء ويعود المرضى ويطيب قلوب المجاهدين ويحلب بيده الشاة ويطحن الشعير ويخصف نعله ويلاعب ولديه الحسن والحسين ويخرج بنفسه لقضاء حاجته ويساوى بنفسه أصحابه فقم بنا اليها وسلم عليها واعتذر إليها

(قال الراوى) فعند ذلك وثب الامام المعتصم بالله راجلا والامير أبو محمد البطال بين يديه وأبو المهند خلفه فلما وصل الى العسكر وعاينوه أرموا أيضا نفوسهم الى الارض فقبلوها وقدموا اليه الجنائب والبغال وهو يقول والله لارحلت الى الاميرة ذات الهمة الا راجلا غير راكب وهذا كله فى حقها قليل (قال الراوى) فعندها سبق الامير أبو محمد البطال الى الاميرة ذات الهمة وقد نزلت فى موضع تصلى فيه صلاة الشكر على هذا النصر على عدوها وتسأله ان ينصر ولدها الامير عبد الوهاب الذى تركته وقد أحدق به عالم مثل البحر المتلاطم الزاخر الذى ليس له أول يعرف من آخر فلما نظرت الاميرة ذات الهمة إلى الأمير أبو محمد البطال وهو يهرول فى مشيه أو جزت الأميرة ذات الهمة فى صلاتها وقالت له ماوراءك يا أبو محمد فقال لها يامولاتى انه قد جرى من الأمر ماهو كذا وكذا وقد خرج مولانا المعتصم بالله اليكى ماشيا وقال والله ما أركب حتى أصل إليها وأعتذر بين يديها (قال) فبكت الأميرة ذات الهمة وقالت وبلغ من قدرى أن يمشى إلى خليفة المسلمين وما الذى فعلته وما خلصهم إلا الله تعالى (قال) فهى كذلك وإذا بالمعتصم بالله قد وصل إليها وقدم عليها فقبلت الأرض بين يديه فرفع رأسها من الأرض بيديه من حيائه منها وما قد فعلت فى حقه ولم يعلم بما يتقدم به إلى قلبها فقبل رأسها وقال لها أيتها الأميرة انتى تعلمى بأن ابن آدم مولع بسوء الظن وان لكم من يحسدكم على ما أعطاكم الله تعالى من السعادة والشجاعة وقد بان الصباح لاصحاب النظر ومن عاد فينتقم الله منه

وقد جئت اليكى معترفا بما صنعتى معى من الجميل والاحسان (قال) فعند ذلك قبلت الاميرة ذات الهمة عذره وقالت له يامولانا نحن غلمانك وماللعبد أن يعترض على المولى والآن فدع عنك هذا الكلام فالى اصطبار على هذا المقام وخذ معك من هذه العساكر ماشئت والذين أسروا أيضا معك واقصد إلى أرض العجم إلى بغداد وبعد ذلك ان قدرت ان تجهز عسكر من أرض الحجاز والعجم وتستنفر الامم فافعل فانى قد عولت على أمر وهو انى أسير إلى ملطيه الساعة لعل الله ان يسهل لى فتحها وآخذ مافيها من الاموال والاثقال فهو مما يشغل قلب الروم وإذا وصل إليهم الخبر بذلك انحلت عزائمهم وربما سرت إلى أرض القسطنطونية لانها خالية من الرجال وما فيها غير خمسة آلاف فارس من تلك الابطال وأنا أؤمل من الله تعالى ان أسير إليها وأرمى روحى عليها وان مضيت إلى عند الامير عبد الوهاب مايكون لقدومى عليه تأثير وعسكره قليل وعسكر الروم كثير وان لم أفعل أنا هذه الفعال وإلاما يرجع ملك الروم لانه فى عالم عظيم (قال) فلما سمع المعتصم بالله ذلك من كلامها قال والله العظيم لولا احتياط العراق وأهله وان فى رجوعى غاية المصالح لما كنت أسير الا فى أوائل العسكر معكى الى هذه الاماكن التى قد ذكرتيهم ثم أنه أخذ من العسكر مائة فارس وقال هؤلاء يكفونى وأنا أسير بهم على الطريق الذى أتيتم أنتم منها ثم انهم أقاموا يومهم أجمع وودع الاميرة ذات الهمة عند المسا ورحل تحت ظلام الدجا (قال الراوى) وأما الاميرة ذات الهمة فانها أقامت على مثل ذلك العمل والرواح إلى ان أصبح الله تعالى بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وجمعت العدد والسلاح وافردت الف فارس وألبستهم ثياب الروم وأركبتهم خيلهم وعقدت لهم راياتهم وصلبانهم وقدم فيهم ابو المهند والملكه ميمونه ومدلاج العبسى والامير ميمون الجاس وقالت لهم اسبقونا كانكم ايضا منهزمين إلى ملطيه فاذا قربتم منها سوف نتبعكم نحن طالبين المنهزمين والأمير أبو محمد البطال يناديكم بالروميه ادخلوا اقبل ما تلحق بنا المسلمين ولا شك ان المسلمين قد مضى منهم جماعه إلى ملطيه وأخبروهم بما قد جرى واخذوا منهم حذرهم وأغلقوا بابهم وهم عشرة آلاى بطريق فقال لها الأمير أبو محمد البطال اعلمى ايتها الأميره إننا نأخذ البلد بهذا الحال أسرع من طبق الجفن على الجفن

(قال الراوى) ثم انه سار يقطع الأرض ذات الطول والعرض وقد رحلت الأميره ذات الهمه بعد رحيله بساعتين من النهار وسار الأمير أبو محمد البطال إلى ان أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وقد قاربوا البلد هذا وان الأمير أبو محمد نظر إلى غبار من نحو ملطيه قد ملأ الأرض وسد الطرق فقال الأمير أبو محمد البطال والله

ان هذه امور مدبره علينا فاقيموا إلى أن امضى انا وأكشف الخبر فما هو إلا عسكر الروم لما وصلوا اليهم المنهزمين خرجوا من ملطيه يطلبون خلاص ماأخذ منهم

(قال الراوى) هذا وقد سار الأمير أبو محمد البطال حتى انكشف له ذلك الغبار ونظر إلى ذلك العسكر وهو مثل البحر الزخار فى أكثر من اربعين ألف وهم كلهم بالقنطاريات الخلنجيه والسيوف الافرنجية وهم ملوءا الأرض والبريه فقال الأمير أبو محمد البطال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الملك بحرون كان قد ترك فى ملطيه عشرة آلاف فارس مع بطريق من البطارقة الزنادقة يقال له كركناس وكان جبار من الجبابره وهو الذى فتح ملطيه بالسيف قهرا وأخذ كل من كان فيها اسرى وله عند الملك بحرون منزله عظيمة ولم يزل مقيما فيها إلى ان وصلوا اليه المنهزمين يخبرون بما قد جرى عليهم فقال ياويلكم وفى كم يكونوا المسلمين فقالوا ماندرى إلا انهم فى أكثر من خمسين ألف فارس وكان قولهم ذلك حتى انهم لاينقصون عنده فعظم ذلك عليه وكبرلديه وعول على انه يخرج فى طلبهم فأشاروا عليه ان لايفعل وجعلوا يعظمون القصة عليه (قال الراوى) فهو كذلك وإذاقدأشرف عليه من نحو بلاد الروم عسكرعظيم وكان ذلك الدوقس الكبير وكان قد تخلف فى بلد الافرنجيه ليلحقهم ثم انه قد تجهزوخرج فى ثلاثين ألف بطريق خدمة للملك بحرون وخوفا من الوزير مذبحون وكان أشجع الافرنجيه كلها وهو عظيم الخبث والحيله وكانت نفسه تحدثه بأنه يخرج على الروم خارجيا ويجعل المملكه فى الافرنج إلى ان خرج الملك بحرون فانقطع طمعه من ذلك وخرج إلى خدمته وقصد إلى ملطيه ووصل اليهافوجد الروم على ماهم عليه من الهم والغم فسألهم عن حالهم فقالوا له أيها الملك اعلم أن الملك بحرون قد فتح البلاد وسر العباد وأخذ خليفة المسلمين وجماعة منهم وأموال كثيره وسير الكل مع بطريق فى عشرين ألف بطريق فخرجت عليهم عسكر المسلمين فقتلوا البطريق فى الطريق واكثر من كان معه وخلصوا الاسارى فقال لهم كم بيننا وبينهم فقالوا له يوم واحد فعند ذلك خرج الدوقس وخرج معه كركناس من وقته وساعته وهو يعتذر اليه ويقول له وحق المسيح لقد اردت أن أسيراليهم من وقتى وساعتى فنفونى من من ذلك وجعلوا أيضا يعظمون القصة على فقلت إذا كان الأمر على هذه الصفةفاأريد ان أخاطر بعسكر الملك وهو سريع الغضب فيكون ذلك لقتلى سبب (قال الراوى) هذا وقد سارت القوم وهم فى أربعين ألف فارس يريدون أهل الارض ذات الطول والعرض الى أن أشرف عليهم الامير أبو محمد البطال وقال لاصحابه والله هذا عسكر قد أقبل من

بلاد الروم فى طلب الملك بحرون وقد سمع هذه القصة وقد خرج أيضا فى طلبنا فارجعوا بنا ياويلكم الى عند الاميرة ذات الهمة نأخذ رأيها (قال) ثم عرج بهم الامير أبو محمد البطال مقدار فرسخ وقد لاح لهم غبار الاميرة ذات الهمة فما كانت الا ساعة حتى وصلت اليه وقالت له ما الذى رجع بك فعند ذلك أخبرها بالحال فترجلت عن ظهر جوادها وافتقدت حزامه ونادت الى قومها ياويلكم انزلوا عن خيولكم حتى اننا نستريح فوالله لاطرحنها الا ان كان فى وسط العجاج فقال أبو المهند أنا والله أول من يحمل معكى وكذلك قال مدلاج العبسى وكذلك أنا الآخر يا أميرة (قال) وانتخبت الاميرة ذات الهمة الرجال وصناديد الابطال هذا والامير أبو محمـــد قد الصق جواده الى جواد الاميره ذات الهمة وقال لها أيتها الاميرة اعلمى أن عسكر العراق ماهو مثل عسكر بنى كلاب حتى ترميهم فى وسط هذا العسكر الزخار فقالت له الاميرة ذات الهمة دع عنك هذا المقال يا أبو محمد يا بطال فأنت من رجال الحرب وما يكون ولدى الأمير عبد الوهاب قد أرميته فى وسط ذلك البلا واطلب لنا الراحة فى الدنيا ولكن كم حذرت القوم فأنا أعرفك بعدد الرجال وما لك على لقاهم احتمال (قال) فضحك الأمير أبو محمد البطال من قولها وقال لها إن صح حذرى ياأميره فهما أربعون ألف أو يزيدون فقالت الأميرة ذات الهمة أنا والأمير ملابط البغال والملكة ميمونة والأمير أبو المهند ومدلاج العبسى وميمون الجماس للنصف الأول من الأعداء وأنت وباقى العسكر للنصف الآخر فقال لها الأمير أبو محمد البطال ماهذا حساب جيد والله مانقوم نحن بخمسة آلاف فارس مثلنا فلا تتكلى علينا (قال) فضحكت الأميرة ذات الهمة من ذلك الكلام (قال) فبينماهم كذلك وإذا قد أشرفت عليهم نواصى الخيل وقد نظر الدوقس إلى قلتهم فطمع فيهم فأقبل على بعض المهزمين وقال ياويلكم فما سمعتم من من هؤلاء فقال له رجل منهم أيها الملك اعلم أن المقدم عليهم امرأة يقال لها ذات الهمة (قال) فلما سمع الدوقس كلامه صلب وجهه وقال كرياليسون هـذا هو الصحيح وحق المسيح ولو كانت وجدها لأرمت روحها فينا فقال كركناس هذه الأميرة ذات الهمة رجل أو امرأة (قال) فجعل الدوقس يحدثه بحديث الأميرة فعظم عليه وقال وحق المسيح والدين الصحيح مافيكم أحدا يتعرض لقتالها حتى أخرج أنا اليها فما كان المسلمون يأخذون منكم الخراج فى كل سنة إلا لأجل هذه المرأة (قال) ثم أنه خرج وبين يديه ترجمان ينادى بصوته المجهر تخرج الأميرة ذات الهمة إلى هذا الملك (قال) فعندها خرجت الأميرة ذات الهمة وهى فى أكمل عدة حتى إذا ساواها فى الميدان وفى موقف الضراب والطعان

لحمل كل واحد منهما على صاحبه وتطابقا بالجوادين ثم أطلقا العنانين وزجرت الاميرة ذات الهمة فسمع لها صوتا مثل صوت الرحا فى البئر فقال ملك الافرنج وهو الدوقس هلك صاحبنا وحق المسيح وما يعود الينا أبدا لأنى أعرف من هذه أم الأسود الزنيم والوغد اللئيم مالا يعرفه أحدا غيرى وإن لم نحمل عليها بكثرتنا وإلا هلك صاحبنا فقالوا له الروم أيها الدوقس أنت نعم الصاحب ولكن اصبر حتى ينجلى الغبار فان كان صاحبنا هو الظافر علمنا أنه غير خاسر وإن ظهرت عليه حملنا كلنا فى نصرته وهو أننا نعرف صاحبنا بخلاف غيره من الرجال فلا تظنه مثلك ولا مثل سواك وسوف ترى مايسرك (قال) فلما سمع الدوقس ذلك الكلام غضب غضبا شديدا وقال فى نفسه أنا أدرى أن مايزول عنهما ذلك الغبار إلا ورأس كركناس فى الهوى قد طار (قال) فهو معهم فى مثل ذلك الكلام وإذا هم بالغبار قد زالت غياهبه وإذا به قد ضربته الأميرة ذات الهمه على عاتقه أطلعت السيف يلمع من خاصرته فعندها أقبل الدوقس وقال لاصحاب كركناس مستهزأ بهم وقال احملوا ياويلكم وخلصوا صاحبكم من قبل أن تخرج روحه (قال) فعمل فيهم كلامه وحملوا بأجمعهم وحمل الدوقس ورجاله فعندها حملت الملكة ميمونة والأمير ملابط البغال وأبو المهند وأيضا حمل مدلاج العبسى وميمون الجاس وباقى الرجال والابطال وارتفع قسطل العجاج واختلطوا المسلمين بالاعلاج وسالت الدماء وأرملت النساء وكانت الاميرة ذات الهمة تهدر فى وسط المعمعة والدوقس الكبير كلما لقيها فى مكان هرب منها إلى غيره (قال) فهو كذلك إذ لقيته الملكة ميمونة فلما رآها أنكرها فطمع فيها فانقضت عليه مثل العقاب الكاسر ولم تطل معه الخطاب دون أنها قد طعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره فعندها طارت الرؤس واختلست النفوس وامتلأت الارض من القتلا وتخضبوا بالدما

(قال الراوى) هذا وقد نظروا أصحاب البطريق كركناس إلى صاحبهم وهو قد قتل والدوقس الكبير قد جزل فعند ذلك قبل بعضهم إلى بعض وقالوا ياويلكم ارجعوا بنا قبل أن يهربوا أصحاب الدوقس الى البلد وينهبون الاموال التى فيه ويدخلون إلى بلادهم (قال الراوى) فعندها قاتلوا قدر ساعة وانهزموا وكذلك أصحاب الدوقس فلما وصلوا إلى ملطية وجدوا الابواب مغلقة وأبطال الروم على المسلمين زاعقة والامير أبو محمد البطال فى خمسمائة فارس على الاصوار لانه لما حملت الناس بعضهم على بعض علم أن البلد مافيه أحد فسار فى خمسمائة فارس فى زى الافرنج إلى أن دخل اليه وقتل كل من فيه من ملك البلد وصلوا هؤلاء فوجدوا الامير أبو محمد البطال واقف على الاصوار فى خمسمائة بطل

من الابطال لبسهم لبس الروم ولكن أصواتهم مرتفعة بتوحيد ربهم (قال) وكانت الاميرة ذات الهمة قد افتقدت الامير أبو محمد البطال فلم تجده فعظم عليها وكبر لديها وسألت عنه الرجال فقيل لها اعلمى يا أميرة أنه لما حملت المسلمين على القوم الكافرين قدرفع رايات الروم والافرنج الملاعين الذين كانوا معهم وعليها الصلبان وملك هذه الطريق وماندرى ماالسبب فى ذلك الأمر والشان (قال) فضحكت الأميرة ذات الهمة وقالت والله مامضى الأمير أبو محمد وتركنا فى وسط الحرب إلا وقد لاحت له فرصه ولا بد لى من لحاقه ثم سارت الاميرة ذات الهمة خلف كل ذلك من خوفها عليه وعلى من معه من الرجال (قال الراوى) ولم تزل الاميره ذات الهمه سائره وهى لربها ذاكرة إلى ان شارفت إلى ماطيه وكانت الروم لما رأت الأمير أبو محمد البطال قد ملك البلد نزلت عليه طمعا ان تخلصه من يده لان كان فيه اثقالهم وأموالهم وفيه من الجوار والدواب والعدد شيء كثير (قال) فعند ذلك قاتلهم الأمير أبو محمد البطال ولم يعبأ بهم إلى ان أشرفت الأميره ذات الهمة فى رجالها وأقيالها فولت عساكر النصرانية مقهوره وأيضا المسلمين مؤيده منصوره ولحقتهم الأميره ذات الهمة فأسرت منهم شيء كثير ولم يسلم منهم الا من كان جواده سابق ورحلوا إلى البلد ففتحوا لها الباب بأمر الله عز وجل مسبب الأسباب فقالت الأميرة ذات الهمة لله درك يا أبو محمد فلقد فعلت فعال حميدة تشكر عليها وهذا الأمر إذا وصل إلى الملك يشتغل خاطره وفكره ولكن قلبي خائف على الأمير عبدالوهاب فما عندك من الرأى قل وأوجز فقال لها الامير أبو محمد البطال هذا البلد ما بقى له جيش يحميه فاقطعى بنا الأرض فى طلب الامير عبدالوهاب لنقاتل معه وان المعتصم ما يقعد عنه ولابد له أن يجمع الناس مرة أخرى ويلحقه بنفسه لانه أيضا مقدام فى الامور وأما الذى معى فى زى الروم فانى أسير بهم من ههنا إلى السويديه وأقطع الأرض إلى نصيبين إلى الموصل وأربل وألحق عسكر الملك بحرون وأقيم فيه الصياح والعياط والصراخ وأيضا أخبره بان بطريقه قد قتل وكل من فى ملطيه جندل وقد ملكوها المسلمين وأقيم كذلك إلى يوم المصاف واذا حملت الناس على بعضهم البعض رفعنا أصواتنا بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فيكون ذلك وهنا لهم وبعد ما ينكسر منهم موكب واحد فقد ولت عساكره فقالت له الاميرة ذات الهمة والله لقد أشرت بالصواب وأتيت بما لا يعاب وهذا أجود لنا مما نمضى إلى بلد الروم ونطلب أرض القسطنطونية ولا أدرى ما يكون من أمر ولدى الامير عبدالوهاب مع خصمه الملك بحرون فسر بنا فى غداة غد إلى ماقد ذكرت وأنا أرجو من الله تعالى ان الامر مايفرط أيضا فى أصحابنا واعلم

ان العسكر الذى للروم فى عــدد النجوم ومايبان فيه ولو دخلت فى مائة ألف وأنا أكون معك فى جملة هذا العسكر فان عولوا على اللقاء عولنا نحن بموكب الملك بحرون وأذقناهم طعم المنون وألحقنا به وزيره مذبحون وبعدذلك فانى خائفة من عقبة أن يكون معهم وماهو الاعندهم فى هذه النوبة لانه قدأيس من المعتصم وقد سمعت من الجاسوس الذى أخبر ولدى الامير عبد الوهاب ارسال المعتصم بالله إلى بلد الروم ان مادبر ذلك الا عقبة وأنا أخاف أن يعرفنا إذا نحن لحقنا عسكر الملك بحرون وما فى الامر الا ان نكون فى أذيال عسكره وما تحير بما جرى فلابد مما يصل اليه لان الخبر السوء يطير ويسبق البريد فاذا كان وقت القتال خرقنا الكتائب والمواكب حتى نصل اليه ومن عرفنا فقد عرفنا (قال الراوى) فعندها استحسن الامير أبو محمد البطال تدبيرها وكلامها وقال لها لله درك من بين النسوان فهذا شىء قد خصك الله به الملك الديان الحنان المنان

(قال الراوى) ثم ان الامير أبو محمد البطال أخذ عــدد الروم وفرقها على سائر العساكر من دروعهم وزردياتهم وخيلهم وسلاحهم الى ان اكتفوا كلهم وصاروا كانهم وصلوا من القسطنطونيه وتركوا فى ملطيه قليلا من الرجال وأرسلت إلى بغداد للمستخلف الذى كان فيها من جهه الخليفة الامام تقول له جرد من عندك ألف فارس إلى ملطيه ومن يحفظها فانى أخاف أن تعود عساكر الروم إلى البلد فتخرب فاريدك تحميه ثم انها سارت تقطع الارض طالبة العساكر وقلبها خائف على ولدها الامير عبد الوهاب وهى تقول لاتسألوا الركبان مخافة أن يكون الامر بخلاف ماأريد (قال الراوى) فهذا ماجرى فهذا من الاميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال (وأما ما كان) من الامير عبدالوهاب والملك بحرون فانهما لما انفصلت الاميرة ذات الهمة تلك الليلة وأصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح هنالك ركبت جيوش الكفرة واصطفت عساكر الفجرة وقد ركب الامير عبد الوهاب فى طائفة المسلمين الابرار الا ان الناس الذين كانوا معه من عسكر العراق على غاية من الفزع والخوف والجزع لان عساكر الروم عالم عظيم مثل الليل البهيم والامير عبد الوهاب قد حمل نفسه على أمر عظيم وخطب جسيم (قال الراوى) هذا وقد اصطفت الصفوف واشهرت بأيديها السيوف وازدحمت المئات والالوف ونظر الملك بحرون إلى الروم مرعوبين فقال لهم ياويلكم ما بالكم هذا وأنتم عددهم أضعاف وحق المسيح ان لم تنجزون أمرهم لانتقمكن منكم ومن ملوككم ولا أترك فى أقاليم الروم ملك غيرى فقال له ملك البنجاك وكان اسمه قسطه أيها الملك لا تظن أن هذا العسكر مثل من لقيته هذا الاسود عبد الوهاب الذى أخرب بيوت النصرانية وقد قهر

ملوكها ولو وقعت عينه ماتخلصت منه فان أردت منا نهضة فلا تعجل علينا الى أن نفنيهم بالمطاولة (قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون ذلك من كلامه انقلبت عيناه فى أم رأسه وجرد سيفه وأمر به فقربته اليه البطارقه وهم يظنون أنه يهول عليه فضربه بالسيف أطاح رأسه من بين كتفيه فما بقى فى الروم الامن انزعجت روحه وكاد ان يسكن ضريحه وقالوا لبعضهم البعض ياويلكم ارموا أرواحكم اليوم على هؤلاء المسلمين والا قتلنا هذا الرجل الجزار الذى لارحمة فى قلبه لنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعندها حملت الروم كلها حملة رجل واحد فيالها من ساعة ماأعظمها ومن حملة ما أجسمها زفرت فيها الاشبال وهدرت الاسد الريبال وعملت البيض العوال والتحمت الرجال بالرجال وتصادمت الصافنات فى المجال وتطايرت الرؤس مثل البرد فى يوم شديد الزلزال وقد أيقنت الارواح بالهم والغم والنكال (قال الراوى) وقتل من الروم خلق كثير وأما عسكر الامير عبد الوهاب فانه كان فى مائتين ألف فارس لان العساكر اجتمعت اليه وتقهقر الى خلفه طول النهار وما بقى أحدا ينجيه الهرب من شدة العطب وعقبة يسير كل ساعة عسكر بعد عسكر وموكب بعد موكب ويقول لهم ياويلكم اتبعوا من يهرب من المعمعة الى أن ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه ونزل الامير عبدالوهاب وضم الناس أيضا بعضهم الى بعض وقد أحدقت بهم الروم كما يحدق البياض بسواد الحدق وأضرمت النيران وتحارس الفريقان هذا وعقبة قد خلا بالملك بحرون وقال له ماوصل أحدا من الملوك الى ماوصلت أنت اليه وما لهؤلاء القوم الذين بين يديك حياة الا بقدر ماتدوسهم بحوافر الدواب وقد هلكوا عن آخرهم ولولا مافعلت مع الروم تلك الفعال وضربت رقبة الملك قسطه لما كانوا الروم اجتهدوا على ذلك ولكن فى غداة غد يكونوا لك مماليك (قال الراوى) ففرح الملك بحرون بذلك الكلام وقال له أيها الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح أنا ما أشتهيهم يهلكون حتى أخرج الى هذا الفارس الذى يصفونه الروم والمسلمون حتى تعلم الناس انه مايقوم مقامى ولا يرجع أحدا يصف فارس قدامى وأنا معول أيضا فى غداة غد ان أبرز إليه فقال عقبة لعنه الله يامولاى وما قدر هذا الرجل الأسود حتى تخرج أنت إليه وتبرز نحوه (قال الراوى) وما كان قصد عقبة بذلك الكلام إلا خوفا على الملك بحرون ولم يجسر أحد ان يظهر له ذلك خوفا منه ان يعجل عليه كما أنه قد عجل على الملك قسطه فقال له الملك بحرون وقد سمع كلامه أيها الشيخ النجيح دع يكون هذا الرجل عبد الوهاب عبدا مملوكا أو يكون أحقر الناس أليس هذا الذكر ذكره فى مجالس الملوك بأنه فارس العرب من بعد منها ومن اقترب وأنا لا بد لى من لقائه والهجوم عليه

فقد شوقتنى صفته إلى مقابلته فقال عقبة أما انه فى الخلقة فكانه أنت أيها الملك وانه أيضا فى الشجاعة والبراعة فهو فارس الأرض فى طولها والعرض وأما أنا قلت لك ذلك الكلام من وجه الاشفاق فافعل أنت ماتشاء (قال الراوى) ثم خرج عقبة إلى الملوك وقال لهم هذا الملك بحرون هو على كل حال صبى مع أنه فارس لايرام ضراب بالحسام غير اننى لا آمن عليه من الأسود الزنيم والوغد اللئيم عبد الوهاب فى مقام القتال والضراب والطعان وهو إذا هلك مايرجع منكم أحد إلى بلاد الروم ولا كنتم تقفون بعده فلا تتركوه على عقله ورأيه وإذا بارزه فانظروا إلى الظافر منهما فان كان الملك بحرون فهو المراد وان كان الأمير عبد الوهاب فاحملوا عليه واطحنوه بحوافر الدواب ولا تمهلوه ولا تطولوا معه فلا نأمن ان تأتى اليه نجده وتخلصه من هذه الشدة فقالوا أما برازه بنفوسنا فما هو بصواب ولا نقدم اليه الملك أيضا ولكن نحن نفعل ما أمرتنا به ولعلنا نقدر عليه قبل ان تأتيه نجده تعينه فان قولك هذا صحيح (قال الراوى) وباتوا إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح والأمير عبد الوهاب لم ينم تلك الليلة إلا يداوى ويقوى قلوب الأصحاب ويدفن من مات ويقول ياقوم أنا فى غداة غد أقيكم بروحى وأخرج الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فقال الأمير ظالم ها أنا بين يديك وقالت الأمراء كلنا كذلك وما بقى لنا فى الحياة أرب ولا نريد النجاة ولا نطلب الهرب ولو ضاقت الدنيا خيلا ورجالا ووعرا وسهلا وجبالا فقال لهم الأمير عبد الوهاب جزاكم الله خيرا ولعل ان يفرج الله عنا قريب فهو الملك المجيب (قال الراوى) ولما ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ركبت الروم كلها والملوك بأسرها وركب الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأحباب وأخذ فى تعبية عساكره والروم قد اجتمعت على الحملة كما قد أشار عليهم عقبة فأرسل عقبه يحرضهم وأرسل الملك بحرون النقباء تضرب وجوه الخيل وتمنع الناس عن القتال والنزال وقالوا الملك بحرون يريد الخروج إلى هذا المسلم الموصوف وهو الذى بالفروسيه معروف

(قال الراوى) فكادت مرارة عقبة ان تنفطر وقال هذا الرجل دمه عليه يغلى أو يكون قتل الأسود الزنيم على يده فدع يخرج اليه فانى المقدر عليه حيله ولا لى اليه وسيله

(قال الراوى) هذا وقد خرج الملك بحرون وهو فى عدة كامله قد غمست فى الذهب ومعه سيف مشطب وسنان يلتهب بالعطب وتحته جواد مثل العقاب الكاسر أو النسر الطائر مليح الحوافر يسبق الرياح البواكر سريع الخطا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فوقف بين الصفين وقد ترجلت الملوك وأولاد الملوك كلها بين يديه ثم انه صاح بجواده

فخرج عنهم والترجمان ينادى دعوا أمير المسلمين المسمى بالأمير عبدالوهاب يخرج بنفسه (قال الراوى) فعندها سجد الأمير عبد الوهاب شكرا لله تعالى وقد أكب رأسه فى قربوص سرجه وهم بالخروج فسبقه ولده الأمير ظالم ومازال سائق جواده إلى ان وصل إلى عند الملك بحرون وهو يقول له كيف يخرج اليك الشيخ الكبير وأنا مقيم فى الحياة أيها الملك الخطير فدونك والقتال والحرب والنزال فهو أليق بك ان كنت من الأبطال الاقيال (قال) فعندها حمل الملك بحرون وقد علم انه ولد الأمير عبد الوهاب لانه كان عنده موصوفا ولم يزال الحرب بينهما حتى علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وتضاربا بالحسام البتار وقد انقشع الغبار وقد تقابضا وهم راكبين على الجوادين والأمـــير عبد الوهاب قد فرح بذلك لما يعلم من قوة ولده الأمير ظالم (قال الراوى) فهو كذلك اذ صاح به الملك بحرون صيحة شديده وهزه هزة قويه فاقتلعه بها من بحر سرجه أسرع من البرق ثم انه سلمه من يده إلى أصحابه وقد طلب البراز وسأل الانجاز

(قال الراوى) فخرج اليه أخيه الأمير سيف الحنيفية وهو فى عدة كاملة راكب على حجرة عربيه تسبق الطيور المرسيه وفى يده صمامة هنديه رقنطاريه افرنجيه ثم انه قد حمل على الملك بحرون وهو ينادى أنا الامير سيف الحنيفيه أنادامغ النصرانيه فدونك وقتالى وانظر إلى فعالى وأعمالى ثم انه أشار ينشد ويقول :

أيا بحرون أبشر من قريب بضربة صارم صقل قطوع
أنا ابن هامها فى كل حرب وخواض المدامع والجموع
سأحمى عنهموا جهدى وسؤلى وأخضب صارمى بدم نجيع

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وتطاعنا وتطاولا وتباعدا وتقاربا واختلف بينهما طعنتان سابقتان كان السابق بالطعنة الامـــير سيف الحنيفية فوقعت فى صدر الملك بحرون وكان عليه يومئذ ثلاث زرديات ما لهما نظير فى الأرض محكمه منظمه لم يظهر السنان منهما هذا وقد انحنى الملك بحرون على الرمح فقصفه من حد السنان وقاربه حتى حك الركاب بالركاب وقبض بيده عليه وهزه فاقتلعه من بحر سرجه (قال الراوى) فلما نظر عقبه إلى ذلك أقبل على الملوك وقال لهم لكم الامان بعد هؤلاء الاقوام فالملك بحرون يأخذ اسود بنى كلاب وهؤلاء الاثنين أقوى منه باسا وأشد مراسا وهم كلهم ضعاف من أثر الحبوس (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وقد عظمت الأمور والأسباب على الامـــير عبد الوهاب ولم يجد له صبر دون ان خرج وهو مثل الأسد راكب على ظهر جواده وهو فى أكمل عده وأحسن أهبه إلى ان قارب الملك بحرون

فعندها صاح عقبه بالبطارقه ان أعلموا الملك بحرون بان هذا الفارس المذكور والبطل المشهور حتى يكون منه على حـــذر (قال الراوى) ياساده يا كرام فصاحت الملوك به وأشاروا اليـه يعنى إلى الملك بحرون ان هـذا هو الفارس الذى ماخرجت الا لأجله ففرح الملك بحرون بذلك فلما ان وصل الامير عبد الوهاب اليه وحمل عليه كانا فى سرجيهما سواء وفى الركبة والاكتاف أكتافا واحده الاان الملك بحرون أصفالون لاجل تربيته فى بلادالروم فانظرت العيون أحسن منهما فارسين ولاأشجع منهما مبارزين فصاح به الملك بحرون أنت عبدالوهاب فارس بنى كلاب فقال له الامير عبدالوهاب أنا ذاك فقال له الملك بحرون لقد وصفت أيضا بالشجاعة فقال له الأمير عبدالوهاب ذلك بعون الله الملك الوهاب التواب (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وتقاتلا طول النهار وانفصلا عند المساء ولم يصل أحد منهما إلى الآخر ورجعا إلى عسكرهما وكل واحد منهما لايصدق بالصباح ان يصبح عليه حتى يخرج إلى خصمه وهو يصف ماقد رأى وما عاين من قرينه (قال الراوى) فلما ان كان فى اليوم الثانى من الايام جرى لهما كذلك (قال) ولم يزالا فى القتــال والنزال والمبارزة والمجال وأمراء المسلمين تخرج إلى البطارقة والملك بحرون يقاتل الأمير عبدالوهاب ولا يصل أحد منها إلى صاحبه إلا كأنها شخص واحد فى القوة والشجاعة والجلادة والفروسية والبراعة والسعادة (قال الراوى) ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى قتال ونزال ستة عشر يوما فلما أن كان فى اليوم السابع عشر من الأيام أشرفت غبرة عظيمة فلحقها قترة جسيمة من نحو أرض العراق وكان فيها الإمام المعتصم بالله (قال الراوى) ياسادة يا كرام وذلك بأن المعتصم بالله لما رجع إلى العراق وجد الدنيا منقلبة على قدم وساق فاطمأنت العالم برؤيته وكاتب العسكر وقد أمرها بالاجتماع وبعد ذلك وصلت الأميرة غمرة ابنة الأمير عطارد من أرض الحجاز ومعهـــا ثلاثين ألف فارس من بنى كلاب وعشرة آلاف من غيرهم وذلك بأنهم سمعوا بأن الأمراء قد خلصوا فعندها ساروا اليهم كل ذلك من شوقهم اليهم ومعهم ألفين بطل أسود كانوا قد تفرقوا وطلبوا أرض الحجاز لما أخذ الأمير عبدالوهاب ووصلت نجدة أخرى من بلاد الترك والديلم فى مائتى ألف فارس ومن البصرة وأعمالها خمسين ألف فارس فلما صار فى هذا العسكر رحل طالب الأمير عبدالوهاب كما ذكرنا ووصل كما وصفنا ففرح الأمير عبدالوهاب بذلك وقويت قلوب أصحـابه به هذا وقد أقبلت عليهم غبرة أخرى من صوب أربل والبواريج وكانت تحتها عسكر الشام ومصر مع الأمير قراقد المصرى فى مائة ألف فارس وعشرة آلاف

بطل أسود من الذين تفرقوا إلى أرض مصر (قال) وكان الأمير عبدالوهاب لما خلص من السجن قد طير الطيور إلى أرض مصر وأرض الشام يعلمهم بخلاصه من يد قناصة وإن الخليفة الإمام المعتصم بالله فى الجهاد فعندها تجهز نائب مصر وسار فى هؤلاء الاقوام إلى أن وصل اليهم (قال الراوى) وأول ما وصلت الأميرة غمرة ابنة الأمير عطارد فى سادات بنى كلاب التى كانت فى الحجاز وفى قلوبهم الغدر للمعتصم بالله وهم يقولون إن لم يكن الأمير عبدالوهاب خلص على الحقيقة ونراه مشاهده مع جماعة أمرائنا وأصحابنا وإلا أطبقنا على المعتصم بالله بمن معنا حتى أنه يخرج لنا أميرنا وأميرتنا وأصحابنا من الحبوس ولم يزالوا كذلك وهم بين المكذبين والمصدقين حتى وصلوا الى عساكر الأمير عبد الوهاب وقد التقاهم وفرح بهم وهناهم وهنوه وسألوه عن الأميرة ذات الهمة فقال لهم الأمير عبد الوهاب انها ذهبت إلى خلاص أمير المؤمنين ولا وصلنى لها خبر ولا حال ولا أثر (قال الراوى) ونظر الأمير عبدالوهاب إلى ذلك العسكر العظيم غير سادات بنى كلاب فقال لهم ومن أمير هذا العسكر سواكم فقالوا له الخليفة المعتصم أمير المؤمنين وهو يذكر لنا أن الأميرة ذات الهمة قد خلصته لأننا وصلنا إلى بغداد بالاتفاق فوجدناه قد جمع العساكر وكان قد وصل الينا كتابك فشكينا فى خلاصك وقلنا إن لم نراك وإلا فيكون الكتاب قد زوروه على خطك وعولنا على ماهو كذا وكذا

(قال) فضحك الأمير عبد الوهاب ونزل المعتصم بالله وبقى الامير عبد الوهاب كلما أراد أن يمشى اليه ويبوس الارض بين يديه فيرجع يأخذه كبر النفس لاجل ماصنع فى حقه والامراء يقولون نحن مانمضى اليه ولا نسلم عليه فلا تظن أنه سائر الينا يبغى نصرتنا وإنما أتى ليقاتل عن بلده وروحه والإسلام وإلا كان سار الملك يحرون اليه وأخذه من موضعه (قال) فهم كذلك وإذا قد أشرف عليهم المعتصم بالله وهو راكب على بغلة النوبة وأرباب الدولة من بين يديه والوزير أحمد بن سهل معه ونظر الامير عبدالوهاب إلى العسكر وقد نزلت أيضا والإمام المعتصم أيضا قد سار طالب مضربه بنفسه فعند ذلك بكى فرحا وخرج اليه راجلا وخرجت الامراء من حوله حتى إذا التقيا فترجل المعتصم بالله اليه واعتنقه وجعل الامير عبدالوهاب يبوس الارض بين يديه ويقول له ياأمير المؤمنين بحق آبائك الطاهرين وبحق أجدادك المكرمين ألا ركبت إلى المضرب فقال لا والله لافعلت ذلك إلا أنا وأنت نسير إلى المضرب وينقضى من النظر اليك غاية الارب (قال) ولما صار إلى المجلس سأله الامير عبدالوهاب عن أمه الاميرة ذات الهمة فقال له كان من أمرها ماهو كذا وكذا وما أبطأت عنك إلا وقد سارت إلى بلاد الروم

حتى تخرب البلاد كما يبلغ الخبر إلى ملك الروم فيشتغل قلبه (قال الراوى) هذا وقد وصلت عساكر مصر وقورت الارض ودخلت من خلف عساكر الروم وقد حصلت عند عسكر الاسلام وكان فيها الامير قراقد والسودان كما ذكرنا فى عشرة آلاف بطل من الابطال فعندها فرح الامير عبد الوهاب بالسودان وفرسان الطعان وفرح المعتصم بالله الامام بوصول ذلك العسكر العظيم وقال يالها من سعادة كاملة لاترام (قال الراوى) الى هذا الكلام ولاحت غبرة أخرى من خلف عسكر الروم وكان تحتهـــا الاميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال والملكة ميمونة ومن كان معهم من الابطال فى ذلك الزى الذى ذكرنا وقد رحلوا إلى عسكر الروم ولم يوجه لهم لعظم تلك العساكر التى كانها مثل البحر الزاخر هذا والروم لم يعظم ذلك الأمر عليهم ووصول هذه العساكر ولا خطر ببالهم لانهم قد ملكوا الاودية والتلال والجبال (قال) ووصل جاسوس عقبه اليه فخبره أيضا بقدوم المعتصم بالله اليه وكيف كان خلاصه على يد الأميره ذات الهمه وقتل البطريق وقدوم السودان فكادت مرارته ان تنفطر وقال لابارك السيد المسيح فى الحبشان ثم انه دخل على الملك بحرون فوجد عنده الوزراء وهم جالسون وهما يتحادثان ويضحكان ومافى عيونهما من اهل الأرض شيأ فقال عقبه لعنه الله بعدما سلم عليهما وقد قاما اكراماله واعظاما فجلس بينهما وحدثهما بما جرى من أول الأمر إلى آخره (قال) فلما سمع الملك بحرون ذلك من كلامه انقلبت عيناه فى أم رأسه وقامت أوداجه حتى كاد ان تنقطع منه أزياقه وقال خلص المعتصم بالله فقال له نعم أيها الملك وهاهو قد نزل فى مقابلتك كما نراه وهذا كله عملك لانك أنت قد طاولت القوم إلى هذا الحدمع هذا الاسود الزنيم الوغد اللئيم حتى قويت شوكته وتركته من يدك حتى كثر عسكره ولهم مثل هذه العاهره ذات الهمه ومثل هذا الشيطان أبو محمد البطال يدبر لهم الخيل وسوف توخذ البلاد لان أبو محمد البطال يأخذ ثياب الروم وعددهم ويلبس ذلك ويأتى إلى عسكرك ويختلط بهم وإذا التقيا الجيشان وتقاتل العسكران والتحم الاقران هنالك يحمل على المواكب التى تكون أنت فيها فلو مالت الراية التى عليها الصليب الأحمر لانهزمت الامم فانظر الآن مابين يديك من هؤلاء القوم الذين قد ملؤا الأرض ذات الطول والعرض والاندمت حيث لاينفعك الندم إذا ذلت بك القدم فان وراءك مثل هذا الشيطان أبو محمد البطال اللص المحتال وهو يدور من حول العسكر بلامحالة ولا تعرفه فى عظم ذلك الجيش الكبير

(قال الراوى) إلى هذا الكلام فلما سمع الملك بحرون من عقبة ذلك الكلام فقال فى غداة غد أحمل فى العساكر كلها عليهم ولا أبقى منهم باقيه هذا وان الوزير مذبحون

لما سمع بذكر الأمير أبو محمد البطال فقال الملمون عقبه إلى كم تفزعنا بهذا الشيطان أبو محمد البطال فقال له عقبه أيها الوزير الاجل أنت هذا الرجل ما تعرفه وهو فرعون الأرض لكنه ماقدر قط يتسلق كما فعلت أنت بحصن يانس المتعذب (قال) ثم ان عقبة جعل يحدث الوزير مذبحون بصنائع الأمير أبو محمد البطال وفتحه البلاد وحيلته على العباد ثم انه قال وحق المسيح لو غاب وحضرت أنت نقول ماقلنا إلا انه غيرك ولو غبت أنت لقلنا أنك هو لان الخلقة كلها واحده وما فيها خلاف فى القد واللحيه والمنظر والصوره وجميع الأشياء (قال) فلما سمع الوزير مذبحون ذلك الكلام تعجب وقال له أيها الشيخ النجيح إذا كان الأمر على ما ذكرت فلو رأيت هذا الرجل أبو محمد البطال أو عرفت له مكان لرأيت منى العجب وأما عبد الوهاب فان أردت فى هذه الليله ان يأتيك قتيل أو أسير وأقوده بيدى قود الطفل الصغير فقال عقبه اما انك لو كنت تغير هذا الزى لقلت انك يتم لك جميع ماتريد وأما انك هكذا فلا (قال) فلما سمع الوزير مذبحون ذلك الكلام انتخب من العرب المتنصره عشرة آلاف فارس وقال للملعون فى أى زى يخرج الأمير أبو محمد البطال فقال له عقبه فى كذا وكذا فعندها لبس الوزير مذبحون فصار كانه الأمير أبو محمد البطال لايفرق بينهما أحد من الناس ثم انهما خرجا من العسكر وعقبة على غاية من الخوف والخطر على الوزير مذبحون لئلا يلقى نفسه فيما لايخلص منه أبدا (قال) ولم يزل كذلك حتى تنصف الليل وصار بالبعد من ناحية عسكر المعتصم بالله على قدر فرسخ منهم وأكمن أصحابه ودخل إلى الخيام وتخطى المضارب (قال) فهو كذلك إذا لقيه مالك بن طوق فى رجال الحرس والمشاعل تقد بين يديه فلما نظروه صاحوا عليه من أنت فقال لهم أنا من تعرفوه ولا تنكروه أنا (الأمير أبو محمد البطال) فلما أشرفوا عليه ونظروا اليه وإذا به الأمير أبو محمد البطال ينطق لاريا ولاريب ولامحاله الصوره والكلام الكل واحد (قال) فعندها ترجل الأمير مالك إلى وجه الأرض وقالوا ياأبو محمد يا بطال الحمد لله على سلامتك ولقد من الله تعالى على الامام المعتصم بالله بكم وعلى سائر الناس ولكن اخبرنى من أين وصلت فى هذه الساعه قال من عسكر الأميره ذات الهمه ونحن معولين على الوصول إلى عسكر الروم ونكون من حول سرادق الملك يحرون إلى ان يصبح الله بالصباح ويرتفع الصياح هنالك نهلل ونكبر ونهجم على الملك يحرون ونحدق به وارفعوا أنتم أصواتكم واحملوا ولكن الاميره ذات الهمه لها مع ولدها الامير عبد الوهاب رأى آخر لايقف عليه غيره فادعوه الساعة فقال سمعا وطاعه ثم انه مضى لوقته وساعته فوجد

الامير عبد الوهاب عند المعتصم بالله وهم فى الاحاديث التى جرت يدبرون وإلى لقاء الملك يحررون يتشاورون فعند ذلك دخل مالك بن طوق وتقدم الى الأمير عبد الوهاب وساره فى أذنه بكلام ففرح وقال أنت رأيت الأمير أبو محمد البطال فقال له نعم فى هذه الساعة فقال له المعتصم بالله ما الخبر فقال ياأمير المؤمنين يكون الحديث عندك مكتوم والاخرج الخبر لأن هذا المكان لايخلو أن يكون فيه جاسوس للروم وينفسد ماتدبره الأميرة ذات الهمة فقال له المعتصم بالله ووصلت الى ههنا فقال نعم فقال له المعتصم فأنا أجيء معك وأسمع مايقولون وأوصيها بأمور فى قلبي ان تفعلها (قال) ثم انه ركب على بغلته وركب الأمير عبد الوهاب وقدساروا ومالك بن طوق بين أيديهم حتى وصل بهم الى عند الوزير مذبحون وهو يظنه الأمير أبو محمد البطال فقال له هذا الأمير عبد الوهاب وصاحبه أمير المؤمنين يريد الأميرة ذات الهمة حتى يقول لها على شيء فى نفسه ويبقى الرأى على مايكون فقال الوزير مذبحون نعم مافلت وأنا أرجو أن يكون هذا الحال لايخرج من أحد منكم فيبطل علينا ما كنا فيه فقال مالك بن طوق ماعلم بهذا الا الله تعالى ونحن (قال) ولما قربوا من بعضهم البعض تقدم الوزير مذبحون الى المعتصم بالله وهو يعرفه لأنه كان مأسورا عندهم فقبل الأرض بين يديه وقال يامولانا ما الامر الا أقرب من أن تتولاه أنت بنفسك وسوف ترى مايسرك ان شاء الله تعالى (قال) فلم ينكر أحدا على ذلك الكلام انه كلام الامير أبو محمد البطال وان شخصه (قال) ثم أنه دنا من الامير عبد الوهاب واعتنقه وقال والله مالنا عيش هنيء من الخوف عليك من عسكر الكفره الملحدين الفجرة فقال الأمير عبد الوهاب اعلم ياأبو محمد ان القلب مع الله وما يكون الا الخير ومن يتوكل على الله فهو حسبه فسر بنا قبل مايأتى الظلام فقال سمعا وطاعة (قال الراوى) ثم سار المعتصم بالله والامير عبد الوهاب ومالك بن طوق والوزير مذبحون سائر بين أيديهم كأنه شيطان والامير عبد الوهاب يقول ياأبو محمد ماهذا صواب ان نكون نحن ركاب وأنت راجل فقال له يامولاى لو كنت راكب ما كان خفى وقع حافر الفرس على جراسيس الروم فقال له صدقت الآن ياأبو محمد هذا نظر مثلك (قال) ولم يزل سائر بهم الى أن أوقفهم فى وسط الالف فارس المتنصره وكانوا كلهم أقيال أوقاح فرسان الحرب والنزال وفى أيديهم السيوف الصقال فلم ينكر ذلك وجعلوا يخترقون الناس ويطلبون الاميره ذات الهمة (قال الراوى) فعندها صاح الوزير مذبحون فأخذوهم على غفلتهم ورجعوا أيضا من ليلتهم بهم الى أن أبعدوا بهم عن العسكرين وكان عقبة لما سار الى ذلك الامر فقال له ان ظفرت بالامير عبد الوهاب لاتقتله لان خلفه شياطين الارض قد خلصوا معه ولكن

سير به الى بلاد الروم ونأمن عليه ونملك البلاد ونهلك رقاب العباد وبعد ذلك نقتله أشر قتلة (قال الراوى) هذا وان الوزير مذبحون لما أخذ هؤلاء الثلاث رجال علم أنه ظفر بمالم يظفر به أحد ثم انه صار يقطع الأرض ذات الطول والعرض إلى أوائل جبال الروم وأرسل إلى القاضى عقبة المذموم من عنده رسول يعرفه بهذه النوبة وانه قد أخذ المعتصم بالله والأمير عبد الوهاب (قال) فلما سمع بذلك فرح فرحا عظيما وألحقه بالأمير ظالم وأخيه الأمير سيف الحنيفية وقال للرسول قل له لايرجع حتى أنهم يحصلوا كلهم فى مدينة القسطنطونية وأنا أدبر الملك فى الوزراء إلى حين ترجع (قال) فعند ذلك أخذهم ذلك البطريق الذى أرسلهم الملك معه وسار بهم على غير طريق التى سار بهم فيها الوزير مذبحون (قال الراوى) هذا وقد أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وقد فقد المعتصم بالله من السرادق وفقد الأمير عبد الوهاب كذلك فعظم ذلك على المسلمين وأبطال الموحدين وقالوا كلمه لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فعندها صاح الأمير ضيغم ولد الأمير عبدالوهاب فى بنى كلاب وقال ربما تكون الأميرة ذات الهمة قد أرسلت وراهم لأمر تريد أن تصنعه فلا تشوشو فانا موضع أبى الأمير عبد الوهاب ونحسب أن الامام المعتصم باللهما أتى إلى الآن (قال الراوى) ثم ان الأمير ضيغم صاح فى الناس فركبوا وحملوا الا تراس وعقبة قد أعلم الملك بحرون بهذه القصة ففرح فرحا شديد هذا والأميرة ذات الهمة ماعندها خبر من ذلك لأنها فى عسكر الروم وانها قالت للملكة ميمونة والأمير ملاعب البغال كونوا بالقرب من صليب الملك بحرون حتى أقول لكم ماذا تصنعون فقال الأمير أبو محمد البطال أنا أخاف من الملمون عقبة ان يعرفنا فقالت بعد ماتكون لقربهم مانبالى ان عرفونا أم لا ونحن نعرفهم بأنفسنا اطلبوا بنا المصاف فقالوا لها نحن بين يديكى نضرب بالعمد ونرمى أرواحنا فى الأمر الصعب ولو كانوا فى عدد النجوم فنحن نتوكل على الحى القيوم الذى يعلم الغيوم ويسبحه قطرات الذر تحت التخوم (قال الراوى) ثم جعلوا يتخطون النـــاس حتى قربوا من المصاف الذى للملك بحرون وموكبه الذى هو راكب فيه وهو يوصى قومه بالبراز ويقول لقومه من أخذ اليوم مسلما أعطيه البلاد ثم جعل يخلع عليهم وعلى سائر أمراء المتنصره ويدعو دارس وأخيه مارس ويخلع عليهم (قال) ثم انه ادعى بالأميرة ذات الهمة وقال ياويلكم اخلعوا على هذا البطريق نخلع عليها خلعة سنية فقال له عقبة إن هـذا الفارس الذى بين يديك هذا الذى نخاف كلنا منه وكان عقبة قد اعـــلم الملك بحرون من أول الليل كما ذكرنا (قال) فلما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الـكريم بنوره ولاح أتاه

عقبة وأخبره بأن الاميرة ذات الهمة فى خمسة آلاف فارس فى العسكر وهما أبطال المسلمين ولهذا أمر الملك بحرون أن يخلع على البطارقة حتى يعرفوا بعضهم البعض وعقبة الى جانبه وقد علم أنهم مايقدرون يحملون على الملك بحرون حتى يقع القتال والحرب والطعن والنزال وتحمل الرجال على الرجال فقال للملك بحرون أنا أكون أيضا بالقرب منك متنكر فاذا وصلت الاميرة ذات الهمة اليك أعلمتك بها فقال له سمعا وطاعة (قال) لجعل يخلع عليهم الى أن تقدمت الاميره ذات الهمة وهى على أمان واطمئنان فأخذوها وقد وقع السيف فى الناس فهلل وكبر الامير أبو محمد البطال وكبرت الرجال وانطبقت عليهم الروم من كل جانب ومكان وعملت بينهم السيوف القواضب هـــذا وقد نظر الملك بحرون إلى ذلك لحمل بنفسه من حنقه عليهم وسمع الامير ضيغم العياط والصياح من العسكر فظن أن الامير عبد الوهاب فيهم مع الاميرة ذات الهمة فى هـذه النوبة لحمل بعساكره وأبطاله (قال) ولم يزل القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن دخل عليهم الليل وقد خلص من أصحاب الاميرة ذات الهمة ثلاثة آلاف فارس وفيهم الامير أبو محمد البطال وكذلك الملكة ميمونة ووصلوا الى عسكر الاسلام وكان على قلب الأمير أبو محمد البطال وعلى قلوب المسلمين من ذلك أمر عظيم (قال) فسألوا عن الامام المعتصم بالله والامير عبد الوهاب فذكروا لهم انهم قد فقدوا ومعهم الامير مالك بن طوق وقد قيل لنا انك يا أبو محمد جئت اليهم فى ظلام الليل وأخذتهم فقال لهم الامير أبو محمد البطال والله ماعندى من هذا علم ولا جلية أثروماهما الا قدتمت عليهم الحيلة من هذا الذى وصفوه جميع الخلق بى وكأنه أنا وكأنى هو على ماقد قيل لى وأنا ماأدرى من أين أتى هذا الشيطان وما أصيبوا الا بى الاسلام فقالوا له والله ياأبو محمد انه ماخلا منك لا كثير ولا قليل فسبحان من خلقكما من ماء مهين فقال لهم الامير أبو محمد البطال ما بقى يكشف هذه النوبة الا أنا (قال الراوى) الى هذا الكلام ثم ان الامير أبو محمد البطال أخذ غلمانه وخرج من العسكر الى أن وصل الى عسكر الروم ومشى بينهم وقد علق عليه لحية كبيرة شقرة كأنها برشم ومعه غلمانه فجعل يجلس مع قوم بعد قوم فلم يسمع خبر إلى أن وصل إلى الصقلب يتحدث معهم إلى أن أتوا إلى حديث الوزير مذبحون فقال الامير أبو محمد البطال كيف خلاه الملك بحرون يمضى فى هذا الوقت وهذا العدو بين أيدينا فقال له واحد منهم مامضى إلا برأى الملك بحرون ورأى الشيخ النجيح وانه قد أخذ خليفة المسلمين وأميرهم المسمى بالأمير عبد الوهاب ولولا ذلك لما أخذنا اليوم الأميرة ذات الهمة بل كان الأسود الزنيم يهجم الى وسط الناس ويخلصها

(قال الراوى) فلما أن سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام فقال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم إنه أقبل على غلمانه وقال لهم هذا الأمر الساعة قد فات وفات فيه الفوات قوموا بنا ننظر مايكون فى هذه الليلة (قال) ثم إن الامير أبو محمد البطال قصد إلى سرادق الملك بحرون فوجد الملوك كلهم قيام يحجبوه وأيديهم على قوائم سيوفهم وهو جالس على كرسى من الذهب والبترك بين يديه والاميرة ذات الهمة قدامه والبطارقة متطاولين إلى قتلها والملك بحرون قد وعدهم بذلك فى غداة غد وما منهم إلا من هز سيفه فى وجهها ويقول لها ياويلكى كم لكى فى الروم من داهية ولا بد لنا مما تروى سيوفنا من دمكى والاميرة ذات الهمة لاتجيبهم بكلام ولا ترد عليهم نظام

(قال الراوى) هذا وعقبة مقبل على الملك بحرون وهو يقول له السيد المسيح يحفظ هذه العوارض الجميلة فقد نلت فى الدنيا غاية المراد ولو لم يكن إلا أخذ هذه العاهرة التى قد سفكت الدماء وأرملت النساء وما فى قلبى حسرة إلا من هزيمة هذا العسكر الذى بين أيدينا مع هذا الأمير ضيغم وأخذ الامير أبو محمد البطال وقد انكسروا ولو أنهم يكونوا عساكر أهل الارض فقال الملك بحرون أيها الشيخ النجيح بحق السيد أيهما أشجع هذه الاميرة أو ابنها الامير عبد الوهاب فقال له عقبة أيها الملك لايغرك أنك أخذتها وهى آمنة مطمئنة وما تظن أنى عرفتها وغمزت عليها وأخذتها وهى فى غرة منها وان رجالها متفرقة فى سائر الاماكن وهذه الاميرة ذات الهمة وحق المسيح ماعلى وجه الارض نصرانى ولا نصرانية إلا وفى قلبه منها دبله وأى دبله وأما أنا فهى أبغض الناس إلى وبعدها ذلك الشيطان أبو محمد البطال فقال له الملك بحرون دعنى من هذا الفشار والزور والهذيان اناسألتك سؤال ما أجبتنى عليه فقال له عقبة يامولانا ايش هو الذى اجيبك عليه وحياتك لوكان فى عسكرك مثلها عشر رجال فتحت الأرض برا وبحرا وما فى الرأى الا ضربها فى غداة غد بالسيوف بين الصفوف ففى ذلك انكسار عساكر الاسلام وأخذ الديار والبلاد والسلام (قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون ذلك الكلام عظمت الأميرة ذات الهمة فى عنيه وقال ما أظن هذا حقا وهذا شيخ كبير السن وماله بهؤلاء معرفة فلاجل هذا يتحدث بما لا يعرفه لان الأبطال لايعرفهم إلا مثلهم فعندها علم الملعون عقبة مافى نفس الملك بحرون فأقبل على البطارقة وقال يا أبناء النصرانية ماتصدقوا قولى عند الملك لانه مايعرف هذه الأميرة ذات الهمة فكل من كان عارف بأمر الأميره ذات الهمه يقول فقالوا وحق المسيح ياملك ماوصف الشيخ النجيح الا بعض ما فيها من الفروسيه ومافينا الا من اخذته وأخذت فديته المال الجزيل وقتلت آباؤنا

وأجـــدادنا ولها فى كل بلده واقليم هول عظيم (قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون ذلك الكلام من البطارقة فقال ياويلكم على بغلامى جرجيس بن تمليخا فعندها حضر بين يديه وكان مثل الجمل العظيم طويل من الرجال بجلس على أكتافه من كل ناحية رجلان مفتول السواعد كانها العمد الطوال (وقد ذكر الناقل) لهذا الكلام أنه ما كان فى بلاد الروم كلها أقوى منه ولا أشد منه بأس ولا أقوى مراس (وفى الحكاية عنه) أنه أخذ عامود ثقيل من الحديد فشد يديه عليه وقد طواه حلقه وهذا أبلغ مايكون من القوة والشجاعة وكان الملك بحرون قد جعله سيف نقمته وهو اذا سخط على إنسان دعاه ليضرب عنقه فكان يضربه مرة بسيفه ومرة يلاطمه بيده فيطير لحم قحفه ورأسه وكانوا أبناء الروم يفزعوا منه إذا نظروا اليه لاسيما إذا دعاه الملك بحرون إلى بين يديه فلم يبق أحد منهم الا يظن انه هالك وان الملك بحرون مادعاه الا ليهلكه (قال) فعند ذلك دعاه الملك بحرون فوقف بين يديه وقد جرد سيف النقمه بيديه وكان عرضه عرض باب دار قوى المسمار حاد الشفار للموت فى طرفيه آثار وقد كتب عليه هذا قاطع الاعمار وكان هذا الملعون إذا دعاه الملك بحرون تنقلب أيضا عيناه فى أم رأسه وهو يطلب سفك الدماء لانه كان قد خلع الله الرحمة من قلبه فلما نظر الملك بحرون اليه فقال أتدرى لماذا قد دعوتك فقال لا أعلم انى لو أمرتنى بضرب ألف رقبة لفعلت ذلك وأنا وحق المسيح فى هذه الليلة مستريح ولم أقتل فى الحرب من المسلمين غير ستة وثلاثين فارس وقد صعب على اذا لم أقتل الا هذا المقدار (قال الراوى) فعندها ضحك الملك بحرون من كلامه وقال له ماقولك فى هذه المرأة التى بين يديك وقد أجمع الناس كلهم انها أفرس من ولدها الامير عبد الوهاب وقد عاينت أنا من ولدها الامير عبد الوهاب مالم أراه من غيرى فى حال برازى معه أياما عديده ولم أصل اليه ولم أقدر عليه فقال له أيها الملك قل لى أقتلها حتى اريك كيف أصنع فيها فقال له الملك بحرون ماهذا مليح وقد وصفت لى قوتها وأنا أعلم أن ما فى أبناء النصرانية أقوى منك (قال) وأنا أريد منك فى هذه الساعة أن تحل أيضا كتافها وتصطرع أنت وإياها فان أنت صرعتها إلى الارض ذات الطول والعرض خلعت عليك وان لم تصرعها ضربت رقبتك فقال له ذلك الملعون أنا قد عرفت الشرط الذى بينى وبينك ولكن يامولاى أنت تعلم انى ما بارزت أحدا قط وشم نسيم الهوى وهذه المرأة أنت تعلم انها هالكه وان كان فيها غير القتل فافعله والا فقد دنا أجلها فقال له الملك بحرون أسرع (قال) فعندها قام قائما على قدميه وقطع كتافها وحل رباطها وفك قيدها فقامت الاميرة ذات الهمة قائمة على قدميها وهى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا

عبده ورسوله ﷺ ثم انها رأت ماقد عزم عليه الملك بحرون وعظم ذلك البطريق الذى كانه الفتيق أقبلت الاميرة ذات الهمة على الملك بحرون بقوة قلبها وقد أيقنت بالموت فقالت له اعلم أيها الملك ان الموت محتوم على كل مخلوق مرة واحدة وماأبالى بأى وقت أتانى فأنا الذى سمعت صفتى وهذا البطريق الذى تشهد له سائر أبناء الروم بأن مافيهم أقوى منه وهذا ماهو صحيح أن يكون معك ألف ألف بطريق مافيهم أحدا مثله وأنا على كل حال امرأة ضعيفة فان أردت قتلى بالسيف فافعل وإن أردت أصارعه كما ذكرت يكون على وعد منك وعهد وعقد وذلك ان ظفرت به تترك سبيلى لعلى اجتمع بولدى الامير عبد الوهاب وأراه قبل الموت وكنت قد سمعت بأن الوزير مذبحون قد أخذه وأخذ المعتصم بالله الآخر وسيرهما إلى القسطنطونية وكنت قد بقيت على غاية من القلق (قال) فلما سمع الملك ذلك الكلام من كلامها رق أيضا قلبه لها وقال هذه امرأة مسكينه تعلل قلبها بأنها سالمة من القتل والهوان ولكن وحق المسيح والدين الصحيح ان انتى سلمتى منه لاطلقن سبيلك وان شئتى المقام عندى إلى ان أفتح البلاد وأجمع بينك وبين ولدكى الأمير عبد الوهاب وان أردتم المقام على دينكم وتكونوا جميعا تحت يدى فأنا افعل ذلك وان تنصرتم فأنا اعطيكم الديار والبلاد من ملطيه إلى بغداد (قال) فلما ان سمع عقبه من الملك بحرون ذلك الكلام أيقن فى نفسه الخبيثة بأن البطريق جرجيس يقتل الأميره ذات الهمه حيث هو يصارعها هذا وان الأميره ذات الهه شمرت عن ذراعيها وزنديها وكل واحد منهما ينظر إلى صاحبه شذراويرمقه حذرا هذا والبطارقة قد أخذتهم البهتة اليهما وهما كانهما جبلين تصادما أو بحروين قد تلاطما (قال) فدنا كل واحد منها من صاحبه وتحاربا وتضاربا وقد تعاركا فعندها جعل الملعون جرجيس يجذب الأميره ذات الهمة موضع إلى موضع وهى كانها عامود حديد أو الرصاص الذى ليس له من الأرض خلاص ثم انه قد أجهد نفسه ان يصرع الأميره ذات الهمة فوجدما أمله منها بعيد والوصول اليها صعبا شديد (قال الراوى) ولم يزالا يتعاركان إلى ان كل ومل فصاح الملك بحرون بالبطريق جرجيس فقال لبيك لبيك يامولاى فقال له ويلك أين لطماتك وأين ضرباتك (قال الراوى) فعندها تملص الملعون من الأميرة ذات الهمه وكبب يده كانها حافر بغل شموص ولكم بها الأميره ذات الهمه فوثبت من بين يديه أكثر من ستة أذرع فجاءت رجليها عند الكرسى الذى كان جالس عليه عقبة وكان قد دلا رجليه فجاءت قفزه الأميره ذات الهمه بحيلها على رجليه فكادت تقضى عليه فصرخ عقبة صرخة شديدة وقد وقع مغشيا عليه (قال الراوى) ثم ان الأميرة ذات الهمه صرخت

على ذلك البطريق ووثبت عليه وقد لكمته بيدها فى صدره فخسفت رفادة صدره فانقلب واختلج ساعه زمانيه وعجل الله تعالى بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) فعندها صلبت الروم على وجوهها وصار بحرون يضرب بيد على يد ويصلب على وجهه ويقول مليح مليح (قال الراوى) فانتبه عقبة لعنه الله من غشوته وهو يقول له ياملك النصرانيه ايش هاهنا من المليح وهى قد قصفت رجل الشيخ النجيح أنا ماقلت لك يامولانا ان هذه العاهرة ماتطاق وتدرك فى السباق يا ملك النصرانية بحق السيد المسيح والدين الصحيح لاتطلق سراحها فتندم غاية الندم وحق المسيح لئن أطلقتها إلى عسكرها لتاخذنك فى غداة غد من مكانك الذى أنت فيه يامولاى قد أطحنت رجلى فلا تطلقها من يدك بحق السيد المسيح فقال له الملك بحرون لا وحق المسيح انه قد أعجبنى أيضا فعلها ياشيخ يانجيح وحق المسيح هذا القول الذى تقوله الآن مايليق بمثلى لأننى قد أقسمت لها بالسيد المسيح ان هى ظفرت بغريمها فلا بد لى ان أطلق سبيلها فقال له عقبة يامولانا ماللمسلمين عندنا لاعهد ولاميثاق فلا تغتر بهذا القدر فقال له الملك بحرون ياشيخ نحن الآن مطلوبين بالصدق ولا يرضى بالكذب الا أقل الناس وأنا فلا يدعنى طبعى الا إلى الصدق وأنا فلا بد لى من اطلاقها (قال الراوى) فلما سمع عقبة من الملك بحرون ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه ثم قال فى نفسه من يوم رأيت لونه اسود فعلمت ان مالى منه راحه ثم انه قد أقبل على الملك بحرون وقال له اعلم يامولاى انك لسوف تندم غاية الندم ان عولت على اطلاقها (قال الراوى) فهو معه على مثل ذلك الكلام وقد عول على اطلاقها ولا واحدا وإذا باكثر من عشرين بطريق صارخين فقال الملك بحرون ياويلكم ماوراكم ومن بشره رماكم فقالوا له وراءنا الويل الشديد والحرب الأكيد الذى ماعليه من مزيد قتلت الرجال وفنيت الابطال وأسر وزيرك مذبحون وخاص خليفة المسلمين وخلص أيضا صاحبه الامير عبد الوهاب (قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون ذلك الكلام فقال ياويلكم ومن فعل بكم هذه الفعال فعند ذلك أخبروه بالقصة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الامير عبدالوهاب والامير مالك بن طوق لما ان أخذوا وتمت الحيلة عليهم التى دبرها عليهم الوزير مذبحون وأخذهم وسار بهم يقطع الارض ذات الطول والعرض طالب بلاد الروم فكان من قضاء الله وقدره بان الامير نافع الذى كان فى حصن الكوكب الذى أقطعه اياه الاميرعبد الوهاب كان فيه الامير نافع مقيما فى مائة فارس من تلك السودان (قال الراوى) وكان المعتصم بالله لما قبض على الاميرعبدالوهاب ومن كان معه من الاصحاب قد أرسل اليه يطلب منه تسليم الحصن فابى ذلك الخطاب

وكان معولا على أنه إذا دخل إلى بلاد الروم يأخذه قهرا بالسيف هذا وقد طالت الايام إلى هذا الوقت وكان الامير نافع قد أقبل على غلمانه وقال لهم هذا كلب الروم قد أخذ حصن الامير يانس المتعزب وقدخرج الى بلاد الإسلام وقد أخذ ملطية ولم نسمع بعدهذا خبر وإن الامير عبد الوهاب قد أطلقه الخليفة الامام وأنا فقد عولت على أنى آخذ منكم قدر سبعين رجلا ويبقى فى ذلك الحصن ثلاثين رجلا وأسير الليل أيضا وأكمن بكم فى النهار حتى نصل إلى بلاد الاسلام وأنتم تعلمون انى أخاف من الروم ومن الاسلام وأنا أخاف أن يقبض على المعتصم بالله حتى أسلم اليه الحصن فأنا أسير فان سمعت بأن الامير عبدالوهاب خلص مضيت اليه وجاهدت بين يديه وإن تكن الاخرى وهلك الامير عبدالوهاب ولم يبق أحد من أولاده سلمت الحصن إلى السلطان وأقمت فى بلاد الاسلام فقد ضجرت من المقام بين الكفار الملاعين اللئام فقالوا له قومه نعم مارأيت

(قال الراى) ثم ان الامير نافع أخذ من قومه سبعين فارس اقيال أبطال وسار يقطع الارض وهو يسير الليل ويكمن بالنهار وقد أخذ على غير طريق ملطية وقور الارض فوقعت طريقه على الطريق التى سار فيها الوزير مذبحون وكان ملتقاهم عند قرية البرج إلا أن الامير نافع مكمن هو وأصحابه لانه قد سمع بأن الملك بحرون فى أرض الموصل فهو فى المكمن وإذا بغبرة قد طلعت وعلت وارتفعت فقال الامير نافع لاصحابه هذا عسكر قد طلع علينا فلا تبرحوا من هذا المكمن الذى أنتم فيه حتى ننظر هؤلاء القوم فقالوا سمعا وطاعة (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولم يزالوا كذلك إلى أن وصلوا جماعة الوزير مذبحون فنزل هنالك وسرح خيله لانه قد أمن على نفسه فى تلك البلاد لانها أرضهم وفى أيديهم وهى خالية من الإسلام والعسكر الذى بقى قد انضم الى عسكر العراق وقد خلت الآفاق فهم آمنون ممن يروعهم فضربوا خيامهم هذا والامير نافع ينظر اليهم فعلم أنهم من العرب المتنصره (قال الراوى) ياسادة يا كرام فبينماهم كذلك اذ نظر الى رجال طرحوهم من على ظهر البغال وقد توكلت بهم الرجال فقال الامير نافع هؤلاء قوم أسارى بلا محالة ثم انهم صبروا الى أن جن عليهم الليل ثم دخل فى العسكر الى أن قرب من الاسارى والرجال من حولهم فعرفهم (قال الراوى) فعلم أنه الامير عبد الوهاب والامير مالك ابن طوق والمعتصم بالله هذا وقد نظر إلى الوزير مذبحون وهو نائم على سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وهو يشرب الراح وفضلته يصبها على رؤسهم والامير عبد الوهاب ينظر اليه ويقول سبحان الخالق الذى ليس له شبيه ولا مثال وكان كذلك لان الوزير مذبحون هذا ماخلا من الامير أبو محمد البطال حبة واحدة

(قال الراوى) فلما نظر الامير نافع الى ذلك انقلبت عيناه فى أم رأسه وعاد إلى أصحابه وأخبرهم أيضا بهذه القصة فعند ذلك أخذوا العدد وركبوا على ظهور الخيل فقال لهم الامير نافع ياويلكم تفرقوا من سائر الجنبات واطلبوا تلك النار الكثيرة الارهاج فاذا وصلتم اليها وقدمتم عليها فاعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير وابذلوا أيديكم فيهم (قال الراوى) وكانوا سبعين فارس أسود الحرب وليوث الطعن والضرب ثم انهم تفرقوا وعند ذلك النار قد اتفقوا وصاحوا فى ظلام الليل صيحة واحدة فانزعجت بهم الدنيا وقد خيل للعرب المتنصرة أنهم مائة ألف فارس ثم انهم قد ضربوهم بالسيوف الحداد والرماح الطوال المداد (قال الراوى) فلمانظر الامير عبدالوهاب الى تلك الاحوال تمطأ فى كتافه فقطعه ثم وثب قائما على قدميه ولفه على سواعد الوزير مذبحون وتفرقت العرب المتنصرة من حوله وطلب كل واحد منهم الهرب فنهم من طلب بلاد الروم ومنهم من طلب عسكر الملك بحرون وبعد ماقتل منهم خلق كثير وقد خلص الأمير عبدالوهاب والمعتصم بالله وكان الذين طلبوا عسكر ملك الروم بحرون كانوا عشرين فارسا فاعلموا الملك بحرون بما جرى عليهم فقال لهم الملك بحرون وقد شاظ غيظا وغضبا ياويلكم اقبضوا على هذه المرأة فان كان صاحبى قد أسر خلصته بها وإلا أطلقناها كما وعدناها (قال الراوى) فعند ذلك قبضوا القوم على الأميرة ذات الهمة وأما الملكة ميمونة فانها أقبلت على عسكر المسلمين وقالت لهم اعلموا أن هذا الأمر يطول وما لنا إلى العسكر من وصول إلا بما أقول ويحسبوا هـذا الأمر منا لضعفنا فاحملوا بنا عليهم فان ظفرنا بهم فهو الذى نريد وإن لم نظفر بهم وإلا أخذنا من نفادى به هذه الأميرة ذات الهمة فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب

(قال الراوى) وركبت فى جملة العسكر وقد هان على الناس المنية ثم انها قد حملت فى ثلثمائة ألف فارس وهللت وكبرت وكبروا الناس من بعدها وأرموا أنفسهم على الروم وعمل الحرب والقتال والطعن والضرب وعملت الصوارم فى الجماجم وطارت الرؤس وعم الكفرة الخذلان والبؤس (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك المرام إلى أن أتى وقت السحر وقد انفردت الملكة ميمونة فى ألف فارس من بنى كلاب ثم طلبت سرادق الملك بحرون بعد ماركب وركبت الأمم من حوله ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتتل ونار الحرب تشعل وفى ذلك الوقت والساعة وصل الأمير عبدالوهاب والإمام المعتصم بالله والأمير مالك بن طوق والامير نافع طالبين عسكرهم فوجدوا الحرب قائمة على قدم وساق (قال الراوى) فعندها وكل الامير عبدالوهاب

بالوزير مذبحون من يحفظه وحمل هو والامام المعتصم بالله وحملت الرجال على الرجال ونادوا عن لسان واحد الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر وجحد فسمعوا بنى كلاب صوت الامير عبدالوهاب فمالوا اليه ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى ان سالت الدماء وأرملت النساء وامتلات الارض بالقتلى وزالت غياهب الدجا وأقبلت عساكر الضيا وطلعت شمس الضحا واختطفت الكواكب من عيون الورى فالسعيد من برأسه نجا وعرفوا الناس الاصدقاء من الاعدا والملكة ميمونه قد أخرقت صفوف الروم ومزقتها (قال الراوى) فعند ذلك لقيها الامير عبدالوهاب فى رجال الامير نافع وقد أظهروا العجائب بالسيف القاطع هذا والامير عبد الوهاب يهدر ويزمجر وأما الملكة ميمونه فانه قد ذهب همها وزال منها غمها ووصلت بنى كلاب اليه (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزال القتال يعمل والدم ينزل إلى ان جن الليل بالظلام وقد مال الامير عبد الوهاب إلى عسكره ومالت الابطال معه إلى أماكنها هذا وقد فرحوا الناس بخلاص الامير عبد الوهاب أكثر مما فرحوا بخلاص الامام المعتصم بالله ثم جلس المعتصم فى سرادقه وربط الوزير مذبحون إلى قائمة السرير وقال لابدلى من قتل هذا الشيطان بعد ماننظر مايكون هذا وقد سأل الامير عبدالوهاب عن الامير أبو محمد البطال فأخبروه انه مضى إلى الاميرة ذات الهمة ولم يرجع إلى الآن فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام والخطاب بقى من أمره على مقالى النار لفقد الامير أبو محمد البطال هذا وقد أضرمت النيران (قال الراوى) ولم ينام الامير عبدالوهاب فى تلك الليلة بل ينتظر الصباح لضرب الصفاح فهذا ما كان ههنا من الكلام (وأما) الملك بحرون فانه فى يومه لم يقاتل ولولا أنهم فى عدد التراب كانوا ما سلم منهم أحد لا أبيض ولا أسود وانه لما افترقوا الناس من القتال جمع الملك بحرون الملوك بين يديه وقال لهم وحق المسيح ما رأيت قط عسكر أشد من هؤلاء القوم ولا أوقح منهم فقالوا له أيها الملك من أجل هؤلاء القوم الملك قسطنطين ومنوبل وتوفيل وميخائيل كانوا يحملون المال إلى الخلفاء ولو ظفرت أنت بهم لما رجعت تقوم للاسلام راية أبدا فقال لهم الملك بحرون أنا فى غداة غد أفرد مائة بطريق ومع كل بطريق مائة ألف فارس وآمرهم باحراق المضارب والخيام حتى تتفرق هذه العساكر من أيدينا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انه قد أحضر الإنجيل وحلف عليه الملوك ان مافيهم من يحمل ويرد رأسه حتى يحرق خيام المسلمين بالنار هذا والبترك الكبير قد جمعهم وصلى عليهم صلاة الموت وقال لهم كل من سلم منكم كان لطفا من السيد المسيح ومن قتل

فانه يوصل إلى ما يؤمل من رضا السيد المسيح هذا وعقبة يقول ويلكم يامعاشر الملوك قد سمعت عن السيد المسيح انه قال من ضرب فى المسلمين ضربة أو طعن فيهم طعنة فقد أعطيته قصرا فى الجنة فى مجاورة حنا ومريم والصليب فقالوا له وحق المسيح ان كان فينا فى غداة غد من يرجع حتى يضرب المضارب والخيام بالنار فقال الملك بحرون وأنا فى أوائلكم هذا والأمير أبو محمد البطال يشاهد مقالهم وقد رفعت الأميرة ذات الهمة إلى بيت الجوارى الذى الملك بحرون وهى فى القيد والكتاف فلما مضى من الليلة ربعه تقدم الامير أبو محمد البطال فرأى الملك بحرون على حالته والملوك بين يديه ومافيهم من يقوم من مقامه ولا يزول من موضعه من هيبة الملك بحرون (قال الراوى) فعندها قصد الأمير أبو محمد البطال إلى المضرب الصغير الذى لجوار الملك بحرون والروم محدقين

(قال الراوى) وكانت الأميرة ذات الهمة فى هذه الساعة قد افتكرت فى هذه الشدائد التى قد جرت عليها فقالت اللهم لك الحمد على هذه النعمة التى قد أنعمت بها على ثم اندفعت تقرأ سورة يس والقرآن الحكيم إلى قوله تعالى أولم يرى الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم

(قال الراوى) وكان للملك بحرون جارية من أحسن الناس صورة ووجها وأشهاهم حديثا وكانت قريبة من القسطنطونية وعارفة بسائر الالسن الرومية وغيرها من العربية وكانت مطربة للملك بحرون تلعب بجميع الملاهى فلما سمعت الأميرة ذات الهمة وقد قرأت القرآن وقد سبحت الله عز وجل وهى تقول فى دعائها يارب انك أنعمت علينا حتى اننا لانهض بواجب شكرك فلك الحمد من قبل ومن بعد لااعتراض على أمرك ولا راد لحكمك فمن أسعد منى ان أوصلتنى ومن أشقى منى ان قطعتنى افعل بى ماتشاء فأنت أكرم الأكرمين ورب السموات والأرضين وقد روى صاحب هذه السيرة العجيبة ان الاميرة ذات الهمة لم يكن فى زمانها أدين منها ولا مثل شجاعتها وقد تقدم فى هذا الديوان مايغنى عن وصفها على أن ذلك توفيقا من الله عز وجل وعناية بها حتى جعلها سيفا للدين وترسا لقبر محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المرسلين ويروى عن الاميرة ذات الهمة أنها قد رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامها فى أيام صباها وكانت تخرج تخطف ماتجد فقال لها فى المنام يافاطمة أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى عنكى هذه الغفلة واستعدى للنقلة فأنتى سيف من سيوف الإسلام وسوف ترزقين ولدا يكون ترسا لقبرى وحامى عن ملتى وقد سألت الله تبارك وتعالى ان يوفقكم بالنصر ويلهمكم لذلك وينجيكم عندالمهالك

(قال الراوى) فلما رأت الاميرة ذات الهمة إلى ذلك المنام رجعت إلى الله تعالى وقد رزقت ولدها الامير عبد الوهاب وكانا منصورين كما ذكرنا وهى على غاية من الزهد والورع وانها لما بكت بعد قراءة يس وانهملت دموعها من الخشوع بكت الجاريه التى للملك بحرون وطار قلبها وعمل ذلك الكلام فى لبها فلم تملك صبرها دون ان تقدمت إلى الاميرة ذات الهمة وقطعت بيدها كتافها وقالت لها اعلمى أيتها المرأة الصالحة انى أنا جارية الملك بحرون وهو كافر بالله ملعون وكنت على ما كان عليه والآن فقد شرح الله صدرى لدين الإسلام من حيث سمعت منك هذا الكلام العزيز الذى قد سمعته منكى فعرفينى من قاله فقالت لها الاميرة ذات الهمة هذا كلام عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فقالت الجارية ياسيدتى قد تحركت لهذا الكلام جوارحى فانا قد عولت على انى أطلقكى وأهرب معكى فى هذه الليلة وأنا فقد فككت قيدك فخذى هذا السيف وهو سيف الملك بحرون وأنا أحظى الجوار عنده وأعزهم إلى قلبه وهو عندى أوفى مما أنا عنده ولكن محبة الله قد أشغلتنى عن محبته واعلمى انه من محبته لى ما استصحب معى قط جارية غيرى وهذه الجارية الاخرى فهى لى وما دنوت إليكى وقدمت عليكى إلا حتى أوثقتها كتافا وسددت فاها (قال الراوى) فعند ذلك سجدت الاميرة ذات الهمة شكرا لله تعالى وكانت الاميرة قد فكت قيدها وقامت قائمة على قدميها وأخذت السيف فى يمينها وقامت الجارية وقد حملت ماقدرت عليه من المال والملبوس وأتت الى بعض الاطناب لتقلعه وتخرج وقد جعلت الاميرة ذات الهمة فى زى الجارية التى لها لانها كانت فى كل ليلة تخرج هى وجاريتها من المضرب لقضاء حاجة تعرض لها فهى على ذلك معولة على الخروج وإذا بطنب الخيمة قد قلع وشيخ يعدو على يديه ورجليه

(قال الراوى) فهمت الجارية ان تصيح فقالت الاميرة ذات الهمة وقد خفق قلبها دعيه وربما يكون الامير أبو محمد البطال قد أتى أيضا فى طلبى ثم انها قد سكنتها وقالت أبو محمد فقال نعم وقد عرف كلامها لبيكى أيتها الاميرة (قال الراوى) فدنا اليها وقد فرح بخلاصها فرحا شديدا ماعليه من مزيد فاخبرته باسلام الجارية وقد أخفوا أنفسهم بازاء ما عبروا ثلاث مضارب وقد اختلطوا بالناس وكثرتهم وظلام الليل الى أن خرجوا قرب الصباح من عسكر الروم وقد وقفت الجارية وكان قد حصل لها شدة من كثرة التعب والنصب وشدة المشى فخشيت ان تمضى الاميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال عنها ويتركوها وكان شوقها على دين الاسلام أكثر من أن تقتل (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انها رفعت رأسها الى السماء وقالت يارب لا تقطع بى بعدان وصلتنى ولا

تردنى الى الضلالة بعد ان هديتنى فلم يستتم كلامها حتى جدد الله تعالى لها الحيل والقوة ثم خرجوا من عسكر الروم ووصلوا الى عسكر الاسلام وقد دخلوا على الامير عبدالوهاب فوجدوه قائما يصلى فى المحراب وهو يصلى بهم وقدموا عليه والأمير أبو محمد البطال وقد فرحوا الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد فعند ذلك علا منهم الصياح وجردوا الصفاح بأيديهم هذا كله يجرى والملك بحرون لم يدخل فى تلك الليلة إلى بيت الجوار من خيفته على القتال بل انه يعد الملوك والابطال ويخلع عليهم ويعطيهم ويقول لهذا احمل أنت عن يمينى وهذا عن شمالى وأنت من قدامهم وأنت من وراء ظهورهم ولم يزل كذلك على هذا العمل والرواح إلى ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح والملك بحرون على غاية من القلق على الوزير مذبحون هذا كله يجروى وعقبة قد علم ان فى قلبه النار فقال له أيها الملك رأيت ان مشورتى كان فيها صواب الساعة لو لم تكن الأميرة ذات الهمة عندك ما كان هلك أيضا الوزير مذبحون فان أردت خلاصه فاخرجها إلى بين الصفين واصلبها واطلب الوزير مذبحون فان أخرجوه ووقع الفدا فلعلك ان تغدر بهم وتقتلها فهى نصف الاسلام فلا تخلها من يدك حتى تمكن منها الحسام الصمصام فقال له الملك بحرون وحق المسيح على هذا كنت قد عولت وقلت اننى أخرجها وأنادى يامعاشر المسلمين اطلقوا أيضا وزيرى مذبحون حتى أطلق لكم هـــذه المرأة إلا وحق المسيح والدين الصحيح أقتلها أشر قتله وأمثل بها أقبح مثله ثم انه قال ياويلكم على بها فدخلوا الغلمان والخدام ليأتوا بها فوجدوا القيد مكسور وليس فى الموضع غير الجارية وهى مكتوفة وفى فمها أكرة كبيرة والموضع من الأميرة ذات الهمة ومن الجارية بلقع فرجعوا إلى الملك بحرون وأخبروه بالخبر فصلب على وجهه وصعب عليه وكبر لديه ثم أنه وثب قائما على قدميه وأدعى بالروم الذين من حول المضرب فضرب منهم مائة رقبة وركب وهو على غاية من القلق والحرد والغضب ثم انه صف العساكر وسمع الصياح فى عسكر المسلمين فعلم بأن الأميرة ذات الهمة قد وصلت اليهم وقدمت عليهم فصعب ذلك على الملعون عقبة وقال الحمد المسيح الذى كان هذا حوالينا ولا علينا هذا وقد ركب المعتصم بالله والأمير عبدالوهاب والمعتصم بالله سائر تحت المظلة والعجم تحت ركابه وحمل المعتصم بالله بنفسه وقال لابد لى من قتالهم ولو ذهبت روحى وقوتى وأصلحت شدتى وقد ترك الاميرة ذات الهمة والملكة ميمونة فى الميمنة والأمير عبد الوهاب وولده الأمير ضيغم فى الميسرة وقد ذكرنا أن الملك بحرون أرسل الامير ظالم وأخوه الأمير سيف الحنيفية خلف الوزير مذبحون إلى أرض القسطنطونية والذى سار بهم سار على غير الطريق

الذى سار الوزير مذبحون فيها وعبر على ملطية فى الليل ودخل الى بلاد الروم

(قال الراوى) هذا وان المعتصم بالله وقف فى القلب والملك بحرون قد ركب فى تلك الخلائق والأمم ولم يبق موضعا فى الارض الا وقد دقه الحافر والقدم ثم ان الملك بحرون أقلب قنطاريه من الخلنج مايحملها غيره وطلب الموكب الذى فيه الخليفة المعتصم وكذلك الروم نكسوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وأطلقوا الاعنه وقوموا الاسنة وعملت الصوارم وطارت الجماجم وانحلت العزائم واسترخت الأيدى عن قبض المراود والشكائم هذا وقد طارت الرؤس بعدد قطر السماء وفاض الدماء مثل السيل اذا انحدر وقد وقع بالرجال الضجر ولم يبق شجاعا الا وقد انبهر ولافارسا شديدا إلا وقصر وعمل الصارم الأبتر وازدحمت الناس فى بعضهم البعض حتى شبهوه بيوم المحشر فما طلع فيه من الغبار واعتكر (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك إلى أن ذهب أكثر النهار وانهدر وقد أرمت الروم أنفسهم إلى الخيام وهان عليهم ضرب الحسام الصمصام ولا زالوا إلى أن خرجوا الناس من خوفهم هجموا سرادق المعتصم بالله الامام فوقع الامير عبد الوهاب اليهم فى عشرة آلاف فارس وثلاثين ألف فارس من بنى كلاب والامراء الأنجاب مثل أبو المهند ومدلاج العبسى فكشفوا الناس عن الخيام وانضاف عسكر العراق إلى بنى كلاب وفعلوا مثلهم وقد أرموا أنفسهم على الأعداء إلى أن ردوا العساكر بالسيف قهرا ونثرا أيضا الروس نثرا ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل على مثل ذلك العمل إلى أن أتى عليهم الليل فنادوا بالانفصال وافترقت الرجال عن الرجال وقد قتل من عسكر المعتصم بالله خلق كثير ومن الروم أضعاف ذلك هذا وان الأمير عبد الوهاب قد اجتمع بالامير أبو محمد البطال وقال له ياأخى كيف رأيت هذا العسكر الذى مع هذا الملعون بحرون فقال ياأخى هذا عسكر كثير مايقع عليه قياس يا أخى تقول لى عسكر المعتصم فيه شيأ من النفط قال نعم فيها خمس خزائن جميعها نفط فقال الامير أبو محمد البطال والله لايكون سبب هزيمة هذا العسكر غيره لانى آخذ السودان وأفرق عليهم منه ويكون عدتهم عشرة آلاف وأفرقهم فى خمسين مكان من نواحى العسكر ويكونوا قريبا من المضارب والخيام فاذا صاروا هناك صرت أنا والأميره ميمونة والأميرة ذات الهمة والأمير ملابط البغال وتمام العشرين أميرإلى ان تقرب من سرادق الملك بحرون وتضربه بالنار ويعلو الصياح ويدق الناس بعضهم بعضا وقد بلغنا المراد ومسرة القلب أيضا والفؤاد وانهزموا انشاء الله تعالى وتركوا البلاد فقالت الأميرة ذات الهمة لله درك يا أبو محمد ان فعلت ذلك

ما يجتمع منهم فى الليل اثنان فبادر إلى هذا الأمر فقال لهم أنا أريد هذا الشيطان الذى أخذكم وهو كصورتى كما زعمتم (قال الراوى) ثم ان الأمير عبدالوهاب دخل إلى المعتصم بالله فنظر إلى الوزير مذبحون وهو على أقبح صورة له غوارض شقر خفيفة وكان الأمير أبو محمد البطال كذلك الا انه كان ينتف لحيته لما كان يدخل الى بلاد الروم ويعلق له لحية بعد لحية فيوم شقراء ويوم سوداء ويوم بيضاء ويوم كبيرة وأما الصورة والقد والكلام فانه واحد هذا وقد قعد الأمير بين يديه وهو ينظر اليه فكانا كانهما قالب واحد فقال الخليفة المعتصم بالله يا أبو محمد سبحان من لا له شبيه سبحان الخالق المصور الذى له الأسماء الحسنى والله لو غاب الواحد منكم لما عرفت الآخر وهو على انك أنت كبير السن وهذا غلام حدث السن وأنا فلا بد لى من قتله لأنه قد صنع بى فى الأسر كل قبيحة فقال الأمير أبو محمد البطال وقد رحمه يا مولانا يا أمير المؤمنين قتله بين يديك فلا تعجل عليه فما ندرى ما يكون (قال الراوى) هذا وقد خرج الأمير أبو محمد البطال وقد جالت الدمعة من عينيه وهو لا يدرى ما سبب ذلك الإشفاق عليه فوجد الأمير عبد الوهاب وقد فرق النفط على السودان وأمراء الحبشان وهما على غاية من انتظاره فجعل الأمير أبو محمد البطال يفرق مائة بعد مائة وعشرة بعد عشرة ويقول لهم خذوا هذا البطريق وعرجوا إلى الموضع كذا وكذا وأما الأمير عبد الوهاب فيكون خلف العسكر ولا يحسوا بكم الا وقد ظهرتم عليهم فى المضارب والخيام (قال) ثم انه التفت إلى السودان وقال لهم وأنتم الآخرين افعلوا كذا وكذا إلى أن فرق الكل عليهم هذا والملك بحرون قد أقام فى تلك الليلة بين عسكره وعسكر المعتصم بالله ثلاث ملوك فى مائتين ألف فارس وداموا كذلك طول الليل وكان ذلك خوفا من كبسه أو سرقه هذا وقد ساروا السودان ودخلوا عسكر الروم من كل جانب ومكان وإذا أراد الله تبارك وتعالى أمرا هيأ أسبابه وإذا وقع أمر لا ينفع الحذر فحصلوا كلهم فى العسكر وأخذ الأمير أبو محمد البطال الأميره ذات الهمه ومعهم عشرة آلاف بين يديه وركب المعتصم بالله وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير والسراج المنير هذا وقد حمل الملك بحرون يطلب صوب الصياح وإذا بالزعقة قد وقعت من صوب الخيام وهى قد ضربت بالنار (قال) فلما نظر إلى ذلك علم أنه إن وقف أصبح هالك فما كان له الا أنه قد ألوى عنان جواده وولى منهزما إلى بلاد الروم وبقى السيف يعمل فى بقية أصحابه الى أن أصبح الله تعالى بالصباح فركنوا الى الهرب والفرار وطلبتهم المسلمين الأبرار هذا وقد غنم الإمام المعتصم بالله تلك الأموال والرجال والبغال والجمال وشىء لا يقع عليه احصا بعدد الرمل والحصا (قال) وحلف الإمام المعتصم بالله أنه لا بد له من

اتباع الملك بحرون ليسقيه كاس المنون وفى ذلك اليوم وصلت عساكر خراسان وامتلأت الأرض من كثرتهم وأنفذ المعتصم بالله إلى العرب وإلى أرض الحجاز فى طلب العساكر وعرفهم أن الاجتماع يكون فى ملطيه لأنه طالب بلاد الروم فى طلب الغزو والقتال والنزال وأنه يريد يخرب مدينة ميخائيل (قال الراوى) وقد ذكرنا اليكم قبل ذلك المقال إن جماعة كثيرة من أبطال بنى سليم ومن أقيالهم ونسائهم وبعض نساء بنى كلاب والأميرة ذات الهمة مأسورين والأمير سيف الحنيفيه والأمير ظالم أسارى فى ملطيه والأميرة علوى والاميرة القناصة كانوا قد ذهبوا مع بنى عمهم إلى أرض الحجاز لما قبض على الامير عبد الوهاب ومرضت الاميرة علوى مرض شديد فطال بها المرض فلما صلحت من المرض جمعت العبيد من بلاد اليمن ومضت الاميرة القناصة إلى حصنها الاول فاستنجدت أيضا بالرجال وسراة الابطال ورجعت طالبة إلى العراق فى طلب خلاص ولدها الامير ظالم والامير عبد الوهاب وقد قتلها الشوق اليهم على طول الليالى والايام (قال) فلما وصلت اليهم الاخبار بأن الاميرعبد الوهاب قد خلص والامير ظالم معه وقد كسروا عساكر الروم لان الأخبار وصلت على أجنحة الطيور إلى سائر المواضع وشاع ذلك الخبر فعندها فرحت الاميرة القناصة وقالت لقومها وكان قد اجتمع اليها أربعين ألف بطلا أسود من كل بطل أمجد فقال لهم اعلموا رحمكم الله أن الله سبحانه وتعالى قد من علينا بخلاص ولدى الامير ظالم وبعلى الامير عبد الوهاب وقد وصلت الكتب من عند الخليفة الإمام يأمر الناس بالجهاد إلى بلاد الروم فعولوا بنا حتى تنالوا الثواب والاكتساب فماذا أنتم قائلون فقالوا لها نحن لكى وبين يديكى (قال) فعندها سارت الاميرة القناصة إلى أن وصلت إلى أحياء العرب وأخذت الاميره علوى وسارت تقطع الارض ذات الطول والعرض وقد طلبتها العرب فى طلب الغنائم والمال والاكتساب إلى أن وصلت الى أرض بغداد فوجدت الناس على غاية للامير عبد الوهاب من الدعاء وقد وقعت لاجل قدومها البشارات وأخرجوا لها الإقامات والعلوفات والضيافات هذا وقد حملت لها السيدة زبيدة الخلع الملاح والهدايات وكلما تحتاج اليه والاميرة القناصة تفرقه بيدها على رجالها وخيار أبطالها هذا وقد ركبت اليها السيدة زبيدة وقالت لها ويلك يا أميرة لقد من الله على المسلمين بقرينك الامير المهاب ترس قبر محمد النبى الاواب صلى الله عليه وسلم وهو الامير عبد الوهاب وأن لولاه لكان الملك بحرون قد ملك الامصار وأخرب الارض والديار وقد وصلنى الخبر أن العساكر مجتمعة على ملطية (قال) فعندها

استراحت الاميرة القناصة مدة ثلاثة أيام ورحلت تقطع الارض ذات الطول والعرض إلى أن وصلت إلى حصن زياد وبقى بينها وبين ملطيه يوم واحد هذا وقد سمع الامير عبد الوهاب أيضا بقدومها فركب اليها فى سادات بنى كلاب فلما نظروا اليها رأوها فى جيش عرمرم فتعجبوا ثم بكى الامير عبدالوهاب والاميرة القناصة من فرح التلاق وجرت الدموع من الآماق ثم أنه قال لها يا أميره ما الذى قد قطعك فى هذه الايام عنا ولوكنتى قدمتى إلى سواد العراق وقطعتى الطريق ما كنا قعدنا هذه الايام كلها فى المحبوس فقالت له الاميرة علوى والله قعدت ستة أعوام وأنا فى الشدائد والاهوال لا أستطيع إلى القيام ولما تمايلت الى القيام جمعت هذا العسكر الذى تراه وسرت اليك لما أتانى البشير بما قد من الله عليك بالسلامة والخلاص وزيادة السعادة بعد الانتقاص فقالت لها الأميره ذات الهمة سبحان الله تعالى إنما وقع المرض حتى يتم القضاء المحتوم علينا بطول المقام وما كان لنا بد ذلك الأمر والسلام (قال الراوى) هذا كله والأمير عبد الوهاب قد فرح بها وبالأميره علوى غاية الفرح ولما نظر إلى السودان كاد قلبه أن يطير من الفرح لأنهم هم المحامين عن دين الله عز وجل (قال) ورجع الأمير عبد الوهاب إلى الإمام المعتصم بالله فى ذلك الجيش العرمرم وسأل المعتصم بالله عن ذلك الجيش فقيل له إن زوجتى الأمير عبد الوهاب القناصة وعلوى قد وصلوا فضحك الخليفة فرحا وقال لقد رزق هذا الرجل من نسائه وأمه الأميرة ذات الهمة ما لا يرزق أحدا غيره هذا وقد قدمت العساكر وأمر المعتصم بالله بإحضار الخزائن التى بأرض العراق ولم تكن قط قد فتحت من أيام المنصور بالله والملك السفاح وما جمعه المهدى والهادى وغيرهم من الخلفاء وأنفق الاموال على الرجال وبلغ الناس ذلك الحال فصارت عوام البلد تخرج وتطلب الديوان وقصدته جميع الاعاجم والعربان حتى صار فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى

(قال الراوى) وأقام المعتصم بالله على ملطيه مدة أربعة أشهر والعساكر تزداد إلى أن صار فى عالم يسد الفضا (وقد روى) أن المعتصم ما دخل إلى بلاد الروم فى عالم مثل هذا العالم إلا أن يكون فى فتوح عموريه وسوف نذكره فى مكانه إذا وصلنا اليه إن شاء الله وقد اجتمع أيضا فى هذه الغزاه من لم يحمل قط سلاح بما بذل فيهم من الاموال والخيرات الحسان الغوال (قال الراوى) إلى هذا المقال ثم ان الإمام ابن الإمام المعتصم بالله عقد ألف راية وسلم منها راية بيضاء الى شاه ملك الترك وضم اليه أربعين ألف رجل تركى وهم بالاقبية الزبيق الابيض وقدم الملك ميمونة على السودان وأمراء الحبشان وسلم رايه عباسية اليها وأضاف اليهم الامير ملابط البغال والامير ميمون الجماس والملك

الهدلوس ابن مناطح التيوس والامير سملق وأبو الهزاهز والامير هراقد وولده قرقود وتراجعت السودان من كل جانب ومكان (قال) ثم ان المعتصم بالله سلم راية صفراء الى الاميرة ذات الهمة المجاهدة وقدمها على بنى كلاب فى ستين ألف بطل عنان وضم العساكر كلها بعضها إلى بعض وقد اجامعت بنى سليم فى مائة ألف فارس من البلاد فى طلب خلاص أميرها ونسوان أقاربها ومن كان سلم منهم هذا والمعتصم بالله قد ركب على بغلته رياح وتعرف بالموج وقد ركب من حوله عشرين ألف بغلة كلهم قراء وفقهاء وعلماء وقضاة ووزراء وكتاب وعمال وأصحاب ديوان ودخل الى بلاد الروم فى جحفل عظيم ما رآه أحد ولا رأى قط مثله وقد ترجلت الجيوش والقبائل والديالم والاعاجم والاعارب والمصادمة والمغاربة والمصريين وأهل الشام والشطين وأهل اليمن وأهل الحجاز وأهل العراق والموصل وجميع الإسلام من حوله وقد لبس من فوق ثيابه بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ فى يده قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والامير عبد الوهاب يقول للاميرة ذات الهمة الله تعالى يكفينا شر العين فهذا والله عسكر ما رأى الاسلام قط مثله والمعتصم بالله قد بقى يطيب قلب الامير عبد الوهاب بكلما يقدر عليه وقدمه على سائر الناس وجعل الامير أبو محمد البطال أوفى ندماه ويحادثه بما يجرى للخلفاء والملوك فى بلاد الروم وهو يتمنى بأن الارض تطوى له شوقا الى الجهاد والقتال وقد فرح أيضا بالامير أبو محمد البطال وجعل يتلذذ بما يسمع من دقيق حيله وفى قلبه النار من اجل الجهاد (قال الراوى) فبينما هو فى الحديث إذ قدموا اليه وقالوا له يا أمير المؤمنين قد خلص الوزير مذبحون ونحن لا ندرى كيف كان سبب خلاصه من يد قناصه وكان السبب فى ذلك أنه كان للمعتصم بالله غلام أرمنى اسمه بولص وهو من جملة خدمه وكان قد أسلم على يديه ظاهرا وكان فى الباطن نصرانى فلما وقع الوزير مذبحون عمل على خلاصه ثم قتل المتوكلين به ثم لبسوا ثياب من ثياب أهل الكسرة ودخلوا الى بلاد الروم هذا والمعتصم بالله قد طول شعره وأقسم بالله العظيم أنه لا يحلق شعره حتى يعمر المساجد ويخرب الكنائس ويعمر المواذن وينادى أيضا عليها فى أقطار بلاد الروم لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ هذا والأمير يانس المتعزب وأصحابه فى الأوائل التى للجيش وهو متطاول إلى خلاص حصنه وأهله ونسوان قومه (قال) وكان المعتصم بالله يرحل المراحل القريبة من كثرة العالم وإذا رحل تصايحت القراء وأصحاب الأصوات الشجيه والألحان النديه والخيل ترفع رؤسها من سماع كلام الواحد المنان الذى لا يشغله شان عن شان وعليه يومئذ حلة سوداء وشعره منه قد طال (قال) وفى تلك الساعة قد تذكر عقبة نسل الأندال وقال

والله ان القاضى عقبة له صوت إذا قرأ كان فى حلقه مزامير داود ولحنه بحنان وخشوع وبكا أيضا وخضوع وما رأيت قط أكثر من جريان دموعه وما ذاك إلا من دين قيم (قال) ثم بكى المعتصم بالله وقال ماهو ذلك المسكين الا قتل فى هذه النوبه أو أسر فى هذه المره التى أسرت فيها فقال له الأمير أبو محمد البطال ياأمير المؤمنين انه مايكون الا فى أرض القسطنطونية وربما سوف تراه إن شاء الله تعالى (قال) فعلم المعتصم بالله ان الأمير أبو محمد البطال يعنى فى خطابه انه مكرم معظم عند ابناء الروم فعندها سكت الخليفة ولم يتكلم هذا وقد وصلت الأخبار إلى الملك بحرون بمسير هذه العساكر وكان لما دخل بلاد الروم منهزما سار فى ساعه الحال إلى بلد الصقلب واخرب أعمالها وقتل الذى كان ملكا لها وسار إلى افرنجه فقتل ملكها واخرب دياره وذلك حيث قعدوا عنه واخرب الأقاليم ونهب الأموال التى للروم إلى أن صار أيضا عنده المال فى أرض القسطنطونية مثل الجبال (قال) ودخل إلى الجزائر مدة أربعة أشهر ومعه مائة قنطار من المال ففرق على البطارقة وملوك الجزائر فى ألف جزيرة وخرج حتى صار فى مثل عسكره الأول وعسكر المعتصم بالله ثلاث مرات ثم وصل إلى القسطنطونية وقد ملا بلاد الروم بالأمم وكان هذا كله برأى وزيره مذبحون ورأى الشيخين الملعونين عقبة وشومدرس وكان معولا على أنه يخرج إلى بلاد الإسلام وإنما ماعوقه إلا الشتاء والبرد وهو الذى أعاق المعتصم بالله (قال الراوى) فلما توجهت أيام الربيع وقد عول الملك بحرون على الخروج وقد نظروا أيضا الروم منه همة عظيمة مانظروا مثلها قط لملك من الملوك الموال وقد أعزل ستة عشر ملك عن المملكة وهو على نية الخروج معولا إذا وصلته الأخبار بأن المعتصم بالله قد دخل إلى بلاد الروم (قال الراوى) فلما سمع ذلك عظم عليه وكبر لديه وصاح فى الروم بالرحيل فقال له الملعون عقبة دع عنك العجل وخذ أمرك بالمهل فانى أخاف عليك من العجلة فانها غير محمودة واعلم ان معك عسكر ماسيره أحد من الملوك الذين للروم ولا من ملوك الإسلام ومقامنا هاهنا أصوب لأن هذه أرض القسطنطونية خلف ظهرك والبر والبحر بحكمك وان المسلمين يرحلون إلى هذه الأرض لامعقل لهم ولا حصن فان أنت شكت كسرتهم فما تبقى منهم باقية ولا يرجع منهم إلى بلاد الإسلام أحد وتأخذ الأموال والرجال والأثقال وان كانت الأخرى فان البلد بين يديك فأى المواضع شئت كان قريبا فقال له الملك بحرون سوف ترى ما يكون وأنا الذى قد فرطت فى النوبة الأولى بمطاولتى فى البراز إلى بلاد الاسلام إلى أن عاد جيشهم قواهم على عسكرى وبان فيهم القلة وخامرت على الملوك والآن فقد أعجزت أمرهم ولم يبق معى مقدما على العسكر الا من الجزائر وقد

أخذت كل من كان من أصحاب الملك ميخائيل وقدمت أصحابى ومع ذلك فما أخافك والذى قتلته أحب إلينا من الذى قلنا نحن عليه وإذا كسرناهم خرجنا إلى بلاد الاسلام وتكون خالية من العساكر أحب إلينا واسهل علينافقال الوزير مذبحون هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب (قال الراوى) هذا وقد أقاموا إلى أن وصلت العساكر والجواسيس تخبر بأن المعتصم قد وصل إلى الحصون وقد بقى بينه وبين الملك بحرون ثلاثة أيام ووصل أيضا جاسوس الأمير عبد الوهاب يخبره بأن الملك بحرون قد جمع العساكر العظيمة وهى مثل أضعاف عساكره التى سارت معه فى النوبة الاولى فقال الامير عبد الوهاب ماهذا إلا أمر عظيم وخطب جسيم وما رأينا فى ملوك الروم أقوى من هذا الشيطان ولا أشد منه بأس فقال الجاسوس أيها الامير لو رأيته وقد قتل فى القسطنطونية ستة عشر ملك وأخرج الروم من الجزائر وفعل مالا يفعله أحد غيره فلما سمع الامير عبد الوهاب من الجاسوس هذا الخطاب قال له ومن أين هذه العساكر العظيمة فقال دخل إلى جزائر الروم وطاف جزائر البحار وبذل الاموال وجمع الرجال فقال الامير عبد الوهاب الله تعالى يكفينا شره فما رأينا فى الاعداء مثله ثم سأل الامير عبد الوهاب الجاسوس عن الملعون عقبة فقال له يامولاى هو عنده وهو مدبره ووزير دولته هو والوزير مذبحون (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام رحل يوم فى يوم وفى اليوم الثالث وقعت العين على العين كل هذا والملعون عقبة على حذر ووجل من دخول الامير عبد الوهاب وقد سمع ان بنى كلاب والسودان الأنجاب قد رجعت واجتمعت والمعتصم بالله قد دخل إلى بلاد الروم فى عسكر ماجرى لأحد من الخلفاء قط مثله فهو على غاية من الخوف والحذر (قال الراوى) هذا وإن الملك بحرون قد قدم ملكا من ملوك الجزائر يقال له شرشومقلص وكان جبار عنيد وشيطان مريد وكان قد ضمن للملك بحرون أنه يقوم بعسكر المسلمين جميع لأنه كان فى أربعمائة ألف فارس فضم اليه الملك بحرون عسكر اقاليم الروم وبقى الملك أيضا فى عسكر الجزائر وهم أمم كثيرة مايقع عليهم إحصاء بعدد الرمل والحصاء هذا وإن الملعون شرشومقلص أخذ معه الوزير مذبحون وعبا عساكره ودساكره ولما قابل الوزير مذبحون عساكر المعتصم بالله رأى عسكر جرار فقال الملك شرشومقلص اصبر حتى انى أدبر لك حيلة عظيمة تكسر بها هذه العساكر فى أول مرة فقال له الملك شرشومقلص هذا الذى أريد وكذلك الأمير أبو محمد البطال قد قال للامير عبد الوهاب قد وصل إلى بعض غلمانى وأخبرنى بأن هذا العسكر الذى هو مقابلنا ماهو عسكر الملك بحرون وإنما هو مع رجل جبار لا يصطلى له بنار يقال له الملك شرشومقلص وهو ملك

من ملوك الجزائر وقد وعد الملك بحرون أن يكفيه مؤنة هذا العسكر الذى معنا وأنا فقد عولت على أننى أعمل حيلة عظيمة آخذ بها هذا الملعون شرشومقلص وقد هان علينا مقاتلة هذا العسكر الآخر فقال له الأمير عبد الوهاب افعل مابدالك ولكن ذلك على عجل منك وإن فى غداة غد يكون اللقاء وقد استقر الأمر على ذلك ونزلت العساكر فى مقابلة بعضها البعض وقد ملؤا الأرض ذات الطول والعرض (قال الراوى) فعندها وثب الأمير محمد البطال وودع الأمير عبد الوهاب وقد أخذ معه غلمانه الاربعة وسار طالب عسكر الروم (قال الراوى) وكذلك الوزير مذبحون ودع الملك شرشومقلص وقال له أنا قد عولت على الدخول إلى عسكر المسلمين وقد عرفتهم منذ كنت عندهم مأسور ثم انه أخذ معه أربع غلمان معودين لهذه الأمور وسار بهم الوزير مذبحون وقد قور الارض حتى صار من وراء العسكر وعول على الدخول عليهم من أطراف عسكرهم ثم وصـــل إلى حربة القصورة وكان قد وصل اليها الامير أبو محمد البطال ولم يشعر بعضهم ببعض حتى التقوا فصاح به الأمير أبو محمد البطال وقال له من أنت فلم يرد عليه أحد فقال لغلمانه ان هؤلاء جواسيس من بلاد الروم خذوهم فعندها هجمت الاربعة على الأربعة ومذبحون على أبو محمد وحققت الحقائق وأخرجوا الخناجر وتضاربوا وإن لؤلؤ ضرب واحد من غلمان مذبحون فقتله وأخذوا غلمان أبو محمد يتجادلوا مع غلمان مذبحون وتقابض مذبحون وأبو محمد وكان مذبحون شاب حسن وهو فى عز صبوته فشال أبو محمد وجلد به الأرض وقعد على صدره وطرح الخنجر على حلقه وقال اخبرنى وإلا وحق المسيح قتلتك فقال له أبو محمد لاتقتلنى وانتفع بأخذى عند ملك الروم فعندها أدار كتافه وأدرك أصحابه وعاونهم على أصحاب البطال حتى أخذوهم وكتفوهم وقال لأصحابه ماأريد أكثر من هذه الغنيمة وأنفذهم إلى القسطنطونية مع الرجال ودخل إلى عسكر المعتصم فلم يخطى لما يريده الله مضرب الأميرة ذات الهمة فنظر اليها والشمعة تقيد بين يديها وهى تسبح الله تعالى بعد ماصلت وردها فقال مذبحون ما أنال من هذا العسكر كله أحسن من قتل هذه الأميرة فى هذه الليلة وأريد أتركها حتى تنام فكانت الأميرة لما فرغت من وردها افتقدت عدتها حتى تصلح ماتشعث منها حتى تنال الجهاد فى طاعة رب العباد وقد ناموا غلمانها وكان الامير فى تلك الليله قد تولى الحرس بنفسه من غير قصد إلا خيفة من الأعداء وإن الأميرة رضى الله عنها لما مضى من الليل أكثره ونزل عليها الكرى تركت رأسها على ذراعها ونامت وان مذبحون هجم الى المضرب وقد سمع خطيطها فأطفأ الشمعة ودنا من الأميرة ذات الهمة وجلس على صدرها ومكن الخنجر

من نحرها وهم أن يقطع رأسها وإذا بيد قد قبضت على يده وكانت الأميرة لما وقع على صدرها أفاقت من نومها وعلمت أن قد دخل عليها داخل فأخرجت يدها من تحت رأسها ثم قبضت على يده وعصرت فوقع الخنجر من يده وعصرت عليه أخرى فصاح ملو بطنه ووقع إلى الارض طريح فوثبت الاميرة وصاحت بغلمانها فاستيقظوا وتواثبوا اليها من كل مـــكان وأوقدوا الشموع فنظرت الاميرة اليه فعرفته فقالت له وقعت ياخبيث لا كتب الله عليك سلامة فوقع الصوت فى العسكر حتى سمع الامير عبدالوهاب فأتى من فزعه على الاميرة ذات الهمة فوجدها قد قبضت بيدها على مذبحون ففرح بسلامتها (قال الراوى) ياسادة ياكرام ومن شدة فرحه هم أن يقتل الوزير مذبحون فقال له لاتفعل يا أمير فانى ماجئت إلى ههنا إلا وقد أخذت صاحبكم الامير أبو محمد البطال وغلمانه وقد حصلوا فى أرض القسطنطونية فان أنت قتلتنى قتلوا أصحابك الخمسة (قال) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وقال له ويلك ياملعون وحق الله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه وهو الذى هد ركن الجبابرة بقوة ركنه ويعلم وزن الجبل الشامخ لا يخفى عليه شىء من أمره لولا أن الأمير أبو محمد البطال عندكم وقد ذكرت لى ذلك لعلوت رأسك بهذا الحسام (قال الراوى) ياسادة ياكرام فبينما الأمير عبدالوهاب معه فى مثل ذلك الكلام ورسول المعتصم بالله قد وصل اليه لأن المعتصم بالله كان قد سمع الخبر فأنفذ يسأل عن ذلك فسار الأمير عبدالوهاب اليه فلما وصل قبل الأرض بين يديه وقال ياأمير المؤمنين قدأخذت الأميرة ذات الهمة مذبحون وأعاد عليه أنه أراد قتلها فغضب المعتصم باللهوقال والله ان قتل هذا الملعون صواب لأننا لا نأمن على أنفسنا من غائلته فقال المعتصم بالله ياأمير عبدالوهاب إننى أريده فى هذه الساعة فقال سمعا وطاعه (قال) فلما مثل بين يديه فقال له الخليفة المعتصم كيف ترى ياملعون أوقعك الله تعالى بعد ماخلصت من أيدينافقال له الوزير مذبحون دع عنك هذا الكلام فما يمنعنى أن أجيبك على كلامك إلا كثرة الادب الذى معى وإلا فما أبالى بالموت ان دخل على أم خرجت اليه وعند الروم من يقتلوه عوض قتلى وهم أولاد هذا الأمير الذى أخذته فى هذه الليلة وهو الأمير أبو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع المعتصم بالله ذلك الكلام حنق عليه غاية الحنق ولولا الأمير عبدالوهاب قائم بين يديه فى ذلك اليوم لضربه بالحسام قتله ولكنه وضع فى رجليه القيود الثقال وسلمه إلى الرجال وقال أقسم بالله لان نام منكم أحد لأضربنه أطرح رأسه عن جسده (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأحدقوا القوم بالوزير مذبحون من كل

جانب ومكان ولم يقنع الأمير عبد الوهاب بذلك حتى اشتغل قلبه بالأمير أبو محمد البطال لأنه مايدرى ما كان منه (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان من حديث الأمير أبو محمد البطال ان الغلمان لما مضوا به إلى أرض القسطنطونية وأوصلوه الى الملك بحرون فعندها جعل الملك بحرون ينظر اليه ويضحك ويقول وحق دينى ماخلا ذلك الرجل من الوزير مذبحون لا كثير ولا قليل ثم انه أمر بضرب عنقه لأن عقبة وشومدرس أشاروا على الملك بحرون بذلك وهـــذا الملك بحرون جبار لايفكر فى عاقبة ولا ينظر فى أمر من الامور فقال لبعض البطارقة دونك ورأسه واقتل أيضا هؤلاء الاربعة الذين معه فقال له لؤلؤ أيها الملك لاتفعل هذا الفعال فان صاحبكم الوزير مذبحون قد مضى إلى عسكر أمير المؤمنين فان وقع وقتلتنا ضرب المعتصم بالله رقبته (قال) ولم يكن عند لؤلؤ من هذا الكلام خبر وانما هو كلام جرى على لسانه حتى يكون سببا لنجاتهم

(قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون ذلك الكلام من كلامه أمر بالقيود فطرحت فى أرجلهم ورفعوهم إلى دار البـــلاط (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان الأمير ظالم وأخيه سيف الحنيفيه والأمير عمرو بن عبيدالله وخمسة آلاف من بنى سليم الكل فيها ومن النسوان أيضا والصبيان مالا يقع عليه احصا وكان الملك بحرون أخذ جماعة من أولادهم ونصرهم فتنصروا من الجوع والضر ولما دخل الأمير أبو محمد البطال وغلمانه إلى ظالم وسيف الحنيفيه فعظم عليهم وكبر لديهم وقالوا يا أبو محمد وكيف ذلك حتى وقعت أنت الآخر فقال لهم لاتقولوا وقعت ولكن قولوا كيف تتخلص (قال) ثم نظر إلى الأمير عمرو بن عبيدالله فلم يسلم عليه فبكى الأمير عمرو بن عبيد الله وقال له يا أبو محمد ماهذا الاعراض عنى وأنت تعلم انه قد طال أسرى فقال له الأمير أبو محمد البطال ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد وكلما نالنا من المعتصم بالله أنت كنت السبب فيه ثم انك عاملتهم علينا ولو كنا فى ملطية فاتمت عليكم هذه البلية والرزيه (قال الراوى) ياسادة فبكى الأمير عمرو بن عبيد الله وجعل يحلف ان كان هذا الأمر لغرضه وبكوا نسوان بنى سليم فرق لهم قلب الامير أبو محمد البطال فقال لهم أبشروا فقد وصلت عساكر الإسلام فى عالم عظيم والله ينصرهم على الجاحدين الكافرين (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وارتفع من عسكر المعتصم بالله الصياح وركب الامير عبد الوهاب فى أبطال بنى كلاب والسودان الانجاب وركب معه أيضا ثلث العسكر كما فعلت أبناء الروم ولم يركب المعتصم بالله وقد ركب الملك الذى قد ضمن قتل الامير عبدالوهاب ثم انه عبا عساكره وأبطاله فكانوا أربعمائة ألف

بطريق كل فارس منهم يريد لرأسه جماعة وفى أيديهم الاتراس الرقاق هـــذا وقد قام الحرب على قدم وساق (قال الراوى) وتقدم البطريق فى ألف رجل بالسيوف المجلية الهنديه والقنطاريات الخلنجيه والاسنة الافرنجيه والخود الفولاديه والبيض الهرقليـــه والدروع الداوديه والرايات الملكيه والثياب الديباج الروميه والزنانير الحريريه الابريسميه والصلبان الجوهريه فى قلائد عربيه وهى على الصدور مرخيه وفى أوساطهم المناطق السلطانية والمهاميز الحربية والسروج العرعرية والركابات المسجدية واللوائح الزمردية والتخوت الفضـــية وهم راكبين على خيول معودة للجولان قوية وقلوبهم من الكفر ممتليه ولهم أعمال درية لانهم يكفرون برب البرية

(قال الراوى) يا ساده يا كرام هـــذا وقد ركب الامير عبد الوهاب فى الابطال الإسلامية والهمم العليه والافعال الزكيه وهم أصحاب الشريعة المحمدية وأصحاب كلمة لا إله إلا الله العليه وأن محمدا ﷺ خير البرية على رغم أنف الكفرة المسيحيه وهما بوجوه مضيه وملة حنيفيه إذ يسبحون الذى رفع السماء العليه وجعل الارض بقدرته مدحيه وجعل الجبال عليها شامخة مرسيه والبحار زاخرة مجريه وهو الذى كتب على كل جبين بما سبق فى اللوح المحفوظ من القضيه (قال الراوى) هذا وقد حملت الرجال على الرجال والابطال على الابطال وقد ارتجت الارض من شدة الركض وطلع الغبار على سائر الاقطار وطارت الرؤس مثل النثار وقل الاصطبار وقد قدحت سنابك الخيل شرار النار وصبرت القوم الاخيار وفرت اللئام الاشرار وقد اختلط الكفار بالابرار ولم بقى يعرف الليل من النهار وقضى عليهم بقطع الاعمار خالق الليل والنهار (قال) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل على مثل ذلك العمل الى أن ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه ورجع الامير عبد الوهاب الى مقامه وقد امتلات الارض من القتلا وتخضبت البقاع من الدما وأنفذ المعتصم بالله هناه بالسلامه فمشى الى السرادق وقبل الارض بين يدى المعتصم بالله وقال والله يا أمير المؤمنين ما رأت الروم قط مثل هذا العسكر ولقد تقاتلوا القتال المنكر وهم الذين خرجوا مع الملك بحرون من الجزائر وكل واحد منهم كالاسد الزائر (قال الراوى) هذا وقد جملت الابطال يشكوا ما لقيوا من البطريق المقدم ذكره فقال الامير عبد الوهاب أنا قد عولت أننى فى غداة غد أخرج اليه وأقدم عليه إن شاء الله تعالى والله الموفق والمعين وهو خير الناصرين (قال الراوى) يا ســـاده يا كرام فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من البطريق فانه لما نزل فقال لاصحابه ما كنت أقول إن فى المسلمين من يصبر على قتالنا ساعة

واحدة وإلا ماكنت ضمنت الملك بحرون أنى أكفيه مؤنة العسكر على أنه ما خرج الينا إلا بعض العسكر الذى للمسلمين ولكن أقول إن هؤلاء القوم هم أصحاب الحرب وحماة الطعن والضرب هذا وقد جعلوا الروم يشكوا ما لقيوا من الامير عبد الوهاب ومن الأميرة ذات الهمه ومن الملكه ميمونة ثم قالوا نحن رأينا ثلاثة وهم الذين فتكوا فى الناس وأن لولاهم ماثبتوا الباقى بين أيدينا ولا شك أن هؤلاء الثلاثة الذين يصفوهم الروم عند ملوكهم فقال البطريق أنا فى غداة غد أخرج اليهم وأكفيكم شرهم فقالوا له هذه أكبر إرادة الملك بحرون وماكسره أيضا فى بلاد الإسلام غيرهم

(قال الراوى) وبات ذلك البطريق على هذا العزم إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فركبت الأمم واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وظهر الأمير عبد الوهاب وقد خلع عليه المعتصم بالله وقد ركب على جواد سلهب فلما صار بين الصفين صاح بالجواد فخرج من تحته كانه البرق الخاطف أو السحاب الواكف فحمل على عسكر الروم فقتل فارس من الميسرة ثم هجم فقتل من الميمنة رجل آخر ثم وقف فى وسط الميدان وصال وجال بين الأبطال والأقران وأشار ينشد ويقول هذه الأبيات

ستعلم أبطال الهياج بأننى همام الوغا فى وقت وقع المضارب
إذا نفرت نفس الجبان وأصبحت تحدثه عنها بكل العجائب
وصالت ليوث الحرب فى معرك اللقا بسمر القنا أو مرهفات القواضب
سأنصر دين الهاشمى محمد رسول كريم صادق غير كاذب
وأقتل من يدعى بشرشومقلص وأتركه شلوا بقاع السباسب
وآخذ بحرونا ذليلا معفرا وأملك لا رقاب العداة الكواذب
أنا ابن حماة الدين من آل عامر كريم عفيف من أناث أطايب

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم طلب البراز وسال الانجاز فخرج اليه فارس غير البطريق فقتله وخرج اليه ثانيا فجندله وثالث فأباده ولا زال كذلك إلى أن قتل منهم عشرة فلما علم الملعون شرشومقلص بأن الأمير عبد الوهاب قد أخذ ساعده الحاجه من التعب وجواده قد كل من الجولان فى الميدان صاح بجواده وكان جواد أبلق كانه البرق إذا برق له صهيل كالرعد إذا خفق يفوت إذا جرى نظر الحدق أو مثل سابقة البرق إذا برق وسبق قطاع الطرق كالسهم إذا مرق مليح الخطره كثير بياض الشعرة سائل الغره وهو من تحته كالبحر العجاج

إذا أزبد وهاج وهو على ظهره كانه خلق من سرجه (قال الراوى) وإنه كان ذلك الملعون إذا ركب على أعالى الخيل أى شيء لقاه من حشيش الارض خلعه برجليه ثم انه مد السنان الى الامير عبد الوهاب فتحا فى الارض ميدانا وأجادا ضرابا وطعانا وقد استعمدا سيفا وسنانا (قال) ولا زالوا كذلك الى أن طلع الغبـــار الى العنان وكلت الخيول من الجولان وحمى الحديد على الابدان ولم يزل بينهم الطعن والضرب على ذلك الامر والشان حتى حارت منهما العسكران فى الميدان ثم تقطع الغبار وقد ترجل كل واحد منهما على الارض هذا والرومى قد رفع أذياله فى دور منطقته واشتمل بطارقته وثلاث حراب أخذها فى قبضته وهو يريد أن يؤمل من الامير عبدالوهاب أمنيته بضرب السيف والامير عبدالوهاب كذلك منيته أيضا لعزيمته (قال الراوى) وبعد ذلك قد تضاربوا بالصوارم وضربوا بأيديهم إلى سيف الركاب ورجعوا إلى ما كانوا عليه أول مرة وقد أيقنت النفوس بالمضرة وعدموا السلامة والمسرة هنا لك خطا الامير عبد الوهاب الى خصمه خطوة وأى خطوة وضربه ضربة شديدة وصاح فى عقبها خذها وأنا أسود بنى كلاب الامير عبدالوهاب فوقعت على كتفه اليمين طلعت من تحت أبطه اليسار وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (قال) فكبرت المسلمين الابرار وصلبت على وجوهها الكفار وفرح المعتصم بالله الامام وكان قد ركب إلى المصاف من قلقه على الامير عبد الوهاب (قال) فلما نظروا إلى تلك الضربة فقالوا له أرباب الدولة ممن يتعصب للامـــير عبدالوهاب يامولانا مثل هذا الفارس مايفرط فى أمره فقال المعتصم بالله صدقتم فيما قلتم عفى الله عما سلف نحن قد أخذناه بالقبول والرضى (قال الراوى) فهذا ماجرى ههنا (وأما ما كان) من أمر الروم فانه لماقتل شرشومقلص حلوا كلهم على الامير عبدالوهاب طمعا فى قتله ليكون فارسا بفارس وعلمت الاميرة ذات الهمة مافى أنفسهم من الغدر فحملت قبل حملتهم وصاحت فى الرجال وعلى القتال عولت هـذا وقد طارت القمم ولم تكن الاساعة من النهار حتى ولت القوم الكافرين وتبعتهم المسلمين (قال الراوى) وبلغ الملك بحرون الخبر فعظم عليه وكبر لديه وكيف انتصروا بملك الجزائر القصوى فى ماتتين ألف وخذلوا هذا وقد رجع عسكر الامير عبد الوهاب الى مكانه وأمسى المساء وانفصلوا من القتال والنزال وجلس المعتصم بالله على سريره وادعا بالامير عبدالوهاب وشرفه وعظمه وخلع أيضا عليه وأكرمه وقال له أيها الامير لقد أغنيتنا اليوم بنصرتك وأشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليـل فقال يامولانا هذا كله بسعادتك ولقد رأيت منه ياأمير المؤمنين مالا رأيته من سواه إلا أن يكون من الملك بحرون فانى مارأيت

منه ماأعجزنى فقال المعتصم بالله ماأقول ان الملك بحرون أشجع من هذا الفارس الممارس فقال له يامولانا وحق النبي المصطفى محمدا ﷺ انه فارس عظيم ولكن مايلحق الملك بحرون فقال المعتصم بالله هاتوا الوزير مذبحون حتى نسأله فما يخفى عليه ذلك

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فمضوا الغلمان إلى موضعه فى طلبه فوجدوا الغلمان وهم غلمان السلطان قتلى والسودان قد عدموا الوزير مذبحون قد فقد فلا له خبر ولا أثر فرجعوا بالخيبه إلى السلطان وأخبروه بذلك الشان فعظم عليه وكبر لديه وأقبل على الأمير عبدالوهاب وقال له كيف ترى هذه النوبة أنا والله ماأردت إلا أضرب عنقه ولكن رأيتك لهذا الأمر كارها وهو الآن قد خلص من أيدينا فقال الأمير عبدالوهاب والله اننى ماأتعجب لقتله لغلمانك لأنى أقول قتل الرجال وخلص لأن هذا الرجل شيطان عظيم ولكن أنا متفكر فى أمر العشرة السودان الحجازيين الذين قد وصلوا مع الاميره القناصة وهما مثل السباع يعد كل واحد منهم بألف بطل ولم أرى لهم أثر ولا طلع لهم خبر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وقد بقى الامير عبدالوهاب على غاية من شغل القلب وكذلك المعتصم بالله والحجاب من حوله قيام والامير عبد الوهاب متفكر فى هذه القصة وإذا ببطريق قد دخل الى السرادق فلما نظرته الرجال صاحوا عليه وجردوا السيوف فكشف عن وجهه وإذا به لؤلؤ غلام الامير أبو محمد البطال فلما رآه الامير عبدالوهاب فرح به الفرح الشديد وقال لؤلؤ قال نعم يامولاى فقال ماوراءك فقال الخير ابشر بخلاص الامير ظالم والامير سيف الحنيفية والامير أبو محمد البطال وأنا قد جئت اليك آخذ رأيك فيما هو أوفى من هذا فقال الامير عبدالوهاب وكيف كان خلاصكم فقال يامولاى اعلم أن البطارقة والوزير مذبحون لما قبضوا علينا وأرسلنا الوزير مذبحون إلى عند الملك بحرون عول على ضرب رقابنا برأى القاضى عقبة فقال المعتصم بالله يالؤلؤ لايحملك الهوى أن تشهد بهذه الشهاة فقال يامولاى وحق من زجر البحر ويعلم قطر المطر ان عقبة عند الملك بحرون فقال المعتصم بالله يجوز أن يكون عنده مأسور فقال يا أمير المؤمنين فان نظرته بعينك فهو المدبر والمشير فقال له ان كان ذلك حقا فوحق قرابتى من محمد ﷺ لامنعتكم من صلبه كما تريدوا فقال الامير عبدالوهاب دعونا فى هذه الساعة من هذا فقد برد أمره ولكن اخبرنى يالؤلؤ فقال يامولاى وأمر الملك بحرون بحبسنا فزعا ان يكون الوزير مذبحون قد أخذتموه فلما دخلنا إلى دار البلاط وجدنا ظالم وأخيه سيف الحنيفيه والمأسورين والمأسورات من بنى سليم وبنى كلاب (قال) فبكى الامير عبد الوهاب فقال لؤلؤ يامولاى ولم يبات مولاى الامير أبو محمد البطال حتى كسر قيودهم (قال) ولما كان فى

هذه الليله دخل السجان ليفتقد قيودهم فلطمه الأمير ظالم على أم رأسه فما تحرك من موضعه ووثب مولاى الامير أبو محمد البطال وخلع ثيابه ولبس ثياب السجان وسلخ دقنه وركبها عليه (قال) وكان الرجل السجان أعور من اليمين فأطبق الامير أبو محمد البطال عينه اليمين وقصد إلى باب دار البلاط وأخذ المفاتيح من على اسكفة الباب وقعد بواب هذا كله والملك بحرون فى القسطنطونيه فى عالم عظيم وقد أمرنى مولاى أن استشيرك أن تأمرنا ان نقيم إلى مايخرج الملك بحرون إلى قتالكم ويخلوا البلد لنا فعلنا ولكن نريد منكم فوارس ليكونوا بزى الروم ويختلطوا بهم فما ينكروهم فاذا كان فى غداة غد يدخلون مع جملة من البطارقة إلى عند الامير أبو محمد البطال ليعرفوا المواضع وهو يجمعهم فى دار البلاط إلى وقت الحاجة اليهم وان أردت ان نرجع اليه ليعمل فى خروج الاميرظالم والامير سيف الحنيفيه ويقصد اليكم فعلت ذلك فقال الامير عبدالوهاب هذه والله بشارة مامثلها وبها ان شاء الله نكسر الروم ونأخذ البلد وخلاص المأسورين من أمة محمد ﷺ يالؤلؤ وقل له مااملت فى الأول وفى غداة غد تكون الرجال عندكم فى الزى الذى قد ذكرت ولا أنفذ لكم إلارجال يعرفون أزقة القسطنطونية والمواضع كلها والموضع الذى أنتم فيه (قال) فرجع لؤلؤ ولم ينام الأمير عبد الوهاب باقى ليلته من الفرح والسرور ثم انه أوعد الرجال من بنى كلاب المعروفين بالطعان والضراب وألبسهم لباس الروم وساروا فى وقت السحر ثم انهم اختلطوا بالعسكر الذى للروم فلقوهم فى عدد النجوم وفى البلد مثلهم (قال الراوى) ولما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فتح باب الذهب الأحمر وهو من النحاس الاندلسى ثم ان القوم دخلوا ووصلوا إلى عند الأمير أبو محمد البطال فلما قدموا عليه فرح بهم وأدخلهم دارالبلاط وفرح الأمير ظالم وأخيه الامير سيف الحنيفيه والامير عمرو بن عبيد الله لما انهم نظروا إلى أمراء بنى كلاب وطمعوا فى الخلاص من ضيق الاقفاص

(قال الراوى) هـذا وقد وصل الوزير مذبحون فى ذلك الصباح إلى عند الملك بحرون ومعه السودان وكان قد لعب بعقولهم وقد أطمعهم فى المال لانهم تحدثوا بين يديه وقالوا ما جئنا إلا فى طلب الغنيمه فقال ماقولكم فيمن يدفع لكل واحد منكم ألف دينار وعشرين ثوب ديباج فقالوا له ومن يفعل ذلك قال أنا فقالوا أحلف وقد حلف لهم فعندها قتلوا أصحاب المعتصم وأطلقوا الوزير مذبحون وهربوا به ولما دخلوا على الملك بحرون فرح بخلاصه واعطاهم المال الذى ضمنه لهم الوزير مذبحون وأعرض عليهم التنصر فتنصروا واجتمع عقبة بالوزير مذبحون فقال الحمد للمسيح الذى خلقك وأوقع أبو محمد

البطال فى يدك فقال له الوزير مذبحون وحق المسيح انى عولت فى هذه الليلة أشتق منه فقال عقبه وأنا معك ونأخذ معنا الراهب شومدرس فنى قلبه منه البلاء وتشتفى صدورنا منه (قال الراوى) ثم انهم صبروا إلى الليـــل وقام الوزير مذبحون وعقبة الملعون وشومدس المفتون وساروا إلى دار البلاط فقال عقبة لابو محمد البطال وهو يظن أنه الرجل وهو بعدته وثيابه وعقبه يراه فى ضوء القنديل وهويفرد عين وهى ناقصه فقال له افتح لنا أيها الرجل حتى اننا نشتفى من لص المسلمين ونريدك أن تخرجهم إلى بيت العقوبة حتى أخلو بهم ولا يعرفنى عمرو بن عبيدالله وقومه بنى سليم فقال له الامير أبو محمد البطال سمعا وألف وطاعة (قال الراوى) ودخل الامير أبو محمد البطال فعلم الرجال والابطال وقال لعمرو بن عبيد الله كن أنت الآخر معهم حتى ترى ابن عمك القاضى عقبه (قال الراوى) ثم ان الامير أبو محمد البطال أخذ معه الرجال إلى بيت العقوبة وقال للوزير مذبحون والراهب شومدرس ادخلوا بارك السيد المسيح فيكم وكان الامير أبو محمد البطال قد قال للامير ظالم وأخيه الاميرسيف الحنيفيه ايش تعملوا مع عقبة فى هذه الليله فقال له الامير ظالم الليلة نأخذ من عقبة بأوفى نصيب ودع يجرى ما يجرى

﴿ تم الجزء الثانى والأربعون ويليه الجزء الثالث والأربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثالث والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فدخل الامير أبو محمد البطال الامير سيف الحنيفية وأ... م ظالم ومالك بن طوق وراشد بن ضمرة وغيرهم من الامراء وأخرجهم إلى دار العقوبة كما أمره عقبة وكان فيه مخدع للسياط والقضبان مستعدة للعقوبات (قال) فأخذ الامير أبو محمد البطال غلمانه وجعل فى أرجلهم القيود وجعلهم فى ذلك المكان وقد قال للامير عمرو بن عبيد الله وغيره من بنى سليم أريد فى هذه الليلة أريكم كفر ابن عمكم القاضى عقبة فقال له الامير عمرو ان كان ذلك كما تقول فوالله العظيم لا كان أول من يعمل على هلاكه غيرى لاننا مانراه إلا على دين الاسلام وما نرعاه إلا لاجل انه حافظ لكتاب الله عز وجل وهو من علماء أمة محمد ﷺ (قال) فعند ذلك أخذ الامير أبو محمد البطال غلامه لؤلؤ وقد البسه تلك الثياب التى كانت عليه وهو مأسور وجعل القيد أيضا فى رجليه وقال له دع رأسك على ركبتك واظهر انك مريض وقال لمشايخ بنى سليم الذى يسمع قولهم ويرجع إلى رأيهم ولعمرو بن عبيد الله السلمى اشهدوا أنتم بما تروا من عقبة (قال) ثم انه خرج إلى عقبة والملعون شومدرس وقال لهم ادخلوا ياموالى بذلك الرجل الامير أبو محمد البطال فانه كما تعلمون فى جهد عظيم من المرض وان أنتم ضربتموه ضرب شديد فيهلك فقال له عقبة لايعافيه السيد المسيح ولا يشفيه ياويلكم اعلموا أن مرضه حيلة ومكر منه فأنا لابد لى مما اذيقنه العذاب بيدى إذ أوقعه المسيح فى يدى

فقال الوزير مذبحون أنا أريد ان أريح أبناء النصرانية منه لانهم من فزعهم منه قد صوروه فى الكنائس وما قدروا يتخلصوا منه ولا يخلصهم منه إلا أنا فقال الملعون شومدرس وحق المسيح والدين الصحيح ان الروم كانوا يدعوا لك ويذكروك جيل بعد جيل فقد أقرح القلوب والاكباد وقتل الآباء والاجداد والاولاد ثم دخلوا القوم

(قال الراوى) هذا والامير أبو محمد البطال قد حنق على عقبة نسل الانذال فلما صاروا فى بيت العقوبة رأوا غلمان الامير أبو محمد البطال الاربعة ولؤلؤ جالس وهو يبكى وقد لبس ثياب الامير أبو محمد البطال ورأسه على ركبتيه وهو يتأوه كما أوصاه مولاه (قال الراوى) فعند ذلك دنا إليه عقبة ورفسه برجليه وهو يظن أنه الامير أبو محمد البطال وقال ياملعون إلى متى يهلك المسيح وفى هذه الليلة أذبحك فما رد عليه جوابا فقال الخادم جوهر ياقاضى عقبة لاتفعل فان الله تعالى لابدان يخلصنا من يدك كما عوايده علينا واحسانه إلينا وببركات سيدنا محمد ﷺ ينجينا (قال) فلما سمع عقبة كلام الغلام جوهر غضب من قوله وضربه بيده على حروجهه وقال له لعنك السيد المسيح والعن من يقول بقولك هل بقى لكم خلاص مما أنتم فيه والملك بحرون قد جمع العساكر وقتل أبطالكم وسوف يقتل الاسود الزنيم والعاهرة ذات الهمة ويأخذ المعتصم بالله ويملك الارض باقطارها حتى لا يبقى فى الارض ملك غيره ولا يشار اليه سواه وعنده خمسة آلاف من بنى سليم والامير عمرو بن عبيد الله وفى غداة غد يضرب رقابهم عن بكره أبيهم فقال له جوهر غلام البطال تكذب ياويلك وكيف تقتلهم وهم بنو عمك فقال له عقبة ياويلك وهل بقى بينى وبينهم نسب أو مودة أو قرابة أو حسب وإنما أنا أريد ألعب بعقولهم لاضرب رقابهم وذلك لاجل قولهم إن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا له زوجة ولا ولد وان نبيه المبعوث بالحق محمد ﷺ ومن قال هذه المقالة ما بينى وبينه نسب لا من العجم ولا من العرب (قال) فلما تم كلامه صاح اخرجوا لنا القضبان حتى اننا نضرب هذا البطال الشيطان ابن ألف شيطان ونذيقه طعم الذل والهوان فعندها دخل الامير أبو محمد البطال إلى ذلك المخدع فوجد الامير عمرو بن عبيد الله وأضراسه تضرب بعضها فى بعض وهو يقول كلمة لا يخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أنا أستغفر الله من ذنبى ومن الإيمان التى كنت أحلفها عن هذا الملعون عقبة (قال الراوى) هذا وأمراء بنى كلاب قد أخذهم الحنق وقد قال لهم الامير أبو محمد البطال ابصروا من يخرج فى الأول فقال الامير ظالم أنا وخرج هو وأخيه الامير سيف

الحنيفية وتبعهم الامير مالك بن طوق وراشد بن ضمرة وملابط البغال وجماعة كثيرة خرجوا وهم ملثمين فقال عقبة اللعين بعد ان أقبل على الامير أبو محمد البطال فقال له ويلك ياسجان ماهؤلاء فى هذا المكان فقال له اعلم يامولاى لاشك انك لما شتمت الانبياء بعثوا إليك الزبانية يتولوا عقوبتك (قال الراوى) ثم تقدم الامير ظالم وقبض بيده على ذقن الوزير مذبحون ورقبته ثم أنه قد جذبه جذبة شديدة وضرب به الارض كاد ان يطحن عظامه بها وقبض الامير ملابط البغال على الملعون شومدرس وقبض الامير سيف الحنيفية على عقبة (قال) ولما علم الوزير مذبحون أن الدست قد تم عليه فقال وحق المسيح والدين الصحيح أنا ما اشتهيت أجىء معكم ولكن جابنى القاضى عقبة فقال له الراهب شومدرس ومن هو القرنان ابن ألف قرنان الذى اشتهى أن يجىء إلى هذا المكان هذا وقد خرج الامير عمرو بن عبيدالله وقومه بنى سليم ثم قالوا له ويلك ياملعون عقبة لقد هتك الله سترك واطلعنا على خفى أمرك فقال عقبة وقد علم أنه فات أمره وانهتك ستره اعلموا ان الضرورات تلجى إلى هذا ومثله وأكثر منه ولا يصح على مذهبى الكفر إذا غصبت عليه (قال) وقد أراد عقبة ان يتخلص بمكره فقال الامير أبو محمد البطال مدوه فمدوه وضربه ضرب شديد ماعليه من مزيد حتى وقع لحم صدره والامير أبو محمد البطال يقول هذا جزاء من يكفر ويسب ثم انه قدم الراهب شومدرس وضربه حتى غشى عليه وهو يقول لا ألقى الله القاضى عقبة خيرا فما كانت هذه المصائب إلا من تحت رأسه وإلا إيش فضولى أنا فى عقوبة الامير أبو محمد البطال (قال الراوى) ثم قدم من بعدهم الوزير مذبحون وكشف بيده عن بدنه وأمر الامير أبو محمد البطال بضربه فضربه وجعل يتململ من نعومة بدنه فقال خلوه فوالله الذى لا إله إلا هو مارحمت قط كافر أو سواه ولا اختلع قلبى قط بالشفقة على كافر إلا عليه فلعله ان يسلم ويعود إلى الله (قال الراوى) هذا وقد طرحت القيود أيضا فى أرجلهم وقد حصل مائة أمير من أبطال المسلمين فى دار البلاط وهم بالعدد الكاملة والسيوف والخناجر وقد خلص الاسارى من بنى سليم وهو عالم عظيم (قال) ولما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ركب الامير عبد الوهاب وقد أعلم المعتصم بالله بقصة الامير أبو محمد البطال وقال له اركب حتى اننا نحمل على العسكر الذى بين أيدينا فان نحن كسرناه فالملك بحرون يخرج من أرض القسطنطونية والا فما يخرج ولا يتم للامير أبو محمد البطال الذى يريد أن يعمله من الامور والاعمال (قال) فعندها ركب المعتصم بالله بتلك العساكر المقدم ذكرها وقد تقدم الامير عبد الوهاب بين يديه وجرى الامر على هذا وأمثاله هذا وقد التقى

الجمعان وجرى بينهم حرب يشيب الولدان ونزل البطل الصنديد واستوى فى الحرب الموالى والعبيد (قال) ولم يكن إلا القليل من النهار حتى تزعزعت عساكر النصرانية إلى خلفها وعلم الملك بحرون أن الخليفة الامام ركب بنفسه فقال الملك بحرون لارباب دولته ماذا ترون نخرج ونقوى العسكر والا ان انكسر هذا الجمع العظيم الذى تروه وما يرجعوا الروم يواجهوا العدو فقالوا له صدقت (قال) ثم ان الملك بحرون خرج فى الأمم التى لاتعد ولاتحصى بعدد الرمل والحصى هذا وان عقبة لما أن أصبح الله تعالى بالصباح وكان قد أفاق من عقوبته أقبل على الوزير مذبحون وقال له كم أشير على الملك بحرون وهو لايقبل منى ويتشاغل عنى وحق المسيح لقد كنت فزعان من هذا الشيطان لما حبس فى دار البلاط وأيضا فانى قلت للملك بحرون اعلم أن أن المسلمين لايطاقون وهم فى عالم كثير عظيم فوكل بهم ألف بطريق فلم يفعل ذلك الفعال ولو كان وكل بهم جماعه لم يتم علينا هذا الأمر ويجوز أن السجان الذى كان موكل بهم قد دخل اليهم فقبضوا بأيديهم عليه وقد صار الأمير أبو محمد البطال مكانه وتزيا بزيه والملك بحرون قد فرط فى أمره وأمرهم فقال له الوزير مذبحون وقل انهم قبضوا عليه فكيف صارت دقن السجان على وجهه فقال له عقبه أنت ماتعرف هذا الرجل إنه إبليس دهره وزمانه وحق المسيح والدين الصحيح لوأراد أن يركب عليه رأس السجان لفعل وسوف ترى ياولدى مايعمل وأناقلبى يحدثنى أن أبو محمد البطال ماعمل هذا العمل إلا وقد صار عنده من المسلمين جماعة أبطال وما هو إلا منتظر الملك بحرون حتى يخرج إلى القتال ويفتح دار البلاط ويأخذوا العدد ويضربوا الناس بالحسام المهند وقد حصلت القسطنطونيـــة فى أيديهم وينكسر الملك بحرون بلا محالة ويصلبونى أنا على باب الذهب لأن الأمير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم قد سمعوا قولى وانكشف معهم أمرى فقال له الملعون شومدرس كلما يجرى علينا وعليك من يدك وكثرة فضولك وشقشقة لسانك (قال) ولما أن خرج الملك بحرون فى ذلك العالم العظيم الذى يضيق به الفضا أرسل إلى المعتصم بالله يأمره بأن يصف عساكره وكان المعتصم بالله الخليفه الإمام ابن الإمام مائة صف فى كل صف مائه ألف وقد صف الملك بحرون أيضا عساكره ومواكبه وقد دقت الطبول وضربت البوقات ودقت النواقيس والكوسات وصاحوا الجميع بالحمله (قال) وفى تلك الساعة أقبل الأمير أبو محمد البطال على أصحابه وقال لهم اغتنموا هذه الساعة فى هذه الضجة فان الصباح لايسمع لعل أن نملك البلد فما بقى فيه غير العوام واطلبوا الباب فاغلقوه والبلد أيضا فاملكوه فقالوا له الرجال يا أبو محمد اعلم أننا ههنا فى خمسة آلاف فارس من بنى سليم

ومافيهم من معه عصاة يمنع بها عن روحه وفى البلد عالم عظيم من العوام والسوقة وتفرق فى كثرتهم ولكن نريد شيأ من العدة فقال سمعا وألف طاعة (قال) ثم انه خرج لوقته وساعته إلى باب دار البلاط وأخذ من العدة المعلقة وهو يقول الملك بحرون أرسل إلى يامرنى بحفظ هؤلاء المأسورين والرجال عندى بلا عدد وجعل ينقل السيوف والعدد والدرق (قال) ولم تكن إلا ساعة حتى صار عندهم مايريدوا (قال الراوى) فهذا ماجرى ههنا وغبار العسكرين قد علا وارتفع إلى الاعنان وعملت الصوارم فى نواعم الأبدان وخلف كل قلب مطمأن وعملت السيوف وقطعت الرؤس واختلست النفوس وحمل الفارس العبوس ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وتصادمت المواكب وظهرت الاهوال والعجائب وكثرت القتلى وسالت الدما وتقابضوا أيضا باللحا (قال الراوى) فهذا ماجرى ههنا وأما الأمير أبو محمد البطال فانه خرج فى جماعة من الابطال وقصدوا إلى الباب وضربوا البطارقة بالسيوف وأغلقوا الأبواب وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير هذا وقد سمعت الروم بذلك فثاروا من الأسواق وأخذوا عددهم والتقوا بالأمير أبو محمد البطال والأمير ظالم وأخيه الأمير سيف الحنيفية وانطبقت عليهم الرجال من كل جانب ومكان (قال) ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل من داخل البلد وظاهره هذا وقد تكردست الرجال عليهم وهم أيضا يجزرونهم جزرا ويرمونهم خمسا وعشر عشرا وفتكوا بنى سليم والرجال بالقوم الكافرين وحلوا بهم البلاء المبين ونصر الله الأمير أبو محمد البطال ورجاله على عوام البلد وتفرقوا من حولهم ورجعوا إلى دورهم وغلقوا عليهم أبوابهم وطلع الأمير أبو محمد البطال إلى القصر وملكه وملك جميع ما فيه وأطلع الرجال والأبطال اليه (قال الراوى) وكان عسكر المعتصم بالله ظهر على عسكر الروم من داخل البلد فقال لهم الملك بحرون يا ويلكم ما الخبر فقالوا له أيها الملك ما نعلم شيئا غير أننا نسمع صياح فى البلد وما ندرى أيضا ما السبب فقال لهم الملك بحرون اطلبوا الباب فقصدوه وإذاهم بالأبواب مغلقة وقد صعدت أبطال المسلمين على الأبراج شاهرين بأيديهم سيوفهم وهم يزعقون عن لسان واحد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم يولولوا ويبكوا

(قال) ولما رجع الخبر إلى الملك بحرون بما قد جرى عظم عليه وكبر لديه وخشى أن ينهزم عسكره كله فحمل على المسلمين بنفسه وحملت معه العساكر وعملت الصوارم فى الجماجم إلى أن ذهب النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه فعند ذلك طلب الملك بحرون للوزير

مذبحون فلم يجده فقال هذا صلوب الرأى والتدبير قد عدمناه فأين الشيخ النجيح فلم يخبره عنه أحدا بخبر وطلب الراهب شومدرس فعدمه الآخر ونظر إلى القسطنطونية فوجدها قد هلكت ولم يجد إلى الدخول اليها من سبيل (قال) فعندها أقبل على الملوك وقال لهم فى غداة غد نرجع إلى قتال المسلمين لعلنا أن نأخذ البلد وقد طمع فى ذلك إذ رأى ما وراه شىء يرجع اليه وأثقاله فى البلد وقد تم عليه هذا الأمر فقال لهم وما الرأى عندكم فقالوا له أيها الملك انت قد فرطت فى بلدك وكان فى القسطنطونية خمسة آلاف أسير فدخل اليهم الأمير أبو محمد البطال خلصهم وقد ملكوا منا البلد وما لنا غير الفرار والهرب فى هذه الليلة إلى مدينة عمود الكبرى (قال الراوى) وما كان فى بلاد الروم أكبر منها وفيها عالم عظيم وأن الملك مسيحا الذى قد وصل إلى خدمتك ملكها وتكون عنده أنت بعساكرك مقيم وتزداد عنده أيضا من مدينته مثل هذا العسكر وهذا هو الرأى وهى مدينة ما للمسلمين مثلها ولا لهم عليهم منزل وإن نحن أقمنا فى غداة غد هلكنا فقال لهم صدقتم ارحلوا بنا (قال الراوى) فعندها رحلوا الروم قوم بعد قوم إلى أن مضى أكثر الليل وقد وقع الصياح فى عسكر المعتصم بالله فركب الأمير عبد الوهاب فى أبطال بنى كلاب والسودان الانجاب وطلب أعقاب عسكر الروم فرجع اليه الملك بحرون وعظم بينهم القتال وتقاتلوا أيضا بالرماح وبالنصال طول الليل وظهر عسكر المعتصم بالله على على عسكر الملك بحرون فتقهقر إلى وراءه وسار الملك بحرون فظن الأمير عبد الوهاب أنها حيلة فلم يتبعهم إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وقد أبعد أبناء الروم وجاءت الجواسيس الى الأمير عبد الوهاب وأخبروه بأن عسكر الملك بحرون قد سار الى عمودا فقال الأمير عبد الوهاب لو كنت علمت ذلك لكنت سرت خلفهم وبالله العظيم انهم قد ساروا الى موضع حصين أحصن من القسطنطونية فيها عالم عظيم لا يحصى عددهم إلا الله تعالى لكن الذى سهل لنا أخذ القسطنطونية بغير حساب قادر أن يسهل لنا أخذ القلعة عمود ببعض الأمور والأسباب (قال الراوى) هذا والأمير أبو محمد البطال قد فتح الباب الذى للبلد ودخل المعتصم بالله فى أحسن زى وأكمل أهبة فقال الوزير أحمد يا مولانا سبحان من حكم لك بهذا انك تدخل الى القسطنطونية فى ثياب العز والمملكة بعد ما كانوا الروم قد أخذوك واليها أنقذوك وهذا كله بهمة الأمير الأجل المهاب الأمير عبد الوهاب وأمه الأميرة ذات الهمة لبوة الغاب فاحفظ لهما هذا على طول الزمان والشهور والأعوام واعلم يا أمير المؤمنين أن لولا يكون عند الله نية فى صفا سرائرهم لما كان أعطاهم مناهم ونصرهم على أعداهم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم بالله ذلك

الكلام فقال له صدقت والله أيها الوزير فيما وصفت به هذا الأمير الاجل الامير عبد الوهاب ثم ان الخليفة شكر الوزير وأثنى عليه ثم ان المعتصم بالله بعد ذلك صعد الى القصر ونظر الى ذلك المكان العظيم فطار قلبه فرحا بما فتح الله تعالى به عليه ثم انه قد أحضر الملعون عقبة بين يديه وقال له ويلك ياملعون بعت الآخرة بالدنيا الساخرة فقال له الملعون عقبة معاذ الله يا أمير المؤمنين فأنا كنت مأسورعندهم منذ انكسرت العساكر وأخذت أنا كما قد أخذت أنت لكن الله سبحانه وتعالى سهل خلاصك ووصلت أنا الى القسطنطونية وكنت فى أضيق مكان وفى أيشم موضع أقاسى فيه الضرر والجوع الى أن دخل الامير أبو محمد البطال الى أرض القسطنطونية وفتح الله البلد على يديه بهذه الحيلة وأنه قد علم موضعى فأخرجنى من مكانى بعد ما أراد أن يذبحنى فقلت يا هذا أنا مالى فى هذه النوبة ذنب أبدا فبالله عليك دعنى من يدك والا قل لى كيف يكون الخلاص منك فقال تحلف لى بالله أربعين يمين أنك تنطق بالكفر وإنى سوف آتى بالوزير مذبحون والراهب شومدرس الآخر معه وقد أظهرت أنهم قد جاؤا لعقوبتنا تقول ماهو كذا وكذا حتى يظهر صدقنا وصدق الأمير عبدالوهاب وعند الأمير عمرو بن عبيدالله يامولانا فأجبت إلى ماقدذاعنى اليه من خوف الموت وقلت من ساعة إلى ساعة فرج وقد قال عليه الصلاة والسلام محمدا صلى الله عليه وسلم حاكى الكفر ليس بكافر ورتب لى رجال فى الخدع وأنا أعلم بهم وأنا ماقلت ذلك إلا طلبا للنجاة منه وبعد هذا ياأمير المؤمنين افعل بما تشاء فقد شبعت من هذه الحياه النكده والله مافى قلبى حسرة غير انى أموت وما أعلم مايكون من الإسلام من بعدى وأنا الآن قد طاب قلبى بهذا الفتح الذى من الله تعالى به على الإسلام

(قال الراوى) فلما سمع المعتصم بالله الإمام كلامه فقال له ياويلك وهذا الذى ذكرته مالك به بينه وهؤلاء القوم قدأقاموا بينتهم للشهادة عليك ولابد من تسليمك اليهم وهم المقلدين بدمك (قال الراوى) ثم التفت الخليفة الامام إلى الأمير أبو محمد البطال وقال له خذه اليك وافعل بهماشئت ولكن بعد فراغ قلوبنامن هذا العدو الذى هو الملك بحرون فقال له الأمير عبد الوهاب سمعا وألف طاعة لله وللأمير المؤمنين ويكون هو أيضا والوزير مذبحون فى المطمورة التى كان فيها الأمير أبو محمد البطال التى هى واسعة الجنبات ويكون معهم الراهب شومدرس الملعون إلى مايفتح الله علينا ونأخذهذا الملعون بحرون ويعود الاسلام إلى عزه ويكون (قال الراوى) هذا وان المعتصم بالله أمر باخراج الملك ميخائيل فأخرج من المطمورة ومعه الحاجب مارس وأخيه دارس وأيضا خواص دولته وقد تغيرت أحوالهم وأبدانهم والبترك الكبير معهم والكل فى أسوأ الاحوال وكانت

قد نحلت منهم الأجساد وشمتت بهم الأعداء والحساد (قال) فبكى الخليفة الامام المعتصم بالله وقال ماأصعب زوال النعم وحلول البلاء والنقم ثم قال الملك طب نفسا وقر عينا فسوف آخذ لك هذا الكتاب وأعيد الملك اليك بشرط انك تحمل الحمل كما كان مرتين فقال سمعا وطاعة يامولاى وكيف ينالك وأكون لك خادم على طول الزمان وكل مايرتفع فى بلاد الروم أحمله اليك (قال الراوى) وأما الأمير عبد الوهاب فانه بكى بكاء شديد ماعليه من مزيد لاجل الحاجب مارس وأخيه دارس وقال لهما اعلما أن الله تعالى يريد بهذا أن يزيل عنكما ذنوبكما بعظم أجركما فاحمدوه وعظموه ومجدوه وأيضا اصبروا على ماأصابكم فان الله يجزى الصابرين أجرهم بغير حساب (قال الراوى) هذا وان المعتصم بالله قد خلع على الملك ميخائيل برأى الأمير أبو محمد البطال وعلى خواصه وهم الحاجب مارس وأخيه دارس وأركبهم فى أرض القسطنطونية ونادى المعتصم بالله بالرحيل بعد ثلاثة أيام الى قلعة عمودا فعند ذلك أخذوا الناس أهبتهم وترك فى البلد الأمير عمرو بن عبيد الله وأمراء بنى سليم لانهم كانوا ضعفاء من أثر الأسر وعشرة آلاف فارس من عسكر العراق وألف فارس من السودان الأنجاب وسار يقطع الأرض فى طولها والعرض وهو طالب عمودا وقد بقى بينه وبينها أربع فراسخ (قال) فعندها وصل الخبر إلى الملك بحرون وقد قوى عزمه وتواجع عسكره وعول على العوده إلى أرض القسطنطونيه لانه لما سمع بأن العساكر قد وصلت فرح فرحا شديد ما عليه من مزيد وقد رفع على رأسه مائة ألف صليب مرصعة بالدر والياقوت والجواهر تحت كل صليب جيش عظيم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ماجرى ههنا من الكلام والخطاب (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه نظر إلى مرج أخضر وهو يصلح للقتال يسع أهل الدنيا فقال للمعتصم بالله أقم بناهنا ياأمير المؤمنين حتى يصل الروم الينا (قال) فأقاموا حتى وقعت العين على العين وحان الحين وارتفعت الزعقات حتى ارتجت الفلوات ونادت الفرسان بعضها ببعض انزلوا إلى غداة غد فعندها نزلت العسكران وأضرمت النيران وتحارس الفريقان إلى أن ولا الليل بظلامه وأقبل الضياء بابتسامه وارتفع الضجيج من أبطال المجاهدين وأقيال الموحدين وطلب الأمير عبد الوهاب فلم يوجد فى موضعه فعظم ذلك على الأميرة ذات الهمه وكذلك المعتصم بالله والتقت الأبطال بعضها ببعض وتزلزلت الأرض من شدة الركض والتحم العسكران وطارت جماجم الاقران وارتفع الغبار إلى العنان وضاق بهم المكان وقتلت الأقران وصارت الأرض كوردة الدهان وهلك المناصل وأصبح عليهم الحمام نازل (قال) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب

تشعل إلى أن تقهقر عسكر المعتصم بالله إلى وراءه وانسدل الظلام وأضرمت النيران وافترق الجمعان هذا والاميرة ذات الهمه قد عظم عليها فقد ولدها الأمير عبد الوهاب ولم تعلم سبب غيبته وعظم على الامام المعتصم وقالت الاميره ذات الهمة والله ما مضى ولدي من عندى البارحه الا وقت صلاة العشاء الاخـــيره وكان ركب فى مائة فارس وصاروا يدوروا حول العسكر فزعا من الجواسيس يأتون فى ظلام الليل فقال المعتصم بالله سبحان الله العظيم كيف عدم هو والمائة فارس فقالت لا ياأمير المؤمنين الفرسان مافقدوا غير قليل فقال على بهم لحضروا بين يديه وإذا هم تسعين فارس وقد فقد منهم عشرة فقال لهم الخليفة أليس كنتم مع الامير عبد الوهاب فقالوا له نعم ياأمير المؤمنين كنا معه إلا أنه قسمنا عشر مواكب عشرة بعد عشرة وأمرنا ان نتفرق عشر جهات حتى لا يعرف بنا أحد فنعرف ومضى الامير عبد الوهاب إلى جهة أخرى فى عشر فوارس فيهم مثل الامير ملابط البغال ومالك بن طوق وراشد بن ضمرة وسعيد بن الفرج والامير هارون العلوى وبرد بن الازهر والامير طارق الحجازى والامير عطارد وابنته الاميرة عمرة والامير يانس المتعزب وهذا آخر العهد به (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع المعتصم بالله ذلك الـكلام عظم عليه وكبر لديه وقال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم واشتغلت قلوب سائر الاصحاب لاجل غيبة الامير عبد الوهاب

(قال الراوى) وكان من حديث الامير عبد الوهاب وأصحابه أمر عجيب وحديث مطرب غريب وذلك انه لما انفرد بالعساكر وأخذ العشر رجال الذين معه ابعد عن العسكر بمقدار فرسخين كل ذلك ثقة منه بنفسه والابطال الذين معه فهو كـذلك إذا نظر إلى شبح يلوح فقصد الامير عبد الوهاب إليه بنفسه وقد أحدقت به الابطال وان الشبح لما سمع كلامهم عرفهم وعرفهم بنفسه وإذا به صابر المرعشى فقال الامير عبد الوهاب يا صابر فقال نعم يامولاى فقال له من أين وإلى أين فقال له أتيت من موضع عجيب وقد أتيتك بحديث عجيب غريب وقد أتيت اليك لاجله قاصد لانها غنيمة فى هذه الليلة لها قدر وشأن وقيمة فقال له الامير عبد الوهاب وما ذلك يامبارك فقال له اعلم يامولاى انى مضيت من أمس ودخلت إلى مدينة عمودا فوجدت مدينة أحصن من سد حديد وفيها عالم لا يحصى لهم عدد واقمت بها إلى أن أتى على الليل وإذا أنا بالبلد وقد انزعج وارتج بأهله فسألتهم عن موجب ذلك الخبر فقالوا لى ان الملكة مرجانة بنت صاحب عامودا قد خرجت مع أترابها إلى كنيسة البترك وهى بالقرب من هذه المدينة وقد طلبها الملك بحرون لما ان دخل الى عامودا حتى يتزوج بها فلم يفعل أبوها وامتنعت هى أيضا وقالت هذا خارجى

ليس هو ملك من الملوك ولا يعلم له أب ولا أصل ومع هذا من يوم وقعت عيني عليه ورأيته قد وقعت بغضته فى قلبي لاجل سواده وهذا بخلاف الروم وأجناسها و بعدهذا ان أغصبنا ولج علينا وان طاب قلبي بذلك فأنا ماأفعل حتى أتبارز أنا واياه فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فان هوظفر بى كنت زوجته وان لم يقدر علي وظفرت أنا به وهبت له نفسه وعرفته بين الملوك قدره ولا يعود بعدها يتعرض بى أبدا (قال) وكانت هذه الجارية الملكة مرجانة قد هويت بعض أولاد البطارقة وكان مثل القمر الطالع وان بحرون لما سمع هذا القول منها فرح بذلك واعجبه قولها وقال حتى يخلو قلبي من المسلمين وأجيبها الى ماطلبت من المبارزة (قال) وان الملكة مرجانة قد أخذت من جوارها وأترابها وهى مائة جارية وقد سمعت يامولاى ان كل جارية منهم تريد جماعة من البطارقة وقد أخذت معها الشموع والنذور والستور وغير ذلك وسمعت أنا ذلك فسرت معهم حتى نظرتها وقد اجتمعت بالقس الذى للكنيسة وقالت له يا أبونا هذا الملك بحرون يريد زواجى غصبا وكرها وانا فما لى قلب له ولا فيه رغبة ولا أريده وحق المسيح ان أنا غصبت على ذلك قتلته وطلبت بلاد المسلمين فلما سمع القس منها كلامها فقال لها مايقدر أحدا يغصبك على مالا تريدين وربما هلك ومات قبل ان يصل إلى عامودا لأن عسكر المسلمين قد وصل فى عالم عظيم ولعلهم يهلكون شبابه وقد تخلصتى فقالت وكيف لى ومن لى بذلك فقال لها القس اندرى لهذه الكنيسة النذور وقد انفصل الأمر وقد بلغتى المأمول فقالت إذا تم لى ذلك وهلك الملك بحرون كان جميع ماعلي من الحلى والحلل والجواهر والذهب لهذه الكنيسة وها أنا الساعة أفعل ثم خلعت ماكان عليها من الحلى والحلل والجواهر والذهب للكنيسة مايساوى خراج عمودا فأخذه القس ورفعه وأنا أشاهده وقد تفرقعت مصارينى فى فؤادى من هول مارأيته من الأموال ثم ان القس فتح بيتا فى الكنيسة فرأيت فيه حوضين نحاس كلهم ملآنين من الجوهر والأموال وصلبان الذهب والجارية مرجانة وجوارها وهم عنده (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب من صابر المرعشى هذا الخطاب تعجب غاية العجب وأقبل على قومه وقال لهم ماذا ترون فقالوا نسير إليهم ونأخذ أموال وجواهر ونعود فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم ساروا وهم معه حتى وصلوا إلى باب الكنيسة فنظروا الخيل فغلقوا الأبواب وقالت جارية منهم ويلكم ياشلوح العرب ما الذى أوصلكم إلى هذا المكان وحق المسيح ماسافكم إلا آجالكم فان كنتم سمعتم بى فاتركوا مافى أيديكم وانجو بأنفسكم سالمين وأنا مرجانة بنت صاحب عمودا وهؤلاء جوارى وكل واحدة منهن تقاومنى فى الشجاعة

فارحموا أنفسكم وانجوا سالمين (قال الراوى) فلما سمع ملابط البغال من الملكة مرجانة ذلك الكلام قال للامير عبد الوهاب يامولاى ما أقول إلا أن رضوان قد غفل باب الجنان حتى خرجوا هؤلاء الجوار منها وما أريد منك غير هذه الجارية مرجانة فقال الامير عبد الوهاب انت فى حل من الكل وأى جارية أردت خذها إلا مرجانة فهى لأمير المؤمنين فغضب ملابط البغال وقال والله لاأخذها غيرى فانقلبت عيناه فى أم رأسه وشخر ونخر حتى رغرغت أشداقه من الزبد وفاح صنانه وانعقد نخافته الأمراء وقالوا هذا مجنون اتركها له حتى ترى مايكون ثم انهم تعاونوا على الباب فتحوه فلما فتحوه قالت الجارية ماهو مليح تأخذونا غصبا وإلا غدرا والإنصاف من الاشراف فدونكم والقتال (قال الراوى) فلما سمعوا الأمراء كلام الملكة مرجانة أجابوها إلى ذلك وكان أول من خرج اليها ملابط البغال فما كانت الا ساعة حتى وثبت اليه على ماهى فيه من رقة خصرها وثقل ردفها وقد أدهشته وحيرته وأظهرت انها تضربه على قوائمه استتر تحتانى فضربته فوقانى أسرع من البرق بالسيف صفح فوقع إلى الأرض لايعقل على نفسه فأخذته أسير وسلمته إلى جوارها حقير وأقبلت على الأبطال دونكم والقتال فعندها حملت عليها غمرة بنت عطارد وقد كشفت وجهها فصارت كأنها القمر فى ليلة أربعة عشر فلما نظرت الملكة مرجانة إلى صورتها قالت يامسلم وحق المسيح إنك شاب مليح ثم جالت معها مرجانة ساعة وصاحت بها صيحة أدهشتها فأخذتها أسيرة فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى الملكة مرجانة وما فعلت علم أنها واحدة زمانها وفريدة عصرها فصاح بقومه ياويلكم خذوا حذركم منها فخرج اليها مالك ابن طوق فأخذته أسير فصاح الأمير ياويلكم احملوا عليها كلكم فحملت الأمراء وحملت مرجانة وجوارها ولم يزل القتال يعمل بينهم حتى قتل من الجوار ستة وأخذ منهن ثمانية أسرى والتحم القتال بين مرجانة والأمير عبد الوهاب (قال الراوى) فأخذها أسيرة وملك سائر الجوار وأخذ الأموال التى كانت معهن وملكوا جميع ما كان فى الكنيسة وكان القس لما وقع القتال بين الامراء والجوار خرج من الكنيسة من مواضع يعرفها تحت الأرض فوصل إلى عمودا ووقع النفير فركب أبو مرجانة فى ذلك العسكر وقصد إلى الكنيسة فرأى بنته وقد ملكت وأكثر الجوار قد هلكت فحمل على الأمراء فقاتلوا القتال القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد وكانوا الأمراء قد أحموا باب الكنيسة من الرجال ومنعوهم من الدخول فأدخلهم القس من الموضع الذى خرج منه فما شعروا إلا وهم قد خرجوا عليهم ووقع الحرب بينهم وتضاربوا بالقواضب من كل ناحية وجانب وطلعت الرجال إلى

أعلى الكنيسة وضربوا المسلمين بالحجارة من فوق الاصوار ونظر الامير عبدالوهاب الى هذه المصائب فأيقن له ولأصحابه بالهلاك وقال يابنى الاعمام الرأى عندى أن نسلم أنفسنا اليهم والا هلكنا ولعل الله تعالى يأتينا بالفرج فلقد كانت هذه النوبة غلطة منا (ياسادة) فلما سمعوا أصحـــابه منه كلامه قالوا هذا هو الصواب فاستسلموا كلهم وقد تركوا الكنيسة ملآنة بالقتلى غارقة بالدما (قال الراوى) ولما رأى الملك ماحل بقومه غضب وأمر بقتل الأمراء عندها جردت القواضب وأحدقوا بهم من كل جانب فقال صابر المرعشى وقد أخذ معهم والله لاعرفنا هؤلاء الملاعين قدرهم ومحلهم وأقول لهم ان هؤلاء أمراء المسلمين وفرسان الموحدين عساهم يتركوهم ولا يؤذوهم فقال الأمير عبد الوهاب افعل عسى مشورة أخرى يضربوا رقابنا فما كانت مشورتك علينا إلا ميشومة فقال صابر المرعشى والله ما أردت الا منفعة المسلمين ولكن مالى اعتراض على رب العالمين (قال الراوى) فهو معه فى الكلام والخطاب وقد هموا أن يضربوا منهم الرقاب وإذا بالملكة مرجانة قد نادت وحق المسيح لا مكنتكم من قتلهم لان مافيهم من يستاهل القتل وإن كانوا المسلمين كلهم هكذا فإنهم يفتحون سائر البـــلاد النصرانية ويهلكون أهل ماء المعمودية ويكسرون الملك بحرون وينزلون به ريب المنون ثم قالت لأبيها أنت تعلم يا أبى ماكان على وجه الأرض أفرس منى ولا أشجع ولا أقوى منى وهؤلاء المسلمين هم سباع الإنس وقد أخذنى هذا الأسود قهرا ثم أقبلت على الأمير عبد الوهاب وقالت وحق المسيـح انك فارس مليح فبحق دينك من تكون من المسلمين فان قلت الحق فأنا وحق دينى اصطنعك وأطلقك فقال لها الأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب قالت أنت ابن ذات الهمة قال أنا ذلك فقالت مرجانة لقد كنت أسمع بأخبارك ثم صلبت على وجهها وقالت من هؤلاء القوم الذين معك فجعل الامير يصف لها فارس بعد فارس الى ان وصلت الى غمره قالت له هذا الفارس من يقال له فقال هذه جارية بنت عذرا وهى بنت أمير من أمراء المسلمين فتعجبت مرجانه من قوله وقالت وحق دينى ما فى الكل بعدها أفرس منك ثم ان مرجانه أقبلت على أبيها وقالت له أيها الملك لا تفرط فى هؤلاء المسلمين فانهم فرسان الموحدين وأبطال المؤمنين اتركهم عندك فى الاعتقال الى أن تنفصل من بقية فرسانهم فان كان الظفر لنا فأنت تأخذ بهم عند الملك بحرون اليد البيضاء وإن كان الظفر للمسلمين فأنت تفادى بهم بلدك وأهلك ومع هذا فقدسمعت بهذا الرجل المسمى بعبد الوهاب ان له حرمة وذمام وان كان بهذه الصفة مع هذه الشجاعة فلا يجب أن يفرط فيه فلما سمع أبوها

كلامها أخذهم وعاد بهم الى مدينته وطرحهم فى صهريج مظلم تحت الارض وجعلت مرجانة تكرم مثواهم بالأطعمة ومن الحلاويات والاشربه هذا وقد اشتغل قلب الامير عبد الوهاب على المسلمين ولم يدر ما كان منهم (وأما الاميرة ذات الهمة) فانها أرسلت الخيل فى طلبه وأقلبت تلك الارض فلم تقع له على خبر ولا أثر فقالت ما شاء الله كان

(قال الراوى) وان المعتصم لما أصبح الصباح صف عسكره على ما جرت به العادة فقالت له الاميرة ذات الهمة يا مولاى قد عولت فى هذا اليوم على البراز لعل الله تعالى يسهل لى أخذ بعض الملوك فيكون عنده خبر من ولدى فلا شك أن الملك بحرون عنده علم من ولدى فقال لها المعتصم افعلى ما بدا لك (قال الراوى) ولما اعتدلت الصفوف ظهرت الاميرة ذات الهمة بين الصفين وحملت على الميمنة فقتلت منها ثلاثة ثم انها طلبت القلب فصاح الملك بحرون على البطارقة فحملوا عليها من كل جانب فما كانت الا ساعة حتى تركتهم غنائم ورؤس بلا عاصم وأبدان بلا جماجم وأكف بلا معاصم فلما نظر الملك بحرون الى فعلها قال للبطارقة من هذا الفارس فقالوا أيها الملك أم الفارس الاسود التى كانت فى أسرك وولدها قد فقدته من أمس وما هو إلا قتل وما بقى لهم من يعتمدون عليه الا هذه العاهرة فقال الملك بحرون من أتانى برأسها وزنت له بوزنها مائة مرة من الذهب الاحمر فلما سمعت البطارقة ذلك من الملك بحرون خرجت اليها من سائر الجيوش وصارت الاميرة كلما خرج اليها فارس تأخذه وتقتله الى أن أسرت خمسة عشر فارس وقتلت عشرين ثم انقطعت عنها الرجال فلم يخرج اليها أحد من الرجال فأنشدت تقول هذه الابيات

اليوم يوم الضرب بالصوارم ... فى طاعة الله السميع العالم
ننصر دين الهاشمى المصطفى ... أكرم به المختار خير العالم
هل فيكم الآن فتى مصادم ... يبرز لى فى ساحة المصادم

(قال الراوى) فما استتمت كلامها حتى خرج اليها فارس من الروم وكان ملك الزواورة وقد طلب من الملك بحرون جزيرة عمودا إن هو أتاه برأس الأمير فأجابه الى ذلك فخرج وهو على جواد أصفر جيد المنظر سريع الخبر صافى الجوهر كانه وجنة عاشق قوى سابق جرى لاحق صهيله مثل الرعد الخالق وعليه زرديه لاتعمل فيها السيوف المشرفيه ومعه ومعه قنطاريه بجليه مضيه لو صدم بها ثنيه لأرماها بالكليه وحمل على الأميرة وقد أيقن أنه يأخذها لأنها على غاية من التعب ونهاية من النصب وحملت عليه وقد أخرجت يدها من جلباب درها وطاعنته حتى اختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنه الأميرة فطعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره وكبر المسلمون وحزن المشركون هنالك حمل الملك

بحرون وحملت معه الأمم وحمل المعتصم فى العرب والعجم والترك والديلم فطارت القمم وشابت من الهول اللمم وتزلزل القدم وعتم النهار وأظلم وجار السيف لما حكم وذبحت الرجال ذبح الغنم وجرت الدماء من الأبدان مثل جرى القلم وصار الوجود عدم وتشتت الشمل بعد ما انتظم وأقام السيف يعمل حتى أقبلت عساكر الظلام ونادوا بالانفصال فلم تخلص الرجال من الرجال وعمل السيف طول الليل الى أن طلع سهيل وطلعت الشمس وهم على ذلك ما بين سالم وهالك وعطشت منهم الأكباد وقطعت الأجساد والملك بحرون لما انظر إلى ذلك جعل يأمر ملك بعد ملك أن يخرج من المعمعة بقومه فيأكلون ويطعمون خيولهم ويركبون غيرها ويزحفون للحرب وباتوا على حالهم

(قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك ثلاثة أيام ولياليها حتى فنيت الأمم وكان اسم هذه الوقعة وقعة الروم وهلك فيها الأبرار والفجار ولما كان اليوم الرابع افترقت الناس بعضهم عن بعض وقد امتلات بالقتلا الأرض وأكثرهم مجرحين والباقى على الثرى مطرحين وأخذوا فى مداواة الجرحى (قال الراوى) هذا جرى (وأما ما كان) من المعتصم فانه بقى فى قلبه النار لغيبة الامير عبد الوهاب ولا يعلم ما كان منه وان الاميرة ذات الهمة باست الارض بين يديه وقالت يا أمير المؤمنين قد عولت أن آخذ خمسة آلاف فارس وأعكر بلد الروم شرقا وغربا وبعدا وقربا حتى أكشف خبر الامير فان قلبي فيه نار السعير وقال المعتصم اعلمى أن هذا الكلب بحرون ما أراه مثل الملوك المتقدمين فانه لا يضجر من القتال ولا يمل من النزال ولابد له مما يعود إلى الحرب فى غداة وما تكونى حاضره ولا ولدك عبدالوهاب فيكون وهنا للناس فقالت الاميرة يامولانا الناس ما يتعرضون للقتال يوم وعشره لما قد جرى علينا وعليهم وبهم أكثر مما بنا من التعب والجراح (قال الراوى) وكان فى الأميرة اثنى عشر جرحا من هذه الوقعه ثم انها طلبت الامير أبو محمد البطال فلم تجده فعظم ذلك عليها وكبر لديها فهى كذلك إذ دخل أحمد الشمشاطى وقال لها لكى البشاره أنا رسول أبو محمد اليكى وبشاراتى عليكى فقالت له وأين تركت أبو محمد فقال لها تركته فى كنيسة يقال لها كنيسة البترك وقد كشف خبر الامير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب لانه قد أخذ خبرهم وهو فى عموريا وأن أبو محمد عبر إلى القس فى صفة راهب وغلمانه وتلامذته وهو عنده فى المنزله الرفيعه وهو يقول لكى انه سمع ان ليلة الاحد يخرج صاحب عمودا وابنته مرجانه وجوارها إلى الكنيسة فتسيرى معك الرجال حتى تأخذيهم وخلاص الامير ومن معه من الاصحاب (باساده) فلما سمعت الاميره ذلك باسع الارض شكرا لله تعالى ثم انها تجردت فى مائة

فارس كأنهم الليوث العوابس منهم ظالم وميمونه وأمثالهم من سادات العربان وأمراء السودان وسارت ليلة الاحد وبين يديها الجاسوس الى أن وصلت الى الكنيسه وقد سبق أحمد الشمشاطى الى الباب فوجد أبو محمد مثل الحية على المقلى فقال له لما رآه وصلت الاميره فقال أنعم يامولاى وهاهى قربت منك وانما سبقتها أنا حتى أكشف الخبر فقال إيش يا أحمد فقد وصلت الملكة مرجانه فى مائة جارية ومعها أربعمائة بطريق خوفا من النوبه الاولى وفى كم وصلت الاميره قال فى مائة بطل فقال أبو محمد ومعها ميمونه وظالم فقال نعم وسيف الحنيفية فقال أبو محمد قف أنت وإياها ههنا فاذا مضى من الليل أكثره ولم يبق إلا أيسره فتحت لك الباب فاهجموا عليهم وهم نيام فما يفيقون من المنام الا وقد مكنت منهم الحسام (قال الراوى) فرجع أحمد الى الاميره وأخبرها بذلك فقالت هذ ما أسمعه وربما أبو محمد هذا من طريق الإشفاق علينا ونحن لانبالى على مابنا من الجراح أشهى الينا القتال من العطشان الى الماء الزلال ثم وصلت الى باب الكنيسه وترجلت فى أبطالها ودخلت ثم هللت وكبرت ونادت لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فكبرت معها الأبطال والاقيال وصناديد الرجال فعندها وقع الصوت فى الكنيسه وثارت الروم وهم أربعمائة بطريق وفى أوائلهم الجاريه مرجانه القوية الجنان وهم فى مائة جارية وثارت الرهبان وكل قس ومطران وتضاربوا بالمرهف اليمان وقطعت الرؤس من الأبدان ورفعوا الصلبان وأشركوا بالواحد الاحد الحنان المنان ونادت المسلمين بكلمة الاعلان المنجية من النيران وقطعت الاميرة ثمار النفوس من أعلا الاغصان وتركت الرجال على الارض صرعا فى كل مكان ونصر الله أهل التوحيد والايمان على طائفة الشرك وأهل العصيان (قال الراوى) فلما نظروا البطارقة الى ذلك رموا سلاحهم ونادوا الامان الامان فأسرت الاميرة منهم مائتين أسير والملكة مرجانة وسائر جوارها وأخذت كلما فى الكنيسة من الاموال والرجال وعزمت على الارتحال فقالت لها مرجانة على ماذا عولتى يافارسة المسلمين فقالت أسير بك الى عسكر المسلمين وأبطال الموحدين وأنا ذات الهمة أم الامير عبد الوهاب فقالت مرجانه يا أميرة لقد كذبت الروم فيما وصفوا فيكى وفى ولدك وحق المسيح أضعاف ماوصفوا فهل لكى أن تطلقى جوارى ورجالى ولكى ماأخذتيه من المال وأنا أرسل الساعة وآتيك بالامير عبد الوهاب فوحق المسيح انه فى غاية الإكرام فلما سمعت الاميره كلامها أجابت مرجانه إلى ماطلبت ثم ان الاميرة قالت لها أخاف أن يكون منكى مكيده بأن ترسلى إلى أبيك فيأتى فى عساكر الروم

(قال الراوى) وقد ذكرنا أن أبو الملكة مرجانه قد خرج معها إلى الكنيسه خوفا

عليها من المرة الاولى وانه لما أوصلها إلى الكنيسه وأمن عليها عاد الى عمودا وان الاميرة لما قالت لمرجانه أخاف أن تكون مكيده ويأتى أبوكى فى عساكر الروم على انني بحمد الله وعونه بهذه المائة الذين معى مليه بسائر عساكر مدينتك لكن من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب (قال الراوى) فلما سمعت مرجانه كلامها صلبت على وجهها وقالت وحق المسيح والدين الصحيح والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل وحق عيسى بن مريم والبترك المحترم وحق كل بنت عذراء والا قطعت الزنار ونتفت لحية البطريق والجاثليق وأكلت لحم الجمل فى عيد الشعانين وبدلت نفسى لعربان المسلمين وإلا توضأت بالماء عند الصلاة فى عيد الصليب وبطلت شرب الخمر عند التقريب وحنثت فى هذا اليمين لا أعمل عليكم حتى تصل أصحابكم اليكم وأنا أعلم ان وصفك قد شاع فى البلاد ومدحوك فى جميع أقطار العباد (قال الراوى) فلما ان سمعت الأميرة حلفان الملكة مرجانة ضحكت من تلك الايمان وقالت الحمد لله الذى هدانا للاسلام وعرفنا محمد عليه السلام ثم انها أقبلت على الجارية مرجانة وقالت لها ويحك لقد أعطاك الله من الحسن والجمال شيأ عظيم ولكن قد طردك عن بابه السميع العليم وبعد هذا فانكى تقسمى الاقسام والايمان التى كلها فشار وهذيان ثم تقولى وإلا توضيت إيش هذا الكلام فقالت مرجانة اعلى يا أميرة المسلمين ان علماءنا يقولون لنا ادخلوا الكنيسة وصلوا وتقربوا حتى تخالفوا المسلمون فقالت لها الأميرة يامرجانة أنتم تنزهون جملة الرهبان عن التزويج والأولاد فلم لا تنزهوا الملك الجواد الذى جعل فوقكم سبعا شداد وجعل الأرض بساطا ومهاد وزجر البحر بقدرته وجعل فى بطن الإنسان قلبا وفؤاد وهداه إلى طريق الرحمة توفيقا وبعث محمدا رسولا إلى جميع العباد فدعاهم إلى توحيده وعرفهم طرقات تسبيحه وتمجيده وأنذرهم يوم يدعى الداعى فيرتعد العبد ممن يدعيه وينكر أمه وأبيه وصاحبته وبنيه وأهله وأقربيه اذا عظم المكروه ورأى الإنسان المحروم فى كتابه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلا سلم من عقوبته يوم ينادى ياعيسى ابن مريم فيبادروا الملائكة ويحضروه فى يوم مقداره خمسين ألف سنة لا يسألوه ولا يكلموه ويوقفوه ويسمع النداء من الملأ الأعلى والملائكة يقدسوه ويمجدوه ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فيختبط فى دمه ألف سنة والملائكة يرمقوه وينظرون جوابه بما يكون فاذا أفاق مما هو فيه ينادى والخلائق تسمعه ان كنت قلته فقد علمته يامن يعلم من العباد مايسروه عندها يأمر الله عز وجل بكم الى جهنم مجازاة لكم بما كنتم تكفرون ويحاسب العباد بما قدموه وأخذوه

(قال الراوى) فلما انتهت الأميرة الى هذه الألفاظ ترغرغت عينا مرجانة بالدموع وعمل معها كلام الأميرة ووقع بها الخشوع وقالت ياستاه ماهذا الايوم عظيم يوم يشيب لهوله الطفل الوليد ومن يكون صاحب هذا اليوم يجب ان ينزه عن الأزواج والأولاد والأنداد وأنا أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة كلام مرجانة واقرارها بتوحيد الملك الرحمن طار قلبها من الفرح واتسع صدرها وانشرح وشكرت الله على هدايتها واسلامها وقالت له يابنيه الحمد لله على هدايتك لدين الاسلام واعترافك بتوحيد الملك العلام فقالت الملكة مرجانة الآن ياستاه مابقى غير الاخلاص فى الدين والنصر لرب العالمين فلا يبان لك صحة اسلامى وقولى الا بما أفعله وهو انى أسلمك عمودا وما فيها لأن هذا مما يهد ركن بحرون لأنه مايكون له ملجأ بعد مدينة عمودا ونحن ما سلمناها اليه خوفا منه وما فعلنا ذلك إلا من طريق الدين فسلمناها اليه بعد ماحلفناه أنه لايغدر بنا ان هو نصر على عدوه والآن فقد هدانى الله تعالى الى دين الاسلام ومعرفة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام واذا سلمنا اليكم عمودا مايبقى لهم غير الهزيمة قدامكم ويتمزق هذا العسكر العظيم ويتشتت فى سائر الأقاليم والا فلو انهم يسلموا اليكم أنفسهم لتقتلوهم فما فرغتم منهم فى ستة أيام لانهم عالم كثير وجم غفير (قال الراوى) فلما سمعت الاميرة كلام الملكة مرجانة تهلل وجهها بالفرح واتسع صدرها وانشرح وقالت لله درك يامرجانة فلقد أسعدك الملك الديان فاذا كنتى قد عزمتى على هذا الامر فانا أعرض الإسلام على هؤلاء القوم الذين معك فان أسلموا فقد سلموا وقد تم لنا ماتريد وان لم يسلموا ضربت رقابهم والبست قومى ثيابهم فهم الذين فتحوا مدينة القسطنطونية لانهم رجال الحرب وليوث الطعن والضرب فاعرضى على جماعتك الاسلام عسى يهديهم الملك العلام حتى أقول لك بعد ذلك مايكون عندها جعلت مرجانة تقدمهم واحد بعد واحد وتعرض عليهم الاسلام فواحد يرضى وواحد مايرضى فالذى ما يرضى تقتله حتى أسلم مائة وثلاثين رجلا ثم انها أعرضت الاسلام على الجوار فاسلمن كلهن ثم أقبلت على أصحابها وقالت البسوا ثياب البطارقة ففعلوا ذلك فقالت الاميرة للملكة مرجانة خذى هؤلاء معك وامضى الى مدينتك وقولى لابيك ان المسيح قد من علينا بالخلاص ويكون الرجال قد حصلوا عندك فى القصر ثم انكى تخرجى الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فهم يكونوا مع هؤلاء المائه ويكون أمرهم مكتوم الى ليلة غد فانى سوف آتيك فى ظلام الليل فى عشرة آلاف من بنى كلاب والسودان الانجاب فافتحى لنا الباب وقد ملكنا البلد باذن مسبب الأسباب الذي اذا دعى أجاب فقالت الملكة مرجانه نعم

ماقلتى واليه أشرتى ثم سارت مرجانة ومعها أمراء بنى كلاب وقد قالت الاميرة اعلموا ان قلبى ماهو طيب عليكم وأخاف ان هذا الأمر من مرجانة مكيدة وخداع لان الله تعالى وصف كيد النسوان قال تعالى إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم فقالت ميمونة ياستاه طيبى نفسا وقرى عينا فسوف أدخل إن شاء الله تعالى إلى البلد وأقصد إلى القصر ودع ذلك يكون منها خديعة وأضرب كل من فى البلد بالسيف وأتسلم القصر وأحميه من أهل المدينة شهر وشهرين فشكرتها الاميره على مقالها وودعتهم الاميره وسارت الى العسكر وهى فرحانة وقد سار الامير أبو محمد البطال وغلمانه معها وسارت طالبة عسكر المعتصم ونظروا الذى حول عسكر المعتصم اليها وهى وحيدة فريدة بعد ماءضت فى تجريده فقالوا أصيبت الاميرة بقومها وما نجى غيرها وقد نهلوا بالكاس الذى نهل به الامير عبدالوهاب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ياسادة) وشاع ذلك فى العسكر فاضطرب الناس وتبادروا السودان وبنى كلاب الى الاميرة ذات الهمة فوجدوها ضاحكة مستبشرة ولاعندها هم ولاغم فعلموا أنها ماجاءت إلالامرمهم ووصل خبرها الى المعتصم فقلق غاية القلق وأركب اليها الوزير أحمد ومعه جماعة فسارت اليه الاميرة وقبلت الارض بين يديه وأخذت له فى الدعاء فقال لها اخبرينى الساعة بما كان من عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فقالت أريد الخلوة معك فنظر المعتصم الى من حوله فتفرقوا ثم تقدمت اليه وأعادت عليه قصة الجارية مرجانة وجمالها وفعالها وإسلامها وانها تسلم عمودا اليهم فوثب المعتصم قائما وقبل الارض لاثما فبكت الاميرة ذات الهمة وقالت سبحان من تعفر الملوك وجوهها بين يديه وترجع فى جميع أمورها اليه (قال الراوى) ثم ان المعتصم قال ياذات الهمة هذه النوبة تكون سبب هزيمة ملك الروم وقدجاءنى الجاسوس وعرفنى أنه فى غداة غد معول على القتال والمسلمين أكثرهم مثخونين بالجراح وأنا خائف على عسكر المسلمين وجيش الموحدين فان تم لنا مانريد فهو سبب سعادتنا وهذا كله ببركتك وبركة ولدك فوالله لقد كانت سبب هداية الملكة مرجانة على يديك ولقد كانت جواسيس تأتى من مدينة عمودا وقد كان قلبى بوصفها مشغوف فالحمد لله الذى كان هذا على يديك فضحكت الاميرة من قوله ثم أنها جعلت تنتخب الرجال طول النهار وهى على غاية من القلق ونهاية من الأرق لانها لاتعلم ماحدث بعدها

(قال الراوى) فهذاجرى ههنا (وأما) الملك بحرون فانه وصل اليه الجاسوس يخبره بأن المسلمين قدضعفوا عن لقائه فلما سمع الملك ذلك فرح وقال غدا ألقاهم فهو على هذه

النية واذا قد دخل اليه ثلاث شخوصة عليهم علامات الشقاء حتى اذا صاروا بين يديه كشف أحدهم وجهه واذا به مذبحون والثانى عقبة الملعون والثالث شومدرس المفتون فوثب من فرحته بالوزير مذبحون وقال له وحق المسيح لقد تنغص على ملكى لاجل غيبتك فأين كنت وكيف كان خلاصكم وسببه فقال عقبة ماهذا موضع حديث لانى ماأمنت على روحى الا الآن ولايخلو ان يكون فى عسكرك جاسوس للمسلمين ولكن أترك موضعك من شئت من الملوك وقم بنا الليله الى مدينة عمودا حتى نحدثك بما يكون فيه هلاك الاعداء (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الملك كلامهم وما نطقوا به من نظامهم قال لهم هذا الفزع خلوه عنكم فان المسلمين قد ضعفوا وقد وصل إلى الجاسوس يخبرنى بذلك وغدا ألقاهم وهذا آخر عهدهم بالحياة فاخبرونى أنتم بقصتكم وكيف كان السبب فى أخذ بلد القسطنطونية فأعاد عليه عقبة القصة من أولها إلى آخرها وإن ذلك كله من تدبير أبو محمد البطال فقال الملك بحرون وحق المسيح لأقتله أشر قتلة وتنظرون غدا مايكون منى ومن هذا الملعون وتأخذون ثاركم بمعونة المسيح قال مذبحون وحق المسيح ماأقدر على المقام لأننى أريد أعمل على هذا الشيطان الذى أخذنا وضربنا فى دار البلاط وأنا الليلة أدخل إلى عمودا وأدخل فى صفة أدخل بها إلى الكنيسة وما يصبح الصباح أو يمسى المساء إلا وقد أتيتك برأسه فقال عقبة لبحرون بعد أن قال له أقم عندى قال لا أقدر لأننى أيها الملك قدعولت على أمر مايمكننى المقام ولكننى أمضى إلى عمودا وآخذ من العرب المتنصرة عشرين ألف فارس وأحمل من عمودا الدواب والبراذين من الثياب والصلبان وأسير بهم فى زى المسلمين إلى مدينة القسطنطونية وأضرب كل من فيها بالسيف بعد أن أقول لهم إن المسلمين قد فتحوا البلاد وأخذوا عمودا وهذه غنيمة وآخذ كرسى الملك بالحيلة كما أخذوه بالحيلة (ياسادة) ففرح الملك بحرون من كلامه وكان فى قلبه من القسطنطونية وأخذها النار التى لا تطفى فأجابه إلى ذلك وقال لشومدرس أقم أنت عندى فقال عقبة أيهـــا الملك الكريم ما أقدر على ذلك ولا أستغنى عن مشورته ولا عن رأيه فقال له الملك خذه معك وسيروا على بركة المسيح أيها الشيخ النجيح

(قال الراوى) وسار عقبة ومذبحون وشومدرس وهم فرحين بذلك وما كان عقبة يصدق بوصوله الى البلد لانه مايعلم أن البلاء له فيه مخفى فكان من قضاء الله وقدره أن أن الملكة مرجانة لما لحقت أبيها الى المدينة ومعها الامراء فى زى البطارقة وجوارها ففرح الملك بها الفرح الشديد وسألها عن حالها فقالت طاولنا القوم بالقتال حتى خلصنا من أيديهم ولم تتكلم حتى حصلت الرجال معها فى القصر وسارت الى الموضع الذى فيه الامير

عبدالوهاب فأخرجته وأخرجت من معه من الامراء وعرفته بالنوبه فباس الارض شكرا لله تعالى والتقى بالامير أبو محمد وميمونة وأصحابها فتمت المسرة وقال الامير نحن فينا كفاية لكل من فى هذا القصر فقالت الملكة مرجانه دع عنك هذه العجلة فهى غير محمودة حتى تأتى الاميرة ذات الهمة (قال الراوى) فباتوا وأصبحوا على ذلك فلما أصبحوا وجاء وقت العصر من اليوم الثانى وصل القاضى عقبه ومذبحون وشومدرس الملعون الى باب المدينة ووصل جاسوس الملك بحرون الى صاحب عمودا بالوصية بهم فركب اليهم واستقبلهم وسار معهم الى أن صاروا فى مجلسه وأجلسهم معه على سريره وأعادوا عليه ما جرى لهم فى مدينة القسطنطونية وأن خلاصهم كان على يد الوزير مذبحون لانه نقب الموضع حتى خرجوا منه إلى دار الملك ميخائيل وتنكرنا وخرجنا من القصر إلى البلد فأخفونا الروم إلى الليل وأرخونا من الأصوار بالحبال فهنام الملك بالسلامة وقال فيما أتيتم فقالوا أيها الملك نريد الحيلة على المسلمين وهلاكهم فقالت لهم الملكة مرجانه قوموا بنا الساعه الى موضع الطعام والشراب واختلوا بنفوسكم ودبروا ماتريدون فقالوا نعم مارأيتى ثم انها تركتهم وسارت إلى الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وأعلمتهم بذلك ففرحوا وشكروها على ذلك هذا وعقبة وشومدرس ومذبحون سائرين وعقبه يقول إن قلبى يحدثنى أن فى هذه الكرة يكون هلاك المسلمين لأنه قد أحاط بهم الملك بحرون ونحن نعتمد على أخذ مدينة القسطنطونية ونقتل المعتصم وقد ملكنا الدنيا شرقا وغربا وأنت أيها الوزير إذا دخلت إلى بلد المسلمين فلا تعود إلاوراس القرد أبو محمد معك ولم يزالوا إلى أن دخلوا حجرة الشراب والجارية مرجانه قد تلقتهم وسارت أمامهم وعقبة قد حار من حسنها وجمالها فما هم إلا أن حضر الطعام ومد عقبة يده وأخذ لقمة إلى فاه وإذا بباب المجلس قد فتح وخرج شخص ملثم وبيده سيف مشهور والموت بين عينيه يظهر وخرج شخص آخر من وراه يتبختر كانه اسد قسور فلما نظر عقبة اليهم وقفت اللقمة فى فمه وأشار إلى الراهب شومدرس وقال له ويلك أنظر إلى هذا الشخص الخارج من الخزانة ما أشبهه إلا بملابط البغال وإذا قد ظهر آخر من ورائه قصير من الرجال وكانه أبو محمد البطال فقالت مرجانه تشبه فهو صديقك الذى وصفته ورفيقك الذى نعته ثم قرب من عقبة ومسك بذقنه وقال كيف هذه الصورة القذرة ويلك ما يخلو منك مكانٍ هذا وقد حار مذبحون من هذه القصة وقبضوا عليهم وأوثقوهم كتاف بعدما اشتفوا من ضربهم (قال الراوى) وخرجت الملكه مرجانه وأمهلت إلى أن غسق الظلام وأخرجت الأمراء بالعدة الكاملة وفتحت باب البلد فوجدت الأميرة ومعها عشرة آلاف فارس لايخافون الموت ولايخشون الفوت ودخلت الأميرة والتقت بالأمير عبد الوهاب وفرحت بسلامته ودخلوا المسلمين وجردوا القواضب

وأعلنوا بالهليل والتكبير وكان أول من كبر الأميرة ذات الهمة فأجابوها المسلمين بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وضربوا أهل عمودا بالسيف يوم وليلة حتى فاض الدم من عرصاتها وصاحت العربان على ساحاتها وانهتكت نسوانها وبناتها فانهزموا أهلها إلى أن وصلوا إلى الملك بحرون وحدثوه بما لاقوه من طوارق المنون فرحل من وقته وساعته طالب عمودا والمعتصم خلفه إلى أن وصل بحرون إلى البلد فوجدوها قد ملكوها عباد الرحمن وخذلوا أهل الشرك والطغيان واستولى الأمير عبد الوهاب على ما فيها من النعم الجمه والأموال الضخمه والملكة مرجانه قد قبضت على أبيها وقالت اعلم أنه إذا جاء الحق زهق الباطل وإذا طلب العبد ما يبقى هان عليه ما يفنى وإذا عرف العبد ربه فقد وصل إلى الأمل وقد برح الخفى وانكشف الغطا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا التى عملت على أهل المدينة وعليك ولم أرع حرمة الوالد اذا كان لربه جاحد وربنا عز وجل إله واحد وكل شيء على وحدانيته شاهد وقد أسلم معى مائة من البطارقة وماقلبك أقسى من الجلد الا أن تكون من طاعة الله مطرود فعد الى توحيد عالم الغيوب حتى يسامحك بما سلف من الذنوب والا وحق النبى الهاشمى القرشى والدين الاسلامى ومحمد الأبطحى الذى شهد بفضله الانجيل ائن شغلك عن ذلك الغرور والاباطيل لارمين رأسك عن جسدك وتصبح مفارقا لاهلك فانظر ما يكون الجواب قبل ضرب الرقاب فقال لها وقد عظم عليه أمرها وحار من قولها يا هذه أنا معكم أسير ولابد ما أفكر فى هذا كما قد فكرتى أنتى وما تكونى بأعقل منى فتركته عند عقبة وقد حار عقبه من كلامها وقال وحق المسيح ما كان لهذه الجارية فى الاسلام إلا سنين

(قال الراوى) ولما وصل بحرون الى مدينه عمودا ووجدها قد ملكت أيس منها وترك المعتصم فى مقابلته وفتح الامير عبدالوهاب الباب وخرج بأبطال بنى كلاب ووقع التكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وخرجت الملكه مرجانه تطلب الجهاد فى طاعة رب العباد (ياساده) وركب المعتصم فى عساكره وأبطاله ودساكره وكذلك الملك بحرون وانقلبت الارض بأهلها وامتلا بالعسكر سهلها وجبالها والملك بحرون ما فى عينه من الكل شيء وما تحدثه نفسة إلا بالظفر لانه معه عالم عظيم يضيق به السهل والوعر وتصادمت العساكر كلها كالبحار الزاخره والعشائر المتكاثره فى روس الاصاغر والاكابر واشتبكت الخناجر فى الحناجر وطار عليهم الطائر وزجرت الزواجر وبطلت النواهى والاوامر ولعبت بالروس الحوافر وقدحت السنابك الشرار المتطاير واحلولك الظلام وصار النهار مثل الليل العاكر (قال الراوى) وبينما الامير عبد الوهاب فى المعمعة اذا اتى

الاميره ذات الهمه فقالت يابنى ما وراءك قال الخير والسلامة وقد قتلت صاحب العلم الذى لبحرون وعاركته ساعة ولم يصل أحد منا الى صاحبه وخفت أن يقضى النهار فى غيرفائدة فقالت الاميرة فأى مكان كان يابنى فاشار بيده الى وسط العجاج فحركت الاميرة رأسها وقالت والله ماهذا مكان الملوك وماهو إلامكان الصناديد ولعمرى ماولى الروم مثل هذا البطل الغشوم والفارس الميشوم ثم انها أخرقت العجاج ولم تزل تطلبه حتى استوت الشمس فى قبة السماء وأشعلت الأكباد بنار الجوى واشتاقت الأرواح إلى شرب الماء ونظرت الأميره إلى ميمونه والدم يفج من يديها والبطارقة قد أحدقوا بها من كل مكان وهى تحامى عن نفسها وظنوا أنها الأميرة ذات الهمة ولم يبق إلاان تعمل فيها القواضب هنالك صاحت الأميرة فى تلك الكتائب أنا مهزمة المواكب وحملت على الرجال بقلب أقوى من الأسد الرئبال وفرقتهم من حولها يمين وشمال ثم لاصقت ميمونة وقالت لها من أين هذا الدماء فقالت أيتها الأميرة كنت الساعة فى العجاج اذا لقيت ملك الروم بحرون وهو ينادى تارة باسمه وتارة باسم المسيح وتارة بالعربى وهو يقول يامسلمين أنا وحق المسيح ملك الروم فدونكم والقتال وهو قد فتك بالأبطال وأباد الرجال فلما رأيت ذلك غرنى الطمع هنالك حملت عليه ومددت سنانى اليه حتى انقصفت الرمحين فاعتمدنا على السيفين وضربته فلم يعمل فيه السيف لاقليل ولا كثير ثم انه عطف على وضربنى فأخذتها فى الترس قطعه نصفين ولوكان فى الضربة طول حبة لكانت طيرت يدى فى الهوى بالسيف فى حدثه فوصل ذبابه إلى صدرى فجرحنى فى صدرى جرحا أخاف أن يكون على قاضيا فهم فى الكلام واذا قد وصل ملابط البغال ومالك بن طوق فقالت لهم الأميرة هذه ميمونه مجروحه خذوها واخرجوها من المعمعه لانها على آخر نفس ثم قالت وأين هو الملك بحرون فقالت هاهو بالقرب منك وحرصك ان قدرتى عليه لاتقتليه لعله يكون للاسلام ركنا فوالله لقد فعل بى مافعل وقلبى يطالبنى بالاشفاق عليه ولعله يكون له فى الاسلام نصيب فسارت الأميرة ذات الهمة وقد عظم أمر الملك بحرون عندها لما تعلم من ميمونه ومن شجاعتها إلى أن توصلت الناس فنظرت إلى فارس قد غرق فى الدماء وهو كثير النشاط ومن حوله البطارقة بالجنائب وهو يدور ويزمجر والناس يهربوا من بين يديه يمين وشمال وقد قتل من الأبطال فعندها صاحت الأميرة ويلك يابحرون أنا فاطمه بنت مظلوم وصاحت به الروم هذه الاسلام كله وهى التى قد شاهدت فعالها فكن منها على حذر فلم يعبأ بكلامهم بل حمل عليها وحملت عليه والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان لوقوعه فن فما شاهدت العيون ولا نظرت الناظرون أحسن من قتالهما وترى لهما فى الأخذ والرد والهزل

والجد وقد جردوا عن الساعدين وشمروا عن الزندين وقبضوا على السيفين وتصادما بالجوادين وتراشقا بالحراب حتى كلت منهما الكفين وعجت الناس من شدة هذين البطلين وحجبهما الغبار عن أعين النظار فارتفعت هنالك الضجات حتى ارتجت الفلوات وسمع الأمير عبدالوهاب ذلك فقصد إلى الصوت بالفرس خببا خشية على المسلمين أن تصاب بسبب من الاسباب واذا قد لقيه ملابط البغال وأخبره انه أخرج الملكه ميمونه من وسط المعركه مجروحه وان الذي جرحها الملك بحرون وان الأميره قد قصدت اليه وحملت عليه وهذا الصياح عليهما فلا أعلم ما كان منهما فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب قلق غاية القلق وقال والله انها فى مقام الخطر لأنها عجوز كبيرة وقد بلغت الثمانين وهى تطالب نفسها بأمر عظيم وتحمل على مثل هذا الغلام والبطل الهمام الذى مارأيت مثله فى الأنام والله أنا خائف عليها منه ثم حمل طالبها وحمل ملابط البغال خلفه إلى أن وصل الأمير إلى مقام الجولان وإذا قد جرحت الأميرة وعاتقها يفج بالدماء وهى تدافع عنها الأعداء فقال الأمير من هذا فزعت والله عليك فقالت يابنى ابشر فانى قد زودته ضربه ماأظنه ينجو منها كما قد زودنى هذه الضربه وسوف يبين لك ذلك وأما جرحى فانه سالم فلا يشغل قلبك بحال من الاحوال ثم ان الامير خرج بالاميرة حتى يشد جرحها فما هو إلا أن خرج من العجاج حتى نظر إلى رايات النصرانية قد ولت وأبطالها عن القتال قد انحلت (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك بحرون لما خرج وافترق من القتال قال للروم اعلموا إننى قد جرحتها كما جرحتنى وقد منعنى هذا الجرح عن القتال وعمودا قد أخذت فما عندكم من الرأى قالوا الهرب إلى قلعة المريخ فهى تحميك من كل من على وجه الارض فان سلمت رجعت إلى حربها وان كانت الاخرى رضى عنك المسيح فعندذلك هرب الملك بحرون وتبعته أبطال الروم وعمل فيهم الصارم المخدوم طول النهار وغنم الناس غنيمه عظيمة ودخل المعتصم إلى عمودا ونظر إلى قصرها المشيد وفيه من النعم مالا يقطع عليه أحصى بعدد الرمل والحصى وأحضرت الجارية مرجانة أبوها بين يدى المعتصم وقالت ياأمير المؤمنين أعرض عليه السلام ولعل الله تعالى أن يهديه ببركتك وإلا فاضربه بسيف نقمتك فأقبل المعتصم عليه وقال أيها الغافل عن ربه الغارق فى ذنبه العادم لعقله عمن أوجدك ورباك فأعطاك السمع والبصر وحفظك فى منامك ويقظتك ورعاك لم لاتنزه وتمجد ربك فانه واحد أحد فرد صمد منزه عن الولد الذى خلقك فسواك وبنور قدرته نظرت عيناك وبارادته بطشت يداك وسعت قدماك وان خالفت ذلك تعجل لك فى الدنيا الهلاك وفى الآخرة تكون فى النار فى الادراك يوم عطش الكبود والفضيحة فى اليوم المشهود وكلما نضجت

لكم جلود عادت جلود فقل كلمة النجاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فلما سمع صاحب عمودا ذلك من كلامه أقبل على بنته وقال ويحك لقد عمل فيك الكلام المزخرف والمحال ورجعتي عن دين آبائك والاجداد وهو مايموت إلا على دينه فلما سمعت مرجانه كلام أبيها ضربته بالحسام وإذا برأسه قد طار وقالت لم يجيء منه خير وكان المعتصم نظر إلى مرجانة وقال أعبرى الى ولا بقيتي تنزلى عند الرجال وقال للامير عبد الوهاب أنا مرادى آخذ هذه الجارية لنفسى فقال الامير نعم ياأمير المؤمنين أنا ذكرت لك أن عقبة وشومدرس ومذبحون هربوا من القسطنطونية ووصلوا الى عمودا ليدبروا على هلاك المسلمين فكنا نحن ههنا كما علمت فقبضنا عليهم فقال المعتصم قد ذكرت لى ذلك وقلت ان عقبة ههنا فانكم لصادقون فيما تقولون فقال أبو محمد يامولانا أرسل الساعة الى مرجانه وقل لها أريد الشيخ النجيح ليحضر عندى وانظر من يأتيك فقال أنت الرسول يا أبا محمد فقال لا والله يا أمير المؤمنين لايدخل الشك عليك فى متهم بذلك قال فأرسل الوزير أحمد فمضى ورجع والجارية بين يديه ومعها جماعة من البطارقة الذين أسلموا وهم يقودون القاضى عقبة بدقنه وقد تخسفت فكيه ومعطت لحيته وعارضيه وأثار الضرب عليه وقد احمرت منه رقبته فجعل المعتصم ينظر اليه ولم يعرفه حتى تكلم ورفع صوته وتنحنح وقرأ سورة الفتح الى آخرها فعرف المعتصم أنه عقبة لطيب صوته فقال له ويلك أنت الشيخ النجيح الذى تشهد بالربوبية للمسيح فقال عقبة وقد ضحك وتمثل يقول :

ولم أجن ذنبا غير صفو مودتى ... ولم أدر أن الصفو يعقبنى هجرا
وقد كنت أرجو بالخلافة اننى ... أنال به عزا وتصبح لى ذخرا
فلما استوى فى ملكه وتمهدت ... له الارض واستولى على ملكها قهرا
وعقبه تحت الذل والقيد والبلا ... وقد زادت البلوى لواحده عشرا
وأثقل بالقيد الثقيل عداوة ... وقالوا بأنى هارب أبتغى الكفرا
وسوف أنال الاجر والناس كلهم ... على الارض قد طارت قلوبهم دعرا
اذا طرقتنى فى الزمان مصيبة ... أقول لها يا نفس لاتتركى الصبرا
ولا تجزعى فالخوف ليس بنافع ... ولا يملك الانسان نفعا ولا ضرا
يقول لى المولى الذى ليس مثله ... أمام ولا يحوى بحالتنا خبرا
أأنت الذى تدعى النجيح عداوة ... وتشهد أن الدين ملتجفه نكرا
ولو أن لى نجح لكنت مسلما ... من الضرب والاذلال عندهم أمرا

ولم يكفهم أنى بقيت مخالفا ... مدينة قسطنطين فى أسرهم شهرا
فرحت لفتح المسلمين لثغرها ... لاخلص من بحرون فى حبسه دهرا
ولم أدر أن القوم لايرحموننى ... ويرثوا لضعفى بل يروا قتلى فخرا
واوجد من حبس إلى هذه التى ... تسمى عمودا يهتكوا لى بها سترا

(قال الراوى) ثم بكا وتنهد وتحسر وقال يامولاى هذا كله من فعال أبو محمد البطال لأن فى قلبه لما تعرفه وتفهمه وإنه لما فتح القسطنطونية وخلصتم الاسارة فعلوا بى مافعلوا حتى نقبوا الحبس وأخذونى مع هؤلاء الكلبين مذبحون وشومدرس ومابى ماجرى على بما أسمع من كفرهم بالله ورسوله وما تمضى على وعليهم ساعة الا وهم يقولون لى قل مثلنا حتى تخلص كما خلصنا (قال الراوى) وإن المعتصم فرح بكلامه ودخل عليه التشبيه وقال لعل يكون صحيح فلما علم عقبة أنه اعتقد ذلك فقال يامولاى وحق رأسك ما اتهم الأمير عبد الوهاب لأنه لايتكلم فى حق بردى فقال الأمير لقد أبهتنى الملعون فسكت ولم أتكلم ثم ان عقبة باس الأرض وقال يامولانا عجل على بالقتل فهو أروح لى بما أنا فيه فصاح الأمير أبو محمد البطال وقال ويلك ياملعون هذا كله مايتفق على أمير المؤمنين فنادى عقبة ياولدى لاتفعل بحق صاحب الشفاعة وأنت تدرى أنى عزمت فى هذه السنة على زيارة تربة رسول الله ﷺ فراقب الله فى أمرى ولا تعجل فان زوجتك نورى كانت مع المأسورين فى القسطنطونية وهم نساء بنى كلاب وغيرهم وقد رؤنى فى القوم فعد الى الله من قريب واطلق زوجتك بالحق فى حالى عند ذلك قال المعتصم ياأبا محمد قد حكم على نفسه ومعلوم ان نورى ماتبيع الآخرة بالدنيا وقد كانت مأسورة مع الناس فى القسطنطونية على ماسمعت أنها كانت فى قصر الملك طمعا انها ترجع إلى دين النصرانية وقد ذكر لى أنه كان معها مأسور فان شهدت له بذلك فيجب أن تعود إلى الله من قريب وإن قالت مارأيته صلبته من ساعته فقال عقبة هذا الذى أريد فلما استقر الأمر على ذلك مضت الرسل إلى مضرب القناصة وكانت عندها فخلت اليهم وكانت بها مرض وأوقفت بين يدى المعتصم فقالت ياأمير المؤمنين لاتسمع قول هذا الجاحد الكافر الذى هو لدين الإسلام خاسر فوالله ما كان عندهم الا مكر فلما سمع عقبة ذلك الكلام ضحك وقال أنظر بعينك يا أمير المؤمنين حتى تعلم أن الهوى غلب التقوى وإنما المليح انكم دعوتموها قبل أن تعلموها بى والآن فقد بطلت شهادتها لأنها صارت لى خصما وقد تكلمت فى حق قبل أن يؤذن لها فى الشهادة ثم انها حلفت بأنى كافر ومتى ماحلفت بطلت شهادتها (ياسادة) فلما سمع المعتصم ذلك قال يا أبا محمد ماتقول فقال يامولاى احضر الساعة

مذبحون وشو مدرس واضربهما واسمع كلامها (ياسادة) فأحضر مذبحون وشومدرس والناس قداجتمعوا ينظرون الى مذبحون ويقولون والله كانه أبو محمد فنظرت اليه نورى وصاحت ووقعت مغشى عليهــا فلما أفاقت قالت يا أبا محمد وحق من هدانى إلى دين الإسلام وعرفنى الحلال من الحرام هذا مذبحون ولدى فاكشف عن حاله فان لى فيه ثلاث علامات الساعة فبان بعضها فبهتت الناس لقولها وأبو محمد قد رجف قلبه وقال لها ماعلامتك فقالت سوف تبين (قال الراوى) وكان هذا مذبحون ولد الأمير أبو محمد البطال وحديثه عجيب وقد ذكرنا أن نورى أسرت الى جزيرة قراقونا وإنه لما أعرض عليها التنصر وامتنعت أمر بذبح ولدها فأخذوه الغلمان من يدها ونزلوا به الى ساحل البحر فنظرت اليه جارية من بنات البطارقه من أرباب الأموال وأصحاب الأحوال وهو يضحك ولايدرى مايراد به وقد مد يده فى تلك الساعة نحوها فألقى الله له الرحمة فى قلبها فنادت على الغلمان بالرومى لم تقتلوا هذا الطفل المليح الصورة فقالوا لها هذا ابن واحدة من هؤلاء المسلمات المأسورات وقد أمرنا الملك بذلك فقالت الجارية هل لكم أن تبيعونى إياه على أن أعطى كل واحد منكم مائة دينار وعشر ثياب من الديباج وقولوا للملك قد ذبحناه وفى البحر قد أرميناه وخضبوا سكاكينكم بالدم فقال الخادم لأصحابه وقد رحم الصغير لما يريد الله تعالى من حياته افعلوا بنا هذا ولا تقتلوا الطفل الصغير ثم أخذوا المال وأعطوها الصغير وصعد الخادم الى الملك وسكينته تقطر دما وقــد لونها بالدم وقال هاقد قتلته كما رسم الملك أدام المسيح لدولته وأخذت الجارية الصغير وربته ولما دخل الأمير عبد الوهاب الى الجزيرة فى ذلك الأسطول وملك الجزيرة وهربوا أهلها أخذت المرأة ولد الأمير أبو محمد وهربت فى جملة الناس الى تلك الجزيرة التى كانت فيها وسمته مذبحون لأنه أشرف على الذبح فلما نشأ علمته الخط وحفظ الانجيل ولما شاع ذكره وظهر فيه من الزكاء ما ليس مثله إلى أن ملك الملك بحرون الجزائر وأحضروه ورأى منه ماحيره وأبهره من الرأى والعزم والسياسة فأحبه محبة عظيمة واستوزره ورفع قدره وعــلاذكره (وعدنا إلى ما كنا فيه من الحديث) فنظرته نورى وقد كان فى أذنيه زيادة لحم مثل الحمصتين وكانت نورى قد قطعت بعضها وهو صغير فأشرف منها على الموت فلما أن رأت ذلك تركت الأخرى فلم تقطعها وكان أيضا قد وقع من يدها فانجرح صدره فانفتح منه الدم فحشيته بكحل أسود وفى بطنه شامة حمرة قدر كف الانسان وفى بطن أبيه مثلها فأمر الامام أن ينظروا هذه العلامات ففتشوه فوجدوها فغاب صواب البطال من الفرح ورمى روحه على مذبحون وقال له أنت ولدى

ورب الكعبة وفرح مذبحون فى الباطن وقال قلبي يشهد بصحة ذلك القول غير ان فى الأمر شيء آخر وهو أن لى أم فى الجزائر فاحضروها فان قالت لكم انها ليست أمى التى ولدتني علمت أن قولكم صدقا وأسلم اليكم بحرون وأكون لكم عونا على ماتريدون وان كانت هى التى ولدتني من بطنها بطلوا مقالكم ولا تأخذون أولاد الناس بالفشار عند ذلك جهزوا عشره وأنزلوهم فى مركب وكانوا من أهل تلك الجزيره وأمرهم أن يحضروا أمه وأوصاهم أن يكتموه خوف لاتمتنع من الحضور وسارت بهم المركب وان المعتصم أمر بفك قيد مذبحون وخلع عليه وعلى الذين صدقوا بالعلامات (قال الراوى) وأما البطال فانه أقبل على نورى وقال أليس قلبي بذبحه قالت كذا ذكروا ما شهدت عيانا وربما الذى أخذه رحمه وأبقى عليه وجرى أمر من الأمور سبب سلامته لان إذا كان الاجل حصين لا يقدر أحد يؤذى أحدا لا بسيف ولا بسكين ثم قال المعتصم لمذبحون ما تعلم من حال هذا القاضى عقبة فقال يامولاى انه نصرانى فأمر الامام أن يتسلم عقبة ويحتفظ عليه إلى أن ينفض أمر بحرون اما بالقتل أو بالأسر ونعود إلى القسطنطينية يصلب على بابها ففرح البطال بذلك وقال لمذبحون بحق من يعلم السر المكنون ما اسم عقبة عندكم فقال مذبحون اسمه الشيخ النجيح وهو أعلم زمانه فى دين النصرانية وأحفظهم للانجيل والروم يرجعون اليه وفيه يعتقدون فمن حنق الامام عليه أحضر عقبة قريب منه وبصق على وجهه ووبخه وذكر ماقاله مذبحون وما به وصفه (قال الراوى) فقال عقبة يامولانا من يقول عنى ذلك المقال قال مذبحون وزير بحرون قال يامولانا هــذا قوله لا يقبل لانه كافر والكافر لا تقبل شهادته على مؤمن ومع ذلك فانه بقى لى خصيم حيث ظهر انه ابن البطال لانه يتقرب اليكم بمثل ذلك المقال ولم يزل المعون يقول مثل ذلك وكلما يقوله من الكتاب والسنة حتى ان الامام شك فى تلك الأمور وتردد فى كلام مذبحون فأمر أن يكون فى السجن على حاله وأقبل على الأمراء وقال ياقوم إن الله قد فتح لنا البلاد وأذل أهل الكفر والعناد والآن ان عدنا إلى بلاد الاسلام فلا نأمن من بحرون أن يحشد الجيوش ويأتى مرة أخرى وأنتم تعرفون همته وشجاعته بخلاف من تقدم من الملوك وقد جرحته الأميره وانهزم منها ولا نعرف أى الجهات طلب فقالت البطارقة الذين أسلموا من أهل عمودا يامولانا ان بحرون ماله ملجأ يلتجىء اليه إلا حصن منيع يقال له قلعة المريخ وهو على جبل شاهق فى الهوى بأبراج وبدنات وأصوار فى قدر مدينة وقد ذكروا الفلاسفة الذين للروم والحكماء العارفين بعلم النجوم ان كوكب المريخ يطلع عليها وبها طالعه فسميت قلعة المريخ وبها أقوام طوال مسكنهم الجبال يرمون بالسهام ولهم عيون صغار ضيقه

وبلادهم قط ماسلكها سالك الا ان يكون منهم هالك وبحرون مضى اليها لما تفرقت عنه الملوك ولم يبقى معه غير الطوائف التى خرجت معه من بلادهم وفى أهل هذه القلعه كفاية وهم قط ما أطاعوا ذلك من ملوك الروم لانهم كان بينهم وبين ملك الروم واقع وأطاعوا الملك بحرون لأنه قد قلع دولة الملك ميخائيل عدوهم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك فقال لابدلى من المسير اليهم حتى يعلم اننا طلبناه وتضعف همته عما تحدث به نفسه

(قال الراوى) وكان من فضل الله ان يوم عول المعتصم على الرحيل كان مركب من الجزائر أرسله مذبحون فأتت أمه وقد ترهبت من مدة أربعة أعوام كلها اقترفت على مذبحون وما كانت تعطى القسوس حق حفظ الانجيل فلما صار وزير الملك كانت قد ترهبت ولم تطلب الدنيا وقالت لو كان ولدى قس كان أحب إلى من أن يكون ملك فلما مضت الرسل من عنده يقول لها انى قد ملكت مدينة عمودا وقد أعطانى إياها الملك بحرون وان الرهبان والنصرانية كلها يأتوا إليها من قمامه ومقام السيدة مريم والنظر اليها عباده فاذا وصل اليكى هؤلاء القوم تسيرى معهم إلى وتعيشين بعيشى وانها لما وصلت اليها الرسالة سارت معهم فى المركب حتى وصلوا الى عمودا وقد كان مذبحون يدخل اليه أبو محمد البطال ويدعوه الى دين الاسلام من حرصه عليه فيقول له مذبحون ان كنت أبى على الحقيقة فتنصر حتى تكون معى على طول الأيام فيقول له يا بنى يمنعنى من ذلك الخوف من النار وأن أحشر مع الكفار فلما طال الأمر على مذبحون وبلغه إلى أين استقر الملك بحرون دخل على عقبة وشومدرس وقال لهما قد عولت على الهرب وأكون لخلاصكما سبب

(قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك فرح وقال إياك يا بنى أن يغر الشيطان عقلك فتكون من أهل القرآن وتترك دين الصلبان وإنى يا بنى قد حفظت القرآن وقرأت عليهم فما وجدت فيهم خير فقال مذبحون اعلم أنى ما ملت إلى دينهم ولكن أدركت تأنيسهم بى ولا بد لى من أخذ رأس الشيطان أبو محمد البطال وعبد الوهاب والمعتصم وأهرب وأنتم معى فقال عقبة وقد سره هذا القول وحق المسيح لو قتلت عبد الوهاب وحده وأبو محمد لم أقام المعتصم فى بلاد الروم بعدهم يوم واحد ولاسمع أن هذا أبوك وأنت الك كما ذكرت أمر فقال له مذبحون كنت أنت طيب القلب من هذا الأمر فهذا ما لا يدخل فى عقلى

(قال الراوى) وأن مذبحون خرج من عنده على أنه فى تلك الليلة يعمل على هلاك أبو محمد وإذا قد وصل الموكب إلى عمودا وطلعت أمه الراهبة وقد أمر الناس أبو محمد أن يلتقوها وخرج اليها مذبحون ودخلت الى القصر واجتمع الناس من أجل مذبحون طمعا أن يسمعون القصة وأن مذبحون أقبل على الناس وقال لهم أريد الخلوة مع والدتى

وأسألها عن قصتى لأنها ربما تكتم الأمر إذا علمت باختلاف الدين فقال الأمير أبو محمد وقد قلق يا بنى افعل ماشئت فأنا أرجو من الله تعالى الهداية لك وأن يشد عضدى بك وأن لا تخليني منك فهو معه فى الكلام إذ صاحت المرأة بأعلى صوتها لا تفرق الجماعة يامذبحون واعلم أن لنا تدبير فلا تبرحون فقد سبق هذا فى اللوح المحفوظ وان الأمر كما يزعمون فقل ما يقولون فقد وصل إلى ذلك قبل أن يرسلون وأنا أشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له تنزه ان يكون له صاحبة أو بنون تذل لهيبته المتكبرون وتخضع لعظم هيبته المتجبرون وأشهد أن محمداً ﷺ رسولا الى الحق فاهتدى به المهتدون فلما سمعوا الناس ذلك وقع بهم الصراخ والبكا والسماع وعجبوا من هذا الأمر وإذا بالأمير أبو محمد وقع مغشيا عليه والأمير عبد الوهاب وكل من كان حاضر وبقى مذبحون حائر وفاضت دموعه ولم يعلم كيف كانت هذه القصة ولا كيف آخرها فلما سكن الضجيج أقبل عليها مذبحون وقال دعيني من هذا الكلام المدغم والأمر المهم وحدثيني حديثا يفهم ألست والدتى أم ببعض المواضع وجدتيني وحديث إسلامك حدثيني وعن باطن كلامك أعلميني فقالت له مجاوبة اعلم أنك وإن كنت عندى أعز من الولد فانك ما أنت ولدى إلا من التربية وأعادت عليه القصه من أولها إلى آخرها كما قد تقدم ذكره ولا فائدة فى إعادته فقال لها ما السبب فى انتقالك عن دينك فقالت له أنت فقال لها وكيف ذلك فقالت اعلم أننى كان قد طال شوقى اليك لأجل غيبتى فقد سهرت عشر ليالى لا أنام الليل بل أسأل المسيح أن يجمع بينى وبينك فلما كانت الليلة الحادية عشر غلبنى النوم فنمت فرأيت فى نومى شخص أسمر اللون مليح الكون كأنه القمر فى ليلة أربعة عشر ومعه رجال عليهم الهيبه والجمال فقال يا هذا من تريدين فقلت ان يجمع المسيح بينى وبين ولدى مذبحون فقال لى ياهذا قد رجع الحق الى أهله وإنما كان عندك وديعة وقد سبق فى اللوح المحفوظ أنه يتلو القرآن ويصوم رمضان ويحج الى البيت الحرام ويكون من أهل دين الإسلام مثل أبويه وقد جئنا الى عندك من أجل شوقك اليه وحضانتك له وأنت شاهده له عند الابكار وهو سبب خلاصك من دين الكفار فقولى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الجبار وأن محمدا عبده ورسوله النبى المختار فقلت له ومن هذا الشخص الذى خصه الله برسالته فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقلت ومن هؤلاء الذين من حولك فقال ملائكة ربى وأسلمت على يديه فى المنام وقال لى غدا يأتيك الرسول من عمودا من عند مذبحون يأمرك بالمسير اليه فافعلى ذلك فسوف تحظين فى الدنيا برؤيته وفى الآخرة بالجنة لأجل تربيته فلما سمع مذبحون ذلك وقد تطاول الناس بالأعناق ورمقوه بالاحداق وقال تشهد

يامذبحون بوحدانيته فقال وقد شرح الله صدره للاسلام وهداه الى طريق الايمان أنا أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فضربت الكؤسات وارتجت البوقات وفرح المعتصم وكذلك الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وقالوا هذا أيشم من أبو محمد بطبقات وهم يفتحون الدنيا وما لاحد معهم كلمة ولا بد ما يصير الآخر عندنا فى ملطيه ويصيرون فى قافلة كلها لصوص وتمت الافراح وتقدم الامير يانس المتعزب اليه وهناه بالاسلام فقال له أنت يا بنى الذى تسلقت الى حصنى وسلمته للملك بحرون فقال نعم طب نفسا وقر عينا فأنا أرسل معك كتاب من قبلى الى من فى الحصن حتى يخرج كل من فيه ويسلموه اليك ففرح يانس بذلك لعلمه انه مايصل الى الحصن بقتال أبدا ووصل الخبر الى عقبه فانفطرت مرارته وبكى وقال لشومدرس هذه علامه زوال دولة النصرانيه (قال الراوى) وهنت ميمونة نورى وقالت لها مافى قلبى حسرة الا ذلك الطفل الذى أرماه قراقونا الى البحر لو كان بقى والآن فقد أيست من الاولاد واشتغلت بالجهاد فى طاعة رب العباد فقالت نورى ولعل الله أن يجعل لك فى الأولاد حظ ونصيب إن الله قريب مجيب وقد تجهز المعتصم للمسير فقال عندى رأى وهو إننى آخذ أبى وأسير الى عند الملك بحرون فقال له أبو محمد سير إن أردت حتى لاينكسر عليك لأننى أخاف أن يسبق الخبر بأنك ولدى ومهجه كبدى فيعمل بحرون على هلاكنا الجميع فان أصابك أنت والعياذ بالله مكروه أكون أنا أعمل على خلاصك فقال مذبحون ماعلى من ذلك وها أنا سائر إلى قلعة المريخ وأدبر على قتل الملك إن شاء الله تعالى ثم سار ورحل المعتصم خلفه طالب قلعة المريخ وكان فى تلك القلعة ملك يقال له شادروخ وكان حوله فى تلك الجبال عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى غير انهم رجاله ليسوا خياله قد ألفوا المسير فى الجبال والصبر على الاهوال فلما وصل الملك بحرون وقص ماجرى عليه قال له وحق المسيح لايلتق الترك غيرى وأنت ولدى ومساعدى وعضدى ثم سلمه القلعة وخرج فى أربعين ألف فارس من أخيار القلعة وصاح فى تلك الرجال ياويلكم ان المسلمين قد دهمت أرضكم فادهموهم قبل أن يدهموكم وانفروا اليهم قبل أن ينفروا اليكم فاجتمع عليه أمم عظيمة وعول على المسير (قال الراوى) فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من المعتصم فانه رحل من عمودا بعد مسير مذبحون يجد فى سيره هذا وقد رحل الملك شادروخ عن القلعة رحلة خفيفة حتى أشرفت جيوش المسلمين فأخذوا الرجال أهبتهم واستعدوا بعدتهم ونزلوا من الجبال مثل الغيث المنهمر والسحاب المنحدر وأشرف عليهم المعتصم

وقد نظر الى رجال وأى رجال فى صورة السباع وعلى رؤسهم الخفاف البولاد وفى أرجلهم الطواريخ الجياد وهم أخف من الوحش وفى أيديهم المناجل التى لو ضربوا بها شجرة لقطعوها (قال الراوى) فلما نظر المعتصم الى ذلك أقبل على أرباب دولته وقال لعمرى مارأيت قط فى عمرى هذه الارض ولا أوحش من هؤلاء الرجال ولا من العدد التى فى أيديهم فقالوا يامولانا ونراهم قدموا أصحاب المناجيل ولاشك أنهم يضربوا بها قوائم الخيل فقال المعتصم هذا مالايتم واذا صدمناهم بالخيل فلا يثبتون بين أيدينا وحملت الروم من غير أن نصل مصاف مع المسلمين ولكن دقت نواقيسها وحمل الملك شادروخ فى أوائلهم فهنالك صاحوا المسلمين وكبروا الموحدين ونادوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وحمل الأمير عبد الوهاب فى أبطال بنى كلاب والسودان الأنجاب وظنوا المسلمين ان حملوا عليهم بالخيل تفرقوا بين أيديهم فلما حملوا المسلمين عليهم صدموهم بالتراس وصاحوا بالخيل وضربوها على وجهها ولم يزالوا يضربون قوائمها بالسيوف والمناجل فما كانت إلا ساعة حتى أرموا ثلاثة آلاف من الخيل ووقعت الناس من على ظهورها ثم هجموا الروم يريدوا نحورها فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك ترجل عن جواده وصاح فى أصحابه فترجلوا وفعلت الأميرة ذات الهمة مثل فعاله وترجلت السودان وقد قتل من الرجال خلق كثير وأشرف عسكر المعتصم على العرب وصار الناس كلهم رجاله والتقى الملك شادروخ بالأمير عبد الوهاب ونظر إلى من حوله من البطارقة بالتراس المذهبة والملك مثل الجمل الهايج فعلم أنه المقدم عليهم فحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وفى تلك الساعة خرج الأمير أبو محمد البطال من المعمعة وهو مطلع إلى أخبار مذبحون إذ لقيه بعض البطارقة الذين كانوا مع مذبحون وقال له ابشر بتسليم القلعة والقبض على الملك يحرون فى هذه الليلة فلما سمع أبو محمد ذلك فرح غاية الفرح وقال لا كلام حتى نرى مايكون من يومنا هذا ولم يزل السيف يعمل بينهم الى الظهر والامير عبد الوهاب مع الملك شادروخ فى القتال الشديد والحرب الأكيد الذى ماعليه من مزيد وقد اختلف بينهما ضربتان سبق عدو الله بالضربة فبطلها الأمير عبد الوهاب وعطف عليه بضربة عظيمة فوقعت على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ونظرت الروم الى ملكها لحنقت على المسلمين وتكاثروا عليهم ولم يزل السيف يعمل بينهم إلى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه ورجعت كل طائفة الى الأخرى واضرمت النيران وتحارسوا الجيشان ورجع الأمير إلى مقامه واجتمع بالأمير أبو

محمد وقال له هل أتاك من الامير مذبحون خبر فقال نعم هذا البطريق قد ذكر ان الملك بحرون فى قلعة المريخ وعنده ألف بطريق من بطارقة القلعة و باقى عسكره كله تفرق فى هذه المغائر التى هى فى الجبال وهى مغاير وفيها سراديب واسعة وكل مغارة تسع ألف رجل وأكثر من ذلك وان البطريق قد قال لى ان القلعة مافيها مانع ولا مدافع لأن القوم آمنون وقد ارسلنى مذبحون آخذ منكم ألف رجل يلبسون ثياب الروم ويطلبون القلعة فما يظنوكم إلا أصحاب الجبال وإذا حصلتم عنده دبر لكم على أخذه من غير قتال ومع ذلك ان يكون كل من فيها طعام السيف وما يبقى فيها أحد وان ملكتوها قد تفرقت هذه العساكر من حولكم ولا تقوم للنصرانية بعدها قائمة أبدا

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك فرح وأخذ فى انتخاب الرجال حتى انتخب ألف رجل أولهم ذات الهمة وميمونة وجميع أبطال بنى كلاب المشهورين بالطعان والضراب وألبسهم زى الروم وأخذ بهم البطريق على غير تلك الطريق حتى خرج بهم من جنب عسكر الروم وأقبل عليهم وقال لهم اعلموا أنه يحدث من الأمور أمور لاأدرى ماقد جرى بعدى فقفوا مكانكم حتى آتيكم بالأخبار وأمضى الى القلعة وأعود اليكم فقالوا صدقت فى مقالك ثم انه مضى وغاب عنهم ساعة ورجع وقال يقول لكم مذبحون يجئ منكم عشرة عشرة حتى لاينكر أمركم لأن عند باب القلعة أكثر من مائة ألف وأخاف أن ينكروا علينا فانفرد الأمير والأميرة وظالم وسيف الحنيفية وأبو محمد البطال من خوفه على ولده وتمام العشرة إلى أن وصلوا إلى باب القلعة فوجدوا عند بابها أمم كما قال لهم البطريق فقالوا والله صدق مذبحون ولو كنا جئناهنا بذلك الجمع لانكروا علينا ولا كان صح لنا مانريد وشقوا الناس والبطارقة ودخلوا إلى باب القلعة فى دهاليز مظلمة وهم خائفين على نفوسهم من الاعداء فلم يشعرون إلا والارهاق فى أعناقهم وأطبق عليهم ألف رجل بهذه الصفة وأخذوا الامراء أخذا بالكف فقال الامير عبد الوهاب لابو محمد لقد أسلم ابنك اسلام مليح وحسن اسلامه فليت لا كان عرف الله نبينا ونبيه فأطرق أبو محمد خجلا من كلامه ولم يرد عليه كلام وحملوهم الى وسط الحصن ومن حولهم الرجال والسيوف فى أيديهم مجلية الى أن وصلوهم الى البيعة وطرحوهم هناك وان الامير عبد الوهاب لما طرح هناك سمع صوت أنين وبكاء حنين فمد عينه واذا بالامير مذبحون والبطارقة الذين أسلموا من مدينة عمودا ورأوا السلاسل والاغلال فى أعناقهم والقيود فى أرجلهم فقال لهم وقد علم ان الامر نفذ فيهم ويلكم كيف كانت قصتكم حتى وقعتم وأوقعتمونا فقال مذبحون ماعندى مما تقول خبر غير ان

طلعت أنا والرجال الى القلعة فوجدت أهلها كأنهم منتظرين لنا فلم أحس بروحى الا والرجال قد قبضوا على وعلى الذين معى وضربت الضرب الوجيع وكذلك أصحابى وقال الملك بحرون تعمل حيلتك على قلعتى وعملت على أنت وأبوك فى عمودا وأخبرنى بالقصة من أولها الى آخرها حتى كأنه معنا ولا أدرى من أين أصبت ولا تم هذا الامر

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك البطريق الذى أتى لهم بالرسالة واسمه قسطه وكان اسلامه نفاق فلما وصل الملك بحرون وأمن على نفسه ورأى ماهو عليه من الملك علم أنه ان سكت حتى تتم عليه الحيلة هلك وهلكت الروم فدخل على الملك فى خلوه وأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها وقال له خذ لنفسك الحذر والا فأنت هالك لا محالة فلما سمع الملك بحرون ذلك صلب على وجهه وقال ماعلامة ذلك قال علامته الليلة تقف الرجال الذين مع مذبحون برا القلعة ويسير فيأتى بهم فاذا نمت أنت وغلبك الكرى قتلوك فى فراشك وقتلوا كل من فى القلعة بالسيوف وملكوها وما يبقى للروم من يعتمدون عليه والملك شادروخ قد قتل فخذ لنفسك الحذر فقال الملك بحرون أنا ما أصدق على مذبحون حتى أرى ذلك عيان ثم انه صبر إلى الليل وأخرج البطريق فى الرسالة ونظر الملك بحرون إلى مذبحون خلف فى الدخول إلى دهاليز القلعة فصح عنده القول وقبض عليه وعلى الثلاثة الذين معه وضربهم الضرب الوجيع وقال لمذبحون لا أقتلك حتى يحصلوا كلهم فى القيود الثقال وأصلبك معهم على قرون هذه الجبال وتمت الحيلة على الأمراء وجعل قسطه يدعوهم عشرة بعد عشرة إلى أن حصل فى الحصن من أبطال المسلمين ألف بطل ودقت النواقيس وفرح الملك بذلك وأصبح الصباح وأشرف الملك بحرون من القلعة وجعل يقدم واحد بعد واحد ويضرب رقابهم إلى أن قتل من بنى كلاب ثلثمائة رجل ووقع البكاء فى المسلمين وعظم على المعتصم وأمر كلما وقع رأس واحد منهم إلى الأرض يبصروه ويقولون هذا رأس فلان والمعتصم يبكى وهو خائف على الأمير عبد الوهاب فلم يجد الصبر دون أن أمر الناس بالحملة فحملوا حملة رجل واحد وقد كشف المعتصم رأسه وأرخادوايب الشرف ونادى واسلاماه وادين محمداه وتحامت أبطال المسلمين وأقيال الموحدين وحمحمت الأسود الضراغم وصيرت النسور القشاعم وقطعت الصوارم ثمار الجماجم وقطعت الاوداج والمعاصم وطار الغبار على الجماجم وعرقبت القوائم حتى عثرت الخيل برؤس الاكارم من الروم والعرب والاعاجم (قال الراوى) وكان يومهم يوم مهول ماثبت فيه غير الفحول وخارت الدما من جماجم السباع والشبول ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل الى أن أرمت المسلمين الكافرين

الى الصور وقد نظر الملك بحرون من فوق الحصن الى ماقد نزل بأهل دين النصرانية وما قد حل بهم من سيوف أهل الحنيفية وان الروم هالكين لامحاله هنالك صاح على من معه فى الحصن ووكل بالاسارى عشرة آلاف رجل وأوصاهم أن لا يغفلون عنهم ونزل ومعه من العالم الذين فى الحصن خلق كثير مثل الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر حتى أمتلأ بهم الصفا والكدر والمسلمين لم يعبؤا بهم وصبروا على ضرب البتار فى طاعة الملك الجليل الجبار ورجعت المعمعة على حالها وقطعت الاشباح بنصالها هنالك صاح الملك بحرون برجاله يا ويلكم ترجلوا وعرقبوا خيولهم عندها ترجلت أصحاب بحرون وانضافوا الى عسكر الملك شادروخ وجعلوا يعرقبون الخيل فلما نظر المعتصم الى ذلك صاح على اصحابه فترجلت العرب والسودان فى طاعة الملك المنان الا ان الطوائف قد ذهبت حماتها وقد غابت كماتها ودخل المعتصم فى الروم وفتك فيهم وقتل كل بطل غشوم وقد شد بردة النبى ﷺ على منكبيه وآثار النبوه قد رفعت هيبته فهنالك قد التقى به الملك بحرون وعرف كل واحد منهما بصاحبه فقال المعتصم هذا والله ملك الكفار وأنا خليفة الابرار وسوف احمل عليه وأتوكل على الملك الجبار ويعطى الله النصر لمن يشاء وتكون هذه القاضية بيننا وبينهم ومايقوم للروم بعدها قائمة ابدا وأخلص المسلمين الذين فى يده واما أن تكون الاخرى ثم نادى يامعشر المسلمين اياكم ان تركنوا الى الدنيا الفانيه الدنيه واركنوا الى الكرامه الابديه واطلبوا الآخرة فانها خير لكم من الدنيا الدنيه وكان المعتصم قوى الهمة شريف العزم وقد تعلم فى شيبوبته الدقاف والضرب بالسيوف والاحتراز فى القتال فهو معه فى الجدال اذ صاح بحرون عليه وأطبق وحمل عليه وزعق والمعتصم من زعقته لم يقلق لأن له قلب أقوى من الحديد وهمه أقوى من الجلاميد وعملت بينهما الصوارم والاسنة اللهازم واشتد القتال ودام النزال واشتد بينهما الأهوال طول النهار ولم يزداد واحد منهما من صاحبه وافترقا عند المساء ورجعت كل طائفة الى مقامها وبات الناس على أصعب مبيت وأضرمت النيران وتحارسوا الفريقان الى أن برق ضياء الفجر وصاحت الروم القتال وكذلك المعتصم قال والله لابرحت عن خصمى حتى ينقطع منا الاياس فمن أراد أن يقاتل والا فليقعد ثم زحف مثل اليوم الأول ونزل بحرون الى مقامه وكان قد صعد فى تلك الليله الى قلعته من خوفه على الامراء لئلا يجرى عليهم عارض فى الحصن ثم أحضر الأمير عبدالوهاب والاميرة ذات الهمة والملكة ميمونه وقال لهم لو تنصرتم لاعطيتكم من الاموال والبلاد مهما أردتم فقال له الامير عبدالوهاب فلو كنت تسلم لخلصت

فى هذه الدنيا من العار وفى الآخرة من عذاب النار (قال الرواى) وأصبح الصباح وحمل بعضهم على بعض وامتلات بالقتلى وجه الارض وبليت المسلمون بما لا يطاق فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وطلبوا عمودا وقد تركوا الاموال والاثقال وظفر الملك بحرون بما لم يظفر به أحد من الرجال (قال الراوي) وكان المعتصم لما هربت الناس طلب طريق منفرده لا يعرفها لأنه كان تحته جواد سابق مليح رائق وانه صاح به فضرب الجواد بيده فى محاجر عينه وتبعة الخيل من كل جانب والرجال فى متونها مثل السلاهب ولم يزل هارب والعدو له طالب طول النهار الى وقت العصر وانقطعت عنه الخيل لسرعة جواده الا ثلاث فوارس كانوا على خيول مسومه أحدهم على فرس ابلق مليح الحدق كانه البرق اذا برق له صهيل مثل الرعد اذا خفق وكان راكبه أول من لحق بالمعتصم ونادى بالعربى يامسلم وحق المسيح مابقى لك الى النجاة سبب وأجلك قد اقترب فسلم نفسك قبل أن أسكنك رمسك وأطعنك فى ظهرك أخرج السنان من صدرك فلما سمع المعتصم كلامه ورآه قد لحقه عطف عليه ومكن من قوسه نبلة عريضة الزج قصير الخشب لها ريش زائد وضربه بها فى صدره مرقت تلمع من ظهره فتبعه الفارس الثانى وقد نظر الى البطريق الذى سقط الى الارض وما فيه طعنه ولا ضربة وماهو الا أنه قرب منه وصاح يامسلم سلم نفسك ولا تهرب فتندم فهو معه فى الكلام واذا رشقه المعتصم بسهم ثانى على هيئة السهم الأول فوقع فى لبته خرج من نقرته عجل الله بروحه الى النار وأدركه الثالث فلم يتركه المعتصم حتى رشقه بسهم ثالث فوقع الى الأرض يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه وانقطع عن الطلب ولم يزل سائر نهاره أجمع حتى أقبل الليل الديجوم وازدهت النجوم ونزل عن جواده فى أرض واسعه وقد انكسرت عساكره وخيله ومعاشره وعمل معه الجوع والعطش فقال كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحاب فانهم لما أمسا المسا وعلموا بما قد تم على أصحابهم أخذوا فى البكاء وأيسوا من الفرج وان بحرون أحضرهم وقال لهم قد كنت معول على قتلكم والآن أبيعكم نفوسكم بأن تسلموا لى عمودا ومافيها وما أقتل منكم أحد لانى أعلم انى أعود آخذكم ولا بد لى من الخروج إلى بلاد الإسلام فقالت ميمونة وحق المصطفى انه كلما تحدث ونظرت إلى وجهه يحن قلبي عليه وما كأنه عدو وعليه من ولدى الذى وقع فى البحر شبه عظيم فقال الأمير عبد الوهاب دعى عنكى قلة العقل فعندها شغل شاغل عن الأولاد وقد هلك العباد ولا أدرى مايكون منا ومن هذا الشيطان فهم فى الكلام والملك بحرون وثب قائما وقد قال له البطريق قسطه أيها

الملك خلص الشيخ النجيح والراهب شومدرس فهما فى أضيق مكان (قال الراوى) فلما سمع بحرون ذلك صاح بالبطارقة فانتضوا سيوفهم وسحبوا الأمراء وعزموا على ضرب رقابهم فصاح الامير أبو محمد لاتفعل بنا هذا أيها الملك فقال أريد عمودا والقسطنطونية والشيخ النجيح وشومدرس وإلا وحق المسيح ضربت رقابكم فقال أبو محمد فتحلف لنا بالإنجيل انك إذا تسلمت عمودا والقسطنطونية تطلق سبيلنا فقال وحق المسيح مالى طبع يميل إلى الكذب ولا أحب الغدر فاذا سلمتم إلى هذين البلدين أخرجكم إلى بلادكم وأنتم سالمين فقال الامير أبو محمد لعبد الوهاب أيها الامير اعلم أن العساكر قد ولت وماتردرؤسها إلا ملطية ولاشك فى ذلك فدعنى أنا أخرج فى عساكر الملك بحرون على أننى أسلم البلاد الى أصحابه وأنظر أين المعتصم إن كان فى عمودا أو فى القسطنطونية فاحضرهم على الرجوع وان كانوا قد تموا على حالهم فأنا أشير عليك أن نسلم البلاد اليه وتسلم أرواحنا فان كان لنا قوة تقدرنا على أخذ البلاد فقال الامير عبد الوهاب افعل ماتراه ياأبو محمد فعندها أقبل أبو محمد على الملك بحرون وقال له أنا أسير غدا فيمن تريد وأسلم البلاد اليهم كما قد رسمت الا أن قد ضمنت عنك الوفاء لهؤلاء الاسارى فقال الملك بحرون وحق المسيح ان سلمتم الى عمودا والقسطنطينية أطلقت سبيلكم فشكره أبو محمد ودعوا له بالروى وباتوا متفكرين فى هذه النازلة وأما الملك بحرون فإنه لم ينم تلك الليلة من الفرح لانه كان فى قلبه من أخذ القسطنطونية أمر عميم وحال عظيم ففرح بعودتها ولم يصدق أنها تعود اليه ولم يصدق بالصباح أن يصبح حتى يسير أبو محمد البطال ومعه الرجال واستدعا بالبطارقة وضم اليه خمسين ألف فارس من أهل الجزائر وأصحاب عمودا وقال تسلموا بلدكم الى أن أعود اليكم وأقدم عليكم من تختارون وهؤلاء الباقين يأخذون القسطنطينية ويكونوا فيها الى أن أصل اليهم وسلم اليهم أبو محمد البطال ودفع اليه خاتم بالامان وأخذ أبو محمد كتاب الامير عبد الوهاب وكذلك الاميرة ذات الهمة بتسليم البلاد وان لايشنع أحد عليه من جميع العباد وسار يقطع الارض سيرا رفيقا أربعة أيام واذا بغبار أشرف من بين أيديهم وقد ملأ الاقطار وحجب الشمس عن الابصار ثم انكشفت الغبرة عن دروع مغموسة بالذهب على خيول من ذوى الحسب وهى تحت رجال من ذوى النسب فلما نظر أبو محمد الى ذلك قال فى نفسه لعل ان يمن الله علينا بالفرج

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان عساكر المعتصم لما ولت منهزمة ووصلت الى عمودا طلبت المعتصم ففقدوه فقالوا بأى وجه نرجع الى بلاد الإسلام وكانت قد أخذت أمراء المسلمين وعدم أمير المؤمنين وان الملكة مرجانة لما علمت ماجرى على

الناس عظم عليها وكبر لديها وقالت للبطارقة الذين كانوا أسلموا معها سدوا الضروب حتى لا يعبر أحد من المسلمين فانى قد عولت اننى آخذهم وأرجع بهم الى قتال الروم فما يسعنى القعود عن عباده (قال) وانهم كانوا قد سبقت لهم السعادة وأخرجت السيوف والسلاح وفرقت على الناس واستراحوا وذهب عنهم التعب والنصب ثم انها جلست فى خيمتها وجمعت قومها ومن كان من مقدمين الإسلام ثم انها حمدت الله وأثنيت عليه وذكرت سيدنا محمد وصلت عليه وقالت اعلموا يامن حضر ان اخوانكم المسلمين قد أسروا عند بحرون وفقدوا أمير المؤمنين وقصدتم الى الهرب والفرار فما تكون حجتكم بين يدى رب العالمين حيث خيرتم أنفسكم عنهم ووليتم فأين مروءة الرجال أين نخوة الابطال أين من يزهد فى هذه الدنيا الساحرة أين من يطلب الدار الآخرة (قال) فبكى كل من كان حاضر وقالوا أيتها الملكة مانرجع عن اخواننا وفينا روح ولا حركة فشكرتهم وتركت فى البلد ألف فارس ورحلت وعقدت على رأسها الرايات وقد ذكرنا مافيها من المروءة والشجاعة ونظرت الى ذلك العسكر الذى تحت طاعتهـــا فزادت شجاعتها حتى أشرفت على أبو محمد البطال ومن معه وكانت قدمت بين يديها جواسيس فعاد وأقبل وصول العسكر ففرحت وقدمت بين يديها مائة بطريق من الذين أسلموا معها وقالت لهم امضوا إليهم وسلموا بالرومى عليهم فان سألوكم فقولوا لهم هذه الملكة مرجانه قد سمعت ماعمل الملك بحرون بالمسلمين وبما فتح المسيح من النصر والتمكين وانها أتت تعتذر اليه وقد ضربت رقاب من كان عندها من المسلمين فلما سمعوا ذلك اطمأنوا من جانبها واركنوا لأمرها وأنفذت مرجانه خمسين ألف عنان وقدمت عليهم مدركة وأمرت العساكر يمضون فى مخارس وصفتها لهم وقالت تأتوهم من خلفهم واحملوا عليهم وأنا أحمل عليهم من قدامهم فما ينفلت منهم أحد فساروا القوم من تلك الطريق وأما البطارقة فانهم وصلوا إلى القوم وسألوهم فأخبروا بما كان فركب من الروم جماعة أعيان وكانوا القوم نزلوا فلما قربوا منهم صاحوا الله أكبر وعملت الصوارم فى القحوف والجماجم وفرشوهم على الأرض طول وعرض فولوا منهم منهزمين فلقيهم مدركة ومن معه فى وجوههم فظنوا أنه بحرون وإذا بهم نادوا عليهم وأخذوهم مواسطة فيالها من ساعة قتلت فيها الروم من كل جانب ومكان وحكم الصارم اليمان فنادوا عن صوت واحد الأمان فنادوهم ألقوا السلاح ولكم الأمان فألقوا السلاح من أيديهم وفى لحظة أخذوا ثلاثة ألف أسير والباقى شربوا كاس التعتير فلما نظر البطال إلى ذلك سجد شكرا لله وظن أن المعتصم فيهم فلما أن اجتمعت مرجانة بالبطال فقالت أرجو من الله خلاص الأمراء

ولكن هكذا صرف الزمان ولقد أحسن الشاعر حيث قال

اصـــبر لها غير محتاج ولا ضجر في حادث الدهر ما يغني عن الحيل

هل عندك خبر يا أبا محمد من أمير المؤمنين فقال لا وحق محمد سيد البشر وما أظنه إلا معكم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وما أمير المؤمنين إلا قد هلك لأني أعلم أنه شديد النخوة فقالت الملكة مرجانه يا أبا محمد دع المقال والقيل وجد بنا في السير (قال) وساروا يقطعون الأرض طول وعرض خوفا أن يسبق الخبر إلى بحرون فيفوتهم ماله مؤملون فلما بقي بينهم وبين قلعة المريخ يوم واحد أتاها بعض جواسيسها وأخبرها أن بحرون في هذه الأرض وإذا بثلاث بطارقة منهزمين من المعمعه وقد أخبروه بالخبر فألوى عنانه وقد طلب الحصن ولم يكذب خبر فصعب عليها وقالت في أي الطريق خرج فقال لها على الطريق الواضحة فقالت وحق التوحيد والقرآن ما سلكها إلا وهو خائف فزعان فهو في كم فارس قال في مائة فارس فانتخبت خمسة آلاف فارس وتبعته وأمرت العساكر أن يسيروا على حالهم وكانت بصيرة بتلك الأرض ولم تزل سائره وهي على وعدها صابرة من أول النهار إلى آخره وقد أشرفت على بحرون وهو نازل على الماء وخيله ترعى فجالت بينهم وبين خيلهم دهمته ولم تمهله هنالك ركب بحرون وحمل وبعض من الذين كانوا معه وعملت الصوارم في الأبدان وتلقحت من الشجعان وما كانت إلا ساعة حتى جالت فرسان مرجانة في بحرون وأخذوا بحرون برقبته وقد قتل سائر من من معه فقال أبو محمد البطال لمن معه من الرجال والله هذه نوبة ما كانت لنا في حساب ولا على بال هذا والملك بحرون قد نظر إلى مرجانه وقد غاب عقله من حسن جمالها وهي مثل القمر البازغ من تحت الغيوم اذا أحدقت به النجوم وأن الأمير أبو محمد دنا منه وقال له ما يخلصك منا الاخلاص الأمراء كلهم عن بكرة أبيهم وسائر المأسورين الذي عندك وولدي مذ بحرون والاضربت الملكة رقبتك في هذه الساعة فلما سمع بحرون ذلك قال ارحلوا بنا حتى تصلوا إلى القلعة فاذا نظروا أهلها الى فهم يفدوني بكل أسير عندي فقال أبو محمد صدقت ثم أقامت مرجانه في ذلك المكان حتى تواصلت عساكر المعتصم وسارت حتى وصلت إلى القلعة الموصوفة بقلعة المريخ وكان قد وصل اليهم الصياح وقد نزلت المواكب والكتائب والجيوش وأرباب الدولة فما كانت إلا ساعة حتى صار على وجه الأرض أكثر من عدد النجوم وقد تقدم عليهم ملك يقال له قفرطوس بن طاطيس وكان من الجبابرة أعتى خلق الله وأكفرهم به ومافيهم من هو على شبه جثته وخبثه ولعنته وقوته وشجاعته وهو مسموع الكلام في قومه مطاع الأمر مقبول القول وهو يحدث نفسه بقلعة المريخ

لما كان فيها البطريق الأول فلما قتل جلس فيها مكانه الملك بحرون وكان مصمم أنه يعمل على قتله إن طال مقامه فيها ولما بلغه أن الملك بحرون أسر فرح بذلك الفرح العظيم وانطاعوا له الناس وجلس على سرير الملك وأخرج الأمراء المأسورين وعزم على ضرب رقابهم فقالوا له عقلاء قومه ووجوه عشيرته ما هذا صواب لأنك ملاقي العدو وما ندري كيف يصير الحال فلا تعجل في أمرك وانظر ما بين يديك من الحكماء من الروم قد مدحوا الصبر والمهلة وذموا العجلة فلما سمع ذلك أجابهم إلى قولهم مع أنه كان مجنون لايعرف نصيحة ولا يدبر قبيحة ونزل في ذلك الجيش العظيم لما أشرفت الملكة مرجانة ومعها جيش الرحمن وجند الملك المنان الذي لايشغله شان عن شان ولم يطل الخطب حتى أعدل الجيشان وتقابل الصفان وقد تقدم ملك الروم بين أيديهم على ماهو عليه من الهيبة وقد عقدت الرايات على رأسه والصلبان والملكة مرجانة قد تقدمت على جيش السلطان وقد رضيوا بها لما بان لها من الأفضال وقالت لهم لاتظنوا أني تقدمت عليكم أريد التقدمة بل ذلك أفديكم بروحي وأقاتل عنكم جهدي وطاقتي فان كان الفتح على يدى فهو الذي أريد وإن كانت الأخرى فرحبا بما قضاه الله وقدره فلا مفر من قضاه ولا دافعا مما أبلاه فشكروا الناس فعلها وقولها وكذلك الأمير أبو محمد دعا لها وقال ابشرى أيتها الملكة بالثواب من الملك الوهاب والعافية الحسنة وجميل السلامة من الله تعالى وأما التقدمة فانني أولى الناس بها إذا ما كان جمع شملهم غيرك ولا ردهم إلى نصرة دين الله تعالى سواك وبعد ذلك فانني على نهاية من القوة والشجاعة فالله تعالى يوفقك وبالنصر يرزقك ولكن أنظرى بين يديك فهذا يوم عظيم وأى عسكر انكسر من هذين العسكرين فما تقوم له قائمة فقالت المعين هو الله وقد مضى من عمرى عشرين سنة وكنت آكل رزقه وأعبد غيره وكان مع ذلك يعطيني ولا يقطع بي فكيف وقد عرفته وما أظنه يخذلني أبدا (قال) فتعجب الأمير أبو محمد من حسن اعتقادها وقال لها ابشرى فما تنالين إلا الجنة وقد نشرت على رأسها الأعلام مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وطلبت مرجانه أن تخرج للمبارزة في ذلك اليوم فلم تقدر على ذلك لأن الخيل قد صهلت والأرض قد تزلزلت وعمل البتار وقطعت الأعمار حتى ماجت الأرض بأربابها وعدمت الأبدان رقابها ولم يزل السيف يعمل والدم يهزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ذهب النهار بضياءه وجاء الليل بظلماءه ونادى المنادى بالانفصال وقد رجعت الطوائف عن حومة المجال وما للناس حديث غير الملكة مرجانة والملك المقدم ذكره وما صنع في يومه من القتال وإنه قد نكل

بالافيال وصناديد الرجال ومعه أبطال لايملون من النزال وكانت الملكة مرجانة تسمع ذلك وتقول ياقوم اقصروا عن وصف هذا الكافر الفاجر فأنا أخبر الناس به لأنه قاتل عمى وكان قد طلب عمودا فكرهوه لما يعرفون من مكره وجنونه فاغلقوا الأبواب فى وجهه وأقام عليها ثلاث سنين ولم يقدر عليها لأن المكان كما علمتم حصين وان أبى كاتب الملوك فأتوا إلى هذا الملعون وسألوه وقطعوا له فى عمودا كل سنة مائة ألف دينار فرضى بذلك وانصرف إلى القلعة الشامخة وكان صاحب قلعة المريخ يداريه ويعطيه المال إلى أن كبرت وأنا وصرت أركب الخيل وأخوض الليل وبلغه ذلك عنى فارسل إلى أبى يخطبنى فأجابه خوفا وإنى كرهت ذلك لانى سمعت عنه أنه أوحش خلق الرحمن فقال لى يا بنية لاسبيل إلى الامتناع من ذلك فقلت له امتنع أنت وان هو أتى ونزل اليك خرجت أنا اليه فان هو غلبنى دعه يفعل بى مايريد وإن لم يقدر على ذلك ووصلت أنا اليه فهو المراد فارسل اليه يقول له إن مرجانة قد أبت ذلك وقالت أنا أبارزه فكل من أخذ صاحبه فعل به مايريد ففرح بذلك وعول على المسير الينا فأتيتم أنتم واشتغل كل أحد بنفسه وغدا تشاهدون موقفى معه إذا خرجت اليه وأسأل الله تعالى أن ينصرنى عليه فهو كالأسد الغضبان الذى قد طمع فى الفرسان وباتت الناس على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرفت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وقد ارتفع الصياح بين العسكرين وكان هذا البطريق المقدم ذكره قد قال لأصحابه فى ليلته قد بلغنى المسيح المراد بأخذ هذه القلعة وقد سارت مرجانة الى الذى قد ملكت فؤادى ولابد لى من أخذها فى غداه غد من وسط العجاج ولو احتمى لها أهل الأرض جميعا ولكن قد نقصت قيمتها عندى لما قالت بمقال المسلمين ولا بد لى أن أعاقبها بسياط البلا وأسقيها شراب الردا (قال الراوى) ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقد ركب الملك بنفسه واصطفت الجيوش فى مقاماتها وضربت طبولها وبوقاتها وكانوا الناس مثل البحار المتلاطمة والجبال المتصادمة وعولوا الناس على الحمله وإذا هم بفارس قد ظهر من الروم على جواد عالى طويل العنق يسابق الرياح مثل الصباح قد أخذ من الأسد سطوته ومن النمر وقاحته فهو كما قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات :

يجرى وتجرى الريح من خلفه　　فيدرك الفرصة قبل الصباح
يقتنص الغزلان فى مشيه　　ويبلغ المقصود قبل الرماح

(قال الراوى) وعلى راكبه درع قصير الاكمام ومن فوقه ثوب ديباج شغل

القسطنطونية ملكى مقصب وفى وسطه زنار ابريسم أخضر برمانتين من الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر وعلى رأسه بيضة مضية لاتعمل فيها السيوف المشرفيه ولا تنفذ فيها الرماح الخطية ومعه قنطارية وفيها حربة أفرنجية قد سقيت بماء المنيـة وإن القوم لما عاينوا ذلك الفارس وصفته شهـدوا له بالفروسية ونادى يا كلاب العرب دونـكم وملك الموت الأحمر الذى قد سلطه المسيح على هلاك البشر فما استتم الـكلام حتى خرج اليه فارس من العرب فقتله وفارس من الترك فجندله وثالث من العجم فرجله ورابع من السودان فأباده فتأخرت الفرسان عن قتاله فلما نظر الى ذلك أشهر سيفه ونادى أنا الملك المعروف والبطل الموصوف خاطب الملكة مرجانة فارجعوا عن هذا المكان حتى اتبع آثاركم لانقطاع أعمـاركم وإن أبيتم ذلك فما يبقى منكم أحد إلا هالك فقد وصل معى من الجبل عسكر عظيم وما بين وجودكم وعدمكم الا بمقـدار ماتحمل الناس عليكم حملة واحدة وقد تركوا الدنيا منكم خامده فلمـا بلغ غاية كلامه إذ خرج عليه فارس طويل جافى القطعة مليح الصورة كانه القمر ليلة أربعة عشر والجواد تحته أصفر هائل المنظر مليح المخبر يسبق البرق إذا خطر ثم انه اشتهر وإذا به الملـكة مرجانة وقد نادت برفيع صوتها ياعدو الله لقد كـنت أشوق إلى لقائك من العطشان للماء الزلال ويلك أنا مرجانه ابنة صاحب عمودا فدونك والقتال وان الملك لما سمع كلامها حمل عليها وهو على غاية من الفرح ثم فتحا فى الارض ميدانا وأجادا ضرابا وطعانا واستعملا سيفا وسنانا والتقيا وافترقا حتى شخصت النواظر اليهما وعجب من قتالهما الأكابر والاصاغر ولم يعرف الرابح من الخاسر وعلا الغبار حتى غاب عن الأبصار ومضى أكثر النهار وبقى من السيوف مقابضهـا وأخذا غيرها وقد جرى بينهمـا العرق وعظم القلق ورجعا إلى مقام الهياج ولم يطل الخطب حتى ضربته مرجانة بالسيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ولمـا نظروا الروم إلى ماحل بملكهم حملوا وحملت عسـاكر الاسلام وعمل الحسام ونثرت الجماجم والأجسام إلى أن أقبل الظلام وقد تأخرت الروم بالخيل مما حل بهم من الوبل ثم انهم طلعوا إلى قلعتهم وقالوا مالنا الا ترسل اليهم ونفاديهم بالملك بحرون واستقر الحال على ذلك فلما أن أصبح الصبـاح جاءت الرسل من الروم فى طلب الفداء واتفق الحال على خلاص المأسورين عن بكرة أبيهم بالملك بحرون ومن معه فأجابوهم إلى ذلك وأقام الملك بحرون عند المسلمين إلى أن وصلت الأمراء الى العسكر وأطلقوا الملك بعد أن حلفوه اربعين يمين أن ماعنده خبر من المعتصم فحلف لهم بذلك فصدقوه وأن الأمير عبـد الوهاب وغيره أخـذوا

فى السؤال عن الأمير المعتصم فقيل لهم قد عدم من الوقعة الاولى وما عندنا منه خبر فعظم ذلك على الأمير عبدالوهاب وكبر لديه وقال ماهذه إلاشناعة على المسلمين بأن يعدم أمير المؤمنين ياأبا محمد أريد أن تأخذ غلمانك ومن شئت واذهب فى طلبه حتى أنفصل أنا من هذه القلعة والروم والملك بحرون وما نعود إن شاء الله تعالى إلا وقد فرغنا من أمرهم ثم ان أبو محمد أخذ غلمانه وسار فى طلب المعتصم ورجع بحرون إلى قلعته واجتمع بأرباب دولته وقال لهم وحق المسيح مادام انى قد خلصت فما أبالى بعدها بمن هلك من ملوك الروم لأننى إذا هلكت أنا هلك دين النصرانية واذا كنت أنا سالم فسوف ترون مايكون منى ومن هذا العسكر إذا نزلت اليهم فى غداة غد وإنما الجيوش بالسلطان والملوك بالأقران وكذلك الأمير عبد الوهاب قال لأصحابه غداة غد ان شاء الله تعالى يكون الانفصال إلى نزول الملك بحرون إلى القتال فقالت الملكة مرجانة ماأقول انه ينزل الى القتال بعد ماقد جرى عليه من الأهوال فقال الأمير عبد الوهاب والله انه مايقعد لأنه فارس لا يطاق علقم مر المذاق وإنى لاعجب كيف وصلتم أنتم اليه فقالوا أيها الأمير كان فى الصيد والقنص فى ثلاثة آلاف وكنا نحن فى ثلاثين ألف فارس مكمنين وعشرين ألف ظاهرين وأقام بقتالنا كلنا الى ان قبضناه قبضا بالكف بعد ماقتلنا جواده وأفنى من الناس جماعة حتى قدرنا عليه (قال الراوى) وبات الامير عبد الوهاب الى أن برق ضياء الفجر ونزل الملك بحرون فى عساكره وقد أرسل إلى سائر الجهات يحضر العساكر ويقول مابقى المسلمين الا هذه النوبة فلا يتخلف من يقول كرياليسون والا وحق المسيح أغزو من تخلف عنى كما أغزو المسلمين ثم أرسل إلى الامير يطلب الامهال عن القتال عشرة أيام فأجابه الامير إلى ذلك لانه قد جرى على أصحابه ضعف من الاسر والجوع والعقوبة فأراد أيضا المهلة حتى يقوى هو وجماعته وتمهلوا مدة عشرة أيام وقد أقبلت الدنيا من سائر الجهات من خوفهم من بحرون ورغبتهم فى دين النصرانية حتى صار الملك فى عالم عظيم فلما علم الامير عبد الوهاب بذلك ندم ثم توكل على الله تعالى وقد عزم على القتال فى غداة غد ويعطى الله النصر لمن يشاء وقد نادى فى الناس بأن يأخذون الأهبة للقتال ولما أن اصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وارتفع الصياح وجردت الصفاح ومدت الرماح وامتلات بالخلائق البطاح ودنت الكباش من النطاح وتصادم العسكران طول النهار حتى ذهب الضياء وأقبلت الظلماء وتحارس الناس إلى اليوم الثانى والثالث وبقى القتال كذلك خمسة عشر يوما هذا وعساكر الروم كل يوم متواصله والأمير عبدالوهاب فى غاية من الغم لأجل غيبة المعتصم وما طلع له خبر فلما كان فى اليوم السادس عشر حملت

الأبطال على الأبطال وحملت الأميرة ذات الهمة على صاحب العلم والصليب الأكبر فطعنته فى صدره أطلعت الرمح يلمع من ظهره وحملت على الملك بحرون وحملت ميمونة ومرجانه والأمراء المعروفين والأبطال الموصوفين وما كانت إلا ساعة حتى ولت عساكر الملك منهزمة ثم ان الأميرة ذات الهمة طعنت الملك بحرون لجاءت الطعنة تحتانية لجاءت فى الحصان قتلته ووثب الملك بحرون كانه مجنون ودخل فى جملة العسكر فترجلت الاميرة خلفه وهو منهزم وتبعته وكل إنسان قد اشتغل بما هو فيه وقد صارت الارض مثل الارجوان وتفرقت الروم على وجوهها فلم يجتمع منها اثنان ولم يخلص الا من كان جواده سابق وطلبت للقلعة أقوام يتحصنون فيها ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل إلى الليل ورجع الامير عبدالوهاب إلى مقامه وقد فتح الله النصر عليه وقرت عينه بالظفر على الاعداء وغنموا المسلمين من الاموال والاثقال والاوانى ما لا يعد ولا يحصى ولما أستقر الامير فى موضعه سأل عن الاميرة فقالوا أيها الامير عهدنا بها وقد حملت على الملك بحرون وقد أطبقت عليهم البطارقة وغاصت فيهم وماعلمنا منها بعد ذلك إلا أن الاميرة ميمونة تتبعت أثرها فقال الامير عبد الوهاب اسألوا الاميرة ميمونة عنها لعل أن يكون معها منها خبر فتفقدوا ميمونة فلم يجدوها فعظم ذلك على الامير عبد الوهاب وقال كلمة لايخجل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم بات الامير وهو بأعظم قلق وأشد حرق الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك نادى فى الناس بالصعود الى الجبل والقلعة وعول على حصارها وكان قد صعد الى القلعة خلق كثير والمكان حصين لا تصل اليه الطيور الطائرة وقد رفعوا الروم الفرادات والمناجيق والحجارة والصخور الكبار وقلب الامير عبد الوهاب على مقالى النار لايعلم ما كان من أمر الاميرتين وزحف الامير الى الحصن يطلب قتاله فاخذته الاحجار من سائر النواحى وقتل من المسلمين خلق كثير وأقام على ذلك ثلاثة أيام ولم يسمع للاميرتين خبر وهو يظنهم أسارى فهو كذلك واذا بمنادى ينادى من أعلى الحصن يا معشر المسلمين لاتطيلوا الخطب فلو أقمتم على هذه القلعة الحصينة أعمار النسور أوالى يوم النشور ماقدرتم عليها ولا اهتديتم الى الوصول اليها ولو أمدكم الملوك بامداد عساكرها من جميع الممالك لان القلعة حصينة ممنوعة عن الطالبين كما تشاهدون ونحن عليكم فى كل يوم رابحون ولكن ان كان معكم الملك بحرون أسير لكم علينا فى فدائه المال الكثير وان كان تركتموه فى ميدان الحرب قتيل من جملة القتلا الذين على وجه الارض جديل فما لكم غير الرحيل (قال الراوى) فبينما الامير عبدالوهاب مع أهل تلك القلعة فى ذلك الخطاب اذ أقبل عليه غلام مليح الهندام فتميزه

الاميرعبدالوهاب فوجده بطريق كانه نار الحريق مليح السمائل ظريف الخصائل وللشجاعة عليه آثار ودلائل على جواد أصيل النسب ديال الذنب وعليه عدة كاملة وزردية سابلة فلما مثل بين يدى الامير عبد الوهاب كلمه بأحسن الكلام والخطاب وقال له أيها الامير ابشر ببلوغ المنى والقصد والهنى وزوال الشر والغنى فانى بشير الاحباب ومبشر بقدوم الغياب ففرح الامير عبد الوهاب بذلك الكلام وقال هات ما عندك من البشارة أيها الغلام فقال اعلم أيها الامير ان معى ثلاث بشارات تدخل على قلبك الافراح بدوام المسرات أحدها بشارة الاميرة ذات الهمة والدتك والثانية بشارة الملكة ميمونة زوجتك والثالثة معرفة الملك بحرون ولدك وحشاشة كبدك فلما سمع الامير عبد الوهاب من البطريق ذلك الخطاب سجد شكراً للملك العلام وقد حار فكره فى سماع تلك الامور والاحكام (قال الراوى) لهذا الكلام وكان السبب فى قدوم ذلك البطريق بالاخبار وهو بطرون غلام الملك بحرون وبشارته بما تقر به العيون وهو أنه لما خرج الملك بحرون من المعمعة وتبعته الاميرة ذات الهمة مسرعة وكان جواده سابق والبرق لاحق ولما نظرت الاميرة الى ذلك تبعته لانها علمت أنها ان ظفرت به كان السبب فى انكشاف أخبار أمير المؤمنين المعتصم وقد رأتها الاميرة ميمونة فتبعتها فزعا على الامـــيرة ذات الهمة أن ينفرد بها الملك بحرون لان الحرب سجال يوم لك ويوم عليك ولم يتبع الملك بحرون غير هذا الغلام بطرون على جواد سابق ولم تزل الأميرة تطردهم فى غير طريق فى يوم كامل وكان الجواد الذى تحت بحرون كريم النسب ذيال الذنب من أفخر خيول العرب كلما جرى زاد نشاط وكذلك كان جواد الملكة ميمونة وكذلك البطريق بطرون ولم يزالوا كذلك يومهم وليلتهم أجمع وما فيهم إلا من هو جاهل بذلك البر فأصبحوا فى أرض وعره مقفرة معطشة مدهشة قليلة المنفوع كثيرة اليربوع عادمة الماء الجن فى فلواتها تبيج والوحوش فى عرصاتها تهج وقد وقعت الخيل من التعب طول الليل وأيقنوا الركاب بالويل ثم ان الأميرة صاحت بجوادها فوقع الأرض فطلبت بحرون راجلة وقد ترجل هو أيضا وطلبت ميمونة البطريق بطرون وقد ترجلوا أيضا واشتد القتال بينهم وان الأميرة ذات الهمة رفعت رأسها إلى السماء وقالت يامن أحاط علمه بكل شيء إلا نظرت الساعة إلى ضعفى وظفرتنى بعدوى انك على ماتشاء قدير (قال الراوى) وتضاربت هى وإياه بالسيف حتى لم يبق فى ايديهما غير القبضتين وتقابضا وتعاركا إلى أن ذهب بعض النهار وقد عمل منهما الانبهار فوقعت كلاهما على الأرض من التعب وان الأميرة كانت أسرع وثبة منه فصارت على صدره ومكنت الخنجر من نحره وقالت أدركتافك فهى معه

فى الكلام وإذا قد أقبلت ميمونة اليها وهى قد أدارت بطرون كتافا وان الأميرة قالت لميمونة نحن على ماتريه من العطش والخيل قد وقعت من الدهش ومالنا إلا نأخذ رؤسهم ثم همت الأميرة ان تقطع رأس بحرون فنظرت ميمونة اليه وهو متوشح بتعويذ فى غلاف نحاس اطيف وزنه مثقال عليه أسطر مكتوبة وكانت ميمونة لما ان وضعت بحرون فى بلاد الروم وهى فى الاسر عند قراقونا أخذت ذلك التعويذ من عضوها وعلقته عليه لاجل الجن وقالت تعود بركة هذا التعويذ عليه فلما نظرت اليه صاحت بالاميرة ذات الهمة أيتها الاميرة هذا التعويذ الذى كان طول عمرى فى ساعدى واسمى عليه مكتوب فقالت له الاميرة يابحرون من أين لك هذا التعويذ فقال هذا قديم عندى وهو من أمى وهو مبارك يقولون ان عليه اسم المسيح واى من لسع وعلق عليه هذا يبرأ من ساعته ثم ان بحرون بكى وقال وحق المسيح ماقلت ان هذا يتم على وهو معى لان أمى كانت تحدثنى قبل موتها بأنى وقعت وأنا صغير فى البحر وما سلمت إلا به ولهذا سمونى بحرون دون اسم البطارقة وقالت لانك وقعت فى البحر فسميتك بحرون (قال الراوى) وكان هذا الولد من الملكة ميمونة والسبب فى سلامته انه لما أخذه الملك قراقونا ورماه فى البحر وهو مشدود القماط فوقع على ظهر البحر فدفعه الموج إلى الساحل وهو شاخص ببصره إلى السماء إلى أن أرماه الموج إلى جزيرة أباه الذى رباه فأخذه الملك ورباه على ذلك الكلام الذى شرحناه والخبر الذى ذكرناه إلى ان شاع أمره وعلا ذكره وملك الجزائر وكانوا الروم يقولون ماسلم هذا من البحر إلا بهذا الكتاب الذى معه وكانوا يستعيروه لكل مرض عظيم ويشفى به كل سقيم وان الملكة ميمونة لما سمعت ذلك قالت وحق النبى المنتخب سيد العجم والعرب ان كان هذا إلا ولدى لأن اللون لونى وهذا التعويذ الذى كان لى ظهر عليه واسمه بحرون لأنهم وجدوه فى البحر فلعل الله تعالى قد سلمه حتى يكون منه هذا الامر لان الله تعالى يفعل فى خلقه مايشاء ويحكم مايريد فلما سمعت ذات الهمة ذلك من كلامها قالت والله العظيم ان قلبى تحن عليه وفيه مشابهة من الامير عبدالوهاب ثم انها أقبلت على بحرون وقد نزلت عن صدره وقالت أيها الملك أتدرى ماتقول هذه الملكة قال لا وحق المسيح فما الذى تقول فقالت هى تزعم انك ولدها وان هذا الكتاب الذى معك كان فى ساعدها واعادت عليه القصة من أولها إلى آخرها وان اسمها عليه مكتوب وانهم سموك بحرون انما سموك بهذا الاسم لاجل انهم وجدوك فى البحر (قال) ومن أين وصلت هذه الى البحر فقالت كانت أسيره فى جزيرة قراقونا لانك أنت ماتعرفه لانه قتل بعد ماربالك فى البحر وما يخلو أنك سمعت به فقال بحرون هذا دليل على انى ابنها مع مانى قد رأيت لونى من دون

أولاد الروم لانى اسمر غميق السمرة وهذا الكتاب فى هذا النحاس مكتوب ايش فيه لانى وحق المسيح لا أنا ولا أحد من الروم الا وقد رأينا فيه البركة وقد قالوا الا تفتحوه تذهب بركته وبركة المسيح منه لانه قد ختم عليه فلما سمعت الاميرة ميمونة ذلك وقد تحدث معها بالرومى فقالت صدقت والله يا ولدى مكتوب فيه كلام بالزنجى وفيه صورة سوداء على صورة التابع ولما نظرت الاميرة ذات الهمة الى ذلك تعجبت فقالت ميمونة وحق من خلق الانسان من طين وجعله من سلالة من ماء مهين هذا ولدى بحرون والذى جمع بين نورى ومذبحون جمع بينى وبين بحرون وان هذا حديث أحب شىء يكون ولا بد مما يتحدثون به الناس جيلا بعد جيل فقالت الأميرة بالرومى لبحرون أتفهم ما تقول هذه فقال لا وحق المسيح قالت انها تقول انك ولدها وبهذه التعويذة عرفتك وقالت ان اسمها فيها مكتوب ولما وجدوك فى البحر سموك بحرون فقال ومن أين وصلت هذه إلى ذلك المكان فأعادت عليه القصة فقال ما يبعد ان أكون ولدها لأن لونى كلونها لكن ما فى هذه النحاسة مكتوب لأنى وحق المسيح عمرى ما فتحتها ولا مكنت أحدا من فتحها

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة ذلك قالت ان فيها مكتوب كلاما بالزنجى وفيها صورة سوداء على صورة التابع فافتحها تنظرها واسمى مكتوب فيها فأخذ بحرون النحاسة وكسرها فوجد اماراتها صحيحة واشاراتها حقيقة هذا وبطرون غلامه أسير ميمونة يسمع كلامهم بأذنه ويشاهد ببصره فقال له أيها الملك كلما قالوه صحيح واعلم أيها الملك ان أباك الذى رباك كان مقدما وكنا معه فى بعض الأيام على جانب البحر إذ قذفك الموج الينا فأخذك وسماك بحرون وقد وجدناك فى جزيرة الملك قراقونا ولقد صدقوا فيما نطقوا وهذه التعويذة كانت معك وحفظتها لك أمك التى ربتك الى ان صارت تعلقها عليك فقال الملك بحرون وحق المسيح ما كنت أظن الا ان ميمونة رجلا شجاعا ولقد لاقيتها فى الحرب وقاسيت منها كل أمر صعب وما علمت انها امرأة الا فى هذه الساعة لكن من هو أبى الذى يتصل به حسبى ونسبى فقالوا له أباك الأمير عبد الوهاب أمير بنى كلاب وان هذه الأميرة الذى أسرتك هى جدتك أم أبيك فقال بحرون وحق المسيح انه أصل كريم لا فيه ريبة ولا عار ولا دناءة ولا شنار ولقد صح هذا عندى وقد عرفت ان أبى كريم الحسب عظيم النسب لكن كيف أفارق دين عرفته من صغرى وألفته من كبرى اتركه وأرجع الى دين ما عهدته لكن أكون عندكم على دينى الى أن يشرح الله صدرى للاسلام وربما أميل اليه باختيارى (قال) فأطلقته الاميرة وجعلت تقبله وكذلك ميمونة والدته وقد أعادوا عليه قصة مذبحون وزيره من أولها الى آخرها ثم بعد ذلك قالت

الأميرة اركبوا بنا لعل نجد ماء نشربه ونسقي خيولنا لأنها صارت قتلى فساروا قليل فوجدوا أرض خضره نضرة فيها مراعي وكلا وماء حلو بارد فنزلوا عليها وشربوا وأسقوا خيولهم وسرحوها ترعى إلى ان عوفيت وصار لها قدرة على المسير وركبوا وجدوا فى سيرهم فى طرق يعرفها بحرون وما زالوا حتى قربوا من قلعة المريخ فأرسل الملك بحرون غلامه بطرون وأمره ان يمضى إلى أبيه ويبشره بتلك البشارة ويأتى بزاد يقتاتون به وماء يشربونه وخيل يركبونها (قال الراوى) فسار بطرون وأشرف عليهم كما قدمنا وبشر الأمير كما وصفنا فركب الأمير عبد الوهاب فى مائة من الفرسان وأخذ معه الزاد والماء والخيول والجنائب وما زال سائر إلى أن التقى بهم وترجل الأمير ودنا من الملك بحرون وجعل يضمه إلى صدره وقد أعادت عليه الأميرة سبب المعرفة والتعويذة وقصتها وما لفظ به بطرون فزال الشك باليقين وانسروا بذلك المسلمين وساروا إلى أن وصلوا إلى عسكر الموحدين ونزل بحرون فى سرادق أباه وعنده اخوته ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم وقد شاع ذلك فى العسكر وتعجبوا وأمنوا من شر بحرون

(قال الراوى) ثم ان بحرون أقبل على أبيه وقال له على بمذبحون فقال الأمير ماهو حاضر وأعاد عليه خبر فقد المعتصم أمير المؤمنين وانه خرج هو وأبيه فى طلبه فقال بحرون وحق المسيح مامعى منه خبر وماهو عنـــد الروم يعيقكم عن طلبه فقالوا له حتى تخلصنا من حربك وتفللت عنا عسكرك ونحن نرجو من الله أخذ هذه القلعة وبعد ذلك نسير ونطلب الخليفة أينما كان فان كان حيا خلصناه وان كانت الأخرى فله الأمر من قبل ومن بعد فقال بحرون اما القلعة فما لكم إليها وصول ولو قعدتم عليها سنين ماقدرتم على أخذها إلا أن يكون من داخلها ولا بد ما أعمل عملا أتقرب به إلى قلوبكم وهو انكم لا تتعرضوا إلى فى دينى فقال الأمير يابنى الذى نجاك من الغرق يهديك إلى الإسلام وأما أنا فلا أتعرض لك ولا أوذيك فقال بحرون افسحوا لى ودعونى أعمل عمل آخذ به القلعة قريب قال الأمير ماتريد أن تفعل قال أمضى إلى تحت القلعة وأقول لهم انى كنت مأسورو هربت وإذا فتحوا لى القلعة وصعدت عنـــدهم آمرهم فى غداة غد يخرجون للقتال والحرب والنزال وان بقى عندى ألف أو أكثر أفنيهم بالحسام وأسلم اليكم القلعة من غير قتال ولا كلام (قال الراوى) فلما سمع الامـــير قال له افعل ماتريد فقالت له ميمونة يابنى انى أخاف أن يكون هذا منك مكر وخداع حتى تنجو من بين أيدينا وتبلينا بالفراق بعد التلاق واعلم ان كان يعسر عليك مفارقة ملكك فعند أبيك أضعافه إذا وصلت إلى بلاده فحلف لها ان ذلك على الحقيقة وانه يرجع اليها ولا يفارقها ثم انه

أخذ غلامه بطرون معه وسار فى ظلام الليل وخرج من العسكر الى أن وصل تحت القلعه فصاحوا به الحرس لما أن رأوه فأعطاهم اشارته فعرفوه وفتحوا له الباب ونزلوا له بالمشاعل والفوانيس ولا قوه وبعد ذلك أدخلوه وغلقوا الباب ولما أن أصبح الله بالصباح أقبل بحرون على العساكر وقال لهم كل محصور مقهور ومن الرأى أن تجعلوا هذا اليوم يوم الانفصال وتخرجون جميعا إلى القتال ولا يتأخر منكم أحد عن حرب المسلمين ولعلهم إذا شاهدوكم ينقطع طمعهم منكم ويرجعون عنكم لانى كنت أسير عند أميرهم وقتلته وهربت ومابقى لهم بعده مقدم (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك امتثلوا أمره وخرجوا للحرب عن بكرة أبيهم ولم يبق الا الملك بحرون من فوق الصور وعنده جماعة من خواصه وهم مائة بطريق وقد أغلق الباب وقد كان قال لهم بالليل ان الروم يريدون أن يخرجونى من القلعة ويقيمون فيها فزعا من الاعداء وقد عولت أن آخذها منهم حتى أعمر المراكب وأرجع فيها إلى بلادى فقالوا نعم مارأيت أيها الملك فلما خرجوا وغلق الباب وصعد بحرون من فوق الصور ونادى برفيع من صوته ياأهل النصرانيه ان بحرون قد قتل وعلى الأرض قد جندل وان عبد الوهاب أخذ القلعة من غير شك ولا ارتياب فاقطعوا مطامعكم واطلبوا أماكنكم (قال الراوى) فلما سمعوا الروم إلى ذلك النداء صلبوا على وجوههم وحملت المسلمين عليهم فمزقوهم ولم يثبتوا بين أيديهم وولوا الادبار منهزمين والمسلمين فى أقفيتهم عمالين فقتل منهم خلق كثير لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل الحصى ورجع الامير عنهم لما كسرهم وأبعدوهم وأسروا منهم جماعة كثيره ورجعوا إلى القلعة وهم بين الرجا والخوف من بحرون ولما أن صاروا تحت القلعة ووقفوا عند الباب وإذا ببحرون نزل اليهم وفتح لهم الباب ودخل الأمير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب والسودان الانجاب وقد فرحوا المسلمين وسألوا الله تعالى أن يهدى بحرون للاسلام ووجدوا فى تلك القلعة أموالا تعجز عن حصرها الاقلام وعن وزنها القبان (قال الراوى) وباتوا تلك الليلة فى أحسن مبيت مما حصل عندهم من السرور ثم ان الامير أقبل على الامراء والاميره ذات الهمه وقال لهم قد أبطا علينا خبر الامير أبو محمد البطال وانى ارجو من الله تعالى أن يطلعه على خبر أمير المؤمنين ويفرج عن المسلمين (قال الراوى) فبينماهم كذلك واذ بلؤلؤ دخل عليهم وهو مجروح فلما نظره الأمير حار وقد اندهش وقال يالؤلؤ ماوراءك قال اعلم يامولاى اننا لما سرنا من عندكم فى طلب أمير المؤمنين وقعنا فى جبال شاهقة وبرارى شاسعة كثيرة العوسج فجعلنا نسير فيها الليل والنهار ونقتفى الآثار حتى وقعنا على أثر جواد منفرد فقال مولاى هذا على أثر جواد ضائع أوهارب ولاشك

انه أثر جواد أمير المؤمنين فسرنا نتبع أثره عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر وصلنا إلى أرض كثيرة النبات طيبة الجنبات عزيزة الانهار كثيرة الاثمار فتعجبنا من كثرة ثمارها وعذوبة ماءها وحسن هواها فبينما نحن كذلك اذلاح لنا فارس راكب على جواد أحمر كانه العقيق وهو على ظهره كانه الفتيق وهوغايص فى حلق الحديد كانه شعلة حريق والجواد الذى تحته قد أخذ من الرياح هبتها ومن السباع وثبتها ومن الرعود صهلتها ومن الثعالب روغتها ومن الثورة وقاحتها ونهرتها والفارس على ظهره كانه البرج المشيد ولما ان قرب منا صاح علينا وقال من أين أتيتم ومن أنتم فقال مولاى نحن ناس عابرين سبيل ونطوف الأرض نطلب عباد المسيح من الرهبان فى خراب الأرض وعمرانها ونلتمس بركاتها ونسعد بقربها نطلب بذل الثواب من السيد المسيح فلما سمع ذلك الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه ثم قال ياأبى محمد أوقعك المسيح فى يدى ولقد كنت أسأل ذلك طول عمرى فلما سمعنا ذلك فزعنا منه على نفوسنا وصار مولاى يتحجج بحجه بعد حجه فقال له دع عنك هذا المحال وما أنت إلا أبى محمد البطال لاشك فيك أبدا واعلم اننى صورتك فى أربعمائة مكان فى جميع صورك التى تدخل بها بلاد الروم ولقد خرجت إلى الثغور فى زى تجار حتى نظرتك عيان بلا انكار وهؤلاء الذين معك غلمانك إلا هذا ماعرفته وكان يعنى مذبحون فلما سمع مولاى تحقق أنه عرفه ولاشك ولايقدر يخلص منه فصاح فينا وقال ياويلكم أنتم ستة وهذا الكلب واحد فدونكم وإياه (قال الراوى) فعند ذلك ترجل عن جواده وأشهر حسامه وهو غير مكترث بنا وماطال بنا المقام حتى أسرنا كلنا وماخرج فيهم أحد الاأنا وساقنا قدامه كانا دواب ولما أن أظلم الليل وجدت الحبل متسعا فى رقبتى فاخرجت منه رأسى وقعدت بين حجرين فساروا ولم يرونى وأتيت اليكم وأخبرتكم بالقصة فلما سمع الأمير عبدالوهاب قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم قدموا للؤلؤ الطعام والشراب واخرج دهن من دهن الصين المحكوم الذى للجراح ختوم فداوى به جراحه وقد اختار الأمير مائة فارس أبطال أقيال معودين بالحرب والقتال مثل بحرون وميمونة ونورى والقناصة وذات الهمة وضيغم وقشعم ومثل هؤلاء الأبطال المشهورين من بنى كلاب وأقام ظالم نائبه على بنى كلاب وجميع العسكر واخذ لؤلؤ قدامه وساروا ودخل البريه فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من المعتصم فانه لما وقع فى البرية ودخل عليـــه الليل البهيم ودام الديجوم وازهرت النجوم وصاح من حواليه البوم ترادفت عليه الهموم وصار لايعرف طريقا تأويه ولامكان يحويه ولاأى الجهات تنجيه فصار يقتات هو وجواده من نبات الارض ويئسوا من الحياة خوفا لايموت جواده فيضيع فى البر كمدا ولايدرى بما ابتلا به أحدا

فأقام فى ذلك عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر خرج إلى أرض بيضاء كافورية كأنها الفضة المجلية كثيرة أشجار وأثمار وأطيار تغرد فى تسبيح الملك القهار غزيرة العيون والانهار ووصل الى بستان فدخله فوجد فيه فسقيه مفروشة بالرخام انابيبها من الذهب الاحمر والماء ينحدر وعلى جانبها سرير منصوب من العرعر مصفح بصفائح الذهب الاحمر مرصع باليواقيت والجوهر وعلى ذلك السرير شيخا مليح الهيبة عظيم الشيبة كانه أسد من الاسود وقلبه أقوى من الحجر الجلمود ومن حوله حشم وخدم وهو فى جمع محتشم لحانت منه التفاته فنظر الى أمير المؤمنين المعتصم وهو على جواده وأثر الجوع والضر ظاهر عليه فصاح على غلمانه وقال وحق المسيح ان هذا مسلم قد دخل أرضنا وما هوالا من عسكر المسلمين قد انكسر وظفر بهم بحرون وهذا واحد منهم قد ضاع وأخرجته الطريق الينا فاخرجوا اليه ورجلوه عن جواده فعندها خرجوا اليه الغلمان وقد رجلوا المعتصم عن جواده وهو لايدافع عن نفسه ولا يمانع ودخلوا به على الملك وكان هذا اسمه اشتالوخ وان هذه الارض التى وصفناها تسمى ارض الخافقين وذلك انه وسطها نهر عرضه مائه ذراع وعمقه عشرين وعليه قناطر معقوده ومن كل جانب حصن ملك وكان الملك اشتالوخ ملك الحصنين وكان شملوخ فى أحدهم فلما أن قدموا المعتصم بين يدى اشتالوخ فنظر عليه ثياب الملوك وسلاحهم وجواده من الخيول الاصايل وهو بمركب من الذهب صايل فعلم أنه من الملوك الاصايل فاحضر له طعاما وأكل هو وإياه ثم انه أنفذ خلف أخيه وأحضره فقال له لما حضر فى ماذا دعوتنى فى هذه الساعة فقال له اعلم أنه قد وقع فى يدى رجل من المسلمين وأريد أنك تنظر اليه فلعل أن تكون لك به معرفة لانك دخلت الى بلاد الاسلام ونظرت ملوكهم وفرسانهم الابطال فقال على به فلما احضروه ونظر قال وحق المسيح لقد بلغت المراد أتدرى من هو الذى بين يديك ومعك أسير فقال لا فقال له هذا هو دين المسلمين المعتصم الخليفة ولقد دخلت بغداد ورأيته عيان لما أن دخلت بسبب ابو محمد البطال حتى اننى أعرفه وآخذ حذرى منه

(قال الراوى) وأما اشتالوخ فانه لما سمع الكلام فرح وابتهج وقال وحق المسيح لآخذ به كلما أخذوه المسلمين من بلاد الروم ثم انه صعد من وقته إلى قلعته ورفع المعتصم عنده فى أضيق مكان وقيده بالقيود والسلاسل والأغلال وأقام ينظر مايكون من المسلمين وبحرون وبعد أيام قلائل خرج شملوخ إلى البريد فرأى أبى محمد البطال وغلمانه فاخذهم كما ذكرنا وهرب لؤلؤ كما شرحنا وطرحهم عنده فى قصر وساروا كل يوم هـذين

الآخرين يركبون فى عشرة آلاف فارس من البطارقة ويسيرون فى الجبل فى طلب من يسير اليهم من المسلمين فبينماهم يوما من بعض الأيام يسيرون كعاداتهم واذا هم بغبرة طلعت من بين أيديهم وانكشفت عن مائة فارس ليوث عوابس ووقعت العين على العين وصاح فيهم غراب البين فقال اشتالوخ لأخيه شملوخ مايبعد أن يكونوا هؤلاء من المنهزمين من عسكر المسلمين فقال لأخيه لاندرى إلا أن المسيح ساقهم رزقا لنا وغنيمة نتقرب بها للمسيح ونتمتع بمالهم ثم إن كل من الطائفتين أخذ الأهبة لنفسه فقال الأمير عبدالوهاب ما القوم إلا كثير فقال بحرون أنا والعجوز ميمونة نكفيك شرهم ولوكان معهم أمثالهم فقال له اباه شد الله بك اذرى وهداك ياولدى بجاه سيدنا محمد النبى العربى لأنك أعز أولادى على فقال له ياأبى طب نفسا وقر عينا فأنا أرجوا أن يكون ذلك فقال الأمير عبد الوهاب اللهم يارب الأرباب ويامعتق الرقاب اكشف عن قلبه الحجاب ولا تطرده عن الباب فقالت الأميرة ذات الهمة يابنى دعه فانه إذا جاء المفتاح من عند الفتاح طابت الرياح ولاتلج عليه ربما حمله اللجاج على الغدر وأقامته على الشرك والعصيان لكن ادع له سرا إن الله يهديه الى الإيمان (قال الراوى) وبعد ذلك افترقوا على هذا القدر وكل طائفة أخذت فرقة من الكفرة الطغاة الفجرة فما كانت إلا لحظة حتى جرت الدما سيول وحكم فى الروم الصارم المصقول وفتك فى الناس الملك بحرون ونثر الجماجم وجز المعاصم وميمونة قد بطحت الأقران وجندلت الفرسان إلى أن تعلقت الشمس فى قبة السماء وحميت الرمضاء وقد حل بالمسلمين البلا فقال الملك اشتالوخ لأخيه شملوخ أماترى إلى ماقد وقعنا فيه من هؤلاء الشياطين الذين هم مع قلتهم يتكفلون بعشرة آلاف فارس وقد قتلوا منهم زهاء عن ألفين فارس من الصبح إلى نصف النهار ووقع بالروم الخذلان وهذا عارعلينا وشنارفقال له أخيه دع عنك هذا الكلام فأنت فى غفلة من هؤلاء الأقوام واعلم أن هذه المائة فارس الذين تراهم بعين القلة وتحتقرهم وقدمت على قتالهم وحربهم ونزالهم قد أزالوا الرقاب وملكوا العباد وقتلوا الملوك وأسروا الغنى والصعلوك فهم أبطال العرب من بنى كلاب والسودان الأنجاب وما أرى إلا أن ترجع إلى حصنك وتتبع إلى أهل إقليمك وتجلب الرجال وتتأهب للقتال وإلاما قدرت عليهم وإن لم تقبل منى فافعل ماتشاء فقال اشتالوخ يا أخى الرأى أن نقاتل وتناضل وتصدمهم صدمة تكون فيها فناهم وتملك أقصاهم وأدناهم فقال له يا أخى لاتخالفنى تندم وابعث الساعة إلى السواد والأقاليم يأتيك منها عالم عظيم واحدق بهؤلاء من كل جانب ومكان فإن أنت ظفرت بهم نلت المراد فقال اشتالوخ هذا كلام لا أسمعه ولا أطاوعك

عليه فما أرى أن تقول عنى الملوك إننى فى عشرة آلاف فارس وليس الصواب إلا أننى أقاتل وأستنفر الناس من حول الحصنين وتأتينا الأبطال من الجهتين على الخيول العتاق وتذيق المسلمين وندوسهم بسنابك الخيل (قال الراوى) ثم انهم أرسلوا إلى سائر الجهات يستنفرون الناس وما أصبح الصباح إلا والعساكر أقبلوا وحملوا وحمل الملك ورجاله خلفه مثل الجراد المنتشر أو السيل المنحدر فعند ذلك صاح الأمير برجاله وقال يامعشر المسلمين إياكم أن تولوا مدبرين واعلموا أن الجنان قد فتحت والحور قد تزينت فجاهدوا فى سبيل الله واطلبوا مرضاته فحملوا على الكفار وحكموا فيهم الصارم البتار هذا ولؤلؤ يصيح يامولاى الذى أخذ أبو محمد البطال وغلمانه فيهم وقد رأيته بعينى معهم فقال الأمير عبد الوهاب إن أوريتنى إياه فقد فرج الله عن مولاك والأصحاب فقال له ها أنا أريك إياه هذا وقد تطايرت الرؤس وجندلت على الأرض البطارقة والقسوس ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه فنادى مناديهم بالانفصال وانقطع القتال وقد حل بالروم من المسلمين الوبال فقال الملك لأخيه ألم أحذرك وقد نصحتك وقلت اجمع عساكرك لأن هؤلاء القوم أبطال المسلمين وأقيال الموحدين فلم تسمع منى ولم تقبل قولى حتى بليت من هؤلاء بالبلاء ولا آمن عليك بعد هذا اليوم أن تأتيهم نجدة تحول بيننا وبين الهرب ويكون الى الهلاك سبب ومن الرأى الصائب أن ترجع الى الحصن مهاب لعل أن تسلم من المصاب وتنجو بنفسك من الأوصاب (قال الراوى) فعند ذلك سمع الملك قول أخيه ولا أبدى ولا أعاد ولا تكلم وولى وهرب تحت الظلام لعله أن يسلم وترك ثقله وأحماله وقد ألوى عنانه وسار طالب النجاة فكان كما قيل

اذا سـلمت فما أبقى على أحد — من فاز بالوصل أو من بالفراق رمى

وقد جدا فى السير هو وأخيه وقد أنشد أخيه يقول

ونفسك فزبها ان صبت ضيما — وخلى الدار تنعى من بناها
لأنك واجد أرضا بأرض — ونفسك لم تجد نفسا سواها
ولا تبعث رسولك فى مهم — فما للنفس ناصحة سواها
وما غلظت رقاب الاسد حتى — بأنفسها تولت ما عنـاها

(قال الراوى) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح فوثبت المسلمين الى ظهور الخيل القـداح واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالسيوف الصفاح وقد انتظروا الروم أن يركبوا الى الحرب والكفاح فلم ينظروا منهم

انسان فعلموا أنهم قد هربوا وللنجاة طلبوا فأقام الامير عبد الوهاب مكانه ولم يتبعهم وقد أنفذ ثلاثة من أصحابه يأمر الامير ظالم بالحضور هو والعساكر ويدع على حرص الحصن أبطال قلوبها حواضر وقد أقام فى الانتظار وأما المشركين فانهم لما انهزموا ورجعوا منهزمين جمعوا العساكر وتجهزوا للحرب من كان فى الرستاق حاضر وقد ضربت طبول الروم وكان يومهم يوم مهول وقد خرج فى مائة ألف مقاتل ثم انه طلب أخيه شملوخ وقال له يا أخى كن لنا طليعة على القوم وخذ معك عشرين ألف فارس من الفرسان المعروفة والأبطال الموصوفة وأصدم القوم وارجع الى بهم فى هذا اليوم فقال شملوخ سمعا وطاعة ثم انه أقبل على العساكر وصار ينتخب منها فرسانها وشجعانها الذين يعرفهم أنهم من أهل الحرب والوقائع حتى انتخب عشرين ألف بطل وكل واحد منهم عليه لامة حربه وقد اشتمل وودع أخيه وسار ولم يزل سائر حتى أشرف على المسلمين فثار غبارهم ونما فقالت الأميرة ذات الهمة يا ابنى هذا غبار قد أقبل علينا يدل على عسكر جرار ونحن هنا لأبطال الموحدين فى الانتظار ومعنا من التعب والنصب والكثرة اذا زادت تبطل عندها الفروسية واعلم أن خيولنا غالبها جرحت وأبطالها شطبت (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب كلامها وما أبدته من مرامها قال لها فماذا تشيرى به علينا فقالت من الرأى عندى أن نقصد هذا الجبل ونسند ظهورنا اليه ونبارزهم لعلنا نطاولهم إلى أن تأتى عساكرنا ويبلغنا الله ما نريد من مرادنا فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم انه ركب لوقته وأوصل إلى الجبل ثقله وجعلها فى مغائر فى الجبل من خلف ظهره هذا وقد أدركهم شملوخ بعساكر مستريحه على خيول سليمه غير جريحه فوجد الامير عبد الوهاب طلب الجبل لما أعيته الحيل ففرح الملعون وكان قدومه آخر النهار فلم يتعرض للقتال ولا لحرب ولا لنزال بقية نهاره وليلته (قال الراوى) فلما برق ضياء الفجر وطلع الصباح أدعا شملوخ ببطريق يقال له هجرس وكان مقدما على ألف بطل وامرهم ان يصعدوا من جبل الى جبل وينزلوا على المغائر التى خلف الامير عبد الوهاب من منافذها ثم تسيروا الحرب فيها ويركب هو ويدهمهم من قبالها فما يصبح الصباح الا والأرض من المسلمين خاليه (قال الراوى) وقد كانت تلك المغائر التى من خلف الامير عبد الوهاب كبار واسعة ولها منافذ من الجبل والروم تعرفها والمسلمين لاخبرة لهم بها فامتثل هجرس بما امره به واخذ القوم معه وصعد الجبل ومن منافذ المغائر عند المسلمين حصل وقد مكنوا الخناجر من الحناجر وكانت الأمراء فى تلك الساعة هجموا واقاموا على الحرس مثل الاميره ذات الهمه والملكه ميمونة وولدها بحرون وابو الهزاهز وملابط البغال

وميمون الجاس ومالك بن طول وراشد بن ضمره والاميره غمرة وابوه عطارد فبينماهم في الحرس اذ سمعوا ضجة الروم فقالت الأميره سيروا ولا تفترقوا إلى ان تقاربوهم فان كانوا عولوا على كبسة أصحابنا رجعنا اليهم وأعلمناهم وان كانوا نيام أيقظناهم فساروا وقد أشرفوا على الروم فوجدوهم ركبوا وللمسلمين طلبوا فقالت الاميره ذات الهمه ارجعوا إلى أصحابنا فهذا الذى قد حسبناه وقد عولوا على الغدر وهموا ان يرجعوا اذ سمعوا الصياح من وراء ظهورهم والسيف يعمل فى أصحابهم وقد سمع شملوخ الصياح من فأجابهم وحمل يطلبهم فقالت الاميره ذات الهمه كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هلكوا والله أصحابنا وهلكنا معهم ولكن اطلبوا بنا الجبل حتى نكشف هذا الخبر فقال بحرون ماهذا صواب فقالوا له فما يكون عندك من الرأى نختلط بهم ونمكن سيوفنا فيهم فعند ذلك حملوا عليهم وقد ضربوا بالسيوف فيهم وقطعوا رقابا وعلاصما وأوداجا وأنوف وسقوا الروم كاس الحتوف (قال الراوى) ياساده ياكرام فقتل من المسلمين عشرين وأسر واثلاثة وأربعين وألصقوا ظهورهم إلى الجبل وقاتلوا قتال الموت لما أعيتهم الحيل فسمع بحرون صوت شملوخ وهو يحرض الروم على القتال فقصده وقد تبعته أمه ميمونه فأمكنهم الله منه وقد وجدوه فحملوا عليه وضايقوه وصاح بحرون فى وجهه أدهشه ومديده إلى جلباب درعه فقبضه وجذبه أقلعه من بحر سرجه أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسمع الامير عبد الوهاب صيحة بحرون ولده لما صاح فى شملوخ فعرف صياحه وقصده فوجده أخذ خصمه وهو خارج به من المعمعه فعاونه وساعده وكان الصباح قريب فلما لاح واسفر وشملوخ فقد من العسكر وهو بين الامراء أسير وقد جردت الاميره سيفها وقالت وحق من فالق الحبه وبرى النسمه وتردى بالعظمه اثن لم تأمر أصحابك يكفوا عن القتال ويرجعوا عن الحرب والنزال لآخذن رأسك وأخمد أنفاسك فلما رأى الجد منها صاح على قومه فرجعوا عن القتال وانتهوا عن النزال ونظر شملوخ إلى روحه وهو أسير حقير مع المسلمين ذليل فقال لها أيتها الاميره هل لكى ان تطلقى أصحابك وتطلقينى فقالت له وتطلق أبى محمد والمأسورين الذين عندكم والاسير الذى من قبل فقال اماماذكرتى فليس هم فى حكمى وانماهم فى قبضة أخى شادلوخ وان قتلتونى قتل أخى أصحابكم ويفوتكم مطلوبكم فقالت له الأميرة اطلق لنا أصحابنا ونحن نطلقك ونرجو من الله الظفر بك

(قال الراوى) فعندها أرسل الى الروم فاطلقوا من عندهم من المسلمين وكذلك المسلمين أطلقوا الملك شملوخ فما هو الا أن وصل الى أصحابه فغدر وعاد الى الحرب والقتال فقاتلوهم المسلمين قتالا عظيما وكانوا قد كسبوا من الروم خيولا فركبوها وأسلحة

اعتقلوها الى أن أمسى المسا وافترقت كل طائفة عن حربها ورجعت الى مستقرها وقد عاينوا المسلمين الموت عيانا وهم لا يلوون الى الهزيمة ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وسلمت الشمس على زين الملاح ركبوا المسلمين وطمعوا فيهم الكفرة اللئام وظنوا ان ياخذوهم بعد أن يثخنوهم بالجراح فبينما هم كذلك وإذا هم بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وانكشف الغبار وبان عن عساكر اسلامية ومعهم الامير سيف الحنيفية وكان طلبه للعسكر فى عشرة آلاف فارس ولما أشرف عليهم وجد الحرب قائم فصاح وحمل وحملت أصحابه وفى دون ساعة عملت الصوارم وقطعت الارواح والعلاصم فانهزم شملوخ ومن معه من قومه فأخذ الامير العساكر وتبعهم الى أن أشرف على الحصن وسمع المعتصم السير فأيقن بالفرج وكذلك البطال ولما نزل الامير قال ياقوم أنتم تعلمون انى مقدم عليكم وأمرى فيكم نافذ فأنا أشهدكم على انى من اليوم أكون كواحد منكم والمقدم على بنى كلاب من اليوم يكون بحرون فما أنتم قائلون فقالوا أيها الامير رضينا بما تقول وقالت اخوته كذلك وكان قد قصد الامير عبد الوهاب ان يستميل قلب بحرون حتى يدخل إلى دين الاسلام ويترك دينه الا انه تعود بالمملكة وانقياد العساكر ولا يسهل به بعد أن يكون أميرا يصير مأمور عليه وكان مالكا يكون مملوكا وقد باتو على ذلك ولما طلع الصباح من شملوخ أرسل رسولا الى بحرون يقول له أيها الملك ما الذى أقدمك علينا فقال بحرون نحن ما دخلنا الى أرضكم إلا لاجل من عندكم فى الاسر والاعتقال فان أراد صاحبكم رحيلنا فيسلم من عنده الينا فرجع الرسول الى عند الملك وأعلمه بما قال بحرون فغضب وأمر الناس بالحملة فحملوا على المسلمين فحملت المسلمين عليهم فما كانت إلا ساعة حتى ولت الروم الادبار وعبروا الى القلعة ونظر الامير عبد الوهاب ان ماله وصول اليها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبى محمد البطال فانه سمع حس العسكر ففرح فاخرج مبردكان معه فبرد به قيده وقيد ولده ومن معه ونقبوا المطمورة وخرجوا من جانب القصر وغطوا النقب وطلبوا الباب فلم يجدوا لهم وصول وكان فى تلك الليلة الذى نزل فيها الامير عبد الوهاب فرجع بهم الامير أبى محمد من حيث أتى وهو متحير فيما يفعل فقال مذبحون ياأبتى انزل الى العسكر وعرفهم اننا خلصنا وان أردنا ان نقطع رأس شادلوخ فعلنا وان أرادوا الصعود الينا بالحبال فعلنا وقدرنا فقال البطال ياولدى من أين لنا قدرة على النزول فقال له سوف تنظر العجب ثم أتى الى جانب الصور وأخذ فى يده حجرا وانخرط به من الصور فصار على الارض فتعجب أبوه من ذلك وقصد سرادق عبد الوهاب ودخل عليه ففرح به وقص

عليه القصة والتفت فنظر بحرون فقبل يده فسألهم عنه فاخبره الامير أنه ظهر ولده ففرح مذبحون وقال الحمد لله رب العالمين وقال أيها الملك بقى من تمام السعادة ان تسلم فقال الامير ماهذا وقت كلام ولكن فبما ذا أتيت فقال مذبحون ينتدب منكم عشرة رجال حتى أصعدبهم بالحبال فقال الامير من يكون لها فقال بحرون أنا ونهضت ميمونة والامير وأبو الهزاهز وغمزة وبرد بن الازهر ومالك بن طوق وملابط البغال وتمام العشرة فقال الامير أنتم لها ولكن الاميرة مدبرة العسكر فاذا جرى علينا أمر تعمل على خلاصنا ويكون عوض عنها سيف الحنيفية فأجابته إلى ذلك وخرجت العشرة ومعهم الحبال وساروا إلى أن وصلوا إلى الصور الذى نزل منه مذبحون فنظر الأمير إلى ذلك المكان فقال ما يقدر يطلع من هذا الاشمهورش ملك الجان فقال مذبحون أنا أصعد منه فقال الأمير وكيف تقدر فقال سوف ترى ثم انه أخرج ذيبق كان معه ودهن يديه وأخذ طرف الحبل فى وسطه وأخرج سكين وشد وسطه وصار يغرزها بين الحجارة ويصعد عليها إلى أن وصل إلى أعلا الصور فقال الأمير عاشرنا أباه زمن الشباب فما فعل هذا ثم انه رمى الحبل فى شراريف القصر وقواه ونزل إلى الارض واجتمع بأباه فعانقته وحرك الحبل فعرف الامير فشد وسطه ورفعه ثم رفعوا الكل فقال الامير ارفعوا أصواتكم بالتكبير فقال مذبحون أيها الاميرعندى رأى فقال الامير وما هو فقال أمضى إلى شملوخ وآتيكم برأسه فقال الامير ان قدرت فافعل فمضى مذبحون وأباه معه إلى أن وصل إلى باب القصر فوجده مغلوق فقال أباه ارجع فقال مذبحون اصبر ثم تقدم الى ركن من الدار وصعد منه فأشرف على الملك فوجده جالس بين حريمه وهو يشرب الخمر حتى أخذ من الخمر كفايته ومال على فراشه وتفرقت النساء فنزل مذبحون وبرك على صدره وقتله ورجع الى أبيه وأرمى اليه رأس الملك فقال أباه الله أكبر فأجابوه الامراء بالتكبير وقد انزعج الحصن بما فيه ولم يزل السيف يعمل الى الصباح فلما رأوا الروم ذلك فقالوا لبعضهم افتحوا الباب واطلبوا النجاه ففتحوا الباب فوجدوا الاميرة وضعت فيهم السيف فولوا الادبار ودخلت الاميرة الى الحصن وبعد ذلك أرسلوا الى شادلوخ يطلبوا منه الاسير الذى عنده فأرسل يقول مهما فى أيديكم افعلوه فلما سمع الامير كلامه زحف الى حصنه ونزل عليه وكل يوم يتقاتلون فبينما هم كذلك واذا بسهم نزل عليه وفيه كتاب فاخذه بعض الابطال وأتى به الى الامير فاخذه الامير وقرأ واذا هو بخط أمير المؤمنين .

﴿ تم الجزء الثالث والاربعون ويليه الجزء الرابع والاربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الرابع والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الكتاب أن المعتصم لما كان فى السجن كان يستأنس بقراءة القرآن وكان الى شادلوخ بنت يقال لها مريمان وكان قصرها قريبا من المعتصم فلما أرسل الأمير يطلب المعتصم فقالت مريمان لجوارها ماهذا الأسير الذى عندنا إلا رفيع القدر وإننى أريد أنظره فقالوا لها الجوار مانقدر على ذلك الا أن كان فى الليل فلما جاء الليل وثبت مريمان ومعها عشرة جوار وقصدت إلى السجن وأمرت السجان أن يفتح الباب ففتحه ودخلت على المعتصم فأنكر أمرها فتقدمت اليه وقالت له يامسلم بحق دينك من تكون فقال لها أنا خليفة المسلمين فقالت إذا خلصتك تأخذنى معك إلى بلادك فقال لها نعم فقالت اكتب إلى المسلمين كتاب واطلب أمرائهم واطلب البطال وأن يأتوا ليلة غد حتى أفتح لهم الباب ويملكون الحصن ففعل المعتصم ذلك وكتب الكتاب فأخذته وصبرت إلى النهار وأرمته إلى المسلمين فى سهم نشاب فاوصلوه إلى الأمير فلما قرأه الأمير فرح وصبر إلى الليل وانتخب الأبطال وقصد باب الحصن وكان ذلك من بنت الملك خديعة والسبب فى ذلك انها قصدت إلى أبيها وقالت له اننى أراك فى خوف عظيم فقال لها وكيف لايكون ذلك وقد أخذوا حصن عمك وقتلوا الرجال كل ذلك لأجل الأسير الذى عندى فقالت نقطع رأسه ونرميها لهم فقال وهذا صواب فقالت فما قوالك فيمن يسلم اليك أمرائهم فقال لها وكيف ذلك فقالت اعلم اننى قد

عولت أن أدخل إلى هذا المسلم الماسور وأخليه أن يكتب منه الى المسلمين كتاب وتكون أنت قد أكمنت بعشرة آلاف فاذا حصلوا هؤلاء عندى يخرجوا عليهم ويقبضوهم فقال لها أبوها افعلى ذلك فدخلت على المعتصم واستكتبت الكتاب وأوصلته الى المسلمين فى السهم النشاب وجاؤا فى الليل ووقف الأمير على الباب فهذا ما كان من هؤلاء

(وأما ما كان) من الجارية مريمان فانها دخلت على المعتصم وفكت قيده وأخذت معها من الجوار أربعة وأخذت المفاتيح من البواب من تحت رأسه وهو ساكت لم يتكلم وفتحت الباب وقالت للمعتصم اخرج إلى أصحابك وأمرهم بالدخول ففرح المعتصم وخرج اليهم فلما نظروه وقبلوا الأرض فقال لهم ادخلوا فدخلوا فلما دخلوا قال الأمير لأصحابه يقف ههنا عشرة فما ندرى مايكون فهو معهم فى الكلام واذا بالمشط قد نزل عليهم فقال الامير تمت علينا الحيلة فقال المعتصم ما أظن هذا أبدا فقال الامير أنت ماتعرف مكر بنات الروم فأين هى وما واعدتك فقال عند الباب الثانى فقصدوه فرأوه مغلوق وقد صاروا بين الابواب والروم طالين عليهم من فوق الابراج والاصوار وقد عولوا أن يرموهم بالاحجار فامهلوهم الى الصباح وأما الملك بحرون ومن معه لما طال عليه المطال وأبطاء عليه خبر الامراء أقبل على أصحابه وقال وحق المسيح لقد رابنى أمرهم ان تكون حيلة قد تمت عليهم وأما أبو محمد البطال وولده فإنه كان مع المائة فقال اعلم يابنى اننا وقعنا فاعمل على خلاصنا والا ان طلع علينا النهار هلكنا فعند ذلك غطس مذبحون من بينهم وما حسوا به الا وهو من الصور قد أشرف عليهم وتقدم الى البطريق الحارس الى المشط فذبحه وتخطى فأشرف على الملك فوجده جالس على كرسى وبنته بجانبه والبطارقة حوله حتى أقبل على أرباب دولته وقال فماذا تشيرون فقالوا جماعة نتركهم بين الابواب وقالت جماعة نقتلهم فلما سمع مذبحون وهم يترددون فى ذلك فهو كذلك اذ أقبل علج من الروم ومعه مفاتيح فطرحها قدام الملك وقال له هذه مفاتيح الابواب كلها فقال الملك الى بطريق خذ هذه المفاتيح اليك حتى أطلبهم فأخذهم وصعد الى طاقة فوق الصور وقد وضعهم فيها ومذبحون يراه ونزل البطريق فنهض مذبحون وأخذ المفاتيح وفتح القفل ونزل من المكان الذى نزل منه البطريق فوجد الروم من فرحتهم مشغولين فقصد الباب وفتحه فوجد الامراء واقفين من خلفه فأرادوا أن يصيحوا فقال مذبحون لا تعجلوا لئلا يجتمعوا الروم عليكم فتقتلوا فقالوا وما نفعل فقال تقصدوا البرج الذى صعد فيه الملك وابنته فقال المعتصم لعنها الله وسلط عليها السودان فقال أبو الهزاهز يامولاى هذه الدعوى أجيبت فقال الامير عبد الوهاب

لا تقصدوا الا الملك لأننا إذا أخذناه انحلت عزائمهم وملكنا البرج الذى على الباب وإذا أردنا رفعنا المشط ودخلت الينا أصحابنا فدخل مذبحون ومعه الرجال ثم انهم ساروا وهم سكوت إلى أن بقوا قريبا من الملك وإذا به جالس والشموع بين يديه وصعد مذبحون إلى البرج ومعه أربعين وفيهم الأميرة حتى صار مع الملك ونظروا اليهم فقالت حراس البطارقة من هؤلاء. فقالت الاميرة نحن مسلمون وعاجلت الملك وضربته فقتلته وقد وقع بالروم الخذلان وأما مذبحون فانه أخذ أبو الهزاهز وسار الى البرج الثانى فوصل الى البواب المقتول والباب المقفول فرأى مقابض المشط وله لوالب مصنوعة إذا دارها طول ارتفع المشط فحركوا اللوالب فارتفع سريعا وقد انفتح الباب فصاحوا على المسلمين الا وأن الباب قد انفتح فدخلوا ولم يبق من الروم ديار وأخذوا مريسان وقد جمعت الغنائم فى عشرة أيام وقد رحل الامير وقلبه على العسكر فلما وصلوا اليهم ضم الامير ما فى القلعة وكانت مرجانة قد سبقتهم وأعدت لهم الضيافات وان المعتصم لما نزل فى القصر جمع أرباب الدوله والفقهاء والقضاة وقال لهم انى قد عولت أن أتزوج بهذه الملكة مرجانة فقالوا له نعم مارأيت وإنك تستاهل ذلك فلما سمع المعتصم قولهم شكرهم على ذلك وان البطال لما دخل الى عمودا لم يكن له سؤال الا على عقبة فلما نظره البطال فقال له عقبة ويلك وأنتم سالمين فقال نعم وما بقى غير صلبك أنت وشومدرس اللعين فقال عقبة وأين كانت هذه الغيبة فقال له البطال اعلم أيها الضال إننا قد ملكنا قلعة المريخ وسرنا فى طلب المعتصم وملكنا حصن شادلوخ وحصن شملوخ أخيه فقال عقبة وحق المسيح لقد وصلتم الى موضع ماتقدر الشياطين عليه ثم انه تنهد وقال ان دين النصرانية قد ذهب وغضب عليهم المسيح لانه ماينصرهم ومارأيت منه نصر أبدا فبالله عليكم عجلوا بصلبي فما بقى فى حياتى فائدة فضحك البطال وقال له ابشر ومده وضربه حتى نزل لحمه عن عظمه وفعل بشومدرس كذلك وان مذبحون بات عند بحرون فرآه فى أسوأ حال فقال له أيها الملك أعلمنى بحالك فقال له اعلم انى هائم بمرجانه وقد عول المعتصم على أخذها منى وأنا ما كنت بالذى اتبع أبى بعدها فقال له مذبحون ها أنا خارج إلى أبى وأتحدث معه ثم انه مضى وأخبر أبيه بذلك فقال البطال أعوذ بالله من هذه النوبة ما أصعبها وانها تكون مثل نوبة أمك نورى فى الذى جرى لها ثم انه قام ودخل على الأمير عبد الوهاب وأعاد عليه ماجرى فقال الأمير أبو محمد فلعل أن يكون ذلك سبب إسلامه وأنا أقول للمعتصم أن يوهبها وما أقول أن يردنى خائب فقالت ميمونة ولو ردك ما سمعنا منه (قال الراوى) يا سادة فبلغ المعتصم ما جرى من الأمير

عبد الوهاب فدعاهم اليه وقال لهم إنه بلغنى ما هو كذا وكذا وأنا أقول لكم إذا أسلم فهى له وإن أبى فهذا لا يكون ان نفعله فقالوا له يامولانا احضره لحضر فأعرضوا عليه الإسلام فابى وان المعتصم قال ما بقى لكم على كلام ثم انه خطب الجارية من نفسها وقال لها الدخول عليكى يكون فى بغداد (قال الراوى) وبعد ذلك جرى ذكر عقبة وتعهدت الناس عنه إلى المعتصم بكفره وكانت الشهود المائة بطريق الذين أسلموا مع مرجانة فصدقهم المعتصم واستقر الحال على صلبه ثم انهم تجهزوا للمسير وساروا وقد حملوا عقبة على جمل وشومدرس وأنفذ الأمير من ياتيه بالخشبة من حصن نافع هذا وان بحرون لما نظر الى عقبة على تلك الحالة وانهم يريدوا أن يصلبوه لأجل دين النصرانية فعظم ذلك عليه ورق قلبه فصبر الى الليل وعول على قطع الجمل وعلى سرقته

(قال الراوى) هذا وان البطال لم يخف عليه ذلك فدنى من الأمير عبد الوهاب وأعلمه فقال له لا تقول فى حق ولدى هذا فانه ما يفعل فقالت ميمونة الضمان على أنا أتوكل بعقبة فسمع بحرون بذلك فعول على قتلها وسرقه عقبة ثم قال فى نفسه حتى أعرض عليها ما فى قلبى فان وافقتنى فهو الذى أريد والا قتلتها ثم انه دنا منها وقال لها يا أماه اعلمى أن لى اليك حاجة فقالت له يا بنى مهما أردت قوللى وما هي حاجتك فعند ذلك أشكى لها نار الهوى وقال ان لم أصل اليها والا أنا هالك وهذه على كل حال والدته ومالها ولد غيره فقالت له يابنى اعلم أنك فى بلاد المسلمين ماتقدر على أخذها ولكن اصبر حتى أقول لك ثم انها أدعت ببعض السودان وشكت لهم حال ولدها وما أرادت أن تفعل فقالوا لها نحن كلنا بين يديك فما الذى تريدين فقالت لهم نخلص عقبة وننال به عند ملك الروم المنزلة العظيمة ونهجم على مرجانه وناخذها ونطلب الى بلاد الروم ونحن على ديننا وفى أى مكان كنا أكلنا خبزنا بقوائم سيوفنا فقالوا افعلى ما بدا لك (قال الراوى) فعند ذلك أفسدت أربعة آلاف أسود وأخبرت بحرون فقوى عزمه على ما أراد وما زالوا سائرين مدة خمسة أيام فلقاهم الجاسوس فاخبرهم ان ميخائيل قد مات وأنه خرج من الجزائر القصوى ملك يقال له ارمانوس الاكحل وهو من المكحله ومعه سبعمائة ألف طوال الاجسام كبار الهندام سود الأحداق كبار الآماق ونزل بعسكره على القسطنطينية فقاتله من فيها من المسلمين ثم ان الروم نقبوا نقبا لا تقدر أن تنقبه الجن وان المسلمين خافوا من ذلك فصالحوهم على الخروج من البلد بكلما غنموا من الأموال فأجابوهم الى ذلك وخرجوا بما معهم من الأموال فغدر بهم الملك ارمانوس وعطف عليهم وأن الأمر عظيم فعظم ذلك على المسلمين وأما بحرون فأعجبه ذلك وكذلك ميمونه وغلمانها وعقبة

بعد ما كان أيقن بحتفه فقال بحرون الآن جاءنا الأمر كما نشتهى ونريد

(قال الراوى) وكان السبب فى غدر ارمانوس الاكحل بالمسلمين لما أمنهم أن يخرجوا بأولادهم فصاحت عوام الروم وقالوا ما ندخل البلد حتى تأتينا اذن بان نلحق المسلمين ثم نقتلهم أجمعين ولو دخلوا بلادهم فلما سمع ذلك قال لهم افعلوا ما بدا لكم فتجرد بطريق يقال له منطالوس صاحب جزيرة أريس فى خمسين ألف وسار خلفهم يقطع الأرض فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك جد فى المسير خوفا على المسلمين حتى صار بينه وبين القسطنطينية ثلاثة أيام وقد ذكرنا ما عول عليه بحرون وقالت له أمه اصبر يابنى حتى تقرب من القسطنطينية ونفعل ما نريد وانهم لما قربوا من مفرق الطرق خلصوا عقبة فى ظلام الليل وسارت ميمونة الى خيمة مرجانة وقالت لقد ضاق صدرى وقد عولت على الحديث عندك فتحادثا وعلى كل حال ميمونه سودا وقالت لمرجانه على قصة ولدها وماهو عليه من الغرام فقالت لها أمير المؤمنين قبل ان يتزوج بى قال لولدك أسلم فأبى ولا تكن المسلمين تحت الكافرين أبدا فلما سمعت ميمونه ذلك علمت ان مافى قلبها من ولدها شىء وان ولدها أشرف على الهلاك من الهوى والغرام وقد قال القائل اسود وعاقل مصيبه نازله ثم انها أقامت عندها إلى نصف الليل فنامت مرجانه فعندها بركت على صدرها وقد وضعت الاكره فى فمها وشدت يديها إلى رجليها وحملها وقد نامت الخدم وخرجت بها ووصلت إلى بحرون فطار قلبه من الفرح ثم انه ركب وركبت ميمونة وسودانها وأخذوا عقبة رشو مدرس وقالوا هؤلاء نأخذ عند الملك اليد البيضاء وساروا ومن كثرة العساكر لم يعبأ بهم أحد فلما ان كان وقت السحر وقع الرحيل فدخلت الخدم إلى مرجانة فلم يجدوها فعظم الصياح ووصل الخبر إلى المعتصم وعظم عليه فأدعى بالأمير عبدالوهاب وقال أقسم بالله ان عدمت هذه الجارية ماطالبت بها غيرك لكن ماتعلم انها زوجتى ومن أخذها فقد سبا حرمتى فحلف له الأمير بالطلاق الثلاث من نسائه الثلاث وعتق مماليكه ان ماعنده من هذا الأمر خبر ثم ادعى بالبطال وقال له امضى إلى بحرون وانظر خبره فسار البطال إلى الجانب الذى فيه بحرون وميمونة فما رأوا لهم خبر ووجد الدنيا منهم بلاقع وقد تخلف من سودانها أربعة آلاف فلما رآهم البطال سألهم عن ميمونة فأعادوا عليه القصة من أولها إلى آخرها فعظم عليه وعاد وأعلم الأمير عبدالوهاب بذلك والمعتصم فقامت عليهما القيامة ثم ان المعتصم أدعى بظالم وقال وحق اتصالى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن أتيتنى بها لأعطيك أى اقليم شئت فقال له سمعا وطاعة وما أقول ان ميمونة تضرب فى وجهى بالسيف وانما مافعلت هذه الفعال إلا حتى لا يبقى لبحرون

عليها مقال ثم انه سار على الخيل العتاق (قال الراوى) وكانت العرب قد تشوشوا على أهاليهم فرحلواهم والسودان طول ليلتهم إلى الصباح وقد بقى بينهم وبين القسطنطينية يوم واحد فأدركوا ميمونة على عين الناسوت ففرح الأمير ظالم وقال هذا يوم الانفصال لأن ميمونة لاتتعرض لى بقتال وكذلك ميمونة لما نظرت إلى ظالم صارت تتميز قوائم الخيل فقالت لقومها هذا ظالم قد لحقكم ولاشك ان فيهم عبدالوهاب أو أحد من أولاده فقال بحرون ما انفكر بهم ولو انفردت وحدى بهم أشتتهم ولو كانوا أضعاف ذلك ولو كان أبى رددته خائب ثم انه ركب وركبت ميمونة والأربعة آلاف الذين معها من السودان فلما نظر ظالم اليهم وقد تأهبوا للقتال أقبل على بنى كلاب وقال لهم اعلموا أن بحرون فارس لا يطاق وكذلك ميمونة ومعها أربعة آلاف أسود وما يحملون علينا إلا ونلقى منهم أمرا عظيما وأخاف عليكم منهم فاسمعوا ما أقوله لكم فان كان صواب فافعلوه وإن كان غير ذلك فالرأى لكم فقالوا له وماذاك فقال لهم اعلموا أن الرأى عندى ان تظهرون لهم الفرح وتترجلوا لهم وتسلموا عليهم وعلى الملك بحرون على ميمونة وتقولوا لها لقد أظلمت الدنيا علينا وعلى الأمير لفراقكم وتزعزع جيش الإسلام وقامت المسلمين على المسلمين وقالوا لقد أسأنا المعاملة مع الملكة ميمونة وولدها بحرون وما لها صبر على فقده ومن أجل جارية رومية تغيظوه وكم لأمير المؤمنين مثلها والآن فقد غصبت ميمونة وأخذت ولدها وعبيدها فقال الأمير سيروا بنا ندخل على المعتصم ونعرفه بذلك والآن ان صاروا فى القسطنطينية صعب علينا أمرهم وكان المعتصم علم بأخذ الجارية فقامت عليه القيامة وأقام فى موضعه وقال ما أرحل حتى تكشفوا لى خبر الجارية فهو كذلك إذ دخل عليه الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب وقد بكا الأمير بين يديه وقال له يامولانا من أجل هذه الجارية يروح ولدى وزوجى وأربعة آلاف أسود مجاهدين فى سبيل الله فلما سمع المعتصم ذلك أطرق رأسه إلى الأرض ثم قال أقسم بالله لا أكسرن قلبك أيها الامير ولو مت بحبها ثم انه نجز طلاقها وقد أشرط على الامير ان تكون الجارية عنده وفى داره لا يصل اليها بحرون حتى يسلم وترضى به فيكون ذلك اليه فلما سمع الامير ذلك منه ادعى بولده ظالم وضم اليه عشرة آلاف فارس وها نحن وصلنا اليكم ولولا قلب الامير اشتغل بالعسكر الروم التى لحقته من بلد القسطنطينية وإلا كان سار معنا فاذا سمعوا ذلك اطمأنوا وساروا معنا حتى نرميهم فى وسط عساكر المسلمين فينطبقون عليهم من كل جانب ومكان وان لم نفعل ذلك والا ما نقدر عليهم فقالوا له هذا هو الصواب ثم انهم ساروا ودخلوا على بحرون وقد ترجلوا للقاهم وقد أعاد عليهم ظالم ماذكرنا (قال الراوى) فلما سمع بحرون كلامه فرح

فرحا عظيم ثم انه قال نحن نفعل ذلك ولكنني قد عوات ان أترك هذا الشيخ الضعيف يمضى إلى حال سبيله ويكون لى الثواب فى ذلك فقالت ميمونة وقد تمت عليها حيلة ظالم لا بنها لا تطلق هذا فيفسد بينك وبين أبيك لان هذا الشيخ له فى جسد أبيك من الضرب وكم مره عمل على هلاكه والله تعالى ينصره عليه (قال الراوى) هذا وعقبة سمع ما يقولون فلما سمع بحرون ذلك قال لها سمعا وطاعة وكان ذلك من حيله ومكره فصبر الى الليل وسير عقبة وشومدرس على بغلين وهو يدعوله وكان ظالم لما وصل ونظر عقبة وهو عند بحرون على غاية الاكرام أقبل على بنى كلاب وقال لهم اعلموا ان هذا الشيطان عقبة قد أحسن اليه بحرون وقد سمعتم قوله انه يريد أن يطلقه فينفرد منكم عشرة ويرقبوه لأنه سيطلق عقبة لأننى أرى الغدر بين عينيه ولا شك أنه يريد الغفلة ويطلقه والرأى عندى فتى أطلقه هو وشومدرس حتى إذا بعدوا عن العسكر خذوهم فقالوا سمعا وطاعة ثم انه انفرد الأمير راشد بن ضمرة فى عشرة ولما أطلق بحرون عقبة وشومدرس الا وراشد بن ضمرة وأصحابه شاهدون ذلك وساروا خلفهما (قال الراوى) وإن عقبة قطع الأرض إلى الصباح ونزل هو وشومدرس إلى جانب صومعة منحيه عن الطريق فقال راشد ترجلوا واطلبوهم بنا رجاله حتى نسمع إلى ما يقولون وإذا بعقبة وهو يقول لشومدرس وحق المسيح يا أبى الشر ما طمعت فى الحياة إلا فى هذه الساعة فقال شومدرس ما هذا الكلام فوحق المسيح ما آمن على روحى إلا إذا صرت فى القسطنطينية فقال عقبة ما بقى خوف سوف أدخل إلى القسطنطينية لهذا الملك أرمانوس الذى كنا نسمع يذكره فى الملاحم انه سوف يخرج ويملك بلاد الإسلام ولقد كنت معولا إذا أدخلت إلى الجزائر القصوى أدخل عليه اهل أن يكشف هذه الغمة عن النصرانية والآن قد فرج المسيح عنى وسوف ترى ما أصنع فى هذه النوبة فهو مع شومدرس فى ذلك الكلام إذ صاح به راشد بن ضمرة يا عدو الله كيف تنجوا ونحن خلفك ثم انه قد هجم عليه وضربه على أجنابه حتى غمى عليه وشد يديه الى رجليه ولطم قمته ونتف لحيته وكذلك فعل بشومدرس ثم دفعهما على بغليهما وهما لا يعقلان من شدة الضرب ثم أخذوهما وساروا وقد استقاموا على الطريق وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا الى مرج الذئب

(قال الراوى) فبينماهم سائرين واذا قد لاحت لهم غبرة ملأت الأفق ثم انكشفت عن ثمانمائة فارس بالأتراس والحراب وكانت هذه سرية من أصحاب الملك ارمانوس والمقدم عليهم بجلبونا بن توما وكان جبار من الجبابرة وكان الملك أرسله ليكشف خبر المسلمين لأن أهل بلد القسطنطينية أخبروه بخبر المعتصم وخبر الأمير عبد الوهاب وما صنعوا فى بلاد الروم فادعى بهذا البطريق بجلبونا وقال له خذ معك من أردت واقصد

عسكر المسلمين وارجعوا برؤسهم أجمعين فقال مجلبونا وحق المسيح مايسير الى المسلمين غيري وحدي ولو كانوا المسلمين بعدد التراب ثم سار يقطع الأرض حتى أشرف على راشد بن ضمرة ومعه العشرة وعقبة وشومدرس أسارى فصاح بهم مجلبونا من أنتم فقال راشد لأصحابه هذا مالم يكن فى الحساب واليوم يوم الطعان والضراب ولما سألوه الروم أعلمهم أنهم من أصحاب أرمانوس فقال لهم نحن من أصحاب حرب بن شيبان مقدم متنصرة العرب فقال عقبة يكذب هــذا من المسلمين فلما سمع البطريق كلام عقبة صاح خذوهم وصاح عقبة ياراشد جاك البلا الذى مالك منه ملجأ فلما سمع راشد كلام عقبة كشف رأسه وانتخى نخوة العرب الجياد وصاح ويلك ياعقبة ورب الكعبة صاحب زمزم والحطيم لابد ما أرمى روحى عليهم واذا أتى فى مالا أطيق أخذت رأسك ولا أتركك تعيش من بعدى (قال الراوى) ثم حمل على الروم ولم يزل يضرب فيهم بالحسام ويقتل من الروم حتى أنه قتل ثلاثين وقد قتل من المسلمين ثلاثة وأسر ستة ولم يبق غير راشد ولم يبق له معين ولا مساعد غير الرب الواحد هذا وقد عجب البطريق وقال امسكوا عنه وحق المسيح انه بطل مليح ولاشك أنه أمير المسلمين ثم دنا منه وقال له يامسلم أنت أمــير المسلمين فقال لا ولكن أنا غلامه فقال له ما بقى لك الى النجاة من سبيل فسلم نفسك حتى أصطفيك لنفسى وحق المسيح لقد عجبتنى فى قتالك فقال له الامير راشد ياملعون هذا مالا يكون فقال له وحق المسيح انى أخشى الفضيحة أن يقال مجلبونا خرج الى بعض فرسان العرب وهذا على عار لانى أدخرنفسى لامير المسلمين ثم صاح بقومه ياويلكم قطعوه فحملوا عليه وحمل فيهم الامير راشد وقد توكل على ربه الواحد ثم أنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

ألا مبلغا عنى الامير المسددا ... بأنى قد أصبحت فى الحرب مفردا
وقد أسروا صحبى وقمت بجمعهم ... ولا شك أن الله لى مساعــدا
ومالى عون غير توحيد خالق ... وأن شفيعى فى الورى هو أحمدا
فصلى عليه يا إلهى وصحبــه ... اذا صاح قمرى على الايك غردا

(قال الراوى) وحملت عليه الرجال وهو يجول فيهم كأنه الأسد الريبال وقد مالت عليه البطارقة وبعضهم مضوا الى عقبه وشومدرس وأطلقوهم هذا وقد قتل راشد ابن ضمرة من الروم مائة وثمانين فتحايدته الفرسان وكان يومهم معه طويل ولما جن الليل ارتقى راشد الى بعض الروابى وقد عظم على البطريق أمره وقال لاصحابة احفظوه من الهرب وأنا أخرج اليه فى غداة غد وآخذه أسير فصاروا يرقبوه الى أن برق ضياء الفجر

ثم ركب وقبل جواده بين عينيه وكان اسمه برق اليمانى لانه حمل اليه من بلاد اليمن وكان كريم النسب صبورعلى الجوع والظمأ والتعب فقال له فى أذنيه يابرق بحرمة الصحابة الاماوافقتنى على هذه النوبة الصعبة وصبرت معى على الجهاد فى سبيل الله ثم قبله بين عينيه ثانيا وقد استوى بعد ذلك على ظهره وهو يقول هذه الابيات :

ستعـلم يابرق انى إذا ... مليت بأمر شـديد المزاق
صبور على شـدة النوائب ... ولو كان فيها حمام السياق
وعن طاعـة الله لاأنثنى ... ولو شدت الروم منى الوثاق
فان كنت ذونسب خير ... كريم فاصبر على يوم السباق
فانى عـلى ماترى صابرا ... فـكم صابر فاز يوم الخناق
فلا بد من موت كل النفوس ... ومن شربة كاس مر المذاق
إذا كان لابد من موتتى ... فبالسيف أفضـل مما ألاق

(قال الراوى) ولما فرغ الامير راشد بن ضمره من نظمه انطبقت عليه الروم وكان جواده تعب فجدد الله تعالى فيه الحيل والنشاط وقد انبسط كل الانبساط وقاتل فى وجوه الاعداء وضربهم طولا وعرض حتى ملا من القتلى البيداء وتلك الأرض فصلبت الروم على وجوهها وقالت الحمد المسيح الذى مالاقينا عسكر المسلمين ولا أميرهم إذا كان هذا واحد فكيف يكونون كلهم ثم انهم حملوا عليه ليتعبوه فطلب صدور الخيل ولم يزل راشد معهم والصوارم تحكم والارواح من الاجساد تعدم إلى ان قامت الشمس فى كبد السماء ووقع بالخيل الانبهار والظمأ فوثب البطريق كانه يحادث عقبة وشومدرس فيما فعل راشد بالابطال فقال له عقبة وحق المسيح ماأعرفه الا فارس فان كنت تقدر عليه وتلقاه والا فاعزم على الهرب فضحك بجلبونا وقال أيها الشيخ ماقعدت عنه الاخوف الفضيحة والنقص ان تسمع البطارقة انى خرجت إلى شلح من شلوح العرب فقال له عقبة وحق المسيح ماهو إلا اميرابن أمير وإنما الفضيحه ان ترى رجالك تقتل بين يديك وأنت تقول المبارزة نقص ولم يزل به حتى حمى مزاجه فركب مثل الجمل الهايج واعتقل بقناه مايحملها ثلاث رجال فلما نظره عقبه قال لشومدرس اعلم ان كان لنافرج فالبطريق يقتل راشد فقال شومدرس فقم بنا مادام انهم فى شغل عنا ونهرب فقال عقبة لا وحق المسيح لابد ما أقود راشد قود الكلاب هذا وقد حمل بجلبونا على الامير راشد وقد تأخرت البطارقة فعلم راشد انه مقدم الجيش فصاح يابرق هذا أمير القوم فان صبرت برئت من التعب واللوم ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأنشد الامير راشد يقول

أيا برق لم يبق الا القليل فبالله يابرق صبر جميل
اما أفوز بقتـــل العدا واما أصبر فى الفيافى قتيل

(قال الراوى) وحمل البطريق وقد تطاعنا فاختلفت بينهما ضربتان فكان السابق بجلبونا فزاغ عنها الامير راشد ثم عطف عليه وضربه وقدذكر اسم الله واسم النبى ﷺ لجاء السنان فى صدره خرج من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار هنالك أطلقت الروم أعنتها لما رأت ماحل بجلبونا ثم ولت هاربه إلى القسطنطونية طالبه ولما نظر شومدرس إلى ذلك قال لعقبة ماقلت لك اهرب بنافقلت يا قرنان ماتهرب حتى نقوده قود الكلاب فقال عقبه ويلك ياملعون ماقلت ان الامر يأتى كذا ثم انه سارهاربا وقال له اتبعنى وجعل يجرى وهو طالب النجاه فناداه راشد ياملعون وحق النبى المنتخب ﷺ ائن تحركت من مكانك لاخرجت هذا السنان من صدرك فقال شومدرس يا أمير بحق دينك الاشفيت قلبى منه لانى قلت له اهرب بنا فقال لى حتى آخذ رأس الامير راشد ثم أهرب فضحك راشد من قوله ثم نزل عن جواده وقبل حوافره وقددنا من عقبه ورفصه ألقاه على وجهه ولم يزل يرفصه ويضربه على أم رأسه حتى غيبه عن الدنيا ثم شده كتافه وشد كتاف شومدرس وأطلق المأسورين وركب راشد جواد البطريق وركبت أصحابه من خيول القتلى وطلبوا الأمير عبد الوهاب أمير بنى كلاب وهم منصورين (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب فانه سار فى عسكر الموحدين الذين خرجوا من القسطنطينيه خوفا عليهم من العساكر الذين تبعوهم مع البطريق اسطالوس كما أخبر الجاسوس وكانوا المسلمين لماخرجوا من القسطنطينية جدوا فى سيرهم إلى أن وصلوا إلى مرج الحصن وهو آخر مرج فباتوا هناك فلما أتى الصباح وعولوا على الرحيل اذلاح لهم غبار فقالوا بنى سليم إلى بنى كلاب انظروا إلى هذه الغبره فاننا لا نأمن ان يكون هذه غبرة عدو ولحقنا فخذوا أهبتكم وقاتلوا عن الحريم فركبت الفرسان من الاكراد وقد ركب معهم اثنى عشر ألف امرأة من بنى كلاب والباقى وقوف وثلاثة من المسلمين وقد انكشف الغبار فبان العلم الاخضر فلما قربوا حملوا الروم على الموحدين فحملت الرجال وكذلك الامير هياج الكردى وقدعمل فى الروم عملا عظيما حتى صارت الشمس فى قبة السماء وقدخاضت الخيل فى الدماء وقدأشرفت المسلمين على الهلاك وأخذ أكثرهم أسارى وملكت النسوان قهرا ولم تقدر الرجال على الذب والمحاماة ولم يبق فى المعمعة غير ثلاثمائة فارس منهم عمرو والامير هياج الكردى وبناته فترجلوا عن الخيل وقد ألصقوا المناكب بالمناكب وقالوا نموت كلنا وتكون طريقنا الى الجنه واحده ثم ان الأمير هياج أنشد وجعل يقول

أيامعشر الاخوان دونكم الحرب | فقد بعض الهجران واتصل القرب
ولاحت لنا جنات عدن وحوارها | بهذا وعدنا الواحد الملك الرب
لعمرى ان اليوم يوم مودعا | وقد حضرت فيه المنية والخطب
وان حياة المرء فى الارض مدة | ونادى المنادى من البرية لاتخب

(قال الراوى) هذا وقد صاح البطريق اسطالوس مع أصحابه وقد ترجل منهم أكثر من عشر آلاف وانطبقوا عليهم واذا بغبار قد طار فقال اسطالوس لاشك ان الملك ارمانوس خاف علينا اذ أنتم سائرين الى بلاد الاسلام فأرسل لنا جيش نجده ثم تأخر عن الحمله واذا قد ظهر رايات فى لون الظلام اذا أقبل وعليها مكتوب لا إله الا الله محمد رسول الله وقد لاح العلم الذى على رأس المعتصم ومن حوله أربعمائه أمير وعساكر سائرين من ورائه (قال الراوى) ولما ان وقعت العين على العين نظر البطريق الى تلك العساكر الاسلاميه فاطلق الحمام الذى معه الى القسطنطينيه يخبر ارمانوس بتلك البليه هذا وقد حملت الرجال على الرجال وانطبقت العساكر على العساكر فعندذلك تعلقت الرجال بالرجال وكثرت الاهوال وعمل النصال وتعلقت العيون من رشق النبال ولم يزل السيف يعمل بقية النهار حتى أقبل الليل بسواد الاعتكار ولما ان هجم الظلام عليهم نزلت العساكر الاسلاميه بعد ماخلصوا أكثر الاسارى من الرجال والنسوان والتقى الأمير عمرو بن عبيدالله بالأمير عبدالوهاب واعتنقه وشكره على همته وقد أتوا بنى سليم الذين كانوا مع المعتصم وهنوا أميرهم بالسلامة وأخلع المعتصم على الامير هياج وفعل كذلك ببناته واخلع على زوجته ثم انه سال عن بنات هياج هل عازبات أم متزوجات فقال الامير عبدالوهاب لا ياأمير المؤمنين غير انى كنت سميت كل واحد منهم باسم واحد من اولادى فامتنعن وتعبدن وما خرجت قط فى غزاه الى بلاد الروم الا وهن فى أوائل القوم ففرح المعتصم بهن وقال للامير هياج الكردى دعهن يفعلون ماذكره الامير عبد الوهاب لان زواجهن من الصواب وأنا أجهز كل واحد منهن بعشرة آلاف دينار فقال هياج سمعا وطاعه وأنا أشاورهم فى هذه الساعه ثم عرض عليهن قول أمير المؤمنين المعتصم فقالوا لا والله لافعلنا قط هذا الشأن ولا كان لنا جهاز غير الاكفان ولاربينا الا فى طاعة الله الرحمن والجهاد فى أهل الشرك والطغيان لأن الانسان فى الحياة الدنيا بين امل وعسى وهو يرتقب الموت صباحا ومسى (قال الراوى) فتعجب المعتصم من تلك المقالات وقال قد وصف الله المؤمنين والمؤمنات هذا والمعتصم فى قلبه النيران من الملكه مرجانه وقد زاد عيون من أجل محرون ثم ان الناس باتوا على ذلك الرواح إلى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك ركبت الرجال

على ظهور الخيول الجياد وبرزت إلى ساحة المجال وركب اسطالوس وهو كانه الأسد العبوس ثم انه أدعى براهب يقال له بطرون وقال له صلى علينا صلاة الموت فعند ذلك صلى عليهم وجعل يقسس ويدور من حواليهم ثم انهم هموا بالحمله على أمة من أرسله الحى القيوم وإذا بغبرة قد طلعت من ناحيـة بلاد الروم ولم تكن غير ساعة حتى انكشف الغبار وبان من تحته عشرة آلاف فارس من بنى كلاب وبحرون فى أوائلهم كانه أسـد الغاب وعن يمينه عشرة آلاف أسود عليهم صدور الزرد فلمـا نظر اليهم المعتصم والأمير عبدالوهاب فرحوا بتلك الأسباب والذى خفى من تلك القضية ماحسبوا له حساب إلا أن بحرون لما قرب من العسكرين ونظر الرجال وهم على نية الحرب والقتال أقبل على أخيه ظالم وقال له ياأخى هاأنا قد سمعت قولك وأتيت معك وأنا أخاف من المعتصم أن يغدر بى اذا نظر إلى مرجانة وأريدك تأخذ لى منه الأمان على أنه لايتعرض لى فيها فان فعل ذلك كنت عبده وهو الملك ثم ان بحرون نزل بمن معه من الفرسان فى مقابلة العسكران فعند ذلك سار الأمير ظالم وترك أخيه حتى وصل إلى أبيـه الأمير عبد الوهاب وكان الأمير فى مضرب أمير المؤمنين المعتصم بالله فأخبره الامير ظالم بما جرى من أوله إلى آخره وكيف تم فقال الأمير عبد الوهاب ماقصرت فيما فعلت ثم ان الأمير عبدالوهاب أقبل على من معه من بنى كلاب وقال لهم اعلموا انى أريد أن أنفرد بكم الى هذا الملعون بحرون وهذه القليلة العقل اللئيمة ميمونة وأنا ماأرضى بما قال ولا نسلم جارية مؤمنة لكافر بالملك الغافر ثم أقبل على المعتصم وقال له ياأمير المؤمنين انفرد أنت وعسكرك الى عسكر الكلب اسطالوس الملعون حتى أمضى أنا بمن معى الى الكافر بحرون فقـال المعتصم افعل ما بدالك وانظر الى اصلاح حالك (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان المعتصم أقبل هو ومن معه من العساكر والجيوش وأحدق بعسكر الكلب اسطالوس وأما الامير عبد الوهاب فانه قصد الى ولده بحرون فى ذلك العالم فقال بحرون لامه أنظرى الى ماعمل فينا أخى ظالم وكيف أتى به الى من هو إلى طالب والرأى أن نميل الى هؤلاء الروم وأنا لى بهم أسوة لان ارمانوس لا بد له أن يرسل لهم نجدة وأنا وحق المسيح احميهم من جميع أعاديهم فقالت أمه ميمونة وأنا الاخرى معك وأينما سرت أتبعك فعند ذلك ركبت ميمونة فى سودانها وأما بحرون فإنه سلم مرجانة الى عبد من عبيد والدته ميمونة واسمه دينار ثم ركب الى جانب أمه ميمونة وإذا بأبيه الامـير عبدالوهاب قد وصل ونظر الى زوجته ميمونة وهى قد ركبت فى من معها من السودان فقال لها أكفر بعد ايمان فقالت لا وحق الرحيم الرحمن لكن تلجىء الضرورات الى ركوب

المحذورات وأنت تعلم أن لك أولاد غيره وأنت مشفق عليهم من دون كل أحد وأنا فمالى غير هذا الولد ولا بقيت أقدر على فراقه ولا تطاوعنى نفسى على بعده وأنا على دين الإسلام وما على من دينه وأنت تعلم أننا خدمناك خدم كثيرة وخدمه قوية وحنقتم على ولدى من أجل جارية رومية وان أعطيتموها الى ولدى عدنا اليكم وان أبيتم فهو يكون سببا لفراقكم وقتالكم وسفك دمائكم (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الامير عبد الوهاب من ميمونة ذلك الخطاب اسودت الدنيا فى عينيه وعظم عليه وكبر لديه ثم قال لها ياهذه هل يجوز أن تكون مسلمة تقر لله تعالى بالوحدانية ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة وتبغى نحس كافر من دين النصرانية فهذا مالا يكون ولو شربت كاس المنون فعودى الى طاعة ربك الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أفضل لكى من اتباع الولد فقالت صدقت وان هذا لايجوز فى دين الحى القيوم لكن كفر بحرون لايدوم فقال لها اذا كان هذا فى نيتك فأنا لابد آخذ الجارية منه ومنك ومن مانع عنهما أرغمت أنفه ولوحت قحفه وأسقيته كاس حتفه فقالت ميمونة والله ياعبد الوهاب اعلم ان من دون ذلك ضرب الرقاب فلا تطمع نفسك بالمحال ثم تتكلم بكلام الجهال فلما سمع الامير عبدالوهاب من ميمونة ذلك المقال أدار الى أصحابه وقال لهم ياويلكم خذوهم وعلى أطراف الرماح شيلوهم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فمع التفاته الى أصحابه هز بحرون حربه كانت فى يده وضرب بها أباه فجاءت بالعرض لما يريده الله من سلامته فوقعت فى قربوص سرجه فشكت فخذه فيه وخرقت الدرع فبقى الامير عبدالوهاب لايقدر أن يلتفت فاشتغل بنفسه فصاح بحرون فى الفرسان فأطلقت أعنتها وقد حملت ميمونة فى سودانها وارتفع الصياح بقتل الامير عبد الوهاب فأقبلت الاميرة ذات الهمة وقد ضاقت بها الاسباب وصاحت واولداه فما كان أيشم بحرون على أباه هذا وقد تشوش عسكر الامير عبد الوهاب ففرحت الروم بذلك فرحا كثيرا وفى الحال مضت جواسيس الروم من غير توانى وقد أخبروا ارسطالوس بما جرى من بحرون وإن بحرون نصرانى فقال لهم إن الواجب علينا معاونته لأنه كان ملكا للروم ونحن فى خدمته ثم انه صاح وحمل ونادى عيسى ومريم فأجابهم بحرون بذلك النداء وحملت ميمونة بسودانها فارتجت البيداء فيالها من ساعة بانت فيها أهل الشجاعة هذا والأميرة ذات الهمة خرقت المعمعة وهى تجيد الطعان والضراب حتى الى الأمير عبدالوهاب ومن حولها أبطال بنى كلاب وقد أخرجوه من المعمعة وهو على فرسه ونزعوا تلك الحربة من فخـــذه وهو لايعقل على نفسه ثم انهم وضعوه فى مضربه وأتوا له بالجرايحى وقد

أيقنوا الناس بعطبه ولم يزل القتال يعمل إلى الليل فافترقوا وقد كلوا الرجال والخيل وقد باتوا الناس ولما ان كان نصف الليل وصل الأمير راشد بن ضمرة ومعه عقبة وأصحابه فنظروا إلى سواد عساكر الروم فظن أنه عسكر الأمير عبد الوهاب فما أحس إلا وهو فى عسكر الروم فثارت اليهم سودان ميمونة وقالوا له من أنت فلما رآهم لم يفكر فيهم بل قال لهم أنا راشد بن ضمرة ومعى الملعون عقبة وشومدرس وأصحابى فدلونى على مضرب الأمير عبد الوهاب لأنه أولى بى فقالوا له هاهو بين يديك فسير حتى نوصلك اليه ونقدم بك عليه ولم يزالوا يسيرون به حتى أوصلوه إلى بحرون فقبض عليه وأطلق عقبة وشومدرس ثم انهم باتوا إلى الصباح هذا وقد مضى جاسوس الأميرة وأخبرها بما جرى على راشد بن ضمرة فعظم ذلك عليها وكبر لديها فعندها ثارت الرجال وركبت خيولها واعتقلت برماحها وتقلدت بنصولها ثم ان الأميرة أرسلت إلى ميمونة على مافعلت وتعتبها على ماعملت وتقول لها إن ولدى عبد الوهاب قد أشرف على العطب وشرب كاس الحمام وأنتى من أجل هذا الكافر تركتى دين الإسلام فعودى إلى رب العالمين ولا تكونى سببا لاهراق دماء المسلمين (قال الراوى) ياسادة فلما وصلت هذه الرسالة إلى ميمونة أعرضتها على بحرون فأعرضها بحرون على عقبة الملعون فقال عقبة الآن طاب هلاكهم ارسلى اليهم واعتذرى لهم وقولى والله ما كان قصدى هذا الفعل النكير وما جرى على الأمير وقد هان على فراق بحرون ولا يجرى هذا ولا يكون وان قلبى من هذه الأشياء مقروحة وأنا أعود اليكم وباب التوبة مفتوحة ولكن ان السودان قد مالوا إلى بحرون لأنه قد أعطاهم وأخلع عليهم وأوعدهم بالقلاع وأنتى تعلمى بحالهم وان البطال معظما عندهم فارسليه الينا حتى انه يطيب قلوبهم ويتسلم الجارية مرجانة فلقد كانت غير مباركة علينا فهى إذا سمعت بهذا المقال أرسلت اليكم البطال وإذا أتانا فاقبضوا عليه لانه هو الذى يحرضهم عليكم وربما يعمل هو وولده مذبحون على سرقتكم فقالت ميمونة وأقول لها مع البطال ولده مذبحون لانه كان وزيره وهو يسمع منه فقال عقبة ائن وقع البطال ومعه مذبحون فأنتم تعيشوا طول الدهر آمنون وأما أنا فإننى آخذ من أصحاب أسطالوس عشرين وأسير بهم إلى القسطنطينية لان الروم قاست منهم الهموم وأنزل بهم النحوس وقد اتصل خبره وفعله إلى ارمانوس وأجعل الملك بحرون شريكا فى الملك مع الملك ارمانوس فيكون ارمانوس ملك البحر وبحرون ملك البر وأما أصحابك السودان فسوف يحمدون عاقبة كلامى إذا أعطاهم الملك الخلع وأتتهم الامور موافقة وزوجهم ببنات البطارقة وتستريحوا من القتال والتلاق لانهم قد خرجوا من بلادهم فى عشرة آلاف

فلم يبق منهم سوى هذه الاربعة آلاف ولو داموا فى بلاد الإسلام عام آخر ما بقى منهم بشر (قال الراوى) فلما سمعوا السودان كلامه صدقوه فى مقاله فعند ذلك أرسلت ميمونة إلى الاميرة ذات الهمة بذلك المقال الذى رتبه عقبة شيخ الضلال ولما ان سمعت الاميرة ذات الهمة ذلك المقال قالت اللهم يسر باصلاح الحال ثم انها فى ساعة الحال أرسلت خلف البطال فلما حضر أعلمته بما جاء من الخبر فقال مذبحون أنا أقول ان بحرون يسمع منى ويرجع إلى قولى ثم انهم أقاموا بعد ما أخذت لهم خاتم المعتصم بالامان من تلك الامور وقد سلمت الخاتم إلى أبو محمد البطال (قال الراوى) فعند ذلك سار البطال وولده وهو يقول أنا خائف من عقبة ومكايده فقال مذبحون ما أظن ان بحرون يتعرض بك مادام انه عرف انى ولدك فحرك البطال رأسه وقال له ان عندى مالا عندك ثم انهم ساروا حتى وصلوا إلى عند ميمونة هذا وأصحاب اسطالوس قد ركبوا وأشهروا العدد وكان ذلك من ترتيب عقبة حتى لا يرتاب أبو محمد ولما ان دخل إلى ميمونة وجدها جالسة مثل الاسد وكذلك بحرون وقد رأوا عقبة مقيد وشومدرس إلى جانبه مصفد وهو من تدبير عقبة فلما نظر اليهم أبو محمد فرح بما تم عليهم ثم قال لعقبة ويلك ياملعون إلى متى تعمل على هلاك الناس وهذه النوبة ما بقى لك منها خلاص فعند ذلك أقبلت ميمونة على البطال وقالت له فماذا أتيت ياأبو محمد فقال لها فى سبب من الاسباب وهو الذى أوعدتمونا به وقد أتيت ومعى خاتم المعتصم وهو لكم منه أمان (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلم يزالوا فى الحديث إلى ان أقبل الظلام عند ذلك عطفت ميمونة على مذبحون والبطال وقبضت عليهم وفكت عقبة وشومدرس ووضعت القيود التى كانوا فى أرجلهم فى رجل البطال وولده ثم ان عقبة وثب كأنه عفريت وقال قد وقعت ياأبازريق فقال البطال وحق رب الارباب لقد حسبت هذا الحساب وقد قرأت عنوان هذا الكتاب ولكن قد دلست على روحى حتى وقعت فى هذه النوبة العظيمة وكان السبب فى ذلك كله ذات الهمة ثم ان ميمونه بعد ذلك سلمت البطال وولده وراشد لعقبة وشومدرس وقالت لهم سيروا بهم الى القسطنطونية وسلموهم الى الملك ارمانوس فساروا بهم فى مائة بطريق تحت الليل (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الاميرة ذات الهمة فانها قد أبطأ عليها خبر البطال فادعت بهياج الكردى وقالت له سير الى هذه التى قد عدمت عقلها واتبعت رأى ابنها فان أجابت الى ما أرسلنا اليها والا قل للبطال يأتى من عندها فعند ذلك سار هياج الى ان وصل اليها فلم يرى البطال عندها فعلم انها قبضت عليه فقال فى نفسه ان قلت لها جئت فى رسالة قبضت علىّ أنا الآخر فقالت له ميمونة فماذا أتيت ياأمير هياج فقال لها جئت شوقا اليكم

وغيظا من المعتصم وذلك نفتح البلاد بقوائم سيوفنا وكلما خرج عدو له نقاتله حتى إذا وقع لأحد منا غرض زاحمه فى غرضه وهذا شىء مايقدرعليه أحدوقد جئت أيضا لأجل خوفى عليكى من الاحتيال لأنكى إذا سمعتى كلام البطال فهو يوقعكى فى يد المعتصم وربما أهلككى وأهلك ولدكى معكى فإياكى أن تسمعى قوله ولا تسمعين منه وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر (قال الراوى) فانطلا عليها قوله وقد صدقته فى كلامه ثم قالت له طب نفسا وقر عينا واعلم أن ما كان ذلك كله الاحيلة منى على البطال وولده وقد قبضت عليهم وإلى عقبة وشومدرس سلمتهم وراشد ابن ضمرة وأصحابه معهم وقد ساروا من أول الليل بهم وبعد ذلك أريد أن تقيم عندى (قال الراوى) فلما سمع هياج كلامها وما قالت انطلق فى قلبه لهيب النار الا أنه أظهر الفرح والاستبشار وقد أقام عندها باقى ليلته الى أن طلع النهار فركبت ميمونة وأصحابها وركب بحرون وسطالوس وأصحابه ولما أن نظرت الأميرة ذات الهمة الى عسكر الروم وهم الى الحرب يتبادرون فعلمت أن ميمونة غدرت وأما هياج فانه لما أصبح الصباح قال لميمونة طيبى نفسا وقرى عينا واعلمى أننى أكون الك عونا وعينا على ذات الهمة وولدها وما يتفقوا عليه من الأسباب فشكرته على ذلك وقد أوعدته بكل جميل ثم ان هياج سار من عندها الى أن وصل الى عند الاميرة وقد أخبرها بما قالت له ميمونة وبما فعلت من الفعال لان العساكر قد ترتبت الى القتال وأما هياج فانه مضى الى زوجته وبناته وقال لهم ماقولكم فى شىء يكون فيه الاجر والثواب وتنالوا الاجر من رب الارباب فقالوا له وماهو ذلك فقال لهم ماجرى على البطال وراشد ومن معه من الرجال وكيف سار بهم عقبة شيخ الضلال ثم قال لهم انى قد عولت أن أسير أنا وإياكم الى خلاصهم من ذلك الوبال ولا يكون لنا شريك فى هذه الفعال ثم انهم ركبوا خيولهم وتركوا العساكر مشتغلين فى القتال وقد ساروا وجدوا فى قطع التلال تلك الليلة وصبيحة ذلك النهار الى آخره كله وهم سائرين (قال الراوى) فهذا ما كان من هياج وأما ما كان من عقبة فانه لما سار من عند ميمونة كان من خوفه من العوارض ونزول الاقدار يسير الليل ثم يكمن بالنهار ولم يزل على ذلك الحال حتى وصل الى قرية فى لحف الجبل فنزل فيها بمن معه من الرجال وقد عول على عقوبة البطال فى ذلك المكان وأما الامير هياج فانه مازال يقتفى من عقبة الآثار الى أن وصل الى تلك القرية التى نزل فيها عقبة فأقبل على زوجته وبناته وقال لهم كونوا فى أماكنكم حتى أعبر الى هذه القرية وأكشف لكم الخبر لان من هاهنا انقطع الاثر (قال الراوى) وقد كانت هذه القرية خراب فجعل الامير هياج يمشى قليل ويستتر بالاحجار والجدران الى أن وصل بقدرة

الله وأشرف على عقبة وشومدرس الملعون وقد مدوا البطال وولده مذبحون وعقبة يقول كيف تروا يا كلاب المسلمين وقد مكنني المسيح منكم أجمعين فعند ذلك عاد هياج الى بناته وزوجته وأعلمهم بما كان من عقبة ثم قال لهم دونكم والجنة فقد لاحت لكم فركبوا خيولهم وطلبوا الخربة فلما أشرفوا على عقبة فعرفهم فصاح فى البطارقة ياويلكم لاتخافوا منهم واهجموا عليهم لأنهم بنات وأنا أعرفهم وهذا هياج وبناته وقد حملوا عليهم فتلقوهم المائة بطريق من بين أيديهم وداروا بهم من كل جانب وقد عملت بينهم القواضب وسقطت الرؤس من أعلا المناكب مثل القوالب هذا وشومدرس قد أقبل على عقبة وقال له اهرب بنا من قبل هذا البلاء فقال له عقبة ماأفظع قلبك يالئيم فكيف أهرب وفى قلبى من هياج أمر عظيم ولا بد لى ماأشتفى منه وأنزل به العذاب الأليم هذا والسيف يعمل إلى نصف النهار وبعد ذلك انكشف الغبار وإذا قد قتل من البطارقة ستين وبقى أربعين فقالت البطارقة لبعضهم البعض ياويلكم اطلبوا لأنفسكم النجاة وإلا حل بكم الهلاك والفناء ثم انهم تفرقوا فى أقطار الفلاة ولم يعن منهم الأخ أخاه (قال الراوى) ولما أن نظر أبو الشر شومدرس إلى ذلك علم أنه هالك فأقبل على عقبة وقال له يا أعور النحس قتلتنى وقد قتلت نفسك ثم انه انهزم لعله أن يخلص من تلك النكبة فلحقه اللعين عقبة فصاح راشد بأعلا صوته ويلك ياهياج الحق عقبة فعندها لحقه هياج وقد طمن عقبة بعقب الرمح أرماه وطعن شومدرس اقلبه حداه وقد أطلقوا راشد والبطال ومذبحون وبقية الرجال وقد نزل فى رأس عقبة من اللطم شىء كثير وضربوه حتى حل به الهلاك والتدمير وكذلك جرى على شومدرس (قال الراوى) وكان عقبه قد لبس ثياب القساقسة حتى يدخل بهما على ارمانوس فقال البطال أوقفوه قدام المعتصم وهو على هذا الحال وقد وجدوا معه كتب من عند ميمونه وبحرون الى الملك ارمانوس فقال البطال هذه النوبة يكون فيها هلاك هذا الملعون ثم انهم عادوا راجعين وبخلاصهم فرحين وما زالوا سائرين حتى أشرفوا على عساكر المسلمين وهم مستبشرين (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء واما ما كان من ميمونة نسل اللئام فانها اجتمعت بولدها بحرون والاربعة آلاف فارس على ناحيه واما الامير هياج فانه كان وصوله الى عسكر المسلمين فى الليل فقصد الى سرادق الاميره بمن معه وكانت الاميره على غاية مايكون من الهم لاجل الجرح الذى فى الامير وقد حملت أيضا هم البطال وماجرى عليه من الاسر والاذلال فلما دخل عليها هياج وبناته وقدموا لها شومدرس وعقبة الملعون ونظرت على الى أبو محمد البطال وراشد ومن معه من الرجال ففرحت بذلك الحال ثم انها اقبلت على أبو محمد وقالت له والله لقد ذهب عنى الهم بخلاصك لكن ولدى قد حل

به الآلام ومابى والله الاشماتة الاعداء والحساد وكنت اطلب من الله تعالى ان لا يموت
فى هذه النوبه حتى ينال غرضه من صلب اللعين عقبة وبعد ذلك فما عندك من الرأى فقال
لها ما بقى من الرأى والتدبير ومعنا هذا الخنزير عقبه وشومدرس الكلب الحقير ونقتل
الاثنين قدامه وننزل بهم المحن ونستريح من هذه الفتن فان سلم الامير فيكون قد بلغ المراد
ونشتفى من هؤلاء الملاعين ونشفى غليل الفؤاد وان كانت الاخرى فيكون قد نظر الى هلاك
عقبة الاعور وشومدرس أبو الشر فقالت الاميره لما سمعت ذلك الخطاب هذا هو الصواب
ثم انها وثبت وقد قبضت بدقن عقبه وسحبته على وجهه والبطال سحب شومدرس الى ان
دخلوا على الامير عبد الوهاب وهم يسحبون الشيخين النحسين الاعورين والادميه تجرى
من افواههم مما حل بهم من اللطم الكثير حتى أدخلوهما على الامير فوجدوا الغلمان يولولون
وهم يبكون فقالوا لهم ما شأنكم فقالوا الامير قد شخص بصره ونقول انه قد فرغ عمره
(قال الراوى) فعند ذلك انحلت عزائمهما وجرت دموعهما ونسيت الاميره الدنيا ومن عليها
وقد جلست عند رأس الامير وعقبة يقول لشومدرس بعد ان حضرت موت الامير
ما بقيت ابالى ما كان منى لا قليل ولا كثير فقال له شومدرس ويلك اسكت يا شيخ النحس
وانظر ما حل بنا من النحس فلو سمعوا لضربوا رقابنا وصاحبهم بعد فى الحياة فقال
هيهات إن عاد الأسود الزنيم يشم الهوى (قال الراوى) فما تم عقبه كلامه حتى أذن الله
تعالى للغمة أن تنكشف عن الأمير وقد فتح فى الوقت عيناه ونظر إلى عقبه وشومدرس
فجرت دموعه من الفرح وقد زال عنه الهم والترح وقال ما أظن هذا الامنام فقالت له الاميره
يا بنى ما هذا الا فى اليقظة وما هو منام وتصلبه ان شاء الله تعالى على رؤس الآنام وعلى رغم
أنف الكفرة اللئام فقال الأمير أريد تحدثونى ما جرى لكم فأعادوا عليه القصه من أولها الى
آخرها وأطلعوه على باطنها وظاهرها فقال اذا كان الله تعالى قد هتك ستره فلماذا تخفون
أنتم أمره وان المعتصم اذا وقف على هذه الكتب التى معه من بحرون وسطالوس وهى
بخط عقبه الى أرمانوس فهو يكون بهذا سبب هلاكه وكشف ستره بين الانام ولا يبقى
أحدا من العالم يقدر يكثر كلام فاحملوه الى عند الخليفه بلبسه وحرضوه فى غداة غد
على قتله فعند ذلك أخذت الاميره هياج وبناته والبطال مذبحون وشومدرس وعقبة
الملعون وسارت الى ان وصلت الى بين يدى الخليفة وقبلت الأرض بعد أن استأذنت فى
الدخول عليه فقال اهلا وسهلا بمربية الدول وحامية دين النبى المرسل ﷺ ثم نظر واذا
بالبطال وولده مذبحون ودخل من بعدهم شومدرس وعقبه المفتون فقال الحمد لله على
سلامتكم وخلاصكم فاعلمونى كيف كانت قصتكم فعند ذلك اعلموه بما جرى من أول الأمر
إلى آخره فتعجب وشكر هياج على فعله وقد قرأ الكتب وإذا هى بخط عقبه فبصق فى وجهه

وقال أقسم بالذى لا اله إلا هو إن فعلت بك مايقولون الا بين الصفين حتى تنظرك الخلائق بكل عين فقد صح كفرك من غير ارتياب وسوف أقتلك من قبل أن يموت الأمير عبدالوهاب هذا وعقبه ساكت لا يرد جواب بل اعتقل لسانه وبطل عن أمير المؤمنين كذبه ومحالة وهذيانه ثم ان الخليفة التفت الى أبو محمد وقال له احفظ عقبه واذا أصبح الصباح وركبت هذه الفاجره ويحرون قتلنا عقبه المنافق وشومدرس الملعون ففرح بذلك الامير وقد حل عنده السرور والابتهاج وقال ما أجد لعقبه أحفظ من هياج فتوكل به أنت وجماعة من الرجال (قال الراوى) فعند ذلك أحدقت به السودان من كل جانب ومكان هذا وعقبه يقول ولعل المسيح أن يخلصنى من أيديكم وينزل سخطه وغضبه عليكم فعند ذلك قام البطال من عنده وأخذ خف وملاه رمل وعاد اليه وجعل يلطمه على راســه حتى اخمد منه أنفاسه وتساقطت أدراسه وقال له سوف ترى ياملعون مايكون فوحق من خلق الخلق بقدرته وغمر العالم برحمته لابد أحمل راسك بيدى ولو دخلت الى القسطنطونيــه وحدى وأغلق رأسك على باب الذهب حتى يكون ذلك تصديقا لقول النبى المنتخب صلى الله عليه وسلم هــذا وعقبه قد أفاق من غشوته وسمع المعتصم فقال عقبه ويلك ياأبو محمد دع عنك هذه الامانى والغرور وهذا الكلام الذى كله زور فأنتم قلتم ان صلبى يكون على باب الذهب فما بلغتم ماتؤملوه ولا نلتم أرب (قال الراوى) فلم يزالوا على تلك المشاجرة إلى الصباح ولم يترك البطال ساعه لعقبه فيها استراح إلا كلما كلمه قام اليه ولطمه وهو يقول ماصح لك صلبى أتبرد بضربى فلما أن صلت المسلمين صلاة الصبح وركبت الابطال وتبادرت إلى ساحة المجال وركب المعتصم وركبت من حوله سائر الامم وبلغ الأمير عبدالوهاب ذلك فبكا وقال قد كنت أؤمل أن يكون الأمر بخلاف هذا ولكن لا أدافع لما أراد المولى وبقى على حاله من الانكسار وفى قلبه من أجل عقبه وصلبه لهيب النار فقالت له أمه يابنى ماعجلنا عليه بالقتل الا لاجلك وأخاف ان يجرى عليك مجرى فيبقى فى قلبك حسره من اجل هذا الملعون ومانعلم ماذا يكون فقال لها ياأماه لقد صدقتى وبعد ذلك فلعل ان يكون لنا فى هذا الأمر خيره لاننى والله على غاية من الخطر لكن لا مرد للقضاء والقدر ولكن احملونى فى محفة إلى بين الصفين حتى انظر إلى قتلة عقبه اللعين بالعين واشاهده والسيوف تقطعه فلعل ان تبرد نارى ويبرد من قلبى تلهفه ولعل ان اكبر تكبيرة يكون لى فيها الصلاح والخيرة فقالت الأميرة سمعا وطاعه ثم انها ادعت بالسودان وامرتهم بذلك الشان فقدموا له محفة ووطوها بين يديها فحملت الأمير ووضعته فيها فلما نظر الأمير إلى ذلك الحال جرت دموعه على خديه انهمال ثم انه تنفس صعدا وابدى

لوعة وكمدا وانشد يقول

ولقد كنت أرجو غير هذا فأخلفت على الليـــالى مارجاه فــؤاديا
وما كان ظــنى أو يقينى بانه يـكون سليما من شفار حساميا
لعمرى لقد أعطيت عزا ورفعة وذكرا جميلا عاليا فى البــواديا
ولولا جراحى انه لى قاتــل لـكنت صبور اللامور المواضيا
أسلم أمورى لااعارض خالق فان قضاء الله فى الخلق ماضيا
فيفعل بى ماشاء إذ أنا عبده ويمضى الهى ماهــو اليوم ماضيا

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره بكا وبـكت الأميرة والسودان هذا وبنو سليم ماهان عليهم حال عقبه وإذا بالبطريق سطالوس ركب ومعه بحرون وميمونه وقد سلبت عقلها واصطفت الصفوف وقدموا عقبـــة فقال بحرون انى أرى شخصا يحملوه فى محفة وبين يديه شخصا أحدقوا به وبأيديهم القواضب فقالت ميمونه لا علم لى إلا ان قلبى يحدثنى ان المحمول عبد الوهاب لأنك قد ضربته ضربه تعقب الموت وهذا الذى بين يديه عقبه وهم يدون قتله لاننى سمعت من الجاسوس أن الأمير على غاية من الألم فهذا كله لأجلك وأنت أعقبتنى النار واحرمتنى الجنة إلا أن تسلم ياولدى ثم تعود إلى الله تبارك وتعالى فقال بحرون هذا مالا يـكن وان كان المأسور كما قلتى عقبه فأنا أخلصه أو أهلك بسببه ثم أكب رأسه وحمل وحملت ميمونه هذا وان الأمير عبد الوهاب لما رأى ذلك أمر أن يخرج من المعمعة لينظر مايـكون والبطال موكل بعقبه وعمل البتار وقصرت الأعمار وكثر الانزعاج وحمل البطل وهاج وولى الجبان وطلب الهجاج فهم كذلك وإذا بالناس سمعوا التـكبير من وسط المعمعة والأميرة ذات الهمة ظهرت وعلى رأس رمحها فارس كأنه البرج المشيد وأمر بنى كلاب من خلفها ومن تنادى بكلمة التوحيد ورفرفت روح الامير وأجه الموت وجعل يرفع أصبعه ويتشهد ورأى البطال ذلك فبكى ومزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وقد أشار اليه الامير بأصبعه مودعا وهو يستعجله فى قدوم الاميرة لاجل قتل عقبة بين يديه عندها أسرعوا إلى الاميرة وأعلموها وسحب عقبة وإن ذات الهمه لما سمعت بخبر الامير صاحت وخرجت من المعمعة وكان الفارس الذى خرجت به من المعمعة سطالوس وقد خرج السنان من ظهره فنفضته الى الارض وقد وقع السيف فى الروم وهلك منهم خلق كثير وانهزم والباقون واندقت سودان ميمونة وبحرون وتبعهم عسكر المسلمين هذا والاميرة وصلت الى ولدها وبكت ولطمت وهلبت الخيل وقطعت الشعور ونادت بنى كلاب بالحرب والويل وقد هجموا على عقبة ليقطعوه بالسيوف وإذا بسواد قد ملأ الاقطار وحجب الشمس عن أعين النظار ساعة وبان

وانقشع عن عساكر سدت الفلا (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك البطارقة الذى أرسلها سطالوس على جناح الطائر فخرج ارمانوس بنفسه وبين يديه الرهبان والقسوس والبترك الكبير وقد سار فى مائة ألف من المكحلة كل واحد منهم كأنه النخلة السحوق وسار يقطع الارض الى أن أدرك المنهزمين وميمونة وبحرون وعساكر المعتصم من خلفهم وقالت ذات الهمة هذا عسكر ارمانوس وان قتلناه فما تقوم للنصرانية قائمة وأبلغ من عقبة ما أرجوه ثم انها أمرت برد عقبة الى مكانه وطرحت الامير على فراشه هذا وقد اجتمع بحرون بأرمانوس فلما عرفه وثب له قائما وقال له أنت شريكى فى ملكى وهذه أمك تكون لى زوجه ثم قال يامعشر النصرانية أشهدكم على اننى أشركت هذا بحرون فى ملكى واجعل هذه الملكة امه تحكم على جميع النصرانية لأجل عقلها وحسن كلامها وهذا اللون الذى مثل الظلام العابس فلا بد ما أترك ملوك النصرانية لها عبيد ثم انه بعد ذلك خلع على بحرون وعلى سائر سودان ميمونة وقد استمال قلوبهم وساروا على انعكاف ملاح وشرب راح وأرمانوس يشرب ويسقى بحرون والحجاب وقوف على رأسه والملوك جلوس وغنت الأغانى وقد لذلهم يومهم ولم يزالوا كذلك حتى اختبل عقل أرمانوس فقام على قدميه وقد نزل شعره إلى وسطه وغزلت عينيه واسودت فنظرت ميمونة إلى ذلك فسفر الشيطان فى معاطفها فمالت اليه وطلبت وصاله وافتتنت بجماله وان الملك ارمانوس نظر إليها وإلى عظم هيكلها وكبر آذانها فوثب قائما وقامت لقيامه أرباب دولته وكذلك وثب بحرون فقال له أرمانوس اعلم أيها الملك اننى أريد ان أجرب قوتى وقوتك فدونك حتى نتصارع فقال بحرون وأنا وحق المسيح اشتهى ذلك ثم دنى كل واحد من صاحبه وتصادما والقساقسة والعمالقة يقولون أرمانوس يصرع وبعضهم يقولون بحرون يصرع فلم يطل الخطب بينهم حتى رفع أرمانوس بحرون على يده ووضعه على الأرض وضعا لطيفا فقام بحرون خجلا وقال وحق المسيح أن الانصاف مليح وانى قد وزنت روحى معك فوجدتك تزيد على الدرهم عشرة لكن ما أدرى ان كنت فى الفروسيه كذلك فقال أرمانوس مارايت منى هاهنا شىء إلا وعلى الجواد أضعافه فلما سمع بحرون كلامه قال وحق المسيح انك ملك الأرض فى طولها والعرض فقال أرمانوس أيما أقوى أنت أو الملكة ميمونة فقال بحرون ميمونة أقوى منى فقال له اعلم أنى اشتهى ذلك (قال الراوى) هذا وميمونة قدغاب عقلها وذهب رشدها ونسيت ولدها والدنيا وما عليها عندما شاهدت جمال أرمانوس وماصدقت ان تسمع منه ذلك الكلام حتى وثبت ميمونة وعانقته من غير اكتراث فرأى فيها من القوة مالا يراه فى ولدها فأعجبه ذلك فلاها وقال وحق المسيح مثلكى فى الرجال قليل وهذا سرير

ملكي بين يديكي ويدى ولدكي وانى من اليوم زوجتي فقالت ميمونة ومن لى أيها الملك بأن أكون لك خادمة وانت أحب إلى من الأسود ابن ذات الهمة فقال لها لاسبيل لكى إلى هذا فقالت وكيف ذلك فقال لها لأنكى مسلمة وأرمانوس نصرانى فاذا تنصرتى فانى اصطفيكى لنفسى فأجابته إلى ذلك وقدسلبت ثياب النعمة ورغبت فى دين الصلبان ونسيت ربها وطمس على قلبها ففرح بحرون وكذلك أرمانوس واحضروا البترك ونصرميمونة وأقبلت على سودانها وقالت لهم الآن مابقى لكم إلى الإسلام طريق فمن تبعنى كان مثلى فأجابوها وتنصروا عن آخرهم ونحن نقول لااله الاالله محمد رسول الله هذا وعبدالوهاب غافل عن هذه الأسباب (قال الرواى) وفى تلك الليلة وفى هذه الساعة وقع بهم فى عبدالوهاب الاياس والأميرة قاعدة عند رأسه باكية وهو غائب عن الدنيا الى أن ذهب من الليل أكثره وهى تود أن تسمع منه كلمة واحدة واذا بها تسمع بكاء الأمير وكلامه فى نومه وهو يقول لاحول ولا قوة الابالله العلى العظيم يارسول الله يارب لك الحمد كان ذلك فى الكتاب مسطورا فأوجزت الأميرة فى صلاتها ودنت منه واذا به استيقظ ووجهه كأنه القمر فقالت له اخبرنى فلله على حجة مبرورة وأتصدق بخمسة آلاف دينار وأعتق مائة رقبة شكرا لله فقال أيتها الأميرة رأيت فى هذه الليلة عجبا ولابد أن يسطر فى الدفاتر سطرا وذلك انى رأيت فى منامى رسول الله ﷺ بعد أن أشرفت على الهلاك وهو يقول لى يا ناصر دينى ابشر بالجنة فقلت يارسول الله اعذرنى فانى لاأقدر على النهوض اليك لأقضى واجب حقك ﷺ فقال لى ماحالك فاخبرته بالجرح وانه من ولدى بحرون فقال له لعن الله أمه لقد طردت عن باب الرحمن وعدلت الى الكفر بعد الايمان وفارقتك فراق الى الأبد فخذ حذرك منها واصرف قلبك عنها فبكيت فقال لى أنظر واذا بقبة من الزمرد الأخضر لها سلاسل من الجوهر فقال لى أنظر مافيها فنظرت واذا فيها جارية لو نظرت لأهل الدنيا لاغنتهم عن الشمس والقمر وهى تقول لى ياابن الزاهدة العابدة تبكى على ميمونه وهى فارقت دين الاسلام فأنا أكون لك عوضها فلما سمعت ذلك سلاقلى وشكوت مابى الى رسول الله فضرب بيده الى الجراح فقمت وأظن أنه التحم وقلت يارسول الله عقبة قد أضرنى فهل ذلك الوعد الذى وعدتنى به اقترب فقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه فقلت يارسول الله خلق الانسان من عجل فمتى يكون ذلك فقال اذا وصلت الروم الى الاسكندرية وأخذت الملوية وفتح الله على أيديكم عموريه وظهر مطرون وصلب شومدرس الملعون وقد قرب العهد فيما بينكم (قال الرازي) ثم ان الأمير عبد الوهاب قال ياأماه أنظرى الى جرحى فما منامى الا صحيح (ياسادة) ثم ان الاميرة كشفت عن

الجرح وإذا هو يضرب إلى حمره وقد نشف من الدماء والتحم وصار سالما ساكنا من الوجع بقدرة باعث الامم الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فعصبته الأميرة وادعى بشىء من الزاد فأكل وردت اليه قوته (ياسادة) وادعت الأميرة بالأمير أبو محمد البطال فحضر فأخبرته بالخبر وبما رأى الأمير فى المنام ففرح الفرح الشديد واستبشر وقبل الأرض شكرا لله تعالى وقال والله إن هذا منام عجيب وما فى رؤية رسول الله ﷺ تكذيب سيما وقد ظهرت الدلالة ببراء هذا الجرح الذى كان الأمير أشرف منه على التلاف فقال الأمير عبدالوهاب على بعقبة الخنزير فأحضروه بين يديه فقال له ياملعون ابشر بالوبل الطويل والخزى والتنكيل وأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها وبشرنى إنك عن قريب تصلب وفى روحك تنكب فقد أخبرنى رسول الله ﷺ النبي المنتخب سيد العجم والعرب فكادت مرارة عقبة أن تنفطر وقال فى نفسه لو فعل معى المسيح يوما من الأيام بعد مافعل مع هذا الأسود لكانوا يعتقدون أهل دين النصرانية أنى رسول المسيح اليهم ووالله ما المسيح إلا مسلم والا ماهذه فعال من يعلم انى أتحمل من أجله ماأتحمل من العذاب والعقوبة ولايخصنى بفضله (قال الراوى) وأصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وارتفع الصياح هذا والمعتصم قد انكسر قلبه لأجل الأمير عبدالوهاب ويعلم أن أمه الاميرة ذات الهمة ماتركب من أجله ومن اشتغال قلبها عليه ماتقاتل بقلب وكذلك بنو كلاب وإن الخبر وصل اليه عند الصباح أن رسول الله ﷺ رآه عبد الوهاب فى المنام ولمس بيده الكريمة على جرحه فبرىء مما كان به والتحم جرحه بإذن الله تبارك وتعالى فقال المعتصم هذا رجل له قدر عند الله وعند رسوله وعند الناس بمكان رفيع (ياسادة) وسارت اليه الفقهاء والعلماء وهنوه بالسلامة وجعلوا يقبلون مكان جرحه ومن تمام السعادة انه وصل لعسكر الإسلام فى ذلك اليوم نجدة فيها مائة ألف فارس وانتظروا الروم فى ذلك اليوم ان يتعرضوا إلى ثمانية أيام تمام متواليه (قال الراوى) وان الأميره ذات الهمة والأمير عبد الوهاب أخذوا فى اهبة القتال ووصل الجاسوس إلى الأمير عبد الوهاب وأخبره بأن ميمرنه تنصرت هى وسودانها فى أربعة آلاف اسود وانها قد أوعدت الملك ارمانوس بقتل الأميره بحيلة تدبرها وتعملها وقد ثبت عند الملك بأنك قد هلكت فكن من أمرك على حذر وقد زوجت نفسها لملك الروم ارمانوس قال فصعب ذلك على الأمير عبد الوهاب وكانت الأميره قد سلا عنها همها وزال غمها فأمرت العساكر بأخذ الاهبه وافتقاد عددها وارتفعت الاصوات ورفعت الرايات ودقت الكئوسات ونعرت البوقات وقادوا الجنائب وقد استغاثوا اباطالب

الغالب رب المشارق والمغارب وركب أمير المؤمنين المعتصم بالله إبراهيم أبا اسحاق على جواده وحوله أعوانه واجناده وعبيده وغلمانه والمظله على رأسه وقرأت القراء القرآن العظيم بين يديه وأما الامير عبد الوهاب فانه صف ايضا عساكره ودساكره ونصب اللوى واوقف المعتصم من تحته وعليه عمامة رسول الله ﷺ وفى يده القضيب الممشوق وهو متوشح ببردة رسول الله ﷺ والأمراء بين يديه والأمير عمرو بن عبيدالله مقدما على سائر الطوائف على ماجرت به العادة والأمير عبدالوهاب قد اصطفت بين يديه الأبطال من بنى كلاب والسودان الانجاب وقد استعدوا للطعان والضراب وفى ايديهم السيوف والحراب والأميره ذات الهمه إلى جانبه فى القلب والأمير ظالم فى الميمنه وسيف الحنيفيه فى الميسره وأما الروم فانها قد انزعجت من سائر الطوائف والاجناس وخيل لهم ان الدنيا انقلبت وأراد الملك ارمانوس الركوب فقال له بحرون وحق المسيح لا تعرضت أنت لحرب وهاأنا فى أربعة آلاف أسود وآخذبهم هذا العسكر وأقتل الكل وأول ماابدأ بذات الهمه فهذا ما كان منه (وأما ميمونه) فانها قالت وحق المسيح لابد ماابذل روحى فى طاعة الملك ارمانوس وانصر دين الناقوس قال وان ارمانوس اراد ان يشاهد شيأ من شجاعتها وبراعتها فأذن لها بالقتال فركبت وركب بحرون وركب الملك ارمانوس وضرب الناقوس ووقف الملك ينظر الى مقام الحرب ثم قال لبحرون اليوم اورينى قتالكم مبارزه على سبيل الفرجه وفى غداة تكون الحمله فأجابه إلى ذلك وإذا بفارس هائل المنظر وعلى جسده ثوب اطلس اخضر ومن تحته جواد مليح المخبر وسار حتى انه دنا من المسلمين وكشف لثامه ونادى وإذا بها ميمونه والزنار على خصرها والشقاوة قد لاحت على وجهها ثم انها نادت ألا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا ميمونه الحبشيه بنت الملك الدمدمان وقد تزوجت بالملك ارمانوس ونصرت دين الناقوس وخلصنى المسيح من عبد الوهاب صاحب الوجه الكالح والسواد اللائح (قال) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك أخذه الزمع ولا استطاع الثبات على سرجه من الغيرة وقد عول على الخروج وإذا بفارس قد ظهر فتأملوه الناس وإذا به الأمير ظالم وهو مع ذلك ينشد ويقول هذه الأبيات :

حلفت يمينا بالنبي محمد ... نبى الهدى خير البرايا بلا كذب
له شرف يرقى إلى السبع رفعة ... وقدر رفيع الذكر والحسب
وان إله الخلق لاشك واحـد ... ولا والد حقا ولا صاحب قرب
تعالى عن الازواج يا ابنة دمدم ... فدونك ضربى واحذرى الآن من حربى

(قال الراوى) ثم حمل على ميمونة وقد عرفت معاطفه وقالت هذا ابن زوجى ثم

قالت درنك يا ابن الحجام فقال لها يامن قد طردت عن باب الملك العلام أنظرى الى بياضك الشفاف حتى انكى تعايرينى بسواد أبى فلما أن سمعت من ظالم ذلك ازدادت غضبا وحنقا وقالت له يا ابن اللخنا المعروفة بالخناسف أخليك رهن الرمضا وانى قد تبدلت عن أبيك الكالح الوجه بمن هو كالبدر الطالع وسوف يدخل القسطنطونية ويجمع ملوك النصرانية يحضروا عرسى ويطيب ارمانوس بوصالى وتطيب بوصاله نفسى وأرتجى الراحة من المسيح ثم أنشدت تقول هذه الأبيات :

أيا ظالما بل أنت من نسل ظالم ... وما ظالما إلا سيبلى بظالم
وكل فتى يلقى الحروب بنفسه ... ولابد من ضرب السيوف الصوارم
ولا سيما من يد ميمونة التى ... لها كل فعل هائل فى المعالم
وتفرح بالأفراح من كل جانب ... بنصر أرمانوس وقت التلاحم
إلى أن نوافى نحو أرض ملوكنا ... ونجمع جمعا للملوك الاكارم
ونجمع للرهبان من كل بترك ... على دعوة مامثلها فى العوالم
وأحظى بأرمانوس كالبدر طالعا ... وقد أسفرت عنه سحاب الغمائم
وأبيض شفاف وجسم بجوهر ... أقابله منى بسواد فاحم
ونجلس فى قصر ونترك ملكنا ... لبحرون حتى نشتفى بالتلازم
ونفتح أقطار البلاد جميعها ... ونهب أموال الملوك الاعاجم

(قال الراوى) ولما فرغت من شعرها حملت على ظالم وتصادما فكانا كجبلين وفى العيان كالبحرين وتطاولت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق فعثر جواد الامير ظالم فوثب عن ظهره الى الارض فطمعت فيه وأرادت أخذه وإذا بفارس قد ظهر من ناحية الروم الى ميمونة وكان من بعض سودانها يقال له خدعه لما أن رأى ماحل بالامير ظالم صاح بجواده فخرج من تحته كأنه البرق إذا برق وما زال الى أن قرب من ميمونة وقد ظنت أنه أتى لنصرتها وقد صاح صيحة أرعب بها جميع العسكر وطعن ميمونة فى ظهرها انقصف الرمح فى سرجها الا أنه أوهنها وطاعن ظالم وكان ظالم قد أشرف على الهلاك فلما نظر إلى ذلك عاد طالب العسكر وأما العبد فان الروم لما نظرت الى فعاله حملت عليه وكان تحته جواد سابق ونظر المسلمون إلى ذلك فحملوا وقد التقى الجمعان وكانت ميمونة أسبق الخلق إلى ظالم لأنه كان راجلا بين تلك العوالم فصاحت الأميرة ذات الهمة لله درك ياأمير ظالم فلا أفجع الله فيك حبايبك وأبيك هذا وقد اهتزت منهم الارض بأقطارها وقدح شرار النار من أحجارها وقد حمل الامير عبد الوهاب بعد أن كشف رأسه وخففه

لباسه وخرج من بين الصفين والزبد على أشداقه وأدرك ميمونة فلما أن نظرته قالت هذا عبدالوهاب وماحمله على ذلك إلا الغيرة ثم صاحت به ياعبدالوهاب ارجع إلى وراءك والاوحق الدين العتيق اعدمتك نفسك وأسكننك فى رمسك فلم يرد عليها جواب بل حمل عليها وهو ينشد ويقول :

لعنك إله الخلق يابنت دمدم ... ولا فزت بالغفران من عند راحم
فويلك والويل الطويل معمم ... عليكى سريعا من حضوره ومعدم
تركتى على جهل مقالة أحمد ... نبى الهدى والهاشمى المكرم
ولذتى بأرباب النصارى ودينهم ... وصرتى لعمرى من وقود جهنم
أما ينهكى مافى الكتاب زواجر ... وحجك للبيت العتيق رزمزم
فعودى إلى دين الحنيفية الذى ... به تسعدى يوم الحساب وتسلمى
وما لكى عندى ان أبيتى كرامة ... سوى صارمى والرمح ويلكى فاعلمى

(قال الراوى) ياسادة فلما سمعت ميمونة من الأمير عبد الوهاب علمت أنه رجل سليم القلب فأرادت أن تخدعه فقالت أيها الامير وحق من فلق الحبه وتردى بالعظمة ماحملنى على هذا الا لما أنى سمعت انك هلكت وأيقنت أن بحرون قتلك وما بقى لى وجه أعود به الى الإسلام وولدى كافر وما لى صبر عنه لاسيما ومابقى فى بلاد الاسلام من ألوذبه وندمت على ما كان منى وانى لم أزل نادمه حتى أكون على ربى قادمة ثم أنشدت تقول :

ندمت على ما كان منى جهالة ... ومن يتبع ماتشتهى النفس يندم
فهل توبة ترجى فأرجع مسرعا ... اليكم فان الله لاشك يرحم

(قال الراوى) ياسادة فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من ميمونة فرح وظن ان فسادها قد انصلح فقال لها الباب مفتوح والخير ممنوح عندها قالت أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فطار قلب الأمير فرحا ورمى الرمح وكذلك ميمونة أرمت رمحها وأقرنت جوادها بجواده ولم يعلم باطنها وان ميمونه أورت الأمير انها تريد قتال الروم ورأته غافل عنها فوثبت اليه وقبضت على منكبيه وصاحت إلى الروم خذوه فكان أول من سبق اليه بحرون وقال لها من هذا فقالت هذا أبوك فخذه فهجم عليه وقال فى هجمته يا كلب العرب وياحمال الجلة والحطب ومن يرضاك تكون له أب أحاط البلا والعطب وأنا متعجب وحق المسيح من تلك الضربة فقال الأمير عبدالوهاب ويلك يابحرون لا تتعجب فوالله ما كانت ضربتك إلا واصلة ولكن الله تعالى لطف بى ورأيت رسول الله ﷺ أبرانى وأخبرنى بتنصر أمك وانها صارت بملك الروم مفتونة فأين نخوتك العربيه وغيرتك

السلطانيه القوية وأنا أرجو من الله تعالى يا بنى ان لا تلقاه وأنت كافر فتكون فى الآخرة خاسر ففى هذه العاملات للبرد لا ئل فلا تكون مع القوم الذين باعوا الدين بالدنيا وكفروا بإله السماء فضحك بحرون وقال يا عديم العقل يا كثير الجهل لا ترضى أمى بالملك وان يكون لها بعلا وهى تعتقد اعتقادى ثم رفع السيف حتى بان بياض ابطه وهم ان يبطش به وإذا بصايح يصيح جاءك يا بحرون المنون فالتفت وإذا بفارس فرق الصفوف ووراءه آخر لا تقاومه ألوف وهو قد لوح من الروم القحوف وقتل صاحب العلم وقد خرج أرمانوس من تحته وقد صاح بالبطارقة مستغيثا بهم هذا والفارسان فرقوا الناس يمينا وشمال حتى وقعوا على بحرون وميمونة وعبد الوهاب وقد نادى أحد الفارسين أيا ويلك يا بحرون جاءك الموت والمنون من كف فاطمة بنت مظلوم ونادى الآخر أنا ظالم الهجوم والاسد الغشوم ووقعت الخصوم بالخصوم وصاحت الاميرة صوتا مثل الرعد وحملت وحمل ظالم عليهما وقلبه قوى بالاميرة وهجم عليهما وحملت أيضا الاميرة على ميمونة وأشغلتها عن ظالم وحين رآها ظالم اشتغلت عنه طعنها فى كتفها أنفذ الرمح منه وأخذها أسيره وقبض على ميمونة مثل قبضة الاسد حتى دخل عسكر المسلمين وعول على قتلها ليؤدب بها سائر العرب ولما أمن على نفسه قال الامير عبد الوهاب ان الاميرة فى قتال بحرون وهى غائضة فى بحر عجاج وأحاطت بها الاعلاج فقال يا ظالم فما الرأى قال العودة الى القتال ونسلم ميمونة الى العبيد فقال العبد خدعه أنا لها يا مولاى فقال لله درك يا خدعه فقد نصحت الاسلام وأرضيت الملك العلام وسوف ترى ما أصنع معك من الجميل وسار الامير عبد الوهاب واقتحم العسكر وتقاتلت فرسانها ونادت شجعانها وملات بالقتلى ميدانها وعساكر الاسلام رفعت بالقرآن أصواتها ونادت بملكها وديانها والروم صاحت بالانجيل قساقسها ورهبانها وكان الوغى فى تلك الساعة مثل نار جهنم إذا زفرت نيرانها هذا والاميران قاصدان الى الموضع الذى كانت فيه الاميرة حتى وصلا اليه فلم يجدوا اللاميرة ولا لبحرون خبر فقلق الامير عبد الوهاب قلقا شديد فلما رآه ظالم كذلك قال له أيها الامير أنت تعلم ان الحرب ليس بحكم الانسان ولا السيف بحكم البنان ولا شك ان الاميرة تعبت من خصمها وإنما أعلم أن بحرون أقرب الى الهرب لانه ماله طاقة بالاميرة فاحملوا بنا عسى ننظرها ثم حملا وخاضا العجاج (قال الراوى) هذا جرى (وأما ما كان) من الاميرة وبحرون فانه لما تخلص ظالم من المعمعة ومعه ميمونة حملت على بحرون فرآها بحرون كل ساعة فى زيادة وكانت الاميرة كلما شاب رأسها اشتد بأسها والذرية هكذا كلها لكن فرق بينهم لقوله تعالى فمنهم شقى وسعيد لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فما رأت العيون أحسن منهما فارسين

على فرسين فكانا كانهما بحران انقلب كل منهما على الآخر ولم يزالا كذلك الى ان ذهب ضياء النهار ثم ان بحرون جعل يقهقر جواده الى خلف طالب ان يبعد بها عن العسكر وقاتل معها قتال مايقاتله مجنون فعلمت ان تقهقره خديعة عندها حملت عليه ولاصقته حتى ضيقت عليه ثم قامت فى ركابها وأشارت اليه بضربه بصارم لو وقع على صم الجبال لقطعه فلما نظر بحرون الى ذلك خاف ونادى للروم بالرومى هذه أم الاسود فدونكم واياها فلم يتعرض لها أحد الا ان كل واحد مشتغل بنفسه فعلم بحرون انه هالك وكان تحته جواد سابق فخاض العجاج وظن انها لاتلحقه فصاحت بجوادها خلفه حتى خرج من العسكر وأوسع فى مرج فى بلاد الروم وهى وراءه إلى أن انسدل الظلام وقطع أرض بعيدة فعندها وقف بحرون وهو يظن انها تعبت حتى إذا قاربته حمل عليها وجدها أقوى من الأول فقال لها ارفق بنفسك فقالت لا والله لأننى أقسمت لاأرجع إلا بك اما أسير واما قتيل حتى أضعك مع امك الملعونة فلما علم انه هالك أخذ فى الهرب وهى خلفه وكانت اخبر منه ببلاد الروم لأنها وقعت فى أرض لاتعرفها وهى تراها مثل الزعفران إلى ان برق الفجر بضيائه وهو مكان تسمع به الروم وهو قليل الماء كثير المهالك كثير الاوعار مظلم الجنبات موحش العرصات كثير الضب والذئاب قليل النبات لايطمع فيه طامع ولا يرتع راتع والآمن فيه خائف وهالك ولاأمان فيه لهالك ولا لجازع وهذا الوادى على الآفات منطوى يسمع فيه للجن دوى وللذئاب عوى وكانت الروم تسمع صفته فى السير القديمة ونعوته عندهم مفهومه الا أنه لم يدخله قط داخل لهول تلك المداخل وذات الهمة وبحرون خرجا على غير طريق ولم يعلما انهما سلبا ثياب التوفيق فندما على ما كان منهما

(قال الراوى) وعاد جاسوس ملك الروم إلى أرمانوس واعلمه ان ذات الهمة قد فقدت ففرحوا الروم وقالوا غدا نفرق الخيل فى سائر الطرقات فما نقول الا ان بحرون معها فى القتال ولما أصبح الصباح ركب المعتصم وركبت سائر الطوائف وصف عبد الوهاب العسكر وارتجت الارض وكذلك سائر عساكر الروم اصطفت كما جرت العادة وان أرمانوس صاح بجواده فخرج من تحته كأنه الريح الهبوب وصار بين الصفين ونادى بالرومية جفاليان انطوى أكتاش كبليز كناس كيكوش هارلانور لاسراح باكرمس ياذبانين ياهريت يعنى من عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا الملك أرمانوس ابن عبد الصليب والناقوس أقسم بالمسيح ومريم لئن لم تطلقوا ميمونة التى روحى بها مفتونه ليكونن ذلك سببا لانقطاع الآجال والشيخ النجيح والا فهو سبب خراب الديار فاذا أجبتمونى إلى ماطلبته عقدت لكم الصلح بينى وبينكم أربع سنين وأعود إلى القسطنطونية

من غير بذل مال ولا وزنه كل سنه فلما سمع المسلمون ذلك هاجت الأبطال وكثر الكلام وصاروا يلعنوه وقامت على المعتصم القيامه وقال مازلت مصدق ومكذب فى أمر عقبة حتى سمعت ملك الروم يذكره فى الصلح وائن أحيانى الله تعالى وسهل أمرنا لأصلبنه على باب الذهب وهاأنا خارج إلى هذا الملعون بنفسى (قال الراوى) فلما عول على ذلك وإذا بفارس قد خرج من بنى كلاب كأنه شهاب فلما صار بين الصفين كشف لثامه وأشهر حسامه وإذا به الأمير مدركه عم الأمير ظالم بن الصحاح وحمل على أرمانوس وقال ويلك يا كلب الروم ان بينك وبين ميمونة ضرب يطير الهام ويزلزل الأقدام (قال الراوى) وحمل على أرمانوس وحمل أرمانوس عليه ودقت الرهبان نواقيسها وطلع عليهما الغبار وعمل بينهم الصارم البتار ثم اختلف بينهما ضربتان وكان السابق مدركه فبطلها أرمانوس وعطف عليه وطعنه فى صدره أخرج الرمح من ظهره فوقع ميتا وصاحت الروم وارتفع البكاء فى بنى كلاب وورد على عبد الوهاب من قتله أكثر المصائب لأنه كان عنده مثل الوالد هذا وان أرمانوس ينادى يامسلمين ماهذه الفترة أين فرسان حربكم أين أسودكم أين أمه الغادرة خبروها بى فانى أحب برازها فهم الامير بالخروج وإذا بفارس بدركانه النجم إذا أزهر وتحته جواد يدهش النظر وإذا به الامير قشعم فقال له أرمانوس من أنت فلم يجبه دون أن حمل عليه وهو يقول :

ستعلم ياملعون انك هالك   وانك يوم الحشر فى سجن مالك
ومدركة قد صار فى دار قدسه   بروضة قدس فوق أعلى الارائك
سآخذ تارى منك يا كلب عاجلا   وربى يرى ان يسهل لى ذلك

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد على صاحبه وقلق الامير عبد الوهاب وتطاولت الاعناق وشخصت الاحداق وقامت الحرب على ساق وكان حسن السيفين على الدرق كأنه عدة إذا خفق وجرى بينهما العرق ولم يزالا كذلك حتى تنصف النهار (قال الراوى) فهم على ذلك وإذا بالصياح قد علا من عسكر الروم وماجت بهم الارض وأرموا النفوس عن الخيل وأشاروا إلى أرمانوس ان يرجع فرأى الامر عظيم والمصيبة عليه فلما رأى أرمانوس ذلك تخيل وعلم انه خدث حادث وطلب الخلاص فوجد ذلك منه بعيد فلوى أرمانوس غنان جواده منهزما وقشعم تابعه فحملت عليهم الروم عندها حمل عبد الوهاب وبنى كلاب وحمل المعتصم والترك والديلم وارتفع الصياح وهاجت الاوقاح وصهلت الخيل القداح وعاد النهار ليـــل وسال الدماء سيل وامتلأت بالقتلى البطاح وسقيت على وجوهها الرياح ونفرت الخيل بالوجوه الصياح فيالها من ساعة كرهت

الأرواح فيها الحياه ولم يجد الولد أباه ولا أخ أخاه ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار ونادى الفريقين بالانفصال ونزلوا الناس ولم يقدروا على الجدال وقال عبد الوهاب ماكان سبب قتل مدركة إلا ميمونة فعلى بها حتى أعرض عليها الإسلام فان أسلمت وإلا ضربت عنقها فقال البطال يا أمير ويكون عقبة معها فقال المعتصم على به وبها فغابوا ساعة وعادوا عليهم الانكسار فقال عبد الوهاب ما الذى دهاكم فقالوا عقبة هرب وميمونة وماوجدنا لها أثر فقامت عليه القيامة وعظم على المعتصم وقال صح الأمر فى عقبة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن العبد خدعة الذى كان طعن ميمونة كان جرى حديث عقبة وشومدرس قدامه فقال أرمانوس وحق المسيح لو وجدت من يخلصهم أعطيته وزنهما ذهبا فلما سمع خدعة ذلك قال أنا أخلصهما وقال أنا الساعة أطعن ميمونة بهذا الرمح حيلة وأروح إلى عسكر المسلمين كأننى رجعت اليهم ثم فعل ماذكرنا وعرف العبد خدعة موضعهم فلما أظلم الليل مشى خدعة إلى نحو عقبة وميمونة وفك قيودهما من العسكر وكذلك خلص شومدرس ووصلت ميمونة إلى الملك أرمانوس فوقعت الفرحة فى العسكر وأخلع أرمانوس على العبد خدعة وأوفى ماوعده (قال الراوى) (وأما ماكان) من أبو محمد البطال فانه لما علم ماتم على الاميرة ذات الهمة قام وودع أصحابه فقال له مذبحون اقعد أنت وأنا أقضى الحاجة فقال يابنى ما أدعك تمضى ولا يطيب قلبى أن أتركك تسير وحدك فقال له اتبعنى ترى العجب ثم جعل يقرب شمعة إلى وجهه ويمعك دقنه وشاربه وهو من الأصل خفيف العوارض حتى بقى مثل وجه النساء والناس مكشفين الرؤس وكان مذبحون صورته جميلة مناسبة لأمه نورى فى الحسن والجمال وكان يتكلم بسائر اللغات ودخلوا العسكر وكان هو وأبوه وأؤاؤ وقال ادخلوا من جهات متفرقة ويكون المعياد سرادق الملك وكان من عادة الروم انهم إذا خرجوا للغزو يخرج معهم الرهبان والقساقسة لأجل البركة فهذا ما كان من هؤلاء.

(وأما ما كان) من عقبة وميمونة فانهم اجتمعوا تلك الليلة بالملك أرمانوس وقد فرح بهم غاية الفرح وقال للمسيح على منة عظيمة لاأقوم بها من وجهين أحدهما خلاص هذه الملكة ميمونة لأنه كان فى قلبى منها نار لاتطفى ولهيب لايخفى ومن أجلها اصطليت الحرب بنفسى فصلبت ميمونه على وجهها وباست الأرض قدامه فرحا بكلامه ثم قال الملك أرمانوس والثانى خلاص الشيخ النجيح عقبة فقال عقبة وقد بكى وتفارش اعلم أيها الملك اننى أجد فى الكتب القديمة أن المسيح ينصر شريعته وملته برجل يظهر من أرض الروم فى آخر الزمان يقال له أرمانوس الاكحل يفتح الأرض مشارقها ومغاربها

والآن فقد طول عمري وقد نظرت إلى ذلك الزمان مشاهده وما بقي غير فتح البلاد فقال أرمانوس وحق المسيح والإنجيل لقد قويت قلبي وعزمي وخروجي إلى بلاد الإسلام بعد أن قرأت ذلك في الكتب القديمة وما أنت ممن يشك في قوله لأنك معدن الصدق فقالت الروم أيها الملك لقد صدق فيما قال لأن هذا الشيخ شيخ الملة المسيحية وصادق الهمة الذي لايرى الكذب في قوله فكن واثقا به وكن على يقين من نصرة المسيح ببركته فما وجدت الروم بركة إلا به وبحضوره بينهم (قال الراوي) وكان في الافرنج رجل يقال له مندرونا وكان شيخا قد كبر وهرم وكان قد حضر مع عقبة وقعات كثيرة مع ملوك الروم فلما سمع كلامه ضحك وصلب على وجهه فقال له الملك ماهذا الضحك في غير موضعه فقال أيها الملك وحق المسيح ماحضر هذا الشيخ النحس قط معنا في موضع إلا وقد طارت البركة منه وضربت رقابنا وأخذنا أسارى في الحبال إلى بلاد الإسلام وأنا فقد عرفت طلعته وقد أقسمت بالمسيح إنه متى حضر في عسكر وكنت أنا فيه هربت بالليل قبل أن يدركني الصباح لأنجو بنفسي وأنا بعد ساعة داخلا إلى القسطنطونية فغضب عقبة غاية الغضب وعجب الملك وسائر الملوك من قوله وأراد الملك أن يقطع كلامه ويطيب قلب عقبة ويقطع خجله فأمر بضرب رقبة مندرونا فلما قدموه لضرب الرقبة قال هذا أول الأمر حتى تصدقوني في شؤم طلعته وقلة بركته وإنه أول ما كلني أمر بضرب رقبتي فضحك الملك وسائر الملوك وكذلك عقبة وقال أيها الملك هذا رجل قد خرف وكبر فلا تؤاخذه وأطلقه لأجلي فأطلقه الملك وقال له إن قمت في العسكر ضربت رقبتك فقال مندرونا لا وحق المسيح من غير ما تقول فعلي هذا كنت معول ولا أقيم بينكم ساعة مادام عقبة فيكم (قال الراوي) وإن ميمونة دخلت على أرمانوس وقالت أيها الملك ولدي بحرون ماله خبر فقال ماعندي منه خبر من يوم الوقعة التي أخذتني فيها فقالت كان هو وذات الهمة قد نازلته في ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وان ذات الهمه مارجعت إلى عسكرها وهم يظنون انها عندكم أسوره وانتم ماعندكم منها خبر ولا من بحرون أثر وما لهم إلا حديث عجيب فقال عقبه المسيح يحفظ ولدك ايما كان وأينما حل وقد جعلت بركتي عليه لامحاله مادام خاطري معه ثم اقبل على الملك وقال له أيها الملك انت ترى هذا العسكر الذي بين يديك انه عسكر عظيم وفيه أبطال المسلمين جميعهم فان املت انه تقهرهم فذلك امر بعيد لأن أكثر العساكر بتوع الاقاليم ماحضرت وبلاد الروم قد نكبوا في هذين السنتين بكتائبها انقرضوا فيها مع الملك ميخائيل وغيره وكلهم أفناهم هذا الاسود عبد الوهاب ومافي الأمر إلا الحيلة عليهم فقال له الملك وكيف لي بذلك فقال له عقبه دعني ادبر

ما أريد فقال له افعل ما بدالك فلا حكم فوق حكمك وكلنا تحت أمرك فعندها أدعى عقبه بحرب بن شيبان أمير العرب المتنصره وحده وقال له اعلم أن الملك دعانى الساعة اليه وقال لى أيها الشيخ النجيح اعلم أن العرب المتنصره الذين معنا ما منهم منفعة وما أقول إلا انهم مخامرين علينا وعلى كل حال قلوبهم إلى دين الاسلام والعرب يراعون بعضهم بعضا وماهم عندنا الا ليضيقون بلادنا ويأكلون أموالنا وينكحون بناتنا وأنا فالى فيهم رغبه نبه عليهم وقول لهم يخرجون عنى ويرحلون إلى بلادهم والا وحق المسيح أمرت الروم يجندلوهم على التراب ويدوسوهم بسنابك الخيول (قال الراوى) فلما سمع حرب بن شيبان ذلك اصفر وجهه وتغير لونه واضطرب كونه وقال ايها الشيخ النجيح وحق السيد المسيح القتل أشهى إلى من دخولى إلى بلاد الاسلام لأن ما بقى لنا عندهم وجه وكنا كلنا نمضى على السيف وكيف يكون ذلك كما خطر فى قلب الملك ونساؤنا وأولادنا وأموالنا فى بلاد الروم وما نعرف اصلاح شأننا إلا منك فأطرق عقبه برأسه إلى الأرض ساعة كانه يدبر لهم تدبيرا يكون لهم فيه الصلاح ورفع رأسه وقال وحق المسيح ما أعلم لكم شىء يصلح أمركم إلا ان تحملوا نفوسكم على البلاء العظيم فقال وماذاك أيها الشيخ النجيح فاننا نفعل ما تأمرنا به ولوكان منه هلاكنا قال تسيرون من هذه الساعة كانكم طالبين القسطنطونيه من غيبة الأميرة ذات الهمه لا تكون قد أخذت معها عسكر وسارت إلى القسطنطونيه واحذروا أن تشهروا هذا الأمر عند المسلمين ثم تعطفون طالبين بلاد الاسلام فما يصبح عليكم الصباح الا وأنتم خلف عسكر الاسلام بأربع فراسخ ثم تخلعون عنكم لباس الديباج وتظاهرون بالبياض وتضيقون اللثامات وترفعون أصواتكم بالتكبير فانهم إذا رأوكم يظنوكم من بلاد الحجاز وقد جئتم فى طلب الجهاد والغزاه فعند ذلك تطلبون المعتصم كأنكم تحدثوه وتسلمون عليه فاذا وقفتم ووقعت عيونكم عليه ولا يبقى الا أنكم تترجلون حتى تقبلون الأرض عندها أطلقوا الاعنه وقدموا الاسنه واقصدوا الخليفة بطعنه واحده فما أظنه يسلم منكم وماهو إلا أن يقتل ويميل العلم ويحمل ملك الروم عليهم بعساكره فما يبقى فيهم من يشرب الماء ولا يشم الهوى فاذا فعلتم ذلك رفع قدركم عند الملك وصارت لكم اليد البيضاء والمنزلة الحسنه ويزول ما فى قلبه من الشك منكم فلما سمع حرب بن شيبان ذلك قبـــل يده وقال سمعا وطاعه سوف أبذل روحى فى البلاء وأنت تعرف منزلتى عند الملوك الذين قبله فقال عقبه دع ما مضى وافعل ما أقول لك واخرج من ساعتك هذه فى رجالك ولا تعلمهم إلا أن خرجتم عن عسكر الروم لأنه لا يخلو من الجواسيس سيما شيطان الانس وعفريت الجن أبو محمد البطال وأنا اعلم انه يعمل حيلة حتى يوقعنى فيها ويردنى إلى ما كنت فيه من الذل والهوان فعند ذلك خرج حرب بن شيبان إلى خيامه وأحضر وجوه قومه وأمرهم بالرحيل إلى القسطنطونيه واعاد عليهم ما قاله عقبه من الخوف

عليهم من ذات الهمه هذا والبطال يسمع ولما بعدوا أعلمهم حرب بن شيبان بالقصه وقال ما اظن قول مذدرونا على عقبه الاصحيح وحق المسيح ما أعلم الملك بهذا القول وما فتح علينا هذه الابواب غيره فلا يستر المسيح عليه وما طلب بهذا إلا هلاكنا وما يمكننا الاجتماع ولا الامتناع ولا لنا غير الاجابه فقال بعضهم أيها الأمير ولعلها خير ولعمرى أنها مشوره جيده وإن صح ذلك وقتل المعتصم يصير لنا الذكر عند الروم ويدعوا لنا فى الكنائس وسار حرب بن شيبان كما ذكرناوهم على صفات العرب الأجواد على الخيول الجياد والسيوف الحداد والرماح المداد

(قال الراوى) فهذا ما كان منهم واما ما كان من ابى محمد البطال فانه قبل على ولده مذبحون وقال الحمد لله الذى كان هذا الحديث ونحن حاضرين فقال مذبحون وأى حديث جرى فقال كل خير وما هو إلا العرب المتنصرة مضى منهم مقدار خمسين ألف إلى القسطنطونيه اشفاقا عليها وخوفا من الأميرة ان تكون اخذت عسكر وسارت اليها فضحك مذبحون وقال هذا ما يدخل عقلى وأنا اعلم ان هذا من جملة جزع اللعين عقبه ومكره وقد اشار على الملك بهذا ولابد مايعود حرب ابن شيبان ويظهر انه من ارض الحجاز ويهجم على المسلمين ويخاف على المعتصم من هذا لأنه يكون آمنا تحت الاعلام وبالله ان تم هذا ياابتاه ليكون سببا لهلاك المسلمين وكسر عساكر الموحدين وشماتة الحاسدين (قال الراوى) فلما سمع ابى محمد البطال هذا المقال كانه كان نايم واستيقظ وقال يابنى ان كان الأمر على ماذكرت فها نحن ثلاث كل واحد منا لواحد واحد لسرقة عقبة والآخر لسرقة الملك والآخر يذهب ويعلم الأمير عبد الوهاب بحيلة حرب بن شيبان فقال مذبحون فمن لعقبة قال ياولدى ماله غيرك فقال له انا له وسوف ماأعود إلا بعقبة فقال البطال وأنا أمضى واعلم الأمير عبد الوهاب بهؤلاء الكلاب واؤاؤ للملك ارمانوس فقال لؤلؤ حبا وكرامة ثم ان البطال سار من عندهم بعدما اوصاهم ودخل الى الأمير عبد الوهاب فقال له الأمير عبد الوهاب أرى العوده قريبه فقال له أيها الأمير أبشر ببلوغ الآمال وهلاك الأعداء واعاد عليه القصة من أولها الى آخرها فلما سمع الأمير بذلك فقال والله لقد دبر الملعون وماقصر فما الرأى عندك ياأبو محمد قال الرأى عندى تجهز عشرين الف من بنى كلاب وعشرة آلاف من بنى سليم وخمسة آلاف من السودان يكمنون فى موضع العيون فانهم غدا فى هذا المكان يكونون ولابد أن يرسلون بين أيديهم عرب مجهولين فى زى عرب الحجاز عليهم آثار السفر يعلمون الخليفة أنهم قدموا للخدمه والجهاد بين يديه ويطيبون قلوب الناس وما يشعرون بهم إلا وقت الحاجة فاذا وصلت رسلهم بذلك تخلع عليهم وتأمرهم بالنزول فى مواضعهم إلى ان يأتى اليهم المعتصم وتخلع على المقدمين منهم فاذا سمعوا ذلك

يظنوا انهم بلغوا المنا وشفوا غليل الفؤاد هنالك تخرج فى الفين من أمراء المسلمين وعلى وأسك الرايات والاعلام العباسية كأنك الخليفة وتنعر البوقات السلطانيه وتشرف عليهم وأكون أنا سبقت اليهم فى عشرة من غلمان السلطان واعلمهم بقدوم الخليفة واقول لهم لا يركب منكم انسان بل تمشون كلكم اليه وتقبلون الأرض بين يديه هنالك تحمل عليهم وتبذل السيف فيهم فما ينفلت منهم أحد ثم تحملون الرؤس وترموا بها الى اصحابهم وأنا أقول إن شاء الله تعالى ما يصبح الصباح الاعقبه مع القوم يجيبه مذبحون فقال الأمير أحسنت يا اوحد الزمان هذا والله ما لم يكن فى الحساب وان من الله تعالى تمام الاحسان ويظهر من الاميره خبر ولم تتم تلك الليلة حتى فعل ما أمره به البطال ولما أصبح الصباح وابدر وبدا نوره واذا بلؤلؤ دخل الى خيمة الأمير فقال له الأمير ما وراءك يا مبارك فقال كل خير والله قد جرى علينا عن تحصيل اللعين عقبة كل عجيبة ولولا مذبحون وتدقيق حيلته لما قدرنا عليه فلما سمع الأمير ذلك ضحك وقال والله ما يقع فى يد المعتصم بعد ما شاهد وما سمع عنه من ملك الروم ما بقى عليه ساعة واحدة فأين فارقتهم قل لى وأوجز قال يا مولاى فى لحف الجبل مما يلى عسكر الروم فى مغاره وأنا عارف بها وأريد منك عشرة فى زى الروم حتى يتم لنا الوصول اليهم لان العسكر بين أيدينا ثم أدعى بعشرة رجال صناديد أبطال لا يرهبون الموت ولا يخافون الفوت وقد تزيوا بزى الروم وأخذهم لؤلؤ وسار (قال الراوى) ياسادة فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من عسكر الروم فانهم لما أصبح الصباح طلبوا عقبة فلم يجدوه فعظم ذلك عليهم وسأل الملك عنه فقيل ان لصوص المسلمين أخذوه لانهم يسرقون الملوك من على أسرتها والاطفال من مهودها فصلب الملك على وجهه وقال ما رأيت الناس يسرقون الناس قالوا نعم أيها الملك ان لهم رجل يسرق الرجال اسمه أبو محمد البطال يأخذ الكحل من العين والجبه من بين القميصين لانه يدخل بين الرجل وزوجته ولا يراه أحد ويدخل الانسان فى زى أبوه وأخوه وأمه ولا يعرف بينه وبين أهله وزوجته وذويه فقال الملك وحق المسيح لقد فزع قلبى على ميمونه اطلبوها فمضوا وأتوا بها ففرح وأخبرها بذلك فقالت هذا من أعمال البطال فقال معلوم ان الذى أخذه بعد ما وصل به اليهم هل تعرفين من له بصيرة ببعض الاثر حتى يمضى فى أثره فقالت أنا أمضى ثم انها أخذت من سودانها مائة أسود بعدة وزرد وخرجت من العسكر وهى طالبة أثره (قال الراوى) وأما حرب ابن شيبان فان رسله لما وصلت الى المسلمين ووصلت الى الامير عبد الوهاب وأخبروا أنه قد وصلت عرب من أرض الحجاز وهم قاصدين الخدمة والغزاة فخلع عليهم وأمرهم ان يرجعوا اليهم وينزلوهم فى مرج العيون (قال الراوى) وبلغ حرب بن شيبان الرسالة

بأن الخليفة سائر اليهم بنفسه ففرح وقال قد قرب المسيح علينا العنا وبلغنا مسرة الهنا

(قال الراوى) وكان فرسان بنى كلاب والسودان الانجاب كامنين كما ذكرنا فما استوت الشمس فى كبد السماء الا وقد سار الامير عبدالوهاب فى ذلك الرأى الذى ذكرناه وقد سبق الامير أبو محمد البطال وهو يزعم أنه من خدم المعتصم هذا وحرب بن شيبان قد قدم غيره وأخفى نفسه وأشرفت أعلام المعتصم وراياته والامير عبد الوهاب تحت الأعلام وفرسان بنى كلاب هنالك نادى حرب بن شيبان فيمن معه امشوا كلكم إلى أمير المؤمنين وقبلوا الأرض بين يديه لأنه خليفة المؤمنين وكان أوصاهم لايهجموا عليه حتى ينزل ويجلس على كرسيه وتحدق به الرجال هنالك خذوه أخذا بالكف هذا وهم لايعلمون ماهو ماضى لهم فى الغيب وصاحب الغيب يدبره كيف يشاء ولما قربوا من الأمير عبدالوهاب وهم يحسبون أنه الخليفة فما كان بأسرع مما صاح الأمير فى الأبطال وقال لبنى كلاب ونادى الله أكبر الله أكبر هؤلاء كفرة فجرة (قال الراوى) وسمعت الرجال الذين فى الكمين صوت الأمير عبدالوهاب فخرج ضيغم والامير ظالم فى بقية الناس وخرج سملق وأبطال الحبشان وقد عمل الصارم اليمان وانطبقت عليهم الخيل من كل مكان ونظر حرب ابن شيبان الى ماحل به من الخذلان فنادى ياويلكم تمت عليكم الحيلة وحق المسيح لقد صدق منذرونا أن طلعة عقبة أيشم الطلعات وهذه الوقعة على المتنصرة أيشم الوقعات وما لحقت المتنصرة تركب خيلها الا والسيف يعمـــل فيهم مثل الصواعق على الجبال الشواهق وما كنت ترى الادم فائر مسفوح وجسد بلا روح ومافيهم الامن قاتل أكثر من ساعة حتى امتلأت الارض بالقتلى وأرملت النساء وأخذ حرب بن شيبان أسير وقادوه ذليل حقير ولم يسلم من الخمسين ألف غير تسعة آلاف وقتل إحدى وأربعين ألف وحملت الرؤس على الرماح وغنم عسكر الامير الخيل والسلاح والثياب والبغال والجنائب وعادت فرسان الامير الى الخيام والمضارب وعلم المعتصم فركب الى لقاء الامير بنفسه فى جميع عسكره وجنده وأما ملك الروم أرمانوس لما رأى الى المسلمين وقد ركبوا أدعى بالملوك الى بين يديه وقال لهم خذوا أهبتكم فهذا يوم الانفصال لأن حرب بن شيبان وصل الى المسلمين فى خمسين ألف فارس وهم يظنون أنها نجدة أتتهم وهم حملوا عليهم وأوصلوا الاذية اليهم فاحملوا أنتم فى عقبهم فعند ذلك مدت الروم أعنتها وقومت أسنتها واذا فى أوائل الخيل القادمين سبعة آلاف وعليهم صدور الزرد وفى أيديهم الرماح والعمد والرؤس على أسنة الرماح كأنها رؤس الشياطين وظهر بعدها سبعة آلاف أخر مثل الصفة الاولى قال ارمانوس يا ويلكم ماتروا السودان وعلى أسنتهم رؤس بلا

أبدان وقد انقلبت أصحابنا حتى عادوا هكذا فقالوا وحق المسيح انا نخاف أن الغصة انقلبت على أصحابنا (قال الراوى) فهم فى الكلام واذا برجال وقد ظهرت من العسكر الإسلامية إلى العسكر الرومية ونادوا يا كلاب الروم النصرانية واخس من غمس فى جرن ماء المعمودية أبادكم الله جل وعلا وأوقع أصحابكم بالفنى ودارت عليكم المصيبة والبلاء (قال الراوى) فلما سمعت الروم ذلك عظم عليهم وكبر لديهم وقالوا أيها الملك ماتم هذا علينا الا من جواسيس المسلمين الذين عندنا ونحن ما نعمل شيئا الا وهو مصور عندهم (قال الراوى) ولقد بلغنى أن أرمانوس قال للملوك ماعندكم من الرأى قالوا أيها الملك قدطال بنا المقام ههنا والملك بحرون قدانقطع خبره وخبر أميرة المسلمين وما انهم الا انتهوا الى بعض بلاد الروم وقد لقاهم من أهلكهم على ما كانوا عليه لأنه لا يخلوا أحدهم أن يكون تبع صاحبه ولجا فى البرية الى أن هلكا من التعب والعطش أولهما حديث عجيب فارجع بنا الى القسطنطونية حتى تنكشف أخبارهما وأيضا أخبار الشيخ النجيح الذى سرق من وسط العسكر وماندرى ما كان منه ولا نأمن عليك أيضا لان الذى سرقه وهو حذر على روحه قادر على أخذ غيره فارجع بنا فى هذه السنة حتى تتكامل الروم والافرنج من تحت طاعتك ويشدعزمك وتجمل بحرون وميمونة فى القسطنطونية وتخرج أنت على بلاد الاسلام (قال الراوى) فقال وحق المسيح هذا هو الصواب ولكن ما أقدر أرحل حتى تصل الملكة ميمونة لانها أخذت معها رجال ومضت خلف أثر الشيخ النجيح فهم فى الكلام واذا بخيول غابره وهى من وراءهم على عجل واذا بها ميمونة وكان من أمرها أنها اقتفت الآثار الى أن وصلت الى المغار وقفت وقالت لاصحابها ان الاثر قد انقطع هاهنا وأخاف أن يكون ساروا به الى عسكر الاسلام فارجعوا بنا نحفظ الملك أرمانوس لايتم عليه أمر من الامور (قال الراوى) هذا وقد نسيت ميمونة ولدها بحرون لما فى قلبها من هوى وتباريح الجوى من محبة ارمانوس فهذا ماكان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من لؤلؤ غلام البطال لما أخذ الرجال العشرة وسار بهم الى المغار الذى فيه عقبة الملعون فلم يجد له خبر ولا وقع لهم على جلية أثر (قال الراوى) وكان من قصتهم عبرة لمن اعتبر وأعجوبة لمن تفكر وذلك لما خرج مذبحون ليحتال على عقبة فى زى راهبة وأبى محمد مضى الى عسكر الاسلام يحذرهم من حرب بن شيبان لم يزل يدقق الحيل حتى خرج عقبة من الخيمة والرجال تحجبه اجلالا لقدره الى أن وصل الى الخيمة التى له وقد ضربت فى وسط العسكر من خوفه على روحه التعيسة ومن حولها عشرة بطارقه ولما حصل عقبه على سريره ومذبحون علم أن ماله اليه سبيل الا بالمخاطره

العظيمه فصبر وجعل يرقبه إلا أن استقر فى موضعه فتقدم الى البطارقه الذين على باب الخيمه وكلمهم بكلام المغلبيط فردوا اسلامه ورأوه مثل راهبة فقالوا امابالك يا راهبه فقال مذبحون أناقد أتيت إلى زيارة الشيخ النجيح وحجه السيد المسيح وانكم تعرفون أبي ملك المغلبيط الذى قد شاع ذكره وأيضا قد شاع ذكرى لأنى وهبت روحى للمسيح وتركت الدنيا عن مقدره وبنى لى أبى صومعة وأنافيها مقيمه إلى يومنا هذا تمام ثلاث سنين وكنت أسمع بذكر العبد الصالح حجة المسيح وكنت أتمنى لقاه لأنه من أتباع الحواريين ولما أن كان فى ذلك اليوم سمعت بأن الملك أرمانوس من القوم والبأس وشدة المراس وما معه من العسكر والأجناد وأنتم لابد أنكم سمعتم بخبرى وما أعطيت من القوة والشجاعة فعولت على الغزاة وأنا أخفيت أمرى عن أبي لاجل محبته لى وشفقته على وهو كما علمتم رجل جبار مايدخل تحت طاعته أحد وسمعت أن ميخائيل قدمات وماوصلت الى تلك الأرض الا أدخل تحت الطاعة وكنت سألت المسيح أن يجمع بينى وبين الشيخ النجيح وانى قد سمعت بخبره وله هذا مده ومادخلت اليه لانه كان فى مجلس الملك حياء من الملوك حتى لا يقال هذه بنت فلان وإلا يخطبنى منهم انسان لانى قد تركت ذلك المعنى ووهبت روحى للمسيح (قال الراوى) ولما أن سمعوا البطارقه كلامه ونعومة خطابه وهو ابن سبعة عشر سنة وماهب عذاره وهو أبيض أشقر وقد احمرت خداه وتوردت وجنتاه وقد لبس ثياب سود على بدن أبيض وهو فى زى الرهبان بمنطقة سوداء يونانيه ووجه كأنه دائرة القمر الطالع وكان إذا لبس اسود أو غير ذلك فى زى النساء له لياقه وملاحه ولما أن نظرت البطارقه إلى ذلك الجمال الزاهر قاموا إجلالا له واكراما وقالوا ياملكه وحق المسيح ماعرفناكى وإلا كنا خدمناكى عند لقاكى فكيف لا نفعل وأنتى بنت الملك الرئيس ومافى الروم أكثر منه مالا ولا أكثر رجالا فقال مذبحون بلى لانى لا أحب أن تدعونى بالملكه لانى أطلب بذلك التقرب إلى المسيح ولكن ادخلوا إلى ذلك الرجل العالم وعرفوه بمكانى فقالوا سمعا وطاعة ثم دخلوا على عقبة وهو جالس متفكر فيما يفعل من المخازى والمكر وهو يدبر فكره فى ميدان المكر والحيل ولما أن رآهم داخلين عليه وعلى وجوههم آثار الفرح والسرور وقالوا ياشيخ من يكون مثلك وبنات الملوك يأتون اليك ويطلبون منك البركة (قال الراوى) فقال لهم زادكم المسيح فرحا وسرورا ثم انهم أعادوا عليه قصة الراهبة ولما سمع ذلك فرح وقال وحق المسيح لقد أتتنى هذه الجارية فى وقت الحاجة ولا بد لى أن أدبر بها على الامام أو على عبدالوهاب أو على البطال إن كانت بذلك الجمال (قال الراوى) ثم قال على بها فخرجوا اليها وأمروها بالدخول فدخل مذبحون وهو يقدم رجله اليسرى ويؤخر اليمنى

ويهز ردفه ويلتفت إلى خلفه فنظر عقبة وجه الراهبة فى ضوء الشمعة فرآه مثل الشمس الطالعة فى السماء المرتفعة فقال فى نفسه وحق المسيح هذا وجه مليح وقوام رجيح ثم ان مذبحون صقع وتخنصر وخدم فقال عقبة تجلس الملكة الصالحة التى قد تركت الدنيا الفانية الغادرة الماكرة فجلس مذبحون وكان قد دهن وجهه بياض البيض والاسفيداج ورش عليه الماء الورد والكافور فزاد رونقه فى ضوء الشمعة فقال عقبة وحق المسيح مارأيت قط مثل هذا الوجه وما فيه من اللموعة والماوية فبامس مذبحون الأرض ثم تدلل فى جلوسه فنظر عقبة إلى رقة خصره وكبر عجيزته فاشتاقت نفسه الخبيثة الى ذلك (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما مالت نفسه اليها قال لمن كان عنده من البطارقة اخرجوا الى مواضعكم فما آمن على روحى من الاعداء أن يطلبونى وربما كان للملكة سر مكتوم تعيده على لانها ماجاءت فى ذلك الوقت الا ولها حاجه أولها ذنب تريد أن أستغفر لها وان المسيح يغفر لها ويسامحها فخرجوا من عنده البطارقة وأما عقبة فجعل يقرأ الانجيل ويترنم ومذبحون يبكى ويحول أكمامه على وجهه ويشهق كلما يبكى ولما علم عقبة أن قد اشتد خوفها من كثرة التهديد والوعد والوعيد أخذ فى الرخصة والرحمة وقال أيتها الملكة فليهدأ روعك ويقل هلوعك فان النار ماخلقت لكى ولا لمثلك لاسيما وأنتى بذلك الوجه المليح والقد الرجيح والخد الاسيل والردف الثقيل فلا تغطى وجهك منى ثم مسك يد مذبحون وجذبه اليه وقال ويلك ياحضيه ماجملك المسيح بذلك الوجه المليح إلا للشيخ النجيح فعلم مذبحون مقصوده ومراده ومناه وانه تمكن من الصفع قفاه فقال له بالرومى بغنج ودلال يامولاى أنا بكر عذراء فقال عقبة وهل تصلح البنات الابكار الا للشيوخ الكبار وانها تحفظ البنت نفسها وبكارتها الا حتى تجد من يفرمها للدار الآخرة وهل يتمكن من ثقب الدر المكنون الا الثاقب المصون وما أرى لكى مغفرة الا بذلك الوجه المليح فابشرى والا ماتغفرى وعلى إزالة البكاره اصبرى (قال الراوى) فقال مذبحون وكيف يكون ذلك والبطارقة على الباب ولا آمن منهم وهم مثل الشياطين فقال عقبة سوف أقيكى من شرهم واما أبوكى فلا تخافى منه لأنه يعلم ان هذا واجب يقين ومن تقرب لى تقرب للحواريين ثم انه أخرج طعاما وشرابا من الذى ينفذه اليه الملك ثم ضرب بيده إلى داخل ثيابه ومذبحون يشاهد وأخرج خرقة صوف وفيها صره وأخرج من تلك الصرة شىء وطرح منه على الطعام وعلى الشراب وأخرجه إلى البطارقة فأكلت العشرة وعلى وجه الأرض انقلبوا وكان عقبة أراد بذلك حتى يفعل مايريد وافتكر فى نفسه وقال ما آمن

على روحى من هؤلاء ان يوصلون خبرى إلى الملك فيأخذها منى وأنا وقع فى قلبى هواها ولا أقدر أفارقها ومافى الأمر إلاأن أطرح لهم سم قاتل وأعدمهم الحياة فلا رحم المسيح منهم أحد ثم طرح لهم الدواء كما ذكرنا فأكلوا وهلكوا ثم دخل عقبة خيمته وأرمى بابها وسد فرجها وهو يقول لكى البشارة يامحضيه بما أعطاكى المسيح من البركة المصبوبة من تلك الصورة المقلوبة (قال الراوى) ومذبحون علم بموت البطارقة فقال فى نفسه ياستار استر على ثم ان عقبة أخرج دجاجة سمينة وحلاويات وخنوس مشوى وقال ياملكة نجاكى المسيح من كل هلكة وحق المسيح لاعطينك من الجوهر واللؤلؤ مالا لاحد مثله ثم انه رفع لقمة إلى فم مذبحون فقال فى نفسه أحسنت ياخبيث لقمادى فائدة ثم ان مذبحون مده يده ليأخذ اللقمة منه ووثب كأنه النمر الحردان ومسك يده مع حلقه كاد ان يفقع زوره فصاح الملعون ووقع مغشيا عليه مافى عينه قطره (قال الراوى) فتركه مذبحون بعد أن كتفه وألقمه الاكره وأتى إلى المكان الذى فيه لؤلؤ قال إيش عملت قال قضيت الحاجة فقال لؤلؤ والله انى أرى الحرس شديد من حول سرادق أرمانوس ولا سبيل لنا عليه قال مذبحون مانريد غنيمة أحسن من عقبة وحمله لؤلؤ على أكتافه وغطاه بدرجه الذى كان ينام عليه ومذبحون خلفه وكل من سألوهم يقول أنا مجروح من المعمعة إلى أن خرجوا من العسكر وكان الملعون رتب خمسة آلاف متفرقين من حول العسكر وكل ذلك خوف على روحه ولكن أين المفر من القضاء والقدر فلما ان كان ذلك الأمر رأوا الخيل دائره من كل جانب لو لاح طير فى جو السماء طلبوه سيما إذا كان هؤلاء فقال لؤلؤ لمذبحون أنا أعرف فى لحف الجبل مغار واسع فسير بنا اليه ونجعل ذلك الملعون فيه حتى إذا خرج خلفنا الطلب نجونا ونكون متحصنين فيها فقال مذبحون افعل مابدا لك فساروا إلى المغار ودخلوا فيه وقد ذهب من الليل أكثره وقال لؤلؤ عول بنا على المسير فقال مانأمن على نفوسنا من ذلك الحرس لاسيما وأنا فى زى النسوان وكل من رآنى ينكر على ولكن دعنى ههنا وامضى أنت إلى الأمير عبدالوهاب بما قدجرى وخذ من عنده عشرة رجال فى زى فلاحين الروم ومعهم بغال حتى يكون ذلك الملعون على بعض البغال ونسير فى بعض الطرقات فقال لؤلؤ صدقت يامولاى لأن من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب (قال الراوى) ثم مضى إلى عند الأمير كما ذكرنا وأخذ الرجال كما قد نعتنا ووصل إلى المغار فلم ير لامذبحون ولاعقبة المفتون فغاب عقله ودهش لبه وانبهر وافتكر وعاد غائبا متخيرو هو يقفو الأثر واما ميمونة لما وصلت إلى المغار وانقطع عنها الأثر وعادت على عجل (قال الراوى) وكان من أمرهم أمر عجيب وحال غريب أعجب من

القبض على عقبة وذلك أن الملعون لما أفاق من غشيته وجد روحه محمول على أكتاف انسان وحطه فى المغار وسمعه وهو يقول والله يامولاى لقد تم لك على عقبة دست عجيب فعلم عقبة من أين دهى فرجع على روحه بالملامه وقال ياشيخ السوء من كثرة الشغل الذى معك والشهوة يحملك الطمع إلى منيتك من بنات الملوك و ندم حيث لا ينفعه الندم

(قال الراوى) ولما ان أصبح الصباح قال بصوت ضعيف ويلك يامذبحون قتلتنى مع انى عزتك وانا كنت أمزح معك لأن الله تعالى قد نزه شيبتى عن المعاصى وما هربت من عسكر الامام إلا لما كنت فيه من الذل والهوان وأرميت روحى فى عسكر الروم كلما اتسع فى الأرض وقد طحنت رقبتى وانا فى آخر نفس وقد قرب موتى لامحاله فاذا وصلت إلى أبيك البطال قول له عمك عقبة يقول لك انت فى حل مما كنت تعمل فى حقى وماتقول على لاطالبك الله بشىء من ذلك وكذلك الأمير عبد الوهاب فأنا من الأموات وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمدا رسول الله عليها أموت وعليها أحيا وعليها أبعث فقال مذبحون دع عنك الحيل يا ملعون وكافر مفتون فقال عقبة ياسبحان الله الآن صح عندى انك ابن ذلك الرجل الظالم الغاشم ياهذا أنا أجود بروحى وقد قرب موتى وأنا ما أقول ذلك القول أنجو من الهلاك لأن الموت كاس دائر على جميع المخلوقات وأنا اقول ذلك القوم إلا حتى تعلم انى مت على دين الاسلام وأنا اعلم وأتحقق ان مايصيبنى الاما كتب الله على حتى ترفع بذلك درجاتى وتمحى سيئاتى ولكن ياولدى سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم الامادرتنى إلى القبله وإلا اطلبك بذلك بين يدى العلى الأعلى

(قال الراوى) وكان كلامه بضعف وانكسار ولما ان سمع مذبحون منه ذلك قال فى نفسه هذا شيخ كبير هرم وربما يكون كلامه صحيح وأطالب بذلك بين يدى المولى ثم تفكر فى نفسه وخشى ان يكون كلامه حقا وصدقا فيكون من الاشقياء ثم نظر اليه وقد غارت عيناه واصفر وجهه وبسط جسده وحبس الملعون نفسه حتى بقى يتردد فى صدره قليل فايقن مذبحون انه ميت لامحاله فقال هذا رجل مظلوم ولا له أحد يكشف ظلامته فياليتنى نفست عنه كتافه وخففت وثاقه ثم وثب اليه وحل وثاقه ونفس خناقه فعلم عقبه ان محاله قد انطلى عليه ففتح عينه الصحيحه وصار ينظر بانكسار وأشار اليه ان دورنى إلى القبله ففعل مذبحون ذلك ورشح بالعرق جبينه وامتدعناه من كثر ماحبس نفسه وقال أنت فى حل منى وأشار ان بل حلقى بقليل من الماء (قال الراوى) فقال مذبحون ماأظن يغفر الله ذنبي ان مات ذلك الرجل عطشانا ثم خرج من المغار فى طلب

الماء وكان الماء بعيد عن المغار واما عقبه لما علم ان مذبحون خرج من المغار علم ان مكره عمل معه جمل يتقلب مثل الثعبان إلى ان أتى إلى باب المغار ولما ان وصل إلى باب المغار فلم نظر أحد فطابت نفسه وقام مثل الشيطان أوكانه ذئب أمعط أو ثعبان أرقط أو بلاء مسلط (قال الراوى) وشد وسطه بالزنار الذى كان مكتف به وهج على وجهه هاربا وإلى النجاه طالبا خوف من الموت والرزيه وما نشب فيه من مخاليب المنيه وبعد ذلك رجع مذبحون بالماء فلم يلتقى أحدا وكان عقبة قد دخل بارض اخرى وفيها دير أوى اليه ولما ان رأى مذبحون المغار فارغ صفصف حار فى أمره واندهش سره ولحقه الانبهار وقال هذا جزاء من فرط فى أمره لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولقد حذرنى أبى من مكر ذلك الملعون ولكن ماغرنى إلا موته فبأى وجه التقى الأمير عبد الوهاب وكيف يكون حالى مع أبى وربما عايرنى بسببه وان لم اخلع فى تلك النوبه رقبته على الحقيقه ماأكون نزلت من وسط امى نورى وسار فى أثره وقد تحقق الاثر ولم يزل ماشيا إلى الليل والأثر بين يديه وهو متعجب ويقول ماكان فى الملعون قوة يغدو هذا كله إلى غروب الشمس أشرف على الدير وكان عقبة وصل قبله بقدر ساعتين وكان ذلك الدير فيه تسعة رهبان بعضهم شيوخ والبعض شباب والشيوخ طاعنين فى السن وهم فى طول الزمان فى ذلك الدير ولما دخل الملعون عقبة عليهم وسلم ماعرفوه من تغير أحواله فعرفهم بروحه فقاموا اليه وخدموه وبجلوه وأكرموه وقالوا لأى شىء سلكت ذلك الطريق وتراك بلاصاحب ولارفيق فأعاد عليهم قصته وماجرى عليه من لعنته ومصيبته وقال ياأولادى ماهدى روعى الا فى هذه الساعة الحقونى بماء بارد فأتوا له بماء ومعهم شراب التفاح وزاد فأكل وشرب الى أن اكتفى وأخذ وساده ووضعها تحت رأسه وحط يده على صدره (قال الراوى) وأما مذبحون فانه لما وصل الى الدير أخذ نفسه الى أن أتى الظلام نهض يطلب الدير فوجد بابه مفتوح لأنهم كانوا آمنين ولما صار مذبحون من داخل الدير ونظر الى عقبة نائم مما جرى عليه من التعب والشقاء وهو كانه غارق فى نومه وما عنده أحد فأيقن بأخذه وملكه فتقدم وبرك على صدره واذا بالصياح أخذه من كل جانب والرجال مثل السلاهب وفى أيديهم السيوف القواضب ثم انهم انكبوا عليه وما كان معه شيأ يمانع به عن نفسه من حلاوة الروح واذا بعقبة وثب كانه شيطان وهو يقول كيف رأيت الشيخ الميت سلم نفسك ياخبيث والاوحق المسيح قطعناك قطع وبضعناك بضع فاستسلم رغما عن أنفه فأوثقوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف وقدموه قدام الملعون فقال له ويلك يامذبحون كيف ترى فعلى فقال ياملعون هذا جزاء

من يغتر بكلامك وفعالك فضحك وكشر على أنيابه وأخذ عصى زيتون وضربه الى أن غشى عليه وبعد ذلك أقبل على الرهبان وقال اعلموا ياقوم هل تعرفون هذا قالوا لا فقال هذا الذى تعرفون أباه ولا تنكروه هذا ابن الشيطان المحتال أبو محمد البطال فصلبوا الرهبان على وجوههم وقالوا ويماه ويماه بحق المسيح لا تذكر ذلك الشيطان فانه اذا ذكر حضر فقال عقبة ياويلكم ايش ذلك الفزع الذى قد تحكم فى قلوبكم منه

(قال الراوى) فقالوا ياحجة المسيح أنت نائم ورجليك مطروحة فى الماء البارد اعلم أن هذا الدير كان أعمر الديوره وأغناها وأكثر ستوره وقناديل وكنا فيه أربعين راهبا كل واحد على خدمته مواضب حتى عمل معنا ذلك الشيطان مناصب يقطف رؤسنا من على المناكب وما زال يطرقنا ويبذل فينا الحسام حتى قتل كل من فى الدير وهرب من تبقى من الرهبان وطلبوا الصوامع والبلدان وتركوا ذلك الدير كما ترى ولم يبق الا من كبر سنه ودق عظمه ولما ان ضعفنا أخذ علينا عهود وإيمان وجعل علينا مال نعطيه فى كل عام وإذا دخل إلى بلاد الروم وعاز نفقه أو طعام أو شراب نعطيه مايريد ونحن عنده فى منزلة العبيد وقد أخذ علينا العهود ان لا ننقض عهده ولا نطلع أحدا على خبره ولهذا قد أبقانا والا ما كان ترك منا أحدا فقال عقبة وحق المسيح انا أريحكم منه لأن هذا ولده وهو أحب الأشياء عليه ولا بد له أن يطلبه لأنى أعلم أنه ما يصبر عنه ساعة واحدة وان سلك فى هذه الأرض سوف آخذه كما أخذت ولده ولا بد له أن يأتى فى طلبه وطلبى ويقتفى أثرى وأترك عليه الرصد والباب مفتوح وتكمنوا له وتخرجوا عليه بالسيوف القواضب فقالوا ياشيخ اننا ماعلمنا ان هذا ولد البطال لأن هيبته فى قلوبنا فقال سوف ترون من فعالى العجب ولا أحوجكم إلى قتال ولا نزال وأقام ينتظر البطال (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة (وأما ما كان) من لؤلؤ فانه رجع إلى أستاذه البطال وأخبره بأنه رجع إلى الموضع ولم يجد فيه أحد فقلق على ولده غاية القلق واشتد به الحرق ولما ان كانت الليلة الثانية اجتمع أرمانوس بالملكه ميمونه وقال لها قد عولت على الرحيل إلى القسطنطونية وأعاد عليها ما أشاروا عليه ملوك الروم فقالت ياملك ان رحلت طمعوا فينا عسكر الإسلام وما يصل معك من كل ألف واحد وان كان ولا بد لك من الرحيل ارحل تحت العز ولا ترحل تحت الذل فقال وكيف ذلك (قال الراوى) فقالت تركب الساعة وتركب الروم جميعا وتأمرهم بالحملة من بعد أن يرفعون الخيام والأموال على البغال والدواب وترحل الرجال معهم بالثقل وأنت واقف وهذا الليل مظلم معتم فاذا علمت ان الثقل قطع الدروب تأمر الروم كلها ان تصيح صيحة واحدة وتطبق على المسلمين فان أنت ظفرت بهم بلغت

المراد وشفيت الفؤاد وان رأيت من أصحابك تقصير تهرب على الخيل فى سواد الليل وتطلب بلدك وقد تقدم ثقلك قبلك وأمنت على متاعك وأصحابك فقال وحق المسيح لقد قلتى قول مليح ثم جمع الملوك والمقدمين وأمر كل واحد منهم ان يأمر رجاله وغلمانه بقلع الخيام ويرسل أمواله قدامه وتركب الرجال المقاتله وتقف على أهبة من امرهم عند ذلك رحلت الاثقال وركبت الرجال المقاتله والابطال وركب ملك الروم فى سائر الطوائف وصهلت الخيل فى ظلام الليل (قال الراوى) وسمع الأمير عبد الوهاب ذلك الأمر فأنكر الحال وعلم ان الخيل لا تصهل إلا عند الركوب وتقعقع السلاح وصلصلة اللجم فخرج من خيمته وقد أنكر أمر العدا فصاح ياقوم كونوا على أهبة من أمركم ويقظة من شأنكم فان العدو ربما عول على الهرب وان فعل ذلك سرت خلفه فى الطلب وتملك ثقله ونهب ماله وان كان الامر بخلاف ذلك أوردناهم مورد المهالك ثم أرسل الى أمراء الاعراب وامرهم بالركوب فركبوا وللجنائب جنبوا وبلغ الخبر الى بنى سليم فركب الامير عمرو بن عبيد الله فى أبطال قومه وسادات عشيرته وركبت السودان والابطال والفرسان وبلغ الخبر الى المعتصم فسأل عن السبب الموجب لذلك فقيل ان الأمير عبد الوهاب قد أنكر حال العدو وأنه قد جعل حالهم على حالتين اما هرب واما قتال ولما ان سمع ذلك قال الحمد لله الذى أيد الابطال والإسلام وأهل دين الإيمان بذلك الفارس المكين ولا فيهم من يقوم مقامه ولا من يروم مرامه ولقد أيد الله به أركان الشريعه وأنا أسأل الله تعالى ان يطيل عمرى حتى أبلغه مايتمناه من طلب عقبه إذا تبين عندنا أنه منافق على هذه الملة الحنيفية فاما أن يكون ذلك فى مكايدة هؤلاء القوم أو يكون كافر على الحقيقة (قال الراوى) ثم إن الإمام خرج من سرادقه فى عساكر العراق وصهلت الخيل فى ظلام الليل ولمعت السيوف الرقاق وقامت الدنيا على قدم وساق وسمعت الروم ذلك الزعاق فقالوا لأرمانوس لاشك أن الإسلام قد سمعت صهيل خيولنا وعجيج رجالنا فأخذوا أهبتهم فقال أرمانوس احسبوا أنهم كذلك دعوهم يفعلون مايشاؤن دونكم والحملة عليهم ومكنوا منهم الصوارم وانثروا الجماجم وانهبوا بالرماح منهم الأرواح عند ذلك صاحوا صيحة واحدة فارتجت منهم الأرض فى الطول والعرض وأكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملت بطارقتهم وعلوجهم وأزعجت الأرض وتزلزت من صهيل الخيل لما صهلت ووصلوا إلى الإسلام وهم كف واحد فوجدوهم كانهم السد الأقصى وقد غاصوا فى الحديد والزرد النضيد وضجوا بكلمة التوحيد وذكروا الملك الحميد المجيد هنالك غلت الحرب كغليان المرجل وزاد التحير والأسف وزاد توحيد العرب وثبتت بنى كلاب والسودان الأنجاب والتحم بينهم الضراب وجزت الرقاب وعسرت الطلاب وتصادمت

الخيل فى سواد الليل ووقعت وتطايرت الرؤس وعظم البؤس ولم يعرف الرجل أصدقاه من أعداه ولا أهله ولا أقرباه ووقعت الفتيان وخرست الافواه وطعنت الجباه واستغاثت المؤمنون بالله واستظهرت على الكفرة الطغاه وهاجت أبطال الوغى وليوث الوقعا والرجال وضراغم الفلا وقتاك البيدا وقشاعم الفضاء وسالت الدماء وأرملت النساء وعظم الصراخ والبكاء ونزل النصر من رب الأرض والسماء بإذن العزيز المولى على أمة نبيه محمد المصطفى ﷺ فاندقت الروم على أدبارها راجعة وهى ذليلة خاضعة بما كانت فيه طامعة والمرهفات لرؤسها قاطعة وعيون أعداء الشريعة دامعة وكلمة الكفر خاضعة وضايعة وخيول الموحدين فى طلبهم مسارعة وأعلام الحقيقة بارقة ساطعة ونورها فى الآفاق لامعة والرماح لقمم المشركين قارعة وكان ذلك مثل اليوم الذى قال الله فى حقه القارعة ما القارعة إلى أن قرب الصباح ورجعت الاسلام وقد ملئت الأرض بالقتلى وهم طالبين خيامهم ومضاربهم وقد فرحوا بما فتح الله على أيديهم من النصر والظفر بعد وهم الا أن الروم كانوا قدموا الثقل كما ذكرنا ولم تغنم الاسلام الا خيول غائرة وعدد على الأجساد المطرحة الدائرة (قال الراوى) ولما أن وصلوا الاسلام إلى الخيام وجدوا النار تلتهب فيها من كل جانب وقد خلص حرب بن شيبان وسائر العرب المتنصرة المأسورين وأخذت خزانة الامام وخزانة الأمير عبدالوهاب وأخذوا الأموال والرحال والرجال مالا يقع عليه أحصى ولا عدد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الملعونة ميمونه وذلك أنها لما أمرت الروم بالحملة لبست هى وسودانها وعشرين ألف من الروم بالعدد والزرد وكانت لما رحل الثقل لم تدع عندها الا خزنة النفط ولما أظلم الليل واغتم فرقت النفط على الرجال ولما التقى الجمعان واختلط العسكران قالت لمن معها خذوا فى جوانب العسكر وانظروا لمن تكون عليه الدائرة فإن كانت لنا فلا كلام ونملك الطريق على الاسلام وكل من هرب أوردناه مورد العطب وان كانت علينا فلا بد من الاسلام أن يتبعون آثارنا ويطلبون المنهزمين فنكون نحن مكمنين الى أن يتبعوهم ونخرج نحن ننهب أموالهم ورحالهم ونطلق أصحابنا المأسورين ونضرب الخيام بتلك النار ونبلغ ما نختار ولما أن سمعوا خطابها أجابوها ولما انكسرت الروم وتبعوهم الاسلام خرجت ميمونه كما ذكرنا وقتلت الرجال المتخلفة فى الخيام والخدم والفقهاء والقراء وأصحاب الديوان وأطلقت العرب المتنصرة مع حرب بن شيبان ونهبت الأموال وخربت الأطلال الى وقت الصباح ثم تجنبت طريق المسلمين الى طريق المنجاك وهو الطريق المضيق على درب الزعفران وقد وصلت الملعونة إلى مايصل اليه أحد وقتلت زهاء من ثمانية آلاف رجل ممن يقرؤن

القرآن وحافظين لكتاب الله (قال الراوى) ولما أن شاهدوا الناس إلى ذلك وعاينوا تلك النكبة التى لم تكن فى الحساب وقع عليهم الندامة والاكتئاب أكلوا أيديهم أسفا والتهاب وانحلت عزيمة المعتصم ونظر إلى أمواله وقد نهبت وإلى مضاربه وخيامه قد حرقت ورجاله قدقتلت فبكى وبكت الناس لبكائهوتقدم إليه الأمير عبد الوهاب وقال يامولانا كان ذلك فى الكتاب مسطورا ولقد لقينا من الأعداء خلاف ذلك ومالنا الا التوكل على الله والاصطبار والرجوع الى الله تعالى على اننا والحمد لله ماأحد إلا قتل من الأعداء الفارس والفارسين وأقل ماقتل من الأعداء مائة ألف والذى فقدناه قدصاروا إلى الجنان ونعم الدار ومستقر الكافرين جهنم وبئس القرار وان بقى لنا مقام والرأى أن نرحل الى ملطية لأنى كنت معول أننى أتبع أرمانوس الى أبواب القسطنطونية ولا أبرح حتى آخذ عقبة ان كان كما ذكر عنه ولا أزال أخرب فى بلاد الروم حتى ينكشف خبر الأميرة والآن فقدجرى ماجرى اذ نهبت الاموال والأثقال ولا بقى غير الارتحال وأقيم فى الثغور وأكاتب أرمانوس من شأن الأميرة وأطلب الصلح مع أرمانوس من أجلها فلو كانت حاضرة فى تلك الليلة لما تم علينا ماتم لأنها مليحة التدبير ولما أن سمع الأمير كلام الامام علم أنه صواب فقال هذا رأى طيب وأما الأموال التى غنموها سوف يحمل الينا أضعافها ولولا أنه مابقى للعسكر خيام يستظلون بها من حر الشمس ارحلت عقب هذه الكسرة وأنزل على باب القسطنطونية ولاأبرح الابالأموال وغير ذلك ولكن الامر لله من قبل ومن بعد وعولوا الناس على الرحيل (قال الرواى) فقال أبو محمد البطال لهما أما أنا فلا بدلى من الدخول إلى بلاد الروم لوجوه شتى أحدها لأجل ولدى وحشاشة كبدى لأن عقبة قد نصب عليه حيله وأخذه بلا محاله وأنا كنت خائف عليه منه لأنه غير عارف بحاله ولا يعرف إيمانه الكاذبه والثانى لأجل الأميرة المجاهدة حتى لا تكون وقعت فى شدة ونشبت فيها أيدى الردى ونمضى إلى بلاد الإسلام فيكون ذلك سببا لهلاكها والثالث لعل الله ان يظفرنى بعقبة الملعون وشومدرس المفتون فاخرج مافى نلبى من الغيظ والحقود فى عقوبتهما وآخذ منهما أموالا مثل ماأخذوا منا (قال الراوى) فقال الأمير عبد الوهاب إذا كان الأمر كذلك فأنا وأمير المؤمنين مقيمون فى ملطية حتى إذا سمعت خبرا كتب الينا كتاب وعلقه على جناح طائر من الحمام فا يبات الا عندنا ويكون أنجز لأمرنا وامضى لشغلنا فقال الأمير أبى محمد البطال لقد أصبت أيها الأمير والسيد الخطير وأخذ أبو محمد الحمام وودع الأمير والامام والأصحاب ومضى إلى ماذكر ورحل الامام طالب ملطيه

(قال الراوى) واما أرمانوس فانه وصل إلى مرج الديباج وقد فقد منه خلق كثير

فصعب عليه وكبر لديه وقال وحق المسيح لقد كان رأى عقبه ميشوم ورأى ميمونة أنحس وأقل بركة ثم انه طلبها فلم يجدها فظن أنها هلكت فقامت عليه القيامة وقال هذا تمام التعسير وسوء التدبير ولما أن ارتفع النهار وصلت ميمونة فى ذلك الجمع الكبير ومعها العرب وحرب ابن شيبان وأموال لا تحصى عدد الرمل والحصى ولما وصل ذلك الجمع ونظر أرمانوس إلى ذلك صلب على وجهه ثم وثب قائما على الأقدام والتقى ميمونة وسألها عن تخلفها فأخبرته بما فعلت وما قتلت وما نهبت ومن خلصت فطاب قلبه وطارت قلوب الروم من الفرح وقالوا وحق المسيح لولا أن البعد حال بيننا وبينهم لتبعناهم وما كان يسلم منهم أحد ولقد فعلت هذه الملكة فعالا ما فعله أحد من الملوك فقال أرمانوس وحق المسيح لولا فعالها ما كنا إلا خاسرين ولقد نصرنا بما فعلت وصرنا رابحين وما فعلت ذلك الفعال إلا بسعادتى والآن فقد صارت زوجتى ولو علمت ان ذات الهمة تفعل معى مثل ذلك الفعال لبذلت الأموال حتى أتزوج بها لأنها خبيرة بالحرب والطعن والضرب (قال الراوى) ثم رحل أرمانوس إلى القسطنطونية وقد زينت البلد لقدومه ولأجل ميمونة وفعالها وأحضرت الخزائن بين يديه ففرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وملأت خزائنه بالأموال وكتب الكتب إلى سائر الأقاليم والبلاد يسأل عن أخبار يحرون حتى يطيب قلب أمه وجميع الملوك وقالوا اذهبوا إلى بلادكم ودبروا أحوالكم وأموركم فى هذه السنة والعام القابل ولم يبق كبير ولا صغير إلا يعول على الخروج إلى بلاد الإسلام فما أنا مثل الملوك لأنى لو لقيت الاسلام فى كل سنة مائة مرة ما ازداد الا نشاط وقوة وانبساط ولا أبالى ان كنت رابحا أو خاسرا (قال الراوى) فهذا ما كان من أرمانوس (وأما ما كان) من أمر الأمير أبى محمد البطال وغلمانه الأشبال لأنه قال لهم اعلموا يا أولادى ان الطرقات كثيرة وبلاد الروم كبيرة ونحن لا نعلم أى أرض نقصد ولاى الاماكن نطلب ولكن اقصدوا بنا المغار الذى كانوا فيه ونقصد إلى دير الرهبان لأن بينى وبينهم عهود وايمان فلا أفزع من جانبهم ولا أخاف وأسألهم عن ولدى ان كان عندهم منه خبر ومعه جوز حمام كما ذكرنا فقال لؤلؤ افعل ما تريد ثم انهم تبعوه إلى أن وصلوا إلى المغار وتبعوا الأثر من المغار إلى أن وصلوا إلى الدير وقد ذكرنا ان عقبة مقيم فى الدير ينظر قدوم البطال فى طلب ولده وكان قد قدم على عقبة الشيخ الظالم والشيطان الغاشم أبو الشر شومدرس ومعه أربعة رجال مثل الكلاب يتكلمون بالعربية ولما ان اجتمع عقبة والراهب شومدرس فرح به وقال وحق المسيح انى أشوق الناس اليك وقال عقبة إلى أين أنت قاصد فقال الراهب اعلم أيها الشيخ ان فى قلبى نار لا تطفى ولهيب لا يخفى من البطال وأنا ان أموت ولا آخذ بثارى لأنه كان السبب فى هلاك ولدى دهرشوم وزوجتى

شوما وأنا معول على الدخول الى بلاد الاسلام ومعى هؤلاء الرجال لعلى أصل الى البطال بدقائق قد احتكمتها وامور قد دبرتها وما قطعنى عنك الا اصلاحها وسوف أبين لك أمرها بعد حين فضحك عقبة فقال الراهب ماهذا الضحك يا ريس الملتين قال عقبة لقد قرب المسيح خطاك وأحسن جزاك هذا ولد أبى محمد البطال فى قبضتى وتحت حوزتى وهو عندى وفى أسرى ثم أعاد عليه القصة وان أبوه لا بد له أن يحضر ويسعى فى خلاصه ويقرب المسيح آجالهم فقال الراهب ياشيخ وحق المسيح لقد فرجت عنى كربتى بذلك الخبر

(قال الراوى) ياسادة عند ذلك وثب عقبة وأخذ الراهب وأتى عند مذبحون فوجده فى أسوأ حال وقد أشرف على الوبال ولما أن رآهما قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال الراهب شومدرس ماهذه الا خيانة والا أنت وأبوك أصول أرواح أهل الأرض ثم أخذ قضيب زيتون وضربه حتى قيل انه قضى عليه (قال الراوى) فقال عقبة خليه الساعة معذب لعل أبيه يأتى بسببه ونأخذه ونقتل الاثنين عوضا عن زوجتك وولدك فقال الراهب المسيح يحسن جزاك ويظفرك بأعـــداك ثم صعدا الى أعلا الدير وجملا يرقبان البطال ولما ان كان فى اليوم الثانى وإذا بأبى محمد البطال وغلمانه قاصدين إلى نحو الدير ولما ان رآهم عقبه على بعد نزل إلى الرهبان هو وشومدرس وهو يقول وحق المسيح ان هذا مليح فقالت الرهبان ماحالك يا راهب فقال أتى البطال وغلمانه لاغير فقالت الرهبان والرجال الذين أتى بهم شومدرس نحن نخرج لهم فقال لا ماهذا صواب لان غلمانه شياطين الأرض فى الطول والعرض وأخاف ان يقتل منكم واحد أو اثنين ومالهم إلا الحيله ثم انه جمع الرهبان وقال اعلموا اما أقول لكم عليه وهو افضل من العياذه وأنا اخبر فقالوا له ماتريد ان نفعل قال اكمنوا كلكم بالمدمع هؤلاء الرجال أصحاب الراهب شومدرس ولا يبقى ظاهر منكم أحد وانا اطلع فوق الدير فاذا أتى البطال وسأل عن ولده مذبحون يقول له هذا الراهب الطاعن فى السن اهلا وسهلا ويسلم عليه ويقول له انه عندنا اعز من نفوسنا لأنك تقدر على هلاكنا وخراب دربانا وتعفو عنا لأجل الايمان التى بيننا وبينك وتريد توفى لنا ونوفى لك واما ولدك فانه عندنا لم نقدر نفرط فى حقه ولا فى امره وقد أتى به شيطان وفاق على كل الناس وهو القاضى عقبة لأنه أودعنا اياه ومضى هو وشومدرس يدبرون على شيء آخر رايناهم يشتورون ويقولون ما نسيره الا وأبيه معنا والسبب فى ذلك يا ابو محمد ان عقبه من امس وصل الينا وهو ملهوف كانه كان فى شده فما هو إلا ان بات وأصبح وصل اليه الراهب شومدرس ومعه أربعة رجال من العرب المتنصره ومعهم ولدك مذبحون فقال عقبة تمت الحيله ياشومدرس قال نعم هذا مذبحون وبقى أبيه ففرح عقبه ووثب لولدك وضربه ووضعه عندنا وأوصانا عليه ان لا نفرط فيه فقلنا له لا نفعل ذلك

ولاتدعه عندنا الآن أبوه قد حالفنا وعاهدنا ان لا يخفى عليه أمر من الامور فقال لنا هذا فيه رضى المسيح ولا تفرطوا فيه تكونوا الخامرين على الدين وان فرطتم فيه أأمر ارمانوس انه يخرب ديركم ويصلبكم على باب القسطنطونيه وها نحن باقيين إلى الملك وهذا الكلام من أول أمس فى اعقاب النهار ونحن أعلمناك بالقصه وولدك عندنا أدخل ابصره واسأله إيش عملنا معه من الجميل واحقن دماءنا واسرق كل من أردت وأودعه عندنا فان فرطنا فيه نكون خناك ثم قال عقبة للرهبان فاذا دخل الدير وانطلا عليه الهذيان وثبنا عليه وعلى غلمانه قبضناهم قبضا باليد

(قال الراوى) ولما ان سمعوا الرهبان والرجال المتنصره ذلك المقال أجابوا واعتدوا الا راهب واحد منهم يقال له قطامير فانه قال أيها الشيخ النحس وحق المسيح لقد عولت أن تجعل رؤسنا بلاطراطير وكلنا على الأرض مطرحين ولما ان سمع عقبة ذلك خجل وقال إيش هذا الهذيان يانحس الرهبان فقال الراهب وحق المسيح ما هو هذيان وما قلت ذلك القول الا قد صح عندى وعند سائر الروم ان رجلك مثل رجل اليوم ما تحجل فى أرض قوم الا فى طالع ميشوم وأما أنا وحق المسيح ما أترك البطال يطأ ذلك المكان ولا يسمع ذلك الحديث فتكاسل عقبه ولا أخذ كلامه على وجه الحقيقه (قال الراوى) ووصل البطال وغلمانه إلى الدير فكلمه الراهب بما قال عقبه الكشحان وقال ادخل ابصر ولدك وأقم عندنا حتى تتسبب فى خلاصه فلو علما انه ولدك ما استودعناه عندنا وفتحوا له الباب وعول على الدخول فصاح الراهب قطامير لا تدخل يا بطال فقال له لماذا يا قطامير فقال تبقى رؤسكم بلاطراطير فقال البطال ما معنى ذلك فأراد الراهب ان يتكلم على عقبة وإذا بالرجال من الرهبان والعرب المتنصره قد ظهروا وصاحوا واما البطال وغلمانه لما شاهدوا ذلك سلوا سيوفهم والخناجر وتضاربوا بها فى الجنوب والخناجر وصدم البطال بعض الرهبان وضربه بالخنجر فى لبته وقع على قفته فصاح الراهب قطامير أنا فزعت من هذا التعثير وأحرم أكل الحنطة والشعير وأقاسى البلاء من هؤلاء المداميروقتل لؤلؤ رجل من العرب المتنصره فصاح عقبه وقد تبلد خاطره ودمع من الخوف ناظره يا ويلكم ان طاولتموهم أفنوكم والذى ما تقدرون على قتله اخرجوه (قال الراوى) عند ذلك حملت الرهبان والعرب المتنصره من كل مكان وأشرفوا منهم على العطب قدر ساعة أخذوا البطال وجوهر وبقى لؤلؤ بعدهم قدر ساعة وملكوه وكادوا ان يهلكوه وقدمهم عقبة بين يديه وقال أتونى بالراهب قطامير وقربوه مع هؤلاء الخنازير فلولاه ما قتل من أصحابنا أحد وكنا أخذناهم بلا تعب فأتوا بقطامير وسحبوه قدام اللعين أحضروه فقام عقبه ولطمه على وجهه وقال يا ملعون أنت تقول إنك من أمة المسيح وتفعل هذه الفعال وحق المسيح لابدلى ان أؤدب بك كل راهب يسكن فى صومعة ولكن حتى أتفرغ مما أنا فيه ثم قدم

البطال وقال له كيف ترى فعلي ياقرد هل عنا بي المسيح أم لا ابشر بالعذاب الشديد ولكن ماأقتلك حتى أعذبك وأريد أحضر ولدك وتنظره وهو فى سكرات الموت والعقوبة وأضربه قدامك حتى تنسى دين الإسلام وأحملكم إلى القسطنطونية ولا بد لى ما أجمع بينك وبين الأسود الزنيم والبغل اللئيم وتكون أنت وولدك للراهب شومدرس يأخذ منكم بثاره ويكشف عنه عاره لأنى أوعدته بذلك وأنا عند وعدى ولا أخالف قولى ولابد أن أشرب من دم عبدالوهاب قبل موتى حتى أكون آخذ بثار النصرانية منه (قال الراوى) ولما سمع البطال ذلك تحسر من شدة كفره وتجبره وقال له يا ملعون ويا كافر مفتون أنت تعلم أن الذى أوعدنا بصلبك صادق ولكن ياشيطان الشقاوة أبعدت بينك وبين الاقبال حتى كفرت بذى الجلال وتنسب اليه الأمثال وهو سبحانه وتعالى منزه عن الاشكال تعالى ربنا عما يقول أهل الضلال ياويلك أما تستحى وأنت تتجرأ على الخالق وأنت تعلم أنه يحاسب على الدقائق فى يوم تقف بين يدى الخالق الذى خلق كل الأمم ويحاسب كل أحد على ما أخر وقدم وسوف تندم فى ذلك اليوم حيث لا ينفعك الندم إذا شابت اللمم وزل عن متن الصراط القدم وشخصت أبصار الأمم هنالك يتجلى علام الغيوب وتعرف أصحاب الذنوب من أصحاب القلوب وتساق على وجهك إلى النار وأنت مسحوب إلا أن تقلع من الذنوب وتتوب إلى علام الغيوب (قال الراوى) ولما ان سمع عقبه من البطال ذلك الكلام ضحك وقال يا ملعون إنك غلامى ومن بعض تلامذتى وأنا أخبر منك بهذه الأشياء وحق المسيح انى أعلم كيف يكون الحساب والخلق يوم القيامة ولا بد ما تعرف مقامى فى ذلك اليوم وأنا وحق المسيح لارحمت منكم أحدا لافى الدنيا ولا فى الآخرة ولابد لى يوم القيامة أن أجازيكم على فعالكم ثم قال ائتونى بمذبحون حتى ينظر بعضهم بعض فلم تكن إلا ساعة حتى حضر مذبحون وهو مثل الكبدة المحروقه مما قد ضربه عقبه وشومدرس ولما حضر قال أبشر يا مذبحون بالويل حتى لا يعطب واحد منكم إلا يشاهده الآخر ثم قال مدوه فقال مذبحون أنا قد أخذت نصيبى الأوفى وإن زدت على مت لامحاله فقال عقبة لابد أن تضرب قدام أبيك خمسين عصاة ثم مده وضربه حتى غاب عن الدنيا فقال البطال ويلك لاتفعل فما تعلم ما يأتى من العرضيات فقال عقبة مابقى لا عرضيات ولا طوالات ثم مد أبو محمد وضربه حتى كاد أن يقضى عليه وأشرف على العدم وضرب غلمانه حتى أنزل لحومهم وقال أتونى بالراهب قطامير فسحب وهو يقول أيها الشيخ الضال افعل بى ما شئت فأنا من وقت ما تجادلت أنت والبطال فى الأديان علمت أننا على الباطل وأنا برىء من دين النصرانية وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

محمدا رسول الله (قال الراوى) فصاح عقبة ياويلك قتلتني بذلك المقال وأنا كنت أهول عليك بالضرب فقال الراهب انى والله لصادق فى قولى وقد ثبت عندى الإيمان لأنى قرأت الإنجيل القديم وهو إنجيل يوشع الذى أمر به مرتوما بتبطيله ان عيسى روح الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه خلقه من أنثى بلا ذكر كما خلق حوى من ذكر بلا أنثى وفى وسط الانجيل ان عيسى عليه السلام يبشر بنبى من بعده اسمه أحمد ويأمر باتباعه وأن نكون من أشياعه وأنا والله كنت من جملة الرهبان وروحى تحدثنى بعبادة الملك الديان وأتبع ذلك الرسول الذى يبعث من عدنان فقال عقبة وقد عظم عليه وكبر لديه يا كلب الرهبان ماهذا فى الانجيل قال الراهب تكذب يانحس انى قد قرأته والله لا حلت عن التوحيد وأن محمدا رسول الملك المجيد فصاح عقبة مدوه وكان شيخا كبيرا وضربه حتى نزل لحمه ومزق جلده وهو لايصيح فقال عقبة خلوه فقد مات فقال الراهب والله ما مت ان كنت تزيد فى الضرب فاضرب لأنى شيخ كبير وما قلت انى أضرب وأعيش والآن فما أجد اضربك ألم لأنه فى طاعة الله بارىء النسم وقد قوانى ربى على البلا وجدد لى جلادة على الأذى فاغتاظ عقبة الملعون وضربه حتى كل ساعده وزنده وقال ردوا الكل إلى المطمورة حتى تبصر كيف نسيرهم إلى القسطنطونيه نخلوهم فى سرداب هناك والبطال يبكى على حال الراهب ويقول والله لئن كان لى عمر كيف أشفى قلب الراهب منه فقال الراهب يا أبو محمد ما مللت قط لضربه كان بينى وبينه حجاب فلا أجد لضربه ألم ببركة خير الأمم فقال البطال هذا لطف من الله وأما عقبة فانه فتش رجل البطال فوجد الجوز الحمام فقال أحسنت ياقرد هذا مليح ما أتى ذلك الشيطان الى تلك الأرض الاصاحب أخبار وماهو الا أراد أن يفتش على أخبار ذات الهمة وحق المسيح لابد لى أن أكشف أخبارها وأطالع ابنها بانكشاف خبرها حتى يأتى ولدها وانصب عليه نصبه وآخذه ومن يأتى معه ثم انه أخذ دواة وقرطاس وكتب خط مثل خط البطال وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير فانى وصلت الى دير الرهبان الذين هم أصدقائى على طول الزمان فوجدت عقبة الشيطان وشومدرس الكشحان وقبضت عليهم وخلص ولدى وهما معى فى الدير وقد انفذت غلمانه الى القسطنطونيه ليكشفوا خبر الاميره ذات الهمه وأنا قد سمعت عنها خبر وما استصحيته وبعد ذلك أن الملك ارمانوس كشف خبرها وخبر بحرون وقد أنفذ مائة بطريق ليأتى بها من قلعة صافور لأن بحرون قد انهزم بين يديها وقد تبعته الأميرة حتى وقعا عن الجوادين من شدة الجرى ووقعا عن وجوههما فلقيهما قوم من أهل القلعة فأخذوهم وأطعموهم وأسقوهم وعرفهم بحرون بنفسه فأكرموه وقيدوا الأميرة

ذات الهمة وأنفذوا إلى الملك أرمانوس وأعلموه بذلك ففرح وأنفذ المائة بطريق وأريد أيها الأمير إذا وصل اليك هذا الكتاب تتزيا أنت وعشرة من خيار الأمراء الأنجاب بزى البطارقة وتطلب دير الرهبان فان كان الخبر صحيح تخرجون أنتم على البطارقة وتخلصوا الأميرة ذات الهمة وإن لم يصح ذلك فتكونوا عندى الى أن يصلنى خبر من غلمانى فانها ماتخلص إلا بالحيله أو بالسرقة فعند ذلك أسير أنا لها وأتحايل فى خلاصها وأنفذ معكم الملعون عقبة والكلب شومدرس وأشهد أنا خلاصها فان خلصت وإلا فادينا بها والسلام ثم ان عقبة أخذ الكتاب وأتى به إلى السرداب ونزل الى عند أبو محمد البطال وقال له ياشيطان ماتسير إلا ومعك الحمام وغيره وترسل معه الاخبار ولكن أنظر ايش عملت وكيف فعلت ثم قرأ عليه الكتاب فعند ذلك قامت على أبو محمد القيامة وقال لعنك الله ياملعون فلا بد لك من يوم مشهور بين الناس فقال عقبه بعد أن أصلبكم فى هذه النوبة دع يفعل الزمان بى ماأراد فلا أبالى بأى موتة أموت بها ثم غلق الطابق على الأمير أبو محمد وغلمانه وطلع وعلق الكتاب على جناح الطائر وأطلقه وقال لشومدرس كيف ترى هذه الحيلة العجيبه فعند ذلك قال الراهب شومدرس وحق المسيح مايجىء عبد الوهاب ومعه تلك العشرة الا يريدون كل من فى بلاد الروم ويكون لنا معهم يوم معكوس مذموم وما هى الا حيلة معكوسة علينا ويلك يامتعوس وحق المسيح اذا جاؤا هؤلاء كما نقول من يجيرنا منهم فقال عقبة وحق المسيح لقد ذكرتنى بشىء كنت عنه غفلان ثم انه ادعى ببعض العرب المتنصرة وقال له ائتنى بالراهب فلان فادعى بالراهب اليه فقال له عقبة سير الى القسطنطونية ونفر الينا العرب المتنصرة فقال الراهب السمع والطاعة قال الراهب شومدرس وحق المسيح ما الصواب الا أخذ هؤلاء الشياطين ونسير بهم الى القسطنطونية ونحن رائحين والا نصبح خاسرين فقال عقبة وحق المسيح مانسير الا والكل معنا وان سبقوا وأتوا الينا قبل أن يأتينا أحد من القسطنطونية سوف آخذهم بحيلة عجيبة من العجب ماتهتدى اليها الجن الذين تحت الأرض فقال الراهب وحق المسيح لقد عولت على أننا نسير من هاهنا الى بلاد الإسلام أنا وأنت فى الصناديق محمولين بعد أن يلطمونا ستين فضحك عقبة من كلامه وكشر عن أنياب كأنها أنياب الخنازير وأقاموا ينظرون مايكون فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب والمعتصم ومن معهما من العساكر فإنهم وصلوا الى ملطية وهم حاملين هم من قتل منهم من المسلمين هذا والامير عبد الوهاب لا يأخذه هدو ولا قرار لفقد الاميرة ذات الهمة والمعتصم يقول للامير عبدالوهاب أنا أقول ان شاء الله تعالى ان الامير أبو محمد البطال

مايعود الينا الا بخبر الاميرة وجلية أثرها وأنا فلا بد أن أنفذ الى الملك أرمانوس رسول فان كانت عنده تسببنا فى خلاصها بكل الاسباب فقال الامير عبدالوهاب فلا بد أن ترسل الى ملك الروم كتاب فى سبب ذلك (قال الراوى) وقد عولوا أن يسيروا الى ملك الروم رسولا بسبب الاميرة ذات الهمه واذا بالبراج قد دخل على الامير عبدالوهاب وبيده الطير الحمام والكتاب ففرح الامير عبد الوهاب بذلك وتناوله وفتحه وقرأه وعرف معناه ثم انه بعد قراءته الكتاب استدعى بأولاده مثل الامير سيف الحنيفية والامير ظالم والامير ضيغم والامير قشعم ومن الامراء مثل الامير سعيد بن الفرج وهارون العلوى وبردبن الازهر وراشد بن ضمرة وطارق الحجازى وميمون الجماس وتمام عشرة رجال من أمراء بنى كلاب فلما أن اجتمعوا عنده فى بيته أعلمهم بالخبر ففرحوا القوم بذلك غاية الفرح وقالوا والله العظيم أيها الامير لا بد لنا أن نسير معك فى طلبها ونرمى أرواحنا على كل من فى بلاد الروم حتى تخلص الاميرة ذات الهمة سيدة المجاهدين فلما سمع الامير عبدالوهاب كلامهم جزاهم خيرا وأوسعهم شكرا ثم قال لهم اكتموا هذا الحديث عنا ربما يكون جواسيس لملك الروم (قال الراوى) ثم ان الامير عبد الوهاب وثب من مجلسه ودخل على أمير المؤمنين المعتصم بالله وأخبره بهذا الخبر ففرح الخليفة بذلك غايه الفرح ثم ان الامير بعد ذلك استشار الخليفة وقال أريد الدخول الى ما أمرنى به أبو محمد فى كتابه ولكن نطلب من احسان أمير المؤمنين أن يكتم هذا الخبر عنا ولا تعلم به أحدا من بنى سليم حتى لا يشيع هذا الخبر وينفسد مادبره أبو محمد البطال فقال له الخليفة والله ياأمير انك مخاطر بنفسك وبمن معك بدخولك إلى بلاد الروم فلو وقع أحد والعياذ بالله هلكتم ولكن أنتم كما قال القائل من أراد عظيم خاطر بعظيم وأنا أقسم بالله العظيم لو أمكننى لسرت معكم إلى خلاص الأميرة المجاهدة والسيدة العابدة فلما سمع الأمير كلامه قبل الأرض وشكره على ذلك ودعا له ثم انصرف من حضرة الخليفة (قال الراوى) ثم ان الأمير هو وأصحابه تزيوا بزى البطارقة من الروم وقد أخذوا معهم بغال وجمال وساروا من وقتهم يقطعون البرارى والقفار وهم مجدين ليلا ونهارا وغدوا وابتكارا وكل من نظرهم ولقيهم يظن أنهم من البطارقة الذين للروم ولم يزالوا سائرين إلى أن قربوا من الدير فهذا ماجرى هاهنا وأما ما كان من القاضى عقبة بلاه الله بألف نكبة فانه كان من خبثه ولعنته قد أوقف على طريق بلاد الروم ثلاثة رهبان من أهل الدير حتى إذا نظروا العرب المتنصرة يأتوه فى سرعة الحال ويبشروه بقدومهم وكان الملعون فى كل ساعة ينزل إلى عند الأمير أبو محمد وولده ويشتفى منهم بالعقوبة وأبو محمد يقول له ويلك اتق الله

وابق علينا فهذه الحيلة ماتتم على الأمير عبد الوهاب ولا بد أن يأتى ويخلصنا وتعود تقع فى أيدينا ونكافئك على فعالك معنا فقال له عقبة ويلك بهذه الحسرة لابد أن تموت وحق المسيح لأسوقنكم أنتم الجميع إلى القسطنطونية سوق الكلاب وأنزل بكم العذاب

(قال الراوى) فبينما عقبة وشومدرس فى بعض الأيام جلوس فى أعلا الدير وهم يتحدثان فيما جرى لهم وعليهم إذ نظر شومدرس إلى بغال محملة فالتفت إلى عقبه وقال له ياقاضى هل تعرف هذه القافلة فقال عقبة نعم هؤلاء من بعض الروم فقال له شومدرس وحق الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل ماهؤلاء إلا مسلمين وهم القوم الذين كتبت لهم الكتاب فقد أتوا الينا ولا بد أن يعذبونا بأنواع العذاب وأنا وحق المسيح علمت انهم يسبقون الروم وننظر منهم كل يوم ميشوم وقد سقتهم الينا يامجنون فلما سمع عقبة كلام شومدرس ضحك وقال له ويلك ياأبا الشر ماأنت الا تقرأ علينا كتب الآفات فى كل الأوقات ثم ان عقبة مدعينه وتبينهم واذا فى أوائلهم الأمير عبدالوهاب مثل ليث الغاب فقال عقبة وحق المسيح هم أمراء المسلمين على الصحيح وقد سبقوا العرب المتنصرة بلا تطويل وما أظن المسيح براغى لاصاحب ولاخليل وما أراه قط يعمل معنا جميل فياليت شعرى ايش السبب الذى غيب عنا العرب المتنصرة فقال له شومدرس أبطأهم عنا المسيح حتى يقطعوا هؤلاء القوم أقفيتنا بالضرب ويشرحوهم تشريح وهذا كله ببركتك أيها الشيخ النجيح فقال عقبة ويلك ما بقى ينفعنا مع هؤلاء القوم الا الحيلة وان توانينا عنهم هلكونا بلا محالة ولا بد لى ما أحتال عليهم وأوصل أذيتى اليهم فقال له شومدرس ويلك يافرنان وأى حيلة بقيت ههنا تنفع ولم تزل فى الحيل حتى يذوق معك شومدرس شراب الويل بأصناف العطب ونبقى للناس ضرب مثل فقال عقبة وقد اسودت الدنيا فى عينيه الرأى عندى ان تقيم أصحابك المتنصرة السيوف وكذلك الرهبان وانا نجرب أرواحنا فى الضرب والطعان فقال له شومدرس ويلك ياشيخ السوء دع عنك هذا الهذيان والا فى هذه الساعة تأكل صفع وضرب يلين له الصوان فقال عقبة الرأى عندى نكمن لهم فى الدير وينزل لهم بعض الرهبان يكلمهم ويدخل بهم إلى الدير فاذا دخلوا وهم آمنون وأرموا العدد ليستريحوا وثبنا عليهم وضربناهم بالسيوف وسقيناهم شراب الحتوف فقال له شومدرس وحق المسيح ان اتكلت على قتالنا ماترى سنة أيشم من هذه السنة ولا تفلح بعدها أبدا واما هذه العرب المتنصرة والرهبان مايكفوا واحد من هذه السودان (قال الراوى) فضحك عقبة على ما به من الخوف والفزع وقد رتب العرب المتنصرة والرهبان بالسيوف فى زوايا الدير وكانوا كلهم شبان وقد وقف بعضهم على أعلا الدير

فهذا ما كان (وأما الأمير عبد الوهاب) ومن معه من الاصحاب فانهم لما قربوا من الدير فقال الامير عبد الوهاب قفوا يامعشر الاصحاب حتى أقول لكم هذا الخطاب ولا نفرط فى أمورنا فربما تكون هذه حيلة قد دبرت علينا لان البطال لو كان ههنا لكان قد خرج الينا والتقانا مثل عوائده وما فى الامر الآن ننفذ منا فارسين ويمضون الى الدير ويكشفوا لنا الخبر فان كان ثم خبر عادوا الينا وأخبرونا وان كان ثم شرا أو خوفا حذرونا على أنفسنا فقالوا له هذا هو الصواب (قال الراوى) ثم ان الامير نفذ الامير ظالم وأخيه سيف الحنيفية وأقام الامير وأصحابه فى أماكنهم وهم فى انتظارهم الا أن يعودوا اليهم بالخبر اليقين ثم انهم ساروا طالبين الدير فلما نظر عقبة الى ذلك والى انفرادهم قال لشومدرس ويلك ياأبا الشر أتدرى كيف حال القوم فقال له لا وحق المسيح فقال له عقبة ماهم الا قد أنكروا حالنا الآن وقالوا لو كان البطال وولده لخرجوا الى ملتقانا وقد انفردوا هؤلاء يكشفون لهم الاخبار فقال شومدرس جاءك العمل يارأس الفجار وحق المسيح ماهذا تدبير من يفلح فقال له عقبه ويلك ياشيخ النحس لقد قطعت ظهرى وحيرتنى فى أمرى بهذا الكلام ولكن افعل ماأقول لك والسلام وقد أخذناهم عن بكرة أبيهم فقال له وماالذى تريدان نفعل فقال نقوم أنا وانت نقيد أرواحنا وننزل فى السرداب غير الذى فيه البطال وولده ونعلم هؤلاء الرهبان ان يقولوا إلى هؤلاء الاقوام إذا جاؤا وسألوا عن أبو محمد البطال فيقولون لهم انه لما أتى وخلص ولده مذبحون قبض على عقبه وشومدرس وأودعهم عندنا ثم أخذ ولده وغلمانه وسار إلى بلاد الروم يستخبر عن الأميره ذات الهمه لأنه لما سمع خبرها أودعنا هذين الرجلين وسار وقد أوصانا وقال لنا إذا أتو اليكم أصحابى الذين كتبت اليهم الكتاب سلموا هؤلاء اليهم وهاهم عندنا محفوظين من أجل الايمان التى بيننا وبينه من قديم الزمان فان القوم إذا سمعوا ذلك ونظروا الينا ونحن فى هذا السرداب مقيدين آمنوا الرهبان وأكلوا من طعامهم وهم مطمئنين وأنا أعطيتهم دواء يعملونه فى الطعام فاذا أكلوا ذلك توافعوا على الأرض كانهم الموتى ونأخدهم جميعا بلا ضرب ولا طعان فقال شومدرس أنا ماأفعل شيء من هذا ولا أقيد روحى لمن يأتى يأخذنى قبضا بالكف فقال له عقبة وحق المسيح إذا لم تفعل ماقلته لك وإلا مايقع فى البلاء الا أنت لاننى أنا مايقدروا يقتلونى وآخر أمرى أخلص منهم على كل حال ولا يقدروا على أذيتى لان الخليفة يطالبهم بى واما أنت إذا لم يقتلوك ههنا وإلا أنا أحرضهم على قتلك ولا أدعهم وحق المسيح يخرجون من هذا المكان حتى يصلبوك على هذا الدير وتخرج روحك من بين جنبيك

(قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال وحق

المسيح انك ما تفتح علينا باب من الخير أبدا وأن شرك يعم القريب والبعيد ثم ان شومدرس قام صحبة عقبة ونزلا إلى الرهبان فأمرهم عقبة ان يرموا العدد من ايديهم وقد علمهم ما يخاطبون القوم به من زخاريف المحال وقد اخفى العرب المتنصره فى بعض مخابىء الدير ثم انه أخذ شومدرس فى يده ومضوا إلى بعض السراديب وقد أمروا الرهبان بأن يقيدوهما ففعلوا ذلك وقد تعجبوا الرهبان من تأمل عقبه إلى تلك الحيل (قال الراوى) هذا وان شومدرس قد اضمر فى نفسه لعقبة كل بلية ونكبه وقال لقد لعن المسيح من يرجع يمشى مع هذا اللعين فى طريق ويأخذه له صديق أو يكون له رفيق (قال الراوى) ثم ان الرهبان اطبقوا عليهم باب السرداب وقد صعدوا على اعلا الدير وإذا بالامير ظالم واخيه سيف الحنيفيه قد وصلوا إلى باب الدير فلما نظروهم الرهبان قالوا لهم وأين باقى اصحابكم العشرة الذين ذكرهم أبو محمد البطال فى كتابه فلم نرى أحدا غيركم فقال له سيف الحنيفية هاهم بالقرب منا ونحن قد أتينا ننظر مافعل أبو محمد البطال من الاعمال فقالوا له الرهبان وحق المسيح ماقصر ادخلوا حتى تشاهدوا ما قد فعل وماقد دبر ثم ان الرهبان ساروا بهم إلى ذلك السرداب الذى فيه عقبة وشومدرس وفتحوه ونزلوا جميعا فوجدوا عقبة وشومدرس مقيدين وعقبة قد اظهر الضعف والانين كانه قد ضرب فقال له سيف الحنيفيه كيف حال الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فقال له يا بنى كيف يكون حال من خدمه أبو محمد البطال فالله تعالى يأخذ لى حقى منه وممن ظلمنى فقال له سيف الحنيفية والله إنك يا ملعون لو عمل معك ما استوفى منك ربع ما عملته فى المسلمين فى كل وقت وحين فقال له عقبة يابنى هذا كان فى زمن الجاهلية وأما اليوم فوحق النبى محمد المصطفى صاحب المكارم والوفى أبغض مالى الآن جلوسى مع من يكفر بالرحمن فلما سمع سيف الحنيفية كلامه قال والله العظيم انك تكذب ولا بد لى أن أشتفى منك فى هذه الساعه بالضرب والعذاب ثم انه أمر الرهبان فبطحوه ولم يزل يضربه هو وأخيه ظالم الى أن غشى عليه وكذلك فعلوا بشومدرس الى أن أرموا لحم أكتافه ثم تركوهم فى السرداب وطلعوا ليعلموا بذلك الأمير عبد الوهاب ومن معه من أمراء بنى كلاب ثم انهم عادوا إلى عند الأمـــير وأخبروه بما جرى من الأمور والأسباب فلما سمع الأمير فرح الفرح الشديد وسار هو ومن معه الى الدير وقد أيقنوا بكل خير ولم يعلموا بما خبىء لهم فى الغيب هذا وان الرهبان قد أظهروا الفرح والسرور والأمير عبد الوهاب يقول ما فى الدنيا مثل أبو محمد البطال ومصاحبته هؤلاء الرهبان وقد عمل هذه الأعمال

﴿ تم الجزء الرابع والأربعون ويليه الجزء الخامس والأربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشآم وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الخامس والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم أن الرهبان غابوا ساعة وعادوا إلى عند الأمير عبد الوهاب هو وأصحابه بالطعام والرقاق وبعسل وزيت وبشيء كثير من الزاد فلما نظروا القوم إلى الطعام هم جياع من طول المسافة وبعد الطريق نزلوا عليه مثل السباع فما هم إلا أن أكلوا وحصل ذلك الطعام فى بطونهم حتى تواقعوا إلى الأرض وهم لا يعلمون إن كانوا فى السماء أو فى الأرض فعند ذلك تواثبوا الرهبان إلى القاضى عقبه وشومدرس فوجدوهم قد أفاقوا من الضرب وهم يتخاصمان وقد تعلق شومدرس بعقبه وهما يتلاكمان فعند ذلك أخبروهما الرهبان بما جرى للقوم وكان فلم يعلم عقبة وشومدرس ما تقول الرهبان من عظم ما جرى لهم من الضرب والهوان فأعادوا عليهم القول ثانيا إلى أن أفاقوا من غشوتهم فلما سمع عقبة كلام الرهبان نهض كأنه شيطان وقد قال للرهبان وحق المسيح وقعوا بحيلتى فقالوا له أى وحق المسيح قد وقعوا الجميع بهذه الحيلة ومالك ثانى فى الحيل والمعانى ثم أن الرهبان فكوا قيد عقبة وشومدرس ولما فكوا قيدهم صعدوا إلى أعلا الدير كأنهم شياطين فنظروا إلى الأمراء وهم مطروحين كأنهم أموات فلما نظرهم عقبة وهم على تلك الحالة فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد (قال الراوى) وأن عقبة لما نظر الأمراء فى تلك الحالة صار يرقص بابطيه ويطرب ويمزح مع شومدرس ويقول له ياشيخ الفسقة ما حالك تصل إلى هذه الطبقة أرأيت حيلة الشيخ النجيح وما قد صنع من الفعل المليح وقد صار يقول الحمد للسيد المسيح الذى مكننى من هؤلاء الكلاب

ومن هذا الأسود الزنيم الذى هو عبد الوهاب ولكنى فى هذا اليوم قد اصطلحت مع المسيح وقد عرفت له هذه السنة والفعل المليح (قال الراوى) ثم أن عقبة أمر الرهبان بأن يشدوا القوم كتاف ويقيدوهم بقيود ثقال وقد وضعوا فى أعناقهم السلاسل والاغلال (قال الراوى) ثم أن عقبة قال لشومدرس أنظر ياقليل العقل صبرنا على الضرب تمليل فنلنا هذا الظفر الذى ماله مثيل ولو كان عندى طرف من قلة عقلك جازيتك فى هـــذه الساعة على فعلك ولا بد لى ما أطالع الملك أرمانوس على جهلك ولكن أنا لم أكون مثلك لأن الكبر قد غيرك وغير عقلك (قال الراوى) ثم أن عقبة قال للرهبان ائتونى بالخل الحادق يكون له زمان عندكم فأتوه بما طلب فقال له شومدرس على ماذا عولت وما تريد تفعل فقال له عقبة أريد أعطيهم الخل حتى أنهم يتقايوا البنج ويصحوا على أنفسهم ويعقلوا عـــلى أرواحهم ويفيقوا من سكرتهم وبعد ذلك أعذبهم العذاب الشديد وهم ينظرون بأعينهم وينظر بعضهم إلى بعض ليكون ذلك أشد لعقابهم وأقوى لعذابهم فقال له شومدرس اتركهم أنت على حالهم ودع عنك هذا الهذيان فان القوم أبطال أنجاد وأنت أخبر بهم من سائر العباد ولا تأمن من واحد منهم أن يتمطأ فى كتافه فيقطعه ويثور الينا ويعمل هذا اليوم أيشم الأيام علينا وتتعب معهم فاتركهم على حالهم فى هذا المكان فلما سمع عقبة كلام شومدرس ضحك وقال ياأبو الشر ما يخاف من مثل هذه الأشياء إلا مثلك وأما أنا فلا أخاف من هذه الأمور وهم عندى مثل الغنم وهذا دليل على قلة عقلك (قال الراوى) ثم أن عقبة أقلب الخل فى خراشيمهم فعندها أفاقوا فى الوقت والساعة وقد نظروا إلى أنفسهم وهم فى ذلك الحال وفى أرجلهم القيود وفى أعناقهم الاغلال الثقال فلما نظر الأمير عبد الوهاب نفسه وأصحابه وهم فى تلك الحالة عند ذلك قال كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وأنا اليه راجعون (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد بقى الأمير فى حيرة من أمره وكيف تمت عليه هذه الحيلة وجرت عليهم هذه النوبة الصعبة وقد نظروا إلى عقبة وشومدرس وهما مطلوقان من القيود فأيقنوا بالتلاف فعند ذلك علم الأمير عبد الوهاب أن هذه النوبة من فعائل القاضى عقبه وهو الذى عمل هذه النصبة وأنه زور على خط البطال هـــذا الكتاب وقد علم وتحقق أن أبو محمد البطال قد وقع فى اشراك عقبة ثم أن الأمير عبد الوهاب قال فى نفسه يالها من بلية أخذه الله الملعون فيها حماة الدين وأبطال الموحدين ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأن الملعون ما فعل بنفسه هذه الفعال وقيد وحده هو والملعون شومدرس إلا شبه الفخ المنصوب (قال الراوى) ثم أن الأمير قال أن الذى

بلانا بهذه النكبة قادر أن يخلصنا ويدبرنا فقال له سعيد بن الفرج أيها الأمير لقد تحذرت وما ينفع الحذر ولم يرد القدر فقال الأمير ما يقدر أحد يدفع القضاء والقدر فقال هارون العلوى والله لقد صدق الأمير عبد الوهاب ولكن قد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب الحذر ينفع مالم يلقه قدر فان أتى القدر لم ينفع الحذر وكل مقدر كائن أبدا وأن العسر بعد يسر (قال الراوى) هذا وأن عقبة قد صاح بالرهبان ياويلكم افتحوا الموضع الذى فيه البطال وولده وغلمانه الاندال حتى أجمع بينهم وبين هؤلاء الأبطال لأنهم أصحاب وأخوان وأريد أن أذيقهم العذاب ألوان ليكون ذلك أشد حسرة لعبد الوهاب والبطال فقال له شومدرس افعل ماتريد من الأفعال (قال الراوى) فعندها أقبل عقبه على الأمير عبد الوهاب وقال له ويلك ياأسود بنى كلاب ويا أخس من فى الأصحاب كيف ترى حالك وأنه أعلم محالى أو محالك فلما سمع الأمير عبد الوهاب من عقبه ذلك الخطاب قال له ويلك ياملعون ومن قد غضب عليه الحى القيوم أما أنا فى نعمة من الله عز وجل لأنى من رجال يروا البلاء عندهم أجمل من العطاء وانى عبد وأن لى مولى يفعل بنا مايشاء فلا اعتراض عليه وقد ابتلا محمد المصطفى وهو سيد الورى وأفخر من وطىء على الثرى وقد أبلاه الله تعالى بأبى جهل وهو أشر الأعداء وقد ابتلا أبونا الخليل ابراهيم بالنمرود بن كنعان وقد ابتلا موسى بن عمران بفرعون وكذلك جميع الأنبياء ابتلاهم وقد امتحنهم فشكروه على البلاء وصبروا على القضاء ونصرهم بعد ذلك على الأعداء وكذلك يفعل الله بك ياملعون ويجازيك على ما مضى فعند ذلك حنق عقبه من كلام الأمير عبد الوهاب وقال له قل لمن أنجى الأنبياء من الأعداء أن يخلصك الساعة من هذا العذاب والردى فقال الأمير عبد الوهاب ما للعبدان يتعرض على المولى ولا يتحكم على سيده على أننى قد كبر سنى ودق عظمى وما بقى لى رغبة فى الحياة وقد اشتقت إلى الوفاة فان هـذه الدنيا مكابره غداره عيشها مذموم وسائلها محروم وبنيانها مهدوم ونعيمها لايدوم وماثم إلا الحى القيوم (قال الراوى) فضحك عقبة من كلام الأمير عبد الوهاب حتى أنت انيابه كأنها أنياب الكلاب وقد سال لعابه وقال ويلك يا عبد الوهاب وحق المسيح الذى أقام الميت من التراب ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أحدا أبغض إلى منك ومن أمك ومن أولادك وأما أبو محمد البطال وأولاده وغلمانه فهو أبغض إلى منكم وأنا أسأل السيد المسيح أن لا يجمع بينى وبينكم فى القيامة وإنه يقع بكم فى ذلك اليوم الأسف والندامه (قال الراوى) هذا يجرى من عقبه وأما الأمير عبد الوهاب والبطال وجماعة الأصحاب قد تفتت قلوبهم وتقطعت أمعاءهم من كلام عقبه اللعين ولا سبيل لهم إلى الوصول إليه

لما فى أعناقهم وأرجلهم من ثقل الحديد والاغلال وقد صاروا يلعنوه فى أنفسهم ويسبوه (قال الراوى) هذا كله يجرى وسيف الحنيفيه مطاطىء الرأس خامد الحواس لا يكلمه ولا يرد عليه جواب وقد حول وجهه عنه لانه كان قد انتقم منه وأذاقه من العذاب الوان وأن عقبه ينظر إليه بعينه الصحيحه ويتغافل عنه خبث منه ولعنه ثم أن عقبه صاح بالرهبان وقال لهم احملوهم إلى السرداب وكان ذلك السرداب ضيق من فوق واسع ومن أسفل كبير مظلم وكان عقبه قد أوقد عشر شمعات كبار حتى صار المكان أضوأ من شمس النهار (قال الراوى) فنزلوا الرهبان فى ذلك السرداب وقد نزل خلفهم عقبه وقد فرح بهذه النوبه غاية الفرح وقد ترك الأمير عبد الوهاب وأصحابه فوق الدير ونزل إلى البطال ولما نظر البطال عقبه وقد نزل إليه ظن إنه قد نزل إلى عقوبته ليشتفى منه فتغير لونه واصفر وجهه فقال لعقبة ويلك ياملعون راقب الله تعالى فينا ولا تعاقبنا فكماندين تدان فما بقى فينا للعقوبة مكان فلابد ما يفرج الله عز وجل عنا ونأخذ منك بالثار بعد أن يكون خلفى مثل الأمير عبد الوهاب وبقية الأمراء والأصحاب ولابد أن أنزل عليك العذاب وأجازيك بما فعلت معى فى هذا السرداب (قال الراوى) فضحك عقبه وقال للبطال ويلك ثكلتك أمك وعدموك قومك يا بطال ويلك ابشر بالنكال هذا عبد الوهاب قد أتيت به اليك ومعه جماعة الأصحاب وأمراء بنى كلاب ثم أن عقبه صاح بالرهبان وقال لهم هاتوا أسود بنى كلاب ومن معه من الأصحاب فنى ساعة الحال نزلوا بالأمير عبد الوهاب وقد وضعوه قدام البطال ونزل من بعده سيف الحنيفية وبعده سعيد بن الفرج وبعده هارون العلوى ومن بعده راشد بن ضمره وظالم وتمام العشره (قال الراوى) ولما نظر البطال اليهم على تلك الحاله نزلت دموعه على خدوده مثل الغيث الهطال حزنا على جماعة الأبطال ثم انه قال والله لقد كنت مؤمل الفرج من الله تعالى بكم فما الذى أوقعكم فقال له الأمير عبد الوهاب قد أوقعنا المقدور على موجب كتابك الذى أتى الينا على جناح الطير وهو الذى رمانا فى يد عقبة وشومدرس مشيخين اللئام (قال) فلما سمع البطال ذلك الكلام ونظر إلى وجوه الأمراء وهم على تلك الحال بكى إلى أن غاب عن الصواب ثم قال يا أخى ما أحدا يأمن غدرات الليالى والأيام وانى والله ما كتبت ولا سيرت لا كتاب ولا خطاب وانى لما وصلت إلى هؤلاء الدير وإذا الملعون عقبة يرتقبنى بالمرصاد وقد تمت على الحيلة وأخذنى من مأمنى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولكن قد جرى القلم بما به حكم على القمم فى القدم (قال الراوى) وان عقبة الملعون قد صاح بالرهبان يا ويلكم احضروا إلى هذا القوم آلة العذاب حتى نأخذ حقى من

هؤلاء الكلاب فقال له البطال يا ملعون راقب الملك المتعال مقدر الأرزاق والآجال الذى يغير حال بعد حال وما ندرى فلابد أن تقع فى أيدينا ونسقيك من الكاس الذى سقيتنا منه يا ويلك لا تتجبر علينا (قال الراوى) فعندها صرخ عقبة فى الرهبان وأمرهم أن يحضروا له بالسياط وقد زاد حنقه وتمرمر مذاقه وزاد فى العياط والزعاق وقال ويلك يابطال إذا وقعت فى أيديكم فلا عفى الله عنكم ان أنتم عفيتم عنى ثم ان الرهبان أتوا إليه بسياط مضفوره وقضبان السفرجل وكلا قد أتى مستعجل لا جل قضاء حاجة الشيخ النجيس لانه عند الروم بمنزلة المسيح وان الملعون عقبة أول ما بطح سيف الحنيفية وقد ضربه حتى غاب عن صوابه إلى أن قيل انه قد مات وقد فارق الدنيا ولما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ما حل بولده بكى بكاء شديدا ثم قال لعقبة ويلك ياملعون لا تسرف فى الضرب وادع نفسك وخاف لان الاسراف يورث التلاف فما أكثر تجرأك على الله تعالى فقال له عقبة ويلك يا ابن مرزوق أبكى على نفسك ودع عنك غيرك فوحق المسيح لأضربنك إلى أن أخلى دمك على الأرض سياح ثم أن عقبة قال على بظالم فقدموه إليه فمده وضربه ضرب الموت حتى غشى عليه وانقطع نفسه وخمد حسه وقيل انه قد مات ثم انه مد ضيغم وفعل به كذلك وبعد ذلك قشعم ضربه إلى أن أشرف على التلاف ثم مد الأمير عبد الوهاب وضربه إلى أن غاب عن الصواب ثم فعل بالجميع كذلك ولم تزل الرهبان تقدم واحد بعد واحد إلى أن فرغ من الجميع ولم يبق إلا البطال فقال له عقبة أنا أعلم أنك لهم محب والمحب لم يزل يوافق حبيبه فى كل شىء يصيبه ولابد لك أن توافقهم فى الضرب فقال البطال أما أنا والله فقد أخذت بالحظ الأوفر وأنت علينا تتجبر فلابد أن نرميك فى أيدينا القضاء والقدر فقال له عقبة لاوحق المسيح مابقيت تموت أنت وعبد الوهاب إلا بهذه الحسرة ولابد من قتلكم وموتكم فى هذه المرة وأستريح أنا منكم فى هذه الكرة ولم أزل أعاقبكم من هذه الساعة إلى بكرة وماتموت أنت وهؤلاء الكلاب إلا تحت العقوبة والعذاب ثم انه بعد ذلك مد أبو محمد البطال ولم يزل يضربه إلى أن غاب عن الدنيا والصواب وكذلك فعل بولده مذبحون وبباقى غلمانه إلى أن أذاقهم من العذاب ألوان (قال الراوى) ثم ان الملعون عقبة تركهم فى السرداب وطلع من عندهم وأغلق الطابق عليهم ثم انه قال لشومدرس إيش قلت ياشيخ أبو الشر فى تحصيل هؤلاء الكلاب خصوصا البطال وعبد الوهاب فقال له شومدرس صحيح انك شيطان الأرض فى طولها والعرض وقد حصلتهم عندك فى هذة المطمورة فما الذى عولت أن تفعل بهم وانى قد نظرت هؤلاء القوم وهم عظم من فى هذه المطمورة وكل حبس له صورة وقد خلصوا منا وأوصلوا

الأذية الينا ودارت دائرة السوء علينا وأخذونا أخذ الكلاب وخصوصا معك فى هذا الطريق البطال وعبد الوهاب فقال عقبة قد صدقت وقلت الصواب ولكن لم يكن معهم مثلى ولا من يفعل فعلى وقدعولت فى هذه الساعة أن أكتب إلى الملك أرمانوس وألزمه أن يفتش على ذات الهمة ويكشف عن أخبارها فان كانت قد هلكت فهو المراد ومسرة الفؤاد ونضرب نحن رقاب هؤلاء الأوغاد وان كانت سالمة أمرت الملك أن يحملها إلى ههنا وأضرب رقاب الجميع فى هذا المكان وأجعل هذا الدير تزوره أهل ملة النصرانية والطائفة المسيحية فى كل وقت وأوان ماقام قائم وقعد لاجل اننى ضربت فيه رقاب المسلمين الذين هم أعداء الدين وحتى يعلمون اننى كنت قد وعدتهم بهذا الوعد وقد اتضح لى ذلك وقد أسقيتهم شراب المهالك وقد وفيت لهم بما أوعدتهم وقد بلغت المراد ونلت مسرة الفؤاد (قال الراوى) فلما سمع شومدرس الكلام من عقبه شيخ الضلال علم أن الأمر يطول وأن عقبة اللعين لم يسمع منه مايقول وربما فاته المقصود لأجل مافى قلبه من الأمير وأصحابه من الغبن والغيظ والحقود فصبر شومدرس على ما به من الغيظ وعقبة لم يفكر به ولا سأل عنه (قال الراوى) ثم إن شومدرس بعد ذلك أقبل على الرهبان وكانوا كلهم شبان وهم على غاية من القوة والشجاعة والبراعة وانفرد بهم إلى ناحية من نواحى الدير وتحدث معهم ساعة وقد قال لهم اعلموا أننى ماأتيت إلى هاهنا إلا رجاء أن أصل إلى بلام الاسلام وأعمل حيلة على البطال أوقعه بها فى يدى وأسقيه كاس الحمام وآخذ منه بالتار وأكشف عنى العار والآن فقد جرى من الأمر مالم يكن فى الحساب وهذه نوبة يطول شرحها وماندرى مايجرى فى العرضيات والأمور المقضيات وأخاف أن يتخلصوا هؤلاء من أيدينا ويعود شرهم علينا ويوصلون الأذية الينا وأنا أعلم ان البطال اذا تخلص مايقر لكم معه قرار وأنتم أخبر به من جميع الناس وأما عقبة ما يفعل هذه الفعال إلا ليحظى عند الملك أرمانوس بهذه الأعمال وربما ملكونا ويلطمونا إلى أن يأتينا الملك أرمانوس لأن عقبة أرسل يعلمه بما وقع وربما يقول عقبة للملك أنا الذى فعلت هذه الفعال وعملت هذه الأعمال ويعطيه الخلع والأموال ونبقى نحن بغير فائدة ولا عائدة فقالوا له الرهبان لعمرى انك لقد قلت الصواب ولقد تعبنا غاية التعب وقتل جماعة من أصحابنا وشربوا كاس العطب وقد قتل لؤلؤ غلام البطال خيارنا وهم ثلاثة رهبان أجواد وما حصل لنا مراد ولاشفينا غليل الفؤاد على اننا وحق المسيح فى قلوبنا من هذا الشيخ عقبة حرارات واحتقاد من أجل البطال لأنه كان لنا من جملة الأصدقاء والأصحاب وان تسيب لم يبق لنا معه مقام فى هذه الأرض والبلاد وما لنا إلا بلاد الروم ونترك

هذه المعالم والرسوم لاننا نعرف جميع خزائن الروم وبلادها ولاسيما جزيرة الملك غيضروس صاحب مدينة كرجانه وهو ملك عظيم وسائر الملوك تخاف منه وتعظم شأنه وهو ملك عظيم الشأن عزيز السطوة والسلطان تخاف سطوته سائر الملوك ويهابه كل غنى وصعلوك وتهابه ملوك القسطنطونية وماخرج قط أبدا من أرضه إلى بلاد الروم ولا تغرب عن دياره لأن موضعه حصين ومكانه مكان أمين وبلاده واد من الأودية الحسان الا أن فى حكمه واد يقال له وادى العفريت ضيق كثير المهالك ضيق المداخل والمسالك وهو مأوى للسباع والنمورة والضباع ومن صعوبة هذا المكان مايقدر الفارس يسير فيه غير ساعة من النهار ويهلك من الحر والعطش فى تلك القفار لانه مسيرة ثلاثة أيام وبعده يخرج الإنسان إلى فضاء عظيم وماء كثير وهو فى بياض الثلج وهو على ساحل البحر الأعظم وأرض كرجانه مسيرة عشرة أيام طول وعشرة أيام عرض والمراكب على ساحل المدينة كانها العرايس فى معصفرات الملابس وهى تنقل سائر البضائع إلى إلى مدينة الملك الغيضروس وعندهم من الحيوانات شىء كثير وأما لبس أهل تلك المدينة فهو الحرير ومايعرفون شيئا غيره من الملابس وإلى هذا الملك الغيضروس وأبوه وأجداده كانت مماكة الروم قبل عمارة مدينة القسطنطونية وقبل ظهور الملك هرقل (قال الراوى) وكان هذ الملك الغيضروس له مدينة فى قدر مدينة القسطنطونية لكن ليس لها صور وهى اقليم عظيم واسع وإلى جانبها جزيزة يقال لهـا جزيزة الحلفا ومنها يأكلون ويشربون ويصيدون من أسماكها ومن الجانب الآخر فما أحدا يعرف لهذه الجزيزة نهاية من كبرها ولكثرة ما فيهـا من الأشجار والأثمار وفيها من أنواع النباتات على سائر الألوان مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولهذا الملك من الجند والعساكر بعدد التراب وقطر السحاب وكلهم قصار القدود صغار العيون غلق الألسن طوال الشعور (قال الراوى) وكان هـذا الملك الغيضروس قد عول على الغزو إلى بلاد الإسلام فما عاقه عن ذلك إلا وادى العفريت لان المـاء فيه قليل وهوكثير السباع والنمورة والضباع والحيات الافاعى وكانت ملوك الروم ترسل إلى هـذا الغيضروس الهدايات والتحف والأموال والجواهر الثمينة ويبعثون به ويقولون له أيهـا الملك نحن من بعض رعيتك وكانوا يداروه حتى لا يخرج إلى بلادهم ويخرج إلى بلاد الروم وينظر إلى القسطنطونية فيطمع فيها بالكلية ويتغلب عليها بتلك العساكر القوية وتعود أمراء ملوك الروم إليه وكانت أيضا ملوك الروم ليس لها وصول إليه لاجل وادى العفريت وصعوبته وكان الملك الغيضروس يخاف على عساكره منه (قال الراوى) وكانت أخبار أبو محمـــد البطال قد وصلت إلى الملك

الغيضروس وقد صورته الرهبان فى كنيسة كرجانه فى بيعة الملك الخاصة وكانت مبنية من الرخام الأبيض والأحمر وقد رصعت حيطانها بأنواع الجواهر وكانت تذهل أبصار النظار وقد صوروا أبو محمد البطال وغلمانه وكذلك الأمير عبد الوهاب وبعض من سودانه مثل أبو الهزاهز وسملق ومن يجرى مجراهم وهم مصورين فى جميع جوانب البيعة وإذا دخل الملك إلى تلك البيعة ونظر إلى صورة البطال وعبد الوهاب يقول وحق المسيح لو كان أحد يأتينى بهذا الشيطان أبو محمد البطال كنت أعيطته بوزنه من الذهب عشر مرات أو يأتينى بعبد الوهاب أو بأحد من أصحابه كنت ابنى على البطال بيعة ولو انى أصرف عليها نصف مالى وأسميها بكنيسة اللص المحتال أبو محمد البطال فتقول له الرهبان تعوذ بالمسيح من ذلك الوجه القبيح واعلم أيها الملك أن لا سبيل لاحد عليه ولا يقدر يصل إليه من عظم حيله وقوة عبارته وأما الرجال الذين خلفه مثل عبدالوهاب وأمه ذات الهمة فهم موصوفين بالشجاعة وهم أبطال معروفين فى جميع بلاد الروم فيقول الملك الغيضروس وحق المسيح لابد لى من الخروج إلى بلادهم وآخذهم عن بكرة أبيهم وآخذ سرير ملك القسطنطونية وأملك أيضا بلاد المسلمين الجميع بالكلية وأريكم ما أفعل بأبطال الموحدين وفرسان الحنيفية وأعرفكم انهم ما يصلحوا لركوب الخيل ولا لخوضان الليل (قال الراوى) لهذا الكلام ولم يكن فى ملوك الروم ولا فى مدينة كرجانه أصغر خلقه منه ولا ألطف قد ومع هذا لم يكن فى زمانه أقوى منه لانه كان يقتنص الأسد بيده ويخسف جنب الجاموس إذا رفسه برجله ويقلع بقوة سواعده الشجر ويقتل الجواد الجارى إذا ضم عليه فخذه ويفتح رأس الإنسان إذا كبس عليه بأصبعيه وكان واسع الحيله عظيم الصوله مهاب عند أرباب الدولة حسامه يسبق كلامه فكانت هذه الصفة صفة الملك الغيضروس وصفة جزيرته واقليمه وعساكره وأجناده (قال الراوى) ثم بعد ذلك نعود إلى حديث الشيخ أبو الشر شومدرس اللعين وذلك إنه لما كان بينه وبين الرهبان ما قد كان من الحديث وقد علم منهم أن كلامهم موافق له على ما فى مراده وانهم قد بقيوا فى طاعته فعند ذلك قال لهم وحق المسيح أن عند رأى وفيه الفلاح لى ولكم فقالوا له وما هو الرأى أيها الشيخ الصالح الذى طول عمره يسعى فى المصالح فقال شومدرس الرأى عندى أن نعمل على هذا الشيخ النحس عقبة ونعمل عليه حيلة ونصبه ونرميه فى نكبه وهو اننا نقيده ونرميه فى بعض هذه السراديب ونقتل بعض هذه الرهبان الذين يحامون مع عقبة حتى لا يطلع أحد على سرنا ولا يعلم حديثنا ثم نأخذه هذه البراذين التى وصلت معنا والخيل بتوع المسلمين ونحمل

هـــذه الأمراء عليها ونسير بهم إلى عند الملك الغيضروس صاحب مدينة كرجانه وإذا وصلنا إلى هذا الوادى الذى يقال له وادى العفريت الذى وصفتموه فأنا بعد ذلك أعرف كيف أسير بكم فيه فقالوا له البطارقة والرهبان الذين صحبوه اعلم أيها الراهب أن الملوك إذا أرادوا يكاتبوا هذا الملك فيراسلوا اليه الرسل فى البحر وهى مسافة ثلاثة أشهر فى البحر إلى مدينة كرجانه وأما هذا الوادى الذى ذكرناه لك الذى هو وادى العفريت انما نحن وصفنا لك صفته حتى يثبت عندك معرفته ولا سبيل لأحد إلى سلوكه ولو كانوا خلائق بعدد التراب أو قطر السحاب فلما سمع شومدرس كلامهم قال لهم فكيف الوصول إلى قطع تلك الأودية والفلاة فقالوا له كيف تعمل الساعة فى هذا الشيخ عقبة المرتد حتى أننا نأخذ منه هذه الأسارى ونوقعه فى نكبه فقال شومدرس أما الوصول إليـــه فهذا أمر هين وحال بين ولكن كيف الوصول إلى مدينة كرجانة فهـذا الذى أنا متوقف من شأنه فقالوا له مافى الأمر إلا أننا نتوصل إلى بلاد الانجار ونشترى لنا مركب ونكرى معنا رجال ويكونوا هؤلاء المسلمين مكتفين بالسلاسل والاغلال ونحملهم فى الصناديق ولا فتح عليهم إلا من الليل إلى الليل ونطعمهم ما يسد رمقهم حتى يقل منهم القوى والحيل ولا نزال إلى أن نتوصل بهم إلى الملك الغيضروس فقال شومدرس نخاف اننا إذا نزلنا بهم فى البحر لم يوافقنا الريح ويطول علينا الأمر فنتعب ولا نستريح وهذا أمر عظيم وحال جسيم وما فى الأمر إلا نسلك هذا الوادى ونحمل القوم فى الصناديق على هذه الخيل التى أتت فى صحبتهم وندخل إلى ذلك الوادى ويكون معنا القرب والصطابح على الدواب وهى ملآنة بالماء وأنا أطعمكم أنتم وإياهم طعام يبقى فى البطن عشرة أيام ما يستعمل ويستغنى به الانسان عن المأكول والمشروب وبعد ذلك ننال غاية المطلوب فقالوا له وكيف نعمل فى السباع والنمورة والضباع فقال لهم تتعلقوا فى رؤس الجبال والروابى والتلال فان سلمتم نلتم غاية الآمال وتنالوا من الملك الغيضروس المال بثقل الجبال لأن حسرة هذا الملك أن يرى واحد من هؤلاء الرجال الذى قد شاع ذكرهم فى سائر الأقاليم والأقطار وأما الموت فلا بد منه وما أنتم بأول من هلك فى طلب العز والغنا وشرب كأس الفنا ولم يبلغ من الدنيا مناه فان أنتم سلمتم نلتم ما أملتم وإن أنتم عطبتم فتكونوا قد نلتم الثواب من السيد المسيح (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعوا القوم من شومدرس ذلك الخطاب فقالوا له افعل ما أردت فلنا اسوة بك ولكن قبل كل شىء تقتل عقبة ومن يتعصب له من الرهبان حتى يخفى أمرنا ولا ينظر أحد على سرنا فقال شومدرس

أنا ما أستحل قتل الشيخ النجيح فيغضب على السيد المسيح ولكن أقطع يديه ورجليه وأزميه فى بعض هذه السرادب فان عاش نجا وإن مات قسمته وأما من صحبه من الرهبان فلا بد من قتلهم على أى وجه كان (قال الراوى) ثم أن القوم صبروا إلى أن اظلم الظلام واقتحم القتام وقد نامت عيون النوام وغرق كل انسان فى بحر المنام فعند ذلك صاح شومدرس فى العرب المتنصرة الذين أتوا معه إلى هذا المكان ومن كان اتفق معه من الرهبان ثم قال لهم قبل كل شىء ابدؤا بقتل هؤلاء الرهبان الذين قد وافقوا عقبة القرنان ويكون الأمر فيما بعد ذلك قد هان فنحن ما نبالى بعقبة الكشحان الكثير الفضول والكلام فوحق المسيح أن فى قلبى منه النيران بما يريد أن يفعل ما فعل بى من زمان لأنه يريد أن تكون التقدمة له على فى كل مكان وهذ مالا يصل اليه انسان وأنا عند السيد المسيح أفضل منه وأوفى بجهادى فى الأعداء (قال الراوى) ثم أن القوم بعد ذلك تواقعوا على صدورهم الرهبان فذبحوهم وقد أسقوهم كاس البوار والفنا كل ذلك طمعا منهم فى الغنا وينالوا من الملك الغيضروس غاية المنا وحتى يخفى أمرهم ولا يظهر أحد على سرهم (قال الراوى) ولم يبق غير اللعين عقبه وقد عول شومدرس على قطع يديه ورجليه وقد هم بذلك ثم أنه عاد على نفسه بالملام وقال وحق المسيح لا وآخذت عقبة بما جهل على ثم أنه قال لأصحابه اعلموا أننى لا آمن من المسيح إذا فعلت فى حق عقبة قبيح ولا آمن على نفسى منه ولو بعد حين وهو على كل حال شيخ مسكين فقالت الرهبان والبطارقة يا أبونا لقد قلت قول مليح وأنت تعلم أن هذا الشيخ النجيح وهو على كل حال عالم من علماء النصرانية وعماد أهل الملة المسيحية وهو حجة السيد المسيح وكلمته وإن نحن قتلناه فنخشى من عقوبة السيد المسيح بسببه ونحن متوجهين إلى مكان صعب المسلك فقالوا الرأى عندنا أن نعصب عينه ونطرح الاكره فى فمه ونتركه فى ذلك السرداب ونترك عنده كلما يحتاج اليه من طعام وماء وغير ذلك ونغلق عليه هذا الطابق ونمضى إلى حيث تريد أن نمضى فاذا أفاق على نفسه فما يعلم من الفاعل به هذه الفعال وما يظن إلا أنه دهى من المسلمين ونعتمد نحن إلى أشغالنا فقال لهم شومدرس نعم ما رأيتم ثم انهم جلسوا على صدره وقد وضعوا على وجهه كساية سوداء فما أفاق من نومه حتى عصبوا عيناه ونزلوا به الى السرداب وقد عقل على نفسه وهو يظن أن عبد الوهاب وأصحابه قد تخلصوا من الوثاق وقد أيقن بالبلاء والمحاق وقال هذه النوبة يكون فيها هلاكى بلا محاله (قال الراوى) ثم ان العرب المتنصرة فتحوا السرداب الثانى ونزلوا اليه ورفعوا الأمير أبو محمد وولده مذبحون وقد أيقنوا القوم

أنهم مانزلوا فى هذه الساعة الا وهم قد عولوا على هلاكهم فجعلوا يتشهدون ويوصى بعضهم بعضا ان سلم منهم سالم يوصل أخبارهم إلى أهاليهم (قال الراوى) ولم يزالوا يرفعوهم واحد بعد واحد الى أن لم يبق أحد منهم ثم رفعوا الراهب قاطير ولم يكلموه فقال له الراهب شومدرس ياويلك قد تركت دين النصرانية وملت الى دين الحنيفية فقال له نعم طلبا للخلاص من النار واللحوق بالأبرار قال فغضب شومدرس وقال له ياويلك ارجع إلى ما كنت عليه من دينك والا وحق المسيح قطعت رأسك فقال له الراهب افعل ما شئت فوالله مايمحى عنى الذنوب التى سلفت الا بضربك لى بالسيوف فلاخير فى الحياة إذا لم يكن بعدها نجاة وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فلما سمع شومدرس من كلامه وثب له وضربه بالخنجر فى صدره فصاح الراهب من حرارة الضربة الحمد لله الذى أبلانى فى الدنيا وعافانى فى الآخرة فضربه ضربة أخرى فقال السلام عليكم يا أمة محمد المختار رضى الله عنكم وجزاكم بالرحمة إذ أنتم ذكرتمونى فترحموا على وترضوا عنى ثم مات رحمة الله عليه (قال الراوى) فلما عاين الأمير عبد الوهاب تلك الفعال بكى وبكوا جميع من معه من الأصحاب وقد قال للبطال أنظر يا أبو محمد الى هذا الرجل وهو قريب العهد بالاسلام ما أحسن اعتقاده وما أجود صبره فقال البطال ان الله لايضيع أجر من أحسن عملا وبالله أقسم أيها الأمير لقد نلت من الله تعالى أن يطول عمره ويفرج عنا ما نحن فيه حتى كنت أحسن اليه وأعاقب عدوه فقال له الأمير عبد الوهاب أما قولك تحسن اليه فان الله تعالى قد أحسن اليه أفضل من احسانك وواصله إلى محمد نبيه فى المقام الكريم وأما قولك يطول عمره فانه قد وصل إلى الحياة الأبدية والعيشة السرمدية (قال الراوى) هذا وهم لايدرون ماذا يريدوا القوم أن يفعلوا بهم وقد أنكر أبو محمد البطال غيبة عقبة ثم إن العرب المتنصرة أخرجت الصناديق التى كانت عند الرهبان برسم الطعام وقد وضعوا كل واحد فى صندوق وحملوهم على الدواب ثم انهم حملوا على باقى الدواب الزاد والطعام وقد أكثروا من حمل الماء خوفا من العطش وقد طلعوا من الدير وأغلقوا بابه وساروا القوم وقد تركوا عقبة بالويل (قال الراوى) وقد لطعوا تلك الأرض فى ظلام الليل فلم يصبح عليهم الصباح إلا وقد أبعدوا عن الدير ثم انهم استقبلوا الطريق فى أماكن يعرفوها حتى انهم بعدوا وخرجوا من تلك الأرض وقدساروا يقطعون الأرض ليلا ونهاروهم يقطعون الفيافى والقفار مدة سبعة أيام متوالية الى أن وصلوا إلى باب الوادى المعروف بوادى العفريت فعند ذلك نزلوا قريبا من فم الوادى وقد أرسل منهم جماعة شومدرس الى القرى

القريبة يشتروا لهم دواب وطعام وقرب وسيوف وعدد من خوفهم من السباع وغيرها وقد عمل لهم شومدرس معجون إذا أكله انسان أسند فؤاده عن طلب الطعام ثلاثة أيام هذا وإن القوم فى كل ليلة يخرجون الأمراء من الصناديق يقضون حوائجهم ويطعموهم ويسقوهم ثم يردوهم إلى الصناديق وهم لا يعلمون ماذا يراد بهم وقد عميت عليهم هذه القصة (قال الراوى) ثم ان القوم دخلوا أول الوادى وساروا فيه أول يوم فى مكان ضيق عظيم المضيق حتى أشرفت دوابهم منه على التلف ولما كان فى اليوم الثانى وصلوا إلى أماكن السباع والوحوش والضباع فجعلت الضباع تخرج عليهم وكانوا قد لبسوا البرانيس السود وفى أيديهم الخشوت وجعلوا يتعلقون فى الجبال والسباع تكسر منهم فرس بعد فرس من خيلهم الى أن هلكت أكثر دوابهم التى عليها الأمراء فقال شومدرس هلكنا وحق المسيح بلا محالة ثم أصبحوا على تلك الحالة وقد أفضى بهم السير إلى فضاء كبير فهلكت الدواب كلها عن بكرة أبيها ورموا نفوسهم الى الأرض وقد قال شومدرس افتحوا الصناديق وأخرجوا المسلمين منها فاننا كلنا هالكين ففكوا قيودهم وزيدوا فى كتافهم وعلقوا القرب فى أعناقهم وسيروا بهم بين أيدينا وسوقهم سوقا حثيثا لعلكم تنجوا من هذه الأرض وهذا المكان الميشوم وتخرجون من هذا الفلا المذموم فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم أخرجوا الأمراء من الصناديق وفكوا القيود من أرجلهم وشدوا أيديهم بالزنانير وقالوا وحق المسيح إذا لم تمشوا على مشينا وترعوا وإلا ضربنا رقابكم بالسيوف فما هذا موضع يمكن المقام فيه ولا نحن أجلد من الدواب التى هلكت (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من كلامهم فقالوا لهم نحن نمشى معكم ويفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء. (قال الراوى) ثم أن العرب المتنصرة أخذوا القرب وعلقوهم فى رقابهم والصفايح على أكتافهم قال وكان أبو محمد البطال قصير وضعيف التركيب لأنه قصير القامة فصارت القربة تمسح على الأرض وهو يقول ما مر علينا طريق أيشم من هذه الطريق ثم أنه قال لشومدرس ما هذه نصفه حملونا على قد أجسادنا فمن كانت رقبته غليظة يحمل قربه ومن كان مثلى يحمل سطيحه حتى تأمنوا الكد فقال له الأمير ضيغم وظالم لو أنك ياأبو محمد فى أى شىء من الضيق ما تخلى العيارة قط وأنت قد وصلت إلى ههنا وما تخلى الحيل وتقول خففوا عنى فدع هذا الهذيان وذوق ما ذاقت الصالحين ولا تذكر كبر الأبدان فقال له أبو محمد البطال لا كد ولا كرامة ما تكون أنت مثل الجمل والآخر مثل الحمار وتحملوا مثلى هذا الحمل (قال) فضحك الأمير عبد الوهاب وقال ياأبا محمد بالله عليك خلينا من هذا فما فينا شىء

لمزاحك وأن أرواحنا قد بلغت التراق فقال أبو محمد هذا وأنت عاقل الجماعة تقول أن هذا مزاح فوالله ما أقول إلا حق (قال الراوى) وما زالوا القوم على ذلك حتى إذا كان فى صبيحة اليوم الخامس وقعوا فى أرض محجر صلد وقد حمى عليهم الحر وأوهج البر وأرمت الشمس جرمها على الأرض وأوهجت الرمضا وصفرت الهوام وصرخ البوم وتوقد الجلمد واستوحشت العرصات وصغت الاصوات وخذلت الابدان عن الحركات ودارت عليهم دائرة الشتات وعطشت دائرة الشمس فى الجباه واتسعت الفلاه وسالت الدماء من الاقدام وجرى العرق من الاجسام ونشفت القرب وأيقنوا القوم بالعطب وقد ظهرت عليهم الحيات مثل الصوارى وقد ضاق عليهم فسيح الوادى وخافت البطارقة على نفوسها وقد أيقنوا بعكسها ونحوسها وجعلوا يشربون من الماء قليلا قليلا ولا يسقون الامراء فقال أبو محمد البطال لا تسرفوا واسقونا معكم حتى يجعل الله لكم فيه البركة فعند ذلك سقوهم قليلا فوجدوا الراحة ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا ألى أرض وعره فقال الامير عبد الوهاب ياأبو محمد هل تعلم القوم إلى أين هم سائرين بنا فقال له والله ما أعلم إلا كما تعلم وما أرى المصيبة إلا عامة بنا وبهم كنت أسمع أن فى بلاد الروم واد يقال له وادى العفريت وما سلكه قط بشرا إلا وعطب وعساه أن يكون هو ذلك الوادى (قال الراى) وقد حمت عليهم الشمس كما ذكرنا وأشرفوا على العطب وقد نشفت القرب وتعطلوا عن السير وقد أرموا القوم ما عليهم وقد أوهج الحصا من اللقاء والتهب ولم يبق لهم إلى الحياة سبب وقد أيقنوا بالعطب ووقع شومدرس إلى الأرض على وجهه وقد طلع لسانه على صدره وجميع البطارقة قد أصابهم مثل ما أصابه والأمراء قد أضربهم التعب والمشى وقد أرموا أنفسهم إلى الأرض من الجهد والنصب وطلب كل واحد منهم أن يتشهد فلم يقدر وقد وقعوا فى أرض صافية بيضاء فبينما هم على تلك الحالة إذ قد لاحت لهم أشباح وهى قاصدة اليهم وهم يجتمعون تارة ويتفرقون تارة فقال شومدرس لاصحابه ويلكم قد خرجنا من الوادى ولم أرى ما وصفتم لى من صفة هذه الأرض فقالوا له هذه أول الأرض التى وصفناها لك وقد صار الفرج منك قريب ولولا هذا الحر والعطش وما قد لقيناه من الدهش لكنا وصلنا إلى المحل ولعل هذه الأشخاص والسواد البعيد يكون لنا فيه الفرج فقال ابو محمد البطال معلوم انى أقول أن هؤلاء القادمين ما هم سائرين فى هذه الأرض إلا والماء منهم قريب فقال بطريق من البطارقة أنا خايف أن يكون هذا السواد القادم سواد السباع (قال الراوى) فقالوا جميعا وربما يكونوا سباع الوادى قد وردت الماء وعادت وقد جعلوا القوم يتطاولون بالاعناق اليهم ويرمقوهم بالاحداق إلى أن

مالت الشمس فوصل اليهم عشرون رجلا مثل الشياطين وعليهم مسفرجات طوال وأوساطهم مشدوده وشعورهم مسبوله مثل شعور الخيل وعيونهم صغار كانها عيون الفار وفى أرجلهم الطوابيج وفى أساطهم المناطق وفيها النشاب من كل جانب ومعهم الحراب ولهم أصوات على صغر أجسادهم مثل الرعود القواصف ولما وصلوا اليهم وقدموا عليهم صاحوا بهم من أنتم ومن أين جئتم وفى أى طريق سلكتم وعلى ماذا أنتم معوالين أعلمونا قبل أن نرميكم بهذه الحراب ونرشقكم بالنشاب ونعذبكم أشـــد العذاب فلم يعرف أحـــدا كلامهم إلا الراهب شومدرس وكان الملعون يعرف بسائر لغات الروم وكانت الأمراء جميعا يعرفون بلغة الروم من كثرة غزوهم ودخولهم إلى بلاد الروم إلا هـذا اللسان لم يكونوا يعرفوه إلا أبا محمد البطال لانه كان يعرف هـذا اللسان لانه كان دخل إلى بـــلاد الروم فى بعض السنين لاجل عارض عرض له فى زمن خلافة الرشيد فدخل إلى بلاد الروم فى صورة شماس فنظر إلى مركب قد أتى من بلاد الانجار فى طلب غيضورس ومعهم هدية وفى جملة الهدية جارية كانها الشمس الضاحية فى السماء الصاحيه بوجه مثل القمر (قال الراوى) وقد سمعت نسوان الروم ان أهل مدينة كرجانه أحسن مناظر الروم جميعا بخلاف نسائهم وان الأمير أبو محمد البطال لما نظر إلى الجارية علق قلبه بها وقد عرف إلى من وصلت فأقام فى تلك البلد بعد أن قضى حوائجه الذى تتعلق بالخليفة الرشيد بالله أربع شهور حتى خرجت الجارية إلى بعض البيع فدخل مع بعض القسوس وقد ناولها قربانه فأكلتها ولم يزل يتوصل إلى أن سرقها وسيرها مع غلمانه إلى ملطيه وقد أحبها محبة عظيمة زائدة وقد تعلم كلامها (قال الراوى) ولما سمع البطال تلك اللغة عرفها وكذلك شومدرس إلا أن شومدرس قال لهم يا قوم من قبل أن نطلعكم على حالنا ائتونا بالماء واسقونا فقد أشرفنا على التلف وأنا ممن لاينكر أنا شيخ شيوخ النصرانية وراهب الملة المسيحية وانى جئت إلى هـذا الكريم والملك العظيم غيضورس فى أمر يدخل عليه وقد غلبه الفرح والسرور وأعلمكم أحكام دينكم (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من كلامه أتوا اليه ثم تحول بعضهم إلى صخرة كبيرة وقلع من جانب منها حجرا واذا بباب مغارة وقد ظهر فدخل اليه وخرج وإذا معه قربة ملآنة بالماء فقدم بها إلى عند الراهب شومدرس فشرب منها قليلا من خوفه على نفسه من العطب ثم سقى البطارقة وقصد إلى أبى محمد البطال وناوله الاناء فشرب البطال لأن شومدرس كان مقصوده أن يهديه إلى الملك ففزع عليه أن يموت عطشا ثم شرب بعده الأمير عبد الوهاب وبقية الأمراء الا سيف الحنيفية فانه زحف اليه اشدة

الظمأ وهو معرض عنه فصاح الراهب شومدرس على الزهبان لاتسقوا هذا الشيطان فانه ضربني ضربا وجيعا وانما المسيح قد ظفرني به فقالوا له اسقيه فانه ولوكان كافر بالمسيح فان المسيح لايقطع عنه رزقه على انه قادر على هلاكه (قال) فلما سمع ذلك من كلامهم دنا منه وسقاه (قال الراوى) ثم أقبلوا على شومدرس وقالوا له الآن حدثنا بحديثكم من أوله إلى آخره ومن يكونوا هؤلاء القوم الذين معكم واننا نرى القيود فى أرجلهم وهم بزى الروم فقال شومدرس ان كنا نحن أمرنا عجيب فأمركم أنتم أعجب منا فقولوا لنا من أنتم ومن أى الطوائف أنتم من الروم وفى أى أرض نحن أخبرونا تطيب قلوبنا ومن أين لكم هذا الماء وما نرى بالقرب منا عمران فقالوا له نحن من مدينة كرجانه وهى مدينة عظيمة وملكنا يسمى الغيضورس ونحن لنا مركب نصل فيه إلى هذا الساحل من أرض الصفاء ثم اننا نأتى إلى ههنا ونصطاد السباع التى تخرج من وادى العفريت ولا نقدر عليها إلا إذا اشتد الحر عليها والعطش فتخرج تطلب الماء ولنا فى هذه الصحراء خنادق محفورة مسقفه وعليها أشباح من المرمر فتحسبها السباع انها بنى آدم فتطلبها وترمى نفوسها عليها فتقع فى الحفائر ولا نزال نرشقها بالنشاب والحراب حتى تقتل ونحملها إلى عند الملك الغيضورس لانه ما تحضر بين يديه مائدة إلا وعليها رأس أسد مشوى ولحمه مسلوق وذلك لاجل ما تتجدد قوته وتتزايد شدته ولنا اليوم فى هذا الوادى عشرة أيام لم يخرج الينا من السباع لا قليل ولا كثير فهذا أمرنا فمن تكونوا أنتم ومن يقال لكم فقال الراهب شومدرس أما أنا فأعرف فى جميع بلاد الروم بعالم النصرانية شومدرس بن ماناخوش وهؤلاء البطارقة أصحابى وغلمانى وتلاميذى لانى أعلم أهل الأرض وسوف يبان لكم ذلك إذا اجتمعنا مع الرهبان والقسوس الذين لكم وتنظرون كيف يبوسون الأرض بين يدى وأما هؤلاء القوم الذين فى القيود والأغلال فهم حسرات الملوك ومنبت كل غنى وصعلوك (قال الراوى) ثم جعل يصفهم لهم ويقول إن هؤلاء هم جميع أمراء المسلمين وأن فيهم أبو محمد البطال المحتال المصور فى جميع البيع والكنائس (قال الراوى) فلما سمعوا القوم ذلك صلبوا على وجوههم وقالوا أيهما أبو محمد البطال فأشار شومدرس إليه فلما نظروا إليه فقالوا وحق المسيح إن صورته على باب كنيسة الصخر والملك معول على الخروج إلى بلاد الإسلام لانه يريد يملك الأرض والبلاد ويأخذ القلاع وكان معول على أخذ هذا الشيطان حتى يقتله ويبنى عليه بيعه يذكر بها فى كل موضع إلى الأبد ما قام قائم وقعد والملك عند المسيح بمكان عظيم ولو لم يكن عند المسيح بمكان ما كان قضى حاجته من غير تعب ولا نصب فابشر يا هذا من الملك

بكلما تريد (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام انتقض وضوءه وقد قال للأمير عبد الوهاب أتدرى ما يقولون هؤلاء فقال الأمير والله يا أبو محمد لم ندرى إيش عمالين يقولوا فأعاد عليه جميع ذلك فقال له الأمير عبد الوهاب الله عز وجل قادر أن يدفع عنا وعنك شرهم فعند ذلك قال البطال وهذا القرنان مالتى شىء يعمله إلا يبنى على بيعة ياهل ترى قد سمع عنى أنى من بعض الحواريين وها أنا قد رجعت فى أمرى إلى خالقى وإن كان لابد من قتلى فوالله انى ما أريد أن أكون تحت كنيسة يكفروا فيها بالرحمن ولو علمت ذلك ما كنت شربت فعسى كنت أموت عطشا وظمأ فقال الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد اعلم أن الذى فرج عنا وسقانا من غير معدن هو قادر على أن يمنعنا من الأعداء فعليك بالصبر فانه مطية النجاة وإذا أحب الله عبدا ابتلاه (قال الراوى) فبينما القوم فى المحاورة وبطارقة كرجانه يتباعدون عن أبى محمد ثم ينظرون إليه من بعيد فقال لهم شومدرس تفرقوا عنه ليكون ذلك أقرب إلى نظركم إليه وأمكن لمعرفته فقالوا له يا هذا اعلم أن هـذا الرجل نسمع عنه إنه يطير فى الهواء ويدخل تحت الإنسان وبين ثيابه ويسلخه من إذنه ويمضى حيث يشاء ويغطس فى البحر ويسرق بنات الملوك وينزل من طاقات القصور على الملوك فى الظلمات ويسحر العقل حتى يبقى الرجل غايب بلا معقول ولا يدرى إيش يقول فلما سمع أبو محمد ذلك ضحك من فرط ما سمع على ما به من الخوف حتى غلبت القهقهة عليه فقال له الأمير عبد الوهاب والله يا أبو محمد ما بعد هـذا الضحك إلا الفرج فقال نعم إن شاء الله تعالى بسعادتك أيها الأمير الأجل ثم إنه أعاد عليه كلام أهل كرجانه فعند ذلك ضحك الأمير على مابه وقال ما نعرف هذه الصنعة إلا فى الدمرياط ملك الجن فقال شومدرس لعمرى انه بهذه الصفة وإنما المسيح قد علمنى شيئا فى المنام حتى وقع فى قبضتى واحتويت عليه فلم يقدر يتخلص من يدى وكان قصد الملعون شومدرس بذلك أن يعظم أمر أبو محمد البطال عندهم حتى ينال منهم ومن ملكهم اليد البيضاء ثم أن شومدرس قال لبطارقة كرجانه إلا آن ترجعوا بنا فى المركب إلى عند الملك فقالت البطارقة وحق المسيح مانقدر على ذلك فقال شومدرس ولم ذلك فقالوا له يا أبونا فلانا من غضب الملك علينا إذا رجعنا إليه بغير صيد وما أتينا إلى هـذا الموضع إلا فى طلب الصيد ولو اننا بقينا هاهنا عام ما نقدر نرجع له بلا صيد ولنا فى هـــذا الوادى أماكن قد خبينا فيها الزاد والماء ولنا على الملك الديوان لاجل هذه الصناعة (قال الراوى) فبينما القوم فى هذا الكلام وإذا بصوت وهدير قد ملا تلك الأرض والوادى وهو يزداد (قال الراوى) وكان ذلك صياح السباع وقد خرجت من الوادى فى طلب الماء وقد

لاحت لهم أشباح تلك الآدميين فعند ما نظرت إلى الأشباح هدرت وزمجرت وضربت بأذنابها أجنابها فلما نظرت أهل كرجانه إلى ذلك قالوا هلكنا وحق المسيح لان هذه السباع أشد سباع الأرض جميعا وما نقدر عليها إلا بالمكامن والخنادق فروح معنا حتى ندخل إلى هذه المغارة التى خرجنا وخلى للسباع ثلاثة من هؤلاء القوم الأسارى فقال البطال للأمير عبد الوهاب ذلك فقال الأمير لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله يا أبا محمد ما جرى علينا نوبة أصعب من هذه النوبة ثم قال يا أبو محمد قل للقوم يطلقونا أو يطلقوا أيدينا ويعطونا شيئا من هذه الحراب التى معهم ونحن بعون الله نكفيهم مؤونة هذه السباع فسمع شومدرس ذلك من الأمير عبد الوهاب فقال وحق المسيح انى اشتهى أن أخليك حتى تصل معنا إلى الملك ولكن من يقدر عليك وكنت تدخل معنا إلى المغار وتأخذ منا بالثار وتقصف منا الأعمار فقال الأمير عبد الوهاب من شفقته على نفسه وعلى أولاده وأصحابه وحق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ان ظفرنى الله تعالى بهذه الأسود فلا انقض العهود بل أرجع إلى القيود وكان شومدرس عارفا بالأمير انه إذا قال قولا وفى به من غير أن يحلف فاطلقوه واطلق سيف الحنيفية بعد أن حلف الأمير عنه وكذلك ضيغم وقد صاح شومدرس بالبطارقة أعطوهم هذه الحراب التى معكم وانظروا العجب فقالوا له ياهذا لا تغتر بالأمانى ولا يأخذك فى الهرب توانى فان هذه السباع تبقى اليوم واليومين والعشرة والعشرين لا تأكل شيئا وهى طارية وليست هذه السباع مثل سباع أرضكم وبلادكم لان جلودها غلاظ فلا تعمل فيها الحراب ولا السهام ونحن أرما الخلق بالسهام والحراب وعلى كل حال نحن قوم صيادين وما لنا شغل إلا ملاقاة السباع مسافات ونعلم أن هؤلاء ليس لنا عليهم قدرة فقال الأمير عبد الوهاب دعوا عنكم المحاورة فقد قربت منا ونحن نصيدها ونلقاها عنكم بأنفسنا إن شاء الله تعالى فعند ذلك رمت البطارقة اليهم ثلاث حراب أمضى من القضاء وأحد من البلاء فجعلوا القوم يتمطون تستريح أيديهم من النكال والكتاف (قال الراوى) ثم ظهرت السباع إلى السباع فلما نظرت الصيادين اليهم رجفت قوائمهم وقد طلبوا المغار الذى لهم ولم يسمعوا كلام شومدرس لما نظروا السباع قد أقبلت وهى فى قدر الجواميس فقال شومدرس وحق المسيح فى عمرى ما رأيت قط مثل هذه الأسود ولكن الحقوا بنا القوم فان الرأى معهم ثم انهم نزلوا فى المغار وشومدرس سد بابها بالأحجار وقد أقبلت تلك السباع ولهم هدير يطرش الاسماع وكانوا اثنى عشر سبع كل واحد منهم فى قدر الثور العظيم وهذه صفة سباع ذلك الاقليم وقد أهلكهم الجوع

والعطش ونظروا بنى آدم فأتوا اليهم وحملوا عليهم فعند ذلك زلف اليهم الأمير عبد الوهاب وأولاده ومن معه من أمراء بنى كلاب والسودان الانجاب ووقف البطال وغلمانه وولده بعيد عنهم لأنهم ماهم من أهل هذه الطبقة وأنتم تعلمون شجاعة هؤلاء الأبطال فى كل وقت وساعة وهم من أرباب القوة والشجاعة وأن الأمير عبد الوهاب فيه كفاية لا سيما ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم وأبو الهزاهز وبرد بن الأزهر وسعيد بن الفرج ومن يجرى مجراهم من هؤلاء الأبطال وهم ليوث الحرب فى جميع الأحوال وقد التقوا السباع بقلوب قوية ولم تكن إلا ساعة حتى ضرب الأمير سبع وقد تقدم اليه وحمل عليه فضربه بالحربة فى كتفه الأيمن طلعت من جانبه الأيسر فانقلب أسرع من لمح البصر وكذلك فعل ظالم وسيف الحنيفية وما كانت إلا ساعة حتى أفنوا تلك السباع وتركوهم ممددين فى وسط البقاع لأن أحدهم كان يرشق الأسد بالحربة فلا تخطى من بين عينيه أو جنبيه وقد قضى عليه وقد وقعوا السباع إلى الأرض صرعا وأخذوا منهم الأرواح وعادوا أقوى من أسود البطاح هذا والبطارقة ينظروا من خلال الأحجار إلى تلك الفعال وقد انذهلوا وحاروا من ذلك الحال وقد طارت قلوب البطارقة فزعا وازدادوا خوفا وجزعا (قال الراوى) ثم أن البطارقة خرجوا بعد ذلك وأن البطال أقبل على الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وقال لهم اعلموا أن هذه سلامة لم تكن لكم فى حساب وقد خلصنا مسبب الأسباب فاشكروا على ذلك رب الأرباب الذى نجانا من هؤلاء الكلاب فقالت الأمراء من بنى كلاب وحق الملك الوهاب لقد قلت يا أبو محمد الصواب ونحن الساعة نرجع إلى هؤلاء البطارقة الكلاب ونشكهم بهذه الحراب فى الصدور والاجنات ونقتل أيضا شومدرس المرتاب ونرجع من حيث أتينا ونتوكل على الملك الوهاب الذى إذا دعى أجاب (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب هذا الخطاب قال لهم ليس هذا بصواب ولا فعلت أنا ذلك أبدا ولا أحلف بالله ورسوله كاذبا وأختار الدنيا على العقبى وأكذب بمن هدانى إلى الإيمان وعرفنى شرائع الاسلام فقال البطال دع عنك هـذا الهذيان فنحن ما نوافقك على هذا أبدا هذا وشومدرس صاح بهم وكان شيطان ياويلكم نقضتم الايمان ورجعتم إلى الغدر والبهتان ياويلكم كيف لكم سبيل إلى الحياة فى هذا الوادى والفلاة والمدينة منا قريبة فننفذ إلى الملك يرسل لنا العساكر ونأخذكم أخذا بالكف ولو تبعناكم إلى آخر الدنيا ونأخذكم فى الطريق لأنكم أنتم هالكين بلا تعويق وأنا ما كنت أعرف من أميركم إلا الصدق فى الكلام وقول الحق ولا سيما إذا حلف بنبيه المحتشم الذى أمته خير الأمم صلى الله عليه وسلم فقال الأمير

لأصحابه صدق لأن هذه الأرض ما نعرف فيها طريق وإن وصلنا إلى ساحل البحر أخذنا العدو بلا تعويق وإن رجعنا هلكنا وعدمنا السعادة والتوفيق فقال ظالم يا أبتاه أنا أول من يتبعك فقال بارك الله فيك يا بنى ثم أن الامير صاح فى ولده ضيغم وقشعم وسيف الحنيفية فأرموا الحراب وكذلك جميع الأصحاب الآخر وقد سلموا أنفسهم إلى القضاء والقدر والبطارقة قد حاروا مما عاينوا وعجبوا وقالوا لشومدرس هذا الشيخ الأسود يعنى الأمير عبد الوهاب ما نظنه إلا بطل من الأبطال وفارس من الفرسان وقد رأيناه قتل ثلاثة من السباع وله قلب أقوى من الحجر وهذا الشاب الاسمر قتل أسدين أسرع من طبق العين فقال لهم شومدرس يا ويلكم مالكم معقول ولا ذهن محصول أما وصفت لكم هذا الشيخ من ساعته وأخبرتكم بقوته وشجاعته اعلموا أن هذا وحده إذا ركب جواده وملك عدة جلاده وأراد أن يملك القسطنطونية لملكها وحده بلا رفاق ولا فرسان ولا يبالى بالرجال وله أم تضرب بها الأمثال وما على وجه الأرض أفرس من هذا الرجل وأمه فقالوا له البطارقة ياراهب أما قولك مافى الدنيا مثله فملكنا غيضروس يريد مثل هذا الرجل قبيله وتكون بين يديه قليلة وأما قولك مافى النساء مثل أمه فهذا محال كلام بطال لأن بنت الملك افتونا أوفى مما ذكرت عن أم هذا الأسود وعلى شرط أن قد وصل الينا فى هذه الايام امرأة ما رأينا قط مثلها فى الشجاعة والبراعة لان الملك غيضروس نزل الميدان ومعه جملة فوارس من جبابرة الفرسان وأمرنا أن نخرج إلى وادى السباع كما جرت له العادة فخرجنا وسرنا فوجدنا فى رأس وادى العفريت شخصين وقد هلكت خيولهما من عدم الماء وشدة العطش والظمأ وهم على آخر نفس لا يدرون أهم فى أرض أم فى السماء وهم لا يعقلون على أنفسهم فاطعمناهم وأسقيناهم فقويت نفوسهم وردت اليهم أرواحهم بعد الضعف ثم أحضرناهم إلى بين يدى الملك غيضروس فسألهم عن حالهم فوجد المرأة مسلمة والرجل رومى واسمه بحرون وأنه قد هرب وهى طالبة له إلى أن وقفا فى بر العفريت وقد هلكت خيولها (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الأميرة ذات الهمة لما طلبت بحرون وساقت خلفه وقد استغرقوا فى الوادى فقال بحرون يا ستاه أرفقى بى فوالله لقد هلكت أنا وأنتى وان خلصنى الله من هذه النوبة وبرد كبدى بشربة من الماء وكان قد أدركه الظمأ فأنا أسلم على يديكى ان شاء رب السماء فقالت الأمير يا بنى اعلم أن الفرج قريب وأنا أسأل الله تعالى أن يكون لك فى دين الاسلام نصيب وأنا أقول ان الماء لم يبق عنا بعيد فى هذا الفلا وهذا الوادى لم يخلو من الماء فاطلب بنا الفضا فلما

سمع بحرون سار هو وإياها ولم يزالوا كذلك إلى أن اشتد عليهم الحر وأوهج البر فوقعوا كما ذكرنا وقد قطعوا أكثر الأرض وماتت خيولها من العطش والظمأ وقد أقبلت إليهم البطارقة بالخيول وحملوهم إلى عند الملك غيضروس فلما مثلوا بين يديه وعرف بحرون فرح به لأن أخباره قد وصلت إليه وسأل الملك عن الأميرة فقال له بحرون اعلم أيها الملك ان هذه الأميرة ليس يخفى أمرها هذه التى قد وصلت إلى جميع الروم شرها هذه التى قد أخربت بلاد الروم وهدمت المعالم والرسوم هذه فاطمة بنت مظلوم هذه ذات الهمة صاحبة الثغور الأميرة التى كل ملك منها مقهور التى ما يزال جيشها منصور (قال الراوى) فلما سمع الملك غيضروس وصف الأميرة من بحرون تغير لونه واضطرب كونه وقال وحق المسيح لقد سمعت هذا عنها من زمان وكنت مقصدى أراها عيان وأرى ولدها عبد الوهاب فانى سمعت بشجاعة بنى كلاب وهم عندى أقل وأحقر من ذلك الشأن ولولا أخاف من المعيرة عند الشجعان كنت قبضت بيدى على رأسها خلصته من بين كتفيها وأقضى فى هذه الساعة عليها فقال له الملك بحرون أيها الملك هذا كلام من لم يبلى بها فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فقال الملك غيضروس ان لى بنتا يقال لها افتونا تريد مثل هذه المرأة ألف فى اللقاء ولا تتعب ولا تشق وأنا كنت معول على الخروج إلى بلاد الاسلام وأريك ما أصنع بولدها عبد الوهاب وفى قلبى أيضا النار من العيار المحتال أبو محمد البطال لأن كل قليل يصل لى فعله وما كنت معول على الغزو إلا من أجله فقال بحرون لا يغرك أمر هذه المرأة لأننا ما أخذونا أصحابك إلا ونحن قد أشرفنا على الهلاك ولكن دعها مدة عشرة أيام واعطيها آلة حرب وقد عادت اليها قوتها واعطيها جواد سابق ورمح خارج وسيف ماحق ودع تخرج إليها ابنتك وكل من فى مدينتك وعلى الضمان ان ما يأتى آخر الشهر ومنهم انسان (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك من بحرون غضب غضبا شديدا وقد عول على قتله فقال بحرون أيها الملك لا تعجل على واعان هذه المرأة قد لاقت معى فى هذه الطريق أمر عظيم من الجوع والعطش وقد أشرفنا على الهلاك فان كنت ما تصدق قولى فى شجاعتها وعظم شدتها فامهل عليها عشرة أيام إلى أن تستريح وتشبع من الطعام وانظر ما تفعل فى الحرب والصدام فقال الملك قد أمهلتها شهر تمام وتكون فى غاية الاكرام ثم ان الملك أمر بها إلى مقصورة فى داره وكانت الأميرة صوامة قوامة بالنهار إلى أن انحلها السهر وكانت تقوم بما عليها من الفرض سفرا وحضر ثم أن بحرون بعد ذلك أتى إليها فوجدها قد تغيرت حالتها فسأل عنها من الخدام ما سبب مرضها فقالوا له انها بالنهار صائمة وبالليل قائمة فتقدم اليها بحرون وقال

لها يا ذات الهمة إلى متى تفعلى بنفسك هذه الفعال والملك فى آخر الشهر يريد يختبرك فى القتال مع ابنته وفرسانه وأبطال مدينته فقالت له الأميرة ويلك يا بحرون أنت رجل مجنون أنا ما أفعل ذلك إلا شكراً لله تعالى الملك المعبود الذى سقانى بعد الظمأ وهدانى بعد العمى وأخرجنى من العدم الى الوجود وسوف ترى من ألطاف الله تعالى ما لا يكون فى حساب وأنا متكلة على مسبب الأسباب (قال الراوى) ثم ان الأميرة لم تزل على تلك الحالة فى العبادة إلى أن تورمت قدماها مدة ليالى وأيام ولما كان بعد الشهر خطرت الأميرة على قلب ابنة الملك الملكة أفتونا فقالت وحق المسيح انى أريد أشرف عليها لأنه قد كثر وصفها بالشجاعة والبراعة وأنظر ما قد وصفوا من شجاعتها وأبصر حسن صورتها (قال الراوى) وكان قد وصل لافتونا خبر الأميرة وقالوا لها أنها قد وصلت الينا مسلمة ومعها الملك بحرون وهم عند الملك غيضروس أبوكى فى أعظم ما يكون وأن بحرون قد كابر الملك من أجل هذه المسلمة وقال له أنها أشجع أهل زمانها فقال الملك ابنتى تظهر عليها فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وأن بحرون لم يقبل ذلك وبلغها أن أبوها وبحرون قد تكابروا عليها فقالت الملكة افتونا وحق المسيح وما مسح والبيعة والمذبح لقد حط الملك قدرى مع هذه الأسيرة والأسير وقد جعلنى فى محل التقصير وحق المسيح لو كان أبى أذن لى فى الخروج إلى القسطنطونية وإلى سائر أقاليم النصرانية لآخذ له سائر البلاد وأهلك جميع العباد قهرا والسلام ولكن أريد الساعة أنظر إلى هذه المرأة وأجرب شجاعتها وأبصر براعتها ثم انها سألت عنها فقالوا لها أنها أيتها الملكة منعكفة على عبادة ربها ولكنك تمضى اليها على سبيل الزيارة (قال الراوى) ثم أن الملكة أفتونا ركبت فى مائة من جوارها كانهم الاقمار وهى بينهم كانها شمس النهار بخدود كانهم جلنار وبياض ساطع يأخذ بالابصار بعيون غنجة وثنايا مفلجة وخصر نحيل وردف ثقيل وهى فتنة للعالمين فسبحان من خلقها من ماء مهين وسارت وهى كانها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية أو قضيب بان أو غزال عطشان ولم تزل إلى أن دخلت على الأميرة ذات الهمة فوجدتها مستقبلة القبلة فى طاعة الملك الخبير وهى فى بكاء وخشوع وزفير وقد بقيت مثل الخيال ولها قلب مثل الجبال وهى حاملة هموم كثيرة غير يسيرة أحدها غربتها ووحدتها والثانى الشوق إلى ولدها والثالث شوقها إلى وطنها وأيضا شوقها إلى الجهاد فى طاعة رب العباد وانها ما تدرى ما جرى على المسلمين بعدها وأيضا انها أسيرة فى بلاد الأعداء وقد بعد بينها وبين أهلها المد (قال الراوى) ودخلت عليها أفتونا وراتها فى المحراب واقفة وهى تقرأ فى سورة الأحزاب إلى أن وصلت إلى قوله تعالى

يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وكانت الأميرة ذات الهمة تقرأ القرآن بخشوع وحزن وخضوع وبكاء وجريان دموع فلما رأتها أفتونا على هـذه الحالة وقعت هيبتها فى قلبها من طريق الدين وحسن اليقين لا غير ولكنها قالت وحق المسيح لقد وصف بحرون غير مليح فما هـذه معاطف تدل على شجاعة ولا قوة ولكنها على العبادة قانعه وأن أفتونا نظرت إلى الأميرة فى عين التواضع وأقامت مكانها تبصرها وتنظرها الى أن تفرغ من صلاتها فلم تشتغل الأميرة بذلك بل طولت فى صلاتها كعاتها (قال الراوى) وكانت الأميرة ذات الهمة إذا دخلت إلى الصلاة لو اشتهر على رأسها ألف سيف يريدون قتلها لم تنحرف عن صلاتها ومحرابها ولا قطعتها وكذلك كان ولدها عبد الوهاب أيضا على هـذه الصفة حتى انهم كانوا فى بلاد الإسلام اذا دخلوا فى الصلاة لم يشتغلوا بغيرها ولو كانت السيوف على رؤسهم مسلولة وكذلك اذا دخلوا فى الغزاه الى بلاد الروم وقد اصطفت الصفوف وجردت السيوف وزحفت تطلب بعضها بعض وحضرت الصلاة لا يتأخر عنها ساعة واحدة ولا يتخلفوا الا انهم يترجلون عن الخيل ويقضون ما عليهم من الفرض ولو حملت عليهم الكفار بأسرها لم يبطلوا صلاتهم (قال الراوى) وبلغنى انهم كانوا فى ثمل الحديد وهم أسارى لايبطلون صلاتهم ويقضون ما فرض الله عليهم ويصلون أيضا الورد ويتبعون آثار الصالحين ويتبعون ما قال الله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون وقال الله تعالى أن ناشئة الليل هى أشـــد وطأ وأقوم قيلا يعنى عبادة الليل أشد عبادة وكانوا القوم على هذه الصفة يتطوعون ويسجدون طول الليل ويركعون حتى ينالوا فى الآخرة ما يشتهون فهؤلاء القوم الذين قال الله فى حقهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحارهم يستغفرون وقال أيضا ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون (قال الراوى) ولما أن رأت الملكة أفتونا الى ذلك الحال من الأميرة ذات الهمة قالت لبعض جوارها ويلك امضى اليها وسلمى عليها ونادى اليها بالرفق والسكون وقولى لها أجيبى ابنة الملك أفتونا تريد أن تتحدث معكى فى أمر يكون فان أذنتى لها بذلك والا هى ما تقطع عليكى عبادتكى فمضت الجارية الى الأميرة كما أمرتها ابنة الملك وقالت لها ذلك الخطاب فلما سمعت الأميرة من الجارية ذلك الخطاب أو جزت فى صلاتها ثم جلست للدعاء وكانت فى جملة ما دعت به من الدعاء المليح وقالت اللهم انى أسألك يا سامع الأصوات يا مجيب الدعوات يا غافر الزلات يا عالم بما مضى وما هو آت يا عالم باختلاف اللغات وما أنزل فى كتابك العزيز من محكم الآيات وبالاسم الذى رفعت

به السموات وسطحت الأرضين المدحيات وارسيت الجبال الراسيات ويامن حكم على خلقه بالفنا والممات ويامن يكشف الشدائد والكربات يامن يجيب الداعى إذ دعاه وتضرع اليه بالدعوات يامن لا تشتبه عليه اللغات ولا سائر الألسن المختلفات اللهم انى أسألك أن تتجاوزعن ذنوبى وعن السيآت اللهم إنك عن أهلى ابعدتنى وعن وطنى شردتنى وفى ولدى أفجعتنى وفى هذه البلاد الواسعة أوقعتنى وبعد هذا يامولاى تراك قبلتنى أو طردتنى (قال الراوى) ثم أن الأميرة بعد هذا الكلام بكت بكاء الخائف الوجل النادم على ما فعل وقالت بعد ذلك اللهم لك الحمد على كل حال ياذا الجلال والاكرام والجود والانعام والافضال (قال الراوى) هذا كله وافتونا تسمع ذلك قالت وحق المسيح لقد رق قلبى على هذه المسلمة ثم أن افتونا نادت بالأميرة يامسلمة اقبلى إلى حتى اكلمك فرد كلمة فعندها أقبلت الأميرة اليها وقالت لها ماحالك فقالت الجوار اجيبى ابنة الملك افتونا وأبوها صاحب هذا الاقليم وهذا البلد فانها قد أتت لزيارتك وقد وصل اليها خبر شجاعتك وقوتك وبراعتك وقد اشتهيت انها تقاتلك فقالت الأميرة ذات الهمة بعد أن تقدمت إلى أن قربت من الملكة افتونا وقالت لها اعلمى أيتها الملكة أن الفروسية والشجاعة والقوة والبراعة هى وهبة من الله وأصلها القناعة وما نصل اليها نحن إلا بمعونة الله ورحمته فلله الحمد على ما وهبنا من نعمته وفضلنا على كثير من خليقته فسبحان من له المواهب على العالمين لأن فضله ومنته على جميع المخلوقات من أهل السموات وأهل الأرضين ولقد قصرت الألسن عن وصف جزيل نعمته وعجزت الافكار والقلوب عن ادراك بعد صفته وأمره بين الكاف والنون انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون لاراد لقضائه ولا دافع لما حكم ولا غالب لأمره تعالى عن الحد والعدد وتنزه عن الصاحبة والولد ليس له حد ولاند ولا معاند ولا ضد ولا شريك ولا معين ولا صاحبة ولا قرين ولا مشير ولا نظير ولا وزير بل هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا إله إلا هو ولا معبود سواه وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى جميع المخلوقين من الأبيض والأسود والأحمر والعبد والحر والغنى والفقير له فى خلقه تدبير واليه المرجع والمصير فقالت الملكة افتونا وقد أعجبها كلامها وحارت من حسن لفظها ونظامها بأى شىء تعودتى القتال والحرب والنزال فقالت الأميرة ذات الهمة اعلمى ياهذا أن الرمح للعرب والقنطارية للافرنج والسيف للفرسان والطبر للاكراد والعمد للديلم واللكام للفرس واللت للعجم وأعرف سائر قتال الامم فضحكت افتونا وقطعت عليها كلامها وقالت لها ياهذه أخاف أن كلامك

من طريق الدعاوى لأن باب الدعوى مفتوح فقالت لها الأميرة ذات الهمة ياملكة أننى سألتينى فأجبتك ولولا سؤالك لى لما تكلمت معكى بهذا الكلام والمقال وانما الدعوى تكون من شخص يقول مقال بلا سؤال ويتكلم كلام بغير فعال وقد قيل فى الامثال عند الامتحان يكرم المرء أو يهان وقد اشتهيت منكى أيتها الملكة أن تخبرينى قبل الميعاد المعلوم بيننا على أننى ان ظفرت بكى جدت عليكى بروحك وانكى تطلقينى وتسيرينى إلى مكان آمن فيه على نفسى لأنى ما أنا أسيرتكم ولا أخذت أسيرة إلا بالجوع والعطش والا كان يبعد عن قومكى أن يصلوا إلى أو يقدر على وإنما أسرت بقضاء وقدر (قال الراوى) فلما سمعت افتونا كلامها غضبت غضبا شديدا حتى ظهر الغضب على وجهها لأنها كانت افرس أهل زمانها وهى معودة على الصراع وقوة الذراع وكذلك سائر جوارها مصارعين ومن كان معها من بنات البطارقة وكانت تضرب بهم الامثال وكانوا يقهروا الابطال فى حومة الميدان وقت المجال عند ذلك قالت افتونا الجارية من جوارها يقال لها حومة الميدان وقت المجال عند ذلك قالت افتونا لجارية من جوارها يقال لها نشط مريم ويلك دونك واياها اخلعى أفكاكها وعجلى تلافها وهلاكها فقد استحقت ذلك وما وقعت فى الاسر إلا وهى أشر الخلق فعند ذلك وثبت الجارية نشط مريم وكانت مدله بنفسها لما فيها من القوة والشجاعة ثم أن الجارية تقدمت إلى الاميرة ذات الهمة وقد لطمتها لطمة على وجهها طيرت الشرر من عينها وقالت لها فى عقيب اللطمة يا كابة المسلمين وأخس من دخل الينا من بلاد الموحدين تكلمين الملكة افتونا بهذا الكلام وتقابليها بمثل هذا النظام ثم أن الجارية قبضت على عنق الاميرة ذات الهمة تريد أن تدق عنقها وتسد حلقها فعند ذلك مددت الاميرة يدها وأرمت روحها عليها وكانت تلك اليد طالت فامسكت أبدان الابطال فى معترك الجولان وياطال ما قبضت بها أعناق الرجال قبضت على يد الجارية مع زندها وجعلت يدها الاخرى على خناقها وهمزت عليها فصاحت الجارية صيحة خيل للناظرين ان سقف ذلك البيت قد سقط إلى يوم العرض فعندها تبادر اليها الجوار فوجدوا نشط مريم قدفارقت روحها جسدها وشجاعتها وقوتها ما نفعتها فعندها صلبت افتونا على وجهها وقالت وحق المسيح ان هذا جيد ومليح فعندها وثبت أختها وهجمت على الاميرة ذات الهمة تريد تأخذ بثار أختها فعندها قبضت الاميرة على عضدها وضربت بها الارض هشمت عظامها فضحكت افتونا وقالت وحق المسيح هذا الكام مليح (قال الزاوى) ثم قام إلى الاميرة جارية أخرى ففكت رقبتها فقالت اليها جارية رابعة فقضت عليها شدتها ثم قامت الخامسة فقتلتها ولم تزل الاميرة تقتل واحدة

بعد واحدة حتى أهلكت منهم عشرين جارية عشرة يعالجون الموت وعشرة فات فيهم الفوت هذا والملكة أفتونا قد اندهلت مما أبصرت وحارت مما نظرت فعندها قام اليها جارية من جوارها وقالت لها والله يا ملكة وحق المسيح ما هذا مليح لان هذه قتلت من جوارك عشرين جارية وجرت عليهم هذه الأمور الجارية وقد كسرت منهم العظام وأسقتهم كاس الحمام وانتى تقولى مليح مليح وقد يطالبكى بذنبهم المسيح ولكن بقت نوبتك وما لها غيركى نخذى لهم منها بالثأر واكشفى عنا العار (قال الراوى) وكانت افتونا كثيرة الخداع فى المعاركة والصراع قوية الباع والزراع فعند ذلك وثبت إلى الأميرة ذات الهمة وقصدتها مهاجمة وهى غير مكترثة بها وقد نظرت الأميرة إلى حسنها وجمالها وظرفها وكمالها وقدها واعتدالها فعجبت من ذلك وقالت فى نفسها سبحان من خلقها من ماء مهين وجعلها فتنة للناظرين (قال الراوى) وكان على افتونا فى ذلك الوقت غلالة قسطنطينى ملكى مدثر وسراويل حرير أخضر بكايس ذهب أحمر معصبة بعصابة من الجوهر ثم إنها هجمت على الأميرة ذات الهمة هجمة الأسد القسور حتى تورى باقى جوارها علو همتها وقوتها وشجاعتها فأخذت الأميرة منها حذرها ومالت على الأميرة كل الميل وكانت صاحبة قوة عظيمة وحيل فتماباضا وتعاركا وتجاوبا وتماحكا وأخذا فى الهزل والجد والأخذ والرد (قال الراوى) ولقد سمعت من الأميرة ذات الهمة فى جامع المنصور فى بغداد قالت والله يا نجد ما رأيت بعد صراع ميمونة امرأة مثل افتونا وربما تزيد عليها فى القوة والشجاعة ولم تزال الأميرة مع افتونا فى عراك وشباك طول ليلتيا إلى الصباح وقد أدركت الأميرة صلاة الصبح ولم تقدر واحدة منهن على الأخرى فعند ذلك قالت الأميرة ذات الهمة اعلمى أيتها الملكة أن على فى هذه الساعة صلاة وهى صلاة الصبح فاشتهى أن تمكنينى حتى أقضى صلاتى فقالت لها افتونا دونك وما أردتى وأنا أيضاً لى زيارة فى الكنيسة وصلاة الراهب دمليسا ثم إن افتونا افترقت من الأميرة ذات الهمة وتمت خارجة وقد قالت لجوارها وحق المسيح إن قطفت منكم واحدة سرى وما جرى لى مع هذه المسلمة فى هذه الليلة المظلمة وأعلمت الملك بهذا الحال لأسقيتكم كاس الوبال وأقرب منكم الآجال لأن أبى جبار حاد المزاج وربما عجل فى قتلها قبل البراز وأنا أشتهى أن ألتقى أنا وإياها فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وحق المسيح إنى ما رأيت من فحول الرجال مثل ما رأيت فى وقت النزال ولو وقفت معها ساعة واحدة لكانت أخرجت الاذية إلى وخرجت روحى من بين جنبى وإن كانت فى ميدان الحرب كذلك فليس لها فى الدنيا نظير ثم أمرت الجوار بدفن من مات والباقى أظهرت

أنهن مرضا موجعات هذا والأميرة ذات الهمة صلت صلاة الفجر وهى متعجبة من صراع افتونا وقوتها وقالت فى نفسها سبحان من يعطى القوة لمن يشاء وتبارك الله العظيم الذى صور هذه الجارية فى ظلمات الأحشاء وأنا أرجو من الله تعالى خلاصى من هذه البلاد بسبب من الأسباب وآخذ هذه الجارية معى لولدى عبد الوهاب ولعله يتسلى بها عن ميمونة الكافرة الملعونة وهذه أحسن وأعقل وأقوى وأفضل (قال الراوى) ثم إن افتونا أرسلت إلى الذى يتعاهد الأميرة بالطعام والشراب وقالت له يا هذا أريدك تنقص من طعامها وشرابها لأن الضعف أولى بها فقال السمع والطاعة وصار يجيب لها دون إفطارها من الطعام أربعة أيام هذا والأميرة ذات الهمة تتناول ذلك وقد حست بالشربة وكانت تتقوت بالقليل من الزاد ما تسد به رمق الفؤاد فى ملطيه وفى سائر البلاد وقوتها تزداد بأمر خالق العباد وأقامت الأميرة على ذلك مدة عشرة أيام وأتت إليها افتونا وهى كأنها بدر التمام وقالت لها يا مسلمة هل الك فى الصراع معى على سبيل الملاعبة والادمان فقد قرب وقت نزالنا إلى الميدان لطلب الطعن والضراب ونتضارب بالنضال فتشهد لنا الفرسان بالزيادة والنقصان فقالت لها الأميرة سمعاً وطاعة فدونك والصراع من هذه الساعة هذا وقد تحققت افتونا أن الأميرة ذات الهمة قد ضعفت عن ما كانت وأن قوتها نقصت وهانت وعرفت الأميرة ذلك وأنها قد ضعفت من العبادة وصيام النهار وقيام الليل كما الرسم والعادة فعند ذلك رفعت الأميرة طرفها إلى السماء وقالت إلهى وسيدى ومولاى كيف أضعف وأنت معتمدى أم كيف أخذل وأنت خليفتى على ولدى أم كيف أخاف وأنت آخذ بيدى ثم إنها دنت من افتونا وتعاركا وتشابكا وأخذا فى الصراع وقوه الباع والزراع ولم يزالا كذلك إلى وقت الظهر فكانا فى القوة سوى ولم تقدر أحدهما على الأخرى بعد ما جرى ثم افترقا وقد عظمت الأميرة فى عين افتونا ثم قالت للأميرة ذات الهمة يا مسلمة بحق دينك ونبيك هل تعرفى فى بلاد الإسلام من يكون أعظم منك فى الشدة والقوة التى أنت فيها فقالت لا إلا أن يكون ولدى عبد الوهاب فانه فى هذه المنزلة ولا سيما فى الطعان والضراب فلما أن سمعت أفتونا من الأميرة هذا الخطاب قالت لها صدقتى وأنا أيضا ما أعرف من هو فى قوتى إلا أن يكون الملك العظيم المقدار لانه يزيد عنى بكل درهم قنطار وهو قليل أن يكون مثله فى سائر الأمصار وحق المسيح ياهذه أن الذى رأيتيه منى فى هذا الصراع هو صنعتى فى المبارزة وأنا على ظهر الحصان فقالت لها الأميرة ذات الهمة فأنا أحمد الله على هذا الاتفاق لانى ما رأيت مثلك فى سائر الآفاق لافى بلاد الروم ولا فى العراق لكن استعنت عليكى بالواحد الخلاق وقامت أفتونا من

عند الأميرة ذات الهمة وقد علمت بأن قلة الطعام لم تنقص لها قوة بل قوتها من عند الله وهى صاحبة مروءة وبعد ساعة أنفذت أفتونا إلى الأميرة ذات الهمة طعام وشراب من طعامها الخاص الذى لاهل الاختصاص وفاكهة وحلوى وقالت لها طيبي قلبكى واشرحى خاطركى ولبكى فان الملك غيضورس كان نوى انه يقتلك ويبنى عليكى بيعه ويوقف عليها صنيعه والآن فأنا أمكنه من ذلك ولكن لابد لى بعد ذلك من المبارزة على الاختبار وتتفرج علينا الفرسان فى الميدان فقالت الأميرة وبالله المستعان على ما تصفون وما شاء فهو يكون (قال الراوى) وإن الأميرة ذات الهمة بعد ذلك تذكرت ولدها عبد الوهاب فزاد بها المصاب فأنشدت تقول :

نسيم الصبا إن زرت أرض أحبتى ... فخصهم عنى بألف سلام
وقل لهم انى رهين صبابة ... وإن غرامى فوق كل غرام
وانى ليرضينى طروق خيالكم ... لو إن جفونى متعت بمنام
ولست أبالى بالعذاب وباللظا ... إذا كان فى تلك الديار مقامى
سلام عليكم طال شوقى اليكم ... سلام محب زائد بغرام

(قال الراوى) ثم مضت الأيام وفرغ الميعاد وبقى فى الشهر فرد يوم وأصبحوا الناس يهرعون إلى الميدان من كل ناحية ومكان ورفعت الصلبان واصطفت الاقران ونصب للملك غيضورس سرير من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وكان بين يديه حصان أشهب بمركب ذهب وسيف مشطب ورمح مكعب وكانت الملكة أفتونا قد أخرجت للأميرة ذات الهمة من خزائن السلاح عدة كاملة فلبست الأميرة درع الاكمام مليح الهندام جيد اللحام كيس النظام وصارم مصقول يأخذ لمعانه بالعقول وبيضة من الحديد الصينى وأخذت حسام ماضى الشفار قاطع للأعمار يأخذ لمعانه بالأبصار الموت فى مضاربه والمنية فى جوانبه ثم ان الأميرة ذات الهمة أشرفت على اصطبل الخيل ونظرت إلى جواد أسود مثل سواد الليل من أكرم الخيل مليح محجل برأس كانه المرجل مدور الكفل مليح المقل وقد قدمت لها أفتونا عدة الجلاد لتنظر إلى الأميرة فى شد الخيل وتعلم ما فيها من القوة والحيل فعند ذلك تقدمت الأميرة ذات الهمة إلى الجواد وحطت العدة على ظهره وشدته إلى أن لعبت قوائمه على وجه الأرض فهزت أفتونا رأسها لما رأت إلى شد الأميرة الجواد وعلمت إنها ذات حيل شديد وقد ركبت الأميرة ذلك الجواد وهى كاملة العدة زائدة النجدة وظهرت أيضا أفتونا وخرجت إلى الميدان بعده تعجز عن وصفها الصفات والعدة كلها مغموسة فى الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر وهى مثل القمر إذا بدر

فى ليلة أربعة عشر وتحتها جواد أحمر مليح المنظر ما ملك مثله كسرى ولا قيصر هذا وقد ازدحمت عليهم الفرسان فى متسع الميدان بعد ما رفعوا الصلبان وتقدموا حتى ينظروا ما يجرى لهذان الفرسان (قال الراوى) هذا وبحرون يشتهى أن يكون الظفر والنصر للأميرة ذات الهمة حتى يظهر صدق قوله عند الملك الغيضورس وإنه ما هرب إلا من شىء عظيم هذا والأميرة ذات الهمة قد قاربت جوانب الميدان فرأت فى جوانبه أوفى من مائة ألف عنان الكل يطلبون أخذ روحها من الجسمان وقد تذكرت الأميرة وحدتها وغربتها وفراق أحبتها فرمقت بطرفها إلى السماء وقالت إلهى وسيدى ومولاى انى عجزت فأنت تنصرنى وتعيننى وتنجدنى وإن كنت فى قلة فأنت كثرتى وإن كنت ضعيفة فأنت قوتى ثم إنها بعد ذلك أنشدت تقول :

تباعد عن عينى الرقاد مع الكحل ✲ وفى كبد نار الفراق على الأهل
حللت بأرض فى بلاد بعيدة ✲ لها معشرا يبغون كلهم قتلى
وما أخذونى فى الهياج أسيرة ✲ ولكنهم فى الحراب قد أخذوا مثلى
لاجل الذى بحرون لا كان اسمه ✲ فقد طال فى كفر وشرك بلا أصل
رضا بلباس الكفر منه مذلة ✲ وعاندنى يوم الهياج على مهل
وقد ظن انى قد ملكت قياده ✲ فأطلق رأس الأدهم الطيب الأصل
وخلف فى حال المجال ولم أزل ✲ أتابعه مثل العقاب على وجل
وسرنا بقايا يومنا ثم ليلنا ✲ وقد ضاقت الأقطار والطرق والسهل
وتحتى جواد رائق اللون شاهق ✲ له شرف فى الخيل من أكرم النسل
فبتنا وأصبحنا بواد غشمشم ✲ عميق بعيد الجانبين من المحل
وأقبل نحوى ابن ابنى يقول لى ✲ هلكت فلا تبغين يا جدتى قتلى
وبى عطش قد هدى حيلى مراسه ✲ واحشاى من نار اللظا أبدا تغلى
أدر نظرى فى قفرة الواد شربة ✲ أبل بها كبدى من عطش الرهلى
وبادر ما تم ان كان أوفلا ✲ وقد غاب رشدى عن أصيحابى وأهلى
فسرنا بوادى الجن لا كان واديا ✲ فمات حصانى واعتمدت على رجلى
ومات حصان الخصم حتى رأيته ✲ بذل الحفا فى معرك الوعر والسهل
وزاد علينا الحر حتى رأيتنا ✲ على الأرض صرعا لا نفيق من الشعل
وغبنا عن الدنيا كما غاب ميتا ✲ من الأرض من بعد المسرة والوصل
فلما أيسنا من بقايا نفوسنا ✲ أتتنا خيول الكفر حاملة النبل

سقونا وساقونا إلى غير أرضنا ٭ وعاد جميع القوم يستوعدوا قتلى
وأقعدنى غيضورس الملك عنده ٭ ليعلم أن ليس يقوى على مثلى
وجاءت سحبرا بنته كى تزورنى ٭ ورامت صراعى قبل موعدهم قتلى
وقالت لا تراب لها بديعة ٭ وقد أفضلتهم بالملاحة والدل
ألا فاصرعوها ويالكن فاننى ٭ أروم لأنظر فعلها بكم قبلى
فلما رأت فعلى بهن تقدمت ٭ إلى وهى أمضى من الضيغم الفحل
وقد بلغ الميقات ثم أبا حتى ٭ حصان ورمح حسن الشكل
وسرت أروم الطعن فى حومة الوغا ٭ وأرجو من الرحمن نصرى على الكل
وأرجع إلى نحو الأسود الماجد الذى ٭ يحن اليه القلب فى أضيق السهل
وأشتى من الأوطان قلبى فانه ٭ يؤمل بعد البعد يجتمع الشملى

(قال الراوى) فلما فرغت الأميرة ذات الهمة من شعرها فاضت عبرتها وغزرت دمعتها وذكرت الأوطان فتجددت عليها الأحزان (قال الراوى) والغريب غزير الدمعة على كل حال ولو كان ملك الأرض فى طولها والعرض وقد صاح الملك فى ابنته افتونا وقبل رأسها وبين عينيها وقال لها يا بنية وحق المسيح ائن انتى أخذتى الأميرة فى حومة الميدان أسيرة لاجردن معكى العساكر إلى بلاد الاسلام ويكون الفتوح باسمك من دون ملوك الروم مدى الأيام (قال الراوى) ولم يكن للملك غيضروس غير افتونا وولد وكانت عنده أعز من كل أحد وكان محبا لها لما يرى من فعلها وحسنها وجمالها ثم ان الملك نادى بالرهبان والقسوس فداروا بها من كل جانب ومكان وقال لهم اتلوا عليها الانجيل وعوذوها بتعويذ يوشع وحزقيل وهى تزهوا بجمالها وتعجب بحسنها وترنو بعيون نرجسية وحواجب كالقسى مخية وظفائر شعر مرخية ووجنات كشقائق النعمان وثنايا عزاب تشفى الظمآن برد الرضاب وجبين كالمصباح كما قال الشاعر ابن فلاح حيث يقول :

جارتنى أجارها ٭ الحسن من كل جانب
فهى بين النسا ٭ كالبدر بين الكواكب

(قال الراوى) فهى فتنة الانام لم يوجد مثلها ولا مثل حسنها فى بلاد الروم ولا فى بلاد الإسلام زائدة الكمال مليحة الدلال لها ثغر أنقى من اللآلىء وعيون أحسن من عيون الغزال ووجه كأنه دائرة الهلال وقد صنعها الصانع الذى أتقن بصنعه سائر الاعمال فهى كما قال فيها الشاعر مفرج ابن هلال

يا من سلب مني الفؤاد ومضى ٭ بالله من اتخـذت غيرى عوضا
الدهر لهجرانك بالعبد قضى ٭ الشامت والحسود نالوا الغرضا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وأن الملك غيضروس قال لها يا بنية الساعة كما طاب قلبي عليكى وقد وصلت بركة هؤلاء القسوس اليكى نخذى حذرك من هذه المسلمة التى يقال لها ذات الهمة ولا تهملى أمرها فيصل اليكى شرها فقد حدثنى الملك بحرون عنها بأمور عجيبة وأحوال غريبة وقد صدقه بطريق من بطارقتى وكنت أرسلته إلى بلاد المسلمين فى حاجتى وصدقه أيضا رسول قد وصل من عند الملك أرمانوس يسألنى عن بحرون لان أرمانوس تزوج بأمه وإسمها ميمونة وهى من الموصوفات بالشجاعة واستخبرنى أيضا أرمانوس عن هذه الامراء وذكر لى أن اسمها ذات الهمة وان بلاد الإسلام قد انزعجت لفقدها وبلغنى أنها ما عدمت لوحدها بل قال الرسول ان قد عدم أيضا من بلاد المسلمين اللص المحتال أبو محمد البطال المصور عندنا فى الكنائس ومعه ولد هذه المرأة عبد الوهاب ومعه أيضا جماعة من الاصحاب وكنت أريد أن يرمى المسيح الجميع فى يدى حتى كنت أعذبهم وأبلغ غاية مقصدى فان قهرتى يا بنية هـذه المرأة فى الميدان افتخرتى على سائر الفرسان والأبطال والشجعان ويكون قدعجزت عنكى الروم والمسلمين وتكونى قهرتيهم أجمعين فقالت أفتونا ياأبى وحق المسيح هذه المسلمة أوفى مما يصفوا عنها ولقد أعجبنى ما رأيت منها (قال) ثم ان أفتونا لوت رأس جوادها فخرج من تحتها مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف فحملت عليها هذلك الأميرة ذات الهمة وهى معممة ملثمة وتطاعنا بالرماح حتى تقصفت والقلوب من فعلهم قد ارتجفت والأرض من ركض خيلهم تخسفت ولم يزالا كذلك الى نصف النهار ولم تزد واحدة منهما على صاحبتها وزن ذرة ولما رأت الأميرة إلى ذلك اعتمدت على ضرب الصفاح لأنها أقرب لقبض الأرواح هذا وقدغضبت أفتونا ثم حنقت على الأميرة ذات الهمة وأرمت روحها اليها مثل المجنونة فوجدت الوصول اليها بعيد والأمر صعب شديد وطال عليها النهار ولمع البتار واحمرت الأحداق وتطاولت الأعناق وقامت الحرب على ساق وكانت القسوس والرهبان يتضرعون الى المسيح ان ينصر أفتونا على الأميرة ذات الهمة هذا وقد جالت الأميرة عليها ثم انها صاحت فيها وقرعت رأسها بالسيف صفحا وقالت فى عقيب الضربة خذيها ياأفتونا فقالت وحق المسيح لو أردت بطتها وكنت أريد أستبقيكى لقلة حالك وقوة ضعفك (قال) فلما سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك غضبت وقد همهمت وزمجرت واليها تحدرت وأرادت الاميرة ذات الهمة أن تعرفها أن ضربتها لايردها الحديد ولا الزرد

فضربت درقتها وكانت من حديد فوقعت الضربة قطعت ثلثيها وقالت خذيها يا أفتونا ولو أردت الضربة موضع المقبض لفعلت فلما نظرت أفتونا إلى ذلك اصفر لونها وتغير وجهها وقالت فى نفسها وحق المسيح ماسلمت من الموت إلا باربع أصابع ثم انها لوت رأس جوادها وهى تنادى وتقول يا أبتاه قد انقطع أملى منها ولو اقترت على لأعدمتنى الحياه فان كان فيك لها فدونك وإياها فأنت أحق منى بالذكر طول الزمان فلا تحسبها من جملة النسوان فوحق المسيح ماهى الا من جبابرة الشجعان وان أنت وصلت اليهـا فتكون من أقوياء الفرسان وفريد العصر والأوان فلما سمع الملك غيضروس كلام ابنته عمل معه الغضب وقام وقعد وأرغى وأزبد وقال وحق المسيح ان وقعت يدى عليها هلكت من وقتها وساعتها وأنا ماأريد قتلها وإنى أحمد المسيح الذى ماعجلنى عليها ولا وصلت منكى الأذية اليها ومامثل هذه تستاهل من يقتلها وأما أنا فأريد أتزوج بها وها أنا الساعه خارج اليها وما أنا أعظم من الملك أرمانوس وقد أخذ مسلمة وتزوج بها وها أنا الساعة خارج اليها آخذها فى الحرب اقتناص وآخذ لكى منها بالقصاص ثم انى أتزوج بها وأبلغ قلبى ماأشتهى وأسلم اليها ملكى ثم إن الملك صاح بجواده وأفتونا تقول له خذ حذرك منها ولاتهمل أمرها فيصل اليك شرها ولا تشغل قلبك بالزواج وانظر مابين يديك ودع عنك اللجاج فضحك الملك من مقالها وقال لها أنتى على كل حال قلبك مثل قلوب النسوان ثم انه ساق جواده إلى بين الصفين وقد اشتهر بين الفريقين وكان فى يده عامود وزنه أوفى من قنطار وكان لو ضرب به جمل ما تار فلعب جواده من تحته وهملج وضرب بحافره الارض فغضب الملك وترجل عنه ولكمه فقصف أضلاعه وقطع نخاعه وكان فعل بالجواد تلك الفعال حتى يعظم فى عين الاميرة ذات الهمة وتخاف منه الابطال لانه كان قد وقع للاميرة فى قلبه محبة عظيمة وان لما رأت الاميرة إلى فعال الملك غيضروس علمت أنه شيطان لايرام وبطل همام فأخذت منه حذرها لما رأته يلج فى نظرها ثم إن الاميرة رمقت إلى السماء بطرفها وقالت يامولاى انت تعلم انى امرأة ضعيفة غريبة وحيدة وكل هؤلاء الكفار يريدون قتلى وكلهم يجحدون توحيدك وينكرون أنهم عبيدك وأنا منفردة بتوحيدك صابرة على نصرة دينك وتمجيدك (قال الراوى) هذا وقد حمل الملك عليها وحملت أيضا عليه الاميرة ذات الهمة وقد أخذا فى القتال والحرب والنزال وصارت الاميرة تراوغه مراوغة الاسود ولها قلب أقوى من الصخر الجلمود وقد صمم بالطعنة عليها حتى كادت أن تصل اليها فعند ذلك ضربت الرمح بتاع الملك بذباب السيف أبرته كما يبرى البارى قلمه ثم ان الملك غيضروس أرمى الرمح من يده

وقبض على سيفه وقام فى ركابيه وضرب عنق جواد الأميرة فوثبت عنه الأميرة إلى الأرض وقد هجمت على جواد الملك ثم انها ضربته على قوائمه فقطعتها وقد انكسر قلبها لقتل جوادها (قال الراوى) هذا وقد طمع فيها اللعين غيضورس وأرمى سيفه وكذلك الأميرة ثم تقابضا وتعاركا وترافعا وأخذا فى الهزل والجد والطرد والكد وقد خرج من الأميرة الحد ثم انها أرمت روحها على الملك وقبضت على أزياقه وأرادت أن تقلعه من الأرض وإذا به مثل العامود الرصاص ولم تجد لها معه خلاص فعاركته وفاركته وصادمته ولم يزالا فى عراك وصدام والتزام حتى جرى العرق واشتد القلق وكادت روح كل منهم أن تزهق وقد صلبت الروم على وجوهها لما رأت من الأميرة تلك الشجاعة وقد غضب الملك غيضورس لما طال به المطال مع الأميرة وخاف من الغلبة أن ينحط قدره وماكان فيه من علو المرتبة فأخرج يده ولطم الأميرة على وجهها لطمة كادت أن تفارق الدنيا وقد أخذتها النخوة العربية فعند ذلك رفعت الأميرة كف طال ما قهرت به الأبطال وذلت به الرجال فى مقام الحرب والمجال وهو معود بفعل الخيرات وقد لطمته بكفها على رأسه لطمة عربية كلابية كادت أن تطحن عنقه بالكلية فوقع إلى الأرض وغاب عن الدنيا (قال الراوى) فعنـــدها صاحت الروم من كل جانب واندفقت عليها خمسة مواكب فيها ألف راكب فعندها صاحت الملكة افتونا بهم وردتهم عنها وأخذت الاميرة اليها بعد ما رفعت الملك إلى قصره وقد بقى يومه كله مغشى عليه لا يدرى هو فى أرض أو فى سماء (قال الراوى) وعظمت الاميرة فى أعين الروم لانهم كانوا يقولون أن ملكهم غيضورس أوحد أهل زمانه فى الفروسية والشجاعة وأن الملك لما أن أفاق من غشوته سأل عن الاميرة فقيل له أيها الملك انها فى القيود الثقال والسلاسل والاغلال وهى على غاية من النكال فقال ومن فعل بها هذا الفعال ومن قال لكم اعملوا بها هذه الاعمال وانها وحق المسيح ما تستاهل أن تهان ومثل هذه قليل فى النسوان على بها فأحضروا الاميرة بين يديه فأمر أن يخلع عليها وأن يحسن اليها وقال لها ياهذه قد عولت أن أعطيك ملك الروم وأدعكى تحكمى فى سائر المعالم والرسوم وأحكمكى فى خزائنى وأموالى وفى جميع ما أملك من فصوص وجواهر على انكى تخلى دين الاسلام وتدخلى فى دينى وأتزوج بكى والسلام وافهمى ما قلت لكى من الكلام فلما سمعت الاميرة ذلك أحمر وجهها وقالت ويلك ياكلب الروم ومن غضب عليه الحى القيوم كيف أفارق الدين القويم الذى ربيت عليه وأتبع هذا الدين الذميم فدع عنك المقال وهذا المطال فانا مالى نية فى الزواج والاتصال ومالى رغبة إلا فى عبادة الكبير المتعال الذى جاد علينا بدين

الاسلام وعرفنا الحلال من الحرام (قال الراوى) فلما سمع الملك من الاميرة ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال خذوا هذه وقيدوها وإلى المطمورة ردوها إلى أن ابصر بأى سبب أقتلها فقالت الاميرة قد رضيت بذلك فزد فى عذابى بزيادة لانى أحب الشهادة لعلى أفوز بالسعادة (قال الراوى) هذا والملك قد استعذب كلامها وقال لقومه ما أقتلها إلا بالجوع والعطش ويلكم دعوها فى المطمورة ولا تطعموها ولا تسقوها حتى تموت كمدا ولا يدرى بها أحد وقد وضعوا الاميرة فى المطمورة وهى بذلك فرحانة إلا انها زائدة الشوق إلى ولدها كثير وفى قلبها من فراقه نار السعير (قال الراوى) هذا ما جرى من حديث الاميرة ذات الهمة (وأما ما كان) من حديث شومدرس وعبد الوهاب والبطال وبقية الاصحاب وقد ذكرنا أن البطال قال للامير نحن نحمى أنفسنا أيها الامير ونرجع من حيث جئنا ونجد فى المسير والانهلاك عند هؤلاء القوم المدامير فقال الامير عبد الوهاب بل أسلم روحى ونفسى للمقادير وكذلك أولادى لاجل انى حلفت لهم باللطيف الخبير ثم أن الامير قال للبطال اعلم باأخى أن هذه البلاد بلادهم وهى بلاد مخيفة وتتبعنا البطارقة بكل سيف وطارقه والكثرة تغلب الشجاعة ونكون قد قتلنا أنفسنا بأيدينا وما معنا عده ونعود نقع فى الاسر والشدة (قال الراوى) فبينما الامير مع أبو محمد البطال فى الكلام وإذا بأشباح قد ظهرت وانكشفت عن ألف وخمسمائة فارس بالعدد الكاملة والسيوف الفاصلة وقد أتوا الآخرين فى طلب صيد السباع من قبل الملك المطاع (قال الراوى) وكان الملك غيضورس قد أرسل هؤلاء لاجل صيد السباع لانه ماكان يأكل إلا لحم السباع كما ذكرنا حتى تنتقل قوتها اليه وله رجال بالنوبة لصيد السباع لا غير كل نوبة ألف وخمسمائة فارس بطريق ولما جاءت نوبة هؤلاء دخلوا فى السلاح وما منهم الا كل بطل فتاك ولما أشرفوا على البطارقة والامراء سألوا عن القصة فأخبروهم الصيادين الذين مع الامراء بما تم وجرى وما جرى لهم معهم وكيف أفنوا السباع ومددوهم فى القاع فقالوا لبعضهم البعض نحن هنا ثلاثة آلاف فنهجم عليهم ونأخذهم قبضا بالكف وما ندخل على الملك بفرحة أعظم من هذا الأمر (قال الراوى) ثم اصطفو البطارقة وأولاد العمالقة وكل واحد معه سيف وطارقة وكانوا الأمراء ما معهم عدة وقد قلت قوتهم من الجوع والعطش وذهل عقل كل واحد منهم واندهش وهم أيضا من أجل الايمان ما خلا الأمير يقاتلون فعند ذلك استسلموا القوم لقضاء الله وقدره وردهم شومدرس على ما كانوا عليه من الشد والاعتقال وأعاد شومدرس على القادمين حديث عبد الوهاب وكذلك أبو محمد البطال

ثم عرفهم بنفسه انه راهب القسطنطينية وحكيم الملة المسيحية وانه حكيم الزمان ومعروف فى كل مكان فعرفوا مكانه ورفعوا قدره وعظموه وعملوا على راحته وخدموه وكانوا الأمراء قد أرموا من السباع مقدار عشرين سبع وهم كفؤا الملك فى تلك الأيام فعادوا القوم إلى ساحل البحر وقد نزلوا فى المركب الذى أتوا فيه ورفعوا الأمراء الى المركب وحلوا القلع وساروا الى أن وصلوا الى ساحل مدينة كرجانة ولما نظرت القوم إلى سرعة عودة المركب أنكروا ذلك وضجوا بصياحهم وقدكثر زعاقهم وعياطهم وقد لبسوا السلاح واعتدوا للحرب والكفاح وقد بلغ الخبر إلى غيضورس وكان قاعد على سرير ملكه وهو من الذهب الأحمر مرصع بأنواع الدر والجواهر بقوائم من الفضة البيضاء وقد أرهج المكان منه وكان الملك قاعد متمكر غارق فى بحر العشق ولم يجد مصطبر فلما سمع ذلك الصياح سأل عن ذلك الخبر فقال له يا ملك ان المركب والصيادين قد عادوا على الأثر وما هى عادتهم بل كانوا يغيبون شهراً أو أكثر فاشتغل قلب الملك لذلك واندعر (قال الراوى) وبعد ساعة حضروا بين يديه بعد ما قبلوا الأرض وسلموا عليه فقال لهم الملك ياويلكم ما بالكم وما الذى دهاكم وأراكم قد عدتم وأتيتم كلكم جميع فقالوا أيها الملك أبشر أيها الملك بالفرح والسرور فقد سهل المسيح علينا وعليك الأمور وقد جئنا اليك بعشرين سبع كبار ما كنا نقدر أن نصطادهم ولا كل من فى هذه الديار وقد جئناك بأقوام كل فارس منهم يعد بألف من الشجعان فقال الملك من يكونوا هؤلاء من الأنام فقالوا البطارقه أيها الملك هم الذين كنت تريد تخرج اليهم الى بلاد الاسلام وفيهم الرجل المحتال الذى يقال له البطال الذى مصور عندنا فى الكنائس ويخاف منه كل ملك وحارس ومعه أيضا غلمانه وولده والذى يقال له الراهب شومدرس بترك الروم فلما سمع الملك بذكر شومدرس فرح به الفرح الشديد وقال لقد حلت البركة على بلدى وأهلى من عهد ما زارنى هذا البترك العظيم ثم ان الملك غيضروس نادى ان يخرج كل من فى المدينه ولا يبقى راهب ولا جاتليق ولا قسيس ولا مطران ولا يبقى أحد من الناس إلا ويخرج الى لقاء الراهب شومدرس فعند ذلك خرجوا جميع القسوس والرهبان ولم يبق أحد فى الكنائس والمدينة إلا وخرج إلى ملتقى الراهب شومدرس فى أحسن زى من الزينة الحسنة الى أن وصلوا به إلى المدينة والبطارقة والرهبان يمشون بين يديه وقد تلقاه الملك وهو راكب فى جماعة من العسكر ولما رآه الملك ترجل وقد ترجلت سائر الأمم وهم أكثر من مائة ألف وقد أشار الملك إلى الراهب بالسلام ففرح الراهب بذلك ورد عليه السلام ودنا منه أيضا بترك كرجانة والقسوس والرهبان حواليه وقد نصب لشومدرس سرير على هيئة المنبر فطلع عليه

وجعل يعظ الناس عليه وقد تزاحمت الخلائق من حواليه وجعل الملعون يحرضهم على حفظ الانجيل والاشراك بالملك الجليل تعالى ربنا عن جحود المنافقين وكفر المارقين علوا كبيرا (قال الراوى) ثم ان الملعون شومدرس قال فى آخر كلامه اعلموا انى ماوصلت اليكم إلا بعد ما هدمت أركان الاسلام وأخذت أبطال الاسلام فى هذا المقام فيالها من محنة نزلت عليهم من المسيح ما أعظمها ومن مصيبة على المسلمين ما أيشمها والرأى فى ذلك ضرب رقابهم وخراب ديارهم وتشفوا منهم قلوب البطارقة وتكونوا لأعمارهم ماحقة ثم ان الملعون شومدرس قرأ شيئا من الانجيل وفسره وبين مافيه من الحرام والحلال وصار يقول قال المسيح قالت مريم قال شمعون الراهب فأذهل الملك والبطارقة وقد أخذ شومدرس الدعاء من كل مكان وقالوا هذا الراهب معدوم فى هذا الزمان (قال الراوى) ثم ان الملعون شومدرس أقبل على الملك غيضروس وقال أيها الملك أأمر البطارقة أن يطلموهم من المراكب ويضربوهم بالقواضب ويلطموهم على الوجوه حتى ينالوا من المسيح ما يرتجوه فلما سمع الملك كلامه أمر البطارقة أن يمتثلوا قول الراهب شومدرس (ياسادة) فما قولكم فى أعداء الدين وقد حرضهم عثيهم مثل هذا اللعين وقال لهم من لطم واحد من هؤلاء الكلاب كان له الأجر والثواب ويدخل الجنة بغير حساب فما صعدوا الأمراء من المراكب حتى أخذهم اللطم من كل جانب وقد أيقنوا بالمعاطب فقال البطال لعبد الوهاب ذوق الساعة هذا العذاب فقد عجل الله لك الثواب لما وفيت بالعهد فلا فرج الله عنك ما أكبر مروءتك وما أعمى بصيرتك فما تم هــذا كله علينا إلا من بركتك فلم يجبه الأمير بكلمة واحدة وأسلم سريرته إلى الله تعالى (قال الراوى) هذا والملك قد نزل فى ساحة الفضاء وقد ضربت له خيمة على أربعة أعمدة وفيها صورة الملك غيضروس وصورة البطال والبطال فى صورة قس وقد سرق قنديل الكنيسة وقتل راهب وهو ملق بين يديه والسكين فى يد البطال وقد فعل تلك الفعال هذا والبطال ينظروه وقد خافوا منه وهم يلعنوه ويستعيذوا من شره (قال الراوى) فعند ذلك التفت الملك إلى شومدرس وقال له من هذا فقال له هذا عبد الوهاب وهذا ولده ظالم وهذا سيف الجنيفية وهذا قشعم وهذا ضيغم وهذا سعيد بن الفرج وهذا فلان وهذا فلان إلى أن وقعت عين الملك على البطال فقال لشومدرس من هذا القصير اللطيف الخلقه فقال شومدرس هذا البلاء النازل هذا الموت العاجل هذا البلاء الكامل هذا مفتت الكبود الذى تذل من حيله ومكره الاسود هذا الثعبان الاغبر هذا الموت الأحمر هذا الذى فى جميع الكنائس مصور هــذا صاحب القول المحال هــذا

أبو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع الملك من شومدرس هذا المقال أخذته الدهشة والاندهال وصلب على وجهه وقد صلبت البطارقه الجميع على وجوهها فقال الملك انى أرى عليه زى البطارقة مثل بطارقة القسطنطينية فقال بهذا الزى دخل إلى بلاد الروم ليخلص ذات الهمة وهى أم هـذا الاسود فقال الملك يا أبونا عندى امرأة أسيرة وهى اسمها ذات الهمة وقدكان من أمرها كذا وكذا ووجدوها البطارقه فى رأس وادى الفعزيت هى والملك بحزون وأخبرك يا أبونا ان قلبى تعلق بحبها فقال شومدرس أيها الملك إن هذه المرأة كانت متعلقه بولدها هـذا الاسود أن يخلصها والآن إن فعلت الذى أقوله لك نلت المراد ومسرة الفؤاد فقال الملك ومن يقدر يا أبونا يخالفك فيما تقول من سائر العباد لانك البركة النازلة وأمرك فينا نافذ فقال الراهب شومدرس الرأى عندى ياملك إنك إذا كان يوم الاحد ندخل إلى البيعه ومعنا خواص المملكه ونقتل هؤلاء العشره ونرمى برؤسهم إلى المطموره التى فيها ذات الهمة وتعرفها بذلك وتقول لها هؤلاء الذين كنتى تؤملين بهم الخلاص وقد وقعوا فى ضيقة الاقفاص وقد هلكوا الجميع فان كنتى تطاوعى الملك ويتزوج بكى وتكونى بأمركى ونهيكى وما يتغير عليكى شيئا وإن أبيتى ذلك أسقاكى الملك كاس المهالك ويقطع من لحمك فى كل يوم قطعه ثم يطعمكى إياها إلى أن تموتى وتشربى كاس الوفاه فانها إذا رأت ذلك انقطع أملها واياسها من ابنها وأهلها وأجابتك إلى ما تريد (قال الراوى) فلما سمع الملك قال له صدقت يا أبونا فلا أعدمنى المسيح مشورتك ولا أخلانى المسيح من طلعتك فقد شملتنا بركتك (قال الراوى) ثم إن الملك أمر بالاسارى إلى المطموره التى فيها ذات الهمة وهى فى دار الملك غيضورس (قال نجد) لقد حدثتنى الأميرة ذات الهمة وأنا وإياها جالسين فى دكة القصر فى ملطيه بحضرة مبارك بن اسماعيل الكلابى وكامل بن جعفر الكلابى وفياض بن ناهض العامرى قالت لى والله يانجد وحرمة البيت الحرام وزمزم والمقام وأقسم بالله قسما صادقا يانجد ما ورد على قلبى غصة أعظم من نظرى إلى الأمراء وهم نازلين فى المطموره وقد كنت أؤمل بهم الخلاص من الوبال وقد نزلوا إلى الكل فى الأسر والاذلال وفى أرجلهم القيود والاغلال وهم فى أسو حال وكان أول من نزل إلى البطال وهو فى غاية من الغيظ من الأمير عبد الوهاب وقد علم إنه بغية الملك من دون الابطال وإن أول من يقتل هو ولما نظرته الأميرة عرفته فقالت يا أبومحمد وقعت ولا شك إن وقوعك ومجيئك إلى هذه البلد بسبب خلاصى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولقد خاطرت بنفسك بدخولك إلى هذا الاقليم ياليتك تركتنى إلى أن يقضى الله ماهو قاض لكن كيف خلفت الامير

عبد الوهاب فقال أقول انهم ضربوا رقبته وأعدموه مهجته ويستاهل ذلك حتى أوفى بذمته وقد أهلك روحه وأهلك رفقته فقالت وكيف ذلك يا أبو محمد هو وصل معك إلى ههنا فقال نعم ومابقى فى ملطيه أحد لا أسود ولا أبيض كلنا جئنا اليكى نؤانسكى فى هذه المطموره ونسلم عليكى فهم فى الكلام وإذا بظالم قد نزل وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم وهارون العلوى ومذبحون وأبو الهزاهز ولؤلؤ فعند ذلك قالت الاميرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وبعد ذلك نزل الامير عبد الوهاب ولدها فزادت حسرتها وزادت نارها التهاب وقالت ويلكم حدثونى بهذه القصة من أولها إلى آخرها وكيف قد تخلصوا وكيف رجع الامير عبد الوهاب سلم نفسه والذين معه من الاصحاب ثم حكى لها البطال وقال لها البطال وابنك من دينه ما يحلف قط ويكذب فلا فرج الله عنه فقالت الاميرة نعم ما فعل ولعمرى لقد أفلح وأجمل ولو كان سمع منك وطاعكم ورجعتم إلى ملطيه لهلكتم وما كنتم إلى الديار وصلتم وكان الخبر يصل إلى الملك غيضورس فيطلبكم بالرجال ويرسل خلفكم الابطال ويأخذكم على كل حال وبعد هذا أن الوفا بالعهد أصوب والموت فهو مقدر على العباد وما للعبد منه مهرب ولقد أحسن من قال :

نسير إلى الآجال فى كل ساعة ☆ وأيامنا تطوى وهن مراحل
فلم أر مثـــل الموت حقا فانه ☆ إذا ما تخطتـــه الأمانى باطل
تزود من الدنيا بزاد من التقا ☆ فعمرك أياما وهن قلائل
وكن وافيا بالعهد ماعشت فى الورى ☆ سيسعد من قد كان للحق قائل

(قال الراوى) فلما سمع البطال من الأمير هـــذا الـكلام اغتاظ لما رأى الاميرة قد أعجبها رأى ولدها وقال لها صدقتى ياذات الهمة فانه تعليمك لانـكى امرأة خيرة دينه صالحة مسلمة أوفو أنتم بالعهود ونحن نبقى من أجلـكم فى القيود ونلطم لطم اليهود فضحك الأمير عبد الوهاب من وسط الغيظ وقال للبطال أنت معذور ولـكن ما يقدر أحدا يرد المقدور ويحدث من بعد الأمور أمور فـكن لله يا أبو محمد صابر شكور فقال البطال أدينى صابر على فعلك حتى تسكنى القبور فضحكت الأميرة ذات الهمة على ما هى عليـه من الضر والعيش المر (قال الراوى) وبعد ذلك أقبـل الأمير عبد الوهاب على الأميرة ذات الهمة وسألها عن حالها فأخبرته بكل ماجرى لها والأمير يبكى من مقـالها وما تم عليها من أحوالها فقالت له لا تبكى يا بنى فان عندك شغل شاغل ولقد نسيت كلما أنا فيه لما رأيتـكم فلا كانت هذه النوبة ما أصعبها ولا كانت هذه الطريق فما أتعبها وباتوا القوم يتشاكون ويتحدثون ويتباكون إلى أن أصبح الله بالصباح وهم فى بكاء فى نواح

هذا وقد نزل إليهم البطريق الموكل بهم ومعه قليل من الطعام والماء فأخذوا ذلك منه إلا أنهم يترامقوا به من الجوع وعلى ما هم فيه من الهم والقطوع وبعد ذلك نزل إليهم الراهب شومدرس ومعه خمسة وعشرين من البطارقة وقد أقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها يا ذات الهمة قد علا قدرك وشأنك وعلا مكانك ويلكى يطلبكى مثل هذا الملك غيضورس تكونى له زوجة وتأبى على شرط أنه ما يحب فيكى إلا لأجل شجاعتك وقونك ربراعتك وقد أراد أن يسلم إليك خزائن الملك بأسرها ويحكمك فى تدبير مملكته برها وبحرها كما فعل الملك أرمانوس بميمونة بنت الدمدمان والرأى عندى أن لاتخالفيه فى هذا الشأن وتصيرى حاكمة فى سائر البلدان وان تتنصرى فى الظاهر وتخفى دينكى فى الباطن لأن الملك قد حلف بالمسيح انكى ان لم تفعلى ذلك ضرب رقبتك ورقبة ابنك ورقاب من معه من الأصحاب وأسقاهم كأس العذاب يوم الأحد فى بيعة الرخام ويسير بعد ذلك إلى بلاد الاسلام فلم يخلى فيها لا شيخ ولا غلام فاسمعى ما أقوله لكى من الكلام وانى ان فعاتى ذلك تنجيهم من الهلكة وشرب كأس الحمام ويفيض عليهم من نعمته ويساويهم لاجلكى بنفسه فى مملكته (قال الراوى) فقالت له الأميرة ذات الهمة ويلك يا كلب الرهبان ويا عابد الصلبان وقرين الشيطان الويل لك من الرحمن يا ويلك كيف تأمرنى أن أكفر بالملك الديان العظيم الشأن الذى خلق السموات من دخان والبحار من نيران وخلق الانسان وعلمه البيان الذى لا يشغله شأن عن شأن المنزه عن الأولاد والنسوان الذى صورك ورباك فى ظلمات الاحشاء ودبرك كما يشاء وجعلك تنطق بقطعة من اللحم وتسمع بقطعة من العظم وتبصر بقطعة من الشحم المتعالى عن الاضداد وعلى باب كرمه تسجد العباد الذى جعل لابن آدم قلبا وفؤاد وذلت له رقاب الأكاسرة وخضعت لعظمته الفراعنة والجبابرة وهو ملك الدنيا والآخرة تعالى وتنزه عن القريب والنسيب والصاحبة والقرين وقول الزور والتكذيب لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب (قال الراوى) ثم أن الأميرة قالت يا ويلكم عذبونى بما شئتم من التعذيب فقد صح لى حبيب وعلى رقيب وهو منى قريب ولدعائى مجيب وان أنتم قتلتم الولد فنى طاعة الفرد الصمد ولا سبيل لمخلوق على رد قضاء القادر الخالق وهو المعطى وهو الرازق (قال الراوى) فلما سمع شومدوس من الأميرة هذا الكلام صاح بالبطارقة وقال لهم دونكم وهؤلاء الزنادقة اضربوهم ضرب شديد حتى يطيعوا الملك على ما يريد فمن تنصر منهم قبلناه ومن أبى قتلناه فكان أول من قدم للضرب كان الأمير عبد الوهاب فضربوه إلى أن غاب عن الصواب

وبعده ظالم ضربوه. وكذلك سيف الحنيفية وبعده ضيغم وقشعم ولم يزالوا يعاقبوهم واحد بعد واحد إلى أن أتت نوبة البطال ومدوه وضربوه ضرب ما تحمله الجبال وهو يشتم الأمير عبد الوهاب ويقول له لا فرج الله عنك من دون الأصحاب فما علينا أضر منك حتى تربح الأجر والثواب هذا والأمير ساكت ما يرد عليه جواب (قال الراوى) هذا والبطال يقول للاميرة اسمعى ما يقوله لكى الراهب شومدرس وان كنت ما أنا راضى عنه إلا أنه إذا كان السبب فى زواجكى للملك غيضورس فهو سبب نجاتنا من هذا العذاب ولا يعاقبنا كل يوم أنا وأنتى وولدكى وجميع من معكى من الاصحاب وقد رضينا أن نكون ههنا بلا ضرب ولا عقوبة وتكونى انتى على دينك والراهب حفظه الله يقول للملك لا يغصبك على دينك ولا على نفسك فقالت ذات الهمة وقد علمت أنه ما قال هذا الكلام إلا من غيظه وضربه ويلك يا أبو محمد ان كنت ما تطلب الفرج إلا من هذا الوجه فلا فرج الله عنك ولا كان ذلك أبدا ولا سقيت شراب الردا فقال البطال لو أراد الله بنا خيرا أو فرج عنا ما كنا صحبنا ولا رافقناكم ولكن هذا الملك ما يدرى شيء ولو قبل منى كنت أشير عليه بشيء يهتدى به إلى مطلوبه ومراده منكى وكنت أدبره بأمر ما تهتدى اليه العقول ولا يدركه المحصول (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك أمسك عن عقوبته وعلم أنه قادر على ما قال بمعرفته وصعد شومدرس إلى الملك وأخبره بذلك وقال أيها الملك سمعت عن هذه الاميرة فى بداية أمرها لما تزوج بها الحارث ابن عمها أبو عبد الوهاب لانه ما دخل عليها واختلى بها ولا وصل اليها إلا بحيلة حتى أنه قدر عليها ثم أنه أعاد عليه القصة وما قال البطال وقال شومدرس أيها الملك لا تقول إلا نحن أخليناك معها فى بيت ودخلت عليك تقدر عليها أو تصل اليها فقال الملك لا وحق المسيح إلا أن يكون بارادتها وإلا مالى طاقة بها فقال سمعت من هذا الشيطان أبو محمد البطال يقول لو أن الملك يستشيرنى لاشرت عليه بما يصل اليكى ويقدر عليكى وانتى راغمة الانف ولعمرى ياملك انه شيطان الأرض فى الطول والعرض وهو يعرف صفاتها فأمر البطارقة الساعة أن يحضروه إلى بين يديك حتى يشير عليك بما يراه فان كان فى ذلك صواب فعلناه وان كان غير ذلك أهملناه فقال الملك غيضورس من شدة شوقه إلى الاميرة على بهذا البطال فى هذه الساعة فسارت البطارقة إلى المطمورة ونزلوا اليها وقالوا له الملك يدعوك اليه حتى أنه يستشيرك فى أمر هذه المرأة ذات الهمة فسمعت الاميرة ذلك فأقبلت على الامير عبد الوهاب وقالت قل لهذا الشيطان يكف شره ولا شره ولا يتكلم مع الملك فى أمر من

الامور بسببي ويكون سبب هلاكنا فى آخر الاعمار ونكفر بالملك الغفار لانه شيطان من الاشرار وهو يريد أن يعملها فى نكاية وكانني شكوت اليه العزوبية فقال البطال وقد سمع من ذات الهمة هذا المقال سوف ترى ياعجوز السوء ما يكون من الحال فقد حذرت ابنك وما سمع منى مقال (قال الراوى) ثم انه صعد طالب الملك غيضروس وفى طلوع البطال جعل يميز باب المطموره وكيف الصعود منها والنزول اليها إلا أنه لما حضر قدام الملك ومثل بين يديه فقال له الملك هات ما عندك يا بطال يا كثير الاحتيال حتى أعمل برأيك وأخلصك مما أنت فيه وأجعلك مدبر مملكتى وحاكم دولتى فقال البطال أيها الملك ما لها إلا فرد شيء واحد وقد بلغت منها غاية المراد وذلك انى أعمل لها دواء يقال له باليون إذا قدرت أن تطعمها منه وزن درهم فى شيء من الطعام وقد ذهبت قوتها التى معها فى هذه الأيام وتصير مثل بعض النسوان ويغلبها لسانها حتى إذا أرادت أن تقول لا إله إلا الله تقول عيسى ومريم ثم ينزل بعض النسوان التى عندك ترفعها اليك ولا تقدر تمنعك عن نفسها وإن لم يكن لهذا القول صحة اقتلنى أشر قتلة وأنت أيها الملك إذا فعلت هذا بها أنا أقدر بعد ذلك أن أسقيها شيء يعود اليها حيلها وقوتها كما كانت أول مرة وتعود هى تأمرك بضرب رقاب المأسورين وربما قتلتهم بكفها وبعد ذلك تفتح لك الاقطار وسائر الامصار والاقاليم الذين للبر والبحار لان لها رأى وشجاعة وتدبير وبراعة فقال الملك ما أريد آخذها إلا بلد القسطنطونية واقيم بها بالكلية وبعد هذا وحق المسيح والبيعة والمذبح لئن تم هذا الأمر والقول لاعطينك التقدمة فى سائر البطارقة فقال البطال اعلم أيها الملك انى قد ضجرت من صحبة هؤلاء القوم وكل يوم اقع معهم فى مصيبة بعد مصيبه ما يرضون لى بذلك وقد رضيت أنا وولدى مذبحون أن نكون على دينكم ولقد كانت لى صحبة مع هؤلاء القوم وقد انقضت فى هذا اليوم وأنا أريد أوافق ولدى مذبحون على هذا الدين حتى اننى لا أفارقه مدى الأيام والسنين ولقد قال لى يا أبتاه أنا من يوم اسلمت وأنا فى العذاب والهوان وبحرون مكرم معظم محترم فى كل مكان فقال شومدرس صدق أيها الملك وما كان بحرون ومذبحون إلا رفاقا ما بينهم خلف وبحرون على دينه ومذبحون قريب العهد وربما يكون كذلك ويعود فى دين النصرانية وأنا أحلف لك ياملك وحق المسيح إن تنصر البطال لاكونن أنا واياه سوى فى سائر الأحوال وأكون تحت يده وأمره ويبلغ الملك كلما يريد ونعيش عيش سعيد فقال أبو محمد وقد أخرج من خلف أذنه حوائج وأخرج من تحت أذنه الأخرى حوائج وأدخل يده من تحت ثيابه فأخرج قصبة من نحاس وأخرج منها حوائج ثم إنه نبش بسكين

فأخرج .فص أزرق مثل لون الفير وزج هـــذا والملك وشومدرس والبطارقة قد حاروا من فعله ثم أنه أدعا بقزبنة ولطخ وجهها بحوائج وأرماها فى الماء وأخذها وكتب عليها أحرف مقطعة وعزم عليها وأوهم أنه يقرأ عليها شيئاً من الأسماء ثم قال إذا وديتم الطعام فاجعلوا هذه فى جملة الذى تودوه ثم امرهم أن يودوه إلى مكانه وقال لا تضعوا فى رجلى قيد واذكروا ما اشرت به عليكم ولا تعملوا هذا العمل إلا يوم الأحد واتركوا هذه القزينة بين يديها وكلوا من غيرها وانقطع لكل واحد منهما لقمة وأطعمه إياها إلى أن أصل اليها فما هى إلا أن اتصل إلى فيها وتحصل بطنها وتأكل منها وقد بلغت ما تريد منها (قال الراوى) فرجعوا البطارقة وشومدرس قد عول على قتل أبو محمد البطال بعد أن يقضى للملك شغله ويبلغه غرضه بعد أن يوالسه ويقتلة برضا الملك أم لا وقد نزل أبو محمد إلى المطمورة وصعدوا البطارقة وأبو محمد يطعمهم فقالت الأميرة ذات الهمة ماذا عولت أن تفعل يا قليل العقل لانك تريد تهلكنى لان الكياد يحملك على ذلك وأنا أعلم أن فيك قلة دين وأنك تفعل كل شىء مكروه سيما وقد وقعت فى هذه النوبة من أجلنا فقال الامير أبو محمد البطال قد جرى من الأمر ماهو بسبب كذا وكذا وأعاد عليها القصة من أولها إلى آخرها وكشف لها عن باطنها وظاهرها وقال لها قولى عيسى ومريم واظهرى أنكى قد عدمتى عقلك وإياكى أن تنطق بشىء غير ذلك فهذا شىء ماعليكى فيه ضرر إذا قلتيه لانكى لا تعتقدى اعتقاد النصرانية وإنما تذكرى أسماء مذكورة وفى القرآن مسطورة وإذا نزلوا اليكى جوار الملك فاظهرين لهم الوهن والضعف فما أنا عرفت فتح الباب الذى للمطمورة وقد عرفت أيضا طريق القصر وما يخفى على إن شاء الله تعالى وعرفت خزانة السلاح وان ملكنا سلاحنا فنحن نملك مفاتيح البلد والقصر ويكون ما يريده الله فما بقى لنا إلا الله والموت بسيوفنا وسيوف الاعداء (قال الراوى) فقالت الاميرة ذات الهمة رضى الله تعالى عنها وهذا الملعون غيضروس يظن أنه ينال منى إذا خلا بى غرض أو يقدر على والله العظيم إن مد يده إلى ليكونن سبب خنقه وبوانه وأرمال عياله فقال الامير أبو محمد ادفعيه عنكى بالتى هى أحسن إلى أن يذهب النهار ويقبل الليل بالاعتكار وافعلى ذلك الوقت ما ترين فيه الصلاح فقالت الاميرة سوف افعل جهدى وان زاد الامر بطشت به ويفعل الله ما يشاء (قال الراوى) هـــذا وأبو محمد رجع إلى باب المطمورة وصاح ففتح له الباب وطلع إلى الملك غيضروس والبطارقة وقال قد فعلت ما ضمنت للملك ووفيت ولكن دعها إلى أن يمضى النهار ويدخل الليل ويتحكم فيها الطعام ويتم الامر ثم ارفعها والجوار من حولها واسمع قولها وانظر فعلها (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك

الكلام انطلا عليه لان العاشق على عيناه غشاوة تغشى بصره فما صدق أن ينصرف النهار وينقضى ويأتى الليل فلما أدلهم الدجا انفذ إلى شومدرس واحضره اليه من الدار التى كان قد أفردها له فى قصره وكان فيها خزانة المال فقال الملك أيها الشيخ الصالح إن الرجل الحكيم قد فعل بصاحبتهم ما أمرنا به وقد كنت أنا من قبل ذلك وقبل أن يقدم عذبتها بأنواع العذاب وعاقبتها بأنواع العقاب وابليتها بالجوع والعطش والخوف والقل والقيد والغل وأنواع الذل وما كانت تزداد إلا اعتراض ونفور وأريدك تزوجنى بها فقال له الراهب شومدرس وقد تغير لونه وأصفر وجهه أيها الملك انى أخاف أن تكون عليك امرأة ميشومة واخاف من حيل هذا الشيطان أبو محمد البطال فلا يحملك الهوى على البلاء فقال يا هذا أنا فى قصرى وبلادى ورجالى وأنا فى وسط هذا البلد وبحرون محدق بنا من حوالينا والدروب ووادى العفريت وفى طريق بلاد الانجار البحر المالح والحلو محدق بنا كما يرى وعندنا عالم عظيم بعدد التراب وقطر السحاب فما جهد القوم على أن أصحابهم فى القيود والأغلال وهم فى المطمورة إلى أن تظهر صحة قوله ثم صاح بالبطارقة خذوه والى عند أهله أوصلوه اليهم وخذوا القيود وشدوه وكونوا مستيقظين له حتى إذا طلب الطعام والشراب فاطعموه واسقوه حتى لا نضيع الحرم كما أمرنا المسيح والشيخ الصالح فلما سمع أبو محمد الكلام قال فى نفسه لا أوهبك الله عافيه. ياشومدرس فلقد فسدت القضية (قال الراوى) وأخذت البطارقة أبو محمد ورجعوا به إلى المطمورة ليقيدوه فعلم أبو محمد انه لايقدر على خلاص نفسه ويكون قد أوقع الأميرة فى البلاء فحمل من ذلك هما عظيما فلما انزلوه الى عند اصحابه وقيدوه وأرادوا أن يكتفوه بحبل ابريسم لو كتفوا به جمل لما قدر أن يتخلص منه ولا يخلص نفسه منه يوما فقال لهم أبو محمد البطال إعلموا أن هذا الأمر الذى قد عملته ما يتم إلا أن تكون يدى مطلوقة لانى أريد انجزها بأناملى واخط على الأرض اسما وإلا أن ربطتم يدى بطل السحر الذى قد سحرتها به وما آمن على الملك منها أن تقبض عليه وتقلع رأسه من بين كتفيه ومعلوم انى فى القيد الثقيل وأصحابى كذلك ومانحن عفاريت نغوص فى الأرض ولا لنا أجنحة نطير بها فى الهواء وإلى أين نهرب وإلى أى مكان نطلب ونحن فى هذه البلاد والاقاليم البعيدة وبين أيدينا هذه المهالك الشديدة (قال الراوى) فلما أن سمعوا ذلك حلوا يديه وخلوها مطلوقة ونظروا إلى الأميرة ذات الهمة وهى تتمايل وتقول عيسى ومريم وهى كانها عادمة عقلها فصلبوا على وجوههم وقالوا لبعضهم البعض وحق المسح ان لم نحسن إلى هذا الشيطان ليأخذ عقولنا ويخلينا فضيحة عند الروم فقال واحد منهم ما بنا إلا أن يخلينا

نصير معيره ولكن هذا قد سحر مسلمة حتى جعلها تقول عيسى ومريم وهو يقدر يسحرنا حتى نقول محمد رسول الله ويضرب الملك رقابنا فقالوا لبعضهم صدقتم وحق المسيح إن الملك ما يدرى كيف هو هاهنا ففكوا قيده واطبقوا عليه باب المطمورة طبقا جدا حتى ينال بذلك الراحة إذا أراد أن ينام ويمد رجليه فيرتاح فعند ذلك تركوه من غير قيد ولا كتاف فلما أن رأى أبو محمد منهم ذلك أراد أن يعمل عليهم الحيلة فقال لهم أراكم تفزعون من الملك وكانكم عنده من غير منزلة فقالوا له نعم فقال لهم أنا فى غد أعمل لكم عملا تحظون به عنده وتكونوا من أعظم خواصه ويسلم اليكم جميع أموره نظير ما فعلتم معى هـذا الحال وتكونوا عنده أحظى خواصه فلما سمعوا ذلك دنوا اليه وقبلوا يديه ورجليه فبينما هم معه فى الكلاله وإذا بجوار الملك قد أقبلوا ومعهم الشموع فى أنوار الذهب والفضة وقد نزلوا وكذلك البطارقة لما نزلوا بأبو محمد كان معهم شمعة كبيرة لان الملك أعطاها لهم لان الليل والنهار فى ذلك الموضع سواء وتقدم من الجوار التى للملك نحو الأميرة ذات الهمة جماعة ففكوا القيد من رجليها وسحبوها فقامت معهم وصعدت البطارقة وجعلوا الشمعة عند الأمير أبو محمد البطال تشعل وقد أطبقوا عليه الطابق وعليه قفل من حديد وحلقة ولم يذهبوا بالأميرة ذات الهمة إلى الملك بل حملوها إلى منزل أفتونا وهى بتقول عيسى ومريم وثبت اليها وقبضت عليها فتضعضعت الأميرة فى يدها فصلبت أفتونا على وجهها وقالت وحق المسيح ما هـذا اللص إلا شيطان سلب المرأة عقلها ودينها وهذا أن بقى معنا فى القصر فعل معنا كما فعل بهـا وما أسكت أنا عنه الا بمقدار ما يبلغ أبى غرضه من هذه المرأة ويرد اليها عقلها وحيلها ويبغض اليها دينها حتى تكون على ديننا وإذا فعل ذلك ضربت عنقه وأراحت الناس منه (قال الراوى) ثم انها أدعت بأفخر ثياب عندها وألبستها للاميرة ذات الهمة وكانت الأميرة من الجمال بموضع عظيم وكلما زادت صلاتها زاد جمالها وهذا تصديق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وكانت تامة الطول جافية الخلقه فلما أن لبست الثياب زادت محاسنها وجمالها فلما رأتها أفتونا قالت يحق لابى أن يهوى مثلها لانها ذات جمال وكمال فلايلام على محبتها وان تضرم نار هواه لاجلها ثم أخذتها بعد اصلاح شأنها وسارت معها هى وجوارها إلى الملك وعنده شومدرس الكذاب وثلثمائة بطريق وبحرون بن عبد الوهاب قد نصب له كرسى من الفضة البيضاء وهو جالس يحدث الملك بأفعال الأميرة ذات الهمة وأمورها المعظمة وكلما سمع الملك منه ذلك زاد غرامه وكثر هيامه إلى أن دخلت عليه ونصبت الكراسى فى كل جانب وحضر البترك والقسوس ومعهم كل

مطران وراهب فقال الملك وقد نظر إلى الأميرة ذات الهمة فى تلك الحلى والحلل وهى بذلك الزى والرونق ونور وجهها قد أشرق فقال وحق المسيح إن هـــذا وجه مليح وحسن صبيح ونظر الملك بحرون إلى الملكة أفتونا وملاحتها وقد أعطيت من الجمال الزائد وهى كانها الغصن المائل فقال للملك وهو بها ولهان وبحبها حيران أيها الملك اعلم اننى كنت فى بلاد الروم عند الملك أمانوس منعم ولى الهيبة والمملكة والناموس وكنت بالمنزلة الرفيعة والهيبة المنيعة وإنه كان يقول لى أنت الملك المحكم المعظم والحاكم على مملكة الروم وجميع الأمم واعلم أيها الملك اننى أنا كنت السبب فى اتصال الأميرة وقد أعطاك المسيح مناك وبلغك سؤالك وهواك وكان ذلك على يدى وقد أتيت اليك فى هذه الديار والبلاد وقطعت القفار والوهاد وأريد أن تزوجنى بالملكة أفتونا فانها وحق المسيح سلبت عقلى وصرت بها مفتونا وانى لهائم بها من يوم رأيتها وأنا ولهان ولا آكل من أجلها طعام ولا التذ بمنام على اننى أحمل لك ما شئت من الأموال وبعد ذلك تكون قد بلغتنى الآمال وأنا لابد ما أعمل الحيلة على الملك أرمانوس وأسلم القسطنطونية اليك وأعيش أنا وأنت وهى تحت يدك ولا أبخل بروحى عليك فلما سمع الملك الغيضروس ذلك من كلامه رفع رأسه إلى ابنته أفتونا وقد احمر وجهها وغضبت غضبا شـــديدا لانها ترى نفسها بالمحل العظيم وقد خطبها الملوك الكبار فما فعلت ذلك وردت الجميع خائبين هذا وأن الملك قال لها يا بنيه اعلمى أن بحرون رفيع القدر عالى الذكر وقد أوعدنا إنه يعمل الحيلة على أرمانوس ويقتله ويسلم الينـــا القسطنطونية محـــل ملكه وعزه وهو من الشجاعة بمكان كبير وقد عرف ذلك كل مقدم وأمير ولو لم يكن كذلك لما قدر يبارز هذه الأميرة المعظمة واللبوة المصممة التى تضرب بها الأمثال ومنها تفزع صناديد الرجال والأبطال وبقى معها ثلاثة أيام ولم تقدر عليـــه ولا وصلت اليه وفى مثله يرغب ويطلب لأنه يا بنية يعز ويخشى ويرغب وأنا ما رغبت فى هذه المرأة دون بنات الروم إلا لما عاينت من شجاعتها وكذلك الملك ارمانوس ما أخذ أم الملك بحرون إلا لأجل قوتها وشدتها وشجاعتها على أنها سوداء اللون إلا أن الشجاعة لها عليها عيون (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك كلام الملك وأنه قد عزم على أن يزوج ابنته لبحرون عظم عليه وكبر لديه وداخله الحسد وتفتت كبده من الكمد وقال أيها الملك أنه لا سبيل لهذا أن يتزوج افتونا المملكة الكريمة والسيدة العظيمة التى هى حسرة الملوك وكل غنى وصعلوك وكيف يكون ذلك موافق وبحرون ما هو رومى صادق بل هو من هذا الأسود الزنيم عبد الوهاب وأمه ميمونة

نسل الكلاب وحديثه ما يخفى عن أحد من الأنام ولا من أرباب الألباب وهذا عليك عار وذل وشنار عند الملوك والثانية أنه صعلوك بلا بلاد ولا مال ولا له حال من الأحوال وانما الملك ارمانوس أخذ أمه ليقضى منها وطره ثم يقع به منها الضجر وهو على كل حال غلام عندك ينتظر انعامك ورفدك ولكن دعها الساعة حتى يهدى روعها واقتل هؤلاء الذين عندنا وأنتم أفراحنا ويكمل سعدنا ثم أسير إلى أرمانوس الذى هو بالاقبال والسعد محروس ونصف له ابنتك وما هى عليه من الحسن والجمال والبهاء والكمال وأتركه يعمل اسطول فيه ألف مركب فى البحر ويملأها بالهدايا والتحف والخلع والأموال والغلمان وألف جارية من بنات العرب المأسورات ويكثر لها أيها الملك من الأموال ويعطيها ألف بلد من بلاد الروم وألف مدينة من بلاد الاسلام إذا نحن فتحناها وإذا صارت ابنتك فى بلد القسطنطونية واحتوت على الأموال كانت الملوك لها عبيد وبناتهم لها جوار ويعلوا أمرك فى سائر البلاد وينفذ حكمك فى سائر البلاد وينفذ حكمك فى سائر العباد وتطيعك الأمراء والاجناد فلما سمع ذلك الملك منى كلامه قالت البطارقة لعمرى لقد نطق بالصواب وأتى بالأمر الذى لا يعاب وتكون مراكبنا تدخل إلى القسطنطونية من غير خراج ويرعى جانبنا من أجله من غير احتياج وكانت الجارية واقفة تسمع كلامهم وكانت قد سمعت بالملك ارمانوس وحسنه وجماله فهامت فيه على السماع شوقا إلى وصاله والاجتماع فقال شومدرس اعلم أن قد قيل فى الامثال هذه الأبيات وغاية قالت لا ترابها * باقوم ما أعجب هذا الضمير

هل يعشق الانسان من لم يرى * فقلت والدمع من عينى غزير
ان لم تكن فى ناظرى مثلث * فانها قد مثلت لى الضمير

(قال الراوى) ولما سمعت كلام شومدرس وقع فى قلبها وقوع الشفاء على المريض وقالت وحق المسيح لقد قال لى المسيح ذلك فى المنام ولقد أورانى الملك ارمانوس من دون الأنام لأنى رأيت المسيح فى نومى وهو يقول لى ما لكى زوج إلا الملك ارمانوس وأما هذا الراهب فقد آوى اليه المسيح وقال لهذا الراهب على عهود ومواثيق فالويل لمن يخالفه فقال الملك لعمرى أنه أشار بالصواب وأتى بفصل الخطاب وما يكون ارمانوس إلا فى خدمتنا إذا نحن ضربنا رقاب هؤلاء الاسارى وارسلنا برؤسهم اليه فى مركب من مراكبنا ومعها هدية حسنة ويكون معها الراهب شومدرس فهو يدبر أمرنا كما يحب ويختار ثم أقبل على من بين يديه من البطارقة وأمرهم أن يتفرقوا فلم يبق منهم أحد وقال ابحرون قم موضعك فمن أردت من بنات البطارقة زوجناك بها وإلى ان أردت الرحيل إلى

القسطنطونية أوصلناك فشكره بحرون وانصرف وقد عملت معه الحمية العربية وطارت الدمعة من عينيه نخوة وحمية ووقعت الحلاوة من الممنوع وقام بفؤاد موجوع وكان أفرد له الملك دار بجنب الدار التى فيها شومدرس فسار اليها بحرون ثم أنه طلب الرقاد فلم يقدر عليه وحدثته نفسه أن يدخل على الراهب شومدرس ويأخذ روحه من بين جنبيه يعلم به ما مصيبتى كلها إلا منه وهو الذى أفسد حالى مع الملك ثم أفكر فى نفسه أنه إذا قتله وقال الملك وأنه ما دهى إلا منه نخشى على نفسه وقال مالى إلا أن أفتح هذه المطمورة التى فيها الأسارى وسائر الاصحاب وأفك عنهم قيودهم والاغلال من الرقاد وأفتح لهم خزانة السلاح ونقتل الراهب شومدس والملك وأفتح لهم باب الميناالتى فى القصر ونأخذ منها من الاموال ماشئنا ونملك الجارية افتونا ونخلص إلى بلاد الاسلام وألحق بأبى وقومى فلقد فعلت ما فيه العار والذل والشنار وان أقمت عند أمى فهو الذل العظيم والخطب الجسيم (ياساده) وعمل الهوى معه لما يريده الله تعالى من اصلاح حالهم ويكون سببا لنجاتهم فوثب إلى المطمورة التى فيها الأمراء وعول على فتحها فوجدها مفتوحة وعندها شخص يلوح (يا سادة) وكان هذا الشخص الأمير أبو محمد البطال وذلك أنه لما صعدت البطارقة وثب لوقته وساعته وبرد قيود الأمراء وفكها فقاموا على أقدامهم فروحوا بخلاصهم ودنا من الباب الذى للمطمورة وبرد الحلقة وجذب القفل فانفتح الباب باذن مسبب الأسباب ومن أذا دعى اجاب لأن يديه كانت مفاتيح للابواب ثم أنه قصد إلى موضع الملك فوجد القوم فى محاورة ومشاورة من أجل كلام الملك بحرون وشومدرس يقول زوجوها للملك أرمانوس وقد أنصرف بحرون بذلك الانصراف ومضت افتونا إلى دارها ومضى شومدرس إلى داره ولم يبق إلا الملك وجواره والاميرة ذات الهمة وقد هانت فى عينه لما رآها على ما هى عليه وقد ضعفت عنده ثم نظر إلى الجوار وقال لهن أذهبوا إلى مقاصيركن فمضين إلى ما أمرهن ثم أنه مد يده إلى الأميرة وأدخلها تحت ثيابها فامتنعت (قال نجد) ولقد سألت الأميرة على سبيل المزاح والمجون وقلت لها بالله عليكى كيف كان حالكى لما مد يده اليكى فقالت والله ما كان على قلبى هم ولا داخلنى فزع ولا جزع ولقد كنت معولة على أننى أوثب عليه والبطارقة كلهم قيام واخطف سيفه من بين يديه وأضرب القوم بالصارم وأجزمنهم المعاصم الا إننى خفت من عتب الأمير أبو محمد البطال وولدى عبد الوهاب أن يكونا قد عملا عملا وأفسده عليهما وإلا كنت مليه بكل من فى القصر واحمى روحى من الجميع ولا أخلى منهم رفيع ولا وضيع إلا أننى آملت صعود الأمراء الجميع ويملوا القصر سريع فصبرت

إلى أن تفرقوا البطارقة وبعدها أصرف الجوار ومد يده إلى وأراد أن يعبث بى وعدنا إلى سياقة الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على سيد البشر فخر ربيعة ومضر (يا سادة) وأن الملك غيضورس لما مد يده اليهـــا وأمتنعت أخذته عزة النفس ووثب إلى سيفه وانتضاه من غمده وقال لها وحق المسيح لئن خالفتينى فى أمرى لاعلونـكى بهذا السيف قال فسكتت الأميرة فطرح من يده السيف وهو يظن أنها قد أجابته إلى ما قد أراد وأنها لا تعود إلى العناد ثم أنه دنى منها فوثبت الأميرة وثبة الأسد إذا عاين فريسته وقبضت على حلقه وعصرت عليه وقد ذكرنا أنها كانت قد أوهنت رقبته فى وقت المبـارزة فلما قبضت على حلقه منعته من الصياح ثم همزت عليه بقوتها وحيلها وخنقته حتى برزت عينيه وخرجت روحه من بين جنبيه ثم أرمته إلى الأرض وقد أطفأت الشموع وأخذت السيف فى يدها وقد أنقلبت عيناها فى أم رأسها ثم قالت واشوقاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن هذا العمل يدركه الأجل فى طاعة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا بد لى الليلة أن أروى حسامى من دم هؤلاء اللئام الذين يكفرون بالملك العلام ثم أنها خرجت وطلبت نحو المطمورة فلقيها شخص قائم عليها ومن ورائه رجال حاملين السلاح وآلة الحرب والـكفاح وهم اليها قاصدين والأمير عبد الوهاب يقول يا أبو محمد أطلب بنا موضع الامير فقال له لا تستعجل أيها الأمير سوف يأتيك ما فى الضمير فأنا أعلم أنها إذا رأت مالا يعجبها طحنت رقبته وأعدمته مهجته وأخذت سيفه ودرقته قال فضحكت الأميرة من كلامه وقالت له ما أنت إلا شيطان فى صورة إنسان وعارف بهذه الأعمال ثم أنها قالت لهم طيبوا نفوسكم وقروا أعينـكم فقد من الله علينا بالخلاص وأما غيضورس فانه لم يبق له مناص من يد القناص وقد عجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) فهم من الـكلام وإذا بشيخ إلى المطمورة مبادر فقال أبو محمد أوطوا إلى الأرض لا يكون هذا الشيخ شومدرس وقد عول أن ينزل الينا فنظر اليه البطال ودنا منه وإذا به بحرون فقال بحرون فقال نعم يا عم فقال إلى أين وما الذى تريد ومالى أراك وحيد فريد فقال يا عم قد عزمت على خلاص أبى وأخوتى وأشفى من قتل الملك وشومدرس على وآخذ أفتونا فانها شهوتى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله (قال) فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام ولده بحرون أخذه من شدة الفرح الجنون ودنا منه وعانقه وضمه إلى صدره وقبل بين عينيه وكذلك أخوته مامنهم إلا من رمى روحه عليه وسلم عليه باقى الأمراء فرحوا به وأعلموه أن الأميرة قتلت الملك غيضورس ففرح بهذا الاتفاق ثم أتى بهم إلى خزانة

السلاح ففتح لهم البطال الباب ودخلت الامراء وفى أوائلهم الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) ولبسوا الدروع والزرديات واعتدوا بالسيوف فقال لهم بحرون قبل كل شىء هذا شومدرس دونكم وإياه خذوه ثم قيدوه قبل أن يسمع الصياح ويهرب ويخلص من أيدينا فقالوا صدقت ثم دنوا من الباب فقلعوه ودخلوا عليه فرأوه نائم على سرير فجلس أبو محمد البطال على صدره ومكن الخنجر من نحره وقال أقعد يا شيخ الضلاله ففتح شومدرس عينيه فرأى أبو محمد البطال على صدره فانتقض وضوءه وقال يا شيطان ما الذى تريد منى قال أقطع لحيتك وأصفع قمتك وأحملك إلى بلاد الإسلام وأصلبك مع عقبة القرنان فقال شومدرس لا صح لك بدن يا كشحان فعند ذلك قيده وضربه حتى أشرف على الموت وشومدرس يقول لا تقتلنى حتى أكون لخلاص أصحابك سبب وآخذ لكم من الملك الأمان وأسيركم إلى بلادكم فأنا كنت السبب فى خلاصكم من عقبة فى دير الرهبان وقد تركته فى المطمورة ولم يعلم به إنسان فقالوا إيش علينا من عقبة الآن ثم كتفوه وخرجوا به بعد ما حملوه وقالوا أى من وجدتوه اقتلوه وأغلقوا الباب والا ان فتحت الباب دخل إلينا عالم عظيم مثل التراب وقطر السحاب ثم إنهم قصدوا الباب فوجدوا البطارقة نيام كأنهم الهوام فمكنوا منهم الحسام فما ثاروا إلا ورؤسهم قد تناثرت عن المناكب وبقى الدم ساكب ثم إن القوم أعلنوا بكلمة التوحيد وكبروا باسم الملك المجيد وصلوا على البشير النذير صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) وسمعت البطارقة الصياح والأصوات فخرجوا من مراقدهم لا يعلمون ما هذه الحالات فلما صاروا فى وسط الحصن أخذتهم الصوارم وكان فى الحصن ثلاثمائة بطريق فعلموا أن الأسارى خلصوا فعند ذلك تبادروا إلى العدد فلبسوها وهم يظنون أن الملك سالم ولم يعلموا أنه قد نزل به الموت ورحل إلى جهنم وبئس القرار هذا وقد عملت القواضب من كل جانب وسمعت الملكة أفتونا الصياح فخرجت فى أكمل عدة وهى للحرب معتدة وقالت وحق المسيح إن العروس قتلت أبى وسقته كاس البوار وخلته ملقى فى عرصة بالدار وما هى إلا أن صارت فى وسط الحصن حتى رأت المرهفات تعمل والحصن من التكبير قد تزلزل والتهليل من سائر الجنبات باسم رب الأرض والسموات فعند ذلك حملت فى أوساطهم ونادت أنا الملكة أفتونا فلما سمعت الروم نداها قرت قلوبهم وأيقنوا أنهم قد نالوا مطلوبهم وداخلهم الطمع فى الأمير عبدالوهاب وأصحابه لأجل قلتهم ونزلت نسوان الروم بالمشاعل والشموع وأضرمت النيران وصار الليل مثل النهار وعمل البتار وعرفت الأبرار من الفجار ولم يزل الصارم قاصم الأعمار

إلى أن ذهب الليل وطلع نجم سهيل وقد طحنت البطارقة عن بكرة أبيها وأخذت الأميرة ذات الهمة الملكة أفتونا أسيرة ووكلت بها بحرون هذا والنسوان قد خرجوا على الأبواب وصعدن على الأصوار والأبراج والأبدان ونادوا يا عباد الأصنام والصلبان فسمع النداء أهل البلد فلم يبق منهم أحد إلا وللحصن قصد فوجدوا الأبواب مغلقة فقالوا للنسوان ما الذى دهاكم ومن بشرة رماكم فأعادوا عليهم القصة من أولها إلى آخرها فعمدوا أهل البلد ونصبوا عليهم عشرة أبراج خشب (قال الراوى) يا سادة إن الافرنج ما أخرجوا قتال الأبراج إلا من عهد كرجانة فطلعوا البطارقة على الأبراج وعليهم الحديد وهم غارقين فى الزرد النضيد فقال الأمير عبد الوهاب لأصحابه الآن قاتلوا وموتوا كرام ولا تموتوا لئام فهذا يوم الرضا من الله تعالى فقالوا أيها الأمير إذا لم نقاتل فما الذى نعمل وما ثم غير الصبر والقتال فى طاعة الملك المتعال والصبر على القضاء وأخذه بالقبول والرضا فشكرهم الأمير على مقالهم واستحسن أعمالهم ثم رفع رأسه إلى السماء وقال إلهى وسيدى إن القوم قد أيقنوا أن ما لهم ملجأ ولا منجا إلا إليك وقد عولوا فى جميع أمورهم عليك وأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين وما منهم إلا من له أولاد صغار وقد أصبح غريباً فى هذه الديار التى هى بلاد الكفار اللهم أنزل عليهم نصرك وأيدهم بتأييدك وفضلك واخذل الكافرين ومكن منهم سيوف المؤمنين الموحدين ثم أقبل عليهم الأمير عبد الوهاب وقال قد أيقنت أننا مأخوذين لا محالة فانفردوا إلى الأبراج وكل واحد يقاتل على برج لعلنا ان ندفع غائلتهم عنا ونبعدهم منا فقالت الأمراء يا أبو محمد أنزل الساعة أنت وغلمانك إلى أفتونا وقل لها تدلك على خزانة النفط فان أنكرت هددها بالقتل فان بحرون قد تركناه عندها موكل بها كيما يحفظها من نسوان الحصن لا يقصدون الأبواب فيفتحوها فنزل الأمير أبو محمد فوجد بحرون والجارية فى عتاب وجواب وهو يقول لها إنى قلت ذلك لأبى حياء منه وكان فى نفسى غير هذا ثم أشارت إلى النسوان أن افتحوا الباب وأعلمتهم أن المفاتيح فى المكان الفلانى فمضين النسوان يتغادرن إلى فتح الباب وقد علمت أفتونا ما فى قلب بحرون من الغش والالتهاب فأرادت أن تشغله عنهم وجعلت تكلمه بألطف كلام وقصدها أن تلهيه عنهم بذلك الخطاب حتى يفتح الباب وكلما أراد أن يلتفت إلى الباب رفعت كفيها ومعاصمها وهى كأنها أعمدة الرخام فغاب عقل بحرون عن الصواب ونسى فى تلك الساعة الكفر والإيمان ولما يريده الملك المتعال وأقبل فى تلك الساعة الأمير أبو محمد البطال والا كانوا الأبطال قد هلكوا وملكوا فهجم عليهم الامير أبو محمد وضرب تلك النسوان بالسيف وأنزل عليهم الحيف ووجد المفاتيح مع

إحداهن فقتلها وأخذ المفاتيح منها واطمأن من جانب الباب وزال عن قلبه الالتهاب ثم أقبل على بحرون وقال له كأنك يابحرون تريد تلعت برقابنا فى هذه الديار والأطلال فقال بحرون إيش الخبر ياعم فأعاد البطال عليه القصة وما تم وقال اليك عن هذه الملعونة الكافرة المفتونة فلى عندها كلام وحديث وأريد أذيقها الموت المهين (قال الراوى) ثم صاح الأمير أبو محمد فيها وقال لها ياعاهرة ومن بدين الاسلام جاحدة دعى عنكى هذه الخديعة الباردة ودلينى على خزانة النفط التى لأبوكى وإلا وحق البيت العتيق أخذت مابين عينيك لأن قولى جد ثم ضربها بالسيف صفحا وكفحا فقالت النفط فى الخزانة وقد أرسل الملك بعضه مع أصحابه فى المراكب لما عزم على الرواح وهذه الخزانة فيها نفط آخر وكان عند أبى مدخره وماكان أحد يأخذه ولايريده فأراد أبو محمد يضربها بالسيف ضربة أخرى فصاح بحرون وقال ويلك ياأبا محمد لاتفعل ودع الجارية من يدك وماأمهلوا (ياساده) وصبرت المسلمين صبر الكرام طول النهار ونصرهم الملك الجبار على الكافرين الأشرار فلما رأت الروم ماقد بليوا به من المسلمين على قتلهم وكيف قتلوا خلقاً كثيرا من جماعتهم نصبوا منجنيقا لطيفاً يرمى بحجر اطيف حتى يصل اليهم ليكشفهم لأن المكان عالى جدا وجعلوا يرمون بالأحجار فيهشمون التراس ويوهنون الناس وجاء فى الأمير طارق حجر فخسف ترسه وصدره ولم يقدر على القيام وجاءت ضربة أخرى إلى الأمير ضيغم فأرمته على وجهه وأشرف منها على فناء عمره ونظرت الأميرة ذات الهمة إلى ماقد نزل بأصحابها من ذلك الأمر الجسيم فقالت لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم أقبلت على الأمير عبد الوهاب وقالت له يابنى اعلم أن القوم يقاتلون على غير بصيرة وأخاف على من بقى منا من الهلاك وهذا المنجنيق لوكان أكبر مما هو لما وصل الحجر الينا من أجل ارتفاع هذا الصور وإنما هو لصغره لايخطى حجره ولوكفانا الله مؤنة هذا المنجنيق إلى الليل وكنا نعول على الهرب ان كان لنا سبيل إلى البحر ولو أدركنا الركوب فى بعض الشخاتير فقال الأمير عبد الوهاب أما أنا لوكان معى قوس وسهم لكنت أهلكت صاحب هذا المنجنيق لعل الله يكفينا شره ولا يكون معهم مثله فقالت الأميرة وأنا لوكان معى مقلاع لقدرت بمعونة الله تعالى عليه وأهلكه ويخلصنا منه بمنه وكرمه فقال الأمير أبو محمد أنا آتيكم بكل ما تطلبون ثم أتى ومعه قوس جيد وسهم جلنجية ومقلاع طويل مظفر صنعة الروم لأن لؤلؤ غلام البطال كان رآه فى وسط بعض البطارقة القتلى فأخذه ومعه ثلاث أحجار صغار وان الأمير عبد الوهاب أوتر القوس ورمى بالسهم فأخطأ وخانه الوهم ورفع السهم الثانى ووضعه فى كبد القوس وأراد أن يرسله

من غير تعب وإذا بالمنجنيق قد انقلب ووقع إلى الأرض من مكانه وإذا بالأميرة قد كبرت والتفت الأمير اليها فرآها متبسمة وهى لربها شاكرة وممجدة فقال لها ما الذى فعلتى قالت الذى ترى يا بنى وضعت إحدى هذه الثلاثة أحجار ورميت فكان أسبق من سهمك وما أظن الا وقعت فى عظم أذنه فأخرجت روحه وأعدمته صبوحه فقال لها لله درك فقد أشفيتى الغليل وأرضيتى الملك الجليل (قال الراوى) هذا والروم قد عظم عليهم قتله اذ لم يكن عندهم مثله إلا ولدا له فما هو إلا أن صعد مكانه حتى ضربه الأمير عبد الوهاب بسهم ما أخطأه وأنفذه من نقرة قفاه وألحقه بأبيه ثم أفقده أهله وذويه (يا سادة) إن الروم أدامت قتالها وحربها ونزالها ومقلعونا يعمل النقب إلى آخر النهار حتى انكشف الموضع للأبصار وكان الموضع المنقوب سهل المأخذ الى ان انسدل الظلام واحصيت مواضع الأقدام وقد بقى بينهم وبين الدخول إلى الحصن عشرة أذرع (قال الراوى) فهذا جرى ههنا وأما الأمير عبد الوهاب انه لما انفصل عن القتال جلس طلبا للراحة وافتقد الذى أصيبوا فى يومه فوجدهم على مابهم من الشدة والألم لأن معهم صبر أهل الإيمان آخذين ما آتاهم بالقبول والرضوان (قال الراوى) ثم ان الأميرة ذات الهمة أقبلت على بحرون وقالت له قد وصل الينا ضر الجوع والعطش فأتنا بشىء من الطعام لندفع به ألم الدهش فنزل بحرون إلى موضع يعرف أن فيه الطعام والشراب فأتاهم بجميع ما طلبوا ووضعه بين أيديهم فطلبوا أبو محمد البطال فلم يجدوه فقالت الأميرة لولدها أين أبو محمد فقال من وقت أن انفصل القتال أخذ ابنه مذبحون ونزل إلى الحصن وما أظن ذلك إلا من الفزع فقالت على به ولأوصيه بما يعمل ونسأل بواب الحسن ان كان له باب فى هذا القصر إلى الميناء (ياسادة) وأن بحرون نزل فلم يجد أبو محمد فعاد وقال والله طفت القصر فما وجدت له خبر فقالت الأميرة لا يكون قد وجد لنفسه فرصة فهرب وأخذ ولده وتركنا وما أظنه يفعل ذلك وإنما نؤمل من الله الفرج من أى وجه كان (قال الراوى) وكان أبو محمد لما انسدل الظلام قد نزل من الصور وأخذ ولده مذبحون وقال له يابنى اعلم أننا قد أشرفنا على التلف وقد ترى ما قد نزل بنا ووقعنا فيه وكم جهد ما نصبر فقال مذبحون وما عسى أن نفعل من الامر وما الذى عليه تقدر فقال لا بد للملك فى داره من موضع يتفرج فيه على البحر ولا بد أن اسأل عن ذلك ثم أنه دخل إن دار غيضورس على أنه يجده قد أفاق ليسأله عن ذلك فوجده قد مات والقضاء فات ووجد عنده امرأة كبيرة تبكى وتندب عليه وهى لا تفارقه فلما دخل عليها رفع أبو محمد عليها السيف فباست الارض وقالت يامسلم لا تفعل فما

قتلى نحره ولا منى مضره ودعنى أن أدلك على أموال الملك وأنا زوجته فقال لها أين باب البحر الذى عندكم فى هذا القصر فقالت ههنا فى الدار وأنا أريكم اياه لتعمل على قدر ما تراه (قال الراوى) ففرح أبو محمد غاية الفرح واتسع صدره وابسرح ثم انها قامت بضوء بين يديه وهو شاهر سيفه عليها ثم دخلت به إلى دار أخرى فى جانب دار الملك ونزل أيضا من وسط الدار هم فى سلم حجر سبعين درجة إلى أسفله ففزع أبو محمد على نفسه وقال لها ويحك إلى أين تذهبين فقالت إلى الموضع الذى تطلبه وها أنا قد طلبت أن أوصلك اليه وها أنت وصلت اليه فنظر أبو محمد فى ضوء الشمعة وإذا بباب حديد قد دهقته الدهقان بمسامير ومن الذهب الأحمر وعليه قفل من الفضة البيضة فقال لها وأين المفتاح فمدت يدها إلى طاقة فوق الباب وأخرجت بمفتاحه وإذا هو لطيف بسلسلة فضة ففتحت فخرج أبو محمد وانظر وإذا على الباب صخرة عظيمة والموج يتلاطم عليها إلا أن البحر هادىء والهواء ساكن نقال لها ما بى انظر ههنا مراكب فقالت له المراكب خلف الثلاث أبراج وذلك عن يمين القصر وهى الميناء الكبيرة وكان الملك إذا أراد أن يركب فى البحر يقصد الفرجة تأتى له المراكب إلى هذه الصخرة ويركب منها (قال الراوى) فقال أبو محمد والمراكب الساعة هناك فى الموضع الذى ذكرتى فقالت لعمرى ما تبرح المراكب هناك وفيها الزاد والماء والعزب من خوف مراكب العدو لأن الملك كان قد وقع بينه وبين ملك الملافطة حرب عظيم وهم أصحات البحر وما لهم قتال إلا فى المراكب وكان الملك غيضورس محتفظا منه (قال الراوى) فقال الأمير أبو محمد لولده مذبحون هذا والله الذى كنا نريد ولكن كيف الوصول اليها من الماء فقال مذبحون أنا أقول لك ما تفعل وهو اننى أرمى روحى الساعة إلى البحر لأننى خبير بالعوم وان أنا رأيت المراكب فأنا أصعد إلى بعضهم وآخذ أخرى وأتى بها اليك فقال أبو محمد ما هذا فعل رجل واحد ولا يمكننا أيضا قتل هذه المرأة فان الله تعالى يقول هل جزاء الاحسان إلا الاحسان قد أحسنت الينا فأنا أربطها إلى جانب هذا الباب وأكتف يديها فان نحن سلمنا أطلقناها (قال الراوى) ثم أن الامير أبو محمد أرمى ثيابه وبقى بتبان وفعل مذبحون كذلك ثم كتف امرأة الملك وشدها وربطها فى الباب فقالت له على ماذا عولتم فقالوا نرمى أرواحنا إلى البحر ونطلب المراكب وانما شددنا كى هنا حتى يخفى أمرنا وان نحن سلمنا وحق دينى أطلقنا كى ولا ينالكى منا مكروه فقالت وحق المسيح انى أخاف عليكم من هذا البحر العظيم المهالك على انكم ما تعرفون هذا المكان ولا هذا البحر وما كنت جالسة عند الملك غيضورس باكية عليه إلا لحالتين أحدهما كيف زال ملكه ورعاية لحرمة

الصحبة وتفكرت أيضا فى حمايتكم بدينكم وخلاصكم من ضيق ما كنتم فيه من الضرب والحبس والعذاب ثم أن ربكم لطف بكم وظفركم بعدوكم وملككم القصر ومكانه وقتالتم رجاله وأعوانه وما هذه إلا عناية بكم من عند ربكم وقد علمتم لابد مما تأخذون ابنتى معكم إن أنتم سلمتم ومالى عنها صبر وإن أنتم فعلتم ذلك تخذونى معكم لأن افتونا إن مالت إلى دينكم فأنا أوافقها على ذلك (قال الراوى) وأن البطال لما سمع ذلك من كلامها وما نطقت به من نظامها فقال لها سوف نعاملكى بخير إن شاء الله تعالى فقالت إن كان ولابد لكم أن ترموا أنفسكم إلى البحر فلجوا فيه ولا تطلبون القرب من الصور لأجل ما حوله من الصخور ثم أن أبو محمد أرمى نفسه إلى البحر وهو يقول توكلت على الله تعالى وفعل مذبحون كذلك (قال الراوى) وطلبوا أن يأخذوا بجانب الصور حتى يخالفوا قول العجوز فوقعوا فى حجارة وصخور وكادوا أن يهلكوا منها فعلموا صحة قول العجوز فطلبوا البحر ثم عادوا راجعين وطلبوا الابراج فما كانت إلا ساعة حتى وقعوا فى وسط المراكب وهم لا يصدقون بالنجاة فلما رأو المراكب فرحوا غاية الفرح وعلقوا بمركب كبير وتسلقوا حتى صاروا فيه ديار ولا نافخ نار وكذلك المراكب كلها وهى مرسيه فى المينا. فقال أبو محمد لولده على ماذا عولت فقال الرأى اليك فقال الرأى عندى أن نقطع هذا الحبل وندخل بالمركب ونعود به إلى المكان الذى كنا فيه ويكون ذلك سببا لنجدتنا ونجاة الموحدين وقد عولت أيضا انى انزل إلى البلد وأنظر ما قد عولوا عليه الروم ثم أرمى روحه وقد أخذ من المركب كناره أفرنجيه ليركبها وهى كانت للبلاح ولم يزل إلى أن صعد إلى المينا. وصار على الشط واختلط مع الروم فوجدهم فى هرج ومرح من أمراء المسلمين وهم يتغاوشون فى خبرهم وما هم عليه إلى أن قال قائل منهم وكم جهد ما يصبرون والليلة يهجم عليهم مقلعونا من النقب هو والرجال ولا يشعرون إلا والحصن قد امتلأ عليهم من البطارقة وأخذتهم سيوف العمالقه فلما سمع أبو محمد هذه المقالة تحير من هذه الحالة وقال المتكلم يا أخى بقى لهم ينقبون عليهم ليلة أخرى فقال قد ذكر مقلعونا انهم نصف الليل يخرجون عليهم من وسط الحصن وهانحن منتظرين صدق الكلام وهاقد جاءت النوبه الينا وقد وصل الينا قوم ينقبون وقوم يخرجون التراب وله يرمون فوقف أبو محمد إلى أن صار فى جملتهم ودخل معهم النقب ووصل إلى مقلعونا فقال له أبو محمد أوهبك المسيح العافية عجل قبل أن يطلع الصباح حتى نبكى المسلمين بالانتزاح فكم قد بقى فقال قد بقى ثلاثة أدرع وتخرج من دار البطريق سقريانوس (قال الراوى) وإن أبو محمد حمل من التراب فى حجره شىء قليل وخرج فى آخر الناس

وسار إلى الميناء وطرح نفسه فى البحر إلى أن صعد إلى المركب فوجد ولده مذبحون فى مكانه وقد قلق لغيبته فقال إيش الخبر فقال اطلب بنا أصحابنا قبل أن يملك الحصن عليهم فقد تم من الأمر كذا وكذا وأعاد عليه جميع ما عملوا (قال الراوى) فعندها قطعوا حبل المركب وعملوا بالمقاديف ولم يزالوا سائرين إلى أن دخــلا البحر وطلبا مكانهما وهو البرج الرابع وكانا قد تركا تلك الشمعة على حالها عند باب السرداب ليستدلا بهـا على الموضع حتى لا يضيعان فيفوت الغرض فعدلا اليهـــا حتى إذا نزلا منها طرح أبو محمد نفسه فى البحر وسبح إلى نحوا الباب والحبل مشدود فى وسطه إلى أن وصل إلى الصخرة وصعد عليها وربط المركب وطلع القصر وخلف مذبحون فى المركب (قال الراوى) ولم يخطى الأمير عبد الوهاب وأصحابه فوجدهم فى ذكرهم فقال يا أمير أنت غافل عن ما يراد بكم منذ فارقتكم وانتم فى الحرب وانى فعلت كذا وكذا وأخبره بجميع ما فعل وحدثه بحديث النقب وقال له قم الآن فقد جاءكم الفرج من الله تعالى (يا سادة) فباس الأمير الأرض وسجد شكرا لله تعالى وقال والله ما كنت فى هذا البلد إلا أيست من روحى فقال أبو محمد إن لله ألطافا خفية وقد سطر فى الكتاب ما لم يكن فى الحساب (قال الراوى) فعندها نهض الأمير عبد الوهاب وجماعة الأصحاب ولم يكن لهم هم إلا موضع النقب فقال أبو محمد الساعة يطلعون الينا الرجال من وسط هذه الدار فليقف منكم ههنا اثنين وأى موضع خرج النقب قفوا عليه فى بابه وأى من خرج منهم تأخذون رأسه وتخمدون أنفاسه إلى أن نأتى اليكم فقال الأمير ونحن إيش نعمل وإلى أين نمضى فقال تسيرون معى لترون العجب (قال الراوى) ثم سار الأمير أبو محمد وذات الهمة وسيف الحنيفية والأمير ظالم وأبو الهزاهز وتركوا بقية الأمراء ينتظرون ظهور النقب وساروا هؤلاء إلى أن نزل بهم أبو محمد فى الدرج ووصلوا إلى الباب فقال الأمير وقد شاهد البحر والشمعة والمرأة مكتوفة مربوطة إلى الباب فقال الأمـــير عبد الوهاب ما أبو محمد إلا عفريت من العفاريت والا كان يعرف هـذا المكان ولابد أن يكون حديثنا سمعوه الناس يعجبون ويتحدثون به على قوارع الطرق (قال الراوى) يا سادة ثم إن الأمير عبد الوهاب قال يا أبا محمد هات حدثنا إيش تعمل وإيش تريد من الحيل فقال أبو محمد يا أمير ها أنت ترى هـذا البحر ارموا بأرواحكم اليه بالكلية وأصبحوا من ههنا إلى ملطيه فقالوا بارك الله فيك وما قصرت فى هذه المشورة التى بهـا أشرت (قال الراوى) فضحك أبو محمد من هذا المقال وقال إن لم يكن فيكم ما تسبحون فاسحبوا هـذا الحبل فقال الأمير انالها وقد علم إنه قد سرق بعض المراكب فسجد لرب

المشارق والمغارب وتعلقوا بالحبل وسحبوا المركب اليه والصقوه بالصخرة وزالت الآلام والفكرة وصعد الأمير ينظر إلى المركب وإذا هو موسوق بالزاد والماء والعدد وآلة الحرب والزرد فسجد شكراً لله تعالى وقال للامير أبو محمد على ماذا عولت فقال يامولاى هذه المركب بين يديك وهذه المرأة زوجة الملك غيضورس ولاشك انها رغبك فى الاسلام لانى قد بان لى منها ذلك ثم عاد عليه حديثها من أوله إلى آخره ففرح بذلك وأمر الاميرة أن تحملها ففعلت ذلك الحال وخلصتها من الاعتقال (قال الراوى) فعند ذلك قال أبو محمد اعلم أيها الامير أن قلبى مشغول وهو مستطير ولا آمن على على أصحابنا أن يدهموهم من النقب أصحاب البلد ويصعب الامر عليهم ويشتد فقال الامير عبد الوهاب ما عندك من الرأى فى هذه الاسباب قال نأخذ الساعة من المال مهما أردنا ونأخذ الجارية أفتونا واقتل الواهب المفتون شومدرس ثم نخرج إلى البحر ونرفع جميع أصحابنا ونقلع فى هذا البحر العباب ونسير باقى الليل فما يصبح الصباح إلا ونحن قد نجينا من أليم العذاب (قال الراوى) فقالت الأميرة ذات الهمة لا والله يا أبا محمد مانحب أن نفعل نحن هذا ويكون قد سهل الله لنا ما لم يكن فى الحساب ويبوح لنا الجهاد فى طاعة رب العباد ولا كان ذلك أبداولو لم يبق السيف منا أحدا ولكن هذا المركب ههنا مربوط والناس فى شغل ونصعد نحن ونقف فى وسط الحصن ونرفع أصحابنا المجروحين إلى المركب ثم أننا نقاتل من باب النقب إلى الصباح وإذا رجعوا عن النقب خاسرين ورجعنا نحن رابحين ويكون قد قتلت منهم الأبطال وهلكت الاقيال يكون ذلك وهنا لهم وكسره ونقلع ونحن فى المركب ولا تأخذنا فتره ولا يقدر أحدا يسير خلفنا ولا يتبعنا فان لحقونا والعياذ بالله فبالله المستعان وعليه التكلان (قال الراوى) لما سمع الأمير أبو محمد ذلك الكلام قال هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب وما فى الأمر إلا غير هذه الإشارة والعمل على حسن هذه العباره ثم أن القوم صعدوا وامرأة غيضورس معهم إلى أن صاروا فى وسط الحصن ورفعوا أصحابهم المجرحين إلى المركب عند مذبحون ابن البطال وتمت أمورهم والأحوال ثم أنهم عادوا إلى الحصن وقد طلع النقب المقدم ذكره وكان بحرون ومن معه قيام هناك فأدركوهم الأمراء وقال الأمير أبو محمد لايتكلم منكم أحد وكل من طلع أنزلوه حتى يصير عندكم قائم وأضربوه بالسيوف القوائم فلا يحس الواحد برأسه إلا وقد طار وحل به البوار ولا يعلمون القوم حتى يهلك منهم خلق كثير ويحل بهم الويل والتعتير فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب (يا سادة) وأول من طلع من النقب البطريق مقلعونا حتى ضربه طاعونا وصعد بعده آخر من البطارقة الكبار وإذا برأسه قد طار

(قال الراوى) وجعلوا القوم يطلعون واحد بعد واحد والسيف يعمل فى الأعناق والسواعد إلى أن قتل منهم أربعمائة بطريق كل واحد منهم مثل الفاتيق فأنكروا الباقين الخبر وقال بعضهم لبعض وقد صار وقت السحر ويلكم ما نرى أحدا يصعد إلا وكانه يقتل ولا يسمع له خبر ولا نقف له على أثر فقال لهم بطريق يقال له مؤنس وكان كاتب الملك غيضورس يا ويلكم أن القوم يخافون من المسلمين لأنهم عاينوا منهم الهول المهول وما يطير العقول فما يقدرون أن يهجمون عليهم حتى يمتلىء الحصن بالرجال ويوقعون بهم النكال فقالوا وحق المسيح لمونس صدقت أصعد أنت الساعة وانظر أصحابنا فان كانوا كما ذكرت فارجع إلينا حتى تطيب قلوبنا وأن انقطع خبرك علمنا أن المسلمين قد فطنوا بنا وقد عمل السيف فى أصحابنا فقال مونس لقد صدقتم وبالحق نطقتم ها أنا الساعة صاعد اليهم وأعود بالخبر هذا وأبو محمد يسمع من رأس النقب الكلام ويفهم ما دار بينهم من عظيم المرام فقال الأمير إذا طلع هذا الشيطان فاقبضوا عليه ولاتقتلوه حتى أقول لكم ماتصنعون وأى شىء تفعلون فقالوا سمعا وطاعة (قال الراوى) وان مونس طلع من باب النقب فلم يشعر إلا وسيف الحنيفية قد قبض على حلقه وعصره عصره طلعت عينيه باذره ثم نفس له فنظر إلى الدار وهى تسيل دماء والقتلى مطرحين فى جنباتها يمين وشمال وقد سحبوهم وجعلوهم أكراس أكراس فطار عقل مونس وكادت أن تخمد منه الأنفاس ونادى يطلب الأمان فنادى أبو محمد لا أمان لك حتى تنظر من النقب وتقول لأصحابك أصعدوا الينا فما كان الأمر كما ذكرتم بل هو بخلاف ذلك وهنا إلا الخير والسلامه فقال مونس ايما خبر اهنا أصفه والله ما أبصرت خيرا أيشم من هذا ولقد عصرت ياهذا حلقى عصرةما تخرج قط أضراسى ولقد حسبت أننى قد خمدت أنفاسى ووالله ان الناس غافلين عن هذا الخير فان طعمه لا يفارقنى عمرى ولا أنساه طول دهرى ولكن لابد ما أقول لهم اصعدوا ولا تقعدوا ولكن بحق المسيح كل من صعد اليكم أعصروا على حلقه حتى يذوق طعم الموت ويحل سباحته الفوت وحق المسيح لا يفلح من عاداكم وها أنا أدعوا القوم اليكم وما بقى لى وجه للرجوع اليهم وليس لى إلا صحبتكم والمسير معكم فان سلمتم سلمت وان عطبتم عطبت ولى أسوة بكم على كل حال على أننى بعد ذلك أقول ما تقولون أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما سمعوا ذلك فرحوا باسلامه وصافحوه وعانقوه وإذا به يفهم بالعربى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان مونس كاتب عند الملك وكان يتكلم بكل لسان

ويكتب بسبعة أقلام وقد قرأ كثيراً من الكتب وعرف المذاهب وكان يحدث نفسه بالإسلام فلما كان فى هذه الليلة أسلم وتقدم إلى باب النقب وقال اصعدوا فقد ملكتم الحصن ورقاب المأسورين لأنهم على الأبراج وبعضهم على الأبواب فقال واحد منهم ويلك مالى أرى كلامك ضعيف وقد طلعت من عندنا ونغمتك مثل الجرس فعدت إلينا وكلامك أخرس فقال يا ويلكم أنا أتكلم قليل حتى لا تسمع المسلمين أصواتنا فينفسد الحال علينا وإن أصحابنا كلهم ما يقدرون ينطقون حتى تصعد أصحابنا الجميع وتصعد أهل البلد إلى عندنا وكلما طلع واحد منكم اختفى على الصور فى موضع (قال الراوى) فقال المتكلم صدقت وكان يقال له لوقا جزاك المسيح خيراً يا مونس ثم إنه صعد فقال مونس للأمير سيف الحنيفية يا أخى بحق محمد إذا طلع هذا اعصر قفاه حتى تطلع عيناه وتبظ حدقتيه فقد رابنى كلامه وأغاظنى حديثه فضحك سيف الحنيفية من كلامه وقال سمعاً وطاعة ثم إنه أمهل لوقا حتى صار قائماً على قدميه وقبض على حلقه وعصره حتى ذهبت روحه ووقع إلى الأرض فحركه مونس فوجده قد مات فقال أنا على الخبر كثير وها أنتم عدتكم فى أيديكم ما تحتاجون أن تحملوا سلاح ولا آلة حرب ولا كفاح ولم يزل كلما طلع واحداً رمى رأسه إلى أن طلع بطريقاً عظيم الجثة فاستعجل الأمير ظالم عليهم بالضربة فطير رأسه إلى الحصن ونزلت جثته إلى النقب فلما نظروا أصحابه إليه علموا أن كل من طلع إلى الحصن كان هالك وسقى شراب المهالك فوقع فيهم الصياح ورجعوا يدقون بعضهم بعضاً ونزل بعض الأمراء خلفه وصاحوا فيهم فمات منهم من الزحمة مثل الذى هلك فى الحصن لأن المكان ضيق وهو بعيد وملآن من الرجال ووصل الخبر إلى البلد بأن لم يبق فى النقب أحد (قال الراوى) فأيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك ووقع بينهم البكاء والنواح على أهاليهم الملاح وقالوا ما الذى كان من مقلعونا فقالوا هو أول من طلع فقطفوا المسلمين روحه وروح من كان معه فقالوا وحق المسيح ما بقى لنا فيهم حيلة إلا الحصار على طول المدى ونضيق عليهم الأقطار على طول الأيام ونرميهم بالذل والصغار (قال الراوى) وأما أبو محمد البطال فانه قال للأمراء اعلموا أن هذا النقب ما بقى أحد منهم يقربه ولا يدخل إليه إلا بعد شهور ثم أقبل على بحرون وقال له أيها الأمير ارفع أفتونا إلى المركب فقال سمعاً وطاعة ثم دخل إليها وهى مقيدة مكتفة فى بعض البيوت (قال الراوى) وكان بحرون يفتقدها بالطعام والشراب ويقول لها يعز على أن تموتين على هذه الحالة ولا تسلمين ثم إنه حملها إلى المركب وحمل اللعين شرمدرس إلى عندها

﴿ تم الجزء الخامس والأربعون ويليه الجزء السادس والأربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

ولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(يا سادة يا كرام) ونظر شومدرس إلى القتلى فى طريقه وهم مطروحين على الأرض مجندلين والدم على الأرض يموج مثل البحر الرهوج وقد حدى الحادى بالبطارقة من البروج فقال وحق المسيح ما قصرت أنا مع أهل هذه المدينة فقد حملت إليهم هدية حسنة خربت بها بيوتهم وضربت رقابهم ثم أقبل على زوجة الملك غيضروس وقال لها كيف كان الحال فأخبرته بما كان من أمرهم فتنفس الصعداء حسرة وكمداً ثم إن أبو محمد قال لأصحابه احملوا من مال غيضروس ما ينفعنا ولا يثقلنا ففعلوا ذلك ثم أنهم فتحوا الخزائن ووجدوا فيها من الأموال والثياب والجواهر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فنقلوا منها كفايتهم وقال أبو محمد ايش بقى يفيد قعودنا فقال الأمير عبد الوهاب هذا بعقلك تقوله والله لو خرجنا الساعة وعلموا بنا أهل الحصن لجهدوا المراكب ولحقونا من كل جانب وأنزلوا بنا الذل والمعاطب ولكن نكون على ما نحن عليه إلى أن يذهب النهار ويقبل الليل بالاعتكار فحينئذ نتوجه إلى السفر ونتوكل على اللطيف الخبير ونخرج إلى البحر واللجج ونرفع القلوع ولا يبقى حراج ونقذف ونرفع الشراع ولا نغتر ونطلب الهرب فى البحر والاتساع وما دام هذا المركب هاهنا ما يعلم به أهل الحصن ويظنون أن ما يتم هذا الأمر ولا يكون ثم إن الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب صعدوا على الصور وهللوا وكبروا ونادوا يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية قد نصرنا الله عليكم وهلك أكثركم وعادت حيلتكم عليكم ونادى مونس

ويلكم من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا مونس كاتب الملك غيضروس وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلى الله عليه وسلم وأعرفكم أن القوم أصبحوا تعاباً مما قتلوا من أصحابكم وإلا فقد كانوا معولين على فتح الباب ويخرجون إليكم ويذيقوكم العذاب ويكون يومكم أيشم من ليلة أصحابكم وأشد انتحاب فصاح بطريق منهم ويلك يا مونس لقد عدمت عقلك وسلبت دينك وطردك المسيح عن بابه ودينه وسلبك من حسن يقينه بعد ما كنا نعرف منك العقل والفضل فقال مونس يا ويلك لقد عصرت رقبتك مثل ما عصرت رقبتي حتى صارت مثل الطبل ما كان هذا كلامك يا ندل (قال الراوى) وإن الروم لم تقاتلهم فى ذلك اليوم أجمع بل اجتمع بعضهم إلى بعض وقالوا ما فى الأمر إلا أننا نصير حتى يخرجوا هؤلاء الشياطين إلى هذا العالم العظيم ونذيقهم العذاب الأليم فقال بعضهم من هذه الفعال فعالهم وهذه الأعمال أعمالهم فانهم يقدروا أن يخرجوا إلينا ويقتلون منا وإذا رأوا الغلبة عادوا إلى الحصن فخذوا حذركم منهم فقال بعضهم إذا كان هذا فعلهم فاحفروا بالقرب من باب الحصن حفاير فلا بد لهم إذا خرجوا أن يقع أحدهم فى الحفيرة فيكون عوضاً عمن قتل منا فقالوا نعم الرأى ما رأيتم وما به أشرتم وتكلمتم ولكن اصبروا إلى الليل ثم خذوا فى ذلك (قال الراوى) وأما الأمير أبو محمد فانه صاح فى الأمراء وقال دونكم والرحيل واعتمدوا على الملك الجليل ثم إنهم نزلوا إلى المركب وأم أفتونا معهم وقطعوا الحبل وقدفوا بالمقاديف ولججوا فى البحر وقد طاب لهم الهوى باذن من على العرش استوى فقال لهم الأمير أبو محمد هذا الهوى يقلع بكم إلى بلاد الملافطة وقد أخبرتني امرأة الملك أنه كان بينهم وبين ملك الملافطة وقع عظيم وقتال جسيم وان علموا بنا فى أرضهم خرجوا إلينا وأخذونا لامحالة فدبروا فى هذا الأمر ودعوا عنكم الإطالة لأنهم كلهم أصحاب مراكب ونخاف ان نقع معهم فى اشراك المعاطب ولكن على الله المتكل وان يكتب علينا السلامة ويدفع عنا شر الندامة فقالوا ايش عولت أن تعمل فقال اذا وصلنا ان شاء الله إلى الجزيرة دبرت لكم شيئا تعملوه يكون سببا لخلاصكم (قال الراوى) فقال الأمير عبد الوهاب فهل يكون لنا إذا وصلنا إلى هذه الجزيرة موضعا نقلع منها اليه قال نعم نقلع منها إلى جزيرة أريس وبعدها إلى السويدية ولكن أقل ماتبقون فى البحر أربعين يوما إذا أعان الله تعالى بالسلامة ثم ساروا القوم على كف الرحمن فما أصبح الصباح إلى وقد قطعوا فى البحر مسافة بعيدة فى أمان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أهل كرجانة فانهم حفروا الحفائر وستروا عليهم الستائر وجعلوا ينتظرون الأمراء أن يخرجوا

اليهم فلما طلع النهار وقد نظروا نسوان القصر وكانوا قد اختفين فى البيوت من فزعهن من الأمراء فلم تقدر واحدة منهن أن تخرج فلما نظروا الدنيا خالية منهم فخرجت إحداهن فما رأت أحدا فصاحت بباقى النسوان فخرجوا القوم وصاحوا على أهل البلد يا معاشر النصرانية اعلموا أن المسلمين قد نزلوا فى مركب وساروا فى البحر والباب مغلوق علينا على حاله وما نعلم أين المفاتيح فانصبوا السلالم على الأسوار واطلعوا الينا ففرحوا أهل البلد بما سمعوا وقالوا للنساء إلى أين مضوا فقالوا لهم إنهم قد نزلوا فى مركب من باب المينا فقالوا لهم فما أخذوا معهم قالوا أخذوا أفتونا بنت الملك وأمها والراهب شومدرس راهب النصرانية وقد عولوا أن يسقوه شراب المنية فقالت الروم لاصبح المسيح طلعته بخير ولا بكرامة فما كانت طلعته عليه إلى ميشومة غير مباركة ثم انهم أخرجوا السلالم وألصقوها إلى الأصوار فقال واحد منهم اصبروا لايتم عليكم مثل ماتم على أصحابكم من الوزير مونس فى النقب فانه أهلك كل من فى النقب فيكون عليكم يوم مذموم وتقعون فى الهموم والغموم عندها تخلوا القوم عن الطلوع وهموا بالرجوع وقالوا لبعضهم البعض انزلوا إلى المراكب وافتقدوهم فى المراكب التى لنا فمضوا إلى المراكب فوجدوا قد فقد منهم مركب خفيف لطيف فرجعوا ووصلوا إلى عند باب النقب فوجدوا الدنيا منهم خالية وقد فعلوا القوم فى القوم الفضايح والبطارقة مطرحة مثل الذبايح فكسروا الأقفال وفتحوا الباب ودخلوا أهل البلد ووقع الصراخ والصياح والنحيب واجتمع رأيهم كلهم على أخذ التار وكشف العار وانتخت النصارى لأخذ تارها وكشف عارها وقالوا نحن نعلم أن هذا الهوى يعطلهم عن المسير إلى بلادهم ونهاية ما يكون من الأمر ان يوصلهم الى بلاد الملافطة ولابد ما نسير وراءهم وإذا وصلنا إلى الملافطة أعلمناهم أن الملك غيضروس هلك ولا بقى لنا غيركم وأن أفتونا التى أراد الملك نسطوناس أن يتزوج بها ولم يرضى أبوها بذلك فهى معهم مأسورة وفى ثياب الذل مقهورة فعندها يأخذوهم ويقتلوهم أشر قتله ويشفوا منهم غليل صدورنا ولا يمضوا ويتركونا حيارى فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب (قال الراوى) ثم ان أهل كرجانة صعدوا فى المراكب بعد أن أكثروا فيها من الماء والزاد ورفعوا القلوع وجدوا فى المسير وقد فاتهم مركب المسلمين بشىء كثير لأن مركبهم كان أسرع وأخف من مراكب النصارى وأسرع جريان على وجه الماء (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء وأما ما جرى للسلمين فان مركبهم لازال مقلع فى الأرض سبعة أيام إلى أن وصل إلى بحر يسمى بحر الدروب وهو بحر الملافطة فعندها قال لهم مونس البطريق قد بقى بينكم وبين البلد ساعة واحدة وان طلعته

الشمس رأيتم البلد وان نحن دخلنا فى البحر الكبير صوب جزيرة اريس فان مراكب الملافطة كلها تلحقنا وهم قوم لايقع لهم عدد ولايحصى لهم مدد فقالوا وإيش يكون العمل وان لحقونا كنا طعاما لسيوفهم وربما أحرقوا مركبنا بالنار فقال مؤنس عندى رأى يكون فيه إن شاء الله الخلاص والعبور إلى نحواريس ولا ينكر علينا أحد وبعد ما ننفذ عنهم نكون قد أمنا على نفوسنا ونقلع فى البحر وتخفينا أمواجه فيخفى عليهم أمرنا (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك قالوا دبر ما تريد فيه صلاح حالنا وحالك وأنت أخبر بأحوال بلادك فقال لهم اعلموا أن الملك نسطرونا ما وقع بينه وبين الملك غيضورس إلا من أجل ابنته افتونا لأنه طالب منــــه أن يزوجها له فابى أن يفعل ذلك إلى أن تولد بينهما الحرب وقاتل بعضهما بعض وها أنا الساعة أكتب كتابا إلى ملك الملافطة على لسان غيضروس بأنه يزوجه أفتونا ويعتذر اليه مما كان منه على طول الشهور والأعوام وأن يصبر عليه شهراً واحدا إلى أن يحملها اليه هى وكلما تملك من ذهب وفضة إكراما للمسيح وما قد فعل فى حقه من الفعل المليح وانه قد أرسلنى إلى الصاغة التى بأريس حتى أصوغ لها الآنية لأجل الدخول ويسيرها اليك ويقر بذلك عينيك (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك الكلام وفهم الذى أداه مؤنس من المرام قال لله درك لقد دبرت تدبير الرجال الذين لهم عادة بهذه الأحوال (قال الراوى) ولما أن طلعت الشمس ونظرت أهل مراكب الملافطة إلى مركب الأمراء تسارعوا اليه وسألوهم عن حالهم فاخبرهم مؤنس بالخبر وما قد دبر (قال الراوى) فعادوا إلى الملك يبشرونه وقد أرسل معه كتاب كتبه بشرح هذا الحال إلى الملك نسطرونا ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ونزل بنفسه فى مركب كبير يقال له العيروس وأخرج معه الزاد والضيافات والأطعمة والحلاوات وسائر أنواع المأكول وقال تنزلون عندى يومكم هذا حتى أزين من أجلكم البلد وبكرمكم كل أحد وآمر البطارقة أن تخلع عليكم وأبشرهم بالصلح بينى وبين الملك غيضروس وأن المسيح قد أحقن دم النصرانية (ياسادة) فقال مؤنس مالى إلى هذا من سبيل ولا أقدر أن أخالف الملك لأنك تعلم أن هذا رجل صارم وقد أجل لنا أجل ولا نقدر نخالفه ولا نبطى لحظة واحدة لأنه قال له المسيح فى نومه أعلم أن نسطرونا ركن من أركان النصرانية وهو ناصر الملة المسيحية وقد تعلق قلبه بابنتك فاسرع بها اليه ولم يقدر أن يخالف أمره وهو على عجله من ذلك فبكا نسطرونا من الفرح وقال لقد علم المسيح ما كتب أجد من محبة الملكة افتونا فنظر إلىَّ نظر المحبة والرحمة ولا بد أن اتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له مؤنس فان كنت قد عزمت فارسل ذلك

معنا فقال الملك وأين المال الذى معكم فوثب أبو محمد وأخرج عشرة آلاف دينار من المال الذى اخذوه من كرجانة من مال الملك غيضروس فلما نظر الملك ذلك فطنه حقا ثم أنه دعا ببعض الحراقات وأمر بعض خدمه بالنزول فيها وأرسله إلى خزائن أمواله وأمره بأن يأتيه بما ذكر وقال لى اسوة بالملك غيضروس (قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة حتى وصل الخادم بالمال وسلمه إلى البطال وودعهم الملك وساروا على ما هم عليه يومهم وليلتهم (ياسادة) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أهل مراكب كرجانة فانهم ساروا إلى أن وصلوا إلى جزيرة الملافطة وكان عند الصباح فى اليوم الثانى من بعد مسير المسلمين أتت مراكب كرجانه فى خمسين مركب ومعهم السيوف المسلولة وقد رفعوا أصواتهم بالبكاة والنحيب والصراخ ثم انهم نزلوا إلى المدينة فأنكر ذلك لأنهم قد أتوا بخلاف مافى قلبه وقد طار عقله لبه وأصحابه فداروا بمراكبهم من كل جانب وقالوا لهم ما خبركم اشرحوا لنا أمركم وما الذى دهاكم ومن بشره رماكم لا يكون المسيح غضب عليكم بحيث ما عجلتم بافتونا إلى الملك نسطرونا فقالوا لهم يا ويلكم أفيقوا من سكرتكم وأنتبهوا من رقدتكم فان الأمر عظيم والخطب جسيم وأن الملك الغيضروس قد مات وفات منه الأمر وقد عصرت رقبته حتى خرجت روحه من بين جنبيه وقد أخذت امرأته وأبنته ونهبت خزائنه وقتلت بطارقته وذلت دولته وسلبت نعمته (قال الراوى) فلما سمعت البطارقة ذلك من قولهم هالهم ذلك الكلام واستعظموه وقالوا لهم دونكم المسير إلى الملك وبحالكم أعلموه ألصقت المراكب إلى الساحل ونزلوا على بكرة أبيهم فلما صاروا حول الملك علا بكاءهم ونحيبهم وحثوا التراب على رؤسهم هذا وأهل البلد يبكون رحمة لهم ولا يعلمون ما الذى أصابهم فلما مثلوا بين يديه ووقعت عينه عليهم سألهم عن حالهم فأعادوا عليه قصتهم كما قالوا فى الأول فلما سمع الملك نسطرونا ذلك من مقالهم تعجب من ذلك وتهول وأنقلبت عيناه فى أم رأسه وقرش على أضراسه حتى خشيت منه جميع جلاسيه وقال يا ويلكم من فعل بكم هذه الفعال وعمل بكم هذه الأعمال فقالوا أيها الملك المسلمين الذين هم لله موحدين ولنبيه بالرسالة مقرين ثم أعادوا عليه القصة من أولها الى آخرها وشرحوا له باطنها وظاهرها فلما سمع الملك ذلك من كلامهم قامت عليه القيامة وقال ياويلكم قد عدمتم طريق السلامة واعتراكم الهم والغم والندامة ياويلكم هذا جرى بعد ما كتبتم الكتاب إلى بأن الملك رأى المسيح فى نومه بأن يزوجنى بابنته افتونا وقد أرسلتم الينا وأعلمتونا فقالوا أيها الملك ما نعلم شيئاً مما تقول ولا محصول فقال أمس جاءنى مؤنس كاتب الملك وأعطانى هذا الكتاب

وقال أن الملك غيضروس يريد أن يزوجني بابنته فقالوا أيها الملك انتبه من رقدتك وفق من سكرتك فان الذين فعلوا بنا هذه الفعال وعملوا بنا هـذه الأعمال وقالوا لك هذه الأقوال هم الذين قتلوا الرجال وأبادوا الأبطال وقتلوا الملك المفضال وأن افتونا معهم فى القيود والاغلال فقال ياويلكم أن مؤنس هو الذى كان يكلمنى وكنت أنا واثق بقوله فقالوا نعم أيها الملك وهو قد صار إلى دينهم ومن أجله هلك خلق كثير فى النقب (قال الراوى فقال الملك قد أخذ منى عشرة آلاف دينار صدقة وأخذتنى عليهم الشفقة فقالوا أيها الملك صدقة عن نفسك وأهل بلدك الذى ما تعرضوا لك ولا لأهلك وإلا كانوا فعلوا مثل ما فعلوا بنا هؤلاء المسلمين وتركونا على أهلنا ومن قتل منا متحسرين وانهم أبطال المسلمين ومن ظفروا به أهلكوه وفيهم المصيبة العظمى أبو محمد البطال واللص المحتال التى تضرب به الامثال وينتقل من حال إلى حال فقال نسطرونا لولا أن يكون فيهم أبو محمد البطال العيار المحتال ما أخذ منى عشرة آلاف دينار فما الذى ترون من الرأى فقالوا أيها الملك ما أتينا اليك إلا لتكشف هذه الشدة عنا وتعيننا على طلبتنا ونحن قد طلبنا نجدتك خلف هؤلاء بمعونتك ونأخذ نارنا منهم بعلو همتك لتكون لنا عليهم معين وقد عجزنا عن طلب مرادنا وقد خربت ديارنا وبلادنا (قال الراوى) فقال نسطرونا طيبوا قلوبكم وقروا عيونكم فانا أكتب إلى الملك يوحنا صاحب جزيرة اريس وآمره أن يلتقيهم فى مراكب جزيرته ويأخذهم ببطارقته لانه داخل تحت طاعتى وما يخالف مراسلتى وكان أيضا محبا لافتونا وكان بها مفتونا وكان قد خطبها من أبيها فرده كما ردنى وابعده كما ابعدنى ولكن ما هو مما يختار نفسه دونى وإذا سمع بما جرى عليها أخذها من هولاء الشياطين وتركهم عنده مقيدين إلى حين تصلوا أنتم ويسلمهم اليكم ثم تعودوا بما تريدون وتبلغون منهم ما تختارون (قال) ثم أقبل على أهل كرجانه وقال لهم كيف رأيتم قولى فقالوا له هذا رأى سديد وأمر حميد إذا صح ما عنه محيد (قال) فغضب الملك وقال لهم ويلكم لقد وقعت هيبة هؤلاء القوم فى قلوبكم حتى كانكم قد عظمتم أمرهم وهو غير عظيم وهذا ما هو مليح منكم فقالوا أيها الملك نحن نقول لك ما علمنا وما شاهدنا وما نظرنا وما عاينا وأنت تتكلم بما لا ترى ولا احطت به علما ولا خبرا وإيش الضاحك مثل الباكى ولا الصابر مثل الشاكى وما فى الامر إلا أن ترسل إلى يوحنا صاحب اريس وتعرفه شرهم وانه لا يأخذهم إلا بالحيله وتقول له يخرج اليهم ويقول لهم قد وصل إلى كتاب الملك نسطرونا يوصينى عليكم وإن أخدمكم بروحى وباصحابى وأن وجدتم الذى تطلبوه عندى وإلا أخذته لكم من الجزائر ومراكبى بين

أيديكم ورجالى رجالكم فاذا أتوا اليه وظنوه حقا وأمنا فى الشده والتصقوا المراكب بعضها إلى بعض قبض عليهم قبضا باليد فقال الملك هذا هوالصواب والامر الذىلايعاب ثم إنه كتب الى الملك يوحنا لما قد عول عليه وكان بين جزيرة اريس وجزيرة نسطرونا ستة وإنه أرسل الكتاب إلى يوحنا على جناح الطائر فما بات الخبر إلا عنده فلما سمع بقصة غيضورس قامت عليه القيامة وكانت أخبار هـذا الملك يوحنا تصل إلى الملك نسطرونا وأيضا تصل أخبار الملك نسطرونا إلى الملك يوحنا وكان هذا قد خطب الجارية أفتونا من أبيها فامتنع أن يزوجها له (قال) فلما سمع انها مع الأمراء فى المراكب باس الأرض شكراً لله تعالى وقال إن المسيح ما فعل هكذا إلا من أجلى ولا جل ما منعنى غيضورس وردنى من زواج ابنته وأنا آخذ الجارية أفتونا واصطفيها لنفسى واحظى بها دون غيرى ولا أسمع كلام نسطرونا ولا غـيره وأما المسلمين فانى أرسلهم إلى الملك أرمانوس إلى القسطنطونية ليرى فيهم رأيهويدبر فيهم أمره واحظى أنا بذلك الوجه المليح وابقى عند الملك أرمانوس بذلك العين إلى الأبد ما قام قائم وقعد (قال الراوى) وبعد ذلك أعرض مراكبه وكانت مائة وعشرين مركب كبار للحرب وخمسينصغار برسم كشف الأخبار فقال لأصحابه إذا وصلت المركب التى فيها المسلمين اضربوا بوقاتكم وارقصوا فى مراكبكم واظهروا لهم الفرح وابعدوا عنكم الترح ويتقدم اليهم منكم مركب ويعلمهم إن الملك نسطرونا قد أرسل الينا بمراعاتكم وأن نكون فى خدمتكم وقال إن معكم الأموال التى تتصدقوا بها على فقراء البلد وأنتم الذين كنتم السبب فى ذلك وإن كل فقير قد أجهد نفسه بالدعاء لكم بالسلامة إلى أن تصلون وتقدمون وقد تقدم أمر الملك أن يجمع ما عنده من الصياغ الذين فى الصاغة وأن عازكم صناع فهو يرسل إلى الجزائر ويأتيكم بصناع أخر فلما سمعوا ذلك من الملك قالوا فاذا أتوا الينا وركنوا علينا ووصلوا معنا إلى الميناء قال لا تهملوا أمرهم فهم الذين فتحوا القسطنطونية وقتلوا جميع ملوك النصرانيه وهؤلاء حماة بلاد الإسلام ولكن إذا حصلوا بينكم ارموا الكلاليب فى جانب مركبهم واقلبوه عليهم ولا يكون لكم همه إلا الجارية افتونا ارفعوها اليكم ومن طلب منهم النجاه وتعلق ببعض المراكب فارفعوه وكتفوه فقالوا سمعا وطاعة (قال الراوى) ومامضى على ذلك ثلاثة أيام حتى لاح الشراع كانه جناح نسر والمسلمين ما عندهم خبر بما جرى فى علم الغيب والمدبر يدبر والقلم يكتب ما يكون فى اللوح المحفوظ (يا ساده) فلما لاح للامراء المراكب والبلد قال الأمير أبو محمد لمونس هذه جزيرة اريس فقال نعم وما لنا عنها محيص ولا لنا منها سبيل إلى التخليص إلا أن بقى

شى واحد وهو انكم تتقدموا إلى المينا وتقولون إن الملك غيضورس قد أرسلنا اليكم وإلى بلاد الانجار لقضاء حوائج وله معنا أموال نريد نتصدق بها على فقراء هذه الجزيرة ونأخذ منكم زادنا فقال أبو محمد ما فى هذا الأمر غير هذا ونخرج اليهم الأكياس المال التى من عند نسطرونا وتقلع ان شاء الله تعالى وبعد ما ندخل فى بحر الانجار ويخرج لنا هواء السويدة نطلبها من بلاد الله تعالى فقالت الأميرة نسأل الله تعالى أن يسهل ذلك ولم يزل مركبهم يتقرب من الجزيرة إلى أن لاحت لهم الميناء وعليها المراكب من كل جانب والبطارقة فى أيديهم القواضب وهم فى رقص وفرح وغناء ومرح وبوقاتهم تنعر وطبولهم تضرب هذا وقد خرج من جملتهم مركب واحد وهم اليهم قاصد والى نحوهم وارد فلما نظر أبو محمد الى ذلك قال لهم والله العظيم لقد أنكرت ذلك فهل لهم يا مؤنس بهذا عادة فقال مؤنس لا والله ما أعهد هذا عنهم ولعل يكون عندهم اليوم فرح وقد خرجوا ينشرحوا فى يومهم هذا فى البحر على ظهور المراكب (يا سادة) فلما وصل المركب اليهم وأشار بالسلام عليهم فرد بعضهم على بعض سلامهم ونادوا أهل اريس هذا يوم مبارك سعيد ثم انهم أعادوا على الأمراء جميع ما ذكر لهم الملك يوحنا وما كتب اليهم الملك نسطرونا من أمرهم ففرح مونس وقال لأجل هذا فرحهم فابشروا فان الله تعالى قد أحسن لكم الخلاص عاجلا فقال الأمير أبو محمد والله إنى خائف ان تكون هذه حيلة منهم علينا لأننى لا آمن أن تكون قد أتت خلفنا المراكب من مدينة كرجانة ووصلوا إلى نسطاروفا وأعلموه بالخبر على جلية الحال وان الذى جئنا فيه كله محال وعلموا أن مركبنا فاتهم ومالنا عبور إلا على هؤلاء وقد أرسل يعلمهم بقصتنا وقد دبر النوبة علينا فقال ان الله يكفينا شرهم وقد أوصاهم أن يلابسوا علينا الأمر حتى يأخذونا قبضا باليد فقالت الأميرة ذات الهمة والله لقد نظرت موضع النظر وهذا نظر مشكل وقد وزنت الأمر بميزان عقلك فقال مونس ما أظن هذا ولو أرادوا ذلك لكانوا قادرين على أخذنا ويحاصرونا حتى يبلغوا منا المراد على أننى أقول أن الملك نسطرونا من فرحه لما قد سمع منا قد فعل هذه الفعال حتى يعلمنا إنه مسموع القول فى كل مكان (قال الراوى) ووصلت المراكب كله وأحدقت بمركب الأمراء يسلمون عليهم حيلة منهم فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك قال أقسم بالله إن كان الأمر إلا كما ذكر أبو محمد البطال ولو قبلنا منه لما كنا لا صقناهم بل كنا نبذل المجهود ونتوكل على المعبود ونجاهد أشد جهاد ونتوكل على رب العباد فان نصرنا فهو الذى يريد وإن كانت الأخرى فما يبقى أحدا منا إلا يموت شهيد ثم طلب الأمير أن يخرج بالمركب على المراكب

فلم يقدر على ذلك ونظر الأمير أبو محمد أن البطارفة قد أحدقت بهم من كل جانب فقال والله العظيم اننى كنت أحذر والكل قد حلقوا الكلاليب إلى مركبنا ثم قال للامراء اعلموا أنكم مأخوذين لا محالة وما تقدروا على قتال ولا نزال لأنهم الساعة يقلبون المركب أسرع من البرق البارق أو الأجل الطارق ونهلك كلنا ولا يسلم منا أحد لا أبيض ولا أسود إلا من يرفعه من البحر وقد كنت أسمع بحديث هــذه المدينة وأن البحارة التى فيها يقلبون المراكب الكبار على أننا إن تخلفنا عنهم أخذونا أسارى فهؤلاء المرضى من الجراح كانوا يهلكون ولو علمت أن المركب ما ينقلب لكنت أمرتكم بالقتال وكنا نؤمل من الله تعالى النصر فى وقت المجال وما فى الأمر إننا نظهر لهم الجلادة والفرح لأن الحيلة قد تمت وننزل معهم إلى الشط ونحن قابضين على قوائم سيوفنا فهنا الك نرمى أرواحنا عليهم فان رزقنا الله النصر نكن قد نجينا بأرواحنا ونكون قد تخلصنا من هذه العوالم وهى من عوائده الجميلة وتفضلة واحسانه الينا وإن كانت الأخرى فتكون قدمتنا بعد ماقتل كل واحدمنا مائة ونكون قد فتكنا بالحدين ومضينا مستشهدين (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك علم أن كلامه حقا وصدقا وقال البطريق مونس صدق الأمير أبو محمد البطال فيما قال من انقلاب المراكب وما يقدر أحد من الملوك يقاتلهم فى البحر من هذا المعنى (قال) وبعد ذلك أظهروا لأهل اريس الفرح وقالوا نقيم عندكم ثلاثة أيام ونمضى إلى بلاد الانجاز فلما سمعوا أهل مدينة اريس هذا الكلام انطلى عليهم وعملت الحيلة فيهم وقالوا ماعندهم وحق المسيح خبر مما دبرنا عليهم ولا شك أنهم قد أعوذهم الزاد وأن قصدهم ينزلون على وجه الأرض ونحن نأخذهم قبضا باليد وساروا القوم كلهم إلى أن ألصقوا على البرومدت الاسقالات وكان أول من نزل إلى الأرض الأميرة ذات الهمة ومعها حسامها وتابعها الأمير عبد الوهاب ومن بعده الأمير ظالم والأمير سيف الحنيفينة وبقية الرجال والأمراء الأبطال وصعد من بعدهم أبو محمـــد البطال وقد أوهبوا نفوسهم لله تعالى وأيقنوا به ما بقى لهم من هذه الأرض مفر ولا حذر من قدر (ياسادة) وأحدق بهم من البطارقة عالم عظيم ومعهم السيوف الرقاق والرماح الرشاق فناداهم أبو محمد البطال ويلكم ما بالكم بنا محدقين كانكم علينـــا محمقين ان كان مرادكم منا سوء فدونكم وما تريدون فان من دوننا ضرب يطير الهام عن الأجسام ويهشم العظام والملك غيضورس ما هو ممن يطمع فى أخذ ماله ولا فى قتل رجاله وهلاك أبطاله وان كان قصدكم ان تحدقون بنا حتى نصل إلى الملك بوحنا فها نحن اليه سائرين وعليه معولين واليه قادمين فقالت البطارقة وقد سمعوا

ذلك الكلام ما تم إلا الخير والسلامة وقد أمرنا الملك باحضاركم إلى بين يديه لينظر اليكم وتسلموا عليه فقال الأمير أبو محمد ها نحن سائرين بين أيديكم ونظروا الروم إلى الأمراء وعيونهم تلعب فى رؤسهم وعبرتهم قد خنقتهم والزبد على أشداقهم مثل القطن المندوف وقد أخذتهم الحمية فى دين الإسلام فعند ذلك قال الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد ما أنا حزين إلا على هذه المدينة التى ليس فيها من يوحد الله ولا من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأمير أبو محمد دعنا الساعة من أشفاقك عليها وأنظر ما نحن فيه من الخطر العظيم وأعلم أنى ما قلت ذلك الكلام إلا من باب الاستدراج حتى أنهم يوصلونا إلى الملك ونصير فى القصر ونبذل السيف فى كل من فيه ولعل الله تعالى أن يملكنا إياه فيكون سببا لنجاتنا وأنهم أرادوا بنا كيدا رده الله فى نحورهم وأول من نقتل الملك يوحنا فقال الأمير عبد الوهاب أحسنت يا أبا محمد وفقك الله للصواب ورزقك الله جزيل الثواب فهذا هو الرأى السديد والفعل الحميد (قال الراوى) ثم أن القوم ساروا إلى أن وصلوا إلى باب القصر فنظروا إلى مكان حصين ودهاليز مشتبكة بالبطارقة من كل جانب وفى أيديهم القواضب ودخلوا القوم والأمراء بين أيديهم إلى أن دخلوا إلى القصر وقد تقدم من البطارقة عشرين بطريق إلى الملك وقالوا قد أخذناهم كلهم من غير قتال ولا حرب ولا نزال فنظر الملك ان ذلك حقا وقولهم صدقا فقال ياويلكم أتونى بهم وهم معكم أسارى وفى القيود حيارى فقالوا هاهم يامولانا ما يقدرون أن يمنعون عن أنفسهم ولا يدفعون وقد أحدقنا بهم كما يحدق البياض بسواد الحق فقال الملك لقد أوصلنى المسيح لشىء ما وصل اليه أحد من الملوك فدعوهم بين يدى وأتونى بالملكة أفتونا أبنة الملك غيضورس والراهب شومدرس الذى هو بركه المسيح فى بلاده وعباده فما وصلتم أنتم إلى هذا الأمر إلا ببركته وعظيم وسيلته (قال الراوى) فبينما هم والملك معهم فى الكلام وإذا بالأمراء قد داروا به مثل سباع الآجام وهم كانهم الأسود الضوارع وقد قبضوا على قوائم السيوف ويحرون من أسفه على الجارية افتونا قد بغض الحياه وأشتاق إلى الوفاه وأنقلبت عيناه فى أم رأسه وسيف الحنيفية قد طمع فى الخلاص لأنه صار فى وسط الحصن وهو يقول ما هذا الانتظار وما الذى ترجون من هذا الاشرار أضربوا أنتم هذا الجيش بالصارم البتار وعودوا بعد ذلك إلى الحصار إلى أن يفرج الله تعالى العزيز الجبار مدبر الليل والنهار (قال الراوى) فلما نظر الملك يوحنا إلى ذلك وهو جالس على السرير والأمراء قد قبضوا على قوائم سيوفهم أصفر لونه واضطرب كونه لأن أخبارهم كانت ترد عليه ليل

ونهار ولم يكن فى ملوك الروم كلها أفظع منه قلبا ولا أدبر منه إذا ثار حربا وضربا إلا أن مكانه حصين ومراكبه كثير وأهل بلدته عالم عظيم وكان يطيع لملك القسطنطونية الملك أرمانوس وكان ملتهيا بالأكل والشرب ولا يخطر قط قتال ولا حرب ولا نزال على باله فلما ان رآهم على ذلك الحال مع ما سمع من صفتهم انخلع قلبه فى تلك الساعة ولم يكن له على نظرتهم استطاعه إلا أنه نادى برفيع من صوته على بطارقته ياويلكم ما بالكم وهؤلاء القوم وما الذى حملكم على أخراجهم من مراكبهم ومن الذى أمركم بحملهم إلى ياويلكم أرفعوهم إلى مركبهم وزودوهم بكل ما يحتاجون اليه من زاد وغيره فلا تمنعوهم وعن مرادهم فلا تقطعوهم ولا تحاولوا بينهم وبين أسبابهم فانهم مؤجلون إلى أيام معدوده ولا يقدرون على التخلف من أجلها ولا القعود عنها وهكذا أخبر نسطرونا فى كتابه (قال الراوى) فعند ذلك صاح به أبو محمد البطال وقال يا ابن الانذال وقطاعه الكلاب ما بقى غير تقطيع أقدامك ونهب أموالك وما أتينا إليك إلا لنأخذ رأسك من بين كتفيك ثم أنه كبر ثم صاح الأمير عبد الوهاب وبحرون وصاح الأمير ظالم وزفر وزعق سيف الحنيفية وهدر وصاحت الأميرة ذات الهمة صياح من لم يكن فى قلبه هيبة لمن كفر وفى يدها صارم ذكر فلما نظر الملك يوحنا إلى ذلك الخطر والأمر المنكر نخرى فى ثيابه ووثب من على سريره وقد ملأ البول سراويله وقال ياويلكم من هذا كنت أحذركم دونكم واياهم اذبحوهم ذبح البقر ولا تبقوا منهم بشر فحملت عليهم الرجال ودارت بهم ذات اليمين وذات الشمال وأشاروا اليهم بالصوارم الصقال وجردوها لطلب نهب أرواح الأبطال وهدرت سباع الآجال ودارت رحات القتال وارتجت الأرض بالزلزال وصادمت الأقيال تصادمت الجبال وهرب الملك وهو حاول خراه فى السروال لما أشتغل القوم بعضهم ببعض وكان هروب الملك لباب القصر يريد الخروج فوجد الباب قد غلقه بعض العلوج فقال ويلك ولم فعلت هذه الفعال وغلقت الباب وهؤلاء أذاقونا أليم العذاب فقال وحق المسيح ما غلقت الباب إلا حتى توقعهم فى العذاب والهلكه ولا يكون لهم من هذا المكان مخلص ولا يجدوا لهم إلى بلادهم طريق سالكه وقد تمت عليهم الحيله وبليوا بليلة طويله ووحق المسيح ما نعلم المفاتيح فى أى المواضع فأيقن الملك بالعذاب الواقع وبقى مثل الوالهة الثكلا أو الحبة على المقلا هذا والسيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وقد خرجوا بعض البطارقة منهزمين طالبين الباب فوجدوه مغلوق وبالاقفال موثوق فقال لهم يوحنا إيش الخبر فقالوا وما عسى أن نقول لك وأنت كنت وصفت لنا صفاتهم إلا اننا نحن ما صدقنا حتى تم علينا هذه الكائنة من هؤلاء الشياطين افتح لنا الباب حتى نخرج ولا تدخل فقد بلينا بما لا طاقة لنا به وان

وقعنا هلكنا كلنا فقال يا ويحكم وأنا والله أطلب من قلكم الخروج فلم أقدر فجعلوا يضربون الاقفال بالسيوف فبينما هم كذلك وإذا ببطريق قد خرج اليهم وقال ياقون إن المفاتيح فى الموضع الفلانى فأخذوا المفاتيح وفتحوا الباب وخرج الملك وصاح فى الناس ويلكم ادخلوا الحصن وادركوا أصحابكم فقد هلكوا أجمعين على يدهؤلاء المسلمين (قال) فعند ذلك هجم أهل البلد يطلبونه وقد خرج من كان عندهم وهم هاربين بين أيديهم وقد تبعوهم الأمراء حتى وصلوا إلى الباب الذى للقصر وقد بطحوا على الباب عالم عظيم فلما وصلوا إلى باب القصر قال الأمير أبو محمد للامير عبد الوهاب أيها الأمير ادرك أنت وأصحابك وان قدرتم على غلقه اغلقوه فان العالم كثير لا يحصى ولا لنا طاقة بهذا العالم الكثير وتكل سواعدنا من المضارب فعزم الأمير على ذلك من غلق الباب وعلم أن ذلك هو الصواب وهم على مثل ذلك وأهل البلد يحولون بينهم وبين الباب وهم قد علموا ما فى نفوسهم فقاتلوا قتالا شديد ما عليه من مزيد وقطعت العلاصم وعملت الصوارم وعظمت العظائم إلى أن دفعوا الأمراء إلى ورائهم فكثرت الرجال عليهم فعند ذلك خشيت الأميرة ذات الهمة على الأمير عبد الوهاب وأصحابه وحسبت ذلك من طريق الاخبار فعدلت إلى الباب فنادت باصحابه يا ويلكم ابروا الرؤس بالبتار وحلوا بمن يأتيكم من الكفار البوار واصبروا صبر الأبرار فى طاعة الملك الجبار وإلا وأنتم هالكون لا محاله ودعوا عنكم الاطاله فعندها كبر الأمير عبد الوهاب وكبرت الأميرة فأجابوا المسلمين نداهما بالتهليل والتكبير والثناء على اللطيف الخبير والصلاة على البشير النذير وجعلوا يوحدون الله فى موضع ما سمع قط فيه التوحيد من غيرهم فأجابهم القصر من أربع جنباته وجاوبتهم أرض تلك الديار فى توحيد الملك الجبار هذا والأمراء قد ضربوا القوم بالسيوف وسقوهم شراب الحتوف إلى أن أخرجوهم من الباب صاغرين وعلى أعقابهم منهزمين ووقفوا على الباب وأرادوا غلق الباب فحملوا عليهم أهل البلد نوبة أخرى وهم أكثر من ألف بطريق بالعدد الكامله والسيوف الفاصله هذا والأميرة قد حميت فى مجالها ومقالها واشتهرت بشعرها وكلامها من نثرها ونظامها وجعلت تقول :

ألا مخبرا عنى خيار عشيرتى	بأنا نصرنا الدين فى البر والبحر
وكنا كامثال الســباع جوائمـا	بكرجانة بعــد المذلة والأسر
وفزنا بنصر الله حتى لقد جرت	دما القوم عند النقب زاد على النهر
وسرنا وقد حزنا من المـال نعمة	من الله ما نوفى بهـا غاية الشكر
وقد سهل الله المهيمـن مركبـا	تراه كمر الريح فى نحوهـا يسرى

إلى بحر نسطاروس ثم تحرقت قلوب صحابى من مراكب ذى الكفر
وزدناهم عنا بحيلة مونس وتاجرنا خير الخداع مع المكر
نعم وأخذنا المال منه بحيلة وسرنا بسير الخيل فى غاية البشر
إلى أن وصلنا بحر أريس بكرة وقد طلع الاصطول من بلد الكفر
ولم نرى فيهم حيلة غير اننا نزلنا وسرنا واقفين على البر
وسرنا إلى كلب النصارى وعندهم لحاقا فأدركناه فى ساحة القصر
فوالله لازالت سيوفى مبيدة رقابهم حتى أوسد فى القبر
وأنصر دين الله ثم نبيه محمد خير الخلق الطاهر الطهر

(قال الراوى) ثم صاحت الأميرة صيحة منكرة وضربت الروم بالسيف إلى أن أبعدت البطارقة عن الباب وقد وقع القتال والذهاب ثم انهم غلقوا الباب فى وجوههم بعد ما حيروا منهم الألباب وصاروا فى حصن حصين ونصر الله الموحدين على الملحدين وأيقن الملك يوحنا بذهاب ملكه وحلول هلكه غير أنه فرحان بسلامة نفسه وقال لأهل البلد لا تدعوا فى البحر مركب إلا وتطلعوه إلى البر حتى لا يعلمون المسلمين على أخذ هذا المركب الذى لهم ويرفعون اليها الاموال ويقلعون فى الليل من باب البحر الذى فى القصر فرفعت المراكب وفى جملتها مركب الامراء وأخرجوا شومدرس من المركب وخلصوه من القيد والكتاف وأخذوا الامراء المجرحين وهم طارق وضيغم ومذبحون وكان مذبحون قد جاءته ضربة قبل نزوله إلى المركب كاد أن يقضى عليه (قال الراوى) هذا وقد وجدوا الراحة من ألم الجراح وما جرى عليهم من حجارة المنجنيق وقد زالوا لهم والضيق إلا أنهم لا يقدرون على قتال ولا حرب ولا نزال فقال الملك لشومدرس من هؤلاء المجرحين الذين هم على الأرض مطروحين فقال هؤلاء أيشم من الذين فى القصر بطبقات هذا ضيغم بن عبد الوهاب ما فيهم أيشم منه وهذا مذبحون بن البطال قصف المسيح عمره فهو مخرب البلاد وميتم الاطفال وهذا طارق الحجازى وهو من أبطال المسلمين وأقيال الموحدين والرأى عندى أنك تنادى بهم وتقول لهم اخرجوا من قصرى على اننى أعطيكم مركبكم وأصحابكم الثلاثة وأحلف لكم أربعين يمينا على أننى لا أغدر بكم ولا أطلبكم بسوء غير أنكم ترحلون كما تختارون وتريدون ولا آخذكم من الاموال التى معكم ولا درهم وآخذ الجارية افتونا وصاحبنا شومدرس فما نخليه لكم يغضب علينا المسيح وتتلف أرواحنا ولا تتحدث الملوك عنا باننا أخذنا جارية من بنات الملوك ثم أعطيناها لهم وإن أنتم أبيتم ذلك وحق المسيح أضرب رقاب هؤلاء الذين

عندى من صحابكم ومعلوم أنكم ما تقدرون تنزلون من أماكنهم ولو أنتم عشرين سنة مالكم من هذا الحصن مخرخ ولا سبيل لكم إلى الفرج فقال الملك أحسب انى قلت لهم ذلك فأجيبهم اليه وتمضى معهم هذه الاموال فقال شومدرس دع هذا القول انما أقول لك ذلك حتى يخرجوا من باب الحصن وبعد ذلك نغدر بهم نحن وأهل البلد لانهم خلق كثير فكم جهد هؤلاء يقاتلون ويناصلون (قال الزاوى) فلما سمع الملك كلام شومدرس قال لقد صدقت ولكنهم فى مكان يمنع عنهم وعندهم الزاد والماء وكلما يريدون شيء يكفيهم سنة كاملة وعشرة وما فى مكان يمنع عنهم وعندهم الزاد والماء وكلما يريدون شيء يكفيهم سنة كاملة وعشرة وما فى القضر لاحد فيه مطمع ولا حيلة لنقب ينقب فقال شومدرس أيها الملك اياك أن تذكر شيأ من النقوب فما أبلى أصحابنا ورجالنا الاشؤم النقب المنقوب وعندها أمر الملك بطريق من البطارقة أن ينادى بهم بما أشار به عليه شومدرس الملعون ففعل ذلك وكانوا الأمراء قد تارت عليهم النسوان بالسلاح من كل مكان وطلبوا قتالهم من كل جانب مثل السلاهب فقالت الأميرة هؤلاء النسوة ما يمكننا قتالهم لأننا مامنهيين عن يتل النسوان والرهان فقال الأمير أبو محمد أمرنا بذلك بشرط انهم لا يقاتلونا وأما إذا قابلونا الرهبان والنسوان بالحرب حل دماؤهم وهكذا سألت الأئمة من علماء بغداد فافتونى بهذا الجواب فقالت الأميرة الحمد لله على دين الاسلام (قال الزاوى) ثم انهم بعدذلك صاجوا النسوان وبذلوا فيهم السيوف وانهزموا إلى البيوت وهن مولولات وإلى المخابىء والسراديب داخلات (ياسادة) ثم أن الأمير صعد إلى البراجين اللذين على الباب الذى للقصر وصعدت الأميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال وبقية الامراء أسفل الحصن خوفا من النسوان لما قد رأوا منهن من الشدة والمدافعة فلما وقف الامير على البرج سمع النداء قال لهم الامير ما بالكم فقالوا اله بالكم تأخذوا امركبكم وكل ما كان فيه وجميع أصحابكم ثم أعادوا عليه ما جرى من الكلام ثم حملوا الامير ضيغم ومذبحون وطارق وأشاروا اليهم بالسيوف فقال الأمير عبد الوهاب للامير أبو محمد إيش تقول فى هذه القصة فقال هذا كله من يير شومدرس ولو فعلنا ذلك وأجبناهم إلى ما طلبوا لكانوا يغدرون بنا إلا أننا إذاخرجنا حملوا علنا ولو حلفوا لنا ألف يمين غدروا بنا ولكن الباري عز وجل قد أخبرنا عن الكفار انهم لا يرعون ذمة ولا يحفظون حرمه فقال الامير عبد الوهاب فكيف يكون العمل وهم معولين على قتل ولدى ضيغم وولدك مذبحون وطارق الحجازى فقال الامير أبو محمد اصبر على قليل حتى أقول لك ما يكون ثم أنه نزل إلى الحصن وقال للامير

سيف الحنيفية يا أمير جرد حسامك واتبعنى فجرد سيفه وتبعه إلى أن لقى بعض النساء فسألها عن بيت الملك يوحنا فدلته عليه فدخل الامير أبو محمد البطال على امرأة فيه وقال لها انى تعلمى أن يوحنا من خارج القصر وأنتم الساعة فى قبضتنا وملكنا وانى أريد زوجة الملك يوحنا وأولاده فأشارت له إلى دار صغيرة وقالت هم فى هـــذه الدار وأشارت إلى ستر مسبل على باب كبير فدخل أبو محمد إلى الدار فوجد جماعة من النسوان وبينهن جارية كانها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية وبين يديها ثلاثة أولاد وهم يبكون وهى تقول لهم بالرومى لا تفزعون فان أباكم سالم وعساكره كثيرة وهؤلاء المسلين قليل (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد ذلك قال والله هذه زوجة يوحنا وهؤلاء اولاده لامحاله ثم أنه قبض على الثلاثة أولاد والجارية وقال لها قومى فقامت هى والأولاد وهم يبكون وكانوا بيض الوجوه سود الشعور ثم أنه صعدبهم إلى الابراج فقال الأمير عبد الوهاب ما هؤلاء يا أبا محمد فقال أولاد الملك يوحنا وزوجته وبالله لو أن هؤلاء أولادى وزوجتى لكنت فديتهما بما أملك لاسيما هؤلاء الأولاد الذين هم مثل البدور ثم أنه أشرف على الملك يوحنا وأوراه أولاده وهم يبكون وقال له يا عدو الله أقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين ونصر نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم يوم حنين أن سال من أصحابنا نقطة دم لابد لى أن أرميك بروس هؤلاء الثلاثة وهذه الجارية وأن أكرمتهم فنحن نفعل بهم كذلك (قال الراوى) فلما سمع النداء ونظر إلى أولاده وزوجته وقد تغيرت ألوانهم وشقت أحوالهم نادى وقال يا مسلم بحق المسيح لا تفعل فما يبدو منا إلى أصحابك سوء ولا يكونوا عندنا إلا مكرمين ما دمتم فى هذا الحصن الحصين إلى أن نبصر ما يكون منا ومنكم فقال الأمير أبو محمد وهؤلاء الذين هم عندنا كذلك ونحملهم إلى دارهم التى كانوا فيها ويكونون محترمين فقال لهم الملك فهل لكم أن تأخذون افتونا والراهب وتخرجون شومدرس والمال ومركبكم وتقلعون من عندنا وحق المسيح ما نتعرض لكم بحال من الأحوال فقال أبو محمد للملك نحن ما نثق بايمانكم لأنكم تحلفون وتكذبون (قال) فلما سمع الملك منه ذلك قال فكيف الوصول لما تثقون به فقال الامير أبو محمد المركب الذى لنا وكلما كان فيه يعود اليه وتسيرون به إلى جانب الميناء من باب البحر ثم ننزل نحن فيه وتكون مراكبكم على البر على حالها وتحلف لنا بعد ذلك بما أريد على أنى أستحلفك أن لاتغدر بنا ولا تأمر أحدا يغدر بنا فقال سمعاً وطاعة (قال) وكان ذلك الذى حمل يوحنا على هذا الكلام محبة زوجته وأولاده لأن زوجته كان لها وجه مثل ضوء الصباح إذا طلع أو البدر إذا بزغ وكان محبا لهاأوثقابها

وما للروم حديث الا فى حسنها وجمالها (قال) فلما أجاب الملك الى هذا أيقن أبو محمد أنه ظفر به واذا بالبحر قد أمتلأ بالمراكب والقلوع مثل الطيور أو مثل أجنحة النسور وهم معلقين من سائر الأماكن والجهات وكانت هذه المراكب الواصلة مراكب الملك نسطورونا ومراكب الملك غيضورس خلفها (قال الراوى) فلما نظر الملك يوحنا الى ذلك قوى قلبه ونفسه وما كانت الا ساعة حتى وصلت المراكب والأسطول وألصق الى البلد ومشوا الى البلد يوحنا ففرح بهم الفرح الشديد الذين ما عليه من مزيد وقال لهم لقد جرى على من هؤلاء المسلمين أمر عظيم وأعاد عليهم القصة من أولها الى آخرها فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقالوا له كيف تركت هؤلاء يدخلون الى الحصن وأنتم تعلمون أن ما فى الدنيا قياسهم ولا فيكم قوة لهم فقال الملك كلما جرى على من أصحابى لأنهم هم الذين ساقوهم الى أن توسطوا المكان وسيوفهم معهم وأيديهم على مقابضهم ثم أنهم بعد ذلك أعتمدوا على ضرب الرقاب وقتلوا الرجال والاقران ولولا انى هربت كنت هلكت كما هلك الملك غيضورس (قال) فلما سمع القوم ذلك الكلام قالوا له فازحف اليهم السلالم ونصعد نقاتلهم وننصب اليهم من كل جانب فقال الملك وحق المسيح لقد كانت هيبتهم فى قلوبنا والساعة قد ذهبت بوصولكم إلينا وما قد ذكرتموه لنا وما كانت إلا ساعة حتى وصلت مراكب غيضورس وأرست مراكبهم ونزلت منها الرجال ووقفوا حول الحصن والقصر فنظر الأمراء إلى ذلك فعظم ذلك عليهم وقالوا ما يمكن أن يكون فى الأرض أكثر طلبا منا هذا وان الروم قد قالوا أن هؤلاء الشياطين فرسان العرب فى طولها والعرض وقد أخربوا البلاد وأهلكوا العباد هذا واللعين شومدرس قد قويت نفسه وقال وحق المسيح لو لم تصلوا إلينا لكان هذا الملك يوحنا سلمنى للمسلمين والآن فانكم الساعة فى عدد التراب فدونكم واياهم فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم قطعوا الأخشاب وعملوا السلالم وزحفت الرجال من كل جانب ومكان فقال الأمير عبد الوهاب انا لله وانا إليه راجعون فقال الأمير أبو محمد ما حالك أيها الأمير فقال ما ترى قد زحفوا إلينا وربما تفرقوا على الأبراج وملكوا علينا القصر فقال أبو محمد الساعة ترى العجب ثم انه أخذ الملك بحرون وسيف الحنيفية ونزل فما نزلوا فى الحصن إلا وأتوا إلى زوجة البطريق وأخرجوها من منزلها ورفعوهم على الأصوار ثم نادوا يا كلاب النصرانيه وأخس من غمس فى ماء المعمودية ان ألصقتم إلينا برج أو سلم أرمينا كم برؤس هؤلاء القوم (قال الرواى) فلما سمعوا البطارقة الذين بيوتهم فى الحصن عن البطال هذا المقال قالوا وحق المسيح ما هذا صواب ولا نفعل نحن

هذا الأمر أبدا وما فى الأمر إلا أن ندبر الصلح بيننا وبينهم على كل حال ويأخذون مركبهم وأموالهم وأصحابهم الثلاثة ويأخذوا الراهب شومدرس وافنونا لا غير ونحقن دماء الروم وإلا خربت الاطلال والرسوم فقالوا أصحاب الملك نسطرونا نحن ما نفعل هذا الفعال ولا لاجل نساءكم أنتم تخلوهم سالمين بل نأخذ منهم بالتار ونكشف العار ولابد لنا من قتالهم على كل حال فدعوا عنكم القيل والقال هذا وشومدرس يحرضهم على يوحنا بمقاله وفعاله ويقول لهم ما أنتم فسوف تنالون من المسيح الثواب العظيم لاسيما أن أخذتم هؤلاء الشياطين وأرحتم منهم الروم أجمعين (قال) ولم يزل بعضهم يقول نعم وبعضهم يقول لا حتى ارتفعت منهم الأصوات وعلت الضجات ووقع بينهم الخلف والزعاق وقامت الدنيا على ساق وقد شهرت السيوف الرقاق والرماح والرشاق ومالت البطارقة من أصحاب يوحنا على بطارقة نسطرونا وبطارقة غيضورس وكانوا أهل كرجانه قد قدموا عليهم بطريق كانه الفتيق يقال له قسطه بن صصطاليق وكان بطلا لا كالابطال ورجلالا كالرجال والروم تضرب به الأمثال (قال الراوى) فحمل بعضهم على بعض حتى امتلات من قتالهم الأرض فقوم يقاتلون من أجل نسوانهم وقوم يقاتلون من حمقهم على المسلمين فيالها من ساعة كشف الموت وفيها قناعه ولقد عملت فيها عصوارم فى الجماجم وقامت القيامة بين كل قاعد ونائم وقد امتلات الأرض بالعوالم وهم بين معطوب وعاطب ومغتوم وغانم ومهزوم وهازم وارتجت الأرض فى الطول والعرض (قال) ورأت أفتونا تلك العظائم وقد ازدحمت العوالم فخافت أفتونا من تلك المصائب على نفسها وأخذت حسام وحملت طالبه الملك يوحنا تطلب قتلة لأنها قدغضبت من فعله هذا وشومدرس قد أخذ من البطارقة عشرين بطريق وقال لهم أدلكم الساعة على فتح الحصن وخلاص أولادكم ونساءكم فقالوا وكيف ذلك ياأبونا فقال لهم ضيغم ولد الأمير عبدالوهاب ومعه مذبحون ولد البطال الكذاب فهذا الأمير الآخر الذى يقال له طارق الحجازى وهو مريض من شدة حجارة المنجنيق وهم على تلك الصفة مطروحين ما يستطيعون حركة مما جرى عليهم من هذا الجميع وكان الملك يوحنا قد عزم على قتلهم برأى فأرادوا يقتلوي زوجته وأولاده فلأجل ذلك استبقاهم فدونكم أنتم وإياهم (قال الراوى) فلما سمعت البطارقة من شومدرس هذا الكلام صلبوا على وجوهم وقالوا لقد صدقت ياأبونا وإذا نحن قتلناهم فقد أخذنا بعض تارنا منهم ثم انهم قالوا وحق المسيح هذا الرأى يكسر قلوب المسلمين فعندها سار شومدرس ومعه العشرين بطريق إلى أن اوصلهم إلى عند ضيغم فرآه وهو جاثم على ركبتيه يشهد تلك القصة

بعينيه وكان الامير ضيغم يقول لاصحابه لكم البشارة فان الله تعالى قد أرمى كيد الفجار فى نحورهم والساعة يفنوا بعضهم بعضا ويبقوا صرعى على وجه الارض (قال) فبينما ضيغم مع اصحابه فى الخطاب إذ حانت منه التفاته فنظر إلى شومدرس ومن خلفه عشرين بطريق وفى أيديهم القواضب فعلم ضيغم أن القوم ماهم قاصدين إلا اليه واصحابه فقال لاصحابه هذا شومدرس قد اقبل الينا وهو يريد قتلنا فلما سمعوا ذلك قالوا كيف العمل وقد سلمنا نفوسنا إلى الله تعالى يفعل بنا ما يشاء ويحكم ما يريد ونحن كنا هالكين وانما الله تعالى قد اعاد علينا العافية بلطفه وكرمه وما فينا من يدافع عن نفسه فقال ضيغم والله ما أموت هكذا وما أسلم روحى حتى آخذ بثارى فانى بحمدالله قد وجدت الراحة ومد ضيغم نظره فوجد اسقاله بالقرب منه وقد كانت فى بعض المراكب فمشى اليها وأخذها بيده وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وقرش على أضراسه وعملت نخوة العرب فى أساسه (قال الراوى) فلما نظر الملعون شومدرس إلى ذلك ضحك ضحك وقال قد خشى ابن الأسود على روحه ولاشك انه لما رآكم قد حسب حسابكم فلا تخافون منه فانه قد داخله الفزع والخوف والرعدة وإنما يظهر لكم الجلادة من أسفه على الحياة وشفقته على نفسه من الوفاة فدونكم وإياه فهو أخس من أباه (قال الراوى) فلما سمعوا البطارقة كلام شومدرس هجم واحد منهم على ضيغم يقال له دوفاس ورفع السيف فى يده ليضربه فلقيه ضيغم بعزم معود لهذه المقامات والأمور وقد رفع الأمير ضيغم الاستقالة بما أعطاه الله تعالى من القوة والحيل وضرب البطريق بها فوقعت الضربة على رأسه فخسفت منه الضلوع مع المعاطس ونثرت الاسنان والمضارس فصاح واحد من البطارقة أواه أواه لو أن مثل هذه الضربة لشومدرس لكان قد انهدم أساسه وعدمت أنفاسه ثم قال له ويلك يامن قد ظهر كذبه وعيبه هذه ضربة من كان يأكل على جنبه فلا ستر المسيح عليك ما أقتلك للرجال وأهلكك للابطال والاقيال بالكذب والمحال فكيف لو كانت ضربته وهو يأكل وهو قاعد فما أكذبك من بين الرهبان وكل من يسمع منك فهو حيران تعبان ومن يقعد عند الملوك فى المجالس ويتبركوا به فى الصوامع والكنائس يكذب على كل قاعد وجالس (قال الراوى) والبطريق مع شومدرس فى الكلام وإذا بضيغم قد هجم على آخر هجمة الأسد الضرغام وضربه بالاسقالة على صدره كسر فقارات ظهره وطحن العظام ثم ضرب آخر هشم وجهه وأسقاه كاس الحمام وضرب آخر على كتفيه كان سببا لحتفه فلما رأى باقى البطارقة ذلك ولوا منهزمين وعلى أعقابهم راجعين (قال) هذا كله يجرى والأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال يشاهدوا من ضيغم تلك الفعال وقتله للرجال فباس الأمير الأرض شكرا لله تعالى وقال يا أبو محمد

أريد منك أن تمضى إلى ذلك البرج وخذ معك هذا الترس والسيف وارميهم إلى ضيغم فما آمن عليه من هذا الملعون شومدرس أن يرجع إليه برجال كثيرة وولدى على كل حال مجروح وهو جسد بلا روح فقال البطال لقد كنت معولا على هذه الفعال (ياسادة) ثم أن أبو محمد البطال أخذ السيف والترس وتقدم إلى البرج الذى مقابل ضيغم وصاح به أحسنت يا ضيغم لله درك فلقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل بفعلك الجميل فخذ هذا السيف الصقيل والترس النبيل ثم حذفهما إليه ففرح ضيغم بذلك وصاح أبو محمد بولده مذبحون وقال له يا ولدى كيف أنت فقال يا أبى أنا صالح الحال بفضل الله ذو العظمة والجلال وانى ما أقدر أن أدفع القتل عن نفسى أو أمانع فقال له البطال أحسنت ياولدى فى هـــذا المقال فاننا ما فينا لحرب ولا قتال ثم أن البطال صاح بضيغم وقال يا ولدى قاتل عن رفقاك وكن شبيه أباك فقال له ضيغم أنظر العجب منى ومن هؤلاء الكلاب وإن لم أشفى قلبى منهم ما أنا ولد عبد الوهاب (قال الراوى) ثم أن أبو محمد صاح بطارق الحجازى يا طارق كيف أنت يا فارس المغارب والمشارق فقال قد حقت الحقائق فوالله انى كنت على غاية الضعف حتى رأيت قتال الأمير ضيغم فشد قلبى للحرب ولقد ورد على قلبى من ذلك سرور عظيم ولقد زادت روحى حيل ونشاط وقوة وانبساط وصار قلبى مثل الجبال فارمى لى مارميت لضيغم فانى والله ما أقدر أحمل الاسقالة التى حملها ولا أطيق شيلها فعند ذلك رمى له البطال سيف وطارقة فأخذهما وعاد إلى مكانه ولم يعلم أحد من الروم بشأنه (قال الراوى) هذا والسيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل وقد قتلوا بعضهم بعضا وقد بقى أكثرهم ملقى على وجه الأرض ولم يزلوا كذلك حتى أظلم الظلام وافترق الجمعان وقد قتل من الطائفتين زهاء عن ألفين وعادت كل طائفة إلى مكانها وأضرمت نيرانهـــا ونظر شومدرس إلى ذلك الحال فقال فى نفسه أنا الذى أوقعت بينهم الحرب والقتال ومالى إلا الصلح بينهم وأطفىء هـذه الفتنة وإلا وقع فى طوائف الروم المحنة وما تدور هذه الدائرة إلا على ويكون هذا مراد الأعداء ويفنوا هؤلاء الطوائف بعضهم بعضا وتخلو منهم هـــذه الأرض وأقع أنا فى أيدى المسلمين ويقطعون قفايا بالطول والعرض (قال الراوى) فعند ذلك تقدم إليهم شومدرس وعتب عليهم غاية العتب وقال لهم قال السيد المسيح قالت السيدة مريم قال مريحنا قال شمعون قال مركوركيس ولا يزال الملعون على هذا الحال وهو يقول لهم هذا المقال إلى أن أوقع بينهم الصلح وقد حلفوا إنهم لا يتعرضون لبعضهم البعض بقتال ولا يباشروا بحرب ولا نزال إلى أن يأتى الملك نسطورنا ويفصل هذا الحال (قال) فعند ذلك قال البطريق

قسطه للملك يوحنا أريد منك أن ترسل إلى الملكة أفتونا على حاجة بها وتقول لها انى ما فعلت هذا إلا من أجلها ونحن ما نقعد عن نصرتك فقال يوحنا إن أفتونا ما أسلمها إلا لمن يكفينا شر هؤلاء المسلمين الذين ملكوا حصنى وعندهم زوجتى وأولادى أجمعين وانكم إذا أخذتم أفتونا أخذتم روحى وأموت من وقتى وساعتى (قال الراوى) فلما سمع قسطه هذا الكلام علم أن هذا ما يفعله يوحنا ولو شرب كاس الفنا وانه إن شاقفه وقع السيف بينهم وانه لما إيس قسطه من يوحنا أرسل الملك نسطرونا يعرفه بذلك ويقول له أيها الملك إن أردت الجارية أفتونا فسر إليها بنفسك فان المسلمين قد ملكوا حصن يوحنا وتحصنوا فيه وعندهم ما يحتاجون إليه من زاد وغيره ونحن من حولهم ما نقدر على قتالهم بسبب أولاد البطارقة وأهلهم وجميع أهل الملك يوحنا فى القصر مع زوجته وأولاده وهم عند المسلمين مثل الاسارى وقد جرى بيننا من الحرب ما لانهاية له وقتلوا الرجال وأبادوا الابطال ولا تسأل عن هذا الحال فقد أفنوا من الروم والاقيال (قال الراوى) هذا وشومدرس ماله دأب إلا انه يحرض الروم على قتال الأمير ضيغم فلم يجبه يوحنا إلى ذلك وأقام الروم على ماهم عليه أربعة أيام لايجرى بينهم قتال ولاحرب ولا نزال (ياساة) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمراء فان الأميرعبدالوهاب اقبل على البطال وقال له والله ان قلبى مشـغول على الأمراء المجروحين الذين مع الروم وانى أخاف أن يكونوا أرسـلوا إلى ملك الملافطه يأتى إلى هاهنا فى عالم عظيم ويغلبوا على يوحنا وربما قتلوا الاسارى بغير أمر يوحنا وعلى رغمـه ووالله إن كل واحد من هؤلاء الثلاثة أحب إلى من كل من فى بلاد الروم فقال البطال والله العظيم هذا الذى خطر ببالى خطر ببالك مثله سواء بسواء وحسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا الكتاب ورأيت من الرأى أن أنزل الليلة أنا وغلامى لؤلؤ ويانس ولعلى أن أقدر اسرقهم وتكونوا أنتم على البرج الثانى ونأتى واحد بعد واحد فاذا فعلنا ذلك وحصلوا عندكم ربما أقمنا فى جملة الروم حتى ننظر مايكون فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب ونحن نؤمل من الله تعالى تمام هذا الأمر إن شاء الله تعالى وأقام البطال إلى الليل وقد عول على النزول وقد تظاهر بزى أهل المدينة وكذلك غلامه لؤلؤ ويانس وشدوا الحبال فى أوساطهم ونزلوا وساروا حتى أختلطوا بالروم فوجدوهم يتحدثوا بما قد وجدوا من القتال والحرب والنزال وما قد نالهم من التعب والملال والملك يوحنا يقول لقسطه لو أعطيت افتونا لك لقتلوا المسلمين زوجتى وأولادى ولولا افتونا كانت معهم فى المركب ماأمرت قومى أحدقوا بالمركب وأن يقلبوها فى وسط البحر بالكلاليب واستوى

عندنا فى ذلك البعيد والقريب وما كان جرى علينا شيء من التعذيب فقال قسطه ما لأحد مفر من القضاء والقدر وهذا كله ما يدوم إلا بمقدار ما يأتى إلينا الملك نسطرونا ومن معه من بلاد الروم وقد انكشفت عنا هذه الشدة وسائر الهموم ويحصل لنا النصر ويخلص حريم الملك يوحنا ويزول عن قلبه الغموم ويشتفى قلبك أيها الملك بقتل هؤلاء المسلمين فقال يوحنا من وسط قلبه آمين يا مسيح آمين ونأخذ منهم بالثار وينكشف عنا العار فكم قتلوا من أهل دين النصرانية وأفنوا من عباد المسيح وما وصل اليهم أحد بنائل ولا بلغ عدوهم منهم بطائل (قال الراوى) فلما سمع شومدرس منهم هذا المقال زادت نيرانه اشتعال وقال أنتم فى وادى وأنا فى وادى وقد ظن فؤادى فى هؤلاء القوم وأنا متفكر فيما أنتم فيه متفكرون فقالوا يا أبونا نحن متفكرين فيما قد وقعنا فيه من هذا الأمر المغتر وأنت فى أى الأمور تتذكر فقال وحق المسيح أنا أتفكر فى أمر هذا اللص المحتال أبو محمد البطال وأنا خائف أن ينزل من الصور فى الحبال ويتوصل إلى سرقة المأسورين الذين عندنا فقال يوحنا هذا وجه ما للبطال اليه سبيل لأن الموضع صعب المرتقى عالى البنا تقصر دونه الحبال وتعجز عن نزوله الرجال فقال له شومدرس دع عنك هذا المقال فانت مغرور على كل حال فانى أعرف من هؤلاء القوم مالا يعرفه أحد غيرى لأنهم خربوا جميع الأقاليم وتسلقوا إلى الحصون بلا سلالم فقال يوحنا وقد غضب من قوله وحنق عليه أريد من السيد المسيح أن ينزلون هذه الليلة ولا يقعون إلا بك حتى يلطمون قمتك وينتفون لحيتك فما كانت أيشم طلعتك وما برحت ديارنا عامرة حتى رأينا عورتك (قال الراوى) فضحك اللعين شومدرس الضحكة الباردة وقال أيها الملك عفى عنك المسيح فما أنت إلا تقول الصحيح ومعلوم إنك معذور لأنك فى حرج عظيم من القوم وقد ملكوا حصنك سرير ملكك وأولادك وزوجتك وعشيرتك فلا تأس فى حقى ولا تأخذنى فى صحيفتك (قال) فندم يوحنا كل الندم كيف قابل شومدرس بهذا الكلام الذى هو أمر من العلقم وقال له لا تأخذ على أيها الشيخ الصالح بما تكلمت فى حقك من القبائح فقال شومدرس أيها الملك ما عليك فى ذلك ملام وأريدك أن تسلمهم لى والسلام وتخلى لى ولهم بعض هذه الدور حتى أتولى حفظهم وكونهم عندى وما يقدر البطال يجسر أن يتقرب اليهم وعندهم أحفظ مما هم عندك وفى هذا طيبة لقلبى وقلبك وان أقاموا على ما هم عليه فى هذا الموضع ها هنا يخشى عليهم من العدا لأنهم يشاهدون أصحابهم فلا نأمن منهم فقال قسطه لعمرى لقد أتى الراهب برأى صائب وكلام لا يعيبه عائب فقال اللعين شومدرس وحق المسيح

ما أبتغى بذلك إلا الثواب ولا حفظهم مثل حفظ الأهل والأحباب (يا سادة) ثم أن الملعون شومدرس أمر جماعة من البطارقة بحفظهم فقال له قد رأيتم مافعل ضيغم بالأسقالة وأنه قد ملك سيف وترس (قال) فلما سمع البطال هذا الكلام سار مع جملة البطارقة إلى ضيغم فوجده مرمى على وجهه وقد زاد به ألمه وضره وذلك أنه لما ضرب فى وجه البطارقة بالاسقالة ودافع عن نفسه بلا محالة فانفتق عليه الجرح الذى كان قد أندمل وعاد من الوهم إلى ما كان عليه لأجل ما فعل وهذا من مروءته وقد أشرف على التلف فحزن عليه أبو محمد وقام ومشى البطال إلى صوب طارق وهو كأنه الباشق فقد قام قائما على قدميه وظن طارق أن البطال إو بطريق وقد أتى يريد قتلهم فصاح به البطال أمسك يدك يا طارق فما أنا لك مشاقق ولا عدو منافق وقد أتاك الفرج من العزيز الخالق (قال) فلما سمع صوت البطال فقال يا أبو محمد فقال نعم كيف أنت يا أخى قال فى لطف ربى فقال له ابشر فانه جرى ما هو كذا وكذا وهم لابد أن يأتون اليكم فى هذه الساعة ليأخذوكم فلا يمانع أحد منكم عن نفسه ولكن الرأى أن تسلموا نفوسكم فانا أقول أنى أتولى سوقكم والذى حثهم على هذا شومدرس حتى يشتفى من عقوبتكم وأنه وجد فرصة قتلكم ولعل الله تعالى يكون قد عجل حتفه وأن يجمعنا وإياه فى دار واحدة ويفعل الله مايشاء فقال الأمير ضيغم والله مابقى لى قوة انى أنقلب من جنب إلى جنب فضلا أن أمانع عن نفسى فقال له مذبحون مالنا إلا ماقال أبى فهم فى الكلام وإذا بالمشاعل قد أقبلت والبطارقة قد وصلت فقلق الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وقالوا لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم والله لاشك أن الروم قد علموا مكان البطال ومابقى فى الأمر إلا اننا نخرج اليهم ونمانع عن نفوسنا وأصحابنا وإلا هلكنا عن آخرنا فقالت الأميرة لعبد الوهاب يابنى اصبر حتى ترى مايكون وإلا يجىء الأمر بخلاف ذلك وتقع فى بحر المهالك (قال الراوى) ولما وصلوا البطارقة إلى القوم وجدوا ضيغم مكبوبا على وجهه وصاحباه من حوله قعود فصاحوا بهم أهل الكفر والجحود ياويلكم سلموا الينا نفوسكم وإلا ضربناكم بالسيوف وسقيناكم كاس الحتوف وسيروا حتى نحملكم إلى مكان تكونوا فيه آمنين محفوظين حتى ننظر مايكون فقال لهم مذبحون هانحن بين أيديكم افعلوا بنا ماشئتم فوالله العظيم إن شالت منا نقطة دم فهى بروح كل من فى القصر وبعد ذلك ماتكونوا آمنين على نفوسكم فقال شومدرس نحن على الصلح معولين وندبر أمركم حتى تعودوا إلى أهاليكم سالمين (قال) ثم ان البطارقة دنو منهم بأمر شومدرس وقال خذوهم وكان أول من قبض على مذبحون البطال وقد آلمه فعله وأوجعه مسكه فقال له ياويلك

لاتكون أحمق قليل العقل فلما سمع أبو محمد من مذبحون ذلك المقال ضحك وقبض لؤلؤ على ضيغم وقبض يانس على طارق وجعلوا يسيرون بهم والبطارقة من حولهم إلى أن دخلوا إلى دار عظيمة شاهقة البناء واسعة الفناء ودخل إلى تلك الدار عشرين من البطارقة وفى جملتهم البطال وغلامه لؤلؤ ويانس وشومدرس معهم فعند ذلك أمر شومدرس أن يشدوا الثلاثة ويقيدوا فأتوا بثلاثة قيود فعند ذلك تقدم البطال ووضع القيود فى أرجلهم (ياسادة) وكان البطال قد سلخ بعض البطارقة من دقنه وكانت دقن كبيرة بعوارض طوال كبار وأخرج له شوارب غطوا فمه وخرج فى صورة لو رآه ولده لم يعرفه فأول ماقيد مذبحون وجعل يقعقع الحديد بعضه فى بعض ويلطمه على وجهه ويقول له ياسرجيل يارتين يعنى ياملعون ياخنزير أنت قتلت ولدى وأخى ولوكان الآمر لى قطعت فى هذه الساعة رأسك وأخمدت أنفاسك ودع يجرى مايجرى (قال الراوى) فأعجب شومدرس ذلك الكلام وقال له أحسنت ياعبد المسيح أن من لطم مسلم لطمه له فى الجنة كل نعمة وأن من ضرب مسلم ضربة له فى الجنة أعلى رتبه (ياسادة) فلماسمع البطال من شومدرس ذلك المقال صار يبكى ويدمع عينه ولم يزل البطال حتى قيد الثلاثة فقال له الملعون شومدرس هذا فعل جميل ولأجل هذا تنال فى الجنة أعلا المنازل وتشرب من عين السلسبيل ثم قال شومدرس له أنت حفظهم ياعبد المسيح وكن رجلا مليح ثم ان شومدرس أمر تلك البطارقة أن يخرجون من الدار وقال لايبقى ههنا أحد إلا هذا العزيز والبطريق الحريز (يا سادة) وقد أخرجت البطارقة وفى جملتهم لؤلؤ ويانس ولم يبق الا البطال فأقبل عليه شومدرس وقال له يابنى ما إسمك قال اسمى تنكيدا فقال له بارك فيك المسيح ياتنكيدا ثم جعل شومدرس يقرأ له شيئا من الانجيل وما أخبر المسيح وما قال شمعون والحواريون وتنكيدا يبكى بكاء شدايدا ويقول لشومدرس وحق المسيح وحق الصليب والصلبوت لو قلت لى أقتل الملك الذى ربانى لفعلت ولو قلت لى موت لكنت أموت لأنى أعلم أنك من علماء الدين لايجب أحدا يخالفهم فى هذا الحين وانك لاتشير إلا بالمصلحة للروم أجمعين فقال له شومدرس وقد نفذ فيه حكم رب العالمين اعلم يا بنى اننى رأيت السيد المسيح فى النوم وقد أمرنى بقتل هؤلاء اللئام فأشرت على الملك يوحنا بذلك فما فعل لأنه ماحضر قط فى موضع حرب ولا نزال وماهو ملتهى إلا بمعاشرة النسوان فأنا أسئل المسيح أن لايؤاخذنى بذلك الشأن فقال البطال وقد أغلق لسانه وتكلم بلغات الروم المغلقه يا أبونا إذا كنت أنت معول على ذلك فأنا مساعدك عليه وان أردت كان فى هذه الساعة فقال شومدرس اما فى هذه الساعة فلا يمكن ذلك إلا انه إذا

وصل الملك نسطرونا واشتغل الناس بعضهم ببعض أنا أفعل ذلك وتكون أنت فى هذا الثواب مشارك لأنى سمعت عن مريحنا المعمدان انه قال من ساعد أخيه على قتل مسلم أعطيته خمس فدادين فى الجنة فجعل البطال يحرك رأسه ويقول السمع والطاعة أيها الراهب الذى عمت بركته المشارق والمغارب ولكن يامولاى أنا أمضى إلى موضعى إلى أن يأتى الملك نسطروانا وأعود اليه فقال له شومدرس ياتنكيدا ياولدى بقى شىء واحد فكن لى فيه معين ومساعد فقال له البطال وما هو ياأبونا فقال اعلم ياولدى ان هذا الاسود ابن عبد الوهاب وهذا الاشقر ابن البطال أريد أشتفى منهم فى هذه الساعة بالضرب الشديد العظيم وأعذبهم العذاب الأليم كما فعلوا بى فى حصن كرجاه وقد ضعفت قونى من ذلك وأريد منك المعاونة ولا تعلم يوحنا وهذا يكون فى عنقك أمانة فعندها قال له البطال على كلما تريد وأنا بين يديك أطوع من العبيد ولكن أصبر على قليل إلى أن آتى باخوتى يساعدونى على ذلك وأقضى حاجتك وحاجتى وانى معى ثلاث سياط ويكون كل واحد منا لواحد منهم وتسمع ذلك الوقت صياح وعياط فتبسم اللعين شومدرس من كلام البطال وأعجبه ذلك المقال وخرج أبو محمد فى الحال فوجد لؤلؤ ويانس على الباب واقفين وهم خائفين على البطال من شومدرس الكذاب لئلا يعرفه لسبب من الأسباب وسمعوا ما جرى بينهم من الخطاب وهم يتعجبون من ذلك غاية العجب ويقولون مافى الدنيا مثل مولانا البطال فهم فى الكلام والبطال ينادى لؤلؤ فقال نعم يامولاى والله لقد كنت خائف عليك من هذا الملعون لئلا يعرفك ويسقيك كاس المنون لأنه عقبه الثانى فى الخبث والمكر واللؤم فقال البطال اسكت يالؤلؤ إذا نزل القضاء عمى البصر ومع ذلك فانى غيرت كلامى وأغلقت نظامى حتى لو سمعتنى أنت لانكرتنى ولو وقفت قدامك ماعرفتنى فخلى عنك الكلام وأمضى من ههنا إلى العسكر وافتقد حالهم فقال سمعا وطاعه ثم ان لؤلؤ غاب ساعة وعاد فقال البطال إش عندك من الأخبار قال يامولاى ان القوم نيام كلهم كأنهم الموتى (قال) فعند ذلك دخل البطال ولؤلؤ ويانس وشومدرس فى انتظارهم فلما دخل البطال قال له شومدرس مرحبا بك ياتنكيدا جئت باخوتك قال نعم فقال أين هم قال خارج الباب قال دعهم يدخلون يعاونوننا على ضرب هؤلاء الكلاب فعند ذلك أمر البطال غلمانه بالدخول فدخل لؤلؤ ويانس أسرع من البرق الخاطف وقبض البطال على حلق شومدرس قوام ولا سمع منه لاحديث ولا كلام وقبض يانس على دقنه ولكمه لؤلؤ ورفسه إلى أن غيب ذهنه ووقع إلى الأرض مغشى عليه ثم وثب اليه البطال وكتفه وقال له يا ملعون نحن نهرب منك وأنت تابعنا كان لك عندنا ديون ثم ان اللعين شومدرس أفاق من تلك الأهوال وهو متشكك فى أمر البطال فقال له

ياويحك أنت اللص البطال قال نعم أنا البطال مجدد عليك العذاب والوبال أنا معدن الخبث والمحال ثم انه وضع الاكره فى فمه وشد يده إلى رجليه شدا وثيقا بعد أن مزق جلده بالضرب تمزيقا ودنا من ضيغم ومذبحون وطارق وفك قيودهم وخرجوا من الدار وأسبل عليهم ستره الملك الستار (قال الراوى) فلما صاروا خارج الباب سبق البطال شومدرس إلى الموضع الذى نزل منه فشد شومدرس بالحبل من تحت ابطيه والأمراء قيام فى انتظاره ثم حرك الحبل فرفعوه وهم يظنوه واحد من أصحابهم وإذا به الكلب القسيس أشبه الخلق بابليس فأخذته الاكف من كل جانب ولطموه إلى أن أشبعوه وقالت الأميرة لله درك يا بطال فقليل مثلك فى الرجال فضحك الأمير من هذا المقال وقال ما أشجعه فى الاحتيال ثم أنزلوا الحبل ثانى طريق فتقدم طارق وقد شد الحبل فى وسطه ورفعوه إلى أن صار عندهم وفعلوا بمذبحون كذلك وأما ضيغم فانه قال مالى إلى الصعود من سبيل ودع يصنع الله مايشاء وهو الملك الجليل وان البطال صعد فى الحبل وترك لؤلؤ ويانس عند ضيغم (قال الراوى) فلما رأى الأمير عبد الوهاب أبو محمد ولم يرى ضيغم قال فأين ولدى ياأبو محمد فانى ماأراه فى جملة الرجال فأعاد عليه الحال ثم قال أنظر ياعبد الوهاب وأخذ البطال عصى وحبال وجعل يشد بعضها إلى بعض إلى أن صارت مثل السلم وطرح فى أسفلها أوتاد حديد مما يلى الأرض ودلاها فلما نزلت تحققها لؤلؤ وعرف معناها فضرب الأوتاد فى الأرض وقال لضيغم يا مولاى اصعد وأنا خلفك أعينك على الصعود فصعد ضيغم كما أمره وطلع خلفه يحاديه إلى أن وصل إلى عند أبيه فقبض الأمير عبد الوهاب على يديه وجذبه صار عنده وقال جزاك الله خيرا ياأبا محمد فأنت العده والعمدة لكل شده بعون الله تعالى (قال الراوى) فعند ذلك قال الأمير أبو محمد للامير عبدالوهاب أخى أنى أريد النزول إلى الروم مرة ثانية فانهم نيام وهم على غير حذر منى وما يامعهم خبر من سرقتى فقال الامير ياأخى ارفق بنفسك ولا تلقيها فى أمر حتى تعرف الخروج منه فقال البطال توكلت على الملك المتعال ونزل البطال ولؤلؤ وأراد بحرون أن ينزل معهم فقال له الامير عبدالوهاب إلى أين يابنى فقال أنزل معهم فلعل الله تعالى أن يظفرنى بافتونا لأن نسطرونا بريه بسيرها فى بعض المراكب ويكون ذلك سبب هلاكى لامحالة فقال له الامير عبدالوهاب يا بنى دع عنك هذا الذى تؤمله وتقوله وأعلم أننا فى شدة عظيمة وطول روحك وكاسر لأننا فى بلاد الغربه وقلة الناصر وقتال وحصار وبعد من الأهل والدار ولولا أن الله تعالى من علينا بهذا الحصن الذى أحمينا فيه نفوسنا لكانوا الروم قد مكنوا منا البتار وكم لنا فى بلاد الروم مثل هذه من وقعة وأخبارها سائرة وكم فى بلاد الروم أيضا مثل

هذه الجارية فان نحن سلمنا كان لك مثل هذه الجارية أفتونا ألف جارية وإن هلكنا فقد جاءنا مالم يكن فى الحساب فقال بحرون يا أبت دع عنك هذا العدل فلا بد لى من النزول مع البطال ثم أن بحرون خالف أبوه ونزل مع البطال لما فى قلبه من الهوى والبلبال ونزل البطال وبحرون ومشيوا إلى أن وصلوا إلى الروم وقد ملؤا ساحل البحر مقدار فرسخ فتقدم البطال إلى الملك يوحنا فعرفه وقد نصب له سرير من العرعر مصفح بصفائح الذهب الأحمر وإلى جانبه البطريق قسطه والغلمان حوله محدقين بهم وهم نيام فتقدم البطال بينهما وعرفهما ثم طفى الشمعة التى عند رأس يوحنا وجثم البطال على صدر قسطه وحط الخنجر على نحره وهمز عليه خلى رأسه فى نحيه وجثته فى ناحية وجعل رأس قسطه عند رأس يوحنا فى الفراش وترك الخنجر على بلعومه ونزل على السرير وخرج إلى لؤلؤ وبحرون فقال له بحرون ماذا صنعت فقال له كذا وكذا وهذا الفعال يحوج يوحنا أن يعطينا كل مركب أردناه على انه لابد ما نضرب المراكب كلها بالنار حتى نأمن الطلب ونسلم من باب المينا فاذا فعل يوحنا ذلك ما نأخذ له من قصره ما يساوى درهم فرد فقال له بحرون ياعماه فكيف تصنع بالملكة افتونا فقال البطال نشرط عليه أخذها (قال الراوى) وبعد ذلك ردوا من عند الروم وهم فرحين وطاب قلب بحرون بما سمع من كلام البطال فهم راجعين إذ سمع البطال فى هدوء ذلك الليل صوت حنين وبكاء أنين يدل على أنه من قلب حزين فتبع الصوت فانتهى إلى خيمة لطيفه وهى على جانب البحر منصوبه وفيها شمعة وفيها جارية كأنها طلعة القمر وهى جانب البحر منصوبه وفيها شمعة تقد وفيها جارية كأنها طلعة القمر وهى جالسة تبكى وعندها عجوز (يا سادة) وكانت هذه الجارية افتونا وأمها وهى تقول لها يا بنتى قلى من بكاكى فقد آلم قلبي شكواكى فقالت لها افتونا وكيف لا أبكى وقد قتـــل أبى وقد عدمت عزى ومنصبى فقالت لها أمها يا بنية لولا أن القوم معهم الحق لما نصرهم الله على كثرة هذه الخلق وهم ناس قليل وأعطاهم الله هذا العطاء الجزيل فقالت لها افتونا لعنكى المسيح قد غلب شركى على خيركى وما كان سبب نجاة المسلمين من القصر غيركى ولولا أنى أخاف من المسيح ويقال عنى أن فلانه قتلت أمها لكنت سارعت الساعة إلى خنقكى ولكن قد أمرنى المسيح بطاعتكى فسكتت أمها عن ذلك والبطال واقف وبحرون يقول له أدخل بنا والبطال يقول له أصبر يا بنى ولا تعجل فانا لو دخلنا اليهما ما كان لنا قدره بهؤلاء ولا طاقة لك بحربهما وان كان لنا بهما طاقة وقدرنا عليها صاحت برفيع صوتها فتثور الينا الرجال من كل مكان ويعظم الأمر والشأن ونقع فى

الحيرة والحرمان فاصبر معنا ساعة ترى العجب ويجعل الله لكل شي سببا ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب فقال بحرون دعنى يا عماه أدخل اليها وأرمى روحى عليها فى المكان ودع يكون ما كان فقال البطال لا والله يا بحرون لا أمكنك من هذا أبدا هذا أبدا ولا أدعك تفعل فعلا لا يكون فيه الصواب ويفضى ذلك إلى ضرب الرقاب ولكن أصبر ساعة ولا بد لها من تناول الطعام وإذا أكلت الطعام طلبت الماء على كل حال وأبنجها فيه فصبر بحرون ساعة والبطال ينظر اليها ساعة ثم أنها أعتنقت سيفها وعملته فى حجرها وقالت المسيح يمكننى من هذا الشيطان بحرون الذى يطلب أن أكون له زوجة حتى أضرب رقبته بهذا السيف وأحيف عليه كل الحيف (قال الراوى) وبينماهم فى الكلام وإذا بها قد تناولت سفرة طويلة كان فيها دجاج محمر ولحم ضأن مسمن وجعلت تأكل إلى أن أكتفت وعلم أبو محمد أن لابد لها من الماء البارد الزلال وكان الماء خارج الخيمة فأتى البطال إلى الماء ووضع فيه قطعة بنج عتيق وأختفا هو وبحرون فى جانب الخيمة وجعلا يرمقانها ولما ان أكتفت من الطعام طلبت الماء وشربت كفايتها (قال الراوى) فلما أن شربت ونزل الماء فى جوفها أنقلبت فنامت فلما أن غلب عليها النوم فكانها لها سنه ميته فلما ان رأتها أمها على تلك الحالة وثبت إلى السيف وسلته من غمده وقبضت عليه بكل ما تريد وقالت والله لا فتلنها والبطال يسمع كلامها وهى تقول والله لأقتلنها وأتقرب بدمها إلى الله تعالى وأرجو بذلك ثواب الآخرة لأن هذه قبيحة فاجرة مشركة بالله تعالى وأنا امرأة مسلمة مقره لله تعالى بالوحدانية ولمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم بالرسالة وهى جاهلة فى ضلاله وأنا أريد قتلها وألتجىء إلى هؤلاء المسلمين فلى أسوة بهم ولا حياة لى بعدهم وأرجو من الله تعالى السلامة (قال الراوى) فلما سمع البطال كلامها تحقق اسلامها وعلم أنها قد عزمت على قتل ابنتها حمية منها لدين الاسلام ورغبة فى دن محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فعندها هجم عليها البطال وقال لها على مهلكى أيتها الحرة فنظرت إلى أبو محمد فرأته بتلك الشوارب وكبر اللحية فلم تعرفه وظنت أنه من جملة البطارقة فأرادت أن تهوى اليه بالسيف فقال لها ياهذه أمسكى عنى الحسام الفصال فأنا أبو محمد البطال ثم دخل بعده بحرون كأنه الواله المجنون وقد عرفت أم أفتونا بحرون وبقيت فى شىء من البطال فقالت يا أبا محمد فى أى وقت نبتت لك هذه اللحية العظيمة وصرت بهذه الصورة الذميمة (يا ساده) فضحك البطال من هذا المقال ثم أتى إلى افتونا وشدها كتاف وربط منها الأطراف وقال لبحرون احمل اليوم من يحملك غدا فهى من خيار الأجناس وأنت أولى بحمله من جميع الناس فقال بحرون صدقت والله ياعماه أنا لها

وما بهذا من بأس ثم دنا منها وحملها وقد ذكرنا مافيه من القوة وشـدة المراس وقد قامت أمها معهم إلى أن وصلوا إلى الصور وشدوا افتونا فى الحبال وفى الحال نشلوها وأمها من بعدها ويجرون فى أثرها وسـعد لؤلؤ ويانس والبطال وقد فرح الأمير عبد الوهاب بهذه الفعال (قال الراوى) فلما أصبح الصباح كان أول من انتبه من النوم الملك يوحنا فوجد عند رأسه رأس بلا جثة وعلى رأسه خنجر أمضى من القضا وتلك الرأس عنده فى الفراش فلما رأى ذلك ذهل عقله وطاش وأخذته الرعـدة والارتعاش وصاح صيحة بملء رأسه فوثبت البطارقة من حوله وقالوا مابالك أيها الملك فرمى اليهما الرأس والخنجر فعرفوها أنها رأس قسطه وقد شرب الموت الأحمر فصاحت البطارقة وقالوا وحق المسيح مافعل هذا عامدا إلا الملك يوحنا حتى لايبقى لنا رأس تشتال وجردوا البطارقة السيوف وكذلك فعلت بطارقة يوحنا والتقت الطائفتين وزعق فيهم غراب البين ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل من الغلس إلى الضحى وقد قتل منهم ألف وستمائة بطريق من الطائفتين وانهزمت الملاقطة من أصحاب يوحنا إلى مراكبهم وطلبت من يوحنا الأمان فآمنهم ثم منعهم من الاقلاع وقال لهم وحق الانجيل الصحيح والمذبح والذبيح ومريم القديسة والراهب لوقا خادم الكنيسة ما عندى من أمر قسطه خبر فائتونى بالراهب شومدرس حتى يقف على هذه المصيبة (قال الراوى) فمضوا وعادوا وهم يصيحون بالويل والثبور وقالوا ان شومدرس والأسارى قد فقدوا وما لنا بهم عـلم من حين رقدوا (قال) فهم فى الكلام والصباح قد علا من فوق القصر ياويلكم أنا أبو محمد البطال وأنا الذى فعلت هذه الفعال وإنما تركت يوحنا حتى يعلم أننى أبقيت عليه ولا يخالفنى وأنا الليلة قد عزمت كيف أقطع رأسه واخمد أنفاسه (قال الراوى) راوى سيرة المجاهدين وأبطال الموحدين رضوان الله عليهم أجمعين فلما سمع يوحنا هذا القول من أبو محمد البطال داخله الفزع والجزع والزمع من البطال فقال ياأبا محمد قل ما تريد فنحن لك أطوع من العبيد فقال أريد مركبنا كما كان أولا وفيه أمتعتنا ومالنا وماينقص حبه وتزيد اليه كل شىء وترجع اليه بالأموال وما كان فيه من آلة الحرب والقتال وتأتونا به إلى باب البحر إلى المينا وننزل فيه وقد بلغنا المنى ونحن نقسم لكم بربنا وما نعتقده من ديننا لانأخذ من هذا القصر الذى نحن فيه شىء يسوى درهم واحد فقال يوحنا السمع والطاعة وأنا أجيبكم فى هذه الساعة إلى ما طلبتم ثم قال بحق دينكم أين شومدرس فقال البطال عندى محبوس يستاهل الضرب والبؤس ثم قال البطال وعندنا أيضا افتونا أخذناها هى وأمها فقال يوحنا لأصحابه وحق المسيح لقد

أحسن الينا أبا محمد الشيطان والا كان أخذنا فى حبال الذل والهوان وان لم يقتلنا وإلا يردينا من العذاب ألوان فصلبت البطارقة على وجهها وقالوا ياملك مافى الأمر إلا أننا نجيب القوم إلى ما يريدون فقال الملك انزلوا مركبهم إلى البحر ففعلوا ذلك وأنزلوا فيه كل ما كان فيه من المال والثياب والزاد والمال وجميع العدد والزرد وصاح يوحنا ياأبامحمد يابطال اعلم أننا أنزلنا لكم مركبكم وأموالكم وكلما تحتاجون اليه من سائر الألوان وما بقى إلا الايمان ونحن نحلف لكم وتحلفوا لنا ان لا يؤخذ لى من حصنى مال ولا نوال ولانساء ولا أطفال فقال البطال سمعا وطاعه (قال الراوى) ثم ان القوم قد عزموا على الايمان وإذا بالصياح والزعاق قد ملأ الآفاق فى البحر وقد امتلأ بالمراكب والصياح من كل جانب وهم بعدد النجوم وقطر الغيوم فلما رأى ذلك الملك يوحنا أقبل على قومه وقال لهم ماتريدون فى هذا الأمر المشكل وكيف يكون العمل ونحن قد وقعنا بين بحرين زاخرين وحجرين دامغين هؤلاء الذين قد ملكوا حصننا وأغصبونا على حريمنا والثانى هؤلاء الملافطه الذين قد أقبلوا إلينا وأصحابهم قد أوصلوا الاسيه إلينا وقد علمتم ما جرى بيننا وفى هذه الساعة يصل نسطرونا وهو رجل جبار وليث مغوار وفارس كرار وهو من جبابرة الأرض والساعة يظن اننا قتلنا صاحبه قسطه وما قتله إلا البطال وهذا أمر ما كان باختيارنا فقالوا بطارقته وكيف العمل أيها الملك فقال الملك يوحنا الرأى عندى أن تصبروا إلى أن يقدموا هؤلاء القوم علينا ويصلون إلينا ونقول لهم على ما جرى فان قبلوا عذرنا غدرنا بهم ونرجع عن مصالحتهم واننا نتفق عليهم ونتعاون على هؤلاء الموحدين ونقاتلهم وهم فى الحصن ودع يجرى ما يجرى على أهلى وأولادى وان لم يقبلوا عذرنا أسندنا ظهورنا للحصن وقاتلناهم وأنا أعلم ان المسلمين ما يقعدوا عنا وقد سمعت بحمية عبد الوهاب أمير بنى كلاب ومن معه من الأصحاب (قال الراوى) وصبروا حتى وصلت المراكب الكبار وفيها الخيل العتاق فأخرجوها إلى الساحل وقد امتلأت الأرض بصهيلها وأقلبت الآفاق وضاقت الدنيا على أهلها (قال) وكانت هذه الجزيرة اريس مثل البرج المشيد وصور حصنها أقوى من الحديد لانه بنى من الصخر الأسود الاصم وأذيبت به الرصاص وهى فى وسط البحر والبحر متصل من الجانب الواحد مسيرة يوم وليله ثم ينقطع من الجانبين فى ميدانها مدد العين (يا سادة) وان الملك نسطرونا لما ألصق المراكب للبر وطلعوا كما ذكرنا نادى الملك يوحنا وقال أريد منك أفتونا وأمها يكونوا عندى فى أجل مكان فقال يوحنا وحق المسيح ان حديثها عجيب وأمرها غريب والسبب فى ذلك انها كانت هى وأمها عندى والبطريق قسطه فى حصنى نائم فلم أشعر إلا ورأسه

عندى فى الفراش والخنجر الذى قتل به عند رأسى وان أفتونا أخذت مع الاسارى والراهب شومدرس أيضا ولولا أجلى كان فيه تأخير وإلا كنت قد هلكت وأنا أقسم بالمسيح ان ذلك ما كان باختيارى وان أصحابك نسبوا قتل قسطه إلى وتجبروا على وقتلوا جماعة من رجالى وفرسانى وأبطالى وزوجتى وأولادى أيضا مأسورين عند المسلمين وان قومى أرادوا قتلى ووقع بيننا السيف وحافوا علينا كل الحيف ولم أقدر على منعهم من حيث حميت الاكباد وظهرت الاحقاد وأنت فما يخفى عليك هذا الأمر والدليل على ذلك أخذ المأسورين الذين كانوا عندى وأخذوا أيضا الراهب شومدرس فقال نسطرونا ياه وأخذوا الراهب وشومدرس قال يوحنا نعم وقد اشتغل وحق المسيح قلبى لاجله لانه وصل إلى بلادنا وما تهنينا به فقال نسطرونا ولم منعت البطارقه عن القتال والحرب والنزال فى أول يوم قاتلوهم المسلمين فقال يوحنا كان فينا لهم ولا لقتالهم فان أردت أن تجرب قتالهم فدونك وإياهم قاتلهم اليوم حتى تعلم إننا ما قلنا ذلك إلا من وجه الاشفاق لامن طريق الغيظ والنفاق (قال الراوى) فلما سمع نسطرونا ذلك قال كنا نسمع بحديث البطال وأعماله فى سائر الاطلال ولولا خوفى من المسيح لضربت رقبتك فى كل حال ويلك وكم هم يكونوا أعداءك فقال يوحنا ماهم غير ثلاثة عشر رجلا وامرأة وقد فعلوا بنا هذه الفعال وهم أيها الملك الذين قتلوا غيضورس وأسقوه كاس الوبال ونهبوا كرجانه وأخذوا منها الأموال فخذ الحذر ودع عنك المحال فان الرجل عفاريت والمرأة شيطانه وهى التى قتلت ملك كرجانه فعند ذلك ضحك نسطرونا من قوله وقال له لقد سلب عقلك وقل خيرك وزاد جهلك وحق المسيح انى أرى عار عظيم أن يبرزوا إلى الرفيع منهم والوضيع وأنا قادر على أخذ نفوسهم فقال يوحنا وحق المسيح ما هذا عار وما هو إلا علو وافتخار وأنت تعلم ان ما كان حسره توفيل والملك لاوون ومنويل وعرمانوس وميخائيل وسائر ملوك الروم واليونان إلا هؤلاء الفرسان لاسيما ومعهم الخبيث الشيطان الذى يخاف منه شمعون ومريحنا المعمدان وقد ساقهم المسيح إلينا وأرمى سخطهم علينا وأنت تهون قدرهم وتستصغر شأنهم فقال نسطرونا فأنا أدعوهم إلى البراز فقال له يوحنا أيها الملك ان أنت ظفرت بهم فى مقام المجال فذلك كرامة لك واجلال ولا يبقى فى بلاد الروم من يذكر بالشجاعة سواك فى سائر الاطلال وان كنت أنا مالى جساره على الحرب والقتال فلى بصيرة بأرباب الطعن والنزال فاسأل المسيح أن ينصرك وعسى تنال منهم غاية الآمال وتقتل الجميع وتخرب منهم الآجال فان أنت فرجت عنا هذه الكرب فكلنا نصير تحت أمرك ونهيك وتطيعك النساء

منا والرجال (قال الراوى) فلما سمع نسطرونا كلام يوحنا رق له لحاله وقال له طب نفسا وقر عينا فلا يكون إلا ما تريد ولابد أن أقودهم بين يديك مثل العبيد وقد عولت اننى فى غداة غد أدعوهم إلى البراز فان أجابوا فأنا أكفيك شرهم ولو كانوا أضعافهم وان هم أبو ذلك فقد وصل معى أقوام يتسلقون فى الاصوار مثل تسليق الفار فقال يوحنا هـــذا هو الرأى السديد الذى ينفى العار والذل والشنار لاننى أخبرك أيها الملك أن مع هؤلاء القوم رجل ينزل الينا بالليل ويحملنا أربعين أربعين ولو أراد قتلنا كان يقتلنا الستين والسبعين ومانحن عنده بسيمة العالمين فقال الملك ويلك ومن هو ذلك فقال المصور عندنا فى الكنائس الممثل فى المجالس الذى تفزع منه الملوك فى قصورها والبطارقة فى دورها الخبيث المحتال المقتدر على الجد والمحال أبو محمد البطال فقال نسطرونا سوف ترى ما أصنع به وحق المسيح لأقتلنه أشر قتله ولأمثلن به أقبح مثله فقال يوحنا صدقت أيها الملك بعد أن تقتل أربعة من هؤلاء القوم فقال نسطرونا من هم الأربعة قال ذات الهمة وعبد الوهاب وسيف الحنيفية وظالم فهم الذين أفنوا الروم ومايبقوا الباقين إلا طعام السيوف الهندية (قال) ولم يزل الملك فى غيظه إلى أن انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال سوف ترون ما أصنع بهذه العصابة الإسلامية فقال يوحنا اركب أيها الملك جوادك وازحف اليهم بأجنادك ونادى بهم إلى القتال والطعن والنزال فلابد لهم من إحدى الأمرين امايخرجوا فيكونوا قد ألقوا نفوسهم إلى الهلاك وسوء الارتباك وان امتنعوا ذلك ففى القتال تنال أربك منهم فقال نسطرونا لقد قلت الصواب ولابد لهم من هذه الأسباب فان خرجوا والا نقبنا عليهم وأوصلنا الأذية اليهم (قال الراوى) وكان هذا الملك يسمى بنسطرونا ونسطرويا ثم انه أمر رجاله إلى الزحف إلى باب الحصن فزحفوا كأنهم الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر وهم بالعدة الكاملة والآلة الشاملة ثم صاحوا صيحة تخيل للأمير أن الزرقاء الخضراء انقلبت على الغبراء ونظروا الأمراء إلى ذلك العالم العظيم الذى قد زحف اليهم فقال الأمير عبد الوهاب ان تراخينا اليهم حتى يصلوا إلى الجدار قلعوا منا الآثار وأبلونا بالدمار فقالوا الأمراء صدقت (قال الراوى) وماهم إلا أن أشرفوا على الروم حتى صاح بهم نسطرونا وخرج بنفسه مدلا بالشجاعة والقوة والبراعة وصاح صوتا مثل الرعد القاصف أو الريح العاصف ويلكم قد حبستم نفوسكم خلف هذا الجدار مثل النسوان والجوار وما هذا الذى كنا نسمع عنكم وأنتم المذكورين فى سائر بلاد الروم أجمعين وما نراكم إلادون ذلك الوصف بشىء كثير لما نرى فيكم من الذل والتقصير فان كان هذا خوفا من الجمع فلاعليكم عتب ولاملام

وذلك إن الانسان لايقدر يحمل نفسه مالاطاقة له به الا أن يكون جاهلا بأمره وها أنا الملك نسطرونا صاحب هذا الجمع وقائد هذا الجيش وأنا أدعوكم للطعان والضراب فان كنتم كما قيل فيكم فافتحوا الباب وليخرج إلى أفرسكم من يعد من الأقران وألتقى أنا وإياه فى ساحة الميدان فان هو قهرنى يكون سبب الصلح بينى وبينكم وترجعون إلى بلادكم وان أنا قهرته يخرج إلى غيره على ما كان عليه صاحبه حتى أطاعنه فان أجبتم إلى هذا المقال فهو فعل الكرام وان أبيتم ذلك فمعى رجال وأى رجال لو أمرتهم أن يرموا حجارة هذا الحصن إلى البحر لفعلوا ذلك (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك فرح وقال للأميره ذات الهمة والله لقد جاءنا الساعة أمر جيد ما نخافه إن شاء الله تعالى والقضاء موكل بتلافه وان هلك نسطرونا مايقام للروم رأس ولامن يصل لهم من الناس ويتبدد رأيهم ويعتريهم البأس ثم قال الأمير عبد الوهاب إذا كان الأمر على هذا المثاب فافتحوا الباب ويخرج اليهم منا واحد بعد واحد مقدار خمس أو ست ويبقوا الباقين واقفين على الباب يحفظوا باب الحصن من كل جانب وفى أيديهم القواضب حتى لا يكون علينا من هؤلاء الكواذب ساعة يفتح الباب يهجمون كردوس واحد وتحل بنا المصائب فقالت الأميرة ذات الهمة أرجو من مالك الممالك ان يكون الأمير بخلاف ذلك (قال الراوى) ونزل الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وسائر الأمراء وقصدت الأميرة الى زوجه الملك يوحنا وسألتها عن خزانة السلاح فقالت هى ههنا ثم فتحت لها الباب فرأت الأميرة من السلاح ما أذهل عقلها لان جميع مافى الخزانة مطلى بالذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر فأخذت الأميرة ما أعجبها من السلاح وآلة الحرب والكفاح وقالت زوجة الملك يوحنا للأميرة ذات الهمة وحق المسيح اننى أعجبنى صبركم وكنت أشتهى أن يقع الصلح بيننا وبينكم حتى تمضون إلى بلادكم وتكونوا لنا أصدقاء وتهدوا لنا الهدايا ولابد أن يحوجنا الدهر اليكم وتحتاجون الينا ويكون فضلكم علينا (قال) فأعجب الأميرة عدة لم يكن للمعتصم مثلها ولبس أيضا الأمير عبد الوهاب وسائر الأمراء وكان قصد بحرون ان يقاتل ويورى أفتونا شجاعته وقوته وبراعته وكانوا كلهم رجاله (قال الراوى) ثم فتحوا باب اصطبل يوحنا وأخرجوا منها خيول مثل السلاهب لا يوجد مثلهم فى المشارق والمغارب وهم كانهم العرائس معلوفين يزهوا مثل الطواوس فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى تلك الخيول قال للبطال يا أبا محمد من كان يعلق على هؤلاء الخيول فى هذه الأيام فقال خادمك البطال لأنى ما كان لى شغل إلا علف هذه الخيل وأفتقدهم بالنهار والليل

فقال الأمير عبد الوهاب ياأبا محمد جزاك الله كل خير عنا وعن المسلمين فلم لاأعلمتنى قبل أن أراها فقال البطال لو كنت أعلمتك بهذا الأمر قبل الحاجة اليه ما كنت الساعة قد فرحت هذا الفرح ولا كان زال عنك الهم والترح وأنا أشتهى أن يدخل على قلبك اليوم الفرح وعلى قلوب هذه المجاهدين لكى أنال الثواب من رب العالمين فتعجب الأمير عبد الوهاب من همة الأمير أبو محمد البطال ثم أن الامير أخرج الخيول وأخذ منها مايحتاجون اليه هو وأصحابه ولم يكن فى الكل مثل الحصان الذى قد أخذته الاميرة ذات الهمه اللبوة المصممة لأنها كانت أخبر الناس بصفات الخيل وأخذت جواد أبلق كبير الحدق له غرة كالهلال إذا أشرق ونواظر كالليل إذا غسق وسهيله مثل الرعد إذا خفق وهو فى مشيه أسرع من البرق إذا برق وأعجل من الماء إذا اندفق راكبه كأنه على ظهر السحاب له من الاسد وثبة ومن الغزال لفتته ومن الماء اندفاقه ومن الثعلب زوغته واستباقه (قال الراوى) فلما ركبت الأميرة على ذلك الجواد وخرجت خرج من بعدها الأمير الأسود الأجل الأمجد والشجاع الأسود الأسد الكاسر والبحر الزاخر الذى من المريخ حسامه ومن المشترى سنانه ومن الفلك أقدامه ومن الشهاب الثاقب انهجامه ومن البحر كرمه ومن الغيث نعمه الليث المهاب والأسد الوثاب سيد بنى كلاب الأمير عبد الوهاب وخرج من بعده الأمير ظالم وهو كانه الأسد الغاشم وخرج من بعده بحرون ووقف الباقون فى الباب يحفظونه من الروم الكلاب وقال الأمير لأصحابه الذين وقفوا على الباب ان جالت الروم بيننا وبينكم فاغلقوا الباب من دوننا وبالله المستعان على عدونا (قال الراوى) فعند ذلك تقدمت الأميرة ذات الهمة كانها اللبوه المصممه وقربت من الملك نسطرونا وصاحت به وأشارت إليه وهجمت عليه فلما نظر الملك يوحنا إلى الأميرة وعليها تلك العدة المثمنه وهى على ذلك الجواد وفى كفها تلك القنطاريه ومتقلده بذلك السيف المجلى علم انها عدته فقال للملك نسطرونا دونك وهذا الفارس ولا تهابه فقد أغاظنى اعجابه وانفراده من دون أصحابه ولا شك ان يديه من هذه القنطاريه قد خدرت وصورته منك اندعرت (قال الراوى) وكان قصد يوحنا ضرب رقبة نسطرونا فان هى قلبه منه حزارات واحقاد وكان خائف أن يأخذ مراكبه التى فى البحر ويسيرها إلى بلاده وكان لا يعرض لنسطور ياقتال ولا حرب إلا ويطلب من يوحنا الخراج والأموال والخيام والاثقال (يا سادة) فلما سمع نسطوريا كلام يوحنا صاح صيحة عظيمة وقال يا ويلكم دونكم وهذا الفارس فقالت الأميرة يا كلاب الروم دونكم والقتال فارس لفارس أو عشرة لفارس أو مائه لفارس فقال نسطرونا لاصحابه بل أنا أبرز إلى الجميع وحدى فقال

له يوحنا وحق المسيح ان هذه فى الفروسية لا ترام وما قصدت أيها الملك بهذا الكلام إلا حتى تلقى الهيبة فى قلوبهم فان قدرت أن تبادرهم بالحمله فافعل فان البدرة لمن بدر والاسم لمن قهر وأنا أؤمل من المسيح أن ينصرك عليهم حتى تفوز بالذكر الجميل والثناء الجزيل (قال) فحمل صدر نسطرونا وتقدم برمحه وحمل على الأمير ةذات الهمة والأمير عبد الوهاب وأشار اليهما أن احملا كلا كما حتى أقاتلكما جميعا فقالت الأميرة ذات الهمة للأمير عبد الوهاب والله لا يقاتلهم أحد غيرى ثم ان الأميرة صاحت بجوادها فخرج من تحتها مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف وقد أنشدت وجعلت تقول :

سيعلم هذا الجمع انى ملية … بحربك وحدى يا خبيث العناصر
وانى سأردى شلوك اليوم ثاويا … بحد سنان أو بضرب البواتر
وبالله ما صيرت نفسى جليدة … على الحرب اعجابا بفعل العساكر
ولا زعمت نفسى بمال جمعته … ولا افتخرت يوما بفعل المغادر
ولكن طلبت الله لارب غيره … فباعدت كونى فى حدود الحداور
وصرت عن الاسلام أحمى بصارمى … وأطعن فى صدر الهزبر المبادر
وأروى سنانى من دما كل ملحد … وأغمد سيفى فى دما كل كافر
ولست أبالى إن أموت لاننى … أؤمل قتلى من فعال الأكابر
وما العمر إلا مستعار لانه … خيال أتانا طارق شبه زائر
فجد وابتغى الجنات منه فانها … مكاسب آمال وجمع ذخائر
وصلى على المبعوث من آل هاشم … وعنصره والله خير العناصر
فانى به أرجو الاله يجود لى … ويرحمنى عند انضجاع المقابر
ويغفر لى والمسلمين جميعهم … ويختم بخير فهو لى خير ناصر
فيامن علا فوق العلا دائما أنا … سألتك يامن قد علمت سرائرى
تصلى على خير الأنام محمد … وترحم آبائى وجمع عشائرى
على المصطفى صلى الاله تكرما … وشرفه ياحبذا خير حاضر
كذا الآل والأصحاب ماهبت الصبا … ومالاح برق فى دجى وهو عاكر
وما ناح قمرى وما فاح من شذا … له أوج بالمسك والند عاطر

(قال الراوى) ثم صاحت بعد ذلك الأميره ذات الهمة على نسطرونا فخيل له أن السماء انطبقت على الأرض وحملت عليه وحمل عليها أيضا وأخذا فى الحرب والقتال والطعن والنزال وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعنا (قال الراوى) وكان الملك

نسطوريا من الشجاعة بمكان عظيم ومحل جسيم وكانت لهما ساعة يشيب من هولها الطفل الفطيم ويخاف من هولها الشيطان الرجيم وكان الواقعة لاغبار فيها ولم تحجب فعال الفارسين عن أعين الأقران وهما فى وسط الميدان وقد تعجب منهما الشجعان فما رأت العيون أمضى من صارم أم الأسود الفارس الأمجد والصارم المهند الاان نسطوريا رأى منها ماأهاله وما غير أحواله وتم الأمر على ذلك الحال وهى تفعل تلك الفعال حتى خنق نسطوريا غاية الخنق وحمل عليها وأطبق وطعنها طعنة صادقة فانقلبت الأميرة صارت حزاما للجواد فمضت تلك الطعنة خايبة غير صايبة وعادت الأميرة الى ظهر الجواد وحملت على نسطوريا حملة منكرة وقرعت بالرمح رأسه ولو أرادت قتلة كانت قتلته ولكن عفت عنه لما طعنته وإنما أرادت أن تلقى الهيبة فى قلوب أصحابه وعلم الملك نسطورونا أنها أبقت عليه فعند ذلك جرد حسامه وحمل عليها باهتمامه فرمت الأميرة القنطارية عن يدها وهجمت عليه وقد انتضت سيفها واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة الأميرة ذات الهمة فوقعت الضربة على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه فانقلب وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فصاح يوحنا فى عقيب الضربة وقال خذها يا قرنان فانت تلومنى على قتال هؤلاء الشجعان (قال الراوى) وكبرت الأميرة ذات الهمة وكبر الأمير عبد الوهاب وسائر الأمراء والأصحاب وحملت فرسان الملافطة بأسرهم فاستقبلتهم الأمراء مثل ظالم ومثل سيف الحنيفية وهارون العلوى وراشد بن ضمره وبحرون (قال الراوى) فنظرت الملافطة إلى هذه الشرذمة اليسيره وقد حملت عليهم فطمعوا فيهم ودارت بينهم طاحون الحرب وعمل كل صارم عضب وقوى الطعن والضرب (قال) وهمهم الأمير عبد الوهاب وأرما الروم على التراب وحمل الأمير ظالم كانه الأسد الهاجم وقد أخذته النخوة العربية وزعق فيهم بحرون وهو مثل المجنون حتى تراه أفتونا وتعجب من قتاله وما كانت إلا ساعة حتى فرقوا الروم يمين وشمال وهججوهم طالبين المراكب الطوال وبعضهم أرمى رمحه فى لجج البحار وأخذوا منهم أكثر من أربعمائة أسير وانهزموا الباقون بالذل والتقصير (قال الراوى) فلما رأت الملافطه من قتل منهم ومن أسر من الفرسان ومن عدم من الشجعان صاحوا للملك يوحنا انجدنا فقال لا وحق المسيح لا كان ذلك أبدا وما بينى وبينكم معاملة وأما هؤلاء المسلمين فما بينى وبينهم إلا المسالمة والخير ثم أن يوحنا أقبل على قومه وقال لهم يا ويلكم كم أخذوا لكم الملاقطه مراكب وكم أبلوكم بالذل والتقصير وكم نهبوا أموالكم مع من نهب فخذوا بثاركم واكشفوا عاركم (قال) فلما سمعوا قومه كلامه تذكروا الحقد القديم وحملوا على الملافطة حملة الخنق وما منهم إلا من صاح وزعق

وحمل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فلم يقف من الملاقطة أحد وطلعوا المراكب وقد غرق منهم عالم عظيم أكثر مما قتل ولم يسلم منهم إلا من سبق إلى مركبه وكتب فى القدم نجاته من عطبه ورفعوا القلوع ولججوا فى البحار وطلبوا صوب الديار وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وما سلموا إلا بعدم المراكب جزيرة اريس لانها كلها على البر فهذا كان سبب نجاتهم لكن لما انهزموا الملاقطه خافوا أموالهم وأثقالهم ورحالهم (قال الراوى) وبعد ذلك عادت الأمراء طالبين الحصن فترجل لهم يوحنا وقبل الأرض بين أيديهم ومشا فمنعه الأمير عبد الوهاب ذلك وأمره بالركوب وقال له طب نفسا وقر عينا فما ينالك منا إلا الخير ولكن المرجو مركبنا فى البحله وضيفوا اليه مركب آخر ففعلوا ذلك وان الأمير رفع إلى المركب ضيغم وشومدرس وأفتونا وأمها وكانت أفتونا لما رأت وتحققت أن امها اسلمت ورأت بحرون وقد هواها فمال قلبها إلى الإسلام وتوحيد الملك العلام فقالت وكيف أقول حتى اصير مسلمة قال قولى أشهد إن لا إله إلا الله وأشهدى أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنطقت بالشهادتين فزوجوها لبحرون ودخل عليها وقضى اربه منها فلما كان عند الصباح قال الأمير للملك يوحنا ياملك قد فعلنا فى حقك فعل ما فعله واحد وهذه الغنيمة غنمناها من الملاقطة وهي مبلغ عظيم فما كان فيها من ذهب وفضة فهو لنا وما كان فيها من عده وخيل وقماش فهو لكم فقال يوحنا لاوحق المسيح ما نتعرض لكم بشيء من ذلك ولا بدرهم واحد بل خذوا مهما قدرتم عليه ومهما عجزتم عنه أنا أعطيكم ثمنه (قال) ورفع الأمير إلى المركب الثانى مال جزيل وأوثقها وثق عظيم والباقى أخذ ثمنه من الملك يوحنا عشرين ألف دينا وطلع الأمير وأصحابه المركب ونزل البطال ولؤلؤ ومذبحون فى مركب المال وأقلعوا وساروا سير الاطمئنان وقد فرج الله عنهم تلك الشدائد التى كانوا يقولوا انهم ما يخلصوا منها أبدا وهم فى وسط بلاد الأعداء وطاب لهم الهوى وسكن لهم البحر باذن اللطيف الخبير وطلبوا بر السويدية ولم يزالوا فى المسير فى هواء لطيف لم يشاهدوا مثله ولا أرق منه ولا أطيب إلى أن لاح لهم بر السويدية فكبروا الأمراء وشكروا الله تعالى وكان مدة سيرهم خمسة وثلاثين يوما (قال الراوى) ولما لاحت قلوعهم لأهل السويدية ضربت البوقات وخرجت المراكب لكشف الخبر من أجل هذه وقد أظهروا السلاح وجردوا الصفاح فقال البطال ان صدق حذرى فالصلح قد انفسخ بين ملك الروم وبين المعتصم والدليل على ذلك خروج أهل السويدية الينا فانهم خرجوا خروج من يريد الحرب والطعن والضرب وهم يظنونا مراكب قد أرمانا الهوى لغير

اختيارنا فقالت الأميرة صدقت يا أبو محمد فهذا الأمر لا يخلو من حالين أن يكون المعتصم لما فقدنا قد سار طالب بنا أرمانوس وذكر أرمانوس انه ماعنده منا خبر فخرج إليه فى عساكر المسلمين أن يكون ملك الروم قد طمع فى الموحدين بعد غيبتنا وغزا الخليفة فى عسكر المشركين لاسيما إن كان عقبة سالم وحرض أرمانوس على ذلك بخبثه ومكره فقال شومدرس أما عقبة فقد كفيتم شره لانى وضعته فى مطموره تحت الأرض كما ذكرت لكم وما يعلم به أحد ولاشك انه مات وبقيت عظامه رفات فقال الأمير عبد الوهاب والله ما كان هذا مرادى وما كان نيتى إلا أن اصلبه على باب الذهب ولكن إذا صح هذا الأمر والسبب رحت إلى الدير ودخلت المطموره وأخذت رأسه علقتها على باب الذهب حتى انى أبلغ ما أريد ولكن حتى أعرف ما قد جرى (قال الراوى) ولم تزل مراكب السويدية تسير إلى أن توسطوا البحر ثم دفعوا جملة ودنوا من مراكب الأمراء ونادوا بالروميه ياويلكم سلموا بلاكان ولاصار والا قطعناكم بكل صارم بتار وكان المنادى الأمير جوال بن مزاحم الطرابلسى (قال الراوى) وكان هذا جوال قد سخط عليه الخليفة وأخذ منه مال كثير ونوال وأمر بقتله فى الحال فشفع فيه الأمير عبد الوهاب واستوهبه من الخليفة واصطنعه لما كان الأمير يسمع عن كرمه وعن شجاعته وقوته وبراعته (قال الراوى) ولقد سألت عن جوال فقيل لى أنه ماروى فى زمانه أكرم منه وانه ماكان يرد سائلا قط وكان شجاعا فى الحرب فارسا فى الطعن والضرب وقد ذكر عنه انه فى بعض الأيام بارز بطريقا من البطارقة فى الثغور وهو من كبار البطارقة وكان البطريق قد أشرف من الأمير جوال على الموت فناداه يامسلم ان فرسى قد عيا وأسألك أن تمهلنى حتى أغير جوادى وأعود فقال جوال دونك وما تريد فرجع البطريق وأخذ سيفا وترسا وفرسا غيره ورجع اليه وتضاربا حتى انقطع سيف البطريق فقال له يامسلم أسألك أن تعطينى سيفك هذا لأنى أراه قويا على وقع المضارب أو تمهلنى حتى أعود وآتى بسيف غير هذا فقال جوال خذ سيفى اليك ثم أرما سيفه اليه وقاتله بسيف الركاب ولم يزالا يتجاولان حتى وقعت الجوادين من تحتهما فى وسط الميدان وخدرت المناكب من شدة المضارب ثم ركبا على غير تلك الخيول وجالا عرضا وطول إلى أن تعبت الخيول ولم يقدرا أن يرفعا أيديهما من الأرض من شدة الركض فقال له البطريق يامسلم هل لك أن تترجل وأتصارع أنا واياك على الأرض فقال جوال نعم فترجلا الاثنين عن الجوادين ودخلا فى بعضهما بعض وأخذا فى الانبرام والبعد والالتزام وتعاركا على وجه تلك الأرض عراك من لم يعلم لمن ذلك فرض حتى أن أضجره جوال وأتعبته الأوصال وصرخ فيه جوال صرخة الأسد الريبال وقد أدعره

وأرعبه وحيره وشاله على يديه وجلد به الأرض واستوى سريعا جاثما على صدره ووضع الخنجر على نحره فقال له البطريق يامسلم ان لى والدة كبيرة وأخت صغيرة فكل واحدة منهما تشتهى أن ترانى وهما باكيتان من أجل غيبتى فكيف إذا سمعتا بقتلى وصرعتى وتعجيل منيتى فبحق دينك لاتفجعهما فى فان أردت المال فعلى المال واسمع منى هذا المقال فقال له جوال وقد قام عن صدره خذ الطريق اليهما وادخل عليهما فقد وهبتك روحك ومالك فتعجب البطريق من فعاله وعلم ان مافى زمانه مثله وقال يامسلم وحق المسيح وحق دينى مافعل هذا مع الروم أحد غيرك وهذه رحمة منك لنا وشفقة منك علينا فقال جوال إنى والله لم أفعل ما فعلته معك على وجه الاشفاق والكذب لا خير فيه ولكن عودت نفسى عادة أن لاأرد سائلا قط كاذبا أوصادقا وقد تعودت بهذا فطيما ورضيعا فقال له البطريق وحق المسيح انى قد أحببت صحبتك وان أكون عبدك وفى خدمتك وأمدد يدك فانا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد الله على أنى أمضى إلى بلاد الروم وآخذ أمى وأختى وأقصد اليك ففى أى البلاد تكون فقال فى ترابلس الشام (قال الراوى) وبعد ذلك رجع البطريق ودخل إلى عسكر الروم وقد أخفى دين الاسلام ولم يثبت دون أن دخل إلى بلاد الروم وأخذ أمه وأخته وعول على انطاكية وسار منها إلى ترابلس وكان كلما مر بقرية أو بلد يقول أنا عتيق فلان فيكرم لأجله فى كل مكان ويزودوه ويحملوه إلى أن وصل إلى جوال ففعل فى حقه ما يعجز الناقل عن وصفه وأحاطته وأسلمت أمه وأخته وقال له البطريق فى بعض الأيام ياMولاى ما أرى انى أكافئك على ما فعلت معى من الفعال فقال له جوال قد تفضلت على غاية الافضال بدخولك فى الاسلام أنت وأمك وأختك وهذا هو الاكرام (ياسادة) وكان اسلامه ببركة جوال وكان من الدين بمكان عظيم وهو يمشى على الصراط المستقيم (قال الراوى) ولا بد ما نشرح كيف كان سبب غضب الخليفة على جوال حتى يستلذ المستمع بهذا الكلام ولا يبقى على المحدث عتب ولا ملام وذلك أن انسان اتى الخليفة وكان شاعر البيبا فامتدحه بأبيات فخلع عليه الخليفة وأعطاه وأرضاه وقصد الشاعر إلى الأمير جوال لأجل ماسمع عنه من الكرم والافضال فوصل اليه ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه وذكر له أنه كان قصد الخليفة وأنعم عليه فقال له جوال كم أعطاك الخليفة من الخلع والأموال فقال له كذا وذكر له شىء كثير بسلوى خمسمائة دينار ثم أن الشاعر أنشد

أتيت ابغى الفتى جوال امدحه * مع غبطة وسرور ليس افقده

أنت الكريم علـى الدنيا بأجمعها ☆ أنت الذى لم تزل للخير تقصده
ومن أحق بمدح من فتى كرما ☆ قد عودت بالعطايا والندا يده
والله للخير والاحسان وفقه ☆ لكل خير ومعروف ليرشده
مولى سما فى العلا فوق السماء وقد ☆ علا على الفلك الأعلى وفرقده
والله يجزى الفتى خيرا بنعمته ☆ وفى مسرة دنياه يمدده
مولاى جوال عش وأبق لفقرفتى ☆ فلا برحت لذا المسكين ترفده
لا زلت فى نعم لا زلت فى كرم ☆ لكل شخص رزى فى الحال تسعده
لا زلت فى هذه ادنيا تعيش لنا ☆ ما لاح فى الشفق البادى توقده

(قال الراوى) فلما سمع جوال من الشاعر هذا المقال أعطاه ما يساوى ألف دينار فبلغ ذلك الفعل الخليفة فقال ما فعل فى مقابلة فعلنا إلا حتى يقال عنه أنه أكرم منا ثم أمر بالقبض عليه والحوطة على جميع أمواله ونواله وسائر أحواله وأن يحمل إلى بغداد وكان لما يريد الله من سلامته أن الأمير عبد الوهاب كان فى بغداد فسأل الخليفة فيه فخلصه وأكرمه الأمير غاية الاكرام وخلع عليه وأوصل له جميع ماله وأرفده الأمير من عنده بشىء زيادة عن حاله وكان مع الأمير مدة مقامه فى بغداذ ولما عزم الأمير على السفر قال له اين تريد من البلاد قال له يا مولاى أريد ترابلس الشام لأن مقامى بها وأهلى فيها وقد انجزعوا لما قد جرى على فودعه الأمير وسيره إلى ترابلس الشام (قال الراوى) وكان فيها رجل يتعرض لجوال ويبغضه لأجل كرمه وشجاعته وحسده أيضا على حالته وهو الذى كان رافع فيه الخليفة حتى أخذ ماله وسلم من القتل وكان ذلك الرجل يقال له مانع بن ضابط الخير فكان ابخل أهل زمانه وقدشاع عنه البخل فى سائر البلاد وهو الذى قال فية الشاعر حيث يقول

أيا مانعا للخير فى كل حالة ☆ ومن هو منسوب إلى الشح والبخل
فلو كان جمع المال ينفع أهله ☆ لصرف ضيق الصدر يوما من الشغل
واصرف عن قارون يوما لعله ☆ نجا من قضاء الله والخسف والذل
فلله من قد قال اسمك مانعا ☆ فوافق اسم قد يجل عن الفعل
واسم أبيك الآن ضابط أنه ☆ سيضبط كل الخير من عدم العقل

(قال الراوى) فلما علم مانع بعودة جوال إلى طرابلس عظم عليه وكبر لديه وسأل عن السبب الموجب بخلاصه فقيل له الأمير عبد الوهاب قد شفع فيه لم يقدر أن يتكلم فى شأنه بكلمة واحدة وعلم أن الأمير عبد الوهاب قد شفع فيه فلم يقدر أن يتكلم فى شأنه بكلمة واحدة

وعلم أن شفيعه لا يخالف ولا يناوش فسكت مانع على غيظ منه وكان يتوقع قتله ولم يزال كذلك إلى أن انتشرت الأخبار فى سائر الأقطار أن الأمير عبدالوهاب وجميع الأمراء قد ضاعوا فى بلاد الروم وقدمضت عليهم الأيام والشهور وعاد أمرهم مشهور وجلس الخليفة فى العزا مدة سبعة أيام وكان سبب ذلك عقبة الملعون وسوف نذكر فى موضعه إن شاء الله تعالى (قال) ولما وصل الخبر إلى طرابلس جلس الوالى الذى كان فيها للعزا وأن مانع البخيل لما علم ذلك فرح وأيقن أن ركن جوال قد انهدم ولم يزل يبذل المال للوالى وغيره من أرباب الدولة إلى أن أخرجه من البلد بأهلة وجميع دوابه وأولاده وعائلته فوصل جوال إلى السويدية وأقام بها عند أصدقائه ومعارفه ولما ظهرت مراكب الأمراء خرج جوال مع من خرج الرجال (قال الراوى) فلما صاح جوال عرفه الأمير عبد الوهاب وقال ان كان الأمير جوال فى قيد الحياة فهو هذا لامحاله ونادى الأمير برفيع من صوته يا جوال الناس يقاتلون أحبابهم ويحاربون أصحابهم ويشاققون أخوانهم (قال الراوى) فلما سمع الأمير جوال والناس ذلك المقال أرتفع الصياح فى سائر البطاح وصاح الأمير جوال ما أبركه من صباح هنونى ياقومى فقد زادت بى الأفراح ثم أرمى نفسه إلى صوب الأمير فصار معه فى المركب ولما حقق معرفته غشى عليه فبكى الأمير عبد الوهاب وصارت الناس تنادى وتقول يا سيوف الإسلام أكشف الغمة عن الامام فلو رأيتم إلى النساء الأرامل والأولاد أيتام والحراير قد سبوا والأبطال قد نكبوا والفرسان قد هلكوا والمشايخ قد ملكوا فالعجل العجل من الخوف على وجل وقد تحقق الناس أنكم هلكتم ومتم ودسرتم (قال الراوى) ورجعت مراكب السويدية بالفرح والإستبشار إلى البلد فانكروا ذلك ولم يبق صغير ولا كبير إلا ووقع فيهم النفير ووصلت إليهم الأخبار من أهلهم وضجت النسوان وأستغاثت الكهول والشبان ووصل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب ونزل الوالى راجل وطرح روحه عليهم يقبل أيديهم ورفع الأمير عبد الوهاب ذلك المال والرجال والاثقال إلى البلد ونزل فى دار الأمارة وسأل عن الأحوال فقيل له يا امير إن الأمر عظيم والخطب جسيم وذلك كله لغيبتكم فقال الأمير فكيف القصة وأيش الخبر وكيف أخبار ماطية فقالوا له قد خربت ملطية فقال وكيف ذلك قال كل يوم تأتى الروم ومعهم ميمونه فتغار على بلادنا وتنهب أموالنا وتقتل أولادنا وما انقطعت عنا إلا من يوم وصل الملعون أرمانوس إلى لقاء المعتصم وصل إلى ملطية فتغير وجه الأمير لماسمع هذا الكلام المنكر وقال لصاحب الخبر إياك ثم إياك أن تطلع بأخبارنا أحدا فتعلم الخليفة بنا حتى ندركهم على

غفله ونتلقاهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الأميرة لما جرى عليها ما جرى من الضيعان هى وبحرون وكذلك الأمراء وشومدرس الملعون كيف أخذهم وفعل بعقبة تلك الفعال ونزول فى المطمورة على أسوإ حال كما ذكرنا وان عقبه أقام من بعد رواح شومدرس بيوم وليله وقد نظر إلى نفسه فى تلك المطموره ونظر إلى حاله وهو فى أسوإ حالة فايس من الحياة وأيقن بالوفاة (قال الراوى) فبينما عقبه فى المطمورة وإذا بحس رجال معه فى المطمورة وكل واحد ينادى رفيقه فعرفهم عقبه وقال هؤلاء من بنى سليم ورب الكعبة (قال) ونظروه الآخرين فلم يعرفوه وقالوا له من أنت وايش قعودك هاهنا ومن الذى جابك إلى هذا المكان فقال لهم وقد أيقن بالسلامة من العطب أنا القاضى عقبه بن مصعب فلما سمعوا ذلك من كلامه عرفوه فعندها رموا أرواحهم عليه وبكوا على تلك الحالة التى هو فيها وقالوا له يا قاضى من فعل بك هذه الفعال فقال يا أولادى اللص المحتال أبو محمد البطال وعبد الوهاب وجماعة من الرجال وقد كانوا أتهمونى بذات الهمة فحلفت لهم بالله العظيم والنبى الكريم أن ما عندى منها خبر فلا يصدقونى وأخذونى وفى هذا المكان طرحونى حتى إذا بلغ حديثى الناس فقالوا فى بلاد الروم وجدناه فى حلية راهب أو شماس حتى يشهدوا على بذلك عند الخليفة وهو على كل حال خليفة الله فى أرضه وهو من نسل العباس والغالب عليه حدة المزاج لأنه شاب ولا ينكشف له ما ينكشف لآبائه من محال هؤلاء القوم وقلة دينهم ولى معهم وقفه بين يدى رب العالمين يوم تشخص فيه الأبصار وتحضر الجنة والنار يوم القارعة يوم الآزفة يومئذ يصدر الناس أشتاتا يوم يعض الظالم على يديه يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا يوم تسير الجبال سيراً يوم الفزع والأهوال يوم يبقى على القدم ألف قدم من النساء والرجال ولا يعرف هذا من هذا من شدة الهول والزلزال فذلك اليوم آخذ حقى من عبد الوهاب وامه البطال فان هذا الجهاد الذى يجاهدوه ليس هو خالص الملك المتعال بل هو ريا ونفاق ولأجل جمع المال وأخذ الجوار الحسان من بنات الروم الغوال فلما سمع القوم من عقبة هذا الوعظ والمقال حلوا كتافه فى ساعة الحال وهم باكيين عليه فقال لهم من أين طريقكم هذه فقالوا من بلاد الإسلام ودخلنا من الروم نكسب شيئاً من الحطام وقد وقع بنا النفير وخرج خلفنا من الروم خلق كثير وإنما هو بنا إلى هذا الموضع نكفى شرهم ويخفى أمرنا فصادفناك وقد أشرفت على الهلاك فقال لهم أبشرون فأنا إن قمت من مرضى أعطيتكم من المال ما يغنيكم ويكون هذا بما فعلتموه معى

من هذا الحال ولكن انزعوا ثيابكم جميعها وألبسوا غيرهم من زى بلاد الإسلام لأنكم الساعة فى زى بلاد للروم وأخرجوا إذا أنقطع عنكم الطاب من هذه البلاد وأقصدوا بلاد الإسلام ودار السلام بغداد ثم قال لهم ما معكم من خبر الأمير عبد الوهاب فقالوا لك البشارة لأنه قد عدم وكذا أمه والبطال (قال الراوى) فلما سمع عقبة هذا المقال قال أقسم بالله انى ماأشتهى أن يموت أحدا منهم حتى آخذ بحقى منهم لأنهم مافعلوا فى حقى جميل ولكنهم فى حل من ذلك وأنا أعلم أن الله تعالى يأخذ لى حقى منهم فقالوا دعنا الساعة من هذا وقل لنا مانصنع إذا دخلنا بغداد فقال تمضون إلى عاملى فى بغداد ثم اقرؤه سلامى واعطوه ذمامى رخاتمى فانه يعطى لكل واحد منكم ألف دينار من زكاة مالى الذى يجمعها عنده ولم أر قط من هو أحق بها منكم مع أنكم قد فعلتم فى حقى كل جميل على أننى هالك لا محالة فدعونى فى هذا الموضع ولا تغلقوا على باب المطمورة على شرط أنى ما أريد منكم ما أخذتم من المال الا أن تلقوا حديثى فى بغداد وتعلموا جميع الناس بحالى وسائر العباد وقولوا لهم يدعوا على من ظلم عقبة فى كل صلاة فاذا فعلتم ذلك اقصدوا مولانا أمير المؤمنين الخليفة وقولوا معنا نصيحة ياابن عم خاتم النبيين فلا بد له أن يحضركم بين يديه فاعلموه بما رأيتم من حديثى وانى أشرفت على الموت وماكان لى حاجة اليه الا أن أقول له أنت فى حل منى إكراما لآبائك الطاهرين وماسلف للرشيد على من الجميل وإنى قد جعلت الخليفة فى أوسع الحل وأنا أعلم أننى لو بقى فى روحى رمق سرت معكم ولكن قرب الأجل وبطل العمل فوا أسفا على مافرطت فى جنب الله وانى ميت لامحالة وهاروحى تنسل من جسدى ولا تقولوا الا انكم قد غمضتمونى بأيديكم وانكم ما برحتم من عندى حتى مت فقالوا سمعا وطاعة ثم قال لهم اللعين وان رأيتم أن تقولوا أن النفير وقع بكم إلى المطمورة ونزلنا فرأينا ميت فعرفناه وسألتنا الروم عنه فقلنا لهم هذا عقبة قد مات فجعلوا الروم يبصقون عليه وانهم أخذوكم وحملونى أيضا معكم الى أن وصلوا إلى مدينة القسطنطونية وقالوا هذا راهب المسلمين الأبرار وأحرقونى بالنار وقولوا هذا الكلام وربما يحدث حادث وما أريد هذا إلا حتى يزول الشك باليقين وتزول الريبة من قلوب المسلمين لان فى قلوب الناس من كلام البطال وعبد الوهاب وذات الهمة وبنى كلاب الشك من أجلى ولو كان لى من يبرىء ساحتى عندهم ماصدق أحدا قولهم من العالمين لأننى قاضى من قضاة المسلمين وبالله أقسم ما أريد إلا الزوال من قلوب المسلمين وأن يزول الشك باليقين حتى أخلصهم من الآثام والخطايا مدا الأيام حتى لايخسرون دنياهم وأخراهم من أجلى وأكون أنا السبب فى ذلك وادخلوا على السيدة زبيدة وبلغوها سلامى

وقولوا لها انه عند خروج روحه كان يقول واشوقاه إلى السيدة زبيدة ليت كيف حالها وأنا راحل من الدنيا وحملت همها وسألت ربى أن يجمع لها بين خيرى الدنيا والآخرة وعلى شرط من يوم فعلوا فى حق ما فعلوا ما دعوت عليهم دعوة قط كل ذلك شفقة منى على ولدى البطال وعبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ومن فى أيديهم من الرجال وهم على كل حال المجاهدين الأبطال فى طاعة الملك المتعال (قال الراوى) فلما سمعوا القوم من عقبة هذا المقال قالوا له سوف نفعل ذلك كله على كل حال ولكن والله يا قاضى يعز علينا كيف تموت وتعدمك الدنيا ويموت العلم من بعدك ثم ان عقبة ودعهم وقد علا الصفار فى وجهه وتغير لونه واضطرب كونه وعرق جبينه وأرادوا أن يودعوه ويطلعوا فأشار اليهم أن ديرونى للقبلة ولاتتركونى هكذا فاداروه القوم إلى القبلة وقد ثقل جسمه ومد يديه ورجليه وتغرغرت عينيه ثم صاح الملعون بصوت ضعيف هون على خروج روحى يالطيف مرحبا بالرسول الوارد من عند الملك الواحد ثم انقطع كلامه ولم يتكلم بعدها وبطلت حركته واهتمامه فلما أن رأوا القوم ذلك بكوا ولطموا وقالوا والله العظيم مات لامحالة ولا شك ولا ريب ثم انهم لعنوا الأمراء وقالوا إن الله لايغفر لهم أبدا ولو عملوا مهما عملوا فى الروم الأعداء فما فعلوا فى حق هذا الشيخ خير وإن الله لايضيع أجر المحسنين (قال الراوى) وما ساروا القوم حتى أيسوا منه فهو مثل الخشبة اليابسة وقد ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فرحلو القوم فى ظلام الليل حتى يسترهم من أعين الروم وساروا طالبين العراق كما أوصاهم عقبة شيخ النفاق ولم يزالوا يقطعون الأرض فى الطول والعرض إلى أن دخلوا ملطيه وداروا فى أزقتها كما قد أمرهم عقبة ونادوا فى أزقتها اننا هربنا من الروم لما وجدناهم ومعهم عقبه وقد عزموا على حريقه وهو قد عدم سعده وتوفيقه (قال الراوى) فلما سمعوا بنى سليم نداهم أخذهم البكاء والنحيب وقالوا والله لو صفا عيشنا ما عشنا بعد امامنا وقال الأمير عمرو بن عبيد الله أكتبوا بهذا كتاب إلى الخليفة حتى يعلم أن القوم كانوا معتدين على القاضى عقبة وما زالوا عليه حتى أرموه فى هذه النكبة وأنا فما أكاتب الخليفة إلا عن حقيقة وقد بانت لنا الطريقة ولا بد لى أن أرسل الجواسيس إلى القسطنطونية ويأتونى بالخبر على صحته فان كان الأمر صحيح فأنا أنزل بروحى إلى بغداد ويكون ذلك سببا لنفى بنى كلاب من الثغور ولا يبقى فى ملطية منهم صغير ولا كبير ولا فقير ولا أمير ونستريح منهم (قال الراوى) وإن القوم لما أتوا بالخبر إلى ملطية ساروا طالبين إلى بغداد فقصدوا قبل كل شىء إلى دار عامل عقبه فوجدوه وسلموا

عليه وخدموه وسلموا اليه الخاتم فلما رآه عرفه وسلم اليهم المال فى الوقت والساعة وخرجوا من دار العامل وجعلوا يبكون فى أزقة بغداد وفى أسواقها وينتحبون ويقولون ماأوصاهم عقبه اللعين فنظر الناس إلى ما قد نزل بالقوم من البكاء والنحيب والعويل فانقسمت أهل بغداد قسمين القسم الأول مع عقبه والقسم الثانى فى حماية الأمير عبد الوهاب فوقع البكاء والانتحاب وكثر الخصام والضراب بين الطوائف من الأعداء والأحباب وبلغ المعتصم ذلك الحال فقال هاتو الى هؤلاء الرجال الذين أكثروا القيل والقال فحملوهم اليه فسألهم عن ذلك وكيف كان سبب الفتنة فاقروا على العرب المسلمين وأتوا بهم إلى بين يدى الخليفة مضروبين مكتفين وكانوا الذين فعلوا بهم هذه الفعال محبين للأمير عبد الوهاب والبطال وقد ضربوهم ضرب ماتحمله الجبال ولما حملوهم إلى بين يديه ووردوا عليه أعادوا عليه ماأخبروا به العامة من المقال واظهروا الجلد حتى ان الخليفة ما يكلم منهم أحد فقال لهم المعتصم تكذبون بل أنتم جواسيس وقوم مناحيس وأمر بضربهم فضربوهم حتى غابوا عن الدنيا ونزلت لحومهم عن أكتافهم وما زاغوا عن قولهم الأول وبلغ الخبر إلى السيدة زبيدة فخرجت من قصرها وهجمت على المعتصم بنفسها ثم قالت له ما هذه الفعال وما الذى أزعجك إلى هذا الحال فقال لها وما السبب الذى أخرجكى إلى من مكانكى فقالت أخرجنى ظلمك لهؤلاء القوم الغرباء وما تفزع من الله أن يأتيك قوم من عند رجل شيخ عالم من علماء المسلمين برسالة ومقال وتفعل بهم هذه الفعال وأن الرجل من دينه قد جعلك فى حل من دمه وهو رباك وأقرأك القرآن وهو فقيهك ثم أشمت به الأعداء أول وآخر وظاهر وباطن ونفيته عن وطنه وأبعدته عن سكنه وأمرت الاعداء حتى أخذوه وضربوه وفى بلاد الروم أبعدوه حتى مات وعلوا به أهل الكفر وعباد الصليب والزنار فأخذوه وأحرقوه بالنار حتى لا يكون له قبر يزار ويكون ذلك على المسلمين عار ثم أنها أوصلت البكاء والنواح وكثر من حولها الزعاق والصياح فلما رأى المعتصم ذلك بكا وندم على مافعل ثم أنه أطلق القوم بعد ماخلع عليهم وأكرمهم غاية الاكرام وأعطاهم مال جزيل ورضى عنهم (قال الراوى) ياساده ثم ان السيدة زبيدة أخذت القوم إلى دارها وسألتهم عن حال عقبه فحدثوها بما قال فى شأنها فصارت تبكى حتى أبكت خدمها وجوارها هذا والقوم يصفوا للست زبيده حال عقبه فقالت ياليته قد مات فى بغداد حتى كنت أدفنه فى هذه التربة (قال الراوى)وكان إلى جانب المقصورة تربه قد غرم عليها الرشيد مال عظيم وهى التى دفن الرشيد فيها والأمين وحمل المأمون اليها فدفن بها (قال الراوى) ثم ان السيدة زبيدة صرفت العرب الذين

أتوا بخبر عقبه بعدما صحت لهم تلك النصبه وقد أوهبتهم شيء من المال والخيل الجياد وقالت لهم ان أحببتم المقام فى بغداد فانا ما أمنع عنكم الافتقاد لأنكم رجال أجواد فقالوا لها يامولاتنا ما يطيب لنا إلا وطننا فجهزتهم وساروا مجدين إلى ملطيه فقال بعضهم ماهى غاليه عقوبتنا بهذه الأموال فقالوا والله صدقت فى هذا المقال فقال شيخ منهم يقال له محارب بن هلال هـــذا الضرب جزاء الكذب وكيف قلنا أحرقوه بالنار وما أحرقوه ولكن اصـــبروا حتى ينكشف لنا الخبر فان الحريق ماهو صحيح ولا له أثر ويطلبنا المعتصم فى السهل والجبل ويعمل ذلك الوقت بالعقوبة أو فى عمل فخلوا ملطيه وامضوا الى بلاد الله الواسعة وابصروا لنا مكان نكون فيه مقيمين إلى أن يأتينا اليقين فساروا القوم يقطعون الأرض فى الطول والعرض إلى أن أبعدوا عن العراق وأوسعوا فى الآفاق (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من المعتصم فانه لما جرى ما جرى طير الطيور إلى الأمير عمرو بن عبيد الله يسأله عن أخبار البطال والأمير عبد الوهاب والأمراء من بنى كلاب ان كان قد ظهر لهم خبر فى بلاد الروم وكان عند المعتصم لفقدهم أمر عظيم وحرم على نفسه اللذات والنعيم وهو على غاية القلق إلا أنه معول على الدخول إلى بلاد الروم فى تلك السنة لأجل الأمراء ولما سمع حديث عقبه تعلقت آماله بكشف أخبار الأمير وأصحابه وبردت نفسه وطمع فيهم وأرسل يستخبر عنهم وقال فى نفسه إذا كشفت عن أخبار عقبه فهو يطالعنى بما يكون من الأخبار فانى على غاية من القلق عليهم وظهور الآثار (قال الراوى) ولو كان المعتصم يحقق هذا الخبر من حديث عقبه كان قد فعل فى غيبة الأمراء لبنى كلاب كل عجيبه إلا أنه مشكك فى أمر عقبه وما علم النصبه ثم يرجع على نفسه بالملامة ويقول لو أن الأمر صحيح وهو على دين المسيح لم يلتفت الينا عند موته وماهذا إلا رجل له دين عظيم واعتقاده اعتقاد جسيم ولو كان عند الروم كاذ كرعنه ما كانوا أحرقوه على أنهم يكرهوا علماء المسلمين فكيف هذا دون الناس أجمعين وبقى الخليفة تارة يصدق وتارة يكذب (قال الراوى) فهذا ما كان من المعتصم وأما ما كان من عقبة اللعين فانه لما علم أن بنى سليم ساروا عنه وثب كانه شيطان وخرج سريع من المكان وسار إلى أن أصبح الصباح وإذا هو قد وصل إلى بعض القرى فدخل اليها وعرف أهلها بنفسه فاكرموه غاية الاكرام وأكثروا له من الشراب والطعام ثم كتب كتابا إلى أرمانوس يقول فيه الذى نعلم به الملك بانى قد عولت على أن أعمل حيلة ليتم بها ما أريد ويكون لك فيها الحظ الأوفر واعلم أن حالى قد انكشف عند الخليفة وصح الخبر وأريد أن أعمل مكيدة حتى أعمى قلبه ثم أعمى منه البصر ويتم لى ولكم أمر إلا بما وقع فى قلبى وما ظهر لى وأريد أن

أدبر حيلة تبرى ساحتى عند الخليفة وأقول بعد ذلك ما يسرك من الخبر وسوف أصل اليك فى تابوت وأظهر على أننى ميت فيه فاشهرنى فى البلد حتى يعرفنى كل أحد ثم تأمر بى أن أحرق وبجمع الحطب وتوقده وتأمر باحراقى وإذا ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار تخرج بعض الأسارى من المسلمين وتفعل به ما أقول لك فلى فى ذلك تدبير لأنه ربما يكون عندكم جاسوس لا تعلمون به بعد أن تلفوا الأسير فى حصير وتلقوه فى النار وتكونوا قد أخيتمونى فى بعض الجهات فلا بد أن تصل هذه الأخبار إلى المعتصم فيقيم على المآتم ويحزنون على المسلمون إذا شاهدوا عذابى بغير الحق عنده وأبقى أعز من غلامه وعبده وبعد ذلك أدخل على الخليفة من غير فزع ولا خيفة وأقول له إن الله تعالى قد بعثنى رحمة للعباد ثم بعد ذلك أدلكم على أخذ البلاد وهلاك العباد وأملككم مدينة بغداد (قال الراوى) وأن الملعون لما فرغ من كتب الكتاب أرسله مع بطريق من أهل تلك القرية وقد أوعده بالخير والأموال فسار يقطع البرارى والقفار ويسير الليل والنهار إلى أن وصل إلى مدينة القسطنطونية وأوصل الكتاب إلى الملك أرمانوس ففكه وقراه وعرف باطنه ومعناه وأقرى الرسول وأعطاه وأقام الملك أرمانوس ينتظر قدوم عقبة إلى أن وصل إلى القسطنطونية بعد سبعة أيام فأخذه الملك وعمله فى تابوت كما أمره عقبة ولطخ وجهه بالزعفران وبقى عبره لكل انسان هذا والملعون قد أخفى نفسه وقطع حسه حتى ظن الملك أنه قد مات على الحقيقة فاشتهر بين الملأ والمنادى ينادى هذا عقبة قسيس المسلمين وقد بعث الملك وفتشه من قبور المسلمين (قال) ونظر دارس ومارس إلى ذلك فظن أنه حقا وأن الكلام صدقا ولم يشكوا فيه وبات الملك ولما أصبح أخرج مسلما من دار البلاط ولفه فى حصير وأخفى عقبة الخنزير وحط ذلك الأسير فى وسط أسواق البلد وقد أضرمت النيران وأحرقوا ذلك المسلم ووصل خبره إلى ملطيه وعرفوا أهلها تلك القضية فبكى الأمير عمروا بن عبيد الله وطالع الخليفة بذلك فلما وصل الخبر إلى المعتصم حزن وقال أنا لله وأنا اليه راجعون أستغفر الله مما قلناه فى حق هذ المسلم المسكين من سوء المقال ولقد كانوا يلبسوا علينا أمره حتى كنت أتحقق كفره بالكبير المتعال (قال الراوى) ثم أن الخليفة قعد لعقبة فى العزاء ثلاثة أيام وجاءت اليه السيدة زبيدة وقالت له يا مولانا ما الذى صح عندك من أخبار عقبة وهل صح موته أم لا فقال لها أيتها السيده أن الموت محتوم على العباد وبهذا حكم الملك الجواد ولا بد لى أن أكتب إلى الأمير عمرو بن عبيد الله حتى يخرج بنى كلاب من الثغور وقد علم الله قبح سيرة القوم الفجار فسلط عليه الكفار ولكن من حفر لأخيه بئرا أوقعه الله فيها قريبا والذى

اعلمكى به عقبة قد مات وأن الروم أخذوه وحرقوه وبقيت عظامه رفات (قال الراوى) فبينما المعتصم كذلك إذ دخل عليه البراج بكتاب من ملطية فأخذه وقراه وعرف معناه وإذا هو من عند بنى سليم وأميرهم عمرو بن عبيد الله وهو يقول يا أمير المؤمنين أن بنى كلاب قد ضيقت على الثغور وأن بنى سليم قد سأمت من أذيتهم ووقعت الفتن بينهم من أجل ما فعلوا والقاضى عقبة المرحوم ونحن نخاف من فتنة تجرى بين القوم فى ملطيه فتهلك الطائفتين بالكلية عند ذلك كتب المعتصم يقول هذا ماهو صواب وقد أمرت باخراج بنى كلاب من الثغور ولا يبقى فيها كلابى مذكور ثم أخذ الكتاب على جناح الطائر فما بات إلا فى ملطيه ولما أتى به البراج إلى الأمير عمرو بن عبيد الله فرح به وقراه وعرف معناه ثم أمر المنادى ينادى من قبل الخليفة بأنه قد أمر باخراج بنى كلاب من ملطيه وأن لا يبقى فيها أحد بالكلية (قال الراوى) فلما سمعوا بنى كلاب المنادى تجهزوا وأخذوا أموالهم ونساؤهم وأولادهم وامتثلوا مرسوم الخليفة ولم يركنوا إلى الذل فرحلوا بنى كلاب وقد خلت منهم الربوع والاطلال وأصبح الثغر لفقدهم بجموع وأظلمت لرحيلهم الديار وضجت لعويلهم الدور والاصوار ودامت عليهم الفكر والهموم وقد تذكروا فاطمة بنت مظلوم والأمير وعبد الوهاب وسائر الأمراء من بنى كلاب وكيف شمتت بهم الحساد وعرفوا المبغضين والاضداد وحزنت الأصدقاء الأجواد وخلت الديار من أربابها والقصور من أصحابها ورموا بسهم العين وزعق عليها غراب البين ورحلوا من الأوطان وقد أصابتهم الهموم والأحزان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك أرمانوس فانه أحضر عقبة وعظمه وبجله وأكرمه وأخذ فى الحديث معه وعقبة يحدثه بكلما يجرى عليه وقال أيها الملك أظن أن المسيح ما طول فى عمرى إلا حتى أخرب ديار المسلمين وأهدم ركن دين الاسلام ولا سيما إن عاونتنى على ذلك ميمونه فارسة الزمان ومقابلة الشجعان وعمدة سائر القسوس والرهبان فلقد استوهبتها من المسيح ويكفاها دعاء الشيخ النجيح (قال) وكان مدح عقبة لميمونه لعلمه أن الملك يحبها وأراد بذلك جبر قلبهـــا فقال له الملك أرمانوس أيها الشيخ النجيح قل ما تريد عنها حتى أبلغك المراد منها وأشفى قلبك من الأعداء وكل المبغضين وجميع الحساد (قال الراوى) ثم بعد ذلك قدم له الطعام من لحم الخنزير فأكلوا حتى أكتفوا من ذلك الطعام وقدموا لهم الغلمان آنية المدام فجعلوا الثلاثة يأكلون ويشربون بالكاس والجام إلى أن سكروا من خمر الدنان وجعل يحدثهم بحديث الواله السكران مما جرى لملوك الزمان كسرى أنوشروان ولم يزل الملعون كذلك

إلى أن أخذ بقلب الملك أرمانوس ولما أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح نزل عقبة إلى البلد وقد أفاق من السكر وقصد إلى قوم له جواسيس فى البلد وقد كانوا فى فى بلاد الإسلام وقد قدموا عليه وحدثوه بما جرى من المعتصم وكيف قالوا عنه زورو محال وان عقبه رجل صالح وميزانه بالحسنات راجح وحدثوه بحديث عمرو بن عبيد الله وكيف أخرج بنى كلاب من ملطية وأعادوا عليه جميع ما جرى من القصة ففرح عقبة بذلك وعاد من وقته وساعته إلى الملك أرمانوس وهو فرحان غير عبوس بما سمع من الأخبار وما جرى فى تلك الديار ثم قال أيها الملك أريد الساعة الخروج إلى بلاد الاسلام وأضع فيهم الحسام وأكتب إلى سائر الأقاليم السارح منها والمقيم فعند ذلك كتب أرمانوس من وقته وساعته الكتب وأنفذها إلى سبعة عشرة أقليم يأمرهم بالتجهيز للقتال والقدوم على الملك ففعلوا ذلك وسيرت الكتب على أجنحة الطيور فلم يتخلف أحد من الروم وقد أعتراهم الفرح والسرور بفقد الأمير عبد الوهاب وذات الهمة والبطال وبقيـة الأمراء وكان أرمانوس قد أعلمهم بذلك فى الكتب وما تأخر أحد من الملوك كل ذلك لعظم هيبته فى قلوبهم والثانى لعدم الأمير عبد الوهاب ورفقته فقالوا ملوك الروم الان قد دخلت بلاد الإسلام من حماتها وأذيقت كاس مماتها (قال الراوى) وقد بلغنى أن قوما من العرب من بنى غزيه وبحتر كانوا فى تلك الأيام يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وليس عندهم من الإسلام لا كثير ولا قليل وقد بلغهم أن يحيى صاحب الشام لما سمع بخبرهم جيش نحوهم الجيوش فلما سمعوا ذلك خافوا وصار كل أحد منهم مدهوش ثم هربوا ولم يكن لهم غير الدخول إلى بلاد الروم فدخلوا وقصدوا أرمانوس يطلبون منه الاقطاع فى البلاد والرسوم ثم يطلق لهم الديوان بشىء معلوم (قال) وكانوا القوم أثنى عشر ألف عنان فقال لهم الملك ارمانوس لا أعطيكم الديوان حتى تدخلوا فى دينى وتصيروا عندى فى أعز مكان وتبقوا مكان عرب حرب بن شيبان (قال الراوى) وكان ذلك برأى عقبة القرنان وقد أشار عليهم بذلك الشأن وقال للملك رغبهم بالمال لأن العرب طماعه على كل حال ففعل الملك تلك الفعال وغرهم الشيطان بالمحال لما رأوا الخلع وتلك الأموال وأغراهم أبليس حتى ردوا بعد الحق إلى الضلال ثم مالوا إلى الدنيا الساحره ونسيوا نصيبهم من الاخرة وقد كفروا بجبار الجبابرة وأقطعهم الملك مكان العرب المتنصرة مع عرب حرب بن شيبان وانضافوا إلى المملكة ميمونة وصارت تغير بهم على البلدان وتأخذ الأموال من بلاد المسلمين ويهلكوا الناس (قال) وكانوا القوم امراء ما منهم الأكل فارس همام منهم موهوب بن وافد ورافع بن

ناهض وعروة بن واثق وعلوان ابن سابق وبشر بن مرزوق وطلحة بن حزام وسيف بن همام وكان زعيمهم وأمامهم وأميرهم الفضل بن عكه الأسدى وكان أشجع أهل زمانه والمؤيد على أقرانه (قال الراوى) وأجتمعت الروم من سائر الأقاليم ولم يتخلف إلا رضيع أو فطيم أو شيخ عديم وقد أنفق عليهم أرمانوس الأموال وقواهم بالعدد الثقال ثم أن الملك صلى فى كنيسة سوفيه وأنفصل بعد صلاته طالب الغزاة وقد أخذ معه البيعه صليب من الذهب وزنه عشرين رطل (قال) وكان ذلك الصليب لايخرجوه إلا لأمر عظيم أو حال جسيم وكانوا الروم يقولون أنهم ورثوه من أيام فيلوس جد الاسكندر وكان قد صنع له قصبه من الفضة يحملونه عليها وكان يحمل هذا الصليب فارسين أحدهما عن اليمين وآخر عن الشمال وخرج الملك أرمانوس وقد ضربت البوقات ودقت الكؤسات وتقدمت أولاد الروميات وركب الملك فى مواكب حشمته وكتائب سلطنته (قال) وكان فى الميمنة ميمونه بنت الملك الدمدمان ومن حولها عساكر متنصرة العربان (قال الراوى) وكانوا جواسيس المسلمين لمارأوا ذلك ساروا إلى أن وصلوا إلى الثغور وذخلوا على الأمير عمرو بن عبيد الله وأعلموه بمسير الكفار اليه فلماسمع الأمراء ذلك من بنى سليم اليه وقال لهم اعلموا ان الكفار قد ساروا اليكم قاصدين وإلى بلادكم طالبين وقد أصبح الخليفة عليكم متكل وعلى شجاعتكم معول فكونوا أحسن من صبر على القتال والنزال واصرفوا همكم إلى لقاء الأبطال وقاتلوا قتال من يذهب عن العيال حتى لايقول القائل ان ماكان ماسك الثغور إلا عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الأنجاب واعلموا أن القوم قد أصبحوا عنكم نازحين وعن ملطية مبعدين فلا تشمتوا بنا الحساد والمبغضين وكونوا يدا واحدة على الأعداء والمشركين وجاهدوا فى الكفار تسلموا من عذاب النار (قال) فلما سمعوا بنى سليم من الأمير هذا الخطاب قالوا ياأمير لاتقول إنما كان يحمى الثغور إلا بنى كلاب وماهم عندنا إلا أخس من الكلاب وماكان يحمى الثغور إلا سيوفنا ونحن الذى كنا نحمى حريمهم ونذب عن أموالهم على كل حال وسوف ترى رجال وأى رجال ونحن أيها الأمير نقاتل ونحمى الثغور وما دام الجدار من وراء ظهورنا وان صعب الأمر علينا قاتلنا من وراء الأصوار ونحمى المخدرات من الكفار (قال الراوى) فلما سمع الأمير عمرو خطابهم وما ردوه من جوابهم علم انهم ماينفعون بنافعة فتذكر مواقف عبدالوهاب والأمراء من بنى كلاب والسودان الأنجاب فأنشد عند ذلك وجعل يقول هذه الأبيات .

الا من لضرب السمهريات والوغا ... اذا فقدت يوم الحروب الأكارم
عنوت بقولى للكرام الذين هم ... ذوى الفخر والتاييد يوم التصادم
تراس لقـــبر الهاشمى محمـد ... اذا أشهروا يوم القتال الصوارم
فذلهمة لو تحضر البؤس بيننا ... شفينا نفوسا من قتال الضراغم
ومن حولنا أبطال عامر كلهم ... وحام من السودان أسد قشاعم
وأولاد ذاك الماجد القيل انهم ... ليوث الوغا أهل العطا والمكارم
تركنا بنو الأعمام يبكون حسرة ... على أهلهم من بعد حل العمائم

(قال) ثم إن الأمير عمرو بن عبيد الله اتفق رأيه على القتال والحرب والنزال وكتب إلى الخليفة ليعلمه أن ملك الروم قاصد إلى بلاد الاسلام فلا تغفل عنا ياأمير المؤمنين والسلام فلما وصلت الأخبار إلى المعتصم عزم على لقاء الكفار والجهاد فى طاعة الملك الجبار (قال) وكان المعتصم خفيف جوال وكان له رغبة فى لقاء الأبطال (قال الراوى) وكيف لايكون ذلك وقد ورث الشجاعة والاقدام لأنه من نسل هشام (يا سادة) ثم ان المعتصم كتب إلى سائر الأقاليم والآفاق بتقدم العساكر ثم أحضر وزراه وهم محمد بن عبد الملك والفضل بن مروان وأمرهم أن يكتبوا الكتب إلا جميع الأقطار بالاعذار والانذار والابراق وأن لايتخلف أحدا عن المسير إلى العراق فمن أبطأ علمنا أنه من أهل النفاق لأنه ترك طاعة امامه والمسير تحت أعلامه (قال) فعند ذلك كتبت الكتب الى سائر النواحى والأطلال وسارت الرسل بالكتب من العراق إلى ما فى النهروان من بلادالعجم وبلادالديلم وإلى الأكراد والنازلين فى وسط البرارى والوهاد واطمعوهم فى بلاد الروم وأن يأخذوا الغنايم بعد خراب الديار والرسوم فعند ذلك انفردت الجيوش من سائر البلدان وأتت الأبطال من كل مكان وانقادت العساكر إلى العراق ملء الآفاق وترادفت الجيوش حتى نفرت من كثرتها الوحوش ومازالت العساكر إلى أن امتلأت بهم الأماكن الفساح وضاقت بهم الروابى والبطاح ووصلت أيضا عساكر واسط والبصرة وديلمان الى كرمان وعساكر لايعلم عدتها إلا الله تعالى الملك الديان الحنان المنان (قال الراوى) فلما نظر الخليفه إلى تلك العساكر فرح فرحا عظيما ثم أمر بعرضهم حتى يعلم عددهم فوجدهم جريدة القوم من الترك والعجم والأكراد والديلم والتركمان سبعمائة ألف عنان غير عسكر الشام وديار مصر والموصل ثم انه فتح خزائن المال وفرقها على الرجال وبرز الخليفة إلى الجانب الغربى حتى تكاملت العساكر تسعمائة ألف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس بالرماح الطوال والسيوف الصقال والبيض العادية

والدروع الداوودية والخيل العربية (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عمرو بن عبيد الله فانه بعث الحريم كله إلى آمد خوفا من السبي وشماتة كل حاسد ولم يبق فى ملطية إلا الرجال جرايد وهم على الخيل فوايد (ياسادة) فهذا ما كان من هؤلاء وأما كان من الروم فانهم ساروا فى جميعهم الغزير والعدد الكثير وقد تقدمت قدامهم الغلمان والصلبان فلما رأى عقبة ذلك فرح واستبشر وقال فى هذه النوبة أخرب ديار المسلمين وأهلكهم أجمعين وأترك ديارهم خراب بغيبة ذات الهمة وعبد الوهاب (قال الراوى) وكان الملعون أخفى نفسه حتى لا يعرفه أحد من أهل دين الحنيفية ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ملطية ودار. ا بأبراجها العلية وأصوارها المبنية فنظر أرمانوس إلى تلك الديار فرأى اقليم عامر وضياع عامرة فيها رياض وأشجار وأزهار وأنهار وأطيار تسبح الملك القهار والبلد من شدة التحصين ما يلحقه الطير الطائر فعند ذلك قدم كتائبه ومواكبه وضربت خيامه ومضاربه ثم أمر بتقديم المدبجة فى المقدمة بالثياب المدبجة المرهجة ومن بعدهم القياصرة والهراقه وغيرهم من الأجناس المتقابلة (ياسادة) وكان ارمانوس قال لعقبه أيها الشيخ النجيح قد بلغنى أن هذه المدينة لم يبق فيها إلا بنى عمك من بنى سليم وقد استبقيتهم لأجلك فدعهم يخرجون من البلد سالمين واترك أنا فيها واحد من ملوك الروم لأنه بلد حصين وموضع أمين وما أريد أن يطرل مكثى عليه لأنى ما بغيتى إلا العراق ولا بد لى ما أملك سائر الآفاق فقال عقبه يا ملك دع عنى قولك فى بنى عمى وغيرهم من الامم وافصل بالسيف كل مسلم لقيته من العرب والعجم فلا رحم المسيح صداهم ولا بل ثراهم فاقتل أنت المسلمين عن بكرة أبيهم فان قلبي لا يرحم مسلم أبيض كان أو اسود وأنت أعرف بذلك من كل أحد وكم ياملك من جامع قد أخربت وكم من مسجد قد هدمت وكم من طفل ذبحت وكم من حريم فتكت وكم من صبى وغلام أهلكت وكم من شجاع قتلت وكم من جموع شتت وكم من كبد مسلم فتت وكم من صدقة للرهبان أعطيت ولا بد لى أن أدق الناقوس بالنهار وأخرب البلاد وأهلك العباد وأملك بغداد واجعلها كرسى مملكة الروم وأترك عيش المعتصم عيش مذموم لان ما فى قلبى قط رحمة للمسلم فعند ذلك أقبل عليه الملك وقال له ما الذى تريد أن أعمل فقل لى كيف أعمل فقال له عقبه الرأى عندى ان تقدم مائة الف رامى يرمون عن قوس واحد لا يتركون أحدا يشرف عليكم ثم تنصبون السلالم وتطلع فيها الرجال وقد ملكتم البلد على كل حال واهلكتم النساء وذبحتم الاطفال ويكون لك الثواب من المسيح ويصير لك فى الجنة موضع فسيح لانى سمعت عن شمعون الصفا عن سكرر كبس عن مرقص عن حنا انه قال

من قتل مسلم أو قاتل المسلمين أعطيته فى الجنة خمسين فدانا من الاجر (قال الراوى) فلما سمع ارمانوس كلام عقبة فرح وقال يامولاى أنت عبد المسيح حقا وقولك صدقا وإذا مت عدمت البركة من الارض ثم ان الملك أدعى باصفانوس بن مقلاعوس ملك الارمن وقال له أريدك تزحف إلى ملطيه بسهام رجالك وتريني اقدامك وأفعالك وحربك ونزالك فعندها لبس عدته وغاص فى لامته وأخذ قوسه وكنانته وصاح فى الارمن فارتعدت أجسادها من هيبته وركب الآخر من وقته وساعته وزحف إلى ما أمر به (قال) فلما نظرت بنى سليم إلى كثرة تلك الخلائق وقد سلبوا بصياحهم المغارب والمشارق ونظروا إلى تلك العدد وتزايد المدد فغلقوا أبواب البلد وما فيهم الامن خاف وارتعد وتصايحت منهم المشايخ والشباب وذكروا فى ذلك الوقت الامير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب والسودان الانجاب ونادى الامير عمرو بن عبيد الله يا آل سليم هذا يوم تكشف الضيم فقالوا ياأمير ومن يقدر يخرج إلى هذا العسكر الكثير والجيش الغزير ولكننا نقاتل من خلف الاصوار ونصبر على الحصار ونبذل المجهود فى طاعة الملك المعبود فقال الامير عمرو أما والله لو كان هاهنا ألف فارس من بنى كلاب كانوا وقفوا فى صدور هؤلاء الكلاب وأرموا بهم المصائب وفرقوهم فى التراب هذا والارمن قد زحفت وبالسهام رشقت وكان عقبه بينهم يحثهم على القتال ويقول للأرمن بلسانهم دونكم وإياهم ولا ترحموا منهم شيخ ولا امرأة بل اسقوهم الجميع كاس الوفاه فعند ذلك دارت الارمن بالاصوار من كل جانب من اليمين ومن اليسار وارموهم بالسهام عن قوس واحد وهم مائة ألف فخيل لهم أنها غمامة سوداء وقد حل بهم الرداء (قال الرواى) وعظم المصاب وحارت من بنى سليم الألباب وهلكوا من رمى النشاب وقلة الرجال بقتال كبير عظيم هذا وعقبه كأنه شيطان رجيم قد قصص لحيته وصغر عينيه وعمل على أكتافه شعر زور وألقى على جبينه عصابة من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر ولبس قباء ديباج أحمر ومسح أسود من صوف السمك ومن فوقه عقاره من الحرير الأخضر وهو راكب على جواد أشقر عالى من الخيل مضمر بغره تزهر اصلب الدعايم قوى الشكايم ثم بقى الملعون كأنه من بعض ملوك المغابيط وقد أقبل إلى خيمة الملك ارمانوس فلما نظره حسبه من بعض الملوك فصار باهت اليه والملعون واقف وهو ساكت ساعة ثم تبسم وعرف الملك بروحه فتعجب منه وسائر الملوك وقالوا لقد رحمنا المسيح بهذا الشيخ النجيح (قال الراوى) فقال عقبه بمثل هذا الزى ادخل العراق ولا يعرفنى أحد من الأصدقاء ولا من الرفاق وأسير إلى عند المعتصم رسول وأعمل على خراب مملكته ودولته ثم ان الملعون ركب من وقته وساعته وأخذ

معه ملك الارمن وأخذ الأبطال بين يديه وأمرهم ان لايرموا شيء فامتثلوا أمره وتقدم إلى تحت الصور وقد أشرفت عليه بني سليم لعل أن يكون لهم من ذلك الضيق فرج ومخرج فنادي عقبة بلسان المغلبيط ياقوم أعلموا أن أبى صليبا أوصانى قبل أن يموت وقال لى يا بنى إذا خرج الملك أرمانوس إلى بلاد الإسلام فاسأله أن يترك قتالهم وقد فعلت ما أمرنى أبى وما أوصانى به وأنا صبى وقد سألت الملك فيكم بشرط أن تخلوا البلد ولا يبقى فيه منكم أحد وأخرجوا أموالكم وحريمكم وسلاحكم وسلموا المدينة إلى الملك وقد كفيتم كل هم عظيم (قال الراوى) وكان الأمير عمرو بن عبيد الله يحفظ بلسان الروم ولا يفهم بلسان المغلبيط ولما نظر إلى عقبة قال سبحان الله ولا إله إلا الله سبحان الخالق المصور لو ان هذا البطريق طويل اللحية وليس على رأسه وأكتافه هذا الشعر لقلت أنه عقبة بن مصعب بلا ريب ولا محال ثم قال عمرو للترجمان ما الذى يقول هذا الشيطان قال يا مولاى يقول كذا وكذا فقال الأمير عمر وقل له يا كلب الروم ويامن غضب عليه الحى القيوم والله لا نسلم اليكم من البلد حجرا أبكما ولو شربنا كؤس الردى والساعة تقدم علينا عساكر الموحدين وأبطال المسلمين ويردوكم عن البلد خاسرين وإلى بلادكم راجعين (قال الراوى) فلما سمع عقبه ذلك وبنى سليم يعطعطون عليه ويلعنون والديه ثم أن الأمير عمرو بن عبيد الله كتب كتابا إلى الخليفة يستنجده بالقدوم عليه والورود اليه فأتاه الجواب بعد أيام قلائل أنى اليك واصل وبينما بنى سليم ينظرون الفرج وإذا هم بأربعة من الخياله قد أقبلوا من نحو الفرات وهم يلوحون بأسيافهم فبهتوا بنى سليم إلى ذلك وإذا هم بغبرة قد طلعت وعجاجة قد أرتفعت وقد أظلم لها الجوى والنواح وضاقت بها الأماكن الفساح ثم أنكشف بعد ساعة وأنجلت لها عن خيل تتدفق مثل السيل وهم فى لون الظلام وعليهم الزرد النضيد والأعمدة الحديدة بأيديهم ولمعان الخود قد برق عليهم والصلبان باهرة والجيوش نافرة والعيون اليهم ناظرة والقلوب من رؤيتهم طائرة (قال الراوى) وكانت هذه الغبره غبرة ميمونة اللعينه وسودانها فانها كانت فارقت الملك أرمانوس من مرج الرياض وأخذت معها طائفة من العرب المنتصرة وهم الذين كانوا أتوا الملك من وادى موسى وكانت ميمونة تحب أرمانوس فأخذت رجالها ووصلت إلى أرض حصن زياد وإذا هى بحريم بنى سليم الذين كانوا سيروهم إلى آمد فمالت عليهم وآخذتهم أخذا باليد واسرت من معهم من الرجال ثم غارت على شمشاط وبانوا وأعمالها وأرض أرمن وأطلالها وأحتوت على مائة ألف أسير ما بين أمرأة وشاب وشيخ كبير ورجعت مع سودانها والعرب المنتصرة المنزله

فى ديوانها وقد أرسلت خمسة آلاف يغيرون على الأرض طرسوس وخرشنة فوجدوا هنالك من عساكر المسلمين مائة ألف وقد تجمعوا من بلاد الهكاريه وغيرها وهم طالبين المعتصم فصبروا عليهم إلى الليل وكبسوا المسلمين على غفلة منهم فقتلوا وأسروا ووحاشوا الغنائم وذبحوا الرجال ذبح البهائم وعادوا طالبين ميمونة فوجدوها فى الطريق وقد إغارت على بلاد المسلمين ومعها الأولاد والحريم وحولهم كل شيطان رجيم ولما وصلت الملكة ميمونة لى الملك أرمانوس ترجلت لها سائر الملوك والبطارقة والخواص أعظاما لها وكان أرمانوس أمرهم بذلك فلما أقبلت ميمونة على الملك قبل رأسها ثم أعرضت عليه الأموال والاسارى من النساء والرجال وقالت أيها الملك هذا عوض المال الذى أنفقته على عسكرك ووحق نعمتك لابد لى أن أملكك البلاد وأذل لك رقاب العباد فقال لها أرمانوس وحق المسيح لقد أفلحتى فى طريقكى ولقد كان فيما فعلتيه الصواب واتيتى بالأمر الذى لا يعاب (قال) وتقدم اللعين عقبة إلى الملعونه ميمونة وقال لها أيتها الملكة دونكى الآن وهذا البلد فلعلها تفتح على يديكى لأن المسيح ناظر اليكى وأنوار الطاعة قد ظهرت عليكى ومريم الزكية تعينكى على كل قضية وتعطيكى الثواب على ما تفعلى فى الملة الحنيفية (قال) وان بنى سليم لما نظرت إلى حربهم وأثقالهم مع الروم وكان عليهم صباح ميشوم وقد أرتفع منهم البكاء والعويل وأيقنوا بالذل الطويل وجردوا كل حسام صقيل وقالوا لبعضهم بعض والله لئن لم نجد فى القتال والحرب والنزال وإلا ملكونا لامحال هذا وقد تقدمت ميمونة وسودانها ومن أنضاف اليهـــا من منتصرة عربانها وعبيدها واقرانها وامرت أن يرمى الصور بالعرادات والمناجيق فتقدمت السودان نحو الصور وقد تقدمت الارمن بالسهام فعند ذلك أستقبلتهم بنى سليم ووقع القتال وعظم الزلزال وحامت عليهم طيور الاجال وكثر القيل والقال وصار النقاب ينقب ويعمل الصخور من المناجيق إلى ملطية تنزل وعظم الشر وقرب الأجل هذا والأمير عمرو بن عبيد الله ويقول يابنى عمى قاتلوا فى مرضات الله عز وجل ولا يلحقكم كسل ولا فشل وعمل السيف أوفى عمل (قال الراوى) فبينماهم كذلك وإذا بالصور قد تزلزل وأهتز لكثرة الزحف وأنهدم وقد أيقنوا بنى سليم بالهلاك والعدم هذا وقد زحفت الملعونة ميمونه برجالها وقد أنذهلت بنى سليم من أعمالها وملكت الأمير عمرو بن عبيد الله أسير وقادته ذليل حقير وكذلك محمد بن ابان السلمى وفهد بن جابر وحمدان بن عامر وحسان بنى غانم وعمل فى ملطية الصارم البتار وملكت ملطية نهار جهار (قال الراوى) فشكرها الملعون أرمانوس وضم الاسلاب اليها وبعث الكل معها إلى مدينة القسطنطونية

فسارت الملعونة ميمونة بهم إلى أن دخلت إلى البلد وجعلت الأموال فى الخزائن ورجعت على أثرها طالبة الملك أرمانوس إلى أن وصلت إلى الدروب فالتقاها رسول الملك أرمانوس بعلمها انه قد نزل على امدفتمت قاصده آمد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما جرى ههنا من الكلام (وأما ماكان) من أمر الخليفة الامام فانه احتفل بكثرة الأمم من الترك والأكراد والديلم والعجم ولم يزل سائر على عجل وقد سد بكثرة عساكره السهل والجبل فقال لوزيره أنا قد خطر لى رأى على أننى أسير من هذه الأرض على أرض سجستان ونختلط بعساكر الروم ويكون من الله ما أراد (قال الراوى) وسار المعتصم بالله من العراق إلى شمشاط فى ذلك الجيش الغزير وبين يديه مائة ألف سائرة فى المقدمة من الأبطال والشجعان والاقيال (قال) وكان المعتصم بالله كسرى زمانه واسكندر أوانه وقيصر عصره وزمانه وكان على رأسه ألوية الحمد وبين يديه مواكب العز والسعد وكان فارس الاقطار وبطل غشمشم تحير فيه الأفكار هذا وقد تزلزلت الأرض من جميع الآفاق من حين خرج المعتصم بالله من أرض العراق وقد ارتعبت القلوب وانقادت بين يديه الجنود وعلى رأسه الرايات والاعلام والبنود (قال الراوى) لهذا الكلام فهذا ما جرى ههنا وأما الملعونة ميمونة فانها كانت قالت للمعون أرمانوس أنا أريد المسير أيضا بعسكرى إلى سجستان ونكسب عسكر المعتصم بالله فى الليل وننزل به الذل والهوان والويل فقال لها الملعون أرمانوس اعلمى أن الدوقس الكبير مع الدمشتق على ميا فارقين فامضى اليه واستشيريه فى أمر المسلمين واسمعى من رأيه فانه دمار على الموحدين فعلمته الملعونة ميمونة أن الملك أرمانوس يشير على الدوقس الكبير يعنى الملعون عقبة الخنزير فسارت أيضا فى أصحابها إلى أن أشرفت على تل الطين الذى فى ذلك المكان ونزلت فى أصحابها هنا لك (قال) وكان نزولها عند طلوع سهيل وقد مضى من الليل الثلثين وكان عقبة قد سمى روحه بالدوقس ملقيطا بن جرجيس وكان عقبة قد ضيق على أهل ميا فارقين وقاتلهم القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد فلما نزلت الملعونة ميمونة هنا لك أرسلت خلف عقبة فى السر فأتى اليها وقبل يديها فقالت له ياعماه اعلم أن الملك قد بعثنى اليك وقد اتفق رأيي على أنى أسير مع عسكر المتنصرة وأطوى الأرض إلى أن أصل إلى عسكر المعتصم ونختلط بهم أيضا فى الليل ونهجم عليهم وندوسهم بالخيل فقال لها عقبة ياملكة ما هذا صواب بل نحن نملك ذيل الخيل ونقصد طريق ارزن وأبعث أربعة من النجابة إلى ميا فارقين يبشر وابان الخليفة بعث لهم نجدة وابعثى إلى من عسكرك ثلاثة آلاف يكونوا أبطال حتى أقول لك أن الملوك قد بعثت لهم نجدة فاذا كان ليلة غدا فأقدمى بعسكرك فانه

نحن إذا رأينا غبارك نرحل من البلد فتدخل انتى بمن معك إلى المدينة لأنهم يظنوا أنها نجدة أتت اليهم من عندالخليفة كما ذكرنا وتتسلمين البلد بمافيها (قال) فاستصوبت الملعونة ميمونة رأيه وبعثت معه فى ساعة الحال ثلاثة آلاف فارس من كل ليث عابس وقد سارت من ذيل الجبل وطلبت طريق ميا فارقين فلما أن نظروا إلى ذلك أيقنوا بخراب الديار (قال) ولما أشرف الضياء من كميت الغياهب وأقبل الملعون عقبة مع ضوء النهار فى ثلاثة آلاف فارس فنظروا أهل ميا فارقين إلى ذلك فعند ذلك ركبت العساكر مع الدمشتق يعنى الملعون عقبة وقد أقبل الملعون عقبة على أهل البلد وأشار اليهم فسكتوا وقد ازدحموا على الاصوار حتى يسمعوا ما يقول رأس الفجار ومن غضب عليه الملك الجبار خالق الليل والنهار فقال الملعون عقبة لأهل البلد ياقوم اعلموا أن الملك قد بعث لنا نجده وفى غداة غد يصل لنا عسكر آخر وقد مضى الملك يلتقى خليفتكم المعتصم وما بقى لكم ناصر فسلموا الينا البلد واستسلموا تنجوا من النكد وإلا وحق المسيح تندموا ولا يبقى منكم أحد

(قال الراوى) ياساده يا كرام فقالوا المسلمين لعقبه والله ياعدو الله لاسلمنا اليك البلد أبدا ولو شربنا كاس الردى وستعلمون من منا يندم وعن قليل تأتيكم فرسان الترك والعجم والعرب والديلم (قال) فعندها رجع الملعون عقبه إلى الروم وأشار اليهم أن ازحفوا إلى البلد فزحفت الأبطال وقاتات الرجال وقد ارتفع الصياح من جميع النواح وعلا ضجيج النسوان من كل جانب ومكان وقد أيقنوا بالعطب ولم يبق لهم إلى النجاة من سبب ولم يزالوا كذلك إلى أن توسطت الشمس فى قبة الفلك وعطشت الاكباد وأشتد الظمأ وقد تلهفت القلوب على شربة من بارد الماء (قال) فبينما هم كذلك إذ أقبلت الاربعة النجابة وهم للمدينة قاصدين إلى أن صاروا تحت ميا فارقين فلما نظروهم المسلمين ارتفع ضجيجهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير وصاحوا ياعدو الله هاقد جاءنا النصر من عند الله وجاءتكم جنود الرحمن يا أهل الكفر والطغيان (قال الراوى) إلى هذا الكلام وكانت هذه النجابة الحيلة التى دبرها عقبة مع الملعونة ميمونة الكلبة هذا والروم يتطاولوا اليهم بالاحداق وقد مدوا الاعناق وإذا بالنجابة قد قربت وإلى نحو الصور قصدت إلى أن وصلوا إلى الحصن فصاح عقبه على الروم ياويلكم دونكم وإياهم فأسرعت الخياله اليهم فرموهم المسلمين بالأحجار والصخور الكبار إلى أن أحموا النجابة وفتحوا لهم باب البلد وأتوا بهم إلى المتولى ومن حوله مشايخ البلد فسألوهم عن الخليفة فقالوا لهم قدقرب

من البلاد وقد أرسل اليكم مروان بن عجلان وعيينة بن عجيف السلمى فى عشرة آلاف فارس وقد انضافت اليهم كثير من السودان سودان الأمير عبد الوهاب الذين كانوا تشتتوا فى البلاد (قال الراوى) وكانوا أعنوا بذلك عن سودان الملعونه ميمونه وقد فارقناهم من عند دارنا وأنقذنا نبشركم بقدومهم وفى ليلة غداة غد يكونوا عندكم ويقدمون عليكم فلما سمعوا القوم ذلك الكلام طمعوا فى الفرج وضمنوا النجابة الخلع والذهب وزال عنهم الهم والفزع والجزع ولم يكن عندهم خبر من الأمر المقدر وماحكم به عالم البشر

﴿ تم الجزء السادس والأربعون ويليه الجزء السابع والأربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب حروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السابع والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) هذا وقد أمر عقبه للروم ان يظهروا الخوف والفزع والجزع وان يشيلوا خيامهم ويقلعوا رماحهم هذا وجميع المسلمين يعطعطون عليهم فلما ولى النهار وأقبل اليوم الثانى أصبحوا الروم قاتلوا أهل ميا فارقين إلى الليل فلما كان عند الصباح وإذا بصوت الكؤسات من صوب الشرق تحقق والبوقات تنعق والزايات قد أشرقت والاصوات قد ارتفعت هذا وأهل البلد يدعون للخليفة وقد زال عنهم الفزع والخليفة وقد ضجت البوقات والشمع والمشاعل فى أيدى العلماء وهم أمام منتصرة العربان وأبطال السودان وعلى المقدمة الملعونه ميمونه بنت الملك الدمدمان وقد كثر الصراخ من جميع النواح وقد طمعوا أهل ميا فارقين بنيل المراد ومسرة الفؤاد وما علموا بما قد جرى عليهم من قضاء رب العباد هذا وقد ركب الملعون عقبه فى ساعة الحال هو والدمشتق وأظهروا أنهم هاربين وإلى النجاة طالبين والعطعطة قد أخذتهم من أهل ميا فارقين من كل جانب ومكان وقدملات العساكر جميع الصحصحان وتقدمت الملعونة ميمونه والاعلام السود على رأسها وكانت قد أخذت هذه الاعلام من ملطيه (قال) فلما نظروهم أهل البلد لم يشكون فى هذه القضية ولا داخلهم ريب بالكليه وقالوا ما أسرع ما أتى الفرج من عالم الغيب والشهادة أدام الله تعالى على الخليفة أيام السعادة ونزلوا فى الحال وفتحوا الباب وقدامها الشمشاط المتنصر وابن عمه سبع الفلاة وغانم بن نبهان وكانوا هؤلاء من الشجعان ولما توسطوا البلد وقربوا من الجامع زعقوا عن صوت واحد أذهل المسامع وصاحوا بكلمة كفرهم وقد علا صهل كل جواد أدهم وجرد كل بطل سيفه وهمهم وقد قطعت النواصى واللمم وقلقت الجماجم والقمم وصارت العظام رمم وجار السيف لما حكم وصارت الموالى خدم وزالت

عن أهل ميافارقين النعم وقد سطوا عليهم الأشرار وأيقنوا المسلمين بالدمار وأخذت ذوات الخدور الأحرار وسببت البنات الأبكار ونفذت أحكام الملك الجبار وتمكنت الأشرار من الأخيار وحكمت الكفار فى الأبرار وطلبت أهل المدينة الباب وقد ضاقت الأمور والاسباب وأكثر أهل المدينة خرجوا من عظم مازاد بهم من العذاب وطامت بعضهم ارزن وشمشاط ومنهم من رمى روحه من أعلاالصور وما أصبح الله تعالى بالصباح إلا والملعونة ميمونه قد ملكت المدينة ثم جمعت الأسارى والبنات والنساء المخدرات وأخربت المساجد والجوامع ثم انها تركت فى البلاد مرهف بن فاقد المتنصر ومعه ألف فارس ورجعت ودخلت إلى آمد إلى الملك أرمانوس وسلمت جميع الاسلاب والمال اليه ثم ان الملعونة ميمونه قد أخذت جيشها وطلبت السويديه ووصل الخبر إلى المعتصم بالله بماجرى على أهل ميافارقين فحزن على المسلمين ورحل الى شمشاط ووصل إلى الموز (قال الراوى) وان عقبة ادعا بالشمشاط وبنى عمه وقال للملعونة ميمونه الرأى عندى أن نرسل هذا الرجل وبنى عمه إلى الخليفة ويخبروه انهم قد وصلوا من بلاد الحجاز ليجاهدوا بين يديه فى سبيل الله تعالى فأرسلتهم الملعونة ميمونه فساروا كما أمرهم اللعين عقبة وقد علمهم الخديعة والمحال فساروا إلى أن أشرفوا على جيش السلطان ولما أن أرادوا الوفود اليه أرسلوا رجالا منهم إلى عند الخليفة يعرفوه انهم جاؤا من الحجاز يرومون الجهاد فى سبيل الله تعالى وهم عشرة آلاف فارس (قال الراوى) ولما قدمت الرجال أدخلوهم على الخليفة فى ساعة الحال فلما دخلوا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وأخبروه بمن قدم عليه فرح الخليفة بذلك وأمر ان يخلع عليهم وقال المعتصم بالله اللهم أعز الإسلام وصحبه وأخذل أهل الشرك وحزبه (قال الراوى) ولما خلع عليهم سألهم فقال كبيرهم يا أمير المؤمنين نحن قوم من أرض الحجاز وقد قطعنا اليك المفاز من بلاد القحط والجوع والذل والقطوع نريد المعاش ونطلب الانتعاش وقد سمعت أن الروم قد خرجت إلى بلاد الاسلام فأقبلنا نجاهد بين يديك أيها الامام ابن الامام فأنعم علينا بالقبول والرضى وقد قطعنا اليك متسع القضا فعندها تبسم الخليفة وفرح واستبشر وقال أين أصحابكم فقالوا يامولانا بالقرب من عسكرك المنصور وجيشك المحذور (قال الراوى) فلما سمع الخليفة ذلك قال امضوا اليهم وأتوا بهم فركبوا وأتوا إلى قومهم وقالوا لهم ابشروا بنصر المسيح وقول الشيخ النجيح فعند ذلك وردوا القوم الملعونة ميمونة قد لحقت بهم وهى متنكرة بينهم (قال) وأن الشمشاط المتنصرة تقدم ومعه عروة بن واثق ورافع بن سابق وبشر بن مرزوق وجابر بن معتوق وخدلجه بن همام وما زالوا سائرين إلى أن

وصلوا إلى سرادق الملك الأعظم خليفة الله في أرضه فترجلوا وقبلوا الأرض بين يديه وتقدموا له ودعوا له بالدوام ولا عدائه بالانتقام فخلع عليهم الخليفة المعتصم الامام وعقد لهم رايات سود مكتوب عليها بالبياض لا إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وبينما الناس كذلك وإذا بالأخبار قد وصلت أن الملك أرمانوس قد نزل من عقبة القائم وهو البكم قادم (قال) ولما وصل الخبر إلى المعتصم بالله قدم عزمه إلى اللقاء وحل من يومه وقد فرق العدد على ألف فارس من العرب المتنصرة واختص منهم الأمراء والمقدمين بأحسن اللباس وأفاض عليهم مافى خزانته من الأموال وتقدم أيضا كل أمير بعسكره وكل قائد بجيشه وقربت الجنائب وازدحمت الكتائب وترادفت المواكب وضاق القضاء وتسارعت الفرسان وتقدمت الشجعان وهممت الاقران وتكاثرت الأقيال وساروا المسلمين يريدون مع الكفرة الجال بمفرج الزعفران وهم في أحسن زى يكون بسائر الألوان من ثياب الزرد والسيوف المرهفة والجيوش المصففة والاتراك واقفه والديلم بالحراب والاتراس راجفة والعرب قد تقدمت رماحها المداد بأسنه لامعة وأشهروا السيوف القاطعة والدرق المانعة وترادفت الخيالة وتقدمت الرجالة ونشرت الرايات ودقت الكوسات ونعرت البوقات وهجمت الصافنات واشتهرت أرباب العزمات وقرؤا القراء القرآن من حول موكب الخليفة وقد جللته الهيبة والوقار والسطوة المنيعة ودارت به الهاشميين وبنى العباس والعلويين وبردة النبي صلى الله عليه وسلم على كتف المعتصم بالله وفى يده القضيب الممشوق (قال الراوى) فلما رأت العرب المتنصرة إلى ذلك ارتعدت فرائصهم وغرغرت أيضا عيونهم ونطقوا بالشهادة وكانت جملة السعادة لأنهم قريبين بعهد الاسلام فنادوا الجميع عن لسان واحد بين يدى الامام ابن الامام بكلام طلق فتح لنا الباب الملك العلام الذى أجرى الاقلام وأبرم الأحكام وحلل الحلال وحرم الحرام ومالوا بأجمعهم إلى أميرهم الشمشاط وقالوا له يا أمير أعلم أن الله تعالى ما أراد بيننا إلا خيرا إذ رجعنا إلى الاسلام ديننا وإلى قول نبينا وإلى رجل يصبر على ذلك وقد سمعنا كلام الملك الخلاق وقد حقت الحقائق ونظرنا الى بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتف الامام (قال الراوى) فلما سمع عقبة هذا الكلام علم أن قلوب قومه قد مالت إلى دين الاسلام وحنت جوارجهم إلى القرآن نخاف أن يسلموا إلى الخليفة وفى وسط المعمعة يقتلوه فقال يا بنى اعلموا أن الخليفة قد علم أننا أكلنا لحم الخنزير وشربنا الخمر فوالله لئن وقعتم بين يديه لا يرجع يبقى عليكم ويرجع يقول لكم ما أتيتم ألا تنصبوا عليه حيلة وتنكبوه نكبة ولا ندرى

لمن تكون الغلبة إن كانت للملك أرمانوس وملك البلاد فانكم ما تخلصون منه وإن كانت للسلمين قدرنا أن نقاتل وللعدو نناصل ونرجع إلى باب الخالق ونستغفر من ذنوبنا البوائق ولم يزل اللعين إلى أن ردهم عن ما عزموا عليه ثم أن اللعين التق بالملكة ميمونة اللعينة وأعاد عليها القصة من أولها إلى آخرها والحيلة التى دبرها عليهم فشكرته على ذلك (قال الراوى) ياسادة وأشرفت العساكر على العساكر وأظلمت الدنيا من الغبائر ووقعت العين على العين ونزلت الطائفتين وضربت خيام المتنصرة وسرادقات الترك والديلم فلما ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل وقدأضرمت النيران وتحارست الفريقان وضجت الحراس من كل جانب ومكان (قال الراوى) فعند ذلك أخذت ميمونة خادمها وخرجت إلى ظاهر الجيش وأخفت أمرها وكتمت سرها وسارت من عسكر الخليفة طالبه عسكر أرمانوس إلى أن دخلت عليهم فلما رآها قام لها على قدميه وقبلها بين عينيها وبجل قدرها وسألها عن رجوعها وسبب ذلك فحدثته بما كان من العرب المتنصرة وبما فعل الشمشاط معهم حتى ردهم بالحيلة (قال الراوى) وباتت عندهم طول الليل فأنساها ذلك محبة عبد الوهاب ولدها بحرون ولما ولى الليل بظلامه وأقبل النهار بابتسامه ركبت العساكر وتقدمت الدساكر وازدحمت العشائر ورجفت القلوب والخواطر واشتهرت البواتر واصطفت الصفوف وزادحمت الألوف فكان أول من برزإلى الميدان فارس من المغلبيط لا يصطلى له بنار ولا يعدى له على جار وما حمل فى كبسه الا كسرها ولا عساكر إلا هزمها ولا كان يحمله جواد من ثقل جثته إلا أن يكون من الخيل الجياد ولا يثبت أحد اقدامه لأجل قوته وشدة براعته وكان أسمه ملغويص بن الغالوغص وكان قد هوى جارية من بنات الملوك وهى من بنات عمه ورآها فى يوم عيد الصليب وهى فى كنيسة لهم فهو بها وسأل عنها فقيل له هذه يقال لها مانوسه بنت الاكريس فمضى إلى أبيها وأهدى له هدية وخطب منه الجارية فقال له أبوها يا بنى ومن لها كفؤسواك أو اكرم من أباك غير أنى أريد فخر الا بنتى تفتخر به على سائر بنات الروم فقال له الغلام وما الذى تريد لها من الفخر والصداق والمهر فقال له أريد منك أربع غلمان من أمراء المسلمين تأخذهم أسارى وتأتى بهم اليها حتى يكونوا خدامها فى الكنيسة ويدقوا بين يديهم الناقوس وعشر جوار من بناتهم يكونوا برسم خدامتها فأجابه الغلام إلى ذلك (قال الراوى) فبينما هو فى الحديث وأبيها إذ أقبلت رسل الملك أرمانوس برسالة إلى الملك الملبيط فسار والغلام معه إلى أن وصل إلى الملك أرمانوس فلما كان ذلك اليوم خرج هذا الغلام إلى مقام الصدام

وراد القتال لكى يفوز بما شرط عليه أبو الجارية ويوفى بعهده فينجز وعده ولما خرج إلى الميدان تطالت إلى فروسيته الشجعان وتحيرت من هجمته الفرسان وهابته الأقران وذلك أنه خرج فى ذلك اليوم وعليه لامة حرب كلها مذهبة كأنها غمست فى ذهب أحمر وعلى رأسه بيضة يونانية تخطف البصر وتحته وحصان بتخافيف حديد أحمر وبين عينيه غرة تزهر فلما وقف بين الصفين وأشتهر بين الفريقين ورمقته فى الميدان كل عين وكان الملعون قد تجبر وعلى سائر الطوائف تكبر ونادى برفيع من صوته معاشر المسلمين هلموا الحمام والموت الذؤام وقتال الليث القمقام والبطل الضرغام (قال) فوقفت الناس عن برازه لما سمعوا منه هذا الكلام ولم يخرج أحد إلى محاربته فلما رأى أن المسلمين تأخروا عن برازه طمع وأخذه الطمع وطلع الزبد على شدقيه وحمل على الميمنة وأراد منها فارسين وعاد إلى الميسرة فقتل أثنين وطلب القلب أسرع من لمح العين فلم ينل مراده ولا مسرة فؤاده لأن القلب كان فيه جبابرة الترك والديلم فرجع إلى الميدان وهو كأنه الليث الغضبان فبينما هو كذلك إذ خرج اليـــه غلام من عساكر الإسلام لا نبات بعارضيه غيران الشجاعة تلوح من بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه وعليه ثوب خام قصير الاكمام وثيـــابه رثه وعمامته خلقه ورمح مصعب مشدود مشقوق المعصب وسيف من غير خلق للحمائل إلا أن تحته جواد من الخيل الأصائل كأنه السيل السائل جليل نبيل بطرف كحيل وعنق طويل مليح النحاجيل أبيض الغرة ليس له مثيل لكونه أحلى من المنى وألذ من الثمر الجنى له هيل أطرب من الفنا مشيه جريان وجريه طيران يضيف فى خطوته الميدان مسلسل الجنان وهو لناظره فنان كما قال فيه الشاعر حسان هذه الأبيات .

حوادي ريك البرق من دون جريه   إذا طارفى الهيجا بغير جناح
له غرة مثل الهلال منـــيرة   تلوح إذا أبصرتها مصباح
فراكبه فوق الثرية قاعد   إذا ما بدا من فوقه بفلاح

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما صار ذلك الغلام فى الميدان أبصرته سائر الفرسان فصاح بجواده فخرج من تحته مثل البرق الخاطف أو الريح العاصف ثم همزه بكعبه فنشر الجواد جناح جريه ومد أنامل جريه وسعيه وقد أنطوت له الأرض طيا والفارس فوق ظهره مستويا وقد عجبت منه سائر البشر والعرب والعجم فعرك الجواد عراك القدم الادم إلى أن قرب منه البطريق فمال إلى صوبه على التحقيق وقال له دونك يا ابن اللئام فقد منتك نفسك بالأباطيل وسبحت همتك إلى بحر الضلال والتضليل

فدونك والقتال والحرب والنزال فعند ذلك مال اليه البطريق وطلبه مثل نار الحريق وقد أخذ فى الكر والفر والاخذ والرد والهزل والجد والقرب والبعد والقتال والجهاد وقد تطاولت اليهما الأعناق وشخصت نحوهما الأحداق هذا وملك الروم ناظر إلى صوب المعمعة وكذلك المعتصم وكل منهما على صاحبه حائر وقد شخصت من الطائفتين النواظر لما رأوامنها من ضرب السيوف البواتر وقد هدت الأصوات والفارسان قد أخذا فى الطراد وأرخى كل واحد منهما عنان جواده وأجتهد فى قتاله وطراده وأخذ شرقا وغربا وخيلهما تجرى ركضا وجنبا وكلما فتح أحدهما باب للحرب سده الاخر بآخر الطعن والضرب فتــارة يكتفيان وتارة يفترقان وتارة يأخذان ميمنة وتارة يأخذان ميسرة وقد أنعقد عليهما الغبار وتارة يتواخذان بالشكائم فى الميدان وتارة يختفيان والغبرة قد عقدت عليهما من تحت حوافر خيلهما وغابا عن أعين الناظرين وكل طائفة تدعوا بالنصر لصاحبها وهم حائرين فبينما الناس ينظرون إلى الغبار ولم يدرون ماكان من الفارسان فى مقام الظهار وإذا بالغبار قد امتحق لما مزقه الريح فتخلق وظهر ما قد خفى وإذا بذلك الشاب البدوى الخلق الاطمار قدصاح فى البطريق صياح الأسد المغوار والليث الكرار وصاح على خصمه وزعق وقد سل سيفه فلمع وبرق وقال له خذ هذه الضربة ياابن الأندال اللئام وأنا ابن على المرتضى وفاطمة الزهرا ثم ضربه بالسيف على عاتقه خرج السيف يلمع من علائقه وقال فى عقب الضربة الله أكبر الله أكبر فعجل الله بروح البطريق إلى النار وبئس القرار ثم أن الغلام حمــل بعد ذلك على جيش الكفار حملة الأسد الهدار وقصد موكب البطارقة فساقهم قدامه سوق الغنم إذا حجم فيهم الليث المغوار (قال الراوى) يا سادة فعند ذلك تواتروا فرسان الروم وحملوا عليه فأقبل البدوى يلتقطهم بطرف سنانه ويجندلهم فى وسط ميدانه ويجود فيهم ضربه وطعانه ويزعق فيهم بفصاحة لسانه ويقول هذه الأبيات

ألادونكم والحرب فى حومة الوغا ۞ لاقتل منكم كل قرم موافيا
فلست وبيت الله أقصر عنكم ۞ ولو أنكم عد النجوم كما هيا
أنا فارس الهيجاء فى الحرب ضيغم ۞ وجدى على المرتضى ذو المعاليا
فدونكم والحرب انى صميدع ۞ أخلى حماة الحرب هلكات واميا
وانصر دين الهاشمى محمد ۞ نبى الهدى من فرع طاهر زاكيا
وترضى امام العصر بالضرب والقنا ۞ ولاقطعن فى الأعدا بسمر العواليا
أنا ابن حماة الدين من آل حيدر ۞ شريف عظيم القدر والجد عاليا

وأزكى صلاة الله ثم سلامه ... على المصطفى ماسار فى الليل حاديا
كذا الآل والأصحاب ماهبت الصبا ... وما قد أتى لله مضطر داعيا
وما ضحكت زهر وما سحب بكت ... وما ميل الأغصان ريح الشماليا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ولم يزل ذلك الغلام يناصل الكفار ويضرب فيهم بالبتار إلى أن حير بقتاله كل فارس شرار وذهلت منه الأبصار وحارت منه الأفكار فقتل من الكفار مائة وأربعين فارس وأقبل الليل بالاعتكار وأرخى ظلامه على سائر الأقطار هذا والغلام العلوى قد بلغ من مراده ما أراد ونال بقتاله أحسن منازل الأبرار والتقوه المسلمون وبالسلامة هنوه ومشوا بين يديه حتى أوصلوه إلى المعتصم فترجل الغلام وقبل الأرض مرارا فهناه الخليفة بالسلامة وأثنى على شجاعته وأقدامه وقال له ياغلام ما اسمك ومن تكون فانى رأيت اليوم من قتالك ما أذهل العيون فقال له الغلام ياإمام العصر والأوان أنا من قوم كرام غير أنى قد عضنى الزمان بانياب النوائب وأنا من سادات أطايب ومن نسل على بن أبى طالب ثم أن الغلام أشار إلى الخليفة وجعل ينشد ويقول

أمام الورى والله لست بكاذب ... وانى من نسل الكرام الأطايب
أنا ابن على الطهر من آل غالب ... وجدى النبى المصطفى ذا المناقب
واسمى أنا عبد العزيز واننى ... أذل العدا بالمرهفات القواضب
وتعرفنى الأبطال فى كل موكب ... بأنى لا ارتاع يوم التجارب
وأنت إمام العصر لازلت سالما ... يدور بك التوفيق من كل جانب

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع المعتصم من الغلام ذلك النثر والنظام قال لقد أنسبت يا هذا الخبر أمام ومن تشهد به وبفضله الخواص والعوام وفعلت ما يشبهك من الاكرام ثم أن الخليفة زاد فى الأكرام له والانعام وأوصل بره اليه وقدمه على العرب كلها كبيرها وصغيرها ثم أعطاه الخيم والمضارب والخيل والجنائب (يا سادة) ولابد ما نشرح قصة هذا الغلام ووصوله إلى الخليفة فى هذه الأيام لأن هذا الغلام يقال له عبد العزيز العلوى بن الفضل بن عبد الله بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وكان صغير السن جميل الحسب من أفخر بيوت العرب وأى فخر أكبر وأعظم من نسل محمد صلى الله عليه وسلم وكان الفضل والد هذا الغلام أكرم أهل زمانه وأكثرهم مالا ونوالا وخيولا وجمالا وكان أشجع الرجال وأفرس الأبطال وما قصده قط أحد ورده ولا أمله مؤمل وخيب أمله وكان يغير على أموال العرب العربا ويأخذ أموالهم غصبا وكان لهذا الغلام ثلاث أخوات بنات أبكار كأنهن الأقمار فكان عبد العزيز

أصغر أولاده لأنه رزقه فى آخر عمره فتعلم الفروسية وبلغ من زمانه غاية الامنيـــة وصار له من الشجاعه بفعله المنزلة العليـة (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان أباه أجتمعت عليه أهل الرغول من أعداه ومن كان قد قتل أباه وولده وأخاه وطالبوه بالتار وتجمعوا عليه من سائر الاقطار وكبسوا عليه فى ظلام الاعتكار فقتلوه ونهبوا أمواله وخيله وجماله وكان هذا عبد العزيز صغير ولما كبر تعلم الفروسيه وصار يغزو بكرة وعشيه فانتخب جماعة من فرسان العرب واجتمعوا فى طلب التار وكشف العار من هذا عبد العزيز العلوى وكانوا مقدار ألف فارس كرار وليث مغوار فقصدوا حلة عبد العزيز العلوى فى كشف العار وأغاروا على ما تبقى من المال والجمال والمهاره فركب عبد العزيز جواده واستقبلهم بقلب قوى وجنان جرى ومال عليهم كل الميل وقتل منهم كل فحل وقيل وانصب عليهم كانه الليث الهادر أو الأسد الكاسر أو النمر الحاذر ثم ضرب فى أعراضهم بالحسام ونزل عليهم نزول الأسد الضرغام أو العقاب إذا حام وقد أهزمهم بطعن رماحه وأرعبهم بصياحه وجندلهم بضرب سفاحه فلله دره من فارس بين الفرسان لأنه قاتل ألف فارس وحده وأذاقهم الذل والهوان وقهرهم فى القيعان وصار يصيح عليهم بقوة جنان ويقول ياويلكم ياأوباش العربان أنا عبد العزيز العلوى نسل فارس معد بن عدنان وقاتل العرب الجاهليـــة فى ذلك الزمان وأنا فلابد لى أن أفنيكم بحسامى وأسوقكم سوق الغنم إذ الأسد فيهم هجم ثم ان عبد العزيز أنشد يقول :

قدوتكم نحو الليث وبادروا ... وفى حربكم لا تبصروا الحمامى
أنا بن على ابن عم محمـد ... أصول عليكم فى الوغى بحسامى
ولو أنكم سبعين ألف مدرع ... حملت عليكم والصفوف أمامى
سأردى حسامى عند معركة الوغا ... وأشفى غليلى قبل شرب حمامى
أنا ابن حماة الدين من آل غالب ... محمد جدى وهو خير امام
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وانى سأفنيكم بطعن يقد الهام

(قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزل عبد العزيز يضرب بالسيف فى أعداه إلى أن خلص الغنيمة من القوم وعادوا طالبين الفراغ وأوسعوا فى البرارى والقفار وأخذ خيلهم وسلبهم وعادوا خائبين وقد انتشر ذكره وعلا فخره إلا أنه من كرم نفسه لم يترك له مال ولا أبقى له حال بل تكرم بالذوق والجمال والخيل والبغال والعبيد والأموال حتى إذا لم يبق معه شىء يقتات به ولا ما يأكل هو والبنات فضاق صدره وعيل صبره وكان قد سمع ببلاد الثغور والأمير عبد الوهاب وحسن عشيرته فى سائر الأحوال

والأمور وجودة فروسيته وقوته وشجاعته فودع أمه واخوته وسار طالب العراق إلى أن وصل إلى بغداد فوجد الخليفة قد خرج إلى الغزاه على بلاد الروم فصار فى صحبته ولم يسمع لعبد الوهاب خبر فسار ولم يعلم أحدا بنفسه ولا سمع حديثه من أحد من البشر إلى أن التقت العساكر بالعساكر وخرج وقتل البطريق وكان مثل الفتيق وعبد العزيز كان رقيق رشيق وقد قتل الفرسان وأفنى الشجعان وكان من أمره ما كان وقد حضر قدام الخليفة وأحسن اليه كل الاحسان وبات ليلته وهو فرح مسرور مزيد محبور فلما كان من الغد ركبت العساكر وتصففت الدساكر ونشرت الاعلام وتقدم كل بطل همام وفارس مقدام وحامت على القوم عقبان الحمام وقد أدوت الأرض من أصوات الكؤسات ونعير البوقات وكثرت الضجات وكان أول من فتح باب الحرب عبد العزيز العلوى ثم حمل على عساكر المشركين وزعزع جيش الكافرين وحده فلما نظر الخليفة اليه أعجبه فعاله وحربه ونزاله فقال فى نفسه ان الله تعالى قد أخلف علينا عوض الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وأبطال بنى كلاب ثم ان الخليفة تنفس صعدا وأظهر صبرا وجلدا وزرقت عيناه بالدموع تأسفا على الأمير عبد الوهاب وأمه وزاد به فى تلك الساعة همه وغمه (قال الراوى) ياساده ياكرام فبينما المعتصم فى فكرته وإذا بجيوش المشركين قد ماجت شمال ويمين وخرج منها فارس مكين كأنه جبل أو قلة من القلل ما بان منه غير آماق البصر وتداور الآماق فتأملته الناس وقد أعجبهم ما عليه من الباس وإذا بها الملعونه ميمونه وعليها تنور الذهب وقد أشرق مع نور الشمس والتهب وقد قصدت نحو عبد العزيز العلوى ونادت بأعلا صوتها ياغلام دونك وضرب الحسام وطعن السنان فى المقام فقد جاءك الاجل وخاب منك الأمل (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع عبد العزيز قولها حمل عليها فى الحال وصدمها صدمة تهد الجبال وراوغها مراوغة الثعالب وأراها من قتاله العجب فرأت ميمونه من شجاعته وفروسيته مالا رأته من العجم ولا من العرب ثم لعب على جواده وتقلب وشرع سنانه نحوها وطلب ولعب برمحه وذكر أباه وجده وانتسب وحمل عليها حملة الاسد الأغلب وقد عبس وقطب وأشار إلى ميمونه يقول هذه الأبيات

أنا ابن على فى الحروب صميدع * أجندل أبطال الصليب وأقتل
وما النصر إلا من إله معظم * يذل رقاب الكافرين ويخذل
ونحن أولو الحرب الأصيل لذا الوغا * وموقفنا فى حربكم ليس يجهل
فدونكى ياسوداء ليث صميدع * يصول ويحمى جانبيه ويقبل

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما فرع عبد العزيز من شعره حمل على ميمونة حملة الأسد إذا خرج من الغابات وتلقته ميمونة بقلب أقوى من الجبال الراسيات واصطدما فى الميدان ونزع كل واحد منهما سنان رمحه من على خشبه وقد نظرت أعين الفريقين اليهما وهما فى أخذ ورد وهزل وجد وقرب وابعاد وحرب وجهاد وتقاربا وتباعدا وتحاربا وتطاردا ولم يزالا فى حرب يشيب الوليد ويذيب الجلاميد وأخذا فى الميمنة حتى قيل قد عدما ورجعا إلى الميسرة حتى قيل قدقدما وقد علاهما الغبار وغابا عن الأبصار ولم يسمع منهما إلا الهمير من صدورهما والشخير من ركابهما وغابا فى الأوائد وصبروا على الشدائد وكل منهما يصيح على خصمة ويريد أن يبين شجاعته لقومه هذا والأعين اليهما ناظرة شاخصة وعقبان الأجال على رؤسهما راقصة ولم يزالا فى طعن يهد وضرب يقد الى أن كلت الساعدان ووقعت الجوادان واستمر كذلك الى أن درج النهار وأقبل الليل بالاعتكار فافترقا على سلامه وقصد كل واحد منهما عسكره وخيامه وقد أقبل المسلمون يهنون عبد العزيز بخلاصه من هذه الملعونة الـكلبة ميمونه ومازال إلى أن وصل الى الخليفة فترجل وباس الأرض فقال له الخليفة ياأمير اياك أن تصغر نفسك عندما وقفت لك هذه المرأة فى الميدان وثبتت فى محل الضرب والطعان فوالله يا أمير انها تفوق على سائر الفرسان وتقهر الشجعان وقوتها عند الأبطال المعروفين وشجاعتها موصوفة واعلم ان مافى زماننا هذا أفرس منها إلا أن يكون الأمير عبد الوهاب وأمه رحمه الله عليهما فقال له عبد العزيز يامولاى وحق دولتك الشاملة ونعمتك المـكمله مارأيت فى عمرى أفرس من هذه الملعونة على ظاهر الخيل ولا أشد منها قوة وحيل وانى أرجو من الله تعالى أن تخرج الى فى غداة غد لعل ان بارزتها ينبرى أجلها على يدى ويكون قد انتهى (قال الراوى) ياسادة فهذا ماكان من عبد العزيز (وأما ماكان) من الملعونة ميمونه فانها لما عادت الى الملك ترجل اليها إعظاما لقدرها وترجلت له أيضا فقال لها الملك أيتها الملكة ماقصرت اليوم فى القتال ولقد وزنا كما فى طابق الجولان بميزان العدل فوجدنا كما سوى فى الحرب أكفاء فقالت له ميمونه ياملك وحق نعمتك لقط رأيت فرسان العصر وأبطال الدهر فما رأيت أفرس من هذا الغلام ولاأثبت منه فى مقام الصدام وغدا آخذه بسعادتك أسير وأقودة بين الأنام عفير (ياسادة) وما تقول ميمونة للملك هذا الـكلام الا حتى لاتنقص منزلتها عند الملك (قال الراوى) ياسادة وباتت الناس فى تلك الليله وهم متحيرين من الفارسين من عبد العزيز وميمونة اللعينة ومماجرى بينهما من القتال والحرب والنزال فلما ولى الظلام وأقبل الابتسام ركبت الأمم من العرب والعجم وقد وقفت

قدام المعتصم وأخذت الرجال مصافها وقد ملأت الفضاء. واذا قد خرج من الكفار ثابت في سرجه كانه القضا عند الامضا وعليه ثوب ذهب وهو لمن ينظره عجب صاحبه آمن من البؤس ومواقع الحتوت وعلى رأسه بيضة شديدة البياض واللعان ثابت الأركان وفي يده عود نبت في أرض عدنان يصلح للحرب والطعان وعلى رأس تلك القناة سنان كانه لسان ثعبان ومن تحته جواد مليح الصفات سريع الحركات لايقلق عند اللقاء ولا ينبهر عند الملتقى لايقوم عنده النعيم ولا الشقا وصار ذلك الفارس في الميدان ويبين شجاعته وبراعته لانه لعب فوق جواده الى أن حير العباد وبعد ذلك طلب البراز وسأل الانجاز فبرز له فارس من العرب قتله والثاني جندله وثالث أهواه ورابع أعدمه الحياه وخامس عجل له الوفاه وسادس تركه عبرة لمن يراه فعند ذلك وقفت عنه فرسان الموحدين وبقيت نحوه شاخصين فلما نظر فارس الروم إلى توقيف المسلمين عنه وخوفهم منه فكشف المغفر عن وجهه في وسط الميدان وإذا بها ميمونة الكلبة الملعونة بنت الدمدمان فلما رآها عبد العزيز لم يجد له صبرا دون ان خرج اليها وناداها ويلك ياملعونة دونك والقتال والحرب والنزال ثم حمل عليها عبد العزيز حملة الأسد الغضبان وجالا طويلا واعتركا ميلا وأخذا في الهزل والجد والأخذ والرد وقتالهم بعزم أمضى من حوادث الأيام والليالي والأعوام وقد رأت من عبد العزيز بطلا لا كالأبطال ورجلا لا يقاس بالرجال وارتفع القسطل وحمى الهوجل وقد فاجأتهم بوقاحتها وضربته ضربة واصله فلما نظر عبد العزيز إلى الضربة وهي واصلة اليه ألقى نفسه عن الجواد أسرع من البرق ووقعت ضربة ميمونة على عنق الجواد فبرته كما يبرى البارى القلم وأطبقت ميمونة على عبد العزيز وهو راجل فعندها صاح المعتصم على القبائل وقال أدركوا صاحبكم فعند ذلك حملت المسلمين وعساكر الموحدين وجاوبتها الملحدين وحملوا من كل مكان وقد تزلزلت بهم مرج الزعفران وعمل السيف والسنان وطلع الغبار إلى العنان وتقصفت الرماح من الطعان وتثلم كل عضب يمان وتجندلت الفرسان وتنكست الأقران وضاق بهم واسع المكان وطارت الرؤس من الأبدان وثبت الشجاع وولى الجبان ولم يعرف الأخ أخاه في الميدان وعمل السيف القرضاب وبطل حكم العتاب وقاتلت فرسان الديلم وثبتت الروم الكلاب وأذاقوهم أليم العذاب فلله در الترك وما فعلت في ذلك اليوم من ضرب النشاب وأما العجم فانهم أفنوا في الحرب الكفار الكلاب ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه فرجعت كل طائفة إلى

مكانها وقد أزفت الآزقة بعلو شأنها (يا سادة) وطلبوا عبد العزيز فى تلك الساعة فلم يجدوه فصعب ذلك على الخليفة وعلى جميع الاسلام واعتراهم الخوف والغرام ومما جرى على قلب المعتصم ادعى بأرباب دولته وكبراء مملكته وقال لهم يا قوم اطلبوا الى القتلى فعند ذلك أوقدوا المشاعل وطافوا فى المعمعة فارس وراجل فلم يجدوه فعادوا إلى الخليفة وأعلموه فقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عبد العزيز العلوى فانه لما بقى راجل وحملت العساكر والقبائل والتقت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب فجعل يقاتل راجل وكان قتاله راجل أحسن من قتاله فارس ولم يزل كذلك إلى أن كشف الروم عنه فوجد رجل من أصحاب الشعشاط يقال له الأعرج بن عوف وكان تحته جواد أصيل ليس له فى زمانه مثيل فضربه عبد العزيز ضربة واصلة كانت لرأسه عن بدنه فاصلة ولما وقع على الأرض قتيل ركب عبد العزيز على ظهر الجواد الذى لا يوجد مثله فى سائر البلاد وكان الغبار فى ذلك الوقت مقالبا والحمام من الفرسان متدانيا فقاتل قتالا شديدا إلى أن حامت حتوف الحمام بواديا فهملت عينين عبد العزيز على الاسلام بواكيا وأقبل صارخا مناديا وعن الاسلام محاميا فهجم جيش المشركين بضرب الحسام وطعن العوال وصار يقاتل قتالا شافيا وينشد ويقول

أنا ابن السراة أنا ابن الكماة * أنا ابن الامام مبيد الطغاة
أنا ذو المفاخر عبد العزيز * أبيد العداة برمحى وذاتى
سأحمل فى عسكر الكافرين * وأفنى الرؤس بضرب مواتى
ولست أخاف من المارقين * ولو أنهم فى عديد النبات
فمن كان فى شك فى ذا المقال * فيبرز إلى الحرب مثلى ويأتى
وصل إلهى على المصطفى * كذا الآل والصحب نعم الحماة

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ولم يزل عبد العزيز يقاتل القوم فى ذلك اليوم إلى أن أثخن بالجراح وملّ من ضرب الصفاح والحرب والكفاح وجرى دمه على ثيابه وساح وما زال كذلك إلى أن جن الليل وأرخى على الأقطار طنبا وذيل فقصد إلى قرية تعرف بقرية مرقونا ونزل فى مرج من مروجها وربط جواده فى شجرة هناك وجعل يفتش على حشيشة كان يعرفها لأجل تدمل الجراح وكانت العرب تستعملها لنفعها وفعلها وجعل يقلعها من الأرض ويلفها على جراحه ثم شد الجراح وركب يطلب العسكر وما وصل إلى عسكر المسلمين إلا فى النصف الأخير من الليل وقد خفت من نزف الدماء وقل منه القوى

والخيل ولما وصل إلى عسكر المسلمين ورأوه تصايحوا أجمعين واستبشروا بسلامته الموحدين ثم ان عبد العزيز قصد إلى سرادق أمير المؤمنين فوقف على الباب ومضى بعض الخدام وشاور الخليفة فأذن له فى الدخول فدخل عبد العزيز وهم أن يقبل الأرض فمنعه من ذلك الخليفة وقال له أنت من السلالة الشريفة وأصحاب المرتبة المنيفة ثم ان المعتصم أدنى مرتبته وإلى جانبه أجلسه وسأله عن حاله وما الذى جرى له فحدثه بما جرى عليه وما وصل اليه فهناه الخليفة بالسلامة وأحضر اليه الجرايحى فافتقد جراحه وإذا هى سالمة فطرح عليه المراهم فسكن ما به من ألم الجراح وحصل له راحة واستراح وبات الناس إلى الصباح فعند ذلك ركبت الكتائب وازدحمت العشائر وعات على الخيول ركابها وحملت بأصحابها واشتعلت نار الحرب وزاد اشتعالها والتحم الجمعان وتصادم الفريقان وعمل السنان وشابت الأقران وبكت الحبائب على أحبابها والخيول على ركابها وعمل قوسها ونشابها وحام نسرها وعقابها وعمل فى المسلمين الحسام وقتل منهم كل فارس صمصام وبطل ضرغام وأشرف عسكر المسلمين عل الانهزام لولا هجوم عساكر الظلام فافترقت الاخصام عن الأخصام وقد عدم من الطائفتين خلق كثير وجم غفير وكان الأكثر من المسلمين والربح للروم الملاعين وباتوا تلك الليلة ولما أصبح الله بالصباح وعزمت الطوائب على الحرب والكفاح وإذا قد أشرفت غبرة سوداء قد خيم غيرتها على الأقطار واسود منها ضوء النهار فتطاولت اليها العسكران بالأعناق وإذا بالغبار قد انكشف عن عسكر جرار كأنه البحر الزخار وقد علت صلبانه وقسقست قساقسته وكان ذلك العسكر من ميا فارقين قد حضر لأن ميمونه تركت فيها مرهف بن واقد وعقبة بن مصعب الجاحد وكانوا فى جماعة من العرب المتنصره ولما بلغ الخبر إلى عقبة بهذا المصاف الذى بين الروم والمسلمين بمرج الزعفران ترك مرهف على ميافارقين وسار فى أربعة آلاف وهو على زيه وتنكره والملعون لا يعرفه أحد من الناس وان المعتصم لما رأى ذلك العسكر قال أنا لله وإنا اليه راجعون ولعل الله تعالى يجعل لنا من ذلك فرجا ومخرجا ولقد كنا نكون فى أصعب الأوقات فيأتينا الفرج من عسكر الأمير عبد الوهاب ولا سيما ومعه تلك السادة الانجاد مثل أبو الهزاهز وسملق وميمون الجماس وظالم وسيف الحنيفية والحجازى وبردبن الأزهر وهارون العلوى وهم كانهم الأسود ولم يكن لهم مثيل فى زمانهم فلقد كان وقت مسعود وياليت كان الزمان يعود هذا وقد علم المعتصم بالذى ورد من الكفرة فتنفس صعدا وأن عند ذلك كمدا (قال الراوى) ولما ورد الملعون عقبه على أرمانوس بذلك الجيش سلم عليه وقال له أيها الشيخ

النجيح كيف تركت ميافارقين وأتيت فقال عقبة أيها الملك تركت فيهم مرهف فى خمسة آلاف فارس من العرب المنتصرة وجئت إلى نصرتك ففرح الملك بقوله (ياسادة يا كرام) ولما اصطفت الصفوف خرج عقبة بن مصعب وما زال حتى قرب من عسكر الخليفة وكان قصد الملعون بذلك أن يورى وجهه المعتصم وأرباب الدوله فلما قرب من العسكر نادى بالرومى المغلق يا معاشر المسلمين أن الملك أرمانوس قد بعثنى اليكم رسول يقول لكم أن أردتم الصلح فلكم من الفلاه إلى بلاد خراسان وسلموا الملك من انطاكية إلى بلاد الشام إلى طرسوس إلى بلاد الثغور وقد أخبرتكم بالأمور وان أبيتم ذلك فالقتال والحرب والنزال فهو مقيم على هذا الحال مستقيم (قال الراوى) الراوى) ولما نظر المعتصم إلى ذلك قال لأرباب دولته ألا ترون هذا اللعين وهو أشبه الناس بالقاضى عقبه وما أظن إلا أن الأمير عبد الوهاب رحمه الله كان إذا نظر الى هذا الشيطان هو وأبو محمد البطال فى بلاد الروم يحسبوه عقبة لأنه يشبهه فلا آخذهم الله بما كانوا يقولون فى حق ذلك الرجل الصالح (يا سادة) فالمعتصم فى هذا الكلام وإذا قد فقد من عسكر المسلمين سعد بن مسعد الهمذانى وقرب من عقبة وقال له ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة لسوف تندمون إذا رأيتم ملوككم هالكة وتنهب أموالكم وتقتل رجالكم ويبان الغالب من المغلوب وتحملوا مثل ماكنتم تحملون من المال مرتين ثم رجع سعد الى مكانه ورجع أيضا عقبة إلى الملك أرمانوس وأعلمه بما قاله من الكلام المنحوس وما أجابه سعد فضحك الملك من كلامه وعقبه مع الملك فى الكلام وإذا قد برز ملك من ملوك الافرنج فحمل إلى أن قرب من عسكر المسلمين وحمل عليهم فشوش أبطالهم وقتل بعض رجالهم وعاد إلى مكانه وإذا بموكب الروم قد تشوش وتزعزع من كل جانب واضطرب جميع المواكب وخرج منه زهاء من ألف فارس بطريق من المذبحة وهى قد ترجلت وللأرض قبلت وخرجوا جميعهم أمام فارس شاك فى سلاحه ولامته ساطعه وكان ذلك الفارس الملك ارمانوس ولما توسط الميدان أشار إلى أصحابه بالرجوع وتقدم إلى أن قرب من عسكر المعتصم ونادى المنادى يامعاشر المسلمين أن الملك ارمانوس قد خرج بنفسه فداء لأهل دولته بشخصه وقد طلب مبارزة خليفتكم فلما سمع المعتصم ذلك بادر إلى الخروج اليه وصمم بالحملة عليه فتعلقت به أرباب دولته من الهاشميين وقالوا يا أمير المؤمنين بأرواحنا نفديك وبأنفسنا نقيك فدع أحدنا يخرج اليه وإلى هذا الكافر الجاحد الذى عليه لعنه الملك القادر فقال الخليفة ماكنت بالذى أدعى إلى الحرب

وأتأخر عن ذلك ونحن من أهل بيت من حبهم القتال وعاداتهم النزال لأهل الكفر والضلال والواجب على أن أذب عن المسلمين بالنفس والمال فان أنا قتلت فالخلافة من بعدى لولدى الواثق بالله وأنتم الواجب عليكم أن تقاتلوا عن دينكم وعن حريمكم وهذه وصيتى عليكم ثم أن الخليفة ترجل ولبس مايدفع الأذى والوجل وقد ركب على جواد أغر محجل وخرج إلى الحرب والعمل ولم يرتاع من قصر الأجل ثم أن المعتصم حمل على عدو الله من غير تطويل واختصر فى المقال والقيل واستقبله عدو الله وتلاقيا وتحاميا وتهاجما وتصادما وجرى بينهما حرب يشيب فيه الشباب وتجالدا جلادا يعجز عنه أسود الغاب ثم تباعدا وتقاربا وتلاقيا وتعاركا وتشابكا وأخذا فى الطراد والكد فكانا كبحرين التطما أو جبلين تصادما وعلا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ساعة من النهار هذا والأعين اليهما ناظرة والقلوب نحوهما طائره وقد صبر عدو الله صبر الجبابرة والمعتصم قد استعاذ بالله رب الدنيا والآخرة وقد ظهر عليه ومد يده اليه وأنوار بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم تشرق من حواليه هذا وعدو الله ارمانوس قد تبلبل خاطره وزلت سرائره والمعتصم فى الاقدام بخلافه وارمانوس قد أيقن بهلاكه وتلافه (ياساده) ولما نظرت ميمونه الملعونه إلى ذلك خرج العقل من رأسها وصارت مجنونة وخافت على ارمانوس من المعتصم وحملت على الامام وعولت ان تسقيه كاس الحمام ولما نظر إلى ذلك الأمير عبد العزيز العلوى خرج اليها قاصدا وعليها مصمما وقال لها يالعينه دونك والقتال والحرب والنزال فقد وافاكى الاجل وانقطع منك الأمل ياويلك أنا ابن النبأ العظيم والصراط المستقيم أنا ابن فاطمة الزهراء وسأجعلك عبرة لمن يرى ثم انه أنشد يقول

فدونك منى فى الصباح صميدع * يطول على أعدائه ويصول
غلام يحادى عن شريعة أحمد * نبى الهدى للعالمين رسول
وأنصر دين الهاشمى لأننى * همام هذير للعداة قتول
وأقهر أرمانوس والجيش كله * وانى قوال لذاك فعول
وأضربك بالسيف ضربة ضيغم * بسيف له مما يقد فلول

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم حمل عليها حملة منكرة وقد التقته ميمونه اللعينة صارخة وكل منهما قد احترز من صاحبه وبطل طعنه ومضاربه وكذلك المعتصم مع ارمانوس فى قتال يهد وضرب يقد وما زالوا كذلك إلى أن كلت الخيل من طرادها وتثلمت الصوارم من ضرابها إلا أن الملعونه ميمونه زعقت على عبد العزيز صرخة

وكادت تسقيه من الموت كأس منونة ثم ألصقت ركابها بركابه وضربته بسيفها فلما علم عبد العزيز أن الضربة واصلة إلى رأسه فاصلة ألقى درقته على رأسه فلما رأته ميمونه قد استتر بالدرقة ألقت نفسها عليه وقد تركت علاقة سيفها فى زندها ومدت يدها إلى درعه وجذبته جذبة الأسد فوقع كفها لما يريد الله الواحد الأحد على الجرح وكان جرح شديد صعب المداواة فوجد عند ذلك عبد العزيز ألم عظيم وغاب عن دنياه وضعفت قوته وعدمت شجاعته وانكسرت همته فأخذته أسير (قال الراى) لهذا الكلام ياسادة ياكرام وأما المعتصم فانه طلب أرمانوس بشدة عزيمته وقوة همته فلما رآه خاف من حروبه بين يديه فأدركه وقد صمم عليه وداخله الغضب وتداركه الصخب وكان تحت أرمانوس جواد لا يوجد مثله فى سائر البلاد فلكزه بالمهامز فخرج من تحته مثل الطير الطائر أو الريح الغائر وفات المعتصم فحمل الخليفة على عسكر الروم وأظهر فيهم العجائب وزعزع المواكب وطحطح الكتائب وضرب فيهم ضرب صائب وقتل منهم أوفى من عشرين بطريق كلهم للملك أقارب ودعس فى البطارقة وأنزل بهم كل بائقة فلما نظرت المسلمين إلى فعل المعتصم حملت سائر الأمم من العرب والعجم وحملوا أجمعين واستقبلتهم المشركين وعملت الصوارم فى الجماجم وماجت العوالم وعادت ما بين مهموم ومغموم ومنهوب وسالم وكانت ساعة تؤرخ فى الملاحم لما جرى فيها من الحرب والقتال والخيول جالت والدماء سالت والرجال مالت والفرسان صالت والأرض من الركد انخسفت والأفئدة ارتجفت ورياح المنايا عصفت وقناديل الحيــاة انطفت والمواكب اختلفت والدماء من الأجساد وكفت والعيون انطرفت والشجعان قاتلت ووقفت والزنود من الضرب كلت والرجال ملت والمنية بالناس حلت والدنيا أظلمت والاقيال تصادمت فما كنت ترى فى ذلك اليوم الأجواد غائر وفارس حائر ورأس طائر وقد انكشفت السرائر وعميت البصائر ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت كل طائفة إلى خيامها والمعتصم قد قصد إلى سرادقه وقد كاد الحنق أن يخنقه من وجهين أحدهما هروب أرمانوس منه والآخر أسر الأمير عبد العزيز وقال والله ما نالنى من الفرح بسلامتى مثل ما نالنى من الهم والغم على هذا الغلام الغريب عبد العزيز والله لئن ذهب من رأسه شعره لأجعلن بلاد الروم دكا وأترك كل من فيها هلكا (قال الراوى) ياسادة فبينما الخليفة بهذا الكلام وإذا قد دخل عليه جماعة من الخدام وقالوا يا مولانا أن أربعة من الفقراء واقفين على الباب وهم يستأذنون عليك ويريدون الحضور إلى بين

يديك فلما سمع المعتصم ذلك قال على بهم فما كان غير ساعة حتى دخلوا على الخليفة من غير فزع ولاخيفه وقبلوا الأرض بين يديه ودعوا له وسلموا عليه فقال لهم الخليفة من أنتم ومن أين أقبلتم فقالوا له يا أمير المؤمنين نحن قوم مسلمين ومن عباد الله الصالحين فدنس من الدنيا دنس ومقامنا بيت المقدس ولنا فيه مدة من الزمان ونحن أربعة أخوة ولنا شيخ كبير أسمه عبد الله بن أدريس وأصلنا من خراسان وكان والدنا عابد زاهد راكع ساجد قائم صائم لم تأخذه فى الله لومة لائم فلقيوه قوم من البطارقه وكان أبونا يخل بعينه اليمين لكن له طلعة أنور من الشمس وأثنى فلما نظروه الروم تقدموا اليه وقالوا له أنت القاضى عقبة فقال لهم يا قوم ما أنا ذلك الرجل فقالوا له بل أنت هو ثم أنهم مسكوه ومالوا عليه وضربوه ضربا وجيعا وأتوا به إلى دير هناك وألقوه فى سرداب ثم أنهم طالعوه بخبره إلى الملك أرمانوس وأقام أبونا فى ذلك المكان لا يأكل ولا يشرب حتى أشرف على العطب وفى تلك الأيام دخل إلى ذلك المكان قوم من العرب ممن يطلبون المكسب فلم يجدوا فى ذلك المكان لا أسود ولا أبيض ثم هداهم الله تعالى إلى ذلك السرادب وأبونا فيه يقاسى أنواع العذاب فسمعوا أنينه فنزلوا اليه ولما عاينوه قالوا له أنت ابن عمنا القاضى عقبة بن مصعب السلمى يا مولانا وكان أبونا قد أيس من الحياه وأيقن بالوفاه فلم يدرى ما يقولون بل شخص اليهم وقد عولوا على الإنصراف ففتح عينيه بانحراف وقال لهم يا قوم من أى العرب أنتم فقالوا يا قاضى نحن من بنى سليم من ملطية فهل لك أن تأتى معنا وتوصى بوصية إلى أمير المؤمنين المعتصم بالله فقال لهم يا قوم بل اقروه منى السلام وبشروه عنى بالعز على الدوام وكان ذلك يا أمير المؤمنين من أبينا لأجل دينه واسلامه لأن طاعة الإمام فرض على كل من فى الأرض ثم خرجوا القوم من عنده وهو على آخر نفس فما خرجوا عنه تلك العرب بمقدار يوم الا والبطارقه الذين تركوه هناك جاؤا إليه وأخذوه وكان قد مضى فى طلب والدنا فوجدهم قد ساروا به إلى القسطنطونية وقالوا هـذا قاضى المسلمين فى ملطية ثم حرقوه يا أمير المؤمنين وكان ما أراده رب العالمين فواحسرتاه على طول الأيام والسنين (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن القوم بكوا من قلب حزين وقالوا كان ذلك فى الكتاب مسطوراً وخرج يا أمير المؤمنين من بلاد الروم وهو الذى أخبرنا بذلك فتيقنا أنه هلك فبكينا عليه وقلنا لا إله إلا الله بأى شىء أستحق أبونا ذلك ولكن الحمد لله الذى أحرقه بنار الدنيا ولا أحرقه بنار الآخره فبينما نحن مقيمين يا أمير المؤمنين ببيت المقدس إذ أقبل علينا شيخ أعور من عينه اليمين يشبه أبينا فسألنا عن حاله وقلنا له من أنت ومن تكون

فقال لنا أنا أعرف بالقاضى عقبة بن مصعب وكنت مأسور مع قوم اعدائى فقلنا يا فتى ومن هم أعداءك الذى منهم نجاك ربك فقال رجل يقال له البطال ومعه جماعة من الرجال يقال لهم عبد الوهاب وذات الهمة وظالم وضيغم وسيف الحنيفيه ونحن الجميع من ملطيه وهم ما يبرحوا كل سنة يعملوا معى كل قبيح وقد ألزمنى من لا آخذه الله بذنوبى أن أكتب كتابا إلى المعتصم بأمر لا أقدر فى ديوانى أن أفعله ولا يحل لى أن أعمله فضربت إلى أن أشرفت منهم على الموت والتلف فكتب كتابا بالذى أرادوا وقد خلصنى الله من أيديهم وجئت إلى ههنا لاتهنأ بالعبادة ولو سنة واحدة فقلنا له يا شيخ بالله عليك ادع الله لنا وادع الله عليهم فقال والله أنى ما أستحل أن أدعو على كافر جاحد فكيف أدعو على مسلم مجاهد وأقام عندنا أيام وإذا قد أشرفت علينا عشرة من الرجال فأقبلوا اليه وسلموا عليه وقالوا له ألست أنت القاضى عقبة الذى كنت فى الدير وأوصلنا إلى أمير المؤمنين وإلى السيدة زبيـــدة بخبرك فقال لهم يا قوم وإيش أصنع أنا فى بلاد الروم والاديره فقالوا والله لقد ضربنا الخليفة بسبب من رأيناه فى الدير وما وجدنا من جهته خير وهو أشبه الناس بك وضربنا على ذلك حتى أشرفنا على الهلاك ولولا السيدة زبيدة لكنا هلكنا وصرنا شهره بين الناس وكنا نفرنا بعدلأجل خلاصه من المعتصم أن تزور هذا المكان وأنت وهذا الا وان فقال لهم ياقوم ماأعرف ماتقولون وأقبل يحاججهم فقال لهم أخى ياقوم أن الذى رأيتموه فى ذلك الدير هو أبى وهو أشبه الناس بالشيخ الصالح هذا وقد أحرقوه الروم وقد مضى إلى رحمة الله تعالى ونحن يا أمير المؤمنين قد أتينا إلى الجهاد وتركنا ذلك الشيخ فى بيت المقدس وكان قدعاهدنا بعهد الله تعالى اننا إذا وصلنا إلى جنابك وطلنا بركابك نقريك عنه السلام ونخبرك بما يدعوه لك وللسيدة زبيدة فى ذلك المقام وترضيه عن الخلفاء الراشدين من آبائك الكرام ولما قدمنا لزمنا ما عهدنا عليه ذلك الشيخ وتبليغ ما أوصانا به اليك من الكلام وقد أدينا الأمانه وبلغنا الرسالة (قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة يا كرام فلما سمع المعتصم قال لارباب دولته ألا ترون إلى هذا العجب يكون رجل عابد راكع ساجد على صفة عقبة يقتل ويحرق ثم يأتون قوم يحلفون ان الذى روه هو القاضى عقبة فوحق آبائى الطاهرين ان كان هذا البطريق الذى اسمه شمعون بن بولص الا أشد الناس بالقاضى عقبة لا شك فيه ولا ريب فان هذا الزاهد الذى قد أحرق سعيد فى الدنيا والآخرة فأريد أن أرحل النجابه إلى بيت المقدس يأتون به فانه بركة مصبوبة ورحمة فى الأرض منصوبة (قال الراوى) يا سادة ثم ان المعتصم أعطى الزهاد ذهبا كثيرا فقالوا يا أمير المؤمنين ما نرضى هذه الدنانير لغلمانك فكيف

نرضى لأنفسنا ثم دفعوها للخزائن فقال المعتصم هذه صفة المؤمنين وزهاد المسلمين ثم خرجوا من عنده والناس منهم متعجبين (قال الراوى) وكانوا هؤلاء الزهاد الأربعة من العرب المتنصرة وان الملعون عقبة لقنهم ذلك الكلام وأعلمهم وأوصاهم ومن المال الكثير أعطاهم حتى يعملوا ما علمهم ولما خرجوا من عند المعتصم قصدوا إلى عسكر الروم ثم دخلوا على عقبة وحدثوه بما قالوا فتبسم ضاحكا من تلك القصة وقال وحق المسيح وكل راهب وقسيس ان هذه حيلة ما يقدر عليها إبليس فقال له بعض الحاضرين يا شيخ ان كنت ما أنت ابليس فأنت أخوه فى قوله وفعله وضحك عقبة وكشر على أنيابه كأنها أنياب خنزير أو أنياب كلاب ثم ادعى فى الحال برجل من العرب المتنصرة يقال له فضاح الرجال وقال له أريد منك الساعة تركب جوادك وتسير إلى عسكر المسلمين فاذا كان فى غداة غد وخرجت أنا إلى الميدان فاخرج إلى وبادرنى من قبل أن يخرج إلى أحدا من المسلمين فاذا خرجت إلى فلا بد لى مما أتجاول أنا وأنت إلى أن يحجب الغبار عن النظار فعند ذلك أخلع السنان من القناه واطعنى وأنا أرمى بروحى وأظهر أنى شربت كأس الوفاة ويحملونى البطارقة إلى خيمة الملك أرمانوس فلى فى ذلك أرب حتى يبلغ المسلمين أن شمعون بن بولص قتله (قال) ففعل المتنصر ذلك وامتثل جميع ما أمر به اللعين ثم ان عقبه أقبل على أرمانوس وقال له أيها الملك إذا طعننى هذا ووقعت إلى الأرض فأمر البطارقة أن يمشون ويبكون ويشيعون ان شمعون بن بولص قد مات فلى فى ذلك تدبير فقال له الملك سمعا وطاعة (قال) ولما كان من الغد لبس المتنصر آلة السلاح وعدة الحرب والكفاح وصار إلى عند المسلمين واختلط بالموحدين (قال الراوى) يا سادة فهذا ما كان من الملعون عقبة وتدبيره (وأما ما كان) من الملعونه ميمونة فانها أحضرت عبد العزيز فى سرادق أرمانوس بحضرة جماعة من الملوك فلما رآها الملك صلب على وجهه وقال وحق المسيح والدين الصحيح ما أظن فى عسكر المسلمين أفرس من هذا الغلام ولقد أعانكى المسيح على هذا الفارس الهمام ثم أقبل الملك على عقبة وقال له أيها الشيخ اعرض على هذا الغلام التنصر حتى نغمره بالأنعام فان قبل وفعل أعطيته الأموال وقدمته على الرجال فعند ذلك التفت الملعون عقبه إلى عبد العزيز وقال له من أين أنت ومن أين ديارك ومن يقال لك فقال له عبد العزيز ياغلام ياهذا أناغلام علوى أتيت من الحجاز فى طلب الجهاد فى طاعة رب العباد لعلى أن أفوز منه بالرضى يوم التناد وما قدمت إلى هذه البلاد إلا لأجل الأمير المهاب والأسد الوثاب الأمير عبد الوهاب لأكون بين يديه من جملة الأصحاب لأننى غدر بى الزمان بعدد المال الواسع والعز الشاسع ولما رأيته قد فقد وقد خلت من شخصه الأوطان

وغدر به زمانه وفقدوه أصحابه وخلانه عدت إلى نصرة السلطان التى طاعته فرض على كل انسان وقد حاربت محاربة الاقران إلى أن جرى على ما جرى وكان ماكان وأنا راضى بما قضاه الملك الديان لأننى من أهل بيت لم يزالوا على القضاء صابرين ولربهم ذاكرين (قال الراوى) فلما سمع عقبة كلامه قال له فما الذى صنع معك الخليفة قال أكرمنى غاية الاكرام وقدمنى على ثلاثة آلاف من الفرسان وهم أبطال الاسلام فقال عقبه ياغلام فهل لك فى الدخول فى الدين الصحيح وهو دين المسيح ليكرمك الملك غاية الاكرام وتنجو من النار يوم القيامة وتطلب طريق السلامة ثم يقدمك الملك على عساكره وجميع دساكره وترجع سيفا لدين النصرانية وعمدة لبنى ماء المعمودية وتأخذ من الملك الاقطاع ويحكمك على خزائنه وسائر البقاع وتصير حاكم البلاد والقلاع والحصون والضياع وتبقى ملك عظيم وسيد كريم وقائد حليم (قال الراوى) فلما سمع عبد العزيز من الملعون عقبه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام واختلطت لونه وتغير كونه وقال ويلك ياشيخ الملاعين ويامن طرد عن باب رب العالمين فكيف أحيد عن الطريق الواضح والميزان الراجح وجدى محمد المصطفى وأبى على المرتضى الفارس الانزع والليث الصميدع قالع الباب هازم الأحزاب والكفار ها أنا ورقة من شجرته وغصن من ثمرته فتبالكم ولمن تعبدون من دون الله يامشركين ياويلكم أما تعلمون أن المسلمين لهم جنات الفردوس نزلا فكيف تأمرنى أن أتخذ بين الاسلام بدلا ياويلك أما علمت أن الشفاعة لجدى والحوض بيد أبى ياويحك أكون من ذلك العنصر وتأمرنى بعد ذلك أن أكفر (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عقبة من الغلام عبد العزيز هذا انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال للملك أقتل هذا الغلام فانه لم يرجع عن دين الاسلام ولا يرتد عن دينه ولا يرجع عن يقينه واثن تخلص من أيديكم هذا الشاب أذاقكم من كفه وسيفه كاس العذاب وكان سبب هلاككم والذهاب ويأخذ موضع عبد الوهاب والرأى عندى أن تقتلوه وبأسيافكم تقطعوه (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك أشار إلى البطارقة وقال لهم قطعوا هذا الغلام بأسيافكم فعندها صاح عقبة بعبد العزيز وقال له ويلك الآن حقت الحقائق وذهبت العوائق والساعة تقطع منك العلائق فدونك والتنصر لتنجوا من المهالك وترجع لرقاب الروم مالك فقال له عبد العزيز يالعين تخوفنى بذلك وأناما كفرت فى نعمائه أكفر به فى حال بلائه وحسن عطائه وقد وجدنى على البلاء صابر ولا أكون يوم القيامة خاسر إذا نادى المنادى بأهل الموقف هذا يوم توفون أعمالكم وقال تعالى

ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا لأن الله تعالى خلق المسلم والكافر والبر والفاجر واعلم ياهذا أن الله تعالى خلق الأشياء وعددها وحصرها وحددها فاذا تأملت ببصيرتك وحققت الأشياء بمعرفتك رأيت جميع ما خلق الله راجع لشيئين فاما ضدين وأما ندين فخلق العرش والكرسى ندين واللوح والقلم عدلين والشمس والقمر نيرين والسماء والأرض عاليين والموت والحياة ضدين والدنيا والآخرة دارين والجنة والنار خلودين والمسابقة والملاحقة قسمين والبر والبحر طريقين وخلق الله ابن آدم من اثنين الماء والطين فاذا تأملت ببصرك إلى كل فرد من الأفراد وكل واحد من الأجساد وجدته فى الحقيقة اثنين وهو قوله تعالى ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فخلق ابن آدم ينظر بعينين ويسمع بأذنين ويتكلم بشفتين ويشم بمنخرين ويبطش بيدين ويسعى برجلين ويقوم على قدمين ويقعد بركبتين ويستريح بمخرجين وينضجع على جنبين ثم ركب فيه من كل شىء اثنين فيه الطاعة والمعصية والخوف والرجاء والحب والبغض والخير والشر والعسر واليسر والغضب والرضى والضحك والبكا والنوم واليقظة والعجلة والطمأنينة والجوع والشبع والغنا والفقر والصحة والمرض والنفع والضرر والشك واليقين والصلاح والفساد فاذا ثبت ذلك فى عقلك علمت أن جميع ما خلق الله تعالى ينقسم إلى قسمين فجميع صفاتك مقرونة باثنين فثبت على الحقيقه أن ليس واحد إلا الله تعالى فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فاذا كانت هذه صفات الخالق فكيف يتخذ معه شريك أيها الشيخ الضال التايه فى طريق المحال الكلب اللعين (قال الراوى) يا ساده فلما سمع عقبة من عبـــد العزيز هذا الكلام أنقلبت عيناه فى أم رأسه وقال للبطارقة ويلكم قطعوه وبالسيوف بضعوه فعند ذلك أخذته السيوف من كل جانب وعبد العزيز صابر على ضرب الكفرة الكواذب إلى أن أثخنوه بالجراح ووقعت فيه أربعة عشر ضربة غير قواتل لما يريده الله تعالى من حياته فهو يدبر الحركه والسكون ويقول للشىء كن فيكون فعند ذلك قال الملعون عقبة أقطعوا لسانه الذى تكلم به هذا الكلام ووجلت منه القلوب وزرفت منه الدموع من العيون (قال الراوى) فعنـــد ذلك قال الحاجب مارس لأخيه دارس والله لأمكنا هذا الملعون من قطع لسانه وهو ينسب إلى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين نفدية بالمال والبنين ثم تقدم مارس قدام الملك وباس الأرض وقال أيها الملك ليس هذا بصواب وأن الرأى الصائب ترك هذا الكلام الذى تفعله فى حق هذا الغلام إلى أن يصبح الصباح فان عاش

أخرجناه إلى بين الصفين وأشهرناه بين الفريقين ونضرب عنقه بين الطائفتين وقد نظرته كل عين ونغيظ بذلك المسلمين وخليفة الموحدين فلما سمع الملك ذلك أستصوب رأيه وقال خذه اليك يا مارس فما فى دولتى أنصح منك وأحتفظ به أيضا فأنا أعلم انه ما يقدر على الهروب منك ولو طار فى الفضا فعند ذلك أخذه مارس وأتى به إلى خيمته وكانت منعزلة عن الخيام كل ذلك حرصا منه لنفع الإسلام ثم أن مارس أفتقد جراحات عبد العزيز وسائر جسده وإذا بالجراحات كلها سالمة لم يقطع له عرقا ولا عصبا باذن الله تعالى فخيط جراحاته وحطوا فيها المراهم والدواء فلما فعلوا ذلك وجد الراحة فى نفسه وسقوه الماء والشراب وأطعموه اللباب ففتح عبد العزيز عينيه وقال يا قوم من أنتما اللذان من الله تعالى على بكما فان كنتما كافرين فقد سخر كما لى رب العالمين حتى يصح ما تألم من جسدى فى هذا الحين وان كنتما مؤمنين فمرحبا بكما وهنيأ لكما بهذا الدين ولعل الله تعالى يجعلكما سببا لجمع شملى بعجوز الحجاز وتلك الهضاب فانها كانت تحسب لى هذا الحساب وتخاف على من مثل هذا المصاب لأنى كنت بقيت من بقايا الاحباب والآن فقد خفى عليها أمرى فاندرس ذكرى وان أنتما قدرتما ان تبلغاها سلامى وتعلماها بمقامى وكيف كان بالكافرين كلامى وانى قد شربت كاس حمامى فهى إذا سمعت ذلك يغلبها البكاء والنواح وتعلن بالصياح ثم ان عبد العزيز بعد ذلك أنشد يقول

ألا أيها الشجعان بالله بلغا ... سلامى إلى اطلال مكة والحجر
فلقيتما ما عشتما كل نعمة ... وعز واقبال يدوم إلى الحشر
ولاضاع عند الله ما تصنعانه ... فقد خف عنى ما وجدت من الضر
بصنعكما لاقيت خيرا وراحة ... لذلك فعل الخير بين الورى يجرى
ومالى وبيت الله موتى وانما ... تركت عجوزا فى المهامه والقفر
ضعيفة حيل ليس فيها جلادة ... على نائبات الحادثات التى تطرى
معودة سكنى القفار مقيمة ... على الشيخ والقيصوم والبغت والزهر
مع الطير والغزلان والوعل بعده ... مع البقر الوحش المقيمات فى البر
وكنت لها ركنا لبعد رجالها ... وأكرمها جهدى وان مسنى فقرى
وأطعمها من صيد كفى أرانبا ... من الوحش واليربوع والظبى اذ تسرى
وأحمى حماها لم تضام ولم أزل ... لها واقفا فى موقف الخير والشر
ولى عندها أخت على حنونة ... لأنى رجاها فى الشدائد والدهر
تقول وقد حان الفراق فان لنا ... بحسن رجوع قادم منه بالبشر

إذا سافر الانسان عن أرض أهله ... فاما رجوعا أو هلاكا مع الدهر
ألا بلغاها من سلامى تحية ... وقولا غريبا مات فى بلد الكفر
طريحا جريحا بالسيوف مبضعا ... على نصرة الاسلام والطاهر الطهر
ألا ياحمام الايك هيا تحملى ... رسالة من قد لا يفيق من السكر
حمامات نجد اسمعا قول مغرم ... طريح جريح وهو فى ذلة الاسر
وان سألت عنى العجوز فخبرى ... بحالى وما لاقيت من غير الدهر
حمامات نجد طال شوقى وحسرتى ... وان دموعى كالسرايب والقطر
حمامات نجد بلغى قول شايع ... غريب بعيد الدار فى بلد وعر
حمامات نجد ان أتيتى خيامنا ... فقولى رأيت الدهرعسرا على يسر
حمامات نجد بلغى الاخت اننى ... قتلت بحد المرهفات مع البتر
وقولى لها عبد العزيز تركته ... له علة بين الجوارح والصدر
حمائم نجد غردى عند موطنى ... وقولى غريب قد يحن إلى الذكر
لهمن عداد العمر عشر وسبعة ... وواحدة عند الحساب بلا نكر
وفى خده خال محته مدامع ... على فقد أوطان وكسر بلا جبر
مضى زائرا يبغى أميرا مجاهدا ... له طود عز فى المكارم والذكر
ألا فاوقفانى بارك الله فيكما ... ألا واكتبا هذا الغريب على القبر
وفيه ثوى عبد العزيز محسرا ... على عمره إذ لم يبالغ فى العمر
له إتصال بالنبى محمد ... ومن خص بالمعراج فى ليلة الاسر
ألا ياحمامات الحطيم وزمزم ... الا فاخبرى أمى ودلى على قبرى
عسى تسمح الأيام منها بزورة ... لقبر غريب لا يزار من النكر

(قال الراوى) ياساده ياكرام وكان مارس ودارس يعرفان بلغات العرب فلما سمعا هذه الأبيات بكيا بكاء شديدا وقالا له طب نفسا وقر عينا ثم أنهما أعلماه بما هما عليه وانهما مسلمين وهم عيون للاسلام فى عسكر المشركين وانهما عونا لهم على القوم الكافرين ففرح بذلك ثم قالا له الساعة نعمل على خلاصك ولو قتلنا بسببك ثم أنهما أعطوه جواد من عتاه الخيل وكان الوقت نصف الليل فقال لهما عبد العزيز أريد منكما سيف قاطع ودرع مانع فان ظهر بى حرس الكفار جاهدت فيهم وأسقيتهم شراب البوار فعجبا من جلادته وفروسيته وشجاعته وصبره على الشدائد وانه فارس ماجد فأعطوه ما طلب وناولاه لامة حرب تشرق بالذهب ثم سار عبد العزيز بعد ماودعاه والله تعالى بعين

عنايته بحرسه ويرعاه وسار فى الظلام السابل وقد أسبل الله عليه ستره الشامل وما زال عبد العزيز إلى أن وصل إلى عسكر المسلمين وكتائب الموحدين وقصد إلى سرادق الخليفة بغير جزع ولا خيفة فلما رأوه الحراس سألوه عن حاله فأعلمهم بمكانه وقال أنا عبد العزيز العلوى فهنوه بالسلامة وأعلموه الخاص والعام ووقعت البشائر واستأذنوا أمير المؤمنين عليه فأذن له فلما دخل عليه وقف بين يديه وقبل الأرض فأكرمه المعتصم وأدناه وفرح بسلامته غاية الفرح وخلع عليه وأزال ما به من الترح وخرج من عند الخليفة وسار إلى سرادقه وقد وقعت البشائر فى عسكر الاسلام وبات الناس إلى أن ولى الظلام وأقبل النهار بالابتسام فبادر الناس إلى لبس السلاح للحرب والكفاح وكذلك الكفار وقد ركب المعتصم ودارت به الخدام وكان أرمانوس قد صعب عليه وكبر لديه خلاص عبد العزيز الا انه لم يتخلف عن الركوب وركبت الملوك ولم يتخلف لا غنى ولا صعلوك فبينما الناس كذلك وإذا ببطارقة الروم قد ترجلت قدام ملك من ملوكهم وكان شيخ أسود وهو عقبة اللعين ولما أن الملعون توسط الميدان وأشهر نفسه بين الفريقين أشار إلى البطارقة فرجعوا عنه ثم نادى برفيع من صوته يامعاشر المسلمين من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا شمعون بن بولص فلا يبرز لى إلا فارس واحد وبطل ماجد حتى أضرب رأسه بهذا الحسام وأسقيه شراب الحمام (قال الراوى) ياسادة فلما رآه عبد العزيز قال والله هذا الملعون الذى حرض على قتلى وفعل بى بين يدى الملك مافعل ولابد لى من الخروج اليه ثم هم أن يخرج اليه وإذا بالمتنصر قد صاح اليه وبرز يريد الحرب والنزال وقال ويلك ياملعون ومابلغ من قدرك حتى يبرز اليك عبد العزيز ثم حمل على عقبة وحمل عقبة عليه ولم يزالا فى قتال ونزال وأخذ ورد وكر وفر الى أن علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وقد قلع المتنصر من الرمح السنان وخفيا عن الفريقان واحتجبا عن العسكران فعند ذلك قام المتنصر فى ركابه وطعن عقبة فى صدره ألقاه من على الجواد فعند ذلك حملت ميمونة وأصحابها وأخذوه عن المصاب وعادوا بعقبة الى عسكر الروم وأتوا به إلى أرمانوس ودارب به الرهبان والقسوس وصاروا يتصايحون ويعلنون بالبكاء والنحيب ويقولون واذل النصارى بعدك ياشمعون بن بولص وكان عقبة قد أمرهم بذلك من الليل وتصارخت أيضا البطارقة وضجت العمالقة وبطلوا القتال فى ذلك اليوم. وعند الليل قال الملك لعقبة ماقصدت بهذه الفعال فقال حتى أدبر ماتراه وأنا قد وريت المسلمين شخصى ويروا بعد ذلك مصرعى ويعلمون أن الصياح بسبب شمعون بن بولص (قال الراوى) ثم ان الروم عملوا لعقبه تابوت وأتوا الرهبان

والقسوس وصاروا يتصايحون ويعلنون بالبكاء والنحيب وكذلك البطارقة والغلمان وجميع عساكر أهل الكفر والطغيان وصلوا على التابوت صلاة الناسوت وقد أشاعوا انهم يحملونه معهم إلى القسطنطونية وباتوا المسلمين وهم يلعنون عقبة على تلك القضية ويقولوا لارحم الله صداه ولابل ثراه وأكثر من فرح به عبد العزيز العلوى وكان قد برىء من جراحه وقوى وان ميمونه طلبت دارس وأخيه مارس فحضروا إلى بين يدى الملك فقال لهما ياحجاب كيف فرطتما فى أمر الأمير عبد العزيز فقالا أيها الملك انه هرب من خيمتنا وأخذ لنا جواد لم يوجد مثله ولم نعلم هل هرب أو سرقوه لصوص المسلمين وهذا عجب العجب فصلب الملك على وجهه وقال زنهار من هؤلاء الأشرار لأننا نأسرهم بالنهار ويهربون فى ظلام الاعتكار والشكر للمسيح الذى لم يتعرضوا لكما ولم ظفروا بواحد منكما فلو ظفروا بكما أو بأحدكما عدمنا طلعته ومشورته ثم صرفهما وبات الناس تلك الليلة ولما كان من الغد ركبت العساكر والمواكب وزحفت الكتايب إلى الكتايب وحملت الطائفتان والتقا العسكران ووقع بينهم الضرب والطعان وعملت السيوف فى مقاتل الفرسان وطلع الغبار إلى العنان ووقع القتال وعظم النزال ورميت النبال وتواقعت الرجال وزالت الأوحال وجرى الدم وسال وبطل القيل والقال وقصفت أسنة الرماح الطوال وتواقعت الأبطال يمين وشمال وكثرت الأهوال ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت كل طائفه إلى مقامها ولولا أدركهم الليل مع الاقدار لكانوا المسلمين ولوا الادبار وركنوا الى الفرار (قال الراوى) فلما نزل المعتصم فى سرادقه جمع أرباب دولته ورؤس مملكته وقال لهم قد رأيت لكم من الرأى ان كل واحد منكم يضرم النار على باب خيمته ونرجل فى ليلتنا هذه ونطلب الموصل فقام الأمير عبد العزيز وقبل الأرض وقال والله يا أمير المؤمنين ان أنت فعلت هذه الفعال عوقبت على هلاك المسلمين ويطمعوا فينا الكافرين واعلم ان النصر من عند رب العالمين فاصبروا إلى غداة غد فلعل الله تعالى أن ينزل علينا صبره وقد قال بعضهم وأجاد حيث يقول

إذا النائبات بلغت النهى ☆ وكادت لهن تذوب المهج
وزاد البلاء وقل العزاء ☆ فعند التناهى يكون الفرج

(قال الراوى) فأجاب الخليفة إلى مقالة عبد العزيز فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وهم الناس بالقتال وإذا بغبار قد تار وعلا حتى سد بكثرته الأقطار وسد الحى وأعدم الضوء فتطاولت الناس اليه بالاعناق وشخصوا نحوه بالأحداق وإذا بالغبار

قد أنكشف عن رايات خافقة ودروع بيض بارقه (قال) وكان هذا عسكر الافرنج وملكهم كيلون بن قالوص وقد أقبل فى مائه ألف وكان هذا الملعون أفرس أهل زمانه وأشجع أقرانه وقد ألتقاه أرمانوس بنفسه وأنزله بازاء سرادقه ولما خلا فى السرادق مع أرمانوس قال كيلون لارمانوس قد بلغنى أن ملك المسلمين فى مقابلتكم ومعهم هذا العسكر وأنتم أضعافهم وما تقدرون على أنهزامهم وهذا عليكم عار وشنار ووحق دينى والزنار لايقف فى مقابلتهم غدا غيرى فقالت ميمونة وحق المسيح ماماسك عسكر المسلمين إلا هذا الغلام الذى اسمه عبد العزيز العلوى ولو عدم لما يبقوا الموحدين اما منا طرفة عين (قال الراوى) فلما سمع كيلون كلام ميمونة زعق زعقة كاد أن يطير عقلها وقال من هذه الحجامة حتى تتكلم مع الملوك فى مثل هذا المقام حتى أضرب رأسها بهذا الحسام فاقبل عليه مارس لأنه كان كبير القدر عند الروم وقال له أيها الملك هذه زوجة الملك أرمانوس وهى تسمى بالملكة ميمونة وهى من الشجاعة بمكان عظيم فقال كيلون وحق المسيح ما فيكم فارس مذكور ولا بطل مشهور ولقد داخلكم الرعب من هذا الغلام المحقور وكيف قد وقف فى جوههم مثل الأسد الكسور وأنا قد سمعت بشجاعة هذه الملكة ميمونة وما أرى من ذلك شىء ثم أن الملك كيلون وثب مغضباً وانصرف إلى سرادقه وكان الملعون يقول أنه ما مثله فى الروم وبات الناس يتفكرون فى أمورهم وان ميمونه قد داخلها الغيظ ثم أنها خرجت من عند أرمانوس وادعت بغلام لها يقال له سعد وقالت له هل لك أن تأخذ منى هذا الكتاب وتوصله إلى عسكر المسلمين فقال السمع والطاعة على رأسى وعينى ولوحان حينى فعند ذلك كتبت ميمونة فى الوقت والساعه كتاب إلى عبد العزيز العلوى تقول فيه أيها الأمير والسيد الخطير أعلمك أنه قد حصل ملك من ملوك الافرنج وجرت بيننا وبينه مشاجرة ووصفت له اثنان جناتك وصولتك على أقرانك فزجرنى ونهرنى وذكر وقال أنا غدا أصطلى الحرب بنفسى وأدعو هذا إلى قتالى وحربى ونزالى وقد ضمن للملك أنه يقتلك ولا تسل عما جرى من أجلك فابصر كيف يكون الامر والسلام (قال الراوى) وما كان فى فعال ميمونة هذه الفعال إلا حتى ما تنكسر شوكتها وحركتها عند الملك ارمانوس ويسقط قدرها عند الابطال وتورى الملك ان ما ثم أشجع من عبد العزيز أحدا أبدا (قال الراوى) فمضى العبد بالكتاب الى أن وصل إلى عسكر المسلمين فقبضوا عليه الحراس وقالوا له من أنت قال أنا رسول إلى عبد العزيز فأوصلوه إلى خيمته فلما رآه سلم عليه ثم ناوله الكتاب فقرأه وفهم معناه فقال ان الله يعيننى عليه ويوصلنى اليه (قال الراوى) فلما كان من الغد ركبت الطوائف واصطفت

الصفوف وازدحمت الألوف وترادفت الوقوف وازدحمت الخيل وهموا بالحملة ولم يبق لأحد منهم مهله وإذا بفارس قد برز من الروم وهو راكب على جواد أصفر عالى مضمر كأنه البرق إذا برق أو السهم إذا مرق قوى القوائم سالم الدعائم وعلى الراكب درع مدفون الزرد فى ثوب قسطنطونى منضد ومن فوقه ملعب خزاينى قصير الأكمام مليح الهندام وعلى رأسه خوذه من البولاد وهو فى عدة كاملة فلما صار بين الصفين نادى بأعلا صوته يامعاشر العرب اعلموا أن أجلكم قد اقترب فمن عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا كيلون بن قالوس ملك الأفرنج وقد سمعت بفارسكم الموصوف والبطل المعروف الفارس القوى عبد العزيز العلوى وقد اشتهيت أن يخرج إلى مبارزنى بين هذه العساكر حتى يعلم الجمعان أننى عليه قادر (قال الراوى) فلم يتم هذا الكلام حتى خرج اليه الأمير عبد العزيز الهمام وهو مدرع بدرع زرد كله ذهب وعلى رأسه ترك زرد كانه عيون الجرد وبيده رمح طويل وعلى رأسه سنان كانه لسان ثعبان وهو متقلد بسيف بتار قاطع للأعمار وقد أوقدت فوقه الصواعق نار ثم خرج وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وأخذ فى الكر والفر والاقبال والأدبار وقد علاهما الغبار وغابا عن الأبصار فحارت منهما الأفكار وما زالا كذلك حتى كلت الساعدين ووقعت الجوادين وعظمت الأوابد وصبرا على الشدائد ثم أن الأمير عبد العزيز صاح بعزيمته صيحة الليث الهجوم وضربه ضربة الأسد الكلوم فشرب فيها كاس المنون (قال) فضجت من تلك الضربة المسلمين والروم لأنها وقعت على عاتقه الايمن طلع السيف يلمع من جانبه الأيسر هذا وقد همت الافرنج أن تحمل وكذلك الروم الملاعين تهيؤا إلى لقاء المسلمين وإذا بغبرة قد طلعت وإلى نحو المسلمين قصدت ثم أنكشفت وبأن من تحتها خمسة آلاف فارس كانهم الليوث العوابس يقدمهم فارسهم أمير كانه أسد العرين (قال الراوى) وكان هذا الجيش لمؤتم الأشبال صاحب الرقه واسمه أسد بن جابر ولما وصل ترجل للامام الخليفة وقال يا مولانا قد وصلت إلى الشام الأخبار فى هذه الأيام أنك هزمت العدو وما أراكم إلا بعد فى المصاف فابشر يا أمير المؤمنين فان معى خمسة آلاف يريدوا من الروم مائة ألف ولعل الله تعالى أن ينصرنا على الأعداء فقال الخليفة قد بدالى رأى أريد أن أفعله وهو أنى أسير الثقل والخيام مع خمسة آلاف فارس وما نبقى نقاتل العدو إلا بالفرس والنجيب فان نصرنا فلله الحمد وان كانت الأخرى فنكون خفاف وننجو بأنفسنا بلا خلاق ثم أمر الخليفة بالاثقال أن تحمل على الجمال وجميع الخيام والأموال ولم يبق فى عسكر الخليفة

غير الفرس والنجيب هذا وملك الروم قد أمر لسائر الطوائف أن تحمل على عسكر المسلمين فحملت الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب وقد تزلزلت الآفاق وقامت الدنيا على ساق وتجاذبوا بالأطواق وكثر الصياح والزعاق وظهر الشجاع المقدم وذبحت الرجال ذبح الغنم وقاتلت الترك والعجم وجذبت الخيل شكمها وتقطعت من شدة الجرى حزمها وتقهقرت حتى عملت الصوارم فى نواصيها وقد تزلزلت الأرض بنواحيها ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى ولوا المسلمين الأدبار ولم يقفوا إلى أن وصلوا إلى الموصل ولم يفقد من الجيش إلا عبد العزيز ومؤثم الأشبال وكان السبب فى غيبتهما أنه لما ولت العساكر منهزمين والمعتصم فى المقدمة وجيوشه متحطمة وامتلأت بالروم سائر الطرقات فى طلب المنهزمين فلما رأى عبد العزيز ذلك أندهل غاية الاندهال وقال لمؤثم الأشبال اعلم يا ولدى اننا ان سرنا فى أثر أمير المؤمنين أخذنا بلا محاله ولكن أنا أدلك على طريق نسلكه ويكون لنا فيه الفرج إن شاء الله تعالى ثم ان مؤثم الأشبال سار فى أربعة آلاف ومعه عبد العزيز وأخذ على طريق قبلى عمود وميل على دارا ومنها إلى الجمه وصعد إلى جبل كرسا ونزل منها إلى قلعة السلق وأخذ على العين الكبرى وخرجوا من هناك طالبين الموصل ولما وصلوا وقعت البشائر فى العسكر ووصل الخبر إلى المعتصم فأمر باحضار عبد العزيز ومؤثم الأشبال فلما حضرا بين يديه هناهما بالسلامة وأعلمهما ما سبب غيبتهما فأخبراه بذلك (قال الراوى) وأمر الخليفة أن ينادى فى الموصل على أن أمير المؤمنين ضيفكم إلى أن يتقدموا إليه الاقامات من العراق فما بقى فى الموصل صغير ولا كبير إلا وحمل إلى الخليفة على قدر مقدرته وكان العسكر قد نزل من باب الميدان إلى الدير الأعلى إلى الوسطة إلى نحو مقاطع الحصن إلى وادى رومان وجاءت الاقامات من كل جانب ومكان حتى من المكاريه وبلد الجزيرة ومن سنجار الى الخابور والرقة وأعمالها ومن خرت برت وأطلالها وجاءت أيضا عساكر الأكراد فى طلب الجهاد فوصلت العساكر من العراق ومن سائر الآفاق وبقيت الخلق ثلاثة أيام متواردة على مثل ذلك (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الروم فانهم لما انهزم الخليفة من مرج الزعفران سار أرمانوس فى أثر عساكر الاسلام إلى أن وصل إلى دار أومنشا فنزل هناك وقد رأى صورا دار أومنشا فلم يقدر عليها وكانت دارا يومئذ لم يخرب صورها ولا تغيرت أمورها لأن صورها كان حصين وبناؤها مكين وكان بنى صورها والمدينة أخو الاسكندر وسماها باسمه وما أخرب صورها إلا ابن الشمشكى الذى

نزل على آمد فى أيام المعتصم وحاصرها (قال) وأما المعتصم فانه قام على الموصل وأما أرمانوس فانه نزل على دارا وقد نزل فى خندق حولها فأعجبه ذلك ورأى صورة على باب البلد فقال ما هذه الصورة فقالوا أيها الملك لا علم لنا ولكن اسأل بعض الأسارى الذين معنا قديما يعرفون هذه الصورة وهى على صورة ابن آدم فعند ذلك سأل الملك بعض أسارى المسلمين عن ذلك فقال أيها الملك هذه الصورة كل من أخذته اللوقه ينظر إليها فيرجع كما كان فى الوقت والساعة وقد عملت لأجل هذا الشأن فنظر الملك إلى صفة حية على الباب فسأل عن ذلك فقالوا أيها الملك كل حية بالمدينة أو حولها مسيرة نصف يوم فانها لم تؤذى شيئا (قال الراوى) فلما سمع أرمانوس هذه الصفات تعجب من تلك الطلسمات وعلم أنه ان قاتل أهل البلد لا يقدر عليها فترك حشمه ورحل طالب نصيبين فوجدها محصنة بالرجال والعدد الثقال وكان المعتصم قد ترك عليها أبو الفضل ابن سهل المأمونى فى خمسة آلاف فارس فنزل عليها الملك أرمانوس مما يلى باب الروم ثم رحل عنها وقال هذه بين أيدينا إذا أخذت الموصل وبغداد وأعود بعد ذلك إليها وسار إلى برقعيد ونهب ما كان فيها وانحرف إلى المنقوب وبيت ابراهيم ورحل الى بيت الرصد وكان للمعتصم فيه دباشة فلما رأوا قدوم الروم بعثوا إلى الخليفة وأعلموه بذلك وقالوا يا أمير المؤمنين قد نزل ملك الروم من بيت الرصد إلى الروبعية فلحقها خراب ورحل إلى التميمة إلى وادى عطشان يطبق إلى دير ميخائيل إلى المعمدى وقد امتلأت تلك الأرض بالعساكر والجنود والدساكر (قال) فانزعج المسلمون لقدومهم واضطرب الجيش وداخل المعتصم الخوف والفزع والجزع فقال عبد العزيز يا أمير المؤمنين قد أخبرنى قوم أسارى انهزموا من عسكر الروم انه فى كل يوم يصل من بلاد الروم خلق كثير مثل الجراد المنتشر فقال المعتصم نحن نتوكل على رب الأرباب ثم أمر الخليفة أن يأخذوا الناس الأهبة للقتال فقال عبد العزيز ماذا عولت يا أمير المؤمنين فقال على القتال من وراء الاسوار ونصبر على قتال الكفار إلى أن يأتينا الفرج (قال الراوى) فبينما الخليفة كذلك إذ وصل اليه نجاب يعلمه ان ملك خراسان ذو النجدتين اسماعيل بن هزامرد يصل اليه بعد خمسة أيام فى مائه ألف همام وانهم إلى أمير المؤمنين طالبين فقال المعتصم حاشا لله أن يترك دين نبيه من غير أنصار والصواب أن نخرج إلى ظاهر البلد ونقاتل من كفر بالله وجحد وفى ذلك صلاح من جهتين أحدهما أننا نرهب أعداءنا ويقول قائلهم لولم يكونوا فى قوة كثيرة لما خرجوا الينا والثانية إذا وصلت الينا نجدة تسمع أننا على باب البلد نزول فللقوى عزائمهم ويأتوا من كل جانب ومكان وإذا سمعوا أننا محصورين لم يأمنوا أن يصلوا الينا وعول المعتصم

أن يخرج إلى ظاهر البلد يطمن كل أحد وجمع النـاس من سائر النواحى وخرجوا معه بالعدد الكاملة والأسلحة الشاملة ولم يكن يومئذ أحسن من شاب الموصل (قال الراوى) فهذا ماكان من المسلمين وأما ماكان من عقبه اللعين فانه لما رحل من دارا أخذ معه أربعة من المتنصرة وهم فى زى الصوفية والفقراء وهم الذين كانوا يشهدوا عند المعتصم بما شهدوا ولم يزل الملعون سائر إلى أن وصل جزيرة عمرو بن قادم وقصد نحو قصر هناك ليلا وكان فى مسجد تزوره الصالحين وكانت الدجله تجرى من تحته وكان الملعون قد أقام فيه مرارا عديدة ثم بات تلك الليلة إلى أن أصبح ودخل إلى الجزائر ثم قصد إلى صاحبها وهو عمرو بن قادم وكان بينهما معرفة من قديم الزمان فلما رآه عمرو قام له قائما على قدميه ورحب به وسلم عليه وقال له ياقاضى أين كانت هذه الغيبة فقال ياهذا كنت مقيما فى الأماكن الشريفة المشهورة والمساجد المعمورة ولى منذ سمعت بهؤلاء الأقوام وما سمعت ماقال فى حقهم صاحب الفهم والنظام حيث يقول

القوم إذا ما الليل جن بهم ☆ قاموا من الفرش لا يعدون عبادا
ويركبون مطايا لا مثيل لهم ☆ ويسمعون منادى الحق قد نادى
والأرض تبكى عليهم حين تفقدهم ☆ كأنهم جعلوا للأرض أوتادا

(قال الراوى) فلما سمع الأمير من عقبه هذا الكلام وثب يصافح هذه الأقوام هذا وقد شاع ذكرهم فى الجزيرة فأقبلوا الناس يصافحونهم ويتبركون بثيابهم ويأخذون ترابهم من تحت أقدامهم وأقاموا كذلك فى الجزيرة إلى أن بلغ الخبر إلى اللعين عقبه ان ارمانوس قد نزل على الموصل فعزم على الانحدار اليه فقال عمرو ابن قادم أيها الصالح أقم هاهنا لترجع علينا بركاتك وبركات هؤلاء الصالحين فقال أيها الأمير ما يمكننى المقام وانى أريد زورق انحدر فيه أنا وهؤلاء إلى الموصل فقال عمرو وما قصدك أيها الرجل الصالح فقال قصدى أن أشاهد المعتصم فقال الأمير اعلم ياهذا ان خيل الروم والعرب المنتصرة تخطف الناس من جميع المواضع وأنا عليك وعلى من معك خائف فقال عقبه يابنى اعلم لو أننى مشيت أنا وهؤلاء الصالحين لو وضع الواحد منا قدمة فى الجزيرة والأخرى بالموصل ولكن نخشى أن تختبل قلوب أقوام يصبون الينا ويعتقدون فينا كما اعتقدوا فى غيرنا وقال الأمير سيروا بنا فى البر وهو خير لكم فابى عقبه ثم ان صاحب الجزيرة أنزلهم فى زورق ومعهم ملاحين وانحدروا إلى أن وصلوا إلى المضيقه فانخرق الزورق ودخل فيه الماء فلما أحس عقبه بالغرق قال للملاحين ياويلكم اطلبوا بنا الساحل وإلا غرقنا فقالوا ياقاضى ألم تقل ان هؤلاء من أوتاد الأرض وانهم لا يغرقون وعلى الماء يمشون فقال لهم

عقبه ياويكم ادخلوا بنا الساحل ودعونا الساعة من المحاققة فى هذه الغفلة فقال بعض الملاحين أنا وأصحابى نسبح ونعرف نعوم فاذا زاد الأمر علينا نزعنا أطمارنا وألقينا روحنا فى الماء وتوكلنا على الحى القيوم فقال عقبه لأصحابه ماتعرفون تسبحون فقالوا لا وحق المسيح والمذبح والذبيح فقال لهم فى بطون السمك تحشرون وفى هذا البحر تغرقون فقالوا هذا كله ببركتك أيها الشيخ الصالح ومن جعلنا من أوتاد الأرض ونحن قلوبنا أقوى من الصخر مانموت إلا غرقا فى البحر هذا وقد زاد الأمر وعيل الصبر وقويت الرياح وكثر الصياح فقال عقبه للملاح وقد صاح به صيحة الفزع ياويلكم هلكنا لامحاله فاعدلوا بنا إلى الساحل وإلا غرقنا عاجل (قال) فضحك الملاحين وقالوا ماثم إلا الخير إذا غرقت دخلت الجنة وتكون شهيد والآن البر منا بعيد ثم قذفوا الملاحين وطلبوا البر مسرعين ومازالوا إلى أن وصلوا إلى البر ورفعوا الزورق إلى الساحل وسدوه وكان عقبه قد أيقن بالغرق وأنزلوا الزورق إلى الماء وساروا ذلك اليوم والثانى والثالث كانوا فى الموصل ونزلوا إلى الساحل ودخلوا إلى المدينة ووقعت الضجة بقدوم عقبه ووصل الخبر إلى المعتصم ففرح وأمر بحضوره فحضر بين يديه ورحب به وسلم عليه فعند ذلك باس عقبة الأرض ثانى طريق وقال أدام الله بقاك دوام الفرقدين وأبقاك بقاء النيرين مادامت الأفلاك وسبحت الأملاك فعند ذلك تبسم الخليفة وهناه بالسلامة فقال له عقبة ياأمير المؤمنين كنت ببيت المقدس سنتين كاملتين فأول سنة كنت بمكة حرسها الله تعالى واعتمرت أمير المؤمنين لك عمرة وهاهى فى التاريخ (قال الراوى) ثم ان الملعون أخرج عمرة بخطوط أهل مكة وشهادتهم فلما نظر المعتصم إلى ذلك قال عفا الله عن عبدالوهاب وأبو محمد البطال والأمراء المجاهدين من بنى كلاب فقال له يا قاضى منذ غبت عنا فما سمعنا لهم خبر فقال اللعين عقبة كتب الله سلامتهم ولا أعدمنا طلعتهم فلقد كانوا مبيدين المواكب ومطحطحين الكتائب ولو كانوا حاضرين لطال على كلاب الروم أن يصلوا إلى هذا المكان ولكن سوف أدعو على الروم لعل الله أن ينصر المسلمين عليهم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم كلام عقبة خلع عليه الثياب الذين كانوا عليه وألقى على رأسه عمامته وأعطاه والزهاد خيمه ثم قال له ياقاضى ان الأمير عبد الوهاب قد ذهب وقد أخلف الله علينا أمثاله من العرب وهو شاب علوى يقال له الأمير عبد العزيز فقال له ياأمير المؤمنين ومن هذا الفتى فقال غلام من السلالة الطاهرة والغره الزاهرة وبعد يا قاضى فما رأيت أثبت منه عند معترك القتال ولاأصبر منه عند ملاقاة الرجال يزعزع المواكب ويفنى الكتائب فقال عقبة والله يامولانا لقد شوقتنى اليه بأوصافك الشريفة ومانطقت به من المناقب

المنيفة ولقد اشتهيت أن أفوز بالنظر اليه (قال الراوى) فعند ذلك أمر المعتصم باحضار الأمير عبد العزيز فلما أحضروه ورآه عقبة وثب له قائما وأقبل عليه مسلما وقال له أهلا أهلا وسهلا بمن أثنا عليه أمير المؤمنين وكيف لا يكون ذلك كذلك وأنت من بيت علا فخره وانتشر ذكره بيت العلم والشجاعه ومعدن الكرم والبراعة فلما رأى عبد العزيز العلوى إلى عقبه اللعين ارتعبت فرائصه وقال له يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الشيخ الا بالذى كان فى عسكر الروم واستحل دم مثلى وكان عقبة لما دخل الجزيرة دخل الحمام وحلق شعره الذى كان قد رباه وقصص دقنه ونكر أمره فقال الخليفة لعبد العزيز أنت تقول عن شمعون بن بولص وذلك مات وبقيت عظامه رفات (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك صار يقرأ القرآن ويفسره باوجه حتى أذهل عبد العزيز وأزال الشك من قلبه وأنساه مافعل به ثم ان عبد العزيز قام الى عقبة وصافحه وتبسم فى وجهه وقال اجعلنى فى حل مما قلته فى حقك فقال له يابنى غفر الله لنا ولك فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من أرمانوس فانه زحف الى الموصل بعساكره ورجاله وجميع أبطاله وقد تدكدكت الأرض من الحوافر وماجت العساكر ونادى المنادى فى الموصل ياخيل الله اركبى وبالجنة أبشرى فعندها ركبت الفرسان للمجال وخرجوا للحرب والنزال واستقبلوا المسلمين جيش الضلال بقلوب أقوى من الجبال وركب المعتصم ونشرت على رأسه الأعلام وتبادر كل فارس همام وأسد ضرغام وارتفعت الأصوات وقرأت القراء من جميع الجهات (قال الراوى) فبينما الناس عازمين على اللقاء وإذا بغبار قد ثار حتى سد الآفاق وبلغ إلى العنان وقد شخصت اليه أعين الناظرين وتطاولت اليه الموحدين وطائفة الكافرين وإذا به من نحو أرض العراق وقد أقبلت الخيل تسابق إلى الميدان سباق وكان هذا الجيش القادم جيش خراسان وقد أقبلوا بالخيول الأعوجية عليها على القتال (قال الراوى) فلما رأوهم المسلمين وهم على هذه الصفة والقضية رفعوا أصواتهم بذكر رب البرية فلما أشرفت الكتائب العجمية والمواكب الحنيفية وعاينوا الخليفة بازاء الكفار نادى فيهم الأمير اسماعيل وقال يا أحباب الله اعلموا أن الحملة لمن حمل فاحملوا على الطغاة الأشرار فى طاعة الملك الجبار وكان المقدم على الجيش محمود بن خشتر بن ملك العجم وكان فارس محتشم فلما سمعوا قومه ذلك عملوا على الأعداء ووصلوا إلى جيش الكفار واستقبلهم قبائل الروم وكان يومهم يوم مذموم وحقت الحقائق ولمعت الطوارق وعاقهم عن الخلاص عائق وأظلت المغارب والمشارق وأيقنت المسلمين بالخروج من الدنيا ثم طلبوا منها الخلاص واختلط القوم العوام بالخواص ولم يزالوا كذلك الى أن ولى

النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونزلت الطوائف وأمن قلب كل خائف ولما استقر المعتصم فى سرادقه أقبل محمود يسعى إلى الخليفة وقبل الأرض بين يديه فرحب به وشكره على فعاله ونزلت الجيوش وكل واحد من هول القتال مدهوش وتولى حرس القوم الأمير عبد العزيز برجاله التى ضمها اليه المعتصم فبينما هم كذلك وإذا بصوت جيش فوقف عبد العزيز يسمع وإذا بقوم يقرؤن القرآن فتزعزعت جوارحه فترك أصحابه وبقى وحده وزاد عليه التواجد وإذا هو بأربع رجال يقرؤن القرآن بأطيب صوت وأفصح لسان وعليهم المرقعات المضيئة وهم فى صفة الصوفية فوقف عبد العزيز إلى أن فرغوا وسلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا مرحبا بك يا فتى العرب أتعرف لنا فتى اسمه عبد العزيز فقال ما الذى تريدون به قالوا نحن قوم من أصحاب رجل قطب الأقطاب الذى بركته بين الناس ظاهره وهو حامد الخراسانى الذى ما له فى زمانه ثانى سيد الأولياء ورأس الأصفياء قد دخل إلى هذه الدجلة وهو يصلى معنا كما له بالعادة لأنه من رجال السعادة وقال لنا الساعة يشرف عليكم فتى يقال له عبد العزيز فان أتاكم فائتونى به لابشره ببشارة رأيتها له فى النوم (قال الراوى) فلما سمع عبد العزيز ذلك قال لهم سيروا بنا فساروا وهو معهم إلى شاطىء الدجلة فوجد الشيخ القطب جالس تارة يسبح وتارة يقدس فقالوا لعبد العزيز أدن منه وسلم عليه فدنا منه وجعل يقبل يديه ورجليه فبينما هو كذلك وإذا بالخيل قد أشرفت عليهم وهم أوفى من خمسين فارس مثل الليوث العوابس فانكبوا عليه وأخذوه أسير وقادوه ذليل حقير وساروا به إلى عسكر الروم وأوقفوه بين يدى الملك وكان عقبه هو الذى عمل عليه هذه الحيلة لما فى قلبه منه فلما رآه الملك قال له يا هذا أتظن أن المسيح غافلا عنك ولكن أقسم بدير القداس وكل راهب وشماس لأجعلنك مثلا بين الناس (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع عبد العزيز ذلك قال الله أكبر الله أكبر ولعنة الله على من كذب وكفر وطغى وتجبر فلما سمع الملك كلامه صلب على وجهه وأمر بضرب رقبته فقالت ميمونة أيها الملك ان أنت قتلته استراح والرأى عندى أن تبعثه إلى مدينة القسطنطينية فاذا رجعت أشهره وقابله على فعله فقال لها الملك لقد أصبتى فى هذه القضية ثم أمر بالقيد وألقى فى رجليه وجعله فى صندوق وأضاف اليه من الأسارى المسلمين شىء كثير وسلم الجميع إلى بطريق من بطارقته اسمه بطلوس وأضاف اليه ألف فارس من بلاد الروم وارتحل بهم الملعون من وقته وساعته طالب القسطنطونية وهو فى همة قوية (يا سادة يا كرام) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما أصبح الصباح طلب عبد العزيز فلم يجده فسأل عنه فقال

له بعض رجاله يا أمير المؤمنين نحن البارحة على الحرس إذ سمعنا انسان يقرأ القرآن على ساحل الدجلة فمضى اليـه عبد العزيز ليتلذذ بذكر الله وغاب عنـا الى الآن وما ندرى ما فعل به الزمان فلما سمع المعتصم ذلك الـكلام قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله أن نفسى تحدثنى ان الروم عملوا عليه وأخذوه أسير وأنا أعلم أنهم مايبقوه (قال) وأقام القتال بين الطائفتين خمسة وعشرون يوما وكان قصـــد المعتصم بالمطاوله ليتكامل جيش الاسلام ويتلاحق به العساكر من مصر والشام ثم يصدم ملك الروم صدمة واحدة يدع الدنيا منه خامدة وتكون تلك الوقعة إما له وإما عليه (ياساده) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من البطريق الذى سار بعبد العزيز والاسارى معه ومعه ألف فارس فانه سار لمـــا ان قطع رأس العين وأخذ بطريقه على حران وأرض السويديه ونزلوا فى قرب حصن المبلط وأخرجوا عبد العزيز من الصندوق وأطعموه شىء يمسك به رمقه وناموا فجعل يعالج قيده إلى أن فتحه ووثب كالأسد وخطف سيف من بعض النيام وانعزل عن جيش الـكفار فما كان غير قليل حتى وقعت الضجة وقاموا من النوم حيارى وهم متعجبين من قوة قلبه وجنانه وجسارته فركبت الروم فى طلبه ولم يكن عبد العزيز بعد عن القوم غير فرسخ حتى لحقوه وصاحوا عليه ومدوا رماحهم اليه فعاد عليهم عودة الأسد وله قلب أقوى من الجلمد ودعس فيهم دعس الأسـد الهجام ورأوا منه ليثا الابرام وبطلا عند الصدام ثم دافع عن نفسه راجلا ولم يزل لهم مقاتلا إلى أن تخضبت الأرض بالنجيع وصنع بهم أقبح صنيع فلما عاين البطلوس مقدم القوم ذلك الأمر ترجل عن جواده وزحف إلى عبد العزيز وكان من ورائه رابية عالية شامخة ليس لها تسليق ولا يقدر عليها أحد بطريق فالتجأ اليها عبد العزيز العلوى واستعان بالله الشديد القوى ولم يزل للقوم محاربا ولهم بالحسام ضاربا إلى أن ولى الليل وأقبل النهار والأمير عبد العزيز قد رفع قصته وشكواه إلى الملك الجبار الذى يعلم سره ونجواه ولم يزل يقاتل إلى وسط النهار وقد فرغ منه الاصطبار وكان قد قتل من الروم أو فى من مائة فارس (قال الراوى) ياساده فبينما هو كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وأظلم منه النهار وصار يلوح من تحته لمعان أسنة الرماح وبيض الصفاح فوقفوا القوم عن الحرب وإذا بغبار الخيل قد كثرت وبوادر الفرسان قد تبادرت والمقدم عليهم فارس قوى العزيمة ماعرف قط هزيمه وهى أم الليث الوثاب وفارس بنى كلاب الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وهى كأنها اللبوة هذا والجنائب أمامها وبنى كلاب قدامها وهى فى وسطهم وهى تنشد وتقول

ألا فاحملوا نحو الكلاب الكواذب ... وردوا سيوفا من دماء المواكب
وذبوا عن الحق المعظم فى الورى ... وارضوا إله الخلق معطى المواهب
فمن كان منكم يبتغى عتق رقبة ... من النار فى يوم الجزا والمآرب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيغم ... ويرضى رسولا للورى غير كاذب
أنا الحية الرقطاء واللبوة التى ... تكد وتحمى بالسيوف القواضب
وذلهمة اسمى إذا افتخر القنا ... أكر وأحمى رفقتى وأقاربى
وأرضى إله الخلق رب محمد ... فما زال ربى عدتى فى النوائب

(قال الراوى) وكان السبب فى قدوم الأميرة ذات الهمة ان مواكب الأمير لما نزلت إلى السويدية أقاموا ينتظرون أخبار ملطية وكل يوم يصل اليهم خبر الكفار انهم قد دخلوا إلى بلاد الاسلام وكان الأمير فى حين نزوله كاتب بلاد اليمن وأهل صنعاء وعدن ان تأتى اليه العساكر إلى أن وصلوا اليه وسلموا عليه فلما اجتمعوا حواليه سار بهم من السويدية بهمة قوية وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى شاطىء الفرات ونزلوا بقلعة لخم وعبروا الجسر وساروا من هناك إلى أن أشرفوا على حران فوصلت اليهم الاخبار ان أرمانوس كسر عسكر المعتصم ودخل إلى بلاد الاسلام فى طلبه وقد أنفذ أسارى كثيره وأموال غزيرة مع بطريق يقال له بطلموس (قال الراوى) ياسادة وهو على كل حال واصل إلى السويدية فى هذين اليومين (قال) فلما سمعت الأميرة ذلك قالت لولدها عبد الوهاب يا بنى لاصبر لى على أسارى المسلمين ولابد أن أخلصهم من أيدى المشركين قال الأمير إذا عزمتى على ذلك فخذى معكى ألف فارس وسيرى خلف الروم وصبحيهم صباح ميشوم ودعينى أسير وأطلب بلخ إلى الرقة وأطلب الموصل على غير جاده لأن الطرقات عليها الروم والمتنصرة وأصحاب الاقامات فاقصدى إلى الهجوم على عسكر الروم على غفلة منهم (قال الراوى) يا سادة فعند ذلك ركبت الأميرة فى ألف فارس كانهم الليوث العوابس من صناديد الرجال وسراة الأبطال ولم يتبعها من الثقل إلا ماخف حمله وكثر ثمنه وأكثرن من الزاد والماء فاتفق وصولها إلى عبد العزيز العلوى وهو مع القوم وقد دارت به الرجال وهو على آخر نفس من شدة القتال فلما نظرت اليه الأميرة وهو على ذلك الحال والروم محدقين به من كل مكان وهو لهم يجادل وقد قتل رجال وجندل أبطال وهو راجل غير فارس وقد ترك حوله من القتلى خلق كثير وهو يضرب فيهم ضربا بالصفاح وقد أخذ منهم الأرواح فلما رأت الأميرة الى ذلك دنت من بعض أسارى المسلمين والروم عنه مشتغلين وقالت له من هذا الرجل المجادل الذى قاتل هذا

الجمع ونهب منهم الطرف والسمع فقال لها وقد أيقن بالفرج لأنه كان يعرف الأميره مفرجة الكروب هذا غلام علوى يقال له عبد العزيز بن الفضل الحجازى ولولاه كانوا الروم ملكوا بغداد وأفنوا العباد (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذات الهمة لم تمالك عقلها دون أن حملت على الروم حملة الأسد الهجوم ونادت يا كلاب النصرانية زولوا عن رجل من السلالة النبوية والعترة المحمدية فقد جاءتكم فاطمه العامريه (قال) فلما نظروها الروم وعرفوها انحلت منهم العزائم وارتخت أيديهم من قبض الشكائم وعرفها البطلوس فأيقن بالعكوس وقال لأصحابه وحق الرهبان والقسوس لئن تأخر واحد منكم عن القتال لأقتلنه وأسقيه كاس الوبال فدونكم أنتم وإياها فقد آن وقت فناها فقالوا أيها الملك الكبير ان هذه العجوز أقل واحد وأذل وأصغر من أن تخاف منها بنى الأصفر فلما سمع البطريق كلام أصحابه عطس ونفخ فى معاطسه الشيطان وظن أنه يقهر الأميرة فى الميدان فقال لهم دونكم أنتم وفرسانها وأنا لهذه الشيطانة وحدى وسأبذل جهدى فعند ذلك حملت الزم على عبد العزيز وقصدهم عسكر الأميرة وأصحابها واشتهرت القواضب وحمل الجيش من كل جانب ونزلت على الروم المصائب (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان بحرون مع جملة فرسان الأميرة والملكة أفتونا أيضا وقاتل فى ذلك اليوم بحرون قتالا حير الأوهام والظنون وأسق الروم من سيفه كاس المنون وساعدته الجارية أفتونا وأورته من قتالها فنون فلله درها وعلى الروم ما أمرها ولم تزل الروم كذلك حتى التقوا على التراب وخلت منهم الدواب فبينما هم كذلك وإذا بالخيل نافرة والقلوب من الفزع طائرة وإذا هم بفارس قد كبر وذكر سيد البشر صلى الله عليه وسلم وسمعته الأميرة ذات الهمة وهو ينشد ويقول

ألا يابنى الكفار قد قرب الوعد ... وبان لنا من نرتجى ولنا المجد
سأفنيكم بالسيف مادمت راكبا ... ولو كنتم مثل التراب بلا عد
فدونكم حربى فانى لجمعكم ... وحق النبي الهاشمى هو القصد
فهل فيكم ذا نخوة وحمية ... يبارزنى حتى يطيب لنا الكد
تعودت خوض الليل حتى كأننى ... من الليل مخلوق وليس أرى جهد
وجبت قفار الأرض لم أخش مسلكا ... به وعر كلا ولا حجر صلد
لاقاتل الله الشجاع إذا غدا ... يروع من ألفين فارس إذ عدوا
سل الرمح عنى ويك ان كنت ساقيا ... له من دم الابطال ان عددها ورد

سل السيف عنى هل وضعت ذبابه ... برأس أمير الا وأهلكه الغد
سل النجب عنى فى الهواجر أنها ... لشدة عزمى خارقا للقا جلد
سل العربيات الجياد إذا غدت ... وقد سهات منها المعتقة الجرد
وقولى به جرح وأسر وغربة ... ومع ذا وهذا سالم مابه قد
عزيز حنين حامل الهم فيكمو ... صبور شكور ما يقيده البعد
وشوقه إلى أوطانه شوق واله ... بطول حنين لايقاس له حد
نسيم الصبا ردى رسالة غائب ... إلى أهله من غير موطنه فرد
ألا فابشرى يا أم ثم تيقنى ... يأتى بخير قد ألم بنا السعد
وكيف يهين الله عبدا مجاهدا ... غريبا وحيدا والرسول له جد
لقد لطف الله الكريم بعبده ... وخلصه من كل صعب به كد
وقالوا أجب قوما كراما تعبدوا ... وهذا وبيت الله مابهم زهد
وصرت ذليلا فى الاسارى مقيدا ... ولم أدر ان البؤس فى أثره سعد
وجاءت الينا بنت مظلوم نصرة ... وانى لها ان عشت طول المداعبد
فأسألك ياربى بجاه محمد ... تبلغها المأمول والسؤل والقصد
وترزقها جنات عدن تزخرفت ... وتجعلها فى زمرة المصطفى تغد
وتغفر لنا والمسلمين بأسرهم ... فما زلت جوادا ومعطى لك الحمد

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمعت الأميرة مقالة الامير عبد العزيز شكرته على ذلك وقالت له لله درك ياابن الامام المرتضى فقال لها والله ياسيدتى ما جئت إلا لجنابكم الكريم وفضلكم العميم فقالت له أنت تقول هذا بفضك العلى ونسبك الوفى ثم أنها أقرنت عنانها بعنانه وسنانها بسنانه ثم حملا على الكفار وحمل أيضا بحرون ووافقتهم افتوناوقد علا صياحهم وضاقت من الروم أخلاقهم وما كانت إلا ساعة حتى قتل من الروم أكثرهم وبقى أيسرهم وولى أقلهم وساروا طالبين الملك ارمانوس وخلصوا المسلمين الاسارى وأخذوا أسلاب القتلى وسلاحهم وساروا طالبين العسكر (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه كان فى كل يوم ينمو ويزيد وطالعه بالسعد جديد ولما نظر ارمانوس إلى ذلك جمع بطارقته اليه ووبخهم على فعالهم وحربهم ونزالهم وقال لهم ياقوم ان البلد غير بلدنا ونحن كل يوم فى نقصان وأعداؤنا فى زيادة بلا خسران والرأى عندى ان نصدمهم صدمة صادقة فان نصرتم فهو المراد ومسرة الفؤاد وان أنتم انهزمتم طمعوا فيكم الاعادى فقالوا البطارقة بل نحمل أيها الملك بقلوب قوية وهمم عليه فلما

سمع الملك كلامهم قال الآن علمت أنكم تصدقون فى القتال بعد هذا المقال ثم قال فى غداة غد أرى قتالكم وحربكم ونزالكم وأنا أول من يحمل فاحملوا حملتى فلما سمع قومه كلامه قالوا له أيها الملك سوف ترى ما نفعل ونقاتل كل واحد منا إلى أن يقتل ولما أصبح الصباح ركبت الروم والمسلمين وداروا بالخليفة شمال ويمين وكذلك الروم داروا حول أرمانوس وقال لهم احملوا ولا تهملوا للقوم (يا سادة) فحملت الروم وقد سلوا القواضب وحملت المواكب على المواكب والكتائب على الكتائب عندها التقوهم المسلمين من كل جانب وعمل الصارم اليمان وصالت الأقران على الأقران وثبت الشجاع وولى الجبان وظهروا عباد الصلبان على عصابة دين الرحمن وعلت أصوات القساقسة والرهبان ولقد قاتل فى ذلك اليوم ميتم الأشبال قتال تعجز عنه الأبطال الى أن طحطح الكتائب أهل الضلال ومع ذلك وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

أنا الليث يوم الحرب والأسد الذى ... أبيد طغاة الروم فى موقف الحرب
أجاهد عن دين الإله حمية ... وأنصر صدقا دين النبى بلا كذب
وأسقى لئام الروم كاس منية ... بأسمر عسال وبالصارم القضب
ليشفع لى يوم القيامه أحمد ... نبى الهدى المخصوص بالفضل والقرب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان ميتم الأشبال جال فى الروم واستعان عليهم بالحى القيوم هذا والبطارقة قد قصدته من كل جانب ومكان وقد هاج فى الكفرة مثل الكرار وقد تكاثرت عليه الأقران فعندها طلب القلب وتقدم وهو مثل الأسد الضيغم وإذا بضربة طيرت يده الشمال فتبسم لذلك الحال ثم أنشد

لئن قطعت منى الشمال فاننى ... أقاتل دهرى باليمين وأفضل
أجاهد عن دين النبى محمد ... وأهزم عباد الصليب وأقتل
لعلى أنال الفوز فى الحشر آمنا ... وأعطى كتابى باليمين وأفضل
أجاهد عن بيت النبى بلا مرا ... وأطعن فى الكفار لو كنت أقتل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يزل فى قتال وحرب ونزال الى أن حجبت الشمس وطلبت الغروب وقد ظهرت الكافرين على عساكر المسلمين ولولا ان الليل دهمهم لكان أرمانوس هزمهم وبات المعتصم مهموم مغموم ثم إن ميتم الاطفال عاد على أثره من المعمعة وقد آلمته يده وزاد عليه الألم ولما نزل فى خيمته كواها له بعض أصحابه وشدها له وبات الناس قلقانين وقد أيقنوا لهم فى صبحية هذه الليلة ينهزموا ولما ولى الليل وأقبل

النهار ركبت عساكر الكفار وأشهروا البواتر وازدحمت العشائر وحان بالقوم الحين وقد زعق فيهم غراب البين ومازال القتال يعمل إلى أن وقفت الشمس فى قبة الفلك وقد تحامت المشركين وصدمت الموحدين فولوا هاربين وللنجاة طالبين وقصدوا أبواب البلد وقد طلب كل جنس هواه وانهزم ميتم الأشبال وتبعه كل من تبعه من الرجال ولم تزل الكفرة إلى بيت السلاطين وإذا بغبرة قد تارت وفى الجو قد صارت وبعد ساعة خرج من تحتها خيول عربية وعلى ظهورها رجال إسلامية وأبطال كلابية ورجال عامريه وسودان فى حمية وهم يوحدون رب البرية وفوق رؤسهم رايات عباسيه وأعلام خليفتية ومقدمهم الأسد الوثاب وسيد بنى كلاب الأمير الأجل عبد الوهاب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فبشروا المعتصم بقدوم بنى كلاب والأمير عبد الوهاب فلما علم ذلك أقبلت الدنيا عليه بعد ما كانت الخلافة خرجت من يديه الا ان الحال ما أعجب عقبة شيخ الضلال ودخل الموصل وقال ما أقع فى عين عبد الوهاب فى هذه النوبة إلا ويأخذ روحى بالكلية لأن الخليفة اليه محتاج ومتكل فى هذه النوبة عليه (قال الراوى) ياسادة وان الأمير عبد الوهاب فتحت له أبواب الموصل وركب المعتصم إلى لقاه وهو فرحان به غايه الفرح ولما وقعت عينه على الأمير هم أن يترجل اليه فسبقه الأمير عبد الوهاب وترجل له ووقف له وقبل الأرض بين يديه فانحنى له المعتصم وضم الأمير اليه معتنقا له وتباكيا من حلاوة اللقا كما قال بعضهم حيث يقول

هجم السرور على حتى اننى ... من عظم ما قد سرنى أبكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة ... تبكين فى فرح وفى أحزان

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم ان المعتصم هنأ الأمير بالسلامة وسأله عن أخباره فأخبره بجميع ماجرى له فى بلاد الروم وماتم عليه من الأمر المحتوم فتعجب الخليفة غايه العجب وتمثل يقول

إذا خانك الدهر فيما تروم ... وأراك بعد السرور الهموم
فاصبر على الدهر صبرا جميل ... فلا ذاك دام ولا ذا يدوم

(قال الراوى) ثم ان المعتصم أخبر الأمير عبد الوهاب بجميع ماجرى له وعليه فهذا جرى (وأما أرمانوس) فانه سأل عن القادمين فقيل له هذا عسكر الامير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب فتغيب لونه واضطرب كونه لما سمع هذا الخطاب فقالت ميمونة وحق المسيح ماكانت المسلمين إلا أشرفوا على التلف فطيب قلبك أيها الملك ولا تخف (قال) ياسادة ومن الغد ركبت الموحدين وكذلك الملحدين ثم أطبق

بعضهم على بعض وقد تزلزلت من ركض خيلهم الأرض وبطل حكم السهام واعتمدوا فى الضرب بالحسام وكثر الصدام وقل الكلام هذا والعقول قد حارت والأحكام قد جارت والارواح إلى ربها صارت والامير عبد الوهاب قد اصطلى نار الحرب بنفسه وافتخر على أبناء جنسه وكذلك السودان الأنجاب وبنى كلاب وسقوا الروم من الموت أمر شراب وصاروا يخترقون المعامع والمعارك ويضربون المشركين ضربا متدارك هذا وجميع الروم قد حملت بمواكبها ولم يتأخر سوى ملك اللان فانه لم يقاتل بالكلية فقال له أرمانوس أيها الملك لم لاتقاتل عن دين النصرانية فقال له أيها الملك ان هذا عبد الوهاب فارس عظيم وقد أسرنى عشر مرات وفى كل مرة يبيعنى نفسى بمائة ألف دينار ولم يبق معى وحق المسيح ولا قنشار فقال له أرمانوس أخرج وقاتل وإذا أسرك عبد الوهاب ماأحوجك إلى وزن المال فقال أيها الملك أنا ماأفعل هذا الحال وأنا أوفر عليك وزن المال فلما سمع الملك منه ذلك الكلام ضربه أطاح رأسه عن جسده ولم تزل الناس فى القتال والحرب والنزال الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعادت كل طائفة إلى مكانها ولما استقر الخليفة فى سرادقه قال للأمير عبد الوهاب يا أمير ماقولك فى دخول البلد وحفظ الأموال والنساء والرجال فقال الأمير والله يامولاى ما أفعل ذلك أبدا ولو شربت كاس الردا وان أردتم الدخول إلى البلد فافعلوا فأنا وعسكرى نكون مقابل الروم على ظاهر البلد ونعتمد على الفرد الصمد (قال الراوى) فهذا جرى وأما الملك أرمانوس فانه اجتمع بميمونة وقال لها وحق المسيح لولا قدوم المسلمين ماثبت المعتصم بين أيدينا ساعة واحدة فقالت ميمونة وحق المسيح غدا أخرج اليه وآتيكم به أسير الا انى أخاف من ذات الهمة غير أنى ما أرى لها أثر ولا لولدى بحرون خبر وبات الناس إلى الصباح وركبت الطوائف وكان أول من فتح باب الحرب الأمير عبد الوهاب ونادى بصوته يا كلاب الروم ويامن غضب عليهم الحى القيوم انه قد أتاكم الفارس الباهر والبطل القاهر والشجاع القادر والحجر الراصع والسيف اللامع هل من مبارز هذا يوم الهزاهز ثم ان الأمير حمل عليهم ووضع السيف فيهم وطلب الميمنه أقلبها ميسره والميسرة أقلبها ميمنة وقتل رجال وجندل أبطال وعاد إلى مقامه فلما نظرت إلى ذلك ميمونة حملت عليه وهى تقول جاءك الموت ياأسود بنى كلاب وصاحت فيه فصاح فيها أيضا وهم أن يحمل عليها فرآها وقد عنت بجوادها وقالت له أيها الأسود أراك قد زاد على الروم شرك وتطاول بك دهرك اليوم أريحك من الدنيا وأسقيك شراب الفنا غير انى أسألك ما فعل

الله بأمك فقال سالمة بحمد الله وبحرون ولدى فقال لها بكل عافية وقد آمن بالله ورسوله وصدق برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعت ذلك الخبر طار من عينيها الشرر وصاحت فى جوادها وعلم الأمير بذلك فحمل عليها واصطدما وكانا كبحرين التطما أو جبلين اصطدما وصاح كل واحد منهما صيحة دوت لها الأرض والسماء ثم علاهما الغبار وغابا عن الأبصار ومازالا فى كر وفر وأخذ ورد الى أن تثلمت الصفاح وتكسرت الرماح وولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصل الفارسين وقد تعجبت منهما الطائفتين وعادت ميمونة إلى أمارنوس وقالت له وحياة رأسك أيها الملك لو طال النهار على ساعة لكنت أخذته أخذا باليد فقال لها أنا عرفت ذلك، وأما الأمير عبد الوهاب فانه رجع وهو مغبون بما لقى من ميمونة من القتال وباتوا ولما أصبح الصباح وركبت العساكر وتقابلت الدساكر فكان أول من فتح باب الحرب الملعونة ميمونة وقد صاحت بالمسلمين فحمل عليها الأمير عبد الوهاب فلم تمهله الروم دون أن حملت ولاعنة خيلها أرسلت لأن الملك أمرهم بالحملة فحملوا وحملت أيضا عساكر المسلمين واختلط الناس بعضهم ببعض والأمير عبد الوهاب قد طلب موكب أرمانوس ودارت من حوله الرهبان والقسوس وقاتل المعتصم فى ذلك اليوم قتال حتى حير أولى الألباب وطارت منه الآجال وقد كلت منه السواعد وحارت منه الرجال وكثر عليه العدد وتزايد المدد وأشرف على الأخذ هذا والأمير عبد الوهاب غرق فى عسكر الروم الكلاب وبقيت ثيابه كأنها شقيقة ارجوان وقد بذل مضاربه فى أهل ملة الصلبان فهو كذلك يقاتل مثل أسد العرين وإذا بغبار قد طلع من ناحية نصيبين ثم انكشف الغبار بعد ساعة وبان للنظار وإذا فى مقدمة هذا العسكر الاميرة ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم فزالت عن المسلمين الهموم ورجعوا إلى الخليفة وهم يبشرون وبعد ساعة وصلت الاميرة وعبد العزيز عن يمينها وبحرون عن شمالها ولما رأت الاميرة إلى القتال عمال ورأت الروم قد أحدقوا بالامير عبد الوهاب والخليفة المعتصم صاحت فى رجالها وخرقت عساكر الروم وفتكت فى العساكر وأرمت القمم الى أن وصلت إلى الامير والمعتصم وفرقت عنهم الرجال وخافت منها الابطال وصاحت فى طابق المجال أنا فاطمة بنت مظلوم العامرية المجاهده الكلابية (قال الراوى) ياسادة فلما سمعوا الروم كلامها تفرقوا فرقا وتبعتهم بالسيف قتلا ونهبا ولم يزالوا كذلك إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت كل طائفة إلى مكانها واجتمع عبد العزيز بعبد الوهاب فرحب به غاية الترحاب وسار به إلى عند المعتصم ففرح الخليفة برؤيتهما وقال لعبد العزيز ما سبب غيبتك فأخبره بما جرى له وأنه

من عتقاء سيف الاميرة ذات الهمة ثم ان عبد العزيز قال للأمير عبد الوهاب أريد أيها الامير أن أكون من رجالك ومن بعض أبطالك فقال له الامير أنت السيد الخطير ونحن غلمان بين يديك لانك حسيب نسيب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما كان) من اللعين عقبة فانه اجتمع مع عامل الموصل وكان نصرانيا فقال له عقبة لابد ما أعمل على هلاك عبد العزيز فقال العامل لو أتيت به إلى لتحيلت على حبسه عندى لان فى بيتى سرداب يسع نصف عسكر المسلمين فقال عقبة لابد ما أعمل على عبد العزيز ونصف عسكر المسلمين وأرميهم عندك (ياسادة) وأما أرمانوس فان الروم لما اجتمعوا به شكوا اليه ما وجدوه من الامير عبد الوهاب وفرسان بنى كلاب فطيبت ميمونة قلوب الروم وأوعدتهم بمبارزة عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وبات الناس إلى الصباح فقال المعتصم للأمير عبد الوهاب لو كانت عساكر بنى كلاب كلها حاضرة لهزمنا عسكر الروم وصبحناهم صباح ميشوم وإنى أريد أنفذ اليهم وآتى بهم من أرض الحجاز فقال افعل يامولاى ماتريد فأمر الخليفة من وقته وساعته أن يكتب الكتب وتسير الى مدينة بغداد ويرسلوها من بغداد الى بلد على أجنحة الطيور الى أن تصل أرض الحجاز ففعل الوزير ذلك وبعد أيام وصلت الكتب إلى مكة المشرفه والعلائم من ذات الهمة وعبد الوهاب إلى دار بنى كلاب وعامر ونمير وبنى الوحيد فعند ذلك صاح الخبرودار على الأربع حلل المذكوره فساروا إلى أن وصلوا إلى حصن القناصه من العساكر والعبيد والفرسان الصناد وتجمعوا أوفى من خمسين ألف مقاتل (قال الراوى) يا ساسة هذا جرى ههنا وأما الروم والمسلمون فانهم زحفوا إلى بعضهم بعضا وقد تزلزلت بهم الأرض وكان قد وصل إلى الملك أرمانوس ان الأميرة ذات الهمة قتلت بطلوس بطريقه ومن معه من الفرسان وخلصت عبد العزيز ومن معه من الأسارى وأخذت خزانة الملك ارمانوس وماكان معهم من الأموال التى غنموها من المسلمين وقد وصلت الأموال كلها مع الأميره ذات الهمة فقامت على أرمانوس القيامه ورجع على نفسه بالملامه (قال الراوى) ياسادة ياكرام وبعد ذلك فصل القتال بينهم عمال مدة عشرين يوم وفى اليوم الحادى والعشرين عند الصباح أشرفت على الناس غبرة من جهة أرض العراق فسارع اليها بعض المسلمين ورجعوا يخبروا المعتصم ان هذا القادم ميتم الأشبال أسد بن جابر الريبال وكان أكبر أغراضه أن يرى الأمير عبد الوهاب ولما سمع بقدومه رجع من الطريق وكان عمل له درقة يدخل يده فيها وهى اليد الشمال التى قطعت ولما نظر ميتم الأشبال الى مصاب المسلمين حمل هو وأصحابه وضرب فى أعراض الأبطال فأرمى الروم يمين وشمال وقد حملت الطوائف بعضها على بعض

ودام فيهم الركض وتقاربت الآجال وجندلت الأبطال وشاب من هول تلك الوقعه الرجال ورشقت الأتراك بالنبال وذلت الفرسان وكثرأنين المجروحين فى الميدان ودامت النفوس وتيقنت بالعكوس من هول وقع السيف والدبوس وماج النقع وتار وأظلم النهار وعمل البتار (قال الراوى) ياسادة ولم يزالوا كذلك إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار واجتمع ميتم الأشبال بالأميرة ذات الهمة وعبد الوهاب وسلم عليهما فشكرته الأميرة ذات الهمة وقالت والله ياأمير نحن كنا أحق بالسعى إلى خدمتك لأنك نصرت دين محمد صلى الله عليه وسلم وقد أخبرنا بك الخليفة فشكرها على قولها (قال الراوى) فهذا جرى ههنا وأما ميمونه فانها قالت لارمانوس أيها الملك انى أريد أن أبارز القوم فى غداة غد لعلى أن أحظى بقتل الثلاثة اما عبد الوهاب واما ذات الهمة وإما ولدى بحرون فقال لها أرمانوس ويهون عليك قتل ولدك بحرون قالت نعم وقتله فى هواك يكون ويهون ولابد من قتله على كل حالى (قال الراوى) وأعجب ماجرى فى هذه السيرة أن بحرون أتى إلى الامير عبدالوهاب عند الصباح وقال له رأيت البارحة منام قال وماهو ياولدى قال رأيت كان أبواب السماء قد فتحت وكانى قد ارتفعت الى السماء ورأيت الملائكة فى العبادة فمنهم سجود لايرفعون ومنهم قيام لايركعون ولم أزل أخترق سماء بعد سماء إلى أن وصلت إلى السماء السابعة فاذا بقبة من الزمرد الأخضر ولها أربعة أبواب من الياقوت الاحمر مرصعة بأنواع الدر والجوهر وفى تلك القبة من الحور العين مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولما أشرفت عليهم نادونى أنت غدا عندنا فى ضيافتنا (قال) ثم بدت لى منهم جويرية لو أشرفت بوجهها على أهل الدنيا غنتهم عن الشمس فعانقتنى وقالت يابحرون أيما أحسن أنا أم أفتونا التى سلبت عقلك فقلت والله بل أنت أحسن منها ثم انتبهت (قال الراوى) هويت عبد العزيز العلوى وأصبح فؤادها بنار المحبة مكوى وقد شغفت به الشغف الشديد الذى ما عليه من مزيد (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب منام بحرون قال له يابنى منام خير يكون ان شاء الله تعالى ولما اصطفت الصفوف وترتبت الالوف كانت ميمونه أول من فتحت باب الحرب وجالت فى الميدان ولبست درع مذهب وكان تحتها حجرة سلهب فهى كما قال فيها بعض واصفيها

وصفراء تزهو كلون الذهب * اذا ماجرت ليس تلقى تعب
اذا ما علا فوقها فارس * وعاين تقريبها والخبب
يبيت بتكريت عند المسا * وعند الصباح يدانى حلب

(قال الراوى) ياسادة ثم أن ميمونة حملت إلى أن صارت بين الصفين واشتهرت بين الفريقين ونادت معاشر العرب من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا ميمونة بنت الملك الدمدمان مبيدة الاقران وسيدة الشجعان فلا يبرز لى إلا عبد الوهاب أو عبد العزيز وإلا ذات الهمة وإلا ولدى بحرون فعندها تقدم بحرون إلى الأمير وقال يا أبتاه دعنى أبرز إلى هذه الملعونة لعلى أروى الأرض من دماها فقال ياابنى إنى خائف عليك من المنام الذى رأيته فقال ياأبتاه إن كان الوقت قد قرب فمرحبا بلقاء الله تعالى فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام بحرون ضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال للأميرة ياأماه ودعى ولدى فهذا آخر العهد به ثم صاح بأولاده وقال تزودوا من أخاكم وودعوه فهو مفارقكم ثم ضمه الأمير إلى صدره ثانيا وكذلك فعل ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم ولم يبق غير افتونا فلم يودعها بحرون ولا أفكر فيها (قال الراوى) ياسادة فقال له الأمير ودع زوجتك افتونا فقال ياأبتاه لم يبق لى فيها إرادة بعد ما رأيت تلك الجارية التى بشرتنى بدار السعادة ثم أشار إلى أبيه وأخوته وقال استودعكم الله رب العالمين فتباكوا الناس وضجوا له بالدعاء وكان ذلك اليوم كانه يوم النشور ولم يبق أحد من المسلمين إلا وبكى على بحرون عند سماعهم ذلك المنام وكذلك المعتصم قال من عرف الله أطلعه على يوم لقاه وكانت الجنة مأواه هذا وبحرون قد أطلق جواده إلى الميدان وساوى ميمونة فى طابق الجولان فنادته ويلك يابحرون كنت تعذلنى وتقول ادخلى فى دين النصرانية وأنا لا أرخص لك فى ذلك ولا فى تلك القضيه فلما تنصرت أنا اتبعت أنت الملة المحمدية فقال لها يا ملعونه اتبعت دين ينجينى يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فان كنتى قد جهلتى وأخطأتى فعودى إلى دين الاسلام واتبعى ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فصاحت به عند ما سمعت منه هذا الكلام وقالت له ويلك لمثلى تقول هذا المقال وقد دخلت فى دين أحظانى بعناق أرمانوس الملك المفضال فلا تطيل معى القيل والقال ودونك والحرب والنزال ثم صاحت بجوادها فخرج من تحتها مثل البرق البارق أو السهم الراشق الخارق ثم أنها أطبقت على بحرون وأطبق عليها ولم يزالا فى حرب شديد وضرب عتيد وهزل وجد وأخذ ورد وكر وفر وقد علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وقدحت النار من سنابك الخيل ولم يزالا كذلك إلى أن علا النهار وعطش بحرون العطش الشديد فهو فى شدة العطش إذ كشف الله عن بصره فنظر إلى الحورية وفى يدها كاسا مملوءة ماء وهى تشير به إليه وتقول له الساعة تصل إلينا يابحرون (قال) فلما نظر بحرون إليها اشتاق إلى ذلك وقال أشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة من بحرون ذلك أطبقت عليه وضربته بسيفها فاستتر عن الضربة بالدرقة فصرخت ميمونة فى وجهه ثم وضعت يدها فى دور منطقته وجذبته إليها فاقتلعته من سرجه وجلدت به الأرض ثم انها وثبت صارت على صدره وأخرجت من وسطها خنجر أمضى من القضاء ووضعته على أوداجه وقد نزع الله الرحمة من قلبها ولم تخف من ربها وذبحت بحرون من الوريد إلى الوريد ووثبت من على صدره وهى تقول فى هوى أرمانوس وهو رخيص بالاموال والنفوس (ياسادة) ولما رأى الامير عبد الوهاب ذلك بكى بكاء شديد على ولده بحرون وكذلك اخوته والأميرة ذات الهمة جدته وأما ميمونة فانها وصلت إلى الملك أرمانوس فقام لها اجلالا لقدرها وشكرها على فعلها ثم انها غيرت لامة حربها وجوادها وعادت إلى الميدان وهى كانها الأسد الغضبان فلما رآها الامير عبد الوهاب لم يتمالك على نفسه دون أن قفز إليها بالجواد فخرج من تحته مثل البرق الخاطف أو الريح العاصف وحمل عليها حملة الاسد الهجوم وحملت أيضا عليه الملعونة فكانا كبحرين التطما أو جبلين اصطدما وأخذا فى الكر والفر والاخذ والرد والمصادمة والمعاركة وقد علاهما الغبار وغابا عن الابصار ولم يزالا فى ضرب مهد وطعن يقد حتى خدلت منهما السواعد وكلت المناكب واختلف بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة ميمونة فلما نظر عبدالوهاب الطعنة واصلة إلى صدره وعلم أنها إذا أصابته لا يردها درع ولا زرديه ويشرب شراب المنيه فعندها وثب عن الجواد وفى وثبته قام الجواد على يديه فوقعت الطعنه فى صدر الجواد مزقت من ظهره فعندها عاجلها عبد الوهاب بالطعنة فالتقتها بالدرقه وكانت طعنة صادقه فأخرقت الدرقة وخرق السنان الزرد الذى على وجهها فوقع السنان فى عينها اليمنى فاندق فيها الرمح إلى حد السنان من نخوة الملعونة مدت يدها وأخرجت السنان من عينها اليمنى وقد سالت على خدها وعادت الملعونة جارية إلى عسكر الروم وقد أصابها من عينها ألم عظيم وصعب على أرمانوس وقال لها وحق المسيح لقد كنتى تفتخرى على بعينكى التى لم يملك سواك وكنت أخاف من صدك وجفاك أن كنتى تقولى سلانى أرمانوس لكونى بفرد عين فهذا ظن معكوس وأنا ما أفرغ عنكى أبدا ما دمتى فى دار الدنيا (قال الراوى) فعندها طاب قلب ميمونة وقامت الاطباء يداوونها سبعة أيام وقد حرم أرمانوس الركوب لاجلها ولما كان اليوم الثامن ركبت الطوائف فكان أول من برز بين الصفين واشتهر بين الفريقين الامير عبد الوهاب وعليه يومئذ درع داوودى كانه عيون الجرد

وعلى رأسه بيضه عاديه وهو متقلد بصفيحة هندية ورمح طويل الكعوب طوله أربعة وعشرين أنبوب وتحته حصان عالى وقد خرج اليه بترك وكان اسمه نقولا فقال اعلم أيها المولى أن الملك أرمانوس يسلم عليك ويقول لك سلمه من الموصل إلى الشام ويكون لك من إربل إلى البياريج إلى تكريت إلى العراق ويقع بينك وبينه الاتفاق (قال الراوى) ياسادة فضحك الامير من قوله والخطاب وقال له امضى اليه وقل له السمع والطاعة ولما ولى من قدامه راجع طعنه الامير فى ظهره أطلع السنان يلمع من صدره ثم أن الامير طلب البراز فلم يبرز اليه أحد فحمل وحملت المسلمون وحمل أرمانوس أيضا بعساكر الكافرين وقدصعب عليه قتل البترك نقولا لانه كان أتى معه من الجزائر ودام بينهما القتال وعملت النصال ووقع النزال وبطل القيل والقال ووقفت الفرسان يمين وشمال وأرمت السودان الروم أفراد وأزواج وماجت العساكر مثل البحر الزاخر وحملت فتيانها وكانت جهنم والغبار دخانها ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المساء وبات الناس تلك الليلة وكل واحد لروحه حارس ولما كان من الغد كان أول من فتح باب الحرب ميمونه وقالت لايبرز الى إلا قالع عينى فهم عبد العزيز بالخروج اليها فتعلقت به الاميره وقالت له أيها الامير والسيد الخطير دعنى وإياها فهم فى الكلام وإذا بسيف الحنيفيه أطلق لجواده العنان فلما رأته ميمونه صاحت فيه وحمل كل واحد منهما على صاحبه وجرى بينهما حرب تشيب له الولدان فتارة يتقاربان وتارة يتباعدان وما زالا فى أخذ ورد وهزل وجد واقبال وادبار إلى أن ولى النهار ولما أقبل الليل وسيف الحنيفيه فى شدة جريانه إذ كبا به جواده فانقضت عليـــه ميمونة أخذته أسير وقادته ذليل حقير (قال الراوى) وكان قد أمسا المساء وباتت الأميره وفى قلبها من أسر سيف الحنيفية نار لاتطفى ولما أصبح الصباح عولت الأميرة على الضرب بالكفاح فسبقها ظالم وخرج كأنه الماء إذا أنحدر وتحته جواد أشقر مليح منسوب مثل الريح الهبوب وعليه زردية كثيرة العدد ضيقة الزرد وعلى رأسه بيضة عادية وقد شطب عليها عمامة ريحانية وهو متقلد بسيف طويل الحمائل الموت فيـــه علائم ودلائل لايضره النداء ولايركبه الصداء وهو يلمع مثل البرق البارق وهو لا عمار العدا ماحق وبيده رمح طويل مثقف مكتوب على سنانه بالفضة أقبل ولا تخف وعليه سنان محرف كأنه لسان حيه يلقلق يهز فى يد حامله وتقرعين الحامل بعمايله ولما نظرت ميمونة حملت عليه وحمل عليها ظالم وهو مثل العقاب الحايم أو الأسد الهاجم وتضاربا بالصوارم وقد علاهما الغبار وغابا عن الأبصار وما زالا فى قتال وحرب ونزال إلى أن أحمرت الحدق وجرى بينهما العرق وتقطعت الدرق وكلما فتح أحدهما مضرب على صاحبه أبطله الآخر بحسن

خبرته وتجاربه ولم يزالا فى حرب أكيد وضرب عتيد إلى أن أمسا المساء وعادت ميمونة إلى عسكر المشركين وأقاموا إلى إن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فأول من برز إلى بين الصفين وأشتهر بين الفريقين ميمونة الملعونه ومن تحتها جواد أبلق سواده مثل الغسق وبياضه مثل الصبح إذا أشرق محجل الأربع محدق خطوته من المغرب إلى المشرق يخرج بصاحبه مثل الماء إذا أندفق لا يدركه النظران انطلق راكبه على أعدائه يجول ويزعق وعليها زردية كثيرة العدد ضيقة الزرد وتمنع من السيوف المواحق والاسنه الخوارق وعلى رأسها ترك بولاد لايوجد مثله فى سائر البلاد ولا فرح بمثله عنتر بن شداد فى يوم الحرب الجلاد لا تعمل فيه السيوف الهندية ولا الرماح الخطيه وقد تقلدت بصارم قد ضرب من صاعقه لا يمنع ضرباته لا ترس ولا طارقه من عهد العمالقة وبيدها قنطارية خالنجية صنعة بلاد أفرنجية (قال الراوى) ولما نظرتها الأميرة خافت أن يبرز اليها سواها ويمنعها من مناها فقزفت بجوادها إلى ميونة ولما نظرت إلى الأميرة خافت منها على نفسها وعلمت أنها إن رجعت تنقص منزلتها عند الملك أرمانوس فما كان لها غير القتال والحرب والنزال وحملت على الأميرة وحملت الأميرة عليها وجالا طويلا واعتر كامليا ودام بينها الصدام والبعد والإلتزام والمصادمة والمهاجمة وكان أيضا على الأميرة لامة حرب حسنه وهى فيها متقنصة متلتمة تمنع عن السهام الثواقب والاسنة الكواعب وهى متقلدة بسيف أبتر ومعها رمح أسمر ومن تحتها جواد أشقر يسبق البرق إذا خطر وهو نزهة لمن نظر راكبه من طوارق الحدثان فى أمان (قال الراوى) ودام بينهما الصدام وتجريع الموت الزؤام وقد علاهما الغبار وغابا عن الأبصار ولم يزالا فى حرب أكيد وقتال شديد إلى أن تثلمت السيفين وضجت الفريقين من قتال الاثنين (يا ساده) ثم أن ميمونه اخترطت سيف الركاب وضربت الاميره ضربة واصله تقد الرقاب وتهون الامور الصعاب فالتقت الاميرة الضربة بدرقة كانت معها من الحديد الصينى ومن فوقها جلد فيل غير مدموغ كانه بالسواد مبقوع والطبقة الثالثة من البولاد الذى لم يوجد ولا يشهر فاندق سيف ميمونه من حد النصل وانقطع من الاصل ولما نظرت ميمونه إلى ذلك انكبت على الاميرة ذات الهمة باليدين وتشابكا على الجوادين وتعاركا على ظهور الصوافن حتى حيرا النواظر ولم يرى فى زمانهما أحسن من صراعهما على ظهور الخيل وقد مسكت ميمونه للاميرة ذات الهمة فاقتلعتها من سرجها وظنت انها ملكتها وكان ذلك خديعة من الاميره حتى صارت معها وصلتها ولما رأت الاميره ذلك مسكتها وهزتها قلعتها من سرجها ومن ثقل ميمونه ألقت الاميره نفسها عليها

فوقعا كلاهما إلى الأرض ووقعت ميمونه قائمة وكذلك الاميرة ذات الهمة فتشابكا وتماركا وتصادما وتلازما ثم ان الاميرة مسكت يدها اليمين والأخرى علي رقبتها وشالتها على رأسها فلما نظر أرمانوس إلى ذلك سار فى أبطاله وأقياله وصاح المعتصم أيضا فى فرسانه وأبطاله وجميع الناس واشتد البأس وطار النعاس وحمل بعضهم على بعض وكانت ساعة يالها من ساعه عدمت الخيل أقيالها ولقيت النفوس آجالها وطلبت الاميرة تخرج بميمونه من المعمعة فلم تقدر على ذلك وتزل تزاحم الخيل وهى كانها مجارى السيل فالقتها الاميرة من يدهاوقالت والله يا ملعونه لئن تحركتي لاضربن رقبتك أطيرها عن بدنك وأجعل القبر مسكنك فلم تتحرك ميمونه (قال الراوى) هذا وقد تجارت على الاميرة ذات الهمة الخيل وأطبقت عليها مثل السيل فلم تجد إلى الخروج سبيل ولم تجد لها من القتال مشهل فبينما الناس كذلك وإذا بغبرة قد أقبلت من نحو العراق وقد سدت الآفاق ثم تجولت إلى الجو وقد عدم الضو (قال الراوى) وقد حسبت المسلمين انها نجدة للروم فتركوا القتال ووقفوا ينتظرون من القادمون وقد ظنت الاميرة ان الأرض قد تزلزلت من وقع سنابك الخيل وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن رايات صفر وحمر وخضر وسود ومن تحت الرايات رجال سود وفى أوائلهم الامير أبو محمد البطال والبطل أبو الهزاهز وإلى جانبه الامير قراقر وولده قرقود ودمدم والشيصبان وغيلم والمسخطون والمصطلم وميمون الجماس ومرادم والقعقاع والمناخ وقشعم وسابق الريح ومعربد وأبو سطيح وباغض الحياة وطالب الرقة وسكرة الموت والعربيد ونكرار الصنديد ومرزوق ومفلح ومسروق وصياح البوق ومقبل وحافظ رأسه وقراط مداسه وصفارة الريح وسحاب البلاء وثاير الشر وسبع الفلا وطالب الموت وأبا شكال وناطح الكبشين والدمدمان وملابط البغال وأبو راسين وأبا سآل وزنطح وقرموط وقرعوس وأبو دبوس وقامع الاعمار وأبو الوبال وأبو القرود ووجه التيوس ومدار الطاحون وأبو القرون وأخوهم سعدون (قال الراوى) ومن ورائهم مائة ألف من بنى كلاب مثل أسود الغاب ومعهم جماعة من عساكر المعتصم الذين كانوا انهزموا فلما نظرهم الامير كشف رأسه وخفف لباسه ونادى الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحيانا بالظفر على غيظ من طغى وكفر فقال المعتصم أيها الامير ما الخبر فقال يا مولاى هذه عساكرى بسعادتك يا أمير المؤمنين قد أتت وأبطالى وأقيالى قد قدمت أما تنظر يامولاى إلى بيارق السودان الانجاب ورايات سادات بنى كلاب فلما سمع المعتصم ذلك طار عقله فرحا (ياساده) ومن شغل قلب الاميره وفرحها بالعساكر ونظرها اليهم أخذت ميمونه منها غفلة وانهزمت من بين يديها وطلبت

عسكر الروم وندمت الاميرة على تفريطها فيها ووصلت الملعونه إلى عسكر الروم ثم ركبت جوادها وطلبت المصاف ولما وصلت السودان نادوا بأصواتهم يال حام يال حام يالون الظلام وكذلك بنو كلاب وصاح الامير عبد الوهاب يا بنى كلاب يا أسود الغاب يا أصحاب المواقع العظام دونكم وأعداء الله الكفرة اللئام ومكنوا منهم الحسام وانصروا دين الاسلام (قال) وكان السبب فى قدوم بنى كلاب والسودان الانجاب الكتب التى انفذها الامير عبد الوهاب وكان صابر المرعشى قد انحدر إلى بغداد وأقام ينتظر قدومهم فلما رآهم وصلوا وهم على عجل من أمرهم لم يتبعهم غير الفرس والنجيب وتركوا اثقالهم واصلة خلفهم فلما رآهم صابر المرعشى صاح فيهم النفير النفير يا أمه البشير النذير بادروا إلى نصرة الامير فان عليه من الروم جم غفير وان المسلمين قد وقفو فى بحر عجاج متلاطم بالامواج (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه لم يقيموا ببغداد بل بادروا مسرعين إلى أن وصلوا ذلك الوقت والحين كما ذكرنا والمعمعة قائمة وقدعلا غبارها ونما قتارها فحملوا وكان على الكافرين يوم عبوس واتى للروم فيه النحوس هذا والامير عبد الوهاب قد حمل كانه ليث عبوس أو أسد شروس وقد فتك بالابطال ولم يزالوا فى قتال شديد وضرب أكيد إلى أن زالت عساكر الضيا وخيمت الظلما وانفصلت كل طائفة وعادت إلى مقامها وأما الملعونة ميمونة فانها قالت للملك أرمانوس أيها الملك والسيد الكريم إن ذات الهمة ما أخذتنى بقوة قتال بل أخذتنى بالصراع والاحتيال وأنا مالى خبرة بالصراع ولكن فى غداة غدا أخرج إليها وترى ما يكون منى ومنها وكيف ألقى روحى عليها وأظفرك بها فقال الملك يكفيكى ما لقيتى فى هذا اليوم فقالت أيها الملك هواك ملك قيادى وخيم فى صميم فؤادى ولاجل هذا ألقى الشدائد واذب عنك واكابد فشكرها الملك على قولها وجزاها خيرا (قال الراوى) وأما الأمير عبد الوهاب فانه لما أصبح الله بالصباح أتى إلى القناصة وعلوى وسلم عليهما وفرح بهما وبالسودان الأنجاب وبنى كلاب ثم أنه دخل إلى المعتصم وقال له يا أمير المؤمنين ارسل إلى الموصل واستدعى بثياب الخز الملون واخلع على مقدمين العرب والسودان واوعد الباقين بكل جميل (يا سادة) وكانت أسواقها مما يلى شرقى البلد من ناحية الدجلة إلى ناحية جامعها فأتوه بأزيد من ألف ثوب وفوط حمر ثم استدعى بوجوه بنى كلاب وأمراء السودان ومقدميهم وقد شدوا الأجراس فى حلوقهم والمرايا فى صدورهم والعصايب الحمر على وجوههم والطراطير على رؤسهم وهى تزهو بأنواع الدرع والخرز ثم أنهم تقدموا بين يدى أمير المؤمنين وقعدوا فى ثيابهم وحلقوا باحداقهم وتراقعوا حتى عقد عليهم سنان يطير الشعر من على الأجفان

ونادوا نحن بنو حام السودان الكرام وسوف نسقيهم من سيوفنا كأس الحمام ونأخذ منهم مافاتنا فى هذه الوقائع وننزل بهم الفجائع (قال الراوى) ولما كان من الغد ركب الأمير عبد الوهاب وركبت لركوبه السودان الأنجاب وقد لبس زيهم وأظهروا عددهم وصاحوا بأصوات فسمع صوتهم الرفيع والوضيع هذا وقد اصطفت الصفوف وازدحمت الألوف واشتهرت السيوف فقال الأمير لأصحابه يا بنى الأعمام مالى لا أرى البطال فهل فيكم من رآه فقال بعضهم من أمس رأيناه وهو يقاتل وما كنا نعلم بعد ذلك ما كان منه فقال الأمير عبد العزيز العلوى تعنون من ذلك القصير الاشقر الازرق العينين فقال الامير نعم هو ذاك فقال أنه قد ورد على وقال لى يا عبد العزيز قص على قصتك وكيف كان السبب فى أخذك فقصيت عليه قصتى وسألنى عن القاضى عقبه فقلت له عن ذلك الشيخ الصالح فقال نعم لعن الله من ذكرت فقلت له أتشتمه فقال أسكت ولا تتكلم فقال أنت معذور ولا شك أنه دخل إلى الموصل وأنت لا تعرفه فقلت ولا شك أنه دخل إلى الموصل وما رأيته منذ أيام فلما سمع كلامى خلانى وسار وما أعلم بعد ذلك ما كان منه (قال الراوى) وكان من أمر عقبه أنه دخل إلى الموصل كما ذكرنا وقصد دار عاملها وكان نصرانيا فقال له عقبه قد أتى البطال مع هؤلاء العساكر ولابد له أن يبحث على ويدخل الموصل بسببى ولابد لى أن أطرح العيون عليه فقال له العامل أنا وحق المسيح لو رأيته ما عرفته ثم أن اللعين قصد إلى باب الميدان وقد لبس فروه مقلوبه على رأسه قطعة عباءة وجلس أمام الباب فلما كان وقت العبور للخدام إلى الموصل لاجل الخلع دخل البطال وغلامه لؤلؤ فلما نظرهم عقبه عرفهم فسار خلفهم إلى أن وصلوا إلى مسجد فى أول السوق الذى للطعام مما يلى الميدان وكان المسجد الذى دخلوه مغلوق وتحته دكاكين يباع فيها الطعام فلما دخل البطال المسجد ألفى بعض غلمانه يشترى لهم شيأ يأكلوه فلما رأى عقبه ذلك عاد إلى عامل الموصل وأخبره بالحال (قال الراوى) يا سادة فبينما البطال وغلامه يأكلان وإذا قد دخل عليهم شيخ ووقف يصلى وطول فى صلاته فلما فرغ تقدم إليه لؤلؤ وقال له يا شيخ تقبل الله منك صلاتك ووقاك أمرك تعرف لنا فى هذا البلد شيخ عابد زاهد يقال له القاضى عقبه فقال الشيخ نعم أعرف هذه الصفة ورأيته بمسجد يقال له مسجد الخضر الذى فى آخر البلد وهو مقيم فيه يتعبد (قال) فلما سمع أبو محمد كلامه أنشد وجعل يتمثل ويقول

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ثم أنهم أقاموا إلى الليل وساروا طالبين مسجد الخضر فلما وصلوا إليه دخلوا وحصلوا فى وسط المسجد وإذا إلى جانبه اثنين وقائل يقول إلهى قد كبر سنى ورق عظمى ونحل جسمى ولا أعلم أنا

من المطرودين أو من المقبولين إلهى بعزتك فلا تفضحنى يوم جمع الخلائق لفصل القضاء آه من ذنوبى وثقل أوزارى آه من فضيحتى وهتك أستارى (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك صنت إلى صوب الصوت وإذا بضوء خفى داخل إلى بيت فى المسجد وفيه سراج وقنديل فنظر وإذا هو بشيخ مستند وراكس على ركبته وهو يتنفس تنفس الحزين ويقول إلهى لا تخزنى يوم الدين فتأمله البطال وإذا هو شيخ الضلال ومعدن الكفر والمحال فلما رآه البطال قال أحسنت أصرت زاهد ثم تقدم إليه وقال له أمسيت يا هذا الوجه بما تستحقه من أيشم المساء وأحرمك الله لذيذ العشاء ما بقى ينفعك شمعون الذبيح ولا مزمارى المسيح يا قرنانى دنى أجلك وخاب أملك فقال عقبة يا بطال وحق المسيح وقعت أنت فى الاشراك المليح وفات أملك وحان مرتحلك (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع البطال ذلك جرد خنجراً معه أمضى من القضاء والقدر ودنا من عقبة وإذا بالصباح قد أخذه فالتفت لينظر وإذا بعشرة أشخاص قد خرجوا عليه من بعض تلك البيوت كأنهم النخيل الطوال وبأيديهم الصوارم الصقال ثم صاحوا فى البطال وقالوا له ويلك يا رأس المحتالين وقعت وأنت أخبث الطيور وما بقيت تظهر حتى ينفخ فى الصور أرمى الخنجر من يدك وإلا طرحنا رأسك عن بدنك (قال الراوى) فلما رأى البطال ذلك علم أنه أن ناصلهم خسر معهم وعطب فما كان له إلا أن ألقى الخنجر من يده فأكبوا عليه وعلى لؤلؤ وأخذوهما وساروا بهما تحت الليل وقد عدموا التوفيق وحل بهم الويل ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا بهما إلى دار العامل فقال العامل يا أبونا نقتله فقال لاوحق المسيح ما أقتله حتى آخذ عبد الوهاب وعبد العزيز وذات الهمة وربما أخذت المعتصم ثم أنهم أنزلوا لؤلؤ والبطال فى سرداب تحت الأرض بعد أن قيدوهم بالقيود الثقال ووضعوا فى أعناقهم السلاسل والأغلال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب فانه جمع رجاله وأبطاله وسودانه وعباهم ميمنة وميسره وقلب وجناحين ثم قال لأبو الهزاهز وسملق أعلموا أننا ما كنا نكسر عساكر الروم إلا إذا كنا نحمل على صاحب العلم فنقتله وننكس العلم فينكسر العسكر ويتبدد المعشر وحققوا بنا الحملة على صاحب العلم الأكبر فلعل الله عز وجل يظفرنا به فما كانت تقوم للروم بعدها قائمة أبدا (قال) فلما سمعوا كلامه قالوا أيها الأمير نحن لك وبين يديك فبينماهم كذلك إذ أقبل الأمير عبد العزيز العلوى وقال أيها الأمير أراك قد جمعت الرجال والأصحاب وما ذلك إلا لسبب من الأسباب فوحق رب الأرباب لا بدلى أقف أن على ما أنتم عليه وأفعل كفعلكم فقالوا له أيها الأمير قد عولنا على أننا

نقصد صاحب العلم ونحل به البؤس والنقم فاذا مال العلم انهزمت سائر الأمم ولا يثبت بعدها للروم قدم فقال عبد العزيز أيها الأمير ولم كنت تريد تحرمنى من الثواب فى مثل هذه النوبة فقال يابنى أقسم بالله انى ما تركتك إلا لأنك ما تعلم قتال هؤلاء الملاعين أعداء الدين فقال أيها الأمير لابد أن أحمل كحملتكم وأن أكون فى جملتكم فقال له الأمير افعل ما بدالك (قال الراوى) ياسادة فبينماهم كذلك وقد عولوا على الحملة وإذا هم بميتم الأشبال جابر قد أقبل وقال أيها الأمير لم لا تعدونى من الفرسان وتجعلنى من بعض من معك من الاقران لاكون معكم واحمل كحملتكم وانى قد صفرت فى أعينكم حين قطعت يدى فوحق النبى العربى أنى أمسك الدرقة بشمالى وألقى الأبطال ولا أبالى فقال له الأمير شأنك وما تريدين فبينما هم كذلك وإذا بأمير المؤمنين المعتصم قـــدأقبل عليهم وسألهم عن ماهم فيه فأخبروه بما يريدوه وما الذى يصنعون فقال أيها الأمير لا تحرمونى الثواب ودعونى أكون فى حملتكم واحسبونى واحد منكم فقال له الأمير الله الله ياأمير المؤمنين لا تفعل فنحن بأنفسنا نفديك وبقلوبنا نقيك لأنك مالك رقاب المسلمين وخليفة رب العالمين وأننا نخاف والعياذ بالله أن يتم عليك أمرا من الامور فيكون فيه هلاك الاسلام جمعا سيما وهذا العدو قد استكلب على بلاد الاسلام والسعيد يامولانا من اكتفى بغيره وما وقوف هذا العسكر إلا بمشاهدتك حرس الله مدتك فقال المعتصم بالله إن كان قرب الوقت ودنا الاجل فلا راد لحكمه ولا معقب لامره ولا مفر من قضائه وها أنا أترك رجل فى مكانى وأترك الاعلام على رأسه واحمل فى جملتكم فقال له الامير يامولاى نحن بحكمك اصنع ما شئت (قال) ثم انهم اعتدوا لذلك الامر خمسين فارس تضرب بهم الامثال (قال الراوى) ياسادة وأعجب مافى هذه السيرة العجيبة أن الملعونة ميمونة تحدثت مع الملك أرمانوس والملوك وقالت لهم ودبرت لهم كما دبروا المسلمون لانها قالت أيها الملك لما كنت مع المسلمين كنا نقصد صاحب العلم وننكسه بعد قتل حامله وقد انهزمت العساكر وتفرقت الدساكر وقد عولت أن أحمل بنفسى وأضرب صاحب العلم فأقتله وربما ثنيت على المعتصم فلما سمع أرمانوس كلامها استصوب رأيها وقال وحق المسيح لقد صدقتى وبالحق نطقتى ما أخبرك بالحروب وما أكشفك للكروب وسأكون فى صحبتك ولا أختار نفسى دونك فضحكت له وقالت مثلك من يكون قرين للنسوان فقال جرجيس ملك الانجار وأنا فى محبتكم وقال جرجناس ملك الملافطه وأنا أيضا فى محبتكم وقال ملك البنادقة وأنا كذلك وقال ملك البرغل وأنا كذلك وملك المغلبيط وملك الزغاوره وملك الدوقس وملك الافرنج وجميع الملوك فلما تكاملت

السبعة عشر ملك مع أرمانوس أنضاف إليهما أربعمائة وثمانين بطريق من كل فارس وثيق كأنه شعلة حريق ما فيهم إلا كل فارس زنديق (قال الراوى) وحملت الطوائف وقد أضمرت كل طائفة للأخرى ما أضمرت لكن كان الأمير عبد الوهاب أسبق لصاحب العلم فأحل به النقم لأنه طعنه فى صدره أطلع السنان من ظهره ونظرت الروم إلى ذلك فهمت بالهزيمه وإذا بعلم آخر من المسلمين قد أنقسم فقال الأمير لعن الله ميمونه فهــذا من جملة لعنتها وحيلتها هذا والملك أرمانوس وميمونه والملوك الذين ذكرناهم وصلوا إلى حامل علم المعتصم فطعنته ميمونه فألقته تحت حصانه وعطفت على الذى كان قائم مقام المعتصم فأخذته أسير وهمت عساكر المسلمين أن تشده فنظر الأمير إلى ذلك فخرج من المعمعة وقصــد إلى عسكر المسلمين ومعه الأمراء المذكورين فاعترضته ميمونة وارمانوس والبطارقة فأطبقوا عليهم وكانوا المسلمين كما ذكرنا خمسين فارس والمشركين خمسمائة فأطبقت ميمونة على الأمير ومعها عشرة بطارقة كانهم الجبال من عظم خلقتهم لأنها كانت قد أنتخبتهم وكذلك أرمانوس حمل على المعتصم ومعه عشرة وحمل على كل واحد من المسلمين عشرة من الكافرين (قال الراوى) يا ساده يا كرام وأنعقد على رؤسهم الغبار حتى رأيت الدنيا قد أظلمت والأقطار قد خيمت ورماح الموت قد عصفت والأعادى من الأعادى قد أشتفت والدماء من الأجساد قد نزفت والصناديد فى المجال شغفت هنالك جرت المقادير وعمى بصر البصير ودخل الغبــار فى المناخير ووقع فى الموصل النفير وابتهلوا بالدعاء إلى اللطيف الخبير وقالوا هذه النوبة إذا أصيبت المسلمين أخذونا الروم الملاعين وعدمنا النساء والأطفال هذا والرجال صاروا يتضاربون بالدرق فيسمع لها دوى كدوى الرعد إذا خفق (قال الراوى) وفى تلك الساعة خرجت الأميرة ذات الهمة من المعمعة ومعها ملك المغلبيط أسير بعد قتل العشرة بطارقة الذين كانوا معه وأما ميمونة فلم يبق من أصحابها غيرها فجعلت تجادل الأمير عبــد الوهاب وهو يقول الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وأخذل من كفر فلما نظروا الناس إلى ذلك تصايحوا بالمعتصم يا منصور وإذا بالمعتصم خارج من وسط العجاج ومعه أرمانوس أسير وقد حل به الويل والتعتير بعد قتل أصحابه العشره وكذلك فعلوا باقى أمراء المسلمين وخلصوا من خصومهم أجمعين وأما ميمونة فانها خافت على نفسها وانخذلت بقبض أرمانوس فتأخرت إلى ورائها وكان تحتها جواد سابق فصاحت فيه ولكزته بالمهامز فخرج من تحتها كريح الهبوب وغاصت فى تلك الأمم وجدت فى الهزيمة ونادت يا معاشر النصرانية اطلبوا ميافارقين فاندفت الروم منهزمين وطلبوهم المسلمين

وقد ملكوا خيامهم وأموالهم وبلغ الخبر إلى عقبة فانشقت مرارته وقال ما أظن إلا أن المسيح يفزع من هؤلاء القوم وما قلت أن هذه الأمم تجتمع وترجع تنكسر وقد تحيرت فى هذا الدين وأنا أشهد أن المسيح يفزع من هؤلاء المسلمين ثم خرج وأتى إلى الدجله وانحدر إلى بغداد فلم تشعر به السيدة زبيــده إلا وهو قد دخل عليها فلما رأته وثبت له قائمة فسلم عليها وحدثها بحديثه من أوله إلى آخره فقالت له يا قاضى أسمعنا شيئاً من كتاب الله عز وجل (قال) يا سادة وكان اللعين له حنجرة طيبة وكان أعلم أهل زمانه ما ناظره أحدا من العلما إلا عكسه ولا فقيه إلا فلسه وشوسه وكانت الخلفاء وزبيده لهم الظاهر منه والله سبحانه وتعالى متولى السرائر لأنهم يرونه رجل زاهد عابد دين يسلب عقول سائر الأشياء تارة بالعلم وتارة بالزهد وتارة بقراءة القرآن وكانوا لا يسمعون أنه كافر إلا من عبد الاهاب والبطال وذات الهمة وبنى كلاب ممن يعرف خبثه ولعنته وإذا جاء الغير يشهد عليه يكون قد خرج من بلد الروم وأسلم فيقولون هنا من تعلم الأمراء (ياسادة) وأن عقبة وضع سبابته فى أذنيه وقرأ قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاة منشورا (قال الراوى) فبكت زبيدة وكانت رقيقة القلب سريعة الدمعة يأخذها من كلام الله تعالى الخشوع والتذلل والخضوع وكانت تقول أناما أرى إلا رجل صالح قارىء كتاب الله تعالى وما أشهد على هذا بشىء وسريرته مع الله تعالى ولا أخض مع الخائضين (قال الراوى) فهذا جرى من عقبة (وأما ما كان) من ميمونة الكافرة اللعينة فانها لما انهزمت وتبعتها العسكر وجدت فى السير وجعلت لاتلبث فى منزل أكثر من أن تأكل الدواب ويأكلون الزاد ثم ترحل ولم تزل كذلك حتى وصلت إلى ميافارقين فلم تدخلها ثم جدت فى السير حتى وصلت إلى ملطية فنزلت بها ثم أنفذت سدت الدروب حتى لايكون لأحد عليها عبور وحصنت ملطية ورفعت على أصوارها الفرادات والمنجنيقات وتمكنت من تحصينها وبعد أيام وصلت عساكر المعتصم والأمير عبد الوهاب فى أوائل الناس ونظرت ميمونة إلى غبار العسكر وسمعت دق الكؤسات ونعير البوقات فخرجت وأخرجت الروم معها وصدمت المسلمين فلم تنل ماأرادت ولم تقدر تقف بين يدى المسلمين ساعة واحدة غير أنها انهزمت ودخلت إلى داخل البلد ونزلت المسلمين على باب ملطية وقدموا أرمانوس وجعل المعتصم يدور رقبته برجليه ثم هم بقتله فقال الأمير عبد الوهاب يامولانا أحقن دماء مائة ألف مسلم ممن تعرف وممن لاتعرف بعدد التراب مابين صبى وامرأة وشيخ وشاب من ملطيه وغيرها وهم بالقسطنطونية فأمسك المعتصم عن قتله فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى ملأ

الأقطار ثم انكشف عن مائة ألف من الروم والمقدم عليهم ملك البنجاك وكان اسمه جرجناس بن جرجيس وكان يطلب الملكة وتطمع نفسه فيها فلما سمع بكسر عساكر أرمانوس وأسرة سار إلى ملطيه ففتحت له أبواب البلد وأرسل إلى عند ميمونه يقول لها اعلمى أيتها الملكة ان أرمانوس قد أخذ العالم وغيرهم وأهرق دماءهم والمسيح لا يرضى بهم وأنا أعلم أنه مابقى له خلاص من أيدى المسلمين فى هذه النوبة وما خرجت من بلدى الا أنى أرجوا التزوج بكى وأكون عوضا عن أرمانوس ولقد عجبت أن ذلك يفلح وسائر الروم تعرف صولتى وعظم سطوتى (قال الراوى) ياسادة ثم دخل الرسول إلى ملطية وحضر بين يدى الملعونة ميمونه وأعاد عليها مقالة الملك جرجناس فاحمرت آماقها وقال الرسول فى آخر كلامه الملك يقول لكى أنا أخرج وقومى معى ولا أريد أحدا منكى يساعدنى ولا يعلونى لأنكم قد غضب عليكم المسيح ونزع البركة منكم لأنكم أقوام بعدد وماكان فيكم من يخلص نفسه بشجاعته وسوف تعلمون لمن يصلح الملك لى أو للداك أرمانوس ولكن إذا أنا قهرت هذا العدد وملكت البلاد وأسرت العباد فلى مع الملكة ميمونه حديث آخر لأن أخبارها وصلت الينا بكل جميل ولا فعل أحد من العرب المتنصرة مثل ماقد فعلت وهى التى مسكت العساكر وإلا كانت هلكت فلما وصل هذا الكلام مع الرسول الى ميموحة عظم عليها وكبر لديها وكبود السودان غلاظ شداد فقالت ميمونه ومن هو هذا الكلب حتى يستنقص بسائر الروم وبالملك أرمانوس فقال لها الرسول اعلمى أيها الملكة انه من الشجاعة بمكان عظيم فلا يبلغه إلاالخبر فمالكى بعد أرمانوس غيره وأما أنا ان أعلمته بما قلتى فهو يكون سبب قتلكى لامحاله (قال) فلما سمعت ميمونه ذلك لم ترد عليه بجواب دون أن جردت حسامها وضربته أطاحت رأسه عن بدنه وقالت ماكان لهذا الكلب جواب غير هذا وحق المسيح لولا أخاف من البترك يقول أهلكتى النصرانية وأشمتى بهم الملة الحنيفية لكنت تركت السنان يروى من صدر هذا الشيطان جرجناس بن جرجيس الذين تكلم بهذا الكلام ثم انها رجعت الى البلد وغلقت الأبواب فوجدت الروم الذى معها بتلك الراحة العظيمة من قتال الأمير عبد الوهاب والسودان الأنجاب وبنى كلاب

﴿ تم الجزء السابع والأربعون ويليه الجزء الثامن والأربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب حروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الأمير بقى متحير من خروج ميمونه من البلد وقتلها للرسول وعودتها وغلق الأبواب فلم يعلم ما سبب الموجب فى ذلك ثم ان جرجناس لما علم أن رسوله قد قتل قامت عليه القيامة وقال وحق المسيح لما أفرغ من المسلمين مالى شغل إلا هذه الحجامة السوداء ثم ضرب خيامه والسرادقات وكان الملعون ورجاله ليس لارمانوس مثله ولامثل خيولهم وكانهم ماكان لهم شغل فى بلدهم طول النهار والليل إلا اللعب على ظهور الخيل ولايعطى ديوانه الالكل فارس شديد وبطل صنديد ثم أرسل الى الامير عبد الوهاب يقول له ياهذا ان هذا يوم قتال لاننى متعوب والقتال يكون فى غداة غد على اننى ماكنت أريد منكم حاجة وان أنتم قضيتموها لى وحق المسيح عفوت عنكم وحاجتى أن هذه ميمونة الحجامة قتلت رسولى وقد فعلت ما فعلت وقد عولت على الزحف اليها وألقى الفرادات والمناجيق عليها وأقاتلها وبمن معها الى أن أخرجها وأقتلها على الباب وبعد ذلك لى معكم تدبير يجرى لى فيه الصلح بينى وبينكم وهو أنكم تسلموا لى أرمانوس وتردوا على النهب والغنائم والأموال التى أخذتم وأرجع إلى بلاد الروم وكلنا سلما بلا حرب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك دخل على المعتصم وأخبره بما قال الرسول فقال ياأمير هذا الذى أرسله رجل أحمق فعلى ماذا عولت أنت عليه أيها الأمير قال أركب غدا إلى حربه وقتاله ولاأسمع مقاله وآخذ البلد وكل من فيه ولو أقمنا ههنا سنة واحدة فلابد لنا من أخذهم ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فقال المعتصم للأمير عبد الوهاب أنا أشير عليك بشىء

وفيه الصواب وذلك انك تجيب جرجناس إلى ما طلب حتى تخرج هذه الملعونة ويجرى بينهم القتال فمن قتل منهم كان فتحا لنا ويكون الهوان بهم من أنفسهم ونحن من ذلك فى أمان وأما ما ذكرت من قتال جرجناس فما هذا ببعيد عنك إن كانت النصرة له على ميمونة فهو يطمع فيك ولا بد له منك بعد أن يقتل منهم خلق كثير ويكونوا المسلمين فى راحة فقال الامير وبهذا كنت أريد أن أشير عليك فكنت السابق إلى المكارم فشكره المعتصم على قوله (قال الراوى) فأرسل الامير عبد الوهاب اليه كتاب يقول فيه (أما بعد) أيها المعجب بنفسه المدل بقوته أما قولك تعفو عنا فالعفو لصاحب العفو الذى ليس له ولد ولا كفؤا أحد وأما قولك نخلى بينك وبين ميمونة وعساكرها فدونك واياها ونحن ما علينا منها وأما قولك الصلح فنحن قوم ما نصالح الكفار ولا نهاون الاشرار إلا أن يحملون الينا الجزية والاموال والهدايا كما مرت به العادة وأما قومك عن المأسورين اللذين لنا فى مدينة القسطنطونية أضعاف فلى عاده أن أخلص من القسطنطونية أضعاف ذلك والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الاعلى وآثر الآخرة على الاولى (قال) فلما ورد كتاب الامير عبد الوهاب إلى جرجناس عظم عليه خطابه ولم يظهر ذلك بل خلع على الرسول الذى للأمير وكان الملعون جرجناس مكار غدار فصبر إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وجمع وجوه قومه وقال لهم اعلموا انى كنت معول على رأى وأرسلت إلى المسلمون وقلت لهم خلوا بينى وبين ميمونة على ما فعلت برسولى لعلى أصلبها على باب ملطية ولا بد لى من ذلك وقد جاءنى رسول هذا الاسود عبد الوهاب بجواب منه لانه مافى عليه من فزع وقد عولت على أنى الليلة افرغ من الكل وذلك انى افرق عساكرى من أربع جوانبهم واكبس عسكر المسلمين فما يبقى منهم بقية ولا يقوم لهم بعدها قائمة فقلوا أيها الملك هذا الرأى الصواب أصوب من الاول ثم أن جرجناس أرسل إلى كل مقدم فى عسكره وأمره أن يدعو أصحابه ويعلمهم أن الكبسة تكون فى نصف الليل فتقدم كل واحد إلى أصحابه بما قال الملك وأقاموا إلى أن أتى الليل ثم ركبوا (قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة ياكرام وكان الملعون جرجناس له ابن عم يقال له عبد الصليب وكان شجاعا مناعا حسن الوجه مليح الشباب غير أنه فقير الحال لا مال له وكان أبوه قد خلف له مال كثير فأخذه هذا الملعون جرجناس ولم يقدر عبد الصليب أن يتكلم فى ذلك وكان جرجناس له زوجة يقال لها نور العين وهى كأنها القمر الزاهر وكانت تحب لهذا عبد الصليب وتهواه وقد شغفت به وبحسنه وجماله وقده واعتداله وكانت تقول له وحق المسيح أن أكبر شهوتى

أن يموت هذا الملعون جرجناس حتى أتزوج بك وأسلم اليك هذه الأموال لتفرقها على الرجال وقد قدموك عليهم وتصير أنت الملك فيقول لها وكيف لى بذلك وكانوا يتعرقبون له العرضيات فلما ان خرج فى هذه النوبة كان عبد الصليب فى خدمته ظاهر ويريد قتله باطن ويريد ذلك لأجل زوجته نور العين وهذا غلام حسن الصورة شجاعا مناعا كريم فى نفسه وجرجناس رجل مجنون شيطان ملعون اقبح الخلق وجها وابخلهم كفا إلا أنه بطل لا يصطلى له بنار (قال الراوى) ياسادة يا كرام وإنما سقنا حديث عبد الصليب ليظهر لكل حديث سبب ليعلم بذلك من ينقل أخبار هـــذه الوقعة وكيف كانت نجاة المجاهدين لأنهم كانوا على غفله منهم ومن أمرهم وقد تقدم الملعون يفعل لهم ما قدمنا ذكره (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب وأن البطريق عبد الصليب أقبل على غلامه وكان اسمه صليب وقال له اعلم أن فى قلبى من جرجناس ما تعلم لأنه أخذ أموالى وجميع ما خلفه لى أبى وتركنى فقير لا مال لى وقد عولت على قتله وخلاصى منه ولعمرى ما أنا من رجاله لأنه جبار مجنون ولكن أريد أرسلك الساعة إلى المسلمين وأنا أخرج معك إلى عساكر المسلمين إلى أن تصل إلى الأمير عبد الوهاب وتعلمه بالكبسة التى قد دبرت عليه وعلى عسكره عند نصف الليل ليكون منها على حذر فاذا وقع الملعون فى أوساطهم فما أقول أنه ينجو منهم فان هو هلك فعلت بعده ما أريد فقال يامولاى وكيف يسعى هذا فى دين المسيح فقال له عبد الصليب دعنى الساعة من دين المسيح فان القسوس الذين لنا يأكلون أموالنا فاذا فعلت أنت ما أمرتك به فوحق المسيح أوهبتك جاريتى مريم فلما سمع صليبا ذلك طاش عقله فرحا ونسى الجنة والنار لما فى قلبه من لهيب النار لهذه الجارية وكان مجتهدا فى خدمة عبد الصليب لأجلها لكى ينال مراده منها فلما سمع ذلك قال يامولاى وحق المسيح ما قلت لك ذلك إلا حتى أسمع ما تقول والرأى عندى أن نمضى أنا وإياك إلى عبد الوهاب ونعلمهم بذلك الخطاب ونقاتل معهم إلى الصباح فقال هذا هو الرأى أخرج بنا من ساعتنا هذه (ياسادة) ثم أنه خرج هو وغلامه من ساعتهم وكان ذلك أول الليل ثم قصدوا إلى عسكر الأمير عبد الوهاب فلما أحس به الحرس قبضوا عليهم وقالوا من أنتم فقالوا نحن قوم من الروم قد أتينا رسل إلى أميركم عبد الوهاب (قال) فساروا بهم إلى الأمير عبد الوهاب فلما وصلوا إلى بين يديه سلموا عليه فأجلسهم الأمير وسألهم عن حالهم فقصوا عليه القصة فلما سمع الأمير ذلك باس الأرض شكر الله وجزاهم خيرا وقال لهما علىّ اكرامكما فلكم مالنا وعليكم ما علينا وإن كان لأجل فقر فسوف أعطيكم من المال ما يحول بينكم وبين هذا الفقر وهو انى أعطيكم جميع أموال هذا الملعون

جرجناس فهو يكفيكم باقى فى زمانكم وإن كان لكم من قد ظلمكم شفيت غليلكم منه فقالوا كل هذه الأوصاف ما نريد منها شيء حتى يبان لك صدق قولنا وسوف نقاتل معك (قال الراوى) ياسادة فعندها نهض الأمير عبد الوهاب فى الحال ودخل على أمير المؤمنين وأخبره بما جرى فقال ما هذا من مخلوق وإنما ذلك عناية بنا من الله سبحانه وتعالى فلله المنة على جميع عباده ولولم يطلعنا على هذا الأمر كنا هلكنا عن بكرة أبينا ولكن من الله علينا بجميل ستره فما الذى تصنع أيها الأمير والسيد الخطير فقال يامولانا سوف ترى ما يكون من مسرتك إن شاء الله تعالى ثم أن الأمير عبد الوهاب أحضر جميع أمراء عسكره من بنى كلاب والسودان الانجاب وقال لهم كل واحد منكم يأخذ رجاله ويخرج من العسكر ثم اخلوا خيامكم ولا تتركوا فيها ما يسوى درهم واحد واجعلوا النيران تضرم من حولها على حالتها فان الروم عولوا على كبسنا نصف الليل وقد تفرقوا فى مواضع كذا وكذا من أربع جنباتكم فأكمنوا أنتم من ورائهم فاذا حملوا وصاروا فى الخيام التى لكم فاطبقوا عليهم من كل جانب ومكان فقالوا السمع والطاعة وتقدم الأمير إلى باقى عسكره والخليفة أمرهم بالركوب وخرجوا إلى خلف ملطيه وكانوا هنا لك مقيمين وقال لهم إذا سمعتم الصياح لا يكون لكم شغل إلا أن تخرجوا من وراء العسكر إلى خيام هذا الملعون ودأهموهم واهجموا عليهم واضربوهم بالسيوف وأسقوهم شراب الحتوف فما فيهم من يعقل على نفسه وانظروا من تريدون تقدمه عليكم برأيكم فقالوا أيها الأمير قدم علينا عبد العزيز العلوى فقال الأمير نعم ما رأيتم ثم قال لعبد العزيز أنت المقدم عليهم فقال يامولاى ما أتيت إليك إلا وأنا أعد نفسى من بعض رجالك وخدمك فشكره على ذلك وقال له الأمير بل أنا أعرف خادمك لأجل شرفك ولأجل تلك العجوز والدتك فقال عبد العزيز طب نفسا وقر عينا أيها الأمير فانى وذمة العرب يطيب قلبى أن أمضى إلى هذا الجمع وأصبح فى أوساطهم وإذا بادرونى أشبعتهم طعنا وضربا فقال له الأمير ولهذا يريدك عساكر العراق (قال) فتبسم عبد العزيز وخرج فى هذه الطائفة وبقى الأمير عبد الوهاب فى عشرين ألف أسود من كل بطل أمجد وعليهم صدور الزرد النضيد وهم بين المضارب والخيام فقالوا أيها الأمير نراك تركت سائر من معك من الطوائف إلى سائر الجهات ونحن ما أمرتنا بشىء فما السبب الموجب لذلك فقال لأنى ساويتكم بروحى وأن المعتصم فى سرادقه ونحن من حوله فتكونوا على حذر ثم البدوا فى الخيام لأنكم فى لون الظلام فما تحس بكم الروم إلا وقد وثبتم اليهم وأنتم تروهم وهم لا يروكم فقالت السودان لوكان لنا لباس اسود مثل ألواننا استترنا عنهم فقال الأمير ومن أين لنا الساعة بذلك

ثم قالوا نقسم قسما لا لقيناهم إلا عرايا ثم انهم خلعوا ما كان عليهم حتى بقوا عرايا وأجسادهم كالليل الدامس ثم لبدوا فى الظلام والسيوف والاتراس جوانبهم ورؤسهم تبرق فى الليل كانها المرايا وبأيديهم صوارم حداد كالمنايا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما رأى عبد الصليب إلى ذلك قال لغلامه صليبا نحن فى عسكرنا فرد واحد مجنون وهو جرجناس ونخاف منه وهؤلاء كلهم مجانين يسبوا عقلنا وعقل من يشاهدهم لا سيما إذا تاروا عليهم هؤلاء السودان الذين ما على أبدانهم شىء وهم فى الليل يرون الانسان وهو لا يراهم حتى يتعلقوا به ويقتلوه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من ميمونة فانها أقبلت على عسكرها وقالت لهم أنتم تعلمون أن هذا جرجناس رجل مجنون وما جاء ههنا إلا طمعا فى المملكة وقد ظن الملعون أن أرمانوس قد فقدوا إلا ما كان يتكلم بهذا الكلام الذى جاءنا به الرسول ومن دون ذلك ضربا يقد الهام ويبرى العظام فقالوا لها أيتها الملكة هذا رجل مجنون لو طلب أن يستعمله الملك على ضياعه ما استعمله ومع هذا فان ملكنا سالم وقد جرى عليه ما جرى على سائر الملوك وسوف ينفصل هذا الأمر بيننا وبين المسلمين أما أن تكون لهم علينا أو تكون لنا عليهم فان كانت النصرة لهم نشترى أنفسنا بالأموال الكثيرة كما شرينا الملوك من قبله فقالت ميمونة وحق المسيح إذا لم أنصر عليهم وعاقتنى العوائق ماأزن فى أرمانوس درهم واحد لأننى قد أسرت عن المسلمين خلق كثير وها هم عندى فى القسطنطونية فان رضيوا بالفداء فاديته وأن أبوا فليفعلوا ما أرادوا فقالوا لها فان قتلوه فقالت ما يفعلوا أبدا وأن قتلوه لما أجبتهم إلى مرادهم وأقوم أنا مقامه وأروم مرامه فهل أنتم بى رضون فقالوا لها وحق المسيح ما يصلح للملك غيرك لأن لك الرأى السديد والشجاعة التى ما عليها مزيد ولكن الملك يريد أن يكون له أصل فى الروم فان فعل البترك ذلك فماغينا أحدا يخالفه فقالت لهم فان فعل البترك ذلك وإلا فأنا أريكم ما أفعل به (ياسادة) قال وكان البترك عندهم فى ملطيه مقيما فقال ما هو كثير نقدم اليها هذه الشيطانة وإن لم أقدمها تقتلنى فى هذه الليلة حيث قد جعلوا الأمر إلى ثم أنه قام اليها وقال أن الملك قد رضى بك زوجه ومن كانت زوجة الملك فهى أولى أن تملك الروم وما يخالفك أحد ولعل المسيح يحسن خلاص الملك فقالت أنا الليلة قدعولت على أمر أريد أن أفعله فقالوا لها وما ذلك قالت نحن فى ملطيه فى عالم عظيم وهؤلاء قد أيسوا منى وقد أيقنوا انى محصورة مكسورة وهم فى غداة غد عولوا على لقاء بعضهم بعضا وأنا فما أريد أن يكون أمرنا لغيرنا ولا سيما إذا كان الظفر لهذا الكلب جرجناس فهو يفزع من أعدائه ويعود علينا والرأى عندى أن نبدؤه بما أقول لكم فقالوا

لها نحن لك وبين يديك ولا نخالفك بشيء فقالت معلوم انكم محصورين فى هذا البلد وما هو لكم ولا بد لكم من القتال والحرب والنزال حتى تخلصوا نفوسكم وتأخذوهم وتكونوا طعاما للسيف والرأى عندى أن تكونوا قوما كراما عند المسيح وعند الناس وقد عولت ان أقسمكم قسمين وأفتح باب البلد وأخرج والكل منى على غفلة وأهجم على العسكرين وهؤلاء السودان ربما يكون معهم النار والنفط يضربون الخيام بين العسكرين وأنتم تضربون فاذا فعلتم ذلك كان سببا لهلاكهم فقالوا أيتها الملكة ها نحن بين يديك فعندها جمعت الملوك وكانوا ستة عشر ملك وقسمت ثمانية من الملوك مع طوائفهم لعسكر الأمير عبد الوهاب ومعهم ألفى أسود بصدور الزرد ومعهم قوارير النفط (ياسادة) وأستقر هذا الأمر على سائر العساكر كلها (قال الراوى) فوالله ما رأيت فى هذه السيرة كلها أعجب من هذه الوقعة ولا سمعت بمثل هذا الاتفاق العجيب لأن كل طائفة ظنت أنها تكسر الأخرى وما عندهم خبر من بعضهم بعضا (قال الراوى) ولما تنصف الليل فتح باب البلد وخرجت الروم ومعهم السودان كما ذكرنا هذا وميمونة قد تركت مكانها فى البلد ملك المغلبيط الذى قتل عبد العزيز أباه وقالت له إذا غلق الباب فلا تفتح لأحد فقال سمعا وطاعة ولما حصلت ميمونة وعساكرها ظاهر البلد كان جرجناس قد ركب فى تلك الساعة فى مائتين ألف فارس وبقى بعض عسكره وسار طالب عسكر الأمير عبد الوهاب وقد فرق أصحابه أربع جهات العسكر كما ذكرنا هذا وأصحاب عبد الوهاب ينتظرون الصوت ليلحقوا الناس والأمير عبد العزيز فى عسكر العراق وهو معول على الكبسه فصاح فى الناس دونكم والحمله وافتحوا باب الحرب (قال الراوى) وكان أول من حمل جرجناس ودق ناقوسه وعدى على خيام الأمير عبد الوهاب ودخل الخيام فوجدها خاوية على عروشها فانكر ذلك وأيقن أنها حيلة وعادوا يطلبون الرجعة فبادرتهم السودان وهم ينادوا يال حام وصاحوا عن صوت واحد رعبوا القلوب وضربوهم بالمرهفات وأرموا الروم يمين وشمال ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل ولم تكن الا ساعة واحدة حتى قتل خلق كثير وصاح بعضهم ببعض أخرجوا وإلا هلكنا فما هم إلا وقد هموا بالخروج وأبطال بنى كلاب قد خرجوا عليهم من سائر الجهات وضربوهم بالمرهفات وطعنوهم بالسمهريات وسقوهم شراب الآفات (قال الراوى) وأعتكرت عليهم حنادس الظلام وكذلك الأمير عبد العزيز العلوى أنطبق على عساكر جرجناس أطباق الغمام وضرب الناس بالحسام فى حنادس الظلام وفلق الهام وهشم العظام (قال) وان

ميمونه لما سمعت ذلك قالت أن الذى أردت أن أفعله سبقنى اليه الأمير عبد الوهاب لكن أكبسوا مضارب الاسلام ونترك هؤلاء فمن قتل من الفريقين كان لنا فتح لأن هؤلاء على الملك وهؤلاء أعداء الدين ثم أطبقت على عبد العزيز وقالت أنا ميمونة وحمل باقى عسكرها أيضا على عسكر الأمير من خلف بنى كلاب فيالها من ليلة ما كان أطولها وللنفوس ما كان أقتلها عرقبت فيها الخيل وطال الليلى وعم الويل وجرت الدما مثل السيل ووقعت الرجال من سروجها وخدرت الأيدى من كثرة مضاربها ولم تعرف الفرسان أحبابها من أعدائها (قال الراوى) أما عبد العزيز فانه صاح بقومه يا ويلكم أن ميمونة قد خرجت من ملطية وقد كبت عدونا جرجناس فاضربوهم بالسيوف وأكثروا من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تعرفوا بعضكم بعض فرفعوا الناس أصواتهم بقول لا إله إلا الله وهى كلمة الإخلاص ولم يزل السيف يعمل إلى أن جاء الصباح وطلع نجم سهيل كالمصباح وقد التقا عبد العزيز وميمونة وتصادما وعرف كل واحد منهما صاحبه وطمعت فيه أن تظفر به وتعاركا وتماحكا إلى أن طلع الفجر وقد أصبحت الرجال مثل السكارى فأما الأمير عبد الوهاب وطائفته فانهم لم تركوا من أصحاب جرجناس إلا القليل ولولا جرجناس فيهم لملكوا وأما الأمير عبد العزيز وأصحابه فانهم قتلوا من أصحاب جرجناس عشرة آلاف وكانت عساكر العراق وبنى كلاب قد أدركتهم ميمونة فتخلوا عن الروم عند سماع ذكرها لأنها قد صار لها فى القلوب هيبة ولما وقعت العين على العين وقع القتال إلى السحر وداموا كذلك إلى الظهر ووقع بينهم الانفصال وعادت كل طائفة إلى مقامها (قال الراوى) ولم يكن فى الطوائف أجسر من طائف جرجناس لأن الله محق جمعهم وأحرقت ميمونة خيامهم ولما انهزموا ساروا إلى خلف الجبل الأجرد وعادت ميمونة إلى ملطية وقد قتل من أصحابها خلق كثير وعاد عبد العزيز إلى الأمير عبد الوهاب فوجد الأرض قد فرشت بالقتلا وبعض مضارب الأمير حرقت فلما نظر عبد العزيز إلى الأمير هناه بالسلامة ووجد مع أصحابه غنائم كثيرة من أصحاب جرجناس ثم سأله عن ليلته فقال لو كفانا الله تعالى ميمونة الملعونه فانها أحرقت أكثر مضارب جرجناس وبعض مضاربنا ولولاها مانجا من القوم مخبر (قال الراوى) وفرحت الناس بهذا الظفر العظيم هذا والملعون جرجناس مقيما فى سفح الجبل الأجرد وقد كان فى مائتين ألف فارس فأصبح فى دون المائة ألف فلما نظر ماحل بعسكره نادى وقال ياقوم مادهمنا إلا ميمونه فقالوا له أصحابه دعنا من ميمونه وانظر إلى مافعلوا المسلمون بنا وكيف جاؤنا من خلف الخيام وأطبقوا علينا فى الظلام وكان جرجناس ليس له بذلك علم فقال وحق المسيح لابد لى من غداة غد أن آخذ

التار (قال الراوى) وأما ميمونة فانها وصلت إلى البلد وقتل من أصحابها خلق كثير وبات الناس الى غد وكان أول من فتح باب الحرب جرجناس وزحف الى المسلمين بعسكره ونظر الأمير عبد الوهاب الى فعله ففعل مثله ومعه بنى كلاب والسودان الأنجاب وهمت الناس بالحملة واذا بجرجناس قد خرج على جواد أصفر وعليه عدة كاملة وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس من بنى كلاب قتله والثانى جندله والثالث أعدمه الحياه ورابع أرداه وخامس أهواه ولم يزل يقتل فارس بعد فارس حتى قتل من القوم عشرة فوارس فعند ذلك حمل الأمير عبد الوهاب على جواد سابق وبيده سيف ماحق وكر على جرجناس وكذلك حمل جرجناس عليه وفتحا فى الأرض ميدانا فلما نظرته العيون أحسن من قتال الأمير عبد الوهاب وهو يلعب بالرمح كما يلعب الكاتب بالقلم هذا والأمير عبد الوهاب يتعجب من حسن شمائله وصار يدعو له (قال الراوى) وبعد ذلك اختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة الأمير عبد الوهاب فوقع السنان فى صدر جرجناس خرج من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما نظرت الروم إلى ملكها قتل حملت وحملت بنو كلاب وعملوا فيهم عمل النار فى الحطب اليابس وأوصلوا اليهم الطعن والضرب فما كانت إلا ساعة حتى ولوا هاربين وللنجاة طالبين فساقتهم السودان وملكوا عليهم الطريق فلم يجدوا بد من القتال ولم تكن إلا ساعة حتى عملت السيوف فى الأعناق وقام الحرب على قدم وساق وتضاربوا بالسيوف فى الأعناق وبليوا الروم بما لا يطاق وانهزموا إلى باب ملطية وهم ينادون بميمونه أن تفتح لهم الباب فعند ذلك أمرت بفتح الباب وخرجت فى عسكرها فوقفت الناس عنهم وعمل الحرب بينهم طول النهار وطلبتها الأميرة فى المعمعة فلم تلتقى بها إلى أن أقبل الظلام ودخلت البلد وشكوا لها أصحابها مالاقوا من القتال (قال) وباتوا تلك الليلة وعند الصباح جلس المعتصم واستدعا بالأمير عبد الوهاب وقال له أيها الأمير ان قلبى على بلاد العراق وقد اشتقت إلى البلاد وقد ضجرت وضجر الناس وأريد أرسل لميمونة فى طلب الصلح على أنها تسلم الينا ملطية وسائر المأسورين الذين فى القسطنطونية وأسلم اليها أرمانوس على أنه يحمل الينا المال فى كل سنة على ماجرت به العادة فقال سمعا وطاعة يامولانا وأنا كنت معول على ذلك أحدها خلاص الأمير عمرو ومن معه والثانى عودة بلدنا وعمارته والثالث لطلب الراحة وأيضا نكشف خبر البطال وقد كان الأمير عبد العزيز ذكر أنه تلك الليلة تحدث معه فى الحيلة التى تمت عليه ولم يراه بعد ذلك وهو يدل على سلامته من الوقعه فقال المعتصم وأنا الآخر مشتغل القلب عليه ولابد من الكشف عن خبره إن شاء الله تعالى (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب أرسل إلى ميمونة الأمير

جوال بن مزاحم ومعه ثلاثة من بنى كلاب بكتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم (أما بعد) فان العاقل من نظر فى الأمور برأى صائب وأفكر فى العواقب واعلى ان الزمان كل يوم يأتى بالعجائب وان كل محصور مقهور وقد رأيت مافعل الله بتلك العساكر وكيف هلك أكثرهم واندرس أيسرهم بسيوف المجاهدين ورماح الموحدين جزاء لكفرهم ولتركهم التوحيد وعدلهم الجحد المبين ومع هذا فانى قد أرسلت إلى مدينة آمد آخذ كل منجنيق فيها وأحضر النقابين وآخذكم كلكم ولايسلم أحدا منكم وقد طلب مولانا أمير المؤمنين الانصراف إلى بغداد لانه قبل ذلك كان عزم على ضرب رقبة الملك أرمانوس فلم أمكنه وقد أشرت عليه بشىء واحد وذلك انى تركته لأجل الأسارى الذين فى القسطنطونية وضمنت له الأموال والرجال والنسوان والاطفال فانظرى ماعندكى من الجواب وماالذى تشيرى به من الخطاب وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر والسلام (قال الراوى) ثم أدعى بالملك أرمانوس وجرد سيفه وأراد أن يضرب رقبته فباس الأرض وقال ياأمير والله ماهى عادتك أدام الله ناصرك فقال له الأمير أنت تعرف أنى عبد مأمور لأن الامام المعتصم قد عول على الانصراف إلى بغداد بعد قتلك وبهذا أمرنى فقال أرمانوس أيها الأمير والسيد الخطير وماعساك أن تنال بذلك من قتلى لكن اضمن له عنى كلما يريد فقال الأمير يريد المال والمأسورين الذين عندك فقال سمعا وطاعة فقال اكتب فى هذه الساعة بخط يدك إلى ميمونة وعرفها ما استقر عليك من المال واطلاق المأسورين من النساء والرجال وأن تخرج من البلد ونفسح لها نحن الطريق ولا نتعرض لها بحال من الأحوال ونتركها تمضى هى وعسكرها سالمين إلى القسطنطونية وتطلق لنا القوم وترسلهم مكرمين مبجلين فاذا فعلت ذلك أطلقتك أنت من الاسر وفعلت معك ما تحب فباس أرمانوس الأرض ثم كتب بيده إلى ميمونة كتاب يدل على ما يهواه وغاية حسرتها أن تراه وتتمنا لقاه يقول فيه (أما بعد) فلو نظرتى أيها الملكة إلى حالى وقد أكلت القيود قدمى لبكيتى على حالى وبعد هذا فان القوم معولين على قتلى الآن تعملى على خلاصى ولولا أن الأمير عبد الوهاب سأل الخليفة فى وإلا كان قتلنى لأنه اصطنعنى اصطناعة الاخيار وأنه فعل بى من المروءة ما يليق بمثله فاذا قرأتى كتابى يكون ما رسم به الامير جوابى ولا تخالفينى فى خطابى فانى قد قلت فى نفسى أحمل لهم ما جرت به العادة من المال فى كل عام وهى مائة بدره فاحمليها اليهم سرعة فى عاجل الحال واطلاق كل مأسور فى بلاد الروم والسلام فلما فرغ الكتاب سلمه إلى بطريق كان مأسور عندهم يقال له بدرون وقال امضى إلى ميمونة سرعة بهذا الكتاب وتأتينى عاجلا بالجواب فأخذ البطريق الكتاب وسار إلى ميمونة ولما مثل بين يديها أعطاها

كتاب أرمانوس ومعه كتاب الامير عبدالوهاب ولما قرأتهما عظم عليها وكبر لديها وقالت لبدرون ولجوال أنا أقسم بالمسيح لولا شاع عنى الفعل القبيح بأن يقال ما وصل اليها رسول إلا قتلته لالحقتكما برسول جرجناس ثم قبضت عل بدرون وقالت لجوال عد اليهم وقل أما البلد فانكم لم تروها بعد هذه المرة فى أيديكم أبدا لان ما على وجه الارض أضر منه على الروم وأنا فما أجد بوصفها أطيب لسكنتى منه وبلاد الروم واسعة وفيها ألف وعشرون كلهم يطلبون الملك مثل أرمانوس وأما الاسارى فأنا أخبر الناس بهم منهم الامير عمرو بن عبيد الله ومحمد بن أبان السلمى والعويل بن بكار وكل واحد منهم يسوى عشرة مثل أرمانوس على قولهم ومعهم مائة ألف فاوس من أصحابهم وحق المسيح لا صالحتهم إلا على غير هذا العام لانى لابد لى أن آخذ بثار من هلك من النصرانية والملة المسيحية وأجمع كل من فى بلاد الروم وسائر الاقاليم والجزائر وأسير اليهم بهم ولا أعود عنهم حتى أقلع شأفتهم وآخذ أموالهم ورجالهم وأسبى حريمهم وأما أرمانوس فدونكم وإياه اقطعوا رقبته واسقوه كؤوس منيته فله أسوة بأهله وأقاربه وما هو عندى بأعز من بحرون ولدى وحشاشة كبدى وقد هانت على قلبي طلعته وقطعت بالسيف لامته وموته عندكم أحب إلىّ بمن أكون عنده تحت التقصير بعد ما ذهبت فى طاعته عينى وفى هواه بقيت عوره وهو ما يرى منى نظر الجميل وهذا الذنب لا وجب والغدر أصوب وأنا ما أريد من حياتى إلا الجهاد فى طاعة المسيح وكسب الثواب وقطع أعمار الرجال وخراب البلاد وهلاك العباد وإن أردتم أن تجيبونى إلى ما قتلته لكم وإلا فاصنعوا ما بدالكم والسلام بعد ذلك من عند ميمونه وسودانها ومن أصبح من أعوانها (قال الراوى) ونظر جوال بن مزاحم إلى شيطانه ما تنخدع بكلام وعلم أنه إذا خاطبها أو راددها قتلته لا محالة ثم أنها عرت جوال وأصحابه من ثيابهم وقالت لأصحابها أخرجوهم فما نأخذ هؤلاء بحرمة غيرهم لأنهم رسل وقد بلغوا ما حملوا من الرسالة فقال لها يا ملكه هل رأيتى ما فعل فى حق الرسل مثل ما فعلتى أننى فى حقنا نحن نعرف أن الرسل ينخلع عليهم ولا يأخذوا أثوابهم فقالت لهم وقد تبسمت اعلموا أننى قد رأيت هذا من الصواب. لأنكم قد غنمتم عسكر جرجسان وأخذتم أمواله وهو شىء كثير ونحن قوم محتاجين إلى ثيابكم وخيولكم وقد أرضيت الروم بأخذ ذلك منكم احترازا لدمائكم واعرفوا قدر ما عملت معكم فقال جوال ها نحن شاكرين ناشرين جميلك علينا واحسانك الينا افتحى لنا الباب واغنمى فينا الثواب فأخرجتهم من باب البلد حفاة عراة مشاة وهم لا يصدقون بالنجاة وهم يدعون عليها ويقولون لقد هتكتنا هتك الله سترها وأشغل سرها حتى تريد

أن نشكرها لا كتب الله عليها سلامة ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى عسكر المسلمين وأنفذوا من أتاهم بثياب فلبسوها ودخلوا على الأمير عبد الوهاب فلما رآهم على تلك الحالة قال ما هذا الحال فاخبروه بما جرى عليهم وبما قاسوه بما ردت عليهم ميمونه من الجواب (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك قامت عليه القيامة وكذلك الأميرة ذات الهمة وساروا القوم إلى سرادق المعتصم وعرفوه بالحال فقال يا أمـــير مافى الأمر إلا أنك تأتى بالعدة والمنجنيقات والعساكر وطريق خراسان قد انفتحت ويسهل الله على العساكر خروجها ولا بد لى عن فتح البلد وأضرب رقبة هذا الملعون أرمانوس وأدخل إلى القسطنطونية ولا أزال عندها حتى أفتحها وأخلص كل من فيها من الموحدين وأقيم أقوام من أمة محمد المختار ويكون فيها ذكر الواحد القهار آناء الليل وأطراف النهار عند ذلك أرسل الأمير إلى آمد كما ذكرنا ولم يمض على ذلك إلا أيام قلائل حتى أتت المناجيق والفرادات وغيرها فلما أقبلوا كانوا محدقين بالبلد عشرة أيام بلا قتال ولا نزال وفى اليوم الحادى عشر وصلت الجمال وعليها الأخشاب لعمل الابراج وزحفوا فى اليوم الثانى عشر ونصبوا المناجيق والفرادات من الآلات فلما نظرت ميمونة إلى ذلك أنقطع قلبها وقلوب الروم أجمع وقالت لها سودانها أيتها الملكة ان القوم عولوا على نهب البلد وهدمها ولا يبقوا لنا أحد فاجيبوهم إلى ما طلبوا وقد سمعتى كتاب الملك أرمانوس أنه راضى بذلك لما هو فيه من البلاء العظيم والخطب الجسيم فقالت أسكتوا فوحق المسيح ما فيهم من يقدر يرمى الينا بحجر ولا فيهم من يتقدم فدعوا كثرة الكلام فيما لا تعرفوه فقالوا لها نحن قد شاهدنا ما أحضروا من الآلة والعدة (قال الراوى) وصعدت ميمونه على برج الباب ونادت برفيع صوتها يا معاشر المسلمين قولوا لأميركم وقائد جيوشكم عبد الوهاب يكلمنى فأنا ميمونة ولو يرسل إلى رسول فلما سمعوا الناس ذلك أعلموا الأمير بأمرها فقال لعل الله تعالى يكون التى فى قلبها الاجابة الى ما طلبنا لما شاهدت من فعلنا ولعل أجد فى خلاص المأسورين لأن فيهم نسوان أيسوا من الفرج لطول الأيام والثانى لأجل البطال فان فى قلبى من أجله نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وأخاف أن يكون قد دخل إلى الموصل فى طلب عقبه وأنا أعلم أن فيه كثير الاحتيال وما يفرط فى نفسه وأقسم بالله ما هو إلا قد عمل على البطال وأخذه من مأمنه ويلغ منه ما أراده وقد جعله فى مطموره تحت الأرض حتى ينقطع خبره وما قدرت أقول للمعتصم شيئاً من ذلك لئلا يقول جاءت الساعة الاهوية وقويت الأقوال الفاسدة وقد صح عندى أن هذا الرجل برىء مما يقولوا عنه فما يسمع فيه كلام ثم أنه قال للأمير جوال أمضى اليها وأبصر ما تريد

وما قصدها فان كانت أجابت إلى الصلح فالحمد لله على ذلك وان كان شيء غير ذلك فعرفنا به ونعمل على هلاكها (قال الراوى) فلما سمع جوال ذلك منه قال يا أمير أعطنى ثيابك وفرسك حتى إذا راحت يروحوا عليك (قال) فضحك الأمير وقال ما أظنها فى هذه النوبه تتعرض لك أبدا لأنها قد داخلها الرعب والفزع ولا تقدر أن تؤذيك فقال له جوال دع عنك هذا الكلام فان عندهم عالم عظيم عراة ما اليهم كسوة ولا بد لهم من الثياب هذا ان هى تجملت معنا ولم تحلق فى هذه النوبة لحاناً فقال الأمير عبد الوهاب بعد أن ضحك من هذا الخطاب أنا أروح اليها وأدنو من الباب وأسمع كلامها ولأجل الضرورات تباح المحذورات ثم سار الأمير حتى وقف تحت البرج الذى على الباب فوجد ميمونه مطله وغلمانها حولها قيام بالعدة الكاملة والآلات الشاملة فناداها الأمير عبد الوهاب ما الذى تريدينه يا هذه فقالت من المخاطب فقـــال أنا الذى أردتى خطابه أنا عبدالوهاب فقالت له يا أسود أراك قد أرعدت وأبرقت وزحفت بالفرادات والمنجنيقات كانك لأخذ البلد قد تحققت وما تعلم أن دون ما أردت ضربا يقطع الهام ويهشم العظام ويقطع الجماجم ويشوش العمائم وأنا ما غلقت باب ملطية فزعا ولا خفية منكم مع أنى أقسم بالمسيح والدين الصحيح وجميع الايمان الذى علمنى إياها الجاثليق وبترك دير يوشع وهو أعلم الروم بالايمان وحق الصلبوت والصلبان والذبيح والقربان والشماس والمطران والجاثليق والمعمدان وبرتوما وسمعان وإلا تركت الانجيل وآمنت بالقرآن وهدمت بيعة نجران وقلت أن كلما فيها من الصور صور شيطان لأن رمى اليوم أحدا منكم بحجر أو بحرب أو بنزال لا تركت مائة ألف صبي وامرأة وبنت من الأسارى الذين عندنا فى القسطنطونية ولم أترك منهم أحد إلا أقطع رؤسهم وأزين بها الابراج ولا أرحم منهم كبير ولا صغير ولا عبد ولا أمير وأخبرهم أن الملك أرمانوس قد قتل وألزم البترك أن يكتب بخطه هذا ويأمرهم بما ذكرت ومع وصول الخبر ينقطع منهم الأثر وإن امتنع البترك قطعت رأسه وهدمت أساسه فان خالفتمونى وأتيتم إلى قتالى فعلت ماقلت والسلام (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب تغير لونه واضطرب كونه وعاد إلى مكانه سكران من غير من مدام وأمر الناس أن يمسكوا عن القتال ثم دخل على المعتصم وأخبره بما جرى من أمر هذه الملعونة وقال له يا أمير المؤمنين أنا أعلم أنها تفعل ذلك وأخاف على مائة ألف روح من المسلمين تذهب منا فى ساعة واحدة لأنى أعلم أنها ما

تفكر فى عاقبة أمر فلما سمع المعتصم ذلك تحير فى أمره وقال ما الرأى أيها الأمير فقد طال مقامنا هنا فقال عبد الوهاب ليس لنا يامولاى للقتال من سبيل على هذا الوجه وان كانت الأميرة تعرف شىء من هذا الأمر فتخبرنا به فأنا قد استدت فى وجهى طريق الوصول اليها فقالت الأميرة أبشر بما يسرك إذ رددت الأمر إلى فأنا أقسم بالله انى أسلم اليك البلد فى عشرة أيام وكل من فيه وتشتفى من هذه المرتدة فان قتلتها أعظم من فتح القسطنطونية (قال الراوى) ياسادة فلما سمع المعتصم ذلك الكلام من الأميرة فرح فرحا شديدا وقال لله درك أيتها الأميرة فلم ترى إلا مفرجة الكروب فعجلى بارك الله فيكى فان فى قلبى من هذه الشيطانه نار لاتطفى فقال الأمير ياليت هذا كان فى العشرة الأيام الماضيه فقالت الأميرة ماخطر ببالى الا فى هذه الساعة لما جرى ماجرى وكنت نسيت هذا الأمر على طول الأيام والشهور والأعوام الى ان تزاحم الفكر على قلبى وانفرج الى هذه الساعة وبه آخذ البلد ان شاء الله تعالى ونبلغ المنى ثم انفض المجلس وعاد الأمير إلى خيمته وأمر أصحابه أن يبطلوا المناجيق والفرادات وأرسل إلى ميمونة يقول لها قد أبطلنا القتال ونلزمك بطول الحصار إلى أن يقع لك الملال أو ينصرنا الله عليكى فى عاجل الحال ونظفر بمن معكى من الأندال فقالت افعلوا ما بدالكم ثم انها قالت للروم الذين معها كيف رأيتم فعلى معكم فقالوا لها وحق المسيح ماللنصرانية مثلكى ولا فى بلاد الروم شكلكى فهذا ما كان من الملعونة ميمونه (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها صبرت إلى الليل ثم أتت خيمة ولدها عبد الوهاب وكان الأمير تلك الساعة متفكر فى قول الأميرة وما تريد أن تفعل وقد ضمنت للمعتصم ما ضمنت من فتح البلد وخاف عليها أن تعجز فى القضية ولاتوفى بقولها فتكون عند الخليفة فى عين النقص فلما رأته الأميرة علمت مافى نفسه ثم قالت له ياولدى لعلك متفكر فيما وعدتك به فقال لها هو ذلك أيتها الاميرة فقالت له يا ولدى أما ترى الى هذه القريه التى فى مقابلة برج الباب فقال لها نعم فقالت له كنت يوما عند الامير عبيد الله رحمه الله تعالى وجاء ذكر البلاد وما فيها وما أخذت المقدمين وتحدثنا مع عبيد الله ساعة ثم جرى ذكر هذه القرية صلدا فقال انها أعمر البلاد وأتقنهم من زمان هرقل الاكبر وكان هرقل يخرج من ملطية إلى كنيسة صلدين من غير أن يعلم به أحد وكان لها ذكر عظيم فى بلاد الروم ويقصدوها الارواام بالنذور مسيرة سنة من الجزائر وكان الملك يخرج إلى تلك الكنيسة من سرداب مصنوع فى داره بالليل ان شاء أو بالنهار ثم يعود إلى داره وقت ما شاء فقلت للامير عبيد الله وأين داره قال هى دارى هذه ثم أخرج كتاب عتيق وقال هذا

الكتاب الذى وصل مع الملكة ملطيه بنت قسطنطين وبددت ملطية وعمارتها وقد رأيت الموضع من دارى وهو دائر مبلط وقال لى ياأميره يكون هذا الامر عندكى مكتوم فربما سمع بهذا ملك الروم فقال الاميرعبدالوهاب يا أماه إن كانهذا الامر صحيح كما ذكرتى أخذنا البلد ولا ينفلت منه أحد فقوى بنا اليه عند ذلك أخذت معها مائة من من السودان وصارت إلى صلدا ودخلت بيعتها ثم جاءت إلى موضع على هيئة الصومعة ثم أمرت السودان أن يحفروا إلى جانبها لحفروا فى الارض مقدار قامتين فانكشف لهم سرداب مغطى فقلعوا الغطاء فبان لهم درج معقود فسارت فيه إلى آخره فعلمت انها تحت دار الامير عمرو بن عبيد الله على التقدير فرجعت وهى فرحانة مستبشرة وقالت أصبنا فى هذه الليلة خيرا وسهل الله تعالى الامر وفى ليلة غد ان شاء الله تعالى نأخذ البلد ثم انها دخلت على أمير المؤمنين وأخبرته بذلك فسر سرورا عظيما ولما كانت الليلة الثانية أمر الأمير عبد الوهاب السودان وبنو كلاب أن يأخذوا السلاح ثم انتخبت الاميرة مائتان أمير أولهم عبدالعزيز العلوى وآخرهم عبدالوهاب وفيهم ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم والامير جوال وميتم الاشبال وهارون العلوى وراشد بن ضمره وأبو الهزاهر وسملق وقراقد وغيرهم من الامراء المشهورين وكل أمير منهم معه جماعة وسارت إلى صلدا ودخلوا إلى تلك الكنيسة ونزلوا فى السرداب وتموا سائرين الى تحت دار الأمير عمرو بن عبيد الله ثم صعدت الأميرة فى درج وهى تقول استعملوا السكوت ولايتكلم منكم أحد فلما صاروا فى آخر الدرج وجدوا بلاطه مركبة عريضة فعالجوها السودان إلى أن أقلعوها وصعدوا فوجدوا الدار خالية من سكانها وأبوابها مغلقة وكانت الملعونة ميمونة وقد نزلت فى دار الأمير عبد الوهاب تقيل فيها وإذا كان الليل تصعد مع الناس إلى الصور وقد انفردت بنفسها إلى برج الباب حذرا منها على نفسها ان يتم عليها أمر من ظاهر البلد ولم تعلم ما فى الغيب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم تزل الأميرة واقفة والرجال تصعد طائفة بعد طائفة إلى نصف الليل وقد صاروا فى ملطية عشرون ألف من بنى كلاب ورفعوا الأصوات فعلت بهم الروم وكثر من المسلمين التكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وقد تباهت الأطلال اعجابا بأصحابها وانزعجت المنازل بسماع أصوات أحبابها وكذلك الرجال لما رأت اماكنها هاجت كما تهيج الجمال وقاتلت قتال ما مثله قتال وقطعت من الروم الأوصال ووقع بهم الانخذال وساءت منهم الأحوال (قال الراوى) يا سادة فهذا ماكان منهم (وأما ماكان) من ميمونة فانها لما نظرت إلى ذلك قامت عليها القيامة وعادت على نفسها بالملامة ولم

تدرى من أين دخل عليها هذا الدخيل فنزلت هى وسودانها وقالت لهم ويلكم عجلوا وافتحوا الباب فقد فقدوا الأحباب حتى أقول لكم ما نعمل وأشير عليكم ما نفعل فقد جاءنا مالم يكن فى الحساب ثم دفعت المفاتيح إليهم ونظرت إلى البلد والسيف يعمل فى جوانبها وقد طلبوا الروم الهرب فلم يجدوا الهم إلى ذلك من سبيل ولم يكن لهم غير القتال مقيل وإذا استقتل الانسان قاتل واتقى الناس منهم أمر عظيم وتكاثرت الرجال وتصادمت الأبطال وعملت الخناجر فى المحاجر وقلعت العيون وشققت البطون هذا وميمونة قد انفردت بسودانها وفى ظن الروم أنها معهم فى القتال وقد اشتغل كل قوم بما يليهم وبليوا الروم بما لا طاقة لهم به وأما ميمونة فانها لما فتحت الباب قالت لأصحابها وسودانها اركبوا خيولكم مسرجه وغير مسرجه واطلبوا لأنفسكم النجاة فما نحن نظن أننا نفلح بعد هذا اليوم فبعضهم ركبوا خيولهم وبعضهم ركبوا خيول الروم على قدر ما اتفق لهم وطلبوا الباب وكانت الأميرة فى تلك الساعة قد عولت أنها تبقى على الباب فما تمكنت من ذلك لأنهم فى عالم عظيم فلما صارت ميمونة ظاهر البلد قالت وحق المسيح ما أخذ المسلمون البلد إلا من موضع يعرفوه ولا شك أن لهم منافذ من تحت الأرض وما تركوا القتال تلك الأيام إلا لأجل ذلك وانى أقول لكم أن حماة عسكرهم فى هذه الساعة فى البلد وما بقى مع خليفتهم أحد ممن يصلح لقتال ولا لمباشرة نزال وأنا اعلم أن أرمانوس ما هوا الآن إلا فى خيمة الخليفة أو فى خيمة الأمير عبد الوهاب وأنا لا بد لى من هذين الخيمتين فاعدلوا بنا اليهم فقالوا السودان رأيكى أعلا وشأنكى أسنى ونحن عبيدك مهما أمرتينا به امتثلناه (قال الراوى) ياسادة وكان المعتصم لما سمع صياح المشركين فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وأيقن ببلوغ ما يريد وزحف فى مائة غلام من غلمانه يسمع الاصوات فهو كذلك إذا وقعت ميمونه مع الاتفاق ومعها أربعة آلاف أسود فلما نظرت إلى المعتصم انكبت عليه وقتلت كل من كان حواليه وأخذته أسيروقالت لاصحابها سيروا بنا فما غلبت هذه الليلة بما جرى وبما وصل الينا من أخذ الخليفة ثم انها سلمت المعتصم إلى أسود يقال له هياج وضمت اليه ثلاثة آلاف وقالت له اطلب القسطنطونية فانى سائره من وراءك (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أرسلت إلى عسكر الخليفة واحد من سودانها وأمرته أن ينادى فى عسكر المسلمين ويلكم ادركوا الخليفة فقد أخذته ميمونة أسيروسارت به إلى مدينة القسطنطونية (قال الراوى) ياسادة فلما وصل رسول ميمونة ونادى بذلك النداء وركبت الخيل ولم يبق أحد إلا وسار وقالوا أين سلكوا به فقال إلى هذا الطريق وأتى إلى طريق وعره تمضى إلى بلاد الروم فلما نظرت ميمونة إلى

ذلك تركتهم إلى أن أبعدوا وهجمت على الخيمة فوجدت أرمانوس فى أسوأ حال وهو فى خيمة الامير عبد الوهاب فكسرت قيده وقالت له انظر إلى فعل السودان ان كنت تحسن تفعل مثله ثم سارت حتى لحقت بعبيدها وقد بلغت مرادها ومالم يكن فى حسابها وانهزمت الروم من ملطيه والسيف يعمل فيهم إلى الصباح والباب قد فتح وانهزموا فلما سكتت الاصوات وهدت الزعقات خرجت الناس من ملطيه وقد غنموا من الروم مالا يقع عليه أحصاء وأسروا اثنى عشر ملك وتسعة عشر ألف بطريق والبطريق الكبير والبترك الكبير (قال الراوى) ياسادة فلما نظرت الأميرة إلى عسكر الخليفة فوجدت الديار منهم بلاقع والخيام خالية فأول ما رأت عبد الصليب ابن عم الملك جرجناس (قال) فسألته عن الحال وقد اندهلت فقال لها أن المعتصم عند سماع الصياح طلب صوب البـاب من فرحته بالنوبة فلقته ميمونة مواجهة فأخذته أسير وقتلت كل من كان معه ووقع الصوت وثارت الناس إلى خلاص الخليفة فما هم إلا أن بعد واختلفا حتى هجمت فى الخيام سودانها فأخذت ما قدرت عليه من خيل وعدد وخلصت أرمانوس وقتلت من تخلف من العسكر (قال الراوى) ياسادة فلما سمعت الأميرة حارت وكاد قلبها أن ينفطر وعلم الناس كلهم بذلك وعظم على الأمير عبد الوهاب ذلك وقال للاميرة بالله عليكى ياأميرة الساعة نركب ويأخذ كل واحدمنا فرس والجنيب ولو تبعناهم إلى باب القسطنطونية ثم تجردت الأميرة فى فرسانها لان المنهزمين من الروم بين يديها كثير ولما أن وقفوا على مفرق الطريق التى سلكت فيها ميمونة لما يريده الله من سلامة الناس ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرض (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملعونة ميمونة فانها سارت طول ليلتها إلى الصباح فلما لاح عليها الفجر سألوها أصحابها فى أخذ الراحـــة فقالت لهم لا وحق المسيح ما أنزل فى يومى هذا لاننا مطلوبين ثم سارت إلى الليل وعدلت عن الطريق ونزلت وقد هلكوا أصحابها من التعب وشدة السير ثم أن ميمونة أحضرت أرمانوس وقالت له كيف أنت فقال بخير مادام المسيح يحفظكى ثم أقبلت على المعتصم وقالت له أسألك عن شىء فاصدقنى فيه فهو يكون سبب نجاتك وإذا لم تصدقنى فأنت تدرى ما تلقى من سيفى هذا فقال لها عن ماذا تسألينى فقالت له من أين دخلوا المسلمين إلى ملطية قال لها أنتى تعلمى أننى ما أنا من أهل ملطيه ولا ربيت فيها وهم أهل البلد ولاشك أنهم عرفوا ذلك ووصلوا إلى الدخول إلى البلد فقالت له صدقت كيف رأيت فعلى فقال فعل حازم وللموت أسباب ولكل أجل كتاب فقالت له دعنى من هذا فان المسيح خلص أرمانوس فمن يخلصك أنت فقال لها يخلصنى رب المسيح (قال

الراوى) يا ساده وبعد ذلك باتت الناس إلى آخر الليل ثم عولت على الرحيل فى وقت السحر وقد تلاحقت بها من المنهزمين خلق كثير وأصبح الناس تعارفوا ببعضهم بعضا وفرحوا بسلامة أنفسهم فلما صاروا وقت الظهر تكاملت الروم به وهم نحو التسعين ألف من المنهزمين وتقدم عليهم أرمانوس وهى تحجبه وتقول له ما تشغل قلبك بمن فى ملطية من الملوك وغيرهم وأنا أسرتهم ومن قتل فما لنا فيه حيله وساروا طول النهار إلى الليل ونزلوا لما تنصف الليل ورحلوا وسارت ميمونة إلى الصباح فألتقوا بها الذين سلكوا الطريق الاخرى باصحاب المعتصم وهم ترك وديلم وعرب وعجم وكانوا قد سلكوا فى الوعر وقاسوا شدة عظيمة إلا أن الطريق كانت أقرب اليهم مع أنهم جدوا فى مسيرهم فلقوا ميمونة إلى مرج البحار وكانوا فى عسكر قليل فلما نظرت ميمونة إلى قلتهم طمعت فيهم وحملت عليهم وقاتلتهم إلى وقت الظهر وقد عولت المنهزمين على الهزيمة وإذا برايات الأميرة ذات الهمة قد طلعت وسيوف أصحابها قد لمعت والدروع قد تشعشعت والأعلام قد أرتفعت فلما نظرت ميمونة إلى ذلك وعاينت عبد الوهاب وأمه فقالت لأصحابها وحق المسيح ما على قلبى أهون من عبد الوهاب وأمه وأولاده ولا أخاف إلا من عبد العزيز العلوى ولقد ندمت على تخليته كيف ما أخذب رأسه لما كان فى يدى أسير ثم أقبلت على أرمانوس فوجدته قد أصفر لونه واضطرب كونه فقالت أيها الملك ما وراءك وأى فزع اعتراك وما الذى دهاك فقال لها أننى تعلمى إيش الذى دهانى فى الأول وكنا فى عالم عظيم ونحن الآن فى قله وما لنا طاقة بهم فقالت ميمونة هون على قلبك فأنت فى بلد الروم وعندى رأى من قبل أن تخالطون المسلمين فقال وما هو فقالت خذ معك ثلاثة بطارقة وأنت الرابع وخذوا معكم خليفة المسلمين وان منعوكم من المسير إلى القسطنطونية فانزلوا فى دير مطرون الراهب وإذا سهل المسيح وسرت إلى البلد فجهز العساكر فقال سمعا وطاعة فتجهز من تلك الساعة وهو لايصدق بالنجاة حتى لا يحضر الوقعة وأخذ الثلاثة بطارقة والمعتصم وشدوه على بغل ثم خرج الملك أرمانوس من العسكر ومعه البطارقة وجد فى سيره وهو لايصدق بالنجاه حتى لا يحضر الوقعه فهذا ما ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ميمونة الملعونة فانها قالت لمن معها من الروم قد طاب الموت فدونكم وهؤلاء الأندال فانكم أكثر منهم عدد وأغذ رمدد وقد حصلتم فى أرضكم والملك أرمانوس ما يقعد عن نصرتكم وأنتم تعلمون أن أكثر الروم قد عادوا إلى بلادهم من الكثرة الأولى وماوصلوا هنا إلى ميارفاقين ولولا إنى أمسكت أكثر الروم لمضوا ولا سيما العرب المنتصره كلهم قد دخلوا إلى القسطنطونية (قال الراوى) يا سادة

فلما سمعوا الروم كلامها قالوا لها ما أخوفنا أيتها الملكة من انقطاع النجدة ونحن فى هذه الأرض فربما تغافل عنا أرمانوس فتمحى منا الرسوم ويكون عيشنا مذموم فلما سمعت منهم ذلك عظم عليها هذه الأمور وكبر لديها وقالت لهم أن المسلمين قد أدركوكم ومالكم إلى الهزيمة ناصر فان أنتم قاتلتم أنا بكم المسيح ورضى عنكم وأرتفع عند الملك قدركم وعلا فى سائر البلاد ذكركم وإن عزمتم على الهرب فما تظفروا من النجاة بطائل ويعايروكم الروم فى سائر المحافل (قال الراوى) يا سادة فلما سمعوا الروم ذاك الخطاب قالوا هانحن صابرين على ضرب الرقاب وقالت لهم الأمر أقرب من ذلك وسوف أكبس جيشهم وألقاهم وحدى دونكم وها أنا أبادرهم فى هذه الساعة فامالى واما على هذا وقد وصلت الرجال وما عند الأميرة خبر بما جرى بل رأت المأسورين على وجه الأرض مشدودين فظنت ان أمير المؤمنين معهم وفى جملتهم فقالت الأميرة الآن طاب قلبي وهدى روعى ثم أنها حملت وأجابها الأمير عبد الوهاب وضيغم وظالم وجوال وميتم الأشبال وعملت الصوارم فى الأبدان ونشرت الأصابع من أنف الانسان وتراشقوا بالسهام سهام الافات والاحزان وطارت عليهم النسور والعقبان يرموا كل الأحداق الشجعان وصارت القوله أبدان بلا رؤس ورؤس بلا أبدان وأشعلت الحرب نيران وضاقت أنفاس الروم من كثرة القتال والجولان وعظمت الأهوال واشتد القتال ولقيت الناس الأهوال ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل ثلاث ساعات من النهار والروم كلما جادى الى زيادة فرسان حتى صاروا فى مائتين ألف عنان وعمل الصارم إلى الليل وقد هلك من القوم عالم عظيم وخلق جسيم وطلبوا الهرب فخافت الأميره أن يأخذوا المعتصم معهم عند هروبهم فأخذت معها جماعة من بنى كلاب مقدار ألف فارس وخرقت الروم حتى صارت من الجانب الآخر والتفتت خلف ظهورهم وملكت باب الشعب عليهم وبقيت ميمونة فى وسط المسلمين والاميرة من وراء ظهرها والامير عبد الوهاب ومن معه بين يديها فلما رأت الروم الى ذلك انقطعت قلوبهم وعلموا أن ما لهم إلى النجاة سبيل فأيقنوا بالعطب وقد أمسى عليهم المساء وباتوا على ذلك الحال وقد طاب قلب الامير عبد الوهاب لكون ان الاميره من خلفهم ملكت باب الشعب وكان ذلك من الاميرة خوفا ان يهرب ارمانوس ويأخذ المعتصم معه فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك ارمانوس فانه سار طول نهاره أجمع وقد طرأ عليه الخوف والفزع وما وجد له قلب يحمل المعتصم معه فخرج لى دير مطرون فدخل اليه والراهب يظنه من بعض البطارقة الذين انهزموا فقال له

الراهب يهنيك أيها البطريق السلامة فقال له أرمانوس هل وصل اليك خبر الكسرة فقال مطرون نعم لان المنهزمين عبر على منهم حلق كثير على أنني قدحسبت هذا الحساب وعلمت أن الملك أرمانوس أبدا ما يفلح ولا يتقدم يوما على عسكر فينجح ولو كان عاقل لما خرج من باب القسطنطونية بل كان وزن المال وخلى عنه الهذيان حتى يستقيم له الحال لان المسلمين شياطين خلفكم وأنا هنا على باب البطريق وقد شاهدت المسيح أنني لا أخرج لا فى شده ولا فى راحه وأوصيت إذا أتامت يدفنونى فى الدير فان لى فى عبادة المسيح أربعين سنة ما جرى على قط أمر من الامور وانى أعرف أن أرمانوس قليل البركة وقد أنحس الروم وأذلهم بالكلية فياليته قتل فى هذه النوبة فقال له أرمانوس وقد اشتد غضبه ولا سيما من البطارقة الذين معه وأشار اليهم أن يعلموا الراهب بأن الذى يكلمه هو أرمانوس فقالوا له يا أبونا كيف استدللت على الملك ارمانوس انه لايفلح فقال للذى يخاطبه ماأنت الاحجار ياشيخ لان علامة صدقى انه خرج من القسطنطونية فى ألفين الف وما يرجع ان يسلم الافى ثلاثة بطارقة (قال الراوى) ياساده فلما سمع ارمانوس ذلك كادت مرارته ان تنفطر وهم ان يقتل الراهب ثم أقبل على أصحابه وقال لولا خوفى من المسيح لكنت الساعة قتلته لكن ما الذى تبين له منى حتى انه يسبنى الى هذا كله فقالت البطارقة ياراهب هذا الذى قلته فى خق الملك ارمانوس رأيته فى الملاحم فنعرف ذلك يقينا أو قلته من تلقاء نفسك فقال الراهب لاوحق المسيح مايحتاج الى أخبار ملحمه وانما استدلك عليه بهذه الكسرة الصحيحة وبعدها هذا فان قرائن أفعاله تدل على ماأقول فيه لانه ترك بنات الروم من الملوك والبطارقه وتزوج بسوداء وقد كانت مسلمة وهى لاخير فيها لأنها ما حفظت دينها فكيف تحفظ دين النصرانية ومع هذا فانها قتلت ولدها وحشاشة كبدها وذلك من سوء فعلها وهى فى لون القطران وسوداها ولونها يدل على خسران وخذلان فقالوا له البطارقة أعلم يا راهب أنه لولا ميمونة فى هذه النوبة ما كان نجا من الروم أحد فلا تعتب على الملك فما كان أخذه لها الا قعم الرأى فقال نعم لاجرى لأن المسيح لما رأى أعتمادكم عليها أذلكم بعد قوتكم حتى يزيدكم طغيانا بها ومحبة فيها وقد خابت فراستى فى ارمانوس وهو صبى صغير ولولا أنا ههنا لكان يلعب فى الدين مع غلمانه وكنت أراه قليل الهمة مهين النفس خسيس الطبع دون أولاد الملوك كلها فعلمت أنه لايفلح أبدا وأنه يكون طول عمره منحوس فلما سمع أرمانوس ذلك ضحك فى شدة الغيظ وقد تغيرت

نفسه عنده وقال وحق المسيح ما دخلت هذا الدير قط إلا إن كان فى هذه الساعة وأنا ما ربيت إلا داخل الجزيرة القصوى وأنه لكاذب على حتى يصحح خاطره بأنى ما أفلح وحق السيدة مريم لقد صغرت نفسى عندى وما جرى على فى عمرى مثل ما جرى على اليوم من هذا القرنان ولا بد ما أعرفه بروحى وأوقعه على هذا الفعل القبيح وإن نصرنى المسيح لا بد ما أصلبه على باب الدير وأتركه عبرة للرهبان حتى لا يعود أحدا منهم يتجارى بلسانه على ملوك الزمان ولا يتركون عبادتهم ويشتغلون بالهزيان ثم أنه كشف وجهه وقال يامطرون أنا الملك أرمانوس ووحق المسيح ما دخلت هذا الدير قط إلا فى هذه الساعة فما تستحى من كذبك فلما نظر مطرون إلى الملك أرمانوس عرفه فأيقن عند ذلك بالعطب وسوء المنقلب وقال نعم دخلت إلى هذا الدير من أربعمائة سنة وأنا صبى وأنت شيخ أبيض الذقن والرأس وجعل يخلط فى كلامه حتى ضحك أرمانوس والبطارقة من قوله وقالوا مسكين قد خرف وعدم عقله فلا تعتب عليه فقال أرمانوس قد بان عذره ثم قالوا له هل عندك فى الدير موضع نحط فيه هذا الأسير فقال نعم ومن هو هذا قالوا له خليفة المسلمين وانى سائر إلى القسطنطونية أجمع الناس وأرد المنهزمين لأنى قد تركت بقية عسكرى مع ميمونة وقد دهمتها المسلمين فقال الراهب عندى فى الدير ناووس يسع عشرين روح وهو تحت الأرض عند ذلك أخذوا المعتصم وأنزلوه فيه وقالوا له نوصيك بطعامه وشرابه فقالوا سمعا وطاعة ثم أن الملك وأصحابه نزلوا مع المعتصم ينظروا إلى الموضع الذى فيه لا يكون له مسلك أو منفذ يهرب منه وهل هو حصين أم لا وقد قال أرمانوس ان تم على ميمونة أمر من الأمور وأسرتها المسلمين كان المعتصم فداؤها ونزلوا كلهم مع المعتصم فلما صاروا بأسفل السرداب ليروه كما ذكرنا فتفكر مطرون الراهب فى نفسه وقال يوصينى أن أحتفظ بهذا الأسير وأنا أعلم أن أرمانوس قد علم خلطى معه فى الكلام وهو مما لا ينطلى عليه محال وحق المسيح ما هو إلا أن يصل إلى القسطنطونية حتى يرسل خلفى ويضرب رقبتى ويسلخ جلدى وما فى الأمراء إلا أننى أطبق عليه الطابق مع الذى معه فيبقوا فى هذه الناووس إلى يوم القيامة ولا سمعت الناس ولا رأت وأخلص أنا من الهم والغم والخوف والفزع لا سيما إذا خلصت ميمونة ووصلت إلى القسطنطونية فهى تصلبنى ولو كنت البترك ومالى بهذا كله من حاجة ثم أطبق عليهم الطابق أجمعين وقال قد رأيت من الرأى أن تكونوا ههنا كلكم عند صاحبكم تحفظوه وتطعموه وتسقوه فانى أنا شيخ كبير وما أقدر على مباشرته فقال الملك أحسنت ياشيخ النحس ويلك افتح لنا فاننا منهزمين ونحن على عجل من أمرنا حتى نجهز العساكر لنلتقى بها المسلمين فقال له الراهب قد

أراحك المسيح من هذا التعب كله وأذهب عنك الهم والغم فقال له الملك ويلك افتح لنا يا ملعون فوحق المسيح ان خرجت طلبتك وضربت منك الرأس فقال له الراهب مطرون لا كلام حتى تخرج يانحس الأنحاس فوحق المسيح لأخرجت منه إلى يوم القيامة (قال الراوى) ياساده فما مربى فى هذه السيرة العجيبة أعجب من هـــذه النوبة وإن القوم كلهم أيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك ولا بقى لهم من الضيق فكاك وأما المعتصم فانه أيس من نفسه وقال ياليتهم أوصلونى إلى المدينة ولا طرحونى فى هذا المكان ولاأورونى وجه هذا القرنان وكانوا لما نزلوا فى السرداب أطلقوا أيدى المعتصم وحلوكتافه ليكون فيه مطلقا لأن ذلك الناووس كان نقرا فى صخرة عظيمة مثل الجبل العظيم (قال الراوى) ولما نزلوا أيضا ماكان معهم عدة لأنهم لم يحسبوا هذا الحساب ولا علموا ما فى عنوان هذا الكتاب فلما أيسوا من أرواحهم أخذوا يتعللون بالمعتصم ويسبوا المسلمين حتى يتكلم فيشتفوا من ضربه يخرجون ما قد جرى عليهم من الراهب مطرون فى وقته وكان المعتصم قوى والقلب عبل الذراعين قوى الساعدين لو وضع يده على بعير لمنعه أن يقوم من مكانه وأنه جثى على ركبته وجعل يصف لهم فضـــل المسلمين وأن المسيح عبد الله ونبيه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وجعل يذكر شرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعوا ذلك منه غضبوا وتواثبوا اليه وقد أمرهم أرمانوس بذلك فأول واحد تقدم اليه لكمه فى وجهه كسر أنفه وعجل حتفه ودنا من الآخر ورفسه برجله كسر أضلاعه عندها وثب أرمانوس والبطريق الذى معه وهو كانه الفتيق فلما رأى المعتصم إلى ذلك قام وضرب البطريق على بطنه فارق الدنيا فلما رأى أرمانوس إلى ذلك علم أنه هالك لامحاله فجعل ينادى الأمان الأمان يامولانا السلطان فقال المعتصم الساعة ياكشحان يصح الأمان ثم حل زناره من وسطه وكتفه به حتى برزت أوداجه ثم تركه وقال له سوف ترى ما أصنع بك وإن كانت الأخرى فأنا أقتلك قبل أن أموت (قال الراوى) ياسادة فجعل أرمانوس يتوسل به ويقول ياملك المسلمين ليتنى كنت عندكم فكنت أرجو الخلاص وهذا القرنان مطرون فيها لاسلخن جلده ماأدرى مابينى وبينه وحق المسيح ان أنا خلصت من هذه النوبة التى وقعت فيها لاسلخن جلده وجلد كل راهب يكون منفردفى ديرفاهم إلا آفة الزمان على الروم وعلى المسلمين فقال المعتصم ياويلك لا كلام حتى تخلص من هنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملعونة ميمونة والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة فانهم باتوا تلك الليلة إلى أن أصبح الصباح وعلا الصياح وأن ميمونة صفت

أصحابها صفين ووقفت فى وسطهم وقالت لهم هذا هو يوم البزاز والنزال حتى يطول الأمر ويأتينا نجده فقالوا لها هذا هو الصواب عند ذلك خرج بطريق كانه الفتيق على جواد مثل الفيل عالى الصهيل مليح التحجيل كأنه فتنة لكل من نظر صافى الجوهر مليح المنظر وعلى الفارس درع مليح النظام قصير الاكام مانع من ضرب السهام وفوقه ثوب ديباج ملكى قسطنطونى لا تعمل فيها السيوف القاطعة وعلى رأسه بيضة عادية كأنهـا الفضة المجليه ومن فوقها قلنسوة حمرة لها شعر طويل فى لون الأرجوان ومعه صفيحة عريضة وترس مذهب ثم أن البطريق جال بين الصفين وصال بين الفريقين وطلب البراز وسأل الأنجاز فخرج إليه فارس من بنى كلاب فقتله وخرج اليه فارس من السودان له جند فعجب البطريق بنفسه فخرج اليه ميتم الاشبال الاقطع على جواد مثل الريح لايلحقه الغبـار فى الفضاء الفسيح وبيده رمح اسمر وهو متقـلد بسيف بولاد وعلى رأسه خوده من البولاد وتحته حصان وطىء الركاب كأنه سرحان وقفز إلى الميدان وموقف الضرب والطعان ثم أن ميتم الأشبال حمل البطريق وصال وجال وأنشد وقال هذه الأبيـات :

ألا أيها البطريق دونك فارس   يصول على الفرسان فى السهل والجبل
يروم أن يلقى شهيدا لربه   ليظفر منه بالكرامة والفضل
لقد قطعت منى الشمال ولم اكن   بذلك إلا راضيا شاكر الفضل
أنا ميتم الأشبال لاشك أننى   صدوق وانى ميتم الشاب والكهل

(قال الراوى) يا سادة ياكرام فلما نظرها البطريق وقد شد الترس على شماله علم أنه أقطع اليد فطمع فيه وحمل عليه ثم تضاربا ضربا تشيب له الذوائب عندها هجم عليه البطريق وألقى نفسه عليه فلما نظر ميتم الأشبال إلى ذلك قبض على أطواقه وكان له حيل شديدة تزيد على حيل الأسود وجعل يحرك بيده ثم يلوى إلى أن قرب من خناقه وضيق خلقه واستلبب أطواقه وقبض على خناقه فتمنى ذلك البطريق أنه يخلص منه فلم يقدر على ذلك وما زال يخنقه حتى غشى عليه وزفرت عينه ولم يخليه من يده إلى أن علم أنه قضى نحبه وخرجت روحه إلى النار وبئس القرار فخلا يده منه فخر ميتا إلى الأرض فلما نظرت الروم إلى ذلك صلبت على وجوهها ولم يعلموا كيف قتله ولم يزل ميتم الأشبال يقتل فارس بعد فارس حتى قتل عشره وكان الحادى عشر ميمونة وقد خرجت كانها مجنونه وهى تنشد وتقول هذه الأبيات

فكم فى الوغا قطعت كفا ومعصما   وأنت الذى قد كان كفك من قطعى

ألفت قراع الرمح والسيف لم أزل أصول به إذ كان ذلك من طبعى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما رآها ميتم الأشبال وعلم أنها هى التى قطعت يده حمل عليها يريد أن يأخذ بثار يده منها وإذا بفارس من المسلمين صاح وهو يقول أرجع ياميتم الأشبال ويكفاك مالقيت فنظر ميتم الأشبال إلى الفارس ليعلم من هو وإذا بها الأميرة ذات الهمة وهى تقول له أرجع أقسمت عليك لايخرج اليها غيرى فلما سمع ميتم الاشبال كلام الأميرة علم أنها ما قالت له ذلك إلا خوفا عليه من ميمونه لأنها تعلم أنها فى طبقة من الشجاعة أو فى من طبقته فرجع ميتم الأشبال ولم يقع له على فعل الأميرة على غرض لأنه كان وهب نفسه لله وطمع فى الشهادة وأراد النقله من دار الفناء إلى دار البقاء فلما نظرت ميمونة إلى الأميرة وقد خرجت وبرزت اليها وجالت بينها وبين خصمها فلم تكترث بها دون أن قالت مرحبا بالأميرة اليوم كنت أنتظرك فدونكى والجولان فى مقام الجلاد على الخيل الجياد فقد أتعبتى الأكباد وذابت منكى الأجساد فلما سمعت الأميرة منها هذا الكلا قالت لها لعنكى الله يابنت الحرام ثم حملت عليها وهى تنشد

أميمونة ويلكى اليوم فاعلمى بانى بعون الله فى الترب أرملكى
فلما تقادى اليوم خلنى أسيرة وأنا بحد السيف فى الحرب أقتلكى
رضيتى بدين الشرك تبغى معونة وانى بفضل الله ذا اليوم أهلككى
وسوف أحامى عن شريعة محمد نبى أتى بالحق من مالك الملك

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أنهما حملا على بعضهما بعض وقد أخذا ميمنة وميسرة حتى قيل أنهما قد عدما وأخذا فى الكر والفر والاخذ والرد وإذا وقع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن ثم أخذوا فى الدفع والشد إلى أن جازا عن الحد وقدحت حوافر الخيل النيران من الحجر الصلد ثم تعاركا بسيوفهما وكلما فتحت أحداهما للأخرى باباسدته عليها وما زالا كذلك إلا أن تقطعت الجحف هـذا والطوائف قد أقلقهم طول الانتظار وإذا هما قد تطابقها وتضايقا وتعاركا وتلاصقا حتى أحتك الركاب بالركاب وتقابضا بأطواق الثياب وبطل عنهما حكم الطعان والضراب وجعلت تجتهد الأميرة بميمونة لتأخذها أسيرة فلم تقدر على ذلك وجذبتها الأميرة فشدتها ميمونة بقوتها فلم تقدر ذات الهمة أن تقلعها فلما رأت ذلك أخرجت رجلها من الركاب ورفصت جواد ميمونة فى وجهه فوقع على الأرض ومسكت الأميرة بأذياقها وجذبتها اليهـا وقد خرج الجواد من تحتها فعلقتها فى

كفها كما يعلق العصفور فى مخلاب العقاب الكسور ثم نادت الأميرة الله أكبر الله أكبر لحمل الأمير عبد الوهاب وحملت المسلمين و نظر الروم إلى ذلك فحملوا على الأميرة يريدون خلاص ميمونة والتحم الطعام والضراب وطلع الغبار والضباب وتقطعت الأسباب ودام القتال والنزال إلى تنصف النهار وولت الروم الادبار وركنوا إلى الفرار وعمل فيهم البتار و نصر الله المؤمنين الأبرار ببركة النبى المختار وفتكت المسلمين فى الروم وقتلت منهم عالم عظيم ولم يكن للامير عبد الوهاب دأب إلا المأسورين واختلط بهم وجعلت الأميرة والأمير يطوفون على المعتصم فلم يجدوه فعظم ذلك عليهم وكبر لديهم ثم أحضر ميمونة وقال لها ويلك يا شيطانه اخبريني أين ارمانوس والمعتصم فقالت هم الآن فى القسطنطونيه فلما سمع الأمير منها ذلك كادت مرارته أن تنفطر وقال لها والله لقد عظم ذلك على حين أتانى فرح بأخذ هذه الملعونة فياما نقاسى من التعب والنصب على خلاص أمير المؤمنين بعد ما صار عندهم والثانى قد كنت عولت أن ظفرنى الله تعالى بهذه الملعونة قتلتها والآن أريد أستبقيها لخلاص أمـــير المؤمنين فقالت ميمونة أما قتلى فهو بعيد ولا تقدروا عليه لان أرواح كل من فى القسطنطونيه مرهونه على فقالت ذات الهمة يا ملعونه ان شعره من راس مسلم أحب الينا منكى ومن ساير ملوك النصرانيه ومن ملء الأرض ذهبا وفضه والآن دعونا من هـذا الكلام وارحلوا بنا نحو دير مطرون ننزل عليه ونرسل من هناك إلى ارمانوس ونصالحه على أن يرسل ما عنده من أسارى المسلمين وأبطال الموحدين ونطلق من عندنا من الروم وهم عشرين ألف بطريق واثنى عشر ملك فان هو أبى ذلك صرت خلف العساكر وما يصعب علينا النزول على القسطنطونيه وما نبرح من عليها حتى نأخذه برقبته فقال الأمير عبد هاب هذا هو الصواب وكذلك قال الأمير عبد العزيز العلوى هذا وقد فرح الناس بأخذ ميمونه وقالوا اننا نشتهى ان نشفى قلوبنا من هذه الملعونة ثم انهم سار وا يريدون دير الراهب مطرون من بكرة النهار والثانى فوصلوا اليه وقت العصر ونزلت الأميرة بعسكرها هناك وان السودان دخلوا الدير وزعقوا بالراهب هات العدس والزيت والا قتلناك ففزع الراهب من السودان وقال حبا وكرامه ثم قال فى نفسه الساعة أخرج إلى صاحب العسكر وهو الأمير عبد الوهاب وآخذ منه الذمام والأمان وإلا قتلونى السودان فهو كذلك وإذا قد دخل عليه مذبحون وقال له أيها الراهب وقد اصفر لونه واضطرب كونه فى أى وقت عبروا عليك القوم فقال يا مولاى من يومين عبروا على ثم أن مذبحون دار بعينه فى الدير وإذا نحو بأربعة رؤس من الخيل فى جانب الدير مربوطه فقال يا راهب من أين لك هـذه الخيل فقال

يا مولاى كانت مع الملك وأصحابه فتركوها عندى ورحلوا وقد أمرنى الملك بحفظها فخذوها أنتم أحق بها فسكت مذبحون وسار إلى أن دخل الليل وهجم على الدير وأتى إلى الراهب ووقع على صدره ووضع الخنجر على نحره وقال يا ملعون ما تركوا الخيل عندك إلا وقد تركوا عندك المأسورين فاعلمنى أين هما وإلا وحق دين الاسلام ذبحتك وألقيت رأسك وأخمدت أنفاسك وهدمت أساسك (قال الراوى) يا ساده فلما رأى الراهب البلاء قد أحاط به قال ترفق على يا مولاى قد بلغت مناك ونلت هواك على انك تعطينى الزمام وأنا أصدقك فى الكلام ولا تعجل على فأنا شيخ كبير وأنا الذى بما تريد خبير (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع مذبحون كلامه قام عن صدره وقد التزم دقنه ووضع الخنجر على نحره وقال العجل قبل أن يأتيك الأجل وترى الموت بساحتك قد نزل فقال يا مولاى ولى الأمان قال نعم ولك الأمان عندها مشى اللعين بين يديه وهو يتماوت عليه تارة يقوم وتارة يقعد عند ذلك اغتاظ مذبحون من فعله ورفعه وجلد به الأرض كاد أن يقضى عليه وقال يا ملعون لمثلى تخدع أو تمالق وابليس يتعلم منى الطرائق أو تعتقد أن يدخل على حيلة محتال وأنا ابن أبو محمد البطال رأس أرباب الحيل فدع عنك الدغل وسير معى على عجل وإلا وحق الامام البطل ذبحتك بخنجرى هذا فى وسط المفصل (قال الراوى) يا سادة عند ذلك قام الراهب وقد استدت فى وجهه أبواب الحيل وإذا به أتى به إلى ناووس متقون صنعة حكيم بمراقى ودرج وعليه طابق لا يكاد يعرف من بين الطوابق وقال لمذبحون يا مولاى دونك وشيل هذا الطابق والبلاطه بالقوة والنشاط فقد سقطت قوتى وطارت حيلتى فشالها مذبحون فبانت له المراقى والدرج فقال له الراهب ها أنت وصحبتك ومن تريد خلاصه نخاف مذبحون من ابرام حيله فجبى على ركبتيه ونظر فى السرداب قبل النزول لعل ان يسمع حس أو يرى أحد ومال بنفسه صوب السرداب فدنا إليه الراهب مطرون مثل المجنون ثم رفصه برجله وكان شديد الحيل وزوده بيديه فوقع هاويا إلى الدرج ولم يزل يتدحرج على الدرج حتى وقع على أرمانوس فكاد يدق عنقه وكان نائما فاستيقظ وقال له من أنت يا ويلك فقال أنا مذبحون بن البطال فمن أنت قال أنا أرمانوس ملك الروم وهذا المعتصم ملككم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم كلامه عرفه وقال له مذبحون قال لبيك يا أمير المؤمنين وتقدم إليه وقبل الأرض بين يديه وسلم عليه وقال يا مولاى أنا قد أتيت فى طلب خلاصك وما كان بقى غير حضورك وخروجك من هذا المكان ولكن إذا نزل القضاء عمى البصر وإذا أراد الله بأمر كان ثم حدثه بما جرى له مع الراهب مطرون فقال المعتصم إنا لله وإنا إليه راجعون ما أظن أن

يكون لنا خلاص من ههنا أبدا ولا سيما وهذا القرنان قد وقع فى قلبه ان أرمانوس يريد هلاكه وقد قبح وبان نفاقه ولنا اليوم ثلاثة أيام لم نطعم بطعام ولاشراب وروايح هذه الموتى عندنا من غاية العذاب فقال مذبحون يا مولاى لا تقنط من رحمة الله ولا تيأس من الفرج سيما والمسلمون نزول هنا على هذا الدير وقد أجاد من قال هذه الأبيات

إذ النائبات بلغن النهى * وكادت لهن تدوب المهج
وزاد البلاء وقل العزا * فعند التناهى يكون الفرج

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها لما نزلت على دير الراهب مطرون خلت بولدها عبد الوهاب وقالت يا ولدى ما يسوى ما قد غنمنا من الأموال وسائر الرجال عدم أمير المؤمنين المعتصم وما قد جرى عليه فى هذه الكره من الأسر والهوان ولا بد لى أن أكتب كتاب إلى القسطنطونية واحذر أرمانوس فيه واسأله أن يرسل الينا المعتصم ويطلق سبيله وسبيل من عنده من المأسورين ونطلق ميمونة ومن عندنا من الأسارى لأن رجل مؤمن أحب إلينا من عشرة آلاف كافر فقال لها الأمير افعلى ما تشتهى فالرأى رأيكى والأمر أمركى ثم كتب الأمير عبد الوهاب كتاب يقول فيه بعد البسملة (أما بعد) فان الواجب عليك أن تدع اللجاج وتسارع إلى انفاذ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وابن عم خاتم النبيين وكل من هو عندك من المأسورين وتحقن الدماء ويقع الصلح بيننا على أن تحمل الينا الرسوم التى كنت تحملها فى كل عام فان أنت أبيت واكثرت اللجاج دهمتك برجال أنجاد اجلاد بسواعد شداد وسيوف حداد ورماح مداد ورجال قد استطابوا الجلاد وابتغوا الجهاد ويرون الموت مغنما والحياة مغرما لا يفوتهم ما طلبوا ولا ينجو منهم من هربوا وأنت تعرفهم ولا تنكرهم وهم السودان الأنجاب وبنى كلاب فالعزيز من أعزوه والذليل من أذلوه وقد عرفت حربهم وطنعهم والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى ودفعت الأميرة الكتاب إلى بعض الأمراء وقالت له أريدك أن تسرع فى السير وتجد فى التشمير إلى أن تصل إلى القسطنطونية وتوصل هذا الكتاب إلى الملك أرمانوس ثم كتبت كتاب إلى مارس ودارس وقالت للرسول قل لهم يعرفوك بأخبار المعتصم ثم أنها تذكرت فى هذا الوقت البطال وقالت أنه مدخر لمثل هذه النوائب الثقال لأنه كان يعرف فى مثل هذه الأشياء ما لا يعرفه غيره من غير قتال ولانزال وكذلك غلامه لؤلؤ فقال الأمير عبد الوهاب أقسم بالله يا أماه ان لى فى مذبحون ما ليس فى أبيه وهو على غاية من السداد وهو يمضى فى هذه الرسالة ثم نكتب معه كتاب الى مارس

ودارس حتى يعاونوه على خلاص أمير المؤمنين فقالت الأميرة صدقت يا بنى فعلى بمذبحون فطلبوه فلم يجدوه فقالت الملكة افتونا أنا رأيت مذبحون وقد خرج من العسكر نصف الليل لأنى ما نمت البارحة إلى الصباح لأجل فكر قد تولد فى قلبى وقد رأيته قصد هذا الدير ودخل اليه وما عاد خرج منه عند ذلك قصدت الأميرة الى الدير ومعها عشرة من السودان والأمير عبد الوهاب فوجدت الراهب إلا أنه لما رآها عرفها فقام اليها وسلم عليها وهم أن يقبل يديها فمنعته من ذلك وقالت له أيها الراهب صاحبنا الذى دخل اليك البارحة أين هو فقال ما رأيت أحد لأنى كنت مشغول فى خدمة من لايحول ولا يزول فقالت الأميرة دع عنك هذا الكلام الذى لايسمع واعلم أن نبينا صلى الله علية وسلم نهى عن قتل الرهبان فلا تفعل معنا أمرا يسقط به عندنا قدرك لاننا مايحل لنا قتلك إلا بأمر يوجب ذلك والاوحق الرب العظيم رب زمزم والحطيم لئن لم تصدقنى يا راهب لا عزلن رأسك بسيفى فى هذه الساعة وأضربنك ضربة تعرفها الروم على اختلاف أجناسها وبعد قتلك أقلب الدير أسفله أعلاه بهؤلاء السودان الذين تراهم حولى فلما سمع مطرون هذا الكلام من الأميره تحير فى أمره وعلم أنه ان لم يصدقها فى المقال قتلته فى الحال فقال لها يا أميره اعطنى زمامك قبل كل شىء وأنا أحدثك بكل عجب وأبلغك كل أرب ويذهب عنكى الهم والغم والعناء والتعب فقالت الأميره لعبد الوهاب اعطيه خاتم أمانك فرمى اليه الأمير الخاتم فابتدأ يحدثهم بحديث أرمانوس والمعتصم وما جرى له معهم الى أن انتهى الحديث الى آخره فقالت الأميرة ويلك وكم لهذا الحديث فقال هذا ثالث يوم فقالت أرجوا من الله أن يكون المعتصم سالم فقم وافتح ياقرنان فتح الله عليك باب الخذلان (قال الراوى) عند ذلك تبادرت اليه السودان وجعلوا يلطموه إلى أن أعموه وقالوا له ياملعون ان مات الخليفة فابشر بالذل والهوان فقال مطرون فى التعبير أن يكون قد مات حتى أقع أنا فى النكال وتقطيع القفا والقذال وفتح لهم الطابق ونزلت الأميره وبعض السودان قد توكل بمطرون فلما نزلت وجدت الثلاثه فى الناووس فلما نطروا الى المعتصم وهو سالم وكذلك مذبحون وأرمانوس فرحوا بدلك فرحا عظيما وقالت له أبشر يا أمير المؤمنين بالفرج فبكا من الفرح وقد نسى ماكان فيه من الجوع والعطش والهم والترح عندما عاين المسلمين وقد خرجوا الى ظاهر المطمورة وقد تعلق مذبحون بدقن مطرون ولكمه لكمة مجنون وخنق مغبون فصاح الأمان من هذا الشيطان يا أمير الحقنى والا فأنت تطلبنى فلم تجدنى فصاحت به الأميرة وقالت لمذبحون أمسك عنك فاننا قد آمناه فتركه (قال الراوى) فوقع فى الدير الصياح ووصل الخبر إلى العسكر بأن الأميرة وجدت المعتصم فى الدير فخلصته

وأخذت أيضا ملك الروم أرمانوس فلم يدخل على قلوب الناس فرحة أعظم منها وهجمت الناس الى الدير وجعلوا يقبــلوا يدى المعتصم ورجليه ويسلموا عليه ويبوس الأرض شكرا لله تعالى على سلامته وهم يدعون له ويشكرهم على ذلك (قال الراوى) فهذا ماجرى للخليفة وأما ماكان من أرمانوس فانه أقبل على المعتصم وكان قد أخذ يده فى الناووس لما نزل اليه مذبحون وأخبره على ماجرى بينهما فقال ياخليفة المسلمين اضمن لى عن نفسك واندر انك ان سلمت فى هذه النوبة وفرج الله عنك لاتسمع فى كلام الأعداء وتصالحنى على المال فانى أحمل اليك مهماشئت وأطلق كل من فى القسطنطونية من الأسارى وتطلق أنت من عندك وتصالح على ماشئت من السنين فلما فرج الله عنهم وطلعوا من ذلك السرداب قال أرمانوس ياخليفة المسلمين أريد وعدك فان مثلك إذا أوعد وفا فقال المعتصم سوف أفعل أيها الملك ان شاء الله تعالى وأقبل على الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وعاد عليهما ماجرى وقال ما بقى غير الصلح والرجوع الى الأوطان فوالله ما ظننت أنى أخلص من هذا الموضع أبدا والآن فقد لطف الله بى وأتانا بالفرج من حيث لم نحتسب فقال الأمير عبد الوهاب ياأمير المؤمنين نحن نجيبك الى ذلك ولا نخالف ما أمرت به وأيضا نطلق أرمانوس بشرط أنه يحمل المال ويطلب كل من كان عنده فى القسطنطونية من بنى سليم ونساءهم وأتباعهم وما أخذ لهم من أموالهم ويحمل المال كاجرت العادة من الملوك المتقدمين فقال أرمانوس أنا أفعل ذلك على شرط أنكم تطلقون ميمونة فقال عبد الوهاب أما ميمونة فمالى إلى إطلاقها خلاص ولا سبيل ولابد من قتلها فقال أرمانوس وحق المسيح لو قتلتمونى وقتلتم كل من عندكم ما سلمت اليكم من المسلمين شعرة مادامت الملكة ميمونة عندكم فافعلوا ماشئتم فقالت الاميرة يابنى هذه الملعونة لها وقت ورزق ولابد أن تستوفيه والله تعالى يبلغك منها وقت آخر وان الثانى فى القسطنطونية مائة ألف مسلم ومسلمة فى قبضة الروم فقال الامير عبد الوهاب مالى إلى ذلك من سبيل فلابد أن أحضرها فى هذه الساعة وأقطعها بالسيف قطعة قطعة بين يدى كلب الروم وانما الذى يحمله على الكلام كونها سالمة فاذا شربت كاس حمامها انقطع إياسه منها ولا تطول يده إلى مايطلب ويرجع يطلب الخلاص لنفسه وان هو نقض المصالحة قطعت رأسه وأخمدت أنفاسه وأخربت بلده وربحت المسلمين ماله وولده وأوثقت عسكره طعنا وضربا ونهبت أمواله وسبيت عياله (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع أرمانوس ذلك قال له أيها الأمير نحن ما نعتقد من دينك أن تفعل شيئا من ذلك فان أردت أن تفعله ذلك فابدأ بى فى الاول وهذا الراهب هو الذى كان سبب هذا البلاء فقال المعتصم نعم لعنه الله من بين الرهبان

فدونكم وإياه قطعوه وبسيوفكم بضعوه فقال مذبحون دونكم هذا القرنان اسقوه شراب الحتوف وخذوا جسده بأطراف السيوف فلقد أراد أن يهلكنا ولقد رأيت منه مالم أره من غيره لانه ماراعى الى أهل دينه ولا راقب الله تعالى فى المسلمين فقال المعتصم للسودان دونكم وهذا الملعون يا أهل الايمان (قال الراوى) وكان هذا الملعون مكار محتال غدار خبيثا ما يعتقد فى دين النصرانية ولا فى دين اليهود ولا فى دين المجوس ولا فى دين الحنيفية وكان لعنه الله يقول أن الأرض لا تفنى ولا حشر ولا نشور (قال الراوى) وكان هذا الملعون له فى الصومعة أربعين سنة وقد قتل خلق كثير من اليهود ومن النصارى ومن المسلمين وجميع المال الذى عنده من هذه الفعال وكان له مال لا يحصى له عدد وكان قرأ الكتب القديمة وأطلع على أشياء وأمور عجيبة فلما وقع فى هذه النوبة ونظر إلى القوم وإلى عبد الوهاب وقد أباح للسودان دمه وأمرهم بقتله فقال لهم امهلوا على حتى أقول لكم شيأ واحد وان أردتم قتلى بعد ذلك فافعلوا وأن لكم عندى بشارة عظيمة من جهتين الأول انى أسلم اليكم من المال ثقل ما تأخذوه من أرمانوس عشر مرات وأسلم إليكم رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو تحت الدير وحق من رفع السماء هو أعز اليكم من كل من على وجه الأرض وله عندى ثمانية عشر سنة ما فيها يوم ولا ساعة ألا وأضربه حتى أقول أنه قد هلك وهو يقول لى رب قادر يفرج عنى ما أنا فيه وأنا أقول له سوف تموت ها هنا كمدا ولم يعلم بموتك أحدا وأنتم لخلاصه سببا وقد صار عبرة لمن يراه وقد بلى جسده تحت الأرض من طول مكثه فيها ولم يطلع عليه شمسا ولا قمرا ومع ذلك ما رأيته قط ساخنا والآن قد اتضح الحق وزهق الباطل وأن ملتكم خير الملل ودينكم خير الأديان وحقيق أن يكون هذا الرجل أحظى الخلق عند ربه (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب هذا من كلام الراهب اشتاق إلى مقاله وإلى نظر هذا الرجل المذكور (قال) وكان الأمير عبد الوهاب رحيم القلب غزير الدمعة دين ورع زاهد عابد له ورد فى الليل فقال ما أظن أن الله عز وجل أوقع أمام المسلمين وخليفة رب العالمين إلا سببا لخلاص هذا العبد الصالح وإزالة العذاب عنه وخلاصه من هذا الفاسق ثم انهم أقبلوا على الراهب وقالوا له وهبناك نفسك اكراما لهذا الرجل الذى ذكرت ومننا عليك بالمال الذى وصفت فاسرع به على عجل فانا على عجل من أمرنا فقال الراهب أنا ما أريد الحياة بعد هذا على رستاق الضلالة ولقد غاب رشدى فى هذه الساعة من قول هذا الرجل الذى عندى فى الأسر لأنى كنت كل يوم أعذبه العذاب الشديد وهو يقول لى رب قادر على خلاصى مما أنا فيه وأنا أقول له ربك

ومن الذى يخرج خبرك حتى تعمل على خلاصك والآن فقد أعلمتكم به أنا بروحى كما أراد الله عز وجل والسبب فى ذلك وقوع الخليفة وقدومكم إلى هذا الدير هو سبب لخلاصه وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عندى التوراة والانجيل والقرآن وسوف أخبركم عن هذه الكتب الثلاثة وعن معجزات القرآن فقالت الأميرة هذه عجائب وغرائب تكون لنا ذكرا إلى يوم القيامة أسرع يامطرون إلى خلاص هذا الرجل قبل كل حساب فهو الأهم وأعلمنا ثم أنه قصد إلى جانب بيت فى الدير والسودان قد توكلوا به ثم أنه فتح بابا ودخله إلى أن وصل فيه إلى موضع مبلط وفيه بلاطة حمرة عليها قفلين بسلاسل ففتح الأقفال ورفع البلاطة ونزل إلى ذلك السرداب وله عشرين درجة والسودان معه وإذا هم بموضع فيه ضوء وفيه رجل عليه مرقعة شعر وقد نحل جلده وكان الموضع الذى هو فيه حار فى الصيف بارد فى الشتاء فملأ بدنه شعره وعلاه الصفار وأذابه الغبار حتى بقى مثل البهار وشبهه مثل الخيال وهو ساجد يقول فى سجوده سبحان من أنعم على بالإيمان وشرفنى بدين الاسلام وسخر لى عدوى مطرون الراهب يحمل إلى ما آكل وأشرب سبحان من لطف بى صغيرا وأنعم على كبيرا وجعلنى تحت الأرض مطمورا وقدر على تقديرا وكان ذلك فى الكتاب مسطورا (قال الراوى) فناداه سملق ارفع رأسك أيها العبد الصالح والميزان الراجح فان الله تعالى قد فرج عنك فرفع رأسه وقال يا أخى ماذا تقول لا مرد لحكم الله ولا خروج من قضائه فمن أنت يرحمك الله فقال أنا سملق غلام الأمير عبد الوهاب الكلابى أمير ملطية وحامى الثغور العراقية والشامية فقال أنا ما أعرفه وقد أشغلنى عنه ما أنا أسير محبته عند ذلك حملوه وأخرجوه إلى وسط الدير فنظروا الناس إلى شيخ ضعيف الجسد ناحل البدن والنور يسطع من جبهته (قال الراوى) ولقد سألت عن هذا الرجل من عبد الله بن صالح الزاهد فأخبرنى أنه أخذ من قرية من قرى الشام يقال لها نجران وكان نشا أحسن منشأ وحفظ القرآن وهو ابن ثمانية سنين وأم بالناس فى المحراب وهو ابن عشرين ومات والديه وهو ابن اثنى وعشرون وهتف به هاتف يقول له أيها العبد الصالح أن لله عبادا يوحدونه وفى انفرادهم يناجونه قد انفردوا وآنسوا بالوحده وكرهوا الصحبة ثم تعلقوا بمن فى السماء وكرهوا من فى الأرض (قال الراوى) ياساده ثم أنه طلب الحجاز وكان اسمه مطيع بن عابد النجرانى فهام على وجهه فى الأرض إلى أن وصل إلى بيت الله الحرام وأقام مجاورة مدة سنين وبعد ذلك ساح وطاف البر والبحر والجبل إلى أن أرمته المقادير إلى بلاد الروم فهو يدور فى جبالها

ويعبد الله فى سائر الأماكن ويطوف على الرهبان ويسمع منهم الحكمة وقد أعطاه الله الحكمة وكان يصبر على الطعام مدة أيام والشراب مدة أيام ويكفيه القليل من الزاد وقد أسلم على يديه جماعة من الرهبان وسار إلى الصوامع والبلاد إلى أن وصل بالقضاء والقدر إلى دير الراهب مطرون وتحدث معه فقال مطرون أناما أرجع إلى دين من الأديان ولا أصدق بالبعث ولا بالنشور فغضب منه مطيع ابن عابد فقال له الراهب عندى فى هذا الدير شابا يصدق صحة قولى ثم أخذه حتى يناظره فى الكلام (قال الراوى) يا ساده وكانت هذه حيلة وخديعة من الراهب مطرون حتى يوقع بهذا العابد فسار معه عابد وهو مطمئن القلب لما عاين من الرهبان الذى طاف عليهم ولم يؤذوه فى كل مكان ولم يزل سائر معه حتى أوقعه فى تلك المطمورة المتقدم ذكرها وأطبق عليه وجعل يفتقده فى كل ثلاثة أيام بقرص شعير وقليل من الماء ويقول له أخليك هنا إلى أن ترجع نفسك من العباده وهذه الضلاله وتقول بقولى وتعتقد باعتقادى وهو أعتقاد الفلاسفه وهو يقول مالى إلى هذا من سبيل والذى أبلانى قادر على خلاصى لأنى مشغول بعبادة ربى ومالى أعتراض أن جعلنى فى المطامير أو على رؤس الجبال لأننى عبد وما للعبد أن يتعرض إلى مولاه ولا يشكو من بلاه وكان هذا الراهب يعاقبه على طول الزمان وكان لايزداد إلا شكرا على طول البلاء وصبر على القضاء فلما أراد الله عز وجل خلاصه جعل لكل شىء سبب حتى جرت هذه النوبه العظيمة وأخرجة الله مما كان فيه من الضيق والسجن والعذاب وكان ذلك على يد الأمير عبد الوهاب وكان إسلام مطرون نفاق وفزعا من الموت لأنه كان لايدين بدين إلا أنه خاف من ملك الروم وعلم أنه مابقى له بعد سب الملك فى بلاد الروم مقام وقال فى نفسه أن قعدت فى أرضه وبلاده فهو يقتلنى فأسلم خوفا من القتل وهو ماكان يختار مقامه فى هذا الدير الارغبة فى أخذ الأموال وقتل من أستفرد به من النساء والرجال (قال الراوى) ثم بعد ذلك قال الأمير عبد الوهاب وأين المال يامطرون فقال عندى أيها الأمير ثم فتح ثلاث خزائن ملآنة ذهب وفضة ولؤلؤ وجوهر وقطع زمرد وغير ذلك وأخذ التوراة والانجيل والقرآن ثم قال انى كنت أقرأ كل يوم فى واحد ثم رأيت وأفكرت فى أيهم أفضل فرأيت فى النوم هاتفا يقول لى ان أفضلهم الفرقان فخذ بما فيه لأن الإنجيل غيرته النصارى ونقصوا منه والتوراة أيضا بدلوها اليهود وأن القرآن هو الكتاب العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم أستيقظت بعد ذلك من نومى (قال الراوى) يا سادة وكان الملعون قد رأى هذا المنام على صحة وبانت له الحقائق غير أن الشيطان والشقاوة حالت

بينه و بين القبول والسعادة وقال فى نفسه هذا من بخارات الطعام فلذلك هو رفيق عقبه فى بلاد الروم والاسلام وله معه حديث عجيب وأمر مطرب غريب سنذكره إذا وصلنا اليه على النص والترتيب وذلك بعد ألف صلاة وألف سلام على النبى الحبيب (قال) يا سادة لأن هذا الراهب يصلب مع عقبة فى يوم واحد على باب الذهب (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الأميرة ذات الهمة قالت لسودانها هاتوا ميمونة فذهبوا ليأتوا بها فلم يجدوها ولا وجدوا لها خبر ولاوقعوا لها على أثر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنها لما أسرت أيقنت بالهلاك والعدم وعلمت أن عبد الوهاب لايبقيها فلما صاح الصائح بأن الخليفة وأرمانوس قد وجدوا فى دير مطرون زادا ياسها وأيقنت بالهلاك وجعلوا بنى كلاب يدخلون إلى الدير أفواجا أفواجا إلى المعتصم ويهنوه بالسلامة وكان عند ميمونة عشرين من عرب الحجاز الموكلين بها وهم قوما صعاليك لأنهم كانوا شاهدوا الوقائع فما وقع فى أيديهم شىء لأن الغنائم قد حبسوها حتى يقسموها بعد ظهور الخليفة ويخرجوا منها الخمس إلى بيت مال المسلمين ثم تقسم على الرجال وهؤلاء قوم صعاليك فقال بعضهم لبعض قد هلكنا من الفقر وهلكت خيولنا وطالت عيشنا وما كسبنا شىء والذى غنمناه قد أخذ منا فسمعت ميمونة ما يقولون فقالت لهم وكم يقنعكم حتى تعودوا إلى بلادكم فقالوا لها نحن عشرة يكفى كل واحد منا مائة دينار فقالت لهم فما قولكم فيمن يعطيكم كل واحد ألف دينار سوى ما يصل إلى كل واحد من الخلع فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا معلوم أنها ملكة فقالوا لها ومن يفعل معنا ذلك فقالت أنا وذمة العرب أن أوصلتمونى إلى القسطنطونية وخلصتمونى من الشداد أعطيتكم ما ضمنت لكم من المال والخلع فنظر بعضهم لبعض وقد وثقوا بقولها وكانوا وصدقوها لما حلفت للأمير عبد الوهاب أنه إذا وقع عندى أحدا من المسلمين أطلقه وفعلت ما قالت عليه وكان صدقها سبب نجاتها فأجابوها إلى ذلك ثم أنهم حلفوها فحلفت لهم ففكوا قيدها وقطعوا كتافها وأركبوها جوار الأمير عبد الوهاب وعدة كاملة وركبوا معها وساروا فكان كل من يراها لا يشك فيها إلا أنها من بعض السودان وساروا إلى الطريق الجادة وسارت فى طرقات تعرفها فهذا كان السبب لعدمها ولما وصل الخبر إلى الأمير بعدمها ركبت الخيل فى طلبها من كل جانب بطول ذلك النهار وعادوا فما لحقوها إلا الأمير عازب بن وهب فانه كان معه مائة فارس من بنى كلاب فلحقوها وأرادوا عن طريقها يعيقوها فعادت اليهم كانها الأسد الأدرع وغاصت فى وغاصت فى جمعهم ولعبت بأرواح الرجال فمزقت شملهم وقتلت منهم ستة رجال وكان

السابع عازب بن وهب وقد رجعف الباقين واعلموا الأمير بقتل عازب فبكى عليه لأنه كان شابا تقيا دينا مجاهدا فى سبيل الله وعلم أن خلاصها عرب الحجاز وأصبح الأمير مريض من الغيظ على عازب وفقد ميمونة الذى ما قتلها وبعد ذلك احضر أرمانوس وقال له هربت ميمونة فى هذه الليلة وقد بقيت انت فابصرما عندك من اطلاق المأسورين حتى أطلق ما عندى من الروم والا ضربت رقبتك ورقبة كل من عندى فقال أيها الأمير أما المال على أحمله وأطلق المأسورين وتكون الهدنة وللصلح ثلاث سنين فأجابه إلى ذلك واستحلفه وأطلقه وكان ذلك بحضرة المعتصم وسار من عندهم ملك الروم ودخل إلى القسطنطونية ورحل الأمير إلى ملطية فلما وصل أطلق من عنده من أسارى الروم وبقى عنده الراهب مطرون وهو عند المسلمين وأظهر الاسلام وهو فرحان وكان هذا مكر وخداع وكان طبيب وهو فى الطب أوحد زمانه وفى علم الطبائع لايرام فقال المعتصم هذا يكون عندنا فى بغداد ويشرف على الأطباء وأما العابد فانه لما دخل ملطية أقبلت الأميرة إلى زيارته وولدها فقال لها اعلموا انى وقت الظهر أفارق الدنيا فمن أراد الصلاة على فلا يغيب فقالت الأميرة وكيف علمت ذلك فقال لها من زهد فى الدنيا عرف قدومه إلى الملوك فلم يبرح الأمير وأمة إلى الظهر فصلى الظهر وجلس وإذا بوجهه أصفر فمال إلى ناحية القبلة وأشار إليهم مودعا ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم أنه فهق فهقة واحدة فارق الدنيا رحمة الله عليه وكان له يوما عظيما وصلوا عليه جماعة من المسلمين وأم بهم أمير المؤمنين ودفن بظاهر ملطية وقبره يزار ويعرف بقبر المأسور وأقاموا إلى أن رجع أرمانوس إلى القسطنطونية واجتمع بميمونة وهناها بالسلامة وجهز الأمير عمرو بن عبيد الله بعد طول مقامه فى القيد والاسر ومعه سائر بنى سليم ونساءهم وأولادهم ووزن المال بصحبتهم وارسل معهم رجال أوصلوهم إلى ملطية فلما رأى الأمير إلى ذلك أطلق البترك ومن كان عنده وسيرهم إلى بلادهم وأحضر الخليفة الأمير والأمراء وأحضر الغنائم والأموال وقسمها على المجاهدين والرجال بعد ما أخرج الخمس إلى بيت مال المسلمين واخرج الأمير عبد الوهاب قسم بنى سليم وأعطاهم مثل ما اعطى الحاضرين لانه علم ان أموالهم أخذت ورحالهم نهبت فشكروه على ذلك ثم ان المعتصم استحلفهم على الوفا فقال الأمير عبد الوهاب للامير عمرو بن عبيد الله انت أميرنا وقائد جيوشنا وامير سائر العرب فطب نفسا وقر عينا (فهذا جرى هرنا) وأما مذبحون بن البطال فانه تعلق بالأمير عبد الوهاب وقال انت تعلم ان ابى البطال له مده وهو مفقود وما سمعت عنه خبر ولا جلية اثر وما اعرفه فى هذه النوبه إلا من القاضى

عقبة وان توانيت عنه هلك وتطول عليه الأيام والصواب ان تقول لامير المؤمنين يسأل عنه ولا يغفل ولا يعطى اهمال وانا اقسم بالله العظيم ان تحققت هلاكه لا ذبحن ألف رجل أولهم عقبة وكل من تعصب له من بنى سليم ودع يجرى ما يجرى واهلك المعتصم واقلب الدول وأنا مذبحون وقد اعذر من انذر وانصف من حذر وبعد ذلك فانى ما أصالحكم ان تغافلتم عن أبى بعد طول الصحبه وما رعيتم له حق الخدمة والأخوه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الأمير ذلك قال يا مذبحون أما فقد أموالى وأولادى أهون على من فقد أبيك وكيف ينبغى أن أسكت عنه وهو عينى الذى انظر بها ويدى الذى ابطش بها ولا أنا بالقاعد عنه ولا أكل أمره لاحد وسوف ترى ما يكون وها أنا سائر مع المعتصم إلى الموصل وابحث على الأمور وسوف أخذ عقبة ولو كان فى حجر زبيدة فقال مذبحون وأنا أكون معك وقد تقرر لهم وبينهم الأمر على ذلك (قال) يا سادة وأما عبد العزيز فانه وقع له من الغنائم أوفى قسم وزاده الخليفة زيادة على قسمه عشرة آلاف دينار وفعل الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة كذلك ولم يبق أحد من بنى كلاب إلا وأوهبه وأعطاه وأصبحت الناس كلها أغنياء وسير المعتصم رجال إلى عبد العزيز العلوى من أشرف الناس حتى صار يركب فى عشرين ألف ففرح بذلك وطاب قلبه وانشرح صدره وكتب اسمه فى ديوان المجاهدين ثم انه قال للامير عبد الوهاب أيها الأمير انت تعلم ان الأوطان للقلوب محبوبه ومن الأنفس مطلوبه إلا أن المقام بينكم عز وشرف وفخر فى الدنيا والآخرة ورغبتى فى تلك لكن لا بد لى من المسير إلى أرض الحجاز والقدوم على الوالدة والأولاد والإخوان العزاز لأنه قد طال شوقى إليهم والوالدة سهرانة الليل وتبكى النهار وليس لها عنى صبر ولا إقدام ولا لهم ناصر ولا معين بعد الله سوايا فلا بد ما أسير إليهم وأجمع شملى بهم وأفيض عليهم من رزق الله وأحملهم من هناك إلى ملطيه ونقيم فى جوارك بالكلية فقال الأمير أقسم بالله يا عبد العزيز إننى ليس لى صبر على فراقك ولا تمضى وحدك إلى الحجاز لكن نمضى كلنا إلى بغداد مع المعتصم وأخليه يكتب الكتب إلى مكة وأن يجهزوا الحريم فى الهوادج ويوصلوهم إلى بغداد ونخرج كلنا إلى لقاهم فاذا حصلوا فى بغداد ويكونوا صحبتنا ونعود كلنا إلى ملطيه ونسأل الله تعالى أن يجمع شملنا بالبطال وإلا فما يصفو لنا عيش بعده أبدا ولا أزال منكدا لأنى كنت أؤمل من الله تعالى أن يجمع شملنا بالبطال وأن لا يفرق بيننا حتى نشتفى من عدونا عقبة وقد كملت المدمرة فقال له عبد العزيز يا مولاى السمع والطاعة فانى لا أخالف لك قولا ولا فعلا ولا أعصى لك أمرا هذا

وقد قوى عزم الخليفة على المسير بعد ثلاثة أيام وعلمت أفتونا بذلك وأن عبد العزيز مفارقها فلم تجد صبرا ولا كان لها قدرة على فراقة فكثر غرامها وظهر سقامها وهامت وبقيت ليالى ما نامت وكانت مقيمة عند الأميرة ذات الهمة وقد عولت على أنها تزوجها لسيف الحنيفية (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما كان فى بعض الأيام فى ليلة من الليالى سمعت الأميرة بكاها فى هدوء الليل فأنكرت ذلك منها فدعتها إليها وقالت لها يا أفتونا اعلميني بأمرك وأطلعيني على حالك فقد انكرت أمرك فهذا البكاء حزنا منك على بحرون أم شوقا إلى أهلك ووطنك فقالت لها أيتها الأميرة أما بحرون فقد مضى إلى رحمة الله تعالى وأما وطنى فقد سلوت عن ذلك وطابت لى هذه البلاد ولكن أنا أشكو إليكى حالى ولوعة بلبالى وذلك إنى هالكة بمحبة عبد العزيز لأنه قد عول على الرحيل وليس لى على فراقه سبيل وقد طرحت روحى عليكى وأسألك أن تزوجيني به لأنى خالية من الرجال وهو أيضا خالى من النساء فتكلمى الليلة مع الأمير عبد الوهاب فى ذلك قبل رحيلة فضحكت الأميرة وقالت حبا وكرامة على أن أخاطبه فى ذلك وأنا أعلم أنه ما ينتفع به غيرك امرأة وما أقول أنه يخالفنى على أنك ما تصلحين إلا له ولا يصلح إلا لك فقالت أفتونا أيها الأميرة والسيدة الخطيرة إن أنتى فعلتى ذلك ربحتى الأجر والثواب فضحكت الأميرة وقالت هذه ما تعرف غير الكلام لا سيما والهوى يحملها على البلاء وإذا لم أعمل فى حقها وإلا جرى من أجلها تعب ونصب وإنى فى غداة غد آمر ولدى عبد الوهاب أن يتكلم مع الأمير عبد العزيز ولما كان من الغد أقبل الأمير عبد الوهاب فقالت له الأميرة أيها الأمير ما جئت إلا فى وقت الحاجة إليك لأن لى معك حديث فقال لها وما ذلك يا أماه فلا عدمت حديثك فقالت يا بنى اعلم أن ولدك بحرون قد قضى نحبه ولحق بربه والحمد لله الذى مات مسلما شهيدا ولم يمت كافرا ملحدا وهذه الجارية أفتونا فى موضع كبير من الحسن والجمال وقد انقضت عدتها وانتهت مدتها ولا يكن مثلها خالى هن الأزواج فقال لها والله يا أماه لقد صدقتى وما دخلت عليكى فى هذا الوقت إلا بسبب ذلك وأنه قد خطبها منى أجل ما فى ملطيه وأكبرهم قدرا وأكثرهم مالا وأغزرهم رحالا فقالت له الأميرة ومن هو ذلك وددت لو كان الخاطب عبد العزيز العلوى فقال لها هو الأمير عمرو بن عبيد الله السلمى وقد شغف بها وما أمكنه أن يكتم ذلك وقد طلبها من أمير المؤمنين فقال له الخليفة إن أمرها بيد عبد الوهاب لأنها زوجة ابنه وربما يكون له نية أن يزوجها إلى واحد من أولاده وإن كان ذلك فهو أحق بها وإن كان غير ذلك فهم يبادرون إلى قضاء حاجتك وأكون فى مؤنتك وقد قال لى عنها وقد أجبته إلى ذلك وقلت

له لو طلبها ولدى وحشاشة كبدى لبذيتك عليه وكنت أنت أولى بها (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الأميرة ذلك وثبت إلى عند أفتونا وقالت لها يا بنيه قد سمعتى مقالة الأمير عبد الوهاب وهذا الذى خطبك هو أمير العرب وسيد من ضرب فى البيداء طنب وهو المقدم علينا كلنا فقالت أفتونا أيتها الأميرة دعى عنى هذا الكلام فما تمشى العزمات إلا إلى موضع يهوى القلب ولو كان أمير العرب والعجم والترك والديلم والروم والخليفة بنفسه لما كان لى فيه رغبة إلا لمن وقع فى قلبى حبه وطلبت قربه وإن أنتم غصبتونى على غيره قتلت روحى وأنتم المطالبون بدمى وما أريد غير عبد العزيز العلوى فقولى للأمير عبد الوهاب يغلق عنى هذا الباب ولا يطيل الخطاب فما يهوى القلب غير الأحباب فلما سمعت الأميرة ذلك عادت إلى الأمير عبد الوهاب وأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها (قال) فلما سمع الأمير ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال أقسم بالله قسما صادقا إن قلت للامير عمرو بن عبيد الله بما جرى فيقول هذا كله صنعة حتى يزوجها لأحد أولاده ولم يعلم أن قلبها مع عبد العزيز وهواها اليه فبينماهم فى الكلام وإذا بعبد العزيز قد دخل عليهم وسلم على الأمير والأميرة فقاما اليه وسلما عليه وأجلساه معهما فلما نظرت اليه الجارية افتونا وهو معها فى الدار جعلت تكرر نظرها اليه وكاد عقلها أن يطير وقصدت إلى موضع تنظر منه وقد كشفت عن فرق أدعج وخد مدرج وثغر مفلج وردف دابى مدحرج من تحت خصر مختصر كانه خصر زنبور والردف كانه برج خارج من صور وعيون تورث الوسواس والجنون فحانت من عبد العزيز التفاته فرآها ونظر اليها ووقعت عينه فى عينها فأطرق برأسه إلى الأرض مليا ولم يرفع رأسه بعد تلك النظرة وعول على الانصراف فقالت له الأميرة ذات الهمة أيها الأمير الأجل اعلم أن بحرون مضى إلى رحمة الله تعالى والآن أنت عندنا أعز منه وهذه زوجته افتونا بنت ملك من ملوك الروم وهى كما تعلم من الشجاعة والقوة والبراعة والحسن والجمال والبهاء والكمال وكثرة المال ونريد نزوجك بها حتى نفرح بك وبأولادك فقال عبد العزيز أيتها الأميرة قد قيل فى الأمثال إذا أردت أن نطاع اسأل ما تستطاع وأنا أيتها الأميرة مالى فى الزواج أرب لأنى مشغول عن ذلك بالجهاد والعبادة فقالت الأميرة والزواج أيضا من العبادة فقال عبد العزيز مالى إلى هذا سبيل إلى أن تأتى والدتى (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا كله يجرى وافتونا تسمع وترى فلما أن امتنع خرجت اليه وقد عدمت الصبر وقالت لا بد منك ياعبد العزيز وإلا قتلت روحى وتكون أنت المطالب بدمى أو أعود إلى دين النصرانية وتكون أنت سببا لكفرى بعد ايمانى ثم بكت بين يديه وباست رأس

الأمير عبد الوهاب ورأس الأميرة ذات الهمة فعلما أن هذا أمر عظيم جرى عليها من محبته وخجل عبد العزيز وجعل يقول العفو العفو وأما الأمير عبد الوهاب انبهت من ذلك وقال ما رأيت فى النساء من فعل هذا قال ولم تزل به الأميرة ذات الهمة إلى أن أجاب بشرط أنه لا يدخل عليها إلى أن تأتى أمه واخوته وخرج الأمير عبد العزيز من عندهم هذا والأمير عمرو منتظر قدوم الأمير عبد الوهاب اليه وهو بحضرة أمير المؤمنين فى دار الامارة الجديد وأعاد عليه ما قالت انتونا من الكلام وانها قالت لا أريد إلا عبد العزيز العلوى وأنه حدثها بما فى الأمير عمرو بن عبيد الله من الحشم والتقدمة والسلطنة فلم يعمل فى قلبها من ذلك شيء ولقد جرى لها مع عبد العزيز العلوى كذا وكذا وأنه امتنع منها ففعلت كيت وكيت وقد أجاب إلى ذلك بعد صعوبه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الخليفة المعتصم ذلك قال إذا كان الأمر على ما ذكر فما ينتفع بها أحد غيره وأنا أشير على الأمير أن لا يتعرض لها فتخرق حشمته وما فعلت ذلك إلا ومعها منه هوى عظيم وهو يستاهل أن يحب ولو أنى أريد أن أجعله فى الثغور فى وجه العدو لما كان يكون مقامه إلا عندى ببغداد وقد جمله الله وجمع فيه الخصال الحسنة من العقل والشجاعة والعفة والصيانة والشرف (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الأمير عمرو بن عبيد الله كلام أمير المؤمنين فى حق عبد العزيز سكت ولم يتكلم بحرف واحد وعلم أن عبد الوهاب والجماعة الكل يميلون اليه فانكسرت نفسه ولم يمكنه مخالفتهم لأنه عتيق أسيافهم وقريب العهد بالخلاص من الأسر فسكت على مضض وابن آدم حريص على ما منع منه (قال الراوى) فلما كان اليوم الثانى حضر الأمير عبد الوهاب وأمه الأميرة ذات الهمة وسائر الأمراء فى المجلس والكل بحضرة الخليفة والقراء وغيرهم وحضر أيضا الأمير عبد العزيز ففرحت الناس بذلك وعقد الخليفة العقد بنفسه والأمير عمرو ابن عبيد الله حاضر وقد زاد به أسفه وكثر عليها تلهفه ولو كان أحدا غير عبد العزيز لما قدر على ذلك الأمر العظيم (قال الراوى) وفى اليوم الثالث استخلف الامير عبد الوهاب ميثم الأشبال على رجاله وسلم اليه خزائن أمواله وأقامت الاميرة فى بنى كلاب والسودان الانجاب وعمرت ملطية حتى كانها لم تخرب وقد قيل فى الامثال روح المنازل السكان (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأراد الامير عمرو أن يسير بصحبته الخليفة فمنعه من ذلك وقال له أنت ضعيف البدن مما جرى عليك وكذلك بنى سليم وقد طرحت عنكم الخدمة فى هذه النوبة فدعوا له وشكروه على ذلك وقبل الارض بين يديه ورحل الخليفة والأمير عبد الوهاب بين يديه فى خمسة آلاف فارس من بنى كلاب والامير عبد العزيز العلوى وقد

وقد شرفه المعتصم ونشر الاعلام على رأسه مثل ما فعل بالامراء وفرح الامير بذلك واعجبه همة الخليفة واهتمامه وأخذ الخليفة مطرون الراهب واختاره طبيبا لنفسه وجعله مشرفا على حكماء العراق وسارت جميع الناس ومذبحون بن البطال فى جملتهم متظاهر بالحداد وقال والله لا خلعت عني هذا السواد حتى يظهر خبر أبو محمد البطال وما يكون قد سلم من بلاد الروم والجزائر ويؤخذ فى بلاد الاسلام فقال له الخليفة المعتصم أبشر يامذبحون اذ لم يكون هلك فى الوقعة وإلا فهو عائد اليك ان شاء الله تعالى واعلم انه عندنا كما هو عندك فى منزلة الوالد (قال الراوى) ياسادة وساروا القوم إلى أن وصلوا إلى الموصل فطلبه الخليفة وسأل عنه فلم يذكر أحد أنه رأى البطال لا فى ليل ولا فى نهار فقال المعتصم للامير عبد الوهاب أليس لو كان البطال دخل إلى الموصل ما كان يراه أحدا من أهلها فقال له يامولانا نحن قد سمعنا أن القاضى عقبة دخل إلى بغداد فسلمه إلى مذبحون حتى يريك كيف يظهر خبر أبوه البطال فقال الخليفة لو أصيب واحد منكم تحت الأراضين السابعة لما سلكتم إلى ذلك الشيخ المسكين ياقوم لقد صح عندي وعند كل مسلم وعند عبد العزيز ان الذى كنتم ترونه فى بلاد الروم ويأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر والعصير ويكفر بالملك القدير وقد تبين للناس ماهو عقبه وانه يشبهه ليقع هذا المسكين فى المصائب بسببه فقال عبد العزيز أما الشيخ الذى قتل فما بينه وبين هذا الرجل خلاف لأن القد القد واللحية اللحية والوجه الوجه فما ذاك اسمه شمعون بن بولص وقد قتل ومضى إلى لعنة الله (قال) فتعجب الأمير عبد الوهاب وقال لولده سيف الحنيفية قد أحرق هذا الملعون كبدى وحيرنى فى أمرى ولكن ما أدرى كيف انقدحت به هذه النوبة ولا كيف ظهر فى الروم واحد مثله وقتل حتى تبرأ ساحته عند المعتصم ومايسمع فيه قول أحد والصواب نعول على تركه الى أن يشاء الله بفضيحته فقال الأمير سيف الحنيفية أنا لا أترك هذا القرنان يعيش ولا أخرج إلا به ولو سفكت الدماء فيها واقتله وإلا ما أكون سيف الحنيفية ابن عبد الوهاب (قال الراوى) ولما رحلوا القوم وساروا إلى أن دخلوا إلى بغداد وقال المعتصم لابد من الجمع بينكم وبين الرجال وأسلمه اليكم وافعلوا مايليق بكم فقال مذبحون ياأمير المؤمنين إن ظهر أبى عنده فأنت تعلم أن كلما يقال عنه صحيح فقال له نعم رضينا بذلك يامذبحون (قال الراوى) واتفق الأمر على ذلك وزينت بغداد لقدوم أمير المؤمنين وفرحوا الناس بالأمير عبد الوهاب وانثروا على بنى كلاب النثار وكذلك الأمير عبد العزيز العلوى لان أخباره كانت وصلت اليهم ولم يبق أحدا من الأشراف إلا وقد خرج اليه وسلم عليه وأنزلوه فى الدار التى كان

الأمير عبد الوهاب ينزل فيها وأقام الأمير عبد الوهاب عند الخليفة وسأل عن القاضى عقبة لانه علم أنه كان ببغداد وانه لما سأل عنه فقيل هو عند السيدة زبيده وقد زاد فى عبادته عن ما كانوا الناس يعهدونه وهو لاينام الليل ولا يفطر بالنهار فقال المعتصم قد صح عندى حال هذا القاضى ولكن المسكين قد بلى بما لاطاقة له به من قوم ظلمه فالله تعالى يعينه عليهم (قال الراوى) وإن الأمير عبد الوهاب قال لمذبحون اعلم أن أمير المؤمنين لابد أن يحضر عقبة وهو رجل كثير اللجاج وأكبر مايقوله ويلزمه بأن يقول له احلف أن ماعندك منه خبر فقال مذبحون ماقصدى إلا أن يحلف حتى أنزل به النقم فأنا عرفت أين أبىهو وإنما أردت الكتمان وسكت عنه حتى أجعله سببا لهتك ستر هذا القرنان عند المعتصم وعند الناس وعند عبد العزيز ولا أفعل ذلك إلا بين يدى أمير المؤمنين وأنا أخرج بعد ذلك أبى من الموضع الذى هو فيه فقال الأمير عبد الوهاب وقد تعجب من قول مذبحون وعظم عليه صبره ها أنا الساعة أدخل على المعتصم وافعل ماشئت وأنا أكون معاونك فى هذه الأمور والمشكلات فطب نفسا وقر عينا وقد عجب منه كل العجب إلا انه بين المصدق والمكذب من كلام مذبحون (قال الراوى) وكان من حديث مذبحون إنه لما دخل الموصل مع الخليفة أقام بها ثلاثة أيام وكان البطال سأل عنه المعتصم كما ذكرنا فلم يعطه أحد عنه خبر ولاوقف له على أثر فعظم عليه وكبر لديه وبكا مذبحون وأيس من أبوه وصار يندبه ويبكيه واستحيا من الناس أن ينتحب فى بكائه فلم يشف له غليل وأراد أن يشفى غليله بالبكاء والنحيب فقعد بالجبانة بين قبرين وجعل يفكر فى أمر أبيه ويبكى عليه كيف دهى فبينما هو كذلك اذ حانت منه التفاته إلى ورائه وإذا هو بامرأة قد استترت بحائط تربة وهى تبكى بحرقة وتقول فى خلال بكائها إلهى وسيدى ومولاى حكمت على بالغربة فرضيت وقضيت على بالمملكة فصبرت على ماقضيت وملكتنى لرجل ظالم غاشم نصرانى كافر فما اعترضت عليك فى قضائك ولم أجد قدرة على دفع بلائك وأنت تعلم أنه قد طغى وفى ضربه لى قد تعدى ويطلب أنه يميلنى عن شريعتك وعن دين نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم حتى تطردنى عن بابك وعن رحمتك يامولاى فافعل ماشئت وان كان هذا رضاك فزدنى من بلاك (قال الراوى) فلما سمع مذبحون كلام تلك المرأة أقشعر بدنه ثم وثب اليها وسلم عليها وقال لها ياهذه والله لقد زدتينى حزنا على حزنى وشغلتينى عما كان بى من فراق أعز الناس على وأحظاهم لدى فاذكرى لى حديثك وقصى على قصتك وسبب بكائك حتى أذكر لك سبب بكائى وعلى ان شاء الله خلاصك وان لم أقدر على ذلك وزنت ثمنك ولو بالف دينار واعتقك

لوجه الله تعالى (قال الراوى) فلما سمعت كلامه أنست اليه وقالت له يا مولاى وأنت من أهل الموصل فقال لا والله بل أنا رجل غريب مقروح الفؤاد وكثير السهاد أستأنس إذا رأيت حزينا فقالت له يا مولاى أعلم أننى مملوكة لرجل نصرانى أكثر الناس مالا وأكفرهم بالله تعالى واقساهم قلبا وأنه يحملنى مالا أطيق لأجل اسلامى وأنى شكوت حالى إلى الناس وهو يضربنى وكل من عانبه من المسلمين من أجلى أو خاصمه على فيعطيه أشياء كثيرة ويغالطه فيسكته ويصف له عنى قبيح فيأمره ذلك الرجل بضربى ولم أزل على هذا وقد صارلى عادة إلى أن جاء لنا فى إحدى الأيام شيخ لاقرب الله له دار فما هو إلا من الكفار فأقام عندنا فى الدار يومين وعرف قصتى فقال لمولاى ويلك وما الذى تنتظر بها فأما أن تتنصر والا فاقتل ما أقبل على وقال لى يا جارية أننى أعرف الشرائع كلها والأحكام به من النصرانية والاسلام وانى أشير عليكى انكى تتبعى دين مولاك فليس دين غيره فامتنعت من ذلك فضربنى ضر بالو وقع على الجبال ما تارت لكن الله تعالى حمله وأعطانى الصبر على البلاء العظيم وطلبت منه المهلة فى ذلك فأمهلنى حتى يسأل روجته وبقيت بعد ذلك مفكرة فيماذا أصنع وإذا أنا بزوجة مولاى قد أقبلت عند الصباح على وهى نصرانية ثم قالت لى يا سعيده فقلت لها لبيك فقالت لى صحيح انك كنتى على سعيده كيف أقول حتى أصير مسلمة فقلت لها تقولين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فتشهدت وقالت مثل ما قلت لها واستبشرت وقالت اشهدى على وها أنا وأنت فى دين الله تعالى وانى برئت مما كان من سائر الأديان والكذب والبهتان إلا ما قاله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم مقرة بنبوته تابعة لرسالته وأقر بواحدنية الله سبحانه وتعالى انه واحد لا شريك له وليس له والدولاولد وأعلمك أن السبب فى ذلك وهو انى كنت البارحة نائمة وانا مفكرة فى حسن صبرك فيما وقعتى فيه وأنى حافظة لدينك إذ غلبتنى عينى بالنوم فرأيت فى نومى كاننى قد أشرفت على موضع لو وقعت فيه السموات والأرض لغابت وهو كانه يتأجج نار ثم نظرت إلى قعره وإذا فيه زوجى وذلك الشيخ معه وقائل يقول هذه بقعة الفجرة الكفره واستقبلهم إلى هذا الجحيم فتحيرت من ذلك فأخذ ذلك الشيخ المتكلم بيدى وأتى بى إلى موضع فيه أنواع النعيم وفيه قصور عالية شاهقة فى الهوى وجبال مسك وكافور وأنهار من لبن وعسل وماء ورد وفيها مراكب من الياقوت وهى تسير باقوام تزهو على الشمس والقمر نورهم ورأيتك يا سعيدة معهم فقلت يا سعيده فحال بيننا ذلك ذلك الشخص وقال لى نعم سعيده وقد وصلت إلى ما تريد بحسن صبرها فقلت له بالله

عليك إلا ما تركتنى أصحبها فقال لى والله لا صحبها إلا من هو مثلها ويعمل بعملها ويقول هو لهـا ثم فارقنى واستيقظت وأنا باكية وما أصدق اننى عائدة إلى الدنيا وها أنا قلت بمقالتك وقد صرت من أهل دينك فاكتمى على ذلك إلى أن يفرج الله عنى وعنك ما نحن فيه وأنا فلا بد ما أعمل على قتل هذا الملعون زوجى وهذا الشيخ اللعين الكذاب وأعيش أنا وأنت فى نعمة مع أولادى الصغار ففرحت وقلت لهـا بالله يامولاتى من الذى كان يحرضنى على الكفر بالله تعالى فقالت كان عقبة الملبس فى دينه الجاحد لربه الخائض فى غيه ثم انهـا حدثتنى عن خبرها وانه مع ذلك مسلم منافق وهو عند المسلمين بالمرتبة العاليه فهذا ما حصل وما أنت بحديثك فقال مذبحون وقد أيقن بالفرج على يديها لمـا تذكر عقبة اللعين اعلمى ان لى والد يقال له أبو محمد البطال طول عمره يجاهد فى سبيل الله وانه دخل الموصل من مده وانقطع خبره عنى فلم أدرى بعد ذلك ما كان ومالى عدو إلا عقبة الملعون الذى ذكرتيه وقد لبست السواد كما ترى من أجله فقالت له يا فتى لك البشارة ان كان لك على خلاصه جساره وان كان خلفك رجال ينصروك فقد جمع الله شملك بأبوك فقال مذبحون وقد طار قلبه وكيف ذلك فقالت هذا الشخص الذى ذكرته عندنا فى الدير لكنه فى سرداب تحت الأرض وفى رجليه ثلاث قيود ويديه مربوطه إلى أوتاد حديد وهو فى الأرض أسفلى فى هـذا الموضع وذكر لى ان هذا الشيخ الذى يقال له عقبة قد احتال عليه وأوقعه ومعه شخص آخر يقول لأبوك يا مولاى فقلت لابن مولاى من هذا فقال هو رجل يقال له أبو محمد البطال وهذا الذى معه غلامه واسمه لؤلؤ ولم أدرى ما شأنه ولمـا كان فى هـذه الأيام رأيت مولاتى وقد خاطبت زوجها فى دين الاسلام فعظم عليه ولم يظهر لها ذلك بل قال لها إن كان قلبك قد مال إليه وقفتك عليه فقالت له نعم واننى قد أسلمت وآمنت بالله رب العالمين ورأيت حالك فى المنام وقد جازت عليك الأحكام لكفرك بالملك العلام فوثب اليهـا وضرب رأسها بالسيف وهى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عطف على فقلت له يامولاى أنا مالى فى هذا ذنب فقال نعم أنى كنتى السبب فى اسلامها ثم طلبنى فانهزمت منه إلى الباب وإذا برجال يطلبوه من حاشية الخليفة لأنه عامل البلد فلما رآهم أخفى السيف فمع غفلته انهزمت وهو مشتغل بهم وبما قد جاؤا فيـه وخرجت أنا من فرط الخوف هاربة على وجهى طالبة النجاة من ربى ولا أعلم موضع ألتجىء إليه ولا من أعتمد عليه فساقتنى المقادير إلى هذا المكان كما ترى ولى ثلاثة أيام آوى فى الليل إلى الحرم وفى النهار ههنا فقال لهـا مذبحون الله أكبر أبشرى يا هذه فقد

فرج الله عنك وانى إن شاء الله تعالى زوجك فى الدنيا والآخرة وسوف أشفى قلبك من مولاك ومن ذلك الشيخ فانطلق بين يدى وأربنى الدار من بعيد فقامت تمشى بين يديه إلى أن قربت من الدار وأشارت إليها فعرفها ثم أخذ الجارية وخرج من الموصل وأتى إلى العسكر ودخل بها خيمته واتفق رحيل الخليفة إلى بغداد ومذبحون قد عول أن يجعل هذا سببا لهتك ستر عقبة وقد كان قال للجارية هل قتله فقالت ما يقدر يقتله لأن عقبة قد أوصاه بحفظه فكتم أمره حتى يتم له ما يريد من ذلك ورأى من الجارية سعيده شيء من العبادة ماقد زهده فى الدنيا وقال كم لله تعالى من عبيد صالحين من الرجال والنساء ثم حملها معه إلى بغداد وقد كساها وأكرمها ولم ينظر إليها ولاتحقق لها صورة (قال الراوى) وقد عدنا إلى سياق الحديث وذلك أنه لما جلس المعتصم فى دست الخلافة سأل عن عقبة فقيل له عند السيده زبيدة فدعاه إليه فحضر وحضر أهل العلم بأسرهم زيادة عن ألف من سادات الناس من الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء والفقهاء والفصحاء والبلغاء والخطباء والشعراء والكبراء وحضر الأمير عبد الوهاب والأمير عبد العزيز العلوى والراهب مطرون وقد لبس البياض وتعمم وجلس مع أصحاب الكلام (قال الراوى) يا سادة فأول من تكلم فى المجلس كان عقبة وطرح مسائل على العلماء فأجابوه فقال لقد أحسنتم لكن عندى زيادة تأويل ما لا تهتدون أنتم إليه ثم أنه تكلم فأذهل الحاضرين وأعجب السامعين وأخرس ألسنة المتكلمين والناطقين وبكى أكثر الناس من حلاوة لفظه وبديع كلامه وبكى الأمير عبد الوهاب والأمير عبد الغزيز العلوى مما لحقه من السماع ومما ذكر من النار وسعيرها وشوق إلى الجنة ونعيمها وقال الأمير عبد الوهاب والله ما دخل مسامعى كلام أحسن من كلام هذا الملعون لولا أنه كان كافرا برب العالمين فسبحان من طمس على سريرته وطرده من باب رحمته وأحرمه من جنته وقال فى نفسه من كانت هذه المواعظ مواعظه كيف يدخل عليه الذلل حتى طرده عن بابه عز وجل (قال الراوى) يا سادة ياكرام ثم تكلم مطرون فى الأصول وعلم الطب والحكمة (قال الراوى) ولم يزل الملعون مطرون فى كلامه حتى أعجب الناس وتكلم مع الأطباء فأعجبهم وأعجب عقبة وسأل عنه فأخبروه بحاله وأخبروه أنه مسلم على مذهبه لأنه استنشق منه روائح الكفر والنفاق (قال الراوى) يا سادة وأهل البلاء يعرفون أهل البلاء وسأل عقبه عن حاله فغمزه وطلب بذلك مدحه بين الناس وقال له أرى لى حتى أرى لك فقال له مطرون لقد فاح المجلس بعظم نشرك وفضائل ذكرك فما لاحد يا قاضى مثلك لأنك عدة لنا على الكافرين وبستان هذا الدين

وجمال الموحدين (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك وثب مذبحون وقال دعونا من النفاق والشرك والشقاق فنحن بأحوال بعضنا بعض عارفين وأنا أسأل من انعام الله ومولانا الخليفة أمير المؤمنين أن يسمع كلام خادمه المسكين فقد انقضى مجلس العلوم وحضرت الخصوم وأمير المؤمنين يعلم أن قلبي فيه من فقد والدى البطال كلام وهو خادم دولتك وغرس نعمتك ربا أباك فقمع الله من شتاك فما مثل البطال يترك سدى وتشتفى بالضرب منه العدا وان أهمل مولانا أمير المؤمنين أمره اندرس ذكره وما لاحد من الناس يكشف مظالمه غير أمير المؤمنين وحامى حوزة الدين والذاب عن الموحدين المجاهدين وما من أحد من الناس إلا وله فى البطال راجية بالقول والعمل وفقده يحوجنى إلى خوض الاهوال وأقتل لفقده ألف ألف ولا أبال وأهلك الرجال ولا أدع أحدا يتهنى بالماء الزلال واحرم الناس النوم فى الاطلال ولا أتهم به أحد غير القاضى عقبة لانه رأس كل بلية ونكبة ولا أعدل إلى سواه ولا أطالب إلا إياه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع ذلك عقبة ضحك عاليا إلا أنه بادر وقال سبحان الله لو كان المؤمن صب فى حجر لقيض الله له شيطانا يؤذيه لانى أنا والله يا بنى ما دخلت الموصل إلا وأنا خائف منكم وأتيت إلى بغداد وأنا أدعو لكم ليلا ونهار لانكم منى والى وما كان يفسد حالى معكم إلا ذلك البطريق الذى كان يشبهنى وتقولون أنه القاضى عقبة لأنه كما قيل لى عنه أنه كان يشبهنى وقال لى ولدى وكذلك وقال والله ظننتك اياه وقد رأوه المسلمين وقد قتل وأزال الله عنى ألسنة المشبهين وبرئت ساحتى به عند أمير المؤمنين وبعد هذا ما أبالى ما كان منى وقد وهبت للأمير عبد الوهاب ما كان بينى وبينهم وكنت أدعو لهم فى السر والجهر ومولانا أمير المؤمنين يشهد لى بذلك فدع عنك الهوى ولولا سأل عنى أمير المؤمنين ما كنت إلا فى مكة إلى أن يدهمنى الموت ولا يجب على فى الشرع الشريف إلا اليمين وأنا أحلف لكم على المصحف الشريف أربعين يمين أننى ما أعلم خبره وان ظهر عندى يكون دمى لكم مباح وكلما يقال عنى صحيح وأكون كافراً كما تزعمون هذا وعقبة يعلم أن البطال ودموع فى مكان لايهتدى اليه أنس ولا جان وقال فى اسره أقسم قسما لا أعود اخرجه من هذا المكان أبدا ودعه يموت فيه كمدا وأن ظفرنى المسيح لابقيت منهم أحدا هذا حديثه فى نفسه وهو مطمئن القلب من هذا الوجه ولا يدرى أن الله إذا أراد أمر بلغه فقال مذبحون دع عنك هذا الاحتجاج فما يغنى عنك شيئا وأنا أعرف الناس بك فأنت رجل ههنا قاضى وأنك عندهم مسلم وأنت عندى وعند المجاهدين كما تعلم فلا تطيل الخطاب وحق راس أمير المؤمنين أخرجت بخنجرى أمعاك

ولو كنت فى حجر من رباك فما أنا ممن يندفع بدعواك وإنى أضربك فى أحشاك فقال المعتصم أنا أشهد يامذبحون أنه كان يبكى على فقدكم ويدعو لكم فقال مذبحون يامولاى أنت لك الظاهر والله المطلع على ما فى السرائر فقال المعتصم يامذبحون وأيضا هذا الراهب يشهد أنه كان فى بيت المقدس يدعو لكم عليكم ولا يدعو وهو على غاية من العبادة وقد فنيت الأعمار وانتم فى الخصومة فاحسبوه أنه بينكم كافر وهو عندكم غير مسلم وقد بان لى كلما يقال عنه محال وزخاريف أقوال ولو كان الأمر على ما ذكرتم لكان له فى بلاد الروم متسع وأنا أسال الأمير عبد الوهاب أن يهبه إلى والسيدة زبيدة ولجميع المسلمين فان ظهر عليه شىء مما تقولون فحينئذ نقابله على ذلك بما يستحقه (قال الراوى) يا سادة والناس مع سلطانهم فلم يبق أحد إلا ومدح عقبه وتكلم فى حقه بالخير وأثنوا عليه وقال المعتصم للأمير عبد الوهاب أنا أشهد ياأمير انك ما تقع فى الشدائد الا يخلصك هذا الرجل ثم يخلصك الله عز وجل ببركة الجهاد ثم ترجع الى ما كنت عليه فى الأول وقد تحيرت فى هذا الأمر بينكم من زمان آبائى واجدادى الخلفاء الراشدين (قال الراوى) يا سادة فعند ذلك وثب الراهب مطرون قائما على الأقدام وقال يا امير المؤمنين أنت تعلم انى كنت نصرانيا أعلم من فى الملة المسيحية وأنا مقيم فى ذلك الدير الذى أخذتمونى منه وما كان أحدا يقول أننى أفارق دينى ولا اهل ملتى إلى من الله على وعرفنى الاسلام وفتح على باب الايمان ولقد نزل علينا أمير المؤمنين الرشيد بالله قدس الله روحه ونور ضريحه فى الموضع الذى نزلتم أنتم على فيه حول الدير وكان قد رجع إلى بلاد الاسلام من بلاد العدو وأخذ الأموال والرجال وأنه لما نزل على الدير ودخل إلى هذا عقبة وعليه العمامة والطيلسان وخلا لى وقال لى يا راهب هل لك فى المناظرة قلت نعم وأنا مدل بنفسى فأنى أعلم أهل الأرض فى دين النصرانية من جميع الأنام وإن هذا الشيخ لما تكلمت معه قهرنى فى كذا وكذا وجه ولم أقدر أن أتكلم معه فلو كان لى سعادة كنت أسلمت على يديه ولكن كان لى بعد فى دين الضلال شقوه ومن ذلك اليوم انكسر قلبى عندى وبغضت دين النصرانية ولكن أكون معيرة عند الناس إن أنا خرجت من دينى ويسمعون عنى أن ذلك الشيخ غلبنى ولقد كان يتكلم معى ويبكى ويقول يا شيخ لو علمت حقيقة الاسلام لما رضيت لنفسك بالكفر والآثام ولم أجتمع به بعدها فلما كانت هذه السنة الذى خرج فيها الملك أرمانوس خزاه الله يريد بلاد الاسلام رأيت معه بطريق يقال له شمعون بن بولص كانه هذا القاضى عقبه بعينه وكنت مشتاق إلى رؤيته فاعتقدت أنه إياه وبقيت مشكك فيه حتى ناظرته وتكلمت معه فوجدته مثل الحمار ولا يعلم ولا يفهم فقلت سبحان الله الخالق

المصور الخلقة واحدة ولكن بينهما تفاوت فى المنطق والعلم فلما عادت المنهزمين سألت عنه فقيل لى أنه قتل وكان أشبه الناس بهذا القاضى عقبه وأنا أحلف بالله العظيم خالق الليل والنهار بأن هذا عقبة مسلم مافى الاسلام مثله ولا أرى شكله ولا مثل دينه وعمله وحسن يقينه إلا أن يكون فيه مالا أعرفه (قال الراوى) ياسادة وكان هذا الكلام لعقبة براءة عظيمة فمالأحد مثلها فقال عبد العزيز العلوى وأنا لقد رأيت هذا القاضى عقبة وهو ينادى فى الحرب معاشر المسلمين أين من يغار على دين الاسلام أين من يشد بأمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام الحمية الحمية الدين الدين وهو يحرض الناس على القتال ويطلب نصرة دين الاسلام ومن يكن هذا الفعال فعاله مايكون كافر ولا محتال فاقتصر على هذا المقال والفعال فقال المعتصم معاشر المسلمين قد وعدنا مذبحون أنه يهتك ستر عقبة بين الخلق وتصدر عقبة بين الخلق وحلف أربعين يمين أنه مايعلم للبطال خبر ولاوقف له على أثر وانه أشفق الناس عليه (قال) واقشعرت الأبدان من أيمانه ثم انه قرأ بعد ذلك ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ونادى يارب العزة ما أردت ذلك ولكن أحوجنى اليه مذبحون ثم بكى (قال الراوى) فعند ذلك تقدم اليه مذبحون وجمع بصقة كبيرة وبصق فى وجهه وقال له يالعين قد هتك الله سترك وأظهر كفرك ليظهر للامام صحة قولك ونفاقك ثم قال مذبحون يامولانا أريد عشرين شاهد يكونوا عدول تقبل أنت شهادتهم أنهم يشهدون بالحق وأريد مائة غلام من غلمان الدار وأنا أسير معهم إلى الموصل وكل من يتعصب لعقبة معى حتى يتضح لهم الحق وينظرون من أين يخرج أبى وعند من هو وآتيك بمن هو عنده وأضربه بين يديك حتى يحدثكم بجلية الحال والخبر وكيف كان اخذابى البطال وتعرفون الرجل من هو وانيم الشهادة عليه بانه شريك عقبه ومعامله (قال الراوى) يا سادة فلما سمع عقبة ذلك أصفر وجهه وأضطرب كونه وسكن حواسه وخمدت أنفاسه وأظهر اجلاده فقال المعتصم يا مذبحون دونك وما تريد فقد أمرنا الشهود بالسير معك ويعلموا صحة قولك ومعهم مائة من الترك من غلمان الدار غير العرب حتى يكون ذلك ابرياء لساحتك وما قصدنا الاخلاص أبيك البطال على كل حال وبيان الصدق من المحال فعند ذلك أخذ مذبحون الشهود والأتراك وعشرة من المتعصبين لعقبه وكانت السيدة زبيدة قد أمرتهم بالمسير هذا وعبد العزيز العلوى وعبد الوهاب قد بهتوا من فعال مذبحون ولا أحد منهم يعلم باطن هذه القصة (قال الراوى) يا سادة ياكرام هذا والمعتصم قد وكل بمذبحون الترك خوفا لا يهرب وقال ما أظن لهذا الكلام صحة ولا سبب ومافعل مذبحون هذا إلا وأراد الهرب وأختنفت عند ذلك إلا هويه وإلا قاويل فقوم قالوا ان مذبحون خلط ونشب بين يدى أمير المؤمنين وأراد أن ينصر هواه وقوله إلى أن يصل

إلى الموصل ويهرب وبلغ زبيدة هذا الخبر فقالت كم يتهموا هذا المسكين الشيخ الضعيف والله لوصح عندنا ما يقولون فيه لأحرقناه ولكن الأمر بخلاف ذلك وأقاموا الناس ينتظرون ما يكون وبما تخبرهم الشهود (قال) يا سادة وأما مذبحون فانه جد فى سيره إلى ان وصل إلى الموصل (قال الراوى) يا سادة فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من النصرانى عامل عقبة فانه لما فقدت الجاريه سعيدة عظم عليه وكبر لديه وصار يتوقعها وخاف أن يتم عليه حيله أو أمر من الأمور ويخرج حديث البطال إلى أحد ويظهر عنده فيقتل وتنهب أمواله تسبي عياله فأخرجه من ذلك السرداب ونقله إلى سرداب غيره ولكن هو فى الدار مابرح وما كان غير قليل حتى كبس عليه مذبحون وقال له ويلك أين البطال فقال النصرانى ومن هو البطال فقال مذبحون يا قرنان دع عنك المحال أما هو الذى أتى به عقبة اليك وهو عندك فى سرداب فى دارك وحديثك كله عندى وقتلك لزوجتك حين أسلمت فذهل عقل النصرانى وصار يحلف ويبكى فقال مذبحون يا ملعون أنا أعلم أنك ما تقر هكذا ثم أنه ضرب النصرانى حتى أشرف على الهلاك وكاد أن يفارق الدنيا فلما علم النصرانى انه إن لم يقر هلك فخبرهم بما جرى وأخرج البطال وغلامه وهو على غاية من الضرر والبؤس والعيش المنحوس فلما نظرت الشهود إلى ذلك عظم عليهم وكبر لديهم وبكوا على حال البطال وكتبوا الشهود المحاضر وكذلك أهل الموصل شهدوا أن عقبة معامله فى الأموال وأخرجوا زوجة النصرانى وهى مقتولة مدفونة فى مكان آخر فكشفوا عليها فوجدوا فيها ضرب بالسيوف وقد أقر أنه قتلها بسبب أسلامها فأخذوا الجميع وساروا إلى بغداد وكان يوم دخولهم يوم عظيم مشهود وأخبروا المعتصم بقدومهم وخلاص البطال وغلامه فقال المعتصم غدا يكون الموافقة والجلوس لهذه القصة والله لقد سرنى خلاص البطال وإنى كنت كثير الأشتياق اليه وسأل الأمير عبد الوهاب على ذلك من البطال فأخبره بالقصة فتعجب المعتصم وقال لمذبحون هؤلاء علمنا كيف كان سبب وقوعهما فأنت أين علمت بقتلة زوجة النصرانى فأعاد عليه قصة الجارية سعيده فبكى الأمير عبد الوهاب وقال كان وصولنا إلى الدير سبب لخلاص ذلك العبد الصالح وحبس أبو محمد سبب لتلك الجارية واسلامها وتوفيقها للطاعة وأين هى يا مذبحون قال تركتها عند قوم صالحين إلى ان تنكشف هذه النوبة وأتزوج بها بعد أن أطلبها من أمير المؤمنين ثم أحضرها بين يدى الأمير عبد الوهاب فرآها جارية جميلة الصورة وعليها آثار العباده فقال لها الأمير يا سعيده لكى البشرى فى الدنيا والآخرة (قال الراوى) لهذا الكلام يا سادة يا كرام ولما كان

فى اليوم الثانى جلس الخليفة وحضرت أرباب الدولة والاشراف وانعقد المجلس وحضر الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب وعبد العزيز العلوى والنصرانى والبطال ولؤلؤ قيام الحالة التى أخرجوه بها من السجن وعليهم الجبب الصوف والاغلال فى أعناقهم وأرجلهم وأيديهم فلما نظر المعتصم والحاضرين إلى ذلك رقوا لهم وبكوا على حالهم وقال الخليفة يا أبو محمد الحمد لله عــلى سلامتك فبحق من أفرج عنك ما كنت من الضيق إلا ما أخبرتنا بالحق فقال البطال بكلام ضعيف يا مولانا وحق من تكلمت فسمع وان كتمت شىء فى نفسى علم وأنطق الألسن بعد بكمها والآذان بعد صممها وقدر الآجال وحتمها ويعلم ما فى السرائر والضمائر وزين السماء بالنجوم ونظمها وأتقن الأمور وأحكمها وأجرى الرياح ونسيمها وأنشأ السحاب وبالماء أشحنها إن كان أوقعنى أنا وغلامى لؤلؤ فيما كنا فيه من العذاب والأمور الصعاب بعد الله إلا عقبة وسلمنا إلى ذلك الكلب النصرانى وإن لم تصدقنى يا مولانا فاحضر الجارية حتى تحدثك بكلما جرى حتى تعلم أننا صادقين فو الله أنه متظاهر بذلك الزى حتى يزول عنه الشك بكلما جرى فى قلوب الناس فقال المعتصم الآن يا أبو محمد خلطت فى كلامك وحلفت عن شىء كنت غائب وهذا لا يجوز لأن شمعون بن بولص قتل بين الصفين والناس تنظره بالعين ولا كان عندك غير هذا الملعون فقال مذبحون للنصرانى ياويلك أنت بين يدى الخليفة وما بقى ينجيك غير الصدق فى المقال فقال النصرانى لما رأى عقبه ما أعرف ما تقولون وأنتم نقبتم دارى حتى تأخذون مالى ومال أمير المؤمنين منها وان أردتم أخذ أموالى فخذوها بغير هـذا الوجه فقال مذبحون يا كلب النصرانية تقول فى هذا الوقت هـذا الـكلام والشهود شهدوا باقرارك فقال أنت برطلتهم بالمال على وهم يريدون هلاكى ولا هلاك مسلم وأنا أشهدتهم على حتى أنتظر وجه الخليفة لأنه ينظر فى الـكلام والأحكام ويأكلنى السبع ولا يأكلنى الذئب فقالت الشهود ياأمير المؤمنين والله العظيم ما قال مذبحون إلا حقا فقال مذبحون وأنتم ما يلزمكم يمين فقال النصرانى اعلم يا أمير المؤمنين انى علمت انى ما ينجينى من القتل إلا إقرارى لهم ويكون سببا لايصالى بين يديك فصعب على مذبحون فاستأذن أمير المؤمنين وصاح على الرجال ومد النصرانى وضربه ضربا وجعيا فقال له وحق المسيح أنا أحدث مولانا بالصحيح وسلامة روحى أكبر الفوائد فاطلقوه فحدث الامام بالقصة من أولها إلى آخرها فقال المعتصم ومن قبض على البطال قال عشرة من النصارى خرجوا عليه بالسيوف وأخذوه من مسجد خراب فتحير المعتصم والحاضرين من ذلك وصاروا يرمقو العقبة شذرا وقالوا المذبحون ومن أعلمك أنت بهذه الأمور

فقال الجارية سعيدة وأعاد حديثها إلى آخره فبكت الناس من سماع قصتها وطلبوا منه احضارها فقال سمعا وطاعة فأحضروها فأخبرتهم بما جرى لها من أول الكلام إلى آخره فكان كلامها أوجع القلوب فقال لها مذبحون من هواشر الناس عليكى قالت شيخ يسمى عقبة وهو نصرانى فقال لها المعتصم ياسعيدة ان فى مجلسنا شيوخ عدة فانظرى اليهم فأدارت عينها فى الناس فرأت عقبة بينهم فقالت ياأمير المؤمنين هذا الشيخ الأعور وحق من أرسى الجبال بقدرته ومد الأرض بعظمته فتغيرت ألوان الجميع ونظروا إلى عقبة نظر الشنيع (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع عقبه ذلك ضحك ضحكا عاليا حتى أرمى روحه إلى الأرض وقال والله ان هذا منكم عجيب وقد انفطرت منه مرارتى لكن الآخرة خير وأبقى وأنا هانت على روحى وقد زهدت فى الدنيا الساحرة وأنت تعلم ياأمير المؤمنين ان شهادة المؤمن على الكافر مقبولة وشهادة الكافر على المؤمن غير مقبولة ولعل يكون هذا النصرانى معلما على وانكاره فى الأول صناعه واقراره ثانيا حتى تقتلنى بسببه وأنا عالم من علماء المسلمين وأمام المتقين وهذه الجارية فى الرق وما أسلمت إلا من العقوبة كما تقول أو كانت مسلمة وحصل لها شىء وما نعلم أن تكون عشقت مذبحون ولقنها هذا كله (قال) ثم أن عقبة قلع طيلسانه وخرق لباسه فبان للناس من تحت الثياب جسد بالى وعلى بدنه مدرعة من الصوف والشعر وقال لهم دونكم وقتلى لعلى أجد الراحة فقد كرهت الحياة وأحببت الوفاة ثم جعل يبكى ويتشهق ويرعد ويقوم ويقعد ويضرب على الأرض ورفع رأسه إلى السماء وقال ياحليم لا يعجل يامن هو عليم بما فى قلوبنا عليم (قال الراوى) ياساده يا كرام فبكى الناس وبكى المعتصم وبكى عبد العزيز العلوى وانقلب المجلس بالبكاء والنحيب وقالوا والله ما يقبل قول هذا الجاحد الكافر على مثل هذا القاضى الأجل الزاهد العابد وقد تمكن الأمر منهما كما قال القاضى عقبه وضج الناس فلما رأى المعتصم ذلك أمر الناس بالسكوت وقال للقاضى عقبه سكن روعك يامسكين فما لنا منك إلا الظاهر وهو معنا مستقيم وأما الباطن لله عز وجل وما نسمع فيك قول قائل ولا عزل عازل إذ لم يثبت عليك شىء بالشرع فما نأخذك إلا بنظر العين ثم أقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له أيها الأمير الأجل الرفيع المحل أنت تعلم إن الشريعة لايقبل فيها غير الشهود العدول مع نظر العين سيما فى هذه الأشياء والآن فما بقى غير الصلح بين البطال وبين القاضى عقبة (قال الراوى) ثم أن المعتصم أمر الخدام فجاؤا بالخلع السنيه ثم أفرغ على البطال خلعة لايكاد أن يحملها الثقل ما عليها من الذهب وأفرغ على عقبة وعلى مطرون ثم خلع أيضا على مذبحون ثم أمر الناس كلهم بالقيام ووثب عقبة ووثب أيضا

المعتصم بنفسه قائما من أجل الصلح فلم يبق أحد إلا قام ثم فك عن البطال ولؤلؤ القيود وطرح عليهم الخلع السنيه بعد ما أمر المعتصم بضرب رقبة النصرانى فضربت باقراره لقتل زوجته واسلامها وأخذ مذبحون الجارية سعيده وكتب كتابه عليها ومشت اليهم الأشراف والسادات فلم وجدوا أبدا من الاجابة إلى الصلح وقدموا عقبة للبطال كما يتعانقوا فلما عانقه عقبة قال له وقد طرح فمه فى إذنه وقد تعلق برقبته وارما أن يبوسه فقال له يا بطال كيف رأيت فعلى وعملى أليس رأيت كيف ابهتوا الناس بحيلى فقال له والله يا ملعون لابد أن تقع فى يدى واشتفى منك يا ملعون وتعلم من هو الخاسر والمغبون ثم افترقا بعد ذلك وراح كل واحـــد إلى منزله ومن الغد حضروا الأمراء والأمير عبد الوهاب والأميرة وأخذوا الاذن فى الانصراف وكان قد بقى لخروج الحج أيام فعندها قال المعتصم يا أمير عبد الوهاب تصدى فى هـذا العام تحج بالناس إلى بيت الله الحرام وتكون أمير الحج فقال سمعا وطاعة (يا سادة) ففرحت أهل بغداد لخروج الأمير عبـد الوهاب وخرج معه خلق كثير بعد ما أوصى لعبد العزيز من جهة أمه وأخوته بمن يأتى بهم ثم خرج الأمير عبد الوهاب فى تجمل زائد وعليه خلعة المعتصم وسائر أولاده صحبته وكذلك البطال وولده مذبحون ولا زلوا سائرين مجدين أياما وليالى إلى أن وقعوا فى أرض مدهشه قليلة العشب والكلا والماء والمرعى فقطعوها بتواتر المراحل بعد ما قاسوا منها شدة شديدة وخرجوا منها إلى أرض بيضاء كافورية نقيه فأعجب الأمير تلك الأرض فأمر الأمير عبد الوهاب الحاج بالنزول فى تلك الأرض والاقامة فيها ثلاثه أيام فلما كان اليوم الثانى خرج قشعم ولدا الأمير عبد الوهاب يتصيد فى تلك الأرض على بعض الخيل وساروا وقد عجبته تلك الأرض وقد تبع قطيع غزلان وأرانب واصطاد منها ما أعجبه وقد طاب له الصيد فلجج فى تلك البريه وأراد الرجوع وإذا به بعد عن عسكره ورأى بعيد قصر يلوح قد قام من التراب وتعلق بأكناف السحاب فوقف ينظر وإذا تحت ذلك القصر غوطة كأنها غوطة دمشق وفيها من سائر الثمار وفى ذلك القصر منظرة وفيها روشن على أربعة أعمدة فهو واقف باهت إلى تلك الفرجه وإذا بباب المنظرة فتح وخرج منه عشر جوار كأنهن الأقمار وبينهن جارية تتهادى كأن جبينها دائرة القمر وهى تمايل بينهم كأنها قضيب بان أو غزال عطشان فلمـا رآها الأمير قشعم لم يتمالك دون أن نظرها نظرة أعقبته النظرة ألف حسره فقال لهـا يا مليحة الوجه لمن يكون هـذا القصر وأنى من تكونى فى هـذا الموضع فقالت له نحن من قوم أفخر العرب أجمعين وهم الذين قال فيهم بعض واصفيهم حيث يقول :

سمونا بأموالنا والحسب * وما مثل نبهان عند العرب
ذوى الجود والفضل والمكرمات * ومن يرتجون لعظم النوب
إذا قيل من أفرس العالمين * أقول المفرج عند الكرب

لا سيما شجعان العرب وليوث الطعن والضرب فقال لها قشعم يا جارية لقد أطلق الوصف قد عرفت ان قومك طعان وأصحاب سيف وسنان فلا تطيلى الكلام فهل عندك شربة من الماء فقالت له الجارية ما أعظم همتك وأحسن جبهتك لولا شجة وجهك فقال لها يا قرة العين هذه من الجهاد فى طاعة رب العباد فقالت له من أى الناس أنت فقال من أعذبها شجره وأعلاها ثمره وأقومها عود وأصلبها عمود وأطيبها عنقود نحن دوحة الأعراب وسادات بنى كلاب الأماجيد للطعان والضراب يوم الحراب ونحن الذى قال فينا دريد بن الصمه الجشمى حيث يقول :

إذا فخروا الرجال بكل فخر * فان لنا المناقب والفخار
قبائل عامر وبنى كلاب * لهم أصل المفاخر والوقار
رجالا نارهم أبدا تلالى * على شرف وأولهم جرار
قدورهم جبال راسيات * جفانهم جواب لا تغار
ويوم عدوهم يوم عبوس * إذا حملوا الصغار ورا الكبار
كرام فى منازلهم عظام * أفاعى فى الحروب لهم شرار

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم قال لها ياصبيحة الوجه هل لكى أن تصلى من يصلكى فنحن لنا السلف والذوره والصلف فقالت يا فتى أين تكن ذو شرف فالينا يؤل الصلف والترف لأننا الملوك وفينا العفاف والكرم وطيب الأخلاق والشيم يا فتى قل لى بأى جنان طلبت وصالنا وبأى وجه واجهت ذوات الخدور وربات الستور سيما وأنك تدعى أنك ذو أصل أصيل وكرم وتبجيل فقال لها يا نزهة العين ومن هو فى شك من أصلك العظم ونحرك الصميم ولفظك الرخيم وطرفك الجسيم قد شوشتى خاطرى وأتعبتى ناظرى وان دام هذا فأنا هالك لا محالة فلا تزيدى فى الاطالة فقالت له يا فتى لا تفوى لسانك بذكرى ولا تتصفر أمرى فلك فى غيرى مطمع وعساك بسواى تقنع فما أنا ممن تنشب فيه المخاليب ولا إلى طريق ولا نصيب وفى نظر الظامىء إلى الماء عطشة إذا كان ممنوع السبيل الوارد عن الموارد فاترك فيما ليس يحصل وخذ فيما يكون ولا تعجل يا فتى وعليك بتقوى الله فان التقوى تنجيك من الأهوال والشدائد وتديم من الله أفضل العوائد واحفظ لسانك فهو عقور والا أوقعك فى المحظور وأنت تنسب

نفسك أنك من أصل أصيل ونسب طويل وكيف طاوعك جنانك أن ترمق البنات العربيات أو تنظر إلى هذه الأبيات لكن يدل هذا على ان همتك دنيئة وأفعالك رديئة فامضى قبل حلول المنية ونزول الرزية (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال قشعم وقد تمرمر مزاقه وتشرشرت أخلاقه وتصدمت آماقه وقال لها ستعلمى ويلك كيف آخذك بحد الحسام وطول السنان ولو كان دونك مائة ألف عنان فقالت له الجارية ثكلتك أمك وعدموك أهلك والله ان من دون ذلك ليوث الهياج وأسود العجاج وأنى لك يا ردىء الحسب وعديم النسب أن تحرك لسانك بمن ليس من أقرانك هذا وأنت تقول أنك ذو عقل وأدب وشرف وحسب وأصل صميم إليه تنسب فكيف تذكرنا وأنت فى ظل قصرنا وتجاورت بنا فقال قشعم حملنى على ذلك الحب وسلب منى العقل واللب فقالت له أمضى عنا فنى بنات عمك بمن هو أشكل بك وأقرب إليك وأحمق الخلق من يريد من لا يريده ويستنزل خطاب من لا يزيده فنظر إليها شزرا وأنشأ وجعل يقول

أنتى على بخيلة * بالوصل يا بنت
والحب حير مهجتى * فى كل جذر نبت
يا نظرة كان البلاء * بها وكيما فى قيادى
عاينت بدرا طالعا * من فوق قصر فيه وادى
فبقيت رهين صبابة * لا أستطيع طعام زادى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الجارية شعره غلقت أبواب المنظرة وولت فبكا قشعم فهو على ذلك وإذا هو بصلصلة لجام وسرير سرج وحزام ففتحت باب المنظرة ورأت وإذا بفارس كانه البدر إذا بدر حسن الغرة أسود الوفرة مشرق البهجة ما تركت الملاحة اليه حجة قدة يشبه الغصن رقيق الخصر واضح الجبين أقنى العرنين أزج الحاجبين أكحل العينين مورد الوجنتين معتدل القوام عذب الكلام مليح الابتسام عليه ثوب ديباج ملكى طرازه شبكة لؤلؤ يقف وقد أمسك باقيه على حمرة وجنتيه بعذار كما تنضم وزها وحمحم كانه روضة بستان وعلى جبينه عصابة جوهر مكللة ببنات الدرر فى وسطها درة يتيمة عجب وفى وسطه منطقة ذهب مكوكبة بياقوت أحمر وأصفر مكتوب عليها

هذا ابن نور أماله مشبه * يخجل منه البدر فى تمه

(قال الراوى) وقد أرخى ذوائبه على منكبيه ومن تحته جواد كميت أغر صفاته تسر سريع الممر شديد المفر لو سابق البرق تركه ومن قوائمه عمد لا يهو له سهل ولا وعر حوافره تقلق المدر وعليه سرج من صنعة اليونان ولجام قد أخذ من خزانة كسرى أنو

شروان قد رصع بالجمان وركابان ألواحه بلور منقوشة بالعز والحبور والغبطة والسرور وعليه مصور غزالة وباز مكسور والفارس قد اصطاد غزال وقد سمطه على كفل فرسه فنظرت الجارية إلى وجه يخجل الشمس بضياه ويحير القمر بحسنه وبهاه فاستقلت حسنها عند حسنه وسلبت لبها وعار خاطرها وتقسم فكرها وارتبك أمرها وجاش الشعر فى خاطرها فأنشأت تقول هذه الأبيات الحسان

حبا بالشمس والنجم والبدر ۞ ومن قامت الناس فى حبه عذرى
سقى الله أرض أنت فيها مخيم ۞ وسح عليها المزن من وابل القطر
فيا ليتنا نحظى بك فى الدجا ۞ ولا بك فيما بيننا فرقة تجرى

قال الراوى يا سادة يا كرام فأعوض مذبحون عنها وظن ان خطابها القشعم لم يصل وقالت له أهلا وسهلا بالأخ العزيز والصاحب الكبير والسيد الخطير فقال له مذبحون يا مولاى ما الذى أوقفك هنا فقال أوقفنى وهج السموم وادامة الديموم فقالت الجارية كذب فى الكلام وأشنع شىء عند العرب الكذب فرفع مذبحون رأسه ونظر فرأى درة الفوائد وظبية القناص فجعل يقول يا ساكنة القصر باعلائه اتنكرى القدر ولم تعلى فلو علمتِ من تفانيه وابن من يرجى من العالم لكننى الآن تهابيه وتكرمى مثواه وتستعظمى أمره فقالت له الجارية بكلام عذب ولسان رطب يافتى لو كان أبوه عبد مناف وأخواله بنى عبد الدار الأشراف ما كان مثلك ولا شبيه شخصك وأشفع ما فيك حسنك فقال مذبحون أنا من بعض خدمه والواصف شميه وكرمه وإنه ليس له نظير وأمير كبير وسيد خطير وأبيه شامة العرب العربا بعدا وقربا أمير الثغور والحامى عن الحرمين الشريفين سيد الأعراب وأنجب الانجاب وسيد بنى كلاب الأمير الأجل عبد الوهاب فقالت له الجارية اعلم ان كان امرىء القيس فى الفصاحه أو حاتم الطائى فى الكرم والسماحه أو عنتر العبسى فى الشجاعة ما كان يشبهك ولا مثيلك فقال لها مذبحون اعلمى يا هذه انكى عن الزاد أشغلتينا بالخطأ ونحن جياع عطاش ونريد من يصلح لنا هذا الصيد لكن نريد الآن شربة من الماء فقالت حبا وكرامة الماء والزاد يا ابن الجياد (قال الراوى) يا سادة يا كرام وإذا بباب فتح وخرج منه عشر جوار كانهن الأقمار فى غاس الأثمار وقد ارخيت الشعور على وجوه كالبدور والجارية بينهن تتمادى فى مشيتها كانها قضيب بان أو غزال عطشان وتلك الجوار على أيديهم موائد الطعام وبيد الجارية كوز ماء بارد فشربت منه قليلا ثم ناولته لمذبحون وقالت له بالله عليك قسما إلا ما شربت منه قليلا ليمتزج ريقى بريقك وتذوق ما ذقته من هواك واعلم

يا فتى ان ما فى فؤادى سواك ولا أريد إلا إياك (قال الراوى) يا ساده فعندها وثب قشعم مغضبا ودنا إلى الطعام فأبى وقال لها أيبقى سيدا كريما وبطلا جسيما وطلبتى أخس العرب وأذل من ضرب فى البيداء طنب سأذكرك ان أنا ملكتك سبيه وأخذتك من أهلك بالعصبية غير مرضيه ولو خرجت نفوسا وطيرت رؤسا ولكن أبى الله تعالى أن تعشقين إلا مثلك وأن تطلبين إلا شكك وبعد هذا فما سمعنا بأن عربيه ذات أصل أصيل ونسب جزيل تطلب غير المثل وتميل إلى الدون فقال مذبحون ويحك يا قشعم لم على باغض ولقدرى زارى وعلى بالكلام جارى وأى شىء بينى وبينك والله العظيم انك أنت وأبوك الأسود الزنيم عندى أقل واحقر فقال له قشعم اسكت يا ابن الزانيه متى كانت لك نفس أبيه أم همة عاليه وإنما السواد وجه أبيك البطال الذى ألحقك بالنسب وادخلك فى عداد العرب فقال له مذبحون لمثلى هذا يقال وأنا ابن البطال وحق من هدانى بعد الضلال وأوضح لى الحق بلا محال لولا حرمة أبيك لا فقدتك اهليك فقال له قشعم ويلك يا قليل الخير ما بقى عليك إلا مطاولتى وفى الهيجاء مناصلتى عليك بسرقة الخيل والكذب والزال فقال له مذبحون ويلك أقر لسانك وعدل ميزانك وإلا تركتك أحدوثة للعرب وسيرة لأهل الأدب فقال له قشعم وقد قام فى ركابيه وتمطا فى مداديه وبان الغضب عليه ويلك يا قرد العلوج طال لسانك على لما جعلناك منا والينا والآن دونك وماذكرت من حربى ثم حمل على مذبحون واطبق بالحملة عليه فعند ذلك صاحت الجارية يا لئيم غير كريم ما هذا فعل عربى وحق أمى وأبى ومن يزيد همى ووصلى لئن بسطت يدك إليه بسوء لاحطن قدرك يا ويلك أيقاس النهار بالليل أو الثريا بنجم سهيل ثم جذبت يد مذبحون وأرادت تدخله إلى القصر فأبى مذبحون ذلك وقال أيسومنى هذا الكلب الزنيم وينسبنى إلى العجز والهرب فدخلت الجاوية إلى القصر ولم تطل دون أن أخرجت مدرعة مجليه متقلده بسيف متنكرة بجحفه وقالت لقشعم ويلك يا مهين تقاتل الأمير المظفر عند قصرى أو تريد أن تحط قدرى فوالله ان أبى ثابت لو فعل كفعلك لما سكت له فان أردت القتال فدونك لبوة شمطا وحية نقطا (قال الراوى) فلما أن نظر قشعم الجارية سار طالب أبيه الأمير عبد الوهاب إلى أن وصل إليه فلما رآه الأمير ولونه قد تغير واضطرب كونه قال له يا بنى مالى أراك متغير اللون فقال له يا أبتى أدركنى فقد نظرت إلى جارية لم أر مثلها ولقد كنت توسطت أن أكون لها بعلا وتكون لى أهلا فعارضنى فيها مذبحون ولد البطال وخرج على بسوء المقال فان لم تلحقنى بوصالها وإلا فأنا هالك لا محالة من دون إطاله فان النيران فى كبدى وقد ضنى جسدى فقال له أبوه

يا بنى امسك مامعك من هذا الكلام فى ساعتك هذه وقعت فى بحر الغرام فعند ذلك بكى قشعم بكاء شديدا وأنشأ وجعل يقول

أحمل قلبي كلما ليس يحمل * وحملنى الحب ما ليس احمل
محال وحق الله من قال أنها هى النفس ما حملتها فتحمل
أجاذبها شوقا فتذعن عن طاعة وأسألها صبرا فتأبى وتبخل
عبرت على قصر لابنة ثابت فعاينت منها بدرتم مكمل
لها جيدريم بعد مقلة شادن وبطن وعجزتم صدر مدلل
فزوجنيها يا أمير فانى أرى حبها فرض وقلبى معلل
فان لم أنلها مت شوقا وحسرة وتخطى بانى إذ أنا ليس أعقل

(قال الراوى) يا ساده ثم قال لأبيه أدركنى بها يا أمير فقلبى اليها يطير وانجدنى بها فى الحال فقد قتلنى البلبال (قال) فلما سمع الأمير كلامه قال له يابنى حدثنى بحديثك فقال له قد جرى من الأمر كذا وكذا وأعاد عليه حديث مذبحون وما جرى له مع الجارية ابنة ثابت (قال الراوى) يا سادة فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب كلام ولده قشعم جرد على مذبحون وقال يا أبو محمد أما ترى إلى ولدك كيف يتجرى على ولدى وأنا أقسم بذمة العرب لولا أن لك على حق الصحبة لقتلت مذبحون ثم قال على بثابت بن جرير فسارت الغلمان اليه وأتوا به هذا كله يجرى والبطال لم ينطق بحرف واحد ولم يتكلم (قال الراوى) فلما أن صار ثابت بين يدى الأمير عبد الوهاب قال له أهلا وسهلا ومرحبا بالأمير الأجل الرفيع المحل أجلس فجلس (قال) فوثب اليه البطال وقال الحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأشار إلى ثابت بن جرير وقال له ياثابت حزم الأمور يورى المحذور وتزويج الأكارم تيجان العمائم وما أنا كبير ولا ولدى فقير وقد أتيتك خاطب وفى كريمتك راغب فاحسن الظن فيمن أحسنه فيك ولا تخيب قاصديك فقال ثابت وقد انبهج بذلك ياسيدى وماحاجتك فقال خاطبا بالدرتك المكنونة راغبا فى جوهرتك المصونة لاتوج بها رأس ولدى مذبحون ليكون لها أهلا فقال الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد لما علمت أن ولدى يطلبها وأنفذت خلف الرجل على نية أننى منه أخطبها تزاحمنى عليها فقال له البطال قد أثرناكم على أنفسنا بالعظائم وتحملنا معكم عظيم الجرائم وتركنا بلاد الروم لكم مغانم وما شأن ولدك وشان هذه الجارية أثرى لو أنها بعض ذوات خدورك كنت تسمح بها لولدى فقال الأمير عبد الوهاب والله ياأبو محمد ما أحقر ذمتك وأنت عندى فى هذه الأمة بعد إمام الأئمة ولكن ياأخى أن رأيت

أن تؤ ر بها قشعم فهو من أخلاقك الحميدة (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها غضب البطال وقال ياأمير فى محبتى اياك أغضبت بنى عمى وقاسمتك لحى ودمى كى تقاسمنى لاسيما وقد نشأ لى هذا الولد وما مثله لأحد تزاحمونه على طلبته وبعد هذا وحق المقام والمشعر الحرام والحوض والكوثر والقبلة والمنبر وعلى الامام المطهر لاأمضيت أمرا حتى تختبروا الجارية على لسان أبوها ومن كان مرادها معه وصلنا حبله بحبلها وجمعنا شمله بها فقال الحاضرون انصف الأمير أبو محمد البطال فعند ذلك وثب ثابت وقال رضيت وسار من وقته وساعته وأقبل على ابنته وناداها يازهره فقالت لبيك ياأبتى فقال ما أخوفنى من شؤم غرتك ان تصيرى بين العرب محنه وتوقعين بينهم الفتنة فقالت ولم ذلك ياأبتاه أيعتريني ذلل أو زنا أو أنا ممن يركبه خنا فقال ياويلك بأى السيدين أزوجك وبأيهما أقرنك ولا أحوجك فقالت ياابت قد جعلت اليك أمرى وان كان ولا بد فزوجنى بالأشقر الظريف وابعد عنى الأسمر النحيف وأنا أقسم بذمة العرب لا يملكنى أحد منهما إلا من يأخذنى فى الميدان ويقهرنى فى حومة الاقران ولا أهوى إلى نقصان (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع أبوها كلامها عاد إلى الأمير وقال ياقوم لا بأس عليكم ان ابنتى قد آلت على نفسها وانفصل أمرها وأنصفت فى حكمها وقالت ما يملك ناصيتها إلا من يقهرها فى ميدان الحرب ومحال الطعن والضرب (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع قشعم ذلك الكلام طاب قلبه وعلم أنه يقهرها وما يصل اليها مذبحون لأنه رجل محتال ما هو من رجال القتال والحرب والنزال فانعموا بذلك الحال ثم ركبوا جميعهم إلى ساحة الميدان ومحل الضرب والطعان وخرجت الجارية وعليها ثوبان من عمل اليمن وقناع قدصنع فى صنعاء وعدن وتعصبت بعصائب الفتن وقد أسبلت ذوائبها وأظهرت للفريقين نجائبها عند خطابها وقد أسفرت اللثام عن ثغر ذى ابتسام ولها نور وضاح أنور من المصباح ووجه كانه المصباح وقد لبست من فوق ثوبها درع مذهب بالفضة مكتب وبالبولاد مشطب وبيدها سيف يرهج ويتلهب وعلى رأسها بيضة من عمل مرهب وتحتها ذوائب مثل سواد الليل الدامس تذيب القلوب والفؤاد وبيدها رمح مكعب تذل به أبطال العرب وتحتها حجرة كانها سلهب لا يضيق بها مذهب ولا تعثر ولا تنكب ومالها نظير فى خيل العرب فهى كما قال فيها مرزوق بن أشعب حيث يقول

وصفراء تزهوا كلون الذهب * لها من خيول العرب منتسب
تفوت براكبها الطالبين على * حسن تقريبها والخبب

فان طلبت فى الفـلالم ترى ٭ وإن طلبت أدركت للطالب

(قال الراوى) ياسادة فلما إن نظرها قشعم ظهرت أشجانه وبدت أحزانه وهاج شيطانه وسكبت أجفانه ولم يجد صبرا عن خطابها فقال لهـا السلام على مالـكة القلب والفؤاد وسالبة الرقاد ومن أنا فى هواها فى عناد وهى أجل المراد فأعرضت بوجهها عنه وقالت أيها الشاب المعجب بنفسه لا تطيل علىّ الخطاب فوحق ثابت بن جرير لأذيقنك حربا أمر من نار السعير ولاصبحنك بيوم نـكير ثم حملت عليه وقومت سنانها إليـه ثم أنها أنشأت وجعلت تقول

أعـلم أننى اليـوم جاريه ٭ أعرف من بين الورى بناجيه
لمذبحون اليوم نفسى هاويه ٭ هايمة فى عشـقه وغاويه
من نال منه الوصل نال الواغيه ٭ لأنه أحسن أهـل الباديه

(قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وقشعم قد طار عقله وحار لما رآها وأشغله هواها وحمل عليها فحملت عليه وهذا فارس شجاع وقد استهام وطلب القراع فاسفرت عن وجهها لثامه فتبلبل بلباله وتغيرت أحواله واسترخت يداه عن الرمح وسال لعابه وكان الحين أولى به وعلمت الجارية منه هذا فقومت سنانها إليه وأومت بالطعنة إليه وطعنته بعقب الرمح فى صدره وإذا به ملقى على ظهره (قال الراوى) فلما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك صعب عليه وكبر لديه وقال لثابت بن جرير والله ما فعل بولدى هـذا إلا الهوى وتباريح الجوى فقال البطال صدقت أيها الأمير إلا ولدى يعمل على عناقها ويلمس ساقها ونادى يا مذبحون إن كنت تريد الوصال فافعل شىء يبان الأبطال ودونك والعروس ولو ذقت طعم البؤس ولا تشمت بك العدا ويمضى الأمر سدى (قال) فلما سمع مذبحون قول أبيه كشف عن ساعديه كأنها البلور وأسبل ذوائبه وهى كالأفاعى السود يذوب منها القلوب وله وجه كأنه البدر ليلة تمامه وأحداق كأحداق الظباء وعنق كعنق أبريق فضة وقوام يحاكى قضيب البان وأعكان كأعكان النسوان وهو فى عدة كاملة ولما إن صار معها فى الميدان أشار إليها برأس السنان وأنشد :

اسمعى ما قلتـه ياناجيـه ٭ واقربى نحوى وكونى دانيه
سوف أسقيكى ودادا صافيا ٭ وبقربى تغنمين العافية

ثم حمل عليها فلما نظرت إليـه قالت أهلا وسهلا بمن يفوق الهلال وعيون الغزال ويشبه ربات الحجال ابشر فقد بلغت الآمال فقال عبد الوهاب وكان قد سمع كلامها يا قوم أن الجارية قد اضطربت أعضاها وماج عشق مذبحون فى أحشاها ثم قالت ناجية لمذبحون

يا قرة العيون أمهل عليَّ فقد طعنتني بغير سنان وجندلتني بغير حسام فاظهر صولتك وجد بحملتك فأنا مثل عصفورة في يدك فانقض مذبحون عليها كالعقاب الكاسر وزعق عليها فاسترخت أعضاها وانحل قواها ومد يده إليها وجذبها إليه فأرمت روحها أسيرة في يديه فتصايحوا الناس من كل مكان وقالوا للبطال لله درك فلقد أسرتها فقال البطال يا ولدي عوفيت وهنيت ومن الرزايا كفيت لكن والله ما أنت من رجالها وإنما الهوى أنى لها لتبلغ آمالها لأنها ما تزللت بين يديك وقد سلمت نفسها إليك إلا لأجل البوس والعناق وقد أحلوا الجارية على مذبحون ودخل عليها من ليلتها وعانقها وعانقته ولما كان بعد ثلاثة أيام رحلوا الحجاج يطلبون مكة والبيت الحرام وزمزم والمقام ولم يزالوا حتى وصلوا إلى عرفات وحجوا الناس وطافوا بالبيت على عاداتهم ورجعوا وعادوا طالبين العراق مع الجماعة ولم يزالوا إلى أن وصلوا إلى بغداد وخرجوا الناس إلى ملاقاة الأمير وقد تلقوه بالهناء والسرور ودخل الأمير على المعتصم وخدم وأشار إلى الأرض لاثم وعلى الإمام سلم فقام أمير المؤمنين ورد عليه السلام ودعا للأمير وكان حج الناس أطيب ما يكون من الرخاء والأمن ودخل الأمير عبد العزيز على المعتصم وسلم عليه وطلب منه ما وعده من مجيء أمه وأخوته فقال له المعتصم يا أمير عبد العزيز قد أنفذت النجابين وسيرت الرجال إلى سائر الأماكن وأوصيت بذلك الأمير عبد الوهاب فقال الأمير والله لقد طلبتهم فما وصلت إليهم وإلى الآن ما وقعت لهم على خبر عندها بكى عبد العزيز وسكت على مضض منه وعظم عليه وكبر لديه

﴿ تم الجزء الثامن والأربعون ويليه الجزء التاسع والأربعون ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب حروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء التاسع والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم إن الأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب استأذن المعتصم فى المسير إلى ملطيه وأما عبد العزيز فانه رجع إلى الخليفة وشكا حاله وفراق أمه واخوته وفى تلك الأيام قدمت النجابة يخبروا انهم طيبين فقال الخليفة طب نفسا وقر عينا أنا أرسل اليهم العماريات والهوادج وكلما يحتاجون إليه من الخيل والجمال وغير ذلك إلى أن يصلوا إلى ههنا وأنت مقيم عندنا فشكره على ذلك عبد العزيز ثم قبل الأرض بين يديه وانصرف (قال) ثم إن الخليفة استدعى بالأمير عوف بن شعبان المازنى وقال له كم معك من أصحابك قال نحو مائة وأربعون فارس فأخلع المعتصم عليه وأعطاه شىء من المال برسم النفقه وأعطاه جمال وعليها الهوادج باهلة الذهب وثياب الديباج وساروا القوم ومعهم مرسوم الخليفة إلى النواب فى كل مكان بالمراعاة وأخذوا الكتاب من عبد العزيز بخطه إلى أمه وأخوته بالسلام وفى آخره يقول هذه الأبيات .

إذا ضاق صدرى استعنت بخالقى ☆ فقادر على تيسير كل عسير
فما بين طبق الجفن ثم ارتفاعه ☆ فكاك أسير وانجبار كسير

(قال الراوى) يا سادة فهذا ما كان من هؤلاء (وأما كان) من عقبة فانه نزل إلى داره بعد أن كان أيقن بهلاكه ودماره ثم انه أرسل خلف مطرون فأتى إليه وكان الخليفة قد أنزله فى دار طيبه وجعل له جراية مع المارستان ولما أن دخل على عقبة قام له وأكرمه ورفع مكانه وقربه وقال له يا مطرون لقد فعلت معى ما أنت له أهل فضحك الملعون مطرون وقال له أيها القاضى أنت صاحبى من قديم الزمان فقال له عقبة أنت أسلمت عن حقيق قال لا وحق المسيح ما هو إلا حيلة وأنت تعلم أننى لم أعتقد

شيئاً من الأديان فقال له عقبة ما الذى أزعجك من موضعك فأعاد عليه قصته مع أرمانوس وأنه أسلم فزعا من القتل فقال له عقبة كنت أقمت موضعك وأرسلت أعلمتنى حتى كنت أكاتب الملك أرمانوس يكون تحت أقدامك ولكن استعجالك لعله خير ونكون أنا وأنت فى هذه الديار كل من غاب ينوب عن صاحبه ونعمل على هلاك المسلمين بأصناف الحيل ولا نبقى منهم باقية وتعود الدولة مسيحية وقد اشتهيت أن أعمل على عبد العزيز حيله أهلكه بها فقد قوى ظهر عبد الوهاب فقال له مطرون أيها الشيخ ان رأيك صواب لأنه بعد ما أطلع على أقوالك قال ومع ذلك فان عقبة ما أحسن اليه أحد إلا وأساء عليه هذا طبعه والثانى انى أبغضه وأريد أن أعمل على هلاكه وهلاك أمه وأخوته من قبل أن يصلوا إلى ههنا حتى لايجتمع شملهم أبدا ولا يبقى منهم أحدا ولا أبقى على المسيح ان أبقيت أنا عليهم فقال له مطرون ما أنت إلا ذخيرة النصرانية فافعل ما شئت وأنا الضامن لك هلاك عبد الوهاب والبطال فقبل يده (قال الراوى) يا سادة وكان الأمير أراد الأنصراف إلى ملطية فتعلق به عبد العزيز وقال له يا مولاى أشتهى من أنعامك أن تمهل على حتى تقدم والدتى وأخوتى وتطلبنى من الامام فأنا ما اشتهى ان أفارقك لأجل الجهاد فأجابه الأمير عبد الوهاب إلى ذلك فهذا ما كان منه (وأما أبو محمد البطال) فانه أختلى بالأمير عبد الوهاب وقال له أعلم أن مطرون فضحه الله تعالى قد دخل فى عيوننا وهو لايدين بدين ولا يعتقد فى اسلام ولا فى دين وأنه على دين عقبة وشومدرس وأرى الأمر كلما يزيد ولا بد من أخذهما وأجمعهما مع شومدرس واشتفى منهما فقال الأمير وكيف ذلك فقال سوف ترى فقال له الأمير أعلم يا أبو محمد إن كلما جرى عليهم ينتسب الينا ولا سيما ما جرى فى بغداد وكان يقول الخليفة أنا أصلحت بينهم وتنقض الايمان ولكن إذا خرجنا من بغداد افعل ما بدالك هذا جرى ها هنا (واما ما كان) من عقبة فانه صار يتفكر ما يعمل من الحيل على عبد العزيز وأخوته (قال) وكان فى أرض البصرة حصنا منيعا يقال له الحمام وكان قديما من عهد الأول وكان خراب فبناه رجل يسمى هرمس وكان مجوسيا يعبد النار وكان شجاعا مناعا ومعه أربعمائة رجل كأنهم السباع وقد قطع الطريق وخان السبيل واخذ القوافل وملك البلاد فاتصلت أخباره إلى الخليفة فأرسل ينهاه عن ذلك ويقول إن كانت هذه أفعالك لأجل القلة فعلى كلما تحتاج أنت ورجالك وتكون لنا عدة فلما وصل اليه كتاب الخليفة أجاب إلى ذلك وأكل ديوان السلطان خمس سنين فتذكره عقبة وقال ما يتم لى ما أريد الا بهرمس فسير اليه عشرة آلاف دينار وغيره ودخل على المعتصم وقال له أشتهيت أن

ازور أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال له الخليفة المعتصم أصبر حتى يرحلوا إلى ملطية وارجع سافر فقال له يا امير المؤمنين لا يمكننى ذلك لأننى رايت الأمام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى النوم وهو يتشوق إلى ويقول لى يا قاضى ما صرت تشتاق إلى زيارتى فقال له المعتصم أفعل ما بدالك فمن مثلك والامام على يدعوك إلى زيارته فما أمنعك ولكن قول متى تعود فقال له يا مولانا فى غداة غد أروح ثم أنه اوصى المعتصم بكتمان سره ثم انه اتى إلى منزله ودعا مطرون اليه فقال له يا راهب اجتهد أنت فى الأمور التى حدثتنى بها ولا تتأخر فأنا عزمت على ما قلت لك عليه فقال له مطرون اما أنا فما عليك منى فسير انت على بركة المسيح ولا تتأخر فقال له عقبة هذا الذى اريد منك ثم فارقه وعاد عقبه إلى منزله وخلى بولده وقال له يا بنى اعلم ان المسيح قد أعاننا بهذا الراهب مطرون وعسى ان يجعل المسيح هلاك الأسود على يديه فمهما طلب من الحوائج اعطيه مهما أراد فقال سمعا وطاعة يا أبتاه مرادى تخبرنى إلى أين تريد تذهب فقال يا بنى أعلم أننى ماضى فى شىء امالنا واما علينا لأنى كلما رايت المسلمين وكيف ينصرهم المسيح علينا مرة بعد أخرى أموت كمدا ولم يعلم بى أحد وقد زاد بى البلاء من هذا الشيطان وهو عبد العزيز العلوى لأنه قد قطع قلبى من بغضته لكون أن له بمحمد قرابه والثانية لديانته وعفته وهو أشفق على الناس من كل أحد وفيه رحمة وأنا أشتهى من المسيح أن يعجل له بالنقمه والثالثة لمحبته لعبد الوهاب وطلبه للجهاد وقد تحدثت مع هرمس المجوسى بشىء وأنا اليه متوجه لأجل ما ينظر ما يكون منه لعله ينصرنى على هؤلاء القوم فما هو على المسيح بعزيز فقال له ولده يا بنى أما آن لك أن تدع هذه الكلفه فانى أخاف عليك فى بعض الأوقات أن تتلف فقال لولده اسكت محقك المسيح كيف يسعنى القعود ولى قلب لا يطاوعنى على فعل الخير وقد ألهمنى بوقوع الشر وسفك الدماء وخراب الدنيا فلعل المسيح أن يختم بخير ويشفينى من الأعداء فقال له ولده وحق المسيح ما بنا إلا أنك تقع فى مصيبه فما تخلص منها ونعيش بعدك أيتام فقال له يا بنى يكون هذا عندك إذا فقدتمونى وصح موتى عندكم فلا تقيموا فى بغداد ولا فى بلاد الاسلام ولكن اطلبوا القسطنطينية فان الروم يكرمونكم لأجلى وأما أنا فماضى إلى موضع قريب وأرجع اليك ثم أخذ معه غلامه أنوش وديبار وأخذ معه عشرة آلاف دينار وقال هذه قد صارت عشرين ألف دينار فى طاعة المسيح وسار يقطع الأرض وما عند البطال منه خبر إلى أن وصل إلى البصرة وعرج منها طالب حصن الحمام ونزل على هرمس المجوسى وعرفه هرمس فأكرمه غاية الاكرام وكان بينهما مكاتبات ومراسلات لأن عقبه كان إذا سمع برجل فيه شر ولعنة ومكر يجتهد أن يصادقه رجاء أن ينصره

أو يجعله له صديقا فأضافه هرمس ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع أخرج له عقبه خلعة سنية تساوى ألف دينار فلما ان رآها هرمس قال يامولاى من أين لك هذا المال كله فقال له عقبه من عندى وخالص مالى حملته اليك خدمة لك وصداقه وعندى أمثاله لحاجة عرضت لى اليك ولى ولك فيها منافع فقال له هرمس وما هى الحاجة اذكرها لى فعلى أن أقضيها لك ولو أن فيها تلاف مهجتى وهلاك روحى فقال له عقبه ياهرمس اعلم أننى كما يقال ويقولون عنى أعدائى بأننى نصرانى وذلك بأنى اختبرت جميع الأديان فما أعجبنى فيها الأدين النصرانية لأن لى فيها منافع ومسرة ومهما أردت من المال على أن الروم كلهم خلفى ومن تحت حكمى وهم فى عدد الرمال والحصى وأموالهم لى مباحه ولقد كان الملك أرمانوس قد قال لى أريد منك رجلا شجاعا صنديدا مناعا فكتبت اليه أقول ما أعرف بهذه الصفة إلا رجلا يقال له هرمس المجوسى وله عند الخليفة اقطاع مقدار عشرون قرية فى الديوان فكتب الى يقول له يأتى إلى وأنا أعطيه مدينة من مداين الروم كبيرة حولها ضياع بعدد أيام السنة وهى الروضة الكبرى وأقدمه على عسكرى وعلى من معه من رجاله فان أجاب فارسل اعلمنى حتى أرسل اليه مائة ألف دينار يستعين بها هو ومن معه على نفقة الطريق وها أنا قد أتيت فى هذا الأمر أخبرك به (قال الراوى) ياسادة ولما سمع هرمس كلام عقبه قبل يديه وقال له هذا قد عرفته وعولت عليه فما هذه الحاجة الذى قصدتنى فيها وقلت لى انها لى ولقومى جيده ونفعها عائد علينا فقال له عقبة صدقت ولكن قد بقى فى الأمر شيء واحد فقال هرمس وما هو فقال عقبه أريد منك أن تحضر قومك عشرة عشرة وتتحدث معهم فى هذا فمن أجاب كان منك ومن أبى عن ذلك فاهمله فقال سمعا وطاعة ثم أنه جعل يدعوهم ويتحدث معهم فمن أجاب أعطاه من الذهب والفضة على قدر منازلهم من الشجاعة والبراعة وهؤلاء قوم تعودوا على أكل الحرام وخوض الظلام ويعجبهم مقامهم على ماهم عليه فقالوا كلنا لا نخالف لك قولا ولا يتخلف منا أحدا لاصغيرا ولا كبيرا ولقد سمعنا أن العرب فى بلاد الروم بالأموال ومعها الدنانير والاقطاع الكثيرة وانهم قد تزوجوا ببنات الروم الذين هم مثل البدور أو الشموس الطوالع ولكن من الواجب فى ذلك المبادرة اليه فأشار إلى اللعين عقبه ففرحوا به وقبلوا يديه ورجليه وشكروه وأثنوا عليه وكانوا أربعمائة فارس (قال الراوى) فلما سمع عقبه أن القوم قد أجابوا كلهم وما صدقوا بهذا الحديث فقال لهم انى أريد أن تتحدثوا عند الملك أرمانوس وبين يدى الروم بما قد رأيتم منى ولكن أريد أن تعملون قبل ذلك شيأ تبيضوا وجوهكم

به عند الملك فى أول الخدمة فقال له هرمس وما هو فجعل الملعون عقبة يحدثه بحديث عبد العزيز العلوى وما فعل ببطارقة الروم وانهم عليه على جمر اللظى وذكر له حديث أخواته ووالدته وما معهم من الهوادج والأموال والجمال التى مع الأمير عوف وإن أنتم حملتم فى طلبهم وغنمتم ما معهم من الأموال والخيل والجمال والمهارى والأبكار فقال له هرمس طيب قلبك فلو أمرتنى أن أهجم بغداد وآخذ هذا الذى تعنيه عبد العزيز من داره لما عز ذلك على ولا يقدر أحد يخلصه من يدى ولو كان معه عسكر العراق فقال له عقبه ما أريد هذا كله بل أريد منك أن تعجل فى أخذ أمه وأخواته وأما أمر بغداد فانه أمر صعب لأن فى بغداد سباع كواسر وليوث غوائر فقال له هرمس عن من تعنى بقولك هذا فقال عن الأمير عبد الوهاب الذين قد أحرقوا الأكباد هو وقومه بنى كلاب الانجاب (قال) فضحك هرمس وقال وحق النار والنور والظل والحرور انى ما أخرج لعبد الوهاب غير عبدى عميق وكيف أخرج أنا اليه وأبارزه وسوف أوريك فيهم ما يشفى فؤادك وينكس اضدادك فقال له عقبة ما أريد إلا أن تأخذ لى أم عبد العزيز العلوى وأخواته قبل كل شىء وتقتلون الرجال الذين معه وتأخذون رؤسهم على أسنة الرماح وتطلبون بهم بلاد الروم وأعطيكم كتابى للملك ارمانوس وقد أزال عنكم النحوس فقال له هرمس زعيم المجوس ارجع إلى أى مكان تريد ولا تعرف حاجتك إلا منى ولابد ما أقطع الروس وأخطف النفوس وانظر إلى من تنفذه من عندنا رسول يثق بالخبر إلى الملك إلى أن نقدم عليه نحن بالمقصود وأنا أدخل إلى البريه وأنزل من على جادتهم وطريقهم وأكون هناك مكمن إلى حين وصولهم فأخيب مأمولهم وأطبق عليهم اطباق الأجفان على المقل واخطف أرواحهم بروس الاسل وآخذ الهوادج والكل فقال عقبة هذا الذى أريد منك وما على الفضل من مزيد وإذا أخذت العرب الذين معهم أريد ان تطلق منهم واحد أو اثنين حتى يروحوا إلى بغداد ويخبروا بما أصاب أهل عبد العزيز حتى تنفطر مرارته ويكره المقام فى البلاد فقد صار له ذكر كبير وقد وقعت له هيبة فى بلاد الروم كبيرة فقال له هرمس أيها القاضى عندى رأى ولابد لى أن أشاورك فيه فقال له عقبة قل ما بدالك فقال له إذا أخذت أم عبد العزيز وأخوته وقتلت من معهم من العربان وتركت من يمضى إليهم بالخبر فلا بد له أن ينهض من أجلهم وما تسعه الأرض وينهض عبد الوهاب معه فأنا اكمن لهم فى طريقهم فان كانوا خلق كثير فأنا امهل عليهم إلى الليل واكبسهم وان كانوا قدرنا فأنا أهجم عليهم وما اترك أحدا منهم يرجع إلى الديار فقال له عقبة اسمع منى وأنت عندى مثل الولد

وقد حنكتني التجارب وادبتني النوائب وعركتني مع هؤلاء المصائب وعرفت منهم من لا يعرفه حاضر ولا غائب فاياك أن تلاطخ القوم بالنهار فان معهم رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما قد تعودوا ركوب الخيل وخوضات الليل فقال له هرمس وقد ظهر الغضب فى وجهه أيها القاضى عليك أنت بغير هـذا فقد ذكرت لك إن عبدى عميق ما أرضاه أن يبرز إلى عبد الوهاب ومعه مائة من عسكره ولو إنهم سباع البيداء وسوف ترى ما يسرك إذا قضيت حاجتك ودخلت إلى بلاد الروم فقال له عقبة إن كان هـذا صحيح فأنا أول من يدخل معكم إلى مدينة القسطنطونية حتى اشفى فؤادى من قتل الأعادى ولم يزل عقبـة عنده إلى أن رحل هو وعبيده وكانوا كلهم بلا سائق يسوقهم ولا عائق يعوقهم يأكلون الحرام وكل يوم مقامهم بين التلال والرمال والآكام فى طلب الحطام ولا كان لهم أمان ولا ذمام وكانوا من أكثر الناس معصيه وفساد فأعقبتهم المعصيـة حاله يأتى ذكرها فيما بعد (ياسادة) وسار عقبة أيضا إلى أن وصل إلى الكوفه ودخل المشهد وأقام عند القيم ثلاثة أيام ثم دفع له مائة دينار وقال له أريد منك أن تكتب لى خطك انى أقمت عندك ثلاثة عشر يوما وكنت أدعو فيهـا لأمير المؤمنين المعتصم بالله ليلا ونهـار لأن لى فى ذلك غرضا وقد أسر فى نفسـه إنه يلبس بذلك ثم قال للقيم أنا من يتولى أهل البيت فكتب المشهدى خطه بذلك إلى الخليفة وسلمه له وفيه جميع ما قاله عقبة وإنما فعل هذا احترازا لئلا يجرى من هرمس المجوسى أمرا من الأمور فيلحقه عبد العزيز ويأخذه ويسأله عن حاله فيقول ما كان السبب فى هـذا إلا عقبة فيخرج عند ذلك التاريخ بمدة مقامه وخروجه من بغداد وعودته إليها حتى لا يصدق المعتصم فيـه كلام أحد وسار عقبة إلى أن وصل إلى بغداد ودخل على المعتصم وسلم عليه فقربه وأدناه وسأله عن حاله فناوله الكتاب فقرأه المعتصم وقال له أيهـا القاضى ما يحتاج إلى شـهود ونحن نعلم إنك ما تمضى إلى هـذه الأماكن الشريفة إلا وتدعو لنـا فيها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان من الأمير عبد العزيز العلوى فانه بقى فى الانتظار كانه على مقالى النار يعد الأيام والسـاعات فهذا ما كان منه (قال الراوى) وأما ما كان من الأمير عوف المـازنى فانه سار فى مائة فارس من قومه كما ذكرنا إلى أن وصل إلى مكة المشرفه حرسها الله تعالى وسأل عن أهل عبد العزيز فقيل له انهم كانوا فى أقصى أرض الحجاز بسبب المراعى وقد قدموا وهم بظاهر مكة على مسيرة يوم واحد فسار اليهم مجد (قال) وكانت أم عبد العزيز قد انقطعت عنها أخباره وطالت مدته وزاد شوقها اليه حتى ان لحم بطنها قد لصق بعظم ظهرها فلمـا أن طالت السفره وهملت الصبره جعلت تبكى عليه الليل والنهار ويبكوا عليه

الأصحاب والعشائر ولبست السـواد وكذلك اخوته وقالوا والله ما كنا نعرف من أخينا هذا الجفاء وما هو إلا قد هلك وصاروا يبكون عليه مساء وصباح وأصبحوا ذات يوم وكان يوم الخميس وقد بكت أمه بصوت حنين وقلب حزين وأنشدت تقول :

اعبـد العزيز فراقك دهـانى   وابكى جفونى بطول الزمان
وقد كنت يا ولدى لى محامى   فصـبر جميل لما قد دهانى
اعبـد العزيز أنى سقامى   لاجـل فراقك لما رزانى
لقد كان عيشى بعبد العزيز   هنيأ مريئا إذا ما دعانى
حمام الأراك ألا فاخبرينى   بحال الغريب الذى قدجفانى
فان كان حيا فعودى أعلمى   ديارى لعلى أنال الأمانى
ويجتمع الشمل بعد الشتات   وتذهب عنا خطوب الزمان
وإن كان أضحى برغمى قتيل   جديل الأعادى فى الصحصحان
فلا تخبرينى بما قد جرى   كفانى الذى بى قد كفانى
سأبكى شريفا عفيفا إذا   رأى الكفر كان بها غير وانى
كريما حليما له همـه   وخلق رضى وأمر وشان
سلام عليه سـلام يدوم   وإن كان منى بعيد المكان

(قال الراوى) فما فرغت أم عبد العزيز من نظامها إلا والريات قد طلعت وقضبان الفضة قد لمعت والهوادج قد لاحت فبكت بناتها لما سمعت صهيل الخيل وحنين الإبل وحاديا مطربا هذا كله والرجال بالبشارة ينوحون وإلى نحو مضرب أم عبد العزيز يضجون وقد امتلأ بهم الفلا وقد استبشرت بنزولهم عليها فقامت العجوز وهى مستبشرة بالفرح وقد لاح الاستبشار على وجهها وقالت لبناتها ويلكن قد خاننى نظرى من كثرة البكاء فما صرت أنظر إلى شىء أبدا فانظرن إن كان أخوكن فى أوائل الخيل وبوادرها واستبركوا بنواصيها وإذا لم ترونه فلا تملوا عيونكم من الرجال ولا من الخيالة فان النظر إلى الفرسان بعد أخوكن حرام ولا شك أن هؤلاء القوم عابرين سبيل وهذا جمع متزايد والدليل على أنه أكبر شاهد وروده إلى الحلة وجميع الرجال بركوا الجمال وطرحوا الأحمال وتبادرا نحو باب الخبا جميع الأبطال وقالوا ههنا أم عبد العزيز فلما سمعت باسم الغائب وأشجاها صياح الطالب وأطارق آذانها سماع كلام المخاطب وهى تقول لبناتها ويلكن لا يكون بعض الأحلاف قد ورد علينا يريد الضيافة وهم يظنون أن عبد العزيز حاضر فارسلن عبدكن للراعى فقد بقى لنا عشرة من الغنم فقدموها إلى القوم كرامة لهن

ولعل الفرج أن يكون منهن قريب فان ربنا نعم الناصر والمجيب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فنظرت إحداهن وهى مبرقعة برداء أزيالها ولها وجه مثل دائره القمر وقالت يا ميمون انزل القوم واكرم مثواهم واسمع من سيدهم ما يقول وأدرك الرعاة قبل وصول المرعى ولا تترك معهن كبشا ولا جزعا والناقة الهمقاء البقعاء وأدفعهم إلى بين أيديهم وأقم عذرنا عنـــدهم وقل لهم هؤلاء نساء خالين من الأقارب والأناسب ولا يستطعن لأنفسهن ضرا ولا نفعا وقل لهم أن عبد العزيز ما حضر وأكرم الناس من اعتذر إليه فعذر (قال الراوى) يا سادة يا كرام فذهلت القوم من فصاحة الصغيرة ولما أن سمعوا كلامها وحسن نظامها نادوها أيتها الكريمة الأصل والفرع والمنتسبة إلى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم نحن قوم رسل من عند خليفة الزمان وعبد العزيز عندهم فى أرفع مكان مقدم على الأبطال والأقران وقد صار له القرى والبلدان وهذا كتابه إليكم وسلامه عليكم فعودوا إلى لبس الحلل واركبوا هذه الهوادج والكلل (قال) فلم تصبر أن يستتم كلامه بل عادت إلى أمها وقالت لها أخرجى فإن ابنكى قد أتى إليكى سالما ومن غير الزمان قد نجا (قال الراوى) ياسادة فلما سمعت العجوز خرجت من الخبا وعليها ثياب رثه وهى تجر أزيالها وقد زاد نشاطها وكثر انبساطها وقالت انعمتم صباحاً ونلتم أفراحا ولا زلتم فى المفاخر والعيش الزاهر فى كل عصر وأوان كلما غردت حمام الأراك على الأغصان وحن غريب إلى الأوطان أنارت والله بكم أرضنا وسعد حظنا وأينعت أغصاننا وذهبت أحزاننا ورويت كبودنا التى كانت عطشانة وإلى نظر ولدها ظمآنه ثم أخذت الكتاب ورفعته على وجهها ففاضت المدامع إلى أن بلت البراقع (قال الراوى) ياسادة فلما أن حطت الهوادج عن تلك الأحمال فرفعت الحجف عن عشر جوار مثل الأقمار برسم الخدمة تركيات وروميات ومولدات وعلى أيديهن الثياب الفاخرة والحلى والجواهر الزاهرة ثم قصدن الخبا ودخلن إلى العلويات الحرائر وحطين مامعهن بين أيديهن ووقفت الخدم بين أيديهن وجعلن يتحدثن بالأخبار التى يطرب سماعهن وقلن لهن أن مقام الأمير عبد العزيز فى ملطية وقد تركناهم الآن فى بغداد مع الأمير عبد الوهاب بن الحارث بن ظالم بن الصحصاح الكلابى وقلن لهن معنا عشرة أكياس فيها عشرة آلاف دينار برسمكن فان كان لكم فى هذه الأرض من تريدون صلته فصلوه ومن له عليكن كرامة فأكرموه ومن أردتم حملانه فاحملوه فان ابن عمكن أمير المؤمنين المعتصم بالله أمر بذلك من غير أن يعلم الأمير عبد الوهاب وكل هذا كرامة له فشكرته أم عبد العزيز ودعت للمعتصم وقالت والله إن هذا الحى وكل من فيه ضعفاء صعاليك وما فيه إلا من لا له

سارحة لا يجب فيها زكاة لأنها دون الخمس من الابل ودون الثلاثة من الخيل لأن هذه المده التى غاب فيها عبد العزيز وقع الفنا فى خيولهم ودوابهم وليس من المروءة أن نشبع وهم جياع وقد أجاد شاعر العرب حيث قال

كفى بك بخلا ان تبيت بشعبة   وحولك أكباد تحن إلى الأكل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما نظر أهل الحى إلى هؤلاء العرب قد نزلوا عند مضرب أم عبد العزيز قال بعضهم لبعض ويلكم أن القادمين ههنا عند أم عبد العزيز هم على ضيافتنا وان كانوا قد نزلوا على أشراف أسياد أعلا حسبا فان ضيوفهم ضيوفنا وما نتخلى عنهم ولا نحقر شأن أم عبد العزيز لأن ذمامها هو الذمام واذكروا لها وقد دهمتكم الأعداء وسلبتكم من الرداء (قال) ياساده فلم يبقى أحد منهم إلا وعقر ولم تكن إلا ساعة حتى جاءت الجفان على أيدى الرجال فأكلوا حتى شبعوا وعند فراغهم من الأكل سألوهم عن سبب قدومهم فأخبروهم بما جرى فسروا بذلك وقالوا والله ما يهون علينا فراقكم وان كان ذلك سبب أرزاقكم فخرجت العجوز وادعت بالمال فسكب بين يديها عشرة آلاف دينار فذهل أهل الحى الصعاليك منهم والأغنياء ثم جعلت تعطى الرجال وترسل عبدها ميمون إلى النساء والأرامل والأيتام فما بقى أحدا إلا وأخذ من المال إلى أن فرقت الجميع ولم يبقى عندها ولا الدرهم الفرد فتعجبت العرب من كرم نفسها وأصبح أهل الحى أغنياء بعد ماكانوا فقراء ولقد ذكر بعضهم فى تاريخ الحجاز انهم اشتروا بذلك المال أغنام وجمال وجعل الله لهم فيها البركة وصاروا أكثر أهل الحجاز بنعمة (قال الراوى) ياساده وأقاموا الناس ثلاثه أيام وتجهزوا للرحيل فى اليوم الرابع وودعن البنات والنساء وبكيت الحبايب على فراق أحبابهن وركبن فى الهوادج والمحامل والعماريات على مطارح الأطاس المحشية بريش النعام وجروا معهم حوائج وزوامل فيها الكعك والخشتنانك وصاروا وقد حدت الحداة هذا وأم عبد العزيز تعد خطوات الجمال والمراحل والمنازل شوقا إلى ولدها وهى تقول

ألا حفظ الله الجمال لأنها   تسير بنا نحو الحبيب المدانيا
سأصحبها يوم الرحيل كرامة   كما صبرت فى طيها للفيافيا
فما برحت روحى بنيل عظيمة   ولو خبرت بالخافقين كما هيا
وما رمت إلا نظرة بعد نظرة   إلى وجه من أضحى حبيب فؤاديا
ترى نلتقى يوما وتدنو ديارنا   إليه سريعا قبل يوم وكاتيا

(قال الراوى) ياساده ياكرام فأبكت العيون وأثارت الشجون وقالوا لها ابشرى

بالاجتماع قريب والوصول إلى الحبيب والأمير النجيب وساقوا الجمال مسرعين وهم بها محدقين وإلى نحو العراق طالبين إلى أن وصلوا إلى أرض الحجز دون الشقوق بمرحله وهم فرحين بقربهم من البلاد غافلين عما يريد رب العباد وما يعلمون بما فى الغيب المكنون وما به قد دارت الافلاك بمشيئة من يقل للشيء كن فيكون ثم دخلوا إلى أرض الشقوق عندها لاحت لهم الغربان تزعق عن يمين القوم فأقبلوا العرب أن يبشرون أم عبد العزيز بقرب ولدها فقالت لا والله إلا أنه تحذر فدبروا أموركم واحذروا عدوكم فانى خائفة عليكم لأنى خابرة بزجر الطائر وكلام السائر فاحفظوا أنفسكم عند الماء واطلبوا الملعونة من رب السماء فقال بعضهم هذه العجوز قد كبرت وأحوالها من شوقها إلى ولدها قد تغيرت فقال لهم أميرهم خذوا أهبتكم فقد قالت الحق لأنها والله من سلالة طيبة ولا شك انها بهذه الأشياء مجربة إلا أن معنا كتاب السلطان إلى سائر معربان بالمراعاة والضيافات والاحسان عند ملاقاتنا فى كل مكان فشدوا عزمكم وجدوا القوم جدا وكدا إلى أن وصلوا إلى الماء وأرادوا الراحة وقروا من المسير والتعب والظمأ فنزلوا هناك وهم فرحين مستبشرين (قال الراوى) ياساده فماهم إلا أن نزلوا واستقر بهم المكان حتى علا عليهم الغبار من سائر الأقطار وسمعوا وقوع حوافر الخيل كانه دوى السيل وقد كشفت الرجال رؤسها واشتاقت إلى القتال نفوسها وقد أطلقوا إلا عنه وقوموا إلا سنة وفى أوائل الخيل هرمس وهو كانه الفتيق وكان عظيم الخلقة هائل المنظر كانه أسد قسور إذا ركب على عوالى الخيل يعد بأبطال وعبده عميق إلى جانبه وهو يضاهى مولاه فى القوة والشجاعة وكلما فعل شيأ عمل مثله وكذلك الأربعمائة عبد الذين معه ما فيهم واحد إلا وقطع الطريق وحده وأخذ القوافل بسيفه وصاح فيهم هرمس خذوهم فهم رزقكم قد ساقتهم النار اليكم من قبل أن يصلوا إلى العراق (قال الراوى) ياساده فلما نظر الأمير عوف زعق فى رجاله فتواثبوا إلى الخيل فركبوها وإلى سيوفهم امتشقوها وإلى الرماح اعتقلوها ودنوا من أم عبد العزيز وقالوا لها والله لقد صدقتى وما أخطأ زجركى وكنا أخذنا به لما نزلنا بهذه المنزلة وكنا أوسعنا فى البريه إلى منزلة غيرها بفاضل يوم وليلة ولكن كل مقدر كائن وعلينا أن نقول لكم لا تخافوا وتقوا بالله تعالى فما نتخلى عنكم حتى تذهب نفوسنا وتطير رؤسنا (قال الراوى) ياسادة ياكرم وأقبل الأمير عوف على أصحابه وقال لهم أن الله تعالى مدح القلة وأوعدها بالنصر على الكثرة فقال عز من قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم أن هؤلاء حريم علويات وعربيات طاهرات فما يحميهم

إلا كل كريم فقالوا له أيها الأمير الأجل الرفيع المحل والله ما فينا إلا من قال فى نفسه هذا وحسب هذا الحساب رغبة فى الثواب وخشية من العذاب فقال لهم ومع ذلك فها أنا أسير إليهم وأحذرهم وأنذرهم وأخوفهم من بأس الخليفة فان أجابوا فهو الذى نريد وقد حقن الله الدماء ودفع عنا وعنهم الأذى وإن لم يقبلوا ولم تعمل فيهم النصيحة فأنا إن شاء الله تعالى نوثقهم طعنا وضربا ولو كانوا بعدد الرمل والتراب فان سلمت يبيضت وجهى عند أمير المؤمنين وعند الأمير عبد الوهاب وعند الأمير عبد العزيز وإن هلكت فما يضيع عند الله تعالى لأنى حامى عن نسوة لهن اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لوى عنانه إلى الخيل المقبلة وقد صاح بحجرة كانت تحته من أسبق الخيل اسمها برقة وكان بكفلها تدوير وبحوافرها تحجيل وبيدة رمح طويل أربعة وعشرين أنبوبة جيد الكعوب وعليه سنان كأنه كوكب أو قبس على مرقب أو نار ذات لهب فلما دنا من الخيل أوقفها وصاح ويلكم ما نحن ممن يطمع فى من لنا ولا بدرهم واحد لأننا أبطال الحرب فى موقف الطعن والضرب تخافنا الأبطال وتهابنا الأقيال وما منا إلا كل ليث ريبال معود للطراد والنزال وأنا عوف المعروف وفى الأبطال موصوف وفى الحى أقوى الضيوف لا يذل جارنا ولا يهان جوارنا ولا تخرب ديارنا ولا نرضى لأنفسنا بالعار والذل والشنار ومعى من القوم مائة فارس قد خاضوا المعامع وشهدوا الوقائع وأعرفكم إننا رسل الخليفة المعتصم ويد الخلافة لا تطاولها يد فان أنتم تعرضتم لنا فما تسعكم الأرض ذات الطول والعرض ولا يجيركم من الخليفة مجير وما معنا مال ولا نوال ولا رجال وانه ما معنا فى هذه الهوادج غير نسوة عربيات شريفات حسيبات نسيبات لربهن طائعات وهن أخوات عبد العزيز العلوى (قال الراوى) يا سادة فلما سمع هرمس كلام عوف وكان فى أوائل أصحابه كما ذكرنا فناداه يا ابن اللخنا سلم ما فى يدك من الرواحل فانك عن الدنيا راحل فما فيك شك ونحن عارفون بك وبمراضعك وأما قولك عن العربيات فما القصد أحد غيرهم حتى نسلمهم إلى أعلاج الروم بعد أن نمحى منكم الرسوم (قال) فلما سمع الأمير عوف كلام هرمس أسودت الدنيا فى عينه وقال له يا ملعون ما ترهب الخليفة المعتصم وتعلم أن يد الخلافة لا تطاولها يد فانه ليس ينجيك من الخليفة أحد فقال هرمس للأمير عوف لا وحق النار والنور والظل والحرور وإن كنت ما تعرفنى أنا أعرفك بنفسى أنا عابد النار هرمس المجوسى وطول دهرى أقطع الطريق وأخون السبيل وأرغم آنف أهل العراق ولم أخف عسكر جرار ولا فارس كرار ولا سلطان قدامه أشرار وبعدها أنشد يقول هذه الأبيات

أيا عوف خلى الغانيات فاننى نصحتك نصح المشفق المتوكد
حلفت بحق النار إذ لم أسوقهم إلى بلد الكفار فعل مسدد
وأعطيهم للروم من غير وخمة وأنصح أرمانوس إذذاك سيدى
وما فيكمو من ينج منا بسيفه ولكنه يهوى بحد مهندى

(قال الراوى) يا سادة فلما سمع الأمير عوف ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه ورجع إلى قومه وقال لهم خذوا لأنفسكم الأهبة فهذا الذى تعرفونه ولا تنكرونه هذا هرمس المجوسى وقد ذكر أنه ما أتى إلا لهذه العلويات قاصد ولهم معاند فقالوا له وما عسى أن نفعل فوحق الله العظيم ورسوله الكريم لا نتخلى عن هذه النسوة وفينا عين تطرف فشكرهم على ذلك المقال وقد أدركه هرمس المجوسى فعطف عليه الأمير عوف وهو ينشد بهذه الأبيات الحسان

أهرمس قد أتاك حتفك عاجلا عزيز حكيم عالم السر والجهر
جواد رؤف قابل التوب حاكما بصير قدير كاشف الهم والضر
فكن راجعا عن حربنا ونزالنا وإلا وبالمختار والطاهر الطهر
أذقتك ضربا يترك القرن ثاويا ويضحى صريعا فوق مهمهة القفر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلم يتم الأمير عوف شعره حتى انطبقت عليهم الرجال وعملت الصواوم الثقال ولعبت الأسنة بأرواح الرجال وارتجت الأرض بالزلزال وأظلم الجو من كثرة الغبار ونفرت الوحوش من الأوكار وحكمت الشفار فى الأعمار وحمى عليهم النهار وكانت أرض مقفرة معطشة كثيرة البلاء والآفات قليلة العشب والنبات فعند ذلك حمل هرمس على الأمير عوف وطغى وتجبر وقال يا أخس البشر وأقل العرب ومن ضرب فى البيداء وتدوطنب وجامع الجلة والحطب وحق النار ذات اللهب لولا أننى أذرى إلى مثلك ولكن أقل من فى هؤلاء يأتينى برأسك من بين أهلك وناسك ثم نادى يا أبا مقلاع فقال لبيك قال له دونك وعوف أرغم أنفه ولوح قحفه وعجل حتفه فقال يامولاى أخرج إلى عوف وجميع أصحابه فقال لا بل له لوحده ولكن الباقون نصب عينه (قال الراوى) عند ذلك حمل أبو مقلاع على الأمير عوف فحمل الآخر عليه فما كان مثلهما الا كمثل كبشين تناطحا أو أسدين تكافحا وأخذا فى الكر والفر إلى أن قدحت حوافر الخيل النار من شدة الجولان ثم أختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة الأمير عوف فوقعت فى خاصرة أبو مقلاع فالقاه بها فى القاع فعظم ذلك على هرمس وكان هذا العبد له عنده منزلة عظيمة وكان يفضله على جماعة من العبيد

فلما أن رآه قتيلا بكى وقال يا عوف قتلت أبا مقلاع يا خسيس الطباع فقال نعم وأقتلك معه يا ابن اللخنا وتصير ملقى فى القاع مخضب من ذلك فغضب من ذلك وصاح يا سالم فأجابه عبد كأنه الفتيق فى تقاطيع الجمل هائل المنظر طوله قصبه وعرضه مصطبه فقال لبيك يا مولاى فقال له أخرج إلى هذا الذى قتل أبو مقلاع نخذ ثاره ولا ترتاع فقال له سمعاً وطاعة يا مولاى فلو كنت دعوت إليه غيرى لقتلت نفسى لأنى أولى بالمصيبة وما هو من رجالى ولكن الأيام تجور والزمان غرور وحمل سالم وجال على الأمير عوف فما فى الحاضرين الأمن أيقن أن سالم هو الظافر لأنه مثل الجمل الهائج والزبد على شدقيه مثل القطن المندوف ففتحا فى الأرض ميدان وأجادا ضربا وطعان إلى أن صار وقت الضحى فاختلف بينهما طعنتان فسبقه عوف بالضربة فجاءت على نخذ سالم فقطعته إلى حد ظهر الجواد فأحس الجواد بالسيف فنفضة من على ظهره إلى الأرض فصاح هرمس ياويلك قتلت سالم قال نعم ولو كنت موضعه لقتلتك فغضب ودمدم وأشار إلى الشمس ساجدا وقال وحق هذه الحرارة الموقدة التى كأنها نار مرصده لأقتلنك أشر قتلة ثم نادى يا شيظم قال لبيك فقال له دونك وإياه فما للحديد إلا الحديد ثم أن شيظم حمل على الأمير عوف وهو يرتجز ويقول

سابكى على من قد مضى فى مهامه ... من القاع بعد الكر والفر والفخر
عنيت لمولاى الأمير وصحبه ... لأن له فخرا يفوق على الفخر
ومن دينه دينـــا صحيحا لأنه ... يشير إلى النار العظيمة والجمر
سأسلب عوفا روحه بمهند ... صقيلا يقد الهام يقدح كالشرر

(قال الراوى) ثم حمل شيظم على الأمير عوف فاستقبلة وتعاركا وتماسكا وتشابكا ولم يطل بينهما القتال حتى ضربه عوف على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه فصاح هرمس بأصحابه ياويلكم قتل شيظم فقال له واحد منهم يقال له بشار وكان عارفا بعوف من قديم الزمان ياهرمس أراك تتعجب وتقول قتل فلان وقتل فلان لعمرى ولو كنا فى أمثالنا أربعين مرة لفرغ منا ولم يترك أحدا وأنا أعرف الناس به وهو الذى خوارج بلاد خراسان نظرت منه الأهوال وقدمه الرشيد على عساكره والأجناد فهد له البلاد وعمل الجسور والقنـــاطر ورجع سالم فانظر لنفسك وأن المعتصم لو لم يعلم أنه وحده يريد عسكر لما أرسله مع هؤلاء المائة فارس فان أردت قتله فاخرج اليه بنفسك أو يخرج اليه عبدك عميق فليس له مثله وإذا لم تريد ذلك فأطلقنا كلنا عليه وقد قتلنـاه فى ساعة واحدة بالصفاح ورفعناه على أسنة الرماح وليس الجد مثل المذاح (قال الراوى)

يا سادة يا كرام فلما أن سمع هرمس كلام بشار عظم عليه وكبر لديه ونظر إلى أصحابه كلهم نظرة الغضب قالوا على بشار وقالوا له أسكت ثكلتك أمك وعدموك قومك يا ويلك ومن هو سبع الآجام وربى على أكل الحرام وما خرج إلى عوف إلا الذى لاقدر لهم ولا شأن وأقل ما فينا يخرج اليه ويقطع رأسه من بين كتفيه فلما تكلموا مع بشار من كل جانب ضحك وقال أنا قلت لكم ذلك على سبيل أنى أنخيكم وإلا فأنا أعرف أن كل واحد منكم يريد من عوف جماعة فدونكم واياه واحد بعد واحد لا يركبنا العار ونصير معيره فى الأقطار لأن الأنصاف مليح والجور قبيح ولولا أننى أخاف أن خرجت اليه تغتابونى وتقولوا أقعدنا عنه وخرج اليه حتى يكون الذكر له لما خرج اليه غيرى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فرضى عنه هرمس بذلك الكلام وأقل عنه العتب والملام ثم خرج اليه فارس رقيق رشيق كأنه شعلة حريق أو حجر منجنيق وفى يده ثلاث مزاريق لو ضرب باحدهم جنب فتيق لما كاد ان يطيق فشهد له أصحاب الأمير عوف بالشجاعة لأجل ما فيه من الرشاقه هذا وأم عبد العزيز وبناتها يبتهلون إلى الله تعالى بالدعاء لعوف ان ينصره على أعدائه (قال) وكان اسم الفارس رشيق بن هطال وكان بطلا لا يطاق ولا يلتق صعب المراس ما ضرب قط بزراقه أحد إلا وأهلكه سيدا كان أو راجلا فخاد إليه الأمير عوف وعطف عليه عطفة الأسد بهمة أخف من الهوى إذا سرى وكان الأمير عوف ابن سبعين سنة وهو صوام قوام وكان قد خطف المزاريق من الهوى لما حصل فى كفه هزه وزرقه به فوقع فى صدره كانه حجر منجنيق فطلع من فقارة ظهره على التحقيق فوقع إلى الأرض صريع يمج علقما ونجيع فكبروا أصحاب الأمير عوف فصاح به هرمس صيحة عظيمة نفرت منها الخيل فقال بشار لا بأس عليكم تقطعوه بأسيافكم فطيبوا قلوبكم ولا تتركوا العار يركبكم وليخرج إليه فارس خلافه فلولا السبب الذى قلت لكم عليه لخرجت عليه فخرج إليه فارس يقال له عاصف مثل الريح العاصف يقصر عنه وصف الواصف وحمل عليه فالتقاه عوف بقلب غير قلق ولم يطل المكث بينه وبين عوف دون أن ضربه ضربة من كف منطاق جاءت الضربة فيهما خفة مرقت من عنقه إلى تحت كتفه فمال إلى الأرض فصاح بشار لهرمس وقال يا مولاى قتل عاصف فأخرج إليه غيره ما دام إنه قد تخبل حتى يأخذ التار ويكشف عنا العار فان الشجاعة صبر ساعة فاغتاظ هرمس من كلامه وأراد أن يفتك به فخرج إليه فارس كانه البرج المشيد أو جبل من حديد وهو يرتجز ويقول :

أنا الذى فى الحرب طاب لى العمل لا أرهب الموت ولا أخشى الوجل
اليوم يا عوف نراك مجندلا لطعنة صمصامة سمر الأسل
إن كنت ما تعرفنى وإلا فسل نخالد اسمى وأكنى بالجمل

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ولما فرغ من هذا المقال قال له دونك والقتال والحرب والنزال فحمل عليه عوف وتحاربا حربا شديدا يشيب من عظم هوله الطفل الوليد ويخضع له كل جبار عنيد ثم عطف عليه الأمير عوف وطعنه طعنة أسد ريبال فوقعت الطعنة فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره فقال هرمس يا ويلكم قتل خالد البطل الجالد الذى كنا نعده للشدائد ويا حسرتاه يا خالد الجمل فقال بشار لا بأس عليكم فما أقول إنه قد بقى فيه ما يدفع عن نفسه فدونكم والبراز إليه والساعة وتأخذوه فغضب هرمس وقال يا ويلكم اقتلوا هذا بشار القرنان فقد أفطر قلبى بالهذيان وما هو إلا يهزأ بنا وحق النيران وتصاعد الدخان ثم حمل على بشار بنفسه ليطعنه فقال يا مولاى بحق النار لا تفعل فأنا أخرج إليه وآخذ رأسه من بين كتفيه فقال له هرمس دونك وإياه فخرج بشار على جواد سابق له لون رائق فلما تقرب منه ناداه يا مولاى لعلك قد سمعت ما جرى على منه وما جئتك اضطرارا بل اختيارا ولى أسوة بك وقد استأمنت اليكم ثم قذف بجواده إلى الأمير عوف ونادى يا هرمس اليوم آخذ رأسك وأخمد أنفاسك كيف ترى ما خرج منكم إلى هذا أحد وسلم غيرى فما فيكم أشجع منى فمن أراد منكم السلامه فليعمل كعملى وليفعل كفعلى (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع هرمس ذلك لم يجد اصطبار دون أن خرج بنفسه كانه العقاب الكاسر والأسد الظافر فتعلق به عميق وقال له هيهات يا مولاى ان أمكنك من الخروج إلى من كرهت نفسك الخروج إليه فى أول مرة وأنا بين يديك وسوف آتى به إليك ثم خرج إليه عميق ونادى يا عوف دونك والتقال فلما سمع عوف ذلك رجع وودع أصحابه وأوصاهم بالحريم (قال) وكان عوف قد خالطه التعب مما لاقا من الأبطال الذين خرجوا إليه وظفر بهم (قال الراوى) يا سادة وصار عميق وقال يا عوف الرجال يختلفون فدونك والقتال والانصاف فاذا أخذت الراحة كانت المبارزة لك مباحة فقال الأمير عوف دونك والقتال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال) وكان هذا العبد عميق جبار وكان فى طبقة اللعين هرمس وكان الأمير عوف عاقلا مسددا فلما علم خصمه خشى العاقبة فرجع إلى أصحابه وقال لهم اعلموا أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وقد برز إلى هذا العبد وهو أشجع وأفرس ممن خرج إلى وأن ما فيهم أحدا مثله وأنا أعرف الناس به وقد بذلت نفسى لله تعالى حتى

قتلت من تعلمون ولولا هرمس وهـذا العبد لم يكن فى الكل من يقوم مقامى ولا يروم مرامى ثم نادى بولد له يسمى صباح وقال له يا بنى قال لبيك قال وصيتك بالحريم ولا تنظر إلى شبابك فتخلى عن البنات الأبكار العلويات الأحرار ولا يأخذونهم عبدة النار فيغضب عليك الملك الجبار واعلم إنك إن مت شابا طائعا أحب اليك من أن تكون شيخا عاصيا فقال له صباح أيها الأمير أما ما ذكرت من تسليم الحريم فوالله العظيم لا أسلمهم وأنا أعقل على روحى وإذا غلبت بعد ذلك فلهم رب لا يتخلى عنهم فهو أن ينصرهم فلا خاذل لهم وما أقول انك قد وهبت هذا الفارس لى فروحى لروحك الفداء وأنت فقد تعبت من هؤلاء الأعداء فدعنى أنا أخرج اليه فهو منا قلبى وأنا أؤمل من العزيز المولى أن يظفرنى به وما قدر هذا العبد الملعون فقال له عوف يا بنى سلمك الله تعالى ورضى عنك هيهات أن أريحك أن تخرج اليه وما وصفته يا بنى خوفا منه ولكن على وجه التعريف لكم والله خليفتى عليكم (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم رجع إلى عميق وانطبق عليه وحمل كل واحد منهما على صاحبه حملة صادقة ودام بينهما القتال واشتد المجال وحجبت منهم الأفيال وطلع الغبار فحجبهم عن الأبصار فصار لا يسمع منهما إلا التهدير من صدورهما والشخير من فرسيهما وما زالا كذلك طول النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار وناداهما الفريقان بالانفصال فرجعا عن القتال فأما الأمير عوف فالتقوه أصحابه بالدعاء والهناء وقالوا لله درك من شيخ أشفى الغليل وأرضى الملك الجليل فجزاك الله عن فعالك خيرا وقامت اليه العجوز العلوية وقالت يا ابن الكرام جزاك الله انعاما واكراما فقد شفيت صدورنا من اللئام وسكنت بعزمك لوعات البنات الأيتام ونحن نسأل من بقدرته أسكن الظلام وأنزل الغيث من الغمام ووضع الأرواح فى الأجسام وهو الحى القيوم الذى لا ينام أن ينصرك ولا يخذلك ففرح بدعائها وتولى ولده الحرس واجتمع الفرسان مع الأمير عوف وسألوه عن خصمه فقال والله لقد لاقيت فرسان العرب والعجم والترك والديلم ومثل هذا الملعون عابد النار ما رأيت من حسن احترازه من الطعن والضرب وما فتحت بابا من أبواب الحرب الاسده إلى أن أذهلنى ذلك وما صدقت بالليل أن يقبل والظلام أن ينسدل كيما تنفصل لأننى والله كنت قد تعبت من غيره كما علمتم غاية التعب وبالله المستعان وانى صبرت اليوم على شدة الحرب الشديد الذى ما عليه من مزيد وأرجو من الله تعالى فى غداة غدا أن يبارزنى كما جرت العادة فاما أن أقبض فأفوز بالسعادة وأما أن أقتل العبد وهرمس وقد ذلوا الباقين بعدهما فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من العبد عميق فانه رجع إلى هرمس

وقد هلك من شدة التعب فهناه بالسلامة وقال له ياعميق ما قلت ان هـذا الرجل الشيخ فيه هذه الجلاده أبدا وما قلت أنه يثبت معك ساعة واحدة ولقد كنت أقول انك تلاقى عبـد الوهاب وأبطال بنى كلاب فقال له يامولاى اياك والاحتقار بالرجال فان ذلك من ضعف الرأى وسوء التدبير وأقسمت بذات الشواظ واللهب وأكالة الحطب والخشب ان كنت رأيت من هو أوفى من طبقة هذا الشيخ إلا أن يكون أنت ولقد لقيت عبد الوهاب أمير بنى كلاب وقـد خرجن قاطعين الطريق مع حفاجه على الحجاج وكان معه جماعة من بنى كلاب ولم نعلم به وأنه حمل علينا فى قومه وأصحابه فقتل منا مقتلة عظيمة ووقع عبد الوهاب فى قسمى فقارعته بطول النهار إلى أن شخصت الأبصار فلما رأى ذلك منى فقال لى ما اسمك قلت عميق فقال هل لك أن تدع هذا الحرام وتعد إلى الله تعالى وأنا أعطيك من المال أوفى مرام فلما سمعت ذلك خفت أن يكون ذلك حيلة منه على حتى يفترسنى فلم أفعل وخدعته حتى خلصت منه وفى ذلك العام جئت اليك فعرفتنى مقصودى وأريتنى طريق معبودى ولم أرى فى زمانى ذلك إلى الآن أعظم من هذا الانسان ولعمرى لقد بان لى منه التقصير فى آخر النهار إلا أن الليل أدركه بسلامته وفى غداة غد يكون الانفصال وبلوغ الآمال فقال هرمس إن كان قد بان لك أنه أرجح منك فاعلمنى حتى أخرج اليه وأكفيك مؤنته (قال الراوى) ياسادة وقد بات الناس يتحدثون ويتفكرون فيما يجرى بين الفارسين وأقاموا إلى أن برق ضوء الصباح فقال أصحاب هرمس أيها الأمير لقد كان بشار نعم الناصح والمشير وأنه حذرنا من الموت فأقبلنا منه وقد قتل منا خلق كثير واليوم نحمل عليه وتسقيه شراب النكال والتعتير فقال لهم هرمس لا أقبل هذا ولا أسمعه منكم لأنكم عجزتم عن واحد قتل بعضكم وما قدرتم على أخذه إلا بالمكاثرة وليس هذا صواب ولكن إذا عجز عبدى عنه برزت أنا اليه ثم آخذه فى نفس واحد وأنتم لى بذلك أكبر شاهد ثم قال ياعميق على ماذا عولت قال على الخروج إلى خصمى حتى أشفيك منه فقال له دونك وما ذكرت فوثب عميق كأنه شعله حريق إلى أن صار بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى أين الشيخ المجالد وقاتل رفاقى فليخرج إلى ويقدم على فاما أن يلحقنى بأصحابى وأما أن أقتله اليوم وأريحه من اللوم فما استتم كلامه حتى خرج اليه الأمير عوف كأنه الأسد الضرغام فتلقى عميق كأنه نار الحريق وما زالوا فى كروفر وأخذ ورد وهزل وجد وأخذ ورد إلى أن تقصفت الرماح وتقاربا حتى التصقا واحتك الركاب بالركاب وبطل بينهما الضراب والطعان ولم يبق إلا المعاركة والمقابضة والامير عوف

شيخ كبير على كل حال فلم يزل به العبد إلى أن أضجره وجذبه من جلباب درعه ورفص جواده برجله فخرج من تحته وبقى الأمير عوف معلق فى يد عميق فعطف به راجعا إلى مولاه هرمس ففرح به واستبشر وقال أحسنت يا عميق (قال الراوى) يا سادة ونظر صباح ولد الأمير عوف إلى أبيه وهو فى يد عميق أسير فرمى عمامته ثم صاح واأبتاه وحمل فحملت رجاله وقد عظم عليهم وكبر لديهم وحمل هرمس بجميع جنده وجال على الناس بعظم طعنة وضربة وعمل الهجير على السادات فأيقنوا بالممات وأمسى المساء وحندست الظلماء وقد قتل من أصحاب الأمير عوف عشرون رجلا وقتل من أصحاب هرمس مثلهم وكان هرمس قد فتك فى الأبطال وحاما عن عميق حتى خرج من حومه المجال بالأمير عوف ثم أوثقوه كتاف وأرادوا قتله فقال هرمس لا تفعلوا فاننا ما نتقرب إلى الملك أرمانوس إلا بهذا الذى قد شاهدتم فعاله وهو رجل مذكور عند الروم ثم صبروا إلى أن أصبح الصباح وقد خرج عميق إلى مقام الكفاح فهم صباح أن يخرج إليه فقال عبد يقال له تميم بالله يا مولاى إلا ما تركتنى أخرج إليه فقد اشتاقت نفسى إلى قتاله فقال صباح دونك وما طلبت فبرز تميم إلى عميق وخرج من أصحاب هرمس فارس فحمل عليه صباح فلما طال الحرب بين صباح وبين صاحب هرمس حتى قتله وخرج اليه آخر جند له ولم يزل كذلك إلى أن قتل من القوم سبع فوارس فأمسك عنه القوم ولم يخرج اليه أحد وأما الأمير تميم فانه قاتل عميق قتالا شديد إلى أن أختلف بينهما طعنتان فسبقه عميق بالطعنة فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره ونظر عميق إلى ما فعل صباح بأصحابه فحمل عليه فتلقاه صباح وأنطبقوا الأثنين وحان بينهما الحين إلى أن مالت الشمس إلى الغروب فصاح عميق يا صباح ما بال النساء مولولات صائحات وأصحابك ليسحبوهم الينا وهن يطلبن الأمان منا (قال الراوى) يا سادة فلما سمع صباح ذلك من عميق ذهل وحسب ان ذلك حقا وان أصحابه قد فعلوا ذلك خوفا من الموت فالتفت إلى القوم وهو مدهوش ينظر إلى ذلك فوثب اليه الملعون وطعنه فى جانبه الأيمن نفذ الرمح من الجانب الأيسر فبكيت النسوان وكذلك أصحابه الفرسان وقال كل واحد منهم وا أسفاه عليك يا صباح والله لقد خدعه عميق وعجل الله بروحه إلى الجنه ونظرت أم عبد العزيز إلى ذلك فأسبلت دمعتها وزادت حسرتها وقالت ليته كان أسر فقالوا لها الباقون أيتها الأميرة كلنا إلى هذا المصير مصيرنا ومالنا فى الحياة أرب وإن كانت المنية مر المزاق ولكن نحتمل ذلك فى طاعة الملك الخلاق ولا نصير معيرة عند أهل الآفاق (قال) وأظلم الليل عليهم فأمر هرمس عبيده ان يطوفوا بخيولهم طول الليل

حتى لا يهرب منهم هارب إلى أن برق ضياء الفجر هنالك خرج من أصحاب هرمس فارس وكان اسمه الديال وهو معروف بين الفرسان فقال ياويلكم أيها الجاهلون بما قد نزل بهم هذا هرمس الذى تفزع منه الابطال وتستنجد به الاقيال وعبده عميق وقد عاينتم من فعالهم ما أبصرتم وما بقى لكم محامى فان كان لكم نية فى السلامة فسلموا نفوسكم تسلموا من الموت وإن أبيتم ذلك فكلا منكم هالك فما أنتم قائلون (قال) فأجابه فارس يقال له ماجد بن سعيد وقال له ويلك ان مقالك بئس المقال ولسنا ممن يسلم الحريم إلى الأنذال ولا نرغب فى الحياة الفانية (قال) فلما سمع الفارس كلامه حمل عليه وتطاعنا ساعـــة ثم أنه طعن ماجد فى صدره أطلع السنان من ظهره وخرج إليه آخر جندله حتى قتل من القوم اثنى عشر رجلا وبقى الثلاثون فأيقنوا بالهلاك والتدمير ودنا منهم عميق وقال ويلكم القوا مافى أيديكم من السلاح وأسنة الرماح قبل أن يحل الأمر من فارس الوقائع ويخطف أرواحكم من بين الاضالع فصاح به بشارهم يا عميق وها أنا معهم أنصحهم وأقول لهم لاتفعلوا واخوفهم من بأسكم لأنى أعرف من شجاعتكم ما يعرفه أحد وكان قصد بشار أن يصلح شأنه عندهم لأنه عاين من القوم أنهم مغلوبين (قال الراوى) فلما سمعت بنات الفضل العلوى ذلك أقبلت الكبيرة على أمها وقالت أعلمى أن القوم هلكوا من أجلنا وأن الباقون قد تخلوا عنا وما يلامون على ذلك لأن الموت غير لذيذ ومذاقه صعب شديد وأنا الذى لا أسلم روحى إلى الأعداء وأخاف من نكبات الرداء والمعيرة فى كل مكان أبدا فقالت لها أمها وما الذى تصنعين يا نسيبه وما الحيلة فى هذه المصيبة فقالت لها أركب بعض هذه الخيول الجياد وأعول على الجلاد حتى أشفى فؤادى من الأعادى فان نخوة عبد العزيز فى رأسى من يوم كنت أراه يركب الخيل ويتفرس عليها وكنت أفعل كفعله وأنا وأختى عارفين بالفروسيه ولا نسلم أنفسنا الكرام إلى هؤلاء اللئام ثم أقبلت على بعض الرجال وقالت له بلسان فصيح ياوجه العرب جزاك الله تعالى خيرا فلقد نلتم من الله الثواب وما بقى فيكم إلى هؤلاء القوم فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولكنى أحق من بكى لأنى كالوالهة الثكلى وأنا أخرج إلى هذا الملعون عميق قبل أن يهجم علينا ويصل الينا ولقد بلينا منه بمالا يطاق على أنى قد لاحت لى عليه المضارب وهو كثير الاحتراز فاعطونى جوادا وعدة جلاد وسوف يظهر لكم ان شاء الله تعالى عجزه (قال الراوى) ياساده فلما سمعت العرب كلامها قالوا لها يا كريمة النسب هذه خيولنا كلها بين يديكى ويعز علينا أن يصير هذا الأمر اليكى ثم انها مدت عينها إلى جواد كان بين يديها يسبق الأجل مليح الكفل

سريع إذا صهل يحجل الأربعة بغرة مثل الصباح فعادت اليه وأوثقت حزامه فعلقت قوائمه من الأرض حتى أخمدت أحداق الجواد من كثرة ما قاسى منها ولبست درع سابل الأكام حسن النظام وعملت البيضة على رأسها وتحزمت من فوق الزرد وأخذت رمحا طويلا بكفها وأشارت إلى أختها وأمها وهى تقول

عليكم سلام الله مالاح كوكب ... وماحنت الأطيار يوما إلى الوكر
سلام الذى خافت من الضيم فانثنت ... تريد الأعادى بالمرهفات السمر
سأترك أجسام اللئام طريحة ... إلى الطير ملقاة إلى آخر الدهر
أحامى عن القوم الكرام وغيرة ... عن الأم والاخوان فهم ذوى القدر
فان بلغت روحى فلله درها ... لقد خلصت من أسرها فى يد الكفر
فقد جاء فى الأمثال بيتا معينا ... حفظناه مما قاله وهو ذو خبر
أموت بعز لا أموت بذلة ... وعند الكرام القتل أحلى من الأسر
وأرجو من الله الكريم وفضله ... يمن علينا بالنجاة وبالنصر

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ونظر عميق إلى الجارية وقد خرجت من خباها وركبت جوادها وقصدت اليه فلما تقربت منه ناداها بصوت كانه الرعد القاصف وقال ياجارية أراكى قد خرجتى إلى وأنا أبارز النسوان وأترك الشجعان فقالت له الويل لك يا خسيس سوف ترى ما تفعل الجارية يا عدو الله يا مطرود عن باب الله يا ويلكم بارزتم الرب الرحيم وقطعتم الطريق على الحريم ثم أنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات .

سيأتى اليك الويل ياولد الزنا ... رويدك قد دارت عليك الدوائر
ستعلم انى حرة غير آنى ... إلى نسبة فى الناس تأوى المفاخر
إذا اعتركت خيلى وخيلك ساعة ... ستعلم منا من هو اليوم خاسر
أحامى عن نفسى من العار خيفة ... وخانى اخوات كرام حرائر

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عميق كلامها وما نطقت به من لسانها لم يلوى عليها بل انه التفت إلى خلفه ونادى ياعقال فقال لبيك يامولاى فقال دونك وهذا الفارس فانى أكره قتال النساء فلما سمع كلامه حمل على الأميرة النسيبه وهو يقول هذه الأبيات .

انى أنا عقال يوم الحرب ... لا أنثنى عند المقام الصعب
ما راعنى يوم الهياج الخطب ... ولا رهبت كل ليث ندب

وأترك القرن طريح الكرب أما بطعن الرمح أم بالعضب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعت نسيبه ذلك من كلامه لم تحفل به ولاالتفتت إلى قوله دون أن حملت عليه فما فى الرجال إلا من ظن أنها عبد العزيز ثم أنها جالت مع عقال وما طال المكث بينهما حتى طعنته فى صدره أطلعت السنان من ظهره وصاحت بعميق وقالت له دونك وأخذ التار وكشف العار فلم يلوى عليها غير أنه قال اصبر أيها الفارس ثم صاح على أخو المقتول وقال له دونك وأخذ تار أخيك من هذه الجارية عند ذلك تقدم وعلى قتال الجارية عزم فتلقته وطال الخطب بينهما فما هى إلا أن طعنته ألقته على الأرض عندها نادى هرمس ويلك ياعميق لا تكون أحمق دونك واياها فهى أشجع منك الدرهم قنطار فاحمل عليها وخذ حذرك منها فلما سمع عميق كلامه حمل عليها وتطاعنا وتضاربا وتباعدا وتقاربا واختلف بينهما ضربتان فكان السابق بالأولى نسيبه العلوية فجاءت ضربتها على حبل عاتقه خرج السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فقال هرمس لقومه يخرج منكم عشرة فوجدوا لكلامه راحه. ثم خرج اليها عشرة من فرسانهم فما كانت إلا ساعة حتى لقطتهم بالرمح والحسام مثل ما يلتقط حب السمسم الحمام وطلبت البقية بالحملة فمنعهم هرمس من ذلك وحمل وهو معجب بنفسه على نسيبه العلوية فلما نظرت اليه وإلى شمائله وقد عرفت منه النجابة وأنه بطل لا يقاس بالأبطال وصاح بها أصحاب عوف أيتها الحره أنظرى ما بين يديكى نظر الله اليكى هذا الذى برز هو الشيطان هرمس فقالت ابشروا فو الله ما أسلم روحى ولى عين تطرف وأنا ما أخاف من تقلبات الزمان وطوارق الحدثان فنادت اليها أمها يابنيه ما الذى تصنعى فقالت لها سوف ترى العجب وكان الملعون قد خرج على جواد سابق يسبق القضاء المبرم لونه أدهم بغرة كالدرهم له صهيل إذا همهم وحمل على ميمنة القوم فقتل فارسا وطلب الميسرة فقتل آخر وكانوا القوم قد وقفوا ميمنة البنات وميسرتهم (قال) فلما رأت نسيبه إلى ذلك صاحت بجوادها فخرج كالبرق الخاطف أو الريح العاصف وتطاعنا بالرماح حتى تقصفت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت ولم يبق مع العلوية لاسلاح ولا رمح ولا سيف وكان الملعون معه سيف عمل الهند قوى المسمار يصرم الأعمار فلما نظر إلى ذلك أصحاب العلويه قال بعضهم لبعض ياويلكم ما لنا الساعة من يذب عنا يدفع شر هؤلاء غير الله وهذه الحرة العربية العلوية النسيبة التى قد رأينا من قتالها كل عجيبة وجوادها قد تعب وعدتها ليست بطائلتها فنادوا بها حتى تأخذ ما أرادت من عدتنا وخيولنا فصغت اليهم وسمعت

مقالهم ورجعت اليهم وقالت لهم ما الخبر فقالوا لها أيتها السيدة غيرى جوادك وعدتك فقالت أما الجواد فأنى أراه كلما جال كانت قوائمه فى الأرض كالاوتاد وما على من الجلاد وأما السيف فقد تتلم فعجلوا إلى برمح وسيف فتبادرت الرجال اليها بما طلبت فأخذت العدة وحملت على الملعون هرمس فلما رأى ذلك حمل عليها فقالت له دونك يا عابد النار ويا طريد الملك الجبار ويا رأس الكفرة الفجار ويا عدو محمد المختار ويلك يا ملعون كيف لك أن تقوم أمير المؤمنين على المرتضى زوج فاطمة الزهراء وهو الضارب بذى الفقار الذى هربت الجن من عجائبه وكبرت الاملاك عند مضاربه وأنا من سلالة أقاربه فدونك يا ملعون والقتال وستعلم دائرة السوء على من تصير ولو بعد حين ثم أشارت تقول

أيا من خزاه الله أن يظهر الكفر ٭ ومن هو فى الاشرار أعلم بالشر
علونا بمولانا على لأننا ٭ من العلويات الشراف أولى الأمر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع اللعين هرمس ذلك من شعرها حمل عليها فتلقته بقلب ملىء من الايمان فكانوا كجبلين تصادما أو بحرين تلاطما ثم فتحا فى الأرض ميدان وأجاد ضربا وطعان وغاصا فى الأوابد وصبروا على الشدائد وسمع الناس من الملعون هرمس زمجرة مثل الرعد القاصف هذا وأم عبد العزيز مسكت ثدييها وهى تقول إلهى أنصر حريما ضعفاء ينتسبن إلى عبد المطلب بن عبد مناف ومالنا محامى غيرك وهذه أبنتى قد خرجت تحامى عن نفسها خيفة الفضيحة والعار وأن يهتك سترها الكفار وعبدة النار وقد بعدنا عن أوطاننا وفارقنا أحبابنا وماتت رجالنا ولم يبق إلا عبد العزيز وهو غريب فى البلاد ولم يعلم ما قد جرى علينا من الأعادى إلهى عز جلالك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ولا ناصر علىك أن هؤلاء الأشرار يهتكون منا الاستار ويأخذونا إلى بلاد الكفار فمالنا ملاذ ولا مستجار إلا أنت يا عزيز ياجبار (قال) يا سادة هذا والملعون هرمس قد صاح صيحة خيل لها أن السموات أنطبقت على الأرض وأن الملعون مسك الشريفة وجذبها من جلباب درعها اقتلعها من سرجها ورجع بها إلى أصحابه وقال أوثقوها كتاف فوحق النار والنور لأطرحن عليها فى بلاد الروم مالا تقله أرض ولا سماء حتى أعلها أننى حلفت بالنار وبررت قسمى وكنت ذو اقتدار فأخذوها منه وشدوها بجانب الأمير عوف فلما نظر اليها بكا بكاء شديداً وقال ياليتنى قطعت بالحسام ولا رأيت هذه المصائب العظام فقالت له يا عوف لقد فعلت فعل الكرام ولا يجب لأحد أن يتعرض على الملك

العلام فى قضائه والأحكام فهو القيوم الذى لاينام يظهر قدرته وينشر رحمته ونحن من أهل بيت أبتلوا فصبروا ولربهم شكروا وما للعبد ان يتعرض على مولاه فيما أبلاه بل يرجع إلى من يسمعه ويعلم سره ونجواه فنسأله أن يفرج عنا هذا البلاء كما يحب ويشاء فهذا ما كان منهما (وأما ما كان) من الملعون هرمس فانه صاح فى الرجال صيحة عظيمة فنفرت الخيل من شدتها وكان هرمس معروف بهذه الصيحة إذا سمعتها الجوامل تضع ثم أنه دنا من العرب وقال لهم يا ويلكم ارموا اما فى أيديكم وإلا هجمت عليكم هجمة الأسد لأشباله وأطحنكم طحن الحصيد وما أنا كمن خرج اليكم من العبيد عندها تبادرت الرجال ومالى صبر عليه وأن أناقعدت نظر إلى الناس بعين النقص وشمتت بى الحساد لقلة ما بيدى وقد قالت الأوائل هذه الأبيات

حل خيامك عن أرض تهان بها وجانب الذل ان الذل يجتنب
وأرحل إذا كان فى الأوطان منقصة فالصندل الرطب فى أوطانه حطب

(قال الراوى) يا سادة ياكرام فقال لها ياأماه أن المعتصم قد وعد هؤلاء القوم بأن ينعم عليهم ويعطى كل واحد منهم ما يغنيه من الذهب والفضة فقالت له أمه يابنى أنت حسبت حساب المائة دينار ولم تعلم ما خطر من الأسفار والأقدار وطوارق الأسحار فغضب من قولها وصاح عليها وخرج مع القوم إلى هذا اليوم الذى تقدم ذكره (قال الراوى) يا سادة ياكرام وأنه لما نظر إلى أم عبد العزيز فتذكر والدته وما قالت وما أشارت به اليه ولم يجد بد من الخروج ولم يبق من تلك الجماعة مثله فخرج فى أكمل أهبه وأحسن زى ثم حمل على هرمس يقول

أيها المغرور بالدمر جاهلا دع الجهل يامن قدغدا عادم الفكر
وخلى عن القوم الكرام فانهم لهم حرمة عند البرية كالجمر

سواك إلهى أنا راضية بما قضيت وحكمت مسلمة اليك فيما أمرت ان كان قد سبق فى وجعلوا يخرجون اليه واحد بعد واحد ولم يطل أحدا منهم مقامه حتى يأخذه أسير أو يتركه عفير حتى قتل منهم سبعة من الكرام وأخذ ثلاثة أسرى وكان الحادى عشر شاب حسن الشباب يقال له ثابت بن معروف غير أنه كان صعلوك لأنه كان كريما لا يبقى على شىء وكان له والدة بالعراق وأنه لما عول على المسير فى هذه الطريق بكت والدته وقالت له يا ولدى مالى سواك وأنت عينى التى أبصر بها فلا تمضى إلى هذه السفرة البعيدة فان الفرقة شديدة ولا أدرى ما يكون منك وأنا امرأة غريبة وكبيرة وأخاف أن أموت فى الغربة ولا أراك فقال لها والله ان الفقر قد حملنى على هذا

وإلا وحق الهاشمي محمـــد نبي الهدى من خصه الله بالنصر
بذلت بك المجهود والله ناصرى عليك إلى أن أفلق الهام بالتبر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع هرمس كلامه ضحك حتى أستلق على ظهر جواده وقال له أظنك مجنون وبهذا الشباب مفتون ثم مد السنان اليه وتطاعنا طعنا احر من الجمر وأمر من الصبر وأستقبله الملعون هرمس بطعنة فى صدره فوقع إلى الأرض قتيل ثم نادى هرمس يا ويلكم سلموا أنفسكم تسلموا وإلا فأنتم تندمون فلم يستتم كلامه حتى خرجت اليه بنت الفضل الثانية وكانت أثبت من أختها وأشد بأسا وقبل ما خرجت ودعت أمها وخرجت على جواد من بعض خيل أصحابها كريم منسوب وطىء المركوب عالى من الخيل شديد الحيل وتقلدت بحسام ماضى وأعتقلت برمح طويل جيد التعديل على رأسها سنان يلمع كانه نار تسطع وعولت على القتال واللقاء إلى عدو الله وأقبلت كأنها الأسد الغضبان وكان اسمها زينب وكانت من أصبح نساء العرب وجها وأكثرهم جمالا وحسنا إلا انها أكثرهم عبادة ودين تقول الشعر بأوزانه حافظة لبلغات العرب وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وما كانت العرب يسمونها إلا زينب العابدة وكان أبوها قد علمها هى وأخوتها الفروسية وقال لهم أنا شيخ كبير ومالكم أخ كبير إلا هذا عبد العزيز لأن الزمان أفنى أهلكم نوائب الدهر غير مأمونة وما دمت فى فى الحياة فما يقدر أحد من الناس يظلكم فتعلموا الفروسية فلما مات أبوهم وكبر أخوهم صار حامى العشيرة إلى أن وقعوا فى هذا الأمر الصعب عندها تذكرت الجارية زينب قول أبيها وما قاله قبل موته فبكت وأنت واشتكت وأنشدت تقول هذه الأبيات الحسان.

ألا رحم الله أبى الفضل أنه له مثل فى قوله وصفاته
وكان علينا مشفقا متحننا ويحسب قبل الموت حال بناته
يعلمنا خوض الحروب حواسرا لخوف حسود من لئام عداته
فلما نشأ عبد العزيز تباشرت عشيرته مع أهله أخواته
ولم ندر أن الدهر يبعد شخصه فيسمى غريبا نائبا عن جهاته
ألا يا أبانا لو نظرت نسيبة وقد أصبحت مأسورة مع طغاته
لقد فعلت فعل الكرام فأصبحت أسيرة بذل الكفر فى حوماته
ألا يا أبانا سوف ارديه ثاويا واكشف ماقد كان من غمراته
واخطف بنات الرجال بصارم قطوع غداة الروع رؤس عداته

ألا يا أبانا لو رأيت ديارنا وفيها غراب البين فى فلواته
فيطربنا والله مع سمع صوته ويزعجنا ما كان من نغماته
ولو نظرت عيناك فى النوم زبنا نروم قتال الهند مع سطواته
أهل مخبرا عبد العزيز بحالنا وما قد رمانا الدهر من نكباته

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع هرمس أنشادها صاح وصرخ وشخر وكفر وطغى وتجبر وحمل عليها وأنشد يقول

أيا زينب قد زانك الحسن والبها إلى ان ثناكى فى جميع صفاته
دعى نجدة الآباء والجد واعلمى بأنى ضروف الدهر مع نقماته
ولا تطمعى منى خلاصا لأجل ما رأيت اباكم خاشعا فى صلاته
ولا تذكرى عبد العزيز فانه طعاما لسيفى يوم طعن قناته

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما فرغ الملعون من شعره حتى تار من بين ايديهم غبار حتى ملأ الأقطار واسود منه النهار فوقفت زينب وهرمس ينظرون ما يكون من أمر الغبار (قال الراوى) ياسادة وأما أم عبد العزيز فانها جعلت تتضرع إلى الله تعالى أن يكون لهم فرج فهم كذلك وإذا بغبار آخرقد تار من ورائهم ودنا واقترب وكان أقرب من الأول وذلك انه كان غبار العبد شروم عبد هرمس وكان هذا شروم أفرس من عميق يدخره مولاه للشدائد العظام وهو الذى علم عميق الفروسية وكان حوله عشرة كأنهم أسود الفلا وليوث البيدا يعبدون النار ويكفرون بالملك الجبار وقد كان الملعون هرمس أرسله من طريق أخرى خوفا أن تفوته العلويات وكان فى ظنه إنه إذا لقى ألف فارس أبادهم وأخذ النساء منهم وأنه بعد فى البر إلى أن أيس منهم وأخبروه بعض العرب بعبور الهوادج على الطريق الآخرى فرجع إلى أن أشرف على القوم وهم على ما وصفناه وأما الغبار الآخر فانه مفلح رسول الأمير عوف لما سار من عندهم وتركهم على تلك الحالة لم يزل يقطع الأرض إلى أن وصل إلى أرض النعائم فوجد عندها مائتين وخمسين فارس كأنهم الليوث العوابس وهم من بنى نمير وكانت بنى نمير أو قح العرب وكان المقدم عليها عابس بن سعيد النميرى سيد قومه وأمير عشيرته وكان فارساً كهلا الرجال تخافه العرب أجمع وله همة عالية ونخوة وحمية والعرب ترجع إلى رأيه وتستريح لذاته فلما وصل مفلح اليهم وسلم عليهم فوجدوه وهو على غير الاستوى وفيه آثار الجراح فسألوه عن حاله فبكى وان واشتكى وأنشد يقول

أيا سادتنا حل المصاب وأصبحت ديار أحبائى خراب بلاقع

فلا تشغلونى عن طريق فاننى لعزلكموا ياسادتى غير سامع
تركت بنات كالمهات عواتق كرام عطاء كالسيوف القواطع
وقد حاشهم من يعبد النار قوة ليفضحهم بين الورى ليس جازع
وعوف يحامى عنهمو جهد نفسه وقد جندلت أبطاله فى المعامع
وفيهم عجوز بالقومى كبيرة تشير إلى أقيالنا بالأصابع
تقول لنا بالله لا تقطعوا بنا بحرمة جدى فى مكان القواطع
ترى فيكمو ذو نخوة وحمية ويحسب هذا من شراف الصنائع
إذا فعل الإنسان خيراً فانه يكون مقيما دائماً غير ضائع

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم بكى ورمى العمامة عن رأسه فلم يبق أحد إلى وبكى ثم قالوا يا هذا اكشف لنا عن مضمون هذه القصة على جليتها فأعاد عليهم الحديث من أوله إلى آخره وكان عابس سائر إلى حى بنى زهره يشهد عراس سيدهم لما بينهم من المودة القديمة وأن زوجته لما سمعت ذلك وكان يقال لها شامة نادت يا عابس ما هذا الانتظار بالنسوان وقد أحدقت بهم الأندال من الرجال أما والله أن الغريب يفرح بخلاصهم وخلاص من معهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع عابس ذلك من زوجته علم أن كلامها صحيح ووقع منه موقع مليح وقال والله لو لم تشيرى على لكان الواجب على أن أسارع إلى ذلك ولقد كنت عارفاً بوالد هذه البنات وكان رجلا شريفاً رفيع القدر عالى الذكر فسبحان من قضى على بناته بهذا ولكن إذا ماتت الرجال ذلت النساء ثم صاح فى أصحابه بالرحيل وقال لمفلح ارجع معنا فقال لا والله لأنى ما أدرى ما يكون منكم وأنا ماضى إلى أرض العراق أنفر الناس على هذا الملعون من سائر الآفاق فانى خائف على من خلفى وأقول أنكم ماتدركوهم إلا وقد نفذ القضاء فيهم ثم سار مفلح فى طريقه مجدا مكدا وكذلك الأمير عابس بن سعيد سار فى رجاله وأبطالة ونسائه معه إلى أن أشرف على عدو الله هرمس وهو معول على الحملة على زينب وقد وصل أيضاً عبده شروم فى رجاله وانكشف الغبار عن مائتان وخمسين فارس ليوث عوابس عليهم الدروع والجواشن ومن فوقها ثياب الديباج وعمائم القصب وهم ركاب على الخيول الضوامر الجياد وبأيديهم السيوف الحداد وقد انتخوا فى طاعة رب العباد فكبر ذلك على هرمس وقال لبعض عبيده اكشف خبر هؤلاء عندها مضى ورجع وقال القوم إليك قاصدون وعن هؤلاء النسوة مجالدون فلما سمع ذلك قال اسكت لا أم لك هذا وقد وصلوا العساكر إلى الطائفتين ونظروا إلى الأرض وقد فرشت بالقتلى من رجال عوف ونظر عابس إلى الأميرة زوجة الفضل وهى تولول كالشكلى فصاح الأمير

عابس لهرمس ويلك يا ملعون خلي عن الطغائن واطلق الأسرى وإلا وحق من سطح الأرض ورفع السماء وبناها وأحيا العظام وأنشاها وأماتها وأحياها ويعيدها مثل ما كانت بعد أن يتوفاها ليقع بيننا حرب يتحدثون به الناس إلى آخر الأبد (قال) فلما سمعت أم عبد العزيز هذا الخطاب بكت من الفرح ونادت يا معاشر السادات القادمين نعمتم صباحاً ولقيتم خيرا ونجاحاً فمنكم من تعطف على حزننا ونظر فى قصتنا وبالله أننى ما أرهب الموت ولكن كان الشيخ الفضل فى بعض الأوقات يبكى بكاء شديد ويقول أعوذ بالله من سوء عاقبة البنات والله أنى ما أرحل من الدنيا إلا بغصتهم ولا أعلم ما يكون منهم فأقول له إذا مت أنت فما تموت الكرام وأنتم أكبر نجدة على هذا الكافر (قال الراوى) يا سادة هذا وقد سمع هرمس كلام عابس فضحك وقال ويلك يا عابس إذهب إلى حال سبيلك ولا يحملك على هذا الكلام فساد معقولك فتصبح نادماً وتعض الأنامل وتصير نساءك مغانم فقال عابس يا ملعون سوف ترى من يكون المغبون ثم حمل وحملت رجاله عندها حمل هرمس وكذلك شردم والعبيد وحملوا على أصحاب عوف والشريفة ودام القتال واشتد النزال وحميت الرمضا وامتلأت الأرض بالقتلى وتعلقت الرجال باللحا وسالت الدماء وأرملت النساء ولم يزل السيف يعمل إلى المساء ونادوا بالانفصال وقد ضجرت الناس عن القتال وقد فتك هرمس وشردم بأصحاب عابس وفقد من المسلمين خمسين فارس ومن أصحاب هرمس مثلهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وعابس يقول لأصحابه اصبروا فان الله تعالى ناصر وفى غداة غد نقاتل فان نحن قتلنا كان لنا أسوة بهذه النسوة العربيات الشريفات ووصفوا له أصحاب هرمس ما شاهدوا من قتال عابس وأصحابه فلما برق ضياء الفجر رفع المسلمون أصواتهم بالتكبير بعد أن صلى بهم الأمير عابس صلاة الفجر وصف رجاله وعبى أقياله فعلم أصحاب هرمس أنه يريد البراز خرج شردم وكان أسود عميق السواد من الأبطال الجياد (قال) فلما نظر عابس إلى سواده علم أنه عبد هرمس فلم يخرج إليه بل نادى فى أصحابه من يخرج إلى هذا العبد فخرج إليه فارس فقتله والثانى جندله ومضى النهار على ذلك وقد قتل من القوم اثنين وثلاثون رجلا وكلما قاتل زادت قوته وبات الناس إلى الصباح من اليوم فخرج العبد على حالته فلم يخرج إليه أحد هنالك خرج إليه عابس فى أحسن زى وأكمل هيبة فتطاعنا بالرماح طعنا صادقا وكان عابس أحسن من حمل رمحا لو وضعه بين يديه فأخذ الرمح وجعل يلعب به فكان كأنه قلم فى يد كاتب ثم جعل يعارك شردم إلى أن لاحت له عليه طعنة فطعنه بين عينيه أطلع الرمح من بين كتفيه ونادى ياهرمس أخرج فأراد أن الخزرج فمنعوه أصحابه الذين كانوا مع شردم وهم رجال الحرب وأبطال الطعن

والضرب وكل واحد منهم يقول أنه يقوم مقام شردم فى القتال فقالوا أيها الأمير نحن أحق بأخذ تاره فلا تخاطر بنفسك فنحن نفديك بنفوسنا فان نحن ظفرنا بعدوك كان ذلك منسوباً إليك لأننا قد فديناك ثم خرج إليه منهم فارس مغوار كأنه أسد هدار فاستقبله وحمل كل واحد منهما على خصمه وقد جعل الصبر ذراعه وفتح باعه ولم تكن إلا ساعة حتى ضربه عابس على جانبه الأيمن قصف أضلاعه وطلع السيف من الجانب الآخر ثم نادى هل من مبارز فبرز إليه ثانى فقتله وثالث جندله ورابع فأذهله وخامس قرع رأسه وسادس اختلس أنفاسه إلى أن قتل عشرة ثم صاح فلم يخرج إليه أحد فنادى ويلك يا هرمس دع عنك التعلل بالمجال وابرز إلى معترك المجال والحرب والنزال وخذ منى لأصحابك بالثار واكشف عنك العار (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع هرمس ذلك ونظر إلى من أصبح من أصحابه هالك ضاقت عليه المسالك وصاح بالجواد فخرج كأنه القضاء المتدارك وهو أسود كالليل الحالك وبيده رمح طويل جيد التصقيل على رأسه سنان كأنه حمة عقرب أو قبس على مرقب وعلى جسده درع سابورى وعلى رأسه بيضة عادية ململمة مجلية ثم خرج إلى الميدان ونظر إلى أصحابه وهم مجندلين على الصحصحان فحمل على عابس من غير شعر ولا نظام وتقسطل الغبار وغابا عن الأبصار وأظلم النهار وأخذوا فى الكر والفر والأخذ والرد والهزل والجد وتعاركا وتماحكا ولا زالا فى ضرب يقد وطعن يهد إلى أن وقفا الجوادان وكلا الفارسان وبقى كل واحد منهما ينظر إلى صاحبه شزرا ويرمقه حذراً ورأى هرمس من عابس فارس لا يطاق وغاقهم مر المذاق ولم يرى مثله فى الآفاق وكان عابس لما وقف قال له هرمس يا عابس وحق النار والنور والظل والحرور لقــد أعجبنى ثبات جنانك وصولاتك على أقرانك وإن قبلت منى سعدت وان خالفتنى ندمت فقال له عابس وما الذى تقول لى قال له تصحبنى إلى الديار وتأخذ منها الأموال فقال عابس وأين ذلك قال فى بلاد الروم عند الملك أرمانوس فانه طلب لأبطال العرب وقد بذل لمن أتاه منهم الفضة والذهب وذلك يكون لغناكم سبب وهذه العلويات للملك فيهن غرض وطلب (قال الراوى) يا سادة فلما سمع عابس ذلك قال له ويلك لا نبيع الآخرة بالدنيا الساخرة ونسلم علويات يقولون جدنا محمد المصطفى إلى الأعداء فعند ذلك غضب هرمس وحمل عليه حملة صادقة وأخذوا فى الجولان ميمنة وميسرة حتى طلعت عليهم الغبرة وغابا عن الأبصار ساعة من النهار وقد حمى الحــديد على أبدانهما هنالك ضايق هرمس لعابس ولاصقه وقاربه وبطل بينهما حكم الخصام وتقابضا بالكف وأظهر كل واحد منهما شدته وجعل عمدته على قوته وتقدم كل واحد منهما إلى الآخر ثم

انهما تعاركا على الجوادين حتى خذلت منهما الساعدين هذا والناس ينظرون هذه العجائب وقد ارتفع الصياح من كل جانب ولم يزل هرمس يعاركه حتى أضجره وبهره ثم حط يده فى دور منطقته وجذبه بحيلة اقتلعه من سرجه وسلمه إلى أصحابه وقال لهم احتفظوا به فوحق المسيح لأقتلنه أشر قتله ولأمثلن به أقبح مثله عندها حمل حميد بن حامد فى بقية أصحابه فتلقاهم بصدر أقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر وكان أول من لقى هرمس حميد فطعنه فى صدره أطلع السنان من ظهره وماكانت إلى ساعة حتى ولو أصحاب عابس منهزمين وتركوا النساء حيارى فى أيدى الأعداء أسارى واحتوى هرمس على زوجة عابس وبنته واخوته لأنهم كانوا سائرين إلى العرس الذى تقدم ذكره ولم يكن بقى من أصحاب عوف غير خمسة عشر فارس وقد ضعفت خيلهم من المجال ولم يكن لهم قدرة على الحرب والنزال فرموا مافى أيديهم من الرماح الطوال وسلموا أنفسهم إلى هرمس شيخ الضلال وأما زينب فانها لم تسلم فناداها هرمس سلمى نفسك فلم تلوى عليه فحمل عليها فأبصر منها فى المجال مالا لقيه من عابس وأخذها بعدذلك أسيرة فخرجت اليه أختها ست الشرف وجرى بينهما ساعة تشيب لهولها الأطفال فأخذها أسيرة فلمارأت العجوز إلى ذلك بكت وعمدت إلى سيف قاطع قد وقع من أصحاب المعامع فجردته وجعلت ذبابه فى صدرها وهمت أن تهلك نفسها من عظم ما جرى عليها من أسر بناتها فنادتها ست الشرف ياأم لاتفعلى تخسرين الدنيا والآخرة (قال) فلما سمعت ذلكقالت والله لولا ظنى فى الخلاص وأسفى على ولدى عبد العزيز لفعلت ذلك ولا أكون فى يد الأعداء عندها أخذوا السيف من يدها وكتفوها ثم أقام هرمس هناك باقى يومه إلى أن استراح ورفع الهوادج بالجوار والعجوز وعابس وزوجته وأهله وعوف وجميع الأسارى وسار هرمس وهو راكب على جواد سابق بلون بارق وهو يسير سير المعجب وهو فى نفسه يقول انه لو جاءه عسكر العراق للقاهم وحده فلما استقام على الطريق الجاده أنشد يقول هذه الأبيات

ألا بلغا عقبة عنى أننى ... قضيت الذى قد رامه من مرامه
وعقبه ما يستحن الكذب عنده ... لطيب ثناه أو لطيب ولاؤه
سيفعل أرمانوس ما هو أهله ... ويقطعنى ما سرنى من بلاده

(قال الراوى) يا سادة ياكرام وسار يقطع الأرض من أماكن يعرفها وكان قد وصفها له القاضى عقبة وأمره بالسلوك فيها فلم يخالف فهذا ماكان من هؤلاء (وأماماكان) من مفلح فانه سار يقطع الأرض حتى دخل بغداد فى احدى عشر يوما وقد أجهد نفسه

ووصل إلى الأمير عبد الوهاب ورفع صرخته فانذعر الأمير وقد عرفه فوثب اليه وقال يامفلح خير ان شاء الله فقال مفلح لا والله أيها الأمير ثم أعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها وكيف أسر عوف ثم حدثه كيف لقى عابس فى أرض البصرة وأنفذه إليهم (قال) فبكى الأمير عبد الوهاب وأبو محمد ولم يكن الأمير عبد العزيز حاضر تلك الساعة بل كان ذلك اليوم يطوف بالمساجد ويصلى فى كل مسجد ركعتان ويدعو الله تعالى أن يقرب الاجتماع له بوالدته وإخوته ولما أن عاد وقت المساء قال الأمير عبد الوهاب ماهذا الأمر يمكن كتمانه عنه ثم أعاد عليه خبره فاصفر لونه وقال والله لقد عزمت أن أسير اليهم وما تركنى الخليفة فتم عليهم ما تم فانا لله وإنا اليه راجعون ثم انه بكى بكاء شديدا ونادى واأهلاه واعجوزاه والإخوتاه واشوقاه اليكم (قال الراوى) ياسادة ثم انه أحضر مفلح وقال له فهل عرفت الذى أسرهن فقال نعم يامولاى هو هرمس المجوسى (قال) ياسادة فلما سمع اسمه عرفه وعرفه الأمير عبد الوهاب وقال لأبو محمد البطال هذا الملعون كان قد حرم الناس يناموں على فراشهم بالعراق إلى أن أقطعه المعتصم القرى والضياع وكل ذلك استدعاء لشره وردا لمكره وكنت أنا قد عوات الى المسير اليه والقدوم عليه مما سمعت من خبره وكفره واتباعه الضلال وعبادة النار وتجرئته على الملك الجبار فبلغنى انه قد سكن المواضع التى أقطعها له المعتصم واقتنع بها فأملنا أن يعود إلى دين الاسلام ويكون عونا لنا وأجناده وعبيده على الكفره اللئام فأمسكت عنه ومع ذلك فانى متعجب ياأبا محمد كيف قصد إلى هؤلاء القوم وقد علم أن الخليفة أنفذ خلفهم على أن مفلحا قد ذكر لى أنه أنفذ الأمير عابس النميرى اليهم وهو صديقى وقد غزا معنا فى أيام أمير المؤمنين الرشيد أعواما كثيرة وقتل من الروم أقواما وما أقول إلا انهم يتخلصوا بسببه لأنه فارس شديد وبطل صنديد فقال أبو محمد هذا كلام من لم يعرف هرمس وأنا أخبر الناس به لأنى كنت قد صحبت قافلة الاخراسان مع قوم تجار وأنا فى زيهم سائر فى طلب عقبه لأنه كان قد دخل إلى هنالك إلى أن هذا هرمس خرج علينا وقتل كل من كان معنا وسألنى أنا عن حالى فقلت له أنا من أرباب الأحوال واشتريت نفسى منه بثلاثة آلاف دينار فطمع فى كثرة الأموال ولم يعلم بأنى أبو محمد البطال فقيدنى وتركنى عنده فلما أدلهم الليل فككت القيود وذبحت العبيد فطلبته فما وجدته فقيل لى أنه قد سمع بقافلة أخرى فمضى إليها ليأخذها ثم إنى سرت طول الليل إلى أن بعدت عنهم وما صدقت بنجاتى وعرف بعد ذلك أنى أنا البطال فأرسل إلى يطالبنى بالمال وهددنى بالقتل ويحلف لى بالنار والنور لئن وقعت فى يده ليقطعن رأسى أو أسلم إليه المال وقال فى جملة قوله لو

كنت فى قبضة الرشيد لما كان لى عنك محيد وقد بان لى أنك من الشياطين فلما سمع الأمير عبد العزيز ذلك قال دعنى من هذا وأوقعنى به فان الله تعالى هو المعين عليه وعلى كل مارد لعين فقال الأمير عبد الوهاب نرحل فى هذه الساعة بألف من بنى كلاب لا غير لعلنا أن ندركهم فقال الأمير أبو محمد اعلم أيها الأمير أنى قد أذهلنى هذا الأمر الموجب لفعل هذا الملعون هرمس وكيف قصد هؤلاء دون غيرهم وما كان هـــذا والله إلا من عقبه ليكسر أغراضنا من عبد العزيز وما فعل ذلك إلا لما أن قال أريد أزور الكوفة وما كان عندى من هذا الأمر خبر وانا اعلم أنه قد ضمن لهرمس عن ملك الروم أن يقطعه البلاد وثانية أن قلبى حدثنى أننا ما نلحقه فقال عبد العزيز يا أبو محمد لو قتل رجل من أهل مصر والقاضى عقبه فى بلاد العراق لقلت ما قتله غيره وما هذا إلا غرض عظيم وأعوذ بالله أنه لو كان كما تقول لما فعل فى حق هذا لأنى قد شهدت له بالخير وقد برئت ساحته ورأيت حرصه على نصرة المسلمين وما شهدت إلا بما علمت فقال الأمير عبد الوهاب ما أظن عقبه بعد عينه إلى هذا الوجه فقد صدق أيضا عبد العزيز أنه لم يفعل معه هذا فقال أبو محمد البطال والله انى اعلم أن أبليس يحتاج أن يجىء إلى عقبه ويقرأ عليه الحيل واللعنة وهو أقوى من كل من فى الأرض فى الطول والعرض على الشر والمكر وأنا والله العظيم ما أنبهكم فى هذا الطريق لأن عبد العزيز يكذبنى كل ساعة ويصدق عقبه الشيطان وأنا قد شق على كلامه وأنا ما أعمل عملا إلا بحق لأنى أبغضه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعرف الأمير عبد الوهاب ضمير أبو محمد البطال وقد علم أنه قد صعب عليه كلام عبدالعزيز وتكذيبه له لأن أبو محمد حنق على عقبه وكان قريب الخلاص من الاعتقال ولولا تلك الجازية التى لقيها مذبحون على الاتفاق لما كان الأمير أبو محمد البطال خلص بعدها منذلك الموضع أبداً لأنه تحت الأرض ولم يعلم بحاله إلا الله تعالى فقال الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد الأمير عبد العزيز على كل حال مايعلم بواطن عقبة وماله الا الظاهر فاعذره فقال أبو محمد والله أيها الأمير لقد قتلنى بعد ما كذبنى بين يدى السلطان وذبحنى بلا سكين وما هو إلا قد ظن أننا كنا محتاجون إليه يحمى ديارنا بسيفه ثم يشهد علينا عند السلطان محاماة لذلك الكلب فوالله لو تجرد مع عقبه لإتهمته فى دينه (قال الراوى) يا سادة يا كرام والأمير عبد العزيز تربية الحجاز وعلوى وما يحتمل الكلام فقال يا أبو محمد معلوم أننى ضيف عندكم وما شهدت إلا بما شاهدت وعاينت فوذمة العرب لو لا هذا الأمير الأجل المجاهد وسماعى باسمه لما وصلت أنا إلى هذه الأرض ومع هذا فلولاه لأخذت رأسك من بين كتفيك إذ أطلت علىّ بالكلام ولقد رأيتك تتدارع لى بين العرب وتلعب بوجهك بى

قدام السلطان كذلك مراراً وكلما تكلمت فى حق عقبه تكابرنى والعرب يضحكون من ذلك ولولا هذا الأمير لرأيت يا أبرص كيف تكلم مثلي (قال الراوى) ياساده ففرق بينهم الأمير ثم أطفى نار الفتنة (قال) يا سادة وتجهز فى ألف فارس من بنى كلاب الذين وصلوا معه من ملطية ودخل هو وعبد العزيز على أمير المؤمنين وأخبروه بالحال الذى قد جرى فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال لقد تحيلت على هذا الملعون هرمس فلم أجد فيه حيله (قال الراوى) يا سادة وكان عقبة حاضر فلما سمع ذلك صاح صيحة كادت مرارته أن تخرج وقال يا أمير المؤمنين ما يجب القعود عن هذا الملعون هرمس بعد ما تعدى على البنات العلويات ولهم اتصال بمحمد المختار وهو عابد النار والقعود عنه ذل وشنار سيما إذا بلغ ذلك إلى سائر الأقطار ولقد كان أمير المؤمنين الرشيد قدس الله روحه ونور ضريحه ينظر فى حال الاشراف سيما هذه الزريه فانهض يا أمير المؤمنين فان هذا الرجل ضعيف عندكم واذكر ما جرى عليه على بلد الموصل من الملك أرمانوس فقال المعتصم بالله أنا أسير بروحى فقال الأمير عبد الوهاب ما يحتاج أن تتعب نفسك يا أمير المؤمنين أنا أمضى فى هذا الوجه إن شاء الله تعالى وما أرجع إلا بهم ولو دخلت خلفهم إلى بلاد الروم فقال له الخليفة بارك الله فيك أيها الأمير الأجل (قال الراوى) ياسادة فلما قال الخليفه ذلك بكى عقبة وقال ما لهذا الأمر إلا أنت أيها الأمير الأجل لقد فقت العرب بهمتك التى ما لأحد مثلها وفوق اللواء محلها ولم يزل يمدح الأمير عبد الوهاب حتى استحيا من الخليفة وقال له جزيت خيراً أيها القاضى الأجل الرفيع المحل ثم انهم خرجوا من حضرة الامام المعتصم وساروا من ليلتهم وجدوا فى سيرهم (قال الراوى) ياسادة هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه قال لغلمانه ولولده مذبحون ما بقى لنا والله عند هؤلاء القوم مقام وما بلغ الأمر إلا هذا ان أجلس وأهان وأنا شيخ قد كبر سنى ونال الحاسد غرضه منى وان ظفرت بعدوى لا أقدر أن أقتله ولا أمكن من أذيته وان ظفر هو بى لا يبقى على وأنا أريد أن أعمل عملا فمن منكم يساعدنى عليه فقال له مذبحون أنا معك ياوالدى وما تحتاج معى إلى معين غيرى فقال لؤلؤ وأنا أيضا معكما فعلى ماذا عولت قال آخذ عقبه وأسير الى الموصل وأوصل الى الخابور وأقصد الرحبة وأنحدر الى دمشق الى عسقلان وأقطع البلاد الى مصر وأنزل الى اسكندرية وأقيم بها وأقتل اللعين عقبة هناك وألزم الصلاة الى حين يأتى الذى لا مرد له فقالوا له افعل ما بدا لك فقال ما يتم لى هذا الا أننى أظهر أننى سائر الى ملطية ثم وثب ودخل على المعتصم ودعا له بعد ما سلم سلام الخلافة فأكرمه الامام ورفع مكانه وقال له أراك من المتخلفين فقال له نعم

يا أمير المؤمنين أنا مادعى من أصحاب الحرب ثم أنه طلع وسلم فلما رآه المعتصم ضحك وقال له فيما أتيت لحاجة تقضى فقال أبو محمد لأمير المؤمنين إنما جئت لأودع أمير المؤمنين وأمضى إلى ملطية فقد أشتقت إلى أهلى وأولادى لأنى متوعك الجسم من الأمر الذى كنت فيه فأذن لى بالسفر فلما سمع المعتصم من أبو محمد البطال هذا المقال فأذن له بالسفر أمير المؤمنين بما طلب وخلع عليه وودعه وقال له يا أبو محمد لاخلانا الله منك ثم أن أبا محمد عمل شغله وخرج من بغداد نهاراً جهارا وأخذ ولده مذبحون وغلمانه والجازية وساروا فلما أبعدوا عن البلد وأظلم الليل فقال أبو محمد لغلمانه انى أريد أن تسبقونا إلى موضع كذا وكذا ثم أخذ ولده مذبحون ورجع إلى بغداد وقصد إلى دار عقبة فتسلق من ركن الدار إلى أن صار فوق السطح ثم أنه تطلع من درقاعة الدار فوجد عقبة وأولاده ومطرون وبين أيديهم الخمر ونظر البطال إلى سقاه وآس وعنبر ومزمار ومزهر وعقبة يستنشق الريحان وهو يقول لمطرون ما هو مليح ما تم على أخوات عبد العزيز وأمهم فقال الراهب مطرون بلى وحق المسيح ولكن من تمم ذلك فقال أنا ولولاى ما أهتدى إلى ذلك أحد وأنا الذى أمرت هرمس المجوسى أن يفعل ذلك فهيهات أن يلحقوا منهم الغبار ولو لحقوهم لم يخف هرمس منهم لأنى أعرف به من كل أحد لأنى مارست الأبطال وشاهدت الأقيال وأنا أقسم بالمسيح ان كان فيهم مثله وهو يكون سبب هلاك الجميع ومع هذا فانى أحدثك بما هو أعجب من ذلك فقال له كانى الساعة بأبو محمد البطال المحتال لما عول عبد الوهاب على الرحيل مع عبد العزيز قد نسب هذا كله إلى فقال له مطرون يا قاضى من أين تدرى أنت بهذا وهو علم غيبى فقال عقبة يا مطرون أسكت فانى أعلم من أمور أبو محمد مالا تعلمه أنت ولا سواك ثم أنه شم ظاهر كفه وضحك حتى أستلق على قفاه وبانت أنيابه وقال أنت ما تعرف الرجال ولا تعرف أبو محمد البطال وحق المسيح ما هو إلا ولد زنا لأنه كان غلامى ومنى نمط الشزر والمكر والخبث واللعنة وما هو فى جميع أحواله وقد كنت أظهر له دين الإسلام وأخفى دين النصرانية (قال) فلما أطلع على سرى ومشى إلى عبد الوهاب وأعلمه بكل أمرى وما تم منى ولما أن اطلع عبد الوهاب على ذلك أعلم العجوز العاهرة وذلك كله من تحت رأس البطال وهو فى هذه النوبة خالف هذا الأمر أنا كنت سببه وأنا الذى تممته وعبد العزيز ما يصدق فى ذلك لأنه يظننى ممن أعمل معه جميل وهو منى بعيد وهذا شىء لا يكون أبدا وهيهات أن أجازى على الاحسان إلا بالسيئات ولا أقابل المكرمات إلا بالقبيحات فقال مطرون كلما تذكره ما يقول إلا ما يكون إلا كذا وكذا كان

كذا وكذا وهذا ظن مثلك (قال الراوى) يا سادة يا كرام فضحك عقبه من قوله وقال يا مطرون أنا قد شابت حواجبي فى هذه الأشياء وما بقى فى الشرباب إلا وفتحته وأريد أن أقول لك على شيء أعجب من هذا كله فقال له قل فقال أعلم أن البطال ما رحل اليوم وودع الخليفة إلا ليعلمنى أنه رايح إلى ملطية صناعة منه ومكر وخديعة حتى يعود إلى بغداد فى الليل ويعمل على ويسرقنى وكانى به قد قال عنى أنه ان وقع فى يدى ما أستبقيته بل أسير به إلى بلاد لايسمع له فيها خبرولو سارمسيرة سنه كل هذا حتى لاتنقطع الاطماع منى وأن صدقنى حذرى فهو الساعة فوق سطح الدار معلوم انى ما أفرط فى روحى فان كان له فى روحه نية لسلامته فيمضى إلى حال سبيله وإلا وحق المسيح صحت الساعة صيحة فما يبقى حول الدار أحدا إلا ويطلبه ولا يجد سبيلا إلى هروبه وأسلمه إلى المعتصم يصلبه غدا على الجسر فقال مطرون ياقاضى ما أظن الليلة إلا وقد ثار فى رأسك خلط عظيم فقال عقبة دع يامطرون سواد وجهك فى ظنك فما هذا من شغلك فوحق المسيح لولا أنى أريد أن أبين لك صدق قولى وقلبى مشغول بهرمس وما يكون منه وأريد أن أدبر شيئا آخر تشكر عاقبته لقد كنت أصيح الساعة وأنفر الناس عليه وها أنا الساعة أصيح به ويكلمك ثم انه نادى يا أبا محمد بحق نبيك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ما أنت فوق السطح فتكلم وأنت فى ضماننا فأنا ماأقدر الساعة أجعل لى معك شغل قلب لأنى مشغول بغيرك وإلا كان لى معك الساعة أمر غريب وحال عجيب (قال الراوى) ياسادة فلما سمع أبو محمد البطال هذا المقال قال فى نفسه لا كتب الله عليك سلامة ياشيخ السوء فما أعظم حيلك وما أندلك ثم نادى عقبة يا أبا محمد ويلك قد أقسمت عليك بمحمد ابن عبد الله بن عبد المطلب أن تتكلم فان لم تكلمنى وإلا وحق المسيح أصرخ الساعة صرخه أجمع الناس عليك وأفضحك وإلى الخليفة أسلمك فعندها قال أبو محمد إيش أتكلم أقول لا كتب الله عليك سلامه ها أنا لا أصلح الله لك حالا ولا أسمع لك مقالا ثم عاد ونزل من مكانه فقال له مذبحون ما الذى رأيت فقال قد كان من الحديث كذا وكذا وهو رجل قد تفرغ للعنه وعرف ما قد عولنا عليه لأنه ماينام الليل ولا يفرط فى روحه مادام انه يعلم اننى ببغداد مقيم ولابد له مايطلب بلاد الروم لهتك العلويات ويترك بفعله هجته على الاسلام وأنا أعرف الطريق الذى يسلك منه آخذه ثم سار البطال وأخذ باقى غلمانه وقال لهم اطلبوا بنا اخلاط نقيم فيها تلك الليلة ونتزيا بزى الأرمن من التجار وترون عقبة كيف يساق سوق الحمار فقال مذبحون افعل مابدالك ثم ساروا يقطعون الأرض قطعا وفى قلوبهم من عقبة أمر عظيم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما

أن وصلوا إلى اخلاط أودع البطال دوابه ورحله عند بعض أصدقائه وتزيا بزى صعاليك الأرمن هو وغلمانه وأقاموا بعد ذلك أربعة أيام كل يوم يخرجون إلى ظاهر البلد ويتشممون الأخبار من الطراق والسفار فهم فى بعض الأيام يتحدثون مع بعض الأرمن وقد اشترى أبا محمد منه رأس غنم وذكر له أخبار بلاد الروم وسأله عن أحوال بلاد الاسلام فقال الأرمنى أخبرك بخبر عجيب وحديث غريب فقال وما هو فقال قد عبر علينا ونحن فى المرعى هوادج وأسارى من المسلمين وقد خرجوا من البرية وعليهم آثار الشقاوه ودخلوا إلى أرض الارمن وذكروا انهم قاصدين إلى مدينة اريس وان معهم نساء من المسلمين لهم قدر عظيم وتلك الأسارى أيضا وقالوا انهم طالبين الملك أرمانوس فما بقى فى الأرمن إلا من حمل اليهم شيئا وقد رحلوا من ههنا فلما سمع أبا محمد ذلك لم يجد الصبر بل رجع إلى ولده وغلمانه وقال كيف ترون فى هذه السفرة المتيسره لم أحد منهم نجح غيرنا بانكشاف خبر أم عبد العزيز واخواته ثم أخبرهم بالقصة ثم قال وأنا أعلم أن عبد الوهاب وعبدالعزيز قدضاع تعبهم بدخولهم إلى البرية ولوانى اؤاخذ عبدالعزيز ماتكلمت فى اخواته حتى يحصلوا فى القسطنطونية ولكن ما يسعنى فى دينى السكوت عنهم ثم انه كتب كتاب إلى الأميرة ذات الهمة يخبرها بخبر القوم وما قد جرى عليهم ثم انه دخل إلى صاحب اخلاط فوثب قائما ورحب به وقال له أيها الأمير كيف أحوال الأمراء فأخبره أبا محمد بالخبر وأخذ منه طيرا من طيور ملطية وعلق عليه الكتاب وطيره فكان الخبر عند الأميرة ذات الهمة آخر النهار فلما قرأت الكتاب ضاقت عليها الأرض بما رحبت وقامت من ساعتها وأخذت بنى كلاب والسودان الأنجاب الفرسان مثل أبو الهزاهز والهدلموس وغيرهم وقد وصف لهم البطال فى كتابه إن الطريق يصعدون منها حتى يسبقوا هرمس وأقام أبا محمد ينتظر لعقبه وهو مختفى فى اخلاط الى أن كان فى بعض الأيام إذ دخل غلاما له وكان مجهولا مايعرفه أحد لأن أبا محمد كان يشترى الغلمان ويخفيهم عن الناس فى مكان إلى وقت حاجته وكان قد أورى عقبة لهذا الغلام وعرفه ما يصنع به فى وقت الحاجة اليه وإنه لما دخل ذلك اليوم عليه قال له يا مولاى رأيت هذه الساعة غلام عقبة فى السوق وعليه آثار السفر وأردت أن أتبعه وانظر أين نزل فزاغ عنى لكثرة الخلق ففرح البطال بذلك وقال هذا الحساب الذى حسبته (قال الراوى) ياسادة وكان عقبة لماجرى له مع البطال ما جرى وعلم أنه قد مضى من بغداد جمع أولاده وقال يا أولادى أوصيكم بأنفسكم فانا مسافر عنكم لامر أريد حكمه وأكثر ما أغيب عنكم شهران من الزمان لان المسيح قد من علينا بهذا هرمس المجوسى وهو صاحب همة وعزيمة وقد قتل عوف وأصحابه وأخذ

أخوات عبد العزيز العلوى وقد سمعت أن عابس النميري مضى إليه ففعل به مثل ما فعل بعوف قتل أبطاله وأخذ نسوانه وهو إن صار فى بلاد الروم مع ميمونة فما يكون لهما نظير فلما سمعوا منه هذا الكلام قالوا ما نحتاج توصينا ونحن ما نفارق العراق والطير ما يقدر علينا من هيبة السيدة زبيدة لأنك لما غبت عنا تلك الغيبة التى سمعنا فيها بأنك هلكت كنا فى حمايتها وما كان الطير يطير علينا فضحك عقبة اللعين وقال لاتشكروها على ذلك بل اشكروا المسيح فانه الذى سخرها لكم فقالوا يا أبونا ماالسبب الذى يدخلك القسطنطونية قال لأجل أخوات عبد العزيز فقالوا يا أبونا قد سخرلك المسيح كلما تريد فعندها قال لهم هذا الأمر لا بد لى منه وأن أباشره بنفسى (قال الراوى) يا سادة ثم باتوا وأصبحوا ركب الملعون وأتى إلى أن دخل على المعتصم وقبل الأرض وقال يا مولاي قد اشتهيت أن أزور القدس الشريف وأدعو لأمير المؤمنين هناك فقال المعتصم أنت يا قاضى أينما حليت حلت البركة ثم أن الخليفة أمر لعقبة بألف دينار وقال له ياقاضى تصدق بهذا على الفقراء والمساكين فقبل الأرض وقرأ قوله تعالى وما تفعلوا من خير فان الله به عليم ثم أخذ المال وودع الخليفة وأتى إلى داره وفى تلك الليلة عزم على السفر وأخذ معه غلام له وكان قد رباه وهو قليل الدين مثل مولاه ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى أخلاط ورآه صندل غلام أبو محمد البطال كما ذكرنا عندها خرج غلامه صندل يدور على عقبة وكان أبو محمد البطال قد علم غلامه كيف يتحايل على عقبة وسوف نذكر ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى فعندها خرج صندل يدور على عقبة كما ذكرنا ثم أنه فتش البلد جميعه فما وجده فعظم عليه وكبر لديه وفزع من مولاه أن يكذبه (قال) فبقى فى حيرة من أمره (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان على ظاهر البلد مكان يسمى الخانات لأجل شرب الخمر والزنا فأراد صندل أن يدخلها فقال فى نفسه هذا كلب وما يدخل إلى هذه المواضع ثم أنه رجع إلى مولاه البطال وأعلمه بالحال فقال له أبو محمد فهل قصدت إلى الخانات قال لا يا مولاى لأنى قلت أن القاضى عقبة قاضى المسلمين ما ينزل فى هذا المكان فقال بلى ويلك يا صندل ما ينزل إلا فيها لأنه ما يقصد بلاد الروم إلا من هذا الطريق وأنا أريد إن تصدق فرستى ولا يضيع تعبى (قال الراوى) يا سادة فعندها رجع صندل وطلب الخانات ودار المواضع جميعها حتى أنه وصل إلى موضع منفرد عن البيوت فقصدها ومال إليه وإذا فى بابه نصرانية مثل القمارية عليها أفخر الملبوس وهى تتمشى على مهل مثل العروس فقصد صندل إليها وكان هذا صندل غلاما مليحا وهو أمرد بخد مورد مليح الكون أحمر اللون شعره أسود مثل الليل الدامس فلما رأته النصرانية طار قلبها وعلمت أنه صبى غريب فقالت له أدخل يا فتى وكن اليوم فى

ضيافتى (قال الراوى) ياسادة وكان قد نظر إليها وإلى ملبوسها وحسنها وجمالها وما أعطاها ربها من الجمال ونور وجهها فنسى الذى أوصاه به مولاه وقال فى نفسه ألتذ أنا اليوم بهذه المليحة ومن اليوم إلى غد قريب إن لقيت عقبة وإلا عدت إلى مولاى وأقول له ما زلت أفتش عليه فى نهارى كله فما وجدته (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أنه دخل مع النصرانية فوجد قاعة كبيرة لها مجلسان المجلس الواحد عالى وفيه سرير عليه فرش حرير وفيه آلة المأكول والمشروب فأجلست الجارية صندل على ذلك السرير وقدمت له شيء أكل وقدمت له بعد ذلك الشراب وسقته إلى أن سكر ودارت بعد ذلك تعبت به وتلاعبه إذ سمع صندل معه حسا فى الدار فقال لها أى شيء هذا الحس الذى عندك قالت ماعليك منه شيء هذا ضيف عندى ومعه غلام وهو نصرانى وقد حملت إليهم ما يأكلون وما يشربون وطرحتهم فى هذا المجلس وخرجت من عندهم فوجدتك فوقعت بقلبى وما صدقت أن أراك عندى وكل واشرب وانبسط بل ومهما أردت أعطيتك من الفضة والذهب وإن طاب لك المقام فأقم عندى سنة من الزمان وأنا أخدمك بروحى فقام صندل إليها واعتنقها وقال قد اشتهيت أن أنظر إلى هذا الشيخ الذى عندكى فقالت حبا وكرامة وما عليك منه شيء أنا أصيح به إليك ثم أنها انهضت وغابت ساعة وعادت وخلفها شيخ الضلالة ومعدن المكر والجهالة وهى تتمايل وقد عملت معه الخمرة وغلامه إلى جانبه وهو يقول للنصرانية يا هذه أغلق الباب ولا تخلى أحدا يدخل إلينا فانى مقيم عندكى ثلاثة أيام ولكى على مائة دينار فى مقابلة ما بذلتى إلينا من الكرامة علينا وأنا رجل أحب السترة وما أطلب الشهرة فلا تدخلى إلينا غيرنا فقالت نعم ما عليك بأس ما عندى إلا حبيب قلبى دون الناس وهو غريب وما يعرفكم وأقول أيضا ما تعرفونه وكان عقبة أحب الأشياء إليه شرب الخمور وشهادة الزور وركوب الفجور ورمى الفتن والشرور بين المسلمين والكفور ثم جعل الملعون يلعب ويطرب ويصفق ويشرب وقد طاب عيشه وكثر سروره وكان كل واحد منهم يقول ساعة وصندل ساعة وعقبه يتلذذ إلى أن ضجر صندل وبدا يطلب الفرار فقال عقبه يا ولدى ما اسمك ومن أين تكون فقال يا شيخ أنا من جزيرة ابن عمر وأنا مملوك رجل شريف وكان يدعونى إلى الصلاة والصيام والقيام بالليل فما كان قلبى يشتهى إلا هذا الذى ترانى عليه فلما طال على الأمر سرقت كيسا فيه ألف دينار وهربت على وجهى إلى أن وصلت إلى ههنا وأنا بعد ذلك فزعان على روحى وعولت أن أدخل إلى بلاد الروم (قال) فلما سمع عقبه ذلك قال له يا ولدى إن كان لك قصد فى الرواح إلى القسطنطونية لا تعرف وصولك اليها إلا منى

فلما سمع صندل من عقبه هذا الكلام فصار يتخدع له ويبكى ويتذلل بين يدى عقبه ويقبل يديه وكان هذا صندل شيطانا وهو قطعة بلاء وكان أبو محمد قد اشتراه من تاجر وصل به إلى بغداد فلما عاين أبو محمد زكاوته وحدته فى الكلام اشتراه من مولاه وقال هذا يكون له شأن عظيم من الشأن وهو يكن أزكى من سائر الغلمان وكان أبو محمد كلما علمه شيأ وجده فيه ماهر (قال الراوى) يا سادة فلما كان فى تلك الساعة قال صندل لعقبة يا مولاى إذا كان على ما ذكرت وأنت داخل إلى بلاد الروم فأنا مالى ههنا ما أعرفه ومعى الكيس الذى ذكرت لك فيه الذهب وقد دفنته فى بعض خرائب هذا البلد وأريد أمضى وأجيبه إلى ههنا وما أبرح من عند هذه الجارية إلى أن يسهل الله تعالى لى بالسفر فنسافر جميعا ولقد رحمنى الله بك يا مولاى فقال له عقبه أبشر بالسعادة فى الدنيا والآخرة فاسرع إلى ما ذكرت من المقال حتى نعول على الارتحال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها خرج صندل وهو يتمايل من شدة ما نهل وكان يمشى ويتلفت وراءه خوفا من عقبه أن ينفذ خلفه غلامه حتى يعلم أين هو سائر وخاف أن تقع عينه على البطال فيفسد الحال وصار يسير ويتلفت وراءه إلى مولاه ودخل فسمع أبو محمد يقول للؤلؤ يالؤلؤ هذا صندل غريب من هذه الأرض وهو ما يدرى أين يسلك فيها وما دخل قط هذه البلدة إلا فى هذه الساعة ونخاف أن يكون قد وقع فى شدة أو يكون قد أنسده أحد من أهل البلد من أولاد التجار وأريد أخرج إليه وأدور عليه فهو يقول هذا وصندل قد دخل وهو يضحك فقال له مولاه أبو محمد البطال ويلك إيش وراءك أليس خير قال له صندل بلى ثم أنه أعاد عليه الحال بكلما جرى فضحك أبو محمد البطال وقال أحسنت يا نحس فقال ما كنت أنت فى حاجتنا ما كنت إلا فى حاجتك ثم ان أبو محمد البطال قال لو طبخ هذا بليه ما جاء هكذا والله يا صندل لقد تحدثت معه مليح ولقد سودت وجه الشيخ النجيس ثم ان أبو محمد أخرج له كيسا فيه ألف دينار وقال خذ معك هذا الكيس تصديقا لحديثك فاذا دخلت قبل يديه وقل له خذ هذا حتى يكون معك يا مولاى هذا الذى ذكرت لك وأنا ما بقى لى أحدا غيرك ثم أن البطال ناوله قرطاسا وقال خذ هذا معك أعمله فى باطيه الشراب وإياك أن تشرب منه شيئا فما كنت تفيق من المنام إلى ثلاثة أيام فقال صندل يا مولاى ما أسق منه النصرانية حتى تنام واستريح من صراعها فقد قتلتنى مما تتعلق فى رقبتى وما تركت فى حيل ولا قوة فضحك البطال من ذلك وقال له يا صندل كما تراهم ناموا بادر الينا فى الحال فقال ما يحتاج إلى توصية يا مولاى فوالله ما تم على الشيخ النحس ليلة أيشم من هذه الليلة ولاجعلن خده

مثل خد النصرانية ما فيه موضع لقمة (قال الراوى) يا سادة فخرج صندل وسار حتى أتى إلى عقبه فلما رآه عقبه قام له قائما وقد بان السرور على وجهه وكذلك قامت الأرمنية لقيام عقبة فشكرهم صندل وجلس معهم وطرح المال بين يدى عقبه وقال يا مولاى هذا المال الذى ذكرته لك ففرح عقبه بذلك وقال ما أصدق لسانك يا ولدى وحق المسيح لقد كان قلبى نافر من كلامك لأنى قلت ربما يكون من أولاد النجار ويريد ينكر حتى لا يعرفه أحد والساعة قد بان لى صحة قولك فوحق المسيح لاجعلنك ملكا عظيما ثم أن عقبه نادى بغلامه هات المال الذى معنا فحمل اليه خمسة أكياس فيها خمسة آلاف دينار فقال عقبه هذا لأجل نفقة الطريق أو لعارض يعرض وهى لك أنت المحكم فيها فشكره صندل على ذلك وعادوا إلى أكلهم وشربهم حتى طابوا ومد صندل يده فأخذ قدحا زجاج مجرى عليهم بالذهب وملاه من الباطيه وطرح فيه الدواء الذى أعطاه له أبا محمد البطال وكان وزن قيراط فأول ما سقى عقبة فكان آخر عهده من الدنيا ثم سقى غلامه فوقع إلى الأرض ثم بعدهم سقى الأرمنية فوقعت ما فى عينها قطرة (قال الراوى) يا سادة فلما رآهم على تلك الحالة عول على الخروج إلى عند مولاه أبو محمد البطال حتى يعلمه بالقصة (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان مال عقبة عند قماشة فأخذه صندل جميعه وسار حتى دخل على مولاه أبو محمد وكان أبو محمد متشوقا اليه فلما رآه قال له ما الذى صنعت يا ولدى فقال خيرا يا مولاى ثم قال هذا مال الملعون قد أخذته وقد فعلت جميع ما أردت فضحك أبو محمد وقال والله هذه ما كانت فى ديوانه وقد قرب الله شمط آذانه فقال صندل نعم يا مولاى وقطع خصيانه حتى لا يكون شيخا منحوسا يشرب الخمور ولا يخاف من مدبر الأمور والعدل الذى لايجور فقال أبو محمد البطال أعلم بأن الله فيــه تدبير وهو على كل شىء قدير وأن البطال أمر غلمانه فاتوه بالدواب فقدم صندوقين كبار برسم عقبــة وغلامه ثم أنه شد الصندوقين على بعض البغال وخرج هو وولده مذبحون ولؤلؤ وهم لايصدقون بوقوع عقبة وغلامه لأن فى قلب البطال منه النار التى لاتطفى واللهيب الذى لايخفى ولما وصلوا إلى البيت وقف البطال على الباب وقال لصندل أدخل أنت قبلنا وانى أخشى ان يكون بعد خروجك حدث أمر من الأمور وأنت لا تعلم لأن الانسان يجب عليه ان لايترك الحزم وراء ظهره بل يزن الأشياء بميزان عقله ويحسن التدبير إذ لايأمن خروج من حكم المقادير (قال الراوى) يا سادة عندها دخل صندل إلى الدار فوجد عقبه على حاله وقد أنكشفت عورته وغلب الخمر عليه حتى فاض على ثيابه ولحيته وغلامه ما فى عينه قطره والجارية لو أخذ أحدآ برجلها وسحبها إلى

البحر ما عرفت بنفسها فقام صندل وقد خرج إلى أبو محمد وقال يا مولاى أعوذ بالله من شر هذا القرطاس ما أراه إلا مثل سم الموت لا محاله ما يشر به احدا ويبقى على حاله (قال الراوى) يا ساده فعندها دخل أبو محمد البطال ورأى عقبة على ذلك الحال فقال لغلمانه فتشوا هذا البيت وخذوا ما فيه من المصاغ والثياب وان كان فى بيتها بئر فألقوها فيه حتى لاترجع لمثل هذا الشيخ النحس تضيف فقال صندل لا والله يا مولاى لا تفعل معها هذا الفعل فانها حرمة ولها على حق وخدمه فقال البطال صدقت يا أبن الزانيه إلا نحن ما نرعى لها هذه الخدمة وربما تكون هذه من الأرجاس وهى فى هذا المكان مهلكة للناس (قال الراوى) يا سادة هذا وغلمانه قد فتشوا البيت فما وجدوا فيه شيئاً من المال (قال) ثم نظر البطال إلى الحيطان فوجد آثار الطين طرى وهو قريب العهد فقال أحفروا هذا الموضع فقال صندل هذا الساعة ما هو مليح منك حيث ما وجدت فى الدار شيئاً تريد تخربها على هذه المسكينة ولولا هى ما كان وقع هذا الشيخ النحس (قال) يا سادة فلما سمع البطال كلامه قال له دع عنك هذا الهزيان فما ينفعك بعدما وصلت إلى هـــذا ثم قال للؤلؤا لخر ففحروا فبان له من الحائط طاقة وإذا فيها ثياب ديباج وعقود لؤلؤ وصلبان ذهب وفضة وزنانير ابريسم وخمسمائة دينار فلما نظر صندل إلى ذلك حار عقله وطار لبه وكذلك مذبحون فقال لؤلؤ يامولاى لاشك أنك تعرف هذه الدار قبل هذه الساعة وكان لك بها درايه فقال لا والله العظيم إلا انى عرفت أن هذه الشيطانة لا تخلوا من ذهب أو فضة ولما دخلتم وفتشتم أنتم البيت وما رأيتم شيئاً فقلت أنا فى قلبى يمكن أنها تخاف على نفسها من أمر من الأمور وقد خبت مالها فى موضع من المواضع ثم انى نظرت إلى الحيطان فعرفت هذا المكان لكثرت التجارب فخلوا الساعة عنكم هذا الكلام الكثير وعولوا بنا على المسير فقال صندل يا مولاى نخاف من عقبة أن يفيق ثم دنا منه وأوثقه كتاف وشد يديه ورجليه وحشى فى فمه قطعة من عمامته وشدها إلى خلف رقبته وتركه مثل الأكره وحملوه الغلمان ووضعوه فى الصندوق وفعلوا بغلامه كذلك وشدوه شدا وثيقاً وطرحوه فى صندوق ثانى وخرج أبو محمد البطال ولؤلؤ ومذبحون وساقوا الدواب واستقاموا على الطريق والتفتوا فلم يجدوا صندل فقال أبو محمد البطال ويلك يا لؤلؤ وأين مضى هذا الشيطان ازجروه لئلا يضيع لأنه غريب فى هذه الديار وان كان قد رجع إلى النصرانية وأفاقت فما يكون لها غريم غيره فرجع لؤلؤ ودخل إلى الدار فوجد صندل وهو يودع الجارية وخرج وهو يلتفت مخافة أن يعرف فقال له لؤلؤ لا كتب الله عليك سلامه ايش الذى أبطاك عنا ياشيطان فقال أمشى وأسكت ولا تفتش

على أحد فى حاله فقد سمعت من العلماء يقولون لا يجوز للمسلم أن يطلع على حال أخيه فقال لؤلؤ طالبك الله كلما نحن فيه من يدك الحق مولاك فلقد أغتاظ غيظا شديدا فقال صندل مولاى أعقل من هذا أن يغتاظ وهو على طريق ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى مولاهم فقال لؤلؤ والله يامولاى ما وقع لناقط من أولاد الزنا مثل هذا صندل فقال صندل ويلك خاف الله يا لؤلؤ ولا تتحدث فى أمى فما كانت إلا من أحرار الناس فانه كان لها بيت مثل بيت هذه النصرانية فما وصل اليها أحد إلا وتكرمت عليه بروحها ومالها فعندها ضحك البطال وساروا وهم لا يدرون أين يقصدون وما فيهم من يسأل البطال عن حال من الأحوال ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بدليس فى اليوم الرابع وفى ذلك اليوم أفاق عقبة وتقايا البنج وهو فى الصندوق وفتح عينه فوجد روحه فى هذه الحالة وهو محمول على البغال إلا أنه يعض يديه بما تم عليـــه وقد أيقن بالموت وفى تلك الساعة نزل أبو محمد البطال وقال لغلمانه افتحوا على الملعون فان البنج الذى سقيناه له يكون تقاياه (قال الراوى) ياسادة فعندها فتحوا على الملعون فوجدوا عينه الصحيحة مفتوحة وهو ينظر من يفتح عليه فلما رأى البطال غاب رشده وطاش عقله وذابت مهجته وأيس من نفسه واشتدت بليته وعلم أن صندل هو الذى كان سبب محنته فانفطرت مرارته وقد وقع من العين شاربه ولحيته (قال الراوى) ياسادة هذا والبطال قد أخرجه وحل فمه وقال له مرحبا بالشيخ النحيح ايش الذى أوصلك إلى ههنا لأنك قضيت مع النصرانية عيشا طيبا فى هذه الأيام إلا أنك كنت عليها ميشوم فتنفس عقبة صعدا وأظهر كمدا وقال لاستر الله عليها فلولم تعشق هذا الولد الزنا ما كنت وقعت أنا فى هذا البلاء والعنا ثم أنه أشار بيده إلى صندل وقد بكى فقال صندل يامولاى ايش لى أنا فى هذا أنا ما جبت لك الكيس الذى فيه الألف دينار وما كنت أملك سواها فقال عقبة آه ياابن الزانية أما ذكرت لى ألك غلام رجل شريف لاستر الله عليك ولا على أستاذك فما هو إلا شيطان فقال صندل لعقبة دع عنك هذا ولا تتهمنى بمالا أفعله فأنا قد أخذونى كما أخذوك فقال عقبة تكذب ياابن الزانية انظر لك واحد غيرى أنصب عليه لعلك أن يقع لك نصرانية أخرى يقع غرضها معك وتسوق لك بنجس مثلى تأخذوا منه خمسة آلاف دينار فأعاد عليه صندل حديث الحائط وكيف قال البطال احفروا ههنا وظهر لهم المال فقال عقبه وحق المسيح ما أنا راضى عنك يابطال واعلم أن مدحى مايعمل معك شىء لأنك ما أنت ممن ينطلى عليه المحال وأنا أقول أنك حوارى الرمان فالويل لمن تكون عدوه ياشيطان فأنا لو عرفت أننى أترك بغداد وأجىء إلى

هه‍نا وأراك قاعدلى فى هذا المكان فقال البطال أنا أعرف أنك كثير الفضول نحس ولا تقعد فى بغداد بعد أن فعلت ما فعلت وأنه لابد لك من المسير إلى بلاد الروم وقداتفقت أنت وهرمس على أخوات عبد العزيز العلوى فعملت ذلك حتى تمهد أمر هرمس عند الملك أرمانوش وعرفت أن مالك طريق إلا من هنا لأن الذى يعرفوك هنا قليل فجئت أنا وسبقتك حتى آخذك فقال عقبه ياويلك لا تفرط فى أمرى حتى أننى أرد اليك أخوات عبد العزيز وعوف وعابس ثم انى أحلفك بالايمان الذى أريد أن تترك سبيلى وإن آذيتنى فتكون من الهالكين وكذلك سائر المأسورين لأننى قد أوصيت بحفظهم إلى أن أصل اليهم فقال له أبو محمد أما ما ذكرت من جهة الأسارى فانه مايلزمنى منه شىء لأنه قد جرى بينى وبين الأمير عبد الوهاب وعبد العزيز خصومة كبيرة حتى بلغ الأمر بيننا إلى ضرب السيف فقال عقبة وكيف ذلك ياأبو محمد فقال سبب ذلك أننى قلت له أن الأمر الذى جرى على أمه وأخواته منك ومن تدبيرك فكذبنى وقال أن عقبة ما يفعل فى حق هذه الفعال لأجل ما فعلت معه من الجميل فقال عقبة أن من طبعى الاساءة لمن أحسن إلى والرجل معذور فى ذلك لأنه ما يعرفنى حق المعرفة وأنا أتمنى وحق المسيح لو شربت من دمه ولو فعل معى كل جميل فى الدنيا ما ازددت فيه إلا بغضا ولا أقدر أقعد عن فعل القبيح معه والذى يحملنى على ذلك شيآن أحدهما أنه يقول لا إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يسمع عقبة من يقولها يكاد قلبه أن يتمزق لعنه الله والثانى أنه يحل الجهاد فى سبيل الله وشجاع وآه واحسرتاه ان مت ولم أبلغ من المسلمين غرضى فلما سمع البطال ذلك قامت عيناه فى أم رأسه وقال لغلمانه هيا ابطجوه فوثبوا اليه وقد حققوا عليه وأخرج البطال صوت الحكمة وضربه حتى قطع النفس وصبغ دمه ثيابه ثم أقام أبو محمد باقى يومه وهو مغتاظ مما جرى من عقبة وما قال من الكلام ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وذكر سيد الملاح عول على الرحيل والرواح وكان عقبة أفاق من غشوته ونظر إلى أبو محمد وقال لهطالبك المسيح بما قد فعلت معى فى هذه المره فقال له البطال ويلك ياملعون وأى مطالبة لك على والله أن الذى تراه من العذاب أكثر فلعن الله كل كافر بالرحمن ليتك تقول أن الرب اثنان فلو كان الأمر كما زعمت كانت الإرادة لا تتفق لأن هذا كان يريد الحركة وهذا يريدالسكون وهذا يريد العطاء وهذا يريد المنع وهذا يريد المطر وهذا يريد الجدب وكذلك كان يدخل هذا الافلاك تعطيل عن الدوران وتتغير فصول الزمان يتناقض أمور هذه الخلق قبل الأوان وانما ربنا خلق الفصول بتمامها مدبرة لأنها تأتى فى أوانها وانها غير

مغيرة فعلمنا أنها مدبرة وإن المدبر لها واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد وقد شهد بوحدانيته ارتفاع طبقات السموات العلية واشراق ائتلاف مطالع النجوم الدانية وتضاعف تكاثف ربوات شواهق الجبال الراسية واتساع أرتفاع فلوات قيعان الأراضين المدحيه وباحتمال مهال هموع قطرات السحاب الهميه ولوامع سواطع البرق الخاضعة البهية وهمرات زخرات قعاقع الرعود القاصفة القوسيه ووحاوس انزعاج تململ الرياح القاصفة الغربية وكسرات لحظات إلا عين الناظرة المضيه الذى لا إله غيره ولا ربا سواه (قال الراوى) يا سادة ثم أن أبو محمد البطال قال لعقبة كيف ترى هذا التوحيد ياشيخ الضلال فقال له عقبة يا أبو محمد وحق المسيح أن ضربك لى بالأمس ذلك الضرب العظيم كان أهون على من هذا الكلام قال البطال سمعته من عبد العزيز وهو يدعو به بعد صلاته فقلت له من أين تعلمته فقال تعلمته من أبى وأبى تعلمه من جدى وجدى تعلمه من أبيه الحسن والحسن تلقنه من أبيه على ابن أبى طالب وعلى تلقنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم تلقنه من جبريل عليه السلام فقال عقبة اللعين أقتلونى على بغضته ومن هذه النسبة نسبته وهذه المقاله مقالته وأنا الساعة قد أيست من خلاصى وعلمت أن الموت لى راحة والعيش لى أضيق ساحة (قال الراوى) يا سادة هذا والبطال قد سار وجد فى سيره حتى وصل الى ارزه ومنها إلى دارا ونزل فيها فى موضع جيد وأخرج غلام عقبة وعاقبه وعقبة يرى ذلك فقال يا أبو محمد أراك قد تركت طريق ملطية وعدلت إلى ههنا إلى اين فى نيتك أن تمضى بنا قال أنا قد عولت فى هذه النوبة ان أقتلك ولا يطلع لك خبر فقال لمذلك قال حتى أريح المسلمين منك فقال عقبة قد أخلف الزمان لكم آخر أيشم منى فقال البطال ان مافى الدنيا لك ثانى فى اللعنة إلا أبليس فقال عقبة بلى وحق المسيح وهو الراهب مطرون وقد وعدنى بضرب رقبتك ورقبة عبد الوهاب وذات الهمة وبنى كلاب بسيف المعتصم وهو أنه يقول ويفعل فضحك أبو محمد البطال وقال أفتعرف لأى شىء جئت بك إلى ههنا إلا حتى أنفذ إلى مطرون وأحضره إلى عندك وأربطك إلى قفاه وبعد ذلك يطيب قلبى إذ لم يبق من يعمل على المسلمين فقال عقبة ما يتحدث اللسان بالمحال فقال البطال وكيف ذلك يالعين فقال لأن مطرون علمت فى بغداد فى ذلك الشغل الذى تعرفه وما يفارق مجلس الخليفة لأنه مقدم على سائر الأطباء فايش الذى تأتى به إلى ههنا ان كنت ترجع إلى بغداد وتسرقه وما اقول انك تقدر عليه لأنى قد حذرته منك وعرفته جميع اشغالك واطلعتــــه على افعالك وعنده ايضا طرفا من ذلك فضحك

أبو محمد وقال يا أبليس لم لا قرأت أنت هذه الآية على نفسك وحسبت هذا الحساب لروحك ولا كنت وقعت فى يدى ولكن سوف ترى ما يسرك وكيف أسوقه إليك إلى ههنا وأربطه معك فى حبس واحد حتى تعلم من هو الشاطر منا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال أن فعلت هـذا فأنا أقول ما فى الزمان مثلك ولا يلحقك أحد فى شغلك عندها صعد البطال إلى صاحب دارا وهو الأمير شيث القشيرى فسلم عليه وفرح بمجيئه وأكرمه غاية الاكرام وخلع عليه وقال أيها الأمير كيف تركت أمر المجاهدين فقال بخير فقال أيش الذى أزعجك وإلى هذه الأرض أخرجك أن كان لك حاجة أو خدمة فشرفني بقضائها فقال أبو محمد أعلم أنى ما جئت فى حاجة إلا للأميرة ذات الهمة لعل الله تعالى يوجه لها بالعافيه فقال شيث ما حالها فقال أبو محمد قد وقعت فى مرض شديد ماعليه من مزيد وما فى ملطية طبيب إلا وعجز عن علاجها وعميت بصيرته عن أدراك مرضها وعند أمير المؤمنين طبيب قد أسلم من قريب يقال له مطرون ماله فى الأرض نظير وأنا ما جئت إلا لأجله وقد طالت على الطريق وأريد أن تنفذ إلى أمير المؤمنين على جناح طائر كتابا تسأله أن ينفذه إلى ههنا فقد لحقنى اليوم غلام الأميرة وقال قد زاد بها المرض وان أنا سرت إلى العراق يطول على الأمر ويفوت الغرض فقال الأمير شيث والله عندى زوج حمام من حمام بغداد ولقد أشغلت قلبى بمرض الأمير ذات الهمة وإذا جاء الطبيب إلى ههنا سرنا كانا إلى ديارها وزيارتها فلها علينا حقوق ومافى بلدى إلا من هو عتيق سيفها ثم أحضر ثم الحمام وسلمه إلى أبو محمد البطال فأخذه أبو محمد وعاد إلى داره وقد سبقه اليها الضيافات والكرامات والتحف وان أبو محمد كتب كتابا على لسان صاحب الخير الذى فى ملطيه من قبل الخليفة يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد يا أمير المؤمنين أماط الله عنك الأسواء أن الأميرة المجاهدة على شرف الموت وبها مرض عظيم قد أعيا الأطباء وما فيهم من عرف لها دواء وان الأمير عمرو دخل عليها وافتقدها وبكى لما ان رأى حالها وقال لها مطرون الطبيب الذى عند أمير المؤمنين أعرف من هؤلاء الأطباء جميعهم ولو سألتيه فيه أرسله حتى يطبب مرضك وقد تعلق قلب الأميرة بذلك وقد سألونى أسأل امير المؤمنين فان سمحت نفس أمير المؤمنين فيكون ذلك على عجل لعل أن يكون الفرج على يديه وقد أنفذنا خيلا إلى آمد وخيلا إلى دارا ينتقل عليها لعل يلحق الأميرة فان كان على يده فرج وإلا نعلم الأميرة إن مولانا قد عنى بها واهتم فى قضاء حاجتها ورعالها حق ذمتها وخدمتها السالفة ثم جلجل الحمام وطار فبعد ساعة من النهار وصل إلى بغداد ودخل به البراج على الخليفة فلما قرأ الكتاب بكى وقال ائن طال

مرضها لأمضين إليها وأعودها وأين يكون مثل هذه الأميرة فلقد مرض الإسلام لمرضها ثم أنه ادعى بمطرون وقال له أيها الحكيم أنت تعلم أنك اليوم من المسلمين وقد من الله عليك بهذا الدين وفرض عليك المبادرة إلى كشف ضرر المسلمين وقد جاء فى كتاب الأميرة ذات الهمة فان هى برئت من مرضها على يديك وعادت إلى الصحة أعطيتك ما أردت من الأموال فقبل مطرون الأرض ولا يصدق بذلك من شدة الفرح وقال يا أمير المؤمنين أنا أسير من يومى وما أعود إن شاء الله تعالى من تلك الديار حتى أجمع من حشائش أرض الروم وعقاقيرها شىء أعرفه يسوى ههنا كل درهم دينار ثم أنه عاد إلى داره وكان عنده غلامان نصارى من غلمان عقبة قد وهبهم لمطرون وقال دع أولادى يكونون عندك فى خدمتك وإن أردت أن تعمل حيلة فهم يساعدوك ويعاونوك (قال الراوى) يا سادة فلما كان ذلك اليوم قال مطرون لهما قد بلغت المراد ووصلت إلى قضاء الأسباب ووقع لى ما أريد وما يريد مولاكما عقبة فقالا له كيف ذلك فأعاد عليهما القصة وقال ما كان قصد مولاكم عقبة فى كونى ههنا طبيب إلا حتى أقتل ذات الهمة وولدها عبد الوهاب وأنا وحق مولاكم ساعة أصل اليها أسقيتها شىء لو شربت بعده ماء الحياة ما عاشت فاذا هلكت ذات الهمة فهى نصف الإسلام وما يرجع يقوم بعدها لعبد الوهاب قائمة ولا لأبو محمد البطال ومن ملطية أنفذ لمولاكم وأعرفه بذلك حتى يطيب قلبه وانظر ما يجرى فى حاجتى التى أوصيته بها وإن سير إلى حتى أسير اليه من ههنا سرت اليه وتكون الطريق قد قربت على من الثغر وهو نصف الطريق وإذا رجعت إلى بغداد وسألنى الخليفة عن أبطائى أقول له دخلت إلى بلاد الروم فى طلب شىء من الحشائش والعقاقير التى تصلح للعلاجات من أمراض الجسد وهى فى غير بلاد الروم لا توجد هذا إن علم بحالى وإن أبطأت فأكون قد قضيت وطرى من أخوات عبد العزيز وأعود أعمل على هلاك عبد الوهاب ومن معه من بنى كلاب (قال الراوى) وفى ذلك اليوم أرسل الخليفة يقول له خذ معك من الغلمان ما شئت فأنفذ يقول يا مولاى معى غلامان وهم كفايتى فى الطريق زاد الله مولانا سعدا وتوفيقا ثم أن الملعون مطرون سار وهو لا يدرى أنه سائر إلى قبضة الموت (قال الراوى) ياسادة وأعجب ما فى هذه السيرة العجيبة أن الملعون كلما نام يرى فى النوم ما يروعه فيقول للغلمان الساعة رأيت أستاذكم عقبة فى النوم وقد أعطانى من أخوات عبد العزيز أصغرهن سنا وأوفاهن حسنا فتقول الغلمان أرجو ان تكون عاقبته إلى خير فيقول مطرون وما يكون إلا خير لأن ما بعد تسليم الملاح إلا الصلاح والفلاح وكان قد أشار اليهم فى هذه المعنى بهذه الأبيات يقول

إلا الأحلام تظهر لى صلاحا | فو أشوقى إلى تلك الملاحا
فان صح المنام بملك قوم | أرى أوفى فساد همو صلاحا
وإن كان المنام بعكس هذا | كسبت من الصلاح مع الفلا
ألا سيروا بنا فالسير فيه | صلاحا لو يكون بلا صلاحا

(قال الراوى) ياسادة ثم إن الملعون مطرون لم يزل سائر إلى نصيبين وسار منها إلى دارا (قال الراوى) وكان صندل كل يوم يقف فى الطريق لأجل الانتظار فلما رأى القوم عرفهم بالصفات التى كان مولاه وصفها له فصار يعدو وهو فرحان إلى أن دخل على مولاه أبو محمد البطال وعاد عليه جليه الحال ففرح بذلك فرحا شديدا وقال يا صندل عد اليهم وارصدهم من بعيد وانظرهم أين ينزلون فمضى صندل وعاد وقال يا مولاى نزلوا فى خان التجار ومطرون قد جلس فى دكة دهليز الخان ومعه غلامان يسيران بالدواب فقال له أبا محمد ويلك عد الساعة على هذا الفرس وزينه بزينة مليحة وارجع فاذا أنت صرت بين يديه قل له يا مولاى أنت طبيب أمير المؤمنين فاذا قال لك نعم قل له أجب مولاى لأنه قد فرش لك فى دار الضيافة وهذا فرس النوبة وعنده خيل تنتقل اليها إلى ملطية وعلى كل حال تجهد نفسك إلى أن تسوقه إلى ههنا فقال صندل يا مولاى لا تعرفه إلا منى اعل ببركة هذا الشيخ الآخر تقع إلى أخرى تعشقنى (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن صندل سار ومعه حصان مليح أصفر وعليه سرج بكانيوش ذهب أحمر حتى وصل إلى الخان ودنا من مطرون وصقع له وكان متكئا فجلس وعلم أنه رسول رجل محتشم وقال يا ولدى عسى حاجة فقال له نعم يا مولاى أنت طبيب مولانا أمير المؤمنين الذى أتيت من بغداد طالب ملطية لأجل الأميرة ذات الهمة قال له نعم قال بسم الله إلى دار الضيافة فقد سبقت إليها الاقامة والتحف والكرامة لأن كتب ملطيه كل يوم تصل إلينا ومولاى صاحب هذه البلد هو صنيعة الاميرة ذات الهمة وما يأتى كتاب إلا ويحرضنا على استعجالك فلما سمع مطرون ذلك فرح وقال للخانية عينكم على الرجل والقماش حتى أنفذ إليه غلمانى ينقلوا فقال صندل ما عليك أنا الساعة أحملك إلى دار الضيافة والكرامة وأعود أحمل القماش قال فتعجب مطرون من كلام صندل وقال لله درك ما أفصح خطابك ولكن هكذا تربية المحتشمين والوزراء والسلاطين ثم سار طالبا دار الضيافة ولم يعلم أنه ماضى إلى محل الاضافة ولم يزل إلى أن وصل إلى الدار التى فيها أبو محمد البطال فدخل صندل وقال يا مولاى الشيخ مطرون على الباب فلما سمع أبو محمد البطال ذلك دخل إلى حجرة داخل الباب والدار وترك المجلس الذى فيه الفرش

مفروشا على حاله مزين مرتب بالوسائد والطرح والفرش الذى أرسلها صاحب دارا الأبو محمد ثم أن أبو محمد قال لصندل ويلك اخرج إليـــه وامره حتى يدخل لاريكما فعلى فخرج صندل وقال بسم الله وادخل مطرون ونظر إلى تلك الدار وتلك الفرش والطرح والمأكول والفواكه ففرح بذلك وقال لصندل ما اسمك يا هـذا قال له اسمى صندل قال له ويحك يا صندل أريد مع هذا الاكرام جارية جميلة تؤنسنى وإذا نمت تكبسنى فقال على يا مولاى كلما تريد ثم أنه دخل إلى مولاه أبو محمد وأخبره بذلك وبما قال مطرون فقال سمعته خزاه الله اخرج إليه وقل له أن الجارية التى تطلبها فى الحجرة إلا أن الحياء يمنعها أن تخرج إليك فليدخل مولانا فخرج صندل إليه وقال له ياسيدى مقصودك فى هذه الحجرة وهى جارية فى غاية الحسن والجمال ما لها فى حسنها مثال قد أرسلها مولاى إليك تغنى فى حضرتك لتزيد فى كرامتك فعندها وثب مطرون فما هو إلا أن صار داخل الحجرة وإذا بلكمة قد وقعت فى نخاعه ولا حافر بغل فوقع من شدتها إلى الأرض فوثب ليخرج فزوده مذبحون بأخرى أشد من الأولى فعاد وقع فزوده لؤلؤ بأخرى فاندهش وحار والتفت إلى صندل وقال له ويلك خذ بيدى وأخرجنى من هذا الموضع الميشوم فانى بين قوم اللكم واقع منهم ويلك ما هذا مثوبة هذه عقوبة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها قال أبو محمد ويلك ما هـذه مثوبة هذه عقوبة ويلك يا قرنان من يعمل عند مولانا أمير المؤمنين على ضرب رقاب الشجعان عنـــد خليفة الزمان يخاطر بنفسه ويأتى إلى هذا المكان فقال ويلك يا شيطان من هو الذى أراد يقرب هذا المكان لو لا أمر السلطان (قال الراوى) هذا والبطال قد شد يديه ورجليه وسل فى يده خنجر أمضى من القدر (قال الراوى) يا سادة فلما رأى مطرون ذلك أيقن بالبلاء والتفت إلى صندل وقال ويلك هذه دار الضيافة أو دار صاحب الشرطة فقال صندل أصبر فما تعرف الرجال إلا بالصبر على الأهوال فعلم مطرون أنه وقع فقال ويلك يا أبو محمد لا تفرط فى أمرى فان حالى ما يخفى ولى من يكشف خبرى فقال له أبو محمد ومن هو فقال عقبه لأنه يعلم اننى إذا فقدت ما لى عدو غيرك فقال أبو محمد اقطع أياسك من هذا الوجه فها أنا الساعة أجمع بينك وبينه ثم وضع فى رقبته حبلا وساقه إلى بيت آخر وفتح صندوقا وأخرج منه عقبه وقال له أيها الشيخ النجيح افتح عينيك وانظر من جاء إليك يزورك على الصحيح ففتح عقبه عينه الصحيحة ونظر إلى مطرون وحقق فيه معرفته كادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وقال ويلك يا مطرون فقال له نعم فقال ما الذى أتى بك إلى ههنا قال له القضاء والقدر وكتاب الأميرة ذات الهمه أنها ضعيفة

فى ملطية لا وجه الله لها بعافية فقال عقبة وحق المسيح هذا من دواهى البطال فكيف خليت غلمانى الذين تركتهم عندك فقال معى جاؤا وقد تركتهم يسيرون الدواب فقال عقبه أعوذ بالمسيح من شر هذه السنة ويلك اعلمنى كيف أخذوك قال جاءنى غلام يقال له صندل وقال بسم الله يامولاى قم إلى دار الضيافة فأتيت الى ههنا فقبضوا على فضحك عقبه وقال جاء بك بالله غلام الشريف لاستر الله عليه ما أكثر محاله ولكن أنا أعلم على أنك ما بادرت بالمسير إلا من أجل ذاك الوعد وهو الذى أنجسنى وأنجسك هذا وقد دبر أبو محمد على غلمان عقبة حتى أخذهم ورفع الكل على البغال وسار من أول يطلب الرقة فقال له مذبحون إلى أين هذه الطريق وأبو محمد يقول سر واسكت ثم أنه سار حتى وصل إلى حلب إلا أنه لم يستقر به القرار حتى كتب إلى صاحب سويدية كتابا يقول فيه ساعة وصول الكتاب إليك ترسل الراهب شومدرس إلى حلب فانى قد أرسلت بتسليمه (قال الراوى) وكان الكتاب إلى حاجب السويدية على لسان الأمير عبدالوهاب فلما وصل الكتاب إلى صاحب السويدية لم يتأخر ساعة واحدة دون أن أخرج الراهب شومدرس من السرداب وقد عقد شعره وطالت أظافره وظهر ضره وسلمه إلى أربعة من غلمانه وقال لهم سيروا بهذا الشيخ إلى حلب وسلموه إلى أبو محمد البطال بهذه الحالة التى هو فيها فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم تقدم لهم الدواب وأركبهم وساروا يقطعون الأرض إلى انطاكية ونزلوا بدير شمعون وكان فيه عشرون راهبا وهو يعرف بدير شمعون ودير النساء وماكان يدخله راهب ولاغيره إلا فى عيد الشعانين وإنه يسير اليه من العالم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى وما تأتى اليه الرجال والنساء إلا ومعهم القربان من الشمع وغير ذلك وكانت الأربعة الذين ساروا من السديدية مع شومدرس جاهلين بمعرفة شومدرس ولما نزلوا فى ذلك المكان ورأوا شومدرس على غاية من الجوع والضر فأعرضوا عليه الطعام فأبى وقال مايصنع بالطعام من هو راحل من الدنيا فقالوا ياشيخ ونسيت ماتلقاه فى الآخرة من العذاب والانتقام فقال وكيف ذلك قالوا لأنك كافر بالملك العلام مكذب برساله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فقال والله لقد صدقت فى هذا الكلام الويل ثم الويل لمن يترك التوحيد ويشرك بالملك المجيد وأنا أعلم أن الله تبارك وتعالى ماأوقعنى فى هذا العذاب إلا لأنى آكل رزقه وأعبد غيره والساعة قد من الله تعالى على بالإيمان ونزع من قلبى عبادة الصلبان وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم الله أنى ماقلت هذه الكلمة رغبة فى الحياة ولاخوفا من الوفاة فانى مشرف على الصلب وان تجدوا فى السير مع ماتلحقون بى حلب

وأنا أشتهى أن تصلوا على صلاة المسلمين وتدفنونى فى قبور الموحدين فياليت هذه الهداية كانت من زمان حتى كنت أقضى بقية عمرى فى الطاعة ثم جعل يبكى بكاء شديدا ويكثر النوح على نفسه فى التعبد فقالوا له وقد عملت فيهم حيلته اعلم ياهذا ان فى القرآن العظيم قوله تعالى قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف واعلم أن الله تعالى قد غفر لك لأجل إسلامك وقد بقى لك مالنا وعليك ما علينا وقد عولنا نقيم ههنا للراحة حتى يذهب ربع الليل ونرحل فما نبات ان شاء الله تعالى ليلة غد إلا فى البلد (قال الراوى) ياسادة ثم انهم فكوا قيده وحلوا كتافه وقعدوا ورأوه يعيد الاحتقار لأنه شيخ كبير وضعيف وقد أظهر الوجع فبقى كانه ميت ولما أطلقوه قال لهم علمونى شيئا من القرآن أصلى به فلقنوه الحمد لله رب العالمين وسورة الاخلاص وما أعادوها عليه مرتين الا وقد حفظها فقالوا له قد سهل الله عليك خروج الروح (قال الراوى) فأمنوا عليه وكانوا على غاية من التعب الشديد فناموا فلما علم الملعون أنهم غرقوا فى النوم وسمع خطيطهم قد علا وثب كانه سلهم وأخذ بعض سكاكينهم وذبح الأربعة وتقدم إلى جواد من الخيل فركبه وطلب بلاد الروم وإذا هو بشخصين قد لاحا فى الظلام وقد قال واحد منهم الآخر والله لقد كان الرأى مع أبو محمد البطال هذا والله لاشك انه شومدرس وقد قضى على الأربعة الذين كانوا معه فخذوا هذا الشيطان قبل أن يستجير عليكم بدير الرهبان (قال الراوى) يا سادة فهجموا عليه وأخذوه وكان أحدهما لؤلؤ والثانى مذبحون وان الأمير أبو محمد افتكر وقال لولده مذبحون وغلمانه والله لقد نسيت أن أوصى صاحب السويدية بالملعون شومدرس والاحتراز به فى الطريق لأنه الملعون عقبة الثانى وربما ينفذه مع من لايعرفه ولاجرب حيلة ويتخلص فاذهبوا أنتم والتقوه فى الطريق واحتفظوا به فساروا إلى أن وجدوه كماذكرنا وأخذوه كما وصفنا فلما أخذوه ضربوه ضربا شديدا فقال مذبحون للؤلؤ عول بنا على المسير فساروا إلى حلب ودخلوا على أبو محمد البطال وأعادوا عليه حديث شومدرس شيخ الضلاله وكيف عول على الهرب وكيف لحقوه بعد ما ذبح الذين كانوا معه وسقاهم كاس العطب ففرح أبو محمد البطال وأخذ شومدرس إلى عند عقبة والراهب مطرون فلما نظره عقبة قال له شومدرس قال نعم قال ايش الذى أوقعك ههنا أيها الشيخ قال أوقعنى الشيطان أبو محمد البطال وبعد هذا قال عقبة تذكرنى فى بالك يا شومدرس لما كنت أنا وأنت الدير وأخذنا الأمراء وحبسناهم فى المطمورة وأنت مالك خبر ولا أثر فقال له أما تعرف أن أبو محمد إذا جلس فى مكان لاينجوا منه أحد وهو الذى خلص نفسه

وخلص الامراء معه وأخذونى معهم إلى السويدية ء بقيت أنا منقل فيها الى الآن ثم انه نظر إلى مطرون الراهب فبقى حائر فى قصنه وصار ينظر اليه وهو مشك فيه وكان صديقه إلا انه كان يعرفه انه فى بلاد الروم فقال لعقبة أليس هذا مطرون فقال نعم إلا انه تغير عليك ثم انه أعاد عليه قصته وكيف عمل عليه البطال الحيله وأخذه بعد ما عمل على قتله فقال شومدرس هذا الشيطان ضاقت بنا فيه الحيل وما ندرى معه ما نعمل هذا وأبو محمد بعد ذلك سار إلى طرابلس على انه يقلع إلى ديار مصر ويشتفى من الثلاثة ولا يعود يقرب العراق أبدا إلا انه كان غضب على الامير عبد الوهاب لاجل ميله لعبد العزيز العلوى فأقسم أنه لا يرجع يعود اليه أبدا فلما وصل إلى طرابلس وصل إلى دار الأمير جوال لأنه لما قسم أمير المؤمنين الغنائم على ملطيه سار إلى بغداد ومعه الأمير عبد الوهاب والأمير عبد العزيز فقال جوال لعبد الوهاب أيها الأمير أنا أريد أمضى إلى أهلى آخذهم من السويدية وأسير بهم إلى طرابلس فان قلبى فى وطنى وما أخرجنى منه إلا مانع بن ضابط لأنه عمل معى كل قبيح حتى خرجت من الوطن كارها والساعة أريد عنايتك حتى أعود اليه (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك خاطب المعتصم فى شأنه وأخذ له كتابا إلى المتوالى فى طرابلس بمراعاته واكرامه ويقول فى الكتاب متى عاد مانع بن ضابط إلى التعرض له أخرق به وخذ ماله وكان قد صح لجوال من هذه الغنيمة رزق صالح فأخذه وسار إلى السويدية وأخذ أهله وسار إلى طرابلس ولما وصل اليها أعرض كتاب المعتصم على متواليها فلما قرأ الكتاب وعرف ما فيه فأكرمه لأجل مشاهدة الكتاب والثانية لأجل الأمير عبد الوهاب وبقى مقيما إلى أن أتى أبو محمد البطال فى هذه النوبة فأنزله جوال فى دار أكرم أهل زمانه وأنه لما رأى أبو محمد سأله عن حاله وعن قدومة وإلى أين هو سائر فقال إلى أرض مصر هذا وقد أرسل كتابا إلى ملطيه يطلب زوجته نورى ويقول فى الكتاب أنه متوجه فى طرابلس وأريد أن تسيرى إلى فان الموت قريب وما أدرى ما يكون منى والسلام وأقام ينتظر قدومها (قال الراوى) هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها لما وصلها الكتاب من اخلاط يعلمها أن أخوات عبد العزيز وأمه ومن معهن قد عبروا بهم طالبين بلاد الروم ضاقت عليها الدنيا وقالت لعن الله عقبة فانه ما يقعد عن قبيح فعله ثم انها انتخبت معها ألف فارس وخرجت من البلد كانها تريد الصيد والقنص ولم تعلم أحدا من بنى كلاب غير الذين معها كل ذلك لتخفى أمرها عن بنى سليم ولما ابعدت عن ملطيه أخذت على طريق بلد الروم والرجال الذين معها يظنون أنها طالبة الصيد والقنص فى أطراف الدرواب هذا

وقد سارت الأميرة سيرا عنيفا طول ذلك اليوم وعندالليل نزلت ساعة بقدر مااستراحت الخيل وأكلت عليقها ورحلت بطول الليل إلى الصباح فأصاب الناس من التعب مالا يوصف فقال لها ضيغم ياجدتاه قد هلكنا وهلكت الخيل من تحتنا فاعلمينا إلى أين قد عولتى حتى نكون من أمرنا على حذر فقالت له ياولد سر وأنت ساكت فقد رأيت مناما وأريد أصححه ثم انها سارت باقى نهارها إلى الليل فأراحت واسترحت وقد أصبحت عند باب درب العقيق وهو درب ضيق المسالك ما لأحد إلى بلد الروم طريق إلا منه يدخل الانسان منه ويتوجه إلى أى بلاد من بلاد الروم فنزلت الأميرة ذات الهمة بأصحابها هنا لك وهم موتى من شدة التعب فنزلوا فى أرض واسعة كثيرة الوحوش والناظر اليها مدهوش فباتت الأميرة هناك وأقامت ذلك اليوم إلى ان كان من الغدو أصبح الصباح وكانت الأميرة خائفه أن يفوت عدو الله هرمس (قال الراوى) ياسادة فما هو إلا أن طلعت الشمس على الجبال وأشرفت على الربا والتلال إذا سمعت صهيل الخيل وزعقات الرجال فوثبت الأميرة وشدت عدتها فى الحال قال ضيغم والله لقد رأيتها فى ذلك اليوم وهى تتحزم وهى ترعد مثل السعفة فى ريح عاصف وذلك شيأ ما عهدته منها قبل ذلك اليوم فقلت لها ما هذه الرعده التى حلت بك هذا فزع من عدو الله هرمس قالت لا والله بل غيرة على بنات علويات حسيبات نسيبات قد ملكهن الأعداء وهو فى قبضتهن وإذا بنواصى الخيل قد طلعت فكانكم بهم قد وصلوا وعليكم حملوا فقالوا لها أصحابها وقد تعجبوا من مقالها والله أن أمرك عجيب وقد ذكرتى هذه النسوه وما هن عليه من الحسب والنسب وأن هذه أشراف العرب ونحن متعجبون كيف وقعت فى أيدى الأعداء فقالت سوف يظهر لكم الساعة الخبر (قال الراوى) ياسادة وظهرت الخيل مثل السلاهب وعليها رجال وهم بالسيوف المشرفية والرماح السمهرية والخيل العربية والدروع الداودية والاتراس الملكية فلما نظر أصحاب الأميرة ذلك قالوا ايتها الأميرة أما ترين إلى هؤلاء القوم ما كانهم إلا مسلمون لكن البواطن ما يعلمها إلا الله تعالى فقالت الاميرة هؤلاء القوم كلهم عبيد رجل واحد والكل يعبدون النار دون الملك الجبار فقالوا إذا كان الامر على ذلك الذى ذكرتيه والحال على ما وصفتيه فهم كلهم أكلة واحدة للجائع وسوف نفنيهم بلا تعب ولانصب بالقواطع ان شاء الله فقالت الاميرة هذا يكون ان شاء الله الملك العلام لانهم ربوا على أكل الحرام والمقدم عليهم شخص جبار وكنت قد صحبته وصحبنى زمان الجاهلية أول ما تفرست لقينى فى جماعة من الرجال وعرفت انه يريد أخذ المال وكان بالامر المقدر أغار علينا وأخذ جمالنا ولم أكن حاضرة

فى الحى فلما ساق الجمال وصلت أنا من الغد فأخبرنى أبى مظلوم بذلك فسرت خلفه فلقينى هذا الشيطان وصحبه وكان فى ألف فارس وأنا فى دون المائة فقتلت منهما جماعة وأخذ الغنيمة وعدنا وكان هذا الشيطان أعجبنى قتاله لأنه تقاتل معى قتالا شديداً ولما وصلنا إلى أرض العقيق داخله الطمع فى أخذ الغنيمة كلها منى وقال لى قاسمنى وكان يحسب أننى رجل لما رأى قتالى وشدة حربى ونزالى قال لى يا هذا الفتى أعلم أننى ماخاطرت بروحى إلا من أجل هذه الغنيمة فقاتلنى عليها فقاتلته يوما وليلة وكنت أنا فى أربعين فارس وهو فى مثل ذلك وبعد ذلك انفقنا على البراز فبارزته فرأيته جبار ما يصطلى له بنار فأقمت معه ثلاثة أيام متوالية فرأيته يسجد للشمس كلما حملت عليه فعلمت أنه لايدين بدين ولما أعيتنى الحيل قسمنا المال بيننا نصفين بعد مامشى بيننا مشايخ الطائفتين ومضى كل واحد منا وفى قلبه من صاحبه النار وإلى الآن ما رجعت وقفت فيه وما ادرى ما صنعت به الأقدار إن كانت زادت قومه أم لا وكان مقامه فى أرض العراق ولما كثر أذاه على المسلمين عولت أن أسير اليه أنا وولدى فبلغنى أنه قد أنصلح حاله مع امير المؤمنين واقطعه أقطاعا جيدا حتى كف أذيته عن الناس والساعة لقد لقيته حتى اخلص منه هذه البنات والنسوة التى معه ولا تهونوا امره فانهم شياطين الأرض عندها اخذت اصحابها اهبة القتال وإذا بالرجال قد وصلوا اليهم واشرفوا عليهم (قال) فنظر هرمس إلى الف فارس بين يديه ورماحهم كأنها اجام القصب فقال اصاحبه هؤلاء بلا شك مسلمين فدونكم واياهم فقالوا ما كأنهم إلا من متنصره وقد خرجوا من عند ملك الروم حتى يلقوك لأن الطيور سبقتنا من عند الشيخ النجيح فقال هرمس دعوا عنكم هذا المقال واقبلوا منى وخذوا أهبتكم للقتال فانهم لو كانوا متنصرة العربان كان عن راياتهم الصلبان المشهورة فى كل مكان وهؤلاء مكتوب على راياتهم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنى خائف ان يكون خبرنا سبق إلى ملطية وخرج علينا عسكر الثغور فخذوا حذركم ولا تعجبوا من هذا لأنهم ماهم مثل من لاقيتم من الفرسان وان هؤلاء قد تعودوا بالجهاد والكفاح والقتال فى كل صباح فحين سمعوا مقاله قالوا وإذا كان من عسكر الثغور فما عساكرهم ان يقدروا يفعلوا ونحن فى وسط بلاد الروم ونجدتنا قريبة منا فضحك من قولهم وقال لهم ويلكم ومن الذى يحوجكم إلى النجدة فقالوا لأنهم اكثر من الف فارس لأننى علمت تحرير الجيوش ووزنتهم بميزان البصيره وكيلتهم بمكيال الخبره فقالوا له صدقت أيها الأمير فما الذى تأمرنا به أن نفعل فقال لهم أعلموا ان البدرة لمن بدر وأنى وحق الشمس عند اشراقها ما أبالى بألف ولا بألفين لأنى أقدر أشوش عمائما وأرمى

بسيفى جماجمها وأترك الدماء تفج من علاصمها وآخذ جميع أموالها وغنائمها ولكنى أخاف من امرأة تكون معهم يقال لها داهية بنى طى لأننى كنت لقيتها منذ أعوام فى أرض بنى كلاب وجرى بينى وبينها كل عجيبة فى الحرب وما وصل منا أحد إلى صاحبه بل أخذ كل واحد منا النصف وانصرفنا وأنا أظنها غلاما بعد بعدها بلغنى أنها جارية فهام بها قلبى وطمعت فى زواجها فأرسلت لها بسبب ذلك فأبت وردت الرسول لأجل دينى فاشتغلت عنها بنهب الأموال وكنت فى مائتين بطل وبنى كلاب فى ألف فما أقدر عليها إلا عن رضاها وإلى الآن ما عدت لقيتها ولقد قيل لى عنها أنها افرس من ولدها وما أدرى أنها فى هذا الزمان زادت الشجاعة أم لا (قال الراوى) يا سادة وكان قد خطب الأميرة غير أنها ما اعلمت أصحابها وكان هذا من طريق الحياء هذا وقد قربت الخيل إلى بعضها بعض وكان أول من نادى الأميرة وقالت يا ويلكم يا عبدة النار ويامن هم مطرودون عن باب الملك الجبار يا من جعلهم الحق تعالى من الأشقياء والكفار خلوا عن الأضعاف والأحرار والبنات والابكار وإلا وحق من أدار الفلك الدوار وأجرى بقدرته البحار وأوراق الأشجار وأذهب الليل وأنار بضوئه النهار أريكم من ضرب الحسام البتار وما تحير منه الأبصار وتطير منه الرؤس مثل النثار منى ومن هؤلاء الرجال الأخيار الذين يوحدون الملك الجبار ويقومون فى محاريبهم وقت الأسحار الذين ألفوا قتال الكفار ليلا ونهار فان فعلتم ذلك فاصرفوا إلى حيث شئتم (قال الراوى) وكان قصد الأميرة ذات الهمة بهذا القول حتى تعلم ما جرى لأم عبد العزيز واخوته وبعد ذلك قربت منهم وتقدمت اليهم وجعلت تقول هذه الأبيات

ألا أيها الغادون بالعيس بكرة	يحثون سيرا بالبنات الكواعب
ألا فأطلقوهن الغداة وعرجوا	وسيروا وروموا غيرهذى المطالب
والا وحق المصطفى سيد الورى	وأصحابه الطاهرين الأطايب
تركنا جماجمكم بحد سيوفنا	كما تنشر الأزهار ريح الجنائب
انا بنت مظلوم ولالى ظلامة	معودة خوض الغياب الغياهب
أحامى عن الاسلام فى كل موقف	فلم لا أحامى عن شراف أطايب
لهم منصب عالى على كل منصب	ومن فيه أصل فوق أعلا المراتب
سراة حماة يقرب لمحمد	عليه سلام الله من كل راكب
وحقك يا عبدالعزيز لقدمضت	لامك أهوال الردى والمصائب

ألا قر عينا ان نهضن خوالصا ☼ يمون إله غالب كل غالب
تعودت خوض الحرب مذ كنت طفلة ☼ وشاب قوامى من لقاء المواكب
فان فيكمو هرمس فيسرع إذا به ☼ إلى امرأة قد هذبت بالتجارب
وكنا التقينا فى زمان شبابنا ☼ وغصن زمانى بعد غصن الجوانب
زمان الصبا والشعر أسود فاحم ☼ ونحن لعمرى اليوم بيض الذوائب
فلا خير فى الدنيا إذا لم يكن لها ☼ بها مع مضى العمر فعل الأطايب
وصلوا بنا يا سامعين على النبى ☼ محمد طه من خيار الأعارب

(قال الراوى يا سادة فلما فرغت الأميرة ذات الهمة من شعرها سمعتها النسوة لانهن كانوا قريبا من الأميرة ذات الهمة فى الهودج التى فيه أم عبد العزيز وبناتها وكان عباد النار قد أطلقوا أيديهم وقلعوا الأكر من أفواههم لما أمنوا على أنفسهم وصاروا فى بلاد الروم (قال) وسمعت أم عبد العزيز ذلك الكلام والشعر والنظام وهى تقول خلوا عن الكرام وذكرت فى شعرها ما ذكرت فقالت يا رباه ما أحسن الفرج بعد الحرج وما أحلى الخلاص من الأوابد ثم انها بكت ولم تجد اصطبار دون أن رفعت باب الهودج والسجاف ونادت ونظرت إلى لمعان البيض والجواشن وأسنة الرماح بين أذان الخيل الصوافن وأصحاب الأميرة ذات الهمة صفوف وقد تقدمت أمام أصحابها وقالت ذلك المقال فقبلت أم عبد العزيز الأرض من شدة الفرح وقالت لبناتها أيقظانة أم نائمة وهل سمعت الخلاص من الكفرة الملاعين ثم أنها بكت من شدة الفرح وأنشأت وجعلت تقول

ألا زادك الله اقتدارا ورفعة ☼ فأمرك معروف وقدرك عاليا
ألا خلص الأطفال من قبضة العدا ☼ فقد وقعوا فى داهيات الدواهيا
بحرمة بيت الله لا تقطعى بنا ☼ فقد شمتوا حسادنا والأعاديا
فمن لليتامى والأسارى محاميا ☼ يدافع عنهم عند وقع الأعاليا
ترى ترجع الاطلال منا قريبة ☼ وتبلغ من عبد العزيز الأمانيا
خليلى إنى قد عفوت وأبصرت ☼ عيونى منادى بالخلاص يناديا
خليلى ضجوا بالدعا لأميرة ☼ أتتنا تخلصنا ببيض المواضيا
أتت رحمة كيما تروم خلاصنا ☼ وقد أبصرت ذلى ورقت لحاليا
خليلى بعد العز والربع عامرا ☼ غدوا حيارى ما نرى من يحاميا
ومن حين فارقنا الحجاز تفرقت ☼ جماعتنا فى كل شعب وواديا
خليلى هل من رجعة وزيارة ☼ أرى ولدى فيها وتغنى اللياليا

وصلوا على خير الأنام محمد ٭ نبي الهدى المختار من جاء هاديا

(قال الراوى) يا سادة وكانت أم عبد العزيز تندب والبنات يبكون وكذلك أصحاب الأميره ذات الهمة فلما أشجاهم نداها قالوا لها أيتها الأميرة ما هذا وقت الوقوف دونك وضرب السيوف فان الجنة بين أيدينا (قال الراوى) يا سادة يا كرام وسمع هرمس البكاء والحنين والتأوه والأنين فقهقه وضحك حتى استلق على قفاه وقال يا أم عبد العزيز إرجعى إلى هودجكى فلو أن أهل المشرق والمغرب جاؤا إلى ههنا لما قدروا يفكوا أسركى بل اسقيهم كأس المهالك ثم أنه بعد ذلك أقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها ما أنت إلا قد عرفتى ما جرى بيننا فى الزمان الأول من القتال والحرب والنزال واليوم قد ازددت عن ما كنتى تعهدين فاذهبى من قدامى ولا تبتلى بخصامى وانظرى من أمامك فما أحد أشفق عليكى من نفسك وإلا حملت عليكى وأخذت ما بين عينيكى وأترك أهلكى يبكون عليكى واشتت شمل من معكى وأبيد الكل قبل أن يدخل المساء وأنشد يقول هذه الأبيات

أيا بنت مظلوم قد قدم الهوى ٭ وقد بان لى من حبكى الهم والوجد
فتبا لدهر كان يجمع شملنا ٭ إلى أن تولى القرب واحتكم البعد
وقد التقينا اليوم والسيف بيننا ٭ ولا بد من حرب تذل له الأسد
فلو كنتموا مثل التراب مع الحصا ٭ ومثل نجوم الليل فى الأرض تتقد
فما خلصوا الأسرى ولافك أسرهم ٭ ولكننى من دون حى لكم أردى
وصلوا على خير الأنام محمد ٭ نبي الهدى المختار هو غاية القصد

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم ان الملعون صاح فى رجاله وأبطاله وقال دونكم وهؤلاء الأندال انجزوا أمرهم بالحسام حتى يعلوا عند ملك الروم قدركم ويشكر الشيخ النجيح أمركم وهم بين أيديكم غنيمة وسعادة مقيمة وإن أنتم كنتم عاجزين عنهم فأنا لهم وحدى ولا أحتاج إلى أحد منكم (قال الراوى) فعندها صاحت الأميرة ذات الهمة فى رجالها ونادت فى أبطالها وأقيالها وحمل بعضهم على بعض وأخذت الخيل فى الجولان واشتد الصياح وضاقت البرارى الفساح وقطعت الرقاب من الأشباح وسمحت النفوس الشحاح وهمهمت الأسد الضراغم وظفرت الليوث القشاعم وطار الغبار ولم يعلم الليل من النهار وتكردست الخيل بالسروج وصعب على الرجال من المعمعة الخروج هذا وقد انتفحت الأفواه لأجل استنشاق فى الأرياح وضيقت المناخر من شدة الغبار الطائر إلى أن سار وقت الظهر فبينماهم على ذلك وإذا بغبرة قد نارت وسدت الأرجا وتركت

النهار مثل الدجا وقد سمعوا حس حوافر الخيل ودقها على الصبغا مثل المطارق على السناديل فعندها انفصل الجمعان وافترقت الطائفتان ونظروا إلى الغبار وهو كلما سار يزداد حتى أظلم منه الوهاد لأنه قد ظهر من جهات أربع وقد تورته الرياح حتى أظلم منه النهار وسود وبعد ساعة انكشف للناس وكان من جهة بلاد الروم عن صليب ذهب أحمر وتحته عشرون ألف بطريق وقد نظروا أيضا عن شمالهم إلى الغبار الآخر وقد أقبل من أطراف الضروب وهو سائر على عجل فعندها قالت الأميرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أنا ما فى نفسى إلا هؤلاء النسوة اللواتى كن أيقن بالفرج وبعد هذا ما اشغلنا عنهم وما صدنا إلا قدرة الله تعالى وقضائه فهم فى الكلام وإذا بغبار آخر قد انكشف عن ثلاثة آلاف فارس أسود بصدور الزرد وفى أيديهم العمد فحسبتهم الأميرة سودان الأمير عبدالوهاب وقالت ما جاؤا هؤلاء إلا فى وقتهم وكان فى أوائلهم فارس جسيم مثـــل الفيل وقالت الأميرة لأصحابها هذا الهدلموس (قال) وما كان الأمر كما قالت بل انكشف الغبار وبانت الصلبان على راياتهم والفارس الذى هو بين أيديهم ميمونة الملعونة المفتونة عليها ألف لعنة قد جاءت فى سودانها وكان هذا التدبير من عقبة اللعين قبل أن يقع فى قبضة البطال لأنه كان قد كتب إلى الملك أرمانوس ليعلمه بما يفعل ويقول له اخرج إلى هرمس من يلتقيه وعظم قدره وبكل تقدر عليه حتى يفرح بذلك ويرغب فى التنصر لأنه خبير بالعراق والحجاز وقد قطع الطرق والمغاوز وإذا ارتفع قدره عندك وسمع الناس بما قد نال فى القسطنطونية عايبقى فى بلاد الإسلام قاطع طريق ولا آكل حرام إلا ويقصد اليه ويصير بين يديه ويكون يخرج إلى الأقطار وينهب أموال المسلمين ويأتى اليك بنسائهم ويخرب ديارهم (قال) فلما سمع أرمانوس كتاب عقبة ذلك وعرف أخوات عبد العزيز قال ما أظن أحداً يكون من خلق الله أصلح لهذا الدين من هذا الشيخ النجيح عقبة ثم قال الملك لقد سر قلبى بشيئين أحدهما هذا الرجل هرمس الذى قد سمعت أن ما فى الأرض أشجع منه لاسيما إذ انتصر وصار على دين المسيح وعادت عليه بركات مريم والصليب كما على ميمونة عادت حتى زادت على ما كانت عليه والفرحة الثانية إخراج عبدالعزيز وأخوانه لأنه كوى قلوبنا بفعله ولما يصلون إلى لم أبق عليهم حتى لا يرجع أحدا يعمل على خلاصهم (قال الراوى) وان الملك أرمانوس أخرج خواص عسكره إلى لقاء الملعون هرمس المجوسى فوقعوا بالأميرة ذات الهمة كما ذكرنا وداروا بها كما وصفنا وكان قد قدم عليهم بطريق شديد العزم يقال له دمدرى بن كرفاس من أهل الجزائر القاصية كان قد أتى اليهم وطلب اقطاعا فأعطاه ما طلب منه وأرضاه للغاية القصوى وقال له قصدى أن أنظر شيئا من

فروسيتك لأنى قد سمعت عنك بأنك فارس الجزائر ولعل المسيح أن يشد دينه بك فلما سمع دمدرى منه ذلك قام له وقال يا مولاى ما أقول إلا أنك سمعت عنى شيئا من ذلك أنزل من فرسانك إلى ميدانك على سبيل اللعب وانظر العجب فركب الملك الى الميدان وأخرج البطارقة والفرسان وصاروا يبرزون الى دمدرى ويطاعنوه وهو يرميهم الى الأرض طولا وعرض ويقرع رأسهم بالرمح وما يقدر أحدا منهم يصل اليه يفعل به كذلك لامن العرب ولامن الروم ففرح الملك ووقال لميمونة أريد تبرزين إليه حتى أرى أين هو منك فحملت ميمونة عليه وأقاما باقى ذلك النهار ولم يصل احد منهما الى صاحبه فشهدت له الروم بالفضل عليهم والشجاعة والقتال والحرب والنزال وعظم ذلك عند الملك ارمانوس لأنه كان فى نفسه من ميمونة امر عظيم فلما رأى هـذا وقد ساواها خلع عليه وأعطاه الاقطاع ولما سمع بقدوم هرمس أنفد اليه خواص عسكرة وقال لهذا دمدرى يا ولدى ما رجلك علينا إلا مباركة عمرت بك الأوطان وارتفت بقدومك ملة الصلبان

تم الجزء التاسع الأربعون ويليه الجزء الخمسون

سيرة الأميرة

ذات الهمة وولدها عبد الوهاب

جزء ٥٠ — ٥٩

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى وبزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال) ثم أعاد على دمدرى القصة وما صنع هرمس وقال له خذ معك أصحابك الذين قدمتك عليهم وسير الى لقاهم حتى تفرح بلقاء مثلك لأن ماعندى اليوم أجل قدرا منك والثانى فانى خائف عليه من ملطية لايكون خبره قد سبق الى المسلمين لأنهم شياطين لهم من يحدثهم بكل شىء يجرى ولا سيما أبو محمد البطال الذى يدخل فى ثياب الإنسان ويسرقه منها ويتركها معلقة بلا أحد فيها فصلب دمدرى على وجهه وقال ويلاه فلا يقوم يأخذنى ويقع بى وتبقى ثيابى معلقة وأنا ما أدرى به فضحك أرمانوس وقال لاتفزع انما قلت لك هذا على صفة المبالغة والا فما يقدر أحدا يأخذ بنى آدم فطمن قلبك فخرج دمدرى وفى قلبه بعض ما فيه وكان قد أرسل قبله حرب بن شيبان فى العرب المتنصره وقال امضى الى هذا الرجل والتقيه فاذا رآك يعلم انه قد تنصر من هو أوفى منه وأفصح لسان ولا يخالفك فيما يريد على هذه النية وسار دمدرى (وأماميمونه) فان سيرها كان حساب لهرمس لأنها لما نظرت الى كثرت الناس الذين خرجوا الى لقائه ولقاء أم عبد العزيز وأخواته ورأت أرمانوس قد أرسل العرب والروم الذين كان يعتمد عليهم بعدما كانت هى عدته وعمدته التى يرجع اليها ويعتمد عليها أخذت الملعونة الغيره والحسد وظنت فى نفسها ان أرمانوس يتركها ويشتغل بأخوات عبد العزيز فجمعت سودانها وغلمانها وقالت لهم اعلموا انى من حين أتيت الى عند الملك ارمانوس ما رأيته أكرم أحدا هذا الإكرام ولا اهتم به هذا الاهتمام ولو كان المسيح وأخاف أن يكون الشيخ

عقبة قد كتب يوصف له حسن الصورة التى لاخوات عبد العزيز وأقول أن عقبة قد أنفد إلى الملك وأطنب فى وصفهن وما فعل هذا الا حسداً لى حتى يأخذنى الملك غير لأنى بقيت كما ترون بفرد عين فى هوى ارمانوس وهو يأخذ غيرى وقد نقصت منزلتى عنده ولا بقى لنا عند الروم قدر لاننا الساعة محسودون على هذه المنزلة لأجل أنكم كلكم تلبسون البطارقة من الديباج والأطلس وغير ذلك بعد أن كانت على رؤسكم قلانس الفرو والآن أمركم نافذ فى القسطنطونية فقالوا أى شىء تقدر نعمل قالت أخرجوا غدا كلكم على نية الصيد والقنص وأخرج أنا معكم ونأخذ على الطريق الوعر ونسبق الكل إلى هرمس ونظن أنا ما نعرفه ونرغم أنفه ونلوح حتفه ونأخذ النساء منه فان كانوا من الحسن والجمال بالموضع الذى قد اختلج فى قلبى ضربت القوم بالسيوف القواطع وأرسل البنات إلى ملطية عند أخيهم عبد العزيز فيكون لى عنده اليد البيضاء وما يضيع عنده ذلك إنى قد أطلقته من الأسر مرة أخرى ويكون لى عنده هذه الكرة حتى إذا وقعت عند المسلمين فى أسر أو شدة خلصنى ولا يضيع الأمل فقالت لها السودان نعم ما رأيتى فافعلى ما بدا لكى ثم باتوا على هذه النيــــة إلى أن برق ضياء الفجر وركبت ميمونة وسوداها وأصحابها وغلمانها فقال لها أرمانوس أيتها الملكة الكريمة إلى أين قالت الصيد والقنص لأن صدرى قد ضاق من المقام فى البلد فقال مالى أرى أصحابكى بالعدد وأدية القتال والرماح الطوال والخيول العوال فقالت نعم لأنى ما أترك الحزم لأن لى أعداء كثير ولا سيما الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة فى الثغور وأنا أريد أبعد فى الصيد والقنص وأخاف من غارة النفاق ثم سارت على الوصف الذى ذكرنا حتى أشرفت على الأمير كما قدمنا وبانت لها رايات بنى كلاب فعرفت ذلك وأبصرتها الروم والعرب المتنصرة وهرمس وظهرت وقد ظنت أن خيل ملطية وعساكر الثغور كلها هناك وبقيت الأميرة ذات الهمة بين أربع كراديس وعشرين ألف والمقدم عليها البطريق دمدرى والمتنصرة فى أربعون ألف من المتنصرة وهرمس ومن معه وميمونه وسوداها فأيقنوا بنو كلاب بالعطب وتغيرت ألوانهم فقالت لهم الأميرة ما بالكم قد ظهر عليكم الحزن أهذا فزعا من الموت أو طمعا فى الحياه فقالوا والله ما نطمع أننا مخلدون لقول الله تعالى فى كتابه العزيز وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون ولكن مالنا طاقة بهذا العدد ونزايد المدد والساعة تتسامع بنا بلاد الروم ويأتوا الجميع ونهلك كلنا بالسيف وما أنت ممن إذا رأيتى الغلبة تهربين حتى أننا نهرب معكى فيسلم البعض فقالت لا والله فى الهرب قط ما تطمعون ولا بد لى والله أن أروى سنانى من دم الكفار وأسقى

السيوف من الآجساد ثم نظرت ميمونه فعرفتها لأن حرب بن شيبان عند أقبالها مال اليها وسلم عليها وكذلك سائر العرب المتنصرة والبطريق دمدرى لأجل ما يعلمون أنها عالية المنزلة عند أرمانوس وقالوا لها أيتها الملكة ما الذى أزعجك قالت سمعت أن ذات الهمة دخلت إلى بلاد الروم من جواسيس كانوا فى بلاد الاسلام ففزعت عليكم فشكروها على ذلك وأرسلت الأميرة اليها رسولا يعتبها على ذلك فلما صار الرسول بين يديها قال لها أيتها الملكة الأميرة تقول لكى معلوم أن الصلح بيننا باق على حاله وبين الملك وخليفتنا وسائر المسلمين ونحن ما غدرنا بكم بل هذه علامة غدركم بنا لأن هذا الملعون عابد النار قد أخذ أخوات عبد العزيز وأمه تعديا علينا وأنا قد دخلت خلفه لاخلاص الاسارى منه وأعود بالإنفصال أما أن يقتلنى وإما أن أقتله وأنتم قد جئتم اليه ودرتم حوالينا تعديا علينا وأنا أرعى لكى العهد وأقول أن منزلتك عندى مثل منزلتى عندكى فقولى لهذا الشيطان يسلم الينا العجوز والبنات العلويات المأسورات حتى نعود أجمعين وإن كنتم نقضتم العهد والصلح فما بلد الاسلام عنا ببعيد ولا أسلم أنا روحى حتى تأتى الينا عساكر المجاهدين فقد تركتها خلفى سائرة ومر نحو مائة ألف عنان من سليم وبنى كلاب والسودان الأنجاب وأحلافها مائة ألف أجعل بها بلاد الروم خرابادكا ولا يبقى فيها من يعتقد شركا ولا يفترى على افكا (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة ذلك الكلام والخطاب وقع على قلبها أحلى من الجلاب وقالت لأصحابها ائتونى بهذا الرجل هرمس حتى أنظر هذه النوبه كيف هى فأحضروا هرمس بين يديها وأبصرت رجلا أوحش خلق الله تعالى خلقا وخلقا فقالت له أعرض على هذه النسوة اللاتى قد أتيت بهن معك حتى أراهن فقال سمعا وطاعة أيتها الملكة ثم أحضر الهوداج وأخرج أخوات عبد العزيز فنظرت ميمونة إلى وجوه كالشمس الضاحية فى السماء الصاحيه فقالت فى نفسها هذا الشيطان هرمس هو تمام مصيبتى ومعه هؤلاء البدور التى هن أحسن من كل من لبس قناع وما أتى بهن هذا القرنان الا ليقلعانى ثم قالت ياأمير كيف أخذت هؤلاء القوم فأعاد عليها ماجرى له وكيف لاقى البنات فى الحرب وقاسامنهن مرارات الطعن والضرب وانهن أوفا من الأبطال الشجعان اذا برزن الى حومة الميدان قالت وهذه أخرى كنت أدلى على الملك بشجاعتى وإذا وقع له من هو مثلى فى القتال وهن بهذا الحسن والجمال كيف يرجع يكون له بال إلى أو نظر ثم قالت ياهرمس لقد أخطأت فى أخذك من لاتعرفه الاانك معذور الاانك ماعلمت ان بيننا وبين المسلمين صلحا لانقدر نفسده وهذه ذات الهمة قد لحقت بك وهى امرأة لايصطلى لها بنار وخلفها عساكر عظيمة

قتتبع آثار هؤلاء والرأى عندى أن تسلم اليها هذه البنات العلويات وترجع معى الى الملك أرمانوس حتى أساعدك وما يأتيك الأمر إلا كما تريد فقال هرمس أنا ما أفعل هذا ولا على من صحبتكم ولا من صلحكم أنتم وأنا ما أخذت هذه البنات الا من أعداء المسلمين وهى غنيمتى ولا أسلمهن الا غضبا ولا بد لى أن أقدمهن على الملك أرمانوس كما أمرنى صاحبى وصديق عقبة فان صلحن للملك يأخذهن وان لم يصلحن له فأنا أحق بهن ولو اجتمع أهل الأرض على أن يخلصوهن من يدى لما قدروا على ذلك فقال حرب بن شيبان صدقت أيها الأمير ما يفلت عدوه الا قليل الرأى (قال) وكذلك قال دمدرى وسائر الروم والعرب المتنصره فلما رأت ميمونه الكل مالوا مع هرمس وصاروا عليها قالت لهرمس تحتاج تسلهن بطيبة وإلا أخذتهم غصيبة وأنت غير طيب النفس فلما سمع هرمس ذلك من كلامها قال وحق النار والنور لو مددت يدكى اليمين اليهن لقطعتها فقالت وقد زاد بها الغضب دونك والحرب أنا وأنت فمن قهر صاحبه أخذهن فقال سمعا وطاعة لا رجعت عن هذا وأنا لا أرجع وحق المسيح فعندها ترجل هرمس من على جواده وحل حزامه حتى بال وعاد استوفى حزامه وركب وبرز إلى ميمونه والشر يقدح من محاجر عينيه والدم يشخب من منخريه ثم أشار الى ميمونه وقال لها دونكى والحرب والطعن والضرب ياسودة الوجه والقلب ويا نسل الكلب (قال الراوى) وماهى الا أن سمعت هذا الكلام وتحققت ما به من الغبن والغيظ حتى صاحت صيحة هائلة وحملت مثل اللبوة القاتلة فلما رأى ذلك حمل عليها وحملت عليه وأخذا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد وقد حملت ميمونه على هرمس لأجل مقاله الذى قابلها به وكان هذا كله من غرض حرب ابن شيبان لأنهم كانوا قد فضلوه عند أرمانوس لأجل شجاعته الا أن الفارسين تضاربا ضربا أحر من الجمر وأمر من الصبر حتى طلع عليهما الغبار وقد حجبهما عن الأبصار من شدة الغبار وشخص كل من نظره وجرى بينهما حملات منكره حتى أخذت الخيل فى القهقره ورأى كل واحد منهما من صاحبه ما أبهره فلما نظر هرمس الى قتالها وشاهد نزالها أخذ الاهبه الصادمة وعلم انه إن تهاون بها كانت له ماحقه ودام الجولان بينهما الى أن حميت الرمضا واكفهر الحصا وتوقد الجلمد وأوى كل طير الى وكره وصار وقت القيلوله هنالك صرخت ميمونة صرخة الغضب المعروفة وأكبت على هرمس فالتقاها بقلب أقوى من الصخرى وجنان أجرى من تيار البحر وصرخ هو أيضا صرخة نفرت منها الخيل وانخلعت قلوب الحاضرين وحمل عليها وتطاعنا (قال الراوى) فسبقها بالطعنة وقد أفلح وأقلب الرمح أسرع من البرق بشىء لا تعرفه ميمونة وطعنها فى

صدرها أقلبها على جوادها مع ثقل جسمها فغشى عليها وانه لما طعنها لو أراد قتلها لفعل لكن خاف من عتب الملك أرمانوس الا أن العرب والروم لما نظروا الى ذلك عظم هرمس فى أعينهم وقالوا ما على وجه الأرض مثله ولا عاين أحدا شكله ثم انهم تبادروا الى ميمونة شالوها وتوجع لها حرب بن شيبان والملك دمدرى لما يعلموا من علو منزلتها عند الملك أرمانوس وخافوا كلهم من شره وسطوته لأجل عشقه لها ومحبته (قال) وكان رزق رزقته منه وانها لم تكن للمحبة أهلا وانما الملك نظر اليها بعين المحبة والهوى فهجر زوجته وسراريه لاجلها (قال) وانهم شالوها ورشوا على وجهها الماء وقالوا لها أيتها الملكة الحرب هكذا مايدوم لاحد وهو يومان يوم لك ويوم عليك وما فينا الا من قد كسر وأسر وقهر وما هذا عند الفرسان عيب ولا عار ولا نقص ولا شنار ومع ذلك فما خصمكى بالدون وقد سمعت كلام الشيخ النجيح فى حقه وقوله وانه اشجع من الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وسائر بنى كلاب وعقبة قد ضمن للملك انه يفتح به البلاد ويبلغ به المراد (قال الراوى) هذا وهرمس لما أن نظر انحدارهم اليها وخوفهم عليها عمل أيضا مثل مافعلوا واعتذر الى ميمونة وقال ما فعلت هذا أيتها الملكة الا من خوفى على هذه الأسارى ان تغصبينى عليهم وتقولى سلمهم إلى هذه الأميرة ذات الهمة وأنا قتلت رجالى وفنيت أبطالى حتى أخذتهم وما تركت بلاد الاسلام ودخلت بلاد الروم إلا من أجلهم وهذا شيء لا أفعله أبدا وان كان خوفكى من الملك ارمانوس أن يأخذهم لنفسه فأحلف لكى انى ما أسلمهم اليه الا أن يكون عن اذنكى وإذن الشيخ النجيح عقبة فلما سمعت ميمونة ذلك الكلام قالت وقد طاب قلبها وقبلت عذره وقالت الآن طاب قلبى وسوف ترى ما أصنع معك عند الملك ارمانوس وأتركه يقطعك أكثر بلاد الروم لأنك تستاهل ذلك وانا وأنت نملك ثغور المسلمين وفرسان الموحدين فقال هرمس ياملكة ومن فى الثغور فارس مذكور أو بطل مشهور وحق النار والنور مافيها من قد ظهر له افتخار إلا هذه الواصلة اليكم والقادمة عليكم ولولا قدومكم الساعة واشتغالى بكم كانت الساعة فى ذل الأسر والاعتقال والقيود الثقال وقد وقع هؤلاء الخيال (قال) فلما سمعت ميمونة ذلك قالت إن أنت خرجت اليها وأخذتها فما يبقى للمسلمين حامية بعدها ثم جعلت تصفها وتطنب فى وصفها وحرب بن شيبان يصدق قولها الى أن غضب دمدرى البطريق وقال لقد عظمتم غير عظيم وأذللتم شريعة المسيح وأنا الساعة وحق المسيح آتيكم بها وبرجالها أسارى وما أخرج اليها الا فى عدد قومها ثم وثب وانتخب من قومه الف بطريق بالخيول الاعوجية والدروع السابجيــة

ومعهم القنطاريات الخلنجية والتراس الافرنجية والزرديات اليونانية والمزاريق الهرقلية وطلب ناحية الاميرة وهى واقفة بين أصحابها وهى تقول السعيد من اعتبر بغيره والله لقد عظم فى عينى هذا الملعون هرمس وما هو الا فارس زمانه وأوحد عصره وأوانه بعد ان قهر ميمونة وأنتم تعرفون شجاعتها على ان الحرب تارات وعلى كل حال ماهو الا شيطان من الشياطين وما لنا خلاص من هذا الجمع العظيم لانى أعلم ان الكل الينا يرجعون ومابقى لنا مخرج الا أن يأتينا الله بالفرج (قال) فهى مع أصحابها فى الكلام وإذا بالبطريق دمدرى قد انفصل من العسكر اليها بألف فارس فلما رأت ذلك قالت لقومها هذا قد أقبل علينا بمثلنا وها هو يريد الآن قتالنا لا محاله وما هو الا لشىء جرى بينهما حتى أنصفونا وأخرج هؤلاء إلى قتالنا وهم غرباء من أهل الجزاير لان ماعليهم زى أهل القسطنطونية وعلى كل حال مامقدمهم الامنصف لانه يريدنا فى عددنا وهذا يدل على أنه فارس زمانه (قال) وحمل دمدرى وأصحابه من غير كلام وشرعوا فى ضرب الحسام وكان دمدرى قد قال لأصحابه أريد أختبر قتالهم قبل برازهم (قال) فلما حملوا التقاهم المجاهدون وجرى بينهم ساعة عجيبة بقيت الدماء فيها تجرى مثل الماء فى السواقى وطارت الرؤس عن الابدان الى أن توسط النهار وانفصل الجمعان وأخذوا فى البراز الى أن أمسى المساء وبات كل واحد وقد اختبر صاحبه والاميره تقول لقومها ماشاهدت مثل قتال دمدرى وأصحابه وباتوا يحرسون أنفسهم والعرب المتنصرة والروم قد داروا بالاميره ذات الهمه كيلا تهرب وقد أنفذوا العلوج الى الملك أرمانوس يخبروه بالخبر ان الأميرة قد دخلت فى فارس خلف هرمس ونحن مشرفون على أخذه (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح عادت الرجال الى ضرب الصفاح وخرج دمدرى البطريق كانه الفنيق لأنه عظيم الخلقة جانى الجثة ولما خرج وطلب المجال خرج اليه فارس من بنى كلاب ودام بينهما الطعان والضراب حتى أهلكه البطريق وخرج اليه الثانى فقتله وثالث فأراده ونادى دعونا من براز هؤلاء الأندال وأخرجوا منكم صناديد الرجال أين أميرتكم ذات الهمـــة أخرجوها إلى لأنى قد ضمنت هلاكها فلم يتم كلامه حتى ظهرت اليه الأميرة على جواد سابق كانه البرق البارق يصهل مثل الرعد الخافق ومعها سيف ماحق ورمح خارق وحملت عليه ولما حقت عليه الحقائق التقاها الملعون بقلب إلى قتالها شائق وكانت الاميرة قد خرجت بعد ما أخذتها حمية الدين (قال الراوى) وأرادت أن تقوى قلوب المجاهدين لما رأتهم قد أيسوا من سلامتهم فحملت على درمدى وتطاعنا وتضاربا وتباعدا وتقاربا هذا كله وهرمس ينظر إلى قتالها ويقول

لاصحابه والله ما فى العرب مثلها وأثبت منها فى مقام الحرب ولاأحسن فى موقف الطعن والضرب (قال) وصاحت الاميرة بالجواد وقامت فى البداد وضربت دمدرى ضربة خبير جواب ضربته وكان قد ضربها فوقع سيفها على أذنه طلع من تحت أضراسه فوقع إلى الارض فانفجرت بطنه وصاحت الاميرة خذهاءن يد فاطمة بنت مظلوم ونظر أصحابه اليه وقد وقع كانه الفتيق فصلبوا على وجوههم وحملوا على الاميرة من شدة الحنق فحملت بنو كلاب وكذلك باقى أصحاب دمدرى وهم عشرون ألف فعملت السيوف فى المفارق وحقت الحقائق ولم يزالوا كذلك جسد مذبوح أوجسد بلا روح أودم مسفوح حتى ذهب النهار وأقبلت غياهب الإعتكار وقد رجعت الطائفتين من ضرب البتار وقد قتل من أصحاب الأميرة ثلاثمائة فارس ولما انفصلوا أحدقوا الروم بالمجاهدين من كل جانب وقال هرمس أنا غدا أبارزها وإذا أنا أخذتها من الميدان فما يبقى للباقين ثبات وما يمنعنى من الخروج اليها الساعة إلا أنها قد قاتلت وتعبت وأخاف إن أخذتها يقال كانت تعبانه فاغتاظت ميمونة من هذا الكلام وحنقت على هرمس وأضمرت له الغدر وأن الأميرة باتت تلك الليلة وقد أحدق بها الكفار من كل جانب ومسكوا عليها سائر الطرق وأضرمت النيران وتصايحت عبدة الصلبان وعدو الله هرمس قد أضرم بين يديه النار وصار يسجد لها من دون الملك الجبار والأميرة ذات الهمة تسبح وتقدس وتوحد وتمجد وكذلك أصحابها وهم سبعمائة وسبعة وأربعون والباقون استشهدوا ولم يزالوا يسبحون الله عز وجل طول الليل بالباقيات الصالحات التى ما يقولها عبد فى ليل ولانهار إلا وانفتح له أبواب السعادة وتنزل عليه الرحمة من الله تعالى وهى سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم هذا وحرب بن شيبان قد جمع العرب المتنصرة من رجاله وكانوا ثلاثين ألف فارس وقال لهم اعلموا أن هذا الرجل القادم علينا ما فينا إلا من يعرفه واسمه قد ملأ الأرض وأنه هرمس المجوسى وكان قد انقطع ذكره عنا فى بلاد الإسلام وقد أعطاه خليفة الزمان أقطاعا فى العراق والساعة قد دخل يطلب الزيادة من بلد الروم وما هو إلا أن يأخذ الأميرة ذات الهمة وقد صار عند الملك أرمانوس بالمكان الرفيع والمحل المنيع ونصير نحن فى أدنى المراتب وربما قال الملك هذه التى كنتم عجزتم عنها طول الزمان قد أخذها هذا فى الميدان ولا يبقى لنا ذكر فقالت رجالهم فما الذى نعمل لعل أن تشير علينا برأى يكون فيه ضرب رقابنا بأن تقول لنا أبرز وإلى ذات الهمة حتى يكون لنا الذكر وان كنت أنت تريد ذلك أخرج اليها لعل المسيح ينصرك عليها فضحك من قولهم وقال وحق

المسيح ما فينا من يطمع نفسه فى برازها لأن خير القول أصدقه ولكن ها نحن فى هذا العسكر وإذا أصبح الصباح يخرج هرمس إلى برازها فنسبق نحن ونهجم كلنا على ذات الهمة فى أربعين ألف عنان وننهب لحمها على كل سنان وأنا أرسل الساعة إلى بطارقة دمدرى وأقول لهم خلوا هذا القتال حتى تأخذوا بثاركم ولا تقصروا عن ذلك فتنقص عند الملك منزلتكم ويصغر جاهكم ولا يبقى لكم عنده مقام وان عدتم إلى أوطانكم يقول لكم ملككم قتلتم ولدى وعدتم وما أخذتم له بثار فقالوا العرب هذا هو الصواب افعل ما بدالك فعندها أرسل حرب بن شيبان إلى فرسان دمدرى بهذه المقاله وأجابوه إلى ذلك وقالوا وحق المسيح ما نمكن هرمس من أخذها ولو بقى معنا شخص واحد وأن عارضنا قتلناه هو ورجاله وأبطاله فلما سمع حرب بن شيبان هذا الجواب فرح بذلك وأراد الإستظهار فأرسل الى ميمونة يقول لها لى معكى حديث وأريد أن آتى اليكى لأجله فقالت دعه يجىء وكانت عن ميسرة ذات الهمة تحرسها حتى لاتهرب فأتى اليها حرب بن شيبان فى عشرة من وجوه عشيرته فلما دخل عليها قامت له وأخذته إلى جانبها فاظهر لها التوجع وقال لها وحق المسيح لقد صعب على ما جرى من هذا الكلب عابد النار الذى لا هو مسلم ولا هو نصرانى ولا له دين يرجع اليه وقد كان ما كان والحرب ما هو بحكم الإنسان اليوم قهرك غدا تقهرينه لأن موضعك معروف وكان الواجب عليه أن يحترمك حيث أنك زوجة الملك ونحن ما ندرى ما نقول ولا نتكلم فزعا من الشيخ النجيح لأن كتابه معه وهو واسطه بينه وبين الملك ونحن نعرف منزلة عقبة عنده وعند جميع الناس والنصرانية ولو قال لهم أقتلوا البترك فعلوا ولو أمر الروم أن تضع سيوفها فينا فعلوا وإن أراد قطع أخبارنا وقال أطلبوا بلاد الإسلام وكنا نهلك بلا محاله وحق المسيح ما قلنا أنه يقهركى فى الحرب والا كنا أرغمنا أنفه ولو كنا هلكنا عن آخرنا الساعة قد مضى ما مضى وقد عول أن يخرج إلى ذات الهمة ويأخذها ويصير هو عند الملك فى أعلى منزله من جميع الناس فقالت ميمونة وقد وقع عندها هذا الكلام بموقع عظيم وحق المسيح أيها الأمير أنا ما جرى على ما جرى إلا من غير بى على الملك أرمانوس لأنى رأيت هذه البنات العلويات الملاح التى كانهن البدور والطوالع فقلت فى بالى ان وقعت عين الملك على احداهن هجرنى ولأجل هذا ما علمت أين أضع حسامى والساعة قد فعل بى تلك الفعال ولقد كان القتل أهون على منه فسوف ترى كيف أقتله ولو تعلق بالنجوم أو غاص فى التخوم فقل أنت أى شىء فى نفسك تريد أن تفعل فى غداة غد فقال نحمل على الأميرة ذات الهمة بالعرب والسودان ونأخذها أخذا

باليد قبل خروج هذا الشيطان هرمس حتى يكون الذكر لنا لا له فقالت نعم ما رأيت أيها الامير فان هذا هو الصواب وأنا أيضا عينك وان رأيت هرمس قد سبقنا أمرت عبيدى ان تخرج اليهم ويحملوا عليهم ويرمرا من عبيده الجماجم وإذا تكلم الملك فى هذا بشيء كان جوابه على (قال) فخرج من عندها حرب بن شيبان وهو بذلك فرحان وباتوا إلى أن أصبح الله بالصباح فكان أول من ركب هرمس وكان ذلك شوقا الى ملاقاة الأميره وكانت عبيده من حوله وهم يقولون له احفظ نفسك منها فان الحديث عنها عظيم وهو يقول لهم طيبوا نفسا وقروا عينا فانها لو كانت هى والروم والسودان والعرب أسقيتهم شراب العطب ولا كان لهم من سيفى مهرب (قال) وكانت أم عبد العزيز وبناتها لما رأوا ما وقعت فيه الأميرة من كثرة المواكب وما قد أحاط بها من الكتائب حملوا همها ونسيوا ماجرى عليهم بسببها لأنهم كانوا أملوا لما رأوها أن يكون فرجهم على يديها فانقطع رجاهم وخاب مناهم وزاد بلاهم وقالت أمهم احل بهذه الأميرة وماجرى عليها ذلك إلا من أجلنا وما أصيبت إلا بسببنا فليتها كانت رجعت قبل أن وقعت فى هذا البحر الزاخر الذى ليس له أول من آخر (قال) فهم فى الكلام واذا بحرب بن شيبان قد ركب فى جماعة الرهبان ونادوا كلهم الى هرمس ياهذا ماهذا يوم براز نحن نريد الانجاز وذلك من أمرين أحدهما ان هذه الأميرة أقرب الى بلاد الاسلام من بلاد الروم وما نأمن أن يلحقنا ابنها عبدالوهاب فى فرسانه وأبطاله وشجعانه ونحن نعرف أنه اذا جاء فى مائة ألف كسر عساكر الروم ولو كانوا بعدد النجوم والأمر الثانى أننا ماخرجنا من عند الملك إلا وقد أمرنا أننا لا نبطىء ساعة واحدة وقد أجل لنا أجلا فما نقدر نتعداه فلما سمع هرمس كلامهم علم مرادهم لانه كان أصله من بلاد العجم وكان قد ربى بأرض العراق وصاحب لصوص البصرة ونام فى غابات السباع وتسلق الحصون والقلاع فعلم من لعنته انهم يريدون أن يكون الذكر لهم فقالوا له أصحابه أيها السيد دعهم يفعلون ما يريدون ولا تشوش حالنا عند خواص الملك أول قدومنا اليه فما يكون لنا معهم مقام هذا وقد حملت الروم والعرب على الأميرة وأصحابها وهم ذلك الخلق الكثير وقد أيقنت أصحاب الأميرة بالعطب فقاتلوا قتالا شديداً قتال من نظر الى علم الجنة قد لاح وبذلوا فى طاعة ربهم الارواح وطمعوا فيما وعدهم الله به على لسان سيد المرسلين حيث قال من له الفضل والمنه ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ورميت اليهم الاحجار من سائر الاقطار وأرموا عليهم بسهام مثل الغمام فصبروا على الحرب صبر الكرام وصبروا على الكرب واختاروا الطعن والضرب والاميرة فى وسط العجاج تقول ايه ياأحباب الله هذا يوم الحق الذى وعد الله

به عباده المؤمنين بالجنة وهى على ذلك الشأن إذ نظرت الى حرب بن شيبان فقالت له ويلك ياعدو الله الى متى تعيش ياالعين اليوم أريح منك المسلمين ثم قالت ويلك ياملعون انت ماتعلم أن بيننا صلحا وهدنه ايش الذى أحوجك الى قتالنا والهدنة بيننا فقال حرب أنتما نقضتم الهدنة والصلح وإلا فايش الذى أدخلكم الى بلاد الروم فقالت ويلك نحن مادخلنا لاجلكم وانما دخلنا من أجل هذا الشيطان هرمس انها حملت عليه وأنشدت تقول

أياحرب هذا يوم معترك القنا ☆ وطعن سنان كذاك ضرب يمانى
أياحرب والله العظيم الذى له ☆ يسبح فى كل الامور لسانى
لقد أصبحت روحى تحن الى اللقا ☆ وتطلب كاسات الردى لمعانى
فواحدة سؤلى الى الله ربنا ☆ وقرب نعيم فى مقام أمانى
مع السيد المختار سيد رسله ☆ نبى الهدى بل سيد الثقلان
ولا بد لى مما أزودك ضربة ☆ تصير بها نهبا بكل سنان
ولو كنتمو امثل النجوم وبعدها ☆ كمثل رمال الارض يجتمعان
لقاتلتكم حتى يرى السيف أحمر ☆ من الضرب مادامت يدى وسنانى
وماهى الا موتة قد رضيتها ☆ لضيعة عمرى وانقضاء زمانى

(قال) فلما فرغت الاميرة من شعرها ضايقت حرب بن شيبان وكان هذا اللعين عمدة المتنصرة وفى قلوب الحنفاء منه نار مسعرة وكان إذا أسر من المسلمين من له قدر وشأن فيفدونه به وكانت الاميرة دائما تقول لولدها عبد الوهاب والله ياولدى انى أخشى أن أموت وما أثرت فى أمراء العرب المتنصرة أثر وكان حرب ابن شيبان فارس الصلبان (قال) وان الاميرة ضايقته ولاصقته وقاربته وطعنته طعنة واصلة فانحرف حرب بن شيبان عنها فجاءت فى جانبه الايمن طلع بعض الرمح من جانبه الايسر ثم نفضته الاميرة فوقع الى الارض فلما نظره ولده أبو الشيص مجندل كشف رأسه وصاح وا أبتاه واعزاه واذلاه وا أيتماه واقلة ناصراه ويا مصيبتاه واذل النصارى بعدك يا أبتاه واشتغلت العرب من أجل أميرها وكذلك البطارقة ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل الى أن أقبل الليل بالاعتكار ومضت جوهره النهار وقد قتل من الكفار أربعة آلاف وبقى مع الأميره من أصحابها مائة وثمانين وأكثرهم مجرحين فلما رأتهم الأميرة على تلك الحالة والدما يفيض من جراحاتهم عادت دموعها مثل المطر مما جرى عليها من العبر وأيقنت بهلاكهم وهلاكها ثم أنها نظرت الى هرمس وكان نازلا تحت سن جبل خارج وما عليه طريق لمن يريده ولا لأحد عليه تسليق فقالت لاصحابها وقد انضموا اليها ما الذى بكم فقالوا أيتها الأميرة مابنا شىء نحن أشهى

الى القتال من العطشان الى الماء الزلال ولكن كنا نريد من يوصل أخبارنا الى ملطية فقالت ابشروا من الله بالعيشة المرضية فى الجنان العليا فذلك أحب اليكم من كل من فى ملطية ومع ذلك فان هذا الجبل الذى خلف هرمس لو كنا تحتيه كان أحمى ظهورنا الى أن يفرج الله عنا إما بالموت وإما بالفرج وما فى الأمر الا اننا نطلب هذا الجبل مادامت الروم قد نزلت لعلنا نلتجىء اليه ونطرد هرمس من موضعة والا إن نزلنا من على ظهور الخيل فى هذه الليلة لا نأمن من شر هؤلاء الملاعين أن يعملوا على كبستنا عند غفلتنا لأن كل طائفة منهم تريد أن تيمتز على الأخرى بأخذنا فلما سمع أصحابها قولها قالوا لها افعلى ما بدا لكى فنحن قد أيقنا بالموت فلما رأت نياتهم خالصة حملت تطلب نيران هرمس بلا ضجة ولا صياح (قال) وكان هرمس فى ذلك اليوم لم يقاتل مع الروم من غيظه عليهم فما أحس بالمجاهدين الا وهم معه فى الخيام فثار وثارت معه عبدة النار وقاتلوا أصحاب الأميرة تحت ستور الظلام والاعتكار الا انه لم يكن أكثر من ساعة حتى قتل من أصحاب هرمس اللعين أكثر من خمسين وقتل من أصحاب الأميره ثلاثة وصار الجبل من وراء ظهورهم واستقبلوا الاعداء بصدورهم وصار قتالهم من جهة واحدة لأنهم باتوا فى بحر ماله قرار ولما نزلوا جعلت الأميرة تفتقد جراحاتهم وجعلت تبشرهم بما أعد الله لهم فقالوا أيتها الاميرة لاتظنى أنا نخجل بنفوسنا فلنا أسوة بكى فوالله العظيم مافينا الا من اشتاق الى لقاء الله تعالى ولقد تهيأنا للرحيل من الدنيا الى دار البقاء (قال) فدعت لهم الاميرة وقالت أو يأتيكم الفرج من الله تعالى فانه سميع مجيب (يا سادة) وكان ملك الروم لما وصل اليه كتاب الملعون حرب بن شيبان بخبر الاميره ذات الهمة كان قد أنفذ عشرين ألف بطريق من خوفه عليهم منها (قال) ونظر مارس وأخوه دارس الى ذلك فقال الواحد للآخر والله اننا نخاف على الأميرة اذ هى فى هذه القلة من الفرسان الذين ذكرهم فى كتابه هذ الشيطان حرب بن شيبان وربما أن يكون ولدها عبد الوهاب ما عنده خبر من هذا ولا علم ولا يعلم بما جرى لها فى بلاد الروم ونخاف تلومنا على ذلك وما لنا الا اننا ننفذ كتاب الى ملطية الى عند عبد الوهاب ونقول له بادر اليها والا هلكت هى ومن معها من الأصحاب ثم انهما كتبا كتابا يقولان فى أوله (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد أيها الأمير الاجل اعلم أن الخبر وصل الى الملك فى كتاب من عند عقبة بأن يخرج الى لقاء هرمس المجوسى الذى أخذ أخوة عبد العزيز والدته ففعل الملك ذلك واخرج الى لقائه ستين ألف فارس وبعد ذلك وصل الينا كتاب من عند حرب بن شيبان يقول أن ذات الهمة قد دخلت فى فارس تطلب خلاص الاسارى وقد وقعنا بها ونحن

مشرفون على أخذها وقد فرح الملك بذلك وأنفذ اليها أربعين أخرى وهذه خلائق مالذات الهمة بها طاقة وان تدركها فهى هالكة لامحاله والسلام ثم انهما علقا الكتات على جناح الطائر فكان آخر النهار فى ملطية فأخذه البراج وأتى به الى عمرو بن عبيد الله (قال) فلما سمع عمرو قصة ذات الهمة وما جرى لها مع هرمس وكيف تطلب الخلاص وقد مضت الى خلاص اخوة عبد العزيز وخروج الروم الى لقائهم وكان فى آخر الكتاب يقول العجل العجل والا هلكت الأميره ومن معها (قال) فلما علم الأمير عمرو تلك الأسباب جميع بنى سليم سرا من بنى كلاب وأعاد عليهم مافى الكتاب وقال ما ترون فى هذه الحال فقالوا اذا قلنا لك قولا تقبله فقال نعم قالوا اطفىء السراج فى هذا الكتاب ولا تطلع عليه أحدا من بنى كلاب ودع يجرى ما يجرى فقال والله وهكذا كان فى خاطرى لأن ذات الهمة لما سمعت بخراب بلاد هرمس سارت وحدها حتى تنال الذكر عند الخليفة يأخذه فاذا أخذته هددته بالقتل حتى يقول لامير المؤمنين ما حملنى على فعل هذا الا عقبة ويريدون أن يوقعوا بينه وبين عبد العزيز العلوى بحيث انه تكلم فى حق عقبة عند أمير المؤمنين أليس بالامس زوجنى عبد الوهاب بالجارية ائتونا وأطمعونى بها ورجعوا بذلك علموها حتى قالت أنا ما أريد الا عبد العزيز العلوى هذا كله ماهو من شدة الحسد فقالوا بنى سليم كل هذا من يدك لأنك تجمع المال وتدخره وعبد الوهاب ماهو كذلك بل اذا حصل له ماله استخدم به رجال ومتى كان مثلك ماله منكوز ما ينفعه الامير الا رجاله وأبطاله وكرمه ولو كان معك رأى أنفذت الى بعض أمراء العرب وأتيت به وبرجاله وخلعت عليهم وأعطيتهم المال وتركتهم معونة على أعدائنا على كل حال ونعطيهم نصف ما فى أيدينا من الاقطاع والضياع ويكون لك أنصار إذا دهمك عدو وإذا سرت الى مكان وأنت تعلم أن عبد الوهاب ماصار له ذلك ببنى كلاب وإنما صار له ذلك بالسودان مثل أبو الهزاهز وسملق وقراقد وقرقود وميمون الجماس وغيرهم من السودان (قال) فلما سمع الأمير عمرو ذلك قال سوف أفعل ذلك وانا أقول أن ذات الهمة لم بقيتوا ترونها أبدا لاهى ولا من معها وإذا ذهب الأصل فلا يبقى للفرع ذكر من بعده أبدا (قال الراوى) لقد نظرت فى كتاب الحسد فما نظرت قط مثل هؤلاء القوم الذين ما كانوا يجتمعون الا بسيوف بنى كلاب ولا يفك لهم أسير إلا بهم وكانت هذه الفعال فعالهم مقابلة جميلهم (ياسادة) فلما كان فى اليوم الثانى وصل الأمير عبد الوهاب والامير عبد العزيز والألف فارس الذين معهم بعد مادادروا جميع أرض الحجاز ونزلوا الى حلل العرب وطافوا الاودية والشعاب والاقطار

والرحاب فما سمعوا خبر ولا وقفوا على أثر فقال الأمير عبد الوهاب للأمير عبد العزيز وقد رآه جارى الدمعة وقد أيس من اخوته وأمه اعلم ان الله تعالى وعد الصابرين الجنة فقال عبد العزيز والله أيها الأمير لم أجد الى الصبر من سبيل وكيف يكون لى صبر وقد كنت أسمع أبى يوصينى بهذه البنات ومات وهو حامل همهم وعلى فى هذا عار عظيم وشنار ولا سيما الأم الكبيرة التى ماظفرت منى باللقا وبقى دمعها دائم لايرقا وكان لها معى وداع مابعده اجتماع فقال الأمير عبد الوهاب والله انى أنا خائف أن يكون الذى حسبه أبو محمد البطال وقاله لناصح من أمله الملعون عقبة فارجع بنا أيها الامير إلى ملطيه فان كان فى بلاد الروم خبر فان لنا فى القسطنطونية قوم وهم على دين الحنيفية فقال عبد العزيز سر بنا أيها الامير إلى أى موضع أردت فأنا أصبحت كما قال بعضهم :

وأصبح لايدرى وان كان حازما * أخير له قدامه أم وراءه

(ياسادة) هذا وقد عاد عبد العزيز مع الامير عبد الوهاب حتى وصلوا إلى ملطيه فاستقبله الامير عمرو بن عبيد الله وسلم عليه وعلى عبد العزيز فرد عليهم الامير السلام وسأله عن الاميرة ذات الهمة فقال دخلت إلى بلاد الروم فقال لعبد العزيز مادخلت إلى بلاد الروم إلا وقد سمعت بأخبار اخوتك ووالدتك وها أنا سائر فى أثرها ولا أقعد عنها (قال) ثم ان الامير نادى فى بنى كلاب بالاخبار ونهض فى جيش جرار وعول على المسير فصعب ذلك على بنى سليم وتمنوا لو أن عبد الوهاب أبطأ قليل حتى تهلك الاميرة (قال الراوى) ثم ان الامير عبد الوهاب بقى حائر لايدرى أين يقصد ولا إلى أى الجهات يطلب وهو بين المصدق والمكذب فهو كذلك وإذا بالبراج دخل عليه وفى يده طائر وعليه كتاب فقال الامير من أين هذا الكتاب قال يامولاى من بلاد الروم ففتحه وإذا فى أوله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أما بعد فانى متعجب من هذه الغفلة التى نزلت بكم ان يكن فيكم نخوة تخلصوا أم عبد العزيز وبناتها وأم الامير عبد الوهاب من أيدى اللئام فأى حظ يبقى لكم فى الإسلام لان الاميرة قد أحدق بها ثمانون الف من الكفرة والتبع اليها واصل وأكثر مابقى معها سبعين فارس أو ثمانين وما أقول إلا انكم ماتلحقوها إلا قتيلة أو أسيرة وهذا ثانى كتاب قد كتبناه اليكم العجل يا أمة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (قال) فلما سمع الامير عبد الوهاب مافى الكتاب قامت عليه القيامة وبكى حزنا على بنى كلاب وقال متى وصل الكتاب الاول فقال يامولاى من أيام قلائل فدق الامير بيد على يد وقال لمن أعطيته فقال للأمير عمرو

ابن عبيد الله فبكا على والدته ومن معها من بنى كلاب وقال هذا يجرى من عمرو وبنى سليم ثم نادى فى أصحابه وقال لايلتقى أحد إلا ويركب ويسير معى فركبت بنو كلاب فى مائة ألف وركب عمرو أيضاً لوداع الامير عبد الوهاب وقل أيها الامير أراك مشغول البال وأنت من أمرك على استعجال فلم يكلمه الامير من شدة غيظه بل أشار اليه بهذا البيت يقول :

إذا قلت ان أبى من بيت مكرمة ❊ قالوا صدقت ولكن بئس ماولدا

ثم قال ياعمرو هذا جزاءنا منك ان تفعل فى حقنا هذه الفعال وفى حق الاميرة حيثما كان فيك نخوة تنتخي لنا كنت أعلمت بنى كلاب حتى كانوا يسارعوا الى خلاصها ولكن ياعمرو أقول كما قال مجنون ليلى فى شعره حيث يقول :

ستعلم ليلى أى دين تداينت ❊ وأى غريم للتقاضى غريمها

ولكن لو كنت أعلمت بنى كلاب حين وصل اليك الخبر كانوا الساعة عند الاميرة وأعانوها على الكفار ولكن الايام تتقلب بالانتقام والدهر مايدوم على فرد حال فان كان ثم على والدتى أمرا من الامور فلا أنا ولا أنت نبقى فى ملطيه الا إن أراد الخليفة واحد منا أقامته فى البلد ويخرج الآخر مطرود فقال عمرو هذا ظنك يا عبد الوهاب أطردانا وتقيم فى ملطيه انا ما قعدت عنها إلا أنها سارت وما أعلمتنا بحالها وبخرها إلا كانها سارت إلى دعوه أو إلى غنيمة ما تريده من يزاحمها عليها هذا وقد اجتمعت بنو كلاب وسمعوا الخبر فوقع البكاء فى البلد على الرجال الذين قتلوا وركبت افتونا لأجل الأميرة ذات الهمة وعبد العزيز وعبد الوهاب لايأخذهم قرار لأن المصيبة كانت واحدة صارت اثنتان فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها لما أصبحت قاتلت حتى بقى معها سبعين فارس وضيقوا عليها وكتبوا إلى الملك أرمانوس بهذا الخبر ففرح الفرح الشديد وقال ألف فارس من بنى كلاب ذهبت على السيف أحب إلى من قتل مائة ألف من عساكر العراق لأنه ما على الروم أضر من بنى كلاب فأرجو من المسيح ان يمكنا من الأميرة ذات الهمة حتى يكون فرحا ثانى ثم سير عشرين ألف فارس آخر فقاتلت الأميرة ذلك اليوم والثانى والثالث والرابع والخامس حتى قتل كل من معها ثم أثخنت بالجراح ولم يبق فيها قوة تدفع عن نفسها وأخذت أخذا باليد وقد صلبت الروم على وجوهها من حسن صبرها وقتالها وأرادوا أصحاب دمدرى قتلها عوضا عن ملكهم فقالوا أصحاب حرب بن شيبان ما نقتلها إلا عوضا عن أميرنا فقالت ميمونة خلوا عنكم الهذيان ما يقدر أحدا منكم يمد يده اليها حتى أسيرها

الى الملك يقتلها كيف تريدون تصلوا كلكم الى تاركم فقالوا نعم ما رأيتى أيتها الملكة ثم شدوا الأميرة ذات الهمة كتافا وحملوها على جمل عالى والدم يسيل من جراحاتها وهى لاتفزع من الموت بل تنظر لأخوات عبد العزيز وهم يبكون فتبكى لبكائهم ومن عظم ما جرى عليها جعلت تقول

سلام على الدنيا الدنيــة لم تزل . أمور بهـا منهلة ومصائبا
اذا عمرت يوما من العز جانبا . تعيد خرابا بالحوادث جانبا
فان فرحتنا بعض يوم تقلبت . بنائم كافتنا بذلك نوائبا
فمن مبلغ عنى الأمير وصحبه . فان يد الأيام ولت مصائبا
ففرقت الأبطال حتى رأيتهم على . الأرض صرعى شرقها والمغاربا
وما قتلوا حتى اشتفوا من عداتهم . وقد بذلوا فيهم سيوفا قواضيا
وقد أخذونا والليـالى بصرفها . تجور وتبدى كل يوما عجائبا
فان كان لى عمر فسوف ترونني . أطالبهم بالثار فيمن أطالبا

(قال الراوى) يا سادة وخرجوا من الشعب وانبسطوا فى ذلك المرج حتى ثار عليهم غبار من خلفهم حتى ملأ الأقطار وغابت منه شمس النهار ثم انكشف عن قعقعة اللجم واصطفاق الرماح وصهيل الخيل وهمهمة الأبطال وازدحام الرجال ونظرت الروم الى ذلك واذا فى أوائل القوم الأمير عبد الوهاب وعبد العزيز وكثر التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فلما رأوا ذلك تمخضوا وأرسلوا الى الملك ارمانوس يعلموه أن عساكر الثغور قد أدركتهم هذا والأمير عبد الوهاب لما رأى ذلك وما قد حل بوالدته ما أبدى خطاب بل حمل فى بنى كلاب وقد وقفت الروم لأنها واثقة ببلادها وديلها طويل وناصرها غير قليل وعادت ميمونة والعرب المتنصرة وهرمس ونظرت الأميرة ذات الهمة الى ولدها عبد الوهاب وقد أقبل فصاحت الله أكبر الله أكبر مرحبا بك يابنى هذا والله وقت القدوم فلا زلت سيفا على الروم وكانوا أخوات عبد العزيز قد أخرجن من الهوداج متهتكات واركبن على الجمال وهن حاسرات هذا وقد نظرن الى العسكر ففرحن بذلك ونظروا أيضا الى عبد العزيز فعلموا أنه أمير الجيش ونظروه وهو مكشوف الرأس وذوائبه مدلاة وهو ينادى واعجوزاه وا أماه واأخواتاه اليوم اهجم على الأعداء وصوته قد ملا البيداء فلم تكن الا ساعة حتى اصطدمت المواكب وظهرت العجائب وعملت الصوارم فى الجماجم وقطعت العلاصم وجعلت الخيل تجول والدم يسيل والرجال تميل حتى أكتست الأرض حلة أرجوان مما ضرب عليها من رقاب الشجعان

وسالت دماءهم سيلان ولم يزل الصارم فيهم حاكم حتى كان وقت الظهر وقد قتل من الروم والعرب المتنصرة خمسة وعشرون ألف فارس ولما نظروا الى ما حل بهم طلبوا الجبل الذى كانت التجأت اليه الأميرة ذات الهمة وطرح الاسارى من وراء ظهورهم هذا والملعون هرمس قد فتك فى بنى كلاب وقتل منهم جماعة من أبطالهم وكذلك ميمونة وأصحاب دمدرى قاتلوا القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن أنسدل الظلام وقد قتل من الكفرة اللئام تمام السبعة وعشرون ألف وقتل من المسلمين ثمانمائة ونصر الله فى ذلك اليوم المسلمين وطائفة الموحدين وخذل القوم الكافرين وطائفة الملاعين ونزل الأمير عبد الوهاب والامير عبد العزيز العلوى وأما الملعون هرمس فانه أقبل على الروم من ليلته وقال لهم ياويلكم أنتم فى الحروب كلا شىء وقد كنت أحسبكم أبطال فى موقف الحرب والقتال وقد مضى اليوم ثلثكم ولو طال النهار عليكم لكان تشتت شملكم فاذا كان فى غداة غد خلونى وأصحابى وبطارقة دمدرى نتولى الحرب والاضاع الصواب وان جرى براز فأنا أكفيكم مؤونة الجميع وأريد أن تورونى أين يقف عبد الوهاب حتى أعرف مستقره وأكفيكم شره وكذلك عبد العزيز العلوى فقالت ميمونة دع الاعجاب فليس هذا بصواب وأنت مالك معرفة بهؤلاء القوم وان لم نقاتل نحن بأجمعنا وإلا أفنونا ونخاف أيضا من الملك أرمانوس ان جرى عليك أمر يقول لم تخليتم عنه وتركتوه مع عبد الوهاب وبنى كلاب حتى أهلكوه وما فى الأمر إلا القتال حتى تأتينا عساكر الملك والساعة تأتينا أهل القلاع القريبة منا والحصون التى خلفنا وترى ما يأتى من الخلق وكيف تهلك الأعداء فسكت هرمس عنهم وعلم انهم ما يريدون أن ينفرد بشىء دونهم فاجتمع بأصحابه وقال لهم وحق النار والنور لاقاتلت معهم غدا ولا عاونتهم لأنى ما أقمت عندهم ولا أخذت منهم درهما واحد بل قد تركت بلادى وضياعى واقطاع والدى الذى كان فى يدى وقد قتلت عبيدى ولقيت فى البرية ما لقيت وما حصلت بعد ذلك على طائل وهذا كله بتدبير الشيخ عقبة فلا كان ولا كانت ساعته ولا كانت أيام رأيناه فيها لأنه أفسد حالنا مع المسلمين والروم فما أراهم يفلحون وها أنا أقيم اليوم وغدا أشاهد الحرب مشاهدة فان كانت الكثرة للروم فما يدخل على فى ذلك لاهم ولا غم وان كانت للسلمين فأنا أريكم بعد ذلك ما أصنع بهم وكيف أبيد المقدمين عليهم المذكورين ويبقى الباقون مثل الغنم بلا راعى وأقام الناس على الحرس الى أن طلع الفجر وأذن مؤذن عسكر المسلمين وصلوا

المسلمون صلاة الفجر وبعضهم وقوف فى وجوه الأعداء ولما صلت الطائفة الأولى تقدمت إلى وجه العدو وصلت الطائفة الأخرى واصطفت الصفوف فى وجه الأعداء وكذلك الروم دقت نواقيسها وقبلت صلبانها وكفرت بخالقها ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم اعتمدت الرجال على الصفاح وركوب الخيل وهمهمت الرجال همهمت الأسود هذا وميمونة فى أوائل القوم وأبو الشيص بن حرب بن شيبان فى أوائل العرب المتنصرة وكان هذا الملعون أشد من أبيه وأشجع فبينما الناس معولين على الحملة وإذا بفارس قد ظهر من عسكر المسلمين على جواد مليح الصفرة طويل الوفرة مليح الخطرة يسوى ألف بدره وعلى ظهره فارس رشيق القد وعلى صدره زرد مثل عيون الجرد لايعمل فيه الصارم المهند ومن فوقها ثوب أسود لابس أهل الحرب وشعر الفارس مسبول على أكتافه وهذا زى العرب إذا أخذت العرب نساءها وسبوا حريمها يلبسون السواد وينشرون الشعور ولا يقصون شعورهم ولا ينزعون السواد عن أثوابهم إلى أن يخلصوا الحريم يضربون القمم وكان ذلك الفارس الذى برز عبد العزيز العلوى رضى الله عنه لأنه ما وجد الصبر بعد ان رأى اخواته مسبيات ونادى بصوته فأوقع الروم والعرب وقال معاشر النصرانية من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا عبد العزيز العلوى والحرم التى مع هذا الملعون هرمس هن والدتى واخواتى ومالى منكم خصم إلا هذا الكلب هرمس الذى تعدى على وأخذ أهلى من غير سابقة كانت منى اليه ولا عداوة كانت بيننا وما فعل هذا إلا حتى يتقرب به إلى ملك الروم وكفى بهذا مذلة بين الناس وقلة لأنه ما أخذ الانسوان لايدفعن عن نفوسهن ضراً ولا نفعا فهو كما قال القائل :

كفى بك ذلا أن تكون مبارزا * حريما وتبغى عند ذاك المعاليا
وما نلت عزا بل غدوت بذلة * وما أنت إلا مخزى النفس عاريا

والآن فقد مضى مامضى يخرج إلى حتى آخذ منك بطارى وأكون قد أرضيت الخالق البارى ولا اعتراض على القضاء ثم انه أنشأ وجعل يقول :

معاشر جمع الروم لاتتعرضون لى * فقلبى على نار الأسى يتفطر
فلى منكم خصم أريد برازه * لعلى أن أحظى بطارى وأظفر
وقولوا لمن قد سود الله وجهه * وأصبح يغتال الحريم ويفجر
وما هكذا فعل الكرام ومثل ذا * قبيح لعمرى فى البرية يذكر
فيبرز نحوى كى ترى الناس بيننا * قتال يشيب الطفل منه ويذعر

ويبقى على الأرضين ثاوى مجندلا ❊ يحوم عليه الطير والوحش ينفر
حلفت وحق القاصدين إلى منى ❊ ومن طاف حول البيت وهو مصقر
لاقتحمن الجمع فى جحفل ترى ❊ به الخيل تجرى والصوارم تشهر
وأمنحكم ضربا ترى الأرض بعده ❊ عليها رؤوس من جسوم تنثر

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة والعرب المتنصرة ذلك من شعر عبد العزيز قالوا لقد انصف هذا الرجل وما تعدى ثم انهم اقبلوا على هرمس وقالوا هذا صاحبك اخرج اليه فقال هرمس قد عرفت أن المعنى لى ولكن ما أخرج الى هذا الصبى الصغير السن الذى ماله ذكر ولا شجاعة فقالوا له أما ماذكره وحق المسيح انه أوفى من عبد الوهاب عند الروم وقدفعل مالا يفعله والملكة ميمونة تشهد بما رأت ولقد أجهدت أن تأخذه فى مقام الحرب فما قدرت (يا سادة) فلما سمع هرمس كلامهم نادى بعبدمن عبيده يقال له زحاف وكان فارسا لايطاق يقتنص السباع من الآجام ويطحطح الابطال عند ضرب السيف وعند ضرب الحسام فأجاب مولاه فقال له دونك وهذا الفارس اقتلعه من سرجه حتى تنظر العساكر فعلك فقال يا مولاى ماظننت الا انك تقول لى أخرج الى كل المسلمين والا هذا الفارس سوف آتيك به أسير وأقوده ذليل حقير ان شئت تقتله وان شئت تأسره ثم انه صاح بجواده فخرج مثل الريح الهبوب أوالماء اذا اندفق من ضيق الانبوب ومد اليه الاسمر الكعوب ثم أنشد وجل يقول

الا أيها المغرور دونك زحاف ❊ لارواح الاعادى بذا الرمح خطاف
لاقتحمن الجمع بالسيف هاجما ❊ ولو كنتم أضعاف ذلك آلاف
اخواتك ياهذا على غير فرحة ❊ بذلة أسر المذلة أشراف
تلاطمهم أيدى المجوسى ومارعت ❊ لهم حسبا لما تسمون أشراف

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه بعد أن أجاب له عبد العزيز على شعره وقال هذه الابيات

ستعلم يازحاف انى زاعف ❊ اليك بلا شك لروحك خطاف
ستعلم انى فى الحروب غضنفرا ❊ اذا حطمت فيها رماح وأسياف
وما ضرهم لطم العدو وقدرهم ❊ يباهى به الاملاك علوا واشراف

(قال الروى) ولا صقه عبد العزيز وطعنه بالرمح فى صدره اطلعه من ظهره فكبرت المسلمون وعظم ذلك على هرمس ونادى بعبد له يقال له فضائض فحمل على عبد العزيز حملة منكرة وكان فضـــائض ماهو فى رمى الحراب فلما تقربا

ضرب عبد العزيز بحربة فأخذها عبد العزيز فى ترسه فنفدت منه وأصاب طرفها يده ثم أن عبد العزيز هجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه من علائقه ونادى برفيع من صوته ويلك يا هرمس دع عنك التعلل بالمحال واخرج الىّ فلما سمع هرمس ذلك عول على الخروج اليه فتعلق به عبده جحفل وقال يامولاى أصبر علىّ حتى أخرج اليه وافديك بروحى فان انا ظفرت به فيقال أخذه غلام من بعض غلمانه ثم انه قصد الأمير عبد العزيز وحمل عليه وهو يقول

انى أنا الضرغام ادعى جحفلا ليثا عشوما ضيغما مزلزلا
دونك حربى كى تلاقى رجلا لايرهب الموت اذا مانزلا

(قال) فما رد عبد العزيز عليه جواب بل حمل عليه مثل البحر العباب وتطاعنا بالرماح ساعة حتى تقصفت الرماح وتقابضا بالايادى واحتك الركاب بالركاب وتماسكا بالازياق وتعلقا بالاطواق ورأى عبد العزيز من جحفل فارسا لايطاق قوى عند الانطباق وهو مثل الجمل الهايج (قال) والحديد يفرق بين الضعيف والشديد وعبد العزيز رشيق من الرجال كانه الغصن الميال فرآه جحفل على ذلك فطمع فيه عند العراك فهزه وجذبه واذا هو مثل الصخرة الصماء التى لاتزول من مكانها ولم يزالا كذلك الى أن خذلت منهما السواعد هذا وعبد العزيز قد تذكر سكين المنطقة فأخرج يده من تحت يد جفل وجذب السكين وضربه فى خاصرته اليسرى شرطها الى اليمين فوقع الى الأرض صريع يمج علقما ونجيع وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار هذاواخوات عبد العزيز يشاهدون قتاله وينظرون الى نزاله والايام تقول لبناتها أنا كنت حاملة هم أن أموت وما رأيت أخاكن والثانى ماكنت أعلم ما يجرى عليكن من بعدى من هؤلاء والآن فهذا عسكر الإسلام مايتخلى عنكن أبدا ولا بد لهم ان شاء الله تعالى من خلاصكن والساعة قد أنبل شوقى من ولدى وما أبالى ما يكون منى بعد طول مدتى وما قضيت من طول عمرى وقد فكرت فى حالى فانى أمرأة كبيرة السن فان مت قبل الاجتماع به فقبلوا عوارضه عنى واعلموه شدة شوقى اليه واحملونى معكم الى بلاد الإسلام وادفنونى فى قبورهم عسى يكون بالقرب منى رجل صالح فيعتقنى الله من النار ببركاته ثم أنشأت تقول

بناتى بحق الله إلا قرأتم سلامى الى من حل ذكراه فى كبدى
وضموه ضم المشفق الواله الذى يخال لهيب الشوق فى القرب والبعد
وقولوا له أن العجوز لقدمضت الى الله جل الله من صمد فرد

وفى كبدى شوق اليه مبرح ... يزيد على حد الغرام مع الوجد
ترى يجمع الرحمن بينى وبينه ... قريبا وأأتى بعد ذلك فى لحدى
غرام مقيم ما أراه مفارقى ... وقلبى من الأشواق والبعد فى جهد
أرى ولدى فى معرك الحرب واقفا ... تطالبه الأعداء بالحدو الحقد
وقد نثر الاعمار عزا ونخوة ... وبالأسمر اللون الكعوب وبالهندى
وأرجوا من الله الكريم يحيطه ... بحفظ واسعاد يفوق على السعد
لينقذنا من ضيقه الاسر سرعة ... وأرشفه رشفا ألذ من الشهد

(قال الراوى) ثم بكت وأنطرحت وضعفت قوتها حتى ظنت بناتها أنها فارقت الدنيا فجعلن البنات يبكين عليها وهم يقولون والله أننا بعد كى ما نطمع فى الحياة فى هذه الدنيا ولا الخلود وما الدوام إلا للملك المعبود الذى تفرد بالبقاء وقهر العباد بالموت والله ما نخشى أن تموتين وما تزودتى من عبد العزيز بنظرة فقالت ان كان ما قلتن لى فى السابق فسوف يكون وان كانت الأخرى فلله الأمر من قبل ومن بعد فما أنا بأول من يلى فى هذه الدنيا بالفراق لأنها دار نكد ولا تصفو لأحد (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهن فى الكلام وإذا بفارس قد خرج من عسكر المتنصرة كأنه شعلة نار وعليه ثوب رومى ملكى مطرز مدثر يأخذ بالبصر ودرع أضيق من عيون الجرد يرد الصارم المهند وهو راكب على جواد مطاوع اللجام يسبق البرق فى ذيل الغمام سريع الانهجام مليح الخطره بصاص الشعره وبيده قنطارية زائد الطول عليها سنان مصقول كانه جمة عقرب أو نار ذات لهب وكان هذا أبو الشيص بن حرب بن شيبان وكان فارسا مذكور وبطلا مشهور والسبب فى خروجه أن العرب المتنصره أجروا ذكر أباه وكيف مضى بلا نار فلما سمع ذلك خرج إلى براز عبد العزيز وهو ينشد ويقول

أعبد العزيز الأمير الأجل ٭ يضرب اليمان وطعن الاسل
أنا ابن حرب مبيد الجيوش ٭ وسيفى صقيل لقطع الأجل
فان لم أبيدكم سرعة ٭ وإلا فأطعمت لحم الجمل

(قال الراوى) يا سادة فلما سمع عبد العزيز كلامه علم أنه فارس ندب خبير بالحرب عند شدة الطعن والضرب فناداه ويلك أنت بن حرب بن شيبان فقال نعم فقال مالى ما أراه فقال قتل (قال الراوى) يا سادة يا كرام فضحك عبد العزيز حتى كاد أن يغشى عليه على ما هو فيه من شدة الغيظ وقال من قتله قال العجوز الأميرة ذات الهمة

التى قد أمكن المسيح منها وأما أنت فلا بد لى من قتلك مثلها فدونك والحرب فقال عبد العزيز أما أبوك فقد وصلت روحه إلى مالك خازن النار وأما أنت، فسوف تلحقه عن قريب ثم أنه أجابه على شعره يقول

أيا ابن حرب أتاك القضا ✡ ومن الخطوب بكم قد نزل
أبوك مضى نحو نار الجحيم ✡ وأنت سترحل مع من رحل
أنا عبد من لم يزل ستره ✡ على الخلق منسبل منسدل
تعودت فى الحرب قطع الرؤوس ✡ وخطف النفوس وخوض الأجل
بقلب قوى وفعل رضى ✡ وضرب يهد أعالى الجبل
أتاك الحمام بضرب الحسام ✡ وطعن السنان فعال البطل
وركض الخيول وهدم الطاول ✡ وقرب النزول بأرض الجبل

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم حمل بعضهم على بعض وجالا طولا وعرض حتى حميت الشمس على الخافقين وتقصفت الرماح من أيدى الأثنين فأرميا بقية الرماح وتضاربا بالصفاح التى هى أعجل لقبض الأرواح وأخذا فى الجدوتر كالطريق المزاج هذا وقد التصقا بالفارسين وتقابضا باليدين فعندها هزه الأمير عبد العزيز العلوى بساعده القوى أقتلعه من سرجه وحمله إلى عسكر الأمير عبد الوهاب فتسارعوا اليه الرجال فأخذوه منه وعاد الأمير عبد العزيز العلوى إلى مقام الحرب والقتال وطلب البراز والنزال فعندها صاح به الملعون هرمس صوتا عاليا وقال له أرجع الى قومك وأسترح باقى يومك وليلتك وفى غداة غد عد الى قتالى حتى أريك فى الحرب فعالى فعجبت الروم من انصافه وعاد عبد العزيز الى أصحابه وخرج من بعده الأمير سيف الحنيفية باقى يومه الى البراز فتقتل من الروم عشرة ومن المتنصرة ثلاثة ومن عبيد هرمس اثنين وانسدل الظلام وخفيت مواضع الأقدام وبات الناس يتحارسون الى ان طلع ضياء الفجر وعول الأمير عبد العزيز العلوى الخروج فمنعه الأمير عبد الوهاب من ذلك وقال أنا لهذا الشيطان عابد النار هرمس أودع غيرك يخرج اليه فبينما هم فى الخطاب واذا هم بفارس من بنى كلاب قد خرج الى مقام الضراب وكان يقال له خويلد وكان بطلا من الأبطال وقيلا من الاقيال لا يهاب الرجال ولا يكترث ساعة الأهوال فحمل على الروم فقتل منهم فارس وحمل على المتنصرة فقتل منهم فارس وحمل على أصحاب هرمس فبادره هرمس بطعنة فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره ثم صاح فى جواده فخرج من تحته مثل البرق وقارب الصفوف وطلب البراز وسال الانجاز فلم يخرج اليه أحدا فحمل عليهم فقتل منهم فارس وقتل آخر من العرب ونادى بعد ذلك أين غريمى بالأمس لم لا يبرز الىَّ فى هذا اليوم فهم الأمير

عبد الوهاب أن يبرز اليه فسبقه عبد العزيز وهو يقول

ألا أيها المغرور بالنار شقوة ✡ بهاويك يوم العرض تلقى معذبا
أسرت بنات من خدور عواتق ✡ يعدون عند الفخر أصلا ومنسباً
لهم منصب فوق الثريا مكانه ✡ بفخر النبي الهاشمي المقربا
فدونك حربي يا لئيم فانني ✡ خبير بهذا اليوم طعنا ومضربا

(قال الراوى) فلما سمع هرمس شعر عبد العزيز ضحك ضحكا عالياً وقال سوف ترى الجواب عند الضراب وأنشأ يقول

ألا يا فتى الفتيان دونك فارسا ✡ له فى الوغا فعل يفوق على الفعل
فلو رام صيد الأسد لم يبق ضيغم ✡ يطوف بأقطار البلاد على الرحل
رقيت العلا حتى علوت بهمتى ✡ على أهل عصرى ثم من كان من قبلى

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فما شاهدت العيون ولا نظرت الناظرون مثل ماجرى لهرمس الملعون وعبد العزيز الميمون (قال) وعلمت أم عبد العزيز ببرازه لعدو الله هرمس فجعلت تضج بالدعاء لرب السماء وتبكى بكاء الوالهة الثكلا وأنشأت وجعلت تقول :

أيا من يجيب الخائفين اذا دعوا . وينقذهم من حوزة الخوف والزجر
أعن ولدى واحفظه من كل آفة . وأقبل دعاء الشيخ من سالف الدهر
فمالى سوى هذا البنى إذا أتت . صروف الليالى كان عونا على الأمر
وقد انتخى من أجل دينك صادقا . ومن أجلنا ياذا الجلال وذا النصر
وان تكن الأخرى فلا عيش بعده . ولا ملتقى يبقى الى آخر الحشر

(قال الراوى) ثم أطبق هرمس على عبد العزيز ولم يزالا كذلك الى أن رفع النهار من الأرض أطنابه ونشر الظلام على الخافقين جلبابه ورجع كل واحد من الإثنين إلى أصحابه فأما عبد العزيز فانه لم يصدق بالمساء مما رأى من هرمس وان أصحاب هرمس تلقوه وبالسلامة هنوه فضحك وقال وحق النار والنورانى رأيت من هذا الفارس مالم أراه من غيره ولقد لاحت لى عليه مضارب الهلاك ولكن شفقت على مثله ولو علمت أنه أخذ اخوته وأمه ويرجع الى دينى وأعيش أنا واياه بقية عمرى لفعلت ذلك وما طاولته هذا اليوم الا قلت لعلى آسره فرأيته كلما جاء الى زيادة ونشاط وقوة وانبساط لايكل من القتال ولا كأنه فى مقام الاهوال وفى غداة غد ان لم أرى لى فيه مطمع زودته بضربة أذهب بها روحه وأسكنه ضريحه (قال) ثم ان القوم باتوا تلك الليلة

إلى أن أصبح الصباح فكان أول من برز هرمس الملعون ثم نادى لايخرج الا الغلام البازل ومن هو فى الأوصاف كامل هذا والامير عبد الوهاب قد قال لمن حوله من الفرسان أى جهاد يفوت هذا المسكين فى سبيل الله تعالى والله العظيم انه بطل من الأبطال (قال) وطلب هرمس البراز ونادى باسم عبد العزيز فحمل عليه الأمير ظالم وقاتله الى نصف النهار فانكسر رمح الأمير ظالم فأرماه من يده وجذب سيفه فلم يمكنه الملعون من ذلك بل هجم عليه وأخذ ظالم أسير وقاده ذليل حقير بعد ماعاركه على السرج وسلمه الى عبيدة وأمرهم بشده ثم طلب البراز فخرج اليه سيف الحنيفية بهمة عليه وصفيحة هندية وقناة خطية وهو على حجرة عربية تسبق الرياح الغربية وتطاعنا ساعة زمانية فضحك هرمس ونادى وقال ياعبد العزيز ما كان فى صاحبك كفاية حتى خرجت اليه ان تعاونه على لما علمت انني قد ظهرت عليه فلما سمع سيف الحنيفية ذلك من كلامه ظن انه صدق فالتفت ينظر ان كان كلامه صحيح أم لا فعاجله هرمس وطعنه طعنة واصله أرماه الى الأرض وانقض عليه أخذه أسير وقاده ذليل حقير وقد ظن أنه هلك من الطعنة وكان لما يريده الله تعالى من سلامته جاءت الضربة ساطحة ولم تكن متمكنة (قال) وخرج من بعده الأمير مؤتم الأشبال الأقطع فأخذه أسير وحمل عليه هارون العلوى فملكه حقير ولم يزل الملعون كذلك حتى أسر من أمراء المسلمين عشرة وكان الحادى عشر الأمير قشعم وكان من الفرسان المذكورة والأبطال المشهورة فقاتله إلى الليل ورجع منه سالما وباتوا الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فخرج الأمير قشعم كأنه الأسد الضارى وهو مع ذلك ينشد ويقول:

الى الله أشكوا من لعين تمردا ٭ يدين بدين النار لله يجحد
سيعلم انى لاأهاب لقاءه ٭ وآخذ تارى منه فى اليوم أوغد

(قال الراوى) وكان هرمس قد ركب وخرج إلى الميدان وهو فرحان بما أسر من الفرسان فحمل على قشعم كأنه سرحان ولم يزالا فى صدام ولزام وضرب وقتال الى وقت الظهر وقد ضجر هرمس مما لاقى منه فعندها ضرب جواد قشعم قتله ووقع قشعم الى الأرض فانقض عليه هرمس أخذه أسير وهو يظن أنه هلك ثم انه جال وطلب البراز والقتال هنالك ترجل الأمير عبد الوهاب عن جواده وافتقد حزامه وشده ووثب على ظهره واعتقل بقناة طويلة وعول على الخروج فسبقه الأمير عبد العزيز وصار فى مقام المجال وأنشد وجعل يقول .

أنا الثاكل المحزون من أجل نسوة ٭ مقيمات فى أسر وضنك على ضر

وما كان هذا فى حسابى وانما ٭ صروف الليالى خائنات مع الدهر
سأبذل روحى دونهن حمية ٭ وأطعن فى أعداءهم بالقنا السمر

(قال الراوى) فلما سمع هرمس كلامه شخر ونخر وطغى وكفر وتجبر واستكبر وذكر الشمس والقمر وجرد سيفه وكان صفيحة هندية وهو مثل الدرابة فنظر الناس إلى سيف هائل لم يروا مثله ولا عاينوا شكله ولا طوله ولا عرضه وصاح بعبد العزيز وأطبق عليه وهاجمه وقصد اليه وضربه بذلك السيف فستر عبد العزيز رأسه بترسه فوقعت الضربة عليه صفحا لان هرمس قلب قائم سيفه فى يده فجاءت مثل الجبل العظيم كادت تطحن رأسه فوقع الى الأرض لايدرى أين هو فأكب عليه هرمس ليأخذه أسير فلم تصبر بنو كلاب بل حملت وحملت ميمونة واختلط سائر العرب والروم وطلع الغبار مثل الغموم وصارت الخيل تقع وتقوم وفى الدماء تعوم ولم يزل الحرب يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل الى أن أقبل الليل بالاغساق وطلبوا الخلاص والافتراق فما قدرت المواكب على ذلك من كثرة الاختلاط ولم يزل السيف يعمل بينهم طول الليل فى الرجال والخيل ومافيهم من يعرف صاحبه بل كل منهم ينكر من يكون الى جانبه والظلام قد أطبق بغياهبه إلى أن اسفر الصباح وأقبل وولى جيش الظلام ورحل وقد أصبحوا هلكا من السهر والتعب الا انهم ماقدروا على الانفصال حتى تضاحى النهار ونزلوا وقد محق الله جيش الكفار وقد أخذوا الراحة الى وقت العصر وركب هرمس وهو معجب بنفسه مفتخر على أبناء جنسه ثم انه دعا الأمير عبد الوهاب الى البراز وكان ظنه أن عبد العزيز قد هلك وكان عبد العزيز قد خلصوه المجاهدين لأنهم كانوا أسبق اليه من الروم الا انه متوهن من شدة الوقعة وكان قد وقع لهرمس فى قلبه هيبة ورهبة (قال) الا ان هرمس لما أن طاب براز الأمير عبد الوهاب ونادى باسمه خرج اليه على جواد بازل صحيح كامل أغر محجل يطرب السامع إذا صهل واسع الخطوة قليل الخطرة فسيح الصدر قصير الفقارة والظهر وعليه درع واسع الأكمام مليح النظام ومن فوقه ثوب مثمن غالى الثمن ومن فوق رأسه بيضة عادية مليحة مجلية وصار فى الوقت فى الميدان وفى قلبه من أجل المأسورين النيران وكان هرمس وميمونة قد اشتوروا عند الصباح ورأوا انهم فى خسارة ونقصان وقد أشرفوا على الهلاك وأجمعوا رأيهم على أن ينفذوا جميع الأسارى الى القسطنطونية مع عبيد ميمونة وتوصيهم انهم يستحثوا الملك على المسير إليهم بعساكر النصرانية وقالت ميمونة نحن نطاول القوم ونقاتلهم وان نكبنا أو أسرنا فيكونوا هؤلاء القوم فداؤنا فرأى هرمس ذلك صواب فلم يخالفها فى هذا الخطاب ولما استقرت بينهم هذه الأسباب اخذوهم

وسلموهم الى ثلاثين من عبيد ميمونة فأخذوهم العبيد وساروا وخرج هرمس وطلب البراز من الأمير عبد الوهاب وبرز اليه كما ذكرنا وهو يقول دونك والحرب حتى تعلم أين أصبر فى مقام الكرب (قال) وكان الملعون هرمس قد خرج ذلك اليوم وهو يهز تلك الصمصامة فى يده وقد ستر بالحديد سائر جسده وهو كأنه الفيل العريض الطويل وتحته جواد عالى من الخيل نبيل سبوق لحوق كأنه السهم المروق (قال) إلا أن الأمير عبد الوهاب لما ان صار فى الميدان أنشد وجعل يقول

خرجت بقلب مايلم به كرب ☼ وماقصده الاالجهاد الذى يصبوا
صبور على يوم الهياج اذا بدت ☼ به البيض والسمر القنا ودنا الخطب
لانصر دين الهاشمى محمد ☼ رسول أتى سادت به العجم والعرب

(قال الراوى) ثم حمل على هرمس وصار معه ورأى هرمس ذلك فصاح صوتا عظيما وصدم الامير وأجابه على شعره يقول

دع الهزل يا هذا فقد أمكن الجد ☼ وخلى التمنى قد ألم بك الجهد
أنا هرمس مازلت للنار عابدا ☼ تروع لى من خوفها فى الفلا الاسد
وقد عرفتنى الخيل فوق متونها اذا حلت فى الهيجاء ليس لها رد

(قال الراوى) ثم انطبقا واندمجا ودخلا فى أبواب الحرب وخرجا وحلوا الاقاح بالصفاح وطلب الارواح بأسنة الرماح ورنت اليهما الأبصار وتطاولت اليهما أعناق النظار واتسع عليهما الميدان وشبعا ضربا وطعان والتقيا بالصدرين وتصادما بالجوادين واستعجز سواهما من الفريقين وكانا الإثنين كانهما تحت الغبار الفين ونظر عبد الوهاب من هرمس قسورا هماما وليثا هجاما وعلا عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار فتارة يظهر أن فى الميمنة وتارة يظهر أن فى الميسرة ولم يزالا على هذا الشأن حتى اختلف بينهما ضربتان سبق الأمير عبد الوهاب بالضربة جاءت فى درقة هرمس وكانت الدرقة يمانية وهى ثلاث طبقات فقبضت على سيف الامير عبد الوهاب وعلم الامير أن الضربة جاءت فى درقة هرمس وبطلت فجذب سيفه اليه فطلع فى يده القائم فعندها عطف عليه هرمس بضربة هائلة مستقيمة غير مائله بتلك الصفيحة الهندية التى ذكرناها فالتقاها الامير بترسه فقطعت منه بعضه فرماه الامير من يده وسل سيف الركاب بعد ماخرج من تلك الضربة سالما وقد عجبوا الناس من قوة صارم هرمس وشدة ساعد الامير وكان الصارم الذى مع هرمس صاعقة نزلت فى أرض الهند فأخذوها الهنود صنعوها سيفا وخرج بها قوم تجار يريدون بها بنى العباس فلقيهم هذا الملعون وأخذ

القافلة وأخذ السيف فى الجملة (قال) الا أن الأمير لما خرج عن الضربة سالما سل سيف الركات وقاتل هرمس الى وقت الغياب هذا والأمير قد حمى نفسه وهو بلا عده (قال) ولما انفصلا سالمين باتو الناس يتفكرون فى ماجرى بينهما والمسلمون يقولون أن أخذ الأمير مايبقى منا باقيا لأن الأميرة ذات الهمة وظالم وسيف الحنيفية وضيغم وسائر الأمراء قد أسروا وعبد العزيز فما يقدر يواجهه بذلك (قال) وباتوا الى أن أصبح الصباح وركب الأمير عبد الوهاب كانه الأسد الغضبان وقصد الى الميدان وخرج اليه هرمس عابد النيران وركبت سائر المواكب ينظرون مايجرى بينهما من العجائب (قال الراوى) هذا وقد حمل كل واحد على صاحبه وجرى بينهما قتال مايقع عليه عيار ساعة من النهار ووقف كل منهما ينظر الى صاحبه شذرا ويرمقه حذرا (قال) ومن حرص الأمير عبد الوهاب على دين الإسلام قال لهرمس لو كنت على دين الحنيفية ماضاعت فيك هذه الفروسية وكنت أساويك بروحى وأعطيك نصف مالى وأقدمك على رجالى ويكون المال يرفع من بلاد الروم اليك وترى منى مايقر عينيك وكيف ينبغى لمن يكون له عقل أن يعبد النار ويترك عبادة الملك الجبار الذى نور الانوار وأدار الفلك الدوار وكل شىء عنده بمقدار وأما النار التى تعبدها أنت التى أوقدتها اذا طرح عليها الماء تخمد وتطفأ وتصير رمادا تذروه الرياح والله تعالى لايحول ولايزول ولاتغيره الازمان والدهور فهو الصمد الذى لايضام خالق الضيا والظلام. رافع السموات من دخان وازاجر البحار من نيران فعود اليه قبل الممات وبادر قبل أن تفنى هذه الانفاس المعدودات فلما سمع هرمس ذلك الكلام من الأمير عبد الوهاب صغى اليه وقال اذا كان الامر كذلك فأنا أجيبك الى ما تريد ولا يكون عقلى انقص العقول على انى ماأريد مال ولا نوال الا اننى أعلم أن العار يركبنى فى جميع الأرض طول وعرض ويقال رجع هرمس عن دينه بعد أن اكتهل وطعن فى السن واكتمل فقال الأمير أما هذا فو الله ماهو عار وإنما العار الكفر بالملك الجبار وان عدت على عبادة النار كما أشرت اليك فتكون قد شكرت خالقك على بعض نعمه عليك فقال هرمس أخاف أن فعلت ذلك من الخليفة لا يقبل إسلامى وأخاف أن يأمر بقتلى لأنى أكلت اقطاعه وعاهدته وكذبت وبعد ذلك فعلت هذه الفعال وأسرت هذه البنات العلويات وسقتهم الى هاهنا وسيرتم ميمونة الى بلد الروم فكيف بقى لى وجه أرجع به إلى بلاد الإسلام فقال الأمير عبد الوهاب ما عليك من أمرهم شيئاً فان الله تعالى أوقعهم وهو يخلصهم وأما ما ذكرت من أمر الخليفة فلك منه الذمام وأنت تكون معى

مثل أخى فى الله فقال هرمس اذا كان الأمر كذلك على ما ذكرت فاعطينى يدك واحلف لى بالله العظيم وبحق ماتعتقده من دين الإسلام أن تقوم بما ذكرت ولا تغدر بى فيما بعد ولا يكون فى نفسك على حقد (قال) فمال الامير اليه وهو لايعلم مافى نفسه وأعطاه يده وقال والله العظيم انى أوفى لك بما ذكرت فقال هرمس الساعة طاب قلبى ثم انه أظهر انه يعاهد الأمير وصاح فيه صيحة أذهل الناس بها وقبض على يد الأمير وهزه وصرخ فى الجواد فخرج من تحته وبقى الامير معلق فى يده فصاحت الروم صيحة واحدة وحملت بنو كلام تطلب خلاص أميرها وقد علموا أن الامير ما أخذ الا بحيلة لافروسية (قال) وكان الأمير عبد الوهاب رجل سليم القلب لاعنده من المكر خبر فجعل يهز نفسه من يد هرمس قد ملك يده فوقعا إلى الأرض وبعضهما عالق ببعض إلا أن اصحاب هرمس كانوا أسبق اليه فأخذوا الأمير عبد الوهاب من يده وعمل القتال بعد ذلك إلى أن فرغ النهار ورجع الجيشان عن القتال ولما نزل هرمس أحضر الأمير عبد الوهاب بين يديه وقال له كيف رأيت فعلى فقال له الأمير عبد الوهاب وأى فعل فعلت هل يليق بمثلك إلا الغدر فلو دمت على القتال لكان طال عليك أنك تأخذنى فى مقام المجال (قال) فضحك هرمس وقال أما تعلم أن الحرب خدعة وحق النار لاصلبنك على باب القسطنطونية فى الموضع الذى أردت أن تصلب فيه عقبة ثم أنه أمر برفعه والإحتفاظ به وباتوا الناس الى أن أصبح الصباح فخرج هرمس إلى مقام الحرب فعوّل طارق الحجازى على الخروج اليه وقد عظم عليه ما فعل مع الأمير وقال والله لو لم يخدع الأمير لما كان وصل اليه فقال بعض الرجال والله ما هذا الملعون الابطلا من الأبطال وعبد الوهاب رجل أنحله الصيام وطول القيام وكثرة الجهاد فى النهار والظلام هذا وهرمس يجول بين الصفين ويلعب بين الفريقين ويقول يا بنى كلاب هل من مبارز هل من مناجز هذا يوم الهزاهز أين أبطالكم أين رجالكم فهم طارق أن يخرج اليه وإذا بفارس قد خرج من عسكر الروم وهو مثل القضاء المبرم وهو يقول بلسان الرومية أيها العرب دع المسلمين والتفت إلى ودع عنك الاعجاب ودونك والقتال والضراب لأنك طمعت فى بداية أمرك وأخرقت بالملكة ميمونة ونحن احتملناك على فعلك والساعة فقد أخذت طابق الجولان وحدك واصطليت الحرب بنفسك تريد أن تفوز بالذكر على سائر الفرسان وتأخذ الطبقة على جميع الأقران وأنا اليوم آخذ بثار الطائفتين منك لأنى قد ضمنت للملك قهرك وقد كذبنى عنده قوم وأنا أريد أوفى بوعدى وأوضح عند الملك قولى حتى لا أكون

عنده بصورة كذاب ولا خائن مرتاب (قال) ثم صاح بجواده وكان جواد أصفر مليح المنظر حسن الخبر تكل الألسن عن وصفه ويجوز الطرف بملاحته ويفوت البرق براعته ويدرك السهم عند رميته محجل الاربع مثل الرياح ثم مد بين يديه قنطارية خلنجية تدب فيها المنية وجال هرمس ساعة زمانية وقرع رأسه بالقنطارية فضجوا الروم وقالوا وحق المسيح ما هذا الا مليح ترى من أى الفوارس هذا فقال بعضهم لبعض ما يكون هذا إلا من القسطنطونية من بطارقة الملك الخاص وقال قوم آخر ما هذا إلا فارس عظيم وأختلفت الأقوال وعلت الضجات وأعجب ميمونة هذا الحال وفرحت سائر الروم وشمتوا بالعرب المتنصرة لأجل أن هرمس عربى وكذلك بنى كلاب ايضا شمتوا بهرمس وقال بعضهم لبعض نخاف أن يكون قرع رأسه بالرمح صناعة لا فروسية وربما أن يكون هذا الفارس لايقدر على قتله ونحن نريد أن يقع بينهم على الحقيقة لعل الله تعالى أن يهلك عابد النار لأنه قد أستطال على المسلمين الأبرار هذا وهرمس قد نادى بالرومى وهذا الذى فعلته صناعة لافروسية فان كنت تقدر على شىء غير هذا فافعل وان كنت تدعى القتال تعدى نفسك من الأبطال فالق هذه الرماح من أيدينا ونعتمد على ضرب الصوارم بلا الباس (قال الراوى) فلما أن سمع البطريق كلامه حذف الرمح من يده إلى الارض كأنه صارىَ مركب ثم جذب سيف بتار مثل شعلة نار ماضى الشفار قوى المسمار ثقيل الوزن وأراد أن يهجم على هرمس فلم تصبر ميمونة بل صاحت بجوادها فخرج من تحتها مثل البرق البارق أو النجم الخارق وأرادت أن تعرف هذا الفارس الذى قدم على هرمس اللعين وقالت فى نفسها ما يكون فى الروم مثله وما هو إلا من أهل الجزائر من أصحاب دمدرى لأنى سمعت أن لدمدرى ابن عم موصوف بالشجاعة وما هو إلا هذا وقد خرج إلى هرمس وأنا الساعة أخرج اليه (قال الراوى) ثم أنها قفزت اليهما ونادت من أنت أيها البطريق الذى أعجب سائر الناس والروم أحفظ نفسك من هذا الشيطان هرمس فانه أفرس أهل الأرض فى طولها والعرض وأنه حنق على قتلك لامحالة فخذ حذرك منه وكان قصد ميمونة أن يتلف أحدهما على يد الآخر ولا يبقى عند الملك من يشار اليه بالفروسية والشجاعة غيرها (قال الراوى) يا سادة ياكرام فلما سمع الفارس كلامها غضب غضبا شديد وقال لها بالرومى وحق دينى أن هرمس عندى والذى لم يخلق سواه فلا تعظمى أننى أمره حيث أنه أسركى فى مقام الحرب وما وصل اليكى الا ونيتكى قد تغيرت عن دينكى لأن من صحبت دين الإسلام أكثر عمرها وما كان لها فيه رعاية كيف يكون لها فى دين النصرانية نية وأنا لابد لى من قتل هذا الملعون

هرمس وأن جرد أرمانوس على فماله عندى طاعة (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة هذا الكلام قامت عيناها فى أم رأسها وهمت أن تحمل على البطريق فالتفت البطريق إلى عسكر الروم أسرع من البرق وقال ياقطاروس أخرج إلى هذه المرتدة التى نفخ فى معطسها الشيطان وهى تظن أنها تفتح بلاد الإسلام بقوة بأسها وتقول ان الملك مختار سواد فعالها على بياض فعالنا وأنا أعلم أن الذى أرسلنى الى نصرة دينه قادر على نصرتى وأن يبلغنى من الأعداء ارادتى (قال) فمدت الروم أعينهم الى من يخرج وقد حاروا من ذلك وإذا قد ظهر بطريق مثل العتيق على جواد مثل الحريق وهو لصاحبه نعم الرفيق ثم حمل على ميمونة فبليت منه بمالا تطيق هذا وقد زاد من المسلمين الصياح ونظرت بطارقة الروم الى ذلك فتقدم المقدمون منهم الى صاحبهم بلباس وقالوا يامولاى أما ترى إلى المسلمين وقد فرحوا بهذه المصائب ووجدوا بها راحة لأجل الخلف الذى وقع بينهم وهذه الأربعة لابد مايهلك كل واحد منها على يد الآخر وهذه الأربعة يريدون من فى بلاد الإسلام فاخرج اليهم واصلح بينهم وقل لهم الرأى أن تحملوا على المسلمين لتفوزوا بالفخر عند الملك وحسن الثناء ويخلع عليكم ويرضيكم فعندها خرج بليناس مقدم القوم وترك ولده دوغورس مكانه ولما صار بليناس فى الميدان صاح فيهم وقال ويلكم لقد أغضبتم المسيح بهذا الفعل القبيح فان المسلمين قد فرحوا لكم بهذا الخلف الذى جرى بينكم فخلوه ولا تفعلوه وارجعوا عنهم واحملوا أنتم الأربعة على عسكر المسلمين وأبذلوا مجهودكم فى نصرة الدين فان الأمراء الذين لهم قد أخذناهم وهدمنا أركانهم وما بقى الا أن تصدقوهم فى القتال بحملة واحدة وقد ولوا بين أيديكم منهزمين وللنجاة طالبين وتنهبوا الأموال وتبلغوا الآمال وهذا الذى تريدوه مايفوتكم افعلوه فى القسطنطونية قدام الملك حتى ينعم عليكم وخلوا هذا البغى على بعضكم فهو الذى أهلك من كان قبلكم وكل واحد منكم له منزلة عند الملك وان أبيتم ذلك سلطت عليكم الروم فيفنوكم فى جملة واحدة حتى لاتطرحوا فى الروم الفتنة وترموهم فى المحنة (قال) فسكتوا الكل ولم يتكلم غير البطريق الأول الذى خرج الى هرمس فانه قال أيها السيد كل قولك صحيح الا انك تعلم ان هذا الشيطان ماله دين لأنه يعبد النار فلا يجب عليك أن تحود من أجله فانى ماقتلت رجلا نصرانى وأيضا فانى لما قرعت رأسه بالقنطارية قال هذه صناعة ليست فروسية وما بقى لى بد من قتاله وحربه ونزاله فقال لاتفعل ياأخى فان الساعة ملة النصرانية قائمة بكم وان تم منكم هذا القول فهو سبب فسادها فان هذا الرجل وان كان على غير ديننا فهو محب ملكنا أرمانوس لينصر ملته وفى خدمته ولا سيما الشيخ

النجيح قد وعده عن الملك بكل جميل فلا تفعل أنت فى حقه هذا الفعال على انك أنت ما أنت من رجاله ولا تعد من أشكاله لأنه قد ظهر على فرسان المسلمين وأبهرهم الذين عجزتم عنهم طول السنين فقال البطريق أما قولك راعية لأجل الشيخ فهذا شيء لا أفعله فانى أعلم أن مشورة الشيخ النجيح ردية على أهل ملة النصرانية وكلما أشار بمشورة أخرب بيوت أهل المعمودية وتكون السعادة لأهل دين الحنيفية وأما قولك عن هذا هرمس انى ماأنا من رجاله ولا أعد من أشكاله فقد كذبت وقلت المحال وسيبان لك ما يجرى بيننا من القتال فلما أن سمع بلبناس كلامه وتكذيبه له انتضا سيفه فصاح البطريق يابرطس فخرج اليه بطريق طويل مقلد بسيف صقيل على جواد نبيل عريض وهو غايص فى الزرد النضيد مابان منه غير حماليق الحدق وتداوير الأمق فحمل على بلبناس فانذهلت اشدته عقول الناس (قال) فزاد الأمر على البطارقة وقالوا وحق المسيح ان هذا لهلاك النصرانية سبب فانظروا من يخرج اليهم ويصلح بينهم فما فيهم من أبدا جواب الا ولد الملك دوغورس فانه صاح بجواده من شدة الحنق وصاح وحمل على البطريق الأول فصاح البطريق ياشيخالون أخرج الى هذا الكلب الملعون فخرج اليه فارس شديد غايص فى الحديد وحمل على ولد الملك دوغورس ونظرت البطارقة الى ذلك فخرجت عشرين من البطارقة الموصوفين المذكورين من المذبحة الذين هم خواص الملك وقالوا ويلكم ايش هذه الفعال التى أغضبتم المسيح من أجلها وإذا سمع الملك بهذا الخلف الذى جرى بينكم ضرب رقابكم فما هم الا أن وصلوا اليهم حتى خرج اليهم عشرة وحملوا عليهم وفى أوائلهم فارس فى يده قنطارية عليها صليب ذهب أحمر مرصع بالدر والجوهر وأطبقت العشرة على العشرة ونظرت بقية الناس الى ذلك فزاد ضجيجهم وكثر عجيجهم واختلفت الأقوال ووقع بالناس الانذهال ونادى جيش الاسلام يارباه خالف بين كلمتهم فانك الفعال لما تشاء وبعد ذلك خرج خمسين بطريق وفى أيديهم السيوف والعمد وفيهم جماعة من القسوس على أنهم يفرقوا بينهم فما هم إلا أن قالوا ايش هذه الفعال حتى خرج اليهم مثلهم ومعهم رايات وأعلام وبيارق وصلبان وحملوا عليهم فقالت البطارقة هذه قضية قد خفيت علينا بواطنها وظواهرها ولا نعلم أولها من آخرها وما يكون هذا البطريق الذى خرج لهرمس فى الأول إلا من بعض ملوك الجزائر وقد خرج خارجيا على الملك ارمانوس واختلط بعسكره فى عسكرنا وكلما خرج منا قوم خرج اليهم مثلهم فعندها قالوا الرهبان نحن نخرج اليهم ونزيل الشر من بينهم ثم خرج عشرين راهب وعشرة قسوس وخمس مطارنه

وشماسان وقد رفعوا أصواتهم بقراءة الإنجيل (قال الراوى) وهذه عادة الروم اذا وقع بينهم فتنة خرجت علماء دينهم على هذه الصفة ولو أن بينهم الدماء وقد قتل الأولاد والأبناء احترموهم وكفوا عن ما هم عليه من اللجاج إلا أنهم لما وصلوا اليهم صاح فيهم البطريق الأول وقال معاشر الرهبان والقسوس الذى أدخلكم بيننا وقد سمعتم ما بدا منى الكلام ولا بد لى من خصمى الذى جرى بينى وبينه ما جرى والسلام فقالوا الرهبان يا قوم وأى ذنب جرى من هذا الرجل هذا ما أتى الا حماية لدينكم فلا تؤاخذوه بما فعل الواجب أن يحتمل وتتركوا عنكم هذا العناد القبيح فقد أغضبتم المسيح وتبرأتم من الدين الصحيح وقد أرادت جميع الروم أن تحمل عليكم ويشيلوكم على أسنة القنطاريات والرماح ويمزقوا جلودكم ببواتر الصفاح ويسقوكم بحد المشرفيات شراب الآفات فما مكناهم من ذلك فقال البطريق الذى خرج فى الأول وقد صعب عليه هذا الكلام كذبتم يا كلاب الرهبان ويا عبدة الصلبان ويلكم قد جاءنا النصر من عند رب البرية أنا حاملة الأثقال القوية أنا هادمة دولة النصرانية أنا فاطمة العامرية وصاح البطريق قطالوس الذى فى مقابلة ميمونة أنا ناصرة الملة الاسلامية والشريعة المحمدية أنا ظالم أخو سيف الحنيفية وصاح شيخالون ظهرت الأسرار الخفية أنكشفت الكرب عن الطائفة المحمدية والعصابة الإسلامية أنا من السلالة العلوية وصاح آخر أنا من قرابة الشجرة النبوية وصاح آخر أنا زينب الحجازية وصاحت سائر الفرسان وكلنا من الشريعة الاسلامية المحامين عن دين محمد سيد البرية وقد تبرأنا من كل نصرانى ونصرانية ونحن نستغفر الله من كل ذنب وخطيه ونستعين به على كل خطب وبليه ونائبه ورزيه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم حمل كل انسان على خصمه هذا وميمونه قد ذهلت من خلاصهم (قال الراوى) وكانت الأميرة ذات الهمة رضى الله عنها قدصاحت فى هرمس وقالت دونك والحرب يا كلب المجوس فهذا يوم عليك منحوس ووافقك فيه العكوس والنحوس فقال هرمس ويلكى من الذى خلصكى من وثاقكى فقالت سيدى ومالكى ثم قالت ويلك دع عنك السؤال فما هذا وقت المطال فقد بان الصدق من المحال وستعلم على من يكون الوبال (قال الراوى) وكان السبب فى خلاصهم أن الأميرة وأصحابها لما أخذوهم السودان بتوزع ميمونة على أن يوصلوهم إلى بلد القسطنطونية ساروا ذلك اليوم وكانوا ثلاثين أسود من سودان ميمونة ولحقهم فى الطريق بطريق يقال له يانس ومعه خمسون فارس من الجزاير من بطارقة دمدرى وكانوا قد انهزموا وضلوا عن الطريق لأنهم غرباء الجزاير من تلك الديار فلما أن عاينوهم السودان سألوهم عن حالهم

فقالوا نحن من بطارقة نحن ضالين عن الطريق فصبوهم وساروا معهم يومين وفى اليوم الثالث نزلوا عند رأس المضيق وآخر المرج عن التحقيق (قال الراوى) وكانت هذه الأرض اذا كان عسكر كبير لايقدر يجوزها ولا يسلك فى طريقها لأجل تراكم الثلج الذى فيها صيف وشتاء وكان نزولهم فى تلك الأرض أول الليل للبيت ولما صاروا على وجه الارض أخذوا فى كفرهم وذكرهم للمسيح وجحدوا خالقهم ورازقهم الملك الاعظم فلما سمعت الاميرة ذلك أخذت فى قراءة سورة المائدة حتى لاتسمع الكفر إلى أن وصلت إلى قوله تعالى وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس أتخذونى وأمى آلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك أنك أنت علام الغيوب) وقرأ الامير عوف سورة الاحزاب إلى قوله تعالى (إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجا منيراً) (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت السودان ذلك خشعت قلوبهم لما سمعوا الوعد والوعيد والتخويف والتهديد فى كتاب الملك المجيد وكان عابس قد قرأ قوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) قال فعندها قال بعضهم لبعض ويحكم ما هذه الغفلة التى شملتنا ما كأننا سمعنا بهذا القرآن قط ولا كأننا علمنا بهذه الشريعة قط ولا كأننا صلينا الخمس صلوات ولا حضرنا الجمعة والجماعة ويلكم بعد صلاة الجمعة صرنا مع القسوس فى البيع والله لقد خسرنا الدنيا والآخرة لاجل الدين وهذا دين النصرانية ما حلالنا ولا حق على قلوبنا وما نحن الا مثل الدواب ننهمك على الشهوات ونعرض عن الطاعات لاجل متابعتنا لهذه الملعونة ميمونة خسرنا ديننا فقال بعضهم والله العظيم أن هذا القرآن قد حلا فى قلوبنا ومن يوم عدمنا سماعه عدمنا الآخرة وأيضا فاننا كنا على دين الاسلام نتوضأ ونصلى واذا لم نجد الماء تيممنا بالتراب وقد صحت صلاتنا وان هؤلاء الكلاب يخرون ويبولون وبالنجاسات يصلون وبذلك يفتخرون وبعضهم يقول لى خمسين سنة ما لمست فيها ماء وفيهم من يقول لى سبعين سنة ما لمست فيها ماء ثم انهم يأتون بنات البطارقة ويقولون لهم نحن غفرنا لكم كان المغفرة صارت لهؤلاء النجسين حتى انهم يفتون لانفسهم بهذه الفتوات وأما المسلمين فعندهم اذا زنا العبد وجب عليه مائة جلده لقوله تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة حتى أن النظرة يعاقب عليها وهذا دليل على صحة الإسلام ونحن نعرف ذلك ولو علمنا أن الله تعالى يقبلنا فى هذه الرجعة رجعنا اليه من قريب لعلنا نقدر على نجاتنا من النار ونرزق دار القرار فقال بعضهم أما القبول فان الله يقبل ذلك منكم فانه عز وجل مافتح باب

التوبة لعباده ويغلقه فى وجه من يتوب اليه وقد نطق بذلك قوله تعالى قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف (قال) وجعل بعضهم يقول أنا أحفظ سورة الكهف وآخر يقول وأنا أحفظ سورة مريم وكل واحد يقول انا أحفظ شيئاً من القرآن فقال بعضهم هل فيكم من حفظ شيئاً من الإنجيل الذى يقولونه هؤلاء الملاعين فقالوا لا والله الا نراهم يعوون مثل الكلاب ونحن الساعة قادرون على رضى رب الأرباب بهؤلاء البنات العلويات المأسورات وأمهم والأميرة ذات الهمة وظالم وسيف الحنيفية والأمير عوف وعابس ومن معهم من الرجال ونطلق لهم السبيل فى هذه الليلة وننزل على هؤلاء البطارقة الذين معنا وعبيد هرمس فوالله ان فعلنا هذه الفعلة لتكونن لكم يد بيضاء وأمور أحدها انكم تخلصون هؤلاء القوم من الاسر والثانى انكم تجاهدون فى سبيل الله تعالى فاذا أخذنا ورجعنا الى عسكرنا ربحنا الثواب من الملك الوهاب وان قتلنا فى سبيل الله أدخلنا الجنة بغير حساب وان سلمنا عدنا الى ملطية ويكون لنا أسوة بسودان الأمير عبد الوهاب ويكون لنا اسم المجاهدين ونحشر مع القوم الصالحين ثم انهم جمعوا رأيهم على ذلك فأول من تقدموا اليه الأميرة ذات الهمة فحلو وثاقها وقطعوا كتافها وأعادوا عليها مادار بينهم وما قد عولوا عليه فباست الأرض شكرا لله عز وجل وقالت لهم والله أن رجوعكم الى دين الإسلام أحب الى من كل من فى الدنيا وما فيها وهذا كله ما كان الامن بركة القرآن ثم انهم لبثوا العدد وأطلقوا الأمير ظالم وضيغم وسيف الحنيفية وجميع أولاد الأمير وأطلقوا عابس وعوف وجميع من معهم من رجالهم وكذلك البنات العلويات الحرائر المسلمات واعطوهم السيوف المرهفات والتراس الروميات ثم أن السودان قالوا للأميرة ذات الهمة أيتها الأميرة خذى أصحابكى وامسكى على هؤلاء الروم المضيق الذين رافقونا حتى نكبر ونضع السيف فيهم وأى من هرب اليكى الى المضيق حمليه من البلاء مالا يطيق واسقيه انتى وأصحابكى كاسات التحقيق فنحن مانخلى أحدا من عندنا يعتدى الطريق فقالت الأميرة بارك الله فيكم فلقد نصحتم فى دين الإسلام وربحتم الثواب من الملك العلام ثم انها أخذت رجالها ومضت الى فم المضيق وكانت أعرف به من السودان على التحقيق هذا والسودان قد ثاروا الى الروم ونزلوا عليهم وهم ينادون الله أكبر الله أكبر لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربوا فى الروم وكانوا ثلاثين فقتلوا بعددهم وقام الباقون حيارى لأنهم كانوا قد اندهلوا لما سمعوا التكبير فظنوا أن المسلمين قد دهموهم أجمعين فولوا منهزمين والى نحو الدروب طالبين فوجدوا هنالك اللبوة الكاسرة ومن حولها السودان مثل السباع الهادرة فحاروا من هذه المصائب وأخذتهم السيوف من كل جانب وما أحسوا بها الا فى المفارق والجوانب

فوقعت الخذلة على الكافرين وعملت فيهم القواضب فلما رأوا ذلك عادوا يطلبون الهرب والسودان من خلفهم مثل البرازين فقلعوا منهم الأرواح من الاشباح وما برق ضوء الصباح حتى أفنوهم عن بكرة أبيهم فلما طلعت الشمس نظرت الأميرة الى الأعداء كلهم قتلى فشكرت الله على ذلك وقالت لأصحابها اعلموا اننى قد عولت على رأى وهو اننى آخذ ثياب هؤلاء البطارقة وألبسها للعرب والسودان الذين قد من الله عليهم بالإيمان وارفعوا على أيديكم هذه الصلبان ونرجع على الطريق التى جئنا منها فانها قريبة الى العسكر فلعلنا ننحدر على الروم من أعلى الجبل ونختلط بهم فاذا برق ضياء الفجر وعولوا على القتال والكفاح ضربنا نحن هرمس وأصحابه بالصوارم والصفاح وكذلك الملعونة ميمونة ومن معها من كل غاشم جحجاح ونكبر فى أوساطهم بذلك الملك العلام فيكون ذلك سببا لهزيمتهم ونهب أموالهم فلما سمعوا هذا من السودان ومن الأميرة رأوه صواب وعجبوا من ذلك الخطاب فأجابوها بالسمع والطاعة وقالوا نعم مارأيتى أيتها الأميرة ثم انهم ترجلوا عن خيلهم ولبسوا ثياب الروم وأخذوا عددهم بأيديهم وكذلك فعلت الأميرة وظالم وسيف الحنيفية وعابس وعوف وأخوات عبد العزيز وتركت الأميرة أم عبد العزيز فى بعض الكهوف وتركت عندها الزاد والماء وما تحتاج اليه بعدما قالت لها ابشرى بالثواب من الملك الوهاب فكونى هنا حتى يسهل الله لنا بالخلاص من هؤلاء القوم الكلاب وتنفصل هذه الحروب وننال من الأعداء المطلوب (قال) ثم تركوها وساروا الى عسكر الروم فكان دخولهم عند طلوع الفجر الثانى بعد ماصلت الأميرة صلاة الصبح فماهم الاان اختلطوا بالعسكر حتى خرج هرمس يطلب البراز كما ذكرنا وخرجت اليه الأميرة فى الزى الذى وصفنا وجرى من القصة ماحدثنا وعدنا الى سياقة الحديث العجيب والأمر المطرب الغريب (قال الراوى) هذا وقد هجم كل واحد منهما على صاحبه وأخذوا فى الكر والفر والهزل والجد والأخذ والرد والوصل والصد والمعاركة والانهجام والضرب بالحسام هذا وقد نظرت ميمونة الى سودانها وهم فى زى بطارقة الروم وهم يقاتلون مع المسلمين بنشاط فعلمت أن المصيبة قد تمت من أيديهم فكادت مرارتها أن تنفطر من شدة الغيظ (قال الراوى) وكان أول من قتل غريمه واحد من السودان وخرج من بعده ثانى وثالث ورابع وخامس وخرج من بعدهم سيف الحنيفية وهو يقود بليناس مقدم الروم وقد شد وثاقه وخرج الأمير عوف وقد أخذ خصمه وخرج عابس وقد ترك خصمه على الأرض ناكس ولم يبق غير ميمونة وظالم والأميرة ذات الهمة وهرمس وكانت ميمونة قد قالت لظالم من خلصكم من الأسر والهوان

وايش فعلتم بأصحابى السودان حتى رجعوا الى قولكم وصاروا من حزبكم فقال أما قولك عن أصحابك السودان فانهم نزعوا فى الدنيا من سيوف بنى كلاب وفى الآخرة من النار ذات الالهاب ثم انه عاد اليها وعادت اليه وكذلك ذات الهمة وهرمس فى قتال شديد وحرب ما عليه من مزيد وقد حميت على أبدانهم الحديد هذا والأميرة أضجرته وضايقته وما كان بقى فى أيديهما من السيوف غير المقابض من شدة الضرب الدايم فتعاركا على ظهور الخيل وأن الأميرة صدمته بالترس فى صدره وقبضت على عنقه كانت أن تخلع رقبته فصاح الى عبيدة وقال ويلكم الحقونى والا هلكت من يد هذه العجوز فزاد غيظ الاميرة من ذلك وهزته وجذبته اقتلعته من سرجه (ياسادة) ونظرت عبيدة ماجرى عليه فحملت تطلب خلاصه وهيهات أن تخلص الفريسة من اللبوة القانصة (قال) ونظر ظالم الى ذلك فحمل خوفا على جدته وحمل أيضا الامير عبد العزيز وقد انشرح صدره للقتال وملاقاة الابطال وقد دخل قلبه من المسرة لشيء كثير لما رأى اخوته قد خلصوا من الاسر الا انه بقى متفكر فى أمر والدته وهو لايدرى هى سالمة ام عاطبة (قال) ولم يمكنه السؤال عنها فى ذلك الوقت بل حمل وحملت بنو كلاب وعملت الصوارم فى الرقاب وحملت أيضا أصحاب بلبناس وأما ميمونة فانها كانت لقيت من ظالم أمرا عظيما وخطبا جسيما وأشرفت على الهلاك وسوء الارتباك لانها كانت تقاتل وقلبها مشغول على أصحابها وكيف رجعوا الى دين الاسلام الا انها رأت العساكر من كل جانب قد أطبقت وولت من بين يدى ظالم هاربة واختلطت بين المواكب وطلب ظالم أسرها وكانت ذات الهمة قد حطت هرمس من يدها بظاهر العسكر وكذلك فعلوا بباقى خصومهم ووكلوا بهم جماعة من بنى كلاب وعادوا الى ما كانوا عليه من الحرب والقتال وذات الهمة تقول لاصحابها ويحكم احملوا بنا حملة رجل واحد الى الناحية التى فيها عبيد وهرمس فان ولدى عبد الوهاب هناك لعلنا نخلصه ثم انها حملت وحملت وراءها بنى كلاب فلله درهم من رجال بذلوا أنفسهم أشفار السيوف وجاهدوا خوفا من العرض والوقوف بين يدى لملك الرؤوف وقد لذ لهم الموت واستعذبوه فى طاعة الرب الذى يعبدوه وهم ينادون بكلمة الاخلاص الماحية للذنوب والمعاصى التى من قالها نجى ومن تركها ضل وغوى وهى قول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ياسادة) هذا والروم قد نظروا الى بلبناس قد أسر وهرمس قد خذل وقهر عظم عليهم وكبر لديهم وخافوا من الملك أرمانوس أن يقتلهم فأرموا أنفسهم الى البلاء وهم طامعون بكثرتهم وأما ميمونة لما انهزمت بين يدى ظالم ضاقت مذاهبها وما صدقت تصير فى وسط سودانها ولما أمنت على نفسها قالت لسودانها تبثبتوا حتى أشرف

على العسكرين وأشير عليكم بما تعملوا انهم انهزموا فرأت العساكر تلتطم مثل البحر الزاخر الذى ليس له أول ولا آخر وقد عملت السيوف البواتر فى الرقاب والمناحر ورفعت الخيل يديها وبقت قائمة على رجليها من شدة ماجرى عليها الى أن بقى الليل والنهار سوى وغابوا عن عيون الورى وأظلم الفلك حتى بقى بلا ضياء وهطلت عليهم سحائب الغمام وتكردست الخيل الفواخر وطلع الغبار إلى المناخر ودارت على الجميع الدوائر وغليت نار الحرب غليان المراجل وقد حمى الشجاع المقاتل وكانوا بين رابح وخاسر ومقهور وقاهر ومبهور من خصمه وباهر وكان ذلك اليوم مثل يوم العرض على رب السموات والارض فلما رأت ميمونة ذلك وعلمت أن عساكر الروم هالكة بلا محالة لانهم بقوا مثل الغنم بلا راعى فقالت ميمونة أطلبوا ياويلكم الجبل قبل الزحام فانى أرى النار النار عليكم شديدة الاضطراب وآجالكم قد دنت بالانصرام وكانكم بالروم قد ولت بالانهزام (قال الراوى) فلما سمعت السودان هذا الكلام أداروا رؤوس الخيل وطلبوا الجبل وميمونة فى أوائلهم وهى تقول أطلبوا بنا موضع عبد الوهاب حتى نأخذه معنا الى الملك ليرتفع قدرنا عنده به فقالوا ومن أين لنا اليه وصول والاميرة قد مالت الى عبيد هرمس وربما تكون قد خلصته وما ذات الهمة ممن اذا حملنا عليها ترتد ولو كان بين يديها السد الاقصى ومن العوالم مالا يحصى فضحكت ميمونة وقالت ياويلكم قد علمت ذلك وأما عبد الوهاب فانه ما هو هناك بل قد سبقت ذات الهمة اليه وجعلته فى موضع أريده لانى قد جربت قتال هؤلاء القوم وأنهم لابد لهم ما ينصرون علينا ولى بقى منهم عشرة أنفس وأنا قد أرسلت عبد الوهاب مع أربعة أنفس من عبيد هرمس إلى هذا الجبل من قبل أن تروح فاطلعوا بنا اليه فانه محبوس هناك وتعلقوا أصحابها فى الجبل وتركوا المعمعة وما عندأحد من ذلك خبر وهم فى شدة الحال والضجر وقد أتى الله سبحانه وتعالى الذل على من كفر وتضحضح جيش الشرك وأنكسر هنالك الهرب وتمكنت منهم سيوف العرب وسقوهم شراب العطب وعمهم الويل والحرب فمنهم من طلب الهرب ومنهم من طلب الصعود الى الجبل فأما الذين طلبوا الهرب أدركتهم بنى كلاب وسقوهم شراب العطب وبعضهم طلبوا القسطنطونية لعلهم ينجوا من المنية فأدركتهم أيضا بنى كلاب بخيل أسرع من الحمام وضربوا منهم الرقاب وأخذوا عددهم وما لهم من الخيل والاسلاب وأحاط بهم الهلاك والذهاب (قال الراوى) وكانت الأميرة ذات الهمة قد قصدت المكان الذى فيه عبيد هرمس فلم تجد ولدها فأصاب قلبها عليه أعظم مصاب وأما ميمونة فانها لما سبقت الى الجبل وجدت الأربع عبيد الذين لهرمس هناك

فقالت لهم ويلكم أين أسود بنى كلاب فقالوا لها هاهو معنا وقد حفظناه لكى ومعنا أيضا بشارة تسركى قالت وما هى قالوا اننا سمعنا فى بعض الكهوف حس وقصدناه ودخلنا اليه فإذا فيه العجوز أم عبد العزيز الذى كانت معنا أسيرة وقد أخذناها ولم نجد أحدا من بناتها ففرحت ميمونة بذلك وأخذت الأمير عبد الوهاب وأم عبد العزيز وصارت تطلب القسطنطونية (قال الراوى) وقتل بعدها من الروم مالا يعد ولا يحصى وهرب من هرب وغنم المسلمون غنيمة ما غنموا قط مثلها من ذهب وفضة وجواهر وجواشن ودروع وثياب ديباج وغير ذلك هذا والاميرة ذات الهمة قد نزلت مكانها عند اياسها من ولدها وأقامت يوم وليلة وجمعت الخيول والاسلاب فوجدوه شيئا ما عليه احصاء هذا وعبد العزيز قد اجتمع باخوته وبل شوقه منهم وسأل الاميرة ذات الهمة عن أمه فأخبرته أنها تركتها فى مغارة فى الجبل ثم ان الاميرة أنفذت الرجال فى طلبها فمضوا وعادوا يخبروا انهم ما وجدوا لها أثر ولا سمعوا عنها خبر ووجدوا بعض السودان قد اندق فرسته وبقى فى الجبل منقطع عن ميمونة فلما رأته الأميرة سألته عن ولدها فأخبرها أن ميمونة قد أخذته هو وأم عبد العزيز وسارت (قال) فلما سمعت الاميرة ذلك قالت والله لقد كنت خائفة على ولدى الا يكون بعض الاعداء قد ظفر به وقتله وبعد أن أخذته ميمونة فهى ما طلب به الا الملك ارمانوس تطلب بذلك التقرب إليه وأنا أعلم أن أرمانوس ما يقتله لأنه يعلم انى خلفه وأنا قد عولت على المسير واقصد مدينة القسطنطونية بعد ثلاثة أيام لوجوه عدة أحدها لأجل الأميرة الكبيرة والسيدة الخطيرة أم عبد العزيز العلوى واخلصها من أعدائها لئلا تكون امرأة شريفة فى أيدى الكفار والثانى من أجل الملعون هرمس الذى فعل فعلا ما فعله أحد من الناس فوالله لابد لى من صلبه على باب الذهب وأنال بذلك خصلتين أحدهما تعتبر به الناس ولا يبقى أحدا من الخوارج والمخالفين يفعل مثل هذه الفعلة فى بلاد الاسلام ولا يطيع عقبة أحدا من اللئام والثالث فانى أريد بصلبه حتى نجرب صلب عقبة إذا صلبناه فان الامر قد اقترب ان شاء الله تعالى فانى ما بقيت أقبل فيه سؤال أحد لامن الخليفة ولا من غيره ثم انها بعد هذا الكلام أمرت باحضار هرمس إلى بين يديها فقدموه اليها رجالها فقالت له ويلك يا ملعون اخبرنى من الذى جسرك على هذه الفعال فقال الشيخ عقبة لعب بعقلى وها معى كتاب بخطه الى الملك ارمانوس يشير عليه أن يفعل بالبنات العلويات الشريفات المأسورات ولو كنت وصلت الى بلاد الروم فلت كلما أروم على انكم ماتقدرون أن تقتلونى لأن أميركم عبد الوهاب قد سار مع عبيدى الى القسطنطونية وأنا أعلم أن دمى بدمه مرهون لأن الملك متى سمع بقتلى قتل عبد الوهاب

وسقاه كاس العطب والذهاب وأنا فما أحول عن دينى الا أن يكون الى عبادة الصليب والزنار لأنه دين عتيق فعند ذلك بصقت الأميرة على وجهه ولطمته على رأسه كادت تطير أضراسه وقالت له ياملعون سوف ترى مايكون وتعلم من هو منا مغبون (قال الراوى) هذا وعبد العزيز قد تقدم اليه وجعل يجلده بالسوط الذى فى يده على وجهه وجنبيه مما فى قلبه عليه ثم ان الاميرة أحضرت رحله فوجدت ثياب عقبة الى أخلعها عليه المعتصم وفيها الكتابات التى تقدم ذكرهما ففتحت الكتاب الاول واذا فيه إيمان مغلظة قد حلفها عقبة لهرمس المفتون بالمسيح ودين النصرانية (يا سادة) وكان قصد الأميرة أن يصدق عبد العزيز أن عقبة نصرانى فلما رأى عبد العزيز ذلك انذهل قلبه وزاد منه الشك باليقين وتيقن كفر عقبة اللعين لما ظهرت له الدلائل والبراهين ووجدت الثياب التى خلعها عليه أمير المؤمنين ووجد فى الكتاب الآخر الذى كتبه عقبة الى ملك الروم يقول فى أوله كلمة الكفر ونحن نقول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول فى الكتاب بعد ذلك اعلم أيها الملك انى قد عملت حتى حصلت لك مثل هذا الفارس والبطل المداعس وهو يفنى أبطال المسلمين ويذل فرسان بنى كلاب أجمعين ومع ذلك فقد أخذ أم عبد العزيز وأخواته برأى فاذا هم وصلوا اليك وصاروا بين يديك أسلبهن ثيابهن فى الكنائس وأهتكهن عند سائر الروم حتى تشتفوا من عبد العزيز فى مقابلة فعله معكم وأقتل بعد ذلك العجوز أشر قتله واحتفظ بالبنات الى حال حضورى الى القسطنطونية حتى أقول لك ماتصنع وأدبر فى هلاك الموحدين ونصرة هذا الدين (قال الراوى) فلما سمع عبد العزيز ذلك رفع صوته ونادى وقال ياعقبة لاستر الله عليك ولا على أبوك ياقرنان ان كنت أراك بعدها وما أقلع عينك الصحيحة أو أعلوك بالسيف فتبسمت الأميرة من كلامه وقالت تبين لك الآن ياولدى باننا صادقين فيما قلنا لك فقال أى وحق رب العالمين وأنا معتذر اليكم فيما كنت أرد عليكم فى حقه من المقال والله لقد احتملتمونى غاية الاحتمال ولابد لى مما أعتذر الى أبو محمد البطال مما كنت أتجرأ عليه فى المقال وأنا الساعة أريد أن أشتفى من هذا الملعون هرمس عابد النار وآخذ منه بالثار لأجل مافعل بالبنات الابكار وكذلك بما فعل بالأمير عبد الوهاب الا انه ما قدر عليه وأخذه الا خديعة وهى خصلة شنيعة وأما أنا فانه ضربنى تلك الضربة وأخذتها فى جحفتى ولو علمت أن فيها تلك القوة كنت خرجت عنها وكان قلبى أيضا واثق بأن الصواعق لاتعمل فيه فوقعت الضربة صفحا وكانت الجحفة على رأسى والخودة ضيقة فكبست على أصداغى حتى غاب رشدى وعميت عيناى فوقعت مغشيا على من

شدة الضربة وقد كنت كبست البيضة على مقاتلى فقالت الأميرة صدقت يابنى لأن الحرب تارات وقد أسرنى اناث ماهم فى الحرب ولا فى طبقة هرمس فى الفروسية ولما حملت فى هذه النوبة عليه ما كان فى يدى إلا مثل الريشة فى يد الأسد على أننى قد كبر سنى وذهبت قوتى فقال هرمس تكذبى يا عجوزة السوء والله أن ملك الموت ما يفعل فعالك فاتركى عنكى هذا المكر والخديعة (قال) فضحكت الأميرة وكل من كان حاضر فقالت الأميرة يا ملعون أننى ضعيفة كما قد قلت مما فى قلبى من خوف الله تعالى لأننى ما أعلم على ماذا أقدم عليه يوم المعاد فان الأعمال موقوفة للعبد من الله تعالى أما عن القبول واما على الرد فان قبلها سعد العبد وأن ردها هلك وأما القوة التى رأيتها عند أخذك فانها قوة الإيمان وحمية الدين وصدق اليقين ثم أن الأميرة رضى الله تعالى عنها بعد هذا الكلام جمعت الغنائم وأدعت بالأمير سماق وأضافت اليه فارس من بنى كلاب وألف من السودان الانجاب وقالت له اعلم يا ولدى إننى سائرة إلى بلاد الروم وأخرب القسطنطونية وما حولها من البلاد وأنهب الأموال وأخرب ديار الكفار والأطلال ولا أفارقهم إلا بولدى عبد الوهاب وأم عبد العزيز فخذ أنت هذه الغنائم وسر إلى ملطية وأتركها تحت حوزتك وضم هذه الخيل وأتركها عندك حتى نعود إلى البلد ونقسمها على الرجال ولا نعطى لبنى سليم منهـــا عقال وساعة وصولك إلى البلد تطلب صاحب الخبر وتعلمه أن يكتب الى أمير المؤمنين بالقصة التى جرت علينا من أولها إلى آخرها وكيف قعدت بنو سليم حتى هلكت الألف فارس ويأمره أن ينفذ خلفى العساكر الى بلد القسطنطونية فان ارمانوس قد نقض العهد وفعل ما فعل ولا بد إن شاء الله تعالى مما أذله وأصلبه على باب الذهب ولو كان هلاكى قد اقترب فان بلغنى الله تعالى ما فى قلبى فلله الحمد وأن تكن الآخرى فقد بذلت المجهود فى طاعة الملك المعبود فان وقعت بالملعون عقبة قلت له هذا على سبيل التجربة وإلا فما المطلوب غير هرمس (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال سمعا وطاعة والرأى عندى أن تقيمين أياما قلائل بقدر ما تنفذ إلى الخليفة وتكون النجدة قد وصلت من بغداد والا أن دخلتى الى بلد الروم ونزاتى على القسطنطونية فيحث عليكى سائر البلاد ويحيط بكى عالم عظيم فقالت الأميرة أنا والله ما أتيت الى هذا المكان الا ولا بد لى ما أطلب ما عولت عليه من خلاص ولدى ويعلم كلب الروم أننى ما أنا عن طلبه قاعدة وأخاف أيضا أن يجرى عليه أمرا من الأمور فاذا أنا رحلت وعلى باب القسطنطونية نزلت وأن أرسل الى الملك يقول اعلمى أن الذى فعله هرمس ما كان باختيارى وأنا مقيم على صلحكم أقول إذا كنت مقيما على

فاعطيني ولدى عبد الوهاب وأم عبد العزيز ونلني من صلب الملعون هرمس على باب الذهب فقد جرى منى إيمان لم أجد لها كفارة فان فعل ذلك طاب قلبي والا أقاتل كل من فى بلد الروم ولو كانوا بعـــدد النجوم وأرجوا الإعانة من الحى القيوم ولو جاءنى كل كافر فى الآفاق حتى تصل عساكر العراق ونطلب الاعانة من الملك الخلاق (قال) ثم أنها أمرت الناس بالرحيل فضربت الكوسات ونعرت البوقات ورحلت الأميرة والعرب قد تحيرت من عظم همها وشدة عزيمتها وكيف قد قدمت على هذا الأمر الذى ما يقدر عليه أحد إلا بالعساكر العظيمة (يا سادة) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من سملق فانه سار يقطع الأرض فى الطول والعرض إلى أن شارف ملطية وكان الأمير عمر وفى ذلك الوقت فى الميدان وحوله جماعة من بنى عمه من أكابر بنى سليم يسيرون كما جرت العادة واذا بالغبار قد ثار حتى سد الأقطار فضحك الأمير عمرو والتفت الى أصحابه وقال هذا عبد الوهاب قد وصل منهزم وهذه خيل بنى كلاب فما عليها ركاب ولا فوقها أصحاب وقد تفرقوا يمينا ويسار فلأجل هذا طلع ذلك الغبار الذى قد سد الاقطار وغير لون النهار (قال الراوى) وكان هذا القول من كثرة تجاربهم وخبرتهم بالحروب على طول الازمان عرفوا أنها خيل خالية من ركابها ولكن ما سبق إلى أوهامهم أنها غنيمة (قال) فعندها أرسل عمرو بن عبيد الله عشر فوارس من بنى سليم يكشفون له الخبر فمضوا وغابوا ساعة وعادوا وقد تغيرت منهم الألوان وأنهدمت منهم الاركان وقالوا لعمرو أيها الامير والله ما عملت معنا خير فى هذه النوبة الذى ما سيرتنا مع الامير عبد الوهاب لما سار وكنت قلت له لابد ما تأخذنا معك أو جماعة من بنى سليم فانك لو فعلت ذلك كنا الساعة قد ساويناهم فى قسم الغنيمة التى ملأت الارض فى الطول والعرض فان فيها أكثر من خمسين ألف حصان ومن الاموال مالا يعد ولا يحصى ويكفيك أن معهم أموال مبدده وهم يسوقوها فلا تساق والاميرة ذات الهمة قد تخلصت وكسرت عسكر الروم ودخلت فى أعقابهم القسطنطونية وعولت على حصارها وصلب هرمس على بابها وقد ذكر سملق أنها ما تفعل ذلك الا تجربة لصلب عقبه اذا أنجزوا وعده (قال) فضحك عمرو ضحكة باردة من ذلك الكلام وقال هى والله أحقر من أن تصل اليه وأمير المؤمنين قد عرفه وعرف دينه وله به عناية وانما دخلوها الى القسطنطونية حتى تخلص ولدها عبد الوهاب من أسر الروم وأما هذه الاموال التى وصلت معهم فايش يقولون فيها فقالوا بنو سليم نحن شركاؤهم فيها نأخذمنها مثل ما يأخذون لان الامارة لنا والتقدمة فينا ونحن اليوم فى عسكر عظيم ونقدر نأخذ هذه الاموال كلها غصبا أن يعطونا لم قسمنا منها (قال) وكان الامير عمر بن عبيد الله من هذه الايام قد أنفذ

الى أمير من أمراء العرب يقال له ناقد بن فهد العبسى ونقله الى ملطية هو وقومه وكان فى خمسة عشر ألف فارس من بنى عبس وكان سبب ذلك أنه كان غضب على أخيه الامير فوفل ورحل برجاله الى ملطية لانه كان بينه وبين الامير عمر وصداقة عظيمة ومحبة جسيمه من أيام أبيه عبيد الله فلما بلغ عمرو أنه غضب على أخيه أرسل اليه هدايا والتحف والاموال والطرف وطلبه فسار اليه وقدم عليه فانزله فى دار حسنه وأعطى له له ولقومه خمسين قرية وثلاث حصون وأقام القوم مستوطنين (قال الراوى) وبنو عبس هم جمرة العرب فقوى قلب الامير عمرو بهم وزاد طمع بنى سليم فى بنى كلاب من ملطية ويتركك أنت ورجالك مكانهم ويعطيكم الاقطاع التى لهم فقال اذا فعلت ذلك جمعت لك قبائل العربان من كل جانب ومكان مقدار مائة ألف عنان يحفظون ثغرك ويشدون ازرك ولما وصل الامير سملق الى البلد دخل بالغنائم كما أمرته الاميرة ذات الهمة هذا وقد انفطرت مرائر بنى سليم كما ذكرنا مما شاهدوا من الاموال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما أمسى المساء وأظلم الليل أنفذ سملق الى صاحب الخبر الذى للخليفة فأتى اليه وسلم عليه وفرح بسلامته فنهض له سملق وخدمه وذكر له وصية الاميرة وأمره أن يكتب الى أخيره بأمر غير هذا فانك لولا وصولك فى هذه الايام كانت الفتنة وقعت بين نساء بنى سليم ونساء بنى كلاب وربما كانوا نساء بنى سليم بحماقتهم نهبوا بيوت بنى كلاب ونفوا نساءهم من بيوتهم وقد عولت أن أكتب الى الخليفة بجميع ما جرى وأما أنتم تكونوا على حذر من أنفسكم من الأمير عمرو بن عبيد الله فان مالكم به طاقة فقال سملق ياأخى كيف ذلك وايش الذى جرى بين النسوان فقال اعلم أن بعض سودان بنى سليم اختصمت هى وامرأة من بنى كلاب فى هذه الأيام فقالت السلمية وكان حولها جماعة من سودان بنى كلاب مابقى لكن فى ملطية إلا القليل وتخرجون منها وتسكن بنى عبس فى دوركم ومنازلكم فقالن ما أتن عليه فلما سمعن نسوان بنى كلاب ذلك الكلام لم يسكتن لهن بل وقعن فى السلميات وضربوهن ضربا شديدا وسمع الأمير عمرو بذلك فانفذ إلى الكلابيات يقول والله العظيم لئن لم تقصرن عما أتن عليه لأخرجكن من ملطيه فانفذن اليه يقلن له والله أنت أقل من ذلك وأقصر أيادى عن ذلك ياترى بأى لسان تقول لنا ياعمرو هذا المقال أما علمت أنك ما أعطيت الامارة إلا برضا رجالنا وأيضا بمراعاة الأمير عبد الوهاب ولو أن أحدا جاء يقول لنا أخرجن من البلد من غير إذن أمير المؤمنين لكان تكون سيوفنا إلى هامه أقرب من لسانه إلى كلامه ولكن أين كان هذا الكلام ونحن فى أرض الحجاز والنجابة تاتى إلى رجالنا بالكتب من عند أمير المؤمنين

يسالوهم على نصرة الدين دين سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وكان أمير المؤمنين فى الموصل محصور مقهور وملك الروم نازل عليه وقد أشرف على هلاك التنفس حتى أدركته رجالنا برماح سدت شعاع الشمس وحجبته أن يصل إلى الأرض وبنى سليم خمصان البطون حيارى وآخرين منهزمين وآخرين فى الأسر واقعين وهم فى القيود والاغلال والأسر والاذلال (قال) فلما بلغ عمرو ذلك أنفذ اليهن بقول أما قولكن أنا أسرنا ورجالكن تخلصن فياطال ماخلصناهم من الحتوف وأدركناهم بشفار السيوف ومع هذا فأنتن نسوه مامنكن كلام وأما الكلام فما يكون إلا مع رجالكن إذا عادوا فلما سمع سملق هذا الكلام من صاحب الخبر صارت عيناه مثل الجمر وقال والله ما يكون فى الحماقة أكثر من هذا والساعة يا أخى على ماذا عولت فقال عولت أن أكتب هذا كله إلى الخليفة وأعرفه به فقال سملق هذا هو الصواب ولقد أتيت بأمر لا يعاب فعندها كتب صاحب الخبر الكتاب وكلما أوصته به الأميرة ذات الهمة ثم أنه جنح الرقاع على خمس طيور حتى إذا ضل بعضها أو هلك يصل البعض (قال) فلما كان آخر النهار وصلت الكتب إلى بغداد وأعرضت على المعتصم فعجب من ذلك وقال والله أن هذا حديث لو كتب بالذهب لما يغلا لما فيه من العجب ثم التفت إلى قائد الجيوش وقال الساعة تسير أنت وعساكر العراق خلف الأميرة ذات الهمة حين تهين الكلب المهين أرمانوس فكم يحلف ويكذب ويعاهد ويكذب ويعاهد وينكث ويصالح ويغدر والله لقد رأت الأميرة الصواب فى صلب هرمس الملعون حتى يتأدب به غيره وأما حديث عمرو بن عبيد الله وبنى سليم والله لقد قبحوا على بنى كلاب الف مرة وبنو كلاب يحسنون اليهم وبعد ذلك فما رأينا نحن قط لبنى سليم بارقة ولا أفلحوا قط وما برحوا محتاجين إلى بنى كلاب وبنى سليم يجتمعون بسيوفهم وقد ضاق صدرى لأجلهم واستجار لى من عبد الوهاب وذات الهمة لأننا فعلنا فى حقهم كل يوم فعال لو أننا فعلناها فى حق غيرهم لما عادوا أبدا اتعرضوا لخدمتنا بل كانوا دخلوا إلى بلاد الروم ويفروا منا وأنا والله مالى فى بنى سليم حاجة ولا فى خدمتهم ولا فى أميرهم عمرو فدعهم يمضون عنا ويطلبون لهم بلاد غير بلادنا فان الأرض لهم واسعة ثم أنه أمر الوزير أن يكتب كتاب إلى عمرو وأن ساعة وصول هذا الكتاب يرحل هو وبنى سليم عن ملطية إلى أرض الحجاز وانى لهم غير محتاج فدعهم يرحلوا يوم يصل اليهم الكتاب فانى قد غضبت عليهم لبغيهم واكتب فى آخر الكتاب أن وصل عسكرنا إلى ملطية وهم فيها فقد أمرت برمى رقابهم كلهم وأول ماتضرب رقبة عمرو أميركم ثم زاد به الغيظ وصار يشكر بنى كلاب ويذم بنى سليم ثم

أمر برفع الطائر بالكتاب وأن يطلقه من ساعته (قال) فعندها تكلموا الذين كانوا يعتصبوا لعقبة ولبنى سليم وقالوا ياأمير المؤمنين اعلم أن للامير عمرو بن عبيد الله ولبنى سليم على مولانا خدم كثيرة وهؤلاء قوم عرب وبينهم مصاهرة ونسب وان اختصموا اليوم اصطلحوا غدا والأمير عبد الوهاب على كل حال تربية الأمير عبيد الله وهو يرعا له ذلك فمولانا حرسه الله تعالى لايفرق بينهم فما لهم إلا بعضهم البعض ومع هذا فنحن نكتب إلى عمرو ونعرفه ما كنت عزمت أن تفعله فيهم وجميع ماجرى عليك وأننا سألناك العفو عنهم ثم أننا نأمره فى الكتاب يسير فى سائر بنى سليم وبنى عبس ومن قد جمع من العرب خلف الأميرة ويعينها أن تصل عساكرنا اليها فبينما يصل عسكرنا إلى ملطية يكون عمرو قــد وصل إلى القسطنطونية ويقاتل مع الأميرة مع مامعها من الجيوش فاننا ما ندرى ما يكون أما الأميرة فانهـا سارت فى جمع يسير فلما سمع المعتصم ذلك صغى اليهم ثم قال ويجب أن تنفذون جميع ما ذكرتم وما ذكرت أنا فى أول الكتاب الى عمرو وما كنت أنا معول عليه فى حقه فقالوا سوف نفعل ذلك يا أمير المؤمنين (قال) الا انهم لم يزالوا يسألون حتى أجابهم الى ذلك ثم كتبوا الى الأمير عمرو يعنفوه ويهددوه ويلوموه على ما فعل فى حق بنى كلاب ويعلموه بما جرى فى حضرة المعتصم وبما أراد أن يفعل فى حقهم وبما أثنا على بنى كلاب من الثناء الحسن ويعلموه بما أراد أن يفعل فى حقك من النفى عن ملطية واننا قد طيبنا القضية بكذا وكذا فاذا قرأت هذا الكتاب لايكون لك جواب الا أن تجمع كل من عندك من الاعراب وتلحق بالأميرة الى القسطنطونية لأن أمير المؤمنين قد عرض له مرض وإلا ما كان سائر الا بنفسه وها هو قد جهز ثلاث مائة ألف فارس ترك وعجم وأكراد وديلم وعرب وغيرهم والعسكر بعد صلاة الجمعة معول على المسير فاجهد جهدك وطاعتك وسر من وقتك وساعتك لعل أن ينصلح أمرك مع بنى كلاب وإلا إن توانيت كان سببا لنفى بنى سليم من ملطية الى آخر الأبد ما قام قائم وقعد فانكم ما أنتم مثل بنى كلاب فانهم لو نفاهم الخليفة من هذه الديار خرجت اليها الكفار وما تركت فيها ديار وما يكون فيكم ما تدفعون عن أنفسكم ولا عن أوطانكم فيحتاج أمير المؤمنين حفظه الله أن ينفذ الى بنى كلاب ضرورة وأما أنتم بخلاف ذلك اذا نفاكم أنتم ما يبالون لأن فيهم من يحموا الثغور ويضربوا رقاب كل فاجر كفور (قال) ثم أنفذوا هذا الكتاب الى الأمير عمرو بن عبيد الله فلما وصلت اليه الكتب جمع بنى سليم اليه وقال قد جاءنى كتاب من عند أمير المؤمنين فما فتحته ولا أدرى ما فيه ولا شك ان القاضى عقبة قد حرك على بنى كلاب ساكن وقد أنفذ الخليفة يأمر بنفيهم

وإبعادهم عن أرض ملطية وقد نلنا من نفيهم الغرض وأنا أعلم انني لو كنت كاتبت الخليفة فى أمرهم كان قد نفاهم من هذه الأرض والديار وسعة هذه الأقطار ثم انه فتح الكتاب ونظر ما فيه من الخطاب فاصفر لونه وذبلت شفتاه وصار وجهه عبرة لمن يراه فلما رأوه بنى سليم على هذه الحالة قالوا ماشأنك أيها الأمير أليس ماقلت أنت لنا قال لا والله يابنى عمى ماتم شىء مما قلت لكم ثم انه أعاد عليهم مافى الكتاب فتغيرت وجوه بنى سليم وقالوا له ايش الرأى الذى تراه لنا فيه المصلحة أيها الأمير فقال قد عولت على المسير فانى مابقيت أقدر على المنام بعد ما وصل الى من الكلام وأنا أعلم انه ماجرى علينا هذا الا بغيبة ابن عمنا عقبة والا لو كان حاضرا ما كان أحدا على هذا الكلام قادر ثم نادى من يومه فى ملطية يأمر الناس بالرحيل الى صوب القسطنطونية ثم انه خرج من ساعته وخرجت بنو سليم وأحلافها وبنو عبس فكانوا سبعون ألف فارس ومن الغد وسار يطلب القسطنطونية وقد زادت بغضته لبنى كلاب فهذا جرى ههنا (وأما ماكان) من بلاد الروم وأخبارها فان ميمونة وصلت الى القسطنطونية ومعها الامير عبد الوهاب وأم عبد العزيز ودخلت على ملك الروم وأعادت عليه ما جرى من الكسرة فقال لها بعد ماسلمتى أنتى ما أبالى بما جرى ولا سيما ومعكى أسود بنى كلاب فانما كسرنا على الموصل سواد ولا بد لى من قتله وأريح النصرانية من شره ثم انه سألها عن هرمس المجوسى فقالت أسرته ذات الهمة ونهبت سائر أموالنا ورحالنا ولا شك انها تعود الى بلاد الإسلام من شدة فرحتها بما كسبت من الأموال وبعد ذلك تكلمنا من أجل ولدها عبد الوهاب وخلاصه فقال الملك أرمانوس وحق المسيح ما بقى عبد الوهاب يخلص من يدى أبدا ولو خرج كل من فى الأرض ثم قال الملعون ولا بد لى ما أشفى قلبى وقلب الشيخ النجيح وفى غداة غد أضرب رقبته وأصلبه على باب البلد وان بعث الخليفة يعتب على فى ذلك احتججت بأصحاب دمدرى وأقول انهم قتلوه لأجل انه قتل ملكهم وما قدرت ان أمنعهم لأن ماكان لى بهم طاقة لأجل كثرتهم ولو تعرضت عليهم نهبوا القسطنطونية وقتلوا كل من فيها فلما ان سمعوا الملوك ذلك قالوا هذا هو الصواب والرأى الذى لايعاب وفتحت لهلاك الاسود أحسن باب ثم انهم باتوا على أكمل مسرة وكذلك بطارقة الروم وعوام البلد (قال) وبلغ الحديث الى الرساتيق والاديرة فجاؤا الجميع الى القسطنطونية يهرعون من كل فج عميق وواد سحيق حتى سدت بهم الطرق وجميع الافق حتى ان الرهبان نزلوا من الصوامع وهم يقولون مادام المسيح يقلع عنا عبد الوهاب ما نبالى بمن سواه من سائر الاعراب فان بعد هلاكه تتفرق سائر الاعراب وبنى كلاب فهم الذين

يرمون الروم بالعذاب (قال) وفتحت كنيسة صوفيا وهى الكنيسة الكبرى وعلق فيها الصلبان الجوهر وقناديل الذهب والفضة وأظهر الروم أموالا عظمية لاتخطر على قلب بشر وشيء يذهل الفكر من الدر والجوهر وخرجت النسوان من الخدور والدور والقصور وهم فى غاية مايكون من السرور وراخين على أكتافهم الشعور وسكبن الخمور وكان يوم مشهور وأقبل سياف الملك وبيده سيف مشهور وكان اسمه نقولا وهو كافر فجور وكان عبد الوهاب قد قتل أباه فى زمن الرشيد وقتل أخاه فى زمن المأمون وقتل له ولدين فى زمن المعتصم فأتى اليه وقلبه ملآن بالغيظ عليه وبات تلك الليلة يعذبه وقد طار النوم من عينيه (قال) وكان كل ساعة يهز السيف فى وجهه ويهدده بالقتل (قال) وفى تلك الليلة دخلوا أصحاب دمدرى على الملك أرمانوس وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا أيها الملك والقيل الجسيم نريد من تفضلك واحسانك واكرامك وامتنانك انك اذا قتلت أسود بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب أن تعطينا رأسه فقال لهم وما الذى تصنعون به قالوا تكون معنا حتى إذا رجعنا الى بلادنا وسألنا الملك عن ولده نقول هذا الرأس الذى قتله والمسيح اليه نقله لأن ملكنا جبار من الجبابرة لم يولد فى زمان الجبابرة اعتى منه ولا أجبر ولا أقبح فعال وقد سمى نفسه غضب وأيضا أنه اذا سمع بجارية مليحة بارعة فى الحسن والجمال يروح يأخذها من أهلها غصبا ثم انه لايبالى ان كانت زوجته أو ابنته أو أخته وماتحمل اليه إلا مزينة بالجوهر والحلى والحلل فتبيت عنده تلك الليلة فاذا أصبح الصباح ركب الى ميدانه ثم يعوم يدخل اليها ويقول اعلمى ان المسيح غضب على لأجل نومى معكى ثم انه يخلع عنها ثيابها والحلى التى عليها ويأمر غلمانه بقتلها فيقتلوها وفى البحر يرموها وقد قتل بهذه الفعال من النساء مالايقع عليه احصى بعدد الرمل والحصى وهذا ولده دمدرى قتل مأتى الى ههنا الافزعا من أبيه لانه كان له ولدين أحدهما يقال له عبد الصليب وهذا دمدرى الا ان عبد الصليب كان أكبر وانه فى بعض الأيام استنقص فعل أبيه فلامه عليه فوثب اليه وطرح يده على رأسه وكبس عليه أخرج مخه من بين أذنيه وبقى هذا دمدرى فلما كبر ورآه على طريقة البغى والتجبر أراد أن يعتب عليه فى ذلك فنصحه بعض البطارقة وقال له يادمدرى إياك ثم إياك أن تحدثه فى ذلك فيفعل بك كما فعل بأخاك بل ان قدرت تلاطفه فافعل فقال دمدرى سمعا وطاعة ثم انه وثب من وقته وساعته ودخل على أبوه وجعل يلاطفه ويعاتبه على فعله وقال له ياأبتاه اعلم ان هذه الفعال التى تفعلها من جملة الجهل لأنه فعال كل اثيم وأخاف أن يشيع عنك هذا الكلام فى سائر الأقاليم وتسمع الملوك بفعلك وانك تطلب من الانسان أخته أو بنته فاذا امتنع من ذلك

أنفذت اليه أنت و تأخذها غصبا حتى انك اذا خلوت بها و نلت منها غرضك أصبحت قتلتها وهذا مما يعرض مملكتك الى الزوال و نفسك الى الوبال واعلم أن الناس قد سألونى أن أسألك وأريد منك أن لاترجع تسمى نفسك غضب المسيح واذا طلبت جويرية ووصلت اليك فلا تصبح تقتلها بل إذا فرغ لك منها ردها الى أهلها أو اتركها عندك مثل بعض الجوار ياملك الزمان فلما سمع أبوه ذلك صعب عليه وقال له ويلك أنت تعايرنى بشىء أمرنى به المسيح لئن عدت تتكلم بهذا الكلام مرة أخرى لأفعلن بك كما فعلت بأخيك الذى قتلته وهو عبد الصليب فلما سمع دمدرى ذلك من أبيه اغتاظ غيظا شديدا وخرج من عنده غضبانا فجمعنا من الرساتيق والقرى وسار بنا الى ههنا والساعة فهو قد قتل أيها الملك كما علمت ونحن نريد نرجع الى الأوطان ونحن نعلم ان لم تكن رأس الأسود عندنا حتى نريه لملكنا و نقول له هذا الذى قتل ولدك والا هلكنا عن آخرنا ويكون قتل ولده سببا لهلاكنا وسبى نسائنا وأخذ أموالنا (قال) فلما سمع ارمانوس ذلك تعجب غاية العجب وبقال وحق المسيح عمرى أنا ماسمعت بهذا الحديث ولا أعجب منه لاننى كنت أسمع حديث بلادكم وجزائركم و يقال ان عندكم الزمرد ومنابت الذهب ومعادن الجوهر والنحاس والزيبق شىء كثير لايوجد مثله فى غير تلك الأرض وسمعت أن ماخاف بلادكم عماره لأن سيدنا المسيح ذكر فى الانجيل قسمة الدنيا وقد سمعت أن المسلمين ذكروا أن نبيهم قال مثل ماقال المسيح أن الأرض مسيرة خمسمائة عام ويقال ان بلادكم آخر العمار وأول الخراب وأما هذه الأخبار التى ذكرت عن ملككم فقد سمعت بقوته وشدته وسمعت أن ملوك القسطنطونية المتقدمة كانت خائفة منه أن يخرج اليها ويأخذ الملك لان عندهم من القسطنطونية ماتصلح ان تكون رستاق لبلادكم لأجل مافى أرضكم من الأشجار والأثمار التى لايوجد مثلها فى سائر الأقطار وكذلك التى ذكرتها لكم لان دياركم البلاد القديمة وهى التى نزلت فيها قدرة المسيح وبلاد الروم عند الحكماء مقسومة أقسام أما طولها فانه عند الحكماء ثلاثة أسباع والجنة سبعين اقليما واما بلادكم فانها أربعة أسباع وهى أطيب البلاد والقلاع والضياع ومع ذلك فان أمركم عجيب لأنكم فى هذا العالم العظيم والخلق الكثير فأى شىء يحملكم حتى تفعلوا هذا الفعل الزميم فقالوا له أيها السيد انما نصبر طاعة للمسيح فصلب ارمانوس على وجهه وقال وبحكم المسيح امركم أن تسلموا الى هذا الشيطان بناتكم فقالوا نعم أيها الملك وذلك أن ملكنا اول ماتعرض لهذه الأشياء تشاجر هو وأهل الجزائر وثاروا فى كثير من العساكر وغيرهم فلما أن رأى الى ذلك منهم حلف لهم انه لايرجع الى مثل ذلك الى ثلاث سنين ثم دخلنا الى البيعة الكبرى التى نزلت فيها أنوار السيدة مريم أم

النور فرأينا القسوس كلهم قد كشفوا رؤسهم والبترك مشدود الوسط بينهم وقدعلا صياحهم ورموا الى الأرض نفوسهم فتأملنا ماعندهم فرأينا بين أيديهم طائر على هيئة الباز الا انه كبير الجسدمثل النسر العظيم جناحاه من الزمرد الاخضر وعيناه جوهرتان تسوى كل جوهرة منهما ملء هذه الأرض ذهبا وبدنه كله ذهبا وهو مرصع باليا قوت والزبرجد المنتخب وعليه من الجوهر مالا قيمة له ورجلاه من المرجان وهو قائم على سرير من الفضة البيضاء مارأينا قط مثله ورأينا السرير يمشى به من غير أن يرفعه أحد وكنا فى ذلك اليوم أكثر من عشرين فارسا ثم انه رفرف بجناحيه ونحن ناظرين اليه ثم انه صاح صوتا ماسمعنا قط مثله من آدمى وهو يتلوا الإنجيل فوقفنا مثل مايقف سائر الرهبان والقسوس ونحن باهتين اليه مكشوفين الرؤوس ثم الطائر جعل يزهدنا فى هذه الدنيا ويأمرنا بالمواظبة والعبادة والاحسان للغريب ولبعضنا البعض وقال أعلموا اننى ابن المسيح وهاهو قد أرسلنى اليكم أجمعين حتى أكون حجة لكم على المسلمين وأمرهم أن يدخلوا فى هذا الدين واعلموا أن الدنيا قد حان أرتحالها ودنى زوالها فانعكفوا على العبادة واعلموا أن المسيح قد من عليكم بهذا الملك لاجل ما رأى من عبادتكم له ثما وجد لكم ملك مثله لأنه حسن السيرة صافى السريرة وأن ذلك الفعل الذى أن يفعله وانكرتم عليه فهذا من باب الامتحان حتى يعرفكم سيركم وطاعتكم للمسيح بذاك يرحمه وينقل الجارية الى النعيم ويوصلها الى الناسوت العظيم (قال الراوى) ثم قالوا البطارقة أيها الملك انا لما سمعنا هذا الكلام ونحن جماعة نادينا كلنا سمعا وطاعة وكان أول من قال ذلك البترك الكبير وحمل ابنته الى الملك وبنا الملك على ذلك الطائر قبة من الرخام وصفحها بالذهب الوهاج ورصعها بالدر وأصناف الجوهر وجعل عليها بابا من العود القمارى يقفل من الذهب وكان لايظهر الا من السنة الى السنة فيعلم الناس بما يأكلون فى بيوتهم وما يعملون يظهرون وما يتحدثون به مع نسائهم ويعلم بأسماء الاولاد الصغار وكل من يكون عندهم فى الدار مثل ماكان يفعل المسيح وقد صار الناس ينذرون له النذور من سائر الاقطار وفى هذه الايام وصل الينا من بلادنا جماعة وأخبرونا انه قد أمر الناس بالجهاد الى بلاد الإسلام وان الملك معول على الخروج فى هذا العام الا اننا نخاف اننا اذا عدنا اليه وأخبرناه بما شاهدناه من أمراء المسلمين ومن شجاعتهم لايخرج الى هذه الديار ولايقرب هذه الامصار (قال الراوى) فلما أن سمع الملك كلامهم قال لهم نعم ماقلتم والصواب الذى به أشرتم فما أنتم الا قد نظرتم وشاهدتم منهم ماشهدتم فانى لا أقدر أقتل عبد الوهاب الا بحجتكم

وأنا أعلم أن امه اذا سمعت بقتله ماتقعد عنا ابدا (قال) وبقى الملك أرمانوس فى قتل عبد الوهاب مقدم مؤخر لأنه مايدرى على ماذا يقدم ويخاف انه أن قتله يندم ثم انه بعد ذلك أقبل على الملوك والبترك الذى له وقال وحق المسيح أن هذه الآية التى ظهرت فى ديار هؤلاء القوم أن الحج اليها مثل الحج الى قمامة ولو علمت الروم بذلك لسارت اليه بأسرها فليت المسيح انزل عندنا آية أخرى ويأمر الروم الذين فى هذه الأقاليم ما أمرهم فى ذلك الاقاليم فقال البترك أنا أراك تخلط فى كلامك أنا ماعندى هذا صحيح (قال الراوى) هذا وقد عزم الملك على قتل الامير وأمر سيافه أن يجرد السيف وكان عبد الوهاب حاضر وقد سمع جميع الحديث الذى تحدثوا به فهم كذلك واذا قد دخل جماعة من البطارقة وهم يصرخون ويجلبوو فقال لهم وقد انذعر ويلكم ما الخبر فقالوا له أخرج أيها الملك أنت والعساكر الى القتال والحرب والنزال فان الاميرة ذات الهمة قد وصلت الى مرج الجبيل وهى فى غداة غد تنزل على القسطنطونية وقد أخذت فى طريقها ثلاثين الف أسير ما بين أمرأة وراهب وقس وطفل صغير وقد أقسمت بدينها انه أن سقط من راس ولدها شعرة واحدة قتلت كل من معها من الاسارى ولا تبرح من القسطنطونية حتى تفتحها وتقتل كل من فيها كبير وصغير وتصلب على بابها أبونا البترك (قال) وكان البترك حاضر يسمع فقال أيها الملك ماهذا الا خبر طيب أن كان قتلى وقتل أهل بلدك يرضيك وانت أيضا لابد أن تكون فى الجمله فانى أعلم انها ماتخليك فى عافيه فوالله اياك لاتتعرض لهذا الرجل الا بالخير فانها والله ماتحلف قط وتكذب وبهذا هى معروفة فليتها لاتدخل بى فى الوسط ولا جعلت يمينها معلقة بى فقالوا البطارقة وحق المسيح ياأبونا لقد حلفت وجعلت يمينها فى موضعها لأنك أنت أوفا النصرانية كما أن ابنها أوفا الحنيفية فقال البترك كنت أريد أن أكون مافى بلد الروم ولا فى بلد الاسلام أحق منى ولا يكون بينها وبينى معامله (قال) وكان هذا الأمر من تدبير مارس وأخيه درس وذلك انهم ادعوا بعشرة من البطارقة وقالوا لهم اعلموا أن الملك قد عول على قتل هذا الرجل عبد الوهاب وسمعنا أن أمه قد عولت على المسير إلى هذا البلد وأنا أعلم أن الحرارة ماتقع إلا فى الرؤس من الروم لأنها تضرب رقابهم وتنهب جميع أموالهم وما فى الأمر إلا أننا نخدع الملك ونرده عن غرضه ونحذره من جانبها ونقول له كذا وكذا حتى لايقتل عبد الوهاب ونقول أن هى وصلت وإلا أنت قادر على قتله ويكون هذا الفعل عند عبد الوهاب موضع كبير ويراه لنا يوما من الدهر إن أنتم وقعتم فى شدة يكون لكم عونا عليها فانه رجل ما يضيع معه الجميل وأنتم تعلمون كيف أخص المودة مع يانس المتغرب حتى أن

ملوك الروم إذا أرادوه لم يصل اليه أحد ولا يقدر عليه أبيض ولا أسود فلما سمعت البطارقة كلام مارس قالوا هذا هو الصواب فعندها أعطا مارس لكل واحد منهم ألف دينار حتى أرغبهم فى ذلك ففعلوا ماذكرنا ودخلوا على الملك كما شرحنا فلما أن سمع الملك كلامهم وكلام البترك عظم عليه وكبر لديه وأمر أن يرفع عبد الوهاب إلى موضعه الأول ونادى بعد ذلك المنادى فى القسطنطونية بالخروج إلى القتال فأخذت البطارقة أهبتها وهم يقولون ذات الهمة ماتأتى إلى القسطنطونية إلا فى بنى كلاب لاغير وإن كان ذلك الأمر كذلك ففرسان هذه البلد يأخذوهم ويفنوهم وإنما الملك فعل ذلك حتى لايقتل عبد الوهاب فانه خائف من المسلمين وقد قال القائل الفال موكل بالمنطق وكانت الأميرة فى ذلك اليوم قد نزلت على مرج الجبل حقيقة وبات الملك تلك الليلة وقد أنفذ له خيل تأتيه بالخبر فساروا وغابوا ذلك اليوم وفى اليوم الثانى عادوا اليه وهم صارخين وأخبروه أن الأميرة قد وصلت إلى قريب البلد وفى يدها أكثر من أربعين ألف أسير فلما سمع الملك ذلك صح عنده الخبر وقال صح الحديث وحق المسيح وقد زاد عدد الأسارى عما كنا سمعنا ولقد سلمنا أن نقتل عبد الوهاب وما كنا بعد ذلك ندرى ما يجرى علينا (قال الراوى) إلا أنه لم يصبح الصباح لم يدرى إلا ورايات الأميرة قد طلعت والاعلام الاسلامية قد ظهرت وعليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بعضها مكتوب نصر من الله وفتح قريب (ياسادة) فعندها خرج ارمانوس فى عالم عظيم وخلق كثير وقد فرح لأجل وصول الأميرة فى بنى كلاب لاغير وأيقن أنها فى كفه وقد أخذها فكتب على أجنحة الطيور إلى الأقاليم القريبة منهم يستنفرها ويحثهم على المسير اليه والقدوم عليه ويستعجلهم فى مسيرهم ثم أنه بعد ذلك أرسل إلى الأميرة ذات الهمة يقول لها أيها الأميرة أخبرينى ايش السبب الموجب للدخول إلى بلدنا والفساد فى أرضنا بعد الصلح والهدنة الذى بيننا فان كان هذا طمع فينا فسوف يعود بغيكم عليكم فلما أن وصلت هذه الرسالة إلى الأميرة قالت للرسول ويلك ياملعون قل للذى أرسلك سوف تعلم على من تدور الدوائر والله لافعلن فى حقه مالا فعلته فى حق أحد من الروم أيعايرنا الملك باسمه بالغدر ويكسونا ثوبه فى المكر فاننا ما غدرنا فى قول ولا خنا فى يمين بل هو الذى احتال علينا وأنفذ عساكره مع زوجته الينا فنصرنا الله عليه لأن الله ولى المؤمنين وجار الخائفين وقد أخذنا عدونا أسير وقدناه ذليل حقير وهو هذا هرمس الشرير ولا بدلى من صلبه على باب القسطنطونية بلا محالة فمن كان الملك قد رجع عن فعله وهو كما ذكرتم مقيم على الصلح فيطلق الأمير عبد الوهاب ويدعنى أصلب

هرمس على باب الذهب من غير اعتراض وأن هو أبا ذلك فما بيني وبينه شيء غير السيف (قال الراوى) فعندها عاد الرسول اليه وقد رأى من الأميرة فى ذلك اليوم مالا رآه منها فى ذلك اليوم مالا رآه منها فى غير هذه النوبة من الحراد فلما وصل إلى الملك أعاد عليه ماسمع فغضب غضبا شديدا ونادى فى الروم فركبوا وإلى نحو الأميرة طلبوا وكانت الاميرة رضى الله عنها فى مائة ألف فارس من بنى كلاب لاغير وكان قد قتل منهم جماعة فى الوقعات المتقدمة وكان فيهم عشرين ألف أسود عليهم صدور الزرد وفى أيديهم السيوف والعمد كأنهم سباع الرصد (قال) وتصادمت الجيشان واختلط الجمعان وعمل الصارم اليمان وطارت الرؤس عن الأبدان (قال) وكان عدد الروم فى ذلك اليوم ثمانمائة ألف والأميرة فى مائة ألف فارتجت بهم الارض فى طولها والعرض من شدة الركض هذا وقد انحنت فى قرابيص السروج واختبطت العرب والعلوج وقطعت الأيادى وأرميت وتارت نار الحز واشتعلت واستعانت الرجال بالصوارم فعملت والعقول مما عاينت قد اندهشت واندهلت وفاضت الدماء من الآماق وهطلت وارتجت الأرض وتزلزلت وأرمت السودان أنفسها عن الخيل وترجلت وهللت وكبرت وزجرت ونادت باختلاف ألسنها وهمرت بأصواتها مثل الرعود إذا صاصات ونظرت الروم إلى فعالها فصاحت من الفزع وولت هذا وقد حمل منهم سهلب وقراقد وقرقود وعبد الواحد والمساح وأبو الاذان وملابط البغال والراقد وأبو الهزاهز وحامد وسملق والمجاهد والمجالد وطمطم وطماطم وباب الدروب وأبو العرقوب والضبيع والهلوب والقمام وأبو الفراقع والصراع ومناطح الصخر وأبو مقلاع والمخلوع وأبو عزيز وأبو كراع الأصم والشيص والشيصبان وباقى السودان وهجموا على الروم وعرقبوا الخيل وأرموهم بالخبال والويل وأرموا فى الحال عشرين ألف حصان ووقعت من على ظهورها الفرسان فداسهم الجميع بالعدد ودرسوهم بثقل العمد وداسوا عليهم وهجموا على مواكبهم فانهزموا خوفا على خيولهم وصار الرومى يقول لرفيقه روح ويلك ياقرنان قبل أن يعرقبوا جوادك السودان ويخرجوا بالعمد مخك مع الآذان (قال الراوى) فوقعت الروم على بعضهم بعض وهجوا على وجوههم إلى أن وصلوا إلى خيامهم فعظم ذلك على الملك ارمانوس وخرجوا اليه الناس من البلد بقدر عدد الأوائل ووصلوا أيضا أهل القرى والسواد إلى أن صاروا فى عدد لايحصى بعدد الرمل والحصى وأنهم أحاطوا بالأميرة ذات الهمة وأصحابها من كل جانب ومسكوا عليهم مطرقات والمذاهب هذا والاميرة تهيج فى وسط العجاج وتفنى الروم بقوة الضار بها والامير عبد العزيز إلى

جانبها وقد صدموا الروم بصدورهم وكذلك الامير ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم وأمراء بنى كلاب وقد قاتلوا بقلوب نقية وأسرار مضية وهمم عليه ونصروا الشريعة المحمدية ولم يزالوا كذلك الى وقت الظهر فوصلت عساكر اللان فى مائتى ألف مستريحة وكانت الاميرة وأصحابها فى غاية من التعب إلا أنهم صبروا صبر الكرام وضربوا فى وجوه الكفرة اللئام وجاهدوا فى طاعة الملك العلام إلى أن صار من الاوقات العصر فاندفعت الاميرة إلى ورائها وقد رأت بنى كلاب قد تعبت وتعتعت الا أنهم صبروا الى الليل وباتوا يحرسون أنفسهم إلى الصباح فعندها حملت الطائفتين وتقابل العسكرين وكانت السودان أصحاب العمد الحديد يضربون فى وجوه الخيل فتهرب من بين أيديهم ولا سيما اذا ثاروا اليهم بسيوفهم هذا والبترك قد جعل يوبخ الروم ويقول ياويلكم هذا حالكم وأنتم أضعافهم مرار وأنتم كل يوم فى زيادة وهم فى نقصان وما بقى يرجع الى ديارهم منهم انسان (قال الراوى) يا سادة يا كرام وباتوا فى غاية من التعب الى أن برق ضياء الفجر ودار قرن الشمس خرجت الاميرة فى أوائل الناس وقد اصطفت الصفوف وأشهرت السيوف فخرجت من بين الصفين وصارت فى وسط العسكرين ونادت هل من مبارز هل من مناجز هذا يوم الهزاهز دونكم واياى أنا مقدمة الجيش وأم الذى لم يعتريه كسل ولا طيش الأمير عبد الوهاب الذى عندكم فى الاسر والعذاب ها قد خرجت الى الطعان والضراب فاما أن تأخذونى وأكون عندكم أنا وولدى أسارى أو آخذ منكم من يكون لولدى الفدا فقال الملك أرمانوس لاوهبكى المسيح عافية الساعة تصيرى عند ولدكى (قال الراوى) فلما قال ارمانوس ذلك أقبل عليه ملك اللان وقال له أيها الملك هذا يقبح من مثلك أن تقول فى حق هذه المرآة هذا المقال وتصد الناس عنها وتخوفهم منها فضحك ارمانوس وقال وحق المسيح والإنجيل الصحيح إنى لصادق فيما قلت فى حقها فان كان فيك أن تخرج اليها فما تكون إلاعلى خطر عظيم منها فقال ملك اللان أنا أخرج اليها فاذا أنا أخذتها تمكننى من أخذها معى إلى بلادى فقال ارمانوس لا وحق المسيح بل إذا أنت ملكتها قتلتها فى بلدى القسطنطونية وإذا قتلتها أعطيتك رأسها ويكون معك أيضا رأس أبنها فلما سمع كلامه فرح بذلك وحمل على الأميرة وكان يقال له شعشعونا بن ديدين وهو جبار من الجبابرة الموصوفين والأبطال المعروفين وقد رأى ما أوعده به الملك فحمل على الأميرة وأشار اليها بالرمح وكان تحته حصان مليح عربى ورمح خطى وسيف هندى ودرع داوودى وعلى رأسه بيضة عادية مثل الفضة النقية ثم حمل وهو يقول دونكى والبراز كما زعمتى وها أنا قد أجبتكى الى ما طلبتى فلما سمعت

الأميرة كلامه حملت وهى تقول

الا أيها البطريق دونك لبوة ٭ معـودة يوم الوغا بالهزاهز
لها عادة فى موقف النقع دائما ٭ ولا تنثنى عن حرب قرن مناجز
سيعلم هذا الجمع من كان خاسرا ٭ إذا التطم الشجعان منا وفائز

(قال الراوى) ثم حمل بعضها على بعض وتعاركا مليا وتضاربا قويا إلا أن الأميرة صاحت فيه صوتا أذعرته وأذهلته وطيرت عقله وأدهشته وخيلت له أنها تضرب جواده فستر جواده بالبطارقة فرفعت الأميرة الرمح اسرع من البرق فطعنته فى فاه طلع السنان من نقرة قفاه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ثم نادت هل من مناجز هذا يوم الهزاهز فعند ذلك خرج اليها أخو المقتول وحمل عليها بطعنة مصممة فلم ترهب طعنته بل عطلتها وضربت رمحه بالسيف طيرت أعلاه فرمى باقيه من يديه وسل حسامه من غمده وزحف اليها وحملا وتقاتلا حتى تعجبت النظار منهما إلا أنهما لم يزالا كذلك الى أن حك الركاب بالركاب وقد تعجبت سائر العالم وقد علت منهما الضجات واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة الأميرة ذات الهمة فوقع السيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه فوقع صريع يمج علقما ونجيع ثم برز اليها آخر فقتلته وآخر جندلته ولم تزل كذلك إلى أن قتلت من الروم خمسة عشر من أبطالهم واقيالهم فعندها صاحت الروم على وجوههم وقالوا وحق المسيح لو خرجنا الى قتالها من الساعة الى السنة الآتية واحد بعد واحد لما كان أحدا منا سالم فدعوا عنكم هذه الأهوال الذى خطرت بقلوبكم واحملوا عليها كلكم قبل أن يحدث من الأمور مالم يكن فى الحساب فان خليفة المسلمين مايسمع بها ويقعد عنها لأنها سيفه المشهور وحصنه على ممر الأيام والدهور (ياسادة) فعندها حمل الملك أرمانوس فى جميع البطارقة وأولاد العمالقة ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل الى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالإعتكار وعادت كل طائفة إلى مكانها وباتوا الروم ومالهم حديث إلا فى ذات الهمة وقالوا ما طول المسيح فى عمرها الا حتى يزداد علينا شرها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب أرمانوس وصاحت الرهبان والقسوس ودق الناقوس وأما المسلمون فانهم ضجوا بالدعاء إلى الملك القدوس وحمل بعضهم على بعض وإذا بغبار قد علا وقتام قد نما وهو من جانب بلاد الاسلام وبعد ساعة انكشف الغبار وظهر من تحته مائة ألف عنان من بنى سليم الفرسان يقدمهم الامير عمرو بن عبيد الله وجماعة الابطال المعروفين والشجعان الموصوفين (ياسادة) الا أن الأمير عمرو لما رأى الحروب قائمة حمل وحملت بنو سليم ونظر ارمانوس الى ذلك فانفذ

يكشف الخبر فقيل له بنى سليم قد جاؤا لنصرة الأميره ذات الهمة فلما سمع بذكر بنى سليم قال وحق المسيح لقد كنت خائفا من غيرهم و مادام انهم من بنى سليم فما أبالى بهم فانهم طعاما لسيوفنا ولو كان عسكر العراق له قصد فى المجىء لجاء مع عمرو بن عبيد الله وان الملك طمع فيهم وحمل فى الحال وعمل البتار واجتمع عمرو مع الأميرة وقال أيتها الأميرة لأى شىء دخلتى بلاد الروم وما أعلمتينى ولو كنتى أعلمتينى ماتخليت عنكى فقبلت الأميرة عذره وأكثرت من شكره (قال) ولما أصبح الصباح عمل القتال أربعة أيام (يا سادة) فتزايد الأمر على المسلمين وبان فيهم التقصير ووصل الى الملك ارمانوس نجدة أخرى من بلاد الافرنج فى مائة وسبعين قنطارية ووصلت أيضا عسكر البنجاك من الجزائر ووصل البرغل والمغلبيط واليونان والدوقس والأرمن والملافطة والبنادقة والفرنسيس وأصحاب الحصون المنقطعة وأهل السواد والقرى والفلاحين وكثرت الرجال حتى ضاقت بهم الدنيا (قال الراوى) فلما رأت الملعونة ميمونة هذا الجمع طمعت فى أخذ ذات الهمة وكل من معها وعولت على أمر لو تم لها ما سلم من المسلمين أحد وذلك انها اجتمعت بالملك أرمانوس وتحدثت معه بما تريد أن تصنع فى أمر المسلمين فقال لها ديرى ماتشتهى لعل المسيح يجعل هلاكهم على يديكى (قال) فلما جرى ذلك هاهنا يرجع الحديث الى الأمير عمرو بن عبيد الله فلما نظر إلى ما أحاط بهم من العساكر والأمم أقبل على بنى سليم وقال والله لقد وقعنا فى بحر عجاج متلاطم بالأمواج فقالوا والله لقد صدقت وإن لم تدركنا عساكر العراق والا فنحن هالكون ولا نفسنا مفارقون على ان الخليفة بنفسه إذا جاء مايقدر يلقا هذا الجيش وهذه الاميرة ماتنظر فى عاقبة الامور ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وهذه الأميرة يحملها هذا الامر الذى شاع لها فى الشجاعة تريد أن تصححه بين الناس وذلك من حرقة قلبها على ولدها تخاف عليه من الهلاك ونحن الساعة بقينا فى وسط الأعداء ولو جاءا الينا عساكر العراق لما وصلوا الى عندنا لأن خلفنا من الروم مايلقاهم جميعهم ويردهم خائبين فقال الأمير عمرو مانحن إلا حسبنا هذا الحساب اننا إذا نزلنا على القسطنطونية تنفتح علينا البلاد من كل جانب إلا أننا ماقدرنا نقعد لأنكم قد سمتم ماجاءنا فى الكتاب من عند الخليفة وكيف كان معول على نفينا من الثغور إلى الحجاز وكانت الاعداء شمتت بنا فقالت بنى سليم والله ان النفى أسلم من هذا الحال فياليت كنا نسلم وندخل إلى بلاد المسلمين ودع بنفينا الى ما تطلع الشمس فضحك عمرو من كلامهم ودخل منهم جماعة على الاميرة ذات الهمة ودخل عمرو أيضا حتى ينظر على ماذا عولت على القتال أو على الهرب فلما دخل عليها رحبت به وقامت له قائمة على قدميها وقالت

لهعسى حاجة فتقضى أيها الأمير فقال عمرو أيتها الأميرة ماأتيت إلا حتى أعلم ما أتى عليه من القتال أو من الهرب فضحكت الأميرة وقالت أيها الأمير أن لى ستين سنة أطلب من الله حاجة لعل أن يكون قد سهل قضاؤهاقال وما هى الحاجة أيتها الأميرة قالت الشهادة فى سبيل الله تعالى ولا بد ما أضرب فى قمم القوم كل ليلة ويوم إلى أن أفوز بالشهادة وأتعلق بالسعادة وأعلم أن الجهاد فرض علينا والموت لابد منه ولو عاش الانسان عمر نوح عليه السلام فلا بد من الموت ولنا اسوة بمن سلف وماكان لنا بد من هذا لأن العسكر الذى لأعدائنا قد كثر من حولنا فان أدركتنا عساكر العراق فالحمد لله تعالى وإن كانت الأخرى فمرحبا بالموت على هذه الحالة التى تتمناها الأولياء ومن يكون أسعد منا أن قتلنا فى طاعة الله تعالى ومرضاته ونصرة دينه فنكون رابحين من سائر الوجوه فلما سمعوا بنى سليم كلام الأميرة قالوا جميعهم بس بس ماكان لنا شغل ولا نسأل إلا الله تعالى أن يسهل لنا من يضرب رقابنا أكان الموت يفوتنا حتى نستعجله وإن كان قضى علينا بالقتل فلا مرد لأمر الله تعالى من قضائه وإن كان غير ذلك فان السلامة أحب الينا من القتل على كل حال ولكن إذا عولنى على الحرب لابد من الطعن والضرب ونرمى نفوسنا فى أمر صعب ونموت كرام ولا نعيش وكذلك قال الأمير ناقد العبسى لأنه عاد وجمع أصحابه وقال لهم اعلموا أنكم ما بيضتم وجوهكم قط وما كان لكم شغل الاشن الغارات بعضكم على بعض وهذا يوم تمحى عنكم فيه السيآت وما قدمتم من الخطايا ولا سبيل لكم إلى ذلك إلا بالقتال الخالص من الرياء والنفاق فى طاعة الملك الخلاق فلما سمعوا كلامه قالوا سوف ترى والله منا أيها الأمير صدق الطوية فى نصرة دين محمد خير البرية وأفضل من مشى على الأرض المدحية صلى الله عليه وسلم ولا بد أن نقاتل فى غداة غد حتى نبيض وجوهنا عند الله وعند الناس (قال الراوى) وباتت الناس إلى أن أصبح الله بالصباح فثارت الروم مثل قبائل الجان ورفعت الصلبان والمسلمون قدرفعت أصواتها بتلاوة القرآن وتوحيد الرحمن وقدمت الأميرة السودان فى أول الناس بعد ما قسمت العسكر أربعة أقسام حتى يقع القتال من اليمين والشمال ومن سائر الجنبات (قال) ولم تكن الأميرة قاتلت قط مثل هذه النوبة وكان الأمير ناقد وبنو عبس والأمير عمرو ومائة ألف من بنى سليم فى وجهه والأميرة ذات الهمة فى بنى كلاب جميعا فى صدر ملك الروم والروم قد صوبت القنطاريات اليهم وكان الأمير عمروا فى وجوه البجناك والأمير ناقد فى وجوه الانجاز والسودان نصيبهم الافرنج وهم أشر الطوايف وأصبرهم على القتال وارتجت الأرض من كثرة الركض ووقعت الخيل من شدة الصدام شمال ويمين

واختلطت الكفار بالمسلمين وصرخت الرجال على خصومها وعملت الصقال فى جسومها وارتفعت العجاج مع غيومها وصبرت عصبة الاسلام على الامر الجسيم والخطب العظيم وذلك العالم الذى لايحصيه إلا السميع العليم فأما البجناك لما تكاثرت عليهم فأيقنوا بالهلاك وقاتل عمرو قتال شديد ما عليه من مزيد إلا أن الخلق كثير والجمع غزير فقتل من بنى سليم عالم عظيم إلا أنه ما قتل منهم واحد حتى قتل من الروم الفارس والاثنين فلما زاد عليهم الامر اندقوا طالبين عسكر الاميرة وكانت الاميرة قد وقعت بين أمم لاتحصى بعدد الرمل والحصى وهى فى قتال شديد وقد دار بها عشرة من بطارقة الروم وكان أحد العشرة ميمونةوالثانى بطريق يقال له شماس وكان معروفا بالقوة والباس والشدةوالمراس وكذلك بقية البطارقة العشرة كل واحد منهم بعد برجال ويلقى الابطال فلما وقعت الاميرة بينهم ورأت منهم صدق الطلب حققت أنهم عرفوها هنا لك هللت وكبرت ولربها ذكرت وضربت شماس على الرأس نزل السيف إلى الاضراس ثم عطفت على الثانى قتلته وكذلك الثالث جندلته والرابع أهلكته ولم تزل تلقطهم واحد بعد واحد إلى أن أهلكت منهم تسعة ولم يبق بين يديها غير ميمونة إلى ذلك فعلمت أنها وقعت فى شباك الخذلان وجعلت تطلب الخلاص من يد القناص فخاب منها الدليل ولم تجد إلى ذلك سبيل فايقنت بالرحيل فنادت ياذات الهمة قليل قليل فان ولدكى عندنا وهو سالم وأما أنا فانى كنت طردت عن دين الاسلام وحكم بذلك الملك العلام فأنا ما أنسى حق الامير ولا أدع أحدا يصل اليه يأذيه وأما أنتى فمالى وجه أقابلكى به فدونكى وقتال غيرى فانى ما أنسى جميلكى السالف فدعينى حتى أعود إلى الملك أرمانوس وأتحدث معه فى حق ولدكى عبد الوهاب وأتركه يعتقه من الاعتقال وأبلغك من خلاصه الآمال وترحلى أنتى وولدكى لبلاد الاسلام ولا تقابلى هذا العالم العظيم فمالكى على قتالهم جلد لانهم كل يوم فى زيادة وأنتم فى نقص من العدد فقالت الاميرة ويلكى ياسوداة الوجه والقلب ويامطرودة عن باب الرب دعى عنكى هذا المقال ودونكى والقتال فما أنا عن ينطلى عليه محالك وأنا ما أبالى إن كان ولدى سالم أوهالك لأن الموت لابد منه لقوله تعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وأما أنتى أجلك يا ملعونة قد أقترب فلما سمعت ميمونة ذلك أرمت روحها على الأميرة وقد أيقنت أنها لها قاتله واليها واصلة وقد ذكرناما فى ميمونة من الشجاعة الى أبعدغاية وأقصى نهاية فقاتلت قتال يذهل الإنس والجان ويحير الفرسان والأقران إلا أن الاميرة ضايقتها وهمت أن تضربها وإذا بالناس يدق بعضم ببعض فنظرت الاميرة إلى ذلك واذا هم بنى

سليم وهم منهزمين من سيوف البجناك ومستجيرين ببنى كلاب فنظرت الأميرة الى ذلك فصعب عليها وصاحت ويلكم الرجعة الرجعة التار التار هنالك وجدت ميمونة لها غفلة فولت ولم تعطف على قتال الاميرة لانها خافت أن ترجع تنابشها فلا يكن لها خلاص من يديها وأما الاميره ناقد العبسى فانه قاتل قتالا شديدا ما شاهدت العيون مثله ولا نظر أحد أشكله لانه يطحن هو وأصحابه الطائفتين التى كانت بين أيديهم بعدما قتلوا منهم أكثر من عشرة آلاف فولوا عنهم ولم يردهم الا طائفة البجناك واللان الذين كسروا بنى سليم فان المنهزمين انضافوا اليهم وعادوا الجميع الى بنى عيسى وقد صاروا فى عالم عظيم فكسروا نافد وصحبه وتبعوهم الى أن ألجؤهم الى عسكرين كلاب وأما السودان فانهم كانوا كما ذكرنا عشرين ألف وكانت الاميرة ذات الهمة أوقعتهم فى مقابلة الافرنج وكان ملكهم يقال له برطس وهم فى مائة ألف وصدموهم السودان صدمة أفنوا فيها من الافرنج خلق كثير وكانوا مستظهرين على الافرنج ولكن لما جرى ليتى سليم من الفناء ما قد جرى وأنكسر وأطحن بعضهم بعضا وقد تأخرت المسلمين من مواضعهم وبأن النقص فيهم لقلتهم ولم يبين فى الروم لكثرتهم وباتوا طول ليلتهم يسمعون البوقات تضرب لقدوم الروم قوم بعد قوم (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الاميرة أقبلت على الامير ظالم وعبد العزيز العلوى وسيف الحنيفية وباقى الامراء وقالت أريد منكم عشرين فارس يهبوا نفسهم لله تعالى فى غداة غد نفوز بالمنا أو نقع فى الهلاك والعنا فقالوا وما نفعل قالوا تحملوا بنا حملة واحدة ونطلب بها كلب الروم فان نحن قتلنا نلنا كل المنا وكلما أردنا فقالت مشايخ بنى كلاب أيتها الاميرة أعلمى أن ملوك الروم قد عرفوا هذه الفعلة على طول الزمان وصاروا يأخذون حذرهم ولا سبيل لكم الى ذلك لان الملك معه عسكر غظيم فلا تغرى نفسكى وبالمسلمين فقد قال رب العالمين «(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)» ولكن ان كان غير هذا الرأى فافعليه (قال) فلما سمعت ذلك قالت والله لقد صدقتم لكنى أريد أن ألقى نفسى الى هذا البلاد لأجل مارأيت فيه من الناس وأيضا من أجل ولدى عبد الوهاب فما كان أحوجنا فى هذا الوقت الى الأمير أبو محمد البطال فانه ما غاب عنا الا لشؤم بختنا إلا أنى أعلم أنه ما انقطع عنا الا لكون انه غضبان من كلام الأمير عبد العزيز العلوى وأنا أسأل الله تعالى أن يأنى فى عسكر العراق هذا وقد باتوا الناس على ذلك إلى أن أصبح الصباح وداموا فى القتال والصدام ثلاثة أيام الى أن نحلت سواعد الرجال الكرام وقدعز على المسلمين العلف والسودان وما بقى لهم سبيل الى البلاد هذا والروم كل يوم فى زيادة

وبقت الأميرة غايصة فى بحار فكرها وقد دهمها هما عظيما وفكرا جسيما لانها لاتدرى ماتصنع وانها أدعت بجماعة السودان وقدمت عليهم سملق والهدلموس وأبو الهزاهز وقراقد وأمرت على بنى كلاب عبد العزيز العلوى فقالوا لها أصحابها على ماهذا عولتى قالت سوف تعلمون ان شاء الله تعالى ثم أخذت ظالم وسيف الحنيفية وراشد بن ضمرة وطارق الحجازى وهارون الفلوى وتمام العشرين فارس وقالت للسودان أبصروا كيف تكونوا فى قتال الروم ولا تقصروا دون أن ترموهم على باب القسطنطونية فقالوا سمعا وطاعة ثم أنها صبرت حتى انسدل الظلام ولبست لبس البطارقة هى والعشرين أمير المذكورين وعلقوا الصلبان فى أعناقهم وصاروا تحت ذيل الدجا الى أن اختلطوا بالروم وقد عولت الاميرة على الدخول إلى القسطنطونية من الغد لعلها أن تجتمع بمارس ودراس وتسألهم عن الامير عبد الوهاب وتأخذ خبره فان كان عاطبا أيست منه وان كان سالما سألتهم المعونة على خلاصه ليكون مساعدا لهم فى هذه الشدة وباتت فى عسكر الروم والملك قد أيقن أنه فى اليوم المقبل يأخذ المسلمين (قال الراوى) فلما كان وقت الصباح تواثبو الناس إلى الكفاح واذا بغبار قد علا وقتام قد نما من صواب بلاد الاسلام وسمعوا التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير من حد أربع فراسخ

﴿ تم الجزء الخمسون ويليه الجزء الحادى والخمسون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

ولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول.

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الحادى والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما رأى الملك ارمانوس ان عساكره قد انزعجت من هذا الغبار وارتعبوا وقالوا هذا عسكر العراق قد أتى مع الخليفة فعند ذلك قال الملك ارمانوس لأصحابه ويلكم ماهذا الفزع الذى قد ملأنفوسكم أنا قد وصلنى الخبر على جناح الطائر من دير ميخائيل يخبرأن القادمين من مجمة العراق وليس فيهم الخليفة وماهم الاغنيمة لكم ثم أدعى بأربع ملوك وقاو لهم اسبقوا الى هذا العسكر القادمين الينا وامنعوهم أن يصلون الى أصحابهم ونحن نفرغ من هؤلاء الذين بين أيدينا الى أن تعودوا أنتم لأنهم مابقى لهم زاد ولاعلاف وخيلهم قد ضعفت وسواعدهم قد كلت ونفوسهم من القتال قد ملت فقالوا سمعا وطاعة أيها الملك فقالت ميمونة يامولاى أنا أكون المقدمة على الجميع وأكفيك أمر عساكر العراق ففرح الملك بقولها (ياسادة) وكانت ميمونة قد عولت على هذه الناحية فزعا من الأميرة ذات الهمة كى لاتلتقى بها مرة أخرى فى مقام الحرب ولا تجد لها منها خلاص فسارت معولة على لقاء العساكر القادمة كى تشغلهم عن الوصول الى هذا الجيش الذى قد ضعف بين أيديهم (ياسادة) وأما الأمير عبد العزيز فانه ركب فى أبطال بنى كلاب والسودان الأنجاب وأبطال بنى سليم وعبس وزحفوا الى القتال وقد تعلقت قلوبهم بغيبة الأميرة لانهم يعلمون انها مامضت الا فيما يعود نفعه عليهم والتحم القتال بينهم وبين النصرانية وكان كلب الروم ارمانوس قدم ناحيه بنى سليم اثنى عشر بطريق وهم على رابيه وهو فوق مكان عالى لينظر مايجرى بينهم وقد حملت الرجال بعضها على بعض وكبر الأمير

عبد العزيز وحمل وكبرت افتونا وحملت الى جانبه وهى لاتفارقه واشتغل الناس بالقتال الى الضحى (ياساده) هذا والأميرة ذات الهمة قد علمت باشتغال الناس بالقتال فدخلت الى القسطنطونية فوجدت الباب مفتوح والناس منه داخلين وخارجين بالعدد والزاد والعلوفات وغيرها فدخلت الأميرة مع جملة الداخلين هى وأصحابها فرأى القوم ثيابهم وصلبانهم فلم ينكر أحدا عليهم فلما حصلت داخل البلد هى وأصحابها قال لها سيف الحنيفية الى أين تمضى بنا فى وسط بلد العدو ولو وقعت بنا غمره أو وقعت علينا عين ما كان يقوم لأصحابنا بعدنا قائمة فقالت لهم الأميرة اعلموا أن من أراد عظيم خاطر بعظيم وقلبى مايطاوعنى على الصبر عن أبيكم وأرجوا أن يكون عاقبة أمره الى خير وهاأنا قاصدة الى دار مارس ودارس ثم سارت الى أن وصلت إلى باب دار مارس ووقفت على بابه فوجدت البواب جالس فقالت له بالرومى مارس فى الدار فقال نعم أيها البطريق ماله فقالت له ادخل اليه وقل له رسول الملك على الباب فقال لها الساعة قدجاء هو وأخوه من عند الملك وهم فى أكل الطعام وشرب المدام وأنا لاأقدر أعبر اليهم فقالت له ويلك ياملعون هذا رسول الملك على الباب فان معى أمر ايسر خاطرة (قال الراوى) فعندها قام ودخل على مارس وأخبره أن رسول الملك على الباب فأذن لهم بالدخول فلما رآهم لم يعرفهم وظن ان الملك قد أرسلهم اليه فوثب لهم قائما وقال لهم ما الذى يريد والساعة أتينا من عنده فقالت له الأميرة يامارس ما للمؤمن فى هذه الدنيا راحة فلما سمع مارس كلامها بالعربى عرفها وفرح بها فرحا شديدا ومال اليها وسلم عليها وكذلك دارس وسلما على باقى الأمراء وقال لها مارس والله لقد كنت أريد الاجتماع بكى لأمور يطول سرورها اليكم ويعود نفعها عليكم فقالت الاميره ها أنا قد دخلت ومعى أسود الغاب أولاد الأمير عبد الوهاب حتى اذا طلعنا واطلع أحدا علينا ما كان فينا ما نداقع عن نفوسنا اليوم واليومين فتعجب مارس من قوة قلبها وعظم همتها وقال لها بالله عليكى هل سمعتى بخبر أبو محمد انه دخل البلد البارحه فى الحديد ومجيئك من أجله فقالت ذات الهمة وأبو محمد هنا فقال نعم فقالت حدثنى حديثهم يا مارس وكيف كان أخذه ودخوله والله العظيم لقد جاء فى وقت الحاجة اليه (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم أبو محمد أمر عجيب وحال غريب وذلك انه أقام فى طرابلس كما ذكرنا فيما تقدم من حديثنا وكان الامير جوال قدقضاتها حاله بها فأكرم أبو محمد غاية الإكرام وعظمه غاية الاعظام وكذلك مشايخ طرابلس فان استقام كانوا كل يوم يدخلون على البطال وينظرون اليه وكل أكابر البلد يأتون للسلام عليه

ويجلسون عنده ويتحدثون معه وينظرون اليه سيما من كان لم يكن شاهدة لأن اسمه كبير ومكانه عظيم خطير ودخل اليه مع جملة الناس مانع بن ضابط البخيل وقد ذكرنا ماكان جرى بينه وبين الأمير جوال من الاحوال (يا سادة) وانه لما دخل على الأمير أبو محمدوكان أبو محمد يبغض البخلاء فقال له أيها الأمير لم تبغض الأمير جوال وهو قد جاهد فى سبيل الله تعالى ومع هذا فهو كريم والله تعالى يحب الكريم فقال له يامولاى ما أبغضه وانما كان يفزعنى بالكلام ويقول لى أنت بخيل حتى تولد من ذلك اشتباك الخصام ومع ذلك فما دام انت والأمير عبد الوهاب تشكرن منه فأنا عبده أكراما لكما فشكره أبو محمد على ذلك (قال الراوى) وخرج مانع من عنده الى داره وهو شديد الغيظ وجمع أولاده ومن يلوذ به من أهله وقال لهم ما بقى لى فى طرابلس مقام وقد قيل فى المثل الشد بالقد ولا مقاساة الضد وأنا أبغض هذا جوال ولا أشتهى أحضر معه فى مكان لان له فى قلبى حرارات وهو رجل متفرط وأريد أن أكون مثله وانما المال الذى رفع قدرى وأنا أريد أن أرفع قدرهم ولا أفرط فيه أيضا فمالى طاقة أن أخرج درهما واحدا فى غير وجهه الا وتخرج روحى معه وان أقمت ههنا فما أكون طول عمرى الا مصفوع مقهور وتشمت بى الاعداء لأن هذا جوال قد صار خليفه عبد الوهاب ومثل هذا أبو محمد البطال الذى تفزع منه الإنس والجان ومالى الا الانتزاح فقال له انت كثير المال فان انت خليت مالك ههنا وطالت غيبتك ذهب مالك وأخذ وان انت أخذته معك فأى بلد وصلت اليه واستقرت بك الدار طمع فيك سلطان ذلك البلد وأخذه منك (يا سادة) فلما سمع ذلك من كلامهم قال لقد صدقتم ولكننى قد عولت أن أمضى الى بلد لايؤخذ منى فيها درهم واحد فقالوا له وأين ذلك البلد قال البلد القسطنطونية لأن فيها مسلمين كثير ساكنين بها فأقيم بها بينهم واهدى للملك أرمانوس شيأ وأقيم فى بلده إلى أن أموت ولا أقيم ههنا على أننى أعلم أنه ما يطيب لى فيها عيش ولكن الضرورة تحوجنى إلى ذلك، فقالوا له افعل ما بدالك فنحن كلما أين سرت سرنا معك فقال ما الذى آخذ معى إلى الملك هدية قالوا خذ معك من عمل ديار مصر من القلانس الرفاع وغيرها مما لا يوجد فى بلاد الروم مثله (قال) أما هذا فلا سبيل اليه لأنى لو فعلت ذلك ما كان تم من مالى إلا أكثر من ألف دينار وأزيد وما يطيب قلبى أن أخسر هذا كله ولكن أنا أعمل على هذا الشيطان أبو محمد حيلة وعلى هذه الصناديق التى معه فى الدار التى هو ساكن فيها لأنها كلها مال ومتاع وارفع الكل إلى بعض مراكبي الذين فى البحر وأقلع

إلى القسطنطونية فما يدخل على قلب الملك مسره أعظم منها إذا سلمت اليه البطال لأنه أحب اليه من كل من فى بلاد الاسلام فقالوا وهم منكرون و نعطى للملك كلما فى الصناديق فقال نعم لأنه ماهو من مالى وكان يظن (ياسادة) إن الذى فى الصناديق مال ولم يعرف أن فيها رجال وشومدرس وعقبة شيخ الضلال (ياسادة) فتفكروا فى هذه الاشياء كيف تجرى وهى كما قال فيها القائل مصائب قوم عند قوم فوائد وأن مانع بن ضابط كان له فى البحر مراكب بعضها تقلع إلى الغرب وبعضها إلى بلاد الروم وانه رفع كلما يملك الى مركب كبير وكل ذلك فى كتمان من أمره وأخفى سره الا أنه لم يبق له فى البلد مايساوى درهم واحد وكان فى المراكب مركب قد وصل من بلد الملافطة وفيه مائة تاجر وقد باعوا واشتروا مايصلح لبلد الروم وهم معولون على الاقلاع وان مانع اجتمع بهم وتحدث معهم وأعاد عليهم ماهو معول عليه ففرحوا وقالوا وحق المسيح أن ملك الروم كان يغنيك ويغنينا ولا يأخذ منا جزية أبدا فافعل هذا ونحن لك أعوان على كلما تريد فقال لهم أريد منكم الليلة ثلاثون رجلا يكونون عندى فى دارى حتى إذا كان وقت الظلام أحمل إلى أبو محمد أسفاط ومال وثياب وغير ذلك وأقول له ياأمير اخبأنى فى حسبك وأريد أن أكون فى حضارتك ولا تشمت بى الاعداء ويكون الداخلون اليه عشرون يحملون الطعام والاسفاط والثياب فاذا طرحوا مافى أيديهم قبضوا عليه وعلى غلمانه وعلى مذبحون ولده ونأخذ الصناديق التى فى الدار عنده فقالوا قم معنا فنحن نخاطر بأنفسنا ولنا أسوة بك ففرح بذلك فرحا عظيما وصبر الى أن هجم الظلام وقد حصل هؤلاء عنده فى الدار من النهار ثم انه عمد الى عشرة أسفاط وحملها على أيدى الرجال الذين ذكرناهم وعشرة حملهم حلاوات وسكر وغير ذلك وسيوفهم تحت أثوابهم وقد تبطنوا بها وساروا إلى أن وصلوا إلى دار أبو محمد البطال وقد انصرفوا من عنده الناس ولم يكن الامير يخلى أحدم ينام عنده حذره على عقبه ومن معه وهو لايعلم بمافى الغيب من العجب وأن مانع الماوقف بالباب طرقه طرق خفى وكان أبو محمد فى تلك الساعة قد أخرج عقبه وهو يبصق فى وجهه ويقول له ياملعون هذا الذى كنت أريد من الله تعالى أن أتمكن منك ولا يمنعنى عنك مانع ولا يعارضنى فيك معارض ولا يمنعنى عن عقوبتك أحدا فلما طرق الباب رده إلى مكانه وقال للؤلؤ وصندل ابصروا من بالباب فخرج إلى الباب ونظر إلى مانع بن ضابط ومعه تلك الثياب والطعان على أيادى تلك الخدام فى الظلام فعاد الى أبو محمد وأخبره بالحال فقال لاشك انه يريد أن ينفى عنه إسم البخل وقد ظن اننى أتعصب له وأترك الأمير جوال وأنا فما كنت بالذى أفعل ذلك لأنه رجل مسلم وما بينى وبينه إلا الخير

ولكن نحن على سفر وأى شىء جاءنا نفعنا وهذا رزق قد ساقه الله الينا فعودوا وقولوا لهم يدخلون فأول من دخل كان مانع بن ضابط فلما وصل الى البطال قال يا أبا محمد أريد أن أكون تحت نظرك (قال) ودخلوا الرجال فى أثره وحطوا مامعهم من الطعام والحلو والثياب وهو شىء كثير ومع دخول هؤلاء العشرين أراد لؤلؤ وصندل أن يغلق الباب وإذا بعشرة قدهجموا عليهم وبأيديهم السيوف وقبضوا على الاثنين قبضا باليد وكتفوهما وسدوا أفواههما وهؤلاء آمنين مطمئنين فى بلاد الاسلام وماعندهم هم ولا غم وأطبقت الرجال على البطال فقال أبو محمد لمانع ويلك ما هذه الفعال فقال سوف يبان لك أوله من آخره تذكر وأنت تنهرنى بالأمس وأنا بين شيوخ طرابلس والله لأسلمنك إلى أعداء أعداءك فقال أبو محمد كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ياسادة) ثم سد فمه وغمض عينيه وفعل بغلمانه كذلك ثم دخلوا إلى الصناديق فحملوها إلى مركب مانع وأمر الرجال أن يحملوا أبو محمد وغلمانه إلى المركب وهم لايعلمون مافى الصناديق ورفعوا الشراع وأقلعوا ولججوا فى البحر هذا وأهل البلد ماعندهم مما فعل مانع خبر بل يظنون أن الملاقطة قد أقلعوا الى بلادهم والمركب الآخر قد علموا انه لمانع بن ضابط وله فيه غلمان يسافرون الى البلاد (يا سادة) وكان مانع من خبثه قد أغلق باب الدار الذى أخذ منها أبو محمد حتى لايطلع أحدا على أبا محمد ولما أصبح الناس جاؤا الى السلام عليه كما جرت به العبادة والأمير جوال فى أوائلهم فوجدوا باب الدار مغلوق والمنازل خالية فعادوا وقالوا قد أضجروه الناس مما يدخلون اليه وربما يكون له اليوم شغل وقد خلا بنفسه (يا سادة) وان الأمير جوال كان عنده خبر عقبة لان الامير أبو محمد كان أعلمه به فقال فى نفسه لاشك أنه يريد أن يعاقبه ثم أنه أقام الى الليل فوجد الباب على حالته فبات وأصبح والباب على حاله ثلاثة أيام فأنكر ذلك وأمر بعض غلمانه فصعدوا من دار آخر ونزلوا من أعلا الدار وفتحوا الباب فما وجدوا فيها خبر فقال جوال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فما هو الا أن أبا محمد قدخشى أن أعوقه على المسير وقد أقلع فى مركب مانع الى ديار مصر ثم أرسل إلى ديار مانع يكشف الخبر فما وجد فيها أحد بل أخبره بعض جيرانه أن مانع قد دخل إلى ديار مصر فعظم عليه وكبر يديه وقال ماصعد أبو محمد الى مصر إلا معهم وربما أن يكون قد سمع أن عبد الوهاب قد أنفذ اليه يترضاه فطلب العجلة فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من مانع فانه أقلع فى البحر ذلك اليوم وتلك الليلة (ياسادة) فلما أمنوا على نفوسهم قال مانع قد اشتهيت أن أرى مافى

هذه الصناديق ثم انه وثب الى الصندوق الذى فيه عقبة ليفتحه وكان عقبة قد أحسن من نفسه انه فى البحر وظن أن أبو محمد قد أخذه وأقلع يريد ديار مصر الى بلاد المغرب فسمع كلام رجل لايعرفه فقال لعل أبو محمد قد استأجر ملاحين (قال الراوى) واشتد بعقبة الفزع والجزع فلما أحس بالصندوق بتحرك من داخله فقال أن كنت تريد أن نسلم معك الى موضع تحملنا اليه فاطمعنا ما يسد رمقنا فلما سمع الكلام من داخل الصندوق قام شعر رأسه وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ايش أنت فما عاد عقبه الكلام (قال) فداروا من حول الصندوق الرجال وجردوا النصال وأتوا إلى الصندوق فكسروه واذا بعقبة جالس وركبتيه فى صدره وهو فى حال منحوس فرفعوه من الصندوق ومدعينه الصحيحة فوجد أبو محمد البطال مكتوف ملق على وجهه وكذلك لؤلؤ وصندل ومذبحون والبطارقة من الملاعطة يتضاحكون فكاد قلبه أن يطير من الفرح وكلم الملاعطة بلسانهم وقال لهم من أنتم الذى منّ الله علىّ بكم قالوا فأنت من تكون قال أنا الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة بن مصعب وكان هذا الكلب المحتال الأمير أبو محمد البطال قد احتال علىّ وأخذنى كما رأيتم فلما رأوه وعرفوه فقبلوا الأرض بين يديه وقالوا لمانع ابشر ياشيخ فهذا تنال به عند الملك كلما تريد ثم أحلوا كتافه وفكوا قيده فقال أخرجوا من فى تلك الصناديق وافتحوا الثلاثة الاخرى واخرجوا غلام عقبة ومطرون وشومدرس ونزلت على الملاعطة فرحة ما فرحوا قط بمثلها فلما فكوا قيودهم أكلوا شيئا من الطعام وسقوهم المدام فقويت أنفسهم وقال عقبة قد سقيتمونى الخمر وأريد أنتقل فقالوا بماذا فقال دعونى حتى أضرب البطال مائة سوط حتى أشفى بها غليل صدرى فقالوا دونك وما تريد فعندها مد الملعون أبى محمد البطال ومن معه وضرب كل واحد إلى أن غشى عليه وكلم الملاعطة بلسانهم وقال من كان السبب فى خلاصى فأعادوا عليه حديث مانع بن ضابط فقال هذا ما فعله لأجلى ولا لاجلكم ولكن هذا بينه وبين جوال معانده وقد هرب خوفا على ماله وكلما يملكه الساعة فى هذه المركب الآخر وهو يزيد على مائة ألف دينار وقد ساقها المسيح إلىّ رزقا وسوف أهبكم منها شيئا وأوصى الملك بكم يراعيكم ولكن اقتلوا هذا المسلم مانع وغلمانه حتى نصل بأبو محمد البطال الى الملك ويكون الحمد لنا ولا يكون الشكر لغيرنا ولا يقول هذا أنا الذى خلصته وأخذت أبو محمد البطال فيقولوا له صدقت فيما قلته وكان مانع كما قيل

* وساع سعا فى حتفه وهو لا يدرى *

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم من أعان ظالما سلطه الله عليه (يا سادة يا كرام)

وان الملافطه لما سمعوا كلام عقبة وأنه يريد ان يقتل مانع ففى الحال قاموا اليه وهموا بقتله فقال ياقوم لأى سبب تقتلونى فقالوا لاننا كلنا نصارى وأنت مسلم فقال هو يرى من دين الاسلام داخل فى دين النصرانية ومارحلت من بلدى ولى فى الاسلام نية ففرح عقبة بذلك وقال له ياشيخ سلمت وسلم مالك وأولادك من القتل ونساءك وغلمانك وعلى ان أعوضك من الملك لأجل تركك قول لا إله الا الله محمدا رسول الله بكلما تحب وأنت اليوم أعز الناس عندى وساروا إلى أن دخلوا بلد الروم ووصلوا الى القسطنطونية وبلغ الخبر الى الملك فأنزلهم فى قصرهم فى قصره وأنزل أبو محمد الى عند الامير عبد الوهاب (وان الاميرة) لمادخلت الى مارس وأعاد عليها هذا الحديث عظم عليها وكبر لديها وقالت لاتقدر ان تدخل بنا الى القصر حتى أعمل على خلاصهم من القيود الثقال وسوء الحال ومع ذلك يادارس من وصل البطال إلى هذا المكان فقال جابه الشيطان وصندوق المحال والطغيان عقبة لعنه الله ومعه مطرون الذى كان أظهر لكم أنه مسلم خباثة منه وها هو فى القصر يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر ويعصى الرحمن ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم شومدرس فلما ان سمعت الاميرة ذلك بقيت حائرة وقالت له يامارس لايكون قد رأيت هذا فى المنام وأنت تحدثنى به فى اليقظة لان هذه الاضداد لاتجتمع وان اجتمعت لاتكون إلا فى سنة ردية وأما شومدرس فهو بالسويدية مأسور مقهور وتحت الأرض مطمور فكيف قدروا على الوصول اليه وتسببوا فى خلاصه وكيف اغتنموا الفرصة فى مناصه وهذا مطرون لعنه الله كان فى بغداد عند الخليفة رئيس على الأطباء وهو لايفارقه ساعة واحدة فايش الذى حمله إلى شومدرس وأبو محمد جاء فى كتابه أنه فى أخلاط فما الذى جمعه مع هؤلاء فى سفينة واحدة وهذه قصة منكرة وأنا فيها متحيرة وما يصدق قلبى هذا ولا يشك فى قولك والقصة ربما أن يكون قد تخيل لك أن أبو محمد قد وصل إلى بلاد الملاغطة حتى أخذوه فقال لها مارس ومتى رأيتى من قولى محال حتى يكون الساعة والله ماقلت لكى إلا بالحق والبارحة كان القتال على البلد ودخل الملك قصره لاجل عقبة وقدومه عليه وعانقه وفرح به وتحدث معه وسربه سروراً عظيما وكذلك بالراهب شومدرس وأصلح عقبة بين الراهب مطرون وبين الملك أرمانوس وقال هذا يكون لنا معين فى بلاد الإسلام لانه أوفى منى اهتمام وقد صار عند الخليفة بمكان عظيم وهو المقدم على سائر الحكماء ومع ذلك فان الخليفة لايشرب الماء إلا برأيه وهو إذا ضاقت به الحيل يسقى الخليفة شربة يكون فيها هلاكه وتشوش البلاد لاجل ذلك وتخرج أنت فى عسكر النصرانيه وتكون البلاد قد تشوشت فتملك الارض وإنما أخرت ذلك حتى تقتل ذات

الهمة وعبد الوهاب وتخلص منهم فقال الملك ارمانوس وكيف يقتلهم الخليفة وهم سيوفه على الشدائد وحصونه على الاوابد فقال عقبة هذا الراهب قد ذكر لى أنه يوقع بينهم وبين الخليفة ولا يخليه حتى يضرب رقابهم فقال الملك أما عبد الوهاب فقد كفاكم المسيح مؤنته وهو عندى أسير ذليل حقير وأما ذات الهمة فقد وقعت هى وبنى كلاب بأسرهم فى أضيق الاشراك وقد أحدق بهم من العالمَ مالا عين رأت ولا أذن سمعت وما بقى لهم إلى الخلاص سبيل (ياسادة) فلما سمع عقبة ذلك من كلام الملك ارمانوس باس الأرض شكرا للمسيح وقال اخبرنى عن هرمس المجوسى وأخوات عبد العزيز ماكان منهم فقال الملك خلصتهم ذات الهمة ولكن قد قتل ألف فارس من بنى كلاب وقتل من الروم خلق كثير فقال عقبة والساعة هرمس معها مأسور فقال نعم وان ذات الهمة حلفت أن لاتبرح من على القسطنطونية ولا ترجع إلى بلاد الإسلام حتى تسود وجهه وتصلبه على باب الذهب فضحك عقبة وقال ما هذا الهذيان الذى مايهدد الناس إلا بالصلب وما يقدرون يصلبون الكلب ولعل المسيح ما أوصلنى إلى هذا المكان وجابنى فى هذا الاوان الا حتى أصلبهم قبل خروجى من القسطنطونية على باب الذهب وأسقيهم بالكاس الذى أرادوا أن يسقونى به (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك من كلام مارس قالت والله أن هذا العجب أليس عقبة فى قصر الملك قال نعم وكذلك أبو محمد لاسبيل لكم اليهما الا أن يكون بالليل لأن الملك الليلة فى نفسه ان يدخل الى القصر ويأكل ويشرب مع عقبة والراهب شومدرس ومطرون ويخلع على المتنصر الجديد قالت الأميرة ومن يكون ذلك قال رجل من طرابلس يقال له مانع بن ضابط (قال) وسمعت عقبة يقول للملك هذا كان سبب خلاصنا وأخذ أبو محمد وغلمانه وقد وعده الملك بكل جميل وأعطاه فى القسطنطونية دارا من دور البطارقة الخاص وفى هذه الليلة يطعوه لحم الخنزير ويسقوه الخمر العصير ويخلعوا عليه فلما سمعت الأميرة ذلك علمت أن مانع بن ضابط هو خصم جوال ولاح لها وجه القصة وقالت ماأبو محمد البطال الا قد أخذ الثلاثة من مواضعهم ورحل الى طرابلس ليشتفى منهم فتم عليه هذا الأمر وهذا جزاء كل من يستعجل فى الأمر وطلب ان يأكل وحده ثم قالت الأميرة لمارس يا أخى فأنا وأصحابى نكون فى دارك هذه الليلة لأن عساكر العراق وصلت والروم قد سارت اليهم يرومون قتالهم وأصحابى فقد قتل منهم خلق كثير وقد علموا أنى مادخلت الى القسطنطونية الا لأمر قدره الله وأراده لابد من اتمامه ولعل الله تعالى قد فعل هذا السبب فى مقابلة فعل عقبة ومجيئه يشاهد صلب هرمس على

باب الذهب ليستقر عنده حالته وان أعانني الدهر والمقادير وصاحب التدبير ومن هو على كل شيء قدير ووقع في يدي أضفته اليه وأصلبهما جميعا وتكون قد جاءت رمية من غير رامي وأرجو من الله تعالى التمام بالإحسان ودع يجري مايجري وأن نتكلم المعتصم في ذلك بحرف واحد طلبت الحجاز أو دخلت إلى بلاد الروم وفتحت بعض الأقاليم بسيفي وتدبيري وأقمت فيه (ياسادة) فقال مارس وهو يضحك اخلصوا قبل كل شيء من هذا البلاء الذي قد أحاط بكم فقالت يابطريق البطارقة أن قلبي يحدثني بهذا وما وعدني ربي إلا بالخير (قال الراوي) وأقامت الأميرة ذات الهمة وأصحابها ينتظرون الليل ودخول الملك أرمانوس إلى قصره وحضور عقبة إلى عنده ولعله يقع في أيديهم أو يخرج أبو محمد وعبد الوهاب برأي عقبه حتى يضربوهم ونحن نكون من جملة البطارقة حتى نشاهد ذلك ونعرف مواضعهم فلعل الله تعالى أن يسهل خلاصهم على أيدينا (ياسادة) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد العزيز العلوي فانه لما أصبح وركبت الروم واصطفت صفوفها وحملت ألوفها وقاتلوا في ذلك اليوم قتالا شديدا (قال الراوي) والحرب سجال يوم لك ويوم عليك فقاتل الأمير عبد العزيز في ذلك اليوم قتالا ما شوهد من عبد الوهاب ولا تقدر عليه ذات الهمة ولا بطل من الأبطال لأنه رأى نفسه وقد تقدم على عساكر المسلمين وأخذته الحمية في الدين وجاهد في الكافرين في طاعة رب العالمين ونظرت بنو كلاب إلى فعاله وتشبهوا به وقاتلوا مثل قتاله (قال الراوي) ولله در الأمير عوف فلقد قاتل حتى تخضبت شيبته بالدماء مما يقطر عليها من ذباب السيف من الأعداء وأما عابس فانه اشتفى ما بفؤاده من الغليل وأرضى الملك الجليل وفعل فعلا غير قليل وقاتلن أخوات عبد العزيز أيضا مع أخيهن قتالا هلكت منه الرجال وقصرت عن مثله الأبطال والتصقت اليهن الملكة افتونا وجعلت تنكس الرجال وتلعب بمهج الابطال ونظر الامير عبد العزيز إلى فعالها فأحبها لاجل ما رأى فيها من الشجاعة والقوة والبراعة والشهامة والنصيحة في الدين وكان قتالها كله لأجل هواها ومحبتها له وكلما نظرت اليه تحمل على الكفار والفجار وتحطمهم بالصارم البتار تطلب بذلك القرب وهكذا شرط المحبة أن تعادي من عادى محبوبك وأن توالي من والاه (قال الراوي) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى وقت العصر وقد هبت على المسلمين رياح النصر وانفصلوا عن القتال وعادت عنهم أهل الشرك والضلال وتمايلت الاقيال من التعب والكلال وفرحت على سروجها الابطال وتبسمت طربا بالرنين السيوف الصقال وقد ملت من القتال وطلبت الراحة

من التعب والكلال وخلو البال (ياسادة) وأما ميمونة لعنها الله فانها سارت على ما تقدم ذكره والتمت بعساكر المعتصم الذى أنفذها لنصرة الامير وكان قد قدم بعض الامراء الاشراف وضرب اليه العرب والاكراد والعجم والترك والديلم وكان مقدم الديلم فارس قدم على الخليفة فى ذلك الأوان يقال له كوشان بن هامان ولم يكن له مثل فى الديلم قط لأنه كان قويا شديدا مصارعا ملاكما يقاتل بالرمح والسيف والناجح والحدافات والخشوت والسهام وكان قد ضمن للخليفة لقاء كل بطل فى الأرض أنه يبارزه ويأخذه أسير ويجندله حقير فخلع عليه المعتصم وسيره فى جملة العساكر وكان قد قدم عن الاكراد بطلا منهم يقال له موسى بن صالح وكان حدثا إلا أنه أطغى على الاكراد على صغر سنه وله حديث عجيب وذلك أن الامارة كانت فى أبيه فجاءت بينه وبين واحد من الاكراد يقال له شاذبخت حروب فقتله شاذبخت وملك موضعه (قال الراوى) وكان مرسى هذا صغير فعاش يتيم وكان فى ضر عظيم إلى أن صار له عشرين سنة فنشأ نشئاً طيبا وعافر الأبطال ومارس الرجال إلى أن صار يقتنص الاسد فى الدحال والبرارى والجبال ويهجم الغابات ويفتخر بفعله على السادات فقال له بعض أقاربه فى بعض الايام ياموسى دع عنك صيد هذه السباع فانها كلاب جياع وخذ بثارك من قاتل أبيك واكشف عارك وخذ مكان والدك (ياسادة) وكان قال فمن هو قاتل أبى فقال شاذبخت الملك هو الذى قتل أباك صالح وأخذ مكانه لأن أباك كان مقدم على سائر الاكراد فقتله وصار ملكهم عوضا عن أبيك فقال إذا كان الامر على ما ذكرت فأنا قاتله غدا عن قريب غير بعيد فقال له ان أردت أن تعزم على ذلك فليكن على وجه الغفلة منه وإلا ألحقك بأبيك فقال والله لا كان ذلك أبدا ولا كان قتله مستيقظا يدافع عن نفسه ثم أن موسى قصده وهو مشتملا بسيفه وكان جالس بين الاكراد وهم من حوله والشرور يقدح من عينيه فسلم على الجماعة وقال له ياشاذبخت فقال له ما تريد وقد غضب حين سماه باسمه من تكبيره وتجبره وكيف لم يسميه بالامارة فقال له ياولد الزنا ما الذى تريد فقال له أريد أقطع قدالك وأرمل عيالك وآخذ تارى بيدى لأنك قتلت والدى وتحسب أنه يمرحان بلا خراب روق وخذ حذرك فانى قاتلك (ياسادة) فلما سمع شاذبخت ذلك من كلامه قامت عيناه فى أم رأسه وامتشق حسامه وقام اليه مثل البعير الهايج وقد جرد الامير موسى سيفه وحمل على خصمه وحمل خصمه عليه وتطاولا وتطاعنا وتضاربا على الجحف ضربا يؤدى الى التلف (قال الراوى) وكان موسى مدافعا نحريرا فجعل يبطل ضرباته ويخمد صولاته ويصغر سطواته الى أن أتعبه وأوراه أنه يريد أن يضربه فوقانى فاستتر شاذبخت بجحفته فحط يده أسرع من البرق

وضرب قوائمه من أسفل ركبتيه فقطع ساقيه ووقع الى الارض قتيلا جديلا (قال الراوى) فرقصت الا كراد طربا وخاطبوه بالامارة وقالوا خلصتنا من جوره وتجبره ونحن أيها الأمير كلنا صنعات وصنعا لابيك فاستولى مكانه (ياسادة) فلما سير السلطان العساكر الى بلاد الروم اجتمعت الفرسان والاكراد الى الامير موسى وقالوا الصواب أن تنزل الى خدمة الخليفة وتذكر اسمك عنده وتبين قدامه ماتقدر عليه من الخدمة فان الملوك ماتتقدم الا بالخدمة فاذا رأى فعالك وقوة عزيمتك وشريف همتك وانك تصلح للامارة قدمك على جميع الاكراد وخلع عليك وشرفك وتكون امارتك بأصل من عنده لان اليوم لو أعطيت بلادك أو أحد منهم ماتريد انك تكون مقدما علينا ونحن قدمناك علينا ونحن نصرفاك عنا فقال والله العظيم لقد صدقتم فيما قلتم ثم تجرد فى خمسة آلاف من الأبطال الأكراد الأنجاد والرجال الأجواد وقدم على المعتصم فى بغداد فخلع عليه وشرفه بعد أن عرفه ونظر الى فروسيته وشجاعته فقلده الامارة وأنفذ معه من غلمان الدار الأتراك جماعة وسار الأمير موسى بجد الى أن وصل الى ملطية ولحق بعساكر العراق وصار معهم (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة وانما ذكرنا بدومنشاه وقصته وذكرنا أباه حتى يعرفه من قرأت عليه هذه السيرة العجيبة من الخلفاء وان هذه السيرة رواية نجد بن هشام ومحمد بن الشيخ صالح الهمدانى وعبد اللطيف العلوى ونجم بن الرفاعى وشهاب الدين الطرابلسى ومحمد بن أبى أيوب والقاضى علم الدين ويوشع وحسن الدمشقى وحازم بن الناظر وكمال الدين المقيعى وتمام أربعين راوى الكل مشايخ علم وفضل يحلفان لأمير المؤمنين الواثق انهم رأوا بصحة ماعاينوا وأحكموا لنجد بن هشام رضى الله عنهم وعنه وجعلنا ذلك ليدخل فى مسامع الظرفاء ممن يميل الى أحاديث القدماء الذين سبقوا وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده وليس كل طبع يميل الى استماع الأحاديث ولايفهم الحديث لانها أرواح عميت بصائرها وبردت الحراره المتوقدة فى القلب فلا يفهم صاحبها مايقال ولايسأل عماجرى فى الزمان ومنها طباع بخلاف ماذكرنا تشتاق إلى سماع ماجرى فى الآفاق من سير المتقدمين وأخبار الأولين وتجد النفس به الراحة كأنها قد عاشت فى ذلك الزمان وعاينت من أهله بالسماع ماقد كان وان الذى حملنى على جمع هذه السيرة وتصنيف أخبار الأميرة وماجرى من أخبار المجاهدين الذين ذكرهم باقى الى يوم الدين وذلك لأجل جهادهم فى الكفار وطاعتهم للملك الجبار ونصرتهم لشرع محمد المختار شيئان (أحدهما) انى أردت أن أعلم الناس مكارم الاخلاق لان فيها كل حكاية صحيحة وأعجوبة مليحة وحسن صبر الامير عبد الوهاب وثبات أمه ذات الهمة وخبرتها بالامور وصبرها على أذى عقبة الكفور حتى تنفذ فيه

القدرة وماجرى للامير أبو محمد البطال فى مرضاة الرب المتعال ويكون ذلك للأمراء والوزراء والملوك والخواص من الناس ومن يكون من العوام له همة الايمان فلما كلفنى ذلك لم أجد بدا منه فدخلت بعض السنين إلى القسطنطونية وأخذت كتب اليونان وجميع كتب المتقدمين من قديم الزمان وكيف تفرعت أصناف الروم من العيص ويهود أولاد يعقوب وغيرهم الى زمان بناء ملطية فى دولة أمية وما جرى فيها من العجائب مما لو كلفت الطيور إلى سماعه لوقفت تسمعه فلازمت ذلك ثلاثة أعوام حتى كمل هذا الكتاب وهو كتاب راحة القلوب الى أن وصل الحديث إلى بعض البعض وبكل عجيبة على وجه الارض وكملت الحديث للخزانة المجلية الهاشمية القرشيه العباسية الواثقية (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان وصول عسكر السلطان فى ثثمائة ألف مع الأمير موسى بن صالح الكردى وملتقاه بابن هامان وكانت ميمونة فى أربعمائة ألف إنسان واختلطت الجيشان وتصادمت الفريقان وعمل الصارم اليمان ورفعت القراء أصواتها بالقرآن وطارت الرؤوس عن الابدان وحميت نار الحرب من العسكران واكتست الارض حلة كلون الارجوان ولم يزل الصارم يعمل والرجال تقتل الى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونشر الليل أجنحة غربانه ومطارق عرفانه وخمد مرجل الحرب من غليانه ورجع كل بطل الى مكانه وبان كل واحد من الفريقين ماسك بشكيمة حصانه خائف من كبسة عدوه فى ظلام الليل وعدوانه الى أن ظهر الصباح وركبوا الجرد القداح واصطفت الصفوف واعتدلت المئاة والألوف هنالك خرج كوشان بن ما هان الديلمى فارس الموحدين حتى يظهر للناس شجاعته وكان على جواد أحمر مليح المنظر حسن المخبر بكفل مدور ومعه صارم أبتر رقيق الشفرتين أخضر وقد هدر بالديلمية وزمجر وضجب وغضب وهمر وطلب البراز وسأل الانجاز (قال الراوى) فخرج اليه قيل من الاقيال وعمليق من العمالقة الاقيال وحمل بعضها على بعض ولم يمكث بينهما القتال أكثر من ساعة حتى أعدم الديلمى نفسه وأضاعه فخرج اليه ثانى فتركه مرمى على ذراعه وثالث قص منه أضلاعه ولم يزل كذلك إلى أن قتل من الروم قبل الظهر تسعة عشر فارس وكان العشرين فارس شجاع فبرز منهم فارس كمى وحمل على الديلمى وهو فى أكمل هيبة وقد لبس فوق الدرع ثوب أطلس أخضر كانه نبات الزهر اذا أزهر والدر على أكمامه ينور وفى وسطه منطقة جوهر وهى مركبة على ديباج حرير أحمر وهو كالعروس ينجلى على كل من حضر وحمل على مواكب المسلمين حتى يورى الديلمى قوته ثم أنه طعن واحد من المسلمين فى صدره أطلع السنان من ظهره فخرج اليه فارس آخر ثم حمل على الديلمى

وتصادما مصادمة الجبال وتقاتلا قتال الابطال هيما وهمهمة الأسد الديال وتقصفت منهما الرماح وتثلمت الصفاح والنصال واعتمدا على ضرب العمد وقد اشتدت الأهوال وكان هذا شغل الديلمى لأن من عادته المعالجة والصراع فضربه بالعاموود على هامته أدخل رقبته الى نصف قامته فوقع إلى الأرض فأخذ سلبه وجواده وطلب البراز فخرج اليه أربعة فى مرة واحدة فلم يكثر بهم والتقطهم لقط الحمام لحب الآكام (قال الراوى) يا سادة يا كرام فخرجت اليه الملعونه الميمونة فعرفوها عساكر العراق فصاحوا به ارجع الى وراءك فلم يرى على نفسه أن يرجع وقال لهم أنا ما أحسن أفارق أحدا من القتال الابالإنفصال أما أن يقتلنى واما أن يقتلنى وأما أن أقتله وسوف أسقيها ضربة بهذا العاموود أنسيها دين النصرانية ودين اليهود (قال) وكان قد سمع حديثها وماهى عليه من الشجاعة فحمل عليها والتحما بعضهما ببعض وفتحا فى الأرض ميـــدانا وأجادا ضربا وطعانا وتقابا وتضاربا حتى بطلت السيوف وأختطف العمد وكانت ميمونا ما خرجت اليه الا بعد أن أخذت أهبتها وعرفت أنه ديلمى شديد فأخذت معها عاموود حديد وزنه عشرون منا لوضربت به جمل قتلته أو فيل أهلكته ومن حنقها على بعضهما بعض رميا الاتراس وتقامضا بالأطواق ورفعا أيديهما بالعموودين وكل واحد منهما قدشاهد الموت على رأسه بالعين وصاح الديلمى أنا ا ن ماهان وصاحت ميمونة أنا أبنة الدمدمان وتضاربا بالعامودان فكان أول من سبق بالضربة كان الرجل الديلمى فوقعت ضربته على البيضة التى على رأس ميمونة فخسفها وهشم رأسها هشمة ظاهرة أشرفت منها على الهلاك والعطب وكانت كالجبل العظيم ضربته وعاجلته بضربة هشمت فكه ورمت أضراسه ووقع الى الأرض وقد هدت أساسه ومسكت أيضا ميمونة نفسها على الجواد ساعة الى أن وجدت الراحة وخلعت البيضه عن رأسها فوجدت الموضع قد أدمى فمسحته ومن حلاوة الظفر طلبت البراز فخرج اليها الأمير موسى بن صالح الكردى وكانت الملعونة قد غيرت لباسها وعدتها وتطاعنا طعنا شديدا فضربها الأمير موسى برمحه فانقطع وهجم عليها وضربها بالسيف بعد ما بطل عليها مضاربها فوقع على الترس الذى كان فى كفها فقطعه نصفين وهجم عليها وطمع فيها ونظرت ميمونة الى فارس ما شاهدت مثله وقد أبصرت اشتغاله وتوقده وحدته فعنت فعلمت أنها هالكة وأرادت أن تخدعه وقالت له ويلك اما كان فيك كفاية حتى تستعين بغيرك فقال لها يا كلبة الكفرة اخدعى غيرى فما أنا انخدع للتى تعودت اللصوصية وأنا كردى وعرفت الحيل والمكر من حين كنت فى المهد لأننى عشت يتيما وما كنت آكل الا أموال الناس وأتحايل عليهم وكل من غفل عن شىء

سرقته فادفعى عن نفسكى بغير هذا (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة هذا الكلام ايقنت بالحمام ولم يكن لها ملتجأ الا أنها صاحت بجوادها وقالت له ويلك يا ميمون لهذا اليوم قد خبيتك وكان سابقا من الخيل ثم همزته فخرج سابقا من تحتها مثل البرق (قال) ورأى موسى الكردى ذلك فصاح بجواده وقال له ويلك هل لك أن تخطبو بى خطوات خفيفات فى طاعة الله تعالى ثم تبعها فلم يلحق منها الا الغبار وحملوا المسلمين لحملته فكسروا العساكر الاربعمائة ألف وولوا منهزمين والسيف يعمل فى أقفيتهم باقى النهار الى أن أدركوا عساكر الاميرة وهم فى القتال الشديد وكانوا الروم قد أحدقوا بهم من كل جانب وضيقوا عليهم المذاهب فهنالك أكبوا رؤوسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا ونادوا الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وأخذل من كفر فلما سمعوا المسلمين التكبير من ورائهم كبرت شوكتهم وزاد نشاطهم ورجعت قوتهم وكبروا وحملوا هذا ميمونة والمنهزمين من الروم قد وصلوا الى العلم الاخضر والصليب الجوهر الذى للملك أرمانوس وعمل القتال الى الليل وانفصل (قال الراوى) وكان الامير عبد العزيز هو المقدم عن بنى كلاب والأمير عمر وعلى بنى سليم وأما الاميرة فهى فى القسطنطونية ما أنتجز لها أمر لأن أرمانوس طمع فى المسلمين وأقام يقاتلهم ليلا ونهارا ولم يدخل أرمانوس الى البلد وكان هذا برأى عقبة لعنه الله لأنه قال للملك هؤلاء المسلمين مالهم زاد ولا علف ولا نقدر عليهم الا بالتعب ولا نملكهم الا بالنصب فاياك والراحة فاذا هلكون هؤلاء فما تقوم بعدها للمسلمين قائمة فقبل الملعون الكلام وواظبهم بالقتال وصبر الأمير عبد العزيز ومن معه من بنى كلاب وبنى سليم والسودان وغيرهم من بنى عبس وصبروا صبر الكرام وقتل منهم خلق كثير وقتل من الروم أضعاف ذلك وأشرفوا المسلمين على العطب من الجزع والتعب ووقعت الخيل من تحتهم وأيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك وصاح عبد العزيز أيضا ياقوم ترجلوا عن الخيل فما بقى لها قوة تمشى وابذلوا النفوس فى طاعة الملك القدوس فانها هى ساعة وتصلوا الى جنة الخلد ثم أنهم عولوا أن يترجلوا فى تلك الساعة واذا بميمونة قد وصلت مكسورة وعساكر الاسلام من خلفها مؤيدة منصورة وأعلام الخليفة منشورة الى أن وصلوا اليهم وفرقوا عنهم الاعداء وسقوهم كؤوس الردا وأظلم الظلام وأعطوهم العلف والطعام مما وصل معهم من العراق وملطية ومما أخذوا من الضياع والقرى (قال الراوى) وكانت هذه نعمة من الله تعالى عليهم فرج بها وقويت النفوس وصهلت الخيل لما أنعمت من العلف بعدما أشرفت على التلف وسأل مقدم عسكر الخليفة عن

الاميرة ذات الهمة وأولاد ولدها فقالوا أسأل صاحبها الامير عبد العزيز العلوى فسأله عن ذلك فقال قد مضت الى أمر مهم ولا شك أنها تريد تتوصل الى قرب الملك أرمانوس وتقتله فى وقت الهياج فاذا قتلته ما يكون للروم بعدها مقام ويقصد كل ملك من ملوك النصارى الانهزام ويقصد الى بلاده خوفا من عدو يتغلب عليهم عند هلاك أرمانوس فقال مقدم عسكر العراق لله درها والله لايصلح لهذا الجمع العظيم الا هذا التدبير لاننا قد ضعفنا عن هذا العالم وكيف كان حالكم قبل ما نصل لكم فقال الأمير عبد العزيز العلوى لقد أوسقناهم طعنا وضربا وأشبعناهم حربا ولكن كان النقص باين فينا دونهم ولولم تصلوا الينا كنا هالكون (قال الراوى) فلما أن سمع عمرو وبنى سليم مقال عبد العزيز عن الاميرة ذات الهمة ما أعجبهم لأنهم كانوا يريدون أن يكون الذكر الا لهم فى الجهاد (قال) لأنهم كانوا يتحاسدون على فعل الخير وما الغنائم فما كان قلوبهم أخف منها وأن عقبة هو الذى كان يلعب بعقولهم وكانوا يعرفون ظاهره ولا يعرفون باطنه (قال) هذا وقد وصلت ميمونة الى الملك وأعادت عليه ما جرى وتحدثت الروم والملك بما صنعت بالديلمى فقال لها أرمانوس قتل ذلك الشيطان أحب الى من فتح ملطية فجزاكى المسيح عنى خيرا وشكرك على فعلكى فلقد فعلتى فى هذا الدين كل فعل مليح فلا يكون على قلبك هم من هذه العساكر فقد دنا هلاكها وقد وصلنى الخبر بأن أهل بلد أفرنجه كلهم معولين على المسير الينا خدمة لنا وطلبا للغزو وهم ستمائة ألف يريدون العرب كلها ولكى البشارة أيضا فقالت بمن قال بأبى محمد البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ وآخر يقال له صند وقد أغديتهم بعبد الوهاب فى المطمورة وهم فى أقبح حالة وأسمج صورة وان الشيخ النجيح قدم الينا زائرا ومعه العالم الزاهد شومدرس بركة المسيح الذى قد طالت علينا غيبته ومعهم جمال المجالس وزين الرهبان والقساقس الراهب مطرون وهو معتذ مما كان منه مقر بدين الصلبان (قال) فلما سمعت ميمونة ذلك سلاما كان بها من الغم وفرحت وانقشع عنها الهم وقالت له أيش قعادك هاهنا أدخل بنا حتى نجتمع بالراهب شومدرس والشيخ النجيح ويذهب عنى هذا الهم الذى فى قلبى ونستريح ونعاقب البطال عقوبة نشتفى منه بها ونبصر كيف وقع فى أيديهم فقال الملك سمعا وطاعة وكان يحبها محبة عظيمة زائدة عن الصفة وأوفر عن الحد حتى انه هجر كل سراريه الروميات من أجلها وما هو الا أنه سمع حديثها حتى أدعى بالبترك وقال له يا أبونا حرض الناس على القتال فاننى أريد أن أدخل الى البلد وربما أقمت فيها الى غداة غد (قال) ودخل أرمانوس البلد ومعه ألف من المدبجة قابضين على قوائم سيوفهم وفى أوساطهم المناطق المرصعة باللؤلؤ

وعليهم أنواع الديباج كأنهم زهر البستان فى زمن الربيع الى أن وصل الى القصر وجلس الملك على سرير ملكه وأخذ فى نهيه وأمره وهو على سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج ونصب من حوله كراسى الذهب والفضة لخواص البطارقة ووقف الباقون قيام متكئين على قوائم سيوفهم (قال) ثم أن الملك أدعى بالشيخ النجيح وشومدرس ومطرون إلى بين يديه ومانع كذلك لأجل مافعل وادى بالدجاج والخنانيص والحلاوات والبوارد والحرارات وغير ذلك وقال لبعض البطارقة امض وادع لنا الحاجب مارس ودارس فان لى يومين ما رأيتهما ولا شك انهما مما قاتلا قد جرحا فذهب البطريق إلى دارهما ودعاهما فقالا سمعا وطاعة وسألا عن الملك ومن عنده فأعاد عليهم البطريق الحديث وعرفهما من عند الملك فلما خلا مارس بالاميرة أعاد عليها جميع ذلك فقالت له ياأخى والله انى أحب أن أكون فى جملة الناس فهذه ليلة لله تعالى فيها رضاء عنى لعل الله أن ينصرنا على الأعداء وينفذ حكمه فيما قدره وقضاه (قال) فلما سمع مارس ذلك قال والله ماأخالفك فى أمر لعل الله تعالى أن يسهل خلاص الامير عبد الوهاب غير أن الذى عليكم ماهو زى البطارقة الخاص ثم أنه فتح خزانه وأخرج منها كل لبس مليح وقال لهم البسوا فلبسوا وشدوا المناطق فبقيوا كأنهم بطارقة من ألف سنة إلا طماطم فانه كان بمناخير مشققة وعيون ملحقة وسواد ظاهر فقال له مارس اقعدها هنا ياطماطم وإلا فضحتنا فقال لا والله أنا أكون خلف أصحابى واقف مطاطى الرأس مطرق إلى الارض وهذا ليل ما يفطن بى أحد فقالت الاميرة ما نأسف عليه دعه يكون معنا (قال) وخرج مارس ودارس مع الرسول والاميرة وأصحابها من خلفهم وظن بواب القصر انهم مع مارس ودارس فلم يتعرض لهم الى أن صاروا مع جملة البطارقة وأن أرمانوس أكل وأكلوا معه البطارقة بأسرهم ثم أن عقبة رفع خنيص كبير ووضعه بين يدى مانع بن ضابط وقال له دونك هذا الخنيص أيها الشيخ المبارك الذى عليه الخير متدارك فقال له مانع وما هذا فقال له هذا اخنيص فجعل مانع يتحايده لأجل مافى قلبه من الاسلام وعقبه يلاحظه فقال له مالى أراك لا تأكل منه فقال يامولاى انى أخاف أن تقوم روحى منه واذا صار لى به أنس كان ذلك (قال الراوى) ثم رفعوا الطعام وقدموا الخمر بين أيديهم ودارت عليهم الكاسات فناول عقبه لمانع كاس وقال له خذ مايعينك على سنك ويزيد فى حيلك وذهنك فأخذه مانع وصار فى كفه ثم أنه بكا فقال له عقبة ما يبكيك أيها الشيخ وأنت فى حماية الملك وكذلك أولادك وزوجتك وجميع من فى دارك وما بقى لك أحد فى طرابلس فقال ياشيخ مابى هذا الذى تقول غير أنى والله أحفظ القرآن وأوحد الرحمن

وأكون فى آخر عمرى الى بالبعد والصد والهجران لان الذى جرى على كان فى طلب الدنيا وما علمت أن الحال يؤول إلى الانتقال عن الاديان وأنا استحى من مائة وأربعة عشر سورة وممن انزلها عليه إلا له الرحمن أن أحفظها وداخل عليها الحرام والاشراك بالملك العلام وأنا ماأفعل هذا ولو بليت أيضا بالهلاك والانتقام ولقد ندمت على ما كان منى ثم تذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال من بدل دينه فاقتلوه فهل لكم أن تأخذوا جميع مالى وهى مائتين الف دينار والله انى ما كنت اخرج عليها زكاة أبدا من بخلى على المال والآن طاب قلبى أن تأخذوها منى وتتركونى على اخراج إلى بلاد الاسلام أنوح على ما كان منى ولقد رأيت البارحة سيدنا محمد عليه من الله افضل الصلاة والسلام وهو يقول لى ياشيخ كيف يكون مالك إذا وقفت الخلائق بين يدى الملك الخالق وقال لعيسى بن مريم عليه السلام أنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله تكون مع النصارى مع هذا التوبيخ أو من المسلمين المستغفرين من أمتى فقلت وهل بقى لى توبة قال نعم إذا رجعت أقالك من عثرتك (قال الراوى) فلما سمع عقبه ذلك الكلام فقال له ياشيخ هاأنا احفظ القرآن مالم يحفظه أهل الأرض باختلاف وروايات وهو مع ذلك يشرب الخمر العصير ويأكل من لحم الخنزير وحق المسيح إذا لم تأكل الساعة من لحم الخنزير وتشرب الخمر العصير لاعذبنك العذاب الكثير فقال مانع وقد فاضت عيناه بالدموع ياشيخ اصنع مالهئت فوالله لاكفرت بالرحمن ونسيت قول خير الخلق ومجيئه إلىّ فى المنام وقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام من رآنى فقد رآنى حقا فان الشيطان لايتمثل بى فافعل مابدالك فقد طال ماحفظت مالى حتى ضاع دينى وأريد الساعة احفظ دينى وأضيع مالى فقال عقبة لابد أن أعذبك أشد العذاب حتى أضاعف لك الثواب ثم قال الملعون اتونى بعبد الوهاب والبطال حتى اقتلهم جميع هذا والأميرة فاضت عيونها بالدموع من كلام مانع بن ضابط وقالت لأصحابها لولم يكن فى قلبه حلاوة الايمان لما كان بدا منه هذا وقد هان عليه ماله وأهله وولده وأنه مافعل هذه الفعال إلا وعلم أن الكفار مايبقوا عليه الاأن الله تعالى نظر اليه ويمن عليه بالخلاص من أيديهم وما أحسن حال من طرد عن باب الله ثم يعود اليه ويكون له واعظ من نفسه (قال) فهى فى الكلام وإذا بالبطارقة عادوا ومعهم الأمير عبد الوهاب (قال) وكان ملك الروم فى هذه النوبة ضيق عليه ولم يحسن اليه ولم يكن جرى قط عليه مثل ماجرى فى هذه النوبة وانهم كانوا عولوا على قتله ولما نزل اليه أبو محمد تعجب من حاله ونظر أيضا الى لؤلؤ وصندل فقال له ويحك يا أبا محمد من الذى مد شباكه اليك حتى أوقعك هاهنا فقال الذى حكم عليك بالأسر

فقال الأمير صدقت والله ولكن لكل شيء سبب وأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها فبقي الأمير متحير وقال والله لقد أطاقت علينا من شومدرس آفة عظيمة وشيطان مريد وأقاموا في المطمورة الى أن أتوا البطارقة اليهم وأخرجوهم والى بين يدى عقبة أحضروهم وكانوا مكتفين (قال الراوى) فلما نظر اليهم شومدرس ضحك وقال مرحبا بهذه الوجوه الضوية فقال الأمير عبد الوهاب ياملعون والله انها الضوية رضية وأفعالها مرضية وطول عمرها في نصرة دين الحنيفية والشريعة الاسلامية وهى صابرة على هذه البلية وحلول المنية لأنها طال ما أذلت رقاب النصرانية وقهرت أهل ملة المعمودية فضحك عقبة وقال ما هذا وقت عتاب ياعبد الوهاب وانما أحضرناكم للعتاب والعذاب لا للمحاورة والخطاب اجلس الساعة حتى يطيب قلبي بالشرب وحق المسيح ان طاب قلبي لأضربنكم حتى يرثى لكم العدو والحسود ولا تطيقون قياما ولا قعود ولأعذبنكم عذاب اليهود هذا ان طاب قلبي فقال له أبو محمد الله لايطيب لك قلب ولا يستر عليك فما أنت الا أنجس من كلب فضحك عقبة حتى بدت أنيابه وسال لعابه وفرح بجوابه وهموا الأميرين بالجلوس فصاحت ميمونة وحق المسيح ان جلس أحدا منكم لأضربن رقبه أيكون الملك ارمانوس جالس وأنتم جلوس لا كان ذلك أبدا بل تكونوا قيام الى أن يطيب قلب الشيخ النجيح ويفعل بكم ما أراد فقال لها عقبة لله درك فما أعرفكى بكل الأشياء وما هذا الا ببركة الشيخ النجيح وما يهدى لكى من الدعاء وكان ذلك على الأمراء أمر من العقوبة ثم صاح مطرون بمانع بن ضابط وقال له ياشيخ السوء قم قائما إذا كنت رجعت عن دين الملك فما بقى الا قتلك وقتل أولادك وزوجتك وأخذ مالك وتقطيع قذالك فوثب مانع قائم وقال والله انى قائم أنتظر منكم العذاب أحب الى من العقوبة بينكم فيما يغضب رب الأرباب لأن عذاب الدنيا يزول وعذاب الآخرة لايفنى ولا يحول فزاد غضب عقبة عليه وقال سوف أبدأ بك في العذاب حتى تتعوده في الدنيا قبل الآخرة ثم أمر البطارقة فمدوه على ظهره والملك أرمانوس يضحك والبطارقة كذلك وقد عملت الخمرة فيهم وجعل عقبة يضربه وأبو محمد حائر في هذه القصة وكلما ازداد في ضربه يرفع رأسه الى السماء ويقول يامولاى اجعله كفارة لما مضى واعصمني وارحمني فيما بقى وكلما رآه عقبة كذلك وسمع كلامه غضب عليه وزاد حنقه ولم يزل يضربه حتى غشى عليه وهو رجل ترف لم يتعود الضرب على كل حال فلما نظرت الأميرة ذات الهمة إلى ذلك قالت لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قالت لأولاد ولدها والله لا أقدر أصبر على هذا البلاء بأن رجلا من أمة محمد المصطفى يعذب وأنا قائمة ولا أدفع عنه وأريد أبذل روحى دونه

فأما أن أكشف عنه ماهو فيه أو أصير فى بلاه وأواسيه فى قضاه حتى يكون عذرى قد قام عند الله (قال الراوى) فلما سمع سيف الحنيفية ذلك من كلامها قال لها أيتها الأميرة هذا كلامك مثلك ونحن فى قبضة الأعداء على سبيل التلصص ولو فطنوا بنا ما وصل الى الأرض من دمانا قطرة لأنهم يصيحون صيحة واحدة وقد أتى الينا كل من فى القصر ولهذا الرجل أسوة بالأمير عبد الوهاب وها نحن نراه فى هذا القصر الذى هو فيه وكذلك الأمير أبو محمد البطال وولده وغلمانه وكذلك زوجة الفضل أم عبد العزيز وما نرى لها خبر وربما يكونوا قتلوها والا ما كانوا أخفوها ولعل الله تعالى يحمل عليها شدة العذاب اذا علم صدق النية والفؤاد الذى هو متعلق بالأنوار القدسية وهذا الرجل المسكين فى محبته لدين الله يعذب ولم يحل عن دينه ولو كان على الجمر يتقلى (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة كلامه علمت أن قوله حقا وكلامه صدقا فصبرت على القضاء وبعد ساعة أفاق مانع فقال له عقبة كيف أنت يامانع فقال بخير والحمد لله بهذا ولا تخطفنى الكلاليب من على متن الصراط الى نار جهنم لقوله تعالى خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون (قال) فلما سمع ذلك ضربه حتى غشى عليه وعادوا الى أكلهم وشربهم الى أن أفاق فقال لااله الا الله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن كل شىء بقضاء الله وقدره ثم التفت الى أبى محمد وقال يا أبا محمد هذا نقمتك على بكل ماجرى لى فى اعانة هذا الظالم الغاشم عليك ومع هذا فإن الله تعالى يقول (إلا من تاب وآمن) سألتك بالله أن تجعلنى فى حل فقد قرب منى مابعد وبالله مابقى لى حياة (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد ذلك من كلامه قال لك ذلك ولكن اذا قام هذا الشيخ النجيح الذى لا أفلح ولا أنجح ليعاقبنى احتسبت الله عليك فلما سمع مانع ذلك غشى عليه فلما قال البطال ذلك قال له الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد هذا وقت المزاح وقد بلغت التراق الأرواح وهذا الرجل روحه فى السياق وقد أشرف على الفراق وهو يتضرع الى الله تعالى الملك الخلاق وأنت فى هزلك ماتبوح فضحك أبو محمد من قوله وقال لوكانوا الملاعطة ضربوك معى حتى كسروا ركبك ما كان هذا كلامك فضحك عبد الوهاب من وسط غيظه وضحك عقبه ولو قدر عبد الوهاب على ضرب أبو محمد فى ذلك الوقت لضربه وأخذه الغيظ الذى لحقه وأما الشيخ مانع فانه أفاق مرة ثالثة وقال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له عقبة كيف ترى حالك حتى ترجع عما أنت فيه حتى ينعم عليك الملك فقال ياشيخ أما أنا فان الملك الحق قد أنعم على وأحسن الى وأنا له شاكر ولبلائه صابر وللفرج منه منتظر (قال الراوى) فلما سمع أرمانوس ذلك ظن أنه أعناه بهذا الكلام فقال لعقبه أيها الشيخ النجيح على كل حال ماكان سبب خلاصك

ونجاتك وخلاص الراهب العالم شومدرس والشيخ مطرون وظفرك بعدوك غير هذا الرجل وقد قيل فى الانجيل ان طاعة الولد لوالديه واجبة والاحسان الى من أحسن الى الانسان واجب وهذا قد أحسن اليك وكان سبب خلاصك فاعف عنه وأنا وحق المسيح كرامة لك ما آخذ من ماله درهم واحد بل أدفع ماله اليه وأشيعه الى بلاد الاسلام فقال عقبة لاعفى عنى المسيح ان عفوت عنه لان فعله الذى فعله فى حق ما كان ذلك منه وإنما كان من عناية المسيح ولابد ما أنتقم منه فقال الملك إذا لم يكن عمل معك جميل وان هذا من فعل المسيح وعنايته الا أنه ماأذنب اليك ولاأذاك حتى تعاقبه فقال بلى وحق المسيح لوضربنى على قلبي كان أهون من قوله لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عدوى وأنا عدو من يقول هذه الكلمة من بنى آدم وانى أخاف أن أموت وهذه الكلمة باقية فى الدنيا وكنت أريد من المسيح ان كانت هذه الكلمة تبقى من بعدى تطرح على عظامى النيران حتى اذا كانت رائحتى فى الشرق وشمها من فى الغرب من المسلمين تأذى بها حتى أكون سببا لأذيتهم فى الدنيا والعقبى فضحك أرمانوس وشومدرس ومطرون وقال ارمانوس ما أقواك فى دين النصرانية افعل ما بدالك فما أعارضك لأنك أخبر منا فى الدين ومصالح أهل الانجيل (قال الراوى) ثم ضربه عقبة حتى غشى عليه ثم أفاق فقال يا أبو محمد اجعلنى فى حل فان الفرج قد قرب وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى مابقى عليك شدة أكثر من هذه الساعة وتصل الى جنة المأوى فاجعلنى فى حل ولك البشارة انكم عن قريب تخلصون ووصيتى اليكم أولادى وزوجتى اخرجوهم من ديار الكفرة إلى ديار البررة فقال له أبوه محمد وهو يبكى أنت فى حل دنيا وأخرى وكذلك قال لؤلؤ وصندل ومذبحون هذا كان بقضاء الله تعالى وقدره فقال والله لقد صدقتم ان كل شيء بقضاء الله وقدره وما رأيت قط سفره أبرك منها أعقبتنى الجنة ورأيت رسول الله صلى عليه وسلم مرتين فى المنام فانجز ياعقبة بضربى فهذه العقوبة بما فعلت فى حقك من الخير وفى حق أبو محمد البطال من الشر فعند ذلك شال عقبة العصاة وضربه ضربة خفيفة لطيفة وقال له سوف يبين محالك اذا عشت بعد هذه الضربة فقال مانع أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنه قضى نحبه ومن ساعته لحق بربه فحركه عقبة فوجده قد فارق الدنيا فظن ان ذلك حيلة منه وأخذ سكينا وضربه بها فلم يختلج فصلبت الروم على وجوهها فقال عقبة أنه علم أنه يموت فقال ماقال وكان معه سما فوضعه فى فمه فمات وتخلص من العقوبة ثم انه صاح بالرجال وقال لهم لفوه فى

ثيابه واحملوه الى شراريف القصر والقوة فى البحر حتى يلقى ربه فى بطون السمك يوم القيامة ثم أقبل على أبو محمد البطال وقال ان كنت تحب أن تحشر مثل مايحشر فأنا ألحقك به الساعة فقال له أبو محمد ويلك ياعقبة خلى للصلح موضع فانك كما تدين تدان وبالمكيال الذى لنا به تكتال به لك يكال فقال عقبة هيهات ان أرجع أقع فى أيديكم ولا بقى لكم خلاص أبدا فقال أبو محمد تكذب ولا بد ماتقع فى أيدينا اماأنت واماالملك فاغتاظ عقبة من كلامه وضربه الى أن غشى عليه وادعى بالأمير عبد الوهاب ففعل به كذلك وزاد بالأميرة الألم على ضرب ولدها فقالت والله انى أحس بالضرب على كبدى فياليته جسدى هذا وعبد الوهاب يضرب ولا يسمع له كلمة غير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم توكلت على الله واستعنت بالله ثم انقطع كلامه وخفت حسه وعقبة يضربه فهمت الأميرة أن تصيح وتهجم عليه وقد عدمت صبرها فقال له أرمانوس بسك ياعالم النصرانية فما يفوتك الضرب أما تنظر إلى المسلمين وهم محاصروننا وقد كسروا بالأمس ميمونه وكانت فى أربعمائة ألف فعادت فى نصف العسكر وقليل المسلمين كثير وكم من مرة من قبل هذا ملكناهم وقدرنا عليهم ثم ينصروا علينا ومنا عالم عظيم و إن أنت قتلت هذا الأسود وظفروا بنا لايبقوا على صغير ولا كبير وأول ما يبعوا بى أنا يقتلونى فدع هذا الرجل فانا أردنا قتله من قبل أن تصل الينا أمه ولكننا فكرنا فى عواقب الأمور فان كانت الكسرة لنا فما نقدر على شىء بل نسلمه اليك وان كانت علينا وهو سالم كان سبب سلامتنا وإلا تصلبنا أمه صلب الكراع ثم قال للملك أتدرى كيف صلب الكراع فقال نعم تكون الرأس إلى أسفل والأرجل إلى فوق فضحك عقبة من قول الملك وقال لعمرى هذا رأى ومن لم يحسب العواقب ماالدهر له بصاحب وما كان مراد عقبة ألا يبلغ مراده ودع يجرى إلا أنه ماقدر على مخالفة الملك وأمر بهم إلى المطمورة التى كانوا فيها وكانت الأميرة من جملة الموكلين بهم وساقوهم إلى المطمورة فطرحت يدها على رقبة أبو محمد محمد البطال حتى يعرفوها ويعلم الأمير عبد الوهاب إذا نزلوا فى المطمورة حتى يطيب قلبه فلم يرفع أبو محمد رأسه اليها من شدة الضرب فعصرت الاميرة على قفاه كادت تطحن رقبته فصاح من تحت يدها لاستر الله عليك ياولد الزنا ماكفاك ماأنا فيه من البلاء حتى تتعانى على ثم رفع رأسه لينظر من فعل به من البطارقة لعله أن يكافئه يوما من الدهر ويقابله بما صنع وإذا بها الأميرة فبقى بين المصدق والمكذب فقالت له نعم ياأبو محمد فلما عرفها قال لاصح الله بدنك ياعجوز ولولا انى أخاف من الله تعالى لصحت الساعة خذوا هذه العجوز السوء التى كادت تطحن رقبتى فتبسمت الأميرة

وساروا بهم إلى المطمورة وكانت الاميرة هى التى قفلت عليهم وأخذت المفاتيح وهم يظنوها من البطارقة المذبحة الخاص وعادت وقفت على رأس الملك ولم يزل على ماهو عليه إلى أن ذهب من الليل الثلث ثم أن أرمانوس صرف أكثر البطارقة وعبث بميمونه تقالت له يامولاى قم بنا إلى المنام فانى أريد أن أخرج عند الصباح إلى لقاء المسلمين فانصرفوا البطارقة ومضى الملك إلى بعض المقاصير وقال لعقبة امضى إلى الدار التى أعدت لك فى القصر وخذ معك شومدرس ومطرون فقال لعقبة لأرمانوس أريد أسألك عن أم عبد العزيز العلوى هى عندك أسيرة لأنى أريد أن أعذبها فى هذه الليلة فقال أرمانوس وحق المسيح ماهى فى القسطنطونية لأن قبل قدومكم علىّ أتانى بعض التجار ورفع إلى هدية سنية وطلب منى بعض الأسارى فما كان عندى غيرها وعبد الوهاب فدفعتها اليه ولا أعلم من هو ولا أعلم أين مضى بها فقال عقبة الى لعنة المسيح لأنه ما أخذها إلا لأجل عذابها (قال الراوى) وانصرف عقبة ومعه شومدرس ومطرون وقال الملك لمارس ودارس ناما ههنا أنتما والبطارقة وكانوا البطارقة الباقون ثلثمائة وبقية الألف تفرقوا وانضجعوا هؤلاء وهم سكارى والاميرة وأصحابها فى جملتهم إلى أن تنصف الليل هنالك وثبت الاميرة وهى تقرأ قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سداومن خلفهم سدافأغشيناهم فهم لا يبصرون وفتحت المطمورة وكان الامير عبد الوهاب يحدث الاميرة فقالوا له ماهذا صحيح وكيف تدخل إلى القسطنطونية وفى وجهها عساكر الروم فقال عبد الوهاب ياأبو محمد من ألم الضرب قد تخيل الك ذلك فقال كيف تخيل لى وقد كادت أن تطحن رقبتى حتى أعلمتنى بمكانها فقال الامير عبدالوهاب ان كانت فعلتها فيالها من عجوزما أقدرها على الأهوال ما أصبرها على النزال فقال أبو محمد وما أخلعها لرقاب الرجال فلا وهب الله لها عافية فغضب الامير من قوله وقال تبذل نفسها لهذا الهول الهائل وقدم على الدخول إلى القصر وذلك السم القاتل كل ذلك من أجلى وأجلك وأنت تقول لا وهبها الله عافية فقال لؤلؤ والله ما تستاهل مولاتى هذا لأن مولاى مايدرى مايقول من الألم فقال أبو محمد أسكت لو كانت تلك العصرة فى عظم رقبتك لما كان هذا كلامك وباب المطمورة فتح وكانوا ناموا من الفرح فنزلت اليهم وقطعت كتافهم ولم يكن فى أرجلهم قيود لانهم كانوا فى العقوبة وأيضا المطمورة حصينة والباب وثيق توثب الامير عبد الوهاب إلى أمه وضمها إلى صـــدره وقبل رأسها وبكا فقال ضيغم لاتبكى يا أبتاه شد قلبك فنحن خلفك فقال والله يابنى ما بكيت فزعا من الموت لأنى أعرف انه محتوم ولكن تذكرت كلام مانع وقوله على لسان رسول الله الفرج قريب وهذه علامة

صدقة فالحمد لله الذى كان ذلك على يد الأميرة ثم قال من معكم فقالت الأميرة ممنا وبنا لقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم (قال الراوى) ثم أن الأميرة سارت بهم الى البطارقة النيام وأخذوا من سيوفهم وزاد نشاطهم فرحا بخلاصهم وكان الذى تولى ذبح البطارقة البطال والغلمان ومذبحون وقالوا للأميرة ما فى الأمر الا أن تأخذوا أحدا ونذبح ميمونة لعنها الله وندبر على أخذ عقبة خزاه الله وصاحبيه مطرون وشومدرس ونفزع من هؤلاء البطارقة ونمضى الى دار مارس ونخرج فى زى عوام البلد ونحبس عقبة ومطرون وشومدرس وارمانوس فى مطمورة فى بيت مارس ولا نخرجهم من ههنا والا وأعينهم معصبين فقال البطال دونكم ساعدونا فى هؤلاء النيام لاتحس بكم ميمونة لأنها ماتنام الليلة من محبتها لارمانوس وان علمت بنا وصاحت ثاروا علينا النيام وربما يأتينا من الروم عالم كثير فقالت الاميرة انى ما أتيت اليك الا وغلقت باب القصر وأخذت المفاتيح من البوابين وهاهم معى فابدؤا بمن شئتم بهؤلاء اللئام وبادروا الى ثواب التواب (قال الراوى) هذا والبطال ومذبحون داروا بالخناجر فى القوم الفواجر فما كانت الا ساعة حتى فرغوا منهم بأسرهم الثلثمائة فقال مارس والله ماتصلح أنت وولدك الا فى دار البقر والغنم (قال الراوى) ودخلوا الدار التى فيها أرمانوس فوجدوا الغلمان فى الدهليز نيام فذبحوهم عن آخرهم ودخلوا واذا هم بسرير من عاج مصفح بصفائح من الذهب الوهاج وكان أرمانوس لما أراد أن يختلى بميمونة فرق الجوار فى المقاصير وكان لما يريده الله تعالى من أبقاك الملعونة ميونة وانفاد المسببات والقدرة قامت من عند أرماس من مغص فى بطنها لأنها حامل ويأتى منها ولد وله حديث يذهل العقول وسوف يأتى حديثه فى مكانه بعون الله سبحانه وتعالى (قال الراوى) ثم ان الأميرة هجمت هى ومن معها فوجدت ارمانوس نائم وهو يشخر كما يشخر الثور فجثمت الأميرة على صدره جثمة الأسد الغضبان ففتح عينه فوجد رجال فى أكفها سيوف يلمع من شعاعها الحتوف فهم ان يصيح فقالت له أقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين ورفع قدر الحجرين وهو رب المشرقين والمغربين ان تكلمت لأرمين رأسك وأخمد أنفاسك ثم انها أدارت كتافه وعصبت عينيه وسدت فمه وقالت من يحمله فقال ضيغم أنا له ثم دخل من تحته وحمله وهو كأنه أكره وطلبوا ميمونة فما وجدوها فعظم عليهم ولم يمكنهم التفتيش عليها لأنهم فى أمرهم على عجل ثم ان البطال كان انفرد الى عقبة لأن داره كانت بالقرب من دار الملك وكان عارف بها (قال) وكان عقبة لما دخل الى تلك الدار كان على غاية من الحذر فجعل يدور فى الدار فلم يرى أحد فوقف وهو فى

حيرة من أمره وإذاهو ببيت منفرد وفيه سرير وعليه شيخ نائم بلحية شمطاء وقد سال لعابه على لحيته وعند رجليه آخر نائم فلما شاهده قال يالها من طريق ما أبركها ثم دنا منه واذا به مثل الثور فقال للأميرة أدنى منه ولا تنبهيه واقطعى رأسه واسرعى اختلاسه حتى نكون برأنا ايماننا ثم تقدمت اليه وشالت عن وجه الازار واذا به مطرون والذى عند رجليه علام عقبة وعقبة وشومدرس مالهما خبر (قال) وكان السبب فى ذلك أن عقبة خزاه الله لما دخل الى الدار وجلس على السرير أقبل على شومدرس ومطرون وقال لهما اعلما أن قلبى نافر من المسلمين فى هذه الليلة مما فعلت فى حقهم من الضرب وقتل مانع لاسيما ذلك الولد الزنا صندل فانه عمل معى دست ماسبقه اليه أحد وقد بردت غليلى بعقوبته وأنا فى غداة غد معول على قتلهم ومع ذلك انى ما آمن من البطال أومن بعضهم وأريد أن لايعرف أحد موضعى الذى أنام فيه حتى لاتنعكس القصة علينا ونرجع نقع فى البلاء وأنا معول على موضع أعددته فى القصر لا يهتدى اليه أحد فأكون فيه الى الصباح لأنى أعلم أن البطارقة اذا كان ميت بعيش ويقبضنى ويضربنى عوض الضرب كل واحدة عشرة فقال شومدرس وأنا معك أينما كنت ولى أسوة بك فقال عقبة الامر اليك (قال الراوى) ثم أن عقبة أقبل على مطرون وقال على ماذا عولت فقال وحق الدهر المقيم والزمن القديم انكما عيشكما من هؤلاء القوم فزعا ورعبا وهم فى المطامير فى عيش ذميم وقد ضربوا الضرب العظيم وهم مشرفون على العطب ان هذا عار عند الروم والعرب وأنا وحق علة العلل لا أبرح من مكانى ولا اتبعكما فى أمر وأبقى معيرة عند كل أحد (قال) فقال عقبة ويلك ما تذكر كيف أنفذ اليك الى بغداد على لسان ذات الهمة وساقك الى عنده كأنك تيس تساق الى المنحر فقال له صدقت ولكن بين الحالتين فرق بعيد لأنه كان مطلوقا وهو اليوم موسوقا وما أقول انه يسلم من كثرة الضرب الذى ضربته فقال عقبه أنت معذور وما عندك منه خبر وحق المسيح لو ضربته بكل خشبة فى الدنيا ما ازداد الا لعنه وشؤم وحيث ماأنت عازم على ذلك الأمر فأقم مكانك وأنت أخبر بشأنك فنحن لابد لنا من الخروج فقال دونكم وما تريدون ثم نام التعيس مكانه وخرج عقبة وشومدرس الى الموضع الذى ذكره عقبة وهو يعرفه من عهد منويل (قال الراوى) ولما دخلت دات الهمة لم تجد غير مطرون فأخذته وأخذت غلام عقبة وخرجوا من القصر وأخرجت الاميرة المفاتيح وفتحت الباب وقد ستر عليهم الملك التواب ومارس ما يصدق أن يصل الى

داره وهو متعجب من هول ماشاهد من فعل الأميرة وقوة قلبها وهو يقول لأخوه دارس ما لهؤلاء القوم قلوب يجزعون بها فقال دارس ياأخى لولا هذه القلوب لما وصلوا إلى المطلوب فقالت الأميرة لمارس أريد أن يكون الملك ومطرون وغلام عقبة عندك فى مطمورة فقال لها ولم ذلك قالت حتى نخرج عند فتوح الباب مع أصحاب أرمانوس فقال والله انى أخاف أن ينكشف حالنا فقالت صدقت ولكن هؤلاء معصبين العيون والاكز فى أفواههم وهم تحت الأرض لايعلمون فى أى الاماكن إلى أن نأخذهم ونخرجهم على ماهم عليه فقال لها افعلى مابدالكى ومن تمام الأمور لما يريده الله تعالى لم ترجع ميمونة إلى فراش أرمانوس إلا عند الغلس حتى ذهب ما بها من الوجع والمغص فعادت تطلب سرير أرمانوس فوجدته مفقود فظنت أنه ذهب لقضاء بعض الحوائج فقعدت فى انتظاره فما عاد فلما أيست منه خرجت من باب المقصورة فوجدت الدماء على الأرض جامده والرؤوس من أصحابها حائده فصاحت صوت أذهل القصر وخرجت النسوان والخدم من المقاصير فشاهدوا ذلك الامر الخطير فعلا الصياح وارتفع الصراخ وثارت الناس من البلد طالبين إلى القصر من كل مكان كانهم السلاهب وفى دون ساعة صار فى القصر عالم بعدد الرمل والحصى وسألوا ميمونة عن الخبر فقالت الملك قد عدم وحق المسيح ومن الدنيا قد حرم ولو كنت عنده لذبحت مثل هؤلاء البطارقة فاطلبوا المطمورة التى فيها البطال فما دهينا إلا منها فتبادروا اليها فوجدوا مفتوح الباب مفتوح والقفل مطروح وما فيها من فيه روح فعلموا أن البلاء منها فقالت ميمونة واعجباه كيف قتلوا هؤلاء الخلق الكثير وما أظن إلا أن نكون دهينا من مكان آخر فهم فى الكلام وعقبة سمع الصوت فى القصر فقال جاء العمل هذا الحساب الذى حسبته فقال شومدرس أخرج ننظر ما الخبر فقال عقبة لا وحق المسيح ماأخرج من مكانى حتى أنظر المكان ملآن من الروم فقال شومدرس ولم ذلك فقال خوفا لا يكونوا فى القصر وقد غرهم الطمع وأخرج أنا فى أيديهم أقع ثم صبر إلى الصباح وخرجا إلى أن وصلا إلى ميمونة فقالت له ياعقبة تكون فى عافيه وبيوتنا عامره فلما تنظر إلى هذه الطلعة الميشومة والناصية المذمومة وأنا أريد أن أقتلك وأخلص النصرانية من شركك ومكرك فلعنك المسيح ولعن قومك فقال عقبة وقد ضحك ضحكة باردة خلى العتاب ياستاه واعلمى أن الذى فعل هذه الفعلة من البطال كان طال عليه أن يقتل هذه الرجال كلها وما هذه الفعال والأفعال رجال أقيال معودين بالقتال والمبارزة فى المجال وهم الذين خلصوا أبو محمد البطال وعبد الوهاب من الاعتقال والبلد بعد مغلوق الابواب فان كان لكم حاجة فى الملك فتشوا عليه دور

البطارقة فانه لايخلوا أن يكون أحدا فاسد على النصرانية وعمل هذا العمل على أهل ماء المعمودية وحق المسيح أن فى المدينة قوم من خواص الملك وهم مسلمين ويظهرون دين النصرانية فى الظاهر وهم بخلاف ذلك (قال الراوى) وقالت ميموتة من هؤلاء القوم حتى أقطف رؤوسهم وأخمد منهم نفوسهم فقال عقبه وحق المسيح على ما أعرف فهم على الحقيقة ولكنى أعلم أن قولى صحيح لأنى قط ماكاتبت ملوك النصرانية من عهد منويل وغيره إلا وأتى الخبر إلى بلاد الاسلام وإن أخذت شىء وأرسلته إلى ملك الروم إلا ويظهر خبره ويعمل البطال ويسرقه ويرده إلى بلاد الاسلام وقد عيل صبرى من هذا الحال (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة ذلك قالت وحق المسيح لقد صدقت لأنى لما كنت عند عبد الوهاب كانت تصل اليه الكتب من عيون ههنا بكل مايجرى إلا أنه ما كان يطلعنى على من كانت تأتى من عنده وما كنت أنا أسأله عن ذلك فهل تظن فى أحد فقال بلى وحق المسيح إلا أنى ماأقدر أواجهه فى ذلك فقالت من هو وأنا أكفيك مؤنته قال لها مارس وأخيه دارس لأن ما بقى من البطارقة الأول غيرهما فافعلى الآن مابدالك ولا تظهرى أن هذا منى بل خذى البطارقة واقصدى إلى دارهما وفتشيها فقالت وأنت أيضا تجىء معنا فقال الحق لأنى أريد أمضى إلى الراهب مطرون وما أخوفنى أن يكون فى هذه الليلة مطعون ثم سار هو وشومدرس حتى دخل إلى الدار المقدم ذكرها فما وجدوا فيها إلا الآثار (قال) فلما نظر عقبة إلى ذلك هز لحيته ورأسه وقال لشومدرس كيف ترى ياشومدرس وقد فزنا فى هذه الليلة فقال وحق المسيح لو وقعنا فى هذه الليلة لكانوا صفعونا من ههنا إلى ملطيه إلى أن صلبونا ثم أن عقبه حزن على غلامه وقال ما أهلك غلامى إلا مطرون بقوله ما نبالى وسوف ينزل فى رأسه صفع حتى يخرج منها الحكمة فقال شومدرس كيف يكون الحال فقال عقبه مالنا إلا الهرب فابصران كان فى المينا مركب فاجعله لنا معقلا حتى نشاهد هذه النوبة إلى آخرها فان أفلحوا الروم وإلا ركبنا فى البحر إلى بعض الجزائر فقال شومدرس هذا هو الصواب ثم قصد إلى باب المينا فوجدوا التجار جاؤا إلى الخليج من بلد أفرنجه وهم معولين على الاقلاع فأعاقهم وقال تصبروا لنا ثلاثة أيام فأنا الشيخ النجيح وأريد أن أسير إلى بلادكم حتى تصير بركتى عليكم فقال شومدرس لقد وفقوا أن وطئت إلى بلادهم فانه يكثر فيها الخيرات وتعود عليها البركات وينزل المسيح ليأتى بالحسنات (قال الراوى) فعلم عقبة أنه يتمأرز عليه فأسرها له فى نفسه ولما أنعموا له التجار وأجابوه إلى المقام ورجع هو يقول لشومدرس فى الطريق ويلك ياشومدرس تقول كذا وكذا فلو كنت خليتهم البارحة

يأخذوك أخذ التيوس ويصفعوك يامنحوس لما قلت هذا المقال ياكلب النصرانيــة والرهبان والقسوس فضحك شومدرس وقال أنا قلت ذلك من طريق الملاعبة والمزاح يا عالم الطائفتين وريس الدولتين وهذا ما أقوله إلا من محبتى لك (قال الراوى) وأما ميمونه فانها خرجت إلى القصر وهى معلنة بصياحها وقد شاع الخبر فى الناس فتبعها أرمانوس عن مائتين ألف من عوام البلد لأن فيها عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى وهم يأكلون رزقه ويشركون به وهو سبحانه وتعالى يمدهم بالحلم لأنه حكيم حليم لا يعجل وجواد لا يبخل (قال الراوى) يا سادة ياكرام ولم تزل إلى أن وصلت إلى دار مارس وأمرت البطارقة أن يجردوا السيوف ويزحفوا إلى الدار وهم معولين ان رأوا أحداً منهم يقتلوه وكانت الأبواب مغلقة فلما سمع مارس ذلك عظم عليه وكبر لديه وأمر غلمانه لايفتحون لأحد ثم أقبل على الأميرة وقال لها كيف ترى فى هذه القصة وهذه الملعونة تعد علينا كلما عملناه وما هذا كله الا برأى عقبة لعنه الله فقالت يا بطريق البطارقة مالك موضع تخبينا فيه لعل الله أن يستر علينا وإلا فهذه الدار عالية البنا واسعة الفنا ونحن نقدر نحمى نفوسنا منها شهرا بالقتال ونضرب القوم بالصوارم الصقال سيما هذه العامة فان مالهم خبره فى الحرب ولا القتال (قال الراوى) فقال مارس ما هذا رأى لأن العامة هى السواد الأعظم وإذا اجتمعوا على شىء لابد لهم أن يبلغوه لأنهم عالم عظيم وهذه الدار ما تمنعهم وفى ساعة واحدة يقدرون ينقلون حجارتها إلى البحر فقالت الأميرة صدقت فكيف يكون التدبير لأننا ما ظننا أن الباب يبقى مغلوق إلى هذا الوقت فقال مارس ما فى الأمر إلا أن تكتفونى أنا وأخى دارس وتجعلون فى أرجلنا القيود حتى نكون كأننا معكم مأسورين وأنزلونا فى المطمورة عند ارمانوس وفى دارى الثانية مطمورة تحت الأرض كنت أجعل فيها ماء الأمطار لأيام نقص الأنهار وأطلب برودته فى الصيف فنزلوا اليها وبعض الجوار يطبقون عليكم الطابق ويفتحون الباب لهؤلاء الشياطين ويصرخون فى وجوههم ويقولون مارس ودارس عند الملك حتى يعلمون أننا قد فقدنا معه وتبرأ ساحتنا عند الروم وأن هم علموا بكم فمعكم سلاحكم فاخرجوا عليهم وادفعوا عن أنفسكم وأن عرفوا طريقنا نحن والملك فيجدونا فتبرأ ساحتنا ونعمل بعد ذلك على خلاصكم ولو طلبوا قتلكم ما قدروا على ذلك وأخوفهم من أصحابكم وأذكر لهم العواقب فعلمت الأميرة انه قال الصواب فقالت بارك الله فيك ثم فعلت بهما ما أمروها وأنزلوهما فى المطمورة وقصدوا إلى المغارة فوجدوها واسعة فدخلوا فيها وأطبقوا البلاطه عليهم فبقيوا لايعلم بهم إلا الله ومن له معرفة الدار ولما وصلت ميمونة

إلى الدار وصاحت فخرجت اليها الجوار وهن ولهانات ونادوا ما حالكم وأين موالينا ما نراهم معكم فقالت ميمونة ويلكم ما جاء مارس اليكن فقالوا لا وحق المسيح ما انتبهنا نحن إلا على صياحكم ففتحنا لكم وتطيرتم عقولنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت ميمونة منهم ذلك قالت وحق المسيح أن هؤلاء ما عندهم خبر ولكن ندخل الدار حتى يكون أبرأ لساحتهم وماهم الا أخذوا مع الملك وان كلام عقبة كلام خرفان عاد عقله ثم دخلت إلى الدار ودارت فيها فما وجدت فيها أحدا فعادت راجعة فتصايحت جوار مارس ونسائه وأظهرن الانتهاك ويقولوا لميمونة يا ملكة لا تتخلى عن مارس ودارس بحق المسيح فوعدتهم بكل جميل وقالت معلوم أنهما عدما مع الملك فان كانوا مأسورين خلصناهم بالمال وان كانوا هالكين فلهم أسوة بالملك ثم خرجت من الدار ومعها الرجال وقد حارت فى أمرها وأمرت أن لايفتحوا باب البلد فى ذلك اليوم حتى تبصر ما يكون من أمر الملك فهى خارجة وإذا بالملعون عقبة وصل وقال لها ما علمتى أيتها الملكة قالت طفت الدار فما وجدت فيها ديار ولا شك أنهما أخذا مع الملك وأما زوجته وجواره فما عندهم خبر وقد انهتكن لما سمعن ذلك فقال عقبة يمكن أن يكون ذلك صحيح ولكن ما يعلم إلا المسيح أن الجوار والنساء مسلمين وقد اختبئا فى الدار حتى يقال أننا أخذنا مع الملك وأنتم مالكم خبره بالتفتيش أدخلوا حتى ترون منى العجب وأنا عقبة بن مصعب وما سميت عقبة الا وأنا عقوبة على المسلمين فلا وهب المسيح لى عافية ان تعدت لهم عن مضره ولا صح لهم اجسام ان ذكرونى بخير فى أول الزمان أو آخره واليوم أخرج أبو محمد البطال وعبد الوهاب أينما كانوا وأن صدقنى حذرى ما خلصهم الا ذات الهمة وقد دخلت الى البلد وهى فى كثرة ومعها جماعة من الأمراء مثل فلان وفلان وجعل يصفهم كأنه كان معهم ثم فتح الدار ودخلت ميمونة وقد دخل معها خلق كثير وأحدق بالدار عالم لايحصى وميمونة من حرقتها كأنها مجنونة (قال الراوى) وعقبة يطوف فى الدار يمين وشمال وفوق وتحت حتى أفضى به الأمن الى الرخام الذى فى صحن الدار فقلعه وميمونة تقول له ياشيخ أنت مجنون وعقبة يقول مامجنون الا الذى ما يفرق بين القاتل والمقتول وأما أنا فسوف أوريكى مالا تعرفين (قال الراوى) وأما بنات مارس وزوجته وجواره فانهم أيقنوا بالبلاء واصفرت ألوانهم وقالوا هذه النوبة مايبقوا على أحد منا وكان خوفهم على المسلمين أكثر من خوفهم على أنفسهم فجعلوا يتضرعون الى الله تعالى ويتوسلون بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن لايهتك سترهم ولم يزل عقبة لعنه الله دائر فى الدار الى أن انتهى الى البلاطة التى باب المغارة التى فيها

الأمراء فوقف وضحك فقالت ميمونة مابالك ضاحك فقال سوف ترون العجب ارفعوا هذه البلاطة فقلبي خائف أن يكونوا من تحتها فى مغارة أو مطمورة فصاحت به ميمونة وقالت هم صاروا جن يصيروا تحت الأرض وأنت تضحك وقلوبنا تتقطع فانخلع قلب عقبة من صيحة ميمونة (قال الراوى) وأما زوجة مارس فانها بكت سرا وقالت فى قلبها إلهى وسيدى ومولاى هؤلاء الذين تحت الأرض هم أولياءك وهؤلاء الذين قيام كلهم أعداءك فبحق المصطفى والأنبياء والأولياء لاتمكن أعداءك من أولياءك (قال الراوى) فأجاب الله دعاها وسمع نداها وأعمى بصيرة عقبة وانخذل وداخله الفزع من ميمونة وقال لها ياملكة أن قلبي يحدثنى بالأشياء وأنتى تكذبينى ولو تركتينى أفعل ما أريد لخرج خبر الملك ارمانوس ووقع بالأعداء الضر والبؤس فقالت ميمونة وكيف ذلك قال تمكنينى من هؤلاء الجوار ومن زوجة مارس حتى نأخذهم ونعاقبهم حتى يقروا فقالت له دونك وما تريد فصاح بالبطارقة خذوهم فلم يقدر أحد يتقرب اليهم خوفا من مارس أن يكافئهم يوما من الدهر فصاح عقبة بميمونة أطرحيهم الى الأرض فصاحت بالسودان فطرحوهم وأخذ عقبة بيده السوط وجعل يضرب الجوار واحدة بعد واحدة ثم قدم زوجة مارس وكانت من أدين الناس فجعلت تتضرع الى ميمونة وتقول أيتها الملكة ماكان ظنى فيكى الا أن تخلصينى فأمرتى بعقوبتى وسمعتى من هذا الظالم الغاشم الذى لاعقل له ولا دين وها أنت ترين تصديق قولى لاهو الى دين الإسلام راعيا ولا الى دين المسيح محافظا وانما هو على جميع العالم وبال وشدة نكال وقال لبعلى ألف مرة يامارس قل للملك ارمانوس الذى عمى قلبه فى محبة هذه السودة المتنصرة ميمونة العوراء ان يكف عن محبتها ويرجع الى محبة زوجته التى مافى قصور الخلفاء مثلها ولا أحسن منها لأنه يعلم ان مارس حاجبه ولا يقدر يعمل شىء الا برأيه ورأى أخيه دارس وهما لايجيباه الى ذلك وزوجى يقول لولا الملكة ميمونة ماكان لنا حال مع المسلمين وما تستاهل الجفاء لأنها فارقت زوجها وقتلت ولدها لأجل محبتها للملك والى دين النصرانية وأنا ما أتلكلم فيها الا بالخير فلأجل هذا يبغض زوجى ويريد هلاكه (قال الراوى) فلما سمعت ميمونه ذلك من زوجة مارس انقلب سوادها الى بياض لأنها كانت محبة لأرمانوس مفرطة فى هواه وكان فى بعض الأوقات يغلظ عليها ويتمنع لعلمه بمحبتها فلما سمعت من زوجة مارس ظنت ان ذلك التمنع والتجنى من كلام عقبة وظنت ان هذا حقا فقالت ياعقبة لقد بلغنى عنك هذا فى موضع آخر وما تذكرنى الا بالقبيح وما كفاك حتى على تحمل قلوبنا خواص الدولة وما جئت الى مارس الا من بغضتك وأنا أريد أن

أقطع بهذا السيف رأسك وأريح قلبي من شرك وأستريح من طلعتك فقال عقبة وقد مات فى جلده فزعا وهلعا وقال هذه فتنة كنت فى غنى عنها وما هو كثير ان تقتلنى هذه السوداءة الوجه ثم جعل يبكى ويقول أيتها الملكة لاتفعلين ولا تسمعين فىّ كلام الأعداء ومن قد دخلت الى دارهم وروعتهم وضربتهم فقالت زوجة مارس دع عنك هذا المحال يا كشحان يا قرنان فما أنت لاشيطان ثم قالت أيتها الملكة أنا أخرج فى هذه الساعة أربع كتب بخطه الى مارس وهو فى بلاد الاسلام وهو يقول له بأن تقول للملك على لسانى أن المسيح قد غضب عليك لهجرك لبنت ملك البحرين والجزاير وهو ملك المغلبيط كيف هجرها واختار هذه السودة العورة الذى لولاه عشقها ما كانت الا آفة على النصرانية وهى مقدار ما تشبع منه فقتله وتطلب بقتله اصلاح حالها مع المسلمين لأنها امرأة مالها عقل ولا دين ولا وفاء وهكذا أكثر النساء ويدل على صحة قولى مافعلت بعبد الوهاب الذى كان زوجها قبل الملك لأنها قتلت أباها من أجله ورزقت منه ولدها بحرون وقتلته فى هواها لأرمانوش والسلام (قال الراوى) وكان حديث زوجة مارس صحيح فى حق عقبه والأصل فى ذلك أن زوجة أرمانوس بنت ملك البحرين لما أعرض عنها الملك دخل على قلبها أمر عظيم ولم يطاوعها قلبها على فراق أرمانوس لأجل محبتها له لأنه كان مليحا فائقا فى الجمال وإلا كانت رجعت إلى أهلها وصبرت على البلاء والقهر ثم أنها دخلت إلى البيعة ووصلت إلى البترك وخلت به سرا وقالت له يا أبونا اعلم أنى فى النار فقال لها لماذا فقالت من غيرتى على الملك لأنه مشغول بهذه السوداء ميمونه ولا ينام إلا عندها ولا يأكل ولا يشرب إلا معها ولو أنه كان يدخل إلى عندى ويتحدث معى لما أهمنى ذلك من غير مواصلة (قال الراوى) فقال لها وحق المسيح لقد صعب علىّ ذلك ولقد عتبته ونهيته فلم يلتفت إلى قولى وقال ما رأيت من يفوت ولده لأجل هوى قلبه إلا ميمونة فقلت له بلى فقال أنا أحب ميمونة وما لى صبر عنها ساعة واحدة ولكن أنا أشير عليكى بشىء يكون فيه الصلاح فقالت بماذا قال لها تكتبين إلى الشيخ النجيح وتضمنى له شيئا من المال فهو يقضى حاجتك فخلت بنفسها وكتبت إلى عقبه تسأله فى اصلاح أمرها مع الملك أرمانوس وأرسلت مع الكتاب خمسة آلاف دينار وشكت اليه حالها فكتب إلى الملك كتاب وثانى وثالث يعتبه على ذلك فى أمر ميمونة فلم يسمع منه فجعل يكتب إلى خواصه ويسألها أن يعاونوه على ذلك وكتب الى مارس أربع كتب فى ذلك المعنى وفيهم الكلام الذى قالته زوجة مارس وعلم مارس أن الملك ما يسمع فيها كلام وخشى أن يبلغ ميمونه ذلك فما يعلم ما يلاقى منها فاحتفظ بالكتب لكى تنفعه يوما من الدهر وأن زوجة

مارس قالت أيتها الملكة اطلقيني حتى أجيب اليكى الكتب فأطلقتها فغابت ساعة وعادت ومعها الكتب ودفعتهم إلى ميمونه فلما وقفت على ما فيهم تار عقلها وقالت لو كانت هذه الكتب وصلت إلى الملك لكان سلانى وبالهجران قلانى ثم صاحت على السودان وقالت خذوا هذا الكلب الخوان فداروا به من كل جانب ومكان وأمرت ميمونه وللعوام بالخروج وغلقت الباب وبقيت فى خمسين أسود من غلمانها ومدت الشيخ النحس عقبه وكان شومدرس دخل حتى يبصر حكمته فبقى يرتعد من الفزع والخوف والجزع ولم تزل تضربه حتى نسى دين الصليب والمسيح ثم أعادت عليه الضرب مدة ثانية وضربته ضربا شديد ما ضرب مثله البطال ولا غيره ثم جعلت السودان يتناوبون عليه بالسياط حتى جرى دمه ورجيعه على البلاط فقال شومدرس وهو فزعان على روحه ورأى عقبه وهو فى حالة الموتى أيتها الملكة ربما يكون عليه كذب وهذه الكتب زور ومحال وأيضا ان الروم إذا سمعوا ما عملتى فى هذا الشيخ يعتبوكى على ذلك فلما سمعت كلام شومدرس صاحت عليه خذوه وإلا انفطرت مرارتى من هذا الشيخ النحس وكلامه ولو جاءنى البترك وأكثر كلامه فعلت به هكذا فما بقى لى فى حياتى مطمع بعد الذى قلبى فى يده تقطع وقد ذهب صبرى وجلدى وما أبالى بعده بمن عطب ولا من سلم ثم مدت شومدرس وضربته حتى غشى عليه فلما أفاق نادى بحق المسيح دعينى أنا واسلخى عقبه من كعبه لأنه فضولى وإلا إيش له فى الناس وأزواجهم وحق المسيح أن حلاوة كلامك وعذوبة منطقك وعظيم هيكلك وسديد رأيك يشغل من له عقل فهدى غيظها عنه وأطلقته (قال الراوى) وخرجت من الدار وتركت عقبه فى أسوأ حال وقالت لزوجة مارس احفظى عليه الى حيث أسألك عنه فقالت سمعا وطاعة ولما صارت خارج الدار قالت لها الروم إيش عملتى أيتها الملكة قالت ان عقبه رجل مجنون فضولى كذاب وفعاله تدل على خراب بيوت الروم وما وجدنا فى الدار أحدا وضربته لأجل كذبه واليوم أكشف الأخبار فافتحوا الباب فاذا عدم الملك فأنا عوضه وانه كان يقف عند العلم الأخضر ولا يحضر قتال ولا حرب ولا نزال وأنا لا بد ما آخذ لكم بالثأر ولا آخذن من المسلمين أبطالهم فقالوا لها ما بقى لنا غيرك ولا نعتمد إلا عليكى ثم فتحت أبواب البلد وأمرت أن تزين الأصوار بالعدد والسلاح ففعلوا ذلك ولم يبق أحدا الا وخرج بالعدة الكاملة المليحة الشاملة على نية المقاتلة وخرجت ميمونه من القسطنطونية وبقيت الأبواب مفتحة والناس يخرجون أفواجا أفواج (قال الراوى) وكان الأمير عبد العزيز العلوى وبنى كلاب وغيرهم لما أبطت عليهم الأميرة ومن معها خافوا عليهم وكان عندهم من أجلهم المقعد المقيم ولما غلقت

الأبواب وانقام الصياح منها قبل خروج ميمونة تيقنوا أن الروم قد فطنوا بهم وانهم هالكين لا محالة فبكت المسلمين لذلك وانكسرت قلوبهم ولم يصبر الأمير عبد العزيز بل أمر الناس بالحملة وكذلك عسكر السلطان فى طائفة أهل الايمان وكذلك الأمير عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم والتقتهم الروم وتقابلت الخصـــوم بالحضور وجرى بينهم القتال حتى امتلأت الأرض من القتـــلى وجرت سواقى الدما وأرملت النسا ولم يجد أحد من أحـــد من المسلمين سبيل إلى القسطنطونية من كثرة عساكر الروم وتكاثرت عليه النصارى على ماهم عليه من شغل القلب وأخذ جماعة من عسكر العراق وبليت المسلمين بما لا يطاق وأخذوا ثقل عسكر العراق قال (الراوى) فبينما الناس على ذلك واذا بميمونة قد خرجت اليهم بتلك الامم رارتفعت أصواتهم فزاد فزع المؤمنين وقالوا لاشك أن أصحابنا هلكوا وقد خرجوا هؤلاء طامعين فينا فقال عبدالعزيز اعلموا رحمكم الله انما أنتم تقاتلون عن دين الإسلام ونصرة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام لالاجل الاميرة ولا لاجل الأمير عبد الوهاب بل تجاهدوا طاعة لرب الأرباب فالأمير عبد العزيز ينخيهم فى القتال واذا بغبرة طلعت وعجاجة ارتفعت من نحو بلاد الإسلام (قال الراوى) وبعد ساعة تمزقت من الرياح وانجلى ذلك القتام وانكشف عن ثلثمائة الف عنان من ترك وعجم وديلم وعرب وقد أمر القوم الإمام وعلى رأسه الرايات والأعلام وهو قد أتى لنصرة الاسلام ونخوة لشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام والأرض قد انقلبت من دق الكؤوسات ونعير البوقات ولما نظروا المؤمنين الى الروم وقد طمعت فى عصابة للاسلام فأشار الى العساكر بالحملة فحملوا وكشفوا عن أصحابهم تلك الشدة (قال الراوى) وكانت ميمونة لما خرجت أقعدت البترك مكانها فى البلد لعلمها أن الروم ماتخالفه وهى مقروحة الفؤاد على أرمانوس ولا تعلم أن كان سالم أم عاطب وقد وكلت بباب البلد الرجال وقالت أى من خرج ولا تعرفوه امسكوه فقالوا سمعا وطاعة ولم يفتح فى ذلك اليوم غير باب الذهب (قال الراوى) وتعالى النهار وقد عظم الصياح وجردت الصفاح وتقصفت الرماح وارتجت الأرض من وقع حوافر الخيل وصار ذلك النهار كانه ليل فهذا ماكان من أمر القتال (وأما ماكان) من أبوا محمد البطال وعبد الوهاب والأميرة ومن معهم من الأصحاب فانه لما خرجت ميمونة وفتح باب البلد واطمأنت قلوبهم من الارتياب فتحوا جوار مارس المطمورة وأخرجوا الأمراء وأخرجوا مارس وأخيه دارس من عند أرمانوس من المطمورة الاخرى وفرحوا بسلامتهم وشكروا الله تعالى على عوائده الجميله واجتمعوا

وأكلوا شيئا من الطعام فقالت الأميرة يا أبوا محمد قعودنا ماهو صواب وارسلوا من يكشف لهم أخبار ميمونة أن كانت فتحت الأبواب أم لا فرجع اليهم أحد غلمان مارس وأخبرهم أن ميمونة خرجت الى القتال بمن تعتمد عليه من الروم وباب الذهب قد فتح لاغير فقال البطال الصواب أن يركب ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وراشد بن ضمره وبقية العشرين فى زى البطارقة كما دخلوا فاذا صاروا فى عسكر الروم يصبرون الى الليل ويمضون الى عساكر الاسلام ويطيبون قلوبهم برؤيتهم واما نحن فنحمل مارس فى صندوق وكذلك دارس والملك أرمانوس ومطرون والأمير عبد الوهاب وغلام عقبة الكل فى الصناديق وألبس انا وغلمانى وولدى والأميره فى زى أهل المطبخ فاذا صرنا من خارج الباب طلبنا بعض القرى وبعد ذلك أقول لكم ما تصنعون فقالوا أفعل ما بدا الك (قال الراوى) ثم أطلعوا أرمانوس على ماهو عليه مكتوف والاكره فى فمه وعينيه معصبين وفعلوا بمارس ودارس ومطرون وغلام عقبة وعبد الوهاب فى الصناديق وركب ظالم واصحابه من خيول مارس بعد مالبسوا السلاح واخفوا أرواحهم بالزرد وخرجوا من باب الذهب وطماطم الاسود فى أوائلهم وهم يظنونه من سودان ميمونة وبقية أصحابه بطارقة خارجين للقتال وبعد خروجهم رفع أبو محمد الصناديق على البغال واخذ معه صندوقين اخر فيهم خراف مشويه وحلوا وطعام وغير ذلك (قال الراوى) وسار البطال والصناديق على البغال بما ذكرنا فقامت فى وجوههم البوابين وقالوا من أنتم وما هؤلاء الصناديق فقال البطال لابأس عليكم انما ينكر من لا يعرف وأما أصحاب الملك فلا ونحن معروفين غير منكورين وهذه الصناديق للمطبخ وانا شمعون وهؤلاء غلمانى وهذا مطبخ الملكة ميمونة وبعد ذلك لابد ما نطيب قلوبكم ثم فتح أحد الصناديق وأخرج منه خروف مشوى وقال كلوا وادعوا للملكة أن يرد عليها المسيح أرمانوس وبعد ذلك ماتحتاجوا الملكة أن توصيكم من لص المسلمين أن يخرج وما عندكم منه خبر فضجوا له بالدعاء ثم ساق البغال ومن فوقها الرجال وقد ستر عليهم الملك المتعال ثم انه عرج عن الطريق من وادى الى قرية خراب بعد أن قطع عن البلد قدر ثلاثة فرسخ فهذا ماكان من الأمير ظالم ومن معه فانهم وصلوا الى عند عبدالعزيز ففرح بهم ودخل بهم الى عند الامام ففرح بسلامتهم وسألهم عن الأمراء فقالوا يامولانا اليوم أوغدا يحضرون الى بين يديك فزاد فرحه وسأل عبد العزيز عن هرمس وقال أريد أن أنظره فاحضره عبدالعزيز بين يديه فبصق فى وجهه وقال يا كلب المجوس هذا جزاء نا منك بعد انعامنا عليك واوصلنا برنا

اليك وعفونا عنك بعد الفساد فقال يامولاى ماعلى أضر من القاضي عقبة فهو الذى قادنى الى النكبه ثم أخبره بما تقدم من حديثه وكفره ولعنته وذكر له الكتب الذى كتبهم بخطه خطابهم المعتصم فاحضرهم عبد العزيز فوقف عليهم عنده أن كلما يقال عنه صحيح (قال الراوى) ولما أن كان من الغد ركبت العساكر تريد الحرب والكفاح وقد وقف ظالم موضع أبيه تحت الأعلام فى القلب ووقف ضيغم فى الميسره وسيف الحنيفية فى موضع الأميرة فى الميمنة وركب الامام وعلى رأسه الرايات والأعلام ثم أمر العساكر بالجملة فحملت وعلى الله توكلت وعملت الصوارم وفصلت وانقطعت الآمال من الحياة وبالممات اتصلت والفرسان تصادمت والشجاع بان والجبان انهان وعمل الصارم اليمان وقاتلت ميمونه بغير اكتراث واشتغل قلبها على أرمانوس وقاتل ظالم وسيف الحنيفيه ومن يجرى مجراهم قتال شديد وأذاقوا الروم وبال عنيد إلا أن قلوبهم مشغولة على الغائبين وتضعضعت الروم لاجل غياب ملكهم لأن الجيوش بمقدمها وكانوا الروم ما أعجبهم ما فعلت ميمونه فى حق عقبه وقالوا هذه مجنونه وما يصلح لها أن تملك رقابنا وتقهقروا إلى خلفهم وكان من الأوقات اصفرار الشمس ووقت المغيب وأوصلت بنى كلاب فيهم الطعن إلى باب البلد وأمسى المساء وحجزهم سواد تلك الليلة الدهماء ودخلت العساكر إلى القسطنطونية ورجعت المؤمنين إلى خيامهم بعد ما أذاقوا الروم طعن شديد وحرب أكيد ورجعت الجواسيس إليهم أن عبد الوهاب وذات الهمه والبطال مفقودين فتعجبت ميمونه وقالت إن غيابهم له سبب وأى سبب (قال الراوى) وأما صاحب الأعمال أبو محمد البطال فانه لما أوى إلى تلك القرية كما قدمنا فتح الصناديق وأخرج من فيها فى الليل وأطعمهم ما يمسك رمق الفؤاد وقضوا حاجتهم وكان أخرج الأمير عبد الوهاب وأعطاه سيفا قرضاب وقال له أيها الأمير كن على أهبة فانى أخاف أن يأتى شيئا لم يكن فى الحساب لأن الأيام خوانه والأيام غير مأمونه فاذا كنت أنت والأميرة مستعدين طاب قلبي فقالت الأميرة لله درك ما أخبرك بعواقب الأمور وهموا أن يردوا الأسارى إلى الصناديق فطلبوا مطرون فما وجدوه فلم يمكنهم المقار بل رفعوا الصنديق بما فيها وساروا إلى أن وصلوا إلى عساكر الاسلام وكان على الحرس الأمير ظالم وضيغم وهما يتذاكرون الأمير والأميرة وإذا بهم ينظرون إلى أشباح قاصده اليهم فحركا جواديهما وناداهم ظالم من أنتم تكلموا من قبل أن تهلكوا فقال الأمير لله درك يا ظالم فلما سمع النغمة عرفها قال والذى ورب الكعبة ثم انهما ترجلا عن الخيل واعتنقا

ونظروا إلى الأميرة والبطال فزادت أفراحهم أفراح وسمعوا بنو كلاب فأتوا اليهم وجعلوا يقبلون الأمير والأميرة وبلغ الخبر إلى الامام فأمر باحضارهم فساروا وأبو محمد والدراب معه إلى سرادق الخليفة وقبلوا الأرض بين يديه ثم نزلوا الصناديق وحملها إليه فقال ما فى هذه فتقدمت الأميرة وقالت يا مولانا اخلى لنا المكان فأصرف الحاضرين فقال الأمير أبو محمد يا مولانا إن الله تعالى علينا نعم باطنة وظاهره ومن جملتها خلاصنا من أيدى الأعداء وحصل الملك أرمانوس فى أيدينا فقال الامام وأين الملك قال فى أحد الصنديق ومعه مارس ودارس لأجل كتمان حالهم فقال الامام أحقايا أبو محمد فقال أى وحق نعمتك فقم وافتح القفل الذى عليه واجعل أموره إلى وانظر كيف أدبر النوبه وما يكون إلا ما تريد فقال الامام يا أبا محمد قبل فتح الصناديق أعد حديثك جميعه فحدثه بما كان ولما أصبح الصباح وصلى الامام قال يا أبا محمد قم واصنع مهما شئت ثم قام الامام من كثرة السرور أخذ المفاتيح وفتح على أرمانوس وهو مشكك فى ذلك فاخرجه والكتاف على منكبيه والاكرة فى فاه وقد فرحت أرباب الدولة ومد أرمانوس عينه فرأى الأمير أبو محمد فعلم من أين دهى فصلب على وجهه وقال ويلك يا شيطان كيف عملت أطرت فى الهوى كما يقولون فقال أو ما علمت انى أقدر على ما أريد باذن الملك المجيد فلابد من قتلك وقتل هؤلاء الاثنين مارس ودارس فقال أرمانوس فى نفسه ما هو إلا أخذ ميمونه وبقى متطلع ما فى الصناديق حتى أخرج مارس وأخيه فبكى على حالهم ثم أقعدهما إلى جانبه فقال الملك كيف أخذكما قالا كما أخذوك أخذونا فقال المعتصم يا أبا محمد أمرهم مسلم اليك قال البطال الرأى عندى تضرب رقاب هؤلاء الثلاثة فقال أرمانوس لا تفعل يا أبا محمد فكل أحد يقول عنك انك ما تتكلم إلا فى الخير ولك أنت فى نظير معاونتك عشرة آلاف دينار (قال الراوى) فلما سمع بذلك الحال قال أنت على كل حال أحب الينا من غيرك فضحك المعتصم وقال ما أخرج البرطيل إلا حكيم فقال البطال أين السياف فقال أرمانيوس ما الذى تريد قال أما أنت فلا بأس عليك وهؤلاء الاثنين فما قوام دين النصرانية إلا بهما فلا بد من قتلهم لأنهم لك ناصحين فقال أرمانوس للمعتصم بالله يا أمير المؤمنين بحق دينك لا تمكن هذا الشيطان من قتل هؤلاء لان لهم علينا خدم كثيرة فقال المعتصم أنا مالى فيهم حكم وأمرهم اليه نافذ فقام البطال وقد أحضر السياف فقال له السياف دع عنك هؤلاء حتى نصلب هرمس وبعد ذلك نبيع أرمانوس نفسه ومارس ودارس نقتلهم فتركهم البطال فى السرادق لأجل ما ينظروهم الروم وأيضا يعلم أن لابد لهم من جواسيس (قال الراوى)

هذا وقدعادوا الجواسيس وأعلموا ميمونة أن الملك عند المسلمين ومارس ودارس فأرسلت الى زوجة مارس تطيب قلبها فشكرتها على ذلك وأما الملك أرمانوس فانه لما خلا مع مارس بكا بين يديه وقال له أيها الملك أنت تخاص بالمال ونحن موعودون بالقتل فبحق المسيح لاتتخلا عنا وارعى لنا قديم الخدم أماتسمع كلام لص المسلمين كيف يقول اننا ناصحين فطيب ارمانوس قلوبهم وقال لى أسوة بكم لأن مايطيب لى عيش بعدكم ولقد صح عندى أنكم بريئين مما يقول عنكم عقبه وانما نكرمه الا انه كبير والكبير يوقر ويحترم فأقلوا من هذا البكاء فالفرج قريب والعاقل مايعادى هذا الشيطان البطال لأنه أينما ذكر حضر (قال الراوى) وأما الامام فانه أحضر عنده البطال وجعل يحادثه ويسامره فقال ياأبو محمد مأأراك تذكر عقبه فقال يامولاى أنا خصم والخصم لايقبل له قول فقال دع عنك ذلك فقد صح عندى كفره وبان لى شره وقد شهدعليه هرمس المجوسى ورأيت خطه فعليك أنت احضاره ان قدرت عليه وعجل مادام نحن فى القسطنطونية ويأتى الأمير عبد الوهاب بالخشبة التى رآها فى المنام وأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يصلبه عليها ففرح الأمير أبو محمد البطال وقال لعل الله سبحانه وتعالى أن يكون أجله قد حضر ولما فرغ الامام من كلامه وثب عبد العزيز العلوى وقبل أبو محمد وقال أيها الأمير اجعلنى فى حل منك لأنى أرجتك من أجله فقال ياعبد العزيز نحن نبتهل الى الله تعالى بمن أنت من سلالته الله لايؤاخذك لأن لك الظاهر والله متولى السرائر وانصرف الامام فرحان بماقال الامام فلما أصبح الصباح فتح باب القسطنطونية وخرجت العالم واجتمعت العساكر وركب الامام وكثر الزحام واصطفت الصفوف وتعدلت الألوف وتدانت الحتوف (قال الراوى) وانطبقت العساكر على العساكر وطلع الغبار الى المناخر وكان فى أوائل القوم الاومير الأحد وترس قبر النبى محمد الأمير عبد الوهاب صاحب السيف القرضاب وظالم وضيغم وقشعم والأميرة وهى كأنها اللبوة الكاسره وسيف الحنيفية دامغ النصرانية وبرد بن الأزهر وهارون العلوى وراشد بن ضمره وهياج الكردى وطارق الحجازى وعبد العزيز العلوى وأبو الهزاهز وطمطم وأبو الموت ومن يجرى مجراهم من بنى كلاب والسادات الأنجاب رحمة الله عليهم أجمعين (قال الراوى) وكان فى مقدمة العساكر هؤلاء السادات الذين لهم بالحروب غارات وصهلت الصافنات واختلطت والعبيد والسادات وحمل المعتصم بالله لأنه كما ذكرنا فى الشجاعة بمكان وفى الفروسية له شأن وأى شان فكان البتار يعمل فى أجساد الكفار وأعناق عبدة الصليب والزنار والمسلمين ضجوا بالصلاة على النبي المختار وقصرت طوال الأعمار وانعقد عليهم الغبار وغابوا تحت العجاج

والقتار وقدحت حوافر الخيل شرار فكم من دم قد فار ورأس قد طار وحصان قد غار وشجاع أذن له بالبوار كما قال الله الملك الستار (فريق فى الجنة وفريق فى النار) هذا وميمونة قتلت فى الأبرار وذات الهمة فرقت أصحاب الصليب والزنار وأجهدت نفسها فى طاعة الملك الغفار وطلبت ميمونة فلم تصل اليها من ازدحام الكفار وخاضت فى المواكب فما علمت لها قرار ولم يزل السيف يعمل فى قطع الأعمار الى أن عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال وقتل فى تلك الوقعة من الروم خلق لاتحصى ولاتعد وكانوا شيئا كثير ماله عيار ومن عسكر العراق ألف رجل لأن ميمونة مالت عليهم بسودانها وكانوا فى ميسرة المصاف وقتل من بنى كلاب ومن السودان ألف وخمسمائة بطل رحمهم الله وأمسى المساء ورجعت كل طائفة الى مكانها وباتوا المؤمنين ظافرين بأعدائهم لانهم أوصلوا الطعن فى ذلك اليوم الى باب القسطنطونية وعند المساء أتى الأمير عبد الوهاب الى المعتصم بالله وقال يامولانا قد بدأ للملوك رأى عن اذنك أقوله فقال له قل أيها الأمير فكلامك مقبول فقال نصلب هرمس هذا عابد النار حتى يشيع خبره فى سائر الاقطار وتحدث به السفار والتجار ويكون ذلك فى غداة غد على أثر هذه الكسرة فقال الامام أفعل مابدالك وفقك الله الى الصواب فقال الأمير يامولانا وان هم خرجوا الينا وأظهروا القوة علينا طرحنا أنفسنا عليهم ونستعين بالملك الجبار فقال افعل مابدا لك (قال الزاوى) ثم أن الأمير اتخذ خشبة لهرمس لها شعبتان وأصبح الله بالصباح اجتمعت الأمراء بعضها على بعض وأقسم الأمير انه يرى رفعه على الروم فقالت بنو كلاب ونحن كذلك وقالت السودان نحن مانريد كسب مال بل نحمل ونقاتل أو نقتل دون مانؤمل فقال عبد العزيز هذا يوم كشف العار وأخذ الثار من هذا المجوسى عابد النار لعلى أنال السعادة أو أرزق الشهادة فى طاعة الملك الغفار وفى دون ساعة اصطفت الصفوف من بنى كلاب ومن السادات الانجاب ومن عساكر العراق ونصبت الخشبة التى لهرمس هذا وقد فتحت أبواب القسطنطونية وخرجت ميمونة الكافرة المفتونة ومعها جميع الملوك وهم فى ستمائة ألف عنان هذا وقد رفعوا هرمس الخشبة بعد أن أعرضوا عليه الاسلام وهو كأنه البرج المشيد فأبى الملعون الاسلام وقال عن عبادة النار هذا ولما أن رأت الروم ذلك دقوا نوافيسها صاح راهبها وقسيسها وماجت الدنيا بأهلها وضاق بالناس وعرها وسهلها وقد كشف الأمير عبد الوهاب رأسه وخفف لباسه وأخرج يده من جلباب درعه وكذلك الامير عبد العزيز العلوى وراشد وسعيد وهارون وأولادك الامير مثل ظالم وقشعم وضيغم

(قال الراوى) ونظرت السودان إلى هؤلاء وهم مكشوفين الرؤس فرموا من على رؤسهم طراطيرهم وبقيت رؤسهم تلوح فى ضوء الشمس كانها كيزان الفقاع وأما عقبة اللعين المقطوع النخاع فانه كان واقف على الصور ومعه شومدرس الكفور فقال ياويلكم خلصوا هرمس مما هو فيه وإلا نخسف بكم الأرض ثم تقدم البترك وكسر عكازه وقال إن تم هذا غضب عليكم المسيح هذا وقد مالت الطوائف بعضها على بعض وارتجت من كثرة الركض فيالها من ساعة طارت فيها الرؤس وقتل كل بطل شروس وكل فارس عبوس وضعف الشجاع وأصبح منكوس من هول وقع السيف والرمح والدبوس وكثره الزحام تحت خشبة هرمس حتى زهقت النفوس وحاموا منه عبدة الصلبان ومنعوهم أولياء الرحمن وعقبة يحرضهم على خلاصه وشومدرس المعكوس فوجدوا ما أملوه بعيد والوصول صعب شديد هذا والأمراء ومن معهم فتكوا بالروم الكلاب والأمير ينادى أنا ترس قبر النبي الاواب والاميرة أبادتهم بضرب القرضاب فلم يثبتوا غير ساعة واندقوا بين أيديهم راجعين ونظرت الاميرة إلى ميمونة وهى إلى البلد طالبه فتبعتها إلى الباب وانكسرت عساكر أرمانوس وحل بهم الويل والبؤس ودخلوا إلى البلد وغلقوا أبواب القسطنطينية وصعدوا إلى الاصوار ورموا على المسلمين بالأحجار هذا وقد أمر المعتصم للاتراك أن يرشقوا هرمس بالنشاب ففرقوا اليه عشرة آلاف سهم فى رشقه واحدة فصار كانه قنفد وضربه بعض السودان بقارورة نفط فانحرق بالنيران هذا وعقبه يبكى دما على مصاب هرمس وقال وحق المسيح ما المسيح إلا مسلم والا ما كان أعان هؤلاء على هذه الفعال ثم قال فى نفسه وحق المسيح ليكونن لى يوم أعظم من هذا وسمع بعض السودان وهو يقول العاقبة لمن أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بصلبه على باب الذهب وأن هذا بدرا مبارك فالتفت عقبه إلى شومدرس وقال ياشيخ السوء لا ترجع أنت فطلب من المسيح نجده فما هو إلا قد أسلم ومن لم يدفع عن نفسه اليهود وهم أذل العالم يقدر يدفع هؤلاء القوم الكثيرين المظالم وأنا ياشومدرس مابقى لى مقام فى تلك الديار فان قبلت منى أعزم بنا على الاسفار فى ذلك المركب الذى للتجار ونتنزع من تلك الامصار لانى قد فزعت من ذلك الثعبان الارقط والذئب الامعط أن يسرقنى ويصح المنام الذى قاله نبيهم ولقد علمت أنه صح عند الامام انى كنت السبب فى أخذ أخوات عبد العزيز وأمهم وربما أوراهم خطأ هرمس ومع ذلك فقد كسرت عساكر الملك أرمانوس وهو عندهم فى الذل محبوس مثل بعض التيوس ولو بعث الخليفة طلبنى لسلمتنى هذه العورة المرتده ميمونة ثم انهما نزلا هذين الكلبين النحسين

وأتيا إلى المينا وقصدا إلى المركب الذى عرفوها فوجدوا التجار لهما فى الانتظار وكانوا طالبين إلى بلد الملافطة وأقلعوا فى البحر العجاج (قال الراوى) وكانت ميمونة لما ضربت عقبة فى دار مارس وخرجت أوصت عليه زوجة مارس كما قدمنا فى ذلك الديوان فقالت زوجة مارس ايش أصنع بهذا الشيطان يطلع على أحوالنا ثم قالت للجوار احملوه وألقوه بر الباب ففعلوا ذلك وكان شومدرس أيضا واقف وهو فى وجع من الضرب فحمله على كتفه ومضى به إلى المكان الذى كان مقر فيه حتى حضروا وشاهدوا صلب هرمس وهم وقوف على الاصوار وبعد ذلك نزل إلى المركب كما وصفنا فهذا ماكان من هؤلاء الخنزرين (وأما ماكان) من عساكر الاسلام فانهم باتوا فرحين مسرورين وقد غنموا مالا يقع عليه حد ولا عداد ولولا أن الليل أقبل عليهم لكانوا ملكوا القسطنطونية (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح قدموا أرمانوس قدام الامام ومارس ودارس وقال لأبو محمد لابد من ضرب رقابهم فقال أرغانوس للخليفة إن قتلتموهم اقتلونى قبلهم وأنا أقسم عليك ياأبو محمد إلا ما سألت الامام أن يبيعهم لى فقال الامام أمرهم عائد إلى البطال ولكن أنا أسأله فى ذلك الأمر لعله ينعم بذلك فقال أبو محمد السمع والطاعة لله ولك ياأمير المؤمنين وقدم ارمانوس وقال له أريد منك أم عبد العزيز العلوى وان أطير رقبتك برجلى وان تسلم إلى عقبة وتحمل المال فحلف ارمانوس أيمان مغلظة أن ماعنده من أم عبد العزيز خبر وأما عقبة فهو قسيس المسلمين ان كان عندنا أوصله اليك والمال أحمله اليك وإذا لم تعفوا والا هلكت العالم فأجاب الإمام إلى ذلك وأتى أرمانوس بأموال تعجز عنها الجمال والبغال وسأله عن عقبة فقال البطال لما فتح الباب درت عليه فما وجدته ووطىء الإمام رقبة ارمانوس برجله وحلف على أم عبد العزيز أربعين يمين أن يقفوا أثرها ثم رحل المعتصم بالله إبراهيم أبا إسحاق طالب الى ملطية والناس قد زاد فرحهم بهذا النصر والظفر والغنيمة العظيمة وقد تقدم الأمير عبد الوهاب فى أوائل الناس وقال لأبو محمد ماتركب معنا فقال لا والله يا أمير انى أريد أن أتخنف أنا وولدى مذبحون وندخل إلى مدينة القسطنطونية ونركب فى مركب من المينا ونكشف خبر الملعون عقبة وخبر أم عبد العزيز فسار الأمير وقد ودع أبو محمد وكذلك الأميرة وعبد العزيز ومن يلوذ بهم من الأصحاب (قال الراوى) وبعد ذلك سارت بنو كلاب والسودان الأنجاب وفى أوائلهم الأميرة ذات الهمة رحمة الله عليها ودارت الجيوش كتائب والمعتصم بينهم وقد ضاق بهم وسيع الفضا ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى أوائل الدروب وهو الدرب المسمى بالباطلين وإذا هم بالخيل

تدفع بعضها بعضا وتتأخر وتشخر فتأملوا الناس ما السبب الموجب وإذا بأسد قد ظهر عليهم هائل المنظر عظيم الخطر لونه أحمر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى إذا همهم وزمجر وقد وقف قدام العسكر وبحث الأرض بيديه وهو واقف على عجزه ورجليه يمنع من يصل اليه وقد اقشعرت الأبدان لرؤيته والبرق يلمع من جفون مقلته وقد ارتعبت الأجسام عند مشاهدته وكان هذا الأسد من قدر الثور أعظم ما يكون من الدواب (قال الراوى) فالناس على ذلك وإذا قد خرج اليه من العسكر فارس كأنه طود أو بعير حل من قود وهو على حصان كأنه قلة من القلل أو قطعة من جبل فتأملوا الناس ذلك الهيكل وإذا به أبو الهزاهز وان حصانه لما رأى الأسد شخر ونخر وفتح منخريه ورجع الى وراء ولم يطاوعه على الدخول اليه عندها ترجل أبو الهزاهز عنه وقد شمر عن سواعد كأنها الصوارى وأخذ سيف فى يمينه ودرقته بشماله وأدار أذياله فى دور منطقته وسار إلى الأسد ثم زعق عليه زعقة منكرة وقد خطا اليه ثلاث خطوات (قال الراوى) فلما رآه الأسد فتح فاه وحفر وهمهم وزمجر وضرب بذنبه جنباه وبعد فسمع صوت كأنه الرعد القاصف ثم زعق زعقة حلقت الخيل ركابها ورجع أوائلها على أعقابها لشدة تلك الصيحة ثم انه امتد حتى صار كمثليه واجتمع حتى صار كثلثيه ووثب على أبو الهزاهز وثبة أسدية فالتقاه أبو الهزاهز بنخوة عربية ثم انه أتاه وساواه وإذا جاء الأجل انقطع العمل وقلت الحيل فضربه أبو الهزاهز بالسيف مرت الضربة من على ظهر الأسد وقد نخع عنها ولم يبالى بها ثم ان الأسد مد مخلبيه الى أبو الهزاهز وكمش عليه وجذب فوقعت فى بطنه وقد جذبه فوقع على ظهره وصار تحته وجعل يلغ فى دمه وهو بارك عليه (قال الراوى) ولما ان رأى الأمير عبد الوهاب والأميرة الى ذلك فبكوا وبكت سائر الأمراء وقال الأمير كم قد شهد أبو الهزاهز معنا من المصادفات وكان مكتوب على جبينه هذه الموتة ولقد كان ركننا للمسلمين فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) فبينما الأمير فى ذلك الكلام وإذا بفارس قد خرج كأنه برج بازخ أو جبل شامخ فتأملوه العالم وإذا به سملق فلما صار عند مصرع أبو الهزاهز بكى وأن واشتكى وأنشد يقول .

آه واحسرتى على أبو الهزاهز ☆ ذلك السيد الهمام المناجز
فارس الحرب والذى كان ركننا ☆ ورجاها فى الروم ليس بعاجز
كم له صولة على كل من كان ☆ عليه ويخشاه كل ليث مناجز
سوف آخذله من الأسد الثار ☆ وأردى الآساد بين الهزاهز

أو أكن لاحقا به لست أختار * حياة بعد الأمير المناجز

(قال الراوى) فلما قرب سملق من الأسد ورأى دم أبو الهزاهز على الأرض جارى اسودت الدنيا فى عينيه وكان أبو الهزاهز أعز الناس عليه ثم انه خطا إلى الأسد ثلاث خطوات واتبع الخطوات بزعقة دوت لها الاماكن وتحرك لها كل ساكن ولما رأى الاسد لسملق مقبل اليه ضرب بذنبه جنبيه وامتد حتى صار كمثليه واجتمع حتى صار كثلثيه وصاح صيحة لو سمعتها الحوامل لوضعت واتبع الاسد مع الصيحة وثبة أعظم من الاولى فأخذ بها سملق ورماه بين يديه وعصر عليه بكفاه فأعدمه الحياة وصار الى الوفاة ومضى الى رحمة مولاه (قال الراوى) فبقى سملق عن يمينه وأبو الهزاهز عن شماله وهذا الأسد حكى عنه بعض الرهبان ان كان عمره مائة وعشرين عام وكان حاضر عند أمير المؤمنين فقال المعتصم كم لهذا الأسد فى هذه الأرض فقال له يامولانا أربعون سنة منها ثلاثين سنة كان هنا ومن عشر سنين ما رأيناه إلا أن كان ذلك الوقت (قال الراوى) فعندها بكوا المسلمين على سملق وأبو الهزاهز وبكى الأمير عبد الوهاب فقال له المعتصم يا أمير لاتبكى عليهم فهذه المونة كانت مكتوبة على جباههم ولقد حدثنى الفقيه عبد الرحمن وكان من المعمرين قال حدثنى الشيخ عبد العزيز وكان قد لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت أنا وجماعة من أصحابى وكنا عشرة طالبين المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام فبينما نحن سائرين وإذا بحس خلفنا فالتفتنا ننظر إلى ذلك وإذا هو أسد كأنه ثور كبير فرأيناه وهو مقبل ويقبل موضع ما غشى ولم يزال إلى أن وقف بازائنا ثم قبل الأرض ثلاثة مرات وجعل يمرغ وجهه على الأرض ساعة زمانية ثم جعل يومىء بيده إلى صوب المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك رفع رأسه إلى السماء وصاح ثلاث مرات بصوت غير منزعج وتركنا ومضى ولم يؤذينا فقلنا لقد من الله علينا ثم سرنا إلى أن أتينا إلى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبركنا به ورأينا أنواره وآياته فسلمنا عليه وقد جلسنا بين يديه فقال لنا سيدنا محمد رسول الله ما الذى لقيكم فى طريقكم فقلنا وعيشك يارسول الله ما لقينا أحدا فقال لنا ما أديتم رسالة الأسد فتذكرناه عند ما ذكرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعدنا عليه ما فعل الأسد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بوسه موضع أقدامكم يقول هنيئا لأقدام سعت نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم واما تقبيله إلى الارض فهو يقول هنيئا إلى من نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما وقوفه لما وقف بإزائكم فهو يقول بلغوا محمد شواقى اليه وأما إيمائه بيديه إلى المدينة فانه كان يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأما إيماؤه إلى السماء وصراخه فقال

إلهى إن لى ثلاثة أيام لم أذق فيها شىء ولا سلطتنى على أحد من خلقك فبحق نبيك الا ما أشبعتنى فأشبعه الله تعالى ومضى عنكم فقالوا له يا رسول الله ومن أعلمك بذلك فقال أعلمنى به المطوق بالنور جبريل عليه الصلاة والسلام باذن الملك العلام فازددنا إيمان على إيماننا وأسلم فى ذلك اليوم من المنافقين مائة رجل لأجل هذه المعجزة ورجعنا إلى إلى سياقة حديثنا بعد الصلاة على نبينا وحبيبنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم قال المعتصم بالله أيها الأميران هذا الأسد كان مسلطا على هؤلاء فبينماهم وقوف لوقفته وقد أحرم الناس العبور وإذا قد برز من جانب العسكر شاب كان وجهه دائرة قمر إذا بدر يكون من عمره عشرين سنة خصائله كلها حسنة وبيد هذا الشاب سيف هندى ودرقة حديد صينى فتأملوه الناس وإذا به عبد العزيز العلوى وكان محبا لأبو الهزاهز وسملق حبا عظيما فلما جرى عليهما ما جرى بكى وقال والله ما أريد الحياة بعدهما ثم أنشأ يقول

لى فؤاد قد عاد بالشوق محرق ❊ بعد فقدى رب المكارم سملق
فارس الخيل عند طعن العوالى ❊ وضرغام بالشجاع الموفق
ودموعى لأبو الهزاهز تجرى ❊ من جفونى على الخدود وتدفق
فارس منه الفوارس تغدو ❊ هلعا عند موقف الحرب تزهق
سوف أبكيهما كما بكت الخنسا ❊ ء صخرا فالبكا بى أليق
لو أكن أكلة لسبع اليفافى ❊ أوادده فى الأرض ملقا ممزق

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع المعتصم شعر عبد العزيز قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله أن قلبى يخشى على هذا الرجل الشريف النسب أن تكون أمه فى الأسر ويأكله السبع ثم إن عبد العزيز شمر أذياله ورفعها إلى دور منطقته وأخذ سيفه ودرقته وذكر والدته فجرت دمعته وتصاعدت زفرته ورجع إلى نخوته وطبع عربيته وأنشأ وهو يقول

ألا بلغوا عنى العجوز سلامى ❊ فانى فى وجد بها وسقامى
تفيض دموع العين اذا ماذكرتها ❊ ويعتاد فى حزن نزيد غرامى
ألا يانسيم الريح بالله بلغى ❊ وقولى لها أنى أريد حمامى
وأنى قد بررزت ليثا غشمشما ❊ يريد اختطافى ثم أكل عظامى
فان عاشنى رب السماء لقيته ❊ وأهلكته ضربا بحد حسامى
فلست أبالى ان قتلت فاننى ❊ أرجى بقتلى فى الجنان مقامى

وما بي إلا ما سمعت حديث من ✲ فؤادي بها لايستطيع طعامى
فلو كنت تدرى يا أبى شرح حالنا ✲ وأختاى أمرانى أذل مقامى
وقد جئت أبغى قتل ليث غضنفر ✲ صؤل على الاعداء بكل مرامى
وقد كان عونى أبو الهزاهز ماجد ✲ يكر ولا يعبأ بألف غلامى
عليهم من الله العظيم تحية ✲ ومغفرة أيضا ودار سلامى
وانى على الليث الغضنفر قاحم ✲ لاجعله فى الأرض طعم هوام
فاما خواتى الكل ينعون مصرعى ✲ إذا عدموا منى أجل محامى

(قال الراوى) ثم هجم على الأسد وقد تحير مما شاهد وزعق عليه الأسد زعقة عظيمة وضرب الأرض بيديه وأنشب فيها مخلبيه ثم وثب على عبد العزيز ووثب عبد العزيز عليه وضربه فمع حدة السيف وقوة ساعد عبد العزيز وحدة وثبة الأسد وقع السيف بين عينيه فخرج السيف من بين فخذيه فوقع الأسد نصفين كأنما جزره جزار أو نشر بمنشار فكبر المعتصم وكبر المسلمون ثم ان المعتصم خلع عليه خلعة من ملابسه وأعطاه ذهب ودنانير وغيره وشكره الأمير عبد الوهاب وجماعة بنى كلاب وقالوا لله در عبد العزيز فلقد توحد فى الفروسية فى عصره ولا يوجد فى الدنيا قطا مثله وانما كان لقاه لهرمس فى غير وقت محمود وأصابه ما أصابه لأجل انفاد مشيئة الله تعالى فى والدته وضيعانها وحرقة قلبه عليها ونرجو من الله تعالى أن يجمع بينهما عن قريب ولو سمعنا بها لما خرجنا من بلد الروم إلى بلاد الاسلام حتى خلصناها ولو هلكنا كلنا فى هواها ولكن الأمر إلى الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فشكرهم عبد العزيز وأثنى عليهم ودنا الأمير عبد الوهاب منه واعتنقه وهناه بالسلامة وكذلك الأميرة وسائر الامراء من بنى كلاب والسودان فعندها بكى الأمير عبد العزيز وأنشد يقول

نهى بما قد كان غيرى فليتنى ✲ رأيت وفاتى قبل ما قد دهانا
وكيف يلذ العيش والام أصبحت ✲ ترق لاعداها مخافة عاديا
إذا لطموها لاترى من يجيرها ✲ وان ابتلوها لاترى من محاميا
وان شتموها عنوة وتجبرا ✲ تنادى بذل مالى اليوم رائيا
ولا يرحموها حين يدعو ببعضهم ✲ تقول لهم ويلاه واسوء حاليا
ألا فاقتلونى اننى غير جلدة ✲ ولست أرجى بعد قومى خلاصيا
الا مبلغا عبد العزيز تحيتى ✲ وزينب بنتى حين أدعو بناتيا
أيا أخوتى والله ما كنت عالما ✲ بها لا ذقت القوم موتا مواليا

على انني من فقدها لست انثني ❊ عن الحرب حتى لا يقر بكائيا
فامضى إلى أرض الحجاز مسائلا ❊ مسائلها عنها عساها تناديا
واعلم سكان الحجاز بحالها ❊ لعلهموا يوما يرقوا لحاليا

(قال الراوى) فلما أن فرغ عبد العزيز من شعره وقع مغشيا عليه وكذلك اخواته يبكوا على أمهم ويتصارخون حول أخيهم فلم يبق أحدا من الناس الا وبكى ونسبوا كل ماجرى عليهم وزهدوا فى المال الذى فى أيديهم ولما أفاق عبد العزيز أقبلت عليه ذات الهمة وقالت له يا بنى أقسمت بالبيت ومن حج والتلبية ومن ضج وحق من تفرد بالدوام وكان قبل خلق الانام والضياء والظلام والدهر والاعوام اننى لو سمعت بخبرها لما خرجت من بلاد الروم إلا بها وها نحن متوجهين إلى ملطية وانفد الجواسيس إلى بلد الروم وأبو محمد قد سار كما قد علمت وملك الروم فعليه الايمان ان لا يقعد عن طلبها ومتى ما سمعت بخبرها ملأت بلاد الروم خيلا ورجالا ولا نطلب الحجاز فلو جاؤا أهل الأرض معك مع انقطاع خبرها لما نفع ذلك وما عسى أن تصنع يا ولدى بالرجال وبين يديك رجالى وأبطالى وقال الامير عبد الوهاب مثل ذلك وقالوا بنى كلاب كذلك وقال الامير موسى بن صالح الكردى أنا والله وصحبى وبنو عمى أيها الاميرمتى ما أمرتنى سرت بين يديك وقال عمرو بن عبد الله وبنى سليم كذلك بطيبة قلوبهم لما قد شاهدوا من انتحابه وحرقته وحسن نيته على والدته وجودة بره لها وقلة صبره عنها وكذلك قال الامير ناقد العبسى (قال الراوى) فلما سمع عبد العزيز ذلك سكن عنه البكاء لا غير وأما الشوق والصبابة فزايده (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك الكلام اجتمعوا على دفن أبو الهزاهز وسملق وقد ورد على قلب الامير عبد الوهاب أمر عظيم لاجلهما وقال سبحان الله لكل أجل كتاب سلما من الوقائع والحروب فأتى لهم الاجل الذى لا مرد له فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أنهما جهزوهما ودفنوهما على رأس الدروب وقبورهما معروفة إلى يومنا هذا وإذا عبرت القوافل للتجار يترحموا عليهما ويقولون هذه قبور المجاهدين ولا يعلمون من هما ولا من قتلهما أبدا (قال الراوى) ولما ان فرغوا من دفنهما قاموا على قبورهما ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع بادروا الناس طالبين ملطية ومعهم أولاد مانع بن ضابط رحمه الله وحريمه وأمواله وكانوا قدأخذوهم كما أوصاهم قبل موته وساروا وقد امتلأت الدنيا من الغنائم (قال) ولما ان وصلت العساكر إلى ملطية أراح المعتصم ثلاثة أيام وبعد ذلك أمر باحضار الغنائم فأحضرت فأخرج لبيت المال منها الخمس وقسم الباقى على الناس فكان شىء كثير وقد استغنت الناس غنا لا فقر بعده وقد عجزوا

الناس عن حمله ثم أن المعتصم أخرج منها سهم وافر للامير عبد العزيز العلوى وأخواته فحلف عبد العزيز انه لا يأخذ من تلك الغنيمة لا قليل ولا كثير فقالت الأميرة للمعتصم يا أمير المؤمنين إن كان عبد العزيز ما يأخذ قسمه فان له معنا زوجة وهو ما دخل بها فجعل قسمه مع قسمها إلى حين يعبر بها فيكون معه صداقها وله ما تأخر (قال الراوى) فلما سمع المعتصم من الأميرة ذلك الكلام قال لها افعلى ما تريدى فعندها التفتت الأميرة إلى عبد العزيز وقالت له يا ولدى اعلم أن الخبر لا يغيب عنا لان مارس ودارس قد أكدت علىهما بأن يكشفان لى عن الأخبار ويطلعانى على الآثار واعلم أن هذه الأموال إذا لم تأخذها لا أنت ولا أخوتك فنحن ما نعطها لاحد بل نعطها للملكه اتونا على ما حصل لهـــا من سهمها هبة منا ومن المسلمين ومالك أنت أن تمنعها من ذلك لان كلما يدخل فى ملكها خارج عن ملكك إلا أن تهبه لك بعد ذلك فيكون على وجه الهدية (قال الراوى) فلما سمع عبد العزيز من الأميرة ذلك علم انهم لا يطاوعوه على مراده فقال لهم رأيكم أعلى افعلوا ما أردتم فأنا الذى لا اخلو بزوجة ولا افرح ما عشت أبدا حتى أسمع بخبر والدى (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما كان) من مطرون الراهب الملعون فانه لما أخذوه الأمراء مع الملك وأخرجوه ليطعموه وهرب منهم قبل وصولهم إلى المعتصم وأقام فى بعض قرى القسطنطونية وكان قد أخذ أخبار عقبة وشومدرس فسمع أنهما قد هربا فلم يقر له قرار بل قال هذه العساكر قد مضت وما لقعودى أنا ههنا فائدة ثم انه سار طالب أرض ملطيه وكان المعتصم أيضا طالب ملطيه ثم أن الملعون عارض المعتصم فى طريقه فلما أن رآه عرفه فقال له أين كنت يا حكيم فقال كنت يا مولاى بأرض القسطنطونيه أجمع من الحشائش والعقاقير من كل شىء أعرفه ينفع المسلمين وأن أبو محمد رآنى فى الطريق فأخذنى ووضعنى فى صندوق حتى ما أراد أن يقتلنى وقد آلمنى بالضرب وقال على اننى نصرانى لأننى أعفى عن ذلك الشيخ المسكين عقبة فقال المعتصم لما سمع ذلك وقد عظم عليه وكبر لديه وقال قلنا أن عقبة خصمهم وهذا مطرون الطبيب الذى فيه نفع للسلمين ويعرف ما لا يعرفه أحد غيره فى صنعة الطب وهو شفوق على الناس (قال الراوى) ثم أنه أسرها فى نفسه إلى أن وصل إلى ملطيه وقسم الأموال وفرق الغنائم على الناس كما قدمنا ثم رحل طالب بغداد ولما أن وصلها زينت له الأسواق وزخرفت الشوارع وكان ذلك اليوم فى بغداد يوم مشهود لاجل دخول المعتصم اليها (قال الراوى) ولما أن استقر به المقام فى بغداد وكانت الامراء قد وصلوا أيضا مع المعتصم إلى بغداد ولم يتخلف فى ملطيه إلا الاميرة ذات الهمة

لا غير (قال الراوى) وأن المعتصم لما استقر فى ملكه أحضر مطرون الراهب وقال له حدثنى كيف كانت قصتك مع أبو محمد البطال فقال له اعلم يا مولانا أن حديثى عجيب لا نى وحق دين الاسلام عزمت أننى أجمع الحشائش من بعد مداواة الاميرة ذات الهمة وإذا قد لقينى جماعة من بنى كلاب فعرفونى ولما أن عرفونى أخذونى وإلى هذا الامير حملونى (وكان الامير عبد الوهاب حاضر فى المجلس عند المعتصم) ولما أن حملونى اليه فقلت انهم لاجل إسلامى يكرمونى وإلى بغداد يوصلونى ولاجل قلب أمير المؤمنين يحفظونى فوحقك يا أمير المؤمنين ما هم إلا أن شاهدونى حتى آلمونى وقد طرحونى على الارض وعاقبونى وضربونى وقيدونى ثم غلغلونى وقد بقيت معهم أسـير كأنهم تملكونى فقلت يا قوم لاى شىء أخذتمونى وعلى ماذا تعاقبونى وبأى جهة تطالبونى فقالوا لى لاجل شهادتك مع القاضى عقبه عند أمير المؤمنين ولولاك كان قد قتله وأراح منه المسلمين وأيضا كان قد أراحنا وأراح قلوبنا فقلت لهم يا قوم أنتم تعلمون ما فى كتابكم وهو القرآن العظيم كتاب الله العزيز الكريم وما فيه من التهديد والوعيد لكاتم الشهادة وأنا أديت أمانة كانت فى عنقى فافعلوا فى ما شئتم إذا كان على هـذا الوجه فان الله تعالى يمضى عنى ذنوبا بذلك قد أسلفتها وأمور قد فعلتها وعلى كل حال فلابد للقاضى عقبة أن يسمع خبرى ويعلم ما بى ثم يوصل حديثى إلى أمـير المؤمنين ويأخذ حقى ممن ظلمنى فقالوا لى يا ويلك إن القاضى عقبة قد أخذناه وهو فى أشد مكان وأسوأ حال وكان قد قيل إنه ماضى إلى بيت المقدس فأوقعه الله فى أيدينا ونريد ننتقم منه ثم أنهم أورونى إياه وهو فى أسوأ حال وهو يقول لقد قال لى مولانا أمير المؤمنين لا تبرح لانك شيخ كثير الاعداء فلم أقبل منه حتى نفذ فى القضـاء والقدر وقد ضرب يا مولانا ضربا لوطرح على الجبال لما تارت به وإن بعض المسلمين من عرب الحجاز رحمه وسرقه منهم وما أدرى إلى أين قصد من بلاد الله تعالى وإلا كانوا قد صلبوه على باب القسطنطونية مع هرمس الملعون وما كفاهم هذه الفعال حتى أرادوا بى القتل فقلت لهم ولم ذلك فقالوا لى نحن نريد قتلك فقلت ولم ذلك فقالوا لنا فيه غرض وما نعف عنك إلا أن تجيبنا إلى مانريد ونعطيك العطاء الذى ماعليه من مزيد فقلت وما ذلك وقد أيقنت انى هالك فقالوا تشهد عند الخليفة بأنك رأيت عقبه فى القسطنطونية عند الروم وقد تولى عذاب المسلمين وقتل الموحدين فقلت لهم نعم قالوا وتقول أنه نصرانى وأنه عين على المسلمين وأنه يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر ويركب الفجور فقلت لهم أنا أقول هذا إذاكان يسعكم أنتم فى دينكم فأنا أشاركم فى هذا المعنى وحلفت

لهم أربعين يمين على ذلك ولولا ذلك ما كنت رأيتنى ياأمير المؤمنين ههنا أبدا وما برحت معهم على هذا الحال إلى أن وصلت اليك وحضرت بين يديك وقلت الذى قيل لى وأنا من خشية الايمان خائف وانما خوفى من الله تعالى أن أحدث عن ذلك الزاهد العابد الصالح الطيب الانفاس والروايح فى حضرة أمير المؤمنين بما يغضب رب العالمين وهذا ماعندى من الحديث وأنا أسأل أنغامك بأن لا تسلمنى اليهم فينتقمون منى وبعد هذا الكلام فان أردت قتلى فها أنا بين يديك ولا تسلمنى لهم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم كلام مطرون تغير لونه واضطرب كونه وانقلبت عيناه فى أم رأسه ونظر الى الأمير عبد الوهاب وإلى الأرض ساعة فقال الامير عبد الوهاب وقد ألجمه الملعون بما تحدث كانه صحيح فقال يامولانا لا تصدق هذا الملعون فى قوله وحق من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه أنه قد كذب فيما قال وابتدأ الامير يقص على المعتصم حديث أبو محمد البطال وما تم له فى طرابلس وحديث مانع بن ضايط ثم قال يامولانا وزوجته وأولاده قد خلصناهم بعلمك وأتينا بهم معنا من بلد الروم إلى ملطيه وهم مقيمون بها فابعث إلى الامير عمرو بن عبيد الله حتى يحملهم اليك ليحدثوك بالقصة التى ذكرناها فقال المعتصم الآن قد خلص من أيديكم وأنا انما أريد هذا وأنتم وربكم أخبر (قال الراوى) إن كان هذا من المعتصم غيظ عظيم لانه كان يتكلم ظاهرا وفى باطنه خلاف ذلك ثم قال لمطرون كن على ما أنت عليه من أمر الطب وعلمه ولا تدخل بين هذا الامير وبين عقبه بكلمة واحدة فهذا شىء قد طال فيه الكلام منهم وما هو شىء ينتهون عنه ولكل واحد منهم حقه على صاحبه من أسباب بينهم لا نقف نحن عليها ولو أراد هذا الامير قتله لكان قد قتله من زمان وبالله المستعان على كل أمر وحال (قال الراوى) وأن الامير بعد ذلك قام من المجلس وقد انكسر قلبه وخجل مما تكلم به الملعون مطرون من ذلك الكلام الذى ذكرناه (قال الراوى) ولما ان قام الامير من مجلس الخليفة اجتمع مع بنى كلاب وجعل يتحدث معهم بما جرى له مع مطرون وما تكلم به الملعون عند المعتصم فقالوا ياأمير كلما تم عليك من يدك وان كنت ضربت رقبته قبل مايهرب لكنت استرحت من هذا كله فقال عبد الوهاب انى قد تمنيت اننى لم أدخل إلى بغداد مما خجلت من هذا الخائن الشيطان وان كان أمير المؤمنين قد استحى منى وقال لى ماقال وما أدرى مافى نفسه وهذا الامر قد طال (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما انفض المجلس قال لشيوخ الاشراف الهاشميين ومن يتعصب لعقبه والله لقد تحيرت فى هذا الامر وهؤلاء القوم مالى عنهم غنى ومع ذلك

فقد بغضت إلى فعالهم بسوء مقالهم وردىء أعمالهم وقد سألتهم فى القاضى عقبه بنفسي وحلفوا برأسى أن لايعارضوه بعد هذا اليوم ثم انهم بعد ذلك تركوه إلى أن مضى إلى بيت المقدس يزور الصالحين ويطوف على العابدين فأخذوه إلى بلد الروم وفعلوا معه أقبح فعال ونكلوا به أشد نكال (قال الراوى) ثم أنه ادعى من وقته وساعته بمطرون وقال له كيف فعلوا فى عقبة فقال يامولانا لا تسأل عن حال عقبه فانك لو نظرت إلى شيبته وهى مخضبة بالدماء وهى مستجيرة بهم ويقسم عليهم بالقرآن ويتضرع إلى الرحمن وهم لايزدادون مع ذلك الايمان إلا تمردا وطغيان وأقول أنه هرب به بعض العرب أوقد أهلكوه وقالوا اهرب وإذا بلغ خبره إلى أمير المؤمنين أنكروه ويقولون مالنا به علم (قال الراوى) فلما أن تكلم مطرون بذلك الكلام لم يبق أحدا من المتعصبين لعقبه إلا وقد بكى وكانت السيدة زبيدة عند سماع كلام مطرون قد سمعت الخبر من بعض الخدم فجاءت إلى مقصورة المعتصم وجعلت تبكى عند سماع كلام مطرون ثم تكلموا بنو هاشم وقالوا ياأمير المؤمنين أن المسلمين كثير فانفذ إلى بلاد الغرب وبلاد المصامده والاندلس واطلب العساكر ثم ابذل لهم الاموال وأعطيهم الديوان وقد تأتك الامم من كل جانب ومكان وتنفد إلى بلاد الترك أيضا فما تحت السماء مثلهم أبدا وتسير بنفسك إلى بلادهم وتقيم هناك سنة أو سنتين أو ثلاث سنين حتى لايبقى فى بلادهم أحد إلا ويصير معك وازهد فى أموال الآفاق التى تحمل اليك واعطيها لهم واجعل تحت ركابك خمسمائة ألف فارس تغنيك عن العرب وغيرهم وابعد هؤلاء الشياطين الذين يدلون عليك بأفعالهم ولولا ما يأخذون من بلاد الروم من الأموال مادخلوا قط إليها لاجهاد ولا لغيره فقال مطرون بعدما سمع كلامهم فى هذا المعنى يامولانا قد كنت سألت مولانا أمير المؤمنين أن يعطينى الأمان وبعد ذلك لم أجسر أتحدث مع مولانا أمير المؤمنين خوفا من العاقبة لأننى أفزع من عبد الوهاب والآن مع غيبته لابد ما أقول ما عندى من الشفقة على أمير المؤمنين فقال له المعتصم وقد تغير لونه قل ماعندك فقال يامولانا اننى سمعتهم يقولون وعقبه يحذرهم منك وهو يقول ياويلكم أن يد الخلافة لاتطاولها يد وهم يضحكون من قوله ثم يقولون نحن مالنا خليفة الا عبد العزيز بن المفضل بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وهو خليفتنا فى ملطية وأعمالها وها نحن صابرين الى حين ينجز لنا ما نريد وننصبه فى بغداد وما تركونى حتى حلفونى أربعين يمين وحلفوا الى أنهم اذا فعلت ما يأمرونى به أكون أنا الوزير وقد وعدونى باقطاع فقلت لهم وما عسى أن أفعل وأنا مالى مال ولا رجال فقالوا الى ما نريد منك لامال ولا رجال بل نريد

منك انك اذا وصفت للمعتصم دواء تطرح فيه ما نعطيك فاذا تم لنا ما نريد أعطيناك كلما تريد وقد أعطونى هذا القرطاس وأنا والله لا أعلم مافيه (قال الراوى) ثم ان الملعون أخرج القرطاس وناوله للمعتصم ثم قال له يامولاى أخرج من السجن من يستحق القتل أو عليه دم وجرب هذا الدواء فيه فعندها أمر المعتصم بذلك وقد تغير لونه وقد أخرج أربعة أنفس من السجن وأتى بهم إلى الملعون مطرون فأخذ من ذلك القرطاس دون وزن قراطين ثم طرحه فى اناء وصب عليه الماء وسقاهم اياه (قال الراوى) فما استقر ذلك الماء فى باطنهم حتى وقعوا موتى فى الحال فقال المعتصم هذا والله مما يطيب به القلب أخفاهم الله ما الذى فعلت فى حقهم حتى يجازونى بمثل هذا فقالوا بنى هاشم لو رضيوا بك خليفة وأرادوك لقبلوا سؤالك فى حق عقبة وكيف يخفى عليك هذا المقدار أنظر اليهم كيف لم يقدروا على هلاكك جهارا خوفا من الإسلام أن يلعنوهم مدى الأيام ويقصدوهم بالقتال وقد أرادوا أن يفعلوا هذا حتى يقال شرب دواء ومات ويبرؤنهم من اللعنة فهات الآن واعلمنا على ماذا عولت أن تفعل فقال اعلموا ان عقبة غائب وما كنا نريد الا رأيه لأنه يعرف كيف يحاربهم ويتحايل عليهم ولا بد ما أكشف عن حاله واستحضره وأدبر هذا الأمر برأيه لأنه مايعمل الا مافيه المصلحة للمسلمين وعسى ان أقبض على عبد الوهاب ان شاء الله تعالى غدا وأقول له ماتخلص أنت من عندى الا بعقبة حتى يحصل عند الناس من ذلك طرف بأنى قد قبضته من أجل عقبة ولا يلومنى فيه أحد وإذا وصل عقبة إلى يكون أبو محمد قد خرج أيضا من بلاد الروم لأن بلاءنا كله منه ومن تحت رأسه وهذا القرطاس الذى أرادوا به قتلى فاحفظه عندك يامطرون لى حتى أسألك عنه فاحضره (قال الراوى) ثم انهم اتفقوا على قبض عبد الوهاب فى غداة غد وكان جوهر الخادم حاضر هذه النوبة جميعها وكان ممن يتعصب لعبد الوهاب فلما سمع ذلك خاف عليه وقال ان أنا غفلت عنه ولم اعلمه بهذه النوبة هلك (قال الراوى) ثم انه كتب كتاب وأرسله الى الامير عبد الوهاب يقول فيه يا أمير اظهر فى غداة غد انك مريض واستأذن فى العودة الى ملطيه والا تقع فى يد المعتصم فقد عول على قتلك بعد القبض عليك لا محاله واعلم أنه معذور فى ذلك لأنه قد سمع من مطرون مالو سمعته أنا فى حق ونفسى من رجل ما أبقيت عليه وكان تعرضك بهذا الشيطان مطرون من غاية الخطر ثم انه طوى الكتاب وختمه وأرسله مع خادمه فى الليل تحت الخفية فأخذه الغلام وسار به الى أن أتى الى الامير عبد الوهاب ففكه وقرأه (قال) فلما سمع الأمير ذلك كاد قلبه أن ينفطر وقد بات طول الليل تلعب أمواج الفكر به الى أن طلع الصباح وانفجر فجمع سادات بنى كلاب وأعاد

عليهم ما انفذا اليه جوهر فحارت منهم الالباب وحل بهم الفكر وقالوا أيها الامير الاجل والله العظيم لقد حرنا فى أمورنا لاننا نرمى نفوسنا فى كل بلاء عن الإسلام العداء وإذا حصلنا بين يدى الخليفة صار جميلنا عنده فهذه نوبة أعظم علينا من كل نوبة ومالنا غير الهرب الى ملطية كما أمر جوهر ونكون فيها مقيمين هناك فان كاشفنا بالعداوة كاشفناه وان سالما سالمناه وان أراد اننا لانقيم فى الثغور رحلنا وتركناه (قال الراوى) فلما سمع الأمير منهم ذلك فقال لهم هذا الذى ذكرتم هو الرأى ولكن ما نقدر نرحل فى النهار ولا نرحل الا فى الليل حتى يهجم الظلام ونقلع الخيام ونرحل الى ملطية ونكون فيها كما ذكرتم وان عرض لنا عارض دخلنا الى بلد الروم ونفتح بسيوفنا بلادا لا يكون لأحد فيها نسبة ونقيم فيها الى أن يدركنا الموت لاننى اذا كنت فى بلاد الروم آكل حلال واعمل صالحا فما بقى فى العمر قدر ما مضى ووالله اننى اشتهى لو كنت ما اخلق مما كان مطرون يتحدث بين يدين الخليفة بذلك الحديث الذى فتت به كبدى وانحل جسدى (قال الراوى) فبينما الأمير عبد الوهاب يتحدث مع أصحابه بذلك الحديث وإذا قد دخل عليه صواب وهو خادم المعتصم الخاص فلما رآه عبد الوهاب أظهر الوجع والتكسيل ثم قال يا أجل الخدام ما تريد فقال له ان مولاى أمير المؤمنين يطلبك فقال له أخدم مولانا عنى وخذ لى العذر فى تخلفى اليوم عن الخدمة لأننى قد أصبحت لا أقدر على الخدمة والقيام بواجبها لما أراد الله تعالى واظن ان ذلك من أثر السفر وتعب الطريق فقال له الخادم والله يامولانا ان أمير المؤمنين كثير السؤال عليك وقد أرسلنى اليك ومعى فرس النوبة لتركب عليها وقد أعد لك الخلع لكى يفرح قلبك وتقهر عدوك فقال الأمير لاعدمت همة مولانا لأنه لم يزل منعما على خدامه ومماليكه ولكن ما أقدر فى هذا اليوم على الركوب ولعل أن أكون فى غداة غد قد وجدت الراحة إن شاء الله تعالى وأركب إليه وأقدم عليه فأنا أفتخر بالنظر إليه فقال الخادم ليس هذا بصواب ولا بد من ركوبك ورواحك إلى مولانا حتى يذهب عنك الألم ويزول عنك السقم فقال له الأمير عبد الوهاب مالى إلى هذا سبيل والذى ترى من حالى فهو أوفى دليل فدع عنك يا عبد الخير القال والقيل (قال الراوى) فلما سمع الخادم ذلك علم أن الأمير علم بما قد جرى فعاد إلى المعتصم وقص عليه ما سمعه من الأمير عبد الوهاب فقال المعتصم من اليوم إلى غد قريب فقال مطرون وكان قد حضر مع الجماعة من جملة أرباب الدولة الخواص يا أمير المؤمنين الصواب أن تركب الساعة غلمان الدار ومن حضر فى بغداد من الأعراب والأجناد وتكبسوا عليه وهو على حين غفلة فيأخذوه وإلى بين يدى أمير المؤمنين يحضروه

فانى أقول أنه قد سمع ما أنت عازم عليه وقد أخذ لنفسه الحذر ويصبر إلى الليل ويرحل فقال المعتصم لا تظن بمثل هذا يا حكيم مطرون ومن ذا الذى عندنا يعلم عبد الوهاب بما يكون ويخاطر بمهجته واخذ روحه وهتك ذريته (قال الراوى) فسكت مطرون وقد علم أن عبد الوهاب على غاية من الحذر ولا يقع ولكنه ما قدر أن يرى رد الخليفة (قال الراوى) فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما أن مضى الخادم من عنده أمر بنى كلاب والسودان بالأهبة للرحيل ثم أنه أقام إلى أن أظلم الظلام واعتكر وسكنت الحركات أمر بهد الخيام وقد رحلوا تحت الظلام يقطعون الأرض والآكام فما أصبح الصباح الا وهم قد قطعوا بلاد بعيدة وقد أمنوا على أنفسهم من الطلب (قال الراوى) فهذا ما كان من الأمير عبد الوهاب (وأما الخليفة) فانه لما كان من الصباح صلى صلاة الصبح وقد أتوا الناس للخدمة وانفض المجلس بالقيام والقعود ووثبت الحجاب والشياب وقد رتبهم القبض على الأمير عبد الوهاب وسير الخدام بفرس التوبة والخلع ليأتوا بالأمير إلى حضرته فغابوا ساعة وعادوا والخادم مسلوب الفؤاد فقال له المعتصم ما حالك فقال له يا مولانا رحل عبد الوهاب تحت الليل وما أصبح فى مكانه غير النار (قال الراوى) فلما سمع الخليفة هذا الكلام كاد أن يقضى عليه من شدة الغيظ فقال له مطرون والله يا أمير المؤمنين لقد حسبت هذا الحساب ولكن هيبتك منعتنى من مراددة الخطاب فقال المعتصم وأين يقدر يهرب والأرض سائر جنباتها لى وولاتها فى البلاد والقلاع من قبلى ثم انه أمر قائد الجيوش أن ينفذ العساكر خلف الأمير عبد الوهاب وهو من شدة الغيظ وقع فى التحيير وإذا قد تقدم اليه أمير من الأمراء يقال له مياس الخداعى فقبل الأرض بين يديه وقال أنا أسير خلف هذا الرجل ولا تعرفه إلا منى يا أمير المؤمنين هو وجميع من معه من الأمراء والمقدمين (قال الراوى) ان كان هذا مياس الخداعى آفة من الآفات وبلية من البليات لأنه كان فى أول منشأه يقطع الطريق ويخون السبيل ويأكل الحرام ولا يتجنب للآثام إلى أن سمع الخليفة به وانفذ اليه جيش عرمرم فى خمسة آلاف فارس من عسكر العراق فكسرهم مياس وهو فى خمسمائة فارس من مجمعة العرب فلما بلغ الخليفة ذلك عجب منه وانفذ اليه الخلع وأمنه على نفسه وقد وعده بالاقطاع واستمال قلبه حتى صار فى جملة عساكره ثم قدمه على عشرة آلاف من عرب البصرة وصار عنده من خواص الامراء ولما أن رأى الخليفة ذلك اليوم ضيق الصدر لأجل الأمير عبد الوهاب وثب كما ذكرنا وقبل الأرض وتحدث بما تحدث وطاب قلب المعتصم بكلامه وعلم أنه كفء بما قال فضم اليه ثلاثين ألف من

الاكراد والاتراك والديالم وقدمه عليهم وقد جهزهم من يومهم ثم أمرهم بالمسير فقال مطرون يا مولانا أريد أن تأذن لى بالمسير مع هذا الرجل حتى ادبر بما احتال على عبد الوهاب وآخذه بالحيلة والحكمة لأنه رجل لا يغلب بكسرة العساكر ولا يذل عند ازدحام الجيوش والدساكر وماله إلا الحيلة والاما يقع لأحد من الأنام (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الخليفة كلام مطرون الملعون استصوبه فأمره بالمسير مع مياس وأمره بطاعته والمسارعة الى ملاقاة الأمير عبد الوهاب وقد سارت العساكر وكان بينهم وبين الأمير عبدالوهاب يوم ونصف يوم (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولم يزلوا مجدين فى المسير حتى وصلوا إلى الموصل وسألوا عن الأمير عبد الوهاب فقالوا قد رحل من عندنا ضحى نهار وما علمنا أن حاله على فساد مع الخليفة والا ما كنا مكناه من المسير فعندها تجرد صاحب الموصل مع مياس فى خمسة آلاف لما أن رأى خط الخليفة مع مطرون وأنفذ إلى صاحب الجزيرة فسار معهم فى خمسة آلاف فارس وتبادروا فى المسير خلف الأمير عبد الوهاب وقد ساروا وراءه ركض وخبب فما وصل مياس إلى نصيبين إلا وهو فى عسكر عظيم ثم أنه سأل عن عبد الوهاب فقيل نزل البارحة وقت العشاء على ظاهر البلد ورحل فى الليل فسار مياس من يومه وقد جد فى المسير وقد أيقن بأخذ الأمراء والأمير من حين قطع نصيبين ثم أنه أراح نفسه وجعل يسير مسير الامن خلفه لتستريح الخيل من الكد والتعب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما أن قطع نصيبين أمن على نفسه وجعل يسير مسير الامن لقربه من آمد وميمون الجاس وما هو إلا أن أشرف على البارعية حتى ثار من خلفه الغبار وعلا القتار وملأ الأقطار فقالوا السودان وبنو كلاب ياويلكم خذوا أهبتكم للحرب والقتال لأن هذا بلا شك عسكر الخليفة وإن صدقنى حذرى فما هو إلا دون الخمسين ألف لأن غبارهم يدل على ذلك فقالوا وأن يكونوا خمسون ألف إيش يكونوا فوالله ما يرجع للخليفة من يخبر بخبر ونقلعهم قلع الجزر فقال الأمير عبد الوهاب دعونا من هذا التدبير ما فى الحرب أبلغ من الظفر وهذا خلق كثير ونحن فى عالم قليل ولاسيما أن يكون معهم خدام الخليفة إلى سائر البلاد وهذه البارعية قدامنا وهى قريبة منا ونخاف أن تشتغل بقتال القادمين فيميل بعضهم اليها ويوريهم خط الخليفة فينزلون الينا من خلفنا وهم خلق كثير من الارمن وكلهم يرمون بالنشاب ويرشقون بها الحجرة ولهم صاحب يقال له قحطان بن عوف وهو رجل له ذمام وله دين وهو يركب فى ألف فارس من العرب والصواب ان يطلق أحدكم عنان جواده ويطلع

اليه ويعرفه حالنا ومن نحن ويطلب لنا منه الامان والذمام فان فعل ذلك ألتجأنا اليه وتركنا حصنه وراء ظهورنا والتقينا القادمين بصدورنا وأنفذنا إلى آمد حتى يأتينا ميمون الجماس ومن معه من السودان ويعيننا على قتال عسكر السلطان وان لم يكن لنا عنده ذمام اتكلنا على الملك العلام والتقينا الكل بالحسام فقالوا أصحابه هذا هو الصواب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك أطلق أحدهم عنان فرسه وطلب حصن البارعية وصار الأمير يتلفت من ورائه والغبار يدنو منه وينقشع حتى صار الأمير تحت الحصن فانجلت الخيل للأبصار وبانت عساكر العراق للنظار وهم مثل البحر الزخار لخارت من بنى كلاب الافكار وقد تأهبوا للقتال وإذا بخيل البارعية نزلت نحو الأمير عولت ولما قربت ترجلت وإذا بقحطان فى أوائلهم راجلا يسعى إلى الأمير عبد الوهاب فوجدوه قد ركب فى أبطاله ورجاله الشجعان ومعه أجناده والأقران لأنه رأى من على القلعة غبار الأمير عبد الوهاب اليهم سائر وغبار الخليفة من ورائهم ثائر فركب فى وجوه قومه ليكشف الخبر وإذا برسول الأمير عبد الوهاب قد التقاه وحدثه بما حمل من الكلام وطلب منه المعمولة والذمام فقال أى والله ثم نزل فى ألفين فارس مثل الليوث العوابس منهم ألف عرب وألف أرمن شمسية ومن نصارى البلد وصار حتى وصل إلى الأمير عبد الوهاب وترجل له كما ذكرنا واعتنقا وسلما على بعضهم البعض وقال يا أمير كيف أنفذت إلى تطلب منى الذمام وأنا من بعض غلمانك والخدام فشكره الأمير على ذلك ثم أنهم أعادوا إلى ظهور الخيل وترتبوا للقتال واللقاء (قال الراوى) يا سادة يا كرام وانتشرت الجيوش والكتائب حتى ملأت المشارق والمغارب وأخذت عليهم الطرق والمذاهب وهم ينادون أين تأخذون يا منافقين ونحن لكم فى الطلب بالثارات القاضى عقبة بن مصعب والفقيه الذى هو فى العلم مجرب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها حمل الأمير عبد الوهاب وحملت السودان وبنى كلاب الأنجاب ثم حمل الأمير قحطان وتبعته الارمن والشمسية ومقدمهم وكبيرهم فى أوائلهم مثل البعير وكان من جبابرة الارمن يقال له لوكيك بن بولص وكان أرمى أهل زمانه بالقوس وأشدهم نفس فحمل ذلك اليوم فى أوائل الارمن واشتد وكثر المحن وجرت عليهم صروف الزمن ووقع الخيل بالخيل والضعف والوهن وقحطان صاحب البارعية حمل على الفرسان وأباد بطعناته الأقران ونكس بحسامه الفرسان وتفاضت بنى كلاب والسودان الانجاب وقد أرمت أرواحها بين يدى الامير عبد الوهاب إلى الهوان والأمور الصعاب ودام الطعان

والضراب وخذلت المناكب والاعصاب والابدان وقصرت الايادى عن قبض السنان ووقع النقص فى جيش الامير عبد الوهاب وقد تكاثرت عليهم العساكر مثل السحاب أو البحر العباب وقد قتل ثمانمائة من السودان وبنى كلاب وقتل من عسكر العراق خمسة آلاف وأضعاف ذلك فى الحساب ولما قرب المساء التجأت عساكر الامير إلى حصن البارعية مع جملة الارمن والعرب وقد حل بهم التعب وأشرفوا منه على العطب ودارت بهم العساكر عند هجوم الظلام وقد ضربت لهم الخيام ونزل مياس الخزاعى مقدم عسكر العراق فى مضربه ثم قال وأين الشيخ ناصر الدولة مطرون حتى يدبر فى كتاب نكتبته إلى صاحب هذا الحصن ونعلمه اننا عساكر الخليفة ونأمره أن يسلم خصمنا الينا وإلا هو يعلم مايلقاه منا ومن الامام والسلام (قال الراوى) فعندها طلب مطرون فى العسكر فلم يطلع له خبر ولا وقع له على أثر فقال مياس ياقوم إلى أين مضى لأنه ماهو من رجال الحرب فيقول قتل ولكن هو وعد الخليفة أن يأخذ عبد الوهاب بالحيلة وما أقول أنه غاب إلا فى هذه الأسباب (قال الراوى) ان كان السبب فى غيبة مطرون الملعون أنه لما التقى العسكران وانتشب القتال بين الفريقان ورأى الامير قحطان وقد شد من الامير عبد الوهاب كادت مرارته أن تنفطر وقال وحق المسيح لولا هذا الشيطان ماكان يثبت عبد الوهاب فى هذه الليلة إلا فى قيود الذل والهوان وما دام قد انتصر له ما بقينا نقدر عليهم لانهم يقاتلون إلى أن يرون منا الغلبة فيصعدون إلى هذا المكان الذى ماعلى وجه الارض مثله وربما أنفذ عبد الوهاب الى آمد فيأتى اليه ميمونة الجاس فى السودان وينكسر عسكر السلطان وأقع أنا مع الامير عبد الوهاب فيعذبنى عذاب ماعذب به انسان وما بقى فى الأمر الا الحيلة والاقصتنا طويله ثم انه ترك الناس فى القتال وطلب القلعة ولم يزل صاعد حتى صار عند الباب وقد لقى مشقة عظيمة من التعب ثم انه دخل فى زى الارمن وقصد الى البيعة الكبيره ثم دخلها فوجد فيها جماعة من النصارى والقسوس فاستقبل الشرق بعد أن سلم ووقف يصلى ويسمع مايتحدثون أولاد النصارى لعله يجد فى كلامه راحة واذا برجل قد دخل من باب البيعة ومعه جماعة من أولاد النصارى فى زى الغلمان ودخل بعدهم مشايخ النصرانية وعليهم ملابس بهية ولهم رائحة زكية وبينهم شيخ طويل اللحيه والشيبة عظيم الهيبة وهم الكتاب وأصحاب الحساب وأرباب الاقلام الأقلام وكلهم يعظمون الشيخ الذى بينهم ويبجلونه ويرفعون قدره ويخدموه ولم يزالوا سائرين الى أن توسطوا البيعة فقامت لهم القسوس والرهبان ويتلوا بين أيديهم الانجيل ودخل مع الشيخ المقدم ذكره راهب ومعه جماعة من الرهبان وتقدم بعدما كشف رأسه

وشد وسطه بزنار وقال قولا كفر فيه هو ومن معه بالملك الديان والتفت الى الرهبان والقسوس وقال لهم انظروا لايكون عندكم مسلم فقالوا لا وحق المسيح فقال لهم ابسطوا أيديكم حتى ندعو المسيح لعل يكف خبر الشيخ النجيح ونبلغه مناه من حساده وأعداءه قبل أن يدفن فى الناؤوس واعلموا يا أولادى انى مادخلت فى هذه الساعة للبيعة وأمرتكم بالدعاء للشيخ النجيح عقبه الا من غضبي من هذا الكلب قحطان وخروجه اليوم الى معونة أعدائنا وأعدائه ولكن لابد ما يبلغ الخليفة ذلك فينفذ يقلع آثارنا ويخرب ديارنا وأنا ما طلبت ذلك الا ليظهر خبر القاضى عقبة فيعمل معنا مثل عوائده الجيلة (قال الراوى) فلما سمع مطرون ذلك الكلام امتلأ قلبه فرحا وتقدم الى الشيخ وهو يبكى ثم قال أيها السيد أنا خليفة المعدوم والمجاهد المرحوم الذى زين به المسيح الأرض كما زين السماء بالنجوم واعلم انى أنا الشيخ الناصح لدولة خليفة المسلمين وسيد الحكماء والمقدمين مطرون الطبيب وخليفة عقبة وقت ما يغيب وما جئت الا فى طلب هلاك أعداه وأبذل روحى فى هواه لعلى أبلغه مناه (قال الراوى) ان هذا الشيخ الذى ذكرناه وزير الأمير قحطان صاحب البارعية وكان اسمه حجيون وهو خبيث ملعون ويحب النساء والبنات مفتون وانه لما سمع كلام مطرون قام له وخدمه وقربه وأكرمه وقال له أيها الشيخ الناصح ففى أى وقت دخلت علينا وكيف أقدمك المسيح الينا فقال دخلت كيما تعينونى لادبر حيلة على الأمير عبد الوهاب وأفنى كل ما معه من السودان دبنى كلاب وأشفى بذلك قلب الشيخ النجيح وأرضى السيد المسيح فقال الوزير اعلم ياأخى اننى وزير صاحب هذا الموضع والقلعة لحكمى واليه يرجعون وأنا أعاونك على كل ماتريده وأسلم إليك أعاديك وأبلغك فى جميع الأمور رضاك وأهلك صاحبى فى رضا الشيخ النجيح وهواك ولكن بشرط أشرطه عليك وأرجوا تمامه على يديك فقال مطرون وقد طار قلبه من الفرح وما هو يا مولانا اشرط ما شئت حتى أبلغك ما هويت (قال الراوى) فقال له أعلم أيها الشيخ الناصح انى لى خمس سنين أهوى امرأة صاحبى قحطان لأنها أحسن نساء أهل هذا الزمان وقد كان فى نيتى أن أقتل بعلها وأملك هذا المكان ولا أترك فيه من أمة محمد إنسان ولكن قد خفت من الخليفة أن يبلغه ذلك فيبعث إلى عسكر خراسان وجيوش لا يكون لى الى دفعها إمكان وأهلك أنا وعبدة الصلبان ولا يكون لى فى ذلك مساعد ولا معين فان كنت تأخذ لى منشور من الخليفة بالأمان سلمت اليك هذا المكان واعمل عملا على هلاك صاحبى قحطان (قال الراوى) فلما سمع مطرون الملعون ذلك الكلام قال أنا أحلف لك بالانجيل أربعين يمين أننى أنفذ لك من بغداد منشور بخط

الخليفه بأن لايعرضك فى هذا الموضع معارض من المسلمين فقال اذا كان الأمير على ما ذكرت فأنا أخرج الساعة واستحلف كل ارمنى ونصرانى فى الحصن حتى يكونوا لنا اعوان وإذا أنفصلت العساكر عند المساء من القتال وطلع الامير قحطان وعبد الوهاب أمير بنى كلاب والسودان الانجاب أمرت أنا كيلوك المقدم على الارمن أن يقبض على الجميع لانه قد تحدث معى فى هذا ألف مرة وأنا أقول له هذا الا يتم ولا يسمعون المسلمين بذلك ويقعدون عنا ولا يتركونا فى وسط بلادهم نعبد المسيح والساعة بعدأن تأتينا أنت بخط الخليفة ما يبقى علتنا فزع ولا خيفة فقال مطرون اعلم أيها الوزير ان هذا التدبير ما تبلغ به مراد لان عبدالوهاب ما يطلع إلى الحصن إلا فى جماعة من السودان وبنى كلاب وان تحرك من الارمن ساكن أفنوهم ولو كانوا بعدد التراب وما تقدر عليهم إلا بهذا الدواء (قال الراوى) ثم ان الملعون أخرج حشيشة كانت معه قد خبأها وكان قد أتى بها من بلاد الروم أقطع من البنج الاقريطشى وقال خذها معك فهى المراد لانه دواء أعرفه وإذا طلعوا القوم وهم تعابا من القتال أترك هذه الحشيشة فى خوابى الماء وأمر غلمانك أن يسقوهم منه على آثار التعب وإذا شربوا من الماء انصرعوا ولو كانوا عشرين ألف وتأخذهم أخذ بالكف ولا يسيل من أحد محجم دم ففرح جيحون بذلك وخرج وقد أنزله فى البيعة وأقام حتى أمسى المساء وانفصل القتال كما ذكرنا ورأى الامير عبد الوهاب نفسه تحت النقصان فأرسل فارسين بجدان المسير إلى آمد وقال لهم قولوا لمميون الجماس يلحقنا سرعة ومعه السودان والابطال أمرنا فى هذا المكان لان اليوم قد بان فى جيشنا النقصان ولولا هذا الامير قحطان ما كان أمسى المساء ومنا انسان فشكره الامير قحطان على ذلك وقال له أيها الأمير مالى وروحى وهذا الحصن وكل من فيه بحكمك وأريد الليلة أن تطلع معى فيمن تريدمن أصحابك حتى نحضر الجميع على الطعام ويصير بيننا حرمة وذمام (قال الراوى) فلما سمع الأمير كلامه استحى أن يرد سؤاله ثم صعد ومعه جماعة كثيرة من السودان وبنى كلاب ولما ساروا إلى الحصن وتقربوا منه التقاهم الوزير حيجون وهناهم بالسلامة ودعى للامير عبد الوهاب فقال قحطان للوزير ياحيجون أريد هذه الليلة أن تمد عسكر هذا الأمير بالاقامة والعلوفات والاكرام ولا تترك فيهم إلا من تحمل اليه العلف والطعام فقال السمع والطاعة يامولاى ومتى نرجع نرى مثل هذا الامير عندنا وحياة رأسك اننى أعددت كلما ذكرت من باكر النهار وفتحت خمس جبان شعير خدمة لهذا الأمير (قال الراوى) ثم أن حيجون صاح فى غلمانه ياويلكم صيحوا بمن فى القلعة من الارمن والشمسية وحملوا الطعام والعلف على الدواب حتى أتولى أنا بروحى خدمة

هذا الأمير (قال الراوى) ففعلت الغلمان ما أمرهم به سيدهم وسار هو قـــدام الأمير قحطان إلى الدار الكبيرة التى فى دار الامارة فوجدها قد كنست وفرشت وأنفذ اليها جميع مايحتاج اليها وماهم إلا ان ترجلوا ودخلوا وجلسوا وترتبوا حتى نقل اليهم من الطعام ألوان ومن المشاوى والمقالى والفواكه والحلاوات ووقف الملعون حيجون فى الخدمة وقد شد وسطه وجعل يصف الموائد والناس من شدة الجوع يأكلون ويتحدثون بما لاقوا فى ذلك اليوم من الحرب فلما فرغوا من أكلهم طلبوا الماء فأمر حيجون غلمانه أن يسقوهم من ذلك الماء المصنوع الذى قد ترك فيه الدواء الذى أعطاه له مطرون (قال الراوى) فوالله مارفعت الموائد وفرغوا الناس من أكل للطعام حتى لعب فى أعينهم المنام وكان أول من انطرح الامير قحطان صاحب البارعية وهو يظن ذلك من تعب الحرب والقتال واتعكاً بعده الامير عبد الوهاب ونام موضعه وكذلك السودان ومقدمين بنى كلاب مافيهم إلا من نام موضعه والنوم قد حط عليهم وغلقت أجفانهم وقد نظر الوزير حيجون إلى ذلك فتعجب من حكمة مطرون ثم قال لبعض غلمانه ويلك ائتنى بالناصح مطرون ليشير على بما أفعل بهؤلاء الذين تطرحوا مثل الموتى فغاب الغلام ساعة وعاد ومطرون الملعون معه مثل الشيطان .

﴿ تم الجزء الحادى والخمسون ويليه الجزء الثانى والخمسون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثانى والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال) فلما رأى حيجون مطرون ضحك فى وجهه وقال لله درك ياحكيم الزمان وفريد العصر والأوان فهذه حكمتك قد كملت وهذه أعداء المسيح قد وقعت وحصلت فما الذى تشتهى أن تفعل بهم اطلعنى حتى أعاونك فقال مطرون ما قصدى إلا أن أحملهم إلى عسكر الخليفة بهذه الحالة وأحضرهم قدام مياس الخزاعى حتى يحدث المعتصم بفعالى وأبلغ منهم آمالى فقال حيجون إذا أردت حملهم إلى عسكركم أنا أحملهم على البغال إن كانوا ما ينتبهوا فقال مطرون وحق المسيح لو قطعت من لحومهم ماأحسوا بها لكن قل لغلمانك يأتوا بالحبال لاكتفهم بها وترى العجب (قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة حتى حضرت الحبال فجعل الملعون يكبل الرجال ويشد الأبطال وهم مثل القتلى وأول ما كتف الأمير قحطان والأمير عبد الوهاب والسودان الانجاب وبنى كلاب وجعل يشد كل اثنين على بغل وقال لمطرون وغلمانه سوقوا أنتم الدواب حتى أتقدم أنا قدامكم حتى لاينكر أحدا من أهل القلعة أمركم وشأنكم ففعلوا ما أمرهم وساروا وهو بين أيديهم ولم يبق فى القلعة الانفر قليل من فرسان الأمير قحطان بمن ليس له قدر ولا شأن وهم نيام فى منازلهم وباقى من فى الحصن نصارى وأرمن وشمسية وما فيهم إلا من تحدث معه حيجون وحلفه على ما يريد أن يفعله بالإنجيل فلما وصلوا إلى باب القلعة خرج الوزير حيجون بين أيديهم حتى وصلوا إلى كيلوك مقدم الأرمن وهو على الحرس كما ذكرنا فلما أقبل عليه حيجون حدثه بما دبر ثم قال له هذا الذى كنت تتمناه على وتقول لى

كل يوم دعنا نملك القلعة و نقتل كل من فيها من المسلمين وأنا أقول لك نخاف من أمير المؤمنين وها قد خلى لنا المكان وأنا ما أريد منكم غير زوجة الأمير قحطان التى كتمت حبها فاطلع أنت الساعة إلى الحصن واقتل من قد تخلف من العربان حتى نمضى نحن وهؤلاء القوم إلى عسكر السلطان و نسلمهم إلى مياس و نقول له يكبس على باقى السودان (قال الراوى) فلما سمع كيلوك مقدم الأرمن ذلك فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وقد طمع فى التقدمة وأن يكون هو الأمير فقال إلى حيجون امضى أنت وافعل مابدالك وها أنا صاعد إلى الحصن وأبيد كل من فيه من الفرسان ولا اترك من أمة محمد انسان ثم أنه صعد يطلب القلعة وتم الوزير ومطرون والبغال وراءهم حتى وصلوا إلى عسكر الخليفة (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء وأما مياس فانه زاد قلقه على مطرون وهو فى افتكار عليه وإذا هو بمطرون الملعون داخل عليه فلما رآه قام له قائما وقد اعتنقه وهناه بالسلامة ثم سأله عن سبب غيبته فحدثه بما قد دبر فلما سمع ذلك كاد قلبه أن يطير من الفرح ثم أنه خرج من خيمته فرأى الرجال على البغال فأمر بحطهم عن الدواب وأن يدخلوهم إلى الخيام وقد تعجب لما رآهم على تلك الحالة وقد أمر مطرون بالكبس على السودان فركب مياس من وقته وساعته وقد أمر النقباء أن يعلموا العسكر فداروا على العسكر وأمروهم بالركوب إلى القتال (قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة حتى ركبت القبائل من كل مكان ودارت بالسودان وهم آمنون فلم يحسوا إلا والعساكر قد طبقت عليهم من كل جانب فثاروا من المراقد وقد عملت الصوارم فى القاعد والراقد ثم انهم أخذوهم فى الحال من أوساطهم فجعلوا يحامون عن أنفسهم وهرب من هرب بعد أن أيقنوا بالعطب (قال الراوى) ولم تعرف السودان من أين دهيوا ولا إلى أين يذهبوا من كثرة العساكر والقتام على الخافقين قد طنب والصياح كادت الجبال منه أن تنقلب وصارت السيوف تعمل حول الحصن وعمل القتال من أسفله وأعلاه حتى انجلى الليل عن دجاه واقبل الصبح بضياه وأصبحت الدنيا ملآنة من القتلى والذى سلم من السودان وبنو كلاب طلبوا آمد تايهين على وجوههم وهم لايصدقون بالنجاة (قال الراوى) ولما أصبح الصباح كانت عساكر العراق قد أسرت من السودان وبنى كلاب خلق كثير وقد قبضوهم قبضا بالكف فشدوهم بأمر مياس الخزاعى ثم أضافهم إلى من معه من الأصحاب وسلم مطرون حيجون وكيلوك الحصن وأمره أن يقتل كل من فيه من أصحاب قحطان المسلمين وشالوا الأسارى على الدواب وهم مشدودين بالحبال وساروا يطلبون بغداد وهم بما فعلوا مسرورين فلما ان كان وقت الظهر أفاق الأمير من سكرة

الدواء ونظر الأمير نفسه على تلك الحالة وأبصر ماقد حل برجاله فظن أن الذى جرى عليهم من قحطان صاحب البارعية فمد عينه فرآه فى أول المأسورين مشدود الوثاق وهو يساق (قال الراوى) فلما رأى الأمير ذلك استغفر مولاه مما خطر بباله فى حق الأمير قحطان وعلم أن مصيبتهم كلها من الملعون مطرون ولم يزالوا سائرين إلى أن أمسى ووصلوا إلى نصيبين فنزلوا وباتوا إلى أن أصبح الصباح وعولوا على الرحيل وإذا هم بغبار من نحو آمد قد طلع وبعد الارتفاع قد تقطع وبان من تحته خيل كأنها العقبان وعليها فرسان سود الألوان مقدمهم ميمون الجماس وهو كأنه الأسد الغضبان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الفارسين الذى أنفذهما الأمير من البارعية قبل أن تتم عليهم تلك البلية لأنهم ساروا إلى آمد واعلموا ميمون الجماس كما ذكرنا فلم يجدوه فى آمد بل كان قد سمع برجل كردى يقال له سلاركان قد ظهر من بلاد الاكراد وأنه قد أكثر الفساد فى البلاد وقطع الطريق وقد صار يركب فى ألف فارس شداد فسار ميمون إليه ومعه الخلع والأموال حتى يستميل قلبه وقلوب من معه من الرجال ويجعله من جملة الأبطال فلما ان وصل إليه أفاض الخلع والأموال عليه وعلى رجاله وأقطعهم الاقطاع الجزيلة (قال الراوى) فلما أن رأوا منه الاكراد ذلك فأطاعوه إلى ما يريد وصاروا له من جملة العبيد وصاروا معه النسوان والأولاد وعاد ميمون طالب آمد وهو فرحان الفؤاد وإذا هو لقى الفارسين فى الطريق فأخبروه برسالة الأمير عبد الوهاب وأمره أن يسير اليه إلى حصن البارعية وقالوا له نحن قد أخذنا خبرك من آمد فسرنا نقفوا أثرك حتى تلحق بالأمراء أنت ومن معك من السودان وتعينوه على قتال عسكر السلطان (قال الراوى) فلما سمع ميمون الجماس ذلك قامت عليه القيامة ثم أنه أنفذ إلى آمد أمير من السودان يقال له الأدهم فى خمسمائة فارس من السودان وأمره باليقظة والاحتراز وسار ميمون طالب البارعية فى أربعة آلاف أسود مدرعين بدروع الزرد وبأيديهم الليوت والعمد وسار معه سلار الكردى فى سبعمائة فارس من الأكراد طوال الأجسام كأنهم من بقايا قوم عاد بعدما أنفذوا الى آمد نساءهم والأولاد وساروا مع ميمون الجماس وهو يحدثهم بحديث الأمير عبد الوهاب وكيف أنفذ يطلب النجدة فقال سلار الكردى سير بنا اليه ونحن نلتقى عنه الأعداء ولو انهم ملؤا البيداء (قال الراوى) فشكره ميمون على ذلك وساروا الى أن قربوا من الحصن وإذا بالمنهزمين قد التقوه وكانوا ألفين من السودان وبنى كلاب فلما ان رأوه تبادروا اليه وقد أعلموه أن عسكر الخليفة كبستهم فى الليل وهم نيام وقد جرى عليهم مالا يعرفون معناه فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال والله لان وصل الأمير عبد الوهاب الى

الخليفة لا أبق عليه ثم انه جد فى المسير حتى عبروا على نصيبين فوجدوا العساكر قد عولت على الرحيل وعبد الوهاب معهم أسير وقد أحدق به ذلك العسكر الكبير (قال الراوى) فلما ان رآهم مياس الخزاعى أرسل اليهم رسول وهو يقول من أنتم ومن تكونوا لأنه قد ظن انها نجدة قد أتته فلما ان وصل الرسول إلى ميمون الجماس قال له قد أتيت إلى الأمير عبد الوهاب فسير اليه وقول له افرج عن الأمير واطلق كل من معك منهم والا أطلقت عليك السودان وأبطال الحبشان يشربون دماءكم شرب الألبان ثم انه أرسل مع الرسول واحد من السودان كأنه نخل جاموس يقال له أبو الموت وكان شديد البأس قوى المراس لم يكن فى السودان أدعر منه ولا أكبر من خلقته ومثل فطسته برأس كأنها مرجل وعيناه كأنهما مشعل (قال الراوى) فسار لما ان وصل الى مياس مقدم عسكر المعتصم وأدى الرسالة وبلغ ما حمل بلا مطاله فالتفت الى أصحابه وقال لهم من هؤلاء القادمين فقالوا له انهم عسكر عبد الوهاب وكانوا فى آمد وقد أتوا الى خدمته حتى يخلصوه فضحك مياس وقال وبلغ من قدر هذا الأسود ان يكون له معاقل وبلاد ويجعل فيها رجال وأجنادو لكن قد وقع بأعماله وسوف يجازى على أفعاله ويهلكه الخليفة وأبطاله وننهب نحن لحريمه وعياله (قال الراوى) ثم انه قبل على مطرون وقال له ما الذى يكون جوابه فقال مطرون يكون جوابه الصفع ويكون صفعا جيدا وتقول له ارجع الى صاحبك وقل له اعلم ان هذا عسكر الخليفة أمير المؤمنين المعتصم وما أخذنا الامير عبد الوهاب الا بأمره وهو الذى أمرنا بذلك فارجع أنت ودع عنك الفضول ولا تدخل بين الخليفة وغلمانه والا أخذناكم معه ونبليكم بالنكال واعلم أن أمر الخليفة مطاع فى سائر الأرض والبقاع (قال الراوى) فلما سمع مياس ذلك الكلام من مطرون صاح على أبو الموت وقال له ياويلك اذهب إلى صاحبك وقل له يرجع فهو خير له فهذا رد جوابه ثم أمر بصفع أبو الموت فصفعوه (قال الراوى) فلما ان صفع أبو الموت انقلبت عيناه فى أم رأسه ثم قال هاأنا راجع إلى صاحبي وأعلمه ولا أعمل عمل بغير أمره والا وحق حام الأكبر وسواد الليل اذا اعتكر وما يشبهنى من الجواميس والبقر كنت الساعة أقلعكم قلع الجزر فضحك مياس منه ثم قال هذا الأسود مجنون (قال الراوى) هذا وقد رجع أبو الموت طالب ميمون الجماس وأخبره بالخبر فضحك ميمون من ذلك فقال سلار الكردى اذا كانوا هؤلاء القوم ماعندهم الا الصفع فارسلنى اليهم فانا أقيم الحرب والقراع فضحكوا السودان من كلامه (قال الراوى) ان كان هذا الكردى يسمى سلار المجنون والجن تخاف منه ومن بأسه وسرعة اختلاسه (قال الراوى) هذا ولما ان سمع ميمون الجماس من أبو الموت كلام

مياس زعق فى رجاله وأبطاله فلبسوا العدد وتدرعوا بالزرد وركبوا الخيل العربية واعتقلوا بالرماح الخطية وتقلدوا بالسيوف الهندية وتمنكبوا بالدرق اللمطية ثم زعقوا يا آل حام يا آل حام وقصدوا الخيام وطلبوا القتال والصدام ولم يكثروا من القيل والقال ولا أمهلوا على ماجرت به عادة القتال فلما شاهدوا عسكر الخليفة ذلك ركبت عن عن بكرة أبيها وجردت نصالها واشتهرت بصولتها وقد تزلزلت بهم الأرض طولا وعرض وطلع الغبار الى ان غيب شمس نهارها وازدرت الأبصار وعمل الصارم البتار وقد زحفت الزحوف وأيقنوا بشرب كاسات الحتوف وجدعت الأنوف (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المساء وباتوا الى الصباح فركبوا الجرد القداح فعند ذلك صف مياس عساكره وعبى دساكره وقد جعل عساكر الموصل ميمنة وعساكر الحيرة ميسرة وعساكر نصيبين والعراق جناحين ووقف مياس فى القلب بنفسه وهو يقول أنه يلتى أهل الأرض فى الطول والعرض (قال الراوى) ولما ان رأى ميمون ذلك عبا السودان والأكراد ثم صفهم ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وقد جعل فى الميمنة سلار الكردى وفى الميسرة أبو الموت ووقف هو فى القلب وتصايحت الرجال وهمهمت الأبطال واشتغلت الاقيال وعملت الصوارم الصقال واختلطت المحافل وامتزجت القبائل وطارت الرؤوس مثل ورق الاشجار وجرى الدم كجرى الانهار وصار النهار مثل ظلام الاعتكار وداركاس الموت على من حضر وفر الجبان وتأخر وتقدم الشجاع واشتهر وحكم فى ذلك النهار القضاء والقدر فسأل الأمير عبد الوهاب عند الصباح وقد استقصى عن الخبر فقيل له أن هؤلاء السودان أصحابك الذين هم مع ميمون الجماس وقد لحقوا عسكر السلطان الذى مع مياس فقال الأمير سبحان الله الذى يأتى بالفرج بعد الأياس (قال الراوى) هذا والملعون مطرون ما اشتغل بالقتال بل كتب إلى الخليفة كتاب يعلمه بما قد جرى من الحال وكيف قد لحقت بهم السودان والأبطال وأرسله مع نجاب هذا وقد دام القتال وقد أقامت السودان والأكراد على قتال عساكر الخليفة وكثرتها إلى أن أظلم الظلام وخفت مواضع الأقدام وعادت الطوائف إلى الخيام سكارى من شدة الصدام (قال الراوى) ولما أن أظلم الظلام افتقد ميمون الجماس رجاله وأبطاله فوجدهم على غاية من التعب والنكال مما قد لاقوا من الأهوال وقد شكوا اليه مالاقوا من القوم فأرسل إلى آمد يعلمهم بما جرى ويأمرهم أن يكتبوا للاميرة ذات الهمة كتاب بهذه الأسباب أن ولدها فى الأسر والعذاب (قال الراوى) فلما أن سمعوا رجاله منه ذلك الكلام رأوه صواب ثم قالوا إن أعدائنا كل يوم

فى زيادة ونحن فى نقصان ولابد لنـــا من قتالهم وحربهم ونزالهم ونقاتل بالسيوف والعمد ونخلص السيد الأوحد والبطل الأمجد فقال ميمون الجماس ما فى قلبى حسرة إلا من هـــذا الشيخ الذى من عسكر مياس الذى يقال له مطرون وأنا أقسم بمن لا تراه العيون لان وقع فى يدى لا ترك رأسه من الصفع مثل الحلاوة العجمية فضحك الناس من كلامه وباتوا إلى أن أصبح الله الصباح وأضاء بنوره ولاح فوثبوا إلى الحرب والكفاح واعتقلوا بالرماح وجردوا الصفاح وكثر من عسكر العراق الصياح وحملت السودان والأكراد وتصادم الجيشان وعظم الشان وكل اللسان وعمل الصارم اليمان وبليوا بالحرمان وقطعت أيدى الفرسان وتكونت الشجعان والتقت حلق البطان هـذا وقد قاتل مياس الناس بالشره والباس ولا زال يخرق الصفوف إلى أن التقى بميمون الجماس فتضاربا وتصادما وتباعدا وتقاربا فانقلبت الأرض من شدة ركضهما وخشعت الأصوات من بريق لمعان سيوفهما وقد أيقنا أن الحرب لهما دون غيرهما فاختلفت بينهما ضربتان سبق ميمون الجماس بالضربة فوقعت على ترس مياس قطعته نصفين وصـــار السيف من شدة الضربه قطعتين وأما ضربة مياس فكانت ضربة هائلة فقطعت الترس الذى فى يد ميمون الجماس ووصل السيف إلى كتفه فجرحه جرحا أوهن به وهجم عليه ليأخذه فأدركه سار الكردى ثم منعه من ذلك وحمل كل واحد منهما على صاحبه وجرى بينهما حرب شديد فنظر مياس من الكردى ما لم يره من ميمون الجماس ثم انهما انطبقا كما تنطبق الجبال وقد أخرجت عنهم الأبطال وتأخرت عنهم الرجال وتضاربا ضربا أحر من الجمر وأمر من الصبر وقد اختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة سلار فلما نظر مياس إلى ذلك والضربة هى نازله عليه تحاجز عنها فوقعت على رأس الجواد فوقع الجواد فلما أن وقع الجواد صار مياس على وجه الأرض وبادر مياس وضرب جواد الكردى أبرأ قوائمه فلما رأى الكردى ذلك من مياس وثب من على ظهر جواده على الأرض فصاروا الاثنين رجاله على وجه الصعيد ينظر بعضهما لبعض وقد شهدت لهم الأبطال فى المعمعة بعلو المنزلة المرتفعة (قال الراوى) ثم انهما عادا إلى ما كانا عليه وقد عظم بينهما الحرب وتطاولت بينهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق وقد احتجبا تحت الغبار ساعة من النهـــار ثم هجم مياس على الكردى وضربه ضربة هائلة وطلب بها عنقه فأبان رأسه عن بدنه وعاد إلى ميمون الجماس كيما يقتله وإذا قد صدمه أبو الموت بقوته وزعق فى وجهه وانطبق عليه وكان على جواد أصفر حسن المنظر يسوى عشر بدر وهو ينشد ويقول :

نحن بنى عبس الشداد الجلد ... الضاربون الهام بالمهند
ونحن غلمان الأمير الأسود ... عبد الإله الواحد الممجد
الأسد الليث ونعم الأسود ... ترس النبي المصطفى محمد
دونك يامياس ضربا صرمدى ... يقدم هام البطل المزرد
أنا أبو الموت الذى لم أقتدى ... بل أحطم الهام بضرب العمد
فدونك الآن وضرب الأسد ... وانظر إلى ضرب يقد الجلمد

(قال الراوى) فلما أن فرغ أبو الموت من شعره نظر اليه مياس عرفه وقال هـذا رسـول ميمون الجماس وكان ذلك اليوم قد عاين قتاله فعرف حربه ونزاله وكانوا غلمان مياس قد قدموا له حصان أبيض كالقرطاس يسبق الرياح ويطـير بلا جناح صبور على الكفاح (قال الراوى) فلما قدم له ذلك الجواد فوثب من الأرض صار على ظهره ثم حمل على أبو الموت وهو ينشد ويقول :

الموت لا يلتقى الى الموت ✿ والفوت لاينفع منة الفوت
والليث لا يكره ندى الصوت ✿ إن قلت ليثا قال ذا ليتى

(قال الراوى) ثم انه بعد ذلك حمل على أبو الموت وحمل أبو الموت عليه وقدأخذا فى الكر والفر والهزل والجد والاخذ والرد وقد طلع الزبد على الاشداق وطار الزبد من أبو الموت مثل ضرايب القطن وتضاربا بالسيفين حتى لم يبق فى أيديهما غير المقابض فتعاركا على الجوادين وتماسكا بالازياق وقد أشرفا على المحاق (قال الراوى) وكان أبو الموت يقاتل وهو يعج مثل الأسد فى الغاب ومياءس قد أمل انه يأخذ أبو الموت (قال الراوى) فبينما هو كذلك واذا بمياس قد صاح صيحة أذهل بها الفريقين فتأملوا الناس اليه واذا به يقول ادركونى والحقونى وخلصـونى فقد قصف هذا الشيطان أضلاعى (قال الراوى) وكان أبو الموت لما تقابضوا قبض على مياس وهزه هزة اقتلعه من سرجه وأخذه على يديه ولما أن رأت عساكر العراق ذلك فصاح مطرون على الرجال ياويلكم أحملوا وخلصوا صاحبكم قبل ما يهلك فعند ذلك حملت الامم والاكراد والعرب وكذلك السودان حملت تطلب خلاص صاحبها وكذلك ميمون الجماس حمل على جرجاس وعملت الصوارم فى الجماجم وصارت الأرض مثل لون الارجوان من أدمية الفرسان فما كنت ترى الاصدور مخسوفة وعورات مكشوفة وادمية مسفوحة واجساد مطروحة وايدى مقطوعة واناف مجدوعة وجماجم بالصوارم مفروعة واصوات غير مسموعة وقلوب

بالاسنة مفزوعة واحداق عقلوعة وبطون بافاعى الرماح ملسوعة هذا وقد دارت طاحون الفنا برؤوس القنا (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل الى وقت الغروب وأنفصلت الفريقين من القتال وانفصلت السودان وأبو الموت قابض على رقبة مياس كما يقبض الباشق على العصفور (قال الراوى) انه قد قتل فى ذلك اليوم من السودان اربعين رجل وقتل من عسكر الخليفة الف واربعمائة رجل من سائر الأجناس وفقد منهم الأمير مياس واظلم الليل وكلت الخيل وقل القوى والحيل وعم البلا والويل وقد نزلت كل طائفة قدام الاخرى وأضرموا النيران وصاحت حراس الفريقان وقال ميمون الجماس لابو الموت أعلم أن هذا مياس أمير القوم وهو يكون قدام الأمير عبدالوهاب فقال أبو الموت هذا شىء ما افعله وانا فى غداة غد آخذ ابطالهم واقتل بالسيف اقيالهم وانهب أموالهم وقتل هذا القرنان الذى غدر وخان (قال الراوى) فضحك ميمون الجماس من كلامه وقال أياك والكلام الردىء واعلم أن الله تعالى ما خلقك الا تقول الصواب والتواضع فى الطعان والضراب وكسب الثواب وملازمة الآداب والصبر على لقاء العدو والعذاب فقال أبو الموت هذا الكلام ما اسمعه وأنا ما أعرف إيش تقول وان وقع فى يدى ذلك الشيخ النحس مطرون جرعته كاس المنون واكشف رأسه واقرعه وارفع كفى واصفعه (قال الراوى) فتضاحكوا الناس من قوله وباتوا على غاية الشدة وباتت عساكر العراق على غاية من الهم والمضرة ومطرون يقول لهم الساعة ندخل الى نصيبين ونكاتب الخليفة وآمره أن ينفذ اليكم العساكر من كل مكان فقال صاحب الجزيرة وكان يقال له عابس بن سليم وهو أمير مقدم وسيد معظم وكان شجاع وبطل مناع وله أخ يقال له عازب وكان كل واحد منهما يبغض الآخر لأجل الاقطاع والديوان وكان عابس هو المقدم (قال الراوى) فلما سمع كلام مطرون قال له أيها الشيخ الصالح للنار اعلم أن هذا عار علينا لاننا فى خمسين الف فارس من كل بطل مداعس وما قد عدم منا غير مياس وهو من الرجال الموصوفين ولا من أبطال المعروفين وان ماطلع له عند الخليفة اسم الا بقطع الطريق وخون السبيل والا فما كان له أن يتقدم على العساكر فقال له مطرون صدقت أيها الأمير الاجل لاننا فى خمسين ألف ولكن أين كان هذا القول وقد قبض الاسود على صاحبكم مياس وما قدرتم على الخلاص منه فقال له عابس اعلم انه كان مع صاحبه وخصمه وظفر به وما قد جرت عادة المبارزين اذا أخذ أحدا خصمه أن يعاون عليه وانما أنت قلت لنا احملوا عليه بعد الفوات فحملنا وقد أخذوه وفات وما فى مذهب الانصاف أن يعان على تعبان وقد أخذ

خصمه فى الميدان ولو أرادت ترك الانصاف لمأمرناهم بالبراز (قال الراوى) فقال مطرون لما سمع ذلك أيها الأمير أن كان كلامك هكذا فأنا أيضا أخاف أن يحمل أبو الموت على ويطلبنى ثم انه يقبضنى وأستغيث أنا بكم فتقولوا خلوه وخصمه فقال عابس اذا هو حمل عليك مانخليه يصل اليك الا أن كان يضرب بسيفه عنقك فتقتل فما يكون فى أيدينا حيلة (قال الراى) فلما سمع مطرون ذلك الكلام قال قوى الله ظهرى بكم فلقد طيبتم قلبى وقد ذهب عنى كربى ولكن اننى من هذا أخاف أن أقع فى التلاف فقال عابس ما أنت الاقد دخل قلبك منه الفزع والجزع فالتفت مطرون وقال للعساكر اسمعوا منى كلكم وأطيعوه لأن هذا أميركم والمقدم عليكم فقالوا كلهم سمعا وطاعة (قال الراوى) ثم انهم باتوا ليلتهم إلى الصباح ولما أن كان الصباح تارت الأكراد والسودان وركب ميمون الجماس فى رجاله الأجواد وقد رتبهم كما جرت العادة وأوصاهم بالقتال والنزال وتقدمت الأبطال هذا وان عابس من فرحته بالتقدمة قد أعطى مكانه لرجل من عسكر الخليفة وقد أمره أن يخلفه ثم خرج الى بين الصفين وجال قدام الفريقين فخرج اليه فارس من أجناد سلار الكردى فما طال معه مقامه حتى أسره وخرج اليه ثانى فقتله وثالث فملكه ورابع أهلكه (قال الراوى) ولم يزل على كذلك إلى أن كل عن الجولان وهابته الفرسان فى حومة الميدان وموقف الطعان فنادى من شدة ماأصابه ياويلكم ياأندال العبيد أين أبو الموت فليخرج إلىّ عاجلا حتى يبان منا المبارز من العاجز ثم انه أنشد وجعل يقول

ألا أيها السودان أين شجاعكم وجاموسكم أعنى أبو الموت فى الحرب
تعودت ضرب الهام فى كل معرك اذا نشرت نفس الجبان من الكرب
فان كان مياس الخزاعى أسرته فسوف ترى منى همام بلا كذب
سآخذه كالقـــرد ثم أقوده إلى خير من فى شرقها اليوم والغرب
خليفة جبار السموات والذى تعم مطاياه الى سائر الصحب
وأحظى بماقد قال مطرون انه لنا ناصح وهو المعظم فى القلب

(قال الراوى) فما استتم كلامه حتى هم ميمون الجماس بالخروج فصاح به أبو الموت أيها الأمير لاتتعب نفسك على مابك من الجراح وأنا أكفيك شرهم وأصرم عمرهم ثم انه حمل عليه وقد أجابه على شعره يقول

ألا أيها المغرور بالزور والكذب رويدك فادنو اليوم بالذل من حربى
ستعلم من ينقـاد للحرب نابح وأنت من الأندال فى موقف الكلب
ومن بعده مطرون أقطع دماغه لأشفى غليلا قد تمكن من قلبى

وحق النبي المصطفى سيد الورى ... وأكرم أهل الأرض فى الشرق والغرب
لقد جزتموا فى حكمكم وقبضتموا ... أمير كلاب كاشف الغم والكرب
وضارب هام الروم حقا بسيفه ... يمكننا فى كل يوم من النهب
وهيهات أن تمضوا به بل نعيقكم ... بكل شجاع لا يحل من الضرب

(قال الراوى) ثم انه صاح مثل صياح الأبالس وزعق على عابس وقد صدمه وبقى مطرون ينظر اليه لأنه خرج حتى شاهد قتال أبو الموت فكان كلما يشاهد حملاته يتغير لونه ويضطرب كونه وتنهد قوته وتنفطر مرارته هذا وقد تطاعنا بالرماح ساعة ولم يطل بينهما الخطب حتى هجم عابس على أبو الموت بطعنة شاذةوقد قصد بها فؤاده وقد ظن أنها قاتله فصبر لها أبو الموت حتى كادت أن تصل إلى صدره هنالك ضربها أبو الموت بالحسام أبراها كبرى الاقلام ثم خرج عنه موليا فتصايحت الفرسان من كل جانب ومكان وقد فرحت بذلك عساكر السلطان وقد ظنوا أنه قد انهزم وكذلك عابس ظن أن أبو الموت قدخاف منه وقد أراد أن يستر نفسه بين الفرسان فلذلك ما اكترث به فأراد أن يستر نفسه من الطعنة فبادره أبو الموت بالطعنة فى صدره مرق السنان من ظهوه أرماه على وجه الارض (قال الراوى) فلما نظروا عساكر السلطان الى ذلك حملوا عليه بحنق ولم يبق راميا الا ورشقه هذا وأبو الموت قد صاح فى السودان وميمون الجماس وفيمن معه من الاكراد والعربان وعمل الصارم اليمان فى الابدان وجرت الدماء كالغدران وعلا الصياح من كل جانب ومكان وظهرت العجائب وتمت المصائب وتمايلت فى سروجها السلاهب وعضت الخيل على لجمها وتقطعت حزمها وعطشت أكبادها وغرقت أجسادها ولم تزل الحرب تضرم نارها ويتزايد شرارها ورجعت كل طائفة الى قرارها هذا وقدوقع بينهم الكلال وفقد جماعة من الرجال وهلك من عساكر الروم خلق كثير (قال الراوى) ولما أن رأى مطرون الى ذلك دخل البلد وأمر الناس بالدخول وقد وجدوا لذلك راحة عظيمة خوفا من السودان أن يكبسوهم فى الظلام (قال الراوى) ولما أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أدعى مطرون بالأمير مازن مقدم الموصل وقال له لقد أعطينا الولاية لغير أربابها والأمانة لغير أصحابها والخلع والتشريف لمن لا يليق ولولا أن معنا لما قدمنا سواك والآن قد رجع الحق إلى أهله فدبر أنت اليوم القتال فأنت المقدم على سائر الأبطال وعسى أن تكفينا شر أبو الموت فضحك مازن وقال والله إنك شيخ قرنان وقليل العقل تريد أن ترميني إلى البلاء لانى أنا أخاف من الموت تريد أن ترميني إلى أبوه هذا شىء ما أفعله أبدا ولا أسمعه ولو أعطيتنى ملء العراق وجميع

افاق ما لآخرجت أنا اليـــه ولا قدمت عليه فضحك مطرون من قوله وقال له أنت على كل حال مقدم وما بقى غيرك رجل مذكور ولا أقدر أقدم على عساكر السلطان الا من قدمه الإمام ولولا ذلك لما قدمك على هذه البلاد فقال مازن لاتشكرونى فما فى هذه العساكر أدبر منى فاختار أنت لهذه الولاية غيرى لئلا يجرد عليك الخليفة اذا سلمت الولاية لغير مستحقها ومع هذا اننى أقول لك وما أستحى منك وهو انك خرجت مع هذه العساكر من العراق بعد ماضمنت الأمير المؤمنين انك تأخذ الأمير عبد الوهاب وتأخذ معه أبطال بنى كلاب ونحن الآن مانريد لنا مقدم سواك (قال الراوى) فلما سمع ذلك مطرون قال والله مارأيت قط أذل منك وأنا ما ضمنت للسلطان الا انى آخذهم بالحيلة وقد فعلت ذلك ومع ذلك انى ما أنا من أهل الحرب ولا فارس الطعن والضرب فقال مازن وأنا أيضا ماهذا شغلى بل ان كنت تجعلنى وزير فانا أفعل ذلك لأن أبى لما أراد أن يموت أوصانى بمكانه على سبيل النيابة والا فما أنا من أصحاب الحرب (قال الراوى) فلما سمع مطرون كلامه علم انها نوبة مدبرة فقال والله لقد قطعت ظهر المسلمين فلا كتب الله عليك سلامه ولا كانت ساعتك ولا ساعة رأيتك فيها فقال مازن وأى قرنان أشتهى أن يراك ولولا كتاب الخليفة جاء الينا ما أطعناك أبدا (قال الراوى) فعند ذلك أمر مطرون الناس بالقتال من غير براز ولا نزال فحملوا على السودان من كل مكان وحمل أيضاً ميمون الجماس ومن معه من السودان والأكراد وقد التطموا الجيشان من أول النهار الى أن أقبل الظلام ولم ينفصلوا لأن مطرون أمر بذلك فبات السيف يعمل فى الليل فكانت السودان الرابحون ولم يزالوا فى القتال الشديد والحرب الأكيد عشرة أيام هذا وقد اشتد الأمر على مطرون فعند ذلك انقدحت له حيلة يعملها فعول على انه يقسم الناس نصفين ويترك النصف الواحد يكبس به ميمون ويشغلهم بالقتال الى أن يصبح الصباح ويأخذ الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وغلمان الدار الذين للخليفة ويرحل فى أول الليل فما يصبح عليه الصباح إلا وقد قطع البلاد ولم يعلم بهم أحد من العباد (قال الراوى) فهو عول على ذلك الحال وقد أصبح فى اليوم الحادى عشر وهو يحدث نفسه لمن يريد أن يأخذه معه ويرتب العسكر وإذا بغبار قد سد الأفق وأظلم الطرق وحجب ضياء الشمس عن الأبصار وبعد ساعة ظهر من تحته عسكر جرار فشخصوا نحوه بالأحداق وتطاولوا بالأعناق وظنت كل طائفة انه لها فطلبوا منه الفرج (قال الراوى) هذا وأصحاب ميمون قد بان فيهم النقص لأجل من قتل منهم فعند ذلك أرسل ميمون من يكشف له الخبر ويعلمه بصحة الأمر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان كتاب

مطرون الملعون وصل الى الخليفة على جناح الطير وهو يعلمه بما جرى من السودان وميمون الجماس فلما سمع الخليفة ذلك صعب عليه وكبر لديه وقال هذا عبد الوهاب قد صارت له البلاد ورجاله وغلمانه ينجدوه فى كل مكان ولذلك ينافق على السلطان ويطلب أن يكون صاحب الوقت والأوان ثم انه أمر أن ينادى فى العراق وأعمالها بالخروج ومن امتنع ضربت رقبته فلم يتخلف أحد من الناس فتجردت العساكر فكانت سبعون ألف من كل ليث عابس وهو للحديد لابس وقد جعل المقدم عليهم فارس شديد وبطل صنديد يقال له معن بن مرة ثم أحضره بين يديه وأخلع عليه وقال له لاتترك من عسكر ميمون الجماس لا كبير ولا صغير حتى لايطمع أحدا فى ذلك الفعل ولا يفعل مثل فعلهم فقال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ولو نزلت بهذا الجيش الى بلاد الروم لفتحت الأقاليم كلها ثم أرجع بعد أن أجرع الملوك كاس ذلها (قال الراوى) فقال له المعتصم دع عنك هذا الهذيان لأن مطرون أرسل يقول لى ان السودان قد استظهروا عليهم وهم فى عسكر الجزيرة والموصل فقال معن ان لم أفعل ماقتلته والا يكون المعول على لأنك ما أرسلت من يستحق التقدمة على الكتائب وسترى منى ومنهم العجائب وتبلغ المأمول منى والرغائب (قال الراوى) ثم انه سار يقطع الأرض فى الطول والعرض ليل ونهار الى أن أشرف على العسكرين وبان له سواد الجيشين وقد بان غباره للطائفتين فهذا كان سبب ذلك وأما رسول ميمون فانه لما سار أخذ الخبر وعاد أعلمه بأن ذلك الغبار غبار عساكر السلطان وانها قد أتت نجدة لأصحابهم (قال الراوى) فلما سمع ميمون ذلك قال كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انه قال والله ما بنا أرواحنا ولكن الساعة ينقطع رجاء الامير عبد الوهاب من الفرج ولا شك أنهم يأخذوه والى السلطان يوصلوه ولكن نحن مانمكنهم من ذلك ولا نخليه يسير مع الأعداء حتى نشرب كؤوس الردا فقال أبو الموت دعوا عنكم هذا الهذيان وبحق أبو السودان والا يمسخنى ربى فى صورة البيضان لابد لى مما أطلب المقدم عليهم وأقوده برقبته وأفرق مابين رأسه وجثته أليس أنا الموت ابنى وأنا أبوه (قال الراوى) فلما أن سمعوا القوم منه ذلك ضحكوا من كلامه وقالوا واله افعل مابدالك ونحن كلنا نعينك على أفعالك يا أمير السودان والبيضان (قال الراوى) فهذا ما كان منهم واما الأمير معن فانه لما أن وصل أمر الناس بالنزول وقد ضرب السرادقات والقباب ونشرت الخيام والأعلام والرايات وكانت معه خمسة آلاف فارس من الترك والسنجق يرمون بالنشاب على الحدق ولما انهم نزلوا ملكوا على ميمون الجماس ذلك المكان وعلى أصحابه سائر الجهات من كثرة الكتائب وقد عزموا انهم يأخذوهم فى غداة غد قبضا

بالكف (قال الراوى) واجتمع ذلك اليوم الملعون مطرون مع الأمير معن وقال له كيف كان هذا القدوم فقال له كتابك إلى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وقد عظم عليه وكبر لديه ثم قال يامطرون والله ماأمركم الاعجب خمسين ألف فارس من عساكر المسلمين وأقيال الموحدين وفعل فيكم هذه الفعال وأبلوكم بالنكال فقال مطرون لا تلومنا على هؤلاء السودان فانى رأيت فيهم رجال كانهم عفاريت الجان ولا سيما هذا الرجل الذى يقال له أبو الموت ماأقدر أصف لك ماعمل من الأعمال (قال الراوى) فضحك معن من قوله وقال له أن الدليل بالدليل عارف وهذا الأسود يبان لك فى عقلك أنه شجاع عند عدم الأبطال وبعد هذا أنت مالك خبره بالقتال واعلم أن مابقى لهذا الكلب حياة إلا باقى هذه الليلة وتنظر العجب (قال الراوى) ففرح مطرون بذلك وضحك وقد باتوا مسرورين إلى الصباح فأمر الأمير معن أن لا يقاتل أحدا من العسكر ولا يرمى سهم ولكن قفوا انظروا ماالذى يجرى بينى وبينهم (قال الراوى) هذا وقد اصطفت العساكر ودارت بالسودان من كل جانب ومكان فما قولكم فى خمسين ألف وأربعين ألف قد أحدقت بستة آلاف ودارت بهم ومنعوهم من التصرف فى نفوسهم وقد أرسل معن يقول لميمون الجماس اعلم أن أمير المؤمنين قد قامت عليه القيامة من أجل فعالكم فابقوا على أنفسكم والا فما يبقى لكم حياة إلا بمقدار ماتحمل عليكم هذه العساكر فما يبقوا منكم باقية وان أنتم سلمتم نفوسكم سلمتم وان أنتم أبيتم ندمتم ولكم على الضمان أن أضمن لكم خلاصكم واصلاح مالكم أنتم وأميركم عبد الوهاب وكل من معه من الأصحاب (قال الراوى) فلما وصلت اليهم الرسالة مع الرسول وأخبرهم بما قال معن فقال ميمون الجماس قول لصاحبك أما ما ذكرت من اصلاح حالنا وحال أميرنا فان الله قد أصلح حاله دنيا وأخرى ولو أراد الله أن يصلح حاله معكم لكان ذلك من زمان ولكن أنتم قوم قد احتوى على قلوبكم الشيطان (قال الراوى) فرد الرسول الجواب على الامير معن فأمر العساكر بالحمله فحملوا على عسكر ميمون الجماس وقد تكاثروا عليهم وقد حمل على ميمون الجماس ألف فارس من أعيانهم فأثخنوه بالجراح وأخذوه أسيرا وأما أبو الموت فانه قتل منهم عالما عظيما وقد التقا بمعن فجال معه ولم تكن الا ساعة حتى أخذه أسير فصاح معن ياويلكم خلصونى من هذا الشيطان (قال الراوى) فلما سمعوا أصحابه ذلك الكلام من أميرهم أرموا أنفسهم على أبو الموت وخلصوه من يديه وتكاثروا عليه وقد أخذوه أسير ولم تكن إلا ساعة حتى انهزمت أصحاب ميمون السودان والاكراد وتفرقوا فى البلاد وبعضهم أخذوهم عساكر العراق وأخذ معن ميمون الجماس وأبو الموت وأصحابه الذين أسروا معه وأتى بهم الى الامير عبد الوهاب

وقحطان فلما رآهم سألهم عن حالهم فحدثوه بما تم عليهم فضاق صدره وقال لميمون ما أنفذت الى الاميرة تعلمها بالحال فقال ميمون نعم يامولاى لما وصل الى الخبر أنفذت اليها الخبر لأن معهم واحد يقال أبو الموت مايخاف من كل من فى الدنيا ولا يبالى بالرجال ولا يكترث بالأبطال وماله همة الا القتال وملاقاة الأقيال فقال له معن أما أبو الموت فقد أخذناه وهو معنا فى جملة الأسارى مع ميمون الجماس وجماعته (قال الراوى) وباتوا تلك الليلة ولما أصبح الصباح ركبوا الفرسان وقد وقع القتال وحملت الاميرة وبنى كلاب والسودان الانجاب حملة صادقة طيروا الرؤس واختلسوا النفوس واستعانوا بالملك القدوس فلم تكن إلا ساعة حتى نصر الله الأميرة ذات الهمة على الأعداء فولوا الأدبار وقد ملكت الأميرة ما تركوه ولم يكن لها همه غير الاسراء فخلصتهم وخلصت قحطان وهنوا بعضهم بالسلامة ثم أن قحطان قال للاميره وللامير عبد الوهاب أيها الأمير اعلم أن الذى عمل على هو وزير حيجون وأنا خائف على أهلى ومالى وزوجتى منه فقال الأمير لأصحابه عجلوا بالمسير إلى حصن البارعية حتى اننا نخلصه من الأرمن فقالوا سمعا وطاعة (قال الراوى) ثم انهم ساروا إلى الحصن فلما رأوهم الأرمن غلقوا باب الحصن وعولوا على القتال وقال لهم حيجون اياكم أن تفتحوا لهم الباب يكون سبب هلاككم فقالوا بعض الحاضرين نحن لك وبين يديك (قال الراوى) فهذا ماكان من الأرمن وحيجون وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه تقدم إلى تحت الحصن ونادى يامعاشر الأرمن افتحوا لنا الباب ولا تسمعوا من هذا الشيطان حيجون فيحل بكم الويل والهوان وإن فتحتم لنا الباب آمناكم من العذاب وأنتم لنا أصحاب وأنا أعلم أن هذا الشيطان حيجون هو الذى زين لكم حتى أخذتم الحصن من قحطان فافتحوه ولكم الأمان وان لم تفتحوه فتحناه قوة واقتدار وأخذناكم أخذ جبار لأنكم أشرار (قال الراوى) فلما سمعوا أهل الحصن ذلك الكلام من الأمير عبد الوهاب فلم يردوا عليه جواب بل رموه بالحجارة من أعلا الحصن فتأخر الأمير إلى وراه خوفا من الأحجار فقال قحطان ياأمير هذا الحصن لايقدر عليه أحد من الناس ولا يصل اليه وأنا فقد ذهبت أموالى وساءت أحوالى وما أعلم ماجرى لزوجتى وهذه أعظم مصيبتى فقال له الامير عبد الوهاب أنا الضامن لك أيها الامير أن أسلم اليك الحصن وأهلك وزوجتك إن شاء الله تعالى فقال قحطان أنى أخاف على زوجتى من هذا الشيطان حيجون لأنه كافر ملعون واننى قد سمعت من مطرون أنه هو الذى أعانه على ذلك وأنه ذكر زوجتى وقد زادت بليتى (قال الراوى) فلما سمع الامير عبدالوهاب ذلك من قحطان قال له ياهذا ان كان زوجتك كما تقول من أهل الدين والصلاح

فان الله لا يسلط عليها هذا الكافر ويحفظها من كل من على وجه الأرض (قال الراوى) ثم ان الامير بعد ذلك قال للسودان ياويلكم يعسر عليكم أمر هذا الحصن فقالوا لا والله أيها الأمير وسوف ترى ماننفعل من الفعال ثم انهم ثاروا مثل أفراخ الجان وداروا حول الحصن من كل جانب ومكان هذا وقد أمر الاميرعبد الوهاب بنى كلاب أن يرشقوهم بالسهام فرمت الرجال بالسهام إلى أعلا الصور فكشفوهم عن الصور وتقدمت السودان كانهم الجان وتسلقوا من أعلى الحيطان (قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة حتى تسلقوا من على الصور وصاروا فى أعلا الحصن ثم نزلوا اليهم وقد نادوا الله أكبر وجردت السيوف وضربوا الارمن ونسفوهم نسفا وسقوهم شراب الحتوف وقد قتلوا منهم ألوف وهزموا الصفوف فما كانت إلا ساعة حتى كشفوهم عن الباب وفتحوه ودخلت الرجال وبنو كلاب وفى أوائلهم الامير عبد الوهاب ولما أن رأت الارمن ذلك صاحوا الامان الامان يا أهل الايمان فأمن لهم الامير عبد الوهاب بعد ما قبض على حيجون وأمر بضرب رقبته فضربت فى تلك الساعة وقد ضربت معه ألف رقبة من الارمن لانهم أبوا الاسلام فضربت رقابهم ولم يبق أحد منهم ثم أن الامير قحطان دخل إلى زوجته وسألها عن حالها فقالت له بخير وعافية ولم جرى على شىء فباس رأسها وباست صدره ثم أنه احتوى على ماله ومال حيجون ومال الارمن الجميع وبعد ذلك قال الامير عبد الوهاب أيها الامير لاتعد من اليوم تستخدم أحدا من الارمن ولا من النصارى لأنهم أعداءك فى الدين ولا ينظرون اليك إلا بعين البغض فقال قحطان صدقت والله أيها الامير (قال الراوى) ثم أن قحطان سأل زوجته عن حالها فقالت أنا من الله بعافية وخير وجملنى بستره الجميل ومنع هذا الكلب الذليل عنى ثم انها حدثته بما جرى عليها من حيجون الوزير ففرح قحطان وقال هذا لطف من الله وهو ولى الصنع والتدبير (قال الراوى) وأن الامير قحطان أقام بخدمة الامير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب مدة ثلاثة أيام ولما ان كان اليوم الرابع عزم الامير عبد الوهاب على الرحيل إلى ملطية فسار وسار معه قحطان وقد سار الامير عبد الوهاب ثلاثة أيام وودع قحطان ورده وسار الامير يقطع الارض فى الطول والعرض ولا زال إلى أن وصل إلى ملطية وكان يوم وصوله يوم مشهود (قال الراوى) ولما أن وصل الامير عبد الوهاب إلى ملطية ورأوه بنى سليم قالوا كيف كان ذلك لأنه قد كان وصل الخبر إلى ملطية أنه مأسور وأن الأمير عمرو بن عبيد الله فرح بأسر الأمير عبد الوهاب وسائر بنى سليم وقال لهم عمرو لما سمع بمجىء الامير عبد الوهاب يا بنى عمى أن هذا أمر

عجيب كيف قبض على الامير عبد الوهاب والله لقد أسترخنا منه فلما قدم الأمير عبد الوهاب تلقاه الامير عمرو بن عبيد الله واعتنقه وقال له والله لقد صعب على ماجرى ولكن هذا كله بقضاء الله تعالى وقدره (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب من الامير عمرو ذلك شكره على ذلك الخطاب هذا وأن الامير عبد الوهاب لما أن دخل إلى ملطيه وأجتمع باهله ورجاله (قال) ولما أن أستقر الامير عبد الوهاب القرار أرسل إلى قحطان أربعة آلاف من السودان وأرسل له الهدايا والتحف وامرهم أن يقيموا عنده فى حصن البارعية خوفا عليه من الخليفة (قال الراوى) يا سادة ياكرام فهذا ما ماكان منه وأما ما كان من مطرون فانه لما انكسرت العسكر لم يزل سائر إلى أن وصل إلى بغداد ودخل على المعتصم وهو فى أنحس حال وقد تغيرت منه الأحوال وقبل الأرض بين يديه فقال يامولانا أننا قد لحقنا بعبد الوهاب وقد احتاط بحصن البارعيـة فأخذته وأخذت الذى أجاره أخذا بالكف هو ومن معه وسرنا طالبين بغداد ونحن فى وسط الفرح وإذا بخيل قد طلعت علينا مع رجل يقال له ميمون الجماس ومعه آخر يقال له أبو الموت لاكتب الله عليهما سلامة وان أبو الموت يامولانا مثل الكبش النطاح وأنا لم نزل معه فى قتال وحرب ونزال حتى أننا أشرفنا على الأخذ فأتى الينا معن فأخذهم أسارى ولم يبق الا أن نرحل وإذا بذات الهمة قد وصلت الينا فأهلكت الرجال وأبادت الابطال ولم تزل حتى خلصتهم من الاعتقال (قال الراوى) يا سادة ياكرام فلما أن سمع المعتصم هذا الكلام فقال والله ان هؤلاء القوم مسعودين وما مضوا قط فى شغل إلا وكانوا ظافرين ولا أردنا بهم سوءا إلا كانوا علينا ظافرين ثم أن المعتصم سكت بعد أن قال ويلك يا مطرون لا يكون قد كذبت وخضت مع الخائضين وقعمل على الامراء المجاهدين حتى أفعل بهم فعال أبقى عليه نادم فقال اللعين لا وحياتك يا أمير المؤمنين وحق ابائك الطاهرين ما شهدت الا بما علمت وأن عبد الوهاب هو الذى أعطانى هذه السقيه التى أعطيتهالك وان قلبى ما طاوعنى أن أفعل ذلك فقال المعتصم الله يوفقك يامسكين (قال الراوى) ثم أن المعتصم أرسل الامير عمرو بن عبيد الله كتاب على جناح طير من طيور ملطية يقول فيه ويلك ياعمرو ما تقدر تقبض على عبد الوهاب وتوجهه إلى هو وأمه ومن معه من الاصحاب ويلك ما تريد أن يكون لك عندى اليد البيضاء يا ذليل يا مهان (قال الراوى) يا سادة ياكرام ولما أن وصل الكتاب إلى عمر وقرأه وجمع وجوه بنى سليم واستشارهم فى ذلك فقالوا له أنتظر وقت غفلة وأقبض عليه أو عسى ان يخرج يتصيد ونأخذه على غرة منه ونرسله إلى الخليفه كما أمر فقال عمر وهذا هو الصواب (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أنه جعل عليه العيون والارصاد وصار يترقب الأمير

النوائب وهو لايعلم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الامير والاميرة فانهما خرجا ومعهما عمرو وكان ذلك خشاء منه لان الامير والاميرة عزموا على زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلوا فصار معهم كما ذكرنا ولا زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عن خيولهم ودخلوا المسجد وزاروه وصلوا فيه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فما استقروا فى المسجد حتى خرجت عليهم خيل غابرة وهجموا عليهم فى المسجد وقد أخذوهم على غفلة منهم وهم مطمئنين فأخذوهم ثم قبضوا عليهم وشدوهم كتاف وحملوهم على ظهور الخيل وساروا بهم وهم فراحا وعبد الوهاب يقول لأمه يا أماه أنظرى كيف فعال عمرو بنا فقالت الأميرة ياوُلدى اعلم أن عمرو وبنى سليم ليس لهم بنا حاجة وأنهم ياولدى كلهم يبغضونا ونحن نراعيهم (قال الراوى) فبينما الامير والاميرة فى ذلك الكلام وما استقرت بهم ذلك الطريق إلا والخيل قد طلعت عليهم من رأس المضيق وصايح يصيح عليهم ويقول يا ويلكم يا كلاب العربان خلوا عن الامير والاميرة وقد حملوا عليهم مثل أسود الغاب وما كانت الا ساعة حتى شالوهم على رؤس الرماح وكان المقدم على هذه الخيل الوارده نافع ومعه سودانه (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان السبب فى ذلك أنه لما أن خرج الامير والاميرة إلى زيارة مسجد الرسول فقال لهم نافع أننى أريد أن أجىء معكم فقال له الأمير لابل خذ معك جماعة من السودان والحقنى إلى ذلك المكان ولما أن سار الأمير جمع نافع السودان وركب فى سودانه وكانوا أربعة آلاف أسود وساروا فى اثار الامير فهو سائر وإذا بغلام الامير صواب قد التقى بنافع فى الطريق وعقله منه قد غاب فقال له نافع ما حالك وما الذى جرى لك فقال له صواب الحق الامير عبد الوهاب فقد وقع فى العذاب والسبب فى ذلك أننى كنت واقف بجواد الامير عبد الوهاب على باب المسجد والامير داخل المسجد وإذا بخيل قد غارت علينا وقد هجموا المسجد ودخلوا عليه وعلى الأمير عمرو بن عبيد الله ولما أن رأيت أنا ذلك ركبت الجواد وطلبت الهرب والذهاب وقد رأيتهم لما أن أخذوهم ساروا بهم على طريق بغداد (قال الراوى) فلما سمع نافع ذلك الكلام سار فى عاجل الحال وقد حث السودان على المسير فما كانت إلا ساعة من النهار حتى أدركوهم السودان وقد أخذوهم على رؤس الرماح وخلاص الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة (قال الراوى) إن كان عمرو بن عبيد الله لما أن أخذ الأمير والأميرة وضعهما فى الصناديق وأرسلهم مع الأرمن وعاد إلى البلد حتى لا يعلم به أحد وأما الأمير عبد الوهاب فانه فرح بخلاصه وقد عاد إلى ملطية فالتقى به عمرو وسلم عليه فقال له الأمير وأنت ياعمرو ما كنت معنا فى الصناديق فكيف

تخلصت دوننا بلا تعويق فقال عمرو أيها الأمير أن الأرمن لما حطوكم فى الصناديق قالوا لبعضهم بعضا هذا هو المطلوب بل خذوا منه المال واطلقوه فباعونى نفسى بخمسة آلاف دينار واطلقونى وهذا سبب خلاصى وما ادرى إن كانوا مسلمين أو كافرين (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك الكلام فسكت غيظا منه وقد علم أن قوله كذب وفشار وقد صار يأخذ ويعطى فى هذه الأخبار وساعة يقول هذا من دواهى عقبة ومطرون وساعه يقول من عمرو (قال الراوى) إن عمرو وقد كتب كتاب وأرسله على جناح الطائر إلى بغداد يعلم المعتصم بما قد جرى وما تم ولما أن وصل الكتاب إلى المعتصم قرأه وفهم ما فيه وما قد تم فقال فى نفسه كم أكابر فى هؤلاء والله ما هم إلا قوم مسعودين ومن رب العالمين مسودين ومن الرأى الصائب اننى لا أرجع أتولع بهم فهم حامية الدين (قال الراوى) فهذا ما كان من الخليفة وما تم له (وأما عبد الوهاب) فانه افتكر فى تلك الأيام الأمير أبو محمد البطال وقال لو كان حاضر عرف من عمل معنا هذه الأعمال فبينما هو كذلك وإذا برجل قد دخل عليه من بنى سليم وكان يحب الأمير وقال له أتدرى من فعل بك هذه الفعال وعمل عليك الحيلة ورتب الرجال فقال الأمير لا ولكن من هو قال عمرو بن عبيد الله وذلك ان المعتصم أنفذ اليه ثم انه حدثه بالكتاب الذى أتى به من عند الخليفة وما تم على جليته فلما سمع الأمير ذلك الكلام سكت على مضض ولم يتكلم وعلم أن عمرو هو الذى عمل عليه وأوصل الأذية اليه فأخذ حذره من جميع بنى سليم (قال الراوى) فهذا ما كان من الامير والاميرة (وأما ما كان) من حديث أبو محمد البطال فانه لما سار هو وولده مذبحون فى طلب عقبة وشومدرس وانكشف على خبر الطير الذى كان فى ديار الملك كرفناس وانه سار ليلا ونهار يقطع البرارى والقفار فهو كذلك وإذا فى طريقه خياله مقدار ألف فارس من الروم ومعهم بطريق عظيم الخلقة وهو المقدم على الجميع (قال الراوى) إن كانوا الخياله والمقدم عليهم رسولا من عند ملك الملافطة ومعه الرجال وهدايا وتحف وهو سائر إلى عند الملك كرفناس يخطب ابنته لملك الملافطة فلما أن رآهم الامير أبو محمد تقدم اليهم وسلم عليهم فتقدم اليه المقدم ذكره وهو البطريق وسأله عن حاله فقال له أنا سواح وهذا ولدى فقال رسول ملك الملافطة للبطال وقد رآه هو وولده مذبحون فى زى الرهبان وقد أحنا البطال ظهره ودقنه على صدره فقال الرسول يا سيدى إلى أين أنت سائر فقال أنا سائر إلى دير الطير لازوره وأنال كل خير لانى سمعت ان المسيح ينزل فيه من السماء وهذا قول كل قليل العقل وانى سائر اليه وابين لكم فيه الحق والباطل

(قال الراوى) فلما سمع البطريق ذلك قال له لا تفعل يا راهب ولا تخاطر بروحك لأن هؤلاء القوم عندهم راهب يقال له سقراق لا يكون أحدا أعلم منه فى سائر الآفاق وانه لو لم يكن فى هـذا أمر عجيب وغريب ما انطلى على الراهب سقراق وان كنيسة القوم الذى فيها هذا الطير الذهب فيها أربعين راهب والراهب سقراق مقدم على الكل والحاكم والمشار اليه وهو لا يخلى أحدا يعبر اليهم ولا يطلع على حالهم وسائر الروم يحتاجون لهم وأنت يا راهب رجل فريد وحيد غريب ومالك غير ولدك هذا فلا تتعرض للقوم فقال أبو محمد يا هـذا الامر إلى الله ثم للمسيح وسوف يبان لك مع من هو الحق والقول الصحيح (قال الراوى) فلما سمع الرسول كلام البطال قال له يا أبونا المسيح يبلغك آمالك وينجح أحوالك فقال أبو محمد للرسول وإلى أين أنت سائر فقال أنا رسول ملك الملافطة سائر إلى الملك كرفناس فقال البطال سوف أساعدك بالمقال لكن فى أى شىء جئت اليه وايش تريد عنده فقال اخطب منه ابنته للملك ويكون بين يديك الكلام وأريد منك يا أبونا تساعدنا عند الملك كرفناس فقال البطال سوف ترى ما أعمل مع الطير الذهب (قال الراوى) ثم ساروا الى أن وصلوا الى بلد الملك كرفناس وان ابو محمد لما ان دخل البلد طلب الكنيسة ولما ان وصل اليها هم أن يدخل فمنعوه البوابين فقال البطال لاى شىء تمنعونى الدخول الى الكنيسة فقال له واحد منهم اعلم ان فى هذه الكنيسة أربعين راهب وأربعين راهبة والراهب سقراق سيدهم والحاكم عليهم ولكن اطلب الكنيسة الصغرى فلك فيها نصيب (قال الراوى) ان كانت الكنيسة الصغرى فيها رهبان وراهبات من كل فقير وفقيرة وهم صعاليك لايقدرون على شىء ولا يزورهم إلا الصعاليك والفقراء والكنيسة الكبرى فيها الطير وهم يرفلون فى النعيم والأكل والشرب ويحمل اليهم سائر الأشياء من الملك وغيره من أرباب النعم وعندهم راهبات بوجوه كأنها الأقمار من بنات الملوك والبطارقة الكبار وكانت بنت الملك كرفناس قد ترهبت وهى عند سقراق فى أكل وشرب (قال الراوى) فلما ان منع أبو محمد من الدخول إلى الكنيسة الكبرى فعاد هو وولده ودخل الكنيسة الصغرى وصبر البطال الى يوم الأحد وكان كل يوم أحد يدخل الملك الى الكنيسة الكبرى فيدخلون معه كل من أراد الدخول ويتبرك ويزور طول نهاره الى ان يخرج الملك منها فلا يقدر أحدا يدخلها (قال الراوى) فلما ان كان يوم الأحد أتى الملك ودخل الكنيسة ودخل من دخل فدخل أبو محمد فى جملة الناس وأول من تقدم الى الملك فى ذلك اليوم الرسول الذى لملك الملافظة وقال أيها الملك نشر عليك المسيح أعلام نصره وأمنك من حوادث دهره وكشف عنك ضره وجعل أمرك فى الروم مسموع

ورأيك دائم متبوع واعلم انى قد أتيتك خاطبا وفيك راغبا من عند ملك الملافطة وانه قد أنفذ لك معى أموال وذخائر وظرائف ومعى رجال فما يكون الجواب أيها الملك المفضال (قال الراوى) فلما سمع الملك كرفناس من الرسول ذلك الكلام قامت عيناه فى أم رأسه حتى اختشى من سطوته سائر جلاسه ثم قال للرسول ويلك ومن اين حتى يخطب ابنتى ملك الملافطة وحق الراهب سقراق الذى له عندى أربعين سنة ماغسل وجهه الا بالبزاق وإلا كفر بالطير الذهب الذى يرى منه العجب ويخبرنا بما نأكل ونشرب الذى فيه الحوارى بطرس ويرى فيه روح القدس لولا ان المسيح لايحب عنده قتل الرسول لكنت أقتلك قتلة عجب (قال الراوى) فلما سمع رسول ملك الملافطة ذلك الجواب امتثل أمر الملك وقد خرج من قدامه وأقام بين الرهبان يسمع مايكون بين البطال وسقراق من المناظرة فى هذا الأوان (قال الراوى) ثم ان البطال صبر الى ان انفض المجلس وراق له الوقت فرفع صوته بقراءة الإنجيل وقد جاوبه مذبحون بحسن الترتيب فأزعجوا ذلك المجلس وسمعوا الروم منه قراءة عجيبة ونغمة غريبة لم سمعوها فى طول أعمارهم وقد شخصت اليه أبصارهم وسمعوا القراءة من صوت ندى ونظر الملك كرفناس إلى ذلك فبقى حائر بين الناس وقد لذله قراءة البطال وطاب له ذكر الصوت الشجى والحلق الندى وقد دوت البيعة من حسن صوته وبعد ذلك فسر الإنجيل وبين مافيه من التحريم والتحليل ووعظ وخوف وحذر وأنذر من النار وارتكاب الفجور فى سائر الأقطار وشوق الى الجنة التى تجرى من تحتها الأنهار فلما سمع الملك كرفناس ذلك الكلام كاد ان يزهد فى المملكة ثم قال ماهذه الدنيا الا مهلكة ثم انه قال وحق المسيح ما أظن هذا الشخص الا من بعض الحواريون لأن مايوجد أحدا مثل هذا الراهب فى سائر الناس أجمع (قال الراوى) فتقدم الملك بنفسه الى عند الأمير أبو محمد وقال له من أين أتيت يا أبونا فوحق الطير الذهب لقد شوقتنى الى الزهد والعبادة بقراءتك الإنجيل وعرفتنا ما فيه من التحريم والتحليل فقال أبو محمد ياملك أنا أنفذنى اليك السيد المسيح حتى أردكم عن ظلم أنفسكم وعن فعلكم القبيح وعن عبادتكم لهذا الطير الذى لايضر ولا ينفع ومن مثالكم لهذا يتبع (قال الراوى) فلما ان سمع الملك من البطال هذا الكلام كان ضاحكا مستبشرا صار وجهه معبسا أصفر مقطبا أغبر وغابت عيناه فى أم رأسه حتى خافت منه سائر جلاسه وقالوا له أيها الملك لقد أتى هذا الراهب بشىء نكرا فلا بد من قتله سرا وجهرا فلما سمع البطال ذلك المقال قال أيها الملك المسيح يديم سلطانك ويكثر اخوانك احملنى على بساط العدل فانى ماجئت الا الى محل العدل والانصاف الذى شاع

فى سائر الآفاق وأريد أن تجمع بيني وبين الراهب سقراق حتى أتناظر أنا وإياه فان قهرنى فاننى أتبع ماهو عليه وإذا تبعته تبعه كل نصرانى على وجه الأرض لأننى أقدر على كل من يجىء إلى بيت المقدس وان أنا قهرته فلا يرجع يتطرق اليكم بهذه الأحوال ولا ينطلى عليكم منه تلك الأعمال (قال الراوى) فلما سمع الملك كرفناس هذا الكلام وسمع البطال يقول احملنى على بساط عدالك راق وصغى من التكدير قلبه ثم انه أنفذ فى عاجل الحال خلف الراهب سقراق وقد انفض المجلس بالناس والخلق قيام بين يدى الملك كرفناس فقال له الملك يا أبونا كيف ذلك الحال فقال البطال أنا أبين لك ذلك (قال) فبينما هم فى الكلام واذا بالراهب سقراق قد أتى الى عند الملك فقام له قائم وقال له أيها الأب اعلم ان هذا الراهب قد أنكر عليك هذا الحال وقال ان هذا الطير لاتجوز عبادته وقال هذا فعل الجهال وها أنت وإياه (قال الراوى) فلما سمع الراهب من الملك ما قال فقال سقراق أيها الملك ولم لا ضربت رقبته ثم أعدمته مهجته فقال الملك ما أقدر عل هذا لأنه قال احملنى على بساط العدل فأرنى أى شىء تفعل من عملك حتى أنظر لانى لاأجور على أحد فقال الراهب سقراق وأين هو الذى تقول عليه فقال هذا الذى يسمع كلامك (قال) فعندها نظر سقراق اليه فرأى أبو محمد وإذا هو قاعد لا يتحرك ولا يتزحزح فقال للبطال يا راهب لأى شىء لا يكون عندك أدب وأى شىء حملك على هذا السبب فقال له البطال ياهذا وأى شىء رأيت على من سوء الأدب فقال له الراهب سقراق قد أتيت اليك وأقبلت عليك فما قمت لى ولا التفت إلى فقال الملك كرفناس صدق الراهب سقراق فيما قال وأنا الآخر أتيت اليك ففعلت كذلك فقال البطال أيها الملك هذا الذى فعلته هو الصواب فقال الملك وكيف ذلك قال البطال اعلم اننى لو قمت له وسلمت عليه توهم اننى فزعت منه وأنا الساعة لناظره بين يديك فان قهرنى سقراق يطول قيامى له إلى الأبد وقد أنكرت عليه لخدمته لهذا الطائر الذهب وهو الذى أساء الأدب فقال سقراق وما الذى أنكرت على فيه وقولك هذا قول رجل سفيه فقال البطال كل ما أنت فيه منكر وعلى الروم منه ألف ضرر فقال سقراق ما الذى تقول فى هذا للطائر قال أقول أنه طير من الذهب ولا فيه منفعة بل هو مضر ولا خير فيه واعلم أنه مصنوع صناعة حسنة وأنت تضل الناس به كذلك كذا سنة ولا يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع ولو كان المسيح ينزل فى الطير ما الذى كان يمنع المسيح أن يقول فى صورة مليحة الهيئة كثيرة الأنوار ولا ينزل فى طير له منقار ويأمركم أن تأخذوا أربعين جارية أبكار كأنهن الأقمار تتمتعون بها عند المساء ووقت الأسحار فهذا مالايجوز أن يكون فى سائر الأقطار فقال سقراق ويلك يازنديق ويارأس الفجار اعلم ان الحوارى ينزل فى هذا الطير ويخبرنا

بكلما فى الأسوار وبما نأكل وبما نشرب وبما ندخره فى بيوتنا مما يحير الأبصار ومن قال اليوم غير هذا فانه يشقى وان قولى هذا حقا وان شككت فى هذا فسوف تنظره ما تلقى منه من العذاب (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك الكلام فقال أيها الراهب أما أنت قلت أنه يخبركم بما تأكلون وما تشربون وما تدخرون قال نعم فقال له البطال أنا أحكمه على وعليك وهوان أخبرنى من أنا ومن أين أتيت وإلى أين أنا رايح وما أكلت البارحة فأنا أعلم حينئذ صلاحه وأنا وولدى نتبعك وأجعل أهل الأرض يتبعونك ويطيعونك (قال الراوى) فلما سمع الراهب سقراق ذلك قال رضيت بهذا السبب قم الليلة ههنا وانظر العجب وكان مراد سقراق أن يبيت البطال فى تلك الكنيسة حتى يقتله ويقول الطير قتله وكان سقراق خبيث ولكن كان البطال أخبث منه وأمكر فقال البطال اعلم اننى ما أبيت ههنا وما أبيت إلا فى الكنيسة الصغرى وعند الصباح تنظر الناس ما يجرى فقال الملك كرفناس نعم ما قلت أيها الراهب وقد داخل سقراق من ذلك وسواس وقد تواعد إلى غداة غد وتأتى الناس (قال الراوى) ثم ان البطال بعد انفضاض المجلس خلى بولده فى تلك الليلة وقال له يا ولدى اعلم ان لهذا الطير شأن وهو حديث عجيب وأمر غريب فقال مذبحون يا ابى اعلم أنه كان فى بلاد الهند صنم عظيم وكانت أهل تلك البلاد يعبدونه ويبجلونه ويعظمونه وكان إذا سرق إلى أحد منهم سرقة أوضاع له شىء من الأمتعة يأتى إلى ذلك الصنم ويشكوا له حاله ويخبره بما جرى له فيقول له ذلك الصنم فلان بن فلان أخذ مالك فيروح اليه ويقول له هات ما أخذت لى فيأتى به ويجد متاعه عنده ولا يقدر يخفيه ثم فشى ذلك عند الناس أجمع وارتجعوا أهل البلد عن الحرام والبدع وصار لا يقدر أحدا يتعدى على أحد وخافه كل أبيض وأسود وأنه اتفق أن بعض اللصوص أخذ مال رجل فجاء صاحب المال إلى الصنم وحدثه بما قد جرى له فقال له فلان أخذ مالك فجاء الرجل الى السارق وقال له أنت سرقت مالى وكشفت حالى فقال السارق أنا ما أخذت لك شىء فقال له امضى معى الى الصنم ونحضر بين يديه فقال فى غداة غد أمضى معك اليه (قال الراوى) فلما أن راح صاحب المال من عند السارق صبر إلى الليل ومضى اللص إلى الصنم ومعه فاس فضرب الصنم طير من رأسه قطعة وقال له ها أنا قد كسرت رأسك وان تكلمت فى غداة غد وعندت على فأنا أعطى الرجل ماله وأرجع اليك الليلة الآتية أهدمك إلى الأساس وأجعلك مثل الزجاج وتركه ومضى إلى منزله (قال الراوى) فلما أصبح الصباح جاء صاحب المال وقال للسارق قم بنا إلى الصنم وامضى بنا إليه فقام معه وقد أتيا إلى الصنم وهو بما فعل مع الصنم واثق فلما أو أتيا إلى الصنم فتقدم صاحب المال وقال ياسيدى من أخذ مالى وها أنا أتيت

لك ومعى الذى قلت أنه سرق أمتعتى ومالى ثم سكت ولم يتكلم (قال الراوى) فقال الصنم وقدمال وتكلم وقال إن ذلك الزمان قدمضى بناسه وقدأتى هذا الزمان بفاسه لكل من تكلم الحق كسروا رأسه وقالوا نهد أساسه والعاقل فى هذا الزمان من يحفظ قماشه وقيل يا أبتى إن كان فى أرض مصر فى بر الجيزة عند مكان الاهرام شخص وهو من الحجر وكان يسمى أبو الهول وكان مثله وجرى له مثله (قال الراوى) فلما سمع البطال من مذبحون ذلك فقال له أنا أعرف ذلك من قبل أن تقوله لى لكن مانحن فى هذا ولكن قل لى كيف يكون العمل فقال مذبحون أنا أنزل فى هذه الليلة الى الطير وانظر ماهو واختبره وأعلمك بما هو فقال له أبوه البطال عول بنا على ذلك فى هذه الساعة والا أن أقمنا الى الصباح ولم نعمل عمل فاننا هالكون لا محاله ثم انهما خرجا من تلك البيعة الصغيرة التى كانا فيها وأتيا الى البيعه الكبيرة التى فيها سقراق فلم يكن بأعجل ما صار فى تلك البيعة وبقوا على أعلاها لأن مذبحون تسلق مثل الشيطان والبطال نصب سلم التسليق ثم طلع أسرع من طبق الجفن على الجفن ونزلا الى أسفلها وتقدما الى باب الحجرة التى فيها سقراق فرأوها حصينة ما لاحد عليها تسليق فلما رأى البطال ذلك ذهل وحار فقال له مذبحون ما الذى جرى عليك انظر العجب ثم انه أتى الى قبة المكان وتسلق من عليها مثل الشيطان وقد جعل رأسه لاسفل ورجليه الى فوق (قال الراوى) فلما نظر الى ذلك البطال فخرف له سلم التسليق فمسكه وفى أعلا البيعه شبكه فطلع البطال وفى ساعة الحال نزلا فى وسط الحجرة فرأوا فيها جارية مثل الغزال كانها القمر الطالع أم النور الساطع أم البدر اللامع لم يسمع بمثلها السامع ولا رأى أحدا مثلها فى سائر المواضع وقد اشرقت الحجرة من نور جبينها والحسن من شمالها ويمينها (قال الراوى) وكانت هذه الجارية بنت الملك كرفناس وكان الراهب سقراق يعشقها يموت وكانت هى أيضا تحبه وكانت قد ترهبت وصارت عنده فى البيعة وكان قد علمها قراءة الانجيل وتتكلم بكل لسان ولها عقل جزيل وكانت تروح فى كل يوم الى بيت أبيها كرفناس وتنظر ماهو فيه من الحال وما أكل وما شرب وما فعل من الفعال وتمضى الى بيوت أكابر البطارقة رائده وتنظر ماهم فيه وما يأكلون وما يشربون وما يفعلون ويأتى الى عند سقراق وتحدثه بجميع ما بدأ وما تبصر وما ترى وكان هذا الطير الذهب قد صنعوه مجوفا وله حجرة مليحة تحت ذلك الطير ينزل اليها بدرج ويطلع منها فى أزج معقود صاعد الى الطير وكان وزن الطير خمس قناطير من الذهب الأحمر وهو مرصع بالدر والجوهر وكل فص مفتخر وكان اذا صلوا الناس يوم الاحد فى

الكنيسه تطلع الجارية الى جوف الطير وتقرأ شيئاً من الانجيل وشيئاً من المزامير فتطرب الوجود ويسجدون القوم قدام الطير ويقولون هذا هو الحوارى خادم السيد المسيح لاشك ينزل فى هذا الموضع يستريح (قال الراوى) ولما أن جاء البطال وانكر هذا الأمر والحال نخاف سقراق منه وقال فى نفسه ما أدرى هذا الكلب من أين أتى وقال ما قال ثم أن سقراق صبر الى الليل وقد حضرت بنت الملك عنده فقال لها سقراق يا منية القلب ويا راحة الصب اعلمى أن هذا الراهب الذى جاء الينا وقدم علينا فى هذه الايام انكر علينا مانحن فيه من العيش واللذة وأنا اخشى أن أفارقك فراق ما بعده تلاق وأقاسى الشدة فقالت وحق المسيح لأ فعلن كل فعل قبيح ولا تخاف فأنا أعمل عليه وأهلكه فى غداة غد ومنه نستريح فقال سقراق اعلمى أن الرأى عندى أن تقومين الساعة وتطلعين الى الطير وافتحى باب الطابق وانزلى فى الدرج واقعدى فى الطائر واذا تحاكمت أنا وهذا الراهب فى غداة غد ابصرى إيش تقولين فقالت سمعا وطاعة (قال الراوى) ثم أن الجارية طلعت الى الطير وهو مكان ما يهتدى اليه أحد لأنه صنعة دقيقة لأن الطير فى طابقة من الرخام الأحمر فى جنب الحائط وما يعرفه أحد وما يظن الناظر الا أن الرخامة من رخام البيعة القائم (قال الراوى) هذا كله يجرى والبطال يسمع ذلك ويرى ماهما فيه ثم أن الجاريه طلعت الى الطير ومضى سقراق الى مقصورته فعند ذلك قال مذبحون انظر العجب وقد عولت الساعة اننى أطلع الى الباب الذى قال الراهب عنه واصعد الى الطير وأقعد فى جوفه وأقبض على بنت الملك وأكتفها وأتكلم أنا على لسان الطير واترك لنا فى هذه الديار مثلا سائرا واذا تحاكمت أنت وسقراق فى غداة غد ترى ما أفعل فقال البطال أخاف عليك أن الجارية تخدعك بحسنها وجمالها لأنى سمعت ما فى الدنيا مثلها وتقع يابنى فى أسرها ويصل الينا شرها فقال مذبحون طب نفسا وقر عيناً فوعزة الله ما أنظر اليها نظرة تغضب الله تعالى وما أفعل شيء الا لوجه الله فقال البطال هذا هو المراد ياولدى اذا كان هذا نيتك فوالله سوف ينصرنا الله تعالى على الأعداء (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن مذبحون بعد ذلك أتى الى الحجرة وكان بابها رخامة مزوقة فى الحائط كما ذكرنا وعليها عصفور من الذهب ما يدرى به أحد ثم انه نزل وطلع صاعدا فى الازج المذكور الى أن وصل الى جوف الطائر فرآه يسمع خمسة أنفس والمكان مفروش بأنواع الديباج وهو من الذهب الوهاج وان البطال رجع ونزل من الموضع الذى طلع منه طالب البيعة الصغيرة التى نام فيها وبقى قلبه عند ولده مذبحون (قال الراوى) فهذا ماكان من البطال وأما ماكان من الجارية ابنة الملك لما فارقت الراهب سقراق وصعدت إلى جوف الطائر نامت

وهى مطمئنة الخاطر فبينما هى غارقة فى المنام وإذا بمذبحون قد هجم عليها ومسك بيديها فلما أن أحست بذلك كاد أن يطير عقلها فقال لها مذبحون لاتفزعى وقد كلمها بكلامها ولسانها فأنست اليه ثم قالت له من أنت ياهذا فقال لها مذبحون يهدى روعك ويطمئن قلبك واعلمى أننى أنا ابن الراهب الذى أتى يناظركم فقالت وقد نظرت اليه وهوكانه القمر الطالع وله حسن بارع فبهتت الى مذبحون وله حاجب مقرون وله عيون أحد من المضارب وأمضى من القواضب فصار عقلها من حسنه غائب وكان مذبحون شاب لانبات بعارضيه وسقراط شيخ بذقن كبيرة وقد غطت وجهه وشقفه وخدوده وحاجبيه قد غطوا عينيه ولما ان رأته على تلك الحالة فقالت لهوايش تريد منى فقال لها مذبحون اعلمى اننى مانزلت الى هذا المكان الا حتى أعرف خبر هذا الطائر ومافيه من الشان ومن يتكلم فيه زور وبهتان وأنا الساعة ماوجدت غيرك فأتى من تكونى من النساء لاننى لابد لى من ذبحكى فى هذه الساعة ودع يجرى مايكون وان أردتى أن تكونى معى تطاوعينى على ماأقول لكى وتسمعى وأنا أتخذك لنفسى وتكونى من أبناء جنسى (قال الراوى) فلما سمعت الجارية من مذبحون ذلك الكلام وقد افتتنت بحسنه والجمال فقالت له وحق المسيح ما أتكلم ومابقيت أفارقك بل ننام أنا وأنت الى الصباح فقال مذبحون الذى ذكرتيه ليس بحلال ولاهو لى مباح فقالت الجارية يقول سقراق انه مباح وذكر ان هذا يقربنى الى المسيح فقال مذبحون والله لقد كذب هذا الخنزير فى قوله سرا وعلانية واعلمى أن الله يعاقب الزانى والزانية فقالت الجارية فأى شىء علينا نحن من هذا يامليح فقم أنا وأنت الساعة ننام ونستريح (قال الراوى) إن كانت هذه الجارية أحسن من كل من فى البلد كما ذكرنا وقد شربت مع الراهب سقراق تلك الليلة وقد توردت وجناتها ورق كلامها واسودت عيونها وبقت فتنة للناظرين وكان مذبحون أيضا كانه القمر الطالع أو البدر البازغ أبيض أحمر بعذار أول مابدر وشارب أخضر وهو أبهى من القمر فقالت الجارية لمذبحون ياهذا قم واقضى منى وطر وتمتع بهذا الوجه الأزهر والطرف الأحور فقال لها مذبحون لايجوز ان يقرب الإنسان الزنا لانه فعل قبيح عندنا فقالت الجارية ويلك أمرك عجيب لاننى وحق المسيح لوحصلت لعابد ويكون أعبد الناس ماأراد بى بدلا فمن أنت ياهذا حتى تقول هذا الكلام وتسوق التعفف وتقول هذا لايجوز لنا وهذا المذهب مذهب المسلمين الذين يقولون ان شرب الخمر حرام فقم بنا ودع عنك الكلام فأنت رومى وأنا رومية فمن أين أتاك الاسلام فان كان حلال فهو حلال وان كان حرام فهو حرام فقم بنا نجتمع فى هذا المكان فقد طاب لنا الامكان فقال لها أنا والله ماأريد الا الحلال كما أمر ذو الجلال والاكرام

فقالت له أنت مسلم وموحد على دين النبي محمد قال نعم فقالت له الجارية والله ان أمرك عجيب فأبوك راهب فصيح يقرأ الانجيل مليح وأنت رومى وتتكلم بلسان الروم فقال لها اعلمى أن أبي الآخر مسلم بن مسلم (قال الراوى) فلما ان سمعت الجارية من مذبحون ذلك الكلام أطرقت ساعة وهى متفكرة ثم انها رفعت رأسها وقالت له بحق المسيح هذا الراهب هو أبوك وماهو أبو محمد البطال الذى قلوب النساء والرجال ملآنة منه أحقاد وادغال وأنزل بالروم الوبال فقال لها أى وحق النبي المفضال الذى فرق بين الحرام والحلال فقالت الجارية فلا شك أنت ولده مذبحون من نورى بنت عين المسيح الذى كان أحد ملوك الحصون فقال مذبحون أنا ذلك فقالت وحق المسيح ان دينكم هو الدين الصحيح والاعتقاد المليح ولولم يكن ذلك كذلك ماكنتم تقدمون على هذه الأشياء والله يؤيدكم بتأييده ثم قالت لمذبحون أنا الآن أريد أن أكون لك أهلا أينما ذهبت أتبعك وأنفعك فى يوم هذا وأنا أقول أشهد ان لا إله الاالله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح مذبحون باسلامها حتى لم تسعه الأرض من شدة فرحه وقال لها نسأل الله الاعانة على مانفعل وان يسهل لنا مانعمل وكانت هذه الجارية اسمها مريم فقالت وحق الذى عرفته وهو الاله الأعظم اننى فى غداة غد أفعل فعال ماتهتدى اليها الرجال ولايقدرون على مثلها الأقيال وحرمة النبي المفضال ثم انهما بقيا فى ذلك الموضع الى أن أصبح الصباح هذا ومذبحون طول ليلته يلقنها الفاتحة وسورة الاخلاص وشرح لها دين الاسلام وقد فهمت جميع ماقاله لها من الكلام (قال الراوى) وان الملك كرفناس جاء باكر النهار الى البيعة ونادى لايبقى أحدا من الناس الاويحضر فى ذلك اليوم وكان ذلك النهار كانه يوم القيامة وحشر الناس فى الصعيد الأعلى حتى مابقى لأحد موضع قدم من كثرة الخلق والأمم وان أبا محمد خرج من البيعة الصغرى وفى يده عكاز أبنوس مقمع بالفضة وفى وسطه زنار رفيع وعلى رأسه برنس أسود وهو زى عجيب ثم انه دخل الى الكنيسة الكبرى فرأى الملك كرفناس جالس على كرسى من الذهب وبطارقته قيام على أقدامهم (قال الراوى) وكان لهذا الملك كرفناس هيبة عظيمة لم يكن لأحد من الملوك مثلها وأن البطال رأى الناس على طبقاته وهم خلق عظيم نقدم إلى الملك وصار بالقرب منه وقرأ فصلا من الإنجيل أذهل كل من فى البيعة ثم أنه تقدم إلى تحت الطائر الذهب وقد قال سقراق للبطال أيها الراهب المفضال من يتكلم أولا أنا أو أنت فقال البطال تكلم أنت لأنك على كل حال صاحبه فقال سقراق نعم ماقلت ثم أن الراهب تقدم وهو واثق من ابنة الملك أنها تتكلم على لسان الطائر وتهلك البطال بالقول والفعال كما وقع بينهما الاتفاق من

أول الحال ثم أنه رفع صوته وقال أيها الشيخ النورى والمعجز البطريق وهو العالم بما أنا عليه من حسن طريقى انى أريد أن أخطب لك اليوم خطبة واقسم عليك أن تظهر للقوم المعجزة والآية وتقبل من الناس التوبة وأنا أقسم عليك اليوم بحق القس والمطران والمطرانه والرهبان ومن أكل بعكر الزيت القربان والذى اعلمك به أن الراهب الذى قد وصل إلى هذه الديار وقد انكر عليك غاية الانكار وقد ذكر انك لا تنزل فى هذا الذى له منقار فاسألك يامولاى أن تنفخ فى لحية هذا الراهب النار وتبين لهذا الملك أنه من القوم الفجار ولا تقبل له اعتذار بعد هذا الانذار حتى يعرف قدرى جهار فهو يحسب أن الزمر هيئة الطبل والطنبور مثل الكلام الفشار ثم سكت سقراق ساعة وانتظر من بنت الملك انها ترسل للنفط من الطير إلى البطال فلم يرى لذلك آثار فقال فى نفسه اياكى قد أصبحتى مخمورة من نشوه العقار ويلكى ما هذه المصيبة فضحك المسيح بين الحضار هذا وأبو محمد قد التفت إلى سقراق وقال له هل بقى لك كلام أو خطاب فقال لا وحق المسيح فعندها تقدم أبو محمد إلى الطائر وقال له أيها الطائر المصور الملمع بالفصوص والجواهر الذى لايضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع أسألك بحق الذى أمات وأحيى وأفقر وأغنى وأضل وأهدى وخلق الأشياء بلا سدا وأنهج النفوس وأجرى الماء وهوى الهوى وخلق الإنسان من طين لازب وهو رب المشارق والمغارب والذى تعلم به أيها الطير النادب أن هذا سقراق الراهب قد ارتكب الفجور وشرب الخمور وشهد الزور وأخذ البنات اللاتى كأنهن البدور وقال انك تنزل فى الطير الذى هو بمنقار وانك قد أحللت له البنات الابكار واهراق دم الاخراق وعمل الفجار الذين استحقوا يوم القيامة النار فان كان صادقا فأنزل على سوط عذاب ولا تسلبنى من الضيق ولا تسهل لى إلى الرجوع طريق وان كان هذا سقراق كافر زنديق وهو على غير طريق وهو جاحد ملعون وكافر مفتون وفاجر مغبون وهو يستحل كل حرام ويرتكب الآثام وأنه نجس ابن نجس من الفاسقين اللئام فاضرب لحيته بسوط من نار حتى تشهد هذه الحاضرين وتعتبر به ذوى العقول والأبصار الذين هم فى هذه الديار وغيرها من جميع الأمصار (قال الراوى) فلا وابيك ما فرغ البطال من كلامه وهذه الخطبة المليحة والألفاظ الفصيحة حتى انقلب الطير ودار وصواب إلى وجه سقراق المنقار وضربه بشهاب من نار فأحرق جهار وجرت النار لأذانه بالشرار وأتى القوم من جوف الطير كانه حقائق الرعد الهدار وقال أيها الناس أنا الحوارى الذى كنت مع المسيح فى البرارى والقفار وأن المسيح أجل قدر أن ينزل فى هذا الطير ويشبه به خلقا فى سائر الأقطار وإنما هذا

الطير مبارك ولا يجوز أن تقبلوا من سقراق هـــذا القول والخطاب لأنه على كل حال كذاب وإنما هذا الراهب الجديد أنا الذى أرسلته اليكم وقدمته عليكم وهذا سقراق فاجر كذاب وقد أفسد البنات وهتك المحصنات فاقتلوه ولا تستبقوه وإلا حل بكم العذاب (ياسادة يا كرام) ثم أن الطير زعق زعقة أوفى مما زعق أولا وضرب سقراق بشهاب آخر أحرق بقية دقنه ووجهه ونادى ويلكم اقتلوه وإلا أنزلت عليكم العذاب وقطعت بكم الأسباب فهنالك أمرهم الملك بقتل الراهب سقراق فأخذته السيوف من كل جانب وصار الشاطر يضربه ضربة حتى يتقرب بها إلى قلب البطال لما سمعوا من الطير ذلك المقال ولم يزالوا يضربوه بالسيوف إلى أن بقى قطعا هذا والطائر صاح صيحة أخرى ونفخ النار حتى امتلأت الكنيسة وقال لهم ويلكم هؤلاء الرهبان اقتلوهم عن بكرة أبيهم ثم قال الطائر ارفعوا هذا الراهب إلى موضع سقراق وسلموا إليه كلما فى الكنيسة فقدوهبه المسيح كلما فى الكنيسة إلا البنات والنسوان فليس فيهم حكم إلا إن أراد أن يتزوجن كما أمر المسيح فهو لهم مباح وأيضا حولوا الرهبان الذين فى الكنيسة الصغرى إلى هذه الكنيسة حتى يقسمون المال فقد كانوا فى جهد جهيد وأمر عتيد مما فعل بهم ذلك الشيطان المريد (قال الراوى) فانقلبوا الرهبان فى الحال إلى تلك المقاصير وأخرج الملك تلك البنات المساكين ولقد كانوا فى أمر مهين ثم شرع فى تجهيزهم وزواجهم هذا والبطال يتلو الإنجيل طول النهار عند الطائر والملك قد أقبل عليه وقال له يا راهب هل كانت ابنتى معهم أم لا وإن كانت معهم فتكون عند سقراق فى مقصورته لأنى ما أرى لها خبر ثم خرج الملك وقد سلم للبطال البيعة وما فيها ففرح بذلك وقال فى نفسه ياليت شعرى كيف يكون الخروج من هذه الديار وقد ذكر رسول الملافطة أن عقبة وصل اليهم ومعه شومدرس وأنا لابد لى منهما إن شاء الله تعالى هذا ورسول الملافطة قد سأل البطال أن يأخذ له الإذن فى الإنصراف وكان قد تعجب مما جرى فقال له أبو محمد البطال طيب قلبك فأنا أحوجه ان يزوج إبنته الصغيره لملككم فقال له الرسول تكون قد نلت الثواب من المسيح ويجازيك ملكنا بأعظم جزاء ويعطيك عشرة آلاف دينار ذهب لك هديه ان صحت هذه الحاجة مقضية (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع البطال ذلك خرج من الكنيسة ودخل على الملك وقال له أعلم أيها الملك أنك كنت فى وسط النار جالس والا فقد ظهرت القدرة من الكنائس وتركب ذلك الأمر الذى كنت عليه من الضلال وأنت كنت أعطيت أبنتك الكبيرة لسقراق وهذا ملك الملافطه ماله شبيه فى الجمال فزوجه أبنتك الصغيرة (يا سادة) فلما سمع الملك ذلك من أبو محمد البطال قال يامولانا وأبونا أبنتى بحكمك أفعل

بها ماشئت فامر البطال لرسول الملافطةان يحضر المال ففعل ذلك وقدم ألف ثوب أطلس وقال هذه هدية وأنا أريد منك أن يقطع المال النقد علينا ماشئت وها أنا أمضى وآتيك بالهدايا والأموال والتحف والظرف ولكننى أريد أنظر إلى العروس (قال الراوى) وهذا ما هو عند الروم عيب فعند ذلك أخرجت الجارية وهى كالبدر المنير فلما رآة الرسول فرح وانصرف هو وأبو محمد البطال والرسول يقول يا أبونا سوف أشكرك عند الملك وأصف له ما فعلت فى حقه ولولاك ما زوجه ابنته وأوفى لك ما ضمنت لك من الهدايا والأموال ثم ودعه الرسول وسار وأقام البطال فى البيعة وقد أجتمع بولده مذبحون وقال له يا ولدى اسأل من ابنة الملك وقل لها هل تقدرين لنا على سبيل حتى نمضى من هذه الديار (قال الراوى) فعاد مذبحون اليها وقال لها ذلك فقالت والله مالى علم بذلك لكن الملك يركب فى كل يوم فى سبعمائه ألف فارس ويدور فى البلد أكثر من فرسخ فما أعلم لنا خلاص فقال البطال لا كلام حتى يعود الرسول بتاع ملك الملافطه بالمال ليأخذ العروس لأننى أكدت عليه أن لايعود إلا ومعه جماعة من الرهبان والقسوس وأنا أعلم أن عقبة وشومدرس يصلون مع الرسول وأدبر إن شاء الله تعالى فى هلاكهم ثم عاد البطال الى الكنيسة وعاد مذبحون إلى نحو السرادب (يا سادة) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من رسول الملافطه فانه سار حتى وصل إلى بلادهم وخرج اليـــه الملك فليص ملك الملافطه وفرح بوصله ودخل قصره وأجلسه وسأله عما جرى له مع الملك، فأحكى له ما جرى للملك كرفناس وما تم عليه من أحواله وما رأى من أبو محمد البطال وولده وحديث الطائر وسقراق وكيف كان السبب فى إجابة الملك فى الزاوج فلما سمع الملك ذلك فرح واستبشر وأنفذ من ساعته خلف شومدرس وعقبة وكانا عنده فى المنزلة الرفيعة لأن الملعونين كانوا قد هربوا من القسطنطونية من وقعة أرمانوس وصلب هرمس المجوسى فاجتمعوا ووجدوا عسكر قد بقى منهم جماعة مقلعين فقالوا لهم خذونا معكم فأخذوهم معهم إلى بلاد الملافطه واجتمعوا بالملك وكانا عنده فلما كان ذلك اليوم أمر باحضارهم فلما حضروا قام لهما الملك على قدميه وترحب بهما وأجلسهما إلى جانبه ثم قال للرسول حدث هؤلاء المشايخ بما رأيت من الاحوال وحديث الراهب وولده وكيف نهاهم عن الزنا مع البنات (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك المقال أظهر العجب وقال وحق المسيح ما قدأنى هذا الراهب وولده إلى كرفناس وردهم عن الخطاب والجهل من دين الناس وتكلم الحوارى من فم الطائر بفضلهم إلا ولهم أيادى عند المسيح والمعمدان ولا بدلنا ان سار الرسول بالمال وعول على أخذ العروس نمضى معه ونزور

هذا الراهب ونسأل له أن يسأل الحوارى المتكلم على لسان الطائر أن يمكننا من أعدائنا عبد الوهاب وذات الهمة والبطال الكلاب فقال لهم الملك لما سمع بروا حهم صحبة الرسول وحق المسيح ما أشتهى فراقكم ولكن لا أقدر أمنعكم عن مرادكم (يا سادة) ثم أن الملك شرع فى تزويد الرسول بالهدايا والأموال والجواهر الغوال والتحف والظرف وأما عقبة فانه خلى بشومدرس وقال له ويلك وحق المسيح لابد لنا إلى بلد كرفناس إلى زيارة هذا الراهب وولده فان الحديث قد شاع صريحا فقال شومدرس أى وحق المذابح لابد لنا من الزيارة لهذا الراهب الا نجح فهو أوفق لنا وأصلح (قال الراوى) يا سادة يا كرام وفرغ الملك مما أعد من الأموال والرجال وبرز ذلك اليوم إلى خارج البلد وخرج الرسول وشومدرس وعقبة ورحلوا مع الرسول ولم يزالوا يقطعون المفاوز بالجهد الجهيد ويطوفون الاراضى قريب وبعيد حتى وصلوا إلى بلد كرفناس وقد ضاقت منهم الانفاس وعلم كرفناس بذلك فأخرج كل من فى بلده من الفرسان وأرباب الدولة وسائر الأبطال وأنفذ الى كنيسة القدرة يأمر البطال بالخروج هو ومن عنده من الرهبان فوصل الرسول إلى الكنيسة وسأل عن البطال فأخبروه الرهبان انه ليس بحاضر من مدة أربعة أيام لانه مضى الى دير المعمودية (قال الراوى) وكان السبب فى غيبة البطال انه سمع ان بالقرب من المدينة دير يقال له دير الحاجة وهو مبنى بالرخام وفصوص الذهب وفيها صور الأنبياء وهى مذهبة مجوهرة وفى آخر الكل صورة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك أبو محمد لم يطيق الصبر بل أخذته الحمية وقال أريد أمضى الى دير المعمودية وأدبر فى إزالة هذه الصور ولابد مما يأتى عقبة وشومدرس مع رسول الملك فوصيتك إذا حضروا وسألوك عن نصرتهم وما يريدون فلين لهم المقال وقل لها لابد أن أسأل المسيح أن ينصركم والمسيح ليس بغافل عنكم ولا عن ما قد جاهدتم فى أعدائه وقد أعد لكم الجنة فقال له ولده مذبحون يا أبى امضى أنت الى حال سبيلك ولا توصينى فقد عرفت المقصود وما تعود ان شاء الله تعالى إلا والاثنين عندى تحت السرداب فى الذل والعذاب (يا سادة يا كرام) فطاب قلب البطال وأخذ معه راهبا من الرهبان وسار الى المعمودية ودخل اليه فوجد الصور المذهبة التى على صور الأنبياء ثم أن الرهبان خرجوا اليه وقبلوا يديه فقال أورونى كل نبى هاهنا فقالوا سمعا وألف طاعة فطافوا به على الصور وهم يقولون هذا فلان وهذا فلان ولم يزلوا حتى أوقفوه على صورة محمد صلى الله عليه وسلم فقال أبا محمد هذا غاية الجهل وكيف يجوز لنا أن نصور صورة محمد صلى الله عليه وسلم فى كنائسنا ونحن لا نقر له بالرسالة وربما

يصورون صورة المسيح فى البيوت الطاهرة ويهينوا صورة المسيح فاقشطوا أنتم هذه وصوروا معها صورة الراهب سقراق (يا سادة) فهذا ما كان من أبو محمد وأما ما كان من رسول ملك الملافطة فانه وصل الى الملك كرفناس ودخل الى البلد بتلك الأموال والهدايا والتحف وتسلم الملك جميع ذلك واجتمع مع عقبة والراهب شومدرس فقالوا أيها الملك نحن ما أتينا الى هذه الديار إلا لاجل خدمتك وزيارة هذا الراهب الذى بعثه المسيح اليك تفضلا عليك فأخذهم الملك ودخل بهم الى كنيسة القدرة وقال للرهبان ان هذين الشخصين يكونا فى الكنيسة الى أن يعود الراهب الجديد اليهما وينالهما من بركاته فقال له عقبة أيها الملك ارسل خلفه (ياسادة يا كرام) وان الملك أرسل خلف البطال ثم اهتم فى شغل ابنته ثم شرع فى أخذ أهبته واجتمع عقبة مع الرهبان فى الكنيسة وصار يومى يقرأ الانجيل ويبكى وتبكى حوله الرهبان ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع تقدم عقبة وشومدس الى بين يدى الطير وكشف عقبة رأسه وقال ابصر ما خبره ونادى يا من هو فى محل الحواريين أنا خادمك الشيخ النجيح صاحب التقديس والتسبيح والمقال الصحيح وانت تعلم أنى لا قيت فى خدمتك الشدائد وقاسيت الأوابد والآن فقد أتيتك زائرا وقصدتك مهاجرا ولا أعلم انى عندك من المقبولين أو من المطرودين (قال الراوى) فعند ذلك مال الطير وصفر صفير حنين ثم شرع يقرأ الانجيل بلسان تلك الديار فأطرب الأحجار فبكى عقبة وقال ويلك يا شومدرس وحق المسيح هذا صوت الحوارى الذى سمعته فى هذا اليوم وان الملعونين الاعورين عقبة وشومدرس كشف الله ستره عنهما ولما فرغ الطائر من قراءته قال لهما أهلا وسهلا بكما أيها الشجعان الذين هم صالحان وزاهدن وعابدان الرهبان فى دين المسيح شومدرس والشيخ النجيح فانى سألت المسيح أن يجمع بينى وبينكما على منهج أنسه ومحل قدسه والآن قد جمع بينى وبينكما بكل الأسباب وانه قد عرف ما قاسينا من العرب والمسلمين والبطال أيضا ذات الهمة وعبد الوهاب والمسيح يضاعف لكما الثواب ويدفع عنكما العقاب وأنت أيها الشيخ النجيح الذى جرى لك كذا وكذا فى يوم كذا وكذا وأنت قتل ولدك دهرشوم فى بلد الزغاوره قتلته ذات الهمة وقتلت زوجتك شوما فى الدير قتلها ظالم فى نوبة ملكية زوجة ميخائيل وأنت أيها الشيخ النجيح قد قتل ولدك مصعب قتله البطال وأنا أخبر بجميع الأحوال وأنت يا شيخ قد جاهدت فى حقنا وصبرت لا جلنا فلو رأيت روح ولدك مصعب وهى فى الجنة تتنعم وتتقلب وأنت أيها الشيخ أبو الشر لو رأيت زوجتك شوما وكذلك ولدك دهرشوم وهم فى الجنان يتنعمون لا شتقت أن

تكون عندهم فلما سمع عقبة ذلك زاد اكتئابه وزاد به الوله والجنون وقال على رغم أنف المسلمون آمنت وصدقت أيها الروح الروحانى والأمر الربانى أنت هو الحوارى على التحقيق الذى يدل الناس على الطريق أنت رفيق للمسيح فى السياحة وخادمه أنت نعم الصديق وكفر الملعون عقبة الزنديق وقال لشومدرس يا أبو الشر بانت الحقائق لسائر الخلائق وهذا كلام صادق فوحق الحى الناطق ما كنت أقول انى أدرك ذلك الزمان ولا ألحق هذا الأوان (قال الراوى) وان الطائر تكلم ثانى مرة وقال لهما لقد أحببت أن أجمع بينكما وبين أهاليكما الذين قتلهم المسلمون حتى تعلمون أين مستقرهم فقال عقبة ياسيدى آمنت وصدقت هذا وشومدرس قال ويلك ياعقبة اننى كنت مشك فى خبر هذا الطائر حتى أخبرنى بخبر شوما فعلمت انه قد درى بسائر العلوم فقال عقبة ويلك ما أنحسك وما أقل عقلك وما أتعسك ويلك ياشيخ شومدرس مازاد فى شك من قدرة المسيح ومن الدين الصحيح فقال شومدرس ماتزال كذلك والآن مابقى عندى شك ولا ريب وما الخبر مثل نظر العين (قال الراوى) وان عقبة وشومدرس مازالا كذلك إلى أن أمسى المساء ثم قصدوا المقصورة التى كانوا يؤدوا فيها أبا محمد البطال وقد فرحا بما قد سمعا من الطير من المقال(قال الراوى) وان الملك كرفناس قد سمع ما تكلم به الطير فى حق عقبة وشومدرس وكيف عظم قدرهما وقد وعدهما بالعطايا وقد غفر لهما سائر ماعملا من الخطايا وان الملك أتى الى زيارتهما وسلم عليهما ففرحا به وقال له عقبة أيها الملك انى أريد أن أجتمع بهذا الراهب الذى أزال هذا الأمر المنكر وعرفكم الطريق الأنور فقال الملك انه فى دير الحاجب وأنا أرسل وراءه فقد أوحشنا وقد اشتهت أن أراه وان الملك أرسل خاف البطال بعض البطارقة الأبطال وسار فى ساعة الحال الى أن وصل اليه وسلم عليه وقال له أيها الراهب النفيس سيد كل مطران وقسيس ان الملك كرفناس يدعوك اليه فقد حضر عنده الشيخ النجيح وأبو الشر شومدرس وهما مشتاقان اليك وقد أتيا إلى زيارتك والسلام عليك فقال البطال قل لذلك مايقدر على المجىء الى مدة ثلاثة أيام لأنه أجل مسمى وأريدها هنا المقام فرجع البطريق إلى الملك كرفناس وأعلمه بذلك فقال عقبة المسيح يشد ازره ويعظم قدره وأمره هانحن فى انتظاره فالمسيح ينفعنا ببركاته وأنواره (قال الراوى) وان عقبة وشومدرس كانا كل ليلة يقرآن الإنجيل ولا يتركان أحدا ينام الى مدة ثلاثة أيام فلما كانت الليلة الرابعة قال مذبحون قد عولت على أخذ هذين الشخصين عقبة وشومدرس فقالت بنت الملك افعل ماتريد فهذا أهون شىء يكون (قال الراوى) فعندها أخذها مذبحون بين يديه وخط

لها عذار كما يدور وعمل على وجهها ذرا كان معه فبقى لها وجه يبرق كأنه لمعان السيف المجوهر وقد ألبسها ثوب أخضر وعمل على رأسها قناع شرب أزرق وأخذت فى يدها عكاز أبنوس وعاج أبلق مقمع بجوهر يلمع وجعل فى رجليها نعلين من الفضة البيضاء والمكان من حسنها قد أضاء ولم تزال الى أن وصلت الى تلك المقصورة فوجدت عقبة وشومدرس هنالك وباب المقصورة مفتوح وروايح المسك من أردافها يفوح وهما مغافلان فما أحسا بها إلا وهى معهما فى المكان وقد أضاء الموضع من ذلك اللمعان وان الجارية وقعت على باب المقصورة فلما رآها عقبة بهت وصار شاخصا اليها وقد طار عقله وذهل لبه وغشيت عيناه من تلك الأنوار التى عليها وقال لشومدرس ويلك يا أبو الشر انظر الى هذا الشخص فهو لاشك من الولدان الذين ذكرهم المسيح فى الإنجيل فلما رآها شومدرس انذهل هذا القرنان ووقعت عليهم الخمدة وخرسا وصارا باهتين والجارية ترفل فى ذلك الثوب الحرير الأخضر المحبوك أذياله ورؤوس أكمامه بالدر والجوهر ثم انها تقدمت اليهما ثم تنحنحت وتكلمت وقالت أيها الشيخان الصالحان اللذان قد قتلا أنفسهما فى طاعة السيد المسيح وحماية لدين الصحيح فأنتما البركة النازلة فقال عقبة وقد جرت دموعه على خديه وأخذه الخشوع وكادان يغمى عليه أنا وحق المسيح بذلت نفسى فى طاعة رضاه ولا أعرف سواه فعند ذلك قالت الجارية ان الحوارى قد عرف حقكما وكثرة عبادتكما وما جرى عليكما من المسلمين وصبركما وقد سأل المسيح أن يجمع بينه وبينكما على بساط أنسه ومحل قدسه ويسافر بكما بنفسه بسم الله أمضيا اليه وتجهز للحضور بين يديه (قال الراوى) فلما سمع شومدرس وعقبة هذا الكلام بكيا وقالا هذا هو النور الربانى والروح الروحانى والحوارى العبرانى ويلك ياشومدرس ماضاع تعبنا وما قاسينا من المسلمين من العذاب وما حصل من البطال وعبد الوهاب هذا وان الجارية سارت أمامهما وهما خلفها إلى أن أتيت بهما الى السرداب ونزلت ونزل عقبة وشومدرس خلفها وعقل عقبة قد غاب وقد انكشف عنه ستر الله وشومدرس قد صار فى أنحس مايكون من الوله والجنون وكان مذبحون لما طلعت الجارية الى نحو عقبة وشومدرس قد نزل بعدها وشك فى السرداب خمس شمعات من أوله إلى آخره وهو من الشمع الذى كان ادخره سقراق وكان يحمل اليه من سائر الآفاق فبقى المكان كأنه لجة من النار من كثرة الأنوار وأطلق الند والعود ونوافش المسك على النار فطلع دخان المسك والعود والعنبر الخام فأعبق السرداب الروائح العبقة وعلق فى جوانبه ستور الديباج الأصفر والأخضر فبقى نزهة لمن نظر ولطخهما بالزباد فكان أول من تقدم وطلع كان

عقبة وقد رجف قلبه فلما ان شاهـــد ذلك قوى عزمه لأنه شاهد مالم يشاهده قط فقال شومدرس هذا كله روائح الحوارى وأنواره فصاح عقبه بلا شك نور ربانى وإذا هذا الموضع قد أتانى والمسيح قد اصطفانى فياليت عين البطال ترانى وولده حتى يرى ما يحل بمن عادانى ثم أنه قال لشومدرس هذا ياشيخ ماكان لنا فى حساب أن يعطينا المسيح هذه المنزلة فقال له شومدرس نلت أفراحك وسعد مساك وصباحك (قال الراوى) فعندها صاحت به الجارية أيها الشيخ النجيح طال مقامك على باب السيد المسيح فقال عقبة أيها السيد الرسول عمنى منك السعد والقبول (قال الراوى) ثم نزل عقبة وما بقى عليه من الستر حبه ونزل بعده شومدرس أبو الشر الراهب وقد كشف الستر عن المناكب ونظر عقبة إلى تلك الشمع وقد حصل تحت الأرض وهى تقد وبعضها من كافور وبعضها من عنبر فقال شومدرس ياويلك ما كانت الأنوار إلا من وجه الحوارى وإنما هى من تلك الشموع وقد اشتغل قلبى شغلا عظيما فقال شومدرس وما هذا شىء ينكر اعلم أن الشموع التى توقد فى الكنائس انما هى بوجه المسيح وهذا شمع مارأينا قط مثله إلا فى قصور الملوك (قال الراوى) فعند ذلك أقبل عقبه على الجارية وقال لها أيها الحوارى والمسيح النورى أين الروح المقدس الحوارى صاحب التقريب والطير العجيب فقالت الجارية بكلام يشفى الفؤاد ويطير الرقاد اجلس أيها الشيخ النجيح على ذلك السرير فان قدرك كبير وليس لك نظير ويجلس إلى جانبك الراهب الخطير وسوف ينزل لكما الحوارى الخطير من هذا العامود الذهب ويكون هذا لاكرامكم عليه قد وجب ولكن حتى تأكلوا من طعام الجنـــة وتهب عليكم نسائب الالطاف والقبول والليلة تقربون وبالحواريين تلحقون وانكم تصيرون من طعام الجنة لا تأكلون ولو أردتم إلى ديار أعدائكم فى هذه الليلة تبلغون وتقتلوهم وهم لايبصرون (قال الراوى) فقال عقبة وحق المسيح مانريد قتلهم إلا وهم يعلمون لأنى أريد أتولى ذلك وأشفى فؤادى فقد قيل من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى فقالت الجارية حتى ينزل اليكم الحوارى صاحب الناقوس ولو أردتم فى هذه الليلة لاحضرهم لكم وأنتم فى مقامكم بلا تعب ولا نصب فقال عقبة أنه على كل شىء قدير (ياسادة ياكرام) وولت الجارية إلى باب السرداب وهو مشط من حديد فوقه بلاطه من حديد مركبة بهندام دقيق فأول ما نزلت البلاطة موضعها وجرت عليها المشط الحديد وغلقته بقفل وزنه خمسة أرطال فجعل عقبة ينظر إلى فعلها ويتعجب وكانت قد طرحت الانجيل من يدها قريبا من عقبه وشومدرس فأخذاه يقرؤون مافيه وشاغلتهما الجارية حتى غفلوا ودخلت فى شق من ذلك العامود وطلعت إلى مذبحون وقد امتلأ قلبه

شحما ولحما (ياسادة يا كرام) ثم غابت الجارية لحظـــة ومعها صينية ذهب وفيها حلاوة رطبة مثل الثلج مصنوعة بسكر وفستق ولوز وقد طرحت فيها من الزنادق والمسك والعنبر وأن عقبه رفع رأسه من قراءة الانجيل وقال أرى الرسول قد غاب عن عينى ياشومدرس إن أعدت أن تتلاها فى وإن شئت لاتتلاهينى فانه لما أغلق علىّ الباب بلت فى سروالى فقال شومدرس لماذا فما عليك خوف فقال ياويلك لا يكون قد أوقعتنا فى مصيبة أو قد تم علينا أمر من الأمور فقال الراهب شومدرس لاتظن إلا الخير لاينفسد ما عملناه فى هذه الليلة لأن هذا الذى رأيناه ربانى ولا رآه قبلنا مسلم ولا نصرانى وما قال اجلسوا ههنا إلا حتى يأتينا بطعام الجنة ويطهرنا من خبائث الدنيا ولا شك إننا ما نحضر مع الحوارى إلا مع أكل الطعام يالها من ليلة ما أسعدها ان تمت (ياسادة) فهم فى الكلام والجارية قدنزلت بالطعام وقد خط لها عذار بالمسك والغالية فقدمت ذلك بين أيديهم وسلمت عليهم وقالت كلوابارك المسيح فيكما مماأرسله الحوارى اليكما فاذا أكلتما أمنتما من الأوجاع والأسقام وتذهب عنكما شهوات الدنيا فوثبا وقبلا الأرض وقالا نحن المجاهدين فى طاعة عيسى بن مريم والصليب المعظم (ياسادة يا كرام) وتقدم عقبه وأخذ لقمة وكذلك شومدرس هذا الطعام الذى وصفه السيد المسيح فى الانجيل لمن سهر الليل الطويل ولم يزالوا يأكلون حتى صدروا من الحلاوة لأنها كانت من الفستق ودهن اللوز وقلب الفستق واللوز والماورد والمسك والعنبر فقال عقبة لشومدرس أنظر طعام أهل الجنة وطيبته (قال الراوى) فما هو إلا أن حصلت تلك الحلاوة فى بطونهم حتى قرقرت وأخذهم القيام وجريان البطن وكان مذبحون قد جعل هـذا الأمر تذكرة فى موضعه (ياسادة ياكرام) فلما أخذهما ذلك صاح عقبـة لشومدرس وقال ياويلك طعام الجنة يأخـــذ الانسان منه المغص فقال وحق المسيح وأنا وحق العدرا أم النور كذلك إلا ايش يكون العمل نبول فى الجنة فصاح عقبة ياديوث نكتم خرانا نموت فصاروا يتقلقلون وعقبه يحط كفه فى استه وكذلك شومدرس حتى كادوا أن يهلكوا وخراهم مرفوق بكفوفهم وهم فى شدة شديدة وقد عاينوا الموت وكادت بطونهم أن تنشق من المغص والقرقرة والنفخ (قال الراوى) فهم كذلك وإذا بالجارية قد أتت إليهم وقالت لهم ما بالـك أيها المشايخ فقال عقبة وهوفى آخر نفس أيها الحوارى مقصودنا موضع الراحة حتى ننقى من دنس الدنيا فأشارت إليهم أن قوما إلى ذلك المستراح (قال الراوى) فسبق عقبة وجلس ساعة وشومدرس يستعجله ويقول لهويلك قم ياقرنان قال يا أخى أصبر علىّ ساعة وشومدرس يتململ (قال الراوى) وقام عقبـــة وقعد

شومدرس فما لحق أن يقعد حتى لحقت عقبه البطن فصاح وقال ويلك قوم يا شومدرس حتى أقعد أنا فقال شومدرس حتى أنا أقعد مثل ما قعدت أنت ساعة فقال ويلك يا ديوث قوم إلا أنا خرايا سابق فى أذيالى وتعبت أيدى، وهى زانقـــة وهو مايع منتن فقام شومدرس وقعد عقبة ما لحق أن يقعد حتى حاش شومدرش خراه فصاح يا عقبة فقال له أصبر عليّ حتى ينقطع هذا الأنبوب الذى نازل مثل المزراب مثل الذى فى بطنى قربة ملآنة فقام عقبة وقعد شومدرس وهو يقول هذه عقوبات الدنيا ثم صعدت الجارية إلى مذبحون وأخبرته بحالهما فقال قد رأيت الآن لا تنزلى اليهم حتى أقول لكى هذا وعقبه قد تخوصت مصارينه من شدة ما حل به وهو يقول نحن سمعنا أن طعام الجنـة إذا أكله إنسان لا يتغوط وما أدرى هذا فتح علينا باب خره وأنا أرجو أن لا ينزل الحوارى ونحن فى هذه الحالة فقال شومدرس طيب قلبك ما ينزل الينا الا وقد نقينا وطهرنا فقال عقبه قم بنا نصيح اليهم لعل يرسل الينا شيء يقطع هذا عنا فقال شومدرس وحق المسيح ما بقى فى شيء أصيح فياليت المسيح يمن علينا بالخلاص مما نحن فيه وقد طهرنا وما كنا نريد هذه الطهارة كلها وكان يكفينا نصفها وصاح عقبه نحن بالله بالمسيح والحوارى هلكنا فهم الكلام وإذا بالجارية قد نزلت اليهم فى شكل ما رأى الراؤن أحسن منها بلحية سوداء تزيد على الشبر مثل الليل وعليها حلة ووجهها مثل القمر ليلة أربعة عشر وصاحت لهما أبشروا بالثواب وبلوغ المرام فصاح عقبه ما نرى عاجل الحال إلا العقاب وقد وقعنا من وقت أكلنا الحلاوة فى عذاب فما الذى لعمل معنا حتى يزول هذا عنا (قال الراوى) فناولتهما طبق صغير وقالت لهما هـــذا يذهب عنكما الرجس والتكدير ويجب لكما التطهير (يا سادة) وكان قد ضعف عن القيام مما جرى عليه لأنه شيخ كبير فأخذه شومدرس القواد بيده وأجلسه وتناولا مما فى الطبق فما هم إلا أن أكلا ذلك حتى أمسكت بطونهما (قال الراوى) فقالت الجارية المسيح يقول لك أيها الشيخ النجيح قبل أن ينزل اليك من تريد فى هذه الساعة من أعدائك حتى أمثله بين يديك ويذبحه وتقر به عينيك وأكون أنا قد أوصلت المسرة اليك فقال عقبة وقد طار قلبه فرحا اننى قد ذهب مالى وأولادى حتى يطمئن قلبى ويشتفى غليلى وغليل هذا الشيخ الصالح الذى قتلت زوجته وولده وقد كنت أريد عبد الوهاب وأمه ذات الهمة ثم قال ولكن أريد أبو محمد البطال والآن أريد من المولى الحوارى أن يحضر لى واحدا قد ظهر فى ذلك الزمان مثل الشيطان وهو ولد ذلك اللص المحتال أبو محمد البطال واسمه مذبحون وهو فى الحيل والمناصب من أجل المراتب فان أنعم به الليلة علمت أنه قادر ولهم قاهر فما أشرب الليلة ماء أشرف من

دم مذبحون فقال شومدرس ويكون عوضا عن ولدى دهرشوم فان عيشى بعده عيش مذموم (قال الراوى) فصعد رسول الحوارى وهو يقول السمع والطاعة فلما غاب قام عقبه لشومدرس نحن فى منام ان جاءنا مذبحون بلغنا المرام فقال شومدرس ان أتى بواحد طلبنا منه الباقين و نتخلص فى كرة واحدة وتستريح رؤوسا فقال عقبه لا بد ما ننصب الخشبة على باب الذهب ويصلب المسيح من مناصله (قال الراوى) فهم كذلك والجارية قد نزلت اليهم وقد قبضت على يد مذبحون وعليه ثياب بياض قصير الاكام وفى يده خنجر أمضى من الحمام وقالت له أيها الشيخ الصالح تسلم خصمك (ياسادة يا كرام) فلما رآه عقبه عرفه وقال وقد صاح جاء مذبحون وحق المسيح فتحير شومدرس وتخيل فى عقله وصاح ملو بطنه وحق المسيح لقد كنت أظن أننا فى هزل إلى وقتنا هذا والآن فقد ظهر الحق ونادى عقبه سلمه الينا فهذه نعمة قد أنعمها المسيح علينا (قال الراوى) فجعلت تجر مذبحون حتى أوصلته اليهم والشيخ النحس عقبه مد يده ليقبض عليه فمد مذبحون يده اليسرى فقبض على لحيته ولطمه باليمنى على عورته فأبطل بها قوته (ياسادة يا كرام) فتحير عقبه وهو يعدفى العمى الذى قد غلب عليه وعلى قلبه من حب دين النصرانية وهو بين المصدق والمكذب فقال لشومدرس ويلك نادى الحوارى وقل له جلبت لنا هذا وخليته مطلعا علينا ونحن ضعفاء مما قد جرى علينا من لقيام فى هذه الليلة وانحبست عنا وتركته حتى يشتفى منا (قال الراوى) فصاح شومدرس بالحوارى وجعل يستغيث بهم فنزلت له الجارية ومعها عصى لوز مر لو ضرب بها جمل تقنطر إلى اليمين وأقبلت على شومدرس ونزلت عليه وجعلت تضربه وتقول طيرتم الليلة نومنا كم من هذا الصياح إلى الصباح يا ويلكم الجن ناموا وأنتم ما تناموا فقال شومدرس لعقبة اسمع ياويحك فقال هؤلاء جن قد تصوروا لنا وحق المسيح وان كل من يدخل فى هذا الطائر من الجن لا محاله وهذا ما هو مذبحون وما هم إلا شياطين قد لعبوا بعقولنا الليلة وما نخلص منهم إلا إلى الصباح فقال شومدرس ليتهم كانوا لعبوا فى البيعة وخلونا نحن فقال عقبة لا وحياتك نحن قوما عربا والعرب ظرفاء ولا وجدوا أقل عقولا منا ولا أنحس فليتنا لا بلينا فى هذه الليلة بهذه البلية فقالوا شومدرس الأحكام إذا جاءت لا يقدر المخلوق ردها (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان مذبحون لما أن سمعهم يتشاجرون فى ذلك جعل يتعلق فى الزوايا إلى أن يصل إلى السقف ثم ينفخ عليهم السندروس ثم يرتفع ويسقط فينزل تارة على عقبة وتارة على شومدرس فيصيح عقبة إلى شومدرس ما قلت لك أنهم جن وليلتنا معهم طويلة ثم صاروا يهتون إلى مذبحون والجارية تثقلهم بالفصع فقال عقبة مضيت ليلتنا نوبة للقيام وجاءت نوبة

الصفع بالبراطيش والإقدم (قال الراوى) يا سادة يا كرام وما كان بَقِى مع عقبة وشومدرس ما يصيحون ولا يردون عن أنفسهم لأنهما كانا قد خفتا من القيام فلم يزل الصفع يعمل معهم وعقبة يتعوذ بالإنجيل ويقول صرفتكم بحنا ومريم وكلما تعوذ زاد الصفع فى قفاه فقال شومدرس ياقاضى ما أراهم ألا يكرمونا بحناومريم لاستر المسيح على هؤلاء الجن والله ما يصيح الديك وفينا عين تطرف ولا روح ترجف (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما ضعفا وخفتا شدهما مذبحون كتافا وقد غشى عليهما وما أفاقا إلا عند الصباح وقد خفتت منهم الأرواح فلما طلع الصباح وطلع الفجر من الشرق ولاح فتح عقبة عينه الصحيحة ونظر إلى مذبحون ابن ابو محمد البطال على الحقيقة وعلم أنه قد أصيب فبكى وقال لشومدرس يكون فى الاحتراز أكثر من هذا تنتهى إلى بلاد الملافطه ونكون فيها آمنين ويرجع المسيح يبعثنا إلى هؤلاء الشياطين هدية لاتعب ولا نصب ما المسيح الا مسلم فقال شومدرس من وقت أخذنى ذلك المغص علمت أنه قد حل بنا الغصص هذا ومذبحون قد شدهم كتافا ولقمهم الاكره وقال لعقبة كيف حال الشيخ قال له بخير ما دام أنى لا أرى طلعتك وطلعت أبيك ويلك ما الذى ههنا طرحك فقال الحوارى قال تعالى إلى كنيسة القدرة فاننى أحمل اليك شومدرس والقسيس عقبة من بلاد الملافطة فقال عقبة لاستر المسيح عليك ولا على الحوارى معك فلقد رأيت هذه الكنيسة التى كانت ميشومة علىَّ وعلى رفيقى وحق المسيح لقد تحيرت فى أمرى وكان هذا الطائر تمام الحيلة ولقد كان قلبى منه نافر ولكن إذا نزل القضاء عمى البصر ولامفر من الحكم والقدر فاقتلنى بحق دينك يامذبحون فقد أيست من الحياة وطلبت نفسى الوفاه وإنى أعلم أنه لابد مما يأخذ الخليفة بتـارى ولا يبقى منكم ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال مذبحون دع عنك هذا الجنون فلابد من نتف دقنك مع سبالك وضربك بعد صفع قزالك ثم جعل ينتف دقنه خصله بعد خصله ويهزها ويقلعها من أصلها وعقبة يصيح ويقول ويلك لاتفعل فان المسيح ينتقم منك ولو بعد حين هذا ومذبحون يقطع دقنه ولا يلتفت إلى قوله فطلب عقبة أن يستريح منه ساعة فقال له ويحك كيف ابتدأت بنتف دقنى وقلع شاربى دون صاحبى فقال شومدرس يا عقبة خلى عنك السهاته والخترفة فقال عقبة عند ذلك بحق دينك يامذبحون أريد أسألك عن هذا الطائر وقصته وكيف أطلعت على حاله فقال مذبحون ويلك هذا عمل سقراق حتى يأخذ به عقول النصرانية ثم جعل يحدثه بجميع ما جرى والأحوال التى جرت فقال عقبة ويلك خلى عنك هذا كله فمن الذى يتحدث فيه فقال الحوارى الذى أرسلنى اليك فقال عقبة

ومن يكن هذا الرسول الذى مثل القمر المنير فقال له مذبحون وقد زاد به غيظه هذه ابنة الملك كرفناس ثم حكى له قصتها مع سقراق وأنها قد أسلمت فعظم شرارته وتفطرت مرارة عقبة وقال لشومدرس أنظر إلى هذه الحالة فقال ما تقعد حتى تطلب مذبحون فقال عقبة أنا وأياك طلبناه ثم أن مذبحون كتفهم كتافا جيدا وعمل فى أفامهم الاكرار وجعلهم عبرة لمن اعتبر وأن أهل الكنيسة كان لهم عاده اذا أنتهوا يأتون إلى صوب عقبة وشومدرس يسمعونهم يقرؤون الإنجيل ويتلون المزامير فانقطع عنهم حسهما فى تلك الليلة فقالوا وحق المسيح ما نعلم ما جرى على الشيخين الصالحين وكان كرفناس قد شفق أيضا بهما ولا بقى له صبر عنهما فأتى من الغد حتى أنه يراهما فقالوا وحق المسيح ما ندرى ما جرى عليهما من العبر ولا نعلم لهما خبر ولا وقفنا لهما على أثر فقال الملك ويلكم يكون عندكم أقوام فى وسط البيعة يفقدون ولا تعلمون أين يذهبون ثم أن الملك تقدم الى الطير الذى يعتقدون أن الحوارى فيه وقال أيها الحوارى النفيس والسيد الرئيس أن الشخصين اللذين جاؤا للسلام عليك وعظمت قدرهما فانهما أصبحا وما لهما خبر فلما سمع ذلك سكت ولم يتكلم فقال الملك وحق المسيح ما سكت الطير الا وهو يعلم أن رهبان الكنيسة والقسوس ماعاملاهما بخير هاتوا رهبان الكنيسة نصفهم فجاءهم فصار الملك يصفعهم واحد بعد واحد الى أن صفع الجميع وعمل بهم كل أمر شنيع فعندها مال الطير شمال ويمين ونادى بصوت قوى حنين بعد قراءة فصل من الإنجيل وقال أيها الملك الجليل أن الشيخين العابدين قد وصل الى عند الشيخ الصالح والراهب الناصح الى بيعة الحاجة لأنهما اشتاقا اليه ومضيا للسلام عليه وكانك بهم وقد قدموا عليك ويأتون الجميع اليك فعندها قال راهب يقال له طيبون لأى شىء هذا الفعل القبيح ياخادم المسيح ما تكلمت الا بعد ما حصل لنا الصفع الصريح (قال الراوى) هذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من أبو محمد البطال فانه لما وصل الى دير الحاجة دخل الى تلك البيعة التى فيها صورة نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل يقرأ لهم الإنجيل وينظر الى تلك الصورة التى فى البيعة حتى وصل اليها ورآها وعرفها فادعى بالرهبان وقال لهم انى أنكرت هذه الصورة فما هى فاننى قد رابنى أمرها فما هذه صورة حوارى ولا صورة شهيد فقالوا يا أبونا هذه صورة نبى المسلمين فقال لهم ياملاعين ولأى سبيل تصوروا صورة محمد صلى الله عليه وسلم ههنا حتى نشتفى منها كل حين فقال خذ لكم المسيح فأنتم تقولون صورة نبى فقد صدقتموهم فى المقال والكلام والفعال فاذا سمعوا ذلك صوروا عندهم عيسى ابن مريم ويعملون به ما أرادوا من جميع النقم والأمر المبرم ويتركونا شهرة بين الأمم فقالوا يا أبونا وحق المسيح

لقد قلت القول الصحيح فكيف العمل فقال اقلعوا هذه الصورة وصوروا موضعها صورة الراهب سقراق الذى ظهر نحسه فى سائر الآفاق وظهر للروم ماكان فيه من الزور والنفاق فانه أحق بهذا وأولى فقالوا له الرهبان وحق المسيح هذا هو القول الصحيح فعندها قلعوا تلك الصورة وعملوا موضعها رهبان دير الحاجة وسار من ساعته طالب مدينة الملك كرفناس ووصل الى البلد ووصل الخبر الى الملك بقدوم الراهب الصالح والرجل الناصح الذى يسعى فى المصالح وأخبروه انه قد وصل فلم يبق أحد الا ووصل اليه وخرج بلقاه وخرج الملك بنفسه وحوله جماعة القسوس والرهبان وفى أوائلهم الراهب طيبون لأنه هو المقدم على الرهبان (قال الراوى) والتقى الملك بأبو محمد البطال وترحب به وسلم عليه وقال وحق المسيح هذه صفة السعداء الصالحين والقوم السائحين فقال له أيها الراهب الأجل الرفيع المحل انه قد وصل الينا رجلان صالحان وماقصدا لهذه الديار الا لزيارتك ولا دخلا أرضنا إلا لأجلك الواحد يقال له الشيخ عقبة والآخر يقال له شومدرس عالم النصرانية ولا نعلم ماكان منهما وقد أخذنا القسوس وصفعناهم وقلنا ان الحسد قد أخذهم حتى قتلوهم فقال أبو محمد لقد ظلمتهم أيها الملك وهؤلاء القوم قد كانوا عندى البارحة أول الليل ولم يعلم بهم أحد غيرى وأخبرانى أن المسيح أعطاهما منزلة السياحة ويدوران الأرض جميعها وهيهات هيهات أن يرجعا اليكم أبدا فقال الملك وحق المسيح ماكنت منتظرا الا أن أسلم ابنتى إلى هذا الرسول وأسير فى عالم لايحصى الى بلاد المسلمين على نية الغزو وآخذ لها بالثار وأخرب الديار فقال أبو محمد المسيح يعطيك سؤالك ويبلغك مأمولك (قال الراوى) هذا والبطال قد طار عقله من الفرح وامتلأ فؤاده شحما ولحما وانشراح (قال الراوى) ثم ساروا جميعا إلى أن دخلوا الى البلد وقد خرج كل من فى المدينة يتلقاه ولو قدم عليهم المسيح بنفسه ما فعلوا به كما فعلوا بابى محمد البطال وصار كل واحد من القسوس يسلم اليه قصته وتورم رقبته فقال أبو محمد لقد أخطأ الملك عليكم وقد عاتبته على ذلك فقالوا وحق المسيح مانم علينا ذلك الا بسكوت الطائر عنا والملك يصفعنا فقال ما سكت الا غيظا من الملك ثم دخل الى الكنيسة فى صحبة الملك وسائر خواصه ورفع صوته بقراءة الانجيل واذا بالطائر قد مال وصار يقول مرحبا بقدوم الشيخ الصالح ومن هو فى العباده ناصح فعظم أبو محمد فى عين الملك وقال هذه منزلة عظيمة لك يا أبونا عند الحوارى لأنه فرح بقدومك ثم أن أبو محمد البطال صبر الى الليل ودخل الى المقصورة وقد فتح له مذبحون واعتنقه وقال له يابنى وقع الخبيث قال نعم لاخلصه الله تعالى وقد قلت دقنه ونتفت شاربه وملخت أذنه وقد عولت انى أحرقه بالنار فقال البطال وعلى هذا عولت ياولدى ولا بد أن أقتله إن

شاء الله تعالى ثم انه هجم عليهما (ياسادة) فلما نظر عقبة إلى أبو محمد البطال انتقض وضوءه وقال له أنت خلفي فقال البطال يا كلب النصرانية من الذى جاء خلف صاحبه ولكن ياقاضى أنا معول على شيء وأريد رأيك فيه فان كان صوابا أمرنى بفعله والافقل لى أتركه فقال عقبة هذا هو الرأى الذى تشاورنى فيه فما عرفت انك تشاورنى فى أمر يكون فيه الصلاح فلا كتب المسيح عليك سلامة فقال اعلم يا قاضى انى قد عولت أن أخالف الأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب وما دخلت إلى هذه الديار إلا بسببك فان الأمير عبد الوهاب إذا حلف لا يحنث ولا ينكث وهو قد حلف انه لابد له من صلبك على باب الذهب وقد جرى علينا ألف كرة تعب عظيم نقبض عليك وتنفلت من أيدينا لان الاجل فيه تأخير وأنا فما على من يمين عبد الوهاب لانه يريد إذا صلبك يرشقك بالنشاب وتشمت بك الخلق ويلعنوك المسلمين الى قيام الساعة إذا بان لهم كفرك ولكن ايش رأيك فيمن يخنقك خنق الدجاج وهذه نوبة ما يعلم بها أحد وكذلك الشيخ شومدرس وأشفى قلبى منكم فما بقى فى العمر أكثر مما مضى فلما سمع عقبة ذلك كشر عن أنيابه وضحك ضحكة الخوف والبلاده وقال قد قلت لك انك ما تشاورنى فى شيء يكون فيه منفعة ويلك يا شيطان ما تعلم ان خصمك المعتصم وقد قبض على عبد الوهاب وعلى أمه ذات الهمة وذلك بعد قتال شديد وحرب أكيد وبعد هذا كله أخذه الأمير عمرو فى صندوق وسيره الى المعتصم هو وأمه وكان السبب فى ذلك مطرون الطبيب وقد شهد بأنكم أعطيتموه سقيه يقتل بها أمير المؤمنين وقد قتل أمير المؤمنين ظالم وسيف الحنيفية وضيغم والأميرة فى القيود وقد حلف أيضا انه لابد له من قتلك وان أبطأت عنهم قتلهم وقد حلف المعتصم أيضا انه لا يفك أحدا من قيده ولا يعفو عنهم حتى يرانى سالما والا فهو يعلم ويتحقق انكم أنتم الذين عملتم على هلاكى صح عنده ذلك فانه يقتل الامراء ويقصر آجالهم ويقلع آثارهم وها أنا قد صدقتك وحق المسيح فى القول الصحيح ولا كذبت فيه ولا صيغت معانيه على انى وحق ما أعتقده وما تعلمه منى ما قلت هذا فزعا من الموت ولا خوفا من الفوت (يا سادة) فلما سمع البطال ذلك من كلامه اصفر لونه وتغير وجهه لانه سمع من عقبة حديثا غريبا فعلم ان بعضه صحيح وبعضه كذب فقال مذبحون يا أبى قد عولت أنت على عقوبته أو أعطينى الصوط فأعطاه اياه فجعل يضرب عقبة وشومدرس الى أن كل ساعده ثم صعد هو وولده والملكة وأقبل أبو محمد على ولده وقال له يا ولدى والله لقد اشتغل قلبى غاية الشغل وان مطرون يفعل هذا وأكثر ويهلك الامير لانه رجل مجاهد صادق ما عنده كذب وقد أبهته الساعة مطرون فى مجلس السلطان ولا حول ولا قوة الا بالله

العلى العظيم وما فيهم من له حجة يدفع بها عن نفسه فقال مذبحون يكذب فقال البطال ان كان يكذب فى الكل والله ما فعلت به شيئا ووالله ان شعرة من رؤوسهم أحب الى من عشرة آلاف مثل هذا الكاب النحس وجعل أبو محمد يدبر فى خروجه الى بلاد الاسلام ويقول والله ما صعب على الخروج من بلد قط مثل هذه المرة فالله يسهل لنا الفرج ويجعل لنا من هذا الضيق مخرج (قال الراوى) فقالت الملكة ان كان لكم خيل تركبوها وبغال ترفعون هذه الاموال عليها وتحملون هذين الشيخين فى صندوقين وعدة تلبسونها فأنا والله أعرف الطريق السالم من السباع والمهالك والطريق المنقطع وأعرف ما لا يعرفه غيرى ولا عليها خوف الا من جهة قاطع الطريق يعيقنا عن المقصود وأما أنا فأنا أكفيكم مؤنة خمسين فارس لان أبى علمنى الفروسية فلا أدرى هل فيكم من يدفع عن نفسه أم لا فقال أبو محمد عند ذلك أنا وولدى نلتقى جيشا فطيبى قلبك وانى قد افتكرت فى قلبى وقلت ما لنا خروج الا بك فقالت وكيف ذلك فقال اذا كان الليله تخرجين فى ظلام الليل الى وسط الكنيسة وعليكى ثياب الصوف وترفعين صوتك بقراءة الانجيل فاذا اجتمعت عليكى القسوس والرهبان وأروكى وسألوكى عن حالك وأين كانت غيبتك هذه الايام فقولى كان المسيح قد غضب على وقد أخذنى الى دار العذاب لاجل مطاوعتى الراهب الملعون سقراق وسماعى لمقاله والعقاق وعاقبنى على ما سلف من تلك الذنوب القديمة وما زال يعذبنى حتى سال فى هذا الراهب الجديد فأطلقنى هذه الليلة (قال الراوى) فقالت الجارية يا أبو محمد وما قصدك بذلك قال إذا خرجتى الى القصر أبيكى تخاصى لنا البغال والدواب والخيل والعدة وكلما نحتاج اليه ونعول عليه فقالت الجارية الآن علمت المقصود وما بقيت أحتاج الى وصية لانى قد انقدح لى شيئا كثيرا بهذا التدبير ثم انها لبست ثياب الصوف الملونة وصبرت الى ان دخل الليل وطلبت وسط الكنيسة فى غسق الظلام وتلت الانجيل بصوت شجى وحلق ندى وردت طرائق الالحان فاستيقظت القسوس والرهبان وقد سمعوا ذلك فخرجوا من المقاصير وقصدوا اليها وداروا حواليها وفرحوا بها وخرج أيضا أبو محمد البطال فتقدمت اليه وقبلت يديه وقالت له جذاك المسيح خيرا فلولا دعاك لكنت فى العذاب الشديد (قال الراوى) وسألوها الرهبان عن غيبتها فأخبرتهم بما علمها البطال ففرحوا بذلك وقالوا ما هـــذا الراهب عند المسيح الا بمكان عظيم ثم فتح لها باب الكنيسة ليلا وسارت القسوس تحجبها وأبو محمد البطال بجانبها وهو يقول وينادى هذه قد جاءت من عند المسيح وبلغ الخبر الى الملك كرفناس فأتى اليها بنفسه وتلقاها وانقلب القصر من سائر جوانبه وأخبرت أباها بأن

المسيح قد رضى عنها وهو يسلم عليه ففرح بذلك فرحا عظيما واجتمعت بوالدتها فوجدتها بأسوء حال لفراقها وقد أشرفت على العمى من كثرة البكاء (ياسادة) ثم قالت لأبيها قد سعدت بلدنا بهذا الراهب ولقدقلت للمسيح اغفر لأبى وأمى مما كانا عليه من ضلالةسقراق فقال لى انى لك ولهم ولكن بشرط انك تمضى الى زيارة قمامه التى ببلاد الشام وتكسين ألف عريان وتشبعين ألف جيعان وتعطى عشرصلبان فاذا فعلتى ذلك غفرت لك وجمعت شملك بأهلك وقد نذرت ذلك كله بين يدى السيد المسيح والا ما كنت رأيتنى قط فلماسمع أبوها هذا الكلام قال لها يا بنية فان كان الأمر على ماذكرتى والحال كما وصفتى فأناأبلغك سؤالك وأرسل معكى الغلمان ومن الأموال خزائن وأعمال ثم التفتت إلى البطال وقالت كله ببركتك ومساعدتك ومشاهدتك ثم قالت الملكة بقى فى خاطرى شىء آخر ياأبتى ولكن وحق السيد المسيح قلبى مشغول بشىء واحدلأن غلمانى وأهل هذه البلاد لايعرفون تلك الأرض ولايخبرون تلك الأمصار وقد عولت ياأبتى أن آخذ هذا الراهب صحبتى فانه خبير بالطريق ويعرف سائر ملوك النصرانية فقال الملك صدقتى والثانية ان أعداءنا كثير فى الروم وانهم كانوا يسمعون بخبر هذا الطير وقصة سقراق وما كان يفعل فاذا خرجتم الى هؤلاء لا آمن عليكم ان يعترضكم أحدا من ملوكهم ويقولوا هؤلاء أصحاب الطائر الذين خربوا عليهم القسوس فيكون هذا الراهب مجاوبا لهم ومصادما عنكم بما يعرفه من حسن التدبير فهو بالأمور خبير (قال الراوى) فعند ذلك قال أبو محمد البطال أيها الملك انا أخرج معها خدمة للمسيح بذلك ولا ابخل بنفسى عليها وكرامة لما خلصها المسيح بالقبول وبلغها المأمول وانى عارف بتلك الديار أعرف من الصبى لثدى أمه وسائر ملوك النصرانية تعرفنى وانهم اليوم قد ذلوا وعجزوا عن قتال المسلمين لأنهم انتشأ لهم فى ملطية أقوام يقال لهم بنو كلاب ولهم مقدم له الأمير عبد الوهاب قد أذلوا ملوك النصرانيه وأهلكوا الطائفة المسيحية (قال الراوى) فضحك الملك وقال هذا الأسود الذى ذكرته قد سمعت به يا أبونا وقد سمعت أيضا ان عندهم لص آفة فاق سائر الآفات وسارق الملوك من ثيابهم والأطفال من مهودهم وانى أريد أن أسير الى الغزو الى بلاد المسلمين والجهاد ولا بد من أخذه وحشو جلده تبن وأريح الناس من مكره وحيله فقال أبو محمد أيها الملك بحق المسيح صلب على وجهك ولا تذكر لى ذلك الرجل فانى نظرته بعينى وقد سرق أربعين ملكا فى ليلة واحدة من فوق أسرتهم وفتح الف حصن فى نهار واحد وذبح مائة الف بطريق فى ساعةواحدة وحلق لحية الف راهب ولا يذكر فى دار ولا فى موضع الا ويحضر عندهم

فى تلك الساعة بعينها فيأخذ منهم كل نفيس ويذبح كل راهب وقسيس ولا يترك أغنياء ولا مفاليس وهو إذا أراد ظهر فى صورة إبليس (قال الراوى) فضحك الملك وقال ياراهب لقد خامر عقلك فزع عظيم ولكن سيروا أنتم وها أنا راحل بعدكم فى آثاركم ففرح أبو محمد البطال وجهز أشغاله وقد برزت الجارية خيامها وغلمانها وأموالها وضربت الخيام بظاهر المدينة وخلا البطال بولده مذبحون وأعاد عليه قصة الجارية وما دبرت ففرح بذلك وقال لله درها ولقد دبرت شيئا لم يخطر لنا على بال ثم ان البطال أخرج صندوقين كانوا لسقراق وفيها أموال فأخرج المال منها وعباها فى الأعدال ووضع عقبة وشومدرس فى الصندوقين موضع المال وصبر الى الليل وأخرجهما من الكنيسة إلى المكان الذى ضربت فيه خيام الجارية ابنة الملك ونظر البطال الى ماقد دبر معها ففرح بذلك (ياسادة) وأما الجاريه فانها صارت الى وداع أمها فوجدتها وهى حزينة باكية لأجل فراقها فقالت لأمها لقد أحزنتينى لبكاكى ورق قلبي لشكواكى فقالت العجوز يا بنتى ويا حشاشة كبدى ماحل لفرقتنا فقالت لها يا أماه لو قبلتى منى أتيتى معى الى تلك الديار وتخلصين من عذاب النار فقالت لها امها وكيف ذلك يابنيه فقالت الجارية وقد طمعت فى اسلامها يا أماه أنا قد عرفت ربى لأنه واحد أحد فرد صمد ثم اعلمتها بقصتها وحديث البطال ومذبحون وعقبةوشومدرس وانها قدأسلمت وهى معولة على المقام فى بلاد الاسلام (قال الراوى) فلما سمعت أمها ذلك من كلامها أظهرت الفرح وقالت أنا الليلة أفعل ذلك وأطلب من أبيكى انى أسير صحبتك ولا يعلم بذلك أحد فقالت لها يا أماه افعلى وعجلى ثم ان الجارية خرجت وأتت إلى أبو محمد البطال وكان فى انتظارها فسألها عن حالها فأخبرته بما قالت لأمها فقال والله لقد فعلتى واستعجلتى ولو كنتى سكتى كنت أنا أعمل عليها حيلة وآخذها معنا ولا آمن والله منها (قال الراوى) ثم ان أبو محمد فى الكلام مع الجارية والعتاب وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما وقد أقبلت الرجال وهجمت على أبو محمد البطال وقبضوا عليه وعلى مذبحون وعلى الجارية وفتحوا الصناديق وأخرجوا عقبه وشومدرس ووقع الصياح وقدموهم قدام الملك (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أم الملكة لأنها دخلت على الملك وخلت به تلك الليلة وأخبرته بما قالت لها بنتها فهذا كان السبب فصاح الملك على أبو محمد وقال ويلك يا شيطان انك أبو محمد البطال العيار المحتال ثم كتفه هو وولده وأخذ المال الذى معهم وأنزلهم المطمورة وقال وحق المسيح لا بد من صلبهم ثم التفت إلى بنته وقال لها صبوتى إلى دين الاسلام فقالت له يا أبى قد بان الحق وأنا من أمة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم فأمر بها إلى المطمورة معهم ورتب عليهم

العقوبة وكان المتولى عليهم بالعقوبة الراهب طيبون (قال الراوى) وكان هـذا طيبون اعلم زمانه وقد قرأ الكتب وعرف الايمان ولما رأى ما قد جرى على أبو محمد وولده علم أنهما على الحق فلما تولى ضرب أبو محمد البطال كان يشفق عليه ونظر أبو محمد أيضا إلى تلك الشفقه فى طيبون فجعل يحصيح صياحا عاليا فقال له الملعون عقبة ويلك يا أبو محمد كيف ترى هذا اليوم من أيشم الأيام عليك يا ملعون فكشر عقبه عن أنياب كأنياب الكلاب وقال كيف ترى هذا الراهب طيبون فقال مثلك مجنون والا فما هذا ضرب الآدميون فان كان لك نية فى قتلنا فلا تعذبنا فقال عقبة لا وحق المسيح عذابك أحب إلى من قتلك فانك إذا قدرت على فلا تبقى على أنت أيضا فقال أبو محمد ان كان ولا بد من ضربى فتولى أنت عقوبتنا دون هذا الشيخ المجنون لأنه يضرب بلا صنعة ويحنق علينا فقال عقبة ما أعمى قلبك وكان قصدى أنا من يوصل الأذية اليك وحق المسيح لايتولى عقوبتك بعد هذا اليوم إلا هو حتى تموت كمدا ولا يبقى لك جلد فقال أبو محمد حسبك الله فانه ان أمهلك فى العاجل لا بد أن يأخذك فى الآجل ثم أنهم صعدوا من عندهم وغلقوا باب المطمورة ومضى عقبة إلى الملك وسلم عليه وخدمه وجعل الملك يكرمه غاية الاكرام ثم قال له ياشيخ النصرانية من أين أقبلت فقال من عند اللص المحتال أبو محمد البطال وأجريت عليه قطعة من النكال وأننى أيها الملك قد جعلت عقوبته إلى هـذا القس العالم وما كنت أظن أن ألقى فى مثل هذا الراهب طيبون وقد اعتمدت عليه ووثقت به ووليته على عقوبة هـذا الشيطان إلى حيث يقضى الملك الجهاد فى بلاد الاسلام لاننى أنا والراهب شومدرس ما يمكننا أن نتولى كل يوم عقوبته بل نكون فى البيعة مشتغلين بالعبادة والدعاء للملك أن ينصره على أعدائه فلا تدع يدخل لهم غيرى فقال الملك لا بد ما ننزل إلى ابنتى كل يوم بطعام مع بعض جوارها وشيئا يأكل اللص المحتال وولده ما يمسك رمقه وإلا يهلكون (قال الراوى) فقال عقبه أيها الملك لاتغتم بالذى جرى عليك فما هو إلا أمر هين وسوف نبيض وجهك عند السيد المسيح وعند أهل الدنيا إذا أصبحت البلاد فى قبضتك وأرحت النصرانية من المسلمين الأوغاد وطيبت ديارهم بالعساكر والأجناد ولا تجعل ملكك إلا بالقسطنطونية لأنها تحكم على سائر الأقاليم وفيها الملك العظيم من زمان الهراقلة والملوك الأولى (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال فانه أقبل على ولده مذبحون وقال له يابنى كيف ترى حالك فقال الحمد لله على كل حال ولقد حمل الله عنى الوجع والضرب وأزال عنى ما كان بى من شدة الكرب فقال أبو محمد ياولدى أريد أخبرك بخبر عجيب وحال غريب ماأدرى علمت به أم لا فقال مذبحون لم تزل يا أبت تخبر

بالعجائب وتجلب لنا المصائب وما ذلك فقال هذا الراهب طيبون قد كف عنى اليوم الضرب وما ضربنى ضرب من قلبه حقد على أهل الإيمان وكانى أرى قلبه قد مال إلى دين الاسلام يابنى وما أقول اننا نقعدها هنا أكثر من ثلاثة أيام فقال مذبحون هذا لا يكون ولا يتصوره عاقل ولا مجنون ثم باتوا متفكرين ومذبحون يقول والله أن أبى محمد أجهده المرض ولأجل ذلك يخلط فى كلامه وهذا شىء ما عهدته منه واننى خائف عليه لا يتكلم وعقله ليس معه (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وإذا بالباب قد فتح ونزل اليهم الراهب طيبون فريدا وحيــــدا فلما رآه أبو محمد فرح وشخص فى الباب ينظر أن ينزل أحدا من بعده فلم ينزل والراهب قد أغلق الباب خلفه (قال) فناداه البطال من أنت فقال طيبون ابشر أتاك الفرج من عند صاحب الفرج أنا الراهب طيبون وما جئتكم إلا بما تحبون وكل ما تشتهون واننى أعبد الذى تعبدون وأشهد ما تشهدون وعلى يدى من هذا المكان تخلصون (ياسادة) فلما سمع البطال كلام طيبون سجد شكرا لله تعالى وكذلك فعلت الجارية ومذبحون وقـــد تحيروا من خصاله وفرحوا بخلاصهم من الضرب والعذاب والكرب وأحسوا بالفرج فقالوا كلهم عن صوت واحد أحسنت والله ياأبى محمد فلقد تحدثت بهذا قبل ما تشاهده فقال طيبون وكيف ذلك فاعادوا عليه ما قد ذكر البطال فقال لله دره ثم هنا هم بالسلامة وحدثهم بحديثه وما جرى من عقبة عند الملك وكيف أشار عليه بالغزو والجهاد إلى بلاد الإسلام وأعاد الحديث من أوله إلى آخره حتى كأن البطال كان حاضر معهم فى القصة ثم أن الراهب طيبون أخرج لهم طعاما وأمرهم أن يأكلوا ويصيحوا على سمع اصواتهم ويظن كل واحد أنهم يعاقبون (قال الراوى) فصاحوا وتصارخوا ثم سكتوا وأخذوا الراحة وأكلوا من الطعام مقدار حاجتهم وقالوا له أبشر بالجنة فان الله قد أعطاك الايمان وحبب اليك الاسلام ولك من الله تعالى الآخرة والأولى فقال الحمد لله بما أنعم به على ثم أعطاهم مبردين لو أرادوا أن ينحتوا بهم جبل لفعلوا ذلك وقال لهم أبردوا القيود وأتكلوا على الملك المعبود وفكوها وعلى الأرض أطرحوها وفى غداة غد آتيكم بما تحتاجون من الطعام والشراب وقد كفاكم الله تعالى شر عدوكم ورفع عنكم الضرب وألم الكرب فقالوا لوجه ربنا الحمد على ما أجراه على يديك ثم خرج من عندهم والبطال إلى قضاء حاجته من الفرح وهم أوفاه نهاية ومامنعه أن يقول ماالذى قد عولت عليه أن تفعل بنا الاسرعة ذهابه (ياسادة) ومضى طيبون الى عقبة فقال له ماصنعت فقال يا شيخ لاتسأل عنهم ولا عن حالهم وفى هذه الأيام أرجعهم عن دين الإسلام فقال عقبــــة إذا رأيتهم وقد

أشرفوا على الموت أعلمنى حتى أمضى إلى البطال وأوافقه على أنحس المقال وأنه قد هلك بين يدى وأقل له عن الدعوى التى كانوا يدعوا بها أنها باطلة كاذبة فقال سمعا وطاعة أيها الشيخ النجيح وأقام طيبون إلى اليوم الثالث وإن كان طيبون له علم فى النجوم والحساب والهندسة لأنه كان قد قرأ على الراهب سقراق كثير فى ذلك حتى صار ماهرا فى علوم كثيرة فلما أصبح نزل البطال فوجد القيود مطرحه عن رجليه وعن رجلى مذبحون والجارية فتعجب من ذلك وقال وحق من هدانى إلى الإسلام أن عشرة أجلاد ما يقدرون يبردون هذه القيود فى ليلة واحدة فكيف قدرتم على هذا فقال البطال أنا أبردها بغير هذا المبرد الذى قد أتيتنا به لأنه كان هنا مدخورا فى شعورنا صنعة حكماء العيارين وأنه مثل المنشار لو وضع على الصخر لنفد فيه ومع ذلك فاننا طول دهرنا نكابد به القيود ونلتقى الأسود فى طاعة الملك المعبود (قال الراوى) وأقبل عليهم طيبون وقال أعلموا أنه فى كل رأس حكمة فاسمعوا ما عندى وهاتوا ما عندكم فى ثلاثة أيام أريد أن أهرب بكم وأرجوا من الله تعالى أن لايرجع عقبة يراكم وقد عولت أن أقول للملك أن أبنته قد رجعت عن دين الاسلام إلى دينها وتابت إلى المسيح مما كان منها حتى تكون لنا عده فى القصر فاذا أردنا أن نفتح الباب كانت المفاتيح معها وتجيب لنا الخيل والعدد والبيض والزرد ونخرج من ها هنا ليلا ونركب الخيل ونلبس ونفتح الباب وهى معنا ونتوكل على جبار الجبابرة وقاصر الاكاسرة ومالك الدنيا والآخرة ونسأله أن يستر علينا إلى أن يصبح الصباح وقد قطعنا أرض بعيدة ونكمن النهار الليل ونعتمد على الملك القدير الذى هو نعم المولى ونعم النصير فقالوا ما عدمناك من مشير فنعم ما قلت أيها العبد الصالح فصعد من عندهم وهو مسرورا بقولهم وكذلك هم على غاية المسرة فقال البطال والله لقد جاد على الغرض الذى أردت أن أشير به عليه فسبقنى اليه (يا سادة) وأما طيبون فانه سار إلى الملك وأخبره عن أبنته أنها قد عادت إلى دينها القديم وندمت على ما كان منها وبصقت فى وجه البطال وولده كيف لعبوا بعقلها ولطمتهم بكفها فقال الملك شكرا للمسيح على هذا القول المليح فارجع وأتينى بها لأسمع كلامها فقال طيبون ما أفعل ذلك حتى أدخل على أمها وآخذ الخلع السنية وأعود اليها أجيبها وأنه دخل على أمها وأعاد عليها الحديث ففرحوا بذلك وخلعت عليه خلعا ما يقوم بها وأعطته ألف دينار فأخذها وخرج من عندها ولم يخطىء الشيخ عقبة فأعطاه المال وأطلعه على الحال فقال عقبة مالى بالمال حاجة بل أنفقه عليك فانى ما أريد الا أخذ أرواحهم فعندها خرج طيبون وهو فرحان وأتى الى المطمورة وأخرج

أبنة الملك فلما حضرت بين يدى الملك قبلت الأرض وقالت يامولاى لاتؤاخذنى بما سمعت فان النساء ناقصات العقول ولا أعود إلى مثلها أبدا ففرح الملك بقولها وقام اليها واعتنقها ومضت إلى أمها ففرحت بها فرحا شديداً ولبست أنخر الثياب وجلست على سرير الملك فى القصر وعاد اليها كثير من الأمراء وقالت لا أريد أن أكون راهبة فما رأيت فيها خيرا ولا أرجع إلى الكنيسة أبدا وأريد اتزوج ببعض الملوك كما صنعت أختى وأستريح من هذا كله (قال الراوى) وكان رسول ملك الملافطة قد وصل وشاهد ما جرى لأبنة الملك معه وأقام طيبون ذلك اليوم الثانى وأتى إلى البطال وأقام عنده ولم يصعد به إلى أن تنصف الليل وكانت العلامة بين طيبون وأبنة الملك حتى تخلص لهم ما يحتاجون اليه الى نصف الليل فوجدوها وقدقضيت لهم الحاجة وقدأخذت لهم العدد والطعام وما يحتاجون اليه وخرجوا وقد ستر الله عليهم بستره إلى أن وصلوا إلى كنيسة القدرة فقال البطال ياطيبون فقال لبيك فقال اعلم أن الملك لابد ما ينفذ فى طلبنا وما أنا بالذى أمضى وأخلى عقبة وشومدرس سالمين فقال وما تريد تصنع فقال آخذهم معى ولكن اطرق الباب فاذا فتح فقل لعقبة أخرج أنت وشومدرس معى فان البطال قد أشرف على الموت وإن لم تلحقوه فما تدركوه فقال طيبون وإذا فعلت ذلك وخرجوا معى فما عسى أن أفعل بهم والقصر قريب منا وما نجد إلى الخلاص سبيل ولو صاح منهم صائح أخذنا أجمعين فان النهاية ترجع إلى النقصان وما بعد الربح إلا الخسران وما أقول هذا خوفا على نفسى من دونكم فلى أسوة بكم وإنما أقول هذا من أجلكم حتى لا أكون قد غررت بكم فقالت ابنة الملك والله لقد أصاب فى قوله وما طلب أحدا الغاية إلا صار رأيه إلى نقصان فارحلوا بنا بعد أن أسعدنا الله بالسلامة فى نفوسنا وأسرعوا فى حفظ رؤوسنا قبل أن يطلع الصباح فقال البطال هذاكلام لا أسمعه ولا بد من أخذ عقبة وشومدرس فقد أراهم ما يخرجون من الكنيسة وقد أخذتهم فلا تكون جبان فى دين الله تعالى لأن الله إذا أراد أمرا بلغه اياه فقال طيبون وقعنا والله فى بحر زاخر ليس له أول من آخر ولكن أنا أفعل ما أردت ثم قال للبطال اعتزل أنت ومن معك عن جانب الطريق ثم أنه دنا من باب الكنيسة وهو مفكر فى قوة قلب البطال ومذبحون وهو يقول ما هؤلاء قوم يخافون الموت لأنهم الساعة قد خلصوا من القيود والاغلال وحرارة الضرب والنكال وهم على هذه الصورة بعد أن سلمت أرواحهم يريدون أخذ عدوهم ولا تطيب قلوبهم حتى يأخذوهم أن هذا لعجب فان الله تعالى يبلغهم ما يؤملوه ولا يخيب ظنهم فيما يرجوه وقصد إلى باب الكنيسة وصاح إلى بعض الرهبان فقال من هذا الذى يدق علينا الباب نصف الليل فقال

أنا طيبون أريد الشيخ النجيح وشومدرس فأجابوه وفتحوا الباب وقالوا أدخل فدخل وعقبه قد قام من نومه والراهب شومدرس فقالوا له خير فقال لهم نعم ما تم إلا الخير انى قمت الليلة إلى البطال وولده لافتقدهم وأفتقد قيودهم حتى لا يهربون من المطمورة وينفلتوا كما حدثتنى من فعالهم ودواهيهم وحليلهم فوجدته قدفك قيده وانى قد أدركته وقبضت عليه بعد أن أراد أن يضربنى بالقيد وكذلك ولده ومما جرى علىّ من الغيظ منهم إذ فكوا قيودهم ضربتهم ضرب عظيم حتى غشى عليهم وخشيت عليهم من الهلاك فدونك واياهم فما أظنك تلحقهم وفيهم روح وقد فزعت من الملك لا يقول أنت قتلتهم فى دارى وأحنثتنى فى يمينى لأنه قد حلف لا يقتلهم حتى لا يقتل صاحبهم عبدالوهاب فقال لاتفزع ولا تجزع من تلك الايمان وان قال لك الملك كيف كان حالهم فأخبروه بالصدق وقل له لولا أننى أدركتهم لكانوا قد خرجوا من المطمورة إلى القصر وذبحوا كل من فيه وأن المسيح قد أمكن منهم وحال بينهم وبين ما أراد وأوانى ضربتهم من غيظى حتى شخصوا فلا رحم المسيح منهم شعره ولا رضى عنهم مغرز إبرة ثم قال لعقبة قم بنا فوحق المسيح لاتم موتهم غيرى وأول ما أبدى بالبطال وأخنقه حتى يموت وقال شومدرس وأنا وحق المسيح والانجيل أخنق ولده مذبحون حتى أكون قد أخذت بثأر ولدى دهرشوم فقال عقبة قد أبحت لك ذلك اكراما لذلك ولولا أن تكون عندى بمنزلة روحى لما مكنتك من ذلك أن تخنقه لأن فى قلبى منهم حزازات بقدر جبل قاف ولو قتلت كل مسلم على وجه الأرض ما اشتفى قلبى إلا منه والمسيح يمكنى منه ومن الأسود الزنيم كما مكنى من هذا اللئيم وأن يجعل قتلهم على يدى وموتهم الجميع ثم وثب ووثب معه شومدرس وأراد بعض رهبان الكنيسة أن يخرج معهم فقال عقبة ما نريد أحد يخرج معنا نحن ماضيين إلى قصر الملك فى حاجة لا يطلع عليها أحدا غيرنا والساعة نرجع عن قريب ثم خرجوا وغلق باب الكنيسة من خلفهم وقد أخذهم طيبون على طريق البطال ومذبحون فقال له عقبة إلى أين بنا هذا يا طيبون فقال ابشر بما يسرك فقال عقبة بشرك المسيح بالخير لأنكم من أهل الخير ولكن هذا الطريق ماهى إلا ميشومة فقال له طيبون سير ولا تتكلم فما عليك بأس فقال أرى كلامك زوج وفرد أيش هذا الحديث نحن طالبين أعدانا نشتفى منهم (قال الراوى) وأقبل البطال على مذبحون وقال له يا بنى اعلم انا مخاطرين بأنفسنا ونريد نقدم على أمر عظيم وخطب جسيم والحق تعالى يقول (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فقال مذبحون مهما أمرت أفعله إلا أن هذا الأمر لا يقدر أحد يفعله ونحن قوم مطلوبين فى وسط بلد العدو ونريد أن نقبض على الملاعين ولو صاح منهم صايح فى هذا الليل أخذنا

ولا تحسب لنا حياة بعدها فان رأيت ننجوا بأنفسنا والجارية معنا فهو أحب الينا من عقبة وشومدرس قال أبو محمد هذا مالا أسمعه ولا بد لى من عقبة وأمسك بودجه وأخنقه خنق الدجاج فقال أحسنت ياأبى لا تمسك إلا مسك الدجاج لا ستر الله عليه فقد شواك بالضرب فان وقع بيدى سوف ترى العجب كيف أستوفى منـــه أضعاف ذلك ان شاء الله تعالى وأنا أقبض على رقبة شومدرس ولا أخليه يتنفس (قال الراوى) فلما وصل إليهم طيبون قال له عقبة يا طيبون ما هـذا السواد الواقف بين أيدينا فقال طيبون أنى أردت أن أسألك عنه والا يكون خيالنا فقال عقبه كيف يكون خيالنا وهو تارة يقف وتارة يسير فقال طيبون هذا أعجب فقال عقبه أنها ليلة مشكلة وهذا الديوث يخلط فى كلامه فقال طيبون ما قصدك أعداءك أن تقضى عليهم فقال عقبه بلى فقال سر فما يكون إلا ما تريد فسار عقبه حتى لاصقهم فخرج البطال كأنه أرقم ووثب عليه وثبة الأسد وقبض على حلق عقبه قبضة الخنق وقال بسم الله الرحمن الرحيم وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (قال الراوى) ووثب مذبحون وطلب شومدرس فسبقه طيبون وقبض عليه قبضة رجل مجنون وعصر على رقبته حتى بذرت عورته فكاد يقضى عليه ولقمه الاكره وسد فمه وفتح صندوق من الصناديق وفرغ ما فيه من الزاد وتركه فى الصندوق وجرى لعقبة مثل ذلك وما مر عليهم ليلة أيشم منها ذاقوا فيها طعم المنون ولما رفعوهما على ظهر البغال فقال أبو محمد لطيبون لله درك لقد أوصيت الجليل وأشفيت الغليل ولم يبق غير الرحيل والتوكل على الملك الجليل أرحلوا بارك الله فيكم وعليكم فقال صدقت يا أبا محمد ورحلوا وساروا يقطعون الأرض قطعا فما أصبح الصباح الا وهم فى أرض بعيدة وما تضاحا النهار حتى توسطوا الأرض المسبعة فقال أبو محمد اطلبوا بنا مكمن نكمن فيها فكأنكم الساعة بالخيل تطلب خلفنا وما نسير إلا بالليل فقال طيبون هذا هو الصحيح واعلموا أنى أعرف الروم جمعا بهذه الأرض وفيها غابات كثيرة الدغل لا يجسر أحدا يقر بها فلا نأمن ان السباع تفترسنا فقال أبو محمد من خاطر بنفيس ملك نفيس يا طيبون لو أضرمت نارا لولجناها فسر كيف شئت فنحن لنا تبع فلا بد للخيل ما تجينا فقال بسم الله وعلى بركة الله وقصد بهم طرقات غير مسلوكة تدهش الجن منها وهى لا تدرى كيف تسلكها إلى أن صارت الشمس فى كبد السماء فلم يلقوا إلا أسد رابض على باب المغارة فقال أبو محمد هذا والله لايخلو حاله من أمرين اماقدجئنا لأجله حتى يأكلنا أوقدجئنا لأجله حتى نقتله (قال) فترجل طيبون وأخذ نبلة ووضعها فى كبد القوس وكان طيبون من

الرماة الموصوفين والمثل يضرب به فضرب السبع بفردة بين عينيه أخرج السهم من بين فخذيه ثم وثب له طالب فضربه بنبلة أخرى من بين يديه فخرجت من بين كفيه والأسد قد حمل إلا أنه قد قصر فى مشيه فبدر إليه البطال وضربه بالسيف على وركه فخلعه وضربه مذبحون بالخنجر فى الجانب الآخر فشقه وضربته الجارية أيضا فقطعوه بالقواضب ودخلوا المغارة (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من الملك فانه لما أصبح الصباح ركب إلى الكنيسة فوجد باب القصر مفتوح فعظم عليه وكبر لديه وادعا بالبوابين وقال مالى أرى الباب مفتوح فقالوا له يا مولانا ان الملكة قد أخذت المفاتيح اليها من البارحة وجئنا نطلبها وقد السحر فلم نجدها فجئنا إلى الباب فوجدناه مفتوح كما رأيت أنت فقلنا لعلها باكرت إلى الكنيسة تستقيل من خطيئتها وتبكى على ذنبها فقال الملك يجوز أن يكون ذلك كذلك وسار إلى أن دخل إلى الكنيسة ودارت به الرهبان والقسوس من كل جانب وأدار الملك عينيه فلم يرى ابنته فى الجماعة ولم يرى فيهم شيخ الرقاعة ولا النحس شومدرس فقال للرهبان أين الشيخين الصالحين ومن هما فى طاعة المسيح عابدين وهل جاءت ابنتى اليكما وقت السحر فقالت الرهبان أيها الملك المكرم والسيد المعظم أما ما ذكرت من حال شيوخ النصرانية فانهما كانا نصف الليل رافدين فجاءهما الراهب طيبون وناداهما فخرجا اليه ولا نعلم ما كان من حالهما ولم يرجع واحد منهما الينا وأما الملكة فما رأينا من أمس لها وجه فقال الملك وقد عظم عليه وكبر لديه وحق المسيح ان حالها عجب ثم أرسل يطلبهما فلا خبر ولا أثر ولا طيبون فقال لغلمانه ويلكم اطلبوا المطمورة وأنزلوها واسألوا عن حالها من المسلمين المأسورين (ياسادة) فجاؤا الى المطمورة فما وجدوا فيها سوى القيود ملقاة والدنيا منهم بلقع فاعلموا الملك ان الحيلة قد تمت عليهما ونفذت الأحكام فيهما فصاح الملك صيحة هائلة اجتمعت اليه البطارقة من سائر الجهات والرجال والأصحاب فأعاد عليهم القصة التى جرت وقال وحق المسيح لو قصدوا بهم أقصى بلاد الإسلام ان كان لا بد لى منهم وإن هم فاتونى لاضربن منكم ألف رقبة ووحق المسيح لو أرادوا أن يأخذونى كانوا يفعلوا وانما بعدهم عن بلادهم قطعهم عن ذلك (يا سادة) فما كانت إلا ساعة حتى ركب زهاء عن عشرة آلاف فارس مثل الأبالس بالفرس والجنيب والملك فى أوائلهم وأمر بقية العساكر أن يأخذوا أهبتهم ويلحقوا به إلى ظاهر الأرض المنقطعة فانه يكون هناك على عيون الزهر ورأس النهر وأنه قد حلف انه لا يرجع الى البلد حتى يغزوا الى بلاد الإسلام وقد قدم على الناس بطريق يقال له تكلان ابن محارب وكان معظما فى الاقاليم كلها وهو من بيت الملك وجد الملك فى السير

وهو يأخذ الآثار فلما كان الليل طلبت الناس أن ينزلون فلم يفعل بل تم فى مسيره الى أن أصبح الصباح وقد قطع أرض بعيدة وعبر البطال ومن معه (يا سادة) وان البطال لما حصل فى تلك المغارة ومعه أصحابه قال لهم إعلموا ان الطلب لابد له منا ولكن نحن لا نبرح من موضعنا ثلاثة أيام حتى تنقطع آمالهم منا فقالت الجارية هذا هو الصواب فلما أصبح الصباح خرج البطال يتنسم الأخبار فرأى السباع منهزمين تطلب الغابات فعلم انهم من الرجال هاربين فقال لاصحابه ما هذا الا عسكر عظيم قد ساروا فى أعقابنا ولكن غاية قصدهم أن يتمون خلفنا اليوم والاثنين والثلاثة وهانحن مقيمين ههنا الى أن ينقطع عنا الطلب ثم فتح على عقبة وشومدس وقال له يا عقبة كيف ترى تجريئك علينا وضربك لنا وأنا أقول لك لا تفل وأنت تلج فلا بد لى أن أضربك ضرب من قد ذاق ضربك فأيس عقبة من الحياة وقال ويلك يا أبو محمد بحق معبودك حدثنى كيف صرت بهذه الحالة وكيف سبب هذه القصة ومن خلصك فقال خلصنى ربى العظيم القادر الصمد القاهر الذى لم يزل لكل عدو قاهر فقال له طيبون بعت دين النصرانية بدين الحنيفية وأنا أعلم منك ومن أهل الأرض فقال له طيبون اذا كان الله قد أضلك وهدانى فلا اعتراض عليه وأنا أشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم رفص عقبة فقال عقبة كل شيء حسبته الا أن يعود هذا الراهب مسلم ما حسبت ثم انى أقول عاقبهم واخشى أن يموتون وأفزع من الملك ويأتى هذا الديوث الى عندى ويقول قم الحقهم وتعالى شاهدهم فقمت أنا وما كذبت خبر وجرى على ما جرى ثم قال إفعلوا ما شئتم فان خصمكم قوى وهو ان المعتصم ان ضربتمونى فأموت وهو يخرب بيوتكم الى ابد الآبد ما قام قائم وقعد وضرب فى البيداء وتدومد طنب فقال البطال يا ويلك نحن بيوتنا خراب وأنت فى الحياة فدع تخرب بيوتنا بعد موتك ولكن سوف ترى ما أصنع بك ثم مده وضربه فجعل يصيح فقال طيبون للبطال هذا صياحه ما يجلب لنا خير فخلى ضربه فى هذه الساعة فقال البطال ما أخليه بلا ضرب فانى ما أدرى ما يكون ثم ترك فى فمه أكره وشده بعصابة الى قفاه وضربه حتى نزل لحم كتفيه وكذلك شومدرس (قال الراوى) وأقام البطال فى ذلك المكان ثلاثة أيام بلياليها ثم ركب الجادة وجدوا فى سيرهم باقى ليلتهم الى الصباح فقال طيبون أعلم ان الأرض قد طرقها حافر وما هو الا عسكر عظيم فقال البطال نعم غير انى ما أرى فيهم حافر راجل الا الكل بين أيدينا فسيروا بنا فى نهارنا وقد علقنا بالأرض المنقطعة وهى مسيرة سبعة أيام ونحمل الماء من الغدير ونتوكل على رب السماء ولا نهدى الى

عيون الرهن وراس النهر ونستريح وندخل الى رأس الروم فما علينا مخافه الا من ههنا الى رأس العين (يا سادة) وساروا باقى يومهم ونزلوا وقد أخذوا الماء الكثير ورموا أكثر زادهم وحملوا الماء لاجل دوابهم وأنفسهم الى أن تنصف الليل ورحلوا وقد تقدم الراهب طيبون بين أيديهم وجعل الكوكب نصب عينيه وكان عارف بتلك الأرض وكذلك بالكواكب وعلم النجوم يعلم مطالعها ومغاربها فجعل يسير بهم ليلا ونهار الى أن أشرف بهم فى اليوم الرابع على عيون الزهر ورأس النهر وقد فرغ الماء الذى كان معهم وهم أحوج ما كانوا الى الماء واذا عليه مضارب وخيام والعسكر مثل الليل الدامس فوقف طيبون وقال للبطال هـــذا والله عسكر كرفناس وهاتيك الخيمة الخضراء له اذا خرج الى قتال ينصبها ولا شك الا انه قد حلف انه لا يرجع الى بلاده حتى يغزو بلاد المسلمين وما لنا طريق الا عليه فقال له البطال انزل بنا الساعة فاننا نقدر على العبور عليهم فى الليل فهم فى الكلام واذا بغبرة قد طلعت من ورائهم وانكشفت عن عسكر جرار كانه البحر الزخار وهم خلق كثير لا يحصى عددهم فحصلوا بين حجرين دامغين فقال البطال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لا بقى يمكننا المسير ولا البقاء ولكن على كل حال هذا السواد المقبل علينا عسكر ثقيل فلا يصل الينا الا أن يختلط الظلام فنختلط نحن الرجال ونسير حتى نصل الى العيون مع الناس ونملأ ونشرب وندخل فى آخر الليل والله تعالى يستر علينا فقال طيبون أحلف قسما انه لا يكون على وجه الأرض رجل مثلك صبور على الأهوال ثم نزل وقد أيقن بالهلاك والوبال (يا سادة) ولم يزل السواد مقبل الى أن وقعت العين على العين عند غروب الشمس فما صاروا عنـــدهم الا والظلام قد اختلط وقد دخل الليل كما قال البطال حتى كانه وزن مسيرهم فى مقدار النهار (يا سادة) واختلط البطال بسواد العسكر بعد ان عبروا الخيال الى نصف الليل فقال البطال أقسم ان أرمانوس ما رأى مثل هذا العسكر ولا أحسن وهم كاملين العدد فلما كان وقت السحر وقد لججوا فى السير قال البطال لطيبون انعزل بنا على سبيل الانفراد وكل واحد يسوق فرسه كأنه يسيره ونركب الطريق ففعلوا ذلك وركبوا الجادة وقد طارت القلوب حذرا وهلعاوقد ستر الله عليهم باقى ليلهم إلى أن أصبح الصباح وأخذوا فى السير الشديد الذى ماعليه من مزيد إلى وقت العصر وقد أشرفوا على جبل يقال له جبل السن أسودشاهق فى السماء وتحته وادى قد نبتت أشجاره وتأجج بالحر ناره وتوقدت أحجاره وأصحاره ونفرت غزلانه وفيه مغارات وشعوب وكهوف فى ذلك الجبل (ياسادة) فماهو الا ان خرجوا عن قريب الجبل وإذا هم برجال كثيرة فقال البطال ياطيبون

لاشك انهم من بعض بلاد الروم فقال طيبون ما يقصد إلى هذا المكان أحد غريب وهذه خيل قد خرجت منهم لنا طالبة ونحونا قاصدة وما أخوفنى منهم والرأى عندى أن نموت كرام ولا نعيش لئام فإنى أعلم أنهم إن كانوا أعداءنا فنحن هالكين بلا محالة فهو معهم فى الكلام والخيل قد وصلت إليهم وعلموا إنهم مقصودهم فصاحوا فى عسكرهم خذوهم فقد أمكن المسيح منهم وكانوا هؤلاء من عسكر كرفناس وذلك انه لما وصل إلى عيون الزهر ورأس النهر ولم يرى أثر ولا أطلع لهم على خبر فقال ياويلكم معلوم إنما صار لهم أجنحة فطاروا بها فى الهوى وما هم إلا قد أمكنوا حتى ينقطع عنهم الطلب وكأنكم بهم قد وصلوا اليكم وقدموا عليكم ولكن ما أخلى الحزم ثم أدعى إليه بألف فارس وقال خذوا هكذا فلعلكم ان تظفرون بهم فقالوا سمعاً وطاعة وساروا ثلاثة أيام فما وجدوا شىء فعادوا طالبين نحو الجبل وقد أشرفوا هؤلاء كما أراد الله تعالى ونادوا خذوهم فقد أوقعهم المسيح فقال البطال انزلوا بنا إلى هذا اللحف ولعلنا نملك السن فما عليه تطريق من رأينا ونقاتل حتى لايبقى فينا عين تطرف فإذا أشرفنا على القتل قدمنا عقبة وشومدرس وضربنا رقابهما ونكون قد أخذنا بالتار حقاً (ياسادة) عندها صاحوا الروم خذوهم فهذه بنت الملك وطيبون والصناديق التى معهم لاشك ان فيها الشيخين الصالحين عقبة وشومدرس فعندها قصدت البطارقة اليهم وأما البطال فانه صعد إلى فوق الجبل بعد ما ترجل وحمل الصندوق الذى فيه عقبة حتى وصل إلى صخرة كبيرة تحت شقيف عالى شاهق فى الهوى ليس عليهم منه طريق وكذلك فعل مذبحون بصناديق الطعام وصعدت الجارية معه وطيبون وأما الصندوق الذى فيه شومدرس لم يقدروا على حمله فتركوه لأن الخيل قد أدركتهم فخافوا ان يحيلوا بينهم وبين ذلك الشقيف (قال الراوى) وتقاطرت الكتائب وترادفت المواكب وارتفع الصياح من كل جانب وجردت القواضب وترجلت الرجال مثل السلاهب وأخذوا خيلهم وما كان معهم وأخذوا الصندوق الذى فيه شومدرس وفتحوه فوجدوا الراهب شومدرس فى أسوأ حال قد شدوا وثاقه وضيقوا خناقه فأطلقوه وجعلوا يهنوه بالسلامة وسألوه عن عقبة فقال لهم فى الصندوق الثانى وما أظنه يسلم مما ضربوه وبدقنه الكريمة سحبوه ولم يرقوا له ولا رحموه فقالوا سوف نأخذ له الحق من قريب وتبصر كيف نعذبهم أشد التعذيب فقال شومدرس خلوا حديثكم معى وارجعوا اليهم خذوهم وإلا وحق المسيح انفطرت مرارتى غيظاً وحنقاً وقد نذرت المسيح ان ظفرت بهم آكل كبد كل واحد منهم قطعة ولا سيما هذا الراهب طيبون الذى كان السبب فى أسرنا وهو الذى ساقنا إلى

خنقنا وأتعب عسكركم من أجلنا فقالوا له ان الملك كرفناس فى سبعمائة ألف فارس وسوف يملك بلاد الإسلام وما خرج بالعجلة إلا بسببكم والويل لطيبون ولهؤلاء المسلمين من بأسه فلا بد أن يقتلوهم أشر قتلة ويمثل بهم أقبح مثله ولا يقنع بذلك حتى يكونوا سببا لخروجه إلى بلد المسلمين (ياسادة) وطلعت الرجال فى طلبهم فلما نظر البطال اليهم التفت الى أصحابه وقال لهم اعلموا اننا ان سلمنا أنفسنا فنحن مقتولين لامحالة وان نحن مانعنا عن نفوسنا فهو كذلك ولكن ننال فضيلة الجهاد فى طاعة رب العباد فان صبرتم نلتم من الله تعالى الآخرة والثواب فقال طيبون أنا معى مائة فردة نشاب وأنا أقسم بمن هدانى لأوصل إليكم أحد حتى أضرب بها مائة رجل منهم وهم يعرفون بنبأ لى لايبقى ولايذر ولا يدفع منها الحذر فقالت الجارية وأنا ماتركت والدتى ووالدى وذلك المال العظيم الزائد إلا فى طاعة العزيز الواحد وارغاما لكل كافر وجاحد ولا أسلم نفسى أبدا ولا بد ان أضرب بسيفى هذا حتى لايبقى فى عرق يضرب فقال مذبحون والله لأوصلوا اليكى حتى تطير رأسى بين يديكى ﴿ ياسادة ﴾ هذا والبطال قد علم ان ذلك المكان حصين غير ان ماله فيه شىء من المال ولكن معهم ما يكفيهم يوم وإثنين وثلاثة لحمل من ذلك هما عظيما وقال ان هلكنا فما نهلك إلا من الظما لأجل عدم الماء وكان ذلك الموضع كأنه قد استعد للحصار كثير الصخور والأحجار من الكبار والصغار ولم يزل القتال يعمل طول النهار وقد قتل من الكفار مايزيد على سبعين فارساً بالأحجار والنبال التى رمى بها طيبون وكانوا هم يرموهم بالنبال أيضاً فلا تصل اليهم لأنهم كانوا أعلا منهم ويستترون بالثقيف من سهام الأعداء وهم حاكمون عليهم لاجل علوهم وكلماهجمت عليهم الرجال وزحفوا اليهم بالكثرة يقول البطال دحرجوا عليهم الصخور واهشموهم بها هشما ولم يزل القتال يعمل الى الليل وعادوا وهم خائبين الا انهم فى لحف الجبل بهم محدقين وقد كانوا طلبوا عليهم طريقا من فوقهم فلم يقدروا على ذلك لأنهم ما عليهم طريق فزاد حنقهم وقلقهم وأضرموا النيران وأقاموا الرصد خوفا من البطال أن يهرب وأيضا من الملك لايضرب رقابهم بسببه وأما البطال فانه أخرج عقبة من الصندوق وأطعمه وسقاه قليل من الماء وقال له لا شك انك قد علمت اليوم ما قد جرى فلا تظن انك تفرح بهذا فوحق من أوقعك بأيدينا ماهم الا أن يصلون الينا ونراهم قد قدموا علينا الا ونجز رأسك كما نجز رأس الشاة فانتقض وضوءه وتغير لونه وكاد أن تنفطر مرارته وقال هذه الموتة التى كتبت علىّ وعليك يا أبو محمد ويلك أنت هالك لامحاله وأنت تقول وتفعل وأخشى أن يقصم المسيح عمرك ولا تصل الى وعندى غير ما عندك ان أنت فعلته

سلمت أنا وأنت فقال البطال وما ذلك ياملعون فقال اذا رأيت انك مأخوذ مغلوب فلا تفعل ولا تعجل على بالقتل وسلم اليهم روحك فأنا وحق المسيح أراك قد عفوت عنى وقصدت الخير فى حق وقدرت وتمكنت لأنك ما كنت آخذ فى أمرى فى هذا الوقت وأنا وحق المسيح والابرئت من دين النصرانية ان رأيت الملك معول على قتلك أرده عنك وأقول لا تقتله حتى تقتل عبد الوهاب والأسد الوثاب الذى جعل بلاد الروم خراب وكذلك مذبحون وأما الراهب طيبون وابنة الملك فلا أعترض الملك فيهما فقال طيبون ويلك ياشيخ الضلال وحق النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم لئن لم يقتلك هذا السيد لاقتلك أحدا غيرى ومانحن ممن ينخدع بخديعة ايمانك الكاذبة وترميه بسهام حيلك الصائبة فضحك البطال وقال ليقضى الله أمرا كان مفعولا ما ندرى بعد ما لنا فى الغيب ولكن يا مذبحون رد عقبة الى الصندوق واعلم أن الرجال لابد الليله لها أن يطلعون الينا والليل هادىء وما فى عسكر الروم محترك بل همود فى مواضعهم وأتبعهم السرى السهور فى طلبنا ثلاثة أيام ووصلوا اليوم الى قتالنا طول النهار وصياحهم علينا ولا يقدر أحد منهم يرفع رأسه من موضعه ولو أخذت قربة واحدة تكفينا يومين (قال الراوى) ثم أن مذبحون أدار ديله فى دور منطقته وتقلد بسيفه وحجفته ونزل من ساعته ولسانه لاتفتر من قوله يامن يستر الجهيل يامن هو نعم الدليل كن لى حافظا ووكيل وكن بسترى كفيل ونزل اليهم وهجم عليهم تحت غياهب الدجا وقصد الى خيمة فى وسطهم قد نصبت والنيران من حولها قد أضرمت وكان المقدم على ألف فارس بطريق يقال له كركيس وكان جبار من الجبابره وكان طوله ذراع وله لحية بطوله وله عيون صغار وآذان صغار كانهم آذان حمار وكان لما ظفر فى طريقه بالبطال فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال ما أتقدم عند الملك كرفناس على سائر البطارقة الا فى هذه النوبة فلما رأى البطال وقد تحاصر فى هذا الموضع الذى وصفناه كادت مرارته أن تنفطر غيظا وحنقا وبات تلك الليلة سكران مما جرى عليه خوف أن يبلغ الحديث الى الملك فيأتى بنفسه ويأخذ البطال ومن معه بروحه فعظم عليه أن يفوته المدح والثناء والظفر باعداء وان مذبحون دخل العسكر الى الوقت وغلبهم النوم قاموا فى تلك الليلة وهى آخر الليل واطمأنوا من جهة البطال ومن معه وقالوا ولو هربوا الى أين يمضوا وهم رجاله غير خياله (ياسادة) ولم يزل مذبحون يتخطى الرجال ويطاعن الابطال الى أن وصل الى خيمة البطريق كركيس وحولها رجال نيام كانهم قد شربوا مدام قال مذبحون لقد هممت أن اقطع بالخنجر الاوداج واضعه على نحور الاعلاج واقضى عليهم ولكن خفت من سوء العاقبة أن يصيح صائح فأكون قد خاطرت بروحى وغررت

بمهجتي وفارقت بنت الملك وهي من الدنيا بغيتي فلما قارب المغرب قلع وتد من أوتاد الخيمة ونظروا اذا بالبطريق كركيس نائم والى جانبه الشيخ شو مدرس والشمعة تقد عند رؤسهما وعند باب الخيمة قربة على ثلاث عصى تريد حمال فبقى مذبحون حائر وقال لقد تحيرت مرة أقول آخذ شو مدرس حتى لا يكون قد أفلت من أيدينا وتارة أقول آخذ هذا البطريق لعل ينقل هذا العسكر عنا ونجد لنا سبيل الى الهرب وتارة أقول نحن الى الماء أحوج فانها أرواحنا ولا ندرى هل يطول المقام بنا أم لا ثم أن مذبحون هون الامر على نفسه ودخل تحت قربة الماء وحملها وخرج وقد ستر عليه البارى بجميل ستره وجعل يتخطى الناس الى أن وصل الى الجبل وصعد على منهل حتى وصل الى موضع يأمل جهته ثم وضع القربة من على كتفه على العصى التى كانت عليها لأنه كان قد أخذها أيضا معه فلما طرح القربة من على كتفه حدثته نفسه بالعودة لاجل الإثنين فرجع دخل الى الخيمة فوجد كنانة فيها مائتين فردة نشاب فكانت عنده أحب اليه من خزانة سلاح

﴿ تم الجزء الثانى والخمسون ويليه الجزء الثالث والخمسون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثالث والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن مذبحون خرج من وقته وساعته والناس نيام فكما قدر الله عثر بواحد نائم فقعد ذلك الرومى مرعوبا وقال بالرومى ايش هذا يا أعمى وهو يظن أنه منهم فقعد مذبحون وأوراه أنه يريق الماء وقال له بلسانه وحق المسيح ماعلمت خذ هذا منى واجعلنى فى حل فظن الرومى أنه يعطيه شيء فمد اليه يده وقد قرب مذبحون منه فضربه بالخنجر ودجه قطع وريديه ورزدمته فوقع إلى الأرض ميتا (قال الراوى) وتم مذبحون على حاله كانه لم يعمل شيئاودخل المضرب فوجدهما على حالهم نائمين فقال ان أنا أخذت واحد منهما استيقظ الآخر وربما علموا بى هؤلاء الدين على باب المضرب نيام ثم مال نحوهم وقد صوبهم وعاد اليهم وكان ذلك الخنجر ماله شبيه الأحربة ملك الموت التى ما وضعها على شيء إلا وفصله وأرماه على حلوقهم واحد بعد واحد وكلما نجروا حد شق بطنه وشق مناخيره حتى لايشخر إلى أن فرغ من العشرين أسرع من البرق ثم دخل إلى الخيمة وهو يقول بالله ذرنى وذر من سمانى مذبحون قد صححت اسمى ثم تقدم إلى شومدرس ووضع يديه فى حلقه فلم يخرج له نفس ولا صوت إلى أن غشى عليه ثم دخل تحته وحمله على عاتقه وخرج مثل السلهب وتخطى به الخيام وجاز العسكر إلى أن وصل إلى القربة ووضعه وقال ياملعون قطعت قلبى ثم قال أمضى إلى الخيمة لعلى آخذ المقدم على الروم فان أنا أخذته وقعت فى قلوبهم الهيبة وربما أخذوا الاهبة للرحيل وان كانت الاخرى فنكون قد أخذنا بتارنا ثم عاد ودخل الخيمة وقد انقلنت

عيناه فى أم رأسه وهان عليه ورود الموت وتذكر الجارية فتنفس صعدا وأبدا كمدا وقال هؤلاء الشياطين الذين أحالوا بيننا وبين الذهاب وكنت طامع فى وصولنا بعد أيام إلى حصن يانس المتعزب فمن شدة حنقه وغيظه عليهم جعل كلما مر بواحد منهم نائم جلس إلى جانبه وذبحه أسرع من البرق فما وصل إلى الخيمة حتى ذبح ستة وثلاثين بطريق وأخذ أربع جعبات نشاب ودخل الخيمة معول على قتل كركيس وجلس عند رأسه وبقى متفكر ربما إن قبض عليه يستيقظ ولا يعلم هل هو أقوى ساعد أم لا وخاف أيضا ربما يصيح فقال مالى إلا الحيلة التى عملتها على شومدرس حتى أخذته وهوانى أخنقه فلا يقدر على الصياح ولو بقى إلى الصباح فاذا علمت أنه قد برد ولم يبق فيه جلد سوى نفس يتردد إلى الجسد حملته وان أعيانى ذبحته ولكن المقصود أنه إذا طلب لا يوجد إلا عندنا فشمر عن ساعديه وحسر عن ذراعيه وهم أن يهجم عليه وهذه جسارة على أن يقدم على رجل فى وسط عسكره وهو لايعلم حاله ولا يخبر قوته ولا يدرى شجاعته حتى إذا أراد أن يطرح يده فى حلقه فاذا هو بحس قد طلع من جانب الخيمةفأحس به مذبحون فأرجف فؤاده وجلس وقبض على قائم خنجره وقال ما شاء الله كان لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم توكلت على الله وإذا بشخص قد هجم عليه فأراد مذبحون أن يعلوه بالخنجر فأشار اليه لا يامبارك فتأمله مذبحون وإذا به أبوه البطال (قال الراوى) وذلك أنه لما استيقظ أول الليل ولم يجد الأمير مذبحون سأل عنه الجارية فقالت مالى علم به منذ زمان ولقد رابنى أمره فنزل البطال إلى مكانه لهفانا وقال أنا الذى فرطت فى ولدى وقد قاتل طول النهار قتال شديد ثم أمرته بالسهر وربما قد نام أوأخذه العدو من موضعه حتى إذا توسط الجبل وجد قربة ماء على ثلاثة عصى فيها قنطار من الماء وإلى جانبها شخص نائم فقال البطال أن الشخص لاشك مذبحون ثم قال لله درك يابنى فلقد فرجت عنا كربه لأخذ هذه القربة وأرجو من الله تعالى أن يفرج عنا ويسهل كما سهل لنا هذا الرزق وأن يخلصنا من هذه الأعداء وأنى قد نذرت لله نذرا أن أتصدق بخمسة آلاف دينار وأعتق بعشرين عبدا واستفك من القسطنطونية مائة أسير من من المسلمين أشتريهم بما لى إن شاء الله تعالى ثم قال من فعل هذه الفعال وسرق الماء من بين الرجال ينام هذه النومة فلم يتكلم فحركه وهو كالميت فلمسه فوقعت يده على لحية طويلة عريضة كأنها مخلاة حمارا استوفى شعيره ونظر فى وجهه وإذا به شومدرس فضحك وقال لله در ولدى مذبحون ثم علم أنه قد رجع إلى العسكر فخشى عليه من طريق شفقة الأبوه على البنون ومنة الوالد فعول وقال أن صدقنى حذرى فما طلب الا خيمة زعيم

القوم ولا شك أنه يريد يأخذه فسار البطال فى طريقه وجعل يحز الرؤس لأجل الرجوع حتى يكون طريقه خالى فما مر بأحد إلا وذبحه وشق بطنه ويمسك أنفه حتى يخمد حواسه وتبرد أنفاسه إلى أن وصل إلى المضرب وهجم على ولده كما ذكرنا (ورجعنا إلى الحديث) وأقبل البطال على مذبحون وقال يا بنى على ماذا عوات فقال على خنقه حتى يبرد وأحمله على أكتافى فجلس البطال إلى جانبه وأدخل فى أنفه عود الى رأسه ففتح فاه ليعطس فالقمه الاكره ومسك أنفه بيده اليمين وقبض على حلقه بيده اليسرى فرآه مذبحون وهو يريد أن يتشبه بأبيه فقبض على مراق بطنه بكلتا يديه وعصر عليه كاد أن يقضى عليه فاسترخت يديه عن البطال بعد ما كان قد نشب به ثم أنه حمله مذبحون على أكتافه وخرج البطال خلفه كانه ذئب أمعط أو ثعبان أرقط وسلك به الطريق الخالية الى أن وصل إلى لحف الجبل واذا بشخص قائم وبيده سيف يلمع كلمعان البرق فى حلل السماء فوقف البطال وقال إن كان قد خالفونا وطلعوا إلى الجبل وملكوا المكان علينا فقد هلكنا ورب الكعبة ثم وقف ينظر وإذا بشخص كلما جاء يقرب اليهم وقال بسم الله تقدموا لا بأس عليكم أنا طيبون الراهب وذلك أنى لما فقدتكم عظم على وخفت عليكم أن تكونوا قد دهيتم واستحيت من الله أن أكون فوق الجبل وأنتم تلاقون الأعداء فى خنادس الظلام وقد فرحت بأخذكم شومدرس وأخذكم لهذا الشاب فما هذا الذى على أكتافهم فقالوا من تعرفه اصعد بنا إلى فوق فما صعدوا به إلا وقد تعب مذبحون تعبا شديداً ورفع الجميع إلى رأس الثقيف وأخرج البطال الزناد وقدح وأضرم النار وكانوا قد أمتاروا من حطب الجبل وكان مذبحون أيضا قد أخذ من الحطب الذى على باب الخيمة جوزه لبصارته بالأمور وكثرة تجاربه فلما أضرم النار ونظر طيبون إلى الملك كركيس ابن أخت الملك فقال هذا كركيس ابن أخت الملك كرفناس البطل النفيس فقال مذبحون لابد أن أقلع عينه كما قلعت عين أبليس فقال طيبون ما تدرون من أخذتم هذا أبو البلا فقال مذبحون سوف أنزل اسمه فى رأسه فقال طيبون لا تفعل هذا حتى أقول لك ما تصنع هذا فى غداة غد ولو طلبت بفداء هذا يرحلون عنا ويخلون الطريق ويتركوا عنا التعويق وما فى عسكر كرفناس أعظم منه ولا أكرم عليه الآن يكون البطريق المقدم على العسكر كله فهو أعلى طبقة من هذا بل ان هذا أعلى نسب (ياسادة) وأضاء الصباح وارتفع الصياح من كل جانب وعلت عليهم المصائب وما فيهم من يثور من مرقده الا وقد فقد صاحبه وهو مطروح جسد بلا روح فصلبوا على وجوهم لما رأوا ما قد حل بهم فى تلك الليلة وانقطعت ظهورهم وقالوا اقصدوا بنا الى خيمة كركيس الملك حتى نطلعه على حالنا وما جرى علينا فى الليلة حتى نرى ما يقول للملك

فاننا نخاف أن يسمع أننا نمنا حتى ذبح منا خلق كثير فيقتل الباقون وان لم يسأل فينا كركيس فانا هالكون ثم داروا بالخيمة واذا بالدماء من حولها كالسواقى فشخصت أبصارهم وجعلوا يمسحون أعينهم ويقولون ما نحن الا فى منام وأضغاث أحلام والا فما هذا الذى نحن فيه ثم هجموا الخيمة فلم يجدوا للبطريق هنالك خبر فصاحوا وولولوا وقالوا ويلكم اطلبوا شومدرس فعسى أن تكون بركته علينا واصله ونعلمه بما وصل لصاحبه ونأخذ رأيه فقال بعض غلمانه البطريق الذى كانوا موكلين به وقد سلم دون أصحابه يا ويلكم تعنون الراهب شومدرس وحق المسيح كان الى جانب البطريق نائم فاقصدوا هؤلاء المسلمين الذين هم باللصوصية معروفين فما دهى صاحبنا الا منهم فركبت الخيل وهى ثمنمائة فارس وخمسين فارس وزحفوا الى الجبل زحفا وقاتلوا ساعة قتالا شديدا الى أن تعب البطال ومن معه من الاصحاب فنادى البطال ياكلاب النصرانية اليوم أسقيكم شراب العطب والبليه بكاسات اللصوصية لا كلام حتى يأتى عليكم العشية ان تركت منكم لحيه دنيه أو رقبة مستويه الا وأقطعها بهذه السكين المسقية وان لم أفعل هذه القضية ما أكون من أهل دين الحنيفية فلما سمعوا ذلك قال بعضهم لبعض وحق المسيح ما نبيت الليلة فى هذه الأرض الا وتكون علينا ايشم الليالى خلوا كركيس والا نزل الينا كانه ابليس ولا يبقى على بطريق ولا على قسيس ويذبحكم ذبح التيوس ويصبحكم بيوم منحوس ولا تدخلون بينهم فقالوا الباقين وحق المسيح ما نحن الا فضوليين ارجعوا للملك ما دام علينا نهار فقال لهم رجل منهم ويلكم على ما ذا عولتم وما عولتم الا على ضرب رقابكم من أولكم الى آخركم لان الملك قد جرى عليه من هذا البطال ما تعلمون من هيبته وقد وقعتم به والآن فقد ذبح رجالكم وأخذ مقدمكم من خيمته بغير قتال ولا نزال وان سرنا نحن الى بلاد المسلمين لفتحناها وملكناها والآن فما بقى لنا قدر وقد افتضحنا عند سائر الروم بفعل هذا الشيطان المدحوم والمارد المرغوم لانه قد تعلق بأطراف السحاب وأنزل علينا العذاب وقتل منا الأصحاب ولا سبيل لأحد عليه إلا بمنع الماء والسلاح وأما صاحبنا كركيس ما ندرى هل هو فى الحياة أم لا فارجعوا بنا فقاتلوا فالقتل ههنا أخير لنا من القتل بسيف الملك فقالوا له البطارقة قد قلت الصواب وأتيت بالأمر الذى لا يعاب ثم رجعوا عن بكرة أبيهم ووقع القتال الشديد والجلاد العنيد حتى ارتفع النهار وحميت الأكباد وقد أثخنوهم المسلمين بالجراح لان النشاب كان عندهم كثير فأحرقهم بها الشيخ طيبون وقلع منهم العيون وخرق البطون فلما شاهدوا ما قد حل بهم وعاينوا ما قد نزل بهم قال بعضهم لبعض انزلوا بنا الى وقت العصر ونرتب لهم كل رامى

مصيب فما قتالنا إلا وبال علينا ومصيبة واصلة الينا وهم فما يصل اليهم منا سهم غائر ولا حجر تائر وقد أشرفنا على الفرار فنزلوا وقد عطعط عليهم البطال وأصحابه وعقبة قد انفطرت مرارته لان البطال اشتهى أن يدريه ويفرجه فأخرجه من الجبل وأجلسه على موضع عالى فى مقابلة النبال على انه ان جاء سهم غائر أو حجر تائر يقع الى جانبه وكان قصده بذلك حتى يزداد غيظه وكانوا كلما قتلوا واحد من النصارى يقول ما المسيح إلا صاحب حمية لدين النصرانية يتركهم هكذا فى التقصير يقتلون قتل الحمير ولا يكون لهم معين ولا نصير (قال الراوى) وكان كلما جاء حجر أو سهم من أسفل الى فوق يقول هذا فى رأسى هذا يخمد أنفاسى فهو يتجرع مرارة البلاء وغصص الموت فما صدق ان ينقضى القتال ثم أقبل على البطال وقال لله درك يا بطال فما أخبرك بالأمور وكيف اهتديت الى هذا الموضع الميشوم الذى ليس لأحد عليه تسليق كانه قد نقر لك فبالله عليك هذا كان لك به خبرة فقال البطال لا والله العظيم ولكن البارىء جلت قدرته نصرنى به وأرانى إياه عند حاجتى اليه فعلمت أنه مكان لا يهلك من يكون فيه الا بالجوع والظمأ ونحن معنا الماء الكثير والبارحة نزلنا الى العسكر وقتلنا منهم مائة وخمسين ذبحا مثل ذبح التيوس وأخذنا هذا البطريق المقدم عليهم فالتفت عقبة فرآه مكتف والأكر فى فمه وهو كانه القرد فضحك وقال وحق المسيح ماكانه إلا من الجن وانى من يوم تصبحت بهذه الوجوه التى لهم مارأيت خير ولكن هذا كان من يدى ولو انى رجل عاقل ما كنت خرجت من بلد الملافطة فلقد كنت فى عيش رغيد فى أهنأ حياة فتركتها وجئت إلى عيشة رديه ولقد خلص منكم شومدرس بسعادته وبقيت أنا معكم لما بقى لى من الشقاوة فقال مذبحون ياشيخ الضلالة أما ترى شومدرس مطروح كانه ثور مذبوح (ياسادة) فمد عقبه عينه اليه وإذا به مربوط إلى صخرة وفى فمه أكره فقال له ويحك أليس كنت قد خلصت من أيديهم فقال لا ولكن عادوا أخذونى البارحة فقال عقبة ما أظن المسيح إلا قد تبع دين الحنيفية وترك دين النصرانية وإلا فما كان أمهلهم حتى يفعلوا هذه الفعال وينكلوا بالروم هذا النكال ثم كادت مرارته أن تنفطر من شدة حرقته وعظم كربته (قال الراوى) ولم يزل القوم إلى الليل وركبوا الخيول بأجمعهم وقاموا حول الجبل يصيحون ولا يفترون من خوفهم من هؤلاء الذباحون وكانوا قد أنفذوا ثلاثة إلى الملك وأعلموه بالقصة ففرح بانكشاف خبرهم وأعادوا عليه ماجرى عليهم منهم وما قتلوا وما أسروا هنا لك زفر زفير الغيظ وطارت النار من منخريه ثم وثب إلى الذى حدثه أولا هز رأسه خلعه من بين كتفيه وضرب الباقين ونادى فى الناس بالرحيل ثم رحل فى ذلك العسكر الثقيل فارتجت له

الأرض فى طولها والعرض وامتلأت بهم الفلا وتكدرت المياه ونفرت الوحوش فى البيداء واضطربت الجبال لرحيل هـــذا الجبار وقد ركب على جواد يقال له الطويل ما شاهدت العيون أطول منه قط وهو فى سرجه كانه قد سبك منه وكان فارس مغوار وليث كرار (قال الراوى) فلما استقام على الطريق ونظر إلى ذلك العسكر العظيم الذى قد قاده من بلاده فتكبر وتجبر وطغى وبغى وعتى فقالت له البطارقة أيها الملك قل لنا على ما عزمت تسير فى الأول إلى بلاد المسلمين المخالفين لهذا الدين أو إلى القسطنونية حتى تصير كرسى مملكتك والبلاد كلها تصير بحكمك فقال الملك على هذا قد عولت ولا أغزو بلاد الاسلام حتى آخذ القسطنطونيه وما حولها من أقاليمها وأنا الذى لا أرجع إلى بلادى سنة وعشرة حتى أفتح الأرض ذات الطول والعرض ووصل الملك إلى الشقيف فسمع صوت أصحابه يولولون الحافظ المسيح وهم على ظهور خيولهم فقال الملك ما هذا فقالوا أيها الملك هذه أصوات أصحابنا ينتظرون المسلمين الذين على رأس الشقيف فقال وأصحابنا على خيولهم يزعقون لانوم ولا غيره وما هذا الأمر إلا من الخوف والفزع من رجلين لعنهم المسيح فما هذا إلا فعل قبيح وهم الذين يحرسون أنفسهم من أصحاب الشقيف فقال له بعض الروم أيها الملك الكريم والسيد العظيم لايجوز لأحد أن يشبه هؤلاء بأحد الرجال اعلم أن مافى بلاد الروم إلا وفيها لهذا الشيطان أربعين صورة ألوان على الصفات التى يدخل بها بلاد الروم فقال آخر وحق المسيح أنى سمعت أنه سرق قلعه وكل من فيها ووداها إلى بلاد الاسلام فما انتهوا أصحابها إلا وهم بين المسلمين فصلب الملك على وجهه وقال ويماه وكيف عمل بها فقال الرجل له ولو دريت كيف عمل بها كنت أعمل مثله وقد سمعت عن أصحابنا أنه نزل اليهم وذبح منهم أربعمائة رجل وأخذ البطريق كزكيس وأخذ معه شومدرس فقال ويلك ما أظن بقى منهم أحد فقال بلى أيها الملك هم يحفظون أنفسهم على الجبل ولا شك أن أصحابنا قد تكلم عليهم بكلام يعرفه فحبس به خيلهم فلا يقدرون يهربون فقال الملك ويلك ايش هذا الكلام فقال هو ماسمعت أيها الملك وماهذا إلا خبر طيب إن كان يعرقب الخيل ويترك بأصحابها الويل ويذبح الرجال بالليل ويشيلهم على أكتافه إلى الشقيف شيل فغضب مما أكثر عليه البطريق وضربه على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه ثم نزل الملك ونزلت الأمم فبقى الجبل كانه فى وسط بحر عجاج متلاطم بالأمواج (قال الراوى) وبرق ضياء الفجر ودار قرن الشمس ونصب للملك سرير من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجواهر ويواقيت تزهر وتماثيل من العنبر ووقفت أربعة آلاف بطريق تحجبه بالسيوف المجوهرة (قال الراوى) وكانوا يضربون

فى بلد هذا الملعون السيوف فاذا ضرب بها سيوف الهند قطعتها لجودتها ثم أن الملك ادعى بباقى أصحاب كركيس وقال لهم ياويلكم حدثونى بالأمر على جليته فأعادوا عليه الحديث من أوله إلى آخره وزادوا عليه شيئا من الفزع الذى فى قلوبهم فقال الملك أن المسيح قد عفى عنكم ولكن بحق المسيح اخبرونى عما أسألكم عنه فقالوا وما هو فقال كيف تعوقت خيولكم عن المسيرفقالوا الا وحق المسيح فقال وحق الانجيل لقد فرجتم عنى كربه الآن ازحفوا اليهم فزحفوا اليهم فى الحال أربعين ألف رامى يرمون عن قوس واحد فلما نظر البطال إلى ذلك البلاء وقد وكف عليهم أيقن هو ومن معه بالفناء وتوكلوا على الملك الأعلى الذى يكشف البلوى وعمل القتال بينهم وطلعت الرجال وهؤلاء يرمون عليهم الأحجار الكبار وهم على طرف السن لايقدر أحد عليهم من ضيق الموضع وفيه حجارة قد صقلتها الأمطار على طول الزمان ولولا ذلك لما وقف البطال ومن معه ساعة واحدة إلا أن البطال فى ذلك اليوم جرح فى ثلاثة مواضع من ثلاث سهام ولم يزل القتال يعمل بينهم ثلاثة أيام وخرج مذبحون فوقعت نبلة فى كتف ابنة الملك غير أنه لبعد الموضع وارتفاعه ماتصعد للفردة النشاب إلا وقد ذهبت حدتها وانكسرت قوتها وأما طيبون فانه لم يخرج ولكنه رمى بمائة نبلة صائبة جرح بها وقتل وذهب النهار بضيائه ورحل وأقبل الليل بظلمائه وانسدل ورجع العسكر الى مقامه ونزل وأما الملك فانه جلس على سريره فى سرادقه وكان سرادقه ما ملك ملك مثله قط طوله ودوره مائة ذراع من الديباج الرومى وفيه صور سائر الملوك وبلادهم وبطارقتهم وكنائسهم وهى كلها إبريسم أخضر وأحمر وأصفر ومن كل لون (ياسادة) وجمع البطارقة الى بين يديه وقال اعلموا ان الحكماء من قبلنا قد قالوا من أراد أن يطاع بعلم ما يستطاع فقالوا ما معنى هذا أيها الملك فقال المعنى فيه ان هذا الشيطان العيار فى موضع لاسبيل لأحد عليه ولو رمى حجرا واحدا القتل به جماعة فقالوا أيها الملك فعلى ماذا عولت فقال أنا متبع رأيكم فان كل رأس فيها حكمة ولا بد ماتقولون وأسمع وأقول وتسمعون فقالوا أيها الملك مافى النوبة إلا أن تكون مشفقا على رعيتك ويجب عليك أن تهتم بمزعاتهم ولا تكلفهم هذا الأمر الصعب وما لنا الا المطاولة لهم الا أن يقل ما معهم من الزاد والماء ونأخذهم أخذا بالكف فقال الملك والساعة ماعندكم الا هذا فقال بعضهم بلى أيها الملك ترحل بنا فى غداة غد وتقطع بنا طول النهار ونكون قد أكمنا لهم ألف رجل فاذا أيسوا منا فلا بد لهم ماينزلون ويطلبون بلادهم وإذا حصلوا فى الكمين نخرج اليهم من كل جانب ونأخذهم ونقطع رؤوسهم ونتركهم على أسنة الرماح ونقطعهم بالمرهفات الصفاح حتى

تقع لنا الهيبة فى قلوبهم لأن هذا الشيطان البطال ذكره عظيم عند أهل الأرض فمن قتله افتخر بقتله فقال الملك لا كلام حتى ينزل من موضعه وهذا منا لا يصح لأن الرجل كما تصفون من العيارة ولا يخفى عليه هذا ولا يقع بأيدينا الا التعب وما ينزل من موضعه وان رجعنا الى ورائنا كان عار علينا لأننا فى جيش ثقيل كالليل البهيم وان تركناه تخلص من أيدينا ينكسر ناموسنا ولا يعلم الناس عذرنا وهذا الشيطان قد صعد إلى هذا الموضع الميشوم الذى ما لاحد عليه حيلة ولا لنا قدرة فنقتله ولكن أنا عندى من الرأى اننى أقيم غدا وأنصب المنجنيق الكبير الذى تعرفوه ولا تنكروه وننصبه فى مقابلتهم ويكون مساوى لهم ونرميهم بالحجارة الكبار فما يمضى عليهم أكثر من ساعة وقد هلكوا أسرع من البرق فقالت الأبطال وحق المسيح لقد قلت قول مليح وباتوا مسرورين تحت الانتظار لذهاب الليل وطلوع نجم سهيل وقد أمر الملك بخمسة آلاف فارس بالسلاح الشاك يدورون حول الجبل لئلا ينزل منهم أحدا (قال الراوى) وأما البطال فانه أقبل على أصحابه وقال لهم لقد وصلوا اليكم القوم بالأذية ولولا ارتفاع الموضع لأخذونا فقال مذبحون هذا العسكر الثقيل مايقيم الا القليل لأنهم يريدون الغزو الى بلاد الإسلام ويريدون العلوفات والزاد الكثير ولا بد لهم مايرحلون عنا قبل ماينفد مامعنا من الماء فقال البطال هذا مالا أسمعه وانهم والله مايرحلون عنا إلا بأمر سماوى وان رحلوا مانكون إلا خديعة وربما أكمنوا لنا ألف فارس فاذا بعدوا ونزلنا من رأس الجبل وتوسطنا الكمين فعند ذلك يخرجون يمينا وشمالا ويأخذونا وأما أنا فما أنزل الا أن أرى السلامة وان تكن الأخرى فأنا أقتل عقبة وشومدرس وما أبالى بعدها مايجرى على من الأمر وقد كنت معول على غير هذا ولكن الذى يريده الله تعالى مايقدر أحدا يتعداه وما قضاه فقد أمضاه ولا مفر من حكمه وقضاه فقال مذبحون كلنا نريد هذا فى طاعة الله تعالى ولكن يا أبى زوجنى ابنة الملك قبل الموت حتى أكون قد حصلت شىء وأموت وفى قلبى حسرة منه فضحك البطال وهو فى أشد ماهو فيه من الهم والغم ثم ان البطال أقبل على الجارية وقال لها أزوجكى بولدى فقالت الأمر اليك ثم زوجت نفسها وقد شهدت طيبون فصاح مذبحون الحمد لله على هذا الوقت قومى بنا ياملكة حتى ننزل إلى لحف الجبل ونحرس الليلة أصحابنا ونفديهم بأنفسنا فضحك طيبون والبطال شفقة وحنة الولد وبكا البطال وقال لقد علمت اننا هالكين فقلت أزوجه بها حتى لايبقى فى قلبه حسرة من ذلك وتكون له زوجة فى الآخرة فقالت الملكة لمذبحون أنا ما أنزل معك فى هذة الليلية وما

أزوجك روحى إلا حتى أنظر منك ما يحل لى وتنظر أنت ما يحل لك منى فقال البطال لله درك فما أعقلك وأبصرك بالإسلام على انك مالك فى الإسلام الا القليل ولكن الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم لكن يا بنية انزلى معه فان خلاف المرأة لزوجها حرام ولا يجوز لك أن تعصى له أمرا فقالت قد أقسمت بالله تعالى فقال البطال على أيتها الملكة الكفارة لأجل يمينك فأبت أن تفعل ذلك وقال البطال لطيبون الليلة النوبة لنا فى الحرس فقم بنا ننزل إلى أسفل الجبل ولا تحنث الملكة فى يمينها (قال الراوى) ونزلوا إلى أن توسطوا الطريق وجلسوا لينتظروا العدو وأما مذبحون فانه تقدم للجارية وهى كأنها درة الغواص أو ظبية القناص تحاكى الشمس الضاحية بوجه يخجل البدر التمام قد تم كمالها وبأن جمالها وقد ملأ البر من نورها وسألها على نفسها فقالت وكيف تعمل فى الصلاة وفى دين الإسلام لا يقرب الجنب ولا الحائض الصلاة إلا بعد الاغتسال ونحن مالنا ما يقوم بأرواحنا من الماء للعطش فكيف نغتسل به فقال لها مذبحون التيمم بالتراب مع الفور يقوم مقام الغسل وهو يجوز لنا فعله لأننا عادمون الماء وهو الذى عندنا لو كنا نتوضأ به لهلكنا بالعطش فما رأيتينا كيف نعمل للصلاة فكذلك نفعل للجنابة مثل ما نتيمم للصلاة فقال لها ما عليكى خطيئة وهذا فى رقبتى فدعينا من هذا فقد مضى منا الليل وأنا على عجل من أمرى وعلى طالب تحت وقد أقلقنى وأزعجنى فاستحت من قوله واستسلمت وكان صوته وصوتها فى أذن عقبة وشومدرس وهما فى جانب حيث أنهما قد سمعا القصة من أولها إلى آخرها فقال عقبة وقد شاقت نفسه إلى ذلك لأن الشيخ كلما كبر زادت شهوته وضعفت قوته وقال ضيق الله عليهم حتى ما وجدوا موضع إلا هذا فقال شومدرس أسكت فهذا ثواب قد ساقه المسيح الينا فقال عقبة ما وجد المسيح ثواب يفتقدنا به إلا هذا فوحق المسيح ما هذا إلا عذاب هذا ومذبحون يستعمل وعقبة يتمايل ويقول لشومدرس ما أطولها من ليلة ما يكفانا ما نحن فيه من هذا العذاب حتى نبتلى بهذا فقال شومدرس لو كانت الغلفاء تسكت لكان أهون علينا فقال عقبة لابد من أبازير القدور حتى يطيب الطعام ولم يزالوا كذلك الى أن طلع الفجر فقال عقبة ما أظنه الا يطلب اليوم الخلوة بالعروس ويصبحنا كما أمسينا بالمساء المنحوس (قال) ثم أن مذبحون انحدر الى أبيه وقال يا أبتاه قلبى مشغول عليك وعلى الشيخ الصالح طيبون والنار فى قلبى من خوفى عليكم ما دخل النوم فى أجفانى فقال البطال يا طيبون إنى كنت أعلم أن قلبه مشغول بها ولا بد ما كان ينظر اليها نظرة الهوى فيكون قد عصى الله تعالى فنهلك بمعصيته والآن فقد أطاع الله تعالى فقال طيبون صدقت هذا وقد عاد أبو محمد وأصحابه

مكانهم فوجدوا عقبة فى أسوأ حال فقال البطال كيف كانت ليلتك يا شيخ فقال ما كانت إلا ليلة مدبرة أتقن مذبحون الشغل الى الصباح فلا ستر المسيح عليك ولا عليك فما رأيته ينام فقال البطال اعلم يا شيخ انه غلام حسن الشباب وقد بعثه المسيح اليك حتى يعطيك الثواب ولا بد ما يعطيك الحلاوه فقال ما أراد تنقطع مصارينه وينزل جوفه يأكل من حلاويكم فكل ما أنتم فيه بركة فلا بارك المسيح فى أعماركم فعند ذلك دنا البطال منه ولطمه كاد أن يعمى عينه الصحيحة فقال يا عدو الله أسيرنا وتتجرأ علينا بالكلام فقال عقبه وقد صاح آه ما دريت انى أسمع بطول الليل بكاء هذه الغلفاء وغنجها وكنت أسكت فضحك البطال وقال اعلم ان كل شيء ما يكون الا فى مستودع القاضى وأنت أولى بهذا (قال الزاوى) فهو فى الكلام واذا بالصياح وقد علا فقام البطال ينظر ما الخبر وإذا هو بالرجال طالعة اليهم فقاتلوهم ساعة ثم زاد العياط والصياح واذا هم بالمنجنيق قد نصب فى مقابلتهم وكان منجنيقا عاليا فقال البطال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان هذا وقد طرحوا الحجر فى كفة المنجيق وضربوا به فجاء الحجر ناقص دراع فقال صاحب المنجنيق علوه بالصخر حتى يرتفع ففعلوا ذلك ووضعوا الحجر وكان حجرا كبيرا فوقع فى وسط الثقيف فلما نظر البطال الى ذلك أيقن أنه هالك فحمل كركيس وحطه على باب الثقيف وتركه مقابل الحجر لعل أن يكفوا عنهم الرمى ونظر الى ذلك الملك فلم يعبأ بهم وضرب بالمنجنيق فضرب الحجر كركيس فقطعه قطعا ثم وضعوا حجر آخر فأيسوا من أنفسهم وما لهم شيء يستترون به فما كان للبطال الا أنه أخذ عقبة وشومدرس وقد حطهم فى باب الثقيف فى مكان كركيس فصاروا كلما رموا حجرا يستغيث عقبة بالملك ويقول أيها الملك بحق المسيح والمذبح والذبيح والإنجيل الصحيح لا ترمينا بالمنجنيق فتهلك أركان النصرانية ثم قال عقبة لشومدرس ويلك يا قرنان ما تصيح معى قبل أن نهلك فصاح أيضا شومدرس وقد قال يا ويلكم لاترموا بالحجر فيغضب عليكم المسيح إذا أهرقتم دمانا على الأرض (قال الراوى) فلما سمع الملك صياحهما قال من هذا الذى يصيح فقالوا هذا الشيخ النجيح وصديقه شومدرس وقد وضعهما البطال من عظم مكايده قدام الحجر الذى قتل كركيس فقال الملك وحق دينى ما هذا إلا رجل خبيث ثم صلب على وجهه وعض على أنامله حنقا وقال ما هذا المسلم إلا أعير أهل زمانه وما هو إلا شيطان فى صورة إنسان ثم ادعى بصاحب المنجنيق وكان اسمه شماس وكان صانعا مليحا فى رمى المنجنيق وقد اجتمعت الروم كلها ان ما فى بلاد النصرانية ارمى منه بالمنجنيق حتى يرمى الانسان فى أى عضو كان وكان يتحارف

هو والراهب طيبون قبل أن يسلم فيقول هذا أنا أرمى منك بالحجر ويقول هذا أنا أرمى منك بالسهام (ياسادة) هذا والملك قد ادعى بشماس وقال له يلك أنت معروف بالضرب الصحيح فى جميع النصرانية أما تقدر ترمى بالأحجار وتتجنب هذين الشخصين حتى لا يبلغ هذا الشيطان منهما غرضا فقال يا ملك ولو أردت أن أضرب البرنس الذى على رأس الشيخ النجيح وحده ولا يصيبه منه شىء لفعلت ذلك وها أنا أضرب ولا أقربهما ثم انه ضرب نحو البطال والذين معه بالأحجار فدخلوا تحت الثقيب فانخرطت عليهم الأحجار ونزلت مثل الامطار الا انها لم تصل اليهم ولم تؤذيهم فعلم الملك ان القوم ما بقى منهم أحد يقدر على الخروج من مواضعهم فايقن بأخذهم وقال للرجال اصعدا الآن وخذوهم قبضا بالكف فلما سمعوا البطارقة كلام الملك ترجلوا عن الخيل وطلعوا فى الجبل من كل مكان هذا والبطال لما نظر الى ذلك فزع على أصحابه وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ونظر طيبون اليهم وهم قاصدون اليهم من كل مكان فقال والله هذه الساعة التى فيها الموت العظيم فان شاء الله تعالى أن يفرج عنا فقال طيبون أنا بعون الله قد بقى معى اربعمائه فردة نشاب وحق الذى هدانى الى التوحيد لا وضعت الا كل فرده فى رجل منهم الا من يريد الله فقال مذبحون بارك الله فيك الا انك غير متمكن هاهنا من الرمى لاجل ضيق المكان فان أنت خرجت ما أنا من عليك من حجارة المنجنيق ولا يقدر أحدا يخرج من أجل ذلك وهذا الملعون الذى تولى فلو انه يرمى بالقوس ماعمل أكثر من هذا وقد حال بيننا وبين اذاهم ولو أردنا الخروج لما قدرنا على ذلك من هذه الحجارة فقال طيبون اعلموا اننى قد وهبت نفسى لله تعالى وها أنا خارج منبطح على وجهى حتى يرانى صاحب المنجنيق لعلى أن اصل الى عقبة وشومدرس واستتر بهما واقصد هذا الشيطان شماس صاحب المنجنيق وارميه بسهم ومن الله التوفيق فان هلك هذا الملعون نكون قد فزنا بشىء عظيم لأن الملك يدل به اذا طلب أخذ حصن اوقلعة فهو يقدر على ذلك بهذا الشيطان الذى أعيا الحكماء بهندسته ومع ذلك فالله تعالى يكفينا شره ثم خرج طيبون وهو متوكل على من لاتراه العيون هذا وطيبون يسحب نفسه صوب عقبة فجاء حجر فضرب صدر الثقيف وانحدر اليه منه قطعة ولكن سلمه الله تعالى منها وخاف أن يأتيه آخر فوثب وصار من خلف عقبة فلما رآه عقبة خاف منه وارتعب وقال ماحالك فقال له طيبون لا تفزع فما تم الا الخير انما جئت اليك حتى اذا هم صعدوا وأرادوا يأخذوا البطال ضربتك بهذا الخنجر احرمك تشم الدنيا فقال عقبة لا ستر المسيح عليك ويلك ياطيبون كيف حملك قلبك على مفارقة دينك وهو الدين العتيق ولا بانت لك معجزة ولادلائل

ولا رأيت شيء من البراهين فان كنت مناما فانه شيطان يتعرض لك حتى يسلبك دينك فلا تختار العاجل على الآجل فأنا نائب المسيح وأعرف أهل الأرض بالأديان فما رأيت أحسن من دين المسيح فاقبل مني وارجع واترك هؤلاء الذين قد مكروا على أهل الأرض أجمعين فكم قد أهلكوا من أمة النصرانية ويقال عنك انك كنت من خيار الرهبان فصرت من أهل الإيمان فالويل لك من المسيح إذا أنت حشرت مع المسلمين ويقال هذا من أمة محمد فقال طيبون ويلك يا شيخ الضلاله ومعدن الكفر والجهالة أنت المحروم والمطرود وأنت تقول انك حفظت الأحاديث النبوية وكذلك القرآن الذي هو كلام باريء الانام اللطيف الرحمن الذي تركته فنزلك أيضا لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقولك هذا قول فاسد واعلم انه إن اجتمعت الخلائق أجمعون والملائكة والنبيون على أن يسعدون من أبعده الله لم يقدروا على ذلك ولا تظن أن هذا عقل وبصيرة وانما الله سبحانه وتعالى سلبك ثياب التوفيق حتى تكون عبرة لمن يدعى التصديق لأنك عجبت بعلمك على الرحمن فصرت من أهل الذنوب والعصيان مثل ابليس لما عصى الملك الديان فطرده عن باب الرحمن وحرم الجنان وانا فقد أخذ الله بيدي بعد تقبيل الصلبان نقلني وجعلني من أهل التوحيد والإيمان حتى لاييأس أحد من القبول (يا سادة) ثم أن طيبون وضع نبلة في كبد القوس وقال يا عقبة هذا السهم اجعله بيني وبينك واسطه فقال عقبه على ماذا عولت وقد خاف أن يضربه به فقال طيبون اضرب به صاحب المنجنيق فان أنا أصبته وقتلته فدين الإسلام هو الحق وهو الدين الصحيح ودين النصرانية هو الباطل القبيح وان كنت ما أصيبه رجعت عن ما أنا فيه واتبع دينك وقولك فقالَ عقبة رضيت بذلك وان أنت أصبته رجعت الى دينك هذا وعقبة قد نظر إلى ذلك المكان وبعده وما على شماس من الزرد الذي مايقدر عليه أحد فقال وحق المسيح ما يصل الى هذا قط سهم (قال) ثم أن طيبون برك على ركبتيه وقال بسم الله وبالله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج السهم من يده مثل القضاء المبرم ووقع لما أراد الله تعالى في نحر شماس خرج من نقرة قفاه فوقع ميتا فعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فوقع الصوت في العسكر وانقلبت على ساق وقدم وقامت على الملك القيامة وورد عليه أمر عظيم وقام الراهب طيبون وهو ينادي الله أكبر وقد رفع صوته بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الراوي) فلما سمع البطال ذلك خرج من خلف الشقيف وقال له ماالذي صنعت يامبارك فقال له قتلت صاحب المنجنيق شماس وأرحت منه الناس فاخرجوا

الآن إلى هؤلاء الكفار وارموا عليهم الأحجار ففعلوا ذلك وقتلوا منهم جماعة وانهزم الباقون وعمل القتال باقى ذلك اليوم أجمع إلى أن أقبل الليل هذا والملك جالس على باب سرادقه فلما رأى إلى شماس ملقى فقال ياويلكم من هو الذى رمى شماس من البعد وعمل سهمه هذا العمل فقالوا أيها الملك طيبون وهو الذى خلص الأسارى وأخذ ابنتك فقال الملك ما فعل هذه الفعال إلا وقد صار مخالف لديننا فقالوا نعم يامولانا لأنه قددخل فى دين الاسلام وترك دين النصرانية فقال وحق المسيح لقد قصرنا فى حق شماس وإلا لو كنا أقمنا قدامه الستاير تمنع عنه الأذى والآن فقدكان ماكان قال فبينما الملك كذلك وإذا قد قام اليه بطريق وكان غلام شماس وقال أيها الملك لا تضيق صدرك فوحق المسيح اننى كنت أعتب على شماس فى بعض الأوقات لماكان يرمى مع أنه أستاذى وأنا وحق المسيح أصنع منه وفى غداة غد ترى العجب وأنا الضامن لك انى ما أرمى أكثر من ثلاثة أحجار وقد قتلت هؤلاء الشياطين أو يطلبوا منك الأمان فعند ذلك فرح الملك كرفناس وخلع عليه وقد شهدت له الصناع بما قاله وضمنه وأن مولاه ماكان يقدمه حتى لاينظر الملك إلى صناعته ويقدمه عليه (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما ماكان من البطال وأصحابه فانهم فرحوا فرحا عظيما وقالوا إن الله تعالى قد دفع عنا شر هذا الشيطان هذا وقد أقبل الراهب طيبون على عقبة وقال له أى شىء تقول فقال عقبة أنا أستغفر الله عما كان منى أتراه بعد هذا كله يقبلنى لأنى كنت آكل رزقه وأشرك سواه والله تعالى قد جعل هذا السهم الواسطة لى وقد أراد به هدايتى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله عبده ورسوله وما أقول هذا فزعا من الموت بعد مافتح الباب وصرت من جملة الأحباب ولكن هذا بركات هذا الشيخ وقد ختم الله لى لأنى قد قتلت من المسلمين كثير ثم أنه جعل يبكى ويتضرع إلى الله تعالى ويقول إلهى أنظر إلى حالى وضعفى وشيبتى واغفر لى ذلتى وتجاوز عن خطيئتى هذا وشومدرس قد تحير من فعله وقال له ياويلك هذا سهم قد أصاب اتفاق فقال عقبه اشهد على انى برىء من دين النصرانية وداخل فى دين الحنيفية فان أنا سلمت سوف ترون ماذا أصنع وكيف أبيض وجهى عند الله وعند رسوله فان أنا هلكت ففى سبيل الله فبكا طيبون لبكائه وقال له لا تحزن ياشيخ مادام انك رجعت إلى الله تعالى وقد فتح لك الباب وكشف عنك الحجاب ورفع عنك العذاب فقال البطال وقد ضحك إلى أن استلقى على قفاه وقال لطيبون انتبه إن كنت نايم فقال خيراً ياأبو محمد قال اجعل بالك من هذا الشيخ النحس ولا تسمع كلامه فان كلامه كله مكر منه وخديعة وهو يخادع نفسه كما قال الله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما

يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (قال الراوى) فقال طيبون لاتفعل ياأبو محمد فقال البطال سوف أبين لك الساعة كفره اتركه الساعة فى القيد على حاله حتى أظهر لك كفره فقال طيبون والله لقد طاب قلبى بقتل هذا الملعون شماس ولا بقى على قلبى خوف ولا بأس إلا من غلام ان كان معهم حاضرا فى العسكر فانه أصنع من أستاذه وان لم يزيل الله عنا شر الآخر والا فنحن هالكون بلا محاله وانهم لايرجعون يفرطون فى المنجنيق ويعملون عليه الستاير من كل جانب فقال البطال والله لقد كان حريق المنجنيق فى هذه الليلة فى غاية الحسن ولكن ما كان هذا فى حسابى وإلا كنت فعلته إلا أن ماعندى نفط فقال طيبون فلا تقول ماعندى نفط إن كنت تقدر تدخل بين الخيام فى هذا العسكر فقال البطال ما كان يصعب علىّ ذلك وهو أهون عندى من شرب الماء فقال طيبون أنا أدلك على مكان النفط انظر إلى هذا المضرب الصغير الأحمر الذى إلى جانب سرادق الملك فان فيه نفطا كثيرا فان كنت قادرا على ذلك فافعل ماتريد فقال البطال أنا لها ثم أنه قال انزل معى يامذبحون فقال مذبحون أنا ما أقدر أنزل الليلة فقال عقبه مايقدر مذبحون ينزل الليلة يريد يسقى الزرع ويبلينا بما أبلانا به البارحة قم ياولدى وانزل مع أبيك فلعل الله تعالى يسهل حريق هذا المنجنيق على أيديكم ونخلص من هذه الكفرة لأنى الساعة وحق محمد المصطفى قد مال قلبى وجوارحى إلى دين الاسلام وانفتحت لى أبواب الهداية فقال مذبحون قد تخيل له صحة قوله وأنا ما أنزل من ههنا حتى إذا أصيب أحدا فبقى الآخر يعمل على خلاصه فقال عقبة ان كان هذا فزعا منى فاقتلونى وأنتم فى حل من دمى وما بقيت أنا أحول عن قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كان على بصرى غشاوة فسبحان من كشفها فقال البطال ويلك ياعقبة اعلم اننى أنا ما ينطلى على محالك ولا خديعتك ولا مقالك فقال عقبة لا تفعل يا أبو محمد ولا تأثم فقال البطال ويلك ان كنت قد اسلمت كما قلت فخذا هذ السيف واضرب به رقبة شومدرس حتى أعلم انك قد تبرأت من دين النصرانية وأكون لك مملوك باقى الزمان لانى ما أحب الا فى الله وما أبغض الا فى الله فقال عقبة لله درك ما أزكاك يا ولدى ولكن هات السيف وانظر العجب فقال البطال خذوا علم ان جميع ما تفعله ما ينطلى على لا ننى ناقد جيد هذا وعقبة قد أخذ السيف وتقدم الى شومدرس وهز السيف حتى دب الموت فى أفرنده وحديده والمنايا فى جوانبه وشاله حتى بان بياض ابطه فقال البطال ياليت شعرى هذا حقا وبعد هذا فلوقتله ما أمنت اليه واذا بعقبة قد توقف فقال البطال أى شىء بك قد توقفت فقال اعلم يا أبو محمد انى لما أردت ان أضرب به آطير دماغه خطر لى

حديث كنت سمعته عن خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم فقال البطال وما هو يا شيخ السوء قال يا أبو محمد كانوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يأتون بالكافر فيعرضون عليه الاسلام من قبل قتله فان هو أسلم حقن بهادمه وماله ولو قالها من ظاهر قلبه والله متولى السراير وانى أعرض عليه الاسلام فان أسلم يصون دمه وكان عقبة قد قال ذلك القول حتى يسمع شومدرس وكان قد غمزه ثم انه أقبل على شومدرس وقال له يا شيخ أنت تعلم انى أعرف الخلق بدين النصرانية وقد انفتح لى باب الحق وانكشف لى أن دين النصرانية باطل وأنا أحب لك ما أحب لنفسى فاسلم يا شيخ تسلم وان أبيت تندم ولا يمكننى إلا قتلك (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك علم المراد فقال يا شيخ إذا كان الأمر على ذلك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فضحك البطال وقال الحمد لله الذى جمع بينكما على المحال ثم قال يا طيبون اياك أن تغتر بكلامهما فانه كله نفاق واياك أن تأمن اليهم فيصل اليك شرهم وما فعل عقبة ذلك الا من أجل الشيخ حتى لا يقتله ثم قال البطال لعقبة ويلك يا عقبة دع يكون مسلما اقتله فقال عقبة معاذ الله أن أقتل مسلما وقد قال كلمة الاخلاص وهذا السيف بين يديك افعل ما شئت أنت واحسب يا أبا محمد انه منافق فى اسلامه فمالى الا الظاهر والله متولى السرائر فقال البطال يا ملعون ترى لو شهد كل من فى الدنيا انك مسلم لما كان بد لى من نحرك بهذا الخنجر فقال عقبة حسب الظالمين رب العالمين ثم سكت هذا والبطال قد قال لأصحابه اشعلوا ناركم ولا تخلوها تنطفى فقالوا وما قصدك بذلك قال حتى يعلموا الأعداء اننا عندكم مقيمون ثم ان البطال أخذ ثياب كركيس وكان قد عراه ثيابه قبل قتله بالحجر لمثل الحيلة وغيرها لانه كان قد عول على النزول الى العسكر فلما كانت تلك الليلة لبسها وشد فى وسطه الزنار وانحدر أسرع من البرق فوجد فى لحلف الجبل خيلا نزول ذات اليمين وذات الشمال فصبر الى أن تجاوزته ووجد خلسه فانسل وطلب العسكر ودخل فيه اختلط بهم وهو يقول أفيكم من رأى حصانا أبيض وعلى ظهره سرج مزركش شردعنا فى هذه الساعة وهم يقولون لالا حتى وصل الى سرادق الملك وتخطى المضارب الى أن وصل الى المضرب الأحمر كما وصف له طيبون ثم انه قعد عند زيل الخيمة وقلع بعض أوتادها ودخل فيها فلم يجد غير شخص واحد وهو نائم وهو شيخ كبير فنام البطال الى جانبه ومد يده اليه وأصلحه وإذا برأسه بجانبه وقام الى الخيمة واذا فيها صناديق فصار يفتح واحد بعد واحد حتى وقع على صندوق كبير فوجده ملآن من النفط الجيد الذى لو وقع على الماء ما انطفى فأخذ أربع قنانى وخرج مسرعا وهو خائفا لايذهب الليل وما عمل شيئا فوجد العسكر كلهم قد سهروا وناموا من حول سرادق الملك فقصد الى المنجنيق وإذا قد لقيه

شخص مقبل فقال البطال من أنت فقال رجل عابر سبيل فى شغل الملك لايطلع عليه أحد فقال وما هو فقال أوصى رجال المنجنيق أن يشدوا الحبال حتى لايطلع الصباح ولهم عائق فقال له الشخص ماهذا صحيح أظنك البطال وقد أتيت لتحرق المنجنيق وأظنك لاشك انك سرقت النفط من ذلك المضرب الصغير وأنا أنظرك يامحتال ياشرير (قال) فلما سمع البطال هذا الكلام طاش عقله وذهب لبه وقال ياليت شعرى كيف رآنى وبقى منه فزعان الا أنه قوى القلب وتبين له الذى قال واذا به مذبحون ولده فقال مذبحون قال نعم قال أرميت ركبى فمن أين جئت قال من عند المنجنيق قال هل رأيت عنده أحد قال نعم أربعين رجلا كانوا يشربون الخمر فجلست بينهم واختلطت بهم فأعطانى بعضهم قدحا من الخمر فأوريتهم انى أشربه وهرقته بين ثيابى ونظرت بولص الذى هو غلام شماس وهو يقول قد وعدت الملك فى غداة غد انى أرمى هؤلاء الكلاب الذين تحصنوا علينا فى هذا الجبل بثلاثة أحجار لاغير وقد أخذناهم أخذا بالكف فعندها طرحت لهم فى شرابهم بنجاودارت عليهم الكؤوس فما كانت الا ساعة حتى انطرحوا الى الأرض وهم سكارى وقمت الى بولص غلام شماس وتركته ملقا بلا رأس وعرفته شوم صنعته الذى ادعى بها عند الارجاس وأدرت عليهم من الموت كاس وأى كاس وكذلك كل من هناك من الناس والحمد لله رب العالمين فقال البطال وقد فرح لله درك يابنى فلو انك فعلت بمن فى طريقنا هكذا كان أهنى وأسر لنا فقال له طب نفسا وقر عينا والله ماوصلت اليك حتى طاف عليهم طائف من ولد آدم اسمه مذبحون وتركهم صرعا مطرحون وقد ذهبت أرواحهم إلى النيران فقال مايحتاج إلى تحريق المنجنيق فقال مذبحون بلى والله ياأباه ان فى إحراقه فوائد أحدها وهنا لهم ومذلة وتزداد هيبتنا فى قلوبهم والثانى لاينصبون منجنيقا آخر ويقع بهم الملل والضجر ثم أنه أخذ قنانتين من قنانى النفط وسار وتبعه أبوه وأخذ قنينتين أخر وهو متعجب من فعاله وحسن أعماله الى ان وصلا الى المنجنيق وطيب القوارير وضرب بها الأربع قوائم كل قائمة بقارورة فعملت النار فى أربع جوانبه ثم أنهما صاحا الله أكبر وغوشا وجلببا فثاروا الناس حيارى فاختلطا فى جملتهم وهم يقولون ويماه ويماه هجمت المسلمين الذين كانوا فى الجبل وقتلوا الملك وأحرقوا المنجنيق ووضعوا السيف فيمن حوله (قال) وسمع الناس ذلك من أربع جوانب العسكر واشتد الأمر ووقع السيف فقتل بعضهم بعض وهرب الذين كانوا حول الجبل دايرين وقالوا ان علم الملك بنا وكان سالما بأنهم نزلوا من صوبنا ضرب رقابنا فهربوا طالبين ديارهم وكانوا ألف فارس وخرج البطال وولده مذبحون وهم سالمين وقد ستر عليهم رب العالمين

وأخفاهم تحت كتفه عن الناظرين وما كان للبطال شغل الا أنه أخذ من طريقه قربة ماء وحملها على كتفه بعد ان أحرص مذبحون على أن يأخذها منه فأبى ورجع مذبحون الى ورائه وأخذ قربة أخرى وصعدا ووصلا الى طيبون والفجر ما طلع فهنأهما بالسلامة وقال لله دركما ما الذى قد صنعتما فجعلا يحدثانه بما كان منهما وما فعلا من احتيالهما إلى آخره فتعجب وقال لا شك أن هـذا ولدك وأنت أبوه وما نتج الزمان مثلكما فقال عقبة هذه والله السلسلة حيلة بعد أخرى الحمد لله الذى كان هذا وسلمتما فقال البطال الحمد لله الذى شق مرارتك فقال عقبة يا رب ان كنت تعلم أننى كاذب فى قولى لهم وفى رغبتى فى دين الاسلام فاغضب عليه غضبا لا ترضى بعده عليه (قال الراوى) يا سادة يا كرام هـــذا والنار تعمل فى المنجنيق إلى الصباح وعند الصباح ركب الملك ونادى مناديه فى الناس وسار حتى وصل إلى المنجنيق فرآه وقد صار رماد ورأى الرجال مطروحين وقد عاد بياضهم إلى سواد فخرق ثيابه غيظا وحنقا ولطم على رأسه ونتف لحيته وبدر الدم من منخريه وقال يا ويلكم على بالذى كانت لهم النوبة فى حرس لحف الجبل فطلبوهم فما وجدوهم فعادوا إلى الملك وقالوا أيها الملك ما وجدناهم ولا شك أنهم هربوا خوفا من نقمتك فقال الملك يا قوم فمن أين كان لهم النفط الذى أحرقوا به المنجنيق فقالوا له يا ملك من هذه القنانى المكسورة التى تراها حول المنجنيق فلما رآها الملك قال وحق المسيح إن هذه القنانى من خزائنى هاتم لى صاحب الخزانة فوحق المسيح لا بد من قطع رأسه واخماد أنفاسه فذهبوا الغلمان وعادوا وقالوا لقد أبر قسمك وما أحوجك إلى قطع رأسه فانه قطع رأسه وأخمد أنفاسه واننا وجدنا صندوق الخزانة مفتوحا وقد أخذت منه أربع قنانى وهى التى أحرق بها المنجنيق فقال وحق المسيح لولا اننى أفردت حول الجبل أربعة آلاف فارس يدورون بالنوبة لكانوا قدأخذونى حقا وأن البطريق الذى قتلناه لما قال ان هذا الشيطان يسرق القلاع بالليل لقد صدق وما قتلناه إلا ظلما وما هذه الفعال فعال انس لأن ما لنا اليهم حيلة وما فى الأمر إلا أنكم كلكم تصعدون بالنوبة قوم بعد قوم وقاتلوهم إلى أن يتعبوا وتفرغ سلاحهم وتأخذوهم بعد ذلك أسارى ثم أقام الملك بعد ذلك أربعة عشر يوما إلى أن فنى الماء والزاد ومابقى عندهم إلا زاد يوم واحد ومن السهام مائة سهم ومع ذلك لا يقنطون من رحمة الله تعالى ولا ييأسون من فرجه وان الملك لما شاهد صبرهم جمع وجوه البطارقة والمقدمين وقال لهم وحق المسيح ان دام علينا قتال هؤلاء الشياطين فهم يقتلونى كمد ويشمت بى كل أحد لأنى لو لقيت أهل الأرض فى طولها والعرض لصدمتهم صدمة جبار ولا أو بالى بالأبطال ولا أخاف الأقيال وأنتم تعلمون انى أقول وأفعل ولكن هذا الشيطان

يغيب عنا بالنهار ويظهر بالليل ويرمينا بالحرب والويل وقد عجزت عنه لأنه شيطان مريد يفعل ما يريد وقد ضاقت علينا الدنيا بما رحبت فأشيروا على بما عندكم فما بقى لى صبر ولا جلد وقد وصل إلينا من هؤلاء العفاريت الشر واعترانى أنا الضر وما بقى عندنا صبر فقالت ملوك الأقاليم وخواص المملكة أيها الملك اعلم انما نزل بك من الهم فعندنا أضعافه مالا يقدر على وصفه لسان ومن العظائم أن يكون واحد من كلاب العرب نال منا الارب وأنزل بنا الويل والحرب وبلغ منا كلما طلب وحرق المنجنيق وذبح كل بطريق وقتل منا من غير تعويق ووصل إلى هذا المكان الصعب وتعلق فيه مثل اللهب وها هو يراوغنا مراوغة الثعلب وإذا فرغ من عنده الماء يسرق منا القرب ويوصل إلى أصحابه الماء والحطب وقد ضاقت علينا الدنيا وملت نفوسنا من المقام والتعب لأننا بالليل لانشبع من النوم خوفا من هذا الشيطان لاينزل الينا يذبحنا كما نذبح التيوس ولايفزع من ضرب الناقوس وقد ركبنا مع هؤلاء القوم العكوس ولو سرنا بهذا العسكر إلى أكثر أهل الأرض كنا لهم غالبين وأما هذا الشخص فنحن فيه حايرين لأننا لانرى شخصه فنلقاه وهو يبلغ منا مناه فقال الملك قد رأيت من الرأى شيئاً وأريد أن أفعله فقالوا وما هو أيها الملك فما فينا إلا من قد هلك قال الرأى عندى أنكم تفعلون ما أقوله لكم قالوا أيها الملك ما هو قال نحن فى سبعمائة ألف فارس قالوا نعم قال لايبقى أحدا منا حتى يمضى الى هذه الغابة والوادى ويحمل منها من الحطب ويرميه فى مقابلة هذا الثقيف يوم واثنان وثلاثة وأربع إلى أن يصير الحطب فى مقابلتهم فاذا اجتمع وكمل رمينا فيه النار فأنا أعلم أن وهجها وحريقها يصل اليهم فيحرقهم أو ينزل الينا هذا الشيطان ومن معه إذا رأى ذلك فقالوا أيها الملك أول من كان يهلك الشيخ النجيح فقال دعوه يهلك (قال الراوى) وأمر الملك فنادى منادى بما أمرهم به وساروا إلى الوادى والملك فى أوائلهم ثم أنه دنى من شجرة كبيرة ومسك فرعا من فروعها وكان ذلك الفرع قدر شجرة صغيرة واتكأ فيها قصفها وأخذها على كتفه وأتى بها إلى قرب الثقيف فلا وذمة العرب ما كانت إلا ساعة حتى رأيت الوادى بعدما كان غابه صار فلاه وطرحوا الحطب بعضه فوق بعض حتى حاذاهم. وجعل طيبون يرميهم بالسهام حتى فرغت نباله وتابوا إلى الغد والحرس عليهم شديد وهو يدور فلم يبق لهم تعليق ولا تسليق فقال البطال هذا بقضاء الله تعالى وقدره ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هلكنا والله ان لم يرحمنا الله ياليت كنا هلكنا بالمنجنيق أحب الينا من الحريق فقال مذبحون أتدرون فى أى شىء أنا متفكر قالوا لا والله ما يعلم ما فى القلوب إلا علام الغيوب فقال كيف تحرق بنت الملك بالنار

على نعومة جسمها فقال عقبة كل عين تبكى شجوها من حين رأيت عروسك على رؤس الجبال علمت أننا هالكين على هذا الحال ولكن فى سبيل الله نار الدنيا ولا نار الآخرة فياليت جسمى لكم الفداء حتى أنها تكون كفاره لما مضى فقال مذبحون لا ولكن هذا ببركة إسلامك ولعل الله أن يهلكك ويجازيك بهذا فقال البطال لاتفعل يا بنى ولعل يكون قد تاب (يا سادة) واختلط بعقل البطال أنه يقول صحيحا وقال معلوم أنه قد أيس من روحه كما قد أيسنا من أرواحنا ولعله قد رجع فيما بينه وبين الله تعالى وقال مذبحون والله انا قد تحيرنا فى أمرنا هذا وقد أمسى المساء فقالت البطارقة الملك أطلق النار من أول الليل حتى لايطلع الصباح إلا وقد راحت منهم الأرواح فقال الملك هذا مالا أريده ولكن أحرسوهم الليلة فاذا ذهب الليل بظلامه وأقبل الصباح بابتسامه أمرت الزرافين أن يضرموا هذه النار فتعود فى ساعة كلها جهنم التى ذكرها المسيح فى الانجيل وننظر اليهم كيف يحترقون حتى يخف بعد ذلك ما نجد فى قلوبنا من الحنق عليهم فقالوا صدقت أيها الملك افعل ما تريد فما تشير علينا إلا بالخير فباتوا القوم على ذلك وطلب البطال الهرب فما قدر عليه وعسر عليه وأنه كان يقدر الا ما أراد أن يفارق أصحابه وينجو بروحه بل سلم أمره وأمورهم إلى الله تعالى فقال البطال لطيبون لقد وقعت مراراً كثيرة فى الشدائد وابتليت بالاوابد وغرقت فى البحر الأسود المظلم فما بليت قط بمثل هذه الليلة فقال طيبون هذا على بختى وأنا والله ما أبالى أى وقت مت بعد أن عرفت الله تعالى وصرت من الاسلام ومن أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وما بقى فى قلبى شىء إلا أننى ما نظرت ديار المسلمين ولا سمعت أصوات المؤذنين ولا عاينت الجمعة ولا الجماعات ولو قبل موتى بساعات فلعلى كنت أكسب الآخرة بالطاعة ولو رأيت الأمير عبد الوهاب لأنك قد شوقتنى إلى رؤيته بما حدثتنى به من صفته وأودعت قلبى من صحبته وقد كنت معولا على أننى أصل إلى ديار المسلمين وأحج إلى بيت الله الحرام وأزور قبر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ولا أعلم أن المقادير تعيقنى والأقدار تسوقنى لأكون طعاما للنار وحريقا من أيدى الكفار ولكن لى أسوة بكم إذ أنتم عند الله أفضل منى ولعله يفرج عنكم وعنى فبكا البطال وكذلك الجارية وطيبون يبكى وعقبة يبكى خيفة على نفسه ولم يزالوا كذلك إلى أن أصبح الصباح وأرتفع الصياح وركبت البطارقة وركب الملك بنفسه ورفع الصليب على رأسه وأدعى بالزراقين فأخذوا قوارير النفط وزحفوا نحو الجب وضربوا البوقات ورفعت الرايات ونشرت الأعلام ولمعت الصلبان وزعقت القسوس والرهبان وطلبوا اضرام النيران ليحرقوا أهل التوحيد والايمان فلما دنوا منهم قال البطال ياعقبة ويلك

أنت تعلم أن حريق النار أشد العذاب فاستغيث إلى الملك وقل له لا تفعل وخوفه من غضب المسيح عليه لأجلك ولأجل شومدرس فقال عقبه لاكان يوم أسلم أنا وتحترقون أنتم نخل ياأبو محمد الكياد والعناد فما بق إلا الإخلاص فى طاعة رب العباد ثم أنه وثب قائما وقام شومدرس معه وجعلا يناديان ويصيحان أيها الملك ارحم كبرنا وشيبتنا وعلمنا فاتق المسيح ولو أنك قتلت كل مسلم على وجه الأرض ولا يكون لأجل واحد من المسلمين تهلك علماء دينك قال البطال ما رأيت أخبث من عقبه كان يقول هذا الكلام ثم يلتفت إلى وإلى طيبون ويقول أنا أستغفر الله تعالى من هذا الكلام ويذكر الله ويتشهد ويقول إنما أقول هذا حتى أوهمه بهذا القول لعله أن يكون سببا لخلاصنا من هؤلاء اللئام ووحق من أتى بهذا النهار وأذهب ذلك الظلام والاعتكار ان أنتم سلمتم أنفسكم اليه بالأمان لأعملن على خلاصكم ولا أمكن أحدا من الروم يصل اليكم حتى نقرب من ديار أهل دين الحنيفية ونهرب كلنا بالكلية وقد كنت أشتهى هذا وأشتهى أن يكون خلاصكم على يدى حتى تزول الشبه والمظنة الفاسدة عنى ويطيب قلب الأمير أبو محمد بفعلى وكذلك قلب الأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب بيض الله وجهه كما بيض فعاله وقلبه فقال البطال هذا أول من يريد ضرب رقابنا ويسلمنا إلى أعدائنا حتى يطول عذابنا فقال البطال دعنا كلنا نحترق بالنار فى طاعة الملك الجبار فهو أحب الينا ولا تتم حيلتك علينا فقال عقبة الأمر إلى الله تعالى ماأقدر أدفع القضاء والقدر وقد علم الله ماأنا مضمره ومظهره ثم جعل ينادي بالملك هو وشومدرس ويقرءوا الانجيل بطيب أصواتهم (قال الراوى) فلما نظر الملك إلى ذلك قال لأهل دولته أما ترون فى هذه القضية الميشومة والحالة المدمومة كيف بادرنا كانت النوبة عظيمة علينا فقال بعض البطارقة أيها الملك انى سمعت عن ملوك القسطنطونية مثل منويل وميخائيل وارمانوس وآبائهم أنه إذا وقع هذا الشيخ فى أيدى المسلمين أو اصابته مصيبة يفدونه بكل أسير مسلم فى بلاد الروم فقال الملك ياويلك الملوك الذين وصفتهم ما أرضاهم أن يكونوا نوابا بين يدى والذين كانوا يفعلون ذلك من عجزهم وحاجتهم إلى هذا الشيخ النجيح والى أمثاله ليكونوا لهم عينا فى بلاد المسلمين ليبلغوهم الأخبار التى تجرى فى تلك الديار هكذا حدثنى الرسول الذى جاء من عند ملك الملاقطة وأنا فما احتاج إلى هذا ولا الى غيره وما عندى إلا السيف لكل من على وجه الأرض طولا وعرض فاضربوهم بالنار ودع لا يبقى منهم ديار فقالوا أيها الملك ان رأيت اننا نخادعهم بالايمان حتى يسلموا أنفسهم الينا ونكون قد فعلنا مع قسوس ديننا جميلا وخلصناهم من أعدائهم وإن أبوا أحرقناهم فقالت القسوس هذا هو الصواب (قال

الراوى) فهم فى الكلام وإذا بغبرة قد ارتفعت وعجاجه قد علت ونمت وانتشرت وملأت الأقطار ونفرت منها الوحوش فى القفار وعاد الوقت ليلا بعد ان كان نهار قد انكشفت عن عساكر قد أقبلت وجيوش قد وصلت من غير صوب بلاد الملك كرفناس وقد ارتجت الأرض من ركض الخيل وأقبلت المواكب مثل سواد الليل فلما نظر الملك إلى ذلك قال وحق المسيح هذا عسكر عظيم إما أن تكون عساكر الروم قد خافت أن أطأ بلادها وقد جاءت إلى أو عسكر الاسلام قد أتى فى طلب هؤلاء الذين فى الجبل الذى قد طال بنا من أجلهم المقام ثم قال لبطريق كان إلى جانبه يقال له فرسيك اكشف لنا خبر هذه الغبرة (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان هـــذا البطريق خبير بالحرب جسور على الطعن والضرب لايراهب اللقا ولا يخاف الوغا أحب الأيام اليه يوم يصبح يلقى فيه الأبطال وأنه لما نظر إلى ذلك ابتهج غاية الابتهاج فقال له الملك ويلك خذ معك عشر فوارس واسرع اكشف هذا السواد المقبل فوحق المسيح ان كانوا من الأعداء ورجعت ولم تخضب سنانك منهم بالدماء لأسقينك شراب الردى وان فعلت ذلك أجزت لك العطاء وأنعمت عليك حتى ترضى فقال له البطريق فرسيك سمعا وطاعة أيها الملك ماأرجع إلا كما تريد ثم صاح بجواده وكان مدلا به وكان سابقا من الخيل فى سواد الليل يسيل مثل السيل راكبه عليه مثل الجبل وهو فى المسير أسرع من قدوم الأجل يضرب به المثل مطواع إذا حمل يطرب إذا صهل صبور بلا ملل فسبحان خالقه لقد كمل وسارت معه عشرة من البطارقة والكل بالسيف والقنطارية والطارقة (قال الراوى) وأما البطال فانه لما نظر إلى ذلك الغبار قد طلع من صوب تلك الديار قال اللهم لك الحمد من قبل ومن بعد يا قريب الفرج اجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا انك على كل شىء قدير ثم جعل يبكى ويتضرع الى الله تعالى وبكا مذبحون لبكائه وكذلك الجارية مريم ابنة الملك وجعل عقبة يبكى ويقول اللهم انى أسألك بحرمة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وفاطمة والحسن والحسين والصحابة والقرابة والمهاجرين والأنصار والتابعين الأخيار ما خلصتنا ولا تقطع بنا يا أكرم الأكرمين ويا إله العالمين تصدق على عبيدك المساكين وخلصنا من أيدى المشركين وأنت تعلم اننى قد رجعت الى دين الإسلام والمسلمين (ياسادة) وان عقبة لما دعا انقلب لونه إلى صفار وغلب على ظنه ان الواصلين من جملة المسلمين الأبرار وقد جاءوا إلى هذه الديار هذا والبطال قد أقام على قدم الانتظار وماج أيضا عسكر الكفار كما يموج البحر الزخار (قال الراوى) وأما ما كان من البطريق فرسيك فانه غاب ثلاث ساعات من النهار ولاطخ الغبار فعرف رايات العسكر وإذا به عسكر الملافطة فرجع على أثره وترك أصحابه وراه وكان الملك

له فى الانتظار وجميع العساكر شاخصة بالأبصار فلما نظر الملك فرسيك قد أقبل وحده والغبار فى أثره قال الملك ما أظن إلا بقية أصحابنا هلكوا وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال خذوا الساعة أهبة الطعن والضرب (قال الراوى) ووصل فرسيك وهو ينادى يا ملك البشارة وما أتعب فرسى إلا لأجلها قال ويلك قل وأوجز فقد أزعجت العسكر قال أيها الملك قد وصل ثلثمائة ألف فارس من الأفرنج والملافطة فى خدمتك مع الملك زوج ابنتك لانه سمع بخروجك إلى بلاد الإسلام على نية الغزاة وقد سار بنفسه فى عساكره وجنده خدمة لك وطلبا لمرضاة المسيح وشوقا إلى الشيخ النجيح والراهب شومدرس الفصيح (قال) ففرح الملك ثم نزل وجلس على سريره ولم يخرج إلى استقباله من تكبره وتجبره بل أنفذ وجوه عسكره ودولته للقائه ولم يره انه يقف إلى حين وصوله (قال) وما كانت إلا ساعة حتى أشرفت الصلبان لا محة على رأس الملك القادم كانها آجام القصب فلما عاين البطال ذلك قال كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وأظهر عقبة الحزن وقد امتلأ قلبه شحما ولحما وقد عرف رايات ملك الملافطة فأقبل على شومدرس وقال له بلاشك هذا الملك الكافر الذى هو ملك الملافطة قد عول على الغزاة لما أن مضى اليه الرسول بالعروس وأعلمه ان كرفناس خارج إلى بلاد الإسلام فجاء اليه بهذه العساكر فكادت مرارة البطال أن تنفطر من الغبن من الملعون عقبة وقال والله ما ينطلى على محال هذا الملعون وقال ما أراد بهذا الكلام إلا ليغيظنى وأنا أقتله ودع أستريح منه ودع يجرى ما يجرى ولكن حتى أنظر ما يكون من القوم هذا وقد نزلت ملوك الأفرنج وامتلأت بهم الأرض والبرية وأقبل الملك بنفسه ودخل إلى سرادق الملك كرفناس فقام له ومشى اليه واعتنقه وأجلسه إلى جانبه وسأل ملك الملافطة عن سبب قدومه إلى هذه الأرض فأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها فقال ملك الملافطة يا ملك والشيخ النجيح معهم قال نعم والراهب شومدرس فبكى ملك الملافطة وقال وحق المسيح انى أفديهما بمالى وروحى فأى شىء هذا الخطب الذى أراه قال كرفناس انى عولت على إحراق الجميع بما عمل بنا هذا الشيطان البطال من الأمر الشنيع والخطب الفظيع فقال ملك الملافطة أيها الملك اسمع الجواب اعلم ان هذا الذى قد عزمت عليه ليس بصواب قال ولم ذلك قال ملك الملافطة أقسم بالمسيح انه لو قيل لى أن أفدى هذين الشيخين الصالحين بنفسك وأشترى هذين القسين بكل من على وجه الأرض من المسلمين ولو كانوا فى قبضتى مأسورين لا طلقت الكل أجمعين وخلصت هذين الشيخين الصالحين أحدهما الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح والثانى عالم النصرانية وسيده

أهل المعمودية أبو الشر شومدرس فقال كرفناس فكيف السبيل إلى خلاص واحد منهم فقال أنا أقول لك هؤلاء القوم لو ماتوا عن بكرة أبيهم لما سلموا نفوسهم ولو أشرفوا على الهلاك لقتلوا الشيخ النجيح والراهب شومدرس وان أحرقتهم هلكوا الكل والصواب أن ترسل اليهم الساعة رسول مقدم عاقل فاضل يقول أنتم ترون ما قد عزم عليه الملك من احراقكم بالنار ومابقى لكم إلى النجاة من سبيل فان أردتم السلامة لنفوسكم والخلاص لأرواحكم فسلموا الينا الشيخ النجيح والراهب شومدرس وطيبون وبنت الملك حتى أحلف لكم بالايمان المغلظة كما يحلف ملك مثلى انى آمر كل من فى دولتى أن يزيلوا الأحطاب والأخشاب من طريقكم واطلق سبيلكم ولا اتعرض لكم بأذى وانذروا قومكم انى بعد فتح القسطنطينية أسير اليهم واقدم عليهم فيكونوا على أهبة من ذلك فان فعلوا وإلا فافعل بعد ذلك ما تريد (يا سادة) فعندها أرسل الملك رسولا من القساقسة الكبار وسار من عند الملك بتاع الملاقطة وقس آخر فلما أن خرجوا من العسكر رآهم البطال من مكانه فقال لطيبون هؤلاء رسل قاصدين بأن يطلقوا لنا السبيل واسلم اليهم عقبة وشومدرس فقال عقبة ما أبالى دعونى أكون لكم الفداء ولأرواحكم الوفاء على انى اعمل على خلاصكم فلما رآهم البطال صاح بهم ماحالكم قالوا لا يرمى أحدامنكم بسهم لا ننا رسل ومعنا رسالة فقال البطال أنا أعرف الرسالة تكون فى حجارة المنجنيق ان كان لقولكم تحقيق فاكشفوا الحطب والخشب عن الطريق ليزول عنا الهم والتعويق ويصعد واحد منكم إلى ويقول لى ماعنده من الخطاب ويسمع منى الجواب فقالوا الرسل لقد قال الحق ثم أرسلوا الى الملك واحدا منهم وعرفوه ما قال البطال فأمر لهم الملك بازالة ذلك فما كانت الا ساعة حتى أزالوا ذلك كله وخلص الله تعالى البطال وأصحابه من الحريق قال وان الرسل صعدوا اليهم حتى قربوا منهم وقعد لهم البطال على متن الطريق فى رأس المضيق وقال لهم هاتوا ما معكم من الرسالة فأعادوا عليه ما كان كرفناس معولا عليه وما فعل ملك الملاقطة لأجل الشيخ النجيح والراهب شومدرس وطيبون وبنت الملك فقال مذبحون والساعة يطلبون بنت الملك فقال البطال اسكت ثم أقبل عليهم وقال لهم أنتم تعرفونى ولا تنكرونى فقالوا صدقت وحق المسيح نعرفك انك الف نوع لاترحم شيخا لكبره ولا طفلا لصغره فقال الساعة ماقلت لكم صفونى الا أنكم تعلمون ان ما يمر على المحال ولا ينطلى على زور المقال وهذين الشيخين إذا قتل الملك من قتل كان على قلبى طيب ولا أسلمهم وإذا علمتم هذا فهو المقصود وان الملك لما عزم على احراقنا وهما معنا رأيت ذلك انعاما منه علينا ومنة قد أوصلها الينا فاذا أشفق عليهما فالأمر لله ولكل أجل كتاب وأنتم قد

وصلتم الينا على وجه الرسالة وأنا لأجل سعيكم أجبتكم لأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وأنتم كرام قومكم وهذا الشيخ عقبة وشومدرس بحكمكم على شرط أن يحلف لى الملك كرفناس وملك الملافطة ويكونان هاهنا فى موضعكم وسائر قسوسكم إنى إذا سلمت اليكم الأسارى لايتعرض منكم الينا معارض ولا كل من يقول عيسى ومريم وترحلون عنا عن بكرة أبيكم وترفعون لنا زاد وشىء من الماء يكفينا إلى أن نصل إلى بلادنا فاذا فعلتم ذلك فأنا أجيبكم الى ماتريدون وان أبيتم فأنا الذى لا أجيب الى ماتحبون وأضرب رقبة عقبة وشومدرس ويفعل الله ما يشاء فقالوا قد أجبناك الى ماتريد الا اننا لانراك تذكر طيبون وهو صاحب الملك وبنت الملك فقال البطال هذا كلام لاأسمعه اعلموا ان الراهب طيبون هو اليوم من الطيبون فلا تأخذه الخبيثون ولو شربت كاس المنون فلا تحدثكم أنفسكم بمالا يكون لأن الرجل صار مسلما وما بقى له أرب فى ذلك الدين وأما ابنة الملك فلا سبيل الى تسليمها لأنها مسلمة موحدة وقد تزوجها ولدى فاتركوا عنكم المحال وخذوا مافى صحيح المقال فهو أليق بعقول الرجال فقال البترك نحن نمضى الى الملك ونبين له هذا المقال فقال البطال اسمعوا ما أقول لكم وبعد هذا وحق البيت العتيق والدين الحقيق والمصطفى الصادق وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى وأصحابه على التحقيق لأن كان أحدا منكم يقول للملك لاتصالح الا على الراهب طيبون وبنتك لاذبحنه فى هذه الليلة ولو كان تحت الأرض السفلى الا أن يشاء الله تعالى فقال البترك وقد صلب على وجهه أما أنا فوحق المسيح ما بينى وبينك الا الخير والسلامة فلا تتعرض لنا الا بالخير وسوف يبلغك ما أقول وكذلك باقى القسوس والبطارقة وجعلوا يحلفون له ويقولون ما يكون الا ماتريد لأننا نعرف انك شيطان مريد وما على حيلك وأفعالك من مزيد (قال الراوى) ثم نزلوا من ذروة الجبل وعادوا نازلين من عنده حتى وصلوا الى الملك وعادوا عليه ماقال للبطال وكيف قد أسلم طيبون وبنته وهم بقوا مؤمنون وقد تزوجت الجارية بولد البطال مذبحون وكيف قال البطال أنا ما أصالح الا على الإثنين فقال الملك ما يمكننى الا أن أصالح الا على الاثنين فقال البترك الله الله أيها الملك لاتذكرهما له بحق المسيح فانه يقتل الشيخ النجيح والراهب شومدرس ذو العقل الرجيح وعندهم مؤنة وعدة تكفيهم شهر كامل وأنت ماتقدر تقيم عندهم عشرة أيام أخر وما لنا حاجة اليهما وربما تكون ابنتك قد حبلت من هذا الشيطان اللص المحتال مذبحون ابن البطال فيجىء منها ولد يخرب بلاد الروم دعها تمضى الى لعنة المسيح وأما الراهب طيبون فهو الذى خلص البطال وولده من ذلك البلاء الذى كانوا

فيه فلو انهم ينعموا لك بتسليمه ما يكون فيهم خير فلا تطالب الا بما أنت راغب فيه فقال كرفناس قدفهمت كلامك ثم قال لملك الملافطة ماذا ترى عندك من الرأى فقال الرأى عندى اننا نأخذ أصحابنا ونرحل من يومنا هذا ونحن عن قريب ننزل على القسطنطونية ونأخذها بالكلية ونسير بعدها الى بلاد الحنيفية ونأخذ كل من فيها ولا نبقى منهم بقيه ولا يبقى فى الأرض ملك سواك وأنا أكون بعسكرى بين يديك ومعى ثلثمائة ألف قنطارية وبها أفتح لك الدنيا وحق المسيح اننى ماخرجت من بلدى قط وانما أبى كان إذا خرج أخذ معه أهل القرى وما يأخذ معه أحدا من الجند كل ذلك اشفاق على جنده وكان فى قلبه الغدر للروم ويصفعهم ويكون عسكرى قوى حتى يملك بلادهم والآن فقد خرجت فى هذه النوبة بجميع عساكرى حتى وخيالة الأفرنج خدمة لك وما أريد الدنيا كلها الا بحكمك أيها الملك فقال الملك وقد أعجبه كلامه سوف نملك الأرض طولا وعرض ولا نحتاج الى أحد ولا الى جندك وأنت تقول هذا فأنا اجعلك خليفتى فيها فأول ما آخذ لك القسطنطونية وأسلمها اليك ولكن قم بنا الآن الى هذا الشيطان لنحلف له فنهض ملك الملافطة والملك كرفناس معه وقد ترجلت الروم من حولهم وهم عالم عظيم فقال البطال وقد قربوا منه وصاروا بحيث يسمعون كلامه فقال البطال لولده لا تتكلم بكلمة واحدة حتى نسمع مايقولون فعندها وقفوا وتقدم القس يحلف الملك فقال البطال ماهذا فقال الإنجيل نستحلف به الملك فقال البطال أنا ما أستحلف بالانجيل بل أنا لى إيمان مفردة ما أحلف الا بها لأن اليمين كما يختار المستحلف ويكره الحالف (يا سادة) هذا والملك قد خرجت روحه من الغيظ لأنه جبار عنيد وشيطان مريد وقد بلى بواحد فى الثريا لايقدر عليه فقال له قل ماشئت نحن نحلف به فقال البطال دير وجهك الى الشرق وأكشف رأسك وصف أقدامك وقل وحق المسيح والإنجيل وبيعة الاسقف والقنديل والا كسرت الصليب المحكم العمل وأوقدت تحت لحم الجمل ولا قلت ان سقف قمامة قد انهدم والاحرقت ذراعة مريم والا أن المعموديه على أثر بول المسلمين وانتفينا من البترك وقلعنا عينه اليمين والامسخنا المسيح كلنا قرود ولبسنا ثياب اليهود الدباغين الجلود وأكلنا خنزيرنا بلحم الجمل مشدود وبطلنا دين الناقوس وصفعنا بجلد الجمل رهباننا والقسوس وأوقفنا شيخنا البترك وجعلناه من غائط الراهب طيبون حنك (ياسادة) فصاح البترك لاستر الله عليك يا أبو محمد اليمين كلها من كيسى فقال البطال لابد ما أحلفكم بكل عظيم فقاو البترك الويل لهم اذا حنثوا فى هذا اليمين فانهم يهلكوا أجمعين وللسيح يخالفون ان لم يصدقوا بهذا اليمين ثم قال البطال قولوا وحق الشعانين والصلبان والشمع والقربان والقس والمطران والراهب القديم والمسيح الكريم والا

خرجنا من ملة النصرانية وقلنا ان الحق مع الحنيفية والا برئنا من دين النصرانية دين الملك أجمعين والا رجعنا الى قول الحواريين ولا سمعنا من قسوسنا ماهم قائلين ولا ملكنا الى بلاد المسلمين ان تعرضنا لكم وملنا اليكم أو غدرنا وكان بخلاف ما استقر بيننا أو تركنا من يتعرض لكم الى أن تصلوا الى بلاد المسلمين وتقدموا الى أوطانكم فرحانين خلف الملك كرفناس وملك الملافطة والبترك والرهبان والقسوس والمطران وسائر من معهم من عبدة الصلبان ثم أن البطال أطلق عقبة وقال له الساعة يبان اسلامك ان كان له حقيقة فقال عقبة بعد ان أكون فداك من السوء ما إبالى أن سلمتنى اليهم أم لا (قال الراوى) وفك قيد عقبة وشومدرس ونزل هو وشومدرس وعادوا الى سرادق الملك وأنفذوا للبطال خيل وعده وزاد وماء وجمع ما يحتاجون اليه كما استقر بينهم الحال وباتوا فى ذلك المكان طول ليلتهما وهم يقولون وحق المسيح لقد حلفنا هذا الشيطان البطال بايمان قط ماحلفنا بمثلها قس ولامطران وما هذا من بنى آدم فقال عقبة للملك على ماذ عولت أيها الملك أن تصنع فقال على الرحيل فى غداة غد فقال يا ملك ماهذا صواب أما ما ذكرت من الإيمان فدعها كلها فى رقبتى لا طالبك المسيح منها بشى وأما البترك فهو يحمل ماقد قال فقال البترك لا كان ذلك أبدا ولا كرامة ولا عزازة ان يجعل لا من غائط طيبون حنك فضحك عقبة وقال أيها العقول الخسيفة خلوا الحنك لى أنا وخذوا هذا الشيطان وابنة الملك فهو أول الفرح والفتوح فقال الملك هذا مالا يكون أبدا ولا تسمع عنى ملوك الأرض انى قد حلفت لرجل أربعين يمين وحرقت ذراعة مريم وأغدر به فقال ملك الملافطة معلوم أيها الملك أن هذا الرجل أعلم منا فى الدين وقد قال انه يتحمل بهذا اليمين ويأخذ هذا الشيطان ومن معه من المسلمين فقال الملك هذا أمر لاسبيل لكم اليه لأنى سائر أريد أن أفتح الأرض وأنزل على المسلمين والحصون فاذا سمعوا الناس انى أحلف وأكذب أعظم اليمين وأغدر وأخون نفرت قلوبهم منى ولا يصدقونى اذا انا حلفت لهم وينفسد ماأنا طالب له فى ملك البلاد وهذا الرأى غير السداد (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك الكلام منه قال له وأنا أشير عليك برأى آخر فقال له الرجل وما هو قال نرحل غدا كلنا الى بلاد القسطنطونية كماذكرت قال نعم ثم ماذا قال وننزل على عيون الصخر ونرحل عنها فى اليوم ونخلف ها هنا من رجال الملافطة مائة فارس وأكثر من ذلك ويكمنون فاذا انزلوا هؤلاء من مكانهم وعولوا على الرحيل الى أوطانهم فانهم لابد لهم من النزول على عيون الصخر لأنهم مالهم طريق الا من هنالك فاعرف ياملك ذلك وتكون الملافطة مكمنين هنا لك فاذا نزلوا أخذوهم وتأمن أنت أيها الملك من شرهم

ودهاهم لأنى أخاف عليك أيها الملك اذا طلبت بلاد الإسلام ان يسرقك هذا البطال اللعين (يا سادة) فلما سمع الملك ذلك من كلامه وسمع سرقته فزعت نفسه وقال اذا كان الأمر كما ذكرت والحال على ما وصفت فكن أنت مع الكمين وها أنا قد سلمت أمرهم اليك حتى لا ينسب أحدا منهم الى ولا يظهر هذا الى كريم فقال عقبة كفيت أيها الملك البلاد وباتوا تلك الليلة مبرزين ثم رحلوا عند الصباح سائرين وقد فرح البطال برحيلهم لأنهم كانوا قد ضجروا من المقام فى ذلك الموضع وأتبعهم البطال بنظرة طول النهار وقد قطعوا البرارى والقفار والأودية والأوعار فلما ذهب النهار قال البطال لأصحابه انزلوا بنا بارك الله فيكم فى أول الليل فاننا مالنا طريق إلا على عيون الصخر ولا آمن إلا يكون عقبة قد أمرهم بالغدر بنا وقد رأى الملك ذلك فضيحة منه لأنه فزعه منى حتى أنعمله بأخذى وقد أكمنوا لنا الساعة على عيون الصخر وهم كلهم الليلة يلبثون هنالك حتى يطلع النهار ويرحلون عند الصباح ويكمنون الكمين هنالك لا محالة وينظرونا حتى ننزل ويأخذونا وان شاء الله تعالى أسير بكم إلى نصف الليل وقد وصلنا اليهم ونرحل من العيون قبل أن يرحلون ان شاء الله تعالى (ياسادة ياكرام) وقد ذكرنا أن البطال لما صالحهم د أخذ منهم الخيل والعده وجميع مايحتاجون اليه وأنه نزل هو والراهب طيبون ومذبحون والجارية وركبوا الخيل وساروا فى ظلام الليل وأشرفوا على نيران العسكر فقال البطال لطيبون ايش ترى من الرأى قال انزل بنا نأخذ الراحة لحظة ثم نرحل فقال هذا هو الصواب ثم نزلوا ساعة واحدة وأخذوا الراحة ووصل العسكر وما بقى من الليل ساعة فأخذها البطال فى ضجة ذلك القوم وسار بهم إلى أن طلعت الشمس ثم نزلوا عنهم مقدار أربعة فراسخ هـــذا جرى لهؤلاء (وأما عقبة الملعون) فانه لما رحل العسكر كان قد أخذ معه ثلثمائة فارس وأكمن بهم عند العيون وأقبل على مائة منهم عند الصباح وقال لهم اذهبوا الساعة وأشرفوا على الجبل فان كانوا فى مكانهم تقولوا لهم أن الشيخ الذى أخذناه قد ضاع فهل عندكم منه خبر وعودوا سريعا فقالوا سمعا وطاعة ومضوا ورجعوا آخر النهار وأخبروا أنهم صعدوا إلى الثقيف فما وجدوا هناك أحد فقامت عليه القيامة وأكل يده أسفا وندامة وقال هذه فرصة فاتتنى وأعظم مصيبة وانفقعت مرارته فقالت له البطارقة معلوم انهم مايرجعون إلى الملك كرفناس ولا إلى بلاده ولا لهم طريق غير هذه الطريق فما عبروا فقال عقبة وحق المسيح ان كانوا عبروا علينا عبروا بالليل وهذه من دواهى البطال وشؤمه وحيله وقد حسبت وقرأت الكتاب فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا لا تتكلم بالغيب فضحك وقال وحق المسيح لا تركته يفوتنى ولو دخل إلى بلاد الاسلام فان كان ولا بد لى

منه لأنى أعرف كل منزلة ينزلها من ههنا الى حصن يانس المتعزب ولا بد للبطال ما يكتب كتاب فى الحال إلى بنى كلاب والأمير عبد الوهاب وينفذه على جناح الطير يعلمه بالقصة ويخبره بهذا الملك وخروجه إلى القسطنطونية ويعلم أيضا ان كان عبد الوهاب مقبوض عليه أو أخذ من الساعة على نفسه وما يسير الا على مهله لأجل بنت الملك فارحلوا بنا طول الليل كما قد فعل ثم رحل عقبة وسار بهم الملعون طول الليل حتى أصبح الصباح واستمر سائر طول النهار إلى قرية كبيرة يقال لها قرية المطران وفيها بيعة كبيرة تحمل اليها النذور من كل مكان فقال عقبة ان صدق حذرى فهم فى هذه القرية يستريحون وقد عولوا بعد ساعة أخرى فاكبسوا هذه القرية هذا جرى لهؤلاء (وأما البطال) فانه سار من وقته وساعته وهو آمن على نفسه وقد سلك طريق حصن يانس المتعزب وقال طيبون قد أوهمنى عقبة بعبد الوهاب فانه قبض عليه بواسطة رجل يقال له مطرون وقد تحدث عليه عند السلطان وقال ان عبد الوهاب أراد أن يلقى السم فى الشراب على يديه وقال لى عقبة أنه بسبب ذلك قبض عليه وهو طالب لى وأنا خائف إن قصدت إلى عنده ربما يكون هذا صحيح وأصله أنا وأنا على غرة منى فأكون قد سلمت من هنا أوقع هناك ولكن أمضى إلى حصن يانس المتعزب واتنسم الأخبار من هنا لك فان كان الأمير على جملة السلامة فأسير اليه وأعرفه بهذا العسكر العظيم وأن عقبة وشومدرس فيه ثم استأذن فى ذلك لأجل المسير اليه والمقام فى بلاد الروم فربما يكون له حاجة لا أعلمها فقال طيبون مهما فعلت فهو الصواب وساروا يقطعون الأرض إلى أن وصلوا إلى هذه القرية التى ذكرناها ودخلوا البيعة فسألهم أهل القرية من أين طريقكم فقالوا نحن قوم من عمورية كنا ندرنا على أنفسنا نذرا زيارة سائر البيع التى فى بلاد الروم وغيرها قريبة كانت أو بعيده وقد بلغنا ذلك ولم يبق إلا هذه البيعة ونريد نزورها ونرحل الليلة ونطلب ديارنا فقد طالت غيبتنا فان لنا ثلاث سنين ندور هكذا (قال) فاكرمهم المطران وأهل القرية واجتمعوا حول البطال ومذبحون وهو يقرأ لهم الانجيل ومذبحون سبى عقولهم وكذلك طيبون والجارية تقرأ بكل لسان تعلمته من الراهب سقراق وتتلو عليهم كل شىء عجيب فافتتنوا بها وقالوا ماعند المسيح قط مثل هؤلاء ولا أعلم منهم ومن هذه الراهبة التى معهم وصاروا يحملون اليهم الصلبان من الذهب والفضة والثياب والهدايا والتحف والبطال كلما جاء شىء أخذه (قال الراوى) وان مذبحون خرج خارج القرية لقضاء حاجة ورجع وهو مصفر اللون متغير فقال له والده البطال ماحالك يا بنى قال هلكنا ورب الكعبة قال كيف ذلك قال أرى غبار أشرف علينا وما هى الا خيل قد سارت خلفنا بلا محالة لأن هذه الطريق

ماهى طريق عسكر وما قصدت الخيل هذه الطريق الا وهى قاصدة الينا فقال البطال يا بنى اعلم ان عقبة ما ينام عنا وقد أرسل الى الجبل فما رأى فيه أحد وقد سار خلفنا لأنه رجل خبيث ثم أقبل على المطران بتاع القرية وقال له اعلم انى خائف على نفسى فقال له المطران مماذا فقال من ظالم خلفى قاصد حتفى وهو مع الملك كرفناس وقد خرج من بلاده وهى الأرض المنقطعة والغابات المتسعة ومع ملك الأفرنج صاحب بلاد الملاغطة وهم ناويين على أخذ بلاد الروم وقتل القسوس وتبطيل دق الناقوس وهلاك سائر عبدة الصليب ومعهم شيخ يقال له شومدرس وآخر يقال له عقبة الشيخ النجيح وهما اللذان قد أمرا الملك بذلك وقالا ان المسيح قد عتب عليهم لأجل حملهم الجزية الى بلاد المسلمين وصلحهم لهم فقبض الملك علينا وهم بقتلنا فقلنا ما نحن من بلاد الروم وإنما نحن من قمامه كل ذلك حتى يتركنا وأنكرت أنا عليه هذا الفعل وقلت له ما الذى حملك على الغزو إلى بلاد الروم وعبدة الصليب ولم يكن هذا صواب والصواب أن تخرج الى بلاد المسلمين كما فرض علينا المسيح فعظم على الشيخ قولنا وحسدنا كيف قطعناه عن مراده وقال الملك عنا لما أعياه فينا الامر هذا البطال وولده معه وانهما هربا منى فاقتلهما ياملك واننا لم نزل نخضع للملك حتى تركنا وقال ماهؤلاء الا من قمامة ولم يصدقه فينا ولا قبل قوله واطلقنا بعدما سلمنا من الهلاك وسرنا نريد بلادنا ولا شك انه قد أخذ العسكر بعض من العسكر وسار فى طلبنا بغير علم الملك ليبلغ مراده منا فقال المطران ويلاه وأهلاكاه ومن أشار على الملك بغزو بلاد الروم فقال البطال هذا الكلب الذى غير إنسان الذى قد خرج عن دين المسيح خارجيا فقال وحق المسيح هذا الملك الذى من ديار الملاغطة ما وصل الينا قط منه درهم واحد وهذا سبب هلاكنا فكيف تعمل قال البطال انا أقول شيئا ان أنت فعلته أصبت خيرا فقال المطران وما ذلك اخبرنى بما شئت فانى مطيع لأمرك وحق من نزل فى الناسوت واحتجب فى اللاهوت ان هذا الذى حدثتنى قد صدع قلبى وفؤادى وقد شرد عن عينى رقادى فحدثنى بما عندك وأوجز فقال الذى أريد أن تحتال لنا فى المحل الذى نختفى فيه ولا تطلعهم على ما أخبرتك ولا على ما فعل هذا الملك الذى يريد يكون سببا لخراب بلاد الروم وهلاك جميع الرهبانية والقساقسة والشمامسة والمطران ووصاهم أنهم مايخبرون أحد بخبرى ولا يفضحونى لمن يسألهم عنى بحرف واحد ويكتموا أمرى حتى يرحلوا من عندكم وأسير أنا ومن معى من طريق قريبه لم يعرفها غيرى الى ملك القسطنطونية ارمانوس واعلمه بما قد جرى من هؤلاء الشياطين ليأخذوا حذرهم منهم ويجمعوا العساكر ويكتبوا إلى كل اقليم يجمعون الكتائب والعساكر والمواكب ويلقى هذا العدو

وهو على أهبة وأعرفه عملك معنا ومراعاتك لنا واحمله أن ينذر على نفسه بالنذر الوافى لهذه البيعة اذا نصره المسيح على هذا الكلب أن يجعل قرية من قرى الأقاليم وقفا عليك وعلى من معك فقال المطران وحق المسيح ان أنت فعلت هذا لك الثواب الجزيل ثم أخذ البطال ومن معهم وأنزلهم فى وسط البيعة فى سرداب لايأوى اليه أحد وقال لهم كونوا هاهنا الى حين يعبر بنا هذا العسكر فلم يعلم بكم الا المسيح ثم ان المطران ادعى بأهل القرية أجمع وقام فيهم وقال هل رأيتم فى طول عمركم أو شاهدتم فى أمصاركم هؤلاء الرهبان أو مثل هذين الصبيين الذين معهم فقالوا لا وحق المسيح ماشاهدنا مثلهم فقال لهم المطران فما قولكم فيمن يريد قتلهم أتعينونه على ذلك فقالوا لا كان اليوم أبدا فما معنى هذا القول فقد خلعت وحق المسيح قلوبنا فأعاد عليهم الحديث من أوله الى آخره وقال لهم هذا الشيخ القادم عليكم لقد حمل الملك كرفناس على قتلهم وما يحل فى حقهم وكيف قال للملك هذا البطال العيار المحتال فقالوا وحق المسيح محال ولا تعرف البطال ومن معه يقرأون الإنجيل هكذا وهذا من زور الأقاويل ونحن نلق القادمين بالسيف فقال المطران أنا ما أريد هذا الا ان مالكم بهم طاقة لأن وراءهم عسكر عظيم قد طبق الأرض والفضاء وملأ المستوى وهم قاصدين بلاد الروم والاسلام كما ذكر لكم ولكن الصواب أن تكتموا شأنهم وشأنكم اذا استخبروكم عنهم لأنى قد أخفيتهم فى البيعة فاخفوا ذلك ولا يقول أحدا منكم انه قد عبر علينا أحد فى هذه الأيام ولا من شهر ولا سار الينا سائر ولا زارنا زائر فقالوا سمعا وطاعة ولو ضربنا بالسياط حتى تنزل لحومنا من ظهورنا ما أنبأناهم بخبر ففرح المطران بقولهم ودعا لهم وأثنى عليهم (قال الراوى) ياسادة فما هو الا أن فرغ من الحديث معهم واذا بالخيل قد حصلت معهم فى وسط القرية بالقنطاريات والسيوف والعمد ونظروا إلى عسكر ما شاهدوا مثله فسلموا عليهم وفرحوا بهم وانزلوهم وأخرجوا اليهم ما يسرهم من الطعام والدجاج ولحوم الخنازير ولحوم البهائم وأكلوا إلى أن اكتفوا فلما فرغوا من الأكل قال لهم الأعور الملعون عقبة قد وجب علينا حرمتكم وسوف آخذلكم الزمام من الملك الجديد والرجل السعيد صاحب التاج والقصر الذى لقب نفسه بملك العصر من لايتعرض لقريتكم هذه يعارض لاننى عولت أن أنقض أحكام الروم وأملكه سائر البلاد الرومية والإسلامية (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا هذا الذى قال الرجل صحيح ثم أقبلوا على عقبة وقالوا جزاك المسيح خيرا فنحن قوما ضعفاء ومهما تفعله معنا تلقاه من المسيح فقال عقبة ما أفعل معكم إلا الخير أريد منكم أن تدلونى على الذين وصلوا اليكم البارحة أو اليوم وهو راهب ومعه امرأة راهبة نريد

أن نتبرك بهم هل هم عندكم أو ما وصلوا اليكم أم عبروا عليكم فقالوا وحق المسيح مارأينا هذه الصفة ولا عبر بنا غيركم وهامنازلنا بين أيديكم فقال عقبة لا تكتموه عنا فانه شيطان الأرض فى طولها والعرض صاحب المكر والحيل الذى يضرب به المثل وله المصائب والموبقات والدواهى المهلكات أبى محمد البطال وولده مذبحون المحتال وذباح الرجال والذين معه طيبون الشيطان التارك لدينه الداخل فى المحال ومعهم ابنة الملك العشاقة للرجال بنت الدلال الغناجة على رؤس الجبال فلا تكتموا عليهم حالا من الأحوال فيحل بكم الوبال فقالوا أيها الشيخ الصالح هذا يكون من أقبح القبائح أن يعبر عابر ويخطر علينا خاطر ونكتمه وما الذى كنا نريد فقال عقبة ويا لكم ترجلوا ودخل عقبة الملعون معهم إلى الكنيسة وجعل يفتش كانه شيطان فى جنباتها فلم يرى أحد فقامت عليه القيامة وقال وحق المسيح ما أيست منهم إلا فى هذه الساعة فقالت البطارقة الذين معه وحق المسيح لو سرت بنا إلى بلاد الإسلام لسرنا خلفهم ثم جلس الملعون حتى استراح من التعب وفى قلبه النـــار من أجل البطال وأصحابه ولا يدرى كيف ذهبوا ثم انه فكر ساعة وأقبل على القوم الذين معه وكلمهم بلسان الأفرنجية دون لسان الروم وقال لهم إعلموا ان قلبى يشك ان أهل هذه القرية رأيتهم قد أخفو عنا فقالوا وأى فائدة لهم فى ذلك فقال لهم عقبة أنا أقول لكم الحكيم المجرب لا يخفى عليه الأمر هذا وأنا أقول لما شارفناهم وعلا الغبار وكان البطال قد سبق اليهم وقرأ عليهم الانجيل وفسر مذبحون وبكى بلا دموع حتى تم لهم ما يريدون وقد نشأ للبطال هذا الولد الذى لا أصلح المسيح له شأن الذى اقرح كبدى ولا سيما الثقيف لاثر المسيح عليه بما فيـــه ساعة واحدة لقد اتيته هو وابنة الملك وقد زاد غرامه بها وغرامها به وقد خلع المسيح عنها ثوب الحياء ما كأنى عندهما إنسان ولولا الظلام كنت اطلعت على عوراتهما وكانى بالبطال لما أن حس بقدومى قال لأهل القرية هؤلاء القادمين يريدون يقتلون قسوس الروم والرهبان ويملكون الأرض ذات الطول والعرض وقد اتهمونى انى أنا البطال فقالوا أهل القرية حاشاك أنت من هذا القول الفشار وقد أخفوهم عنا وأنا الذى لا يسع سرى هذا الأمر واهماله ويغلبنى هذا الكلب باحتياله والصواب اننى آمركم أن تكبسوا البيوت وتأخذوا ما فيها من الرجال وتفتشوها فان لم تجدوا عندهم أحد فردوا اليهم أموالهم فقال أصحابه ما يكون علينا شنعة من المسيح أعظم من هذا لانهم يقولون مثل قولنا فقال عقبة خذوا أنتم أموالهم والخطيئة فى رقبتى فان المسيح ما يخالف لى قولا وأى شىء أشرت به عليه امتثله وأنا أعرف السبب الذى الجأنا إلى هذا الأمور والفعل (قال الراوى) فعندها

خرجوا من الكنيسة وهجموا على البيوت ووقع الصايح وامتنع جماعة من الرجال فقتلوهم وفتشت محلاتهم ونهبت أموالهم وفتشت عيالهم وجعلوا ينادون على الملعون عقبة ويقولون له ان كنت مسلم فاعلمنا حتى نعلم اننا هلكنا فى طاعة المسيح فما هذا منك مليح أن تفعل بنا هذا الفعل القبيح فقال لهم عقبة أعوذ بالمسيح من هذا الكلام القبيح ولو أن فياعضوا يحب دين الاسلام قطعته وكيف يكون ذلك وأنا أعلم أهل دين النصرانية ويلكم لابد من نهب أموالكم وسبى عيالكم ان اخفيتم عدوا المسيح أبى محمد البطال إخرجوه من عندكم حتى آمر الساعة لكم بالاطلاق فقالوا ما رأينا هذه الصفة ولاعبر علينا أحد وإذا بالصياح قد علا وارتفع وأخرجوا خيلهم والبغل الذى كان عليه صناديق الطعام من بعض البيوت الذين للبطران فعرفها عقبة الملعون وزال الشك باليقين وجعل يطوف يمينا وشمال ويقول كيف ترون الشيخ النجيح العالم بحيل المسلمين ثم قبض على المطران وقال له معلوم إنك ما تقدر تنكر بعد هــــذا الدليل الواضح إخرجهم وإلا وحق المسيح ضربت رقبتك وأنا أعلم إنه قد خدعك بالكلام على انى ما بقيت ابرح من هاهنا حتى تريني أى مكان فيه البطال فقال المطران السمع والطاعة ثم إنه دله عليهم فترجلت الرجال اليهم فأخذوهم قبضــــا بالكف وأخرجوهم على أقبح حال وجعل يبصق فى وجه البطال ووجه طيبون ويقول ويلك يا طيبون عمل معك الخبط والجنون حتى أنك فارقت دين النصرانية ودخلت فى دين الحنيفية ولعب بعقلك البطال حتى دخلت فى دين الاسلام فقال طيبون ويلك يا شيخ السوء ما كنت قد أسلمت وندمت على ما فات من زمان كفرك فقال ما فعلت ذلك يا ويلك حتى أخلص من أيديكم وإلا عجل على هذا الشيطان أبى محمد البطال بالقتل وما أريد الحياة الا من أجله حتى أشتفى منه ومن عبد الوهاب ومن سائر المسلمين وأشتهى أن لا أموت حتى لايبقى على وجه الأرض مسلم وقد أعطانى المسيح مناى وفوق المنا ومعى عسكر أفتح به الأرض الى بلاد الهند الأقصى وأدق ناقوس المسيح فى ألف ألف جامع حتى يعلموا أن علىى فى الدنيا كان نافع ولا أترك على وجه الأرض منهم آثار وأفنى الصغار والكبار وسوف أخلى المسلمين من الديار ولأقتلن البطال وعبد الوهاب ثم صاح عقبة وقال أبطحوا البطال فبطحه وضربه حتى غشى عليــــه وضرب مذبحون والجارية وطيبون وكان كلما ضربهم لاتفتر ألسنتهم عن ذكر الله تعالى وقول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) هذا وأهل القرية يتعجبون من حالهم وما ظهر لهم من مقالهم فقالوا لقد صدق الشيخ فى مقاله أنه البطال وقد سلمنا منهم

أن يهلكونا وحق المسيح وهذا مليح وأما الملعون عقبة فانه أقام نهاره أجمع حتى استراح فى القرية والبطال غشى عليه وكذلك سائر أصحابه وبات عقبة فى القرية ورحل عند الصباح يقطع الأرض ذات الطول والعرض يطلب الملك كرفناس وملك الملافطة أينما كانوا من بلاد الله تعالى وكان سيره على مهل وكلما نزل موضعا جدد العقوبة عليهم وأوجعهم ضربا واشتد حنقه على طيبون ويقول له يا شيخ كلما جرى على من يدك وأنت الذى أقلت هذا الكلب من يدى ومن معه أصير حتى أقدم بك على الشيخ شومدرس يشتفى منك ولولا ذلك لما أبقيت عليك ساعة واحدة وفى نيتى صلبكم على باب القسطنطونية كما وعدونى المسلمين فعكس المسيح قولكم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر (قال الراوى) ولم يزل عقبة سائر وهو فرحان وقد طاب المسير وجد فى التشمير فرجع إلى طبع العرب الذين من أهل الفضل والأدب فانشد يقول

ألا بلغوا عنى جميع أرقاربى ... وأبناء جنسى من جميع الاصاحبى
بأنى فريد فى الزمان وسيد ... خبير بفعل الشر عند المطالبى
مررت الى الأرض الملافطة برهة ... وكان معى شومدرس من أصاحبى
رآنى ابن سمعان بالجو أينظر من ... سمعنا بطير مخبرا بالعجائبى
فسرنا اليه طالبين جميعنا ... وكان له زى به ومآدب
لأن كلام الطير كل عجيبة ... وذلك من سقراق كلب الكواذب
ومن بعده العيار حقا وابنه ... لقد عذنى منهم حديث الغرائب
وحيرنى والشيخ فى قعر حبسه ... رهينا وفى سرادب خلف المصائب
وأطعمنى فالورجا من حلاوة ... فساب بها بطنى وانتن شواربى
وما كان بى من شدة الضعف قوة ... وعاقبنى حتى قدمت مذاهبى
وعاقب ذاك الشيخ شومدرس الذى ... فعائله مشهورة فى الاعارب
وخلصنا المولى المسيح بفضله ... وأحسن فينا صنعه والعجائب
وظفرنا باللص والكلب ابنه ... فأضحوا بذل زائد فى مخالبى
وقال لهم طيبون يا قوم أننى ... لكم ناصح فيهم لوقع المصائب
وخلصهم منى ولم يكتفى بهم ... ولكن أتانا بحيلة كالثعالب
وأودعنا الصندوق فى الحال سرعة ... وأكمن بى فى غار كثير العقارب
وسار بنا نحو الثقيف وقد أتت ... اليه خيول الروم من كل جانب
وطال البلا فيه وكان اذا بدا ... له الليل يمضى سارقا غير خائب

ويأخذ منهم قرية بعد قرية ... ويذبحهم مثل التيوس الغواصب
وطيبون يرمى للسهام فأرميت ... أصابعه من قاطعات المضارب
لجندل شماسا وغيب شخصه ... وألحقه بالماضيين الذواهب
وقال لى يا شيخ الضلالة قدوة ... لما تقعدن بعد السهام الصوائب
فقلت له أنى وعيشك مسلما ... وكان مقالى حيله فعل كاذب
وخلصنا منه القضاء بفعله ... سعيد ملوك أفعلت فى المواكب
وحلفهم أيمـــان كذب بجهله ... فقيدتهم كيما أنال مطالبى
وأكمنت فى جيش عظيم عرمرم ... بخيل عراب من أجل المواكب
وكان لعظم الخيل منه أتيتها ... ووصلت وادى قرية للرواهب
وقال لهم لا تظهرون حديثنا ... مخافة ليث طالبا للسباسب
وما زال حتى صار فى قبضتى وقد ... بلغت مرادى من عتاب النوائب
وأدركت قصدى وارتحلت مسلما ... إلى ملك ما مثله فى المواكب
ونخفى إلى الأرض التى قد تفردت ... يقول عجيبا زائدا فى العجائب
فان إله الخلق لاشك واحد ... وعندى هذا القول ليس بصائب
وأصبح فرحانا إذا ماتمكنت ... يدى من بلاد المسلمين النوادب
أنا عقبة أسمى النجيح بنكبة ... ولا زال فى خير وقرب حبائب
سأذهب فى شرق البلاد وغربها ... وأنصر دينا المسيح بواجب

(قال الراوى) ثم أنه سار وقد بلغ من أبى محمد البطال المراد وقد اشتفى من أبى محمد تسعة أيام وفى اليوم العاشر أشرف على كرفناس وملك الافرنج وقد اشتغلت قلوبهم بغيبته عنهم وبقيت أعينهم متطلعة إلى خبره ووصل الملك خبره بما فعل وكيف احتيال البطال على الرهبان وخبوه (قال الراوى) فزاد حنق الملك عليهم وأمر بإحضارهم وضربهم بين يديه وكان أول من أحضر عقبة طيبون فجعل يبكى ويقول ما عرفت أن الله يقبلنى إلا أن كان هذا اليوم وفى هذا الوقت وفى هذه الساعة فانه سلط على أعداء الدين وأنا أعلم أن الدنيا دار نكد وبلاء ثم أن الملك ضرب ابنته لتعود الى دين النصرانية لأجل قلبه فأبت وقالت هيهات ما كنت راجعة عن دين الحق إلى دين الضلال بعد توحيد ذى الجلال فقال عقبة دعى عنك هذا الزور والمقال وحق المسيح ما زهدك فى ديننا إلا ليلة الثقيف وأننى فى كلام ضعيف وبهتان لطيف ولكم فى أذنى هفيف ومذبحون يدق الناعم الرابى بثقيل وخفيف فلم يدرى الملك ما معنى ذلك الكلام ولا إيش تحته ثم أنه

ضرب أبي محمد ومذبحون ضربا شديد ما عليه من مزيد هذا وأبي محمد يقول والله العظيم ما سافرت سفريه أمر من هذه السفريه فقد ضربونى كذا كذا مره ولكن بالله المستعان وعليه التكلان هذا والملك أقسم بالمسيح لابد ما يصلب الاربعة على باب القسطنطونية فقال عقبة أحسنت أيها الملك حتى تعلم النصرانية أنك قدرت على ما عجزوا عنـــه ولم يقدروا عليه ثم أنه رفعهم إلى خيمة كبيرة ووكل بهم رجال وقال وحق المسيح رؤسكم مرهونة بهم ووضعوا فى أرجلم القيود ولو كان الملك يطلقهم ويقول لهم أذهبـــوا فما قدروا على النهوض (قال الراوى) فلما كان فى بعض الليـالى وإذا قد دخل عليهم إلى الخيمة أربعة رجال نصف الليل فظن أبو محمد أن عقبةقد أقبل عليهم ليضربهم فقال أبو محمد الليلة نهلك بلا محاله أن ضربنا صوت واحد ثم أنه نادى يا عقبة بحق المسيح وبحق ما تعتقده لاتضربنى الليلة فقال واحد منهم لا تخف من الملعون عقبة القرنان فأنا غلامك لؤلؤ وهذا جوهر وهذا سبك وهذا بديع انهضوا حتى يحمل كل واحد منا واحد منكم (قال الراوى) كان لؤلؤ وجوهر وسبك وبديع لمـا طالت عليهم غيبة مولاهم ضاقت ضاقت صدورهم فقال لهم الأمير عبد الوهاب والله عندى من ضيق الصدر من أجل أبومحمد شيئا كثير ووالله ماأنا مقيم فى ملطية إلا لأجل غيبته وإلا كنت قد دخلت إلى بلاد الروم وفتحت بعض الأقاليم وأقمت بها وقد بلغنى أن الخليفة قد أرسل الى الحجاز والى اليمن يطلب العرب ويستنصر بهم لأجل قول مطرون ويطالبنى بالملعون عقبة ولاعلم لى بموضعه وقد كنت عولت الى الرحيل الى الحجاز وأكون مقيما بها فى ديار الآباء والأجداد إلى أن يدهمنا الموت فما بقى من العمر الا أقله وما منعنى من ذلك الا الأميرة لأنهـا قالت لى يا ابنى لاتبرح حتى ينـكشف لك خبر البطال لأنه فى بلاد العدو ولا نعلم ما كان منه وقد والله أشتغلت قلوبنا ولقد زادنا هما على ما نحن فيه من عدم الأميرة ام عبد العزيز العلوى ولا شك أن عبد العزيز من جملة الموتى لأنه نحل جسمه ودق عظمه وتغيرت حالته وفنيت حركته وكان قد سمع انى قد عولت على الرحيل فأتى الى وبكى بين يدى ثم أنشد وجعل يقول

أترحل يا مولاى والعقد بيننـا ... بأنك تغدو اليوم وأمى فى الاسر
وقد رق لى قلب الجماد كما يكن ... حمامهما حزنا على ورق الخضر
أترحل عنى والعجوز أسيرة ... غريبة دار ليس يخلو من النصر
أتمضى الى أرض الحجاز وقد غدت ... بضيغانك الاعدا الى بلاد الـكفر
تباديه ان كانت لعمرى أسيرة ... أتأخذنا هذا النصارى مع العسر

فوالله يا مولاى لا زلت بعدها　أبيت على جمر وأضحى على جمر
أياجد لو عاينت يوما مصابنا　ونحن أسارى لأنفك من الأسر
لقلت كذا يوم الحسين بكر بلا　وآل النبى لمت بأعناقهم سمر
وصلى إله العرش ربى دائما　على المصطفى المبعوث بالفتح والنصر

(قال الراوى) قال الأمير عبد الوهاب وأننى لما سمعت ذلك الكلام من عبد العزيز قلت له هاأنا مقيم إلى أن يكشف الله خبرها وخبر أبو محمد البطال ثم التفت إلى لؤلؤ وقال له على ماذا عولت يالؤلؤ قال المسير إلى بلاد الروم أكشف خبر سيدى قال سير فى دعة الله تعالى ثم أن غلمان البطال ودعوا الأمير والأميرة ذات الهمة وساروا يقطعون الأرض إلى أن وصلوا إلى القسطنطونية وقالوا نأخذ من هنا الأخبار فقعدوا أيام فما سمعوا خبر ولا جلية أثر فاجتمعوا على مارس وقالوا له أن فى قلوبنا النار من أجل مولانا وما ندرى إن كان حيا أو ميتا فقال لهم سوف أكشف خبره ثم أنه أنفذ الكتب إلى سائر الأقاليم وهو يقول فى الكتب أن أمراء المسلمين قد فقدوا من بلادهم فمن أتانى بخبرهم أكرمته وأعطيته المال وهم أن يسير الكتب وإذا بأخبار الملك كرفناس وصلت إلى أرمانوس أنه خرج من بلاده ومعه ملك الملافطة وهم طالبين الغز وعلى القسطنطونية وسائر الأقاليم الرومية وبعد ذلك يسير إلى بلاد الاسلام وأنه قبض على عيار المسلمين وولده مذبحون وراهب يقال له طيبون وصحبتهم عقبة وشومدرس المفتون فلما سمع الملك بذلك ومارس ودارس أتى إلى غلمان البطال وأعلمهم أن هذا عسكر عظيم وأن كرفناس حلف وشدد فى الايمان أنه يصلبهم على باب الذهب إذا وصل إلى ههنا وأنا أقول أن الملك ما يقعد عنه ولا يشتهى سلب ماله ونعمته ولو كان من أهل دينه وملته لأن الدنيا محبوبه ولا ندرى على من تكون الدائرة فخذوا الآن فى خلاص الأمير أبو محمد قبل الهلاك (قال الراوى) فلما سمعوا غلمان البطال ذلك فرحوا بظهور خبر مولاهم ثم قالوا لبعضهم بعضا قدموا بنا نسعى على خلاص مولانا وهو كان فى السلاسل والاغلال ثم انهم ودعوا مارش ودارس أخيه وساروا إلى أن وصلوا إلى العسكر حتى عرفوا الموضع الذى هو فيه وكان قريبا من مضرب ملك الملافطة فصبروا إلى الليل وأتوا إلى أبو محمد البطال ورفقاوه ودخلوا إلى الخيمة وقال لهم البطال ما قال وأجابوه كما ذكرنا * وعدنا إلى سياقة الحديث الأول بعد الصلاة على النبى المرسل وأن لؤلؤ دنا من البطال وحمله على ظهره فقال ياولدى من معك قال باقى غلمانك فقال احملوا طيبون لأنه رجل صالح صبور على البلاء فحمله جوهر وحمل سبك الجارية وحمل بديع

مذبحون (قال الراوى) وخرجوا من الموضع الذى دخلوا منه فنظروا إلى الحرس فقالوا والله فى هذه الساعة نهلك إن هم نظرونا وأنتم حاملونا فقالوا نفتح قيودكم ونختلط بهذا العسكر الكثير فقال البطال بماذا نفتح قيودنا وهى كما ترى فقال لؤلؤ يامولاى اعلم أن معى سبعين مفتاحا تفتح كل قيد فى الدنيا (قال) ثم أن لؤلؤ وضعه من على ظهره وصار يفتح واحد بعد واحد إلى أن فتح الجميع ورماها من أرجلهم فقاموا من الفرح كانهم وقعوا فى شدة ولم يزالوا سائرين حتى خرجوا من العسكر فوقع الصوت عليهم وقالوا انهم هربوا وكان الذى أعلمهم بهروبهم حال عجيب أعجب من كل عجب وهو أن عقبه الملعون فى تلك الليلة رأى فى المنام كأن أربعة طيور نزلت على البطال وقد أخذ كل واحد فى مخلاته واحد منهم وطار فى الجو الأعلى (قال) فاستيقظ الملعون مرعوبا وقال سرق البطال وأصحابه لاشك وأن الأربع طيورهم غلمانه ثم قام الملعون عاجلا مرعوبا ودخل إلى الخيمة فوجد الدنيا بلاقع فقامت عليه القيامة واطم على رأسه وصاح وجلبب وقال ياويلكم اطلبوهم فما بعدوا وقد جرى على عقبه من الأسف واللهف مالم يجرى على أحد وقال ياملك ماقلت الك أن لهم من يسعى فى خلاصهم فما لهم دواء غير القتل فقال الملك الجن أخذوهم أم الأرض ابتلعتهم فقال عقبه ياملك كن عاقلا فان له غلمان كل واحد أكثر منه خديعة ومحال فقال الملك وايماه وحق المسيح لو كنا قتلناهم ربحنا وسلمنا من سوء عاقبتهم وإنما قلت هم فى قبضتنا وما لهم إلى الخلاص من سبيل وما علمت انهم يخلصون من العذاب الوبيل فقال عقبة أيها الملك معلوم انهم ما أبعدوا ومعهم عوراء وهى ابنتك وما يتركوها فأنفذ الساعة خلفهم خمسة آلاف فارس فى عشر جهات كل جهة خمسمائة فارس فماهم يطيرون بين السماء والأرض فعندها قال الملك ياشيخ العسكر كله بحكمك افعل فيه ماتريد (قال الراوى) فابتدأ عقبة ينقد الرجال يمينا وشمالا وسار فى الطريق الذى سار فيها البطال وكانت منهم هذه هندسه فسار فى أوائلهم جدا وكدا فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير أبو محمد وأصحابه لما ساروا فعندها قال البطال لأصحابه الآن قد من الله علينا بالخلاص فلو أخذتم لنا شيئاً من الخيل نركبه لكان أجود لنا لأننا فى حالة صعبة فقال لؤلؤ يامولاى لاتغتم فان خيل العسكر كلها بحكمنا ولو شئت لسللت منها عشرين حصانا (قال الراوى) ثم أنه دخل العسكر هو وأصحابه وعادوا وكل واحد معه جواد وجنيب من الخيل المسومة فركبوا جميعا وساروا بعد أن أخذوا معهم بغلين محملين زاد وماء من متاع الملك كرفناس من خاص أكله وشربه فقال لهم البطال لابد لنا من الطلب لأن عقبة لايغفل عنا ساعة واحدة وسوف يسيروا الخيل خلفنا من كل طريق فالنجاة النجاة على هذه الجاده وهى طريق

القسطنطونية وقد استقاموا على الطريق فقال له غلامه جوهر يا مولاى اعلم أن قلبى فيه النار من عقبه وقد فعل معى هذه الكرة ما استوفى به كلما جرى عليه منى فقال جوهر وكيف ذلك لأنى ظفرت به ثلاث مرات الا انه ضربنى ضرب الموت والعدم الى أن أموت وألحد فى قبرى ما يخرج الضرب من قلبى من ضرب هذا الشيخ طيبون مالا يجرى على من ضرب ولدى مذبحون لأنه ما تعود بهذا البلاء فالله تعالى يأخذ له حقه من خصمه ولا بد ما أشتفى منه بالصوت عشرة وأنا إن شاء الله تعالى أهتك ستره فى هذه النوبة فانى أريد أن أسحبه بدقنه من بلاد الروم حتى يعلم الخليفة انه كان فى بلاد المشركين وان لم أقدر على ذلك ضربت رقبته ولم يعلم أحد بقصته ودع يجرى ما يجرى فقد قال بعضهم حيث يقول (من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنا) ثم قال بعد ذلك وأريد أن نمضى الى القسطنونية وأكون فيها مع عوام البلد ولا يعلم بنا أحد لأن عقبة فى هذا العسكر العظيم ما لنا عليه قدره لأن كرفناس اذا نزل على القسطنطونية لابد أن يرسل الى ارمانوس رسول ويقول سلم الى البلد وتكون تحت يدى مثل ملك الملافطة تحت أمرى ونهى حتى نغزو بلاد المسلمين والملك أرمانوس مايفعل هذا الفعل وما أظن يكون واسطة بينهم الا عقبة الملعون فاذا دخل الى البلد آخذه أنا وأمضى به الى عند مارس وتمضوا أنتم الى عند الامير عبد الوهاب ونستشيره فيما نصنع ومهما أشار به فعلته لأنى لا أخالف له أمرا ثم انه سار بأصحابه الى ناحية القسطنطونية وجعل يخالف الطريق تارة يسير يمين وتارة يسير شمال هذا وعقبة خلفه قد سار معه جماعه من أصحاب القرية الذين قبضوا على البطال منها وهم يقولون ما هذا الا شيطان كيف انفلت وحق المسيح لئن رجع ووقع فى أيدينا لحملناه للملك لم يشم نسيم الدنيا (قال) فسار وهو يحدثهم بحيل البطال مع النصارى والرهبان فزادوا عليه غيظا على غيظهم وحنقا على حنقهم (قال) ولم يزالوا سائرين جدا وكذا الى الصباح فما وجدوا أحدا فقال بعضهم لبعض والشيخ عقبة يسمع وحق المسيح ما يهرب الا الى بلاد المسلمين ونحن نطلب هذه الطريق ومانحن الافى تعب وعناء فقال عقبة كأننى ما أدرى الى أين سائر وأنا سائر الى القسطنطونيه فوحق المسيح ماسار البطال الا اليها لأنى أعلم أن أصحابه قالوا له اطلب بلاد الإسلام فلم يفعل بل يقول ان عقبة قد قتلنى من العقوبة ولا بد ما ينفذه كرفناس الى أرمانوس رسول فنأخذه على غفله منه ووحق المسيح انى اخبث منه ومن كل من على وجه الأرض والآن سوف ترون كيف آخذه من القسطنطونية من أول ليلة أصل اليها وإلا ما انا عقبة فقالوا له اننا نقتل خيلنا وما نلحق أحد وأنت قلت انه يمضى إلى القسطنطونية وتأخذه أول ليلة تصل اليها فارجع بنا إلى العسكر فان

الملك سائر اليها ولا بد ما يأخذ كل من فيها فقال لهم عقبة هذا هو الصواب والآن عودوا بنا لاننا ما سرنا إلا أملنا الحاقه لانه سار سير الخائف الفزعان لانه يعلم ان مثلى له فى الطلب فما يأخذه قرار ولكن أين يهرب (قال الراوى) ثم انه رجع إلى الملك وأظهر الأسف فقال له الملك أيها الشيخ لا تتأسف ودعه يهرب لان هروبه ينسب إلى العجز والتقصير فقال عقبة ياليتك قتلته وقد قلت لك فلم تفعل ولكن وحق المسيح ما بقيت أنام فى العسكر ولا أنام إلا فى سرادقك لان من حوله اثنى عشر ألف بالعدد الكامله وأهل الأرض ما يصلون اليه فقال كرفناس تفزع ومن حولك هذا العسكر العظيم فقال وكيف لا أفزع لان الذى أخذ أربعة فى ليلة من وسط هذا العسكر يعجز عن شخص ضعيف فقال الملك ان كنت فزعان نام على السرير (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة (وأما ما كان) من البطال فانه أخذ غلمانه وقصد إلى دار مارس حتى وقف على الباب وقال للبواب افتح فقال له البواب لا يمكن انى افتح الباب اليك من مارس فقال له البطال أدخل إلى مارس وقل له قد وصل اليك قاصد وهو يريد الوصول اليك فلما سمع ذلك قال إذا سأل عنك ما الذى أقول فقال له قل له البطريق بطلبونا هو وأصحابه وكانت هذه علامة بينهم وبينه إذا قدم من موضع وأعوقوه يقولوا بطلبونا معناه البطال ولما سمع البواب ذلك سار إلى مارس ووقف بين يديه وقال له يا مولاى على الباب بطريق يقال له بطلبونا وما قدرنا نمكنه من الدخول اليك وكان مارس فى ذلك الوقت ضيق الصدر من أجل أخبار وصلت اليه من ملطيه ولاجل قدوم ذلك العسكر فصاح على غلمانه وقال اصفعوا هذا البواب لاجل ما يستأذن علينا قوم بعدم قوم والبلد مشرفه على الأخذ والحصار فصفعوه فلما حرقه الصفع قال لاستر المسيح عليه يا بطلبونا لولاك ماصفعت هذا الصفع فلما سمع مارس هذا الاسم قال ردوه فردوه الغلمان وهو لا يعى على نفسه من كثرة ماصفعوه ولما قال ردوه مات من الخوف ولما مثل بين يديه قال يامولاى هو الذى أرسلنى اليك فعلم إنه البطال وكان قد استغفل قلبه من أجله فقال للبواب والبطريق بطلبونا الساعة على الباب قال نعم يامولاى قال ارجع وافتح له الباب واعتذر اليه وقبل يديه وقول له لا تؤاخذنا بوقوفك على الباب فقال البواب ما هـــذا إلا من المسيح وإلا ما كان يوصينا بهذه الوصية عليه فقال له مارس وحق المسيح ان راح ولم تدركه ضربت عنقك فلما سمع البواب من مارس ذلك الكلام أسرع ورجع وهو يقول ماهذا الا كعب مبارك أوله صفع وآخره ضرب عنق ولم يزل يهرول الى أن وصل الى عند البطال وقال له ادخل ياسيدى وقبل يديه وقال له شكر المسيح فضلك لأنه قد وصل الينا الاحسان من أجلك وهو الصفع

الكثير فقال البطال أطيب قلبك فلا بد ما أتسبب أنا الآخر اليك باحسان أكثر من ذلك وهو ألف عصاه لأجل وقوفنا على الباب فقال البواب لابحق المسيح عليك يامولاى فعند ذلك دخل البطال وهو يضحك ودخلوا معه غلمانه والجارية وأما الراهب طيبون فان البواب أنكر عليه لما رأى زيه مثل زى العسكر الذين أتوا الى قتالهم وهم منهم خائفين فقال البطال يامولاى هذا الراهب معكم قال نعم فقال البواب لابد ان استأذن عليه فقال البطال على الضمان لأن هذا الراهب سواح وهو يسمى طيبون فقال البواب والأخرى على قافية بطلبونا ولقد بلينا بأحسن زبون وبعد ماجرى ماقد جرى لى من الأذى والصفع مابقيت الا أستأذن مرة أخرى ولكن خذوه وادخلوه ولو كنتم الى البلد تملكوا (قال الراوى) فسار البطال ومن معه الى ان وصلوا الى دار مارس وقد خرج اليهم من اشتياقه واشفاقه عليهم (قال الراوى) ولما ان نظر اليهم مارس ووقفت العين على العين فسلم عليهم مارس سلام المشتاقين وقال لهم الحمد لله على سلامتكم ثم أدخلهم إلى داره وسار بهم الى دار البطال التى هى برسمه وقد حمل اليهم من الضيافة شىء كثير وأقاموا عنده وهم فى أعظم شىء وفرح بقدومهم مارس فرحا شديداً ماعليه من مزيد فقال البطال لمارس على ماكان من قدوم العسكر وقد استراحوا وخف عنهم أثر الضرب وأمنوا على أنفسهم ولما خلا مارس بالبطال سأله عن حاله وكيف كانت غيبته فأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها فتعجب مارس من ذلك ومن أفعال البطال وما جرى له وما فعل غاية العجب وقال والله ماخرجت الا من فم الأسد ولقد فزت بالثواب العظيم فقال البطال ماعندك من أخبار الأمير عبد الوهاب ووالدته الأميرة ذات الهمة فأعاد عليه الأخبار التى أعلم بها لؤلؤ وقال قد سمعت ان الأمير عبد الوهاب قد سقى السم والأميرة عند رأسه تبكى ليلا ونهار فلما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك اهتم هماعظيماعلى الأمير عبد الوهاب وقال أيها الحاجب لقد ضيقت صدرى فلابد ان أسير الى ملطيه لعلى أدرك الأمير عبد الوهاب على قيد الحياة ثم ان مارس أخبره بخبر أرمانوس وميمونة وانها جاءها ولد ذكر وهى تعلمه الفروسية وان سواده يغلب إلى بياض إلا أنه أحسن أهل زمانه وله من العمر سبع سنين وفى كل يوم يركب معها إلى الميدان حتى أن الملك قال لها قد جعلتى همتك مع هذا الولد فقالت أيها الملك اننى أحبه المحبة العظيمة الزائدة لأجل محبة الملك (قال الراوى) ففرح الملك بكلامها وكان كلما زاد فى حبها حتى أنه هجر سراريه وقد انفرد بميمونة ولما وصلت اليه الأخبار بكرفناس وقد تهيأ للضرب والحرب والطعان سمعت أهل القسطنطونية بركض الخيل وقد ارتجت الأرض من شدة الركض ولما أشرفوا

القوم على البلد قال عقبة للملك كرفناس اعلم أيها الملك انى أريد أن أسير إلى الملك ارمانوس وأخوفه من سطوتك أيها الأسد الفروس وأجعله لك من جملة التيوس ويكون نائب من تحت يدك من جملة النواب المقيمون فى بلادهم إلى أن ترجع بعد ما تملك سائر الآفاق ونجعل سرير ملكك بغداد والعراق ويرجع هذا الملك الذى معك إلى بلاده ويكون الآخر من تحت حكمك فقال كرفناس فى قلبى اذا ملكت البلاد كلها أسير الى المدينة التى للاسلام وأعطيه القسطنطونية وان كان ما يستأهلها لأنه هو الذى رتب الجزية والخراج إلى خليفة المسلمين على عباد المسيح من كذا كذا سنة فقال عقبه وأنا أريد ان نملك البلاد بلا قتال ولا نزال ونخرج بعد ذلك الى بلاد الاسلام ثم ان عقبة استأذن الملك كرفناس فاذن له فى المسير فسار وسارت بين يديه الرهبان والقسوس الى أن وصلوا الى عسكر أرمانوس فلما رأوه تراموا على يديه يقبلونها وأسافل قدميه وقالوا أيها الشيخ باترى تركت هذا الملك يقصد هذه الديار فقال لهم اسكتوا لعل ان يكون لكم فى هذا خير وسار لى أن وصل الى باب القسطنطونيه وسأل البوابين هل دخل اليكم احدا وقصد اليكم عابر فى هذه الأيام وهم صفتهم كذا وكذا (قال الراوى) وان الله سبحانه وتعالى قد أنسى البوابين معرفة من سألهم عنهم فقالوا له أن البلد لها شهر ما دخل اليها غريب ولا يقدر يدخل أحد الا باذن الملك فدخل عقبة وقد خرجوا لاستقباله البطارقة ووجوه الدوله ومارس ودارس وكان الملك أرسلهم وقد فرح الفرح الشديد ودخل الملعون فى أحسن زى يكون ونزل فى داره المعروفه به وقد رآه البطال فقال لما رآه والله يا ملعون ما أمضى الى بلاد الإسلام الا بك ان شاء الله تعالى (قال الراوى) وان عقبة دخل على الملك ارمانوس فقام له وأجلسه إلى جانبه وقال له يا أبونا جفيتنا بغيابك عنا وما كان لنا شغل قلب إلا عليك ومع ذلك كيف خرج هذا الكلب من بلاده وأتى الينا ولما أعقته عنا وخوفته من عساكرى فقال عقبة أيها الملك ما أنا إلا خوفته وأعاد عليه حديث من أوله إلى آخره وحديث البطال والملك يسمع ويتعجب من هذا كله ويصلب على وجهه ثم قال عقبه أيها الملك انى خائف أن يكون البطال سبقنى ودخل إلى البلد فقال الملك وحق المسيح ما دخل إلى البلد أحد غريب من مدة شهر كامل فطاب قلب عقبة ثم أن الملك أبل على عقبه وقال له لك عندى بشارة اريد أن أبشركها فقال الملعون بماذا تبشرنى فقال وصلنى كتاب من عند ولدك مصعب وهو يقول فيه أن الأمير عبد الوهاب قد سقى سما وهو مشرف على التلف فلما سمع عقبة ذلك قام وباس الأرض وقال الشكر للمسيح والعاقبة

البطال وذات الهمة والجميع فقال ارمانوس دعنا من هذا الحديث وقول لى فى ماذا قد أتيت فقال عقبه فى خير وحق المسيح واعلم أننى قد أوصيت هذا الملك من قبل أن يجىء اليك أن يعمل معك ماهو أهله وهذا الرجل ماعنده من الدنيا خبر لأنه أراد أن يحرقنى أنا وشومدرس بالنار مع البطال وقد أرسلنى اليك على أنك تحقن الدماء وترحم الرجال والنساء وتسلم له البلد وكل مافيه وتكون من بعض جنده ومن أكرم الملوك الذين عنده إلى أن يفتح البلاد ويردك إلى موضعك وهذا كتابه اليك ثم أن الملعون أخرج كتاب كان قد كتبه قبل دخوله على لسان الملك كرفناس ورماه إلى الملك فأخذه وقراه فلما إن فرغ منه زاد قلبه غيظا وكاد الغيظ أن يخنقه وعمد إلى ماعليه من لبسه فمزقه وقال أيها الشيخ النجيح يقابلنى هذا الكلب بمثل هـــذا الكلام ولا شك أن فعله هذا بتدبيرك له حتى انه يأخذك بلاد الإسلام ثم انك تشتفى من أعاديك الكرام ومن الأسود عبدالوهاب وما بينك وبينه إلا بمقدار ما يلتقى بالسودان ويبلى بقتالهم يوم من الزمان وتراه قد رجع أقل من الكلاب اذا طرد من المكان فقال عقبة يا ملك أنا ما قلت لك إلا ما حملت من الرسالة وما أنا بالذى أختاره عليك ولكن أردت أن تكون الكلمة واحدةو تملكان الأرض بما رحبت وتسير معه وتملكون الأرض وجميع الآفاق وتملكون العراق وترجع بالغنائم والأرزاق وان أنت الساعة أبيت ذلك فانه شيطان لا يطاق وعلقما مر المزاق فاسمع ما أقوال لك ان قبلت منى (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة ذلك الكلام صاحت عليه وقالت له اسكت يا شيخ السوء لانك خرفت وقل عقلك وزاد جهلك فأنت تعود اليه وأخبر اننا نلقاه ونخرج اليه بالجيش ونحمل بجمعنا عليه وننزع روحه من بين جنبيه ونكسر قرنه وقرن والديه فقال عقبة أيتها الملكة ان كان ولا بد فما فينا مثلك وحق المسيح وما للحرب غيرك وأنا ما قلت هذا جهلا منى بكى ولا بمكانتك ولكن أحب أسمع من كلامك ما يسرنى فأنتى ركنى ومعتمدى وأنا فى غداة غد أسير إلى الملك كرفناس وأقول له انى قد كلمت الملك فما ازداد إلا خشونة وقد حلف ان لابد له منك وقد أقسم بالمسيح انه لا يترك أحدا من عسكرك يرجع إلى بلاده وقد أقام عقبة عندهم وقد سكن غيظهم بما قال ونزل فى تلك الدار الذى هو معتاد بها وجاء البترك وحياه وسلم عليه وسأله عن حاله فاعاد عليه ما جرى له ثم حادثه وانصرف (قال الراوى) ولما خلى الملعون عقبة بصحبه قال للقسوس الذين كانوا معه عند الملك كرفناس قد سمعتم ما قالت تلك السوداء الكحله وكيف قال أرمانوس انه يحمل عليهم حملة واحدة وقد طحنهم طحن الحصيد ورماهم على الصعيد ولا يترك منهم قريب ولا بعيد (يا سادة) ثم ان عقبة بات

تلك الليلة وقد حدثته نفسه بالفتن وهلاك الطائفتين وصار يدبر ذلك (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة (وأما ماكان) من البطال فانه أقبل على مارس وقال له اعلم ان قلبي فيه النار التى لا تطفى واللهب الذى لا يخفى لاجل هذا الملعون عقبة وقد عولت على أخذه قبل أن يخرج إلى عسكر كرفناس وما أقدر عليه ولا أصل اليه فقال مارس لا نقول إلا اننا أخذناه وتتركه عندى فى الدار التى أنا فيها ووقع القتال فما يكون الحال فقال البطال إذا وقع القتال واشتد النزال وجدت أنا سبيلا إلى الانفلات فأنا آخذه وأخرج فى الحال وان أنا لم أقدر على حمل هذا الخنزير وحاشتنى المقادير طرحته عند يانس المتعزب فى الحصن إلى حين وصولى إلى الأمير عبد الوهاب وانظر كيف حاله وماجرى عليه وأعمل بعد ذلك على ما يكون فيه الخير إن شاء الله تعالى والملك بعد ذلك عنده شغل وقد ألهاه هذا العدو عن عقبة وعن غيره فقال مارس أنا ما أردك عن ما عزمت عليه والدار كلها بحكمك ولا أختار روحى عليك فافعل ما تريد (قال الراوى) فعند ذلك خرج البطال فى تلك الساعة ودخل إلى دار عقبة ورصده إلى أن نام فى آخر الليل فلما أن نام وعلا غطيطه تقدم إليه الأمير أبو محمد البطال ثم جلس على صدره وكان معه مذبحون ولؤلؤ فحس بهم عقبة ففتح عينه الصحيحة وقال ما الخبر فقال له مذبحون أبشر فما عليك بأس يازنديق واعلم أننى صاحبك ليلة جبل الثقيف فقال عقبه لامرحبا بالقادمين ولا سهلا بالواردين فقال له أدركتافك ياقرنان ودع خرافك ثم أنهم انقضوا عليه وشدوه كتاف وقد وضعوا الاكره فى فمه وعصبوا عينيه وقد مات فى جلده وساروا به إلى دار مارس وهو لايدرى أين دخلوا به وقد أنزلوه فى المطموره وفتحوا بعد ذلك عينيه وأخرجوا الاكره من فمه ثم قالوا له كيف حال الكلب (قال الراوى) فلما رأى عقبه حاله فى حال ميشوم فقال عقبه ويلك يا أبو محمد اعمل معى جميل فانك لابد ما تقع فى يدى عما قليل وقد رأيت كيف تهاونت بك حتى هربت فقال له البطال يا ملعون كذبت وقال له طيبون هذا فعل الله بك ياملعون الله لايعفى عن من يعفى عنك دونك والبلاء الذى أعده الله لك رب الأرض والسماء الذى تأكل خيره وتعبده غيره (قال الراوى) ثم أنهم بطحوه على وجهه وصار كل واحد يقوم أنا أريد أن أستوفى ضربى منه وقد صار كل واحد يضربه حتى يتعب ويقول الآخر فيضربه ضربا لم يضرب عمره أنحس منه فلما زادوا عليه أشرف على الموت فانقطع نفسه وغاب حسه فتركوه مرمى مكانه وهو مقيد مكبل (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح جاءوا القسوس الذين كانوا مع عقبة يطلبوه فما وجدوه فعظم ذلك عليهم وكبر لديهم وساروا

حتى دخلوا على الملك أرمانوس وسلموا عليه ثم قالوا أيها الملك عن اذنك نروح إلى عند ملكنا أو نقيم عندك فقال لهم وأين الشيخ النجيح وحجة السيدالمسيح فقالوا له أيها الملك وحق المسيح والإنجيل ما لنا به علم من البارحة لاننا تحدثنا معه إلى نصف الليل وقمنا من عنده ورحنا إلى مراقدنا ونمنا ولما أن كان عندالصباح جئنا اليه فلم نجده فلابد ماجرى عليه أمرا من الأمور لانه قدكان وحق المسيح خائف من البطال ورجاله أن تكون فى هذه الاطلال (قال الراوى) فلما سمع الملك منهم ذلك الكلام ضحك وقال من أين يدخل البلد وهذا شىء ما أسمعه لكن أنا أعلم سبب غيبته لانه علم منى مخالفته فيما أنا فيه من عند ملككم كرفناس فاختفى منى عند بعض أصدقائه (قال الراوى) ثم ان الملك أمر ان ينادى فى القسطنطونيه من كان عنده عقبة فليأتى به وعليه الأمان والملك راضى عنه فنادى المنادى فى البلد فلم يجده فعاد وأعلم الملك فقال الملك أنا أعلم ان البطال ماوصل ولا دخل الينا حتى نخاف منه ونقول انه أخذه كيف سلك به وخرج من البلد والحرس عليها شديد ولكن سوف يظهر لنا خبره ثم انه خلع على القسوس الخلع السنيه وأرسلهم إلى الملك كرفناس وقال لهم أنا الذى لا أجيب كرفناس إلى هذا المقال ومهما فعله يقابله المسيح فى عسكره وفى نفسه (يا سادة) فرجعوا القسوس إلى عند كرفناس وقد أخبروه بالخبر وكيف فقد عقبة فلما سمع كرفناس ذلك من القسوس غضب وأمر بالزحف إلى القسطنونية فركبت الرجال على الخيول ولبسوا العدد والزرد وتقدموا للقتــــال وقد اعتدوا بالقنطاريات الطوال والقسى والنبال ووقع القتال بين الناس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما الأمير أبو محمد البطال) فانه طلب حيلة يخرج بها من البلد فلم يجد إلى ذلك من سبيل فأقام على ذلك مدة فلما ضجر واضجره المقام وقد علم انه ما يخرج الى بلاد الإسلام فقال ها أنا مقيم إلى أن نرى مايتم من المرام ويفعل الله ما يشاء لانه هو الفعال وإن كان الأمر بخلاف ما أريد سقيت عقبة كاس الحمام (قال الراوى) فهذا كان من البطال (وأما ما كان) من الملك كرفناس فانه لما أن دخلت عليه القسوس وأعلموه بما قال أرمانوس فصعب عليه رسالته وأمر من معه من العسكر فركبت وحملت فصار على باب القسطنطونية عالم مارأوا قط مثله وكان أول من سبق بالحملة كرفناس وتبعوه الناس وقد حملت أبطاله وطمحت أقياله وعملت الصوارم وقامت المآتم وقطعت الأيادى وحدى بهم من الموت حادى وارتفع الغبار غابا عن الأبصار وأظلم النهار وماج النقع المموار وركن الجبان إلى الفرار وعملت السيوف فى القمم وقام سوق الحرب على ساق وقدم وضاق الخناق والتفت الساق بالساق فما كنت ترى إلا دم فائر وجواد غائر وكف

طائر وقد صار هذا قائم وهذا على وجهه هائم (قال الراوى) وما برح السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بغيهبه وانسدل وقد اختلط القتام ودق الطبل بالانفصال وعادوا إلى الخيام (قال الراوى) فلما انفصلت العسكران من القتال وعادوا إلى الخيام ادعى كرفناس برجاله وقد وبخهم وعتب عليهم وقال يا ويلكم هذه فعال من يريد يفتح البلاد ويملك الحصون والقلاع والأطوار وحق المسيح لولا انى أعذركم لان كل بداية صعبة لضربت رقابكم يا ويلكم لكم أسوة بى فان حملت فاحملوا فانه ان حمل ألفا فأنا لها وان حملت ألفان فأنالها وان كانوا أكثر من ذلك جندلت أبطالهم وأهلكت فرسانهم على أن لا تحملون حتى ترونى حملت وإذا رأيتمونى قدخفيت بعض السهام بالرمى فاحملوا وقولوا كيف قتل عباد المسيح فانى آخذ شرطا على هذا الملك ارمانوس الأكحل على أنه يقول المملكة لى ويكون عاملا من بعض عمالى ولا يرجع بعدها مالا إلى المسلمين ولا ينتصر بهم ولا يخفى عنى أمر عقبة ولا يعود يعمل شيئاً من مصالح المسلمين وأن يدع بيننا وبين المسلمين ونأخذ تارنا من الموحدين وهذا شىء يكون فيه للمسيح رضاء فان فعل ذلك فهو المراد وان هو أبى أبليته بما لا يطيق من رجال ألفوا الموت وكل واحد منهم مر المذاق مافيهم إلا من هواليه مشتاق وأجعله مثلا فى سائر الآفاق حتى لا يرجع أحد يطلب ما ليس له به استحقاق لأن سائر أجناس الروم قد علموا أن الملك بيننا دون غيرنا ولا ينازعنا فيه منازع ولا يدافعنا فيه مدافع وأن السلطنة فينا من قديم الزمان دون غيرنا من الأنام وسوف يأخذ لنا المسيح بالتار ويظهر الحق فيه ويجعله مثلا فى سائر الخلق ويرجع منكسر مندق لأنه معنا حق (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أن سمعوا وجوه قومه ذلك الكلام قالوا له اكتب كتابا بهذا وأرسله اليه يعنى إلى الملك كرفناس الاكحل فان أجاب كان وإلا دونك وما تريد فكتب الملك كرفناس كتاب إلى الملك ارمانوس بما ذكرا وادعى بالرهبان والقسوس الذين كانوا مع عقبه وأعطاهم الملك كرفناس الكتاب وقال لهم سيروا من ههنا إلى عند الملك ارمانوس وأعطوه الكتاب وائتونى برد الجواب فأخذوه وساروا إلى القسطنطونية ودخلوا البلد ولما أن وقفوا على الباب قالوا لهم البوابين ما تريدون قالوا معنا كتاب من عند الملك كرفناس ونطلب الإذن إلى عند ملككم ارمانوس فخلوا سبيلهم فساروا إلى أن وصلوا إلى عند الملك ارمانوس الاكحل وأعطوه الكتاب فأخذه وقرأه ولما أن أتى على آخره قام وقعد وأرغى وأزبد وقال وحق المسيح لابد من قتل هذا الكلب كرفناس ثم أنه صاح على

البطارقة وقال خذوا هؤلاء الملاعين وارموا رقابهم وارموا بهم من على الاسوار إلى الكلب ملكهم الغدار وسوف تروا ما أفعل به وبقومه (قال الراوى) فأخذوهم الرهبان وأرادوا أن يقتلوهم فشفعت فيهم بعض البطارقة وقالوا له أيها الملك لا يجوز لك ذلك فى دين المسيح أن تقتل الرسل لا سيما وهم رهبان وقسوس لكن ما على الرسول إلا البلاغ فقال لهم ان كان كذلك فاطلقوهم وإلى عند ملكهم أخرجوهم ولما أن سمعوا القسوس ذلك من الملك ارمانوس باسوا الأرض بين يديه وقالوا له أيها الملك مالنا نحن ذنب نستحق به ذلك ثم انهم بكوا فرق لهم قلب ارمانوس فأخلع عليهم الخلع السنيه وأعطاهم وأرضاهم وساروا وهم بالثياب الملونة والقلانس المكوكبة والملوكية والعكاكيز المقمعة والصلبان الململعة وساروا إلى ملكهم بعد ما دخلوا إلى كنيسة سوفية وتبركوا بها وأقاموا فيها ذلك اليوم وباتوا تلك الليلة ولما كان عند الصباح ساروا (قال الراوى) ولما أن وصلوا إلى الملك كرفناس أعادوا عليه ما قال الملك ارمانوس فغضب وكان الملك كرفناس قبل أن تأتى رسله قد اغتاظ لغيبتهم وأراد أن يأمر العساكر بالحمله على الروم فقال له ملك الملافطة لا تعمل أيها الشيخ النجيح لأنه ما يرجع إلا بالانفصال فأقام إلى أن جاءت القسوس والرهبان وأعادوا عليه الذى قد جرى من أوله إلى آخره وكيف أراد الملك ارمانوس أن يرمى رقابهم (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الملك كرفناس ذلك قامت عليه القيامة ثم قال وحق المسيح والانجيل الصحيح لأقتلن ذلك الكلب أيشم قتله ولاشتتن عساكره فى سائر البلاد وقد اغتاظ غيظا شديد ماعليه من مزيد وقامت عيناه فى أم رأسه حتى خافت منه جميع جلاسه واحمرت أحداقه وطار الزبد من أشداقه وركب من وقته وساعته وأمر بضرب الطبول وزعق البوقات حربى وصاح فى عساكره صيحة مثل الرعد القاصف فلم يبق قلب الى رجفه ثم أنه أمر الناس بالركوب فركبت فيالها من ساعة ما كان أعظمها وعلى الكفار ما كان أيشمها وقد صاح جميع عساكره لصياحه وماج كانه البحر المتلاطم بالأمواج وقد كر فى الأرض الانزعاج هذا وقد سمعت عساكر الروم الصياح وشاهدت لمعات الصفاح فتواثبوا إلى الخيل فركبوها وإلى الصوارم فجذبوها ثم انهم أرسلوا إلى الملك يخبرونه ويستأذنوه فيما يفعلوه فخرج بنفسه فى عالم عظيم وصار على باب القسطنطونية عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف هذا وأرمانوس قد وقف تحت العلم الأخضر والصليب الجوهر وكان أول من سبق بالحملة الملك كرفناس وبقيـــة سائر الناس وحملت أبطاله وسائر أقياله وعظمت العظائم وقامت المآتم وقطعت العلاصم وحامت الطيور الحوائم وكثرت العمائم

فهذا عاطب وهذا سالم وكان النائم أكثر من القائم والناس فى عجائب وزادت النوائب وكثرت المصائب ووقع الراكب وحدى به حادى الفراق وعملت السيوف فى الأعناق وضاق الخناق واشتد الزعاق وقام الحرب على ساق وأهلك فيه أهل الزور والنفاق واظلم من الغبار الآفاق وضاقت الأخلاق وأيقن القوم بالفراق وأهدرت أسود الآجام وكثر بينهم الزحام وأشتد الحرب بينهم ودام وبطلت القنطاريات وزحف بعضهم إلى بعض بالحربات وعظمت البليات وكثر علهم الرزيات ولم يزالوا فى الصدام واللزام إلى أن انسدل الظلام وعبس الليل بعد الانبساط والإبتسام وباتوا وما لهم حديث إلا فيماجرى لهم فى هذا اليوم العظيم من القتال وكانت الجرحى أكثر من القتلى وكانت السقارقه قد ظهرت على سائر الأجناس من الروم وكان يوم أرمانوس يوم ميشوم (قال الراوى) وأما كرفناس فانه استدعى بأرباب دولته وغضب عليهم قال لهم يا ويلكم هذا فقال من يريد فتح البلاد وحق المسيح أن هؤلاء المسلمين سواء عندى (يا سادة) وكان الملعون كرفناس له هيبة عظيمة لم تكن لأحد من الملوك مثله لأنهم قد شاهدوا منه القوة والفروسية ما يعجز عنه الجبابرة (قال) فبات أرمانوس تلك الليلة وقد ضاق صدره وعيل صبره وتحير فى أمره ولم تكن له إلا أنه طلب الملوك فحضروا عنده فقال لهم أيها الملوك كيف ترون هذه المصيبة القوية التى حات فقالوا أيها الملك اعلم أننا قد لقينا الأهوال وبلينا بالعناد والقتال مثل هذه الابطال وهؤلاء الافرنج الذين معهم لأنهم لايرجع واحد منهم حتى يطعن فى صدور الرجال وأما الرماة الذين فيهم فانهم ما يخطوا فى رميهم ولا تمنع سهامهم الدروع والجواشن وقد بلينا وحق المسيح منهم بمالا نطيق ولكن فى غداة غد نطرح نفوسنا عليهم بالأوهاق ويعطى المسيح النصر لمن يشاء ثم أنه أدعى بالعرب المتنصرة وقال لهم يا ويلكم اكشفوا عنا هؤلاء الملاقط فقالوا أيها الملك أنهم خلق عظيم علينا أن نبذل جهدنا فانهم بارزونا بارزناهم وإن هم قاتلون قاتلناهم فقال كل من أتى فى غداة غد برأس قتيل او أسير منهم أعطيته كذا وكذا ثم أنه فتح خزائن الأموال والخلع وقال ما ندخر هذه الأموال إلا لهذه الأحوال فأصبح الصباح وفى اليوم الثانى هذا وأبواب القسطنطونيه مغلقة لايقدر أحد على الخروج منها وقد صعب ذلك على البطال وكبر لديه وقال لولده مذبحون ما ترى يا بنى ما نزل بنا وأنا على جمر اللظى من الشوق إلى الأمير الخطير والسيد الكبير عبد الوهاب وما أدرى كيف حاله وما أدرى ما كان منه هل هو سالم أم عاطب (قال الراوى) فلما اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وحملت السقارقة حملة رجل واحد صاحت صيحة ورشقت رشقة وارتجت

لها الأرض ذات الطول والعرض ومالت بهم الصحراء والفلا وتخلفت الأرض بالدماء وامتلأت الأرض بالقتلى وأنزلوا على عسكر أرمانوس البلاء وأوصلوا اليهم القضاء وأخرجوهم من الخيام بأسرها وقتلوا منهم خلق لايحصى بعدد الرمل والحصى وجهدت الروم أن يخلص رجالها أو شيء من أثقالها فلم يقدروا على هذا وقد هاج الملك كرفناس وحمل فى العجاج فأهل الناس وقطع كل معصم وكل رأس ولم يزالوا على ذلك القياس إلى أن مضى الليل بالاغلاس ونودى برفع البتار وقد ضجر من الحرب كل ليث كرار وبطل مغوار وعادت كل طائفة إلى مقامها بعد ما ذاقت الفرسان حمامها ونزلت الأمم فى تلك الليلة وقد كلت وملت (قال الراوى) ونزل كرفناس فى الخيام وقد بلغ من أعدائه المرام وأخذ الأموال والاوانى وحاز الملك ملكا عظيما ومالا جسيما من الأثقال والأموال والخيل والبغال والجواشن والرحال (قال الراوى) وأما ارمانوس فانه لما دخل البلدالذى هى القسطنطونية جمع الملوك والبطارقة والقساقسة والاساقفةواستشارهم فى فتح الخزاين ونفق الأموال والعدة والأثقال والخيام وفرق السرادقات على الملوك وعلى كل غنى وصعلوك ومن راح له شيء عوضه مثليه فزال عنهم بعض ما كانوا يجدوه ونزل بهم وأعطاهم وأرضاهم وأصبح الصباح وخرج العسكر بذلك الزى الجديد وخرجت الملكة ميمونة وعليها زردية قد غمست فى الذهب الأحمر مفصلة بالدر والجوهر وفى صدرها مرآة مجوهرة تأخـــذ بالبصر وهى طويلة سابله وعلى رأسها بيضة عادية من ضرب عاد مجلية وفى كفها صفيحة هندية فى جنباتها المنية لو وضعت على الجبال الراسيه لنفدت فيه أنفاد المنيه ولو كان عليه كل زرديه كما قال فيه كثير أبى العدويه حيث يقول

وماضية كالبرق يهمل عمودها   فلوضربت رؤس جبال لهاصدعت
ولو وقعت يوما على الصخر طيرت   من الصخر أسناه إذا مااستقرت

(قال الراوى) وكان تحتها حصان أصفر كأنه وجنة عاشق أوخل لخلة مفارق وقد علا الصفار وتحكم فيه الغبار فهو مليح الصفره حسن الخطره بصاص الشعره طويل الوفره سابل الغره له على الجولان قدره يساوى مائة بدره وقد ألف الجولان وعرف شغل الميدان والممارسة عند الطعن والضراب يسبق البرق اذا انطلق والقضاء اذا طرق طويل العنق كماقال فيه الشاعر

وأصفر كالدينار ليس كمثله ٭ من الخيل يوم النقع وهو يجول
يسابق جرى البرق ثم يفوتها ٭ ويتركها من خلفه ويصول

لقد زين الرحمن حقا لخلقه ✿ وقد زينته عدة وحجول
اذا ماشى فى لونه قلت عاشقا ✿ عليك ومعشوق علاه نحول
وأحسب اسحق النديم بصوته ✿ تخيل يوم والسماع صهيل

(قال الراوى) ثم ان ميمونه لما ظهرت بهذه الصفة عظمتها الروم وبجلتها ووقفت فى وسط المواكب والكتائت وهى الى جانبها الملك أرمانوس وقالت أريدكم ترونى هذا الكلب المقدم على هذه العساكر حتى أخرج إلى المبارزة وأعود اليه فقال أرمانوس ماأظنهم يعرفون البراز فقالت بلى أيها الملك ولا سيما الأفرنج الذين يقاتلون بالقنطاريات ثم انها ادعت بالعرب المتنصره وقالت يبرز واحد منكم ويفتح لنا باب الحرب فقالوا سمعا وطاعة وهذا قصدنا ومرادنا ثم خرج منهم فارس بعدة كاملة ولامة فاصلة ووقف فى مقام المجاولة وأشار بيده يطلب المناصلة وقال هل من مبارز ثم جال وصال على جواده وأخذ فى الميدان عرض وطول وأنشأ وجعل يقول

الا انكم قوم لئام لأنكم بغيتم ✿ على دين المسيح المصافيا
فهل فيكم من يحسن الطعن بالقنا ✿ يبارزنى كيما يبان المحاميا
أنا من بنى شيبان قوم تنصروا ✿ ويحموا عن الصلبان والنقع عاليا

(قال الراوى) فلما سمعوا السقارقة والأفرنج كلامه لم يدروا مايقول لكنهم علموا أن مراده البراز ثم حمل على الميسرة جملة منكرة فخرج اليه فارس من الملافطة وحمل عليه والتقيا الفارسين ساعة من النهار فطعن الأفرنجى صرعه فى الحال فخرج اليه أخو المقتول بقلب حنق ودمع مستبق وحمل على المتنصر فطعنه المتنصر فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فعندها خرج من عسكر كرفناس فارس كانه شيطان أو وحش من وحوش البرية أو من حلول النقم وزوال النعم مثل الشجاع الأرقم بقد قصير ووجه مستدير ورأسه كرأس الحمير وهو جبار شيطان مريد ومن تحته جواد يطير وفى يده قوس وفيه سهم وقد مد قوسه ليرمى به وجعل يهدر ويزمجر وينهق مثل الحمار اذا أنهق (قال) وكان هذا الشيطان ابن عم الملك كرفناس وكان يصيح مثل صياح الأسد وهذه صفته اذا غضب أوغضبوا فانهم غلاظ الكبود فلما رآه المتنصر استضعفه واستحقره وحمل عليه (قال) فما هو الآن وصل السنان الى صدره حتى خطف السنان من يده ولوى الرمح قصفه من نصفه ثم هجم عليه وقبض على مراق بطنه وهمز عليه اقتلعه من سرجه فبقى فى يده على لطافة قدره مثل العصفور فى يد الباشق الكسور ثم رماه من يده الى الأرض فما تار من موضعه فعلمت الفرسان أن ذلك من قوة ساعده ثم رجع الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وأشار

اليهم يطلب البراز نخرج اليه فارس وهو فى حدته فماهو إلا أن قاربه حتى ضربه بسهم أطلعه من ظهره فوقع الى الأرض يخور فى دمه ويضطرب عندمه فتحيرت الناس من قوة ساعده فقال الملك أرمانوس لايخرج إلى هذا الشيطان الا من عليه درع مانع فانكفت عنه الأبطال وخافته الأقيال فصار كلما خرج اليه فارس يقتله الى أن قتل أربعة وعشرين فارس من الروم والعرب المتنصره ثم طلب البراز فلم يخرج اليه أحد فلم تجد ميمونة صبر دون أن حملت عليه وقد قال لها الملك أرمانوس لاتفعلى لأنى لا آمن عليكى من سهام هذا الشيطان فأخذت فى يدها درقة حديد صينى لاتعمل فيها السيوف القواطع ولا السهام اللوامع ثم انها هجمت عليه فتطاعنا بالرماح ساعة من النهار واعتمدا على ضرب البتار واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة ابن عم كرفناس فأخذتها ميمونة فى الدرقة وضربته على صدره خرج السنان من فقارة ظهره ففرح الملك أرمانوس وسائر الملوك ولم يزل يخرج اليها فارس بعد فارس حتى قتلت عشرين من الملافطة والسفارقة وأمسى المساء ورجعت ميمونة وهى تمايل من كثرة الجولان فى الميدان (قال الراوى) وباتوا على ذلك الى أن برق ضياء الفجر وركبت الملكة ميمونه وعول كرفناس أن يخرج الى مبارزتها وهو يحسب أنها رجل من البطارقة الخواص وقال لهم يا ويلكم ما كان فيكم من يخرج إلى هذا الفارس فقالوا له فى غداة غد نخرج اليه ويعطى المسيح النصر لمن يشاء. فقال الملك أنا لابد أن أخرج وإن كان هذا لا يليق بى ولا بالملوك ولكن قد ألجأت الضرورة إلى ذلك لأنه كلما قتل واحد منكم كانه قطع من يدى عرقا فلما أن اصطفت الصفوف ولعبت الرجال بالسيوف وكان أول من فتح باب الحرب ميمونة وقد قالت للملك أرمانوس اعلم أن الشيخ النجيح كان قد حدثنا أن هذا الملك شجاعا وبطلا مناعا فان كان ذلك صحيح وسهل المسيح خروجه الينا فأنا أريح أهل ملة النصرانية منه وما هو الا أن أخذه وقد انقلبت عساكره كلها اليك لأنهم يبقون مثل الغنم بلا راعى ثم طلبت ميمونه البراز نخرج اليها فارس بعد فارس حتى قتلت جماعة فعند ذلك صاح الملك كرفناس وأراد أن يخرج الى الميدان فمنعه ملك الملافطة وقال له كانى خارج الى الموت حتى تقول لى هذا المقال وحق المسيح لو كان للارض قبضة زعزعتها وقلقتها من مكانها (قال) فهو فى الكلام واذا بميمونة قد حملت على الميمنة قتلت فارسين وعلى الميسرة قتلت أربعة وعادت واذا قد ضرب جوادها بنبلة فانقلبت فوثبت قائمة على رجليها فهمت البطارقة أن تحمل عليها فمنعهم الملك من ذلك وقال ما هذا انصاف وان أردتم البراز فدونكم واياه لأنه قد تعب وأنا ما أخرج اليه الساعة حتى لايقال عنى انى ما أخرجت اليه إلا بعد ما أعياه التعب

(قال) فجعلت الرجال تخرج الى ميمونة هذا وقد ركبت جوادين من جنائب أرمانوس وهى تقطع الودج والروس وتخطف المهج والنفوس إلى أن وقفت عنها الرجال وتجنبتها الأبطال وأعيت الرماة بالنبال ولا يعمل فى زرديتها النصال لانها كانت غايصة فى الحديد المانع والزرد اللامع وقد ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعادت كل طائفة إلى مقامها وقد فرح الملك أرمانوس بفعال ميمونة وقال لها زال عنا البؤس فلقد رضى عنكى المسيح بهذا الفعل المليح فقالت ميمونة طيب قلبك أيها الملك فلو كان هـذا الملك فيه شيء من الشجاعة كما زعموا لما قعد عن الخروج إلى ساعة واحدة إلى الحرب ومقام الطعن والضرب وأخذ أبطالهم ولم يخرج الملك إلى فلابد أن أفرج عن قلبك منه بقتله أو أسره وأكفيك شره فدعا لها أرمانوس (قال) وأما كرفناس فانه جمع مواكبه وكتائبه وسألهم عن أحوالهم فلم يرى لهم ذكر إلا فى ميمونة وما فعلت ثم قالوا أيها الملك نحن ما جئنا على نية المبارزة هذه قد قتلت رجالنا وأهلكت شجعاننا وأنت تتماهل فى أمرها وهى ليست من أبطالك ولا من رجالك ولا تعد من فرسانك فوعدهم بالبراز اليها والحملة عليها فى غداة غد واستقر بينهم الحال وبطل القيل والقال وباتوا على ذلك حتى مضى الليل الحالك وأقبل الصباح الضاحك واصطفت الصفوف وترتبت الألوف وتقابل الصفان واشتهر الفريقان فقال الملك كرفناس وحق المسيح لو لا أن يكون على عار لكنت اخرج إلى هذا البطريق الذى نكل أمس بالرجال وأذل الأبطال وأتيتكم به أسيرا وأتركه عفيرا فقالوا أيها الملك ما هذا عار إذا برزت إلى هذا الفارس الكرار فهم فى الكلام وإذا بميمونة قد خرجت بين الصفين واشتهرت بين الفريقين ونادت يا كلاب الروم هل من مبارز هل من مناجز فصاح الملك فى البطارقة وقال من يخرج الى هذا الكلب فعندها برز اليها بطريق فقتلته وثانى فجندلته وثالث فأردته ولم تزل كذلك حتى قتلت عشرة أبطال من البطارقة الخواص فصاح الملك كرفناس فى عسكره وقال لهم يا ويلكم قولوا لهذا البطريق يرجع ويريح نفسه فى هذا اليوم الى غداة غد فأنا أبرز اليه فصاحت البطارقة لميمونة وقالوا لها مثل ما قال الملك كرفناس فقالت لا أبرح حتى يخرج الى فما أنا عاجزة عن قتاله وما بى تعب ولا نصب فقالوا للملك يخرج اليها وترجلت البطارقة بين يديه وكان عدتهم عشرة آلاف بطريق وان الملك كرفناس صاح فى ميمونة ويلك أيها البطريق لمن تخوف بشجاعتك وبراعتك فأنا الملك كرفناس بن جرفناس فدونك والقتال والحرب والنزال فلما نظرت ميمونة اليه عولت بالحملة عليه فقال كرفناس ويلك أيها البطريق وحق المسيح أنا شجيتى الانصاف وأنت اليوم قد تعبت وما أرى فى دينى أن أقاتل تعبانا ثم عاد عن ميمونة عادت

ميمونة الى عسكرها وأخبرت الملك أرمانوس بما قال لها الملك كرفناس فقال ما عمل إلا الصواب وفعل فعلا لايعاب ثم ان الملك رفع شأنها وعلا مكانها وزادت فى عينيه وان كرفناس رجع الى أصحابه وأخبرهم بما قال لميمونة فقالوا أيها المسيح يطيل عمرك فما أنصفك فى الحرب وأقاموا الى الغد فأول من برزا لى بين الصفين كان الملك كرفناس وخرج على جواد أشقر عالى مضمر حسن المنظر جيد المخبر يسبق الوحش بخطوته والريح بوثبته كما قال فيه الشاعر :

كأنما حتم المنايا جريه أو غضب الله أتى بلا مهل
شبهته إذا مشى فى لونه من ذهب وهو مجزع فذل

(قال الراوى) وان كرفناس توسط الميدان وهو على جواده الموصوف كأنه فى سرجه عقاب كاسر إلا أنه لطيف الخلقة ما يبان فى السرج ولكن له عزيمة لا تكون لأحد من أبناء جنسه مثلها فجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى معاشر أهل القسطنطونية من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا الملك كرفناس بن جرفناس فهل من مبارز هل من مناجز (قال الراوى) فما استتم كلامه حتى قفزا اليه شيبان بن حرب وأراد أن يرى الملك أرمانوس شجاعته وبراعته فلما نظر اليه كرفناس وكان معه قوس شديد وفيه سهم فأراد أن يرى الناس شدته فاستقبل شيبان بن حرب المتنصر بالسهم ورماه فى صدره مرق من ظهره فوقع إلى الأرض صريعا يخبط بدمه علقما ونجيعا فحمل أخوه على كرفناس وهو ينادى يالثارات أخى فلم يمهله حتى ضربه بفردة نشاب أخرى فقتله سريع فلما نظرت ميمونة على الخروج فقال لها ارمانوس لاتخرجى اليه فانى أرى سهامه ماتخطى فقالت لابد لى من الخروج اليه وآخذ روحه من بين كتفيه وجنبيه فقال لها الملك ارمانوس إذا كان ولا بد لكى من الخروج فالبسى التنور الذى لى فانه يمنع من السهام (قال الراوى) وأحضر بين يديها تنورا فولاذ كأنه قد غمس فى الذهب قد ظهرت صناعته فيها العجب يصلح ليوم الكريهة والعطب لايلبسه الا كل فارس منتخب فأفرغته على جسدها وركبت على حجرة عالية شما كأنها الليلة الكالحة الظلما قصيرة الركاب سريعة الذهاب ان طلب منها اللحوق لحقت وان أشار لها بالوقوف وقفت ان همزت طارت الى الغيوم مضمومة مضمرة الخواطر مليحة الحوافر لها أصل فاخر وغرة مثل القمر الزاهر صنعة الملك القادر تربية العرب الأكابر كأنها الفلك الدائر وهى من تحتها كأنها الثعبان لاتكل من الجولان ولا تحس ان على ظهرها إنسان (قال الراوى) ثم حملت على الملك كرفناس وصاحت فيه فعول على رمى السهم فلم تمكنه وعطلت سهمه وضايقته

وتصادما بالدرقتين فكانا كجبلين اصطدما أو بحرين التطما وجال كل واحد منهما على صاحبه وان كرفناس حط ضربة على درقة ميمونة فكانه من الحديد الصينى فقطعتها نصفان ورمتها شطران فلما رأت ميمونة ذلك صممت على كرفناس وأرادت أن تتعلق فى سرجه فوجدته كأنه عمود بولاد قد أقلب عليه الرصاص (قال الراوى) وأن كرفناس مد يده الى ميمونة وتعلق بأطراف التنور وجدبها من سرجها فجعلها فى الأرض فلما نظر ارمانوس الى ذلك أمر أصحابه بالجملة فحملوا وصاحت الصقالبة والملافطة ودام بينهم القتال وقام الحرب على قدم وساق وعملت السيوف الرقاق والرماح الدقاق وبليت الرجال بما لا يطاق إلى أن حميت الشمس واحمرت الأحداق وقطعت الأعناق وتمكنت بطارقة الصقالبة من أصحاب أرمانوس الاوهاق وبليت من سهامه بما لا يطاق فهذا قتيل بسيف براق وهذا مطعون برمح خراق وهذا طريح بمزراق وهذا دمه يفور وهذا رأسه باللت مكسور وهذا أنفه مجذوع وهذا عصبه مقطوع وهذا قد قطع السيف عاتقه وهذا قد نفذ الرمح من علائقه وهذا قد ضرب جانبه وهذا قد مسك ذقن صاحبه وهذا مسك خصمه امساك وهذا قد أيقن بالهلاك وهذا قد وقع فى الشراك وهذا قد قطع السيف لحمه وكسر عظمه وهذا قد علق بمنطقة خصمه وهذا فى ضر نفسه وهذا قد قطع قوائم فرسه وهذا قد أخذ عليه طريقه هذا ولم يزالوا كذلك من أول النهار إلى أن أتى وقت الاصفرار وافترقت الناس ورام أهل القسطنطينية أن يخلصوا ميمونه فوجدوا ما أملوه بعيد والوصول اليه صعب شديد هذا وقد انكسرت عزيمة ارمانوس المنحوس وواقعه من أجل ميمونة الوسواس والعكوس (قال الراوى) وان كرفناس لما عاد من الميدان مع أصحابه ومعه ميمونة أسيرة أمر أن يخلعوا ما عليها من السلاح وهو يقول وحق المسيح مالقيت قط مثل هذا البطريق وأريد أحتفظ به لعل أن يطيب قلبه ويكون معى (قال الراوى) فخلعوا عن ميمونة السلاح وبقيت بفلاله طاق فلما نظر إلى حسن سواعدها وعظم خلقتها ونظر إلى أعكانها وبطنها ونهودها ولم يكن قط نظر الى أسود وظن انها رجل فقال الملك ما أحسن هؤلاء الرجال فكيف يكون النسوان فكلموها بلسان السقارقه فلم تفهم ولا تكلمهم بكلام أهل ملتهم بل كلمتهم بكلام أهل القسطنطونية فلم يعرفوا ماتقول فقال على بالترجمان يكلم هذا الأسود فأتوه بشومدرس الملعون فلما وقعت عينه عليها انكب على يدها يقبلها فقامت له قائمة فقال الملك أراك تعرف هذا البطريق فقال أيها الملك هذا زوجة ارمانوس الأكحل فكيف قدرت عليها ووصلت اليها فقال أخذتها فى الجولان ومقام الحرب والطعان (قال الراوى) فلما علم كرفناس انها امرأة أرمانوس وقعت فى قلبه محبتها فقال لشومدرس

أيها الشيخ الصالح أريد أن تزوجنى بهذه الملكة لتكون مطبقى فقال أيها الملك هذه زوجة الملك ارمانوس الأكحل وهى فى حباله وما انفصلت منه فكيف تتزوج بها وهى ماهى خالية الفراش فقال أنا أريد أتزوج بها وأنا أحق من ارمانوس بها فقال له شومدرس المنحوس إذا كان الأمر على ذلك وعلى ما ذكرت فاخرج فى غداة غد واقتل ارمانوس وتزوج بها فصاح كرفناس فى شومدرس تزوجنى بها وإلا وحق المسيح أضرب الساعة رقبتك فقال شومدرس ما هذه إلاسنه منحوسة بهذا الملعون ثم قال لابحق المسيح لا تفعل أنا أزوجك بها ثم قال شومدرس لميمونة اسمعى من الملك ما يقول فانه يقول كذا وكذا فقالت ياأبونا لا تفعل فقال لها المسيح لا يؤاخذك لأنك مغصوبة ثم أنه أملكها على الملك ثم أخلوا لهم خيمة ودخل بها فمانعته ساعة فلم يطيعه فافترسها غصبا فلما نظرت ميمونة إلى تلك القوة طاب قلبها وطاب لها البسط ولم تعد تمانعه بقية الليلة واعتنقته ونامت معه إلى الصباح وهو لم ينم تلك الليلة فلما كان عند الصباح أتى اليها شومدرس وقال لها بالعربى كيف كانت ليلتك مع هذا الملك فقالت له أيها الشيخ الصالح لقد جهدت أن لا يكون ذلك والآن فقد جرى ما جرى وهذا الملك على كل حال أقوى من ارمانوس فهو أحب إلى منه وما بقى فى إلى ارمانوس رجعه وأول من يبرز إلى ارمانوس اليوم أنا وبقتلته أنال العلا فعلم شومدرس أن الملعونة عشقت كرفناس وحبته محبة عظيمة لأنها لم فيها خير مثل عقبة لا فى المسلمين ولا فى النصارى (قال الراوى) وأن جاسوس ارمانوس نظر اليها وماجرى مع كرفناس فعاد إلى ارمانوس وأعلمه بالخبر فقامت عليه القيامة وأرسل إلى البترك وأخرجه من البلد وقال له تمضى وتأخذ معك جميع القسوس والرهبان وكل شماس ومطران وتمضى إلى الطاغى وتقول له لا يتولع بى ويطلق زوجتى وخوفوه من المسيح وقولوا له ماهذا صواب أن امرأة لها زوج ما يحل لك أن تتزوج بها فامتثل البترك ذلك وكان ارمانوس قد دخل البلد وسار البترك ومعه ما يزيد عن أربعمائة قسيس وشماس وراهب ومطران والبترك فى أوائلهم عليه سواد وكذلك الذين معه عليهم أصناف الملابس من أبيض وأسود وأخضر وأخذوا معهم الأناجيل على رؤوسهم والصلبان فى صدورهم وهم يقرؤن الانجيل ولهم زمجرة تسمع من مسافة فرسخ ولم يزالوا كذلك سائرين إلى أن وصلوا إلى الملك كرفناس (قال الراوى) وجعل الروم يبوسون على أقدامهم إلى أن وصلوا إلى سرادق الملك فلما مثلوا بين يديه نظروا إلى ميمونة جالسة فوثبت قائمة وأمر الملك بالجلوس فجلس ثم التفت إلى كرفناس وقال أيها الملك كيف يحل لك أن تتزوج بامرأة لها بعل تفعل هذه الفعال فان المسيح لا يرضى لك بهذه

الفعال فقالت ميمونة أيها البترك لا تتكلم بهذا الكلام فان الرجل هو الزوج بعلى وهو الذى يملك البلاد ويذل العباد وأنه أوحد زمانه وفريد عصره وأوانه ونتيجة دهره فما يصلح لمثلى إلا هذا الملك وإن كان قولكم أن المرأة لا تتزوج ولها بعل أليس أنا كنت زوجة الأمير عبد الوهاب وتزوجت بأرمانوس وأنا فى مذهبى كل من طاب لى معه عيش فهو بعلى فلما سمع البترك كلامها علم أنه قد طاب لها المعاش فقال ياميمونة ويسهل عليكى أن تتركى الملك أرمانوس فقالت نعم يامنحوس ثم قالت الآن هو روحى وهو أقوى وأنا أحب الرجل القوى ولا سيما هذا الملك لأنه فارس مهاب وبطل وثاب فلما نظر كرفناس إلى محاجته صاح فيه أرعبة وقال له ويلك ياملعون جئت تفسد على زوجتى ومن هى اليوم مطيتى دونكم وهـذا الكلب وجميع من معه من الكلاب فعندها تواثبت اليهم البطارقة وقبضوا عـلى البترك ومن معه الجميع فأمر وقبضوا على البترك ومن معه الجميع فأمر بضرب أعناقهم فضرب منهم خمسين رقبة فوثبت ميمونة وشومدرس وسألوا فى الباقين فقال لابد لى من قتلهم أو حلق لحاهم فقال البترك باللحا ولا بالقتل وللحية تنبت والراس لا تنبت أبدا فعندها أمر بحلق لحاهم الجميع وأطلق سبيلهم فقالت ميمونة للبترك اعلم اننى ما أعود الى أرمانوس أبدا لأن هذا الملك كرفناس قد تزوجنى وقلبى قد طاب فأريد منكم أن ترسلوا لى ولدى فان لم ترسلوه فلا بد أن تقعوا فى يدى مرة أخرى (قال الراوى) فبـادر البترك وأصحابه الى المسير وسرعة الجد والتحويل حتى وصلوا الى باب القسطنطونية ودخلوا البلد فلما نظرهم أرمانوس محلقين الشوارب مثل التيوس ضحك من شدة الغيظ وسألهم عن حالهم فأخبروه بما جرى لهم مع كرفناس وميمونة المفتونة فقال ارمانوس سوف ترون العجب وقد عولت اننى أكاتب سائر الأقاليم من بلاد الروم على أجنحة الطيور فى البر والبحر وقال لمارس أريد أكاتب الأمير عبد الوهاب لعل أن يأتينا وينصرنا على هذا الطاغى الباغى الخارجى الذى خرج علينا وأخذ زوجتى ميمونة وأقول له أن كنت كسرت هذا العسكر يكون لك عندى فى كل سنة ما كنت أحمله الى خليفة المسلمين فقال أيها الملك عبد الوهاب قد بلغنا انه سقى سقوة من السم ولا نعلم ماكان منه

﴿ تم الجزء الثالث والخمسون ويليه الجزء الرابع والخمسون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الرابع والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال الملك نكتب كتاب فان كان ثقيلا فى مرضه نستنجد بأمراء المسلمين ثم كتب كتاب الى الأمير عبد الوهاب يسأله القدوم ويقول فيه ان هو أخذ مدينة القسطنطونية لابد أن يدخل بلاد الإسلام وأرسل الكتاب مع رسول فسار الى ملطية (قال الراوى) وان كرفناس من زحف إلى البلد ورتب اليه القتال الشديد ولم يزل كذلك مدة أربعين يوما هذا والملك كرفناس قد ضاقت عليه الأرض بما رحبت فقالت له البطارقة أيها الملك لا تستعجل فى الحصار وهذا البلد ما يؤخذ فى أقل من سنة من الزمان قال سوف أريكم أنا كيف آخذه ثم أمر النقابين أن يزحفوا وأمر الرماة أن يكونوا أمامهم ففعلوا ذلك فرجعوا الى الباب وأقاموا على ذلك أياما عده ففى بعض الأيام فتحت أهل القسطنطونية الأبواب وصاحوا فى السقارقه والملافطه أين تأخذون وقد جاءكم المنون فقال الملك أن القوم قد جاءتهم نجدة فتطاول الملك كرفناس إلى ذلك وإذا من ورائه غبار قد أشرف من ناحية بلاد المسلمين وقد أسود الأقطار من عظم تراكم الغبار فقال الملك كرفناس هذا الغبار يقرب ويدل على عسكر جرار ولم يزل الغبار يقرب إلى أن وصل قريبا من القسطنطونية وأنقشع عن عسكر جرار وخلق عظيم لايحصيهم إلا الله تعالى وكان ذلك الغبار والعسكر واصل مع الأمير عمرو بن عبيد الله السلمى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن البطال لما كان مختفى فى القسطنطونية عند مارس الحاجب ووقعت

الضجة فى مدينة القسطنطونية وجرى ما جرى من قصة ميمونة وكيف أخذها الملك كرفناس ووقعت الضجة ولم يجد أبى محمد لأخراج عقبة من سبيل خلاه عند مارس ثم أنه طلع هو وطيبون مع الحاجب مارس إلى خارج البلد وسار به الحاجب إلى حيث يأمن الطلب وودعه مارس وسار أبى محمد مع الراهب طيبون طالبين ملطية إلى أن وصلوا ملطية ودخلوا على الأمير عبد الوهاب فوجده على غاية من الجهد وهو على ضر عظيم وكان سببه أن الملعون مطرون لما تكلم فى حق الأمير عبد الوهاب ولم تكلم ولم يبلغ غرضا من الأمير عبد الوهاب فأرسل إلى الأمير عمرو بن عبيد الله على جناح الطير كتابا يقول فيه على لسان المعتصم أمير المؤمنين أنى قد أرسلت هذا الكتاب وفى بطنه قليل من الدواء الذى أراد عبد الوهاب أن يسقيه إلى أمير المؤمنين المعتصم وقد أرسلت اليك البقية فابصر كيف تدبر وتقتل عبد الوهاب أما تسقيه فى الماء وأما فى الطعام وأما فى الشراب وما أعرف أتلافه أو قتله إلا منك فقد تعدى طوره وأخرق بناموس الخلافة ووقع فى حق القاضى عقبة

(قال الراوى) وأن الطائر وصل إلى ملطية فأخذه الأمير عمرو بن عبيد الله ففرح الفرح العظيم الذى أمره المعتصم بذلك ثم جعل يحث ويدبر الحيل إلى أن برطل الطباخ بخمسين دينار وخلعة وقال له إذا أردت أن تقدم الى الأمير عبد الوهاب الطعام فاطرح فيه من هذا القرطاس قليلا ولا تعلم بذلك احدا فأخذ الطباخ ذلك وأخذ من الأمير عبد الوهاب خلسة وغفلة ووضع له من القرطاس فى طعامه الخاص فما هو الا ان أكل فانتفخ فى ساعة الحال وكان سبب سلامته أنهم كانوا قد سقوه فى بلاد الهند شيئا من حشيش البر شربة لا تعمل فيه السموم مدة ما نفاه الرشيد فلأجل ذلك لا يعمل معه شىء من السموم الا أنه أنتفخ وأقام منتفخا مدة وعالجوه الأطبال فلم ينفع فيه علاج فلما أتى رسول البطال ودخل على الأمير عبد الوهاب ونظره فى تلك الحالة فقامت عليه القيامة ونظره الراهب طيبون فقال لا بأس عليه لا تعرفوا شفاه ودواه الا منى أن شاء الله تعالى ثم أخذ الطشت فوضع فيه لبن حليب وأخذ خرزة من عضده وحكها فى اللبن وسقاه للامير عبدالوهاب فما أستقر فى أمعاءه الا وجعل يرميه أقراصا سود الى أن أمتلأ الطشب فانهضم الورم وخف المرض وراح النفاخ وفتح الأمير عبد الوهاب عينيه وقال أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما فتح عيناه ونظر إلى البطال فكلمه وهناه بالسلامة قال للأمير عبد الوهاب كيف كان هذا الذى جرى عليك فقال لا أعلم فقال أنا أريك كيف أخرج الذى فعل هذه الفعال ثم قبض على الطباخ وهدده فلم يقر بشىء من ذلك فمد غلام الطباخ وضربه فقال يا مولاى

أنا أقول لك فقال قل فقال أن الأمير عمرو بن عبيد الله برطلني بخمسة دينار وناولني قرطاس فيه دواء فوضعته فى الطعام وان هذا هو الموجب لمرض الأمير عبد الوهاب فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك أرسل إلى عمرو وقال له ياعمر وأنت الذى فعلت بك من القبيح حتى تكافئنى به هذه المكافئات اليس إذا وقعت النائبة وبنى سليم فى النوائب أجرد أنا وبنى عمى وأسعى فى خلاصكم أفيكون هذا القتيل فى مقابلة هذا الجميل فحلف الأمير عمرو ان ما عنده من ذلك خبر وان غلام الطباخ يكذب عليه ثم أن البطال قال لعبد الوهاب إيش قعودك فى ملطية أرسل الى الكوكب وأنا أعلم أن هذا الشيطان الذى قد ظهر إلى القسطنطونية يأخذك ويدخل بلاد الإسلام فعند ذلك رحل الأمير عبدالوهاب من ملطية فى بنى كلاب والسودان الانجاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ووصل بعدرحيل الأمير عبد الوهاب رسول الملك أرمانوس الى ملطية وسلم الكتاب الى الأمير عمرو بن عبيد الله فلما قرأه وعلم معناه كتب فى الحال الى الخليفة المعتصم على جناح الطير يعلمه بالقصة التى جرت بين ارمانوس وكرفناس فوصل الطير الى المعتصم فأخذ الكتاب وقرأه وعلم ما فيه وكتب الى عمر ويقول له اجمع عسكرك من بنى سليم الامارة وارحل الى عند الملك أرمانوس وانصره ليكون لنا به عند ذلك اليد البيضاء ولولا اشتغالى فى هذه السنة لكنت انا أكون عوض كتابى وسبب شغلى فى هذه السنة ان بغداد قد ضاقت بالناس وقد استغاثوا الىَّ وأريد أخرج وانظر مكان من أى الجهات يكون متسع اعمل لى مدينة اذكر بها والا كنت سائر نحوك وارسل الطير الى الجوفوصل الى ملطية فأخذعمرو الكتاب وقرأهففرح الفرح الشديد وجمع بنى سليم فقرأ عليهم الكتاب ففرحوا طالبين بلاد الروم ولم يزالوا سائرين الى أن أشرفوا كما ذكرنا فلما نظر عمروا الى عسكر السقارقة والملافطة وقد ملكوا الأرض خاف خوفا عظيما وقال لبنى عمه لقد غررنا بأنفسنا ولكن سوف ارسل الى الروم رسول حيث انهم لا يصدقونا بالجملة اليوم وقد وصلنا تعابا ثم ارسل عمرو عشرة من بنى سليم الى كرفناس يقول له لا تتعرس لنا بقتال فى هذا اليوم لأننا قدوصلنا تعابا وقد وجدنا من النصب والتعب أمرا عظيما فأنصف من نفسك ولا تحمل علينا فانا تعابا (قال) فمضت الرسل حتى أشرفوا على كرفناس فلما نظر اليهم صاح فيهم وقال لهم ويلكم من أين انتم فقالوا من عند أمير المؤمنين فقال من رجال الأسود عبد الوهاب فقالوا لا بل نحن من رجال أستاذ الأسود فنظر الملك اليهم والى زيهم وملبوسهم وخيلهم فأعجبه ذلك وقال لهم ما تقولون فقالوا يقول لك أميرنا لا تباشر اليوم حربا ولا قتال الى غداة غد أيها الملك فقال لهم أنا أفعل ذلك بعد أن تنزلوا عن خيولكم فقالوا له لا تفعل أيها الملك

فقال لهم أنا أحب اليكم تخلعوا ثيابكم أو اخلعها عن أجسادكم فعندها خلعوا ثيابهم وأمر بحلق لحاهم فقال شومدرس ان العرب يرونِ ضرب الرقبة ولا حلق اللحية فان ذلك عليهم عار فقال خيرهم فى ضرب رقابهم أو حلق لحاهم واتركوهم يمضون الى أميرهم فقال لهم شومدرس الملك يقول لكم حلق لحاكم أو ضرب رقابكم فقال رجل منهم لا صحح الله لك بدنا يا ملعون ما أنت الا واسطة ميشومه فقال ان الملك يقول لابد من أحد الأمرين فقالوا بل حلق اللحية فانه أهون من ضرب الرقبة فضحك الملك وشومدرس وحلق لحاهم فقالت لهم ميمونة من أميركم فقالوا أميرنا الأمير الأجل والكهف الأطل الشجاع والقرن المناع الأمير عمرو بن عبيد الله فضحكت ميمونة وقالت أيها الملك لا تهتم فقد جاء اليك واحد ماعلى وجه الأرض ادبر منه ولا اذل منه (قال الراوى) وساروا يطلبون الامير عمرو فما خرجوا إلا ورسول الملك أرمانوس قد التقاهم خارجون من عسكر الملك كرفناس فقال له رسول الامير عمرو الى أين تمضى فقال من عند الملك فى رسالة فقالوا له بل نحى لحيتك من ههنا حتى لا تبطىء عندهم وتعود الى أصحابك عاجلا بل لحية فضحك الرومى وساروا القوم الى أن وصلوا الى الامير عمرو بن عبيد الله فقال لهم ما وراءكم فقالوا الادبار والوبال ان قلنا لك خير فنكذب والنظر يغنى عن الشكوى فقال لهم كيف كان الامر فقصوا عليه القصة وقالوا اولا شومدرس لما كان أبقى علينا فقال عمر وماهذا الا رجل طاغى باغى فوالله لابد لنـــا ما نلقى منه تعبا شديد ونصب فياليت الامير عبد الوهاب حاضر لعله كان يكشف عنا مابنا ويكفينا شر هـذا الملعون (قال الراوى) وأرسل أرمانوس الى الامير عمرو يقول له ان أنتم كسرتم هـذا العسكر لكم عندى من الاموال كذا وكذا ألف دينار فلما وصل اليه الرسول أعاد عليه ما قال أرمانوس فقال للرسول احلقوا دقنه ولحيته كما فعلتم فى بنى سليم (قال الراوى) وان القوم أقاموا غد أضاحى النهار فركب عمرو فى بنى سليم وركب أرمانوس فى عساكر مدينة القسطنطونية وسائر الاقاليم وزحفوا الى القتال فلما نظر أرمانوس الى كثرة عسكره فرح وان كرفناس لما نظر الى ذلك أمر أصحابه بالحملة فحملوا وتصادمت الرجال والتقت الابطال وذهب المحال وقل القيل والقال وحمى الفارس الريبال وصهلت الصافنات وتصادمت السادات ولم يزالوا فى الحرب الشديد والامر العنيد الى أن حمى الحديد فوق ابدان الصناديد وعوات بنى سليم على الهزيمة فقال لهم عمرو يا بنى عمى اعلموا إن الامير عبد الوهاب وبنى كلاب ما كن لهم بجد إلاَ بالصبر على القتال فاصبروا هذه النوبة على قتال العدو لتنالوا الاجر من الله واليد البيضاء عند أمير المؤمنين المعتصم وأنا أول من يبرز فى غداة غد للقتال

والحرب والنزال وأريكم ما أفعل بالروم (قال الراوى) وانفصل القتال وأقاموا إلى غد وكان أول من برز بين الصفين واشتهر بين الفريقين الامير عمرو وقد جاد بنفسه دون أصحابه فقال كرفناس لميمونه أيتها الملكة أظن هذا الفارس الامير بتاع المسلمين عبد الوهاب فقالت أيها الملك ما هذا من ذكرت ولكن هذا أيضا فارس مذكور وبطل مشهور فقال الملك من يأتينى به أسير أو يتركه فى دمه عفير وله على من المال ما يشاء. فقال له ابن عم له أنا له ثم خرج اليه وحمل عليه فلما نظره عمر وعطف عليه وصاح ياعدو الله خذ الآن لنفسك ثم جال معه ساعة واستجاده عمرو بطعنه فى صدره طلع السنان يلمع من ظهر فوقع الى الارض صريع يعج علقما ونجيع فلما نظر الملك الى ذلك عول أن يحمل عليه فمنعته ميمونه من ذلك وقالت أيها الملك ما أدعك أن تخرج الى هذا الامير وأنا أفديك بروحى ونفسى ثم خرجت الى عمرو فلما رآها كره لقاها وعلم انه ليس من رجالها ولكنه خاف من العار أن ينهزم فحمل عليها وحملت عليه فما كان بأسرع من لحظة حتى أكبت عليه وأخذته أسير وقادته ذليل حقير ثم عادت به الى أصحابه وسلمته اليهم وكرت راجعة الى وسط الميدان ونادت برفيع من صوتها يا بنى سليم ويا من لا يكشفوا قط ضيم ابرزوا الى فقدان أعماركم فأنا ميمونه زوجة كرفناس الذى ساد على جميع الناس بالشدة والبأس وهو ملك السفارقه (ياسادة ياكرام) فما استتمت الملعونة كلامها حتى برز اليها فارس من المسلمين وحمل عليها فلما رأته ميمونة مالت اليه وحملت عليه وعمل بينهما حرب يعجز عنه الثقلان وبهتت اليهما العشران وكانا كانهما جبلان اصطدما أو بحرين التطما والفارس يصيح على ميمونة ويجود ضرباته وطعانه فشهد له الجمعان بالفروسية فلما عاينت ميمونة منه ذلك أخذت حذرها منه وصارت تصيح عليه ويصيح عليها ويقول ويلك يا ميمونة أنا حجاف النميرى وكان هذا حجاف من بنى نمير وكان فارسا شديد وبطلا صنديد فلما طال بينهما الخطب والحرب وضجوا من الضرب بالصارم العضب فتراجعت إلى ورائها وحط عليها بضربة فقطعت الدرع والرفادة وجرحتها جرح قوى فلما نظرت إلى ذلك عولت على الهزيمة فأدركها فضربها أخرى فوقعت على كتفها الأيمن فنزلت فيه شبرا فلما عاين كرفناس ذلك أطبق عليه واختطفه من سرجه وأخذه أسير وأتى به إلى أصحابه وسلمه إليهم وحملت عساكر السفارقة على بنى سليم فقتل فى ذلك اليوم أزيد من ثلاثين ألف منهم وأخذوا الباقون أسارى عن بكرة أبيهم (قال الراوى) وان الملك أحضر ميموتة الملعونة ونظر إلى الجراح التى فيهـا وأمر الجرايحى أن يشدها فشدت فقالت ميمونة المفتونة على بالذى ضربنى هذه الضربات فقدموا الأمير حجاف النميرى

اليها فى الحال فلما رأته أمرت بقطع رجليه وقالت لأصحابها بيتوه تحت الندى حتى تضرب عليه رجليه ويموت كمدا فاذا كان فى غداة غد وأصبح سالما قطعت يديه ثم أضرب عنقه (قال الراوى) وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ونصلى على زين الملاح محمد صلى الله عليه وسلم وأما كرفناش فانه ضيق الصدر من أجل ميمونة فدخل إلى عندها وقال لها اخرجى إلى ظاهر الخيمة واضربى عنق هذا الذى جرحك فقالت أيها الملك أنا الذى لا أقتـــله فقال لها ولم ذلك قالت رأيت فى المنام كان طيور قد انقضت على وهموا أن يأخذونى بمخاليبهم فجزعت منهم الجذع الشديد وإذا بهم كلمونى وقالوا ويلك يا ملعونه أخذتى وليا من أولياء الله تعالى وقطعتى رجليه فوحق رب السماء ان رجعتى اعترضتى اليه لينزلن عليك سخط من السماء وأنا ندرت أيها الملك ان لا أعود أتعرض له بسوء أبدا فان عاش أطلقته وخليت سبيله وان مات فأمسك الملك ولم يتعرض له ﴿ قال الراوى ﴾ وان حجاف بردت عليه رجليه وضربت عليه فوجد لها ألما عظيما حتى أشرف على العطب وهو مع ذلك صابر ﴿ ياسادة ﴾ وان ارمانوس لما نظر إلى عسكر السفارقة والملافطة وقد كسروا المسلمين جمع أرباب دولته مع البترك وقال لهم اعلموا أن هـذا الطاغى قد طمعت نفسه فى المملكة ولا بد له أن يملك هذه المدينة وقد عولت على أنى أترك هذه المدينة وأبذل أموالى ورجالى فى المراكب وأسير إلى المغلبيط وأقيم به إلى أن يرحل هذا الـكلب إلى بلاد الاسلام وأجمع العساكر وأعود اليه فلما سمع أصحابه ذلك قالوا له نحن لك وبين يديك ولا نخالف لك قولا أبدا (قال الراوى) وان أرمانوس نزل فى البحر ونزل معه أصحابه وقال للبترك ان شئت أن تقيم فاقيم ههنا فما أنا بالذى أكرهك فلما سمع البترك ذلك قال لا أطيق القعود بعدك ولا سيما مع هذا الطاغى الباغى الذى قد حلق لحيتى وما حفظ حرمتى ونزل البترك والرهبان والقسوس والشمامسة معه (قال الراوى) وكان البطال أقام مدة لا يقدر على إخراج عقبة كما ذكرنا وبقى فى قلبه النـار لأجل الأمير عبد الوهاب فترك عقبة عند مارس فى القسطنطينية ورحل إلى ملطية كما نقلنا فلما أن رحل أرمانوس قال مارس لأخيه دارس أريد أن أنفذ عقبه إلى حصن يانس المتعزب فيـكون فيه مقيما إلى أن يأتى البطال ويأخذه فعندها أخرج مارس لعقبـة صندوق وحطه فيـه وأخرج معه غلاما من غلمانه يسير به إلى حصن يانس محتفظا به (يا سادة) وخرج الغلام ولم يزل سائر به إلى أن أبعد عن البلد ووصل إلى وادى يقال له وادى الظباء وإذا بميمونه قد أشرفت ومائة بطريق قال الراوى وكانت قد نذرت على نفسها انـــ هى

برئت من الجراح ان تقصد الى دير شمعون الصفا وتقرب فلما برئت قصدت إلى الدير وزارته وعادت فلما نظرها غلام مارس ترك الصندوق وتساق فى الجبل فصاحت الملعونة ميمونة وتسلقت وراءه الرجال فى طلبه فحذف عليم الأحجار وقتل ثلاثة رجال وعادوا الباقين وفتحوا ذلك الصندوق فنظروا الى عقبة فأحضروه بين يدى ميمونة المفتونه فقالت له أيها الشيخ النجيح من وضعك فى هذا الصندوق فقال لها يا بنية وضعنى فيه البطال فقالت ميمونة لا شك أن الذى انفلت من أيدينا البطال ثم انها أنفذت الرجال فى طلبه يمينا وشمال ثم أنها ركبت عقبة على حماره وسألته عن حاله وما جرى له فحدثها بجميع ما جرى عليه وما جرى له من أوله إلى آخره (قال الراوى) وأن ميمونه حدثت عقبة بما نالها من الأمير حجاف وكيف جرحها وقال لعله يكون حجاف سيد بنى نمير وشجاعها فقالت هو ذاك فقال لها انى من سنين نزلت على حلة بنى نمير وأضافنى هذا حجاف ولقد أكرمنى غاية الاكرام ولقد أغاظنى تلك الليلة مما كان يقرأ القرآن مليح ويسبح الله العظيم قوى ثم أن عقبة سألها عن ارمانوس المنحوس فقالت له ياأبونا أنا اليوم ما أنا مع أرمانوس فقال لها وكيف ذلك الأمر فقالت أنا اليوم مع الملك كرفناس لأنه أوجه من أرمانوس وأشجع فقال لها أن الملكين كريمين ولكن كرفناس أوجه من أرمانوس من ثلاث وجوه أحدها شجاعته والثانى كرمه والثالث يصلح للفراش والهراش ولقد شاهدت منه فى بلده مالم أشاهد مثله لأن له مائة سرية ما فيهن إلا من كرهته لأجل اكثاره فقالت ميمونة ياأبونا وحق المسيح هو أوفى مما تقول فى هذا الفعل وما عشقته إلا لأجل ذلك فقال لها عقبة المسيح يقويه (قال الراوى) وساروا إلى أن وصلوا إلى العسكر ودخلت ميمونة على كرفناس وبشرته بخلاصها لعقبة وقصت عليه القصة وما جرى له مع البطال ففرح بسلامته (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأن عقبة أحضر فى الحال حجاف بين يديه وقال ويلك وقعت ياحجاف ابشر بالتلاف فلما نظره حجاف عرفه وقال له ويلك ياملعون لقد كنت ألوم الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال فيك وما كنت أعلم أنك نصرانى ياملعون والآن قد حققت ذلك عيان فقال له الملعون عقبه ويلك ياحجاف أنا أخبر منك بالأديان وبشرائع الاسلام وكيف كنت أرمى نفسى بالدون ويلكم ويلك تذكر ليلة ضفتنى وذبحت لى الذبائح فقال نعم فقال له ظننت انى كنت أسمع قراءة القرآن ياويلك وحق المسيح لو طولت على عشر آيات أخرجت روحى من بين جنبى وأن الملعون عقبة أمر بقتل حجاف فقال له الملك لا تفعل إلا باذن الملكة ميمونة فى ذلك الأمر فان أمرتك بقتله فاقتله وإن أمرت بتركه فاتركه (قال الراوى) ياسادة

ياكرام فأحضروا ميمونة وقال لها أن الشيخ النجيح أراد قتل حجاف فما مكنته من ذلك فقالت ياأبونا لا تفعل فقد رأيت فى المنام كذا وكذا فشالوا حجاف من بين يدى عقبة وأن عقبة أحضر إلى شومدرس وقال له أيها الشيخ النجيح أبو الشر قم بنا إلى بنى سليم ننظر كيف حالهم ثم دخل عقبة بين الخيام وكان قد ابيضت شيبته ومسخت رؤيته حتى بقيت كانها بياض الثلج وقد دق عظمه وهرم ونحل جسمه وسقم وسار إلى أن وصل إلى بنى سليم فنظروا اليه ونظر اليه الأمير عمرو بن عبيد الله وقال لمحمد ابن أبان السلمى ياأمير أما ترون إلى هذا الشيخ وحق النبى المصطفى ما كانه إلا عقبة ولا شك لأن الأمير أبى محمد البطال أن ينظر إلى هذا الشيخ يقول أنه عقبة (قال الراوى) ياسادة وأن شومدرس قال لعقبة ياقاضى بحق المسيح ما أوجعك قلبك عل بنى عمك عمروا بن عبيد الله فقال عقبة وحق المسيح ما كانت أحسب إلا أن فى رأسك عقل وحق المسيح لو ان لى أولاد أو اخوات وهم بعدد النجوم ويقولون كلمة الاخلاص وقدرت عليهم لذبحتهم بيدى عن بكرة أبيهم ووحق المسيح لولا انى أخاف أن أفتضح وأخاف أن يسلم منهم أحد من بنى سليم لأمرت الملك كرفناس أن يسلمهم إلى وأضرب أعناقهم بيدى (قال الراوى) وعاد عقبه إلى الملك كرفناس والملك قد زحف إلى مدينة القسطنطينية فلما نظروا أهل القسطنطينية إلى كرفناس فتحوا الأبواب وقالوا أيها الملك أدخل فقال وكيف أدخل وأرمانوس أين فقالوا أيها الملك أنه ورجاله نزلوا فى المراكب وساروا إلى بلاد المغلبيط وهذا البلد اليوم بحكمك ودخل الملك كرفناس هو ورجاله وأصحابه إلى أن وصلوا الى قصر الملك ونزل فيه ودخلوا جميع أصحابه إلى البلد (قال الراوى) وأن كرفناس لما استقر به المكان قال لعقبة أيها الشيخ أريد البترك فطلبوه فلم يجدوه فأخبروه أنه رحل مع ارمانوس فقال أنا كنت هددته وقلت له أن فتحت مدينة القسطنطونية لأضربن عنقك فقال عقبه دبر ما ترى فيه من الرأى فقال أما بعد أن تكون معى أريد بتركاسواك وإن دخلت إلى بلاد الاسلام يكون شومدرس خليفتك ثم أن الملك قال لعقبة لابد أن أكتب إلى سائر الأقاليم أقصاها وأدناها بأن كل من كان فى طاعة أرمانوس يأتى إلى ومن لم يأتى إلى فأنا أرحل اليه واترك دياره بلاقع لأنى أريد السنة أدخل إلى بلاد المسلمين ثم أن كرفناس قال لعقبة شير علىَّ كيف أصنع بهؤلاء المسلمين فقال أيها الملك خفف منهم فضرب خمسة آلاف رقبة من بنى سليم ومن بنى نمير وأن الملك أحضر عمروا بن عبيد الله وأمر بضرب رقبته فقال عمرو أيها الملك وما ينفعك ضرب رقبتى فقال حتى تعطينى جميع ما معك من الأموال فقال أيها الملك وما عسى أن أعطيك وأنا

ههنا فقال الملك أريد منك عشرة آلاف كيس وفى كل كيس عشرة آلاف دينار فعلم عمرو أن كرفناس ماله عقل فقال له أيها الملك على كلما طلبت فقال كرفناس وأريد من أصحابك كل واحد مثلك ثم قال لعقبه وهو حاضر أريد أدخل إلى بلاد المسلمين فلا يعارضنى معارض فوحق المسيح لو لقيت من لقيت ما أبقى عليه ولو سألنى أخى هذا قسطه (قال الراوى) وكان له أخ يقال له قسطه وهو قائم على رأسه ثم رفع السيف لما قال ذلك الكلام وضربه طير رأسه نخاف كل من كان حاضر وخشى عقبه منه ومن قلة عقله فلما نظر كرفناس الى أخيه وهو مطروح أمر بدفنه وضرب على قبره عشرة آلاف رقبة من بنى نمير وبنى سليم وقال لعمرو طيب قلبك ففى غداة غد اصلبك على باب مدينة القسطنطونية أنت وجميع أصحابك معك فلما سمع عمرو ذلك قال طيب الله قلبك كما طيبت قلبى فقال الملك سلم الى المال الذى قلت لك وان لم تفعل حلقت دقنك ودقون أصحابك وان عقبة أحضر حجافا فى داره وتركه عنده ثم تقدم اليه وقلع الخرق التى كانت على رجليه وجعل يحمى المكاوى ويكوى بهما رجلى حجاف وحجاف يقول لا صحت وانى صابرا على التلاف ولما نظر عقبة الى ذلك تركه وخرج من عنده فقال حجاف والله لقد كانت رجلاى تضرب على الليل والنهار فلما كواهما عقبة بالمسمار فلم تعد تضرب على وان عقبة نظر فى تلك الليلة مناما وقائلا يقول له يا ملعون ويلك تعمل بولى من أولياء الله تعالى هذا العمل فلئن اعترضته لا يكونن وبالا عليك فانتبه من المنام وهو مرعوبا فدخل على الملك وقال أيها الملك أريد أن تصلب حجافا على باب البلد فانه أبغض الأشخاص الى فقال الملك إذا كان الأمر على ذلك ففى غداة غد اصلبه فعند ذلك دخل عقبة على حجاف وقال له ابشر ففى غداة غد يكون صلبك فلم يرد عليه جوابا ولا أبدأ خطابا قال مرحبا بلقاء الله وصبرا على قضائه وقدره وأمسى المساء وحجاف قد أيس من روحه وقد استفتح وقرأ سورة الانعام فلما فرغ من قراءتها وإذا هو بشخص قد دخل عليه وقال له ارفع رأسك فقد أتاك الفرج من عند صاحب الفرج ثم انه حمله وسار به إلى أن وصل الى باب البلد وأخفى زيه وفتح الباب وكان ذلك الشخص يقال له زحاف وهو أخو حجاف ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار (قال الراوى) وأما عقبة فانه حرض كرفناس على قتل باقى المسلمين فمنعته ميمونه من ذلك وقالت أيها الملك إن هؤلاء القوم يكونوا مقيمين بمدينة القسطنطوية واطرح عليهم الأموال فان أتوك بالأموال فاطلقهم فاستصوب الملك رأيها وأحضروا فى الحال عشرة من بنى سليم وقطعوا عليهم المال وهى ألف ألف دينار وعشرة آلاف رأس من الخيل وكتب بخطه ذلك وأخرج

عشرة رجال وساروا طالبين بلاد الاسلام فلما بعدوا دخل عقبة على حجاف ليصلبه كما وعده فلم يجده فصاح وجلبب وجمع الروم من حوله وبلغ الخبر الى الملك فأحضر عقبة بين يديه واستخبره عن حاله فحدثه بما كان من حجاف وانه قد عدم فأمر الملك بركوب الخيل ووراءه فى الطريق فلم يقعوا له على أثر وكان ظن الروم كلهم ان البطال خلصه لانهم لا يعلمون من هو بهذه الصفة إلا هو (قال الراوى) وبلغ الخبر الى الأمير عبد الوهاب بأن مدينة القسطنطونية قد ملكها كرفناس فقال لأمه يا أماه هذه النوبة ما لنا فيها ناقة ولا جمل ولا بد للمعتصم ما يرسل الينا ويلعب بنا ويقول سيروا إلى بلاد الروم وإعملوا على خلاص عمرو بن عبيد الله وبنى سليم والله لقد هانت علينا أنفسنا ولا سيما مع من لا يعرف لنا الجميل وكافئونا بالقبيح فقالت الأميرة وعلى ماذا قد عولت فقال نرحل ونطلب بلاد الحجاز ونقيم عند أهالينا وبنى عمنا حتى نخلص مما نحن فيه فاننا نحن كل يوم فى الحبوس ونهدد بالقتل والبؤس فقالت الأميرة يا ولدى أنا بحكمك فافعل بنا ماشئت (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب أمر بنى كلاب أن يأخذوا معهم أموالهم ورجالهم وبعولهم وأولادهم وعولوا على المسير وكذلك العبيد الانجاب فتعلق به الأمير عبد العزيز العلوى وقال له أيها الأمير الجليل أنت قد عولت على الرحيل وأنا بالويل والعويل من أجل العجوز العلوية التى قد انقطعت أخبارها عنى ولا سمعت لها خبرا ولا أدرى هل هى فى قيد الحياة أم لا وان كان يا مولاى ولابد من الرحيل فامضى واتركنى ههنا أتنسم الأخبار فلعلى أقع لها على خبر وأجتهد فى خلاصها فقالت له الأميرة سر يا ولدى بنا إلى الحجاز فلابد أن يظهر خبر أمك ان كانت فى قيد الحياة أسير الى خلاصها برجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما (يا سادة) فعندها سكن ما بعبد العزيز من الآلام عند سماعه من الأميرة هذا الكلام وسار باخوته مع الأمير عبد الوهاب طالبين الحجاز هذا وبنى سليم المحبين لعبد الوهاب قد تعلقوا بالأمير فلم يجبهم الى هذا ولا الى ذاك وسار بالظن والأهل الى أن دخل إلى أرض الحجاز ووصل الى ماء النظيم ورمال عالج وبير معاوية فوجد حلل بنى كلاب تموج بسكانها وترتج بقطانها فلما نظروا الى عساكر الأمير ركبوا والتقوهم وفرحوا بهم الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وعقروا العقائر ونحروا النحائر واترعت الجفان وأقام الناس فى الضيافة ثلاثة أيام وخلع الأمير على سادات قومه ووجوه عشيرته من الثياب الديباج الرومى وعلى الفقراء ثياب الخام والمقصور وأن الامير عبد العزيز العلوى طلب من الامير ستورا وقال أيها الامير انى أريد أن أمضى إلى مكة حرسها الله تعالى وأكون فيها مقيما إلى أن يسهل

الله ظهور خبر والدتى ويجمع الله تعالى بينى وبينها فأذن له فأخذ أخوته وسار إلى مكة وأقام بها أيام وكان لاينام إلا تحت أستار الكعبة فبينما هو ذات ليلة من الليالى قد غلب عليه السكرى إذ رأى كان طائرين أبيضين وأرجلهما حمر فقعد الواحد عند الركن اليمانى والآخر عند الركن الأيسر فلما استقر بهما الجلوس قال الواحد للآخر يا أخى ان هذا الشخص النائم شريف وقد فقد والدته وهو رجل شريف ووالدته أعز الخلق عليه فهل عندك منها علم فقال الطائر الآخر بكلام فصيح مثل كلام الآدميين اعلم يا أخى أن والدة هذا الشخص الذى خفيت عنهـــا الأخبار هى أسيرة فى بلاد الكفار وقد أنزلوها فى سرادب تحت الأرض وهى تعذب فيه بأنواع العذاب وهى على تلك الحالة وفى سنتنا هذه يولد لذلك الملك الذى هى عنده ولد يعيش سنه ثم يموت وتكون والدة هذا الشخص قد أخرجوها لتربية الولد فاذا مات يرجعوها إلى السرادب وتعود تخلص بعد مشقة عظيمة وأن لهذه العجوز صوتا فيخرق الصوت بلاد بعيدة حتى يسمعها أمير المؤمنين المعتصم أبو أسحاق فيسير إلى خلاصها بعساكر العرب والعجم تطبق الارض ويكون خلاصها على يديه بعد أن يهلك خلق كثير (قال الراوى) فانتبه الأمير عبد العزيز العلوى من منامه وقد فرح الفرح الشديد الذى والدته سالمة وبقيد الحياة وقص القصة والمنام على أخوته ثم نهض عبد العزيز إلى المعبرين وفسر عليهم المنام فقالوا له أيها الأمير أن هذا المنام مفسر صحيح ولا بد لها أن يظهر خبرها أينما كانت من بلاد الله تعالى ولا بد أن تستوفى الأحكام والقضاء والقدر لأجل الثواب العظيم من الله الكريم (قال الراوى) يا ساده وان عبد العزيز العلوى كتب كتاب إلى الأمير عبد الوهاب يقول له شرح المنام فوصل الكتاب إلى الأمير عبد الوهاب فقرأه وفهم معناه وفرح بذلك الفرح الشديد وكذلك أبو محمد البطال (قال الراوى) يا ساده وأقام الامير عبد العزيز بمكة أربعة أشهر فلما كان أوان الحج ورد إلى مكة أهل الدنيا ووصل الأمير عبد الوهاب معه طيبون وأبنة الملك كرفناس وحجت الناس والتقى الامير عبد الوهاب بالامير عبد العزيز العلوى وحجوا وساروا إلى أهاليهم وأقاموا عندهم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من العشرة الذين أطلقوا من بنى سليم وساروا فى طلب المال لم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ملطية فدخلوا اليها وتحدثوا مع بنى سليم فيما قد قطعوا عليهم من الاموال فقالوا من أين هذا المال كله وما فى الامر إلا أن تطلبوا العراق وتعلموا المعتصم فعند ذلك ساروا إلى أن وصلوا الى بغداد وأتوا الى بين يدى المعتصم وقد شقوا ثيابهم واستغاثوا اليه وأخبروه بما جرى على المسلمين

وكم قتل منهم فبكا المعتصم وقامت عليه القيامة ووعد بالمسير الى بلاد الروم (قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من حجاف فانه لما أخذه أخيه زحاف فانه لم يزل سائر به الى قرية فنزل على ظاهرها ودخل القرية وسأل له جواد وأتاه به وأركبه وسار الى أن وصلوا الى ملطية فلما نظروه بنى سليم قامت عليهم القيامة من أجله وبكوا عليه وقالوا له أيها الامير لو أنك تسير هكذا الى بغداد وكلما عبرت على مدينة تجلبب فيها وتحرض الناس على الجهاد لعلهم ينفرون ويعملون على خلاص المسلمين فلما سمع حجاف ذلك من كلامهم سار هو وأخيه زحاف فما كانوا يمرون بمدينة الاويريهم رجليه ويقول معاشر المسلمين المؤمنين المتقين النفير النفير الملاعين لاجل خلاص أخوانكم المؤمنين ولم يزل كذلك الى أن وصل الى بغداد ووصل الى دار المعتصم واستأذن للدخول فأذن له فدخل وهو راكب الى السبع دهالبز الى أن قارب أمير المؤمنين المتعصم فحملته الخدام على أيديهم وأوصلوه الى المعتصم وطرحوه بين يديه فلما نظره بكا عليه وقال له من فعل بك هذه الفعال ياحجاف فقال وقد بكا بكاء شديد وأنشد يقول

ألا ياحماة الدين هل من غضنفر ... همام هضور بالحسام محاميا
لقد زال كهف العز والسادة التى ... لهم عادة يوم الحروب يدانيا
كذلك نمير قد تلحوا رجالهم ... وأصبحت الاطلال منهم خواليا
فلو نظرت عيناك عمرا مكبلا ... يضج ضجيج الثاكلات البواكيا
وكل جريح قد يضج بنكبة ... تجول عليه صافنات الاعاديا
ألا يا أمير المؤمنين فكن لهم ... حصينا كفيلا ناجزا ومراعيا
فذلك فرض للاله مؤكدا ... عليك وحكم الله فى الخلق ماضيا
وابن همام الدين حقا وليثهم ... ومن قد غدا كهف الانام وحاميا
وابن الذى قد كان يحمل صابرا ... اذا أنقصفت أرماحها فى الاعاديا
فطير اليه الطيران كنت عارفا ... بأى بلاد الله أضحى وواديا
فما كان للاسلام يوما كمثله ... وذلهمة أم الامير الموافيا
لقد عطفت عن عمرها بعد مائة ... ثلاث وعسر كاملات بواديا
ولكنها فى موقف الحرب جلده ... فسبحان من قد خصها بالمعانيا
فلا تسمعن فيهم مقالة عقبة ... لعنة الإله فهو ما زال طاغيا
ألا انه قد رام صلبى عشية ... وفى الصبح قد كنا قطعنا الفيافيا
وكان أخى زحاف لله دره ... فتى سار بى خلف الرجال أنى بيا

ولا قطعت رجلاى الا بعقبة ✲ لعنه إلاهى فهو فيما دهانيا
ولقد كنت قبل اليوم أحسبه صالحا ✲ ولا أسمعن فيه مقالة واشيا
لقد لمت للبطال من أجل عقبة ✲ وأبغضت فيه كل خل مصافيا
فعاقبنى من أجل ذاك وقبله ✲ وما كان والرحمن ذاك جزائيا
ولكن وحق الله فيه محقق ✲ ولست أبالى بعدها ما اعترانيا

(قال الراوى) ولما فرغ حجاف من شعره والكلام بكا كل من كان حاضر وكذلك المعتصم وقال لحجاف حدثنى الآن حديثك على جليته وقل لى من الذى فعل بك هذه الفعال فقال يا أمير المؤمنين أقسم قسما صادقا ان كان فعل بى هذه الفعال إلا الشيخ الملعون الذى أعمى الله بصيرته ونقل من دين الإسلام الى دين الضلال ولقد كنت يا أمير المؤمنين من جملة من يتصعب له وكنت أشاقق الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال بسببه وأقول هؤلاء يكذبون على الشيخ الصالح والعبد الناجح كيف يكون قاضى من قضاة المسلمين وإمام من أئمة الدين ويكون من جملة المطرودين والمشركين حتى نظرته بعينى وأمر بصلبى وكنت قد أضفته فى بعض السنين وبات عندى وسمعنى وأنا أقرأ القرآن وأسجد للرحمن وما كنت أدرى أنه من أهل الشرك والطغيان ومن جملة عبدة الصلبان وهو مطرود عن باب الرحمن فعندها قال له المعتصم وقد بهت اليه عمن تعنى بذلك قال حجاف يا أمير المؤمنين إلى الآن ولم فهمت عمن أعنى وهل تقول لى تكذب بذلك أعنى به الشيخ عقبة فقال وأنت رأيته قال نعم يا أمير المؤمنين أنا رأيته بعينى وتحققته بقلبى ولذلك تكلمت فى حقه ولقد ذكر لى بنفسه ليلة أضفته وهو يقول لى ماكنت تقرأ وتصلى ليلة أضفتنى حتى حرقت كبدى وتفرقعت مرارتى منك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع المعتصم ذلك قال ان هذا الرجل لا يقول إلا حقا وأنا أقسم قسما لأن وقع فى يدى لأقتلنه أشر قتله تكون وان حجاف ابتدأ وحدث المعتصم وقال يا أمير المؤمنين قتل من بنى سليم ثلاثون ألفا وأسر ستون ألفا وهم ما بين طريح وجريح وكل يوم يهددون بالقتل والذى يحرض على قتلهم اللعين عقبة فاطلب الأمير عبد الوهاب من أى أرض كان أشكو له ما نال المسلمين فانه كهف المسلمين وغياث الدنيا والدين فلا كانت دولة لايكون الأمير عبد الوهاب فيها فلما سمع المعتصم كلام الأمير حجاف قال وأين الأمير عبد الوهاب فأقسم لارجعت سمعت فيه قول حاسد وكلما فعل بى هذه الفعال عقبة فلما سمع مطرون ذلك قال يا أمير المؤمنين لاتسمع فى عقبة كلام فقال المعتصم امسك عليك فهذا بدرى صادق وبالحق ناطق ثم قال لحجاف أنا أكاتب البلاد جميعا

(قال الراوى) وان المعتصم قد أرسل الطيور الى سائر الأماكن فما كانت الا أيام قلائل حتى تواترت الأخبار وأتت العساكر وقدمت الى العراق وهم عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى وان المعتصم قال ياحجاف قد عولت على انى أبنى مدينة أذكر بها لأن هذه المدينة بغداد قد ضاقت بالناس ولكن إذا أتيت من هذه الغزاة أبنيها ان شاء الله تعالى ثم قال لحجاف أنت تكون مقيما فى بغداد حتى أجرى عليك الجرايحية فقال يامولاى بعد ان ذقت طعم الجهاد ما بقيت أستقر فى بلد من البلدان بل أسير فى صحبتك وأركب وأشد رجلاى تحت بطن الجواد وأقاتل حتى أقتل فلما سمع المعتصم ذلك من كلام حجاف قال هذا والله عبد قد وفق لطاعة الله تعالى (قال الراوى) وان المعتصم أمر الناس بالرحيل فرحلوا وقد أركبوا حجاف إلى جانب المعتصم وهو مشتمل بلامته فلما استقام على الجاده أنشد يقول

سيروا بنا معشر الاخوان واجتهدوا * فى دينكم تسلموا من موقف العطب
وجاهدوا فى سبيل الله واجتهدوا * وأبشروا بجنان الخلد والأرب
وخلصوا كل من أضحى بأسرهم * وفى القيود بلا ذنب ولا سبب
والله لازلت أسعى فى رضاه ولا * قصرت فى حربهم خوفا من العطب

(قال الراوى) فشكره المعتصم على قوله وساروا مجدين إلى أن وصلوا إلى نصيبين ثم إلى الأردين ثم إلى ميافارقين ثم إلى آمد ونزل عليها فاخرجوا اليه إلا قامات والعلوفات ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى ملطية فخرجن اليه نساء ملطية وشققن جيوبهن بين يدى المعتصم فطيب قلوبهن وقال ما دخلت الا لأجل رجالكن (قال الراوى) يا سادة وكان المعتصم كما ذكرنا لايرهب الرجال ولا يكترث من الأبطال ثم أنه سار الى أن وصل إلى الدروب ووصل الخبر إلى الملك كرفناس فلم يلتفت اليه فقال له أهل القسطنطونية أيها الملك ان ميخائيل ومنويل وأرمانوس ومن تقدم قبلهم من الملوك كانوا اذا أتى عسكر نحو بلادهم سدوا الدروب حتى لايصل اليهم أحد أيها الملك ان ميخائيل ومنويل وارمانوس ومن قبلهم من الملوك كانوا يحسبوا حسابهم فلما سمع كرفناس كلامهم قال ماأنا ممن يفزع من سطوة المسلمون ولامن بأسهم فقالت ميمونة أيها الملك لاتفعل وتطرح القوم حتى يصلوا الينا (قال الراوى) وان المعتصم سار الى أن أشرف على القسطنطونية وأرسل الى كرفناس يقول له ارسل لى من عندك من المسلمين وإلا وحق من فلق الحبة وبرأ النسمة وتجلى بالعظمة جعلتك كأمس كان فبان ومات وراح (قال الراوى) ياسادة وسار الرسول ومن معه من الرجال فلما مثلوا بين

يدية قال ما بالكم وما تريدون فقصوا عليه القصة وهى رسالة المعتصم فانقلبت عيناه فى أم رأسه وقال وحق الراهب سقراق الذى مامثله فى الآفاق ولا فى الكذب ولا النفاق الذى له أربعين يوم مايغسل وجهه الا بالبصاق لاجعلن هذه الجموع متفرقة ولحومهم متمزقة ثم أمر بالرسل أن يعروهم من ثيابهم وأخرجوهم وساروا إلى أن وصلوا إلى المعتصم وأخبروه بما قال ملك الروم والإيمان التى حلف بها فقال هذه الايمان يجب عليها الكفارة وان المعتصم ضرب فساطيطه وسرادقاته وخيامه (قال الراوى) وان عقبة قال لكرفناس ان أردت أن تكسر عزيمة القوم وحدتهم فاخرج المسلمين الأسارى وأوقفهم فى مقابلتهم واضرب أعناقهم حتى يكون هيبة لك فى قلوبهم فقال هذا هو الصواب ولكن أيها الشيخ الصالح وماعسى أن يقدروا هؤلاء المسلمين يفعلون ومعى رماة بالسهام يحرمونهم أن يتقدموا شبرا فقال عقبة أيها الملك ان مع المسلمين أقواما يقال لهم الخوارزميه والخطا والترك والقفجق يرمون فيصيبون الحدق وأما العجم فيكفون الحدق والزرد مع الحلق فقالت ميمونه أيها الملك لاتهمل أمر المسلمين فما تعلم من أشرف عليك أيها فقال كرفناس وحق المسيح انكم تخوفونى من هذا الملك الذى للمسلمين أمرا عظيما ووحق دينى اننى أقدر وحدى أحمل على هذه العسكر كلها فقال عقبة لميمونه ماأظن أن أحد يقدر على مايقدر عليه هذا الملك لقوة القلب والشجاعة فقالت ميمونه ياأبونا هذا الملك له عزيمة مارأيتها قط فى ملك وان فيه من الشجاعة شىء عظيم وهو قوى القلب شديد الميل يحرمنى أنام الليل وهو يصلح لمثلى ويشاكل شكله لشكلى فعلم عقبة أن ميمونه تحرض حتى لايخرج المسلمين جميعهم هذا وقد تزيا عقبة بزى بترك وأخفى نفسه وقد أخرجهم للمسلمين عشرة صفوف وفى أعناقهم الحبال فقال كرفناش إذا رأيتمونى وقد بدرت بأميرهم وضربته بالسيف فافعلوا بهم كذلك (قال الراوى) وان المعتصم نظر الى المسلمين فخشى عليهم أن يقتلوا وحملت عساكر الروم هذا وقد نشروا على رأس المعتصم الأعلام فعندها كثر الرجال فى الزحام وثبت الرجال لضرب الحسام وهز الصارم الصمصام وزلت الأقدام وقل الكلام وحمى الفارس الهمام وأخذ الموت فى احتمام وشاب رأس الغلام من فرع ذلك المقام وهزت العرب من الصوارم رقاقها وأرهجت الأرض بأشراقها من امتشاقها وزعقت الروم بأرعادها وأبراقها وعليهم الدروع المجلية وفوقها الديباج الرومية مثل الأنهار تدهش الأبصار وتحاكى لون النهار (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل فى الجماجم الى أن أمسى المساء واختلط الظلام فلما استقر بهم النزول فى الخيام قال المعتصم لأصحابه ايش لقيتم فى يومكم هذا من هؤلاء القوم فقالوا ياأمير المؤمنين هؤلاء الروم بخلاف الذين كانوا مع

أرمانوس ومالقينا قط أشجع منهم ولو كان طال عليهم النهار كانوا قد فتكوا فينا فقال مطرون للمعتصم اعلم ياأمير المؤمنين ان هؤلاء ماهم مثل روم القسطنطونية وكل واحد منهم يريدمن أصحابنا وأصحاب أرمانوس جماعة والصواب عندى نترك الظلام حتى ينسدل ونرحل ونطلب ملطية ونكاتب سائر الأقاليم حتى تقدم العسكر اليك من كل جانب ثم نعود إلى هؤلاء الملاعين فاستصوب المعتصم رأيه وعول على الرحيل فقال له حجاف ياأمير المؤمنين لاتقبل من هذا المرتد الذى كان سبب الوقوع بينك وبين الأمير عبد الوهاب بالشر والعناد الذى ما للاسلام مثله فهو كهف المسلمين وغياث الدنيا والدين وما تفلح دوله لايكون عبد الوهاب فيها فقال المعتصم والله ياحجاف لقد أشرت بالصواب وقال وبالله أقسم لئن عاد عبد الوهاب الى طاعتى لاسمعت فيه قول عدو ولو أراد تلافى (قال) وبات الناس إلى أن أصبح الله بالصباح فركبت العسكران وتقابل الجيشان ونظروا عساكر الروم قد تمخضت وخرج منها فارس على جواد براق كثير السباق بقوائم رقاق مليح الأحداق صنعة الملك الخلاق له انقضاض كانقضاض الكواكب بشعر طويل الذوائب مثل شعور الكواعب صاحبه على حصن راكب الرياح فى قوائمه والضياء فى دعائمه والجنوب فى شكائمه وهو منية من طلب وغرض من ركب فهو كما قيل فيه

سبقت الرياح لما كان تحتى ✽ حصان لا يقاس به حصان
قوائمه الرياح اذا تبدت ✽ رأيت البرق فى كفى عيان
يضيق الأرض يوم يروم جريا ✽ له لون كلون الارجوان

(قال الراوى) وفى كف الفارس سيف ثقيل قاطع للاعمار ورمح طويل عليه سنان كانه لسان ثعبان فلما نظرت الفرسان الى ذلك الفارس عظموه لأنه انتصب فى سرجه وجر قنطارية من وراء ظهره واشتهر بين الفريقين ونادى معاشر المسلمين من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا ميمونة بنت الدمدمان زوجة الملك كرفناس هل من مبارز هل من مناجز فما استتم كلامها حتى عول حجاف على برازها فقال له المعتصم أيها الأمير المجاهد لاتفعل ولا تخرج الى هذه الكافرة أنت رجل مجاهد زمن فقال ياأمير المؤمنين لابد من برازى اليها فمنعه من ذلك واذا بفارس قد برز وقفز اليها وهو على حصان خفيف الطيران أشقر اللون مليح الكون بصاص الشعرة سائل الغرة راكبه آمن من العدى ويملك به الطير فى الهوى كما قال فيه القائل

وسابق الطرف بطوق أشقر ✽ محجل يعرف بالمضمر

يسابق الريح فلا يسبقه ٭ لأنه يسبق لمح البصر

(قال الراوى) وعليه درع مقصب مذهب وفى صدره مرآة جوهر ينبو عنها الصارم الذكر يأخذ بالبصر وقد أخرج يده من جلباب درعه وفى كفه صارم ذكر لو ضرب به جبل لطير منه الحجر كما قال الشاعر

يمشى به الذكر فى كل معترك ٭ من فوقه ذكر فى كفه ذكر

لو حط صارمه فى رأس شاهقه ٭ لقدها ثم لانت تحته الحجر

(قال الراوى) وان الفارس تطاولت نحوه الاعناق وشخصت اليه الاحداق وتأملوه واذا به قحطان صاحب البارعية الذى كان الأمير عبد الوهاب قد أعطاه آمد فحمل على ميمونة وحملت عليه حتى تقطعت الدرق من السيوف ونقطت الخيل من العرق وكانوا مثل الأسود وثار عليهم الغبار وغابا عن الأبصار وأقاما كذلك ساعة من النهار حتى كل قحطان ومل وكانت ميمونة أثبت منه جنان وأصبر جولان لانها قد ألفت القتال وصاحت فى قحطان وضايقته ولا صقته وانقضت عليه وأخذته أسير وسلمته الى أصحابها وعادت الى مقامها الى أن قتلت عشر فوارس فلم يجد الأمير حجاف صبرا دون ان قال لأخيه زحاف يشد رجلاه الى تحت بطن الجواد ففعل ذلك ثم حمل على ميمونة فلما نظرته ردت رأس جوادها وعادت الى عبقة والى ناحية عسكر الروم فحرك نحوها عقبة وقال لها أيتها الملكة ما بالك فقالت يا قاضى هذا حجاف الذى رأيت من أجله فى المنام ما رأيت لما قطعت رجليه وقيل لى أقتلت حجاف كان هلاكك عاجلا فلما نظرته اليوم عدت عنه لايكون قتلته على يدى ويكون هلاكى من ذلك فكشر عقبة عن انيابه وضحك الى أن بدت أنيابه وسال لعابه وقال أرجعى الى هذا الكلب وان قدرتى على قتله اقتليه وان قدرتى على أخذه نخذيه وخاطرى معك فما تبالى بأحد أبدا فلما سمعت منه ذلك قوى قلبها بان خاطر عقبة معها وبركانه عليها فلم ترى أحسن من قتاله ولا أعجب من فعاله ولم يزالا فى القتال الى أن كلت سواعدها من الضرب ثم تقابضا على السروج وعقلت ميمونة بحجاب ومسكت أزياقه وأرادت قلعه فلم تقدر تأخذه من قوته والثانى لأنه مشدود الى الجواد فحرك حجاف سيفه وقبض عليها فاقتلعها من سرجها فصاحت الروم وأمرهم كرفناس بالحمله فحملت عساكر المسلمين هذا وحجاف قد خرج بميمونة أسرع من البرق من المصاف أسيره ذليله حقيرة وأتى بها الى خيمته وسلمها الى غلمانه وعاد الى القتال سريع فلله دره لقد قاتل فى ذلك اليوم قتالا أذهل به الفريقين الى أن أمسى المساء ونزل المعتصم فى سرادقه وأقبلت اليه أرباب

دولته فقال أمير المؤمنين على بامير حجاف فاعتنقه وضمه إلى صدره وخلع عليه وأمر باحضار الملعونة المفتونة ميمونه فأحضرت بين يديه فقال لها المعتصم يانحسه يا أخس من جلد خنزير كيف تركتى دين الإيمان وحلى لكى دين الكفار أهل الضلال وبدلق دين الإيمان بدين الصلبان فقالت قل ما شئت فان ميمونه ماترجع عن دين المسيح فقال لها المعتصم كيف رأيتى صنع الله بكى وقد أسرك هذا الشيخ الزمن الضعيف العاجز فقالت ما أسرنى الا بكلام تكلمه وحرك سيفه وشفتيه فما أحسيت بنفسى الا وانسان رفعنى وحملنى اليه فقال المعتصم هذه علامة الإيمان فقالت يا أمير المأمنين أنتم تقولون انه اذا دعى الكافر استجيب منه حتى يزداد كفره فلما سمع المعتصم ذلك من كلامها رفصها برجله كان أن يقضى عليها وقال شيلوها من عندى والا قتلتها ويقتل بها ستون ألف مسلم من بنى سليم فشالوها من بين يديه وان كرفناس قال لعقبة وحق المسيح ان ميمونة ما أرادت قتال الزمن ولكن أنت غصبتها على الخروج اليه وأنا وحق الرهبان الذين ألفوا السياحة وطلبوا عند المسيح الراحة لأحلقن دقنك ولا قطعن أذنك ومن سأل فيك لأفعلن به مثلك فلا يجسر أحدا أن يكلمه فحلقوا دقنه وقطع أذنيه وأمر به أن يدخل إلى القسطنطينية فدخل وهو يقول وحق المسيح أن خدمة هذاالرجل مخاطرة (قال الراوى) وأصبح الصباح وفى قلب كرفناس من أسر ميمونة نازلا تطفى (ياسادة) وكان هو أول من فتح فى ذلك اليوم البراز فجال بين الصفين واشهر بين الفريقين ونادى أنا كرفناس فلا يبرز لى الذى أسر ميمونة بالأمس (قال الراوى) فلما سمع حجاف كلامه عول على الخروج اليه فلم يمكنه المعتصم من ذلك وخرج اليه فارس فقتله وثانى فجندله إلى أن قتل اثنى عشر فارس فلما نظر حجاف إلى ذلك لم يتمالك دون أن قفز بجواده فصار مع كرفناس فى حومة الميدان وجالا فى معترك الجولان وتضاربا بالسيفين على ظهر الجوادين وتطاعنا بالرمحين حتى تكسرت وعجبت منهما الفريقين (قال الراوى) ولم يزالا فى القتال الشديد إلى أن تعبا وانبهر وأن الملعون كرفناس رمى نفسه على حجاف وعلق به وهزه فلعبت قوائم الجواد ولم يقدر على أخذ حجاف من الشد الذى فى رجليه الى تحت بطن الحصان فجعل يقلعه ويشيله مرارا عدة فما يقدر على ذلك ولا بلغ من أخذه مراد فلما نظر كرفناس إلى قوة الشد الذى مربوط فى بطن الفرس وثب من على ظهر جواده فحصل مع حجاف على ظهر جواده وهمز وطلب عسكره ومسك بيديه على حجاف فوقعت بهم الزعقات وأخذتهم الصيحات ولم يزل به إلى أن حصل إلى عسكره وحلت الروم شد رجليه من عن بطن الفرس وأخذوا حجاف أسير فحملوا

وأمر المعتصم بالحملة ليخلصوا حجاف وحملت عساكر الروم وجردت القواضب وارتفع الصياح ودامت المصائب وقاتلوا المسلمين القتال الشديد وكان يوم يشيب لهوله الفطيم وهب عليهم الموت تنسيم وصارت الرجال رميم وبان وباس الفارس الكريم من الجبان اللئيم وذاقوا من السيوف العذاب الاليم وكان السنان للارواح كليم والصارم للجماجم خصيم وأصبح الواحد عديم فيالها وقعة فاقت على الوقائع عملت فيها السيوف القواطع ولم يبق لا شافع ولا ناصر وضاق على الناس القفر الواسع وقطعت الدروع الموانع وأصبحت الدنيا من الأمم خالية وكان القادر جازع وارتفع النقع واشتد النيل من الجولان وملت ورجعت الرجال عن الجولان والاخوان (قال الراوى) هذا ولم يزل الصارم يعمل فى رقاب الرجال إلى أن أمسى المساء واختلط الظلام وافترقت الناس عن بعض والمعتصم قد اشتغل قلبه على حجاف (ياسادة) وأن كرفناس أمر بحجاف فأحضر بين يديه وقال لأصحابه اضربوا رقبته فقالوا أيها الملك لا تفعل ذلك فانهم يقتلون لأجله ميمونة ولكن اتركه فعادوا به إلى غداة غد فقال لقد صدقتم فاحتفظوا عليه إلى غد فهم قد عولوا على ذلك وإذا بالقاضى عقبة قد خرج من القسطنطينية وشومدرس يقول له لا تضيق صدرك من أجل حلق دقنك فان أكابر الافرنج محلقين الدقون وما نرى حلق اللحمية عار إلا عند المسلمين فقال عقبة أنا ما أؤاخذك الملك وكان حجاس قد شالوه من بين يدى الملك فدخل عقبه عليه فلما نظره كرفناس خجل منه فقال عقبه أيها الملك أنت فى حل مما صنعت فسلم الى حجاف لاشتفى منه لأنه كان السبب فى حلق دقنى وقطع آذانى ولولاه لما أسرت الملكة ميمونة ولا جرى ما جرى فقال الملك إذا أردت فى غداة أخرجه إلى بين الصفين وأضرب عنقه ولكن من سبب ميمونة لا أقتله فقال أيها الملك أقتل أنت هذا وأنا أفادى ميمونة ببعض أسارى المسلمين الذين فى القسطنطينية فلما سمع الملك ذلك قال فى غد أقتله (قال الراوى) هذا جرى وأما زحاف فانه دخل إلى عسكر الروم وقصد إلى الخيمة التى فيها أخيه حجاف فوجد اثنين موكلين به فتركهما زحاف فوجده بلا قيد لأنه مقطوع الرجلين فأخذه وخرج وهو يقول ياقوم من رأى لنا فرسا أدهم قد شرد وقطع حبله من الطوالة هذا وقد شد لحجاف فرسا وأركبه وسار به إلى أن خرج من الخيام ووصل إلى سرادق المعتصم فلما أحسوا به قالوا من أنت قال أنا زحاف وقد أتيت بأخى حجاف فأعلموا المعتصم ففرح فرحا شديد وهناه بالسلامة ورجع إلى خيمته (قال الراوى) وأن عقبة أقام إلى أن أصبح الصباح وقال لشومدرس قم بنا إلى الملك كرفناس نطلب منه صلب هذا الكلب حجاف فساروا إلى أن وقفوا بين يديه وقال أيها الملك

وعدك بصلب حجاف فعندها أمر الملك باحضاره فساروا البطارقة إلى أن وصلوا إلى الخيمة فوجدوا الموكلين مذبوحون ولم يجدوا حجاف فعادوا إلى الملك فأخبروه وقالوا أيها الملك ما لحجاف خبر وما نقول أخذه إلا أخيه الشيطان المريد وهو الذى أخذه من القسطنطينية فقال الملك على بالموكلين به حتى أضرب أعناقهم فقالوا أيها الملك ما تحتاج فقد ذبحهما قبل أن تأمر بقتلهما (قال الراوى) فقال قتلا فقالوا نعم قال وحق المسيح لآخذن بثارهما خلق كثير وأن الملك ركب وعبأ دساكره وصف عساكره وجعل الحرابه فى القلب فكانوا ثلاثون ألف حراب وكان عليهم مقدم يقال له قسطوف إذا التقى العسكران أن يضربوا بالحراب وكانوا يا سادة هؤلاء الحرابه يقاتلون بالحراب المسقيه وهى من البولاد وعرض كل واحدة شبر (قال الراوى) وتقاتل الجمعان واختلط الجيشان وطلع الغبار إلى العنان وتقصفت الرماح من كثرة الطعان وتثلمت السيوف من وقعها فى نواعم الابدان وحامت عليهم العقبان تروم عيون القتلى فى قاع الصحصحان وتعلقت الرجال باللحياء وامتلات البطاح من دم القتلى واحتجبت لكثرة الغبار السماء وجرت سواقى الدماء وضربت الاعناق وقامت الدنيا على قدم وساق وعملت الصوارم الرقاق والحراب الرشاق (قال الراوى) يا سادة ولم يزل السيف يعمل ونار الحرب تشعل ساعة من النهار إذا التقى المعتصم بكرفناس وهو يكر على الناس فاقتتل هو وإياه ساعة النهار زمانية ونظر المعتصم إلى كرفناس فشهد له بالشجاعة والبأس وقال أين عبد الوهاب فى هذا الوقت لهذا الكافر الكذاب وحال الروم بين المعتصم وكرفناس ولم يزل القتال يعمل بين الطائفتين الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترقت الناس وعاد المعتصم الى خيامه ونزل وكان حجاف قد قاتل فى ذلك اليوم قتالا أذهل به العسكران والفريقان (قال الراوى) وان حجاف تقدم الى المعتصم وقال يا أمير المؤمنين ان كان فى غداة غد أطير الطيور إلى بغداد وأمرهم أن يطيروا الطيور إلى مكة وأرض الحجاز ويعلموا الأمير عبد الوهاب لعله يجىء الينا ويكشف هذه الغمة عنا فقال يا حجاف فما أظن عبد الوهاب يلوى علينا ولا يأتى الينا أبدا ولقد وددت انى أخرج من ملكى ويجمع الله بينى وبينه (قال الراوى) فلما سمع حجاف ذلك قال يا أمير المؤمنين وحق آبائك الطاهرين لو علم عبد الوهاب بهذا الذى نحن فيه لما وسعه العقود ولا سيما الأميرة ذات الهمة المجاهدة (قال الراوى) وان المعتصم بات ليلته إلى أن أصبح الصباح وركب وركبت الروم وقاتلوا ذاك النهار قتالا شديد أعظم من الأول وافترقوا وقد تعبوا من القتال وملوا من النزال وأقاموا ينتظرون من يفتح باب الحرب وكان أول من بدر إلى

الحرب الأمير حجاف النميرى فبرز إليه فارس من الروم فقتله وثانى جندله ولم يزل يقتل فارسا بعد فارس إلى أن قتل من القوم خمسة وعشرين فارس فلما نظر الملعون عقبة إلى ذلك قال أيها الملك أنا لحجاف ثم حمل عليه وقال ويلك يا حجاف جاءك الموت من كف من لا يخاف فصاح به حجاف وقال ويلك يا كرفناس يا كناس يا مرفوس برجل حمار لا قطعن منك الأنفاس يا خناس يا وسواس وآخذ منك الرأس ولا ترجع تذكر بين الناس يا منجوس الناحية والراس وحملا على بعضهما بعض وحجاف يقول ويلك لا تظن هذه مثل الأولى ولم يزالا فى القتال إلى أن أمسى المساء وأراد حجاف أن يسير الى عسكر المسلمين اذ وقعت رجـــل جواد حجاف فى حفرة من الأرض فغاصت إلى أبطه فسمع كرفناس حس وقعة الجواد فعاد كرفناس أسرع من البرق وتعلق بحجاف وصاح بالبطارقة فوصلوا إليه وقطعوا شد رجليه من تحت الجواد وحملت المسلمين يرومون خلاص حجاف فوجدوا ضربا يقد وطعنا يهد والتقى المعتصم بكرفناس وصار لهم حرب يشيب له الولدان ويذل منه العسكران وعجب من قتالهما الانس والجان وتضاربا بالسيف وتقاطعاوتطاعنا بالرمحين على ظهر الجوادين ولم يزالا فى القتال والنزال إلى أن انسدل الظلام واختلط القتام وافترقا عن سلامة وعادت كل طائفة إلى مقامها (قال الراوى) وان عقبة الملعون تقدم الى الملك كرفناس وقال له لا تترك هـذا الكلب فلابد لى من صلبه فقال كرفناف يا أبونا معهم ميمونة وأريد فى غداة غد أفادى بهـا حجاف فقال عقبة لا تطلب خلاص إلا منى فاصلب أنت هـذا الكلب حتى أشتفى منه فعندها أمر كرفناس بالخشبات تنصب فنصبت وأخذوا حجاف فشدوه على الخشبة بوسطه وقال إذا كان فى غداة غد أمرت الرجال أن يرموه بالسهام (قال الراوى) ووصلوا به بعض البطارقة وأن المعتصم قال لا صحابه فى غداة غد أخرج هذه ميمونة الملعونة وأضرب عنقها فان اشترت نفسها منى بحجاف بعتها وإلا قتلتها فقال المســلمين نعم الرأى (قال الراوى) فتقدم جوهر إلى المعتصم وقال يا أمـير المؤمنين بالله عليك ان عاد الأمير عبد الوهاب الى خدمتك لا ترجع تسمع فيـه قول مفسد ولا قول عقبة فما يريد عقبة لهذه الدولة خيرا فقال الخليفة أرنى عبد الوهاب حتى أحلف له اننى لا أعود أنوى له ســوء قط (قال) ففرح جوهر وقال يا أمـير المؤمنين لقد بات فى قلبى أمر عظيم وأما زحاف فانهم صلبوه فما وجدوه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك انه لما اختلط الظلام قصد نحو عسكر الروم ووصل إلى الموكلين بأخيه وكان قد دار حول القتلى ولبس بعض أثوابهم فنظر أخاه مصلوب والقوم يشربون الخمر فأقام واحد منهم يريق المـاء وأبعد عنهم

فوثب اليه زحاف وترك يده فى حلقه وعصر عليه حتى فارقت روحه الخبيثة بدنه وخلع ثيابه ولبسها وعاد إلى موضع البطريق واتكأ على القوم يسقيهم وحط عليهم حتى تركهم صرعى فعند ذلك وثب وتعلق بالخشبة وأنزل أخاه حجاف ثم وثب إلى الموكلين ليذبحهم فقال حجاف يا أخاه خذنى وأخرج من الخيام ولا تستعجل على الموكلين ودعهم فما بينك وبينهم الا حتى يصبح الصباح ويطلبونى فما يرونى فيضرب الملك كرفناس أعناقهم وما نحتاج أن تتعب أنت فى ذلك فعندها تقدم زحاف إلى بعض الطوائل وحل منها فرس وأركب أخاه عليها وشد رجليه وقال يا أخى امضى أنت إلى عسكر المسلمين فانى قد خطر لى عمل أعمله وأذكر به فسار حجاف إلى أن خرج من الخيام وأما زحاف فانه قصد إلى خيمة الملك كرفناس ليأخذه ويتركه عوض أخيه حجاف وكان للملك كرفناف أب شيخ كبير اسمه جرفناس الا أنه يبصر ويسمع وقد نقصت قوته وكان قد رأى مناما كان المسيح يقول له أخرج إلى بلاد الاسلام وزور القيامة وإذا فتح ولدك البلاد اجعل مقامك فى بغداد فخرج مع ابنه على هذه النية وهذا الوجه فلما كانت تلك الليلة دخل عليه زحاف وما كان عنده الا فرد جارية صغيرة فذبحها زحاف وبرك على صدره وألقمه الاكرة وأدار كتافه وحمله إلى عند الخشبة وعلقه عليها وغطى وجهه بكساء ولف رجليه حتى لايعرف فلما ان كان الصباح وأتى الملعون عقبة وشومدرس إلى عند الخشبة بزعمهم ان حجاف عليها ليأمروا الروم ان يرشقوه كلهم بالسهام فوجدوا الملك كرفناس وقد أتى إلى المصلوب وهو مغطى بكساء فما خطر له خاطر من ذلك الأمر هذا والروم قد دقوا الطبول وعطعطوا فقال المعتصم ماهذا فأخبروه الجواسيس انهم صلبوا حجاف النميرى فبكى عليه الخليفة هذا وان الملك كرفناس قد وصف الرماة وأمرهم فرشقوا رشقة واحدة لأبيه وتقدم هو أيضا فزرق بحربة فى صدره أطلعها من ظهره ثم أمر بانزاله فأنزلوه فلما كشفوا عن وجهه فاذا هو أبيه فصاح صيحة جعل كل من كان فى ذلك الموضع ذهيل وأخذ الموكلين وضرب رقابهم وشق عند ذلك أثوابه وعلا بكاءه وقال على بجميع الملوك فجعل يحضر واحد بعد واحد حنقا وقال معلوم أن أبى ما يموت فى بلاد غريبة جزافا ومعلوم أنه سرق وعلق من بينكم كلكم ووحق المسيح لابد أن أحلق عليه لحاء وجوه البطارقة ولحاء سائر القسوس ولا يبقى أحد إلا ويشق ثوبه وإلا ضربت رقابكم فعلموا أن الملك مجنون وقد احترق قلبه بموت أبيه فنظروا ان حلق اللحاء أهون من ضرب الرقبة فقالوا كلنا حزانا عليه ونحن نفعل هذا من غير أن يقال لنا فحلق فى ساعة واحدة عشرة آلاف دقن وفى ذلك اليوم حلقت سائر دقون الكفرة اللئام وكذلك

فعل بكل قس ومطران وبدأ بشومدرس وأما عقبة فانه قال أنا جرى على القلم من قبل هذه الأمم حتى تنبت دقنى ألف فرج ولم يقع ذلك اليوم حرب ورؤيت القسوس مهتكين والبكاء قد ارتفع وهلبت الخيل ودفن بتلك الأرض جرفناس أبى كرفناس (قال الراوى) هذا والمعتصم قد نزل ونزلت الناس وهو متحير فى أمرهم ولا يعلم ما شأنهم حتى وصل اليه الجواسيس فقال أخبرونى ما شأن الروم وما الذى أصابهم فهل بانت لهم آية وأظهر لهم كرامة من ذلك الرجل الولى حجاف فقالوا لا والله بل ضربوه كما رأيت بالسهام وفرحوا بأنهم قد سقوه كاس الحمام فعولوا على انهم يقطعوا رأسه ويرموا بها الينا حتى تعرفوا انه صاحبنا فتشتغلوا بذلك ويشغلوا قلوبكم ويكون هذا لكم فأرمى الله كيدهم فى نحرهم فجاء بخلاف ماكانوا أضمروا لأنهم لما أنزلوه من على الخشبة وكشفوا وجهه وجدوه الملك جرفناس أبى كرفناس وحجاف ما وجدوا له خبر ولا عرفوا له أثر فقال المعتصم لا إله إلا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قدرة الله تعالى ولو كان زحاف سرقه كان قد وصل الينا به وقدرنا أنه سرقه من على الخشبة وايش الذى رفع جرفناس ولبسه حلة حجاف على جسده ولقد كنت أشتهى أعلم خبر حجاف على الحقيقة حتى لا يبقى فى قلبى حسرة (قال الراوى) ياسادة فهو يقول كذلك وإذا بزحاف قد أقبل وقبل الأرض وقال يامولاى حاشاك من الحسرة ها أنا زحاف وها أخى حجاف وقد من الله عليه بالخلاص (قال الراوى) ياسادة فأمر المعتصم بدق الكوسات وضرب البوقات لشدة فرحه وكان ذلك فى مقابلة حزن المشركين ولم يركب كرفناس لأنه لزم الحزن على أبيه وأقبل الخليفة على زحاف وقال له حدثنى بالذى صنعته من أوله إلى آخره فقال يا أمير المؤمنين حديثى عجيب ثم حدثه بجميع ما جرى له فضحك المعتصم وقال هذا البطال الثانى بارك الله فيك وبلغك أمانيك فقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل بخلاص أخيك وهلاك هذا الملعون جرفناس حتى اشتغل الروم عن قتالنا لأننا كنا معهم فى جهد جهيد وأكثر الناس مجرحين وقد ضرب الملك كرفناس مائة رقبة وهم الموكلون بالخشبة فقال زحاف ياأمير المؤمنين وحق آبائك الطاهرين لولا أننى أردت أفجع الملك كرفناس بأبيه ما كنت جئتك البارحة الا بعقبه وكنت تصلبه لانه معهم وهو الذى كان البارحة يحث الملك على صلب أخى حجاف وان أردت يا أمير المؤمنين جئتك به الساعة فقال مطرون ويلك يازحاف أشكر الله الذى خلصك والى أخيك أوصلك ونجاك من العطب فلا تتكلم بهذا الكلام فى قاضى قضاة الإسلام ورجل صالح من أئمة الدين لاجل هذه الشدة التى وقع الناس فيها وهى ما تدوم وان الله تعالى ما عوده الا بالنصر على الاعداء

والفرج عند الحرج ولعمرى أن عبد الوهاب وبنى كلاب أقيال شجعان لكنهم لايفعلون ذلك خالصا لله تعالى ولو كان خالصا لله تعالى ما كان يريدون أن يقتلوا امام عصرهم وخليفة زمانهم ولكن يريدون أن يكون لهم بذلك الملك والسلطنة عند الناس حتى يقال ما مثل الأمير عبد الوهاب أو يكون أو شبهت القاضى عقبه ببعض القسوس والرهبان والناس يتشابهون فى أكثر الأوقات فارجع إلى الله تعالى من قريب فصاح فيه الأمير حجاف أسكت يا مطرون خزاك الله فوالله ما هذه الأنفاس كافر ومعطل فوالله أن عقبة عندهم مثل ما أنت عند أمير المؤمنين مبجل وأما قولك عن عبد الوهاب فهو كذب وَمحال حتى أصبح أمير المؤمنين لايدرى ما كان منه وقد حمل همه وهم عشيرته لأنه مسئول عن رعيته وأما عقبة فسوف يذهب أخى زحاف الليلة فى طلبه وننظر هذا الكافر ومن خانه نظره ووقع الشك عليه فقال الخليفة والله ان كان عقبة ههنا كما تقولون فو الله ما البطال وعبد الوهاب الا صادقين فى جميع ما يقولون فيه فبادر إلى ما ذكرت حتى ترى ما يسرك من هلاكه وأنا أول من يبادر إلى ذلك فقال سمعا وطاعة وصبر إلى أن أظلم الظلام واختلط القتام ومضى زحاف إلى عسكر الروم وكانوا لزموا البكاء النواح هكذا ثلاثة أيام وفى الليلة الرابعه ضرب البوق ليعلم الناس أن الحرب فى غداة غد فأخذوا أهبتهم وعلم المسلمين بذلك فأخذوا أيضا أهبتهم وأما زحاف فانه أقام فى عسكر الروم ثلاثة أيام كيما ينظر عقبة فلم يراه فسأل عنه بعض البطارقة فقال مالى لا أرى الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فى العسكر فقال له اعلم أنه أخذ شومدرش ودخل إلى القسطنطينية وقال ما أصابنا هذا كله إلا من زحاف وأنا أعرف الناس به ومن قد فعل فى عسكر الملك هذه الفعال فما هو الا أيشم من البطال ولا نأمن على أنفسنا فانه إذا لم يقدر أن يسرقنا فنخاف أن يذبحنا ولاعيش لخائف ولا قدر أطلب بنا البلد إلى أن يكسر الملك كرفناس هذا العسكر وتنفضل نوبتهم فقال له شومدرس هذا وحق المسيح هو الصواب الذى لايعرفه الا أولوا الألباب لأن من أخذ واحد من بين مائة ألف أو وأكثر وصلب الآخر ما يعسر عليه أن يأخذنى ويأخذك وقد مضى إلى القسطنطينية وأخذ شومدرس معه وهما الآن هناك فقال زحاف هذا الذى أريد ويكون الأمر ان شاء الله تعالى قد سهل ثم أنه سار يريد القسطنطينية حتى وافاها آخر النهار ودخل اليها وقصد البيعه فى جملة الروم والبطارقه والرهبان وفيها عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى فاختلط بينهم وسألهم عن البترك الكبير فقالوا له هو فى بيت المذبح يعنى عن عقبة فقصد اليه فاذا هو وشومدرس يتحدثان حديث العساكر وما جرى بينهما (قال الراوى)

ولما أصبح الصباح فى اليوم الرابع على كرفناس ركب وقد تظاهر بالسواد وقد حلف لابد له أن يضرب على قبر أبيه عشرة آلاف رقبة من المسلمين وركبت الروم على الصافنات وجردت الصفاح وركب الخليفة (يا سادة يا كرام) وحمل الناس بعضهم على بعض من غير مبارزة ولا نزال بل صدام وقتال والتحمت الكماة بكماتها وأرتجت الأرض بقعقعة أصواتها واسودت الاقطار من جنباتهـا ودارت عليهم طاحون الحرب بآفاتها وعملت الصوارم فى أعناق ليوثها وكماتها وأيست من انفلاتها وتمايلت الفوارس على ظهور صافناتها ولبست الأرض حلة من الارجوان من دماء الفرسان والاقران وضاق بهم السهل عند عدم الراحة وحار الصغير وتحير الكبير وضرب بوق النفير فهذا قتيل وهذا عفير وهذا جريح وهذا أسير وجرت عليهم أحكام المقادير باذن الملك الجليل وأتاهم الأمر لم يكن له مرد ولا مدفع وفتك كرفناس فى الناس واندقت عرب الشام والجزيرة وصبرت الاكراد وفرت اللئام وزاد الزحام وصبرت المؤمنين فى مكانها إلى الى الليل وانكشف جانب عسكر المعتصم وقد كلت الخيل لما نزل قال لعن أولئك العرب الذين أنهزموا من أول وهله لأنهم عملوا على هلاك الناس لولا الاكراد ثبتوا حتى انهزمت العساكر وكان السيف يعمل فينا إلى أبواب ملطية وان موتنا ههنـا كرام أحب الينا أن نعود على تلك الغصه (يا سادة كرام) ولقد قاتل أمير المؤمنين قتالا تحير فيه الأبطال من العرب والعجم والترك والديلم ولولا أنه فعل ذلك الفعل ماكانوا ثبتوا ذلك الثبات ورجع كرفناس ذلك اليوم وقد ملأ الأرض بالقتلى وأخذ اكثر من خمسمائة أسير وحملهم الى قبر أبيه وضرب رقابهم وعجل الله بأرواحهم الى الجنة وأمطر عليهم سحائب الرحمة والعفو والمنه ولم يصدق بالصباح أن يصبح فركب وركبت الجيوش والكتائب وعملت القواضب وتمايلت الفوارس من كل جانب ووضعت الصوارم على المناكب وحلت بالناس المصائب والنوائب وشابت الذوائب وبربرت الصفارقة مثل بربرة الثعالب وحملوا كانهم السلاهب وهطلت الأدمية مثل هطل الكتائب وبليت العساكر والمعتصم بمالايطاق وانهزمت الاعاجم وتبعتها الأكراد وبعدهم العرب وقد رضوا لأنفسهم بالهرب حين أشرفوا على العطب والهلاك وسوء الارتباك وطلبوا النجاة لعلهم يجدون اليها سبيلا فلما نظر المعتصم الى ذلك وانه مابقى إلا فى مماليكه ووجوه الدوله فعندها ألوى منهزما وقد خرجت وأحدقت به مماليك الدار مثل مايحدق البياض بالسواد للحدق فقال سبحان الذى حكم بهذا وكان منهزما وهو يضج بالبكاء حمية منه للاسلام والمسلمين وغيرة على الدين اذ لقيه أول المنهزمين الذين انهزموا فى اليوم الأول راجعين

ومن خلفهم الروم طالبين فقال ما الخبر فقالوا ان الدروب قد سدت علينا ولنا من أمس فى القتال الى هذه الساعة وقد رجعنا اليكم نطلب الحماية بكم ونراكم أنتم منهزمين فما كانت إلا ساعه وإذا بالمعتصم قد وصل والرجال يحملون بعضهم على بعض فقال لمن معه احملوا عليهم لعل الله أن ينصركم عليهم فاحملوا عليهم فاقلعوهم عن باب الدروب ونملكه عليهم ونسند ظهورنا الى الجبل ونقاتل هناك إلى أن تأتينا العساكر ولايرانا الله هاربين فقالوا صدقت يا أمير المؤمنين فلما وصلوا الى باب الدروب حملوا على الروم حملة من يطلب القتل فما كانت الا ساعة حتى بطحوا الروم ستين ألف كافر وانكسروا كسرة ماكان لهم قط مثلها وتركوا الدروب وانهزموا والسيف يعمل فيهم وملك الخليفة خيامهم كلها وأثقالهم وأموالهم وزادهم وجميع ماكان معهم مما يحتاجون اليه وكانوا قد أشرفوا على التلف من الجزع وقلة الزاد ففتح الله عليهم من الخير مالاتأكله النيران وملكوا الدروب واستندوا الى نحو الجبل فصاروا فى حصين وحفروا حولهم الخنادق وكتب المعتصم الى ملطية يقول ان وصل اليكم عسكر فانفذوه من وقته وساعته هذا جرى (وأما كرفناس) فانه سار خلفهم أيضا وقتل من المسلمين خلق عظيم ولما ألقى الروم منهزمين سألهم عن الخبر فأخبروه بأن المسلمين قد قتلوا منهم خلقا كثير وملكوا خيامهم وجميع ماكان معهم فاحتووا عليه فحنق عليهم وقال للصفارقة احملوا عليهم ولوأنهم من الروم ولوانفات منهم أحد لأضربن أعناقكم فما كانت الاساعة حتى قتل منهم بعدد الرمل والحصى ولم يسلم منهم إلا أصحاب الخيل الجياد مثل الملوك والبطارقة المشهورين بالقوة وساروا فى أعقاب المسلمين لاحقين بهم الى أن أدركوهم وهم نازلون من جنب الجبل وكان وصولهم اليهم من وقت الاصفرار فنزل وقد أمسى المساء ولايصدق بالصباح أن يصبح عليهم ليبادئهم بالقتال فلما جن الليل على العسكرين جلس الخليفة فى وجوه دولته وقال أتعلمون على من أنا خائف فقالوا على من ياأمير المؤمنين فقال على زحاف أخى الأمير حجاف قد حلف لى إيمانا عظاما انه رأى عقبة هو الذى تولى ضربه وعقوبته وحث الملك على صلبه وكنت اشتهى أن يسلم زحاف ويصل الينا وهومعه حتى أنفذ حكم الله فيه (قال الراوى) ياسادة وصبروا القوم الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وجردت الصفاح وعمل القتال إلى الليل وكان الناس قد ثبتوا فى هذا اليوم وقاتلوا قتالا شديداً أشد من الأول وقد قالوا نقاتل حتى لاتبقى فينا عين تطرف ولا أذن تسمع وإذا زاد الأمر علينا هربنا من الدروب التى ملكناها وقد أسندنا ظهورنا ولم يزالوا كذلك ثلاثة أيام متواليات وقد عول الناس على الهرب وقد شكوا الى المعتصم الضر وسوء الحال وكثرة الجراح

وقالوا لقد بلينا بمالا طاقة لنا به وهؤلاء قط ما شهدنا مثلهم فقال الخليفة اذا كان الأمر كذلك ولا بد لكم من ذلك فاجعلوا هزيمتكم فى الليل ولا يكون اذا التحم القتال فتكونون قد وليتم الادبار فيعذبكم ربكم بالنار فقالوا هذا هو الصواب وأخذوا الأهبة للرحيل فلما كان ثلث الليل الا وخيل قد سمع صهيلها وقعقعة اللجم واصطكاك الرماح وترنم الأبطال وارتجاز الأقيال ووقع حوافر الخيل فى ظلام الليل مثل البرد إذا وقع على الضعفاء (قال الراوى) ياسادة فلما سمع المسلمين ذلك علا فرحهم وزاد صياحهم وأنفذ الخليفة من يكشف الخبر فساروا وعادوا فى الحال وأخبروه أنه قد وصل غشم ابن ربيعة الحجازى من بنى عبس ومعه خمسين ألف فارس من عشيرته بنى عبس ونمير وقد انضاف اليه باقى عساكر العراق والموصل والجزيرة وغيرها وهم فى مائتين ألف وأربعين ألف بطل وقد ضمن لك أن يكفيك مؤنة الكافرين عن بكرة أبيهم من غير أن تحتاج إلى غيره فقال الخليفة ان شاء الله تعالى وخلع على النجابين وأصبح الصباح وارتفع الصياح وأشرفت الرايات والاعلام (قال الراوى) وركب أصحاب الخليفة والخدام والتقوا بالأمير غشم العبسى ووصل ذلك العالم العظيم فلما وصل غشم الى الخليفة ترجل وباس الأرض وخدم وقال اعلم ياأمير المؤمنين آنى وصلت اليك فى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما وسوف ترى ان شاء الله تعالى ولا تباشر أنت القتال بنفسك ولا بعساكرك لأن اليوم نوبتى ونوبة من معى ولا راحة لنا إلا فى القتال والنزال فقال اللعين مطرون بارك الله فيك ياغشم ومتى ما كشفت عن قلب أمير المؤمنين هذه الغمة فهو يعطيك موضع الأمير عبد الوهاب واقطاع بنى كلاب وهو الغناء الذى لافقر بعده (قال الراوى) هذا وغشم قد وحف إلى الحرب والقتال وركب كرفناس ومن معه من جميع الناس واشتهرت السيوف لما اصطفت الصفوف (وأما كرفناس) فانه لم يبالى بالجيوش التى قدمت لأنه شجاع والشجاع لا يفكر فى عاقبته وكان عسكر الاسلام لما انهزمت وتركوا الخيام قد احتوى عليها كرفناس فوجد فيها الملعونة ميمونة وهى مكتوفة اليدين والرجلين فحلها من ساعته وأخذها معه فلما وصل ذلك اليوم غشم العبسى ابن ربيعة عرفته ميمونة المفتونة وكانت قد شادته فى أرض الحجاز فلما برز واشتهر قالت ميمونة لكرفناس هذا فارس من فرسان المسلمين المذكورين فقال لها هذا مثل الأمير عبد الوهاب فقالت لا بل هو فى طبقته فى الشجاعة والبراعة وحملت العرب على الروم وقاتلوا قتالا غير مذموم وطرحوا من الملافطة خمسة آلاف فارس بالرماح وقتلوا من الصفارقة عالم عظيم فلما نظر كرفناس إلى ذلك صعب عليه وكبر لديه وصاح بالصفارقة فزحفت والحرابة

فحملت وعمل الحسام طول النهار الى الليل وسالت الدماء مثل السيل واندقت العرب بين أيديهم إلى أن وصلت إلى عسكر أمير المؤمنين (قال الراوى) وجرى بين العسكرين فى ظلام الليل هذا وقد قالت العرب والله لقد غزونا إلى بلاد الروم زيادة عن مائة مرة ما رأينا قط مثل هذا العسكر كانهم الجن والأباباس لا ترد لهم سهامهم الدروع ولا يقف بين أيديهم إلا من كان على خطر فقال لهم أصحاب الخليفة لقد رأينا منهم نحن مالاترون وأشد ما علينا هذا المقدم الذى عليهم وهو كرفناس فقال لهم الأمير غشم ابن ربيعة فأنا غداة أبرز اليه وأكفى المسلمين شره وغمه (قال الراوى) هذا ما جرى ههنا (وأما ماكان) من زحاف وغيبته فانه أقام فى البيعة التى فى القسطنطونية وهى بيعة سوفيا وفيها عقبة وأراد حتى يخلو له المكان ويأخذه منها وهو كل ليلة لا ينام إلا يتلو الانجيل ويدعو لكرفناس بالنصر وأنه أصابه فى بعض ليله هوى فبات مريض فلما عرف زحاف نزل عليه وألقمه الاكره فى فمه وشد يديه إلى رجليه وجعله مثل الاكره ووضعه فى كساء وشد رأسه وخرج به إلى أن أتى بعض الابراج فشده فى حبل ودلاه إلى الأرض وخطه وانخرط فى حبل حتى صار عنده وحمله على كتفه وسار طول الليل إلى الصباح وعول له على مكان يكمن فيه حتى لقى مكان كمن فيه طول النهار ويسير الليل إلى العساكر ودخل عند المعتصم عند طلوع الفجر فلما رآه تعجب من وصوله وقال جئت يامبارك فقال نعم قال ومن هذا الذى على أكتافك قال هذا القاضى عقبه ياأمير المؤمنين وقد ذهب الشك باليقين فوثب المعتصم بنفسه وأخذ السيف بيمينه وقال اكشف عن وجهه حتى أراه وقد دنا أجله وبطلت حيلته وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما فقال المعتصم ما الخبر فقالوا قد برز الأمير غشم ابن ربيعة وطلب البراز من كرفناس وقد اجتمعت الروم كلها ولا نأمن أن يحملوا علينا فقال المعتصم يا زحاف أمسك على الشيخ السوء عقبة إلى أن ننظر من غشم وبرازه فالله تعالى ينصره على اللعين كرفناس (قال الراوى) فأخذه زحاف اليه واحتفظ به وما فى العسكر إلا من قصده أن يراه وهو يقول ما يراه فى العسكر إلا من قبل أمير المؤمنين هذا وأن غشم طلب البراز فجعل أبطال الروم تخرج اليه وهو يقتل فارس بعد فارس يقول هذه الأبيات

إنى أنا العبسى من نسل عنتر * ليثا صبورا فى الوغى غضنفر
مبارز نحو الهمام القسور * وان برزتم مائة أأفترى
فاين كلب الروم وهو أحقر * يبرز لحربى ليذوق أبترى
أقطع منه درعه والمغفر * وأقتنى من الجبان الأثر

ويا كرفناس اليوم يوم الفخر * ويوم طعن السمرى الأسمر

(قال الراوى) ولم يزل كلما برز اليه بطريق قتله حتى قتل منهم ثمانين فارس من كل بطل مداعس وغربت الشمس ولم يبرز اليه كرفناس غيظا منه على الرجال الذين لم فيهم مقاوم لهذا المسلم فقالت ميمونة أنا أخرج اليه لحلف بالإنجيل انها لا رجعت خرجت قط الى الحرب يوما الا أن يكون الى الى أميره أو امرأة مثلها فشق ذلك عليها وبات الناس على مثل ذلك وقد عول كرفناس أن يخرج فى غداة غدا حتى يرى الناس شجاعته وان الخليفة لما استقر به الجلوس مع أرباب دولته وهم من حوله قال له جوهر يا مولانا اسأل زحاف حتى تنظر ان كان لقوله صحة فقال على هذا أنا معول حتى يطلع الناس على أمر هذا الرجل ثم أدعى به فحضر زحاف وأخيه حجاف ولم يتأخر من الهاشمين ولا غيرهم أحد ممن كان يتعصب لعقبه أو عليه الا وحضر حتى ينظروا صحة قوله فهذا يقول معلوم اننا لا نكذب فى التنصر وهذا يقول لا ما يصح أن يكون هذا قاضى ويتنصر (قال الراوى) وتقدم زحاف اليه وكشف وجهه ونظروا الناس الى عقبة فلم يعرفه منهم أحد لانهم كانوا يعرفونه بلحية طويلة طولها ذراع وأذنين كبار كانهما مراوح وقد بقى كانه قرد لا ذقن ولا آذان فقال المعتصم من هذا فقال يا مولاى عقبة كلمه حتى تسمع كلامه فقال يا قاضى فبكى عقبة وقال نعم يا أمير المؤمنين أقول وما علت نظرة منكم سيفك دمى والله لقد بلغت ما سألت الله فيه لانى كنت أسأله أن يرحمنى وجهك قبل الموت يا مولاى كيف نسيتنى اليوم خمس سنين لم تكشف عن حالى وهذا مطرون يعرف قصتى بانى كنت مع عبد الوهاب والبطال يتولوا عقوبتى ليلا ونهارا حتى تركنى كما ترى وكنت يا أمير المؤمنين فى دار فى القسطنطونية تحت الأرض عند صديق لعبد الوهاب وهو الذى يطالعه بالاخبار ويقول ان لى فى البلد عيونا وأنا لا أعرف فى أى موضع كنت لأنهم كانوا يدخلونى اليه معصب العينين على انى لو دخلت مفتوح العينين ما عرفت الموضع لأن الغريب أعمى ولو كان بصير ومن أين أنالى خبرة ببلاد الكفرة ولى كذا وكذا سنة وأنا تحت الأرض قد وكلوا بى رجلين من كلاب النصارى وهم يرون ان عذابى فى دينهم عبادة الى أن جاهدوا الكلب كرفناس وهلك القسطنطونية وسمع بخبرى فأخرجنى وكان معه شيخ ملعون يقال له شومدرس فقال له هذا قاضى من قضاة المسلمين فقال لى هكذا يقول يا شيخ فقلت نعم فقال لى أقرأ على شىء من كتابكم أسمعه فقلت نعم ولعل الله أن يهديه على يدى فقرأت وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى آلهين من دون الله الآية يا أمير المؤمنين فما الا هو أن سمع منى حتى

قال لشومدرس ماذا يقول وما معنى ذلك فقال معنى قوله ان الله تعالى قال لعيسى أأنت قلت للنصارى اعتمدوا فى هذا الاعتقاد فلما سمع الملعون كلام الشيخ غضب على وحلق لحيتى وقطع آذانى كما ترى وكان معولا على قتلى إذا فرغ من قتالكم وكنت مربوطا عنده فى أسوأ حال وأشد نكال وان هذا حجاف رأى ما كنت فيه هو وزحافه ورجال معهما فقالوا ما أنت عقبة الذى أوقعت بين عبد الوهاب والبطال وبين الخليفة ياشيخ لافرج الله عنك فقلت ولم ذلك وأنا رجل من أهل القرآن والعلم فقالوا لابل انك تريد أن يكون المعتصم هو الخليفة من بنى العباس من بغضك للأمير عبد الوهاب ولعبد العزيز العلوى الذى أراد عبد الوهاب والبطال أن يجلساه خليفة ثم أنه وقع فى وعاقبنى بعقوبة قدرها الله على لأجل ماقلت فى حقك ثم خاص ورجع وقع ثانية وأنا فى ذلك البلاء وأقول له بحرمة الإسلام أعلم الخليفة بى وبما رأيت من حالى وكنت اشتهى من قبل الموت أن أراك وبعد ذلك يهون على ماجرى فان أردتم قتلى فقد هان ذلك على بعد مشاهدتك فانظر لى بعينك وارحمنى بقلبك يا أمير المؤمنين ولو كان ما قالو اصحيحا من تنصرى ما كان يفعل بى هذا ثم كشف عن بدنه وهو فى حالة الضيق من شدة الذى كان البطال يضربه وجعل يبكى ويقول ها أنت ترى جلدى من الضرب أخضر ودقنى قد حلق وهو أول ماقد ظهر وأذنى قطعت وقد صرت عبرة لمن اعتبر فلا تسمع فيا كلام الاعداء وجعل يبكى ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولنصبرن على ما أذيتمونا الآية فلما سمع الحاضرون منه هذا الكلام لم يبق منهم أحدالا بكى عليه وعلى حاله وقام مطرون قائما ونادى برفيع صوته ماهذا والله إلا من أهل الدين ولا يجب أن ينفى هذا من دين الإسلام وان يتم هذا الأمر على هذا المسكين ليخرج من دينه فقال الخليفة سوف آخذ حقه ولما كان عند الصباح صفت عساكر الروم والمسلمين وكان أول من خرج إلى الميدان فارس على جواد أحمر اللون مليح الكون والصورة له صهيل عجيب ومشيه خبب كما قيل فيه

لقد اعتدى وتحتى جواد ٭ أحمر اللون حلة الأرجوان
اذاماجرى رأيت طيور ٭ الأرض قدقصروا عن الطيران
اذا سمعت منه صهيلا ٭ قلت صوت المزمار بعد المغانى

وعليه درع من الزرد مضاعف العدد كانه عيون الجرد وعليه ثوب أحمر معلم يأخذ البصر وعلى رأسه بيضة عادية ململمة مجلية وفوقها عمامة مطرزة باللؤلؤ وكل من رآه تعجب ثم جال ومال فى الميدان وأنشد وجعل ويقول :

أسائل بنو عبس فنحن بنو عبس ونحن أسود لا نمل من الدعس

أنا الفارس المعروف فى كل مشهد وتشهد لى من حيث ماتطلع الشمس

(قال الراوى) فلما سمع كرفناس من غشم شعره ونظامه ورأى أقدامه علم أنه يهدده ويتوعده فخرج إليه من تحت أعلامه وحمل كل واحد منهما على صاحبه وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان له فن وشخصت اليهما الأبصار وعدم الاستنارة وانعقد عليهما الغبار وأخذا فى ضرب الحسام وشرب كاس الحمام وتلاصقا وتطابقا وكانت ميمونة قد صدقت فى قولها ان الأمير غشم ابن ربيعة فى طبقة الأمير عبد الوهاب ولم يزالا كذلك حتى اختلف بينهما ضربتان وكان السابق غشم بالضربة جاءت ناقصة لاجل أن كرفناس احترز من مضربه فتقهقر بجواده إلى وراء فوقع السيف على عنق الجواد فأبراه كما يبرى الكاتب القلم فقفز كرفناس قائما كانه ما وقع كالشيطان وضرب جواد غشم فقطع منه ثلاث قوائم فوثب غشم قائم وتجالدا الجلاد الشديد إلى أن ذهب من النهار أكثره وبقى أيسره ولم يبق فى أيديهما من الصوارم غير المقابض فزحف بعضهما الى بعض وتصادما وكان غشم أعرف الناس بالصراع لم يقدر عليه فيه أحد وتفرس بعد ذلك ولم يكن فى العرب أفرس منه إلا أن يكون أخاه الحارث كان أشد منه وكان معه فى هذه النوبة حاضر فى العسكر وكان أراد أن يبرز إليه فى الأول فمنعه أخيه من ذلك فتوهم أن ذلك من طريق الاشفاق عليه وكان الأمر بخلاف ذلك لانه خاف أن تظهر فروسيته فيتقدم بها عند المعتصم ويفوز بالذكر والجائزة دونه ويعطيه موضع الأمير عبد الوهاب لانه سمع من مطزون المنجوس فى مجلس السلطان كل من أسر كرفناس أعطاه موضع الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) فلما تقابضا للصراع فرح غشم وجعل يظهر له صنايع الصراع فلما قبض عليه فوجد كرفناس أثبت من الصخر ورأى منه ما لم يراه من أحد وكلما فتح له غشم بابا وجده إليه أسبق فتحير غشم منه فهجم عليه وأخذ بساقيه وأراد أن يحمله من الأرض بشجاعته فوجد ما أمله بعيد وهو كانه عمود حديد ثم ان كرفناش أراد أن يرى الناس قوته فقبض على رأس الأمير غشم وكبس عليه عصرها وانفقشت رأسه مثل البيضة فوقع الى الأرض قتيل فذهل الناس من ذلك والتفت إلى الروم فقدموا له جواد فركبه ولم يزل يحمل على الناس ويكر فيهم ويكثر فيهم الدعس فلما نظر الحارث الى مصرع أخيه قال يا أمير المؤمنين ائذن لى بالخروج الى هذا الملعون لآخذ بثارى وثار أخى فقال الخليفة افعل بارك الله فيك فخرج فى أكمل زى وأكمل أهبة وحمل عليه وتلاقيا فى نهارهم وذلك الى الليل ولم يقدر واحد منهما على صاحبه وفرق بينهما الظلام وعادوا عن الحرب والقتال وطلب كل واحد منهما عسكر فأما

كرفناس فانه لما نزل الى سرادقه اجتمعت حوله ملوك الروم والعمالقة والخواص منهم وقالوا أيها الملك ما رأينا قط أفرس من هؤلاء الفارسين فقال كرفناس وحق دينى ما هما الا كما وصفتما ولو أردت قتل كل واحد منهما بسهم من أول ما خرج الى لفعلت من غير محاربة الا انى أردت أن أخرب فرسان المسلمين وأبطال هذا الدين وهذا الذى خرج لى آخر النهار هو أفرس من الأول وأحسن احترازا وذلك أخير فى الصراع ولو قتلت أحدهما بسهم لقال الناس اغتاله ولا أريد الناس يقولون ذلك وأكون فى غداة غدا آخذ هذا الفارس أسيرا فقال له ملك الملافطة لا تقل هكذا ولكن قل بقوة المسيح آخذه فضحك كرفناس وقال ما آخذه بقوة المسيح ولا آخذه الا بحيلى وقوتى فصلبت الروم على وجوهها وباتوا ينتظرون الصباح (قال الراوى) هذا ما جرى (وأما ما كان) من أمر الحارث العبسى فانه عظم فى عين الخليفة والمسلمين وقالوا ان هذا أفرس الناس لما خلص من هذا الشيطان فقال الحارث للخليفة يامولاى سوف نرى ما يكون غدا ان شاء الله تعالى ولا بد ان آخذ بثار أخى (قال الراوى) وكان زحاف قد عظم عليه تكذيب الناس له وتصديق عقبة فدخل إلى عسكر كرفناس وقال مسكين ذلك البترك الذى هو حجة المسيح قد سرقه سارق من المسلمين وحمله الى عسكر الخليفة وهو عنده فى عذاب وعقاب شديد وهو ينادى عليه هذا بترك النصرانية الجديد الذى هو حجة المسيح فعظم عليهم وكبر لديهم وبلغ الخبر إلى كرفناس فصعب عليه وأمر باحضار زحاف اليه فحضر بين يديه فقال له ما اسمك فقال أيها الملك اسمى طليون فقال الملك وحق المسيح اسم ماسمعت به قط فى الروم فمن أين أنت ياطليون فقال أنا من نصارى نجران وقد سمعت بظهورك فجئت إلى الجهاد بين يديك فلما دخلت إلى القسطنطونية سمعت فيها ان البترك الجديد الذى هو الشيخ النجيح قد سرق فدخلت إلى عسكر المسلمين أتجسس عليه لعلى أراه فرأيته فى أسوأ حال وهو يبكى ويدعوا باسمك فبكى كرفناس وقال وحق المسيح ما علمت بذلك ثم أنفذ إلى القسطنطونية وسأل عنه وإذا هو بشومدرس قد حضر بين يديه وقال أيها الملك ان الشيخ النجيح قد سرق ولا ندرى ما كان منه فقال الملك قد سمعت خبره وغدا أنفذ إلى ملك المسلمين وأقول له وحق المسيح لئن لم ترسل لنا البترك الجديد الذى هو عالم النصرانية والا ضربت رقاب المسلمين الذين فى قبضتى فقال زحاف صدقت أيها الملك ويكون هذا غدا قبل مباشرة القتال لعل أن يفرج عن البترك قبل أن يهلك فقال شومدرس لزحاف يا أخى ما أقول أنه يناله شر ولا تشويش من المسلمين لأنه كان قاضيهم ولم يعلموا بتنصره فقال زحاف وحق المسيح هكذا سمعت المسلمين يقولون أنه قد انهتك ستره

عندهم فى هذه النوبة لما أعطاه الملك كرفناس التقدمة على بيعة سوفيا وأبصروه جواسيس المسلمين فلهذا سرقه على تلك الحالة فقال كرفناس أنا وحق المسيح غدا أطلبه من منهم وأطلقه وأمر فى الحال لزحاف بألفين دينار فأخذهم ورجع زحاف الى عسكر المسلمين ولم يعلم بذلك الفعل أحد حتى ينظر ما يكون من أمر عقبة الملعون (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وركبت الأبطال وترتبت الاقيال وإذا بالملك كرفناف من قبل أن يشرع فى أمر دعا بعشرة من الرهبان مع الملعون شومدرف وقال لهم أذهبوا إلى ملك المسلمين وقالوا له كرفناف يقول لك أنت أمرت بأخذ قسنا وبترك الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وحق الإنجيل لئن لم ترسله الينا مكرما لأ ضربن رقاب من عندى من المسلمين وأعود بعد ذلك أحمل عليكم وأفعل بكم مثل ما أفعل بهم ثم قال لشومدرس امضى يا أبونا فقال سمعا وطاعة فخرج هو والرهبان وطلبوا عسكر المسلمين حتى وصلوا اليهم فوجدوا الحارث ابن ربيعة العبسى قد عزم على الخروج إلى مقالات كرفناس أنحس الناس فهم قدهم بذلك وإذا بهؤلاء الرهبان قد وصلوا (قال الراوى) فقال زحاف لأخيه حجاف يا ابن الأم هؤلاء بلا شك رسل من عند كرفناس أنجس الناس وأرجو أن يكون للمسلمين معهم فرج وللأسارى من أيديهم مخرج فقال حجاف أرجو أن يكون ذلك وأنكر المعتصم أمرهم فلما مثلوا بين يديه وسلموا عليه فرد الخادم عليهم سلامهم فقالوا نحن رسل الملك كرفناس وكان المتكلم المنحوس المفتون شومدرس من دون الرهبان فقال يقول كرفناس ماتستحى ياملك المسلمين أن تظهر قوتك على ضعيف من أهل ملتنا ونبيكم أوصاكم أن لاتتعرضون للرهبان والقسوس وأنتم ما طلبتكم إلا أصحاب الحرب دون أصحاب الكتب فقال الخليفة ومتى أنا تعرضت للرهبان والقسوس حتى يخاطبنا بهذا الخطاب فقال شومدرس الآن قد انكشف الغطاء وأقول لك من شأن البترك الجديد الذى هو الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح الذى سرقتوه وهو إمامكم الذى اسمه عقبة وأنه عند النصرانية فى أعلا مرتبه ولما صح عندكم أنه نصرانى سرقتوه من كنيسة سوفيا وهو عندكم تضربوه وتهينوه والملك يقول وحق المسيح والرهبان والقسوس والمطران والإنجيل والصلبان والصور المصورة فى الحيطان لئن رجعت رسلى وهو لم يكن معهم ضرب رقبة كل من عنده من المسلمين الأسارى (قال الراوى) فتعجب المعتصم وكل من حوله من المجاهدين وكان عقبة قد غير ثيابه وتعمم وركب بغله عاليه زرزوريه وهو فى موكب المعتصم يقرأ القرآن فلما سمع كلام المنحوس شومدرس

قال له يا كلب الرهبان عن من تعنى بهذا الكلام (قال) فلما رآه شومدرس على تلك الحالة علم ان الذى أتى وأخبر عنه ذلك الكلام ما أراد بذلك الا هتك ستره وكان شومدرس أخبث أهل زمانه ومن عقبه وعقبة أخبث من أخبث وأنجس من شومدرس فقال شومدرس نعم القاضى أنت من من أهل ديننا ولا بد ما نأخذك من المسلمين قهرا عليك ان رضيت أو أبيت فقال عقبة وقد التفت الى الخليفة صح عندك يا أمير المؤمنين فهم يريدون قتلى أو أسرى ومع ذلك فانهم سمعوا ماقيل عنى فى مجلسك وقد أرسلوا يطلبونى اما انك تسلمنى أو تصدق على القول فتضرب عنقى ويبلغون مقصودهم والآن فانظر ترى العجب ثم قال يا راهب بحق ما تشير اليه من دينك وإلا تكون تقول إن المسيح عبد الله ورسوله مخلوق وإن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولم يتخذ صاحبة ولا ولد ما أنا صادق فى قولى فقال بلى وحق المسيح انك ابغض الناس فى دين النصرانية لأنك عالم من علماء المسلمين وان لم يسلمك الخليفة أخذ الملك كرفناس غدا لأنه علا نجمه وهو لابد أن يملك البلاد ثم أقبل على المعتصم وقال له تسلمه الينا أو يضرب الملك رقبة كل من كان عندنا من الاسارى فقال المعتصم وقد برئت ساحة عقبة عنده بهذا الكلام الهذيان وقال ما كنت أسلم رجلا من أهل الايمان اليكم ولو كان فقالوا سوف ترى عقب ذاك فصاحت عليهم الخدام فرجعوا للملك كرفناس فلما رآهم جاؤا قال شومدرس الذى جاء الينا هو لص المسلمين الذى سرقه وما أراد بذلك الا هتك ستره عند المسلمين ويبين لهم انه على ديننا حتى يقتلوه ولا يبقى لنا عين عندهم وقد جرى من الأمر ما هو كذا وكذا الا اننا أوهمنا المسلمين انه على دينهم لما عرفناه فضحك كرفناس وقال الآن ما بقى لهم نجاة من سيفى ولا يكون فى الأرض ملك غيرى فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من زحاف فانه لما رأى عقبة وقد برئت ساحته عند الخليفة كادت مرارته ان تنفطر من الغيظ كيف فعل ما فعل ولم ينهتك ستره ومن شدة ما جرى عليه شكا الى أخيه حجاف وقال يا أخى هذا قد فتت أكباد بنى كلاب والبدال وعبد الوهاب على ما كنا نسمع من حيله ومكره وغدره وشره ثم قال كل هذا منى الذى نقلته على ظهرى من بيعة سوفيا الى ههنا والا لو كنت طرحت رأسه فى حجر مرضعته كنت قد استرحت منه ولكن مايفوته منى ولا بد ما أقطع قفاه هو ومطرون فقال حجاف يا أخى أما عقبة فافعل به ما شئت وأما مطرون فربما كان مسلما صادقا وهو يتعصب لعقبة ولا يعلم الباطن الا رب العالمين وكذلك الخليفة ماله ذنب لأنه مايدرى بأحوال هذا الملعون فقال زحاف يا أخى ونسيت كذب مطرون على الأمير عبد الوهاب ونفيه من هذه الديار وما فعل عقبة

فى حق مثل هذه الفعال الا هو مثله كافر زنديق وسوف أريك ما أفعل بهؤلاء ما دام قد عجز عبد الوهاب والبطال عنهما (قال الراوى) وفى ذلك الوقت اصطفت الصفوف كما ذكرنا وخرج الحارث بن ربيعة العبسى أخى غشم مبارزة كرفناس وهو كامل العده قوى الهمة والعمد صبور على كل شدة حتى ساواه وحاذاه وأومأ اليه بيده يطلب القتال والحرب والنزال وانشد يقول هذه الأبيات

أيا غشم طاب الموت فى حومة الوغى . وطاب هلاكى يا أبن أمى ووالدى
لأنى لأخذ التار والله طالب . وان جاء موتى فهو أقصى مقاصدى
ومامات من قد مات فى حومة الوغى . ومن قد غدا فى هيجائها بالمجاهدى
وها أنا فى مرضاة ربى مجاهد . فدونك يا ابن العاهرات الجواحد

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ فى الكر والفر والهزل والجد وتقاربا وتباعدا وتضاربا بالرماح حتى تقصفت وبالسيوف حتى تثلمت وغابا عن الأبصار وبانت منهما الشدة والاقتدار حتى ذهل منهما العسكران وتحير منهما الجمعان (قال الراوى) وارتفع الصياح من المسلمين الأبرار بالتكبير والدعاء إلى الملك الجبار وكذلك الروم جعلوا يدعوا لملكهم فعلم كرفناس أن الناس قد تصايحوا من شدة ما جرى عليها من المعاركة بينه وبين خصمه وعلم أنه ما يقدر عليه عند الضراب باليمان وسمع الصياح فغضب عن عطعطة العسكران وصياح المعشران فأقبل بيده إلى قوسه الموتر وضربه بسهم فيه ملك الموت يلوح فخرق ما عليه من الزرد والعدد وخرج من ظهره وأعدمه الجلد ووقع الحارث إلى الأرض وقد ظلمه خصمه لأنه لو أنصفه لم يصل اليه ولم يقدر عليه إلا بعد عراك شديد وجلاد عنيد وربما أنه كان يظفر باللعين كرفناس وشرب من الحمام كاسا وعجل الله بروحه إلى الجنه وتصايحت الروم وحملت عن بكرة أبيها وكذلك المسلمين وكذلك ملك الافرنج ونظر المعتصم إلى ذلك فعظم عليه وكبر لديه وحمل ولم يتخلف بعدها أحد وعلا منهم التكبير والتهليل والتوحيد ودقت الروم نواقيسها وكفرت بالرحمن قسوسها وشماميسها وماجت الأرض بمن عليها وجرت الدما مهرقه عليها وعملت الصوارم وشوشت العمائم وفلقت الجماجم وجزت العلاصم والبراجم وخرصت الألسن من ضرب الصوارم ولم يعرف العاطب من السالم والمظلوم من الظالم وبقى الجبان على دخوله فى الحرب نادم وأنهمل الدمع من العيون كالسحاب الساجم وأنحلت العزائم ووهبوا المجاهدين أنفسهم للملك الدائم وبعضهم قد نسى الأهل والمعالم والبعض قد قامت عليه المآتم وطلع الغبار إلى العنان تبدل الضوء بالظلام وتشققت

الأكباد من شدة الظلما و تعلقت الرجال باللحا وأمتلأ الأرض من القتلا ولم يزل السيف يعمل ويفاصل والرمل عامل والدم نازل إلى أن أصفرت الشمس ومالت للمغيب ولم يبق للناس جلد على المقام وطلب كل من كان له فرس سابق النجاة لنفسه ولفزعه من الموت وخوفه من الفوت وتركوا الخليفة وطلبوا بلاد الاسلام وثبت الخليفة بعد الناس ساعه هذا وقد رأى الناس قد انهزموا وعقبة يقرأ القرآن وكان قصده يثبت الخليفة ويأخذوه أسير فقال الخليفة هذا الشيخ يريد أن يأخذوا رقابنا أو نقع فى الأسر سريع مع الروم فالوى عنان جواده وقد أحدقت به أربعة آلاف من القفجق وأربعة آلاف من غلمان الدار وأحموه وأحموا أنفسهم وتبعتهم الملافطة دون الروم وأقاموا الباقون عند الاثقال قال ولولا الظلام ما كان نجا المعتصم ولا غيره فيالها من ليلة لم يلتفت الأخ إلى أخيه ولا الولد إلى أبيه وكل احد يطلب فرسه هذا والرجال تسرع إلى أن أمضى الليل وارتفع وبان النهار للنواظر وانقشع وقد أصبحت الخيل تقع وعاد الملك كرفناس إلى موضعه وأقامت الروم عشرة أيام تحمل السلاح والأموال والنهب والأثقال شيئاً كثير وأخذ تلك الليلة من الأسارى الذين قصرت بهم الخيل خلقاً كثير حتى امتلأت بهم بلاد الروم وأراح كرفناس باقى الشهر ثم نادى فى عساكر الروم بالرحيل وقال اشتهى اعلم إن كان سلطان المسلمين سلم ووصل بلاده أو هو بعد هذه البلاد فهو كذلك وإذا بشيخ وقد وصلت به الروم وقالوا هذا وجدناه فى رأس الدروب وهو يذكر أنه رسول اليك من الشيخ النجيح ومعه كتاب فلما رأته ميمونة قالت صدقت هذا غلام عقبة فأخرج الكتاب وسلمه اليه ففضه وقراه وإذا فيه كلمة كفرهم ونحن وأنتم نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صل الله عليه وسلم أما بعد أيها الملك ما هذا الكسل العظيم فى تخلفك عنا وقعودك بعدنا وقد فتح لك المسيح هذا الفتح وأريدك بالنصر والظفر وقد نلت أمرا ما ناله أحد من الملوك وأنا أريد الساعة عند وقوفك على هذا الكلام الذى فى الكتاب لاتتخلف ساعة واحدة بل تسير إلى ملطيه فان المعتصم فيها مقيم وفيه ثلاث جراحات وما بقى فيه ما يركب جواد ولا يقدر يسير إلى بغداد ولكنه سير النجابين إلى سائر البلاد والآفاق وهو يستحث العساكر من البلاد وهو مجروح ميت فى جلده من فزعه منك فبادر وخذه من قبل أن يتعافا عما به من الآلام وتطول عليك القصة واعلم أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فبادر لخصمك مادام فى قبضتك فالعجل العجل قبل حلول الأجل وأنا أرجوان يكون هذا قبل أن تنبت دقنى وتبرأ آذانى فلا تشعل بشىء آخر فلما قرأ الكتاب فرح وقال أن عقبة فى ملطيه ومطرون ثم أقبل على الناس وقال أن خليفة المسلمين إذا أرسل وجمع

العساكر فان ذلك من سروري وفرحي حتى لا يبقى فى بلاد المسلمين صاحب حرب وجلاد إلا يأتونى وهم غنيمة تساق الينا والصواب قصد الخليفة مادام فى ملطيه محصور حتى لايهرب الى بلاد بعيدة ولا أقدر عليه إلا إذا ملكت الدنيا بأسرها فقال شومدرس يامولاى فاننا نريد أن الشيخ النجيح يكون عندهم ويحفظ عليهم ما يفعلون ويشير الينا بما يبطل ما يعملون لأنه مجتهد فى خدمة المسيح يريد المنفعة لنا من كل وجه فقال كرفناس صدقت وسوف أظهره على زمانى ولا احتاج أن يكون عينا ثم أمر بالرحيل وضرب البوق وقال لملك الملافطة كن أنت مقيما فى القسطنطينية فلا آمن جانب الترك أن تستغنم غيبتى وبعدى عن القسطنطينية ويرجعون يجتمعون ويأخذوها فيكون سببا لهلاك النصارى فقال ملك الملافطة السمع والطاعة وأقام فى القسطنطينية فى مائتين ألف من الافرنج ورحل كرفناس بعد وصيته أن لا يفرط فى الأسارى بقتل ولا بغيره حتى يعود ويفعل بهم ما يريد فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من المعتصم فانه وصل إلى ملطيه وقد نفرت الناس عنه وكتب الخليفة الكتب إلى سائر البلاد وسارت النجابين بالأخبار ووقع النفير بالأقطار ووصلت الأخبار إلى الحجاز وبلغ ذلك الأمير عبد الوهاب فبكى رحمة للمسلمين فقال له أبا محمد البطال ما يبكيك فقال رحمة للناس فقال له أبا محمد البطال لا أبقى الله فيكم باقية فلا تعود تقول امضى اليهم فيكون آخر العهد بينى وبينك فضحك الأمير عبد الوهاب من قوله فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من المعتصم فانه قد وصل بعد الكسرة إلى ملطيه مهموم مغبون وفيه ثلاث جراحات كما أخبرنا وقد عملت وكان مطرون يداويه وعقبة يقول له اطرح له فى الجرح شيئا يقتله فقال له مطرون قد فعلت ذلك لكن أجده خبث الجرح وبقى يرمى الدود وقد تركت له سما قاتلا ومتى وصل إلى قلبه هلك ففرح عقبه بذلك وأما المعتصم فانه لما رأى حالته كل يوم تزيد عليه طلب الانحدار إلى بغداد فقال له مطرون برأى عقبة مايقدر مولانا يركب ولا يتحرك فيهلك من هذا الجرح فأقام صابر لحكم الله تعالى وقد وصلت اليه العساكر من كل مكان فصار فى خلق عظيم وفرح بعد ما كان أيقن أنه هالك وجاءه الخبر من الجاسوس أن كرفناس وصل إلى البلستين فأخذ الناس الأهبة للقتال وقد صار فى ملطيه من الخلق الذين أتوا رغبة فى الجهاد وصارت العساكر أكثرهم تتوارد والبلاد قد خلت وصار كالجراد المنتشر وأن كرفناس وصل إلى ملطيه وقد دقت النواقيس والطبول والبوقات هنالك دقت كوسات المسلمين وارتفعت رأيتهم وعلت أصواتهم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقامت عساكر الروم تنزل طول النهار إلى وقت الظهر

وأرسل ملك الروم إلى الخليفة يقول له سلم إلى البلاد حتى آمنك على نفسك وتذهب إلى حال سبيلك فلما سمع المعتصم كلام الرسول أمر بصفعه وقال له قل لصاحبك إن الله لايخلى دين الاسلام من الأنصار وأن الذى تراه قد جرى علينا تأديب من الله تعالى وها نحن صابرين على حكمه وفى غداة غدا ترى من هؤلاء القوم الذين قد اجتمعوا على باب ملطية بنية صادقة وقلوب واثقة وبالشهادة ناطقة فينهد عزمك وقوتك وتتفرق عساكرك وجندك وعشيرتك وتغلغل جيوشك هذا كله يجرى والأمير زحاف غائص فى فكره يدبر على أخذ عقبة ولما نزل كرفناس على ملطية قال زحاف لأخيه الأمير حجاف قد عولت الليلة أن آخذ عقبة وأقتله مما فى قلبى عليه من النار فقال حجاف يا أخى ما يكفى ما عند المعتصم الساعة من الهم من أجل المسلمين ونفسه فبالله عليك لا تضيف إليه هما آخر فانه إذا فقد عقبة ما يتهم به أحد ويقول ما سرقه من عندنا إلا الذى سرقه من عند الروم وهذا بين يديك فسكت زحاف (قال) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وكثر الصياح قال المعتصم أين الأمير حجاف فأجابه بالتلبية فقال له أنت المقدم على الناس بأسرها وأركب فى موكبى واحتفظ بالمسلمين وانظر ما يقربك الى الله تعالى فقال سمعا وطاعة فلما سمع عقبة كلام الخليفة جعل يبكى زورا وبهتان ومكرا وخداع وخبثا منه ولعنه ويقول ما تخلف اليوم أمير المؤمنين عن الخروج الى الروم إلا لأمر عظيم فبكت الناس وبكى المعتصم على نفسه وعلى المسلمين فقال حجاف يا أمير المؤمنين لو كان حجاف وبنى كلاب ههنا كان الأمر بخلاف هذا فقال المعتصم آه عليهم ومن لى بهم واحسرتاه لفراقهم ليت عقبة لم يخلق حتى نكون هادين السر وكيف نعود بهم ودعهم يقتلون كل من أرادوا (قال) يا سادة يقول المعتصم هذا الكلام وعقبة حاضر ويسمع فقال يا مولاى نكاتبهم حتى يحضروا لعلهم يكشفون هذا الغم والهم عن المسلمين أجمعين فعندها أقبل الخليفة على جوهر وعلى الوزير وأمرهما بذلك وقال لهما لعل أن تكتبان الى عبد الوهاب تستعطفاه على المسلمين فلعله يأتى الينا وينصر الدين والمسلمين فقالا سمعا وطاعة وكتبا كتابا الى الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وأبى محمد البطال على لسان المعتصم وذكروا لهم فراق الدنيا وان الناس فى حال العدم لا يمكن أن يكون التخلف شفقة على الدين والمسلمين ولا يكون أحد مثل هذا الطاغى الباغى لانه قد أهلك الناس ومعه أكثر من مائة ألف أسير فى بلاد الروم وقد قتل مثلهم ثم لما فرغ الكتاب أمرهم المعتصم أن يعلقوا الكتاب على أجنحة الطير وأن يوجهوا النجابة من هناك إلى الأمير عبد الوهاب فلم تكن إلا أيام قلائل حتى وصلت النجابه الى العراق ومن العراق الى

الأمراء فلما قرأ الكتاب بكى الأمير والأميرة وبكوا الناس إلا الأمير أبى محمد البطال ومذبحون فانهما لم يعجبهما المسير فقال الأمير عبد الوهاب والله لابد لى من المسير لعلى أن أكشف هذه الغمة عن الإسلام والامام فقالت الأميرة ذات الهمة معلوم أن الله تعالى قد فرض علينا الغزو والجهاد فى سبيل الله تعالى فمن أراد الغنائم فليبادر الى طاعة الله تعالى وسارت النجابة إلى سائر حلل العرب واحلافها على كل ضامر مهزول وهم من كل حدب ينسلون ولم يمضى عشرة أيام إلا وعنده من العرب واحلافها أزيد من مائتى ألف وفرح عبد العزيز بالعودة الى تلك الديار لعله يتنسم الأخبار من بلاد الكفار لاجل والدته وسار الأمير عبد الوهاب ومن يتبعه بجد المسير وقدم على مقدمة عسكره الأمير عبد العزيز العلوى لما يعلم من عقله وشجاعته وبراعته ولما نظر الأمير أبى محمد البطال الى الأمير عبد الوهاب سائر فلم يمكنه التخلف والمقام فسار فى جملة الناس وكذلك ولده مذبحون وأمه نورى وزوجة مذبحون بنت كرفناس وقد قالت والله انى أشتهى الجهاد فى سبيل الله بين يدى الأميرة لعل الله أن يكفر عنى ذنوب سلفت وسارت نورى وزنانير والقناصه وسار معهم الشيخ طيبون الذى كان خلاص الأمير على يديه من تلك السقيه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أمر العساكر الذين فى ملطيه وقد ذكرنا أن العسكر قد اجتمعت من سائر البلاد فى طلب الجهاد فلما نزلت الروم واستراحت شرعت فى أمر القتال فى اليوم الثالث وارتفع الصياح وجردت الصفاح وامتلأ بهم البطاح وضاقت عليهم الأماكن الفساح ودام القتال الى خمسة عشر يوم لم يفتر القتال ساعة واحدة حتى فنيت الخلائق ورمت الأرض من العسكرين وقيل أكثر الرجال الذين جاؤا من البلاد فى طاعة رب العباد وفى اليوم السادس عشر فلقت القمم ووطئت الخيل الجماجم بتوع الروم والعجم وعاد النهار مثل الليل إذا أظلم ودار طاحون النقم وفتك ملك الروم كرفناس بالناس واشتد الباس وعظم المراس وضاقت الانفاس ورمى الأمير حجاف بحربتين وعشرين سهم كلها صائبه ووصلت الى جسده وسالت دماه وضعف قواه وهو صابر يقاتل على جواده ويظهر قوته وجلاده وطلبوا به ملطيه فما هو إلا أن ولى بظهره حتى اندقت عساكرهم منهزمه فمنهم من طلب ملطيه ومنهم من طلب البريه وعملت فى ظهورهم السيوف فهلك منهم خلق كثير وقال عقبة إغلقوا الباب ودعوا من بقى وإلا دخلت الروم الينا وما بنا نفوسنا وبنا أمير المؤمنين فيالها من مصيبة ما أعظمها ثم لبس السواد وجعل يطوف البلد والمصحف على يديه وهو يبكى خديعة منه ومكر وهو يدعو للمسلمين بالنصر والظفر والفرج وهو دعاء مما فى

قلبه من الفرح ويريد للمسلمين الضر والأسر والكسرة وهو ينادى ويقول وادين محمداه وامعتصماه تمكنت منا الأعداء وما كنا نحب هذا أبدا وأعبد الوهاباه واذات الهمتاه جمع الله بيننا وبينك قريب غير بعيد وكان يقول اغلقوا الباب حتى لايصير أحدا من المسلمين يدخل داخل البلد ولا من يحرس الباب والثانى حتى يهلكوا المسلمين بالسيف وكان قصده بالبكاء والنحيب حتى يقطع قلوب النساء ويقع الخوف على الأمم ويقطع بذلك قلب المعتصم (قال) وهلك خلق كثير على ظاهر ملطيه كما قصد عقبة وغلقت الأبواب الا أن البلد دخل اليها عالم عظيم وأما المعتصم فانه بكى رحمة للناس وإشفاقا على المسلمين وعلى نفسه وعلى دين الإسلام وكان مطرون لعنه الله ألف لعنة قد طرح على جراحات المعتصم سما لخبثها وهو فى غشوات وغمرات ولهفات وحسرات ومطرون عند رأسه يبكى ويقول يامولاى قد انقطع قلبي ان نرجع نقع فى أيدى الكفرة الفجرة فقال المعتصم الأمر لله على كل حال ماشاء يفعل مابى نفسى مثل مابى على المسلمين لأنهم إذا أخذونى ملكوا البلاد وأنا ميت بلا محالة من هذه الجراحات لأنها أصابتنى وأنا مولى والناس كلهم تخلوا عنى فما كان لى بد من الهرب هذا وقد دارت الروم بالبلد من كل جانب وصعدت الرجال على الأصوار هم والنسوان وعمل القتال بعد ذلك ثلاثة أيام ونصبت المنجنيقات وجعلت الرماة ترمى بالسهام والسهام تصيب الناس فكشفوا الناس عن الأصوار وعمل القتال بعد ذلك ثلاثة أيام أخر وأيقنوا المسلمين بأخذ البلد وخراب الديار والهلاك والبوار والمذلة والانكسار وعقبة يحرض الناس على الجهاد رياء منه ونفاق ويقول مانحن بأول من أسر وقتل فى سبيل الله فاصبروا واطلبوا من الله النصر تؤجروا فبالله عليكم من رأى شيبتى قد خضبت بالدماء من فليقل يامسكين هذا والناس يسمعوا كلامه ويبكون فهذا جرى (وأما حجاف) فانه لما دخل الى ملطيه جاءه مطرون يداوى جراحاته ويشد له فقال له أخيه زحاف لا والله مايداوى أخى غيرى لأنه قد اعتادنى وبمراهمى أنا ثم صنع مرهما وحشى جراحه وشده ولم تكن جراحه قاتلة ثم أقبل زحاف على أخيه وقال له اعلم أن البلد مأخوذة لا محالة وان نحن أقمنا فيه أخذنا أسارى وقتلنا عقبة والرأى عندى اننا نهرب الليلة أنا وأنت تحت الظلام وأنا أدليك بحبل من الصور وأنزل بعدك وأسرق لك من عسكر الروم جواد ونركب ونطلب آمد فقال حجاف يا أخى إذا كان الأمر كذلك فعندى رأى وفيه مصلحة للمسلمين واعزاز للدين وفيه مرضاة لرب العالمين فقال له زحاف وما ذلك قال ندخل الساعة على الخليفة ونقول له اعلم يامولانا اننا قد

عولنا على الهرب فى هذه الليلة ونعيد القصة عليه التى أبرمناها عليه من أولها إلى آخرها فان كانت له نهضة أنزلناه معنا ولا يقع فى أيدى الأعداء. فقال له زحاف لو تمت له ذلك وأراد أن يفعل لما تركه عقبة ولا مطرون لأنهما يريدان وقوعه فى أيدى الروم ولا يبقى للإسلام باقية فقال حجاف يا أخى صدقت وقد بان لى ذلك إلا أنهما الساعة غير حضور عنده فخذ الساعة فيما قلت لك مادام عقبة ومطرون غائبان فقال زحاف سمعاً وطاعة ثم أنه دخل على الخليفة فوجده فى حال شديد مما فيه من الجراحات فمشى زحاف ودنا اليه فوجده جالس فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له كيف خلفت حجاف على ما به من الجراح فقال فما هو الا بخير يا أمير المؤمنين وما له شغل قلب الا همك وهم المسلمين وقد أرسلنى اليك فى حاجة أقصها عليك ولا يعلم بها غيرك حتى لاينفسد ما نريد نعمل (قال) فلما سمع المعتصم ذلك أدناه اليه بعد ما أمر الناس بالانصراف فأعاد عليه زحاف القصـــة من أولها إلى آخرها فقال يا زحاف اصبر على حتى أنفذ إلى مطرون ويكون معنا لأجل جراحتنا فقال زحاف هذا يامولاى مالا يكون أبدا لأنه عدوى وعدوك ولأجل هذا ما أردت أعلمك بهذا الأمر إلا ما رأينا فى ديننا أن نخرج ونتركك وأنت امامنا وإمام العصر وتبقى فى أيدى الأعداء وقبضة الرداء وأخى الذى قال أعلم الخليفة حتى لايقع فى أيدى المشركين وأنت تريد مطرون وكان ينفذ الى الروم كتاب ورسول يعلمهم بخلاصنا فيرسلوا خلفنا الرجال فنؤخذ وتضرب رقابنا وان أنت فعلت ما أقول لك فانهض الساعة وإلا فروحى وروح أخى أحب الينا من مطرون وعقبة فقال جوهر صدقت والله يامولاى فدعنا الساعة من هؤلاء وغيرهم فقال المعتصم قد فعلت ذلك فافعل يا زحاف ما ينجينا من التلاف وكان المعتصم نازل فى البرج الكبير لأنه كان شاهق فى الهوى وهو مشرف على العساكر فقال زحاف الآن طاب قلبى ثم غاب ساعة وعاد ومعه أخيه حجاف يحمله على كتفه فوضعه ثم قال بسم الله قوموا على بركة الله تعالى وعونه ثم أخرج سلما إبريسم فنصبه فى الشراريف ثم رجع وصعد وقال قوموا بنا على بركة الله ثم أخرج سلما ثانى وضربه فى الشراريف وأرخاه إلى الأرض ونزل فضرب له سكه من أسفل فقال قم ياأمير المؤمنين فقال المعتصم ويلك يازحاف مجنون أنت تقول قوموا فقال لاوالله ياأمير المؤمنين فقال انظر ان كان فى أحد منا قوة أن يقدر يمشى ساعة واحدة فقال ياأمير المؤمنين ماأحوجكم إلى المشى لأن سل الخيول صناعتى من صغرى ولولا أخى حجاف نهانى عن ذلك ما كنت ثبت إلى الآن فضحك المعتصم ثم جعل زحاف يشيلهم واحد بعد واحد وينزل به على السلم حتى أنزل حجاف والمعتصم وجوهر ومسرور

وتركهم تحت الصور ومضى الى عسكر الروم فغاب ساعة وعاد ومعه من الخيل خمسة جوادات من أعز الخيول فأركبهم وساروا يقطعون الأرض فى ظلام الليل فلما كان وقت السحر واذا خلفهم حس حوافر خيل فقال المعتصم لا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم هذا والله حس وقع حوافر خلفنا فقال زحاف لا بأس عليك ياأمير المؤمنين فانى أعرف ههنا كهف فى لحف الجبل والغابة وهو تحت الأرض فنكون فيه حتى أنظر ما يكون من أمرهم فقال المعتصم لاوالله مانفعل هذا ولكن هذه سيوفنا فى أكفنا نلاقى بهم أعداءنا وأعداء الله ونموت كرام على ظهور الخيل ولو كانوا مائة فارس فدعونى أنا لهم على مابى من الجراح فقال الأمير حجاف وأنا أيضا لمائة وقال جوهر ومسرور ونحن نقاتل جهدنا فارجع يازحاف واكشف لنا الخبر (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكانت هذه الخيل أربعين فارسا من العرب المتنصرة من أتباع حرب بن شيبان وسبب اتباعهم ذلك لهم انهم كانوا فى تلك الليلة قد تولوا الحرس حول عسكر الروم فبينما هم كذلك وهم يدورون حول العسكر اذ نظروا لهم وهم مارين فقال بعضهم لبعض وحق المسيح لقد هرب الليلة المعتصم ونجى بنفسه لامحالة فإياكم أن تعلموا به أحد لعل أن يكون الظفر لنا دون غيرنا نمضى بالمال والخلع امضوا بنا لنقتفى آثارهم فساروا القوم يقطعون الأرض ذات الطول والعرض حتى أشرفوا ووقعت العين على العين وإذا هم خمس فوارس لاغير فطمعوا فيهم وقالوا لهم ياويلكم سلموا أنفسكم فما ينجيكم الهرب ونحن لكم فى الطلب هنالك غضب عليهم الأمير حجاف وقال لهم من أنتم ياكلاب حتى تخاطبونا بهذا الكلام فقالوا نحن من العرب المتنصرة أصحاب حرب بن شيبان أتباع الملك كرفناس فقال لهم الأمير حجاف لاقرب داركم ولاأدنى فراركم اليوم أقطع آثاركم وأعدم منكم الأنفاس ياملاعين ياأخس الناس ياردييئين الأنفاس فلما سمع القوم كلامه ونظروا اليه فعرفوه وقال أحدهم وحق المسيح كأنه الفارس الأقطع والبطل الصميدع فخذوا حذركم منه واحملوا عليه كلكم جمعا حملة واحدة فان أخذتموه نلتم من الملك كرفناس المنى وكلما تريدون هنالك حملوا عليه وتقدم فارس منهم ومد سنان رمحه اليه حتى اذا قاربه ورآه الأمير حجاف فى ضوء القمر فمد اليه كف مليان تقوى وإيمان وقبض على السنان وجذبه أخذ الرمح من يده وكاد أن يخلع كتفه ووقع الى الأرض مثل جزع النخله فأرداه بالرمح وكان وقع على أم رأسه والأمير حجاف قوم الرمح الى باقى أصحابه وكان تحته جواد سابق لأن زحاف خبير بالخيل المسومة لايأخذ إلا الخيول المنسوبة السابقة فما كانت الا لحظة حتى قتل منهم عشرة فوارس وحمل المعتصم من الجانب الآخر فقتل أربعة وأداروا على الباقين كأس

المنون فلم يلبثوا الباقين دون أن ولوا منهزمين وإلى النجاة طالبين وكان الأمير حجاف على سابق من الخيل شديد القوى والخيل فصاح به فخرج من تحته مثل الريح العاصف أو البرق الخاطف سبق الكل ووقف لهم فى المضيق وعارض الرمح فى الطريق وانما فعل ذلك حتى لا يمضى من يخبر بخبر إلى عسكر الروم والعدو فتأتيهم الرجال وتدركهم الأبطال (قال) فلا وذمة العرب ماكانت الا ساعة حتى تركوا الرؤس بلا أبدان والأبدان بلا جماجم وأعانه المعتصم وأنجده عليهم وكذلك زحاف وجوهر ومسرور حتى أبادوهم عن آخرهم ولم بقى من يخبر بخبرهم ثم أخذوا من الخيل خمس جنائب ورجعوا طالبين آمد فهذا جرى من هؤلاء (وأما ماكان) من أمر ملطية فان عقبة لما أصبح الصباح أتى الى المعتصم ليسلم عليه ويقول له انه كان يدعو له فوجد المعتصم قد فقد وجوهر ومسرور وحجاف وزحاف ونظر السلم منصوب فكادت مرارته أن تنفقع من غيظه وحنقه وأما العسكر فانهم فرحوا بذلك الأمر وقالوا نحفظ البلد ومادام ان أمير المؤمنين الخليفه المعتصم قد خرج من عندنا فلا يقعد عنا ولا بد ما يجمع أهل الأرض ويرجع الى العدو (وأما عقبة) فانه أراد أن يكتب إلى كرفناس ليعلمه بذلك ثم أقبل على الملعون مطرون وقال له ان تركنا المعتصم أن يبلغ إلى بغداد ليجاب الينا أهل الأرض فى الطول والعرض فقال مطرون صدقت فكيف نعمل حتى نوصل الخبر إلى كرفناس فى بقية يومنا هذا وأنا أعلم أن حجاف والمعتصم لا يقدرون على الركوب لأجل ما بهما من الجراح وأنا وضعت للمعتصم سما فلا يبرىء أبدا وإذا اهتز تحكم فيه الخبث ثم كتب الى كرفناس مع بعض نصارى من ملطية كتابا فيه كلما جرى وعمل الملعون ألف حيله حتى أخرج ذلك الرسول النصرانى من ملطية وسار الرسول حتى وصل ودنا من عسكر الروم فتواثبوا اليه البطارقة فقال أنا رسول الشيخ النجيح فحملوه الى كرفناس فأخرج له الكتاب فأخذه وقرأه من أوله الى آخره وأخبره بالقصة على هروب الخليفة ومن معه ويقول له لاشك انه طلب العراق وانى أحذرك ان تركته يمضى فساعة وقوفك على هذا تجرد مائة فارس من خيار المتنصره ويكون مع كل واحد الجنيب والثلاثة حتى يدركوه من الغد على مالق وشمشاط فى سحرات خرت برت ولا تنفذوا الا من يكون له خبرة بتلك الأرض وانهم ما يرجعون الا به وازحف أنت الى البلد بعد ذلك فلعلك تملكها فاذا أخذت البلد فهو أول غنيمة وأول بلد فتحته من بلاد الإسلام فبادر الفرصة وسارع الى ما أشرت به عليك ورأيك أنت اعلا فلما قرأ الكتاب وعلم مافيه عظم عليه وقال ان سلم المعتصم ضاع تعبنا ثم جرد مائتى فارس من عرب المتنصرة

وقال لهم ان رجعتم وماهم معكم ضربت رقابكم فقالوا أيها الملك لاتظلمنا ان نحن وجدناه آرمينا أنفسنا عليه ولو كان فى ألف فارس وبذلنا المجهود فقال اذهبوا من وقتكم هذا فساروا يقطعون الديار ويقتفون الآثار واما كرفناس فانه بعد انفاذ المائتين فارس خلف المعتصم زحف بعسا كره الى البلد ووقع القتال وعلموا الناس بهروب الخليفة فتشوشوا وقالوا طلب لنفسه النجاة وتركنا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومنهم من قال والله ما مضا المعتصم والأمير حجاف الا حتى يجلبون الينا العساكر ويأتوا الينا بالنجده على ان المعتصم لو أقام عندنا ماعساه ينفع بل ان فى سلامته سلامة المسلمين والاسلام فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من العرب المتنصره الذين مضوا خلف المعتصم فانهم لم يزالوا سائرين مجدين الى أن وصلوا الى الموضع الذى فيه القتلى من أصحابهم المتنصرة فوجدوا ثيابهم ورحالهم وخيلهم شارده غايره فلما شاهدوا ذلك صفبوا على وجوهم وقالوا وحق المسيح هؤلاء أصحابنا وهم الذين كانوا تولوا الحرس البارحة حول البلد ولا شك انهم علموا بهزيمة السلطان الى بلاده فتبعوه وهم فى قلة وحق المسيح ما فعل بهؤلاء هذه الفعال الا جماعة وما يكونوا أقل من ألف فارس فقال بعضهم لبعض ما الذى ترون من الرأى فقالوا ان مضينا خلفهم يقتلونا وان رجعنا الى الملك ضرب رقابنا كما قال وما أوقعنا فى هذا البلا العظيم الا عقبة فلا رحمه المسيح ثم انهم خافوا من كرفناس فساروا الى موضع يقال له شمشاط وهى قرية كبيره وساحة واسعة كانت فى الزمن الأول مدينة كبيرة جليلة ولها رستاق كبير وكان المعتصم لما يريده الله تعالى قد وجد من الجراح فتور فى جسمه فلم يقدر على المسير فى تلك الليلة فدخل شمشاط هو وأصحابه وأقاموا الى وقت العصر واذا بالخيل قد أشرفت عليهم وهى ما ئتين فارس من كل بطل مداعس وكانوا أهل شمشاط قد جفلوا كلهم لما سمعوا أخبار ملطية انها محصورة وانكسار عسكر الخليفة فلم يبق فيها أحد وذهبوا الى الحصون ومنهم من طلب آمد وما فيها ديار ولا نافخ نار الا أن زحاف لما لاح له الغبار قال لأخيه حجاف والله يا أخى لقد شمت العدو بنا فقال حجاف يا أخى لا مفر من قضاء الله وقدره وان كانوا مثلنا أو اضعافنا مرة أو عشره فانا بعون الله تعالى أزيد منهم ولكن احمل انت مع أمير المؤمنين وأدخله الى البرج ونكون آمنين عليه ثم ركب حجاف وشد على جواده وركب زحاف ومسرور وجوهر هذا وقد وصلت الخيل اليهم وعرفوا حجاف وأخيه فطمعوا فى انفرادهم وأيقنوا انهم قد بلغوا مرادهم ونادوا أين خليفتكم يا ويكم فقال حجاف يا ملاعين ما الذى تريدون منه ها هو حاضر ولا تظنوا اننا نفزع منكم واننا ما أقمنا هاهنا الا للراحة ولو اننا نخاف ما أقمنا هاهنا فقال له بعضهم أريد أسألك

عن شيء فقال وما هو فقال أصحابنا المتنصرة من قتلهم فقال حجاف أنا وأصحابي الحقكم بهم ان شاء الله تعالى فقالوا له وحق المسيح لقد دنا أجلك وانقطع وسوف املك ثم انهم حملوا عليه فالتقاهم بصدر قوى وجنان جرى ورمح سمهرى (قال الراوى) وكان حجاف كما ذكرنا يعد من الأبطال الاقيال وساعده زحاف وجوهر ومسرور وعمل القتال واشتد النزال وتطاعنا بالرماح الطوال (قال الراوى) فوالله ما رأيت رجلا بلا رجلين يقاوم مائتين فارس مثل الأمير حجاف (ياسادة) وعمل القتال بينهم الى الليل وحجز بينهم الظلام وعاد حجاف ومن معه من أصحابه الى البراج الذى فيه المعتصم ونزلوا من حولهم الكفار واضرموا النار خيفة منهم ان يهربوا وأقاموا عليهم الحرس طول الليل وكان الأمير حجاف قد قتل ذلك اليوم اثنى وعشرين فارس وقتلوا أصحابه كل واحد فارس الا أن جوهر ومسرور قد جرحا وجرح الأمير حجاف جرح غير نافذ وباتوا الروم يتذاكرون ما تم عليهم منه فقال واحد منهم ياويلكم أما هو هذا الذى أسر ميمونة وهو كما نرونه أقطع الرجلين وخرج بها وأحدقت به ألف فارس أو يزيدون وما قدروا عليه إلى أن أشرفوا على التلف فخذوا حذركم منه وإلا أهلكنا لأنه فارس المسلمين (قال الراوى) ياسادة يا كرام وبات أمير المؤمنين طول ليله يبكى ويتضرع إلى الله تعالى بالدعاء وبات من ألم الجراح يئن ولا يأكل ولا يشرب (قال الراوى) وباتوا يرقبون الصباح إلى أن طلع الفجر وقد طلبوا قتل حجاف وطمعوا فيه لوحدته وكانوا إلى لقاه أشوق من العطشان إلى الماء الزلال وهو أيضا لقاهم أشوق من الوالدة إلى لقاء ولدها عند طول الغيبة فحمل عليهم وهو ينشد ويقول

أشدد حزامك للموت فان الموت لاقيكا
ولا تطلب سوى القتل جهادا فى أعاديكا
ولا تقعد عن الأعدا فان الله ينجيكا
من النيران يوم البعث وفى الجنات ياويكا
وعجل حتفهم بالسيف فان السيف يرضيكا
ولا تقعد عن الحرب ولا تعصى لباريكا

(قال الراوى) وحملوا عليه فلله دره ودرجواده لأنه كان إذا طلب لحق وإذا طلب لم يلحق وهو يطاردهم بقوته ويخطف مهجهم بسيفه ورمحه وتوقدت نار الحرب ودام الطعن والضرب إلى أن أقبل الليل ودهمتهم غياهب الظلما وعاد حجاف إلى البرج وجواده

جرح والدماء يفج منه ووقف عن العادة الذى ذكرناها فوجد المعتصم قدورمت جراحاته وعلا أنينه إلا أنه لم يشتغل عنه حتى وثب اليه وناوله ما يأكل وما يشرب وحل منه شداد جواده ونزل وقد تعلق بمعرفة جواده وعلق عليه وسقاه من الماء وشد جراحه ثم انه لما أستراح جدد الوضوء وتطهر وجلس على ركبتيه وجعل يصلى ما فاته ثم تقدم إلى جواده ومسك بمعرفته ووثب صار على ظهره وشد قدميه بيديه وبات يحرس أخوانه على ما كان عليه فى الليلة الأولى يقرأ القرآن ويمجد الرحمن ويطوف على أخوانه طول ليله (وأما) الكفره عبدة الصلبان فانهم تعجبوا من فعله وقالوا وحق المسيح ما رأينا قط شكله وقدقتل اليوم منا ثلاثين فارس وان دام الأمر علينا هكذا يومين أخر هلكنا عن آخرنا ياويلكم أرسلوا واحد منا إلى الملك كرفناس يخبره بهذه القصة التى وقعنا فيها فقال بعضهم لبعض وحق المسيح لقد ضاقت علينا الأمور وان أرسلنا إلى الملك واحد يقول ياويلكم واحد مقطوع الرجلين قد قام بقتالكم يومين وليلتين وما كان لكم بقتاله طاقه وكان وحق المسيح يضرب رقابنا وان بارزناه أبادنا وأهلكنا عن بكرة أبينا ولكن لابد من الموت وما فى الأمر إلى أن نقصد جواده بالجراح ونطعنه بعوالى الرماح فاذا وقع الجواد إلى الأرض بطلت حركته ولا يرجع بعدها يقوم من مكانه (قال) فلما سمعوا أصحابه ذلك استصوبوا رأيه وباتوا معولين على ذلك الصباح فتواثبوا إلى متون القداح واعتقلوا بالرماح ودنوا من الكفاح فبينما هم كذلك وإذا هم بغبار من نحو ملطية قد ارتفع ولاح من تحته صياح ولمعان أسنة الرماح وبريق الصفاح فوقفوا ينظرون اليه ساعة زمانية وإذا به قد انكشف عن أربعمائة فارس من العرب المتنصرة ومعهم صليب من الذهب وعلى رؤسهم الرايات والصلبان مكتوب عليها حنا ومريم حتى إذا قربوا منهم القوا الصليب إلى الأرض ونادوا بلسان واحد لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر ياحجاف بالنصر الكافى وبما قد أعد الله لك فى الآخرة من الألطاف وقد هدانا الله ببركتك وأتينا الى نصرتك لنحامى عن مهجتك ونتبع دعوتك ثم عولوا على الحمله (قال الراوى) لهذا الكتاب ما سمعت قط فى كتاب ولا رأيت أحسن من هذا الفرج وأننى سألت عن السبب الموجب لذلك فأخبرت أن رجلا المتنصرة كان فى عسكر كرفناس وخرج من بلد الإسلام فى طلب الكسب والحطام وكان له أولاد عده يركبون الخيل ويخوضون الليل ولم فى المتنصرة كلها أقوى من شوكته لأنه كان يركب فى أربعمائة فارس من أقاربه وبنى عمه وأولاده كالسباع الضارية والأسود العاديه وكان أسمه بشر بن فهد وكان ذو شرف أصيل وحسب جليل وله سبعة عشر سنه

منتصر وكان سبب تنصره لأجل حروب قد جرت بينه وبين قومه وأرسله عقبة وضمن له المال الجزيل والعطاء وقال له كن على دينك ففعل ذلك ودخل الى القسطنطينية وطاب له المقام بها ودخل عليه عقبة بعد ذلك وشرب الخمر بين يديه وشد الزنار وأكل لحم الخنزير ولم يزل به حتى نقله عن دين الإسلام وأقام عند الملك منويل فى خدمته وحلت له بلاد الروم ومن بعده تنصر هو وقومه ومضت عليه السنين والأعوام وهو على ما هو عليه من التنصر حتى اذا كانت تلك الليلة التى بات فيها ولى الله حجاف على تلك الحاله مع الأعداء وهو يقاسى البلاء وقد عولوا العرب المتنصرة على أخذه وهلاكه بعد جرح جواده والخليفة أيضا قد بات يدعو الله ويسأله الفرج من تلك الشدة وهو يقول إلهى أنت الطبيب لكل عله فخلصنا مما نحن فيه من هذه المحنة (قال الراوى) وكان بشر بن فهد نائم فى تلك الليلة واذا قد رأى فى نومه أول الليل منام هائل عجيب وهو كأن القيامة قد قامت والسماء قد انفطرت والظلما قد اشتدت والأكباد قد عطشت وقد تجلى الرب سبحانه وتعالى لمسائل الخلق وأحضر عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة وأتم السلام وقال له ياعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق الآية وأقبل بعده صلى الله عليه وسلم وكان النصارى قد أمر بهم إلى النار قال بشر والتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى وجهه الشريف عنى فتعلقت بذيله وقلت يارسول الله قد أسأت الأدب وخالفت المذهب لكن نسبى متصل بنسب العرب وحسبى فيهم أجل الحسب وأنا أقول أشهد أن لا اله إلا الله وأنك محمدا رسول الله صلى الله عليك وسلم فقال له ابشر يابشر فقد قبل الله اسلامك ولكن اذا استيقظت من منامك فخذ أولادك وبنى عمك وانجادك وأدرك العبد الصالح حجاف فقد تناهت به الشدة فى نصرة دين الله عز وجل والذب عن شريعتى والمحامى عن ابن عمى المعتصم بالله فاذا وصلت اليه وكشفت عنه الغمه فقل له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول لك ابشر بما أمده الله من الثواب فى يوم المرجع والمآب وقد قبلك الله وغفر لك ما كان منك فلما أفاق بشر من رقدته وانتبه من نومته قام وحلاوة طعم الكلام فى قلبه فأيقظ أهله وعشيرته وكشف لهم عن حاله فقالوا له ابشر فما فينا إلا من رأى مثل ما رأيت فارحل بنا بارك فيك وعليك فرحلوا من ساعتهم على الخيل والجنائب وساروا وقد طوى الله لهم الأرض وصار البعيد قريب فصبحوا القوم صباح وبان لهم صحة قول النبى صلى الله عليه وسلم فحملوا على أعداء الله حملة واحدة تركوا الدنيا منهم خالية وقتلوهم

عن بكرة أبيهم وجعلوا أنفسهم خامده وجدوا اسلامهم بين يدى أمير المؤمنون وبلغوا رسالته وخلصوا زحاف وجوهر ومسرور من الأسر وذهبت عنهم غلبة القهر فقال المعتصم سيروا بنا الآن واطلبوا طريق آمد فانها حصينة أمينة فاذا حصلنا فيها أمنا على أنفسنا ولو نزل عليها أهل الأرض ما بالينا بهم إلى أن يفرج الله عنا هذه الغمه سيروا بنا بارك الله فيكم فانى قد أنفذت إلى الأمير عبد الوهاب وإلى والدته ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الانجاب وغيرهم من عرب الحجاز واليمن وأنا ما أقول أنه يقعد عن المسلمين الأمير عبد الوهاب ولا تطيب نفسه بهلاك الموحدين فقال بشر بن فهد صدقت يامولاى نحن نوصلك الى آمد وأما أنا فلا بد لى أن أرجع إلى عسكر كرفناس فى السر لآمن على أهلى ومالى ولعلنا نحملهم الى بلاد الاسلام ولعل نقدر نؤثر أثرا فى طاعة الله تعالى لأننا قد مضى زماننا فى طاعة الشيطان لأن القوم مطمئنين من قبلنا وما يعلمون إن الله قد هدانى إلى ما يحب ويرضى ببركات الشفيع لمن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم وان وصل اليكم عسكر من المسلمين ونكون نحن فى عسكر الروم كبرنا وحملنا فيهم وكسرنا بعد أن أصير أنا وأصحابى فى أوسطهم ونطرح أرواحنا على الروم فى طاعة الحى القيوم فيكون ذلك وهنا للاعداء فشكره الخليفة على ذلك فقال ياليت شعرى كيف حال الناس فى ملطيه لأن فى قلبى من أجلهم هما لو طرح على الجبال لم تنهض به فنسأل الله تعالى أن يفرج عنهم فان فيها شيوخ وشباب وصبيان لا يفرقون بين النهار والليل لما قد نزل بهم من الويل وهم صوامون قوامون لا سيما الشيخين الصالحين مطرون وعقبه فانى خيلتهم فى الجامع يدعون الله تعالى أن لا يخيب دعاؤهم فضحك حجاف ولا أبدى ولا أعاد وقال فى نفسه يكفى الله الناس شره وشر دعاءه ولم يظهر المعتصم شىء من ذلك لأنه رآه فى حالة شديدة من الجراح وعلم أنه ما يتكلم بهذا الكلام إلا من حسن ظنه بالمسلمين ثم انهم ساروا يقطعون الأرض سيرا رفيقا من أجل الخليفة وقد حملوه على بغاين فى محفه حتى وصلوا إلى آمد فخرج اليه الأمير قحطان وهو صاحب البارعية واستقبله وفرح بسلامته وحمله إلى قلعة آمد وبكا بين يديه وقال له ياأمير المؤمنين وبلغ بك الأمر إلى هذا ولو كان الأمير عبد الوهاب حاضر لما تم عليك هذا وما جرى على المسلمين هذا المجرى ولا أسر أحد من المسلمين ولا هلك فقال المعتصم كل مقدر كائن إن شئت فى السر وإن شئت فى الجهر وبهذا جرى القلم فى القدم (قال) ولما حصل المعتصم وحجاف وزحاف فى قصر آمد أدخل عليـــه قحطان الأطباء والجرائحية ليداووه ووعدهم بالأموال والخلع (وأما الأمير بشر بن فهد) فانه لما وصل الخليفة إلى آمد ودعه ورجع هو

وقومه يقطعون الأرض طالبين عسكر الروم كما تقدم فهذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من أمر ملطيه فان عساكر الروم داوموا عليهم القتال الليل والنهار عشر أيام وكان فيها من العسكر خلق كثير عرب وترك وديلم فقاتلوا قتال من كره الحياة القباء وترك دنياه وجعل الآخرة نصب عيناه هذا وعقبة يدور عليهم ومعه الزاد والماء يحملوه أولاده وغلمانه يطعموا المجاهدين ويسقوهم ويقولوا معاشر المسلمين اصبروا وصابروا وابشروا فى الآخرة بالثواب فشكروه الناس على ذلك وقالوا والله ان الشيخ أصلح الناس وان أعدائه يكذبون عليه وأى شىء الذى يمنعه الساعة فى غيبة المعتصم وحجاف أن يمضى الى كرفناس الذى أذل رقاب الناس وكان عقبة اذا سمع كلام الناس يقول هذا ثواب يسوقه الله الى على انى أشهد الله تعالى وأشهد الناس الحاضرين من خلقه انني قد حاللت كل من يقول عقبة نصرانى (قال) ولما كان اليوم الحادى عشر وقد زحفوا الى القتال كتب عقبة كتاب كرفناس يقول له الى متى هذا التطويل ازحف إلى البلد واقصد الى البرج على يسار الباب فقد قتل أكثر رجاله وهلك أبطاله وهو خالى من اقياله وانصبوا السلالم وقد أخذتموه لان فى البلد مال عظيم ونساء وخدم مالا يحصى لهم عدد ثم أرمى بالكتاب فى سهم نشاب فأخذه العسكر ومضوا به الى كرفناس فلما قرأه زحف بنفسه ولم يكن العشرة الذين مضوا باشروا القتال إلا أن يكون فى ذلك اليوم ثم صاح بالرجال وزحف ورشقت السهام فبطحت الناس من أعلى الأصوار والأبراج ثم نصبوا السلالم وعلا الصياح من النسوان وضجت الصبيان وعظم القتال واشتد النزال وصبرت الرجال على تلك الأهوال وتمت المنجنيقات تعمل بحجارتها وأيقنت النفوس بفراق ساداتها والقلوب بدمارها وهلاكها وقل الاصطبار وعظم الانتظار وتزلزلت الأقطار والاصوار ورموا بالاحجار حتى تنصف الليل هذا وعقبة قد تقدم الى نصارى البلد وأمرهم أن يغنموا الفرصة عند غفلة الناس ويفتحوا الباب فقالوا سمعا وطاعة فتركوا الناس فى تلك الشدة وعدلوا الى الباب ففتحوه ودخل الروم وعمل القتال فى الدرب وبقوا بين ناكب ومنكوب وعاطب ومعطوب وآخر بنجيعه مخضوب وتباكت الاطفال والبنات المخدرات ونعق فيهم ناعق الشتات وخرجت المستترات فهذا يقول واسلاماه وهذا يقول وامحمداه وعقبة يدور فى البلد ويقول ما يخلصكم إلا محمد صلى الله عليه وسلم نادوا باسمه وأعلنوا بذكره فهو الساعة يأتى اليكم ويخلصكم من الكفرة الفجرة والنساء إذا سمعوا قوله يأخذوه على وجه الحقيقة وينادون وامحمداه وعقبة يقول ذلك من طريق اللهو واللعب هذا وقد طارت الارواح من الاشباح وفاضت الدماء بالاذقه

والبطاح ونال الناس غاية المشقة وقتل منهم عالم عظيم وأخذوا الباقى أسارى وملكت الاعداء البلد وجلس كرفناس على سريره فى جامعها وضرب قوسه فيهاوأقام شومدرس ينادى بكلمة كفرهم وقد رفعت بين يديه الصلبان عقبة ويقبل الارض ويقول هذا ما كنت أتمناه فأين عبد الوهاب وأبو محمد البطال حتى يعاينوا هذا اليوم وتنفطر مرائرهم فقال شومدرس بحق المسيح لا تتمناهم فانى ما أشتهى أن أراهم ثم قال شومدرس ما أريد أراهم إلا فى طالع منحوس ونجم معكوس ولو كانوا الساعة حاضرين ما قدرنا على هذا البلد ولاوصلنا إليه أيها الشيخ بالله لا تجيبهم الينا وأبعدهم عنا فما هم شىء مليح فضحك عقبة وقال يا شومدرس أنت بعد فى قلبك خوفهم هيهات كان ذلك فى أيام غير هذا الملك وأما هذا الملك فما يقدر أحد يقاومه ولايقف بين يديه وهو الذى يملك الأرض ذات الطول والعرض (قال) أن الملك استراح ثلاثة أيام ثم أمر بالرحيل نحو آمد وأخذوا الناس أهبتهم للرحيل واجتمع الملك بعقبة اللعين وقال له أيها الشيخ أنا كنت أرسلت خلف سلطانكم لما هرب مائتين فارس من العرب المتنصرة فما رجع منهم أحد فى كم هرب فقال له ماهرب من عندنا إلا فى خمسة نفر منهم حجاف فقال ان كان الأمر كما ذكرت فما يرجعون الا بهم لانى وعدتهم بالقتل ان فاتوهم وساروا مجدين إلى موضع الأربعين فوجدوهم صرعى عن بكرة أبيهم فقال الملك لعقبة ياويلك أما ذكرت أنت ومطرون أن سلطانكم ماهرب إلا فى أربعة نفر وهو الخامس لهم فقال نعم وحق المسيح إلا أنك تعرف الأمير حجاف النميرى وشجاعته الذى أشرت عليك بقتله مراراً عدة وخالفتنى حتى أباد أصحابك عن بكرة أبيهم فلاتخالفنى فيما أشير به عليك فتندم عند مخالفتى وقال وكان كرفناس لما رحل من ملطيه خلف فيها خمسين ألف فارس مع بطريق شديد القوى يعتمد عليه وعليهم وقال لهم انى سائر الى بلاد الإسلام وكلما فتحت بلد أرسل الأسارى اليكم والأموال وتم ملك الروم فى سيره الى أن نزل على آمد فرأى تلك البلد حصين لا يرام ولا يقدر عليه أحد من الأنام وقال لعقبة يا أبونا ماهذا إلا بلد حصين فقال عقبة هو ذلك وما التجأ اليه الخليفة واستجار إلا لمنعه ولو اقمت ههنا عمرك ما قدرت عليه إلا أن يكون بعد طول المدة والحرب الشديد والمحاصرة والصواب أن نسير ونملك العراق هذا البلد والموضع بين يديك مايفوتك لأن البلد والبلاد خالية مافيها من يدفع ولا من يمنع وقد رأيت رجالهم البعض مقتول والبعض مأسور والبعض فى ملطيه مقهور والبعض شارد مكسور والبلاد خالية بلا سلطان وبلا عسكر فقال كرفناس صدقت لأن هذا الموضع مالنا اليه طريق ولا يعمل فيه حجر المنجنيق قال عقبة إذا كان الأمر كذلك فارحل بنا فى غداة غدا (قال الراوى)

وأما المعتصم فانه لما نزل كرفناس على آمد تحقق أن ملطيه قد أخذت فبكا رحمة للسلمين ومحبة لأجل الدين فقال لحجاف وقحطان هلكت والله الناس فقالوا له يا أمير المؤمنين لامفر من قضاء الله تعالى ولا من حكمه يفعل مايريد ونحن العبيد لله (قال الراوى) ثم انهم قالوا نحن نصعد كلنا على الأصوار ونقاتل الكفار إلى أن يأتى الله بالفرج وأما اننا ننزل اليهم فما نقدر على ذلك لأننا فى قلة وهم فى عسكر جرار وبحر زخار فلما ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ونصلى ونسلم على سيدنا محمد زين الملاح زحف الملك إلى البلد حتى يقاتل الناس ويرمى بالسهام ويرى قتالهم ويجرب نزالهم وينظر أين هم من عالم الأبراج ثم حاصرهم ساعة من النهار فقتل من الروم عالم عظيم ولم يقتل من أهل البلد أحد فى ذلك اليوم لأن الأبراج عالية كأنها الحصون وان عقبة لما رأى ذلك قال الملك أنا قد أشرت عليك بالرحيل فلم تقبل ذلك حتى أخرت الهيبة وكسرت الناموس الذى للروم فسير بنا إلى بلاد لافيها من يدافع ولا يمانع فقال كرفناس فى غد أرحل فى السحر وهم على ذلك الكلام (قال الراوى) وإذا بسهم قد وقع من بعض الأبراج فأتى به إلى كرفناس البطريق الذى لقاه وقال له هذا وقع من بعض الأبراج فوجدته فأخذه كرفناس وسلمه إلى عقبة فوقف عليه وإذا به من بعض معاملين عقبة من نصارى البلد وهو يقول فيه نحن نأخذ لكم البلد لامحالة لأننا فى أربعمائة أرمنى ونصرانى وقد عولنا أن نبذل نفوسنا فى طاعة المسيح وتقصدوا الليلة باب الجبل وهو باب المينا فترسل الينا مقدار اثنى عشر ألف فارس بالسيوف والدرق إلى صوب الشط ونحن نفتح لهم الباب فى الليل وإذا حصلوا عندنا فى البلد أرسلنا اليكم واحد من جماعتنا ونطرح الصوت فى البلد فى الظلام فيضرب بعضهم بعضا بالحسام وان فطن المسلمين قبل وصولهم الينا نحن نحامى عن أنفسنا إلى أن تصلوا الينا ففرح بذلك عقبة الملعون وباس الارض وعرف خط الأرمن وأخبر الملك بذلك ففرح الفرح العظيم وطاب قلب كرفناس وتموا فى القتال إلى أن أمسى المساء فانفرد عشرة آلاف من أبطال الروم المعدودة للقتال رجاله ومضوا إلى باب المينا وكانوا كاملين العدد والعداد (قال الراوى) وأما المعتصم فانه لما نظر إلى كرفناس ونزوله على آمد وقتاله بقية النهار وهو كان سمع أنه عول على الارتحال فأنكر ذلك وقال مافعل ملك الروم هذا الأمر وأقام بعدما كان معول على الرحيل الا لسبب من الأسباب فقال حجاف يا أمير المؤمنين لعله ما أراد الرحيل ويخلى مثل هذا الموضع الحصين فعاد للقتال يريد فتحه وأنا أعلم أنه لاسبيل له على البلد وتطول المدة إلى أن تأتى الينا النجدة وكذلك نريد نحتفظ بالبلد من داخل داخله خوفا من حيله تتم

علينا فنهلك فقال الأمير قحطان اما أنا فقد تم عليَّ نوبة مثل هذه من الأرمن الذين كانوا معي فى البلد البارعيه وأخذوا البلد وأهلي وهذا البلد فيه أرمن ونصارى كثير ولو قبضنا عليهم الى أن يفرج الله تعالى عنا لكان هو عين الصواب فقال المعتصم صدقت أيها الأمير افعل ذلك من تلك الساعة فعندها نزل قحطان ورجاله إلى البلد فما تركوا فيها أحد وكان رجل أطروش من الأرمن إلا أنه قد علم بهذه النوبة وعنده خبر وكانوا لم تركوا فيها أحد من الأرمن ولا من النصارى إلا وقبضوا عليه ولما قبضوا على هذا الأطروش قالوا له أن أمير المؤمنين قد أمرنا بالقبض عليكم فلا يهمك ذلك لأنه إذا وصلت النجدة ورحل ملك الروم عنا نطلق سبيلكم فظن انهم يقولون قد علم أمير المؤمنين بهذه القضية وقد أمرنا بالقبض عليكم فقال ياقوم لاتظلمونى أنا وحق المسيح ماعلمت بهذه القضية إلا فى الآخر فخلونى حتى أحدثكم من الذى أشار علينا بهذا الأمر ففرح قحطان بذلك وقال له هات ماعندك ثم أخذ بيده وأتى به إلى بين يدى الخليفة وقال يامولاى اسمع من هذا الشيخ النحس ما يقول فقال المعتصم تكلم قال يامولاى القس الذى للبيعة أشار علينا بهذه القضية وهذا الأمر وقد أرسلنا إلى الروم نقول لهم نسلم اليكم البلد فقال قحطان نحن قد عرفنا هذا فمن أين أردتم تسلموهم البلد فقال يا مولاى من باب المينا وقد ترتب لنا عشرة آلاف من الروم تدخل نصف الليل ففرح المعتصم بذلك ثم سجد شكرا لله تعالى على ذلك وقال لو كنا أهملنا أمر هؤلاء الأرمن كنا هلكنا عن بكرة أبينا فالحمد لله الذى أرشدنا لهذا الأمر ودفع عنا المكر وصرفه عنا فقال الأمير حجاف خلوا هذا ودبروا فى أخذ هذه الاثنى عشر ألف فارس من الكفار الذين خارج البلد ليكون وهنا لهم وهلا كا لأصحابهم وأفلالا لعزهم ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعندها جمع الأمير قحطان عليه كل من فى البلد وكانوا ثلاثين ألف من الرجال ومعهم العدة السنية وأقامهم حول الباب صفوف وفى أيديهم السيوف وفتحوا الباب وتقدم واحد من أهل البلد إلى الروم الأثنى عشر ألف وقال أسرعوا فجاؤا كلهم فلما حصلوا على الباب ونظروا الرجال قيام فسألوا عن ذلك فقال لهم هؤلاء كلهم منكم ومن أصحابكم وأصحابنا فأدخلوا ولا ينطق أحد عن منكم بكلام حتى تصلون إلى قصر الملك فاذا ملكتموه وملكتم الصور فأعلنوا بعد ذلك بالصياح حتى يسمع الملك كرفناس ويقصد اليكم ولم يزالوا الكل كذلك إلى أن حصلوا كلهم داخل البلد وجعل كل واحد منهم بين ثلاثة رجال من الموحدين وقد أحدقت بهم الرجال من كل جانب هنالك غلق الباب وعمل فيهم السيف القرضاب وطارت رؤسهم

عن المناكب وعمت عليهم المصائب وعلت الأصوات من كل جانب فسمع كرفناس ومن معه من ظاهر البلد وقال عقبة لكرفناس أبشر ببلوغ الآمال فقد حصلت الرجال معهم فى البلد الذى ما قدر على فتحه أحد غيرك أيها الملك ثم أنفذ عقبة عشرة آلاف فارس من الكفار أخر إلى نحو الباب وقال لهم أن وجدتم الباب مفتوح أدخلوا وكونوا عونا لأصحابكم على أعدائكم فقال كرفناس ما يحتاجوا إلى ذلك لأن الذين دخلوا البلد لو كان فيها مائة ألف لقاموا بهم (قال) ولم يزل السيف يعمل إلى وقت السحر وهدأت الأصوات وقلت الضجات وقلت الصرخات وسكتت الزعقات وقد فرغوا الموحدين من اللئام الكافرين العشرة آلاف بطريق ولما أضاء النهار طلعت المسلمون على الأصوار وعلا صياحهم بالتكبير والتهليل على الكفرة الملاعين ورمهم بالعشرة آلاف رأس من على الأصوار فقامت القيامة على اللعين كرفناس الخناس فشخر ونخر وقام وقعد وأرغى وأزبد وقال للملعون عقبة يا شيخ النحس هذا برأيك المنحوس وتدبيرك المعكوس يا وجـــه القرد يا كناس يا مرفوض فقال الخبيث عقبة من مكره ودهاه ما هو كثير لحيتى الساعة لم نبتت وآذانى ليسوا صحاح ترجع تحلقها مرة أخرى فضحك كرفناس من وسط الغيظ من كلامه وعفى عنه وقال له أنت تعلم انى أمرتك بالرحيل خوفا من هذا الأمر ولعل الكتاب كان حيله علينا أو قد علموا المسلمين بالقصة فقال كرفناس ويلك يا شيخ النحس الآن تعرف ذلك ما كنت ميزت قبل أن يتم علينا هذا ولكن وحق المسيح وستمائة جاثليق ساروا فى طلب تمامه على التحقيق فوصل منهم ثلثمائة من غير رفيق فخرج اليهم ملك بنى أسرائيل على التوفيق فمنهم من رماه فى البحر غريق ومنهم من عصروا اليهود عليه وعلى حلقه فمات خنيق ان كان لابد لى ما أفتح هذه البلد وإلا أضرب كل يوم من عسكر ألف رقبه وبعدما أفتحه ما أبقى على أحد ممن فيه ثم أمر أن لايترك فى ظاهر البلد ولا فى رستاقه شجره إلا ويقطعوها ففعلوا ذلك وأتت اليه الأخشاب وحملت اليه من الضياع والجبال مدة عشرة أيام ثم أمر الصناع أن يصنعوا آلة الحصار فعملت الأبراج والسلالم والكباش والدبابات حتى صاروا الأبراج بعلو آمد ولما كملت ملوها بالرجال ودفعوها إلى الأصوار وعلوها من البلد فأيقن الناس بالذهاب ورموا بالسهام والنشاب حتى هلك منهم عالم كثير وأنكشفوا عن الابراج والأصوار وما بقى أحد يقدر يمانع ولا يدافع وارتفع الصياح من البلد ولبسوا الدروع والزرد وأخذوا معهم قوارير النفط وصاروا يضربون الابراج الخشب فلم يتعلق فيها شيئاً من النار لأن عقبة قد علم أنهم لابد لهم أن يضربون الأخشاب بنار النفط فالبسوها اللبود

الطيلقانية المنقوعة فى الخل فلم تعاق فيها النار هذا وعلا الضجيج والعجيج فى البلد من النساء والصبيان والبنات المخدرات هذا وقد أيقنوا بأخذ البلد وإذا بغبار قد علا وطلع وملأ الخافقين وارتفع وتطاولت اليه الأعناق ورمقوه الاحداق (قال) وكان ذلك العسكر من بلاد اليمن وهم قوم يقال لهم وبلادهم اليسر وقد أتوا فى ثلثمائة ألف على نية الغزو والجهاد والكسب وسمعوا بأخبار الخليفة أنه محصور فى آمد فأتوا على عجل وكان المقدم عليهم خزرجة ابن عقيل اليمانى وكان من الابطال أبطال العرب الموصوفين والاقران المذكورين وصارت بلاد اليمن تحت يده وأمره ونهيه وكان من شجاعته يحب الجهاد فى سبيل الله تعالى فلما وصلت اليه الاخبار بأن كلاب الروم قد خرج إلى بلاد الاسلام فجمع قومه وعشائره وقال إعلموا أنه قد ظهرت دولة المسيح والزنار وأبادوا المسلمين الابرار وما بقى يجوز لنا المقام بعد ما سمعنا أن ابن عم النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى حصار الكفار فلما سمعوا قومه ذلك قالوا اسير بنا اليهم فنحن لك وبين يديك ثم أمرلهم بالرحيل وساروا إلى أن أشرفوا على آمد وقد أشرفت البلد على الاخذ فنادى المنادى بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وظن المعتصم أنها عساكر الامير عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب فارتفعت الأصوات فى البلد ونظر ملك الروم إلى ذلك فحار فقال له عقبه يا ملك قد جاءتك وحق المسيح العساكر التى كنت خائف عليك منها هذه عساكر بنى كلاب وعبد الوهاب فقال وحق المسيح هذا مقصودى لأنك شوقتنى إلى رؤية الأمير عبد الوهاب مما تصف لى من شجاعته وبراعته واليوم وحق المسيح يكون آخر أيامه وأسقيه كاس حمامه ثم رحل كرفناس عن آمد إلى موضع يصلح للجهاد والقتال ونظر إلى ميمونة فرآها وهى ترتعد مثل السفعة فى يوم ريح عاصف فقال لها ما بالك فقالت له أيها الملك من أجل هذه العساكر التى وصلت مع الأمير عبد الوهاب وان يكن فيها إلا ذات الهمة وحدها لكان فيها كفاية وانى خائفة عليك منها فضحك كرفناس وقال ابشرى ولا تضيق صدرك من هذا الأمر وحق المسيح أن نفسى تحدثنى أن أبرز إلى عساكر المسلمين جميعهم ولا أبالى لأن معى رجال تخافهم الجن قد ألفوا الحرب والقتال ومباشرة الأهوال (قال) ووصلت العساكر ونزلت على آمد وأحدقت بها وخرجوا لهم المسلمين وسألوهم عن أمير الجيش فأخبروهم انهم من اليمين وأن المقدم عليهم الأمير خزرجه ابن عقيل التبعى اليمانى وقد أتوا إلى نصرة الاسلام ففرح الخليفة وكان يسمع أيضا بهذا الأمير وقوته وشدته وقال دع يأتى الفرج على يد من يريده الله تعالى لنصرة الاسلام ويكشف الكرب عن المسلمين وباتوا الناس على غير قتال وتحارسوا حتى طلع الصباح

ونادوا المسلمين بكلمة الفلاح وجردوا الصفاح وركبت الأبطال على متون القداح وزحفت الصفوف واشتهرت السيوف ونظر عقبة تلك العساكر فقال ياملك وحق المسيح ما هذه عساكر بنى كلاب ولا فيها الأمير عبد الوهاب لأنى أراهم أصحاب قسى ونشاب ولا شك انهم من اليمن وأن صدقنى حذرى هم أصحاب خزرجه ابن عقيل وهو فارس عظيم وبطل جسيم وقد كان فى كل سنة يطلب الغزو والجهاد إلى بلاد الروم والدخول اليها ولا شك أن كتب المعتصم قد وصلت اليه وفيه دين كثير وقد لعبت بعقولهم زمان طويل وصمت عندهم وأنا بنية الافطار وصليت بهم بغير وضوء وأريد يشتفى غليلى منهم وهذا الأمير المقدم عليهم فى قوة الأمير عبد الوهاب وهو لا يقوم بين يديك سوى يوم واحد قال كرفناس سوف ترى العجب منى واصطفت الصفوف وازدحمت الألوف وحمل بعضهم على بعض وماجت بهم الأرض وتراشقوا بالسهام وكانت سهام أهل اليمن ضعيفة لا تعمل فى لباس الروم وسهام الروم تعمل فى دروع أهل اليمن فيالها من ساعة كانت السهم فيها مثل الجراد المنتشر وقد نصبت الحرب خيامها ونفذت معامعها وقتلت خاصها وعامها واعترك همامها ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل والرجال تقتل وقد ظهرت السفارقة على عسكر اليمن وأرموهم إلى صور البلد ولولا حجاف خرج اليهم ومعه قحطان فى أربعة عشر ألف فارس وقاتلوا قتالا شديد لكانوا أهل اليمن انهزموا وقاتل الامير خزرجه قتالا شديد حتى أشفى الغليل وباتوا الناس يتحدثون بما شاهدوا من قتال الامير خزرجه ولما أصبح الصباح اصطفت الناس للكفاح وانتطحت العسكران نطحة بقيت الخيل فيها تخوض فى الدماء وشربت الابطال شراب العمى ونهلوا كاس العطب وكانت الآجال للاقيال سبب ولم يزالوا كذلك إلى الليل وفتح باب البلد ودخل أهلها وقد فقد منهم عالم عظيم ونظروا من السفارقة شيئاً عاينوه من غيرهم ولما كان اليوم الثالث خرج الناس للحرب والقتال وهم يقولون لعل الله ينصرنا على القوم الكافرين وكان كرفناس قد عول أن يخرج إلى الحرب لعله أن يقاتل الذى قال عليه عقبة ويتقاتل معه وينظر قتاله حيث أنه فى طبقة الامير عبدالوهاب فلما ترتبت العسكرين وإذا كرفناس قد برز وهو على جواد أصيل يقطع البيداء معود على الصبر على طول المدى كانه القضا وهو لصاحبه فوق الرضا وعليه معمد مقصب وعلى رأسه مغفر مجوهر وصارم أبتر وهو يلوح به إلى العسكر ويطلب البراز فخرج اليه فارس من اليمن قتله وثانى جندله حتى قتل تسعة فوارس وكان العاشر الذى خرج اليه خزرجة بن عقيل ولم يخرج حتى دخل الخليفة وأستأذنه وودعه وقال له يا أمير المؤمنين

معلوم أننى ما جئت من بلادى إلا فى طلب الجهاد والشهادة وإن الله تعالى أن يرزقنى اياها فما بقى لى فى الحياة مطمع ولا أزال أقاتل بين يديك حتى يقضى الله ما هو قاض فدعا له الخليفة وقال اسأل الله تعالى أن يقويك ويقوى بك الاسلام فلولا قدومك لكان البلد أخذوه بالأمس فانظر بين يديك وأن برز اليك كرفناس فاحذر منه على نفسك فان سهامه لا تمنعها الدروع المانعة ولا السيوف القاطعة وهو فارس لا يطاق وعلقم مر المزاق فقال يا أمير المؤمنين ان كان الله تعالى قضى بقتلى على يديه فى هذا اليوم فلو اجتمع أهل الأرض أن يزيد فى عمرى ساعة ما قدروا عليه وان كان قد بقى من أجلى مدة طويلة فما يقدر أحد على قصرها فقال الخليفة هذا هو العبد المجاهد (قال) ثم خرج الأمير خزرجه الى مقام الحرب وهو بعدة كاملة وحمل على كرفناس وكان كل واحد منهما يهز الحربة حتى تلتقى أطرافها ويضرب بها صاحبه فيأخذها الآخر من الهوى ويهزها ويردها إلى خصمه فيزوغ عنها وتذهب باطلة فتحيرت الناس منهم وحرص كرفناس أن يأخذه أسير فلم يقدر على ذلك فلما علم كرفناس ذلك كره التطويل وضرب بيده إلى قوسه وكان يشبه قوس خزرجة فهم كل واحد منهم أن يطلق النبلة فما أراد الله إنفاذ القضية انقطع وترقوس الأمير خزرجه فبطل سهمه ونظر كرفناس الى ذلك فهجم عليه أخذه أسير فعندها حملت الروم مثل البحر الزاخر فطيروا الرؤوس وقطعوا الأوصال وشردوهم فى الرمال واشتد الأمر على أهل اليمن فدخلوا آمد بعدما هلك منهم خلائق كثير ولم يبق منهم الا اليسير ولما أظلم الليل جلس كرفناس على سريره وأحضروا الأمير خزرجه بين يديه وجعل يشرب الخمر ويلقى فضلته عليه هذا وعقبة حاضر فجعل خزرجة ينظر اليه ويقول لا إله الا الله ويلك ياقاضى قد أطلقت لسانى فى عرض عبد الوهاب من غير أن أطلع على باطنك وائن سهل الله لى بالخلاص لكان قتلك على يدى فوثب عقبة ودفعه ألقاه على ظهره وجلس على صدره ونحره من أذنه الى أذنه وعجل الله بروحه الى الجنة ورجع عقبة إلى الصباح طلعوا الناس على الأصوار وغلقوا الأبواب ودام القتال عشرة أيام وفى الحادى عشر أشرفت الناس على الهلاك واذا بغبار قد طلع الى العنان وارتفع كالدخان وانكشف عن ناس كان رماحهم آجام القصب بكل سيف مشطب وفيهم سودان قد ملؤا الأرض ولهم همهمة قد أخذت طول وعرض (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وهو لما أرسل الخليفة الكتب مع النجاب سار يقطع الأرض طالب الى ملطية حتى وصل اليها فوجد الناس فى بكاء ونحيب فلما رأوه أهل العراق بكوا فى وجهه وأخبروه أن الخليفة محصور فى آمد وكل من فيها من الأمم وقد

انكسرت عساكر اليمن وأخذ ملك الروم مقدمهم خزرجه والناس مشرفين على الذهاب والهلاك فلما سمع النجاب سار طالب بغداد ولما وصل اليها وسمع الأمير عبد الوهاب ذلك من النجاب رحل بالناس من وقته وساعته خوفا على الإسلام وحمية لدين الملك العلام وأوصل المراحل ليلا ونهار حتى أشرف على آمد وقد أشرفت على الأخذ وبانت الرماح كما ذكرنا وسمع الملك كرفناس همير السودان وزمجرة الأبطال أقبل على عقبة وقال له ياشيخ ما أكثر عسكر الاسلام كل يوم يأتينا جيش بعد جيش وعسكر بعد عسكر ولكنهم غنائم قد ساقها المسيح الينا فقال عقبة آه ياملك من هذا العسكر وماأتى يلقاك الا أمير الثغور والبطل الجسور عبد الوهاب وسيد بنى كلاب فصاح عليه كرفناس وقال وحق المسيح ان رجعت وصفت هذا الأمير بين يدى لأضربن رقبتك فقال عقبة ماأعود إلى مثلها أبدا ثم خلا عقبة بشومدرس وقال له ياويلك ماهذا الا جبار وما يكترث بقتل أحد فقال شومدرس وحق المسيح صدقت لأنه يظن أن ماعلى وجه الأرض أشجع منه وان سمع أن أحدا أفرس منه يصعب عليه فلا تعود الى مثلها يهلكك فقال صدقت فهذا عبد الوهاب قد حضر وأنا ان أقمت مكانى فانى فى غاية من الخطر وقد عولت على الرواح والهرب فقال شومدرس بشرت علينا الساعة لابشرك المسيح بخير فقال عقبة هاقد قلت مادام طمطم وطماطم وأبو الموت وملابط البغال وهؤلاء المناحيس قد حضروا الى هذا المكان مابقى المسيح يبشرنا بخير الاأن يكون مع كرفناس سعادة الأولين والآخرين فهو حينئذ يقدر عليهم (قال الراوى) وعاد كرفناس عن البلد إلى مكانه بلا فزع ولا جزع ونزل الامير عبد الوهاب حول البلد ودخل هو والاميرة ذات الهمة وسيف الحنيفية وظالم وطيبون وأبو محمد البطال الى أمير المؤمنين المعتصم بالله ووقفوا بين يديه فلما رآهم بكى وبكوا بين يديه لبكائه وطلب أن ينهض فلم يقدر من الجراح التى أوثقها الملعون مطرون بالسم فهنالك تقدم طيبون ونظر اليها وكان عارفا بذلك فلما رأى ذلك أخرج الخرزه المقدم ذكرها وهى التى كانت سبب نجاة الامير عبد الوهاب من تلك السقية المسمومة ودهن بها الجراح من خارجها وظاهرها فخرج الخبث من باطنها وذهبت ودعى طيبون بحشائش يعرفها ودقها وحشى بها الجراح وشدها شدادا وثيقا وقال ياأمير المؤمنين لا تأكل شيئاً خفيفا ثم تعاهده فى المأكول والمشروب فسكن ضربانها باذن من يقول للشىء كن فيكون وأمره بين الكاف والنون فقال المعتصم لقد نفعنى الله بك ياهذا الرجل بخلاف مطرون أحسنت والله ياطيبون (قال الراوى) وبات الناس متحارسين وقد أضرمت النيران وصاح الحرس بين الفريقان وزمجرت السودان

ودمدمت الجيشان وفتح الامير عبد الوهاب الخزائن خزائن السلاح وأخرج أربعة آلاف زرد به ضيقة العدد كانها عيون الجرد لا تعمل فيها المواضى ولا تنفذ فيها القواضى ففرقها على السودان لان الأمير عبد الوهاب كان سمع أن هؤلاء الشياطين سهامهم تخرق الستائر فقال للسودان والله ان كل واحد منكم أحب الىَّ من كل من فى البلد الروم فاعقلوا على نفسكم من سهام الأعداء (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح زحفت الروم الى الحرب والكفاح وأما الأمير عبد الوهاب فانه أمر الناس أن لا يباشروا حرب ولا نزال حتى يأمرهم بذلك (وأما ملك الروم كرفناس) فانه ركب وسار الى مقابلتهم وارسل اليهم وحرضهم على القتال ولما وصل الأمير عبد الوهاب أرادوا العرب ان يفتحوا باب الحرب ويطلبوا الطعن والضرب فلم يدعهم حتى يبدأوكم فخمدت نار الحرب فى ذلك اليوم والثانى فلما كان فى اليوم الثالث ركب الأمير عبد الوهاب وصاح يا آل كلاب يا آل كلاب يامعشر الأحباب فأجابوه كلهم بالتلبيه وكانت تلبيتهم ... الناجية يوم القصاص وهى قول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادت الكفرة بعيسى ... (قال الراوي) يا ساده والحديد اذا وقع على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن فتصادمت الجيشين ... كانهما جبان قد تصادمت وأنهار قد تلاطمت فيالها من ساعة تحنقت الصدور وحامت عليهم الطيور والنسور وقلقت شجاعة البطل الجسور وهذا عاطف وهكذا مكسور وجاء الحق وزهق الباطل والزور وتصرفت الرجال تصرف الدهور ورأيت الدماء تفور والرجال تخور وجريت الاوداج جريان السواقى والنهور واذا لاح الباشق انكسر العصفور واذا ظهر الصحيح بطل المكسور ونظر كرفناس الى هذا الأمر المشهور فعظم عليه وكبر لديه وكشف لعنه الله رأسه وحمل وحملت معه عساكره نخرق الصفوف وأباد الألوف ونادى بالحرابة الذين معه وكانوا أربعه عشر ألف حراب بالحراب النحاس فزعزعت الناس والتجئوا الى الأصوار وتكاثر الكفار على المسلمين الأبرار الى أن أشرفوا على البوار فلما نظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك نادى فى بنى كلاب والسودان الانجاب فمالوا اليه وحملوا على الروم بقلب غير مكلوم فالتقاهم كرفناس بخمسمائة ألف سهم مسموم فتركت الخيل كالقنافذ وما فيهم سهم الاعاد نافذ فتساقطت الخيل الى الأرض ووقعت الرجال عن ظهورها ودام القتال وحمى النزال الى أن أظلم الظلام فأراد والعودة وانفصال عن المجال ونزلت العساكر فى مقابلة بعضها بعض وقد أطبقوا الأرض طولا وعرض وأما ملك الروم

فانه جمع بطارقة الرستاق وعمالقة الآفاق وقال لهم قد وزنتم هذا العسكر فاخبرونى
كيف رأيتم قتالهم وشاهدتم فى يومكم هذا نزالهم فقالوا اعلم أيها الملك وحق المسيح
ما شاهدنا ولا رأينا ولا اشبهنا قتالهم وطعنهم ونزالهم الا كهبوب الريح اذا اختلط
بالماء (قال الراوى) ومالوا المسلمين الكرام على القوم اللئام وسقوهم كؤوس
الحمام وقطعوا منهم النظام وقاتلوهم حتى بطل حكم السهام ونادوا باسم ذو
الجلال والإكرام وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير
وكفرت الروم بالملك القدير وكبر الأمير عبد الوهاب وإذا قد سمع مكبر يعلن
بتكبيرة فى حملته فالتفت اليه وإذا به الأمير حجاف النميرى فتعجب منه الامير وحمل
إلى جانبه وتبعهم عبد العزيز العلوى وظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم والأبطال
الموصوفين كلهم وحملت الروم وحمل كرفناس وسائر من معه من الأجناس واشتد الباس
وقوى المراس وبدرت الحراس وانفجرت الراس وكثر الدعاس وضاقت الأنفاس
ومالت الجبال الرواس وأهرقت أدمية الأجناس (قال [illegible]) [illegible] ذلك كرفناس وغضب
ونادى فى عساكره [illegible] الحرابه وترجل من كان راكب وقصدت الحرابة الخيل وأنزلوا
بالعرب الويل هنالك رجعت اليهم السودان وبربرت فى وجوههم الحبشان وضربوهم
بالسيوف وجدعوا منهم الانوف وكان الاسود منهم تجيبه الحربة وتقع فى ذراعه
وتنفذ الى لحمه فينزعها ويقول باطله ياقرنان ويهزها ويضرب بها صاحبها فى فاه تخرج
من نقرة قفاه (يا سادة) ثم ارتفع صياحهم وبان للناس كفاحهم وتحققوا
الفريقين صلاحهم فأمسك الناس جميعهم عن القتال واشتغلوا بالنظرة اليهم وقالوا
أيها الملك ما هؤلاء كمن لاقينا من الرجال والابطال والاقيال فصاح فيهم كرفناس
دونكم والقتال (قال) وافترق عنهم الناس واتسع عليهم المكان والساحة
وعدموا السرور والراحة وانعقد عليهم الغبار وغابوا عن الأبصار فما كنت
تسمع الا همهمة ودمدمة أو دم يجرى من غلصمه أو بزبرة وزمجرة
وقد انفرد كل واحد من السودان الى واحد من الحرابه

﴿ تم الجزء الرابع والخمسون ويليه الجزء الخامس والخمسون ﴾

سيرة

الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلادالأفرنج وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكرالمازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمدالشمشاطى وصابر الرعشى ونجدبن هشام العامرى

الجزء الخامس والخمسون

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كاوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة ياكرام (وأما أبو الموت) فانه وقع فى قسم المقدم الذى لهم وكان اسمه ملطانوس بن بولص وكان جبارا من الجبابرة وكان كأنه الجمل الهايج محمل عليه ووقع الحديد على الحديد وصاحت السودان يا أبا الموت دونك وإياه ونادت الحرابه بأصحابها وقالوا له هذا مقدم السودان أخذ فى الجولان وابتدأ فى الطغيان فرفع الرومى حربته وكذلك أبو الموت حمل بعامود كان فى يده وزنه عشرون منا وكان أول من سبق بالضربة الرومى فهز حربته وضرب بها أبو الموت فالتقاها أبو الموت بدرقته وكانت من الحديد الصينى فنفذت فيها وحس أبو الموت بنفاذها فألقاها من يده وعطف عن طريقها حتى عطلها عليه وهمز صار معه ولاصقه وضربه بالعامود الذى كان فى يده فوقعت الضربة على البيضة خسفت هامته ونثر قحفه وطار رأسه من بين كتفيه ووقع إلى الأرض يخور فى دمه ويضطرب فى غندمه وهجمت السودان على خصومها واحمرت عيونها فلا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى بالعظمة فما كانت إلا ساعة حتى صاحت الأربعة عشر ألف أسود صيحة واحدة أهلكت الحرابة فى تلك الحملة ولم يسلم منهم أحد وكانت حامية عسكر كرفناس الذى بها يصول ويقول هؤلاء الحرابه أفتح بهم بلاد الإسلام (ياسادة) وانكشف الغبار وخرجت الأربعة عشر ألف أسود ومع كل واحد رأس خصمه وخلف جسده فى المعمعة فلما نظر كرفناس ماحل بأصحابه

الذين كانوا له عدة وعمده قامت عليه القيامة وانقلبت عيناه فى أم رأسه وصاح صيحة نفرت منها الخيل وأحاط بها الويل وسمعه الخاص والعام وامتشق الحسام وحمل يطلب السودان ليأخذ منهم بالثار فعندها صاح الأمير عبد الوهاب ونادى يا آل كلاب واقتحم القتال واشتد النزال طول النهار إلى أن أقبل الليل بظلامه ونادى منادى الانفصال وقد اندفعت الروم إلى أماكنها واخرجتها بنى كلاب عن مواضعها وقد ملكت أكثر الخيام والأثقال وماجرى على قلب المعتصم من الفرح خرج من آمد ووصل إليهم مقام الأمير عبد الوهاب ونصب له سريره وأجلسه عليه فجلس وقال للأمير عبد الوهاب الحمد لله الذى جعلك ركنا للإسلام وترسا لقبر النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فقال الأمير عبد الوهاب بعد ماقبل الأرض هذا كله ببركة دعائك يامولانا فكيف أنت وما تجد من ألم الجراح فو الله ماقدرت إلى الدخول إليك وفزت بالنظر إلى الحضرة الهاشمية وأغتنم الفرصة بالخدمة العباسية واسأل عما تجده من ألم الجراح فكيف حالك يامولاى فقال المعتصم يا أمير ما كان قدومك إلا مبارك من كل وجه وقد خف عنى الضربان وسكن وما قصر العبد الصالح طيبون وهو أعرف بالطب والعلاج من مطرون وقد قاربت أن تختم إن شاء الله تعالى وأكون من جملة العساكر وقد عولت على الركوب لانتهز المعمعة حتى يكتب لى ثواب الجهاد وأنت كنت سبب هذا الجهاد كله وإليك يزول آخره وببركاتك ينصلح أمره فقال الأمير عبد الوهاب هكذا يكون إن شاء الله تعالى وأما ماذكرت أن الله تعالى يجعلك من المجاهدين فقد أخذت يامولانا الحظ والنصيب وقد عولت انى أبرز إلى هذا الملعون فى غداة غد فان ظفرنى الله تعالى به انهزمت هذه العساكر كلها فقال المعتصم لاتفعل يا أمير ومتعنا بالنظر إليك لأنك قوام هذه العساكر ولاتخرج إليه فانى أشرت على الأمير خزرجة أن لايخرج إلا قتله فأبى وخرج إليه فهلك وما هذا الملعون ممن يبارز لأنى رأيت منه مالا أراه من غيره ومالا أقدر أصف من شجاعته وقتاله فقال الأميرعبدالوهاب سيجعل الله بعد عسر يسراً (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الأبطال وبرزت الأقيال وعادوا إلى القتال وكان عدو الله كرفناس قد قال لأرباب دولته وأقيال مملكته لقد أفجعونا هؤلاء المسلمين فى يومنا الماضى فى الحرابة وفى قلبى النار من أجلهم ولا بد أن آخذ بثارهم من عبد الوهاب وأخرب بلاد الإسلام بأسرها وغدا إن شاء المسيح أبرز إليهم وأطلب أميرهم ولو قتلت من أبطالهم عشرة آلاف لكانوا قليل فى مقابلة من قتل منا وإنى أقدر أقيم حرابة غيرهم (قال) فلما أصبح الصباح واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف كان أول من

برز كرفناس ونادى أين عبد الوهاب وكان عدو الله إذا غضب يخرج الدم من منخريه والزبد من أشداقه هذا وقد ترجلت بين يديه الملوك والبطارقة وسائر العرب المتنصرة وغيرهم وارتجت الأرض ذات الطول والعرض ونادى منادى الروم معاشر المسلمين هذا ملك النصرانية قد خرج إلى مبارزتكم وقد طلب النصفة فلا يخرج إليه إلا أميركم عبد الوهاب أو بعض سادات بنى كلاب الموصوفين وأبطالهم المعروفين لأن الملك مايعيبه من يخرج إليه لأنه مهلك الأشباح هذا وعدو الله قد توسط الميدان وهو على جواد يسبق النظر لونه أصفر قوائمه ثابتة ودعائمه للأقطار مالكه يدرك ماطلب لو طلب البرق لحقه وأن رام مسابقة النجم سبقه وأن استوثب على البحر عبره ان أتعبه لايأخذه ضجر والملك فى سرجه كأنه قد نقر من حجر ثم أنه كفر ونخر وزمجر وطغى واستكبر وعليه لامة تأخذ بالبصر وفوق رأسه مغفر وعصابة جوهر وسيف بركاب بجوهر وقوس قد ركب عليه الوتر وبين أصابعه خمس سهام ليس بها قعر وتحت فخذه حربتين نحاس أندلسى أصفر وقد اعتقل برمح أسمر وعلى رأسه سنان يزهر فتعجب منه كل من حضر ومن خفته على فرسه وهو كأنه وتر بين يديه عشرة آلاف فارس وراجل ثم أقبل على المسلمين بكليته وطلب براز الفارس الغضنفر مما احترق قلبه على من قتل من قومه فأراد الأمير عبدالوهاب أن يبرز إليه بنفسه فمنعوه بنى كلاب وقالوا له نفديك وبأنفسنا نغنيك ثم قفز إليه الأمير هارون العلوى رحمه الله وهو على جواد كامل الخلق أسرع من البرق وهو ينشد ويقول :

ألا ياكلاب الروم جاءكم قسور	هزبر كريم فى الصياح غضنفر
أنا العلوى هارون والفارس الذى	له فى مقام الحرب ذكر ومفخر
سأنصر دين الله ماعشت دائماً	نعم ثم لا ألوى ولا أتأخر
وأنصر دين الهاشمى محمد	نبى صفى طاهر ومطهر

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهم على صاحبه وفتحا فى الأرض ميداناً وأجادا ضرباً وطعاناً وذهلت الفرسان مما شاهدت وأبصرت والأعين مما نظرت ونار الحرب قد سعرت وسحائب الحتوف قد مطرت ورأى كرفناس من فارس بنى كلاب خلاف ماشاهد من الأبطال وأبصر قيل من الأقيال فقاتل أحسن قتال فخشى أن يطول عليه المطال وينقضى النهار ولم يأخذ بالثار فأخرج حربة من تحت فخذه وهزها حتى التفت أطرافها وضرب بها هارون العلوى فى صدره خرجت من ظهره وعجل الله بروحه إلى الجنة فماجت عساكر المسلمين وأبطال الموحدين وقالوا لاحول ولا قوة إلا بالله العظيم

وورد على قلب الأمير عبد الوهاب أمر عظيم وقال لا اله إلا الله لكل أجل كتاب كم حضر الأمير هارون معنا قتال ولم يصبه شيء حتى أتاه الأجل المحتوم والقدر المعلوم وكان عقبه فى عساكر الروم يشاهد فقال كرفناس بهارون العلوى فقال لبعض البطارقة أريد أن تتخذ لك عندي يد قال بماذا قال تمضى إلى هذا الذى قتله الملك وتشق جوفه وتستخرج كبده وتأتى بها إلى فقال نحن نحمله لك عند المساء فبينماهم كذلك واذا قد خرج إليه فارس على حجرة دهما نمرة سابلة شما وكان هذا الفارس راشدبن ضمره لأنه كان مصافياً لهارون العلوى فى الصداقة والمودة وكان بينهما مصاحبة ومجالسه وما كان لأحدهما صبر عن صاحبه فلما رآه مطروحاً شق عليه ذلك مما رأى فى حاله ولم يمكنه الصبر عنه بل انه بكى بكاء شديداً وأنشد وجعل يقول

مضى صاحبي واستخلف الهم والأسى وكان لنا نعم الصديق المصاحب
عجبت لصبرى عنه وهو مجندل وصرت أنا أبكى له وهو غائب
سأبذل جهدى ان أخذت بثاره والا فقتلى بعد ذا اليوم واجب

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذا فى الكر والفر والهزل والجدوالصد والرد ونظر كرفناس من راشد مالم يره من هارون رحمه الله تعالى فصاح بجواده فخرج من تحته مثل البرق الخاطف حتى أبعد عنه سرعة جواده ثم عطف عليه راجعا وقد سكن السهم من كبد قوسه وضربه فى صدره أطلع السهم من ظهره فوقع ميتا وعجل الله بروحه الى الجنة وأمطر عليه سحائب العفو والمنة فصاحت المسلمون وبكى الامير عبد الوهاب وقال والله مارأينا فى الروم أشجع من هذا الملعون فلا كان ولااستكان ولم يزل يخرج اليه فارس حتى قتل خمسة عشر فارسا وذهب النهار وأقبل الظلام وأفترقت الناس عن الصدام واللزام ونزل المسلمون وعليهم حزن عظيم على من قتل من أصحابهم وكان عقبة قد أمر بعض الروم كما ذكرنا أن يحمل اليه هارون العلوى فحملوه اليه مع راشدبن ضمره فشق بطن هارون وأخرج كبده وطرحه فى النار وأكل منه قطعة ثم سحب اليه هارون العلوى فلما رآه قال كم لهذا من الطعنات والضربات فى عباد المسيح وهو الذى أفزع كبدى وجعل يلطم وجهه ويقول ياهارون كيف كنت تقول انك إذا قتلت تكون حيا وما أراك إلا ميتا فقال مازن بن جرير المتنصر أيها الشيخ قد رأيت من إذا قتل يرجع يكون حياً قال نعم فى كتاب المسلمين يقول ربهم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ثم صاح ياهارون مانحبكم إلا أموات (قال الراوى) فوحق من بعث محمد صلى الله غليه وسلم بالحق نبيا واصطفاه

بالرسالة لقد رفع هارون صوته ونفض يده فى وجهه وصاح بلى حيا فهنالك طار قلب عقبة واصفر لونه وقال للروم احرقوهم بالنار فقد روع قلبي فى حياته وفى مماته (قال) وانه مازن بن جرير لما رأى ذلك انخلع الكفر من قلبه ونزل الايمان فى سره وقال لعقبة دع أحراقهم فمتى سمعت المسلمين ذلك صار لهم حجة علينا ويقولون لاى سبب أحرقتوه ويصل اليهم الخبر على ذلك فخل ذلك بل نحملهم إلى خلف العسكر ونرميهم للكلاب فقال عقبة أفعل مابدالك دعهم عنى فانى وحق المسيح قد أزداد عقبة لديهم بغضة ولو عادوا بعد موتهم أحياء لايزداد إلا تكذيبا فلا جمع المسيح بينى وبينهم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة (قال) فوثب مازن وحمل هارون العلوى وراشد بن ضمرة على بغل وركب جواده وخرج بهما من عسكر المشركين وهو يبكى على ما مضى من أيامه وذهب من أعوامه ولم يزل سائر حتى أختلط فى عسكر المسلمين فدارت به الناس من جانب وأحدقوا به وقالوا له من تكن أيها الفارس فقال احملونى إلى الأمير عبد الله (قال) فحملوه اليه فلما صار قدامه وانتسب فعرفته العرب وقالوا ياأمير هذا مازن المنتصر فقال قد كان ذلك وأنا أشهد ان لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله ثم أبتدأ يحدثهم بالسبب الموجب فأخذ الامير بالبكاء ورغبوا الحاضرين كلهم فى الشهادة وماصدقوا ان يمضى عنهم الليل وكان كل واحد منهم يقول لعلى غداً أقتل فى سبيل الله من رغبته فى الجهاد والحياة الابدية والعيشة السرمدية فى الدار العالية ثم لعنوا عقبة فقال هياج الكردى أدخلوا الآن إلى أمير المؤمنين نعيد عليه هذه القصة فقال الامير عبد الوهاب صدقت ثم دخلوا بالرجل على المعتصم وأعادوا عليه القصة من أولها إلى آخرها وما عمل عقبة فقال المعتصم وقد قام شعر بدنه لما سمع ذلك أعلم ياأمير سلمك الله اننى سمعت من هذا كثير وكما يجىء من يشهد عليه كذلك يجىء من يشهد له بالصلاح فان كان الأمر على ماذكرت فكيف السبيل ان نعلم صحة ذلك فقال مازن ياأمير المؤمنين أنا أوريك ماقلت لك مشاهدة فقال وكيف ذلك قال ها أنا الساعة أمضى وأضرم النار بالبعد عن العسكر وأعود الى عقبة فى الحال وأقول له أيها الشيخ تعالى حتى تنظر ما قد صنعت بهم ويشفى قلبك وأخرجه الى ذلك الموضع وتكون أنت قد رتبت هناك رجال وأنت معهم وأن أردت يامولاى تعالى أنت معى إلى العسكر حتى تسمع كلامه فقال المعتصم والله لاركبن معكم وأخاطر بنفسى إلى الروم حتى تنكشف لى هذه القصة ثم ركب المعتصم وعشرة من حجابه وخدمه وركب الامير عبدالوهاب وسيف الحنيفية وضيغم وعبدالعزيز العلوى وبرد ابن الأزهر والأمير هياج الكردى وحجاف وأبو محمد البطال ومذبحون إلى أن صاروا خلف عسكر الروم

وكان مازن قد سبق وأضرم النار ثم قال لهم ابعدوا عن النار حتى لاتظهر أشخاصكم فيكشفوا الروم حالكم فأخشى عليكم من أمر من الأمور فأنتم كهف المسلمين فقال عبد الوهاب امض يامازن لشأنك ودع بركب عسكر الروم الجميع فنحن بمعونة الله تعالى نقاتل إلى الصباح (ياسادة) وأن الأمير حجاف قال اعلم يامازن أن عقبة خبيث ولا آمن أن يمتنع عليك ويقول بعد ماقتلوا ما أبالى أن حرقوا ولايأتى معك ولكن عندى رأى فقال مازن وماهو أيها الأمير الصالح قال تقول لعقبة بينما أنا حفرت حفرة وأردت أن أطرح عليهم النار ولا أكون بصورة من يخالفك فيغضب على المسيح اذ لاح لى فى ظلام الليل شخص يحمل رجل على كتفه وهو يريد أن يركبه على جواد وهو يقول يامحمد فعلمت أنهما من عسكر المسلمين فصممت على ذلك الرجل الذى على كتف القائم بالطعنة فوقعت على ظهره خرجت من صدره وهرب صاحبه وإذا به لايقدر يثور من مكانه فقصدت إليه وإذا هو مقطوع الرجلين فضربته بسيفى أربع ضربات ثم عدلت إلى صاحبه ولحقته فقتلته ولا أدرى هل هم ماتوا أم هم فى الحياة وهذه خيولهما قد جئت بهما معى لأنى رجل صعلوك ورأيتهما غنيمة فهو إذا سمع هذا الكلام يأتى معك لامحالة فاذا قربنا قل له إذاكان الساعة حجاف قدهلك على يدى إيش لى عليك حتى يتكلم ويسمع الخليفة كلامه

(قال) فأخذ مازن معه فرسين وسار إلى عسكر الروم وقصد المكان الذى فيه عقبة وأعاد إليه القصة ، فلما سمع عقبة ذلك الخطاب فوثب قائماً وقال لمازن إن كان ذلك حقاً فلك عندى مائة دينار فقال مازن وما علامة صدقى عندك قال تأخذنى الساعة وتخرج إلى ظاهر العسكر إلى الموضع الذى ذكرته فان كان الشخصان هما زحاف وحجاف قطعت رؤسهم بيدى ورجعت من ليلتى واستقرضت لك ألف دينار وتصبح أقوى قومك فقبل مازن يده وقال حفظك المسيح يامولاى سر بنا قبل انصرام الليل ثم سار هو وعقبة يطلبون النار وعقبة يظن أنه ظفر بالقوم الأخيار وجعل يتخطى المغارات والمضارب إلى أن خرجوا من العسكر وقربا من النار وعقبة يقول أنفق لك مالا أنفق لأحد وما كان هذا إلا لأجل سعادتك لأن فى قلب الملك كرفناس من أجل هذا حجاف نار لاتطفى وهو فى مقام الأمير عبد الوهاب اسود بنى كلاب وقد وقع فى يد الملك مرار ويسرقه أخيه زحاف (قال الراوى) ووصل إلى الموضع الذى بالقرب من الأمراء بحيث أنه إذا تكلم سمع الخليفة ومن معه كلامه فعند ذلك قال له مازن أيها الشيخ النجيح بحق المسيح لى عليك ألف دينار كما قلت فقال نعم فقال احلف لى حتى يطمئن قلبى ويهدى سرى إنك تعطينى المال فى

العسكر من غير مطال كما وعدتنى حتى أوريك زحاف وحجاف فلما سمع ذلك من كلام مازن أحس بالشربة وكان أخبث أهل زمانه فبكى بكاء شديد ماعليه من مزيد وقال يامازن اتق الله فى أمرى فإنى شيخا كبير وضعيف ولى مائة غزوة وحجة لبيت الله الحرام وأنا عالم من علماء المسلمين وأنت أعلم أنى كنت عند ملك الروم كرفناس نسل الأرجاس فى غاية الذل والهوان يبصق فى وجهى كل وقت وأوان وكان قد أراد أن يتركنى فى ملطية فقالت له القسوس خذ هذا الشيخ معك فان كلما ضربناه وأهناه نصرنا المسيح على أعدائنا وأعداءه والآن فقد من الله على بك سرقتنى من عسكر الروم وأخرجتنى وقلت لى الأمير عبد الوهاب قد ضمن لك عشرة آلاف دينار فى حيلة أدبرها عليك إذا وصلت بك على يسرة النار المضرمة فقل الأبعد نصرانى وأريد أن أقتل عبد الوهاب وحجاف وكل المسلمين بحيلتى وعملى فلا تفعل وإن أردت قتلى فاقتلنى فلعلى أستريح من هذه الحياة الذميمة المنكرة والعيشة المغصصة ودع يكون من عبد الوهاب وتدبيره فهو فى حل من دمى لا أطالبه من أجلى ولكن لأجل أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وابن عم محمد خاتم النبيين والله انى كنت فى ضنك الأسر وغلبة القهر ومن سبب جراحاته وكنت أبكى إلى أن تنقطع كبدى لأجله لانى ربيته وربيت أخوته ولهم على حق وأبيهم فان كنت تراقب الله فاحملنى إلى أمير المؤمنين وأنا أضمن لك مايطيب به قلبك لأنه يخرج من صدقاته أضعاف ذلك ولى أيضاً فى آمد معاملين ولى معهم مال فأعطيك مايرضيك وأيضا آخذلك من أمير المؤمنين أمان حتى تعود إلى عسكرك وإن أردت المقام عندنا فى بلاد الإسلام ويكون الله تبارك وتعالى قد هداك إلى الايمان فأنا أعلمك كتاب الله تعالى ولأنتم على دين النصرانية فتخسر الدنيا والآخرة.

(قال الراوى) فلما سمعوا الجماعة كلام عقبة بكوا وبكا المعتصم رحمة له وحار مازن من فعله ونادى المعتصم إلى قد فرج الله عنك ثم أقبل على الامير عبد الوهاب وقال له يا أمير هل بقى عندك شك فى أمر هذا الرجل وقد سمعت ما قال ولنا الظاهر والله تعالى متولى السرائر وأنا كنت والله لاأشك فى قولك ولكن الله تعالى فى خلقه تدبير وهو على كل شىء قدير وأشتهى أيها الأمير تهبه لى لوجه الله تعالى وأنا أعلم ما فى قلبك عليه وأنا اسأل الأمير أبو محمد فى ذلك وما هذا وقت هذا ونحن مشغولين بلقاء العدو وقد سمعت بأذنيك ما هو قد هان عليه هلاكه لأجل نصرة الاسلام ولقد كان وحق ابن عمى محمد صلى الله عليه وسلم وأنا فى ملطيه والناس يخادعونا ويحاصرونا فى البلد يدور ويدعو لك وها أنا قد ترجلت عن ظهر جوادى وأنا أسألك فيه (قال) وهم المعتصم أن يترجل

فنعوه الأمراء وباسوا الأرض بين يديه وقالوا يا أمير المؤمنين نحن عبيدك وخدمك ومهما أمرت لانخالف أمرك ثم رجعوا إلى عسكر المسلمين وقد انكشف وجه عقبة عند المعتصم ووجد سماع كلامه وبقى مازن خجلان عند الخليفة فقال الأمير عبد الوهاب لاتحمل على قلبك من أجل هذا الملعون فما رأينا أحداً أحيل منه ولله فيه تدبير ولنا معه وقائع تعجز عنها الجن وأنا أعذرك فيما جرى لك وأعذر أمير المؤمنين لأن له الظاهر والله تعالى متولى السرائر ولولا أنى رأيته وهو يأكل لحم الخنزير ويكفر بالملك القدير لكنت الليلة انطلى على محاله وكنت عوناً له فانه يجب علينا سماع مقالة الخليفة أمير المؤمنين وقد قال لنا هبونى إياه ما أبقيت عليه فقال مازن والله يا أمير لقد بقيت فى حيرة ولا أدرى ماذا أصنع والساعة يكتب عقبة إلى ملك الروم ويأمرهم بضرب عنق وإن أقمت عندكم أكون عند الخليفة بصورة كذاب غادر وصفة كاذب ماكر فقال الأمير عبد الوهاب قد اخجلنا هذا القرنان بين يدى السلطان وما عليك من هذا ضرر بعد أن هداك الله وأضله فقال مازن وأنا أقيم عندك وأغزو هذه الغزاة وأجاهد فى سبيل الله لعل أن يغفر لى مامضى ويجود على بالعفو والرضى وبعد ذلك أطلب البيت الحرام فقال له الامير أبو محمد البطال لاكلام حتى ينكشف عنا هذا العدو الذى مارأيت قط مثله ولا أوحش منه ولا من جنده وترون ما أصنع (ياسادة) وكان الملك كرفناس قد طلب عقبة عند الصباح فما وجده فقال الملك قد فقدنا الشيخ النجيح وما لنا منه خبر ثم قامت عليه القيامة وإذا بالشيخ أبو الشرشو مدرس وقال له هل عندك علم من الشيخ النجيح فقال لاوحق المسيح مالنا به علم لأننى فى هذه الليلة ميشومة احفظ روحى وحراسة نفسى فقال له ممن أيها الشيخ خائف فقال من الداهية الدهيا والمصيبة العظما أبو محمد البطال فاننى وحق المسيح من حين وصلت ما أخذنى منام ولا قرار فما ذهبنا فى الشيخ النجيح إلا منه فخذ حذرك أيها الملك وإلا أعدمك نفسك فقال كرفناس ويلك لاتخاف فانه إذا أخذنى واحتملنى قبضت على عنقه كسرته فقال شومدرس وكان ياملك إذا جاء يأخذك يكون عقلك معك فقال وقد صلب على وجهه والا كيف يكون العمل فقال اعلم أيها الملك الواحد يخلى الإنسان نائم يأخذ عقله ويتركه لايعقل ولايعلم حتى يوصله إلى الموضع الذى يريد لى يرد عليه عقله وينتقم منه بعد ذلك فقال الملك وكيف يعمل بعقله حتى يغيب فقال شومدرس وأى قرنان يدرى كيف يعمل ولو كنت عرفت ذلك كنت مضيت اليهم وسرقت خليفتهم فقال الملك أنك لصادق ويجب علينا أن نحفظ نفوسنا إلى أن يقضى المسيح ماهو قاض بينى وبينهم وأطلب هذا البطال الذى كان من بلاد

الله تعالى ثم أنه ركب واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وكان أول من برز إلى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب الملك كرفناس وجال وصال وكانت ميمونة إلى جانبه وكان الأمير عبد الوهاب قد سمع كيف قد غدرت بالملك أرمانوس وهى الآن مع كرفناس وما جرى لها مع حجاف وكيف قطعت رجليه فتعجب الأمير عبد الوهاب وتمثل بهذه الابيات يقول.

ألا إنما الدنيا تؤنث أهلها فكن أبدا من كل أنثى على حذر
إذا أنت عاملت النساء على الوفى فهن يعاملن الرجال على الغدر

(قال الراوى) وإن الملك كرفناس لما خرج وطلب البراز وميمونه إلى جانبه فى ساحة الميدان فخرج إليهما فارسان حمل الواحد على ميمونه والآخر على كرفناس فما كانت إلا جولة الحامل حتى قتلا الفارسان ونظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك فهم أن يخرج إلى الميدان وإذا بفارس من المسلمين قد حمل كأنه الفتيق أو شعلة حريق أو كحجر المنجنيق نظر الناس إليه وإلى شمائله وإذا به يشاكل الأمير عبد الوهاب فتبينوه واذا هو سيف الحنيفيه وقد تظاهر بثلاث دروع من تحتهم صدره زرد كل ذلك خوفا من سهام كرفناس وحزبه فلما رأت ميمونه يعنى الى سيف الحنيفية ظنته الأمير عبد الوهاب فنادت بكرفناس وقالت يا ملك هذا وحق المسيح هو الإسلام كله فدونك وإياه هذا الأمير المهاب هذا الأسد الوثاب هذا عبد الوهاب بن الحارث بن ظالم بن الصحصاح بن جندية الكلابى فعندها صاح بجواده فخرج مثل البرق الخاطف أو الريح العاصف وأجراه شوطا كامل ثم أطلق عنانه فى ميدانه ولحق الأمير سيف الحنيفية ونادى بلسان الرومية يا فارس المسلمين دونك القتال فهذا آخر أيامك فحمل عليه وأخذا فى الكر والفر واللغز والهزل والجد والصد والرد وسمع الناس هدير الفارسين وشاهدوا مصادمة البطلين وقد شخصت اليهما كل عين وطلع الغبار على الإثنين واحتجبا عن العسكرين وخفيا عن المعشرين ورأى كرفناس من سيف الحنيفية فارس ممارس وقرن مداعس لم يرى قط مثله ولا شاهد شكله فأظهر فروسيته أشياء ما أبصر الناس مثلها ولا شاهد شكلها لأن الشجاع يقاتل كل من ورد إليه على قدره وكان يخادع سيف الحنيفيه فى الميدان ويقابله فى الجولان طمعا أن يأخذه أسير فوجد المطلب عليه عسير فلما رأى أن لاطاقة له به أقبل يطاوله ويحاوله ليطعنه فرأى ذلك منه بعيد ومضى أكثر النهار وقد تضاربا بالسيوف حتى تثلمت فأرمياها وتقابضا على السرجين وتعاركا حتى وقعت من تحتهما الجوادين ووقعا على الأرض عالقين ببعضهما بعض وكان سيف الحنيفيه عليه من الحديد ماذكرنا لأجل الاحتراز من سهام الملعون وكان يعينه على ثقل لبسه جواده فصار على وجه الأرض فتتعتع من ثقل الحديد ثم

انه جعل يعارك خصمه معاركة الصنديد والرجل الشديد فلما شاهدت ميمونه كرفناس قتاله مع سيف الحنفية ونزاله وهى مع ذلك تظنه الأمير عبد الوهاب فلم تعطى صبرادون أن خرجت حتى وصلت اليهما وترجلت عن جوادها وهى تقول هذا الكلب أبغض الخلق الى ثم امتشقت حسامها وأتت من وراءه لتضربه بالسيف واذ بصرخة قد أخذتها من ورائها كالرعد القاصف فالتفتت لتنظر من الصائح واذا هى بفارس كالأسد الغضبان وقد مد رمحه اليها وكان سنانه كأنه لسان ثعبان فلما نظرت الى ذلك وثبت الى جوادها وحملت عليه وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر حتى ذهل منها الناس ونظرت ميمونة إلى نفسها تحت النقصان وقد أبهرها ذلك الفارس فنادت يامسلم بحق دينك من تكون فقال الفارس ويلك يا عاهرة أنا المرأة المجاهدة الصابرة ولدين الله ناصرة أرجو بذلك الفوز فى الآخرة وأريد أضربك ضربة تكون رأسك فيها طائرة فلما سمعت ميمونة ذلك أيقنت بالهلاك وانحلت عزيمتها وقالت يا ذات الهمة لا تظنى انى أريد بولدك عبد الوهاب سوء لا وذمة العرب ماكان لى فى ذلك أرب وإنما رأيته قد تعب مع كرفناس فدنوت منه وكلمته بالعربية وطلبت بذلك الصلح لحالنا فقالت لها ذات الهمة ويلكى خلى عنكى هذا اللجاج ياكافرة فما ينطلى على خداعك فقالت ميمونة يا أميرة ها أنا بين يديكى وأسألى ولدكى إن كان ناله منى مكروه فقالت لها ذات الهمة ويلك يارعنا هذا ماهو عبد الوهاب إنما هو سيف الحنيفية ولولا ثقلته الدروع لكان ترك رأس كرفناس مقطوع فقالت ميمونة ارجعى إلى مكانك وأنا أرجع إلى مقامى فقالت الأميرة ذات الهمة هيهات هيهات ثم حملت عليها وطعنتها بعقب الرمح وإذا بها قد تدحرجت على وجه الأرض ثم نهضت عليها أخذتها مثل البرق الخاطف فتحيروا الناس من فعلها ومضت بها الى عسكر المسلمين كانها اللبوة اذا أتت بفريسة الى أشبالها ففرح الناس بأخذ الاميرة لها فقال حجاف الليلة اشتفى من هذه المفتونة وأما سيف الحنفية أوتهن مما كان عليه من الدروع والحديد ومن شدة ساعد هذا الجبار العنيد وهو معه فى عراك شديد حتى أتعبه وأنصبه ثم أدخل رأسه تحته وشاله من الأرض بثقل ما عليه ومشى به الى عسكره ودفعه إلى عبيده وركب جواده بعد ما غير عدته وترسه وسأل عن ميمونة فأخبروه بحالها فعظم عليه وكبر لديه وصلب على وجهه وقال كم قلت لها لا تباشرى هؤلاء على بالفراش ثم قال للملوك هذا عبد الوهاب فقال شو مدرس هذا يامك سيف الحنيفية ولى عنده ثار ولدى ذهر شوم فقال ما نقدر على قتله لان ميمون عندهم ولا أقدر أخليها تبيت فى عسكرهم لانها كانت زوجة أميرهم وأخاف أن يكون فى قلبه منها هوى فتمضى هدرا فهل

لك أن تمضى برسالتى هذه اليهم وتطلب منهم الفدا فقال سمعا وطاعة ولم يقدر أن يردداه لما علم من تجبره وتكبره وشره بل سار رسولا إلى المسلمين وقد مالت الشمس إلى الغروب فلما علموا أنه رسول سمحوا له بالدخول فلما صار بين يدى الأمير عبد الوهاب قال له ياءولاى المملوك شومدرس عتيق سيفك وأسير قومك قد جئت اليك فى أمريكون فيه الصلاح لحالك فقال الأمير وماهو قال أن تفدى ميمونة بسيف الحنيفية والملك يسلم عليك ويقول لك الى متى هذا التأخير وأنت البطل المذكور والفارس المشهور وقد تعلق قلب العسكرين بك وبه وقد حلف أنه لايبرز بعدها إلا اليك فقال عبد الوهاب أقسم بالله لايبرزإليه فى غداة غد غيرى وقد أجبته إلى الغد ولا يبيت ولدى عند الأعداء ثم استحلف شومدرس وأطلق ميمونة فمضت إلى عسكرها وأطلقوا الأمير سيف الحنيفية وأصبح الصباح وكان أول من برز إلى الميدان الأمير عبد الوهاب لأجل القسم الذى أقسم به وخرج الملك كرفناس كذلك وكل واحد منهم بالعدة الكاملة وركب المعتصم من خوفه على الأمير عبد الوهاب وكان المعتصم قدأعطاه زردية فضية ثلاث طبقات من عمل الحكماء القدماء صغار الزرد كأنها عيون الجرد لايعمل فيها الصارم المهند ثم أن الأمير عبد الوهاب صال وجال وأنشأ وجعل يقول :

ألا لا نجانى الله إن كنت قاصراً　　عن الضرب يوما بالسيوف القواضب
فدونك هذا آخر العهد واللقا　　ولا عودت إلا بقطع الترائب

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذوا المسلمون فى الدعاء للأمير عبد الوهاب والروم فى الدعاء لكرفناس ومالت الميمنة حتى لاصقت الميسرة والميسرة حتى لاصقت الميمنة وكان ذلك اليوم أشبه بيوم الأحزاب حتى برز الإمام والليث الهمام والبطل الضرغام على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى عمرو بن ود العامرى قال سيد البشر ونخر ربيعة ومصر برز الإسلام كله الى الشرك كله وكان الأمير عبد الوهاب فى ذلك الوقت فارس الإسلام وتماسكا وتماحكا وتعاركا وتفاصلا فلله در الأمير عبد الوهاب ما كان أثبته عند اللقاء وتعجب كرفناس وعلم أنه بخلاف من رأى فصلب على وجهه وقال يحق للمسلمين أن يفتحوا البلاد لأننى كل يوم أرى منهم فارس أجود من الآخر ولم يزل الحرب بينهم إلى بين الصلاتين وطال الوقوف وتمايلت الصفوف ولم يتعب كرفناس الا فى ذلك اليوم لكثرة مادافع عن نفسه وجهد أن يصل إلى الأمير عبد الوهاب فلم يقدر على ذلك ولم يزالا فى جهد جهيد حتى فنيت العدد والتقى كرفناس الى الأمير عبد الوهاب وكذلك فعل ترس قبر النبى الاواب وتقابضا على الجوادين

وتعاركا على الفرسين وافترقا ولم يقدر أحدا منهما على صاحبه وأمسى المساء ورجع كل فريق منهم إلى عسكره وأما كرفناس فانه أقسم بالمسيح أنه لا يأكل ولا يشرب حتى يأخذ الأمير ويقتله وأما الأمير فانه رجع الى عسكره وهو يقول وبات ماشاهدت قط مثله ولقد كان إذا حمل وضربنى تاهب قوائم الجواد من تحتى على وجه الأرض فسبحان من أعاننى عليه وعلى تلك القوة التى كانت له (قال الراوى) وكان الناس فى الحرس وهم يقولون عبد الوهاب يغلب لأنه أقوى ولم يزالوا كذلك إلى أن أصبح الله بالصباح وركب الأمير عبد الوهاب وركب كرفناس وسائر الناس لينظروا مايجرى من الفارسين هذا وقد حمل بعضهم على بعض وأخذا فى الركض حتى ارتجت من تحتهم الأرض ثم أخذا فى الإبرام والنقض إلى قرب الظهر وصاح كرفناس وأيس من وصوله الى الأمير عبد الوهاب فأخرج من تحت فخذه حربه كان يسميها القاضية لأنها كانت ماضية ماضرب بها قط شىء إلا وقضت عليه ثم أنه هزها حتى التفت طرفاها ونادى المنادى عسكر الإسلام يا أمير خذ حذرك من الحربة فجعل الأمير عبد الوهاب نظره إليها وقد جاءت إليه ولها دوى فى الهوى فلما ان قربت منه زاغ عنها أسرع من البرق وخطفها من الهوى وهزها حتى التفت طرفاها وزجها وقال خذها وأنا الأمير ناصر دين محمد (ياسادة) وما كان مع كرفناس خبر أن الأمير عبد الوهاب له من القوة والفروسية والخفة وصناعة الحرب إلى هذا الحد وإلا كان احترز منه أما بترس أو بطارقة فلم يشعر إلا والحربة وقعت فى صدره خرجت من ظهره فوقع إلى الأرض صريع وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فصاحت المسلمون الله أكبر الله أكبر انتصر الموحدون وهلك الكافرون وخرج المعتصم بالله ثم صاح بالأمير عبد الوهاب لاشلت يداك ولا كان من يشناك ثم صاحت العساكر وحملت على الروم وكان يومهم يوم مذموم وأرادت عساكر الروم أن تندق هاربة فمسكها بطريق يقال له مطاوس ابن فارس لأنه كان يحدث نفسه بالمملكة من بعد كرفناس (ياسادة) وانضافت اليه ميمونة وقالت له اظهر عزيمتك اليوم فان أنت كسرت المسلمين ملكت الروم والإسلام لامحالة (قال) فعندها حمل وحملت ميمونة وتبعتهم عساكر الروم .

(قال) فاضطربت جبال الدنيا واهتزت بهم البيداء وانزعج بهم الفلا وطلع النقع الى عنان السماء ولم يعرف الشيخ من الفتى وتخضبت الأبدان بالدماء ولم يعرف الفارس فى الأرض هو أم فى السماء وصارت النجاة فى ذلك اليوم أكبر منا وطيرت الرؤس كما يطير الورق فى الهوى وفرح بالروح من عدم زينة الحياة وأرتفع علو الاصوات بالبكاء ولم ترى

العيون فى تلك الوقعة الاشلوا متبدد وقد صبروا على الظمأ ليبيضوا وجوههم عند محمد المصطفى هذاوقد أعلن بالنداء ياعبد الوهاب قدأضر بنا العطش والظمأ من القتال فانفصلوا بنا إلى غداة هذا والسودان قد فتكت بأهل الكفر والعدوان وبنوكلاب قد نادت هذا يوم الصبر فى اللقاء وعبد الوهاب يقول يالثارات هارون العلوى وراشدبن ضمرة ونظرت الروم الى ماقد نزل بها من البلاء فولت هاربة وقد ضاقت عليها الدنيا والسيف يعمل فى ظهورها طول الليل الى ان بانت غرة الصباح برايات الضياء (ياسادة) وعادوا الناس الى الخيام وقد غنموا مالا يقع عليه أحصا بعدد الرمل والحصى ودخل الأمير عبدالوهاب على المعتصم فقال له أهل وسهلا ومرحبا بالأمير الأجل والكهف الأطل فقبل الأمير الأرض وقال له أبشر ياأمير المؤمنين بالمال والغنائم الحسنى فقال له المعتصم هذا كله لك وبسيفك ملكته فجزاك الله عن المسلمين خيراً ثم قال وأين القاضى عقبة حتى ينشد الأمير بأبيات من الشعر كما جرت به عادته فطلبوه فاذا هو مغشياً عليه من حين قتل كرفناس الى تلك الساعة ما أفاق واشتغل الناس باقى يومهم بجمع المال وأخذ الرجال والأثقال حتى صارت جميعها فى البلد وأخذوا الراحة وكذلك خيلهم ثم أقبل الأمير عبد الوهاب على المعتصم وقال ياأمير المؤمنين مايسعنا القعود عن المسلمين والرأى أن نرحل الى ملطية لأجل الأمراء فقال المعتصم وأنا والله معك ياأمير وأمر المنادى بالرحيل فرحلوا الناس وكان عقبة قد أفاق لأن الذى قدأصابه كان لقتل كرفناس لانه قد أمل فيه أن يفتح الدنيا ويزيل منها كلمة التوحيد وكان الأمر بخلاف ذلك وذلك بتقدير الملك المجيد الفعال لما يريدوا أن الله لايخلف الميعاد لانه وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بدوام شريعته إلى يوم القيامة فلما أفاق أظهر للخليفة والناس أنه ما جرى له ذلك الى من الفرح الذى لحقه لانه كان خبيث منافق وجعل يقول وكيف لاأفرح بقتله وقد أهاننى وعاقبنى وقطع آذانى فلا رحم الله صداه ولا بل ثراه ثم ركب على بغلة أركبها له المعتصم ورحل مع الخليفة وساروا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقد استقاموا على الطريق والأمير عبد الوهاب وعبدالعزيز العلوى يحجبان الخليفة عند ذلك دنا عقبة من الأمير عبدالوهاب وقال له لقد علت سعادتك وعلت منزلتك وعمت بركتك ودامت دولتك وقويت شوكتك وظهرت نصرتك وعلت عند الله درجتك ونشرت بالنصر رايتك وشملت المسلمين بركتك وعرفوا حميتك فلا زالت معالمك مشهورة ورايات عدوك منكوسه لانك بطل هذا الزمان وحيلة أهل الايمان وسيد عصرك وفريد دهرك وسيف الإسلام وعضد الإمام وترس قبر النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم أنشأ وجعل يقول.

ألا أيها المولى الأمير الصميدع وليث هصور للأعادى يضعضع
دهتنا جيوش كرفناس بأسرها كانت بأقطار البلاد تشرع
وقد أسروا عمرا وكان مقدما لآل سليم والمنية تصرع
وصالوا على حجاف أمير مقدم هو الزاهد المولى النجيب الصميدع
وقد قطعوا رجليه قطع يمينهم وما كان إلا صابرا حين يقطع
وجاد لهم بالسيف من بعد قطعها واسقاهمو كأسا من الموت ينزع
وصاروا بقسطنطينية الروم عندهم ثمانون ألفاً فى القيود تروع
وكنت أميرا عندهم فى مذلة وليس لنا إلا الدعا والتضرع
وقد حلقوا دقنى فياسوء فعلهم وقد نظرت عيناك اذنى تقطع
ووجهى ملطوم وعقلى موله وهم فى قذالى يضربون ويصفع
وجانا أمير المؤمنين مجاهدا وقد هربوا من حوله وتضعضعوا
وولى جريحا طالبا ملطيه وجاءت اليه الروم والقلب يصدع
وقد حصر ونائم وساروا أمامنا بليل وزحاف لحجاف يرفع
وقد أخذوا من بعدهم ملطيه بكل الذى فيها وعيناى تدمع
وساقت جيوش الروم يبغون آمد بكل لعين فى المطامع يرقع
إلى ان أتت رايات تك السود بكرة فبادرت ملك الروم والقلب يهمع
وزدته من كفك الآن حربه بقى جسمه للطير والوحش مرتع
فأنت لنا عز وركن وسيد فدامت لك النعما وأمرك يسمع
بقيت على طول الزمان مسلماً وذخرا وإرشادا ونصرا ومرجع

(قال الراوى) فلما سمعت الناس كلامه وشعره ونظامه قالوا أحسنت ياقاضى حتى المعتصم وضحك الأمير عبد الوهاب حياء من الناس وقال أبو محمد ماقصرت وقد صدقت فى وصفك وقطع آذانك وحلق دقنك وقولك انفطرت مرارة عدوك والثالث إنك قلت فى الأمير عبد الوهاب من الخصال المرضية ثم إنه تقدم إليه وقال له يا ملعون ولو مدحتنا بكل شعر فى الدنيا لا بد من صلبك الذى مابقى لك غيره لأن دولتك قد ذهبت وأضراسك فقدوا وقد وقعت فضحك عقبة وقال ما أسفى على ما كان منى وقد صرت أعجوبة ياويلك أما قد هلك فى هذه السنة من المسلمين مائتى ألف أسود من أمراء المسلمين وأنا وحياتك أدبر فى صلب الباقين وقد مضى هارون العلوى واشد بن ضمره ومضى كرفناس فلا رحم المسيح ثراه فقال أبو محمد ويلك يا ملعون ماتبقى على عدو ولا صديق

(قال) وتحرك المعتصم إلى أن حاذاهم وقال له ياقاضى مالى أراك مع الأمير أبو محمد فى المحاورة فقال نعم يامولاى أبو محمد يقول مانصرنا الله إلا بدعاءك وما خذل كرفناس إلا بما فعل معك من قطع أذناك فلا تكن من قبلى إلا طيب القلب كرامة لأمير المؤمنين وقد ذهب الكياد ولم يبق إلا الحقيقة والاعتقاد فقال الخليفة الحمد لله على ذلك وساروا العساكر وقد تحير أبو محمد والأمير عبد الرهاب من لعنته وهو سائر مطاطىء الرأس فى ضنك وذقنه أول مانبتت وكان كل من يراه يفزع منه لأنه إبليس زمانه هذا جرى وأما عساكر الروم فانها وصلت إلى ملطية وعليها الذل والخيبة فلقاهم البطريق الذى تخلف فى خمسين ألف وسألهم عن حالهم فأخبروه أن الملك كرفناس قد قتله الأمير عبد الوهاب وأن العساكر انكسرت وكلهم اليكم قاصدين وعليكم قادمين فقال البطريق وقد سمع ذلك ويلكم وكيف كسر عسكر كرفناس وكان عدد المسلمين أضعاف وهو يعد برجاله وأى رجال لا يخافون الموت وخصوصاً الأسود عبد الوهاب فانه لو بلى وحده بعسكره وهو الذى قتل كرفناس فقال البطريق الآن سوقوا الأسارى واخرجوا الأثقال وسيروا بنا إلى القسطنطونية فانى أعلم أن عبد الوهاب مايغفل عن النفور لأنه رجل لا يقاس بالرجال ولا يكترث بالأبطال (قال) فأحضروا الأسارى والأثقال واعزموا على الارتحال فان المسلمين مايصلوا هنا فى يوم وعشره ثم أنهم أقاموا يومهم ذلك وأصبحوا من الغد أخوجوا الأسارى جميعاً وقد توكل بكل مسلم ومسلمة بطريق واثنين وتفرقوا فى الدروب والأزقة وأخرجوا الأموال والرجال إلى ظاهر البلد وأيقنوا المسلمين أنهم يقتلوهم ويرحلوا إلى بلادهم هنالك ارتفع الضجيج وأيقنوا المأسورين بالبلاء فرفعوا أصواتهم إلى العلى الأعلى وتوسلوا بجياة محمد المصطفى وإذا بالغبار قد طلع وعلا من نحو بلاد الروم وسد الأفق وملأ الطرق وظهر من تحته رايات وصلبان وثار غبار ثانى من نحو بلاد الإسلام ولاحت منه رايات وبنود وأعلام سود مكتوب عليها بالبياض لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ميمونة هذا غبار عبد الوهاب وأما هذا الغبار القادم وقد رابنى أمره فاكشفوا خبره ودعوا قتل الأسارى وردوا الأموال إلى البلد ففعلوا ذلك ومضى واحد يكشف لهم خبر العساكر القادمة (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذه العساكر شىء عجيب وذلك أن رسولهم رجع اليهم فقالت ميمونة ما الخبر فقال لها وصل ملك الملاقطه الذى كان الملك كرفناس تركه فى القسطنطونية أنى هارب فى مائه وخمسين ألف وقتلوا الباقى وأن القسطقنطونية إن أخذت فقالت ويلك ومن أخذها قال الملك ارمانوس وكان السبب

فى ذلك أرمانوس جمع العساكر من سائر الأقاليم وسار حتى نزل على القسطنطينية فخرج ملك الافرنج إلى ظاهر البلد وضرب معه مصاف الحرب ثم ثاروا العوام الذين فى البلد والنساء والصبيان وغلقوا الأبواب وقال أرمانوس يامنصور فانكسرت عساكر الملافطه وقتل منهم ستين ألف وطلب ملكهم بلاد الاسلام يعلم الملك كرفناس بما جرى ودخل أرمانوس إلى القسطنطينيه فوجد فيها تلك الأموال والأسارى ففرح واستبشر وأقام ينتظر الأخبار فهذا ما كان من هؤلاء .

(وأما ما كان) من ملك الملافطة فانه لما وصل اليه الخبر بقتل كرفناس وانهزام عساكره عظم عليه وكبر لديه وقوت عزيمته فيمونه فركبت اليه والنقطه وقالت له اعلم ان جميع هذه المواكب والكتائب تقاتل بين يديك واتزوج بك وإذا كسرنا عسكر الاسلام نرجع الى الملك أرمانوس ولا تعرف أخذ القسطنطينيه الا منى وأنا أسلمها اليك ثم اجتمعت عساكر الروم بعضها الى بعض وأقبلت بعد ذلك عسكر الاسلام يتبعها الخليفه فى عسكر أهل الايمان فنزلوا واستراحوا ذلك اليوم والليلة الى الصباح وتبادروا الى الحرب والكفاح وتضاربوا بالصفاح ولعبت الاسنة بالارواح (ياسادة) ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل الى وقت صلاة العصر هنالك حملت السودان وأبناء الحبشان حملة صادقه وأجابتها بنو كلاب بعزمات موافقه وقلوب صادقه واطلع الملك الجبار على صفا الاسرار فأوقع الخذلة على الكبار وحكم فيهم الصارم البتار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وعمل فيهم السيف تلك الليلة مع ثانى نهار الى ان أبعدوهم عن الديار وقد هلك منهم أكثر من خمسين ألف وفرج الله عن المسلمين وغنم الناس الغنائم والاموال هذا جرى ههنا (وأما ميمونه) فانها تمت فى هزيمتها إلى أن وصلت الى بلاد الروم وقالت لملك الملافطة اعلم انى ما بقى لى وجه ألتى به أرمانوس فقال أنا اتزوج بك ثم أخذها وسار الى بلاد الملافطة وأما باقى الروم من أصحاب الاقاليم فانهم ذهبوا الى الملك ارمانوس وهنوه بعودته الى ملكه وبلده وقالوا يا ملك ما هلك كرفناس الا بما عمل فى حقك ونحن ما تبعناه الا لأجل سطوته وخوفا من هيبته لا رغبة فى مملكته فقبل عذرهم وسألهم كيف كانت خطرتهم فأخبروه بالقصة فتعجب الملك من ذلك وقال معكم علم من ميمونه قالوا نعم أخذها ملك الملافطه ومضى لأنها ما كان لها وجه ترجع به إليك (ياسادة) وبينما الملك أرمانوس كذلك إذ وصلت اليه كتب من عند الخليفة المعتصم وهو يهنيه بعودته إلى المملكة ويقول له

أطلق الأسارى ولا تحوجنى أدخل إليك فيكون فى دخولى ما يشمت أعاديك فانهم ما أسروا إلا بجريرتك لأنى كنت أرسلتهم إلى معونتك وهذا كرفناس كان عدواً لنا ولك وقد أراحنا الله منه على يد الأمير المجاهد عبد الوهاب فلا تتوانى عن إنقاذ المأسورين فإن أنت فعلت ذلك كنت المشكور وان فسخت الهدنة التى بيننا وبينك فتكون السبب فى دخولنا إلى بلاد الروم ونهبها وهدمها (قال الراوى) فلما سمع أرمانوس ما فى الكتاب مال إلى ذلك وأجاب وفى أثره وصل كتاب عقبة وهو يقول إنى مهنياً لك بهلاك عدوك وعدوى وعودتك إلى سرير مملكتك وقد رجع الحق إلى أربابه وأرسل الخليفة اليك كتاب فيه كذا وكذا من أجل الأسارى فإذا كان كتابى السابق اليك فنادى فى عوام البلد بأن يكسروا أبواب الحبوس ويضعوا السيف فى الأسارى وأظهر أنت أنهم عملوا ذلك بغير اختيارك وقالوا قد قتل المسلمين منا عالم عظيم وقتلوا أيضاً كرفناس ونحن قد أخذنا لهم بالثار وتأخذ عشرة من عوام البلد وتصلبهم بالحياة فإذا كان الليل أطلقهم ويصل الخبر إلى الخليفة من الجواسيس وتقيم عذرك وتكون بلغت مناك وأهلكت بنو سليم جميعاً ونحن نؤمل أن يظفرنا المسيح بالمسلمين مرة أخرى . وإن كان كتاب الخليفة قد سبق اليك قبل كتابى وقلت للرسول أنا أطلقهم لكن بشرط تترك الخراج فى هذه السنه وترك الجزية أربعة سنين فإن فعل هذا فافعل وإلا فسأضرب رقابهم وأرمى كتاب المعتصم فإذا دخلوا اليك فالمسيح ينصرك عليهم ويمكنك منهم (ياساده) ولما وصل كتاب عقبه وقرأه قال الملك لأرباب دولته وقد أوراهم الكتابين وقال هذا كتاب الخليفة وهذا كتاب عقبه وفيهم كذا وكذا فما عندكم من الرأى فقالوا أيها الملك ما هذا رأى مليح لأن الشيخ النجيح عليه بتدبير القسوس والرهبان وإنما يقول هذا من طريق الحسد لهؤلاء المسلمين وما هو من طريق الدين ولا ينظر فى العواقب من هؤلاء الشياطين والرأى أن تطلق الأسارى وتخلع عليهم وتريحنا فى هذه السنة من القتال فقد رأيت كرفناس وما كان فيه من الشدة والباس كيف صار موعظة للناس وكيف أهلكه المسيح على أيديهم وما كان له خلاص من شرك القناص (ياسادة) فأصغى الملك إلى الكلام وامر الى البطارقة أن يخرجوا الأسارى من الحبوس وأخلع على الأمير عمرو بن عبيد الله وعلى سائر بنو سليم وساروا من عنده وهم بالخلع فرحين وكتب إلى عقبه كتاب يعتذر اليه ويقول وصل كتابك إلى من لا يقدر يعمل بما فيه وأنا رجل قد ركبنى الخوف فى هذه السنة وعساكرى تفرقت وأكثرهم قتل وأسر وعندى من ذلك شغل شاغل عن القتال

(قال الراوى) ووصلت الأسارى إلى ملطيه فى يوم عظيم وكان ذلك كله ببركة الأمير عبد الوهاب والسودان الأنجاب ودخل عمرو إلى الخليفة وقبل الأرض بين يديه وقال له يا أمير المؤمنين هذا كله بهمتك العاليه فقال المعتصم لا والله إلا بسيف الأمير عبد الوهاب وما نقول بعدها أنه غلام ولا صاحب إلا أخ من الإخوان لأن حقه علينا واجب فوثبت الأميرة والأمير وقالوا يا أمير المؤمنين ما نحن الا عبيدك وكل مانحن فيه من النصر والسعادة بهمتك وبركتك بلغك الله فى الدنيا والآخرة أمنيتك (قال الراوى) فعندها وثب عقبه قائما على قدميه ومدح الأمير عبد الوهاب وقال نحن اليوم كانا عتقاء سيفك أيها الأمير الكبير فيجب علينا أن ندعو بطول عمرك وألا يخلينا الزمان من طلعتك السعيده فأجابه البطال بالشكر على قوله ثم أحضر الخليفة الأموال وكانت شيئا لا يقع عليه إحصاء ثم قسمها على الناس بعد ما أخرج الخمس لبيت مال المسلمين واستغنوا الناس حتى صار الفقير له أموال تكفيه إلى ولد ولده وأعطى الأمير عمرو من القسمة بعد ما شاور الأمير عبد الوهاب فقال يا مولاى لو لو أخذت ما يخصنى وأعطيته للأمير عمرو لكان ذلك واجب على فشكره المعتصم على ذلك وأعطى عقبه ومطرون منهم قسم وادعى لطيبون وأعطاه مالا جزيلا وخلع عليه وقال سمعت عنك أنك تعلم فى علم النجوم فقال نعم يا مولانا فقال الخليفة والله ما كان سبب نجاتى الا على يديك يا شيخ طيبون وقد رأيت من الرأى أن تكون أيضاً عندى فى بغداد ويكون مطرون برسم الطب وأنت برسم الحكمه فقال سمعاً وطاعه ولكن بشرط أن أكون فى كل عام أحج إلى بيت الله الحرام فلا تمنعنى من ذلك فقال نعم وأقام الخليفة المعتصم فى ملطيه عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر طلب الرحيل إلى العراق فخرج الامير عبد الوهاب معه لوداعه وكذلك الامير عمرو وسار أيضاً عقبه مع الخليفه وقال قد اشتقت الى السيدة زبيدة وبنو هاشم والى أهلى وأولادى (ياساده) وساروا مع الخليفة ثلاثة أيام وردهم فرجعوا فلما رجع الامير عبد الوهاب ضحك البطال وهو بجانبه فقال له عبد الوهاب مما تضحك أيها الامير فقال من هذه النوبه بعد أن صار لعقبه عند الخليفة مطرون ونحن لنا مطرون وسوف يرون من الصفع ما يكون (قال الراوى) فتبسم الامير عبد الوهاب ورجعوا الى ملطيه ولم يكن فى الناس الا من أخذ المال إلا الامير حجاف فإنه ما أخذ شيئاً لأن الخليفة أعطاه عشرة أقسام فردها وقال هيهات أن آخذ عوض رجلى إلا الجنة وقبول المنه وما أريد من الله إلا النظر إلى وجهه الكريم فسبحانه لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله (قال) فبكوا

الناس من كلامه وما نظرت الناظرون أزهد منه ولا أعبد ولا أصدق فى زمانه ثم أنه ودع الخليفة ورجع إلى الشام واجتهد الامير عبد الوهاب على أنه يقيم عنده فى ملطية فقال له اعلم أيها الأمير أن لى بنت صغيرة وقد غلبنى الشوق اليها وربما أرفعها من الشام الى هذا المكان وأكون بين يديك لعلى أرزق الشهادة فى سبيل الله تعالى فإنى مشتاق الى ذلك ثم رحل هو وأخوه زحاف وقد أخذ شيئا يقتات به وساروا الى أن وصلوا الى ديارهم (قال) وقد بلغنى عن حجاف رضى الله عنه عند وصوله الى منزله خرجت اليه ابنته وقد سمعت صهيل الفرس فنادت يا أماه الكى البشارة فقد وصل أبى ثم خرجت الى البلد فرأت شخصاً مصفراً من كثرة ما جرى عليه وهو مقطوع الرجلين ففزعت منه الجارية وعادت صارخة وقالت ياأماه هـذا شخص ماله رجلين الا أنه على صفة أبى (ياساده) فخرجت أمها ونظرت اليه ساعه فعرفته وجاء زحاف وحل رجليه ونزله من على الفرس وشاله ودخل به الى منزله فارتفع البكاء والنحيب على ماحل به من ذلك الضرر فقال لهم لا تبكون فان الله تعالى أخذ عضواً من أعضائى وقد ترك لى قلباً يذكره ولسانا يشكره ونفسا على الجلاد جليده وعلى ضرب الحسام شهيده فقالت ابنته فما الذى حصل لك فى سفرتك هذه فوالله لقد قاسينا الجوع والضرر بعدك وأنت تعلم أنك ما أبقيت لنا شيئاً قبل مضيك الى الغزاة بل تصدقت بكل ما تملك فقال لها - بنية قدمته بين يدى ليوم الفقر والفاقه وأما قولك وما حصلت لنا شىء فإننى سعيت فى خلاص رقبتى من النار فأى عبد حصل له مثل ما حصل لى فقالت له فيما تعوضت عن رجليك قال الجنه فقالت يا ليت ابنتك أصابها ماأصابك وحصل لها مثل ثوابك ثم أقام حجاف بعد ذلك عشرة أيام ورحل الى ملطيه وجميع فرسان عشيرته وكانوا ثلاثة آلاف فارس فى طلب الجهاد الى الثغور وبلغ خبره الى الأمير عبد الوهاب فخرج الى لقاه فى جميع بنو كلاب وبنو سليم وأنزله فى دار طيبة وحمل الأمير اليه والى أهله من المال والاقامات ما يكفيهم وحمل الى منازلهم (يا ساده) ونظروا الناس الى الأمير حجاف وما هو عليه من الرفعة فى قومه الا أنه من دون الجماعة فقير فسألوه عن ذلك فأخبرهم أنه قد قرأ قوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) فقال والله لا خليت لى قليلا ولا كثيراً ثم أنه تصدق حتى بفراشه وصار أفقر قومه ولكنه عند الله أغناهم ولما نظر إلى ذلك الأمير عبدالوهاب حمل إلى زوجته الف دينار ولم يبق أحد إلا وحمل اليه الهديه هذا وحجاف ما عنده من هذا خبر بل معتكف على الصلاة ليلا ونهاراً (قال الراوى) وبينما الأمير

عبد الوهاب فى بعض الايام جالس وعنده الأمير عمرو والامير عبد العزيز العلوى وسائر الامراء وهم يتحدثوا إذ تذكر الامير عبد العزيز العلوى أمه فبكى وقال يا قوم ما رأيت قط مصيبة مثل مصيبتى ولا مثل ما دهيت به فى والدتى وللآن ما طلع لها خبر ولا وقفنا لها على أثر ولقد عظمت مصيبتنا وزادت بليتنا وطالت غيبتها فياليت شعرى هى فى الأحياء أم فى الموتى ثم أنه بكى بكاء شديد ما عليه من مزيد وأنشأ وجعل يقول :

إلى الله أشكو من صروف زمانى ... وشدة ما ألقى من الحدثان
وما قد دهانى فى الذى ليس مثلها ... بكل حجازى وكل يمان
بعيدة دار حرة عربية ... لها نسب عالى وعز مكان
فيا عين جودى بالدموع وساعدى ... غريب وحيد مغرم بهوان
فياليتنى ما كنت للخلق ناظراً ... ولا قائلا يوما بنطق لسان
ويا ليتنى تحت السباع تنوشنى ... ولا كان هذا فى قديم زمانى
سأدخل أرض الروم لابس برنس ... وأسأل عن أمى بغير توانى
وأسأل رهبان الصوامع كلهم ... وأقطع كل الأرض بالدوران
وسوف أسير اليوم من غير رجعة ... اليهم إلى أن يظفروا بعنانى
فإن ظهرت أخبارها عدت سرعة ... وإلا فموتى راحتى وكفانى

(قال الراوى) ثم أنه وثب إلى الامير عبد الوهاب وودعه ولبس ثياب راهب وأرخى ذوائب الشرف مثل شعور النصارى وعيناه تهملان بالدموع وأخذ فى يده عكاز وقال لهم كونوا فى دعة الله تعالى فإنى سائر فإن سهل الله تعالى لى خلاص والدتى ويظهر لها خبر فأنا أعود اليكم وإلا فهذا آخر الملتقى ولكن أوصيكم بأخوتى (قال) فبكوا الناس وتعلق به الأمير عبد الوهاب وقال له أيها الامير أنا ومالى وجميع عسكرى بين يديك ولا نترك موضعاً إلا نطوفه وندوسه بحوافر الخيل نهاراً جهاراً ولعل الله تعالى أن يسهل الأمر وان لم يظهر لى خبر فنكون قد بذلنا المجهود فى طلب المقصود فقال له عبد العزيز يا مولاى هذا شىء قد طال وقد وصلتم إلى بلاد الروم كذا كذا مرة وفعل الأمير أبو محمد ما فعل وما ظهر لها خبر وهذا أمر ما يجىء إلا بطولة الروح وأنا أريد أن أقيم فى بلاد الروم سنة وعشرة ولا أترك قرية ولا صومعة ولا اقليم ولا مدينة ولا جزيرة إلا وأدخلها وأسأل عنها فإن كانت فى موضع لا تخلص منه إلا بكم فلا بد لكم من دخولكم فقال له ابو محمد ان كان ولا بد من

دخولك فأنا رفيقك ولو أقمت معك عشرين عام فقال مذبحون وغلمانه ونحن معكم لأننا خبيرين بأرض الروم فقال عبد العزيز والله ما دخل معى غيرى حتى لا أحمل همى وهمكم فإننى فى أن أحمل اكثر من هذا (قال الراوى) وبلغ الخبر إلى أخوات عبد العزيز بأنه داخل إلى بلاد الروم فأقبلوا وهم صارخات وتعلقوا به والبراقع على وجوههم وقالوا بالله يا عبد العزيز لا تجمع علينا مصيبتين الواحدة فراق الوالدة والثانية فراقك فقال لابد لى من ذلك (قال الراوى) وهم على ذلك وإذا قد أقبل احمد الشعشاطى جاسوس الامير عبد الوهاب من بلاد الروم وهو ملهوف ينادى بأعلى صوته ها ها معاشر المسلمين العجل العجل البدار البدار لانكم ما يحل لكم مقام بعد هذا الذى أحدثكم به من الكلام فقال الامير عبد الوهاب هات ما معك يامبارك من الخبر فقال اعلم يامولاى انى سرت إلى بلاد الروم ليلا ونهار حتى وصلت إلى مدينة احسن القسطنطينية مبنية بالصخر أحكمتها الحكماء لها سبعة أصوار كل صور منها يحكم على الآخر فى العلو وسبع خنادق فدخلت اليها وتفرجت فيها وفى حاراتها وأسواقها ومن كثر ماعجبنى بنيانها تمنيت أن يكون للمسلمين مدينة مثلها فبينما أنا يامولاى فى بعض أسواقها وإذا أنا بامرأة طويلة احناها الكبر وعلى خدها شامة سوداء والعلوج يلطمونها يميناً وشمال وهى تستجير فلا تجار وتنادى بذلة وانكسار وامحمداه والإسلاماه وامعتصماه واولداه طال على المدا وشمتت بى العدا فما ذكرتمونى ولو رأيتم حالى لرحمتمونى (قال) فما وصل احمد الشمشاطى إلى صفة أم عبد العزيز العلوى الا وولدها صاح ووقع مغشياً عليه ولم يسمع باقى الكلام هذا والامير عبد الوهاب يبكى ويقول ثم ماذا يا مبارك فقال يا مولاى ثم نادت فى آخر نداها أين الامير عبد الوهاب أين الامير الغيور على النساء والاصحاب أين حامى الثغور أين البطل المشهور أين من يبلغ سلامى للبنات وشوقى اليهم مع الحسرات ثم أنها أنشأت تقول:

أما راحم يبكى عجوز كبيرة	بعيدة دار قد تهدم صبرها
أسيرة أنذال لئام لانهم	طرائف سوء قد تبين كفرها
يهينون وجها طا ماقد سترته	وكان لنا قوم يحبون نصرها
فياليتهم حال الامير يعلموا	بأى بلاد الله قد طال أسرها
وأصبحت مسجى الهوان وليس لى	نصير ومن ذا يمنح النفس صبرها
أقمت بها ياصاح عشرا كواملا	مقام عجوز قد تمكن ضرها

لها برسول الله فخرا وانها لها نسب منه يواصل فخرها
اذا ذكرته يلطمون حدودها وتنتف أيديهم من الغيظ شعرها
وان أصبحت تبكى فلا يرحمونها ولا يذكروا ان كان قدخان صبرها
فمن مبلغ عبد العزيز وأخته سلام الذى فى الكفر قد طال أسرها
ولكنها مأسورة قد تجرعت بنار لهيب الشوق موقد حرها
لقد جرعت من دهرها غصص الردا فيا ويحها من غصة ما أمرها
وما لقيته من أمور كبائر ويا ما أتتها نائبات تضرها
وقد قل صبرى ثم زادت مصائبى ولم تسمع أذنى مقالا يسرها
وقد فار قلبى ثم زاد تحسرى وناديت والاعلاج قد زاد كفرها
فيامن ينادى بالذى ليس مثله ولا مشبه بين السهول ووعرها
بمعتصم بالله وهو خليفة لرب العلى فى الأرض يصلح أمرها
ومن لى ينادى بالامير وأمه بنية مظلوم الذى شاع ذكرها
وذات الهمة ناديت حقا وابنها عساها تخلصنى فلله درها

(قال الراوى) ثم قال أحمد الشعشاطى للامير عبد الوهاب يا أمير ثم جعلت تستجير فلا تجار وتستغيث فلا تغاث وتنادى باسم محمد المختار وهى تسحب وتلطم وتضرب وتقع تارة وتقوم تارة وقد أحدقت بها أوباش العرب والروم حتى اندملت منها الركب وأشرفت على العطب (ياسادة) وكانت رضى الله عنها لما أخذت أسيره ومضوا بها إلى القسطنطينيه وأمر بهم أرمانوس لذلك التاجر الذى ذكر أمره أحدها ودخل بها إلى هذه الأرض ووقعت بشوم بختها مع بطريق متجبر كفور الناس تخاف منه ومن شره وعبس وجهه وقذارة منظره أحب ما إليه وجها يلطمه أو رأسا يهشمه أو مستجير إلى عدوه يسلمه أو فارسا يقتله كلب ابن كلب والسلام يسمى فقطون ابن قيطون وأنه لما أخذ أم عبد العزيز من ذلك التاجر حلها إلى مكورية والملعون يفهم بالعربى فقال لها ويلك من أى العرب أنتى فقالت من بنى هاشم فقال لها ومن هم بنو هاشم فقالت قبيلة النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع وعرف أنها شريفة علوية ضحك وقال أنا أتقرب بدم هذه إلى السيد المسيح لأنها قريبة النبى العربى ثم أنه أنزلها إلى مطموره فى داره وصار كل يوم يعاقبها ويعذبها إلى أن ولدت زوجته ولد ذكر فسماه بعقور وكبر سنه وطلع له فى رأسه حرارة وحب كثير وكذلك أمة إلى أن أشرف منه على الموت فلما أيقن أبوه بهلاكه قال أريد اخراج هذه المرأة العربية من المطمورة وأوريها هذا الولد

حتى تنظر إليه لعلها تعرف له دواء لأن العرب عندهم معرفة بالعقاقير والحشائش والنبات وليس فى الأرض شيئا إلا ويعرفوه ثم أن البطريق أخرجها ووصف لها صفة ولده فلما نظرت اليه ادعت بعفص وقشر رمان وأضافة اليه قطعة كلس ورفعت طرفها الى السماء وقالت يامولاى مابقى لى جسد يقوى على الضرب وقد أخرجونى من السجن أداويه وأنا أسألك أن تجعل له على يدى الشفاء لعلهم يقاون من ضربى يارب العالمين (ياسادة) ثم داوته ثلاثة أيام فبرىء باذن الله تعالى ففرح البطريق بذلك وقال لها هو مسلم اليكى وأنتى تتولى تربيته فان عاش وصار له من العمر خمسة عشر سنة عتقتك فضحكت العلوية من قوله وقلة عقله وعاش الصغير بعدها سنتين وهلك فى الثالثة ولما رجع أبوه من دفن ولده جعل يسحب العلوية من قلة عقله الى السجن والضرب حتى يتقرب بذلك الى المسيح (ياسادة) فلما نظرت ذلك هربت منه الى البلد وجعلت تنادى وتستجير والبطارقة يعدلوه وقلبه لا يزداد الا قساوة ويقولوا له ويلك لاتفعل فانها صارت لها عليك حق لأجل خدمتها لك فلم يسمع من قول أحد وجعل يسحبها فعند ذلك صاحت وامحمداه واأسلاماه واعبد العزيزاه وعظم عليها الأمر وجعلت تنادى وامعتصماه واذات الهمتاه والبطريق يضربها وفى تلك الساعة أنشدت الشعر وسمعها الجاسوس فخرج مسرعا الى أن وصل الى ملطيه وأعاد حديثها على المسلمين (ياسادة) وان الأمير عبد الوهاب وثب من ساعته واشتدمصابه غير أنه فرح وقبل الأرض شكرا لله تعالى اذا انكشف خبرها هذا وعبد العزيز مغشى عليه وقد ارتفع من اخوته الضجيج من كل جانب وصاح الامير عبد الوهاب لبيك لبيك أيتها المرأةالصالحة ثم انه قال للامير عمرو بن عبيد الله ماهذا امر نكتمه عن الخليفة لاننا ماندرى مايكون وهو احق من نخبره بذلك لأن نسبه متصل بنسبها وان جرى فيها امر عتب علينا امير المؤمنين ويقول لما لا اعلمتمونى ثم كتب كتابا وشرح فيه ما جرى من الأول الى الآخر وعلقه على جناح الطائر وكان الذى كتبه صاحب الخبر فقال الامير عمرو نعم مافعلت ايها الامير (ياساده) فمابات الخبر الاعند الخليفة وسمع ماجرى فبكى بكاء شديد لما وعى القصة ونادى لبيك لبيك قد سمعت نداءك ثم وثب من وقته وساعته واقسم بالله لاخلع ثوبا ولا نام على فراش ولا أكل طعام حتى يبرز الخيام ثم انه عاد من وقته وساعته وادعى بالامراء والحجاب وأرباب دولته والكتاب وذكر لهم القصه وقال لهم خذوا اهبتكم للمسير فى غداة غد واعلموا الناس بذلك وقال هذه ثلثمائة الف دينار وانفقها على الاصحاب وقد

جعلتها لله تعالى فى خلاص هذه العجوز ثم كتب الى الأمير عبد الوهاب والأمير عمرو كتابا على جناح الطائر وهو يقول الله الله لاتدخلوا الى بلاد الروم حتى أصل اليكم فانى راحل من يومى هذا ان شاء الله تعالى (ياساده) ولما أصبح الصباح نادى المعتصم بالخروج فخرت الناس وفرق الأموال فقال له عقبة لو كنت يا امير المؤمنين امرت بنوسليم ان يسير وانى هذا الوجه وارحت نفسك يامولانا من التعب فقال المعتصم لا كان ذلك ابدا حتى اخلص العلوية أو اموت دون ذلك (ياسادة) وسار الخليفة وعقبة ومطرون وطيبون معه وقطعوا الارض والأمير عبد الوهاب فرحان بمسير الخليفة حرصا على خلاص أم عبدالعزيز العلوى ثم جعلوا يترقبوا قدومه ولما قرب من ملطيه خرجوا الى لقاه وقصدوا خدمته ودخل الخليفة الى ملطيه واخذه الدعاء من كل جانب وقالوا ما رأينا قط مثل هذا فى الخلفاء ولا أعظم منه ثم أقبل الخليفة على أبو محمد البطال وقال له أتعرف مكورية قال نعم يا أمير المؤمنين وهى موضع ما تحت السماء أحصن منها فى الزمان وقد صنعتها الحكماء ولها سبعة اسوار وسبعة خنادق وكل سور منها يحكم على الآخر لعلوها وقد زادها هذا الملعون سورا ثامن وله باب حديد وكذلك شراريفها حديد ولها سلاسل وكلاليب وفيها عالم عظيم لايحصيها الا الله تعالى وقد تمنى الملك ميخائيل ومنويل والذى ملكوا القسطنطينية أن يصلوا اليها وان يكون كرسى مملكتهم فيها فما قدروا على ذلك وهذا الملك الذى هو فيها من المعمرين وما تغير عليه حيلة ولا سمعة ولا أبيض شعرة ويكون الثلج فيها من أول تشرين (ياسادة) فقال المعتصم أقسم أنه لا بدلى من الدخول اليها ولا أرجع الى بلاد الاسلام حتى يقضى الله ماهو قاض ثم نادى بالرحيل ورحل طالب بلاد الروم وقد أعرض عساكره فكان عدتها ثلثمائة ألف وجعل يسير فى بلاد الروم ولا يؤذى أحد والعساكر متلاحقه به حتى صار فى عالم عظيم هذا وعقبة قد كتب إلى ملك الروم ارمانوس يخبره بما جرى من القصة من أولها إلى آخرها ويقول له هذا مالا يجب عنه القعود لأنهم ان فتحوا مكوريه هلكوا البلاد جميعا وأخـــذوا القسطنطينيه وسائر بلاد الروم فى عامهم هذا ولما وصل كتاب عقبه إلى ارمانوس عظم عليه وجمع أرباب دولته وقال لهم ماترون فى هذه القصة فقالوا أيها الملك مالنا أحسن من السكوت عنهم فما دخل عسكر المسلمين والخليفة فى هذه الهمة إلا وكانت الروم أضعافهم كسرها إذا ضربوا معه مصاف وأما مكوريه لو أقاموا عليها مائة عام لما وصلوا إليها ولا قدروا عليها فقال الملك صدقتم وما يقدروا على مكوريه أبداً وقد وصـــل إلى الخبر أن المسلمين

لا يقيموا فى بلادنا لأن بلاد الروم لا تصلح لهم ولو فتحوا مكوريه كنا قادرين على أخذها إذا تركوها وساروا وكنا نستريح منهم (قال الراوى) ولم يزل الخليفة سائر بعساكره ليلا ونهار حتى وصل إلى مكوريه وقد اشتد البرد ووصل إلى الناس الاذى ووصل الخبر الى ملك مكوريه بأن عسكر المسلمين قد قصدوا اليك فأرسل لهم رسولا يسأل عن السبب الموجب لذلك ويقول لهم ماهذا بلد لكم فيه مطمع ولو أقمتم عليه أعمار النسور على أنى لو أطلعت عساكرى عليكم وعوام البلد أكلوكم لكن أخبرونى ما سبب ذلك حتى أكون من أمرى على يقين (قال الراوى) فلما وصل الرسول بذلك الى المعتصم كان المجاوب له عقبه وقال له ارجع الى صاحبك ملك الروم وقل له وبلغ من قدرك أن تهان العلويات فى بلدك وهى تنادى واعتصماه ولا تخلصها أقسم بالله قسما صادقا لئن لم ترسلها لأجعلن بلدك دكا ولا يرجع بذكر فيها شركا فارجع اليه وقص هذه القصة عليه فقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر (ياساده) فأعجب الناس كلاله وقالوا ماقصر القاضى عقبه ورجع رسول صاحب مكوريه وقد سبقه غلام عقبه ووقف للبطريق الرسول فى الطريق وقال له تقول للملك ينكر هذا الأمر ويحلف ان هذا الحديث ماسمعناه إلا منكم وكل بطريق فى البلد يحلف لكم لامن طريق الفزع لاننا ما نبالى بكم واننا لا نفسخ الهدنة التى بين المسلمين وبين الروم (قال الراوى) والتقى غلام عقبه بالرسول واعلمه بذلك فقال له الرسول وكيف يحلف الملك كاذب فقال له عقبه اعلم ان مولاى الذى كلمك وهو الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وهو يقول لك كل يمين يحلفه الملك والبطارقة فهو فى رقبته وما عليهم من ذلك شىء أبدا (قال الراوى) فعندها رجع الرسول وأخبر الملك بالذى جرى من أوله إلى آخره وكان ذلك فى جمع من البطارقة وأرباب الدوله وكان فيهم مسخطون البطريق الذى عنده العلوية فأقبل على الملك وقال له هذا كله بسبب البدوية التى عندى فما الذى ترى من الرأى وهل نقول هى عندنا أو نخرج اليهم بالسيف القرضاب فقال له الملك نعتمد على قول عقبه فهو إلا الصواب فلما سمع مسخطون ذلك من كلامه ضحك وقال ما قال الشيخ النجيح الا الصواب ونريد نتقدم اليهم ونقول لهم ما عندنا من هذا خبر فارحلوا عنا وان أبوا خرجنا اليهم فلا نبقى منهم باقية (ياساده) فعندها جمع الملك ارباب دولته واختار منهم عشرة بطارقه وعشرة رهبان وعشرة قسوس وقال لهم تمضوا اليهم وتنكروا خبر العلوية وتحلفوا عنا فان انصرفوا عنا فهو المراد والا

وحق المسيح اخرج اليهم مسخطون لايبق منهم احد (قال الراوى) ووصلت الرسل الى عساكر الاسلام فأخذوهم إلى بين يدى المعتصم وأعادوا عليه ذلك الكلام وفى عقب كلامهم التفت البطال الى عبد الوهاب وقال له هذا كله من تدبير عقبه ثم ان البطال أقبل على الروم وقال لهم هذا الذى علمكم هذا القول يريد خراب بيوتكم الى الأبد ونحن عندنا اربعمائة قنطار ماتسوى ذرة واحده ونحن فى غداة غد نزحف اليكم ونقدم عليكم ثم اشار الى الخليفة ان يصفع واحدبعد واحد فصفعوا الرسل ورجعوا فى اسوإ حال فلما عادوا الى صاحب مكوريه فى ذلك القالب شخر ونخر وقال لمسخطون ماترى من الرأى فقال أيها الملك وحق المسيح لأخرج اليهم احدا غيرى فى غداة غد انا والعسكر الذين تحت يدى حتى تسمع الملوك ان بعض البطارقة الذى لصاحب مكوريه خرج الى عسكر الاسلام ونال منهم المرام ثم اقام الى الصباح وخرج فى عسكره واصطفت الصفوف واعلم الجاسوس الذى للخليفة ماخرج اليكم اليوم الا البطريق مسخطون وهو جبار عنيد فعندها ركب عبد الوهاب وبنوكلاب والسودان الانجاب هذا وعبد العزيز كشف رأسه واخرج يده من جلباب درعه وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

ألا خبروها اننى اليوم باذل ... لروحى فى هيجائها بالقواضب
وانى أرد الخيل أيضا بصارمى ... وأضرب أعناق الليوث السلاهب
ولو كان فيما بيننا ألف بلدة ... لها ألف سور هان عندى مطالبى
وحق الذى حج الحجيج لبيته ... ينادونه لبيك من كل جانب
لاقتحمن الحرب حتى ترونها ... يفيض نجيعا مثل فيض السحائب
لحى الله عبدا لايريد لرأسه ... ثلاثين ألفا عنه وقع المضارب

(قال الراوى) وكان عبد العزيز فارس مذكور وحمل على الروم وترك قصده البطريق مسخطون لانه كان فى أوائل العسكر والتقاه وتطاعنوا ساعة ثم ان عبدالعزيز طعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وفعلوا بنو كلاب مثل فعله وطعنوا نحور البطارقه وضربوهم بالسيوف البارقه ونظروا الروم إلى قتل مسخطون فاندقوا هاربين وبنوكلاب خلفهم إلى الأسوار وازدحموا فى الابواب فقتل منهم نحو عشرين ألف وسمع الملك ذلك فصعب عليه وكان الملعون احتقر بالمسلمين فلاجل هذا لم يخرج لهم ولما قتل البطريق مسخطون خرج ثانى يوم ومعه عسكر ثقيل من أهل البلدوقدأرسل

إلى القرى والضياع ونادى المنادى فى بلاده قصار عنده خمسمائة ألف واحد وأحد قوا بعسكر المسلمين من كل جانب وعملت السيوف القواضب وازدحمت الخلائق وحققت الحقائق وحمل صاحب مكوريه فى عساكره وكتائبه ركذلك الخليفة المعتصم رضى الله عنه قاتل ذلك اليوم بنفسه وقد تفتحت أبواب القصور وحامت عليهم الطيور وجرت دماءهم مثل النهور وخسفت الصدور وتضايقت الأمور وبان البطل الجسور هذا وقد تكاثرت عليهم الروم من كل مكان وقد أوقدت الحرب نارها ودارت على العسكرين رحاها ولم يزل السيف يعمل إلى الليل وافترق الجمعان وعاد الجيشان واضرمت النيران هذا وقد قاسوا المسلمين ذلك اليوم مشقة وتعب (ياساده) وصاحب مكوريه اجتمع مع أهل بلده وقال لهم وحق المسيح لقد صبروا المسلمين اليوم وقتلوا منا أكثر ما قتلنا منهم فقالوا له مشايخ قومه أيها الملك انتبه من رقدتك فهؤلاء القــــوم الذين فتحوا القسطنطينية كذا كذا مرة فطير الطيور إلى سائر الآفاق واستنجد بالملوك وابذل لهم الأموال والا أخذت بلدك من بين يديك ولا يغرق هذه الاسوار والاحجار وما بينك وبينها الاان يكسر والعسكر وقد رأيت معهم سودان يطيروا فى الهواء وينزلوا من من السماء فصلب على وجهه وقال له ويلك كيف يطيروا فى الهواء فقال له واحد منهم أنا رأيت العيار أبو محمد البطال يطير بين السماء والأرض فى ليلة ظلماء من مدة عشرين عام وهو يطير وسائر الروم اختبئوا فى بيوتهم لئلا يخطفهم ولهذا قلت لك ذلك فقال الملك يجوز انه مايسرق الا الملوك والآن فلا بد لى أن أكتب إلى سائر الملوك الا ارمانوس ما أكتب اليه حتى لا يرانى بعين النقص ثم انه كتب الكتب الى سائر الاقاليم ووصل كتاب عقبه الى الملك يقول له ابصر مابين يديك واكتب كتاب الى الملك ارمانوس فلما سمع الملك ذلك لم يلتفت اليه وبقى على ماهو عليه الى ان اصبح الصباح والتقت العسكر بالعسكر وعملت البواتر وعمل السيف الى وقت الظهر وكشف عبدالعزيز رأسه وحلف انه لا يغطيه حتى يرى وجه أمه ويكشف عنها مابها وقصد صاحب العلم الذى عليه الصليب ثم انه أطبق على صاحب العلم فانكسرت الامم وذبحت الرجال ذبح الغنم وطلعت المسلمين على الاسوار وزحف المعتصم حتى نزل على الباب فرأى موضع حصين لا يقدر على فتحه فعندها شرع فى قطع الاشجار وعمل السلالم الكبار ونصب المناجيق وكتب صاحب مكوريه كتاب الى الملك ارمانوس وهو يستنجده ويقول له اعلم ان مكانى حصين ولو أقاموا عليه عشر سنين لما قدروا عليه ولا وصلوا اليه ولكن يخربوا البلاد ويقتلوا أهل السواد ويضعفوا أهل القرى والبلاد فيا طول ماسيرت عساكرى اليــــك والى

نصرتك وطير الطير بالكتاب وهو ينتظر الجواب (ياساده) وكان عقبه أيضا أرسل اليه غلامه يقول له بأى وجه تلقى المسيح اذا تخليت عن نصرة النصرانية فالعجل العجل قبل فوات الاجل (قال الراوى) وأقام الحصار على مكوريه مدة طويلة ثم تجهز الملك ارمانوس فى سائر الملوك من جميع البلاد لانه لما قرأ الكتاب الذى لعقبه قال البترك هذا هو الصواب فعندها جمع الملك العساكر وأرسلها الى المسلمين من كل جانب ومكان وأرسل ارمانوس الى المعتصم جواب يقول فيه هذا الفعل الذى تفعله ماهو فى مقابلة مافعلت أنا لانى أطلقت لكم خمسين ألف أسير وكانوا تحت قبضتى ولوأردت قتلهم لفعلت ذلك ومايهمنى فارحلوا من مكورية وأنتم سالمين فان البلد بلدى وفى قبضتى ومأقدر أشرح لكم ماعندى من أمر الأميرة العلويه وأشرح لكم جميع الايمان انى لاأعلم لها خبر فان رحلتم فقد أحسنتم وان أقمتم ندمتم (قال الراوى) وصحيح انه كان قد وصل كتاب ارمانوس وهذا فيه كان ذلك كله من تدبير عقبه وقال له احلف كاذب والكل فى عنق حتى لايقول لك المعتصم سلم الى معلويه وتصير الروم كاذبين فقد حلف لهم صاحب مكوريه بانه ماله منها خبر وفى ذلك أيضا كسر غرض المسلمين (ياساده) ولما وصلت رسالة ارمانوس الى الخليفة وكان شاهد كثرة العساكر التى قد وصلت وأقامت تنزل ثلاثة أيام ولما قرأ الكتاب غضب وقال للامير عبدالوهاب ماترى من الجواب لهذا الكلب فقال الصواب ان تمسك الرسول عندنا الى نصف الليل وأوريك الجواب كيف يكون ففعل المعتصم ذلك ولما كان وقت نصف الليل قال المعتصم للامير انجز ماوعدت به فقال سمعا وطاعه ثم ادعى بالسودان فحضروا فقال أين أبو الموت قال لبيك يامولاى هاأنا أبوه وأمه وخاله وعمه فأمر بما تشاء فقال قد عولت على كبس عسكر الروم الليلة فقال نعم مارأيت يامولاى أنا والسودان نرمى أرواحنا فى جميع الروم ومايمضى الليل الا وقد نزل بهم الذل والويل وجرت دماءهم مثل جرى السيل ثم ان الامير وثب وعيناه تذرف بالدموع وقال كلنا الليله سودان وأنا رفيقك ياأبو الموت فقالت الاميره ذات الهمه وأنا أيضا معكم وقلن اخوات عبدالعزيز أهل الميت أولى بالبكاء ونحن معكم وتصايحت بنى كلاب وقالوا نحن معكم وتصايحوا ثم انهم تواثبوا ولم يتخلف منهم أحد ففرح الامير عبدالوهاب بهذه الموافقة فقال والله هذه نيات صادقة وقلوب الى الحرب شائقه وبها نبلغ ان شاء الله تعالى مانريد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى وسار بهم الامير وأكثر للناس رجاله وبنوا سليم خياله ولم يتخلف الا عسكر الخليفة خوفا من أهل البلد لئلا يفتحون الباب ويخرجون ينهبون الثقل

(قال نجد) وبلغنى ان المعتصم فى تلك الليله خرج معهم فقال الامير يانجد ما رأيت أخف منه ولاأسرع وثبة وقد ثارت معه النخوة العباسيه والهمةالهاشميهوالاميرحجاف رضى الله عنه فى الجماعة راكب ولما أشرفوا على عساكر الروم ماتكلمواحتى دخلت السودان فى أوساطهم ونادوا عن صوت واحد لاإله الا الله محمد رسول الله الله أكبر الله أكبر فماجت بهم الأرض ذات الطول والعرض وأجابهم بكلمة التوحيد الطيروالوحش والجن والانس والجبال والاوديةوالتلال وماظنت الروم الا ان مكوريه قد انقلبت من مكانها وقاموا الى القتال وكان فى تشرين الثانى والوقت شديد البرد والنيران فى العسكر كله وكانت السودان تطأ النار برجلها وتطحنها طحنا بقدمها (ياساده) ونادت المسلمين باسم الملك العلام وقامت الروم من المنام وضرب بعضهم البعض فى الظلام ومازالوافى فى قتال وصدام الى ان ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار وقد صاحت بهم السودان فى ظلام الليل وأنزلوا بهم الذل والويل فولوا منهزمين والى نحو بلادهم طالبين وقد غنموا أثقالهم المسلمين وكان شىء عظيم ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب المعتصم طلب البلد واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وبان من تحته صلبان روميه وعساكر أفرنجيه وكانت هذه العساكر الواردة عساكر الدوقس والمغلبيط والارمن والملافطه وهم فى ثلثمائة ألف كافر يقدمهم ميمونه لانها تزوجت بملك الملافطه كما تقدم فلمارأت عساكر المسلمين وكثرتها والفرق منهزمه من الروم فسألت عن ذلك فأخبرت ان العساكر المنهزمه عساكر الملك ارمانوس وان جمعهم أصبح معكوس فضحكت ميمونه وقالت هذه صفة ارمانوس الغفله والخذله ولا بد لى ما آخذ له بالثار والملك كرفناس فوالهفى عليه ما كان أشجعه وما أكثر ما كان يقوم بالليل (قال الراوى) ولما نظر المعتصم الى تلك العساكر استقبلها بوجهه وجعل على باب مكوريه خمسين ألف يحفظون الابواب (ياساده) والتحم القتال فى أول يوم مع الارمن فانكسروا وثانى يوم مع الدوقس فانكسروا وثالث يوم مع المغلبيط فانهزموا ورابع يوم كان قتالهم مع بنى سليم واحلافها فانكسروا بنى سليم لان مافى العسكر أوقح من المغلبيط ولا أشد بأس ولا أقوى مراس وخسروا ذلك اليوم المسلمين خسارة بينة فلما كان اليوم الخامس تولى عبد العزيز القتال بنفسه مع عرب الحجاز وجماعة من الاشراف وطائفة من بنى كلاب والتقاهم عبد العزيز بصدر اوسع من البحر وهو ينادى انا ابن الحزينة العبرا والغريبه الثكلا ثم حمل طالب الاعلام فالتقى بملك المغلبيط فطعنه فى صدره اطلع السنان يلمع من ظهره وحملت العساكر على اصحابه فاندفقت بين أيديهم وعمل السيف

فيهم وتمم عبدالعزيز الاموال والاثقال والرجال فشكره المعتصم على ذلك وفرح به لما فيه من الشجاعة والشدة والبراعه (ياساده) فلما كان اليوم السادس تولى الامير عبد الوهاب وكانت النوبة للملافطة وميمونه وهى فى أوائل القوم واشهرت نفسها وفى يدها حربة طويلة بإربع حروف وهى تهزها وهذا كان قتال الملافطة الافرنج فى بلادهم وكانت ميمونه قد استعملتها قصد الأميرة ذات الهمه رضى الله عنها لانها رأت فى منامها كانها ضربتها بحربة قتلتها فجلست من يومها واستعملت تلك الحربة وهذا المنام الذى حملها على المجيء (ياساده) فلما اصطفت الصفوف خرجت ميمونة الى بين الصفين وهى على جواد أشهب قوى العصب قائم القصب مدور الركب ديال الذنب من اخر خيول العرب فجالت فى الميدان ومالت وأنشأت وقالت هذه الابيات

أياعين جودى بالدموع السواكب ... لفقد الذى قد كان اشرف صاحب
على كرفناس الفارس الاوحد الذى ... اباد الاعادى بالسيوف القواضب
لقد فاق كل الروم حقا شجاعة ... ولكن رب الدهر مبدى العجائب
فلا خير فى هذى الحياة لانها ... تغير احوال الكرام الاطايب
لقد كان قلبى واثقا ببقائه ... فمن لى مجيرا بعدة او مغالب
وقد كان بعلى ذا علا وشهامة ... وملك وسلطان وامره واجب
عنيت لارمانوس والملك الذى ... له كل اقليم وعز مواضب
وقد كان عمرى عنده مثل ساعة ... بمنزل بعلى كرفناس المواثب
وقد كان بعلى قبل ذلك اسود ... عبوس بوجه فى البرية قاطب
وكان أميرا للاعارب كلها ... له نسب يعلو على كل ناسب
وما ذنبه عندى سوى ان قوله ... بان إله الحق يدعى بغالب
على كل أمر وهو فرد وواحد ... وليس له ابن وليس بصاحب
وأعظم من هذا يقول محمدا ... رسولا كبيرا وهو غير مكذب
وما كان قلبى عنده مثل ساعة ... بمنزل زوجى كرفتاس المحارب
سأبكى عليه اليوم ثم أناده ... وهيهات يبدو بعد موت مجاوب
وقد صار بعلى ليث كل ملافط ... وما هو عندى من رجال المواكب
سأرحل عنه ثم أطلب غيره ... وآخذ تارى من ملوك الأعارب
وأكبر شهواتى من الدهر موته ... فقد أصبحت عندى ألذ المشارب
ألا فابرز وانحوى فلم يبق مقصدى ... سوى الموت أو أفنيكم بالمضارب

(قال الراوى) فلما برزت ميمونه الى الميدان اقبلت الأميرة ذات الهمة على الأمير عبد الوهاب وقالت له يابنى اما هذه ميمونه فأنا لها فقال لها نعم ياأماه فقالت له الا اخبرك يابنى بعجب فقال لها وما هو قالت رأيت فى المنام كأنى واياها قد التقينا فى ميدان الحرب وكأنها قد ضربتنى بحربة كانت فى يدها وكانها قد صارت حية وكان الحية قد عضتنى عضة قليلة الالم ثم انى قبضت على تلك الحية فضربتها بها فصارت فى رقبتها منديلا أحمر فتبسم الأمير وقال لها خيرا يكون ان شاء الله تعالى والله انى أقول انها قد حان موتها ويكون على يديكى أجلها بعد ان تنجرحى منها والله أعلم (ياساده) فهو معها فى الكلام واذا بميمونه قد جالت بين الصفين ونادت لايبرزلى الا ذات الهمة فنادت الأميره الله أكبر هذا ماوعد الله ثم صاحت بجوادها فخرج من تحتها مثل الشهاب المنقض وحملت على ميمونه وحملت عليها أيضا ميمونه فيالها من ساعة ما كان أعظمها قالت الاميره ذات الهمه والله مارأيت قط منهـا مثـال مارأيت فى ذلك اليوم وجرى بينهم ماأبهت الخواطر وأدهش النواظر وشخصت نحوهما العشائر وطلعت عليهما الغبائر وغابا عن الأبصار وانقشع الغبار وكل واحدة منهن تنظر إلى صاحبتها شزراً وترمقها حذراً ثم ان ميمونه حملت على ذات الهمه مرة ثانية وأنشأت تقول :

اذاهمة هذه الذى تعرفينها ... وأنى لنار الحرب أعظم ساعر
لقد طال منكى الأمر ادخرت كرة ... وقد حان منك الموت يام العواهر
وقدشاب منك الرأس والشطر أبيض ... وفعلك فى الهيجا كأســـد كاسر
لانتقمن اليوم منك بضربة ... ترحل منــــك الجسم نحو المقابر

(قال الراوى) فأجابتها الأميرة ذات الهمة على عروض شعرها تقول :

أيامن طردها الله عن باب عفـوه ... وأوقفها بين الكلاب الكوافر
ستلقين منى اليوم لبوة غابة ... معودة وقع السيوف البواتر
معودة ضرب الرقاب إذا بدت ... خيول الاعادى يوم لبس المغافر
وحق النبى الهاشمى محمد ... وحى من ذكرى رسول لقـادر
ومن خصه الرحمن بالشرف الذى ... علا أبد ذكراً بأعلى المنابر
لأنتقمن اليـــوم منك لأننى ... رأيت مناما صادقاً غير قاصر

(قال الراوى) فقـالت لها ميمونة ويلك ياذات الهمه وما الذى رأيتى فأعادت عليها المنام فضحكت ميمونة وقالت مادام قد صرتى تفسرى الأحلام فقد قرب هلاكك ودنا منكى الحمام وسوف يعمل فى بدنكى الحسام ثم حملت عليها بحنق وقد أضرمت

فى قلبها نيران الحرق وهزت الحربة التى فى كفها فلعبت مثل الحية وضربت بها الأميره ذات الهمه فخرقت الصدريه الزردو وصلت إلى بدنها فجرحتها جرح واصل إلا انه غير قاتل وان الأميره أدركت الحربه وقلعتها من جسدها وهزتها حتى التقت طرفاها وكانت ميمونه قد أيقنت انها قد قتلتها فنادت برفيع من صوتها تقول :

ألا مبلغا قولى إلى اذن ابنها ... بانى قد أوردتها كاس حتفها
وأسقيتها كاسا من الموت ... وقد نفذت حربتى من صدرها

(قال الراوى) فلما قالت البيت الثالث لم تدعها الأميره ان تتمه حتى ضربتها بالحربه فى صدرها أطلعتها من ظهرها وعجل الله بروحها إلى النار وبئس الفرار وكبرت الأميره ذات الهمه فأجابها الأمير عبد الوهاب وقال لله درك صدق والله منام الأميره ولقد خاصنا الله من شدة هذه ولولم يكن فى هذه النوبة الاقتلها لكان أكبر الفوائد وأجل العوائد بعون الله الملك الماجد ثم حملت بنى كلاب على الملافطه وقد صبر زوج ميمونه فى نزاله وثبت فى قتاله فأدركه الأمير حجاف وضربه على عاتقه أطلع السيف من علائقه واندقت بعد ذلك الملافطه منهزمين وغنموا المسلمين أموالهم ورحالهم (قال الراوى) فلما عاين عقبه ذلك انفطرت مرارته ودامت حسرته ونتف لحيته وهو جالس فى خيمته وقد ضاقت الدنيا عليه ثم انه بكى على ميمونه لانها كانت له ذخرا وسندا وكانت تشغل قلوب المسلمين فى كل وقت وحين وكان عقبه يحبها محبة عظيمة لأجل ذلك (قال الراوى) ثم ان الملعون أقبل على الناس وهم ينظرون إلى بكاه فقال سبحان الله قد صارت عيناى تبكى فى الفرح كما تبكى فى الحزن ومن شدة فرحى بقتل هذه الملعونة وقد غاب السرور على فؤادى حتى أجرى من عينى الدموع فقال له الأمير أبو محمد البطال ما أكثر فرحك معنا على هذا الحساب ولو كانت دموعك مثل البحر العباب ولكن طيب قلبك فكل يوم نقتل من يفرحك فبادره عقبه وقال يطول بقاك ياأبو محمد وبقاء الأميره المجاهده العابده الزاهده ذات الهمه ثم رجعوا الناس ونزلوا على البلد ودام القتال ثلاثة أيام فهنالك عملت السودان مائة سلم فى طول الاسوار وارتفع وتقدمت الاتراك ورموا بالنشاب حتى كشفوا الروم عن السور البرانى ونصبت السودان السلالم فأرادوا أن يأخذوها اليهم فسبقتهم السودان إليها وأخرتها عن السور وتحامت الرجال فألصقوها وأمسى المساء وأظلم الليل وقد طمعوا الناس فى البلد وأخذه وباتوا تلك الليله وقد جاءهم مطر عظيم إلى أن سالت منه الاودية والشعاب والتلال وبرد الهوى ووقع الثلج مثل

ضرائب القطن المندوف حتى إذا كانت الدابة بالت جمد بولها فى فرجها قبل نزوله إلى الأرض ووقع على الروم مثل ذلك حتى أصبح الصباح ولم يقدر أحد على المبيت فوق الأسوار لأن البرد أشد مايكون من العذاب (ياسادة) ولما أصبح الصباح وثب المعتصم وصاح فى الناس ازحفوا بارك الله فيكم فقال له عقبه من يقدر ويخرج يده يا مولانا من البرد لأن الناس فى شدة عظيمة من البرد فقال المعتصم معلوم أن الروم عندهم ما عندنا ثم أمر الأتراك أن ترمى النشاب فركبت ودارت الرماه وأرمت فطرحت الرجال عن الأسوار لأنهم لا يقدرون أن يحترزون من السهام لشدة البرد ولا كان فى ظن الروم أن أحداً يقدر يوتر قوسه فلما انكشف السور نصبت السلالم وطلعت السودان وملكوا السور الأول وفتحوا الأبواب فدخلت المسلمين وزحفوا إلى السور الثانى وعبروا إليه قبل الروم وطلعت الملاعين إلى السور الثالث فسبقوهم السودان اليه وضربوهم بالسيوف وسقوهم شراب الحتوف ووجدوا بقية الأبواب مفتحة لأن الروم ما وصلوا اليها وقد سبقوهم السودان إلى أن صاروا فى وسط البلد وضربوهم بالسيوف وبالعمد وانفرد أبو الموت بالسودان وجعل يهدر فى وجوه الروم ويحطمهم حطما وطلعت الأتراك والعرب وما كان قصد الأمير أبو محمد البطال إلا أنه طلب بقية الأبواب وكسروا أقفالها وفتحوها ودخل المعتصم ووقع الصياح ورفعوا المسلمين أصواتهم بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فالتقى أبو الموت بصاحب البلد فهجم عليه وضربه بعامود حديد على أم رأسه طير فكه مع أضراسه ونادت الروم لورك لورك يعنون الأمان فصاح عبد العزيز لا والله لا رفعنا عنكم السيف إلا أن ترونى وجه العجوز أمى (يا سادة يا كرام) وملكوا المسلمين البلد وأخذوا من الأموال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ومضى الأمير أبو محمد إلى القسوس والرهبان وقال لهم أريد العلوية فدلوه على دار البطريق مسخطون وأتوا به إلى بلاطة فى داره فقلعوها وها فبان لهم من تحتها درج فنزلوا القوم فى السرداب حتى انتهوا إلى آخره وإذا سمعوا أنين ضعيف وقائل يقول يا قريب للفرج ترى يارب يكون لى من هذا الضيق مخرج (ياسادة) وكان لها ثلاثة أيام لم تستطعم بزاد ولا بشربة من الماء وقد أشرفت على الهلاك من البكاء ثم نادت من حرقة قلبها وامعتصماه واولداه واعبدا الوهاباه واذات الهمتاه أما آن بعد هذا للفراق من تلاق فأجابوها عن بكرة أبيهم لبيكى لبيكى أيتها المرأة الصالحة فرفعت طرفها ثم نظرت وإذا بعبد العزيز فى أوائل القوم فسلبت عقلها ووقعت على وجهها فظنت أن ذلك فى منام فجعلت تنادى بالبكاء ولا زالت فى النحيب ثم أنها نظرت إلى عبد العزيز مرة أخرى فلما

حتقته وقعت مغشياً عليها ما تدرى فى الأرض هى أم فى السماء فرفعوا إلى وسط الدار وانتظروا عبد العزيز أن يصعد فلم يطلع وانحدروا عليه فوجدوه مغشياً عليه عند رؤية والدته وقد غاب رشده عند مشاهدتها فأخرجوهم وأقاموا بقية نهارهم إلى الليل ولم يتحركوا فقال طيبوبى يا أمير المؤمنين ما لهم إلا الحمام إن كانوا ماتوا فقد قضى فيهم الأمر وإن كانوا أحياء فقد أفاقوا فقال الخليفة هذه والله الحكمة بعينها ثم حملوهم إلى الحمام فأقاموا فيه إلى العشاء الآخرة وبعد ذلك أفاقوا وعقل كل واحد منهما على صاحبه وأم عبد العزيز تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ونظرت إلى بناتها واعتنقتهم واعتنقوها ولبست ثيابها وخرجت وكذلك ولدها والتقاهم عبد الوهاب يقول :

وقد يجمع الله الشتيتان بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

(قال الراوى) واجتمع الابطال والاقبال وهنوهما بالسلامة والاجتماع وشكروا الله تعالى على ذلك وهى تدعو لهم ثم انطرحت على أقدام المعتصم تقبلها وكذلك فعل ولدها هذا والناس قد نهبوا مكوريه وأخذوا من الأموال مالاعين رأت ولا أذن سمعت وكذلك من السبايا والأسارى وهم مثل البدور والشموس ومعهم من الأطفال مالا يحصى وأقام الناس فى البلد إلى آخر الشتاء قرب شهر وآن الورد وطاب الزمان وقد كسبوا الأموال والأنعام والنســـاء والجوار لأن المعتصم كان قد قسم الغنائم والسبايا فوقع للناس شيئاً كثيراً واستغنى كل واحد بما أخذ ولم يبق من الآخذين أحد إلا الأمير حجاف النميرى وأن الخليفة عـــلم ضعف حاله وأن له بنت وزوجة وذكر له الأمير عبد الوهاب كيف وصلوا إلى ملطية وهم على غاية من القلة فأخرج له سهماً مثل الأمير عبد الوهاب ومثل سهام الأمراء وقد قال له الخليفة هذا هو الحلال المحض يا حجاف نخذه واستعين به على دنياك واعمل لك عدة تفائل بها فقال يا أمير المؤمنين معلوم أن الله تعالى نهانا عن حطام الدنيا بل أريد عوضه فى الآخرة ووالله هذا المال ما أريده لأنى رجل ضعيف وليس لى قوة على الحساب ولا أريد على ما جاهدت عوضاً من الدنيا بل أريد عوضه فى الآخرة تجد بما أنعمت به على على الفقراء والمساكين تغنى به فقرهم وأن غنى جماعة أفضل من غنى واحد فبكى المعتصم ورفع طرفه إلى السماء وقال إلهى بغض إلى الدنيا وحبب لى الآخرة فهى خير وأبقى وأمر الناس بأخذ الأهبة للسفر وإذا برسول أرمانوس قد وصل اليه وقال المعتصم الملك أرمانوس يقبل الأرض بين يديك ويقول لك يا خليفة المسلمين ما هذا المقام فى بلاد الروم وهى ما تصلح إلا لأهلها فقال أبو محمد

أن أمير المؤمنين قد عول أن يجعل سرير ملكه فى مكوريه لأننا ما رأينا قط مثلها ولا عاينا شكلها وبعد ذلك نفتح سائر أقاليم الروم وننتقل عساكر المسلمين إلى هذه الديار ويبقى من بقى من سواد الروم يحملون الجزية إلينا فقال الرسول لا تفعلوا يا قوم هذه الفعال فان البغى مصرعه وخيم فقال أبو محمد ماهذا بغى إنما هو عبادة فى ديننا وجهاداً فى الكفرة الذين يقولون أن الله تعالى ولد جل ربنا عن ذلك وتقدست أسماؤه وتعالى علواً كبيراً ولكن أنا أدرى أنك جئت تشترى البلاد منا لأرمانوس بالمال فقال الرسول هو ذلك (قال) فتقدم اليه البطال وقال كم لى أنا فى الوسط وإلا فاترك هذا يتم فقال عشرة آلاف دينار ومائة ثوب أطلس فرضى أبو محمد بذلك وتحدث مع الخليفة فى الصلح بعد ما قبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين أنا أتوسط الأمر بينكم على بيع هذا البلد وعودتك إلى بلاد الإسلام أحب إليك وتخلى هذا الإقليم فما يصلح إلا لهم فقال الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد ما أخرج البرطيلى إلا حكيم (يا سادة يا كرام) فضحك البطالى ثم قال للمعتصم ياأمير المؤمنين قد قال لى الرسول أن يكون البيع ثمانون الف دينار وعشرة للسمسار فاغتظت أنا عليه من هذا القول وأنا أقول من عندى واقطع المال وهو أن يكون خمسمائة الف دينار والف ثوب أطلس تحمل إليك إلى ههنا قبل أن ترحل وما يبقى الرسول أكثر من عشرة أيام فقال الرسول قد قطعت يا أبو محمد المال وأوسعت فقال أبو محمد للرسول يا ويلك دع عنك هذه الحاقة واعرف قدر ما فعلت معكم لأن مولانا كان معول أن ينزل على القسطنطونية ويفعل بها كما فعل بمكوريه ويأخذ ما فيها من الأموال من غير حرب ولا قتال وأول ما قال إذا أتاكم الرسول فاصفحوه صفحاً جيداً واعلم أنى طابت نفسك من غير صفعك فشكره الرسول وعاد إلى بلد القسطنطونية وأعاد على الملك ماقد سمع فقال وحق المسيح يفعلوا ذلك وما فى الأمر إلا مصالحتهم ثم أنه جمع المال الذى طلب منه وسلمه إلى البطارقة وجهز للبطال المال الذى اتفق عليه مع الرسول ولم تكن إلا أيام قلائل حتى وصل الرسول بالمال إلى المسلمين فعندها رحل الخليفه وقد صارت له الهيبة فى بلاد الروم ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى ملطية وقسم المال على المجاهدين بالسوية بعد أن أخرج الخمس لبيت المال وسار بالعسكر الذين وصفناها طالب بغداد وخرجوا الأمراء لوداعه حتى وصلوا إلى آمد وردهم وجد المعتصم فى المسير حتى وصلوا إلى العراق وقد طبقت عساكره الآفاق ودخل إلى بغداد فى يوم مشهود وأنفق فيه مال ممدود إلا أن أهل بغداد ضاعوا فى تلك العساكر وضاقت بهم المنازل وغلت الأسعار على الصعاليك فاجتمعوا الفقها

والقراء والعلماء والفضلاء والياض الأعظم من أكابر بغداد وأرباب المدارس والصوفية إلى الشيخ الجنيد وشكوا اليه ما هم فيه من القلة والضيق وسألوه أن يعتب الخليفة فى ذلك فدخل على المعتصم يوم الجمعة وسلم عليه وصافحه وقال له يا أمير المؤمنين أنت فى هذا النعيم وغيرك فى نار الجحيم فقال له لماذا فقال لأنك جمعت أهل الأرض وتريد أن تسكنهم بغداد لاجل محبتك العساكر والاجناد والصواب أنك لا تدرى بالدنيا ولا تعرف الضعفاء والفقراء لانهم اجتمعوا وأتوا إلى وشكوا من الغلاء والقلة وقد أخبرتك بذلك وإن لم ترحل والا اجتمعنا وقاتلناك (قال) فضحك المعتصم وقال له بماذا تقاتلنى ياجنيد فقال له بسهام الليل فقال المعتصم مالى بسهام الليل من طاقه احملونى فى هذه الايام حتى أنظر فى ذلك ثم انه ركب وطاف الأراضى والاودية فوجد مكانا متسعا قريبا من بغداد وفيه الانهار والغدران والمياه الجاريه فقال هذا المكان يصلح أن يكون بلدا للاجناد والعساكر ثم انه شرع فى بنائها ووعد محمد بن الزيات بعمارتها وأمرة أن يعمرها على مثال عمارة القسطنطونيه سبع فراسخ طول وأربع عرض ففعل ذلك ورتبها ووضع صورتها فى سعة الفضاو بناها بالآجر السكرى والاسفيداج النقى وزيبق البيض ومشاقة الابريسم وقسمت مربعاتها وترتبت أسواقها وتلألأ اشراقها وبلغت أمانيها كملت معانيها وفرشت أراضيها بالرخام وسار فيها الخاص والعام وأمر محمد بن الزيات بتعديل قسمة المربعات والشوارع والطارقات والاماكن المتسعات وكانت قسمتها بالسويه كشوارع اسكندريه وعمرت مصانعها واتقن جامعها فكانت كالسماك رفعة واشراقا وكما لاواستحتما قائم كتب إلى المعتصم حتى يأتى ويراها وانها لما كملت عمارتها والدور وساعدهم مقدر المقدور وكانت دار المعتصم فيها كالبيت المعدور وقد أسسها على قواعد الرخام والملون والمشبه المسكون والحديد الصينى والصخر القسطنطونى والرصاص القلعى والخشب الصنوبرى الشمعى وكمل بنيانها وقدارتفعت حيطانها وسما سماؤها وأجرى ماؤها وعملت خزائنها ودارت الشمس على رواشنها وكان لها ثلثمائة وستون روشن كل يوم تطلع الشمس فى روشن ولاتعود إليه إلى عام قابل مثل ذلك اليوم وكلما قطعت الشمس فى الفلك ساعه انفتح فى الروشن باب المينا بحسن صناعه وفى وسطه كتابه بالذهب محرفة بالقلم قد مضى إلهم ووفقنا للطاعه وكذلك ساعات الليل فى جامات بلور وتطلع فيها أقمار تأخذ بالبصر وتدهش منها النظار وكل ركن من أركانها عليه عشرين صورة مجسمة وعليها تخافيف من الفضه الخالصه وفيها الزيبق يقطر إليها بحركات تعرفها الحكماء قد جعلوه بمنزلة الماء فاذا نزل الزيبق برأسها تحركت تلك الصور ومشت على بكر ورفعت أيديها ودقت بعمد

فضه على طاسات ذهب فتنقر أحسن نقر وندق نوبة سلطانيه لايغلطون ولا يخرجون عن الطريقه وكل من سمع حسهم يسكر من لذة ذلك الايقاع والطرب ثم ان الزيبق يتراجع من شبابيك أخر فلاتنتهى إلا وقد فرغت تلك النوبه وسكنت الحركات والطيور المجسمات وفرش أرض الدار بالرخام الأحمر والأسود والأصفر ومن أبيض المرمر والأخضر والمفضض والمذهب ومن سائر النفوش المكتوبه بالفصوص الملونه وفى وسط تلك الدار بركة أربعين فى أربعين مايط مفصله بتفاصيل الذهب والفضه وعليها ثلثمائة كوز ذهب ينبع الماء من أنابيبها بصفة اللجين فتقع على تلك الميادين فتصير كالحيات الهاربات وقد كملت فيها الصفات وسائر الآلات (قال الراوى) وتلك السور المجسمة ملتصقه بالجدران من عقيق ومرجان وفيروزج وعقبان وإذا دخلت الرياح أخذت هذه السور فى الحركات فتنطق بسائر اللغات وربما تحركت الطيور فينزل منها قطار المسك المعطور على الحضور ولما كمل البناء فى سعة الفناء جلس المعتصم للهناء وتقدم إليه شاعر وقته وفريد زمانه وعصره عبد المجيد العمرانى وجعل ينشد ويقول .

ظفرت أمير المؤمنين بما تهوى ... وصدت ملوك الصين بالمال والجزوى

فلا زمن إلا ويقضى بما تشا ... ولا فلك إلا ويجرى بما تهوى

تهنا بدار عانق النجم سعدها ... فما شامخ إلا ومن دونها يهوى

ولما تكامل عزها ونعيمها ... شككنا أدار الخلد أم جنة المأوى

تريك سرورا قد يدوم فمن رأى ... بسيرة دار حسن تاريخها يهوى

(قال الراوى) ودخل المعتصم إليها وقد نصب فيها الأسرة من العاج والابنوس والعرعر وهى مصفحة بالذهب الأحمر مرصعة بالياقوت والجوهر وعليها ستور الديباج المدثر مفروشة بالسندس الأخضر فنظر إلى أقطارها وأزهارها وأشجارها وأطيارها فحين رآها المعتصم على ذلك المثال سر بها سروراً عظيما ورأى فيها كريما وبقى لايدرى فيما يتنزه فى حسن بنائها أوفى صورها وكثرة أنهارها فأقام المعتصم فيها أيام لايخرج منها لاعجابه بها حتى وصل إليه كتاب الطائر من ملطيه وكان المعتصم فى حمام بداره التى كانها الجنة وقد خرج منها إلى البستان ودعى بالخادم المقدم الاجل ريحان وقال ياريحان ائتينى بكاس جلاب فقبل الخادم الأرض وقال له أدام الله لمولانا السرور ولازال رافلا فى زيل الحبور ثم أتاه بالكاس الجلاب وفتح الوزير الكتاب فجرت دموعه بانتخاب وانسكاب وأخذ فى البكاء فتغير وجه الخليفه وقال ياوزير ماوراك وماالذى دهاك وايش الذى أبكاك فأرمى بالكتاب إلى المتعصم ودموعه تنسجم فلما قرأ الكتاب وتبين

مافيه فاضت عبراته على طرس وجناته وكتبت سطور لهفاته (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الأميره ذات الهمه كانت جالسة مع الأمير عبد الوهاب وهى تقول له يابنى لوانقطعنا إلى بيت الله الحرام واشتغلنا بعبادة الملك العلام وتعوضنا عن ركوب الخيل بقيام الليل لكان أصوب فقال لها : الأمير عبد الوهاب والله ياأميره ان خلاص أسير فى طاعة الله تعالى خير من ألف عام عبادة بين زمزم والمقام (قال الراوى) فهو معها فى الكلام وصابر المرعشى قد وصل وعليه آثار السفر ودلائل السهر وقد جهدته الليالى غاية الجهد فقال له الأمير مرحبا ياصابر هل عندك خبر نادر فقال له ياأمير معى أحسن خبر ثم انه بكى وأنشد يقول هذه الابيات :

ياليت انى لم أكن حيا وضمتنى المقابر ... مابقى صبر لصابر ان صرف الدهر غابر
لاولاكنت بأرض الروم قبل اليوم عابر ... من له صبر على هتك ربات الستائر
فاسمعوا منى حديثاً واكتبوه فى الدفاتر ... انه قدصار جهراً فى جميع الخلق وسائر
أين من يرعا رسول الله فى حفظ السرائر ... أين من يطلب غفران الخطايا والكبائر
كيف ترضون على دهور ردىء الفعل جائر ... حرة من ولد المختار أضحت عند كافر
وينادون عليها عالما مثل العواهر ... وهى تدعو بنحيب ودموع كالمواطر
وتنادى ياامام الخلق ياطرز المفاخر ... خلص الحرة من قوم لئام وفواجر
اين من يغضب الله ويسعى فى المآثر ... ان هذا القول حقا فاسمعوه ياأكابر

قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب وذات الهمه هذا الخطاب قال له ياصابر قد شققت منا المرائر فقل ماعندك من الأخبار فقال له يامولاى انى عبرت طريقى لهذه عموريه الكبرى وجزت فى بعض الاسواق بالاتفاق فرأيت جماعة من التجار وفى وسطهم جارية فى حلقها صيب وهى بزى عجيب وفى وسطها زنار وعليها من الحياء آثار ووجها يتلألأ بالأنوار وكان الحيا مخلوق من بين عينيها والعفاف شهيد عليها ولسانها لايفترعن ذكر ربها وقد وافق الإيمان قلبها وقد عضت طرفها عن المخلوقين وسترت وجهها من الناظرين وهى كلما سترت وجهها هتك سترها وأبدأ للناس مكتوم أمرها وهى تقول لاتفعل بالسلاله النبويه والحرمة العباسية الحافظة لكتاب الله العامله سنة رسول الله معاشر الناس من اشترانى فيعلم أنه مطلوب من سائر المسلمين وأرباب الدين ولودخل تحت الارضين ساط الله عليه أمير المؤمنين أنايا ويلكم نسيبة أمير المؤمنين المعتصم بالله قريب محمد سيد المرسلين ثم نادت برفيع من صوتها والإسلاماه وادين محمداه وامعتصماه ارحم الأميرة فى جملة الأمراء ارحم

الباكية ارحم الميمونه الهاشمية تبتاع بيع الإماء خلصنى إعزازاً لمحمد ﷺ ثم بكت بكاء شديد (قال الراوى) ثم أنها نادت وامعتصماه فلما سمعوا الروم يامولاى ذلك من ندائها تفرق عنها من كان معولا على شرائها ولطم البطريق وجهها حتى فاضت عينهـا بالدماء ثم سحبها إلى بيته سحب الأماء وهى تقول لى أسـوة بآل محمد المصطفى فصبراً على ما حكم الله وقضى لى أسوة بزينب بنت الامام على المرتضى وابنته فاطمة الزهرا بضعة سيد الأنبياء وامعتصماه وامعتصماه ومن يبلغ النداء هل لهذه الأميرة عن فداء إذا ماتت الرجال ذلت النساء فضربها البطريق وقال لهـا ما يأتيك المعتصم إلا على أبلق ثم غابت عى وهى على غاية من التعب والنصب فخرجت من عمـــورية ولم أدرى فى أرض أنا أو فى سماء أتمنى لو كنت فى جملة الموتى ولا ترى عينى ما يبقى فى قلبى حسرة أبداً وقد سرت ليـلا ونهاراً حتى أوصلت إليكم النداء وهى أمانة توصلوها إلى ابن عم المصطفى فلو رأيتموها وقد تخضبت خدودها بالدما وصار وجودها عدما (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبـــد الوهاب ذلك من كلامه وفهم نظامه بكى بكاء شـديداً وقال للأميرة ذات الهمه يا أماه هذا خلاف ماكنا فيه والله إن خلاص هذه الأسيرة عندنا خير من ألف حجة ولولا أنها استصرخت للإمام المعتصم من دون الخلق لدخلت اليها إلى بلد الروم من ساعتى هذه ولكنى أخاف من عتب أمير المؤمنين ثم أوصل الكتاب إلى المعتصم وقد خرج من الحمام كما ذكرنا وادعى بالجلاب كما وصفنا وقرأ الوزير الكتاب كما أشرنا وبكى عند سماع مافيه من الخطاب كما قدمنا وسأله المعتصم على ما فيه فرمى اليه الكتاب وعدنا إلى سياقة الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على خير البشر فخر ربيعة ومضر الذى انشـق من أجله القمر وسعت إلى خدمته الشجر وان المعتصم لما أن عرف ذلك رد الكاس الجلاب إلى خادمه وقال له احفظه واختمه إلى حين سؤالى عنه ثم أنه أمر بإحضار قائد الجيوش فلما أن حضر قال له امضى إلى الغلمان الدارية واحضر إلى عندى الأستاذ الكبير فقال سمعاً وطاعة ثم غاب ساعة وعاد ومعه الأستاذ الكبير ومعهم شاباً من العسكر والصغير (قال الراوى) فلما رآهم المعتصم قال لهم اجمعوا العساكر وأمر المعتصم بعرض العساكر والخيل وأمر بفتح الخزائن واستكفوا من السلاح ومن آلة الحرب والكفاح واستظهروا بها ثم قال لهم أمير المؤمنين قد عرض لى عارض ما عرض لى قط مثله وهو خوض البحار وركوب الأقطار فقالوا لم ياأمير المؤمنين وحامى حوزة الدين لاكان من يغازيك ولا سعد من يعاديك أنا وأخى فى مائتين الف فارس نكون بين يديك فقال اذهبا بارك الله فيكما وجدا فى إصلاح شأنكما وكاتبوا أمراء الأطراف والخوارج فإن الرحيل

بعد ثلاثة أيام وقصدى أن تجمعوا إلى حصان يكون أبلق فعندها خرجوا الغلمان إلى البلدان وطرحوا الصوت بالغزو إلى بلاد الروم ثم أن المعتصم أدار وجهه إلى بلاد الروم وقال لبيك لبيك أيتها الداعية لبيك لبيك أيتها المنادية نادينى على أذن واعية وعين على خلاصكى باكية ولا بد لى ما أرمى الروم من أجلكى بداهيـــة وأى داهيه ثم دعا بالوزير وقال له نادى فى الناس بالنفير وركب المعتصم فى غير أوان الركوب وخرج أسرع من الريح الهبوب وقال واشوقاه وأشار يقول هذه الأبيات :

لارعانى خالقى إن لم أكن　　　حافظاً رعيتى محاميا
ولا أكون تحت ظل خيمة　　　حتى أرى بعينى المناديا
وأترك الترك بغير خيفة　　　تجر منها نحوى النواصيا
وتسحب البنات من حجالها　　　حواسراً بواكياً عواريا
وأهدم الأبراج من أصولها　　　ويمحق الله لنا الأعاديا
قد أوجب الله على أننى　　　أجيب للداعى إذا دعانيا
وأكفل الأيتام عن آبائها　　　وأرحم الأرامل البواكيا
أرجو من الله تعالى اسمه　　　ثواب من سرت اليه ساعيا

(قال الراوى) وكانت هـــذه الصبية الهاشميه من ميافارقين وقد سبيت على يد كوشانوش لما ملكوها الروم بالسيف وسبوا أهلها وقتلوا والدها وأخذت سبية وكان اسمها زينب بنت الحسين بن محمد وكانت الروم قد قتلت آبائها وأخاها فى جملة من قتلوا من المسلمين وما أبادوا من أهل الدين جعلهم الله مستشهدين ووصلوا اليه وهم حامدين ولربهم بجاورين وفى رياض الجنة متنعمين وإلى الجمال كمال ربهم ناظرين ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون وكان لها من العمر عشرين سنة إلا أنها حازت منازل المعمرين فى العبادات لرب العالمين صائمة النهار قائمة الليـــل فى غياهب الاعتكار وأنها وصلت إلى عمورية ووقعت فى قسم بطريق من بطارقتها جبار من نسل الأشرار لا يعرف الواحد القهار ولا يخاف من عذاب النار وأنه أعرض عليها التنصر فقالت أيها الظالم لنفسه المشتغل عن أبناء جنسه أتأمرنى أن أكفر بالذى خلقنى وفى البداية لطف بى ورزقنى بقطعة لحم أنطقنى وعلى قدم بالسعى أطلقنى وبنار حبه أحرقنى وفى مياه دموعى شوقاً اليه غرقنى جل الواحد الاحد المعبود أن ينسب اليه والد ولا مولود ولا وزير ولا نصير ولا مشير تعالى الله رب العالمين عما يقول الملحدين وتبتدع المبدعين فاقصر عن قولك أيها البطريق اللعين (قال الراوى) فلما سمع البطريق

مقالها ضربها الى أن قطع أوصالها وجعل يديها ورجليها فى القيد وطرحها فى مطمورة تحت الأرض ووكل بها جارية قد نزعت الرحمة من قلبها لها سبعين سنة تأكل رزقه وتعبد غيره وكانت كل ليلة تأتيها بقرص شعير تفطر عليه وتفتح قيدها لأجل حاجتها وتردها بعد ذلك الى حالها الأول (قال الراوى) وأقامت على ذلك عامين كاملين تصوم النهار وتقوم الليل وكانت الإفرنجية كلما دخلت عليها تجدها ساجدة ومتهجدة فيعظم ذلك عليها وتحدث به والدة البطريق وكانت مترهبة متعبدة فقالت لها يا ستى إن هذه الصبية المسلمة لو أنها تتنصر لعادت بركتها على أهل ماء المعمودية لأنها من منــذ توكلت بها مافطرت ولا رقدت ليلة من الليالى فتعجبت من ذلك وقالت لها الباطل محبــوب ولو كانت على الحق لثقل عليها الذى تذكرين امنعيها الزاد الليلة وليلة غد فإذا استغاثت اليك من الجوع فقولى لها نحن ما نطعم زادنا إلا لمن يدخل فى ديننا ويقول مثــل قولنا واسمعى منها ماتقول وأعلمينى به فقالت لها الجارية سمعاً وطاعة ثم أنها صبرت الى الليل وقد صلت الشريفة العشاء الأخيرة بعد ماصلت المغرب وقعــدت تريد الفطور فلم تأتيها الجارية بشىء فاشتغلت بذكر ربها وهى تنتظر ما قسم الله لها من ذلك القــرص الشعير لتستعين به على عبادة اللطيف الخبير وما زالت فى الإنتظار حتى مضى من الليل ساعتين ولم ترى شيئاً ولا أتتها الجارية وقد جاء وقت صلاتها وقد زادها الله قوة ونشاطاً وجلداً وانبساطاً وما زالت تصلى الى أن ولى عساكر الظلام وأقبل الصباح بالضياء والابتسام ولم تزل على حالها الى المساء وذهب النهار بأنواره وأقبل الليل باعتكاره وهى على باب ربها قائمه ولصلاتها ملازمه ولا بطلت ولا هدت (قال الراوى) ولمــا أن كانت تلك الليلة نزلت اليها الجارية الرومية فسمعتها تقول هذه الابيات :

ياسقامى ياشرابى ياطعامى يا حبيبى يا طبيبى يا أنيسى فى ظلامى
ذكرك الطيب أنسى فى صلاتى وصيامى سيدى ياسؤل قلبى الذى ترضاه سامى

(قال الراوى) ولما سمعت الجارية الافرنجية شعرها عادت الى ستها وأعلمتها بما قالت وعرفتها بذلك فقالت لها ستها خذى بيدى وأنزلينى اليها لنرى حالها وما هى عليه لأنه عجيب فقالت لها الجارية على اسم السيد المسيح لعلها تعود الى دين النصرانية وهو الدين الصــحيح ثم أنهما سارا الى أو نزلا الى المطمورة فوجدوها على حالتها وقد وضعت خدها على التراب وهى تقول يامن عليه متكلى لا تهلكنى إلا إن كان حبيبى ساجد ولا تجعل قلبى لك جاحد بحرمة الموحدين لا تجعلنى من الملحدين وخلصنى من

أعدائك الجبارين الذين هم لخيرك جاحدين وعزتك لا أكفر بك بعد معرفتك ولا عبدت ســـواك بعد ماقد شاهدت شواهد قدرتك الهي إذا قطعتني من يوصلني وإذا أبعدتني من يقربني ثم أنهاأشارت تقول هذه الآبيات :

أتراني مازلت مني قريبـــاً | أنت لي طول عمري طبيبا
خاب من لم يذق حلاوة حبك | أنا حبي مني اليـــك قريبا
أنت رب المسيح لا شك فيه | أنت قد زدت في القلوب قلوبا
بك أحيا الأموات عيسى ولولاك | لـكان من مريم مصلوبا
حاش لله كيف يصلب من | أنت له ناظرا عليـــه رقيبا
وإذا ما دعاك داع بقلب | أنت ربي منه قريب مجيبـــا
ان عمل الكفار عمل عديم | جحدوك واستخاروا الصليبا

(قال الراوى) ولما ان سمعت أم البريق ذلك من كلامها وما نطقت به من نظامها فتحت يد القدرة مصاريع أبواب كفرها والطغيان فقالت الافرنجية للجارية اطلعى بنا وخليها على عبادتها فربما يكون دينها على الحق ودعوها ان كانت تسعد أو تشق وتحب ان تطعم وتسق ثم انهما رجعوا عنها الى ان كان آخر النهار حملت لها الراهبة أم البطريق شيء من الطعام الطيب ونزلت اليها فوجدتها تقرأ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فلما ان سمعت الراهبة منها ذلك قالت للجارية صدقت يابنتى فقالت الجارية ان كان قولها صدق فأنا أقول أشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمد رســـول الله ﷺ ثم أسلمت الراهبة وقالت للجارية اكتمى هذا عن ولدى حتى اننا ننتظر مايتم لنا من المراد ويكون لنا مانريد ثم انها تقدمت وفكت القيد من رجليها ورفعتها الى محل سيدتها وألبستها من أجود لباسها (قال الراوى) ولما ان كان فى بعض الايام دخل عليها ولدها فرأى الشريفة عندها جالسة وهى تحدث معها فقال لها من هذه يا أماه فقالت له هذه جاريتك المسلمة فقال لها ولماذا فعلتى بها هذه الفعال فقالت له اعلم يابنى ان فى الناس من لا يجىء على الاهانة ولا يجىء الا على الكرم لكرم أصله وطيب عنصره وهذه الصبيه قد حبسناها سنين عديدة وعذبناها عذابا شديدا فما ازدادت الاضلالة ورغبه فى دينها فأخذتها وهاأنا أتلطف بها بحسن الكلام لعلها ان تلين وتدخل فى الدين الصحيح وتعترف بعبادة السيد المسيح فقال لها ولدها اعلمى انى لاأحبها لاجل بغضتى لدينها فلا تدعيها تقع فى عينى من اليوم حتى ترجع عن دينها وهو دين الاسلام فقالت له السمع والطاعة ثم تركها ومضى (قال الراوى) وكانت فى تلك المدة قد علمتها الشريفة دين الاسلام وأقرأتها القرآن

وشرائع الايمان وقواعد الاسلام وفى بعض تلك السنين مرضت أم البطريق مرض شديد وكانت تبكى الليل والنهار على ماسلف من تفريطها فى أول زمانها وكانت تصوم النهار وتقوم الليل مثل الشريفه زينب وقد حلى لها دين الاسلام فلما كان مرضت وزاد عليها المرض فكان ولدها يدخل عليها ويطلب منها بيع الشريفه وهى لا تمكنه من ذلك وهو يتخضع لها ويقبل أقدامها وهى لا ترضى بذلك الى ان كان يوم من بعض الايام اعترضته الجارية الافرنجيه وكان قلبها أضاها ولا كانت تحب دين الاسلام فقالت له يامولاى اننى ان أحدثك بحديث أمك وماهى عليه فقال لها قولى لى ماهو فقالت له أحدثك به الا وتكتمه عنها فقال لها نعم له ان أمك أسلمت وصارت تصلى مثل هذه المسلمه وتصوم مثل صيامها فلما ان سمع البطريق من الجارية كلامها اعظم عليه وكبر لديه ودخل على أمه وسألها فأنكرت منه ذلك فضربها ضربا وجيعا حتى أشرفت على الموت وانقطع كلامها فتركها على حالها وأخذ عند ذلك الشريفه بيمينه وأتى بها الى السوق وأعطاها للدلال فنادى والتمت عليها جماعه الروم وقالت ما قالت وفى تلك الساعة دخل صابر المرعشى الى البلد ورآها وهى فى الحالة كما قدمنا ورأى البطريق وهو يسحبها ويضربها كما ذكرنا وأتى بها الى داره وقد ردها الى المطمورة التى كانت فيها وخرج صابر من البلد وسار ومازال سائر الى ان وصل الى ملطية ودخل على الامير عبد الوهاب وأعاد عليه حديثها وأوصل الاخبار الى المعتصم بما جرى عليها ورحل أمير المؤمنين بعساكر المسلمين وأبطال الموحدين وقد طير الطيور الى مالطية يخبرهم بوصوله وهو فى عالم عظيم بعد النجوم وهم خلق لا يحصى عددهم الا الحى القيوم الذى بأحوال المسلمين عالم وهو دائم وغيره لا يدوم (قال الراوى) لهذا الكلام ولما ان وصل الكتاب الى ملطية وقتواله أوقات ولما ان قرب من ملطية خرج الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب وكان الامير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم الى لقائه على ثلاثة أيام ولما ان وصلوا اليه استقبلوه أحسن استقبال وعادوا اياهم الى ان نزل على ملطية للراحه وقد أقام ثلاثة أيام ولما ان كان فى اليوم الرابع رحل المعتصم وهو لا يقر له قرار لان فى فؤاده شعله نار وهو يقول عسى الايام تظفرنى ببلوغ الآمال هذا وقد افترقت العساكر فى سائر البلاد من الدروب والوهاد والطرقات ووصلت الأخبار الى وملك الروم بوصول المسلمين وانهم مجدين والى عمورية طالبين والى نحو الملك مرطاوس قاصدين فقامت عليه القيامة وكتب ارمانوس الى مرطاوس يقول كن ياخال على أهبة القتال وعلى ان امدك بالرجال لأنى كما علمت اننى بينى وبين المعتصم هدنة ماقدر ان افسخها الا ان يتعلق ببلادى فتحملنى الضرورة الى قتالهم وان لم يتعرضوا الى فأنا أنفذ لك العساكر ففرح مرطاوس

بذلك وقال هذه غنيمة قد ساقها المسيح الينا وكان الزمان عند اقبال الشتاء أيضا ووصلت العساكر الى مفرق البلستين فقال الامير عبد الوهاب الرأى ان تفترق لأجل المضيق والزحام فى الطريق فقال المعتصم هذا هو الصواب ثم سار المعتصم فى الطريق اليمين طالب وسار الامير عبد الوهاب فى الطريق اليسار ثلاثة أيام ووصل الى مدينه عالية الأسوار مليحة البحار جيدة المقدار على ظاهرها ميدان والميدان أخضر مد البصر كثير الشجر طيب الثمر والاطيار على أشجاره صيف وشتاء لكثرتها والانهار جارية والقرى عامره والخيرات وافرة (ياسادة ياكرام) فلما نظرت الاميره ذات الهمة الى تلك النعمة الظاهرة والعماره الباهرة قالت والله يعز على كيف اعبر عن هذه المدينه ولا نتعرض لقتالها وان جزناها كان ذلك عار علينا ووهنا وكسرا لهيبتنا فقال الأمير أبو محمد البطال انزلوا عليها لعلنا نستريح من التعب والنصب ونأخذ العلوفه من هذه القرى ونتفرج على هذه المروج والمعصم ما محتاج الينا لان معه عساكر تسد الفضاء وتملأ المستوى فنزلوا القوم وتأملوا تلك المدينه فوجدوا المرام اليها بعيد لعلو سورها وزحفوا اليها فهلكت برمى احجارها الناس فقال أبو محمد ماقتالها صواب لان العدو فى هذا الارتقاع وإذا ألقوا علينا الحجر الواحد هلكوا منا جماعة ولكن أريد فى غداة غد ادور حول البلد وابصر كيف الوصول اليها ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما أصبح الصباح قال أبو محمد البطال لعبد الله سيف الحنيفية اركب ياأميرى فى جماعة من الشباب على نية اللعب بالأكرة والصولجان حتى تدور حول البلد لكيلا يرونى ننظر الى السور فيقع بهم الاحتراز ولا ينكرون علينا ففعل ذلك وجعلوا يطوفون حول السور ويلعبون وكان الامير سيف الحنيفية على ماتقدم من القول أسمر اللون كبير الحدق طويل العنق غنج اللواحظ مليح العوارض وهو كما ذكرنا فارس الخيل واتفق لعبهم تحت البرج الذى فيه دار الملك وكانت ابنته ذات حسن وجمال وقد واعتدال تخجل البدر حسنا والشمس لونا فسبحان من خلقها وتعالى من صورها وكانت قد فتحت أبواب الشبابيك لتنظر الى هؤلاء وكيف يلعبون فى الميدان ومن حولها عشر جوار كانهن الاقمار وهى بأنوارها تكسر أنوارهم بضوء جبينها وحسن قامتها وفى وسطها زنار ابريسم منظوم بلؤلؤ مفصل بجوهر وعلى بدنها بدنة زمرد أخضر مقصوم بياقوت أحمر كما قاله

وجارية فى روشن من الدار ... جمالها عار من العار
قلت وقد فكرت فى حسنها ... أعيذها بالخالق البارى
ماأحسن الزنار فى خصرها ... يالك من خصر وزنار
طوبى لأهل النار ان أصبحت ... بكفرها فى وسط النار

فلما نظرت ابنة الملك الى سيف الحينيفية وجماله وحسن كماله قالت وحق المسيح ان هذا شاب مليح ثم نادت ببعض جواريها يامريم هاتى القانون حتى نوقف هذا الشاب من خلف هذا الباب فبادرت الجارية الى القانون وأتتها به ثم اخذته فى حجرتها وحست الأوتار فثار السرور الكامل فى الاسرار واشتغل سيف الحنيفيه عن الصولجان بطيب هذه الألحان ووقف ينظر الجارية وهى كأنه غزال عطشان وقدكانه غصن بان ونظرت هى أيضا الى حسن وجهه وبياض ثغره وسواد شعره فغنت بصوت ندى تقول

كفرت بالكافور من ثغره ولا عبدت المسك من شعر
ان كنت أبصرت له مشبها فى غنجه كلا ولا فخر
وجملة الأسرة وتفصيله انى أسيره فى يدى هجره
وصولجان العشق قد طيرت أكرة قلبي عن صبره

فلما سمع سيف الحنيفية ذلك الصوت ورأى ذلك الحسن وهى تضحك فلمع سنا برق ثغرها وأرخت من الشباك ذوائب شعرها فى شعاع نور بدرها ووضعت يدها اليسرى على خصرها فحقق سيف الحنيفية لما شاهد أمرها وأنشد وجعل يقول :

وهيفاء مختصر خصرها تقيم باعذارها عذرها
تتيه بعين على عجبها وفى قلب عاشقها سحرها
لقد نال أقصى المنى عاشقا أقام على هجره هجرها
تمنيت والله أسلامها وشق على مهجتى كفرها

فلما سمعت الجارية شعر سيف الحنيفية ضحكت بصوت عال ثم قالت يا مسلم إن كنت أعجبتك فاحضر أنت وصاحبك هذا فى دعوتى تسمع نغمتى وافضى إليك بسر مهجتى فقد قيل كل حديث جاوز اثنين شائع فالتفت البطال إلى سيف الحنيفية وقال يا أمير لقد سمعت المقال والخطاب فما عندك من الجواب فهذه دار الاحباب وقد انجلا غبار الارتياب فقال سيف الحنيفية ياأبا محمد لا تغفل عنى وعن قصتى وبالله لئن لم تصعد إليها لاعدمت عقلى فقال أبو محمد تأتى الآن على نفسك ولا تخاطر (قال الراوى) يا سادة ياكرام وعلمت الجارية ذكاها أنهما فى المحاورة من أجل الدخول والفزع من الغدر فقالت الجارية لسيف الحنيفة لا تسمع من رفيقك فيكون سبب تعويقك وأنا أفتح لك باب السر لان ما بقى لى بعد رؤيتك صبر فادخل وكل واشرب وتمتع بحسن وجهى واستمع غناى فهو راحة القلوب وأنت فى زمامى وزمام أم النور وخفارة مريم وعهد الحوارييز وعقد زنارى على خصرى فإن أنا غدرت بكم قصم المسيح عمرى وقابلنى

يغضبه على ما يكون من غدرى ولا يقبل يوم القيامة عذرى وقسى قلب هـذا الشاب المليح على فقال أبو محمد أشركينى فى هذا اليمين حتى اعلم أنك صادقة وإلا إيش تحلفى لصاحبى هذا اليمين الغموس وأنا مثله فضحكت وقالت ياعربى أعذرنى فإن اللسان ترجمان القلب ثم قالت ادخلوا فقال سيف الحنيفية افتحوا وقد دخلنا الساعه ثم أن أبو محمد قال للجماعة انتظرونا الى الليل فإن لم نخرج وإلا فأعلموا الأمير بحالنا فقالوا سمعاً وانصرفوا بعيد عن القصر ونزلوا ينظروا سيف الحنيفية والبطال هذا وقد فتح لهم الباب فدخلوا إلى أن وصلوا إلى دار كبيرة محكمة الترتيب والسقوف باللازود والذهب وفيها من الصور كل شىء عجيب وأسرة من العاج مصفحة بالذهب الوهاج وعليها من مراتب الديباج من كل لون بهاج وحيطانها تشعل بازائها تحير النظر فى حسن صفاتها وقد لقيته تلك الصبية بأحسن ملتقى بعد ما علقت طرف قفطانها فى دور زنارها فأفسدت قلوب عشاقها مع زنارها وقد برزردفها فسار مثل التل العالى وسيقانها مثل أعمدة الرخام من لطافة قدم وحلاوة أعطاف وسرعة انعطاف ويعجز عن وصفها الوصاف وهى قد أقبلت واستقبلت سيف الحنيفية والبطال بنفسها وأخذتهم ورجعت بهم وهى بين أيديهما كانها البدر فى كبد السماء وأردافها تتلاطم من ورائها كانها البحر العجاج أو مثل القباب العاج وذوائب شعرها مثل الليل الداج بفصوص من الجواهر الوهاج (قال الراوى) فلما أن رأى البطال إلى ذلك الحسن والجمال فصار يسبح الله ذو الجلال وقال والله أننى لم أرى مثلها فى زمانها فسبحان من بالحسن زانها ثم إن الجارية أجلست سيف الحنيفية على سرير كبير وعليه مرتبة من الديباج محشية بريش النعام وجلست إلى جانبه وأجلست البطال إلى جانبها الآخر وقالت لأجل عين تكرم ألف عين فقال البطال أنا أعرف من نفسى أنى طفيلى وأنا اليوم زحمة بلا رحمة فقالت له الجارية أنت رحمة ونعمة إن توسطت بيننا واسطة يكون فيها قياده فقال أبو محمد أنا أكثر من القيادة ما أعرف فقالت له الجارية اعلم أنى أنا ما يحتاج جمالى إلى ذلك لانه يقود الابطال ولو كان فيهم أبو محمد البطال العيار المحتال (قال الراوى) فلما أن سمع أبو محمد منها ذلك المقال تغير وجهه وقال والله إن عرفتنى هـذه الجارية كانت تعمل على القبض علينا ولقد فرطنا فى أنفسنا هذا وقد بان الخوف فى وجه أبو محمد البطال فقالت له الجارية لما أن رأت تغيره أنتم فى أمانى ولو قبضنا عليكم مانقت عساكر المسلمين منكم ثم أنها بعد ذلك أمرت بإحضار الطعام فحضرت مائدة من الديباج الاخضر عليها تصاوير الذهب والفضة وفيها من الطعام الخاص أنواع من اللحم والدجاج وغيره من الحلويات ثم أنها تقدمت

إلى المائدة وقالت لهم تقدموا ودونكم والأكل وأكلت قدامهم فعند ذلك تقدموا وأكلوا أكل العرب لأن أكلهم يوجب الطرب ثم أنهم أكلوا وأنهم باركت الجارية لهم وقالت لهم كلوا هنيئاً وطيبوا قلوبكم فوحق المسيح ما فيه من لحم الخنزير شيء وأن لي نحو من عشرة سنين ما أكلت لحم الخنزير وإن كانت حكماؤنا تصفه لنا وأنه أصل مذهب النصارى وإنما أنا بغضته لسماجة وجهه وقبح ظاهره وأنه لا يمتنع من أكل الأقذار وإن كان في القياس بمنزلة الدجاج عند الروم في جميع البلاد وإن كانت الدجاج تأكل الأوساخ فليس المثال لأن الدجاج يمكن حبسهم في الأقفاص وأنا لا آكله إلا بعد أن أحبسه أربعين يوماً لأنه ما يسمن في أقل من ذلك ويكون قد نظف من جميع الأوساخ الذي ينفر الطبع منها فقال لها البطال نحن ما علمنا أن الحكيم جالينوس معنا فقالت له أنا هو ذلك ولكن أثبت المرض حتى نداويه فقال لها اعلمي أن هذا المسكين قد أمرضيته فداويه فقالت له إذا أخرج الطعام رفع الكلام فعند ذلك أكلا إلى أن اكتفيا هذا وقد غابوا عن صوابهما لما عاينوا من ظرافتها ولطافتها (قال الراوى) ولما أن اكتفوا من الطعام رفعوه ثم غسلوا أيديهم وبعد ذلك ادعت بالشراب فحضرت لها الجوار البواطي من البلور وكاسات من الجوهر وقوارير من الزمرد الأخضر وأواني من الذهب الأحمر ومن الفضة البيضاء والشراب كأنه دموع المهجور ممزوج بماء الفراح وماء الورد فيه فقال سيف الحنيفية أيتها السيدة اعلمي أننا قد وافقناكي في جميع ما دعيتينا إليه وقدمنا عليه وهذا الخمر حرام علينا فقالت لهم واعجباه كلام نبيكم يدل على أنه حكيم عالم فكيف حرم هذا الخمر الذي يعدل الحرارة الغريزية وتجري في مجاري اللبن وتدفع مضرة السموم وتجلب لذة النوم وتقوي المعدة على الهضم وتعطي لشاربها السمن بعد السقم وتفتح المجاري المسدوده وتذهب فضلات المعدة وتذهب كدر البدن وتنفي الهموم وتزيد في الفهم وتجلي الصدا عن القلب وتزيد في التدبير والحكمة ولكن لا أشير عليكم إلا بما يحل عندكما للشارب وقد قال القائل (وللناس في ما يعشقون مذاهب) ثم أنها ادعت بجارية من جوارها وقالت لها ويحك هاتي ماعندك فغابت ساعة وقد عادت ومعها ثلاث جوار يحملون أطباق من الفضة وفيها كاسات من ذهب أحمر ووضعوها بين أيديهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما أن وضعت تلك الأطباق قالت الجارية هذا نبيذ التمر ومحله من العراق وهو الذي وقع عندكم فيه الخلاف وهي ثمرة طيبة وما ظهر المحرم منه إلا ما يسكر فاشربوا منها وإذا تمت النشوة ومازجت عند ذلك أسراركم وعملت في قلوبكم وأرادت أن تحتوي على عقولكم فامتنعوا من ذلك الشرب بالقدح وقد زال عنكم

السكر وسلتم من الذى يوجب عليه الحد وهذه الآنية الآخرى فيها المثلث وهو شراب العنب وقد طبخ على النار وزال عنه الحرمة لأنه قد ذهب ثلثه وقد بقى ثلثيه وفيه من سائر العقاقير والطيب والفواكه وهو يشرب من الأنهار التابعة وهو يذهب السقم والهموم وهذه الطاسة الأخرى ففيها شراب التفاح وهو شراب الراحة وراحة الأرواح فدونكم واشربوا منه ما شئتم (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد البطال وسيف الحنيفية ذلك المقال والخطاب وما قد وصفت من أنواع الشراب تحيروا من ذلك الخطاب الخاطر والعقل الوافر والحسن الباهر والوجه الزاهر الذى سلب العقول وتركها فى عقال عند بلوغ الآمال فعند ذلك قال لها ياراحة الأرواح إذا كان ولا بد فنشرب من شراب التفاح لأنه لنا مباح ونحن نفديكى بالأرواح (قال الراوى) هنالك دارت الأقداح والكاسات بتلك الأرواح وكانت الجارية يقال لها زنانير وهى إبنة صاحب القرية هذه وأنها لم تزل تدور عليهم بالكاسات والطاسات إلى أن عملت الخمرة فى أبدانهم وطاف السرور عليهما فعندها أخذت القانون وقالت لهم اعلموا أن هذا القانون للروم وأنا أحسن أضرب به وأضرب أيضاً بالعود وهو للبغاددة وبالعشارية وهى للمصريين والاسكندرانيين والداريكة وهى للشاميين وبالجنك وهو للعجم وبالطنبور وهو للترك وبالكمنجا وهى لليهود من الروم فأى شيء تشتهيان اضرب عليه وأغنى لكما به فقال البطال لسيف الحنيفية هذا وهى بنت بكر ما خرجت قط من بيتها فقال سيف الحنيفية أن هذا العجب ثم أنه التفت وقال للجارية اعلمى أن كلما وصفتيه سمعناه ولا بد من سماعه منكى ولكن ابدئى لنا بهذا القانون لأننا قط ما سمعناه ولا عرفناه (قال الراوى) فلما أن سمعت الجارية هذا الكلام أخذت القانون وجست منه الأوتار فارتجت الاقطار وحارت الأفكار وتراقصت لها الأطيار وطاشت الأخطار وحلت الأسرار وغابت الحضار وغنت بصوت يحير اللبيب القمهار وتغامزت بعيون تسلب بها قلوب الحضار فطاشوا وكان السكر فيهم قد طل من رؤية الجوار الحسان الابكار فكان الغيم قد دمعت عيون بمزن الأمطار والربيع يضحك من ثغور الانهار وقد وافق السرور والفرح ذلك النهار هـــذا وأن زنانير تنحنحت وغنت بصوت ندى يطرب الهزار وقد وافقه حسن إيقاع الأوتار فأشارت تنشد وتقول :

سقى الغيث دار جمعنا بهـــا   حبيب من البر فيها حضر
فلله درك من حاضر   كثير الحياء إذا ما خطر

ترى منـــه ما لا يرى مثله   إذا أنت جـددت فيه النظر
وقد صاغت السحب ينـــابع   وسبحت على الارض دار المطر
وقد أظهر الزهـــر ألوانه   فما أطيب الزهر لما ظهر
وقد ســـتر النبت من حسنه   من الارض ما لم يكن يستتر
وكـم للنصارى وجوه غدت   بأنوارها مخجلات القمر
كأن البساتين من حولنا   مقـلدة بعقود الثمـــر
وقـد ستر الغيث ياقوته   من الدر ورد ولما اشتهر
يلى كم هنا لك من بلبل   يبلبل عقلى إذا ما صفر
رياض يحركها ريحها   على الاصطباح إذا ما خطر
وفى كل يوم لنـا مطرب   رخيم العنـا مليح الوتر
وفيها تغنى لصب شذا   تغنى صبابته ما دثر
فان حسن زامره قـد حكى   زنانير أحداقنا إذ زمر
وبكر يدور بنهل المدام   من الراح عند أوان السحر
عقار ترى جمرة بنيرانها   تطير إلى الـكاس مثل الشرر
وفى زمن البرد بعـد السقام   وأشهى من الغمض بعد السهر
فديتك يا صاح من زائر   لقلبى على غفلة قد أسر
وأنى أخاف النوى بغتة   لان الفراق هلاك البشر

(قال الراوى) هنا لك طاب قلب سيف الحنيفية والبطال وتقطعت منهم الاوصال وصاروا من جملة المقيمين وما منهم إلا من اشتاق إلى الوصول والوصال ونسيوا عساكر المسلمين وسائر الامراء أجمعين ولم يزالوا على طرب وهى تضرب بالقانون إلى أن أقبل الليل بالاعتكار فأمرت باحضار الشمع فأحضرت فى عاجل الحال وأحضرت أنوار من الذهب الاحمر فيها شموع مكوفره بالعنبر وفيها فتات المسك الاعطر هـذا وقد زاد وجه الجارية نور على ذلك الضوء والنور فأقبل سيف الحنيفية على البطال وقال يا أبو محمد هل رأيت قط مثل هذا اليوم فقال له لا والله أن تم إلى آخره وسلمنا من الصفع فما هو إلا ألف طيب ولـكن أنا أعلم أن هذه الاشياء التى نحن فيها ما تخفى على الملك أبو الجارية وأن فى القلعة زهاء عن مائة ألف فارس وراجل فقال له سيف الحنيفية طيب قلبك فما يكون الا الخير وأنا أشتهى لو دفنونى فى هذه الدار (قال الراوى) ولم تزل الـكاسات تدور على وجوه مثل البدور وقد وضعت نوافش المسك الزجاج من

فوق جمر النار والكافور فانعقد أيضاً دخانه مع البخور ودارت كاسات السرور وضربت الأوتار فجاوبتها الأطيار هذا وقد صاحت الجارية ورفعت صوتها وغلب عليها السرور بذلك الصوت الذى يحير العقول :

نحن فى روض نضير ... بين نبت وحبور
وخدود من أقاح ... وقباب من بخور
بين سحب من كؤس ... وبروق من ثغور
نزهة من كان فيها ... كان فى كل السرور
فاسقنيها الآن وأنشد ... لى على وجه البدور
أنا مأسورة حق ... وعجيب هو أسير

(قال الراوى) ولما فرغت الجارية زنانير من ذلك الانشاد ازداد سيف الحنيفية هو والبطال طربا وازدادوا على سرورهم طربا ثم أن الأمير سيف الحنيفية التفت إلى الملكة زنانير وقال لها : يا منية القلوب إننا قد سمعنا نغمتك على القانون وإننا نريد منكى أيضاً فى هذه الساعة تعملى لنا شغل على الباب الكبير وهو المربع الذى للعرب والمغاربة فقالت له سمعاً وطاعة ثم أنها شالت القانون وأمرت باحضار المربع ولما أن حضر إلى عندها أخذته وشدته وقد علكته وضربت عليه وأشارت تنشد وتقول هذه الأبيات :

خذنى اليك فدتك النفس ياأملى ... أنا قتيل العيون البابليات
وضمنى ثم كن للوصل مغتنما ... قبل الصباح على فرش المسرات
أن نلت منى وصالا عشت منتصراً ... مع العدو ولم يبلغ اراداتى
وحين يذهب هذا الليل قم عجلا ... من الصباح لتبدو بالتحيات
ودر كؤساتنا الأولى بخمرتها ... وزفها بين تلك المطربات

(قال الراوى) ولما فرغت الملكة زنانير من شعرها طرب سيف الحنيفية والبطال وقال له اعلم يا ولدى أن هذه الجارية تريد القرب منك فقال له ما هذا وقت المغانجة هذا وقت المنادمة ولا بد لى ما أسمع منها جميع أنغام الآلات ثم أنه التفت الى الجارية وقال لها يا منية القلوب ما هذا وقت نوم انما هو وقت سرور راغتنام حبور ولكن ها قد سمعنا الرباب ولكن بقى شىء وهو القدح الرباب الصغير وهو لأهل العرب العربا أصحاب الشعبة والحربا فقالت له سمعا وطاعة ثم أنها قد ادعت بقدح من الرباب فأتوها

الجوار بما طلبت فأخذته وجسته وضربت عليه وأشارت تقول :

يا سيف أنت جئت للانشراح فاسمع كلامى ما على جناح
يا سيف أنت جئت لأجل الطرب فاستمع منى معانى ملاح
وأننى أضرب معانى عجب على الربابة وأحب الفصاح
ياسيف جميع الضروب غدت عندنا أدرى طوالعها بضرب ملاح
وفى الحسينى تلتقى لى فنون وحركة مع رمل تبدى الصلاح
سيكا نواه عشاق عشق المليح وفى الحجاز أرصد لوصل الملاح
وادرى الجزل وادرى جميع البحور من كان وكان أنظم الى الانشراح
يا سيف أنا جئتك وعندك أقيم أكون جليسك فى المسا والصباح
هل لا بترضانى أكون خادمة ولا أعود يا صاح من غير جناح
ادامك الله فى هنا مع سرور ما طار طائر ثم هبت رياح

(قال الراوى) ولما أن فرغت زنانير من ذلك طرب البطال وسيف الحنيفية وقال والله أننى جميع البلاد درتها وعاشرت سائر الجنوس فما رأيت مثل هذه الجارية الرومية ولا مثل فصاحة لسانها ثم أن سيف الحنيفية بعد ذلك قال لها اعلمى أنه بقى عليكى الطنبور وسماعه فقالت سمعاً وطاعة ثم انها ادعت من ساعتها بالطنبور فأحضره لها فأخذته وشدته وأشارت تنشد وتقول :

يا منية القلب والأحباب والناس هل فيكمو من يكن من بعض جلاسى
ويدخل الحانة الكبرى ينادمنى على الدوام ويشرب رائق الكاس
لأنها حضرت جاد الزمان بها وليس يحضرها هم ولاباس
وليس فيها غير اللهو مع طرب وكل وجه يضاهى ضوء مقياس
هى حضرة العز للتنزيه قد جعلت أكل وشرب مع المنثور والآس
انى حلفت بمن أجرى البحار ومن رفع السماء وأرسى طودها الراسى
اذا دخلها محب لم يرى كدر ما غير بقى الحب مع تدوير للكاس
والحب جالس ما بين الشموع وقد عوذته بالاله من شر وسواس

(قال الراوى) فتعجب البطال من ذلك وحار وأماسيف الحنيفيـة فانه غاب عن الوجود وبقى حاضر فى صورة مفقود هذا والملكه زنانير تنظر إليه وإلى ماجرى عليه فاتت إليه وقبلته فى شفتيه فلما ان أحس بها أفاق من غشوته وعاشت روحه وقال لها يامـلكه قد سمعت الطنبور فاسمعينا الضرب على الجنك فقالت سمعـــا وطاعه ثم ادعت بالجنك فاحضر إلى بين يديهـا فاخذته وانحنت عليـه وجست منه أوتاره وسارته وضربت عليه وحنت إليه ومازالت تزغزغه بأنامل لطاف وأشارت تنشد وتقول هذه الأبيات :

سلامى على من قد حضر فى مقامنا   ويفهم اشارتنـا ويفهم كلامنـا
ويشرب مدامتنا ولايك هايبـــا   ويجلس لحضرتنـا ويأكل لزادنا

(قال الراوى) ولمـا ان فرغت من شعرها طربوا الحضار فقال البطال ان هذا شىء نفيس فقال سيف الحنيفيه نحن نريد منـكى الصنطير فقالت له سمعاً وطاعه ثم انهـا قد ادعت به فأحضروه لها الجوار فأخذته وأصلحته وضربت عليه طرق عده ورجعت إلى الطريقة الأولى وأشارت تنشد وتقول هذه الأبيات :

الخمر قد نطقت باللفـظ متضـح   لاتشربن مداما غـــير فى الصبح
والنـاس أنطق ممـا فاض منحتـه   فى الصبح مثلى كم قد صار منطرح
والصبح أحسن شىء فى الصبوح ترا   كم من طريح به من غير ذى جرح
فانمـا الخمر تحكى فى زجاجتهـــا   فيها السرور ومنهـــا يظهر الملح
لـكن مزاقتها عز وحضرتهـا   تبدد العقـــل حتى المرء ينفضح

(قال الراوى) ولمـا ان فرغت من شعرها قال البطال لسيف الحنيفيه والله ان هذه قد سلبت عقولنا بحسن كلامها وطيبة ألحانها وماتركت لنا عقول فدعنا من هذا وسيربنا إلى أهلنا من قبل أن نعدم حواسنا فقال له . سيف الحنيفيه اعلم ياعماه انى مابقى لى قوة أن أسير وأترك هذه الجاريه لـكن دعنـا نقيم إلى الصباح وننظر مايكون ونسمع منهـا غناها على بقيـة الآلات ثم ان سيف الحنيفيه التفت إلى الملـكة وقال لهـا اسمعينا مابقى عندكى من الآلات فقالت له وأى الآلات تريد فقال لها الـكمالجا فقالت للجورلىائتونى بالـكمال جا فما كان غير قليل حتى أحضرت كال جا من الأبنوس مطعمه بالجوهروالعاج وأيضا الفصوص من الذهب الوهاج فأخذتها وسارتها وضربت عليها طرائق ورجعت إلى الضرب الأول وأشارت تنشد وتقول :

لم يكن يشرب شرابى   غير صنديد مهـاب

فاسقنى بنت الحميـــا — طعمها يحكى الشراب
بين ليـــل ونهار — عند ترحال الضباب
وسط غادات تراهم — لامعات كالقبـــاب
فـــكانى فى هواهم — ميتـا غائب صوابى
كل من يهوى حبيبا — يحتمل كثر العتاب

(قال الراوى) ولمـا أن فرغت من شعرها طرب سيف الحنيفيه والبطال طربا عظيما وقال له قد سمعت ماقالت وقد تركـنا أشباح من غير أرواح واعدمتنا الصلاح فهل بقى لك شىء غير هذا فقال له سيف الحنيفيه نعم فقال له أعلمها به لعل أن تسمعنا إياه فانه والله ان هذه الجاريه ماتركت لنا معقول ولا لسان إلا من ذلك الشراب والسماع محصول فعند ذلك التفتت زنانير إلى البطال وقالت له ماهذه المحاوره والمجـــادله بينكما أما أمنت لـكم وحلفت بأعظم الايمان ونحن مانؤمن ونخون ولوأراد غيرى ذلك مايكون فاتركوا عنكم الغبون فقال لها سيف الحنيفيه يامنية القلب مانحن فى تلك الأمور وإنمـــا قال لى هل بقى شىء من الآلات غير هذا فقلت له نعم وهو الدف والمزمار فقالت الجاريه هذا هين قوى ثم انها ادعت بالدف والناى فأحضروه لها فأمرت بعض الجوار أن يجلسـوا ويضربوا المزمار فضربوا بالمزمار وبعض الجوار بالدف هذا وهى قد أخذت فى يدهادف وضربت به هى والجوار ساعه إلى أن أذهت عقل البطال هو وســـيف الحنيفيه وغابوا عن الوجود وصار كل واحد منهما لايعقل على نفسه فعندها أشارت تقول :

لذة فى العشق مابى — من بكايا وانتحابى
وأسرنى مارحمـــنى — وسقمنى بالعذابى
وترك فى وسط قلبى — حر نار بالتهابى
ودموعى من عيونى — هاطلات كالسحابى
ليس يبرى السقم منى — ثم يذهب كل مابى
غـير صهباء سلاف — طعمها يحكى الشراب
بين عذرا شبه حور — فى قصور كالرضابى
حين تنظرهم تراهم — سلبوا روح الشباب

(قال الراوى) ولمـا ان فرغت الملـكه زنانير من شعرها طرب ســـيف الحنيفيه والبطال وقد زادوا سروراً واقبـال وقد دارت عليهم الـكاسات والطاسات فقال سيف

الحنيفيه ياملكة الزمان بقي العود لنسمعه منكي ونتلذذ بسماع منطقكي وأعلمي اننا بحكمكي وقد بقينا في أسر حبكي فقالت له على الرأس والعين سوف أسمعك شيء ماسمعته قط من الناس ولا في مجلس بين الجلاس فقال لها البطال والله انكي حافظه من جميع الفنون ولكن من أين لكي هذه الأمور فقالت له ان لهذا سبب وهو من العجب وهو أن أبي أنفذ إلى ديار مصر واشترى منها الجوار الحسان من الحبش والسودان وهم من أصحاب الطرب وقد أرسل المال الجزيل مع بطريق كبير بجميع الأمور خبير فاتفق لهم عشرة جوار ليس لهم مثال فأتى بهم إلى هذه الديار وقد تربيت بينهم وتعلمت منهم ذلك كله وهاأنا قد فقت الجميع أيضا بالفهم واني صرت في ذلك الفن مفرده وهذا سبب ذلك ثم انها بعد ذلك ادعت بالعود فأتوها تعود محكوك مبرود صنعته بلاد الهنود فأخذته وافتقدت ملاويه وصارت بأناملها تداويه ثم انها ضربت عليه ضربا يحير أبناء العقول وأفردت عليه نقار ليس يفردها الا من يكون لبيب ثم انها بعد ذلك أشارت تقول :

أقول وقد سارت عن النوق نوقها ... وحادى النيا من شوم بختي يسوقها
وعج بالمطايا نحو رملة عالج ... فللنوق فيها معشبات يروقها
وبين ضلوعي من فراق أحبتي ... جحيم تلظى نارها لاأطيقها
أنخها فمن دمعي لها مايكفها ... ورودا وإن شاءت فمنه خلوقها
عليكي سلام الله مالاح بارقا ... وما لمعت في الخافقين بروقها

(قال الراوى) ولما ان فرغت من ذلك الشعر والنظام غيرت الضرب بالعود وذلك على غير نغمتها الأولى وأشارت تنشد وتقول :

زهر النجوم وزهرة الازهار ... وضيا الهلال وحضرة الاشجار
وضيا الشموع محا وجنة ليلنا ... حتى محا للنور عاد نهار
فاجلى كؤوسا بالمدام وديرها ... لتقابل الانوار بالانوار
وغنا الطيور على الغصون مجاوبا ... يتحرك الاثمار في الاشجار
قسما بفرط صبابتي وتلهفي ... ومحبة في القلب تشعل نار
وشنا النسيم مبشر أبو صال من ... نهوى فقد أنبا بقرب مزارى

(قال الراوى) ولما ان فرغت من ذلك الشعر والنظام قام سيف الحنيفيه على حيله من طيب ألحاظها ولين كلامها وحسن وجهها وسحر طرفها صاح والله ان هذا مليح ثم انه وقع على الارض مغشيا عليه فقال البطال استوت النوبه وهو هذا البطل الذى هو رفيقنا

قد وقع من غير قتال فكيف حال المسكين البطال لانى والله ماأقدر أدفع عن نفسى بعض هذه الجوار وأنا فى حالة العدم من شرب هذا العقار لان مامر بى قط مثل هذا النهار (قال الراوى) ولما ان نظرت الملكه زنانير إلى ماحل بالامراء ادعت بماء الورد وماء الخلاف ورشت من ذلك الماء ورد على وجهه وشممته المسك والعنبر وكبسته بأيادى لطاف ومازالت تكبسه حتى أفاق وماأفاق إلاوقد تغير لونه وأصفر كونه هذا وأن الملكه قد ادعت فى عاجل الحال ببدله من الجوهر تسوى ملك كسرى وقيصر وقدألبستها للامير سيف الحنيفيه وكان سيف الحنيفيه كما ذكرنا كانه البدر فى الكمال وأحسن فى الجمال ولما ان لبسها زانته وزانها فقال له الأمير أبو محمد البطال أيها الأمير فما بقى يعوزك الاشد الزنار فضحك سيف الحنيفيه وقال له اعلم ياأبو محمد ان هذه الجاريه قد ملكت قيادى وقد خطفت فؤادى فقال له البطال اعلم أيها الاميران الذى تشكوه لى عندى مثله إلا أنى أعلم انها ماتحب إلاأنت وأما أنا فقد قنعت منها بالنظر (قال الراوى) هذا وان الجاريه زنانير قد ادعت ببدلة أخرى تسوى الف دينار ومنطقه وقلنسوه من الذهب الاحمر مرصعه بقطع الجوهر والبستها للبطال وعادت إلى ما كانت عليه من ضرب الاوتار ونشيد الاشعار والنوادر والاخبار على حس ايقاع الاوتار وصارت لها الجوار مجاوبات فعند ذلك طاب قلب سيف الحنيفيه والبطال قد صفق بيديه وقد أخذه بعض الملاهى وغلب السرور عليه وقد عملت فيه القهوه وطابت له النشوه فعند ذلك زاد فرحا شديد وأشار يقول :

ولينة الاعطاف مائسة القد	ظلامية الاصداغ مضرجة الخد
إذاغاب عنك الرشد أولتك بالرضا	وان أنت لم تقنع تداويك بالوعد
وإن لمحت عيناك منها بنظرة	تحيرت من حسن المعاطف والنهد
من الغانيات الناعمات ملامسا	تريك كلاما من دجا شعرها الجعد
مهفهفة بيضاء ترنو بطرفها	فتترك مثلى لايفوق من الوجد
ألا قاتل الله الغوانى فكم لهم	قتيل غرام لايوسد فى اللحد
حفظت لهم عهدا قديما ولم أخن	ولكنهم لم يحفظوا فى الورى عهدى
سأقسم بالبيت العتيق وزمزم	وفضل منى والراقصات على نجد
حلفت يمينا لا أخون ودادهم	طوال المدا حتى أوسد فى اللحد

(قال الراوى) ولما ان فرغ البطال من هذه الابيات صاح سيف الحنيفية وقال صدقت ياأبو محمد فيما قلت عندى خمسة آلاف دينار على إنشادك هذه الابيات وبعد هذا والله ما

أقدر على مكافأتك فى مثل هذا المقام فلما ان سمعت الجاريه هذا الكلام وثبت قائمة على الاقدام وأقبلت على البطال وقالت له بحق دينك أنت أبو محمد البطال فقال لها أى وحق الملك المتعال وهذا سيف الحنيفيه ولد الامير عبد الوهاب ومهما شئتى الساعة فاصنعى فنحن فى أسرك وخدامك فقالت حاشا وكلا والله بل أنتم نور العين والروح التى بين الجنبين ثم انها زادت فى خدمة سيف الحنيفية وتعظيم البطال وطلبت منهم الاعتذار فى التقصير وقالت لهم أنا ماعرفت لكم بمقدار ولكن الحمد لله الذى لم يكن ضيفنا دنيا ولقد صار عيشنا عيشا هنيا ثم انها رجعت الى ما كانت عليه من السرور واللذه والحبور وشرب الخمور (قال الراوى) فبينما هم على الذ مايكون واذا هم بأربعمائة ملبس وبأيدهم العمد والسيوف وقد هجموا عليهم فى تلك الدار وهم ينادون ياويلكم خذوا هذا الذى هو شيطان فى صورة انسان وهو البطال العيار المحتال اللص المحتال فقال لهم البطال أنا حاصل بلا تعب خذوا انتم رفيقى لانه صاحب الأقوال والأفعال لأنى قلت له لاتدخل الى هذه الديار فما فعل وعزلته فما انعزل ولا قبل (قال الراوى) ان كان السبب أيضافى مجىء هؤلاء الرجال ان جاريه من بعض الجوار الذين للملكة زنانير لما سمعت بذكر أبو محمد البطال وان سيف الحنيفية ولد الامير عبدالوهاب خافت على نفسها وعلى ستها لاسيما لما رأت الى قلب ستها مائل اليهم فمضت الى الملك فوجدته جالس متفكر فى نزول المسلمين على قلعته مع علمه ان بلده حصين وانهم ما يقدرون عليه ولا يصلون اليه فبينما هو كذلك وإذا هو بالجارية داخلة عليه وقد صفعت بين يديه وصلبت على وجهها وقالت له يامولاى أدركنا والا ملكت قلعتك وأخذت ابنتك وقتلوا المسلمين أهلك وأموالك وسلبوا نعمتك فلما سمع الملك منها ذلك الكلام قام وقعد وأرغى وأزبد وقال لها ويلك ما الخبر فقالت له أيها الملك نزيل عنك الفكر ولابد من رحيل هذا العسكر فقال لها وما معنى الخبر المنكر فقالت له اعلم ان قد حضر الى عندنا بطل واى بطل وهو ولد الأمير عبد الوهاب امير هذا العسكر النازل عليك ومعه آفة الزمان أبو محمد البطال الذى لايخاف ولا يفزع وكم قد طلبوه الملوك فما وقع والآن فقد أوقعه السيد المسيح بين يديك بلا تعب ولا نصب ومعه ابن أمير المسلمين وقد عملت عليهم الملكه ابنتك وسلبت عقولهم بحسنها وجمالها وقالت لهم انتم ضيوفى ففعلوا ذلك وقد لعب الهوى بهم ومافيهما من يمنع عن نفسه فقم الآن اليهما واقبض عليهم واخمد أنفاسهما وارمى الى عسكر المسلمين برؤسهما واعلم انهم ما أقاموا علينا الا لأجلهم أن يكون هذا الشيطان المسمى بالبطال أوعدهم بفتح البلد وسرقة ابنتك واعلم أيها الملك انه لايقتصر على ذلك ما دامت انها قربتهما وساروا أيضا عندها وفى قصرها (قال الراوى) فعندها نهض الملك قائما على

الأقدام لما ان سمع من الجارية ذلك الكلام وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وصاح فى الخدام فعندها جاءت المماليك والرجال من البطارقة وكل منهم جذب الحسام وشاشوا بين يديه فى ذلك المقام فأمرهم بأخذ العمد والقواضب وان يقصدوا دار ابنته الملكة زنانير ويختلطوا به من كل جانب فساروا وهم فى هرج ومرج وزجره وهدير وهجموا الدار مثل الزنابير وهؤلاء فى السرور وما عندهم خبر من تلك الامور فما أحسوا الا وهم على رؤسهم وكانوا كما قيل فى الأمثال وعند صفو الليالى يحدث الكدر (قال الراوى) ولما أن نظر البطال الى ذلك الحال التفت الى الملكة زنانير وقال لها أيتها الملكة هذا فعل الملوك بالضيوف ولكن قد ظهرت أفعالك ودل ذلك على قبيح أعمالك بخلاف حسنك وجمالك وقد غيرتى ما كان بيننا من الكلام بعد ما أعطيتنا على أنفسنا الذمام فقالت له يا أبو محمد وحق المسيح ماعندى من ذلك خبر ولا أثر وحرمة الإنجيل المطهر وبعد هذا فانهم أذل وأحقر من ان يصل اليكم منهم واصل لا فارس ولا راجل وقد فدتك روحى دونكما ثم انها وثبت قائمة على قدميها وأخذت السيف الذى كان مع سيف الحنيفيه فقال أبو محمد استوت النوبة وهذا والله فعل مليح لأنها ما أخذت عدتنا الاحتى لا يبقى لنا شيء نقاتل به عن أنفسنا ولقد تمت الحيلة علينا ووالله لقد كانت هذه الخليعه علينا من أيشم الخلعات فقال سيف الحنيفيه والساعة يا أبو محمد ما الذى نصنع فى أعدائنا فقال له البطال سوف يبان لك باطن هذه الأمور وعواقبها (قال الراوى) وأن الجاريه لما أخذت السيف من يد سيف الحنيفية جذبته وصاحت على الرجال الذين هجموا عليها وأتوا من عند أبيها وقالت لهم يا ويلكم يا كلاب الروم ما هذا الفعل المذموم فلما ان رأت البطارقه الى ابنة الملك رجعوا عن الدخول الى المكان من الخوف منها لانها كانت عند أبيها عزيزة هذا وقد أخرجتهم من الدار وقالت لهم وحق المسيح لولا حرمة الملك لضربت رقابكم ففروا الجميع من هيبتها وسارت خلفهم بالسيف والجميع يهربوا منها وما زالت خلفهم الى ان اقبل أبيها وقالت له وحق مريم الزكيه لقد سلب عقلك ما حالك وما الذى جرى عليك ونالك حتى أنك أمرت الرجال ان يحملوا على دارى فما أوجب هذا فقال لها ويلك أتدرين من عندك من المسلمين فقالت له نعم عندى أبو محمد البطال سارق البنات وصاحب الحيل المهلكات ورفيقه وهو ابن أمير المسلمين لأنهم كانوا خرجوا من بين عسكرهما لأجل الصيد والقنص يتصيدان فى المرج الأخضر فسمعوا حس السماع وضرب الايقاع فأتوا الى تحت الشباك وقالوا يا صاحبة هذا المنزل أتقبلون الضيوف فقلنا لهم نعم وقد فتحنا لهم الباب فدخلوا فلما رأونى فزعوا وأرادوا الرجوع عن الدخول فقلت لهم لا تفزعوا فأنتم فى ذمامى وذمام المسيح وذمام مريم أم

النور فلما أن سمعوا كلامى دخلوا بعد ذلك الى المنزل وأكلوا طعامى وصاروا تحت ذمامى وما بقى ينالهما سوء أبداً وبعد ساعه يمضيان الى عسكرهما وأنهما قد ضمنوالى أن يتركوا ماأخذوالنا من القرى لاجل طعامنا ولا يمكنوا أحدا من التعرض لنا ولا لبلادنا ويصرفوا عساكرهم عنا وأنهم قد فتحوا مكوريه ولم يتعرضوالنا فاجلس أنت أيها الملك فى قصرك ومحل ملكك وكن آمنا على نفسك ولا تضيق صدرك واجعل لنا عند المسلمين أياد جميلة نكف بها شرهم ونأمن عاقبة مكرهم وأمرهم واعلم أن هؤلاء أعز من فى الأرض عندهم ولو فعلت فيهم أمر بعدها فما كنت تسلم (قال الراوى) فلما سمع الملك منها ذلك الكلام فقال لها ويلك فأنا من أجل هذين الشيطانين أكون على يقين من رحيل عسكر المسلمين ولوأنى قتلتهم كانوا يرحلون وما كنا نحتاز الى مطاوله أبدا فقالت له ابنته اعلم أيها الملك الجليل أن مالك الى أخذهم من سبيل فقال لها الملك وأنتى أيضا قد منعتيهما منى وهمافى قبضتى فقالت له ياأبتاه أعلم أن هذا بعقلك تقوله أم وحى من الغير فقال لها بل بعقلى فقالت له اعلم أن هذا الذى عندك لو علم من نفسه أنه عاجز عن لقاء ألف بطل لما كان دخل الينا ولاقدم علينا ولا كان أخفى نفسه هذا فلقد ذهب عقلك وزاد جهلك ولكن الصواب عندى أن تحقن دما اصحابك ودم إبنتك أما دم أصحابك فمن سطوة شجعان المسلمين وأما دمى فلاجل فسخ ذمامى وما فعلت معهم من أكل طعامى فلا تعجل على أبنتك فى الهوان مع هؤلاء المسلمين وأن سلمت أبقى معيره عند بنات الملوك فقال لها الملك وكيف ذلك فقالت له أعلم أن العرب إذا أعطى الذمام أقل عبد لهم أجازوا ذمامه وأريد أن تجعلنى بمنزلة أقل عبيدهم وأن كنت لم تفعل ذلك قتلت نفسى فى هذه الساعه فقال لها وكيف قدمتى أنتى على هذه الفعال وأضفتى هؤلاء الاقوام وأيش قدر هذا الذى تصفيه بالشجاعة والبراعه وانتى تعلمى أن عبدى شماس الكبير يريد لرأسه سائر عساكر المسلمين فارفعى أنتى يدكى عن هذا الشيطان وأنا أخلى شماس يأخذه فى ثياب الذل والهوان ويمكن منه الحسام الصمصام ويسقيه شراب الحمام ويذيقه الذل والانتقام فى هذا المقام ولوأنه بطل همام (قال الراوى) هذا كله يجرى بين الملك وابنته وسيف الحنيفية يسمع الكلام وقد فهمه كله لانه تربية بلاد الأروام ويعرف بلسان الروم ولما أن عرف ماقالوه التفت الى الملكة زنانير وقال لها بحق دينك دعيه يخرج شماس الى حتى أفرج أبوكى عليه فان قتلنى فهو فى حل من دمى وأنتى أيضا مبرأة من ذمامى وأن تركته بلا رأس فينصرف الملك عنا ويدعنا نتم باقى ليلتنا ولا يقع غير هذا ولا يقطع علينا لذتنا ولا يقرب أحدا منا لان العفاف شعارنا والصيانة دثارنا وقد منعنا أنفسنا عن شهواتها

ونخرج من الدنيا بحسراتها لنفوذ برضاربها ونفرح منه بقربها (قال الراوى) وكان سيف الحنيفية يكلمها بالرومى حتى تفهم أبوها مايقول فالتفتت الى أبوها وقال له رضيت بما قال وما قالت لأبوها ذلك الكلام إلا وهى خائفة على سيف الحنيفية من شماس لما تعلم مافيه من شجاعة وقوة المراس لانه كان يقطع الطريق فى بلاد الروم وقد ملك قلاع كثير وحصون فعند ذلك قال أبيها رضيت فالتفتت الى سيف الحنيفية وقالت له وحق المسيح انا ما أسمع منك ذلك ولا أسمح لك بالخروج اليه لانى أخاف عليك من غدره ومكره فقال لها سيف الحنيفية أقسمت عليكى بحرمة الزاد الذى أكلناه عندكى الا ماسمحتى لى بالخروج اليه ودع أيضا يكون الملك معه (قال الراوى) فعندها فرحت زنانير بهذا الكلام وقد علمت انه فارس همام وبطل ضرغام فقالت له ما أمنعك من الخروج اليه ولكنى أعرف من شماس ما لا يعرف أحد غيرى هذا ولما ان سمع سيف الحنيفيه منها ذلك الكلام قال لها سوف ينكشف لكى الحال ثم انه وثب فى الحال كانه أسد ريبال وأخذ السيف من يدها وأدار أذياله فى در منطقته وقال أين شماس

تم الجزء الخامس والخمسون ويليه الجزء السادس والخمسون

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر

والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج

وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقاني وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر الوعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس والخمسون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كاوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما رأى الأمير أبو محمد البطال سيف الحنيفيه أخذ السيف وقال ابن شماس التصـــق إلى الملكة زنانير وقال لها والله ما يصلح لكى زوج سواه أنظرى إلى رشاقته وحسـنه وشجاعته فقالت له يا أبو محمد وحق المسيح ما كنت معوله إلا على هذا فقال لها أبو محمد هذا ما يتم لكى إلا ان دخلتى فى دين الإسلام فقالت له اعلم يا أبو محمد انى قد أسلمت وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انها قالت اعلمنى يا أبا محمد ان كان سيف الحنيفية يقدر على شماس وإلا أدبر على قتل أبى وأعمل على خلاصكم واسلم هذا الحصن اليكم فقال لها ابو محمد طيبى نفساً وقرى عيناً فما تباتى ليلتك هـذه الا وأنتى فى حضنه حلالا طيباً ولكن دعينا الساعة حتى انه يكفينا شر شماس واعلمى انه به مليا وبقتاله وفيـــاً وكذلك كل من فى الحصن ان كان ما يصعد الينا من البلد احد فقالت له اما المدينة فهى بمعزل من القصر والأبواب مغلقة والمفاتيح كلها عندى وليس فى القصر غـــير هؤلاء البطارقة الذين تراهم ولا هنا سواهم

(قال الراوى) فبينما البطال والملكة زنانير فى الكلام واذا بشماس حمل على سيف الحنيفية من غير كلام وقال له دونك والصدام فعند ذلك تقدم اليه ووقع بينهما الصدام والمضاربه والالتزام قال أبو محمد فنظرت الى شخص شماس وهو كأنه الجمل الهائج والزبد يطير من أشداقه كأنه القطن المندوف نخفت على سيف الحنيفيه منه وقد تقدمت الى الشـباك أنظر ان كان لى طريق ينجينى الى الهرب فقال له سيف الحنيفية لا تفزع يا أبو محمد وانظر العجب ثم أنه مال على شماس ولم يطل الخطب بينهما حتى أنه أتعب شماس ونظر من نفسـه أنه قد عدم الحياة والأياس وان فتر وغفل عن روحه سار بدن بلا

رأس هذا وان سيف الحنيفيه جاوله ساعه حتى عرف ما هو عليه من الشجاعه فضايقه ولاصقه حتى سد عليه طرائقه وضربه بالحسام أطاح رأسه عن الهام (قال الراوى) فلما ان رأى الملك الى عبده قد قتل ضاقت منه الأنفاس وانهد منه الأساس فأمر لمن معه من البطارقه ان تحمل على سيف الحنيفية من سائر الجهات فعند ذلك دنت المرهفات الى سيف الحنيفيه فضرب فيهما ضربات وافيات وما كانت غير ساعة حتى بطح منهم سبعين فارس وكل واحد منهم كانه الفتيق فعند ذلك قالت الملكة زنانير يا أبو محمد كيف تدع الأمير سيف الحنيفية يقاتل وحده وأنا أعلم ان المسلمين كلهم أبطال فقال صدقتى ايتها الملكة ان جميع المسلمين كما قلتى كلهم أبطال الا أبو محمد البطال ماله نصيب أيضاً فى القتال لأن اسمه البطال ولكن اعطينى المفاتيح الذين هم لباب السر لأنى أريد أن أغتنم الفرصة عند غفلتهم وسوف تنظرى العجب (قال الراوى) ولما أن سمعت زنانير بنت الملك من البطال ذلك المقال كانت كأنها نائمة واستيقظت فقامت وأتت الى صندوق كان الى جانبها وفتحته وأخرجت منه المفاتيح وقد سلمتهم لأبو محمد البطال وهو لايصدق بذلك هذا ولما أن أخذ المفاتيح نزل من القصر وأتى الى باب السر الذى طلعوا منه وفتحه وسار منه الى ناحية صوب المسلمين وما زال سائر الى أن وصل الى الامير عبد الوهاب فبينما هو سائر اذا به يرى خمسين فارس من المسلمين الابرار وهم دائرين حول الاسوار وقد سمع بعضهم يقول والله ان هذا الذى تم على سيف الحنيفية ما كان الا من أبو محمد البطال وهو الذى طرقه الى هذه الاهوال فتبين البطال المتكلم واذا بها الاميرة ذات الهمه وهى سائرة ومتكلمه ونظر البطال الى الذى هو بجانبها واذا الامير عبد الوهاب (قال الراوى) ان كان السبب فى ذلك غلام سيف الحنيفيه لانهم لما أن أمسى المساء أيسوا من سيف الحنيفية لما أن دخل الى القصر ولم يخرج اليهم من ذلك المكان أحداً لاهو ولا أبو محمد البطال فرجعوا الى العسكر وكان الامير عبدالوهاب قد طلب أبو محمد البطال حتى يشاوره فى أمر البلد فلم يجده فسأل غلمانه عنه فأخبروه بجلية الحال فلما أن سمع ذلك المقال فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أنه قال فى نفسه ما دخل أبو محمد الى هذه القلعه الا حتى يدبر الحيلة فى فتحها فقالت الاميرة ذات الهمه ان كان سالم فاشتغل قلب الامير عبد الوهاب على ولده والبطال ثم انه فى عاجل الحال استنخب من السودان خمسين فارس مثل قراقد وولده قرقود والكادوم والزلوم وأبو كردوم والسموك والدموك وأبو زربول وأبو الفراطيس وأبو الجراميس وزناق العبد والعرنده والفراح وأبو الرداح وطحطح وأبو القرون والمناطح وطحاطح والابلح

والمسطح وأبو القعقاع وأبو فراقع وأبو فروه وابو الموت والاسبط والارقط والامعط وأبو الركب وملابط البغال وأبو الاشبال وأبو عقلين وملاكم الريح وأبو طبيح وأبو سطيح وطمطم ودمدم وعندم وقشعم وضيغم والادهم وطرطوم الفيل وحامل الزنبيل وأبو الليل ومعرفة الخيل ومشقق المرائر وأبو الكبائر (قال الراوى) فاخذهم الامير عبد الوهاب وسار بهم الى أن وصل الى البلد وصار يدور من حول الصور ولا يدرى ما يصنع وقد قلق على ولده وقد أخذه الفزع وغضب على البطال الذى أخذ ولده وفعل به هذه الفعال (قال الراوى) ولما أن سمع البطال كلامهم نادى وقال أدركونى وخلصونى وادركوا سيف الحنيفية وخلصوه من تلك القضية والضيق واعلموا أنه قد وقع بين اربعمائة بطريق فلما أن سمعوا كلامه بادروا اليه كأنهم أسود الغاب وأتوا نحوه لينظروا حقيقة الاحوال وكيف الخطاب (قال الراوى) فهذا ما كان من أبو محمد البطال وأما ما كان من سيف الحنيفيه فإنه قتل من بعد رواح البطال مائة بطريق تمام وقد تكاثروا عليه ورموه بالاحجار والمزاريق والعمد والحدافات وما زالوا عليه الى أن جرحوه فى مواضع عده وحملوا عليه وقد ضاق المكان بين يديه هذا والملكة زنانير تبكى عليه وصارت قريحة القلب ضيقة الصدر مما نزل عليه فلما أن طال عليها الامر أخذت سيف من سيوف المقتولين وجعلت تضرب شمال ويمين وتحمل عليهم حملات منكرات الى أن قتلت احدى عشر بطريق وأقبلت بعد ذلك على أبوها وقالت له يالعين ياابن الملاعين لادين إلا دين المسلمين وشريعة محمد خاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين فياويلك اسلم تسلم من نار الجحيم فقال لها أباها أخرجك عشقك لهذا المسلم من دين آبائك وأجدادك فقالت له لا والله بل عشقت الخلاص من النار ورغبت فى دين الابرار الذين هم الاخيار لان دينكم هذا دين الأشرار (قال الراوى) فلما أن سمع أبوها قولها غضب من مقالها واغتاظ من فعالها وكان جبار عنيد وشيطان مريد فصاح فيها وجذب سيفه وحمل عليها وأراد أن يوصل الاذية اليها وقد أشرفت منه على العطب وكذلك سيف الحنيفية قصرت همته عن القتال من خوفه على الملكة زنانير فحمل عليها بطريق وقد ضربه بسيفه فأخذها فى درقته وكانت من الحديد الصينى فانكسر سيفه نصفين وصار يضرب بما بقى فى يده هذا والروم قد طمعت فى جانبه ونادوا يا مسلم سلم نفسك تسلم من قبل حاول رمسك وإخماد حسك ويعدموك أهلك وجنسك (قل الراوى) فبينما هم ينادوا عليه بهذا النداء وقد تغلب من كثرة الاعداء وإذا برجل قد ظهر وفى يده سيف مشتهر يطير منه الشرر وهو ينادى

ويقول الله أكبر الله أكبر وضرب فى الروم وكشفهم عن سيف الحنيفيه وهو يقول جاءك الفرج من الله تعالى على يد الأميره ذات الهمه العامريه به هذا ولما ان سمع سيف الحنيفيه كلامها وعرفها عادت إليه روحه وعلم انه نجى مما كان فيه من الضيق هذا والأميره قد حملت على البطارقه وكشفتهم عنه وقد قتلت منهم جماعة وجعلت قصدها إلى الملك فطلع الأمير عبد الوهاب من بعدها وملابط البغال والهدملوس وصاروا يرمون من البطارقة الرؤس هذا وقد ارتفع التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير وظهروا الرجال والابطال الابرار وصعدوا الجميع وطرحوا البطارقه وهم بسيوفهم ماحقه (قال الراوى) فلم تكن غير ساعه حتى بقيت البطارقه رؤس بلا أبدان وأبدان بلا رؤس هذا وقد تقدم سيف الحنيفيه الى الملكه زنانير وأخذ السيف من يدها وهجم على الملك أبوها وضربه صفحا فوقع على وجه الارض فعند ذلك أدركه وبرك عليه وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف فأيقن الملك بالتلاف وأتوا به الى ابنته وقال لها هذا أباكى وهو بحكمك مالنا فيه تصريف فقالت له صدقت ياسيدى ثم انها أقبلت على أبوها وقالت ياأبتاه قل كلمة تنجو بها من عذاب النار فقال لها وماهى الكلمة فقالت له قل أشهد ان لااله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها لما ان سمع منها ذلك أوترضين أنى بهذه الكلمه مع معرفتك وعقلك الراجح فقالت له نعم ياأبتاه فقال لها حيث انك رضيتى بذلك فأنا راضى بما رضيتى انى به لنفسك ثم انه أقر بالشهاده حيلة منه ومكرا (قال الراوى) فتقدم سيف الحنيفية اليه وحل كتافه وقبله بين عينيه وكذلك ابنته قبلت رأسه وقد أعجبها مالفظ به من كلامه ودخوله فى دين الاسلام وهم يظنون انه صادق فى قوله ومايعلمون انه منافق ومارق (قال الراوى) هذا وقد ملكوا المسلمين القصر كله واحتووا على مافيه واعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فعندها سمعوا أهل البلد ذلك النداء فاحتاطو بالقصر من كل جانب وكانوا زهاء عن مائة بطريق ولكن مالهم سبيل الى الدخول الى القصر لان أبوابه مغلوقة وهو حصين فقال الأمير عبد الوهاب الصواب اننا ننفذ إلى عسكرنا حتى يأتينا منهم عشرة آلاف ونفتح هذه الأبواب ونفنيهم بالسيف القرصاب فقال البطال هو الرأى الصواب والأمر الذى لايعاب (قال الراوى) فبينماهم على ذلك الخطاب وإذا بأبطال سادات بنى كلاب قد أتوا فى طلب الأمير عبد الوهاب فعند ذلك دخلوا الجميع عند أميرهم الأسد الوثاب ففتحوا باب القلعه الذى هو إلى ناحية البلد وأمرهم الأمير عبد الوهاب

ان يخرجوا اليهم ولا يبقوا منهم أحد فقال له الملك اعلم أيها الأميران المملوك قد صار منكم وأنى أريد أحمل الشقاء عنكم وأبيض وجهى عند الله وعند رسوله وعندكم أيضا ذلك ان لى فى البلد أقارب والزام ومحبين وهم ممن يسمعون أقوالى ويجيبون سؤالى ويتبعون فعالى وأريد ان تمهل عليهم حتى أخرج اليهم وأجتمع بالعقلاء منهم والا كابر وأشرح لهم ماانفتح لى من البرهان ثم انى أرغبهم فى دين الاسلام والايمان فعل الله تعالى ان يهديهم كما هدانى ويوليهم كما أولانى بفضله فان أجابوا فهو المراد وان أبوا مكنامنهم السيوف الحداد (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب منه ذلك الخطاب فقال له لقدنطقت بالصواب فخرج الملك إلى أصحابه واجتمع بهم فلما ان صاروا الجميع بين يديه سألوه عن حاله فأخبرهم بماجرى له من الامر والاحكام وكيف عمل عليهم الحيله بالاسلام حتى انه يخلص من ضرب الحسام ثم قال لهم والساعه أريد منكم ان تبطلوا القتال حتى أخرج أنا اليهم وأقول لهم ان القوم قد أجابوا كلامى وسمعوا منى وأقول ان قومى دخلوا كلهم فى دين الاسلام ثم انى أدبر الحيله على هؤلاء الشياطين والافالنا بقتالهم من طاقه فقالوا له دبر ماتراه من الصواب وأرحنا من قتال هؤلاء الكلاب (قال الراوى) فعندها رجع الملك إلى الأمير عبد الوهاب وقال يافرسان المسلمين وأبطال الموحدين من فيكم يخرج اليهم ويدعوهم الى دين الاسلام ثم انه يشرح لهم مافيه من القضايا والأحكام ولا يكون إلا من له معرفة فى الدين وخبرة بشرائع الموحدين فقال الأمير عبد الوهاب أن هذا الأمر قريب إذا أنهم طلبوا من يشرح لهم دين الإسلام والإيمان فقد تسهل الأمر وهان ثم أنه التفت إلى الأمير أبو محمد البطال له يا أبو محمد خذ معك من تريد واخرج إليهم فلعل إسلامهم يكون على يديك (قال الراوى) فقال البطال اعلم أيها الأمير أنى سكران من شرب التفاح واعلم أن معى إلى الآن فضلته وما راح وما أدرى ما أتكلم به وأخاف أن يسألونى عن شيء فما يكون على ذهنى حاضر بإصلاح ولكن أنظر من يخرج اليهم غيرى ودعنى أنا ههنا مرتاح فقال الأمير عبد الوهاب وقد اغتاظ والله يا أبو محمد ما أنت إلا شيطان لما أن دعيت للشراب والغناء كنت أول من بادر إليه والساعة لما دعوناك إلى شيء فيه الخير والصلاح أبيت وأننا أردناك أن تخرج تشرح وتهدى جماعة إلى الإيمان أخذتك الحمة الباردة (قال الراوى) ثم ان الأمير اقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها ايتها الأميرة خذى معكى برد بن الأزهر وعشرين امير من امراء المسلمين واخرجى مع الملك فقالت سمعاً وطاعة ثم انها خرجت وخرج معها جميع الأمراء المذكورين وسار الملك بين يديهم وهم

صحبته الى ان وصلوا الى الروم وصاروا فى اوساطهم فأمرهم الملك بالجلوس وكان الملعون قد اوصى البطارقة ان لايكن لهم شغل الا القبض على قوائم سيوفهم فأجابوا الى ذلك ولما ان سار من عندهم الملك اخذوا اهبتهم وصاروا باز على قفاز (قال الراوى) ولما اتت الأمراء وجلسوا فما استقر بهم المقام حتى وقعت عليهم الاروام وقبضوهم قبضاً باليد لانهم قد وقع ايضاً عليهم اقوام جبابرة وقد نزل على كل واحد منهم مقدار مائة بطريق فأخذوهم فى عاجل الحال هذا وقد ثار الصياح فجاء الخبر للأمير ابو محمد البطال فقال هذا الذى خفت انا منه وقلت للأمير عبد الوهاب انا سكران من شراب التفاح وهو يظن ان هؤلاء الكلاب يسلموا ويجيبوه الى ما يريد (قال الراوى) وكان ايضاً سيف الحنيفية قد تخلف بهذا ولما ان علم الامير عبد الوهاب بما جرى على الاميرة واصحابها فتح الباب وخرج بباقى اصحابه الى الروم واخذوا معهم فى الطعان والضراب عند ذلك عملت الصوارم الثقال وقد طمعوا الروم فى القوم المسلمين بعد اخذ الامراء الموحدين هنالك طارت القمم وقام الحرب على ساق وقدم وازدحمت الامم وجرت سواقى الدم وزاد الندم وصار الوجود عدم وحامت عقبان النقم وطار الساعد والمعصم وصاح عند ذلك ضيغم فأجابه طمطم وهدر قشعم ودمدم وجال عليهم ابو الموت وهجم وقد ازورت الحدق واحمرت الامق وعظم القلق ولا بقى لاحد رمق وضاق الخناق وزاد الحنق والجبان أخذه القلق والشجاع إلى الميدان أنطلق وتقدم البطل وعلى خصمه قد انطبق وطارت الرءوس من أعلى العنق وسال العرق وعمل السيف ومحق وطير الرءوس كالورق وتواثبت الاقبال بالسيوف والدرق والجبان قد عميت منه الحدق لما أن مال عليه الشجاع وانحرف وما بقى له رمق (قال الراوى) وما زال السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن أقبل الليل وقد جرت الآدمية مثل السيل فرجعوا عند ذلك المسلمين إلى الخامة وبقيوا أهل البلد وقد قتل منهم ما ليس له عدد إلا أنهم من كثرتهم ما يبان فيهم نقص هذا وقد اشتغل قلب زنانير على الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ومن معهم من الأصحاب وقالت والله أنى أنا علمت أن أبى لما أن أسلم كان إسلامه خديعة ومحال وإنما سيف الحنيفية سبقنى إليه وحل كتافه فتملت قد يكون لاح له ما لا أعلمه أنا (قال الراوى) هذا وأن الأمير سيف الحنيفية قد طلب أبو محمد البطال فلم يجده ولا أحداً من غلمانه فصعب ذلك عليه وكبر لديه وقال ما أخوفنى أن يكون قد قتل فى هذه النوبة فى المعمعة فقالت الملكة زنانير لك الأمان فى هذا الوجه لأنه ما يقرب مكان القتال وأنا رأيته ومعه رأس من بعض رءوس البطارقة

وما أدرى ما يفعل بها فضحك سيف الحنيفية لما أن سمع ذلك المقال وبقى فى قلبه النار لأجل غيبة البطال (قال الراوى) فهذا ما كان من هذه (وأما ما كان) من البطال فانه لما أن رأى الأبطال قد اشتبكوا فى القتال أخذ غلمانه وخرج من القصر وسار إلى البلد وقد تزيا بزى تلك البطارقة الذين فى البلد وقد عمل على وجهه ذقن عريضة كبيرة طويلة مفتولة الشوارب واختلط بالروم فهو كذلك وإذا هو بخمسمائة بطريق وفى أيديهم السيوف والعمد وهم قد أحدقوا بالأمراء من كل جانب وهم مكتفين وسائرين بهم إلى دار الملك ولما أن نظر البطال إليهم اختلط بهم هو وغلمانه وسار معهم كأنه من جماتهم هذا والقتال يعمل إلى الليل ولما أن عادوا من القتال جلس الملك على سرير ملكه ثم أمر بإحضار الأسراء فأحضروهم إلى بين يديه وقد عظم عليه ماجرى على أهل البلد وعلى مدينته لأن الأمراء السودان قد أفنوا منهم خلق كثير فلما أن عاد الملك من القتال وأحضر الأمراء وثب إليهم وقد أدار أذياله فى دور منطقته وشمر أكمامه عن ساعديه كما يصنع السياف هذا ولما ان نظروا الامراء الى فعله فعند ذلك أيقنوا بالتلاف (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا ببطريق وثب من على يمين الملك وقال له أصبر أيها الملك ولاتعجل وأعلم ان قتلهم مايفوتنا لاننا ماندرى مايكون من أصحابهم ولكن نمهل عليهم الى غداة غد وإذا فتحوا الباب وخرجوا أصحابهم يطلبون القتال والضراب اخرج أنت هؤلاء الاسارى وهم مكشفين الرؤس والسيوف على رؤسهم مجذبه وقدمهم الى عندهم وقل لهم وحق المسيح لئن لم ترحلوا عنا وأنتم فى أدب نفوسكم ولا يمد أحدا منكم يده الى قائم سيفه ويضرب به أو يمد يده برمح ضرب رقاب الجميع وبعد ذلك أريد منكم أن تسلمون الحصن بجميع مافيه ولا تأخذوا منه شيء وتسلموا الى أبنتى وتخرجوا من قلعتى وبعد ذلك أسلم اليكم أصحابكم فان فعلوا ذلك وساروا بظاهر البلد ضربنا نحن بعد ذلك رقابهم ونرميهم أيضا برؤسهم (قال الراوى) ولما أن سمع الملك ذلك الكلام أقبل على بطارقته وقال لهم ما الذى تقولون فى قول هذا البطريق فقالوا له وحق المسيح لقد قال الصواب وتكلم بكلام لايعاب لانهم اليوم قتلوا منا عشرة آلاف بطريق لاجل هؤلاء الاسارى وان علموا غدا أصحابكم بقتلهم ماكانوا يبقوا منا أحد ولكن هم إذا سمعوا منا هذا الكلام الذى قاله هذا البطريق يقبلون وما علينا من تأخير هؤلاء القوم الى غداة غد (قال الراوى) فعند ذلك قال البطريق الذى قد أشار عليهم بهذه المشورة ياقوم ان أنتم قبلتم مشورتى سلمت أموالكم وأرواحكم وأولادكم ونساؤكم وبعد ذلك نقتلهم وما يكون علينا من اليمين اثم ولا خطيئه فقالوا جميعا مالنا غناء عن هذا الرأى الذى أشار به هذا البطريق مسرقونه

(قال الراوى) وكان عندهم بطريق جليل يقال له مسرقون وكان قد قتل فى تلك المعمعه التى جرت بينهم أولا هذا ولما ان نظروا الى ذلك البطريق وسمعوا كلامه فظنوا انه مسرقون وكان ذلك البطريق هو الأمير ابو محمد البطال وقد تزيا بزى ذلك البطريق لطفا من الله تعالى (قال الراوى) فعند ذلك ساقوا جميع الاسارى الى بعض البيوت التى فى دار الملك والقيود فى ارجلهم هذا وإن البطال جلس مع الملك على الطعام وهو يقول له ايها الملك طيب واحسن نيتك ففى غداة غد يباتوكلهم فى قبضتك فطار قلب الملك بذلك هذا ولم يزل أبو محمد يأكل معه الى ان اكتفوا وبعد ذلك جلسوا للحديث والكلام فما زال البطال يسامره حتى انه نام هو وخواصه عندها وثب ابو محمد البطال الى البيت الذى فيه الامراء وفتحه ودخل منه وسار اليهم وسلم عليهم وقد فك قيودهم فى عاجل الحال وخلصهم من تلك الاغلال وسلم اليهم سيوف البطارقه وقال لهم قدموا الآن وادخلوا على الملك ثم أقتلوهم وها هو قريبا منكم وانجوا بعد ذلك بأنفسكم (قال الراوى) أن كان الامير عبد الوهاب لما أن سمع كلام الامير ابو محمد البطال كيف انه أشار على الملك أيضا بتأخير الاسارى من القتل فقال للاميره ذات الهمة سبحان من سخر لنا هذا البطريق مسرقون فقالت الاميره ذات الهمة اما الذقن والشوارب فهى لمسرقون وأما الكلام فهو كلام البطال فقال الامير عبد الوهاب أيها الأميره لايحدثك قلبك بشىء من هذا أبدا كيف يقدر أبو محمد على الوصول الينا أم كيف يتحدث مع الملك ويقبل منه كلامه وهذا البطريق هو معروف بينهم عند الملك وعند البطارقة (قال الراوى) وكان البطال لما ان دخل عليهم رآهم فى المحاوره فقال لهم لاتتحاوروا ولا تتكابروا فانى أبو محمد الذى تعرفونه وقد صرت عند الملك الراهب مسرقون فانهضوا الآن إلى هذا الملعون فاقتلوه هو ومن معه من البطارقه وبعد ذلك ارفعوا اصواتكم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين حتى يسمعوكم المسلمين ويخرجوا فى هذا الليل إلى الكافرين ويفنوهم أجمعين فما يطلع النهار ويبقى من الكافرين ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) فلما سمع الامير من البطال ذلك المقال قال لله درك يابطال فانك خبير بهذه الاحوال ثم ان أبو محمد فى عاجل الحال فك الامير من القيود والأغلال وكذلك الاميره وساروا يتلو بعضهم البعض الى ان خلصوا الجميع ثم ان الامير عبد الوهاب أخذ من العده مايختار هذا وقد تعددوا الجميع وخرجوا من ذلك المكان فكان أول من خرج وسبق الى الملك ووقف على رأسه الامير وصاح به فاذعره وقال له أجلس ياكلب النصرانيه وأخس من غمس فى جرن ماء المعموديه فقام الملك وهو مدهوش مرعوش فضربه الامير على عاتقه أطلع السيف يلمع

من علائقه (قال الراوى) وما طلع النهار حتى قتلوا كل من كان عند الملك فى الديار هذا وقد صاح الامير عبد الوهاب وقال ياقوم تأنوا على أنفسكم فقد غلقت سائر الابواب حتى لا ينفلت أحدا من هؤلاء الكلاب ولما أن فرغوا المسلمين من الروم طلع الأمير هو وأصحابه وامه وأبو محمد البطال الى سطح الدار وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فسمعوا نداثهم فكبروا وقد فرحوا واستبشروا هذا وقد نادى أبو محمد البطال وقال له ياسيف الحنيفية فقال له لبيك فقال له اعلم ياولدى ان الأمراء قد خلصوا وقد ملكوا دار الملك فان قدرت أنت على النزول الى البلد وتضع السيف فى كل من فيه فافعل وإن أردتم تقيموا إلى الصباح فنحن نحرس انفسنا الى آخر الليل وارتفاع النهار وطلوع الضوء (قال الراوى) فعند ذلك صاحت السودان وقالوا نحن مانقاتل إلا فى الليل لانه اسود مثلنا هذا ولما ان فهم الامير سيف الحنيفيه ذلك الخطاب فما كان له جواب غير فتح الابواب وخرجت السودان وبنى كلاب ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم ولما أن سمعوا البطارقة ذلك النداء انذهلوا وثاروا من مراقدهم وصاروا فى حالة العدم وكانت لما تارت تارت من خوفها على نفوسها وتبادرت الى حتفها واخماد حسها (قال الراوى) وكانت الروم لما يخرج الواحد منهم من داره لايعرف خصمه الا والحسام يعمل فى جسمه وأجرى عليه الحق حكمه فعند ذلك عملت منهم الصفاح فى الأشباح وأتاهم قلة الفلاح ونادى الشجاع لا براح وصار الدليل يهرب ويطلب الرواح ولا يفرق المساء من الصباح (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الرواح الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وبانت الوجوه الصباح من الوجوه القباح هذا وقد رأت الروم الى أرواحها فى الانتزاح فما كان لهم الا الصياح وقالوا الامان الامان ياأهل الصلاح فرفع عنهم الامير سيف الحنيفية السيف وضرب الصفاح هذا قد ملك المسلمين البلد وأخذوا منها شيء كثير مالا عين رأت ولا أذن سمعت وصار معهم من الغلمان والجوارى شيء كثير وأما الرجال فكانوا خلائق لاتعد ولا تحصى فسير الامير عبد الوهاب ذلك كله مع الف فارس من بنى كلاب الى مالطيه وعول بعد ذلك على الرحيل الى الخليفه وعساكر الاسلام خوفا عليهم من الروم اللئام ولما رأت الملكه زنانير الى رحيل الامير فتعلقت بأذيال الامير أبو محمد البطال وقالت له أيها الامير ماالذى عملت معى فقال لها ياملكه مانرحل من هنا حتى يفرغ حزنك على أبوكى وبعد ذلك يبات الامير سيف الحنيفية على صدرك فقالت له والله أن أبي ماله حزن فى قلبى فلما سمع البطال منها ذلك الكلام أمر باحضار أبو الفرج وهو الامام ولما أن حضر أمره ان يخطب خطبه بليغة ويبرم الاحكام وأن يعقد عقدة

النكاح على الامير سيف الحنيفية البطل الهمام فعند ذلك خطب وعقد عقدة النكاح فى ذلك المقام ودخل الامير سيف الحنيفية من ليلته وقد فض الختام وفعل فعلا فيه لا يلام فى تلك الليالى باكرام وعند الصباح اجتمعت الملكه زنانير بالاميره ذات الهمة وقالت اعلمى أن كلما فى هذه القلعة من ذهب وفضة ولؤلؤ وجواهر فهو لى وما للمسلمين فيه ولا حبة واحدة الالى ولبعلى وأما خزائنه أبى والعدد وسائر ما للروم فكله لكم وليس فيه شىء وهو حلالا لكم (قال الراوى) فلما سمعت الاميره منها ذلك الكلام تعجبت من كلامها وقالت لها نحن ماأسرناكى حتى نستحل مالك بل انتى أسلمتى وآمنتى وقد ملكتى بذلك نفسك ومالك وجميع جواهرك وأنتى فى محل عزك ولا أحد له سبيل عليكى (قال الراوى) هذا وقد بات الأمير سيف الحنيفية على صدرها ثانى ليلة الى الصباح ولما ان أصبحوا أمر الأمير عبد الوهاب بالرحيل فقالت زنانير للامير أبو محمد أيها الامير لم لاتقيموا ههنا عشرة أيام حتى تستريح الناس من التعب الذى كانوا فيه من القتال فضحك أبو محمد من كلامها ورحلوا الناس يطلبون عمورية (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من حديث المعتصم فانه لما أن فارق الامير عبد الوهاب سار بالعساكر الاسلامية طالب مدينه عموريه هذا والعساكر كانها البحر الزاخر وهى سائره تتلو بعضها بعض وهى تتدفق وكان على مقدمتها تسعين ألف أبلق ملاح الحدق صهيلها كالرعد إذا خفق ولمعت دروعهم كانها البرق إذا برق ومن بعدها تسعين ألف أدهم فى لون الغراب الابقع وبقى الجيش فى الموكب كانه رقعة شطرنج عاج وأبنوس تطرب لرؤيتهم النفوس ثم اندفعت العساكر كانها البحر الزاخر وهم على خيول حمر وصفر وشقر (قال الراوى) هذا ولما عاينت الروم تلك العساكر حارت مما أبصرت وذهلت مما عاينت وصارت الروم تنفر من قدام العسكر من مكان إلى مكان إلى ان وصلوا إلى عموريه وأعلموا الملك بذلك الشأن وقالوا له على ماذا عولت أيها الملك فقال لهم على القتال واعلموا أن هذه غنيمه قدساقها المسيح الينا ودفعها لنا من غير ملامه (قال الراوى) وبعد أيام أقبلت عساكر الاسلام وأشرفت عليهم عند غروب الشمس فنزلوا وضربوا الخيام والسرادقات فى الليل على ضوء المشاعل وباتوا وهم معولين على الحرب والكفاح ولما ان كان عند الصباح فتح باب عموريه من غير مراسله ولا مخاطبه وخرجت عساكر البلد الكافرين وحملت على عساكر الموحدين وفى أوائلها مرطاووس هذا وقد صاحت الرهبان والقسوس وحمل الفارس العبوس وكفروا عبدة الناقوس بالملك الديان القدوس وقد اشتاقت أهل الايمان إلى الضرب والطعان ونادوا باسم الواحد المنان الذى ليس له ضد ولا ند وهو يعلم

بما يكون وإذا قال للشيء كن فكان هذا وقد عمل الصارم اليمان فى جماجم الفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وشابت من هول تلك المصائب الشبان وقد حامت عليهم كواسر العقبان وحملت الفرسان والشجعان وحملت الروم على الاتراك فالتقتها الارمن والترك بالسهام وحملت الديلم على الرستاق هذا وقد برقت الصوارم الحداد وحملت العرب أيضا والاكراد وأصحاب الخطاريات المداد (قال الراوى) فعند ذلك اختلست الأرواح وهبت نسمات الموت على الأشباح فكم من جسد عن رأس صاحبه قد طاح والدم من الاوداج قد ساح وكم من فارس قص منه الجناح وآخر على نفسه عدد وناح وأراد الهرب والرواح فمارأى له من الموت مهرب ولا براح وعملت الرماح والبيض الصفاح وخرست الالسن الفصاح وعميت المقل الصحاح ووقعت الابطال من على الخيول وساروا ممددين فى تلك البطاح وصاروا أجساد بلاأرواح وحكم عليهم بذلك الفتاح (قال الراوى) هذا ولم يزال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى ان ذهب النهار بضياه وأقبل الليل بدجاه فعند ذلك رجعت كل طائفة إلى خيامها وانفرشوا فى الأرض طولا وعرض وقد امتلأت سرادقات المعتصم وتلك الأرض وقد نزل المعتصم هو والرجال والاكراد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وماجرى لهم من الأمر والشأن (وأما ما كان) من الهاشميه فانها فى بعض الأيام جالسه وهى تدعو الله تعالى أن يفرج كربها وأن يجعل لها من ذلك السجن فرجا ومخرجا فبينما هى كذلك وإذا بالجاريه الموكلة بها قد دخلت عليها وأعلمتها بما جرى وقالت لها هاقد أتاكى الأمر كما تريدى ولقد كنتى ميشومه على أهل عموريه لان أقل ماقتل منها فى هذا اليوم عشرة آلاف وأكثر وقد جاءكى الذى ناديتى باسمه وهو المعتصم ومعه عساكر المسلمين (قال الراوى) فلما ان سمعت الهاشمية بذلك فرحت وكانت الراهبه أم البطريق قد أسلمت وحسن اسلامها فقالت والله انى فرحت بمجيء المسلمين لاجل خلاص هذه المسلمه الا أننى أخاف من ولدى انه إذا علم ان هذا بسببها أخشى ان يقتلنى أنا واياها فى كياد المسلمين حتى لايفوزوا بخلاصها فقالت لها الهاشميه كفانا بالله ناصرا ومعينا ولا بد ان الله تعالى يلهيه عنا (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ما كان) من البطريق فانه لما ان خرجت الروم إلى لقاء المسلمين ووقع القتال فوقع ذلك البطريق فى يد رجل كردى فحمله إلى خيمته وهو لايعلم انه صاحب الذمه ولولا انه أسر وأرماه القضاء والقدر وأوقعه والالوأتى سالم إلى منزله لكان فعل ماقالته أمه (قال الراوى) ولما ان أخذه الكردى أسير أتى به إلى خيمته وربطه فى وتدمن أوتاد الخيمه وقال له ياملعون والله لاأطلقك من الاعتقال الا بألف

دينار والا تموت ههنا وأنت فى الاعتقال (قال الراوى) ان كان وقوع هذا الملعون لطفا من الله تعالى بالهاشميه وبامه هذا وقد بات البطريق عند الكردى وهو على ذلك الحال هذا والمعتصم يقول والله ماظننت ان مرطاووس اليوم يقوم بقتالنا ساعة واحده ولقد صبر على قتالنا فى هذا اليوم صبر الرجال ولقد ثبت هو ورجاله على القتال فقال الأمير عمرو بن عبيد الله ياأمير المؤمنين فى غداة غدان شاء الله تعالى نرميهم إلى الأسوار وننتقم من الكفار ثم أقبل على بنى سليم وقال لهم لاشك ان عبد الوهاب وبنى كلاب قدتعاقوا لان طريقهم وعره فهموا أنتم بالقتال فلعل الله تعالى أن يمن علينا بالنصر على الأعداء من قبل أن يصلوا ويقدموا ليكون الذكر لنا من دونهم (قال الراوى) ولما ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح تارت الفرسان الى صهوات الجرد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتلوا بالرماح وقد اشتاقوا الى القتال والحرب والنزال وحملوا على بعضهم البعض فجرى بينهم فى ذلك اليوم من تداول الحرب ومن عجائب الطعن والضرب أعظم من اليوم الأول ومازالوا على مثل ذلك الكرب إلى ان مالت الشمس إلى المغيب وعاد إلى مكانه كل فارس نجيب وانفصلوا وأن الواحد منهم إذا ناداه رفيقه لايجيب (قال الراوى) ولم يزالوا كل يوم فى قتال ونزال سبعة أيام على التمام وقد أبطأ الأمير عبد الوهاب على المسلمين فاغتم لذلك المعتصم وسأل عن غيبته فقيل له ياأمير المؤمنين ان طريقهم طريق وعره لانها أودية وتلال ودروب ورمال وشعاب وجبال (قال الراوى) ولما ان كان فى صبيحة اليوم الثامن خرجت الفرسان إلى الميدان وطلبوا القتـــال والطعان واذاهم بغبار قد نار حتى سد الاقطار فتطاولوا إليه بالاعناق والأبصار وبعد ساعة انكشف ومار ثم انجلى وبان للنظار فتبينوه وإذا به الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب وفى المقدمة الأميرة المجاهدة ذات الهمة ومن خلفها الا ودان وقد دقت الطبول ونعرت البوقات وكان معهم أكثر من خمسمائة علم عليها الصلبان ورؤس البطارقة على الرماح وهى أكثر من ألف رأس ومعهم من الخيل والعدد مالا يقع عليه عدد هذا وقد تعجب الخليفه من ذلك وقد نهى الناس عن القتال فى ذلك اليوم هذا وبنى سليم قد حارت من كثرة الأموال والغنائم التى وصلت مع بنى كلاب هذا ولما ان اقبلت بنى كلاب ووصلت نزلوا وضربوا الخيام وسار الأمير عبد الوهاب وأمه وأولاده إلى المعتصم ولما ان صاروا عنده فى الصيوان قبلوا الأرض بين يديه وقد أعلموه بما فتح الله عليهم من النصر وكيف غنموا الأموال والأثقال والسبايا والرحال من بلاد الكفار وأنفذوها إلى ملطيه ففرح المعتصم بذلك وقال ان هذا علامة النصر والظفر والاقبال هذا

والأمير عبد الوهاب قد أقبل على بنى كلاب لما ان رأى عساكر الروم مصطفه فقال لهم دونكم وعساكر الروم والقوهم فى الهموم وأبيدوا هؤلاء الاوغاد ولا تطلبوا غدا الراحه إلا فى الجهاد واطلبوا بذلك رضا رب العباد فعند ذلك حملت العربان والسودان وتلقتها الروم وحملت من كل جانب ومكان وقد أيقنوا المسلمين ببلوغ الارب ولبسوا الروم ثياب الحرب هذا وقد حملت بنى كلاب برماحها وهى مثل آجام القصب فنظروا الروم من قتالهم العجب وقد أوثقوهم بالذل والخبل وقد حمل كل بطل (قال الراوى) هذا ولما اصطفت الطوائف خلا المكان فرأى مرطاووس ماعنده أحد فلم يكن إلا الهرب وقد دخل هو ومن معه من البطارقه إلى البلد وتركوا جميع مالهم من الخيام والاثقال والرحال والأموال هذا وقد تكردست الروم فى الأبواب وداسوا بعضهم البعض فقتل منهم خلق كثير من الازدحام والمسلمين تضرب فى أقفيتهم بالحسام هذا ولما ان صاروا فى البلد أغلقوا الأبواب وطلعوا على الاسوار ففرحوا بذلك المسلمين الابرار وقد فرح المعتصم بهذه الأحوال وشكر الأمير عبد الوهاب وأصحابه بنى كلاب والسودان الانجاب وقال هؤلاء قوم لهم عندالله سريرة عظيمه فلهذا هو قائم بنصرتهم ومن وراء معونتهم فيرزقهم النصر من دون غيرهم وهانحن لنا ثمانية أيام نقاتل الكفار اللئام وماأزحناهم عن خيامهم ولما ان أتوا بنى كلاب فى يوم أدخلوهم إلى البلد ولوأقاموا ماتركوا منهم أحد فقال الأمير عمرو بن عبيد الله ياأمير المؤمنين نحن بقتالنا أضعفناهم وفعلنا بهم ما أعياهم إلى ان أتوا بنى كلاب وأدخلوهم فى الأبواب وطلبوا الهرب والذهاب فقال الخليفه لا والله ماهذا مقال بل هم أشد من سائر الطوائف واصبر على القتال والحرب والنزال (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأماماكان) من الأمراء فانهم لما انفصلوا من الحرب وعادوا وقد وضعت الحرب أوزارها وقد استقرت كل طائفة فى قرارها نهض الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمه وسائر الامراء وساروا طالبين سرادق المعتصم ومازالوا إلى ان وصلوا إليه ثم انهم استأذنوا فى الدخول عليه وسلموا وقبلوا الأرض بين يديه فرد عليهم سلامهم وقربهم إليه وأدناهم وسألهم عن سبب ابطائهم فأخبروه بما جرى لهم من أول الأمر إلى آخره وكيف أسلمت الجاريه بنت الملك صاحب أنقره وهى زنانير والسبب فى ذلك انها عشقت سيف الحنيفية وكيف دبرت على أخذ قلعة أبوها وماجرى لها وللأمير أبو محمد البطال من العجائب والاحوال فقال المعتصم والله ان هذا لشىء عجيب وحديث غريب يلذ لسماعه العاقل اللبيب ثم انه أقبل على سيف

الحنيفيه وقال له لقد سبقتنا يا أمير إلى فتح الحصون من قبل فتح عموريه فضحك الأمير عبد الوهاب وقام سيف الحنيفية وقبل الأرض وقال له يا أمير المؤمنين كلنا لهذه الحضرة النبويه وبركاتها تعم على سائر العالم القصية والدنيه (قال الراوى) هذا وقد أقام القتال على مدينة عموريه شهرين كاملين وهبت الرياح الباردة فلما أن كان فى بعض الأيام عندما اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قامت الترك والعرب والديلم تطلب الحرب والكفاح فما كان فيهم من قدر يوتر قوس ولا يسحب سلاح ولما أن عرف المعتصم ذلك البرد فأمر أن ينادى فى العسكر أن لا يبقى صاحب قوس إلا ويحمله الى سرادق الخليفة ابن عم صاحب المراتب المنيفه فلما أن سمعت الطوائف ذلك النداء فأقبلوا القواسه بأقواسهم اليه ووضعوها بين يديه فقام المعتصم وجلس على حيله وجعل يوتر قوس بعد قوس من الصبح الى الضحى فأوتر الف وستمائة قوس فتعجب الناس من فعاله وقالوا لقد عضد الله به الدين وشد به ظهور المجاهدين هذا وقد ثارت العساكر وطلبوا القتال وأقاموا شهر آخر فعند ذلك ضجر المعتصم وأيس من فتح البلد وقال والله لو أقمت عمرى كله ههنا ما أبرح حتى أفتح هذه البلد ببركة ابن عمى محمد ﷺ وشرف وعظم ومجد (قال الراوى) فلما أن سمعوا الناس كلامه تعجبوا من كثرة فهمه وفكرته وصولته وشدة عزمه فدعوا له أيضاً بالنصر على الأعداء فعند ذلك اختلا الأمير أبو محمد البطال بالأمير عبد الوهاب وقال له اعلم أيها الأمير أن هذا البلد حصين ومنيع الأسوار وغزير الأمطار وأنا أعلم أن أقمنا عليه بقية الأعمار ما وصلنا إليه بالحصار وأن لم نعمل عملا نتوصل إليه وإلا طال بنا المطال فقال الأمير عبد الوهاب أن جاء المفتاح من عند الملك الفتاح سهل لنا الافتتاح فسكت الأمير أبو محمد البطال ولم ينطق بحرف واحد عند سماع هذا الكلام (قال الراوى) هذا وقد طال الحصار مدة أيام وهم على ذلك الحال لم يقدروا يبرموا إبرام هذا والخليفة قد طار نومه وزاد أرقه وكثر قلقه وهو على هذه الأحكام فكان يركب كل ليلة ويطوف ومعه جماعة من عبيده والخدام ليسمع ما تقول الناس من الأقاويل لعله أن يسمع من أحد شيء يستدل به على فتح البلد وصار يتولى حرس تلك العساكر بنفسه وكان تارة يصلى وتارة يقرأ القرآن إلى وقت الصبح لم ينام وتارة يتفقد أحوال الصعاليك وأى من رآه محتاج إلى شيء أنفذه له (قال الراوى) إلى أن كان ليلة من بعض الليالى مر بحداد فوجده يشتغل بالحديد وبين يديه غلام يدق عليه كأنه غصن بان وقد أقبل على معلمه وقال له اعلم أيها الأستاذان التدبير نصف المعيشة فقال له معلمه وقد أرمى الكلبتين من يده وبطل شغله وكيف ذلك يا شيطان يا ابن الشيطان فقال له

الغلام اعلم يا سيدى أنى متعجب من الخليفة أمير المؤمنين وقائد جيوش المسلمين والحاكم على طوائف الموحدين وابن عم خاتم النبيين مع ما جمع الله فيه من العقل والسداد والقوة والرشاد كيف طال مقامه على عموريه وأنا أعلم أنه لو أقام عليها عشرة أعوام لم يقدر عليها ولا على فتح باب من أبوابها إلا بشىء أقوله أنا فقال له المعلم وكيف ذلك فقال الغلام لو قال لى المعتصم ذلك ما يكون لفعله لأخبرته بذلك جميعه فقال له الحداد أسكت يا ولد الزنا وأنا أعلم أن فى رأسك خلط ما يهدى إلا بالصفع يا ويلك يا نسل الأوغاد اسكت لا يسمع أحد كلامك فيوصل إلى الخليفة ثم يرسل يأخذك ويقول لك ما قلت فان كنت تنكر فيأمر فى الحال برمى عنقك وإن قلت أنا أفعل ذلك وتعجز عن ما تدعى فيكون ذلك سبباً لتلافك وصفعه المعلم وقال له يا شيطان أنت تتكلم بكلام الصغار فقال له الغلام اعلم أيها المعلم أن الله تعالى قال (آتيناه الحكم صبياً) وقد أثبت شهادة الصبى فى المهد وأيضاً أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام تكلم فى المهد وكان كلامه حجة فقال المعلم يا ويلك أنت تتشبه بهؤلاء القوم أسكت سكت حسك وبطل نصفك فقال الغلام لا تقول يا معلم كلام ما تعرف تصريفه واعلم أن فى كل رأس حكمة وإن وصل كلامى إلى عند المعتصم فسوف أوريك كيف أفتح هذا البلد إن شاء الله تعالى (قال الراوى) هذا يجرى كله بين المعلم والغلام والخليفة واقف ولكنه سمع كلما جرى من الكلام فلما أن فرغت المحاورة بين المعلم والغلام عاد الخليفة إلى الخيام ودخل إلى سرادقه ولم يأتيه تلك الليلة منام بل أنه قال للخادم ويلك يا نجاح عود إلى الموضع الذى كنا فيه تلك الليلة قيام وادعى إلى الحداد وصبيه الغلام فان امتنعوا فاسحبهم عنفا بعد ما تذيقهم الآلام فعندها خرج الخادم من السرادق مهرولا على الأقدام وما زال إلى أن وقف على باب خيمة الحداد والغلام وقال له يا معلم أنت وغلامك أجيبوا إلى أمير المؤمنين باهتمام فقال الحداد جاء العمل وهو هذا الحساب الذى كنت أحسبه وقد جرى على التمام ثم أن الحداد أقبل على صبيه وقال له الساعة تنظر يا إبن اللئام كيف يعمل فى رأسك ورأس أستاذك من الارغام ثم أنه أقبل على الخادم وقال له يا نجاح وحياة أمير المؤمنين أنا ما تكلمت بشىء من هذا وهو الذى أكثر الكلام فقال له الخادم دع عنك هذا الاحتجاج وسير إلى عند الامام وانهض مسرعا باهتمام واعلم أنه قد برز الامر الشريف باحضاركما وإلا صفعتكما صفعاً جيداً وأوشحكم بهذا الحسام فقال المعلم صدق الله من قال يخرج من الرأس ما يقلع الاضراس فعندها تقدم الغلام وقال له سير يامولاى وطيب قلبك وسوف ترى أن الله تعالى ما يسرك ولا تضيق صدرك

(قال الراوى) هذا والخادم قد أخذهما وسار بهما إلى أن وصل إلى سرادق المعتصم واستأذن عليه ودخل بهما على الخليفة ولما أن صاروا فى السرادق قبلوا الأرض بين يدى الامام فالتفت المعتصم إلى الغلام وقال له ما إسمك فقال يا أمير المؤمنين إسمى لقمان فقال المعتصم ما يسمى بهذا الاسم إلا من فى رأسه حكمة فقال الغلام ياأمير المؤمنين وهى التى أوصلتنى إليك وقد أوقفتنى بين يديك فى هذا المجلس المنيف والسرادق الشريف وأوجب هذا الكلام الظريف والأمر العنيف (قال الراوى) فأعجب المعتصم كلامه وأمره بالجلوس فقال الحداد ياأمير المؤمنين هذا الغلام قد أجلسته عندك بحكمته والمملوك يسأل الحضرة العباسية أن يعود إلى مكانه لأنه ليس له حكمه فضحك الخليفه وقال له قد أذنت لك فى ذلك فارجع إلى مكانك واعلم إن حصل من كلام الصبى فائدة فلا بأس وإلا فالديه على العاقلة فطار عقل الحداد ثم أنه التفت إلى الصبى وقال له لو علمت أن هذا يقع من كلامك لكنت حطيت المرزبة فى رأسك ثم أنه سار إلى خيمته وهو يدمدم ويشتم الغلام هذا والمعتصم يتبسم من كلامه ثم أن المتعصم بعد ذلك أقبل على الغلام وقال له ياغلام اعلم أنه قد بلغنى أنك قلت كذا وكذا فقال له الغلام نعم ياأمير المؤمنين فقال له الخليفة فبين ماعندك من البرهان فقال الغلام ان كان ولا بد فاعلم ان الملوك يرى من الرأى أدام الله تعالى سعادة أمير المؤمنين ومتع ببقائه المسلمين وعضد به عساكر الموحدين أن يصنع أبراج من الخشب ويعمل لها أطواق من الحديد وتكون أعلا من أصوار البلد حتى أنها تتحكم على الصور وتكون على بكر حتى يخف سعيها ويكون فى صدرها كباش من الحديد حتى إذا دفعتها الرجال ضربت الصور زلزلته ويكون فى باطنها ألف نقاب وتكون أربعة أبراج ويكون عليها اللبابيد المنقوعه فى الخل حتى يؤمن عليها من النار والحريق ويكون فى أعلاها وسائر طبقاتها الرماه بالنبال حتى تكشف الروم من على الأصوار وإذا التصقت الأبراج إلى الصور وأمكنتهم الوثبة من الأبراج الى أصوار البلد فليفعلوا وان هم لم يقدروا على ذلك يقاتلوا وتكون النقابة فى الطبقة السفلية فينقبوا حتى يرموا الأحجار من تحت الصور تبقى الاصوار قائمة على النقوب وهى معلقة على الخشب واذا هم فعلوا ذلك تخرج الأبراج عن الاصوار وياأمير المؤمنين تأمر بعد ذلك السوادن والرجال أن تجمع الاحطاب ويحشوها فى النقوب ويضرموها بالنار فتحرق الاخشاب وتقع الاصوار (قال الراوى) فلما أن سمع المعتصم ذلك الكلام قال والله ان هذا كلام يقبله العقل من غير ملام ثم أن المعتصم أدعى بالصناع وجمهم من الخيام ولما أن حضروا قال لهم اعلموا أننى أريد أن تفعلوا كذا وكذا فى هذه الايام فقالوا له سمعا

وطاعة أيها الامام ثم أنهم تجهزوا فى هذه الاحكام ولما أن كان من الغد وضعت الاخشاب الرومية وهى أصول الجوز الرومى الكبار وتقدمت الصناع والمعلمين والنجارين واشتغلوا فى ذلك الاخشاب وصارت كل جماعة فى شغل (قال الراوى) فهذا ما كان (وأما ما كان) من عقبة فانه لما رأى الى هذه الاحول فما هان عليه ذلك الحال وخاف على عمورية وقال ما الذى يكون عذرى عند المسيح ان غفلت حتى تؤخذ هذه البلد ولكن لابد لى أن أعمل على هلاك هذا الغلام وهو غلام الحداد ثم أن عقبة قام من وقته وساعته وخرج يتمشى بين المضارب والخيام لعله أن يقع بأحد يوصل معه كتاب الى ملك عمورية فبينما هو سائر واذا هو قد حاز على خيام الاكراد فوجد على باب خيمة رومى أسير فتقدم اليه ووقف على رأسه وقال له من تكون فقال له أنا من أهل عمورية وكان كلامهم بالرومى ما يفهموه الاكراد وكان هذا الاسير هو البطريق الذى عنده الهاشمية أسيرة وكان ذلك الكردى أسره وربطه وقال له ما تخلص من يدى الا بألف دينار (قال الراوى) ولما ان كان فى ذلك اليوم وخرج عقبة فجاء طريقه عليه فوقف عنده وسأله عن حاله وما جرى له فأخبره بأمره فعند ذلك التفت عقبة الى الكردى وقال له دعنى أضرب هذا حتى أشتفى منه بالضرب فقال له الكردى هو الك خذه اليك وافعل به ما تريد فأخذه عقبه وسار به الى خيمته وهو يجره من رقبته إلى أن دخل به إلى خيمته ولما أن حصل عنده فقال له لا تخاف ولا تفزع وأنا ما جبتك إلى هذا المكان الا أريد أن أطلقك من الاعتقال وارسل معك كتاب فى هذه الليلة توصله الى الملك مرطاووس وتعرفه بقصة هذه الابراج وتقول له يفعل بها ما فى كتابى هذا وتقول له ان السبب الذى أخرج المعتصم من العراق الى هذه الديار جارية هاشمية أخذت من سبايا ميافارقين وقيل أنها عرضت للبيع فاستغاثت وقالت عند البيع وامعتصماه فبلغ الخبر اليه وقد اقسم انه لا يبرح ولا يرحل من على عموريه حتى أنه يخلصها وقل له أنه يطلبها الملك ويأخذها وعلى الصور يحملها ويقول لهم يامعشر المسلمين هذه الهاشمية التى دخلتم لأجلها وقد منعكم المسيح منها ومن خلاصها وكان مجيئكم سببا لقطع حياتها وأنفاسها ثم أنه بعد ذلك يضرب رقبتها بالسيف ثم يرميها لهم (قال الراوى) فلما أن سمع البطريق كلام عقبه قال له يامولاى اعلم أن هذه الجارية جاريتى وأنها قد أفسدت عقلى وقد اسلمت على يديها وهى معها فى المطمورة والقيد والغل فى يديها فقال له عقبه اقتل امك قبل الهاشمية ودع اثمها فى رقبتى فقال له البطريق فاذا كان الأمر على هذا الحال فأول ما أبدأ بقتل أمى (قال الراوى) ثم أن عقبه بعد ذلك كتب كتاب يقول فيه كلمة الكفر فتعالى الله عما يقول

الظالمون والجاحدون علوا كبيراً من الشيخ الفاجر الجاحد لقول صفوة الواحد أما بعد فقد عوضك المسيح ثواب الجهاد من دون من حولك من البلاد ومع ذلك فأنا أيها الملك أشير عليك أن تخرج إلى قتال المسلمين لأن مكانك حصين أمين والذى أعرفك أن المسلمين قد صنعوا أبراج من الخشب مصفحة بالحديد موثوقه بالمسامير وأنهم يريدوا إذا فرغوها يطلقون فيها الرماة بالنبال ويكونوا فى أعلاها والنقابة من تحتها وإذا تمت تكون الأنقاب كلها محشية بالأحطاب ويطلقون فيها النار وإذا عملت النار فتقع سائر البدنات والأبراج وأنا فقد رأيت من الرأى أنكم إذا رأيتم الأبراج قد تقدمت إلى الصور تثبتون فى مقابلتها ويكون داخل البلد جماعة يبنون من خلف الصور صورتانى ويكون أعرض من الأول ولا يبقى أحد إلا ويعمل فيه ثلاثة أيام ثم أنكم تخرجون من عندكم قوارير النفط ومشاقة الكتان والبوارى والزفت والقطران وأيضاً تضربون الأبراج بها وتمزقوها بكل من فيها وسوف أكتب إلى الملك أرمانوس وأوبخه على قعاده عنكم حتى يرسل إلى سائر الملوك الذين يشيدونه من دين النصرانية حتى لا يخرج أحد سالم من هذه العساكر الاسلامية ومع هذا فساعة وصول هذا الكتاب نقبض على البطريق حامله وتصفعه صفعاً جيداً وتطلب منه الجارية الهاشمية التى كانت سبب هذه البلية وإذا سلمها إليك تطلب أيضاً أمه فانها قد أسلمت وإذا أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ارفعها على الصور وأمر المنادى ويقول يا معاشر المسلمين هذه الجارية الهاشمية الذى جئتم من أجلها خذوا رأسها وتكون واقفه مهتوكة على الصور مكشوفة الرأس والوجه حتى يكون ذلك أعظم لثوابكم وأهيب فى قلوب المسلمين لكم ثم ترموا رأسها اليهم فاذا انقطع طمعهم منها وعلموا أنهم لا يصلون إلى البلد ولو أقاموا طول الأبد فما يكون لهم الرحيل وأنى قد أرسلت إلى سائر الملوك الذين للروم وأمرتهم أن يسيرون إليك ويسدون عليهم الدروب وسائر المذاهب وتكون أنت من ورائهم وهم من قدامهم وتأخذهم مواسطه فما يسلم منهم هارب ولا ذاهب (قال الراوى) ولما أن فرغ الملعون من كتابة الكتاب سلمه إلى البطريق فأخذه وسار الى أن التصق الى الصور ونادى بالرومية الى الحرس فقالوا له من أنت فقال لهم أنا خنانيص فقالوا له ويلك يا خنانيص أنت ما قتلت فقال لهم لو كنت قتلت ما جئت اليكم وانما أنا كنت مأسور عند المسلمين وقد حصلنى الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وقد أنفذ معى كتاب الى الملك مرطاووس فارفعونى من قبل أن تظفر سيارة المسلمين بى فقالوا له ما نقدر نرفعك حتى نأخذ لك اذن الملك فاجلس الآن

ههنا حتى تأخذ لك اذن الملك ونعود اليك بالخير ثم أنهم قد مضوا الى الملك وأعلموه بذلك فقال لهم اعلموا أنه لو كان ولدى ما رفعته إلى البــلد فى ظلام الليل لأن هؤلاء القوم فيهم رجل يقال له أبو محمد البطال يدخل فى صورة كل محتال فقالوا له أيها الملك هذا يزعم أن معه كتاب من عند القاضى عقبة وفيه كلام يريد أن تقف عليه وأن تعمل بما فيه لأنه من حجة المسيح الذى هو عند المسلمين (قال الراوى) فلما أن سمع الملك ذلك الكلام فقال إذا كان الأمر كما ذكر فارفعوه إلى من قبل أن يأخذوه المسلمين فعندها عادوا اليه ودلوا له الحبال ورفعوه وأطلعوه الى فوق الصور هذا ولما أن صعد اليهم ورأوه عرفوه فهنوه بالسلامة وأخذوه وساروا به الى أن أدخلوه على الملك هذا وقد فرح بسلامة نفسه وحمل كتاب عقبة وهو يقول الساعة يخلع على الملك ويكرمنى على سائر البطارقة الذين له (قال الراوى) ثم أنه ألقى الى الملك الكتاب فأخذه الملك وفضه وقراه الى أن أتى الى آخره وعلم ما فيه تغير لونه من عمل الأبراج وذكر النقابين ورجع بعد ذلك الى كلام عقبة وما أشــار عليه وكيف ذكر أنه يكاتب سائر الملوك بسببه فقال وحق المسيح ما كنا إلا من الهالكين لولا لحقنا عناية السيد المسيح على يد الشيخ النجيح (قال الراوى) ثم أن الملك ادعى بذلك البطريق ولما أن صار بين يديه أمر مائة بطريق أن يصفعوا الذى أتى بالكتاب من عند عقبة وهو البطريق كما أمره عقبة فعند ذلك نزلوا عليه بالصفع الى أن وقع الى الأرض مغشياً عليه بلا تعويق فعند ذلك قال الملك كفوا عنه ودعوه الى وقت الصباح واذا هو أفاق طلبنا منه الجارية الهاشمية الذى جاءت المسلمين بسببها وقد ذكر الشيخ النجيح أن أم هذا البطريق أيضاً أسلمت وقد أمرنا بقتلها قبل قتل ولدها لأنه كتم عنا أمر هذه المسلمة وقد أخرجها الى البيع حتى جرى علينا هذا المجرى ووصلوا الى ههنا فقال بعض البطارقة الذين على رأس الملك وحق المسيح لقد استحق القتل والحريق الذى أخفى عنك هذا الأمر ولقد نظر الشيخ النجيح موضع النظر ومن الرأى أن تتوكل جماعة على البطريق حتى أنه من غشوته يفيق لأنه قد صار به من الصفع ما يبقى فى خمارة ثلاثة أيام ومن الرأى أن تنفذ الى سائر أصحابك والمقدمين من البطارقة الموصوفين ولا يبقى أحداً فى المدينة الا وينقل الصخور الى عمارة الصــور وتقول لكل بطريق بجماعته أن يعمل عشرة أذرع وقد صعدت الابراج والابدان ونعمر الصور فى ثلاثة أيام فان تم على الصور شىء مما ذكر الشيخ النجيح لنا فى كتابه فيكون الصور الجوانى قد تعمر من ورائه وما يطول الامر اكثر من ثلاثة أيام قلائل وقد وصــل الملك ارمانوس فقال الملك وحق المسيح قلت

الصواب وأتيت بالامر الذى لايعاب (قال الراوى) ثم أن الملك أدعى بالبطارقه ورؤساء البلد المقدمين وأمرهم بذلك وقد عرفهم من أين تأتيهم الابراج لأن عموريه ماعليها قتال إلا من جهه واحده وهو جهة الباب الذى هو الى جانب العسكر وباقى البلد تمنع عنه الابراج وكذلك الخندق (قال الراوى) فهـذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من خنانيص فانه قد أقام أيضا فى غشوته طول ليلته الى الصباح ولما أن أفاق قال له الملك ويلك ياخنانيص نحن ماصفعناك بأمرنا وإنما الشيخ النجيح أمرنا بذلك فقال له خنانيص يحق له ذلك كونى إنى حملت كتابه لاأصلح المسيح له حال وأحل به الذل والنكال فقال له الملك أعلم أنى أريد منك الجارية الهاشمية جاريتك والاضربت رقبتك ثم إن الملك وكل به جماعة من تلك البطارقه فساروا معه الى داره وإذا بالجارية الافرنجيه على الباب وعليها علامة والخزى الاكتئاب لأنها أيقنت أن سيدها قتل فى الواقعه وبقى له رجعه (قال الراوى) ولما أن نظرت اليه وثبت مثل اللبوه وسلمت عليه وهنته بالسلامه وقالت له يامولاى وحق المسيح لقد سررت بسلامتك فدفعها فى صدرها ألقاها على ظهرها وقال لها ويلك وأى سلامة قد سلمتها وقد وقع فى رقبتى صفع يكفينى عمرى كله وحق المسيح لو وقع الصفع الذى نزل على على سائر الروم لأخذهم الصداع وهذا كله من أجل الجاريه التى عندى فانزلى اليها وأخرجيها وإلى غلمان الملك سلميها وإن كانت أمى أيضا بالحياه فسلميها اليهم وها أنا مقيم فى الدار حتى يهدأ مابى من الصفع والاضرار فقالوا له البطارقه وحق المسيح مانقدر نخليك لأن الملك أمرنا باحضارك لأن الشيخ النجيح أوصى الملك فى حقك بوصية أخرى ولاندرى ماهى فقال لهم وماهى الوصيه الأخرى فقالوا له ماعليك فيها مضره لأنه أمر بضرب رقبتك على الصور (قال الراوى) فلما أن سمع ذلك ندم على أقراره بالجاريه لعقبه وقال فى نفسه ليت المسيح أحال بينى وبين هـذا الشيخ النحس هذا وقد زعقت البطارقة على الجاريه الافرنجيه وقالوا لها ويلكى أخرجى الجارية الهاشمية وأم سيدك الراهبة المسلمة فعند ذلك قامت الجارية الافرنجيه وهى فرحانه القلب بقتل الجارية الهاشمية ثم أنها أتت بالبطارقه الى عند المطموره فوجدت القيود مكسره والاغلال مطرحه والمطموره فارغة ليس فيها احد فصعدت عند ذلك وهى صارخة نادبه ومما أملته خائبه فقالوا لها غلمان الملك ويلكى مالذى قد حل بكى فقالت لهم أعلموا أنه والجارية وأم سيد ماوجدت لهم فى المطمورة خبرولا وقعت لهم على أثر والبارحه كانوا فى المطمورة وقد أنزلت لهم الطعام والشراب وطلعت وأغلقت عليهم الباب وفى هذه

الساعة لما أن نزلت إليهم فما رأيتهم (قال الراوى) فلما أن سمعوا البطارقة منها ذلك الكلام ظنوا أنها ما قالت لهم ذلك المقال إلا من خوفها على سيدها من القتل والنكال فتواثبوا عند ذلك إليها ولطموها إلى أن أشرفت على الممات ونزلوا إلى المطمورة فما وجدوا فيها غير القيود والأغلال فطلعوا منها وطافوا جميع الدار فلم يجدوا فيها ديار ولا نافخ نار فرجعوا إلى الملك ومعهم الجارية الافرنجية وخنانيص مولاها وأعلموه بما جرى فقامت عليه القيامة وقد أمر بضرب الجارية فضربوها إلى أن ألهبوا قلبها وأغمى عليها فتركوها ساعة حتى أفاقت من غشوتها فلما أن أفاقت قام إليها الملك بنفسه وقال لها قولى لى الحق وأصدقينى وأخبرينى أين الجارية الهاشمية وألا ضربت رقبتك فقالت له وحق المسيح أيها الملك ما لى علم إلا من البارحة وأنها أبغض الخلق إلى فكيف تظن أننى أخفيها وهذه البلد محاصر ومن خارجه المسلمين ولا يقدر الطير يطير فقال بعض البطارقة للملك أيها الملك اعلم أن الجارية ما خرجت من البلد لأن الابواب مغلوقة والأسوار عليها الحرس الشديد ولا يدخل إلى البلد ولا يخرج منها خارج ولعل الجارية المسلمة تكون التجأت إلى بعض الأماكن واختفيت فيه لما أن هربت من المطمورة أو إلى بعض دور البطارقة من شدة الفزع والجزع والضر الذى كانت فيه وما أمر السيد المسيح أن يموت الأسير بالجوع بل أمر السيد المسيح إما أن يطعم وإما أن يطلق والصواب عندى أن تقتل هذا البطريق وهذه الجارية الافرنجية لأن البطريق أخطأ الذى لم يطلعك على أمر هذه الجارية الهاشمية وأما هذه الجارية أقرت أنها كانت تعذبها حتى أنها هربت منها فقال الملك وحق المسيح لقد صدقت فيما ذكرت وقد قلت الصواب ونطقت بالرأى الذى لا يعاب وهذا جزاءه (قال الراوى) ثم أن الملك أمر بضرب رقبة خنانيص والجارية نسل إبليس فضربوا رقابهم وهلكوا الاثنين فى ساعة وعجل الله تعالى بأرواحهم إلى لعنة الله وبئس القرار ومحق الله منهم الآثار (قال الراوى) وكان هذا البطريق الذى أشار على الملك بذلك وأمره أن يضرب رقابهم ويأمر وينهى ويقول هذا المقال كان هو الأمير أبو محمد البطال (قال الراوى) إلى هذا المقال وكان السبب فى دخول الأمير أبو محمد البطال إلى البلد كلام عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نسوقه على الترتيب بعد ألف صلاة وألف سلام ترضى سيدنا محمد النبى الحبيب الذى كل من يصلى عليه ما يخيب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما غرد قمرى على غصن رطيب وذلك أنه كان قد خرج من عساكر المسلمين ومعه غلامه لؤلؤ فجعل يدور من حول البلد لعله يجد حيلة يصل بها اليه فلم يقدر على ذلك

فهو كذلك واذا هو قد نظر دواب مقبلة من بعيد وهى قاصدة الى البلد فصبر الى أن وصلت اليه وقد تأملها واذا هى ثلاث دواب ومعها رجلين وهما من أهل عموريه والدواب محملة خمر فقال لهما الأمير أبو محمد من أين جئتما فقالوا له من قرية اشمونيت وهى قرية الملك اشمونيت ابن مرطاووس الخاص وقد أرسل معنا هذه الضروف وهى ملآنة خمر خدمة للملك ولكن ها نحن سائرين وخائفين من المسلمين وقد سرنا فى هذا الليل كما ترى من خوفنا فقال لهم الأمير أبو محمد البطال اجلسوا مكانكم حتى ينتصف الليل أن أردتم أن تسلموا من عسكر المسلمين فقالوا له صدقت وحق المسيح لان الباب البارحة فتح لنا نصف الليل وكانت أحمالنا عسل فقال الملك لو كنتم جئتم لنا بخمر لكان أحب الينا من العسل فقال للذى يكلمه فما اسمك يا اخى فقال عبد الصليب واخى هذا اسمه عبد المسيح (قال الراوى) فتركهما الامير ابو محمد البطال الى ان جلسوا وهمز هو وغلامه عليهما بالخناجر فقتلوهم واخذوا ثيابهم ولبسوها وقال البطال يا لؤلؤ الآن بنا فقد سهل الله لنا وقد رضينا بأن نكون خمارين فلعل الله تعالى ان يفرج عنا وعن المسلمين ويملكهم هذه البلد ببركة محمد سيد المرسلين ولعل ان يسهل الله تعالى علينا حتى نخلص الهاشمية من قبل ان يفرط فيها امر من الامور لانى ما آمن من عقبه أن يرسل إلى الملك كتاب ويعلمه بسبب ما جئنا فيه الى هذه الديار ويشير عليه فى قتلها فى كتابه الذى يكتبه فقال له لؤلؤ صدقت (قال الراوى) ثم أنهم ساروا وساقوا الدواب بين أيديهم وما زالوا سائرين الى باب عموريه ثم صاح البطال بالحراس فقالوا من أنت فقال لهم انا صاحب العسل البارحة والليلة اتيت بالخمر كما امر الملك (قال الراوى) عندها مضوا الحراس الى الملك واعلموه ايضا فقال الملك صدقوا فى المقال وهم اصحابنا الذين من قرية اشمونيت افتحوا لهما الباب الصغير فهما رجلان لا غير واذا فتحتم لهم ودخلوا فاياكم ثم اياكم ان يدخل احداً غيرهما فعند ذلك رجعوا الحراس وفتحوا الباب فدخل ابو محمد البطال وساق بين يديه الدواب ولؤلؤ من خلفه وما زال سائر الى أن وصل الى الملك وصار قدامه وبين يديه وضرب كبوس فقال له الملك اجلس فجلس فسأله الملك عن حاله فقال له بخير وسأله أيضاً عن الطرماخ والريس وعن أحوال أهل القرية وقال له هل وصل اليكم أحد من المسلمين فقال له أبو محمد البطال لا وحق المسيح يا ملك لأن قريتنا فى الجبل كما تعرف ما يصل إليها أحد (قال الراوى) وكان البطال عارف بالقرية التى نحن فى حديثها وبطرماخها وريسها وفى تلك الساعة دخلوا وأعلموا الملك بوصول خنانيص وكتاب

عقبه فأمر بدخولهم فعادوا وأتوا به وقدموهم إلى بين يديه وناوله الكتاب كما ذكرنا وقد عرف البطال ما فيه وأشار بصفعه وكان أول من صفعه أبو محمد البطال ولؤلؤ غلامه وأشار على الملك بالامهال وطلب العيار وهو تعجيله فى طلب الهاشمية ثم اشتغلوا الناس بذلك وسار أبو محمد وقد سأل عن دار خنانيص فعند ذلك أرشدوه إليها وصاح على من فى الدار فما خرج إليه أحد إلا أن كان الجارية الافرنجية فقال لها أبو محمد اذهبي إلى دار الملك فقد وصل سيدك خنانيص فمضت الجارية وسألت عن سيدها ففى خروجها دخل أبو محمد إلى الدار وفتشها وما زال كذلك إلى أن وقع بالمطموره التى فيها الجارية الهاشمية فقدح الزناد وأوقد شمعة مضيه كانت معه فى جرمدانه ونزل إلى المطمورة وإذا هو بأم البطريق وهى تقول لا تعتمدى ألا على الملك الجبار الذى أوصل المسلمين الى هذه الديار فناداها أبو محمد البطال صدقتى ها قد أتاكى الفرج وهون عليكى المخرج (قال الراوى) ثم أنه فتح الباب الذى للمطموره وتقدم اليهما وفك القيود من أرجلهما وأزال الأغلال عنهما وعرفهما بالحال وأعلمهما بأن الملك قد عول على قتلهما ثم أنه قال وأنا قد خاطرت بروحى وأتيت اليكما لأعمل على خلاصكما من يد قناصكما ولكن ما ادرى اين اخبيكما حتى يفرغ الملك من ضروف الخمر واخرج ايضاً بالدواب وآخذكما واخفيكما واحمل كل واحدة على بغل ونخرج ان شاء الله تعالى فقالت له ام البطريق اعلم يا اخى ان لى اخت وهى راهبة فى زاوية البلد وقد علمت باسلامى وهجرتنى وليس عندها أحدا فى صومعتها فهلم بنا إليها فان أنكرت أمرنا قتلناها وقعدنا مكانها إلى أن يسهل الله تعالى أمرنا ولو أقمنا شهراً كاملا والاأكثر ماعرف أحد مكاننا لانه مكان منقطع وفيه كلما نحتاج إليه وهو على غير طريق ولاهناك تعويق (قال الراوى) فعند ذلك خرج أبو محمد البطال وأخذهم معه وسار ومازالوا سائرين وهم على ذلك الحال إلى ان وصلوا إلى الصومعه فدقت أم البطريق على أختها باب الصومعه فلم أحد أجابها فعالج البطال الباب ومازال به إلى ان فتحه ودخلوا الصومعه وإذا بها واسعه فتأملوا مافيها فما وجدوا أحدا غير الراهبه وقد جافت وفاحت رائحتها لان الناس مشغولين عنها بماهم فيه من أمر المسلمين (قال الراوى) ولما رآها البطال وهى على تلك الحاله رماها فى جب كان هناك وقال سبحان من يدبر الامور ويسهل كل محظور ثم انه ترك أم البطريق والهاشميه فى الصومعه وقال أى من دق عليكما لاتكلموه إلى أن أعود اليكما ثم انه تركهم فى الصومعه وعاد إلى الملك وكان فى تلك الساعه أفاق خنانيص وأمر الملك برواحه إلى داره وساروا به ورجعواهم وإياه وأعلموا الملك انهم مارأوا أحداً وأمر بقتلهم كما وصفنا

وكان ذلك كله بتدبير أبو محمد البطال (وأماما كان) من المعتصم فانه لما ان عمل الابراج فانهم لم يفرغوا من عملهم حتى بنت الروم سورها الذى أمر به عقبه وهو من داخل السور فكان سورا كبير بمشورة عقبه (قال الراوى) وكان عقبه أيضا قد كتب إلى ارمانوس وإلى سائر الملوك وإلى البترك الكبير يوبخهم على نصرة دين النصرانيه ولما ان فرغ من الكتاب أنفده مع غلامه فأخذه وسار إلى ان وصل إلى الملك ارمانوس فى القسطنطونيه فدخل عليه وسلمه الكتاب ولما ان وصل الكتاب الى الملك ارمانوس فضه وقراه وعلم رموزه ومعناه فقال وحق المسيح الجليل لقد شبعنا من قتال المسلمين والشيخ النجيح مايبالى بأحد بل انه يريد يفنى الروم من أجل رجل واحد ولايدرى ان كان يحصل له أم لاوقالوا له الروم ووجوه البطارقه الصواب ايها الملك اننا نقعد فى هذه المره ولاتتعرض لقتال المسلمين لانهم لم يتعرضوا لنا (قال الراوى) فهم كذلك اذ دخل عليهم البترك الكبير وقد كشف رأسه وأحرق أثوابه فلما ان رأوه وثب الملك وسائر الملوك اليه ووقفوا بين يديه على أقدامهم وجعلوا يقبلون يديه ورجليه ويقولون له ياأبونا بحق المسيح لاتفعل فقال لهم وكيف لاأفعل وقد رضيتم بالحياة الدنيا وضيعتم الآخره اذا كان خليفة المسلمين لأجل امرأة واحده قد فعل هذا الفعل المليح فكيف لاتغضبوا أنتم لأجل مائة ألف من الروم أو أكثر وقد قرب أيضا هلاكهم وهلاك ملكهم وضيقوا على عموريه وعلى أهلها المسلمين واذاهم فتحوها وملكوها مايبقى عليهم الافتح مدينة القسطنطونيه ويزول بعدها ملك الروم لأن الاطراف اذا ملكت ملكوا من بعدها البلاد ويبلغوا المسلمين منا المراد فقال له الملك ياأبونا وحق المسيح ماأبات غداة غدالا على ظاهر البلد بعدماأ كتب إلى سائر النصرانية حتى لايتخلف أحد عن قتال الملة الاسلاميه ثم انه فى عاجل الحال كتب الكتب وأنفذها إلى سائر الملوك ومابات تلك الليله إلا على ظاهر البلد (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأماما كان) من المعتصم فانه لما ان فرغت الابراج أقام فيها الرجال والنقابين وأمر بدفعها فدفعتها الرجال فصارت أخف من ريح الشمال هذا وقد اشتد القتال وتقدم الأمير عبد الوهاب وأمر فرسان بنى كلاب ان يطموا الخندق بالتراب والأحجار فامرت ساعة من النهار حتى طموه واتصلت الابراج بالاسوار وتقاتلت المسلمين والكفار وهما قسطل الغبار بالصياح وارتفع العجاج وزاد الحرب بينهم والهياج وتقطعت النحور والاوداج وكثرة الارتجاج وسال الليل الداج وزمجر البطل وهاج وهدر البطل المناصل الرهاج وعملت فى السور عند ذلك النقابين بالمعاول وجعلت السودان تنحت التراب بمخاليب مثل الأسود وتقلع بقوة ساعدها

الصخور والجلاميد ويرموها بعيدا عن المجـــاز (قال الراوى) هذا وقد دام الصدام والقتال سبعة أيام عندها قال لقمان الغلام أجير الحداد ردوا الابراج يا كرام إلى مكانها وأقيموها الى أركانها باهتمام حتى ننظرها ماكان من النقابين الكرام ففعلوا ماأمرهم به من الاكرام والاحكام فرآها المعتصم على حالهـــا لم يتغير شيئا عليها من شأنها فقال له يالقمان أراك ماعملت شيئا فقال له ياأمير المؤمنين مابقيت الابراج الاخاويه على عروشها وما ماسكها الا الدعائم التى تحتها وتعاليق الخشب تزحف الابراج وترمى الزراقين بقوارير النفط والنار وترتج الأرض فتحرق التعاليق وتقع الاسوار ففرح المعتصم وقال والله يالقمان بانت حكمتك على حكمة لقمان الحكيم وقد اخذت من حكمته نصيب ولك على عشرة آلاف دينار وخلعة سنيه ان خلصت الهاشميه (قال الراوى) هذا وقد تقدمت السودان وبين يديها الرماه بالنيران فما زالت ترمى حتى وصلت الى الاخشاب وعملت النيران وعادت بعدها السودان وتركت النار تلعب فى الجدران فقال عند ذلك لقمان ياأمير المؤمنين مر سائر العسكران تركض حول البلد بالخيل غاية الركض حتى ترتج الارض فعندها أمر الخليفه ان تركب سائر الرجال ففعلوا ذلك وقد ركبوا سائر المسلمين على الخيل الجياد وركضوا من حول الاسوار وإذا بالأسوار قد وقعت فدقت الكوسات وصاحت أيضا الطوائف التى للروم ودقت كؤساتها وتعرف بدقاتها ساعة ولما انكشف الدخان وبطل لهيب النيران واذا قد ظهر من خلف الاسوار سور ثانى وهو أعلا من الاول وهو مبنى بالاحجار الكبار وعليه الرجال من الروم الانذال وفى أيديهم السيوف الصقال (قال الراوى) فلما ان رأى المعتصم الى ذلك عظم عليه فقال لقمان والله ياأمير المؤمنين ماعملوا هذا السور الثانى الا فى هذه الايام ولاشك ان بعض الجواسيس مضى اليهم من عندنا وكشف أحوالنا وأطلعهم على أمورنا والا ما كانوا علموا بهذه الاحوال ولاهذه الفعال التى دبرناها وعملوا هذه المكيده وظنوا انها لهم حميده ولو عملوا عشرة أسوار هدمتها بقدرة العزيز الجبار مدبر الليل والنهار (قال الراوى) هذا وقد اشتغل قلب المعتصم بالنار لتلك الامور والاخبار وقال لله الامر فهو يحكم فى خلقه بما يريد ومايختار فقال له لقمان أجير الحداد ياأمير المؤمنين لاتشغل بهذا الامر خاطرك واعلم ان هذه الاشياء ماتمنعنا عن مرادنا وكما اننا فعلنا بالسور الاول نفعل بالسور الثانى وان عملوا آخر أخر بناه ولم نزل بهم كذلك حتى نضيق بهم البلد ونوقع بهم المهالك فقال المعتصم هذا أمر يطول وقلبى بالجاريه الهاشميه مشغول لانى ماأدرى ماكان منها وأخاف ان أسأل فى الآخرة عنها وانى ماتوانيت فى خدمتها (قال الراوى) هذا وقد فاضت عيناه بالدموع وأمر ان تدفع

الابراج الى الاسوار ثانى مرةففعلوا ذلك وتراشقوا بالنبال وقد اشتد بينهم القتال وعمل الحسام الفصال وزادت بينهم الاهوال ومالت الرجال على الرجال واقتحمت الابطال وصارت كانها فى المجال وتأخر الجبان وتقدم الشجاع وطيرت الرؤس بشدة الباع وصمت عند ذلك الاسماع وزادت الاطماع (قال الراوى) فبينماهم على ذلك الامتناع واذاهم بسهم قد وقع من أعلا السور فى رأسه كتاب فأخذوه السودان الانجاب وأتوا به الى الامير عبد الوهاب ولما ان رآه الامير عرفه فى عاجل الحال وقد علم انه من عند الامير أبومحمدالبطال ففتحه وقرأه واذا فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد أيها الامير لايصعب عليكم بنيان هذا السور واعلم ان ما كان سبب بناءه الاعقبه لانه كتب كتاب الى الملك مرطاووس يأمره فيه بقتل الجاريه الهاشميه ولولم أكن فى البلد كانت هلكت وأيضا كان عقبه يبلغ غرضه من قتلها ويكسر غرض أمير المؤمنين واعلم انى انا خلصتها بعون رب العالمين واخفيتها فى بعض اماكن البلد وأرجو لها الستر من الواحد الاحد الفرد الصمد لانها لو وقعت فى يد الكلب مرطاووس لما كان يشرب عليها الماء بل كان يقتلها لاجل كتاب عقبه ووالله هذه الجارية لقد فاقت على سائر المتعبدات من اهل زمانها ولقد نظر امير المؤمنين موضع النظر ولكن سوف ادبر شيء ما يهتدى اليه أحد من البشر ويكون سببا لفتح هذا البلد ان شاء الله تعالى وفى غداة غد ارمى اليكم سهم وفيه كتاب واعملوا ما فيه واياكم ثم اياكم ان يطلع عقبه على هذا الكتاب فيعمل على هلاكنا بسبب من الاسباب ويحذر الملك منى ويعلمه بأمرى والسلام (قال الراوى) ولما ان وقف الامير عبد الوهاب على ما فى الكتاب من الكلام فرح فرحا عظيما لاجل خلاص الهاشمية نسل القوم الكرام وقال لعن الله عقبه فلقد بالغ فى شره وكفره واتبع الحرام ثم ان الامير عبد الوهاب اجتمع بالاميرة ذات الهمه وقد حدثها بما جرى من الاحكام فقالت والله لقد حسبت هذا الحساب ولولا عقبة لكنا ملكنا البلد بتدبير الغلام لقمان وكنا رجعنا الى ديارنا والبلاد ولكن لااعتراض على رب العباد فانه يفعل فى خلقه ماأراد (قال الراوى) هذا وقد قاتلوا المسلمين بطول ذلك النهار الى أن أظلم الوقت واتى الاعتكار ورجعت كل طائفة الى مقامها وأوت المسلمين الى خيامها عندها سار الامير عبد الوهاب طالب سرادق الخليفة وما زال الى ان وصل اليه وقد وقد اوقف غلمانه على باب السرادق ودخل على الخليفة بعد ما استأذن عليه واخذ منه الإذن ولما ان صار قدامه باس الارض وسأله أن يكون حارس له فى تلك الليلة فأذن له فى ذلك فعندها خرج الامير الى اصحابه الذين هم مقيمين على حصار سور البلدفبينما الامير

دائر واذا هم بسهم قد وقع من السور وفيه كتاب وعلى عنوانه يسلم الى الاميرعبدالوهاب ليقف عليه ويعمل بما فيه والسلام وهذا آخر الكلام (قال الراوى) ولما أن رأى السهم وفيه الكتاب فضه وقرأه ولما أن علم معناه وما فيه من الكلام فرح فرحا شديداً وزاد فى الابتسام فقالت له الاميرة وما الذى فى هذا الكتاب يا ولدى فقال لها ما أعلمك بهذا الشأن حتى تريه عيان ان شاء الله تعالى (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وما كان منهم (وأما ما كان) من النقابين فإنهم جاءوا الى أمير المؤمنين وأعلموه أنهم نقبوا فى يومهم أعظم من اليوم الاول فقال ما اخوفنى ان يكونوا عملوا سور ثالث ثم انه بات تلك الليلة ضيق الصدر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم (واما ما كان) من الامير ابو محمد البطال فإنه اقبل على الملك مرطاووس وقال له اعلم ايها الملك ان الرئيس استاذى الذى فى الضيعة قلقان قلق زائد لأن عنده احمال كثيرة من الخمر وهو يريد أن يحصلها عندك من قبل أن يحصل حادث يمنع من الوصول اليك وعنده أيضاً زيت كثير وزبيب ودجاج وعنده علوفات كثيرة وخنانيص وهو خائف من عسكر المسلمين أن يبلغ اليه الخبر فيأتوا اليه ويأخذوا جميع ذلك وقد قال لى أستاذى قل أيضا للملك واستأذنه فى رجال السودان الذين هم عندنا كانهم الجواميس ان كان يحتاج إلى أحد منهم فيحضروا بين يديه مع ما عنده من الأحمال يساعدوه على نقل الأحمال وعمارة الأسوار فقال له الملك هذا الأمر ما يحتاج الى مشورة ولكن عجل أيها البطريق بما ذكرت فما كان أبرك من مشورتك وأسعد طلعتك ولكن احرص أن تكون عندنا ليلة غد ولا تأتى الا ويكون معك الرجال الأقوياء الشداد ويكون معهم كل المحمول من الزيت والخمر والعسل فقال البطال السمع والطاعة أيها الملك واعلم أن أقل ما أجيب معى ثلثمائة جمل عسل وزيت وخمر وخنانيص وعلوفات ومعى كل واحد من هؤلاء الفلاحين يصلح للقاء العسكر الا أن مالهم خبرة بركوب الخيل بل انهم يصلحون للرمى بالاحجار وجر حبال المنجنيق فقال له الملك بارك المسيح فيك وفيهم وحق المسيح ما تصلح إلا أن تكون وزيراً فما اسمك أيها البطريق فقال البطال أنا اسمى خادوعس (قال الراوى) فضحك الملك وقال وحق المسيح ما سمعت قط مثل هذا الإسم فى الروم الا أن كان فى هذه الساعة فقال أبو محمد يامولاى أهل السواد يسمون مثل هذا الإسم كثير فضحك الملك وقال أخرج يا خادوعس فى هذه الليلة وليلة غد تكون عندنا وتكون الرجال الذين ذكرت معك حتى تطمئن عند ذلك قلوبنا وأيضا يكون قدومك نصف الليل وان قدرت على خمسمائة من تلك الرجال الذين ذكرت هات معك فقال

البطال سمعاً وطاعة ثم خرج هو ولؤلؤ وقد أخذوا معهم الضروف التي كان فيهم الخبز فلما أن صاروا من ظاهر البلد قال الامير أبو محمد البطال لغلامه لؤلؤ اذهب يا ولدي الى الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة ولا تدخل اليهما الا سراً ثم أعلمهما أنني لم أدخل الى العسكر خوفا لا يطلع على حالي عقبة فيرسل الى الملك ويبطل على كل ما أعمل لاني في هذه الأيام كلها قد أوهمته بغيبتي وقد نسيني وأخاف أن يفتكرني فقال لؤلؤ يا مولاي أمضى اليهم وأعمل ما تشتهي وماتريد ثم عاد اليهم ودعاهما فتبادروا اليه وقالوا ما الخبر فقال الخير والسلامة وسوف أفتح لكم البلد بقدرة الفرد الصمد ثم أعلمهم بما دبر ففرح الامير عبد الوهاب وقال وقال أيها الامير لقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل فقل لنا ما تريد أن تعمل حتى نمتثله ولعل الله تعالى أن يفتح البلد على أيدينا ولا تفتح على يد غيرنا وتشمت بني سليم بنا ويقولوا ما كان السبب في فتح البلد الا غلام الحداد ويقول الخليفة ما قصر لهان ونحن ما يحسب لنا حساب فقال البطال أن هذه الاشياء تريد رجال وأشغال ولو عاش لقمان الأكبر احتاج الى ابو محمد البطال الأزرق العينين الاشقر فارجع أيها الامير الى العسكر واجمع الف بغل وحمار ذكر واجعل على كل بغل عدلين واترك في كل عدل أسود ويكون معه سيف مهند ويكون وراء كل حمل رجل من بني كلاب وعليه فروه مقلوبه مغطى الحمل وسيفه معه وأيضا تكون أنت والأميرة في الألف رجل ويكونوا أبطال شجعان اقيال كل واحد منهم يلقى الف رجل من الأبطال ومعهم الدرق والسيوف الصقال الا ان كل واحد منهم يكون معه سيفين ودرقتين بقدر ما ندخل ويعطوها لأصحاب الاعدال واريد يكونوا هنا ليلة ثلث الليل الاول فعندها طار قلب الامير من الفرح واتسع صدره وانشرح وكذلك الاميرة اعجبها ذلك القول وقالت والله يا ابى محمد ما سبقك احد الى هذه الحيلة ولا بد مايتحدثون بها أهل الرتب وتكون أعجوبة من العجب فقال لؤلؤ أيتها الاميرة واسمه أعجب من الحيلة فقالت له الاميره ما اسمه بحياتي فقال اسأليه فهو يخبرك فقالت له بذمة العرب ما يكون اسمك عند الروم في هذه النوبه فقال ما هو وقته وان اخبرتك به ذهبت حلاوته فكررت عليه الكلام فقال اسمي خادوعس فضحكت الاميرة وقالت ان الله غطى على بصائرهم واذهب اذهانهم والا فهذا الإسم مكشوف فقال ابو محمد البطال أنا رب الخداع وهو رأس مالي (قال الراوي) هذا وقد رجع الامير والاميرة ذات الهمه من عند الأمير أبو محمد البطال إلى ان دخلوا الى عسكرهم وأقاموا إلى الصباح فعند ذلك أمر الأمير عبد الوهاب بجمع البغال والحمير فسألوه عن ذلك فقال لهم اعلموا انني اريد

أنفذهما إلى الرستاق تجيب لنـــا علوفات (قال الراوى) فاجتمعت الدواب وانتخبت الأميره من السودان ألفى فارس اسود ولمـا ان كان فى وقت الليل طرحوهما فى الاعدال فقالوا له ماالذى تفعل بنا أيها الامير فقال لهم أنتم الليله ضروف العسل وفى غداة تبلغون الامل لانكم سباع الاسل فلما ان سمعوا السودان من الامير عبد الوهاب فرحوا الفرح الشديد هذا وقد ادعى الامير عبد الوهـاب بعـد ذلك بألف من بنى كلاب الذين هم فى الحروب مجربه وألبسوا الفراوى المقلبه تركهم فى أوساط الجمال وسيوفهم ودرقهم معهم تحت لباسهم فقالوا له أيها الامير ماالذى عولت ان تفعل أبعد الله شرك فقـال لهم أنتم الليله أحمال وفى غداة غد أحمال وأبطال وأقيـال (قال الراوى) ثم ان الامير لف فى رجليه طرماخ وجوارب ولفـائف وتزيابزى الاكراد فى زمن البرد ولبس على جسده ملوطة سوداء وأيضاً قلنسوة حمراء وعملت الاميره مثل فعاله وكانـــ أحسن من تشدد وتحزم ولمـا ان رأت الرجال إلى فعالهم عملوا مثلهم فعند ذلك قال الامير عبد الوهاب هذه النوبه مانخفيهـا عن أمير المؤمنين وامام المسلمين فربمـا انه يعتب علينا ونريد ان يدخل معنا الى البلد لانه والله فارس الحرب وليث الطعن والضرب فقالت الاميره ماهذا صواب ان نخاطر بأمير المؤمنين وندخل به الى بلاد الـكافرين فقال الامير له اسوة بنـا (قال الراوى) ثم ان الامير دخل على الخليفـه المعتصم وهو بتلك الهيئة التى ذكرناها فوجد عقبه عنده وهو يقول يامولانا اعلم ان هذه عموريه بلد حصينة وأنا أعلم أننا لو أقمنا عليها عشرين عام ماقدرنا عليها ولا كان لنـا وصول اليها ولـكن لايصعب عليـك كلامى فانفذ الى هذا الملعون من طاووس الـكلب المنحوس واطلب منه هذه الجاريه الهاشميـه فان كانت بالحياه فهو تسلمها اليـكم وان كانت عدمت فارحل ياأمير المؤمنين بالناس من هذا البرد الذى قد قتل أكثرهم واعلم ان الجاريه ان ماتت أوجرى عليها أمر من الامور فلا تجتهد فى طلب معدوم هذا والمعتصم يقول والله لو أقمت عليهــــا حتى يشيب الغراب ماأرحل عنها حتى اننى أفتحها ان شاء الله تعـالى وسوف ترى من فضل الله الملك الوهاب مالم يكن فى الحساب (قال الراوى) فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم الامير عبد الوهاب وقد سمع كلام عقبه المرتاب الملعون الـكذاب هذا ولمـا ان دخل الامير فقال له ياأمير المؤمنين لايصعب عليك واعلم ان الله سبحانه وتعالى فتح عموريه رغماعن أنف الـكافرين المارقين فقال له عقبه أحسنت ياعبد الوهاب لم تزل بحمد الله مبشراً بالخيرات ومحلل الامور المشكلات فقال الامير عبد الوهاب أنا أعرفك ياقاضى انك تحب المجـــاهدين والجهاد واعلم ان هذه الليله من بعض لياليك التى بحسن مساعيك ولابد ماتصحبنا فى هذه

الليلة إن شـــاء الله تعالى لأننا ما يمكننا أن نتعب خليفتنا وأنت مستريح فقال المعتصم فايش الذى جرى أيها الأمير فأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها هذا وعقبه يسمع كلامه وقلبه يتقطع وأحشـــاؤه تتصدع وكادت مرارته أن تنفطر فقال المعتصم والله ما أكون إلا معكم فقال الأمير عبد الوهاب والله ما نفعل هذا إلا بشرط وهو أن يكون القاضى عقبه معنا حتى تشملنا بركاته ثم أنه قال له قم وقد شدد عليه (قال الراوى) فعند ذلك قام عقبه وقلبه يرجف وخاف على عموريه أن تخرب إلا أنه بقى بين المصدق والمكذب وهو تارة يقول فى نفسه ما هذا صحيح هيهات هيهات أن يقدر أحد على أخذ عموريه ثم أن الملعون طلب أن يمضى إلى خيمته يلبس مثل ثيـــابهم فقال الأمير أننا ما ندرى ما يجرى لنـا بعد مضيك إلى خيمتك فعلم عقبه معنى كلام الأمير فبقى حائر فى أمره مرتبك فى سره ما يعلم كيف يمضى إلى خيمته حتى أنه ينفذ إلى الملك ويبطل الحيلة ثم أن الأمير عبد الوهاب أتى له بطرماخ ولفائف وملوطة وقال له خذ ما تحتاج إليه ولا تتعب وتمضى إلى خيمتك وربما أنك ما تلقى عنـــدك من يأتى لك بمثلهم فضحك المعتصم ثم خرجوا من السرادق وتموا سائرين إلى العسكر وإذا بالدواب فنظروا إليها وإذا فى أوائلها لؤلؤ وأبو محمد البطال وكلها محملة إلا أنه ما يدرى ما حملوها فبهت إليها وجعل يدبر فكرة فيها ويجتهد أن يعلم ما فى الحمول فلم يقع على أمر من الأمور وقد تعجب فى هذه الحيلة وقد انفطرت مرارته ودامت حسرته وبليته وقال والله لقد أنكرت غيبة البطال الشيطان وما كانت إلا لهذا الشأن وحق المسيح ما مر على مثل هذه النوبة وعلم الملعون وتحقق أن ما عملها غيره فأكل كفيه ندامه الذى لم يحذر الملك مرطاووس من البطال هذا والأمير عبد الوهاب تقدم وقال للبطال يا أمير تقدم وسلم على أمير المؤمنين وهـــذا صديقك عقبه الشيخ الصالح معنا فعندها تقدم البطال وقبل الأرض بين يدى الخليفة وقال يا مولانا أريد أكون المؤمر على المجاهدين لأكون نائباً عن أمير المؤمنين فقال المعتصم يا أبا محمد أنت العدة والعمدة لكل شدة وقال للقاضى مرحباً يا قاضى الليلة مباركة بحضورك وقد وجب عليك نصحك للإسلام ففرح الخليفة بمدح أبو محمد البطال لعقبه شيخ الضلال وقال ما ينكر القاضى محبتك فقال البطال أنا أعلم أنه ما جاء معكم بارادته ولا باختياره ولكن قد قال القـــائل الضرورات تبيح المحذورات ولقد رأيت الصواب فى مجيئه معكم لأنكم قد حقنتم دماءنا ودماءكم فضحك المعتصم من ذلك وقال خابنا يا أبا محمد ما هذا وقت مزاح فقال عقبه دعه يا مولانا فهو ولدى على كل حال وتلميذى يا أمير المؤمنين من يعمل على مثل هذه البلد الحصينة المسماة

بعموريه ما يكون إلا أوحد البرية هذا وقد تقصف عليهم الليل وكان الملك مرطاوس قد أمر الحرس أنه إذا جاء خادوعس يفتحون إليه البـــاب من غير استئـذان (قال الراوى) وكان الملعون عقبه كتب قبل ذلك إلى الملك مرطاوس يقول يجب الآن عليك أن تأمر اثنين من الروم يخاطرون بأنفسهم ويخرجون أيضاً فى الليل ويضربون هذا البرج بالنار فانها تعمل من داخله ولا يرجعون يعملون غيره ثم أن الملعون بقى حائر فيمن يوصل الكتاب للملك مرطاووس (قال) فبينما هو فى حيرته إذ وجد غلام أرمنى على بعض الخيام وهو مأسور عند بعض الأتراك فقال له عقبه هب لى هذا الغلام وأخذه عقبه وأتى به إلى خيمته وقال أريد منك أن تسير فى هذه الليلة بهذا الكتاب إلى الملك مرطاووس فقال الغلام كيف الوصول إليه فى هذه الليلة فقال عقبه إذا وصلت إلى السور نادى بالحراس يفتحوا لك الباب فان لم يفتحوا لك الباب يدلوا لك الحبال فشدهم فى وسطك واصعد إليهم وقل أوصلونى إلى الملك مرطاووس لأن معى كتاب فقال الغلام سمعاً وطاعة (قال) ثم أنه أخذ الكتاب وسار وقد تنصف الليل فبالاتفاق العجيب والأمر المطرب الغريب التقى بالمسلمين وهم سائرين فقال لهم من تكونوا فقالوا نحن معنا أحمال خمر ونحن سائرين إلى الملك مرطاووس ففرح الغـــلام الأرمنى وقال فى نفسه الساعة يفتحوا لهم الباب وأدخل فى جملتهم فقال البطال وإلى أين أنت ماضى فربما أن تكون جاسوس للمسلمين فقال الغلام لا وحق المسيح إنما كنت فى خيام المســلمين وخلصنى الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وقد أعطانى كتاب إلى الملك مرطاووس وأنا ما أعلم ما فيه (قال) ففرح البطال فرحا شديداً وتقدم إلى الأرمنى وقال هات الكتاب فهذا حاجب الملك وقد أشار إلى الخليفة بيده فأعطاه الأرمنى الكتاب فقال البطال يا مولانا احفظ هذا الكتاب ولا يقرأه عليك إلا عقبه ربمـــا يكون خطه خط عفص فما يقرأه أحداً غيره هذا وقد وصلوا إلى باب البلد وقد صاح أبو محمد بالحراس فقالوا له من تكون فقال أنا خادوعس فقالوا له أهلا وسهلا يا خدوعش وحق المسيح ما نصدق بوصولك جبت الأحمال والرجال الذى أوصى بهم الملك فقال نعم جبت كل من فى القرية وشيوخها ورؤسائها وفتيانها هـــذا كله يجرى وعقبه ينظر للحراس وقد نزلوا وفتحوا الباب وهم فراحاً به وهم ينادرن أهلا وسهلا يا خدوعس فقال عقبه فى نفسه لاستر الله على ذلك الشيطان والله أن هذا الاسم واقع به ولا بد أنه الليلة يخرب بيت مرطاووس ويقطعون رأســـه مع جملة الرءوس (قال) ثم أنهم دخلوا البلد وقد انفطرت مرارته ودمعت عينه الصحيحة فنظر اليه أبو محمد وهو على تلك الحالة فقال له

ما بال الشيخ تجرى دموعه هـــذا كله فزعا على عموريه فقال يا ولدى سروراً على نصرة المسلمين على الروم الملاعين أجريت دموعى كما قال الشاعر حيث يقول :

غلبت السرور على حتى أننى   من عظم ماقد سرنى أبكانى
ياعين قد صار البكالك عادة   تبكين من فرح ومن أحزان

فقال أبو محمد يامن هو بنصرة المسلمين راضى أنا أسألك أن تكثر له من هذا الفرح معنا فى هذه الليلة ولما أن صاروا من داخل الحراس فقال أبو محمد البطال اعطوا هؤلاء قليلا من هذا الزيت والعسل وأطعموهم من هذا العسل (قال) فجعلوا الحراس يدعون وعقبه يحرك رأسه ويقول أخرب الله بيوتكم لا تأخذوه الا مصفى والساعة يخرجوا السودان ويجعلوكم رءوس بلا أبدان هذا والبطال سار قاصداً الى الملك مرطاوس الى أن دخل عليه وصار بين يديه وقال يا مولاى ائذن لى ادخل عليك الرجال فقال ادخلهم بارك المسيح فيك وعليك فرجع البطال وقد فك الأعدال واخرج منها الرجال ودخل على الملك برجال كأنهم من الجبال العوال فقال الملك يا خدوعس لقد صدقت فى وصفك لهؤلاء الرجال وهم يصلحون لنقل الصخور والأحجار الثقال (قال الراوى) هنالك تقدم اليه الامير الكبير والسيد الخطير الاسد الوثاب الامير عبد الوهاب وقال وحق الملك التواب لقد صدقت فى هذا الخطاب ولكن فى غير هذه الديار ثم وثب صار معه على السرير واقتنصه اقتناص الباشق لاضعف العصافير وقد وقع السيف بعد ذلك فى الكبير وفى الصغير (قال) واما لؤلؤ فانه حط حمل واخرج منه الامير ملابط البغال وهو كأنه جمل حل من الاعتقال (قال الراوى) الى هذه الأقوال ان كان بعض الحراس قائماً وفى يده قصعة يريد ان يأخذ فيها عسل فلكمه ملابط البغال على وجهه فهشم انفه وكان ذلك سبب حتفه فقال له عقبه ذوقه هـــل هو طيب ام لا فقال بعض الحراس اشربه يا قرنان فوحق المسيح انه عسل مليح وهو من راس الضرف ثم انه انهزم وطاب النجاة هذا وقد حات السودان جميعها ومالت على الحراس وقطعوا منهم الانفاس وقد صاروا مثلا بين الناس وجعلوا ينثرون الرءوس والاضراس وطلبوا الخلاص هـذا والحسام يعمل فى تلك الاجناس وما تركوا لهم مناص وصاروا كل من لحقوه ارموا منه الراس (قال الراوى) هذا وقد ملكوا مفاتيح البلد ووقعت الوقعة وثار الصياح فى القلعة فعند ذلك قام القاعد واستيقظ الراقد هذا وقد عملت السيوف فى الرقاب ونزل على الاعداء البلاء والعذاب وصاح بعض الحراس وكان من جملة الاوباش الارجاس وقال وحق المسيح ان هذه الاحمال كلها التى اتوا مع القوم كلها اكياس

(قال الراوى) هذا وأبو محمد البطال لم يكن دأب الا انه أخذ جماعة وفتح باب البلد ونادى من داخلها بالتهليل أيضا والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وسلم فعند ذلك تصايحت بنى كلاب هم والسودان الانجاب هذا ولما ان رأت العساكر باب البلد قدفتح والتهليل منه قد سمع وثبوا مثل الذئاب وأخذوا سيوفهم وحجفهم وساروا نحو البلد (قال الراوى) فما كانت الاساعه حتى صاروا إلى البلد وتبعتهم سائر الاصحاب ومازالوا يتسابقوا إلى ان صار فى البلد مقدار مائة ألف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم هذا والسيف يعمل فى أهل البلد وأتت الاجناد وقد ضربوهم بالصفاح إلى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فقتلوا من الروم خلق كثير هذا ولما ان رأت الروم إلى ما حل بهم من الذل والهوان صاحوا الامان الامان (قال الراوى) لهذه المقالات هذا ولم يكن للمعتصم شغل الا انه طلب الجاريه الهاشميه وقال له ياأبو محمد ائتنى الساعه بها فقال سمعا وطاعه ثم انه أعلمه بمكانها فقال عند ذلك المعتصم أنا أسير بنفسى اليها فعند ذلك تقدم الأمير أبو محمد البطال وسار وقد سار الخليفه من خلفه إلى ان وصلوا إلى تلك الصومعه فدخل البطال إلى الجارية هذا والمعتصم قد داخلته الحميه الإسلاميه ولما ان تقدم البطال إلى الجاريه الهاشميه فقال لها يازينب فقالت له لبيك فقال لها ارفعى صوتك ونادى وامعتصماه فعند ذلك رفعت صوتها ثم نادت وامعتصماه فأجابها المعتصم وقال لها لبيك لبيك هاأنا قد سمعت ندائك وبادرت إلى خلاصك من أعدائك (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما ان سمعت الهاشميه كلام أمير المؤمنين وقعت إلى الأرض من شدة الفرح وكذلك المعتصم أخذه الزمع وغاب وقد وقع مغشيا عليه من ساعته ثم انه بعد ساعه أفاق وقد جرت دموعه من الآماق وكذلك غشى على الاميره ذات الهمه وولدها الأمير عبد الوهاب هذا وعقبه قد خرق ثيابه وعلا بكاه وانتحابه ورفع صوته وقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا) فلما ان سمع أبو محمد ذلك الكلام قال صدق الله العظيم وصدق رسوله النبى الكريم هذا كلام الله وهذا صوت طيب من جوف خبيث ولكن لعنك الله ياعقبه يانحس (قال الراوى) فلما ان سمع عقبه من البطال ذلك الكلام ضحك ضحكا عاليا لكنه ضحك الخجل وقال له اسكت الساعه ياأبو محمد فما هذا وقت مزاح ومولانا أمير المؤمنين فى هذا الاستماع فقال له ابو محمد وحق الرحمن مارأت عينى أبلط منك ياابن القرنان ولاأجلد على العقوبه والهوان (قال الراوى) ولما ان أفاق المعتصم أحسن الى الجاريه غاية الاحسان وأخلع عليها ثياب حسان وقد أوهبها الأموال وقال هذه الجاريه أريدها أن تكون قهرمانه فى دارى فقالت الجاريه وقدقبلت الأرض

بين يديه اعلم ياأمير المؤمنين ان دارك وحرمك مثل حرمى ولكن قد نذرت لله نذرا متى ماخلصنى ربى من هذه الشده التى كنت فيها أن أقيم مجاوره فى مكه طول عمرى إلى ان أموت فقالت أم البطريق وأنا كذلك ياأمير المؤمنين فعجب المعتصم من كلامهما وقال ذلك اليكما وعلى الكسوه والنفقه وجميع ماتحتاجون (قال الراوى) هذا كله يجرى والنهب عمال فى البلد وقد جمعوا منها أموال وأسلاب وقلعوا من عموريه الأبواب وكانوا قد أعجبوا الخليفه وكان قد وصى بقلعها لما ان أعجبوه وقال مثل هؤلاء لايكونوا إلا فى دارالسلام ببغدادهذا ولما ان قلعوا اقال المعتصم كيف نعمل الساعه بهذه الابواب حتى يوصلوا إلى بغداد فقال لقمان الغلام أجير الحداد اعلم ياأمير المؤمنين ان هذه الابواب يعمل لها بكر ويركب عليها عجل وتحمل هذه الأبواب إلى الفرات وتحمل فى الزوارق الكبار إلى بغدادثم تعمل من تحتها أطواق الضروف (قال الراوى) ان كانت هذه الأبواب لهـا ثلاث مصارع أزواج مارأى أحداً أحسن منها ولا من صنعتها ولا شاهدرا مثلها أبداولا عمل شكلها فى بلاد الروم ولافى بلاد الاسلام هذا وقد عمل لها عجل على بكر وحملت عليها وسيرها المعتصم مع جماعه إلى الفرات وسيرت مع الملاحين وأما المصاريع الكبار فانها غرقت فى الفرات وأماالمصاريع الآخرين فانها ركبت على باب الرقه والزوج الثالث فانه ركب على باب العامه ببغداد وهى إلى يومنا هذا (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء (وأماماكان) من المعتصم فانه لما ان سيرالابواب وعول بعدها على الارتحال والذهاب قال له أبو محمد البطال ياأمير المؤمنين قبل أن ترحل تنظر فى الكتاب الذى أخذته من الغلام فى الطريق فقال له الخليفه والله لقد ذكرتنى به ثم انه أخرج الكتاب من عمامته ونظر اليه وإذا هو بخط عقبه فقال الخليفه هذا والله خطه لامحاله فعند ذلك أمر باحضار عقبه فى عاجل الحال فلما ان حضر ناوله الكتاب المعتصم فأخذه منه ولما ان أخذه منه فقه ورأى مافيه من الخطاب التفت إلى المعتصم وقال له ياأمير المؤمنين من عمل على مثل عموريه هذه الأعمال وخبا السودان فى الاعدال الذى كل واحد منهم مثل الجاموس وفعل فعلا يعجز عنه بطليموس وهرمس وجالينوس مايقدر يتفرغ لى أنا ساعه من النهار ويعمل عملا تحير فيه الافكار يامولانا ان ولدى الأمير عبد الوهاب يقول والله ماندخل البلد الا وعقبه معنا حتى نتبرك بطلعته وتشملنا بركته فكيف تدع ياأمير المؤمنين شهادة الامير عبد الوهاب وأمير بنى كلاب ومقدم جميع السودان الانجاب وتسمع من هذاالشيطان الكذاب الذى زور على هذا الكتاب وأنت تعلم انه لوأراد ان يزور على خط كل من فى الدنيا الفعل ويكون ذلك عليه من

أيسر العمل (قال الراوى) فلما ان سمع المعتصم من عقبه ذلك المقال انقلا عليه المحال ودخل عليه زخرف المقال وعلى سائر الحاضرين ممن لا يعرف ما عليه عقبه ولا يعلم بكفره ونفاقه فقال المعتصم نحن ما نقطع عليك إلا بشهادة الأمير عبد الوهاب ثم ان المعتصم ضحك فى وجه الأمير عبد الوهاب وفى وجه أبو محمد البطال وقد ظن الخليفه ان ذلك من مكره لأجل ما بينه وبين عقبه من العداوه ودخات النوبه وتغطى بياض حق أبو محمد بنفاق عقبه وسواده وزوره ومحاله وبهتانه وضلاله (قال الراوى) هذا وقد جمعت الأموال والغنائم وعولوا المسلمين على الارتحال والعوده إلى الديار والاطلال وقد خرجوا من عموريه وأمر المعتصم بهدمها فهدموا أسوارها وحصاراتها وقصورها وسائر أماكنها وتركوها قفراً خراب وساروا بعد ذلك طالبين بلاد الإيمان وما زالوا سائرين إلى أن أشرفوا على مرج الأقحوان واذا بالملك ارمانوس نازل فى ذلك المكان وقد ملأت عساكره البرارى والقيعان وهو منتظر عساكر الايمان (قال الراوى) وكان السبب فى مجيء أرمانوس من القسطنطينية وركوبه كان عقبه لما أنفذ اليه الكتب ودخل عليه البطرك وأمره ايضا بالمسير هنالك جمع عند ذلك عساكره وسار طالب عساكر المسلمين على عمورية لأنه كان انفذ من يكشف له الأخبار فساروا الجواسيس وعادوا اليه واعلموه بفتح عموريه فلما ان سمع بذلك الخبر صعب ايضا عليه وكبر لديه وكذلك جميع اهل ملة الصلبان فسار عند سماع هذه الأخبار بهذه العساكر العظيمة ليلتقى عساكر الإسلام وما زال عمال الى ان نزل فى هذا المكان واشرفت عليه عساكر الإيمان وجند الرحمن فعند ذلك حملوا جميعهم من غير راحة هذا وقد التقى الجمعان واقتتل العسكران وطارت الرؤوس عن الأبدان وفتحت ابواب الجنة فى ذلك المكان للمسلمين الأبرار اهل الأيمان هذا وقد صاح الأمير عبد الوهاب فى اصحابه الفرسان وذكر اسماء بنى كلاب الشجعان وقال لهم يا بنى عمى افعلوا مثل فعلى واصدقوا فى الضرب والطعان فعندها حملوا والى الحرب اقتحموا (قال الراوى) ثم ان الأمير بعد ذلك نادى بالسودان الأنجاب وقال يا آل حام يا آل حام يالون الظلام اشفوا الصدور بضرب الحسام وافنوا الكفرة اللئام واربحوا الثواب من الملك العلام ثم ان الأمير جعل يخترق المواكب وينكس الرجال على المناكب ويصيح ويقول هذا فى طاعة رب المشارق والمغارب وفى رضا رسول الله ﷺ سيد الأعاجم والاعارب هذا وقد فعلت الأميرة ذات الهمة مثل فعاله واشد من اعماله عند ذلك طاب الجولان وصاح ابو الموت فى طائفة السودان وكشف رأسه فكشفت السودان عند ذلك رؤوسهم وقد طابت نفوسهم وقدحت النار

من عيونهم وقد حملوا على عباد الصلبان فارتعدت منهم الأبدان وتغيرت الألوان وهبت رياح النصر على أهل الإيمان وطلعت طلائع السوء على أهل الكفر والطغيان وطارت عليهم طيــور الرزايات وحامت عليهم أيضا عقبان المنايات ونزفت الدماء من الأجساد مثل أفواه القرب مع الروايات وأضحت الأجسام من لباس الحياة عاريات وعوى عليهم ذئب الفلا فأصبحوا كأنهم ضحايات وتعست أهــل الأباطيل والزور وقد زاد من الكفار العوى (قال الراوى) ولم يزال السيف يعمل فى الأبدان والشجاع تقدم وفر الجبان وقد زادت الحقود على الروم والأغبان وطعنوهم أيضا المسلمين بكل رمح مران وشالوهم على رؤس السنان وضربوا فيهم بالسيف والدبوس وأيقن ملك الروم بالعكوس وكان عليهم ذلك اليوم منحوس وطالعهم فيــه معكوس فعند ذلك قال الملك أرمانوس وحق الرهبان والقسوس ما كان فى نيتى ألتقى عبد الوهاب ولا بنى كلاب وما كان هذا كله إلا برأى الشيخ المعكوس فإن رأيه دائما رأى منحوس (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم أنه ألوى عنان جواده وطلب القسطنطينية وتفرقت بعده عساكر النصرانية وتبعتها جميع الملوك الأفرنجية وقد طلب كل واحد منهم دياره وبلاده وقد دارت عليه الرزيه والمسلمين تضرب فى أقفيتهم بالسيوف الهنــديه وأيضا تطعنهم بالرماح الخطية وما زالوا خلفهم إلى أن مزقوهم فى البريه وبعد ذلك عادوا المسلمين عنهم وهم فى حميه وأى حميه وقد غنموا غنيمة عظيمة (قال الراوى) هذا وان عقبه لما رأى ما جرى على الملوك وأبناء النصرانيه فقال فى نفسه وحق المسيح ما قصرت أنا فى هذه المشورة الرديه فلقد انعكست عليه حيلته وكانت حيلة ردية ولقد كانت الروم فى يوم مذموم وما بقى شك فى أن المسيح مسلم ولولا أنه من المسلمين ما كان يفعل هذه الفعال ويتخلى عن أبناء النصرانيه ويمكن منهم المسلمين الأنذال ويترك أهل ملته المحاميه (قال الراوى) هذا وقد جمعوا المسلمين الغنائم والأموال وساروا فى حميه وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ملطيه ونزلوا فى ظاهرها ونصبوا خيامهم والسرادقات ونزل المعتصم وأقام للراحة ثلاثة أيام وبعد أن أراح واستراح قسم الأموال بين الناس بالسويه بعد أن خرج الخمس لبيت مال المسلمين فكان مال جزيل وقد أنعم المعتصم على الغلام أجير الحداد وأعطاه من الغنائم حتى أرضاه غير الذى خصه من الغنيمة وقال له سير معى إلى بغداد فقال له بعد ما قبل الأرض أنا أريد يا أمير المؤمنين أن أكون مع الأمير أبو محمد البطال من بعض الغلمان أقرأ عليه فنون الحيل لعلى أن أبلغ من زمانى الأمل

فضحك المعتصم من هذا الكلام وبعد ذلك بأيام عول على الرحيل وقد أوصى الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال بعقبه المرتاب وأنهم يكرموه ولا يؤذوه فقال أبو محمد يا أمير المؤمنين إن كف عن المسلمين الأذية نحمله لأجل مولانا أمير المؤمنين على الرأس والعين مادام أنه يلزم أمره ولا يتحدث فى ما لا يعنيه وإن عاد إلى التعرض بنا أقمنا عند ذلك عليه البينة والشهود بالبراهين ونكائه على قدر فعاله بالمسلمين فقال الخليفة لكم ذلك إذا أقمتم عليه البينة وأنا أيضا إذا أقمتم عليه الشهادة بذلك أعنتكم عليه (قال الراوى) ثم أن المعتصم رحل بعد ذلك طالب بغداد وقد ترك فى قلوب الروم حرارات وأحقاد هذا ولم يزال سائر بالعساكر والأجناد وهو يقطع بهم الآفاق إلى العراق فكان له نهار لا يعد من الأعمار ودخل إلى بغداد فكان لدخوله يوم ما رؤى مثله فى سالف الأعوام وهو وهو أحسن من أيام الأعياد ولما أن صار فى القصر ومحل نهيه وأمره وأقام ذلك اليوم وقد ركب فى موكب لم يوجد مثله ولما أن كان ثانى يوم اجتمعت عنده أرباب الدولة والوزراء والحجاب وأرباب الدواوين والكتاب والشعراء والأدباء وكل من فيه حكمة فجال فى خاطره ما جرى له فى عمورية من الحرب وما تم عليه من البرد والكرب فقال على جميع الشعراء فحضروا الجميع بين يديه وفيهم الشاعر الرئيس حبيب بن أويس الطائى فقال له الخليفة ياحبيب أريد منك أن تنشدنى قصيدة تمـــدح فيها المجاهدين وتهجو فيها المنجمين فقال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين (قال الراوى) وكان سبب هذا القول من الخليفه أنه لما طال عليه فتح عمورية عند نزوله عليها وطال عليه المطال أحضر جميع المنجمين وأصحاب التقاويم وقال انظروا إن كنت أقدر على فتحها فى هذه الأيام أم لا فاعتنوا ذلك ثم قالوا يا أمير المؤمنين رأينا فى علومنا انما تفتح هذا البلد إلا فى أيام الصيف فى زمان التين والعنب تأخذها بحيلة أبو محمد البطال فى عشرة أيام (قال الراوى) فلما أمره الخليفة بذلك قال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ثم انه رفع صوته فى ذلك المجلس وأنشد يقول هذه الأبيات :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفايح لاسود الصحائف فى ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الأرواح لامعة ... بين الخميسين لافى السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف التقويم والكذب
تخرصاً وأحاديث ملفقة ... ليست بعجم إذا عدت ولا عرب
عجائب زعموا الأيام مخلفة ... عنهن فى صفة الأصفار أو رجب

وخوفوا الناس من وهن فما ظلمت ... إذا بدا الكوكب الغربي والذنب
وسيروا في علا الأبراج مرتبة ... ما كان منقلباً أو غير منقلب
يقضون بالأمر منها وهي غافلة ... ما زادني فلك منها وفي وطب
فتح الفتوح تعالى أن يحاط به ... نظم من الدر أو نظم من الخطب
يا يوم وقعة عمورية فانصرفت ... منك المحافل مع معتلة الحسب
ألقيت ماتم للإسلام في صعد ... والمشركين ودار الشرك في ضبب
بكراً فما اقترعت كفى بحادثة ... ولا تخطت اليها همة النوب
من عهد اسكندرا وقبل ذلك قد ... شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
حتى إذا محض الدهر السنون لها ... إن الخلافة كانت زبدة الحقب
لما رأت أختها بالأمس قد خرجت ... كان الخراب لها أعدى من الجرب
كم بين حيطانها من فارس بطل ... قاني الذوائب قد ذابت من الشهب
لقد تركت أمير المؤمنين بها ... والناس بين دليل الصخر واللهب
حتى اذا ما جلاليب الدجا طلعت ... عن لونها وكأن الشمس لم تغب
لو يعلم الكفر كم من أعصى كنت ... له العواقب بين السمر والقضب
تدبير معتصم لله منتقم ... لله مرتقب لله مرتعب
لم يرم قوساً ولم ينهض الى بلد ... الا ويتقدم جيش العجم والعرب
ومالك الله يرجها فهدمها ... ولو رمى غيركم والله لم يصب
لما رأى الحرب رامي العين من غلس ... والحرب منشقة النعاس والحرب
هيهات زعزعة الأرض الأسود بها ... عن غر ومحتسب لاغر ومكتسب
لم ينفق الذهب المربى لكثرته ... عن الحصار به فقراً الى الذهب
ان الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة في المسلوب إلا السلب
فما ملاذي وما ذخري وما سندي ... سوى شفيع الورى والناس في عطب
ثم الصلاة مع التسليم ما طلعت ... شمس النهار وما لاحت من السحب

(قال الراوي) فلما سمع الخليفة ذلك الشعر والنظام شكره على ذلك وأخلع عليه وكذلك كل من كان حاضر وخرج الشاعر شاكراً ولنعم الله ذاكراً وأقام الخليفة وهو فرحان بما فتح الله عليه وهو على حاله يخلع ويهب ويتصدق بالفضة والذهب ويكسي لأرامل والأيتام والفقراء شهراً كاملا حتى غمر جميع الناس بالعطاء الشامل ومدحته سائر القبائل (قال الراوي) وكانت هذه الغزاه مذكورة لبني العباس وعمت بركاتها جميع

الناس ثم أن الخليفة بعث من الثياب الرومى كسوة لبيت الله الحرام وأنفـــذ الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وكذلك لمن فيها من الخدام وأخذه الدعاء من سائر الأقطار فهذا ما كان من امير المؤمنين (وأما ما كان) من أخبار ملطيه فإن عقبه كان فى قلبه النار الحيه من أخذ المسلمين عموريه ومما جرى على أهل ماء المعموديه فكانت عليه أعظم بليه وكان أشد ما عليه حجاف النميرى مما كان يرى من عبادته وحسن مواظبته على الخير والصلاح والقيام والصيام وكان كلما رآه على تلك الحالة زاد به الكمد من شدة الحسدهذا وقـــد انفطرت مرارته واشتدت حسرته وتمنى هلاكه واتلاف مهجته وانصرام عمره (قال الراوى) ان كان حجاف مشتغل بعبادة الملك الكبير وهو صائم النهار قائم الليل وكان الله سبحانه وتعالى قد ابتلاه بمحبة ابنته لأنها كانت طوعا له تؤنس وحدته وتعينه اذا هدأ الليل على تلاوته وتساعده على قضاء حاجته وكان لها من العمر اثنى عشر سنة وقد عبرت فى الثالثة عشر ومع ذلك كانت صوامة قوامة كثيرة الخوف من يوم الحسرة والندامة وهى راغبة على صغر سنها فى الدار الآخرة ومعرضة عن الدنيا الساخرة وكانت تقوم فى المحراب ولا تلبس الا أخشن الثياب وكان أبوها أقرأها القرآن كتاب الله الملك الديان جل جلاله وتقدست أسماوه وكانت كل ليلة جمعـــة تختم ختمة وقد صار لها بهذا عادة ولم تزل كذلك تنطق بالحكمة وتتكلم بالمواعظ الحسنة وتتلو كلام محيي العظام حتى أنها أذهلت بفصاحتها الفقراء الكبار وقد ظهر من جبينها الأنوار وصار وجهها مثل البدر اذا استنار وهذا تصديق لقول سيدنا محمد المختار صلى الله عليه وسلم آناء الليل واطراف النهار حيث قال من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار هذا وقد شاع ذكرها بين العبادحتى وصل حديثها الى بغداد وصاروا الناس يقصدونها من كل مكان وكذلك النساء والبنات الأبكار وأسلم على يديها جماعة من بنات الأبكار الكفار الذين هم فى ملطية وتركوا دين الضلال ودخلوا فى دين الحنيفية وصار لها تلامذة من بنات السادات وقد بقوا معها متعبدات يصومون لصيامها ريقومون لقيامها (قال الراوى) فلما أن نظر عقبة الى ذلك ذابت مهجته واشتدت مصيبته وقال فى نفسه وحق المسيح لقد ازدادت هـــذه الشيطانه فى العبادة والدين وأنزلت الهم على قلب عقبه اللعين وأن دام هذا بطل دين النصرانيه ولا بد لى أن أدبر على هلاكها وأفجع المسلمين فيها وأحرق قلب أبوها عليها وأن فعلت ذلك فما يدخل على قلوبهم أعظم من هـــذه الحسرة ولا يطفأ أبوها أمر من هذه الجمره ويناله على فقدها حسره وأى حسرة (قال الراوى) ثم أن الملعون جعل عليها الرصد وصار يدبر على أتلافها هذا وقد شاع ذكرها فى سائر

الآفاق مع السفار والطراق إلى أن وصل إلى أرض العراق وسمع المعتصم والسيدة زبيده بذكرها وحديثها وصيامها وقيامها فتمنوا أن ينظروا اليها ويشاهدوا كلامها فكتب الخليفة بذلك إلى الأمير عبدالوهاب كتاب وشرح له مافى قلبه من محبة هذه الجارية فى الكتاب وقد قال له فيه أعلم أيها الأمير انى قد سمعت بحديث هذه الجاريه العابده الزاهده وأريد منك أن تسأل أباها أن يسير إلى العراق لأنه قد شاع ذكرها فى الآفاق ثم أنه أنفذ ذلك الكتاب مع نجاب فسار من وقته طالب ملطيه وما زال إلى أن وصل اليها ودخل على الأمير عبد الوهاب وناوله الكتاب ففضه وقرأه وفهم رموزه ومعناه فأجاب بالسمع والطاعة وأخبره بما أتاه فى الكتاب وقد أرسل الأمير عبد الوهاب وأحضر الأمير حجاف من تلك الساعة وأعلمه بهذه الأمور والأسباب ثم أنه أعرض عليه ذلك الكتاب ففرح الأمير حجاف بذلك غاية الفرح وقال له أيها الأمير والله اننى كنت أشتهى ذلك حتى نسمع كلامها علماء بغداد ويقيسونه بكلام أهل العلم والمعرفه والسداد لأن قلبى قد خامره الشك فيما تقول وقد قلت ربما يكون كلامها كثير بلا فائدة ولا محصول ولا يكون يوافق الشرع وأنا خائف من هذا (قال الراوى) وكان عقبة قد شنع عليها فى ملطيه أن كلامها هذا خلط وجنون وهو لا يوافق كلام الشرع الشريف المفتخر وأن رأسها قد نشفت من القراءه وكثرة السهر وذلك من حسده وبغضته للمسلمين وأراد أن يوقف كلامها عند العوام أجمعين (قال الراوى) بهذا وقد امتثل أبوها حجاف أمر الامام فعمل شغلها وجهزها فى ثلاثه أيام وسيرها إلى بغداد وسير معها أيضا جماعه من صويحباتها العابدات ومعهم من العجائز جماعات (قال الراوى) ولما أن سارت أنفذ الأمير كتاب إلى ملطيه على جناح الطائر إلى الخليفه من وقت خرجت من ملطيه ولما أن وصل الكتاب إلى العراق أتى به البراج إلى الخليفه وقرأه وفهم معناه فوقت لها ميقات وما زال فى انتظارها حتى قربت من العراق ولما أن وصلت إلى بغداد أخرج المعتصم إلى لقائها جماعة من جوار القصر ومعهم الخدم وخرجت من نساء بغداد ومازالت سائره إلى ان التقت القادمين بالمقيمين فسلموا عليها وأخذوها وساروا بها إلى أن أدخلوها على الخليفه وكانت قد ضيقت لثامها وحوالبها أيضا جماعة من البنات بهذا ولما أن وصلت إلى الامام وصارت بين يديه ورأت أرباب الدوله والحجاب والوزراء الكتاب اليها لما أن دخلت وسلمت ولم تقبل التراب فوقعت الهيبه فى جميع الحضار فعندها رفعت صوتها وقالت السلام عليك ياأمير المؤمنين الناظر فى أحوال الرعيه أجمعين المتولى مصالح المسلمين أهل النصيحه المتقين ياأمير المؤمنين كم من نعمة فى الدنيا وافره أورثت صاحبها عذابا

طويلا فى الآخره وكم كرامه أورثت صاحبها ذلة وندامة وكم شهوه بلغها العبد فى هذه الدار أعقبته ذنوبا وأوزار واحرمته النظر إلى وجه الملك الجبار ياأمير المؤمنين ما كلما وقع فى يدك باق عليك فقدم لك فى الآخرة قدم وسابق بالمكرمات من قبل الندم ولا تميل إلى ماجمعته واعلم بانك تاركه ولا تنسى طريق الموت فانك سالكه ولا تقول أنى رأيت الناس يجمعون فالكل على ما يجمعون يندمون وأكثر من العمل الصالح من قبل أن تسئل عن الذى جمعت وتسأل الرجعة فلا تقبل وتحل فى لحدك وتنصرف عنك عساكرك وجندك فان قربك أطمأنت نفسك وان أبعدك هجروك أهلك وأبناء جنسك اما سمعت قول الملك الجليل يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه واعلم أنه مايلزمك أمر الا مادامت الروح فيك فلو أنها فارقتك أبعدوك أهلك وأخرجوك من بينهم ولم يحملوك وما أنت الا بمثل ضيف أقام قليلا وارتحل وخلى فى لحده بالعمل فاياك أن تاهيك قصورك ودورك فانك ليس لك فيها قعود وان ماتسكنه فى دار الخلود واذا حصلت فى جوار الملك المعبود ونظرت الى منازل الاتقياء والمقام المحمود وقبلت منهم ثمرة الركوع والسجود يوم تنكر الوالدة المولود وتطاير الصحف على رؤس الخلائق بيض وسود وتساق المجرمين ويظهر صدق قول الملك المعبود كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها فاتبع ياأمير المؤمنين سبل العارفين والزم سنن الصالحين وسنة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلما سمع الخليفه كلامها على صغر سنها علم أن هذا علم وهبي وأن لها عملا مرضى فبكى حتى غشى عليه وبكى كل من كان حواليه فلما أفاق قال لهم أى شىء تقولونه فى هذا الكلام فقالوا له هذه الحكمة بعينها فالتفت الخليفة اليها وقال سبحان الذى أجرى على لسانك هذا المقال وسوف أعطيك من المال شىء يرضيك ويرضى آبائك ويكفيكى بقية زمانك لانكم من أهل بيت العباده والقرآن فقالت ياأمير المؤمنين مارضى بالدنيا لغيرى فكيف أرضى بها لنفسى دعنى أعود الى بيت أبى فلا أخرج منه حتى يدركنى الموت فقال لها الخليفه أدخلى الساعة عند الحريم حتى تجتمع بكى السيده زبيده لتفوز بمشاهدتك وتنتفع بموعظتك فقالت السمع والطاعة ثم وليت تطلب بيت الحريم فأرسل المعتصم خلفها الخدم وقال لهم كلما تقوله اكتبوه عن آخره فهو كلام تنتفع به أهل العقول ويقع للإنسان منه المحصول هذا وقد دخلت إلى بيت الحريم وكانوا قد اجتمعوا لقدومها فلما رأوها قاموا عند دخولها ورفعوا قدرها فقالت السلام عليكن يا مخفيات خلف الحجاب والآمنين من البكا والا نتحاب ولابد لكن من الوقوف والحساب ويكفيكن أن فى الخبر عن سيد البشر أن النساء

أكثر أهل جهنم لأن ما فيكن من يقنع باليسير ولا يشكرن على الكثير فإياكن أن تجعلن هذه الدار لكن دار على أنكن مخلدات أما سمعتن قول رب العالمين فى كتابه المبين وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين وقد قال محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ معاشر المسلمين اعلموا أنكم ركب وقوف ما يدرى أحدكم متى يدعى فيجيب ومثل ابن آدم مثل الراكب فى يوم هجير فرأى شجرة اسيظل تحتها ساعة من النهار ثم تركها وانصرف فلا تشتغلن إلا بما يجب ولا تعملن إلا ما يكون لخلاصكن سبب فكأنكن بالموت قد اقترب ويندم العبد على ما فات من أيام اللهو والطرب إذا قام من التراب وحضر الحساب ويقال أوقفوه ولا ينفعه حسب ولا نسب ولا فضة ولا ذهب إلا ما كتب (قال الراوى) ولم تزل السعيدة تردد الكلام حتى أبكت سائر النسوان وأما السيدة زبيدة فانها اغشى عليها من ذلك الكلام وتاب فى تلك الساعة من تاب ثم أن السيدة أعرضت عليها شىء من المال فأبت وقد قالت مدرعة من الصوف أحب الى من المياه والألوف ثم أنها باتت عندهم فى القصر وكانت صائمة فأكلت عند المساء مع السيدة زبيدة شىء يسير وقامت الى عبادة الملك القدير ووافقتها زبيدة على ذلك العمل والرواح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وطابت منها الدعاء فأوصتها بفعل الخير (قال الراوى) وكان صبيحة ذلك اليوم قد اجتمع علماء بغداد وطلعوا الى المعتصم وقد سألوه فى احضارها وأيضاً سماع كلامها قبل انصرافها فهم كذلك واذا بها قد دخلت مع الخليفة تطلب منه الوداع والاذن فى الانصراف الا أنها لما رأت ذلك الجمع تكلمت وخطبت خطبة بليغة وجلت منها القلوب وقالت عند انتهاء الخطبة اللهم انى اسألك بالف المعطوف والنقطة التى هى مبدأ الحروف بباء البهاء بتاء التابية بثاء الثناء بجيم الجمل بحاء الحياء بخاء الخوف بدال الدلالة بذال الذكر براء الربوبية بزاء الزلفى بسين السناء بشين الشوق بصاد الصفاء بضاد الضمير بطاء الطاعة بظاء الظلمة بعين العبادة بغين الغناء بفاء الفوز بقاف القدرة بكاف الكفاية بلام الألوهية بميم الملك بنون النهاية بواو الوفاء بلام الالفة بلا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمداً عبدك ورسولك وحبيبك ونجيبك الحسيب النسيب صاحب البردة والقضيب والبراهين والآيات والدلائل والمعجزات والشفاعة فى المحشر ﷺ وعلى آله وأصحابه ما اتصلت عين بنظر وسمعت أذن بخبر (قال الراوى) إلى هذا الكلام المفتخر ثم أنها أقامت إلى الصباح وسألت السيدة زبيدة فى العودة إلى أبيها فتكلمت زبيدة مع المعتصم فى ذلك فجهزها أحسن جهاز وأركبها على ناقة عالية وجهز لأبوها هدية وأرسل معها خيلا

تحفظها وما زالوا سائرين ليلا ونهار يقطعون البرارى والقفار حتى وصلوا إلى أراضى الهيلار وهو مكان قريب من ملطية وإذا قد خرج عليهم سبعون فارس من العرب المتنصرة (قال الراوى) فأخذوها وقتلوا كل من كان معها من الفرسان وقد ساروا بها وهم طالبين عبدة الصلبان وكان هذا من تدبير عقبه المهان لأنه لما رأى فعلها وعلم بخروجها إلى بغداد أعلم بذلك غلامه عبد المسيح وقال له اعلم أنى منذ نشأت ما رأيت مثل هذه الجارية ولا أفصح منها لسان ولا أقوى جنان وإن لم أعمل على هلاكها وعذابها ما يكون من عبدة الصلبان وقد عولت أن أرسلك إلى جزيرة من جزائر الروم إلى صديق لى من العرب المتنصرة ثم أنك تأتى بجوابه وتغتنم من المسيح ثوابه فقال سمعاً وطاعة (قال الراوى) فعند ذلك كتب له عقبه كتابا وقد أعطاه لغلامه حتى أوصل الكتاب فأخذه وقرأه وإذا كلمة كفرهم ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وبعده يقول أيها الملك أنى ما قطعت عنك أخبارى إلا لأجل اشتغالى بعبد الوهاب وأبو محمد البطال الكذاب وقد زاد بلاى برجل آخر يقال له حجاف وهو أزهد كل من فى الأرض الآن وله بنت ما رأيت فى علماء المسلمين مثلها وأريد أن تنفذ جماعة من أصحابك من غير أن تعلم بهم الملك أرمانوس ولكل فارس منهم ألف دينار ولك أنت عشرة آلاف دينار على سبيل الهدية والمزار وتأخذوا هذه الجارية من أراضى الهيلار وتودوها إلى آخر الجزائر الكبار (قال الراوى) فلما سمع الملك مرحبون ما فى الكتاب أنفذ إليها هؤلاء الفرسان فأخذهم غلام عقبه وسار يقطع البرارى والقفار حتى وصل بهم إلى أراضى الهيلار وأكمن بهم فى طريق الجارية فلما أن رجعت من بغداد كما ذكرنا أخذوها وقد ساروا بها طالبين بلاد الروم كما وصفنا فلما وصلوا بها إلى بحر أقلعوا بها إلى جزيرة روبيس ووصل الكتاب إلى مرحبون ويقول فيه أنى ما قدرت على الخروج من ملطية لا ليل ولا نهار وإياكم أن يراكم أحد من التجار وأكثروا عندها من قراءة الإنجيل فلعلها إلى دين النصرانية تميل وإن تنصرت وطلب أحد من البطارقة زواجها زوجوها وإلا فأرسوها فى بعض المراكب من جزيرة روبيس إلى جزيرة المعادن وملتقى البحرين وأطراف الأقصى (قال) وكان بين جزيرة روبيس إلى جزيرة المعادن أربعين يوماً بالقلع وفى البر أربع شهور ومن جزيرة الطرف الأقصى فى البحر شهرين وفى البر سنة كاملة وإذا وصل أيضاً الإنسان إلى هناك يرى أربعمائة قلاية فى لحف الجبل وقد أحدق بهم البحر وذلك البحر لا يرى من خلفه عمارة الأسواد مظلم لا يعلم أحد هل هو بحر أو بر وكل راهب قد اشتغل بالعبادة عن غيره

(قال الراوى) إلا أن الملك مرحبون لما أن وصلت إليه الجارية جلس فى كنيسته وأحضر الشمامسة والرهبان وأيضاً القساقسة وأمرهم بتلاوة الإنجيل فأجابوا بعضهم بعضاً باختلاف الألحان والترتيل فلما أن سمعت الجارية ذلك بكت وأنت واشتكت فقال لها مرحبون لم تبكى يا جارية فزاد بكاها ورفعت إلى مولاها قصة شكراها وقالت يا مولاى هذا كله برضاك وما وقعت مع هؤلاء الكفار إلا بقدرتك وما يخلصنى من أيديهم إلا إياك فلا تعوضنى من حلاوة التوحيد بالاشتراك فأنت الواحد فى أرضك وسماك ثم أنها أشارت تنشد وتقول هذه الأبيات :

إلهى قد شكوت إليك حالى ... وأنت عالم يا ذا الجلال
إلهى بعد صومى فى نهارى ... وبعد بكائى فى ظلم الليالى
وبعد قراءتى فى جنح ليل ... واقرارى بانك ذى الجلال
وبعد جهادى فى الأعداء حقاً ... عن الاسلام فى يوم النزال
فتسمعنى شيوخ الكفر يتلو ... من الانجيل أصناف المحال
فهذا كله بقضاك يجرى ... وفيه رضاك يامولى الموالى

(قال الراوى) فقال لها مرحبون ما اسمك يا جارية فقالت له أنا سعيدة إن كنت على ما يصيبنى منكم جليدة وأموت على الاسلام شهيدة فقال لها دعى عنكى ما أنتى فيه وعودى إلى الدين العتيق تعرفى ما كنتى عليه من خلاف الطريق وإن كان غرضك الزواج فأنا أزوجك بأحد من هؤلاء فقالت له أقصر عن هذا الكلام وألا تندم عند نفخ الصور يوم خروج الخلائق من القبور وكل دنياكم محال وغرور لأن المسيح عبد الله ورسوله بلا فجور وهو يحشر مع الخلائق ويسئل عن الدقائق (قال الراوى) فلما أن سمع مرحبون كلامها أمر بضربها فضربت إلى أن غشى عليها فعندها قال الملك مرحبون لأهل دولته أريد مركبا تحمل هذه الجارية إلى أرض المعادن وله ألف دينار ويوصلها إلى الطرف الأقصى حتى ينزلوا بها العذاب والبلاء فقالوا البطارقة السمع والطاعة (قال) فجهزوا لها مركباً مليحاً وأنزلوها فيه وساروا بها يومها وليلتها إلى الصباح فأفاقت على نفسها ووجدت الراحة مما كانت فيه من الشدة والضرب ونظرت روحها فى مركب سائرة على وجه الماء فأقبلت على البطارقة وقالت لهم ويلكم إلى أين تذهبون بى فقالوا لها إلى موضع لا يطلع لكى منه خبر ولا تعودى إلى بلاد الاسلام ما أظلم الظلام واعتكر وأضاء الصبح وانفجر حتى تقولين أن المسيح هو المعظم ومخرج الماء من الحجر فصاحت الجارية السعيدة الله أكبر الله أكبر الذى نهى وأمر وخالق

الشمس أيضاً والقمر ومظلم الليـــل إذا اعتكر ومنور الصبح إذا انفجر خالق الخلائق أجناساً وصور خالق آدم أبو البشر من غير أنثى ولا ذكر ولا أم تكون للنطفة مستقر بل خالقه من تراب حتى يكون لكم فى ذلك معتبر وكيف يصل عقل من كفر لأجل خلقه المسيح من غير ذكر وهو نبي عظيم مكرم موقر صـــلى الله عليه وعلى نبينا وسلم عدد ورق الشجر وأنه يقف فى يوم القيامة خجلان لأجل كذبكم عليه وقد علم غضب القادر المقتدر وأما قولكم تحملونى إلى موضع لا يطلع لى منه خبر فهل تقدرون أن تطرحونى فى محل لا يكون لمولاى فيه أثر وهذا شيء لا تقدرون عليه أبداً وما دمت فى ملكه فأنا أؤمل الفرج وما بى غربتى مثل ما بى من والدى وما يجرى عليه لفقدى ولكن الله تعالى يحمل عن قلبه هم البشرية ويعينه على هذه البلية بحرمة محمد خير البرية ﷺ وبالله المستعان فقالوا لها البطارقة لا تحزنى فما دام الشيخ عقبه فى ملطية فهو أيضاً يعمل على أبيكى ويقتله كما عمل عليكى فقالت ما شاء الله كان (قال الراوى) وصاروا بها مقلعين وهم من حسن صبرها الجميع متعجبين ثم أنها قامت إلى جانب المركب واخذت شيء من الماء وجددت الوضوء للصلاة ثم جلست وخلت بنفسها وجعلت تسجد وتركع وعيناها من شدة الخوف تدمع وباتت فى حرقة قلبها تبكى وتخشع والملائكة من حسن صبرها تتعجب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من اخبار ملطية فانهم انتظروا الجارية سعيدة من يوم وصل الكتاب على جناح الطائر بخروجها من بغداد واقاموا ينتظروها مدة ايام حتى انها جاوزت الحد وزاد بأبيها اليها الاشتياق والوجد فاقبل على اخيه زحاف وقال له اعلم يا اخى انى كما ترى رجل زمن وحسبك من لا يقدر يقوم على رجليه حتى يؤدى فرض الله تعالى الا قاعداً وانا لله شاكراً وحامداً وما قلت هذا على سبيل الشكوى بل انا راض بما ابتلانى به المولى من البلوى ولكن اعلمك انى عاجز عن المراد وهذه سعيدة ابنتى قد ابطأ على خبرها وانت تعلم انى ما رزقت سواها وهى محبوبة قلبي وما لى عنها صبر اكثر من هذا وقد اضر غيابها عنى واسودت الدنيا فى عينى لأنها كانت تساعدنى على الصلاة وتنبهنى اذا نمت بتلاوة القرآن وبذكر الساعة واهوال النيران فاركب يا اخى وانا اعلم محبتك لها (قال الراوى) وكان زحاف ايضاً يحبها ولا يصبر عنها وهى التى حببت له المقام فى المدن والأمصار بعد مقامه فى البرارى والقفار فشد عليه وسار الى ان وصل الى ارض الهيلار فوجد النسوان المتزهدات مقتولات وعلى الأرض مطروحات وكذلك الفرسان الذين كانوا يشيعوها فحثى التراب على راسه وصاح ورجع نحو ملطية بالخيبة والرزية فلما ان وصل الى البلد

ناح وعدد ودخل على اخيه حجاف ودموعه منه جارية واعاد عليه ما شاهد وما رأى ووصف له ما حل بالنسوان من البلاء واشار ينشد ويقول هذه الأبيات :

الا يا اخى حل المصاب فقم بنا ... لنبكى على ما نالنا وجرى ليا
دهينا بها الله فاسمع لقصتى ... وعدد فقد جارت على اللياليا
كسينا وبيت الله عاراً مؤبداً ... مقيما فهل تبكى عليناا البواكيا
عليك سلام يا اخى من سعيدة ... سلام شهيد ام اسير الأعاديا
سبوها وبيت الله ثم تجبروا ... على عابدات كن معها غواليا
الا يا اخى ما راقبوا الله حرمة ... ولا عرفوا ما كنت عنهم محاميا
فلا شك هذا الأمر شتت شملنا ... بسهم شتات بعد طيب التلاقية
نعم يا اخى لا لأعلى ملطية ... لنا منزلا من بعدها فى حياتيا
واى حياة بعد ذا اليوم فى صفا ... تكدر عيشى بعد ما كان صافيا
الا ما ترى محرابها بعد انسه ... بصورتها قد اصبح اليوم خاليا
وما ذاك الا من مناصب عقبة ... فكن عالما بالله ما كان خافياً

(قال الراوى) فلما أن فرغ من ذلك بكى بكاء شديد فلما أن سمع الأمير حجاف ذلك ثارت حرقته وعظمت زفرته واشتدت لوعته وقد انعقد لسانه وانهدمت قوته وأركانه وازدادت نيرانه وقد وقع مغشياً عليه فى مكانه وبلغ الخبر إلى الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب فجاءوا كلهم إليه وارتفع الصياح والبكاء والنواح وما فى القوم إلا من ورد عليه مثل ما ورد على أبيها وعمها من الوحشة والقلق وقد خرج زحاف والسيف فى يده وهو طالب عقبه وهو يقول لابد لى أن أقتله وكان عقبه تلك الساعة فى داره وقد سمع الخبر وما جرى فى ملطية من الضرر فجعل يدور فى البيت ويقول يا مسيح لا تجمع شملهم ولا تبق من المسلمين نسمة واحدة وأرنى الدنيا منهم خامدة ولا ترحم هذه الشيبة التى هى لملة الاسلام جاحدة يا مسيح طول عمر عقبه إلى يوم القيامة حتى أنه يلقى بين المسلمين كل مصيبة زائدة وأسبهم فى الأقطار وتبلغ روحى الزكية ما هى لهم قاصدة (قال الراوى) ولم يتم الملعون هذه الكلمات حتى سمع الضجات وقد ارتفعت وبلغ الخبران زحاف قصده والسيف فى يده مشتهر ليقتله فى هذه الفتنة الواردة فأخذته الحمة الباردة وقد تعلقت خصيتاه الى حلقه صاعدة فخرج يعدو حتى لحق الأمير عمرو بن عبيد الله وأرمى روحه عليه وقال له يا مولاى وحق القرآن ومن أنزله عليه القرآن لقد ورد على قلبي من غيبة هذه الجارية السعيدة ما لو ورد على جبال تهامة

لها تارت به وبعد ذلك أنا منهم متهم واليوم سلمت ان اقتل مظلوم لأنى الساعة سمعت الخبر وانا قائم اصلى وقعدت مستقبل القبلة واذا بالخبر قد وصل الى بان زحاف اخو جحاف قد خرج يطلبني مثل الخطاف وفي يده سيف يريد أن يسقيني به شراب التلاف فقلت سبحان الله أنا أدعو لهم فى محرابى وهم يقصدون قتلى وذهابى ولا يراقبون الله فى غيبتى ولا يرحمون شيبتى وأريد منك الساعة تسير معى غفيرالى أرض العراق وتغالط بأمرى وتقول أننى عندك مخبي فى مكانك وأسير عن البلد وأطلب لروحى النجاة من النكد (قال الراوى) فلما أن سمع الامير عمرو بن عبيد الله هذا الكلام قال له يامسكين هذا يقال عنك وأنت مابرحت من مالطيه فكيف يرموك فى هذه الرزيه وما كنت فى الطريق حتى تأخذ هذه الجاريه وايش بينك وبينهم من العداوه وأنا أكتب لك الساعة كتاب للخليفه بانك برىء من هذه الاسباب وأسيرك الى العراق والا أهلكوك بنى كلاب على أنك والله قد أفجعتنى مما حدثتنى عن هذه الجاريه وغيبتها فالله تعالى بينها وبين ظالمها (قال الراوى) ثم أن الامير عمرو أبن عبيد الله كتب معه الى الخليفه كتاب فيه شرح ماجرى من الاسباب وكان عقبه قد خلع العمامه والطيلسان وسيرالامير عمرو معه خمسين فارس من بنى سليم وقد لبس عقبه زيهم حتى أنه ما بقى يعرف بينهم وأوصاهم الامير عمرو به وقال لهم احتفظوا بابن عمكم لايهلك ثم انه بعد مسير عقبه ركب زحاف وسار إلى دار عقبه فلم يراه فعاد وقد زاد جواه وبلاه هذا والامير عبد الوهاب قد نادى فى بنى كلاب وركب هو والامير عبد العزيز العلوى فى ألف فارس أبطال معودين للشدائد أيضا والاهوال وساروا الى أطراف بلاد الروم وفتشوا الاطلال والربوع ثم غابوا عشر أيام وعادوا بالخيبه وكان عند مسيره قد أنفذ الجواسيس بين يديه الى سائر الاقطار وأمرهم أن لايعودوا إلا أن كان بحقيقة الأخبار فغابوا أيام وليال وماطلعوا للجاريه بأخبار ولا علموا لها حقيقة آثار فلما رأى الامير حجاف هذه الأهوال زاد به البلاء والأنذهال وأن الأمير عبد الوهاب سار إلى دار الأمير حجاف ومعه سائر الأمراء والكبراء للمشورة وأحضروا أبو محمد البطال ولما أستقر بهم القرار فقال لهم معلوم ان هذه الجارية ماأخذوها الجان وماهى الا فعال الأنس وهانحن قد سرنا إلى أطراف بلاد الروم وأرسلنا الجواسيس وما ظفروا بماتروم ولو أخذوهاحرامية لحقناهم ولوأن خبرها أيضا فى بلاد الروم كنا كشفناه فقالت الاميرة ياولدى مابقى الأمن تكلم بكلام وقاس الحديث بعقله الا الأمير أبو محمد البطال فانه قاعد أيضا منكس الرأس كثير الفكر فقال الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد ايش تقول ومالى أراك ساكت لاتتحدث معنا فيم قددهانا

وتعاونا فلعل نبلغ مناتا فقال البطال ياقوم أيش أقول وحق محمد صفوة الملك المتعال من أول الأمر عرفت الحال ولكن خفت أن لا تسمعوا الى مقال لأننى ما رأيت من مقاله معقوله فسكت وتركت عنى الفضول والآن فقد صح عندى أن هذه المصيبة من بعض تدبير عقبه فقال الأمير بالله عليك ياأبو محمد دعنا من معرفه عقبه ولا ترجع لأجله تاتى بيننا وبين الخليفه وتثير الفتن بين المسلمين فقد أوصانا الخليفة عليه وما بقى إلى معارضته من سبيل إلا أن تبين عليه بينه وهذا الذى تقوله من طريق القياس وما أقول أن له حقيقة من أين أن لعقبه قوم يقفون فى الطريق قريبا من بلدنا ويفعلون هذه الفعال تحت ملجأنا وكيف يخاطر بانهتاك ستره على أنه ما برح الميشوم من ملطية ولا هو قريب من بلاد النصرانيه فقال له أبو محمد البطال وقد اغتاظ كيف كذبه الأمير فقال والله ياأمير وحق البشير النذير ما فعل هذه الفعال إلا عقبه وما الجارية إلا فى أبعد مكان من أهل الكفر والطغيان وإن أردت أن تجعله خاط وجنون أحسبه وإن أردت أن تنظر بيان هذه القصة فانفذ الساعه خاف عقبة فان كان فى ملطيه فكلما أقول عنه محال فقال الامير والا أيش اصابه فقال له هرب إلى بغداد إلى عند الخليفه لأنه خاف أن يقتل فى هذه الفتنة ولا بد أن تحكم أيضا نوبتنا فى بغداد فاما أن سمع الأمير عبد الوهاب هذا الخطاب خالطه الشك فانفذ احضر الأمير عمرو بن عبيد الله وقال له أيها الأمير اعلم أن هذا الامر الذى جرى يلزمك منه ما يلزم لأن حجاف جارنا وعاره عارنا وقد رأيت ما فعل وجاهد بين أيدينا حتى قطعت رجلاه وله عند المعتصم أوفى منزله وجاه وما فى المسلمين إلا من يحبه لأجل دينه وجهاده والرجل ما اتهم بأخذ ابنته إلا عقبه ونريد أن تسلمه الينا حتى نقرره ونهول عليه بالقتل فلعله أن يكون عنده خبر منها فقال له عمرو ياأمير أقسم بالله قسما صادقا انى لو تحققت منه ذلك لضربت بسيفى هذا رقبته ولو أنه ينال السماء بعبادته ومن الذى جرى عليه من هذه السعيده مثل ما جرى على أبيها فوالله تعالى يهتك ستر الذى أذاها وأما عقبة فوحق محمد سيد البشر ما هو فى ملطية لأنه لما سمع بأنه قد اتهم بهذه الجارية أخذ من أصحابنا جماعة من الرجال وصار من فزعه من القتل أيضا والنكال فارسلوا أنتم إلى أمير المؤمنين المعتصم بالله واعلموه بكلما قد كان واطلبوا منه عقبة فهو الان يسلمه اليكم إذا علم أن الامير حجاف قد اتهمه بذلك (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب هذا المقال بان له صحة قول أبو محمد البطال وكتب إلى الخليفة يذكر له جميع ما جرى عليه ويقول له يامولانا قد قالوا القوم أن ما لهم خصم إلا عقبه وأن من وقت هرب صدقوا أنه الذى عمل على أبنتهم (قال الراوى) ثم أنه أرسل الكتاب على جناح الطائر فوصل إلى بغداد وأطلع

الخليفة أيضا على كلما جرى فقامت عليه القيامة وبكى على السعيده بكاء شديدا وقال ياليتنى لم أرسلت خلفها ثم أعلم السيدة زبيدة بذلك فبكت هى وجميع النسوان بتوع القصر وأخذوا فى البكاء وتنغص عيش الامام المعتصم عند الطعام والشراب (قال الراوى) وبعد أيام وصل عقبه ودخل محل الخليفة فأكرمه وترحب به ورآه على غاية من الخوف وسأله عن حاله فأعاد عليه الحديث وقال له يامولانا سلمت ان أقتل فى هذه النوبة فقال له الخليفة لما سمع بفقد الجارية ماكنت أنت فى ملطيه فقال له بلى وحق أبى بكر وهذه الامير عمرو بن عبيد الله ومشايخ بنى سليم فى هذا الكتاب وبالله أقسم يامولانا لقد ورد على قلبى من فقد الجارية مالم يرد على قلب بشر فقال له المعتصم وكيف تستحل أنت هذه شهادة الفعال يا أمير المؤمنين كل مصيبتى من رجل واحد وعلى كل حال ذكره الله بخير الا أنه هو الذى يقلب قلوبهم على وأنا فما يسعنى فى دينى أن أتكلم فيه إلا بالخير لانه غائب وما أستحل أن أستغيبه ولا أتكلم فيه إلا بما يرضى الله تعالى ورسوله فقال له المعتصم بالله من هو هذا الرجل فقال له يامولاى هو أبو محمد البطال وكذلك ولده مذبحون لانهما كانا قد عولا أن يقتلونى إذا عدنا من عمورية وقد أبصرت كيف زور البطال تلك على خطى ذلك الكتاب وسلمه اليك وما تم له مايريد ولما سألتهم فى شأنى قد سمعت كيف قالوا ماتكلمه أن لم يعمل بالمسلمين عملة وبهذا أرادوا قتلى وشارطوك وسبقوا بالكلام قبل هذه الفعال وقلت أنت رضيت فما وجدوا نوبة شنيعة فى الكلام إلا هذه حتى تحقق على وتسلمنى اليهم يقتلونى تحت الضرب وأنا والله العظيم ماأريد بعد هذه النوبة ولكن لابد لى أن ابين لك الحق قبل مماتى حتى تعلم اننى مظلوم وتحضر البطال وولده مذبحون وانك تقول اريدهم الآن يحضرون حتى أحكم بينهم وصب على وعليهم العقوبه وانظر كيف يظهر الله الحق وإن كانوا هم يطلبون يقتلونى وقد كتبوا اليك كتابا يطلبونى فانفذ أنت اليهم وقل لهم ما تنفصل هذه النوبة إلا على يدى (قال الراوى) فلما سمع المعتصم بالله هـــذا الخطاب فقال له يا شيخ قد وصل إلى قبل قدومك كتاب وفيه كلما قلته وأنا أعلم ان هذا كله من شيطنته فلاجل هذا قال لى فى ملطيه ذلك المقال لما سألته فيك وقال ان أقام فينا ولم يؤذينا فنحن نقبل سؤالك وإذا عمل فى الإسلام عمله توجب الكلام فلابد لنا من قتله وماوجد شيئاً يفضحك به إلا هذه القضيه ولقد دبر هذا الشيطان وماقصر لانه قليل الدين شديد الكياد (قال الراوى) فلما ان سمع عقبه ذلك فقال والله لقد صدقت فى هذا الشيطان أيها الإمام فالله تعالى يصلحه لنفسه ويشغله عن أذية الصالحين فقال الخليفه للوزير اكتب كتابا إلى العبد الصالح حجاف وأمره

أن ينحدر وهو وأخوه زحاف ويحضروا معهم أبو محمد البطـال وولده مذبحون حتى ننظر كيف يفعلون وأيضاً اضمن لهم عنى فى الكتاب انى أسلم اليهم عقبـه فيعاقبوه وان خطر لهم أن يصلبوه فأجاب الوزير بالسمع والطاعه وكتب الكتاب وأرسله على جناح الطائر فوصل فى يومه إلى ملطيه وقراه الأمير عبد الوهاب ففرح بذلك الخطاب ثم قام وأتى إلى الأمير حجاف وقراه عليـه فقال أنا أنحدر إلى العراق وأصبر على ماقضى رب العباد فان ظهر خبر ابنتى والاسافرت إلى أرض الحجاز فقال الأمير عبدالوهاب لاتفعل أيها الأمير وارجع الينا لعل ان يكشف خبرها الحى القيوم (قال الراوى) فعندها أخذ الأمير حجاف فى الانحدار وفى قلبه من سعيده شعل النار وكذلك الأمير أبو محمد البطال قد أخذ أهبتـه برأى الأمير عبد الوهاب لانه هو الذى كلفـه إلى ذلك لانه ماكان طيب القلب بالمسير وكان قد قال للأمير عبد الوهاب ماقلت لك ان عقبه يروح للخليفه ويحكم نوبتنا عنده ولكن هاأنا سائر ولاأخالف لك قولا حتى تنفصل هذه النوبه وعلى اننالابدلنا من الضرب والعقوبه وكان الخليفة من قبل وصول عقبه إلى بغداد قد كتب إلى ملك الروم يذكر له القصه ويقول له ان أنت كشفت لى خبر هذه الجاريه فأنا أترك لك خراج أربع سنين وان لم تخرج خبرها وكانت فى بلاد الروم فأنا أقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين ورفع الحجرين افعل بالقسطنطونيه كما فعلت بعموريه وأترك أقل من فى اليهود يطأ عنقك فما هذه النوبه مثل غيرها فعجل بكشف أخبارها والا أنت أخبر بخصومك فانها بنت الأمير حجاف النميرى وهو من أصحاب الأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب وأتيتك بالسودان الانجاب فالعجل العجل فى كشف الخبر قبل حلول الاجل وفوات الأمل (قال الراوى) ولما وصلت الرساله الى عند الملك ارمانوس أنفذ يحلف بالايمان المعظمه عندهم ان ماعنده من هذه الجاريه خبر وان اطلع على حالها أسرع فى خلاصها (قال الراوى) وكان الأمير عبدالوهاب بعد انحدار حجاف وأخيه زحاف والامير أبو محمد البطال وولده مذبحون كتب الى يانس المتعزب وأطلعه على الخبر ويقول له اجعل بالك على الجاريه وحرض ارمانوس على كشف خبرها فلم يجد اليها سبيل وقال وحق المسيح ان كانت هذه الفعله الامن الشيخ السفله وقد عمل بهذه الجاريه الى بعض الاقاليم ولابد للبطال مايظهر خبرها ويكون سبب خراب بيوتنا (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء (وأماما كان) من البطال وأصحابه فانهم ساروا حتى انهم قربوا من بغداد ثم عاد أبو محمد نظر فى العاقبه وقال لولده مذبحون بعد ان خلى به ويلك يابنى اعلم انامنحدرين الى ضرب السياط لكن لاأقدر أخالف الامير عبدالوهاب والصواب انك تعود من ههنا الى ملطيه

وتصبر حتى تنظر مايكون منافان جرى علينا أمر من الامور فأنت قادر على خلاصنا ولا يبلغ عقبه غرضه منك ومنا ويشتفى قلبه فقال سمعا وطاعه امضى انتى الى حال سبيلك فأنا الليله اذا نزلتم للمبيت وأظلم الظلام أعود عنكم وان وقعت أيضا خلصتك ولوانك تحت رأس السلطان ثم انهم ساروا حتى أمسى المساء ونزلوا للراحه والمبيت فلما أصبح الصباح وعولوا على الرواح افتقدوا مذبحون فلم يجدوه فقال حجاف للامير أبو محمد البطال أين ولدك ياأمير فقال ماأمره الاعجيب ولاشك انه خاف من الضرب والحبس فرجع وحلنا لانه غلام وجاهل فلما ان سمع حجاف ذلك الكلام ظن انه صحيح وانطلا عليه وساروا القوم حتى انهم وصلوا الى بغداد فدخلوا واستأذنوا على الخليفه فأذن لهم فلما ان صاروا بين يديه بكى حجاف وزحاف حتى بكى كل من كان حاضرا فقال المعتصم هذه نازله نزلت علينا كلنا فالله تعالى يهتك ستر من أفجعكم فى ابنتكم وهذا الشيخ الذى اتهمتموه حاضرا وهو مسلم اليكم فافعلوا به ماشئتم وقد ادعى ان هذا كله من أبو محمد البطال فقال حجاف معاذ الله ياأمير المؤمنين اما عقبه فقد صح عندى كفره واما أبو محمد البطال فما أقول انه يفعل هذه الفعال (قال الراوى) فهو فى الكلام واذا بعقبه قد خرج من خلف ستر الحريم وهو قابض على شيبته ويقول حاشا مثلك ياأمير ان يتحدث بهذا الكلام وانت فى هذا الزهد والعباده وتشهد بما لاتراه فيكون رجما بالغيب وانا أجعلك فى حل مما تقول وها قد اجتمعنا كلنا قدام الامام المعتصم سيد الزمان فلا يفوته كل مكتوم ينظر بنور الحى القيوم وانا والبطال خصوم فلايزال علينا الضرب حتى لايقدر احداً منا يقوم ويبان الظالم من المظلوم والله تعالى ينتقم ممن فجعك فى ابنتك وأقرح عليها كبدك ومهجتك وينتقم منى ان كان مااصابنى عليها مثل ما قد اصابك (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك قال هذه نوبه ماتنفصل هكذا الا بضرب عقبه والبطال حتى يبان لنا الصدق من المحال وانا اريد الساعه رجلين جليدين يجلد كل واحد من هؤلاء الخصمين فعندها قام طيبون وقال انا للعقبه وقال مطرون وانا لابو محمد البطال فعندها قال المعتصم مدوا الاثنين وأنا أشاهد بالعين فمدوا عقبه والبطال وأخذ طيبون سوط ووقف عند رأس عقبة وأخذ مطرون سوط ووقف عند رأس البطال فلما ان نظر حجاف إلى ذلك بكى وقال لاخيه ويلك تذهب ابنتى ويضرب أبو محمد فى تهمتى والله لا كان ذلك أبدا وانا أعرف ان عقبه من أهل الظلم والاعتداء والبطال من المجاهدين فى سبيل الله تعالى وطاعة نبى الهدى ثم تقدم إلى الخليفه وقال له ياأمير المؤمنين دعهما فأنا أتوكل على الذى جمع شمل يعقوب بيوسف ان يجمع شملى بابنتى ولا يسلط عليها من

يلبسها ثوب العار بل يحفظها حفظ الجنين فى بطن امه فقال المعتصم والله ما افعل هذا ابدا وان كنت ماتريد ضربهما فأنا احبسهما ولايبرحان فى الحبس حتى تخلص ابنتك فقال حجاف يامولانا لاتفعل هذه الفعال فأنا محتاج إلى ابو محمد البطال حتى يدخل معى إلى بلاد الروم فعسى ان اطلع على خبرها واقفو اثرها لانني مايمكنى المقام اكثر من هذا وأعود وادبر ما يكون ثم انه بكى وان واشتكى واشار ينشد ويقول :

لقد حل هذا الامر حتى كانني   لظى الجمر من حرقى بطول غرامى
فواللهماابغى الحياة هنيئة   وقد سبيت بنتى ولست احامى
ولو كنت ادرى اى ارض هى بها   جعلت بهافى الاقربين مقامى
سلام على الدنيا فلا عيش بعدها   سلام ضعيف راحل بسلامى
فدع عقبة حقا ولا تحبسنه   ولاتحبس البطال فهو مرامى
وان كان لى عمراً طويلا فاننى   ادور بلاد الروم قبل حمامى
فاما الاقيها واما ان التقى   بغصتى حقا قبل نيل مرامى

(قال الراوى) فلما سمع الخليفه شعره زاد على البطال وعقبه حنقه وقال والله لابد من حبسهما ثم امر بحبس عقبه فى دار منفرده وكذلك البطال فى دار اخرى حتى لايتحدثان واقبل على حجاب وقال له ايها الامير لاتضيق صدرك فأنا اطلق البطال بعد ايام وربما لحقك فى الطريق واكون قد وفيت بيمينى (قال الراوى) وكان فى نفس الخليفه شيء آخر وذلك انه عول إذا رحل حجاف يخرج الاثنين ويعاقبهم بمافى قلبه عليهم وبات حجاف تلك الليله وهو لزحاف والله ياأخى مالحقنا من مجيئنا الا التعب وفوات الارب وشيء ماحصل فى ايدينا وقد حبس الخليفه البطال واخاف ان يطول به المطال وربماضر به بعد سفرنا واكسب انا من جانبه الاثم والخطيئه فقال زحاف ياأخى هذا تمام القضاء والقدر وعسى خبر السعيده يطلع ويظهر ثم انهم باتوا ينظرون الصباح وقد عولوا على الرواح فقال له ياأخى اخاف ان يتم على البطال ماقلت فقال زحاف ياأخى انا فى غداة غدادخل على الخليفه واتكلم فى خلاصة (قال الراوى) ولما اصبح الصباح تقدم حجاف إلى المعتصم وقال له يامولانا انى اريد الاذن فى الانصراف ولعلى ان اسمع خبر السعيده ثم انه بكى وسأل فى ابو محمد البطال فقال الخليفه سوف اطلقه فودعه حجاب وقد اكد عليه فى حق البطال وحمله اخوه واخرجه من القصر واركبه جواده وساروا يطلبون إلى

ان اتوا عكبرا فقال حجاف لزحاف ياأخى انزل بناهٰهنا على هذا الماء حتى نتوضأ ونقضى الصلاه ونأكل شيئاً من الطعام فعول على النزول واذا على الماء شخصين قعود الواحد يقول للآخر ويحك يامذبحون ماهذا زحاف واخوه حجاف فلما ان سمع حجاف ذلك الكلام انخلع قلبه وتبين المتكلم واذا به ابو محمد البطال فقال له سبقتنا إلى هذا المكان وكنت، والله ضيق الصدر لاجله كيف خليته محبوس عند الخليفه فياليت شعرى كيف كان سبب خلاصه من السجن (قال الراوى) هذا وابو محمد قد التقاه وعانقه وقال له والله ماقصرت ياامير هكذا تكون الرفاق يمضون الى ملطيه ويخلوهم محبوسين فى العراق فقال له حجاف بالله ياابو محمد لاتزيدنى على مافى قلبى فانى قد اعترفت بذنبى والخطأ كان منا من الاول والواجب اننا كنا كلنا انحدرنا الى العراق سواء وما كان واجب منا نرحل ونخليك فى الضيق فبالله عليك ياابو محمد كيف خلصت من هذا المكان فقال ابو محمد سيروا بنا فماهذا وقت الحديث حتى لايلحقنا من يضيق صدورنا فأنا لولاوقوفى ههنا فى انتظاركم والا كنت قطعت الأرض فقال والله لقد صدقت إلا انك مايغلبك شىء ثم ساروا وجدوا فى المسير والبطال قد عدل بهم الى طريق اخرى ما يهتدى اليها الجن طالب ملطية (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص الأمير ابو محمد البطال حديث عجيب وامر مطرب غريب وذلك ان والده مذبحون لما تحدث معه ابوه فى الطريق عند مسيرهم الى بغداد وقال له ارجع عنا حتى يبلغ عقبة مراده منا فرجع فى الليل وسبقهم الى بغداد وابو محمد يظن انه قد سبقهم الى ملطية وكان قد سبقهم ودخل فى زى الخراسانية وقعد فى انتظارهم وجرى لحجاف وعقبة والبطال قدام الخليفة ما جرى وحبسهم كما ذكرنا وعرف مذبحون المكان الذى قد حبس فيه ابوه فصبر حتى دخل الليل وناموا اهل القصر فقال ما لى الا اغتنم الفرصة ثم انه استضعف موضع من بعض حيطانها ونقب فيه نقب يسع جمل وحمل نفسه على اهوالها ودخل فراى دار كبيرة عالية واسعة فجعل يدور فيها ويتصنت لعل ان يسمع لأبوه خبر او حس او اثر فما راى شىء بل راى فى صدرها باب مفتوح وفيه ضوء يلوح فقصده وهو يظنه باب حجرة فطلعه وهو مثل المجنون واذا به وقد عثر فى إنسان نائم فكاد ان يقع على وجهه فعاد الى ورائه وسل الخنجر وانتظر احد ان يقوم فما قام احد فعاد وقد سكن روعه وتميز الذى عثر فيه فرآه مكتوف اليدين مربوط الرجلين فقال هذا ابو محمد لاشك فيه ولاشك ان فى فمه اكره والا كان تكلم ثم مد يده إلى خدوده فوقعت يده على خدود ناعمه مثل خدود النساء فقال لاحول ولا قوة الا

بالله العلى العظيم والله لقد كانت نوبة صعبه وقد ضربوا الى هكذا ونتفوا دقنه وما تركوا فيها شعره ثم حل يديه ورجليه وقال له قم يامسكين فكلما جرى عليك من عقبه فقام الشخص وهو يقول قد فرجت عنى فرج الله عنك فقال له مذبحون ويلك من تكون ومن انت واين ابو محمد البطال فقال له الشخص فى لعنة الله لا كان البطال ولا من تركه عندى فى الاعتقال فقال مذبحون ويلك من تكون ياشيطان فقال له انا خادم الخليفه وكنت موكلا بالبطال وانا آمن من جهته لانى انا واياه فى دار الخليفه فما حسيت به الا وقد حل كتافه وفعل فى هذه الفعال ونقب هذا البيت الذى تراه بين يديك يبان منه الضوء وخلانى ومضى (قال الراوى) فلما ان سمع مذبحون ذلك خاف من الخادم لايرجع ينذر به فلكمه بنصاب الخنجر ارماه وكتفه مثل ما كان وتركه مرمى وطلب النقب ليخرج منه ويفتش على ابوه وخرج من النقب الى ظاهر الدار واذا بشخص يصيح ويلك من انت فى دار الخليفه فى هذا الوقت وايش هذا النقب فلما سمع مذبحون كلامه عرف الصوت فناداه يا أبتاه أنا ولدك مذبحون وما جئت إلا لخلاصك فوجدتك قد تخلصت إلا أنك أخطأت الذى ما صبرت حتى أجىء اليك وتنقب فى دار الخليفة من جانب وأنا من جانب وقد أخربنا الليلة الدار فقال البطال يا ولدى ما كان فى ظنى أنك تجىء الساعة خلفى بل ظننت أنك اليوم فى ملطية فقال له والساعة فى إيش عدت إلى ههنا فقال له كنت قد بقيت حائراً أطلب موضع أختفى فيه حتى يصبح الصباح ويفتح باب القصر وأخرج فرأيت الليل بعد فى أوله فافتكرت فى الخادم لايكون ما كتفته طيب فيحل نفسه وينذر بى فعدت افتقدته فرأيتك فقال له سير بنا الساعة وطيب قلبك فأنا افتقدته وكتفته كتاف أشرف منه على التلاف ثم أنهم ساروا إل باب القصر وأكمنوا بالقرب منه إلى أن أصبح الصباح وفتح الباب فخرجوا مع جملة الناس حتى أنهم صاروا ظاهر بغداد ثم استقاموا على الطريق وطلبوا وأنا وعكيرا وسار حجاف كما ذكرنا وسبقه البطال على ما وصفنا ساروا طالبين ملطية وقد أمنوا من كل بلية وقد مضى حجاف فقال الخليفة وقد غضب وحق اتصالى من حمزة وعقيل ومحمد خاتم النبيين ما نمت البارحة من غيظى على عقبة والبطال ولا بد لى اليوم ما أضربهما حتى أقطع منهما الأوصال ثم انه أرسل خلف الإثنين وكانوا خادمين وقال احضروهما إلى بين يدى فلم تكن إلا ساعة حتى عاد الخادم الأول ومعه عقبة والآخر عاد وهو يضحك فقال المعتصم مما تضحك فقال له يا أمير المؤمنين الدار الذى كان فيها البطال قد نقبت من أربع جوانبها فقال له المعتصم هو ما ساعه نقب واحد حتى نقب أربعة فقال

له يا مولاى لا اعلم ولا شك الا انه أراد أن يخرب الدار فأدركه الصباح فخلاها وراح فقال مطرون يا أمير المؤمنين من هذه الفعال فعاله فكيف أيضاً لا تنسب الرداوة اليه فقال طيبون السعيد من الرجال الذى إذا وقع فى شدة كان فيه أن يخلص نفسه ولو أراد أن يؤذى أحداً لفعل ذلك فقال المعتصم وحق محمد ماهرب البطال إلا وقد عمل على ابنة الحجاف وخاف من الضرب فهرب فقال عقبة أنت سيد من يعين المظلومين وينصف بين المتخاصمين والله ما كان فى التهمة يا أمير المؤمنين ولكن كان بى أننى أبقى فى عين النقصان اعند كل المسلمين ويقولون قاضى يعمل على بنات المسلمين المجاهدين (قال الراوى) وبريت ساحة عقبة بهروب البطال وقد استقام أمره بالمحال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من حجاف وأخيه والبطال ومذبحون فإنهم ساروا حتى انهم وصلوا إلى آمد وتموا حتى قربوا من ملطية وسمع الأمير عبد الوهاب بخبرهم فخرج فى سائر الأمراء إلى استقبالهم كل ذلك لأجل الأمير حجاف واحبوه الناس لأجل عبادته وزهده وشجاعته (قال الراوى) وكان حجاف رضى الله عنه من حين عقل على روحه ما صلى قط الفجر إلا على وضوء العشاء الأخيرة ولما قطعت رجلاه كان يصلى وهو قاعد (قال الراوى) ولما قرب منه الأمير عبد الوهاب حرك اليه واعتنقه وسأله عن حاله وعن الخليفة وقال له أرجو أيها الأمير ان يكون ظفرك الله بمرادك فبكى حجاف النمرى بكاء شديداً ما عليه من مزيد وأشار ينشد ويقول هذه الأبيات :

رجعت بزفرة زادت لهيبا ... وداء ما وجدت له طبيبا
وفيض الدمع قدأدماجفونى ... إذا كفكفته أبدا نحيبا
دهانى عقبة الملعون فيمن ... ألفت وكان من قلبى قريبا
واشعل بالسعيدة نار قلبى ... فزاد وقودها أبداً لهيبا
كفى بك انه قد ضل حتى ... رمى الإسلام واختار الصليبا
وها أنا صابراً لقضاء ربى ... لعلى أن أرى فرجا قريبا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير حجاف من شعره بكى الأمير عبد الوهاب لبكائه وعادوا إلى ملطيه ونزل الأمير حجاف وأقاموا الأمراء ذلك اليوم عنده وتلك الليلة يحدثونه ويسألونه والأميرة تقول له كتبنا إلى يانس المتعزب كتاب وأعلمناه بهذه الأسباب وسألناه أن يكشف لنا خبر ابنتك وفى هذه الأيام يصل الينا الجواب (قال الراوى) فلما كان من الغد وصل الكتاب من يانس يخبر أنه قد اجتهد فى كشف خبر الجارية فما وقع لها على خبر ولا ظهر لها على أثر فوقع بالامير حجاف الأياس وزاد به

الوسواس وخلا بأخيه زحاف وقال له يا اخى ما بقى لى سوى الله عز وجل ثم أنت واريدك تساعدنى على نيل مرادى وإلا ينفطر منى فؤادى فقال له زحاف يا أخى وما الذى تريد قل ما عندك وما بدالك فأنا ابلغك آمالك فقال ادخل الى بلاد الروم واطوف الصوامع والأديرة فاما ان اجتمع بابنتى واما ان اموت بغصتى فقال له زحاف انا اساعدك على ذلك ولكن كيف ندخل الى بلاد الروم وانت مطلوب من العرب المتنصرة وما فيهم الا من له عليك تار والذى بك لا يخفى عليهم فلما سمع حجاف ذلك بكى وقال ان الله تعالى يسبب أسباب ما هى لنا فى حساب (قال الراوى) وبلغ الخبر إلى ابو محمد البطال فخاف على حجاف ان يحمله حزنه إذ دخل إلى بلاد الروم وحده ان يهلك فقام ودخل عليه وقال يا امير بالله عليك لا تبرح من ملطية وقلدنى بهذه القضية وأنا ادخل الى بلاد الروم واطوف على ابنتك اليوم والشهر والشهرين ولا اعود لك الا بخبرها فان كانت فى بلاد الروم فما يخفى خبرها وإن كانت فى بلاد الإسلام فما يخفى خبرها عن الامام فقال حجاف والله ما سبب ضيعان ابنتى إلا عقبة فإن كنت عولت على الدخول إلى بلاد الروم فخذنى معك فقال له ابو محمد والله ما يمكنى ذلك لأنك ما تخفى على كل حال لأجل ما بك من قطع رجليك فبكى حجاف وقال الحمد لله على كل حال يا ابو محمد فعند ذلك عاد ابو محمد الى منزله واخذ اهبته الى السفر وقال لولده مذبحون لا قعدت عن هذا حجاف ولا حاجته وإن لم تساعدنى أنت وسائر الغلمان والا هجرتكم طول الزمان فقال مذبحون والله يا ابتاه لو خضت بحراً لخضناه ولو سرت الى آخر الدنيا لسرنا معك فعندها لبس ابو محمد فى زى الأرمن وكذلك البس غلمانه واما مذبحون فإنه تزيا بزى بطرك كبير واقام الى الليل وسار وقد اخذ معه احمال قطن وغزل وخرز وعقيق وطلب بلاد الروم وهو فى زى التجار من الأرمن الذين يدخلون الى بلاد الاسلام وقد عملوا غلمانه الشعور وارخوها على اكتافهم ولبسوا قلانس المرعز على رؤوسهم وابو محمد فى اوائلهم بذقن طويلة شقراء كأنها الذهب وشوارب الى خلف قفاه وغير حلية مذبحون حتى انه لو رآه من يعرفه لما عرفه ثم دخلوا على هذه الصفات (قال الراوى) واقام حجاف يندب الليل والنهار حتى وصلوا اليه بنى عمه من الشام الى زيارته لما سمعوا بضيعان ابنته فانغموا وقالوا له ايها الأمير كل هذا من يدك كان لأنك كنت عندنا بالشام بعيداً عن هذه الأحكام تركتها واتصلت الى ههنا وطاب لك المقام والآن فنحن لك وبين يديك اذ ظهر خبر ابنتك واردت الدخول الى بلاد الروم ارسل الينا حتى نأتيك ونسير كلنا بين يديك ونكتب الى ملك الروم ونعلمه بذلك فقال لهم قد ارسل اليه مولانا الخليفة بالتهديد والوعد

والوعيد فأتى الجواب من عنده يحلف بالأيمان المغلظة ان ما عنده منها خبر وانا اعلم انه صادق فى ذلك لان الذى دبر عليها انفذها الى بعض المواقع المنقطعة حتى لا يطلع لها خبر ولا يقع لأحد عليها خبر لا من الروم ولا من المسلمين ولكن يابنى عمى جزاكم الله عنى كل خير فإنى متى احتجت اليكم ارسلت خلفكم واعلموا ان الأمير عبد الوهاب وسائر بنى كلاب قد اغتموا عليها وانفجعوا لها مثل فجعتى والأمير ابو محمد البطال قد دخل الى بلاد الروم هو وغلمانه وولده مذبحون يدورون عليها ويتجسسوا اخبارها قال الراوى فلما ان سمعوا بنى عمه كلامه اقاموا عنده برهة من الزمان ينتظرون قدوم البطال حتى طال عليهم المطال فرجعوا الى بلاد الشام الى ديارهم فهذا ما كان من هؤلاء الأقوام (واما ما كان) من عقبة فإنه لما وصلت اليه الأخبار ان ابو محمد دخل الى بلاد الروم هو وغلمانه وولده خاف السعيده ففزع الملعون على نفسه وخاف وقال لغلامه يا بنى وحق المسيح انى خائف من هذا الشيطان ابو محمد البطال ان يطلع على خبرها ويدبر على خلاصها ويفوتنى الأجر والثواب فى طول عذابها وأسرها وربما تكون ايضا هى سبب هتك سترى وقرب منيتى وهلاكى وضرب رقبتى أو صلبي لأننى قد نظرت اليوم فى مولدى فرأيت أن هذه السنة على فيها قطعية ولا شك أن هذه الجارية إذا ظهرت افتضحت مع المسلمين كلهم فقال له غلامه هون عليك يا مولاى هذا الأمر فلا يكون هذا الشىء أبدا ولا تخف من هذه الأشياء ولا تهتم ولا تنغم لأنها اليوم قد صارت فى آخر الدنيا ولو أنهم عاموا بها ثم أرادوا خلاصها لأقاموا سائرين خمسة سنين حتى يصلوا اليها فلما أن سمع عقبه كلامه سكت عن جوابه وضحك ضحكا مبرحا واطمأن قلبه وأقام يدبر الحيل ويحكم العمل على كلام الغلام لعله يتوصل إلى هلاك أبو محمد البطال وولده وغلمانه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فإنه اقام فى بلاد الروم على تلك الحالة التى وصفناها اربعة أشهر كوامل وما ترك موضع للروم الا ودخله ولا راهب فى صومعة إلا وسأله بحيث أنه ما بات بطول هذه المدة الا على الطريق ولم يطلع لها على خبر حتى وصل الى الجزائر وعبر سائر المعابر وضاقت عليه الأرض بما رحبت وضجر من السفر والدوران فقال لغلمانه بعد هذه الأيام ما أظن السعيدة دخلت قط الى بلاد الروم فارجعوا بنا الى بلاد الأسلام لنتحيل على عقبه ونقبضه ونضربه الضرب الوجيع فى بعض المواضع ونصب عليه فنون العذاب حتى يخبرنا بامرها لان ما مصيبتها إلا منه والعلم عند الله تعالى

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر

والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج

وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن

عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد

الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السابع والخمسون

يطلب من

مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كلوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فقال مذبحون لابيه أبو محمد البطال يا أبتاه كيف لنا وجه نرجع به الى الأمير حجاف وما معنا له فرج فقال ابو محمد امره الى الله تعالى عز وجل وربنا يعلم اننى أذهبت نفسى وطولت روحى وطفت طوفان فى هذه المدة ما يطوفه غيرى فى عشر سنين ولكن ما بقى بالى الا على موضع واحد فقال مذبحون واين يكون هذا الموضع فقال له يابنى هى جــزيرة رويس وملكهم يقال له مرحبون وهم يباع عندهم القطن والحنطة فاحملوا بنا من ذلك ونركب فى بعض المراكب ونقصد اليهم فنزلوا الغلمان واشتروا قطن وكتان وغلة من ساحل البحر وعبوها سفرى ووجدوا هناك مراكب قد عولوا على الاقلاع وفيهم عشرة مراكب رهبان وعشرة من البطارقة فقال لهم ابو محمد خذونا معكم فنحن قوم تجار فقالوا هاتوا الكرى فقال البطال لهم نعم ثم انه أخرج اليهم الدراهم ونقلوا مصالحهم ورحالهم اليها فى الحال واقلعوا باقى يومهم وساروا اول يوم وثانى وثالث وكانوا رابع الايام ضحى نهار فى الجزيرة فلما ان وصلوا نزلوا ونزل البطال وغلمانه وباعوا ما معهم وعولوا أن يسألوا عن أخبار السعيدة وإذا بمائة شخص وقد دخلوا وراءهم إلى الكنيسة وبأيديهم السيوف المجذبة ولما ان صاروا فيها أغلقوا الأبواب وصاحوا اخذوا هؤلاء الكلاب وصبوا عليهم العذاب وقبضوهم عن بكرة أبيهم

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك عقبه لانه كتب إلى الملعون مرحبون كتاب يذكر فيه حديث البطال وما صار عازما عليه من خلاص الجاريه سعيده ويقول أيها الملك

أخبرك أنه دخل اليك البطال وهو لص اللصوص والاسد القنوص ومعه أيضا ولده مذبحون ذباح البطارقة وكذا غلمانه الزنادقة الشياطين المارقه وقد دخلوا الى هذا الاقليم يطلبون خلاص البنت أو كشف أخبارها ولا بد لهم ما يصلون الى ساحل بلدك وأريد من اتمام فضلك ان تترك على الساحل مركب معدا بكل ما يحتاج اليه ويكون فيه عشرة رهبان كبار وعشرة من البطارقة الأعيان ولكل واحد منهم له عندى ألف دينار حق طريقهم وفى نظير بطالتهم فاذا وصل اليهم أبو محمد البطال وغلمانه وولده فلا بد له ما يسأل منهم عن خبر الجارية فيقولون له نعم وصلت الينا بنية من صفاتها كذا وكذا ويذكرون حالها فيفرح ويطمئن ويركب معهم حتى يصل الى عندك فلا بد له من دخول الكنيسة التى للبلد حتى تأتيهم الاخبار فتكون أعددت لهم الرجال فيقبضون عليهم فى الحال وارموهم فى الحديد والاغلال واضربوهم الضرب الشديد الذى ما عليه من مزيد وثقلوهم بالحديد وارسلوا الى اعلمونى حتى أرسل اليكم الأموال وأدبر نفسى وأقول للخليفة انى أريد الحج وأدخل إلى جزيرتكم وأصلب الجميع وأجعلهم عبرة لأمة عيسى فى كل عام حتى يزورون جزيرتك من سائر الاقطار مثل عيد انوار (قال) فلما قرأ الكتاب الملك مرحبون أرسل البطارقة والرهبان فى المركب وأمرلهم بالمال وصبروا حتى دخل البطال كما ذكرنا هو وولده وغلمانه وقبضوهم كما ذكرناهو وولده كما قدمنا وضربوهم حتى أشرفوا على الهلاك وتركوهم فى مطموره وعاد غلام عقبة عبد المسيح وهو الذى غمز عليهم وشاهد ماجرى لهم وسار حتى وصل الى مولاه عقبة واعلمه بالحال وكان قد تبقى من شهر رمضان عشرة أيام ففرح عقبة بمسك الجماعة ثم أعاد عليه القصة ثانيا وثالثا فباس عقبة الأرض وقال الشكر لك يامسيح ثم جعل يجهز حوائج السفر ويظهر للناس انه مشتاق الى مكه المشرفة ولما فرغ رمضان ودخل عيد الفطر ما اقام فى بغداد اكثر من ثلاثة أيام ودخل على المعتصم وقبل الارض بين يديه وقال ياامير المؤمنين مابقى فى العمر اكثر مما مضى وانا اريد ان احج حجة الوداع فربما انى ما ارجع فبكى الخليفة لذلك واخذته الرعدة من الاستماع وصار يقول هنيئا لك ياشيخ انت ومن يعمل بعملك فلا تنسانا من دعائك فى تلك المواقف الشريفة والمعاهد المنيفة فقال عقبة علم الله انى ما انساك فى ركوعى وابتهالى وخضوعى انت والسيدة زبيده لانكما أولادى وسوف ادعو لكما فى البيت الحرام وعند زمزم والمقام وعند قبر خير الانام وودع الخليفة وخرج بعد ما اعطاه خمسة آلاف دينار وسار مع الحجاج حتى وصل الى مكه وطاف واعتمر وحلق وقصر وأفدى ونحر وفرق مال كثير على الفقراء حتى صار له اسم يذكر وكل ذلك زيادة فخر وسمعة بين البشر حتى أحبوه

الخاص والعام ومن فى ذلك المقام وانه حضر وشهدوا بانه أعبد البشر وذلك لينفى عنه ماير يد ان يفعله من الخطر ولا يصدق الخليفة فى حقه فى بدو ولاحضر ولما تم للناس الوقفة وما بقى الا زيارة سيدنا محمد صاحب الفخر أظهر اللعين المرض والوهن وانقطع فى حجرة من الحجر حتى جاؤا للسلام عليه حجاج العراق زمر بعد زمر وصار يوهم انه فى القبلة محتضرة ويقول بلغوا سلامى الى المعتصم والسيدة زبيده واعلموها اننى اسكن الحفر وان كان لى عمر ففى العام القابل يكون الاجتماع به عند سيد البشر (قال) ولما خرج الناس من عنده أقام على اقدامه كانه الكلب الاقشر وقال لغلامه عبد المسيح مابقى إلا بلوغ الوطر ثم خرج مع العرب حجاج البصرة وسار معهم وأخذ عن الطريق وسار فى أماكن يعرفها حتى دخل جزيرة رويس وقد نجى من الخطر ودخل على الملك مرحبون فلما رآه الملك تلقاه وقربه اليه وبشره بالنصر والظفر فسأله عن البطال ومن معه فاخبره بالخبر واعلمه انهم فى بعض المطامير كما امر وقد بكى على حالهم صم الحجر لما وقع لهم من العذاب والضرر والساعة كانوا بين يدى وانا اضربهم بالسياط حتى صاروا عبرة لمن اعتبر (قال) ففرح الملعون بذلك وضحك عن انياب مثل انياب الكلاب الكشر وقال على بهم الساعة يا ملك حتى اريك تمام النصر والظفر فما كانت الا ساعة وقد احضروهم بين يديه فلما رآهم عقبة اخذه الفرح والسرور وقال وابرداه على كبدى كيف ترى حالك يا بطال قال الحمد لله بخير ما لم ارى وجهك الخبيث لا كنت ولا وصلت ولا سلمت من الخطر فزاد عقبة من كلام البطال الضحك واخذه البطر وقد قال هاتوا السياط حتى ازول هذه الحدة من راس هذا الشيطان والذى معه الاخر وصار يقدم واحد بعد واحد ويضربه حتى تشخص عيناه حتى ضرب الجميع فقال له البطال ويلك يالعين ماتحالفنا انا وانت فى ملطية ان لا تؤذينا ولا تؤذيك وقلت قدام الخليفة وقد سمع منا وانك لا ترجع تتعرض فقال له عقبة الويل لك ياويلك متى اصدق فى كلامها هيهات هيهات ان يجرى الصدق لى على لسان ولا بد فى هذه النوبة ان اعدمك الحياة فقال له ابو محمد ويلك ياملعون يامن هو بجهله مفتون كل هذا يزول وعلى خواطرنا يهون وهو اهون من عذاب الاخره على انك تعلم انه ماهضى قتالنا سدا الان وراءنا من ياخذ لنا بالثار ويكشف عنا العار ويحرق عظامك بالنار ياشيخ الضلال ياغدار وهو الاسد الادرع والنمر الصميدع الليث الوثاب الامير المهاب سيد بنى عامر وكلاب الامير المجاهد عبد الوهاب ولاسيما اللبوه الصمه الاميرة ذات الهمة (قال الراوى) ثم قال عقبة وقد تفكر ساعة وقال ويلك يا بطال اريد اقول لك شيئا آخر فقال له أبو محمد قل ما شئت ياملعون وماعسى ان تقول وكلامك كله

فضول فقال عقبه والله يا أبو محمد ما نترك قتلك الساعة إلا شفقة منى عليك ولا أشتهى أن أراكم ولا أسمع كلامكم وما أخوفنى إلا الذى قتلوه والمنام الذى عن نبيكم تعلموه وقال لكم عن صلبي وهو محال وانما هو أضغاث أحلام وانا أريد ان أقيم هنا عشرون يوما واعود الى العراق واحتال على الامير عبد الوهاب وامه ذات الهمة ومن قدرت عليه من ابطالكم واحضرهم الى خدمتك واتى بهم الى ههنا وارميهم فى هذا السرداب وبعدها اضرب منكم الرقاب وافجع منكم الرجال والأحباب واريكم الساعة كيف يكون الهوان والعذاب اذا انقطعت بكم الاسباب وبطلت آمالكم عن الظن الكذاب ثم قفل عليهم باب المطمورة وصعد الى الملك مرحبون واقام عنده شهرا كاملا ثم اوصى الملك بهم ان يطعمهم ويسقيهم كل ثلاثة أيام ما يمسك الرمق ويعذبهم عذاب شديد ولا ينقلهم أبداً من الحديد ولا يدعهم يهلكون جوعا بالكلية لأن فى حياتهم أرب ثم ودعه وسار وحسب الأيام وسبق حج العراق إلى مكة وأقام بها أياماً قلائل حتى وصل حج العراق فلبس حلة سوداء وخرج إلى ملاقاة الحج وفتح حنجرته وجعل يقرأ شيئاً من القرآن العظيم بصوت حنون يشفى السقيم والناس يقبلون يديه ويثنون بالجميل إليه وأياديه تقبل وعمله لا يقبل وتباركوا به ودخل مع الحجاج الى مكة محرماً وحج واعتمر وطاف بالبيت وخرج مع حج بغداد الى ان وصل الى الديار جنح الطيلسان ودخل على المعتصم بالله فقام الخليفة اليه واكرمه وقبل شيبته ومسح بيده على وجهه ومسحها على بدنه وتبرك بها لأنها من روائح الحجاز وقال له هنيئاً لك يا قاضى فادعو لنا بالمغفرة فدعى له وللمسلمين وسار معه الى الديار وهو يقول له لعلك ذكرتنا بشيء من دعاءك عند زمزم والمقام فقال له يا مولاى الدعاء لك من جملة المفروضات بل ما صليت قط صلاة الا ودعوت لك بها وكذلك الأمير حجاف انى والله متوجع لقصة ابنته فهل وقع لها على خبر ام لا فقال المعتصم لا والله يا شيخ فقال عقبة اللهم يا رباه بحق هذه الحجة المبرورة والوقفة المشكورة اسألك ان ترد عليه ابنته وان تغفر له ذلته وانى مسامحهم من جميع ما استحلوه فى حقى وكيف انهم اتهمونى بابنتهم ورد اللهم على حجاف ابنته رداً جميلا بحق من صلى وصام وادعى فى البيت الحرام وبحق الأنبياء الكرام والأولياء العظام قال الخليفة يا قاضى قلوب الناس متعلقة بغيبة ابو محمد البطال لأنه قد دخل يدور عليها فى بلاد الروم فقال عقبة والى الآن ما ظهر له خبر قال لا والله يا قاضى ما سمعنا بعدها خبر لأحد منهم ولا عاد ظهر فقال عقبة هو ولدى على كل حال ولا أؤاخذه بما يقول فى حق من هذه الأقوال فالله يسهل عليه كل عسير بحرمة البشير النذير والسراج المنير فوالله

لقد قطعت ظهرى بغيبته فانه ركن من اركان الاسلام وناصر جيش الموحدين (قال الراوى) ثم ان عقبة عاد الى داره وأقام مع غلمانه وهو يقول لهم أريد أن أدبر على قبض الاسود الامير عبد الوهاب وأوديه إلى الجزيره عند البطال وأريد واحد منكم يساعدنى على عبارتى ويحمل كتابى هذا إلى الرجل من أهل البصره وهو فيها مقيم فقالوا له يامولانا كلنا غلمانك وبحكمك لاننا نريد الثواب بدعاءك فقال لهم جزاكم الله خيرا عندها كتب الملعون كتاب وختمه وأنفده مع غلامه عبد المسيح وقال له إذا وصلت إلى البصره فاقرأ ما على عنوان الكتاب تعرف الذى أنت ماضى اليه والسلام فأخذ الغلام الكتاب وسار ولم يأخذه قرار حتى وصل إلى البصره وقرأ عنوان الكتاب وإذا به يصل إلى زقاق المحال ومساطب اللصوص إلى يدى مالط ابن برق المغالط أبن قحطان فقال الغلام يا ترى من يكن هذا النحس الآخر وأين أراه ثم انه جعل يسأل عنه حتى انهم دلوه عليه فوصل اليه ودخل عليه فوجده شيخا أعمش أزرق العينين أغبش كانه شيطان أو مارد من جان سيدنا سليمان طويل عريض من الرجال فلما أن رآه ناوله الكتاب فأخذه وقرأه وقال بعد قراءته للغلام قد عرفت المقصود ارجع أنت إلى مولاك فها أنا سائر وراءك فخرج غلام عقبة من عنده وسار يقطع الأرض ليلا ونهارا حتى انه وصل إلى مولاه ولما دخل عليه فوجد الشيخ مالط عنده وهو جالس يتحدث معه وقد سبقه إلى عقبة فتحير من ذلك وقال له متى جئت ياشيخ مالط فقال له عقبة ياولدى هذا له يومين عندى فتعجب الغلام من ذلك لأن ذلك الغلام قد سافر بطول الليل والنهار فرآه قد سبقه لأنه كان آفة من الآفات أو بليه من البليات وكان عقبه قد أكرم مالط هذا غايه الاكرام وقدم له الطعام فأكلوا والمدام فشربوا وزاد فى إكرامه ثلاثة أيام ولما أن كان فى اليوم الرابع قال له عقبة يامالط قد وجب الآن حق عليك ولى دعوة أقصصها عليك ثم أنه فى الحال أحضر ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار ذهب فلما رأى مالط ذلك زاد طربا فقال له مالط ياشيخ أطلب منى الان ماتريد حتى أوصله اليك فقال له عقبة أريد منك الان الامير عبد الوهاب إلى ههنا وفى رجله قيد ثقيل ولك عندى خمسه آلاف دينار ذهب استعين بهم على وقتك والتعب (قال الراوى) فضحك مالط وقال هل لك حاجة أخرى غير هذه فتقضى فقال له وأيضا ذات الهمة أمه أن قدرت فقال له مالط وإن أردت أسرق لك الخليفه من بغداد وأشراف مكة وعدول مصر وشيوخ اسكندرية ورهبان مدينة القسطنطينية لفعلت ذلك فقال له عقبة ماأردت هذا وما أردت إلا عبد الوهاب وأمه ذات الهمة فقال له مالط أمهل على أربعين يوم يكون عندك فى الدار فضحك عقبة واعتنقه

وقبل صدره وبكى فى وجهه فقال له مالط لا تبكى فلو أردت أن أذبح لك الكل على فراشهم لفعلت ذلك وكان على هين ثم بات تلك الليلة عنده وأصبح اخذ الذهب وسار حتى أنه وصل إلى البصره ثم ادعى بعشرة من غلمانه وقال لهم قد نقضت التوبة ورجعت إلى المعاش والعيارة فلما أن سمعوا كلامه غلمانه فرحوا له بذلك الحال لأنهم كانوا قد أضر بحالهم توبته وعلاهم الدين من أجله وهم صابرين لذلك وما صدقوا المناحيس بعودته لفعل الحرام والمكر واللصوصية وشرب المدام (قال الراوى) وقالوا لمالط ماتريد فأخرج لهم من الذهب الذى أعطاه له القاضى عقبة مقدار ألف دينار فرقها عليهم وقال لهم تزودوا واشتروا لكم سلاح وآلات الخديعة والمكايدات ثم أنه أخبرهم بما ضمن له عقبة من المال على سرقة عبد الوهاب وأمه ذات الهمة من ملطية فقالوا وكيف نقدر نحن أو غيرنا من البشر وهم الرجال والابطال وأسد الحرب والقتال قال مالط دعوا عنكم هذا الكلام فقد علمنى عقبة الحيلة التى آخذهم بها ودلنى على مكان أحملهم اليه وأتركهم فيه وهو قريب ملطية ولا يطلع لهم خبر ولا جلية أثر (ياسادة ياكرام) هذا ما كان من مالط العيار (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب الفارس المهاب فانه كان معتكف على العبادة ولا عنده من هذا خبر ولا جلية أثر بل يعبد الله هو والامير حجاف ويسليه ويعده بالمعاونة أن ظهر لبنته خبر ولا يبيت غالبا إلا عنده لأنه يحبه لاجل زهده وعبادته ويأكل معه ويشرب معه وقت الافطار لأن حجاف كان صائم الدهر كله هذا ومالط أتى إلى ملطية وذهب إلى المكان الذى وصفه له عقبة وهى ضيعة قديمة مقابل لباب ملطية تسمى ضيعة القباب وفيها كنيسة قديمة جدا من عهد الروم القدماء وهى من ملطية بثلاث أميال إلا أنها خالية خاوية وبها آثار خربه لا يعبأ بها ولكن فيها صورا وتماثيل وأشارات تعرفها عباد الاوثان والانجيل وكانوا صعاليك أهل ملطية يسيرون اليها ويحفرون فيها فيجدون فيها الفضة والذهب وان الشيخ مالط أنزل أصحابه فى المكان الذى وصفه له عقبة القرنان ودخل بهم فى عقود وقناطر ثم نزل بهم فى درج وعاد صعد بهم فى درج أخرى فوجد بابا إلا انه مسدود بالحجارة ففتح هو وأصحابه الباب فوجدوا كنيسة لطيفة وفيها صور تدهش من اليها نظر وتصاوير شتى مشرقة ملمعة كان الصايغ عنها نزل وفيها قناديل ذهب وفضة وبيت مذبح لطيف وفيه شيخ كبير (قال الراوى) وكانت هذه الكنيسة معبد لعقبة وكان الذى أعلم عقبة بأمر هذه الكنيسة ملك من ملوك الروم قال له ياشيخ لنا عندك كنيسة فى الموضع الفلانى وفيها راهب قد وهب نفسه للمسيح وله هناك ثلاثين سنة ونحن نحمل اليه كلما يريد من أكله وشربه ومن

الصلبان ومن القناديل والزيت والصور والكسوة وغير ذلك وان أردت أرسل بعض القسوس يريه لك خفية ففرح بذلك عقبة وجعله فى باله (قال الراوى) ولم يرد جوابه وعلم عقبة أنه مايتم لمالط أمر الابه الاول لقرب المكان ثم اخفاؤه عن كل أحد لانها مقفوله بين الكيمان وأثر البلد القباب الذى قدمناه ذكرها خراب فوصف له وأعلمه بما يريد يفعل بالأمير عبد الوهاب وأمه وعلمه كيف يسرقهما ويوديهما إلى ذلك المكان (قال الراوى) الا أن مالط وأصحابه لما أتوا إلى الكنيسة وشاهدهم الراهب مات فى جلده وهب فيهم يقول ياويلكم من أين جئتمونى وأنا شيخ ضعيف فقال مالط ويلك ياشيخ لاتخف ولا تفزع نحن قدجئنا من عندصديقك عقبة ثم أعطاه الكتاب الذى كان أعطاه له عقبة ففضه وقرأه فطاب قلبه وخلا مالط أصحابه عنده وسار إلى ملطية وسأل عن الامير عبد الوهاب وهو أعرف الناس به كان تاب عن الحرام على يد الخليفة المهدى وكان المهدى قد رتب له جامكيه وجراية يأكل فيها إلا أن الشقاوة كتبت عليه لأمر محتم يأتى ذكره إلى حين وصولنا اليه ولا زال الشيطان يسأل عن الأمير عبد الوهاب وكان قد اجتمع به الأمير عبد الوهاب على زمان المهدى وطلبه الأمير عبد الوهاب حين تاب عن الحرام وقال له أريدك تبقى معى مجاهداً فى سبيل الله تعالى فقال له هيهات يا أمير إن بقيت أحمل حديد إلا انى الليل والنهار أقضيه بالبكاء والاستغفار والصلاة على الله ان يغفر لى ماقد مضى من ذنوبى والأوزار ويجود على بالعطف والرضا ففرح الأمير عبد الوهاب بتوبته وتركه على حاله من تلك الأيام إلى هذه المدة ولعب بعقله عقبة قاتله الله وأرغبه بالمال وأغواه فنقض التوبة ونافق لأنه كما قدمنا ما اراد الله إلا أن يموت شقياً نعوذ بالله من سوء الخاتمة (قال الراوى) ولما دخل ذلك اليوم على الأمير عبد الوهاب عرفه فى الحال وقال له أهلا ومرحباً يا مالط لا شك أنك عولت على الجهاد فقال نعم يامولاى لأن حديثى عجيب وأمرى غريب لعل الله تعالى يتوب على ويسامحنى فيما مضى فقال له الأمير عبد الوهاب وما هو حديثك الذى تقول انه عجيب فقال يا أمير ما كل حديث يصلح ذكره بين الملا فقال تعالى إلى جانبى واذكر لى ما تريد وحدك فتخلا الرقاب فأخذه الى جانبه وقال له أيها الأمير أبشر بهتك ستر هذا القرنان عقبة وبخلاص السعيدة بنت حجاف وإخراج المسلمين كلهم من عند هذا الكافر الملعون والفاجر المفتون وهى تكون سبب صلبه وعذابه ففرح الأمير عبد الوهاب وظن ان كلامه صدقاً وقوله حقاً فطار قلبه من الفرح وقال لمالط حدثنى فقال أنت تعلم أنى كنت تبت هذا الزمان كله ولم أزل فعل الخير إلى أن وصلت السعيدة بنت الأمير حجاف إلى بغداد فوصل إلى ثلاث نفر

من غلمان عقبة ومعهم عشرة آلاف دينار ذهب وكتاب يقول فيه أن انقض التوبة وإثمك فى رقبتى وهذا المال لك وعلى كل سنة مثله وتأخذ لى السعيدة اذا خرجت من بغداد وتقتل كل من كان معها وتقصد بها القرية الخراب المسماة بالقباب ووصف لى أيها الأمير مكان ما تهدى اليه الجن ولا تعرفه فقلت له والله ياشيخ هذه مواضع ماأعرفها ولا فى القرية الخراب شيء منها ولا من هذا الذى تقول لأنها كانت مسكن لأولادى وغلمانى من العيارين أيام جهلى وما كنت عليه من الشقاوة فقال لى واحد من غلمان عقبة يا أخى خذنى معك وإذا أخذت الجارية انا اوديك الى الموضع الذى فى القرية فاتركها فيها فلما سمعت ذلك يا أمير نزغنى الشيطان ثم لعب بعقلى المال فنهضت وأخذت معى خمسين عيار وأعطيت لهم جانب من المال وأخذت السعيدة وفعلنا ما فعلنا ثم جاءنا غلام عقبة الى الموضع الذى وصفنا لك فدخل بنا إلى كنيسة لو رآها عابد لتمنى ان يكون فيها ورأينا فيها يا سيدى من الذهب والفضة والصلبان والستور والصور ما يكل عن وصفه اللسان ولولا حفظ الله على دينى والا كنت تنصرت وفيها راهب كبير السن مقتصر فيها أكثر من ستين سنة فوضعنا السعيدة هناك عند الراهب واوصينا عليها الراهب وقلنا له هذه وديعة الشيخ النجيح ولا علمت انا يامولاى ما عرفت هذه الأشياء ما معناها ولا كنت أعرف أن الميشوم نصرانى وتركنا غلام عقبة عند الراهب وانصرفنا راجعين الى البصرة وأنا قد ندمت على ما فعلت وبقيت أنا محتار ندمان على ما جرى منى بعد توبتى واذا به الملعون قد عاد أرسل خلفى مرة ثانية وأحضرنى عنـــده وجعل يبلسنى ويقول ويلك ويلك يامالط أنا أعرف منك بالأديان ولم يزل يغوينى حتى تنصرت وأعطانى خمسة آلاف دينار أخرى وقال لى ياولدى أريدك أن تكون عوناً لى فى هـــذه البلاد وتكون عينى التى أنظر بها وكل ما جرى شيء تعلمنى به واذا أتاك كتاب منى تعمل بما فيه لاننى قد عولت على السفر فقلت له والى أين انت عولت يامولاى فقال الى الموضع الذى وديت السعيدة فيه فقلت له وكيف تقدر على الدخول وملطية فى طريقك وأنت منها مطلوب فقال لا تخف من هذا فأنا أسير بالليل وأكمن بالنهار وأدخل مع النصارى التجار وأنزل انا وغلمانى الى الموضع فقلت له ياشيخ وهذا كله من أجل هذه الجويرية التى لا قدر لها ولا قيمة فضحك وقال ياشيخ مالط قد حصلت لك ذلك الشيطان الرجيم واللص اللئيم أبو محمد البطال وولده مذبحون العفريت وغلمانه لأنهم أخذوهم الروم وأرسلوا يشاورونى فيهم فقلت لهم أرسلوهم إلى الى ضيعة القباب لأنى أنا هنا ولى الف عين فى الف مكان فأرسلوهم الروم الى ان وصلوا لضيعة القباب عند الراهب وهم هناك

الآن فلما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك الأحكام وسمع بذكر السعيدة خنق قلبه من الفرح وقال احقا ما تقول يا مالط قال وحق رأسك قسم ولكن اصبر يا مولاى حتى أذكر القصة بتمامها فقال الأمير قل وأوجز حتى نسير الى خلاص السعيدة ومن معها كما قلت من الرجال فوالله لقد ضاقت على الدنيا بسببها ولأجل أبوها قال مالط فقلت قواك المسيح يا شيخ ثم خرجت من عنده وأنا موسوس بكلامه الى الليل فنمت وإذا بقائل يقول لى فى منامى ويلك يامغبون بعت الآخرة بالدنيـــا الساخرة فلما سمعت يا مولاى ذلك الكلام ارتعدت فرائصى وقشعر بدنى فقمت من فزعى منـه ورعبى أشهد أن لا إله إلا الله وأشـــهد أن محمدا رسول الله وقلت ياترى يقبلنى ربى بعـد كفرى فقال لى ذلك الشخص نعم إذا أنت استيقظت من منامك قم من وقتك إلى ملطية وتقول للامير عبد الوهاب قدهتك الله ستر عقبه وهاهو واصل الى الكنيسة فى ليلة الاحـد ثانى عشرين فى الشهر ليـكفر بالفرد الصمد لأنهـا ليلة عيد النصارى يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر العصير ويكون انهتاك ستره وسبب صلبه وقهره (قال الراوى) فلما سمع الامـــير عبد الوهاب ذلك الـكلام كاد ان يغشى عليه وقبض على يد مالط العيار ودخل به على الأميرة ذات الهمة وقص عليها الحـكاية واخبرها بمـا قال وذكر لها الكنيسة فقالت للأمير وكيف تـكون فى ملطية كنيسة ونحن ما نعلم بها فقال الأمير والله يا أماه انا سمعت من البطال مرار وهو يصفها لى وما القيت الى هـذا الـكلام بالى والآن فقد ثبت صدقه بهذا المقال لأن الأمير وامه كانوا مسلمين بالجهاد للكفار واذا أقاموا فى ملطية شهر واحد ما يقطعوه الا بالعبادة ليل ونهار فى طاعة الملك الجبار وهم مسلمين القلب والنية فدخلت عليهم حيلة هـذا اللئيم العيار التى رتبها له عقبة الغدار ولـكن الله يعينهم عليه حتى يصابوه ويبلغوا منه المنى والأوطار ويحرقوا عظامه بالنار (قال الراوى) وقال الأمير لأمه ماذا تشيرين على يا أماه فقالت له يا بنى وما الذى اقول فعسى الله يكون جعل هتك ستره على يد هذا الرجل من دون غـيره من الرجال الشطار لأنه رجع إلى الله من قريب بعد كفره وشـد الزنار وما فرحت يا ولدى بكشف ستر عقبة وحده إلا فرحت بخلاص السعيدة من الاضرار لأنه كان على قلبى لفقدها حزن عظيم وحزن أبيها زاد بى شعل النـار لانه رجل من خيار الاخيار ومكســـور الخاطر وغريب الديار وله المواقف الجيدة فى جهاد الـكفار وكانت هذه الجويرية قائمـة بأوده فرض كـفاية وتعاونه على العبادة فى ظلمات الاسحار ولها من الزهد فى صغرها والعبادة ما لا يوجد فى أهل الولاية

والاسرار ثم أن الاميرة قالت صح خروج عقبة إلى هذه الكنيسة ولكن قد سمعت أنا منك هذا الكلام فقال لها نعم يا مولاتى ولكن سمعت عن بعض المشايخ يقول استعينوا على أموركم بالكتمان وأنتم تعلمون أن عقبة خبيث وله ألف عين فى ملطية وغيرها ولا سيما بنو عمه وأقاربه من بنى سليم وربما يلتقيه أحد منهم يعلمه بحالى وينفسد الأمر ويعمل على هلاكى عند الخليفة فقال عبد الوهاب والله أنك لصادق فيما تقول ولو علم بهذه الكره ولو أننا قلنا أنك قلت لمالط خذ بنت حجاف ودعها فى الكنيسة ودبرت على البطال وغلمانه وولده كابر أهل الأرض وقال ما عندى من هذا خبر وهذا الأمر من عندكم وحيلة وصناعة من البطال أبو محمد ومن بغضكم فينا تقولوا هذا المقال اللص المحتال وما تبعد عنه هذه الأحوال لأنه سرق السعيدة ودبر على وسرقني وحطنى عندها حتى يشنع على بهذه الأقوال والأحوال وأن الناس لهم الظاهر والله متولى السرائر وما فى الأمر إلا أننا نسبقه على الكنيسة وإذا دخلنا إليها نكمل فيها وإذا أتى قبضنا عليه فقم بنا يا مالط فنهض الشيطان مثل السلهب ثم نهض قائماً والأمراء معه على نيتهم ومالط ناوى الزغل عليهم ولكن نيته ميشومة عليه والله تعالى يرد كيده فى نحره كما سيأتى ذكره (قال الراوى) فلما قال له الأمير عبد الوهاب قم يا مالط أنا وأنت وأمى ذات الهمة وما نحتاج معنا لأحد قال افعل يا مولاى ما تريد ولكن يكون خروجنا وقت العصر ويكون معك شيء من الطعام لأننا ما ندرى أى وقت يأتى وأنا أحمل لكم الطعام من أجلنا ولأجل المأسورات لأنى خليتهم جياع ولا أدرى إن كان الراهب أطعمهم شيء أم لا وإنى والله قطع قلبى بكاء السعيدة وهى تشكو الجوع على صغرها وكنت أوصيت للراهب من جملة ما كتب لى من الشقوة أن يقل عنها الزاد ويعذبها بالجوع حتى يبليها بالقطوع كما قال لى عقبة (يا سادة) فبكى الأمير عبد الوهاب على السعيدة وما تقاسى من الهم وما هى فيه ثم قاموا إلى آخر النهار وخرجوا وهم فى زى المنفرجين حول البلد بلا عدة كما قال أهل الفضل حساب العواقب أمان من النوائب ثم بعد ذلك خرج غلام الأمير عبد الوهاب ومعه طعام كثير وحلوى وساروا وهم مطمئنين ولا يعلمون ما خبىء لهم فى الغيب وصاحب الغيب يدبر الغيب كيف يشاء ولما أبعدوا عن البلد حتى وصلوا إلى الموضع وقت صلاة العشاء الأخيرة وصلى مالط بن برق المخالط ثم جعل يبكى ويتخضع وهو بلا وصف مثل حال أستاذه عقبة إلى أن فرغوا من الصلاة (قال الراوى) فقال الأمير عبد الوهاب لامه يا أماه هنيئاً لهذا العبد الصالح مالط فى هذه النوبة ثم نزل بهم من

موضع إلى موضع ومن عقد إلى عقد وكانوا الامراء قد ترجلوا عن خيولهم ومسكوها لغلام الاميرة ذات الهمة ثم قصـــدوا الـكنيسة حتى دخلوا إليها وطلبوا باب المذبح فوجدوا الراهب واقف يدبر أمر القناديل فرمى مالط الطعام وهجم على الراهب ثم مسكه من ذقنه وقال له يا ويلك أين السعيدة ويلك يا شيبة الـكلاب وأين أبو محمد البطال وولده مذبحون وبقيـة الغلمان والأصحاب قل لنا وإلا قتلنـــاك فقال الراهب يا مولاى أنا شيخ كبير كما ترى أعبد المسيح فى هذا الموضع وما لى وحق المسيح فى هذا الأمر جنية ولا سبب لأنى رجل ضعيف وأنا قد أتانى هـــذا القرنان عقبة المنهان المتلاعب بالأديان وبحث على وأنا كاب عقور حابس نفسى عن النـاس تحت الارض والـكيمان وما أدرى من دله على وأنا لى ثلاثين سنة فى هذا المـكان فأتانى على غفلة مثلكم ومعه رجال وقالوا لى خبي لنا هذه الجارية وهؤلاء القوم عندك وإلا قتلناك قلت يا قوم ما لى طاقة بهذه الأشياء نخذوهم من عندى فقالوا ما نـكلفك بشيء إلا هـذه الجارية تطعمها ثم تسقيها بقدر ما يمسـك رمقها حتى لا تموت ولا تزيل القيد من رجليها أبدا ففعلت هذا فزعا منهم وفى هـــذه الأيام من قريب أتونى برجل آخر أنزلوهم إلى هذا السرداب وهم فيه إلى الآن وكذا الجارية فى هذا البيت الذى ترونه لأن فيه سرداب كبير وهم فيـه والبنية معهم أنزلوا إليهم وخـــذوهم ولا تقتلونى لأنى شيخ كبير ولا لى ذنب ونبيكم نهاكم عن قتل الرهبان كرامة للراهب بحيرى كونه بشر بدخوله فلما سمعت الأميره ذات الهمة ذلك والأمير عبد الوهاب تحققوا أن السعيدة هى وأبو محمـد البطال وولدة مذبحون وغلمانه وباقى أصحابه هناك فتبادروا إلى البيت وإذا فيه سرداب يغرق فيه الرمح وبابه مفتوح فتبادروا إليه ثم نزلوا فيه إلى أن وصلوا إلى آخره فلم يجدوا فيه أحد فقال لأمه ذات الهمة يا أماه ما أخوفنى أن تـكون الحيلة قد تمت علينا فقالت ممن يابنى فقالت من الحراب المنحوس وأما مالط فهو رجل من اهل الخير ثم صـعدوا وهم يتحاورون فوجدوا الباب مسدود عليهم بطابق من حجر قدر حجر الطاحون فندموا حيث لا ينفع الندم فأيسوا من الحياة وقالوا لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان هـذه الموتة التى كتبت لنا (قال الراوى) وكان مالط العيـار قد خرج إلى غلام الأمير عبد الوهاب ومسك منه الفرسين وقال له أدخل الى سيدك فهو يطلبك يريد يرسلك الى ملطيـة فى أمر عرض له فدخل الغلام وهو لايدرى ما كتب عليه وهو على قلب غافل ولا يعلم ما خبيء له فى الغيب فما امهلوه حتى دخل من باب الـكنيسة فخرجت عليه الرجال بالسيوف حتى صيروه إرباً إرباً وراح الى رحمة الله تعالى ثم التفت اللعين

مالط إلى أصحابه العيـــارين وقال يا أولادى هاقد قضيت الحاجه إلى عقبه وتمت الحيلة والنصبه لانه أعطانى هذه الأموال على أخذ هـــذا عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وقد أخذناهما ولـكن ما نقدر نخرج بهما من هذا المـكان ولا نقدر عليهما وربما لا يصلون معنا فقالت رجاله وما عساهما يقدران يفعلان وهما بلا عدة فقال مالط ويلـكم خلوا عنكم هذا الهذيان فلو كان واحد منـكم يملك خوصة صغيرة لأوراكم الهوان ألوان هؤلاء هم أبطان الزمان وحماة كل ميدان والليلة تنقلب ملطيه لأجلهما حتى تســـير الخيل فى طلبهما شرقاً وغرباً وأنا أريد منكم اثنين يركبان ويسيران طول الليل على غير طريق من على السويديه الى تل باش الى البارعيه ثم يقطعان الأرض ويصلان الى بغداد واذا دخلا الى عقبه فيقولان قد أخذنا لك عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وقد خشى مولانا الشيخ مالط أن يسير بهما اليك فيصدفان فى الطريق ويتولد من هذا ضرر فان كنت تتم الما العشرة الآن فهو يسلمهم اليك (قال الراوى) فعندها وثب منهم اثنين شيطانين عيارين وقالوا له نحن نسير اليه وطلعا وركبا على حصـانين وساروا يقطعون الأرض وقد أخذا معهما غلام عقبه وجدوا سائرين حتى وصلوا الى أرض العراق هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من ملطيه فان الأمراء دخلوا على الأمير عبد الوهاب ليسلموا عليه فما وجدوه فقالوا لا يكون عند الأميرة ذات الهمه ثم مضــوا اليها فما وجدوهما فقالوا لا يكونوا عند الأمير حجاف فلم يجدوا لهما خبرا (قال) فاشتد الطلب وماجت بهم البلد وانقلبت البلد لفقد الأمير والأميرة وحجاف يقول يا قوم أخـبركم الخبر العجيب فقالوا ما الخبر فقال لهم حجاف قد وصل الينا البارحه واحـــد لاستر الله عليه أزرق العينين عيناه مغلوبتان فسمعت الأميرة تقول أهلا وسهلا يا مالط الحمد لله على تمام نوبتك فقلت لها من هذا قالت هذا يقال له مالط بن برق المغالط ثم تحدث مع الأميرة ذات الهمه سرا ورأيت الأمـير باس الأرض شـكـرا لله تعالى ففرحت بذلك وقلت يا مولاى ايش الخبر قال سوف ترى وتقف عليه حينما يتم ثم مضى به والأميرة وأنا والله لقد بت البارحه على غاية من القلق فاطلبوه لا يكون تم عليهم حيلة فعندها ركبوا بنى كلاب وحملوا على بنى سليم وقالوا والله الذى لا اله الا هو ان فقد الأمير والأميرة سفكنا دماءكم ونخلى دماءكم تفج فى ملطيه وما هذا الأمر الا منكم ومن جملة حسدكم وتصايحت السودان وبربرت الحبشان وأحدقوا بدار الأمير عمرو بن عبيد الله وقالوا نريد أميرنا والا قطعناكم فلما رأى الأمير عمرو بن عبيد الله ذلك خرج ومعه مصحف وسيف وحلف عشرة ايمان بليغة ماعنده من ذلك خبر وكذلك كل مشايخ بنى سليم فصدقوهم وداروا

حول البلد فما وجدوا أحدا ولاحس حسيس وقال سيف الحنيفيه ماهم إلا بلعتهم الأرض والا فأين يكونوا ثم عادوا الخيل فقالوا مارأينا أحد فقال الأمير حجاف ياقوم اكتبوا إلى الخليفه واعلموه بماقد جرى على الامراء وكيف أتاهم ذلك الرجل وتحدث معهم ثم غابوا معه إلى هذا الوقت ولم يظهر لهما خبر حتى يجدوا فى طلبهما ولا يغفلوا عنهما وانت تعلم يامولانا انهم عماد الإسلام وكتب الأمير سيف الحنيفيه كما ذكر حجاف وأرسله وكتب فى الكتاب وان نحن يامولانا مالنا خصم إلا عقبه فان أردت ان أبانا يظهر تقبض عليه وترسله إلينا وتسلمه انا فهو إذا قررناه يخبرنا بخبر الأمير وأمه أين ما كان وان كنت ياأمير المؤمنين ماتفعل ذلك ولاتمكنامنه فانانخرب البلاد ونأخذه بأيدينا قبضا بالكف فبالله عليك ياأمير المؤمنين أترك الهيبة مقيمة بيننا وبينك ولاتحوجنا الخلع العذار لان أكباد الرجال ماتحتمل غبن فلا تدع مثلنا يعصى الله فى مخالفة امام عصرنا وولى أمرنا والسلام وسلموا الكتاب إلى البراج فعلقه على جناح الطائر فوصل إلى بغداد (قال الراوى) فأخذه البراج وسلمه للخليفه فقراه وفهم معناه فقامت عليه القيامه وانقلبت بغداد وقال الخليفه ومايكون فى مقابلة الجميل مثل هذه ولاأحسن منها وتكون بالامس بغدادقد أشرفت على الاخذ من كلب الروم كرفناس وأشرفت الناس على الهلاك وماقالت الناس أن يسلم من الناس أحد متى وصل الينا هذا الأمير عبد الوهاب البطل الامجد والليث الأسود وترس قبر النبى محمد الامجد وأمن الناس به من بعد الخوف وبعدما ايسوا من الحياة فيالها من رزيه ماأعظمها (قال الراوى) هذا جرى ههنا وأما المتعصبون لعقبه فانهم قالوا هذا محال ولا يصح ذلك فى حق قاضى من قضاة المسلمين صاحب الدين والعلم والورع والابتهال وهم أخفوا نفوسهم واوصوا أولادهم أن يطالبوا الخليفه بعقبة حتى يسلمه لهم ويقتلوه ويعذبوه حتى يهلكوه تحت الضرب ويعودوا يظهرون ويكونوا قد اشتفوا منه وقصدواضرره والرجل كان مجاورا فى بيت الله الحرام وماتركت له العباده جسم يتحمل الضرب والعذاب ومايلقوا الامراء بهذا خيرا أبدا فالله تعالى يخلص حق هذا المسكين كما انهم عليه باغين وظالمين من أين لهذا الشيخ قدرة على هذه الفعال وهو من جملة المتغفلين ولا سيما عن أذية المسلمين (قال الراوى) هذه ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الخليفة فانه أرسل قبض على العيارين من سائر البلاد والبصرة ماترك فيها عيار إلا وقبض عليه وكذلك فعل بمدينه بغداد وسأل عن مالط الآخر فقال واحد من العيارين والله ياأمير المؤمنين لقد نقض التوبةورجع الى العيارة والعياثه وأخذ عشرة من رفقته من أول أمس ومضى وما ندرى ماكان منهم فحينئذ تحقق الخليفه

أن الامر منهم وان له حقيقه بعد أن كان خامره الشك من كلام المتعصبين لعقبه هذا كله والملعون عقبه قد طار فؤاده من الفرح ثم بكى وأظهر للناس الحزن والترح ثم انه أظهر أنه مريض وأشرف على الموت مما جرى عليه من الخوف والفزع وحسب فى نفسه ان يقر عليه مالط إذا انمسك لأنه كان شيطان أخبث أهل زمانه وما يحسب حساب الا ويجىء حقا كانه نقش فى حجر فلعنه الله وخزاه ما أمكره وأدهاه واعمى بصيرة. فرآه الخليفة وهو يبكى ويتورع ويدعوا للامارة وللسعيده أن يحسن خلاصهم وقد انطلى على الخليفه زخرف المحال وقال لا إله الا الله محمد رسول الله هذا العابد يدعولهم وهم له متهمون وكان بالامس فى بيت الله الحرام ولما قدم سأل عن اخبارهم وقد حرت فى امرى وعليهم الجميع عند الله ووالله لولا هذه الحالة التى هو فيها من حال المرض لكنت سلمته لهم ودفعته اليهم يفعلون به ماأرادوا وكنت قلدتهم دمه ولكنه الساعة فى غمرات الموت ولو انى سلمته اليهم لمقتنى الله تعالى والعالم فقال مطرون والله ياأمير المؤمنين مايصدق عقلى أن الشيخ يصل إلى هذا الفعل كله والاقرب للعقل انها حيلة من القوم لينالوا مرادهم منه ويعذبوه وان كانوا دبروا هذا زورا وبهتانا فقد تجرؤا على أمر عظيم واستحقوا العذاب الاليم فقال له طيبون الحكيم اسكت عن هذا الكلام فانه افتراء منك فى حق أمراء الاسلام المجاهدين للقوم اللئام هؤلاء قوم يدلونا على مولانا اذلال العبيد ولو جرى على اليهود ما قد جرى عليهم لما رضيوا به ولاصبروا عليه (قال الراوى) فقال له المعتصم والله لقد صدقت ياطيبون وكان هذا الحكيم أقامه الله تعالى لمطرون وكان رجلا مسلما ظاهرا وباطنا وقد أسلم على يد الامراء كما تقدم ولهم عنده محبة عظيمه وهو غرض الامير عبد الوهاب ومطرون على مذهب عقبه لعنه الله وخزاه وعقبه الكافر بمولاه لعنا وخزيا فى الدارين آمين (قال الراوى) فقال الخليفه أنا أعلم أن لهؤلاء القوم حساد كثير والكفرة لايبعد لهم أن يبذلوا الاموال الجزيلة فى تلافهم وهلاكهم فان هؤلاء عماد الأسلام وجعل المعتصم يدعولهم ويتوسل الى الله تعالى بخلاصهم انه على كل شىء قدير (قال الراوى) ولما كانت هذه الأحكام فى ثانى يوم وصل الكتاب من ملطية وجاء غلامان مالط آخر النهار ولم يعلما ما جرى قبلهما فى العراق فبينما هما سائرين إذ التقاهما مصلحى من المصالحة وكان قد مشى مع العيارين زمناً طويلا ويعرفهم جميعاً ولما رآهما سلم عليهما وقال لهما أهلا وسهلا كيف أنتما وما حال سيدكما وشيخكما مالط بن برق المغالط فقالا له لا شك أنه مقيم بأرض البصرة ونحن كنا ماضيين إلى بغداد وكسبنا هذين الفرسين وقد قابلناك وأنت ستر علينا كلنا فقال لهما بيتا عندى الليلة لأنكما غربا

وأبياتكم فى البصرة وأنا أحق الناس بكما فعودوا معى إلى دارى فقالا له كثر الله خيرك فنحن ندخرك لوقت آخر ونحن مستعجلين وقد أحببنا أن نبيت الليلة فى وكالة من الوكائل فحلف عليهما بالله وشدد أنهما لايبيتان إلا عنده وتعلق بعنان الفرسين وشدد عليهما وأغصبهما فطاعوه وساروا معه إلى دياره فأنزلهما عن فرسهما وأنزلهما فى قاعة وأتى لهما بطعام فأكلوا ثم قدم المدام بعد الطعام فما رضيوا يشربوا الخمر لأنهم خافوا أن يزيدعليهم الشراب فيبيحوا بالسر فقالوا نحن لنا زمان تائبين عن شرب الخمر فعرف الرباب المصلحى قصتهما لأنه الآخر عيار من كبار العيارين فشاله من بينهم وقعد يحادثهم ونظر إلى وجوههما تلعب فما خفى عليه أنهما فى أمر مشكل فقال فى نفسه ما بقى لى فى هذه الساعة قعاد وما لى إلا أقوم فى هذه الساعة وأدخل على الخليفة وأدعه يقبض عليهم وأقل ما آخذ منه على هذه الفعلة عشرة آلاف دينار ولم يزل معهما فى حديث ومسامرة حتى غلب عليهما المنام فناموا مثل الأموات فقام وقد تركهم نائمين وخرج وقفل عليهما الباب وخرج كأنه ينام عند زوجته وسار طالب دار الخلافة وقالوا أهل الفضل فى المثل ما يأخذك إلا الذى استهونته (قال الراوى) وأما ما كان من المصلحى الرباب فانه ما خرج من باب الدرب إلا ومقابله نور وضوء مقبل فتأمله وإذا به غلام فى يده شمعة وخلفه شيخ راكب على بغلة ووجهه مصفر وهو جاء على عجل حتى قرب من الرباب المصلحى وإذا به عقبة بن مصعب فلما أن رآه تقدم إليه وسلم عليه وقال له إلى أين أنت سائر فقال إليك يا ولدى وحياتك قال الرباب يا مولاى أنا كنت أحق بالسعى إليك وإلى خدمتك فقال عقبة يجب على المسلم أن لا يتكبر على أخيه المسلم بشىء بل يجب عليه أن يسعى فى مصلحة أخيه المؤمن ولو مشى على عينيه ولا يرى لنفسه أذية على أحد من المسلمين وكان هذا الكلام من عقبة شيخ الضلال مكر على المصلحى ولعنة حتى يبلغ فى حيلته مراده ويقضى منه حاجته ثم قال له يا ولدى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لا كان متكبراً ولا متجبراً فشكره الرباب المصلحى على ذلك الكلام وقال وبعد هذا ما الذى تريد يا مولاى فقال عقبة يا أخى هنا ما يقع كلام ولكن سر معى يا ولدى إلى دارك حتى أحادثك ونحن مطمئنين فعاد معه حتى وصلوا إلى دار العيار وفتح باب الدار وقال له أعبر يا مولاى بسم الله فترجل الملعون عن ظهر البغلة ودخل إلى دار المصلحى العيار وغلقا عليهما الباب وجلسا للحديث (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء عقبة فى ذلك الوقت أننا ذكرنا أن غلمان مالط قد جاءوا إلى بغداد وكان لمجيئهم سبب وكان غلام عقبة تابعهما كما قال له أستاذه من بعيد لبعيد وقد رأى الرباب

المصلحى وقد رآهم وقد تعلق بهما وعزم عليهما وحلف عليهما وأخذهما إلى داره وجاء غلام عقبة إليه بعد ما مضى وراءهما وعرف الدار وعاد أخبر مولاه بما جرى فى ملطية وكيف دبر مالط على الأمير عبد الوهاب وعلى أمه ذات الهمة وأخذهما ثم قال يا مولاى الحق غلمان مالط لأنهما أتيا معى اليك ليطالبان منك بقية المال الذى وعدت أستاذهما به ويشاوروك على ما تريد تعمل على الامارة ودخلا معى الى بغداد وأخذهما الرباب المصلحى ودخلا معه الى داره فتركتهما يا مولاى سرعة وأتيت اليك فادركهما والا جرى ما لم يكن فى الحساب (قال الراوى) فلما سمع عقبة هذا الكلام تغير لونه ثم قال وحق المسيح هذه روائح أنه مصلوب فى هـــذه السنة وقد انهتك ستره فى هذه النوبه وأن لم أعمل على قتل هذا المصلحى وأسكنه المقابر والا أوقعنى فى البلاء وصلبنى على الجزوع والأخشاب ويصدق فى قول العداء وقد تخفى ونزل من داره وركب بغلته وساروا الغلمان بين يديه والتقى بالرباب المصلحى كما ذكرنا ودخل معه الدار ولما جلسوا واســتقر بهم القرار (قال الراوى) وأقبل عقبة عليه وقال له يا ولدى اعلم أنه يجب على المؤمن أن يسعى فى حقن دم أخيه المسلم والسبب الذى أتى بى اليك فى هذا الوقت أن بعض الغلمان قد رآك لما عزمت على هذين العيارين الذين هما عندك وقد عرفتهما وتعلم أن مولانا أمير المؤمنين قد حث الطالب فى حقهما وشيخهما مالط وكذلك جميع العيارين فما تتكلم فى حقهما أكثر من كلمة واحدة الا وضربت أعناقهما بريان كانا او سقيمان لأن أغلب الحال وأصـــدق الرأى أن الأمراء أخفوا نفوسهما وأرادوا بذلك ايقاع الفتن بينى وبين المعتصم حتى يسلمنى اليهم كما احتال البطال وأخفى نفسه وأخفى بنت الأمير حجاف وقد نسب هـــذا كله الى حتى يوبخونى ويلقوا العداوة بينى وبينه وأنا عنده بالعين الذى تعرفها وما عنده أعز منى ولكن ما أشتهى أن يقال فى حق هذا المقال وما بى الا شماتة الأعداء ويبلغوا مرادهم منى وانا أعلم غاية قصدك من الخليفة ما هو الا أنك تسعى بهما اليه وتؤمل أن يعطيك شىء من المال وأنا أعلم أنك اذا جئت اليه بكل من فى الأرض ما أعطاك شىء لأن طاعته على كل مسلم واجبة ولكن يخرج على العيارين اسم ميشوم وأنهم يتعرضون للمجاهدين وتضرب رقابهم وما تسلم لأنك منهم ولكن أنا أعمل معك ما تشكرنى عليه ثم أنه نادى على غلامه وقال له ويلك اطرح ما معك فطرح فى الحال كيساً فيه ألف دينار ذهب أرمانوسيه وأقلب المال بين يديه فأخذ المـــال بعقل المصلحى ولعب به وقال له يا مولاى ما هذا فقال هذا كله لك ولا يسمع أحد هـذا الحديث ولو الى خمســين سنة والا ضربت رقبتك قال الرباب والله

يا مولاى لو طلبت بعد هذا أن أسرق لك الخليفة لفعلت خذ أصحابك وتوجه فى دعة الله تعالى وأنا غلامك ومهما عرض لك من اللوائح فأنا لقائم بها فشكره عقبة على ذلك وقال له فما تقوم معنا حتى تتمالح وتحصل بيننا المالحة ثم أمر غلمانه فمضوا فى الحال وعادوا معهم خروف مشوى وجام فيه ملح وجام فيه حلوى سكرى فأكلوا جميعاً ثم تقدم الحلوى فأكل عقبة وجعل يلقم كل واحد منهم لقمة وكان نبه غلمان مالط حتى أكلوا معهم وجاءت للمصلحى اللقمة فما ألقمه اياها وكانت كبيرة وأشغلها فما نزلت فى حلقه حتى انقلبت عيناه فى أم رأسه وجاء يقوم قائماً فما قدر فصاح ويلك يا عقبة قتلتنى فصاح عقبة فيه ورفسه فى صدره ألقاه على ظهره وجذب يده طلعت من كتفه ونزل لحمه عن عظمه ونظرت غلمان مالط الى ما حل بالرباب ففزع أن يصيبهما مثل ما أصابه فقال لهما لا بأس عليكما انما فعلت ذلك حفظاً لرؤوسكما والا ما كان له به الا أن يقر عليكما ونهلك كلنا ثم أخذ المال وعول الى المسير فقال عقبة لغلامه طرف يا ولدى انظر فى هذه الدار التى لهذا الكلب وانظر أى شىء فيها فطاف فما وجد فيها الا سلم التسليق ومنقب وسكين فأخذ عقبة سلم تسليق وعتلة ومنقب وأوتاد حديد ولباس الليل وآلة اللصوصية فأخذ عقبة الجميع وأيضاً الكيس الذهب الذى أعطاه اياه وخرج من الدار وهو يقول هذه بضاعتنا ردت الينا ثم غلقوا باب الدار وذهبوا الجميع إلى دار عقبه ولما استقروا عنده فى الدار قال لهم عقبه الساعه حدثونى ياأولادى بالذى عملتم فى الحاجه فذكروا له القصه من أولها إلى آخرها ففرح الملعون بذلك وقال لهم المال حاصل ثم أحضر لهم عشرة آلاف دينار حاضره للوقت ولم يسوف بهم وقال بقى هذا الكلب حجاف ان أنتم أخذتموه أعطيكم فيه مثل عبد اوهاب فقالوا له كن بس أنت تزن المال ونحن نأخذك كل من على وجه الأرض من الرجال ان أردت وبعدهذاما الذى تشير به علينا أن نعمل من الأمور فقال الرأى عندى ان تقوموا تخرجون من بغداد رجاله بغير خيل فى زى الصعاليك حتى يخفى أمركم لئلا فضولى يراكم تروح أرواحكم لان المعتصم عليكم بحرقة الشكلا ثم تدفعوا هذا المال فى الموضع الذى تريدون حتى تأتون إليه وقت آخر لان الخليفه صح عنده ان الامراء ماأخذهم إلا أنتم لما قبض على العيارين وطلب شيخكما مالط فما وجدوه قال ماأخذهم إلا مالط وجماعته وماعندى من الرأى إلا هذا ولا تباتوا ليلة غد إلا على بعد من هذه الديار وإذا وصلتما إلى مالط فسلما لى عليه ثم سلموا المال الذى أعطيتكم وقولا له يأخذ الامراء ويسير بهم إلى بلاد الروم حتى انه يوصلهم إلى جزيرة روبيس ويسلمهم إلى الملك مرحبون ولكم على فى كل سنة عشرة

آلاف دينار وأزوجكم من بنات البطارقه اللاتى مثل الاقمار وتلبسون ثياب الخزو الديباج وأنا أدلكم على الخير والنجاة دنيا وأخرى لانى أعلم أهل الأرض وقد عرفت دين الحق واتبعته وهو دين النصرانيه وإلا بعد قد اختاره لنفسه ولكل من يعز عليه من أولاده وأحبابه وسائر أصحابه ومن يسمع الحق ويتبعه وينتصح فانصحه وأدله على الصواب وقد صرت عند سائر الموحدين بمنزلة الاولياء والاصفياء والعلماء المكرمين ويتبركوا بى كلهم ويبوسوا يدى ويسألونى الدعاء (قال الراوى) فلما سمعا غلمان مالط هذا الكلام من عقبه حارت عقولهما وزاغت عيونهما ومالت إلى الدنيا نفوسهما وقالوا والله مانعرف نحن لادين ولاتين ولانحن لانصارى ولامسلمين وماقصدنا غير الاكل والشرب والمدام فى الفطر والصيام ولانعرف حلال ولاحرام ونحن مالنا ههنا زوجة ولا ولد وأن ظهرنا فى بلاد الإسلام ووقعت علينا عين كما قلت هلكنا لامحاله فلابد مانعرض على كبيرنا هذا القول ثم أخذوا الأموال وحملوها على بغل من البغال وخرجوا من أول الليل إلى ثانى يوم الصبح أكمنوا فى كهف جبل إلى الليل ساروا وهم على هذه الحاله يسافروا بالليل ويكمنوا بالنهار حتى وصلوا إلى ضيعة القباب ونزلوا فى ذلك الخراب ودخلوا على أستاذهم بتلك الأموال وأخبروه بانقطاع الآمال وانقلاب الديار والإطلاع على فقد الامراء والدنيا كلها مخبطه والخليفه حرم على نفسه الزاد والمنام وقبض سائر العيارين وسأل عنك فأخبروه انك نقضت النوبه وتعيشت وطلبك فما وجدك فخنق عليك القول قال مالط هذا شيء لايهمنا ولاعلى بالنا منه ولانفزع ولكن هذا شيء آخر نحن ماكان لنا فى بلاد الاسلام شيء نبكى عليه وقد عولت على اننا ندخل إلى بلاد النصارى فى مثل هذه السنه أنا وأنتم ونأكل ونشرب فى هذه الأموال التى حصلت لنا وان عازنا شيء سرقنا وأكلنا ونعيش طيب ونستريح من الفقر والخوف ونخلى للخليفه بلده ونبعد عنه فقالوا غلمانه طب نفسافان عقبه بنفسه نصرانى وأشار علينا بالتنصر وقال لنا فيه كلام لوفهمناه لقلناه لك ودعا للتنصر ويعطينا كل سنة مثل هذا المال فقلنا حتى نشاور فى ذلك أستاذنا (قال الراوى) ففرح الشيخ مالط بهذا وقال ويعطينا عقبة عشرة آلاف دينار كل سنة قالوا نعم قال لنا وهو رجل لايكذب ولايليق بمثله الكذب فاجمعوا رأيهم على مثل ذلك وان يتنصر واعلى يد البترك ثم أقاموا ينتظرون عقبه وكل يوم يفتحون باب السرداب ثم يقفوا على بابه بالسيوف المجذبه ويرموا إلى الأمير والأميره مايأكلان ومايشربان وأقاموا على ذلك مدة من الزمان وكان المعتصم بالله قد كتب إلى الأمير سيف الحنيفيه جواب الكتاب يحلف بالله انه قد ورد على قلبه لفقد الامراء وعقبه الذى تطلبونه الآن

موجه إلى القبله وهو فى النزع من قبل ورود كتابكم الينا بخمسة أيام ماتى على قفاه لا يعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض ولو سبق كتابكم قبل هذه الحاله بيوم واحد كنت أقول حيلة منه وأسلمه اليكم وكان كلام الخليفه فى حق عقبه صحيح لانه كان بالنهار يلقى نفسه على الأرض ويظهر انه فى سكرات الموت وفى الليل يأكل ويشرب ويفعل ما يريد فانه جبار من الجبابره فلا رحم الله روحه وكتب الخليفه بذلك وهو يقول ان هو مات انقطع الأمل منه وان لم يمت وتربة آبائى وأجدادى سلمته لكم ثم قلدتم دمه ولو يكون ولدى الواثق لما منعته منكم تفعلوا به ماتريدون لعل يكون سبب الخلاص للمجاهدين فى سبيل الله وكان المعتصم قد كتب أيضاً كتاب ثم أرسله إلى ملك الروم يهدده من أجل الأمراء وماجرى على السعيده بأن يركب عليه بسائر المسلمين ويرجع يهدم مدينة القسطنطونيه وجاء الجواب ان ملك الروم يحلف ويتضرع ان ماعنده من هذا خبر ولا سمع السعيده حس ولا أثر ولا أحد غيرها وبسائر المسلمين فضلا عن الامراء والمجاهدين وأنا أبذل المجهود ان ظهر لى خبر أرسلت أعلمتكم ان عجزت عن خلاصهم وان قدرت على شىء بلا كم خلصتهم وقلدتكم هذه المنه واعلم انها لا تضيع معكم ومع الأمير عبد الوهاب فأرسل الخليفه أيضاً كتاب ملك الروم مع كتابه للأمير سيف الحنيفيه ان ابذل المجهود أنت من جانب وأنا من جانب عسى الله ان لا يفجع الاسلام فيهم ولعل ان يظهر خبر فلما وصل الكتاب إلى الأمير سيف الحنيفيه وكان قد بلغه خبر ان هذا الكلام من الخليفه حق وصدق وانه بلغ به الحزن على الامراء مالا مزيد له فقال ماأصيب أبى وجدى إلا من بلاء الروم ثم خرجوا من ملطيه ثلاث فرق مع الأمير سيف الحنيفيه فرقه مع أبو الموت الأسود وفرقة مع الأمير سيف الحنيفيه ودخلوا بلاد الروم قتلوا ونهبوا وزعزعوا الأرض وقد قتلوا الرهبان والقساقس وهدموا البيع والكنائس (قال الراوى) ولما عول سيف الحنيفيه على ان يعود للديار أتاه رسول من ارمانوس يقول له ماهذه الفعال والهدنه التى بيننا ان كان ذلك من أجل الأمير عبد الوهاب فما عندى منهم خبر ولا تعرضت لهم فى هذه السنه بضرر فلما سمع سيف الحنيفيه أرسل يقول خلى عنك المحال لاجعل بلاد الروم خراب لاجل أبى وستى وصار كل يوم يقصد طريق بعد طريق ويأتى بالسبايا حتى وصل إلى مرج الديباج وبلغت الجارية الروميه ثلاث دنانير فى ملطيه من كثرة السلب والسبى (قال الراوى) وأما ما كان من عقبه فانه بعد مامضوا من عنده غلمان مالط جمع من نصارى بغداد أربعين نفساً واشترى لكل واحد منهم بضاعة بألف دينار وقال لهم قفوا تحت حرم الخليفه ونادوا

يامولانا نحن قوم تجار ومعنا بضائع ماتنفق إلا فى بلد الروم وليس لنا معيشة إلا بهـ لأننا ندخل الى مدينة القسطنطينية ونخرج بالأمان وقد سمعنا أن ولد الأمير عبدالوهاب سيف الحنيفيـة قد قطع الطريق وأخاف السبيل ومنع المسافرين ونريد أن تكتب لنا كتاباً يكون أماناً لنا على أنفسنا وأموالنا لأننا قوم ذميين تحت الطاعة حتى نمضى تحت أشغالنا فإذا خرج لكم من عنـد الخليفة مرسوم وجزتم على ماطية فميلوا عنها الى عند القرية الخراب المسماة بالقباب ولا يكون خروجكم إلا فى آخر النهار لأجل ماتصلون هناك دباشة صندوقين مال وهم نذور لكنيسة روبيس وأريد أرسلهما صحبتكم ولكم الاجر من السيد المسيح واذا أنتم قاربتم القسطنطونية يفارقكم غلامى بالمال والنذور وتدخلوا أنتم القسطنطونيه تبيعوا مامعكم من البضائع وان وصل خبركم إلى الملك ارمانوس وسألكم قولوا له نحن قوم تجار وإذا رجعتم اشتروا من البضائع التى تصلح لهذه البلاد واذا رجعتم أيضا إلى هنا بيعوا البضائع وخذوا أنتم الربح وردوا إلى رأس المال وأنتم فى حل من المكسب كله ولا آخذ منه شيئا لانكم عباد المسيح فقالوا الجميع نحن غلمانك وبحكمك وانهم خرجوا من عنده وجاؤا تحت قصر الخلافه ونادوا كما علمهم عقبه وذكروا كل ما لقنهم شيخ الملاعين لعنة الله عليه فى كل وقت وحين وسمع الخليفه هذا الكلام فأذن لهم بالمسير وأمر الوزير أن يكتب لهم كتاب بالوصية عليهم والتحذير لأنهم تجار العراق فلا يعارضهم أحد من أهل الآفاق لأن الخليفـه له معهم مال جزيل وأعطاهم الكتاب ففرحوا به ثم دعوا للخليفه وساروا إلى عقبه وأوروه المرسوم ففرح بذلك وأعطاهم غلامه وخرجوا من عنده وقد ساروا حتى وصـلوا إلى ملطيه فرأوها خالية من الرجال والأبطال لأنهم كما قدمنا ساروا لغزو بلاد الروم والسودان كلهم ومقدمينهم ودخلوا إلى القسطنطينيه وغاروا حتى وصلوا إلى أبوابها وأما سيف الحنيفيه فقد أفسد بلاد الروم جميعها وأخذ منها أموالا يكل عن وصفها المقال والأمـير ظالم وضيغم وقشعم قصـدوا حال العرب المتنصرة ولما رأوا ملطيه خالية من الرجال والفرسان فرحوا بذلك ثم دخلوا البلد وأعرضوا كتاب الخليفه على أمير الثغر عمرو بن عبيد الله فأنفذ معهم عشر رجال من بنى سليم وكتب الآخر كتاب مثل كتاب الخليفه بالمراعاة وبرزوا من ملطيه آخر النهار ونزلوا قريباً من ضيعة القباب وغلام عقبه معهم لما تنصف الليل أخرج غلام عقبه ماناط وأصحابه وهم فى زى المكاريه والصندوقين معهم والأمير عبد الوهاب فى صـندوق وأمه فى الآخر بعد ما أضعفوهما بالجوع والعطش وهما مكتفان مسدودان الأفواه حتى لا يصيحون ولا يتكلمون وهم وقوف على

رؤوسهما بالسيوف ورحلوا بهما مع القافلة الذين استأذنوا الخليفه المعتصم وساروا وهم مجدين الليل والنهار ومالط العيار لما تنزل القافلة فى محطة من المحطات ينزل فى وسط تجار العراق ويجعلهم حواليه وإذا ناموا أهل القافلة يأمر غلمانه أن يجذبوا السيوف فى أيديهم حتى أنه يخرجهم يأكلوا ويشربوا ويقضوا حاجتهم وهم مكتفين ويعود يسد أفواههم ويضعهم فى تلك الصناديق وهم على تلك الحالة بطول الطريق حتى أنهم وصلوا إلى مرج الأسقف وإذا بالغبار من بين ايديهم قد ثار وعلا على سائر الأقطار ففزعت التجار وأرسلوا من يكشف الأخبار وتقدمت فرسان بنى سليم وهم يقولون إن كانوا مسلمين فلكم الأمان وإن كانوا غير ذلك فقد وقعنا كلنا فى الهوان وقارب الغبار منهم وإذا به الأمير ظالم وضيغم مقدمين بنى كلاب وقد رجعوا من بلاد الروم ومعهم من الغنائم ما يملأ الرحال وكان ظالم وضيغم قد عولوا على قتل رجال بنو سليم وأخذ القافلة فلما أقبلوا اليهم ترجلوا اليهم فلما رأوهم وقد ترجل كل من كان فى القافلة وباسوا كتاب الخليفه وقدموه اليهم فلما قرأوه تركوهم وساروا طالبين بلاد الإسلام وتمت القافلة سائرة وقد فرحوا بالخلاص وكان مالط والعيارين إذا أتى الليل ينعزلوا بالأمارة ويفعلوا ما قدمنا من أكل الزاد وشرب الماء وقضاء الحاجه والقيود فى أرجلهم والكتاف الشديد فى أيديهم ويقولون لهم إن تكلمتم طيحنا رؤوسكم عن أبدانكم وهم كذلك مرحلة بمرحلة حتى وصلوا بهم الى مرج الأسقف ثم هناهم غلام عتبه بالسلامة وقال لهم أبشروا فإننا فى أول بلاد الروم وقد ذهبت عنا المخافة والهموم فما تم كلامه حتى ظهر غبار وقتام فقال مالط جاء الأجل قوموا بنا حتى ننظر كيف العمل فى هذا الغبار الآخر وبعد ساعه وقد انكشف الغبار وفى مقدمهم الأمير سيف الحنيفية ومعه أموال الروم التى أخذها وسباياها شيء كثير فلما رأت ذلك بنى سليم أخذهم الحسد وصاروا يقولون و لله ما هذا الا مال عظيم وإن لم ينصفنا أميرنا عمرو بن عبيد الله وإلا كان لنا معه حال آخر لأنهم رجالنا على كل حال وكل ما كسبوه لنا فيه الثلث وإلا ما يرسلنا إلا غفراً للقوافل خصوصاً هؤلاء التجار النصارى لو كانت غنيمة ما أرسلنا اليها ثم ساروا حتى وصلوا الى سيف الحنيفية وسلموا عليه وسألوه هل وقع لأبيه وجدته على خبر فقال لا والله فهنوه على السلامة وأخبروه بالخبر وأعطوه كتاب الخليفه فقرأه فأهابه وترك القوم سائرين وسار الآخر الى حال سبيله ونزلوا هم الى نصف الليل ورحلوا حتى أشرفوا على مرج الزعفران نصف النهار وعولوا على النزول واذا قد ثار من خلفهم غبار متعلق بجو السماء وقد صعد الى عنان السماء وفيه زمجرة وهدير كهدير الجان وهو يذهل

الإنسان ولما رأو تجار القافلة الى ذلك الحال لخارت عقولهم لذلك وأيقنوا الجميع بالوقوع في المهالك ووقفوا حتى انكشف الغبار وظهر من تحته رجال مثل العقبان على خيول أخف من الغزلان والرجال كلهم سود الألوان وأبو الموت فى أوائلهم مثل الشيطان يهدر كالأسد الغضبان وفى يده عامود ما يخرجه قبان وهم سائرون وبين أيديهم بغال وأموال قد ملأت مرج الزعفران وسبايا من بنات الروم يمشون قدامهم مثل الغنم قدام الرعيان (قال الراوى) ولما قرب أبو الموت من القافلة مال اليها وهدر وزفر ونفر وقال يا ويلكم يا ابن الزوانى نحن نخرب وأنتم تعمرون أبشروا يا ويلكم بشرب كاس المنون وصاح على السودان وهو يقول دونكم واياهم عجلوا قتلهم فوقفت رجال بنى سليم وناولوه كتاب السلطان فلما سمع أبو الموت منهم وتناول الكتاب قام عليه جنونه وانقلبت عيونه ودمدم وبربر وأزبد وفاح صنانه وقطع كتاب الخليفة بأسنانه وزعق على سودانه وهو يقول دونكم وهؤلاء الأندال نحن ما بقى لنا خليفة يحكم علينا بعد الأمير عبد الوهاب وأمه الأميرة ذات الهمة ثم قطع الكتاب وحملت السودان على بنى سليم فخرجوا منهم أربع فوارس وهربوا الباقون وأخذوا الأموال والأحمال وقتلوا جميع الرجال من النصارى التجار وأخذوا السودان صندوق وأحضروه قدام أبو الموت وكان وقت المساء ففتح أبو الموت الصندوق فوجدوه ملآن ذهب ودنانير وكان ذلك هو الأول الذى أعطاه القاضى عقبه لمالط العيار وصحبه فظن أبو الموت أن جميع الصناديق كلها ذهب ففرح هو وسائر العبيد ثم ألصق الصناديق الى بعضها البعض فصارت شبيه الدكة وطلع ابو الموت نام على أعلاهم وكان مالط قد هرب بعد ما قاتل ساعة وقتل من أصحابه سبعة رجال والباقى هربوا مع مالط وطلبوا دير الزعفران وصاحوا بالرهبان الذين فيه وقالوا نحن قوم من نصارى أهل العراق وقد أخذوا هؤلاء السودان أموالنا فاربحوا ثواباً وخبئونا عندكم

(قال الراوى) وكان قد أظلم عليهم الليل ففتحوا لهم الباب وأدخلوهم وهم فى خوف زائد وأما طائفة السودان الذين لابو الموت فانهم داروا بالسبايا يحرقونهم من كل مكان ونام أبو الموت على الصناديق كما ذكرنا وهو يظن أن الذى فيهم كله مال وكان بالامر المقدر نام على الصندوق الذى فيه الامير عبد الوهاب وكان الامير سمع الصياح وعرف صوت أبو الموت لكن ماقدر يتكلم من الاكره التى فى فمه فشال الامير رجليه فى القيد وضرب بهما فى قاع ذلك الصندوق فجاء لها صوتا عظيما فقرب أبو الموت كانه شيطان وهو يقول يه يه وعلى ذلك طيب وظن أن الجن يلعبوا معه وقال لاشك أن هذا الشيطان

بهذا المكان يريد أن يخوف السودان حتى لا يناموا فى هذا المكان وأنا أريد الساعة أقسم على السودان حتى لا يناموا فى هذا المكان لعلهم يحتملونا فى هذه الليلة ولا يفزعون ولا يشوشوا علينا وإذا بالامير عبد الوهاب ضرب برجليه الصندوق ثانى مره فقال أبو الموت ياجن ياجن إن كان مايعمل ما تسمعون ما أقول لكم من الاقسام وإلا ضربتكم بهذا العامود الذى ما يحمله غيرى من الفرسان وقاتلتكم لو كان معكم فرعون وهامان فصوت الأمير عبد الوهاب والأكره فى فمه بصرخة قوية وضرب أيضا برجليه الصندوق ضربة عظيمة فقال أبو الموت أقسمت عليكم ياسكان هذه الديار ان كنتم من النصارى وأصحاب الزنار بعيسى بن مريم الذى ركب الحمار وسار فى البرارى والقفار وجعل من الطين كهيئة الأطيار وذلك كله باذن الواحد القهار وبحق الحواريين والأنصار وإن كنتم من اليهود وقد سكنتم فى هذه الديار بحق موسى بن عمران الذى طلع جبل الطور وكلمه العزيز الغفار وقال له اعرف قدرى فأنا الله الواحد القهار وبحق اخاه هارون المذكور فى القرآن وبحق عيد المظلة والتوراة والأسفار وصوم الكبار وإن كنتم مسلمين ومن أهل الايمان فبحق سيد ولد عدنان الذى هو صاحب الآيات والقرآن والدلاله والبرهان والمعجزات الحسان الذى قد أسرى به الرحيم الرحمن وخاطبه وقال له يامحمد ياسيد الأكوان لك الشفاعة العظما فى جميع العصاة من المسلمين الأشقياء والمذنبين من المؤمنين والجان ونحن من إخوانكم السودان الذين نقاربكم فى الأحوال والألوان ثم سكت قليلا وأنتصت إلى الصندوق حتى ينظر كيف الحال (قال الراوى) وكان الأمير عبدالوهاب قد غلب عليه الضحك الشديد لما سمع كلامه وتعجب من هذه الأقسام ثم شال رجليه وضرب بالنيد الصندوق بأقوى عزمه واهتمامه فسمع لها قعقعة عظيمة فقال أبو الموت أم أقول لكم يابنى الخالة هؤلاء الخدام مالهم دين ولاهم يهود ولا نصارى ولا مسلمين ولاهم لنا تاركين وإن كانوا لنا قاصدين شيئا الساعة يبان وقام على حيلة وأخذ العامود وهو يزمجر ويدمدم ويقال أنه صار يقول ياعفاريت ياقرود لا تسمعوا كلام نصارى ولا مسلمين ولا يهود فأنا أدقكم بهذا العامود ثم ضرب به الصندوق فطيره قطع وفصص ألواحه وجاء باقى الضربة على ظهر الأمير ولما كسر الصندوق وطارت ألواحه بهت ينظر إيش الذى يخرج منه وإذا قد ظهر له شخص أسود اللون إلا أنه مكتف مقيد وفى فمه أكره مثل قالب محكم فحرر أبو الموت فيه النظر وتأمل فعرفه أستاذه فصاح يا آل حام يا آل حام فدارت به السودان وجاوبته من كل مكان وهم يقولون ما بالك ايها الأمير فقال ويلكم يابنو حام يا وجوه الليل والظلام أنظروا إلى أميركم وأمير بنو كلاب وهو

الأمير عبد الوهاب وقد ظهر من هذا الصندوق ولا شك أنه كان مسروق (قال الراوى) ولما سمعوا السودان هذا الكلام وحققوا أنه الأمير عبد الوهاب تراقصوا حواليه وداروا به وسلموا عليه وكسروا فى الحال قيده من رجليه وفكوا كتافه من يديه وقلعوا الاكره من فيه وقال الحمد لله وأشار بيده إلى الصندوق الثانى وقال للسودان افتحوا هذا فالأميره ذات الهمة فيه ففرحت السودان وداروا بالصندوق وكسروه ونظروا ما فيه وإذا هى الأميرة ذات الهمة فأخذهم الوله والجنون وزادت منهم الصرخات وكسروا قيدها وقطعوا منها الكتاف وأخرجوا الاكره فقطر الدم من مناخيرها وأنفها مثل الرعاف لشدة مالاقت من الكمد والأسر على ولدها والالتهاف حتى أشرفت على التلاف فلما رأت ولدها حمدت الله وأثنت عليه على النجاة وما كان لها دأب إلا على السؤال عن البطال فقالوا لها والله ما معنا منه خبر ولا وقعنا له على أثر ونظن أن الذى عمل بكم هذه الأعمال هو الذى سرق أبو محمد البطال فقال الأمير أظن أبو محمد دخل بلاد الروم وكلما يجرى علينا فهو من فعل عقبه المذموم بعد قضاء الحى القيوم فقالت الأميره صدقت يا بنى ولكن نحن الذين نوالس على أرواحنا ولا بقى لنا سكنى فى ملطيه بعد هذه القضية لأن أهلها لايحبونا ولو وضعنا معهم ألف جميل لأنهم ما يدعون قاضيهم عقبه ويصدقوا لنا أقاويل وهو الذى يغويهم بنا مع الحسد الذى فى قلوبهم علينا فقال الأمير عبد الوهاب الرأى لكى يا أماه إن شئتى فأنا فى هذه الساعة أرسل إلى ملطيه وأقول كل من أرادنا يأتى إلى عندى والذى يقيم فى ملطيه بعدنا فلا يلومن إلا نفسه ونرسل أيضا إلى الأمير نافع أن يخلى القلعة ويأخذ جميع مالنا هناك من الأموال والرجال على ظهور الخيل والبغال وينضاف إلى أولاى والرجال فما بقى عيش فى بلاد يكرهونا أهلها والله ماغاب أبو محمد إلا وقد تم عليه ما تم علينا ولولا صادفونا هؤلاء السودان اتفاق وإلا ما كنا خلصنا من الوثاق الذى آلم أيدينا وأرجلنا ثم التفت إلى أبى الموت وقال والله يا أمير مافى قلبى حسرة ونار لايطفى لهالهيب ولا شرار من هذا الكلب مالط العيار وفعل بنا هو وأصحابه الأشرار وكذلك النصارى التجار الذين قد والسوا علينا وأطاعوا عقبه الغدار وقد سمعناهم يكفروا بالرحمن قال أبو الموت ياسيدى فنحن قتلنا النصارى التجار وماهرب منهم إلا قليل من الأنفار وذلك الذى تقول إسمه عيار وكان الوقت ماشى فضاعوا منا بين البرارى والقفار (قال الراوى) وباتوا مكانهم حتى أصبح عليهم الصباح وأضاء بنوره ولاح وفتشوا بين القتلى على جماعة مالط فوجدوا منهم سبعة قتلى بقى منهم ثلاثة لأنهم كانوا عشرة كما قدمنا وكبيرهم مالط العيار فقالت الأميره يابنى معلوم أنهم ما عادوا يقدروا

يبانوا فى بلاد الإسلام ولا لهم رجعه اليها يوم وقد عرفوا إننا تخاصنا منهم ولا يقدرون يظهرون حتى نروح من ههنا وهم بلا شك كامنين أطلبوهم فى دير الزعفران فان فاتنى حزرى فماهم إلا فيه وقد استجاروا فيه وأريد منكى الساعة عشر رجال سودان يكونوا شجعان يمضون إلى دير الزعفران ويقولوا للراهب افتح لنا الباب حتى نتفرج فى الدير فتواثبت عشرة مثل أفراخ الجان مثل أبو الموت والدموك والمربيد وشفطم وزويع وسعدون وأبو الريح وأبو الركب وغاشم وملاكم الهوى وأبا سطيح وكان الراهب فى الصومعه ينظر إلى الكنيسة وما جرى من الوقعة وينظر إلى قتال السودان ولما نظر إلا هؤلاء السودان مقبلين نحو الدير مثل فحول الرجال وفى أيديهم السلاح والدبابيس قشعر جلده ونزل من أعلى الدير وأعلم العارين بمجيء السودان وقال لهم كيف يكون الحال وهؤلاء السودان القادمين مثله أفراخ الجان وقد وصلوا إلى الدير وأن رأوكم عندى ما ينالنى منهم خير فقالوا العيارين لاتخف الموضع حصين وما نبالى بهم ولو أقاموا عشر سنين (قال الراوى) فقال الراهب صحيح أن الموضع مثل الحديد وحيطانه كلها بالصخور والجلاميد ولكن لابد من التدبير وأنا كان قد وقع بينى وبين صاحب هذا الحصن الذى هو فى آخر مرج الزعفران منازعة فأتى إلى ونزل حول الدير فى ألف فارس وأراد أن يخرجنى من الدير ويجعل فيه راهبا غيرى فلم أبالى ولم يزل حتى سمع بما قد جرى بيننا وبين الملك أرمانوس وقدأخذ لى بالمحاماه فبعث اليه يقول إرحل عنه وإلا كنت خصمك حتى رجع بعد ماقام على الدير أربعـــين يوما وما قدر على شيء لأنه بعد ما يغلق بابه ما نبالى بكل من على وجه الأرض ولا أهل الدنيا إلا أن الباب ثقيل لا أقدر على غلقه وحدى فقوموا معى وساعدونى حتى نأمن على أنفسنا منهم ومن غيرهم (قال الراوى) فلما سمعوا منه العيارين هذا الكلام قاموا إلى الباب تعاونوا على غلقه وطرحوا السلاسل والأغلال والأقفال وعادوا إلى الموضع الذى هو فيه لأن الراهب كان قد خبأهم فى أزج معقود من قديم الزمان وما كانت الا ساعة وقد وصلوا السودان الى باب الدير وقالوا ياراهب فطل عليهم وقال ماحالكم فقالوا نحن مسلمين من أصحاب الامير عبدالوهاب افتح لنا باب الدير حتى نتفرج ونخرج نروح الى حال سبيلنا فقال لهم ياقوم أنا رجل وحيد فريد قد تفردت وحدى فى هذا المكان ورضيت بالوحدة من الناس حتى لاأرى ولا أرى لعلى أن أخلص من مصائب الدنيا وتبعاتها وهذا الدير من عهد الحواريين لايفتح الا فى كل سنة مرة واحدة لان الملك اذا نزل على يأتى بالبطارقة ويكون معه سلالم طوال ينصبها ويصعدوا الرجال الكثيرة حتى يفتحوا له الباب ويدخل يزور ويتصدق

ثلاثة أيام ويعود إلى بلده بعد ما يكون قد ترك عندى من الزاد ما يكفانى طول السنة فلا تغيروا أنتم على عادتى ولا تفسدوا على عبادتى وما ههنا شىء يصلح للفرجة لأن ما فيه إلا تصاوير ولا عندى شىء يؤكل ولا يشرب وما إلا بعد إلى مثل كلب عقور حبس نفسه فى هذا الموضع المنفرد عن الناس أجمعين حتى لا آذى ولا أوذى فقالوا السودان افتح لنا الباب يا قرنان ودع عنك هذه الحماقة والبهتان وهذا كله منك زور وبهتان فقال لهم دعونى وانصرفوا من عندى فلو أنكم أقمتم ههنا إلى أن يشيب الغراب مافتحت لكم الباب ولا إلى غيركم لأننى ما أقدر أفتحه وحدى إلا إذا جاء الملك بالرجال والأبطال والسلاسل والحبال والسلالم الطوال وهذا ما عندى والسلام ولا بقيت أخاطبكم ولا كلمة واحدة بعدها أن أقمتم أو رحلتم (يا سادة) فعندها غضبوا السودان وتعلقوا بالحيطان وكان معهم سلالم من أبريسم لطلوع القلال والصوامع العوال صنعها لهم أبو محمد البطال لمثل هذه الأشغال فما كانت إلا ساعة حتى رموا مفاردهم وصار فوق الدير منهم جماعة مثل أفراخ الجان فلما رأى الراهب إلى تلك الأحوال ندم على ما فعل ومات فى جلده من الفزع ومن النكال ودنى منه أبو الموت وقال له يا شيخ الضلال وراهب المحال لك كم سنة فى هذا الدير قال أربعون سنة يا مولاى قال ما بصرت أنحس من هذا النهار ويلك أين العيارين الذين أخبيتهم عندكم فقال له يا مولاى عندى وحق المسيح فلا تقتلنى ومن على بروحى والعفو منكم وخذوا هؤلاء المناحيس من عندى وحق المسيح لو علمت أن لهم طالب مادخلتهم ديرى فقال أبو الموت لك ذلك دلنا عليهم فقال قوموا إلى ذلك الازج الذى خلفكم خذوهم منه فخاف أبو الموت من حيلة تتم عليه وكذلك السودان ثم قبض أحدهم على عنقه كاد أن يخنقه وقال قم أنت معنا دلنا على المكان فقام وهو يقاسى نزع الموت حتى وقف بهم على رأس السرداب وكانوا السودان قد أخذ مفاتيح الدير وفتحوا الأبواب وأدخلوا باقى أصحابهم ولما اوصلوا اليهم داروا الجميع بالراهب وأبو الموت واقف به قابض على دقنه نصاح الراهب بالعيارين وقال قوموا اخرجوا عنى لا ستر المسيح عليكم فقد قلع هذا الأسود قلبى وطير ذهنى وعقلى فما كان دخولكم عندى مبارك على ولا كان صواب (قال الراوى) فلما سمعوا السودان قوله فقال واحد منهم دونكم يابنى حام والعيارين فنزلوا اليهم فى الحال وقبضوا على مالط وأصحابه الانذال وأخرجوهم على أقبح الأحوال فلما رأى مالط تلك الأحوال التفت إلى الراهب وقال له ما حملك أنت

على هذه الفعال قال يارقيع هؤلاء الذين حولك يحيطون بك النكال فالكه أبو الموت لكمة على صرصور ودنه طن لها الدير وكتفوه والثلاثة الغلمـــان الذين قد سلموا من الوقعة وسبعة من بقية التجار ونزلوا من الدير حتى أوقفوهم قدام الأمير عبد الوهاب فلمـــا رآه الأمير عبد الوهاب فقال ويلك يا كلب المتنصره لعنك الله ماحملك وما الذى أحوجك إلى هذه الفعال وخصوصاً فى حق مثلنا وقد فعلنا معك الجميل الذى مايفعله خليل مع خليل وشفعنا لك المعتصم حتى انه قبل توبتك لارحم الله شيبتك فقال له ماالذى حملنى على ذلك حب الدنيا يامولاى وما كتب على جبينى من القدم حتى أكون شقيا أول زمانى أكلت الحرام وآخر زمانى جحدت الإسلام ايش تريد يامولاى أكثر من هذه الشقاوة وعقبة كان سببها بعد قضاء الله وقدره (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب منه ذلك الكلام بكى إلى ان غشى عليه وقال أعوذ بالله من خاتمة السوء والساعه ياشيخ إلى أى دين يميل قلبك قال والله إلى دين الإسلام ياسيدى ولكن بالله عليك وبحق محمد ابن عبد الله اضرب عنقى لعل الله تعالى أن يغفر لى ما كان من ذنبى وكفرى بعد الايمان وأريد أن تمهلنى ولاتقتلنى حتى توصلنى للخليفه أنا وأصحابى حتى أحدثه بالقصه على جليتها ولاأزيد فيها ولاأنقص ثم أظهر للخليفه كتب عقبه المره بعد المرة وأنا قاعد فى البصره وكتابه الذى قد أرسله لى بعد أخذك يشكرنى وأنا فى البيعة الخراب ويقول لى صفهم فى الصناديق حتى انى أرسل لك جماعة من التجار تسير فى صحبتهم إلى جزيرة روبيس والله العظيم والنبي الكريم ماقلت هذاالمقال حتى تعفو عنى لا والله ماأريد الاالقتل ولايطهرنى الا السيف (قال الراوى) ثم بكى على ماأصابه وقالوا رفاقه مثل مقاله وحلفوا كلهم ان يشهدوا عند الخليفه بأن ما أعطاهم المـــال غيره وهو الذى لعب بعقولهم وهو سبب خراب بيوتهم فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك فرح فرحا شديداً وأخذهم معه وسار حتى وصل الى ملطيه ثم بعث المبشر بقدومهم سالمين وكان يوما عظيما وطير الطيور الى مدينة بغداد دار السلام مخلقة بالزعفران مبشرة بخـــلاص الأمير والأميره ذات الهمه ففرح المعتصم بذلك وأخلع على البراج كل ما كان عليه من الثياب وادعى بغيرهم ولبسهم وبلغه ان الامراء منحدرين الى العراق من أجل المناظره بينهم وبين عقبه وقالوا هو الذى دبر عليهم ومعهم العيارين والنصارى التجار بينة على عقبه ولابد لهم من المحاكمة ويظهر الحق على أحدهم فان ظهر على عقبه أخذوه من مأمنه (قال الراوى) فقال المعتصم والله مايظهر لهم على عقبه وجه حق ويشهد عليه العيار لاقطعن رجليه ويديه وأقلع عينه الصحيحة وأسلمه بعد ذلك اليوم لوانه يبلغ السماء بعبادته حتى يعلموا أنى لا أتبع الهوى

ولا أراعيه إلا لعلمه ولعبادته واجتهاده فى طلب الآخره ولا لى معه غرض ولا أمر فقال له مطرون وأنت الساعه تصدق هذا الحديث فقال الحكيم طيبون بسك من هذا النفاق يامطرون مامثل الامراء من يفرط فى أمرهم حتى يأخذوهم الأعداء ويحلوا بهم الرداء وما عقبه إلا كلب زنديق وأنا أعلم ان عقبه أخبث أهل الأرض ولكن يامولاى ان أردت تقف على صحة الخبر أرسل الساعه الى عقبه واقبض عليه والا ماتجده بعد ساعة أخرى فعجل يامولاى مادام حاضر (قال الراوى) فلما سمع الخليفه من طيبون هذا الكلام استصوبه وأرسل جماعة من الغلمان وقبض عليه وأما الامير عبد الوهاب فانه ركب ومعه الامير عمرو بن عبيد الله وساروا الى القريه الخراب المعروفة بالقباب وقصد الامير عبد الوهاب نحو باب السرداب فضاع ولم يهتدى اليه فقال له يامولاى وليتنى ماعرفته ولاعرفنى ثم تقدم بهم ودلهم عليه وكانوا قد غطوه بالتراب ففتحوه ونزلوا فى السلالم حتى وصلوا الى الكنيسه وأحس بهم الراهب فالتفت اليهم فرأى مالط العيار معهم فما قدر ينطق بكلمة واحده الا أن قال لمالط ماالذى أتى بك بالعجل قال ماهنا الا الخير حتى نصفعك فى قفاك حتى يرن الدير ونقطع بعدها رأسك هذا والمسلمين لما رأوا هذه الكنيسه تعجبوا وقالوا هذه الكنيسه تحت حكمنا ولانعلم بها وهى وسط بلدنا وأخذوا الراهب وأخرجوا أموالها وصلبانها من ذهب وقناديل من الجوهر شىء يدهش البصر وصدقوا الأمير وقال الأمير عمرو بن عبيد الله أنا أتولى قتله بيدى ثم رجعوا الى ملطية ثم رحلوا من الغد الى بغداد ولما دخلوا على الخليفة المعتصم سلموا وقدموا العيارين فابتدأ مالط يعيد ماجرى له ثم قدم الكتابين فقرأهم المعتصم فقال للعيارين لولا عقبه ماوقعتم أنتم فى هذه النكبه ولا كان لأحد عليكم سبيلا حتى نصبتم هذه النصبه قال الأمير عبد الوهاب هل بقى عند مولانا الخليفه فى عقبه شك أو لبس فقال لا والله ياأمير قد طلعت الشمس ثم ان المعتصم التفت الى من كان حاضرا عنده من المسلمين بين يديه ذلك اليوم يقول كيف ترون يامسلمين هذه الفعال وقد ذهب الشك باليقين فما بقى بعدها كلام قال الأمير الساعه يامولاى الشرط أغاب أريد خصمنا نصلبه على خشبه من الخشب قال الخليفه نعم على به فى هذا الوقت والحين حتى أسمع مايقول بعد هذه البراهين وأسلمه الى هؤلاء الأمراء وأما أنا فقد مانعت عنه أيام وسنين (قال الراوى) فمضوا الغلمان والخدام ومعهم السيوف الى الدار التى كان عقبه فيها واذا هى بلاقع فعادوا الى المعتصم وأعلموه بذلك وان عقبه قد هرب ورأينا الدار منه خاليه ومن كان متوكلا به (قال الراوى) فقامت على المعتصم القيامه وقال وحق محمد بن عبد الله لئن صح انه هو

الذى فعل هذه الفعال وماهرب إلا وهو سقيم وأمر بنصب الخشبه على الدجله وصلب مالط العيار وأصحابه ونادى فى أسواق بغداد جزاء من يدبر على الأمراء المجاهدين من أبطال الموحدين وليوث المسلمين ثم صلب أيضاً التجار الذين أتوا بهم العيارين ثم قبض على كل نصرانى فى أرض العراق وأخذ منهم خمسين ألف دينـــار وأخرب لهم بيعة كبيرة كانت لهم فى بغداد وكتب المعتصم إلى سائر الأقاليم وهو يقول من رأى عقبه وكتمه حل ماله ودمه للسلطان ومن أتى به فله الخلع السنيه والأموال الزكيه (قال الراوى) وكان السبب فى هروب عقبه انه لمـــا تركه الخادم صندل ووكله بالقـــاضى عقبه فكان كل مايراه يسجد ويبتهل ويتضرع ويقرأ القرآن ويسبح للرحمن ويصوم ولا يفطر إلى ان يصلى العشاء الأخيرة فرق له قلب الخادم صندل وقال ماهذا الامن الأولياء الكبار وماأريد أترك مثل هذا يدعو على فقال له يا قاضى ما هذه العبادة والاجتهاد والنواح والتعداد وأنت من أهل الصلاح والسداد (قال الراوى) فقال عقبة يا ولدى ما أعرف من هو أهل الصـــلاح إلا من مات واستراح وأنا ما أفعل بروحى هذه الفعال إلا للآخرة التى ما أدرى ماذا يكون وقوفى بين يدى الله تعالى وقد بليت بقوم قد زهدوا فى الآخرة بحب الدنيا الغادرة على أنهم مجاهدين فى الظاهر مرائين فى الباطن وما يريدوا بجهادهم إلا قتلى وقد رضـــيوا بقتلى ويدخلون النار من أجلى وكل يوم ينصبون لى حيلة بعد حيلة يريدون هلاكى والله تعالى يدفعهم عنى وهذا الذى دبروه على فى الآخر أعظم من كل شىء لأنهم أخـــذوا عيارين قليلين الدين وهم الذين برطلهم فى الأموال حتى قالوا عنى هـــذا المقال وأخفوا الأمراء أنفسهم عن المجاهدين من الناس وقالوا أنهم سرقوا وأشرفوا على الهلاك وأتوا بقوم نصارى شهدوا على وهذا كله حتى أنهم يقتلونى وأنا فما للدنيا عندى قدر ولا قيمة ولا بدلى من الموت ولكن اترحم على نفسى على كل حال على أننى ما أعلم إن كان لى أجل فلله الحمد الذى لا يخلينى من هذا المحال لأن العناية منه تعالى أفضـــل من سائر الخلائق والمخلوقات وقد علمت إنى أنا خسرت الدنيا ونلت الآخرة لأن السعيد الذى يعلم أنه يعمل لتلك الدار لأنها دار القرار ثم صار يبكى ويقول إلهى لا تفضح هذه الشيبة غداً ولا تمكن منى العدا بجاه محمد نبيك المصطفى فأنا أعلم أنك مجيب الدعاء (قال الراوى) فلما سمع الخادم ذلك من كلامه قال والله أن قتل هذا الشيخ دخلت النار وحرمت الجنة ثم قال لعقبة يا قاضى أبشر فقد قبل الله عز وجل دعاءك وأجاب نداءك وأنا أعمل على خلاصك وأبلغك مرادك ولكن أريد منك التدبير ومنى العمل والقول

المبلغ السؤل والمأمول وما على صعوبة إلا من يخرجك من القصر لأنى أخاف أن تعرف فنهلك كلنا أنا وأنت والخليفة قد قال لى رأسك مرهونة به على أنى لو خلعت ما قعدت فى هذه البلد بغداد بل أتسع بك فى البلاد ولى أسوة بك فلما سمع عقبة كلامه قال له يا ولدى أبشر بكلما تريد فانى بعون الله أتركك فى الدنيا سعيد وفى الآخرة إن شاء الله شهيد وأما فزعك من الخروج من القصر فأنا أتسبب فى ذلك من غير أن ينالك مكروه إن كان هذا اختيارك فقال له الخادم ما هو إلا برضاى واختيارى إلا أخبرنى كيف نقدر على الخروج (قال الراوى) فقال له عقبة ائتنى بخف وازرار حتى أخرج فى زى بعض العجم الكبار ولا يعلم بى أحد من الحضار فلما سمع الخادم ذلك من عقبة أتاه بما طلب فلبسهم الشيخ عقبة وتنقب كالعجايز العابدات ثم انحنى وأخذ فى يده عكاز وسبحة وخرج وهو يهمهم ويوهم الناس أنه يقرأ القرآن حتى صار برا القصر فقصد إلى داره والخادم معه وهو متعجب من فعايله وجعل يقول لولا أن هذا الشيخ له عند الله منزلة ما كان ألهمه إلى هذه الأفعال ولما صار عقبة فى منزله أمر غلامه أن يشد له بغلين وركب واحد وركب الخادم آخر وبقى عقبة بعد على حاله التى خرج بها من القصر وهو كل من رآه يقول هذه عجوز وهى ماضية لبعض الزيارات وسار عقبة إلى أن وصل إلى حلة من بعض الحلل وبذل المال لمن يحمله إلى الحجاز فحملوه والخادم معه ولما حصل عقبة فى الحجاز سار إلى زبيد وخرج منها طالب عدن وكان قد أخذ معه مال عظيم وهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما أيس من عقبة قلق لذلك وتحير وقال للخادم ويلكم اجعلوا بالكم عليه فى القصر فما أقول أنه خرج ولا شك أنه عند بعض أصحابه مختفى وقد خاطر بنفسه ولا شك أنه متهم لأن النساء والرجال تحبه لأجل عبادته وعامه (قال الراوى) والخليفة معهم فى الكلام وبعض الخدام قد دخل عليه وقال له يا مولاى قد رأيت فى الدار التى كان عقبة فيها محبوس هذا الكتاب ولا أعلم ما فيه ثم رمى من يده مختوم فأخذه الخليفة وفك ختمه وقرأه وإذا فيه يا أمير المؤمنين وثبة من قدام سلطان خير من ألف شفيع والله ما هربت ولا ذهبت خوفا من الموت ولكن خفت عليك أنت بان تتقلد بدمى وتتوزر بوزرى ولو اطلعت على باطن القصة لعلمت الحق فى أى جانب هو ولكن سبحان من يمهل الطغاة لأن أعدائى هم الذين دبروا هذا التدبير ورتبوا العيارين والنصارى وأخفوا أنفسهم فى الصناديق وقال للسودان الحقوا بنا وخلصونا وأنا أكبر شاهد لى أنى كنت مريض موجه للقبلة على شرف الموت وقد وقع منى الاياس عند جميع الناس وبعد هذا

ما لى أسف على الدنيا إلا على فراقك أنت يا مولاى وعلى ابنتى السيدة زبيدة لأنكم أولادى وأنا ذاهب عنكم أقول أنى ما بقيت أرجع إليكم أبداً إلا بين يدى الله تعالى فى عرصات القيامة (يا سادة) فلما قرأ الكتاب المتقدم بقى متحيراً وقال علمهم عند الله الجميع وإن وقع فى يدى أسلمته إليهم وأقلدهم دمه لأن الذين شهدوا عليه عيارين ولصوص ولا تقبل شهادتهم عليه وكذلك النصارى لأنهم كفار ولا تقبل شهادة الكافر على المؤمن ولا يجوزه الشرع ولكنى ما أقدر أخالف الأمير عبد الوهاب لأنى أعرف دينه وما أظن فيه وفى أمه إلا الخير وما أقول أنهم يستحلون هذه الفعال ثم ادعى بالأمير عبد الوهاب إلى بين يديه وطيب خاطره وخلع عليه وعلى سائر الأمراء وقال أيها الأمير لقد أذنت لك فى عقبة أينما وقعت به أقتله أو أفعل به ما تريد فقبل الأرض بين يديه وقال مابقى على مولانا ملام يا أمير المؤمنين دم لنا ولسائر المسلمين صاحب العز والتمكين (يا سادة) ثم ودعه الأمير وعادوا كلهم طالبين ملطية فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير حجاف النميرى فانه بكى على السعيدة حتى نحل جسمه وضعف بصره وكان شيخاً كبيراً وقد طعن فى السن لكن له نخوة وحمية وكان مقيم فى ملطية يندب الليل والنهار ويتعلل بالاصطبار حتى مضت سنتين كاملتين وأيس من ابنته واشتدت بليته ثم أقبل على أخيه زحاف وقال يا أخى أنا أعرف أن الاخ يكون شفيقاً على أخيه وإذا وقع فى شدة أعانه وقد قيل فى المثل كن عون أخيك ظالماً كان او مظلوما وما أقول أنك تقعد عنى ولا عن مساعدتى ولولا أننى أقطع الرجلين لكنت أقوم بروحى وأسعى فى مصالحى ولكن أقعدنى الزمان ورمانى بطوارق الحدثان ثم أنه بكى وأنشد وجعل يقول :

ألا يا أخى والأخ ما زال مسعدا ... إذا طرقت يوما أخاه النوائب
لقد طرقتنى حادثات كثيرة ... وقد سلمتنى يا أخى للمصائب
فان كنت تبقينى فأنت مساعدى ... وان كنت تخذلنى فأنت موارب
فلا صبر لى من بعد هذى فانها ... مصيبة دهر أدركتها النوائب
سأدخل أرض الروم أبغى خلاصها ... لذاك وأن سدت على مذاهبى
فبالله أركبنى على ظهر حجرتى ... ودعنى أطوف الأرض من كل جانب
لعلى أنال القصد من شأن ابنتى ... وأما أعد عنها وظنى خائب

(قال الراوى) فلما سمع زحاف من أخيه هذا المقال ركبه الغم وحمل الهم وبكى بكائه وقال يا أخى لا تحمل على قلبك هم وأنا والله أسير معك أينما أردت وأنا

أعلم أننى أنا وإياك نهلك فى الطريق لا محـــالة لأنك أقطع الرجلين وقطع رجليك يكون سبب هلاكنا وبه نعرف فقال حجاف ما يكون إلا ما يريده الله تعالى ولا يجرى علينا شيء الا بارادته فلبسنى ثوبا أسود واخرجنى فى زى الرهبان والبس أيضاً أنت مثلى ودعنا ندخل الى بلاد الروم وكل من سألك عن حالك فقل نحن سواحين من بيت المقدس وهـــذا اخى ناظر المسلمين وغلبهم فقطعوا رجليه واعلم يا اخى ان ما حملنى على هذا إلا أن رأيت منام ثم كتمته عنك إلى الآن وهو والله منام غريب عجيب ولولا هو كادت مرارتى أن تنفطر فقال له زحاف وما هو يا أخى المنام أخبرنى به لعل أن يكون فيه فرج فقال يا أخى ليلة من الليالى توضأت وصليت العشاء الأخيرة ثم أنى ركعت حتى طلع الفجر فلما طلع الفجر غلبتنى عيناى وأنا أسجد فرأيت السعيدة فى المنام وهى فى وسط دير وفيه رهبان عدة وقد شدوا الزنار فى وسطها والصليب على صدرها وهى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فحانت منها التفاتة فرأتنى وأنا أبكى فقالت يا أبى ما كنت أعهد منك هذا الجفاء إلا أن تكون قد تغيرت لما غبت عنك وإن كنت قد نسيتنى فأنا ما أنساك وإن كنت أيست فأنا ما أيست من لقاءك ثم أنشدت تقول:

ألا ياأبى ما أحلا ندائى بأبى — قد صدع البين المشتت فؤادى
وصبرت عنى بعد طول تحنن — والفضل للآباء والأجداد
فلئن بعدت وكان قلبك قاسيا — ونسيتنى فى حالة الأفراد
ماتنظر الأعداء بى قد أحدقوا — حتى أقول مقالة الإلحاد
وأنا الذى لاأنثنى عن سيدى — فهو المليك لكل خلق هادي
أن تطلبونى فاقصدوا ديرالهم — فى قلة منصوبة فى الوادى

(قال الراوى) فلما سمع زحاف من أخيه حجاف هذا الكلام قال له إن كان الأمر على هذا الذى ذكرت فما بقى لنا مقام ولا لمقامنا وجه فاقصد بنا يا أخى إلى أين شئت نسير فقال حجاف مالى إلا بلاد الروم وأريد أن أسير فى هذه الأيام قبل وصـــول الأمير عبد الوهاب من العراق ويعذلنى ويقول لى أنا لك وبين يديك ولا يمكننى من المسير وأنا فما كنت أقدر أخالفه ولكن اظهر للناس فى ملطية أننا سائرين إلى زيارة أهالينا حتى لا يضيق لهم صدراً فقال له زحاف سمعاً وطاعة هذا هو الصواب ثم أنه أشاع فى ملطية ما أمره به أخوه حجاف وعولوا على المسير وخرج الناس لوداعهما وبكوا على فراقهما فقالوا والله ما لنا صبر على غيبتكما عنا ولكن لعل الله تعالى أن

يفرج عن الأمير الأجل عبد الوهاب فقال لهم حجاف اللهم أزل ما بقلبهم من الهم ومن الحزن ثم أنهم رجعوا الناس وهم يبكون وساروا هؤلاء يقطعان الأرض حتى وصلوا الى حلب وطلبوا انطاكية وساحل السويدية (قال الراوى) وبعد رحيله بيومين وصل الأمير عبد الوهاب فأخبروه الناس بذلك فضاق صدره على الأمير حجاف وعلى أخيه زحاف وقال والله لو كنت ههنا لما مكنته من المضى وانى أخاف ان يحمله هوى ابنته وحزنه الذى هو فيه فيدخل بلاد الروم فيهلك ما يكون إلا ما يريده الله تعالى فهذا جرى فى ملطيه (وأما ما كان) من حجاف وأخيه فانهما وصلا إلى انطاكيه ونزلا بدير شيخالون ثم لما رأوهم الرهبان عجبوا من زيهما ثم نظروا إلى حجاف متطوع الرجلين فسألوه عن حاله فقال زحاف هذا من فعال المسلمين لانه لما ناظرهم فى دينهم وأقام عليهم دليل على المسيح هو الاله ففعلوا به هذه الفعال وأنا أخوه وقد أمرنى المسيح ان أدور به فى البلاد وأن أسيح به فى الأرض كلها وأوريه لأهل الديوره كلهم والصوامع والقلايات فلما سمعوا منه الرهبان ذلك أكرموهم وأدخلوهما الى الدير وأقاموا يتحدثون جميعاً حتى مضى بعض الليل وكان حجاف يعرف بعض شيء من أحوال الرهبان (قال الراوى) ومضوا الرهبان عنه وتركوه هو وأخوه فلما خلى حجاف بنفسه قام فصلى ما كان عليه وغلب عليه النوم وهو فى الصلاة فما هو إلا أن غفل حتى صاح صيحة عظيمه وقعد على ركبتيه وقد انزعج وقام من منامه زحاف وقصد اليه وظن ان الإنسان هجم عليه فقال له يا أخى ما الذى دهاك فقال له حجاف ودموعه قد بلت لحيته وغسلت شيبته يا أخى رأيت الساعة السعيده فى المنام وهى كأنها مستجارة وخمارها على وجهها وهى تقول هذا فى طاعة الله تعالى ثم نظرت إلى وبكت وانت واشتكت ولزمت ازيالى وهى تنشد وتقول هذه الأبيات :

أين السرور وأين عيشى الصافى ... أو من يخلص ابنة الحجاف

من مبلغ عنها السلام تحية ... نحو الذى قد فاز بانصاف

فى الجانب الأقصى تقاد بشعرها ... عريانة تمشى كمشى الحافى

ماط الخمار وقد تجمع حولها ... من كل ذى كفر بقلب جافى

قد أوعدونى انهم فى عيدهم ... يسعون فى قتلى وفى اتلافى

وينصرونى أو اقطع عامدا ... بسيوفهم قطعاً بغير خلاف

فانجز وإلا قد أصير شقية ... من بعد اسم سعيدة الاسعاف

واسأل عن الأقصى ورهبانهم ... فى لحف تل ساطع الأطراف

واقصد إلى روبيس فهى مصيبتى … واقصد جزيرة معدن الاصداف
وادخل بلاد الروم فهى مصيبتى … واستقص عن خبرى فليس بخافى
ان جئت فى عيد النصارى قاصدا … خلصتنى ونجيت قبل تلافى
والا فانى لست أقوى عامدا … للضرب ان جارون فى الاسراف
قالوا تقولين ابن مريم خالقا … فأجبتهم بجواب صدق شافى
ما كان إلا مرسلا من ربه … وبذاك اخبر ابن عبد مناف

(قال الراوى) ثم ان الأمير حجاف قال لأخيه زحاف يا أخى فلما سمعت منها هذا الشعر بكيت وشهقت وانتبهت من منامى وأنا أحفظ الشعر الذى قالت والكلام الذى قد وصفت وقد صح عندى انها فى بلاد الروم وقد قالت انها فى عيد الصليب تصلب ان لم تتنصر فكم تقول يا أخى قد بقى لعيد الصليب فقال له يا أخى سبع شهور فقال والله لولا غليل البكاء لسألتها كيف الطريق اليها قال زحاف يا أخى قد فسرت لك وما يحتاج سؤالها فانها تذكرت البعض من ذلك الأمر وقالت أقصد إلى روبيس ولكن فى الامر شىء واحد لانها قد وصفت لكم القوم التى هى عندهم ولكنهم لاشك انهم قد علموا انك مقطوع الرجلين ونخاف إذا عرفوك انك أبوها فلربما يكون هذا سبب هلاكنا فقال حجاف يا أخى الله تعالى مهما شاء فعل فسيرنا واستعن بالله (قال الراوى) لهذا الكلام ثم انهم أقاموا إلى الصباح وقد ودعوا الرهبان وأركب زحاف أخوه حجاف على حمار أسود وعليه ثياب الرهبان وبرنس طويل وفى يده عكاز مقمع بنحاس وقد شد رجليه تحت رجلى بطن الحمار وسار به يطلب بحر الروم الذى للساحل الاكبر وكان كل من التقاهما ونظر حجاف بهذه الحاله فيبكى عليه فيقول زحاف ياقوم هذا راهب نجران فعلوا به المسلمين هذه الفعال لما ناظرهم فى دينهم وغلبهم فقالوا أنت ماعرفت هذا العلم إلا من كثرة السواحه فنريد نقطع رجليك حتى لاتكون هجنه على المسلمين ولم يزالوا حتى وصلا إلى ساحل البحر المذكور وأقلعوا فى بعض مراكب التجار الذين يأتون الى روبيس وكان حجاف قد حرم على نفسه المنام وواظب البكاء والسهر وأهل المركب يظنون ان بكاءه من خوف الآخره وعذاب الآخره الى ان كان فى تلك الليله غلب عليه النوم ساعه ثم انتبه وهو يقول لزحاف يا أخى ويأتيك بالأخبار من لم تسائله فقال زحاف ايش الذى جرى يا أخى فقال الساعة أتتنى السعيده وزارنى خيالها فى الكرى وهى تبشرنى بالاجتماع وتبكى فى وجهى من خوف التلاف وتقول يا أبى فى غداة غد عند الصباح تكون فى جزيرة روبيس وتقيم فيها ويجرى عليك شدة عظيمه ويكون

عقباها الفرح العظيم ولاتخرج من هذه الديار الا وأبو محمد البطال معك وفى صحبتك وهو الذى يعينك على شدتك وهو يكون سبب خلاصى ومعه ولده مذبحون وغلمانه لانهم دخلوا فى طابى ثم وقعوا فى الأسر بسببى وهم فى غاية من الضر والعيش المرثم غابت عنى الساعه واستيقظت كما ترى فقال زحاف وحق من مسك السماء ان تقع على الأرض الا باذن الله لتكون هذه أعجوبة فى الدنيا وهذا هوالوحى الذى ذكره المصطفى صلى الله عليه وسلم لانه قال المنام وحى المؤمن من الله وساروا الجميع فلما أصبح الله بالصباح وصلوا الى جزيرة روبيس ثم طلع زحاف الى البلد وهو حامل حجاف فلما ان دخل الى الكنيسه دارت به الرهبان وسألوه عن حاله فقال ياقوم أنا رجل كبير كنت فى بيت المقدس وانى نذرت السياحة على نفسى فى الأرض كلها الى ان وقعت فى بلاد المسلمين فناظرتهم فى دين المسيح ففعلوا بى هذه الفعال وقالوا لى ما علمت هذا العلم الامن كثرة مادرت فى الاقطار وصاحبت علماء الامصار ونحن نريد نقطع رجايلك ونعدمك السياحه ثم فعلوا بى هذه الفعال وبقيت مرميا أقاسى البلاء حتى تعافيت وقد نذرت على نفسى ان لاأبطل السياحه ولا أركن الى راحة فلما هدىء مابى من الضربان عدت الى سياحة البلاد والوديان وزيارة القسوس والرهبان وجعلت أقصد أطراف الجزائر لعلى التمس الدعاء من الرهبان حتى أكون قدسبحت فى البر والبحر (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه جعلوا يقبلون أقدامه وقصدوا الناس زيارته وطلبوا منه الدعاء وقد طمس الله على قلوبهم ولم يفتكروا السعيده ولاجرى لها ذكر وتسامعت الرجال النساء بحجاف فأتوا اليه من سائر الأقطار وصاروا يتبركون به ويضعون أولادهم بين يديه ويطلبون منه البركة ومافيهم الامن يأتى وفيه عاهة الاويبرأ باذن الله تعالى وقالوا النصارى هذا هو العبد الصالح سائح فى الدنيا حتى ينال المنزلة العليا (قال الراوى) وفرح به الملك مرحبون وواظب على زيارته وقد تعجب من عظم بركته وقال لولده مرحب ياولدى لقد من المسيح علينا بهذاالرجل الصالح وماقصدى الا ان يكون عندى حتى لاتكون هذه الجزيرة خالية من البركات وقد عولت ان اعرض عليه لص المسلمين البطال وأصحابه الأنذال وأقول له ياأبونا ان الأولى ان تأخذ من هؤلاء اللصوص بثار رجليك وماعلينا من الشيخ النجيح لان هذا الرجل أعظم منزله منه عند المسيح لانه يفعل فعال الحواريون فقال مرحب افعل مابدالك ولكن ياأبتاه قداشتهيت ان تأمر الاثنين بالمناظره فى الاديان بحضرة القسوس والرهبان حتى ننظر من يقهر صاحبه لانى أرى هذا اللص الشيطان المسلم شديد فى دينه وقد عذبنا العذاب الاليم وهو لايرجع عن دينه وهذا

الراهب الذى زعمتم انه ناظر المسلمين وقهرهم قد رأينا منه المعجزات فاذا ناظره بان الحق بينهما وظهر (قال الراوى) فقال مرحبون سمعا وطاعه يابنى ولما كان الصباح نزل الملك مرحبون وولده مرحب الى الكنيسة التى للبلد أول الرجال ومعه جماعة من خواص الدوله وتفربوا من الأمير حجاف فقال مرحب ياأبونا عندنا لص من لصوص المسلمين ومعه جماعة من الغلمان الموحدين وهم ياأبونا شديدين فى دينهم وأريدان أريك اياهم وأحكمـــك فيهم بعدما تنظر اليهم وتناظرهم وتغلبهم كما قلت بين الرهبان والقسوس وتقيم لهم الدليل على ان المسيح كما قال العلماء والحواريون وأهل الدين وبعد ذلك خذ منهم بثار رجليك فى هذا المكان بعدما تبين لنا حقيقة الحال والاديان ونطلع على صلب المسيح ومن كان له صالب ويبان لنا الصادق من الكاذب وكذا المغلوب من الغالب (قال) فلما سمع حجاف ذلك فرح فرحا شديداً وعلم ان المشار اليه بهذا المقال هو الأمير أبو محمد البطال وغلمانه وولده مذبحون وقد بان له صحة المقال (قال الراوى) فعندها قال الملك مرحبون احضروهم حتى أريك العجب وابين لكم حقيقة كل مذهب قال فما كانت الا ساعة حتى أحضروا أبو محمد البطال وأصحابه وهم فى أسوأحال واشر بال فى القيود والاغلال وقدقال غلمان الملك لابو محمد يامسلم حضرعندنا راهب وهو يريدان يناظرك ولاجل هذا الملك قد أحضرك (قال) فلما سمع أبو محمد كلامهم قال لولده مذبحون ولغلمانه والله لقد كرهت روحى الحياة مما انا فيه وما أحضرنا الملك ليناظرنا الا ان يقيم الحجة علينا ويقتلونا فالحمد لله الذى نقتل على دين الإسلام هذا وان الكنيسه قد أمتلأت بالخلق ليسمعون من يكون معه الحق (قال) وجلس الملك مرحبون على كرسيه وكان من الذهب وولده مرحب الى جانبه واقف على أقدامه فى خدمته (ياساده) وقد دارت حوله خواص مملكته ورؤساء مملكته وقدموا الأمير أبو محمد البطال الى قدام الأمير حجاف فلما نظر حجاف الى البطال صاح صيحة كادت مرارته ان تنفطر وأراد ان يعرف البطال بنفسه فالتفت اليه وقال له يامسلم أريدك اليوم تبين لنـــا مذهبك والاأمرت الملك بضرب رقبتك اويقطع رجليك كما فعل المسلمون برجلاى هاتين وبعد ذلك نسألك عن الشىء الذى تقوله فى المسيح الناسوت واللاهوت وماتعتقدون فى الصلب والصلبوت (قال) فلما سمع الأمير أبو محمد كلامه ونغمته بقى مشكك فيه لانه يعلم ان حجاف ماهو من اهل هذا الكلام لما يعرف من دينه وزهده وتوحيده وعبادته ثم اعاد فكره فيه ونظره وقال قد يكون حمله على هذا الكلام فقد ابنته السعيده ثم نظر الى حديثه وتبين رجليه وكان زحف قد كشف رجلين حجاف وقد نظرهما ابو محمد

البطال هنالك تحقق معرفته (قال الراوى) فقوى نفسه وجنانه ثم انطلق بالكلام لسانه وكذلك حجاف لما رأي البطال وهو بذلك الذل والجوع وسوء الحال رثاله وقال للملك أن تشبع هذا المسلم هو وجماعته من خاص الطعام قبل المناظرة والكلام حتى انه لا يقول كنت جيعان وإلا ما كان غلبنى فقال له الملك صدقت ياأبونا وانصفت ثم أمر البطارقه فأحضروا الطعام إلى البطال وغلمانه ثم أكلوا حتى اكتفوا ثم قال أيها الراهب سل عما شئت حتى أجيبك عليه فقال حجاف اخبرنى يامسلم عن أول اعتقادكم فقال البطال ان أول اعتقادنا اننا نقول ان الله واحد أحد فرد صمد وان كنت ياذا منصفا فلا تعجل واعلم أن الرب لايكون له ولد لان الخلق بخلاف الخالق لان الخلائق موصوفون بالأزواج والاضداد والآباء والأجداد وهو تعالى لم يلد ولم يولد فيكون محدثاً ولا يمكن ان يكون له شريك فيكون عاجزا لانده ولا كيف ولا محتاجا إلى الآخر واما ان يكون على سبيل الاستقلال وهذا لا يكون إلا لواحد تفرد بالبقاء فهو الله الذى لا إله الا هو كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه وتعالى منزه عن الآباء والأجداد والاضداد والانداد (قال الراوى) وبعد ذلك أنت ايها الراهب نزهت نفسك عن ملامسة النساء فلم تنزه العلى الأعلى الذى كان قبل المكان ولا تغيره الأمور والأزمان واذ كنت تستقبح شيئاً لنفسك ولسائر الرهبان فكيف تستحسنه للرحمن وكيف تنسب شيئا الى خالقك لاترضاه أنت لنفسك وتقول انه من أبناء جنسك وأما قولك عن اعتقادنا فى المسيح عليه السلام فانا نقول انه كان نبيا كريماً بعثه الله بالحق الى أمته وأعطاه المعجزات والآيات البينات كما أعطى من قبله الأنبياء والسادات وكذلك اعطاء نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حتى خاطبه المولود وسلمت عليه الأسود ورفعه الله تعالى الى المقام المحمود وأعطاه الشفاعة العظمى والحوض المورود وحنت اليه نخيلات البقاع وكلمه الذراع وأماقولك عن صلب المسيح فهذا عنه غير صحيح لانه ماصلب ولا نكب ولا تمكنت الاعداء منه ولاضرب الا كذب عليه ظالم مثلك من بنى اسرائيل ودلهم على مكانه فلماأتوه الرجال ليقتلوه كفاه الله شرهم وألقى صورته على ذلك اليهودى ليظهر قدرته فى الآفاق ويقاتل أهل الكفر والنفاق ورفع المسيح وهم يبصروه وصلبوا ذلك اليهودى الذى به شبهوه وهو فى خدمة رب الأرض والسماء وخالق الضياء والظلماء ولوكان أيضاً صح كما تقول النصارى أن الله أبوه لم ترك الأعداء صلبوه وأيضا قدر المسيح أضعتموه بقولكم أن اليهود قد صلبوه ثم جعل ينشد ويقول :

اسمع مقالى يامن فيه معرفة ... فالحر من قد وعا لفظى ومن سمعه

يا راهب الدير انصفنى وكن فطنا ودع كلام النصارى فهى مبتدعه

(قال الراوى) فلما سمع الأمير حجاف هذا الكلام كاد ان يخرج من عقله ثم يظهر أمره غير انه ثبت جنانه حتى يتم له الاحتيال وقال للبطال يا مسلم هذا الذى قلت بعضه كذب وبعضه صدق صحيح وكان الواجب ان ينزه عن الصليب ولا يقال انه رب ولكن هذا شىء قد وجدنا عليه آباؤنا والأجداد ونريد ان نرجع الى عقولنا ونفصل بين الأديان ولكن يا مسلم انا اخبرك هل لكم انتم مثل هذه الكنائس وهذه الصلبان والرهبان والقسوس والشمامسة والمطران وتلاوة الانجيل والالحان وهذه الصور اللواتى فى الحيطان والمذبح والقربان والمترهبات من النسوان والرهبان (يا سادة) فلما سمع البطال هذا المقال تبسم وقال يا راهب نحن لنا القبلة والقرآن والنور والإيمان والعفو والغفران رسورة الواقعة والرحمن والبقرة وآل عمران والرعد وسبحان والتوحيد للملك الديان ونحن فى النهار ابطال الميدان وفى الليل رهبان لكن مافينا قس ولا مطران ولا زنار ولا رهبان ولا نسجد لصورة فى الحيطان ولا ننسب نبينا انه ولد للرحمن فلما سمع حجاف كلام البطال اظهر العجز وقال يا مسلم أفى المسلمين من يعرف معرفتك فى دينك فقال ابو محمد يا راهب انا جندى واما اهل العلم لو حضر ورأيت العجب فقال حجاف انا الساعة لى عندكم ثار ولابد لى من قتلك او ترجع إلى ديننا وتدع هذا الكلام الذى ليس بالصدق وتعود إلى كلامى والتحقيق وتدخل فى الدين العتيق ولا تجعل بين المسيح وبينى تفريق (قال الراوى) فلما سمع البطال كلامه قال يا راهب المحال ويا رأس الضلال كيف أفارق دينى وأبقى عند الناس فى انحطاط المرتبه وهذا شىء لا أفعله أبدا إلا أن غلبت فقال حجاف إذا كان الأمر كما قلت فما لك دواء إلا الصلب وإلا خرج على النصرانية منك البلاء والكرب ثم صاح فى البطارقة وقال ردوهم إلى مواضعهم وخلوا أخى هذا الراهب يتولى عقوبتهم ثم أشار إلى أخيه زحاف وقال له إن لم يتنصروا وإلا صلبناهم غدا (قال) فعندها ردوهم إلى مواضعهم ووكلوا بهم زحاف لأجل تعذيبهم وانصرف الملك الى قصره ومضت خواصه الى أماكنهم وكذلك عوام البلد وبقى حجاف فى الكنيسة وفى تلك الليلة فك زحاف قيد أبو محمد البطال وغلمانه وولده وكانت قيودهم ثقال وهم منها فى أسوأ حال وحل كتافهم وقطع الأغلال من أعناقهم وانعشت أرواحهم وقال الأمير أبو محمد البطال هذا من فضل الله تعالى علينا وعليكم ولكن كيف علمتم أننا ههنا ومن جسر أخاك على هذه الفعال وما هى من عوائده فأعاد عليه زحاف ما جرى فى ملطيه والقضية وكيف ضاع الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وقصة العيارين وما كان عقبة علمهم وما جرى

لعقبه فى هروبه وكيف أبصر حجاف المنام وخرج فى ذلك الزى وتأهل للدوران فتعجب من ذلك وقال والله لا ضيعنا تعبنا ولا رجعنا حتى نعمل على خلاصها إن شاء الله تعالى وندخل خلفها أين ما كانت واذا كان فى غداة غد حصلوا لنا مركب اما كبيراً أو صغيراً حتى نتسبب فى نزولنا اليه فى الليل ونسير الى جزيرة المعادن لنخلص السعيدة قبل عيد النصارى (قال الراوى) فقال زحاف هذاهو الصواب ثم عاد الى أخيه حجاف وأعلمه بذلك ففزع الفزع الشديد لذى ماعليه من مزيد وقال له عند الصباح ندبر فى تحصيل المركب فلما كان عند الصباح أتو البطارقة الى الملك ليبشروه أنه قد وصل مركب من القسطنطونية وفيه راهب عظيم الشان خبير بسائر الأديان يسمى شومدرس القرنان وقال أنه ما أتى أيها الملك الازائر أو يريد يزرع فى جزيرتكم شيئا من علم النصرانية من وسط الانجيل وقال أنه يوقفكم على التحريم والتحليل ويعرفكم اعتقاد أهل ماء المعمودية فى هذا الدين فلما سمع الملك ذلك قال وحق المسيح ما الرب الا وقد رضى علينا اذا قد أنفذ مثلك الينا وأتى الى زيارتى فان كان هذا شومدرس كما ذكرتم ناظرت بينه وبين لص المسلمين الذى قهر بالأمس الراهب السايح فى علم الدين على أنه حين رآه أخبره عند لقاه (قال) وكان السبب فى مجىء شومدرس الى هذه الديار كتاب عقبه رأس الأثوار وقائد الاشقياء الفجار الى النار (قال الراوى) وكان كتاب عقبة قد وصل الى مطران الطبيب يخبره أنه فى بلاد اليمن ويقول له أريد تكتب الى أخى شومدرس كتاب تعرفه فيه أن أبو محمد البطال وغلمانه وولده مذبحون اليوم فى جزيرة روبيس وأخاف أن يطول عليه المدا وما أدرى أرجع إلى الديار ام لا فكتب بذلك الى شومدرس حتى يمضى ويأخذ البطال وغلمانه وولده مذبحون من جزيرة روبيس ويضرب رقابهم ثم يسلخ وجوههم وينفذ سلخاتهم الى عندى حتى أشتفى منهم (قال الراوى) فلما وصل مطرون هذا الكتاب من شيخ الملاعين عقبه المهين وفى هذا الشرح والخطاب كاتب شومدرس بهذا الحال وذكر فيه يقول عندى خبر آخر أطلعك عليه وهوان حجاف النميرى هو وأخاه زحاف كانا اظهرا للناس فى ملطيه انهما ماضيان الى الشام وقد دخلا الى بلاد الروم يدوران على السعيدة وهو فى صورة راهب سايح فاجعله فى بالك لعلك أن تظفر بهما فلما وصل الكتاب الى شومدرس فى القسطنطونية قال للملك أرمانوس قدعولت على الزيارة الى جزيرة روبيس لان هناك مكانا شريفا لعباد المسيح فقال له أرمانوس ادعى لنا هناك ايها الشيخ الصالح فقال سمعا وطاعة أيها الملك وما أنا ماضى الا أجل ذلك فاكتب معى كتاب الى صاحب الجزيرة عرفه قدرى حتى انى اذا أشرت عليه بشىء لايخالفنى فى أمرى فكتب له أرمانوس

كتابا الى مرحبون وسار شومدرس حتى وصل الى الجزيرة كما ذكرنا ولما دخل بين يدي الملك مرحبون سلم كتاب عقبه اليه واذا هو فيه يابنى سلم المأسورين الى الراهب شومدرس ثم سلم اليه كتاب الملك ارمانوس فلما قرأه مرحبون قال ما كنا تحتاج الى كتاب أرمانوس ولا أرسله الينا فى مثالك لأننا سمعنا أنك رحمة المسيح على أهل البلاد من النصرانية وآفة الموحدين ولكن فى غداة غد اسلم اليكم لص المسلمين واصحابه اجمعين وكلما تأمرنا به فنحن مطيعين ولكن ياأبونا أنت تعلم أننا قليلين المعرفة بالدين وضعفين اليقين وقد تشوشت القلوب من أجل مناظره جرت عندنا بين لص المسلمين وبين راهب وصل الينا ورأينا له من الكرامات والمعجزات مثل بعض الحواريين والصالحين الا اننا راينا ابو محمد البطال يتكلم والراهب يصـــدقه ولا يجاوبه بما يشفى القلوب وقد بقينا وحق المسيح حائرين فقال شومدرس يمكن ان يكون فى الرهبان من يكون نيته صادقة فى عباد المسيح ويكون له كرامات ويكون قليل العلم والعبادات فأى شيء تكون صفة هذا الراهب فقال له الملك صفة هذا الراهب هو رجل عظيم الهيكل واسع المناكب الا انه مقطوع الرجلين ومعه آخر كانه اخوه (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك من كلامه ضحك ثم قال ايها الملك سلمت جزيرتك فأفق من سكرتك وتلافا فصتك اتدرى بحق المسيح من هو ذلك الراهب الذى عندك هذا مبيد الاقران وقاتل الشجعان ومنكس الصلبان الذى افنى عباد المسيح فى كل مكان من جميع الروم وصبحهم بكل صباح ميشوم وهو ابو الجارية التى دبر عليها الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح هذا الامير حجاف فتبرك الآن بطلعتى والا لو كان المسيح اعاقنى عن القدوم اليك اخذوا روحك من بين جنبيك ولربما كانوا قبضوا عليك فأين حجاف حتى اجعله اول من ضرب وآخر من صلب وايضا ابو محمد البطال الكلب الكلوب (قال الراوى) فلما سمع الملك مرحبون كلام الراهب شومدرس حار ووقع به الانبهار وقال يا أبونا أنهم يكونوا فى الكنيسة الا انه وحق المسيح قلبي ما يصدق أن يكون فى المسلمين من تكون له هذا الكرامات لأن هذا الراهب يضرب بيده على المريض فيبرأ وعلى العليل فيشفى وإن كان كما تقول مسلما فما هو الاله اعتقاد صحيح لأننا ما رأينا قط مثل هذا فى عباد المسيح وأريد أن تمهل على الى غداة غد حتى انى أجمع بينك وبينه وبين البطال ويبان لنا الحق من ضلال وأنا أدخل عليه عند الصباح كانى أزوره وأسأله عن حاله وأقول له قد سمعت أنك فارس شديد وبطل صنديد حتى أسمع ما يقول فان أنكر فتدخل انت اليه فما تعرفه فقال شومدرس وكيف لا اعرفه ويعرفنى وما دام قلبك قد تشوش من معرفة البطال وما نظرته مع حجاف الى غداة غد

حتى اننى اريك ما يكون (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من الامير حجاف فانه بات تلك الليلة فى الكنيسة وهو يتلو القران ويمجد الرحمن لانه كان خلى له المكان من القسوس والرهبان لانهم تلك الليلة قد اشتغلوا عنه بشومدرس وكانوا مشتغلين مع شياطينهم وبات الامير حجاف مشغول بين يدى ربه بالركوع والسجود والبكاء والخشوع وهو غافل عما يرى ولكن له من يحرسه ويحفظـــه ويرعاه ولم يزل كذلك الى ان مضى من الليل الربع الاول واذا قد اقبل عليه راهب مستعجل وهو مسرع نحوه فحس به الامير حجاف وسمع حسه وكان مستقبلا للقبلة وهو بارك على ركبتيه ثم اراد الامير ان يدور الى الشرق ويظهر انه على الدين القديم واذا بالراهب قد ادركه وعرف مراده وقال له لا تدور وجهك عن القبلة الحرام ولا ترائى وتكتم دين الاسلام فلك ربك يرعاك من أعدائك وأرسلنى اليك بزمام المشيئة لاقص ما جرى عليك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ (قال الراوى) فلما سمع الامير حجاف كلام الراهب وأسلامه وذلك الخشوع ففاضت عيناه بالدموع وأن أنين مغلوب موجوع وقال له يا أخى من أنت الذى من الله على بك وأرسلك إلى كيف عرفت انى على دين الاسلام وأنا أعبد الله الملك العلام سراً فقال الراهب وكان عالما كبيرا فى دين النصرانية ويقرأ الإنجيل والتوراه وكان مع ذلك كثير الاسفار وشديد البحث عن دين الاسلام وكان أصل هذا الراهب أنه كان يهوديا من جزيرة السواحل يقال له شيخاون وانه قد دخل فى دين النصرانية فما رأى فيه شيخا ينجيه ولا رأى له خلاص فقال فى نفسه اريد ان اسافر وابحث عن حقيقة الأديان واختبرها وانا اعلم انما خلقنا سدا ولا بد لنا من الحساب غداً ثم انه طاف الجزائر وقد قصد الى مواضع الرهبان واعجبه انفرادهم عن الانس والجيران وبعدهم من الاهل والجيران من الانس والجان وفى جملة ماطافه من الجزائر والبلدان حتى سمع بجزيرة روبيس وكان اهلها فى الأصل يهود وتنصروا فقال ماتنصروا هؤلاء إلا وقد بان لهم الحق ثم قصد اليهم ودخل قدام الملك مرحبون وقال انا من بنى عمك وقد اتيت الى جزيرتك حتى ادخل فى دين الإنجيل واريد ان تتركنى فى البيعة مع جملة الرهبان والقسوس واصحاب التلاوة والدروس (قال الراوى) وفرح به الملك مرحبون ووجده حبرا عالما بالتوراه والإنجيل فأكرمه غاية الإكرام ونزله فى البيعة مقدما على جميع الرهبان وراوا علمه فى الدين القديم والنصرانية على طول الزمان الا ان قلبه كان ينفر من الشرك بالملك المجيد وطول ليله بقى متفكرا فى دين الإسلام حتى هم ان يدخل الى بلاد الإسلام ويسمع من فقهاء الدين وفى تلك الأيام وصل الأمير حجاف

ونظر الى مناظراته مع البطـــال وكان هذا الراهب حاضر وهو يسمع الكلام الذى جرى بينه وبين ابو محمد البطال فى بحث التوحيد فثبت فى قلبه دين الملك المجيد وصار متفكر فى كرامات حجاف وما تم على يديه ويقول هذا راهب مثلى ولكن يمر بيده على المريض فيشفى وكذلك كل عايل فيبرأ وما يكون هذا الا عن اعتقاد صحيح ولم يزل كذلك الى ان وصل شومدرس وقال للملك ما قال عن حجاف وأنه مسلم فعلم الراهب أنه من بركات دين الإسلام فقال مابقى بعد هذا الكلام كلام وأريد أن أنظر كيف الحـــال بين حجاف والبطال وما يجرى لهم مع شومدرس وأخرج معهم إلى بلادهم ولعلى أن أدبر على خلاصهم وأترك دين المحال وقول الكفر والضلال ثم أنه بات وهو منتظر الصباح ويفكر كيف يعمل فى خلاص جند الرحمن وهو بين النائم واليقظان وإذا بهاتف من الجـــان وهو يخاطبه بالشعر والأوزان وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

ودع مقال النصارى فى المسيح فقد ... ضلوا وقد كفروا بالواحد الصمد
وملِ إلى ملة الإسلام تنج بهـا ... فى الحشر يوماً تعود الروح للجسد
لا تجحد المصطفى يوماً وصحبتـه ... فكل من جحد الرحمن لم يسد

(قال الراوى) فلما سمع الراهب ذلك الكلام قام من وقته ودخل بين يديه وأقر قدامه كما ذكرنا بكلمة التوحيد ودين الإسلام وقال له أيها الأمير قد وصـــل الليلة إلى الملك مرحبون راهب شيطان يقال له شومدرس القرنان وقد أخبر الملك بأنك مسلم وحدثه بحديثك والأمر قد اســتقر على قتلك وهلاك البطال ومن معه من الرجال (قال الراوى) فلما سمع حجاف هذا الخطاب اشتغل قلبه على كل حال وقال للراهب يا أخى هل تقدر لنا على عـــدة نقاتل بها قبل الصباح حتى نبذل فى طاعة ربنا النفوس والطاعة ثم قال سوف آتيك بكل ما تريد فى هذه الساعة ثم مضى الراهب ليحضر لهم العدة وبقى حجاف ضيق الصدر لاجل هذه الشدة وهو يقول عند الصباح أبذل المجهود وأجاهد أهل الكفر والجحود ولكن ما قضى الله بأن أجتمع بابنتى (قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد البطال وغلمانه وأولاده فى الكنيسة وقد استراحت أبدانهم فناموا وهم مثل القتلى وما كان فيهم من صلى أكثر من الفرض ونام ثم انضجع على باب السرداب حتى لا ينكر عليه أحـــد (قال الراوى) وكان زحاف قد خرج إلى ساحل البحر فى طلب مركب يكون فيها إلى جزيرة المعادن قالوا له ما نقلع إلا بعد ثلاثة

أيام فعاد زحاف الى أخيه وأخبره بذلك وكان قد أعلم أبو محمد البطال فقال ما بقى فى الأمر الا أن نجهز أمرنا ونقيم على حالنا الى أن يسهل الله علينا بالاقلاع الى بلادنا وما كان فى حسابنا مجىء شومدرس ولما دخل الراهب على الأمير حجاف وأسلم على يديه ثم مضى عنه ليأتيه بالعدة كان زحاف فى ذلك الوقت قد نظره لما عاد الى أخيه فسأله عنه فأعاد عليه الحديث وكيف أسلم الراهب وأخبره بمجىء ذلك اللعين شومدرس فقال أنا أمضى الى البطال وأعلمه بالحال فأتى اليه زحاف وذكر له الحال فبقوا فى أمرهم حيارى وحملوا هم من حضور شومدرس وكان هما عظيما فقال مذبحون والله لو علمت أن شومدرس حاضر لكنت تسلقت اليه فى هذه الليله وكنت أرحتكم من شره وساروا وهم يتحدثون فى ذلك وقد أتوا الى الأمير حجاف واذا بالراهب شيخالون قد عاد ومعه ثلاث عدد فلما رأوه صافحوه وهنوه بدين الاسلام ثم أعلموه بما هم فيه من التدبير على شومدرس وسألوه عنه أين هو نائم فقال فى قصر الملك وحجرته وما للتضاء عليه طريق لا ينقب ولا يتسلق والباب الذى عليه وثيق (قال الراوى) فقال أبو محمد سر بنا اليه وأوقفنا على المكان وأنظر العجب ولكن أبصر كيف ندخل فقال من باب السر الذى فتحته أنا عند خروجى ثم أخذهم وسار حتى أدخلهم الى القصر الذى فيه شومدرس ثم أوقفهم تحت الدار فرأوا حيطانها عالية وثيقات الجدران فالتصق مذبحون الى بعض الأركان وتسلق وكان كأنه ثعبان وصار فوق السطح أسرع من البرق ونظر الى صحن الدار فرأى شومدرس القرنان نائماً وحوله جماعة من الرهبان وقنديل يشعل فى صدر الديوان فجرد فى يده خنجر أمضى من القضاء والقدر وصار يتخطى النيام حتى حصل تحت السرير الذى عليه شومدرس وهم بالصعود واذا بالرهبان قد تواثبوا اليه وكان شومدرس قد حسب الحساب ودبر هذا التدبير فلما وقع مذبحون سلم نفسه اليهم وهو يقول والله ما كأنه الا كان منتظرنى ورتب لى هذه الرهبان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملعون شومدرس لما أن سمع كلام مرحبون ورآه متحير فى كلامه فى حديث البطال وقد طلب منه أن يسلم فى قتل حجاف فأبى عليه وأراد امهاله فعلم اللعين أن الملك فى خاطره الشك الذى خامره من اعتقاد حجاف وكراماته فقال شومدرس وحق المسيح أن المسلمين فى هذه الساعة كلهم مطلوقين ولو أنهم كانوا فى غير هذه الجزيرة لهربوا وما دام الملك لم يسمع منى ما أشرت به عليه فلا بد أن يصيبه منهم مصيبة وأريد الليلة أحتفظ بنفسى الى الصباح وأنظر كيف تنفصل هذه النوبة ثم خلى بالرهبان فى الدار التى أنزلهم الملك معه فيها قال شومدرس احفظوا رؤوسكم ولا فيكم

من لا ينام الا وسيفه مشهور الى جانبه فى هذه الليلة والا تم عليكم أنحس ما يكون ثم اعلمهم بما قد خطر بباله ثم قال انا اعلم ان المسلمين قد علموا بخبرى ولا بد لهم منى لا سيما ومعهم مذبحون الذى هو نحس القلاع والحصون (قال الراوى) يا سادة فلما سمع الرهبان كلام شومدرس طار المنام من اعينهم وانطرحوا حوله وبجانبهم العدة والسيوف الحداد ورقبوا مذبحون حتى نزل وبلغ منه الامل ولما قبضوا عليه قال له شومدرس يا شيطان ما جلدك وجلد اباك على الاهوال وحياتك انا ما جئت الى هذا المكان الا من اجلك واجل ابيك ولو قبل الملك منى ما كنتم اصبحتم الا مصلوبين ولكن اباك لعب بعقله بما قد وصف له من دين الاسلام ويريد غداً يحضرنى لمناظرة المسلمين وانا اعلم انها عليكم ايشم السنين ثم قال للرهبان اخفوا حسكم وانطرحوا فكانكم بالبطال وقد اتى يطالب والده اذا ابطأ خبره عليه ولولا فزعى من هذا الملك لكنت اسير اليهم وآخذهم ولكن اخاف ان يكون قد حصل عندهم عدة فما كانوا يبقون على ولا كنا نلقى منهم خيرا فلما سمعوا الرهبان كلامه امتثلوه وعادوا الى ما كانوا عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان من) ابو محمد البطال فانه انتظر ولده مذبحون الى وقت السحر ان يصل اليه فلم يرى له خبر فقال اخذ ولدى وحق رب الكعبة وما كان طلوعه الى شومدرس صواباً لانه العن من عقبة وانحس بطبقات واكثر احتراز فقال الراهب شيخالون يا ابا محمد لا تخف فنقول ان ولدك اخذ بهذا اللعين شومدرس ما كنا نسمع له صوتاً ولا خبراً وحق دين الاسلام لو كان أخذه كان الساعة أقلب القصر فقال له أبو محمد يا أخى لا تحلف انه قبض على ولدى واخفى امره فى الدار وهو الساعة قاعد لى فى الانتظار انا الآخر وما بقى لى إلا انى ارجع الى عند حجاف واعلمه بالامر والخبر وندبر فى خلاصنا من هذا الامر المنكر ثم عادوا والعدة معهم الى عند الامير حجاف واذا به قائماً يصلى على قدميه وهو مستقبل القبلة وقد رفع طرفه الى السماء ويداه مبسوطتان بالدعاء ودموعه جارية على خديه وهو يقول اللهم انك قادر قد رددت على قدمى لاقوم بهما فى طاعتك وخدمتك فوفقنى اللهم اشكر نعمتك واجاهد عليهما اعداءك بهدايتك (قال الراوى) فلما سمع البطال والراهب شيخالون الى ذلك المقال حارت منهم الافكار وذهلت الابصار وزحاف جالس ورأسه على ركبتيه وهو جالس باهت مما جرى عليه وكان قال يا حجاف اخبرنى عن هذا الحال وهل انا فى اليقظة او فى المنام ومن رد عليك هذه الاقدام قال حجاف يا اخى ردها الله تعالى على ببركات سيد الكونين صلى الله عليه وسلم وهو الذى نجى موسى من

الغرق وحفظه على وجه الماء وأنزل عليه التوراة وأنجى يونس من بطن الحوت واذا ثبت عندك أنه قادر فلا تكن لأمره وفعله ناكر وانى بعد مضيك يا ابا محمد ضاق صدرى وقل جلدى مما اريد ان الاقى فى غد من الأعداء وانى هالك فى بلاد اهل الشرك والكفر والجحود ولا بلغت من خلاص ابنتى السعيدة مقصود فرجعت بقصتى الى الملك المعبود وقلت الهى قضيت على بفقد ابنتى فما اعترضت عليك وافقدتنى قدمى فصبرت وسلمت امرى اليك وقد تركتنى وحيدا فريدا فى بلاد اعداءك فتوكلت عليك وقد عجزت عن خلاص ابنتى فتوسلت اليك ولا بقى لى من اعتمد عليه سواك يا جبار يا عظيم يا دائم يا قديم يا من كان ولا مكان ولا اين ولا اوان ولا انس ولا جان ولا طير ولا صوان ولا سماء ولا ارض ولا طول ولا عرض بل كان عرشك على الماء منفرداً عن الاشياء وما زلت يا ابا محمد على ذلك الخشوع والسجود والركوع والابتهال الى الملك المتعال حتى انه غلبنى النوم فنمت فرايت فى منامى محمد المصطفى صلوات الله عليه وسلامه وهو امامى فزاد ما كنت فيه حتى قلت من وجدى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم مسنى الضر فقال وبشر الصابرين فقلت له وقع الاياس بى من لقاء ابنتى فقال لا تيأس من رحمة الله فقلت له يارسول الله غدا تتحكم فى العدا فقال فرض عليك الجهاد فى الكفار فقلت له يا رسول الله انا عاجز عن القيام عادم الاقدام فقال انك الليلة خرق دعاءك الحجب وضجت الملائكة الى الله تعالى فى كشف بلاك فسبحان من خلقك وسواك وهو متحكم فى اعداك فهات يدك وقوم بقدرة الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وصاح فى فتنبهت واقفا على قدمى وكان حجاف يتحدث وابو محمد قد بهت لهذا الأمر وهو يرتعد من هيبة الله تعالى وأما الراهب شيخالون فانه أخذه الزمع وقوى يقينه فى دين الاسلام وزاد إيماناً بالملك العلام وغشى عليه مما أخذه من الزمع ساعة وأفاق ودنا من أقدام حجاف وصار يقبلهما ويبكى ويقول سبحان مولانا القادر على كل شىء (قال الراوى) هذا ما جرى والأمير أبو محمد البطال قد أعاد على حجاف ما جرى على ولده مذبحون فقال له طب نفساً وقر عيناً فوحق من رد على هذين العضوين إن قلبى الساعة طيب أن ألقى كل من فى هذه الجزيرة وسوف ترى يا أبا محمد فى غداة غد مقامى إذا ملكت فى يدى حسامى وسعيت على أقدامى فقال أبو محمد لا بحق التهامى اسمع كلامى واقبل منى رأيى ومرامى وذلك أن الملك إذا أتى للكنيسة فى غداة غد عند الصباح ومعه البطارقة والأعوان ثم يحضروا للمناظرة فلا تظهر لهم أن رجليك قد رجعت إليك حتى أتناظر انا وشومدرس فى الأديان واقول له

ما اعرف على الدين المليح والقول الصحيح إلا من يدعو ربه فيجب نداه ويقبل فى هذا المقطوع الرجلين دعاه ويرد عليه رجلاه فقد عرف من فى بلاد الروم والمسلمين انه مقطوع الرجلين بلا اقدام فمن تركه يمشى على قدميه كان الحق معه ومايل إليه وملنا كلنا إليه وتكون انت يا امير مقطى الرجلين كما لك بالعادة إلى ان ادعو انا وآتى إليك اقيمك على قدميك ويكون سيفك تحت ثيابك وانت قريب من الملك مرجبون واول ماتثور اضرب راسه واخمد انفاسه ثم نصيح نحن ونخرج وزحاف وغلمانى بالعدد ونطلب المعونة من الواحد الأحد الفرد الصمد فقال الراهب شيخالون يا قوم ما تحتاجون إلى هذا كله فأنا عند الملك أدنى الرهبان وهو ما اعلم ان الله هدانى الى دين الاسلام والايمان وانا ادخل على الملك اول من يقف على راسه انا واى من اردتم اشيروا اليه اضرب راسه اتركه شلوا لانى اريد ان اضرب غداة غد هؤلاء الكفار عسى ابيض وجهى غدا عند الملك الجبار فالويل كل الويل لمن يرى هذه الكرامات فى دين الاسلام ثم يطلب فى الدنيا مقام (قال الراوى) واقاموا ينتظرون الصباح والبطال قلبه على ولده وكان اللعين شومدرس لما اخذ مذبحون قد انتظر البطال حتى انفجر الفجر فلما ايس منه حمل مذبحون الى الملك وحدثه بحديثه وقال ايها الملك أنى كنت حسبت هذا الحساب ثم اعلمتك ان الكل مطلوقين ولا بد لهم منى فجعلت روحى نائم وبالى معهم انا ومن عندى من الرهبان واذا قد نزل الينا هذا الشيطان ابن الشيطان فقبضت عليه وانت لا تسير الى الكنيسة الا والبطارقة حولك وبين يديك فانك ما تدرى بما يقضى عليك فقال الملك طب نفسا وقر عينا فما للقوم حيلة ولا حياة الا ساعة واحدة فسواء عليهم ان كانوا مقيدين او مطلوقين وكلهم ستة رجال وذلك المقطوع الرجلين على انهم لو ارادوا ان يهربوا لما وجدوا اليه سبيلا لأن البحر هو دائر بنا من كل جانب ولا يقدر احدا يأتى الينا ولا يمضى من عندنا الا فى المراكب ثم ركب الملك والبطارقة بالسيوف البارقة ثم امر باحضار حجاف بعد ما وصل الى الكنيسة وشومدرس صحبته وجلس الملك مرجبون على سريره وولده الى جانبه الأيمن واقف على راسه وسائر الرهبان والقسوس.

(قال الراوى) فلما صاروا من داخل الكنيسة أمر بإحضار حجاف فأتى به أخاه زحاف حامله على اكتافه فقال الملعون شومدرس يا ملك هاتوا اللص المحتال فأحضروا أبو محمد البطال وغلمانه فقال الملك وقد رآهم مطلوقين اين قيودكم يا شياطين فقالوا فكها

صاحبنا هذا على أننا ما بقينا نحتاج إلى قيود وقد صرنا بين يديك فقل أنت لهذا الراهب شومدرس وكل هؤلاء الرهبان أن يناظرونا فإن غلبونا صلبنا (قال الراوى) هــذا والكنيسة قد امتلأت بالخواص والعوام وقل الكلام فعندها اقبل شومدرس على ابو محمد البطال وقال له يا شيطان فى اى شيء أناظرك وحق المسيح لو قبــل الملك منى البارحة ماكنتم أصبحتم الا مصلوبين ولكن باحتيالك وزخاريف أقوالك هلوست الملك فى الدين حتى دخل عليه الشك بعد اليقين وما كان هنا من يعرف كلامك ويبطل عليك ماتم لك من المسلمين فقال ياعــين حاشا دين الإسلام ان يكون باطلا وله كل يوم دليل ومعجزة وعلى انكم ما تقدرون تصلون الينا الا بحكم ربنا لأننا قد عرفنا الحق وطريق الآخرة وقد هان علينا امر هذه الدنيا الغادرة وقد سمعنا القرآن وأخذناه بقبول وعلمنا ان نبينا صادق ونيتنا صادقة فيما يقول نبينا فإن اردت أن يبان لك الصحيح وتعلم انكم تكذبون على السيد المسيح فاجعل حجاف بيننا واسطة لأنك انت عرفت وكل من فى بلاد الروم وكذا المسلمين انه أقطع الرجلين ولا له قدمين واستقبل أنت الساعة الشرق وأنا القبلة وأتوجه بقلبي إلى البيت الحرام وندعو الملك العلام فمن استجاب منه دعاه وقبل نداه ورد على حجاف قدماه كان الحق معه ونميل كلنا اليه ونتبعه فى دينه فلما سمع شومدرس هذا الكلام ضحك وقال وحق المسيح ما يقدر المسيح يرد رجلين لهذا الشيطان ولو سأله كل من فى الدنيا فقال البطال انا ادعو لمن يقدر على ذلك وهــو مالك الممالك (قال الراوى) هذا كله يجرى والملك مرحبون قد حار فى أمره وقع به الانبهار وقال للأمير أبو محمد البطال يا مســلم ادعو انت إلهك كيف ما اردت والمطلوب منك ما أشرطناه عليك فإذا هى رجعت قدماه هذا الرجل أسلمنا كلنا على يديك وإن لم تقدر على ذلك اسقيناك شراب المهالك فقال البطال ايها الملك قد رضيت أنا بذلك ثم أن ابامحمد أدار وجهه إلى قبلة البيت الحرام وصلى ركعتين وبسط يديه بالدعاء ساعة زمنية وكل من فى الكنيسة ناظر اليه ثم دنا من حجاف وقال له قم بقدرة الله تعالى الذى ردعليك رجليك وخلصك مماكان قد تم عليك فقام حجاف مثل الاسد القسور وهلل فى قيامه وكبر وتشهد بعلو صوته واجهر ولسيفه اشهر وهز حسامه ووقع فى البطارقة الذين قدامه ونظر الملك الى ذلك (قال الراوى) فقال يا بطارقة دونكم وإياه ولا ينطلى عليكم محاله وسحره واشغاله فصاح مرحب والله يا أبى ما هذا سحر ولا محال بل نحن يا أبتاه على دين الضلال والله أول ما قام حجاف على قدميه وجعلت بالى اليه فرأيت كل شعرة فى ساقيه تنطق وتقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فلما سمع ابوه كلامه قال له

أنت صبوت الى هؤلاء القوم وعمل سحرهم فيك فقال والله ما هو الا دين الحق وما سواه باطل فعندها صاح الملك وقال دونكم وهؤلاء القوم قطعوهم بالسيوف واسقوهم شراب الحتوف فلما فرغ الملك مرحبون من كلامه واذا بولده قد صاح الله اكبر وضرب ابيه بالسيف على عاتقه اطلع يلمع من علائقه فعند ذلك كبر الأمير حجاف وضرب فى البطارقة ضرباً يودى الى التلف وقاتل ايضا الراهب شيخالون على كبر سنه وزحاف وابو محمد البطال وولده وغلمانه فرأت البطارقة ضرباً احدمن الجمر وامر من الصبر وابن الملك يضرب فى عسكر ابيه طولا وعرضاً وهو ينادى بكلمة الإخلاص المنجية من هول يوم القصاص وهى أشهد ان لا اله الا الله محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندها صاحت البطارقة وأعيان عسكر أبيه أيها الملك كف عنا السيف نحن نتبعك إنشاء الله تعالى ونشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانقلب البلد باهله فلما رأى شومدرس ذلك ايقن بالهلاك وسوء الارتباك فما كان له الا انه من اول ما رأى ابن الملك قتل ابيه علم ان النوبة ما تقع الا عليه فخرج مهرولا إلى المركب يعدو على رجليه وقال لأهل الملك يا بنى الزوانى اقلعوا بنا الى مدينة القسطنطينية وكان عندهم الماء والزاد والمركب معبا واقلعوا وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من حجاف وزحاف اخيه وابو محمد البطال فإن البطال فتش على شومدرس الجزيرة كلها فلم يجده فاتى الى الميناء فاخبروه ان الراهب اتى من اول النهار وطلع الى المركب التى أتى فيها وذهب الى مدينة القسطنطينية (قال الراوى) فرجع ابو محمد وهو يلهث عليه وأتى الموضع الذى كان فيه واخرج ولده مذبحون وامرهم بقتل الرهبان الذين بقيوا والذين سلموا مضوا مع شومدرس وفرح ابو محمد بالسلامة لولده وغلمانه واجتمع بالملك مرحب ولد الملك مرحبون وما امسى المساء وفى الجزيرة نصرانى إلا والكل صاروا مؤمنين موحدين مقرين برسالة سيد المرسلين محمد خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم واكثرهم فرحا الملك مرحب بن مرحبون ثم بعد ذلك اقاموا عندهم عشرة ايام وعلموهم شرائع الاسلام وماتيسر من القرآن وبعد ذلك قال حجاف للأمير ابو محمد البطال أيها الأمير والله لقد طال شوقى إلى ابنتى السعيده وانى رأيتها فى النوم وهى تعاتبنى وتقول لى يا ابتاه ما كنت اعهد منك هذا الجفاء وقد وصفت لى هذا المكان والأديرة والقلالى فلما سمع الملك هذا الكلام قال ايها الأمير هذا عسكرى بين يديك فاختار من شئت وان شئت سافرت انا معك بنفسى وشاهدت ما يجرى لك

وجاهدت العدا بين يديك حتى تحصل لك المسرة ونخلص ابنتك وإن اردت الرجوع كان اصلح لك لأن يا أمير قدامك بحاراً وجبالا وتلالا واهوالا والوصول اليها صعب شديد فلما سمع حجاف هذا المقال من الملك مرحب قال ايها الملك هيهات أن اقعد بعد ما سمعت كلامها فى منامى وأنا متوكل على الله الذى لطف بى عندكم ورد على اقدامى أن يرد على ابنتى فقال الأمير او محمد البطال وأنا اسير معك وكذا قال الأمير مذبحون وسائر الغلمان ثم انتخب لهم مركبا كبيرة ونقل اليه جميع ما يحتاجون اليه وساروا إلى ثانى يوم وتوكلوا على من لا تأخذه سنة ولا نوم الذى لا يخيب من استرجاه ولا يذل من والاه (قال الراوى) فقال البطال والله انى كنت سائر وأنا متأسف على الملعون شومدرس (قال) وكان شومدرس قد سار إلى الملك ارمانوس ودخل عليه وهو طائر العقل فزعان مذهول مما نظر وأبصر فقال له الملك ويلك ما الذى دهاك وبشره رماك فقال شومدرس أيها الملك لا تسأل عن حالى فلو كتب ما جرالى بماء الذهب لكان قليلا ولولا كان لى الأجل الحصين لكنت من الهالكين (قال الراوى) فقال له الملك ارمانوس من هذا الذى جرالك فقال أيها الملك اسمع العجب ثم ابتدأ يحدثه بتدبير عقبه على السعيدة وعلى البطال هو وولده وغلمانه وكيف حصلهم فى جزيرة روبيس وكيف انه دبر على الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وما تم لهم وكيف هرب عقبة وصار إلى موضع لا يطلع له خبر لأن الخليفة قد أباح دمه وان عقبة ارسل يقول لى ياشومدرس أنا قد أيست من الحياة والعودة اليكم فاذهب انت إلى روبيس واقتل البطال وولده وغلمانه وخلص النصرانية من شرهم فهذا الذى اقدر عليه واما بنى كلاب واميرهم عبد الوهاب فالمسيح يهلكهم فلما سمع ارمانوس كلام الراهب شومدرس قال ويلك فلم لا كنت اعلمتنى لما انك سرت طالبهم وسائر اليهم (قال الراوى) فقال شومدرس كان القاضى عقبة أوصانى فى كتابه انى لا اعلمك لأنك ما صرت هذه الأيام على ما يريد وقد اشتغلت بدنياك عن دينك ثم اعاد عليه حديث حجاف وقص عليه كيف كان وصل إلى الملك مرحبون فى صفة راهب ومعه اخوه زحاف وكيف رد الله عليه رجليه (قال الراوى) فلما سمع ارمانوس برد رجلين حجاف قال لشومدرس ورأيت انت رجلين حجاف عادت قال نعم ايها الملك وهذا كله او مثله قليل من سحره لأن السحر اصله من ارض بابل واهل الشام كلهم اصلهم من هناك وحجاف اصله يمانى والمسلمين يظهرون من هذا كثير حتى يردوا عباد المسيح عن دينهم ويزولوهم عن الحق وقد اسلم كل من فى الجزيرة

على يد حجاف ومرحب قتل مرحبون ابوه واسلم هو ايضاً وكل من يلوذ به فقال أرمانوس لشومدرس فما بقينا نقعد عنهم ولا يسعنا فى ديننا القعود وهذه الجزيرة لا يعلم المسلمون بها ونحن نسير اليها ونقتل كل من فيها ونأخذ البطال وولده وزحاف واخاه حجاف ونورى رجليه للعلماء منا ونقول لهم ان رجلاه كانتا مقطوعتان وانهما قد عادتا إليه وهذا سحر منه فقال شومدرس هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب فعندها أمر الملك أرمانوس بتجهيز مائة قطعة وعبأ فيها كلما يحتاج إليه من الرجال ومن الأبطال وعول على الإقلاع وحرص مارس وأخيه دارس على أنهما ما عرفا أين الملك سائر فلم يقدروا يسألون عن ذلك وكان الملك أرمانوس قد كتم حاله فزعا من جواسيس المسلمين لأنهم ما تخلو منهم مدينة القسطنطونية وبعد أيام أقلع أرمانوس وهو طالب جزيرة روبيس وهو يقول لقد عدمنا الشيخ النجيح لأنه ركن عظيم من أركان المسيح فاذا مات مابقى على وجه الأرض رجل صالح وأنا أعلم أن ما فى الدنيا مثله فى المكر والحيل (قال الراوى) فقالوا الرهبان والراهب شومدرس للملك أرمانوس أيها الملك خلينا منه لأنك تخليت عنه بالكلية ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على جزيرة روبيس ونظر أهلها إلى تلك المراكب فعظم عليهم وكبر لديهم وعلم الملك مرحبون أنه الملك أرمانوس قد أتى إلى قتالهم فقال هذا ملك القسطنطونية قد أتى إلينا وهذه مراكبه قد أقبلت علينا فقالوا أصحابه دع يكون من كان نحن كنا هنا على الضلال وما منعنا إذ رجعنا إليه فما يضيعنا ومكاننا حصيناً وموضعنا أميناً ولا نبالى به ولا غيره وعندنا من القوت ما يكفينا عشر سنين ثم أعدوا آلة الحصار وطلبوا النصرة من العزيز الجبار خالق الليل والنهار (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من حجاف وأبو محمد البطال ومن معهما من الرجال فانهما أقاما فى البحر أربعين يوما وأشرفوا على جزيرة المعادن فلما وصلوا إليها أرسوا بالقرب منها ونزلوا إليها فى زى رهبان السياحة بالبرانس على رؤوسهم والمسوح على جلودهم والبطال فى أوائلهم وعلى وجهه لحية سوداء طولها ذراع وهى شديدة السواد وحاجبيه وشواربه بيضاء نقية البياض فلما توسطوا الجزيرة رفع أبو محمد صوته بقراءة الإنجيل بطيب نغمته ولذاذة حنجرته وحجاف يرى فعاله وقد تحير من أعماله وقال مثلك والله من يدخل بلاد الروم هذا وأهل الجزيرة قد داروا بهم من كل جانب وحملوا إليهم الصلبان الذهب والفضة والجواهر وأبو محمد البطال يأخذ كل ما يأتيه حتى وصلوا إلى الكنيسة التى للجزيرة وصلوا فيها فقال أهل

الجزيرة وقد داروا بهم وقالوا ياأبونا اقعد عندنا فى الكنيسة حتى نسلم إليك هذه الكنيسة ونوليكم أحكامها فقال البطال ما يمكننا ذلك لأننا قد عرفنا بركات السياحة ولو أننا أقمنا فى مكان واحد لغضب علينا السيد المسيح لأن السياحة قد صارت علينا فرض ولا بد لنا من زيارة الطرف الأقصى وبعد ذلك نعود إليكم فقالوا لا شك أنكم قد عولتم على زيارة رهبان القلالى والصوامع فقال أبو محمد وحق المسيح أنكم صادقين ثم أنه أقام عند القوم حتى أنه أنشأ له مركب آخر وأحكمها على ما يريد ثم سار بأصحابه (قال الراوى) فأقاموا مقلعين مدة شهرين كاملين حتى وصلوا إلى البحر الأسود فهبت عليهم رياح باردة وماج البحر بجانبه وزعزعت الأمواج مراكبه واعتكر حتى طلع زبده ونطق الماء بلسان الإشارة يسبح الله تعالى ويقدسه ويوحده وزعق فيه الملك الموكل به وهاجت زلازله وعب عبابه وسبحت فيه دوابه وتمطى واصطفق وصاح بالفلق ثم أيقن أبو محمد البطال بالغرق وقال البطال قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق اللهم انظر إلينا ونحن فى هذا الظلام الذى غشينا (قال الراوى) ثم أن حجاف قال يا من كان عرشه على الماء وخلق النور والظلماء وخلق درة بيضاء شعشانية كثيرة الضياء ثم لحظها بعين الجبروتية ونظر إليها بعين القدرة الكونية انتفضت وعرقت وذابت لهيبته فرقا ثم أنها رشحت بماء مندفق ففاض على الآفاق منطبقاً وأمر الرياح أن تكشف فعقد له زبداً أسود فدحاه أرضاً ومسح طولها والعرض ونصب منه الجبال الشواهق فى الأرض آية للخلائق فظهر منها الدخان ثم على إلى العنان فعقد منه السماء كالأيوان وبث فيها الانس والجان والنبات والحيوان اللهم إنى أسألك بقدرتك التى لا يقدر عليها إنسان ولا أحداً سواك أن تنجينا من بلاك وأحسن فينا قضاك فما تم كلامه حتى انجلى عنهم الظلام بقدرة الملك العلام (قال الراوى) وساروا ذلك اليوم كله وتلك الليلة حتى أصبح الله بالصباح ولاحت لهم السواحل فهللوا وكبروا وبعد ساعة وصلوا إلى البر كأنهم قد وصلوا إلى الآخرة وساروا إلى قرية كبيرة وأقاموا فيها ثلاثة أيام حتى احتووا على أهلها وقالوا لهم إلى أين عولتم فقالوا لهم نريد أن ندور إلى القلايات التى فى الطرف الأقصى ونتبرك بمن فيهن من الرهبان المنقطعين عن العمران فقالوا ياقوم لا تفعلوا لأن الطريق معطش عظيم تبقون فيه ثلاثة أيام إلى أن توصلوا الجبل وفى لحفه وأطراف الجبل صوامع رهبان لا يكلمون ولا يخاطبون إنسان ولا يطلع على أمرهم إنس ولا جان فما الذى تريدون من ذلك المكان فقالوا لا بد لنا من كل حال ثم أقبل أبو محمد البطال على

غلمانه وقال لهم يا أولادى أقيمــوا أنتم ههنا مع ولدى مذبحون حتى أننى أمضى أنا وحجاف وزحاف ثم ننظر ما يكون منا حتى أن هلكت طائفة تسلم الأخرى وإذا سلمتم أنتم أجهدوا فى خلاصنا أو ردوا لأحبابنا سلامنا وأخبارنا لعل الأمير وأمه وأصحابنا يأخذوا ثأرنا فقالوا والله ما نسير إلا كلنا وما نريد الحياة بعدكم لاسيما ومعنا الأمير حجاف ولنا أسوة بكم فقال البطال افعلوا ما تريدون ودبروا ما تحتاجون ثم أخذوا الأهبة وساروا وأخذوا معهم البغال وعليها قرب الماء والزاد ولم يزالوا سائرين ستة أيام حتى وصلوا إلى أول الصوامع والقلايات وأشرفوا عليها وقت السحر فلاح لهم الضوء من الصوامع فساروا إلى الصومعة الأولى فى ظلمات الدجا والغيهب كأنه ضياء كوكب وهو يتوقد ويتلهب فلمــا نظر حجاف إلى ذلك زادت حسرته وفاضت بالدموع عبرته وعاد إلى طبع عربيتــه وقرب من الصومعة فسمع فى أعلاها راهب يتلو فى الانجيل بصوت حنين فتقدم حجاف وأنشد وجعل يقول :

أيا راهبا فى الدير قد زاد بلبالى ... بمصباح ضوء لاح فى ديرك العالى
أيا راهبا فى الدير زدت تفلق ... وفاضت دموع العين منى باهمالى
أيا راهبا فى الدير كم بت ليلة ... وفى كبدى نار تهيج باشعالى
أيا راهبا للدير أسألك بالذى ... تنحنح فى الأحشاء وأنطق فى الحالى
بحرمة حنا والمسيح بن مريم ... ومن ساح سوحا بين كهف واجبالى
برهبان دير الانقطاع وقسهم ... إذا بات طول الليل لانجيله تالى
بحق الحواريين هل أنت عالم ... بما سوروه فى قيد ذل وأغلال
تنادى أباها وهى فى دير غربة ... أيا أبتى ما كنت أعهدك لى سالى
أيا أبتى ما كنت أعهدك جافيا ... فما الذى أشغلك عن كشف أحوالى
وها قد أتينا نحو ديرك عاجلا ... تخبرنا عنها وتنطق بالقــال

(قال الراوى) فلما أن سمع من حجاف الراهب ذلك الشعر والنظام بوجد وإشغاف وحرقة والتهاف بطل ما كان فيه من تلاوة الانجيل واطلع عليهم فرأى شيخا هرما بلحية طويلة بيضاء وعلى جسده مسح أسود وهو نحل من العبادة ومن حوله جماعته المذكورين فلما رآهم فاضت دموعه وكثر توجعه وتفجيعه وتأوه تأوه الحيران وأن من فؤاد ملآن وأنشد يقول :

ايا سائلا اجرى دموعى باهمالى ... رويدك ان الحب هيج بلبالى

دع الجهل لا تنظر الى بريبة | لأنك يوم العرض تسئل عن حالى
انا مؤمن بالله عبد موحد | وهذا اعتقادى يوم تحضر اعمالى
اقر بأن الله ارسل احمدا | نبيا ابان الحق من بعد اضلال
واسرى به نحو السما فتباشرت | بطلعته الأملاك من الأفق العالى
وخاطبه الجبار من فوق عرشه | وعاد وسجف الليل مرخى باذيال
فهذا شفيعى فى المعاد وعمدتى | إذا قمت من تحت التراب باذلالى
واخبرت انى قد اموت وانكم | تواروا عظامى فى التراب وانحالى

(قال الراوى) وكان هذا الراهب عالماً فصيحاً قد قرأ الكتب القديمة وطالع كل سيرة عجيبة وملحمة وباشر الأسرار المكتتمة وعلم حقيقة الأديان ووحد الملك الديان (يا سادة يا كرام) ولما رأى هؤلاء الرجال على وجوههم الأنوار صاعدة إلى المنار على أنهم من أهل الإيمان ولما رأى حجاف وسمعه يسأل عن السعيدة ويشكى ما بقلبه من الأحزان وهو يبكى فبكا الراهب لبكائه وقال يا قوم أنتم محمديون فقال أبو محمد نعم يا راهب ولكن كيف علمت أننا موحدون مسلمون وكيف اهتديت أنت إلى التوحيد وأنت فى هذا المكان البعيد بين القسوس والرهبان ومن عرفك برسالة سيد المرسلين فقال أنا أشرح لكم الحال وأبين لكم المقال (قال الراوى) ثم انحدر إليهم ونزل فى الحال وجعل يتمرغ على مواطىء أقدامهم ويقول ما جابكم أنتم إلى هذا المكان إلا حال من الاحوال وهو أن أجلى قد حضر وبهذا أخبرنى سيد البشر لأنى رأيته فى المنام وهو الذى دعانى إلى دين الإسلام فقال لى يا شيخ أن الله تعالى قد أراد نجاتك من النار وبعثنى إليك أنقذك من الهلاك والساعة فما بقى عليك شىء وأنا شفيعك يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فقلت يا رسول الله ما بقى لى عنك صبرا فقال أبشر فأنت عندى بعد عشرة ايام فقلت ومن يتولى امرى وينزلنى إلى قبرى فقال سوف يصل اليك اقوام من امتى الواحد منهم يقال له حجاف وليا من اولياء الله تعالى والآخر يسمى ابو محمد البطال وابنه مذبحون وغلمانه وعرفنى بحالكم وشأنكم جميعه وهو يسلم عليكم وقال لى ما يمضون من عندك حتى يجهزوك للآخرة واما ابنة الأمير حجاف فهى امامك فاذا انتم دفنتمونى ثم فرغتم من امرى ونهى اشغالكم فامضوا الى حالكم فالله يسهل عليكم وانا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الراهب استقبل القبلة ومد يده الى السماء ومات رحمه الله فبكت الأمراء والغلمان بكاء شديدا

واخذوا فى جهازه وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه فى صومعته ومضوا عنه وساروا بقية يومهم حتى اشرفوا على قلاية ثانية فتقدم الأمير حجاف الى تحتها واشار الى الراهب وقال :

يا راهب الدير والقلات منفردا يعلم بالطاعات
اسألك بالانجيل والآيات وبالطيب الكامل الصفات
وبالمسيح سيد السادات العابد السابح فى الفلوات
هل عبرت عليك قبل فات منذ سنين طفلة فتاة
سعيدة تقر بالآيات وتعبد الرحمن فى الخلوات
اخبر فقد دنت وفات والحر مسئول عن البنات

(قال الراوى) فلما فرغ حجاف من شعره اشرف عليه الراهب فى الحال وانشد :

اما واللات والعزى جميعا يمينا قد حلفت بها سنينا
فانى لا افارق دين قومى ولا اعدا لعداه بمسلمينا
وكل قد اتى بغيا وجورا وكل قد اتى جهلا مبينا

(قال الراوى) وساروا الجماعة الى ان قربوا من صومعة راهب فسمعوا حس الناقوس وهو يضرب عند الراهب فتقدم حجاف اليه وانشد يقول :

يا راهبا قد طول الملهاثا وحث نفسا تقبل الحثاثا
لا تطلب الدنيا ولا الميراثا ولا برى اللهو ولا الخباثا
بحق ناقوسك والطيباثا هل قد رايت طفلة فثاثا

(قال الراوى) فلما سمع الراهب كلام الأمير حجاف بطل ضرب الناقوس وتطلع عليهم بوجه عبوس وهو متغير اللون مضطرب الكون واجاب حجاف على شعره :

ويلك يا من اغفله المقياسا سألت عن جفنها النعاسا

(قال الراوى) ثم انحدر اليهم وهو مسرعا فى الانحدار كانه العقاب وبيده سيف قرضاب فلما صار عندهم رمق اليهم ببصره وتميزهم جيد وقال لهم يا ويلكم كانكم أنتم من القوم الذين يقولون ان الله واحد احد فرد صمد ثم بدر اللعين الى نحوهم كانه شيطان وهم ان يضرب الأمير مذبحون واذا بالأمير حجاف وقد ضربه طير قحفه ثم تركوه على حاله وساروا بقية يومهم وليلتهم فاصبحوا فى ارض سبخة واسعة بيضاء معتدلة الجنبات وكثيرة الخيرات من الزهر والنبات وفيها مياه مندفقة مطردة

وأطيار مغرده ورائحتها عطره وأشجارها تميل الاغصان شبه السكران على طيب الالحان وتسبح الواحد المنان العزيز الرحمن ووحوشها تلعب على الغدران وهى مفروشة بالازهار ملتحفة بملاحف الأصفرار ومطرزة الحواشى بالبهار منعقد الجلنار ذلك هو تدبير الرحيم الرحمن الواحد القهار العزيز الغفار وفى وسطها دير عالى البنا راسع الفنا والجدران فى جانبه صومعه من الرخام الاحمر قد سقتها الأمطار الليـــل والنهار حتى بقيت تأخذ بالابصار وتدهش النظار وكان هذا الدير لراهب وكان له صومعه فى هذا المكـان وقد اطلع على حقائق الأديان وأحوال الرهبان وكان مولعاً بحب النسوان مكذبا بسائر الأديان وقد زار سائر الديوره حتى وصل إلى هذا المكان وقطع فيه الطريق على بنات عبدة الصلبان ولمـا أشتد به الأمر على النسوان أظهر التوبة ولبس لباس الرهبان وعمل هذا المـكان وأنشأ هذا الدير المليح البنيان وجعل له موسما وزيارة فى كل شهر تجتمع اليه الرجال فيظهر لهم العبادة والجمال ويقرأ لهم الأنجيل ويقيمون عنده ثلاثة أيام (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما وصل الأمير حجاف إلى الدير والأمير أبو محمد البطال كان الراهب عنده الزوار وقد اجتمعن إلى الدير من كل مكان البنات منهن والنسوان (قال الراوى) وان الأمير أبو محمد البطال لما نظر إلى هذا العالم العظيم سأل من بعض النسوان عن اجتماعهن فى ذلك المكان فقالت له هذا الدير له عيد للرجال وعيد للنساء ولاشك انـكم من بلاد الهراقله (قال) فلما سمع أبو محمد ذلك قال أى وحق المسيح وأنتم ايش تقولون وماتخبرنا عن هذا الدير وهذا الموسم واسم الراهب فقالت الاولى اسمه باحه وكل معجزاته فى بيت الراحه (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد البطال كلامها قال لحجاف أيها الأميران كان خبر ابنتك السعيده يظهر فقد جاء وقته ثم هجموا وصاروا فى الدير فقال الراهب إلى أين وما هو عيد للذكور وهذا عيد عامود النور فعندها رفع أبو محمد صوته وقرأ فصلا من الانجيل وجاوبته غلمانه بألحان نديه وأصوات شجيه فطربن تلك النسوان وافتتن من حسن غلمان البطال (قال) هذا والراهب قد عظم عليه وكبر لديه الا انه لم يظهر لهن ذلك فقال للبطال من أين أنتم فقال نحن قوم غرباء ومالنا إلا طلب السياحه فبكى الراهب وقال هنيئاً لكم ولمن يكون معكم وأما أنا فان المسيح قد هيمنى وبالحب قد تيمنى ثم سار إلى موضع فى جانب الدير وتركهم فيه هذا وحجاف قد أراد أن يسأل الراهب عن السعيده فغمزه البطال وقال له لاتتكلم فانى أرى هذا الراهب شيطان لئيم جبار عنيد وأخاف أن يكون بكاؤه خديعة ومكر فانه قد فزع منا أن ننكر عليه ولكن أنا أخرج إلى بعض النسوان

وأسألها عن السعيده وبينماهم فى الكلام وإذا بالراهب دخل عليهم ومعه قصعة فيها عدس وخبز حار وكانوا قد قاسوا شدة عظيمة من الجوع والبرد فى الطريق فأكلوا القوم أكلا جيداً حتى مابقى لهم إلى القيام سبيل فماهم إلا أن أكلوا من ذلك الطعام حتى وقع عليهم المنام ولم يعلموا هم فى الارض أم فى السماء هنالك أغلق عليهم الباب وخرج اللعين وهو يقول هيهات هيهات ان يخلق المسيح واحدا مثلى وكان ذلك اليوم ثالث عيد النساء فأقمن عنده إلى الصباح وطول النهار وانصرفن عند غروب الشمس وودعن الراهب وعاد إلى الدير ومضى إلى البيت الذى فيه الامراء (قال الراوى) فشدهم كتاف وثقل أرجلهم وهم لا يعلمون لانهم مبنجين لان هذا الملعون كان يصنع البنج وكان قد طرح منه فى العدس وأكثر منه فلم يفيقوا إلا بعد ستة أيام فلما أفاق أبو محمد البطال ووجد نفسه فى أنحس الأحوال فقال هذا مالم يكن فى الحساب ثم انه التفت إلى أصحابه وقال هذا من فعال العدس الميشوم ووالله لقد علمت أنا ان بكاء هذا الملعون لعنة منه وخبث والمنافق لا يخفى على المؤمن الصادق ولكن غلب على الجوع وقلت هذا الديار وهى برارى وقفار والآن فقد نفذ فينا القضاء والقدر الذى لا للعبد منه مفر (قال الراوى) فهم فى الكلام وإذا بالراهب قد دخل عليهم وقنع البطال بالصوت وقال له من يكن لص المسلمين وعيار العرب والعجم وآفة الروم وسائر الأمم يقع هكذا رخيص ثم انه ميزاليهم طويلا وأوما اللعين إلى وجه الأمير حجاف بيده ثم قال ان صدقنى حزرى ولم تخطى فراستى فهذا هو أبو الجارية التى هى عندنا محصوره فى قيودنا مأسوره وقد بقى ثلاث ليالى ونجتمع كلنا ونسير إلى العيد الأكبر لانه بقى له قليلا ولا يبقى راهب منا ولا قس إلا وقد حضر وقد استقر الحال على ان ملك هذه الأقطار وصاحب هذه الديار ان يحضرها ذلك اليوم ويعرض عليها الدين القديم والمذهب المستقيم فان لم تتنصر والا يطرحها فى قدر النحاس ويوقد تحتها حتى يذوب لحمها عن عظمها ويأكلها الزيت والقطران وهى التى قالت امهلونى إلى ذلك اليوم فان كان لى فرج والا يفعل الله مايشاء فقال البطال ياراهب هذا حديث لا نعرف معناه فدع عنك هذا المقال والا غضب عليك المسيح فهذا الفعل مالنا به طاقه وإلا غضب عليك المسيح لاننا قوم مالنا الا النيه باننا سائحين فى الدنيا نزور الديوره والصوامع بقصد السياحه ولا لنا فى هذه الدنيا راحه وحالنا التعديد والنياحه فقال له صدقت يا بطال يارأس المكر والمحال فأنتم ماتنالون ماأنتم له طالبون الا بالسياحه كما انى مايتم لى ما أريد إلا بتبيت الراحه ويلك ياشيطان يامحتال لمثلى تقول هذا المقال وتنكر فعالك وهذه

صورتك عندى فى كل أشغالك وأخرج من جيبه درجا طويلا وفرده واذا لابى محمد وغلمانه خمسمائة صوره كل صورة منهم على صفة ولون غير صفة الاخرى ولونها ثم أقبل على البطال وقال له يالص المسلمين أنا كنت أول زمانى لصا ودرت الدنيا كلها ودخلت القسطنطونيه وغيرها وكانت أخبارك تصل الى ودخلت كنيسة سوفيا ونقلت مالك فيها من الصور ولم يكفينى ذلك حتى دخلت وراءك إلى بلاد الإسلام ورصدتك سنين وأعوام حتى نسخت بيدى هذه الصوره كلها لامحبة فيك ولارغبة الالعلى أريح منك ملة النصرانيه وأوقعك فى البليه وأفجع فيك الأمة المحمديه وهاهى عندى الى الآن وقت مااحتجت اليها وجدتها ومن أول ماوصلتهم الى هنا وشفتك ياشيطان تسأل النسوان عن هذا الدير وعرفتكم وحق المسيح وكنت قد رأيت ابنة هذا الرجل الطويل وأشار الى حجاف وهى كأنها اياه فعلمت انكم ماأتيتم الى هنا الا بسببها وكنت أقول ان يومها يكون يوماً عظيما وهو يكون بكم أتم وأعظم والساعه لابد لى أن أرسل الساعه الى ملك هذه الديار وأعلمه بكم حتى يأخذ كم ليأخذ منكم بثار أولاده الذى غيرتهم ابنتكم السعيده عن دينهم بكلامها ومقالها وكثرة هذيانها حتى غضب عليهم الملك وطبخهم وأكلهم (قال الراوى) وكان السبب فى هذا الكلام والأصل فيه ان السعيده لما وصلت الى هذه الديار وحضرت الى الملك المقدم ذكره فلما حضرت بين يديه أعرض عليها التنصر فقالت له هذا مالا يكون أبدا وكيف أكفر بمن خلق العباد ومهد البلاد والاطواد وهو الملك الجواد المنزه عن الأزواج والأولاد والأشباه والاضداد والاقران والانداد ومبيد الفراعنة والمرده والاطواد وهذه الدنيا وان زهت مصيرها الى الفناء والزوال لانها دار نعيمها تزول وحالها يحول ولالها ثبات ولامنها محصول فلما سمع هذا الملك كلامها قيدها وأمر بعقوبتها فى الليل والنهار وهى على دين الاسلام لاتحول ولاتزول ولما زاد عليها البلاء بكت وأنت وقالت :

ألا يادار قد زاد اشتياقى	وأقرح مقلتى طول الفراق
ودام تغربى وفقدت أهلى	وقل مساعدى وبدا احتراقى
وأسلمنى الزمان الى أناس	يرون الضرب لى كرم الخلاق
فواشوقى الى شيخ كبير	أقام مجاوراً أرض العراق
وابنته بأرض الروم حيرى	بقيد لايفك من الوثاق
ترى هذا الزمان يعود يوماً	لنا بعد التفرق بالتلاقى

(قال الراوى) وكان للملك ثلاثة أولاد ذكور وبنية وكلهم قد خالطوا الرهبان وقرؤا الكتب من العلماء والحكماء وعرفوا جميع الأديان ولما شاهدوا أحوال السعيده وصبرها على البلاء والعذاب وماتناجى ربها به من التوحيد والابتهال ووقعت فى قلوبهم رحمتها ورقوا لما بها فصاروا يحملون اليها الطعام والشراب فتقول أنا صائمة شكرا لهذا العطاء والنعمه وتصبر إلى المغرب وتأكل منه اليسير وتعبد الملك القدير وتحتمل العذاب الكثير وتكثر التسبيح والتمجيد للملك القدير وتقبل على هذا القضا بالصبر والرضا الى ان زادت بأولاد الملك الشفقه عليها وتحرك فى قلوبهم الايمان والتوحيد فصاروا يصدون عنها ولا يدعون أحداً من الغلمان يضربها إلى ان طال عليها الامد فأقبلوا عليها فى بعض الأيام وقالوا والله ياهذه لقد انقطعت محبة النصرانيه من قلوبنا حتى اننا ما بقى لنا فيها اراده ولا نيه وقد اشتهينا أن ندخل فى دين الاسلام فهل يقبلنا ربنا فقالت السعيده نعم يتقبلكم ربكم ويغفر لكم ذنوبكم فقالوا لها ايش هو الدليل على صدق قولك قالت السعيده لقوله تعالى فى كتابه العزيز قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف فقالوا فكيف نقول حتى نصير من أهل دينك فقالت تقولون أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندها أسلموا أولاد الملك وصارت السعيده وهى تلقنهم سور القرآن وكذلك فرائض الصلاة والايمان وهم يكتمون ذلك إلى ان كان يوم من الأيام وكان يوم الأحد وقد صلت إلى الكنيسه بنت الملك وعادت تضرب السعيده بعد صلاتها الانها كانت تظن ضرب السعيده قربه وثواب عظيم وعباده فلما دخلت على السعيده ذلك اليوم وجدت اخوتها عندها وهم يقرؤن القرآن ويوحدون الرحمن فقالت بنت الملك وحق المسيح أفسدت هذه الجاريه اخواتى بحديثها وهذيانها وأشغلتهم عن الصلاة فى هذا يوم الأحد ثم انها مضت من وقتها الى ابيها واخبرته بالخبر واوقفه على جلية الأثر (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام ابنته انقلبت عيناه فى وسط راسه وطار منها الشرار وصارت كانها الجمر الاحمر وقال وحق المسيح ان هذا حديث عجيب ماجرى مثله فى عباد الصليب نكون نحن نضرب هذه المسلمة على ان تخلى دينها تخرج اولادى من دينهم بغير ضرب ولا عذاب ثم زعق على البطارقه والغلمان على باولادى فما كانت الا ساعة حتى حضروا الثلاثة فلما رآهم قال لهم ياويلكم صرتم الى دين المسلمين الأبرار وصبيتم الى قول هذه الجاوية وتركتمونى فضيحة فى سائر

الأقطار وأحدوثة بين السفار فلما سمعوا كلامه هانت عليهم الوفاة وقالوا له افعل ماشئت فما نرجع عن التوحيد فافعل ما بدالك نحن ما نحيد عن توحيد الملك المجيد الفعال لما يريد فعد لهم ساعة من الزمان فلم يفيد فيهم ملام ولا عدول ولا تفنيد فغضب الملك غضبا شديدا على اولاده

وبعد ذلك أمر بهم فذبحوا بين يديه وامر بهم
ان يجعلوا فى قدور النحاس وامر بهم
يطبخوا كما تطبخ الغنم فصقلوهم
واوقدوا تحتهم حتى نضجوا
واستووا وقدموهم
بين يديه

(تم الجزء السابع والخمسون ويليه الجزء الثامن والخمسون)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن والخمسون

يطلب من

مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصيه (؟) وت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده ياكرام وجعل الملك يأكل أولاده واحداً بعد واحد وهو يقول هذا فى طاعة دين المسيح والمذهب المليح ومن شدة ما حصل عنده من القهر أمر بالسعيدة أن يفعل بها كذلك فقال له بعض الرهبان المقربين اليه وكان عزيزاً عنده يسمع قوله ويركن اليه أيها الملك اصبر فإنه قد بقى لعيدنا أيام قلائل ونجمع عندنا سائر الرهبان والقسوس من سائر الأطراف والصوامع وملوك الأقطار والبطارقة وما معهم من عباد الصلبان وبنات العمالقة وإذا اقبلوا الجميع فإن أجابت وإلا جعلناها فى قدر النحاس وأوقدنا عليها النيران وسلقناها فنأكلها بالزيت والقطران وتركنا لحمها قربان فى الديورة للرهبان ولكل قس ومطران (قال) فامتثل الملك لهذا المقال وأمر الغلمان يفعلوا للراهب ما قال فأجابوا إلى ذلك وعذبوا السعيده عذاب شديد حتى صاحت بهم بها اتركونى ليوم العيد وذلك من شدة ماجرى عليها طلبت الإمهال وكانت تطلب بذلك لعل أن يأتيها فرج (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال والامير حجاف وبقية الرجال والأبطال فإنهم بقيوا فى قبضة هذا الراهب خمسة أيام وكان فى النهار يعذبهم فى الليل ثم يصعد الى صومعته ويغلق عليه الباب وينام فلما كان فى اليوم السادس قال الأمير حجاف للأمير ابو محمد البطال أما تنظر ما قاسينا وفى الآخر ما قضى لى أن أجتمع بابنتى ولا أنظرها وما كنت أريد إلا أن يكون راهب الضلال يحملنا الى عند الملك حتى أنظر الى ابنتى السعيدة نظرة واحدة ودع الملك يقتلنا كما قيل

وما غالت نظرة منكم بسفك دمى   يا أحسن الناس من عرب ومن عجم

(يا ساده) فقال البطال ان شاء الله تعالى يكون الفرج قريب فقال الأمير حجاف أما أنا والله لو كان لى من يقرض كتافى ويطلق يدى قدرت أن أهلك هـــذا الملعون وكنت أخلص من هذه المصائب (قال الراوى) فقال لؤلؤ ان كان الا هذا الأمر وهذا كلامك فدر لى كتفك فقال له لو كان كتافك من حديد قرضتها لأن أنيابى مثل المبارد فضحك الأمير حجاف وأدار ظهره الى لؤلؤ فقرض كتافه حتى أضعفه وتمطى حجاف فى الباقى قطعه وقال لهم أبشروا الآن بالفرج فإن الامر قد تيسر دوروا حتى أحـــل لكم كتافكم ويكسر كل واحد منكم قرمته ثم تصعدون الى هـذا الراهب فى صومعته وتسقوه كاس منيته فقال ابو محمد البطال ما هذا صواب لأن هـذه القرامى ما تنكسر إلا بعمود حديد أو قدوم إلا أن الملعون أتقنها بمسامير وما فيها حيلة ولا يقدر واحد يقوم على حيله او على قدميه من ثقلها ولكن اصبروا على ما أنتم عليه إلا أن يصبح الصباح وينزل الينا كما جرت به العادة وتكون أنت قد درت يديك الى خلفك الى ان يقرب منك فاقبض عليه واعصر على حلقه وأضلاعه وكتف يديه ثم قل له وحق المصطفى لئن لم تدلنا على شىء نفعله ونفك به الخشب عنا وإلا نخنق حلقك إلى أن تموت فإذا رأى الموت دلنا على ذلك فقال حجاف السمع والطاعة ثم أقاموا كذلك الى وقت الصباح وإذا بالراهب قد فتح عليهم البـاب ودخل فأول ما أتى الى الأمير حجاف ورفسه بين اكتافه وقال له يا شيطان تريد أن تخلص ابنتك من العدم أبشر بما يحل بك وما ينزل عليك من النقم ثم تقدم الى عند حجاف ليبرك عليه (قال الراوى) فقام الأمير حجاف على قدميه وجذب الراهب اليه وقد تركه تحتـه وقال له يا ملعون عذابك لنا إلى متى يكون فأنا الساعة أقابلك بما لا يكون فى حساب ثم ترك يديه فى حلقه وأراد أن يخنقه فصاح الراهب يا مسلم لا تعجل وأنا وحق المسيح بن مريم أخلصكم من القوم ولا أرجع أوصل اليكم قبيح ودع يغضب على المسيح فقال حجاف يا ملعون كيف أخليك وأنا ما صدقت انك وقعت فى يدى فقال يا مسـلم أنا احلف بالمسيح بأنى ما بقيت أغدر بك فقـال حجاف ياملعون ما بقى لك من يدى خلاص الا ان أخنقك أو أقتلك ودع ما يجرى يجرى فصاح الراهب وهو فى غمرات الموت يا مسلم إن كان ما تصدقنى فى إيمانى فهذا القدوم وراءك خذه وخلص نفسـك ورفقاءك وبيعونى نفسى بالمـال ولا تقتلون مثلى فإن نبيكم نهى عن قتل الرهبان (قال الراوى) فلما سمع الأمير حجاف كلام الراهب قام عن صدره وإذا بالراهب قد وثب وعول ان يعيده الى

الكتاف ولم يدرك أن الأمير حجاف يعد فى الحرب بآلاف وأنه لما وثب اليه طالبه يلقيه إلى الأرض فنهض عليه وما قدر عليه وعاد إلى الراهب وهو يطلب الهرب فلحقه حجاف أسرع من البرق وعلم ان قوله كله محال وانه كذاب ومسك رجليه وسحبه فدق برأسه الأرض فصاح أبو محمد كتفه لعنه الله تعالى ففعل حجاف ذلك وكتف يديه ومسك على حلقه بيديه وركب على اكتافه وقال له قوم الساعة يا ماءون يا ميشوم اوريني موضع القدوم قبل ان اصبحك صباح ميشوم فقال الراهب و حجاف على اكتافه مثل الجبل حتى دخل الى بيت المذبح واوراه القدوم فأخذ حجاف القدوم ولم يعمل شيء حتى انه كتف الراهب وشد يديه على رجليه ثم القاه مثل الأكرة وتقدم ابو محمد وكسر قرمته وكذلك فعل بولده وغلمانه ثم خلص نفسه وأخوه وبعد ذلك قام البطال الى الراهب وضربه بأغصان مثل أغصان الشجرة الخضرا حتى شخصت عيناه فقال الراهب ويلك لاتفعل وبعني نفسي بكل ما جمعته من الأموال والجواهر والصلبان والياقوت والمرجان فقال البطال وأين هذا المال وأنا افكك من الاعتقال فقال له أدخل أنت وأصحابك الى بيت المذبح ثم اقلعوا بلاطة هناك فقلعها البطال وأخذوا من تحتها الأموال (قال الراوى) وتركه البطال واخذ معه الرجال وأخذوا جميع ما هناك من الاموال وكان شيء يدهش العقول فأخذوا الجميع وقالوا يا أبا محمد هذه الاموال ايش نصنع بها قال ابو محمد تدفنها فى هذه الارض واذا عدنا ان شاء الله مع السلامة أخذناها معنا ثم عاد الى الراهب واحتمله على اكتافه وسار به إلى صدر الدير فقال له الراهب الى أين انت سائر بى يا أبا محمد فقال اوديك ياراهب باحه الى بيت الراحة فقال يا شيطان ايش تعمل بى فى ذلك المكان فما يصلح لى ولا لك هذا الشان فقال له البطال لا تخف من شيء فما عليك باس الا أن أريحك من الحياة واسقيك المنية بامر كاس ثم دخل فى ذلك المكان وحط يده فى حلقه وهو يقول يا ابى محمد لا تفعل فإنى أعطيكم المال الكثير بقدر ما تحبون وفوق ما تريدون فقال البطال نحن ما نريد منك ما نطلب الا نشفى قلوبنا منك ثم عصر فى حلقه الى ان خرجت روحه وخرج البطال هو واصحابه من الدير والبطال يقول لحجاف لو تركنا هذا الشيطان فى الحياة فوالله ماكنا آمنا على انفسنا من غائلته وربما كان قد سار واندر منا كل من فى هذه الديار فقال حجاف والله صدقت يا أبا محمد وما فعلت الا صواباً ثم أنهم نزلوا من الدير واغلقوه وساروا وهم طالبين آخر الصوامع ومنتهى الاطراف إلى الطرف الاقصى وهم يسألون الرهبان وهم خائفين لايقرب العيد وساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا حتى

توصلوا إلى الأديرة ويسيرون بالليل على ضوء قناديل الرهبان (قال الراوى) هذا والأمير حجاف قد طال عليه الزمان وضجر من طول سماع أصوات الرهبان هذا وحجاف قد سد آذانه لايسمع أصوات القساقس ولا يرى لا راهب او قسيس من تالى الالحان او نادب على المنازل والأوطان وكان سائر والصوامع عن يمينه وعن شماله وأصوات عالية بقراءة الإنجيل فعند ذلك هطلت دموعه من اجفانه تنحدر من فؤاد عليل وكبد من ألم الفراق حزين وينشد ويقول :

إلى كم أدور الأرض والشوق ناميا ... وأشكو فما ألقى من الناس راثيا
وها أنا قد اصبحت فى دار غربة ... ادور وفى قلبى زنادا كاويا
فيا أيها الرهبان بالله ارحموا ... لديع جوى ما انه اليوم راقيا
بحق الذى جاءت بعيسى مكرما ... وقال لها لا تحزنى أنا كافيا
وكلمها فى المهد وهو ابن يومه ... واصرف بالبرهان من كان عاديا
الا خبرونى هل رأيتم أسيرة ... وثيقة اسر لا تجيب المناديا
تحكم فيها ضدها وهى طفلة ... وارسلها نحو البلاد القواصيا
فسرت اليها طالبا لخلاصها ... وقد حرت فى أمرى وخاب رجائيا
وأسلم قوم من سلالة مرحب ... وصاروا على دين من الحق هاديا
وصرنا إلى ارض الصوامع عصبة ... لعل إلهى يجمع الشمل دانيا

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما فرغ حجاف من شعره وقصيدته وبكاؤه وعديده أطلع عليه بعض الرهبان من بعض أصحاب تلك القلايات والصوامع ونادوا أيها الشيخ لقد أحرقت منا القلوب وأجريت منا الدموع كالبحر المسكوب ولكن نحن قوم علينا عهود من مخالطة البشر لأننا من هذه الصوامع لانكلم بشر وما عندنا مما تقوله خبر ولا لنا إلى معاونتك من سبيل وإلا كنا أول من بادر إلى خدمتك لرقة ما سمعنا من شعرك وقصدك لأن هذا الكلام قد صدع منا القلوب ولو كانت من حجر وما عندنا أكثر من هذا الافادة وما منا من يشتغل بأهل الدنيا عن العبادة ثم عادوا إلى ما كانوا عليه وساروا هذا وحجاف يقول يا أبا محمد ما أحسن اشتغال هؤلاء الرهبان عن أهل الدنيا لأنهم يوحدون الملك الاعلا فقال له البطال ولم يرد المقال وربما يا أخى فيهم من يوحد الرحمن ويكون هداه الله تعالى إلى وحدانيته ورأى له حق عبادته (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى أنهم عبروا سائر الصوامع والأديرة وأشرفوا على المدينة الكبرى ودير المعبود والمعمود العظمى فنظر إلى مدينة مالها شبيه فى الدنيا ولا سائر البلاد كانها

أرم ذات العماد جارية الأنهار طيبة الأثمار كثيرة الأشجار فيها خلق لا تحصى ولا يعلم عددهم إلا الله الواحد الأحد القهار وكلهم مشركين منهمكين على عبادة الصلبان ويكفرون بالذى ركب الأرواح فى الأشباح تعالى ربنا عن الشريك والولد والأصحاب والزوجات وفى تلك المدينة كنيسة كبيرة على أربع عواميد وأنها قد عمرت وبقيت فى خيار البنيان باللازورد والذهب الوهاج وقد زينت بأحسن الصور وقناديل من البلور وخواص الياقوت الجوهر وسلاسل من شريط الذهب الأحمر وفى تعاليقها ترهج وتأخذ بالبصر (قال الراوى) وكان أهل هذه المدينة مثل الولدان والحور بالمقل والشعور بيض الألوان والأبدان والوجوه كالأقمار وكان قد بقى للعيد أيام قلائل وينصرون السعيدة وقدجاؤا أناس يهرعون من كل جانب ومكان وأقبلوا من سائر القرى والبلدان ورجالهم والنسوان وكان هذا دأبهم فى كل عام وهم لابسين الملبوس الخاص والعام ومنهم بالزى الفاخر والديباج والجواهر (قال الراوى) وكان الوقت زمان الربيع والأرض قد أزهرت وزهت بألوان من الأزهار وبكى الغيث لضحك نوره بثغر الاقتدار وغصون الروض فى حلل الافتخار واعتدال الليل والنهار وكان الملك قد خرج من المدينة ومعه من أنواع الزينة ما يحير الأبصار ويذهل النظار (قال الراوى) فلما نظر البطال إلى ذلك القهار وقال والله ما هذا إلا ملك كبير وعالم غزير فقال له الأمير حجاف يا أبو محمد لو أن للدنيا عند الله قدرا ومقدارا ما سقى كافر منها شربة ماء هذا والبطارقة قد نظروا محل مفرج فنصبوا فيه للملك سرير من الذهب الوهاج فى وسطه وهو مكلل بالدرر والجوهر والملك قاعداً لا يستطيع أحد ينظر إليه من هيبته وكان جبار عنيد وشيطان مريد أكفر أهل الأرض فى طولها والعرض وأجرأهم على الله بالمعاصى سفاكا للدماء هتاكا للنساء والأماء وكانت هداياه واصلة إلى بلد القسطنطونية من الدر والياقوت والجوهر والذهب الأحمر وأنواع الشقق من الديباج المدنر ويقول له ما أريد منك فى مقابلة هذا الاكرام إلا الأسارى من الأقوام الذين يقولون أن المسيح مخلوق وعبد مرزوق وكانت ملوك القسطنطونية ترسل له من المسلمين الأسارى المائه والمائتين (قال الراوى) فاذاهم وصلوا إليه وصاروا بين يديه يبليهم بالقطع والكى وقلع العينين ويعذبهم العذاب المهين وبعد ذلك يذبحهم ويأكلهم على طول الأيام مثل ما يأكلوا الناس الأغنام حتى صار ذلك عادته وتجرى على مالك الممالك بكفره وجحاده (قال الراوى) فلما وصلت إليه هذه الجارية السعيده ألتى الله تعالى محبتها فى قلبه لما يريده الله من إرادته حتى أسلموا أولاده على يداها وقتلهم ثم أكل لحمهم وهذا ما كان يفعله مع

غيرهم من المسلمين الموحدين وكان الملعون كلما سمع السعيدة توحد ربها بصفاء قلبها وتتكلم بتلك المواعظ فيتعجب من كلامها ويقول لو كانت هذه الجارية مع هذا الزهد مسيحية كانت مثل مريم الزكية وما كان يكون فى الدنيا راهبة مثلها ولا بد لى أن يطول روحى عليها حتى أنظر ما يكون من أمرها (قال الراوى) وانقضت الأيام والشهور ووصل الأمير أبو محمد البطال وولده مذبحون والأمير حجاف وزحاف وغلمان البطال كلهم وأصحابهم واختلطوا بالقوم حتى أتت ليلة عيدهم وكانوا على نية الفرجة وقد اجتمع الدير خلائق لا تحصى هذا والبطال يوصى الأمير حجاف وهو يقول له قال رسول الله ﷺ استعينوا بالصبر على النوائب ونحن بين هذه الخلائق مستورون لا يدرى بنا إلا رب العالمين وخالق السموات والأرضين وأنا أعلم أنهم فى غداة غد لا بد لهم ما يخرجون السعيدة ويضربونها فى وسط الدير حتى أنها تتنصر فإياك أن يأخذك عليها حنة وتطلب خلاصها منهم بالقوة على أن هذه الخلائق كثيرة جداً ويكون هذا سببا لضرب رقابنا جميعا ولا ننال مقصود أبدا ولكن دعنى فأنا أتقرب اليها وأكلمها كيف تدافع عن نفسها إلى أن يأتى الليل وأعرف أن يكون مستقرها وندبر على سرقتها ونكون كلنا سالمين إن شاء الله تعالى (قال الراوى) فقال حجاف أنا أسأل الله تعالى أن يرزقنى الصبر الجميل عند نظرها ولا يضيع تعبنا وبات القوم مع جماعة الروم ولم ينم فيهم أحد إلى أن برق ضياء الفجر وصاح الرهبان والقسوس ودقوا الناقوس وكفروا بالملك القدوس وازدحم الخلائق فى الدير بذلك الزى والملبوس وضاق المجلس بالمقام والجلوس ونصبوا لكبيرهم كرسى ودارت به الرهبان والقسوس وركب حوله البطـــارقه حتى نزل على سريره فى الدير ودارت خواصه وأصحابه وسل له واحد سيفه من قرابه والعالم كله قد وقع عليهم الهيبة من الملك هذا وقد خرج البترك وهو يرتعش على بدنه ثوب من الشعر والقسوس معه يعضدونه ويدورون حواليه والبطارقة والروم يقبلون يديه وكذلك النسوان يبوسون موضع قدميه (قال الراوى) ولم يزل سائر حتى وصل إلى الكرسى ثم جلس عليه وقد اشترك بالله ونسب الخالق تعالى إلى مالا يليق إلا بالخلائق من ملامسة البشر وذكر أهوال يوم القيامة حتى أبكى كل من حضر فعندها صاح الملك بغلمانه وقال إئتونى بالسعيدة الجاريه المسلمه الأسيرة فهذا وقتها ويومها وساعتها قال فما كانت إلا ساعة ثم أنهم أحضروا السعيدة وقد بقيت مثل عود الخلال من صيامها وقيامها فلما نظر أباها إليها طارت الدمعة من عينها وعينيه ثم ضاقت أخلاقه وقد أخذته الحمية وثارت فى نفسه النخوة العربية فلما نظر البطال إلى حجاف وهو فى هذه

الحالة قال له أهكذا استقر الحال بيني وبينك والخطاب أليس قلت لك على ذلك وقد حسبت لك مثل هذا الحساب وقلت لك إياك أن تبدوا منك خطاب أو شيء من الأمور الصعاب يكون هلاك نفوسنا ولم ينفعك ذلك فقال له الأمير حجاف لا تطيل يا أبا محمد الخطاب أنا أريد الساعة أهجم على أعداء الملك الجبار وأعتمد على العزيز الغفار واضرب الملك ضربة اسقيه كاس البوار فقال له أبو محمـــد لا تفعل واحسب أنك قلت للملك كيف تصنع بهذه الخلائق إياك والعجلة فى الأمور هـذا وقد أتو بالسعيدة إلى عند البترك الكبير وقال له الملك يا أبونا أمرتك انك تعرض عليها الدين العتيق ومقال التحقيق فلما سمع البترك ذلك اخذ السعيدة اليه ومسح بيده على رأسها وقال لها ايتها الطفلة الماسورة الذليلة اعلمى ان للمسيح بك عناية اذا وفقكى للهداية فاحديه وقرى له بالهمية فهو الذى خلق من الطين طيورا واقام الموتى من القبور واحياهم قبل النشور فاعرفى هذه الاشارة حتى تنالى اعلا الدرجات ويصطفيكى الملك لنفسه ويجعلكى زوجته وعروسه ويحميكى فى مملكته ونفسه وخواصه وارباب دولته وتصيرى مالكة لملوك الروم وسيدة اهل هذه الديار والرسوم وان انتى عصيتى فتكونى على نفسك تعديتى (قال الراوى) فقالت السعيدة لما سمعت كلام البترك لااله الاالله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الله هو الملك العظيم خالق المسيح والكليم ونوح وابراهيم الذى يحيي العظام وهى رميم ويلك أيها المغرور والعبد الكفور كيف يكون مالك فى يوم العرض والنشور إذ الجبـــال تسير والسماء تمور وتدعى إلى قراءة الكتاب المسطور فترى فيه الاعتقاد الفاسد والمحال الزور ثم يقال لك انظر إلى عيسى بن مريم وهو بين يدى الملك الغفور وهو يحاسب الخلائق فى المقام المشهور والحق تعالى جل ثناه ولا معبود سواه ينادى ويقول أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فعندها يقول ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب (قال الراوى) فلما سمع البترك كلامها علم صغرها جحده وقال هذه ابنة شديدة فى دينها وأريد ان أشرح لهـــا شيئاً من علم الحقيقة ثم تلا فصلا من الانجيل وأراد البترك أن يتم كلامه فاعتقل لسانه وأقبل على الملك وقال له قد تغيرت أحـــوالى وتشكل اسانى وقد سمعت أنه إذا اجتمع أهل ماء المعمودية وقرؤا الانجيل وكان فيهم رجلا من أصحاب محمد بن عبد الله وكان يحفظ القرآن وأراد أحداً من أهل الانجيل أن يذكر هذا الكلام لايقدر أن يتكلم ثم أنه قام على قدميه وقال يامسلم بحق دينك ونبيك أشهر نفسك حتى يعلم هذا الملك عذرى (قال الراوى) فتغير لون الامير حجاف وقال لابو محمد البطال قد أقسم على هذا البترك بهذا

القسم وهو قسم عظيم عند رب زمزم والمقام والتعظيم وأنا أريد أن أقوم ودع يقضى الله ما هو قاض فقال أبو محمد لا تفعل أيها الامير هذا والبترك قد عاد إلى كلامه الأول إلى أن وصل إلى ذلك الموضع وأراد أن يشرك بالملك العلام فما قدر على الكلام فالتفت يمين وشمال ثم قال يامسلم بحق دينك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم تكلم فعندها وثب الامير حجاف وقد قام وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ياساده) فنظرت إليه السعيده وإذا به أبوها ورأت رجليه فأنكرته وقالت فى نفسها كانه ابى لولا أنه كان قائما على قدميه وأبى كانت الكفار قطعوا رجليه وأعدموه قدميه هذا والبترك يقول يامسلم تقدم إلى عندى حتى أقول كلام خطر بقلبى الساعة وأرجو على يديك السعاده ومن نبيك الشفاعة هنا لك تخطى حجاف رقاب الناس وهم باهتين إليه حائرين من أمره وقصته حتى صارت يده فى يد البترك وحجاف يقول يابنيه أنا أبوكى فلا تعجبي من قصتى فان الله تعالى قد رد على رجلى وأوصانى اليك وله المنه على بعد ماقاسيت شدائد وأهوال جرت على ثم أنه اعتنقها وهو يبكى وهى كذلك من الفرحه وكلاهما يشكى ماقاساه من الفرحه هذا والبترك وقع عليه الدهش وأخذه الزمع من شدة ماجرى عليه وفاضت الدموع من عينيه إلى أن خضبت لحيته وعارضيه وشرح الله تعالى صدره للاسلام وأقبل برحمته عليه فقال أشهد لا اله الا الله أن محمد رسول الله ﷺ ثم قام عن كرسيه واعتنق حجاف وقد غاب عن الدنيا وانقلب المكان من صياح القسوس والرهبان فصاح الملك فى البطارقة والغلمان وبلكم هاتوا الكل إلى بين يدى وقدموهم قدامى حتى أرى هذا المصاب بين يدى وقدموهم لما أرى هذا البلاء فهذا أمر ما كان لى فى حساب ونحن قد قلنا ان بتركنا ينصر السعيده فنراه هو قد أسلم على يديها وأن شاع عنا هذا الحديث فى البلاد افتضحنا عند كل العباد (قال الراوى) فعندها تبادرت البطارقة وفى أيديهم السيوف البارقه وحملوا الامير حجاف وابنته والبترك إلى قدام الملك وقد غابوا عن الدنيا ولا فيهم من بقى يسمع ولا يرى فلما رآهم اللعين فى حالة الموتى قال لابد لى ما أحرق هؤلاء الجميع بالنار وأذيقهم طعم الحريق والبوار وأن ماتوا وهم بهذه الحالة ارموهم للكلاب وأول ما أحرق هذا البترك الكذاب الذى مال عن الحق وعن الصواب فعندها أفاق البترك من الوجد والاستماع وقال أيها الملك وفعل بى ماشئت وعذبنى كما هويت فهذا الذى كنت أريده له وقد اشتهيته لانه قد لاح لى لائح الحق والبرهان وتحقق عندى ما كنت أشك فيه من زمان وقد عشت حتى رأيته عيان ولا أصل الى غرفة الجنان الا بضربك لى وعذابك والهوان ياساده) فلما سمع الملك البترك لطمه على

وجهه وقال للغلمان شيلوهم الى برج الحمام الذى فى الدير ونادوا فى الروم بأن لايتفرق منهم أحد ولا يعودمن هنا الى غداة غد فان أفاقت المسلمة هى وأبوها أحرقناهما بالنار مع البترك المرتاب وأن ما أرميناهم للكلاب والاطيار فانى قط مارأيت أيشم من وجه هذه المسلمه علينا لانهـــا من أول وصولها الينا أفسدت أولادى وأحوجتنى إلى أن طبختهم وأكلتهم مثل المسلمين الذين كنت افعل هذه الفعال وبعده انظروا فى هذا اليوم ايش جرى علينا منها لانها ايضا كانت سبب اسلام بتركنا الذى ما كان للنصرانيه مثـــله لعمله وعبادته وكانت هذه الميشومه سبب شقوته فامتثلوا الغلمان امره وحملوا الأمير حجاف وابنته الى المكان الذى عينه الملك وطرحوهم فيـه واذابه برج أملس من صلد الأحجار مظلم بالليـــل والنهار لاتدركه الشموس ولا الأقمار له باب من الحديد وبنيانه مشيد وكان من جملة من سار مع الغلمان والأبطال الأمير أبو محمد البطال وقد أوصى ولده مذبحون وغلمانه أن يراقبوه هـــذا والملك قد أمر الغلمان أنهم يضربون البترك فضربوه حتى غشى عليه ثم قال الملك اتركوه عند المسلمين واجمعوا الأحطاب إلى وقت الصباح ولا فيكم من يرجع إلى بيته حتى يتفرج على حريقهم (قال الراوى) ولما حصل حجاف وابنته والبترك فى البرج خرجوا من عندهم البطارقة وبقى البطال فى ظلمة المكان فما علم به منهم إنســـان وأوثقوا الباب بالأقفال الثقال وباتوا الروم تلك الليلة فى فرح وسرور وغبطة وخمور وقد ضج لهم الدير بالطبول والزمور والملك أيضاً قدموا قدامه بواطى الخمر وجمع البطارقـة من حواليه قياما وقعودا وما برح يشرب حتى أظلم الظلام وسكر أكثر الناس ووقعت الخمرة على جملة القيام والجلاس بعد الانزعاج الذى كانوا فيه والوسواس وذهب من الليل أيسره وما فيهم من بقى من السكر يفتح عينيه (قال) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه بعـد خروج الغلمان من البرج تقدم إلى الأمير حجاف ثم حل عنه الكتاف وهناه بلقاء ابنته السعيدة ثم قال له ما قلت لك أن العجلة من الشيطان كما أن الصـــبر طريق الظفر بعد الحرمان فقال حجاف والله يا أبو محمد ما طقت يا أخى الصبر وقد رأيت السعيـــدة تدعا إلى دين النصرانية فما بقيت أبصر ما بين يدى من شدة ما جرى على من الوجد والحمية وما تعهد من الغيرة العربية ونخوة النفس الأبية والساعة فما نحن إلا فى خير كثير من فضل رب البرية ولكن قد نلنا الثواب من جانب وسعدنا أيضاً باسلام هذا الراهب وقد تألمت لما جرى عليه من الضرب حتى أنسانى فرحتى بلقاء ابنتى فياليته لو كان على جسدى فقال البترك وحق من عرفنى توحيده وأنه بارى النسم وأهدانى حتى أقررت برسالة محمد سيد

الامم ﷺ وحقه أنى ما وجدت لضرب هذا الملك ألما ولا ضررا وما كنت أريد من الله تعالى إلا أن يسهل لى الخلاص ويفرج عنى حتى أننى كنت أمضى إلى بلاد الاسلام والايمان وأسمع التوحيد والآذان وأموت وحولى من يقرأ القرآن (قال الراوى) فقال أبو محمد لا بد لى أن أبذل المجهود ونطلب الخلاص من الملك المعبود ثم أنه أخرج من وسطه سلما أبريسما وحدفه على أعلا البرج فما علق لأنه كان صخر أملس ولا تقدر النملة أن تدب عليه فصار الأمير أبو محمد كلما حدف الكلاليب لا تعلق وإذا قد جذبها وقعت فضاق صدره وقال والله العظيم أن هذه نوبة صعبة ثم عاد إلى الباب ليفتحه فوجده كالجبل العظيم لا يتقلقل ولا فيه حيلة لمحتال فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم رجع إلى القوم وقال لهم أبشروا بالحريق فوالله ما وجدت إلى الخلاص طريق على أنى أول من يذوق البلاء والعذاب لأننى لفضولى وعدم تدبيرى أخبيت نفسى خلف الباب (يا سادة) فقال حجاف يا أبو محمد لا تضيق صدرك فقال أبو محمد لكل أجل كتاب وهذا الذى قضاه رب الأرباب ومسير السحاب وقابل التوبة على من تاب فيابشرى من قد توكل عليه وإليه أناب وقال والله مابالى بعد ما رأيت أنا السعيدة أى موتة ماتت بها فقال أبو محمد بس هذا الذى كنا محتاجين إليه فأنت يا أمير قد رأيت ابنتك السعيدة فهانت عليك المصائب وقلت النوائب وضيم الزمان فأنا ايش كان لى فى هذا الفضول والهذيان والمجىء إلى هذا المكان ولكن ما حسبت أنا هذا الحساب ولا قرأت عنوان هذا الكتاب ولا قلت أنها تجرى على هذه الأمور وهذه الأسباب (قال الراوى) وهم فى الكلام وإذا هم بانسان قد أطلع عليهم من أعلا البرج ونادى ايش عافكم ما تعرفون تطلعون من هذا المكان فشالوا رؤسهم إليه ليعلموا من هو المتكلم وإذا به الأمير مذبحون ابن أبو محمد البطال فقال له البطال أحسنت يا ولدى ويا قطعة من كبدى ولكن كيف كان طلوعك أنت إلى هذا المكان وما تعلقت فيه الكلاليب فقال له مذبحون والله لقد حسبت لكم هذا الحساب لما رأيتكم قد أبطأتم فلأجل هذا قد صعدت إليكم فاحدف الساعة الكلاليب التى لكم حتى أوثقها لكم ثم اصعدوا واحد بعد واحد (قال الراوى) وأن البترك الذى قد أسلم لما رأى مذبحون تعجب ثم قال يا أبو محمد وهذا رفيقكم أيضاً قال نعم وباقى أصحابنا مختلطين فى جملة الروم ويكونوا الساعة بظاهر هذا البرج ونحن ما علينا صعوبة إلا بمقدار ما نطلع من هذا المكان وقد خلصنا بمعونة الرحمن فقال البترك يا أبو محمد هذا ولدك كيف علق سلمه فى البرج وأنت لم تعلق سلمك فقال يا أخى ما يحتاج إلى سلم ولو كنا مثله كنا نتعلق بالأركان ولم يبق

منا أحداً فى هذا المكان ثم أنه حدث البترك بحديث مذبحون فتعجب البترك من هذا المقال هذا والبطال قد تقدم إلى تحت ولده مذبحون وحدف الكلاليب إليه التقطها فاخذها مذبحون بكلا يديه وأوثقهم بين الأحجار وقال لهم اصعدوا الآن وابشروا من الله بالسلامة وكان أول من صعد الأمير أبو محمد البطال والأمير حجاف وابنته ونظر البترك إلى ذلك فصعد مثل صعودهم وهو يقول والله هذه صفة ما نعرفها نحن ولا سائر الروم ولما صاروا الكل فوق البرج أرمى مذبحون سكك السلم إلى زحاف وغلمان أبيه البطال وهم وقوف ينتظرون أصحابهم فلما رمى السكك نزل إليهم الدير وقد أيقن البترك بالخلاص فقال لهم اطلبوا بنا الساعة النجاة لا نقع فقال له البطال اعلم أن هذه الديار بعيدة عن ديارنا ولا بد ما يقع النفير خلفنا والطلب وتدركنا الخيول فنعطب ونريد شيء لعل يكون فيه سببا لنجاتنا فقال حجاف أول الأشياء أننا الساعة وقوف مثل النساء وكأنكم بالصباح قد طلع علينا وما كنا نريد إلا خيول سوابق ورياح خوارق حتى نترستق ونركبها ونسير نبعد ودع يكون يلحقنا ألف فارس وترون العجب مما يتم لى معهم فقال زحاف والبطال ما يلحقنا النفير إلا ونقاتل حتى لا يبقى منا صغير ولا كبير ونتوكل على اللطيف الخبير فقال زحاف يا أبو محمد ما لهذه النوبة إلا أنت وأنا أرسل الخيول الجياد وأنت تسرق السيوف والقنطاريات وبيض العاديات وثلاث زرديات (قال) فغاب زحاف قليلا ورجع ومعه خيول سوابق فركب وتقلد بسيف بارق وأخذ أبو محمد جميع ما طلبوا منه من آلة السلاح الكامل فلبس حجاف وركب وقال يا أبو محمد صيح على الخيل وقل لها الساعة تتبعنا وانظر ما أفعل بركابها وما أصنع بأربابها ثم ركبوا جميعهم وكذلك الغلمان والبترك حائر من أعمالهم ويقول لهم أنتم الموصوفون فى الانجيل حقا بأنكم رجال الله صدقا لأنكم ما لكم قلوب تفزعون بها من أهوال الطعن والنزال والساعة قد خلصنا ولا بد للنفير ما يلحقنا وأخشى أن تهربون ولكن لا تنجون ولا تصلون إلى البحر إلا وقد حصلونا ويأخذوكم وتبلون بما لا تطيقون لأنكم لم لكم جهد ما تقاتلون إذا فاضت الدنيا عليكم بالمواكب ولم يسعها شرقها والمغارب لأن هذا الملك يركب فى مائة ألف فارس وقد بقى فى الأمر شيء واحد (قال الراوى) فقالوا له وما ذاك فقال لهم البترك اعلموا أن لهذا الملك أخ يقال له القانون وهو رجل يدعى الحكمة ولا يرى بعدها فى الأديان شيء بل يقول أن هذه الدنيا لا تزول ولا يكون هناك بعث ولا نشور وأن الزمان والفلك هما المصوران لهذه الصور وأن البحارات هى التى تطلع حمل الغيوم ثم تصيرها الأرياح فتدبر الأمطار

وان طلوع الشمس هو الفـــارق بين الليل والنهار وبين هذا الملك وبين اخيه القانون واقعه من عشرين سنه والقانون فى قلعة عاليه على جانب البحر وقد بنيت على سن جبل عالى شاهق فى الهوى إذا نظر اليها الناس يظنون انها للارض مفارقه وبالسماء لاحقه لايدركها البصر لاترى الا مثل الكوكب إذا أزهر ومثل القمر إذا أبهر وليس لأحد عليها سبيل وكان القانون أراد ملك هذه القلعه والأرض التى تحت مكان أخيه فماأطاعوه عباد المسيح بل قالوا هذا رجل معطل الأديان وأرادوا انهم يقبضوا عليه ويسلموه إلى أخيه فهرب إلى هذه القلعه التى كانها الثريا لاجل علوها وارتفاعها وبينى وبين القانون صداقة عظيمة لايقطعها شيء لانى كنت قائم أعتبه على تفريطه فى دين المسيح وكان يقول لى ياشيخ لوانى كنت أقول بالشريعه كنت أدخل فى شريعه المسلمين لانها أصح الشرائع والأحكام ثم قال البـترك وكان قد أرسل الى كتابا وهو يقول تعالى إلى عندى واترك أخى وأنا أعطيك من المـال مهما أردت واشتهيت وأعطيك أيضاً عشرين جاريه وأقيم أنا وانت نقرأ قانون الحكوم والعلوم الصحيحه ونعود أنا وأنت إلى ماكنا عليه من المودة والصداقه والساعه فقد خلصنا ومالنا غيره ان كان لنانجاة وإلا فنحن بعد من الها لـكين (قال الراوى) فلما سمع البطال وأصحابه ذلك المقال علموا ان الذى قاله تحقيق وما فيه محال فقالوا والله وان هذا هو الصواب فهل اليه طريق وتقـدر على ذلك ونمضى من هناك ديارنا من عنده فقال نعم ان شئتم فى البحر وان شئتم فى البر سرت أنا معكم أيضاً وبعد ذلك لو أقمتم عنده فى القلعة ألف سنه ماسلمكم الى أخيه لانه رجل كثير الـكيادوله جرمه وهمه وزمام وهو يأكل أموال هذه الأرض كلها وله علينا شيء معلوم والا كان يحرق ويخرب ويفعل كل شيء مذموم فقال له سر على بركة الله تعالى وعونه (قال) فسار البـترك بين أيديهم وهم من ورائه على خيول مستريحة يركضون بطول الليل الى ان برق ضياء الفجر (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من الملك الذى هو ملك الاطراف فانه لمـا أصبح الصباح ادعى بالقسوس وبالرهبان فقال لهم ياقوم أما تنظرون الى مضيق بارحه وماتم على لأنى قلت ان بتركنا ينصر المسلمه فأسلم على يديها ايش يكون مصيبة عظم من هذا فى بلاد الروم وحق المسيح لابد ماأحرقه بالنار مع المسلمين الأن يكون قد ندم على مافات ورجع عن توحيد رب الأرض والسموات ثم انه لوقته أرسل الغلمان إلى البرج الذى هم فيـه فوجدوه فارغ فعـــادوا الى الملك وهم متحيرين وعلى وجوههم يلطمون فقال الملك ويلكم ماحالـكم فقالوا أيها الملك ماوجدنا فى البرج أحد والباب مغلوق على حاله بالاقفال والمفـاتيح عندكم ومانعلم أهم فى الأرض نزلوا أم فى السماء طلعوا فلما

سمع الملك هذا الأمر والخبر تحير وقال لهم لاتشيعوا ياقوم هذا الخبر فان النصرانيه إذا سمعوا هذا أسلموا كلهم ويقولون هذه معجزة لهؤلاء المسلمون ومايدرون ان المسلمين كلهم لصوص وأنا وحق دين المسيح سمعت ان فى بلاد المسلمين رجل يقال له أبو محمد البطال وانه يتعلق فى حبال الشمس ويصعد من طلوعها من مشارقها إلى مغاربها وأنا أخاف ان يكون هو أبو الجاريه التى كانت مأسورة عندنا ومااتى الينا إلا فى جماعة إلى هذه الديار ثم قال أسرجوا الخيل حتى نركب خلفهم فقدموها وقد نقص من الخيل الخاص ثمانية رؤس من أجود الخيول فقال ياقوم ماقلت لكم انهم فى جماعة وحق المسيح ان صدقنى حذرى ولم يخطنى فمالهم مقصد الامكان واحد لانهم أين يذهبوا يردهم علينا البحر ومالهم من بلادنا مهرب ومالبترك إلا أخذهم وسار بهم إلى بلاد أخى لانه صديقه وقد مضوا اليه ويتحصنون فى هذه القلعة وهى نظير لها وأنا أعلم ان أخى لايسلمهم الى وقصد أخى شىء حتى يغيظنى به ادركوهم قبل مايصلوا اليه وهاأنا معكم فركب فى عشرين ألف بطريق كلهم على الخيول الغربيه وعليهم الثياب الديباج الروميه والبيض العاديه وساروا وهم يقطعون الأرض فى طولها والعرض (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على القلعه ونزل الملك عليها وقال لأصحابه أريد إذا أصبح الصباح أرسل منكم من يكشف الأخبار ان كانوا القوم وصلوا اليه أم لاحتى إذا عملتم شيئاً يكون على علم ويقين (ياساده) فهذا ما كان من الملك وأصحابه (وأما ما كان) من البطال ومن معه من الرجال فان ذلك البترك الذى أسلم أحدهم سار بهم تلك الليله وأكمن بهم وساروا طول النهار إلى ان أمسى المساء وساروا فى الليلة الثانيه حتى وصل بهم تلك القلعه ومازالوا طالعين حتى تنصف الليل وقد خيل لهم انهم فارقوا وجود الدنيا وكانت لهم طريق معموله من أول الزمان لطلوع الخيل والدواب قد احكموها الحكماء والرهبان القدماء فلما ان صاروا عند بابها قال لهم البترك قفوا ياقوم ههنا حتى أدخل أنا للملك القانون وأذكر له حديثكم وصفتكم وكيف قد هربت معكم وآخذ لكم منه الامان وآخذ عليه العهد والمواثيق والقبول التام لكم والاكرام وأخبره انى هربت من أخيه الشيطان وأسأله أن ينفذنا كلنا إلى بلاد الاسلام والايمان وأراضى أهل التقا والاحسان (قال الراوى) فقال له البطال نعم ماقد قلت أيها الشيخ الصالح والأخ الناصح دونك وماتريد أعانك الله بالنصر والتأييد فتقدم البترك وطرق الباب الذى للقلعة فصاح عليه الحارس يقول من الطارق فى الليل الغاسق فقال له أنا بترك ملك الاطراف أخو ملككم فانهض اليه وبشره بقدومى وخذ منه البشاره والاحسان لانى صديقه وقال له قل له ان البترك الذى لاخيك واقفا على الباب (قال

الراوى) فقام الحارس من ساعته وسار نحو الملك وأخبره بذلك الشان فأرسل معه عشرة من خواص الغلمان ففتحوا بابا من حديد وثيق شديد ومن ورائه مشط من الحديد أثقل من الصخر والجلاميد ومن كثرة أثقاله لايشال إذا نزل الا بالبقر فلما فتح ذلك الباب دخل البترك ومعه البطارقه إلى الملك فلما رآه وثب له قائما على قدميه واعتنقه مليا وهاله أمره وأحواله وقال له أخبرنى ماوراك ومن بشره قدرماك وماأتى بك فى هذا الوقت فى هذا الليل وأنا الذى أتمناك من عشرين عام وأنا أرسل لك وأقول لك تعال إلى عندى فما ترضى وتأبى ذلك والساعه قد جئتنى فى هذا الليل الحالك من غير طلب وهذا من غاية العجب فقال نعم أيها الملك ان حالى عجيب وأمرى غريب فقال له الملك حدثنى بحديثك بحق المسيح فابتدأ البترك يذكر الجاريه السعيده وكيف تنطق بالحكمه وكيف أراد أخوه ان ينصرها وما تنصرت وكيف قتل أولاده وذبحهما وأكل لحمهما من أجلها وكيف وصل أبيها ومعه البطال وبقية الرجال والملك القانون ومن حوله يسمعون مايقول وهم متعجبون ويتعجب الملك ويقول لوان هذا الحديث يكتب بالذهب ليكون عبرة لمن يتعجب واعتبر وتهذب (قال الراوى) ثم قال الملك القانون وبعد هذا وما الذى تريد أيها الشيخ المجيد فقال له البترك وحق الله ماأريد منك الا الأمان من كل من على وجه الأرض انا والمسلمون فقال الملك القانون ولك ذلك أيها البترك ولوانهم أقاموا وسكنوا عندى عشرين سنه لهم أسوة بى وبأولادى وعيالى وأصحابى ورجالى ومع ذلك بوصفك لى شوقتنى اليهم وأريد أنظر اليهم وأعاملهم بما يليق بهم فقال البترك الساعه يردوا عليك وهذا الوقت يصلون بين يديك وتراهم بعيناك ثم خرج البترك اليهم ليدخلوهم (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه كان لما تركه البترك هو وأصحابه قيام تحت الابراج وهم فى الانتظار وقد سلموا نفوسهم إلى الملك الجبار خالق الليل والنهار وقد حملوا هم غربتهم فى هذه الديار لأنهم لايدرون كيف يسلكون فى تلك الأقطار ولا يعلمون أين يقصدون يمينا أو يسار فبينما هم وإذا بشباك قد فتح من برج كبير وهو أكبر الأبراج والشباك بأبراج عاج وقضبان منقوشه مرصعة بالأبنوس والذهب الوهاج وقضبانه فضة فمد البطال عينيه وإذا من ورائه عشرين شمعة عنبر وكافور والمكان منقوش بالذهب واللازورد وفى وسطه كرسى من الذهب وعلى الكرسى جارية وحوالها عشرين كرسيا كلهم من الذهب الأحمر وهى كانها جارية من الحور العين كالبدر ليلة تمامه بغرة كالصباح أو كانها نور المصباح ووجنتها أزها من البدر الوضاح

والدر ينثر من ثغرها الوضاح والمسك من نكهتها والليل الحالك من سواد شعرها وغرتها وهى كأنها البدر المنير واعكان أردافها فاضت من على السرير وعلى بدنها ثوب لؤلؤ منظوم بالجواهر ولها ذؤابتين مثل سواد الليل الاعكر نازلة على صدرها وكلما شالت سواعدها تراها كأنها عواميد رخام والمجلس يتلألأ من بياض كفوفها وبين يديها على الكراسى جوار كأنهن الأقمار ولما نظر البطال إلى ذلك الجمال حار وأخذه الانبهار وأمازحاف فانه حس أن فؤاده قد طار وأقبل على البطال قال له يا أبو محمد إن البترك قد أسلم وفاز بالإيمان فأنا أتنصر فى هذا المكان وقد سلب عقلى ودينى هذا الغزال العطشان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الشان (قال الراوى) ولما سمع البطال من زحاف هذا المقال قال له البطال بعد مازاد به الضحك والله ما أنت الا عاشق بارد ويلك أنت رجل خائف فزعان غريب مطلوب مسلم فى بلاد الكفار ما عندك شغل شاغل عن العشق فى هذه الشده والأهوال ثم جعلوا يسمعون على هذه الجاريه هى وجوارها وإذا بها تلعب مع جوارها وتقول لهن بالعربى الفصيح ويلكن قمن من بين يدى كلكن حتى نتصارع فعندها وثبن كلهن ورمين ما عليهن من الملبوس وبقين بأجسامهن كأنهن الورد والياسمين بيضاء مشربة بحمرة ثم جعلن يتمايلن ويتصارعن وهن ثقيلات الأرداف كما قال

كل عذراء كعوب ذات غنج ودلال ... بعيون وجفون راميات بنبال
صائبات قاتلات لصناديد الرجال ... ساحبات الشعور كعناقيد الدوال
بصدور لينات وأرداف ثقال ... بعيون راميات كعيون للغزال

(قال الراوى) هذا والملكه قد أقبلت إليهن فقالت لهن كل واحدة منكن تبرز إلى صاحبتها وتتسمى باسم فارس من فرسان المسلمين واتركونى أنا ذات الهمة أو عبدالوهاب فقالت واحدة منهن أنا إسمى عيارهم أبو محمد البطال وقالت واحده أخرى أنا إسمى لؤلؤ غلامه وقالت أخرى أنا جوهر غلامه وقالت أخرى أنا سيف الحنيفة وقالت واحدة منهن أنا إسمى ظالم وواحدة قالت أنا اسمى ضيغم وقالت أخرى أنا اسمى قشعم (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك الكلام تحير هو ومن معه ثم قال والله اذا كنا عرفنا فى هذه الأرض فهذا يكون آخرتنا وآخر العهد بيننا وقد تقدمت احداهن الى الملكه وهى تضاهيها فى الحسن والجمال وما كانت الا ساعة واحدة حتى أنها رفعتها الملكه على يديها وأتت بها الى طاقة تحت الشباك الذى هم فيه وقالت لها أريد أرميكى الساعة الى عيار المسلمين الى أسفل حتى تموتى وأريح الروم منكى ومن سرقة بناتهم هنا هذا والجارية تضحك فلاح لها خيال أبو محمد البطال وهو على صخرة عالية فى مقابلة المكان ففزعت الجارية منه وصاحت

ياملكه بحق المسيح خذيني اليكي فاني أرى خيال شخص قائم فى مقابلة البرج وقد فزعني فظنت الملكه أنها تقول ذلك مزاح فقالت لها لا تطيلي الكلام ياأبو محمد ياعيار المسلمين فلا بد لي مما أرميكي الى برا الحصن فقالت الجارية وحق المسيح ما أنا مازحة يامولاتي وانما هذا شخص واقف وأظنه لص فضحكت الملكه وقالت ويلكي أقول لكي من هو هذا الشخص هذا أبو محمد البطال وقد أتاكي من غيظه منكي لما انكي تسميتي به وادعيتي صنعته وقدجاءيأخذكي لأجل هذا ثم دلتهاقليلاقليلا وقالت يا أبو محمد بحق دينك خذها اليك فعندها مد البطال يديه وتعلق بها وسحبها اليه سحبة شديدة ففزعت الملكه وخلت الجارية من يدها وهي قد انخرعت وقالت وحق المسيح لقد أخذت جاريتي كالهار ثم عادت الى طاقة وتبادرت الجوار فعندها صاح زحاف وقال ايش نعمل نحن بالبطال نحن ما نطلب الا عبد الوهاب فقال البطال يازحاف ما هو قليل ان تعمل على ضرب رقابنا أسكت أنت يا هذا ولا تتعرض للكلام هذا والملكه تنادي ياويلكم ايش أنتم طالبين فقال لها البطال نحن قوم جئنا مستجيرين بهذا الملك صاحب هذه القلعة وقد أرسلنا اليه رسول حتى يأخذ لنا منه الإذن ونحن له فى الانتظار فلما رأيناكي أدليتي هذه الجارية وقلتي خذها يا أبو محمد فأخذتها على وجه المزاح وطلبت بذلك تصديق قولكي ايتها الملكه وقاكي الله شر البؤس والهلكه حتى انكي تضحكين انتي وجواركي وهذه صاحبتكم ارجعو خذوها بارك المسيح لكم فيها فلما ان سمعت الملكه ذلك الكلام من البطال قفلت الشباك واخرجت يدها من الطاقة ورفعتها اليها فلما أن صارت عندها قالت لها ويلكي ياكلهار هذا شخص واحد والا معه جماعه فقالت الجارية لا وحق المسيح على باب القلعة جماعة ومعهم خيول مجنوبة وما ادرى من اين اتونا هؤلاء الشياطين وانا قد خفت على قلعة ابوكي منهم فى هذه الليلة (قال الراوى) فلما سمعت من الجارية ذلك غلقت الشباك والطاقة وقالت للجوار شيلوا الشمع حتى اقوم الى عند ابي واوقفه على هذا الحال لا تكون هذه حيلة من عمى على القلعة حتى أنه يأخذها ثم انها ولت. فلما ولت اظلم المكان فالتفت البطال وزحاف الى رفاقهم وهم متعجبين وبقي فى قلب زحاف من الجارية امر عظيم ونار لا تطفأ ولا تخفى وفى تلك الساعة خرج البترك اليهم ووصل فى طلبهم فلم لقاهم فى الموضع الذى تركهم فيه فدار عليهم حتى رآهم ثم بشرهم بما سمع من الملك فقال له البطال نحن قد جرى لنا اعجب من هذا ثم حدثه بحديثه هو والجارية فقال البترك هذه ابنة الملك وما عليكم منها خوف ثم سار بهم وادخلهم على الملك القانون فرحب بهم وادناهم وطيب قلوبهم ومدوا اعينهم للجارية فرأوها الى جانبه وهي تنظر اليهم وتميزهم واحد

بعد واحد وزحاف قدنظر اليها فزاد وسواسه وكبرت حسرته وارتجت مفاصله وهاجت بلابله وقال ابو محمد أنا فى صنيعتك الليلة ابصر ايش تعمل معى فقال البطـال دعنا من خرافك ومن عشقك حتى نبصرا يش يحصل لنا هذا ولما ان الجارية أقبلت على ابوها وقالت له كيف خبر هؤلاء يا ابتاه فقال يا اديبة لروم هؤلاء قد اتوا الينا مستجيرين ومن شر اخى خائفين وقد زعم البترك انهم مسلمين ونحن ما نطلب الا الفعل الجميل وما علينا من الأديان وان اختلف فان الرب واحد والمذاهب اهوية وبعد ذلك كله وحق المسيح ما يعلم احد ماذا يقدم بعد الموت فقالت الجارية وانا قد توهمت فى هذا الشخص انه ابو محمد البطال لأن الصورة التى هى عندى فى الكتاب كانها صورة هذا ثم اخرجت درج كبير فيه صور امراء المسلمين عن آخرهم وصورة عبدالوهاب وجماعته الا زحاف وهو شاب مليح اسمر اللون ظريف الكون له شعر اجعد مثل اللال فقالت لاشك ان هذا عبد الوهاب ثم قالت بعد هذا كله وحق الدهر المقيم والزمان القديم والفلك المستقيم لئن لم تصدقونى والا ضربت رقابكم عن آخركم ثم قالت أنتم الذين ذكرت اسمائكم ام لا فقال البطال ايتها الملكه نحن قوم من اهل مصر ماندرى ماتقولين ولا نعرف . هؤلاء القوم ولا سمعنا بأسمائهم الى هذه الساعة ولا راينا صورهم الا فى هذا الكتاب كما قلتى ولا تجعلين له حجة ونحن مسلمين وقد استجرنا بالملك الكريم والسيد العظيم الذى من التجأ اليه اواه واعز جانبه ولا يسلمه الى اعدائه ولا دخلنا اليه الا بعد ما دخل البترك واخذ لنا منه امان عندها قالت الملكة لاسبيل الى هذا ولا اسمعه ولا التفت الى هذا الكلام وانا صاحبة الموضع والعسكر عسكرى والجند جندى وابى ما يقدر يخالف امرى ولو عارضنى فيكم قتلت روحى ثم انها كشفت عن صدرها وهو مثل المرمر وفيه نهدان كانهما حقان رمان كل واحد منهما يجىء رطل بالكبير وقالت وحق المسيح أن خالفنى انى ضربت روحى بسكين فى صدرى (قال) فلما نظر زحاف إلى ذلك الصدر زادهيامه وأباح بكتمانه وقال لاتفعلين أيتها الملكه الكريمة أنا أقول لكى من نحن وحيات هذا الوجه الجميل والقد الأسيل والطرف الكحيل والشرف الأصيل هذا هو البطال أبو محمد كما ذكرتى وأنا عبد الوهاب سيد بنى كلاب وهذا حجاف غلامى وما أنا قد وضحت لكى الحال فان أنت عفوتى فما هو منك عجب وإن أنتى قبضتى علينا فهو المقصود فاننا ما نريد غير مشاهدتك ولا نريد نبرح من عندك متى نشاهد هذ الوجه المليح والجمال الصبيح فان النظر اليكى عبادة والقتل فى حبك شهادة عندها صاحت الجارية وهى تقول وقعتم يا كلاب العرب ويا حمالين الحطب وحق المسيح لقد كنت إذا سمعت بفعالكم مع النصرانية أتمنى

أن تكون لى أجنحة أطير بها اليكم واقول لعل المسيح يمكننى منكم بالثار وأكشف عن الروم العار (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك أقبلوا على زحاف وقالوا ما قصرت معنا بهذه الفعال والمقال فقال زحاف يا أبى محمد ما أحمقك أيما خـير أقول لها من نحن أو تقتل نفسها فضحك أبو محمد من وسط الغيظ وقال له أماتك الله ولا أحياك ثم عاد إلى الجارية وقال وحق دين الإسلام ما هذا عبد الوهاب وما هو إلا كذاب لأجل سبب من الأسباب فقالت أنا ما يكون قصدى إلا عرفكم فان كنتم ما تقرون على أنفسكم فأنا عندى من يعرفكم وهو معلمى الذى صوركم فى هذا الكتاب ثم أرسلت إلى الكنيسة واحضرت راهب كانه شيطان من شياطين الجان قد أنحله الهوا وأسقمه الجوا وتوصل بهذه الأسباب حتى صار ينادمها وإذا شربت يشرب معها وهى تضحك على عجائب أحاديثه وكان أكثر ما يحدثها بحديث البطال وما جرى له فى بلاد الروم فقالت له يا أبونا قد وصل الينا هؤلاء القوم وهم مسلمين فانظران كانوا هم الذين تحدثنى عنهم فان كانواهم فقد وقعوا فى أيدينا وقد بتوانى ضيق الأقفاص وما بقى لهم من هذا المكان خلاص فعند ذلك نظر الراهب اليهم ثم قال لها يا ابنتى ان هذا هو البطال وهؤلاء غلمانه فيا ابنتى هذا شىء ما ناله أحد غيرك ولكن هذا ما أعرفه ولا هذا الآخر يعنى بقوله على زحاف وأخيه حجاف ولا أدرى من هما ولولا انى أتيت اليهم وعرفتهم كانوا فى هذه الليله قد سرقوا القلعـة وودوها إلى بلاد المسلمين فضحك البطال من كلامه وقال يا ملكة من هذا الكلام كلامه يصدق فيما يقول وأنا أقدر أقلع قلعة من تخوم الأرض وأسير بها فى الهوى هذا من تخرفه وتغير عقله فى مقاله فلا ينطلى عليكى محاله وضلاله فقالت ابنة الملك دع عنك هذه الحيل إذا صح عنك القول انك البطال فما يبعد عليك هذا المقال وهذا الراهب حدثنى عنك انك فى كل سنة تسرق مدينة القسطنطونيه مع كبرها وعظمها وتسير بها إلى ملطيه وترجع تبيعها للروم حتى صار ارمانوس يبعث اليك المال فى كل عام حتى تتركها موضعها وانه كان يقول لى انك إذا ذكرت حضرت وإذا صاح بك فى الظلام خذ واحد تاخذه وما كنت أصدق هذا حتى رأيته فى هذه الليله لمـا صحت لك خذ هذه الجاريه فأخذتها فاصدقنى بحق نبيك محمد ما أنت البطال فقال نعم يا ملكة الزمان أنا أبو محمد البطال (قال) فعندها وثبت قائمه واخذت رأس أبو محمد وقبلتها وقالت أهلا وسهلا بك يا شاطر الزمان وفتى الفتيان وحق الفلك المصور والدهر المقدر انى إذا كنت سمعت بفعالك وحيلك يطربنى ذلك وأقول مثل هذا ما يستاهل يموت لان الحيل ما تكون إلا من الحكمة التى فى رأس الانسان والآن فعليك مطر السماء من أكل الخبز وشرب الماء (قال الراوى) فرفع

أبو محمد رأسه اليها وفرح بقولها وفرح أبوها بفعالها ثم رسم لهم مكان ينزلون فيه وحمل اليهم كلما يحتاجون اليه ثم أقبل الملك على حجاف وقال له قول لابنتك تسمعنا شيئاً من كلامها فعندها قامت السعيده على قدميها وقالت الحمد لله الذى سطح الأرضين وقد صنعها وأحكم الأقاليم وأوضعها وفجر فيها الأنهار وأنبعها ونسم الرياح وزعزعها وكون السموات ورفعها وبالشمس والقمر المنير زينها وشعشعها وأمر الافلاك بالدوران وفطر الصور وأنطقها وأنشأ الأشجار وخلقها وهو الذى خلق المخلوقات ثم يميتها ثم يحييها ثم يجمع عظامها اليها بعدما يفرقها وينادى أين شركائى الذين تمردوا فلا تكن ياهذا من الجهال ولا تكن من أهل الضلال وعد إلى عبادة الملك المتعال الذى فطرك وأحسن تصورك وأحكم تكوينك ولا ينفعك أهلك ولا أقاربك فلا تغتر بشىء كان لغيرك وانتقل اليك وأعلم انه لابد ان ينتقل إلى سواك ولو كان لغيرك مقاما ماكنت أنت خلقت فى دنياك فوحق من هاداك وجعل لك السمع والبصر والحراك وحفظك فى طيات الأحشا ورعاك الذى بقدرته رباك وباذنه سمعت أذناك وبحيله سعت رجلاك ياهذا فلا تخيب مسعاك وخذ من دنياك لاخراك (قال الراوى) ولم تزل السعيده تذكر أحوال الآخره حتى تغيرلون الملك من كلامها واصفر وجهه من نثرها ونظامها وذكرها ووعظها وقال لها لقد طرحتينى فى بحر الفكر ولقد كنت خالياً من الهم والغم لأنى كنت أقول انما لى خالق يطالبنى بفعالى ولا يجزى على أعمالى ولقد قاتى الساعه قول يليق بالعقل ولكن ماأدرى ماأقول فان كان ثم خالق كما قاتى فأنا أسأله ان يهدينى للصواب من أى شريعة أراد (قال الراوى) فلما كان طلوع الفجر أذن البطال وتقدم حجاف يصلى بالناس بعدما استأذن الملك فقال ماأمنعكم عما تفعلون فأنا أشتهى أنظر كيف تصنعون فتقدم حجاف واستقبل القبلة واصطفوا أصحابه من ورائه والسعيده من ورائهم من خلف الرجال وقد قرأ حجاف فى أول ركعه بعد الفاتحه لاأقسم بيوم القيامه إلى آخرها وفى الركعة الثانية والسماء والطارق إلى آخرها إلى أن وصل قوله تعالى انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر (قال الراوى) فتحير الملك القانون من سماع كلام الله عز وجل ووكف طرفه ودمع (قال الراوى) فبينماهم كذلك إلى طلوع الشمس وإذا بنواصى الخيل قد طلعت وانقلبت الدنيا كلها رجال وفرسان مع ملك الأطراف فأول ماعمل غار على مواشى القلعه وأخذها وكان له رستاق وضياع فقبض على من كان فيها وأرسل إلى أخيه يقول وحق المسيح اعلم ان هذه الكره ماهى مثل سائر الكرات لانه قد وصل اليك قوم مسلمين وقد أخربوا الدنيا وقد أبلوا أمة عيسى بالبلاء وفيهم الجاريه التى قتلت أولادى من أجلها لما

ان تبعوا دينها ومعها أبوها والبترك قد أسلم على أيديهم ومعها جماعة من اللصوص الذين للمسلمين والكل قد حصلوا عندك وأنا أريد ان تسلمهم إلى جميعا وحق المسيح أردعليك الذى أخذت الك من حول قلعتك وهى مائة قريه عامره وأحلف لك بالانجيل العظيم أنى أقعدك على سرير مملكتى وأحكمك فى سائر بلادى وان أبيت ذلك فوحق المسيح ماأبرح من هذا المكان حتى آخذه وأجمع كل هذه الأرض على حصارك وأبذل المال للرجال وأرمى أحجار قلعتك إلى البحر وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر وقد بالغت فى النصيحه وقدمت اليـك بالاعذار والانذار وشأنك أخبر (قال الراوى) فلما وصل الكتاب إلى الملك القانون وقرأه قدام أهل مملكته وكبراء دولته وأحضر البطال وجماعته وقال لارباب دولته أنا أخبر بأخى وجبره ونيته لا ننا إذا سلمنا هؤلاء اليه لا بد له من محاربتنا فانه ماله قول وأنا أريد منكم الساعه والصدق وأنا اريد أقاتل أخى ولا أسلم اليه هؤلاء القوم الذين قد استجاروا بى فقالوا له أهل القلعه أيها الملك القتل الينا أحب من أن نسلم اليه واحد منهم ويركبنا العار العظيم مع اننا قد رأينا من عبادتهم وحفظهم لدينهم وتلاوتهم على مايشددنا على مراعاتهم فقال الملك القانون وأقول لكم شيئاً آخر فقالوا وماهو الكلام أيها الملك فقال اعلموا ان كلام هذه الجاريه قد دخل فى قلبى وقد بان لى ان كلامها حق وقد صح عندى ذلك وان هذا القرآن الذى يتكلمون به مايقدر مخلوق يتكلم بكلمة واحدة مثله وما هو إلا كلام خالق ولعمرى أيضا انى ما كنت نصرانى حتى إذا أسلمت يصعب عليكم وأنا قد رغبت الساعة فى هذه الشريعة فقالوا أيها الملك أنت قد قلت لنا مافى خاطرك ونحن نقول لك مافى خواطرنا فلا تحرد فقال الملك لا وحق ما أعتقده قولوا مابدا لكم فقالوا نقول كلنا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله (قال) فلما سمع الملك ذلك فرح فرحا شديداً وأقر عند ذلك بالشهادة وادعى عند ذلك بابنته فأسلمت ولم يبق فى القلعه إلا من أسلم ووحد الله تعالى (قال الراوى) فلما نظروا المسلمين إلى ذلك أيقنوا بالفرج وطمعوا فى النجاه فقال زحاف يا أبو محمد اعلم أن هذه الجارية قد أسلمت فاخطبها لى من أبيها فقال البطال ما بقى لى الساعة إلا الخطبة والزواج دعنا الساعة من رقاعتك فعندنا الساعه شغل أعظم من هذا أحدها أننا الساعة ما نقدر على الخلاص من هنا وربما حصرنا هذا الملعون وضيق علينا ونحن مالنا طريق ونحن الساعة فى أمرنا حائرين وما نعرف ما يجرى علينا وأيضا فما نعرف ما جرى على الأمير عبد الوهاب وأخبار المسلمين وأنا خائف عليهم من عقبه اللعين لأنه قد خلت له منى البلاد فالله يسهل علينا بالخلاص كما أراد (ياسادة)

هذا وقد ارسل الملك القانون إلى أخيه وهو يقول صحيح أن القوم عندى ولكننى ماأسلمهم اليك ولا يمكننى أن أسلم من استجار بى ودخل تحت زمامى ولو ذهبت فى ذلك روحى ومالى وأما قولك أنك ترحل من على قلعتى حتى ترمى حجارتها إلى البحر فافعل أنت ما خطر لك وجهد ما تقدر عليه وأنا ما أنكر فيكم ومن الرأى عندى أنك ترجع إلى ديارك وإلا كان هلاكك على يدى بلا محالة وأنا مع ذلك قائل بقولهم وبدينهم ومذهبهم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله فان أنت تبعت قولنا لك ما لنا وعليك ما علينا ونصير كلنا لبعضنا بعض ونكون كلنا نوحد ربنا فى هذه الأرض (قال الراوى) فلما أن عادت الرسالة الى ملك الأطراف شخر ونخر وطغى وتجبر وقال لقومه ياويلكم اصعدوا اليهم فقال الرسول أيها الملك ما تحتاجون ان تطلعو اليهم فان القوم عازمون أن ينزلوا اليكم فقال ملك الأطراف يا ويلك ينزلون الينا ونحن فى عشر آلاف فقال لهم الرسول القوم كلهم قد أسلموا وقد قال لهم أبو المأسوره التى كانت عندنا انا انزل الى القوم وحدى وهم فى غداة غد ينزلون اليكم بلا محاله فيكونوا على أهبة القتال (قال الراوى) فلما ان سمع الملك ذلك تحير وبات تلك الليلة حتى اصبح الله بالصباح واذا هم بالخيل وقد تحدرت من العقبه التى للقلعة (قال الراوى) وكان الأمير حجاف قد قال للملك القانون انت ما عليك من هؤلاء القوم انا انزل اليهم وحدى واقاتلهم لعل الله تعالى يدفع عنا شرهم فقال الملك القانون وحق من هدانى الى دين الاسلام ويعلم ما كان قبل ان يكون ان كان لابد لى من النزول اليهم وأجاهد فيهم حتى يعلم الله انى مابخلت فى طاعته بروحى ولا برجالى ثم انهم نزلوا عند الصباح بعد ماصلوا صلاة الصبح ونزلوا إلى الوطاق قريب من القلعه ثم اصطفوا صفا واحداً فصعب ذلك على ملك الاطراف وقال وحق المسيح لا اتقدمت اليهم لان هذا من أكبر العار ولكن أين البطريق بترن فقام اليه بطريق مثل الفتيق من الرجال كانه نحت من الجبال فقال ماذا تريد أيها الملك فقال خذ معك ألف بطريق واخرج إلى هؤلاء القوم وائتينى بهم فقال السمع والطاعه يامولاى وحق المسيح لولم تأمرنى بذلك ماكنت خرجت اليهم إلا وحدى ثم انه أخذ ألف بطريق من خيار البطارقه ومع كل واحد منهم سيف وطارقه وعده كامله وحمل طالب الأمير حجاف وهو يبربر بالروميه (قال الراوى) فلما رأى حجاف ذلك أراد ان يوقع الهيبه فى قلب ملك الأطراف فخرج إلى الألف فى عشر فوارس من جند القلعه وفى جملتهم أخوه زحاف وحمل بهم فى أسرع من الاجل وحكم الصارم فى القلل وكبر باسم الملك الأول الذى لايزول وصلى على سيد البشر ومن عليه الوحى قد نزل وعمل الصارم البتار وطلع

عليهم الغبار ودام القتال ولم يزالوا كذلك ساعة من النهار ونظر الأمير حجاف إلى ذلك البطريق وهو فى أول الخيل فعلم انه مقدم فى القوم فحمل عليه أسرع من البرق وصرخ فى جيشه ففرق جمعه وأدركه وصرخ فى وجهه فروعه وكبر وأجهر بصوته وطعن البطريق فى صميم فؤاده أرداه عن جواده ولم يرد عليه درعه ولا سواده وحمل بعده على بقية الالاف وحمت معه خيل القلعه وقد قويت هممهم بفعاله وما رأوا من عظيم قتاله ولم تكن الا ساعة واندقت بقية الخيـــل بين يدى الأمير حجاف وهى طالبه رايات ملك الأطراف وقد أشرفت بعد قتل بطريقها على التلاف (قال الراوى) لما نظر الملك إلى هذه الفعال أسودت الدنيا فى عينيه وصرخ صرخة نفرت منها الوحوش وحمل هو بنفسه على الأمير حجاف وحملت من خلفه تسعة آلاف من فرسان الاطراف وقد صاحوا والتقاهم الأمير حجاف ولم يفزع من حلول التلاف بل كبر ونادى الله أكبر الله أكبر وكبر إلى جانبه أخوه زحاف ورأى البطال إلى ذلك فحمل فى غلمانه وطلب من الله الاعانه وحمل الملك القانون فى أهل قلعته وقد اشتدت فى دين الله حميته ونادى الله أكبر وأدرك الأمير حجاف بحملته وكشف كربته فلما ان صار تحت القتـال كبر وأجهر بدين الاسلام هذا وقد نظر الملك العلام إلى صدق نياتهم فأعطاهم النصر على الكفرة اللئام (قال الراوى) وكان الأمير حجاف من يوم رجعت عليه قدماه قد زاد الله تعالى فى قواه وهانت عليه دنياه وطلب لقاء الله وكان ذلك اليوم يقاتل الكفرة الدناه وهو ينادى واشوقاه إلى لقـــاه وحنقا على أعداه وكلما سمع القانون نداه يكبر من وراه ويكبروا أصحابه ورفقاه وضجت الملائكه بتوحيد الاله وصاحت عمار تلك الأرض والفلاه إلهنا ما أحلا تلاوة توحيدك يامن خضعت له الجبابرة العتاه (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى أقبل الليل بظلماه وافترق الجمعان عن حومة الميدان وعادوا عن ضرب النصال ونزلوا فى الخيام وأضرموا النيران الا ان الرابحون كانوا جند الرحمن لانهم قتلوا فى ذلك اليوم من عسكر الاطراف خلق كثير ولم يبق الا القليل ولم يقتل من المسلمين إلا القليـل وقد غسلوا أوساخ ذنوبهم التى سلفت بصابون الجهاد والتمجيد (قال الراوى) هذا وملك الاطراف وقد نزل وهو فى غاية الحنق على أخاه وقد سمع نداه وأصحابه ورفقاه بتوحيد الله ونظر إلى قتالهم وصلاتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادت بغضته واشتدت عداوته فأرسل فى الحـال عشرة آلاف من الفرسان ينفرون العساكر من العشائر وسائر الجزائر حرصا منه على قتل أخيه ومن التجأ اليه من من المسلمين (قال الراوى) وكانوا المسلمين قد باتوا فرحين وزاد الملك القانون فى

الاسلام يقين فاما ان كان الغد باشر الأمير حجاف القتال وطلب النزال واصطفت حواليه الأبطال الرجال وكذلك ملك الأطراف حمل فى جميع البطارقه وقلوبهم من الفزع خافقه فقاتلوا الى ان أتى الليل ولم يزل القتال سبعة أيام متواليه وفى كل يوم يقتل من الكفار خلق كثير مايقع عليه من عيار حتى بقى ملك الاطراف فى ثلاثة آلاف فارس وباقى رجاله هلكت على أيدى المسلمين ولولا حجاف يقاتل بنفسه لكانوا قد هلكوا وانهزموا ولكنه كان يصطلى الحرب بنفسه وقتل من أصحاب القلعة أيضاً جماعة حتى بقى منهم ستمائة ألف ولكن قد ضعت منهم الابطال والاقيال والا كانوا من أول يوم قد اصطلوا القتال وكانوا فى النهار فى المصادمه والنزل وفى الليل فى عبادة ذو الجلال الملك المتعال فاما ان كان فى اليوم الثامن قال حجاف أراكم قد ذهب منكم قريب نصفكم وعلى هذا الحساب تفنوا كلكم فقالوا أيها الأمير هذا من الملك فقال حجاف لقد صدقتم لانى كل يوم ألقاه وأفزع لئلا يبلغ فى القتال مراده وقد عولت ان أجعله اليوم مبارزى لعلى ان أظفر به وأنا أعلم انما يقوم للعسكر بعده قائمه ثم ان الأمير حجاف خرج على جواد وكان جواد يحاكى الليل فى السواد يصلح ليوم الطراد له غرة وتحجيل وهو بين الخيول يميل له غرة كالقنديل وفرة كالمنديل وعليه درع قصير الاكمام صنعة داود النبى عليه السلام لايعمل فيه القضيا والاحكام ولاتخرقه السهام متقلد بسيف أخضر مقيل أبتر وعلى رأسه بيضه عاديه مليحة مجاليه من عمل عاد لاتعمل فيها السيوف الحداد ولاالرماح المداد كانها منقورة من الحجر الجامد وهى حصن للجسد وفى يده رمح طويل الانابيب مليح التكعيب أصم البنيان ماضى السنان كانه لسان ثعبان لايسقى الا من أدمية الاكباد ولايرى حتى يجوز الى الفؤاد ثم انه ظهر بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى يا كلاب النصرانية واخس من فى غمس ماء المعموديه أنا حجاف النميرى أبو المأسوره الذى قد خلصتها من عندكم يخون الله تعالى وها أنا قد خرجت الى الجهاد وأطلب لقاء الاعادى الاوغاد هل من مبارز يعرج الى مقام الهزاهز ثم انه جال وصال وتذكر الاوطان والاطلال وبكى على الاهل والعيال وأنشد وقال :

ألا أيها الكفار هل من مبارز	يقابلنى فى حومة الكر والفر
لحا الله عبداً لايطيع لربه	ويختار دين الحق حقا على الكفر
دخلت بلاد الروم من أجل طفله	فزعت عليها أن تخلد فى الأسر
وطفت عليها فى الجزائر كلها	فأمسى على بر وأصبح فى بحر

وجاوزت رهبان الصوامع بعدما لقيت من الأهوال ما قصم الظهر
وجئنا بعون الله فى وسط ديرهم وفيه قسوس قد حلفن على الكفر
وقام لهم شيخ ليخطب خطبة فبادر بالأشراك للصمد الوتر
فأصبح مغلول اللسان ولم يجد سبيلا إلى ذكر الذى كان فى الدهر
وقال لهم لا تعجبون لقصتى وصمت لسانى وابسطوا كلكم عذرى
فإن حديثى كله من عجائب له سبب ما مثله حاك فى صدرى
تأملت فى الإنجيل ان محمداً له آية فى حفظها يحكم الذكر
إذا حضر الإنسان منهم وقلبه ملآن من القرآن فهو روى صدرى
فلا يقدر المطران منا بحرفه يكون مسيحاً فى المقالة والذكر
وهذا بيان الحق قد صح قوله وإنى وبيت الله أبرأ من كفرى
وصاح بحق الطاهر الطهر أحمد يقوم الذى قد حضر بالذكر فى الصدر
فقمت سريعاً من غرامى بأحمد نبى الهدى خير الورى الطاهر الطهر
وأسلم إسلاما صدوقا لربه وعاد إلى دين الحقيقة والنصر
وقد حبسونا وسط برج مشيد ومن علينا الله بالنجح فى الأمر
وسرنا إلى القانون والسيد الذى هداه إله الحق بالوعظ والزجر
وأسلم من فى قلعة النجم كلهم وقد عاونونا فى الصلاة إلى الفجر
وصبحنا كلب النصارى بجيشه وهددنا بالقول والعجب والفخر
ولا نخر إلا للذين تراهم قيام سجود فى المحاريب للذكر
نزلنا اليهم مرة ليس مثلها تركناهم صرعى على مهمه القفر
وكانوا عشر آلاف صاروا ثلاثة وقد حكمت فيهم صوارمنا البتر

(قال الراوى) ولما تم الأمير حجاف هذا المقال جال على جواده وصال فخرج اليه بطريق من بطارقة الملك ملك الأطراف فكان اسمه توما فارس الأطراف فحمل على الأمير حجاف فأخذا فى المصادمة والأتراف والمخادعة والأعراف حتى غابا تحت الغبار من شدة الانعطاف وكلت منهما المناكب والأكتاف وحنق على البطريق الأمير حجاف وضايقه وصاح به وضربه ضربة على أسم محمد بن عبد الله بن عبد مناف فطير رأسه إلى عسكر الأطراف ووقع جسده إلى الأرض عفير وعجل الله بروحه إلى النار فكبر الموحدون وانخذل المشركون وبكى ملك الأطراف على البطريق توما وقال وحق المسيح ما لهذا البدوى غيرى لانه قد فتك فى عسكرى ثم أن الملك خرج على جواد

فسيح الخطا وعليه درع مليح وبيده قنار به خلنجيه عليها سنان لامع سقاية الأفرنج كان لسانه لسان حيه الصادى وقبس على وادى ولما أن نظر الملك القانون إلى أخيه وقد خرج الى الأمير حجاف بكى وتململ فقال البطال وما الذى أبكاك لا أبكى الله عيناك ولا كان من يشناك فقال والله ما بكائى إلا على العبد الصالح حجاف لأن أخى جبار من من الجبابرة وهو يزيد مثل توما أضعاف لأن ما ولدت النساء مثله فى الحرب وأنا أريد أفدى الأمير بنفسى ولا أكون قد أسلمت على يديه وأبصره فى يد الأعداء وأنا فى قيد الحياة لا كان ذلك أبداً فعندها حلف القانون على الأمير حجاف أن يرجع فرجع وحمل هو على أخوه (قال الراوى) فلما نظر ملك الأطراف إلى أخيه وقد حمل عليه فرح فرحا شديداً وقال أنا إن أخذته أسير أخذت كل من عنده من المسلمين ولا أسلمه حتى يسلم إلى القلعة ثم حمل عليه القانون وقد سمى باسم من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تصفه الواصفون ولا يخشى ريب المنون وهو الذى يقول للشيء كن فيكون هذا وقد علاهما الغبـــار وغابا عن الأبصار ولم تكن الا ساعة حتى تقابضا بالسواعد على الجوادين فصاح ملك الأطراف بأخيه صيحة اهتزت لها الدنيا بحيله وقوته أخذه من سرجه ورجع به إلى عسكره وهو يقول يا مطرود عن باب المسيح أمكن منك المسيح وما بقيت تخرج من يدى الا بكل من عندك من الأسارى وبالقلعة التى احتميت فيها فقال القانون افعل ما شئت فما بقى لى فى الدنيا حاجة لأنى قد آمنت بالله تعالى ورسوله سيد الأنبياء وتاج الأصفياء والثانى أننى ما سلمت من استجار بى حتى بان عذرى وقاتلت دونهم بروحى ووقعت فى يد عدوى (قال) فسلم أخيه الى غلمانه وعاد الى الميدان يطلب الامير حجاف (ياساده) وكان قد صعب عليه أخذ الملك القانون فوق بيـــد على يد فلما أن نظر الى ملك الاطراف قد عاد إلى الميدان حمل عليه بقلب وأخذا فى المجاولة والطعان بضرب يشيب رؤوس الولدان والاطفال ولم يزالا فى جهد جهيد وقتال عنيد حتى ذهب النهار وأقبل الليل بغياهب الاعتكار وافترق كل واحد منهما عن صاحبه (يا ساده) هذا وقد أقبل حجاف على البطال يشكو ما لاقاه من قوة الملك وجلده وهو يقول يا أبا محمد وحق محمد ما كأن هذا الشيطان فى الشدة والباس إلا كرنفاس وربما كان هذا أشجع منه وأثبت فى المراس وهو جبار عنيد فالله تعالى يعيننى على قتاله حتى أخلص أخوه من يده والله لقد شق على أسره لانه قد فدانى بنفسه (قال الراوى) فلما أن اختلط الظلام نزلت اليهم ابنة القانون من القلعة وقد سمعت بأسر أبيها فنزلت اليهم وهى باكية العين وهى تقول لا تتخلوا عن أبى فإنه ما وقع فى أيدى الاعداء الا بسببكم

ولو كان غير عمى قد خرج الى القتال كنت أنا قد خرجت الى قتاله ولكن عمى هـذا ما لأحد به طاقه ولا فى الديار من يقوم مقامه (قال الراوى) فلما أن نظر اليها زحاف وهى تتشرق بالدموع وأبصر وجهها وقد أضاء طاش عقله والتهب فؤاده فقال أيتها الملكة طيبي نفساً وقرى عيناً فما يصبح الصباح الا وأبوكى عندك ثم بات هو والبطال متفكرين فى خلاصه فلما كان ثلث الليل طلبوا زحاف فلم يروه إلا وقت السحر واذا به وقد أقبل والقانون على أكتافه وهو يعدو به كأنه الحصان فى شدة الجريان فقام اليه البطال وقال أنت زحاف فقـال نعم وقد خلّصت الملك القانون فقال لله درك وجبت لك الكرامة (يا سادة) هذا وقد قامت الملكه الى أبيها وعانقته وعادت الى زحاف تشكره فقال لها أنا عبدك وما أشتهى أن أبرح من عندكى (قال) فضحكت من كلامه ولم تعلم ما معناه (قال الراوى) فلما كان عند الصباح افتقد ملك الاطراف أخوه فوجده قد عـدم وقد ذبحت البطارقـة الموكلين به فصلب الملك على وجهه فخاف على نفسه من السرقة وقال هؤلاء ما نقدر نحترز منهم ثم ركب وأمر عسكره بالركوب وأراد أن يزحف وإذا بالغبار قد ارتفع الى العنان وانكشف عن عشرين الف فارس من بطارقة الاطراف كلهم بالحديد بالزرد النضيد معتقلين بالقنطاريات فلما أن نظر الامير حجاف الى ذلك فأيقن هو ومن معه بالهلاك وكانوا ركبوا يطلبوا الحرب والقتال وقد بقى منهم أربعمائة فارس الا أنهم قد حلى لهم التوحيد فى دين الملك المتعال وعادوا الى الله على كل حال وصبروا على الحرب والقتال ولما أشرفت تلك العساكر حملت تطلب الغبار الثائر وكفروا بالرحمن وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان فلما نظر الامير حجاف الى ذلك أقبل على أصحابه وقال لهم اعلموا أن هـذا العسكر كثير ونحن لابد لنا من الحملة عليهم ونحمل حملة رجل واحد ونروى الاسنة من قلوب الكفار ونفوز بالشهادة ونرزق السعادة فقال الملك القانون افعل ما تريد ولكن الرأى أننا نقف مواضعنا إلى أن يصبح الله بالصباح ونقاتل القوم ساعة من النهار ويفعل الله بيننا وبينهم ما يريد ويختار فقال البطال الرأى عندى أننا نصعد إلى القلعة ونصير على ضيق الحصار ثم نجاهد الكفار فان المكان حصين لا سبيل لأحد عليه ولا يقدروا أن يصلوا إليه وما عندى رأى أوفق من هذا إلى أن يسهل الله تعالى لنا بالخلاص ونسير من ههنا فى المراكب إلى جزيرة روبيس ونتوصل منها إلى بلاد الإسلام فقد والله طالت غيبتنا وما ندرى ما قد جرى بعدنا من حديث الثغور فقال القانون هذا هو الصواب وأن نحن قاتلناهم فلا نأمن أيضاً من قوى أن يهلكون وأنتم ترجعوا إلى بلادكم ولا يكون

وأبقى أنا وحدى فى هذا المكان فى وسط بلاد الكفار ولا يكون عندى من يمسك هذه القلعة فيكون ذلك سبباً لهلاكى فقال الأمير حجاف وكانك تقيم بعدنا بل أخرج معنا إلى بلاد الإسلام أحب إليك من المقام فى بلاد الكفرة التى لا يسمع فيها إقامة أذان ولا من يصلى على سيدنا محمد ولد عدنان فكيف يكون حالك يوم العرض على الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن فقال زحاف وإذا كنت عزمت على ذلك وطابت نيتك فخذ معك ابنتك حتى أتولى أنا تعليمها للصلاة وأتكفلها فى جميع الأمور حتى تصير فى الأدب ماهره وفى خطوط الأقلام والحساب شاطره فضحك البطال وقال كل عين تبكى شجوها زحاف فى وادى ونحن فى وادى ثم أقبل على الملك القانون وقال له أيها الملك ما لنا سبب من عندك إلا فى البحر فقال الملك الساعة لو طاب الريح أخرجتكم من باب القلعة واعلم أن لى باب إلى البحر مبنى بالرخام وعندى عشر مراكب جياد فقال البطال هذا هو المراد على أقبل على حجاف وقال له ماذا ترى فقال أقسم بالله لابد لى أن أحمل على هؤلاء القوم حملة واحدة أعين بها دين الاسلام فقال البطل إذا كان ولا بد لك فافعل ما تريد فيها نحن مقيمين من أجلك وباتوا على ذلك وكان ملك الأطراف قد فرح بقدومهم وكان كما ذكرنا عسكر كثير ولم يزالوا ينزلوا حتى أمس المساء وجلس الملك على سريره وأرباب الدولة حواليه وكان هذا الذى قدم مقدم العساكر يقال له مرتورس وكان كأنه الجن له عينان مشقوقتان ووجه طويل بأكتاف عراض وكانت أهل هذه الديار كلها تضرب به المثل لقوته وشجاعته وأنه لما دعاه الملك حضر وقلبه ملآن من الغيظ والحرد وقال لملك الأطراف أيها الملك لا تقول هذا المقال فان فيهم رجال قد خلقوا من الموت والتلاف وحق المسيح لاشربت إلا دمه ولا أكلت إلا لحمه فى هذه الساعة الذى آخذه فيها ولا أتركه ينجو ولا يسلم ولو دخل تحت الأرض السابعة أو أطلع إلى السماء الرابعة ولا بد لى أن أطبخه وآكله فعند ذلك دعا له ملك الأطراف وشكره على ذلك وقال له أنت سيفى الذى أسطو به على الأعداء ثم بات تلك الليلة إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح وارتفع من القوم الصياح وجردت الصفاح هذا وقد ركب حجاف وركبت وجوه الرجال الذين أمنوا من أهل القلعة والملك القانون والبطال وغلمانه وسائر الرجال وكان أول من خرج إلى الميدان يطلب الحرب والقتال كان مرتورس يقول لملك الأطراف أترك اليوم القتال أنت ورفقاءك وقفوا تفرجوا علينا وما يجره من القتال والحرب والنزال ثم أنه أمر ألف من القوم الذين قدموا معه أن تحمل فحملت وقالت أريد أنظر إلى قتال

المسلمين قبل حملتي عليهم هذا والأمير حجاف قد التقى الألف وأصحابه وصدمهم بطعناته وضرباته وقد عظم فى أعين الكفرة بوثباته وضرباته وقد عظم عليهم ودارت طاحون الحرب واشتد الطعن والضرب وأدهشوا المسلمين والكافرين بكثرة التهليل والتكبير والصلاة على البشير النـــذير وأذاقوهم طعناً أحر من نار السعير وجرت عليهم المقادير وذهل منهم البطل النحرير ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى انهزمت عصابة الكفار ونصر الله تعالى أمة محمد المختار الموحدين للملك الجبار وطلبت الكفار الفرار والطعن فى ظهورهم مثل شعل النار وما وصلوا إلى أصحابهم حتى هلك أكثرهم فلما نظر مرتورس الى ذلك عظم عليه وكبر لديه وحمل من شدة ما جرى عليه وجملت اليوم بأسرها وقد أعلنت بكلمة كفرها وثبتت لهم الأمة المسلمة لحسن صبرها وباعت أنفسها لربها وأجادت طعنها وضربها وأشد من المعركة كربها وعمل سنانها وعضبها وطلبت النفوس من حياض الموت هربها وبذل الأمير حجاف غاية المجهود وأكثر من اسم الخالق المعبود هذا وقد اندفعوا المسلمين الى ذيل الجبل واشتد عليهم العمل ودار البلاء عليهم من كل جانب وكثر الصياح وفر الجبان وراح الى أن وصلوا الى العقبة وقد أيقنوا بالغلبة فدافعوا عن أنفسهم مدافعة حتى أمسى المساء هـذا والأمير حجاف يقاتل ويناضل كأنه الأسد الكاسر وقد قتل أكثر أصحابه تحت الخيل وحل بهم البلاء والويل ورجعوا الروم عنهم وهم يتحدثون فى صبرهم وقتالهم وكان أكثر وصفهم فى الأمير حجاف وكم قد قتل منهم فقال الملك لمرتورس المقدم ذكره يا قوم أنا وحق المسيح اليوم طلبته جهدي فما قدرت أن أصل اليه لأن العسكر كثير وما عرفته وفى غدات أخرج اليه وأجرب روحي معه لأن فى نيتي أخرج الى بلادهم وأملكها وأقتل أبطالهم وأهلكها وأفتح بســيفي شيء أذكر به بين عباد المسيح من بعدي فقال ملك الأطراف لا كلام حتى نفرغ من حجاف فقال مرتورس أنا فى غداة غد أخرج اليه وأفرغ منه ومن عسكره فى فرض ساعة وآخذه اذا نزلوا غدا ما يرجعوا به فهـــذا أجرى للروم (أما ما كان) من أمر حجاف وأصحابه المسلمين المؤمنين الموحدين فانهم باتوا يشتورون فيما يفعلون والقانون يقول لحجاف ما كان الصـــواب فقالونا لهذا الخلق العظيم فقال حجاف أحق محمد المصطفى ما تولى عنهم الادباء وتحضر أنفسهم حتى نبـذل المجهود ونرضى بأفعالنا الملك المعبود وأن نحن ولينا لوجوهنا عن الكفار استحقينا عذاب النار فان بأن تروننا غـدا فأنا أتولى الحرب ولا أحوجكم الى طعن ولا ضرب فلـما سمع البطال ذلك رآه صواب وقال هذه نوبة ان لم يفصلها والا ما تنفصل أبدا ويطول بنا المطال ثم أن البطال

أخذ غلمانه وولده وودع أصحابه وسار فى ظلام الليل حتى اختلطوا بعساكر الروم وقد صعب ذلك على الملك القانون وقال والله لقد مضى يخاطر بنفسه فالله تعالى يستر عليه (يا سادة) ولم يزل الأمر على ذلك الا أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ثم نارت عساكو الروم تطلب الحرب والكفاح فكان اول من برز البطريق المقدم ذكره وتقدم بين يدى أصحابه يطلب البراز وهو يقول وحق المسيح انى أريد أنصفكم ولا اتعدى عليكم ولا أظلمكم أبرزوا فارس لفارس حتى تشهد الأبطال بما ترى من القتال ثم نادى يامسلمين أين فارسكم المعروف وبطلكم الموصوف حجاف أخرجوه إلى من طلب الانصاف فأنا صاحب هذه العساكر الكثيرة التى قد وصلت إلى هذا المكان ونصف هذه الأرض لى وبحكمى وتحت طاعتى وأنا ما برزت إلا حتى أوريكم طرفا من شجاعتى وإلا لو أردت هلاككم أمرت هذه البطارقة بالحملة عليكم لكانوا أفنوكم وتكاثروا عليكم وكنا نصعد خلفكم إلى الجبل ونسقيكم شراب الأجل (قال الرواى) فلما أن سمعوا المسلمين ذلك قال الملك القانون للأمير حجاف أيها الأمير اصعدوا بنا إلى هذا الشيطان فهو فارس العصر ونتيجة الدهر والأطفال فى المهود تخافه ونحن فما بقينا نقدر نلتقيهم فقال حجاف معاذ الله أن أدعى إلى الجهاد وأقعد عنه أبدا ثم أنه انحدر من ذروة الجبل وهو بالحداد مسربل وللحروب قد احتفل فلما أن صار فى الوطاه دق الجواد وصار فى مقام الطراد وصال على البطريق وأنشد وقال

إنى أنا حجاف ليث الحرب أبيدكم فى معمات الكرب

أنصر دين الحق دين ربى وخير دين العجم بعد العرب

(قال الراوى) وحمل بعضهما على بعض وأخذا فى الابرام والنقض وأوسعا فى الكر والفر والهزل والجد والبعد والجهد والوصل والردحتى علا الغبار وأظلم النهار وقد حاز القتال بينهما الجد وحمى الهجير واشتد هذا وقد اختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة حجاف فوقع السيف على صدر البطريق أعظم من حجر المنجنيق فطلع الذباب من ظهره فوقع إلى الأرض يخور فى دمه ويضطرب فى غمدة وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وكبر الأمير حجاف وأجابوه أصحابه بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وجال الأمير حجاف وطلب البراز هذا وقد صلبت الروم على وجهها لأنهم كانوا يقولون إنما فى الدنيا مثل صاحبهم فلما أن قتله حجاف عظم فى أعينهم وقالوا لقد هدمنا هذا الشيطان ركن عظيم هذا وحجاف قد طلب البراز فما جسر أحد يخرج اليه إلا ولد البطريق الذى قتله وكان شديد البأس قوى المراس معروف بالشجاعة والشوم واللعنة

أعظم من أبيه هذا وحجاف لم يمهله أن ينظر العنان بل استقبله بالطعنة بين ثدييه أطلع السنان من بين كتفيه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار والتحق بأبيه مع جملة الكفار وقد استحق عذاب النار من الملك الجبار مكون الليل عن النهار ونظروا الروم إلى ذلك فزاد غيظهم وحنقهم وقالوا مالنا كلنا إلا الحملة عليهم وإلا فما نصل اليه فلما سمع ملك الأطراف ذلك غضب غضبا شديدا وانقلبت عيناه فى أم رأسه وقال لهم ياويلكم ماتريدوا عار أكثر من هذا إن تكونوا ثلاثين ألف عنان من عباد الصلبان تعجزوا عن شيخ مؤمن وحملت بجمعها وهذا عار عظيم الى الأبد ثم قال بل أبرزوا اليه وارفعوا هذه الذلة عنكم فقالوا أيها الملك من اشتهى العار لنفسه يكون رأسه قد طار ودمه قد فار وفرسه قد غار هذا نعم هو العار ونحن مالنا بقول الناس بل نحمل عليه كلنا ونأخذه على رؤس أسنتنا ونملكه اذا حملنا عليه بجمعنا وأنت تعلم أن مافى الدنيا أشد منك بأسا ولا أقوى مراسا وقد عجزت (قال) فعند ذلك زاد حنق الملك واشتد غيظه وصاح بجواده فخرج من تحته مثل البرق الخاطف وصمم على الأمير حجاف وصاح وزعق وقد ارتفعت الضجة من الروم لحملته وصاحوا المسلمين بالأمير حجاف خذ حذرك أيها الأمير من أخو الملك القانون بان ظفرت به تفرقوا الكل فعندها التقاه الأمير حجاف وأشار بقوله

اليوم يوم الضرب بالأسياف ... فى موقف الهلاك والتلاف
هذا اللعين صاحب الأطراف ... قد برز اليوم الى حجاف
وعاد من ظلم الى الانصاف ... سوف أجاوبه جواب شافى

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا بالصفاح وبذلا الأرواح واشتد بينهما الطراد ودام الجلاد وطلع عليهم الغبار الى أن ملأ الأقطار ولم يزالا كذلك حتى مضى أكثر النهار ثم تقاضيا على الرجلين وتعاركا على الجوادين (قال الراوى) فلما زاد بحجاف الضجر زعق وكبر وصلى على سيد البشر وجذب الملك من سرجه وقد تحير أخذ الأسد الغضنفر ونظرت الروم الى هذه القضيه فأخذتهم الحمية وقال بعضهم لبعض ياويلكم هذا هو العار العظيم والذل المقيم أن شيخ من شيوخ المسلمين أقام بقتالنا وأخذ ملكنا وأفنى رجالنا وقتل بطارقتنا ياويلكم احملوا عليه وكاثروه (قال) فحملوا عن بكرة أبيهم وصاحوا إلى المسيح بن مريم وصاح أيضا الملك بمن بقى من رجاله وحمل فى أهل قلعته وأبطاله إلا أن الأعداء فى ثلاثين الف وقد ادركوا الأمير

حجاف وما كانت إلا طرفة عين حتى عرقبوا جواده وكان قد مل من القتال ووقع إلى الأرض فأخذوه وخلصوا منه الملك الذى لهم وأخذوه أسير وقتلوا جماعة من أصحاب القانون وما أمسى الليل إلا وبقى منهم اليسير فعادوا وقد انكسرت قلوبهم ثم طلعوا إلى قلعتهم الا زحاف أخو الأمير حجاف فإنه قال أنا ما أطلع الى القلعه وأخلى أخى فى ايدى الاعداء ولا أفعل ذلك ابداً فقال الملك القانون يا أخى أنت تعلم ان ما بقى لنا الى القتال من طاقه وما فى الأمر إلا أننا نصعد إلى القلعه فلما قال زحاف ما قال على أخيه حجاف فقال الملك القانون الصواب ما قلت وما فى الأمر غير ذلك حتى يقضى الله ما هو قاض فقال زحاف أيها الملك انتم ما بقى عليكم لوم لأنكم قد أشرفتم على التلاف من عساكر الأطراف فعند ذلك طلعوا القوم الى القلعه وبقى زحاف مختفى الى نصف الليل وقرب طلوع نجم سهيل فسار يطلب عساكر الروم وكان الملك الذى قد حصل حجاف فى قبضته وقد عول على هلاكه عند الصباح مما قاسى منه عند الكفاح فقال له كبار البطارقة من خواصه وأرباب دولته بل اقتله فى هذه الساعه واطرحه فى النار حتى يستوى وتأكل لحمه وتكسر عظمه وإلا فما تبرد قلوبنا فقال لهم الملك هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنه أمر باحضار الأمير حجاف فسحبوه إلى بين يديه وما فيهم إلا من يلطمه هذا وزحاف أخوه قد وصل فى تلك الساعة فرأى حال أخيه والعذاب الذى هو فيه فضاق صدره وبقى برا السرادق حائر فى أمره وهو لا يقدران يتكلم فسكوه وإذا هو ببطريق قد دخل مليح الصورة أبيض الوجه أسود الشعر كثير اللحية فلما وصل إلى قدام الملك صاح بالملك وقال إيش هذا الرأى الذى ليس بصواب ولم تسمع من هؤلاء الأوباش الكلاب أيها الملك أنا الرأى عندى أن لا تقتله حتى يصبح الصباح وتصعد به إلى باب القلعة مادام المسلمين قد تحصنوا وما بقى فيهم من يقدر على النزول وتقول وحق المسيح إن لم تسلموا إلينا القلعة وكل من فيها وإلا ضربت رقبته فأنا أعلم أن أصحابه يسلمون القلعة إليك ولو كانت بلد القسطنطونية ولا يخافون من القانون ولا يدرون أهو عاقل أم مجنون وإن أردت تقول سلموا إلى القلعة وخذوا صاحبكم ولكم الأمان على نفوسكم فهم يسلمون إليك ما أردت فلما سمع الملك ذلك قال هذا هو الصواب ثم فرق البطارقة وقال هذا يكون عندى فى السرادق حتى لا يسرق فقال له البطريق المتكلم صدقت يا ملك وأنا أحفظه مع أخوتى حتى تنام (قال الراوى) وكان هذا المتكلم أبو محمد البطال وغلمانه فسلمه الملك إليهم وجلس ساعة يشرب حتى غلب عليه السكر والنوم وذهب أكثر الليل وقد قرب وقت

السحر وقد خمدت النيران ونام الملك فعندها وثب الأمير أبو محمد البطال وأول ما عمل ذبح الملك من أذنه إلى أذنه ثم ذبح عشرين بطريق كانوا فى السرادق وأخذ حجاف وخرج فوجد أخوه زحاف قد ذبح عشرين أخر من السرادق فعجب أبو محمد من فعله وقال له لقد فرجت عنى كربى ثم انهم صاروا طالبين باب القلعة فما وصلوا إلى بابها إلا وقد انفجر الصباح هذا وأهل القلعة لايعلمون ما الخبر فوصلوا هؤلاء إلى بابها وصاحوا وكبروا وعلم القانون بذلك ففتح لهم الباب وأدخلهم ولما حصلوا فيها وأمنوا على نفوسهم حدثوا القانون بما فعلوا ففرح فرحاً شديداً وقال الساعة بعد هذا ما بقى لنا مقام فقال البطال صدقت افتح لنا باب السر الى المينا فقال الملك السمع والطاعة ثم أنه أنزلهم الى اسفل العقبة التى للقلعه من الجانب الآخر وفتح لهم الباب فرأوا البحر يتلاطم بالأمواج والمركب على ظهره مستعدة للشغل فلما رأوا ذلك أيقنوا بالخلاص الى بلاد المسلمين ثم نزلوا وأقلعوا فى المراكب وخلوا بيوت القلعة تصفر إلا من كان فى قلبه محبة لدين النصرانية فانه أقام وساروا هؤلاء فى البحر وشوقهم قد طال الى المنازل والأطلال ولم يزالوا سائرين وهم لربهم ذاكرين والرياح تساعدهم بأمر الملك الفتاح ثلاثون نهار فلما كان اليوم الحادى والثلاثين أشرفوا على جزيرة رودس فرأوا الصياح عالى والضجيج مرتفع وحولها ألف مركب والقتال يعمل وكان هذا الملك أرمانوس محاصرها وله عليها مدة طويلة والقوم قد أشرفوا على الأخذ وكان السبب فى ذلك أن شومدرس لما هرب من الأمير أبو محمد ووصل إلى القسطنطونية حدث الملك بما جرى فى الجزيرة فصعب ذلك على الملك وقامت عليه القيامة وقال وحق المسيح إن تم هذا على النصرانية لا كان لهم عيش هنىء لأن هذه الجزيرة أجود المواضع وفيها هؤلاء الشياطين والساعة يقطعون الطريق على مراكب الروم ويكدررن على أهل القسطنطونية عيشهم وربما ساروا إليها من بلاد المسلمين رجال ويقولوا وما لنا إلا أن نحاصرهم وهذا كله من الشيخ النجيج لأنه فتح للنصرانية باب جاء عليهم لا لهم فقال شومدرس لا تفعل هذا ولا تقول هذا أيها الملك فيغضب عليه المسيح لأنه حجته وعقبة ما عمل هذا العمل إلا وهو فى أرض اليمن هارب من خليفة المسلمين خائف على نفسه من الطلب وهو يدبر مصالح أمة عيسى ولولا البطال وغلمانه فى الحبوس وأنت ملك الروم ما قدرت عليه وعقبة الذى أرسل أمرنى أن أسير إلى هذه الجزيرة حتى أقتل البطال ويكون الأمر مكتوم عنك وعن المسلمين لأنك صرت تتوانا فى حقه وما يستاهل منك ذلك لأنه عينك على بلاد المسلمين ولولاه ما كنت تقدر عليه ولا تطلع على الأسرار وما يهتك

ستر عقبة عند المسلمين الاتوانيك والساعة فقد كان الذى كان وهذه الجزيرة فلا بد من فتحها ما داموا المسلمين فى غفلة عنها فلا تغتر عنها بالقتال فسار الملك أرمانوس بتلك المراكب ونزل عليها ودام القتال على الجزيرة هذه المدة الطويلة والملك مرحب صابر على القتال هو وقومه المسلمين الأبرار وقد رأى الهول المهول وهو يقول لمن عنده من أصحابه وجنده اعلموا أننا كنا غرقا فى بحر الضلالة نأكل رزق الله تعالى ونعبد غيره والساعة فقد عرفناه وما لنا شيء يسلمنا إلا الجهاد فى سبيل الله فقاتلوا قتال من ترك الدنيا وراء ظهره والآخرة نصب عينه فقالوا أيها الملك نقاتل إلى أن يمن الله علينا بالنصر لأن هذه الجزيرة التى نحن فيها حصينه وما عليها قتال إلا من جهة واحدة فقال يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد (قال الراوى) هذا وقد أرسل اليهم الملك أرمانوس يقول لهم سلموا الينا أبو محمد البطال وغلمانه الأندال حتى أعفو عنكم أن رجعتم عن هذا الدين ودخلتم فى دينكم القديم ولا تغتروا بهذا الفساد وعودوا الى دين آباؤكم والأجداد والا وحق المسيح تركتكم مثلا للنصرانية كما أنزل عليكم من البليه (قال الراوى) فلما سمعوا هذه الرسالة ردوا عليه بأقبح رد وقالوا معلوم أن الشيطان كان لعب بعقولنا وعقول آبائنا حتى عبدنا الصلبان وردنا الله الى دين التوحيد والايمان وهو الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ونحن كلنا اليوم نشهد أن لا اله الا الله ونشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وأما قولك تسلمون الى البطال وغلمانه فوحق من وحدناه وعبدناه وآمنا برسوله وصدقناه ما هو عندنا ولو كان عندنا ما سلمناه وكان قد دبر أمرنا ودفعكم عنا وانما أخذه الشيخ حجاف الذى رد الله عليه رجليه بعد ما كانت مقطوعات كل ذلك حتى فتح الله تعالى الأقفال التى كانت على قلوبنا من لطفه ورحمته لنا والبطال وحجاف قد ساروا إلى طلب السعيدة وما بقى فى هذه الجزيرة غيرنا فان رجعت عنا والا فدونك وما تريد فوالله ما نحن منزعجين منك ولا من عسكرك فان الله المستعان وعليه التكلان مع ما أننا فى مكان حصين وموضع أمين ولا نخاف الا من رب العالمين القادر علينا وعلى الخلق أجمعين (قال الراوى) فلما أن سمع مرطاووس ذلك اشتد غضبه عليهم وزحف اليهم فى الحال ووقع بينهم القتال فقتل من أصحاب ارمانوس ما لا يحصى بعدد الرمل وما عدم من المسلمين الا نفر قليل الا انهم قد غسلوا الأوساخ التى كانت عليهم من ايام كفرهم بصابون صدقهم وظهر الصبر عليهم من الله تعالى واقام الملك ارمانوس على حصارهم اربع شهور حتى ضجر من المقام فى المكان وقال لأرباب دولته كيف نعمل قد طال مقامنا ههنا ونريد نبلغ منهم الغرض قبل ان يشيع عنهم

الأخبار إلى بلاد المسلمين قال شومدرس معلوم أيها الملك أن المكان حصين إلى الغاية ومالك إلا أن تخرج إليهم وترميهم بكل قارورة نفط فى الخزائن ودع يفرغ الكل لأن بلوغ الآمال ما تغلو بفروغ الأموال (قال الراوى) فعندها قبل الملك رأيه وأرسل إلى القسطنطونية وحمل إليه كل ما فيها من النفط فلما وصل إليه زحف إلى الجزيرة فأحرقها كلها وأشرف أهلها على الهلاك وصبروا على قضاء الله صبر الصادقين كما أخبر عنهم رب العالمين قال عز وجل « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (قال الراوى) وفى تلك الساعة التى أشرفوا فيها على الهلاك أقبلت مراكب البطال وفيها غلمانه وجماعة من الرجال الذين أسلموا فى القلعة وتركوا الضلال فلما نظر أرمانوس إلى المراكب ظنها نجدة جاءته مع بعض الناس فأقبل على شومدرس وقال له يا أبونا اذهب فى حراقه وانظر إلى هؤلاء من أين أتوا وعلى ماذا قدموا فقام شومدرس من وقته ونزل فى حراقة لطيفة وسار حتى وصل إلى المركب والتصق بهم وقال من أين أنتم فقالوا من جزيرة الأطراف وهذا الملك القانون الأكبر معنا وقد عزم على الحج إلى بيت المقدس ونزور كنيسة سوفيا وقد عزمنا على ذلك فما هذه المراكب التى نراها فقال شومدرس هذه مراكب الملك أرمانوس وهو يحاصر لهذه الجزيرة لأن أصحابها قد أسلموا وخالفوا دين النصرانية وقد طال مقامنا عليها إلى الآن وقد أنعم عليه المسيح بالنصر يأخذها اليوم أوغد لأن الذى فيها قد احترقوا أكثرهم بالنار فقال الأمير أبو محمد وهو فى زى الروم ورجال القانون وحرك لسانه بكلام الرهبان الرومية أهل الأطراف وقال أيها الشيخ نحن ماعلينا من هذا الحديث نحن نريد الذى ذكرناه لك من الزياره وانما كنا معولين على قصد الملك ارمانوس لنخدمه ونزوره وقد أتت معنا هديه سنيه توصلها اليه حتى يوصى علينا الى ان نصل إلى بلادالشام وتوصلنا عنايته إلى بيت المقدس وقمامه من غيرأن يتعرض لنا أحد من المسلمين ونحن ماخرجنا من بلادنا إلافى طلب الحج وظننا ان بينكم وبين المسلمين الصلح حتى نسير نحن فى الامن إلى بيعة قمامه فقد انقطعت ظهورنا وتحيرنا كما رأيناكم محاصرين لهؤلاء المسلمين ونريد من فضلك أن ترجع إلى الملك وتسلم عليه وتعلمه بأمرنا حتى انه يخلى قتال هذه الجزيرة ولاتتعرض لهم حتى نحج ونرجع وبعد هذا يفعل فى بلاده مايريد فقال شومدرس هاأناعائد إلى الملك ارمانوس ثم انه عاد إلى الملك وأعلمه بالخبر وقص عليه جلية الأثر فعجب من ذلك وقال لارباب دولته كفوا اليوم عن القتال واستعدوا إلى لقاء هذا الملك الكبير أخو ملك الاطراف لانهم ملوك قدماء وما وطؤا

بساط أحد من الملوك ولاسألوا ملك حاجه لما فيهم من العز والسلطنه ولقد سمعت عن هذا الملك القانون انه أعلم أهل زمانه فى الحكمه والهندسة والفروسيه والشجاعه والديانه وقد أتى إلى هذه الأرض فى طاعة المسيح ثم ان المراكب ميلت إلى نحو الملك القانون انهم أتوا يتلقونه فنصب له سرير من الذهب الاحمر قوائمه من الفضة البيضاء وهو مرصع بالجواهر والياقوت الأحمر (قال) وليس بدنه محبوكة باللؤلؤ المدور وفيه حبل ياقوت أحمر (ياساده) وقامت الرجال والبطارقه تحجبه وقال القانون للأمير ابو محمد البطال كيف ترى فقال البطال أيها الملك اننا كلنا قد حصلنا فى قبضتهم بل اننا نرجو من الله تعالى أن يتم عليهم ماقد دبرته وأحكمته فان تم وصلنا إلى بلاد الإسلام لان الأمر قد تعلق بخبر الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمه وبالثغور (ياساده) فقال حجاف ياأبو محمد نحن مانرحل ونخلى هؤلاء الذين أسلموا ولكن الرأى اننا نظهر لارمانوس اننا نريد الغزاه معه فى المسلمين ونقول له اننا نريد أن نعاونك على هؤلاء المحاصرين ونتقدم ونظهر القتال حتى نخلص مراكبنا ونلتصق بالجزيره ونقتل كل من يتبعنا ومن نقدر عليه نأسره ونخلص نفوسنا إلى عند أصحابنـــا وأحبابنا ونكون عونا لاصحابنا فان نصرنا وخلصنا فهو الذى نريد ونحن نؤمل هذا من المجيد وان كانت الأخرى فنكون قد بذلنا المجهود وأرضينا بفعالنا الملك المعبود (قال) فلما سمع أبو محمد البطال ذلك المقال قال أيها الأمير لقد ضربت رقابنا وحق رب الكعبه ياأبو سعيده ولكن نحن نفعل هذا وبالله المستعان وأنا أؤمل من الله تعالى ان أدبر على أسر الملك ارمانوس وأفرق هذه المراكب فى المشارق والمغارب (قال) هذا وقد وصلت اليهم البطارقه وجعلوا يسلمون عليهم وعلى الملك القانون ويتقربون اليه ثم قالوا أيها الملك الكبير ان الملك ارمانوس يسلم عليك ويأمرك بالحضور إلى بين يديه ولو ماتعلم من ناموس المملكه والا قد كان سار إلى عندك بنفسه (قال) فعندها سار القانون بنفسه إلى مركبه وأبو محمد إلى جانبه بزى بطارقته والأمير حجاف مختفى فى بيت المؤخر ولم يزل الملك القانون حتى وصل إلى مركب الملك ارمانوس فقام له قائما على قدميه واعتنقه وقبله وأجلسه إلى جانبه وسأله عن سبب مجيئه فقال له انه قد عزم على الحج إلى قمامه ففرح الملك ارمانوس بذلك ثم ان الملك القانون خلع التاج والبدنه وقال أيها الملك هذه وراثتى من أبى ومالاحد مثلها ولا رأى أحد من الملوك شكلها وهى هدية منى اليك (قال الراوى) ولم يكن فى الدنيا أكبر جواهر من هذه الهديه ولاعمل شكلها فلما رآها الملك ارمانوس تحير من قيمتها وقبلها منه وفرح بها فرحا شديدا ماعليه من مزيد ثم قال ايها الملك الساعه نأخذ هذه الجزيره

ونقتل كل من فيها ونعود إلى القسطنطونيه وأنا أسير معك إلى الحج إلى قمامه وأخرج العساكر كلها بين يديك (قال الراوى) وتحدث القانون معه ساعه وعاد إلى مركبه هذا والأمير أبو محمد قال له كيف سمحت لارمانوس بالتاج والبدنه فقال لاجل قولك قد وصل معنا هديه سنيه فقال أبو محمد لاترجع عن هذا أنا أخرج فى هذه الليله وآخذ التاج والبدنه والملك ارمانوس ونحصل كانا فى الجزيره ان شاء الله تعالى فقال القانون أتقدر على ذلك ياأبو محمد قال نعم انك تساعدنى وترسل اليه وتقول انى قد اشتهيت الاجتماع بك فى هذه الليله وأريد أن تكون عندى فى مركبى حتى أتحدث أنا واياك فى خلوه وأكشف لك كلما فى فؤادى وماجرى فى ديارى وعندى خمر من بلادى شىء ماتعرفوه أنتم فى بلادكم وأريد أسقيكم منه ومعلوم اننا مااجتمعنا وواحد منا فى بلده ليخدمه أويكرمه وانما كلنا فى المراكب على وجه الماء وعندى عندك واحد وتبصر مايجرى فقال القانون ياأبو محمد نخاف أن يأتى معه من يعرفك ويعرف الأمير حجاف فيكون ذلك سببا للتلاف فقال أبو محمد من هذا لاتخاف لحجاف وسعيده وغلمانى يكونوا هم مخبيين فى قاع المركب ومايبقى الاأنا ومادمت بهذا الزى لاأعرف (قال الراوى) وكان أبو محمد بزى عجيب وقد لبس لحية سوداء قصيره معتدلة وشعر اسود مثل ذلك وعليه ثياب منسوجة بالذهب وعلى رأسه قلنسوه ملكية حمراء فى حمرة الشقائق وهو كانه من بلد الاقصى لايعرفه بذلك الزى أحد هذا والملك القانون قد فعل ماأشار أبو محمد البطال وأرسل إلى الملك ارمانوس بذلك المقال الذى جرى ولما ان وصلت الرساله إلى ارمانوس بذلك المقال الذى جرى قال والمسيح لقد قال الصحيح وكلنا على وجه الماء وأنا قد اشتهيت الخلوه معه حتى أتلذذ معه بسماع كلامه وأسأله عن عجائب بلاده ثم سار فى المركب الخاص فى نفر قليل من خواصه ولم يزل حتى قارب مركب الملك القانون والتصق اليه فقام له الملك القانون وفرح بقدومه وقدم له كل شىء مليح ثم صف الأوانى بين يديه وفيها من قلعة الثريا فضلة خمر كانت معه يشربها من وخم البحر ودارت عليهم الاقداح وكان الملك ارمانوس قد طلع اليه فى عشرة من البطارقه ومن جملتهم مارس ودارس والملك القانون أيضا جالس ورجاله من حواليه والأمير أبو محمد البطال قد قعد يغنى لهم بالروميه وهم يشربون والملك ارمانوس وأصحابه يتعجبون من فصاحته حتى مضى من الليل أكثره وتقدم البطال الى البطاطيه كانه يذوق مزاجها وطرح فيها البنج وعادلانه كان من أول قدح وصل اليه المَلك القانون قال لارمانوس أنا على ندر لا أعود أشرب الخمر حتى أرى بيت المقدس وأمزحه من عين سلوان وبعد ذلك أشرب إذا علمت ان المسيح

راضى عنى غير غضبان وان البطال لما بنج الباطيه زعق فى السقاه ياويلكم املوا الاقداح وديروها على الملك ارمانوس وأصحابه لان الليل قد مضى وكانكم بالصباح قد أتى ثم صاح بصوته الندى وأزعج وان البطال سقاه وشرب ارمانوس فكان آخر عهده بالدنيا رفعل بأصحابه مثل فعالهم فنالهم ماناله الامارس ودارس فانهما قائمان لايشربان فلما ان نظرا إلى ماحل بالملك وأصحابه أنكروا ذلك وأخذتهم الحيره فعلم البطال مافى نفوسهما فكشف عن وجهه وقال كيف الشيخين فلما عرفاه وسمعا نداه ووقع بهما الانذهال حتى حققاه ودنيا اليه واعتنقاه وقال مارس وحق الله العظيم لقد انقطعت منك آمالنا وقلنا انك قد فارقت الحياه مع الشيخ الصالح حجاف وأما الأمير عبدالوهاب كل يوم تصل كتبه الينا يسألنا عنك ونحن نرد له اننا لم نسمع عنك خبر وكذلك الأمير حجاف وقد بكى عليه كل من فى ملطيه وماعلم أحد ما كان منكم فقال أبو محمد البطال فهذا الأمير حجاف يسمع كلامك وقدرد الله تعالى عليه رجليه والسعيدة وهذا الملك القانون قدآمن بالله ورسوله وكل من معه قد صاروا مسلمين مؤمنين فقال مارس الحمد لله رب العالمين وماذا قد عزمتم الآن عليه الساعة فقال ندخل إلى الجزيرة فقال مارس وكيف نقدر على ذلك فقال أبو محمد أقدر على ذلك بقدرة مالك الممالك لأننى أول ما أعمل أحصل أرمانوس فى هذه الجزيرة وهؤلاء البطارقة الذين معه ونحرق من فى المراكب وإذا صرنا فى الجزيرة قلنا لأصحاب الملك ترحلون أو نرميكم برأس أرمانوس فما يقدر وأبعد ذلك على الاقامة وبعد ذلك ما أخليه إلا بالمال الجزيل وأن يحلف لنا على جوازنا إلى بلادنا فقال هذا هو الصواب يا أبو محمد وفقك الله لهدايته لقد قلت الحق ونطقت بالصدق فدونك ما قد عزلت عليه قبل أن يمضى الليل فعندها وثب البطال وأمر أصحاب المراكب فساروا به وأرمانوس معهم حتى لاصقوا مينا الجزيرة فصاحت بهم الرجال من أعلى المينا وقالوا لهم من أنتم وماتريدون فقال الأمير أبو محمد لا بأس عليكم أين الأمير مرحب بن مرحبون قولوا له يكلمنى فقالوا له أنت من تكون فقال صديق موافق فقالوا نحن مالنا صديق إلا من يقول كلمة التحقيق وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فقال أبو محمد البطال لكم البشرى فأنا قائل هذه الكلمة وأنا حبيبكم فقالوا مانعرف لنا حبيب ولا طبيب ولا خليل إلا الأمير أبو محمد البطال والأمير حجاف فقال الأمير أبو محمد هذا الأمير حجاف وها أنا أبو محمد البطال ونحن فى المركب الذى وصل اليكم اليوم وقد من الله عليكم بالفرج فلما سمعوا كلامه بالعربية عرفوه ونزلوا ورفعوا السلاسل من باب المينا وفتحوا الباب ودنوا منه وانطرحوا عليه وجعلوا يبكون من الفرح ويضجون بالدعاء ثم صعد الأمير أبو محمد

وحجاف والسعيدة وأبو محمد والملك القانون ورفعوا أرمانوس والبطارقة ومارس ودارس وتقدمت بقية المراكب كلها ونزلوا فيها أصحاب الملك القانون فقويت قلوب أهل الجزيرة هذا وأبو محمد البطال يقول لهم ما هذا وقت المقام عودوا بنا إلى المراكب وخذوا معكم قوارير النفط حتى أقول لكم ما تفعلوا ففعلوا ما أمرهم به وعادوا إلى مراكبهم ومعهم من أهل الجزيرة جماعة وسار بهم الأمير أبو محمد حتى توسط مراكب أرمانوس وفرقهم بينهم وجعل بين كل خمس مراكب مركب واحد وقال إذا أنتم سمعتم تكبيرى كبروا وهللوا وأنادى أنا عبد الوهاب يامنصور فصيحوا أنتم يا آل كلاب يا آل كلاب حتى يظنون أن مراكب الاسلام قد وصلت اليهم فيصدم بعضهم بعضا ويعمل السيف فيهم طولا وعرضا ثم أن الأمير أبو محمد بعد عنهم ونادى تحت ظلام الليل الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله فأجابوه أصحابه من كل جانب ونادوا وسط المراكب وأرموا قوارير النفط وأعلنوا بتوحيد الجبار وصلوا على سيدنا محمد النبى المختار فأجابتهم حيتان البحار من كل جانب ومكان ثم صدموهم (قال الراوى) وانطبقت الدنيا على الكفار وعملت فى مراكبهم النار وصدموا بعضهم بعض فى موجات البحر فغرقت بعض مراكبهم إلى القرار ولم تزل الموجات تأخذهم والسيوف تعمل فيهم حتى ذهبت غياهب الاعتكار وأقبل النهار ولاحت المواكب بالتحقيق وبان العدو من الصديق وقد أحرق الأمير أبو محمد من مراكبهم احدى وأربعين مركب وكانت المراكب إذا عاينت النار تهيج فى البحر خوفا من النار حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ونظرت الروم إلى بعضهم البعض فتراجعوا بعد أن كانوا قد هجوا فى البحر وافتقدوا ملكهم فلم يجدوه فعلموا ان الحيلة قد تمت عليهم فصاح بهم شومدرس وقد صار وهو معهم فى الجزيرة محبوس إن أنتم تخليتم عنه غضب عليكم المسيح والناسوت والناقوس وماهم فى عساكر كثير وأن أبو محمد البطال قد وصل من بعض الجزائر ومعه غلمانه فى زى الملك القانون حيلة منه علينا لا يفعل أكثر من هذا فلا لقاه المسيح خيرا ارجعوا إلى لعلكم تظفرون بالبطال وتخلصون الملك أرمانوس من الاعتقال (قال الراوى) فتراجعت المراكب والتمت من كل جانب وانهزم أبو محمد ومن معه وصعدوا إلى الجزيرة ووقع القتال وبان الصدق من المحال واشتدت الأهوال وترامو بالنبال حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصلوا عن القتال واجتمع الأمير أبو محمد وحجاف وزحاف وباقى الغلمان والملك واهل الجزيرة وقد فرح بعضهم ببعض وتبأشروا بدين الاسلام وبالنصر على الكفرة اللئام وبالثواب من الملك الوهاب (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وزحفت

المراكب على حسب العادة تطلب القتال وأقبلت المراكب مثل الجبال هنالك أشرف عليهم الأمير أبو محمد ونادى بأعلى صوته يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية أنا من تعرفوه ولا تنكروه وتصفوه وتذكروه وتذموه ولا تشكروه أنا أبو محمد البطال وقد عرفتم من قتلت منكم من الأبطال وها ملككم معنا فى الاعتقال وأنتم كل يوم خاسرين معنا فى القتال والرأى عندى أنكم ترحلون عنا وإلا وحق البيت العتيق أخرج الساعة أرمانوس واضرب رقبته ورقبة كل من معه وبعد ذلك مانعبأ بكم فاجهدوا جهدكم فنحن قد طيرنا الطيور إلى بلاد الاسلام إلى الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب والسودان الانجاب أن يرحلوا إلى ساحل على ريحى الارموى ويركبوا من طرسوس ويقطعون البحر اليكم فلم يخلصكم من أيديهم أحد وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر والسلام ثم قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه ضجوا وكفروا وقالوا يا أبو محمد خلى عنك المحال فما بقى من حياتك إلا اليوم ولقد أوقعك المسيح فى أضيق الأماكن وسوف نخرب ديارك ونعجل دمارك فلقد جاءت هذه السفرة عليكم أيشم السفرات ثم تقدموا للقتال وتراشقوا بالنبال وزحفوا حتى لصقوا بالساحل ووصل بعضهم إلى بعض وعلا الصياح ووصل شومدرس وهو يحرضهم على القتال ويقول لهم ولو قتلوا الملك حقيقة لاتبقوا منهم أحد فلما نظر أبو محمد إلى ذلك صاح على غلمانه ويلكم إئتونى بالملك أرمانوس حتى أصبحه صباح ميشوم منحوس فحملوا الملك أرمانوس اليه وقد أحدقت حواليه البطارقه والاقيال وفى أيديهم الصوارم الصقال وكان بذلك أشار عليهم البطال وأتوا بمارس ودارس لأن عقبه كان يتهمهم عند الملك ويقول ما أخشى على دولتك إلا من مارس ودارس وكان أرمانوس لايصدق ذلك ولما سحب ذلك اليوم ورأى الهوان أيقن بحلول الآجال وكان قبل ذلك أفاق من البنج وأصحابه ونظر إلى نفسه وهو فى الجزيرة مقيد والقيد فى رجليه عند ذلك نادى وقال ويماه ايش هذه المصيبة قالوا لا علم لنا ولا ندرى الا كما ترى فقال والمسيح لقد هدينا من مأمننا وما كان الملك القانون الا من بعض التدابير حتى أوقعنا فى قبضته التعتير فـــلا كانت هذه الجزيرة ولا كان من فيها ولا كان شومدرس الذى جابنا الى ههنا (قال الراوى) ولما أحدقت به الرجال ونظر الى السيوف الصقال أيقن بالبلاء وقال لأبو محمد ويلك ايش هذه الفعال أليس بيننا وبينكم الهدنة والصلح فضحك أبو محمد وقال أنت ماجئت من القسطنطونية الى ههنا الا فى طلبى فهل بقى ثم هدنة بعد هذه أتدرى ياويلك لماذا أتيت بك الى ههنا فقال أرمانوس وبحق المسيح لماذا عودتنى فقال ماهو الأخير أريد أن أضربه

رقبتك ورقبة كل من معك فقال أرمانوس وأى خبر هذا وأنت تبشرنى بضرب الرقبة ويلك قل لى ما فى قلبك وابديه لأن الروم إذا قتل ملكهم أجلسوا غيره ولا بد لهم من ذلك وقتلى لايفيدك فى شىء وحياتى لك فيها منفعة فقال الأمير ابو محمد اعلم انى ما أشتهى قتلك وإنما هذا الأمير حجاف الذى رد الله عز وجل عليه رجليه بعد ما كانت مقطوعتان هو الذى يريد ذلك لأنه قد أندر على نفسه انه اذا قدم عليك قتلك وهو رجل صالح ولا بد له مما يوفى بنذره ولا سبيل الى مخالفته وأنا مالى سبيل إلى دفعه ورده الا ان تقول لهذه المراكب ان انصرفى عنا إلى القسطنطونية وبعد ذلك ترغبنا فى المال الجزيل وتحلف أنك لاتعود تتعرض الينا وتسلم الى من اريد وهو شومدرس وبعد ذلك نخليك (قال الراوى) فلما سمع الملك ارمانوس ذلك قال فاغمدوا سيوفكم حتى أنادى وآمرهم بذلك فأغمدوا عنه السيوف فصاح الملك بملو بطنه يامعاشر النصرانية من كان منكم يعلم انى ملك ملوك النصرانية وطاعتى واجبة عليه فلينصرف الى القسطنطينية حتى أتخلص من هذه البلية (قال) فلما سمعوا الروم ذلك والبطارقه علموا ان مالهم سبيل اليه ولا يقدروا عليه الا بالرواح والمضى الى بلادهم ووقع ذلك موافقاً لمرادهم فقال بعضهم لبعض اعلموا ان ابو محمد البطال اذا أظلم الظلام يعود الينا ويحرق باقى مراكبنا وهو شيطان الدنيا ولو أراد ان يحرق القسطنطونية فعل فكيف بمراكب على وجه الماء ومانى الأمر الا الرواح (قال) فرحلوا طالبين بلادهم وتركوا الملك ارمانوس وأقام ابو محمد بعدهم فى الجزيرة ثلاثة أيام وعول على الإقلاع فقال لمرحب يا أخى خذوا أهبتكم لتسيروا معنا الى بلاد الثغور وتقيموا عندنا فى الأمن والسرور وإلا فما يكون لك ههنا قرار لأجل ما حولك من جزائر الكفار لاسيما وقد سمعوا أنك مسلم فقال مرحب والله ما قلت الا الصواب لأننى فى هذه النوبة قاسيت العذاب ولولا من الله بك علينا كنا هالكين ثم انه عبأ أمواله فى مراكبه وجميع من آمن معه واقلع الأمير ابو محمد وقد ترك الجزيرة خالية خاوية ما فيها الا من قلبه مائل لحب دين النصرانية (قال الراوى) ولم يزالو مقلعين حتى وصلوا جزيرة المقاطع وكان وصولهم اليها وقت الصباح واذا حولها سبعمائة مركب وهى قد الصقت بعضها الى بعض واصحابها قابضين على المجارى (قال) فلما نظر البطال ومن معه من الرجال وقد دهشوا لذلك وحاروا (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان شومدرس لما اخذ المراكب وانصرف الى الجزيرة كان انصرافه بغير اختياره فجعل يقول للبطارقة ان الملك ما قال لكم هذا المقال ولا أمركم بالارتحال الا فزعا من الموت فقالوا البطارقة كيف نصنع فقال انا اقول لكم

اعملوا ما تقدرون عليه ولا تروحوا وتخلو الملك فى ذلة الأسر بل تسيروا وتكمنوا فى هذا المكان حتى تلوح مراكبهم ونحدق بها من كل جانب ونأخذهم عن بكرة أبيهم لأنهم ما يقدرون فى ذلك على الهروب فقالوا ياراهب مانخاف إلا من شيطانهم البطال لا يطارح فى مراكبنا النار فقال دعوا عنكم هـــذا فأنا اوريكم ما أعمل فيهم فى الكلام وإذا بالمراكب قد أقبلت من ناحية البرغل وهى ثلاثمائة مركب وهم مقلعين طالبين الملك ارمانوس خدمة له وكانوا قد سمعوا انه فى الجزيرة يحاصرها وأن اصحابها قد اسـلموا فأتوا ليعاونوه ولما نظروا مراكبه وشومدرس مقبل منها فقدموا اليه وسلموا عليـه فأخبرهم ان الملك فى قبضة البطال فقالوا نمضى اليه ونخلصه من يديه فقال لا ولكن ارسوا ههنا فإنهم اليكم يجيئون وعليكم يعبرون فأكمنوا الروم حتى أشرفوا عليهم فرآهم ابو محمد فأيقن بالهلاك وقال للملك ارمانوس يا ويلك هذا شومدرس وهذه مراكبك وانا أريد أن أضرب رقبتك فقال الملك لا تفعل يا ابا محمد فأنا لا امكنهم من ذلك لأنى قد حلفت لكم ولا أحنث فى يمينى ولا أدع الناس يعيرونى بالكذب (ياساده) ولم تكن إلا ساعة حتى احدقت بهم المراكب ودارت حولهم فقال الأمير حجاف والله لا تركتهم يأخذونا مثل أخذ النساء قبضاً باليد ولا بد أن نقاتل حتى نموت ثم أنه صاح وكبر والحسامه أشهر وقال الله أكبر وفعل الملك القانون مثل فعاله وكذلك بقية أصحابه ومرحب وابطاله ووصلوا الى المراكب وتضاربوا بالسيوف القواضب وفارت الدماء على وجه الماء واحموا المسلمين انفسهم الا ان العدد عليهم كثير والأذية وصلت اليهم وما صار من الأوقات حتى هل من أهل الجزيرة وأصحاب الملك القانون جماعة كثيرة وتطلب عند الكثرة والشجاعة وقبضت الرجال قبضا عنيفا وصعدت الروم الى المراكب الفاً الفاً واطبقت على حجاف الرجال وارموا عليه الدرف وما أخـــذوه حتى أشرفت مراكبهم على الغرق وأخذ ابو محمـــد البطال والقانون وملكت البطارقة سائر الرجال قبضاً عنيفاً وخلص ارمانوس من الاعتقال وفرح فرحاً شديداً لما فكت عنه الأغلال ثم شكر المغابيط وشومدرس على تدبيره فى هذا المكان ثم قال اعلموا انى قد حلفت للمسلمين ان لا يصلهم من جانبى مكروه ولا أقدر أمكن احداً من أذية المسلمين بل لما أصل بهم الى القسطنطينية أعطيهم شيئاً استقر لهم عندى وأطلق سبيلهم فضحك شومدرس وقال لا كلام على وجه الماء ولكن فى القسطنطينية اقول لك ما يكون وكانوا مقلعين الى ان وصلوا الى القسطنطينية وخرجوا الناس الى لقائهم وانقلبت البلد بوصـــولهم وفرحوا بأسر البطال ورأو الملك القانون الكبير وسمعوا انه أسلم فصاروا يلعنونه

ويلطموه وكانوا حنقين على الأمير حجاف لاسيما من حين رجوع رجايه وكيف رده الله تعالى عليه وكانوا بين مكذبين ومصدقين وكان يوم مشهور ولما حضر الملك ارمانوس فى قصره أحضر ارباب دولته وكبراء بطارقته والمطارين والأساقفة واحضر الجاتليق الكبير والبترك وكل من كان له قدر رفيع وملك المغلبيط وملك البرغل ولما حضروا قال لهم اعلموا ياعلماء الروم أنى معول ان اخلع على ابو محمد البطال ومن معه من الابطال وأسيرهم إلى بلاد الإسلام لانى قد رأيت فى ذلك مصالح احدها انى اكون قد وفيت باليمين والعهد والميثاق الذى حلفت للقوم لأن على الايمان المغلظة انى لاأترك أحداً يتعرض اليهم الا بالخير وقد وثقوا منى باليمين والثانى فهذا يؤثر مع الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب لأجل مابيننا من الهدنة ولأجل ماكنت قد حلفت للخليفة اننى متى ظهر لى خبر السعيدة بنت حجاف كنت اسعى على خلاصها واوصلها اليه وكذلك سألنى عن ابيها حجاف وحلفت له ما عندى خبر وان علمت بهم كنت حريصاً على خلاصهم وانى لا آمن اذا قتلت هؤلاء ان يدخل الخليفة بعساكر الإسلام وعساكرنا متفرقة وما هو وقت جمع العساكر فماذا انتم قائلون (قال) فوثب اليه الراهب شومدرس وقال له أيها الملك ما هذا قول مثلك والملوك كلها من قبلك فلا تغتر بحياة الدنيا فيغضب عليك المسيح وأنت تعلم هذا ابو محمد البطال وغلمانه الأنذال قد خربوا بلاد الروم واكثروا فيها الفساد وتعدوا على العباد واخذوا السبايا والأولاد وهم اهل البغى والفساد وأما حجاف فهو آفة الحروب ومهلك ابطال الوقائع فى المعامع الذى أحدث فى بلاد الروم الفجائع وانت ترى هذا القانون كيف اسلم على يديه وكذا اهل جزيرة رودس واما القانون فعاله لا تزول عنا اذا رأوه المسلمين والروم لأنه رجل حكيم والرأى عندى أن نضرب رقاب الكل فقال الملك ارمانوس هذا لا افعله ابداً لأنى قد حلفت للأمير عبد الوهاب ان ظهر خبر الامير حجاف وابو محمد البطال سعيت على خلاصهماوهذا لايكون أبداً ثم ان الملك ارمانوس قام مغضبا الى بيت الخلاء لإراقة الماء فدخل الى بيت الحرم فغاب ساعة وعاد فجلس فما لحق ان يجلس حتى وجد الملوك جميعهم والحاضرين عيونهم تلعب وانبهت الملك ارمانوس واراد ان يقول مما هذا الذى انتم فيه وإذا قد قام من بين الجماعة صبى امرد أسمر اللون عريض المناكب وقصد الى الملك ارمانوس وقبض على منكبيه واداره كتاف واوثق منه الاطراف وقام شومدرس وهو يقول ويصيح بمند يامنصور وصاحت البطارقة والحاضرين بمند بن ميمونة يا منصور (ياساده ياكرام) وكان شومدرس هو الذى دبر هذا التدبير لما قام الملك ارمانوس الى بيت الحرم لانه

قال للملوك وهذه المشورة التى اشرناها عليه ما دخلت فى أذنه ولا بد ان يطلق ابو محمد وحجاف ومن معهما وترون ما يجرى على الروم فى هذا العام ثم قال الرأى عندى أن نقبض عليه حتى نبلغ من أعداءنا المراد وأن رضى بذلك تركناه فى المطمورة وسلمنا البلاد الى الملك بيمند لأنكم تعرفوا شدته وقوته وحميته (يا سادة) فكان بيمند قاعد يسمع هذا الكلام فقال ياشيخ وحق المسيح لولا أبى وحيائى منه لكنت فتحت بلاد الاسلام فى فرد عام وتركت ملوكهم لكم خدام وضربت بحسامى هذا كل عزيز وحر وغلام ولكن أخاف من الملوك يعيرونى ولا يطيعون (قال) فلما سمعوا الملوك ذلك من حنقهم قالوا بلى قد أطعناك واخترناك ملكا ورضينا ولم يعد ارمانوس من بيت الحرم حتى انكسر غيظه مما سمع وعاد وقد تمهد له الأمر واستقر بيمند الحال وقبض على ابيه قبضة الأسد وتركه بين يديه مقيد وأوقفه على فعاله وانزله فى المطموره بقيوده واغلاله ووكل به من يحفظه وقال ائتونى بالمسلمين الذين هم اعداء الدين فأخرجوهم بين يديه وكان مرحب بن مرحبون أول من قدم اليه وكان معه سائر اصحابه من اهل جزيرة رو بيس فقال لهم بيمند ترجعون الى دين النصرانية حتى اعفو عنكم فقالوا هذا شىء لا يكون ولا نرجع عن دين الاسلام ابدا فافعل ماشئت فلما سمع بيمند ذلك غضب غضبا شديدا وضرب رقاب الكل وماترك غير مرحب وجماعة النسوان والصبيان وقال لمرحب ان رجعت الى دين النصرانية والا صلبتك على باب الذهب ورميتك بالسهام مع ابى محمد البطال وحجاف وسقيتك كاس التلاف فقال اصنع ماشئت فوالله لا كفرت بعد ان آمنت ولا اشركت بعد ان اسلمت ثم انه بكى واشار يقول

رويدك يابيمند بالله عن عذلى   فمثلك حقا لا يطاوعه مثلى
فوالله لاأشركت بالله ساعة   ولاحلت عن دين الحقيقة والفضل
ولاخالفت روحى مقالة أحمد   وخير البرايا الصادق الخاتم الرسل
فيامرحبا بالموت فى الله خالقى   ولاسيما فى قتلة الفاسق النذل

(قال الراوى) فلمـــا سمع بيمند ذلك انقلبت عيناه فى أم رأسه مثل أجاجين الدم وطلع الزبد على شدقيه وقام بنفسه اليه ولكمه فى صدره أخرج يده من ظهره وعجل الله بروحه إلى الجنه ثم ان بيمند اللعين رجع إلى طبع العرب الذى فى أمه وكان الملعون فصيح اللسان بالعربيه أكثر من الرومية مما صرفت أمه عليه وعلمته من فنون الأدب أنشد بعد ماقتل مرحب وجعل يقول هذه الأبيات :

ألا يا جميع الروم استمعوا قولي فلا بد مما تنظروا في الوغا فعلي
وأفتح ابواب الخزائن كلها وأغمركم بالجود والمال والبذل
وأجمع أبطال النصارى وانني أجوب الى الاسلام بالخيل والرجل
وأفتح بغداد وأهدم ركنها وذلك قد أعيا الفراعن من قبلي
وأشفي فؤاد الشيخ شومدرس الذي أتى ناصحا للدين بالقول والفعل

(قال الراوي) ثم أتى بالملك القانون وقال له ترجع إلى دين النصرانيه فقال لا أريد عن دين الإسلام بدلا فقتله وقتل قومه جميعهم عن بكرة أبيهم ثم قال للنسوان تعدن عن الاسلام أو ألحقن بمن مضى فقلن لاخير في النسوان بعد هلاك السادات فافعل ما أردت فقتل الكل عن آخرهم وهم نسوان جزيرة رويبس ونسوان قلعة الثريا الا ابنة القانون وابنة حجاف فانه أحضرهم بين يديه وقال لهما ان تنصرتما والا فعلت بكما مثل النسوان فقالت ابنة حجاف افعل ما بدالك فوالله انك عبد حقير لا تقدر على شيء الا بقدرة الله تعالى وان كان ذلك وحضر الاجل فلو اجتمعت الانبياء والاصفياء والملائكة على انهم يدفعون عني ما حكم الله به علي لما قدروا وأنا اؤمل من الله تعالى ان تمتلني واسعد بقتلك وتزداد في شقاوتك (قال) فلما سمع ذلك قال ياويلك وحق المسيح ما أقتلك حتى أقتل أباكي بين يديكي وعمك زحاف وأبو محمد وغلمانه ثم عاد إلى ابنة القانون وأراد قتلها فرأى جاريه ما تحت السماء مثلها في الحسن والجمال والبهاء والكمال فهام قلبه بها وكاد ان يطير عقله من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فقال لها ويلك أترجعين عن دين الاسلام حتى أتخذك لنفسي وأنتي تعلمين اني قتلت أباكي القانون ولو كنت علمت انكي بهذا الجمال لما وجعت قلبك به فقالت يامولاي أنا الساعة في قبضتك وتحت نهيك وأمرك ومهما أمرتني به فعلت فلما سمع بيمند رقة كلامها زاد هيمانه بها وقال ارفعوها الى بيت الحرم فهذه قريبة المرجوع فرفعت كما أمر وأقبل على الراهب شومدرس وقال له ياأبونا فما الرأى عندك في البطال وحجاف وزحاف فقال قتلهم فقال ياأبونا يكون هذا في غداة غد عند استقبال النهار حتى تضرب الطبول والبوقات ويخرج كل من في البلد من السادات ونتركه مثل يوم العيد الأكبر وتجتمع ملوك الاقاليم وسائر البطارقه واذا عولنا على الغزاة والخروج الى بلاد المسلمين صلبنا الجميع وشفينا قلوب النصرانيه منهم ودخلنا بعد ذلك بنيات صادقه اذا فرح الروم بهلاكهم والبطارقه فقال شومدرس افعل ما تريد فان المسيح راض عنك وعن فعالك فعندها رد بيمند الكل الى المطامير وفتح الخزائن وأخرج الاموال وأعطى البطارقه والرجال وفتح خزائن من عهد هرقل الهراقله ما فتحت قط وكان أكرم

من كل ملوك النصرانية فأعطى الناس من اهل ملته وطير الطيور إلى سائر الآقاليم وفيها خط البترك وعلامة شومدرس وضمن لهم المال الجزيل والغزاة الى بلاد آلاسلام وبشارة بصلب البطال وحجاف وشرح لهم ما قد فعل ومن اهلك وقتل وطير الطيور واضطربت سائر الأقطار ووقع فيها الفرح والاستبشار بهلاك البطال والغلمان ومن معهم من اهل الايمان فكتب الملوك اليه بالسمع والطاعة واننا مسارعون الى الخدمة وهو اكبر مرادنا ان يظهر المسيح دينه وينظر الى عبد من عبيده بالنصر والظفر (قال الراوى) فزاد فرحه باجابة الملوك لطاعته واقام ينتظر قدوم العساكر وقد اعد لهم الهدايا والثياب ونصب على باب الذهب والأخشاب (قال الراوى) واجتمع دارس ومارس لما حققا ذلك وبكيا على من قتل من المسلمين وهلك من الموحدين وقالا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال مارس لاخيه دعنا الساعة من هذا البكاء فقد مضى ما مضى ودبرنا فى خلاص هذا العبد الصالح حجاف حتى يصل الى بلاد الاسلام ويروا المسلمين هذه المعجزة وكيف رد الله رجليه ودبرنا فى خلاص البطال والا هلك ومن معه من الرجال فقال دارس كيف يكون التدبير قال نكتب الساعة الى الأمير عبد الوهاب كتاب على جناح الطائر الى حصن يانس المتغرب ويانس يوصله الى ملطية ويكون فيه ان البطال وحجاف وابنته السعيدة قد ظهروا ثم نقص عليهم ما جرى ونحدثه بمن قتل من أصحابه المسلمين ونقول له العجل العجل فان بيمند قد ملك القسطنطينية وقد قبض على أبيه أرمانوس وأن الروم قد أطاعته على ذلك حتى يشفوا قلوبهم من حجاف والبطال ومن معهما من الرجال وقد أخروا قتلهم إلى عشرين يوم من الزمان حتى تأتى ملوك الأقاليم والبلدان ويهلك جند الرحمن فقال مارس هذا هو الصواب ثم كتبوا هذا كله فى كتاب وعلبوه على جناح الطائر إلى عند يانس المتغرب فلما وصل إليه ووقع عليه فرح بظهور خبرهم وكان قد أيس منهم ثم أرسل الكتاب إلى الأمير عبد الوهاب وفيه ما ذكرنا من الخطاب فلما وصل الكتاب إلى ملطية قامت فيها القيامة واحترق قلب عبد الوهاب لما سمع ما فى الكتاب وخاف على أبو محمد البطال وحجاف وفرح بخلاص السعيدة وكتب من وقته الى المعتصم كتاباً وأرسله على جناح الطائر وأطلعه على هذا الحال فلما كان من الغد أتاه الجواب ارحل فى بنى كلاب وادخل الى بلاد الروم لعل تشغلهم عما يريدوا يعملون وها أنا لاحق بك وسائر وراءك فلا يأخذك التوانى عن العبد الصالح حجاف (قال) فلما وقف الأمير عبد الوهاب على ما فى الكتاب نادى من وقته وساعته فى بنى كلاب

والسودان الأنجاب ثم رحل طالب بلاد الروم وكان الأمير فى ثمانين ألف من بنى كلاب وعشرين ألف من السودان الأنجاب لأن كتاب مارس ودارس قد أشعلا فى قلبه النار وكان بيمند قد قبض على مارس ودارس باشارة الملعون شومدرس وسجنهما عند أبيه أرمانوس وكانت الأميرة ذات الهمة مريضـــة فتركها فى ملطية وسار يطول المراحل والمنازل وقلبه قوى بكتاب المعتصم وقوله له أنه لاحق به ولحق معه الامير عمرو بن عبيد الله فى أربعين ألف من بنى سليم وتخلف ضيغم عند الأميرة ذات الهمة هذا ما جرى من ههنا (وأما ما كان) من أمر بيمند وعساكر النصرانية فانها اجتمعت من سائر الأقاليم وصاروا عنده فى القسطنطونية خلق عظيم ومابقى الملوك من وصل ودخل على بيمند والا وهناه بالملك وسلم عليه وهو يخلع ويهب ويترحب بالملوك ويملأ عيونهم بالفضة والذهب ولما تكاملت العساكر أشار بيمند لشومدرس فى أمر الرحيل لأنه قد جعله بتركه ومدبره ومشيره ووزيره وأنه لما شاوره قال أيها الملك لا تعمل عملا ولا تتحرك بحركة حتى تصلب البطال ومن معه من الرجال حتى لا تقول الملوك والبطارقة هذا بيمند مثل أبيه أرمانوس يفزع من المســلمين واذا وقع منهم أحدا فى يديه تركه فى الاعتقال وما كان وعده لنا إلا زور ومحال وربما خامروا عليك يوم يقع القتال (قال) فلما سمع بيمند هذا المقال من شومدرس شيخ الضلال طلع من وقتـه على برج باب الذهب ونادى فى العساكر فداروا بالخشب وجعلوا ينظرون البطال كيف يصلب وأمر البطارقة فاخرجوا الأمراء من المطامير فلما حضروا فـــكوا قيودهم وأغلالهم وقال الملك علقوهم بالحبـال وإذا رفعوا اضربوهم بالنبال واطعنوهم بالقنطاريات الطوال ولا تعلقوهم الا بأكتافهم حتى يطول عـذابهم اذا عاينوا بأعينهم هلاكهم هـــذا والمسلمون يقرؤون القرآن ويتشهدون ولبعضهم بعضا ينظرون والدنيا يودعون وبلقاء ربهم يفرحون ولم تكن الا ساعة حتى صاروا الكل على الأخشاب وارتفعت عليهم الضجات من الروم الكلاب ودقت النواقيس وصاح كل راهب وقسيس وكشفت رؤسهم البتاركة والشمامسة وقد ربطوا البطال الى جانب ولده مذبحون وحجاف الى جانب أخيه زحاف والسعيدة الى جانب غلمان البطال وفوقت النبال واستأذنوا الملك وقال اضربوهم بالنبال فما طلعت الكلمة من فيه الا وغبار قد طلع وعجاج قد ارتفع حتى حجبت شمس النهار فبهت الملك بيمند وسائر الملوك إليه بالابصار واشتغلت الروم عن الأمراء الأخيار وإذا الغبار قد

زال وظهر من تحته خمسة آلاف فارس مقبلين وتحتهم خيول عوال عليها فرسان مثل قطع الجبال غائصون فى الزرد وهو يلمع مثل اللآل وفى أيديهم رماح طوال باسنة مثل شعل النار عند الاشتعـــال وهم متقلدون بسيوف يمانيه طوال الحمائل صقال فلما رأت عساكر الروم إلى ذلك ركبت وتأهبت وإلى لقاء الخيل طلبت وأمر الملك بنزول المصلوبين عن الأخشاب حتى ينظروا إلى هذه الأسباب والخيل سائرة بغير اكتراب وكل من صـــاح عليهم وسألهم يقولون خطابنا مع الملك يكون ولم يزالوا سائرين حتى صاروا قدام الملك بيمند وكان لما أمر بتخلية المصـــلوبين عن الأخشاب ركب تحت الأعلام وتأهب وزعمت البطارقة الأرض الأرض فترجلوا والأرض قبلوا وتقدم المقدم عليهم وقال أيها الملك نحن قوم من عرب اليمن من سكان عدن كـنا على دين محمد فوصل إلينا الشيخ النجيح وعمـدة المسيح فدلنا على دين السعادة والاسعاد فرجعنا إلى الدين العتيق وهاقد أتينا إلى خـــدمة الملك راغبين فما زال المسيح ينصرك وبأعدائك يظفرك (قال) فلما سمع بيمند ذلك فرح بذكر الشيخ عقبة وقال فمن أنتم ومن يقال لكم من أهل اليمن فقال مقدمهم يا مولاى أنا يقال لى الهجام ابن عم الاهوج ومعنا كتاب إليك بخط عقبة ثم قبل الكتاب وناوله إياه فأخذه منهم ونظر إلى خط عقبة فعرفه معرفة صحيحة وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وأمر غريب لأن عقبة لما هرب من عند المعتصم سار إلى مكة ومنها إلى بلاد السودان وأقام عند الملك منكلان مدة من الزمان ثم ارتحل من ذلك المكان وسار إلى عيداب فى البر وسار فى البلاد بعد ما قتل الخادم الذى خلصه من الاعتقال ولم يزل سائر حتى وصل إلى حلة هؤلاء القوم وكان معه مال جزيل وكان حولهم جبال شاهقة وهم من بقايا قوم عثمان على العبادة منهمكين وعلى فعل الخير ملازمين وأن عقبة أخذ المـــال ودفنه فى موضعين ثلاثة فلما نزل عندهم قرأ شيء من القرآن وجعل يوحد الرحمن وقد نظروا القوم إلى تسوية خلقته قالوا يا شيخ من فعل بك هذه الفعال قال لهم الروم وذلك أنى كنت سائر إلى بيت المقدس فوقعت فى الروم فأسرونى وفعلوابى هذه الفعال وأطلقونى فذهبت إلى بيت المقدس فصار لى هناك أخوان وخلان فأردت الرجوع إلى أهلى فقـــالوا لى الآن ما نتركك ترحل من عندنا فخرجت من عندهم فوصلت إلى هذا المكان فقالوا له ونحن أيضاً ما نتركك تمضى من عندنا فقال لهم يا أولادى لى تلاميذ يقرؤن على القرآن وما يمكننى أن أتركهم فقالوا نحن لا نخليك تمضى من عندنا فلما سمع ذلك علم أنه قد احتوى على قلوبهم وقد أنشب مخالبيه

فيهم وعلم أنه سوف يبلغ ما يريد منهم فصعد إلى بعض الجبال وقد أنشب مخاليب الاحتيال إلى أن رآه ملك القوم فى بعض الليالى وهو يقرأ القرآن ويمجد الرحمن وكلما قرأ خمس آيات نزلت عليه الأنوار فلما رأى الملك ذلك دهش وحار وأخذه الزمع والانبهار وبكى هو وكل من حوله من الرجال الأخيار ومشوا على الحس حتى قربوا من عقبة الغدار فرأوه قائماً على صخرة يصلى ويتعبد وعلى جسده مسح أسود فدنا الملك إليه وألقى روحه بين يديه وقال أيها العبد الصالح أدع لى عسى أن أوفق للصلاح لأنى أنا صاحب هذا البلد وقد خرجت إليك راجلا أطلب منك البركة والدعاء وأسألك أن تدخل إلى بلدى وتقيم فيها مهما شئت حتى ننال من بركتك فلما سمع عقبة ذلك رد عليه بكلام ضعيف فقال يا أخى فى الإيمان ما يضيع مشيك إلى هذا المكان ولا أفرط فى مشى هؤلاء الإخوان على أننى والله من أصحاب المعاصى والذنوب وقلبى ملآن من الخطايا والعيوب ولكن نطلب المغفرة من علام الغيوب وأنا أدخل معك على شرط أننى أكون وحدى فى مكان لأنى ما أتعود الانس بانسان ولا أظهر إلا يوم الجمعة لقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » فقال يا أخى الأمر مردود اليك وما يعارضك فى ذلك أحد فقام معه وهو لا يصدق بذلك ولما كان من الغد أفرد له الملك داراً الى جانب داره فأنزله فيها فتم ذلك اليوم صائماً الى أن صار وقت المغرب فأتاه الملك بما يفطر عليه فقال يا مولاى أنا لا آكل شيء مما فى أيدى العالم ولا بما فى أيدى الملوك ولا أغتذى الا من الحلال الخالص وهو المال المخبي الذى قد تعب أصحابه عليه وكنزوه وبقى عليهم حسابه فهو لى مباح لأن من صدق فى معاملته مع الله أعطاه مفاتيح كنوز الأرض وأريد الساعة أن تخطو خطوات يضاعف الله لك بها الحسنات ولا يكون ذلك الا فى كتمان سرك وتأخذ معك من أصحابك من تثق به وتخرجون الى الجبل الذى كنت أصلى فيه لأنى نظرت بنور الحق الى مطالب وأنا أدلكم على بعضها ثم أعطاه علامة المكان الذى فيه بعض المال الذى قد وصل معه وقال يامولاى تمضى وتأتى به حتى آكل منه مدة مقامى ههنا فأنا أعرف من جمعه ومن كنزه وهو من المباحات الحلال فلما سمع الملك ذلك المقال زاد تعجبه وقام فى جماعة من الرجال الذين يطلعون على أحواله وسار بهم يطلب المكان الذى وصفه له عقبة وهو يحدثهم بذلك وهم يسبحون الله ويقدسونه ويقولون فدينا الصالحين الذين يعبدونه ولم يزالوا حتى وصلوا الى الموضع فحفروا وطلع لهم المال فزادت منزلة عقبة عندهم وعادوا وقد اعتقدوا

أنه من جملة الابدال السبعة التى تمسك الارض فلما دخلوا به عليه ضحك وقال ارفعه يا ملك الى خزائنك فهذا اليقين أصحاب العقول الناقصة فرفعه الملك وكان ينفق عليه منه وصار يتوسل بعقبة فى صلاته ويقول الهى بحرمة هذا الشيخ الذى مننت به على الا غفرت ذنوبنا فلما كان يوم الجمعة سار إلى الجامع وخطب للناس فبكى المسلمون من الصفوف ومزقوا لباسهم من لين كلامه وتواضعه وسجوده وحنانة صوته إذا خطب وخشوعه إذا زفر وصار الناس يزدحمون من باكر النهار على المواضع وإذا أقبل عقبة قاموا كلهم على تقبيل يديه ويأخذوا التراب من تحت قدميه وكان الملعون إذا دخل الدار لا يرجع يترك أحداً يدخل اليه إلا الملك أو وزيره وكان لهذا الملك ابن أخ يقال له الهجام ابن المقدام مصر على شرب المدام لا يصحو فى ليل ولا نهار ولا فى ظلام وكان عمه الغيهال يبغضه ويبعده وإذا دخل عليه لايقربه ولا يعطيه شىء من المال حتى لايدور به أحداً من الرجال وكان عقبة قد سمع بخبره من العوام فصار يدعوه ويظهر لعمه أنه يعظه ويرده عما هو عليه ثم يعطيه كلما يعتقده به من الإعتقاد ويعينه على المعصية والفساد حتى احتوى على قلبه ولعب بعقله وقال له يا ولدى لم ترضى لنفسك بالذل وتقيم تحت طاعة عمك وأنت مغبون أنت أبوك ما كان له فى هذه البلاد حكم فقال الهجام بلى والله يا عماه أن أبى كان ملك هذه الديار ومات وأنا صغير ولما كبرت رأيت هذا عمى قد احتوى على قلوب الرعية بالدين والعدل والناموس وقد أطاعوه ولم يلتفتوا إلى ولما رأيت أنا نفسى فى هذا الحال صرت أقضى الأوقات بشرب المدام وأسلى روحى وأقضى الأيام وأردت والله مرارا كثيرة أن أقفز على عمى وأقتله ولكن خفت العاقبة وقلت ربما إذا قتلته يحتوى على هذه الأرض غيرنا ولا يحصل الملك لا لى ولا له وكنت فى هذه الأيام قد عولت على أن أسير الى بلاد النصرانية لولا من الله على بك وصرت تبرنى بهذه العطية فلما سمع بذلك عقبة قال يا ولدى فما قولك فيمن يدعك أفضل من عمك ويبعثك الى موضع تصير فيه ملكا كبيراً ويدفع اليك الخراج من البلاد وتحكم على قلاع وبلاد فقال له الهجام وأين ذلك يا مولاى فقال عقبة يا ولدى اعلم أنك قد وقعت فى قلبى محبتك وأريد أطلعك على سرى كما أطلعتنى على سرك فأنا ما أعطانى الله هذا الا باطلاعى على حقيقة الاديان ومعرفتى بعلوم الزمان ومخبرتى بأحوال الآخرة سخرت لى هذه الدنيا الغادرة وصرت أعرف كنوز الارض وما تحتها من الذهب والفضة ولا بد لى مما أظهر برهانى حتى يصدق لسانى وبعد ذلك أدلك على الدين القديم الذى يكون

صاحبه فى الدنيا سليم وفى الآخرة فى جنات النعيم وأعطيك من الاموال ما لا يخطر لك على بال فقال هجام أنا والله الاديان ما أعرف منها شيء ولا أحب الا اللهو والطرب والاكل والشرب فقل لى كلما تريد حتى اتبعه وأمرنى بما شئت حتى اصنعه فقال عقبة أول ما ادلك على شيء يفرح قلبك اخرج اليوم الى الجبل الذى لكم واحفر عند تربة الشمال فيطلع لك مال كثير وكنز كبير فاجمع لك به رجال ودبر لك به أبطال واكتم سرك وتعالى حتى أكتب لك كتاب تكون فيه سلطان وتحت ركابك خيل وفرسان وجنائب وغلمان وجوار حسان وعيش تعيش به سعيداً باقى الزمان (قال) فانذهل هجام وخرج من عنده بقلب مستهام وعاد إلى صديق له يوافقه على أكل الحرام وشرب المدام وكان اسمه الأهوج ابن الأشكع وحدثه بما سمع من عقبة من المقال وأعلمه أنه قد دله على كنز من الأموال فقال الأهوج أين هو يا أخى إن كان هذا صحيح فقد أتانا الإقبال وولى عنا العناء وزال وأنا أقيم لك بكل ماأردت من الرجال فقم بنا إلى هـذا المكان الذى فى الجبل حتى ننظر صحة القول وها قد ذكر فقام معه هجام ومعهما آخر يقال له عكاس وكان الآخر مطابقهما على العصيان وصاروا حتى وصلوا إلى ذلك المكان الذى وصفه له عقبة وحفروا مقدار ثلاثة أذرع وإذا بالمال قد ظهر فلما رآه هجام طار عقله وقال الأهوج ما هذا الرجل إلا ملك من الملائكة والرأى أنك تضع هـذا المال مكانه فهو أحفظ له ونعود أنا وأنت إلى هـذا الشيخ ونسأله عن الموضع الذى يرسلنا إليه والدين الذى يدلنا عليه ونقول له كم تريد تسير من الابطال والرجال فقال هجام هذا هو الصواب ثم عادوا وضموا المكان كما كان بالتراب والأحجار وساروا حتى دخلوا على عقبة فجعل هجام يقبل يديه ويقول يا مولاى المال قد وقعت به فقل لنا ما هو الدين الذى تدلنا عليه وما هو الملك الذى توصلنا إليه فعند ذلك أخرج عقبة من تحت سجادته صليب وقال له يا ولدى قبل هذا الصليب ورد له فى التقريب فهو طريقك إلى الدين القديم وسبب وصولك إلى الملك العظيم وإذا واقيت الجهاد فتحت لك أبواب السعادات وبلغت منها الارادات فلما سمع هجام هـذا الكلام زاد عجبه وانذهل لبه وقال له يا شيخ وأنت بهـذا الدين قد صرت فى هـذه المنزلة وتكتمه قال نعم يا ولدى لأنى ما أجد له أهل مثلك الا من قل من الناس أو مثالك وكلما أظهره من هـذه الصلاة والعبادة زور ومحال حتى أبلغ فى دين المسيح الآمال وأختار له أنصار ورجال ينصرونه على من يطلب له الزوال فعندها قرب هجام الصليب وقبله وفعل

الأهوج كذلك فقالا يا شيخ وتقبيل الصليب يقربنا الى إله السماء السميع المجيب فقال ولكن يقربكم الى من كلم أمه فى المهد وهو صبي وقال لها لا تفزعي من بنى اسرائيل ولا تعجبي منى وأنا أقيم الحجج وأبلغك كل فرج وهو الذى لطف بي والمسلمون ياولدى يقولون أنه نبي وهو المسيح بن مريم الذى أحيي الموتى وأبرأ الزمنى وفتح عين ونفخ فى الطين فطارت منه طيور الى جو السماء ولم يزل حتى أخرج القوم من دين الحنيفية وقالوا والله كنا فى جهالة من أن نسمع هذه المقالة ونريد نسألك ياشيخ عن هذا الدين الذى دخلنا فيه هل شرب الخمر حرام فقاله لا بل هو قربان ورياضه فى الأرواح والابدان ثم أمر باحضار الخمر وشرب بين أيديهم وما خرجا من عنده الا وهما فى غاية العجب فرحا بهذا الذهب وقالا فى هذه الايام تجمع الرجال ونسير إلى الموضع الذى يأمرنا به وكان مع الاثنين ألف فارس ما فيهم من يعرف دين الإسلام فى الجهاله وأكل الحرام منهمكون فما باتوا تلك الليله الا والكل تنصروا لان هجام شرح لهم ذلك المقال ولعب بعقولهم بالمال وخرج بعد ذلك هو والاهوج وجماعة من عرب اليمن تمام الخمسة آلاف الا انهم كلهم مقلون جياع فكساهم هجام وأصلح منهم الأحوال وأعطاهم من تلك الأموال واشترى لهم الزرد والعدد الثقال وقد أجابوه إلى ما طلب من دين الضلال لانه لما دعاهم قالوا نحن لا نعرف مذهب ولا نكون الا عند من أعطانا الفضه والذهب وخدم لمن يأكل معنا ويشرب ففرح بهم هجام ونزل بهم بظاهر عدن ودخل على عقبه وأعلمه بما قد فعل وقال يامولاى أكتب لى إلى عند من تسيرنى اليه كتابا فكتب عقبه إلى الملك ارمانوس وهو يظنه بعد فى الملك وهو يقول أيها الملك أن كنت أنت غفلت عن خدمة المسيح فأنا ماغفلت ولاقعدت ساعة عن طلب الثواب فى حال العباد وهاأنا قد نفذت اليك هؤلاء الاعراب يعينونك على جهاد المسلمين وينصروك على أعداء الدين فاذا وصلوا اليك فعمدهم وأدخلهم وأرهم عبادة الرهبان والقساه والرجال حتى تميل قلوبهم إلى دين النصرانيه وإذا نظروا إلى أولاد البطارقه بالحسن والجمال يرمون أرواحهم إلى الحرب والنزال لانهم أبطال أقيال وانى قد كنت أنفذت إلى أخى الراهب شومدرس وأعلمته بحال البطال وانه فى جزيرة روبيس عند مرحبون فى الاعتقال وأمرته أن يسير اليه ويقتله هوومن معه من الرجال وما كان فى نيتى ان أرجع إلى بلادكم لان الخليفه أباح دمى وسمع من الرجال ذلك المقال وقد دبرت فى هذه الأحوال حتى

صرت عند الخليفه فى المنزلة العاليه المنيفه وقد أخرجت من بلاد اليمن ومعى خطـــوط المشايخ بما دبرت من الاحتيال وأريدمنك أيها الملك أن تقضى حاجتى وهو ان كان البطال فى الحياة تتركه عندك فى الاعتقال وتحتفظ عليه لئلا يهرب إلى ان أجىء وأختفى من عذابه وعذاب غلمانه فانى واصل بعد كتابى هذا إذا تممت الأمور والاحتيال والاخرجت وأظهرت دين النصرانيه عند الخليفه والسلام منى واصل اليك ورضوان المسيح عليك ثم ختم الكتاب وسلمه للهجام وقال له قم ياولدى وشد عزمك واطلب بلد القسطنطونيه أنت ورجالك وسلم هذا الكتاب إلى الملك ارمانوس وانظر ماذا تعطى من النعم فأخذ منه الكتاب وودعه وخرج وأعلم بذلك الجماعه وشدوا عليهم وساروا عن العين وهم فى خمسة آلاف فارس من صعاليك العرب مافيهم الا كل شجاع منتخب قد قطعوا الطرقات واستحلوا المحرمات وكان عقبه قد تخلف عنهم لانه فزع أن يبلغ خبره إلى بلاد المسلمين ويسمع الخليفه انه خرج من بلاد اليمن فى جيش إلى القسطنطونيه يعين به دين النصرانيه (قال) وسار هجام حتى وصل إلى بلد القسطنطونيه فى اليوم الذى أرادوا أن يصلبوا البطال ومن معه من الرجال (وعدنا إلى سياقة الحديث العجيب) وان بيمند لما قرأ الكتاب أمر برد الامراء إلى المطامير واعتذر إلى الملوك وأعلمهم بما أوصى به عقبه قال ومن ذلك اليوم أكرم بيمند هجام ومن معه غاية الاكرام وعمهم بالخلع والانعام وأدخلهم الحمامات وأطعمهم الطيبات وأنزلهم فى ماء المعمودية ودخلوا فى دين النصرانيه وقالوا نحن كنا فى عدم والساعه رأينا النعم والمسيح يحفظ صاحب الهمم (قال الراوى) وأخذ بيمند فى أمر الرحيل والغزو الى بلاد المسلمين ونادى فى العساكر فى أخذ أهبتها إلى ثلاثة أيام فهذا جرى هنا (وأما البطال) وأصحابه لما عادوا إلى المطموره وقد عاشت أرواحهم بعد نزولهم من على الخشب وقال حجاف سبحان من قدر الآجال والله كنا اليوم قد أشرفنا على الانتقال من دار الزوال إلى دار السعاده والاقبال فقالت السعيده سبحان من قدر الاحوال والمنجى من الاهوال فقال البطال دعونا الساعه من هذه الاحوال فدبر فى خلاصنا والا ان قدم عقبه فى هذه الأيام سقانا كاس الحمام لان بيمند يوافقه على مايريد لان مافى عينه من أحد شىء بعدما فعل بأبيه ارمانوس مافعل فقـــال حجاف فكيف نصنع وما الذى اليه نرجع فقال أبو محمد علينا أن نحتال فى خلاصنا والله يوفقنا إلى الصواب ثم تقدم إلى أضعف الحيطان وأمر غلمانه أن ينقبوه فنقبوه بمناقب لطاف كانت فى شعورهم وكان ذلك الموضع سهل عليهم والرب جل وعلا إذا أراد أمر أبلغه فما أمسى

المساء حتى نفذوه وأخرجوا منه وإذا به فى دارمارس فلما رأوا ذلك فرحوا به وعادوا أخرجوا السعيده والرجال مثل حجاف وزحاف فلما وصلوا دار مارس قال أبو محمد ابشروا بالفرج وذهاب الحرج ثم طلبوا مارس وأخاه دارس فما رأوا فى الدار من يخبر بخبر فأقاموا متفكرين وهم فى ذلك متحيرين وإذا قد طلع من خلفهم من النقب البطريق الذى كان موكلابهم وكان اسمه ميلاص وكان عند الملك من المقربين الخواص وسبب مجيئه من النقب انه نزل يفتقدهم عندالمساء فلم يراهم بل رأى النقب فدخل فيه فلما رآهم مطلوقين ماجسر أن يتكلم فقال أبو محمد ماالذى أتى بك خلفنا ياملعون ماكفى مالقينا منك حتى تبعتنا فقال ياقوم أنا مالى ذنب وأنا عبد مأمور وما فعلت بكما شيء الا بارادة الله تعالى وأمر الملك والآن فقد خلصكم الله تعالى بحسن نياتكم سيروا ستر الله عليكم فقال البطال أين أهل هذه الديار فقال أهلها مارس ودارس وقد قبض عليهما ونهب مالهما قال ولم ذلك قال لان الملك أحضرهما وقال لقد كنت أسمع من الشيخ النجيح وأمى ميمونه انهما كانا يقولان عنكما انكما مسلمين وأريد ان أقبض عليكما حتى لا يكون فى دولتى منافق على دين النصرانيه لانى أعرف الشيخ النجيح صادق لا يستعمل الكذب فى المقال ولا يدخل فى محال وقدضربهما وصادرهما وحبسهما فلما سمع البطال ذلك صعب عليه وقال للبطريق اعلم يا ميلاص ان دولة الملك بيمند لا تدوم عليه لانه صبى وماله معقول بسياسة الملوك فاعمل أنت شيئاً تحمد فيه وتشكر عليه فقال ميلاص وما هو يا مولاى قال خلص الملك ارمانوس من وثاقه وخلص من معه من حجابه حتى يعمل فى خلاصنا إلى بلد الاسلام وإذا خلصنا عدنا بعسكرنا وأهلكنا بيمند وأعدنا ارمانوس إلى ملكه وتبقى أحظى الناس عنده وان كان بيمند يخرج الى بلاد الاسلام فهو يكون عليه أيشم الاعوام (قال الراوى) فلما سمع ميلاص هذا الكلام رجع الى عقله وعلم ان هذا القول صحيح فغاب عنهم ساعه ثم عاد ومعه الملك ارمانوس ومارس ودارس فلما نظر البطال الى ذلك تقدم الى الملك وسلم عليه وأعلمه بالحال وقال له ابشر فنحن نعينك على ولدك ونعيد الملك اليك ونسقى بيمند كاس الوبال ثم سلم على مارس ودارس وسألهما بما جرى عليهما فقال الملك ارمانوس يا أبو محمد قد تحققت فانهما على دينك لان هذا سلام أهل الدين ومن بينهما معرفة من سنين فقال البطال يا ملك انما سلمت عليهما لانى أعرف قربهما منك وانهما بجنابك

ولهما قدم فى الروم وقد ربيا الملوك وبيننا وبينهما معرفة قديمة من بلاد الاسلام لما كانا عندنا أسيرين والساعه ما تقربت اليهما بالسلام الا حتى يعملان فى خلاصنا ويدبران كيف نصنع وكيف ننزل من الاسوار ونمضى اما ليلا واما نهار فقال ارمانوس صدقت يا أبو محمد وحق المسيح لو كانا مسلمين ما كانا عندنا مقيمين بل كانا يخرجان الى عندكم ويقيمان فى بلادكم (قال الراوى) فهم فى مثل ذلك الكلام واذا بالرجال عليهم قد هجمت والبطارقة قد تصايحت والسيوف قد لمعت وهم مائة بطريق وبين أيديهم غلام كانه طود من الاطواد وهو يصيح أين تهربون يا كلاب وأنا البطل الهجام ثم قبض على جميع القيام وأدارهم كتافت وما بقى غير الأمير حجاف لانه هجم على ميلاص وأخذ منه السيف وقال وحق من مرج البحرين وأنار القمرين لا سلمت روحى حتى أبتر الرؤوس وأقتنص النفوس وانا عبد الملك القدوس فعندها صاح الملك بيمند بالبطارقه يا ويلكم خذوه وبالقيد أوثقوه (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذا الملك سبب عجيب لانه كان فيه يقظة واحتراز لاينام الليل ثم حذروه الروم من أبو محمد وكيف حاله وانه مهلك الاقران الذى يتسلق فى الغيوم ويسرق النجوم ويغوص التخوم فكم من ملك قد قبض عليه وكم من قس قد ترك رأسه عند رجليه فكن منه على حذر حتى يحضر الشيخ النجيج وتسلمه اليه فهو أخبر الناس به فقال بيمند صدقتم وهذا يدل على ان الروم ما ملكهم رجل وما ملكهم الا نساء والآن أنا أجدد ملة الصلبان ثم صار اللعين يخرج الى القصر بنفسه لايرضا بأحد ينوب عنه وكان قصده ان يسمع أخبار المسلمين وكان قد دار حتى أتى الى المطموره فوجدها مفتوحه ولم يرى البطريق ميلاص فقال ماهو الاقد نزل يعذب المأسورين ونزل فرأى النقب ولم يرى أحدا فى المطموره فدخل من النقب وسار حتى انتهى الى مارس ودارس واذا بالامراء قيام ومعهم الجماعه وهم فى انتظار ارمانوس وقد مضى ميلاص يأتى به فلما نظر بيمند ذلك قال وحق المسيح ان هذا شغل مليح ثم رجع وأتى بالبطارقه الذين ذكرناهم وهجم عليهم كما وصفنا وشدوا الكل كتاف ولم يبق الا حجاف فقاتل قتال الاشراف ومال بنفسه اليهم وعدت يده بالسوء اليهم وصاح بيمند بالبطارقه دونكم وهذا اللئيم فعندها حملوا وعلى قتل العبد الصالح عولوا هذا وهو يهجم فيهم

هجمات الأسد ويصلى على النبي محمد ولم يزل حتى قتل عشرين بطريقا ممن يوصف وافترقوا عليه من كل جانب وخافوا من وقع المضارب وهو يضرب فيهم طولا وعرضا (قال الراوى) ثم ركب عليهم وقد طمع فيهم وكانت السيوف تلمع فى الظلام فيطلع لها برق مثل برق الغمام وبيمند قد رأى ذلك فتحير وأخذه من قتال حجاف العجب وانبهر وحمل من شفقته على أصحابه حمله واحده هائلة ونادى يا ويلكم خلو بينى وبينه فلقد كانت روحى تأبى أن تخرج اليه وقلت إذا خرجت لهذا ماذا أدخر لعبد الوهاب والساعة قد ألجأتنى الضرورة إلى ذلك لأنى أراه قد أفنى رجالكم وجندل أبطالكم فقالوا أيها الملك أنت تعلم أن هذا من الجن وأنه قد قطعت رجلاه وردها عليه مولاه وما مات كرفناس إلا وفى قلبه منه النار فقال بيمند سوف ترون العجب ثم قال أنا له ومال إلى حجاف وصاح صيحة الغضب وأظهر شجاعته الذى لا تقدر على مثلها العرب وحقق حملته وطلب وبربر بلغة الروم وضرب الأمير حجاف صفحا وكفحه بالسيف كفحا واذا به على الارض ملقى بطحا فصلبت الروم على وجوهها وقالوا ان كان أجل عبد الوهاب قد دنا فهذا الملك يدرك منه المنا وهذا يجب أن يكون سلطان لنا ثم أن بيمند أمر البطارقه أن يشيلوا الكل إلى المطامير وعاد إلى مكانه حتى ولى الليل بظلامه وأقبل النهار بابتسامه وأمرهم بهم فأحضروا بين يديه فقال ياويلكم من جسركم على الهرب فقال أبو محمد أيها الملك كل واحد يطلب لنفسه الخلاص من ضيق الأقفاص نحن نقبنا المطمورة التى فيها أبوك أرمانوس فخفنا منه فنوى هو نفوسنا وأصبنا أن البطريق ميلاص يهرب بنا ووعده أبوك بكل جميل (قال) فلما سمع بيمند ذلك قامت عيناه فى أم رأسه وصارت فى مثل أجاجين الجمر وعاد إلى طبع السودان وبطح أباه أرمانوس وضربه خمسمائة صوت وقال له ياملعون لولا كتاب الشيخ النجيح لكنت ضربت رقبتك ولكن سوف أصلبك وسمع البطال بعقبة فأيقن بالهلاك وعلم أنه مارسل كتابه إلا ويأتى من بعده ولو كان فى آخر الدنيا فبينما الملك بيمند على ذلك واذا بالراهب شومدرس قد تقدم من بيعة سوفيا وجلس إلى جانب الملك وسمع الحديث الذى جرى وكيف أراد الأسارى ان يهربوا فقال للملك من شدة غيظه أيها الملك لى اليك حاجة أريد أن تقضيها لى قال وما هى يا أبى قال تسلم هؤلاء الى حتى أعذبهم وأشفى فؤادى منهم فقال الملك افعل ما تريد فلولا وصية الشيخ النجيح كنت قتلتهم واستريح فجعل شومدرس يقدم واحد بعد واحد ويضربه حتى يشتفى

منه ولم يزل حتى قدمت السعيدة فقال هذه الملعونة أشد كياد من الرجال وأشد اعتقاد وهى التى تجسر هؤلاء الشياطين على الأهوال فلا تعود تحبسها معهم فى مكان واتركها وحدها حتى تذوق طعم الهوان ثم جعل الملعون يضربها الضرب الوجيع وقال شيلوها الى مطموره أخرى ناحية عن قومها وشدوا الى رقبتها كلبين كبار حتى ينهشوا وجهها فى الليل والنهار وأنزلوها مطمورة مظلمة موحشة مدهشة وأنزلوا حجاف ومن معه ناحية أخرى عنها (قال الراوى) وصارت قلوبهم تتقطع على ما أصابها (قال الراوى) وكان آخر من قدموه الى الضرب زحاف فمدوه وقد أيقن بالتلاف إلا أنه قال للملك بيمند بحق دينك قبل أن تضربنى أريد أن أسألك عن شىء وتصدقنى فيه قال الملك وما هو يا شيطان قال الجارية ابنة الملك القانون الأكبر التى هى أحسن من الشمس والقمر ما الذى فعلت فيها قال عاقبتها وضربتها حتى عادت عن دين الاسلام وتزوجت بها ودخلت عليها من ثلاثة أيام فلما أن سمع زحاف ذلك وأن الجارية قد تنصرت وتزوج بها الملك ووقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد :

غلب الهوى والنار فى أجفانى	والقلب محترق بما أبلانى
من حب من بخل الزمان بوصلها	ذات الجمال الفائق الفتانى
فكأنها قمر بدا فى ليلة	ظلماء أو شمس على كثبانى
هام الفؤاد بحب من أحببتها	بغض الجنان وعاود النيرانى
ممشوقة فتانة خربوعة	تسبى العقول بمثل قد البانى
انا عاشق وموله ومقيد	من ذا يفك قياد صب عانى
يا أيها الملك الذى ساد الورى	الهبتنى والله بالنيرانى
انى أحس النار بين جوانبى	والموت عند فراقها يغشانى
ان كنت تسمع ما أقول وانه	عند الكلام يلين قلب الجانى
فاسمع بنظرتها وانت محلل	من سفك دمى فى أخس مكانى

قال فلما سمع بيمند ذلك ضحك حتى استلقا على قفاه وقال يا عربى وحق المسيح انى قد رحمتك لأنى ارى صفار العشق قد خيم على سائر بدنك ولولا رحمتك فى قلبى لضربت رقبتك وعندى رأى أقوله لك فقال زحاف وما هو أيها الملك فقال بيمند تخلى عنك دين المسلمين وتدخل فى دين النصرانية وأنا وحق المسيح أزوجك بها فلما سمع

زحاف ذلك قال هات يدك وانا على نفسي اشهد ان زحافا برىء من دين التوحيد ففرح الملك بذلك وجميع البطارقة وقالوا ايها الملك علمنا كيف ننصر المسلمين فهم على ذلك واذا قدقام واحد من بين الرهبان وقد لمع فى وجهه نور التوحيد والايمان وقال للملك بيمند من انا فقال سمعان فقال تعرفنى اعرف شيئا من العلم ام لا فقال بيمند مافى علماء الروم مثلك وقد بان لنا عقلك وفضلك فقال دعنى من الصفات اليس انك قد اجتهدت حتى نصرت مسلما وتركته باع دينه واعتقاده من اجل غرض نفسه قال نعم قال وانا عولت على الاسلام وان كان هذا المسلم باع آخرته بدنياه فانا اشتريتهافلازهدفيهاالان طائرإيمانه قدطار من قلبه ونزل فى قفص يعنى فى قفص قلبي فافسده وما اصلحه فما احسن الثبات على الصراط المستقيم والرجوع الى دين ابراهيم وانا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت إلى زحاف وقال له يامغبون ولكن لا اعتراض على الرب الكريم الذى هو بخلقه عليم لأنكماعضوين عضو إلى الجنة وعضو إلى النار فمن مثل حجاف فى العالم واليقين والصبر على العذاب الأليم ولا بد لكما من العرض على مالك يوم الدين ويقول حجاف ياليت بينى وبينك بعد المشرقين والمغربين فلبئس القرين ويلك ابنة أخيك جارية صغيرة السن هى أوفا منك فى العقل والوهن لأنها عذبت بأنواع العذاب وربطوا فى رقبتها الأغلال والكلاب وهى لاترجع عن توحيد رب الارباب فقال زحاف لاتكون قليل العقل ياراهب فانا الليلة ادخل على محبوبتى وأنال طلبي وابلغ أمنيتى بطول بقاء هذاالملك وبركة الشيخ النجيح وزحاف يعلم أن هذا هو الدين الصحيح فقال سمعان اللهم أهلكه وثبتنا على ملة الاسلام فعند ذلك زعق الملك وقال ويلك ابنة القانون كانت نصرانية فرددتها إلى دينها واشتريت بها قلب هذا المسلم وأريد أهبه إياها فانت أى شىء أخرجك من دينكولكن سوف ترى ما أصنع بك ثم قام وخرج الى باب الذهب وأمر برفعه عليه وقال أرموه على ام رأسه فرفعوه على أيديهم والرهبان والقسوس يلعنونه وهو يقول مرحبا بالموت فى طاعة الله وهم عولوا أن يلقوه واذا بسواد أقبل وصياح مرتفع وضجيج قد علا فقال الملك بيمند ما الخبر فقالت الروم يامولاى هؤلاء أهل السواد قد أتوا جافلين وقد ذكروا أنه وصلت اليهم عساكر المسلمين وقد نزلوا فى مرج الديباج الراحه وقد أهلكوا خلقا كثيرة من الروم والرهبان وخربوا الرستاق وشدوا البطارقة فى الوثاق وهم الينا واصلين والى نحونا قادمين فعند ذلك ناداه الراهب سمعان وقال له

جاك الموت يا قرنان وان كانت لى حياة سوف أتفرج على قتلك فلما سمع بيمند ذلك حمق عليه وضربه ضربا عظيما وقال ردوه الى المطمورة التى فيها جميع المسلمين حتى يشاهد ما أصنع فيهم ولا يبقا فى قلبه شبه فاخذته البطارقة وأنزلوه إلى عند الأمير أبو محمد البطال ومن معه من الرجال وكان قد هلكوا من الضرب وهم يشكوا لبعضهم بعض بما جرى عليهم من بيمند الملعون ويصفون شجاعته وبراعته وحجاف يبكى على حال السعيدة ابنته لما قاست من العذاب فلما نظروا إلى الراهب وقد نزل اليهم ودماءه تسيل فسألوه عن حاله فاعاد عليهم قصته فبكوا المسلمين وزاد بكا حجاف لأجل كفر أخيه زحاف وحدثهم سمعان عن بيمند كيف أراد أن يرميه من أعلا الصور إلى ظاهر البلد وكيف وصلت الأخبار بوصول عبد الوهاب وبنى كلاب الى مرج الديباج وبلاد الروم قد انقلبت وانه فى عسكر ثقيل فسجدوا الأمراء شكرا لله تعالى وأيقنوا بالفرج (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك بيمند فانه ركب وخرج إلى باب الذهب ونادى فى العساكر فركبت وأعرضها فوجدها ثمان مائة ألف فانتخب من الثمان مائة الف اربع مائة الف وانتخب من الاربعمائة الف مائتى الف ثم قال إئتونى بالأمير الذى جاء من اليمن من عند الشيخ النجيح فأحضروا الهجام ابن المقدام فقال له بيمند ايها الأمير اعلم ان امير المسلمين عبد الوهاب قد أتى إلى عندنا ونزل بارضنا وأريدك ان تلقاه فقد قدمتك على العساكر المنتخبة فخذهم فى صحبتك وسر بهم هم والعرب المتنصرة الى مرج الديباج بلا جلبة ولا ارهاج وتمكن فى اربع جوانب العسكر بتاع المسلمين حتى أدركهم على غفلة منهم واكسبهم فاذا سمعت صياحنا فى الليل اخرج أنت ومن معك من الخيل وخوضوا فيهم بلا كسل وابذلوا فيهم السيوف والاسل حتى لا يصبح الصباح الا والأمر قد انفصل فقال الهجام أيها الملك عندى رأى غير هذا الرأى فقال وما هو فقال آخذ معى نفر قليل من العرب المتنصرة قدر عشرين الف ومعى من أصحابى خمسة الاف والبس الكل زى اهل اليمن وأسير بهم حتى أصير خلف عسكر المسلمين وأعود اليهم فاذا أشرفنا عليهم وسألونا عن حالنا أقول نحن قد جئنا من عدن من عند الغيهال نطلب الجهاد فى طاعة رب العباد والزهد وأخباره تصل إلى كل أحد

فاذا أمنوا الينا واختلطنا بهم وقربنا عبد الوهاب صبرنا الى أن يظلم الظلام
وأول ما أعلم إذا كبسناهم أكون خلف عبد الوهاب وأسقيه شراب
الذهاب فاذا قتل بذلنا السيف فى أصحابه ودبرنا أمرنا على
قدر ما نراه ويتفق وصولك فى تلك الساعه
فتبلغ المراد حتى لا يسلم
منهم نسمة
واحدة

تم الجزء الثامن والخمسون ويليه الجزء التاسع والخمسون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر

والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج

وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن

عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد

الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء التاسع والخمسون

يطلب من

مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصيه [illegible] وت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فلما سمع بيمند كلام الهجام وتدبيره فى قتل الأمير عبد الوهاب الهمام فرح فرحا شديداً ما عليه من مزيد وقال ان تم هذا كان لك الأجر من المسيح والشكر منا ومن الشيخ النجيح وها أنا راحل الساعة ميمنة فارحل أنت ميسره ثم رحل الملك بيمند وأمر العساكر كلها أن تسير وراءه فسارت كل طائفة مع ملكها وهم على الطريق العظمى وركب هجام فى خمسة وعشرون الفا من العرب المتنصرة وقد لبس الملعون ثياب أهل اليمن وفعل بمن معه كذلك وأركبهم خيلا عراة بغير سروج وألبسهم ثياب الخام ولحفهم بالأزرق من القطن الجافى وشد أوساطهم بحبال الليف وسار بهم يقطع الأرض ولم يزالو كذلك حتى صاروا خلف ظهر الأمير عبد الوهاب وكان الأمير قد وصل إلى مرج الديباج فى ثمانين الف من بنى كلاب سوى من معه من بنى سليم وعمرو ابن عبيد الله والمجاهدين كلهم متلاحقين وهو يقصر المراحل فى المنازل حتى يأتوه المجاهدين فبينما هم كذلك وإذا طلعت عليهم غبرة القوم وأقبلت من نحو بلاد الإسلام فقال لأصحابه يا قوم هذا غبار قد طلع من خلفنا وأراه غبار يدل على عسكر جرار وهو كثير غير قليل وما أقول ان الخليفه بعد أن أدركنا ولاجله يلحقنا وما أقول إلا أن هذا غبار العرب من المجاهدين قد لحقوا بنا ثم قال لغلامه نافع الصغير اركب يانافع واكشف لنا خبر هذا الغبار فركب وسار بعد ساعة وعاد وهو فرحان وهو يقول أيها الأمير هؤلاء عرب

اليمن قد وصلوا فى طلب الجهاد وهم خمسة وعشرون الف كلهم أبطال أقيال يصلحون للقاء ويصبرون على الشقاء مقدمهم يدعى هجام ابن المقدام ابن أخى الغيهال فلما سمع الأمير ذلك سجد شكراً لله تعالى وخرج الى لقاء القوم وسلم عليهم ورحب بهم وأنزلهم بالقرب من خيامه وخلع عليهم وكان الأمير يعرفهم وقد سمع بهم من سفار اليمن فلما استقر بهم القرار ادعى الأمير بهجام وأحضره عنده وقال له أنت مثل ولدى كيف أنت وكيف عمك الغيهال قال تركته فى أحسن حال وأنعم بال ولقد أراد الجهاد فما تهيأ له فى هذه السنة أمر وهو عازم على ذلك السنة الآتية فقال الأمير وما شغله قال يامولاى قد قدم عليه رجل زاهد يعرف كنوز الأرض ويسيح فى طولها والعرض يدعى عقبه ابن مصعب يصوم النهار ويقوم الليل وقد اشتغل عن أهل الأرض ففرح الأمير بذلك وقال الحمد لله الذى أعلمنا خبره ولو كان فى الصين لسرنا خلفه فقال هجام ومتى توصل أيها الأمير قال نستريح لأن خيلنا قد تعبت من المسير وتستريحون أنتم ايضا فقال هجام افعل ما بدالك وأقاموا حتى اقبل الليل بالاعتكار وانصرمت جيوش النهار وهجام يقول لأصحابه كونوا على أهبة بحيث ان كل واحد منكم يكون باله إلى واحد من الأمراء المذكورين فإذا وقع الصياح بضرب السيف نصيح عيسى بن مريم فقالوا سمعاً وطاعة وما بقينا ينجينا إلا قوائم سيوفنا (قال) ولما اشتد من الليل السواد وطلبت عيون الناس الرقاد أنفذ الامير عبد الوهاب سيف الحنيفية إلى ميمنة العسكر وأمره بالحرس فى جماعة من بنى كلاب وضم أيضا عبد العزيز العلوى جماعة من المجاهدين والاشراف وقال له كن فى الميسرة فقال سمعاً وطاعة (قال) وكان هذا هجام لبيباً حازما فى الامور فأقبل على الاهوج وكان كما ذكرنا جبار من الجبابرة ولهذا سمته العرب بهذا الاسم وقال له اعلم أن ملك الروم كلفنا بهذه الخدمة فإن أفلحنا فيها وبلغناه مناه أكلنا أموال الروم وتزوجنا بناتهم طول الابد فقال له الاهوج صدقت فما الذى نفعل فقال اركب بنفسك فى ألف فارس وكن مع عبد العزيز الذى تولى الحرس ولا تكن الا على حذر منه واهجم هجمة الاسد القسور فهو مثل عبد الوهاب فى الحرب وأنا أركب فى الف فارس وأكون مع سيف الحنيفية وقد وكلت بمضرب عبد الوهاب جماعة أخرى حتى اذا وقع الصوت واقبل الملك بيمند نضرب المقدمين بالصوارم حتى نرمى منهم الجماجم فقال الاهوج حباً وكرامة أنا لعبد العزيز العلوى ثم دخلوا على الامير عبدالوهاب واستأذنوه فى ذلك فقال يا قوم ما تحتاجون الى ذلك وأنتم قد جئتم من بلد بعيد وتعبتم تعب شديد

فقالوا والله يا مولانا لابد لنا من حفظك من الاعداء لانك فى بلادهم ونحن فما أتينا الا نطلب طاعة ربنا ونجاهد فى سبيل الله تعالى فمن أسعد منا ونحن قد اشتهرنا فى حراسة المسلمين وكنا من جملة المجاهدين فجزاهم الامير خيراً وسار الهجام مع سيف الحنيفيــة والاهوج مع عبد العزيز فى جماعة من الفرسان مع رجل يقال له عكاش ابن معلس وقد وصاه الهجام بما يفعل (قال الراوى) ولما استقر هـذا الحال ومضى من الليل الثلث الاول هنـاك أشرف الملك بيمند من نحو بلاد القسطنطينية ومعه تلك العساكر التى ليس لها أول من آخر فلما قرب صرخوا صرخة واحدة عيسى بن مريم والصليب فوقع الصياح من كل جانب وتبادرت الفرسان وارتجت الارض من وقع حوافر الخيل وسمع عبد العزيز العلوى ذلك فقال والله لقد قلت للامير عبد الوهاب ارحل بنا قبل أن تكبسنا الروم فما فعل وما حسبت الا هذا الحساب ولكن لله الامر من قبل ومن بعد فقال له الاهوج أيها السيد اذا أتوا الينا قاتلناهم أشد قتال ثم جرد سيفه من غمده وبدر نحو الامير عبد العزيز وضربه ضربة هائلة فقطع يده من كتفه وثنى عليه بأخرى وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاح الاهوج عيسى ومريم والصليب وأما سيف الحنيفية فإنه لما وقع الصوت ركض بالجواد وهو يقول للهجام يا أخى كبستنا اللئام وأكثر أصحابنا فى الخيام نيام وقد كنا فزعانين من هذه الاحكام ونحن ما نقول ما للروم من قوة أن يأتوا الى هـذا المكان فلقد فعلت سوى الرأى فقال الهجام الآن يا أخى قد كان ما كان وقد جرى الامر بما فيـه وما بقى لنا خلاص إلا أن نلقاهم بقلوب أقوى من الجلمد ونقـاتل عن شريعة سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ثم حرك جواده يطلب الصوت وقد سل سيفه من غمده وهزه حتى برق ولمع وصاح بسيف الحنيفية وضربه طير رأسه عن جسده ووقع الى الارض وهو يقول الله أكبر الله أكبر وصاح الهجام فى رجال اليمن وقال دونكم وبنى كلاب ونادى عيسى ومريم والصليب وكذا حمل الاهوج ورجاله وقد تركت الدنيا تسيح بالدماء وانقلبت الارض بضجيج الروم ولاحت الصوارم مثل النجوم وخرج الامير من المضرب وهو مدهوش لينظر هذه المصائب فضربه عكاش فى ظلمة الغياهب فجرحه جراحات بالغة وصاح فى أصحابه وقد ركبت الخيل وضربوا الناس فى ظلام الليل وصار كل انسان يخاف من رفيقه الذى الى جانبه ويفزع من أخيه وصاحبه وكانت ليلة شديدة الاهوال نثرت فيها رؤوس فيها رؤوس الابطال وارتفع الصياح من كل جانب وحلت بالنـاس المصائب ومطرت

سحائب المعاطب وقد أزهرت النجوم والكواكب وقصرت الخيل والجنائب ونصرت الروم على الاعارب ووقع الفزع بالراجل والراكب ودخلت الروم مع المسلمين فى المضارب وتعثرت الخيل بالاطناب ولم تعرف الاعداء من الاصحاب وشابت الذوائب وذابت الارواح من طول الليل وعبرت الدنيا جريان السيل ووقع فى بنى كلاب الحرب والويل الى أن اصبح الصباح بالابتسام وولى الظلام وقتل عبد العزيز وسيف الحنيفية وطلب الأمير من شـــدة الجراح الانهزام وملكت الروم الأثقال والخيام والخيول والأسلاب والغنائم العظام وكانت وقعة ما جرى مثلها فى الأعوام (قال الراوى) وكانت ذات الهمة غير حاضرة كما ذكرنا وإلا ما كان تم عليها هـذا المتم ولما تضاحا النهار ملكوا باقى الرحال والأثقال والأموال والجمال والبغال وأسر عمرو بن عبيد الله ومعه عشرين الف من بنى سليم وكانت هذه الوقعة أخت واقعة القبا بلغت الروم فيها المنى إلا أن عبد الوهاب لما ولى قد كان خاف على نفسه لأنه نظر إلى المسلمين وقد انهزمت والسيف يعمل فيهم من كل جانب والروم قد ملكوا عليهم سائر المذاهب (قال الراوى) فلما انفصلت الواقعة فرح بيمند فرحا شديد ما عليه من مزيد وشكر هجام وسأله عن حاله فقال قد قتلت سيف الحنيفية وعبد العزيز العلوى فصلبت الروم على وجوهها من شدة الفرح وطافوا القتلا فوجدوا عبـد العزيز وهو مطروح إلا أنه يبدى الأنين ويحن أدق حنين فقطعوا رأسه وعجل الله بروحه إلى الجنـة ووجدوا سيف الحنيفية وقد وطئته الخيل وهو مضمخ بالدماء ففرحوا الملاعين الفرح الشديد وضربوا الطبول والزمور وسكبوا الخمور بعد ثلاثة أيام بنوا موضع الاميرين صومعتين وطلعت عليهما الرهبان والقسوس ودقوا عليهما الناقوس وكفروا بالملك القدوس وبقيوا هنالك ثلاثة أيام أخر وأنفذوا الأسارى الى مدينة القسطنطينية وفيهم عمرو بن عبيد الله ولما كان اليوم الرابع أراد بيمند أن يرحل فعند ذلك عمل رأس سيف الحنيفية على قنطاريه وتركها على الصومعة الواحدة وفعل برأس عبد العزيز كذلك وتركها على رأس الصومعة الاخرى وطابت الدنيا للكفار وسارت إلى سائر الاقاليم الاخبار وقال بيمند ارحلوا بنا على أثر المسلمين الى ملطية ونملك البلاد والثغور فقالت الروم هـذا شىء ما نفعله الساعه حتى نعود ونترك الرجال والاموال التى كسبناها فى القسطنطينية ونجمع باقى الملوك والعساكر ونطلب بلاد المسلمين فقال افعلوا ما بدالكم ثم رجع معهم الى القسطنطينية ولم يدخل البلد حتى أخرج البطـال وأصحابه والراهب سمعان وأصحابه وأوراهم الاسارى الذين معه والذين أرسلهم وضرب رقاب الـكل قدامهم ثم أقرن الامير عمرو بن عبيد الله

مع البطال وأصحابه فحدثهم الامير عمرو بما جرى على المسلمين من المصائب فبكوا بكاء الثكلات من النوائب وجرت العبرات وقالوا هذا كله بقضاء الملك العلام ولقد انهدت أركان الاسلام (قال الراوى) وان بيمند لما فرغ من قتل الاسارى رد البطال وأصحابه الى المطمورة وأمر بحبس الامير عمرو فى ناحية عنهم وقال هذا أمير العرب كلها وأنا أريد أضيق عليه حتى آخذ منه كل مال حمله اليه أبى أرمانوس (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما رجع منهزما وأتى إلى عند قومه أمن على نفسه وأقام ينتظر ولده سيف الحنيفيه وعبد العزيز العلوى ومن يرجع معهما وقد ظن انهما فى الحياة وماعلم انهما شربا كاس الوفاة ولم يزل كذلك حتى أتت باقى الجيوش بعد ستة أيام وأعلموه بالحال فبكا بكاء شديدا وأرمى عمامته واشتدت حسرته وشاع الخبر فى العسكر فمابقى أحد الاوبكى ثم مضى الأمير إلى ملطيه وهو على تلك الحاله فلما ان وصلوا وجدوا المنهزمين قد أعلموا بالخبر أهل ملطيه واللطم يعمل من كل جانب فلما ان وصلوا والامير عبد الوهاب على تلك الحالة زادت المصائب ووقع الندب فى الازقه وحل بالناس أعظم حرقه ودخل الأمير عبد الوهاب إلى والدته وهى مريضه فبكى بين يديها فزاد مرضها وبكت على المجاهدين ثم انها تحسرت كيف لم تكن حاضره فقال لها الأمير عبد الوهاب ياأماه لاتتحسرى فما على المريض حرج فى تخلفه عن الجهاد وأنتى قد استولى عليك الكبر فقالت يابنى ماكنت أشتهى الا ان أكون معكم حتى أقتل ومن أسعد منى ان أكون مثل هؤلاء الذين قتلوا فى هذه الوقعه ويكفيهم انهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين (قال الراوى) فهم فى الحديث وأخوات عبد العزيز قد دخلن عليهم وهن لابسات السواد مجزوزات الشعور ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور فلما ان رأتهم الأميره ذات الهمه على ذلك الحال بكت وقعدت على فراشها ونهتهن عن ذلك فقالت زينب ماشاء الله كان لامرد لقضاه ولا دافع لبلاه والصبر أجمل ولابد لنا ان نلبس الدروع ونسير فى هذه النوبه مع الجيوش والجموع وندخل فى بلاد الاعداء ونجاهد حتى نشرب كاس الرداء فسير أيها الأمير والسيد الخطير حتى نسير بين يديك ضاربات ولاخذ التار مشمرات فقال الأمير سمعا وطاعه بعد خمسة أيام أرحل وأدخل إلى بلاد الكفار ثم خرج فنظر إلى الناس وقد أقاموا الرايات وتظاهروا بالحسرات ولبسوا السواد وهلبوا الخيل الجياد وهم معولين على الرجعه إلى بلاد الكفار وبذل المهج وخوض اللجج فنادى الأمير ماعلى من طلب التار من حرج خذوا الاهبه للمسير ففرحوا الناس بذلك وأخذوا

الاهيـه وكـذلك أخوات عبد العزيز حصلن آلة الحرب والجلاد وعولن على أخذ التار والجهـاد وقد قالت زينب والله لارجعنـا إلى الديار حتى أدخل بلاد الروم وآخذ عظام عبد العزيز أخي وأعبر بها إلى بلاد الإسـلام وأموت حول القبر صبر ولا أريد بعد عبد العزيز صيانة ولاسترا (قال الراوى) وبعد خمسة أيام رحل الأمير عبد الوهاب بالناس وقد وقع فيهم الوسواس وخرجت الأميره ذات الهمه فى المقدمه وهى على تلك الحاله من الضعف لان الغيره على الإسلام حملتها على هذه الاحكام (ياساده) هذا وعبد الوهاب معلق القلب بالخليفه وقدومه ويقـول والله لقـد أبطأ علينا خبره وقد قال انه يلحقنـا إلى بلاد الروم بعسكره ثم انه سار من الثغور حتى أمسى المسـاء ونزلوا فى مرج الطيور والمجاهدين متلاحقـين بهم من الثغور فلما أصبح الصباح وعول الاميران يرحل وإذا بغبار قد طلع وعلا وارتفع فجعلوا الناس ينظرون اليـه ويتعجبون منه ثم انكشف ذلك الغبـار كانه البحر الزخار وفى أوائله الرايات والاعلام مع الديلم والاعجام وعلى مقدمهم المعتصم الامام والعسكر من ورائه يندفق مثل الغمام (قال الراوى) فلما نظر عبد الوهاب إلى ذلك ركب وركبت الأميره ذات الهمه وأمراء بنى كلاب وقد ارخوا العمائم فى الرقاب وضجوا اليه بالبكاء والانتحاب والتقـوا المعتصم على تلك الحاله فانذهل لمـا رأى الناس غارقين فى لبس السواد مثل الغربان والويل قد ارتفـع من شدة الاحزان فقـال المعتصم للأمير عبـد الوهاب ايش هذا الذى بكم اشرحوا لى خـبركم فبكى الأمير عبد الوهاب بدمع مسكوب وأنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

ألا ياخير شخص فى العباد	ويا ابن العزمن أهل السدادى
أعنـا فالحوادث قد دهتنا	وقد فنيوا الحواضر والبوادى
وقد كسرت رجال بنو كلاب	وقد حطمت لنا يوم التنادى
وتمت حيلة الكفار فينـا	وأفنونا بأسياف حدادى
مضى سيفى الذى قد كنت أسطو	به يوم الحروب على الاعادى
نعوه وأقلعوا لمـا نعـوه	حشاى وكان مصرعه فؤادى
سيلقى ربه وعليـه ثوبا	بدا مخضبا بدم الاعادى
ويلقى فى جنان الخلد حورا	وولدانا بكاس للودادى
كذا عبد العزيز غدا طريحا	تطاه الروم بالخيل الجيادى

يقول أنا ابن فاطمة وجدى　　على المرتضى باب الرشادى
ألا من لليتامى بعد فقدى　　يراعينى ومن يرعى ودادى
ألامن للحنينات بعد موتى　　يغير عنهم لبس السوادى
سلام الله يغشاكن منى　　ورحمته إلى يوم التنادى

(قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب ينشد ويبكى والخليفه أيضا يبكى ثم نزلوا الناس عند السور وأقبلت العساكر فملات الدنيا بجنباتها لان الخليفه كان وصل فى ستمائة ألف بطل همام أعراب وأعجام وأتراك وأكراد كرام وغير ذلك وهو قلقان على المجاهدين ولما أصبح الصباح نادى مناديه فى الناس بالرحيل ولم يأخذه اصطبار ولاقرار على فعل الكفار بالمسلمين الابرار ثم انه سار وعبد الوهاب فى المقدمه مع بنى كلاب ثم يسيرون موكب واحد كلهم لابسين السواد وخيلهم مهلوبة الاذناب وأخوات عبد العزيز سائرات من أجل تار أخيهم وكل الجيش يضج بالبكاء ويبتهلون بالدعاء إلى رب السماء (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من ملك الروم بيمند فانه أقام فى القسطنطونيه حتى اجتمعت العساكر من سائر الأقاليم ولم يبق فيها الا النسوان والصبيان أورضيع أوفطيم والبلد مزين بالزينة الحسنه والطبول تضرب على باب البلد والروم تقدم قوم بعد قوم وهم يلتقون القادمين ويبشروهم بالنصر والظفر وقد قال لهم اللعين بيمند لاتخرجوا هذه النوبه الا على نية الاقامه فى بلاد الاسلام لانى أريد أملك لكل ملك منكم أقاليم من أقاليم المسلمين لان المسلمين قد هلكت أبطالهم ولابقى يقوم لهم قائمة أبدا وقد ذكروا أيضا ان الأمير عبد الوهاب ضربه رجل من هؤلاء اليمانيين فى الظلام بالحسام ونحن منتظرين الجواسيس تأتى بخبر هلاكه والروم قد فرحت بماقاله وقالوا هذا شىء مارأيناه فى أعمارنا من ملك ملوك النصرانيه والمسيح يشد عزمك ايها الملك بيمند فما يصلح للملك الا أنت ثم قالوا ارحل أيها الملك إلى بلاد الاسلام قبل ان يرجعوا ويقووا ويجتمعوا فقال انا على هذا معول وفى غداة غد ارحل بالروم على ان المسلمين مابقيت تقوم لهم قائمه ثم أقام حتى أصبح الصباح وعول على الرحيل واذا هو ببطريق قد دخل عليه وصار فى الحال بين يديه وهو متغير اللون مضطرب الكون فقال له بيمند مابالك فقال أيها الملك ادرك الشيخ النجيح قبل ان يهلك والحقه قبل ان لاتلحقه فقد وصل الينا وهو فى زى قسيس من قسوس الشام حتى يخفى أمره عن أهل ملة الاسلام وقد أخذوه البارحه عشرة من المسلمين وقد طلبوا به طريق ملطيه وعليه ذلك الزى حتى ينهتك ستره وقد أخذوا معه بنت صاحب الدير وهى ماريه محبوبتك التى

أردت ان تتزوج بها فاعزم على خلاصهما وخلاص الشيخ النجيح ولا تقعد عنه فيطالبك المسيح لان المسلمين مايبقوا عليه ان انهتك ستره ويشتفوا فيه ويقتلوه ولو قتلت بعدذلك كل من فى بلاد الاسلام لما رضى عنك السيد المسيح بعد ان يقتل الشيخ النجيح (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان القاضى عقبه بعد مسير الهجام بأيام أخذ خطوط أهل اليمن بما بان لهم من عبادته وكرامته ثم دخل على الغيهال صاحب البلد واستأذنه فى المسير وقال له قد قتلنى الشوق إلى مدينة القدس لان هناك اخوان وقد اشتقت إلى زيارتهم وأريد ان تأذن لى فى ذلك فشق ذلك على الغيهال وقال يامولاى مابقى لى صبر عنك ولا عن مشاهدتك ومادام انك تطلب الزيارة ماأقدر أمنعك ولكن أشتهى منك خرقة تكون عندى تذكره أتبرك بها فان أنامت قبل ان ألقاك تركتها فى كفنى حتى ألقى ربى بها فقال عقبه لاتظن بى شىء من هذا من أنا يامالك وهذا شىء ما أنا من أهله ثم أعطاه بعض قصانه وودعه وسار حتى وصل الى الشام ودخل الى القدس ونزل الى الساحل وأكرى منه مركب وسار فنزل قريب من مرج الديباج موضع كانت الوقعة فنظر إلى القتلى ووجد المجاهدين مرميين فقال واحسرتى الذى ماكنت حاضر هذه الوقعة وابردها على كبدى هذا أراه فى المنام أوفى اليقظة ثم انه عدل إلى دير شمونين فاستضاف صاحبه ونزل عنده وكانت له ابنة يقال لها ماريه وكانت أحسن زمانها فى الجمال والكمال والقد والاعتدال واللطف والدلال ولها وجه جميل فلما انرآها عقبه طارعقله وحار لبه وانذهل خاطره الا ان الراهب أكرمه غاية الاكرام وأتاه بشىء من الخمر ولحم الخنزير وأكل ثم اجتمعوا سائر الرهبان وقال اقعدوا بنا فى هذه الليله حتى نساهر الشيخ النجيح فقعدوا يشربون ومعهم بنت القس تسقيهم وهى مثل القمر إذا أضاء وقد شدت خصرها بزنار ابريسم وقد نفر ردفها من شدة شد الزنار وهى تدير عليهم الاقداح وخدودها مثل حمرة التفاح وعقبه يأخذها من جانب أبيها ويقبلها فى خدها ويقول بارك المسيح فيك فقال أبوها أيها الشيخ النجيح لقد شرفت ابنتى بتقبيل خدها وتقول لها بارك المسيح فيك وأنا أعلم ان الرحمه نزلت عليها هذا وعقبه سكر وطاب وكلما نظر اليها زاد به الاكتئاب (قال الراوى) ياساده وكان بيمنند يحب هذه الجاريه محبة عظيمه شديدة من ايام أبيه الاانه مايقدر عليها لاجل انقطاعها للعباده فى الدير وهذا عندهم أمر عظيم (قال الراوى) وفى ذلك اليوم وصل عشرة من الناس عند المساء فى زى تجار الارمن وكان فى أوائلهم شاب حسن الشباب جميل الاهاب مارأى أحدا احسن منه يقال له قيس بن عمرو وكان هذا الغلام من أهل الجزيرة وكان قد ورث من أبيه مال كثير وضيعه مع الشباب وأبذله

للفقراء والمساكين والقاصدين فلما كمل عقله خطب ابنة عمه فزوجه بها وهو يظن ان معه شيء من المـــال فقطع عليه مهر ثقيـل ومن كرم نفسه ماشكى الفقر لعمه بل أجابه الى ماطلب وقال لعشرة من أصــدقائه وأحبـــابه ومن يلوذ بهم ويلوذون به وشكى اليهم حاله وطلب منهم المسـاعده فأجابوه إلى ماطلب فأخذهم ودخل بهم إلى بلاد الروم فى زى تجار الارمن ومعه الطيب والندوالمسك فصاريبيع منه فى الاديره حتى وصل إلى هذا الدير الذى فيه عقبه فرآهم القس فقـدم لهم خبز وعدس وهم يدعون له بلسـان الارمن وهم يأكلون إلى ان لاحت منهم التفاته فرأوا القاضى عقبه وقد خرج من داخل الدير بريق المـاء وكان عليه برنس راهب وثوب شعر اسودودقنه الى سرته فتعجبوا منه الى ان عاد وهو يقول ماأبرك هذا الزمان ببركة هؤلاء ثم ذكر قتال الروم للمسلمين وهلاك سيف الحنيفيه والأمير عبدالعزيز فلما رآه قيس قال لاصحابه اماهذا عقبه الذى هو قاضى القضاة فى بلاد الاسلام فقالوا أصحابه هواياه ولا شك فيه فقال لهم ماأسعدنا ان أخذنا هذه الجاريه وعقبه أيضا ونحملهم الى عبدالوهاب ونأخذمنه مايغنى فقرنا فقالوا له افعل ماتشاء ثم أقاموا يرصدون هؤلاء وهم يشربون ومع عقبة يتحدثون ويحكون له ما فعل بيمند وكيف قبض على أرمانوس وما دبر على المسلمين والأمراء وهو يضحك ويقول كل هذا عملى وبتدبيرى وأما أرمانوس فانه قد أذل النصرانية ويحمل الأموال إلى المسلمين وأنا أدخـل إلى القسطنطونية وأدبر دولة بيمند ويبلغكم ما أفعل ولم يزالوا كذلك إلى وقت السحر ووقع كل واحد منهم يشخر مثل البقر فعند ذلك قام قيس بن عمرو وأصحابه وقال دونـكم والجهاد فى هؤلاء الأوغاد ومكنوا منهم الخناجر فقاموا القوم وفعلوا ذلك وذبحوا الـكل عن بكرة أبيهم ورموا رؤسهم مثل رؤس التيوس وكتفوا عقبة وهو سكران طربح وقد تقايا على ثيابه وصـــدره ولحيته فحملوه وهو على تلك الحاله وأخذوا الجارية معهم ونهبوا كلما كان فى الدير واستقاموا على الطريق طالبين بلاد الاسلام وقيس يقول لأصحابه كلما أخذتموه أنتم فى حل منه وانما أنا أريد هذه الجارية مارية والشيخ عقبه أسير به إلى عسكر المسلمين وأشهره بين الموحدين فقالوا له افعل ما بدالك (قال الراوى) وكان قد بقى فى الدير بطريق من أنحس البطارقة وكان يعشق الجارية وترهب مـن أجلها وانقطع إلى العبادة بسببها حتى يكون ينظرها ويشاهدها وكان شرب مع عقبه وطلع إلى قلايته وغلق عليه بابه ونام ومعه قليل من المدام وطلب بذلك إلى أن يناموا ويقوم لمحبوبته لأنه رآها فى الزى الذى ذكرنا وقصد منها فرصة فنام وما انتبه إلا على الشخير

وهو شخير المذبوحين فلما رأى ذلك بقى مكانه يرتعد من شدة الفزع حتى أصبح الصباح ونزل إلى الدير فرآه فضيحة من كثرة ما فيه من القتلى ووجد عقبه قد فقد والجارية قد أخذوها وأخذوا كلما كان فى الدير من المال والصلبان فقال وحق المسيح ما أصبنا إلا من تجار الأرمن الذين باتوا عندنا وما أقول إلا أنهم كانوا من شياطين المسلمين وما طلبوا إلا طريق ملطيه وإلا فأين يهربون ثم نزل من الدير وسار إلى بيمند كما ذكرنا وأخبره بالخبر كما وصفنا فقامت عليه القيامة لأنه كان يحب الجارية محبة عظيمة وما سمح لزحاف بابنة القانون الا لما كان فى قلبه منها وكان أمل أن يأخذها من الدير وطمع فى ذلك ملك القسطنطونية فعند ذلك قام الهجام وقال للملك ما تبان الرجال أصحاب الهمم الاوقت الشدائد والأهوال وأنا أسير فى هذا الوجه وأخاص الشيخ النجيح ولو وصلو الى بلد الاسلام انى أنا ما أنكر ولا يعرفنى أحد فقال بيمند افعل ما بدالك بارك المسيح فيك فسار الهجام فى مائة فارس والراهب الذى أتاهم بالخبر بين أيديهم وهو يقطع بهم الأرض فى مواضع يعرفها وكان قيس وأصحابه لما أخذوا عقبه والجاريه قد ساروا برفق فى المسير لأنهم آمنين ممن يلحقهم وقلب قيس قوى بما فعله فى أصحاب الدير وقد أيقن انه ما بقى فيه من يخبر بخبر فصار يسير الليل ويكمن النهار الى ان وصل الى مجمع الجبلين ورأس النقيب واذا قد التقى بهم ثلاث جواسيس وهم طالبين القسطنطونية فلما رأوهم فى زى الأرمن أمنوا لهم وقالوا لهم الى أين انتم سائرين فى هذه الأرض وبينكم وبين عسكر المسلمين ليلة واحدة وخليفهم قد دخل الينا فى عساكر تسد الفلا وتملا المستوى وهو لابس السواد وكذلك عبد الوهاب وذات الهمة والكل لابسين السواد وقد تحالفوا انهم لا يرجعون حتى يتركوا الدماء تجرى فى ازقة القسطنطونية مثل الأنهار ولا يبقون فيها ديار ولا نافح نار بل كل من وقعوا به قتلوه وقد حذرناكم فارجعوا الى ورائكم قبل ان تقعوا فى عساكر العراق وقد ملات الافاق وقد حلف الخليفة لا بد ان يسقى الروم كاس المحاق فلما سمع قيس ذلك نزل ونزلت رجاله واظهر للروم انهم راجعين وباتوا تلك الليلة وقد طابت قلوبهم وقالوا غدا تصل الينا عساكر المسلمين ونهتك ستر هذا الشيطان عند امير المؤمنين ونتركه عبرة الى يوم الدين فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم الهجام ابن المقدام وعرفهم البطريق الذى سلم من الدير فقال للهجام دونك واياهم فزعق فيهم وحمل عليهم ودارت بهم البطارقة اسرع من الأجل ولم تكن الا ساعة حتى قتلت التسعة واخذ قيس ابن عمرو اسير وكانت

الجارية قد عشقته لما رأت حسنه وجماله وقده واعتداله وقد اشتهت أن لا ترجع الى بلاد الروم وقد أصاب قلبها من هواه جراح وكلوم وتمنت ان تعيش معه فى بلاد الاسلام وهى التى كانت سبب سلامته من الحمام لأنها قالت وحق المسيح أن قتلتموه لأقتلن روحى ولا أوريكم شخصى ولا أصل معكم الى عند الملك فتركوه لأجلها وحلوا القاضى عقبه من الوثاق وساروا طالبين القسطنطونية والروم ينزلون على اقدام عقبة يقبلونها ويهنوه بالسلامة وهو يشكر الهجام والهجام يقول ياشيخ جزاك المسيح خيرا لانك انفذتنى الى النعيم وارشدتنى الى الدين القديم وقد خلصتنى من بلاد اليمن من ذلك العيش الزميم ثم جعل يحدثه بما فعل وكيف احتال على المسلمين وكيف قتل أمراءهم (قال الراوى) وعقبه لاتسعه الدنيا من الفرح وسار حتى وصل الى القسطنطونيه فوجد الروم فى قلق عظيم من انتظارهم لعقبة فلما اروه جعلوا يسلمون عليه والملوك يقولون ايها الشيخ النجيح لقد طال شوقنا اليك وانتظارنا لك فما الذى حملك على تغريب نفسك هذه الغربة ولك فى بلادنا متسع وما بقى فى العمر أكثر مما مضى فقال عقبه لو لم أدخل إلى بلد اليمن ما كان جاء اليكم هذا العبد الصالح والأمير الناصح سيد ملة المسيحة والطائفة المريمية الهجام ابن المقدام وكنت فى اليمن ودبرت هذا التدبير وقتلت عشرين ألف مسلم وضربت خمسه آلاف رقبة وأهلكت سيف الحنيفية وعبد العزيز العلوى الذى كان فى فؤادى منه نار لا تطفأ ومن الساعة ما بقى فى قلبى حسرة إلا من أبو محمد البطال وولده وغلمانه وعبد الوهاب وأمه ذات الهمة فاذا لم يبق أحد من هؤلاء انطفت نار قلبى وبردت وما أبالى بعد ذلك كيف مت على اننى وحق المسيح ما تموت من بدنى شعرة إلا وقد نات هذا من بعدى ويلعنونى لأن لعنتهم تجدد الرحمة على قبرى وتبرد تحت الأرض مضجعى واعلم أن ذلك من غيظهم وحنقهم على وأنا أجد الراحة إذا أدخلت على قلوبهم الغيظ على أن المسيح يعطينى شهوتى ويبلغنى بعد ذلك إلى جنات النعيم ويتركنى فى العيش السليم بما قد فعلت واجتهدت فى الطاعات لأنى أقل ما قتلت فى حياتى فى بتدبيرى من المسلمين مائة ألف أو يزيدون وخربت المساجد فمن فى الأرض له مثل هذه هذه الحسنات فقالت الروم ما يقدر على هذا أحد غيرك (ياسادة) هذا وبيمند قائم فى خدمته وقد أقبل عليه بعد فروغ حديثه وقبل رأسه ومسح بيديه على صدره وقال حفظك المسيح فقال وأنت أيها الشيخ النجيح فقام عقبه ودعا له وقال لازلت محفظا بعيد وقريب وعليك بركات المسيح و

والصليب ياولدى أين أبوك أرمانوس وأين البطال وأصحابه قال الكل بحكمك ثم أمر بهم فحضروا بين يديه فلما رآهم صلب على وجهه وقال ما كان المسيح بالذى يهلككم وأنا غائب فأبقى عليه طول الدهر عاتب ثم قدم الأمير حجاف وأسرف عليه بالضرب غاية الاسراف وحجاف قد رفع طرفه إلى السماء وهو يقول يامن خلق الخلق ورفع السماء وتفرد بالدوام والبقاء وضمن على نفسه الاجابه لمن اتقى اجعل يارب لنا من كل ضيق مخرجا ومن كل أمر فرجا وكان عقبة يسمع وكلما سمع دعاءه ضربه حتى كاد يقضى عليه ثم ثنى بالبطال وولده مذبحون وكانوا لما رأوا طلعته ما فيهم الا من قد علم أنه قد حانت منيته ثم رد الكل إلى المطمورة بعد ما عاقب الراهب سمعان وهو يقول ما أرجع عن قول أن الله واحد أحد فرد صمد ليس له زوجة ولا ولد وعقبه يقول سأرجع اضرب فؤادك بسكين ولا تقول هذه الكلمة ثم أمر برفعهم وهو يقول وحق المسيح لا أقتلنكم حتى أجعل رأس عبد الوهاب على رقبة مذبحون ولما رفعوا قال لبيمند أحضرلى ابوك حتى أوقفه على فعله لأنه ما كان له قط يوم من أيامك بل كنت اقول له عليك بالجهاد والعزم الصادق وهو لا يسمع منى بل يزن الجزية مثل اليهود فلا فرج المسيح عنه من الحبس والضيق والقيود حتى يموت موت القرود هذا والهجام قد قدم الجارية قدام بيمند فلما رآها فرح واندهل من حسنها وامر بضرب رقبة قيس ابن عمرو فقالت الجارية وحق السيده مريم أم النور وبيعة مريحنا ويعفور ان قتلتم هذا المسلم لاقتلن روحى ثم بكت ولطمت فحار الملك من ذلك وقد زاد هيامه بها لأجل جمالها فرفعها الى قصره وامر بقيس ان يرفع الى المطمورة التى فيها ابو محمد البطال فصار بيمند كلما اراد ان يخلو بالجارية بكت ولطمت وهو يتخضع لها ويدارى قلبها وهى لا تلتفت اليه ولا تقبل عليه ولما حار فى امره شكا حاله الى عقبه وقال إيش اعمل فى هذه الجارية فقال دعها ايها الملك حتى تبصر إيش يكمل لنا من جيشنا ومن جيش المسلمين لأن خليفتهم اليك قد دخل وإلى بلادك قد وصل ومعهم عساكر المسلمين فدبر امرك واتركنا من هذه الأمور وهذه النوبة هى نوبة الانفصال لأنك ان كسرته فاخرج على حالك واملك البلاد فما يمنعك منها احد من العباد والمسيح قد رزقك مالم يرزقه اياك ولا أحدا سواك فقال بيمند يا أبونا دعهم حتى يصلوا بالبعد من ديارهم وتنقطع عنهم الميرة والطعام وأنا أفعل بهم كما فعلت بأصحابهم فقال عقبه بارك المسيح فيك فما رأيت قط أبصر منك بالحرب إلا أن تكون أمك ميمونة رحمها المسيح ورحمتها القسس والرهبان

ورحتى عليهم فى كل أوان فلقد كانت امرأة صالحه وعن الدين مكافحه فلما سمع بيمند ذلك قال هنيئاً لها على هذه الفعلة ثم قال للروم خذوا الاهبة حتى ندبر على المسلمين أخت تلك الوقعة (قال الراوى) فهذا ما كان من هـؤلاء وأما ما كان من المعتصم فانه سار بعساكر المسلمين يقطع الارض فى الطول والعرض حتى دخل إلى بلاد الروم وأشرفوا على مكان الوقعة فرأوا رؤوس المسلمين قد بنيت صوامع ورأس سيف الحنيفية ورأس عبد العزيز قد عملا على قنطاريات وأبدان المجاهدين مطرحة على الارض فدفنوهم وانقلب العسكر وضج من سائر الاقطار وكانت هذه الوقعة أعظم من وقعة الفنا فقال المعتصم وقد بكا حتى كاد ان يغشى عليه ليتنى لم أكن فى الدنيا ولم أرى ماحل بهؤلاء المجاهدين من البلاد (قال الراوى) هذا واخوات عبد العزيز قدتجاروا إلى رأس أخيهم وأخذوه من على الرمح وصارت زينب تلثم ذوائبه وعارضيه وتقول ياأخى مااتصلنا حتى انفصلنا ومتى اجتمعنا حتى افترقنا رحمك الله ورحم من ترحم عليك يعزوالله على ياأخى ان أراك مقتول ياأخى من تركت لنا بعدك يرعانا ياأخى ماكان لنا غيرك يتولانا ياأخى عرينا الساعة اننا غرباء لفقدك بالعويل والانين ثم انهم طيبوا الرأس وكفنوه وأخذوه معهم وفعل الامير عبد الوهاب برأس ولده سيف الحنيفية كذلك وهو يقول ياأخوات عبد العزيز والله انى حملت من همكن أكثر مما حملت من حزن ولدى سيف الحنيفية هذا والمعتصم يقول وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لابدلى من أخذ الثأر واكشف العار واجعل روس المشركين موادن مثل هذه الصوامع وألقى فى بلاد الروم الفجايع ثم رحل طالب القسطنطونية وعبد الوهاب يقول ياأمير المؤمنين لقد أخبرت أن هذه الامور التى جرت كلها كانت من تدبير عقبة ابن مصعب وهو الذى نصر هذا الملعون وانه هو الذى أخرجهم من بلادهم فقال الخليفه ياقوم لاتفعلوا بالله ارجعوا إلى الله تعالى فقد جاءتنى الكتب وفيها شرح ماجرى لعقبة وان الله تعالى قد فتح له كنوز الارض والمطالب فى عدن وقد تاب على يديه خلق كثير من أهل اليمن وهو يدعوا للمسلمين ليلا ونهارا على انى والله العظيم ماأقول هذا الا مما سمعت فى الكتب التى وصلت إلى وانتم تعلمون ان الشرع مايقبل شهادة الا مع المشاهد ولم يزالوا سايرين حتى وصلواالى مرج الاسقف فباتوا تلك الليلة واحترزوا لانفسهم خوفا من النوبة الأولى (قال الراوى) ووصلت الاخبار إلى ملك الروم فجمع البطارقه والعمالقة وشاورهم فيما يعمل فقالوا أيها الملك عساكرنا كلها على باب الذهب ولابد لنا من الرحيل إلى هؤلاء العرب فقال الملك اذا كان الامر

كذلك فاعزموا وعلى قتالهم صمموا ثم قال لعقبـــة أيها الشيخ النجيح اركب معنا حتى تشاهد فعالنا بهم فقال عقبة ومثلى من يقعد عن هذه النوبة لاوحق المسيح ولا بد مما أعينك بدعائى عسى تنال بركه شيبتى ومابينك وبين القوم الا ان تأخذ منهم عبـــد الوهاب والمعتصم وذات الهمـة فما يبقالك هم ولاغم وذلك الوقت أكشف رأى وأقول لهم انا عقبة ابن مصعب يامعاشر العرب وارسل بعد ذلك من يخرب ديارهـــم العامرة ويتركها قفار وأجوز فيها بعساكر النصرانيه ليلا ونهار فقال الملك مالك شيء أقرب من هذا فابشر به فى أيامى ثم نادى فى العساكر ورحل بلا قرار حتى أشرف على عساكر الاسلام وثار الغبار وقد وقع الصياح والتكبير من عساكر المسلمين وعلا التهليل والتسبيح لرب العالمين وكان ذلك الوقت وقت العصر وقد وقعت الطلايع على الطلايع وكان فى أوائل المسلمين الأمير ضيغم ليأخذ بثار أخيه وكان فى طلايع الروم بيمند بنفسه لأنه كان مدل بشجاعته وبراعته وما فى عينيه من أهل الأرض شيء إلا أن ضيغم لمـــا عاين صلبان الروم تجدد فى قلبه الهموم وحمل من وقته وساعته على الروم حملة الأسد الهجوم واصطدمت الأبطال وثبتت الرجال وحامت عقبان الآجال وعملت الصوارم الصقال وفاضت السمر العوال والتقت الأبطال بالأبطال وأضرمت نار القتال واهتز الشجاع فى سرجه ومال وأيقن الجبان بالفنا والزلزال وأهلك الملك بيمند من المسلمين جماعة كثيرة وأبطال غزيرة فلما نظر ضيغم الى حملاته وضرباته وطعناته والروم تكر لكراته وتحمل لحملاته وتقف لوقفاته علم انه الملك فأطلق نحـــوه عنانه وقصده بسنانه وشفا من البطارقه غليل فؤاده وجعله قصده ومراده وصوب سنانه اليـــه وهمته قد عزمت عليه فلما قاربه التقاه بيمد فعنـــد ذلك تجاولا وتقاربا وتضاربا وتحاربا كانهما اســـدين ومعهما سيفـين قاطعـين وكان الملعون بيمند قـــد حمل على ضيغم ثلاث مرار فعند ذلك حمل ضيغم عليه وضربه وكانت ضربته قاطعة فوقعت على عنق جواد بيمند قطعته فوقع ووثب الملعون وصار على وجه الأرض وبادر وضرب جواد ضيغم على قوائمه أبراها فوقع ضيغم وصار على وجه الأرض وحمل على بيمنط وبدر إليه لأجل نخوته هذا وبيمند غضب غضبا شديد وصاح مثل أسد وانتقل تحت درقته وانقلب وأدرك ضيغهم فتراجع ضيغم إلى وراه فزعا من العطب فعثر بحجر فوقع على قفاه فأخذه عدو الله أسير وقاده ذليل حقير ورجع به إلى عسكره فاول من التقاه القاضى عقبه ابن مصعب ونادى ابشر أيها الملك بالظفر فهذا عبد الوهاب الأصغر فالمسيح نصرك وأيدك بالنصر (قال الراوى) واتصل الخبر إلى

الأمير عبد الوهاب فبقى قلق الفؤاد مسلوب الرقاد قال إنا لله وانا إليه راجعون لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هذا الملعون قيل لى عنه أنه سفاك الدماء وقد قتل ولدى وأسر الآخر ولكن ما يكون الا ماقضاه الله تعالى وبقى مشغول الخاطر لأجل بيمند وشجاعته وأسر ولده وانكسار طلعته (ياساده) وأن عقبه أمر بضيغم قدوه وضرب تحت الظلام إلى أن أشرف على الحمام وقال لبيمند أيها الملك أنفذه إلى القسطنطينيه وأمر بحبسه عند البطال حتى يتفرغ قلبك من هذه الأشغال فقال صدقت هذا هو الصواب ثم أرسله فى الحال مكتوف بالحبال مع الرجال وأقام الى الصباح ثم نادى فى عساكره بالركوب وصاح وكذلك الامير عبد الوهاب عبأ كتائبه ومواكبه ونشر أعلامه وقد عزم على القتال وقدم عزمه واهتمامه وأمر الناس بالحملة فحملوا ورأى عقبه ذلك فنادى بالملك وقال يا ملك ابدر بالقوم فالبدره لمن بدر وتولى أنت الأمر بنفسك لأن المسيح لك ناصراً ومساعداً (قال الراوى) فلما سمع بيمند كلام عقبه صاح فى البطارقة والعلوج واختلطت الكتايب والفيوج وتزلزلت الأرض والمروج ودقت الطبول والبوقات وخفقت المنجنوقات ونشرت الرايات وظهرت العلامات واسودت الآفاق بغبارها وأظلمت الأرض بأقطارها وتعثرت الخيل بأحجارها وأضرمت الحرب نارها وخطت الهيجا أوزارها وأيقنت النفوس بانقضاء آجالها وقصر أعمارها (قال الراوى) وكان أول من صدم الناس الأميرة ذات الهمه كأنها اللبوة المصممه فخرقت المواكب وبددت الكتايب وكذلك الأمير عبد الوهاب ودارت طاحون الحرب مثل الدولاب وكان الأمير يقاتل ودمعه يسبق وقلبه محترق والمجاهدين قد بذلوا المجهود وطلبوا أخذ التار من أهل الكفر والجحود وعفر التراب نواعم الخدود وتنكست الأعلام والبنود وقطعت الصوارم والخلايف والكبود ووصلت أرواح أهل الإيمان الى المقام المحمود فى جنات الخلود وتلقتها الملائكة بأمر الملك المعبود ونقلت أرواح المشركين إلى النار حتى تنضج منهم الجلود (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن تنصف النهار والأميره ذات الهمه قد حملت تحت الغبار وخرقت الصفوف وجدعت الانوف ونثرت القحوف وهى بقلب غير مخوف وقلبها محزون ودمعها على الأمير سيف الحنيفيه مذروف فبينما هى تضرب وجوه الاعدا وتسقيهم من سيفها شراب الردا إذ نظرت إلى فارس يحمل حملات العمالقه ويفتخر بقتاله على سائر البطارقه وينادى بصوت كانه الصاعقه ويقول أنا الهجام ابن المقدام والأسد الضرغام

سيف النصرانيه والحامي عن ملة ماء المعموديه وقاتل سيف الحنيفيه (قال الراوى) فلما أن سمعت الأميره كلامه وحققت مقاله تمرمر مراقها وعلا زعاقها ومالت عليه وقصدت اليه ونادت ياابن اللئام الكلاب حل بك العذاب ممن لاتفزع من شرك ولاتهمل أمرك وسوف آخذ منك بثار من اغتلته واقتلك كما قتلته ومات شهيدا ثم انها هاجمته مهاجمة الليث العرين ونادت أنا والله أم المجاهدين وناصرة دين محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين ثم ضربت بيدها الى مراق بطنه اقتلعت الهجام من سرجه (قال الراوى) وأحاطت بها السودان من كل جانب ومكان واحموها من عباد الصلبان وهموا بالرجوع واذاهم بصوت قد أذهل الجموع فنظروا الناس الخبر واذا به ترس قبر سيد البشر النبي المطهر وقد مال على الاهوج ابن الاشكع وقبض عليه قبضه الأسد الادرع وحمله بين يديه مثل الطفل المرضع وهو قاتل عبد العزيز وخرج أبوالموت ومعه ملك المغاليط وخرج طحطح ومعه ملك الأرمن وخرج ملابط البغال ومعه ملك الافرنج وأما أمير المؤمنين المعتصم فانه وقع فى قسم ملك الروم بيمند وذلك أنه لما خرجت الاميرة بالهجام وعبد الوهاب بالاهوج وخرج أبو الموت بملك المغاليط وطحطح بملك الارمن وملابط البغال بملك الافرنج (قال الراوى) فغضب بيمند غضبا شديداً واسودت الدنيا فى عينيه ونظر إلى اللواء وهو على رأس المعتصم وغلمان الدار وقد أحاطوا به من كل جانب ومكان وعليه الهيبة من آثار محمد المختار سيد ولد عدنان فقال لعقبة أيها الشيخ من هو هذا الذى قد أبهرت العقول حشمته وأرجفت القلوب هيبته فقال له هذا خليفة المسلمين وإمام الموحدين وهو الذى يعتمدوا عليه فقال أنا ظننت انه أسود بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب واذا كان هذا خليفتهم فلابد لى منه ثم حمل بقلب غير مخوف وجعل يخترق المواكب والالوف ويسقى الرجال كاس الحتوف حتى قرب من المعتصم وأظهر الهمم فبادره المعتصم وتطاعنا طعنات شافيات ورأى ملك الروم من الخليفة ضربا كافيا ودام بينهما القتال وعظمت الأهوال وبيمند يحاوله والمعتصم يطاوله والناس مشتغلين ببعضهم البعض وقد ضاقت الأنفاس وتطاولت الناس إلى خليفة بنى العباس فبينما هو كذلك وإذا بصوت يرعد الكنود ويفتت الأجساد وقائلا يقول يا عدو الله وبلغ من قدرك أن تقاتل الامام وابن سيد الانام ثم أطبق على بيمند مثل الأسد الغلاب وانقض عليه انقضاض الشهاب ونادى أنا الأمير عبد الوهاب ومقدم بنى كلاب فلما نظر عدو الله بيمند إلى ذلك وأنه قد جاءته المهالك صبر صبر الأبطال وقاتل قتال من يطلب الآجال ولم يزالا

كذلك إلى أن عزل النهار من ولايته وأقبل الليل بظلمته وافترقا عن سلامه وعاد عدو الله إلى سرادقه وقد كاد الغيظان أن يخنق عدو الله بما لاقا من الشدائد فى يومه (قال الراوى) وكانوا المسلمين فى ذلك اليوم على غاية من الاستظهار وقتل من الروم زياده من ماية الف بطريق إلا أن الامير عبد الوهاب رجع وهو يقول لقد لاقيت الابطال ومارست الاقيال فما رأيت أبطش من هذا الملعون عند القتال ولقد رأيت اليوم منه الأهوال ولا بد لى فى غداة غد ما أخرج اليه وأريح المسلمين منه ومن شره (قال الراوى) وأما بيمند فانه افتقد أصحابه فرأى أكثرهم قد فقدوا مع الهجام والأهوج فقال وحق المسيح لأرمين غداً روحى فى الغبار ولآخذن لهم بالثار فقال عقبة يا ملك ما فى الأمر غير هذا الذى أريد أشير عليك به فقال بيمند وما هو الذى تشير به على فقال ترسل فى غداة غد إليهم وتقول وحق المسيح ان سقط من رأس واحد من أصحابى شعرة واحدة ضربت رقاب المأسورين الذين عندى وتكون قد كافأت القوم على ما فعلوا معك لان الهجام ماخرج من دياره وتغرب وأتى اليك إلا فى طلب الجهاد وما كانت الكسرة التى جرت إلا ببركاتى وبركاته ومن الرأى أنك لاتغفل عنه لأن المسلمين حمقين عليه وأنا أقول انهم يهلكون الليلة الاثنين لا سيما أصحاب عبد العزيز وأخوته وسيف الحنيفيه وجماعته والخليفه أيضا يوافقهم على ما يريدوا لأجل محبته لعبد العزيز فارسل إليهم الساعة من أجل هؤلاء ومن أجل ملوك الروم أيضا (قال الراوى) فلما سمع بيمند ذلك أرسل إلى المسلمين بطريق من خواصه وأوصاه بما يقول وعلمه ما أشار به عقبه وسار حتى قرب من عسكر المسلمين وأعلم المسلمين أنه رسول (قال الراوى) فأوصلوا خبره إلى الخليفه ثم أدى ما حمل من رسالة وكان الأمير عبد الوهاب حاضر فسمعه وهو يقول افدوا منا صاحبكم ضيغهم بالاهوج والهجام وافعلوا بعد ذلك ما أردتم فقال عبد الوهاب أما الهجام فقد نفذ فيه الحمام وغضب عليه الملك العلام وكذلك الأهوج ابن الاشكع قد أخذه الله بما صنع وهاهم برا السرادق وقد غضب عليهم الخليفه بقدرة الخالق فنظر الرسول إليهم وإذا بهم قد قطعوا أيديهما وأرجلهما (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه لما ملكهما الأمير عبد الوهاب قدمهما قدام المعتصم وقال يا مولاى هؤلاء الذين كفروا برب الأرباب وجحدوا ربوبية الملك الوهاب مسبب الأسباب فقال المعتصم ومن يضلل الله فماله من هاد ثم قال عذبوهما أشد العذاب قبل التلاف وقطعوا أيديهما وأرجلهما من خلاف فقدموا الهجام وقطعت يده من غير خلع

فصاح وقال لعن الله عقبه وأخزاه فهو الذى أضلنا عن الاسلام وأخرجنا من بلادنا إلى هذه الأحكام (قال الراوى) فلما سمع الخليفه ذلك الكلام حار ووقع به الانبهار وقال ويلك ايش قلت وعمن تعنى وكيف كان حديثك قال الهجام يا أمير المؤمنين خلد الله ملكك أعلم أن أبي صاحب عدن ولما مات كنت صغير فعقد عمى مكان أبى إلى أن كبرت وطلبت موضع أبى فما صح لى ولا طاوعتنى الاعوام بل مالوا الى عمى الغيهال وبقيت أنا فى غاية الاقلال والاذلال وعولت أنى أمضى إلى بلاد الحبشة ولا أرى نفسى بعين الذله والقله وإذا قد وصل إلينا شيخ من العراق طويل اللحية وافر الشيبة وعليه وقار وسكينه قد رضع من ألبان العلوم درها والتقط من بحار الكتب السالفه درها وأظهر لنا أعاجيب الأخبار وخيل لنا بالليل أنه تنزل عليه الأنوار وكان نهاره يصلى وهو صائم وليله قائم حتى أعتقدنا فيه أنه من الأولياء وأنه من أوتاد الأرض الاتقياء وكان ظاهره مليح وباطنه قبيح لا يعتقد بشىء فى الاسلام إلا أنه قد حفظ أشياء من كتب القدماء وصحب العلماء وهو يقال له عقبه ابن مصعب لا كلاه الله ولا رعاه فما أمكره وأدهاه وما احفظه لكل علم نفيس إلا أنه فى الحيل ابليس وأنه رآنى أطلب الحبشة دعانى إليه وشرح لى ما هو عليه وحمانى على شىء من المال ولعب بعقلى بما تحدث وقال لى يا ولدى لا يغرك ما ترى منى من الصلاة وهذه العبادة أنما هذا كله أعمله عاده لا عبادة وهو زور غرور وأعلم انى قد قرأت الكتب المنزله والعلوم المفضلة فما رأيت دين أفضل من دين عيسى ابن مريم وأنا عليه أحتيال على كل الأمم وبعد ما أنك تريد تمضى إلى أرض الحبشة فأنا أسيرك إلى بلاد الروم وأن سرت بلغتك ما تروم وتصير حاكما فى القسطنطونية وتبلغ غاية الأمنية فقلت له وكيف ذلك وما الذى أصل به إلى ذلك وهو عظيم الجناب عزيز الباب فقال لى أنا أكتب لك كتاب إلى ملك الروم وآمره ان يجعلك من خواص الاحباب والحجاب وما زال بى حتى أغوانى وأرسلنى إلى أعدائى فلا رحم الله صداه ولا بل ثراه ولا كلاه ولا رعاه (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك الكلام قال له ويلك تعرف ما تقول فقال يا مولاى وحق من أبلانى بما لا أطيق ما قلت الا تحقيق فعند ذلك قالوا المقعصبين لعقبه مسكين الشيخ الصالح عقبه وهو الساعة فى بعض المساجد وهم يشهدون أنه كافر جاحد فقال هجام والله ما قلت فيه إلا الحق ولا تكلمت

إلا بالصدق وها هو فى عسكر الكفار (يا ساده) هذا واخوات عبد العزيز يقولون يا مولانا لم لا تسلم خصمنا إلينا حتى نأخذ تارنا بأيدينا ونطفى نار قلوبنا فقال المعتصم قطعوا أيديهما وأرجلهما من خلاف واربطوهما برا السرادق ففعلوا بهما ذلك ووصل الرسول إلى ملك الروم كما ذكرنا ورآهم على تلك الحالة كما وصفنا (قال الراوى) وفى تلك الساعة أتت أخت عبد العزيز ودنت من الاهوج وبيدها سكين فقطعت بها راسه ونظرت الأميرة ذلك ففعلت بهجام كذلك وعاد الرسول إلى ملك الروم وقد قال له عبد الوهاب إذا أراد أن يفادى ضيغم فليفاديه بالملوك (يا سادة) وكان هذا من حرقته على ولده ضيغهم لئلا يقتل كما قتل سيف الحنيفية (قال) فلما عاد الرسول إلى بيمند وأخبره بقتل الهجام والأهوج ابن الاشكع فقامت عليه القيامة وقال لعقبه ما الذى ترى من الرأى فقال عقبه ما فى الأمر إلا انك ترسل إليهم برأس ضيغم حتى ينهد ركن الاسلام فعند ذلك أمر الملك بيمند أن يرتد بضيغم من الطريق وهو لا يصدق بأن النهار يطلع والصباح يصبح حتى يباكر الحرب وقد طلعت الشمس تجرى فى فلكها حتى نادى بيمند فى البطارقة وركب إلى الحرب وركبت أيضا عساكر المسلمين وركب المعتصم وهو يقول وحق البيت الحرام لا رجعت من هذا المكان حتى أفتح القسطنطونية وآخذ عقبه وأصلبه على بابها فلما اصطفت الصفوف وجردت السيوف خرج بيمند إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وفى يده سيف صاعقة وعلى كتفه طارقه (قال الراوى) وهو على جواد يحاكى الليل فى السواد يتعلم منه الخيل الجولان والطراد بقوائم شدائد وهو غائص فى الحديد منغمس فى الزرد النضيد كأنه برج مشيد أو شيطان مريد ثم طلب الملعون البراز وسأل الأنجاز فخرج إليه فارس من عسكر العراق وأخذ معه فى الجولان والانطباق ساعة فقتله وخرج إليه ثانى فجندله وثالث ففصله ورابع الى المقابر رحله ولم يزل حتى قتل خمسة عشر فارسا فلما رأى المعتصم ذلك قال ما رأيت قط اشد من هذا الملعون الا ان بيمند حير العقول ولما رأى الناس قد امتنعوا من الخروج اليه جال ميمنه وميسره وطلب القلب وعاد الى الميدان ولعب بالسيف والسنان وأنشد يقول * الا اننى أفنيكم * فما أتم هذه الكلمة حتى خرج اليه فارس أسود كأنه الليل الدامس وتحته جواد شديد كان قوائمه من الحديد وراكبه على برج مشيد وكان هذا الأسود ملابط البغال وقد

تمنوا المسلمين أن يكون غالب بيمند وكان هذا بيمند أقوى منه ساعد فشد على ملابط البغال وهزه أخذه أسيرا وبقى فى يده كأنه العصفور فى يد الباشق وقد قيل ان بيمند كان فى قوة أبو الهزاهز مرتين وان الملعون لما أخذ الأسود سلمه الى قومه وعاد يطلب البراز وسأل الانجاز وقد وقع الفرح فى عساكر النصرانية والهم قد وقع فى عساكر الحنيفية وهابوا الخروج الى هذا الجبار وبقوا يرمقوه بالابصار واذا قد خرج إليه فارس هائل المنظر عظيم المخبر فنظروه الناس وإذا به أبو الموت المعروف فى قيام الصباح وحمل وقلبه عليه ملآن ثم تصادما البطلان والتقى الخيلان وعمل بينهما الضرب باليمان والطعن بالسنان حتى تحيرت منهم الفريقان وأشتد الحرب وقامت الدنيا على ساق وضجت المسلمين بالدعاء لأبو الموت ويتلون من خلفه القرآن ورفعت قسوس الروم الصلبان وصاح عقبه بالملك وقال يا ملك أبذل المجهود مع الشيطان فانه فارس السودان وهو الموت إذا برز الى الميدان (قال الراوى) فبينما عقبه يتكلم بهذا الكلام واذا بفارس قد خرج إلى الميدان الى أن وصل الى أبو الموت وقال يا أبو الموت ارجع فما هذا يومك فالتفت ينظر من الصائح واذا بها الأميرة ذات الهمة وكانت الاميرة قد خرجت بعد ما تعلق الأمير عبد الوهاب بها وقال لها أيتها الأميرة ما هذا صواب ان نحن نتركك تخرجين الى هذا الجبار وتقتحمين معه الغبار وانكى قد بان فيك الكبر وضعف منك السمع والبصر وما بقى لك قوة على الجلاد فدعينى أنا أخرج اليه وعلى الضمان انى آتيك به اسير واتركه قتيل عفير ان شاء الملك القدير فقالت هيهات يا بنى ان ارجع بعد ما هممت بالخروج إليه والجولان وقد عاد عمرى الى الانتهاء والنقصان ومالى رغبة فى الدنيا الا المقام فى الآخرة ان شاء الله فى الجنان لأن هذه الدنيا دار حرمان ثم صاحت بجوادها فخرج من تحتها مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف وكان جواد أحمر لا يأخذه فى الجولان ضجر يسبي العقول اذا خطر فلما صارت عند أبو الموت وقالت له ارجع يا أبو الموت فقد حل بك الفوت فلما سمع ابو الموت كلامها رجع عن بيمند وحملت الأميرة عليه وحمل عليها وكان عقبه لما ان خرجت الاميرة ذات الهمه عرفها وحذر الملك منها وقال للبطارقة حذروا الملك منها (يا ساده) واذا وقع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن الا ان الاميرة ذات الهمة جاولته وزاوغته وضيقت عليه مجاله وطاولته ساعة من النهار وقد وزن نفسه معها واذا

به فى نقصان فتتعتع فى سرجه وانبهر وأخذه الملل والضجر وعلم انه متى ماثبت أخذته فأشار إلى عساكره وإذابها قد هجمت فأشارت الأخرى إلى عساكر المسلمين فانطبقت وتصادمت الخيل وعاد النهار كالليل وتضاربوا حتى لم يبق فى السواعد حيل هذا والأميره تابعة لصاحبها بيمند وهو منهزم بين يديها وقد خاض فى كثرة المواكب وهى طالبة له كالشهاب الثاقب وسيفها يعمل فى الرؤس والمناكب والأبطال عنها قد اشتغلت بالقتال وعملت الصوارم الصقال فى أجساد الرجال وسالت الاردية بالدماء وولوت النساء وتعلقت الرجال باللحاء وعدم الضوء واسود الجو وعثرت الخيل بالجماجم وقطعت العلاصم وخاضت الخيل فى الدماء حتى غابت القوائم وضاقت عليهم تلك الساحه وعدموا اللذة والراحة وخيل للجبان المنهزم ان الوادى كله أعادى ولم يسمع صوت المنادى وقطعت الأيادى ونهبوا المسلمين الأموال ووقع النهب فى الاثقال وجملت السيوف الصقال حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونادى منادى من قبل الملك الجبار بالنصر لطائفة الابرار والفنا فى طائفة الكفار وكان جملة من قد هلك من الفجار مائتين ألف وخمسين ألف وملكوا المسلمين من الاموال والأثقال والأحمال ماعجزت عن حمله الدواب ومانهزم من الروم إلا القليل والباقى بين جريح وقتيل (قال الراوى) وأقام الأمير بالناس ثلاثة أيام حتى أخذوا الراحة فعند ذلك جمعت الرؤس وعمل منها عشر موادن وطلعوا المجاهدين عليها وأعلنوا بكلمة التوحيد ووقع النصر على المسلمين باذن الملك المجيد وقال الأمير عبد الوهاب للخليفة يا أمير المؤمنين ماالذى ترى من الرأى هل ترسم ان نتبع آثار هذا اللعين بيمند أونرد إلى بغداد فقال المعتصم أنا ماأعود حتى أفتح القسطنطونيه وأبصر ان كان عقبه فيها كما يقولون فقال الأمير عبد الوهاب افعل مابدالك يامولانا ثم رحل بالناس طالب القسطنطونيه وقد بردت نيران القلوب وشكروا على ذلك علام الغيوب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملك الروم بيمند فانه لم يزل هارب لما وصل من أبواب القسطنطونيه وجمع المنهزمين وقال نحن فرطنا بالمبارزه لهذه المرأة التى للمسلمين وحق دينى ماكانها الاساحره والافقد لاقيت ابنها وأبو الموت وملابط البغاله وضيغم أسرته وقدته ذليل حقير ومارأيت فيهم من أقام معى سواها فقالت الروم صدقت أيها الملك فماذا ترى من الرأى فقال الرجعة اليهم لان فى القسطنطونيه مائتى

ألف قد تخلفوا عنا وأنا أريد آخذهم وأعود فقالوا الروم ماهذا صواب لان المسلمين الساعه قد داخلهم الطمع فينا ولابد لهم مما يأتون الينا والصواب ان يكون هذا البلد خلف ظهورنا يكون أقوى لقلوبنا لان فيها رجال بعدد العسكر كله فقال عقبه هذا هو الصواب أيها الملك حتى نأخذ الاهبه إلى ثلاثة أيام فالقوم اليك سائرين وعليك قادمين فعند ذلك دخل الملك بيمند إلى البلد وقال ماأصابنى هذا المصاب الامن مارس ودارس ثم أمر باخراجهما من المطموره وادعى بعد ذلك بالقاضى عقبه وقال له أيها الشيخ النجيح بحرمة السيد المسيح صح عندك ان هؤلاء مسلمين وأنا الآخر صح عندى لاننى كنت أسمعك تتهمهم بذلك فى أيام أبى فلما ملكت أنا قبضت عليهم فقال عقبه لاوحق المسيح ماصح عندى اسلامهما ولا كنت أتهمهم إلا لأجل ماكنت أرى ميلهما مع المسلمين وماكنت اتخذت مع الملك بأمر من الأمور إلا وأسمه فى بلاد المسلمين وماكان عنده غيرهما فأقول هذا ما اطلع عليه سواهما والا كيف علموا المسلمين فلاجل هذا كنت استريبهما والا فما اطلعت على شىء من أمرهما فقال مارس أيها الشيخ النجيح أنت تعلم ما ظهر مثالنا إلى دين النصرانيه وربينا الملوك وخدمنا الهراقله ولو أردنا ان نكون مسلمين كنا خرجنا الى بلاد الاسلام وماكنا أقمنا فى هذه الديار ليلة واحده فلا تتكلم فى حقنا بمالا يكون فينا فيطالبك المسيح بحقنا فقال بيمند هذا وحق المسيح قول الصدق وماأصابنا هذاالمصاب الابخطيئتكما وبأبى ارمانوس ثم أطلق عن أبيه وأحضره بين يديه وقال له أنا كنت فى منام وماعلمت تأويله وها أنا قد أطلقت عنك لتدبر ماترى بفعلك قبل قدوم المسلمين الينا وهذه العجوز التى فيهم فقال عقبه دع عنك هذا واعلم ان المسيح لوكفى الروم شرها ملكنا البلاد كلها ولولا انك أشجع الروم ماسلمت من بين يديها (قال الراوى) وأخذ بيمند الاهبه وخلى بعقبه وقال له قد عولت انى أعمل على المسلمين كمين فى أربع مواضع وإذا ولوا المسلمين لايخرجوا عليهم حتى يصيروا فى أوساطهم ونطلع نحن من بين أيديهم والكمين من خلفهم وعن يمينهم وعن شمالهم فقال عقبه هذا هو الرأى السديد افعل مابدالك فعند ذلك أخذ من جملة العسكر أربع مائة ألف وكمنهم فى أربع مواضع وأقام فى باقى العساكر ينتظر قدوم المسلمين وهو فى حيرة وقلق وحمق كيف انه لم يصل الى ذات الهمه لان كبده يميل الى كبود السودان لأجل أمه ميمونه لانها منهم ولما زاد

عليه الغيظ أقبل على أبيه ارمانوس وقال ياأبتى ماأخرجتك من الحبس اكراما لك إلا لأمر فى قلبى ومارأيته يتم الا باخراجك فقال ارمانوس وما هو يابنى فقال اعلم ان فى قلبى نارلا تطفأ من هذه العجوز المسماة بذات الهمه وأما ولدها فقد مارسته فى الحرب فكنت أنا واياه سوى وربما كنت أوفى وأما ذات الهمه فما أدرى لأى سبب قد عجزت عن قتالها وأنا أعلم ان المسلمين اذا وصلوا وقامت الحرب تخرج وتدعنى الى الحرب والبراز فما تطاوعنى نفسى أخرج اليها وان أنا خرجت اليها قتلتنى لامحالة ومالى قتلى وان أبق معيره عند الروم وقد عولت ان أسبق المسلمين وأختلط بسوادهم لان لونى أسود وأبصر كيف أقتل هذه ذات الهمه ولا يرجع لهم بعدها قائمة فقال ارمانوس نعم مارأيت (قال الراوى) وان ارمانوس يخاف من كيده لاجل مافعل معه فى عزله وأخذ الملك منه فحسن له ذلك لعله يقتل (ياسادة) هذا وبيمند قد لبس من ثياب القتلى وسار إلى الجبل الذى قد ذكرنا وأقام فيه ذلك اليوم ومن الغد أقبلت عساكر المعتصم والسودان وفى أوائلهم ذات الهمه فى المقدمه ثم ان الملعون اختلط بهم وسار معهم إلى ان بقى بينهم وبين عساكر الروم ثلاث فراسخ وراح الأمير عبد الوهاب بالناس إلى العصر ورحل فأشرف على العساكر ونزل فى مقابلتهم فلما أظلم الظلام قال لأصحابه ياقوم لاتبيتون الاعلى أهبه لأنى أخاف ان يكون لهؤلاء الملاعين كمين لانهم قد علموا برحيلنا ومسيرنا اليهم فقالوا أبطال المسلمين مانظرته ياأمير إلا موضع النظر ومافينا من يبيت الاقدام جواده لابس سلاحه فعند ذلك جلس المعتصم فى سرادقه وجمع الأمراء للمشوره وأقاموا أمر القتال وقد رتبوا حولهم أربع مواكب للحرس وكان فى المركب الأول الأمير ظالم والثانى قشعم وأميرين آخرين من عسكر المعتصم ولم يزالوا يتحدثوا إلى أن مضى من الليل ثلاث ساعات وعادت الأميره إلى مضربها وكان الأمير عبد الوهاب على يقظة من بعد ترتيب العساكر (ياساده) فلما ان وصلت الأميره إلى المضرب ودخلت وكان الملعون بيمند فى انتظارها لانه اختلط بالسودان لما نزلوا فى ذلك المكان وعرف موضع الأمير وسار وقد اظلم الظلام وحصل فى جانب الخيمه وبيده خنجر أمضى من القضاء والقدر وأنفذ من البلاء فلما ان دخلت الأميره إلى مضاربها وعولت على المنام وثب عليها من جانبها وضربها بالخنجر فى كتفها غاب الحديد إلى النصاب ثم ضربها أخرى فوقعت فى ذراعها ووقعت الأميره على الأرض وقد صاحت صيحة عظيمه وصاحوا السودان

من حولها ووقع الصوت فى العسكر وقيل قد قتلت الأميرة ذات الهمة فاختبط العسكر وركبت الرجال الخيل وماج العسكر فى ظلام الليل واختلط بيمند بالسودان وأبعد عن ذلك المكان وسمعت الروم ذلك الصياح فقال أرمانوس ويلكم احملوا فى هذه الدهشه وقد أهلكتموهم عن آخرهم وسوف تخرج الكمناء إلى معونتكم وتكون هذه ليلة الانفصال وما هذا الصياح إلا على بيمند لأنه قد فعل شيء يوجب هذا فعند ذلك صاحت الروم بكلمة كفرها وسمعت الكمناء ذلك النداء فخرجت من كل جانب وانقلبت الأرض من ركض الجنائب وزاد الغبار حتى عم المشارق والمغارب وكان الأمير عبد الوهاب قد سمع الخبر عن أمه فأراد الرجعه فرأى الروم قد أقبلت وكتائبها قد وصلت والأرض قد تزلزلت فصاح فى الرجال وقال يا قوم هذا الذى قد كنت أحسبه ولو لم نكن على أهبه كانت هذه الليلة ليلة صعبه فما وصلت كتائب النصرانيه إلى أهل الحنيفيه إلا والكل على ظهور الخيل الأعوجيه وهم مستيقظين للحرب بالكليه فاضطربت عند ذلك المواكب ولعبت السيوف فى الغياهب ونفذ السنان فى ظهور الخيل وجرت الدماء كجريان السيل (قال الراوى) وركب الخليفه عند الصيحه فى موكب الفقهاء والعلماء وأخذوا فى الدعاء إلى رب السماء (قال الراوى) وكان العلامة بين الروم كيريالسون وعلامة المسلمين الصلاة على راكب البراق الذى اخترق السبع الطباق إلى مناجاة الملك الخلاق ودام السيف يعمل إلى وقت السحر وقد وقعت الخذلة على من كفر وعملت السيوف فيهم عمل القضاء المقدر فعادوا كلهم وطلبوا أعلام أرمانوس وهم طالبين الخلاص من أبطال المجاهدين وما انقشع الظلام إلا والكل نيام تحت الأعلام وقد خلصت منهم طوائف الإسلام الا وان المسلمين كانوا رابحين لأنهم قتلوا منهم خلق كثير من المشركين ونزلت طائفة الموحدين وفترت الحرب نارها وقر قرارها وكان بيمند لما أن جرح الأميرة ذات الهمه ورأى الفيوج وقد اختلطت والمواكب وقد انبسطت فنجى بنفسه إلى عسكر الروم وركب بعض الخيل وقاتل إلى أن أصبح الصباح بنوره ولاح ونزلت العساكر فى الخيام وأتى إلى أبيه أرمانوس فقام له قائماً ورفع مكانه وعظم شأنه وقال له ما الذى فعلت يا ولدى فلقد كان قلبي خائف عليك فقال له لا تخف على فقد قتلت العجوزه ذات الهمه أم الأسود وأنا الذى القيت هذه النوبة العظيمه فإياك أن تبوح بهذا إلى أى أحد حتى يكون أمرى

قائم عند الملوك ولا يقولون اغتالها وقتلها حين لم يقدر على قتالها والساعة أؤكد القصة وأخرج أطلب البراز وأنادى باسمها وأدعوها إلى الميدان وأقول اننى ما كنت انهزمت بين يديها إلا كنت أستجر عساكر المسلمين إلى بلاد الروم حتى أبلغ منهم ما أريد فقال أرمانوس وقد أعجبه حيلته وشرف نفسه وشدته وغلظ كبده وحميته فقال يا ولدى ما بقى بعد هذا اليوم حرب وما بقى فى الناس أحداً يطيق القيام عما جرى عليهم فى غسق الظلام فاذا أردت أن تفعل هذا فاتركه إلى غداة غد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه كان قد قاتل إلى الصباح وقلبه مشتغل على أمه لا يدرى ما كان منها ولما أن وضعت الحرب أوزارها وخمدت نارها وطلعت الشمس وشعشعت أنوارها أتى طالب أمه وهو بقلب ملهوف وقد شدوا غلمانها جراحها وهم حولها يحفظونها من وقت ما وقع الصياح إلا أنهم رأوا الناس وقد اختلط بعضهم ببعض وقد خاف الرفيق من رفيقه الذى الى جانبه (قال الراوى) فلما وصل الأمير عبد الوهاب ورآها على تلك الحاله بكى بكاء شديدا وأحضر الاطباء والجرايحية وشدوا جراحها وأسقوها شيء من الشراب وعادوا بها الى مضربها وهى تتكلم بصوت ضعيف وهم يبكون ذلك اليوم جميعه فلما كان اليوم الثانى صاحت الروم بأصواتها واصطفت مواكبها واعتدلت كتائبها وقد أوصاهم بيمند وقال لا فيكم اليوم من يحمل هم القتال بل اتركونى أنا حتى أخرج وأقود الابطال (قال الراوى) فلما اعتدلت الصفوف واشتهرت السيوف خرج بيمند بقلب ملهوف ونادى برفيع من صوته معاشر المسلمين ان كنتم قد قتلتم بالامس منا البعض فنحن نقتل اليوم منكم الكل بمعونة المسيح وها قد خرجت اليوم أطلب براز خصمى الذى قاتلنى فظن أنه بقوته يقتلنى وما علم أن مرادى أن تقربون الى بلادى حتى أشفى منكم فؤادى وما أريد فى هذا الحين الا أميرتكم ذات الهمه تكون أول من يخرج الى البراز حتى أريها كيف كانت تحمل على وان كانت تكره أن تبارزنى وتخاف سطوتى فليخرج لى ولدها (قال الراوى) فما استتم كلامه حتى خرج اليه ظالم من غير استئذان وحمل عليه وساواه فى الميدان وأخذ معه فى الجولان وأنصفه فى الحرب والطعان ولم يزالا كذلك الى أن انقضى النهار وصار وقت الاصفرار فرأى بيمند النهار قد تقضى والنور قد مضى فعند ذلك صدم ظالم صدمة جبار ثم ضربه بالسيف ضربة من يريد

لله الهلاك والبوار فقطع السيف الترس المغفر ونزل إلى رأسه شجه فأذهل ظالم فقبض بيمند عليه واخذه أسير من سرجه وعاد به وعطعطت الروم من كل جانب وفرحت طائفة الصلبان وأغتمت طائفة الرحمن وقال الأمير عبد الوهاب يا لها من غزاة ما أعظمها ثم رجع إلى أمه فوجدها قد صلحت عما كانت فيه وهي مشدودة قاعدة ففرح بها وحدثها بما جرى على ولده ظالم فضاق صدرها وقالت ياولدى ما يجرى على العبد إلا ما كتب عليه وسطر على جبينه وها أنا قد صلحت بحمد الله تعالى وعونه (قال الراوى) وكانت الضربة التى ضربها لها بيمند فى غير مقتل لما يريده الله من سلامتها والضربة الثانية قد خدشت ذراعها (يا سادة) إلا ان الأمير عبد الوهاب لما رأى صلاحها سلى قلبه بعض ما أعده لفقد أولاده ظالم وضيغم وقال يا أماه ما كنت أريد الا أعرف الذى اغتالك وضربك وأراد قتلك فقالت ياولدى أن صدقنى حزرى ولم يخطئ زجرى فيكون بيمند هو الذى وثب على وضربنى وفعل بى هذه الفعال فقال لها الأمير يا أماه كيف كان يعمل هذه الاعمال واليوم أول ما خرج دعاك إلى القتال فقالت ياولدى ما فعل هذه الفعال إلا حتى لا ينكر ناموسه عند الروم ويقولون ما قدر عليها فى الحرب فاغتالها وقتلها وأنا رأيته لما ضربنى ولكن ما أخذت حذرى منه لأجل سواد وجهه وان كان فى أجلى تأخير فأنا اريك ما افعل به وباتوا على ذلك حتى أصبح الصباح وقامت الحرب على ساق وأصبحت الروم فرحا بأسر ظالم هذا وقد صارت عساكر الاسلام وعولوا الناس على الصدام وصاح ملك الروم بيمند على البطارقه وردهم عن الحملة وقال لهم ارجعوا فهذا يوم البراز وأريكم ما افعل بالسودان وعرب الحجاز ثم قدم إلى بين الصفين على جواد يسبق الوحوش حتى بقى كل من نظر إليه مدهوش ونادى برفيع من صوته إلى ذات الهمة أم الأسود المليح انها تركض خلفى بجوادها وتطاعننى ذلك اليوم وأنا اليوم أدعوها فلا تجيبنى وهذا من غاية المذلة وان كانت ما تشتهى البراز فليبرز ولدها عبد الوهاب (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك تأهب للخروج إليه وإذا بفارس قد مسكه عن ذلك فتبين الأمير وإذا بها الاميره ذات الهمة وهى تقول لا تفعل ياولدى فوالله الذى رفع السما بغير عمد وسطح الأرض على ماء جمد لا يخرج إليه غيرى أحد فتحير الأمير من ذلك لما سمع كلامهما وتبينها وإذا بها خافتة وعليها الصفار من ألم الجراح فقال

يا أماه لا تفعلي فقالت يا بني لا تشغل قلبك على فاني كنت من الهالكين وقد أيستم مني وأني كلما أعيش من هذا اليوم ربح ثم أنها خرجت بالجواد على مهل حتى صارت عند بيمند فلما نظر إلى شمائلها صار يبحلق عينيه إليها فقال لهـا أليس جاءنا الجاسوس وأخبرنا بقتلك وأن بعض السودان أهلكك فقالت قد كان ذلك ولكن الله سلم وقد أعادني إليك حتى أرسلك إلى الاخرة وتصلا جهنم وبئس المصير ثم أن الأميرة حملت عليه وكان الملعون قد دخل فى قلبه منها فزعا عظيما فعند ذلك تطاعنا بالرماح طعنا أمر من الجمر وأمر من الصبر ساعة من النهار ووقع بيمند الانبهار وجعل يطلب من الأميرة الخلاص وهي تأخذ عليه المذاهب وتضيق عليه المسالك فلما نظر إلى ذلك وقف وقال أيتها الأميرة أنا وحق المسيح الذي ضربتك وقلت أنك بعد تلك الضربة لا تقومى وهذا هو الدليل على أن الإسلام هو الدين الصحيح وأنا أريد الآن أسالكى عن شيء وبعد ذلك أسلم على يديكى وأعود إلى أصلي الطيب لان أمى ميمونة كانت منكم وأن أبي ارمانوس عشقها وعشقته وهو الذى حملها على الكفر كما بلغنى وأنا الساعة قد طار قلبي إلى دين الحنيفية ولكنني أخاف من شيء واحد وأريدك أن تؤمنيني منه فقالت الأميره ياويلك خل عنك الخداع ودونك والصراع فما أنا ممن ينطلي عليها محالك ثم حملت عليه فأيقن بالهلاك وعلم أن محاله ما انطلا عليها فزعق من شدة غيظه وطعن الأميرة طعنة (يا سادة) وقال خذيها يا عجوز السوء وأنا بيمند بن الميمونه فلما وصلت الطعنة إليها ورأت طعنته سبقتها قبل طعنتها نقلت رمحها من يدها اليمين إلى يدها اليسار وقبضت على رمحه بيدها اليمين وجذبته من يده وكادت ان تخلع كتفه ثم عادت وقد أقلبت رمحها إليه وطعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره (يا سادة) ونظر ارمانوس ما حل بولده فصاح بالروم يا ويلكم ما هلك ولدى إلا بما فعل فى حقى فدونكم والقوم والمسيح ينصركم عليهم فعندها دقت الروم نواقيسها وكانت الأميرة قد عادت إلى عسكرها وهى لا تصدق بالنجاة لأجل ما حل بها من الألم وانما حملها على الخروج إليه حميتها ونخوتها فعند ذلك صاح الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب والخليفة فى عساكر العراق لخلت المواكب وجالت الكتائب وظهرت العجائب واطلعت الاعنه وقومت الاسنه وصار للصوارم على الدرق رنة ولم يبق فيهم من له نفس مطمئنة ووقعت القتلا على الأرض وهاجوا بعضهم فى بعض (قال الراوى) ولقد نظرت المعامع وشاهدت الوقائع فما رأيت أعظم من هذه المعمعة

لانني كم رأيت من رأس مقطوع وأنف مجدوع وفؤاد مصدوع وصدر مخسوف وقلب مرجوف ودمع مذروف ورأس مقطوف وقد اصطفت الصفوف وازدحمت الالوف وعملت الرماح والسيوف (قـــال الراوى) وكان عقبه ينظر فعل بيمند وقد ظن أنه قتل ذات الهمة فلما خرجت سالمة قال لارمنيوش ما عهدى بابنك انه قتلها فقال أهكذا قال ولعل هذا الفارس يشبهها فلما ان قتل بيمند وحميت الجيوش على الجيوش والتقا الجمعان واصطدم الفريقان ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المسا وانفصلت العساكر ورجع الأمير عبد الوهاب فقال المعتصم يا أمير نرجو من الله تعالى فى غداة غد تكون وقعة الانفصال فقال الأمير عبد الوهاب يا مولانا ما كنا بحمد الله إلا ظافرين عليهم ولكن أمسا المسا ثم باتوا إلى أن أصبح الله بالصباح فوجدوا الدنيا من الروم بلاقع وخلوا خيامهم والأموال وفازوا بالخيل والأرواح ففرحت المسلمين بالنصر والظفر وغنموا أموال الكافرين ورحلوا فى أثر عساكر النصرانية ولم يزالوا سائرين إلى أن أشرفوا على القسطنطونية فوجدوها معمرة بالسلاح والأبواب مغلقة والرجال فوق الأسوار فعندها أعلنوا المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فلما رأى الملك ارمانوس إلى ذلك حار فى أمره وجمع وجوه البطارقة وكذلك مارس ودارس واستشارهم فى أمر المسلمين فقال له مارس ودارس أيها الملك ما الذى تفعل والعساكر قد هلك أكثرها والملوك الذين كنا نعتمد على قتالهم مضوا إلى بلادهم ونحن محصورون وعسكر الاسلام عازمين أن لا يبقوا من الروم أحد فقال ارمانوس ما نبالى خروج الى هؤلاء القوم مادام اننى قد حصلت فى هذه البلد مابقا يقدر على أحد لأن المكان حصين والبلد أمين والزاد كثير ولو اقاموا علينا ماأقاموا مابالينابهم فقال مارس ودارس ما كنت ترى أيها الملك انك تصالحهم وتردهم عن أرضنا الى بلادهم قبل أن يخربون البلاد ويهلكون العباد وبعد ذلك ما تدرى ما يكون منهم لأنهم اذا لم يقدروا على البلد فانهم يخربون رستاقها ويقتلون أهلها ولا ترجع تعمر البلاد الى عشر سنين وان فتحوا البلد فهو البلاء الأكبر الذى ما يقوم لنا بعده قائمه والصواب انك ترسل اليهم البترك فى هذه الساعة ومعه جماعة من القسوس والرهبان حتى نبصر ايش فى نفس خليفتهم وتكون الرسالة مع أبونا البترك وتقول له على لسانك أنت تعلم أننى ما نقضت الهدنة وما كان ذلك باختيارى وما فعلها الا ولدى بيمند وقد أخرق بى

وضربني وما أنت إلا قد علمت حالى معه فان كنت ترى انك ترجع إلى بلادك فافعل فانه يكون أحقن للدماء لانكم تعلمون انكم إلى بلد القسطنطونيه لاتصلون ولو أقمتم عليها بقية الاعمار فلاتطمعون فى المقام لاجل المال فان خزائنى لم يبق فيها درهم لان بيمند فرق الجميع ولكن عندى مأسورين من المسلمين فعليهم يكون الصلح وان أبيتم فافعلوا مابرأيكم (ياساده) فلما سمع ارمانوس هذه المقاله رآها صواب وقال وحق المسيح نعم الرأى ثم أرسل البترك ومعه عشرين من القسوس والرهبان وحملهم الرساله كما ذكرنا وخرجوا إلى عسكر المسلمين واستأذنوا على الدخول اليهم وطلبوا الحضور بين يدى المعتصم فاذن لهم بذلك فدخلوا وقبلوا الأرض بين يديه وأعاد البترك الرساله عليه فقال هذا شيء لاأسمعه وأنا على ايمان وأقسام أنى لابدلى مما أفتح القسطنطونيه ولو أقمت باقى عمرى فعاد البترك طالب القسطنطونيه فقال الامير عبد الوهاب ارجعوا بنا إلى البلد حتى لا يرجعوا يخاطبونا فى الصلح وان رجعوا اشترطنا عليهم حقيقة الحال ونطلب منهم المال فعند ذلك زحفت الرجال وتقدمت الابطال وطلبوا القتال وضربوهم بالمنجنيقات والفرادات واشتد رمى الحجاره وبطل حرب النار ودام الحصار إلى أن قتل من المسلمين جماعة كثيره اكثر مما قتل من الكفار لانهم تحت مواقع الاحجار ولم يزال القتال طول النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار وانفصلوا وعاد كل قوم إلى مواضعهم وأما عقبه الملعون فانه أقبل على شومدرس عند اقبال الظلام وقال له اسرع بنا نعمل ماقد عزلنا عليه قبل ان يقع الصلح ومانقع على محصول لانى أعلم ان أخبارى ماتخفا على المسلمين وأناأعلم ان هجام قد تحدث عند الخليفه انى أنا الذى نصرته ومايهمنى من هذا إذا لم أقع فى أيديهم والمعتصم فلا بد له مايطلبنى من ارمانوس ويحلفه بالايمان التى لايقدر يكذب فيها وأهلك أنا ان وقعت فى يديه وأنا الساعه أريد أشفى بقتل هؤلاء وقتل ابن عمى عمرو ابن عبيد الله ومن معه وضيغم والبطال وولده مذبحون وغلمانه وحجاف وابنته والراهب سمعان والامير ظالم الذى أخذنى من الدير لما ان أخذوا ماريه حتى لايبقى فى قلبى حسرة وان هلكت أكون قد أرحت الروم من هؤلاء الاشرار ويدعا لى فى سائر الاقطار وتكون انت ياشومدرس قد أخذت بثار الولد النحرير دهرشوم والزوجه الصالحة شوما فقال شومدرس وحق المسيح لقد صدقت وبالحق نطقت ولكن يريد الإنسان اذا عمل عملا ينظر كيف يكون الخروج منه ويريد نهرب

حتى لاتقع في يد ارمانوس ولافى أيدى المسلمين لانهم لوعرفوا اننا فعلنا هذه الفعـال صلبونا وان علم بنا ارمانوس مايجبرنا منهم أحد لانه متى يصدق حتى ترحل المسلمين عنه وأنا أعلم انه كان يسلمنا اليهم فقال عقبه صدقت ولـكن كيف السبيل الى النجاة فقال نخرج الى المينا فقد رأيت فيه مركب من بلاد انطاكيه وأنا أعطيه مائة دينار حتى يقلع بنا الى السويديه وأنا أقيم فى انطاكيـه وتذهب انت الى العراق فقـال عقبه هذا هو الصواب ثم انهم خرجوا الى المينا وشارطوا الملاحين على المال وحمل اليهم شومدرس مائة دينار وقال امهلوا علينا الى وقت السحر فان لنا شغل نريد ان نقضيه ونأتى اليكم فقالوا لهم افعلوا مابدالـكم وها نحن قيام فى انتظاركم فقـام شومدرس وعقبه وقد أخذ كل منهما بيده سيف وساروا الى المطموره والسجان نائم فتقدم اليه شومدرس وذبحه من أذنه وعقبه يقـول ويلك ياشومدرس هذه ليلة البطال وفيها تبلغ الآمال (ياساده) فهو يقول ذلك المقال واذا هو بلطمه قد وقعت على رأسه فظن انه السرداب قد وقع عليه فوقع الى الارض وقد داخ ونزل الماء الأصفر فى عينيه فقال شومدرس ماالعمل ثم انه التفت واذا هو برجل قد سد المـكان بعظم هيكله وهو يقول أقدامكم ساقتـكم الى عذابكم (ياساده) وكان هذا الشخص الامير حجاف وكان السبب فى خلاصه كان الامير أبو محمد البطال كان فى تلك الساعة كان قد فك قيده بصنعه لايقدر عليها أحدا سواه وفك قيود باقى أصحابه والراهب سمعان وكان عمرو بن عبيد الله وظالم وضيغم الذين أخذهم بيمند فى هذه النوبة ناحية عن المـكان وكانوا هؤلاء لما خلصوا من القيـود وعولوا على الصعود فرأوا القاضى عقبه وشومدرس قد فتحوا المـكان ونزلوا فتسلم حجاف لعقبه أرماه وقاموا اليه باقى الرجال ولطموه حتى أشرف على الوبال وشخصت عيناه وقبضوا على شومدرس وأرادوا أن يعاقبوه فقال خلونى ياقوم وأنا أدلـكم على خزانة السلاح وأرميكم على ابنة القانون وزحاف وأعطيـكم مفاتيح باب الذهب وأملـكـكم الليله البلد لان الملك مايبقى ان يسلم مفاتيحه الالى وأنا أسلمها اليكم (ياساده) وكان الملعون صدق فى قوله لانه علم انهم يقتلوه ففدى نفسه بأهل القسطنطونيـه واشتراها بهذا الامر فلما سمع البطال منه ذلك المقال قال والله العظيم ان أنت فعلت هذه الفعال ماينالك منا مكروه ولاعذاب وأما عقبه فان لنا معه حساب وأى حساب ثم عادوا اليه وضربوه حتى مدد يديه ورجليه وأيسوا منه لمـا ان غاب سواد عينيه

فقال البطال هذا الساعه قتيل اتركوه فى هذا المكان حتى نرجع وإذا نحن دبرنا أخذناه ونريد أيضاً نبصر قول هذا الراهب ان كان صحيح أوفعلنا به أيشم فعال يعنى شومدرس شيخ الضلال (قال الراوى) وخرجوا من المطموره وهم دائرين به من كل جانب ومكان والبطال يقول له ياملعون وأين باقى أصحابنا ظالم وضيغم وملابط البغال وعمرو بن عبيد الله والسعيده وابنة القانون وزحاف فقال أما زحاف ففى حجرة قد أنزله الملك بيمند فيها لما أن تنصر وأعطاه ابنة القانون وأنا اعرفها وأمابقى أصحابكم فهم فى المطمورة الأخرى وأما السعيده فهى فى وسط دار الملك ما أقدر وحق المسيح على خلاصها فقال حجاف ماشاء الله كان ثم انهم ساروا إلى المطمورة الأخرى وقتلوا السجان الموكل بالباب ونزل البطال وولده مذبحون خلصوا ضيغم وظالم والأمير عمرو بن عبيد الله وملابط البغال وفرحوا بزيادة العدد وهنوا بعضهم بعضاً وأخبر البطال إلى ظالم فزاد فزعه وسار بين ايديهم إلى الحجرة التى فيها زحاف وهو نائم معانق لابنة القانون فأيقظه أخوه حجاف وقال له اقعد يامن غضب عليه الرحمن وطرد عن باب الرضوان وترك الجنة ورضى بالنيران (قال الراوى) فلما نظر زحاف إلى ذلك انبهر وطار النوم من عينيه واستوى جالس وقال ياأخى ان الهوى غاب على التقوى وأخرجنى عن دين الاسلام ومالى اليه سبيل ولا يطيب ان أترك هذا العروس التى ملكت قلبى وأنا أريد أكون معها أينما كانت فقال له ويلك أكلت لحم الخنزير فقال أى وحق الصليب فضحك البطال وغلمانه وقد تغيرت من العشق أحواله فقال له ويلك خذها وقوم معنا وعود إلى دين الإسلام فقال مابقى لى اليه من سبيل ولا يطيب قلبى لذلك فلما قال له البطال عود الى دين الاسلام فقال زحاف امضوا عنا ودعوا عنكم هذا الفضول والا وحق المسيح ناديت عليكم وأوقعتكم فى أيدى الروم حتى يضربون رقابكم فقال حجاف لما ان سمع كلامه هذا مايجىء منه خبر أبدا ثم جذب سيفه وضربه أطاح رأسه عن جسده وأخذوا ابنة القانون وقد فزعت وخرجوا من الدار وقالوا للراهب شومدرس امشى الساعه معنا وافتح لنا باب الذهب وسر فى دعة الله تعالى فقال شومدرس وحق المسيح ما أفعل هذا حتى تحلفوا لى انكم لاتتعرضون لى بسوء أبدا فعند ذلك حلف له البطال ومن معه وهم لايصدقون بالنجاه وساروا وشومدرس

معهم الى المكان الذى يعرفه وقال خذوا المفاتيح واذهبوا الى حال سبيلكم فقال البطال هذا مالا أسمعه حتى تورينا موضع السلاح وتأخذ لنا عدة لان الباب اذا جئنا نفتحه نجد عنده مائة بطريق فما نأمن على نفوسنا منهم أن يتوروا علينا وان يقعوا بالسيوف فينا ونحن بلا عده ولا معنا شيء ندفع به عن نفوسنا فقال شومدرس صدقت يا أبا محمد تعالى معى حتى أوريكم وأدخلكم القصر وأسلم اليكم خزانة السلاح فى كرة ففعلوا ذلك وساروا وهو بين أيديهم وحجاف من خلفه حتى ان هو صاح أخذ رأسه ولم يزل هو سائر إلى أن أوصلهم الى المكان وقال دونكم وفتحه وخذوا منه جميع ما تحتاجون اليه فتقدم اليه البطال وعالجه ففتحه ودخلوا اليه وأخذوا منه سيوف هنديه ودرق حديد صيني وخشوت طوسيه وزرد سليمانيه وخوذ فولاذ مضيه (قال الراوى) فلما أن تكاملت عددهم طابت قلوبهم وقال ظالم دع ينذبه الساعه كل من فى القسطنطونيه ثم عادوا الى الباب فقال البطال قفوا مكانكم حتى أتقدم أنا وأفتح الباب فقال مذبحون هذا شيء ما تحتاجون اليه يا أبتاه ولا تتعب أصحابنا ولكن كن انت المفتاح وأنا الذباح فوالله ما تفتح أنت الباب حتى أضرب أنا الرقاب لأنى أراهم سكارى فعند ذلك ضحك البطال وقال يا بنى افعل ما تختار ثم تخطى رقاب النيام واشتغل بفتح الباب وابتدأ مذبحون بأولهم وكانوا سكارى من الشراب وهم نيام نوم من لايحسب حساب وقد شربوا من أول الليل الى ذلك الوقت وما فتح البطال الباب حتى ضربت منهم الرقاب ثم قال اخرجوا بارك الله فيكم فقال حجاف يا أبو محمد ما تستحى من هذا الكلام قال وكيف ذلك يا أمير وإيش عندك من الرأى والتدبير فقال الرأى أن تأخذ ابنة القانون وهذا الراهب سمعان الذى ما فيهم للقتال ونقف نحن هنا وشومدرس شيخ الضلال حتى لا ينذر بنا وينادى علينا وتمضى أنت إلى عسكر الاسلام والامير عبد الوهاب وتعلمه الأسباب وتأتى به الينا ومن أراد من بنى كلاب ونحن نمسك لهم الباب الى أن يأتون وتهجمون البلد وتنادون باسم الواحد الأحد الفرد الصمد وتضربون الكفار بالصارم المهند وتعطون من الله النصر والجلد وتأخذون من الأموال والرجال والعدد ونوقف عقبة بين يدى الخليفه على ما هو فيه من القتام ولا يبقى فى صلبه على باب القسطنطونية ملام ويكون صلبه أعظم من فتح مدينة القسطنطونية فقال

البطال لله درك هذا هو الرأى والتدبير ثم أخذ معه النساء والراهب سمعان وأخذ أيضا قيس بن عمرو وأصحابه وخرجوا من الباب وقدستر عليهم رب الأرباب وساروا طالبين خيام الأمير عبد الوهاب فلما وصلوا وجدوا الامير فى سرادقه والناس حواليه والمشاعل تقيد بين يديه وهو يقول ما أريد أصالح ملك الروم الا من شوقى إلى البطال فما بقى لى صبر عنه وكذلك العبد الصالح حجاف ومن معها من الأصحاب التى طالت غيبتهم فهو فى الكلام وإذا بالبطال وقد دخل عليه وقال له السلام عليك أيها الأمير الزاهد العابد فلما نظر الأمير الى البطـــال قام على قدميه واعتنقه وارتفع من الفرح بكاءه فاما ان هدى جنانه وتحقق معرفته وسأله عن ولده وغلمانه وحجاف فقال الكل سالمين وقد جرت علينا شدائد لا توصف ولو كتبت بمـــاء الذهب لكان قليل ولكن ما هذا وقت الحديث فاركب الساعه أنت وبنى كلاب والسودان الانجاب فقال له وما الخبر وكيف تريدان يكون التدبير وأين باقى الاسارى الذين كانوا معك فى حبس القسطنطونيه فقال له الكل خاصواهم على باب الذهب ونريد نفتح الليلة البلد بأمر الواحد الأحد فادركهم قبل الصباح فقـــال ومعهم الأمير عمرو بن عبد الله وأولادى ضيغم وظالم وحجاف فقال الكل هنالك ما خلا زحاف فان أخوه حجاف قد قتله فشق ذلك على الأمير فقال ولم ذلك يا أبا محمد فحدثه كيف تنصر من أجل ابنة القانون ثم أوراه اياه فعجب من ذلك وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله يا أبا محمد انظر إلى صنع الله عز وجل فى خلقة هذين الأخوين حجاف وزحاف عضوا واحدا عضوا فى الجنة وعضوا فى النار اللهم أنا نسألك حسن الخاتمة والموت على الاسلام ثم سأل البطال عن عقبه فقال وهو أيضا تحت قبضتنا وقد ضربته حتى أشرف على الموت وغدا ان شاء الله تعالى إذا أخذنا البلد انهتك ستره ففرح الأمـــير بذلك وأرسل الى كل طائفـــة الى أمراؤها وأمرهم بالمســـير الى باب الذهب وسار هو فى أربعة آلاف أسود كلهم بصدور الزرد وفى اللتوت والعمد وكان قد أعلم الاميرة بما جرى وترك عندها ابنة القانون وقال لها يا أماه اذا اسمعتى الصياح عند الصباح ادركينا أنتى والمعتصم فى عساكر العراق ثم صار وهو يقول يا أبا محمد أن أنا ملكت باب الذهب بهذه الأربعة آلاف أسود فأنا آخذ القسطنطونية وأهلك كل من فيها من النصرانية ويكون هذا من بركتك فما كان يوم الا أراك فيه يا ابا محمد ثم انهم ساروا

الليل حتى وصلوا البلد واذا بالأمير حجاف واصحابه قيام كأنهم سباع الآجام فسلم عليهم الاميروضم اولاده الى صدره،والاميرحجاف وما كانت الا ساعة حتى وصلت بنى كلاب كلهم رجاله وهم غير خياله ودخلوا الى البلد ونادوا كلهم عن لسان واحد الله اكبر فتح الله ونصر فعند ذلك اجابتهم الاطلاع والربوع والمنازل وقد اختبطت القسطنطونية ونادت الروم والبطارقة وعوام البلد وقد اندهشوا خواص الملك الذين كانوا على الأسوار لما سمعوا توحيد الملك الجبار فنادوا ويماه ويماه هلك وحق المسيح الملك أرمانوس وبطل دين الصليب والناقوس (قال الراوى) وسمع المعتصم أيضا ذلك فاندهش وركب وركبت عساكره وسأل عن الخبر فأرسلت اليه الأميرة ذات الهمه وأعلمته بذلك بما دبر البطال وما فعل ولدها عبد الوهاب فقال لله درهم وما أعجلهم فى كسب الثواب ثم سار بالناس إلى الباب فوجد عنده السودان الأنجاب وقد امسكوه حذرا من الروم ان يتكاثروا عليه ويغلقوه فدخلوا الناس من عساكر العراق ووقع الصياح والزعاق وعمل السيف فى ظلام الآفاق وجرت الدماء فى الأسواق واندقت البطارقة متحيرين من كل درب وزقاق واما ارمانوس فانه انزعج غاية الانزعاج وخرج من القصر فى بطارقته والاعلاج وعمل الحسام فى الليل الداج وكثر الانزعاج واستبشرت المسلمين بعد ذلك الضيق بالانفراج ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل حتى طلع الصباح بالارهاج ووقعت العين على العين وبطل الاحتجاج وانتخت الروم لأجل حريمها وصاحت الاعلاج دونكم والمسلمين وطلعت النسوان فوق الاسطحة والحيطان وقاتلوا الرجال عن النسوان والصبيان وأرموا المسلمين بالاحجار والصخور الكبار ودام السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ذهب النهار وأقبل الليل بغياهب الاعتكار هنالك خرجت القسوس والرهبان من البيع وعلى رؤوسهم الاناجيل فعند ذلك رمى البترك برنسه عن رأسه وكسر عكازه فلما رأته الروم انتخت وحملت على الصفوف وارمت نفسها الى شفار السيوف فقتلت من المسلمين جماعة كثيرة وارموهم الى الابواب واخرجوا اكثرهم ولم يبق إلا اقلهم ونادى الملك ارمانوس وقال ياقوم اغلقوا الباب على من

بقى منهم فما بقى فى البلد إلا القليل والباقى ما بين جريح وقتيل فعند ذلك كشف الأمير رأسه فبان شمطه الأبيض ونادى الله أكبر الله أكبر ثم قال يا معاشر المسلمين أفيكم من يشترى الجنة وبايع الله تعالى على نفسه ويربح المنة ثم صاح يا آل حام يا آل حام هذا يوم نصرة الإسلام (قال الراوى) فوالله ما سمعت السودان نداء مولاهم وانه قد ترك العرب وناداهم فبربرت مثل الأسود وزجرت بأصوات مثل الرعود وضربت بوقاتها وتمايلت ساداتها وضربت كاساتها وتقدمت أقرانها ونشعت ألوانها ثم هجمت على الروم مثل الأفيلة وداستهم دوساً وكبسوهم كبساً ونظروا ارمانوس فقصدوه وأكبوا عليهم من كل جانب وأقبلت الروم تروم دفعهم ومنعهم وهم يخوضون فيهم خوض الدياب وقد ضربوا منهم الرقاب فعند ذلك عادت العرب دخلت وحملت وقاتلت فتحيرت الروم واندهلت (ياساده) وماغابت شمس النهار حتى احتووا السودان على ملوك الامصار وهم ينادون لورك لورك يعنون الامان الامان وصاحوا النسـاء والصبيان وطلبوا أهل البلد الأمان وصاحت الشيوخ والشبان من كل جانب ومكان فرق لهم قلب الأمير عبد الوهاب وأمر برفع السيف فرفع وملكوا المسلمين البلد واحتـووا على مافى القصر وعلى دار الملك ودخل أمير المؤمنين المعتصم بالله والقراء بين يديه وكانوا خمسمائة مقرى فرفعـوا أصواتهم بالقرآن (قال الراوى) ونزل المعتصم وقد نشرت على رأسه الرايات والاعلام النصر والظفر ثم احضر ارمانوس بين يديه ووطى عنقه بقدميه وقال له ويلك يا ملعون لابد لى من ضرب عنقك فكم تحلف وتكذب وتعاهد وتغـدر ويلك ان الملك إذا أوعد وأخلف وعاهد ونكث لافرق بينه وبين النسوان لانهم ناقصات العقول ومالهن ثبات ولا محصول ثم هم بضرب رقبته فتقدم الأمير حجاف وباس الأرض وقال يامولاى ابنتى السعيده فى حبسه وما أدرى أين تركها هذا الملعون وكنا قد خلصناها وهى فى العذاب عند هذا الملعون فقال له المعتصم ويلك وأين السعيده احضرها الساعه فقال سمعا وطاعه ثم أنفذ ارمانوس البطارقه وأنفذ المعتصم معهم أمراء المسلمين فاخرجوا السعيده وهى فى ذلك العـذاب وقد ربطوا إلى رقبتها الكلاب ودمها يسيل مما فدنهشوها بالانياب ولسانها لايفتر عن توحيد رب الارباب الذى قضى عليها بهذا العذاب فلما رآها أبوها حجاف قال حجاف يابنيه

سبحان من حكم عليكى بهذا ولكن لا اعتراض عليه لانه يفعــــل مايشاء ويحكم مايريد فقالت السعيده وهى فى ذلك الضر ياأبتاه مانكون أصبر من آل بيت المصطفى الذين صبروا على القضـــاء حتى وصلوا إلى جنات المأوى فعجب الخليفه من كلامها وخشع قلبه من حسن صبرها هذا والأمير أبو محمد البطال يحدث الخليفه بما قد جرى عليهم من الشدائد ومالاقوا من الاوابد فى بلاد الاطراف ورجوعهم سالمين وماصنع بهم الملك بيمند من العقوبة والهوان إلى أن وصل إلى حديث عقبه ووصوله من اليمن ونزوله اليهم إلى المطموره وكيف عذبهم وعاد وطلع ونزل هو وشومدرس ليضربوا رقابهم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم كلام البطـــال ازداد حنقه على عقبه وقال على الساعه به حتى أجعل هذه الليـله آخر لياليه من الدنيا وأول لياليه من الآخره فقال الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد مابقى على مولانا أمير المؤمنين عتب ولا ملام احضروا الساعة عقبه فقد سهل الله هذه النوبه الصعبه فقد ثبت عند مولانا كفره سيما إذا عاين لباسه ورأى الشعر المركب على رأسه فعندها أخذ أبو محمد البطال غلمانه ومضى إلى المطموره وهو يقول أرجو ان نراه وهو فى الحياة وهذه مدينة القسطنطونيه وقد انفتحت وستره قد انهتك ومابقى لنا عائق وساروا إلى أن وصلوا إلى المطموره ونزلوا فيها فماراأوا أحدا فقامت على البطال القيامه ورجع وهو يأكل كفيه ندامة ودخل على المعتصم وأعلمه بهروب عقبه واشتد غيظه وأحضر الملك ارمانوس فقال له أريد عقبه فقال ارمانوس وحق المسيح انى مارأيته منذ ثلاث أيام ولكن أنا أنادى عليه ثم أمر بعض الحجاب ان ينزل إلى الأسواق وأمر ان ينادى فى أزقة القسطنطونيه معاشر النصرانيـــه من بنى ماء المعموديه ان أمير المؤمنين المعتصم والملك ارمانوس يطلبون الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فمن كان عنده وأخفاه نهب ماله وصلبه الملك على باب الذهب ومن أحضره فى الحال له الخلع والأموال وأقام النداء ثلاثة أيام وكان الذى تولاه أبومحمد البطال فلم يطلع لعقبه على على خبر (قال الراوى) وكان السبب فى هروب عقبه وذلك ان شومدرس لما وصلت السودان إلى باب الذهب ووقع القتال فى البلد واشتغلوا الناس بالمسلمين فهرب شومدرس اللعين ولم يخطى المطموره فوجد عقبه مغشى عليه من عقوبة البطال فحمله شومدرس على أكتافه وخرج به إلى باب المينـا وطرحه فى المركب

الذى أكراه وقال لاصحاب المركب اعلموا ان القسطنطونيه قد ملكوها المسلمين منا (ياساده) وفى تلك الساعه أفاق الملعون عقبه وقد انقطعت آماله من الحياة ووجد فى نفسه شدة من وجع الضرب وهو يظن انه فى المطموره فوجد نفسه فى المركب وشومدرس عند رأسه يبكى عليه فقال له ويلك أنا فى منام ومن أتى بى إلى ههنا من بعد ماوقعت فى قبضة الشيطان أبو محمد البطال فقال شومدرس ياويلك أنا خلصتك فقال عقبه كيف ذلك وأنت معهم تدلهم على المفاتيح فقال شومدرس لولم أقل ذلك المقال وأفعل ذلك الفعال لكانوا ضربوا رقبتك ورقبتى فى الحال ولكن أنا أشغلتهم بنفوسهم وتركتهم فى القتال وحملتك الى هذا المكان فلما سمع كلام شومدرس قال وحق المسيح والمذبح والذبيح بعد ان خلصت منهم ما أبالى ولو خربت الدنيا ماهمنى وقد كنت لك فى نية ميشومة لاجل ماقلت لهم هذه الفعال فقال شومدرس دعنا الساعه من هذا واعلم ان القسطنطونيه قد أخذت وهذا الصياح صياح الرجال والسيوف تعمل فى مفارق أهلها قال أين تقلع بالمركب الذى قاوالته فقال عقبه نقلع إلى السويديه فعندها أدار الملاحين المركب وساروا طالبين السويديه (قال الراوى) هذا جرى (وأما ماكان) من المعتصم فانه أقام فى القسطنطونيه وطلب عقبه أيام فما وجده فأمر بجميع الأموال والرجال وعول على الارتحال وقال أريد ارمانوس فأحضره وأخبره بذلك فصار يتخضع بين يديه ويقول ياأمير المؤمنين ماأعود إلى مثلها أبداً وما بقيت أجرد فى وجهك سيفاً فقال له أريد أخرب الكنائس والبلد كله ولو اقمت عليه خمس سنين حتى لايبقى لك هنا أثر فقال ارمانوس ياأمير المؤمنين إذا أنت أخربت القسطنطونيه ماتقدر تقطع آثار الروم من الدنيا ولابد لهم من ملك غيرى فاعف عنى وعن البلد حتى أضاعف لك الخراج وأحمل اليك الأموال ثم ان الملك ارمانوس التفت إلى الأمير أبو محمد البطال وخضع له فى السؤال ففعل البطال ذلك ولم يزل بالمعتصم حتى أجاب بعد شدة شديدة واجتمعت البنات والأموال والرجال والسبايا والأطفال وأشرط المعتصم على ارمانوس عمارة الجامع واقامة الصلاة والاذان طول الزمان وهو الجامع الذى بناه الصحصاح ومسلمه بن عبد الملك بن مروان وحلف ارمانوس على جميع ماطلب المعتصم ورحل طالب العراق وجد فى سيره يقطع البلاد حتى وصل إلى

ملطيه وكان يومه يوم عظيم نشرت الرايات وضربت البوقات وزينت البلد وأرسلت الرسل إلى العراق وكان موسم مثل قديم الحاج (قال الراوى) هذا جرى (وأما ما كان) من عقبة الكذاب فانه وصل إلى السويديه وخرج منها الى انطاكيه وأقام فيها ثلاثة أيام وقال لشومدرس اطلب أنت قامة وأقيم فيها حتى تستقيم أحوال بلد القسطنطونيه فأنا أعلم ان المسلمين ما يقيمون فيها ولا بد لهم ما يرحلون منها الى ملطيه وترجع أنت بعد ذلك الى القسطنطونيه واما أنا فانى أريد ان أمضى الى بغداد وأكشف وجهى عند المعتصم وألعب بعقول الكل (قال الراوى) وسار الملعون الى حلب وركب مع العرب وهو يعد المراحل والأيام حتى وصل الى الكوفه فكان يوم وصوله يوم وصول الحاج فقال للبدوى اخلطنى مع جمال الحجاج فأخلطه ودخل الى الكوفه وتباشروا أهلها بقدومه وخرجوا الناس الى لقائه وهم يقولون قدم القاضى عقبه من مكه ونريد نخرج الى لقائه حتى يشركنا فى صالح دعائه فعند ذلك أرسل عقبه الى عامل له بالكوفه وأخذ منه أربعة آلاف دينار ونزل فى دار كبيرة وجعل يشترى فيها الدجاج والحلوى ويدعو أهل الحاج عشرة بعد عشره فيأكلون عنده ويعطى كل واحد منهم عشرة ويقول يا اخوتى هذه صيانة لكم لانى كنت قد نذرت هذا وأنا معكم فى عرفات وقلت اذا وصلت الى الكوفه أنفق بعض مالى على الحجاج شكر الله تعالى ومع هذا كله فلى عند المعتصم من يفترى على الكذب والمحال ويقولون انى كنت صحبتكم (قال الراوى) يا ساده فما قولكم فى أقوام عوام وقد وصلوا من مكه جياع محتاجين وأكلوا لحم ودجاج وحلاوه وما شبه ذلك وأخذ كل واحد منهم عشرة دنانير وقد أبصروا عليه آثار السفر ودخل مع الحجاج فشهدوا انه كان معهم فى الطريق فى صلاة وعباده فأخذ خط خمسمائة رجل حجاج وأخذ خطوط أهل الكوفه أيضاً وسبق الناس بعد ذلك الى بغداد ودخل اليها قبل دخول المعتصم بأيام وماحست به الست زبيده حتى استأذن عليها ودخل الى بين يديها فلما رأته قامت له قائمه وقالت له مرحبا بالشيخ الصالح الضعيف المشتت المبهدل فى البلاد المبتلى بكذب الاعادى والحساد فجعل عقبه يبكى ويقول لالو شوقى اليكى ما وطئت العراق ابدا فبكت السيده زبيده وقالت والله لقد كنت مشتاقة اليك وحزينة عليك وقد وصلت الينا الأخبار انك فى بلاد

اليمن وقد فتح الله على يديك مطالب الأرض وبانت العلامات والكرامات ونزلت عليك الأنوار فقال من أنا حتى أكون صاحب كرامات فاكتمى عنى هذا الأمر ولا تفضحينى فيه فما أدرى من سبق اليكى بهذا ولا أعرف لى إلى أحد حسنه الا كذب عبد الوهاب وأبو محمد البطال على وإلا ما أنا شيخ ضعيف ومالى عمل يرضى ولكن أرجو المغفرة والتجاوز عن زلاتى ثم قرأ ومن يغفر الذنوب الا الله وبكى فقالت السيده زبيده اذا كنت انت تبكى على تقصيرك ولك كذا وكذا سنة فى طاعة الله تعالى فما الذى نقول نقول نحن (ياساده) وكانت السيده زبيده دينه رقيقة القلب رضى الله عنها وما كانت تتعصب لعقبه الا أنها تراه شيخ كبير وضعيف وتراه كثير الدين والخشوع والعلم والقراءة الحسنة وجريان الدموع ويحج ويصوم ويعظ الناس وكانت منه الظاهر والله تعالى متولى السرائر وفى ذلك اليوم نادى المنادى فى بغداد أن اخرجوا الى لقاء الخليفة فهو فى غداة غد يصل فخرج العالم وباتوا فى الطرقات وكان يوم دخوله يوم مشهود ونفق فيه مال ممدود وكان حوله إلى ملطيه وصعد إلى القصر وتصدق على صعاليك العراق شكر الله تعالى على ما أولاه من المنه والسلامة والنصر ودخل على السيده زبيدة فوثبت إليه قائمه وبكت وقالت والله يا ولدى لقد طار نومى مدة غيبتك من خوفى عليك فقال لهما ما كان إلا الخير بحمد الله تعالى فقالت يا أمير المؤمنين حدثنى ما جرى لك فى هذه الغزاة المباركة من العجائب فجعل يحدثها إلى أن وصل إلى حديث الهجام والاشكع وان عقبه نصرهما وأنه كان فى القسطنطونية يعاقب البطال وغلمانه وانني لو كنت وقعت به لما فتحت القسطنطونية لضربت عنقه وصلبته على باب الذهب ولكن طلبناه فما وجدناه وبقيت متحيرا فى ذلك وقال ارمانوس وكل من كان فى القسطنطونية عندنا ولكن ما ندرى ما كان منه وربما يكون قد قتل أوفى جملة من قتل فقالت زبيده يا أمير المؤمنين ما هذا إلا شيطان يتمثل فى صورته أو يكون له أعداء يتقاتلون عليه فأنت ليلة عرفة أين كنت فقال كنا تلك الليلة قد أخرجنا هجام والأشكع وقتلناهما وأنه فى القسطنطونيه فقالت يا أمير المؤمنين فأنا قد وصلنى كتابه من مكة مع الحجاج يشهدون أنه وقف معهم الوقفه على جبل عرفة وكان معهم فى الطريق يصلى بهم إلى الكوفه ثم رمت اليه المحضر فقراه الخليفة وفيه ألف شاهد وأكثر يعرفهم بالثقة والأمانة وقضاة الكوفه

يشهدون بما كان يدعو للخليفه فى مكة قال فبكا المعتصم وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كسبنا اثم هذا الشيخ الصالح لأن أهل مكة وصانى منهم انه ليس عندهم وهذا المحضر يشهد أنه وقف معهم بعرفات فلعن الله الوشاة لأنهم بالباطل فشاه وكنت أريد من الله تعالى أعلم فى أى موضع هو حتى اسير خلفه واستحضره تحلل منه قالت يا أمير المؤمنين وتعطينى عليه الامان بأنك لا تسلمه إلى الأعداء فقال لا والله بل أكشف وجهه ويركب فى الموكب ويرجع كما كان فلما سمعت ذلك قالت اخرج يا قاضى يا مظلوم يا متهوم فخرج عقبة وقد احدودب ظهره ونحل جسمه وجرت عبرته وعليه قميص بتراب الحجاز والاحرام على أكتافه وأخذ يد المعتصم وهو يقرأ وهو على جمعهم إذا يشاء قدير فرحب به المعتصم واعتنقه وبكا عليه فقال له أهلا وسهلا بالمتهوم ولكن فى سبيل الله تعالى ولقد طال شوقنا إليك بعد ما قست قلوبنا عليك فقال له عقبه يا أمير المؤمنين مقصودى رضاك (قال الراوى) وان المعتصم أخرج عقبة الى مجلسه وقد دخلت الأمم لتهنى أمير المؤمنين بالسلامة من الاشراف والقضاة والعلماء وعقبه بتلك الصفة فقال الخليفة سلموا عليه وتبركوا به فبكوا عند مشاهدته على تلك الاطاله وقد حفر بين عينيه حفره حيلة منه حتى أنه ما كان ينام الا ساجدا أو راكعا فقالوا ما هذا الا عبد صالح فتحللوا منه وقالوا جعلنا فى حل فقال أنا مفتقر اليكم والى دعائكم لعل ان أعبر العقبة والناس يدعون على ظالمه وخلع المعتصم عليه ثيابه كلها وقد ركب فى بغداد ونزل فى داره ولقيه ولده عبد الصليب وولده عبد مريم ففرحوا به وقالوا قد طال شوقنا اليك فقال لهم بعد أن خلا بهم ما ضاعت غيبتى وقد قتلت من المسلمين بعدد التراب ونصرت جماعة وأهلكت سيف الحنيفية والأمير عبد العزيز العلوى ففرحوا بذلك واشتدت ظهورهم ووصل الخبر إلى ملطية بأنه قد صار عمدة العراق فى العقود والأحكام فقال عبدالوهاب ما غير عقل الخليفة الا محضر فيه ألف شاهد وما ألومه فى هذا فقال أبو محمد لقد طال تعبنا معه والله لاذبحنه فى بيته ثم صار أبو محمد يطلب العراق الى ان وصل بغداد هو وغلمانه متنكرين وأقام إلى المساء ورصد عقبه حتى ينزل الى داره ليلا ونصب عليهم سلم وصار هو وغلمانه فى أعلا الدار واذا عقبه واولاده بين يديه وعليهم شمع ينور وهو يقول لأولاده المسيح يكفينى فيكم البلا من أبو محمد فانى خايف أن يفجعنى فيكم

كما فجع عبد الوهاب فى سيف الحنيفيه فقالوا له طب نفسا وقر عينا فان أبو محمد يفزع منك أكثر مما تفزع منه ولم يزالوا فى الحديث الى أن غلبهم النوم ثم أن عقبه أطفأ الشمعه وقال الصواب ان الانسان اذا أنام لا يكون عليه ضوء مشعول حتى لا يكون يعلم به عدوه ثم ناموا وعلا غطيطهم فقال أبو محمد لغلمانه انزلوا فنزلوا وحصلوا فى الدار فأول من وقعت يده عليه عبد الصليب فذبحه من أذنه الى أذنه وحط يده على عبد المسيح فذبحه من أذنه الى أذنه وذبح جوهر عبد مريم فقال أبو محمد بقى الرابع فحط يده على شخص ملصق بالحائط فوقعت على العمامة وقال لغلمانه اخرجوا بنا فقد بلغنا المقصود بعد ما نضجت منهم الجلود ولو درينا كنا نجينا من زمان ولا كنا نقاسى ما قاسينا فخرجوا من الدار لطلب دار صديق البطال وكان عارفا بكفر عقبه لأن البطال قد أطلعه على كفره وكثير من أحواله فلما دخلوا عليه قال لهم ماوراكم فاخبروه بذبح عقبه وأولاده ففرح وقال لقد أصبتم وما قصرتم الذى جئتما ها هنا فان الطلب لابد أن يقع عليكم فى سائر الطرقات وتهلكون وعقبه اليوم عند الخليفة فى منزلة عظيمة ولما أصبح الصباح خرج صديق أبو محمد ليكشف الخبر واذا بالدنيا منقلبة وعقبه مكشوف الرأس وعليه حلة سوداء وهو ينادى واديناه والأولاداه وامعتصماه واحزناه فلم يبق قلبا الا جرحه ولا كبدا الا اقرحه حتى وصل الى قصر الخليفة فانقلب القصر ودخل من غير اذن وطرح أولاده الثلاثة وكان الرابع العجوز أمهم لعنة الله عليهم أجمعين وكان عقبه اللعين يوعدها ويقول ما نموت أنا وانتى حتى تدق النواقيس على رؤس الاشهاد ونملك البلاد ونهلك العباد (قال الراوى) ولما نظر الى ذلك الخليفة وعقبه وأولاده وزوجته على تلك الحالة بكا وانزعج وسأله عن الخبر قال ياأمير المؤمنين كنا قد صلينا الفرض وقلت أريد أنام والساعة أقوم لوردى وكنت لما يريده الله تعالى من سلامتى قد قمت من مرضعى وتركت زوجتى وأولادى فذبحوهم وظنوا أنى زوجتى أنا الان العمامة كانت عند رأسها والا كنت قد هلكت وهذه قصتى يا مولاى ثم بكا ولطم على رأسه وأنشد يقول

ألا يا أمير المؤمنين ومن به * نجاة الورى من كل امر دهانيا
اجرنى فقد أصبحت فردا محيرا * وحيدا وأولادى صراعا كما هيا

فرق لأولادى وخذ لكبيرة * بحق فما للحق غيرك قاضيا
فياليتنى لم آت من أرض مكة * ولم أر هذا اليوم قبل وفاتيا
ألا يا امير المؤمنين بحق من * يجود على كل الورى بمراديا
تحنن على عبد بلى بفراقهم * تراهم صراعا فى الدما ببلائيا
فإن كنت ما تأخذ بثارى فمن لهم * اذا وقفوا يوم الحساب عواريا

(قال الراوى) فبكى المعتصم وقال لئن لم انتقم منهم الله ينتقم منى وسوف اطلبهم وكتب فى ساعة الحال كتاب وارسله على جناح الطائر الى ملطية ويقول لصاحب الخبر اذا قرأت كتابى هذا تبصر خبر ابو محمد البطال ان كان حاضر فى ملطية او غائب فان اولاد القاضى عقبه وزوجته قد ذبحوا وقتلوا وقيل لى ما قتلهم ألا ابو محمد البطال وأريد الجواب منك عن يقين ان كان حاضرا هو وغلمانه أو غائب هو وأيام فقال له عقبة الآن يا أمير المؤمنين قد علمت ان قاتل أولاد عقبة ظهر فارسل الساعة الى سائر الطرقات والجهات ونادى فى بغداد معاشر المسلمين أمر الخليفة المعتصم من علم بأبو محمد البطال وكتمه فقد أباح الخليفة دمه وماله ولا يقبل فيه شفاعة شافع والمعتصم على شك من أمر البطال ويقول ماكان أبو محمد مستحيل أن يفعل هذا ويقتل أربعه من المسلمين يقرؤن القرآن العظيم حتى إذا كان فى غداة غد جاءه الجواب من ملطيه على جناح الطائر بأن أبو محمد البطال قد فقد من مطليه من أيام متوالية وسألنا عنه فقيل لنا مضى من مدة إلى بغداد دارالسلام والذى أخبرنى بعض اخوان الأمير عبد الوهاب وهو الذى علمت به وبعثت أعلم به أمير المؤمنين المعتصم ثم طالعه عليه (قال الراوى) لهذا الكلام فلما أن سمع الخليفة ما فى الكتاب تيقن أن أبو محمد البطال هو الذى قد قتل أولاد عقبه فحلف بالله العظيم وبنبيه الكريم الا طلبته ولو ذهب إلى السرى الأقصى وخرجت السيدة زبيده وبكت عند المعتصم وقالت يا أمير المؤمنين صح الآن انهم له أعداء وكلما يقولون عليه ظلم وعدوان فقال المعتصم لقد قدم أبو محمد على أمر عظيم وما هذا الا الخرق بى وبحرمتى والله وانى لآخذن عليه حق الله منه ثم أنه أمر الغفرة ان يدوروا حول بغداد وأن يحفظوا الطرقات من جميع العيارين والجند وأرباب الدرك وقال معلوم أن أبو محمد ما فعل هذه الفعال الا قد قدم على هلاك نفسه وهو على أمر شديد ماهو

صادق أم هو حاسد هذا الرجل فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال عقبه يا أمير المؤمنين ما يقدر يخرج إلى ظاهر بغداد أبدا من الحرس الشديد وما هو إلا اختفى عند بعض أصدقائه وعدايا أمير المؤمنين تنادى فى أزقة بغداد وفى شوارعها كل من خبا أبو محمد البطال ما خصمه إلا الخليفة وعقبه راكب وراء المنادى والشهود بين يديه ويحلف عن من خباه وعلمت به صلبته أو أضرب رقبته هو واهل بيته وأخذت ماله وخربت بيته ولو كان ولدى (قال الراوى) ومن الغد نادى المنادى والمشاعلى ومعه الشهود كما ذكرنا ومن جاء به فله خمسة آلاف دينار ومن غمز عليه فله ذلك فجاء صديق البطال لبيته وقال له يا أبو محمد اعلم أن الخليفة قد قامت عليه القيامة وقد أرسل الخليفة إلى ملطيه وأتاه الخبر بأنك غائب وقد قال عقبه هو الذى فعل هذه الفعال بأولادى وقد صح عند الخليفة المعتصم ذلك الأمر وقد جعل خمسة آلاف دينار لمن يدله عليك أو يغمز عليك وقد أوعد بالقتل والهلاك لمن كتمك أو اخباك وما اوثق على نفسى وأخاف انى ارغب فى المال وابيع ما بيننا من الصداقه بخمسة آلاف دينار ذهب وانت تعلم ان النفس امارة بالسوء فهذا وجه من الأول والوجه الاخر اننى اخشى من جار سوء او جاسوس قد علم بك وبالحال فيبلغ غرضه منى فى هذا اليوم ويخرب ديارى ويقتل اولادى فاخرج من عندى سالم على كل حال واطلب الستر من الله تعالى فهو الستار على عباده فتحير ابو محمد من ذلك وقال لا إله الا الله محمد رسول الله لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون وحسب فى تلك الساعة الف حساب وعلم أن الطلب عليه عظيم فقال لصديقه أمهلنى الى الليل فقال له لا أقدر على ذلك ولا بد من خروجك فى هذه الساعة والسلام فقال أبو محمد البطال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم رفع أبو محمد البطال رأسه الى السماء وقال اللهم أنت تعلم أنى ما أفعل فعلا إلا ولك فيه رضا يا سيدى وما قتلت هؤلاء الكلاب الكفرة إلا أنهم يكفرون بك ويأكلون رزقك ويعبدون غيرك وأريد سترك الحصين الجميل عوائدك على أوليائك ياالله وخرج أبو محمد البطال باكى العين وغلمانه وقال لهم تفرقوا ويكون الملتقى غدا فى خرائب سامر فأخذ كل واحد طريق ولسانهم لايفترعن قول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فأما أبو محمد البطال فانه خرج

من سوق الثـــلاث وطلب الشارع وأتى إلى الجسر وقت الظهر وقد حميت الرمضا واكفهر الحصى وأوى كل طير إلى وكره فاغتنم أبو محمد خلو الطريق فلمـــا توسط الجسر وإذا بفارس يركض بين يديه وبيده سيف مشهور صـــقيل أخضر يأخذ بالبصر ونادى برفيع من صوته ياأبو محمد من يفعل هذه الفعال ويقتل أولاد القضاه يمشى هذا الوقت ويعلم ان الخليفـه لا يأكل الطعام ولايشرب الماء من شدة طلبه لك استعد الآن للمسائله والجواب والخليفه والقاضى عقبه وللبلاء بجلبـاب نلآ القاضى عقبه لك فى استنظـار ياأبو محمد فضحك أبو محمد فى وجهه وقال له ياويلك هذا من هوس الطمع لأن أمير المؤمنين خلد الله ملـكه ونصره على الـكافرين قد بذل لمن يأتى بالبطال خمسة آلاف دينار ذهب وأنت فى هذه الساعه من هوس المـال كل من تراه تقول هذا أبو محمد البطال وأنا عابر طريق وخادم السلطان على التحقيق فاذهب لحال سبيلك فالله يرشدك على من يكون لك من جانبه منفعه فذهل الرجل عن طلبه وبهت من قلبه وسار الهوينا إلى ان صار إلى جانبه ونظر اليه وتحقق معرفته وقال له ياويلك ماأنت أبو محمد البطال وتهتنى أنت فقال له أبو محمد تـكذب ودفع الفرس وهو يقول ياقوى بحيله فوقع الفارس والفرس فى الدجله وسار أبو محمد يهرول وقد وقع الصوت من أجل وقوع الراكب إلى الدجله وسار أبو محمد وقد جاء الناس اليه ليخرجوه وقد سبح به الفرس حتى أخرجوه من قدام واشتغل بنفسه عن طلب غيره (قال الراوى) وفرغ من الطلب فدخل إلى بعض ذلك الدروب ولمـا دخل اليه وقد ظن انه ينفذ واذا به غير نافذ الاانه طويل فقصد إلى آخره فرأى باب دار صفائحها ساج وعليه ستر مليح فى حمرة الشقائق ودهليز كبير مار وفى وسطه جارية واقفـــه بقميص أحمر كانها الشمس الضاحيه بعيون تركيه وجبهة مضيه وقامه ألفيه قامه بوجه جميل وطرف كحيل وخد أسيل وردف ثقيل كانها ظبية القناص فقال لها خبرينى ياابنة الـكرام ثم اخفينى عندك لله تعالى فقالت له ادخل ولا تخاف فدخل أبو محمد إلى وسط الدارفوجدها دار مليحهوفيها جوار كانهن الأقمار فقالوا ماهذا فقالت هذا رجل خائف قد استجار فينا وهو مطلوب وقد أمنتهوأجرته فلا فيكم من يذيع أمره ثم لايفشى سره فقلن لهـا يامولاتنا وكيف يكون ذلك وهو فى جوارك ولو أخفيناه فى أحداقنا لانعلم به مولانا ولا غيره قال أبو محمد

ورفعونى إلى غرفة داخل الدار وجاءتنى بمائده عليها ألوان الطعام فلم أقدر آكل لقمة واحده من شغل قلبي فقالت لى كل فوالله لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك وكل مقدر كائن وان كان لك أجل فلواجتمعوا على قتلك أهل الدنيا بأجمع لم يصلوا اليك وجعلت تلقمه لقمة بلقمه وتقول له بحياتى كل هذه وقد فعلت معى منها جميل فلما اكلت وكنت جيعان إلى ان اكتفيت وشبعت وقلت الحمد لله فوالله ما استقربى المقام بمقدار ما أكلت حتى انى سمعت صياح فى الدار من الغلمان فخرجت الجاريه من عندى وجعلوا النسوان يقولوا لها يهنيكى السلامه فى الفائد فقالت لهم يهنيكم الخير فما الخبر وجعلت تتحدث معهم إذ سمعت صوت صاحب هذه الدار والغلمان فى خدمته قيام فنظرت أنا من فوق الغرفة حتى أبصر ان كان صاحب الدار محتشم أو غير ذلك حتى أجازيهم ببعض ماعملوا معى فلما ان طليت فنظرته واذا به صاحبى الذى كنت واياه على الجسر وقد دفعته وأرميته من على الدجله وقد سبحت به الفرس وطلع وقال له بعض الناس ماوراك فقال لهم وقع بى الفرس فى الماء ولم يتحدث بحديثى لهم حتى انه لا يطالبنى أحدا غيره ويظفر بالفائده قال أبو محمد البطال فأيقنت انى هالك معه ثم انه قلع ثيابه التى ابتلت ولبس غيرهم وجلس فقدموا له الطعام فضله ما كان بين يدى فقال والله ما أقدر آكل لقمة من قهرى قالت له زوجته ولم لا تأكل منه ياسيدى فقال لها اننى مهموم مغموم فقالت له سألتك بالله تعالى الذى سلمك وسلم فرسك إلا ماقلت لى ماقد أصابك من الضرر فقال لها فاتنى بهذا اليوم خمسة آلاف دينار ذهب فكنت إذا أخذتها من الخليفه أشترى لكى بألف منهم كسوه وعقد بألف دينار ذهب وأصلح حالى بالثلاثة آلاف دينار وكان يقضى لى كل يوم ثلاثة حوائج عند الخليفه ويبقى لى عند القاضى عقبة مقام (قال الراوى) ثم انها قالت هذا كله بم كنت تناله فقال لها وقع فى يدى أبو محمد البطال وصدمنى ثم ألقانى فى الدجله أنا والفرس فكيف ان آكل وقد رجعت هذا اليوم خائب فقالت له صف لى أبو محمد حتى كاننى أراه قال أبو محمد فجعل يصفنى لها فقلت فى نفسى من ههنا دنت وفاتى وهلاكى وكيف ساقتنى المقادير والقضا إلى بيت خصمى ثم انى قلت انا لله وأنا اليه راجعون ثم جعل يصفنى لها حتى انه وصف القوة والشجاعه وعلائم حتى قلت انه لواشترانى من حجر النخاس ما كان وصفنى بهذه الصفه فقالت له خرب الله بيتك

يامقلوب الدماغ أرماك إلى الدجله وفيك من القوة إلى هذا الحد فخل عليه من كلامها أمر عظيم فجعل يصفنى بالقوة وجاء هو عندها فسكتت عنه ساعه مقدار ماقد نام ثم انها طلعت الى وقالت بالذى يسترك أسألك عن شىء ثم تصدقنى فقلت نعم فقالت أنت أبو محمد البطال صاحب زوجى الذى أرميته فى الدجله قلت لها نعم وماذلك وقد دخلت دارك وأكلت زادك ولى عليك حق بذلك فلا تفعلى الا ما أنتى اهلاله فقالت لى عليك مطر السماء ولك الامان وما نعلم بك صاحب الدار ولا غيره ولى اليك حاجة ان أنت فعلتها فانت تصير عندى فى الحل الاعلى فقال لها وما هى فقالت اعلم ان مافى بغداد امرأة أحسن منى ولاأجمل من وجهى وأنا من بنات الملوك وهذا زوجى قد كان زوجنى به الخليفه من غير رضاى وتقدم إلى وابلغ منى غرض وانزل الى عند زوجى اقتله وتسلم الدار بما فيها وتبقى ههنا تأكل وتشرب وتنام عندى سنة كاملة ولايعلم بك أحد واذا أردت ان تخرج أخرجتك الى ان ينصلح أمرك مع الخليفه وتكون هذه الدار دارك فى بغداد وما فيها من الاموال ولى أملاك كثيرة تساوى خمسة آلاف دينار وبساتين نأكل من ثمرها ونأخذ أجرتها فى كل سنة فلما سمع أبو محمد البطال هذا الكلام قال لها ياحره اعلمى انك أول ما أمرتينى بالدخول الى دارك ما كان الاالله ولو علمت انه لعله ما كنت دخلت دارك ولو قطعتينى اربا وبضعتنى بضعا فلا تفسدى ما كان فى الاول الى الله تعالى لا افعلت ذلك أبدا فقالت له ان لم تفعل ذلك والاصحت الساعه لزوجى ويأخذك وللخليفه يحملك وتصبح على خشبه مصلوب مضروب الرقبة فقال لها أبو محمد والله هذا الذى تقوليه أهون على من ان أقدم على معصية الله تعالى وأقتل النفس التى حرم الله قتلها فقالت له سبحان الله كيف تحلله عاما وتحرمه عاما وكيف تستحل قتل زوجى وهو يريد قتلك وتسليمك إلى من لايرحمك وهو المعتصم وكيف استحليت أنت قتل أولاد عقبه وهم الصائمون القائمون فبين لى ماهذا قبل ان أهتك سترك وأبدى لزوجى ماقد كان من امرك فقال لها ان عقبه كافر وأولاده يشركون بالملك القادر وذلك شىء علمته منه والملتقى بين يدى الله عز وجل يوم يكون فيه الجزاء وان الزنا عند الله عظيم وان فى جهنم توابيت من نار فيهاقوم ينادون ياصوماه واصلاتاه فقالت ومن هؤلاء فقال هم الذين ينكحون الفروج

حرام واعلمى أن قاتل النفس التى حرم الله من قتلها بغير حق يأتى يوم القيامه وعلى جبهته مكتوب أيس من رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) فقالت وان لم تفعل ما قلت لك أتولى انا قتل زوجى بيدى فقال لها والله هذا شىء لا أفعله أبدا هنالك وثبت وأنا أظن أنها تعلم بى زوجها فدنت منى ثم قبلت رأسى وقالت لى احسنت ايها العبد الصالح ثم قالت والله العظيم لو قبلتنى لى قبلة واحدة كانت تكون سبب ضرب رقبتك ومعاذ الله انى كنت أعصيه معك أو مع غيرك وأنا والله أردت أن اختبرك ولو انعمت لى بما قلت لك لعلمت أنك ظلمت أولاد عقبه فى قتلهم فلا يحق لى ان اخبيك والآن قد علمت منك التق وذلك الصبر على هذا البلاء لأن الله تعالى يقول (ان النفس لأمارة بالسوء) وإن أنت لم تفعل علمت أنك ما فعلت شىء الا عن حقيقة الأمر وعليك ستر الله ثم انها غطت وجهها وذهب ذلك الضحك والابتسام الذى كانت نصبته لى شرك فلما ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وقلت لها كيف بالخروج فقالت على مهلك فلا سبيل لك الى ذلك لأن الطلب عليك عظيم فاصبر ثلاثة أيام حتى ينقطع عنك الاياس ويقل عنك الطلب وما الدار إلا بحكمك فدعا لها أبو محمد وشكرها وقد أبهرته بجمالها وعقلها ثم اقبل عليها وقال لها اريد من فضلك تكتمين خبرى وتكشفى خبر غلمانى وتلتمسين اخبارهم فقالت فى غداة غد إن شاء الله تعالى فلما ان أصبح الصباح وخرج زوجها ورجع اليها وأخبرها أن الخليفة قد وقع له غلامين من غلمان البطال وقد ضربهم ضرب شديد وأقروا بالقتل وجمع الفقهاء والعلماء وقال لا أعمل شىء الا بقولكم فما الذى يجب عليهم فقالوا أنت أعلم منا وتريد ان لا يبق عليك حجة وإنما تعمل بالظاهر والظاهر أنهم قتلوا واقروا بالقتل وقولهم ما هو إلا كافر فلا يصدقون فى القول ولو اجتمعوا أهل ربيعة ومضر على قتل مسلم لقتلوا شرعا عن بكرة أبيهم فعندها سلم الخليفة الغلمان إلى عقبه فقتلهم وصلبهم على الدجلة وهو يقول ما أريد إلا أبو محمد وهو الذى قتل ولدى الصغير وزوجتى (قال الراوى) فرجعت الجاريه إلى أبو محمد البطال واعلمته بالخبر وقالت له إن الدنيا قائمة على قدم وساق وعقبه يحث الخليفة على طلبك أنت فبكى الأمير أبو محمد البطال على غلمانه وقال لكل أجل كتاب إنا لله وإنا إليه راجعون والله

ما كان مجيئنا إلى ههنا صواب وما ظننت إلا أن عقبه قد قتل واسترحت منه ولكن لا مفر من القضاء والقدر وصبر إلى أن مضى ثلاثة أيام فلما ان كان فى الليلة الرابعة قال للجارية وكان اسمها أم الحيا أريد الرواح ولا بدلى من ذلك وما بقى لى صبر فقالت له سمعا وطاعه لا تحمل على قلبك هم وتقول فى نفسك أنك قد تقلت علينا ياسيدى فالى كثير وخيرى غزير وصاحب الدار لا يعلم بك ولو أقمت عندى سنة كاملة كنت على قلبي طبيب فلا ترمى نفسك إلى الهلاك وما يحملك إلى البلاء والارتباك فقال لها أبو محمد لا والله ما هو من هذا الوجه فانت غمرتينى بجودك وفضلك فقالت له إذا كان ولا بد من ذلك ففى هذه الليلة أخرج أنا وأنت كانى أريد الحمام بالليل وأقول لزوجى أنا أدخل الحمام الفلانى أخليها خلوه فقال لها افعلى ثم أنها أعلمت زوجها بذلك فأرسل إلى تلك الحمام وأخلاها زوجها وصبرت الى الليل ولبست هى والجوار وأبو محمد لبس لبس النساء وأخرجته من الدار فى زى الجوار وهو فى كل خطوة يقول يا ستار يا عالم الخفيات والأسرار حتى جاؤا الى حارس الدرب ففتح لهم وكان الحارس يجل قدرها فلما أن وصلت اليه دعا لها وخرجوا من الدرب وستر عليهم الرب ووصلت أم الحيا الى الحمام هى وجوارها وخلع أبو محمد ما كان عليه من الثياب وودعهم وسار الى وقت السحر وقصد الى خراب سامر الذى أوصى غلمانه أن يأووا اليها فدخل أبو محمد فوجد غلمانه لؤلؤ وجوهر يبكيان على مولاهم فلما دخل عليهم الأمير أبو محمد فرحوا به وقالوا الحمد لله على سلامتك أيها السيد فقد والله حملنا همك فقال لهم أحسن الله لكم العزاء فى اخوانكم ثم عاد عليهم القصة وأعادوا عليه قصتهم وكيف قاسوا حتى أتوا الى هذا المكان فقالوا له كيف سلمت أنت فحدثهم بحديث أم الحيا فتعجبوا من فعلها وقالوا هذه السنة تكون عجيبة فى هذا الزمان تتحدث بها الناس جيلا بعد جيل (قال الراوى) ثم أقبل أبو محمد عليهم وقال لهم يا أولادى ما نقدر نمضى الى ملطيه لأن الخليفة قد كتب اليها كما ذكرت لكم ولا بد ما يطلبنى ويقول اقبضوا عليه وعلى غلمانه وما هذه مثل كل نوبة وأنا ما أقع فى يده الا ويضرب رقبتى وقد كتب أيضا لسائر الاقاليم وأى مدينه دخلت اليها أو خرجت منها قبضونى ويد الخليفة لا تطاولها يد ولو احتمالى كل من فى الدنيا وشهدوا انى ما قتلت فما يصدق لأن غلمانى قد أقروا علينا بالقتل ولا بقى لى الا

الغربة الى بلاد لا يسمع الخليفة لى خبر فيها ولا يعرفنى فيها أحد ولقد كانت نوبة غير صالحة وهى مذمومة ولكن ما أحد يدفع القضاء والقدر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالوا له غلمانه الى أين تمضى فقال لهم الى مصر وادخل منها الى بلاد الغرب وأقيم فيها الى أن أموت أو يموت عقبه أو يموت الخليفة والا أموت غريبا والله مابى الا فراق الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ولكن لكل أجل كتاب ومن قضى عليه يموت فى الغربة مايموت الا غريب (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء (وأما عقبه) فانه دخل على المعتصم وقال له يا مولاى أقول أن أبو محمد البطال مابقى له فى بلاد الاسلام مطمع وما أقول الا انه دخل الى بلاد الروم وتنصر كما انه يقول عنى وانا لا استحل ان ارميه بالكفر مثل ما يفعل فى حقى وان كان قتل اولادى فانى اخاف من الوقوف بين يدى الله تعالى يوم ترجف الأرض وتمور الجبال وتطوى السماء كطى السجل للكتاب (قال الراوى) فبكى المعتصم وقال هكذا تكون الناس ما اسلم قلبك وما اجودك للمسلمين ثم قال والله لآخذن بحقك ان شاء الله تعالى (قال الراوى) وسار ابو محمد وقد علق عليه لحيه بيضاء طولها ذراع وفعل الى غلمانه كذلك كل واحد ذقن خلاف الأخرى وقال لهم اتبعونى يا اولادى ودخل بهم الى سامر وقصدوا الى خانقة الصوفية ونزلوا اليها وسرق منها ثلاث مرقعات وثلاث مناديل صوف وثلاث سجادات ومصحف وثلاث عكاكيز ولبس ابو محمد لبس الشيخ وغلمانه ايضا قد لبسوا لبس الصـــوفية ونزلوا اليها ومشى ابو محمد البطال وغلمانه من ورائه بالعكاكيز فكان كل من رآه ينطرح عليه ويقبل يديه من المتقدمين ومحبين الفقراء ويصافحوه ويطلبوا منه الدعاء وكان البطال حاذق عارف كل من كان شيخ كبير يقول له الله يختم لك بخير والفقير الصغير يدعى له بالرزق وطول العمر والمتوسط يقول له الله يعافيك ويساعدك على وقتك ويغفر ذنبك وهو سائر على الطريق وسار ابو محمد وغلمانه الى ان وصل الى الموصل فعبر على رجل يقال له حسن ابن على الكتاب فى الموصل وكان أصدق الناس له وبينهم محبة فلما أن رآه مقبل عليه فوثب اليه وسلم عليه وقبل يديه وقال له يا أخى ادعى لى فجعل أبو محمد يدعو له فحمل له الرجل نفقة فامتنع أبو محمد من أخذها وقال له ما أريد مال ولكن أريد شيء من الزاد الحلال وخلاه ثم مضى الى الجامع ونزل فيه وقال لغلمانه ما دام

صديق ابن على الكاتب ما عرفنى ما بقى أحد يعرفنى غيره انشاء الله تعالى ولو وقعت فى عين الخليفة المعتصم ما عرفنى أبدا وأقام ابو محمد ينتظر الى وقت الظهر واذا هو بأكثر من خمسين فارس من بنى سليم قد دخلوا الى الجامع ومعهم شخص مسلسل مقيد وهم به موكلون فظن الأمير أبو محمد أنه عبد الوهاب فأظهر المشى فى الجامع وهو يقرأ القرآن العظيم وغلمانه من وراءه إلى أن دنا منهم وإذا بالذى معهم مذبحون ولده وهو فى أسوأ حال وجماعه يقولون ادخلوا بنا البلد وناس يقولون ما نقدر نبات فى البلد لأن الخليفه قد كتب إلى ملطيه بالقبض على ولد البطال وان يحمل اليه وان دخل الى بغداد فى هذه الجرارة تضرب رقبته ثم أن الأمير أبو محمد البطال دنا منهم وسلم عليهم فردوا له السلام فقال لهم من هذا الذى معكم فقالوا هذا يقال له مذبحون ابن البطال فلما أن سمع كلامهم قال الله أكبر مما أخاف وأحذر هـذا ولد الذى قتل أولاد عقبه الذى كان معنا فى الحجاز فبكوا بنى سليم وقالوا نعم هذا ولد البطال فقال لهم والله لقد تعرض لى طريق فى موضع ولكن أريد أن أعود معكم الى العراق وأحرض الخليفه على قتله فان للمسلمين فى قتله ثواب عظيم ثم قال لهم نبات الليـلة ونقوم نصف الليل نسير فقالوا هذا هو الصواب وأقاموا باقى نهارهم إلى أن مضى من الليل ساعه وهؤلاء تعابا وقد ناموا فوثب ابو محمد البطال ودخل بينهم وسرق ولده مذبحون وحمله على أكتافه ثم خرج هو وغلمانه وكسر قيده وحل كتافه فقال مذبحون من أنت الذى من الله على بك فقال أنا والدك أبو محمد البطال فقام مذبحون قبل يديه وبكى وقال لقـد نهبت دارك وأخذ مالك وسبي حريمك ولولا عبد الوهاب رفع نساءك الى عنده وحماهم من بنى سليم وسير المعتصم كتاب إلى عند عبد الوهاب يطايب فيه قلبه ويقول بحق قرابتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل بيننا ولا يكون أبو محمد عندك أكرم منى وقتل كذا كذا نفس وشهدوا عليه غلمانه بذلك وأنت تعلم أن الناس مالهم الا الظاهر ولو سكت عن عقبه فى هذه النوبة لكان قد أقلق أهل العراق فسكت الأمير على غيظ وقال والله ما عمل مع نفسه ومعنا خير وما للإنسان أن يعمل عملا يجعل لخصمه عليه سلطان لأن عقبه يفرح بذلك ويتمنى أن يذبح فى كل يوم الف ولد حتى يصير عند الخليفة مظلوم وأخذونى عن إذن

المعتصم فالحمد لله الذى من الله على بك حتى خاصتنى فلا بد لى ما أذبح بنى سليم كلهم فقال له البطال هؤلاء بنى عمك ولحمك ومن دمك ولا يعلمون ان عقبة نصرانى ثم ساروا طالبين سنجار وأعمالها وأما العرب فان الله ارمى عليهم النوم والسبات الى وقت الصباح ثم استيقظوا من النوم فوجدوا الدنيا بلاقع فطارت عقولهم من ذلك خوفا من الخليفة ومن الأمير عمرو بن عبيد الله ووقع فيهم الصياح وجاءوا الى صاحب البلد وقالوا لقد سرق منا واحد زاهد عابد له ذقن طولها ذراع وما لعب بعقولنا الا بكبر ذقنه وتسبيحه وتقديسه فما كانت الا ساعة ميشومة التى رأيناه فيها وقال آخر منذ ان رأيته وقد وثب الى مذبحون ولطمه كف وبهدده علمت انه عيار ولكن اين له مهرب ونحن له فى الطلب ثم بعد ذلك سيروا الخيل فى كل مكان وكان ابو محمد يكمن فى النهار ويسير الليل حتى وصل إلى سنجار وما أقام بها غير يوم واحد وسار إلى الرحبة فى زى الصوفيه وهو يقول اللهم اشغل اعدائنا عنا يا ألله بحرمة من كان من عبادك الصادقين الصالحين فوجد النداء عليه فى هذه الأماكن اكثر من بغداد فضاقت عليه الأرض بما رحبت وسار الى مدينـــة الرياض وهى دمشق فوجد جماعة على الباب لايقدروا على الدخول من ابوابها فسأل عن الخبر فقيـــل له من طلب أبو محمد البطال ما يقدر احداً أن يدخل حتى يحمل الى النائب والدنيا قائمة على ساق فقال ابو محمد كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هلكت والطلب على اين ما مشيت فقالوا غلمانه والله لولا اننا على زى الصوفيه لكنا اخذنا من زمان فما ندخل دمشق فصار بهم ابو محمد الى باياس فوجد الطلب عليه اكثر من دمشق ووجد مركب فنزل فيه وقد سار الى ان وصل اتنس لى فيوجد الطلب وفيها قد طارت الطيور الى مصر وقد ارسل إلى سائر النواحى من البلاد فقال ابو محمد والله ما طلبنى الخليفة هذا الطلب الا وقصده ضرب عنق فعرج الى ارض يقال لها المحله فنزل بها وقصد الى الجامع وكان بهم من الجوع اقصى نهاية فتوضأ وبسطوا السجادات ووقف يصـــلى هو وغلمانه واذا بامرأة قد دخلت عليهم وقالت والله هؤلاء القوم الصالحين احباب الله الذين انقطعوا عن الدنيـــا وهجروها فى طلب مرضاة الله تعالى وأهل المحلة يدخلوا عليهم فلما فرغوا من صلاتهم والعجوز تنظر اليهم وتبكى فاقبل أبو محمد على غلمانه وقال لولا انها جابت لنا شيء نا كل لكان خيرا

لنا من هذا البكاوان العجوز لما فرغت من بكائها قالت أيها العبد الصالح هل لك ان تربح ثوابي وتقضى حاجتى فقال لها أبو محمد وما حاجتك فقالت تقوموا معى إلى منزلى وتأكلوا طعامى فلعل الله ببركتكم يجمع شملى بأخى فان لى أخ غائب من مدة ستين سنه وأنا ههنا غريبة منقطعة فى هذه الأرض وأنا بحمد الله فى كل عافيه ومات زوجى وخلف لى ذهب كثير وكان لى ثلاث أولاد وماتوا وبقيت فريدة وحيدة ثم أقسمت عليهم بالله تعالى فقاموا معها وبهم ألم من الجوع وقداشتهوا طعاما حارافساروا معها إلى دار حسنه ونعمة ظاهره وقدمت لهم الطعام وكشفت وجهها وكانت عجوز طاعنه فى السن فتبينوها وإذا بها أشبه الناس بعقبه اللعين فقال أبو محمد لغلمانه ويلكم ألا تروا ماأرى قالوا نعم لولا انها صالحه لما دعتنا إلى منزلها فقال أبو محمد أراها كان بينها وبين عقبه نسبه فسبحان الخالق وان العجوز خرجت عنهم وعادت وهى متغيرة اللون فقالوا لها ماوراك قالت والله مالى شغل قلب الا أنتم فقال أبو محمد وكيف ذلك فقالت والله انى رأيت والى البلد وقد ركب بين يديه مائة رجل وهم ينادوا ياأهل المحلة من رأى الجماعة الذين دخلوا من ساعه إلى البلد وبعض التجار عرفهم وقال ان الكبير اللحيه هو أبو محمد البطال والباقى غلمانه ولا أن أشتهى بعد أكلتم طعامى يتم عليكم مكروه وعليكم مطر السماء يوم وعشره حتى ينقطع عنكم الطلب وأكرى لكم بعض المراكب إلى قرضوان ان أردتم فدعوا لها فقالت قوموا من ههنا إلى هذا البيت الثانى فهو أحسن لكم من يطلبكم ليلا يدخل عليكم بعض النـاس يراكم وينذر بكم لان الناس كلهم قد سمعوا المنادى فدخلوا إلى البيت الذين أمرتهم بدخوله فوجدوا حصير مفروشه فمشوا عليها وإذا به انخسف بهم فنزلوا فى جب ثلاث قامات والماء فيه إلى أوساطهم مالح مر فلما صاروا فيه اطلعت عليهم وقالت ياويلى وقع القـوم الصالحون فى الجب ايش انتم فلم يتكلموا وحملت حجر وزنه عشر أرطال وقالت تكلموا والاطرحت هذا الحجر على رؤسكم فقالوا ياعجوز السوء بئس مافعلتى ايش نتكلم وقد فعلت بنـا هذا الفعل الميشوم ونحن غرباء فضحكت وقالت ياأبو محمد مايليق بكم ان من يذبح أولاد القضاة مايكون هذا شكواه ويلك أصدقنى فيما أسألك عنه فقـال وماهو فقالت كيف أخى فى جسمه فقال ومن أخوكى لاستر الله عليكم فقالت أخى عقبه صاحب

العمامة والطرحة والطيلسان صاحب الدست عند السلطان والعمل الذى قهر به كل إنسان ثم أنشدت تقول :

رياح الصبا بالله سيرى وبلغى ... سلامى على من أصبح اليوم قاضيا
أخى وابن أمى والمراد من الورى ... ومن لم يزل بين البرية وافيا
أخى عقبة القاضى الذى شاع ذكره ... له شرف بين البرية عاليا
كريم شفوق ماجد ذو حمية ... ودين وعقل بالعلوم كما هيا
ترى تجمع الأيام بينى وبينه ... ويصبح عيشى بالتواصل صافيا
ويعلم انى قد أخذت عداته ... وهم تحت أسرى مالهم من محاميا

فبهت أبو محمد البطال وغلمانه وقال مايمكن فى الدنيا أعجب من هذه الاحوال فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكانت هذه العجوز أخت عقبه واسمها عاقبه وكان أبوها زوجها برجل من بنو مره وسار بها الى أرض مصر وقضىنحبه وخلف لها أولاد فماتوا وأقامت هى بأرض مصر وكانت أخبار عقبه تأتى اليها وإذا جرى نايبه من عبد الوهاب أو من أبو محمد البطال كاتبها بذلك وانها لما سمعت انهم يتهموه بالتنصر كتبت إلى عقبه تسأله عن أحواله فكتب اليها يقول له تعالى إلى العراق ولا تجى الا وانتى نصرانيه فأنا أعرف الناس كلهم بالاديان ولو كان فى دين الاسلام خير لما تركه عقبه فان عولتى على ذلك فادخلى إلى كنيسة تنيس وتنصرى فلما وصل كتابه دخلت الكنيسة وتنصرت وأرادت المضى إلى العراق فبلغها انه هرب إلى بلاد اليمن فاقامت مكانها الى أن وصل اليها خبرانه رجع إلى بغداد وبعد أيام سمعت الندا فى سائر البلاد بان أمير المؤمنين يطلب البطال لانه قتل أولاد عقبه وزوجته وكانت هذه العجوز ألعن من عقبه وأمكر وأخبث منه شراً فلمـــا سمعت بذلك ماهان عليها قتل أولاد أخوها وقالت لابد ماأكشف خبر البطال ان هو أتى إلى هذه الديار ثم انها صارت كل يوم تأخذ ايزارها على رأسها وتخرج وترقب الطرقات وتسأل السفار فلما كان فى هذه الايام وإذا بها رأت أبو محمد البطال وغلمانه وهم مشتاقين فقالت ان فاتنى حذرى أبو ذقن كبيره هو البطال وهؤلاء غلمانه ثم تبعتهم إلى ان دخلوا الجامع وهجمت عليهم ودبرت الحيله فى تحصيلهم وانها لما أوقعتهم فى الجب اقامت ثلاثة أيام لا تطعمهم ولا تسقيهم بل أنها كانت يزنقها البول فتأتى وتقعد على فم الجب وتبول له

فينزل بولها عليهم فيقول لها لؤلؤ لا ستر الله عليكي فما رأيت أنتن من بولك فقال أبو محمد ليت كانوا ضربوا رقابنا وتخلصنا من هذه الحيقة الذى نحن فيها من أخت عقبه لا أحسن الله لها عاقبه هذا وأخت عقبه مضت الى والى البلد وقالت له اعلم أنى حصلت لك أبو محمد وغلمانه فتعالى خذه وأرسله إلى مصر يرسلوه إلى بغداد للخليفه وأنا معهم فلما سمع الوالى ذلك فرح وركب وساق معها وقد أخذ معه الرجال ومازالوا إلى أن دخلوا دار تلك العجوز وأرقفتهم على الجب وأخرجوهم منه فلما رأوه الناس قالوا هذا هو البطال فقال له الوالى كيف وقعت وأنت من شطار هذا الزمان والله لو كان لك خصم غير أمير المؤمنين لما كنت أقبض عليك لأن الأخبار تأتى عندى عنك من أهل الروم ولكن هذه أخت من تعرفه وهو القاضى عقبه وهـــذا أمر لا ينكتم ثم شال الكل فى المراكب وطلعت عاقبه معهم وقد رفعت عزالها وكانت الملعونه ثقلتهم بالقيود الثقال وكل ساعة تقوم إلى أبو محمد وتلطمه على وجهه وكذلك تفعل بغلمانه ومذبحون وهو يقول أين كانت هذه العجوز السوء مخبية لنا وكانت إذا اشتد غيظها عليهم تقوم وتضربهم حتى يسيل دماهم وتقول وحياة أخى لا بد ما أشرب من دماءكم إذا وصلت العراق ولؤلؤ يقول أكتب هذه فى جريدتك فى الدار والجب والبول والجوع وفى المركب اللطم والقيد فقال أبو محمد أنا والله تركت بدنى قوارير قوارير ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قرية يقال لها صفد وهى على الجانب الغربى فارسوا عندها وكان الطائر سبقهم بأن البطال وقع ففرح صاحب مصر بقضا حاجة أمير المؤمنين وأمر أصحابه أن يرقبوا المركب وأن المركب وصل الى صفد فادركهم المسا وباتوا هناك وطلعوا أصحاب المركب الى البر ولم يبق إلا البطال ومن معه وعاقبه قال أبو محمد البطال فما أحسيت الا وشخص أسود قد طلع الى المركب ودنا منى وحملنى على أكتافه وأنا فزعان منه ومن عظم خلقته حتى أبعدنى وطرحنى وعاد رجع ومعه العجوز عاقبه وقد شد رأسها الى بين رجليها ورجع أخذ غلمانى وولدى مذبحون ونقلنا جميعا الى داره وفتح مغارة كبيرة تحت الأرض ثم طرحنا وغلق علينا ولم يفك قيودنا حتى أصبح الصباح وصار الظهر والعصر وقد أشرفنا على الهلاك والجوع واذا به أقبل وهو قدر البعير عظيم الخلقة كبير الأذنين طويل الساقين وأنه لما نزل الينا فك قيودنا وأنزل الينا الطعام والماء قال أبو محمد فما كلنا وشربنا ولما

عادت أرواحنا الينا قلت أيها السيد من أنت الذى من الله علينا بك قال أنا يقال لى اللملمان بن أبي القراطيس ابن الشيطـــان الذى تفزع منه الأباليس والجان فلما سمع لؤلؤ ذلك تبسم فغمزه البطال وقال يا لملمان كيف عرفتنا فى هذا المكان حتى حملت معنا هذا الاحسان فقال اعلم يا أخى أن مافى ديار مصر أحدا أقوى منى فى الصراع والحرب ولكنى صعلوك وكل أحد يقول لو أنك تمضى الى الأمير عبد الوهاب كنت تلقا كل خير لأنه أسود بنو كلاب ويحب السودان لاسيما اذا كانوا مثلك شجعان وكنت عولت أن أمضى اليه واستريح من لبس الصوف واركب عنده الخيل فقلت فى نفسى أريد من يعرف بينى وبينه فبقيت متفكرا فى هـــذا الحال الى أن سمعت الناس يقولوا قد وصل الى صفد مركب وفيه البطال وهو صاحب عبد الوهاب وله عنده منزلة كبيرة ومطرود من الخليفة وقد عرفته امرأة عجوز يقال لها عاقبه وقد سلمتهم للوالى فقلت أنا فى نفسى مالى أحسن من هذا أخلصه وآخذ به يد عند الأمير عبد الوهاب ثم جئت اليكم وقد حملتكم من هاهنا وأريد تكون بينى وبينه واسطة فلما سمع أبو محمد ذلك فرح بكلامه وقال يا هذا أبشر بما تريد وأنا أكتب معك كتاب تكون عنده أعز الأحباب ثم كتب له كتاب يوصيه باللملمان ويقول له أنا طالب الغرب لما ينقطع عنى هذا الطلب وذكر له ماجرى عليه من عاقبه أخت عقبه ثم أقبل على اللملمان وقال له ان كنت تقدر تحمل معك هذه العجوز السوء الى الأمير عبد الوهاب يشتفى بعذابها فافعل فانها أخت عدوه فقال اللملمان وحياتك ان حملتها الا على أكتافى من هاهنا الى ملطيه فضحك ابو محمد من كلامه وصبر الى الليل وشد عليه وعلى ولده وغلمانه ثم ودع اللملمان وسار طالب اسكندرية وطلب بلاد الغرب واما اللملمان فانه شال العجوز على اكتافه وسار وقد طرح فى فمها اكره وكل من يسأله عنها يقول هذه امرأة كبيرة غريبة ولها أولاد فى الشام وقد بزلت لى المال فى حملها فانها لا تطيق ركوب الدابة فما كان أحد يشك فى قوله ولم يزل يقطع البلاد حتى وصل الى غزة فبات برا البلد وقد اطمأنت نفسه إلا أنه خبره قد شاع بأنه هو الذى خلص البطال وكان والى المحلة كتب الكتب الى العريش وغزه وعسقلان فلما وصل الكتاب الى صاحب عسقلان جرد سبعين ألف فارس خلف اللملمان وكان عبر قبل وصول الكتاب بيوم فسارت الخيل خلفه فادركوه وكان قد اقتنص أسد وذبحه

وسلخه وأضرم النـــار وهو يشوى ويأكل وسيفه ودرقته بجانبه ففرحوا بذلك وصاحوا عليه ويلك ياعبد السوء جاءك البلا فلم يعبأبهم وصار يقطع ويشوى ويأكل وعاقبه تنظر اليه وكانت فرحت بالخيل وكان أزال الاكره من فمها ليطعمها ولما نظرت إلى الخيل صاحت يامسلمين خاصونى من هذا العبد فهو الذى خاص البطـــال فلما سمعوا كلامها قالوا بشرى بخلاصك منه وأما البطال فلا بد ان يطلع خبره ويؤخذ ثم حملت الرجال عليه فعندها وثب اللملمان كالجمل والسيف فى يمينه والدرقه بشماله واستقبلهم وقد طار الزبد على أشداقه وهو يصيح فيهم ثم هجم على فارس قتله والثانى والثالث ولم يكن غير ساعة حتى قتل منهم ثلاثين وانهزم الباقى وقعد يأكل بقية الأسد وشال العجوز على بعض الخيل وساق البـــاقى قدامه وشد عليهم الاسلاب وتعمم وتدرع وتلثم وترك على رأسه بيضه واعتقل بناه وسار حتى وصل إلى بيت المقدس وكان المتولى عليه رجل يقال له ظالم ابن غانم وكان قاطع طريق فلم يدخل اللملمان اليه بل نزل فى بعض المروج وأطلق الخيل بين يديه ترعى وباع العدد التى كانت معه واشترى له خيمه كبيره وضربها فى ذلك المكان وأقام العبيد فى خدمته وقد عزم على الرحيل إلى دمشق الشام وبلغ الخبر إلى صاحب بيت المقدس وانه باع عدد كثيره فقـــال وهذا الكلب باع الكل ولا أهدى لى وحياة رأسى لآخذن كل مامعه ولكن بعد ماأجتمع به لئلا يكون له عذر ثم ركب فى أربعمائة فارس وسار إلى المرج وقام فيه ساعه ثم أرسل حاجبه إلى اللملمان يقول له ان الوالى شكرك اذ قويت جنده بالعدد والخيل ولكن يريد الاجتماع بك فسار الحاجب اليه وبلغه الرساله فقال له اللملمان ان كان صاحبك يريد الاجتماع بى فانا أسير اليه فسار الحاجب إلى ظالم وأعلمه بذلك فلما سمع ظالم من الحاجب ذلك تأهب للقاء فلما وصل اللملمان اللملمان إلى ظالم قام له ورحب به وبعدها قال له يافتى من أين لك هذه الخيول والعدد فقال له أنا رجل تاجر وانقل الخيل والعدد من مكان وما أقصد بذلك إلا الملوك والشجعان فقال له ظالم كان يجب عليك ان تهدى لى حصان لأجل مابعت الخيل والعدة فى بلدى بهذه الأموال (قال الراوى) فعند ذلك قال له اللملمان قد أعزلت لك سيفان قيمتهما ألف دينار فلما سمع ظالم ذلك أخذه الطمع وقال لغلمانه احملوا لنا الطعام وقعد وأكل هو واللملمان وقام وقدم له السيفان وقال يامولاى اقبل

هؤلاء منى لقد أكلت طعامت وصرت فى ذمامك فظن ظالم انه فعل ذلك من خوفه منه ونظر إلى السيفين عرفهم فقال لاصحابه خذوا هذا العبد السوء ثم قال ياعبدالخنا هذا الواحد لصاحب عسقلان وماانت إلا قاطع طريق وربما قد عملت فى عسقلان مصيبه فلما رأى اللملمان ذلك أيقن انه هالك فرجع إلى الخداع وقال يامولاى ماهذا شيم الكرام وأنا عابر سبيل إلى بلاد الشام وان كنت طمعت فى مالى فانا آخذ الحق منك يوم القيامة وأنا عبد لاقيمة لى وهذه العجوز مولاتى والمال لها ولم يزل يرفق له فى الكلام حتى رق له قلوب الحاضرين (قال الراوى) لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على بدر التمام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الكرام ماغرد القمرى وناح الحمام فعند ذلك قال له ظالم خذ لك سيف ورمح وبرذون لك وآخر لمولاتك وانطلق فقال له اللملمان سمعا وألفين طاعه ثم أخذ البرذونين وشال عاقبه على أحدهما ثم ركب الآخر بعد ماباس يد ظالم ثم تقلد بالسيف واعتقل بالرمح وحرك على الجواد فجال ومال تحته الحصان ثم صاح اللملمان بعد ذلك صيحة أذهل بها كل من هناك وقال ياظالم كم مضى من عمرك قال له خمسين فقال له اللملمان ابشر فهذه آخر أعوامك من الدنيا ان لم ترد على مالى وبضاعتى وتكفى شرى وإلا تركتك قتيلا وفى دمك جديلا (قال الراوى) فلما سمع ظالم ذلك الكلام صاح بقومه وقال لهم ياويلكم خذوه ورجلوا هذا العبد ولد الزنا وتربية الأمة اللخنا وبسيوفكم قطعوه فحملت عليه منهم مائة فارس من كل بطل مداعس فالتقاهم اللملمان بصدر الحصان وضرب فيهم بالسيف والسنان وبعد قليل حصد الجميع حصد ثم همهم ودمدم وطلب بحملته جيش ظالم هذا وظالم يقول له والله ياابن الزانيه لئن حملت عليك لاخطف رأسك من بين جنبيك فقال له رجل من بنى عمه يقال حسان ياظالم دع عنك هذا الهذيان ودونك والميدان (قال الراوى) وبعد ذلك دعس اللملمان فيهم وقد أوسع فى الميدان وقتل واحد وحسان يقول جود الطعن ياقرنان وقد صرخ ظالم فى قومه وقال لهم احملوا عليه كلكم بجمعكم فحملوا عليه فالتقاهم اللملمان والتقطهم بالسيف والسنان هذا وظالم قد أخذه الحنق وصرخ وزعق وحمل على اللملمان وأطبق عليه وقال ياندل العرب سوف ترى العبر إذا رأيت الليث اليك قد بدر

يقطع عمرك بالسيف الذكر (قال الراوى) فلمارآه اللملمان قد زحف اليه صرخ فى وجه فنفرت الخيل من حوله وأخذ معه فى الجولان هذا واللملمان أنشد يقول هذه الأبيات :

رأسك عن قريب تراه قد طيرت   من بين كتفيك كما طار الحجر
أنا الذى أضرب بالسيف الذكر   وأنااللملمان ليس أخشى من حذر

(قال الراوى) ثم انهما تجاولا وخاف اللملمان من المطاوله فطعنه فى قلبه فخر صريعا فلما نظروا أصحابه إلى ذلك حملوا عليه فالتقاهم برأس السحنان وكان فيهم رجل يقال له ذويب بن فهر فنادى ياقوم العبد أخذه الطمع فطاولوه بالحرب وقد أخذتموه هذا واللملمان كلما يأتى إلى زياده ولم يزل الحرب بينهم حتى ولى النهار وتعب جواد اللملمان فترجل ودعس فيهم وقد حس بالتعب والانبهار فعاد ووثب على بعض الخيول الشارده واستلب رمحا من بعض الفرسان وحمل عليهم بقوة ساعده فلمارآه ذويب وقد عاد إلى ظهر الجواد قال لأصحابه خلوا الرجل يمضى لحال سبيله ودعوا عنكم هذا فان مالكم طاقه بهذا العبد الافطس خلوه يمضى لحال سبيله وإلا أفنا كم وملك بيت المقدس فعندها صاحت الفرسان ياسيد بنو حام خذ مالك ورحالك وارحل عنا بسلام فعليك مطر السماء ولك منا الذمام والذى تعرض لمالك سقيته كاس الحمام ونحن فما بيننا وبينك كلام فقال اللملمان وحق من أذهب عنى الويل وقوانى عليكم بالحيل لولا اننى طالب الثغور وراغب فى خدمة الأمير عبد الوهاب المنصور لكنت ملكت بيت المقدس جمعا وصنعت فيكم صنعا ثم أخذ خيله وخيل بيت المقدس جميعا وأمواله وعبيده وكان اشترام وعادت عنه جماعة ظالم بالخيبه والويل ونزل اللملمان فى مضربه حتى أظلم الليل ورحل طالب دمشق وقد شال عاقبه على بعض الخيل وركب من حوله عبيده وقد وقعت هيبته فى قلوب الرجال لما نظروا له من الفعال فصار فرحان عما وصل اليه من الأموال حتى وصل إلى دمشق فخرج اليه صاحبها وهو الأمير سوار وكان يحب الأمير عبد الوهاب ففرح باللملمان وسأله عن حاله فشرح له قصته وأخبره انه سائر إلى خدمة الأمير عبد الوهاب ففرح سوار بذلك وأخرج الاقامات والعلوفات وأقام اللملمان فى ذلك المكان ثلاثة أيام وبعدها ارتحل طالب ملطيه ومازال سائر الى ان قرب منها ونزل

براها وضرب ثلاث مضارب كبار وكان الأمير عبد الوهاب ارتحل منها إلى قلعة الكوكب وتفرقت السودان فى سائر القلاع وأصبح عمرو وبنو سليم وحده فى ملطيه فقال عمرو لبنى سليم ما يحب عبد الوهاب مجاورتنا لما قبضنا على مذبحون وأنفذناه إلى العراق وما لنا ذنب وقد امتثلنا أمر الخايفه (قال الراوى) ووصل الخبر إلى الأمير عبد الوهاب بوصول اللملمان وانه قد نزل بالقرب من ملطية وقد ضرب له ثلاث مضارب كبار وأظهر ما معه من المال (يا ساده) وان اللملمان قال لبعض عبيده ويلك امضى واستخبر عن عبد الوهاب الذى جئنا اليه واذا وصلت قل له يا أمير اركب أنت ومن معك من خواص الفرسان واسرع الى لقاء اللملمان فقال العبد ولم لا تركب أنت اليه لا تتحامق فى أول قدومك غليه وعلى كل حال هو صاحب هذه الأرض واسمه كبير فى سائر البلدان فقال اللملمان ويلك اذهب إلى ما أمرتك به ودع عنك الهذيان فان العبد إذا أعطى سعاده كان فى أمان فلما سمع العبد مقاله سار حتى أتى إلى ملطيه وسأل عن الأمير عبد الوهاب فأرشدوه إلى قلعة الكوكب فسار اليها (يا ساده) وكان الأمير عبد الوهاب قد أصبح كثير الهم والافتكار يتمنى يسمع لأبو محمد البطال خبر وكان قد سمع بخلاص مذبحون من الموصل فبقى متحير من ذلك وقال سبحان من إذا أراد السعادة للعبد هيأ له أسباب فهو كذلك وإذا بغلمانه قد دخلوا عليه وقالوا يا مولانا قد وصل الينا عبد أسود وعليه أثر السفر وذكر انه يريد الوصول اليك فقال الأمير احضروه فعاد الغلام وأحضر عبد اللملمان فلما رآه الأمير سأله عن حاله فقال أيها الأمير اركب فى جماعة من دولتك والتقوا مولاى أمير السودان وسيد أبطال هذا الزمان فقد أتى إلى زيارتك من أبعد مكان فتعجب الامير من هذا الخطاب وقال يا فتى ومن هو مولاك الذى نخرج إلى لقائه ومن يقال له من السودان حتى نسير اليه ونلقاه فقال هو البطل النفيس ابن الفلفيس ابن أبو الفراطيس فارس ديار مصر وعسقلان وتنيس وقد أتى من صاحب لك بكتاب وقاسى حتى وصل إلى أمور صعاب (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب بذلك الكتاب طار قلبه من الفرح وعلم أنه من البطال فأحضر الأميرة ذات الهمه وأعاد عليها ما سمع وقال لها يا أماه متى نطلع على الخبر ونسمع إيش الذى ورد وما جرى للامير

أبو محمد البطال (قال الراوى) فركبت الأميرة ذات الهمه والأمير وساروا فى خمسين فارس من بنى كلاب هذا وعبد اللملمان قد سبقهم إلى مولاه وقال له قم إلى لقاء القوم فقد أتوا اليك فأقام اللملمان السودان بين يديه وحول مضاربه بالسيوف ورتبهم فى كل مكان وجلس فى خيمته ولم يركب الى الأمير من نفسه وشدة نخوته إلا أن ما استقر به المكان حتى وصل الأمير عبد الوهاب وحوله سادات بنى كلاب وفى ركابه عشرين عبد من السودان الأنجاب وفى أوائلهم أبو الموت كأنه عقاب فلما ترجل الأمير عبد الوهاب وقصد المضرب وثب اللملمان اليه وباس يده فباسه الأمير فى صدره وأقعده ونظر الأمير الى شخص هائل المنظر وعينيه تتقد فى وجهه مثل المشعل ففرح به وسأله عن حاله فقال يامولاى أنا رجل من أهل مصر ولى مدة طويله أطلب المهاجرة اليك والقدوم عليك فيقطعنى عن ذلك قلة المعرفة بك والخبرة بأرضك حتى ظفرنى الله تعالى بصاحبك البطال وخلصته من القيود والأغلال وحدثنى بكل ما جرى عليه من الأهوال وسألته أن يكون الواسطه بينى وبينك فكتب معى هذا الكتاب وقال سر به إلى أخى عبد الوهاب فأنا ما بقيت أقدر أدوس تلك البلاد والديار ولا أظهر فى تلك الأمصار وودعنى وسار طالب الإسكندريه وعدت أنا أقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار حتى وصلت اليك وقدمت عليك ثم أخرج اليه كتاب البطال فلما سمع فيه من عاقبه أخت عقبه وأنها مثل أخيها عقبه نصرانيه وقد اتحفتك بها فاشتفى منها ومن عذابها إذا هى وصلت اليك والسلام منى اليك والملتقى بين يدى الله تعالى يوم الحساب أن أخرجوا الناس من تحت التراب (ياساده) فلما سمع الأمير عبد الوهاب هذا المقال وقع به الاياس من أبو محمد البطال وقال للملمان يا أخى وأين هذه العجوز فقال معى يا مولاى ثم أن اللملمان قال تحضر يا مولاى فأحضروها السودان وهى مكتوفة مشمعة الفم فحلوا كتافها وفتحوا فمها وأجلسوها قدام الأمير عبد الوهاب وهى تقول سبحان من جعل الدنيا سجن المؤمن السلام عليكم يا حماة الدين والإسلام عسى عندكم فرج لعجوز مقروحة الأجفان والكبد قليلة الناصر والجلد وقد بليت فى آخر عمرها بهذا الأسود واتهمت فى شريعة محمد ولاقت من العذاب ما لم يلقاه أحد ثم تقدمت وباست يد الأمير والأميرة وقالت ياسادات الاسلام أنا بكم مستجيره هذا والأميرة

تتميز وجهها وتتبسم والأمير يقول يا أماه ما أشبه هـــذه العجوز بأخيها عقبه فقالت لهـا الأميرة ذات الهمه ويحك يا عجوز أنتي على دين أخوكى قالت لا والله يا أميره فقال اللملمان لا تسمع كلامها لأني أنا الذى خلصت الأمير أبو محمد وغلمانه من يدها بعد ما سلمتهم لوالى المحله فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الـكلام أمر بها فسجنت فسمع بذلك بعض من بنى سليم فأتى الى الأمير عمرو بن عبيد الله وقال يا أمير قد وصل أسود الى ديار مصر ومعه عجوز كبيره يقال لها عاقبه وهى أخت عقبه القاضى ابن عمنا وقد قال عنها أنها نصرانية وأنها قد قبضت أبو محمد البطـال وولده وغلمانه فى المحله وأن الأسـود هو الذى خلصهم منها وأتى إلى قلعة الـكوكب وهى تنادى واشوقاه الى أخى عقبه يا قوم بحق دين الأسلام أرونى وجه أخى القاضى عقبه لأن لى ستين سـنه ما أبصرته ولا اجتمعت به وقد قتلنى الشوق اليه فلما سمع الأمير عمرو بن عبيد الله ذلك الحـال بكى هو وجميع من حواليه من بنى سليم وقد أخبرهم الامير عمرو بالحال وقال لهم قدظهرت لـكم ابنة عم يقال لها عاقبه وقد وقعت عندبنى كلاب وهم يعذبونها أشدالعذاب ويقولون عنها كما يقولوا عن القاضى عقبه انه نصرانى وان توانيتم عنهاهلكت وصرنا معيرة عند سائر العرب وعند كل من ضرب فى البيداءوتد او طنب وأريدغدا أركب وأمضى الى الأمير عبد الوهاب وأطلبها منه فان سلمها لى وإلا كاتبت الخليفه بسببها وأطلعته على حالها فقالوا بنى سـليم ولم نكاتب الخليفة ونحن نخلص بنت عمنا بقوائم سيوفنا ورماحنا ونقتل هـذا العبد الأسـود الذى قد أتى بها وجرأ على عذابها ومن يؤمن ان كان عذبها فى الطريق أم لا ثم أقاموا إلى أن أصبح الصباح وركبوا وكثروا من العدد وتظاهروا بالزرد وكان الأمير عبد الوهاب أيضاً قد ركب الى الميدان وحوله جماعة من السودان والى جانبه اللملمان وهم يسيرون ويتحدثون فى حديث البطال وقدعول الأميرعبدالوهاب أن يختبر اللملمان فى المجال وإذا بموكب بنى سليم قد أقبل ولهم زجل عالى الى أن وصلوا الى الامير عبد الوهاب وهو فى الميد ن وسلم بعضهم على بعض وعادوا إلى التسيير هذا والأمير عمرو بن عبيد الله مد عينه الى اللملمان وهو كأنه الأسـد الغضبان فقال لا شك أن هذا هو الأسود الذى قد أتى الى هذه الديار ثم تميزه فرأى خلقته هائله فقال الامير عبد الوهاب قد بلغنى أيها الأمير أنه جاء رجل أسود ومعه

بنت عم لنا اسيره وهى عجوز كبيره وقد قيل لى أنكم عذبتموها وأنت تعلم أن عذاب بنات الأعمام هوان بالرجال الكرام ونريد أن تحضرها حتى أراها وأسمع حديثها وشكواها وآخذ لها حقها ممن أذاها وتعدى عليها وما رعاها وسلم إلى أيضا هذا الأسود القوى الذى أتى بها حتى أعذبه كما بالغ فى عــــذابها (يا سادة) فلما سمع اللملمان كلام الأمير عمرو بن عبيد الله صرخ صرخة عظيمة ارتجفت لها قلوب الحاضرين وكادت ان تنفطر لها مرائر الناظرين وخيل لهم ان السماء قد وقعت على الأرض وان الارض بهم انخسفت وقال للأمير عمرو اسكت يا أوبش العرب واخس من ركب قتب والا رحلتك الساعة بما تحتك من المركب ودرست رأسك كدرس الحرمل ورفصت فى بطنك حتى ترجع أحول وقلعت عينك وتركتك أعور ودرستك فى قرن عبيد الله الاكبر وأنا أقسم بسواد الليل الديجور وسخام المراجل والقدور وسقف الأفران ودخان التنور وكل سواد فى الأرض من زفت وقير والاعانى لونى مثل لون الـكافور والانفيت عن أبى فراطيس ولا كنت من نسل جدى غلغيس ولعنت كما لعن ابليس وانقلب جلدى أبيض بعد ما هو أسود وآكل لحم الخروف بعد أكل لحم الأسد أن أمرنى هذا الأمير عبد الوهاب لأجعلن منازلك خراب ولا فنين بنى سليم جمعا ولاقطعن رقابكم قطعا ولا صفعنكن صفعا (قال الراوى) فعندها صاح عليه رجل من بنى سليم وقطع عليه كلامه وقال له اسكت يا كلب السودان واون الغربان قل من هذا الهذيان فان الأمير عبد الوهاب لا يرتضى بهذا الخطاب ثم أشهر حسامه وطلب اللملمان وهجم عليه هجمة الاسد الغضبان فصرخ به اللملمان ومد اليه يده وقد أرخى منها السيف الى كتفيه وشاله على ساعده بعد ما بطــــل عليه ضربته وأداره على يديه وكتفه وضرب به الأرض أخرج مخه من أنفه وسقاه كاس حتفه وزاد به ياساده الغضب والصخب من سكوت الأمير عبد الوهاب فقال وحق السودان الانجاب لئن حاما أحدا عن بنى سليم لاصبن عليه العذاب والضيم يا ويلكم أما سمعتم حديثى فى البيت المقدس أما قد عرفتم اننى الأسد المختلس والضيغم المفترس والليث الشرس ثم جال اللملمان وصال فعندها صاح الأمير عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم وقال دونكم وهذا العبد الذى هذا كساكم العار والذل والشنار وسبا ابنة عمكم وفضحكم فى الأقطار

خذوه على رؤس الأسنة وانهبوا لحمه بالشنار فعندها صاحت بنو سليم وزعقت وعلى اللملمان أطبقت وجردت السيوف فى يديها فأبرقت وجرد اللملمان أيضا حسامه وقد انعجم لسانه وتغير حاله وأظهر بلباله وأوســـع فى مجاله وبذل فيهم المضارب ونكس الرجال عن المراكب وتسامعت بنى سليم بذلك فركبت عن بكرة أبيها وأقبلت من كل جانب وتدفقت المواكب وازدحمت الكتائب وأيقن اللملمان أنه عاطب حتى لم يرى له معين ولا صاحب ولا نصير ولا محارب وبقى على الأمير عبد الوهاب عاتب فقال لعن الله من يقول عن هذا الأمير أنه صاحب ولعن من أشار على بالقدوم إلى ملطيه ولما ضاق عليه الأمر وكثر عليه الصياح بذل حسامه فى بنى سليم ونادى يا آل حام يا آل حام فأجابه أبو الموت وقال لبيك لبيك ابشر بمن ناديت ثم أنه حمل وصاح فى السودان وقال ويلكم كيف نتخلا عمن قدم الينا زائرا ونتركه وحيدا حائرا وقد بلى بهذه العساكر وهو يصيح يا آل حام ونحن عنه نيام احملوا على هؤلاء اللئام الذين ليس لهم زمام فعند ذلك حملت السودان على بنى سليم وكشفوهم عن اللملمان ونادى ملابط البغال وأبو فرمان وسابق وسجال وأبو كارع والديال وقعقع وأبو طحال وعملت السيوف الصقال وزادت الاهوال واتســع على اللملمان المجال فجعل يضرب ضربا يقطع الأوصال ونظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك فقال للاميرة كيف ترى يا أماه هذه المصائب فقالت الأميرة ياولدى أنا فى هذا متعكرة لأننا إذا ساعدنا السودان توجه علينا العتب من السلطان وأحوجوه بنى سليم أن يغزونا وان قعدنا عن السودان وسلموا فما فيهم من يرجع يعن علينا ولا يلتفت الينا فقال الأمير عبد الوهاب مابنا والله إلا هذا الذى قصدنا الينا وطلب مصاحبتنا وما رأى منا خير إلا من أول يوم تركناه طعاما للسيوف ولو لم يعنوه السودان كان قد شرب شراب الحتوف وبالله أحلف لئن قتلوه بنى سليم لا عدت جاورتهم أبدا ولا بدلى مما أحمل عليهم وأترك الأرض ملآنه بالدماء وها أنا صابر حتى أبصر الحال وعلى أى شىء يقع الانفصـــال ثم جعل ينادى بالسودان وهى لا ترجع ويأمرها بقلة القتال وهى لا تسمع بل تهجم على المواكب وتفرق الخيل والجنائب وتجول فى بنى سليم طولا وعرض والدماء قد فاضت على وجه الأرض والخيول بالجماجم تتعثر والرماح فى الزرد تتكسر والنجيج قد جرى

منهم وانهمر والجبان قد تعب وقصر والشجاع قد انتخى وتبصر ولم يزالوا كذلك حتى أقبل الليل وولى النهار وقد ولت بنى سليم الأدبار وطلبت ملطـــيه والأصوار ورؤسهم تطير بالبتار وزعقات بنو حام فى أعقابهم واللملمان قد أطال عذابهم ولما وصلت إلى ملطيه ازدحمت فى أبوابها فهلك منهم خلق كثير من شيوخها وشبابها والتقتهم النسوان ببكاها وانتحابها وعادت السوادان لما رأت الليل قد أقبل وعولت أن تنزل وترجل فصاح فيها اللملمان وقال لا فيكم من ينزل يا عبيد الشيطان أما شبعتم من خدمة البيضان والذل والهوان كيف تحمون بسيوفكم من لا يحميكم وتخدموا من لا يراعيكم وتفتحون لهم البلاد والقلاع ويتركوكم اليوم طعاما لبنى سليم الجياع ولا ما فيكم من القوة والشدة كنتم قد صرتم طعاما للرجال الأندال فاقصدوا بنا بلاد الروم حتى نفتح لنا بسيوفنا مكان وتعود دولة السودان كما كانت فى أول الزمان

فقال أبو الموت سر بنا ايها السيد إلى أى مكان اردت

وها نحن بين يديك كما أشرت وهو

الصـــواب ودعنا من خدمة

عبـــد الوهاب

تم الجزء التاســع والخمسون ويليه الجزء الستون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

تأليف

علي بن مرس النقاش وأبي بكر الغلق وصالح المصري ويوسف بن
عبد الرزاق وعبد الله بن وهب الإبلي وعرف بن لهيد
المراني وسعد بن مالك الحيي وأحمد الشامي
وجابر الرملي وسعد بن هشام الغاري

المجلد السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم سارت السودان حول الملمان ونهبت من الرستاق زاد وعلف وطلبت بلاد الروم وعلم الأمير عبدالوهاب بذلك فكاد فؤاده أن ينفطر وهم أن يتبعهم ويترضاهم فقالت الأميرة لاتفعل ياولدى واقعد بحزمتك وطلع إلى قلعة الكوكب وقد حمل من الهم والغم مالا يحمله جبل (وأما) الأمير عمرو بن عبيد الله فانه سار على حاله إلى العراق ولم يدخل إلى ملطيه ثم قال لبنى سليم اتبعونى إلى بغداد فما بقالنا مقام فى هذه البلاد بعد ماترك عبد الوهاب عبيده تفعل بنا هذه الفعال وهو واقف لاينهاهم عن القتال وأريد أسير إلى الخليفة وأعلمه بهذا الحال وأقول له اننا سرنا نطلب بنت عمنا عاقبة فجرت علينا هذه المصائب ثم ساروا تبعته بنى سليم وما تضاحا النهار حتى وصل الخبر إلى الأمير عبد الوهاب وكان الأمير قد أصبح متكسل مما قد جرى عليه من فقد السودان لأنه بات حزين الفؤاد ولم يأكل فى تلك الليلة زاد ولما سمع برحيل بنو سليم وخلوا ملطيه زادهم وغمه وأقبل على الأميره ذات الهمة أمه وقال لها ماهذا يكون الذنب لغيرنا و المذمة لنا و الساعة تقوم علينا القيامة فى العراق من الخليفة ويسمع القاضى عقبه أن أخته عاقبة فى الوثاق وتقوم الدنيا على ساق ويحوجوا الخليفة أن يخرج إلينا بالعساكر و الاجناد وأريد منك أن تطاوعينى على الرحيل إلى بلاد الحجاز حتى نستريح من قتال المسلمين ونشتغل بخدمة رب العالمين فقالت له الأميره يابنى ونخلى بلاد الاسلام خالية ممن يحميها حتى يخرج ملك الروم يأخذها ويقيم فيها والصواب ان تكون فى ملطيه حتى نبصر على أى شىء ينفصل الحال ولعلنا أن نسمع بخبر البطال وإن أتانا من يطلب قتالنا مانعنا عن نفوسنا وان عساكرنا ماقتلوا بنى سليم وما

قاتلهم الا السودان وقدرحلوا بسلام من هذا المكان وما بقى أحدامنهم تحت طاعتنا وهذا يكون عذرنا لمن يأتى إلينا لاننا مادخلنا بينهم أبدا فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب نزل الى ملطيه فى سائر بنى كلاب ومما جرى على قلبه من الهم انطرح على الفراش وقعدت أمه عند رأسه واشتغلت به وبالعبادة عن أهل الأرض هذا ماجرى هنا (وأما ماكان) من عمرو بن عبيد الله فانه ساروممعه قومه من بنو سليم وهم يقطعون الأرض ذات الطول والعرض إلى أن وصلوا إلى بغداد ودخلوا على تلك الحالة الشنيعة وقد علم بها الخليفة فارسل لهم أرباب دولته الى لقاهم وخرج القاضى عقبه فى الجمله وهو لايدرى ماحالهم حتى رآهم فى الذل والهوان فقال له الأمير عمرو بن عبيد الله ياقاضى هذا كله من أجلك جرى علينا وأنت مالقيت الا الخير ثم حدثه بحديث أخته عاقبة والملمان وما لقيت أخته من العذاب والهوان وما قاسوا أيضاً من الضرب والطعان فلما سمع القاضى عقبه ذلك الكلام وقع فى قلبه الرجفان وخرق ثيابه ورما طيلسانه وعادوأخذ معه عمرو وجماعة من بنى سليم ودخل على الخليفة وهو يبكى ويقول إلهى بهذا قضيت وبهذا حكمت إلهى قد ابتليتنى عند الكبر بفقد الأولاد وقضيت على بالوحدة والتشتت فى البلاد وسلطت على هؤلاء المنافقين الظالمين والاضطداد فلا اعتراض عليك يارب العباد وكان عقبه الملعون من حين ذبح أبو محمد أولاده وزوجته يطلب فتنة يشفى بها فؤاده من عبد الوهاب فلم يقدر على ذلك حتى أتى له هذا الأمر ووافق مراده ودخل على الخليفة فى تلك الحالة فسأله عن ماجرا فصاح وبكا وانتحب وأنشد يقول هفاه الأبيات

يا امام الورى وملجأ العبادى ٭ ارحم اليوم ذلتى وانفرادى
وأعنى عن العدا يطرقونى ٭ كل يوم بمحنة فى فؤادى
واستحلوا دماء قوم كرام ٭ لايخافون هول يوم المعادى
واستباحوا لحرمتى وسبوها ٭ وهى تدعا من جملة العبادى
كنت أرجو تكون لى باقى العمر ٭ لتشفى قلبى عن الأولادى
قد سبوها سبى الأما واستحلوا ٭ كل وجه وهتكها فى البلادى
فأعنى ولا تمكن منا ٭ عصبة البغى والخنا والفسادى

(قال الراوى) وما سكت الملعون عقبه حتى أبكا الحاضرين ورثوا اليه الخلق أجمعين وقال الخليفة دعك ياقاضى من النظام وحدثنا كيف جرت هذه الأخبار فاحكا له عقبه على ماسمع من الأمير عمرو وزاد على الكلام من عنده وحدثه أيضا بحديث أخته عاقبه وقال يامولاى أنا كنت أرسلت اليها حتى تجىء الى عندى لتؤنسنى فى وحدتى وتعيننى على

عبادتى لأن نيتها مثل نيتى وسريرتها مثل سريرتى وكانت كتبت إلى تقول يا أخى أنا فقدت زوجى وأولادى وقد علمت أن قلبك مقروح وسوف آتى إلى عندك وأكون بشرط أنك تحج بى إلى بيت الله الحرام ولا تغصبنى على أكل الطعام لانها تصوم النهار وتقوم الليل الى الفجر وانى يا أمير المؤمنين لما سمعت ذلك فرحت وكتبت اليها أن تأتى فى هذا العام وأوعدتها بالحج الى بيت الله الحرام فوافقها هذا الأسود وقد أخذها من القافلة وقد أتى بها الى هؤلاء الاقوام وتقرب اليهما بما قد شاع بيننا من العداوة فى سائر البلاد فعندها قال الخليفة لعمرو وكيف كان قتالك لهم فقال أنا يامولاى لما سمعت الأسود الذى أتاها اليهم ركبت وسرت اليهم ولما وصلت سلمت عليهم وطالبتهم بها وقالت لهم هذه بنت عمنا يلزمنا عارها وما نقدر نتخلا عنها بوجه من الوجوه فقال لى عبد الوهاب هذه نصرانية مثل أخيها عقبه فلما سمعت أنا ذلك قلت له يا أخى أنفذ الاثنين الا بين يدى الخليفة يرى فيهم برأيه وحكمه فصاح على هذا الأسود الذى أتى بها من مصر وهجم على ليضربنى بالسيف الذى معه فبعدت عنه بعد ماسبنى وأخرق بى ورأت بنو عمى ذلك فما صبروا بل صاحت عليه لتكشف شره عنى فصاح عبد الوهاب فى السودان فحملوا علينا بجمعهم وألقوا السيف فينا وكانوا أكثر رجال منا ورجالى غايبين فى الضياع والرستاق وأوقعوا فينا الضرب والمحاق وتشتتنا فى الآفاق على اننا لولا هذا الاسود الذى قدم عليهم ما كنا فكرنا بهم ولكن هو الذى أفنانا لانه ماروى فى هذا الزمان مثله لا فى طوله ولا عرضه صوته يشبه الرعد عند صيحته والاسد تفزع من صدمته والقلوب تخفق من النظر إلى صورته وقد وعده عبد الوهاب أن يترك له الحمل القسطنطونيه والاموال ثم الجواهر ويأمره على جميع السودان وهو يسعى اللملمان وهو ابليس الزمان وفى هذه السنة يمنع الحمل عن بغداد الذى يأتى من الروم ويصير يا أمير المؤمنين لهذا الشيطان قدر وشان (قال) ولما أن سمع الخليفة من عمرو ذلك الكلام احمرت وجنتاه وانقلبت عيناه فى أم رأسه ثم قال هذا لا يتم لعبد الوهاب إلا إذا صرت أنا تحت التراب فوحق قرابتى من العباس لا تركت على وجه الأرض من يقول أنا من بنى كلاب وكأن ماجرأ البطال على ذبح أولاد القاضى عقبه الا عبد الوهاب والا كان أقل وأحقر من أن يفعل هذه الفعال فقال عمرو صدقت يا أمير المؤمنين وربما أن يكون هو الذى احتال على أخت عقبه وأرسلها مع هذا الأسود والا من أين لهذه المسكينة معرفة بالبطال أو خبره بالاحتيال فقال الخليفة قد جرى ماجرى وهذا الرجل علينا قد افترى وقد قتلوا من بنى سليم من قتلوا وفعلوا بهذه العجوز الصالحة مافعلوا وأنتم تعرفون مافعلت معكم نوبة بيمندلما ان قتل سيف الحنيفية ولده وكيف أخذت له بالثأر من أبناء النصرانية فما نكافىء بالجميل

إلا من يرعاه وهذا قاضي المسلمين والساعة ما بقى الا قلعة من الثغور وإلا عظمت علينا الأمور ثم انه أمر النقباء ان تدور على سائر عساكر العراق ويأمروهم بالمسير إلى لقاء أهل النفاق فقال عمرو يامولاى أريد معى طائفة من الأتراك لعلنا بالسهام نأخذ الثار من هذا الأسود الذى يقال له اللملمان وسائر بنى حام وسائر بنى كلاب والا أن سار اليه كل من فى بلاد العراق بالسيوف والرماح مايقدروا أن يقفوا بين يديه ساعة واحدة إذا زعق وصاح فلما ان سمع المعتصم إلى ذلك عجب غاية العجب ثم انه قال أيهما أشجع هو وإلا عبد الوهاب فقال عمرو يامولانا ومن هو عبد الوهاب عند هذا الأسود هذا إذا حمل على ألف مثل عبد الوهاب ساقهم بين يديه مثل الكلاب فقال المعتصم نحن نحفظ بغداد والا أخذها هذا الأسود من أيدينا ويصير خليفة (قال) وما تم الخليفة كلامه حتى قال العلائى وكان من أرباب دولة الخليفة وخيار أهل العراق أنا أدلك يامولانا على أسود آخر إذا حضر قدامه مثل اللملمان ألف فى الميدان قبض أرواحهم بالسيف والسنان (قال) فأعجب الخليفة ذلك الكلام ثم قال وأين يكون هذا الأسود من البلدان ومن يقال له من السودان حتى اننا نغمره بالإحسان فقال له العلائى يامولاى انه ساكن فى السواد واسمه السمحاق ويكنى بأبى ثور العريان وإقامته فى الخراب منفرد بنفسه عن أبناء جنسه وأنا ما أردت أن أخبرك به حتى يحصل لك غم من جهته لأننى قد سيرت اليه جيش فكسره وماعاد منه إلا أيسره وجميع الخلق تأتى تشكى منه وفى هذه الأيام أردت ان أخبرك به فقال الخليفة ولأى شىء قد أخفيت عنى خبر هذا الاسود وهذا أعجب مما نحن فيه (قال الراوى) وكان هذا الاسود أتى من بلاد الحابشة وقعد فى سواد بغداد وسار يقطع الطريق على القوافل والتجار ويكبس الضياع ويصطاد بكفه السباع حتى انه أخرب بلاد واسط وأرض البصرة وقطع السفار عن بلاد العراق وكانوا أكثر الناس إذا رأوه لايطيقون الصبر على الوقوف قدامه كأنه من الجن المقرده ويقولون لاشك ان هذا شيطان من شياطين الأرض المارقين العاصين وكان من عظم خلقته لايحمله جواد ولا يخرج للناس إلا راجل وعيناه تقد مثل المشاعل وكان إذا رأى العدد عليه كثير ما يخرج لهم الا على نجيب عالى ويزعق عليهم فيولون من زعقته حيارى ولا يلتفت منهم أحد الى أحد وقد قطع الطريق عن الطراق ومنعهم من الوصول الى العراق وقد كثرت فيه الشكاوى إلى العلائى صاحب الخليفة بذكره فأنفذ اليه خيل نحوه ثلثمائة فارس وقال لهم إذا وصلتم إلى الدجله وقاربتموها اتركوا القافله بين أيديكم وسيروا أنتم خلفها حتى يطمع فيها هذا الشيطان وأخرجوا اليه من كل جانب وانهبوا جسده بالقواضب وأتونى برأسه حتى أتحف بها الخليفة فقالوا له سمعا وطاعة ثم انهم ساروا إلى ماقد ندبهم اليه الوزير حتى انهم جازوا

المكان وتأخرت الفرسان وتقدمت القافلة والتجار وكانت تلك القافلة أرسلها الوزير على صفة الفخ المنصوب وإذا هم بزعقة قد أخذتهم ارتجت لهولها البرية وقائل يقول الى أين ياأوباش العرب تسيرون بالاموال وتعبرون على السمحاق فلما ان رأوا الى ذلك التجار ساقوا وقد تبددوا فى القفار وقد نظروا إلى عبد فى قدر البعير القاعود وله كل ساعد فى قدر العامود وهو يهمهم مثل الاسود وله عينان مكورة وقوره مقورة وهو يقول اليوم قد طاب القتال لهذا الجمع الكثير ثم انه خطى خطوات خفاف وخرج فى الخيل فوقعت ترعد من شدة الخوف ثم جعل يكر عليهم بالحسام ويقتل الرجال الكرام فلما ان نظرته الفرسان قالوا والله ماهذا إلا شيطان ولم يزل ينكس الفرسان حتى شردها وسار من ورائها وجعل يحرك على الخيل وينزل بركابها وكان اذا طعن الفارس يرفعه على رأس الرمح بحديده الذى عليه ثم يضرب به الارض يخلط طوله فى العرض ولم يمض ساعة من النهار حتى تركهم كلهم مرميين فى لهوات القفار فولوا منه الباقين الادبار ورجع هو إلى مال التجار وعينيه يطير منها الشرار وماأخرج غيظه الا فى السفار أهلكهم عن آخرهم وأخذ مالهم وذخائرهم (قال) وان الخيل وصلت إلى بغداد وهم لا يصدقون من بين يديه بالنفاد ثم انهم دخلوا الى العلائى وأخبروه بالخبر ووصفوا له صفته وخلقته فكاد قلبه أن ينفطر ثم أنه عول أن يدخل إلى الخليفة ويشرح له الحديث فدخل عمرو بن عبيد الله والقاضى عقبة وقد جرى من الحديث ما جرى (قال) ولما أن سمع الخليفة بصفات السمحاق فرح بذلك الاتفاق ثم أنه قال كنا نريد من يأتينا بهذا الرجل حتى اننا نسير مع عساكر العراق إلى عبد الوهاب الذى قد تظاهر بالنفاق فإذا كسره وقتل سودانه أعطيته مكانه ويكون مع بنى سليم يحمى الثغور ونبقى فى راحة من هذه الأمور التى نحن من أجلها كل يوم فى محذور فقال عقبة من حرقته من عبد الوهاب يا مولاى أنا أسير إليه وأحسن معه التدبير وأضمن له عنك الأموال والخلع الكثير وأتعرف بهذا الشخص فعسى أن يكشف هذه الشدائد عنى أو يقبض علىّ ويقتلنى فأستريح من هؤلاء القوم الذين أتعب منهم فى كل يوم فقال له الخليفة افعل ما بدالك فما لهذا الأمر غيرك (قال) فتجهز عقبه من يومه وأخذ معه عشرة من بنى سليم واثنين من المنهزمين الذين انهزموا من السمحاق حتى أنهم يوروه المكان وقد أعطاه الخليفة الخلع الحسان وأعطاه خاتم الأمان وقد أوصى عقبة العساكر قبل مسيره بالتجهيز إلى حين عودته وقدومه وسار يقطع الأرض وهو على غاية من الفرح حتى بقى بينه وبين دخلة السمحاق ليلة واحدة وإذا قد التقاهم قوم مجرحين عراة هاربين على وجوههم فسألهم القاضى عقبه عن حالهم فقالوا له ياشيخ نحن قوم من مدينة حماه نحو مائة فارس وكنا سائرين إلى الخليفة

فى حاجة له فوقع علينا آخر النهار عفريت مارد شـــديد من مردة هذه القفار وصاح فينا أذهلنا وأخذنا منه الانبهار من شدة ما فى صورته من الانذعار وفى الحال سار فى جمعنا وصار يصيح علينا ويلوح بسيفه ونحن نتساقط من السروج على وجه الأرض وقد خيل لنا أن تلك القفار كلها مواكب من الجن وما أتى علينا الليل إلا وقد بقى منا ما ترى والباقين منقطعين فى الفلا فبالله عليكم إن كان طريقكم إلى هذا المكان فارجعوا أو ريحوا أنفسكم فإنه شيطان لا يقابل ومارد لا يماثل لاسيما وأنتم فى قلة من الرجال وعليكم هذا الملبوس والجمال . فلما سمع عقبة هذا المقال قال لهم أنا أبلغكم هذه الآمال ثم قال فى نفسه لعل المسيح أن يشد دينه بهذا الأسود وسوف أخلو به فى الطريق وأحسن له الدين العتيق فإنى أعلم أنه ليس له دين على التحقيق ثم أن الملعون أخذ الرجال وسار بهم طالب والفارسين اللذين من المنهزمين بدلوا بهم إلى تلك الدخله إلى أن أشرفوا عليها طالع النهار فرأوها مشتبكة بالأشجار والأغصان ولا يقدر أن يسلكها شيطان فضلا عن الإنسان ورأوها وحشة الجنبات وحولها رؤوس آدميين مرميات ولها طريق ضيقة المسلك لا تكاد من ضيقها أن تدرك ، وتأملوا رأوا على بعد منهم أربع جمال بيجاويه والأسود السمحاق نائم تحت شجرة كبيرة من بعض الأشجار وشخيره أقلب تلك القفار وهو مثل الثور المعدود وتحت رأسه أسد من الأسود (قال) فلما أن رآه عقبة ومن معه وقع بينهم الكلام من أجل خوفهم منه فصار عقبة يهون عليهم الأمور (قال) فمن شدة هرجهم فاق الأسود السمحاق من نومه وقد صرخ صرخة تصدع الحجر وفى الحال تناول السيف والترس من تحت تلك الشجرة وطلب القوم وقد طار من عينيه النوم (قال) فلما أن نظر عقبه إلى ذلك ارتجف فؤاده وضاع منه حواسه ولوث فى لباسه وعلم أنه إن سكت أخذ تلك العبد رأسه وأخمد أنفاسه فما كان له إلا أنه ترجل عن ظهر الجواد وقد ثبت جنانه وأرخى أودانه وأطلق عنان لسانه ونادى تأنى علينا أيها الفارس ولا تعجل واستعمل فى أمرنا المهل فما طرقك عدو ولا من يريد لك سوء ولا من يطلب منك مال ولا من أتى إليك برجال بل قد أتاك رجل كبير وشيخ صاحب هيبة وتوقير وقد أتى بجنابك يستجير لتكون معينا له ونصير ولك منه كلما إليه تشير من مال ونوال وخلع غوال وضياع وأقطار وكلما يجوز على الأسماع ويسألك المعونة على أعداءه والنصر على من ناواه ثم أن عقبة نهض إليه وقبل صدره ويديه وقال له اعلم يا ولدى أننى صاحب خليفة هذه الأرض فى طولها والعرض وقد أنفذنى إليك على سبيل السؤال والحاجة لما بلغه من شجاعتك وشدتك وبراعتك وأنه يريد أن يجعلك سيفه القاطع ودرعه المانع ويوليك القلاع

والبلاد ويدعك تترك الاقامة فى القفار وفى الوهاد وقد أراد أن يحكمك فى الثغور ويسلم لك جميع الأمور وتذل الفرسان وتطيعك جميع الأقران وتأمن من الفزع ويأتوك بالأموال والخلع وقد قال بعض الحكماء من كانت معيشته على حذر فعيشه أبداً مكدر ثم أن عقبه أخرج الخلعة التى أتى بها وأفرغها عليه وقال له يا ولدى أشكر صاحب هذه وأثنى عليه وأجاب قوله بالسمع والطاعة وسير إليه فى هذه الساعة فقال له السمحاق وعلى من يستنجد بى من أهل العراق أو من جميع أهل الآفاق فقال له يا ولدى هذا عدوه ما هو ملك له أعوان ، ولا فارس له جنان ، وإنما هو غلام من بعض غلمانه الأعراب قد عصى عليه ومعه جماعة يقال لهم بنى كلاب ، والخليفة يريد أن يرسلك إليه ويتعاون بك عليه فاذا ظفرت به وبأعوانه تركك الخليفة فى منزله ومكانه فلما ان سمع السمحاق كلام عقبه قال له وحق بيت عصاتين وشرب الطبطاب ومص رجلين الفيردان فى الغيطان لولا أننى أريد أن أبين للخليفة سطوتى على الفرسان ماكنت بارحت من هذا المكان لأن عندى من الأموال مالا تأكله النيران فسير معى حتى أننى أطلعك على ما عندى من الفضة والذهب وتنظر ذلك بعينك ثم أنه أخذ عقبه وأصحابه ومضى بهم إلى مكان لاتهتدى الجن إليه ثم أنه فتح لهم باب سرداب عميق لايظهر له قرار ثم أنه قال لعقبه أنزل أيها الشيخ وانظر مافى هذا السرداب من الأموال ولاتظن أننى أحتاج إلى كسب مال وأنا ماأطلب إلا الافتخار عند طعن الأسمر الخطار فلما أن نظر عقبه من داخل السرداب رأى فيه الفضة والذهب سكب مثل الغله فقال والله لو كان يمكث هذا مده لكان يبقا له مال مثل مال قارون قال ولما أن أرادوا الرجوع قال لهم تأنوا على قليل فربما أن تكونوا أتيتوا تخدعونى بهذا الكلام والمقال حتى أبقا فى يد الخليفة ويرمينى فى القيود والاغلال ويأخذ منى هذه الأموال وربما قتلنى بعد هذه الفعال فانابقيت رايح أتركم هنا فى هذا السرداب وأغلقه عليكم وأمضى أنا إلى الخليفة فان أحسن إلى أرسلت لكم من يخلصكم وان أهلكنى وأعدمنى السلامة بقيتم هنا إلى يوم القيامة من هنا تحشرون فقال له عقبه أحسنت والله ما كنت تقصر معنا ثم أنه يجعل مكاننا هنا ثم أن عقبه التفت إليه وجعل يخدعه بطيب الكلام وعظائم الأقسام ويقول له بلسان السودان أنا وزير الخليفة وسوف ترى ماأعطيك من الخلع والأموال ولم يزل يرق له فى الكلام حتى أنه أطلعهم من السرداب ثم أنه أطلعهم من السراب ثم أنه سده بحجر كبير وقال هذا المال يكون محفوظ لى فى هذا المكان إلى أن أنظر مايجرى لى مع السلطان وأسكن لى فى بلد وأرسل آخذه لأنه لو بقى فى هذا المكان إلى الأبد مايجسر أن يأتى إليه

أحد ثم أنه عاد إلى المرج وركب نجيب من هؤلاء النجب لوقوف ثم إنه أمر الذى معه عقبه يسحبوا الثلاثة الآخر وهم بجلال الديباج المدثر وأزمتها من الابريسم الأحمر والأصفر وما منهم نجيب إلا وقد هذبه فى المجال وعلمه على حركات القتال ثم إنه تدرع وتقلد بسيف صقيل واعتقل برمح طويل وسار قدام القوم وهو كأنه سد من حديد أو برج مشيد لأنه قد أمل بلوغ الآمال من الأمير عبد الوهاب وعقبه أمل فى نفسه أنه يدخله فى دين النصرانيه ويغطسه فى جرن ماء المعمودية وكان بطول الطريق يحادثه ويميل قلبه بالمحادثة والمؤانسه حتى أنهم قربوا من أرض بغداد أرسل عقبه يخبر أمير المؤمنين بقدوم السمحاق طايع مختار ويقول ياأمير المؤمنين أخرج بأرباب الدولة والتقيه وارفع قدره فانه أعجوبة هذا الزمان وفريد العصر والأوان ولما أن وصل الرسول إلى بين يدى الخليفة فرح بذلك غاية الفرح وقال حفظ الله لنا القاضى عقبه فانه ماسار فى أمر الاونجح ورجع منه بالسرور والفرح ثم أنه أخرج غلمان الدار وركب الأمير عمرو بن عبيد الله فى سادات بنى سليم وغيرهم وخرج كل من فى بغداد من العوام يتفرجون على خلقة السمحاق فلما ان عاينوا خلقته ونظروه وهو كأنه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد فارتاعت من خلقته جميع أهل بغداد وصارت تتعوذ منه سائر العباد وقالوا والله مايسير هذا الجبار إلى قوم إلا ويحل بهم البوار ثم أن عقبه أخذه ثم ان عقبه أخذه ثم دخل به من باب القصر وأدخله قدام الخليفة وكان الخليفة قد جلس على سدة الخلافة وأرباب الدولة تحجبه فلما ان حضر السمحاق سأله عقبه فى الادب فصقع وقبل الأرض وخدم وسلم فرحب به الخليفة وأجلسه قدامه وأمر بالخلع فأفرغت عليه وقدار تعجب كل من كان حاضر من اشتعال عينيه وكبر أنفه وسعة منخريه ثم أن الخليفة أقبل عليه وقال له يافتى اعلم أننى مااستنجدت بك لقلة عساكرى ولكن ماأردت أن أن يقال عنى قد أنفذت عساكرى إلى غلام من بعض غلمانى ولا كان فيهم فارس يلقاه وانهم ما أخذوه إلا بالمكاثره وهذا نقص فى حقى فقال له السمحاق بصوت مثل الرعد القاصف ياسلطان خلى أنت عساكرك ولاتخرجها من أقليمك وأنا أسير لكل من فى الثغور من الأبطال وآتيك بهم جميعا سودان وبيضان قال فشكره الخليفة على ذلك وأوعده بكل جميل ثم قال يافتى أنا ما أريد إلا أن تسير مع عساكرى حتى يكون الفعل لك والأمر لى أنا فقال له الأمر إليك وأنا فى غداة غد أسير ودبر أنت ماترى من التدبير أنه قام من حضرة الخليفه وعاد إلى المضارب والخيام ونقلت إليه ألوان الطعام ثم أقام فى غاية الاكترام وقد اعتد الأمير عمرو ابن عبيد الله هو وبنى سليم للسير وهم فرحانين بهذه الأسباب ثم أن الخليفة جهز معهم عسكر من العراق مقدار خمسين ألف وأكثرهم ترك واكراد وديلم ولما

أن أقبل الصباح صاحت النقبا فى العساكر بالرحيل وتقـدم عمرو فى المقدمة وتبعته عساكر العراق ومعهم عقبـه والسمحاق والكل غايصين فى الحديد منغمسين فى الزرد النضيد وقد نشرت البيارق والرايات وضربت الطبول ونعرت البوقات وسارت المواكب ينلو بعضها بعض وقد امتلأت بهم جنبات تلك الأرض وأما السمحاق فانه صار يتعجب ويقول لعقبه ياشيخ ماهؤلاء إلا خلق كثير وما هـذا الرجل الذى نحن سائرين اليه الا ملك عظيم فقال له عقبه ياولدى والله ماهو ملك كبير الا أنه فارس نحرير وبطل خطير ومعه كل شجاع بالحرب خبير وهو الذى ترك على الروم الجزية فى كل عام ولا بد لى اذا ملكته أدلك على أمور تبلغ بها الآمال وتعيش طول عمرك بالسعادة والاقبال قال ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا إلى آمد ثم رحلوا طالبين ماطيه ولما أن قربوا من خرت برت وصلت أخبارهم الى الأميرة ذات الهمه وكان الأمير عبد الوهاب مريض كما ذكرنا وما فى ملطيه من العساكر الا ثلاثين ألف من بنى كلاب إلا أن الجاسوس وصل إليهم وأخبرهم بوصول بنى سليم وعساكر العراق ووصف لهم عساكر الخليفة والسمحاق فقالت الأميرة نحن نستعين عليهم بالملك الخلاق رافع السبع الطباق ومقدر الآجال والأرزاق فهو يعلم انهم علينا معتدين وللحق ناكرين فقال الأمير عبدالوهاب لقدحسبت أنا هذا الحساب ولكن الأمر الى مسبب الأسباب وأنا أعلم أن الخليفة ما بعث هذا الأسود الا يريد هلاكى وربما ضمن له أن يأتيه برأسى وانا فى هذه الحالة من المرض ولا بد لى ان أبذل معه المجهود وأتوكل على الملك المعبود فقالت الأميره والله ياولدى لاتركتك تحضر الحرب وانت على هذا الحال الا ان تلعب الخيل براسى وتبقا انت تفعل بعدى ماتريد هذا وقد شاع خبر تلك العساكر فتأهبت الناس للقتال ولما ان كان من الغدا اشرفت الكتائب وامتلأت الأرض بالراجل والراكب وصهلت الخيل والجنائب ولم تزل المواكب واصله والجيوش نازلة من ضاحى نهار إلى ان قبل الليل بالاعتكار وكانت الأميره وبنى كلاب من فوق الأصوار ينظرون الى كثرة هذا الجيش الذى كانه البحر الزخار هذا وقد نزلت عساكر بنى سليم فى ناحية عن عساكر العراق ونظرت الأميره الى السمحاق عند وصوله وهو راكب على بعض الجمال وهو مثل النخيل الطوال فقالت الأميره سبحان من خلق هذا الهيكل هذا اطول اللملمان واعرض وأنا اسأل الله ان يكفينا شره ويصرف عنا مكره قال وقد باتوا الناس تلك الليلة على اصوار البلد وكان الأمير عبد الوهاب اراد ان يشرف على العساكر والأبطال فلم تمكنه الأميره من ذلك ولما ان اصبح الصباح ارادت الأميره ان تلزم الحصار وتحفظ البلد والعساكر من الاشرار فما اطاعوها بنى كلاب بل قالوا لا بدلنا

من فتح الباب وخروجنا للطعان والضراب خيرا ممن ترمى ارواحنا من الأبراج ونخوض مع هؤلاء القوم بحر العجاج ونقتل عقبه شيخ البطارقة ولا علاج فلما ان سمعت الأميره منهم ذلك الخطاب فتحت لهم الباب ثم انها خرجت فى أوائل بنى كلاب وخرج الأمير ظالم وأخيه ضيغم وقحم كل ليث مقدم وصارت الأميره تقول اللهم بحرمة رسلك واحبابك من عبادك الصالحين احقن دما هؤلاء المسلمين ولا تتركنا يوم العرض بدماهم مطالبين فانت تعلم مافى قلوبنا وقلوب الخلق اجمعين يا من تعلم عدد الأنفاس واختلاف الحواس قال وما تكاملت بنى كلاب حتى زحفت اليهم المواكب من كل جانب والأرض قد ارتجت من دق الكاسات ونعير البوقات وكان أول من تقدم الأتراك ورمت من قسيها الموت والهلاك هذا وقد انطبقت العساكر وقد لعب السمحاق برمحه ولما ان نظرت بنى كلاب الى ذلك حملت وارمت انفسها للحرب واستقتلت ونادت فى ذلك الوقت بانسابها وافتخرت باحسابها وجودت المضارب وماتقصرت وحملت الأميره وهى تنادى وتقول يا قوم بحق دين الاسلام لاتبذلوا فيهم الحسام بل دافعوا عن انفسكم بالاصدام ثم انها جعلت تصدم الفرسان وتردهم بالهيبة وقوة الجنان وتعفو عنهم من مضارب السيف ومن طعن السنان وعقبه صار يصيح فى جميع العساكر ويقول ابذلوا السيف فى اهل البغى والنفاق واطيعوا الله ورسوله واميرالمؤمنين وجاهدوا فيهم كما تجاهدون فى المشركين لأن الشيوخ قد احلوا دماء الخوارج والمنافقين هذا والسهام تنقض انقضاض النجوم والناس بين صادم ومصدوم ومرزوق فى الحرب ومحروم وقد انفطرت الجسوم وانعقد الغبار حتى انه بقى مثل الغيوم وقد نفذت الأسنة فى قلوب الكرام وقد انطبقت عقبان الجو على الاجسام وبانت سرائر القلوب رصاروا بين غالب ومغلوب وناكب ومنكوب رقتك السمحاق على ذلك النجيب وفعل فعل غريب وقد كثر على بنى كلاب العدد وتزايد المدد واثخنوا بالجراح من شفار الهند والتجؤا الى أصوار البلد وقد كثر عليهم الصياح والزعاق من بنى سليم ومن عساكر العراق وعولوا على الدخول من الابواب فلم يقدروا على ذلك لكثرة الخلائق ونظرت الاميره الى ذلك فاشتد حنقها وازور حدقها وأرمت البيضه عن رأسها وفدت أصحابها بنفسها وصارت تصدم الكتائب وتكف عن بنى كلاب المواكب وهم داخلين من الأبواب حتى لم يبق منهم إلا الأقل وعولت على الدخول وإذا بالسمحاق قد صدمها وهو على ذلك النجيب ورأسه كأنها رأس الغول وهو يهدر مثل بعض الفحول ويغرق الأبطال عرضاً وطول وعن يمينه وشماله أكثر من مائة مقتول وهو يتسعى ويقول يا بنى كلاب أنا أبى ثور العبد الغيور أنظروا ما تتحدثوا به فى الأماكن والديور فلما أن رأته الأميرة عادت إليه وهى تقول إن كنت أنت أبى ثور فأنا أقتلك على الفور ولم تزل معه فى قتال

إلى أن دهم الليل بالانسدال ولولا أن ظالم وضيغم أحموها من الأعداء لكانوا أسقوها كاس الردا (قال) ثم إن العساكر عادت إلى الخيام وعقبة فرحان لبنى كلاب بالانهزام وما فعل بهم السمحاق من العذاب وهو يدعو له ثم يقول أيها السيد لك الهنا وبلوغ المنا فما أقول أنهم ما بقوا يخرجون من البلد أبداً إلا أن كانوا يسلموا أنفسهم إليك وينقادون قهراً بين يديك فقال له السمحاق يا شيخ لولا كثرة الخلائق واشتباك البوائق لما كنت تركت اليوم ينقضى إلا بالانفصال ولكن إذا ازدحمت الكتائب بطلت شجاعة الراكب وما كنت أريد إلا أنهم يخرجون غداً للحرب والقتال حتى كنت أوريتك ما أبين من الفعال ثم أنهم نزلوا فى الخيام وقد انسدل الظلام وهم فراحا بالنصر والظفر وكانوا بنى كلاب قد دخلوا ملطيه وأكثرهم جرحا من سهام الأتراك بعد ما قتل منهم خلق كثير ولما أن دخلوا إلى البلدخلعت الأميرة عنها الحديد وأتت إلى ولدها الأمير عبدالوهاب وهى تقول ما شاء الله كان والله لقد بلينا بقوم لا يخافون الله ولا يعرفون العرض ولا الحسب ثم إنها نظرت إلى ولدها وإذا هو بارك على ركبتيه وهو مشغول القلب وهو يدعو إلى الله تعالى ويقول اللهم يا رافع السماء وباسط الأرض على الماء يا من قد حكم على خلقه بالفناء أجرنا من هذا الظالم الذى اوقع بنا العنا ولما أن دخلت الأميرة قال لها يا اماه انامشغول من اجلكم لأننى فى اواخر النهار سمعت اصوات عساكر الخليفة قد ارتفعت واصواتكم قدخمدت فقالت الأميرة نعم لأن يا ولدى الخلق كثير والعالم غزير وأنا قد امرت بنى كلاب بالمدافعة والممانعة عن انفسهم وقداوصيتهم ان لا يبذلوا فيهم الحسام وأن ياولدى آخر النهار قدقتل منا خلق كثير وقد أرموا القوم انفسهم علينا وكم جهدما يحترز الانسان فقال الأمير وما فعل هذا الأسود الذى قد أتى مع عساكر العراق فقالت الأميرة يا ولدى ما هو إلا فارس لا يطاق ولا يوجد مثله فى جميع الآفاق وانه ما كسر بنى كلاب غيره لأنه قد حمل فى آخر النهار فرأيت منه فارس جبار وإن لم اخرج انا إليه واكف شره عن الفرسان وإلا ابادهم وكان سبب اخذ البلد (قال) ولما ان سمع الأمير ذلك تحسر وقال لولا هذا المرض الذى اوهى جسمى واذهب صبرى وجلدى وإلا كنت بذلت المجهود مع هذا الأسود الذى طغى وتنمرد على اننى لابد لى فى غدأن احضر القتال ثم اباشر الطعن والنزال وإن لم اقدر على التمكين فأنا اقوى قلوب المجاهدين فقالت له الأميرة يا بنى لا تزعج نفسك ودعك على ما انت عليه ودعنا نحن على هذا الأمر صابرين فعسى ان يستحى منا امير المؤمنين وإن قلبي يحدثنى إننا منصورين ولو بعد حين ثم انهم اقاموا ينتظروا قدوم النهار وقد تصايحت بنى كلاب على الأصوار وهم يحفظون البلد حتى ذهب الليل بالاعتكار وطلعت الشمس بالشعاع والأنوار ونادى المنادى فى عساكر

الخليفة بالانزعاج فركبت العساكر مثل البحر العجاج ثم زحفوا يطلبوا الأصوار والأبراج فما وصلوا حتى فتحت ابواب البلد وخرجت الأميرة ومن وراءها الأبطال والأقيال وهم القوم الكلابية والطائفة المغازية فى طاعة رب البرية ، ولما ان صاروا خارج البلد صاحت عليهم الأميرة لا تبعدوا من تحت الجدار والأصوار وقالوا إلى ان يذهب النهار لأننا لا نأمن ان يملكوا علينا طريق الباب وما ندرى ما تكون الأمور والأسباب ثم انها قامت تنتظر من يفتح باب الحرب وكانت العساكر قد عولت على الزحف وإذا هم رأوا إلى الأميرة قد خرجت من البلد فى بنى كلاب فعندها اصطفت الصفوف وتعدلت الألوف وكان عمرو بن عبيد الله واقف تحت الصناجق والأعلام وحوله بنى سليم قيام فقال عقبه يا قوم أتدرون فيما انا متفكر فقالوا له فيما انت مفكر فقال فى عبد الوهاب الذى ما ظهر له خبر ولا ظهر للسودان أثر فقال عمر وصدقت يا قاضى وانا ايضاً ما رأيت اللملمان الذى اتى بأختك وما اقول إلا ان عبد الوهاب قد أخذ الجميع وسار بهم إلى بلاد الروم فقال له صدقت ولكن نريد ان ننجز امر هذه البلد ونملك ذات الهمة قبل ان يأتى هذا الأسود (قال) فما تم كلامه حتى خرج من بنى كلاب فارس جسيم هائل الخلقة عظيم المنظر ومن تحته جواد كريم مثل لون الليل البهيم ومعه رمح طويل عليه سنان يضىء كأنه قنديل ، وهو متقلد بسيف صقيل حاد الشفار قاطع الأعمار ولما أن صار فى الميدان صال وجال ولعب فى المجال حتى حير النواظر وأدهش الخواطر وأذهب عقل من كان حاضر ثم انه طلب الحرب والقتال وقد كشف عن وجهه اللثام وإذا هو الأمير ضيغم بن الأمير عبد الوهاب وهو ينادى ويقول دونكم والحرب والنزال ابرزوا إلى فارسكم الوقاح وبطلكم الجحجاح الذى قد ضمن للخليفة قتل أبى حتى أوريه طعنى وضربى (قال) ولما أن سمع السمحاق ذلك عول على الخروج إلى الميدان وكان واقف إلى جانبه عقبة القرنان فلما ان رآه أراد الخروج منعه من ذلك ثم قال له اصبر أيها الأمير فما هو من أقرانك هذا ابن عبد الوهاب فدعى أن تخرج هذه الداهية الدهماء والمصيبة العظمى إلى الميدان وتبرز أنت اليها فانك ان اخذتها افتخرت على اهل الأرض فى الطول والعرض فصبر السمحاق وقد سمع من شيخ النفاق هذا وضيغم يجول فى الميدان ويطلب براز الفرسان فبرز اليه فارس من بنى سليم وكان هذا الرجل مايكره من الدنيا غير ذكر الأمير عبد الوهاب اومن يذكر بنى كلاب فما هو إلا ان برز إلى الميدان وجال مع الأمير ضيغم واذا به قد هجم عليه وطعنه بالسنان فى صدره خرج من ظهره ثم خرج اليه بعده رجل من عساكر العراق على جواد براق وفى يده حسام له لميع واشراق بشفرتين رقاق وأخذ مع ضيغم فى الجولان حتى اتعبه ضيغم فى الميدان واخذ معه فى الكر والفر والأخذ والرد والهزل والجد

ثم انه طعنه فى جانبه اقلبه عن مركبه فلما ان نظر السمحاق إلى ذلك لم يصبر بل حمل كانه قلة من القلل او قطعة من جبل ثم التفت لعقبه وقال له انا ما صدقت ان تصطف الفوف حتى اخرج ابين فعالى بين الفرسان الوقوف وأنت تمنعنى عن الحمل ثم صاح فى ذلك النجيب فركض من تحته مثل البرق الخاطف ثم انه جال وتلفح مثل ريح الشمال وقد نظرت الناس من فعاله الاهوال وكيف صار يتقلب على ظهر ذلك النجيب وقد اظهر كل امر عجيب وقد صاحت بنى كلاب على الأمير ضيغم ان يرجع فما رجع ثم انه قد اخذه الطمع وقد ظن ان الأمور كلها يكون فيها متسع وقد علم انه فى مقام الخطر مع هذا الشيطان الاغبر ثم ان ضيغم طعنه فما هو إلا ان وصل إليه الرمح حتى ضربه بالحسام الذى فى يده براه برى القلم ثم صاح صيحة ازعج بها كل من سمعه ورآه ومد يده إلى ضيغم ونشله ثم دحاه إلى وراه كادان يعدمه الحياة ولما ان نظر العسكر ان إلى ذلك قالوا هذه هى الفروسية المعلومه ومن هو عبد الوهاب او ذات الهمه هذا والسمحاق قد قارب عسكر بنى كلاب فنكس فرسانها الانجاب وشوش صفوفها التى كانت قد اعتدلت للضراب وقد بهتت اليه الابصار وقد خرجت اليه الاميره وعولت ان تحمل عليه وإذا بفارس قد خرج وسبقها اليه فنظرت إلى شمائله واذا به الامير ظالم وقد خرجت من شدة ما قد جرى عليه من فقد أخيه وقد ساوى السمحاق فى الميدان واخذا فى الضرب والطعان وبان الرابح من الخسران وبان الشجاع من الجبان وظهرت الزياده والنقصان إلا ان ظالم راى خصمه اظهر منه واعلا مكان فصوب الرمح اليه فما هو إلا ان حصل السنان صدر البعير حتى صاح وانفرك وسحب الرمح من الامير ظالم ثم انه رفسه رفسة جبار شديد او شيطان مريد فألقاه عن ظهر الجواد فمع ثقل الحديد ما لحق يتور حتى انه نزل إليه ومسكنه ونادى بالرجال فتقدموا واخذوه منه وقد نظر عقبه إلى ذلك فحار من هذه الفراسة وقال وحق المسيح هذه هى الشجاعة بعينها وان انا لقيت بعقل هذا ونصرته ملكت جميع الآفاق هذا وقد ضجت عساكر الخليفة هذا والأميرة قد ضاقت عليها الأرض بما رحبت وفاضت دموعها من الآماق وكاد قلبها أن يطير من الاحتراق فصاحت بجوادها وكان مثل البرق الخاطف وصارت تنادى يا رباه اهلك اهل البغى والنفاق ثم انها قربت من السمحاق وصارت بين يديه ولما ان رآها علم انها بخلاف من لاقى من الفرسان وهى هاجمة عليه والشجاعة لائحة على اعطافها وهى تنشد وتقول

إلهى انت تعلم ماألاقى ... وتعلم بالمقيم على النفاق
وما يخفى عليك السريا من ... بقدرنه بنا السبع الطباقى
بحق محمد خير البرايا ... ومن اركانه فوق البراقى
أعن ما كان مظلوما ونادى ... على اهل البغى يبلوا بالمحاق

وها انا خرجت اليوم ارجوا ‏ على السمحاق عونا فى التلاقى
لأنى قد كبرت وشاب راسى ‏ وعزمى ثابت فى الحرب باقى
وقد خلفت ابنى وهو ملق ‏ له روح تردد فى السباقى
وهذا اليوم ابذل فيه جسمى ‏ إذا جديت فى جيش العراقى
وقدامى من الفرسان طود ‏ ابت عن حمله الخيل العتاقى
فاما ان افوز به واما ‏ يجرعنى بكاسات المحاقى

(قال الراوى) ثم ان الأميرة أطبقت عليه بعد شعرها وتلقته بصدرها وجاولته ولم تخشاه فكانت قدامه مثل البيدق قدام الشاة ونظر اللعين عقبة إلى الأميرة ولها من تحت الغبار صياح فقال يامسيح هذا وقتك انصر السمحاق عليها بقتل أو بأسر لأجل ماتملك ملطيه ثم انه تقدم ينظر مايجرى فى الحرب والقتال وهما قد أخذا فى الطعن والضرب حتى زادالغبار والكرب وجرى لهما عجائب وفنون وقد امتدت اليهما الأعناق وشخصت نحوهما الأحداق وقام الحرب على قدم وساق هذا وقد نظر السمحاق من الأميرة ذات الهمة مالم ينظره من غيرها وقد عمل بينهما الحسام هذا وقد أظهرا بين الصفين العجائب ولم يزالا كذلك إلى أن مضى أكثر النهار وقد تعلقت قلوب الناس بما تحت الغبار ووقع على الفارس الضجر والانبهار واختلف بينهما طعنتان واصلتان وقد نفذ فيهما قضاء الرحمن فأما طعنة الأميرة فانها وقعت فى صدر البعير فدخلت فيه وانزعج من ذلك السمحاق وأما رمح السمحاق فانه حكم فى كتف الأميرة أرماها عن ظهر الجواد فلما ان صارت فى الميدان أراد ان يهجم عليها ويأخذها فلم تصبر بنى كلاب بل حملت تروم خلاصها هذا وقد حملت العساكر واندفقت اندفاق البحار الزواخر وحملت الأكابر وعملت البواتر وخيم الغبار على الأقطار حتى بقى مثل الستاير وكانت ساعة تفطر المراير بان فيها الرابح والخاسر والجبان من الشاطر وكانوا بنى كلاب أسبق إلى الأميرة ذات الهمة أخرجوها من الميدان ونزعوا الرمح من كتفها وسيروها مع عشرين فارس إلى ملطيه ووقفوا الباقين للقتال وملاقاة الأهوال وأما العشرين فارس الذى مضوا بالأميرة فان السمحاق قد سبقهم إلى الباب قبل أن يصلوا اليه وصاح فيهم إلى اين يا كلاب تمضون وانا لكم فى الطلب ثم انه حمل على العشرين فقتل منهم ستة وهرب الباقين واحتوى على الأميرة وهى لاتشعر بما جرى عليها ولا تقدر تفتح فى الضوء عينها فلما ان رآها وهى على تلك الحالة لاتعلم لفظ ولا مقالة عول على حملها وتقييدها وغلها وقدها بته الرجال ولم تجسر ان تدنو اليه الأبطال فبينما هو كذلك وإذا بفارس قد خرج من الباب وهو مثل الأسد الغلاب ىفى الحال انقض عليه انقضاض العقاب وهو يقول انا الأسد الوثاب انا النمر الطلاب انا الأمير

المهاب انا ترس قبر النبي الأواب انا عبد الوهاب ولا بقى يمكن القعود والتخلف عن الأميرة فاطمة بنة مظلوم امة الحى القيوم ولو ان الصفاح تحب فى الأذمة ثم انه حمل على السمحاق وكان قد اندهل لما سمع بذكر عبد الوهاب وظن انه كان واقف فى الباب ونظر إلى هذه الأمور والأسباب وكان قد سأل عقبة عنه فقال له ماهو حاضر وإلا كان برز فى أول العسكر قال ولما ان رآه عاد إلى لقاه قال وكانت بنى كلاب قد انكسرت فى تلك الساعة واندقت قدام عساكر العراق وعادت طالبة الباب وقد وقع فيها المحاق وارتفع من خلفها الصياح والزعاق وعاد بعد ذلك السمحاق وهو طالب النجاه وصارت الخلق قدامه وورائه ثم انه شق المواكب وقد أيس من الحياة وصار مثل المجنون وما زال حتى أدركته عساكر الخليفة وقوت منه الهمة التى صارت ضعيفة وكان الأمير عبد الوهاب لما عاد السمحاق عول على أتباعه إلا أنه أعاقته أوجاعه وما كان حمله على الخروج إلا لما بلغه من خبر أمه وما جرى عليها فخرج من شوقه اليها وكان خروجه سببا لنجاتها هذا وقد دامت الرجال على القتال إلى أن ولى النهار ورجعت بنى كلاب إلى البلد وقد أحمت أنفسها من كل أحد وأعانوهم الذين على الصور إلى أن رجعوا فى هنا وسرور وعادت عساكر العراق وهى متعجبة من فعال السمحاق فلما ان نزلوا فى الخيام قام عقبة وأحضر أولاد الأمير عبدالوهاب وكانوا فى سرادق الأمير عمرو بن عبيد الله وفى الحال أمر بالقيود فوضعت فى أرجلهم ثم أمر بتكتيفهم فكتفوهم وقال لهم ياويلكم أنتم تتجبروا على عباد الله الصالحين وتنافقوا على أمير المؤمنين ولا ترعون حرمته على المسلمين وكلما جرى عليكم فى هذه النوبة من والوبال فهو بما فعلتم فى الست الماصونة والجوهرة المكنونة السيدة عاقبة لما ان رميتموها بالزور والمحال واتهمتموها بدين الضلال فقال له ظالم والله ياملعون انها أكثر منك وأشد لعنة فى دين النصرانية وأكثر اشتراك منك برب البرية وبشؤمك وبشؤمها غضبوا علينا السودان ودخلوا إلى ديار أهل الكفر والطغيان ولولا فقدهم ومرض الأمير المفضال وإلا كان طال عليكم فيما تريدون المطال على أن جميع الأمور لها أول وآخر ولا بد أن الله يهتك سترك ولو بعد حين ويصدق فيك الوعد من خاتم النبيين فقال عقبة أنتم إذا أردتم النفاق على الخليفة ماتجدوا لكم حجة إلا قولكم ان عقبة نصرانى وبهذا الأمر يصب الله عليكم العذاب ويعجل لكم العقاب ويضاعف لى كثير الثواب ثم انه أمر عمرو برفعهم فرفعهم ووكل بهم جماعة من أصحابه ثم انه ادعا بالسمحاق ثم شكره على فعاله وأخذه معه إلى خيمته وقال له ابشر بما تريد فأنا ما أقنع لك بخدمة الخليفة ولا أرضى أن تكون لهم غلام بل إنى أسيرك إلى بلاد يكون لك فيها ملك كبير وتكون

بعساكر وقلاع وغلمان وضياع فشكره السمحاق على ذلك ثم أنه قال له وأنا الآخر فى غداة غد انجز لك أمر من بقا فى هذه البلدواقود إليك فرسانهم والأبطال إن خرجوا إلى القتال وأسير بعدها معك إلى اى مكان شئت اتبعك (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء وأماما كان من حديث أهل ملطيه فان الأمير عبد الوهاب قد ادخل أمه وهى على آخر نفس لما ان تركها السمحاق وهرب ولما ان بقوا من داخل البلد شدوا لها الجراح ثم سقوها الشراب ففتحت عينها وكلمت الأمير عبد الوهاب وسألته عن حاله فأخبرها بما تم له وجرى له وكيف أنه ركب وخلصها من الأعداء فشق ذلك عليها وقالت له ياولدى قد اتبعت نفسك وانت فى هذا الحال وقد خرجت إلى هذا الجبار فوالله ياولدى لقد رايت من قتاله مالم اراه طول عمرى من مخلوق وقد خانى عند ملاقاته صبرى وجلدى على اننى ماخرجت إلا من حرقة قلبى ولما ان تلاقينا لولا ان وصل رمحه كتفى لما كان قدر على والساعة فما بقا فى خروجنا إليهم من فائده وما بقى فى الأمر إلا ان نحفظ الأصوار ونلزم الحصار إلى ان يفرج الله عنا الملك الجبار الحليم الستار لأننا إن خرجنا إليهم كنا خاسرين وهم رابحين فقالوا بنى كلاب والله ايتها الأميرة ما بقى فينا من يقاتل هذه العساكر ولا يخرج إلى قتال هذا البطل الجلاحل ولولا وقوعك اليوم فى القتال وطلبنا خلاصك من الأهوال لما كان احدا منا خرج لأن العدد كثير والجمع غزير ثم إنهم طلعوا إلى الأصوار وباتوا يحرسون البلد إلى ان طلع النهار فعندها ركبت العساكر من كل جانب وترتبت المواكب وانتظروا من يخرج فما احد خرج ولا فتحوا ابواب بل إنهم تصايحوا من على الأصوار وقد نظر الأمير عمرو إلى ذلك فقدم الاتراك بالسهام وقال لهم دوروا بالبلد داير مادار واكشفوا الأصوار فما بقا يشدلهم حزام وفى هذا اليوم او فى غد نهدم الأصوار ثم ننال منهم ما نختار هنا لك دارت الاتراك بالقسى والسهام وقد بان الضعيف من الهمام وطلع الأمير عبد الوهاب إلى برج الباب وامر برمى الأحجار والصخور الكبار واشهروا السلاح والعدد واظهروا المناجيق واختلف الرمى على الهوى واشتدت البلوى ودام القتال والعنا حتى ولى النهار بالضيا ورجعت عساكر العراق خاسره إلا انها مثل البحار الزاخره رجعوا إلى الخيام واجتمعوا بالقاضى عقبه ووجوه بنى سليم وأخذوا فى المشورة والتدبير فقال عمرو ومادام أن القوم قد لزموا الحصار فلابد ماتطول علينا الأيام ولاننال غرض وربما استعجلنا واستبطأنا الخليفة ثم يرسل من عنده عساكر وأجناد فقال لهم السمحاق لوكانوا خرجوا الى القتال كنت تركته يوم الانفصال لاننى كنت أملك عليهم الباب وأترك العساكر تقبض على بنى كلاب لأننى لما أن ملكته فى النوبة الأولى كنت راجل والا ما كان وصل اليه منهم واصل فقال عقبه يا أمير ان كان ما غرضك الا خروجهم من البلد فانا أدبر لك تدبير ماسبقنى اليه أحد وادع

لك القوم يخرجون عن آخرهم وان شئت خرجوا بأموالهم وذخايرهم فقال عمر وكيف تقدر على ذلك أيها الشيخ الصالح فقال عقبه أقدر إن كنت تطاوعنى على ما أريد من المصالح فقال عمر وأنا أطاوعك على ماتزيد ولا يكون لنا عن رأيك محيد فقال له ارسل الساعة من بنى سليم عشرين ألف فارس وقول لهم يقصدون رؤس الضروب من غير جلببه ولا حس فاذا أصبح الصباح يركبون وإلى ملطيه يقصدون وتكونوا أنتم قددرتم حول البلد فلما أن يأتى اليكم الغبار تظهرون الفزع وأنت يا أمير عمرو تزعق فى العساكر حتى ترجع وينظرون اليكم من على الأصوار وينظرون إلى الغبار الذى طلع فيظنون أنه سودانهم قد أقبلت ورجعت إلى ما كانوا عليه من العهد القديم هنا لك يفتحون الأبواب ويخرجون فى طلب الطعان والضراب وما يبقى أحدا فى البلد الا ويخرج طمعا فى نهب الأموال وربما خرجت معهم العيال ويكون يوم الانفصال وبلوغ الآمال قال ولما أن سمع الأمير عمر ومن عقبه ذلك الكلام أظهر الفرح والابتسام وقال أحق للخليفة أن يسميك ناصح الدين ووالله أن صح هذا التدبير وخرجت بنى كلاب الى القفار لاتركنا منهم ديار ولانافخ نار فقال له السمحاق يالك من شيخ ماأحيلك وماأحكم حيلك قال وفى الحال أدعى عمرو بابن عم له يقال له محمد بن أبان السلمى وضم اليه عشرين ألف من بنى سليم وأوصاه بما يفعل وأخبره بما أحكم عقبه من الحيل قال ففرح بذلك وسار بالأبطال ومعهم رايات وأعلام مع رايات السودان وأعلامهم وطلب رؤس الضرب وهم جرائد على ظهور الخيل وكان عمرو بن عبيد الله قد أوصاهم أنهم لا يأتوا الا اذا تضاحا النهار واشتد الحصار ثم أنهم أقاموا إلى أن أصبح الصباح وثارت الرجال تطلب القتال وهم فرحا بما دبر عقبه من الاحتيال هذا وقد انتخب بنى كلاب وخرجب الأميره ذات الهمه والأمير عبد الوهاب وكانت الأميره قد وجدت فى نفسها راحة من الألم فخرجت لتقوى قلوب بنى كلاب قال ثم أنهم تصادموا وقد اشتد بينهم القتال ودام النزال وتقاتلوا بالأحجار الخفاف والثقال وعظمت الأهوال وظلت الرجال تزحف والأرواح تخطف حتى تضاحا النهار وإذا قد أشرف من رأس الدروب غبار وقتام وكان أول من رآه بنى كلاب الذين فوق الأصوار فضجوا بالصلاة على النبى المختار وصاحوا على بنى سليم حاكم البلا والبوار يا أوباش العرب يا أهل البغى والاغترار اليوم يفنوكم السودان ولا يرجع منكم إلى العراق إنسان قال ولما أن سمع عقبة ذلك قال لعمرو قد بلغت الآن المراد والآمال فصيح على العساكر ودعها ترجع عن القتال وتمتنع عن البلد وتظهر الانخذال وانظر الساعة كيف يخرج كل من فى ملطيه بسبب نهب الأموال فعندها نادى الأمير عمرو فى النقباء وأمرهم بذلك فرجعت العساكر وبعدت عنهم وتركوا الخيام

على حالها وهربت الكتائب وتركت رحالها هذا والأمير عبد الوهاب يقول للأميرة يا ترى رجعوا إلينا السودان فقالت له الأميرة يا ولدى وايش الذى عملناه مع السودان من القبيح حتى أنهم يتركوا نساءهم وأولادهم ويطلبون المقام فى بلاد الروم وإنما اللملمان قد فعل ولعب بهم ففعلوا مافعلوا والآن فقد عادوا فى وقت الحاجة إليهم وهذه إن شاء الله تكون وقعة الانفصال فدع المطال واخرج بنا إليهم نساعدهم على القتال فلعلنا نبلغ منهم الآمال ويعول هذا العسكر على الارتحال فعندها نادى الأمير عبد الوهاب فى أبطال بنى كلاب فخرجوا يطلبون الطعان والضراب والأمير يقول لا أحد منكم يشتغل بنهب مال ويترك الحرب والقتال لأننا لا ندرى كيف يكون الحال (قال) ولما أن صاروا ظاهر البلد وبعدوا عن الأصوار تأهب فى ذلك الوقت السمحاق وعساكر العراق وقال لهم اشغلوا بالحرب بنى كلاب حتى أننى أملك أنا عليهم الباب فبينما هم عولوا على ذلك وإذا بغبار قد ظهر وانكشف وبان على أعين النظار عن خيل متبددة متفرقة فى أقطار الأرض ودروعهم قد غرقت بالدماء وأكثر خيلهم شاردة فى البيداء فلما أن عاين الأمير عمرو إلى أول القادمين فسأل عن حقيقة الحال وإذهم من بنى سليم الذين قد أنقذوهم بتدبير عقبة فقال لهم عمرو يا ويلكم ما حالكم وأين باقى رجالكم فقالوا لا تسأل عن الحال فما بقى لنا رجال أما رجالنا فقد هلكت ودماؤهم قد سفكت ونحن إلى الآن ما نقول أنا سالمين من هذا البلاء الذى قد دهانا والأمر الذى قد همنا وهذا كله من قاضينا عقبة الناصح هو الذى أحل بنا هذه القبائح والأمور والفضائح فقال لهم عمرو كيف ذلك فقالوا يا أمير أنت لما أن أرسلتنا وأمرتنا بالمسير إلى رؤوس الدروب سرنا وقد نزلنا وقت السحر لنأخذ لنا راحة ونعود نركب فما حسينا إلا والسودان قد داروا بنا من كل جانب ومكان وضربوا فينا بالسيف والسنان لأنهم قد سألونا عن أنفسنا فأخبرناهم أننا من بنى سليم وما أمكننا أن ننكر منهم فما هم إلا أن سمعوا منا ذلك المقال حتى أنهم بذلوا فينا الصوارم الصقال وقالوا لنا يا كلاب العرب أنتم الذين أحوجتمونا على الأمير عبد الوهاب نغضب ثم أنهم حملوا علينا ونحن نازلين للراحة فما لحقنا أن نركب الخيل إلا وقد لحقنا الذل والويل وقد أبادنا اللملمان وصاحوا فينا أبطال السودان وما سلم منا إلا ما ترى وما تدرى بعدها ما جرى (قال الراوى) فبينما هم مع عمرو فى هذا الشأن وإذا بالسودان قد وصلوا وهم مثل العقبان وقدامهم غنما تملأ الصحصحان وكثير من أسارة عبدة الصلبان فلما أن أقبلت السودان ورأوا إلى ملطية وهى محاصرة صرخوا صرخة عظيمة منكرة ثم أنها حملت وللسيوف والأسنة بذلت وقد تركوا الغنائم فى أوساطهم وداروا بها من كل جانب ومكان واختلفت

الضرب والطعان فعندها صاح السمحاق فى عساكر العراق يا ويلكم دونكم والبلد حتى أننا نملكه من دون كل أحد قبل ان يكثر علينا العدد ويتزايد المدد ثم ان السمحاق نبه النجيب فسار من تحته مثل الثعبان او الذئب وسار يطعن على ظهره فى البعيد والقريب وقد أجرى دماهم حتى صارت خارجة من نحورهم كالأنابيب فقاتل قتال اظهر فيه الأعاجيب ولم يبق حبيب مع حبيب ولا قريب مع قريب فما كنت تسمع الأصياح ودمدمه وزمجره وهمهمه والأقطار من شدة القتام والقتار مقتمة وكانت الأميرة من شدة ما بها من ألم الجراح لا تستطيع أمر من الأمور والعظام فصارت تدعو لولدها بالنصر والإعانة من الله وكان الأمير قد غاص فى الوغى على ما به من شدة البلوى فبينما الأمير يحول فى عساكر العراق وإذا هو قد التقى بالسمحاق وهو ينثر رؤوس الرجال ويلعب بمهج الأبطال وينادى أنا السمحاق أنا مورث المحاق ، وقد انقض بعدها على الأمير عبد الوهاب انقضاض الباز أو العقاب وبقى وإياه فى مقام الضراب فلما أن نظر الأمير إلى ذلك حب أن يركب معه مركب الخطر ويدافع عن نفسه على ما به من الضرر ، وقاتله ساعة من ساعات النهار وقد وقع بالأمير الضجر وأراد أن يخاطر معه إلى أن يموت أو يظفر به وإذا بالضجات فى عساكر العراق قد ارتفعت حتى كادت أن تصم منها الأسماع وذلك أن السودان فيها قد حطمت بعد أن قتلت من بنى سليم عالم عظيم وأقبلت تهز رماحها والزبد خارج من أشداقها واللملمان يصيح ويدمدم ويزعق ولنار الحرب يعزم فلما أن نظر السمحاق إلى ذلك خلى عن الأمير عبدالوهاب وطلب لنفسه النجاه وقد زال عن الأمير مايخشاه وبعدها عملت الصفاح وراحت الأرواح وما زالوا إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وانفصلت الطائفتان ورجعت السودان واللملمان واجتمع على الأمير وسلم عليه واعتذر عما جرى إليه وأما أبو الموت فانه قال لعن الله الحياة بعدك أيها الأمير فقال الأمير هذا كله من الله الذى هو بأحوال عباده خبير وهو نعم المولى ونعم النصير فقال اللملمان لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فلنا فى رضاكم ودعاكم ما يقينا من كل أذى ولا تشعت بنا الأعداد ولا نبالى بهم ولو كانوا فى عدد رمل البيداء وأما هذا الاسود الذى يقاتل على الجمل لا بد ما أعصرلك خصاه وأقوده قود الراعى للشاة وان لم أفعل ذلك لا قربنى الجد الكبير أبو الغراطيس ولادانانى وصار جلدى فى لون اسنانى قال ففرح الأمير من مقاله وفرح بعودته وعودة رجاله ورأى ما معهم من الغنائم فصار متعجب فأدخلها كلها إلى ملطية وقال خلها محفوظة لكم فى البلد هذا وقد باتت الناس يتحدثون لأجل ما لقوا من القتال وقد سألوا السودان عن الأمير فأخبرهم الأمير بما هى فيه من المرض وأما السمحاق وبنى سليم فانهم

باتوا ضيقين الصدر من كثرة ماقتلوا منهم السودان فقال الأمير عمرو والله أيها القاضى أن ماأهلك الناس إلا هذا الشيطان الذى أتى باختك من أبعد مكان فقال عقبه أقسم قسما صادقا ماكان تدبيرى الانعم التدبير ولولا قدوم هؤلاء لكنتم أخذتم ملطية فقال له عمر ونحن ما نريد منك إلا أنك تحرص لنا السمحاق وتدعه يكفينا مؤنة اللبلبان وأبو الموت وقد فات، فى الجميع الفوت فقال لهم السمحاق دعوا هذا الكلام إلى أن يصبح الصباح وأنا ابين لكم ماأفضل بنى كلاب وهؤلاء السودان الانجاب ولو كانواهم من جنسى ونفسهم من نفسى ولا اتركهم ينسبونى بالعجز والخسران ويحتقروا الناس مقامى فى كل مكان ولما أن بان النهار ثم أشرقت الشمس بالأنوار عمدت الرجال إلى دروعها ونصالها وركبت الخيول الصوافن وترتبت فى جميع الاماكن وتحرك فى ذلك الوقت كل ساكن وجردت السيوف التى من المعادن وقد اصطفت بنى كلاب وكانت قد قويت قلوبها بالسودان وقد ركب أبو الموت واللبلبان وأعتدلت الصفان واشتاقت إلى اللقاء قلوب الشجعان وكان أول من برز السمحاق على نجيبه المعد للحرب والطلاق وقد غاص فى الزرد الاشهب وأكثر من السلاح خوفا من العطب وكان فى يده عامود من الحديد وخشتين لأجل الحرب الشديد ثم انه جال وصال على ظهر هذا الجمل وهو ابذلك القدر والهيكل فحاروا من رؤيته وندهلوا من صورته ثم قالوا والله أن هذا لايبارز ولايناجز (قال) فلما أن عاين اللبلبان ذلك انقلب حاله وهز رأسه وتقدم إلى الأمير عبد الوهاب وقال له ائتنى بجمل أركبه وأخرج إلى هذا الملعون أعجل عطبه وأجمع بين رأسه وذنبه وأقوده اليك واسحبه وأدس رأسه فى است من جلبه (قال الراوى) فضحك الأمير من كلام اللبلبان ثم انه قال له أعلم أن ماعندى أكثر من الجمال ثم أمر الأمير ان يأتوه بجمل مليح فأتوه به فوثب وركبه ووشحه بالسوط وصاح عليه فطار به حتى صار قدام السمحاق مثل البرق البراق ثم انهما عملا مع بعضهما عجائب وأهوال وقد ضاق بهما المجال حتى وقفت من تحتهما الجمال وهم يميلون على ظهورها مثل النخيل الطوال وقد تصادما مصادمة الجبال وتطاعنا بالرماح الطوال ولم يزالا فى قتال حتى تقصفت منهم الرماح وتخدشت أبدانهم من الجراح وقد ضرب كل واحد يده فى الحسام وأخذا فى الصدام والنقض والإبرام فى الحرب وصار الحرب دائم وكل منهم من دماء جراحه عائم وقد ظن انه لنفسه عادم فلما ان تعبا من الكفاح فى الضراب عادا إلى الرشيق بالحراب فكان الواحد منهم يضرب رفيقه بالحربة ويقول انها تأتى صائبة ولما ان اتصل إلى خصمه يلتوى منها فى جنب الجمل ويتركها تمر خائبة ثم يعود إلى مكانه ويجول فى ميدانه والصفوف تتعجب منهم كل العجب وتتعوذ من فعالهم الترك والعرب والغبار عليهم قد طنب ولا منهم إلا من زاد به الغضب

فلما ان خليا من السلاح عادا إلى الضرب بالأعمدة وقد هزوها فى أيديهم حتى كادوا أن يطيروا منها الخلق وبعدها صاح كل واحد منهم وزعق وتصادما بالجملين فكانا كأنهما طودين ثم خرج من الإثنين ضربتين بالعامودين فكان السابق بالضربة اللملمان وصاح فى عقبها أنا سيد السودان فنزل العامود على رقبة جمل السمحاق فطيرها فلما ان رأى إلى ذلك السمحاق فزع من اللملمان فزع شديد إلا انه اجتمع ووثب صار على وجه الأرض مثل السلهب وتقدم إلى جمل اللملمان وقد زاد على جملة أسفه ومسك بعرقوب جمل اللملمان أوقفه ثم ضرب بالعامود جنبه فخسفه وعجل له هلاكه وتلفه وكان اللملمان قد وثب من على الجمل إلى الأرض من حين مسك الجمل ثم قال يا كلب السودان خلى عنك قتال الحديد ودعنا نتصارع على وجه الصعيد ليبان منا الفارس الجليد من الجبان البليد

(قال) ففى الحال أرميا العامودين إلى الأرض ورجعا من صنعة الحرب والقراع إلى قوة الزند والباع وعزما على الصراع وأقبلا على بعضهما مثل السباع الجياع هذا والناس اليهم ناظره وعقبة صار يتضرع ويقول يامسيح أنظر السمحاق بعين الرضا على اللملمان لأجل ما يكون ناصر لدين الصلبان والناس بقوالهم منتظرين وعليهم متفرحين (قال) ولم يزالوا كذلك إلى أن بقى نصف النهار وقد حمى البر وتوقدت الأحجار وقد علما أن جميع الناس لهما فى الانتظار فعند ذلك هجم اللملمان على السمحاق وجذبه جذبة الأسد الغضبان فمع هذا اعتر اللملمان فى حجر ثابت فى الأرض فوقع على قفاه فركب السمحاق على صدره مثل الأسد الأدرع فمد اللملمان يده يدافع عن نفسه فوقعت يده على عدة السمحاق وكان السمحاق فى أمله واسعة وغنا من هذا الحال فقبض اللملمان على هذا المعلاق المجوز مع بيوضه وعصر عليه كادت أن تخرج روح السمحاق وغاب عن الدنيا ولم بقى يعرف ما بين يديه وانقلب اللملمان عليه وفى الحال صار من فوقه بعد ان كان من تحته وقد أداره كتاف وهو لاينظر ولا يسمع ونظر الملعون عقبة إلى ذلك فصار يمسح فى عينيه ويتطلع وعينه من الغيظ تدمع وصار يقول أنا أعلم ان هذه العساكر بعد ماأخذ هذا الرجل وأسره ما بقيت تنفع ولا بد مايعمل السيف فيها إلى أبواب العراق ويحل بها الفنا والمحاق (قال) فبينما عقبة يحسب هذا الحساب وإذا قد حمل الأمير عبد الوهاب وحملت بعده بنى كلاب وكان قد أخذ السمحاق من اللملمان وأرسله إلى ملطيه مع الغلمان وحمل أبو الموت وحملت معه السودان وفى مقدمتهم اللملمان والتفت الجيشان وعمل السيف والسنان ودام الضرب والطعان ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المساء وخندست الظلماء فعند ذلك حطت الحرب أوزارها وخمدت لهيب نارها فلما ان رجعوا إلى الخيام وانفصلوا من الصدام أمر الأمير عبد الوهاب أن يحضروا بين

يديه السمحاق فأحضروه اليه وهو مكتوف اليدين فلما ان حضر ووقعت عينه على عين الأمير عبد الوهاب ألقى الله سبحانه وتعالى محبة الأمير فى قلبه وكذلك نزلت محبته فى قلب الأمير فأشار الأمير إلى اللملمان أن يحل كتافه فقال اللملمان أيها الأمير لاتحله من كتافه فانه ولد زنا ولابد ان أمه ما لقطت فيه من واحد أبيض والا ما كان ضرب فى وجوهنا بالسيف ونحن أولاد عمه من لحمه ودمه ثم ان اللملمان سل سيفه وهجم على السمحاق أن يضربه فصاح عليه ياابن الخالة لاتفعل فما أنا فيما فعلت إلا معذور فلا تقتلنى فتطالب بدمى يوم العرض والنشور لأننى كنت مقيم فى الجبال لأجل أكل الأموال وكنت خالى البال من النساء والرجال إلى أن جاءنى رجل محتال حلو الحديث والمقال فلعب بعقلى وقال لى أنا أتركك صاحب مدن وقلاع فرمانى الطمع وما علمت اننى فى أيديكم أقع ولكن الساعة أثنى على ذلك الشيخ الذى كان هو سبب اجتماعى بكم لأن لولاه ما كنت عرفتكم ولا شفتكم والآن من فضلكم ومن إحسانكم تقبلونى عبداً لكم من بعض خدمكم وأقاتل عدوكم وان كنتم غنيين عنى ولم ترضوا بى خدام بيعونى نفسى بالمال ولا تقتلونى فان قتلى لايجيكم منه منفعة فقال له الأمير عبد الوهاب نحن ما نستغنى عنك وأما المال الذى قد ذكرت فليس لنا به حاجة وما أموالنا إلا الجهاد فى القوم الكافرين ونصرة الدين القويم المتين ان كنت صادق فقال أيها الأمير خذ على عهود ومواثيق فقال الأمير اللملمان حلوا يديه وأمر بخلعة له فأغرقت عليه ثم انه أصلح فى الحال بينه وبين اللملمان فصاروا عباد الله إخوان وأمر الأمير باتيان الطعام فأكلوا حتى اكتفوا وباتوا يتحادثون هذا والأمير عبد الوهاب يقول للأميرة إنى لاعجب أيتها الأميرة من عقبة كيف لعب بعقل هذا الرجل الجاهل وحسن له الكفر ونصره فلما ان سمع السمحاق من الامير هذا الكلام قال له والله أيها الامير انه دائما يقول لى أنا لابد لى ياولدى ما أرسلك إلى مكان تكون فيه دائما أبدا معظم القدر محتشم ولك عبيد وخدم وأهديك إلى الدين القويم والصراط المستقيم وأنا ما كنت آخذ كلامه فى بالى ولا كنت أعهد أن هذا الشيخ الكلب اللعين نصرانى ولا كنت أعرف ما اليه دعانى فقال الأمير اعلم يافتى انه يعبد الصليب ويشد الزنار ويكفر بالرحمن الحليم الستار وأنا ما حسرتى إلا أن يقع فى يدى لأجل ما أشتفى منه بعذابه وكنت أضيفه إلى هذه الماكرة عاقبة أخته فقال السمحاق يا مولاى اننى جاهل بهذه الديار كنت تبعته أبن سار وقدته قود الحمار فقال الأمير وأين هو الآن فقال يا مولاى لابد ما سار إلى بلاد الروم لانه دائما أبدا كان يقول لى يا ولدى ان ظفرت بهذه العساكر كان والا أخذتك وسرت إلى بلاد الروم وأفرجك على ملة النصرانية ونجلب منها العساكر القوية وأظنه أيها الأمير لما أن رآنى أخذت طلب

طلب النجاه لنفسه وأن الذى يعرف الطريق يقدر يلحقه ويأتى به فقال اللملمان أنا أمضى من ساعتى هذه وألحقه فقال أبو الموت وأنا رفيقك فقال السمحاق وأنا ثالثكما لعلى أن أقع به وألطمه على خده فقال الأمير افعلوا ما بدا لكم ثم أن الأمير أمرهم بالمسير فركبوا ثلاث جمال وسار أبو الموت أمامهم لأنه أخبر ببلاد الروم (قال) وكان اللعين عقبه من حين أخذ اللملمان السمحاق وحملت بنى كلاب على عساكر العراق وأبصر بنى سليم قد وقع بهم المحاق فعلم الملعون انهم ما بقوا يفلحوا أبدا فعندها ركب الملعون جوادا كان يسمى السحاب فشد عليه ثم أنه قبل ما بين عينيه وقال يا مصاب المطلوب منك أنك تنجو بى إلى بلاد الروم وتخلصنى من هذا الأمر المذموم حتى أننى أزيد لك فى العليق وأقبلك بين عينيك فى النهار عشرين طريق ثم أنه ركبه وسار طالب بلاد الكفار الى أن تضاحا عليه النهار وأمن على نفسه من الاخطار ونزل فى مرج واسع وفيه منابع وترك الجواد يرعى وقعد يحسب حساب الأعداء وصار يقول أنا ما أعلم أن ماينكسر الا عساكر العراق ربما سار الخليفة بنفسه واشتدت الفتن وهلكوا بعضهم بسيوف بعض وان شاء السيد المسيح يقتل هذا الأسود الزنيم وأنا غائب فى بلاد الروم وأنا أحوج الملك ارمانوس الى الركوب ليهلك ما يتبقى منهم ويحتوى على البلاد (قال الراوى) فبينما هو ويتحدث بهذا الكلام وإذا هو قد رأى ثلاثة أشباح وعنهم الغبار قد ارتفع ولاح فقال عقبه يا ترى هذا الثواب الذى عمله معى المسيح وايش هذا السواد المقبل ثم أنه صبر الى أن قرب وانكشف وقد حقق ماتحته وعرف فوجدهم ثلاث أشخاص منهم اللملمان والثانى السمحاق والثالث أبو الموت وهم قد أقبلوا تلك الأرض بالصياح والزعاق والجمال التى تحتهم كانها فى سيرها البرق فلما أن رأى إلى ذلك عقبه تار على حيله وكان فى فمه لقمة فأنفض بها وصار يقول كريا ليسون يا بركة دير الناقوس ثم أنه أتى إلى الجواد وأراد أن يركب فانزعج منه الجواد وهو قادم عليه بالسرعة فقام الجواد يجرى فخرج وراء عقبه مثل السهم فالتفت الجواد رآه وراءه فشال رجليه الجوز وحكمهم لصدر عقبه وأعطـــاه ألقاه على ففاه وولى وخلاه فثار عقبه وجرى وراءه وصار يقول هذا جزايا منك يا مال الحرام أقبل غرتك تجازينى برفصتك فما يكون لعقبه عند الجواد جواب الا منازلته بالجوز ولكن كل طاب أحسن من سته وما زال يرقعه اجواز ويقع ويعود يقوم ويتبعه إلى أن أدركته السودان وقالوا له إلى أين تذهب يا قرنان ونحن وراءك مثل العقبان فلما أن رأى عقبه إلى ذلك حل با الخيل وكان بالقرب منه جبل فصعد على ذلك الجبل وصار يلهث ويرتعد من الفزع فلما أن رأى اللملمان منه ذلك ترجل وصعد وراءه إلى الجبل وترجلوا بعدها أصحابه وطلعوا الجبل فصار

عقبه يدحرج عليهم الصخور والأحجار ويصرخ من خوفه منهم مثل صريخ الجمال وما زال يعدو وراءه إلى أن تعب وارتخت جميع أعضاءه فعندها قفز فى ذلك الوقت السمحاق ومد يده مسك الملعون من عرقوبه وجذبه وقع على وجهه وما زال يجره هكذا من عرقوبه والأحجار تكركب فى قواعة مخ قرعته من فوق الجبل إلى أسفل ثم انه لما بقى به تحت الجبل قال ابو الموت هاته يا اخى عنك فأخذه منه ثم أنه مسكه من أذرعته وشاله من فوق رأسه وضرب به الأرض ثم أنه ناولة للملمان فأخذه وحدفه فى الهوى وكان قد حدفه باليمين ولقفه باليد اليسرى (قال) وما كان للملعون دأب الاقراءة القرآن وذكر محمد سيد ولد عدنان فقال اللملمان لأبو الموت يا أخى ان الأمير أبو محمد قد ذكر ان هذا الرجل النصرانى يعبد الأصنام وها أنا أراه الساعه يقرأ القرآن فقال أبو الموت هذا كله محال ويعلم انكم بحالة جهال فيقول أخدعهم بالضلال عسى أنهم يرحمونى ويطلقونى فقال لهم السمحاق يا اخوان إن كان مسلم أو نصرانى مالنا به حاجة نحن ماسرنا الا فى حاجة الأمير نقضيها ولا بد لنا ان نوصل حاجته اليه يفعل بها مايشاء فقال عقبه ياولدى انت نسيت العهد الذى بينى وبينك ونحن فى داخل الدخله مع انى كنت السبب فى مجيئك الى ههنا فقال له السمحاق ياشيخ اعلم ان ما بقى لى فى نفسى حكم لأننى قد صرت عند اخوتى وبنى عمى وهم هؤلاء السودان أبناء جنسى وان خرجت عن طاعتهم فما أكون ولد حلال ثم انهم ركبوا الجمال وعولوا على العوده إلى مطيه وقد ركبوا عقبه على جمل أبو الموت على جوادعقبه ودارا بعقبه وساروا إلى أن أمسى المساء ونزلوا للراحة والمبيت وعقبه لا يفتر عن قراءة القرآن ولا ساعة واحدة ولما أن نزلوا واستقر بهم المقام قدموا بينهم الزاد وقدموا منه إلى عقبه ثم إنهم أطعموه وهو يقول والله يا قوم ما كان فى نيتى أن أفطر لعل الله ان يخلصنى من هذه الشدة فقال له اللملمان أنت تقول انك مسلم فمالك لما رأيتنا انهزمت منا فقال له عقبه والله ياولدى أنا ما انهزمت منكم إلا لما علمت انكم أتيتم من عند الأمير عبد الوهاب وهو عدوى من أيام الصبا وما وقعت به قط إلا وأضربه وأعذبه وما وقع بى هو الا وشرط بالعقوبة ويكسر نفسى وقلبى وكذلك الله سبحانه وتعالى كل قليل يجازيه بذنبى فقال أبو الموت يا ملعون أنت لمن تقول هذا المقال فهؤلاء ما يعرفوك وأنا الآخر أجهلك فقال اللملمان وأنا الآخر صرت أعرفه لأننى قد حملت أخته الملعونة من ديار مصر إلى غزه على أكتافى وأنا فى طول الطريق أعبث بها وما زالوا يتحادثون إلى أن هجم الظلام وصار السمحاق يحكى لهم على ما كان يقول له عقبه وهو واياه فى تلك الدخله ويخبرهم بما ترك فى ذلك البر من المال وما قتل فى تلك المغاور من الرجال وكيف كان يأخذ القوافل وحده هذا واللملمان يتعجب

وما قتل فى تلك المغاور من الرجال وكيف كان يأخذ القوافل وحده هذا واللملمان يتعجب من ذلك ثم قال له ياويلك وهذا الوصف الذى وصفته فى نفسك فأنا ما رأيت منه شىء فى الحرب لما ان بارزتك ولولا انى عثرت بالحجر لكنت بقوة زندى أخذتك فقال له السمحاق لا والله يا ابن الخاله أنا الذى كنت أظهر منك فى الصراع ولولا انك مسكت بيوضى ما كنت خلصت من يدى لأنى مثلك كثير قد لاقيت وافنيت ولا ابقيت ولا فيهم من رمانى قط على وجه الأرض فلما ان سمع اللملمان من السمحاق ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقامت عيناه فى ام راسه ثم انه قال له اراك تقول انك اقوى منى وافرس وانا قد قهرت سائر فرسان مصر وبيت المقدس وان كان مالك حجه إلا مسك معلاقك فقوم بنا الساعة نتصارع انا وانت حتى اننى الساعه افصل عظامك واوريك مقامى من مقامك (قال) فلما ان سمع عقبه من اللملمان ذلك الكلام بطل القراءة وعاد إلى المكر والرقاعة وقال للملمان والله انى كما ترى شيخ كبير وقد شاب راسى فى هذه المقادير حتى اننى صرت بها خبير واعلم اننى ما اقول هذا الكلام احتقار بك وانك لا تقوم مقامه ولا انت من رجالة وإنما انت رزقت عليــــه هذه السعادة ونفذت فيه المشيئة والارادة فان كنت فى شك من ذلك فقوم إليه الساعة عند خلو المكان حتى يبان من هو اقوى من صاحبه جنان (قال الراوى) ولما ان سمع اللملمان من عقبه ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وزاد غضبة وصاح فى عقبه أرعبه وقال له يا كلب إيش عرفك أنت بمكانة الشجعان فقال له السمحاق انى تغضب من كلام الحق والبيان فقم حتى اوريك حالك الآن (قال فقاما الاثنين عن الزاد وقلعوا ثيابهم وهدم كل واحد منهم صاحبه وهما مثل الأطواد كل هذا يجرى منهما وعقبه يحرضهما بالكلام ويقول الساعة يبان منكم البطل الهمام فى هذا الظلام ولا يبقى لأحد منكم حجة فى هذا المقام هذا يجرى وأبو الموت يتعوذ بالله عز وجل ويقول والله ماينفصل هذا الأمر الا بهلاك أحدهما فقال عقبه ماعليهما خوف أبداعهما حتى ننظر من هو أقوى

(قال) فلطمه أبو الموت لطمة على رأسه كاد أن يطير منه أضراسه وقال له ياملعون أنت الذى كنت السيب فى هذا البلاء (قال) فضربت اصداغ عقبه عليه وقال هذا جزاء من يقول الحق فى هذه الدنيا تصير الأصدقاء له اعداء (قال) ولم يزالوا هكذا حتى ظهر على اشداقهما الزبد وقد فاح صنانهما وعقد ومليا غيظا وحرد وعقبه صار يستغيث فى سره ويقول يامسيح انى أريد منك فى هذه النوبة الإجابة فى الدعاء وبك استنجد أهلكلى أحد الإثنين حى تهون على الأمور ولعل ان أجد الخلاص من هذا المحذور ثم انه جعل يقول لأبو الموت انظر

ياولدى كيف انك تصلح بين هولاء الإثنين وإلا هلك أحدهم وكان أبو الموت لايجسران يدنو منهم وهم على تلك الحالة لأنه قد عاين منهم الأهوال ولم يزالا على تلك الحالة حتى صار وقت السحر وما فيهما من قدر على الآخر وما رجعا حتى استرخت منهما المفاصل والركب وقد انفصلا بعد ما أيقنا بالعطب ودخل أبو الموت بينهما وشهد كل واحد منهما لصاحبه بالفروسية وبعد ذلك جلسوا يأكلون بقية زادهم وكان ذلك آخر الليل وبعد ذلك انطرح كل منهم مثل القتيل وذلك من شدة التعب والسهر وما حصلت رؤسهما الأرض حتى شخروا ونفخوا وقد نظر عقبه إلى ذلك فأيقن بالظفر وكان مطلوق اليدين والرجلين لأن هؤلاء الثلاثة يريدون لأنفسهم اقليمين وما فيهم من نام إلا وهو متكل على رفيقه فى الحرس لما ان غرقوا فى بحر المنام قام عقبة مثل الشيطان ثم انه سل سيف اللملمان ودنا من أبو الموت من خرقة قلبه ومال عليه ذبحه من أذنه إلى أذنه ثم أنه أقبل على السمحاق ففعل به كذلك فوجده قد انقلب إلى الجنب الآخر لما يريده الله تعالى من سلامته وتأخير أجله فلما نظر عقبة إلى ذلك فلم يبق له جنان ان يدنو منه ولا من اللملمان لأنه قال ما بعد الربح إلا الخسران وهذه نوبة ما كانت فى الحساب والصواب ان انجو بنفسى وإلا ان رجعت فى الهلاك ثم انه قطع رأس ابو الموت وتركها فى مخلاة الفرس وأتى إلى جواد ركبه وقال هذه الرأس أتحف بها الصالحه عاقبه إذا اجتمعت بها وتكون تتسلى بها ثم أنه سار طالب العراق وقد علم ان اللملمان والسمحاق اذا فاقوا من نومهم ورأوا الى أبو الموت مايقصدوا إلا إلى بلاد الروم على تلك الطريق التى قابلوه فيها (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من السمحاق واللملان فانهما ما أفاقا وانتبها حتى صار وقت الظهر ولما أن جلسا طلبا عقبة فلم يجدوه ونظر اللملان الى أبو الموت فرآه بدن بلا رأس فقال والله لقد ذبح النصيخ النحس أخانا أبو الموت وهرب فقوم بنا يا أخى حتى نركب ونجد خلفه فى الطلب والأجرد علينا والأمير عبد الوهاب وغضب فقال السمحاق والى اين ياأخى نقصد وأنا والله أجهل هذه الأرض فقال له نقصد إلى بلاد الروم فوالله ماله ملجأ الا اليها ثم أنهما ركبا وسارا يقلبان الأرض فى الطول والعرض ومازالوا الى أن بقى وقت العصر ثم رجعا من غير فائدة واللملان كان مراده لو وقع بعقبه حتى أنه كان يأكل من لحمه ويشرب من دمه وهو يقول السمحاق والله ياأخى لقد سلمنا من هذا الملعون سلامة ماأحد سلم مثلها لانه لو كان معه جسارة لكان فعل بنا مثل ما فعل بصاحبنا ونحن نيام فقال السمحاق والله ياأخى أنا ماصح عندى أنه نصرانى الا فى هذه الساعة وأنا ماكنت أشتهى إلا أن أقع به حتى انى كنت أريح منه المسلمون ثم أنهما عادا يطلبان ملطيه وهم على غاية من الحيا وذلك لأجل الأمير عبد الوهاب وكان وصولهم

عند الأمير وقت الصباح فوجدوه فى الميدان مع جماعة من الفرسان فلما أن رآهما الأمير عبد الوهاب هرول إلى نحوهما وقد التقا بهما وسلم عليهما ثم أنه سألهما عن حالهما فأخبره النلمان بجميع ماجرى ثم أنه قص عليه قصة اللعين عقبه فدق الأمير يد على يد من عظم ماقد جرى عليه عند سماع هذا الحديث وقد ترحم على أبو الموت وقد سمعوا بذلك السودان فبكوا عليه ثم إنهم قالوا مايرجع هذا الشيخ النحس يقع فى أيدينا إلا ونأكل لحمه ونشرب دمه ان كان عبد الوهاب يغضب علينا أو يرضى (قال الراوى) ومن شدة غضب الأمير عبد الوهاب بعث جماعة من السودان وعلى رأسهم السمحاق والنلمان وأرسلهم إلى بلاد الروم فساروا وما غابوا إلاقليل وعادوا ولم يقعوا لعقبة على خبر (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر ملطيه وأما ما كان من العساكر فانهم تموا يقطعون الأرض حتى وصل أولهم إلى بغداد وقد استأذن الأمير عمرو بن عبيد الله على الخليفة فى الدخول فأذن له فدخل عليه فانزعج الخليفة منه لما ان قبل الأرض بين يديه وقد شكى له جميع ماجرى عليه من أول الأمر إلى آخره وكيف قد أشرفوا على أخذ ملطية وقتل عبد الوهاب وكيف قدمت السودان وماجرى للسمحاق واللملان من القتال والنزال قال ولما أن سمع المعتصم ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وزاد قلقه وقوى من شدة الغيظ أرقه ثم أنه قال والله مابقى يتم لى أمر ولاخلافة ومثل هذا الرجل لى معاند ثم أنه قال لعمرو وأين الشيخ عقبه حتى نستشيره فى أمورنا فقال عمرو والله يامولاى ليس لى به علم غير أننا من حيث انكسر نا همينا على وجوهنا سائرين إلى هنا وما أظنه الا قد قتل أو يكون فى بعض الأماكن الخراب يتعبد فيها ويدعى على من ظلمه فقال المعتصم وحق أجدادى من بنى العباس لآخذ له حقه ممن ظلمه وأقابل عدوه بما يستحقة ثم أنه أمر الوزير أن يكتب إلى جميع البلاد ويجمع العساكر والأجناد وينفذ أيضا إلى أرض الحجاز ويطلب العساكر من العرب والفرسان قال ولما أن كان فى اليوم الثانى وإذا باللعين عقبه داخل عليه فلما أن رآه فرح وسأله الخليفة عمالاقاه فقال يا أمير المؤمنين فى هذه الدنيا راحة فوالله لو اننى علمت أن يجرى المسلمين هذا الأمر من المنافقين ما كنت تركتك ترسل العساكر لأنه قد مرق من دين الاسلام ومابقى لأحد عنده قدر ولا مقام فقال الخليفة وأين كانت غيبتك لما أن انكسرت العساكر حتى أنك قد أتيت من بعدهم فقال عقبه وكانى أنا أحضر وقت قتال أو انى أقدر ان أنظر إلى المسلمين وهم فى هذا الحال بل كنت جاعل إقامتى كلها فى جامع الرسول الذى على رأس الدروب وأنا يامولاى أصلى فيه وأدعو الله عز وجل أن يصلح شأن المسلمين

وأن يحقن دما المجاهدين فلما أن انكسروا هؤلاء بلغنى أنا الخبر بعد انكسارهم بيوم خففت أنا على نفسى فسرت فى أعقابهم وأنا حزين باكى على ماجرى وعلى أختى المرأة الصالحة الدينه فلما أن سمع الخليفة منه ذلك الخبر قال له لاتحزن فسوف أقطع منهم الأثر ولو كانت تضيع حرمتى أو أعزل من خلافتى واعلم انى من أمس قد كتبت إلى سائر البلاد وفى هذه الأيام ترد عليك العساكر والأجناد قال فبينما الخليفة مع الملعون عقبة فى ذلك الكلام وإذا بالحاجب قد دخل عليه وقال له يامولانا اعلم ان قد وصل الينا رسول من مدينة القسطنطونية من عند الملك أرمانوس ويريد الدخول إلى بين يديك قال فامر الخليفة باحضاره فاحضروا بطريق عظيم الخلقه ومعه عشره من القسوس والرهبان وقد أزالوها عليهم من الزنانير والصلبان قبل أن يدخلوا بهم الى الديوان ولما أن صاروا بحضرة الخليفة قبلوا الأرض بين يديه ثم تقدم البطريق المقدم وقال يامولانا ان الملك أرمانوس قد أنفذنى اليك على سبيل الشكوى ويسلم عليك ويقول لك أنه مايحمل الأموال ويرسلها إلى حضرة السلطان الا بشرط أن يكون جميع بلاده فى أمان على أن فى هذه الأيام قد دخلت الى بلادنا السودان وأخربوا الرستاق والعمران وقد سبوا أولادنا والنسوان وذبحوا القسوس والرهبان ونهبوا الأموال من عباد الصلبان وان الملك أرمانوس يقول لك ان كنتم مقيمين على الهدنه والعهد فخذ للروم حقهم وان كنتم قد نقضتم العهد فاعلموه حتى أنه يحفظ بلاده قال فلما سمع الخليفة من البطريق ذلك الكلام صار الضيائى وجهه ظلام وزاد به الغضب ثم أنه قال والله ماترك لنا عبد الوهاب رأس ننشال فكيف يكون العمل فيه فقال له الملعون عتبه يامولانا ان أردت أن نبلغ الآمال وتجازى ملك الروم على جميع الأحوال فاكتب اليه فى الكتاب أن الذى فعل هذه الفعال ماهو تحت طاعتى ولا هو من داخل حوزتى حتى أنك يامولانا تكون عنده معذور ثم أنك تقول له فى الكتاب يا أرمانوس ان أردت أن تأخذ حقك فاخرج الساعة وساعدنى على قلع أثر هؤلاء القوم فاذا قلعناهم من الثغور أخلفت عليكم كلما أخذوا من بلادك وبعد ذلك لك منى الآمان على سائر بلادك وعلى جميع عساكرك وأجنادك فان ما كان يرمى بينى وبينك إلا هذا الأسود الحجام وهذا الأمر يا أمير المؤمنين من تمام السعاده لأن ملك الروم اذا خرج يكون فى جميع عسكره وجنوده الرومية وانت الآخر تخرج بسائر الجيوش الاسلامية وقد انقطعت بنى كلاب بالكلية وتسلم إلى عمرو بن عبيد الله ملطيه وتضيف اليه من الأتراك طائفة قويه وقد أمنت أن يرجع أحد ينافق على الدولة العباسيه (قال

الراوى) ولما أن سمع الخليفة من عقبه ذلك الكلام رآه صواب ثم أنه كتب الى ملك الروم كتاب جواب الكتاب أو كتب له فيه أن ساعة وقوفك على مافيه تبرز الى الثغور فانني ملاقيك بالعساكر الاسلامية من جميع البلاد وآخذ لك حقك ممن أتو فى أرضك شيئاً من الفساد ولا أرجع الى العراق حتى أخذ هذا الذى قد بارزنى بالنقاق وأنى أريد أن تلتمس أخبار مسيرى حتى يكون قدومُنا الى ملطيه فى يوم واحد ثم أنه خلع على الرسول وعاد الرسول طالب بلاد الروم وبقى الخليفة قاعد منتظر قدوم العساكر فهذا ماكان من هؤلاء (وأماماكان) من الأمير عبدالوهاب فانه قد بعث الجاسوس الى بغداد ليكشف الأخبار قال فوصل اليه الجاسوس من بغداد وقد أعلمه بكل ماجرى قال فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب من الجاسوس ذلك الكلام وحققوه وقد عرفوا مافيه من الخطاب اطلعوا عليه السودان وبقية بنى كلاب ثم ان الأمير قال انا قد عولت ان ارسل بلاد الحجاز واجمع سائر العرب لأجل ما نلقا بها الروم لأننى ارى النوبة قد عظمت فقال له الللمان انت ماتحتاج الى ذلك ابدا فنحن نكفيك مؤنة كل من فى بلاد الروم فقال السمحاق ايها الأمير خلى عنك بذل المال وجمع الرجال فنحن كل من سبق الينا من العسكرين برزنا اليهم بجميع السودان ولا نبقى منهم انسان و نقوم بهم انا واخى الللمان قال فطاب قلب الأمير عبد الوهاب بهذا الخطاب وامر الجواسيس ان تأتيه بكل مايقعوا عليه من الأخبار (قال الراوى) واماما كان من كتاب الخليفة فانه وصل الى ملك الروم وتناوله بيده وفرده وقراه وتبنيه وتمعناه وفرح بمناه ثم قال وحق المسيح ما بقى على الخليفة ملام مادام انه سائر يقطع شاقة هذا الأسود الحجام وان هلك ملكنا جميع بلاد الاسلام ولا نبالى بعدها بعساكر الشام ولا العراق ونملك سائر البلاد والآكام ثم انه نادى فى العساكر بالرحيل ولم يكاتب أحد من الملوك ولم يسير فى عسكر ثقيل وقد برز فى عساكره لاغير لأنه قوى القلب بالخليفة ثم انه رحل من القسطنطينية فى مائه الف من عساكر الروم وسار يقطع الأرض طالب ملطيه ثم انه نزل بالعساكر فى مرج يقال له مرج الشعير وقد وصل خبره للامير واما الخليفة فانه بعد عودة الرسول الى ملك الروم اقام شهر كامل الى ان اجتمعت اليه سائر الجحافل ورحل فى اول الشهر الثانى وثم سار يقطع الأقطار وملك الروم يشطلع الى الأخبار ويحسب له المراحل فى القفار وما زال الخليفة حتى انه يقدم عليه قال وكان الخليفة وصل إلى آمد فى مائتين الف من الترك والعجم والاكراد والديلم وسار حتى انه وصل الى صحوات خرط برت وبلغه ان ملك الروم فى انتظاره ففرح بذلك

(قال الراوى) وكان الملعون عقبه معه يحسه على المسير لأنه قد صار هو المدير والمشير وانه لما ان سمع بقدوم ملك الروم فرح وايقن بخلاص عاقبه اخيه ثم انه قال مابقا لى الا أن آخذ بثار أولادى (قال الراوى) واغرب من ذلك ان اللعين عقبه أرى مناما وهو كانه قائم ببغداد وأولاده الذين ذبحهم لبطال قيام بين يديه وهم يقولون يا أبانا مالك قد نمت عن أخذ تارنا وقد نسيتنا وغلت عنا ولم تذكرنا وإنه قال لهم وحق مارى حنا ما أغفل عنكم يا أولادى ها أنا أرمى الفتن بين الموحدين إلى أن أهلكهم بتدبيرى فان عشت أفنيت الاسلام ثم أملأ الأرض من دين المسيح عليه السلام ولا أقر ولا أهدى حتى أننى أشرب بعدكم كاس الردا ولكن يا أولادى ماالذى قد لقيتم من المسيح صاحب الأحكام فقالوا ياأبانا راضى عنك وقد جعل منزلتك غالية فى الجنان مثل منزلة زراره العريان واننا نبشرك ياأبانا بشارة من السيد المسيح وهو انه يقول لك امضى الى عساكر الملك أرمانوس فانك تجد خصمك الذى ذبح أولادك الشهدا المسما بالبطال فى جملة القسوس وهو يريد أن يعمل على ابطال دين الناقوس فسير اليه واقبض عليه فقد دنا خروج روحه التى بين جنبيه (قال الراوى) ولما ان رأى الملعون فى منامه هذا الهذيان انتبه وهو فرحان ثم انه أقام طول نهاره فى وسواس وقد زاد يقينه فى دين النصرانيه وما علم انها تخيلات شيطانيه وماصدق ان النهار يأتى والليل يمضى حتى انه خرج هائم على وجهه من عسكر المسلمين قاصد عسكر الروم وقد ايقن فى نفسه شيخ الضلال على هلاك أبو محمد البطال وهو يحدث نفسه بالمحال ويقول مابقى عندى شك فى وصف المسيح ولا فى محبته لى من دون عباده وأنا الآخر مابقيت أظفر بأحد من المسلمين إلا وآقتله لعلى ان أظفر عند المسيح بما ظفروا به أولادى أو أنال مانالوا من درج المعالى ومن فى الدنيا يحصل مرتبة زراره

(قال الراوى) ثم ان عقبة لم يزل سائر إلى ان عبر على ملطيه وكان عبوره عليها ليلا ثم انه حاد عنها وسار إلى مرج الشعير وكان قد اطمأنت نفسه واشرف على المرج وقد فرح بوصوله وصحة المنام ومن شدة ماحصل عنده من الفرح انشد وقال:

نلت المنا وبلغت كل مرادى ... من فضل مولانا المسيح الهادى
قد كنت مقروح الفؤاد محسراً ... حتى رايت جماعة الأولادى
نالوا من المجد الرفيع لأجل ما ... عبدوا الصليب وجاهدوا كجهادى
وغداير البطال أفعالى به ... ويصلبه ويشفى غليل فؤادى

وأقول ياشيطان هاأنا عقبة ومن المسيح أتيت بالإرشادى

(قال الراوى) ولما ان فرغ عقبة من شعره والنظام وتذكر ذلك المنام وجعل يتكلم بكلام كل شيطان مريد وينوى لكل مؤمن على التنكيد وإذا قد قبض على حبال رقبته كف شديد كأنه خرط من حديد أو نحت من بعض الجلاميد وكبس على رقبته حتى خرجت مقل عينيه على كراسى خديه وقد كاد ان يقضى عليه ثم انه لين يده عليه قليل فصاح بصوت ضعيف ثم ان الذى قبض عليه بعدما نفس له قال له إلى أين يازنديق سائر فى هذه الطريق فالتفت عقبة اليه وهو لهفان وتبينه وإذا هو السمحاق وبصحبته اللملمان فنشف ريق عقبة وتعلقت منه الخصيان وقال آه ومصيبتاه من هذا الاتفاق المنشوم والله لقد كان طلوعى من عسكر الخليفة فى طالع مذموم وما أقعد حتى إنى أفصح وأتحودق وأنشد أبيات وأطرب يانا والله ضربة دم سخنه فقال له اللملمان ويلك ياقرنان وأين أخينا أبو الموت الذى قد ذبحته وطلبت النجاة ابشر الآن يالعين بالموت ثم ان اللملمان أخذ بيده وحدفه فى الهوى وأراد ان يلقاه فتقدم له السمحاق ولقفه من الهوى وحدفه فى الهوى فتقدم اليه اللملمان لقفه ولم يزالوا يلعبوا به إلى أن غابت روحه وكاد ان يسكن ضريحه وصار يقول فى لعنكم المسيح ياأولادى كما أتيتمونى فى المنام وأرميتمونى فى هذه الأمور العظام ومن أنتم ياملاعين ياولاد الكلب حتى يكون لكم عند المسيح هذا المقام وما دام ان هذه من بشارتكم فما أنتم إلا فى العذاب الشديد والمقت والتنكيد وأنا اعلم ان ماأتاكم وخلاكم جئتونى فى المنام الا شيطان مريد حتى انه ساقنى إلى هؤلاء السودان العبيد وتركهم يصفونى الصفع الشديد

(قال الراوى) وكان السبب فى مجىء السمحاق واللملمان وذاك انها لما ان قدمت العساكر الرومية ونزلوا بالقرب من ملطيه ثم وصل الخبر الى الأمير عبد الوهاب فجمع الأمراء وشاورهم فيما يفعل فقال اللملمان الرأى عندى أن أسير انا والسمحاق وجميع السودان ويكون معنا بعض بنى كلاب الفرسان الأنجاب ثم اننا نكمن لعبدة الصلبان عند رأس الدروب قريب من وادى الأقحوان فاذا وصلوا الينا خرجنا اليهم مثل العقبان وطلبنا النصر من الكريم الديان وتكون أنت فى ملطيه تحفظها إذا قدمت عليك عساكر السلطان ونحن بإذن الله تعالى نكفيك مؤنة الروم وعبدة الصلبان ولا نترك منهم بعون الله تعالى إنسان فقال لهم الأمير افعلوا مابدا لكم أنجح الله أعمالكم ويصلح أحوالكم فعند ذلك أخذت السودان أهبتها إلى الليل وسارت فى أوائلها السمحاق واللملمان وكل منهم مثل الأسد الغضبان ومعهم خمسة آلاف من بنى كلاب الشجعان واثنى عشر الف من أبناء السودان

وساروا ولم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين إلى وقت السحر وإذا هم قريب من مرج الأتحوان فلما ان صاروا فيه أكمنوا فى ناحية من نواحيه ثم انهم أقاموا مكمنين مقدار ثلاثة أيام فما سمعوا خبر عن عساكر اللئام فقال لهم اللملمان اعلموا يا إخوان اننا لم نرى أحدا من عساكر الروم وما نعلم ما الذى قد أقامهم وأبطالهم فى مرج الشعير وما أقول الا انهم منتظرين عساكر الخليفة ونزولها إلى ملطيه فقال السمحاق قم بنا يا أخى يا لملمان حتى أسير أنا وأنت ونشرف على العساكر وننظر ما حالهم فان كان لنا فى كبستهم طمع فدعنا نكبسهم الليلة غد فقال له اللملمان افعل ما بدالك ثم انهم شدوا وساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن قربوا من الروم وما بقى إلا أشرافهم على العسكر قال وإذا هم بعقبه قد لاح فى خندس الظلام وهو سائر إلى عسكر الروم وهو ينشد ويطرب فقبضوا عليه كما ذكرنا ولما ان بقى فى ايديهم قال لهم ما الذى عولتم ان تفعلوه قالوا له نأخذك ونسير إلى الأمير عبد الوهاب فانه اليك مشتاق ولا يصدق انه يراك فقال عقبه يا أولادى وانتم إيش يفيدكم من هذا اطلقونى انتم وازرعوا جميل وانا اعطى كل واحد منكم عشرة آلاف دينار واجعلوا انكم ما رايتونى ولا رأيتكم فقال اللملمان يا ملعون يا قرنان وانت مين بقى ينطلى عليه نفاقك بعد فعلك هذه الفعال وقتلك ابو الموت الفتى الريبال ثم انه سار به عاجلا إلى السودان بعد ما اشرفوا على عساكر الروم ونظروها نازلة على حالها وما عليها همة وحيل ولما ان اقبل عقبة على السودان كان ذلك اليوم عليهم عيد ومهرجان وأخذتك يا شيخ عقبة ضيانة الصفع من كل جانب ومكان وبعد ذلك لما اشرف على الدمار سلموه إلى اسود يقال له دينار وقالوا له سير بهذا اللعين إلى ملطيه وسلمه إلى الأمير عبد الوهاب ثم انه بعد ذلك حدث جماعة السودان بأمر عساكر الروم وما هم عليه من الكثرة وانا نريد الليلة نكبسهم إذا انسدل الظلام فلعل الله سبحانه وتعالى ان ينصرنا عليهم وان يظفرنا بهم فقالوا السودان وبنى كلاب لما ان سمعوا من اللملمان ذلك الكلام قالوا له ها نحن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك فافعل ما تشتهى وتريد تجدنا لك أطوع من العبيد قال وكانوا السودان اثنى عشر الف وبنى كلاب خمسة آلاف قال فأقام بهم اللملمان إلى وقت المغيب ثم انه خرج بهم من الكمين وساروا فما تنصف الليل عليهم إلا وهم على عساكر الكفار ثم نظروا وإذا بالنيران تضرم على أبواب خيام الروم وهم غارقين فى لذة ما هم فيه من السكر والإنس والمقام وتميز اللملمان فرأى النيران عاليه فقال فى نفسه لاشك هذه النيران للملكهم أرمانوس ولاشك انها على باب السرادق الذى له فاحملوا ولا يكون لكم قصد الا هى ثم انه أخذ السمحاق إلى جانبه ورتب جماعة السودان فى كل جانب ومكان ثم انهم حملوا حملة رجل واحد وصرخوا وقصدوا الخيام وهم ينادوا الله

أكبر إلى أين تذهبون يا كلاب الروم من حزب الحى القيوم ثم انهم تجاوبوا وقد ذكروا فى ذلك الوقت أنسابهم ونادوا يا آل كلاب يا آل حام يالون الظلام فعندها انتبهت النيام واتبهت النيام وذلك الوقت زاد القتام من الغبار وغابت النجوم وطارت الرءوس من على الجسوم ثم ان السودان هجمت إلى الخيام والبطارقة فيها نيام فما كان البطريق منهم يلحق يتور من منامه هذا وقد عمل فيهم الحسام وهم نيام وقد تار الملك ارمانوس من منامه وقد انجزع من شدة الفزع وخفق فؤاده وانصدع وطار رقاده من كثرة ماقد عاين من تلك الصرخات والزعقات ورنين السيوف المشرفيات والسودان على ظهور الخيول مثل الغربان وكان الرومى منهم يكون قاعد سكران أو نايم نعسان مايشعر إلا وقطعة سواد قدر الجبل اللطيف قدامه وصرخة مزعجة تقع ثم ان الأسود منهم يضربه بالسيف تارة يقسمه نصفين وتارة يرمى رأسه وتارة يقطعه كل قطعة قدر فص العدسة ويخليه كوم لحم اغرض الكفته ويتركه ويمضى إلى غيره هذا وقد أسبل عليهم الليل ذيل الدجا ولم يزالوا هكذا إلى وقت السحر وقد وقعت اللعنة على من طغى وكفر ثم انهم خرجوا من الخيام وطلبوا طريق القسطنطونية والسودان والعرب يصيحون فى أعقابهم ويضربون بالسيف فى رقابهم وأما اللملمان فانه وصل إلى الملك ارمانوس وهو فى ظلام الليل الغلموس وهم ان يضربه بالحسام وهو يظنه بطريق من جملة البطارقة اللئام فصاح عليه لاتفعل أيها البطل وتأنى فى أمرك ولا تعجل أنا ملك الروم فلما ان عرفه اللملمان منع عنه ضربة الحسام اليمان ومال عليه أخذه أسير منهان وقاده ذليل حيران وما أصبح الصباح حتى صارت جميع أموالهم وأثقالهم وخيامهم فى أيدى السودان وأما فرسانهم فان أكثرها صار ممدد فى عرضات القيعان

(قال الراوى) وبعدها أقام اللملمان والسودان وجماعة العربان ذلك اليوم حتى أخذوا لهم راحة وبعدها ساقوا جميع الغنائم وطلبوا ملطيه ولما أن قربوا منها كان الأمير عبد الوهاب سمع الخبر فخرج إلى لقاهم وقد رأى إلى ما معهم من الأموال ورؤوس البطارقه على رماح السودان فشكرهم وأثنى عليهم وحمد الله الواحد المنان على ما أنعم به من جزيل الاحسان والفضل والامتنان ثم انه سألهم كيف كان الحال فأخبره اللملمان بما جرى وما كان ثم أنه بعد ذلك قال للأمير عبد الوهاب بالله أيها الأمير مافعلت بعقبه المرتاب فقال الأمير أنه عندى فى أرقى طبقات العذاب ثم أنهم دخلوا إلى ملطيه بتلك الأموال والغنائم التى لاتحصى وقد أقاموا بعدها على غاية من الفرح والحظ الزائد إلى أن كان وقت الظهر وإذا قد أشرفت عساكر العراق وقد ملأت بكثرتها جميع الآفاق وضاق بها الرستاق وأقبلت

جنبات الأرض من كثرة الصياح والزعاق وقد انفرشت تلك المواكب والجيوش حتى نفرت من كثرتها الوحوش وصار الناظر من هو لها مدهوش والجبان أرتعب وصار مرعوش ثم أنها نزلت من حول البلد وقد طبقت جميع الجوانب من كثرة العدد وتتابع المدد هذا وبعدها أقبل الموكب الأكبر الذى للمعتصم وهو بالاعلام والرايات العباسية والقراء والوزراء وأرباب الدولة وغلمان الدار وعليهم السكينه والوقار ولم يزل الخليفة سائر إلى أن نزل فى السرداق ودخلت إليه أرباب الدوله واستقربهم الجلوس ووصل اليهم خبر كسرة الملك ارمانوس لخار الخليفه من ذلك ثم قال يا قوم وكيف كانت هذه القضية ومن هو الذى قد كسر عسكر الروم فقالوا له قد كسره الللمان لأنه قد سار إليه فى عشرين ألف من بنى كلاب والسودان الانجاب وقد كبسهم فى مرج الشعير فى دياجى خندس الظلام وما ترك منهم لاشيخ ولا غلام (قال الراوى) ولما ان سمع المعتصم ذلك الكلام انكسرت همته ثم قال والله ما عبد الوهاب إلا رجل مسعود وكل من التجأ إليه نال من سعادته المقصود فقال جوهر الخادم يامولانا ألم أقل لك ألف مره أنه رجل خالص النيه حسن الطويه وان من حسن نيته لايقدر أحدا على أذيته ولامضرته ويا أمير المؤمنين من الرأى الصواب إنك ترسل إليه وتطيب قلبه فانه لايضيع معه الإحسان (قال) فلم يلتفت الخليفه إلى مقاله بل أعرض عنه وقال والله اننا ماعملنا مع الملك ارمانوس خير لاننا ما أخرجناه من بلاده إلا لفضيحته وأسره وهلاك عساكره وأجناده وأنا قدعولت على حصار ملطيه وأريد منكم الرأى والتدبير فى مثل هذا الأمر العسير ولكن على بعقبه فانه ثابت الرأى ولنا أيام مارأيناه ولا نظرناه لأنه قد صار ممتحن بالعباده فاشغلته عنا ولا بقى يلتفت الينا إذا لم نطلبه ونفتش عليه (قال) ثم ان الغلمان مضوا ودوروا عليه فى جميع المضارب والخيام فما وقعوا له على خبر ولاجلية أثر فعادوا إلى الخليفه وقالوا ماوجدناه فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال لقد سرقوه هؤلاء القوم فياترى كيف أخذوه وسط هذه العساكر وكيف أنه قد حصل فى أيديهم (قال) فبينما هو فى هذا الكلام وإذا بالجاسوس قد دخل وقبل الأرض وقال يامولانا ياأمير المؤمنين اعلم ان عقبه فى ملطيه وقد قبضوا عليه وأقرنوه إلى أخته عاقبه وهم يعاقبوا الاثنين فى كل صباح ومساء (قال الراوى) ولما ان سمع الخليفة ذلك الكلام زاد به الحنق وقال والله إن سرقتهم لعقبه من أكبر العجب بعد فقد البطال وقد كنا نحن نظلم البطال ونقول ان كلما يجرى علينا منه وها هو الآن غائب وقد جرت علينا هذه المصائب فقالوا أرباب الدوله يامولانا أعلم ان

كل من كان عند عبد الوهاب مثل البطال وأعظم منه احتيال (قال) فبقى الخليفه حائر لايدرى مايفعل ثم انه أمر أصحابه ان يرجعوا ولا يقاتلوا ثم انه أرسل إلى عبدالوهاب رسول يقول له أريد أن تسلموا إلينا الشيخ عقبهالذى قد سرقتوه ثم تسلموا إلينا أخته الصالحه عاقبه وبعد ذلك يخرجوا من هذه البلد فمالى بخدمتكم من حاجة وان لم تفعلوا ذلك وإلا فها أنا مقيم عليكم إلى ان آخذكم عن بكرة أبيكم ثم أصلبكم على البلد ولا أبقى منكم أحد (قال) فلما ان وصل رسول الخليفة بهذه الرسالة إلى ملطيه (قال الراوى) وكان الأمير عبدالوهاب قد أحضر فى ذلك الوقت عقبهثم انه مدهما وضربهما حتى انهما أشرفا على الهلاك والعماء ثم أنه قال للسودان دونكم وهذا الملعون خذوا منه بثأركم وثار أخوكم أبو الموت واضربوه وعذبوه (قال الراوى) وفى ذلك الوقت وصل رسول الخليفة وبلغه هذه الرسالة وأعاد عليه ما حمله من المقالة فقال الأمير عبد الوهاب والله ما بقى الخليفة يراه أبدا لانى أريد ان أنجز فيه الوعد الذى أوعدنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أدركنى بعدها الحمام فيكون قد تفسر المنام وقد صدق قولى عند جميع الانام وأما قوله اننا قد سرقناه من عسكر الاسلام فهذا محال وحق الملك المتعال ما أخذه اللمنمان إلا وهو قاصد عساكر الصلبان فقال له رسول الخليفة أيها الأمير الآن قد كان ماكانوالرأى ان تسلمهإلى الخليفة ولا تقصد معه اللجاج ولا العناد فقد أقسم انهلايرجع حتى انه يأخذكم عن بكرة أبيكم (قال) فلما ان سمع ذلك الكلام السمحاق وثب اليه وقطب فى وجهه وهم ان يقتله فمنعه الأمير عبد الوهاب من ذلك وقال امضى إلى من أرسلك قبل ان تعدم وتهلك (قال) فمضى الرسول من عند الأمير ولم يعلم ان كانت رقبته على حالها أو وقعت قال وقد طلب النجاه من بين أيديهم قال وعند ذهابه حانت منه التفاته فنظر إلى عقبه وأخته عاقبه وهما فى حالة شنيعة لايستطيع الإنسان أن ينظر إليهما من كثرة ما عليهم من الخزى والعذاب (قال) فتركهم وسار إلى أن وصل إلى الخليفة وأخبره بتلك الحالة فاستولى عليه الغضب وحل به الصخب وقد حار فى أمره وكيف يصنع (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما ان أظلم الظلام جمع جميع أصحابه ثم أنه ذكر لهم غيبة البطال وأظهر الندم على فقده ثم أنه قال والله إننا قد عدمناه وعدمنا رأيه وتدبيره فلو أنه كان حاضر فى هذه النوبه لكان دبرها بمعرفته ورأيه ولاكان أحوجنا اننا نضرب فى وجه الخليفة بالسيف فقال له واحد من جملة السودان والله أيها الأمير ما أظن ان البطال ما طرح نفسه فى اللصوصية إلا وهو جبان (قال) وكان الذى تكلم بهذا الكلام اللملمان ثم

أنه قال أنا أصبر منه على ملاقاة الأهوال وعلى كل حال لانني أنا لص وإن وقعت على ألفين أحميت روحي منهم فان كنت أنت تكره قتال المسلمين فأنا الليله أوريك ما أفعل بأمير المؤمنين فقال الأمير عبد الوهاب إن كنت تقدر على شيء فافعله لعل أن تكون لنا معين فقال السمحاق يا أخي يا الملمان قال نعم قال له انت اذ مضيت إلى أمر تحتاج فيه إلى معين فخذني معك لأجل ماتبقى انت تسرق وأنا احمل وان وقعت في رجال فدعني أنا لهم فقال له الملمان شد عليك يا اخي ثم انهما تأهبا وخرجا وقصدا إلى سرادق الخليفه وإذا من حوله خمسمائة تركي بالقسي والنبال فقال السمحاق يا اخي لاتخاطر بنفسك وارجع بنا إلى البلد من قبل أن يفطن بنا أحد فقال له الملمان أقف أنت يا أخي ههنا حتى انني اسير انا وأفعل ماريد ثم انه تركه وسار وماغاب غير ساعة وعاد ومعه شيء محمول في دراج من الديباج ملفوف فيه (قال) وكان هذا الخليفة المعتصم لأن الملمان لما ان سار تخطا الاتراك واتى وراء السرادق ثم انه قطع بعض الاطناب وخطا دخل فراى الخليفة نائم وحده فجلس عند راسه وقبض على يديه والقمه الاكره وشده كتاف ثم انه لفه في ذلك الدراج الذي من الديباج وخرج به ومازال إلى ان اتى به إلى السمحاق وقد ستر عليه الملك الخلاق ثم قال له سير فقد اخذت لك المعتصم فقال هاته عنك وسير انت قدامي فناوله إياه وسار قدامه في غسق الظلام وفي يد كل واحد منهم حسام فلما أن صاروا في اطراف الخيام وقعوا بأقوام غرباء من ارض الحجاز فنظره واحد منهم فصاح ادركوا اللصوص الحراميه فضربه الملمان على كتفه هدله وصاح آخر فضربه طير معلقة بقه فثاروا العرب وصاحوا عفاريت عفاريت وصاروا ايجروا خوفا منهم فمازال السمحاق والملمان وراهم وكل من ادركوه اخذوا روحه إلى ان اهلكوا منهم جماعة وساروا بعد ذلك إلى ان وصلوا إلى الأمير عبد الوهاب قال لهم مامعكم فحطوا ذلك الدراج ثم انهم فتحوه واخرجوا منه الخليفة وقالوا هذا الذي اتينا به (قال) فلما ان نظر الأمير عبد الوهاب إلى الخليفة ووقعت عينيه عليه قام قائما على قدميه وقال السلام عليكم ورحمة الله يا امير المؤمنين ثم انه قبل الأرض بين يديه وقال له اعلم اننا مادبرنا هذا التدبير إلا حتى نزيل عن قلبك مافيه من كلام العدا المبغضين ولا يدخل عليك كلام المنافقين ونحن لك في جميع الأمور طائعين ثم انه اخلى له دار ونقل اليه كلما يحتاج من الفرش المناسب وغيره من آلة الزاد ثم انه حل كتافه واطلق اطرافه واقام عليه التوكل من السودان وباتوا تلك الليلة وهم افرح الخلق (قال) ولما ان اصبح الصباح فلم يروا الناس للخليفة أثر ولا احد وقع له على خبر فماجوا واضطربوا وارادوا الهروب خوفا من العطب وكان الأمير لما ان اصبح الصباح جمع اصحابه وقال لهم على ماذا عولتم قالوا على الخروج إلى الاعداء ونرمي أرواحنا

عليهم بعد عدم الخليفه فقال الامير عبد الوهاب ماهذا راى صواب لانهم على كل حال مسلمين والخروج إليهم ماهو من المصلحة فقالوا وما يكون الراى اننا نأمرهم بالرحيل فان رحلوا كان بها والا قلدناهم البغى ثم ندافع عن انفسنا ثم خرجوا بنى كلاب وقدقدم الململمان ومعه السمحاق على المقدمه فلما ان صاروا برا الصور نادوا إلى عسكر الخليفة وقالوا لهم يا قوم عمن تقاتلون وهذا الخليفة عندنا هو وعقبه وملك الروم والصواب انكم ترحلوا والا قلدناكم البغى وأطلقنا فيكم السيوف ولا نبقى منكم كبير ولا صغير (قال) فلما ان سمعت عساكر العراق عولت على الهرب والانطلاق وإذاقدخرج من بينهم فارس طويل الساعدين بسيط الكفين ضارب لثام مضيق نقاب كانه قطعة حديد او شيطان مريد متدرع بالزرد النضيد وهو كالبرج المشيد فلما أن صار بين الصفين واشتهر بين الفريقين نادى ياويلكم كيف تهرب وتترك الإمام معكم أسير ولا تخلصه من أيديكم دونكم والبرازحتى أنكم تروا أفعال أهل الحجاز (قال الراوى) وكان هذا الشيطان من أطراف بلاد اليمن وقد شتت العرب عن المناهل والمنازل وكان لمجيئه إلى هذه الديار سبب عجيب وأمر غريب وكان قد عشق جارية من أصحاب المنازل والرتب وكانت ذات عقل وأدب وهى جميلة من دون أولاد العرب فخطبها من أبيها وكانت البنت مشغوفه بابن عمها وكان ابن عمها جميل الوجه والذات حسن العقل والصفات فلما أن خطبها هذا الرجل وكان يقال له عاصف ابن رعد وكانت أوقدت ابن عمها لهيب النار فدخل على أبيها باكيا فقال له يا ولدى لاتبكى فوالله لااخترت غيرك أحد إلا أنى غلبت عن ذلك لأن هذا الشيطان قد تعرض بابنتى ومالنا إلى الخلاص من سبيل إلا إن كان بأحد الأمرين أما أن أسلمها اليه اعمل على هلاكه فقال الغلام ياعم أنا من هذا فزعان ثم إنه عاد إلى ابنة عمه فدخل عليها ودموعه تجرى على خدبه فقالت له ما الذى قد أبكاك يا ابن العم فأعاد عليها القصة وذكر لها ما جرى فقالت له الامر أقرب من ذلك ولا بد أن أبى يشاورنى فى امر الزواج فما اختار عليك احد فقال لها ياابنة العم هذا الذى بلينا به لايندفع وإننا نغلب فيه فقالت له ومن هو الذى يغلب علينا فقال لها هذا الملعون عاصف ابن رعد فقالت له وفى كم يكون هذا من الفرسان حتى انه يأخذنى بالقهر والغلبة فقال لها وما هو إلا وحده ولكنه فارس لايطاق وعلقم مر المزاق فقالت له وما فيك ان تلقاه فقال لها لاوذمة العرب ولا عشرة مثلى ولكننى إذا رأيته قد صمم على اخذكى لابد ان اخرج اليه واخاطر معه بروحى من اجلكى ولا اتركه يظفر بكى إلا وانا من جملة الأموات (قال) فلما ان سمعت منه ذلك الكلام قالت له ياابن عمى لاتقتل انت نفسك فاذا جد الطلب وعلمت انا ان مابقى لى من يديه خلاص ضربت روحى

بسيف قاطع وقد انقطعت منى المطالب وانا وانت نجتمع فى عرصات القيامة (قال) فبكى الغلام من قولها وبلغ هذا الكلام الى أمها فزاد همها وغمها وقداج عاصف فى طلبها وصاروا يداغعوه من وقت إلى وقت آخر الى ان زاد الأمر وجد الطلب ووصل اليهم منه الشر فصاروا هاربين منه فى البرارى والقفار وقد هلك أكثرهم وأخذ اموالهم فقالت العرب لابيها ان جميله كانت علينا غير مباركه ذهبت اموالنا وهلكت رجالنا وساءت أحوالنا وان لم تزوجها لعاصف وإلا مايترك لنا سارحه ولا رايحه ومانى الأمر إلا أن نأخذها منك غصبا ونسلها اليه (قال) ولما أن سمع ذلك أبيها صبر إلى أن أظلم الظلام وأخذها ومضى بها فى الليل هو وغلمانه وعبيده يقطعون الأرض إلى أن وصلوا إلى الكوفه وأما عاصف بن رعد فانه قد وقعت فى قلبه النار عند ماسمع برحيل القوم إلا أنه قال وأين يكون لهم مذهب وأنا وراهم فى الطلب ثم انه أخذ أخبارهم من بادية العرب فأخبروه إنهم فى الكوفه وان الغلام تزوج بالجاريه ودخل عليها فعظم ذلك عليه ثم إنه قال لا بدلى منها ولو غاصت تحت الثرى ثم إنه سار فى فيافى القفار وقد قوى قلبه سلطان الهوى وما زال إلى أن وصل إلى أرض الكوفه فوصل الخبر الى بغداد وطرح نفسه على وزير الخليفة وشكى اليه حاله وأخبره كيف أنهم ارتحلوا عن ديارهم وخلفوا أكثر أموالهم وقد طلبوا ستر عورتهم وصيانة نفوسهم فقال لهم الوزير لكم الأمان (قال) ثم اتفق فى تلك المدة مسير الخليفه الى الأمير عبد الوهاب وجرت هذه الأمور والأسباب وقد وصل عاصف الى بغداد وفى نيته أخذ الجاريه إلا أنه رأى إلى الناس سائرين مع الخليفة إلى لقاء الأمير عبد الوهاب وبلغه الخبر انه عصى على الخليفة فقال عاصف كيف ما يكون سلطان الدنيا وله غلام يعصى عليه حتى سار اليه فى هذه العساكر ومن هو عبد الوهاب حتى علت عليه المرتبه فقالوا له العرب اعلم أيها الأمير أن هذا الرجل قد أباد الفرسان وأهلك عبدة الصلبان فقال عاصف وقد أخذته الحميه أنا أضمن إلى أمير المؤمنين تسليم هذا الرجل اليه ويكون هو وكل من معه أتركهم أسارى بين يديه وما أريد منه إلا أن يسلم إلى مكانه (قال) وقد اشتغل عاصف بهذا الامر عن حب الجاريه وذلك من شدة حسده للأمير عبد الوهاب على شجاعته وبراعته لأن الشجاع إذا سمع بالشجاع يحب أن يبرز اليه ويجرب روحه معه ولاجل هذا قد التهب فؤاد عاصف بالنار وذلك لما أن سمع عن عبدالوهاب هذه الاخبار لأنه كان يظن أن مافى الأرض من يقاومه (قال) ثم انه لحق عسكر الخليفة وكان دخوله عليه فى الليله التى سرق فيها المعتصم وكان قد ضمن له أخذ جميع الفرسان الذى للامير عبدالوهاب فلما أن سمع منه الخليفة ذلك أخلع عليه وأعطاه أجزل عطيه ثم أوعده بالجميل وفى تلك الليله قال الأمير عبدالوهاب

ماقاله ونعل اللملمان ما نعل من سرقة الخليفة ثم انهم أصبحوا كما ذكرناو خرجوا من ملطيه ونادى اللملمان بذلك النداء وعولت الناس على الهروب وخرج عاصف وثبت الخلق ونادى ياأسود قد تعديت طورك وتجاوزت قدرك اليوم تذوق طعم الحمام فى هذا المقام بتجريئك على الإمام ياابن العبيد اللئام ثم أنه صاح بجواده نخرج من تحته أسرع من البرق وكان من أفخر الخيل الملاح يسبق فى سيره هبوب الرياح له غرة كأنها مصباح تضيق عنه البطاح ويقطع الأماكن الفساح وعلى بدنه درع قوى اللجام طويل الأكمام حسن النظام لا تعمل فيه المرهفات ولا تنفذ فيه سهام الآفات صاحبه فى حصن حصين أو فى مكان أمين وفى يده حسام حاد الشفار قوى المسمار ويطير من حديه شرار النار وهو على الجواد كأنه من بقايا قوم عاد وقد جال وصال وأنشد وقال

أنا عاصف فى الحرب كالريح عاصف ... ترانى لأرواح الضراغم خاطف
فدونك يانسل الزنا تلتق فارسا ... شجاعا كميا ليس فى الحرب خائف
له صولة يوم الهياج ونخوة ... يظل لها القرن الغضنفر راجف
برد سيوف الهند فى حومة الوغا ... مفللة فى حدها الدم واكف
أنا ناصر السلطان راغم عبده ... واقتل من أضحى عليه مخالف

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره أراد اللملمان أن يخرج اليه وقد اشتد غضبه عليه وإذا بفارس قد سبق اليه وكان ذلك الفارس من بنى كلاب فما لحق ان يقاربه حتى ان عاصف طعنه فى صدره أخرج رأس السنان يلمع من خرزة ظهره نخرج اليه ثانى فقتله وثالث جندله وأراد اللملمان ان يخرج اليه وإذا بفارس قد ظهر كأنه جبل من بعض الجبال ومن تحته جمل من بزل الجمال فتأمله اللملمان وإذا هو السمحاق فارس العراق خرج وهو ينشد ويقول :

أنا السمحاق كالأسد الهصورى ... وطعنى فى الصدور وفى النحورى
أجول على الأسود ولا أبالى ... وأحمل فى الصفوف على بعيرى
وأنصر للأمير بغير رعب ... ولا أخشى من الجمع الكثيرى

(قال الراوى) ولما ان رآه عاصف حمل وكان قد نظره بعين معرفته فعلم انه فارس شديد البأس قوى المراس فصاح بجواده ورجع إلى وراءه وقد أظهر الفزع من القتال فتبعه السمحاق وصار له طالب وما زال وراءه إلى أن قرب من عسكر الخليفة فلما ان رآه عاصف عاد اليه أسرع من البرق الخاطف فرآه السمحاق وقد أدركه وفاجأه بالسنان فعلم انه يريدان يطعنه فأراد ان يحترز على نفسه منه فسبقه عاصف بالطعنة فجاءت فى نحره خرج

السنان من نقرة قفاه فوقع عند ذلك السمحاق من على ظهر البعير صريع عفيرا كأنه طود من الأطواد وقد ماجت العساكر الذين للأمير عبد الوهاب هذا وعاصف أعجبه ما قد فعله وكل أحد من فروسيته قد انذهل وصار عاصف يجول ويصول ويسأل البراز فخرج اليه اللملمان وقد عاد لونه أبيض هو يقول ما كان هذا لنا فى حساب فسبحان مسبب الأسباب والله لآخذن لك ياسمحاق بالثار ولأكشفن عن السودان العار ثم انه حمل على عاصف بقلب غير خواف والتقيا الإثنين فسمع لهما جلجلة عظيمة ارتجت لها أرض ذلك المكان وكان الأمير عبد الوهاب قد ورد عليه من قتل صاحبه أمر عظيم فأخذ ينظر إلى المعمعة والزعقات منهما مرتفعة والصوارم لامعة والأبصار ممتدة والدنيا عليهما مسودة وهما فى المواثبة والمكافحة والملاحقة الى أن كلت المناكب وتفللت المضارب وأبصر عاصف من اللملمان العجائب فأرمى الرمح من يده وكذلك فعل بالسيف ونزل عن ظهر الجواد إلى الميدان ونادى الأمان الأمان يافارس الزمان فقد كان الذى كان وأنا أعلم اننى قد أسأت الأدب بقتل صاحبكم على اننى والله ماطعنته ومرادى قتله وإنما كان الأجل قد حضر والماضى فات وان كنت قد أسأت فى الفعال فان معى بشارة قد أتيت بها من بلاد العراق تمحو عنى قتلة السمحاق فقال له اللملمان وقد انكسر غيظه ويلك لاتطيل فلا بد من قتلك فلا تخدعنى بالمحال فانك قد أفجعتنى فى ذلك الأخ الشفيق الذى أنا من فراقه لا أطيق وان كنت تريد السلامة أدركتاك حتى اننى أسير بك إلى الأمير عبد الوهاب وتبقى تتحدث عنده بما تريد فلما ان سمع عاصف كلامه أدار يديه وقال له شد وثاقى فتقرب اللملمان اليه فلما ان قرب منه همز عليه وضربه بخنجر كان معه فجاءت للضربة تحت ثديه فوقع الى الأرض وأيقن بالارتحال والعرض فكانت رزية الناس به أشد رزيه وبليتهم أعظم بلية ولما إن نظرت عساكر الخليفة إلى هذه الحالة عطعطت من شدة الفرح والسرور ووقع فى عساكر الأمير الحزن والثبور وقال الأمير هذا شىء ما رأينا مثله ولا شاهدنا شكله لأن هذا الشيطان قد أباد الشجعان بلا تعب ولا نصب وما هو إلا عفريت من عفاريت الزمان ولقد قصم منى ظهرى لاننى كنت أدل بهذين البطلين على سائر رجال الروم ولكن لا اعتراض على الحى القيوم فياليتنى كنت لهما الفداء وان بعدهما لا حاجة لى فى الدنيا أبدا ثم أنه قال لبنى كلاب خذوا فى أصلاح شأنكم حتى اخرج إلى هذا الشيطان فان قدرت عليه فهو الذى أريد وان كانت الأخرى فما انا بأول من غلب لأننى أرى منه شدة لم أرها من أحد من البشر فوالله لو كنت خرجت أنا واللملمان لكان صعب على أخذه فى يومين أو ثلاثة وربما أنى لم أقدر عليه ثم أن الأمير عبد الوهاب ركب جواده ولكزه بالمهامز فخرج مثل البرق فلما أن نظروا عساكر العراق اليه عرفوه وصاحوا على عاصف خذ حذرك فهذا الأمير عبد الوهاب المعروف فى مواقف

الصفوف فان أسرته أوقتلته خلص الخليفة من الذل والهوان وبلغت أنت ماتريد على طول الزمان وربما جعلك صاحب هذا المكان مع بنى سليم الشجعان (قال) وكان عاصف لما أن ضرب اللملمان تلك الضربة الهائلة كانت غير قاتلة لأنها جاءت مائلة فأمر عاصف برفعه وشد جرحه وأمر اليه بالإحسان وقال مثل هذا يفعل معه كل جميل لأنه فارس الزمان ومالك قصب الرهان وما قدرت عليه الا بالخداع والا ماكنت أصل اليه ثم أنه عاد إلى الأمير عبد الوهاب وقال له أنت أمير بنى كلاب ومقدم السودان الانجاب فقال له الأمير نعم أنا الذى ذكرت ما الذى تريد فقال عاصف أنا ما أريد أن يبرزلى الا من يكون من أقرانى والا ما أكون له مقاوم ولا مدانى فهل أنت ابن الحارث الموصوف فقال الأمير نعم فمن أين تعرفنى فقال عاصف هل يخفى القمر عند ابتداره والليل عند انحداره فدونك والقتال حتى أنى أريك كيف تكون الأبطال وأسقيك بعدها كأس الحمام والوبال وذلك لأجل نفاقك على أمير المؤمنين ولم تخاف من رب العالمين وما رقبت الملك الجبار كأنك قد أخذت توقيعاً من النار (قال) فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب غضب وقطب، وحمل عليه حملة يكل عنها اللسان واستقبل عاصف كأنه البرق اليمان ثم أنه أنشد يقول،

أمير كلاب دونك اليــــوم واعلما ☆ بأنى همام لا أمل مـــن الحرب
أنا عاصف المعروف فى كل معرك ☆ إذا انفرت نفس الجبان من الضرب
قتلت أبا ثور وكان مقدما ☆ همام جسور فى الهياج على الخطب
هجوم إذا حل الصميدع فى الوغا ☆ صبور إذا إشتد الوغا وعلا الكرب
ومن بعده ليثا يقول بأنه ☆ همام هو الموصوف فى الشرق والغرب
فقاتلتــــه حتى تبينت اسمــــه ☆ وخفلته فى البر يلهث كالكلب
وأنت ستلقى بابن مرزوق بعده ☆ من الموت كاسا طعمه المر فى الشرب

(قال الراوى) ثم أنه جال مع الأمير وضايقه ولاصقه وما فيهما إلا من زام وبربر ودمدم وزمجر ورأى الأمير منه فارسا لايطاق وعلقم مر المذاق بعيد المرام صبور عند الصدام لايمل من ضرب الحسام كامل الأوصاف مليح الانعطاف فتعجب من طول مجاله وجودة قتاله وقال لو كان هذا فى ملطيه يقاتل معنا عساكر القوم النصرانية ما كان له نظير ثم انه قال ياعاصف ماالذى أعطاك الخليفة حتى فعلت هذه الفعال وأعنت عسكره وهم أهل النفاق والضلال وقتلت أصحابنا طغيان فقال عاصف انه قد وعدنى ان يعطينى ارادتى ويبلغنى أمنيتى وان أنا بلغت غرضه منك أرضانى على ان قتالكم فرض لأنكم قد عصيتم

أمير المؤمنين ومرقتم من المسلمين وأنت لاتزال تكذب على هذا الرجل عقبة حتى انك تهلكه وان بنو عمه قد ضمنو إلى المال على هلاكك وأنا أعلم انني منذ نشأت ما أهلكت جبان ولا أكلت لقمة حلال الامارضعت من لبن أمى وأريد ان أقاتل اليوم فى طاعة الله تعالى حتى يكون ذلك كفارة لما مضى قال فلما ان سمع الأمير عبد الوهاب كلامه طمع فى مصاحبته وقد كان الأمير قد أيقن ان كل واحد منهما لايصل الى صاحبه إلا أن يكون مقتول فجعل يتلاطف به لعل ان يكون ركنا من أركان الدين وحامية للمسلمين فلله در الأمير ما كان أشفقه ثم انه قال ياعاصف اعلم انني ما أكلمك إلا بلين الكلام وإنى أريد ان تكون ركنا للاسلام وتخلص من عذاب النار وإلا فما أنا عنك جبان ولا أنا ممن يحب فى الدنيا بقا وأما أمير المؤمنين فلى معه وقفه فى اليوم العظيم وأما عقبة فانه نصرانى موافقا لأهل الكفر والطغيان وان الخليفة يشد منه بغير علم فقال عاصف والله ياعبد الوهاب لقد أخذ كلامك بمجامع قلبى لأنك صاحب العطا الجزيل والأصل الأصيل واعلم انني لما ان قصدت إلى العراق وسمعت هذا الخبر فسرت اليكم وإلا فما بينى وبينكم إلا الخير وقد وقعت الآن فى أمرين عظيمين ان أنا قاتلتك فلا بد ان يكون واحد منا مقتول وهو أنت بلا محاله وأما أنا فما أشتهى ان أقطع شجرة الكرم وان أنا صرت فى حزبك وتركت الخليفة فما آمن منك أبدا لأننى سمعت عنك انك بعيد المنال وإنى أيضاً أخاف ان تطالبنى بدم أبى ثور ولا يزول من قلبك طول الدهور ولا تنسا طول الزمان ما فلعت بالملمان فان كنت تحلف لى بطهارة مولدك اننى لاينالنى منك سوء ولامكروه فانا أرجع اليك وإذا صرت من جندك تنظر ما أفعل بين يديك فلما أن سمع الامير عبد الوهاب من عاصف هذا الخطاب قال هذه يدى على ماتريد ثم مد عاصف يده وقبض على يد الامير عبد الوهاب فظن انه مثل من لاقاه فى القتال من الابطال نهزه واذا به مثل الشجرة الثابتة فى الأرض أو مثل الصخرة فعلم الامير انه قد خدعه فعاركه الامير وقد زاد الامر بينهما حتى طلع عليهم الغبار فوقع جواد الامير عبد الوهاب فانقض عليه عاصف كالبرق الخاطف واذا به قد وقع واقتنى وقد صاروا الاثنين راجلين بعد ان كانوا فارسين ونظروا عساكر المعتصم الى ذلك فزعقوا على بعضهم البعض ياويلكم مانحن الابهذا الفارس الذى فعل ماعاينتموه وهذا عبد الوهاب قد صار فى قبضته فادركوه حتى انكم تعينوه على أخذه فما هو الا أن يصير عبد الوهاب عندكم وقد خلص المعتصم فعند ذلك حملت الخيل واندفقت مثل السيل وحامت عقبان الويل ولما ان نظر عاصف والامير الى الخيل وقد أدركتهم خافوا ان تطبق عليهما فتطحنهما فافترقا وكان كل واحد من الاثنين قد ركب على جواده وحمل على صاحبه وزحفت الطوائف وأمن قلب الشجاع وارتاع الخائف

وبان المؤمن من المخالف وقطعت المعاطف وظل الدم واكف ولحقت القتلا بمن مضى من الزمان السالف وجرت الجنائب مثل الرياح العواصف وصار لمعان السيوف مثل البروق الخواطف وأصواتهم تحكى الرعود القواصف ولم تزل المواكب تخبط والفرسان تسقط والرماح تتكسر والخيل بالجماجم تتعثر حتى ذهب النهار وأدبر وأقبل الليل واعتكر وافترقت بنى كلاب من القتال وقالوا للامير عبد الوهاب لله درك لو كان غيرك ووقع به الجواد تلك الوقعة ما كان له إلى أصحابه رجعه فقال الامير والله ما رأيت مثل هذا الجبار ولا أفرس ولا أقوى منه فى المعاركه ولا أكثر مكرولا خديعة قال ولم يكن للناس تلك الليله حديث الا فى هذا الفارس عاصف وهم يقولون هذا أوفا من اللملمان ومن عبد الوهاب ومن سائر أبطال الاسلام والروم فقالت الاميرة أنا قد عوات ان أجرب روحى معه فاما ان يزوجنى بصعيد الارض من غير أكفان واما ان أزوجه أنا بعروس ترابها وأرجوان ثيابها فقال الامير لا والله ما خلى خصمى ولا أقعد عنه ولا عن قتاله ثم باتوا الناس على ذلك واما عساكر الخليفة فانهم لما ان نزلوا طلبوا الى عاصف فلم يقعوا له على خبر ولا ادركوا له اثرفانقلب من اجله العسكر وقالوا لاشك انه قد قتل او اسر وما غاب عنا الا وله خبر (قال الراوى) وكان لغيبة عاصف سبب ياله من سبب (قال) وكان اللملمان لما أن أخذوه عساكر الخليفه من الميدان شدوا له جرحه ثم عصبوا له جنبه ثم انهم رموه فى بعض الخيام فلما ان أفاق مما كان فيه من الآلام وأتى عليه الليل فوجد فى نفسه قوه وكان غير مكتوف لأنهم كانوا قد يأسوا من حياته وقد ناموا الموكلين به فقام قائما على قدميه وأخذ سيف من بعض النائمين وخرج من الخيمه وطلب النجاه فلما ان صار فى جانب العسكر قال كيف أمضى بالخيبه والله ما أروح الاومعى شىء ولا بدلى من هذا الشيطان الذى قد خدعنى بخديعته وما قدر على بشجاعته ومن احتقر بالرجال ذل وانا قلت هذا على كل حال رجل من أهل الحجاز ما يعرف الخداع وكل من وثق من نفسه خجل ولا بدلى منه ثم انه أراد ان يجد فى طلب عاصف فسمع انه قد فقد من العسكر وقد طلبه الوزير فما وجده ورأى الناس يقولون ذهب والله عاصف اما انه قتل أوأسر فقال لهم الفضل ابن مروان الوزير معلوم اننا كنا اليوم من الراجحين وأنا فى غداة غدأتولى القتال والحرب والنزال بحيلة أعملها مع بنى كلاب والسودان الانجاب ولوانهم بعدد التراب (قال الراوى) فلما ان سمع اللملمان هذا المقال قال ما بقيت اعمل شغلى فى هذه الليله الا هذا الوزير ثم انه صبر الى ان نامت الناس وهجم الى خيمة الوزير وقد انكب عليه وسد فمه وكتفه وحمله على اكتافه وسار به طالب ملطيه فهذا ما كان من اللملمان (واما ما كان) من حديث عاصف

فانه لما انفصل من القتال وافترقت الجيشان من النزال صعب على عاصف خلاص الامير عبد الوهاب ميده وكان عاصف إذا غضب سال الدم من منخريه ومن شدة حنقه ارما ثيابه ثم اخذ ثياب بعض القتلا من عسكر عبد الوهاب ودخل الى ملطيه وهو ملثم حتى لايعرفه احد ولما ان دخل كشف وجهه وصار مع الناس وقد عول انه يغتال الأمير عبد الوهاب فهو كذلك وإذا بعشر حمالين يحملون طعام وفاكهة وغير ذلك فقال عاصف لواحد من الحمالين إلى اين يااخى تحملون هذا الطعام فقال له الحمال إلى الدار التى فيها الخليفة لأن الناس قد اشتغلوا عنـــه اليوم بالقتال وما حمل احد اليه طعام فعندها سار عاصف فى جملة الحمالين وقـــد فرح وايقن انه يخلص الخليفة وينال عنده المنزلة العالية ولم يزل حتى انه وصل إلى الدار ودخل معهم فرأى إلى دار كاملة الأوصاف والمعتصم جالس على سرير وعنده عقبة الشرير وعنده اثنين من الخدم والخليفة يتحدث مع عقبة لأنه كان ارسل إلى الأميرة ذات الهمة وطلبه منها يكون عنده ما دام فى الاعتقال فاجابته الأميرة إلى ذلك قال ولما أن خرجوا الحمالين استتر عاصف فى بعض البيوت ولم يخرج إلى الليل وناموا السودان الموكلين بالخليفة فى ذلك الوقت وثب عاصف وقصد إلى المعتصم فلما أن نظره المعتصم فزع وقال له من أنت فقال لاتخاف أنا خادمك عاصف ففرح به فقال لله درك إيش جرى من الاحوال فأعاد عليه مافعل وما دبر من الحيل حتى وصل إلى ذلك الامر ثم انه قال وأريدان أدبر فى خلاصكم فقال له عقبه يا ابنى عندى رأى أقوله لك انأنت فعلته خلصنا فقال عاصف وما هو أيها الشيخ فقال له عقبه تمضى وتنزل على عبد الوهاب وتقتله وتقتل أمه لانهما فى موضع واحد فاذا قتلوا خلصنا نحن وما يبقى أحدا يعصى على أمير المؤمنين فقال الخليفه ما هذا صواب لأنهم عماد دين الاسلام المجاهدين فى سبيل الملك العلام فقال عقبه انا الذى افتيك فى قتلهم لأن من سل فى وجهك سيف وخالف امرك فقد مرق من دين الإسلام فقال المعتصم هذا شىء لااريده وما اريد إلا الخلاص فقط فقال عاصف السمع والطاعه يامولاى قم ولا تخف ثم انه اخذ بيده وصار عقبه يقول يامولاى لاتخالفنى فانكم ببركاتى تنجون فقال عاصف وذمة العرب قد ضمنوا لى بنى عمك الف دينار على خلاصك فان انت تكفلت بها اخذتك معى فقال عقبه معلوم انا اتكفل لك بها وبأضعافها فقال عاصف قوم الساعه فلو طلبوك اهل الأرض قاتلتهم عنك فقال عقبه وكيف نفعل بهؤلاء السودان الموكلين بنا فقال عاصف قد ذبحتهم قبل ان اعرفكم بنفسى (قال) ففرح عقبه وقال لله درك ثم قال عقبه فى نفسه ان كان يتنصر ويرتد عن دين الإسلام فهو يكون

سيف المسيح لأنه ماقتل السمحاق واللملمان إلا وهو فارس الزمان هذاوعاصف قد سار بهم إلى الصور واخرج من وسطه حبال ودلاهم من فوق البرج وربط الخليفه ودلاه ثم دلى عقبه ونزل الآخر بعد ذلك وحمل الخليفه على اكتافه وسار به قليل فراى عقبه اللعين قد قصر فى مشيه واشتكى فأنزل الخليفه وحمل عقبه وسار به قليل وإذا بشىء سخن نزل على قفا عاصف فالتفت إلى عقبه وهو من فوق قفاه وقال له ماهذا ياشيخ فقال له عقبه ياولدى هذا عرق قد سال من جسدى من كثرة ما حصل لى من التعب فمد عاصف يده وشم من ذلك البلل وإذا هو رائحة تعطس المذكوم فقال له انت شخيت ياشيخ السوء فقال له عقبه مافى ضرر ياولدى امسح وجهك فان فيه البركه فقال له عاصف انزل ياقرنان لئلا يدركك شىء آخر فقال له ياولدى انى ليس لى قدره على المشى فقال عاصف أخاف ان تخرأ فقال عقبه تكون الخيره فلما ان سمع منه عاصف ذلك ضرب به الأرض فبينما هو وعقبه كذلك وإذا بشخص حامل شىء على كتفيه وفى يده سيف مسلول وهو يجرى مثل الهلول (قال) وكان هذا الشخص اللملمان وقد فعل ما ذكرنا فانظروا يا اخوان ياحذاق كيف هذا الاتفاق (قال) وكان الخليفة قد تقدم طالب إلى العسكر فرجع إلى عاصف وقال له على مهلك أيها الأمير فانى أرى إلى شبح مقبل وأنا أعلم أن عبد الوهاب له رجال يدورون حول البلد فى الليل وفى النهار ومعهم آلة الحرب من العدد وعلى ابدانهم الزرد وأنا أعلم انهم ان علوا بنا ماأبقوا علينا فقال عاصف يا أمير المؤمنين طب نفسا وقر عينا فطال ما اننا تخلصنا وملكنا الطريق ما بقينا نخشى على أنفسنا من عائق يعيق ولو اجتمعت علينا سائر قطاع الطريق من كل جبار وثيق ودع تجتمع علينا الانس والجن ويوقدوا لنا نار فلما ان سمع عقبه ذلك الكلام قال ياولدى ما بقى فى الأمر إلا ان تأخذنى على أكتافك وتطلب بنا البرودع يجرى مايجرى فقال عاصف وذمة العرب ماأخاطبه إلا وأنت على ظهرى لأجل ما أعملك مكان الدرقه وأتلاقا فيك كل ضربة وزرقه لأجل مايحل بك البلاء والهلاك وأجازيك يا ملعون على خراك ثم انه دنامنه واحتمله على كاهله وتقرب به من ذلك الشخص وقال له من أنت أيها الشيخ المقبل فقال له أنا اللملمان فماتكون أنت ياشيطان فقال أنا عاصف المذكور بكل لسان وهذا الذى على ظهرى الشيخ عقبه العرقان وهذا الذى تراه خلفى هو الخليفة السلطان (قال) ولما ان سمع عقبه كلامهما وهو على أكتاف عاصف حصل عنده ريح فى جوفه عاصف ثم قال والله ياعاصف ان كنت قتلت السمحاق قتلة مثل قتلة اللملمان ما أنت إلا فارس الزمان وشجيع الميدان وثابت الجنان وصادق اللسان (قال) فلما ان سمع عاصف

منه هذا التوبيخ والهذيان قال له تكذبني ياقرنان وهو كان مرمى فى خيمتى مشرف على الهلاك والتلاف والقلعان ولعله قد وجد بعض الراحة فى بدنه وهرب وها أنا الساعه أهجم عليه وتنظر ما يجرى بينى وبينه وتتفرج علينا وعليه فقال عقبه حيث أن الأمر كذلك نزلنى بقى عن أكتافك لأجل ما تتفرغ للقاء خصمك خير منى أن يأتينى ضربه صائبه فتكون لعمرى ناهية فقال عاصف وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب ماأطرحك عن أكتافى ولو أدركنى تلافى وكل شيء جرى على يجرى عليك ان اصابنى خير اصابك وإلا شر اصابك فقال عقبة ياولدى قد لحقنى البول فقال عاصف والله ياقرنان وان خريت حتى ماامكنك من النزول (قال) ياساده فزادت من عقبة حسرته وايقن ابتلاف مهجته والتفت إلى الخليفة وقال بالله عليك ياامير المؤمنين خذنى من هذا الشيطان بحرمة المبعوث من عدنان وامضى بنافى القيعان ودعنا نترك هؤلاء العفريتان فوالله مامر على ايشم منها ليلة لأن ان ظفر اللملمان بعاصف مايبقى يستوفى فدية جرحه إلا من قفايا فضحك الخليفة من قوله ثم انه تشفع عند عاصف ان ينزله فأنزله لأجل شفاعة الخليفةوكان اللملمان ايضاً قد انزل الوزير من على اكتافه والتقياهما الإثنان مثل جنيان وجرى بينهما مالم يضفه لسان ولا يحصيه كاتب ولا يحويه ديوان وقدارتفع صياحهما تحت ظلام الاعتكار وقد مسك كل واحد منهما على صاحبه طريق الفرار وبنوا على ذهاب الأعمار (قال) فبينما هما كذلك وإذا هم بأشباح قد اقبلت نحوهما

(قال) وكانوا هؤلاء الذين قد اقبلوا ملابط البغال ومعه عشرة من خيار السودان قال وكان سبب مجيئه انه كان يحب اللملمان حباً شديداً ويألفه وكان قد بلغه الخبر من الجاسوس ان اللملمان فى حال الصحة وانه طاب من جرحه فأخذ ملابط البغال عشرة من أبطال السودان ونزل بهم وطاف عسكر الخليفة وهو يدور على اللملمان فما وجده ولا سمع له خبر فلما ان أيس منه رجع إلى أصحابه وأخذهم وسار بهم فى جنبات العسكر وإذا هم قد سمعوا الصياح (قال) فاسرعوا فى سيرهم إلى أن وصلوا اليهم وسألوهم عن حالهم فأعلمه اللملمان بحاله ثم سأله عن حاله فقال أنا اخيك ملابط البغال وقد خرجت أنا وهولاء العشرة أصحابى نجد فى طلبك وما أتينا إلا بسببك فقال له اتعرف من هذا فقال ملابط البغال كان مرادى ان أسألك أيضا فقال هذا غريمى عاصف ومعه الخليفة وعقبة فدونكم وإياه وإلا أعطونى طارقة لأن الطارقة قد ذابت من شدة المضارب فعندها اطبقوا الجميع على عاصف فى ظلمة الليل العاكف فقل من كان هناك حاضران قد وقع لهم مع عاصف حرب شديد تذوب من وقع مضاربه الجلاميد ويقرب الأجل البعيد ويشيب من هول منظره الوليد وعاصف

قد فتك فى الكل مثل الشيطان المريد وكلما ازدحموا عليه صاح فيهم مزقهم وضرب فيهم فرقهم ولما ان رأى عقبة إلى ذاك التفت إلى الخليفة وقال له ونحن ماوقوفنا يامولانا ماتمضى بنا مادام ان هؤلاء عنا مشغولين فقال الخليفة انت الك قدره على المسير قال نعم فقال سير بنا فسار الخليفة وعقبة قاصدين العساكر ولما ان بعدوا نصب عقبة قامته ووسع خطوته حتى ان الخليفة قصر فى مسايرته ثم ان الخليفة قال له انت ماقلت انك ماتقدر على المشى من شدة الضرب الذى ضربوه لك الأمراء والآن اراك مثل ابو الحصين الشارد. فقال عقبة يامولاى أعيذك بكلمات الله من الدماء إذا ساح وعم على البطاح وجميع النواح (قال) وكان عقبة أسبق من الخليفة إلى العسكر ولما ان دخل بشرهم أن الخليفة قدوصل ثم انه أخبرهم بما جرى فصاروا يطلبون ذلك المكان لأجل اعانة عاصف

(قال) وكان عاصف وقف فى وجوه السودان الذين مع ملابط البغال ولولا ان اللملان وقف فى وجهه وإلا كان أهلكهم لأن اللملان كان يشغله عنهم ثم انه يزعق فى السودان وينخيهم فيحملوا على عاصف فيصرخ فيهم يفرقهم ذات اليمين وذات الشمال ويرجع على خصمه ويحمل عليه (قال) ولم يزالوا كذلك إلى أن أدركتهم الرجال من عسكر الخليفة فهنا لك التجأ اللملان إلى أصحابه السودان وصار ينثر الرجال على وجه التراب إلى أن أفنى منهم جماعة وبعدها تخلص هو وأصحابه منهم وطلبوا طريق ملطية وما زالوا إلى ان صاروا تحت أصوارها ثم انهم صاحوا على الحراس فعلم بهم بعض الحراس من فوق الأصوار فأخبروه بحالهم فرجع الحارس أخبر الأمير عبد الوهاب بهذه الأسباب فوثب وفتح لهم الباب فدخلوا فلما ان صاروا فى البلد وقد اجتمعوا بالأمير عبد الوهاب أخبروه بما قد جرى ثم ان اللملان قال مرادى جرايحى أيها الأمير يداوينى ولولا هذا الجرح الذى بى لكنت فى هذه الليلة شفيت غليلى من عاصف لأنى لما كنت أجىء إنى أحرك يدى ينقض على الجرح ويتسع وما فى هذه العناية التى قد أتتنى من الله تعالى فى هذه الليلة وإلا كنت من الهالكين فقال الأمير وذمة العرب ان الجن إذا بليت بعاصف طلبت منه الاقالة ولقد رأيت منه مالم أره قط من غيره فقال اللملان والله ماوصل إلى بخديعته إلا انى فقال الأمير اعلم يا أخى ان الخديعة هى عين نتيجة الحرب فاشكر الله تعالى يا أخى على السلامة لأنهم لو انهم علموا انك فى قلة لكانوا اتبعوك ولكن أين كان ملتقاك بعاصف فقال يامولاى لقيته فى الطريق وقد خلص الخليفة وعقبة وهو طالب بهم العسكر فجرى لى معه ماجرى وما أسفى إلا على الوزير الذى كنت قد أخذته وتخلص وقت القتال (قال) فلما ان سمع الأمير عبد الوهاب بخلاص عقبه والخليفة قامت عليه القيامة وفى الحال بعث إلى الدار فما وجد فيها ديار ورأى إلى

السودان الموكلين مقتولين فالتفت إلى الأميره وكانت حاضره وقد شهدت تلك في هذه النوبة الصعبة فقالت ياولدى لايعسر عليك هذا الأمر فما الذى كنت تريد تفعل فيه في الخليفة أو ايش كانت الفائدة فى قبضه وان كان يا ولدى عقبه خلص اليوم فثم يا ولدى ان له يوم لايقدر فيه على الخلاص إذا أوثقه القضاء بسلاسله وهذه يا ولدى أمور مقدره وأحكام مدبره (قال) فتعجب الأمير من هذه القضية ومن دخول عاصف إلى ملطيه وتم له ماتم وأموره مخفيه (قال) ثم انهم أخذوا يتحادثوا ان أصبح الصباح ولم يخرج الأمير للحرب ولا فتح الأبواب من شدة ما قد جرى عليه قال وأما عسكر الخليفة فانها عادت فرحانه (قال الراوى) ثم أن الأمير عبد الوهاب أقام إلى ان جن الظلام وافتقد الملمان فوجده مشغول بجرحه يغير عليه المراهم فقال له الأمير سبحان من سلبك من عاصف وأعانك عليه ولكن الحمد لله الذى جرحك سالم والله انك سرتنى حيث إنك سالم وخلصت من يد هذا الظالم لأنه آفة من الآفات وبلية من البليات حوى اللصوصية والشجاعة فقال واحد أنا عارف بهذا من بلاد الحجاز وانه كان سلال الخيل فى بلاد اليمن وما ترك فيها حصان موصوف إلا وأخذه وبعد ذلك تفرس وقوى لايعلم حتى اختفت منه العرب فى الحصون وتركوا المناهل والعيون وكان يتسلق عليها ويأخذ ماوقعت عينه عليه وما هو كبير السن فهو ابن ثلاثين سنة لاغير فقال الأمير عبد الوهاب أن عقبة يفتح له أبواب اللعنة والمكر وربما انه أعدمه دينه ويكون ذلك وبال على جميع المسلمين فياليت عقبه ما تخلص من عندنا ولكن هذا كله من الأميرة لأن عقبة كان مثل الكلب وهو محبوس عند ارمانوس فهى التى حملته إلى عند الخليفة فقالت له الأميرة اعلم يا ولدى انى انخدعت لأمير المؤمنين لأنه أقسم على بحبيبى محمد صلى الله عليه وسلم فخفت أنا إن ابقى أطالب بذلك إذا لم أبر قسمه وفزعت ان أعاتب بذلك من رسول الله فقال الأمير أنتى تبرى القسم وعقبه يدبر فى قطع القمم ثم أن الأمير عبد الوهاب أقبل على الرجل الذى كان يصف عاصف وقال له يا أخا العرب أنت تعرف عاصف فقال يامولاى أنا الهارب من سيفه أنا الخائف من حيفه أنا ابن عم جميله الذى وطىء عاصف أرض العراق لاجلها ثم انه أعاد عليه قصته فقال له الأمير عبد الوهاب هكذا ذكر لى عنه وقد كانت جميله علينا غير جميله ولكن فى هلاكه كيف تكون الحيلة فقالت الاميرة والله لقد عظمت قدر هذا الكلب الدنىء والله لاتركنه غدا مجندل فى القاع باذن من شق الابصار والاسماع وأترك لحمه طعاما للسباع والضباع ومن هو هذا الكلب حتى ظهر أمره وشاع (قال) فتبسم من قولها الأمير وقال لها لاتحملى فأنا لاأريد سفك دم مسلم وإن كان قد

اعتدى علينا وحل قتله لأجل فساده ولكن حتى نبصر ما يكون من المعتصم ان كان يطلب القتال وإلا الراحة ثم انه عاد إلى ابن عم جميله وقال له وأين أهلك وابنة عمك فقال له يا مولاى فى الرقه وإنما أنا قد جئت إليك لآخذ من جنابك الأمان من هذا الشيطان لئلا يأخذ ابنة عمى ويعاونه الخليفة على ذلك لأجل فعانه معه فقال له الأمير لك الأمان وسوف نكفيك ان شاء الله تعالى فى غداة غد شره وأدفع عنك مكره وأرد لك كيده فى نحره (قال) وكان المتكلم مع الأمير عبد الوهاب هو عاصف المرتاب وكان السبب فى ذلك عقبة المنافق الكذاب لأنه أعطاه ثلاث آلاف دينار وقال له يا ولدى أنت عملت معى جميل وهذا المال الذى ضمنته لك وسوف آخذ لك من الخليفة الخلع وأسلم إليك البلد وأقدمك على جيوشه وعساكره وأدعك تقتل هذا الأسود الذميم وكل اثم كان عليك فى قتله فأنا المطالب به إذا أتيت عريان عطشان لأن قتله هو وأمه ما فيه خطيئة ولا عدوان لأجل ما نافقوا على خليفة الزمان فقال له عاصف ياشيخ أنا مالى حاجة بالخطا ولا أعرف إلا العطا فانظر ان كان لك حاجة غير هذه عرفنى بها فقال له يا ولدى لى إليك حاجة ولك فيها المنفعة الكبرى فقال له عاصف ما هى فقال عقبة ما قولك فى ثلاثين ألف دينار ومائة ثوب ديباج فقال عاصف قل وأوجز فقال عقبة اعلم ان ارمانوس رجل فيه دين ومروءة لكل شجاع مقدام وما خرج من بلاده فى هذا العالم الا لنصرة الإمام وها هو قد أسر وتفرقت عساكره وأنا أريد منك ان تعمل على خلاصه من دار السلاح التى فى ملطيه وهذا النهار قد أتى وإن دخلت تطلب خلاصه أخاف عليك ان تعرف فقال عاصف أنا ما أجعل دخولى إلا ليلا ولا أترك أحدا يعرفنى لأنى أنا أضرب لثامى وأضيق نقابى فلا يعرفنى أحد لا من الأقارب ولا من الاغارب وان تكلمت أتكلم بلغة أهل اليمن لأن كلام أهل اليمن خفيف وأنا الليلة أدخل وأخلص الملك ارمانوس مما هو فيه من الضر والبؤس قال ولما ان جن الليل أعطاه عقبه آلة اللصوصية وكتب له كتاب إلى الملك ارمانوس وأعطاه له فأخذه عاصف وسار طالب الصور حتى وصل إليه وعلق الكلاليب إلى البرج فتعلقت ودق الرياحات التحتانية بالسكك الحديد وتسلق صار على الأصوار وهز الرياحات انقلعت السكك ودور السلم من داخل وانحدف مقلوب صار فى البلد ثم أنه أتى إلى باب الأمير ودخل مع جملة العرب فوجد الأمير والأميرة يعالجوا جرح الململان وهم يتحدثون فى حديثه فتكلم مع الأمير بما ذكرنا وخاطبه بما وصفنا وقال له الأمير لا تنزل إلا فى بيت الضيافة فقال له السمع والطاعة أيها الأمير والسيد الخطير قال وكانت دار الضيافة التى للأمير عبد الوهاب للفقراء والمساكين وعبار الطريق ولا يمنع منها أحداً أبداً

(قال) وما تم هذا الأمر على الأمير إلا بغيبة البطال هذا وعاصف قد طلب الدار التى فيها الملك ارمانوس وإذا بالحراس على بابها فرجع إلى خلفه وعلق السلم مثل البرق وسار على سطح الدار وانخرط بق من أسفل فسمع ارمانوس حسه نخاف وقال ما هو إلا عبد الوهاب أتى يطلب قتلى وإذا بعاصف قد وصل إليه وقال له لا تخف ثم دفع إليه الكتاب الذى من عقبه ففضه فعرفه بخطه فقرأه فى ضوء السراج فطابت منه نفسه وقال يا أخى أنا أقوم معك وأطلب النجاه فاذا خلصنا أعطيتك من المال ما تريد إلا أننى ما أقدر أخوج من الباب لأننى لا أستطيع أن أنزل من السلم الذى صعدت أنت عليه فقال عاصف لا أخرج إلا من الباب ولا يعرفك أحد من هؤلاء الموكلين الكلاب فهل يعرفك أحد منهم فقال ارمانوس نعم هذا المستيقظ هو الذى يمضى لى فى الرسائل إلى الأمير عبد الوهاب فقال عاصف أدعوه إليك فاذا فتح الباب ودخل وقال لك ماحاجتك فقل له يا ولدى أريد أنك تمضى إلى الأمير عبد الوهاب وتذكر له حالى وطول مقامى ودعه يقطع على من المال ما أراد فأنا أقوم له بما يطلب ثم أنك تطاوله فى الحديث وتقول له إعلم أن الأمير عبد الوهاب فى النهار يكون مشتغل وما تقدر تجتمع به إلا فى هذا الوقت حتى أنك تقضى حاجتى فاذا دخل أكون أنا واقف بالباب فاضربه أعجل له الذهاب وذلك عند اشتغاله وأعجل إلى المقابر ارتحاله ثم أخرج إلى باقى النيام أقتلهم ونخرج من الديار ونطلب العسكر ثم قام الملك ارمانوس وصاح على البواب ووقفه عاصف خلف الباب (قال) ولما سمع البواب صياح ارمانوس أتى إليه وقال له ما الذى تريد أيها الملك قال فاعلمه ارمانوس بالذى علمه له عاصف ثم جعل يطول معه فى الحديث ويجره إلى داخل الدار وإذا بضوء شمعة مقبلة مع بعض الخدام قاصده إلى الباب ومن خلفها الأميره ذات الهمة وهى طالبة الدار التى فيها ارمانوس قال وكانت الأميرة قد أتت فى ذلك الوقت تريد ذرديه من دار السلاح لأنها قد عولت أن تلقى عاصف بها وقد وصلت وهم فى المحاورة فقال له البواب هذه الأميرة قد أقبلت خاطها أنت بما تريد وابذل لها المال ثم عاد البواب إلى لقاء الأميرة وخدمها وتمت الأميرة داخلة الدار فاختفى عاصف منها فى الدهليز والسيف مشهور فى يده وهو معول على ما قد ذكرنا فلما أن دخلت الأميرة ونظرها ارمانوس صفع لها ثم أنه قال يا أميرة قد طال حبسى وأنا هنا فى أسوء حال وقد خربت بلادى والأطلال فقالت الأميرة يكون خيراً إن شاء الله تعالى حتى أننا ننظر ما يكون من أمر هذا العسكر ثم أن الأميرة أخرجت ذردية وكلما احتاجت إليه وعاصف يراها وهو مختفى وهو يقول مالى لا أن أغتنم الفرصة وأقتلها وأخلص الملك أرمانوس

وأفتخر بهذه الفعلة على أهل الأرض لأن هذه الشـيطانة هى التى كانت تقول أنا غداً أخرج إلى عاصف وأقتله وما علمت أن رأسها عند الصياح تقطع (قال) هذا والأميرة عادت راجعة طالبة الباب فرفع عاصف يده إلى أن بان سراد أبطه وضربها ضربة من يريد القتل فوقع السيف على مؤخر رأسها قده نص شبر ووقعت الأميرة كأن السماء قد وقعت عليها فلما أن رآها عاصف على ذلك الحال أيقن بقتلها فقال لأرمانوس كأنها قتلت قال فهو يكلم الملك وإذا بغلام الأميرة قد صرخ فضربه طير رأسه وأخمد أنفاسه وفى ذلك الوقت دخل البواب وقد سمع الصياح فضربه عاصف أرماه قطعتين هذا والملك ارمانوس ينظر إلى الأميرة وقد ظن انها ماتت فقال لعاصف ما أفرسك من بين الرجال وما اقدمك على الأهوال لأنك قد قتلت هذه الأميرة التى قد اذلت الأمم من العرب والعجم ولقد كان الشيخ النجيح يدعوا عليها ثم يرمى سهام المنايا إليها ولكن ما جعل المسيح هلاكها إلا على يدك فقال عاصف وايش كان بين الشيخ النجيح وبينها . فقال ارمانوس هى التى كانت تعذبه وتعاقبه ، ولا تخاف من ربها ولا تراقبه ، وان هذه نوبة قد احتكمت وما بقى إلا سلامة انفسنا ، فقال له عاصف ابشر انت بالسلامة ما دام إنى باقى وسيفى فى يدى ثم ان عاصف خرج إلى الجماعة الموكلين وذبحهم ثم عاد إلى الملك وقال له قوم اخرج بنا فقال له ارمانوس خذ معك رأس هذه الشيطانة لأجل ما تقدمها إلى الشيخ النجيح ويعطيك وزنها ذهباً فقال عاصف انا آخذها كلها أحسن من أخذ رأسها (قال) فضحك ارمانوس من قوله ثم انه حملها إلى الصور والملك ارمانوس خلفه فنظر عاصف إلى بعض الأبراج وعليه حارسين نيام وهم تعبانين من السهر طول الليل فطلع اليهم مثل النمس وذبح الإثنين ثم نصب السلم للملك ونزله ثم نزل الأميرة ونزل الآخر وساروا إلى أن وصلوا إلى العسكر وقصد خيمة عقبه وإذا هو جالس والمصحف فى حجره ثم انه يقرأ القرآن وكانوا الناس إذا سمعوا صوته وتلاوته يقولون سبحان من أعطاه هذا العلم والعمل وكان الملعون إذا قرأ شيئا من القرآن يقول ما أفصحك من كلام إلا انك أبغض الأشياء إلى عقبه فهو كذلك وإذا بعاصف دخل عليه وهو حامل الأميرة على أكتافه والملك أرمانوس من وراه ان نظرهم عقبه قام قائما على قدميه وقال مرحبا بالأمير والسيد الخطير ثم أقبل على ارمانوس وباس يده وهناه بالسلامة ثم أعلمه انه هو الذى دبر هذا التدبير فشكره الملك على ذلك ثم نظر عقبة إلى ما على أكتاف عاصف فقال له إيش هذا الذى معك أيها الأمير فقال ابشر انها ذات الهمة قد قتلتها وأسقيتها كأس الحمام فلما ان سمع عقبة ذلك كادت روحه أن تخرج من شدة الفرح ثم انه أعطاه ألف دينار

وقال له هذه حق بشارتك بقتلك هذه العاهرة ثم انه فتح عينه ونظر اليها فوأى النفس يتردد فيها فقال ما كنت أشتهى الا أنها تفتح عينها وتنظر إلى وتعلم اننى أنا الذى فعلت بها هذه الفعال ثم عصب لها رأسها وقال هذه لها سبعة أرواح ولو كانت وصلت إلى وهى هالكة لكان ذلك غاية المراد وإلا مادام ان فيها نفس يتردد لا بد لى ماأداويها واجتهد لعل ان تفيق وتعلم عملى بها فقال ارمانوس ياقاضى ما كنا إلا على نية قتلها ولكن أنا الذي قلت له احملها حتى يصدق الشيخ عقبة ويعطيك وزن رأسها ذهبا فحملتها كما ترى وأنت تعلم طمع العرب والنفس جبلت على طلب الأكثر فقال عاصف وما عسى ان يكفانى وزن رأسها إذا رأيت وزنها كلها هذا وعقبة قد أقبل على الملك ارمانوس وقال له ما الذى أنت منتظر اعلم ان الخليفة ان وقع بك ما يتركك إلا بالمال العظيم والخلع والتحف وان سمع بقتل ذات الهمة يقول ماقتلها إلا الذى خلصكم فاذهب الساعة واطلب لنفسك النجاة فقال عاصف وأنا أسير معك ولو لقانا رجال بعدد الرمال أشبعتها حرب وقتال ثم انه قام وتأهب وتحزم وعقبة ينظر اليه ويقول آه ياخساره فقال عاصف مالك أيها الشيخ فقال عقبة أنت ياولدى صعبان على كون انك من أهل النار فقال له عاصف لابشرك الله بخير يا شيخ الفجار كيف تجعلنى من أهل النار قال عقبة ياولدى اعلم ان دينك على غير الدين القديم وان يابنى لادين الا دين المسيح فهو الدين الصحيح فلو انك تنصرت لكنت تنجا من عذاب النار وكان هذا الملك يزوجك ابنته أو بعض بنات الملوك وتبقى أنت سيف الدين وترسه ونابه ودرسه فقال عاصف ياشيخ أنا لا أعرف دين ولا مذهب ولا يقين فقال عقبة ياولدى أنا أعلمك وعلم انه لايعلم فى الأديان لاقليل ولا كثير ثم انه لج عليه وجعل يصف له أحوال ليس لها أصل ولا فصل ولا أنزل الله بها من سلطان ولم يزل به حتى انه شد الزنار وكفر بالملك الجبار ثم جحد دين أهل التقى الأبرار هذا وعاصف قد دنا من الأميرة ذات الهمة واحتملها وشدها على جواد وسار هو وارمانوس مع عاصف يطلب ناحية القسطنطونية

(قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من أخبار ملطية فان الأمير عبد الوهاب كان إذا صلى صلاة الصبح يأتى إلى الأميرة ذات الهمة يأخذ رأيها فيما يفعل وانه انتظرها ذلك اليوم فلم يراها فمضى لمحرابها فوجده خالى منها فقال لجوارها أين مولاتكن فقالوا له انها قد صلت إلى الثلث الأول من الليل ومضت إلى دار السلاح لتأخذ من العدة مايصلح لها ويعينها على قتال عاصف وإلى الآن مارجعت فقال الأمير لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أنا نفسى حدثتنى انه قدتم عليها أمر من الأمور ثم ان الأمير أتى إلى دار السلاح

وإذا هو يرى الغلمان مقتولين وارمانوس قد فقد وخادم الأميرة مرمى فى الدهليز جثة بلا رأس وقد خمدت منهم الأنفاس فقامت على الأمير القيامة وقال الآن قد حس قلبى أن الأميرة على قيد الحياة فلو كانت قتلت لكانت هنا مرمية مثل غيرها وأنا أقول انه ما سرقها إلا عاصف وكل هذا برأى عقبة وما دام ان الأميرة قد أخذت فما بقالى صبر ولا جلد واليوم أفنى من عساكر العراق العدد ثم أمر النقبا ان ينادون فى العسكر بالركوب فركبوا وخرجوا إلى ظاهر الأصوار والأبواب وفى أوائلهم الأمير عبد الوهاب وقد تأهب للطعان والضراب ألا انه لم يحرك ساكن حتى انه أرسل إلى المعتصم رسول يقول والله العظيم والبيت والحطيم لئن لم ترسل إلى الأميرة ذات الهمة لأتركن الحياء والحشمة وأترك بنى كلاب والسودان الأنجاب تنهب العساكر ولو انهم بعدد التراب فما بقى لنا صبر على هذا البلاء فلما ان بلغ الخليفة ذلك أرسل يقول والله لا أعلم للأميرة خبر ثم انه طلب ارمانوس وعاصف فلم يرى لهما أثر فعظم عليه وقال ياليت شعرى من دبر هذا الأمر ثم انه ادعى بالقاضى عقبة ولما ان حضر قال له ياقاضى هل عندك علم من عاصف وأرمانوس فقال عقبه لا والله يأمير المؤمنين وان من وقت خلصت أنا وأنت مارجعت رأيت عاصف لاننى مادرت الخيام ولا سألت عن الأحوال لانى مشتغل بعبادة الملك المتعال لأن عمرى قد انقضى ولا بقى فيه قدر مامضى وقد نادانى منادى الرحيل وأنا قادم على الملك الجليل وان ظهرى من الذنوب ثقيل وأريد أن أختم مابقى من عمرى بصيام النهار وقيام الليل لعلى إذا صرت فى حفرتى ونزلت بيت وحدتى يغفر الله لى خطيئتى بالكلمة التى أحبها فى خلوتى الخفيفة على اللسان الثقيله فى فى الميزان وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فالويل كل الويل لمن يحرمها لسانه ويا سعادة من يرزقها جنانه ثم انه جعل يبكى ويقول ياأمير المؤمنين خذ لى الأمان من الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة حتى أمضى اليهما واتحلل منهما لأن الإنسان لايخلو من عثرات اللسان وربما عثر لسانى بين يديك وتكلمت فى حقها وكان ذلك من أشفاقى عليها فقال الخليفه ياقاضى ماأسلم نيتك وما أكرم نفسك اعلم أن الأميره ذات الهمه قد فقدت وقد أتهموك انت بها وأنا قد حلفت ان ماعندى خبر منها وهاهو رسول عبد الوهاب مقيم وقد أرسل يقول لى احقن دماء المسلمين ولا تعجل على أهل الدين ونريد بأخذ عقبه حتى نأخذ منه خبر أم المجاهدين فلما أن طلبت أنت الرواح اليهم تعجبت من اخلاص نيتك وما هذا إلا من حسن إيمانك فضحك عقبه وقال ما كذب الذى قال

أنانى همك أدادى وانت فى قلع أوتادى

وحق القرآن وشهر رمضان ماسمعت خبرذات الهمه إلا فى هذا الوقت وقد ورد على من أجلها ما لو ورد على جبال تهامه ماحملته وهذا كله لأمرين الأول أننى متهوم والثانى أن الأمير عبد الوهاب متوزر بذنبى ولا شك أن عاصف قدخلص أرمانوس وأخذه وطلب بلاد الروم وذلك طمعا منه فى المال فعندها أحضر الخليفه رسول الأمير عبدالوهاب وأسمعه ما نطق به عقبه من الخطاب فعاد الرسول إلى الامير عبد الوهاب وأخبره بما قاله الخليفه من رد الجواب فقال لهم الأمير ائتونى بفلان ورجاله ولما أن حضروا المطلوبين أحضر ولده ضيغم وقال له ياولدى خذهؤلاء وأمضى بهم إلى بلاد الروم فى طلب ستك وفرقهم فى الطرقات لعل أن تقع بها وبعاصف وبالملك أرمانوس فقال ضيغم السمع والطاعه ثم انه أخذ الرجال وسار وكان الليل قددهم بالإعتكار (قال) فسار والعساكر وطلبوا بلاد الروم خبب وتقريب وكل واحد منهم معه الفرس والنجيب (قال) ولما أصبح الصباح نادى الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب والسودان الانجاب فأخذوا أهبة الحرب والكفاح وزعق النلمان فى السودان وصاح وما تضاحا النهار حتى تعدلت الصفوف وجردت السيوف وكان أول من حمل الأمير عبد الوهاب وتبعته بنى كلاب واضطربت الكتائب واختلطت المواكب وأظهرت السودان العجائب وبذلوا المضارب ونكسوا الفرسان عن الجنائب وفقد الحبيب الحبايب وتعتعوا جيش العراق ووقعت الأسنه فى الاحداق وعاد عسكر الخليفه وقد انمحق ووقع فيه الخذلان وتمزق ولولا خوفهم من الخليفه كان الجيش قد تفرق (قال) وانظر عقبه إلى ذلك فقال لغلمانه أنا أعلم أن عسكر الخليفه ينكسر ويتقهقر وربما إنى أقع فى يد عبدالوهاب فيصلبنى فى هذه النبوه وما بقى فى الأمر إلا اننى أظهر للخليفه إنى سائر إلى بيت المقدس وأدعى لهم هناك وأدخل إلى بلاد الروم خلف عاصف لأننى قد أوصيته أن ينتظرنى فى مجمع المروج إلى أن أصل اليه ثم أن عقبه تقدم إلى الخليفه وقال له يامولانا اعلم إنى مابقيت أشتهى أن أقيم فى مكان يكون فيه قتال ولا موضع تسفك فيه دماء المسلمين ولا أقدر أن أرى ذلك بعينى وإنى أريد المسير إلى بيت المقدس أتعبد هناك وأدعى لك فى ذلك المكان المبارك (قال) فلما أن سمع الخليفه ذلك الكلام قال له توحشنا أيها القاضى ولكن سير فى دعة الله تعالى (قال) فودعه عقبه وسار إلى أن تم له يوم وليله وهاج به الوجد وعرج طالب بلام الروم فى طلب عاصف وارمانوس وذات الهمه (قال) فهذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من الخليفه والأمير عبدالوهاب وذلك أن الأمير قال لاصحابه أعلموا أننا أن لم نعمل عملا نفرق به هذا العسكر والأبطال والإطال علينا المطال وبعد ذلك أريد أن أجد فى طلب الأميره ذات الهمه

فقالوا بنى كلاب والسودان الانجاب أيها الأمير اعلم انك لو أوقدت لنا نار لولجناها أو أمرتنا بخوض البحار لخضناها فجزاهم الأمير خيرا وفى الحال أخرج اللملمان ومعه خمسة آلاف فارس من السودان وأعطاهم شيء من قوارير النفط والكتان وقال لهم اختلطوا بعساكر الخليفه وارموا النار فى الخيام وتوكلوا على الملك العلام ونحن نكون بالقرب منكم فاذا ثاروا من مراقدهم بذلنا نحن السيف فيهم فقالوا سمعا وطاعه أيها الأمير ثم انهم خرجوا وتفرقوا فى الخيام وارموا فيها النار ثم نادوا اعبد الوهاب يامنصور فأجابتهم بنى كلاب على نداهم فما كان أحد فى ذلك الوقت يبقى على أحد ولا بقى الوالد يلتفت إلى الولد وقد طلبوا الفرار وقد انهزم الخليفه قاصد آمد والعساكر خلفه وتركوا الأموال والخيام والأثقال وأصبحت الأرض منهم قفراً خراب وقد فرح بذلك الأمير عبد الوهاب (قال) ولما أن خلى قلبه من هذا الباب جمع فى الحال بنى كلاب والسودان الأنجاب وقال لهم الآن مابقى إلا المسير خلف ملك الروم لأجل مانخلص الأميرة من يده فقالوا سمعاً وطاعه ثم أنهم خرجوا من ملطية طالبين مدينة القسطنطونيه فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك أرمانوس فانه تم على حاله ومعه عاصف إلى أن وصلوا إلى مرج العيون واجتمعت اليه العساكر حتى صار فى عالم عظيم ثم انه أحضر الأميره ذات الهمه وقال لها هذا عاقبة مافعلتى فى حقى ولولا الشيخ النجيح أوصانى أن لاأقتلك إلا ان كان حاضر لكنت الساعه قضيت عليكى فقالت الأميره ياويلك ياملعون أنت ماتقدر ذلك الا أن يشاء الله تعالى وإن قتلتنى فلى من يأخذ بثارى وهو ولدى الأمير عبد الوهاب قال فهم فى الكلام وإذا ببطريق قد دخل على الملك أرمانوس وقال له يامولاى لك البشارة بسلامة الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح قال ففرح الملك بذلك وإذا بعقبه قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه فلما أن رآه الملك قام اليه وترحب به وسلم عليه وكذلك عاصف ثم قال عقبه لعاصف ابشر ياولدى ببلوغ الآمال ثم أدار عقبه عينه فى المجلس فرأى الأميره ذات الهمه قدامه فى المجلس فقال للملك أيها الملك ما انتظارك فى هذه العجوز الشمطاء والحية الرقطاء فقال الملك حتى نصل إلى القسطنطونية لأجل مانخرجها ونقتلها وتحضر الروم قتلها لأن مافيهم إلا من أحرقت قلبه فقال عقبه نعم مارأيت أيها الملك ثم أنهم باتوا تلك الليله بأسر مبيت فلما أن كان الصباح وعولوا على الرحيل وإذا بغبار قد علا وقتام قد نمى ساعه وانكشف عن أعلام إسلاميه وعصائب محمدية يقدمهم الأمير عبد الوهاب المجاهد عن دين الملك التواب ترس قبر النبى الأواب فلما أن وقعت العين على العين لم تصبر الطائفتين دون أن حملت بعضها على بعض وقال اللملمان أنا أريد أن أعمل عمل البطال ومايصنع من الاحتيال ثم انه نادى بغلمان البطال

وهم أبو الليل والخداع وأبوا كراع فلما أن حضروا أعلمهم الململان بما قد عزم عليه فكانوا اليه له أسبق ثم تقدم أبو الليل وكان قد تعلم حركات مولاه أبو محمد لأنه كان إذا حملت الطوائف بعضها على بعض يقوم ويجعل قصده سرادق الملك ويأخذ غلمانه معه وقد تزيوا بزى الرهبان (قال) وإن الململان والغلمال لما ان فعلوا ذلك وتزيوا قصدوا إلى خيمة الملك فى ذلك الوقت ثم انهم دخلوها فوجدوا الأميره ذات الهمه مثقلة بالحديد فحملوها وخرجوا بها وعادوا إلى عسكر الأمير عبد الوهاب ولم ينفصلوا حتى طلعت الشمس وعادت كل طائفة إلى مكانها ورجع الآمير عبد الوهاب فبشروه بخلاص الأميره ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وأما أرمانوس فانه لما رجع جلس على سريره وعقبه إلى جانبه وقال له ياملك اشتهى فى هذه الساعه ان أعذب ذات الهمه وأباكتها فقال له افعل مابدالك فقال للبطارقه على بهذه العجوز الشمطاء والحية الرقطاء فغابوا ساعة وعادوا اليه ثم قالوا أيها الشيخ ما وجدنا لها خبر ولا ذكر يذكر فقامت عليه القيامة وعض على كفيه ندامه وعاد على نفسه بالملامه فقال له عاصف أيها الشيخ لايهمك ذلك انا غدا آتيك بها وبعبد الوهاب وبجميع فرسان بنى كلاب والسودان والأنجاب (قال) ففرح الملك وعقبه من قوله وخلع عليه ولقبه بسيف النصرانية وحامى ماء المعمودية (قال الراوى) ولما ان كان من الغد وقد اصطفت الصفوف وترتبت الألوف أول من خرج إلى الميدان كان عاصف واذا قد ادعى الأمير عبد الوهاب إلى الطعان والضراب فلما أن سمع منه الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب خرج اليه وجميع الناس خائفين عليه من عاصف (قال) وقد وقفت الأميره ذات الهمه تنظر إلى الحرب وقد استفاقت لنفسها قليل هذا وقد التقيا الفارسان وتصادما بالأبدان وكل قوم أخذوا فى الدعاء إلى صاحبهم (قال الراوى) ولم يزالا الفارسان فى عراك وصدام وشباك ولزام وقد انعقد عليهما الغبار وقد غابا عن الأبصار فما كان يسمع إلى همهمة البطلين وزمجرة الفارسين والناس متطلعين وقد ضاق عليهم المجال وساءت بهم الأحوال (قال الراوى) وأن الأمير لما أضجره عاصف قام فى الركابين وتمطى فى البدادين وضرب عاصف ضربة شاذه فتلقى عاصف ضربة الأمير بالدرقة فقطعها السيف نصفين ونزل على عاصف جرحه جرح غير قاتل فلما ان نظرت الطوائف إلى ذلك حملت بعضها على بعض وتم عاصف يدخل من موكب ويخرج من موكب والأمير عبد الوهاب خلفه من مكان إلى مكان :

(قال الراوى) والناس مشغولين عن الأمير عبد الوهاب وعاصف إلى أن خرجوا من عسكر الروم وتم عاصف فى الهرب والأمير له فى الطلب وما عند أحد منهما خبر

والطوائف فى صدام ولزام وشرب كأس الحمام إلى آخر النهار هنالك ولت عساكر الروم وتبعتهم المسلمون الأخيار وما رجعوا إلى الخيام حتى مسكوا عقبه وهو منهزم طالب القسطنطونية ولما نزلوا الطوائف افتقدوا من فقد منهم فلم يفقد منهم غير القتلا وطلبوا الأمير فما وجدوا له خبر فصعب ذلك على المسلمين فقالت الأميرة ذات الهمة ما هو إلا قد طلب عاصف لأن عاصف قد هرب والأمير خلفه فى الطلب وما يعود إن شاء الله تعالى إلا به وما يغيب أكثر من هذا اليوم وعند الصباح يكون عندنا وإن كان ما يلحقه فهو يعود عنه وما أقول أنه يبطىء أكثر من هذا لأن عاصف موثوق بالجراح ثم انها قالت لضيغم سير بنا إلى صوب ملطية فسار ضيغم وعقبه معهم وأقاموا أصحاب الأمير يوم وليلة فما سمعوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فحملوا هم غيبته وعسفوا البر ثلاثة أيام فما رأوا بشراً ولا من يسألوه عن خبر فرجعوا إلى الأميرة ذات الهمة وأخبروها بما فعلوا وأنهم ما أطلعوا له على خبر فصعب عليها وكبر لديها وقالت لهم ما هو إلا قد دخل بلاد الروم خلف خصمه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأنا أعلم أن خصمه لا يمل من الهرب والأمير لا يمل خلفه من الطلب والخيل إذا جرت فى طلب ما تقف إلا عن عيا وتعب ولا بد لهما من بعد وربما فجعنى عاصف فى ولدى وأقرح عليه كبدى ثم أنها أقبلت على السودان وقد انتخبت منهم خمسة آلاف فارس ومن العرب مثلهم وقدمت عليهم ضيغم وقالت له ياولدى سير فى طلب أبيك واقتفى أثره الى بلاد الروم وابذلوا فى أهلها السيوف واسقوهم شراب الحتوف واقتلوا وانهبوا واسبوا واخربوا وان طلب الملك أرمانوس الصلح فلا تصالحوه حتى ينفذ لكم ولدى وحشاشة كبدى فقال ضيغم السمع والطاعة ثم ساروا فى تلك الساعة ومعهم الفرسان الموصوفين بالشجاعة والقوة والبراعة وسار ضيغم ومن معه يقطعون الأرض الى أن وصلوا الى بلاد الروم وألقوا النهب فى الضياع والأديرة وجميع الأماكن وسفكوا الدماء وقتلوا الفرسان وذبحوا الشيوخ والشبان وألقوا الخوف فى قلوب عباد الصلبان وقد أخذوا خلق كثير أسارى وسألوهم عن الأمير عبد الوهاب وعن عاصف فقالوا ما عندنا من هذا خبر ولا عهدنا منكم أنكم تأخذوا من لا يؤذيكم فقال الأمير ضيغم نحن نريد نأخـــذ تارنا ثم أن السودان بذلوا السيف فى البلاد حتى تركوها دكا وبلغ إلى الملك ارمانوس فقال ما أحوجهم الى ذلك إلا قتل ذات الهمة وربما يكون سيف المسيح عاصف قد قتل ولدها عبد الوهاب

﴿ تم الجزء الستون ويليه الجزء الحادى والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الحادى والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وقد دخلوا هؤلاء القوم وألقوا فى البلاد الخراب لأجل ماهربت منهم وجرت تلك الأسباب ثم أنه أرسل اليهم رسول يقول لهم ما الذى تطلبون منى أنا اخترت النجاه وهربت والذى قتل أميركم وأمير تكم هو عربى مثلكم فارجعوا عنا واتركوا الأذية وصالحونا حتى نحمل لكم الأموال إلى ملطية ولا نرجع نطيع خليفتكم بل نعينكم عليه إن عاد الى قتالكم وحربكم ونزالكم ونكون لكم أوفى مما كنا لخليفتكم وان أبيتم ذلك وبغيتم علينا فانا أرسل إلى سائر الجزائر ونكتب الى القلاع والحصون أن يمسكوا عليكم الطرقات والدروب فلا يرجع منكم الى بلاد الإسلام من يخبر بخبر فلما وصل الرسول الى ضيغم وقد أدى الرسالة وبلغه المقالة فقال له ضيغم نحن ما دخلنا الا فى طلب الأمير عبد الوهاب ولا نرجع الا به وإلا تركنا بلادكم بلاقع وحدثه بحديث أبيه وحديث عاصف فعاد الرسول وقد أنفذ ضيغم جماعة من عنده فلما ان حصلوا فى القسطنطونيه أعاد الرسول على ارمانوس ما سمع من حديث ضيغم فاغتم على عاصف غم شديد ما عليـــه من مزيد وفرح لغيبة الأمير عبد الوهاب وقال هذه ذات المهمة وعبد الوهاب قد هلكوا ومابقى لنا عدو ثم قال لاصحاب ضيغم وحق المسيح لقد عز على قتل الأميرة ذات الهمة لأنها كانت نعم الذخيرة فقالوا ارسل ضيغم والله ماهى إلا بالحياء وهى التى أرسلتنا لما ان فقد ولدها فقال ارمانوس أنا رأيت عاصف وقد ضربها ضربة وما أظن أنها تعيش منها أبدا فقالوا جرى بعدها من الأمر كذا وكذا فقال ارمانوس فى نفسه هيهات هيهات أن يموتوا هؤلاء القوم أبدا وحق المسيح ما يموت إلا نحن وأولادنا وهؤلاء فى الحياه ولا بقى لنا معهم مقام ثم سأل

عن عسكر الخليفة تأخبروه بالذى جرى والكسره فقالوا وقاضيكم قالوا فى أسوإ حال فى الذل والويل ويصفع قفاه بالنعال فى الغدو والإصال وقد حلفت الأميرة لابدلها من صلبه فى هذه السنة على باب الذهب فكن على أهبة من ذلك فنحن قوم إذا مضى مناواحد كان غينا مائة فقال ارمانوس أقيموا عندى حتى أوريكم ما أفعل فى حقكم وكيف أجتهد فى طلب صاحبكم ثم كتب الى سائر الأقاليم يطلب عبد الوهاب ثم أنه علم على الكتب وأنفذها على أجنحة الطيور وأنزل أصحاب ضيغم فى دار الضيافة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أتت الجوابات من سائر الملوك إن ما عندهم خبر من ذلك وكان قصد الملك أن يعلم قصد عاصف لأنه قد فرح به وأوعده أن يبقى يعطيه بلاد ويترك له عساكر وأجناد حتى أنه يكون سيفه على المسلمين فلما اطلعوا رسل ضيغم على هذه القصة عادوا بالخيبة وأعلموا ضيغم بفعال الملك فقال ضيغم أنا ما أرجع خائب وكلما عمله الملك محال ثم تم على ما هو عليه من خراب البلاد وقتل العباد وسبى الذرارى والأولاد (قال) فكثرت الشكاوى الى الملك فجمع ستين ألف من العرب المتنصرة وبرزها فى عساكر القسطنطونية وبعث الا الأقاليم يأمرهم بالقدوم ورحل هو فى مائة الف وقد قال لأصحابه ما هم الا فى قلة وما فيهم لا عبد الوهاب ولا ذات الهمة (قال) فاجتمعت الروم بقلوب صافية ومسكوا الدروب على ضيغم ولحقهم أرمانوس فى تلك العساكر ونادى فى وجوههم كل كافر ولما حققوا المسلمين اللقاء طلبوا منازل العلا والارتقاء والتقوا عسكر ملك الروم بالصوارم وضربوا بها الجماجم واختلطت العوالم بالعوالم وهدرت السودان بأصوات ودمادم وتفاخرت بانسابها العرب وعم الويل والحرب ودام الطعن والضرب وحكم الصارم العضب وارتفعت أصوات اهل الإيمان بقول لا إله الا الله الملك الديان فاجابتهم الطيور فى اوكارها والوحوش فى اجامها والسباع فى غاباتها وقد اسودت الأقطار فى عيون أهل الضلال وانهزمت الروم تطلب القسطنطونية وتركت أموالها للمسلمين وأبطال الموحدين (قال الراوى) ولما ملك ضيغم تلك الأموال والأسلاب قال لبنى كلاب والسودان الأنجاب الرأى عندى أن نرجع إلى بلادنا معاً لئلا يحصل بعد الربح خسران وإلا جمع الملك علينا جمع واتبعنا فاطلبوا بنا بلاد أهل الإيمان وكأنكم بعساكر الأقاليم نطلب إلى القسطنطونية وتصل ملوك الافرنجية وتفج علينا الدنيا بملوك النصرانية والصواب أن نعود ونعلم الأميرة ذات الهمة بما جرى حتى تدخل معنا فى مائة ألف من المجاهدين ويقوى منا بهم اليقين فاذا صارت فى هذه البلاد نفادى عقبه بالأمير عبد الوهاب وإلا صلبناه فقالوا بنى كلاب هذا هو الصواب ثم رجعوا طالبين

الدروب وأما الملك ارمانوس فانه جمع بعد الكسرة كل من فى القسطنطونية من الخاص والعام وقال ويلكم الدروب مضبوطة على المسلمين والأرض أرضنا والبلاد بلادنا فكيف نتركهم يرجعوا سالمين بأموالنا والرأى أن نطلب آثارهم ونخلص ما أخذوا من الأموال والرجال ونهلك أبطالهم والاقيال فقالوا الروم ايها الملك افعل ما بدالك فها نحن تبعاً لفعالك ، ثم اجتمعوا وساروا فى عقب عساكر المسلمين وكان ضيغم قد سار برجاله خمسة ايام حتى وصل إلى مجمع المروج فنظروا وإذا بالدنيا ملآنة بالبطارقة والعلوج وهى فى وجوههم مثل يأجوج ومأجوج والدروب عليهم قد ملكت وسائر المذاهب قد مسكت وما هم إلا ان اشرفوا حتى اخذهم الصياح من كل جانب وتبادرت إليهم الروم مثل السلاهب من المشارق والمغارب فأخذهم الاندهال من كثرة الأبطال فنزلوا فى تلك الأرض وأيقنوا بالهلاك والفناء هذا وضيغم يحثهم على الجهاد ونيل المنا ويقول يا بنى عمى ما بقى يخلصنا إلا قوائم السيوف ونحن على كل حال رابحين إن كنا غالبين او مغلوبين لأن لنا جنات النعيم إذا هلكنا بسيوف الكفار وإن هلكناهم فلنا الغنائم والخير والاستبشار (قال الراوى) وباتوا فى ذلك المكان وما منهم من نام إلا ويده على الحسام وهم يحرسون انفسهم ويسبحون ربهم إلى أن اصبح الصباح ثم عولوا ان يحملوا صوب الدروب ويبذلوا المجهود فى الخلاص وإذا بأعلام ارمانوس قد طلعت وراياته قد ارتفعت فلما اشرفوا كشف ضيغم رأسه ، وقال لأصحابه : يا بنى عمى اليوم يوم الاستبشار وما بقى الاضرب البتار ولقاء الواحد القهار ، فبيعوا فى هذه الساعة النفوس للملك القدوس ولا تبكون فيها على فراق الدنيا فتنالوا المنى وما وعد الرحمن جل وعلا ولا يطلب أحد النجاة ويطلب الحياة فما هو مخلد فى دنياه ولم يزل يعظهم حتى قالوا ياضيغم احمل بنا كيف شئت فانا علمنا أن القنطاريات نحونا قد امتدت وابواب الجنة قد فتحت ومن لم يكن اليوم مقتول فهو عند الله غير مقبول فقالوا السودان وقد سمعوا هذا المقال والله لابد ما نلقاهم ونحن عراه مكشفين الرؤوس حفاة الأقدام ثم انهم رموا الدروع والزرد وبذلوا النفوس والمهج وقد بصبصت جلودهم مثل السبج وحملوا على الروم مكبرين للواحد القهار ورؤسهم تبرق من تحت الغبار وأطبقت عليهم أطباق البحار وقد قال بعضهم حيث يقول :

وإذا الرجال تكاثرت فى قسطل ذل الشجاع وكلت الأبطال

(قال الراوى) وألقت المجاهدين انفسها للهلاك وقد علموا ان ما بقى لهم خلاص ولا فكاك وصاح ابليس فى طوائف الصلبان وأسعدهم بكل مارد وشيطان وصبرت طائفة

الرحمن وأسعدوهم بالتكبير والصلاة على البشير النذير ونقلت ارواح المجاهدين للحور والولدان ودام القتل فى العرب والسودان وتكاثروا عليهم عبدة الصلبان من كل جانب ومكان وبان فيهم المحاق والنقصان فضجوا إلى علام الغيوب واجروا الدمع المسكوب وكادت الأكباد منهم ان تذوب وخفتت الأصوات من كثرة الضجات وأيس من لقاء محبة كل محبوب (قال الراوى) بينما هم فى تلك المضايق والكروب وإذا بالروم قد تنافرت من نحو الدروب ووقعت فيهم الدقة من ورائهم فهجوا على وجوههم والسيف يعمل فى فى ظهورهم والتكبير من خلفهم قد علا ولم تكن إلا ساعة حتى ظهر الجيش وبان ولمع الحديد على الأبواب وهم زهاء من مائة ألف عنان بيض وسودان وهم ينادون جاءكم الفرج يا معشر الاخوان (قال الراوى) وكانوا هؤلاء القادمين بنو كلاب والسودان الأنجاب وكان السبب فى ذلك أن الأميرة ذات الهمة لما أبطأ عليها خبر ضيغم وأصحابه ، فقالت لا يكون قد تم عليهم امر فى بلد الروم لأنهم فى قلة دون العشرة آلاف فيهلكون ومالى من يكشف خبر ولدى إلا عقبه شيخ الضلال (قال الراوى) ثم حملته على جمل عريان ، وقد ألبسته السودان فروة مقلوبة ، وعملوا على رأسه طرطور من اذناب الثعالب ، وداروا به من كل جانب ، وسارت الأميرة ذات الهمة تقطع الأرض ، ذات الطول والعرض ، حتى اشرفت على هؤلاء الكفار فسبحان من يأتى الفرج ويجعل بعد الضيق مخرج هذا وضيغم وأصحابه قد انكشفت عنهم الغمة وفرحوا بالقادمين وأبعدت عنهم المشركين ودارت طاحون الحرب واشتعلت نار الطعن والضرب فلله در الأميره ذات الهمه على ماهى فيه من الكبر والجراح فانها كانت مثل غلام ابن عشرين سنه فى نصالها وقتالها فما بقى من الروم إلا من ولى الادبار وركن إلى الفرار وكان أول من انهزم أرمانوس وقد علم انه على النصرانيه يوم منحوس (قال) ولم تزل الأميره فى أعقابهم حتى انها أطالت عذابهم وقد أسرت من ملوكهم أربعة وعادت وهى فرحانه مستبشره ووصلت الأميره إلى ضيغم وأصحابه وهنتهم بالسلامه وقالت لهم ابشروا بالثواب من رب الارباب فقال لها ضيغم هذا كله ببركاتك ياستاه فوالله لقد جئتينا فى وقت الحاجه اليكى أطال الله عمرك وأهلك عدوك فقالت الأميره أقسم قسما ياولدى لقد حسبت حسابكم ودخلت أيضا لأجل الأمير عبد الوهاب وقد عولت أن أصلب عقبه أن لم يظهر خبر أبيك ثم سارت تخرب وتقتل وتأسر إلى أن وصلت إلى القسطنطونيه فلما أن وصلت إلى أبواب القسطنطونيه أرسل الملك أرمانوس يقول لها ياأميره ايش هذا اللجاج وهذه الفعال فى هذه السنة وقد قتل بيننا رجال وان

كان من أجل ولدك عبد الوهاب فوحق المسيح ماعندى منه خبر إلا منكم وإلا فما يكون بيننا إلا السيف ولا يكون بيننا صلح أبدا ثم أن الأميره أحضرت عقبه امام الرسول وقالت أنا فى غداة غد أصلب هذا ان لم يخلص ولدى أو يطفى بخبره نار كبدى ومابقى إلا هذا اليوم وهذا آخر أيامه فقال عقبة ماهذا منكى مليح يافاطمة أليس قد وعدتم الناس انى أصلب فى يوم مشهود وبحضرة عبد الوهاب والبطال فاذا فعلتى هذا وقد استعجلتى فما تكونى قد بلغتى منا ولا شفيتى مرض ولا أزلتى عنا فقالت الأميرة ذات الهمة ياملعون قد قيل من الكلام

تلجى الضرورات فى الأمور إلى سلوك مالا يليق بالأدب
ماحاملا نفسه على سبب إلا لأمر مناسب السبب

ولكن ياعقبة ان كنت تريد منى الامهال فانى أمهلك أيام بشرط ان تكتب إلى الملك مع هذا الرسول كتاب وتطلب منه ان يفيدك بعبد الوهاب وإلا فما بقى لك فى الحياة مطمع لأنى أخاف أيضاً ان يدركنى الأجل ولا أكون قد بلغت منك أمل فقال عقبة وقد علم ان أجله قد اقترب انا ابعث إلى ملك الروم بما تريدى لعله ينخدع ويلين ثم أنه كتب إلى ملك الروم كتاب يحذره ويقول له لا تتوانا عن خبر الأمير عبد الوهاب فاهلك. وأنت تعلم إنى كنت السبب فى خلاصك تخلصنى أنا أيضا من هذه القضيه والبليه ولا يكون عندك أفضل منى على اننى إذا عدت عملت لك عليه وقدته اليك بيديه ورجليه وهذه نوبه عظيمه وماوقعت قط فى نوبه أعظم منها فاطلب خبر عبد الوهاب وعاصف أن كانا قد عدما فى حال العرب المنتصره وفتش عليه فى الصوامع والاديره فالعجل العجل وإلا سقونى كأس الاجل ثم انه أعطى الكتاب إلى رسول الملك أرمانوس وقد سيرت معه الأميره أقوام وأقامت تنتظر الجواب (قال) ولما وصل الكتاب إلى الملك جمع خواص بطارقته من القسوس والرهبان وغيرهم وقال ماالذى عندكم من الرأى فى هذه المحنه الذى طرقتنا ومابقى لنا عليها طاقه لأن ملوك الاقاليم مابقوا يساعدونا وإلا كنت أنفذت خلفهم وكنا كتبنا لهم والشيخ النجيح أشرف على الهلاك ومابقى له منهم فكاك وان تهاونت فى أمره طالبنى به المسيح وأنا قد حرت فى هذه النوبة وخربت بلادى وهلكت أجنادى ووحق المسيح لو عرفت موضع عبد الوهاب لفديته بملكى جميعه ثم انه قال لرسول الأميرة ذات الهمة اننى أشتهى ان تمهلنا الأميرة ثلاثة أيام حتى اننا نبذل المجهود فى خلاص ولدها وأنفذ الطيور إلى جميع البلاد وجميع الجزائر حتى يظهر له خبر ثم انه أنفذ البترك مع رسل الأميرة ومعه عشر

قسوس ليطلب منها الامهال فلما وصلوا إليها وحصلوا بين يديها قالت لهم ما الخبر فأعادوا عليها ماجرى وقبل البترك يديها وقال لها أيتها الأميرة اعلمى أن بلاد الروم ماهى صغيرة وهى فى البحر أكثر من البر ونريد منك الامهال والصبر لعل يطلع لولدك خبر ونعينك على خلاصه ويكون ذلك سبب صلحنا معكى ومعه ولا يكون بيننا خلاف فلما سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك الكلام أحضرت قومها وقالت لها كيف ترون هذا الأمر أسعدونى فى المشورة فقالوا لها الصواب الصبر فلو كان عند الملك ارمانوس خبر لكان ظهر فهم فى الكلام وإذا هى بجواب مارس ودارس وصل اليهم يقولون فيه أجبنى ياأم المجاهدين الملك إلى الامهال فما عند الملك ارمانوس خبر من ولدك الأمير عبد الوهاب وما تسألى ماعلى قلوبنا من أجل فقده والملك فقد هان عليه صلب عقبة بعد ان كان يقاتلكم هو وأهل البلد القتال الشديد ونحن ماندرى تكون الغلبة لمن لعل يظهر خبر الأمير عبد الوهاب فهو أحب الينا من كل كافر على وجه الأرض فلما قرأت الأميره ذلك الكتاب اختلت بغلامها سرا من البترك وقالت له كيف وصل هذا الكتاب فقال لها وقع من الصور فى سهم نشاب وأتى به بعض أصحابنا فلما صح عندها القول أجابت إلى الإمهال عشرة أيام وقالت للبترك أنا مافعلت هذا الأمر إلا لأجل مشيك إلى فقبل البترك يديها وعاد وأخبر الملك بما جرى فأخرج الملك لها الإقامات والعلوفات وأرسل إلى سائر الجهات والحلل والأديره وقد انقلبت بلاد الروم فلاخبر ولاأثر وقد عادت الرسل من كل جانب وأخبروا أنهم لم يسمعوا له خبر فقامت على الملك أرمانوس القيامة وقال إنى أرى روائح الغلب وحق المسيح مارأينا قط عام أيشم من هذا العام خصوصا على الشيخ النجيح (قال) ووصل الخبر إلى الأميره ذات الهمه فأيست من ولدها الأمير عبد الوهاب وصارت تعلل نفسها وتقول ولعله يكون قدرجع إلى بلاد الاسلام (قال الراوى) فبينما هم فى هذا الكلام وإذا بالغبار من ناحية بلاد الاسلام قد ثار حتى عاد النهار مثل الاعتكار فقلقت الأميرة ذات الهمه وجعلت ترقب الغبار حتى انقشع وبان من تحته لمع الخود وبريق انقشع عن جيش ملأ المتسع وعلى المقدمة فارس كانه الأسد الادرع وهو غائص فى الحديد وتدرع وأما صوته فقد أرتفع بالتكبير فقالت الاميره ذات الهمة لعل الفرج يكون أقبل ويكون ولدى مع هؤلاء العرب حتى ينظر عقبة كيف يصلب ويكون أجل الملعون قد اقترب (قال الراوى) ولم يكن الأمر كذلك وإنما كان ذلك الفارس اللملمان وكان قد وصل إليهم فيما كان قد بقى فى ملطيه من العرب والسودان لأنه قد طال عليه غياب الأميرة ذات الهمة فخشى عليها

ودخل خلفها ووصل إليها فلما رأته الاميرة ركبت إلى لقاه وفرحت بسلامته من الجرح الذى كان قد أعاقه عنها فقالت له الحمد لله الذى قد أولاك العافية لأن قدومك مثل قدوم ولدى فباس اللملمان رأسها وقال لها يا ستاه هل سمعتى عن مولانا الأمير عبد الوهاب خبر فقالت له لا والله ياولدى ما كان الأرض الا ابتلعته وكذلك عاصف ولاشك ان ولدى قدقتلوه الروم فعاصف ما أراه طاح له خبر ثم ان الأميرة ذات الهمة بكت وبكوا الناس لبكائها من كل جانب هذا وقد تأوهت من شدة فراق ولدها واحترقها ثم انها أنشدت تقول

يعز على الثكلى يغيب حبيبها ... زمان ولم يأتى لها عنـــه خبر
وحق إله البيت والركن والصفا ... وزمزم والبطحاء والركن والحجر
لقدهدنى فقد الأمير وفى الحشا ... لهيب لظى يحكى جهنم أو سقر
ألا مخبر يأتى بخبر أمه ... بحال أبنها إن كان بخير أو بشر
بأى بلاد الله اضحى مجندلا ... وأى أناس فى بلادهم قد عبر
لقد كان كشافا لـكل ملمة ... وقد كان قتالا لمن كان قد نضر
سأبـكيه دهرى ثم تبـكيه دائما ... خيول اللقا والرمح والصارم الذكر
لقد كان للاسلام ركنا مشددا ... وكان يرد القوم يوما إذا بدر
ألا يا أمير المسلمين وهـكذا ... تميت عجوزا هدها بعدك الـكبر
وكنت لها فى آخر العمر عمدة ... وكنت لها سمعا وكنت لها بصر
ألا ياحمامات الاراك بحق من ... براكى إذا ما نحت فى عالى الشجر
ومر عليـكى الطير بالله تسألى ... عليه من الأطيار هل عندها خبر
ألا يانسيم الريح بالله بلغى ... إليه سلامى عند مسراك فى السحر
ألا ياغراب البين إن كنت سالما ... فبين لنـا تلقى الثواب مع الظفر
وياصلصات الرعد هل تخبرينى ... بليث هضور كان صيـال ان هدر
عليـــه سلام الله حيا وميتـا ... ما لاح فى آفاقها الشمس والقمر
وصلوا على خير الأنام محمـد ... نبى الهدى المبعوث من أخر البشر

(قال الراوى) ولم تزل الأميرة تندب على ولدها الأمير عبد الوهاب ليل ونهـار حتى أقلقت القلوب وأدمتهـا وأجرت العيون وأبـكتها وبكى اللملمان وقال على ماذا عولتى قالت أزحف على القسطنطونية وأضرب كل من كان فيهـا بالسيف وأنصب الخشبة على باب الذهب ونصلب عقبة فما كان سببا لهلاك ولدى الأمير عبد الوهاب غيره وهو الذى قد عمل هذا العمل وإذا أنا صلبته فأكون قد أخذت بعض التـار وأدفع

عن بنى كلاب العار وأما ملطيه فاننى لا أرجع إليها أبدا لاننى لا يطاوعنى قلبى ان أرى آثار ولدى ولا أراه على هذه البلية وما فى الأمر إلا أننى إذا رجعت أخذت الأموال والرجال وطلبت الحجاز فأكون قريبة من البيت الحرام وأبقى أزوره فى كل عام إلى أن يدركنى الحمام فما بقى فى العمر أكثر مما مضى فقال اللملمان لابلغت إلا عدا منكى مراد وإن كان ولدك قد غاب فها نحن عبيدك وبين يديكى نضرب أعداكى بالسيوف والرماح ونقيم فى ديارهم البكا والنواح ونسلت منهم الأرواح فعندها عادت الأميرة ذات الهمة وزحفت إلى القطسنطونية وتتابعت الطائفة المحمدية وقامت الدنيا على ساق واضطربت سائر الآفاق وطلعت الروم على الأبراج وزادحمت البطارقة والاعلاج وأحموا البلد وقاتلوا عن الحريم والولد وقد اشتد رمى الأحجار من الأصوار وقاتلوا ذلك اليوم أجمع وقد صبروا الابرار على قتال الكفار وصاحت الأميرة ذات الهمة فى بنى كلاب وأمرت ان ترفع الأخشاب وأخرجت السودان عقبة وقد حلت به جميع الأوصاب من السودان وبنى كلاب وركبوه على جمل وخم صياح وجلببه وزجل وعليه تلك الفروه المقلوبة وذلك الطرطور الطويل وقد أحاطوا به [illegible] من كل جانب وبأيديهم السيوف والقواضب وهم ينادون اليوم نصلبك يامعون على هذا البرج الرفيع والأميرة ذات الهمة تقول اين عينين ولدى الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال ليروا هذا اليوم والله اننا قد دخلت علينا العين وقد ناح فينا غراب البين هذا وعقبة ينادى معاشر المسلمين الحمد للسيد المسيح الذى لم يرانى عبد الوهاب ولا أبو محمد البطال وماتم على هذا الأمر حتى هلكت بتديرى الابنين وقد فرقت بينهم بعد [illegible] أخوين حتى انهم لايصدقون فيما قالوه ولا يرواما أطلبوه فعلمت الأميرة ذات الهمة فى تلك الساعة أنه يريد الأمهال إلى غير ذلك الوقت فقالت له يامعون [illegible] نوبة [illegible] نوبة قال ولما نظرت الروم إلى ماحل بعقبه من الانتقام حنت عليه [illegible] وعقبة يشير إليهم ويقول لهم هذا كله فى طاعة المسيح ما هو كثير فعند ذلك [illegible] وقالت لذلك ارمانوس وحق المسيح نحن ما نصبر على هذا الأمر [illegible] افعلوا انتم الصواب فقالوا له افتح لنا الباب حتى نخرج ونرمى [illegible] فعند ذلك فتح لهم الملك ارمانوس الباب فخرجت منه أمم فى [illegible] لحريق الأخشاب فلما رأوا ذلك السودان وبنى كلاب صاحوا [illegible] حملة رجل واحد ودسوا الروم بسنابك الدواب وحشروهم فى [illegible] كثير بغير حساب فقالوا فى ذلك الوقت مالنا فى هلاك أنفسنا [illegible]

ونصبوا الاخشاب وألصقوها إلى جانب الصور وشدوا عقبة بالحبال وعروا رأسه وحطوا على رأسه طوطور وهو ينادى ياعباد الصليب الرجعة الرجعة قبل مايفرط الأمر فى الشيخ النجيح واثبتوا فى هذه الجملة فما أجابه أحدا من الروم ولا التفتوا إليه وطلع اللبان وهو يقول أنا أول من يتولى صلب هذا الملعون لأن أخته عاقبة لهـا على الفضل ثم أنه تقدم والحبل فى يديه وعول ان يصلب عقبة وإذا بغبار قد علا فرمقته الناس وأما أهل القسطنطونية فانهم قد أندهشوا وقالوا ياترى هل يكون لهذا الشيخ فرج هذا الغبار ويكون المسيح قد غضب من أجل الشيخ النجيح وسبب له فرج من الضيق والحرج فقال لهم الملك ارمانوس هذا مالا يكون وكيف يكون ذلك وجميع ملوك الروم قد كسروا وما ربحوا وخسروا فى خروجهم إلينا ومامنهم من رجع علينا وهم كلهم معذورون فى ذلك ولانفعنا إلا ملك الافرنج وهم فى بلاء عظيم ماعندهم خبر منا هذا الأميرة ذات الهمة قد قالت لأصحابها لعل ان يكون لنا فى الغبار فرج أو يكون مع أصحابه عن ولدى الأمير عبد الوهاب علم أو خبر ولم يبق أحد من الفريقين إلا وهو طالب من هذا الغبار فرج (قال) وكان السبب أن ملك من ملوك الافرنج اسمه ميلاص ابن منفلوص وهو أجل ملوكهم ولم يخرج قط من بلده أبدا والملوك الذين يخرجون من بلاده أخوة هذا الملك وكان هذا الملعون من المعمرين وقيل انه قد بلغ مائة وستة وعشرين وشعر رأسه على حالة أشقر مثل الذهب وكان جبار من جبابرة الكبار وكان السبب فى خروجه فى تلك الأيام انه رأى خيال أتى إليه فى النوم وهو يقول له أخرج إلى بلاد الروم واخرج منها إلى قمامة وخلص بلاد المسلمين من أيديهم وأجلس على سرير القسطنطونية واظهر الدين الصحيح فلما رأى ذلك المنام جمع خواصه وقال لهم رأيت كذا وكذا وأنى معول على الخروج إلى بلاد الروم وأخلص قمامة وبيت المقدس من أيدى المسلمين حيث أن المسيح قد غضب من أجل هذا الدين ثم انه كتب إلى سائر الاقاليم والاعمال والجزائر التى فى البحر وجميع جزائر الافرنج وقد خرج معه من لم يخرج لأنهم قد سمعوا أن هذا بعد مائة وعشرين سنة قد خرج بطلب الغزو وان المسيح قال له أخرج واملك البلاد ففرحت الافرنج بذلك فقال لهم هذا شىء بأمر المسيح وما بقى الا فتح البلاد والجد فى الطلب ثم أعرض عسكره فكانوا فى ستمائة ألف وعشرة آلاف وقد خرج بهم الملك ميلاص وسار طالب البلاد حتى قرب من القسطنطونية وأخبر بما جرى على الملك ارمانوس وكيف فعلوا به المسلمين تلك الفعال وكيف أحدقوا بالشيخ النجيح ويريدون صلبه فقال ميلاص ما أراد المسيح خروجى إلا من اجل حجته ثم انهم ساروا بعساكر تملأ الخافقين ووصل الخبر إلى ارمانوس من

الجاسوس ففرح بذلك فرح شديد ماعليه من مزيد وقال هؤلاء ارسلهم المسيح لخلاص الشيخ النجيح ودع يأخذ القسطنطونية منى ولا اجد لذلك ألم ثم قال الجاسوس نظن ان الشيخ النجيح قد خلص من الصلب والهوان وتفنى العرب والسودان ومع هذا ما سمعناه لعبد الوهاب خبر فقال الجاسوس يامولاى انى ارى اقرب الناس إلى هذا الملك راهب النصرانية شومدرس الذى كان عليكم غضبان وقال بين يديه كلام اشغل قلبى فقال له ارمانوس وما هو قال سمعت شومدرس يقول ان هذا الملك ما خرج من بلاده إلا بأمر المسيح لأنه قال له انا املكك بلاد الروم والمسلمين وقال لى سلم لى على الملك ارمانوس وقول له لا تفزع فانى ادفع شر هذا الملك عنك ودعهم يشدوا من بعضهم ويتعاونوا على المسلمين فلما سمع ارمانوس بذلك فرح وارسل الافامات والمال والخلع من باب البحر إلى هذا الملك (قال الراوى) ونظرت الأميرة ذات الهمة هى واصحابها مانزل بهم من البلاء فقال اللملمان للاميرة ذات الهمة واصحابها ما هذه الفترة اعلموا ان ما بقينا ننجو إلا ان يأتينا فرج من من عند الله عز وجل والا بقوائم سيوفنا او يفتح لنا طريق ونطلب بلاد الاسلام او ينصرنا الله تعالى على هؤلاء اللئام فقالت الأميرة إن شاء الله تعالى يكون ذلك لأن هذا العسكر يكون ثقيل ولما اختلط الظلام واشعلت النيران وتحارست الفريقان ورجعت الروم يعطعطوا امع الرهبان وفرح بذلك عقبة الشيطان وايقن بالفرج بعد الصلب والهوان (قال الراوى) وكانوا المسلمين قد اعادوه إلى الخيام واصبح الله بالاصباح واضاء بنوره ولاح وركبت الافرنج وخرجت الروم عن آخرهم وقد قويت قلوبهم وأيقنت بهلاك المسلمين وأنتم مارس وأخيه دارس وقد ساروا يدعون الله تعالى أن ينصر المسلمين على القوم الكافرين ويسألونه بحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وركبت الأميرة ذات الهمة فى سائر أصحابها وقالت لهم أعلموا أن الجنة هى دار الفلاح ولا ينالها إلا من ترك الدنيا وطلب الإبدية والعيشة السرمدية وما فينا من هو مغبون فلقد قال من لا تراه العيون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وصاحت رهبان الروم وقسوسها ودقت نواقيسها وأطبقت الأمم على الأمم ودار السيف بينهم وحكم وطمعوا الروم فى هلاك المسلمين وان المسلمين مكتفين بقتالهم أجمعين ونظروا من كثرة الخلق ماكان لهم فى حساب وماكان لهم غير الصبر والجلد والضرب بالسيف والعمد والاتكال على الواحد الأحد الفرد الصمد وكثرت عليهم العدد وولى النهار وانصرم وافترقت الجيوش والأمم وامتلأت الأرض من القتلى حتى ما صار فيها موضع خالى إلا وفيه القتيل أو الاثنين (قال الراوى) ولما افترقت الناس ونزلت الجيوش سار الملك ارمانوس فى خواصه ودخل على الملك الافرنج فلم يعبأ به ولا قام له لأنه جبـــار عنيد

وشيطان مريد الا أنه طاعن فى السن (قال الراوى) فلما وقف الملك ارمانوس بين يديه ساعةزمانية فأمر بالجلوس وقال له بعدما صلب على وجهه أنت عندى وحق المسيح مثل ولدى ولا تحمل قلبك هم من خروجى إلى هذه البلاد فأنا ما خرجت من تلقاء نفسى فأنا رأيت فى منامى السيد المسيح وقد أمرنى بذلك وقال لى أخرج وأنا أفتح لك الأرض كلها وإذا ملكتها سلمتها إليك وتكون فيها من قبلى فدعا له الملك ارمانوس بالنصر وقال له لك البلاد كلها وإذا ملكتها سلمتها إليك وفرحت بما أعطاك المسيح وكل هذا بدعاء الشيخ النجيح لأنه لولا وصولك فى هذا اليوم إلى هذا المكان كانوا صلبوه المسلمين ولقد أهلكت اليوم بفعالك خلق كثير فقال له الملك ميلص وحق المسيح إذا كانوا المسلمين كلهم هكذا فما هم الابلاء عظيم وأنهم قد قتلوا من عسكرى أمم لاتحصى ولا تعد ولولا أنى أحمل على موا كبهم موكب بعد موكب أغرقه وإلا كانوا يلتقوامنا ما أملوه فقال له الملك ارمانوس اعلم ان هؤلاء حماة المسلمين فان أنت أهلكتهم تملك بلاد المسلمين جميعا فقال له ميلص طب نفسا وقر عينا فبيناهم فى الكلام وإذا بشومدرس دخل عليهم فى تلك الساعة الملك ارمانوس ياراهب قد اطلت الغيبة فقال شومدرس أنا ماغبت إلا من أجل ذلك الشيطان أبو محمد البطال لأنه قد لج فى طلبى هو وولده مذبحون وما أمنت على روحى منهما وأنا الذى قويت عزم الملك ميلص على الخروج بعد أمر المسيح حتى أنا ما أريد إلا آخذ تار ولدى دهرشوم وزوجتى شوما ثم ان شومدرس لما رأى الملك ارمانوس خائف من الملك ميلص ملك الافرنج فطيب قلبه وقال له لاتخف فأنا أترك هذه العساكر كلها بحكمك فشكره الملك ارمانوس وحدثه بحديث عقبة وما يقاسيه من المسلمين وقال أنا أخلصه ثم قال أيها الملك والأسود عبد الوهاب هو المقدم على هؤلاء فقال له الملك ارمانوس يا أبونا اعلم أن الأمير عبد الوهاب قد عدم ثم حدثه بحديث عاصف وما جرى لهما فتعجب شومدرس وقال كيف ابتلعتهم الأرض وحق المسيح لقد شوقتنى إلى عاصف هذا ولا بد لى ان اخرج لكما بخبرهما أينما كانوا ثم أن الملك أخبره أيضا بخبر البطال وكيف ذبح أولاد عقبة وكيف طلبه الخليفة ليقتله وكيف هرب الآخر وما طلع له خبر فقال له شومدرس بشرك المسيح بالخير فانى كنت فى هذا الجيش الكثير وأنا خائف منه وقد طيبت الآن قلبى وما دام انه غائب فسوف أدخل إلى عسكر المسلمين وأخلص هذا الشيخ النحس فهذا جرى من هؤلاء

(وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها لما نزلت تلك الليلة واجتمعت الرجال من حولها فأقبلت عليهم وقالت لهم والله لقد لقيتم أمر عظيم ولكن الله تعالى يعينكم على

هذا البلاء ويعطيكم أفضل العطاء لأن الصبر طريق الى الجنة فقالوا لها يا أميرة نحن قد علمنا ان مالنا إلى النجاة من سبيل وقد رضينا ان نموت كرام ولا نعيش لئام وما نطلب منكى إلا شيء واحد نقضى شهوتنا به حتى لايبقى فى قلوبنا حسرة أبداً فقالت لهم وما هو ذلك اعلمونى به فقالوا لها مافى قلوبنا أيتها الأميرة من الأمر العظم إلا من هذا الملعون ونحن نخاف ان نقتل كلنا وهو فى الحياة ويبلغ الغرض منا فقالت ماتريدون ان تفعلوا به قالوا تسلميه الينا نضرب عنقه بين الصفين حتى تقر أعيننا فوالله العظيم أننا بعد موت عتبة مانحمل إلا حملة الموت ودع يكون ما كان فيها فما بقى لنا فى هذه الدنيا غرض فقالت لهم الأميرة افعلوا مابدالكم والذى خطر ببالى فقد خطر ببالكم وكان قصدى ان أشاوركم عليه فى هذه الساعة لأننى أنا وانتم قد صرنا بين الاعداء وما بقى لنا خلاص الا ان نكشف رؤسنا ونرمى الى ضرب الصوارم نفوسنا حتى لايبقى منا قاعد ولا قائم لأننى والله قد كرهت الحياة بعد ولدى لأنه مضى كأنه ماكان فى هذه الدنيا لأنه مايطيب العيش إلا بالأحباب والا لاخير فى عيش يكون آخره فرقة واغتراب ثم انها بكت وقالت ماأمر فرقة الولد فبكوا لها سائر الأصحاب ثم انها نشدت تقول هذه الأبيات .

سلام على الدنيا فما أستطيبها ... وهل طاب عيش الأم بعد حبيبها
تذكرت أياما مضت ولياليا ... تحن اليها الآن كما يشيبها
فوالله لا أخشى من الموت ان دنا ... لنفسى لأنى قد أخذت نصيبها
ولكننى لم أدر كيف تغيرت ... على ولدى أخباره ما أصيبها
سألت نسيم الريح من فرط لوعتى ... لعل حديثا منه عند هبوبها
غريب بأرض الروم لايرتجى له ... رجوعا سلام الله يعبا غريبها
إذا خطرت ريح الصبا بشمالها ... يسائلها قلبى كذاك جنوبها
ألا ياغراب البين لاطرت بعدها ... ولا صت فى أرض الفلاة حبيبها
ألا مالغربان العراق تروعنا ... إذا رددت بين الربوع نصيبها
لقد مرضت أكبادنا لفراقه ... ولو عادنا يوما لكان طبيبها
ألا ياحمامات اللوا هل توصلى ... سلام عجوز قد أتاها مشيبها
ألا ياسيوف الهند هل تسعدوننى ... على سيد قد كان يحمى حروبها
ألا يارماح السمر هل تسعدوننى ... على طاعن الأكباد وهو مصيبها
ألا ياوحوش البركم من مواقفا ... لكم فى الوغا إذا رآكم من شجونها
ألا يا غراب البين هل أنت مخبرا ... لذات اغتراب زاد منها نحيبها

ألا ياغراب البين كيف أميرنا   دع السلم لكن قدنعانى غريبها
ألا ياغراب البين لو كنت منصفا   لبلغت منى قصة ما أجيبها
ألا ياحمام بات فى الايك جازع   على الفه قد طال عنها مغيبها
لعل الذى أحياك بالجرح قادر   يرد على أم الأمير حبيبها

ثم ان الأميرة قامت تفتقد المجروحين وهى باكية على الناس وعلى فقد ولدها وكلما افتكرت ازدادت على قلبها الهموم والأحزان وهى تتمثل بهذه الأبيات

إذا الحادثات بلغن النهى ❊ وكادت تذوب لهن المهج
وحل البلاء وقل العزا ❊ فعند التناهى يكون الفرج

ولم تزل كذلك حتى برق الضيا ونادى المنادى حى على الفلاح فثارت الفرسان إلى الجنائب وتقدمت المواكب واعتدلت الكتائب وتقدم الململمان يشاور الأميرة ذات الهمة فى قبال الحملة على الروم وقال نريد اليوم نصبح عقبة المذموم صباح ميشوم فقالت له الأميرة أقسم بالله لامنعتكم عنه فتبادرت السودان إلى ذلك المكان فما وجدوا لعقبة خبر ولاوقعوا له على جلية أثر فكادت مرائرهم ان تنفطر وأعلموا الأميرة بذلك فقامت عليها القيامة وقالت ياليتنا كنا البارحة بطشنا بهذا الملعون ولكن ما كان لنا فى حساب وهيهات أن يرجع عقبة يقع فى أيدينا ونشتفى بنا فى هذه الليلة الا ان يرحمنا ربنا

وكان السبب فى خلاص عقبة شومدرس لأنه لما شكى اليه الملك ارمانوس ماجرى على عقبة وأخبره بخبره وأوعده بخلاصه ومن ليلته صبغ نفسه أسود كما له بالعادة ولبس زى السودان ودخل العسكر فوجد الناس جرحا من القتال وهم مشتغلين ببعضهم البعض وهم آمنين ان ماله من يسرقه فدخل اليه الملعون وحمله على أكتافه وكان قد رأى مكانه فى النهار فى خيمة الاميره ذات الهمة فحمله ولم يزل به سائر إلى ان وصل إلى عسكر الافرنج ولما صار فيه شومدرس أمن على نفسه وعرفه بروحه وكان لم يعرفه بل يعتقد أنه من السودان قد أخذه يقتله فلما أن صار أخذه بكى من شدة الفرح فقال له شومدرس ابشر أيها الشيخ النجيح فقد خلصتك وكان فى قلبى من أجلك النار ومن حيث سمعت أنك مأسور أردت أجتمع بك وأتحلل منك فما بقى فى العمر إلا القليل فنريد نقضيه بالانفراد وقراءة الانجيل فقال له عقبه اسمع منى وامضى وائتنا بدواب نركبها فهذه أمور ماتنجينا فأتاه شومدرس بما طلب فركبا وهربا ولم يدخلا إلى القسطنطنيه (يجىء ذكرهم بعد) وأصبح الصباح كما وصفنا وقال ملك الافرنج مرادى أن تعرفونى بذات الهمه وترونى بها حتى آخذها إذا رأيتها وينفصل الحال فقال له ارمانوس هى فى عسكر المسلمين فاذا خرجت إلى الميدان

أحضرتها اليك فعند ذلك خرج إلى الميدان وردت النتباء الفرسان والشجعان عن الضرب والطعان وطلب البراز وقد صرخ بين يديه الترجمان وقال أنه يريد الاميره ذات الهمة فلما سمعت الأميرة النداء خرجت على جواد أشقر يسبق لمح البصر يسوى عشر بدركانه الذهب المسبوك سريع الحـــراك يسابق الافلاك لوهم نال السماك وعليها درع من الزرد كانه عين الجرد ولا يحصى لها عدد من عهد داود عليه السلام فى قديم الزمان ما يقدر على مثله انسان على صدره مكتوب قل هو الله أحد وعلى رأسها بيضة تتوقد وفى يدها رمح مسدد وذكرت ما جرى عليها من شوقها إلى الولد وأنشدت تقول

لولا الفراق لما وجدت نحولا ☼ أبدا ولا أضحى الفؤاد عليلا
ولقد حبست الدمع فى أجفانه ☼ فجرى وأثر فى الخدود مسيلا
أسفا على مانالنى لفـــراقه ☼ حزنا طويلا ما أراه يزولا
كم دمعة لى فى الظلام وانها ☼ تبدى غراما فى الفؤاد نحيلا
ويحق لى أجرى الدموع على الذى ☼ قد كان حصنا للانام ظليـــلا
ويحق لى أغنى الرقاد ولم أرد ☼ يوما عليـــه ولا أبيت حبيلا
حزنا على من كان ليثا فى الوغا ☼ يوم الحروب وصارما مسلولا
صوام فى حر النهار لربه ☼ قوام أبدا فى الظـــلام بليلا
يقرأ القـــرآن لربه وبحنة ☼ عند السجود مرتلا ترتيلا
ويذب عن دين النبى محمد ☼ يوم الحروب ويستقر خيولا
ياليت شعرى هل ألم بقرية ☼ أوفى الفلاة مجندلا مقتولا
أم هل غدا مأسورفى أيدى العدا ☼ متسيرا فى قيده مكبولا
يعلوه منى ما حييت تحيـة ☼ تبقى عليه بكرة وأصيلا

ولمـــا فرغت الأميرة من شعرها حملت على ملك الافرنج وقالت له ياميلص اليوم تروح منها حليص مليص وقد التقته كالأسد الدعيس وكل واحد منهما على قتـــال صاحبه حريص واشتبكا حتى ظن كل واحد منهما أن ماله تخليص ونار بينهما العجاج وأخذا فى الهياج ودرت من الخنق الاوداج وصاحت من كثرة قيامها الافرنج والاعـــلاج واستغاثت المسلمين إلى صاحب المعراج والاله الذى أحيا الأنفس بالماء العجاج وخلق الخلق أفراد وأزواج وأرسل محمـــد صلى الله عليه وسـلم فكانت هدايته أنور من السراج ولم تزل الاميرة مع ملك الافرنج حتى تقضى النهـــار

ورأت الاميرة ذات الهمه منه على كبر سقه ماحــير الافـكار فلما نظرت الاميرة إلى النهار وقد أستحال صممت عليه بالطعنة فبطلها الملعون عليها وتلقاها بقلب غير فزعان ثم انهـا جاولته بعزم وجنان ثابت عند لقاء الشجعان واختلف بينهما ضربتان فكان السابق بالضربة الاميره ذات الهمه فوقعت فى عنقــه قطعت رأسه وقد أخمدت أنفاسه فعند ذلك حملت الافرنج حملة واحدة وقد حملت المسلمين عليهم وزاد التكبير من بنى كلاب والسودان الانجاب وقد كشفت رؤسهــا وتبعت أعقاب طائفة الطغيان من ذلك المكان وقد امتـلات من قتلاهم القيعان وعادوا لنهب الاموال وقد شكروا الله على دفع الأهوال وباتت الامـــيره تنتظر الصباح وقد عولت انهـا تزحف إلى القسطنطونية فبينما هى على تلك النية وإذا قد وصـــل اليها رسول من عند الملك ارمـانوس يقول لهـا وحق المسيح يا امـيرة لقد فرجتى عنى كربه من كرب الدنيا لأن ملك الافرنج ماخرج من بلاده إلا أنه يريد أن يملك بلدى وما علم أن المسيح قد أخرجكى له وأقعدك فى هـذه الأرض حتى تقلعين شأفته والساعة فقد انفصل الحال على الصلح والهدنة وأعطيكى الأمـــوال التى كنت أحملها فى كل سنة إلى خليفتكم وأضاعفها لـكم وأحلف انى أجهد فى كشف خبر الامير ثم انى أعاونك على خــلاصه أينما كان (قال الراوى) فلما ان سمعت الامـــيره من الرسول ذلك قالت لاصحابها ما بقى فى الامر الا هذا والصلح أخير واصلح وانى أحلف ملك الروم على ماذكر ونرحل ونعود إلى أرضنا وبلادنا والذى كنا نريد طلبه قد هرب وهو كان غرضنا وغريمنا وهو عقبه بن مصعب وأنا ماأريد البغى على من أراد قة حربنا ولعل ولدى يظهر له خبر ثم انها أجابت الرسول ورجع الرسول إلى عند الملك أرمانوس ومعه جماعة من أمراء بنى كلاب لأجل حلفان الملك ثم دخل عليه وأعلمه بذلك ففرح وقد أخرج لها الهدايا والتحف عن بلد القسطنطونية وحلف الملك أرمانوس بأيمان صعبه عندهم بأنه لايخفى عنها خبر الأمير عبد الوهاب ويرسل ما يكشف خبره أينما كان وانه يساعدها على خلاصه وعادت بنى كلاب من عنده بالأموال والخلع والثياب الغوال ورحلت الأميره بعد هذه الأحوال وسارت طالبه إلى ملطيه وهى حزينه عـلى ولدها الذى ماسمعت له خبر ولانالت من صلب عقبه أرب وقد أصابتها مصائب عظيمه فقالت ياملمان ترى يعود ولدى إلى الأوطان وأراه قبل الموت بين الفرسان فقال لها اللملمان لوسمعنا له خبر لما خرجنا من بلاد الروم حتى خلصناه ولـكن مايعلم الغيب إلا الله تعالى (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ملطيه وقد خرجوا لها أهل البلد

والتقوها وسلموا عليها وقالوا لها ماهذه الأمور المخبيه فقالت لهم الأمر إلى الله رب البرية وفرحت الناس بسلامتها وقد زينت البلد كل هذا والأميره ماعندها خبر بل هى مشغولة القلب من أجل فقد الأمير وهى تكابد نار السعير (قال الراوى) فبينما هى على ذلك الحال إذ وصل اليها رجل ومعه كتاب فلما أن رأته الأميره رجف فؤادها لأنها كانت قد أنفذت من قبل رحيلها من على القسطنطونية أربعة جواسيس وقالت لهم ياأولادى لاغيكم من يرجع إلا بخبر شافى فقالوا لها السمع والطاعة ثم سار كل واحد منهم فى طريق من الأرض وانها لما أن أتاها ذلك الرجل ومعه كتاب فرحت وقالت لاشك ان هذا الكتاب فيه خبر ولدى افتحوه واقرؤه ففتحوه وقرؤه وإذا هو من عند يانس المتعزب وهو يقول فيه أما بعد أيتها الأميره أنتى تعلمى وكل الناس أن لكل أجل كتاب وماأتى بأول من أصيب فى ولدها فالله تعالى يحمل عن قلبكى ويحسن عزاكى فى الأمير العابد الزاهد المجاهد وان ذلك قد بلغنى ممن أثق به أنه تطير الأمير رحمة الله عليه ومعه عاصف فى البر الأقفر قريب من بلد المغلبيط فأخذوهما وقد عرفوا الأمير ولم يعرفوا عاصف بل انهم قالوا هذا من بعض العرب المنتصره ورفعوهما كى يشتفوا بموتهما وقد صلبوهما فأحسن الله عزاكى وجدد لكى الصبر الجميل وقواكى على ما أبلاكى وأنا أيضا فى عزاء من أخى وصاحبى (قال الراوى) هذا ولما سمعت الأميره مافى الكتاب صاحت صوتا هائلا وغشى عليها وقد أيست من ولدها ولما أن أفاقت من غشوتها خرجت من دارها وجلست بين القبور وعملت لها بيت وجلست فيه وقد عدمت عقلها وعيل صبرها وكسرت الرماح والنصول وهلبت الخيول وقامت المآتم ومن الغد قعدت للعزاء هذا وقد وصلها كتاب ثانى من مارس واخيه دارس بمثل ما قد ذكرنا فبكت وناحت وتجددت الأحزان وقد بلغ ذلك إلى المعتصم فقامت عليه القيامة وقد ندم لما ان حققت الحقائق وقال والله يعز على فقد ذلك الأمير الزاهد ولقد كان سيف دولة بنى العباس فانا لله وإنا اليه راجعون

(قال الراوى) هذا وقد دامت الأميرة فى العزاء شهرا كاملا وقد هجرت المنام ولم تأوى إلى العمران هذا وقد بلغ الامر الى الأمير عمرو بن عبيد الله بما هى فيه فقال لقومه لقد هد قلبى فقد امير لانه كان كهفا لنا ولغيرنا فقالوا له بنى سليم لقد استرحنا من تكبره وتجبره علينا وماكان لنا معه رأس تنشال فقال لهم عمروا قصر عن هذا الكلام فوالله لابد ماانذكره ونتذكر أيامه ونتحسر عليه ثم انه قطع شعره وسار إلى الاميرة ذات الهمة راحلا ولما ان صار عندها عزاها فى ولدها الأمير عبدالوهاب هذا ولما ان دخل على الاميرة قامت له وأكرمته

وقالت له والله يا أمير انك عندى مثل ولدى عبد الوهاب وان لم نزالك ما نرى إلى أحد فقال لها الأمير عمرو والله يعز على فقد ذلك اليد الذى كنا كلنا تحت كنفه وحمايته طول الابد فشكر الاميرة على ذاك وقالت له أأمر بنى سليم ان يعودوا إلى منازلهم فالبلد لكم وأنا أكون فى جانبه ملازمة الاحزان فعندها عاد الامير عمرو ومعه سادات بنى سليم إلى منازلهم ومن الغد عاد الامير عمرو اليها وقال لها أيتها الاميرة الزاهدة العابدة لو كنتى تسيرى إلى عند الملك المعتصم وتجعليه فى حل من دم الامير عبد الوهاب أخى لكان هو الصواب فقالت له أيها الامير هذا قول مثلك وأنا الذى لا أعود إلى خدمة الخليفة أبداً ولا بقيت أركب جواد ولا أحضر جلاد بعـــد ولدى الامير عبد الوهاب فوا أسفاه على ذاك الامير رحمه الله وانا أريد أواضب فى بعض المغارات وأعتكف فيها وأعبد رب العالمين حتى يأتينى اليقين ولا أرجع إلى خدمة أحد من المخلوقين واعلم ان ما سبب مجىء عاصف الى ولدى وهلاكه غير الخليفة (قال الراوى) فلما ان سمع عمرو منها ذلك الكلام عذرها وخرج من عندها وكتب كتاب إلى الخليفة المعتصم وهو يقول له فيه يا أمير المؤمنين اعلم ان الأميرة ذات الهمة مطالبة لك بدم ولدها وقد أعفت نفسها من الركوب ودخلت فى بيت العبادة ولما ان فرغ من الكتابة علق الكتاب على جناح الطائر وأطلقه فما بات الخبر الا فى بغداد هذا ولما ان صار الطائر فى بغداد أخذه البراج وحل الكتاب من تحت جناح الطائر وأخذه وسار به الى المعتصم وسلمه اليه فأخذه المعتصم منه وفضه وقراه وعرف مضمونه ومعناه (قال الراوى) هذا ولما ان وصل كتاب عمرو الى عند الخليفة وقراه قال والله ما سرنى فقد الأمير عبد الوهاب وما كان سيفى غيره وأنا اعلم ان أمه تدعو على وقت خلوتها فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والله انه مضا وكنت أنا سبب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم واما ما كان من حديث الأمير عبد الوهاب فانه لما ان تبع عاصف لج عاصف فى الهرب والأمير خلفه فى الطلب وما زالوا فى كد إلى ان أمسا المسا وهما فى الجد والكد طول الليل حتى أصبح الصباح وقد وقعا فى ارض يقال لها الخشنا وهى ارض مقفرة موعرة موحشة محجرة إذا طلعت الشمس عليها صارت مثل جهنم المسعره ما فيها مورد ولا منهل من الماء ولا مسلك ولا مدخل ولا آكام ولا جبل يظلل فيه الطير فى جوانبها مرتاعه وفيها يظهر الغول ساعه بعد ساعه لأنه خلق من السموم ولا يسكن فى العمران إلا فى البوادى الخوال الخالية من الأنس العامرة بالجان كانت تلك الأرض طامسه عابسة موحشة غير مؤنسة واسعة الأقطار دارسة سكانها الجان وجنود إبليس (قال الراوى) فلما ان وقعا فيها مات جواد عاصف من شدة الكد

والعطش والفزع والدهش هذا وقد انطرح عاصف إلى جانب الجواد وهو لا يعقل على نفسه فلما ان وصل الأمير إليه رآه على ذلك الحالة فما قدر يمد يده عليه من التعب فوقف ساعة على رأسه فأصابه هو والجواد مثل ما اصابه وقد وقع هو والجواد ولا فيهما من يتحرك ولا يقدر على القيام عل الاقدام ولا على الحركة ولا على كلام فبقيا على حالتهما فى ذلك المكان لا يقدر احد منهما ان يأمر فى نفسه ولا ينهى من شدة الحر والعطش وباتوا تلك الليلة فى تلك الأرض ولما ان كان من الغد كوت الشمس وجوههما فبينما هم على تلك الحاله وقد أيسا عن نفوسهما وايقن بالهلاك وسوء الارتباك وإذا هم بعشر فوارس قد اقبلوا نحوهما من صدر تلك البرية ولم يزالوا سائرين حتى اشرفوا عليهما وهم على حالة الموت هذا ولما ان نظروهما وهم على تلك الحالة فنزلوا إليهما ووقفوا عندهما وجسوا جسدهما فرأوا فيهما الانفاس تتردد فاتوهم بالماء وسقوهم ورشوا على وجوههم فاستفاقوا وأرادوا ان يسألوهم عن حالهم فما قدر احد منهم على الكلام وقد عرفوا انهم من العرب فقالوا لاشك ان هؤلاء مسلمين ثم بعد ذلك حملوهما على البغال وساروا بهم إلى نحو بلادهم

(قال الراوى) ان كانوا هؤلاء من الفلاسفة وهم من حكماء الروم وقد قرأوا الكتب فاطلعوا على كتاب يذكر فيه ان فى ذاك المكان مطلب فقصدوا الى ذلك المكان قبل ذلك اليوم فرأوا المطلب وقد أخذوا منه الذهب وترددوا عليه عدة أيام فرأوا فيه المال والجواهر فاخذوا منه شيء كثير وعادوا إلى بلادهم وأنفقوا ماأخذوه على أحوالهم ولما ان كان فى الاوان رجعوا ليأخذوا من ذلك المال فوجدوا الامير عبد الوهاب وعاصف هناك مرميين فأخذوهما وعادوا راجعين بعدما أخذوا من المال ماأرادوا وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى مدينة فى زوايا بلاد البنجاك يقال لها كندغره ولها ملك يقال له دقيادورى وكان جبار عنيد وشيطان مريد وهو يعبد النار من الملك الجبار

(قال الراوى) فلما ان دخلوا هؤلاء الحكماء إلى تلك المدينة ساروا إلى عند الملك وسلموا عليه وقدموا له الامير عبد الوهاب وعاصف وقالوا له أيها الملك أعلم ان هؤلاء قد وجدناهم عند المطلب فلما ان رآهم الملك أمر بضرب رقابهم فقال عاصف لماذا تقتلنا أيها الملك ولم تعلم من نحن فقال له نعم انا أنكم مسلمين فقال عاصف أيها السيد أما انا فمن عباد المسيح فلما ان سمع الملك منه ذلك صاح عليه وقال له ويلك لابد من ضرب رقبتك والا تترك عبادة المسيح وتعبد النار المحرقة التى هى على الاشياء مسلطه فقال عاصف أيها الملك اعلم انه كان رجل مسلم ونصره عالم النصرانية وهو يقال له عقبة الا انى اشتهيت أعبد

النار ولكن صفهالى واذكرلى بعض خصائلها حتى اعرف ما اقول فقال له الملك ياويلك ايش جهد ما اصف لك اعلم ان فيها منافع كثيرة تحل الجماد وتشرق بالنور فى الظلام واى من ألقى فيها احرقته وأى جسد قرب منها مزقته واى طعام صنع عليها احسنته واكله الإنسان وتجفف الوصب ويصعد منها الدخان (قال الراوى) ولم يزل الملك يصف لعاصف النار ويكثر له من الهذيان وما تفعل من الافعال الحسان الذى خصها الله تعالى حتى لان ودخل هذا الشيطان فى دينه وترك عبادة الصلبان وبعد ذلك رجع الملك إلى الامير عبدالوهاب وسيد بنى كلاب وقال له ماتقول انت الآخر أيها الشيخ تدخل فى ديننا وتتيقن بيقيننا وتدخل فيما دخل فيه صاحبك فقال له الأمير عبد الوهاب كيف أعبد النار وأترك عبادة الملك الجبار الذى خلق النور والنار والليل والنهار ويلك يا أعما البصيرة النار إذا انفخت قويت وإذا تركت خمدت وبردت والماء يطفيها والكلاب تبول عليها والقذر يرما فيها وإذا صارت رماد تدور عليها (قال الراوى) ولم يزل الأمير عبد الوهاب يسب النار حتى أغضب الملك واحمرت أحداقه وقد صاح صيحة الغضب وسل سيفه وكان مثل الصاعقة ورفع يده إلى أن بان بياض أبطيه وهم ان يضربه ويعجل عطبه وإذا بشخص قد قام اليه ومسك يديه من عند مرفقيه وقال له أيها الملك لا تفعل فالتفت الملك إلى المتكلم وإذا به ولده وكان اسمه أبو النور وكان من الشجاعة والقوة بمكان عظيم وقال له أيها الملك اعلم أن هذا رجل غريب وماهو من أرضنا ولا من بلادنا وهو عندك أسير ولا يحل لك قتلة هكذا فقال له الملك فكيف يكون العمل يا ولدى فقال له تختبره فى الحرب واعلم أن فى الناس من يصلح للبقاء ولو كان ممن يصلح للقتل ولو كان من الأصدقاء فدعنا نجربه فى الحرب فان كان ممن يصلح للقتل فهو لا ينفع الحرب وان كان من أهل الشجاعة استبقينا عليه ونمهله وهو مسجون عندنا ونحسن إليه فلعله يتغير مما هو عليه ولعله يكون ركنا لنا ولا تسمع الملوك عنك بأنك قتلت أسير قتل الغبن بغير خبره (قال الراوى) فلما ان سمع الملك من ولده هذا الكلام سكن غضبه وكان غضبه وكان يحب هذا الولد لأنه بطل همام وكان يفضله على كل أحد من سائر الانام فقال له ياولدى هذا هو الكلام وكان ابن الملك قد سمع بحديث المسلمين وشجاعتهم لأن الشجاع يحب الشجاع ولا يسأل إلا عن من هو شكله وكان قد سأل من السفار فاخبروه بالأمير عبدالوهاب وقد ذكر فى حضرته مرار ثم ان ذلك الولد تقدم إلى الأمير عبد الوهاب وقال له من تكون يا شيخ من أبطال المسلمين لانى أرى عليك زى الاجناد وسيمة أهل الجلاد فقال له ياهذا أنا أسمى الأمير عبدالوهاب فقال من تكون يا شيخ من الأبطال فقال أنا أمير ثغور المجاهدين والمحامى عن المسلمين وقاتل أهل الكفر والطغيان فقال له

أبو النور وقد قرب منه وحق النار المحرقة يا أخى لقد سمعت بخبرك وكنت اسأل النار أن تجمع بينى وبينك من قبل الممات لانظر اين انت مما وصفوك الواصفون وما قالوا فيك من الفروسية وقد دارت الافلاك بما أريد وقد قرب لى البعيد فقال له الأمير عبداوهاب هاقد بلغت ماأملت واجتمعت انا وانت فافعل ماتريد من الأمر المزيد ومهما شئت انا لك موافق فيه فقال له ابو النوران كان الأمر كما ذكرت فانا اتركك انت وصاحبك فى دار الضيافة الخاص إلى غدو نخرج انا وانت إلى الميدان فان انت اسرتنى خلصت نفسك وحت دمقنك وان انا اسرتك تعود إلى عبادة النار والاقتلك ابى وانت تعلم ماكان يريد ان يصنع بك لولا أنا فقال الأمير عبد الوهاب رضيت بهذه الأسباب (قال الراوى) أنزلهما فى دار حسنه وقد أتاهما بالطعام الفاخر فاكلا منه ولما ان شبع الأمير منه حمد الله تعالى وقد عاشت أرواحهما وطابا من الضعف الذى كانوا فيه من الجوع والعطش فالتفت الأمير لعاصف وقال له لعنك الله ياويلك تركت عبادة الرحمن ورغبت فى عبادة الصلبان وبعد ذلك انقلبت إلى عبادة النيران فالويل لك من الواحد المنان فقال له عاصف أيها الأمير والله أنا فى هذا متفكر وقد طاب قلبى إلى العودة إلى عبادة الحق وحدثنى عقلى بذلك فامدد يديك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده روسوله فلما ان سمع الأمير عبد الوهاب ذلك المقال طار قلبه فرحا وظن أن ذلك حقا فقال له الأمير من حيث عدت إلى دينك الأصلى فعفا الله عنك لأنه قال وهو أصدق القائلين إلا من تاب وآمن الآية ولعلنا ان نعود إلى أوطاننا ثم نتخاص من هذا المكان ويحصل لك منى كل خير يا عاصف وأنعم عليك بخيل وجمال ومال (قال الراوى) ثم أن الأمير عبد الوهاب بعد ذلك قام وتوضأ وصف أقدامه واستقبل القبلة ووقف يصلى وكذلك عاصف توضأ وصلى شىء قليل ونام هذا وقد أقام الأمير عبد الوهاب ثلثى الليل وهو يصلى ويقرأ القرآن وبعد ذلك انضجع ونام فتركه عاصف حتى خط فى نومه ووثب إليه وترك يده فى حلق الأمير عبد الوهاب واتكا عليه حتى بظت عينيه وغمى عليه وبرد ولما ان علم عاصف ان ما بقا فيه نفس قام عنه وتركه على حاله وقال أنه ميت ووثب وصار فى وسط الدار وصار يستغيث فقال الموكل بهم ياويلكم ما حالك وما وراك ومن بشره رماك فقال له اعلم أن الملك قد تركنا فى هذه الدار الميشومه الكثيرة الديب وقد طلع علينا منها ديب كبير فلسع صاحبى وخلاه ميت وقد أعدمه الحياه لوقته وساعته وأنا فقد فزعت ان يصيبنى ما أصابه فخرجت صارخ خوفا على نفسى (قال الراوى) فلما ان سمع من عاصف ذلك سار وقد أوصل الخبر إلى الملك فسار الملك وأتا إليه ودخل على الأمير

وطل فى وجهه فنظر الأمير فرأى عيناه قد خرجت فايس منه وقال وحق النار لقد كنت أشتهى أن أنظر إلى هذا الفارس وأبصر شجاعته ولكن عجلت النار عليه بموته فقال له ولده أيها الملك أعلم أن هذا الوجه ما هو وجه ملسوع وانما هو وجه مخنوق وأنا أقول أن ما خنقه وغدر به إلا رنيه هذا الشيطان الغدار المكار لأنه لو كان فيه خير كان لنفسه وقد وجب عليه الصلب فى دين المسيح والحرق فى دين الملك عابد النار وفى دين المسلمين أيضا يجب عليه القتل من تغيره من دين إلى دين ولم يثبت له على دين ولا يحاجج عنه قليل بل كلما قيل له شىء يتبعه ولا يمتنع عنه وهذا استهزاء بالاديان وغرورا منه وذلك يدل على أن الرجل ليس هو مربوط على دين ولا على ملة (قال الراوى) فلما أن سمع الملك من ولده ذلك حمل همه وعاد إلى عند الامير وطل فى وجه ورآه مرة ثانية وثالثه وهو يتأمله وبعد أن تحقق وعرف حاله قال له ياولدى قد وجب صلبه ثم أن الملك أمر أن ينصب لعاصف خشبة على جانب الجزيره وعلقوه من ابطيه عليها حتى يطول عذابه هذا وقد سبوه عباد النار وقالوا هذا ما فيه خير لاحد ثم أنهم أخذوا الامير عبد الوهاب وأرموه تحته ورشوا الماء على وجهه (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء وما جرى لهم وما كان منهم (وأما ما كان) من الاميره ذات الهمة فانها فى تلك الليلة وهى ليلة خنق ولدها من عاصف فانها رأت فى المنام أن عقاب قد انقض على ولدها وانقلب صار أفعى سودا وقد لسعت الامير ومات وقد قتلت الأفعى من بعد فانتبهت الأميرة من المنام مرعوبة وجمعت أصحابها وقالت لهم ياقوم اعلموا أن ولدى ما هلك إلا فى هذه الأيام وما كان كتاب يانس الا محال لأنه سمع غير الصحيح وربما يكون عقبة قد نشح عليهم وفى هذه الساعة قد أيست منه وعلمت أنه مات فى هذه الأيام من صحيح فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أن الأميره داومت الأحزان (قال) فهذا ما كان من الاميره ذات الهمه (وأماما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه قام ذلك اليوم وتلك الليله تحت الخشبه ملقح وعاصف فوقها مصلوب ولم يزل الأمير عبد الوهاب غائب عن الوجود إلى وقت السحر وتحرك وفتح عينيه ومدرجليه ووجد الراحه والصحة فى جسده وتنفس ونطق وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله سبحان محيي العظام وهى رميم فقال عاصف وهو فى شدة شديدة من شد الصلب أيها الأمير وأنت فى قيد الحياه فقال الأمير نعم والحمد لله فصاح عاصف وقال بشروا الملك وابن الملك بسلامة من أراد صلبى من أجله فها هو فى الحياة فعند ذلك أقبلت بعض الصيادين إلى الملك وقالوا

له أيها الملك أعلم أن الميت الذى أرميته تحت المصلوب قد ردت فيه الروح وقد تكلم وعاش بعد الموت (قال الراوى) ان كانت هذه الجزيرة لم فيها غير هؤلاء الصيادين يرمون اليها كل من غضب عليه الملك بعد قتله ويقولون أن النار راضية عنه فهى تقبله وتأتى اليه وتأخذه اليها من غير كفن وان لم تقبله فدعه مرمى مكانه فكانت الوحوش تمر به وتأكله ولا يبقون لا لحم ولا عظم وفيهم من يبتلع الانسان ولم تمر به هايشة ولا وحش ويصبح مكانه فيقولون أن النار لم تقبله فيأتون إلى الملك ويعلموه فيقول لهم الملك ألقوه فى البحر فيأكله السمك وهذا دأبهم (قال الراوى) ولما أن أتت الصيادين وأعلموا الملك بحال الامير ولما سمع كلام الصيادين فرح بسلامته وقد ركب من وقته وساعته وقال أن النار أرادته وأحيته وما يعلموا أن الله هو الذى يحي ويميت هذا وقد ركب معه ولده وجماعة من خواصه وسار حتى وصل إلى الجزيره فرأى الامير جالس فقال له الملك يهنيك السلامه فصاح عاطف أيها الملك أنا أستاهل الخلع فانى أنا الذى قد بشرت بسلامته فأمر الملك أن ينزلوا عاصف من على الخشبه ففعلوا ذلك وقد أخذوا الامير عبد الوهاب بفرحة وعادوا إلى البلد وأنزلوه فى غير تلك الدار وواضبه أبو النور ابن الملك بالأكل والشرب الطيب شهر كامل وأبعدوا عاصف عنه وما زال الامير يأكل ويشرب إلى أن عادت اليه العافيه وتعافا باذن الله وصار أحسن ما كان عليه فى الأول ولما أن تكامل بالعافية أمر الملك بأن الامير عبد الوهاب يخرج برا البلد فأخذوه الغلمان وخرجوا به إلى الميدان الأكبر وقد ركب الملك فى أجناده وخرج بعده ولما أن أتى الملك أوقفوا الأمير بين يديه فقال له الملك اختار ما شئت من السلاح والخيل فقال الأمير اعلم أيها الملك اننى أريد جواد سابق ورمح خارق وسيف بارق واخرج الىَّ من شئت وانظر العجب مما أفعل بعون الله تعالى فقال الملك ائتوه بما طلب فأتوا بدرع خفيف صغير الزرد كثير العدد وأعطوه سيف من سيوف الملك مجوهر يأخذ بالبصر وأعطوه قنطارية خلنجية كبيرة افرنجيه لها سنان انقى من الفضة المجلية تلوح منها اسباب المنيه واتوه بجواد من خيار الخيل الجياد (قال الراوى) فهذا ما كان من الامير وما جرى له من الاحكام (واماما كان) من الأميره ذات الهمة العابدة الزاهده فانها قد رات فى هذه الأيام منام وكانت قد صلت وانضجعت ونامت فسبحان من لا ينام فرات كان طائر فى السماء قد انقض على ولدها وأخذه فى مخاليبه وهم به من ذلك المقام فانقض عليه باز من السماء

أخذه منه فانتبهت من المنام وهى فزعانه وادعت بأمراء بنى كلاب ولما ان حضروا قالت لهم ألم أقل لكم أن ولدى فى هذه الأيام قد نفذت فيه الأحكام وان هذا المنام يدل على انه قد تخلص من مخاليب الحمام وما هو إلا حى يرزق من جملة الانام فقالوا لها امراء بنى كلاب يا أميره فان كان الأمير على هذه الأحكام فاركبى جوادك وسيرى حتى نسير بين يديكى كلنا إلى أى مكان أردتى وأحببتى فقالت لهم ياقوم وأى مكان أقصد وما أعلم لولدى مكان ولو كان البطال حاضر كان يكشف لى عن ولدى أينما كان وما حل فيه ثم أن الأميرة زاد بها الوسواس فجمعت عشرة من أبطال بنى كلاب الموصوفة مثل ظالم واللملان وملابط البغال وتمام العشرة من الأقيال وأخذت معها أموال وأثقال وتجارة وقد تزيت بزى تجار العجم وسارت تطلب بلاد الروم ومعها ثلاثة من غلمان البطال وهم أبو الليل وخداع ومكتوم وكانوا قد ساروا فى طلب سيدهم لما ان وصل اللملان دخلوا إلى مصر والاسكندرية وعادوا ولم سمعوا له خبر ولا وقعوا له على أثر ورجعوا إلى ملطية فرأوا الأميرة سائرة فساروا معها وقد ركبت على وجه اللملان لحية وعملت له حواجب مثل ذلك وكان عظيم الخلقة وسواده بصاص يفزع من رآه وساروا طالبين بلاد الروم (قال الراوى) فهذا ماكان من الأميرة ذات الهمه وماكان من أمرها (وأماماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما ان حضروا له ما ذكرنا لبس الدرع وتقلد بالحسام وركب الجواد وأخذ القنطاريه وبرز إلى الميدان الأخضر وكان واسـع الجنبات كثير الزهر والنبات قد نقشته القدرة وسقته من الغيم قطره بألوان مختلفات حمره وخضره قضبان مثل البساط المنقوش أو ثوب خمرى حرير فيه من سائر النقش له أنفاس عطره وكان الملك قد جلس على سرير مشتغل بالذهب وهو مثل الكلب السعران وقد ادعى بولده أبو النور ولما ان حضر بين يديه قال له ابرز إلى هذا المسلم وانظر شجاعته حتى نرى ما قد سمعنا عنه فقال ابو النور وانا إلى ذلك أشوق (قال الراوى) ثم ان الملك خرج على جواد ادهم اغر معلم بغرة مثل الدرهم يطرب إذا صهل وحمحم ويسبى العقول إذا خطر بقده المعلم صنعه بارئ النسم حسن النخمة قوى الصدمة له عينان كأنهما جوهرتان والريح لا يدرك وركبه وعلى جسده درع يلمع بالنور صغير الحدق والعيون كثير الفنون يرد عن لابسه ريب المنون وهو متقلد بسيف مجوهر يأخذ بالبصر وعلى رأسه بيضه مجلية مضية وفى يده قنطار به خلنخيه وحمل على الأمير عبد الوهاب وانقض عليه مثل العقاب فتلقاه الأمير بجنان جرى وقلب قوى معود بهذه الأمور وعزم على النائبات جسور

(قال الراوى) هذا وقد جرى بينهما ما يشيب الطفل المولود ويلين له الحديد والنار وقد بنى عليهما الغبار حتى غيبهما عن الأبصار وقد أعجب فعلهما الحضار هذا وقد رأى أبو النور إلى صبر الأمير عبد الوهاب وإلى معرفته بالطعان والضراب فانغبن من طول مكثه معه وقد استحى من أبيه لأنه فارس هذه الديار فمن حمقه عليه استنجاده بطعنة شاذة وقد طلب بها صدره هذا ولما ان وصلت القنطارية إليه ضربها بالحسام كما يبرى البارى القلم فأرماها أبو النور من يده وقد زاد غيظه وحمقه فضايق الأمير عبد الوهاب وقرب منه وهز الحسام وضربه ضربة أراد بها تلفه فتلقى الأمير الضربة بالحجفة فبراها الحسام نصفين فرماها عند ذلك الأمير هجم على ابن الملك وضايقه وطابقه وله هدير وزمجره وتقابضا وتشابكا واعتركا على ظهور الخيل وتماسكا باليدين فأراد أبو النورأن يقهر الأمير بالقوة فهزه فوجده كأنه عامود من الرصاص لايحول ولا يزول فعجز عن إدراكه فعند ذلك ألقى الأمير نفسه عليه وقبضه بيــــده وهزه اقتلعه من سرجه ومشى به إلى قدام الملك ووضعه إلى الأرض وضعا خفيفا وقد قال فى نفسه أنا عند القوم غريب وأسير ويجب ان استعمل معهم الأدب والثانى أنه ابن الملك (قال الراوى) هــذا وأبو النور قام من على الأرض وركب جواده وهو خجلان وتـكارش هو والأمير وعانقه وهناه بما نال من السعادة وسار به إلى عند أبيه وقال له أيها الملك ما على وجه الأرض أفرس من هذا العربى وحق النار ماكنت أقول ان على وجه الأرض مثلى إلا أن تـكون أختى نور النار ووجه النهار وان هذا يزيد عليها فى الميدان فلما إن سمع الملك من ولده هذا المقال ضحك وقال له يابنى لاتقول هــذا المقال فما على وجه الأرض مثـل أختك نور النار إلا أن يكون أنا ولابد لى مما أنفذ خلفها تأتى إلى هذا المسلم وتقتله أشر قتـله ولا يبلغ الخبر عنا بهذا العار تنقص منزلتنا عند أهل الجزائر والامصار (قال الراوى) إن كان لهذا الملك بنت يقال لهـا نور النار ولقبها وجه النهار وهى أفرس من أهل الجزائر وأشجع من كل من كان فى هذه الديار وقد انعزلت عن أهل هذه المدينة وقد أنشأت لها بستان فيه من سائر الثمـار وعملت فى وسطه بركة ممتدة الأركان وجعلت على كل ركن شادر وان يقلب منه الماء بالاتفاق وجعلت فيها أربعة وعشرين فواره وبنت لها قصر بجانب البركه واقتصرت فى ذلك المـكان وأخذت عندها عشر جوار نهد أبكار كأنهن الأقمار تلعب معهن ليل ونهار وقد اقتصرت فى ذلك المـكان على أكل وشرب مع تلك الجوار وكانوا يضربوا على الآلات بسائر الألحان ولما أن كان فى هذه الأيام (قال الراوى) فأرسل أبوها خلفها من غلمانه علام فسار إليها واعلمها بما قال أبوها من

الكلام فجمعت جوارها وسارت الى ان حصلت بين يدى الملك وبدرت بالسلام فترحب بها أبيها وقام لها على الأقدام وقد تبسم فى وجهها وزاد لها فى الكلام وأجلسها الى جانبه وقص عليها قصة الأمير عبد الوهاب البطل الهمام وما جرى لأخيها معه فى الصدام فتعجبت من ذلك وقالت له أريد ان أنظر الى هذا الرجل فى ذلك المقام فعندها أمر الملك باحضاره فلما ان حضروا به أوقع الله الملك العلام هيبته فى قلبها وذكرت النار وقالت ان هذا الرجل يشبه الذى وصفوه لى الحكماء فقال لها أبوها وكيف ذلك فقالت له يا أبى حكيمنا الاكبر الذى هو متولى بيت النار قد حدثنى عن شىء كثير وقال لى من بعض الأقوال انه خرج إلى بلاد الروم ورأى رجل أسمر يقال له عبد الوهاب وهو من عرب يقال لهم بنى كلاب أفرس أهل الدنيا (قال الراوى) ان كانت هذه الجارية تتكلم بالعربى مثل الماء الجارى كأنها تربت فى بلاد العرب وكانت تلعب بسائر الملاهى وتقول الشعر وتحاكى العرب فى الفصاحة والمقال ولما ان تكلمت بهذا المقال قال لها أبوها هو ذاك الرجل فلما ان صح عندها انه الأمير عبد الوهاب وسمعت ماجرى لاخيها معه فى الطعان والضراب وثبت الى جوادها ركبته وقد لبست جوشن مكوكب مغموس فى الذهب يأخذ بالابصار ويغلب شعاعه على ضوء النهار وقد تقلدت بسيف مخدوم قليل المثال معدوم اللمع من برق الغيوم وأقطع من القضاء المبروم وما اقتنت مثله ملوك الروم واعتقلت برمح معتدل القد جيد السنان وأمرت عند ذلك للأمير هبد الوهاب بحصان غير الحصان الذى كان تحته وأعطته عدة مثل عدتها وأغلا فى الأثمان وسارا كلاهما إلى الميدان هذا وقد نظر الأمير إلى الجارية أحسن من الغزال العطشان ولها قوام ألين من قضيب البان نخفق فؤاده خفقان عنيف فنادى يالطيف يامقلب القلوب ثبت عبدك الضعيف (قال الراوى) وأن الأمير عبد الوهاب أرخى رأسه إلى الأرض وقد دق قلبه من المخيف ولما نظر إلى وجهها من التكليف هذا والجارية لما ان رأت من الامير ذلك علمت منه التعفيف فقالت له ياعبد الوهاب لم لاترفع رأسك وتنظر إلى هذا الوجه النظيف الذى ما خلقت النار مثله فى التأليف فقال لها اعلمى ان ما يجوز لى ان انظر إلى مالا أملك من غير تكليف ولا اننى لى بزوجة وهو حرام فى دين نبينا محمد الشريف فقالت له ياشيخ اننى قد سمعت ان الك ام وهى تقاتل كل فارس ثقيل العيار خفيف فكيف تعمل إذا خرجت بوجهها من غير تلفيف وما يراها احد من غير تكليف فقال لها الامير انها تخرج إلى الحرب ملثمة مضيقة اللثام وهى امرأة عجوز فقالت له اعلم ان هذا يجوز فى الحرب وفى غيره عندنا ولكن دعنا الساعة من هذه المحاورة ودونك والمجاوله والحرب والطعان ثم انها حملت

عليه وحمل عليها وقد اخذا فى الحوب واختلاف الطعن والضرب وزاد عليهما الكرب وعمل فى القلوب الحنق والغيظ والغضب ودام القلق وكان الامير كلما فتح لها بابا فى الحزب وجدها إليه اسبق فوزن نفسه معها بعد ساعة من النهار وإذا هى خبيرة بطعن الرمح الخطار وكثيرة الاحتراز تحت الغبار فخشى على نفسه من التلف وقال مالى الا ان اضرب رمحها الذى معها بالسيف اعطلها من الطعن لاننى اراها ماهرة فى الطعن والضرب هذا والجارية قد مدت إليه الرمح وهو قد حار فى امره فما كان له إلا ان ضرب رمحها براه فضحكت الجارية وقالت له ياعبد الوهاب وحق النار ذات اللهب ماضربت الرمح بالحسام الا عجزا منك عن الطعان ولكن إذا مضى السنان عدنا إلى ضرب اليمان (قال الراوى) ثم ان الجارية جردت سيفها فى الميدان وحملت عليه وضاربته فى ذلك المكان وما زالا كذلك وقدوزن الامير نفسه معها فى الضرب فاذا هى اثقل أوزان فصار يدافع عن نفسه مدافعة ويمانع ممانعه باحسان وهى قد طمعت فيه وزادت اغبان وقالت له يا عبدالوهاب هذه شجاعتك المذكورة بين العربان وقوتك الموصوفة عند الفرسان فاننى قد سمعت عنك بالشجاعة والبراعة بين الشجعان فما رايت منها شىء فى هذه الساعة إلا باللسان (قال الراوى) فلما ان سمع الامير منها ذلك الكلام وصارت الدنيا فى عينيه ظلام وقد اظهر الجلد واخفى الكمد وجرد الحسام وألقى نفسه عليها فى ذلك المقام وضايقها ولاصقها حتى قرب منها واظهر الاهتمام وقد تعانقا على الجوادين وتعاركا كمعركة بالتزام وما زالا الى ان سقطا عن الجوادين إلى الارض على الاقدام ثم انهما تماسكا وتقاربا وتعانقا والتما إلى بعضهما التمام فوقعت يد الامير على أكتاف طريات وأعكان مطويات وأرداف رابيات ورمق إلى السماء بطرفه وقال اللهم ارحم عبدك الضعيف الفقير وارزقه على هذه النصر وارزقه منها الخير الكثير ولا تعدمه هذه البدر المنير إلهى أنا عبدك الشريد الوحيد سألك بحرمة عبادك الصالحين وملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين ومحمد خاتم النبيين لا تخذلنى وجدد لى القوة ولا تخجلنى يا ارحم الراحمين (قال الراوى) فما استتم الامير دعاءه حتى زادت قوته والحيل واراد الله بنصره على القوم الكافرين وقد صاح فى الجاريه لما ان اشتدت اعضاءه وزاد قواه وقد دخل فيها ورفعها بيديه وقد ثبت فى الأرض قدميه وسار بها إلى ان رآها كل من كان حاضر فى ذلك المكان ثم انه وضعها على الأرض وضعا لطيفا بيداه وقال لها قومى فما يمكن ان أأسى عليكى وانا عندكم فخجلت وقامت وهى تقول له ياشيخ انا كنت مستظهره عليك حتى رأيتك حركت شفتيك فما أدرى ما قلت فقال الأمير دعوت ربى حتى نصرنى عليكى وأعاننى فقالت

تقدر تدعو ربك حتى ينصرك علىّ وتصارعنى مرة ثانية قال نعم ثم تقـدم اليها وقد طمع فيها ودعا إلى الله وتقابضا وتماسكا وتعانقا وتلاصقا فصرعها مرة ثانية فقالت له ياعربى ان دعاءك مايقبل إلا فى الصراع فهل تقدر تطعن بالرمح وتضرب بالحسام فقال لها اعلمى انى اسير عندكم وما فعلتم معى قبيح بل احسنتم إلىّ لانكم اكرمتمونى وما آذيتمونى وفعلتم فى حقى ما فعلتم من الجميل واعلمى ما بقيت اعود الى قتال ابدا فقالت وقد اعجبها كلامه هذه فعال الرجال الاماجد (قال الراوى) ثم انها تركته وانصرفت عنه فنظر الامير إليها وهى تترجرج فتخيل عقله وتحير فى امره واما الجارية لما وصلت الى ابيها واخيها وقد تعجبوا والحاضرين من شجاعة الامير وقالوا ما فى زمانه مثله فلما سمع الملك ذلك قام على حيله وركب جواده وامتشق حسامه وهجم على الامير وصمم عليه وأراد قتله فقال الأمير فى نفسه إن قتلت هذا الملعون ما يبقوا على ساعة واحدة وما فى الامر الانى إذا قدرت عليه أبقى عليه ثم انه استقبله وأخذ منه وأعطاه وجاوله ساعة فرآه شيطان فى صورة إنسان فجرى بينهما ما يحير النظار هذا وقد اختبر الملك الأمير فرأى منه فارس شديد وبطل صنديد فقال للأمير ويلك سلم نفسك إلى حتى يقال انى أسرتك حتى لا أنفضح بين قومى فقال الأمير هذا ما هو انصاف واعلم أن الإنصاف من فعال الاشراف وما هذا فعال من يفزع من العار ولكن أنا أسيرك على كل حال وما أفعل مالا يليق بمثلى ثم انه ترجل وأدار يديه إلى وراه فمسكه الملك وقد سار به إلى أصحابه ولما ان وصل به إلى عند قومه امتضى السيف من غمده وأراد ان يبطش بالأمير فقال له ولده أبو النور على ماذا عولت ياأبتاه قال ضرب رقبة هذا الشيخ فقال ولده ولما ذلك قال لأنه عدو النار والدين وانه يعتقد اعتقاد المسلمين فقال له لاتفعل ولا تجعل فى قتل الرجل حجة فمثله مثل عبدك الذى هو مع غلمانك أو أمثل لك مثل قد مثلوه بعض الناس وهو أن امرأة تحركت فخرج منها ريح فخجلت من زوجها فأخذت الكوز من جانبها ودقت به الأرض فكسرته فقال لها زوجها لاتردى حجلكى إلا على الكوز واعلمى أن الذى خرج منكى ما بقى يدخل ولو كسرتى ألف كوز وان هذا المثل يشبه هذا الذى تريد أن تفعله لأنك جعلت لك حجة وقلت أنه عدو الدين لأجل أنك ما قدرت عليه فى الميدان ومقام الشجعان فقال الملك لابد من قتله ومن عاندنى فيه قتلته ولو كان أنت قتلتك فى هذه الساعة (قال الراوى) فلما ان سمع أبو النور كلام أبوه قال وحق النار ما أمكنك من قتله فى ذلك اليوم واتركه حتى نأخذه بذنب غير هذا فقامت عينين الملك فى أم رأسه وقال لولده ويلك تحامى لمن يعبد غير معبودك ثم أنه صاح على من حوله خذوه مع المسلم فأخذوه الغلمان وأوثقوه

مع الأمير عبد الوهاب وقال الملك لابد من قتل الاثنين سوا اسجنوهم حتى أسأل عنهما وكان قصد الملك بذلك ان يؤاذن ولده فساروا بهم الغلمان وجعلوهم فى مطموره وتركوهم ولما حصلوا فى المطمورة وفيها جلسوا قال الأمير يا أبو النور والله لقد أوليتنى جميل ما أقدر على حمله ولولا أن الله سبحانه وتعالى أغاثنى بك وإلا كان أبوك قتلنى ومع هذا قدأنسيتنى ما أنا فيه وسليتنى عن أهلى فقال أبو النور أيها الأمير إنى أبشرك بشيء أعظم من ذلك فقال الأمير وما هو فقال له أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك من أبو النور باس الارض شكرا لله تعالى وقد فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ثم أنهم أقاموا فى المطمورة مدة وقد نسيهم الملك ثمانية أشهر وكان الامير يقرىء أبو النور القرآن العظيم حتى حفظ ربع القرآن وعلمه فرائض الوضوء وشيئا كثيرا من الواجب (قال الراوى) وبعد تلك المدة افتكر الملك ولده فأمر باحضاره فسارت الغلمان اليه وأخرجوه من المطمورة فلما ان صار قدام أبيه قال له ما بقيت من اليوم تعود إلى معارضتى وترجع عن محاماة من هم على غير الدين فقال لايا أبتاه ولو علمت أن هذا يصعب عليك ما كنت تكلمت به وإنما قلت هذا الكلام خوفا عليك من العار لأنك شرطت انك ماتقتله بل انك تنظر مافيه من القوة والشجاعه فان رأيت منه ما ذكر عنه تطلقه وان رأيت غير ماوصف تقتله وقد حلفت له أنا بذلك ولما أن رأيت منه مارأيت حاميت له (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا برجال دخلوا عليه من رجاله وهم فى اهتمام وقالوا أيها الملك بينما نحن فى المراكب قيام إذا أشرفت علينا مراكب وقلوع من البحر وهم ضالين عن مقصودهم فسرنا اليهم وأخذنا منهم مركبين وهاهم فى الساحل مركب كبيره وأخرى صغيره كانها لها فاركب إلى الساحل وانظر ما فيها وافعل ما أردت فقام الملك وهو فرحان ووصل إلى الساحل تأمل إلى المركب وأمر بأخراج كلما فيها من الأموال والمتاع وطلعوا بعد ذلك برجلين الواحد شيخ كبير والآخر شاب صغير وعليهما ملابس الرهبان فقال لهما الملك من أين أنتما ومن أى البلاد تكونوا فقال له الشيخ أنا بترك من بتاركة القسطنطينيه وهذا الشاب من بعض تلامذتى فقال الملك نحن لانقول لا برهبان ولا بقسوس ولا بعبادة المسيح والصلبان احملوهم إلى المطموره التى فيها المسلم فحملوهم إلى تلك المطموره وتركوهم فيها وعادوا عنهم (قال الراوى) أن هذا الشيخ البطال والشاب ولده مذبحون ولما أن صاروا فى أسفل المطموره واستقر بهم القرار قال الأمير أبو محمد البطال لا إله إلا الله محمد رسول الله أين عينين الأمير عبد الوهاب ينظرنا ونحن مسجين فى البلاد ويحكموا فينا الأعادى والحساد وبعد ذلك كانت هذه الخاتمه فلما سمع الأمير

عبدالوهاب الكلام عرفه فقال ياأبو محمدهاعين عبدالوهاب تنظرك وتشاهدك فى هذه الساعه فلما سمع أبو محمد ذلك طاش عقله وطار لبه واخذه الانبهار من ذلك الأمر وقال ياترى هذا فى المنام ام فى اليقظه وإلا فى السرداب جن ينادونى باسمى وإسم عبد الوهاب فقال الأمير لا ياابو محمد ماانت فى منام افتح عينك وانظر من قدامك فتأمل المتكلم ولما نظر اليه ترما عليه وجعل يقول ما الذى اوقعك فى هذا المكان فقال ماالذى اتى بك انت فى صورة الرهبان حتى اجتمعت انا وانت فى الذل والهوان فتعجب البطال من هذا الحال فقال البطال حدثنى بما جرى لك وقص على قصتك فجعل الأمير يحدثه بما جرى له مع المعتصم وما تم له مع عاصف الخائن هذا والبطال يسمع ويتعجب ولما فرغ من الحديث قال له وانت ما الذى جر لك وما سبب وقوعك مع هؤلاء القوم فقال البطال اما انا بعد اجتماعى باالملمان فى ارض مصر وانفاذه اليك ومعه عاقبه وبعده سرت إلى الاسكندريه ومن هناك نزلت فى مركب وطلبت بلاد الغرب وطلبت نفسى ان امضى إلى هشام المؤيد وكان معنا عشر مراكب ولم تزل المراكب سائره فى ريح طيب ستة ايام وبعد ذلك تغيرت الرياح باذن الملك الفتاح وهبت عليها ريح سوداء فبقينا بحكمنا فصارت تنسفنا عشرة ايام ولم نعلم إلى اين سائرين وفى الآخر التقتنا هذه المراكب التى من هذه الجزيره فخرجوا علينا واخذونا وقد تشتت باقى المراكب وهذا ماتم لى والسلام ثم ان البطال قال للأمير وأين هو عاصف فقال هاهو معى فى هذه المطموره فنظر اليه البطال وقال سبحان الله لقد احتوى الشيطان على قلب هذا المسكين حتى اضله واغواه ورده عن دين الإسلام فقال عاصف لما ان سمع مقاله ياترى يقبلنى ربى ويهدينى بعد ذلتى فقال البطال نعم لأن باب التوبة مفتوح وخير الله إلى عبده ممنوح وإن الاسلام يمحوا ماقد سلف وإن الله يسامح العبد إذا تاب واعترف فقال الأمير لاتسمع منه هذا الهذيان واعلم ان كلما قاله زور وبهتان فانه قد اسلم قبل هذه المره وصبر على حتى نمت وقام إلى وخنقنى إلى ان كادت روحى ان تخرج ثم حدثه بما جرى وكيف صلبه الملك (قال الراوى) فلما سمع البطال كلام الأمير لم يلتفت إلى عاصف ولا الوى عليه (قال الراوى) فبينما هم على ذلك الحال وإذا بباب المطموره قد فتح ونزل اليهم شخص فتبينه الأمير عبدالوهاب وإذا به ابو النور ابن الملك فلما نظره البطال قام اليه على الاقدام لان الامير عبدالوهاب اخبره بحديثه ولما دخل فى تلك الساعه قام اليه البطال وبجله فلم يلتفت اليه ولاعن عليه بل انه أتى إلى الامير عبد الوهاب وسلم عليه وقال له ايها الأمير ان ابى فى تلك الساعه قد شرب المدام وسكر وقال لى أتينى بالمسلم حتى اقتله فضايعت الكلام فنهرنى فتقدمت اليه وكلمته بلين الكلام

فهم بقتلى وقد اتيت اليك وانا حائر فى امرى فدبر ماترى فيه الصواب فقال الأمير وكان قد كاد عقله ان يطير والساعه ما نعمل يا أبو النور فقال والله ما ادرى وما فى الأمر إلى اننى افديك باحدى هؤلاء الرهبان واقدمهم اليه وادعه يضرب رقابهم ويكونوا افداك فلما سمع البطال ذلك قال يا امير ماهذا الا راى جيد وما جئنا إلى هذه الديار إلا حتى نكون لك الفدا ماهذا إلا حديث يسمع ويعمل به فقال الامير يا ابو النور هؤلاء الرهبان هم دين الإسلام (قال الراوى) فقال أبو النور فمن يكونوا هؤلاء الرهبان بين الأنام فقال له الأمير هذا يسمى أبو محمد البطال وهذا ولده مذبحون فتعجب أبو النور من هذا الاتفاق وقال فما قوالكم فيمن يفديكم بذلك الشيطان عاصف فقال البطال لاتعدل عنه فانه رأى جيد فقال عاصف لاتفعل فانى قد عدت إلى دين الإسلام فقال له أبو محمد لاتطيل الخطاب فما أحد غيرك ثم ان أبو النور بعد ذلك عاد إلى البطال وباس رأسه وسلم عليه فعرفه وقال أبو محمد انى قد سمعت عنك من هذا الأمير انك حسن التدبير بين الرجال فكيف يكون الساعة العمل حتى نخاصكم وأخاص أنا معكم فقال البطال أول كل شىء تفك قيودنا والأغلال وتفتح لنا الباب ونخرج ونسير ونتوكل على اللطيف الخبير فقال أبو النور إعلم ان هذه البلد رجالها كثير وأخاف أن يخرجون خلفنا فنهلك فقال الأمير عبد الوهاب ياولدى اعلم أن الذى أتى بنا إلى ههنا قادر على خلاصنا فقال أبو النور هذا هو الاعتقاد (قال الراوى) ثم ان أبو النور بعد ذلك دنا من البطال وفك قيودهم وطلعوا من المطموره وهموا بالمسير فقال البطال فين الملك جالس يشرب الخمر فقال أبو النور فى الدار التى فيها الحريم وقد أمرنى باحضار بعضكم فقال أنا قادر أصعد اليه وآتيك برأسه فقال أبو النور انى أخاف أن لاتنال مقصودك وينفسد الحال ونهلك عن آخرنا ولكن دع عنك معارضتك له وسيروا بنا حتى اننى أسير بكم فى بلاد أعرفها وأسير بكم سير الجد فى هذه الليلة فقال الأمير عبد الوهاب للبطال ايها الأمير ان لهذا اخت احسن من البدر نورا ووجها فقال ابو النور لاتكون ايها الأمير قد وقع قلبك فى محبة اختى فقال البطال لاشك فى ذلك لأن كلامه يدل على عشقه وهيامه فقال عبد الوهاب يا ابو محمد اقسم قسما صادقا اننى ان رايتها اغيب عن الدنيا ولو رايتها يابطال كنت عذرتنى فى محبتها لأنها والله احلى من الماء الذلال على كبد العطشان فقال البطال والله انك غارق فى بحر هواها الى الأودان ولكن ايها الأمير هذا الوقت ماهو وقت عشق ولابد لنا من المسير وإلاهلكنا فقال الأمير عبد الوهاب سيروا انتم واتركونى انا ههنا فانى ماأسير إلا بها (قال الراوى) وصار عبد الوهاب يخلط فى الكلام ولايعرف مايقول وقد احب من اجلها المقام فقال له أبو محمد طب نفسا وقر عينا فأنا اعمل لك

عملا تشكرنى به على طول الليالى والأيام ويكون لى فيه الثواب واجمع الأحباب بالأحباب ثم التفت إلى الغلام الذى هو ابو النور وقال له يامالك اعلم ان هذا الآمير عبد الوهاب له من الأموال الجه والنعم الضخمه وله اقاليم وبلاد وعساكر واجناد وهو من ابيك واقوى شوكه وانفذكلام ولو زوجت اختك اليه لكان صواب ولو انها تحت الكفر وعبادة النار فلابد لنا مانخلصها ونملكها والله يهديها فقال أبو النور يامولاى ماهى فى يدى ولاتحت حكمى فقال البطال والله لو تزوج بها هذا الأمير لتصيرن أنت وهى مالكين الثغور فقال الغلام وحق من هدانى بعد الضلالة إنى إلى ذلك أشوق ولكن أين هى فقال البطال تسير اليها وتعلمها بهذا فقال أبو النور أنا أعلم انها ماتطاوعنى الى ذلك الأمر فقال البطال إذا كانت ماتطاوعك فخذ هذا الدوا واوضعه لها فى الشراب يذوب لجهامع عظمها فارتعب الامير عبد الوهاب وقال لاباالله عليك خلينا من هذا الامر المتلف لانها والله ما تستاهل (قال الراوى) فضحك البطال وقال يا أبو النور ان كان الامير مايشتهى قتلها فخذ معك هذا الدوا وأوضعه لها فى مشروبها فانها تنام وما تقول لجعه أبو النور إذا نحن أخذناها كيف يكون الحال لانها أشجع من أبى ومنى فقال اسقيها أنت هذا الدواء فانها إذانزل فى جوفهافانها ماتفيق إلا ونحن قد قطعنا بلاد بعيدة وتكون معنا مكتفه مقيدة ونحن نطعمها ونسقيها حتى تصل إلى بلاد الإسلام ولعل الله تعالى أن يهديها وتسلم فقال أبو النور هات الدواء فناوله البطال وهو شىء قليل من البنج من شمه رقد جمعه (قال الراوى) فأخذ الغلام الدواء وسار إلى ان وصل الى المكان الذى فيه أخته فما رآها فسأل عنها الجوار فقالوا أنها مضت الى بستانها واخذت معها جوارها وما نظن تعود من البستان فى هذد الليلة فعاد الغلام إلى البطال وأعلمه بالخبر وقال له انها ما هى حاضره فى دارها فقال البطال فقوموا بنا ما دام الليل قد أقبل والملك قد اشتغل ودعونا من هذا العمل فما تدرى لمن يكون الظفر فقال عبد الوهاب أنا ما اسير معكم ولا خطوة واحدة وما زال مقيم ها هنا فسيروا انتم وافعلوا ما بدالكم فضحك البطال وقال نحن ما نسير ونتركك بل نقيم عندك حتى تبلغ قصدك ونأخذ لك الجارية ونسير كلنا سواء إن شاء الله تعالى وما اكون مثل ما فعلت انت معى فى نورى فضحك وقات هكذا تكون المحبة وعجب من اهتمامه وقد دعاله (قال الراوى) هذا وان ابو محمد البطال قال ترى يا امير يكون فى الغيب انك تفتح قلعة وتتزوج بأخرى فقال الامير دعنا الساعة (قان الراوى) ووعدهم اخو الجارية بكل جميل وعاصف يقول أيها الأمير ثق بالله وثق بقولى فقد ذكرت أمرى وأمر ابن الملك وكيف كان

يعبد النار وهو فى هذه الديار وعاد إلى عبادة الملك الجبار وأنا مسلم ابن مسلم وصلى الملك القهار وتفكرت ورجعت إلى التوحيد فرق له الامير عبد الوهاب فقال يا أبا محمد لعل الله تعالى يكون هداه ويكتبه من المؤمنين فقال البطال امسك عليك أيها الأمير فلو حلف هذا الشيطان ألف يمين فهو يكذب وما أصدقه بما وقع فى أذنى من محاله وعقبه قد خلف خلف لنا هذا الملعون ولا بدلى أن أقتله أشرها قتله إذا عولنا على الرحيل وقام اليه البطال وما زال يضربه إلى أن قطع النفس منه وغاب عن الدنيا وتركه وقال ليس لنا حاجه بهذا المرتد عن دين الإسلام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من ابن الملك أبو النور البطل الهمام فانه لما أن سار من عندهم وعاد إلى أبيه فرآه فى انتظاره ورآه قد غلب عليه السكر من شرب المدام فقال له ياولد ما ابطأك على وما اتيت بالمسلم حتى نقتله ونسقيه كاس الحوف فقال له ابو النور ايها الملك هذا قدامك مايفوتك والصواب نقتله وانت صاحى وانا لما نزلت إلى المطموره آتى بالمسلم فرايته قد عرف هؤلاء الرهبان الدين قد اخذناهم من المركب ورايته وهو يتحدث معهم ويسألهم عن دياره واولاده ووطنه ويبكى فقلت ما آخذه وهو على تلك الحاله واخاف من عاقبة النار وربما يكون ابى فى غير عقله وامضى به فيقتله ويندم على مافعل واريد أن أتركه يتلذذ بالكلام إلى الصباح ثم شاغل ابيه حتى نام فلما كان عند الصباح قال الملك اخرجوا خيمتى وانصبوها فى فى الميدان واتونى بذلك المسلم ومن عنده من الرهبان حتى اضرب رقابهم ان لم يعودوا إلى عبادة النار ويتركوا ما عليهم من عبادة الصلبان (قال الراوى) فبينما هو مع اصحابه فى ذلك الكلام وإذا ببطريق دخل على الملك وهو يقول ايها الملك ان ابنتك نور النار دخل عليها شيخان من عباد النار وأظنهم غير كرام وهم يزعمون إنهم خزانها وإنهم يعلمون من علمها مالا يعلمه أحدا غيرهم من الأنام وقد أنفذتنى إليك الملكة لتمضى اليها وتتبرك بهم وتبصرهم فى ذلك المقام (قال الراوى) فلما سمع الملك من من البطريق ذلك الكلام ترك الكلام ترك ماكان فيه ونهض من وقته وساعته قائما على الاقدام وأمر بتقديم الجواد فقدم اليه وركب وسار وهو فرحان وما زال سائر إلى أن وصل إلى البستان الذى لابنته ودخل عليها فلما نظرته نهضت قائمه وقبلت يديه وبادرته بالكلام وقالت له من مثلك أجل قدرا عند النار وقد أرسلت اليك رسلها وخزانها وعلمائها وشيوخها وأهل برهانها فى هذه الأيام فالتفت الملك فرأى إلى شيخين أعورين تجسين وعليهما ثياب خضر تلمع نورهم يأخذ بالأبصار ووجوههما تشرق باللمعان

والأنوار من الدهانات التي دهنوها حتى لمعت ذلك اللمعان (قال الراوى) إن كان هؤلاء الشيخين الواحد عقبه والآخر شومدرس وكان السبب فى ومهما إلى هذه الجزيره سبب عجيب وحال غريب وذلك انهم لما انهزموا من القسطنطونيه أخذ عقبه شومدرس وقال له اعلم ياراهب انى قد ضجرت من بلاد المسلمين وسماعى الاذان وقراءة القرآن وانى أريد أن أسير إلى مكان ما فيه أذان ولا فيه قراءة قرآن وأبعد إلى بعيد فقال له شومدرس وأنا معك وأوافقك أردب فسير إلى أى موضع شئت ثم انهم ساروا ولم يزالوا سائرين فى البحر لانهم لما وصلوا إلى السويدية لم يطلعوها لم يطلعوها ولم يزالوا سائرين من مكان إلى مكان إلى أن رماهم الريح إلى تلك الجزيرة فقال شومدرس ما تكون هذه الجزيرة أيها القاضى فقال له عقبه اعلم أن أهل هذه الجزيرة يعبدون النار ونحن لنا مده ماعملنا عملا نرضى به المسيح فلهذا رمانا المسيح إلى هؤلاء القوم فلعل أن نردهم إلى عبادة المسيح ليقوى بهم دينه ويكون لنا بذلك الثواب ونكون لانخلو من العمل الصالح لافى السفر ولا فى الحضر فقال شومدرس نعم ماقلت ثم ساروا إلى أن وصلا إلى ساحل تلك الجزيرة وقد لبسوا تلك الثياب الخضر وأخرج شومدرس دهن وصبغ وجوههما وثيابهما حتى كل من نظر اليهما لايستطيع اليهم النظر ولما صاروا على الساحل رأوا إلى شختور فنزلوا فيه وأتوا إلى الجزيرة وما زالوا سائرين فى تلك الجزيرة إلى أن وصلوا إلى البستان الذى فيه بنت الملك نور النار فدخلوا اليه فلم تشعر بنت الملك إلا وهما عندها وبين يديها بين تلك الأشجار فلما نظرت اليهم تعجبت من لمعان وجوههم ومن ثيابهم وذلك المكان الذى أتوا منه ماله مسلك الامن البحر وكيف انهما بخلاف ألوان الناس فقالت لهما وقد هابتها من أين أنتم ومن أين أتيتم وكيف وصلتم من ذلك الجانب ومن البحر الذى مالا لأحد اليه طريق وما أظنكما الأمن الجن لامن الانس فقال لها عقبه اعلمى أيتها الملكة انهما من عباد النار ومشايخها وخزانها وعلمائها وما تربت لحاهم إلا فيها لأن قدرتها مسلطة على جميع الخلق وبها تنجلى جميع الظلمة ويعوذ الضيا ولا يجوز السجود إلا لها ولا يعبد عندهم غيرهم وهم علمائها فى طول زمانهم (قال الراوى) فلما سمعت من عقبه ذلك قامت لهما وقد أكرمتهما وأجلستهما فى أعز مكان وأنفذت خلف أبوها فاتى اليها ودخل عليها كما ذكرنا ونظرهم على تلك الحاله كما شرحنا فدنا منهما وقبل يديهما وجلس عندهما وسألها عن حالها فقالا أيها الملك انهما من الذين قد صفت قلوبهما لعبادة النار ولنا الكرامات التى ما نالها أحد الاهما لان النار دنت منهما وقالت لهما سيروا الى عند الملك ورغبوه فى عبادتى حتى يزيدلى

فى القربان ولا يشتغل بشىء عن عباد النيران فقال لهم الملك وقد فزع من قولها أو صفو الى المعجزات التى للنيران فقال عقبه اعلم أيها الملك أن الحكماء قد أجمعوا قولهم ان النار ذات اللهب اذا وقدت وظهر لها دوائب حدثت فى السماء هذه الكواكب وبها يصنع كل شىء واذا أظلم الظلام وأوقدت أظهرت نورها ولمعانها وأذهبت الظلام بقوة سلطانها وهذا شىء لايقدر عليه أحد غيرها وهم متكلين فى أمورهم عليها وعلى خبرها لانها تصنع لنا ما نأكل من سائر الطعامات والحلاوات واطيب المأكولات وكل الناس يعرفون منها تلك الكرامات الطاهرات وانها اذا غضبت على حى وألقى فيها أحرقته وأى جماد وضع عليها ذوبته حتى الحديد وبيان ذلك انك اذا وضعت الحديد سنه مالان وان وضع فيها ساعه واحده لان وان تركته ذاب وأكلته (قال الراوى) هذا ولم يزل عقبه يصف النار بالقوه مثل مايصنع للروم دينهم هذا والملك أعجبه فصاحته والحجاب قد بهتوا من هذيانه وشقشقة لسانه ويتعجبون من لمعان وجهه ثم ان الملك بعد ذلك نهض وطلب الركوب بعد ان سجد للنار وطول السجود وهذا وعقبه وشومدرس لماركب الملك أمرهما ان يسيران معه فقالت بنت الملك دعهما عندى فانى ماأفارقهما فى تلك الليله وانى أريد ان أسمع كلامهما وأتلذذ بقربهما وفى غداة غد أسيرهما اليك فسار الملك وتركهما عندها وأما عقبه فانه لما أن نظر الى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها قال لشومدرس وحق المسيح ماتصلح هذه الجاريه الا للعناق (قال الراوى) هذا وقد أقامت الجاريه ذلك اليوم تحادثهم وعقبه يرمقها وشومدرس يلتذ بمصاحبتها ثم قالت لهما بحق النار كيف قدرتما على المجىء الينا وما علينا طريق الا من باب البر فقال لها عقبه اعلمى اننا قد قطعنا سبع بحار ومشينا على وجه الماء حتى وصلنا اليكم لانهما مشايخ النار فصدقتها الجاريه وما زالت معهما فى الكلام من شىء الى شىء وهم يقولان لها اننا درنا الدنيا ولم خلينا أرض فقالت لهم هل تعرفان أحدا فى بلاد المسلمين أوجاءت طريق بكما عليها قالوا لها نعم فعن من تسألينا حتى نخبرك قالت أسألك عن رجلان واحد يقال له عبد الوهاب وآخر يقال له عاصف فقال لها عقبه وقد فتح أذنه للكلام وخفق قلبه من أين لكى معرفة بهؤلاء الاثنين فقالت لهما انهما وصلا الينا من مدة أيام (قال) فلما سمع عقبة منها ذلك قال وأين هم قالت فى المطمورة وقد أتانا راهبين أنزلناهم عندهم وصار لهم أيام وأن الملك قد عول على ضرب رقابهم الجميع فلما سمع منها ذلك انفتحت عينه الصحيحة وطار قلبه من شدة الفرح وقال لشومدرس وحق المسيح ماسمعت أعجب من هذا الاتفاق نهرب من قوم يوقعهم المسيح فى أيدينا هذه عناية عظيمة من المسيح وأنه عنا بنا فقال

شومدرس أن هذا العجب ويجوز أن يكتب بماء الذهب هذا وقد باتوا طول ليلتهم يتعجبون ولم يناموا إلى الصباح فارسل الملك اليهم فحضروا عنده والجارية معهم ولما قام لهم وهو يتعجب من لمعان وجوههم وأجلسهم إلى جانبه وما استقر بهم المكان حتى قال عقبه للملك اعلم أيها الملك نحن ما جئنا اليك باختيارنا وإنما النار أرسلتنا اليك وقالت لنا ان عندك رجال من المسلمين وهم رجلين الواحد يسمى عبد الوهاب والآخر يسمى عاصف والاثنان فيهما ظالم ومظلوم فاحضر الاثنين وانظر المظلوم وخذ حقه من الظالم فقال أن الرجلين عندى وقد صدقت النار فيما أخبرتكم عنهما والساعة أحضرهم وأنتم تنظرون فى حالهما (قال الراوى) ثم أن الملك أمر باحضارهم فمضت الغلمان إلى المطمورة وكانوا فى تلك الليلة يريدون الخروج فلم يمكنهم الأمير عبد الوهاب من أجل غرضه بالجارية والبطال يقول له لو أقمنا شهرا ماخرجنا من الجزيرة إلا بها فقال أبو النور أنا أقدر أخرجكم فى ذلك الوقت ولكن الجسر الذى نطلع عليه مقطوع والمكان ماؤه غميق لأن البحر الآن زايد ثم انهم اتفقوا على الخروج إذا نقص الماء وقد اوعدهم انه يدبر على اخته ويسقيها الدواء فى ذلك اليوم ومضى إلى شغله (قال الراوى) وفى ذلك اليوم أتت البطارقه اليهم وأخذوهم من المطموره وأحضروهم عند الملك هذا وعقبه يبحلق بعينه الصحيحة ويرمق الى الباب فهو كذلك واذا بهم داخلين وعبد الوهاب قدامهم ومن خلفه عاصف والبطال ومذبحون فلما رآهم عقبه قام ووقع الا الارض مغشيا عليه ولما أفاق قال وحق المسيح ان هذه نوبه عظيمه بجمع اعدانا كلهم هذا وقد تعجب الملك مما حصل لعقبه وقال له لما ان افاق ياشيخ النار ما الذى جرى عليك فقال ياملك فرحا بهؤلاء الذين أخربوا بيوت النيران وشدوا من المسلمين وقد أظهروا دين الاسلام ويتكلمون بكلام يسموه القرآن فلما سمع ذلك سجد للنار بعد أن أوقدها بين يديه بالعود القمارى وتقدم اليها شومدرس وطرح فيها سندروس وزنجفر وزنجار عراقى فظهر للنار ألوان عدة مختلفة من حمره وخضرة وصفرة وزرقة فتعجب الملك لما رأى شىء مارآه وعقبه يقول ما هذا عجب بل أصدقوا فى عبادة النار (قال الراوى) ثم أن عقبه بعد مارغبهم فى عبادة النار قال أيها الملك ما الذى عولت عليه أن تفعل بهؤلاء القوم قال ياشيخ أنا ما ضرمت هذه النار الا أطرحهم فيها فقال عقبه عجل أيها الملك هذا وقد سحبوا الامير عبد الوهاب والبطال ومذبحون وعاصف إلى النار والامير المجاهد يقول إلهى ومولاى هؤلاء أعداءك وقد سجدوا إلى النار وجحدوك فلا تسلطهم على

عبادك الساجدين الراكعين قوام الليل وأنت قلت فى كلامك العزيز أدعونى أستجب لكم فها قد دعوناك كما أمرتنا فاستجب منا كما وعدتنا إلهى لا تجعل لهم الينا وصول ولا اعتراض لك فى حكمك ياموجود وأنا عبدك وان كان فى أم الكتاب ان تكون موتتى بحريق النار فانا صابر على قضاك وأقول مرحبا بلقاك وأشار يقول

لك الحمد يارب عشيا وباكر ☆ لأنك يامولاى للكسر جابر
أجرنى من الكفار يا رافع السما ☆ بحق محمد النبى الطاهر
بحق الانبيا والاصفيا وبجاههم ☆ ترد سهام الكفر انك قادر
بحق الذى قد قال يارب أمتى ☆ محمد المختار نسل الاكابر
بحق ابراهيم الخليل وابنه ☆ يساره واسماعيل والام هاجر
بحق النبى يعقوب كن ناظرا لنا ☆ واجمع شملى بالعجوز وناصر
وخلصنا من الضيق يارب كلنا ☆ وفرج لنا من هؤلاء الفواجر

(قال الراوى) فلما ان نظر عقبه اليهم وهم على تلك الحالة قال فى نفسه ان احترقوا هؤلاء بالنار استراحوا من العذاب وأنا أريد أن أوافقهم على ما عملوا معى وأعرفهم بنفسى حتى يعلمون أنى قد ظفرت بهم وقدرت عليهم ثم ان الملعون تقدم إلى عند الملك وقال انى أريد أن تمن على بهؤلاء الليله حتى أبيت عندهم وأريحهم على فعالهم وأظهر لهم دين النار وفضائلها عساهم يميلون اليها مادام ان أبصروا الحريق بأعينهم لأنهم يقولون انها لا تضر ولا تنفع وأريد الليله أقيم لهم الدليل والبرهان وأعرفهم انهم يكذبون فقال الملك افعل ما بدالك ياشيخ النار ثم أمران يحملون إلى دار كبيرة واسعة ثم قال عقبه أيها الملك اطلق سبيل عاصف فانه من عباد النار والنور واتركه يكون عندى من بعض تلامذتى لأجل ما قد بان لى فيه من الاصلاح للنار إلا انه لما حصل عندكم ما جسرأن يترجم عن نفسه (قال الراوى) ياساده ياكرام فأمر الملك باطلاق عاصف من الوثاق وخلع عليه وأكرمه وأخذه عقبه وقام الى الدار التى أفردها له الملك ولما ان استقر به القرار أحضر الامراء بين يديه وقال لهم ياشياطين إلى كم يمهلكم المسيح وها هو قد ساقنى اليكم لاطيل عذابكم وبعد ذلك أضرب رقابكم لأنى ما أتيت إلى هذه الديار وهربت إلى هذه الامصار الا فزعا منكم وفزعا من ذات الهمة ولكن قد قتلت أولاد هذا الاسود وأما السودان فما أبقيت منهم انسان لا كبير ولا صغير (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب من عقبه ذلك بكا وقال يا أبا محمد ما وصل هذا الملعون إلى هذه

الديار إلا وقد عمل عملا فضحك البطال وقال أيها الامير لا تسمع من كلامه فهو زور ومحال واعلم انه ما أتاها هنا الا هارب فقال عقبه يابطال أنا ما أتيت ها هنا إلا لفروغ آجالكم فقال البطال تكذب ياملعون ولا تقدر تفعل فيناشيء الا باذن الله تعالى فضحك الراهب شومدرس وقال ياشيطان ما أخبرك فقال البطال ياشومدرس بحق المسيح قولى ما هو الصحيح ما أتيتم منهزمين فقال أى وحق المسيح فقال عقبه يا بطال ان نورى قد جابت ولد وهو بشارتى اليك وقد سميته الحصين وقد انقلبت به ملطبه والقلاع والحصون وسمعتهم يقولوا ما رزق البطال أحسن منه وقد أحبوه الناس جميعا وهو أشبه الخلق بك (قال الراوى) ففرح البطال وقال ان مت بعد سماعى بذلك ما باليت بأى موتة أموت فقال عقبه للبطال حدثنى بعد قتلك لزوجتى وأولادى أين بلغت من الأرض فقص عليه البطال القصه ومقامه فى أرض مصر وديار الغرب وما زال يحدثه بما جرى وفى الآخر وصلت إلى هذه الديار فحدثنى أنت الآخر بما جرى لك فابتدأ عقبه وحدثه بحديثه وما عمل وكلام الاميره وما جرى لها الى حين وصوله إلى تلك الديار وبعد ذاك هذه نوبة مابقيتم تبصرون بلاد الاسلام أبدا وغدا أحرقك بالنار وولدك وعبد الوهاب فقال ياويلك ياملعون ان كان قضى علينا رب السماء بقدر فلا راد له فيما حكم ثم قال اسمع ما أقول لك عليه نحن فى بلاد بعيده وغرباء فدعوا ما قد مضى وتعالوا بنا نصطلح ولا يعود أحدا منا يضمر للآخر سوء أبدا واعمل ياعقبه معنا جميل حتى نكافئك به يوما من الدهر فقال عقبة وحق المسيح ما بقى لكم نجاة من تلك المره وهذا كلام ما أسمعه وما النوبة مثل النوب وما قصدى قتلكم الا تكذيبا لعبد الوهاب وقوله انه رأى فى المنام انكم تصلبونى على باب الذهب وأنا اريد ان أحرقكم بالنار وأعجل عليكم حتى يبطل قولكم فقال الأمير مرحبا بقضاء الله واعلم ياملعون إنى ما أيست من رحمة الله ومصدق لقول رسول الله ولابد من صلبك إذا آن الأوان واعلم أن هذا منام ما يخيب ولا بد ما يجرى عن قريب (قال الراوى) فقال عقبة أنا لأجل ذلك المقال والكلام والاحلام ان أحرقكم بالنار وأبطل لكم دلائلكم والبراهين فقال له الأمير نار المخلوق ولا نار الخالق فقال عقبة صدقتم هذا من قوة يقينكم ولكن سوف تنظرون على من تدور الدوائر (قال الراوى) أن عقبة قعد عندهم ثم جعل بين يديه خمر ولحم خنزير وجعل يأكل ويشرب إلى أن سكر ثم قال ياشومدرس أريد أن اوسم هؤلاء المسلمين فى وجوههم بالنار فقال له شومدرس لاتفعل ذلك فقال عقبة وحق المديح والذبيح لابد من ذلك

وأول ما أفعل بعبد الوهاب فقال البطال ان كان ولا بد فافعل بى وبولدى وخل الأمير فقال الملعون أول ما أفعل بعبد الوهاب قبلكم وأنتم من بعده ثم أن الملعون وثب وأتى إلى عند الأمير وقال يا شومدرس تعالى ساعدنى واطرحه على الأرض واقبض على لحيته فأتاه شومدرس وقد فعل ما أمره وأتاه عقبة وأخذ المكاوى من النار وتقدم إلى الأمير وهم أن يكوى وجهه وهو مطروح وإذا بزعقة أخذته من ورائه وقائل يقول خل ياعدو الله عن ولى الله ياويلكم تجمعتم على هؤلاء المجاهدين لاتفعل وكان المتكلم هجم عليه فالتفت ليتبينه من المتكلم وإذا به صفعه على أذنه بزغ الدم من أذنه الثانية فالتفت شومدرس ينظر ما الخبر وإذا به أبو النور ابن الملك وهو يقول ياويلكم تفعلوا هذه الفعال بولى الله المجاهد فى سبيل الله فقام عقبة والدم من أذنه قد نزل على لحيته وغرق أثوابه وقال ان هؤلاء كفروا بالنار وهو لا يعلم أنه أسلم فقال أبو النور تكذب ياملعون أنت الذى كفرت (قال الراوى) ثم ان ابن الملك أخذ المكاوى من عندهم ورماهم إلى بعيد وقال وحق من هدانى إلى دين الاسلام لئن عدت إلى هؤلاء الأقوان أو اضمرت لهم سوء ضربت رقبتك ثم تقدم إلى عند الأمير عبد الوهاب وقال له ايش بينك وبين هؤلاء الملاعين حتى انهم يريدون يفعلون بك هذه الفعال فقال له الأمير ما كنت أنا أحدثك بحديث إنسان وقد قلت لك انه أكفر خلق الله تعالى بالرحمن فقال نعم هذا عقبة وهذا الآخر رفيقه واسمه شومدرس ثم قال أبو النور أى شىء تشيرون على ان أصنع أبى قد مال قلبه إلى هؤلاء الملاعين وسلب لبه من حديثهما فقال البطال أنا أعلمك بشىء تفضحهما به عند أبيك ولا يرجع سمع لهما قولا فقال أبو النور وما ذاك قال تمضى الساعة إلى عند أبيك وتقول له ان هذين الشخصين دخلت عليهما لأتبرك بهما فسمعتهما يقولان للمسلمين الذين هم عندنا نحن مادخلنا هذه الديار إلا من أجلكما وان المال الذى عندكم لنا ابصروا ايش تعطونا منه فسمعت المسلمين يقولون أنتم تعلمون ان ما معنا ههنا شىء ونحن فى هذه الديار بل إذا خرجنا من هذه الديار إلى بلاد الاسلام نوفيكم ما علينا ثم سمعت الشيخ الواحد يقول للآخر كيف رأيت ما فعلنا بالملك وقد انطلى عليه ما قلنا من المقال فاذا سمع الملك منك ذلك القول فيقول كيف يكون التدبير فى إبطال ما ادعوه حتى أعلم انهم من أهل المحال فقل له ياأبتاه أمرهما ان يمشون على الماء كما قالوا فاذا قال لك عن هذه الأنوار التى على وجوههم فقل أنا أزيلها وخذ الماء الحار واوضع فيه الجير واغسل به وجوههم وقد زال ماعلى وجوههم ويبقوا كانهم القرود او الممسوخين من

اليهود ويبان للملك ماهم عليه من الزور والمحال (قال الراوى) فلما سمع ابو النور من البطال ذلك الكلام بات طول ليلته وهو فرحان ما صدق الصباح يصبح فسار إلى ان دخل على ابيه باهتمام ولما صار عنده قال ايها الملك اعلم ان القوم الذين وردوا علينا فى هذه الأيام سرت إليهم اتبرك بهم فى هذه الليلة وانظر ماهم عليه من العبادة فوجدتهما يحاسبان المسلمين ثم قص عليه القصة (ياسادة) فقال كيف يكون التدبير فى فضيحتهم فقال ابو النور إن كنت تريد ان يبان لك الحق من المحال اطلبهم الساعة وامرهم ان يمشون على وجه الماء مثل ماقالوا بحضرة هؤلاء الاقوام فقال واللمعان الذى على وجوههم يابنى الذى يلمع فى الظلام فقال ابو النور انا ازيله بحضرتك وقد زال وبان كل ماهم عليه من المحال فقال الملك ان كان الامر على ذلك فأنا اضرب رقابهم بعدما اطيل عذابهم (قال الراوى) ثم ان الملك قال لغلمانه انطلقوا وأتونى بهؤلاء اللئام وهما الشخصين المنحسين حتى انظر ماهم عليه من المحال فمضت إليهما البطارقة وقالا لهما إن الملك يطلبكما فى هذه الساعة فلما سمعوا ذلك قال عقبة لشومدرس ياهل ترى ما يريد الملك منا حتى انه يطلبنا على عجل فقال اظن ولده اعلمه بتعلمك البطال وربما انه يفضحنا ويقول امشوا على الماء واليوم نصفع حتى نعمى ونصير لا نفرق بين النور والظلما ويكون هذا كله ببركتك ياقاضى لأنك قلت للملك أمس نحن نمشى على الماء فايش كان لك بهذه الفضول وحق المسيح إن تم لهم هذا وزاد على الأمر أقول لهم أنك أنت مسلم وقاضى وأنك ما أتيت إلى ههنا خلفهم إلا للمطالبة التى بينك وبينهم وخلى أنا دين النصرانية ويدخل فى دين المجوسية ولا يصفع بالكلية فقال عقبه دع عنك هذا المقال يا ندل يا جبان وامشى وانت ساكت ولا تكون خرفان وأنا أترجم عنى وعنك يا قرنان (قال الراوى) ثم أنهم ساروا إلى أن وصلوا إلى بين يدى الملك فترحب بهم وتزعزع لهم وأجلسهم بين يديه وقال لعقبه أيها الشيخ قد وصفت لأرباب دولتى أنكما مشايخ النار وأنكما تمشيان على الماء وقد اشتهوا أن ينظروا ذلك منكما حتى يزداد يقينهم فى عبادة النار فقال عقبه أيها الملك أن لنا فى السنة ثلاث مرات نمشى على الماء فيها وهى فى كل أربعة أشهر مرة واحدة ولا نرجع نفعل شىء حتى تعبر علينا الأربعة أشهر الأخر وتعلم النار أنهم ما قصدوا عبادتهم إلا باجتهاد فجعلت لنا هذا البرهان وما هو فى كل الأوقات فقال الملك وقد انطلى عليه محالهم فاذا كان الأمر على ذلك فأقيما عندى حتى تعبر عليكم الأيام ويأتى الوقت المعلوم وانظر ما تقولون عنه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال أبو النور فاذا كان الأمر على ذلك فنحن نصبر على هؤلاء المأسورين بلا قتل حتى يصح قول مشايخ النار فقال الملك ولعلهم إذا رأوا هذه

الكرامة يرجعون عن ما هم عليه ويدخلون في ديننا ويعبدون يقيننا (قال) ثم إن الملك أمر لعقبه بدار غير الدار التى كان فيها وقد وكل به جماعة من البطارقة ولما ساروا إلى الدار وجن عليهم الليل فقال عقبه لشومدرس إيش تعمل بنا الساعة فقال شومدرس وحق المسيح لا أعلم فقال عقبه سوف ترى ما أعمل بابن الملك أبو النور فى غداة غد وكيف أعمل على ضرب رقابهم أجمعين ثم أقاما إلى أن أصبح الله بالصباح فساروا إلى عند الملك ولما أن حضروا وتقدم عقبه وقال أيها الملك وحق النار والنور البارحة قد نزل علىَّ النجم الثاقب وأخبرنى أن ولدك أبو النور قد صبا إلى دين الاسلام وقد صار من هؤلاء القوم الذين عندك (قال الراوى) فلما سمع الملك من عقبه ذلك ازورت عينيه وقال للبطارقة ائتونى بالغلام فساروا إليه وأتوا به إلى عند أبيه فلما مثل بين يديه قال له يا أبو النور أنت صبوت إلى الاسلام وتركت عبادة ربتك النيرة فى غلس الظلام فقال يا أبتاه لا تقل عنى هذا الكلام فمن قال عنى هذا فقال ما قال عنك غير هؤلاء الشيخين النحسين الأعورين قد قالا عنك ذلك فقال عقبه يا ملك إن كان ماله بذلك علم فأحضر المسلمين وأمره أن يضرب رقابهم فقال الملك هذا هو التدبير ثم إنه أمر بإحضار البطال وولده والأمير عبد الوهاب ولما حضروا قالوا لأبو النور قم واضرب رقابهم إن كنت ما أنت مثل ما قالوا عليك هؤلاء الأقوام (قال الراوى) فلما سمع ابو النور من ابوه ذلك قال له يا ملك أنت تسمع فى كلام هؤلاء القوم العور اللئام ولكن انا اغيظهم وأغيظك ايضاً وأقول اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول خير الأنام فقال عقبه صدق النجم الثاقب فيما قال من الكلام ووحق النار ذات الدوائب أن ما يكذب النجم الثاقب قط بطول الأيام وها قد بان لك ايها الملك الأمور والأحكام فزاد الغيظ على الملك وامر ان ينصبوا الخشب ففعلوا ذلك وقال لولده ارجع عن هذا الدين ايها الغلام وإلا اعدمتك نفسك واصلبك مع هؤلاء الأقوام الذى من تصبح بهم اتاه السقام وانهم يلعبون بعقول الأنام (قال الراوى) إن كان الملك يحب ولده محبة عظيمة لأجل ما فيه من الفروسية فقال انصبوا الخشب حتى اصلب عليها هؤلاء الأقوام الذين افسدوا ولدى على واصلبه معهم ولا ابقى عليه بعد ما سمعت منه هذا الكلام فعندها نصبت الأخشاب فقال الملك اصلبوهم من تحت أبطهم حتى يشاهدون العذاب وبعد ذلك نرميهم بالنبال فعلقوا الأمير عبد الوهاب والبطال ومذبحون وابو النور من تحت آباطهم ثم إن الملك قد اقام عندهم إلى أن ولى النهار واقبل الظلام وقد وكل بهم من البطارقة والخدام وسار إلى منزله وكان قال خلوهم على حالهم إلى ثانى يوم نرميهم بالنبال (قال الراوى) لهذه الأقوال واما ما كان

من عقبه شيخ الضلال وشومدرس راهب الزور والمحال لما انقضى النهار ومضى الملك إلى منزله قال عقبه لشومدرس قم بنا يا راهب إلى عند البطال وعبد الوهاب فى جنح الظلام ونأخذ معنا قنطاريتين غوال ونطعنهم بها وهم على الخشب ونستريح منهم ومن صداعهم فقال شومدرس لا نفعل ياقاضى ولا تخاطر بأرواحنا فى هذه الليلة فقال عقبه لابد من ذلك ونطعنهم وهم على الخشب فطاوعه شومدرس فخرجوا وقد اخذ كل واحد منهم حربة طويلة وساروا فى سواد الليل إلى ان وصلوا إلى عند الخشب فرءوا الموكلين مذبوحون وفى دمائهم عائمين وما على الخشب احد فقال شومدرس اطلب بنا النجاة يا قرنان فما اقل عقل من يسمع منك مقال او يتبعك فى افعال ، فقال عقبه لا بأس عليك يا كشحان فما الذى بان لك من الأعمال فقال ياديوث سر بنا واعلم ان القوم قريبين منا وما لحقوا أن يبعدوا عنا والساعة يبصرونا ويقبضون علينا وما نرى ليلة أيشم منها (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك أرمى القنطاريه وعاد مهرولا وما يعرف أين يمضى وما زال الى ان وصل الى اصطبل الخيل ودخلا فيه وقد سترهما الظلام واستخبوا فى المعالف وباتت الخيل تضرب بيديها ورجليها وتصهل عليهم وعقبة يقول اسكتوا يامال حرام لاتهتكونا يانسل الحرام فما مر عليهم ليلة أيشم من هذه الليلة ولم يزالا كذلك فى غم الى الصباح ولما كان عند الصباح وقع الصوت فى البلد بأن المسلمين قد هربوا والموكلين بهم ذبحوا وشربوا كاس الحمام فوصل الخبر إلى الملك فقال وأين مشايخ النار فبينما هم على ذلك وإذا بعقبة وشومدرس داخلين عليه فقال كيف كان هذا يامشايخ النار فقال عقبة اننا خرجنا فى الليل أيها الملك ننظر الى المسلمين وهم مصلوبين فلم نجدهم والرجال مقتولين فهربنا فى معالف الخيل الى الصباح أتيناك فهناهم الملك بالسلامة وقال لهم اعلموا ان مالهم طريق يخرجون من عندنا لأجل زيادة البحر وما هم الا فى البلد لأن الجسر مقطوع والماء قد غطاه فاطلبوهم فى البلد (قال الراوى) فتفرقت البطارقة فى البلد ورأوا أن يهجمون الأماكن ويدورون يمين وشمال فلم خلوا مكان (قال) ياساده وكان السبب فى خلاص الأمراء وأبو النور بنت الملك نور النار لأنها لما علمت بصلب أخيها قالت ان توانيت عن أخى هلك فخرجت من دارها فى ظلام الليل وأنت الى عند المصلوبين فسمعت الأمير عبد الوهاب يقرأ قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وأبو محمد يقرأ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وكان أبو النور قد حفظ أكثر من ربع القرآن وقد هان عليه الصلب والعذاب فى الله رب الأرباب وهو يقرأ مجاوبا للأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فلما أقبلت الجارية عليهم وهم يقرءون

كلام محيي العظام وهي رميم فدخل الايمان فى قلبها وارتعدت فرائصها وسائر جسدها وقالت ان هذا الكلام عزيز لايشاكل كلام الآدميين فقالت ياأبو النور قال ماحالك ياأختاه فقالت انى أتيت الى خلاصك ثم تقدمت فرأت البطال مطلوق اليدين لأنه قد حل روحه من على الخشبة ونزل وذبح الموكلين وعول على خلاص أصحابه وإذا بابنة الملك أتت نخشى منها وتعلق فى الخشبة كانه مصلوب فلما كلمتهم بلين الكلام نزل البطال وحل أصحابه من على الخشب فقالت الجارية ان هذا من الجن فقال أبو النور ان هذا من المجاهدين فقالت لهم الجارية سيروا خلفى من قبل ان يفطن بكم أحدا ثم علمونى ما أفعل فقال البطال أنتى تعلمى ان الجسر مقطوع وما نريد غير مكان نختفى فيه الى ان يقل عنا الطلب فقالت الجارية أنا آخذكم فى دارى ولو أقمتم عندى شهر كامل ماأحد يفطن بكم ثم سارت بهم الى دارها وأخفتهم فى مكان وقدمت لهم الطعام فقال الأمير عبد الوهاب والله لانأكل شىء حتى نقضى ماعلينا من الصلاة ثم توضؤا الجميع وقضوا ماكان عليهم من الصلاة وبعد ذلك جلسوا وأكلوا ولم يزالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله الصباح وجرى من القصة ماقدمنا وانقسام الصباح وعقبه يقول لاتبقوا ولا دار فى البلد حتى تفتشوه ولو كانت دار محتشم أو وزير ودار الملك ففعلوا ذلك فما وجدوا أحدا فقال عقبة ماأقول الا أنهم عند الجارية لأنى أعلم انها خشيت على أخيها من القتل ثم ان الملعون تقدم الى عند الملك وقال أيها الملك أريد ان أهجم دار ابنتك ونفتشها فقال الملك اعلم ياشيخ النار ان ابنتى أبغض ماعليها المسلمين وما أقول انها تخامر علىّ فقال عقبة اركب معى أيها الملك وخذ معك جماعة وانظر من شيخ النار ومايزيدك فيه رغبة واعتقاد (قال الراوى) فعند ذلك ركب الملك وأخذ معه بطارقته الخاص الى أن وصل إلى بيت ابنته وهجم الدار على غفلة منها وكانت الجارية إلى عند الأمراء فما حسوا الا والرجال قد هجموا عليهم فقال الأمير كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله ان هذا أمر صعب ماأصابنا قط مثله من الضيق والغلبة كلما نخلص نرجع نقع (قال الراوى) هذا ولما دخلوا الرجال على غفلة منهم قبضوهم قبضا بالكف فقال عقبة كيف رأيت مشورتى وهو شيخ النار فتعجب الملك وحار والتفت الى ابنته وقال لها ماحملكى يانور النار على تلك الفعال فقالت ياأبتاه حملنى الرحمة والشفقة على أخى لأن مالى أخ غيره فخيلته مما كان فيه ولما خليته أقسم على بالنار ان أحل المسلمين ففعلت ذلك وما أخالف لأجل القسم فقال الملك لاتعودى الى مثلها أبدا فقالت لو أقسم على بالنار ان أقتل روحى لفعلت ثم ان الملك أخذ الأمراء من دار ابنته وأنزلهم فى مطموره ووكل بهم عشرين بطريق وقال لعقبة ماعندك

من الرأى ياشيخ النار قال عقبة نحرقهم واعلم ايها الملك ان ابنتك قد صبت إلى دينهم فقال الملك لاتقول هذا المقال على ابنتى ياشيخ النار فما اقول ان ابنتى تترك عبادة النار فقال عقبة ايها الملك ان هؤلاء القوم يلعبون بعقول الرجال فكيف يكون النساء فقال الملك لابنته يانور النار أنتى صبوتى إلى دين الإسلام فقالت ياأبتاه هذا المقال بعقلك تقوله كيف أترك دين ربيت فيه وهو دين آبائى وأجدادى وادخل فى دين لاأعرفه ولا أدرى ماهو فقال عقبة للجاريه أن كنتى صادقة فى مقالك فقولى إنى كافره بدين الإسلام وبريئة منه فقالت الجارية ياأبتاه أتظن ذلك الظن فى فقال عقبه لاتطيلى الخطاب قولى الذى أقوله لكى فقال الملك دعنا من هذا وخذ فيما هو أهم من هذا وقول لنا مانصنع فى هؤلاء المسلمين فقال عقبه أيها الملك لاتبقى منهم فى يومنا هذا أحد فأمر الملك بجمع الاحطاب وان يطرحوها ويوقدوا النار ويلقوا الأمراء فيها ففعلوا ذلك وأوقدوا النار ذلك اليوم وتلك الليله وزادوا فى وقيدها حتى مابقى أحدا يستطيع الدنو منها (قال) ولما انتهى أمرها أمر الملك باحضار الأمراء فلما أن رآهم أشار بيدأن القوهم فى النار فقربوهم لها ونزعوا ماعليها من الثياب وألبسوهم ثياب خضر فكان أول من ألبسوه كان أبو النور والأمير عبدالوهاب يشاهد ذلك وقد أيقن بالهلاك وسوء الأرتباك وهو ينظر إلى ذلك ويتعجب من ذلك الذى يهلك وعقبه على قيد الحياه وهو يقول خاب منامى وما رأيته فى أحلامى وما بقى بعد هذا شىء فبينما الأمير على ذلك الحال وهو محتار فى أمره وإذا ببطريق تقدم كانه طود أو بعير حل من قود طويل من الرجال كانه من بقايا قوم عاد وأخذ بيد الأمير عبد الوهاب وقال قم ياابن الحزينه وكان كلامه بالعربى وهو يقول أما آن أوان الاجتماع ياابن الواهة الشكلا اليوم تحرق بالنار وتشرب شراب البوار فلما سمع الأمير كلام ذلك البطريق رفع رأسه اليه وإذا بها الأميره ذات الهمه وهى تقول له انهض (قال الراوى) فلما تحقق فيها المعرفه قال لها أنتى وحدك قالت معى الملمان وملابط البغال وغلمان البطال وتمام العشرة من الرجال الأجواد فطار قلب الأمير فرحان بتلك الأمور والحركات والاسباب (قال الراوى) إلى ذاك الكتاب إن كان السبب إلى مجىء الأميره كلام عجيب وأمر مطرب غريب يحير فيه عقل كل عاقل لبيب وذلك لما أن خرجت من ملطيه فى زى التجار ومعها غلمان البطال كما وصفنا ولم تزل سائره من اقليم إلى اقليم وما تركت فى بلاد الروم اقليم الاودارته ودخلته فلم تجد احدا ولم تزل دائرة فى البلاد إلى أن وصلت إلى بلاد البنادقه فرأت كل قريه قدر المدينه فنزلت فى بعض القرى فنظر اليها مقدم تلك القريه وكان

اسمه سقراطوس ومعها تلك التجاره فنزلها فى دار كبيرة هى ومن معها ونقل اليها كلما تحتاج من مأكل ومشرب وكان من عادته إذا نزل فى قريته تجار فيأخذهم وينزلهم عنده ويكرمهم غاية الأكرام ويصبر عليهم إلى الليل ويهجم عليهم ويقتلهم ويأخذ أموالهم فلما دخلت الأميره إلى تلك القرية أخذها فى داره وصبر عليها إلى الليل قام عليها وجمع رجاله وقال لهم تجمعوا حتى نكبس هؤلاء التجار ونضرب فيهم بالبتار ونأخذ مامعهم من الأموال فأخذهم وسار بهم وكانوا عشرين بطريق ومازالوا حتى وصلوا الدار التى فيها الأميره وهجموا عليها فوجدوا الأميره جالسة وهى فى آخر ركعه وقد جلست للتحيات وسلمت وأخذت فى الدعاء إلى رب الأرض والسماء أن يكشف لها خبر ولدها (قال الراوى) فبينما هى على ذلك الحال وهى مستيقظه على نفسها وإذا بالبطريق هجم عليها ومن خلفه الرجال فلما نظرتهم قامت على قدميها وسلت حسامها وصاحت عليهم وطلبتهم وتلقتهم وضربت فيهم بالحسام فلم يلبثوا إلا ساعه حتى قتل منهم عشرة فوثب اللمان وملابط البغال وباقى الأخوان فحلقوا على الجميع وقد قتلوهم أجمعين ولم يسلم منهم غير البطريق المقدم عليهم ففر هارب وطلب الباب وصار يصرخ على باقى أصحابه فاجتمعوا من حاله أعوانه فشكى لهم ماجرى هذا والاميره قالت لهم أخرجوا بنا من هذا الدار واركبوا وسيروا تحت ستور الظلام من قبل ان ينفر علينا هذا الملعون الروم كبير وصغير ثم يجتمعون علينا من كل فج عميق ففعلوا ذلك من ساعتهم وركبوا وقد شالوا قماشهم على دوابهم وخرجوا من الباب هذا والبطارقه لما اجتمعوا على الطريق قالوا ماحالك قال ان هؤلاء التجار الذين نزلوا عندنا الليله قتلوا أصحاب سقراطوس فقالوا سيروا بنا إلى صاحب القريه وأعلموه بالخبر فساروا ودخلوا على صاحب البلد وأخبروه وقالوا أن رجالك قد قتلوهم التجار (قال الراوى) فلما سمع صاحب البلد صاح على من عنده وقال ائتونى بهم وان مانعوا قطعوهم بالحسام وخذوا منهم بالتار وقطعوهم بالبتار فتجمعوا البطارقه وساروا مع سقراطوس فى جنح الظلام ومازلوا سائرين إلى أن دخلوا الدار وهجموها وبعضهم يقول لاتقتلوهم والبعض يقول اقتلوهم واسقطوهم كاس البوار ولما هجموا الدار فما رأوا فيها ديار ولا نافخ نار ولا فيها منهم آثار والقتلى فيها كانهم أعجاز نخل خاويه فأعلموا صاحب البلد فقال ياويلكم سيروا خلفهم واقتفوا منهم الآثار (قال الراوى) ثم انهم صبروا إلى الصباح وخرجوا من البلد وكشفوا على آثارهم وساروا خلفهم وكانت الأميرة جدت فى المسير الى وقت الظهر ونزلت لأكل الطعام وراحة الدواب فما استقر بهم المقام حتى ثار عليهم الغبار من نحو

القرية فتواثبوا إلى خيولهم ركبوها وإلى سيوفهم امتشقوها وكانوا الذين قد تبعوهم الف فارس ولما وقعت العين على العين صاحوا عليهم وداروا بهم من كل جانب فلله در الأميرة واصحابها فيما فعلوا بهم فحملوا البطارقة ونزلوا عليهم نزول الصاعقة ومحقوهم واطالوا اعذابهم وردوهم على اعقابهم فلما راى البطريق ذلك قال ياويلكم لاتفزعوا منهم واحملوا عليهم فالساعة نأخذهم كلهم فقالوا أيها البطريق أنت تتحدث حديث مستريح لا تعلم ان كان مليح أو قبيح تقدم اليهم حتى تنظر العجب والضرب والصحيح فقال ياويلكم هل هم الاهؤلاء التجار قالوا نعم وهل نحن خائفين الا من التجار وذلك كله من أذية السفار ونحن ما نريد نؤذى سفار تقدم اليهم وانظر حالك معهم وان هـــذه الفعال مما يقطع عنا السفار والتجار (قال الراوى) فلما سمع الملعون ذلك الكلام وصاح وهدر وزمجر وحمل وقد جرد فى كفه صارم ذكر فالتقته الأميره وهى كأنها الأسد إذا أزور بقلب أقوى من الحديد وساعد شديد وطعنته فى صدره طلع السنان من خرزة ظهره ونفضته على وجه الأرض كأنه نخيق ممدد والذى كان فى جوفه تبدد فلما رأوا باقى أصحابه صاحوا يا معاشر التجار البلد بلدكم وان عدتم الينا حط عنكم المكوس ثم عادوا الباقى منهزمين والى النجاة طالبين وسارت الأميرة الى ان أبعدت عن محل المعركة ونزلت بأصحابها عند اقبال الظلام ولما استراحوا وأكلوا شيئا من الطعام جلست للشوره والكلام وقالت والله لقد حرت فى أمرى ولم أدرى الى أين أقصد فقالوا لها أصحابها نعود الى بلاد الاسلام لأن قد طالت غيبتنا وما ظفرنا بشىء فبكت الاميرة وقالت والله مضى الأمير فى هذه النوبة وها أنا راجعة الى ملطيه آخذ منها ما أحتاج وأسير الى أرض الحجاز وأتعبد هناك إلى ان يأتينى الحمام وأموت وأقبر هناك (قال) ثم ان الأميرة رحلت عند الصباح وسارت ساعة من النهار فأشرفت على دير عالى البنيان مشيد الأركان فوصلت الأميرة اليه ووقفت عليه وطرقت بابه فطل لها راهب من أعلاه وقال من تكونوا من الروم فقالت له تجار ونحن سائرين نريد المكس وقد جزنا على هذا الدير فنزلنا عليه بقصد الزيارة لعل نبيع شيئا مما معنا من تلك التجاره فنزل الراهب وفتح الباب وقد ترحب بهم وهو يظن ان الأميرة رجل وسألها عن حالها والى أين هم بهذا المتجر سائرين فأتته الأميرة بهدية وأعطته اياها ثم سألته عن أحوال بلاد الروم وقالت له اعلم أيها الراهب انى أنا رجل تأجر ومعى بضاعة وقد ردت بلاد الروم جميعها مثل بلاد الزغاورة والبنجاك والملافطة والبنادقة والانجار والدوقس والأرمن واللان واليونان والدوس والهنكر والبرغل والمغابيط والصقالبه والافرنج والصقارقة وغيرهم من البلاد وما تركت موضع إلا ودخلته وما انباع معى من هذا المتاع شىء فقال الراهب قد بقى

من أقاليم الروم إقليم مادخلتوه وهو اقليم أخدود ولكن ماهم على دين المسلح لأن القوم يعبدون النار ولهم ملك يقال له دقيادروس وهم فى عالم لايحصى وقد بلغنى ان عندهم أسير يقال له عبد الوهاب وهو فى أسوأ حال ولهم أموال لاتأكلها النيران فاذا أردت الربح فسير اليهم لعلهم ان يبيعوك هذا الأسير وتعود به إلى بلده فهو يكون سبب غناك لأنى قد سمعت عنه انه رجل محتشم كبير القدر (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك حمدت الله تعالى وقالت لأصحابها هذا ماكان لنا فى حساب ولقد أحسن من قال :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ۞ ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ثم قالت الأميرة ياراهب وكم بينى وبين هذا المكان فقال خمسة وثلاثين يوما فلما سمعت ذلك خافت أن يجرى على الأمير أمر من الأمور وسارت تقطع الأرض وكل بلد تدخل تبيع فيه مما معها حتى أشرفت على البلد (قال الراوى) فكان عقبة لما فقد الأمير وأصحابه قد أمر الملك ان ينصب الجسر وقال أنا أقف على رأسه ومعى خمسمائة فارس وآخذلك المسلمين قبضاً بالكف فنصبوا الجسر ووجدوا القوم عند الجارية وبقا الجسر على حاله حتى أتت الأميرة وعبرت عليه هى وأصحابها وقد دلموا أهل البلد أنهم تجار وكان وصولها فى يوم أخرجوا الأمير وأصحابه من عند الجارية نور النار وسمعت الأميرة بما تم فحملت الى الملك هدية مقدارها عشرة آلاف دينار مثل فصوص وياقوت وبلخش وزمرد وطيب ولما وصلت الهدية إلى الملك قبلها منها وقالوا له الذى أتوه بالهدية ان التاجر الذى أتاك بالهدية يقول لك ان له على هؤلاء المسلمين دم قديم لأنهم أخذوه فى بلادهم وقتلوا من أصحابه جماعة وما أتى بهذه الهدية الا حتى يشتفى منهم فقال الملك وحق النار لا تركت يضرب رقابهم غير التاجر فقولوا انه يطيب قلبه فلما وصل الرسول الى الأميرة ذات الهمة وأخبرها فصبرت الى الليل وخرجت هى وغلمان البطال يطوفون البلد على انهم يقعون بموضع فما وجدوا له خبر وكانت الاميرة تظن أن الامير وحده ولما كان من الغد ركبت وخرجت فوجدت الناس مجتمعين وهم محدقون بالامير فحركت بجوادها حتى وصلت إلى الامير وهو مكتوف فسالت الدمعه من عينيها وترجلت وأخذت بيد عبد الوهاب وفرقت الناس من حواليه وقالت له ماذكرنا (فلما) سمع الامير كلامها كاد ان يطير قلبه فرحا برؤيتها وقد عرفها كما وصفنا وقالت له يابنى انت وحدك فقال لها أن معى أخى البطال وولده مذبحون ومعنا ابن الملك فالتفتت الاميرة إلى خلفها وإذا بالبطال مكتوب فدنت منه وكلمته فعرف صوتها فقالت له ياأبا محمد كيف وقوعك هاهنا فقال لها اتى ياعجوز خرفانه هذا وقت سؤال وأنا رايح إلى

إلى الحريق فضحكت الاميره وقالت له طيب قلبك الساعة يفرج الله عنا (قال الراوى) فقال البطال الساعة يطرحونا ياعجوز فى النار وانتى تنظرى فقالت لا تخاف ما تم الا الخير هذا والملك وقف على تل عالى وساروا بهم إلى قريب من النار ووقفوا ينتظرون أمر الملك فيهم ويلقوهم فى النار فقال الامير ما انتظارك فينا حلى كتافنا وأنا وأنتى نلقى القوم فقال البطال ما تزالون فى كلام يا أسود أنت وهذه العجوز حتى يلقونا فى النار وهى تنظر الينا فضحكت الاميره وقد سمع أبو النور فقال ما حالكم كل هذا فزعا من الموت فقال له الامير أبو محمد ياعبد الله ان هذا البطريق الذى يتكلم معنا هى الاميره ذات الهمه فالتفت إلى عبد الوهاب وقال ما يكون هذا منك فقال له انها والدتى الذى كنت أحدثك عنها فقال أبو النوروايش انتظارها بنا وقد وصفت لنا عنها من الشجاعة غير قليل لا تكون أتت وحدها فقال الامير بل وصل معها عشر رجال بريد كل واحد لنفسه عشرة آلاف فما سمع الكلام حتى صاح أيتها الاميرة اقطعى كتافى حتى أريكى كيف أصنع فتقدمت الاميرة اليه وقطعت كتافه وكذلك الامير والبطال وولده الجميع وأعطتهم السيوف (قال الراوى) فحان من الملعون شومدرس التفاتة فنظر إلى الامير وقد حل من وثاقه وفى يده سيف مشهور فقال لعقبه ويلك ياقرنان جاءتك الدوا هى من كل مكان فقال له ولما ذلك بس تبشرنى بكل سوء فقال التفت وانظر ما أبصر فقال ويلك ما بتبصر فقال افتح عينك الصحيحة وابصر بها ترى العجب فقال قول ياويلك أزعجتنى قال عبد الوهاب قد حل من وثاقه ومعه سيف مسلول فقال عقبه هذا كله من الفزع الذى فى قلبك من المسلمين من قديم ما تدرى ما به تتحدث فقال ياويلك افتح عينك الصحيحه وانظر ما قدامك من الدواهى فسمع الملك كلامهم فقال ما شأنكم يامشايخ النار فقال عقبه ان رفيقى أيها الملك يقول ان المسلمين مطلوقين فضحك الملك وقال لا تقول الا انهم مطلوقين فما عسى ان يقدروا يفعلوا (قال الراوى) فالتفت عقبه فنظر الى الاميره وقد تميز شمائلها فصار يبحلق عينيه الصحيحة فوثب شومدرس ورفص عقبه برجله أقلبه على جنبه فقال عقبه ياويلك أقول للملك يضرب رقبتك ياقرنان لما تفعل هذه الفعال بى فقال كم لك غائب عن الصفع ياقاضى فقال له من يوم خرجت من بلاد الروم فقال اليوم وحق المسيح تصفع صفع كثير وتصيح صياح ميسوم وترى يوم ما رأيت أيشم منه فى الدهور وها هنا يكون قبرك ياقرنان هذه الاميره المقطوعة النخاع قد أتت وما أدرى إلى هذا المكان كيف اهتدت

فقال عقبه وقد تغير لونه هذا كله من فزعك تقول هذا المقال فقال وحق المسيح لولا هيبة الملك لقمت الساعة وصفعتك فقال أنا ما حسبت هذا الحساب وما قلت إن هذه الشيطانه تصل إلى ذلك المكان فقال خذ الآن لنفسك فى النجاة فقال عقبه ايش الذى جرى علينا حتى اننا نهرب قف وانظر ما يكون وبعد ذلك ان رأينا الغلبه هربنا وتركنا هذه الديار والرسوم فقال شومدرس لو هجينا إلى آخر الدنيا ليأتو خلفنا (قال الراوى) فلما سمع الملك نقار عقبه وشومدرس قال ما حال مشايخ النار فقال عقبه أيها الملك أفق من غفلتك فى هذه الساعة تهلك عباد النار ورأسك تنظره قد طار عن جسدك من هؤلاء الاشرار وانت واقف كانك تتفرج على مزمار وما عنك من هؤلاء أخبار فقال الملك ياويلك عن من تعنى بهذا الكلام ومن هو الذى يفعل هذه الفعال ولوكان من الجبابره الكبار فقال له التاجر الذى أهدى اك الهديه وحق النار ما يأخذ عوض لهديته إلا رأسك بعد ما يلطمك حتى تقع أضراسك وتخمد أنفاسك فقال الملك التاجر ما يجسر ان يفعل هذه الفعال فقال عقبه ان كنت نائم استفيق من رقدتك وان كنت سكران اصحا من سكرتك واعلم ان هذا التاجر ما هو تاجر وما يتجر إلا فى رأس مثلك وأمثال وما هو رجل بل هى امرأه وهى أم عبد الوهاب هذه مخربة الدور هذه مهدمة القصور هذه قاتلة الملوك هذه التى لا تبقى لا على غنى ولا صعلوك هذه جبار الاسلام جمعيه هذه خيارهم هذه هى ومن عندك فى الاسر حامية ديارهم هؤلاء لولاهم لخربت بلادهم أجمعين وان قلت هؤلاء ملكت بلاد المسلمين ولا يبقا أحدا يحامى فيها من بعدهم (قال الراوى) فلما سمع من عقبة ذلك انزعج وكأنه نائم وانتبه وصاح على البطارقة وقال لهم ياويلكم لمثلى يقال ذلك الكلام دونكم وهؤلاء المسلمين قطعوهم باسيافكم فمالت البطارقة إلى نحوهم وحملوا عليهم وكانت الأميرة لما ان خلصت الأمراء ركبت وركبت الأمير وأصحابه الخيل السوابق وسلمت إليهم السيوف والقنطاريات الخوارق وكان السلاح من أشغاله غلمان البطال ولما حملت عليهم تلقوهم والأميرة والأمير فى أوائلهم وهى تقول دونكم وعباد النار واياكم أن يهرب عقبة وشومدرس المكار فقال الملمان أيتها الأميرة انتى وولدك لنصف القوم وأنا وملابط البغال للنصف الآخر والبطال وولده وغلمانه لعقبة وشومدرس رؤس الفجار فقال ابن الملك أبو النور وحق من هدانى إلى دين الإسلام لى قوة وجنان ان ألقاهم وحدى(قال الراوى)ماسمعت باعجب من هذا الاتفاق كيف اجتمع مثل هؤلاء فى مكان واحد فى هذه الديار البعيدة وكان عاصف قد خلع عليه الملك بمعرفة عقبة كما قدمنا ولما ان جرى هذا الأمر والشان ركب

جواد وحمل على المسلمين فصادف فى حملته إلى الأميرة ذات الهمة فصاحت فيه بحرقه وقد عطف عليها أيضا فتطاعنا طعنا أمر من الصبر وأحر من الجمر ساعة فجدت الأميرة معه ومالت عليه وطعنته طعنة تهد الجبال وتقصر الآجال وإذا به عن جواده قد مال و نفضته كأنه الجزع المدد وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وأما الأمير عبد الوهاب فانه رأى الملك وهو على رابية عالية وهو يحرض البطارقة فمال إلى نحوه وفتك فى جنده . فقفز اليه الملك بالجواد فحالت بينهم البطارقة وكان العدد كثير فقتل من المشركين خلق كثير هذا وعقبة يصيح على شومدرس وهو يقول اليوم تقطع منا الآذان ويصفعوهم حتى ينسوا دين المجوس والصلبان وكل ذلك من أجل ماسمينا أرواحنا شيوخ النيران بالزور والكذب والبهتان فاطلب ياويلك بنا الهرب من هذا المكان فقال شومدرس يا ملعون نهرب إلى أى مكان وحق المسيح لقد ضاقت علينا المسالك وقد علمت إنى اليوم هالك ونقع فى ذلك (قال الراوى) هذا ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولت عساكر الضيا وأقبل الليل مندرجا فقـــال الأمير عبد الوهاب لابد ما نرمى أنفسنا للهلاك لأنهم لما دخل عليهم جاعوا وعطشوا لأنهم ما تمكنوا لايأكلوا ولا يشربوا وقد لحقهم الجوع العظم إلا أنهم توكلوا على السميع العليم فصاح الملك بقومه عند اقبال الظلام ونادى دوروا من حولهم من كل جانب ومكان وخذوا عليهم الطرق والمذاهب ففعلوا ذلك وقد ضايقوهم ولاصقوهم فسندوا المسلمين ظهورهم إلى الصور وتوكلوا على مدبر الأمور ولما ان تهود الليل قال الملك انى قد انفتح لى باب آخذ به هؤلاء القوم قبل الصباح فقال بعض خواصه وما هو أيها الملك قال تصعدون إلى الأصوار بعد أن تسدوا باب الجسر وافتحوا باب البحر الحديد حتى يدخل الماء إلى البلد فأما ان يغرقوا أو يسلموا أنفسهم من غير قتال ولاتعب (قال الراوى) فلما سمعوا من الملك ذلك مالوا إلى الجسر فشالوا ما كان عليه من الأخشاب وكان لهم من جانب الصور باب من الحديد من ناحية البحر وكان أكثره نازل فى الماء وله فى أعلا الصور لوالب يرفع بها إذا أرادوا فتحه وكان البلد جميعه أرضه مبلطة بالرخام فاذا فتحوا ذلك الباب فاضت المياه منه على البلد وتدخل وتغرق بالمياه هـذا وانهم لما صعدوا من على الصور دوروا اللوالب وفتحوا الباب فجرت المياه واندفقت مثل البرق وصار البحر يجرى ويدخل إلى داخل البلد فبينما الأمراء واقفين وهم على ظهور الخيل وإذا هم وقد اندفقت عليهم المياه مثل الغمام وقد بقا الأمير وأصحابه فى وسط الماء وهو مندفق عليهم وكلما له يزيد ويكثر عليهم والروم والاعلاج يضحكون عليهم من فوق الأصوار هذا والماء كلما له

يزيد فقال الأمير هذا أمر ما كان لنا فى حساب فقال أبو النور والله أيها الأمير أنا كنت عارف بهذا الباب ولكن الأمر لله من قبل وبعد فبينما هم فى الكلام وإذا بالماء قد عم عليهم ووصل إلى سروج الخيل وكثرت عليهم الأمواج وتلاطمة بالأنزعاج وصار عليهم عجاج وسحبتهم الأمواج وتفرقوا عن بعضهم بعض وصاحت عليهم عبدة النار من فوق الأصوار وقد ألتصقوا الأمراء إل الصور وطلبوا لحياتهم نجاة وقد تعلقوا من حلاوة الروح بالحيطان ورفعتهم المياه إلى أعلا الصور وأعلا الدور فاخذوهم البطارقة وقد تصيدوهم من الماء كانهم السمك واحد بعد واحد وما أصبح الصباح إلا والجميع مقبوض عليهم وهم مكتفين (قال الراوى) ولما ان قبضوا عليهم أتوابهم إلى عند الملك فقال لهم يا شياطين ألا ترون إلى النار وما عملت فيكم ثم ان الملك أنفذ جماعة إلى الدار التى كانت نازله فيها الأميرة ونهب كل ما كان فيها واحتوى على ما كان معها من المتاع والمتجر والجوهر والحبوب واللؤلؤ والعقود وكان شىء يحير العقول وكان شى يساوى قيمته مائتين ألف دينار ولما أن احتوى على الأمراء ونهب أموال الأميرة أمر بزينة البلد والأسواق وقال وحق النار ما بقى لهم حياه إلا بمقدار ما ينشف البلد من الماء ونحوه قال ثم أمرهم بان يسد باب البحر فسدوه وانقطع الماء ووضعوا القيود فى أرجل الأمراء وأقبل الملك على ولده أبو النور وقال له يا كلب النار كيف رأيت قدرة النار فيك وما عملت بكم ارجع عن ما أنت عليه وعود إلى دينك وفارق هؤلاء المنافقين وإن لم ترجع وإلا حرقتك بالنار مع هؤلاء السودان فقال أبو النور أسكت سكت حسك وبطل نصك لا كان ذلك أبداً وكيف أترك دين الهدى وأعود إلى دين يوردنى مورد البوار والردى فقال عقبه أيها الملك لا تضيع كلامك مع ولدك فان دين الإسلام من عرفه لا يحول ولا يزول عنه ولا يتطهر بعد ذلك إلا بالنار وبعد ذلك أشكرا لربه التى ردت هؤلاء إلى الإسرا والعذاب فكم نهبوا من أموال الروم وكم أسروا نساء وكم قتلوا رجال وكم أهلكوا عباد هؤلاء الذين يأخذون جزية سبعة عشر اقليم حتى صاروا ملوك الأرض تخاف منهم وتزن لهم الصنيعة فقال الملك يا شيخ النار إذا كان الأمر على ما ذكرت فأنا أبيعهم نفوسهم بوزنهم مال وآخذ منهم الجواهر مادامواهم ملوك البلاد فقال عقبه فى نفسه ما هو كثير أن يبيعهم ولكن الفضول منى كان ثم أن الملعون قال يا ملك حرقهم أفضل من المال وإن كنت تريد مال فأنا أرسل إلى الملك ارمانوس وإلى ملوك الأقاليم آتيك منهم بالمال الذى كانوا يحملوه إلى هؤلاء فى كل عام وهو مال جزيل ففرح الملك وقال الملوك يقبلون منك يا شيخ النار قال نعم ولا يخالفونى فى قول واسأل رفيقى هذا شيخ النار فهو يعرف قولى

فضحكت الأميرة من قوله على ما بها من الغيظ وقالت له يا ملعون أسمع اسمك فى دار الدنيا فقال لها يا عجوز بعدما أكون سبب إلى حرقك وحرق من عندك ما أبالى بالعقبا ثم التفت إلى الملك وقال أيها الملك احتفظ بهم الليلة جهدك وطاقتك إلى غد فضحك الملك وقال وحق النار ما يخرجون من قصرى إلا لإحراقهم ثم أنه أمر بفتح مطموره فى داره ينزل إليها بثمانية عشر درجة إلى أسفل ففتحوها وأنزلوا الأمراء فيها ثم أطبقوا عليهم بطابق مكين ولا أطعموهم ولا سقوهم (قال الراوى) ولما نظر عقبه وشومدرس إلى ذلك مضوا مسرورين وأما الأمراء فانهم أيقنوا بالهلاك وقالوا والله ما جرى علينا قط مثل هذه النوبة قال البطال أنا ما أقعدها هنا إلى غد حتى يأتون ويحكمون فى فقالت له الأميرة وإلا كيف تفعل فقال لها انظرى العجب ثم أنه أخرج رجله من القيد وقام يمشى ثم دار على الجميع وفتح قيودهم عن بكرة أبيهم فتحير أبو النور من ذلك وقال ما هذه إلا صنعة جيدة هذا والبطال صعد إلى باب المطمورة وكان الليل قد تنصف وهم أن يكشف الطابق أو يقلعه فلم يجد فيه حيلة إلى محتال فقال مالى ألا أنقب من حول الباب وأقلعه فبينماهو معول على ذلك وإذا باب المطمورة فتح ودخلت منه جارية لها وجه مثل لون الشمس نورا فتوارى البطال منها فى مكان وقال لابد لها من سبب من الأسباب ثم وقف البطال (قال الراوى) إن كانت هذه الجارية بنت الملك نور النار هذا ولما دخلت إلى المطمورة نادت يا أبا النور فقال لها أهلا وسهلا يا وجه النهار إيش الخبر فقالت أنا ما فتحت عليكم ونزلت إليكم إلا بعد أن حصلت لكم الخيل والبغال والسلاح وكلما تحتاجون إليه واعلموا أن الخشب قد نصبوه لكم فقوموا الساعة وعولوا على الهرب فقال البطال لله درك ثم نادى بأصحابه فصعدوا بأجمعهم وساروا فقال الأمير اللهم لك الحمد على هذا الفرج سيروا واعلموا أن الخيل أحضرتها وأسرجتها والجمتها لكم ولكن تكونوا بلا عدة فما تساووا حبه وهذه خزانة السلاح من يقدر فيكم بفتح بابها فقال البطال هذه شغلى انا وفى عاجل الحال فتحوها ودخلوا فيها وغانوا ساعه وعادوا وقالوا يا ابو محمد إنا وجدنا باباً ثانياً فعالجناه فما وجدنا فيه حيلة لمحتال فضحك مذبحون وتقدم إلى الباب وعالج فيه فتحه كان المفتاح معه (قال الراوى) ولما أن دخلوا اخذوا كلما يحتاجون إليه من السيوف والدرك والزرد والعدد فقال ابن الملك ابو النور والله ما رحنا وخلينا هذا فى قيد الحياه الذى هو الملك ورآنا لأنه إن اصبح الصباح ولم يجدنا طلبنا وسار خلفنا بالعساكر ولو مسيرة شهر وانى عولت ان امضى واذبحه وآتى برأسه واكون فعلت فعال ما فعله غيرى مع ابوه فى طاعة الله تعالى فقال البطال وانالى حاجة ما ابرح من ههنا إلا بها وهى عقبه وشومدرس ثم انه اخذ

ولده مذبحون وغلمانه وساروا إلى قضاء حاجتهم وسار ابن الملك فى طلب ابيه ولما ساروا قالت ابنة الملك إنى خائفة على البطال وولده مذبحون من عقبه لأنه هو وشومدرس فى دار صعبة المراس وعليها قفل من حديد لايقدر احد يقلعه من مكانه وأخاف أن البطال يعالجه فيسمعان حسه فيقوموا البطارقه وننفضح كلنا فى هذه الليله ولولا أخى مضى بسبب قتل أبيه كنا سرنا فى هذا الوقت فما يصبح الصباح إلا ونحن قدام وقد أمنا على نفوسنا من عدونا ولكن قلبى مايصبر عن أخى ولابد لى من اتباعه ثم انها سارت خلفه (قال الراوى) فهذا ما كان منها (وأما ما كان) من ابن الملك ابو النور فانه مازال سائر إلى أن وصل إلى الدار التى فيها أبيه ففتحها ودخل عليه وأرمى روحه عليه وهم أن يذبحه فقال والله لابد أن أعلمه انى عبد الله ثم عول أن ينبهه وينهيه عما هو عليه من الضلال وإذا به قد أحس بثقله عليه ففتح عينيه فى ضوء الشمع فرأى ولده راكب على صدره فقال أبو النور قال أنا عبد الملك الغفور فقال ما الذى تريد فى هذا الوقت قال ماأتيت إلا آخذ رأسك وأخمد أنفاسك (قال الراوى) فلما سمع عدو الله من ولده ذلك الكلام انقلبت عيناه فى أم رأسه وكان جبار من الجبابره فهمز على ولده وقبض على زنديه وجذبه أرماه من على صدره وقام وبرك عليه بركبتيه كاد أن يخسف ضلعيه وأخذ السكين من يده وهم أن ينحر وريديه وإذا بلكمة وقعت فى عقصته قصفت رقبته ومات من ساعته فقام عبد الله من تحته يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد رجعت اليه روحه والتفت الى الذى فرج عنه وإذا به اللملمان ففرح بذلك وكان عند الملك جارية نائمة عنده فانتبهت فبادر اليها أبو النور وقتلها خوفا لا تصرخ (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء اللملمان ان الجارية لما احترقت على أخيها بعد مضيه وخافت عليه من أبيها فجعلت تبكى فقال لها الأمير عبد الوهاب ياهذه كفى عن البكاء خصوصا المحب إذا رأى حبيبه يبكى كيف يكون حاله وسارت الجاريه كما ذكرنا خلف أخيها فساروا الأمراء بأجمعهم خلفها لأجل قلبها وخوفا على أخيها وعليها ومازالت سائره وهم خلفها إلى أن وصلوا إلى الدار الذى فيها الملك فوجدها مفتوحه فقال الأمير للملمان ادخل وانظر ماالخبر فدخل وقتل الملك وخرج وأعلم الأمير فدخلوا إلى القصر وأخذوا من الأموال والجواهر الحسان مالا يصفه لسان فقال الأمير أنا أقسم قسما صادقا إننا فتحنا القسطنطونيه ماحصل لنا مثل ماحصل لنا من هذا المال (قال الراوى) ولما أن اكتفوا من المال عادوا إلى مكانهم وأقاموا ينظرون قدوم البطال فما عاد وكان من حديث البطال أن القاضى عقبه كان جالسا يتحدث مع شومدرس ويقول ياشيخ أعلم أن مابقى من أعمار الأعداء غير الليله والصواب اننا نحترز على أنفسنا ونخفى أرواحنا فقال شو مدرس

وبنت الملك تقول وحق من هدانى لدين الاسلام لقد قلبى الصحيح وها أنا أرى باب السرداب مفتوح مقلوع ولا بدلنا من النزول وخلاص أصحابنا ولكن أخاف أن يكون لنا أعداء ينتظرونا حتى ننزل ويقطعون السلم ولربما غلق باب الممرق ولا ينفتح لنا الباب (قال) فعندها قالت لها ومن هو العدو الذى يفعل بنا هذه الفعال فقالت الأميره قلبى يحدثنى على أن عقبه وشومدرس فوق السطح فوالله العظيم ان صاح منهم واحد صيحة واحدة ضربته أنا بسيفى هذا ضربة واحدة أحرمته نسيم الهوى ثم قصدت نحوهما وعقبه قد مات فى جلده وذهل من كلامها وقال شومدرس وحق المسيح هذه الليلة آخر ليالينا من الدنيا فقال عقبه ياملعون ماتزال تقرأ علينا كتب الآفات ولعل المسيح أن يعمى بصرها عنا (قال الراوى) هذا والأميرة قد قصدت إلى مكانهما كانها قد أخبأنهما فيه ثم قبضت عليهما وأوثقتهما كتاف وقالت لبنت الملك قفى على رؤوسهما ومن تكلم منهما أو صاح طيرى رأسه فقالت السمع والطاعة فى قلبى من هذا الشيخ النحس النار فقال عقبه من يوم سميتمونى شيخ النار علمت أن قفايا يتقطع فى هذه الديار هذا والأميرة قد نزلت إلى السرداب فوجدت مذبحون وهو قد تسلق وصعد وعول أن يرفع أبوه وأصحابه فعاونته على ذلك إلى أن رفعوا الجميع وقالت ياأبو محمد ايش الذى أوقعك وأنت أخبث الطير قال ماهذا موضع عتاب ولا حديث وما اظن ان يخفى عليكى كيف كان وقوعنا فان كنتى شلتى السلم قبل نزولك وإلا يكون قد هرب عقبة وشومدرس فقالت له قدقبضت على الاثنين ووكلت بهما نور النار ففرح البطال وصعد هو وأصحابه وقد زاد بهم الفرح وزاد بهم السرور وزال عنهم الترح المحذور (قال الراوى) ولما صعدوا على السطح وجدوا عبد الوهاب والململمان وعبد الله ابن الملك وباقى الاخوان قدصعدوا فى الجبال وداروا بعقبة عن اليمين والشمال لأنهم وجدوا الجارية موكله بهم (قال) فسألوها عن الأميرة ذات الهمه فحدثتهم بما جرى لهم جميعا ففرح الأمير عبد الوهاب بذلك وقد دنا الململمان من عقبه وشاله على يديه وجلد به الأرض وهو يقول أناما أدرى إلى يعيش هذا القرنان ولولا أن يكون السطح واسع كان عقبه قد وقع الى الارض لانه فبقى بينه وبين طرف السطوح باع أوذراع فأدركه البطال وقال للململمان والله لقد أخطيت لان هذا الملعون التقى له راحة ونحن نريد اننا نعذبه حتى يصل الى بلاد الاسلام ونصلبه فى موضع أمرنا سيدنا محمد عليه أفضل السلام (قال الراوى) ثم انهم نزلوا وقدا نزلوا عقبه وشومدرس معهم وساروا الى عند دوابهم وقد نزلوا عقبه وشومدرس فى صندوقين كانوا غلمان البطال قد اتوا بهما من مطبخ الملك وساروا حتى عبروا الجسر وعادوا نزلوا وافتقدوا الخيل

وشدوا عليها كما يحبون وغرقوا فى السلاح وركب الأمير واصحابه وهو ينادى واشوقاه الى بلاد الاسلام والله لو اتبعتنا اهل الارض كسونا اسيافنا من دماء الأعداء اغماد حمرهيا بنا سيروا يا اخوانى على اسم الله تعالى (قال الراوى) فعندها ضربوا الخيل بالمقارع وقطعوا من تلك الارض المطامع وساروا حتى ذهبت جيوش الظلام واقبل الصباح بعساكر الابتسام هذا والقوم سائرين حتى تضاحا النهار واذا قد لاح لهم جبل عالى وفى رأسه دير نامى مثل الحصن الحصين وما لاحد اليه طريق ولا عليه تسليق وتحته مرج افيح وماء يسرح (قال الراوى) فلما رأوا ذلك عولوا على النزول هنالك ليأخذون الراحه ويأكلون شيئاً من الزاد واذا بغبار من خلفهم قد طلع وقتام قد ارتفع وفيه صياح قد علا وضجيج قد نما حتى أنه أقلب الدنيا (قال الراوى) فلما نظروا المسلمين إلى ذلك علموا أن العساكر قد لحقتهم وأنها سلكت آثارهم فى طلبهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن أهل الجزيرة نزلوا إلى ملكهم وقت السحر ليستأذنوه فى ايقاد النار لحريق المجاهدين فوجدوا باب الدار مفتوح فدخلوا إلى الملك فوجدوه مطروح وهو جسد بلا روح وماله قد نهب ودمه منسكب فعظم ذلك عليهم وطلبوا الأمراء فما وجدوهم فعلموا انهم قد قتلوا الملك وهربوا فقال اطلبوا مشايخ النار فوصلوا إلى الدار التى كانوا فيها فما وجدوهم فوقع الصوت فى الجزيرة وركبت العساكر وساروا فى سبعين ألف ما فيهم إلا من معه الفرسين والجنيب والجنيبين وقد لحقوا الأمراء قبل الظهر فلما رآهم أبو محمد قال لأصحابه لا فيكم من يقاتل وانظروا فى العواقب هـــذا العسكران صدقنى حذرى فهو فى سبعين ألف أو يزيدون وان عولتم على القتال فنحن هالكون لا محالة ولكن اتبعوا قول من لا يخشى ريب المنون ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فقال مذحون يا أبتاه وإن لم نقاتل نسلم نفوسنا اليهم حتى يحرقونا بالنار فدعونا نقاتل حتى نموت كرام ولا نموت لئام فقال أبو محمد لما يا ابنى القتال مع هذا العسكر من قلة الرأى فاقبلوا منى واطلعوا الى رأس هذا الجبل الذى عليه الدير حتى اننا نسند ظهورنا اليه ومن طلع الينا أرمينا عليه بالحجاره فقال مذحون وأهل مدير ماينزلون من ورائنا ويشغلونا حتى يأخذونا قال مايقدرون لاننا نلتجىء الى الجانب الذى ليس علينا فيه طريق وان وقفنا داسونا بحوافر الخيل فقال الامير عبد الوهاب هذا هو الصواب الذى قلته يا أبا محمد لان هذا عالم ماعليه احصا بعدد الرمل والحصا (قال الراوى) وكان بالقرب منهم فى جانب الدير مغاره وهى لاهل الدير يحبسون فيها الاغنام والدواب فى أيام الشتاء (قال) فطلعوا فى لحف الجبل وعبد الوهاب قد أخرج عقبه وشو مدرس من الصناديق وقال اطلعوا قبل ان تلحقنا العساكر على اننى

أقول اننا مابقينا نلحق الطلوع الا اننا نقاتل الى الليل (قال الراوى) ولما نظر عقبه الى كثرة العساكر التى أقبلت فقال لشو مدرس ويلك ابشر بالفرج من المسيح وانظر الى هذه الخلائق التى ملأت الفسيح فقال الامير عبدالوهاب ياملاعين لا تفرحوا فما بقى لكم خلاص وهانحن نقاتل حتى نموت ولا يبقى فينا عين تطرف وان نصرنا الله تعالى وخلصنا فهو الذى نريد وان كانت الاخرى والامر الى الله تعالى و نقتل فى سبيل الله عزوجل و ننال بذلك الاجر فى الآخره ولا بد من ضرب رقابكما فى هذا الموضع فطيبا قلوبكما (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندها قال عقبه لا كتب الله عليك سلامه ولا ستر عليك يامقطوع النخاع فلما سمع الامير عبد الوهاب الى ذلك سكت وقد علم انه ماهو موضع المحاوره وعاد هو وأصحابه وهموا بالطلوع فرأوا العساكر قد أدركتهم ودارت الخيل بهم من كل جانب وعادت البطارقه مثل السلاهب فقالت الاميره يابنى ادركتنا الخيل فاصطفوا للقتال وتاهبوا للطعن والنزال لعلنا نحظى بالشهاده ويختم الله لنا بالسعاده فكونوا ميمنه وميسره مثل ماتكون العساكر فقال الملمان ان العساكر اذا اصطفت مايكون ميمنتها الا ألف أو ألفين فانتى وولدى الامير عبد الوهاب فى ميمنتها وميسرتها كل واحد منكم فى جانب وأنا وباقى أصحابنا نقوم صفا واحد فى القلب فقالت الاميره ذات الهمه صدقت ياأمير

وبالله المستعان وعليه التكلان وهو شديد الاركان وماشاء الله كان

﴿ تم الجزء الحادى والستون ويليه الجزء الثانى والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثانى والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٠٦ ت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وما ترتبوا الأمراء على هذه الحالة حتى أطبقت عليهم العساكر من كل جانب من عبادالنار الذين هم مثل الجبال وقد أشهروا السيوف الصقال وقد زعزعت بأصواتها الروابى والتلال ونادى مناديهم يا كلاب العرب أين تأخذون فى الهرب ونحن بعون النار لكم فى الطلب لكن استسلموا الينا وعيدوا علينا ما أخذتم من الجواهر والذهب واعطونا مشايخ النار والا أسقيناكم كاسات البوار (قال الراوى) ياسادة فعندها زعق اللملمان يا كلاب النار ويا عبدة النار سوف تنظرون مايحل بكم من حملة القرآن وصوام شهر رمضان الذى يقولون الله واحد أحد فرد صمد (قال الراوى) ولما نظرت العساكر إلى هذا النفر القليل قد تأهبوا للقتال وحملوا يطلبون النزال قالوا وحق النار هذا غاية العار أن نكون فى هذا الجيش الكرار والبحر الذخار ونحمل على نفر قليل لا لهم قيمة ولا مقدار ونخاف أن يضيعوا فينا فليحمل منا مائة فارس شداد يأتون بهم فى الأصفاد (قال) فلما سمعوا ذلك حمل منهم مائة فتلقوهم المسلمين وتركوهم آية فحملوا ثلاث مائة فسقوهم شراب المنايه وحملت بعدهم ألف فارس آخر فمزقوهم بالرماح فصاحوا بعضهم على بعض احملوا كلكم فعندها حملوا كلهم فى ماينوف عن عشرين ألف فارس فالتقوهم الأمراء المجاهدين وسمع للسيف فيهم طنين من أيدى المسلمين فى مفارق الكافرين فلله درهم ما نصحهم لربهم وما أشدهم فى طاعه الله تعالى فى طعنهم وضربهم (قال الراوى) وما سمعوا الناس بمثل هذه القصة فسبحان من يعين المستضعفين ويطرح النصر على عباده المؤمنين ولم يزال

السيف يعمل والدم ينزل من أوداج عبدة النار حتى ذهب النهار بضياه ثم أقبل الليل بظلماه وما أصيب من أصحاب الأمير عبد الوهاب أحد بل انهم قتلوا خلق كثير ومن عليهم اللطيف الخبير وأسندوا إلى لحف الجبل ظهورهم إلا أنهم لا يقدرون يصلون إلى الطريق الذى يطلعون منها للجبل وقد أضرمت النيران وسجدوا لها أهل الكفر والطغيان ولم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر وظهر الصبح ووثب كل بطل إلى السيف والرمح وحملوا الكفار على الأبرار وعمل بينهم البتار والمسلمين يقاتلون بنية صادقة وأسرار موافقة ورماح خارقه وصاروا وهم يطلبون أصحاب الأعلام وعبد الوهاب يخترق المعمعة مثل الشهاب حتى أتى إلى صاحب العلم وطعنه فى صدره أطلع السنان من ظهره فمال العلم ووقع وماش عسكر الكفار وتضعضع وحملت الأميرة ذات الهمة على مقدم العسكر وكان بطريق مثل الفتيق وهو شديد فى عبادة النار كثير الكفر بالملك الجبار عظيم التكبر والتجبر اسمه قوقيس ابن سومطيس وهو الذى كان يحدث نفسه بالملك من بعد صاحب الجزيرة فلما جرت هذه النوبة وقد هربوا لأنه تبعهم فى هذه العساكر طلبا أن يأخذهم ويرتفع قدره عند الروم ويقع له الهيبة فى قلوبهم (قال الراوى) وان الأميرة ذات الهمة لما حملت عليه جعلت تذق الرجال قدامها وتهبر الأبطال بحسامها حتى وصلت اليه وقد تفرقت الرجال من حواليه وضربته بالسيف فى صدره وإذا به قد خرج من خرزة ظهره ولم يبقا أحداً من الأمراء إلا وقد قتل فى ذلك اليوم مقدم من المقدمين أو من البطارقة وارتفع الصياح وعملت الرماح وقد بذلوا الموحدين الأرواح فى طاعه الملك الفتاح إلا أن العدد كثير والجم غفير (قال الراوى) وسمعوا أهل الدير الصياح ونظروا إلى بريق الصفاح فنزلوا من الدير كلهم وكانوا أربعين راهب وراهبة فكشفوا عن القضية وعلموا أن هذه الفرقة مسلمين فجعلوا يرمون عليهم بالحجارة والصخور الكبار وكانوا مستندين إلى الجبل بظهورهم فلما كثر عليهم العدد حملوا وقاتلوا وإذا بعدوا عنهم الأعداء يعودون إلى الجبل فيأخذون به راحة إلى أن نزلوا الرهبان وقد رموهم بالحجارة فأهلكوا خيلهم وما معهم من الدواب فلم يزالوا المسلمين يمانعون عن أنفسهم حتى أظلم الليل وقد أعانهم الملك العلام ولم يفقد منهم أحداً لأن فيهم الجراح الواحد منهم والاثنين والثلاثة والخمسة فقال الأمير عبد الوهاب الأمير أبو محمد البطال يا أبى محمد هذا والله هو الهلاك بعينه لأنه ما بقى فينا من هو سالم من الجراح إلا الأميرة ذات الهمة (قال) وكان سبب الأميرة ذات الهمة أنها ما سلمت من الجراح لأنها كانت اذا حملت على الكفار لا يثبت أحداً بين يديها لأجل ما يرون من شجاعتها وان الطوائف لما انفصلت كما ذكرنا وقال الأمير عبد الوهاب للبطال

ماوصفنا قام الأمير أبو محمد ياأمير اننى متحير فى هذا الأمر وكثرة هذا الجمع ولو أسلموا
الينا أنفسهم حتى نقتلهم مافرغنا منهم فى شهرين وهذا والليل قد أقبل ونحن فى محل معطش
وما ندرى ما يكون وما فى الأمر إلا أننى أطلع أنا ومن أراد منكم إلى هذا الدير الذى
هو مثل الحصن الحصين ونقتل الرهبان ونملكه وإلا فنحن لاشك هالكين فقال الأمير
عبد الوهاب ومن تريد يصعد معك فقال ان أخذت بعضكم خفت على الباقين من هذه
العساكر ومن كثرتها وما أريد أن يصعد معى إلاولدى مذبحون فان كان علينا خير فنحن
نعود اليكم عند الصباح وان كانت الأخرى فعليكم منى السلام ومالى عندكم وصية إلا قتل
هؤلاء الشيخين الملعونين ان رأيتم الغلبة حتى لايعيشا بعدنا ثم أخذ ولده وطلع الجبل
هذا والليل قد انسدل وبقى الأمير هو ومن معه فى قلق عظيم من فزعهم على أرواحهم
وعلى البطال وولده مذبحون إلى أن مضى أكثر الليل وما سمعوا له خبر وطلع الصباح
وانفجر وثار اليهم كل من كفر وتصايحت الأكارم وقد اشتهرت الصوارم وعملت فى الجماجم
وصبروا المسلمين لما قضاه الله عليهم وقد قتل من خيلهم اثنا عشر حصان وترجل من
أمراء بنى كلاب جماعة وتعبت السواعد وقل المساعد وقد قلت المناكب وكثرت المضارب
ولم يزالوا يدفعون عن أنفسهم إلى أن اظلمت الأقطار ومضت جواهر النهار وأقبل الليل
بالاعتكار وكاد العقل يروم إلى الفرار وعادت المسلمين إلى الجبل واستندوا عليه ودارت
بهم الطوائف من كل جانب هذا والأمير عبد الوهاب قد حملهم نفسه وهم الأمير أبو محمد
البطال وكذلك ولده مذبحون ولا يدرون ماكان منهم فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى
العظيم فهو كذلك وإذا هو بمذبحون قد أقبل وقال للأمير لك البشارة وقال بماذا فقال
ذبحنا الأربعين راهب وما تركنا فى الدير إلا النسوان الكواعب وهم مثل الأقمار فى دجى
الغياهب وفيه مال وجواهر وكلما يكفيكم ولو أقمنا فيه مائة سنة لأن الموضع حصين
ومالكم عائق فاطلعوا بارك الله فيكم وأما عقبة وشومدرس فاصلبوهما على أعلى هذا الدير
(قال الراوى) وكان السبب فى قتل الرهبان أبو محمد البطال لأنه مضى هو وولده مذبحون
إلى الدير فى زى بطريقين حتى وصلا تحت حيطان الدير وقد نادى أبو محمد بالرهبان
فأطلعوا عليه وقد قالوا له ماحالك ومن أنت من عباد المسيح ومن دون أهل هذه الجزيرة
كلها جئتنا فى هذه الليلة فقال أبو محمد يا أبونا حتى لايفطن بنا أحد (قال) فلما سمعوا
الرهبان كلامه نزلوا وفتحوا الباب الذى للدير ودخل أبو محمد وولده مذبحون ورفعوا
أصواتهما بقراءة الإنجيل بتلك الأصوات الحنونة فهيجوا القلوب الحزينة وبكوا سائر
الرهبان وخرجن النسوان وقلن وحق المسيح مايصلحا إلا أن يكونا مشايخ البترك فقال

أبو محمد أنا كنت بترك وإنما لما ملك جزيرتنا هذا الملك عابد النار قال لنا كل من سجد للسيح طحنت عظمه وصلبته فكتمنا ديننا حتى لا نقتل وقد خرجنا فى العساكر فى طلب المسلمين فرأينا يطول الحال علينا فقلنا نفوز نحن بزيارة هذا الدير حتى لا ترجع بلا فائدة فقال الرهبان وحق المسيح ما بقينا نخليكم ترجعوا من عندنا وهذا الدير مسلم اليكم ونحن والنسوان تحت أيديكم (قال الراوى) فعندها شكرهم البطال وصلى بهم وقرأ لهم فصل من الانجيل حتى مضى أكثر الليل فعلم أنهم قد تعبوا فقال لهم تفرقوا إلى مراقدكم بارك المسيح فيكم (قال) فتفرقوا الرهبان ونام كل واحد منهم مثل السكران ورقدوا النسوان فعندها قال البطال لولده مذبحون أريدك الليلة ياولدى تكون مثل اسمك فقال سمعاً وطاعة ان كنت مذبحون وأنا أريك فى هذه الليلة إلى هؤلاء الرهبان كيف يصبحون قم معى وانظر العجب فقال البطال وجب وقام وجعلوا يدورون على الرهبان فى قلاليهم مثل مايدور المسحر فى شهر رمضان ثم انهم بعد أن فرغوا من الرهبان طلعوا إلى النسوان والخناجر فى أيديهم تقطر دما وصاحوا فيهم إن تكلمت واحدة منكن لحقناها بالرهبان (قال) فانخدع النسوان ورضين بالمقام من غير كلام وكان قد أدركهم الصباح فأرسل أبو محمد ولده ليأتى بالأمراء فوجدهم مذبحون قد غاصوا فى الكفار فصاروا معهم تحت الغبار وهم فى القتال الشديد فوقف مذبحون عند عقبه وشومدرس يحفظهما حتى يأتى الليل وقد انفصلت الطوائف كما ذكرنا وحدث مذبحون الأمراء كما وصفنا وأعلمهم بما جرى فشكروا الله سبحانه وتعالى وجعلوا يكبرون ويبتهلون إلى الله تعالى بالدعاء ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى الدير فوجدوا أبو محمد البطال على الباب فى انتظارهم فلما رآهم فرح بهم واستبشر وقد دخلوا إلى مكان فرأوه موضع لا يقدر عليه إنسان وفيه مايكفيهم طول الزمان فشكروا الله المنان (قال الراوى) هذا جرى هنا (وأما عقبه وشومدرس) فانهما انفطرت مرارتهما من فعل البطال ومن حسن توصله وذبحه للرهبان وكان الأمير أبو محمد البطال قد جرد سيفه وصاح فى النساء المترهبات ويلكن من تكلمت فى مالا يعنيها سمعت مالا يرضيها وأخذت بهذا الحسام روحها من بين جنبيها (قال الراوى) فلم يجسرون أن يتكلمون بكلام ولا عتب ولا ملام وحبسهن الجميع فى بيت وأغلق عليهن الباب وباتوا تلك الليلة فى توحيد وفى تهليل للملك الجليل وأقاموا إلى الصباح هذا وقد عولت الروم على الرحيل والرواح وقال بعضهم لبعض ما كان هذا لنا فى حساب وما عاد يفيدنا فائدة ولا يعود علينا عائدة باقامتنا فى هذه الأرض وما بقى مقامنا فى هذا المحل الحصين صواب وما نحن إلا فى غاية الذهاب وكل يوم نقتحم الحميم والعجاج ويقتل كل يوم منا المائة والمائتين ويبان الربح

والشجاعة والخسارة فى الطائفتين فما نرى الربح إلا لهؤلاء القوم والخسارة علينا فى كل يوم وهؤلاء لايقتل منهم أحد لا أبيض ولا أسود ومالنا إلا الرحيل إلى بلدنا قبل أن يفنونا ويقلوا عددنا (قال الراوى) فهم معولين على ذلك الايراد وإذا بالأمير قد قال لأصحابه مافيكم من يعترض اليوم قتال ولا نزال ولا جلاد ودع القوم يصنعون مايريدون ويفعلون مايشتهون لأنى أريد اليوم أضرب عقبه وأشفى غليل فؤادى فى هذه الركبه فقالوا هذا الصواب والأمر الذى لايعاب والرأى السديد المهاب ثم أنه أمر باحضار عقبه السفيه فقصدوا إلى المكان الذى كان فيه فلم يجدوه ولا شومدرس فعادوا إلى الأمير وقد أخبروه فقامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وقال فرطنا فى أمره غاية التفريط ليته كان وقع حتى كنا نذيقه الضرب والتقريط (قال الراوى) وكان السبب فى هروب عقبه وشومدرس اللعينين من ذلك المجلس زوجة القس الذى كانت فى الحصن وكانوا حبسوها ثم حبسوا عقبه وشومدرس عندها فاقاموا عندها فى البيت يرتقبون فرصة من الفرصات وهربة من الهربات وهم ينتظرون لهم ميقات فقالت زوجة القس من أنت أيها الشيخ ومايكون رفيقك هذا فأصدقنى فى الأقوال ولا تتبع الزور والمحال فقال لها أما أنا فالشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة بن مصعب السلبى المسيحى وهذا الشيخ الراهب شومدرس رفيقى ونصيحى فقالت له زوجة القس وحق المسيح لقد كنت أسمع بك من قديم الزمان ولك عندنا حس وايش الذى طرحك حتى انك قاسيت بعد عزك ترحك وايش الذى أرماك فى يد هؤلاء القوم حتى انهم ساموك بهذا السوم ورجعوا عليك بعد حبسك بالعتب واللوم وخلوا دموعك عوم وأنت تنتظر الخلاص من ضيق الأقفاص كل يوم عند ذلك قص عليه القصة من أولها إلى آخرها وشرح لها باطنها وظاهرها فقالت له لابأس عليك ولا وصول لهم اليك وفى هذا البيت الذى نحن فيه بنيان صنعه أدلك عليه وتنزل منه إلى تحت القلعة وتخرج إلى الفضاء وتقابل الأقدار بالرضا ثم حلته من كتافه وكذلك فعلت بشومدرس وقصدت أسعانه وأنزلتهم من السرادب وجاءهم مالم يكن لهم فى حساب وكان ذلك المكان من عهد الجبابرة الأول وفيه صناعة قد أحكموها بحسن العمل وكانوا إذا نزل عليهم أحدا من الاعداء فى ذلك المكان وحاصرهم بالجيوش والأعوان من ملوك ذلك الزمان لايضرهم الحصار أبدا ويجدوا عليه قوة واقتدار لأن السرادب الذى من عهد بناية الحصن المذكور قد استحكموه بدرج يتصل منه إلى عين الماء التى تحت ذروة الجبل وينقلون الماء كما استحكمت الأول وداموا على ذلك الحال وساروا إذا حاصرهم ملك من الملوك ينزلون ويأخذون الماء ولم يشعر بهم أحدا ولا يبالون

لا بأبيض ولا بأسود فلما هرب عقبه وشومدرس وزوجة القس وابنته لم يشعرون بهم الروم الا وهم قد خرجوا من ذلك المكان المعلوم فلما نظروا إلى عقبه وقد خرج هو ورفقاؤه من ذلك المكان هنوه الجميع بالسلامة مما كان فيه من الهموم والأحزان فقال لهم على ماذا عولتم ياأبناء الكرستيان قالوا عولنا على الرحيل ولا نقيم تحت هذا العذاب الوبيل فقال ياقوم كيف ترحلون ويسمعون بكم الروم أنكم هربتم من عشرين فارس من المسلمين وأوردوكم موارد الهموم ودخلوا إلى بلادكم وقتلوا أبطالكم ونهبوا أموالكم وخرجوا سالمين وهم غانمين وملكوا كل ماكان فى ديركم وحصنكم العالى الحصين فتضرب بكم الأمثال ويزداد فيكم القيل والقال ويغضب عليكم المسيح وتسبكم الرهبان عن صحيح فلما سمعوا منه ذلك الكلام قالوا هذا أقل مايكون وتسيء بنا الظنون فالرأى ياأبونا عرفنا التدبير ولاتخفى علينا لاقليل ولا كثير فقال لهم عقبه الرأى انكم تكاتبون الملك ارمانوس وتقيموا لكم بمكاتبته ناموس وأى ناموس وتقيموا هنا بعد ان ترسلون الكتاب وأنتم محاصرين بنى كلاب الى أن يصل اليكم الجواب فقالوا هذا هو الرأى السديد والأمر الذى يقرب به البعيد (قال الراوى) وهذا كان هو سبب سلامة عقبه والذى فرج عنه الكربة (وأما الأميرة ذات الهمة) فانها قامت عليها القيامة وأقسمت على نفها قسامه وقالت والله لاجلب الينا عقبه خير أبدا ولا اصطلا الشر الا بنفسه لاغيروأن عقبه قال لهم ياقوم لابد لى أن أسلم اليكم الحصن إذا مضى هذا اليوم وأدبر حيلة وأملكه اليكم فى هذه الليلة من المكان الذى نزلت منه وأوريكم من لاغناء لكم عنه ثم أنه صبر الى نصف الليل ثم احتد فى الف فارس من أصحاب القوة والحيل وقصد بهم نحو السرداب ومال الى نحوه كل الميل وكان ذلك السرداب طوله من أعلا الحصن أربعمائة درجة وسار عقبه ونفسه مبتهجة فقال شومدرس ياعقبه على ماذا عولت فقال على مابه تحدثت معهم وقد تقولت قال ماهو فقال أكون مع القوم لأنى صرت خبير بالمكان فقال شومدرس لاتفعل أيها الشيخ الصالح فتتقدم بعد الربح بالخسران ولا تغر بنفسك فتحظى بالحرمان وماذا يحصل لك من الأمر والفائدة من الامراء والشان وهل تقع إذا طلبت الزائد إلا فى كفة النقصان فقال له عقبه اعلم ياخليلى أن مرادى بذلك أشفى غليلى فقال شومدرس ان كان ولابد من هذا فاترك القوم يمضون فان أصابوا خير وصل الينا وان أصابهم شر يكون حوالينا ولاعلينا ونكون على غاية السلامة أخير مما نقع ونرجع على أنفسنا بالعتب والملامة وتقول مثل ماتقول الناس يوم القيامة يارب روحى بلا ندامة فقول ماعندك غير هذه الكرامة فقال له عقبه ويلك ماتخلى خوفك ولا تخلى جبنك ولانزعك فوحق المسيح والدين الصحيح

ما أبالى بعد أن أنظر إلى مسلم وقد أهرق دمه قتلت أو أسلمت ولا أحمل همه فلما سمع منه شومدرس كلامه فهم مقصده ومرامه وقد سار مع القوم إلى أن دخلوا إلى ذلك السرداب وتعلقوا فيه مثل تعلق الحرب وساروا كلهم فى الدرج هذا والمسلمين ماعندهم خبر لا بمن نزل ولا بمن عرج فهذا ما كان من هؤلاء وأما كان من أمورهم والأسباب (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه أخذ النساء وعاقبهن وكن كلهن هاربين من أولاد الملوك كما ذكرنا وقال لهن كيف كان هروب عقبه وشومدرس فقالوا انه كان السبب فى هروبهم زوجة القس وابنته ونزلوا من السرادب مثل السلاهب (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب بذكر السرداب ونظر اليه وأتى له وأشرف عليه علم صحة الخبر والمقال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه أقبل على الأمير عبد الوهاب بعد خلاص عقبه وشومدرس وقال له قم بنا حتى نبصر هذا السرداب الذى خلصوا منه هؤلاء الكلاب فانى خائف أن يطلع علينا منه الرجال فقام عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وساروا حتى وصلوا إلى تلك الدار وأبصروا السرداب وإذا به نازل من بر الدير فقال أبو محمد وحق المنتخب من أفضل العرب مايقعد عنا عقبه ولابد له أن يطلع علينا بعبدة النار من هذا المكان وان صدقنى حذرى فما يبيت عقبه فى هذه الليلة إلا فى السرداب والبطارقة معه وينتظرون الصباح وخروجنا إلى الحرب والكفاح ويطلع ويملك الحصن منا ويحوجنا العنا ويخرج من أيدينا (قال) ياسادة فلما سمع الأمير عبد الوهاب هذا الخطاب رجف فؤاده وقال يا أبا محمد وإيش يكون الرأى وما ترى من الرأى إما تسد عنا هذا السرداب وتستريح من التعب والنصب فقال لا لأنى أريد منه أخذ عقبة وكل من يطلع منه وننظر العجب فقال وكيف ذلك قال إذا أصبح الصباح أخرجوا أنتم إلى برا الحصن واجتهدوا فى نزول بعضكم إلى العين كأنكم تريدون القتال وقفوا وأمسكوا باب النقب من أسفله وأبقى أنا وانت وأمك ذات الهمة ههنا عند رأسه وكل من طلع الينا خطفنا انفاسه وان أردتم شمس النهار بنت الملك خذوها معكم فهى تعاونكم على قتال الكفار فقالت الاميرة ذات الهمة انزلوا أنتم واتركونى أكون وحدى فى الدير فما تحتاجون معى معاون وأنا أكفيكم مؤنة كل من يطلع (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب هذا الخطاب فرح وأقاموا إلى أن أصبح الصباح وقدم بهم الأمير أبو محمد البطال كما وصفنا ثم استخلف فى الحصن من استخلفه وخرج هو وباقى الرجال وبعد مارتب لباب الحصن اثنين من الغلمان فلما نظروا الروم اليسم قد نزلوا فرحوا وظنوا أنهم يملكون الحصن بما فيه وأنهم يهلكون الامراء اذا

لم يكن لهم ماجأ (قال الراوى) وكان عقبة لما دخل إلى السرداب ومعه البطارقة وهو ينتظر الصباح وشومدرس يقول ياشيخ السوء لو كان لك معقول كنت تركت عنك الفضول لأننا قد خلصنا من العطب والأصلح كان لنا الهرب لنحو القسطنطونية وكنا نفرنا عليهم عساكر النصرانية وكنا ربحنا هذه الليلة فقال عقبة ياشيخ مالك عقل ايش يخلص المسلمين من هذا الدير وكلما نحن فيه الليلة ربح لأننا نملك الحصن وكلما فيه ونشتفى من قتل الأعداء وكان عقبه الملعون العلامة بينه وبين العسكران يضربون له البوق حتى يعلمون أن المكان فارغ وما نظر عقبة مكان النظر من الرجال إلا لقضاء غلب عليه فى طلب الأمير له فى الليلة التى هربوا فيها ودبر الأمير أبو محمد مادبر وإلا ما كان أحد اعلم بما دبر عقبة وكان يملك كلما فيه من المجاهدين (قال الراوى) ولما نزل الأمير أبو محمد والأمير عبد الوهاب ومن معهما من الأصحاب والابطال ضرب بوق الكفرة أهل الطغيان والضلال لعلم عقبة بنزولهم ولكنهم ما علموا بما قدر الله سبحانه وتعالى فى باطن القصة من العجب إلا أن عقبة لما سمع ضرب البوق أمر البطارقة بالطلوع فطلعوا حتى وصلوا إلى باب السرداب والأميرة ذات الهمة واقفة هذا والسيف فى يدها مشهور فأمهلتهم حتى صار عندها منهم جماعة وصاحت فى ولدها عبد الوهاب يابنى دونك وهؤلاء الكلاب (قال) فعندها بذل الأمير فيهم السيف وقد أمن بعد الفزع والخوف وحملت الأميرة ذات الهمة وصارت الرجال تطلع ورؤسهم تقطع والسيوف فى نواعم أبدانهم تلدع حتى قتل منهم أكثر من مائة بطل صميدع ووقع عليهم الصياح وعلمت الروم بما جرى على أصحابهم من ضرب الصفاح فانقطعوا عن الطلوع وقد علموا ان كل من طلع ماله رجوع ونظرت الأميرة هى وولدها فى اتباعهم وكان الأمير أبو محمد البطال والململمان ضيغم ومذبحون وباقى الرجال قد دخلوا لهم من أسفل السرداب وضربوا فيهم بالصارم القرصان وهم يصيحون ياالكلاب ياالكلاب (قال الراوى) فلما نظر عقبة إلى ذلك وسمع من المسلمين الصياح علم انه عليهم أيشم صباح وطلب باب السرداب يريد الخروج وهو يصيح فى البطارقة والعلوج والروم قد اشتغلوا عنه بما هم فيه وأبصروا السيف يعمل من رأس السرداب ومن أسفل لان الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب قد نزلوا إليهم كما ذكرنا وبذلوا السيف فيهم كما وصفنا وزاد الصياح وكثر الكفاح (قال الراوى) وكان شومدرس قد خرج من السرداب من وقت خاطب عقبة بذلك الخطاب فلما سمع الصياح عند الصباح فعلم ان عقبة قد وقع فصاح فى الروم ياويلكم دونكم وخلاص أصحابكم فان المسلمين قد عرفوا حالكم

وان غفلتم عنهم هلكت أبطالكم فدونكم والقوم والا غضبت عليكم النار فيها وخلصوا شيخ النار من أيدى هؤلاء الاشرار وما بى الا أنكم تعايرون بذا فى سائر الأقطار ولا يبقى لكم عند أحد قيمة ولا مقدار وتكون المسلمين قد قتلوا منكم خلق كثير وبلغوا مرادهم ورجعوا سالمين إلى بلادهم (قال الراوى) فلما سمعوا القوم ذلك الكلام من الشيخ أبى الشرشومدرس عمل فى قلوبهم عملا عظيما وحملوا بالقنطاريات الخلنجيه والسيوف الأفرنجيه وطلبوا باب ذلك السرداب وقد كثر بينهم الزعاق وقامت الدنيا على قدم وساق وأشهرت السيوف الرقاق ثم التقت الرجال بالرجال وبادرت الموت بصدورها وحارت الاندال فى أمورها وكثر المدد وزاد على المسلمين العدد وتوكلوا على الرب الذى يعبد ووقف الامير ضيغهم ومعه ثلاثة من بنى كلاب على باب السرداب ومنعوا باقى الروم من الدخول وقد صدوهم عن النزول وصبروا على ضرب البتار وحملت الاخيار واتكلوا على الملك الجبار الذى يعلم خفيات الاسرار ولم تكن الا ساعـــة حتى ملكوا الروم باب السرداب وقتل واحد من أصحاب ضيغم وهجمت البطارقه ورأوا المسلمين فلما رأوا ذلك الموحدين بذلوا نفوسهم فى سبيل الله وطلبوا الخروج وقد علموا أن الروم قد ملكوا عليهم باب السرداب وانهم ان ملكوهم أهلكوهم فالتقوهم بالصدور وصاحوا فيهم باسم الملك الغفور وقصدوا بالسيوف إلى المقاتل والنحور وخلت الدماء من الأوداج تفور فلله در اللملمان لقد فتكت مضاربه فى عبدة النيران وتحامت معه الفرسان من بنى كلاب حتى تحاموا وكشفوا الباب وأخرجوا الروم من السرداب فرأوا العدد كثيرا جعلوا يقاتلون والى نحو الحصن يطلبون ورأى عقبة ومن معه من البطارقة العذاب قد خف عنهم فصاحوا ياويلكم أخرجوا بنا نطلب أصحابنا فهذا خلاص لم يكن لنا الحساب وما كنا إلا أشرفنا على الذهاب فلما سمعوا الروم منه ذلك خرجوا يطلبون باب السرداب ومن ورائهم ذات الهمة والأمير عبد الوهاب يرمون الجماجم وينثرون الرقاب والدماء تقطر من سيوفهم كقطر السحاب حتى أخرجوا الروم بعد ماقتل منهم جماعة عند ازدحامهم فى الباب وقد خرج الملعـــون عقبة وهو لايصدق بالنجاة وعادت الأميرة والأمير عبد الوهاب إلى الحصن فلما صاروا فيه قالت يابنى الزم أنت هذا المكان حتى نأمن لايعود يطلع علينا منه أحد لامن الانس لى لامن الجن فانى أريد أخرج إلى معاونة الاخوان فقال الامير افعلى ما بدالك فالله تعالى يبلغك آمالك (قال الراوى) فعند ذلك خرجت الاميره ذات الهمه واذا باللملمان وأبو محمد البطال ومذبحون قد نزلوا من باب الحصن وقد قتل من أبطالهم بطلين وكان أحدهم نور النور الذى أسلم وهو

ابن الملك فمات شهيدا ووصل إلى ربه سعيدا وحملت أخته وعملت فى ذلك اليوم عملا ترضى الجبار ويعجز عنه الجبابره الفجار وذكر عنها انها ما حملت فى جمع الا فرقته ولا على عدو الا وتحققته وان الاميره لما خرجت من الحصن ورأتهم فى ذلك الحال وقد دارت بهم الابطال ومنعوهم من الوصول إلى باب الحصن وهم فى الهـــول المهول فحملت على الروم محسامها فعند ذلك كردستهم بهمتها وهمراتها وقد جعلت تجزر الابطال جزرا وتهب الاعمـــار وتقتل الاقيال خمسا خمسا وعشرا عشرا حتى كشف الكفرة عن اللملمان وأصحابه قوة وقهرا وردتهم على أعقابهم وهم فى أمورهم خسرا (قال الراوى) وقد عادوا إلى الحصن باكين على نور النور وعلى أصحابهم الذين فقدوا فى ذلك اليوم هذا وبنت الملك تقول معلوم ان هذا سبيل ولا بد منه ولا محيد عنه ومامات أخى الا فى طاعة الله الذى هدانا إلى الإيمان ونجانا من عبادة النيران وقد عوضه الله طيبات الجنان ومجاورة محمد سيد ولد عدنان فقال الأمير أبو محمد لله درك فهذا هو الاعتقاد ولا شك اننا كلنا به لاحقون واليه صائرون فقال له عبد الوهاب أقول والله أعلم ان آجالنا هاهنا قد حضرت وعلينا فى هذا المكان قد قضيت وان كان ذلك فما نموت إلا كرام فى طاعة الملك العلام الذى قضى على الخلق بالحمام (قال الراوى) فهذا جرى ها هنا وأما ماكان من عقبة فانه لما رجع إلى الروم شكرهم على فعلهم كيف خلصوه من السرداب فقال شومدرس أنا أعلم انك ما تبرح حتى انك تلقى الروم فى المهالك وشر الارتباك وفى أضيق المسالك ولكن أقبل منى واطلب بنا الهرب قبل ان يحل لنا العطب (قال) فضحك عقبة حتى ظهرت أنيابه وقال هذا قولك ياشيخ النصرانية ولكن أناأرجوامن المسيح انى ماأموت وقد بقى نعدى أحداً من المسلمين لأننى قد قرأت ذلك فى الكتب القديمة فقال شومدرس أنا أعلم انك لاتزال فى لجاجك حتى تضرب رقبتك وانى لولا جاءت الروم وصحت فيهم لما كنت خلصت من السرداب وكنت قد أكلتك الكلاب ولولا لطف المسيح مانجا أحدا من الاصحاب فقالوا البطارقه الذين كانوا قد دخلوا مع عقبه وسلموا وحق النار أن هؤلاء القوم المسلمين بعد ماملكوا هذاالحصن مابقوا يبالون بكل من على وجه الأرض وما لنا أصوب من الرحيـــل إلى أوطاننا فقد قتلت ملوكنا وفرساننا (قال) عقبه ياقوم اعلموا ان عند أرباب العقول والبصائر يقولون النار ولا العار وكيف تسمع الناس انكم فى هذا الجمع العظيم وقد عجزتم عن عشرة أنفس من المسلمين ورجعتم عنهم خاسرين بعد أن قتلوا رجالكم وأفنوا أبطالكم ولكنى أكتب إلى سائر الاقاليم وأجلب الروم من أقصى البلاد ولا أبرح حتى أبلغ منهم ماأريد وأكتب

إلى الملك أرمانوس وأعلمه أن أبطال المسلمين قد حصلوا عندنا وهم محاصرين فهو يأتى بالعساكر من جميع البلاد ومن القسطنطونيه ويبلغنا منهم غاية الأمنيه ولا بدما ننفذ اليه رسول حتى ابلغ غاية المأمول فقال له شومدرس أنا أسير بالكتب وأرسل اليكم كل من فى القسطنطونيه حتى انك تبلغ منهم الامنيه قال فشكره عقبه على ذلك وقال له وحق المسيح أن فعلت ذلك لم أجد اك على طول الدهر مكافأه فقال شومدرس اكتب انت الكتب وانظر العجب (قال الراوى) فعندذلك كتب الملعون عقبه كتاب إلى الملك ارمانوس يشرح فيه جميع ما جرى ويعلمه باخبار الامـــراء وبالمسير من كل بد وسبب وقد سلم الكتب الى شومدرس فاخذها وسار من وقته وساعته وهو يقول لاكتب المسيح عليك سلامه ياعقبه ولاكتب علىّ سلامه إن رجعت اليك فلا رحمك المسيح فمن وقت رأيتك ما رأيت خير ثم انه سار طالب القسطنطونية فهذا ماجرى هاهنا وأماما كان من الامير عبد الوهاب فانه بات ضيق الصدر متفكر فى نفسه كيف يكون حاله وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله والله لقد حرنا فى أمرنا لا ندرى كيف يكون حالنا وأنا نخاف من عقبه لا ينفر الينا الأمم ونخشا على أنفسنا ونحن فى وسط هذا المكان الذى نحن فيه محصورين (قال الراوى) ثم انه التفت إلى المسلمين وقال لهم قد اشتهيت أن أنفذ رسول إلىّ يأنس المتعزب لعله أن يطير من عنده طير إلى ملطيه وينفذ إلى عساكر المسلمين وجيوش الموحدين فقالت الاميرة ذات الهمة والله يا بنى مالهذا الامر الا الامير أبو محمد البطال لأنه فيه القدره أن يخوض عساكر المشركين والكفار ولا يشعر به أحد لاليل ولا نهـــار فقال أبو محمد افعلوا ما بدالكم فانى أخاطر بروحى فى رضاكم وأتسبب فى الخلاص ففرح الامـير عبد الوهاب بكلامه وعلم أنه كفؤا لما قال فكتب بخط يده إ بنى كلاب والامراء والاصحاب والسودان الانجاب وطوى الكتب وناول الكتب لابو محمد البطال فأخذها وركب على رهوان من الخيل يتدفق مثل السيل وسار حتى عبر عسكر الكفار وجعل يجد فى السير حتى أصبح عند مرج فياح نزل الامير أبو محمد البطال هنالك وكان الملعون شومدرس قد فاته بلحظه فتوضأ وصلى صلاة الصبح وقد أكل من الزاد وأخذ معه قليلا من الماء وركب وسار طول النهار حتى هجم علية الليل وهو سائر لاينزل إلا وقت الصلاة فلما كان نصف الليل نظر إلى شيخ يلوح قدامه وقد لعلع من فرحه بصوته وأمامه وهو ينشد ويقول

يانفس سيرى واظهرى التجلد ☼ واتركى الاسود كيما تسعدى
وذلهمة لا تقربيهـا ترشدي ☼ ويعدها القواد أبو محمـــد

وباعدى عن أرضهم وابعدى ☆ وثورى الجيرش ثم احشدى

(قال الواوى) فلما سمع الامير أبو محمد هذا المقال تبين الشخص فى الظلام وأذابه شومدرس والنغمه نغمته والصوره صورته فتقدم الية حتى أنه قاربه والليل قد ستره بغياهبه ورفع البطال صوته وشرع فى كلامه وأنشد يقول

يا نفس جدى فى المسير واجهدى ☆ واندرى الاسلام جمعا واحشدى

وان لقيتى فى الطريق الفدفدى ☆ شومدرس القرد فلا تفندى

واقطعى قفاه ثم جودى ☆ بالصفع والعرك عسا كى تسعدى

انى أنا البطال عنبر منكدى ☆ اسمى بين الخلق أبو محمدى

(قال الراوى) وهمز فرسه حتى قاربه ولا صفه وتعلق برقبته وجزبه أنزله من على ظهر برذونه وقبض بيده الشمال على لحيته وجعل ينزل باليد اليمين على قمته فمات شومدس فى جلده وقال ياشيطان ممن جئت من السماء نزلت أو من الارض طلعت فقال أبو محمد البطال اسكت فما عليك باس أكثر من الصفع بالمداس وأحملك الى بلاد الاسلام بالكليه ثم انى أصلبك على باب ملطيه أرنى الآن الكتب التى معك من عقبه فانا أعلم أنك ماضى برسالته إلى القسطنطينية لتنفذ الملك ارمانوس فقال شومدرس صدقت وهذا الكتاب فلا ستر المسيح عليك ولا على عقبه ولا على ارمانوس ولا على زمان قد رأينا فيه طلعتك وطلعة الشيخ النجيح ثم أخذ أبو محمد منه الكتب وشده على جواده شدا وثيقا حتى وصل إلى حصن يانس المتعرب واستأذن عليه وحضر بين يديه فلما نظر إليه يانس وثب اليه وجعل يعانقه ويبوس عارضيه ويقول ياأبو محمد وانت فى عدد الاحياء والله لقد ضاقت علىّ بفقدكم الدنيا فشكره أبو محمد على ذلك وقال له أنت تعلم انى كنت مطلوب لأجل قتلى لأولاد عقبة وكتب الخليفة الكتب من أجلى فسبقنى الخبر إلى سائر الامصار وجعلت أخفى أمرى بركوبى فى البحر حتى سرت أنا وولدى فى جزيرة النار فاجتمعت بالأمير عبد الوهاب فى تلك الديار وجرى علينا من الشدائد مالا يصفه لسان حتى ان وصلت إلينا الأميرة ذات الهمة والللمان ومعها جماعة من الفرسان والشجعان وأسلمت أبنة الملك وابنه ثم جعل يحدثه بما جرى عليهم من الشدائد والأهوال وكيف لحقتهم العساكر وضيقوا عليهم فى الدير ثم قال وقد سرت إليك بهذه الكتب من الأمير عبد الوهاب حتى إنك توصلهم إلى ملطيه على أجنحة الطيور لاجل ما تنفر السودان وبنى كلاب ويجتمعون إلى هنا ويسيرون إلى لقاء الأحباب وقد وقعت فى طريق بهذا الشيخ المرتاب الملعون الكذاب ومعه من عقبة هذا هذا الكتاب ثم أنه أعرض عليه الكتاب ففرح يانس

بذلك فرحا شديدا وقال والله يا أبا محمد لقد جرى بعدكم حديث ما سمع بمثله أحد لأن الأمير عبد الوهاب وعاصف بن رعد انقطع خبرهما ولا تسأل ما جرى على الأميرة ذات الهمة وعلى قلبها من فقد الأمير حتى أبصرته فى المنام ولحقته بالرجال الكرام فقال أبو محمد دعنى من هذا الكلام فقد علقت قلبى بالحديث الذى جرى من بعدنا وأريدك أن تحدثنى به فقال له يا نس اعلم يا أبا محمد أن العجوز اللعينة الكافرة المهينة عاقبة أخت عقبة كانت مقيمة فى السرداب فارسل الامير عمرو بن عبيد الله إلى الخليفة ان يامر الامير ظالم أن يخرجها من السرداب ففعل ذلك وتوصل إلى ملطية وسكنت عند عمرو بن عبيد الله ولم تزل تجتهد فى الخبث والمكر وتوصل الكلاب وترمى بين السودان حتى أوقعت بينهم لانهم بقوا بلا مقدم فتفرقوا وأخذ منهم ميمون الجماس خمسة آلاف أسود ومضى إلى آمد وبعد مضيه فقد الامير ظالم ابن الامير عبد الوهاب وقالوا بنى كلاب ما غيبه إلا الأمير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم ولم يزالوا فى ملاحه حتى وقع السيف بينهم وسكبت الدما وكتب صاحب الخبر كتاب إلى الخليفة هذا والشر ثائر بينهم فعاد الجواب من الخليفة بوعد بالتهديد والوعيد للطائفتين وقد أمرهم أن يصطلحوا (قال) فاصطلحوا على فساد قال ورحلت بنو كلاب إلى قلعة المنجنيق وتركوا أموالهم فى القلاع وكتبت عاقبة إلى ملك الروم تخبره بما جرى من الوقائع ثم أعلمته على أن ملطية ما فيها من يدافع ولا يمانع ثم أمرته ان يخرج إلى بلاد الاسلام فلما أن وصل إلى كتابها إلى ملك الروم قال ان كان الشيخ النجيح قد مضى فهذه أخته عاقبة قد أرسلها المسيح إلينا وقد أخلفت أخاها (قال الراوى) ثم أنه جمع العساكر كلها والجحافل فى أيام قلائل وسار يطلب ملطية فى ألف ألف بطريق هذا والأمير عمرو بن عبيد الله غافل عن ذلك فلم يشعر إلا والصلبان قد هتفت والعساكر قد وصلت مثل البحار إذا اندفعت فعظم الأمر على الأمير عمرو بن عبيد الله وخرج فى بنى سليم يحامى عن الثغور ما كاتب الخليفة يعلمه بما جرى فقامت النار فى بغداد (قال) وشرع الخليفة فى جمع العساكر والاجناد وأما عمرو بن عبيد الله فانه أول ماقاتل عساكر الروم هو هو بنى سليم إلى وقت العصر وانكسر والأجل كثرة العدد هذا وقد ازدحموا فى الأبواب فهلك منهم خلق كثير (قال الراوى) هذا وقد نصب ملك الروم الفرادات والمناجيق ودام القتال فى ألف ألف بطريق وكتب الأمير عمرو إلى القلاع يستنجد ببنى كلاب على هذه البليه (قال) فما أجابوه بل قالوا له نحن ما ننصرك حتى ترد علينا الأمير ظالم قال فعندها أيس الأمير عمرو من الحياه ثم أن الروم أطبقت عليه من كل جانب ودام القتال عليهم ثلاثة أيام فى اليوم الرابع هدمت حجارة المناجيق

الصور والابرج واندفقت قبائل الروم من كل جانب كانها البحر العجاج وعظم الصياح والأنزعاج وصار النهار مثل الليل الداج وهتكت البغاة هتكا وسفكت الدماء سفكا ولما دخل الملك إلى ملطية أحضر عاقبة وأكرمها ورفع قدرها وعظمها فقالت أنا ماأريد منك أيها الملك هذا التعظيم لأنى أريد أعيش بالناموس عند المسلمين ولا بدما أوريك أشياء ما يحسن أخى يعملها فقال الملك على كل حال نحن ننتظر أخاك فان ظهر له خبر وإلا أن تكونى انتى عوضه عند المسيح وعوضا عن الشيخ النجيح فقالت إذا كان الأمر على ذلك فامر الساعة بعض البطارقة ان يركبنى على جمل ويدور بى فى الاسواق وفى جميع الحارات حتى يبلغ خبرى إلى الخليفة وقل للبطريق يصفعنى صفعا رفيقا حتى ان الذى يرانى من المسلمين يرق لحالى ويبلغ المعتصم ذلك فيرتفع قدرى عنده وأعمل على هلاكه وأسلم إليك آمد وكلما فيها وبعد ذلك أسلم إليك ابن عبد الوهاب لأنه عندى فى مطموره تحت الارض وقد أخذته بحيلة عليه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان هذه الملعونة مضت إلى ظالم لما ان أطلقها وبكت بين يديه وقالت له يا ولدى لقد كنت أظنكم تظلمون أخى عقبة حتى رأيت الليلة حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول لى ان أخاكى نصرانى كافر وأخبرنى الى الأمير أبو محمد البطال وأبوك الأمير عبد الوهاب وستك الأميرة ذات الهمة ناصرين دين الإسلام ومقيمين شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان أخى عقبة عمل عليهم وحصلهم فى مكان فى مطموره فى بيته وان كنت تريد تعلم ذلك فتعالى معى الى البيت وتحلف لى بالمصحف انك لا تمكن أحدا يؤذينى ولا يتحرش بى وأنا أدلك عليهم (قال الراوى) فمن حرقة ظالم على أبيه مضى معها إلى ماذكرت له وكان الوقت نصف الليل وليس معه أحد من الناس فلما دخل إلى دارها أجلسته على فرش فلما استقر به الجلوس انخسف به المكان وخرجت عليه عشرة من النصارى من أهل البلد وفى أيديهم السيوف فجرحوه فى ثلاثة مواضع ثم انهم كتفوه وتركوه فى مطموره (قال الراوى) فلما أخذا ملك الروم البلد سلمته اليه فأخذه فى جملة الأمراء المأسورين ونهب كلما كان فى البلد من الأموال وربط الرجال بالحبال وحرث ملطيه بالمحاريث حتى ماكانها كانت يوما قط بل بقيت قفرا خراب بلا صور ولا باب ورجع إلى القسطنطونية وقد بلغ الخبر الى الخليفة فبكى على ماحل بالإسلام ثم انه قال لعن الله عقبة فهو كان السبب فى هلاك الأمير عبد الوهاب والسودان الأنجاب وبنى كلاب فلو كانوا حاضرين كان الله تعالى قد أزال بهم غمى (قال الراوى) وكان ملك الروم أخذ عاقبة معه أسيرة (قال الراوى) وان الأمير أبو محمد البطال لما سمع هذا الكلام من يانس المتعزب أيس من أهله ثم فاضت عيناه بالدموع وبكى على ماحل بالمسلمين

وصار مفجوع وأمر يانس فكتب الكتب من يومه وعلقها على أجنحة الطيور إلى القلاع والثغور يأمر السودان وبنى كلاب بالحضور ويبشرهم بخبر ظهور الأمير عبد الوهاب ومن معـــه من الأصحاب وأقام البطال ينتظر قدوم العساكر وإذا بالخبر قد وصل اليه ان ملك الروم قد خرج من القسطنطونية فى سائر عساكره وجنوده وما ندرى إلى أين أقصد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان عقبة الملعون بعد مسير شومدرس اللعين إلى القسطنطونية جعل يحرض الروم وعبدة النار على القتال ويحثهم على هلاك الأمراء والأبطال ويقول لهم الساعة يأتيكم الملك وأنا أريد ان يكون لكم الفتح والنصر دون غيركم حتى تشكرونى على ذلك ولم يزال على مثل هذا حتى أصبح الصباح وزحفت الروم إلى الحصن وخرجت الأمراء من الدير إلى قتالهم قريبا من الباب وجعل عقبه ينظر الى الامراء ويتفقدهم فلم ينظر الى الأمير أبو محمد البطال معهم فقال مالى لاأرى الى الداهية العظمى فقالوا انه الروم لعله يكون قتل فقال لا وحق المسيح لاقتل ولا جندل لأنى أعلم ان الموت يهرب منه ولا يدنو اليه وانه ما غاب الا وقد مضى يأتينا بعساكر المسلمين فقالت البطارقة ياشيخ النار نحن عندنا عشرة قد أفنونا فكيف يكون حالنا إذا أتت عساكر المسلمين الينا ثم يدهمنا أبطال الموحدين وقصدوا إلى قتالنا وحربنا ونزالنا فقال عقبة أيها القوم لاتفزعون فكأنكم بالأمير وقد نزلت بكم والعساكر وقد قدمت عليكم وان صدقنى حذرى وكان أبو محمد مضى فما يفوته شومدرس ولا بد مايلحقه ثم يأخذه لأنى اعلم انه مايحترز لنفسه والكتب التى كتبناها معه ضاعت ثم انه كتب غيرها الى ملك الروم فى أثر شومدرس وأرسلها مع بعض البطارقة فلما ان وصلت إلى مدينة ملك الروم التى هى القسطنطونيه وسمع الملك ارمانوس مافى الكتب رحل فى ألف ألف كما ذكرنا وسار يطلب عقبه وسمع البطال الى ذلك فأقام ينتظر عساكر الإسلام وقد أنفذ الجواسيس فى أثر عساكر الكفار كى يأتونه بالأخبار إلى أين يقصد الملك من الديار هذا وارمانوس قد صار يقطع القفار ويوصل سير الليل بسير النهار إلى أن أشرف على الجبل الذى فيه الأمراء الأبرار فوجدهم مع عقبة فى النار الموقدة من الحصار وكان عقبة ضبط القوم المحوس وجعل يمنيهم بقدوم ارمانوس والا كانوا رجعوا إلى بلادهم ولما أشرف ملك الروم كان عقبة على مقاتلى النار حتى نظر الى العسكر والعلم الأخضر والصليب الجوهر ففرح بذلك الفرح الشديد وقال لأصحابه هذا وحق المسيح هو الملك ارمانوس واليوم ترون مايحل بهؤلاء المسلمين (قال الراوى) فلما ان سمعت عبدة النار كلامه قالوا وحق النار ماهذا الشيخ الا عظيم القدر عند ملك الروم ولم تكن الاساعة

حتى وصل ارمانوس والتقى بعقبة فى وجوه البطارقة الذين عنده وضربت له الخيام ونصبت الأعلام ونزل الملك فى السرادق الأعظم وجلس عقبة بين يديه وجعل يقص حديث المسلمين عليه وقال ماجرى لأحد مثل ماجرى علينا فى هذه السفرة من العجائب والغرائب التى تصلح أن تسمعها أرباب العقول والألباب ويسطر فى دفتر وكتاب ثم جعل يحدث ارمانوس وهو يتعجب ويصلب على وجهه فلما فرغ عقبه من حديثه حدثه الملك بما جرى على ملطيه وكيف أنه أخربها وسبى كل من فيها وتركهم فى مدينة القسطنطونية ثم أنه قال وجميع ذلك من تدبير أختك عاقبه وهى التى عملت على ظالم وسلمته الى فلما سمع عقبه ذلك باس الأرض وقال الشكر للمسيح على ذلك وعلى ما أولانى وشد ظهرى بهذه الاخت الصالحه فى آخر زمانى (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامراء فانهم لما أشرفت عليهم هذه العساكر ورأوا ما قد نزل عليهم من هذه المواكب والعساكر صعب ذلك عليهم وقال الامير عبد الوهاب لقد صدق الامير أبو محمد فى قوله أن عقبه يكتب إلى ملك الروم يأتينا فى عساكره وينزل علينا فى عشائره وهذا والله هو الهلاك بعينه فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما أتى ملك الروم الا لأجلنا فى هذه العساكر العظيمه وترك بلاده خالية إلا وهو آمن من المسلمين وقد حدث بعدنا أمور لا ندرى ما هى وان كان الأمر على ذلك فيكون قد تشتتوا بنى كلاب والسودان والاصحاب ولكن الامر إلى الله تعالى يفعل ما يريد فقالت الاميره على كل حال لا اعتراض عليه فى أحكامه (قال الراوى) وأقام الملك بقية يومه يسمع الحديث من عقبه وما جرى له مع الامير وهو يصلب على وجهه ثم يتعجب من ذلك ثم قال له أيها الملك ما فعل الدهر بالراهب شومدرس فقال أيها الشيخ النجيح ليس لى علم به من سنين عدة فعلم عقبة أن البطال أخذه من الطريق ثم بات الملك وهو فرحان مسرور حتى أصبح الصباح وأمر نقباء عساكره أن تدعى بالنقابين الذين فى عسكره وكان فى ديوانه ثمانية آلاف نقاب فلما أن حضروا بين يديه قال لهم أريد أن تنقبوا إلى هذا الحصن وترموه حتى يبقى لى بذلك الذكر المفتخر كما بقى للملك الاسكندر ولا يبقى أحدا فى زمانى يتحصن فى حصن ولا جبل فقال له واحد منهم يقال له منكلان ويلقب بخراب وتحت يده ألف نقاب أيها الملك أنا أرمى لك الحصن والجبل فى ثلاثة أيام وأسلم اليك المسلمين فى أسوأ حال فعندها خلع الملك عليه ووعده بكل جميل وهم أن يزحف فقال له عقبة أيها الملك ارسل اليهم قبل ذلك رسول لعلهم أن يسلمون أنفسهم مادام رأوا كثرة العساكر فقال الملك ارسل أنت اليهم أيها الشيخ النجيح بما جرى (قال الراوى) فعندها كتب عقبه فى الكتاب كلمة

الكفر ونحن نقول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اعلموا يامعاشر الامراء انني أنا الذى كتبت إلى الملك وجلبته إلى هذا الاقليم والساعة فما بقى لكم من هذا المكان خلاص وقد سمعت من الملك أيمان عظيمة انه اذا أخذكم لا بد له ما يسلخ جلودكم ويحشوها تبن وأنا فقد رق قلبي عليكم فسلموا أنفسكم من غير قتال حتى آمر الملك أن يبقيكم وأجعل بيني وبينكم يدبيضاء والسلام ثم انه أرسل الكتاب إلى الامير عبد الوهاب فسار به الرسول حتى وصل إليهم فرآهم وقرأه عليهم فسمعوه عن آخره فقال الامير عبد الوهاب والله ما فعل بنا هذه الفعال وطلب منا أن نسلم أنفسنا من غير قتال الا حتى لا يقتل من الروم أحدا ولا يخرب مثل هذا الدير فى هذه البلد وما هى شفقه منه علينا والله ان من دون تسليم نفوسنا ضربا يشيب الاطفال ومن دون خراب الحصن طعنا يقمع الرجال (قال الراوى) وما استتم الامير هذا الكلام حتى وثب اللملمان وخطف الحسام وضرب رأس الرسول فطيرها أوفى من سبعة أذرع فقال الامير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قتلت الرسول وما عليه قتل (قال) فتبسم اللملمان وأخذ الرأس وحذفها إلى عسكر الروم فقامت على الملك القيامة وكادت أن تنفطر مرارته وأيضا مرارة عقبه وولولت طوائف الروم وقال الملك ارمانوس ما أراهم يحترمون الرسول وهذا يدل أن ما عندهم منا فزع ولكن وحق المسيح لاقطعنهم قطع ولا خليت منهم من يسلم ولا من يرجع فقال عقبه يامالك أنا مافعلت ذلك الا قلت اننا نأخذهم بلا تعب ولا نهلك أحدا من أمة عيسى ومادام انهم فعلوا هذه الفعال ما بقى غير القتال فازحف أيها الملك عليهم حتى يشتفى فؤادى منهم فعند ذلك أمر الملك النقباء فنادت فى العساكر بالقتال ودقت النواقيس وصاح كل راهب وقسيس ورفعت الاعلام وجعلوا يزحفون إلى قدام وطلعوا الى الجبل من كل جانب وقد دبوا دبيب النمل والعقارب إلى أن حصلوا من حول القلعة والدير وقالوا ان كانوا قد قالوا انهم ما يسلمون أنفسهم فها نحن ما نأخذهم الا بالسيف ثم صاحت الأبطال وزمجرت الاقيال ونادى الأمير عبد الوهاب فى أصحابه لا تخرجوا فى هذه الساعة اليهم بل قاتلوهم من فوق الجدران واحموا موضعكم حتى تنكسر حدتهم ثم افعلوا بعد ذلك ما بدالكم واعلموا ان الله اليكم ناظر وعلى خلاصكم أن يشاء قادر لأننا كيف ما انقلبنا كنا رابحين ان خلصنا فلله المنه والفضل وان قتلنا فى سبيل الله عوضنا بالجنة ولكن اصبروا للقتال هذه الساعة ففيها تبان الشجاعة (قال الراوى) فقال اللملمان أيها الأمير كلما تأمرنا به نجيب أمرك

بالسمع والطاعة إلا فى هذه الساعة فاننا لانقعد محصورين ولا بد من الخروج والجهاد فى طاعة رب العباد ثم نزل مسروراً مسرعا مثل البرق وفتح الباب وخرج يطلب الضراب وتبادرت خلفه الرجال الانجاب وكانوا رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما خدام فى طاعة الملك العلام تقدمهم امرأة عامرية صابرة على الاحكام ضربوية بالحسام وأرموا أنفسهم على الرجال (قال الراوى) فوالله ما كانت إلا ساعة حتى رأيت الرؤس طائرة وأسنة الرماح إلى القوم متبادرة والدماء من الاوداج فايرة والخيل بركابها غايرة وكان يوما كأنه من أيام الآخرة وجدعت فيه الانوف وطير فيه القحوف وتثلمت السيوف هذا وقد رأيت الرمح العالى مقصوف والرجال الشجعان كل واحد منهم ملهوف والمسلمين يحملون على الالوف ويسقوهم شراب الحتوف حتى تزلزل الجبل واشتد الوجل وقد زاد العمل وقل المهل وطارت القمم وهلكت الامم وأسود الاكم وجار السيف لما حكم وزعق ضيغم وهجم مثل الاسد فولت الروم راجعين منهزمين نازلين من الجبـــل خائبون منادون الامان الفرار الفرار من هذه الاسود الجياع وحق المسيح ما ضربوا أحدا مناقط الا وأنقلب فلا جعل المسيح فيهم بركة فلقد سقونا شراب الهلكة (قال) فعظم ذلك على الملك ارمانوس وصلب على وجهه وقال ياويلكم فما هم غير اثنى عشر فارس وهذه فعالهم بكم فقالوا أيها الملك استكفى من المسيح البلاء ولا تتجرأ على القضـاء فما عند المعافى ما عند المبتلى وأسد واحد فى الغابة يحميها ويهيج على عساكر ولو كانوا ألف ألف وكل واحد من هؤلاء القوم يقول أنه عشرين أسد وأنت تعلم أنهم كذلك وأنهم أشد من السباع احتلاسا وأثبت أساسا لاسيما هؤلاء السودان وهذا القرنان الململمان والامير عبد الوهاب وأنت أعرف به على طول الزمان ولا تنسى ضيغم الذى هو فى صورة شيطان وأخاه قشعم الذى يقتنص السباع من الصحصحان وسته ذات الهمة التى توصف أفعالها بكل لسان ولا توزن أعمـالها بميزان فاعذرنا على ما لقينـا منهم اليوم من القتال وان كنت تحقر أمرهم فتولاهم أنت بنفسك ساعة من النهـار حتى أنه يتبين لك الربح من الخسران قال فغضب الملك من كلامه وقال ياويلكم صحيح أنهم أبطال أقيال انجاد شداد ولكن نحن قوم قدملينا الفضـــاء وسدينا المستوى فكيف نترك الاعداء على قلتهم يخلصون منـا فقالوا صدقت أيها الملك وذلك مالا يكـون أبدا إلا أنهم ماهم معنا على الارض ولكنهم على الجبل هذاماينزلون الينا وان صعدنا نحن اليهم فيوقعون الذل فينا ويسقونا شرابـ الاجل ويبلغون منا الامل فقال لهم الملك إذا كان الامر على ذلك فأنا آمر النقابين فى غداة غد أن ينقبون وخمسة آلاف من الارمن

بالنشاب يرمون ونأخذهم أخذا بالكف ولا أحوجكم الى قتال فقالوا اما أمر النقابين فهذا هو الصواب ثم أمرهم بذلك فقالوا ان أمرت أيها الملك فنحن نغتنم غفلتهم الليلة وننقب من أول الليل حتى لا تمضى الليلة والنهار إلا وقد صرنا معهم فى داخل الاصوار فقال الملك افعلوا ما بدا لكم وتأهبوا الى عمل أشغالهم إنه ثم نزل فى سرادقه وقد دارت به خواصه وبطارقته وطلعت النقابين وفى يد كل واحد منهم منقب ومعول وقد تسلموا الارمن الجبل فلما أصبح الصباح كانوا قد قاربوا الحصن ولاصقوا الاصوار وأنفذوا أعلموا الملك بذلك ففرح بأفعالهم وقال وحق المسيح ما تباتون الليلة إلا داخل الاصوار ولكن لابد لنا نحن اليوم من القتال حتى لا يقولوا اننا فزعنا مما جرى فى اليوم الاول ثم نادى فى العساكر فزحفت وطلبت الحصن وقد أصطفت الرماة من كل جانب فما قدر أحد من المسلمين أن يشرف لأنهم تعابا من ضرب الحسام لأنهم مجرحين وما عندهم من أمر النقابين خبر لأن الاقدار تجرى والأحكام تنطرى والمدبر يدبر (قال) ياساده يا كرام وكان الملك قد أوصى سائر الملوك وسائر البطارقة أن لا يشدون على المسلمين قتال بل قال لهم دوروا بهم بالنشاب ولا تتركوهم يطلون حتى لا يفطنون بالنقب وإذا كان فى غداة غد شدوا عليهم فى القتال لعلهم أن يخرجون اليكم ويبقى الحصن خالى منهم ويكون النقب قد بلغ حده فتدخلون اليهم وتملكونه منهم وأنا أعلم انهم إذا استراحوا اليوم يخرجوا فى غداة غد إلى قتالنا فأجابوا بالسمع والطاعة وقاتلوا ذلك اليوم الى آخر النهار وقد خرجوا الامراء يطلبون الفرج من شدة الحصار ولم يزالوا حتى دفعوا الروم عن الباب وصبروا على الطعان والضراب واستغاثوا الى الملك الوهاب مسبب الاسباب ومن إذا دعى أجاب وعادوا إلى الحصن عند المساء وقد قل منهم الجلد وباتت الروم لهم محاصرين وهم لله تعالى شاكرين وعلى قضائه صابرين ومنهم من بات وهو مجروح ومنهم من هو على الارض مطروح هذا وعقبة يقول للملك إذا كان فى غداة غد أؤمر العساكر أن تزحف اليهم فان خرجوا إلى القتال دخلت البطارقة من النقب وملكوا منهم المكان وان لم يخرجوا للقتال فانصب السلالم على الابراج لانها خمسة وعشرون برج وان المسلمين دون العشرين رجل وأكثر الابراج تبقى خالية بلا من يحميها ولا سيما وقد باتوا الليله وأكثرهم لا يقدرون على القيام من شدة الجراح (ياساده) هذا جرى ههنا وأما الأمير عبد الوهاب فانه صلى العشاء الآخرة وأقبل على أصحابه وقال لهم معلوم ان الامر قد ضاق علينا ونحن هالكون لا محاله والله ما فى قلبى حسرة إلا خلاص عقبه وكيف انفلت من أيدينا وما اشتفينا منه قبل هلاكنا وما بنا إلا يشتفى هو منا ويقول هاقد أخذتكم وبطلت قول نبيكم فقال مذبحون أن

أنت أذنت لى فأنا آتيك به الليله وحق شيبه قبلها المصطفى فقال له الأمير لله درك يابنى أخلف أباك عند غيبته ورأينا ماقد اقترحت من حيلته فقام مذبحون على قدميه وأخذ لؤلؤ معه ولبس هو واياه من ثياب الرهبان التى كانوا فى الحصن وقال لعل أن يتم لنا مانريد من الأمور ثم انهم خرجوا طلبوا العسكر وقد اختلطوا بهم وخرج بعدهم اللبان ووقف قريب من الصور لعل أن يتم لهم الأمور ثم انهما خرجا واختلط بعساكر عبدة الصلبان وكان قد أوصاهم الأمير عبدالوهاب وقال اجعلوا بالكم من أحوال الصور لا يكون هؤلاء الملاعين أن ينقبوا علينا وما عندنا خبر هذا ولؤلؤ ومذبحون قد اخترقا عساكر الروم حتى وصلوا إلى السرداق الأعظم فوجد الملك جالس على سريره والشمع يقيد بين يديه وعقبه الى جانبه وهو يقول له ابشر أيها الملك بأن النقب قد وصل وفى غداة غد تأخذهم أن أصبحوا القوم سالمين لأننى قد سمعت من مقدم النقابين أن برج الزاوية قبل الصباح يقع عليهم فقال الملك وحق المسيح أننى أشتهى أن اتصبر حتى يتم الأمر وأقوم أبصر الجبل وهو ينقلب عليهم فقال عقبه لاما نك المسيح بهذه الحصره قوم بنا الساعة اليهم ونحن متنكرين حتى نصعد ونشتفى عند النقب من غير أن يعلم بنا أحد من العسكر ولا يفطنون بما نريد أن يجرى عليهم العذاب فقال الملك هذا هو الصواب ثم أوصى من عنده من الخواص والحجاب لا يعلمون أحدا بحالهم ثم تنكر وخرج هو وعقبه وساروا طالبين الجبل ولؤلؤ ومذبحون قد سمعوا حديثهم ورأوا فعالهم وساروا فى أثرهم طالبين لحف الجبل وعقبة يقول أيها الملك ما اشتهيت إلا أن يكون معهم أبو محمد البطال فقال الملك وإلا أين هو أبو محمد ماهو فى الحصن فقال له لا يا ملك قد افتقدناه فما وجدناه ولا له بينهم خبر ولا شك أن القوم أنفذوه يأتيهم بعساكر المسلمين فلا كتب المسيح عليه سـلامه فقال الملك وقد قرب من الحصن وحق المسيح لقد خاطرنا بأرواحنا كيف خرجنا وحدنا ولكن ماتم لنا هذا الالغيبة أبى محمد البطال وإلا لو كان حاضرما كنا نقدر نخاطر بنفوسنا ولا خرجنا من عسكرنا ووصلنا إلى هذا المكان الخطر إلا وكنا نقاد فى الحبال ونساق سوق الاذلال فقال عقبه أعلم أيها الملك أنى قد أعطانى المسيح البركه فى رأيى لأجل جهادى وإخلاص نيتى وشدة اعتقادى وما صحبنى أحد إلا ونال من بركتى ولا يقدر عليه عدو ما دام فى صحبتى (قال الراوى) فما تم عقبه كلامه إلا وقد وقعت بين أكتافه لطمة أرمته على وجهه فالتفت الملك ينظر ما الخبر وإذا قد انحط عليه واحد آخر مثل القضاء المقدر وعلق برقبته مثل الأسد الغضنفر هذا وقد هم عقبة أن يقوم أدركوه لؤلؤ ومذبحون وهو يقول ياشيخ النار ويارأس الفجار إلى

أين ونحن لك فى الانتظار ثم أنه قبض عليه وقبض اللملمان على ارمانوس وساقوهم إلى الحصن سوق التيوس وكان الأمير عبد الوهاب لهم فى الانتظار وكذلك بقية الأمراء على مقابلى النار وأصحابهم مقبله إلى نحو الاصوار فقال مذبحون أبشر الأمير فأنا مذبحون ابن البطال العيار وقد جئت لك بشيخ النار وارماندس ملك الكفار فزاد فرح الأمير عبد الوهاب وتواثبوا الأمراء إلى الباب وفتحوه فدخل مذبحون ولؤلؤ يسوقوا عقبه واللملمان يسوق ارمانوس فلما حصلوا فى الحصن أحضر وهما بين يدى الأمير عبدالوهاب فقال ارمانوس لعقبه أليس قد قلت لك أن البركة فى صحبتك فلا رحم المسيح طلعتك فما تقع قط مصيبة إلا من سبب مشورتك فقال عقبه أيها الملك بهذا قضا السيد المسيح فقال ارمانوس وحق الصليب الساعة تنظر مايقع فى قرعتك من الصفع المليح (قال الراوى) هذا والأميرة قد صاحت بالملك ارمانوس وقالت له يامن مأواه النار أليس كانت الهدنة بينى وبينك وقد حلفت لى على انك تطلق ولدى إذ علمت أين هو مأسور وطلبت خلاصه أين ظهر ولكن غدرك أوقعك فى هذا الهوان بعد قضاء الرحمن فقال ارمانوس ياأميره وحق المسيح أنا أبذل روحى لولدك وأنقذه من هذه الاقفاص وما كان عندى منكى خبر أنكى هنا وما أحوجنى أن أنقض الايمان إلا وشيخ القرنان لأنه قال لى أنت تفزع من ذات الهمة وما تقدر تؤذى ولدها من أجلها والآن فقد أوقعهما المسيح حتى يهلكهما جميعا ونستريح ولم يزال بى حتى انى نقضت الهدنة ومن يده وقعت فى هذه المحنة فقال مذبحون دعونا الساعة من هـــذا الكلام فانى سمعت هذا الملعون يقول لارمانوس عن برج الزاويه انه نقب ووصل النقب إلى عندنا وكان نيتهم ان ينصبوا علينا عند الصباح السلالم ويأخذونا قبضا بالكف فاعلموا الآن ثم اعملوا على خلاص مهجكم ودعونا من الملاججة (قال الراوى) فلما سمع الأمير إلى ذلك خفق فؤاده وقال للملك ازعق الآن فى قومك وقل لهم يرحلون عنا والا أرميناهم برأسك ورأس عقبة هذا الملعون الشيخ السوء وإذا لم تفعل وإلا فالقتل لك أجل فقال اصعدوا بى إلى السطح عند الصباح حتى أرحلهم عنك فعند ذلك أقاموا محتفظين به حتى أصبح الصباح وقد أطلعوه إلى البرج وقد صار صدره من الهم أضيق من عين الخرج وصاح فوقع صوته إلى العسكر ثم أنهم افتقدوه فلم يجدوه وطلبوا عقبة فعدموه فعظم ذلك على الروم ووقعت فيهم الصيحة وقالوا وحق المسيح ان عبدة النار هم الذين أخذوهما مما فى قلوبهم من الحسد إلينا (قال) ثم أنهم استووا فى أن يضعون السيف فيهم (قال الراوى) وكان الملك لما أطلعوه الأمراء إلى البرج وقد قالوا له صيح على عساكرك وأمرهم بالرحيل قبـــل

ان يحيط بهم الفناء قال الملك ما يحيط الفناء إلا بكم ولكننى أنا ما أمكن بطارقتى من النقب لانى أخاف على نفسى ان تهلكونى وأهلك معكم إذا وقع البرج ولكننى أريد ان اعمل معكم ما تذكرونى عليه أبد الدهر وما دمتم فى الحياه فقال الململمان ياملعون اعلم انك فى قبضتنا انت وشيخ النار عقبة الغدار والآن فقد رضينا ان نهلككم ونموت من بعدكم فنكون قد بلغنا المنا وبلغنا الشهادة وبلغنا دار السعادة ولا نبالى بما يجرى بعدنا لاننا ما كان فى قلوبنا حسرة إلا منك ومن خلاص هذا الشيخ السوء من أيدينا وبعدما حصلتم فى أيدينا فما بقينا نفكر فى عاقبه لاننا إذا رأينا الغلبة قتلناكم ودع نقتل من بعدكم فقال الملك مالنا والقتل أنا أردكم إلى بلادكم على الخيل من عندنا وتمضون غانمين سالمين فقالت الأميرة دعونا الساعة من هذا الحديث أليس قلتم بعد ساعة ينفذ النقب الينا وتملكون الحصن منا فأنا أقسم بالبيت ومن حج وبالتلبية ومن ضج لئن صعد من أصحابكم إلى الحصن أحد لاطيرن رقابكم وبعد ذلك نضرب بسيوفنا فى طاعة الله تعـــالى حتى لا تبقى فينــــا عين تطرف إن تصيح الساعة إلى قومك فيرحلون عنا وتقول لهم معاشر الروم أعلموا اننا وقعنا فى أيدى الأعداء ويريدون أن يسقونا شراب الرداء فان قصدتم إلى النقب فقد استعدوا لكم النفط والنار ليضربوا فى وجوهكم ولا آمن من ذلك أن يضربوا رقابنا فاتركوا القتـــال والنقب فقد وقع الصلح وان تفعل ذلك والا رميناهم برأسك الساعة من هذا المكان (قال الراوى) وكانوا حجابه الذى أمرهم بكتمان السر لما مضى هو وعتبة وقد مضوا إلى العسكر وأعلموهم ان الملك قد مضى يتفرج على النقب وما رجع فقال البترك وحق المسيح ما أفلحنا من وقت ما رأينا الشيخ النجيح ولا يطيب لنا عيش ولا قرار مادام الملك قد أخذ ثم صار هو والبطارقة إلى أن قربوا من باب الحصن ليكشفوا خبر الملك وان مذبحون ابن البطال قد صاح ياملاعين إلى أين ارجعوا عنا والا أرميت عليكم طاحون تقتل منكم عشرة وهذا ملككم عندنا فى أسوأ حال هو وعتبة الغدار ونحن معولين على ضرب رقبته إلا أن يرحلكم عنا فنحن عليه بنفسه وأما الشيخ النحس فوحق الذى زرأ وبرأ وأرسل محمد المصطفى لابد ان أنتف لحيته وألطم قمته فناده البترك أيها السيد لأجل الرفيع المحل اسمع كلامى وحق المسيح ان الملك ما جاء فى هذه النوبة إلا لاجل خلاصكم لأن الخليفة بعث اليه وهدده وقال ماأعرف عبد الوهاب إلا منك على انكم لاتظنون ان قبض الملك ينفعكم شيئا لأنكم فى أيدينا ولو أردنا الساعة أخذناكم فقال الململمان وحرمة سيد ولد عدنان مايزحف منكم إنسان إلا ونرمى برأس الملك من هذا المكان (قال الراوى) فعندها نادى الملك بالبترك

وقال ياقوم أرجعوا عن القوم فقد حلفوا ان صعد واحد منكم قتلونا فراقبوا المسيح فينا وفى أمرنا وأرجعوا وإلا نحن هالكون ومن النجاة آيسون وها أنتم ترون ما حل بنا من البلاء فقالوا البطارقة والبترك السمع والطاعة ثم أدعوا بالنقابة وأمروهم أن يرجعوا بعدما كانوا قد أشرفوا على رمى البرج ونادى البترك بالأمراء وأخذ منهم الأمان ودخل إليهم فقالت له الاميرة على ماذا عولت وفيما ذا أتيت فقال أحلف اربعين يمين اننا نسير معكم إلى حيث تأمنون وتمضون إلى حال سبيلكم فلقد كان فى أسركم للملك سبب خلاصكم فقالت الاميرة نحن ما نثق بقولكم ولا نغتر بفعلكم ولكن أأمر العساكر بالرحيل عنا حتى نأخذ الملك معنا ونرحل بعدكم إلى أن نصل بالقرب من القسطنطونية ونطلق سبيله وسبيل هذا الشيخ النحس عقبة لاننا ما نأمن منه ان يحسن لكم الغدر فقال الملك ما هذا صواب بل أحلف أنا لكم وتطلقونى وأنزل إلى عسكرى وأرحل عنكم فقال الامير عبد الوهاب هذا مالا أسمعه إلا أن تفعلوا ما قلنا لكم عليه (قال الراوى) وهم يتحدثون واللملمان وثب وقبض على أذان الملك بأسنانه وقطع شحمة أذنه صارت فى فمه وقال ويلك وذمة العرب ان لم تخلى عنك هذا الخداع والا انا آكل رأسك كله هكذا فقال الملك وقد صرخ ويلك لا تفعل ولا تكدمنى كدمه أخرى أموت وحق المسيح فقال اللملمان تسير معنا وترحل عسكرك عنا أم لا فقال له بلى أنا أأمرهم أن يرحلوا وأسير معكم ولو أردتم إلى ملطيه فلا ستر المسيح عليك فما أحد أسنانك وأطول اسانك ثم قال للبترك يا أبونا لا أعرف رحيل العسكر الا منك لأنه لا يقدر أحد من الروم أن يخالفك وإن أنت توانيت عنى أكل هذا الميشوم أذنى ويبقى رأس ابن ارمانوس شهره بين الرؤوس ويضحك على كل انسان اذا رآنى بلا آذن فاحذر بحق المسيح أن تدع العسكر ساعة واحدة الا وترحله عنا فقال مذبحون وحق النبى العربى لئن لم ترحل العسكر عنا والا فانا الليله أنزل اليك وأسرقك ولو تتخبا فى الأجفان وأقودك إلى هذا اللملمان يأكل منك الرأس والاذنان فقال البترك وايماه وحق المسيح أنا نحيف لا بحق دينك لا تفعل لأننى وحق المسيح لو عض على أذنى سنور صغير لمت من وقتى فكيف أسنان هذا الحمار ثم انه نزل الى العسكر وجمع وجوه البطارقة والروم والقسوس والرهبان وقال لهم اعلموا أن الملك قد وقع مع هؤلاء المسلمين فى العذاب الأليم والمسيح قد أمركم وأمن كل من عبده بطاعته وأمركم وأمر بعده بطاعتى لأننى خليفة المسيح فيكم وقد تم على الملك فى هذه النوبة ما تم ولا نقدر له على خلاص الا أن ترحلوا لأن هؤلاء المسلمين كانوا قد أيسوا من

الحياة وما صدقوا أن يقع فى أيديهم من يكون سببا لنجاتهم وخلاصهم فارحلوا كما أمركم والا هلك الملك فقال له قس من بعض القسوس الحاضرين ايها البترك العظيم أنت تعلم أن الاسلام كله قد وقع فى أيدينا فكيف نخليهم وننصرف فقال البترك اسكت يااقرنان ولا تكون شيخ كشحان فما تعرف كدام الآذان الا ما كنت تأمرنا بالمقام (قال الروى) ياسادة فلما سمعوا عبدة النار برحيل الروم قالوا نحن مانرحل من ههنا حتى نأخذ من هؤلاء القوم بثارنا لأنهم قتلوا ملكنا وأهلكوا رجالنا وأبادوا أبطالنا وخربوا ديارنا ونحن ما كنا معكم ولاجئنا لاجلكم ولا كاتبناكم وانما شيخ النار هو الذى كتب اليكم وأتى بكم فان رحلتم فنحن ما نرحل فلما سمع البترك كلامهم قال لهم نحن ما نخلى ملكنا يقتل والشيخ النجيح يصلب لاجلكم وتقطع آذانى أنا الليله لا وحق المسيح ثم ان البترك صاح فى الروم ويروى عليهم باغاندره على هؤلاء الاشرار عباد النار المخالفين لدين المسيح والمنكرين على عباد المسيح والصليب والزنار عند ذلك حملت البطارقه على عبدة النار وارتفع الصياح من كل جانب ومكان وطلع الغبار وقاتلت أيضا عبدة النار وقد أحموا نفوسهم واختلطوا الجميع وعمل السيف فى الرفيع منهم والوضيع وتخضبت الأرض بالنجيع ولم يأت آخر النهار الا وجرت الدماء كجرى الانهار وفنيت عباد النار وما سلم منهم ديار الا انهم ما قتل منهم فارس حتى قتل خصمه وكان قتل أيضا من الروم عالم عظيم مثل أضعاف عبدة النار حتى تمكنوا من اتلافهم ونهبوا أموالهم ورجالهم وخيولهم وأسلابهم وأرسل البترك بعد ذلك إلى الامير عبد الوهاب عند المساء يقول هذا جرى اليوم من أجلكم لأن عباد النار أبو الرحيل وقالوا ما نرحل ففعلنا بهم هذه الفعال وقد أهلكوا من عسكرنا أضعافهم من البطارقه من أهل الشجاعة وقد أمسينا الليله تعابا من القتال ونريد أن نستريح إلى غداة غد ونعول على الارتحال ولا تظن أننا مقيمين وتمكن ذلك الشيطان مذبحون ان ينزل إلى ويسرقنى ويسلمنى الى ذلك الأسود المجنون الختان أكال الآذان فانى نائم وقلبى منه فزعان وقد وكلت بروحى عشرة رهبان وستون قس ومائة مطران (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك ضحك عليه وكذلك كل من كان حاضر من الرجال وقال الأمير صدق البترك فيما قال لأن بهذا حدثنا الجاسوس (ياسادة) ثم رجع الرسول إلى البترك وأخبره أن الخبر كان عنده من غلمان البطال فقال البترك صدق وما هم فى أقل من ألف فارس كلهم لصوص يسرقون ما يشتهون وإذا وقع فى أيديهم أحدا ودوه إلى واحد أسود أجوع من الكلب الفرحان وما صناعته إلا يأكل الآذان فلا رحم المسيح من ينام الليلة الى الصباح لأنه أكل أذن الملك

قدامى وأراد أن يأكل رأسه كلها لولا شفاعة الامير عبد الوهاب ثم جعل يحرس نفسه إلى أن أصبح الصباح ولما كان وقت السحر نادت النقباء فى البلد فرحلوا يطلبون القسطنطونية وأصبحت الديار منهم خالية قفار وهنأت الاميرة ولدها عبد الوهاب فرحا برحيل الروم الأشرار وقالت له ابشر يابنى برحيل الروم عنا بعد ما فنى منهم خلق كثير من أجلنا فقال الامير الحمد لله على هذا الحال وعلى كل حال ثم أقبل على عقبه وقال له ويلك ياملعون انظر إلى قدرة الله تعالى الحى القيوم كيف نصرنا على هذه الجيوش والأمم المكاثرة ونحن فى الجمع اليسير فهذا أكبر دليل على صحة دين الإسلام وأوقعك فى أيدينا ذليل حقير مهان أنت وملك الروم ولكن ماتزال ياملعون بكفرك ولجاجك وتخرب بلاد الروم أجمين وتجعلها كسبا للمؤمنين فقال الملعون افرحوا بذلك ولولا عقبه لم كانت لكم هذه الاموال ولا هذه المماليك والجوار الحسان وأنتم فى كل يوم فى سعادة جديده من عقبة وتلعنوه كان (قال الراوى) ياسعاده ياكرام فعندها تنفس عقبه صعدا وأبدا تلهفا وكمدا وقال اننى أسعى فى قطع الكلمه الاسلاميه وربما يريد الله اظهارها ومالى حيله فى ذلك فحق دينكم وما تعتقدوه من نبيكم أن طلبت منكم حاجه تقضوهالى وتبلغون آمالى ولا تخيبوا سؤالى الاميران كان قولك شيء من الصواب قبلناه فقال بالله عليكم اقتلونى لعلكم تستريحون منى ولعلى أستريح منكم ومن عذابكم فقال اللملمان أنا وحق الصادق المصدوق أقضى حاجتك وابلغك شهوتك ثم انه تاركانه أسد وامتشق سيفه بيده وسله من غمده ووثب اليه (قال الراوى) فعندها تبسم الأمير عبد الوهاب وقال هكذا يكون ان شاء الله تعالى ثم نهض إلى اللملمان وأخذ السيف من يده وقال له أيها الأمير لقد حلفنا للبترك اننا نطلقه أيضا معالملك فلا تكن سببا لتكذيبنا ثم قال لعقبه ياخبيث ياشيخ الناران قلت لك لاى شيء تطلب القتل تصدقنى قال نعم وحق المسيح فقال انك تقول انى قد كبرت وقلت دعهم يقتلونى النوبه خير مما يقعون بى مرة أخرى يصلبونى فقال غقبه وقد انفطرت مرارته ودامت حسرته صدقت يا ابن مرزوق ويا ابن من كان فرجها مسروق ولو كنت علمت أن يكون منكهذا الأمر كنتعصرتعلى بطنها حتى طرحتك ولاكان خرج علينا منك هذا البلاء العظيم فقال الأمير ياكلب الفاجره أما تعلم انك ماتسبنى بهذا الكلام الا حتى نعجل لك الحمام وتبقى فى قلوبنا حسره بما وعدنا به سيد الانام ثم قال ابطحوه واضربوه ولا تزيدوا عليه تقتلوه لأن رسول الله صلى الله عليهوسلم الصادق الأمين قال عليه السلام من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا لأن الشياطين لاتتمثل بى فوثب اليه اللملمان

وقال والله لأتعبن هذا الشيطان حتى أقلع من قلبه عبادة الصلبان فقالت الاميره لاتحلف فما أمكن أحد من ضربه لاننا ان ضربناه الساعه هلك ويكون من أجل كلامه وما نطق به لسانه وحاشا الله أن نعمل شيئاً لغير الله (قال) فتعجب الجماعه من كلامها وحسن اعتقادها فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من عسكر الروم فانها صارت حتى أمسى عليهم المساء ونزلوا للبيت وإذا قد وصل اليهم بطريق وقال لهم تأهبوا للقاء الفالوغص ابن الملك أرمانوس فقد أرسلنا نبشر الملك بما فعل ولده وماقد أسر من المسلمين وقتل وكانكم به عند الصباح وقد أشرف عليكم (قال الراوى) ياساده وكان هذا ابن الملك الذى نحن فى ذكره أفرس من على وجه الأرض ممن شد الزنار وعبد الصلبان وأحيلهم وأمكرهم وأشجعهم وأشطرهم والسبب فى ذلك أن الملك أرمانوس كان قد تزوج بابنة ملك الكرج وكان اسمها منسية فرزق منها هذا الولد الشجاع وكان مثل القمر فى جماله واسمه الفالوغص فلما أتى أبوه إلى هذا الحصن فى طلب الأمراء كان هذا محبوس وكان السبب فى حبسه انه كان قد تعلم الفروسية وله من العمر عشرين سنة فصار متبعا الصراع والقراع وتعلم بلغة العربية وتدرع فيها حتى قال الأشعار وكتب الرسائل وصار معه معرفة من أهل الأدب بخلاف طبع الروم فلما كبر واشتد عظمه واستوى فدخل على أبيه فى بعض الأيام فوجده يزن مالا عظيما فقال له ياأبتاه ماهذا المال وماتريد أن تصنع به فقال له ياولدى هذا المال نريد نسيره إلى الخليفة بتاع المسلمين لأن له علينا فى كل سنة مثل هذا نرسله للعراق حتى نكتفى شره وشر عساكره وجنده فقال ياأبتاه ماأظن المسيح قدشاخ فقال له وكيف ذلك فقال له ويلك لولم يكن قد شاخ لماسلم المملكه اليك وإنما الملك يريد أن يكون قوى القلب شجاع جيد العزم فوحق المسيح لقد أذللت دين النصرانية باعطاك الجزية والخراج إلى الملة الحنيفية فقال ويلك ياولد الزنا وتربيه الخنا كيف أعمل بالمسلمين وفيهم أبطال يلاقون وأبطال لايطاقون وقد ملكوا أكثر البلاد فقال الفالوغص وحق المسيح لو أنى أنا ملك لكنت أترك فى سنة واحده بلاد الاسلام دكا وكلمة التوحيد شركا وأسفك الدماء سفكاً (قال) فغضب الملك أرمانوس من كلامه وعلم أنه مايخرج عليه منه خير فغضب عليه وألقاه فى الحبس وقال ان كان أحد سألنى فيه ضربت رقبته وسلبت ماله ونعمته وكانت أمه منسيه ثكلت عليه الليل والنهار ولاتقدر أن تسأل أباه لانها كلما ازدادت له حبارأت أباه ازداد عليه قسوة (قال) فعولت أنها تخليه نائم على فراشه وتقتله وتشيع أن بعض الخدم قتلوه وتولى ولدها مكانه وبقيت فى تدبير ذلك حتى صار أرمانوس يطلب الأمراء كما ذكرنا ولولا مسيره كانت عملت على قتله وبعد مضيه بقليل جاءت

الجواسيس تخبر أن عساكر المسلمين سائره خلف أرمانوس فخافت منسيه على عسكر الروم انهم يهلكوا فقالت ان لم يخلص ولدى فى هذه النوبة مابقى يخلص أبدا ولا بدلى مما أدبر أمرا وأتركه يهلك هذا العسكر لعل أباه يرضى عنه ويوصى له بالملك من بعده ثم انها قامت من وقتها ودخلت على ولدها الفالوغص وقالت له تدبر يا ولدى عسكر أبوك والمملكة فقال أى وحق المسيح فأخرجته من السجن وهو مثل الطود العظيم وكان أكرم أهل زمانه نفسا وأقواهم مروءة وقلبا فأجلسته على سرير الملك بعدما أعلمته بمسير المسلمين فقال وحق المسيح ماتركت أحدا منهم ينجو بنفسه ثم انه فتح الخزائن وجعل يخلع على البطارقة ويبذل لهم الأموال حتى استمال قلوبهم اليه وأعرضهم فاذا هم مائة وعشرين الف من العرب المتنصرة ففرح بذلك وأتى اليه الجاسوس وقال له يامالك كن على حذر فان العساكر قد أقبلت فقال له فى كم يكونوا فى العدد فقال له فى ستين الف قال فمن هو الذى يقدمهم قال أبى محمد البطال لص المسلمين الذى يتم الأطفال وقتل الرجال فقال الملك الفالوغص أنا فى هذه النوبة أهدم عمره وأكفى النصرانية شره وأوريه من الحيل وطريقتها مالا يعرفها ولا يقدر أن يصفها ثم أمر النقباء فنادت فى العسكر بالنزول وخرج من يومه يطلب عسكر المسلمين وكان الأمير أبو محمد البطال فى حصن يانس المتعزب مقيم وكاتب السودان وبنى كلاب وأمرهم بالاجتماع على حصن يانس المتعزب والسودان فاجتمعوا فى تسعين الف عنان وساروا حتى وصلوا الى الأمير أبو محمد البطال وسألوه عن الأمير عبد الوهاب وعن الأميرة ذات الهمة وباقى الأصحاب فأخبرهم انهم سالمين ولكنهم محصورين وجعل يحدثهم بالقصة من أولها الى آخرها فلما سمعوا ذلك قالوا مابقى لنا صبر عن أميرنا أرحل بنا اليهم من يومنا لعلنا ندركهم ونكشف الشدة عنهم فقال الأمير أبو محمد هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ثم رحل من يومه يطلب الأمراء والعرب به متلاحقة وسبقهم الجاسوس إلى القسطنطينية كما ذكرنا وجرى للفالوغص ماقدمنا وسير الجاسوس أمامه يأخذ له الأخبار حتى قرب من عساكر المسلمين الأبرار وقال وحق المسيح لا أخذتهم إلا بغتة ثم دعا بالعرب المتنصرة وضمن لهم المال والاقطاع وقال لهم أعلموا ان تخلعوا ماعليكم من لباس الروم وارموا هذه الصلبان والزنانير واطلبوا عسكر المسلمين فى زى أهل مصر فان الجاسوس أخبرنى انهم يكونوا اليوم على عيون الدير نزلوا فاذا أشرفتم عليهم تقولوا قد جئنا نطلب الجهاد فى الروم ونخلص الأمير عبد الوهاب فقد سمعنا أنه محصور ثم اختلطوا بهم فى الليل حتى نأتى من ورائهم ونأخذهم قبضا بالكف ولكن نريد ان يكونوا على يقظة وإذا سمعتم الصياح فاقصدوا مقدمين العساكر وأنا

أجتهد ان لاينفلت منهم المحتال المسمى بالبطال فقالت العرب المتنصرة السمع والطاعة ثم انهم لبسوا ثياب مثل زى مصر وساروا من تلك الساعة (قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد البطال من حرصه وعجلته على المسير الى الأمير عبد الوهاب قد قال لبنى كلاب اعلموا انى لا أدرى ما كان من الأمير وأريد ان أسير قدامكم وآخذ لكم الخبر فان اشتد على الوصول على الأمير عبد الوهاب بشرته بقدومكم ثم انه لبس فى زى راهب وقدم على بنى كلاب رجلا يقال له عوف ابن شمخ وكان رجلا شجاعا وفيه دين وصلاح فأوصاه بالعرب وسار وكان مسيره فى اليوم الذى أرسل فيه الفالوغص العرب المتنصرة ليدبروا الحيله على عسكر المسلمين (قال الراوى) وسار الأمير عوف بالعرب خلف البطال حتى صار إلى آخر النهار وإذا بغبار العرب المتنصرة قد صار ثم انكشف وظهرت الفرسان فى زى أهل الإيمان فلما رآهم عوف قال الحمد لله على قدوم المجاهدين من البلاد ثم سار إلى لقاهم وأكرمهم على فعالهم عند ما لقاهم وحدثوه على ماعمل الفالوغص فشكرهم عوف على وجوه بنى كلاب وقال لهم يا بنى عمى اعلموا انى رأيت البارحة منام وقلبى منه فزعان كأنى رأيت طيور وقد نزلت علينا وجعلت تأخذ رجالنا بمناقيرها ثم يطيروا وأرجو ان يكون خير على ان هؤلاء القوم الذين وصلوا الينا هذا اليوم وقد شد الله بهم أزرنا لأن كل واحد منهم يلتقى عشرة من الروم اللئام ثم ان القوم أقاموا على الحرس وناموا وقلوبهم طيبة بهذه العشرة آلاف الذين انضافوا اليهم فما حسوا الا والخيل قد كبستهم والفالوغص على المقدمة وله همزة ودمدمة فعندها ثارت العرب المتنصرة وما أخذت العرب أهبتها حتى ردت أكثر خيرلهم وأخذتهم الصيحة من أوساطهم وصار كل واحد منهم ينظر إلى رفيقه ويضربه والآخر يضرب أخاه وصديقه وجرت الدماء وعاد وجوههم عدما وكثير الوسواس وطال الليل على الناس وتفرقت الرجال بالأطناب وشاب من هول تلك الليلة الشباب وزلت الأقدام وزاد الظلام ورجفت القلوب وكادت الأكباد ان تذوب وكثر الصياح وضجت الرجال من الجراح وانهزمت بنى كلاب وقد طلبت الرواح والذهاب وعمل السيف فى بقيتهم إلى الصباح فما طلعت الشمس إلا والأرض ملآنه بالاشباح مخضبة بالدماء من الارواح وقد أسروا من المسلمين سبعة آلاف وقتل اثنى عشر ألف وانهزموا الباقين فى ظلام الليل وطلب الفالوغص أبى محمد فلم يجده فصعب عليه وأمر أن يمدوا بعض الاسارى فقدموهم وضربوهم حتى طير لحومهم وهم يستغيثون إلى الله تعالى والفالوغص يقول ما أخليكم حتى تعلمونى أين مضى البطال والا تموتون تحت الضرب وبضرب واحد بعد واحد حتى إلى

آخرهم فقال واحد منهم وهو آخرهم من الاسارى ياملك ماحاجه إلى هذا كله البطال مضى إلى درب الجوز يتنسم الاخبار قال على أى زى قد مضى فقال انا آتى به ثم شد على نفسه وكان مليح الوجه وتزيا بزى شماس وحلق وسط رأسه ولبس ثياب سود ومضى يطلب درب الجوز وكان هنالك بعد الظهر وإذا بالبطال مشرف على رءوس الجبال فأسرع اليه وادركه واخذ يده فقبلها وقال له ياأبونا من أين قد وصلت قال يابنى انا رجل سائح وعلى ذنوبى نائح فقال له هنيئا لك وهنيئا لمن يصحبك وأريد أن أبشرك ببشارة فقال أبو محمد وما تلك البشاره بشرك المسيح بكل خير فقال أن عسكر المسلمين قد كان داخل إلى هذه البلاد فوقع بهم الملك الفالوغص واحتال عليهم بالعرب المتنصره وكبسهم فى الليل وأخذ منهم سبعة آلاف أسير مع المقدم عليهم ولم يسلم منهم أحد الا البطال الذى هو لص المسلمين المحتال وقد أنفذ الخيل فى طلبه فان كنت أنت أياه فخذ حذرك وأطلب لنفسك النجاه فقد نصحتك فقال أبو محمد وقد تغير لونه وايش بينى وبين العسكر وأنا رجل عابر سبيل وإذا نصر المسيح أولياه على يد احباه أزددت أنا سرورا وكثرت للمسيح شكورا فضحك الملك الفالوغص من كلامه وقال لله درك ياشيطان وياعفريت فى صورة انسان ولكن قد انقرض عمرك ووقع بك مكرك وقد جاءك البلاء فخذ لنفسك الحذر ثم وثب اليه وثبة الأسد ولطمه بكف أقوى من الجلمد فألقاه على الأرض وحمله على أكتافه وسار راجعا والبطال يقول ياترى من اين وقع بى هذا الشيطان والله ماكانى الا فى منام ولم يزل سائر به الى أن وصل إلى المعسكر فنظر أبو محمد إلى ما كان من أصحابه ورأى أجسادهم على الأرض وكل من رآهم يفزع والابدان مجروعه والاكباد مجروحه والطيور عليهم نازله والوحوش للحومهم آكله وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ثم تبين الذى حمله وإذا به الفالوغص فعظم فى عينه وقال مثل هذا يخاف من جانبه لأنه شجاع ومحتال ونظر إلى عوف ابن شمخ وإذا به من جملة الأسارى، فزاد جواه وعظم بكاه وسأله كيف كان هذا الحال حتى نزل بهم هذا الوبال فحدثه بما جرى من حيلة العرب المتنصرة وكبسة الروم فى الليل فتحير البطال وقال هذا كله لغيبتى، عنكم والا لو كنت معكم كنت ضربت رقاب العرب المتنصرة العشرة آلاف الذين أتوا اليكم والملك الفالوغص قد جمع الأموال والرجال والأسارى وأنفذهم إلى، القسطنطينية مع البطارقة وأنفذ معهم البطال مقيدا وأمرهم أن يشيلوا رءوس القتلى، على الرماح ففعلوا ذلك وأخذ ألف من وجوه البطارقة والباقين ردهم مع الاسارى،

إلى القسطنطينية وقال أنا أريد ألحق بارمانوس وأخبره بما فعلت فان هو طاب قلبه لى كنت عونا له على أعدائه وأملكه رقاب الأمم من العرب والعجم وان أبى وحق المسيح قتلته وأكون الملك من بعده وترون ما أقتل فى اعزاز الدين وكيف أملك بلاد المسلمين فقالوا البطارقة نحن ما نرى ملك سواك ولا نطيع الا اياك فشكرهم على ذلك فقال شيلوا باقى الشعاف على قنطارياتكم واعملوا رءوس المسلمين على الرماح وسيروا قدامى ففعلوا ذلك وسار مع البطارقة يطوى الأرض حتى وصل إلى عسكر أبيه ارمانوس عقيب الرسول الذى أنفذه يبشر أباه بقدومه كما ذكرنا والتقا بالبترك كما شرحنا وما كان للفالوغص همه الا سأله عن أبيه ارمانوس فحدثه البترك بكل ماجرى له مع الامراء الذين للمسلمين قال له واعلم ان أباك وعقبة عندهم أسارى وقد جرى من الشرط كذا وكذا على انهم يرحلون من الحصن بعد رحيلنا فاذا وصلوا أماكنهم أطلقوه والشيخ النجيح فلما سمع الفالوغص ذلك الكلام انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال وكم عدد الذين هم فى الحصن فقال البترك انهم ما يلحقون عشرون نفر ولكن قتلوا منا رجال وأهلكوا ابطال بعد ما كنا أشرفنا على أخذهم من النقيب ولكن أتاهم شىء ما لم يكن فى الحساب باخذ أبيك والشيخ النجيح واستقر الصلح على أننا نرحل إلى القسطنطينيه ويرحلون خلفنا ومعهم أبيك والشيخ النجيح إلى أن يقربوا من بلادهم ويطلقون أباك فلما سمع الفانوغص كلام البترك فصاح صيحة كاد أن تقضى على الحاضرين ودهش منه كل من كان حاضر ورفص البترك فى صدره كاد أن يهلك فما فيهم الا من صعب عليه ولكنهم ماجسروا يتكلمون من هيبة هذا الجبار الا انه من بعد رفصه البترك نادى ياويلكم ذليتم إلى هذا الحد للمسلمين ولولاى لكانت العسكر قد دهمتكم واهلكت أقصاكم وأدناكم ولكننى كسرتهم وأهلكت أبطالهم وأسرت سبعة آلاف من رجالهم ثم جعل يحدثهم بما فعل والبطارقه يتعجبون من هيبته فقال البترك ايها الملك وحق المسيح ما طلبت الصلح مع المسلمين الا خوفى من واحد منهم يقال له اللملمان يكدم الانسان ويأكل الآذان وقد أكل أذن أبيك الواحده وهو معهم تحت الذل والهوان فان أردت أن تعمل على خلاصه فلا تتعرض للقتال فان كان ولا بد لك من ذلك فالمسيح يحفظك ويعينك ويثبت عليك دينك فقال الفالوغص لا بد لى بما أبذل المجهود فى خلاص أبى حتى اننى لا أخليه مع المسلمين وأريد أتسبب فى خلاصه وأقول له يولينى موضعه فان فعل والا قتلته فقال البترك وايش فى نيتك أن تعمل فقال ارحلوا أنتم فى غداة غد وتموا على ما أنتم عليه وامضوا طالبين القسطنطينيه كما اتفق الامر بينكم فاذا وصلتم عند المساء إلى مرج المعمد ان انزلوا هناك حتى أجىء

أنا اليكم فانى أقيم أنا ههنا وحدى ولا يكون أحد معى حتى يخفى أمرى ولا أزال مكمن حتى يأتوا المسلمين ويعبروا على الموحدين ومعهم المأسورين فأخرج أنا عليهم من الكمين وآخذهم بالسيف قهرا واتركهم كلهم أسارى فقال البترك أيها الملك الرأى عندى الآن تقر بهم لأن كل واحد منهم يلتى ألف فلا تخاطر بنفسك لأن الخاطر بنفسه مذموم ولكن أترك العسكر الليلة يتقدم إلى مفرق الطرق والمروج دعهم يكمنون أربع مواضع فى كل كمين خمسة وعشرين الف ونقيم نحن حتى يأتون المسلمين ويحصلون فى الوسط ونطبق عليهم من كل جانب ويكون باقى العسكر على أهبة فاذا رأونا خرجنا عليهم يسبقون ويمسكون الطريق الذى جاؤا فيها فان ملكناهم وبلغنا المراد فقد ملكنا سائر البلاد وأهلكنا بعدهم العباد فقال الفالوغص ويحك هذه العسكر كلها تريد تتأهب للقاء عشرين فارس وحق المسيح أنا وحدى ما أرضى القاهم فقال البترك وقد أعجبه قوله يا بنى اعلم أنك قد تجريت على ومددت يدك إلى بغير ما يجب وفعلت بى مالا يقدر احد يفعله من أهـــل الأرض ولكن أنا أغفر لك واسأل المسيح أن لا يؤاخذك واريدك تفعل ما أقول لك ولا تخالفنى فى هذا التدبير وان كان ماغرضك الاتوريهم شجاعتك فاذا صاروا بين يدك بارزهم وذلهم كما تشتهى فلما سمع الفالوغص ذاك قال وحق المسيح لولا أنى فعلت فى حقك مافعلت ما كنت صبرت على هذا الامر ولكن أنا أصبر لأجل ذاك وافعل ما أمرت به ففرح البترك بذلك وباتوا على هذه النيه إلى الصباح وصاح صايحهم وضرب بوق الرحيل ورحلوا طالبين القسطنطونيه ولم يزالوا سائرين إلى مرج المعمدان وأكمنوا فى أربع مواضع من جوانبه فى كل كمين عشرة آلاف وتقطعت العساكر إلى موضع كان بقرب المكامن فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فان ماعندهم مما دبروا عليهم خبر ولا يعلمون بما دبروا وهؤلاء الملاعين من المنكر لأن المقادير تجرى باذن الله سبحانه وتعالى الا أن الملمان لما علم أن العساكر قد رحلوا عنهم وأبعدت فقال انزلوا بنا نطلب بلاد الاسلام فنزلوا الامراء بعدما أخرجوا كل ما كان فى الدير من الأموال والرجال ولما استقاموا على الطريق قال الامير عبد الوهاب ياقوم امهلوا فى المسير فانى خائف من الروم أن تغدر بنا ويكمنوا لنا فقال الملك ارمانوس طيبوا قلبا ونفوسا وقروا عينا فان البترك ما يقول الا الحق ولا يحلف الا ويصدق فقالت الاميرة ذات الهمة ماعرفنا من البترك الا الحق والوفاء ثم ساروا إلى أمسى المساء ونزلوا من أجل المبيت وما لهم معتمد الا على الله ولا يعلمون ما قدر عليهم والشاعر يقول

المرء ليس له علم بخبرته ✿ وليس ينجو من الأشياء بفطنته
يسق إلى حتفه رغما وليس له ✿ فى نفسه حيلة من كون فطنته
لأنه قدر الأشياء وكونها ✿ وعلمه مستقر فى مشيئته

ولما أصبح الصباح ساروا حتى قاربوا إلى العسكر وساروا قريب من الكمنا وهم سائرين وإذا بشخص قد لقيتم فى الطريق وهو قاصد اليهم يطوى الأرض كانه مجنون وقد أشرف من شدة السير على الهلاك فلما عاينهم وقع إلى الأرض ساجدا وقال اصبروا ياقوم وإلا هلكتم عن آخركم فان الله قد نظر إليكم بمجيئ اليكم وهذه الكمنا بين أيديكم ثم قال لهم تعالوا حتى آخذ لكم على غير الطريق ولا يعلم بكم أحد ولا يبصركم إلا الملك الصمد فقال ارمانوس تكذب ياشيطان كيف يحلف البترك ويخون ياملعون فقال له الشخص ما يكذب إلا أنت ياملعون وها أنا أبو محمد البطال أبو مذحون وقد خلصت من الاعتقال ثم دنا من الأمير وحث التراب على رأسه واشتكى وأعاد عليه قصة ملطية وكيف دبرت عليها عاقبة الملعونة أخت النحيس التعيس خليفة ابليس اللعين عقبه ثم أعاد عليه ماجرى على المسلمين من العرب المتنصره وقال له وقد أسر منهم سبعة آلاف مع عوف ابن شمخ وقتل منهم اثنى عشر فبكى الأمير عبد الوهاب وبكت سائر الأمراء ووقع بهم الانتحاب فقال أبو محمد وانى ما خلصت إلا من بعدما قاسيت البلاء ولولا أننى فكيت قيدى فى الليل وهربت وإلا كنت من الهالكين مع جملة المسلمين والساعة أنتم سائرين إلى الموت الأحمر والبلاء الأكبر ثم حدثهم بحديث الفالوذص وحديث الكمنا فقال الأمير عبد الوهاب والله لولا وصولك مع قدرة الله تعالى لكنا من الهالكين فقال ابو محمد والله لاسيرن بكم على طريق لاتعرفها جن سليمان ولا أهل الأرض فى طولها والعرض ثم ترك الطريق الذى كانوا عليها وسار بهم عن يمين الطريق طول النهار إلى أن علم أنه قد ترك الكمنا من وراء ظهره وقال لهم أعلموا أن الكمنا قد عبرناهم ولكن الفالوذص بين أيدينا على أنه وحده فيه الكفاية مما قد رأيت منه فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك قال يا أبو محمد فما لنا طريق الا عليهم فقال أى والله لكننا نكمن إلى الليل هنا لأن الكمنا يظنون إننا بعد ما خرجنا من الحصن ونحن عبرنا العسكر فى الليل ولا يعلم بنا أحد إلا الملك القادر فهم فى الكلام وإذا براهب قد أشرف عليهم عند المساء وهو قاصد إليهم يشق الأرض شقا حتى قدم عليهم فتبينوه وإذا هو صابر المرعشى ففرحوا به وسألوه عن حاله فقال ابشروا بالفرج من عند صاحب الفرج فان خلفى ميمون الجاس فى عشرين ألف من الاكراد

وعشرين ألف من السودان وثلاثين ألف من بنى كلاب وقد بقى بينهم وبين عسكر الروم يوم وليلة وقد لقى الاسارى الذين أخذهم الفالوغص وخلص الجميع فلما سمعوا المسلمين كلام الجاسوس انكبوا على الأرض يقبلونها شكر الله تعالى ثم قال الأمير عبد الوهاب مولاى وسيدى مااعتمادى إلا عليك ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك (وكان السبب فى ذلك) ان ميمون الجماس ولما وصل إليه الخبر من حصن يانس المتعزب وسمع ما جرى على الأمراء الشدائد وانهم محصورين فى بلاد الروم وان عساكر القسطنطونية قد سارت إليهم وان أبو محمد قد أرسل يطلب بنى كلاب والسودان الانجاب إلى حصن يانس ليدخل بهم إلى بلاد الروم فجمع ميمون الجماس السودان الذين كانوا عنده والذين قصدوه من ملطية وساروا على طريق خالى وكان فيها أمير من الأمراء الكرام يقال له مازن ابن مندوه وكان شجاع مغوار وليث كرار وآفة من الآفات وبلية من البليات يركب معه عشرين ألف من الاكراد وكلهم أجلاد أنجاد فلما نزل عليه ميمون الجماس رغبة فى الأموال من بلاد الروم فسار معه فى رجاله واتبعته أبطاله وساروا بقلوب صادقة ونيات موافقة حتى وصلوا إلى حصن يانس فالتقاهم بالأفراح والأكرام والاعظام وسأله ميمون الجماس عن العسكر الذين ساروا مع أبو محمد البطال فحدثه بما جرى عليهم وانهم كبسوا فساروا من يومه ولم يمكنه المقام ولم يزل يجد المسير حتى التقوه المنهزمين الذين انهزموا من وقعة الفالوغص فرآهم فى أسوأ حال وقد هلك منهم الابطال فقال كيف كانت هذه المصيبة فحدثوه بما تم عليهم من العرب المتنصره فبكى ميمون الجماس حتى أبكى الناس وساروا بقلوب قد ملئت حنق وزادت قلق فالتقوا بعساكر الروم قريب من القسطنطونية الذين أرسلهم الفالوغص ومعهم الاسارى فى الحبال والشعاف على رءوس الرجال ورءوس المقتولين على الرماح الطوال وهم سائرين على مهل (قال الراوى) ونظروا الروم إلى عسكر السودان فقالوا وحق المسيح لقد كنا استرحنا من هذه الألوان فلا رحمهم المسيح هذا وميمون الجماس قد نظر إليهم ووقعت عينه عليهم فصاح يا آل حام يا آل حام خلصوا اخوانكم الكرام من أيدى هؤلاء الملاعين اللئام وازحفوا عليهم إلى قدام فعندها صلبت الروم على وجوهها وقالوا لنا زمام ما رأينا هذه الألوان الكريهة فلا كانت ساعتها ولا بارك فيها ولا بد لنا اليوم ما نقرنهم إلى أصحابهم فى الحبال ونقودهم قود الجمال ثم التقوا حملتهم بصدورهم وقربوا منهم قنطارياتهم وقصدوا بها إلى نحو صدورهم ونحورهم وانطبقت عليهم السودان وحملت عليهم بنى كلاب بسيوفها الحداد وعملت فى الأبدان الناعمة وحامت عليهم الطيور الآجال

ولم يزل الصارم يعمل فى المفاصل والسيوف تقطع السواعد والرماح تعمل فى الكواهل وكانوا بين مقتول وقاتل وحمل ميمون الجماس على مقدمة المتنصرة ليث بن سهل وكان أشجعهم قلبا وأكثرهم كفرا وضدا فضربه ميمون الجماس بالعامود على صدره قصف خرزة ظهره وذهبت روحه إلى النار ولم يبق أحد من السودان إلا وضرب واحد من العرب المتنصرة وأهلكه ولم تكن الا ساعة حتى أهلك الله عشرة آلاف من عبدة الصلبان وأما الاكراد فانهم حملوا على الروم وصبحوهم صباح ميشوم وكذلك بنى كلاب أنزلت عليهم العذاب فلم ينجى منهم إلا من كان فرسه سابق وجمعوا الاسلاب والاثقال فأنفذوها إلى حصن يانس المتعزب وخلصوا الأسارى وسار يطلب الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وصابر المرعشى بين يديه يأخذ الأخبار وقد قتل من الروم ومن المتنصرة خمسة وعشرين ألف وصار صابر المرعشى حتى وصل إلى عسكر الروم الذين صحبه البترك وسأل عن القصة فأخبروه أنهم رحلوا وأخدعوا الأمير عبد الوهاب وقد أكمنوا الكمائن فلما سمع ذلك خشى على الأمير عبد الوهاب وعلى أصحابه وسار لعله يلحق الأمراء ويحذرهم منهم فلقى الآمير كما ذكرنا وبشره بقدوم ميمون الجماس كما وصفنا وبخلاص الأسارى وأخذ الغنائم وكيف قتلوا الاعداء وغلوا منهم الأيادى ففرح الأمير عبد الوهاب فرحا شديداً وسجد شكراً لله تعالى على هذه المنة التى قد من الله تعالى بها عليهم فقالت الأميرة ذات الهمة الآن ماهو وقت القعود فقال لها وكيف التدبير بارك الله فيكى فقالت ندخل إلى العسكر ونحن برا الروم ثم يرجع صابر المرعشى إلى ميمون الجماس ويقول له العجل العجل فاذا أشرفت عساكر الروم عند الصباح لابد لهم مايركبون لاسيما هذا الملعون الفالوغص فاذا ركب ورفع على رأسه العلم الأكبر نقاربه نحن إذا رأيناه وندور من حوله فاذا وقعت الحملة صحنا نحن الله اكبر وطلبنا الملك ولا يبقى واحدنا إلا ويطلب بطريق ومقدم من قواد عسكره فما أقول انهم تقوم لهم بعدها قائمة فقال الململان لو دخلنا للعسكر وعلينا لبس الروم فما كان ينكر علينا فقال أبو محمد البطال إذا وصلتم إلى العسكر أنا أدخل اليه وآخذ لكم كلما تريدوه من لبس الروم وتخفون أمركم إلى أن يصلوا أصحابكم وما يكون إلا مايريد الله ولكن عقبة وأرمانوس شيلوهم فى الصناديق على البغال وسلموهم إلى صابر المرعشى يسير بهم فى الليل كما أتى الينا إلى أن يصل إلى حصن يانس المتعزب فليفعل مايتصور برأيه وسلموا عقبة وأرمانوس إلى صابر وساروا هؤلاء حتى قربوا من عساكر الفالوغص فقال لهم الأمير أبو محمد كونوا ههنا حتى آتيكم بما أوعدتكم به ثم تركهم ودخل عسكر الروم وكان يعيب

ساعة بعد ساعة ويأتيهم بشىء حتى كان يأتى بالفرس وعليه عدته وجميع آلته وما يحتازه الفارس إلى أن أكفاهم وزاد منهم فقال الأمير عبد الوهاب بالله عليك يا أخى من أين هذه العدة وأين أصحابها فقال أيها الأمير والله ما أتيتك بشىء منها حتى قتلت صاحبها فقال له الأمير درك (قال الراوى) ولبسوا زى الروم ودخلوا العسكر فاختلطوا فيه بين الخيام وجعلوا يتسمعون الحديث والروم يقولون وحق المسيح لقد أبطأت علينا أخبار المسلمين وما نظنهم إلا فرغوا وما نزلوا من الدير وقد حسبوا ماقد عولنا عليه وأن الملك الفالوغص قال للبترك يا أبونا مانرى للمسلمين خبر ولا الكمنا ماعرفنا لهم أثر فقال البترك وحق المسيح إنى أخاف على أصحابنا لايكون المسلمين وقعوا بهم وقتلوهم جميعاً فقال له ويلك فلو انهم يطرحوا عليهم شبكة ماقدروا عليهم فقال البترك أيها الملك ان معهم واحد أجوع من كلب يأكل الآذان مثل ماتأكل أنت السمكة ولو أنه قعد على الطريق ماعبر عليه ملك ولا بطريق فضحك الفالوغص وعلم أن القوم أذاقوه الخوف وحصل فى قلب الملك مثل ماحصل فى قلب البترك فلم يعتب عليه بل انه أرسل خيله إلى الكمنا وقال لهم إن لم يكن عبر عليكم أحد فسيروا أنتم إلى الحصن واكشفوا الخبر فقالوا سمعاً وطاعه وساروا من تلك الساعة هذا والأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب قد نزلوا قريباً من سرادق الملك إلى أن أصبح الصباح والملك قلق غاية القلق وطلعت الشمس ومضى من النهار مقدار ثلاث ساعات وإذا بغبرة من ورائهم قد طلعت وانكشفت وظهر من تحتها خمس فوارس من المنهزمين الذين كانوا انهزموا من قدام ميمون الجماس ولم يزالوا قاصدين إلى الملك حتى صاروا بين يديه وأخبروه بالوقعة وما جرت عليهم من الفجعة فاغتاظ من ذلك وضرب رقابهم فبينما هو كذلك وإذا بالكمنا أتوا وأخبروا انهم ساروا إلى الحصن فلم يجدوا للمسلمين من خبر فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال وحق المسيح لئن لم يظهر خبرهم والا ضرب رقابكم ثم أدعى بالشيوخ من أهل تلك الأرض وسألهم عن الطريق إلى بلاد الإسلام فقالوا وحق المسيح ماعرفنا لهم طريق إلا فى لحف الجبل ولا تسلكه الخيل ولا الدواب ونحن مانعرف لهم طريق إلا من عليكم فقال إذا كان الأمر كذلك فما يكونوا إلا فى عسكرنا واختلطوا بنا والصباح أدركهم وما قدروا يعبروا علينا ثم قال لجميع الملوك والبطارقة كل واحد منكم يفتقد رجاله وجنده وأعوانه ويعرضهم عليه فقالوا جميعاً سمعاً وطاعة هذا وأبى محمد يرى ذلك كله فقال مارأيت مثل هذا الملعون والله ان الجن ماتهتدى لفعاله فبينما هو كذلك وإذا بغبار لاح وثار وظهر له عجاج ثم ارتفع وبعد ساعة تمزق وانقشع فلما شاهد الفالوغص لذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لأصحابه اكشفوا لنا الأخبار فعندها تجارت البطارقه كأنها

قطع الليل ساعة وعادت تخبر أن عساكر الاسلام قد وصلت لخلاص أصحابها من بعد ماخلصوا الغنائم والأسارى الذين كنا أخذناهم وأهلكوا العرب المتنصرة وعبدة الانجيل وما سلم من طائفتهم واحد فقامت على الفالوغص القيامة وعاد على نفسه بالملامة ونادى فى عسكر الروم فركبوا البطارقة ثم ترتبت وقد ظن أن العساكر الاسلامية قد جاءت اليه كلهم ولما قرب الجيش منه ورأى قلته قال وحق المسيح لو خرجت اليهم وحدى لأبيدهم جميعا ثم أنه أمر ملك البشناق بالجملة فخرج اليهم بعساكره وقاتلهم ساعة من النهار ثم عادوا وهم يطلبون الهزيمة لأن اللملمان هرس فيهم وحمل على ملك البشناق فاورثه الهلاك ونظرت الروم إلى العلم قد مال والملوك اسروا وبعضهم قتلوا فارتفع منهم الصياح والزعاق ورموا أنفسهم على المجاهدين ووقع فى عسكر الروم المحاق وبليت الروم من السودان بما لا تطاق وكبرت الأميرة ذات الهمة وأكبت رأسها فى مربوص سرجها وجعلت تخترق الصفوف وتسقى الروم شراب الحتوف حتى وصلت لعسكر ميمون ونادت ياميمون أنا فاطمه بنت مظلوم المجاهد فى طاعة الحى القيوم وقد خلصت أنا وولدى من كل نائبة وشدة فلما سمعوا السودان وبنى كلاب ذلك النداء طابت قلوبهم وجاهدوا فى سبيل الله الملك الديان هذا والأمير عبد الوهاب واللملمان يحملوا على طوائف الصلبان ويقصدوا الروم بطعان حتى أبادوا الطوائف والفرسان ونظرت الطوائف إلى ملوكها قد قتلت والصوارم فى رقابها قد عملت وهجمت فيهم السودان وقد ترجات ورمت دروعها وبقوا عراة الأجساد فتبدل ضياء النهار من أجسادهم بسواد وجعلوا يضربوا قوائم الخيل حتى قطعوها وأرموا الأبطال وصرعوها فصلبت الروم على وجوهها وقالوا هذه وحق المسيح قضية مارأينا مثلها اطلبوا ياويلكم بنا الهرب فهذا المنادى ينادى ان الفالوغص أسر وكل ملك لنا قتل ومابقى لنا غير النجاة والا موتنا موت الفجاه ولم يقدر أحد على الثبات ولم يزل السيف يعمل إلى أن أقبل الليل بالاعتكار وقد ولت عساكر الكفار الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد ملكت المؤمنين الغنائم والأموال واجتمع الأمير بعساكره وأقاموا باقى ليلتهم إلى الصباح وقد دارت به سودانه وأصحابه من بنى كلاب حتى صار كانه مافارقهم قط وأصبح وركبه فى زهاء عن سبعين الف فارس بعد ماكان مأسور مقهور وعاد إلى جيشه العرمرم وقد نشر على رأسه كل راية وعلم وسارت بين يديه الأبطال والخدم وهذه قدرة بارىء النسم ولما أصبح الصباح أحضر الملك الفالوغص وقال له أنت الفالوغص قال لا وإنما أنا من خواصه ألبسنى ثيابه وتركنى تحت العلم وهــذا آخر العهد به فقال الأمير عبد الوهاب ماهذا إلا شيطان والله تعالى يكفينا شره ويصرف عنا مكرمه فقال الأمير

عبد الوهاب الرأى عندى اننا ننفذ بين أيدينا ألف فارس يقتفوا أثره فقال أبو محمد هذا مالا يفيد لانه ملعون وهو من الشجاعة بمكان عظيم ثم سأل عن عقبه وارمانوس فقال الأمير عبد الوهاب انى قد أرسلتهم مع عشرة من أصحابى إلى حصن يانس المتعزب فقال أبو محمد ماأخوفنى أن يلحقهم هذا الملعون فعند ذلك ادعى الأمير بموسى ابن صالح الكردى وضم اليه مائة فارس من الأبطال المنتخبة وقال له امض فى أثره عساك أن تظفر به وبعقبه وارمانوس وتسير بهم لئلا يقع بهم هذا الملعون واستعمل العجل ولا يأخذك فى المسير مهل وأين ماسرت فنحن لاحقون بك ان شاء الله تعالى لأننا معنا هـــذه الغنائم والأموال ولا نقدر نسير الا على رفق فقال موسى السمع والطاعة وقال الأمير خذوا أنتم الراحة حتى نسير فى غداة غد فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من الفالوغص فانه مضى مع غلامه بولص وأخذ كل منهما فرس ونجيب وكان بولص هو الآخر بطلا من الأبطال فلهذا اختاره الفالوغص دون غيره وانهما لم يزالا يركضان حتى وصلا إلى قاع الدروب وإذا بالغنائم هناك نازله وبنى كلاب حولهما بالخيام والأعلام والدنيا ملآنه بهم لانها غنائم الروم والعرب المتنصرة وغنائم بنى كلاب وان الفالوغص لما شاهد ذلك ضحك وطاب عيشه ونزل عن جواده وركب الجنيب وكان جواد سابق من الخيل شديد القوى والحيل اسود من الليل مليح التحجيل بغرة كالقنديل معتدل القوائم كانها دعائم يسبق الرياح وقد غذى بلبن اللقاح وان الملعون لما ركب هذا الجواد لبس ثوب زرد خفيف ظريف ضيق وثيق كانه عيون الجراد لايعمل فيها السيوف الحداد من عمل عاد ثم تقلد بسيف طويل عريض ثم صاح يا كلاب العرب وأخس من ضرب عليها وتد أوطنب أنا صاحبكم الذى قد قتلت رجالكم أنا الفالوغص ابن ارمانوس واليوم أصبحكم بصباح المنحوس فخلوا مافى أيديكم من الغنائم وانجو سالمين والا تركتكم على الأرض مطروحين فاطلبوا الهرب والا وحق ست عواميد فى كنيسة صوفياء لى كل عامود صليب جوهر وراهب مصور ماأدع أحداً منكم يرجع إلى أهله (قال الراوى) فلما نظروا القوم إلى شخصه وسمعوا كلامه وثب كل واحد منهم إلى جواده وامتشق رمحه وحسامه وبادروا ليحملوا عليه فجعل يستقبل الواصلين ويطعن صدورهم ويقصد بالسنان نحورهم وهو ينكس فارس بعد فارس وهم يصيحون عليه وهو خانس والغبار عليه قد ارتفع ودما عصابة الايمان تكدع وملك الموت فى صارم الفالوغص قد لمع وكلما اجتمعوا عليه وقاربوه يصرخ فى وجوه القوم فترجع من عظم صرخته حتى قتل منهم ستين فارس صنديد ولم يبق منهم فارس يذكر ولا بطل إلا وهو مجروح أو مجندل ثم اتسع عليه المجال فجال وصال وصار إذا حمل عليهم اندقوا بين

يديه وما منهم إلا من يقول أنه سبع وهو فريسته فهرب وقد انقطع نفسه وذابت مهجته (قال الراوى) وكان تحته ذلك الجواد الذى ذكرناه ووصفناه وكانوا إذا اندقوا بين يديه يلحقهم ويطعن منهم بصناعته ويخطف أرواحهم بقوته وبراعته فاذا انتخوا وعادوا إليه يطلبوه صاح بالجواد فلا يلحقوه حتى يبعد عن خيلهم فيعود صارخا ويكر راجعا فيصرع الأبطال ويطرح الاقيال ثم أنه زاد فى فعاله وأعجب بنفسه فانشد وجعل يقول هذه الأبيات .

انى أنا الفالوغص الحلاحل لو كنتم مائة ألف راجل
بادرتكم بالسيف فى المحافل وأنا الشجاع البطل المناصل

(قال الراوى) فلما سمعت وجوه العرب زجره وشعره قالوا ماهذا إلا شيطان ورومى مايقول الشعر وما هو إلا من أولاد العرب المتنصره وكان قصة هذا الملعون عجيبة وذلك أن أرمانوس لما تزوج أمه منسية الكرجية كانت موصوفة بالجمال فأحبها محبة عظيمة وصار ما يبيت إلا عندها ولم يبق فى قصر ارمانوس امرأه ولا سرية إلا وقد غارت منها وأقامت عنده سنة لم تحمل منه فقالت لها النسوان نحن مانبالى إن كان الملك يحبك أو يكرهك لأنك لم ترزقى ولدا يشارك أولادنا فى الملك فلما سمعت ذلك حملت على قلبها هما عظيما وعملت كل دواء فى الدنيا فلم ينفعها فلما أيست من الحبل قالت لبعض العجائز الذين يختصون بها ذلك وشكت اليها حالها فقالت لها أحداهن اعلمى أن أرمانوس قد عقد عنكى حتى لاترزقى منه ولدا فابذلى نفسك فى السر لغيره لعل أن تحملين منه ولا يعلم أحد إلا أنه من الملك فقالت ياعجوز أخاف أن لاينكتم هذا الأمر فقالت يابنتى ومن يعلم بذلك سيرى انتى الليلة معى ولا تعرفى هذا الأمر إلا منى فقالت لها ويحك فمن هذا الذى يكون واقف ينتظرنا لأننا نحن مانريد نعرف بنفوسنا وما كانتا إلا من بعض نساء البطارقة فقالت لها ماتحتاجين إلى من ينظرك لأن الحسن قوى وإذا رآنا أحد أو عرضنا كى عليه أخذك بالقبول فلما سمعت منسية ذلك فمن عظم ماحملها من الكياد على أخذ الملك فعلت ذلك وكان ارمانوس غائب فى بلاد الكرج فى زفاف ابن ملكهم فخرجت هذه العجوز بها وجعلوا يطوفون شوارع القسطنطينية يطلبون من يربح فيهم الثواب وقد أيسوا من ذلك فبينما هم قيام والملكة لها وجه يشرق مثل القمر وهى تقول للقهرمانة أين الذى قلتى فانا الذى على حال ماأرجع إلا ببغيتى وإذا برجل له همهمة وهدير (قال الراوى) وكان فى القسطنطينية رجل مجنون يدور فيها وهو من العرب المتنصرة واسمه فرعون وكان عظيم الخلقة وكان لايفيق ابدا فلما كبر خرج هائما على وجهه وكان إذا لكم الجواد يقصف أضلاعه

وإذا قبض على قرن الجاموس قلعه من مكانه ولا يجسر أحد يقف بين يديه ولا قدامه وكان داير فى حلل العرب المتنصرة وله ستة أشهر ماداخل إلى القسطنطينية والروم يتعجبون منه وهو مع ذلك ينظم الشعر وينطق بالفصاحة فلما رأى الملكة منسية أقبل إليها كانه الفتيق فقالت العجوز يامولاتى هذا فرعون المجنون قد أقبل وهو لا يعلم مايراد به ولا يدرى من نحن ولا يخرج هذا الحديث منه إلى احد وهذا من نيتك الصادقة فقالت هذا جبار وأخاف أن يقتلنى فقالت لاتخافى ثم صاحت به القهرمانة وأوقفته فذهب جنونه وانفتحت عيونه وأرمى نفسه عليها وانصرفت عنه وقد طار قلبها وهى ضاحكة فقالت للعجوز ويحك فى غد ابعثى له ثياب نظاف وطيبيها بالبخور فقالت العجوز وما قصدك بهذا فقالت قد عملت شيئا وأريد أن أتمه وأجيبه إلى عندى وأقول قد رأيت فى النوم من يقول لى إذا أردتى أن ترزقى ولدا ذكر فاحسنى إلى فرعون وبه ترين من ارمانوس مايقر عيناكى فقالت القهرمانه سمعا وطاعة وعادت منسية إلى قصرها فلما كان من الغد أدخلت فرعون الحمام وألبسوه الأطلس وأطعموه لطيف الطعام وتركته فى القصر فأقام عندها ثلاثة أشهر فتبين حملها فى جوفها فقالت العجوز هذا الولد قد صح أمره وما بقى لنا حاجة بهذا المجنون فأقام عندها فرعون المجنون حتى وضعت هـــذا الولد وقالت للملك أنا قد استبركت به وما رزقنى المسيح هذا الولد إلا بما قد فعلت فى حقه وأنا أريد لا يبرح فى القصر عندى حتى يعيش ولدى فقال لها الملك أرمانوس الأمر اليكى وما كان يقدر على مخالفتها لشدة محبتها وكان فرعون جميل الصورة ضخم الخلقـــ كانه الجمل الهايج نصار يركب الخيل فى القصر فحدثتها نفسها بقتل ارمانوس لما حبس ولدها الفالوغص كما قدمنا وقد عولت أن تترك الفالوغص مكان ارمانوس وتتزوج بهذا المجنون (قال الراوى) وسنرجع الى سياقة حديثنا الأول وما وقع لفالوغص مع بنى كلاب فى خلاص الغنائم والأموال وبنى كلاب انهزم منهم من انهزم وسلم الغنائم وعاد راجع فرحان وإذا بغبار قد ثار حتى سد منافس الأقطار وانكشف وبان من بين يديه فوقف ينظر اليه ويتحققه بعينه وكان ارمانوس وعقبه مع ملابط البغال ومعه عشرة فوارس من السودان الأنجاب وقد لحقهم موسى الكردى الذى أنفذه الأمير عبد الوهاب فى مائة فارس وكان هذا موسى من الأبطال المعدودة المعروفة والاقبال الموصوفة ولما لاحوا الفالوغص من تحت الغبار قال لغلامه بولص ويلك سوق الاسارى والغنائم حتى أكشف أنا خبر هؤلاء القوم وكان الملعون لما عاد بالغنائم وأخذ الأسارى قد ترك منهم عشرين مطلوقين يسوقوا الخيل والدواب فأوصى غلامه بهم وطرد الجراد حتى لحق القوم وصاح بالعربية من أنتم فعرفه ارمانوس

بصوته فناداه ياولدى أنا أبيك ارمانوس ومعى الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وهؤلاء القوم مسلمين سائرين بنا الى حصن يانس المتعزب فلما سمع الفالوغص كلام أبيه ضحك وقال لقد أحسن المسيح خلاصكم فقال عقبة ياولدى وفيك ان تلتى الاكراد والعشرة السودان فقال نعم ياشيخ والساعة خلصت الغنائم من الف فارس من بنى كلاب فطاب قلب عقبة بذلك وسمع موسى الكردى هذا الكلام فقال لقومه كونوا على ما أنتم عليه حتى أبرز الى هذا الملعون ثم خرج على جواد أبلق مليح الحدق مؤدب مطرق إذا سابق الريح سبق لايدرك ولا يلحق ومعه رمح أسمر وفى رأسه سنان أزرق وزعق على الفالوغص وقال دونك والقتال فضحك الفالوغص وقال دونك يا ابن الأكراد اللصوص ثم حمل على الفالوغص وحمل الكردى وجالا وصالا وتعاركا وتشابكا ثم ان الفالوغص زعق بخصمه زعقة مدهشة وحمل عليه حملة منكرة وطعن الكردى فى صدره أنفذ السنان من ظهره وعجل الله بروحه إلى الجنة ثم جال الملك على شلوه ونادى ياويلكم ماهذا يوم براز احملوا كلكم حملة واحدة فنحن من أمرنا على عجل فلما سمعت السودان كلامه حملت بأجمعها واتبعتها الاكراد من حرقتها وحرقت قلوبهم على الأمير موسى فجعل الملعون يلتقط الفرسان كما يلتقط الحب الحمام وما كانت إلا ساعة حتى قتل من القوم أربعين فارس وتقدم اليه مقدم السودان وهو يلعب بالأدهم وكان فارس لايطاق وعلقم مر المذاق وكان أخو ملابط البغال فى قوته وشجاعته فطال بينه وبين الفالوغص القتال ودام المجال ثم استجاده بطعنه فى صدره أخرج السنان من ظهره ولم يزل يحمل عليهم حتى أنه قتل العشرة السودان وثلاثة وخمسين من الاكراد وانهزموا الباقين وأخذ عقبة وأباه وطلب الغنيمة التى مع غلامه بولص وقال جدوابنا الساعه الى مدينة القسطنطونية فساروا وهم فرحانين بالخلاص ومتعجبين من قصة الفالوغص وعقبه ينظر اليه ويتعجب من شجاعته وما زالوا كذلك الى أن قرب المساء وأتتهم الكتائب متواترة والبطارقة هائجة على وجوها فسألهم عن حالهم فأخبروه ان عساكر المسلمين كسرتهم (قال الراوى) فلما سمع ذلك لم يصعب عليه ولا كبر لديه بل أنه قال لو كنت أنا حاضر لم كان جرى هذا ولا تم ولكن مابقيت أبالى بعدما استرجعت الغنائم وما وصل إلى القسطنطونيه حتى اجتمع معه أوفا من خمسين ألف من المنهزمين وباقى القوم أتفرقوا فى الأقاليم وساروا إلى بلادهم راجعين (قال الراوى) ثم ان الفالوغص أحضر باه فى القصر بين يديه وقد وقفت البطارقة فى خدمته وقد صار له فى قلوبهم هيبة عظيمة فقال لأبوه ماذا تقول الساعة فقال له الأمر لك يابنى وكلما تعمله فهو الصواب فقال له فاذا

كان الأمر لى فأنا آمر الساعة العساكر أن تجتمع وأسير بها إلى حصن يانس المتعزيب وآخذ معى النقابين وأتركه دكا فما آفة الروم إلا منه وإن سمعت بعد أن المسلمين وقفت على رأس الدروب فأنا أبيدهم عن آخرهم ولا أترك أحدا منهم يرجع إلى بلادهم فقال له ارمانوس ماهذا صواب والرأى عندى مصالحتهم لأنهم كانوا عشرين وما لحقناهم وهم اليوم سبعين ألف عرب وأكراد وسودان وأخاف أن ينكسر باقى عسكرنا ولا يبقى لنا بعدهم باقية ولا تقوم لنا راية ونحن نحمل الجزية على ماجرت به العادة (قال الراوى) فلما سمع الفالوغص ذلك المقال غضب غضبا شديدا وأخرق بأبيه بين البطارقة وقام إلى أمه وقد قال لها ياأماه قد عولت على أننى أقتل أبى وأستريح منه لأنى لا أجد له فى قلبى حلاوة فقالت له أمه نعم مارأيت ياولدى أقتله فقد أذل دين النصرانية وأنا مارزقت بك إلا ببركة هذا الرجل فرعون وقد داويته حتى انه قد برىء من الجنون وبعد ليالى رأيت كأن السيد المسيح قدم عليه فأشرقت أنواره وأزهرت دلائله وفخاره وكأننى فى النوم حملت بك وكانت ذكرت من قبل ذلك للروم فصار المجنون عندهم أعظم شىء لأنهم كانوا يقولون هذا قدم عليه السيد المسيح وأبرأ جنونه ورجع الفالوغص إلى سرير ملكه وجلس عليه وقبض على أبيه ارمانوس واختار له من أولاد البطارقة أربعة آلاف غلام فى سن واحد وألبسهم المناطق وأوقفهم على نائبه يحجبونه وقال أنا أريد أعمل مثل ما عمل الملك الاسكندر وأفتح الأرض كلها وماتم له ما أراد إلا بالأربعة آلاف الذين انتخبهم وكانوا أولاد ليلة وأقام الأربع آلاف الذين اختارهم على رأسه ثم جمع القسوس والرهبان وعلماء النصرانية وأكابر أهل ماء المعمودية وقال لهم أنتم تعلمون أن أرمانوس قد أذل أهل هذا الدين وجعلهم عبيد للمسلمين بأخذه الجزية منهم ودفعها للمسلمين وأريدكم تفتونى بقتله فقالوا ماأمرنا المسيح بهذا قال فهل أمره المسيح يحمل الجزية ويترك الجهاد فقالوا الا فقال وحق المسيح ومريم القديسة الطاهرة النفيسة لابد من قتل ارمانوس وان لم تحله لى الرهبان والقسوس فقال عقبة لاتفعل فهذا مما يغضب عليك المسيح ويحرمك من أجله الشيخ النجيح وأبوك معذور لأنه بلى برجال لايطاقون (قال) فلما سمع الفالوغص هذا الكلام من عقبة قامت عيناه فى أم رأسه وجذب سيفه وضرب ارمانوس صفحا وقال قدموا لى هذا الشيخ الأعور الذى يشبه إبليس حتى أفعل به مثل ما فعلت بارمانوس فانى ما أحب أن يكون فى دولتى أعور فتبادرت إليه الفتيان يسحبوه إليه فطار عقله وصاح لاتفعل أيها الملك فأنا عين المسيح على المسلمين وحجته على عبادة أجمعين فقام البترك وقبل صدر الفالوغص وجعل يسكن غضبه ويذكر له فضل عقبة وفعاله مع

الروم وتعصيبه لهم على المسلمين فقال الفالوغص وهذا عين النفاق فأما أن يقيم عندهم أو يكون عندنا ويظهر أمره فقال البترك الأصح لنا إقامته عند المسلمين كيما يطالعنا أخبارهم فقال الفالوغص اما أن تمكنى من قتله والا من خصيه حتى لايعود هو ولا بغيره يتجرأ بالكلام فى مجلسى بخلاف مالا أريد فقال عقبة فى نفسه الخصى أسهل ولكن هو على أشد من القتل فقال البترك فهذا مما يغضب عليك المسيح فضحك الفالوغص حتى استلقى على قفاه وقال لابد لى من خصيه (قال الراوى) فقام جماعة من القسوس والرهبان والخواص وسألوا الملك فيه فقبل سؤالهم وعفاه من القتل والخصى وحلف أنه لابد له من حلق دقنه فما عاد أحد قدر على مراجعته فيه واستسلم عقبة للقضاء والقدر وقال الدقن تنبت والرأس لاتنبت فحلق العالوغص لحيته قدام البترك واشترط عليه أن لايعود إلى بلاد المسلمين فقال عقبة ياملك الامر إليك وما بى إلا البيعة التى تحت دارى أخاف عليها تخرب فقال الملك لاتخاف ولابد لى مما أملك بلدك وبلد غيرك ثم فتح الخزائن وأخرج الأموال التى جمعت من أيام الهراقلة وأخرج الكنوز وأعطى الجند وأكثر اقطاعهم وأوسع أرزاقهم واستجلب قلوب الناس إليه ففرحوا به وداروا إليه من كل جانب ومكان وأطاعته سائر البلدان وكان يقول عن فرعون المجنون هذا عمى وحكمه كحكمى وهو الملك إذا غبت عنكم فقالوا الروم من رد المسيح عليه عقله كيف ننسى فضله ثم أن الفالوغص صبر إلى الليل وادعى بثلاثة من البطارقة وأمرهم أن يمضوا إلى أرمانوس ويخنقوه إلى أن يموت ويدفنوه ففعلوا ما أمرهم وخنقوه ودفنوه فى السجن فى مكانه فلما فعلوا ذلك وعلم أنه قد خلى وجهه منه كتب الى سائر الأقاليم ونادى فيها بالغزو وقال من تأخر قلعت شأفته وأريد يكون الاجتماع عند حصن يانس المتعزب ثم ضرب خيامه وأخرج أعلامه وكان قد صنع خمسون علم كلها على صفة واحدة وأرسل إلى العرب المتنصره وهم أربعون ألف وقال لهم خذوا أهبتكم للرحيل إلى بلاد الاسلام فقد أتانى الجاسوس وأخبرنى أن عسكرهم طالب حصن يانس وقد أمرت الملوك أن تلحقنى إلى هناك لأنى أريد أن أملك سائر البلاد ولا أترك فيها ملكا سواى ثم تجهز فى جميع عساكر القسطنطونية وسار يطلب حصن يانس وقد خرجت القسوس والرهبان ورفعت الرايات والأعلام وعقبة سائر فى أوائل الناس رافعا صوته بقراءة الإنجيل وهو أعور مقطوع الدقن إلا أنه يطرب بصوته الحجارة فبكى الفالوغص من طيب نغمته ودعابه وخلع عليه خلعة سنية لايجعلها إلا على بترك البتاركه وقال له أجعلنى فى حل حتى إذا رجعت أعطيك خزانة هرقل فقال أنت فى حل (قال الراوى) ثم سار حتى بقى بينه وبين الحصن ليلة

واحدة فقال عقبة معلوم أن عبد الوهاب قد أخذ الغنائم والأموال وكسر عسكر الروم وأهلك الرجال والساعة هو سائر على مهل وما يقول أنه قد بقى قدامه من يخافه وربما يلتقون بكم عند الحصن فيكون الحصن ظهر الهم ولكن أكمن فى هذه الطريق الكمنا لعلك تلتقى عساكر المسلمين قبل أن يصلون إلى الحصن فضحك الفالوغص وقال ياشيخ وحق المسيح لا أتركك تقعد إلا فى الحصن فقال عقبة أيها الملك ما أقدر أرد عليك كلام لأن ما بقى لى ذقن أخرى ولكن هذا الحصن قد عجزت عنه سائر الملوك لأنه حصن حصين وقد أعجز الهراقله فقال له سوف ترى ما أصنع ثم ادعى فى الحال بالعرب المتنصرة وهم أربعون ألف فاختار منهم خمسة آلاف وأخذ من البطارقة من الروم أربعة آلاف وكتفهم وأمر العرب المتنصرة فدارت بهم وادعى بفرعون وقد سماه الفارغياض وقال له أريد تكون أنت ياعماه على هذه العساكر من بعدى ثم تسير بها من خلفى على مهل وان لحقتك عساكر المسلمين فالقاهم وان لم تلحقك فسير من خلفى على مهل إلى الحصن فأنا أسير قدامك على عجل وأملك الحصن إلى أن تأتى فقال الفار غياض السمع والطاعة أنا وحق المسيح أقيم على الطريق حتى يأتون المسلمين وأرمى روحى عليهم وأفنيهم (ياسادة ياكرام) وقد ذكرنا ان هذا مجنون من الأصل وهو جبار من الجبابرة وولد مثل هذا الجبار وافترقا على هذا الوجه وسار الفالوغص إلى وقت السحر وقد ضربت بوقات عسكره السلطانية وضربت الكاسات الخليفتية ونادت العرب لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عقبه إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وسمع يانس ضجة العسكر فقال الأمير ورب الكعبة قد وصل وفتح باب الحصن ونزل فى وجوه بطارقته وقد أصبح الصباح فرأى أربعة آلاف بطريق مشدودة وخمسة آلاف من العرب المتنصرة دائرة بها فقال هذا عسكر الأمير ولكنى ما أرى من السودان أحد فقالت له العرب اعلم ان الأمير معه هذه المرة الغنائم والأموال وأسارى مالم يقع عليه أحصا بعدد الرمل والحصى وقد ضبط السودان منه خوفا من التبع ثم سرنا نحن بهذه الأسارى لنخفف عنه فلما سمع الأمير يانس ذلك انطلى عليه وأدخلهم فى حصنه وأنزلهم عنده وفى داره وفى دور أصحابه ونقل اليهم الطعام والعلوفات وأقاموا هؤلاء حتى جن الليل وغلقت الأبواب وتواثبوا مثل الدياب وفى أوائلهم الفالوغص وزعق عيسى ومريم فعندها قلق القائم واستيقظ النائم وخرجت بطارقة يانس وكانوا ثلاثة آلاف بطريق فقاتلوا قتال عن الحريم وصبروا صبر الرجل الكريم وبسطت السيوف الحداد وزاد الليل سواد وأنكر كل واحد أخاه ولم يعرف أعدائه من أصدقاءه وبطارقة يانس

قد جعلوا الأشعار بينهم توحيد الواحد فى أرضه وسمائه تعالى ربنا وتقدست أسمائه وهاج الفالوغص كما يهيج الجمل وجعل يصدم الرجال صدم الجبل والذى لايقدر على أسره بجزره بالسيف فلما أصبح الصباح ملك الحصن وملك كلما فيه ورأى عقبة ذلك فقال يابردها على كبدى ثم أتى على يانس وهو فى الشد قبل أصحابه لأن أول من أسره الفالوغص فقال له عقبة كيف رأيت يا كافر يامن يعتقد ان المسيح مخلوق فقال يانس ياملعون أعطانى كما يشاء ويريد ويحكم على الموالى والعبيد فلا اعتراض عليه ولا منجا منه الا اليه فقال له أين شومدرس الذى حبسه البطال عندك فقال فى الجب فى حاله فمضى عقبة يدور عليه حتى وقع عليه وأخرجه وقد بقى مثل الخلال أو كشبح الخيال فلما رأى عقبة ونظر اليه عادت روحه إلى بين جنبيه وجعل يقبل صدره ويديه ويسأله عن الحال فقال ويلك هذا ملك جديد قد ظهر واسمه الفالوغص يعمل عمل الجبابرة ويجاهد على المسلمين بنية صادقة وقد قتل أباه ارمانوس وملك من المسلمين خلقا لايحصى فقال شومدرس وحق المسيح مادام أنت معه لايبصر قط خير فقال عقبة ويلك ياكلب أنا لك فى شىء وأنت لى فى شىء فقال لا وحق المسيح إلا من أجلك وقعت فى هذا المكان أجلد الليل والنهار فقال الساعة استوفى من يانس ثم سار اليه وبطحه قدامه وجعلوا الملاعين يضربوه حتى غاب رشده ثم سحبوه إلى السجن ثم عادوا إلى الملك يهنوه بالفتح والنصر فقال عقبة له سعد جدك وهلك معاندك وضدك ودام المسيح تأييدك ونصرك فأنت صاحب الفتوح فلا زالت بركات المسيح تغد وعليك وتروح (قال الراوى) ولما تضاحا النهار أشرف على الحصن غبار قد علا وتار فتحير الفالوغص وفزع على عساكره الذين خلفه مع أبيه الفارغياض وقال ياقوم هذا غبار فابصروا ما هو ثم بعث بطريقا من خواصه فغاب ساعة وعاد يركض وقال ابشر يامولاى هذه الأموال التى أخذها عبد الوهاب من الكسره ردها المسيح علينا ومعها الف فارس من الأكراد سائرين إلى آجالهم ففرح الملعون فرحا شديداً وجد فى قتال الروم (قال الروى) وكان الأمير عبد الوهاب لما نظر إلى العساكر الذين قدامه بتاع الفالوغص سير هذه الغنائم إلى حصن يانس حتى يستريح من صداعها وخف ظهره منها فلما نظر عقبه ذلك قال اعلم أيها الملك ان يانس كانت عادته إذا نزل عنده أحد من العسكر من المسلمين أو ممن يتعلق بهم ينزل اليهم الاقامات والعلوفات والطعامات فافعل أنت كذلك حتى لاينكر أحدا من أمرك شيئا فاذا أتى الليل وناموا وربحوا خيولهم انزل وخذهم قبضا بالكف فلما سمع الفالوغص هذا الكلام أعجبه رأى عقبة وقال وحق المسيح ما أنت إلا رحمة ولكنى ما عرفت قدرك وأما الأكراد

فانهم لما قربوا للحصن أنفذوا كلما كان معهم مع عشرة فوارس ثم نزلوا الباقين فى مرج العين تحت الربض فلما وصلت الأموال وطلعت الحصن تسلمها الملعون بلا طعنة ولا ضربة وقبض على العشرة الذين أتوا مع السبي وأمر العرب المتنصرة فانزلت الاقامات إلى سائر الأفراد فأكلوا وعلقوا على خيلهم وهم لايعلمون ماخبى لهم فى الغيب حتى إذا جن الليل ركب الملك فى ألفين ونزل اليهم وقبض عليهم عن بكرة أبيهم وعاد بهم إلى الحصن وهم لايعلمون ما الخبر فلما أصبح الصباح قال الملك لعقبه أيها الشيخ قد رأيت على رأيك البركة وقد نذرت أننى لاأخالفك فما الذى ترى تعمل فى هذه الاكراد فقال عقبه اعلم أننى ماأشير عليك بشور إلا وفيه رضى المسيح والصواب عندى قتلهم وقتل كل من وقع فى يدك حتى تقع الهيبة فى قلوب الخلفاء والسلاطين وأمر بضرب رقاب الكل فضرب رقابهم ورميت إلى بر الحصن وعقبه يقول هذه معاندة للسلمين فعند ذلك جلس الملك فى طيارة فى أعلا الحصن وكانت ليانس يتفرج فيها وهى نزهة الدنيا ثم نقلت اليه الموائد وعليها الخنازير المشوية وجلسوا البطارقة والعرب المتنصرة للأكل وأحضروا بعد ذلك المدام وعقبه إلى جانبه يحدثه بفنون الكلام والحكم وكان الفالوغص قد قرأ شيئا من الأدب وتعلم الخط وحفظ أشعار العرب وجعل عقبه يحدثه وأخذ بمجامع قلبه وقد أعجبه الحصن وعول على المقام فيه وأن يستخلف فى القسطنطونيه غيره (قال الراوى) فبينماهم كذلك وإذا بغبار قد علا وارتفع وتقطع ساعة وظهر من تحته خمسون فارس مثل الأبالس فركبت البطارقة حتى وصلت إلى الخيـــل المقدمة وسألوهم عن حالهم فقالوا نحن من عسكر الفارغياض وقد التقا مع الأمير عبد الوهاب وحل بنا العذاب وقطعت من أصحابنا الرقاب وأبادوهم بنى كلاب وقد بعث الفارغياض إلى الملك الفالوغص ينظر ما كان منه ومن حديثه لأن قلبه مشغول بسببه فقالوا البطارقة لهم قولوا للفارغياض ان الملك الفالوغص قد ملك الحصن وأخذ الغنائم وقتل الاكراد ففرحوا وصعدوا إلى الحصن وعرفوا الملك الفالوغص بما جرى فصعب عليه وأنفذ اليه خمسة آلاف من العرب المتنصرة التى كانت عنده وقال لهم قولوا له أن يطاول المسلمين بالبراز حتى تقدم العساكر الذين كاتبتهم من القسطنطونيه وأسير بها اليه لأننى قد وافقت الملوك أن تجتمع إلى هذا الحصن وقولوا له قوى عزمك على اللقاء فليس الجلوس على أسرة الملوك رخيص ويكون بينك المال والجوهر النفيس ثم التفت إلى عقبه وقال أيها الشيخ النجيح أريد أن تخلفنى فى الحصن حتى أذهب إلى العساكر وأدبرها لأنى أعلم أن عساكرنا بلا مدبر وما لها إلا أنت فقال أيها الملك مالى بخت فى العساكر إلا أن تكون فى الدور والقصور فقال ولم ذلك فقال لأنى ماأريد الصلح

بالمسلمين ولا أبصر وجوه الموحدين فقال الفالوغص ان هذا دين عظيم وزاد قدره عنده (قال الراوى) و بعث العسكر إلى أبيه وأقام ينتظر الملوك والعساكر ان تجتمع من الأقاليم فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه لما أشرفت غباير عساكر الفالوغص بعث الغنائم و الثقل إلى حصن يانس كما ذكرنا مع الف فارس من الاكراد وتأهب للقاء الروم وقد وقعت العين على العين وزعق الفارغياض وحمل واتبعته عساكر الروم وارتفع الصياح فعندما مدت بنى كلاب الرماح واشتهرت بالصفاح وزعق الأمير وحمل وهو من أمره على عجل وحملت الأميرة ذات الهمة واشتبك الضرب والطعان وقبلت الروم الصلبان واستغاثوا بالمسيح ومريحنا المعمدان وضجت المسلمون بتلاوة القرآن وبذلوا نفوسهم فى طاعة الرحمن ورمت الحرب شرار النيران وحجبت الشمس من شدة الغبار فلم تدرك بالعيان وكشرت الشجعان عن أنيابها وخاطرت برؤسها ورقابها وشربت الأرواح كاس عذابها ووقعت من شدة الصدام على أجنابها ونفذت الرماح فى صدور رحماتها ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل من مبلج الأسحار إلى وقت الاصفرار ودام الحرب حتى انسدل الظلام بالاعتكار وولت جوهرة النهار وانفصلت العسكران وقد ضربت لها الخيام (ياسادة) وهمت الروم أن تنزل فى الخيام فصاح فيهم الفارغياض وقال ياويلكم لاتنزلوا عن الخيل ولا تدعوهم يأخذوا راحة فى ظلام الليل وعودوا اليهم حتى ينزل بهم الويل (قال الراوى) وكان الملعون قد عمل فى ذلك اليوم مالا يعمله غيره وقتل من المسلمين خلق كثير لأنه لما صاح بالبطارقة وأمرهم بالقتال فى ظلام الليل قالوا وحق المسيح ياملك مافينا إلا من قد تعب اليوم من ضرب الحسام وهلك أكثرنا من ضرب هؤلاء العرب اللئام فقال ياويلكم انتم أضعافهم وتشتكون منهم احملوا والا غضب عليكم المسيح فقالوا ادع يغضب أيها الملك أو يرضى فما فينا من يقدر فى الليل على قتال السودان والعرب الشجعان فلما سمع الفارغياض هذا الكلام انقلبت عيناه وظهر جنونه وضرب من خيارهم عشر رقاب وقال لهم وحياة منسيه التى أبرت جنونى وقرت بها عيونى ائن لم تقاتلون غير الليلة لأضربن رقاب مقدميكم (ياساده) فلما سمعوا ذلك خافوا من سطوته وحملوا وعلى القتال عولوا وكانوا المسلمين قد نزلوا ولم يبق راكب إلا الأمير عبد الوهاب وعشرة من الأمراء الأنجاب وكانوا عزموا أن يرتبوا الحرس ولما رأوا الروم وقد عادوا إلى القتال صاحوا بالرجال فثاروا على مابهم من التعب والكلال وكشف الأمير رأسه واشتد بأسه وقد زعق يا آل حام يا آل حام فأجابوه عند غياهب الظلام وركبوا الخيل وطاروا فى ظلام الليل واختلطوا بعساكر الروم وطارت الرؤوس من على الجسوم ونادت الروم ويماه من هؤلاء السودان الذين

هم فى لون الظلام الأسود يقاتلون ولا نرى منهم أحد فلا غفر المسيح لهذا الأسود اللملمات ولا لهذا المجنون الفارغياض الذى أبلانا بقتال من لا نراه هذا والسودان تزعق وتضرب فى الرقاب ضرب الجنق وقد انقلبت منهم الحدق وفاح صنانهم وعبق وعرقبوا الخيل فى الطول والعرض وملئوا بالقتلى فسيح الأرض ولم يزل القتال يعمل إلى وقت السحر وفاض الدم وانهمر (قال الراوى) وأشد ما كان على الناس فى تلك الليلة الملك الفارغياض لأنه لم يقف تلك الليلة تحت الأعلام مثل ماتقف الملوك كان فى أوائل عساكر الروم مثل الأسد الهجوم ولولاه فى وجه عسكر الاسلام كانت الروم عولوا على الانهزام ولما كان وقت السحر وقع به الأمير عبدالوهاب فى معترك الضراب وانطبقا مثل الجبال ودام بينهما النزال وما فيهما من عرف صاحبه بل يطاعنه ويضاربه حتى انفجر الفجر وبدت غرة الصباح ومالت الأبطال من شدة القتال كما يميل شارب الراح وأكثرهم قد اثخنوا بالجراح وافترقوا عند طلوع الشمس بعضهم عن بعض وقد امتلأت بالقتلى جنبات الأرض ورجع الأمير عبد الوهاب من قتال الفارغياض وهو مجروح لأن الملعون ضرب الأمير ضربة مشبعة فما وصل اليه غير ذباب السيف فجرحه فى عاتقه وعاد كل واحد منهما عن صاحبه وقد قتل من الطائفتين خلق كثير والأكثر من الروم إلا أنه لايبان فيهم لكثرتهم لأنه فى خمسمائة ألف غير الأتباع لأن كل واحد من العسكر له خادم والخادمين والعشرة والمائه وهم أصحاب الرايات وقواد العسكر فانظر الى هذا الخلق كم كانوا فسبحان خالقهم ورازقهم أين ماكانوا وبان النقص فى المسلمين لأجل القلة (قال الراوى) ونزل الناس فى الخيام واستراحوا حتى برد الهوى فصاح الفارغياض بالعساكر فركبوا وتأهبوا للقتال ونظرت الأميرة والأمير عبد الوهاب فقالوا ماهذا إلا شيطان لايمل من القتال ولا يشبع من النزال ثم صاحوا فى الناس بالركوب واستغاثوا إلى علام الغيوب وركبت عساكر الإسلام مقابلة عساكر الروم اللئام ووقفوا ينظرون من يفتح باب الحرب وإذا بالروم قد ترجلت إلى الأرض من على ظهور الخيل وكذلك الرهبان والشمامسه والمطارنة والأساقفة وتقدموا الكل إلى الميدان وبينهم فارس يعظمونه ويرفعوا قدره ويبجلونه وهو راكب على جواد أبيض قرطاسى صادق البياض يسبق مرامى النقط ويفوت البرق إذا برق من الشرق عليه تخافيف حرير والفارس من فوقه مثل البعير وعليه تنور من الذهب قد اشتعل والتهب وهو متقلد بسيف قد سقى بماء الغضب يقطع الحديد واللبب وفى يده قنطارية كأنها صارى مركب وفيها سنان عريض مكعب وعلى رأسه بيضة مطلية بالذهب تمنع من كل سبب (ياسادة) وكان هذا الفارس هو الفارغياض وقد خرج لينجز

أمر الحرب بنفسه ويفتخر على أبناء جنسه فلما صار فى وسط الميدان أمر بالبطارقة أن تعود إلى ظهور الخيل وبعث رسول يقول معاشر المسلمين سلموا نفوسكم وأريحوا أرواحكم واعلموا أن هذا الملك قريب العهد من المسيح وهو الذى أبراه من الجنون ووعده بملك البلاد وعن قريب يكون وقال له أنت ملك الأرض والفلك إلى عندى وتقر منك العيون وقد بعثنى اليكم لأجل مافى قلبى من الرحمة عليكم لأنه قد عول على هلاككم ودماركم بعد اعذاركم وانذاركم على أن الفالوغص قد خلص أبيه أرمانوس ولم يرضى به ملك فقتله فقال الأمير عبد الوهاب للرسول ويلك وأين هو أبيه أرمانوس فقال قد أصبح سرير عزه منكوس وقد ذبح فقال الأمير عبد الوهاب ومن قتله فقال ولده الفالوغص الذى هذا الملك المسمى الفارغياض من قبله فاستسلموا بين يديه فلما سمع الأمير ذلك قال ما أعجبنى مافعل مع أبيه ثم رد الرسول بالذلة والخيبة بعد ماصاحت عليه السودان ثم قال الأمير من يبرز إلى هذا الشيطان فقال اللملمان أنا لأنى سمعت أنه كان مجنون وأنا الآخر مجنون ماهديت من الجنون ثم صاح بجواده فخرج مثل البرق وكان جواد مطلاق بقوائم دقاق مليح الأحداق فلما رآه الفارغياض قال هــــذا من عندهم قد أخرجوه إلى حفوة بى وأظنهم يحسبوننى مثل من لاقوا من الروم (قال) فعندها حمل الفارغياض عليه وهو كأنه برج مشـــيد فالتقاه اللملمان كانه سد من حديد فكانوا كانهم برجين تلاطما أو جبلين تصادما ودام بينهما الضراب وأظهرا عجائب الحرب وحجبهما الغبار عن أعين الفريقين وامتدت لهما العين ولم يزالا فى القتال حتى نودى فى القبائل بالارتحال وانفصلا عن المجال وتعاهدا أنهما يعودان الصباح للحرب والكفاح هذا والأمير عبد الوهاب لايصدق يلقى اللملمان لما رآه فى الميدان وقال له كيف رأيت خصمك فقال له ياأمير ماهو إلا عزيز الطلب بعيد المطلب ولقد خفت على نفسى منه فى آخر النهار (قال الراوى) وأما ماكان من الفارغياض فانه لما عاد من الميدان تلقته القسوس والرهبان إلى أن وصل إلا سرادقه وأوقدت النيران وتحارس الفريقان وخرج الأمير عبد الوهاب إلى الحرس بعد أن قال لاتكونوا إلا على يقظة مخافة ان يكبسكم هذا الملعون ثم قسم العسكر فرقتين فرقة تحرس وفرقة تنام وأما ملك الروم فانه قال للبطارقة اعلموا أن العرب ماينامون عن أخذ ثارهم وربما يهجمون عليكم فتكونون واحدة بواحدة (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يظفر أحد منهما بصاحبه فهما كذلك وإذا قد خرج فارس من العرب المتنصرة وعليه فروة مقلوبة وهو على حجرة عربية منسوبة حافى الاقدام على جسده ثوب من الخام وعلى رأسه قلنسوة حمراء من قلانس العرب وفى يده رمح مكعب وفى ذلك الرمح خمسة أوصال مشددة بالعصب وأن الفارس لم يزل

حتى وصل إلى اللملمان وصار معه فى وسط الميدان ثم قال للفارغياض هكذا تكون الملوك أعطينى أقطاع كثير حتى أكون عونا على أعداك ثم جرد سيفه وهو متعلم من غمده خلق وحمل على اللملمان وهو يقول ياابن السودان أرحل إلى رعيك الجمال فى البيداء ولا تقاتل الملوك العظماء ثم أطبق عليه ولو أراد قتله لفعل وإنما طعنه بعقب الرمح وإذا به مجندل والبدوى يقول نحن لانرضى أن نلطخ سيوفنا ولا نسقيها بدم السودان وإنما نبارز الاقران الذين نفتخر بهم على طول الزمان ثم نادى يامعشر المسلمين اخرجوا لنا السادات ودعوا عنكم الرزالات فخرج منه الطائفتين وقالت العرب المتنصرة المسيح يجعل لنا الفخر بهذا الغلام (قال الراوى) فخوحوا اليه الأمير توريز ابن اشبادرون الكردى وكان فارسا لايطاق وعلقما من المذاق وهو أمير من أمراء الاكراد وشجاع مذكور فى أقطار البلاد فخرج على جواد أشهب عالى شديد العصب فى بياض الثلج إذا انتثر يشبه جريان البحر إذا زخر (قال الراوى) وبيده رمح أتم من الرماح وعليه سنان مثل المصباح مشتاق إلى شرب دما الأرواح (ياسادة) ولما وسط الكردى إلى وسط الميدان نادى دونك ياشلح العرب والطعان فاليوم تفقدك الصلبان وتذوق طعم غضب الرحمن فلما رآه البدوى المتنصر وسمع مقاله ناداه سوف تعلم من الثلج الذى يعرف والبطل الذى يوصف وأنا ماأقتلك حتى أواقفك على هذه الكلمة ثم حمل عليه وجاوله وقاربه وداناه وطعنه بعقب الرمح أرداه وعن جواده رماه وعفى عنه بعد القدرة عليه وقال له قم فقد وهبت لك نفسك حتى تعلم أننى ماأنا شلح من الشلوح وغدا تعرفونى من أنا إذا أخذت عبد الوهاب وكسرت العسكر ولا بد أن تشهدون لى بذلك عند الفالوغص ليعطينى ماأصلح به حالى وأعود إلى أهلى فقالوا السمع والطاعة ياوجه العرب هذا جرى وأما عسكر بنى كلاب فان ميمون الجماس قال لعبد الوهاب أعلم ياأمير أننا فى بلاد العدو وكل يوم تزداد الروم علينا وتقصد إلينا والصواب اننا نتفرق من جوانب الروم ونكبسهم وأكون أنا وسودانى من ورائهم ولا تعرفون هزيمتهم إلا منى فقالوا بنى كلاب نحن نكون عن أيمانهم وشمالهم فقالت السودان هذا هو الصواب فقالت الأميرة والأمراء افعلوا مابدالكم وقدموا بين أيديكم النية الصادقة واجعلوا قلوبكم متوافقة ثم تقسموا على هذا الترتيب وركبوا الفرس والنجيب وما أحسوا الروم إلا والصياح قد أخذهم من كل جانب وعملت فى أطواقهم القواضب وقام القاعد وانتبه الراقد وبذلت السودان صفاحها وأعلنت بصياحها وكان الرجل يضرب أخاه وأباه وولده وأقرباه لأنه يتخيل فى ظلام الليل من شدة الغبار والغيم ونزلت السيوف فى القمم وتعترت البطارقة باطناب الخيم ورأت الروم

البلاء من كل جانب وقد نزل فيها وخيم فولوا منهزمين وإلى حصن يانس طالبين لأنهم علموا أن الملك فيه ولم تطلع غرة الصباح وضاء النهار ولاح وقد بقى من الكافرين ديار ولا نافخ نار وحازوا المسلمين غنائم الكفار والأموال والاسلاب والرجال وقال الأمير ما طلبت الروم حصن يانس الاسعادة لنا حتى يكون يانس المتعزب من بين أيديهم ونحن من خلفهم فلم ينفلت منهم أحدا ونضيف الغنائم بعضها إلى بعض ثم ساروا فى أثرهم وأما المنهزمين فانهم لم يزالوا فى الجد والكد حتى وصلوا إلى البلد وكان أول من التقاهم عقبه وسألهم عن حالهم فاخبروه بما جرى من الكبسة وما تم عليهم من الكسرة فقال لهم والملك الفالوغص هل ثم عليه أمر فقالوا ما رأيناه فقال بل قد مضى من عندى من الحصن وقد لبس فروه مقلوبه ومعه سيف خلق الغمد ورمح مشدود بالعصب فقالوا صدقت وحق المسيح أيها الشيخ النجيح ولقد فعل فعال حير بها الأبطال ولولا المساء أدركه كان أخذ عبد الوهاب وانما نحن أهملنا أمرهم وأطرحناهم وقلنا انهم ضعاف ونمنا عن طمأنينة منا فنزل البلاء منهم علينا وهجموا فى الظلماء علينا وأبادونا السودان بسيوف الفناء فقال لهم شومدرس وكان معهم اللملمان فقالوا وحق المسيح لقد قدر عليه الملك وهو فى زى البدوى ولكن جاد عليه بنفسه وأطلقه (قال الراوى) وهم فى الكلام وإذا بغبار قد تار وطلع عليهم وظهر من تحته فارس وهو للدماء لابس فتبينوه وإذا به الملك الفالوغص فتقدم اليه عقبه ودعا له وقبل يده فقال الفالوغص لأبيه الفارغياض كيف توانيت عن حرس العسكر وحفظه حتى كبسوه المسلمين فقال هذا جزاء من أطرح حقير ولو كان طفل صغير وهم كذلك وإذا بغبار قد علا وقتام قد نما وصياح قد ملأ الدنيا من ضجيج أمة محمد المصطفى فقال الملك الفالوغص هذا عسكر المسلمين قد وصل فخذوا أهبتكم وأشهروا عدتكم ولا فيكم من يعول على الهرب اضرب رقبته وأعجل منيته (قال الراوى) وكان الامير عبد الوهاب لما رحل بعسكره بعد الوقعه وصار يطلب الحصن وقد التقى فى طريقه براهب من الرهبان الذين للقسطنطونية فلما أبصره البطال وهو يمشى على عجل قبض عليه وقال له من أنت ومن أين أقبلت (قال) أما قدومى فمن حصن يانس وأنا ماضى إلى دير الصليب فقال البطال أصدقنى فى أمرك والا ضربت رقبتك فاعلمه الراهب أن الحصن قد ملكه الفالوغص وقتل رجاله وأسر أصحابه وكيف قدمت الاكراد بالغنيمة وأخذها الملك منهم وأهلكهم جميعهم برأى عقبه والراهب والبطريق يانس يقاسى العذاب وعقبه يصحبه كل يوم بالعقاب (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك قامت عليه القيامة وقال والله العظيم لقد كان حصن يانس معقلا لأهل الإيمان والله

لا برحت من هذه الأرض حتى أخلصه وأعيده اليه ان شاء الله تعالى فقال له الأمير أبو محمد افعل ماشئت وفقك الله تعالى والله لا كان خلاصه الا على يدى وعلى الله الكريم معتمدى ثم لبس ثياب الراهب الذى التقاه فى الطريق وعلق على وجهه لحيه كلحيته وكان اللملمان قد ضربه طير رقبته وسار بين يدى عسكر المسلمين وهو يقول والله لقد بلغ الملعون عقبه من يانس وحصنه ما أراد ولم يزل سائر حتى أشرف على عساكر الروم وقد أظهر الخوف والفزع والجذع فلما رآه عقبه لم يعرفه بل قال له ياعبد المسيح أراك قد عدت من قريب وقد كنت قلت لك تمضى إلى دير الصليب وتدعى للملك الفالوغص بالنصر وتزور الدين هناك من الرهبان فقال أبو محمد أيها الشيخ النجيح بارك فى عمرك المسيح التقونى فى الطريق عساكر المسلمين وأرادوا قتلى ولو أننى هربت منهم فى الليل وهم خلفى وما عدت الا حتى أشتفى من صاحبهم يانس وأعذبه كما عذبونى فضحك عقبه من كلامه ثم قال له ادخل إلى الحصن وافعل به ما تريد فعندها طلع أبو محمد إلى الحصن ونزل إلى يانس كانه يعاقبه وقال له ابشر بالفرج فانا أبو محمد البطال وقد توصلت حتى صرت عندك لاعمل على هلاك الروم وخلاصك وخلاص أصحابك (قال الراوى) فلما سمع يانس كلامه فرح وقال اعلم ياأبو محمد انه لا يكمل ايمان المؤمن حتى يرى لأخيه المؤمن ما يرى لنفسه وأنا ما يطيب لى الخلاص وأصحابى فى الاسر على ما ترك عقبة منهم الا تسعين نفس لاغير والباقين قتلهم وأشار على الملك بهلاكهم فبكى الأمير أبو محمد وقال يفعل الله ما يشاء ولعل بهؤلاء التسعين افتح الحصن ان شاء الله تعالى ثم فك قيودهم وجعل ينقل اليهم العدد ذلك اليوم وتلك الليلة حتى أصبح الصباح وقد حصل عندهم جميع ما يحتاجون اليه (قال الراوى) وكان عقبه لعنه الله قد عاد إلى الحصن وهو فرحان بخراب يانس وملك حصنه وهو يقول هذا الذى كان السبب لهلاك الروم وفسادما كنت أعمل من الحيل ولا بدلى مما أقتله ولو قتلت بعده حتى أبصر ما يكون فى غداة غد من عساكر الاسلام وهى كما أرى قد وصلت وحول الحصن قد نزلت فقال الملك هذا أمر ما نبالى به لأن الحصن منيع رفيع ونحن فى عسكر كثير وفى هذا القرب تصل إلى عساكر الروم من سائر الآفاق والأقطار لأنها ما بقيت تبطىء أكثر من هذا وربما وصلت غدا ففرح عقبه بذلك وبات فرحان إلى الصباح وعول الملك على النزول وإذا بالغبائر من سائر الجوانب قد طلعت والضجات قد ارتفعت وجساكر الأقاليم قد وصلت وأقبلت تركض بخيلها حتى ظن الناظر أن الأرض قد تزلزلت وأقبلت الملوك على رؤسها الصلبان من كل جانب ومكان فلما نظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك ركب وركبت سائر بنى كلاب

والسودان الانجاب ونظر الفالوغص إلى ذلك ففرح بطاعة الملوك له ووصولهم إلى خدمته ودعا بعقبه وقال له اطرح يدك على رأسى لتعود بركتك على فاننى قد عولت اليوم أظهر لهؤلاء القادمين شىء من شجاعتى حتى تقع فى قلوبهم هيبتى وأبارز الأمير عبد الوهاب وسائر الأصحاب من السودان وبنى كلاب وحق المسيح لا فعلن فعال تتحدث به أهل الأمصار فجعل عقبه يمسح بيده على رأسه، ويقول حصنتك بالأربع أناجيل وتركت عن يمينك وشمالك مركوكيس وحزقيل ثم قال اخرج أيها الملك والتق أهل الأرض ولكن اترك عندى فى الحصن ألف فارس من البطارقة لأنى ما آمن غوائل المسلمين وأن يكون أحدهم عندنا فى الحصن لاسيما البطال لأنه لا يغفل عن يانس ولا يقعد إذا سمع أنه فى العذاب فترك عنده الف فارس وأوصى عقبه أنه لا يفتح باب الحصن ولا يخرج وخرج إلى العساكر فاستقبلها وتركها كلها من وجه واحد وجعل يرتبهم للقتال وعقبه قد غلق باب الحصن ثم طلع إلى الصور ينظر ما يجرى هذا وأبو محمد قد رأى ذلك فقال ليانس وأصحابه اعلموا أننى كنت معولا أن أترك الروم حتى يخرجوا للقتال ويخرج الملك فى البطارقة والأبطال ويخلوا الحصن من الرجال وأخرجكم تملكون الباب وتمكنون السيوف من الرقاب والآن فقد فعل عقبه لعنة الله ما فعل وما كان فى حسابنا الذى فعله هذا الكلب وقد أصعد اليه ألف بطريق فكيف ترون هذا الحال وما أظن فيكم لهؤلاء الرجال فقال يانس الرأى عندى أن تصبر إلى أن يشتبك القتال ولابد لهؤلاء الملاعين أن يطلعون من الحصن إلى الأسوار لينظرون الغالب من المغلوب ويبقى وسط الحصن خالى فنزعق نحن ونملك الباب ونتوكل على رب الأرباب فقال أبو محمد ماهذا صواب لأننا لو زعقنا ينزلون الينا ويتكاثرون علينا ويزحفون إلى عساكر الروم فنأخذ من ساعتنا فقال يانس فكيف الرأى فقال أبو محمد ندع القوم إلى الليل ونسرق المفاتيح وإذا جن الليل لابد لعقبه مايخرج أو يرسل أحداً إلى عند الملك أو يجىء من عند الملك أحداً إلى الحصن ونكون نحن قد خلصنا جميع مانحتاج ثم بعد ذلك نرسل واحداً إلى الأمير عبد الوهاب يأتينا بعشرة من الأمراء المذكورين الذى كل واحد منهم يعد بألف فارس وتكونوا أنتم واقفين وأيديكم على قوائم سيوفكم فتملك الحصن ان شاء الله تعالى ونأخذ عقبه لعنه الله (ياسادة ياكرام) هذا والملك مع المسلمين فى الحرب الشديد وقد نزلت السيوف فى المقاتل حتى لانت من تحت حوافر الخيل الجنادل وكانوا بين مقتول وقاتل ومشغول وشاغل ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى الظهر وافترق الناس بعضهم من بعض وقد امتلأت بالقتلى وجه الأرض ورجع الأمير إلى مكانه ولكن

القوم فى قلوبهم هيبة عظيمة من ملكهم وإذا كان السلطان شجاع مناع كانت الأصحاب مثله ولقد رأيت فارس من الروم على أصفر وعليه كار غندر قد انغمس فى الذهب الأحمر والروم به محدقون وعليه مشفقون وقد اتكأ فى الأبطال وما أظنه إلا الملك فقالت الأميرة وأنا رأيته وصادمته فى الحرب ورجوت أن أصل اليه فما وجـــدت إلى ذلك من سبيل وطلبت الخلاص منه فقال الأمير فالله يعيننا عليه وعلى غيره ومع هذا فان قلبى مشغول بالأمير أبو محمد وما أدرى ماكان منه ومن يانس فوالله لو ذهبت أنفسنا وأموالنا فى خلاص يانس ماكان كثير لانه له علينا حقوق لانقدر عليها فقالت الأميرة ما أبطأ خبر أبو محمد الا وهو منتظر أمر من الأمور فالله ينجح مسعاه ويبلغه مناه فهذا ماجرى هاهنا (وأما ماكان) من البطال فانه أقام إلى الليل ينتظر خلسه وكان عقبـــه أمر بفتح باب الحصن وخرج إلى عند الملك ليلا وهناه بالسلامة وقال له أيها الملك إنى وزنت اليوم العسكرين من فوق الصور فوجدت عسكرك أوفى عدد وأكثر مدد وأصبر جلد وأنت فمافى الملوك مثلك أحد فالمسيح ينصرك على أمة محمد فقال الفالوغص ففى أى شىء خرجت أنت من الحصن مع علمك أن المسلمين لصوص تعرفهم وسراقين تخافهم فقال من شدة فرحى لك ما قدرت أفضل إلا أننى أعجبنى صبر عسكرك اليوم لأنهم وقفوا بين عسكر الأسود الذى ما وقف بين أيديهم أحد لاملك من ملوك الجاهية ولا هرقل من الهراقلة وان رأيت أن تـكبس عسكرهم الليلة وفى هذا الوقت فافعل فقال الملك ما هذا ارجع أنت إلى موضعك فما بقى لك عقل ولا تدبير ولا وصل حديث الملوك إلى مثلك فاشتغل أنت بالدعاء للناس فى الكنائس فوحق المسيح لايفعل هذه الفعال من له دين وإنما بينك وبين هؤلاء العرب من الكياد فتطلب هلاكهم ولاشك إنك لادين لك ولا مذهب وإذا بلغت غرضك لاتبالى بمن هلك من أهل دين النصرانية أو من أهل دين الحنيفية فارجع إلى الحصن وإلا ضربت رقبتك فرجع عقبـــة وهو يرتعد ويدعى عليه بالقصف حتى دخل إلى الحصن وغلق الباب (قال الراوى) وكان أبو محمد البطال كما ذكرنا قد فرغ من شغله وحصل كل ما يحتاج إليـــه واوقف يانس واصحابه على قوائم سيوفهم وقد عولوا على لقاء الالف الذين فى الحصن وهذه قلوب المسلمين الصابرين ويانس يقول اللهم بلغنى مقصودى حتى أشتفى فيه بما فعل بى وبالمسلمين ولما دخل عقبة تلك الساعة فادعى الرجال وقال لهم أعلموا أن الملك غضب على خروجى من الحصن وأوعانى بالاحتفاظ وهو معذور فى ذلك الآن لأن المسلمين لاينامون عنا فكونوا على اليقظة فى هذه الليلة ففى غداة غد ينفصل الملك من عدوكم ثم قسمهم نصفين

فترك خمسمائة فى الحصن وخمسمائة على الأصوار وقد اطمأن ودخل على مجلسه وقال لغلمانه افرشوا لى فاننى الليلة متنكس من صباح الملك علىَّ ولى هذه السنتين ما مرضت وأخاف أن يكون هذا مرض الموت (قال الراوى) ثم نام عقبة وهو آمن ولم يعلم أن أبا محمد البطال إليه كامن وكان يانس هو وأبو محمد قد صمموا على قتل عقبة حالا وقالوا ان الأمير ان وجده فى الحياة ما يقتله ويرجع الملعون يخلص من أيدينا (قال الراوى) فلما تنصف الليل ونامت العيون خرج يانس والتسعين رجل من أصحابه ووقفهم وسط الحصن والبطارقة نيام وهجم أبو محمد على عقبه قبل كل شىء فأوثقه كتاف وسدفه بأكزه وحمله على قفاه وكان يانس قد لحقه من فزعه عليه فقال له إلى أين تذهب بهذا الملعون فقال نرميه فى الحبس الذى كنت فيه يعنى يانس وإذا تفرغنا من الأعداء وفتح الله على أيدينا الحصن قتلناه ولا يعلم بنا أحد فقال يانس صدقت أيها الأمير إلا قبل ما نصيح خذ المفاتيح وافتح باب الحصن حتى أخرج من أصحابى واحد يمضى إلى عبد الوهاب ويخبره بالقصة لعله يرسل إلينا من الأمراء المذكورين ولو عشرة رجال ابطال يكونوا لنا عدة ويكفونا مؤنة هؤلاء الالف الذين فى الحصن ثم أرسل واحد من أصحابه إلى الامير عبد الوهاب يخبره بالقصة ويقول له اغتنم الفرصة فسار الرجل حتى وصل إلى الأمير وأعاد عليه جميع ما جرى وبشره بسلامة يانس فبكى الأمير والأميرة وسائر الأصحاب وقالوا والله يعز علينا والله ما جرى على يانس وأصحابه وحصنه ولكن الليلة نأخذ الحصن إن شاء الله تعالى وكل من فيه ويكون ذلك سببا لانكسار ملك الروم ثم قال لأصحابه اعتدوا عشر رجال أجلاد وكل واحد يريد لرأسه ألف وأنا أولهم ثم قال للأميرة كونى أنتِ الليلة مستيقظة وإياكِ أن تبطلين الحرس فان هذا الملعون الفالوغص ما ينام وله عادة يكبس الجيوش فى الظلام فقالت السمع والطاعة فقال ضيغم يا أباه وأنا أكون الثانى من العشرة فقال سعيد وأنا الثالث فقال ميمون وأنا الرابع ولم يزالوا كذلك حتى عدوا عشرة من المجاهدين والأمراء وخرجوا من العسكر ومعهم السيوف والعدد والخناجر والعمد وداروا من وراء عسكر الروم ولم يعلم بهم إلا الله تعالى الحى القيوم ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الباب وإذا به مفتوح فتحا يسيرا كما خلاه الذى سار إليهم فدخلوا إلى الحصن وحصلوا داخله وأغلقوا بابه وفرح الأمير عبد الوهاب وقال هذه الليلة نتوكل على الله تعالى ثم أقبل على صاحب يانس وقال له اسرع إلى أبو محمد وقل له يلاقينا هو ويانس معه ولا يكلف أصحابه القتال فحسبهم ما قد لقيوه فى هذه النوبة ولكن يتسلموا الساكين ويذبحوا النيام إذا قاموا من نومهم وضعنا نحن

السيوف فيهم (قال الراوى) وبينما الامراء فى الكلام وإذا بأشباح قد أقبلت مثل الغمام وفى أيديهم العمد الثقال وهم قاصدين إلى القوم بغير ضجة ولا صعاق وإذا قد وقعت من فوق رؤسهم أوهاق والاحبال فى الرقاب وأتت لهم الرجال ساقوهم فى الحال، فقال الأمير لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هلكنا لامحاله ولم يزالوا سايرين بهم إلى المطمورة حتى وصلوا فمد الأمير عبد الوهاب عينه وإذا بأصحابه يانس المتغرب كلهم، أسرى فادار نظره فيهم على أبو محمد البطال فما رآه فقال والله ما هذه إلا قصة عجيبة. قد تمت ومصيبة قد أحكمت ولكن هذا بقضاء الله تعالى ولا مراد لما قضى ولا دافع لما أمضى ثم قال لصاحب يانس الذى أتى خلفهم ويلك أكفر بعد إيمان عملت علينا حتى سلمتنا إلى عبدة الصلبان فقال البطريق أيها الأمير وحق البشير النذير ما كفرت منذ آمنت ولا أشركت منذ وحدت ولا أدرى كيف جرى هذا الأمر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك حديث عجيب وكان من القضاء والقدر والأمر المدبر أن الملك الفالوغص لما زعق على عقبة وقال له من خلفت فى الحصن وصعد وهو ضيق الصدر كما ذكرنا لأجل غيظ الفالوغص قد أبهته ولم يعلم أيضا أنه كله ذلك الكلام إلا وقد عرف خبر من عسكر المسلمين (قال الراوى) وكان جاسوس قد وصل إلى الملك من قبل وصول عقبة وقال له أيها الملك كنت الليلة فى عساكر المسلمين وسمعت عبد الوهاب يقول لأمه قد اشتغل قلبي على الامير أبو محمد ولعل الله تعالى يفتح لنا الحصن ونخاص يانس ومن معه فو الله ان قلبي منه عليه النار (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك كمن حتى يظهر خبر البطال وقصد إلى الحصن وطلع إليه وهو متنكر قبل وصول عقبة وتسلل عليه فوجد البطال ويانس قد قبضوا على عقبة وهما سائرين به إلى المطمورة فامهلهم حتى عادوا وسمع حديثهم وكيف أرسلوا الى الأمير عبد الوهاب ليأتوا به والعشرة معه ففرح بذلك وأمهلهم حتى فتحوا الباب وأرسلوا البطريق من أصحاب يانس وقبض على الاثنين من عند الباب لأنه كان رجل جبار وعاد بهم إلى المطمورة وأصحابهم فى وسط الحصن ماعلموا بذلك ثم خلص عقبه من المطمورة وحل عنه الكتاف وقد أشرف على التلاف وقال له ألم أقل لك أيها الشيخ انك لاتصلح لتدبير الدول لأنك شيخ نحس الامور وماكان يكسر عساكر منويل وميخائيل وابى أرمانوس إلا من رأيك المنحوس فقال عقبه أيها الملك لازلت أبدا منصور ودع أكون أنا خرفت ولقد رأيت لك منام يسرك وذلك أن المسيح أخبرنى أنك تملك الأرض فى الطول والعرض فقال الفالوغص دعنى من هذيانك فقد بلغنى أن كل منام أريته للملوك ما أفلحوا فالزم أمرك ولا تتعرض لى فما ينطلى علىّ محالك (قال الراوى)

فعلم عقبه أنه شيطان لا يرام فسكت عقبه ومضى الفالوغص إلى البطارقه فأنزلهم عن الاسوار واتى بهم إلى أصحاب يانس فداروا بهم من كل جانب ونادى الفالوغص سلموا أنفسكم إلى فوحق المسيح ان طلب أحد منكم القتال وصاح طيرت رأسه قبل الصباح فأميركم قد مسكناه وعياركم قد أخذناه فلما سلموا أصحاب يانس ذلك من الفالوغص وعاينوا ماحل بهم أرموا الأسياف والعددوسلموا أنفسهم إلى البطارقة فقبضوهم قبضاً بالكف وسيرهم الملك إلى المطمورة وعاد وهو يقول للبطارقة اعلموا انه قد جرى الليله كذا وكذا ولابد لى من عبد الوهاب ومن معه من العشرة الذين يريدون أن يطلعون معه ولكن أخاف أن يكونوا أكثرهم من ذلك فيؤخذ الحصن منا ثم أنفذ إلى عسكره فأتى بخمسة آلاف أخرى وأعطاهم السيوف والعمد والأوهاق وهى حبال تعمل فى الأعناق ولم يزل حتى قبض عليهم كما ذكرنا (قال الروى) ولما حصلوا الكل فى المطامير قال الملك الفالوغص للبطارقة أريد أن أحصل ههنا من المسلمين ألف آخر مادام الليل فيه رمق فقالوا له البطارقة افعل مابدا لك ولكن كيف تعمل أيها الملك فقال انفذ بعض العرب المتنصرة الى عند الأميرة ذات الهمة على لسان الأمير عبد الوهاب يقول لها يا أميره اننا لما طلعنا الى الحصن وجدناهم مستيقظين لأنفسهم محترزين وخفنا على أنفسنا منهم فلعل أن تنتقى لنا ألف نفس أو أكثر من ذلك ولا يكونوا إلا من الرجال الأبطال الذين تعتمدى عليهم فى الامور العظام وقد جربتيهم فى العواقب والدهور والأعوام لعل هذه الليلة ان شاء الملك المتعال نخلص الحصن منهم فان أمكنك المسير معهم فسيرى إننى أيضاً فانهم إذا فعلوا ذلك وطلعوا أخذناهم بالأوهاق كما أخذنا أصحابهم من قبل فلما سمعوا البطارقة ذلك من الملك قالوا افعل مابدا لك فالمسيح يبلغك منهم آمالك ومن مثلك أيها الملك وقد وقع فى يدك مثل هؤلاء الأمراء الذين ماوقعوا فى يد أحد من الملوك قبلك وما بقى عسكر المسلمين تقف بين يديك بعد هؤلاء الأسرى ساعة واحدة لأن معك الأمير عبد الوهاب وولده ضيغم وأخيه قشعم وعشرة من خيار عسكره ففرح الملك الفالوغص بذلك وقال الشكر للمسيح الذى قد ظفرنا بمرادنا وما بقى لنا من نخاف فهو فى الكلام (ياسادة يا كرام) وإذا بعقبه قد أقبل عليه وقبل يديه وهناه بالسلامة والنصر وقال له ياملك كم تقول لى أسكت عن الكلام فأنت مشوش الهندام وأنا ما أقدر على السكوت إذا وجدت عندى نصيحة وأنا أعلم أنك تقول فى نفسك قد هلكت رقاب المسلمين بأخذ عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وما تعلم أن خلفهم الأميرة ذات الهمة لاتقاس بالملوك ولا يشبهها غنى ولا صعلوك تعد بألوف وراغمة الأنوف وخارقة الصفوف وتقاتل بالرماح والسيوف وهى

التى جعلت بلاد الروم دائرة بعد ما كانت عامرة وطول الزمان عبد الوهاب فى الأسر والحبس والقبض والقهر وهى التى تقوم بأمر الكتائب وتظهر العجائب فخذ الآن حذرك فان الأسد لاتقاتلها حتى تعقر وهذا عقر يؤلم قلبها لأن الولد هو الكبد لاسيما ومعه ضيغم وكأنك بها قد أكلت الدنيا أكل ولكن اغتنم الفرصة واحكم القصة وارسل اليها كما أقول لك وأنك تأخذ خاتم ولدها عبد الوهاب من أصبعه وانفذه مع بعض هؤلاء العرب المتنصرة ويكون لابس بزى البطارقة الذين فى الحصن من أصحاب يانس ويقول لها هذا خاتم الأمير عبد الوهاب وهو يقول لك أنه وجد فى الحصن قوماً لاطاقة لهم بهم لكثرتهم ويريد منكى مائة من أمراء السودان وخمسين من العربان الشجعان وأنتى فى الجملة وتكونوا على أهبة من أمركم عند طلوعكم لأن هذا الملك الفالوغص ربما عول على كبستكم إذا سمع الصيحة فى الحصن فلعل يتم هذه الحيلة عليها وتأخذها وتأخذ كل من يطلع معها

﴿ تم الجزء الثانى والستون ويليه الجزء الثالث والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثالث والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال الفالوغص معلوم أن الحرب خداع وقد كنت حدثتنى نفسى بها وقد وافق قولك ماأنا عليه معول الا أننى ما اشتهيت أن آخذ خصماى الا فى مقام الحرب ولكن إذا ملكتهم ابارزهم بعد ذلك حتى أعرفهم قدر أنفسهم واعلمهم اننى ما كنت عاجز عنهم فى ميدان الحرب ثم ان الملك قال للعرب المتنصره أريد منكم رجل مجهول لا يعرف فثار اليه رجل يقال له أبو المحال ابن مخادع وكان رجل مجهول لا يعرف وكان حيولا سلالا فقال أيها الملك لا تعرف تمام هذا الأمر الا منى فقال له عقبه ولك على ألف دينار وخلعة ان تم هذا الأمر على يديك لأننى أريد أن أوقع فاطمة بنت مظلوم فى الهلاك والشوم فابصر كيف تكون فقال أبو المحال لو أضرمت لى نارا وأمرتنى لخضت فيها وعبرت إلى وسطها فشكره عقبه على ذلك وقال له اذهب إلى عسكرها وعرفها بما قال الملك فقال المتنصر السمع والطاعة ثم انهم قلعوا خاتم الأمير عبد الوهاب من أصبعه وهو لا يقدر أن يمنعهم من ذلك لأنه مكتوف اليدين وأعطى الخاتم الى ذلك المتنصر وسار إلى أن وصل الى عسكر الأميرة فلما رأوه الحرس تواثبوا اليه وسألوه من تكون فقال لا بأس عليكم أنا رسول الى عند الأميرة ذات الهمه فحملوه إلى عند الأميره فلما مثل بين بين يديها قالت له ما تريد فقال يامولاتى ان الأمير عبد الوهاب قد دخل إلى الحصن فوجد الجمع كثير من أصحاب الفالوغص وقد أرسلنى اليك وهو يقول لكى تأخذى من العسكر ألف فارس أمجاد أنجاد بسواعد شداد وتكونى صحبتهم لأنهم كثير ونخشى من الملك أن يسمع الصياح فيدركهم بعساكره إلى برا الباب ويفتحون الروم لهم الباب فيهلك

الأمير ومن معه وهذا خاتمه وقد أرسله اليكى ليطمئن بذلك قلبكى فلما سمعت الأميرة ذلك الكلام قالت لأصحابها ما تقولون فى هذا الأمر فقال مذبحون أيتها الأميرة لا تسمعى هذا الكلام فانا أقول أن الأمير ومن معه قد قبض عليه الملك الفالوغص وهذا الرسول ما أتى الا بتدبير عقبه حتى يقبض عليك وعلى من يطلع معك فلما سمعت ذلك رجف قلبها وقالت كيف يقدر الفالوغص يقبض على ابنى ومعه عشرة أبطال من بنى كلاب فقال مذبحون ما يخلوا ان بعض الجواسيس كان فى عسكرنا وأنتم تذكرون البطال وتتنافسون على غيبته فاخبروا الملك بذلك فطلع الى الحصن وأخذ معه الأبطال وأوقفهم إلى أن عبروا أصحابنا وأخذوهم بالارهاق وشدهم اللعين فى الوثاق وعقبه قد تولى هذا التدبير حتى تطلعون ويضيفكم اليهم والرأى عندى القبض على هذا الرسول والصعود فى خمسمائة من السودان وخمسمائة من بنى كلاب الشجعان وأول ما تدخلون من الباب تبذلون السيوف فى كل من فى الحصن فقالت ويلك يامذبحون أخاف أن يكون هذا القول علم غيب فيكون قد أسأنا إلى الرسول وقتلناه وهو من أصحاب يانس فقال مذبحون فاصبروا حتى أبين لكم القصة ثم دعا بالسودان وقال لهم دونكم وهذا الرسول عذبوه بكلما تقدرون عليه وأنتم فى حل من دمه فعندها دارت به السودان وبربرت فى وجه أبو المحال الجيشان فجزع مما رأى وخاف على نفسه من القتل فقال ياقوم اعطونى الأمان حتى أحدثكم بما جرى فقالت الأميرة هذا خاتم الأمان اخبرنا بالحق ودع المحال فقال وحق القرابة التى تجمعنا فى النسب وان كانت الأديان قد خرقت فانى ما أكذبكم شيئا ولا حرفا واحدا اعلموا أن عقبه قد ظفر بعبد الوهاب وكل من معه من الرجال الأنجاب وأخذوهم بالأوهاق وهم فى أضيق الخناق وانى ما جئت الا بتدبير عقبه القرنان وهو الذى أعطانى هذا الخاتم فلا كانت ساعته (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة هذا الكلام وصح عندها ذلك قالت لمذبحون اعلم أن الذى ذكرت قد صح والذى دبرت من طلوعنا إلى الحصن هو الصواب ولكن قد بقى من الأمر شىء قال ماهو قالت لعن الله من لا تريد لرأسها خمسة آلاف قبل أن تشرب كاس الاتلاف وهذا عقبه طلب أن نصعد اليه فى مائة فارس وأنا أصعد اليه فى خمسمائة فارس من بنى كلاب وثلثمائة من السودان الأنجاب مثل شمشم وطمطم وضمضم وغيلم وخشعم ودمدم وكردم وأبو الروس والمدانع وأبو الزعازع وأبو الجمرات وملابط البغال وهذه الثلثمائة بلا تطويل وأصل بهم إلى باب الحصن فاذا وصلنا الباب نلنا مانريد من رب الأرباب وألقى برجالى أنا الخمسة آلاف الذين فى الحصن ويعطى الله النصر لمن يشاء وإذا سمعت أنت يامذبحون الأصوات فى الليل قد علت والصرخات

قد نمت فاكبس عسكر الروم لأن أكثرهم يطلب الحصن اذا سمعوا الصياح يكشفون الخبر فاهجم أنت على من بقى فى الخيام واضربهم بالحسام فقال مذبحون السمع والطاعة ولكنى والله أخاف عليكم من هذا الأمر العظيم الذى قدمتى عليه لأنك تأخذين أبطال بنى كلاب وليوث السودان الأنجاب وأقل مافى حصن يانس خمسة آلاف فارس لابسه وفيهم أيضا ذلك الشيطان العرمرم والبطل المقدم الملك الفالوغص وهو وحده يعد بجيش كامل وما أدرى كيف تكون هذه النوبة لأن الحرب سجال فان رأيتى أن تتركى هذا الأمر فافعلى وخلينا نكبس هذا العسكر مادام الملك عندهم ونأخذهم ان شاء الله تعالى وهم أسارى ونفرق هذه الكتائب والمواكب بين أيدينا ونعيدها إلى بلادها خاسرة ونحدق بعد ذلك بالحصن ونحاصر الملك ومن معه وكل محصور مأخوذ وإذا انفصل الحال اتفقنا على الصلح ويسلم الينا الفالوغص الحصن والأمير ومن معه والأمير أبو محمد وباقى الأسارى ونطلق له سبيله إلى القسطنطونيه مع الهدنة والصلح حتى نبصر كيف يكون أمرنا مع الخليفة فاما حرب واما صلح واما ان نخلى هذه الأرض وندخل إلى بلاد الحجاز فقالت الأميرة هذا هو المراد وهذا أمر ما أفعله ولا آمن من الفالوغص أن يحدفنى برأس ولدى إذا حاصرته ولا بد مما أعطى الحرب حقها ولو أفنيت خلقها ولا حاجة لنا فى الحياة وأى شىء يكون أطيب من الموت بسيوف الأعداء فى طاعة رب السماء ثم دعت بابطال بنى كلاب وانتخبت الرجال والأقيال وكانوا رجال أجلاد أنجاد وسواعد شداد ونفوس قد طاب لها الحرب فى طاعة الملك الجواد وأبطال لاتمل من الجلاد مثل راشد وحامدوغالم ومالك بن واقد وجعفر بن خالد وعامر ابن طارق وهارون ابن شاكر وعبد الحميد بن جابر ومخزقوم ابن ناصر والأزهر بن بشر وجميل الحجازى وهامان الاهوازى وكل واحد من هؤلاء الجماعة إذا كان قبيلة أحماها وإذا حاضر الحرب أضرم نارها واصطلاها فقالت لهم الأميرة اعلموا أننى قد عولت على أمر وهو كذا وكذا وأريد أن أهجم على هذا الحصن الليلة والقوم ماهم عنا غافلين بل هم لنا منتظرين وقد أرسلوا الينا ليدبروا علينا كما دبروا على عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فان كانت أنفسكم تطيب على الهجم معى فافعلوا والا فعلى القعاد عولوا فان الله تعالى لايكلف نفسا إلا وسعها فقالوا صدقتى أيها الأميرة والله لو أضرمتى ناراً لولجناها أو قلتى لنا خوضوا البحار لخضناها لأن الحياة قد رمیناها فلما سمعت الأميرة ذلك جزتهم خيرا وأوسعتهم شكراً وقالت سيروا بارك الله فيكم فاخذت الرجال والسيوف المجردة والدرق المكوكبه وأخذت مائة أسود فى ثياب الزرد من الأسماء التى ذكرناهم وهم كردم

وأبو الليل وطمطم وخواص الليل وسابق الريح والقيل ابن أبو الفيل وضراب ودينار وشهاب وجميع الأسماء الذى ذكرناهم فى هذا الكتاب وأبو المحال يقول لهم إذا حصلتم فى بالحصن فدونكم واياهم حتى لا ينفلت منهم أحد يكون خلاصه راحة للنصرانية ووهنا للحنيفيه ولا يكون لكم وكدالا الباب فاذا دخلتموه فارفعوا أصواتكم بالصياح ولا تبقون على الأشباح فاذا التفت الكباش فى وقت النطاح مضيت أنا وفكيت الأمير الجحجاح عبد الوهاب وأطلقه من القيد وأطلق ضيغم وأبو محمد ويانس والاسارى كلهم فيصيرون مقدار مائة أخرى مثل عبد الوهاب وضيغم والأمراء المذكورين وحق من فلق الحبة وبر النسمة وتردى بالعظمة مابقى فى قلبى من الكفر لا كثير ولا قليل ولعل الله تعالى قد جعل مذا سبب لخلاصى من الكفر وخلاص من فى الحصن (ياسادة) ياكرام فعلمت الأميرة صدقه وقالت ان كان مايسلم فما الذى يقدر أن يعمل ونحن على الله نتوكل (قال الراوى) ثم ساروا إلى حصن يانس وقد بذلوا أنفسهم لله تعالى لا يريدون إلا رضاه ولا يعتمدون إلا على لقاه وأبو المحال بين أيديهم وقد تعطف الله عليه بالهداية والامان وجاد عليه عز وجل بالاكرام والاحسان ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا من وراء عسكر أهل الصلبان وصاروا من جانب البلد مقابل الباب وقد بقى من الليل ساعة وقد غمضت عين كل حارس ساهر وأما مذبحون فانه لما انفصلت الأميرة عنه دعا بالرجال والابطال من جند الرحمن وقال لسائر العساكر اركبوا على ظهور الخيل واحفظوا الاصوات ثم تأهبوا للضرب بالمشرفيات ثم قسم الناس أربعة أقسام وأمرهم أن يفترقون من أربع جهات الروم وقد ترك على السودان ميمون الجماس وعلى بنى كلاب الصامت بن مره وعلى الاكراد موسى ابن يوسف وبقى هو فى جماعة من الناس وقال لا فيكم من يحرك ساكن حتى يسمع الصياح فى الحصن هنالك احملوا واضربوا الراقد والقائم واطلقوا فى الروم الضرب القائم ويكون نداءكم يا آل كلاب يا آل كلاب ويلكم ها كلاب الروم عن من تقاتلون والحصن قد ملك والفالوغص اللعين قد هلك حتى تنحل عزائمهم فقالوا سمعا وطاعة ثم تفرقوا من سائر الجهات بحيث أنهم أبعدوا عن العساكر من أجل صهيل الخيل حتى أخذت كل طائفة مكانها قاموا فى الانتظار هذا ماجرى هاهنا (وأما ماكان) ياسادة من الاميرة ذات الهمة فانها لما وصلت إلى باب الحصن وجدته مغلوق فدق أبو المحال الباب ونادى بالحراس فلما عرفوه نزلوا وفتحوا الباب وقالوا ماذا عملت فقال قد جئتكم بأكثر من ثلثمائة من الرجال ولكنهم بلا عدة لانهم طمعوا أن يأخذوا من عدد الحصن وكل هذا من تدبيرى لانى أطمعتهم فعجلوا على بالمال والا نفرتهم فانجزوا إلى وعدى حتى أدخلهم

فضحك الملك وعقبه وأعطوه فى الحال كيس فيه الف دينار ارماتوسيه وخلعوا عليه خلعة سنية فرجع فى الوقت إلى الاميرة وقال لها قد جرى كذا وكذا وأول غنيمتى الف دينار أخذتها وهاهى معى تصدق بها على صعاليك مكة ان شاء الله تعالى أن يسامحنى بما قد مضى ويجرد على بالعفو والرضا وإن الليلة شهيد فهو الذى أريد لانه لايقبل إلا كل عبد سعيد (قال الراوى) ففرحت الأميرة بقوله وعلمت أنه قد أسلم حقا (ياسادة) وكان أول من هجم الحصن الاميرة ذات الهمة بنفسها وجعلوا الرجال يتبعوها وأما عقبه فانه قال للملك الفالوغص اعلم أيها الملك ان هذه الليلة ماظفر بها أحدا من الملوك الا أنت وكنت أشتهى أن يأخذون القوم كلهم قبضا بالكتف ولا يقتلون إلا بعد الموافقة فى غداة غد فلعل أن يكون قد بلغنى المسيح غرضى فقال الملك هذه الشهوة فى يدك لان القوم مامعهم عدة ولابد لنا من قبضهم ثم أمر الرجال أن تقف صفوفا كما وقفوا فى النوبة الاولى والارهاق فى أيديهم (قال الراوى) هذا وقد هجموا بنى كلاب وصاروا داخل الباب وهجموا بعدهم السودان وصاح الصالح والطالح وباغض رأسه الشيصبان وصاحوا صيحة اضطربت منها الجبال وخفقت الصدور وصارعقبة يدور وقد طار قلبه وهو يقول ماهذه علامة خير وحق المسيح (ياسادة) هذا والفالوغص قد صاح فى البطارقة خذوهم فردوا أيديهم إلى السيوف واختلطت الصفوف وجدعت الأنوف وتطايرت القحوف وصار الغطاء مكشوف فيالها من ساعة كشف الحق فيها قناعه ومنح من حولها أصحاب الشجاعة وبليوا بما لايطاق دفاعه فقال أبو المحال ايش هذا الوقوف ثم مضى يطلب الأمير عبد الوهاب ومن معه من السودان الأنجاب وهم موثوقون بالكتاف وقد أشرفوا على التلاف فدنا منهم وقطع كتافهم وقال لهم قوموا ياأولياء الله وجاهدوا فى أعداء الله وذبوا عن ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الأمير عبد الوهاب ماكنا نعرفك الاعدولنا فمن أين هذه النصيحة فقال صدقت أنا كنت نصرانى عدو والآن قد صرت صديق وهدانى الله تعالى الى التوفيق ثم حدثهم بما جرى ففرحوا بذلك الأمر وحمل اليهم العدو فلبس الأمير عبد الوهاب وحمل كأنه أسد غاب ونادى أنا سيد الجيش وبالجهاد فى أعداء الله يطيب العيش فلا فزع بنا ولا طيش وصاح ضيغم واغرحاه الليل الليل يارجال الخيل ولما نظر أبو المحال الى هذا الحال واختلاط الرجال بالرجال قال لنفسه ايش قعادى ومالى ما أجعل جهادى فى هذه الليله جهادى ولابد لى من الشيخ النجيح عقبه وأجعلها عليه نكبه (ياسادة) هذا وقد أشعلت الحروب نيرانها ولم يلوى الولد على أبوه ولا الأخ على أخوه ووقعت مضارب السيوف فى الوجوه وصاح الملك الفالوغص ياويلكم يامعشر البطارقة ماكانت

إلا حيلة عليكم فلا تشتموا العدو فيكم وقد عمل علينا أبو المحال وقاد الينا الاقيال والأبطال وما ترك فى عسكرهم غير الغلمان وأتى الينا وأخذ الأموال فاقطعوا منه القذال واجعلوه عبرة للبوار وأغلقوا الباب حتى تنقطع مادة المسلمين عنكم لأنهم قد دخلوا فى هذا الخلق العظيم هذا وقد سمعت الاميرة صوت الفالوغص فطلبته تريد أن تظفر به وحملت عليه حملة صادقه وحمل الملعون أيضا عليها بسيف مثل الصاعقة وتضاربا ضربات ماحقة وتصايحا صيحات مثل الرعود الخانقة وضايق كل واحد منهما على الآخر طرائقه ونظر الفالوغص من الأميرة ماحير البصر وأدهش النظر فقال لها بحق دينكى أنتى أميرة المسلمين وأم الموحدين الذى هو عندنا أسير فقالت لقد أقسمت على بعظيم أنا ذات الهمة وها أنا على قتلك مصممة وأترك أمك عليك مصخمة فقال لها الفالوغص سوف تعلمين من يكون على هذه الصفة أنا أم غيرى ثم حمل عليها حملة الحنق وكان شيطان لايطاق وعلقم مر المذاق فرأت منه مالم تراه من غيره وحملت الرجال الأصادق وعملت الصوارم فى المفارق ولبست الأرض حلة كاون الشقائق وأصبحت ذوات الخدور طوالق وأحاطت الرجال بين الفالوغص وبين الأميرة ذات الهمة فأسف على فراقها منه وعاد وأخذ له عدة حسنه غير العدة التى كانت عليه وعاد يخترق الصفوف فى المعامع فالتقى الأمير عبد الوهاب وهو ينشد ويقول :

أنا الأمير العامرى الأسودى ✱ المؤمن المصدق الموحدى
الله ربى والنبى أحمدى ✱ صلى عليه ربنا ومجدى
دونك فى يمينى صارم مهندى ✱ أقلع به الفالوغص المشردى
كيما يرى منى هزبرا أوحدى ✱ هل مرشد فى نحو ذلك يرشدى
✱ بأنه فى الحصن لايخلد ✱

(قال الراوى) فلما سمع الفالوغص كلامه عرفه وقد علم انه خلص وان النوبة قد تمت عليه من أبو المحال وهو الذى أطلق الأمير من الاعتقال ومن معه من الأبطال وكان جبار لايقاومه مقاوم وفيه طبع العرب كما ذكرنا من مبتدأ حديثه فحمل على الأمير وهو يقول .

دونك والليث الهزبر الأجودى ✱ غشمشم قوم شدوق مزبدى
تعود الحرب مهول موعدى ✱ لايعرف الإسلام وهو ملحدى
به يصاب فى الوغى المحمدى ✱ له المسيح فى الهياج مسعدى

وعقبه الشيخ النجيح يشهدى ٭ ان لى الأرض جميعا سرمدى
٭ ولا أدع يلوح فيها مسجدى ٭

(قال الراوى) ولما سمع الأمير شعره غضب وأخذته حمية الدين ونخوة العرب وقال هذا الملك لامحالة ولا شك انه هو الذى بارزنى ذلك اليوم وما هذا الا فصاحة عربى وما هو الا ولد زنا وما بينه وبين ارمانوس نسب فياليته كان مسلما حتى أكون له أبدا منعما مكرما هذا وقد حمل الفالوغص على الأمير مصمما وكان لرأسه بالسيف معمما وضربه على رأسه ولم يكن على رأسه شىء يمنع السيف لأنه بلا زرديه تمنع عنه الضرب فقطع السيف العمامة ونزل إلى رأس الأمير أصبعين فأرمى الامير نفسه إلى الارض وبطل الضربة والا قد كان هلك ورأته السودان وقد عرفوه فرفعوه من تحت الرجلين وشدوا جراحه وأفاق على نفسه ثم حمل ملك الروم على الناس ولم يزل السيف يعمل إلى أن برق ضياء الفجر وطلعت الشمس ووقعت العين على العين وقال الملك الفلوغص هذا ماهو علامة خير واستقبلت الروم المسلمين وطرحوا أنفسهم عليهم الملك الفلوغص ياويلكم افتحوا الباب ويخرج منكم من يمضى إلى العسكر ويأتينا بخمسة آلاف بطريق مستريحين حتى لايطول مقامنا معهم فقد قتلت اسودهم وها أنا طالب أمه ذات الهمه ولولا انى لاقيتها فى هذه الليله المظلمه كنت تركتها بالسيف معممه واليوم وحق المسيح يبان الفارس الهزبر من الذى لايعرف الكر والفر ويطلب من صاحبه المفر (قال الروى) ياساده فلما أن سمعت البطارقه كلام الملك فتحوا باب الحصن وخرج بعضهم يطلب النجده ثم خرج منهم من يستنجد فلم يجد من العساكر أحد وكان الأمر عجيب والحال غريب وذلك أن الأمير مذبحون لما أن سمع الصوت عالى والصياح نامى وقد ثار القاعد ووثب من عسكر الروم الراقد وتبادرت الابطال وتصايحت الرجال وتزايدت الأهوال وشابت الأطفال ونادى مناديهم ياويلكم الصياح قد وقع فى الحصن ولا شك أن لصوص المسلمين قد طلعوا اليهم فقالوا أكثر الروم نطلع ونكشف الخبر هنالك صاح مذبحون وكبر ونادى برفيع من صوته عليكم بهؤلاء الأنجاس (قال الراوى) فاجابته سائر الطوائف من كل الجهات وارتجت الأرض من سائر الجنبات ونفرت الوحوش من الغابات وضاقت نفس الجبان من الممات وأطبقت على الروم طوائف الإسلام فى غسق الظلام واستغاثوا برب الانام فولت الانجبار هاربه واتبعتها البنجاك طالبه وولت البرغل واليونان وهى من هول مارأت شارده ولم تستطع محاربه وكلت الافرنج بعدم المضاربه لما عاينت السودان ورماحها فى الصدور صائبه ومذبحون قد أظهر قوته وعجائبه إلا أنه

لما طلع ضوء الفجر والتقى بكندروين بن شرشتاش ملك الافرنج ونظر إلى مذبحون أيضا ومن حوله الرجال فعلم انه هو الذى المشار اليه وكان فارسا لايطاق مافى طائفه الافرنج مثله ولم يكن مذبحون من رجاله ولا يعد من أبطاله فحمل عليه بشدته وفاجأه بطعنته وقبض على مناكبه وجذبه اقتلعه من سرجه وصار معه على جواده ونظر إلى الملوك فدولوا فولى معهم ومذبحون معه فلما نظروا عساكر المسلمين إلى مذبحون أخذ لم يبق منهم إلا من حمل فانضافت عساكر الروم وكلها إلى جهة واحدة وصاروا يطلبون الهرب والمسلمين لهم فى الطلب والقتال يعمل والسيف يفصل ونار الحرب تشعل وهؤلاء سائرين خوفا لايعتب الأمير أبو محمد عليهم وصاروا يركضون طول النهار حتى أمسى المساء وهم فى أرض بعيدة وقد قتلوا من الكفرة زهاء أربعين ألف فى سوى ماهلك فى طول الليل وحال بينهم الظلام فنادوا بالنزول فنزلوا وصاروا يدورون فى خلاص مذبحون وخافوا من عتب أبو محمد عليهم وان يقول لهم أنتم توانيتم عن ولدى وحشاشة كبدى وبقوا حائرين خائفين ان يخاطروا بالعساكر الإسلامية ويدخلون بها خلف الروم فلا يدرون مايقضى عليهم وقلوبهم على الأميرة ذات الهمة وأصحابها لايدرون ماكان منها فقالوا الصواب اننا مانخلى من عليه المعول ونمضى فى طلب واحد ولاندرى ماكان منه وربما يكون خصمه قد قتله فى حال أخذه حيث علم اننا فى طلبه وما لنا الا ان نريح الى غداة غد ونطلب حصن يانس (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك الفالوغص فان أصحابه فتحوا باب الحصن وقد تضاحا النهار فوجدوا الدنيا من العسكرين بلاقع والأرض مفروشة من القتلى فتحيروا من ذلك وقالوا مانرى الا خيام قائمة وأموال سائبة فاذا كانوا أصحابنا قد جرت لهم كائنة فعسكر المسلمين مافعل الدهر به ماهذا الا أمر عجيب ثم عادوا الى الملك فأخبره بالقصة فعظم عليه وكبر لديه وقال ياويلكم أخاف ان يكونوا المسلمين البارحة دبروا الحيلة وكانوا أكبسوا عسكرنا ووقع بينهم القتال الى وقت الصباح وقد أخذوا أصحابنا فى الهرب والمسلمين لهم فى الطلب والآن وحق المسيح والإنجيل مابقى لنا خلاص الا بصدق المضارب والصبر على المصائب فأضعاف ماعندنا فى الحصن أكثر من تسعمائة فارس ونحن قد كنا فى ستة آلاف وهذا كله برأى الشيخ النحس الأعور عقبة فلا أحسن المسيح له عاقبة لأنه قال أريد آخذ ذات الهمة ومائتين رجل من الأمراء المجاهدين ودبر هذا التدبير ثم قال أريد أنفذ إليهم رسول من العرب المتنصرة والعرب لاتميل الا إلى بعضها بعض فوحق المسيح لآخذن بدم من هلك من النصرانية ثم زاد به انغيظ فصاح برفيع من صوته ويلكم مالنا

والتعب يامعاشر العرب ابرزوا إلى أميرتكم يعنى ذات الهمة حتى ألحقها بولدها وأما ان تأخذنى أسـير فأكون فداء لكل الروم (ياسادة) فلما سمعت الأميرة ذلك قالت السمع والطاعة أنا أبرز اليه فلعل الله تعالى أن يظفرنى به فيكون فداء لكل من فى القسطنطونية من الأسارى الذين أخذهم ارمانوس من ملطية ثم صاحت بالرجال فانفصلوا عن القتال وقد أخذوا الراحة من الحرب طول الليل وانعزلوا إلى جانب الحصن وانضاف إليهم يانس وأصحابه والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وكان الأمير قد خف عنه ألم الجرح فقالت الأميرة الحمد لله يا بنى على سلامتك فقال والله يا أماه ما استظهر على هذا الملعون إلا حيث أنه كان سيفه قاطع وترسى غير مانع فالتقيت به الضربة فما أغنى عنى الترس ولكن الله تعالى دفع عنى أكثرها فقالت الأميرة الحمد لله يا ولدى وها أنا خارجة إليه فقال الأمير والله اننى خائف عليكى منه لأن الملعون ما هو شىء يقطع عليه قياس فقالت يا بنى ان كان أجله قد اقترب فسوف ترى العجب وان كانت الأخرى فلا بد من العطب وقد جعل الله لكل موتة سبب ثم أنها تقدمت إلى المجال ودعت خصمها إلى القتال فقالت البطارقة أن الملك قد عول أن يتناول قليلا من الطعام ويشرب الماء لأنه عطش من القتال طول الليل والنهار فيكون هذا بعـد الراحة فأجابت إلى ذلك وجلسوا الناس فى الحصن فرقتين (قال الراوى) وكان الفالوغص لما جلس ذكر فعل عقبة ومشورته عليه وأراد أن يشتفى منه فطلبه فما وجده فضاق لذلك صدره وقال لايكون قد قتل فى الليل (ياساده) ومعه واحد من أصحاب يانس إلى الصور ورجع فاخبر ان الدنيا من العسكرين بلاقع وما تم إلا الأموال سائبة وأخيام قائمة وأبدان بلا رءوس مطروحة وقد حلت بهم النائبة فعظم ذلك على الأميرة ثم قالت والله لقد أعقب فرحنا ترح إلا أن تكون قد انكسرت عساكر الروم وهذا فالوغص إن شاء الله تعالى فى أيدينا على أنه مافعل مذبحون صواب ان كان تبع العسكر ويخرق فى بلاد الروم إلا أنه لو كان الساعه ههنا كان قد دخل الينا فى ناس من العسكر على غفلة من هؤلاء فما كان قد ينفلت منهم أحد ونحن أيضا والله منهم على خطر لانهم فى كثرة ونحن فى قلة وما العساكر إلا بالمقدمين وهذا الفالوغص آفة من الآفات وبلية من البليات وأنا امرأة قد طعنت فى السن على كل حال وما بقيت أحدث روحى بملاقاة الأبطال ألا ان العزيمة والله قوية وفى بعض نخوة العربية وأقول ان فى قلبى من الإيمان ما يشيب الشباب ويحير الألباب فى الطعان والضراب ولا أعيا من الحرب وأقتنص بهمتى أسود الغاب واليوم ترون منى ومن الملك الفالوغص العجب لاننى مستعينة عليه بالملك الوهاب (ياساده ياكرام) وما

كانت الراحة سوى ساعة بمقدار ما أكلوا الناس وشربوا ووثبوا إلى القتال وثبة الاسد والاشبال وكان أول من برز وتقدم إلى الحرب الملك الفالوغص وهو مثل البرج المشيد المزيل بالحديد كأنه شيطان مريد جاحد للتوحيد ومنكر للوحدانية للملك المجيد وعليه زردية زرد مغموسة فى الذهب وقد سترته من رأسه إلى قدميه ومن أمن من غوائل الدهور ما يجرى عليه من الأمور وقد أشهر فى كفه حساما بتار يأخذ بالابصار ويلمع كأنه شرار ثم تقدم حتى قرب من عصابة الأسلام ونادى أخرجوا أميرتكم إلى الميدان إن كنتم تريدون بيننا الإنفصال فان قلبي قد تعلق بامر عسكر الروم وأريد أن أنجز أمركم وأكشف خبرهم (ياسادة) فلم يستتم كلامه حتى خرجت إليـــه الأميرة ذات الهمة وحصلت قدامه بعدما أوصت أصحابها وولدها وقالت والله ياولدى لو أننى على ظهر جواد لكان أمكن للجلاد وأخاف أن يطول بى مع هذا الملعون المقـــام وتخذل منى الاقدام وهذا على كل حال شاب وكلما زاد عليـــه القتال قويت منه الاوصال ولكن ما يكون إلا ما يريده الله الملك المتعال ثم أنها خففت عنها اللباس والزرد وخرجت تخطر خطرة الاسد وهى تنشد وتقول

انى أحب الله علام الخفـــا ثم أحب الهاشمى المصطفى
محمد خير الانام والذى هو المشفع ليس فى ذاك حق
أسرى به الرب تعالى اسمه إلى السموات فحـــاز الشرفا
والسيد المسيح قد كان به مبشرا وفضله قد وصفا
قال لكم اتبعوا محمد فهو الشفيع فى الورى وقد كفا
وان رب العرش ربا واحدا معظما بخلقه قـــد لطفا
وانكم والله شر أمة أهل الضلال والنفاق والجفا
دونك يالعين حربى اننى أبيدك اليوم بهز المرهفا
ينزل فى الدرع وهو قاطع يهشم الوجه ولا يبقى القفا

(قال الراوى) ثم حمل كل منهما على صاحبه وتعاركا وتماحكا وتشابكا وقد امتشقا السيفين وهما مثل المركبين ولم يزالا يتضاربان بالسيوف حتى أشرفا على الحتوف وخدرت المناكب من شدة الوقوف وبهتت اليهمـــا أعين الصفوف ولم يبق فى أيديهما غير مقابض السيوف وقد رأى كل واحد من صاحبـــه ما لم يكن فى حسابه وأخذا حذرهما خوفا من هلاكه وذهابه واغتاظ الفالوغص ممـــا رأى منها وزعق وصاح صيحة مهولة وجذب الاميره فرفعها من الارض على رأسه وقد تعجبوا المسلمين من شدته

وبأسه وعظم أساسه وقطع الامير من أمه اياسه وإذا بالاميرة قد صاحت صيحة أرجفت القلوب لهولها ورمقوها النظار وما فهم الامن تأهب لضرب البتار وإذا بها قد شبكت يديها على رأس الفالوغص وعصرت عليه كادت ان تخرج عينيه وغيبت صوابه وخلصت من يديه وصارت على وجه الارض وهجمت بعد ذلك عليه وقد أيقنت بأخذه فرأته وقد ثبت جنانه وخلع على رأسه البيضة ورما أكثر لباسه وعاد إلى الأميرة عودة الأسد وقد اشتد غيظه والحرد ولم يزل فى عراك وصدام حتى ارتفع عليهما القتام وانعقد على رءوسهما الغبار وطال القتال وضجت عصابة الاسلام إلى الملك العلام وقالوا ماهذا إلا شيطان لايرام ولا يوجد مثله فى الأنام فهد قوته يامهد الجبارين بالدوام ومقصم المتكبرين بالقدرة والأعظام (قال الراوى) ولم يزالا يتعاركان تحت الغبار حتى صار وقت الاصفرار وإذا بضجيج عسكر الأبرار قد عادوا يقبلون إلى نحو الحصن طالبين وهم يكبرون باسم الملك الجبار ويصلون على محمد المختار فأجابتهم المسلمين من أعلى الحصن بالتكبير والصلاة على البشير النذير فاشتد قلب الأميرة ذات الهمة عند سماع ذكر الجبار ووقع بالملك الفالوغص الانبهار ودهش وحار فزعقت الأميرة ذات الهمة فيه زعقة الأسد الهدار ونادت ياستار ياجبار وجذبته جذبة بطل مغوار ومحقته محقة ليث كرار فوقع إلى الأرض وعقله قد طار واحتوت الأميرة ذات الهمة عليه وملكته وخرجا من تحت الغبار وقد انصرم النهار وأقبل الليل بالاعتكار ووقعت بعده الخذلة على الكفار وأرادوا يطلبون القتال فرأوا الليل قد هجم والجو قد أقتم فنادوا بعضهم بعض ياويلكم احفظوا الباب ولا تمكنوا أحداً من الدخول الينا حتى يصبح الله تعالى بالصباح ونحمل على من عندنا من المسلمين ونفنيهم أجمعين بالصفاح ونخلص ملكنا من أيديهم ونحتوى على الحصن ولا نبالى بكل من فى الأرض هذا وقد وصلت الأميرة ذات الهمة إلى أصحابها والملك الفالوغص فى قبضتها وهو أسير حقير فما منهم إلا من سل سيفه وقام اليه يريد أن يقضى عليه لما فى قلوبهم من الغيظ فتقدم الملمان ومنع الناس عنه وكذلك ضيغم فانه قال والله لانترك أحداً يدنو منه بسوء لأنه لما أسرنا أطلقنا من غير معرفة ولا وزن مال وهذه عفة الأبطال الكرام من الرجال فقال الأمير عبد الوهاب والله انه يستاهل الصنيعة لأنه لما جرحنى تركنى وعبر وأنا مرمى ولو أراد قتلى لكان قد فعل فقال الفالوغص يامعاشر المسلمين وحق المسيح ماتدعونى نفسى قط أن أعين جريح ولا يميل طبعى إلى الكذب ولا أستحسن أقول مالا أفعله وأنا الساعة فى أيديكم فان كنتم تثقون بقولى وترضوا عندكم دينى فأنا وحق المسيح أطلق لكم كل أسير فى مدينة القسطنطونية الذين أخذهم أبى أرمانوس من ملطية لما

خربها وأريحوا حقن الدماء وتسلموا حصن صاحبكم وأنا مجرد ما أصل إلى القسطنطونية لم أستقر فيها حتى أسلم إليكم ما عندى من المسلمين لأننى أنا أعلم أن أصحابى لايسلمون أنفسهم حتى يهلكوا لأنهم استقتلوا وهم على كل حال مالكين الباب وما يتركون أحداً من المسلمين يقرب به وفيهم عين تطرف وان كنتم لاتثقون بقولى فأنا أقيم عندكم فى الاعتقال حتى تأتيكم النساء والرجال فلما سمعت الأميرة ذات الهمة مقاله علمت أنه حقاً وقالت لأصحابها قد كنت عولت أن أطلع بعضكم على الأسوار يسحبون الرجال بالحبال وقد نويت فى غداة غد على القتال وما ينفعنا من ذلك شىء لأننا ماغرضنا إلا خلاص الأسارى الذين فى القسطنطونية وقد تكلم الملك الفالوغص الساعة كلام فيه الصلاح من سائر الوجوه وما بقى فى الأمر إلا إطلاقه ان كنتم تثقون بقوله فقال أبو محمد أنا قد بان لى من هذا الملك الصدق فى المقال وشوقى إلى ولدى الحصين والله وإلى زوجتى نورى وابنتى عذيبة وقد كان شومدرس حدثنى فى جزيرة عباد النار إن زوجتى وضعت ولد ذكر وسمته الحصين باسم أبى فقال الأمير عبد الوهاب وأنا والله مشتاق إلى زوجتى القناصة وولدى وكانت عاقبه لما ألقت الفتنة بين بنى كلاب وبين بنى سليم وخرجت بنى كلاب إلى القلاع كما ذكرنا تخلفت نورى زوجة البطال والقناصة زوجة عبد الوهاب وجماعة من نساء الامراء الغياب فى ملطيه لأنهم ماعرض لهم أحد ولما أدخلت البلد من الحماة وكتبت عاقبة إلى أرمانوس وأخرج نساء هؤلاء فى جملة السبى وكان للبطال بنت من نورى يقال لها عذيبه أحسن أهل زمانها وأنصحهم وأخبرهم بالأمور (ياسادة) ولها ذكر فى موضعها لو أن للطيور عقول لو وقفت لسماع خبرها وكذلك هذا الولد الذى بعدها وسمته الحصين وأما عبد الوهاب فانه كان له من القناصة ولد ذكر واسمه على اسم أبيه وقد أسروه أيضا وكانت عاقبه لما ألقت الفتنة بين بنى كلاب وبنى سليم وخرجت بنى كلاب من ملطيه كما ذكرنا تخلفت نورى والقناصه وانهم ما تعرض لهم أحد ولما علمت عاقبه أن البلد خلت من بنى كلاب فارسلت إلى ارمانوس كتاب تعلمه بهذه الأسباب فاتى إلى ملطية وأقام الحصار عليها الى أن ملكها وأسر الرجال وسبى النساء والعيال وأقاموا عنده الى أن كانت هذه الأيام وجرى لهم مع الفالوغص ما جرى واستحلفوه على اطلاق الأسراء ولما أن عادوا الى القسطنطونية أطلق الأسراء وساروا الى أهلهم وكان يقدمهم عمرو بن عبيد الله والأمير ظالم وجماعة من بنى سليم ووصلت بقية السودان وبنى كلاب والقناصة ونورى والتقاهم الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وسائر بنى كلاب وأنزلوهم حول الحصن وقد ضربت الخيام ونقل اليهم الطعامات والعلوفات وسألت نورى عن الأمير أبو محمد فحدثوها بحديثه وأنه قد سار فى طلب ولدها مذبحون فبكت نورى وقالت

سبحان من قضى علينا بالفراق والهجاج فى الآفاق فقال لها الأمير يانورى كنا سمعنا انكى قد رزقى ولد وسميته الحصين فاين هو فازداد بنورى البكاء وقالت والله يا أمير ماكان للملوك مثله ولا حسنه ولكن عاندنى فيه الزمان وافتقدنى فيه الرحمن فقال الأمير وكيف ذلك فقالت لما دبرت عاقبة الحيلة على أخذ البلد وملكها ارمانوس وسبانا فى جملة من سبى أخذت عاقبه الطفل من يدى وهو ابن سنتين ولا أعلم ما جرى له فقال الأمير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما بلى أحد بمثل ما بلينا نحن به من هؤلاء الملاعين (قال الراوى) وكانت عاقبة لما أخذت الحصين قد عولت على ذبحه ثم نظرت اليه فرأته أشبه الخلق بأبيه البطال فى زرقة عينيه فقالت وحق المسيح لاذبحته ولا بد أن أربيه وأدعى أنه مملوك ويطلع على دينى وعلى دين النصرانيه من صغره ولعله يطلع مثل أبيه فى حال كبره ثم طلبت من ارمانوس الانحدار إلى بغداد بعد خراب ملطيه فارسلها مع قوم نصارى من تجار بغداد فسارت عاقبه معهم حتى عبرت الموصل وإذا قد خرج عليهم قوم حرامية من بلاد العجم فاخذوا القافلة ونهبوا الأموال ولم يتركوا معهم شيئا يساوى عقال واحد وأخذوا الحصين من عاقبة وقد ظنوه مملوك واقتسموا الغنيمه وافترقوا فى بلاد العجم وجرى من القصة ماجرى إلى أن سمع الأمير حديث نورى ثم ادعى بالأمير عمرو بن عبيد الله وقال له أيها الأمير خذ معك هؤلاء النسوان وسر بهم إلى بغداد وان شئت أن تقيم فى بلاد الثغور والقلاع وتكاتب الخليفة وتبصر مايشير به عليك فافعل فنحن ما بقى لنا فى هذه الديار قرار ولا لنا رغبة لأننا ما بقى يصفو لنا فيها عيش فلما سمع الأمير عمرو ذلك أظهر البكاء وقال والله يعز على فراقكم ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ثم أخذ معه سبايا المسلمين وسار مع بنى سليم يطلب قلاع الثغور وارض ملطية وسلم الأمير الحصن إلى صاحبه يانس المتعزب وأوصاه بأن يراعى أخبار البطال ورحـــل فى بنى كلاب والسودان الانجاب وساروا يطلبون الحجاز وقد قطعوا آمالهم من بلاد الثغور فهذا جرى هاهنا (وأماما كان) من أبو محمد البطال فانه سار مع غلمانه كما ذكر فى زى الرهبان حتى وصلوا الى القرب من بلد افرنجيه وقلبه قد احترق على ولده مذبوح ولا يعلم ما كان منه ولما وصل سأل عن الملك الذى أسر ولده فقالوا له يا أبونا من يوم سار العسكر إلى خدمة الملك الفالوغص وكسرت العساكر كان ملكنا قد وصل إلى دير الأنوار وهو مقيم فيه حتى يبصر ما يكون من ملك الروم وان كان يسلم من المسلمين أولا (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك سار فى غلمانه يطلب دير الأنوار ولا فيهم الا من معه العدة وكلما يحتاج اليه من المناقب والمبارد والبنج واللحا والسلالم الأبريسم وغير

ذاك (قال الراوى) وكان ملك الأفرنج قد وصل إلى الدير المسمى بدير الأنوار ومعه مذبحون والكلب عقبه لأنه لما طلعت الأمـــيرة ذات الهمة إلى الحصن ومعها السودان وبنو كلاب ودخل بهم أبو المحال كما وصفنا وصاروا الكل فى حصن يانس رأى عقبه ذاك فأيقن بالعطب والتدمير وعلم أن الحيلة التى دبرها عليه قد انعكست فقال وحق المسيح الليله يملك الحصن ويهلك الفالوغص وما للنصرانيه مثله ثم ترك الناس إلى أن انتشبوا فى الحرب ونزل من الحصن إلى الروم ليطلع البطارقه ومن يعين الملك على القتال وفى تلك الساعة كبسهم مذبحون بعساكر الاسلام كما وصفنا فما بقى الأخ يعقل على أخيه ولا الأب على ولده ونظر عقبه إلى ذاك فقال وحق المسيح جانا البلاء من كل جانب وان لم أنجو الليلة بنفسه والا صلبونى صلب العقارب ثم انه التجأ الى ملك الافرنج وقد علم أن طائفته أقوى الطوائف الذين للروم وعقبه الذى عرفه عند الصباح بمذبحون حتى أسره وقال سر بنا أيها الملك الساعه واطلب بلدك فما بقا تقوم للروم قائمه ولا يبقى منهم باقية فى هذه النوبه ولا بد للملك الفالوغص أن سلم ما يضرب رقاب سائر الملوك وأنا أشهد لك أنك أنت آخر من انهزم وانك ماوليت حتى أسرت مقدم العسكر وهو هـذا الشيطان ابن الشيطان الذى فى هذه النوبة أريد أن أشفى غليل فؤادى منه ولكن أنت لما تحضره قدام الملك فتبرأ ساحتك وتقوى حجتك فلما سمع الملك كلام عقبه رآه صواب وصار حتى وصل بالقرب من بلاده ووصل إلى دير الأنوار وأمن على نفسه وقال لعقبه أيها الشيخ نحن نقيم هنا حتى ننظر مايكون من أخبار الملك الفالوغص فان سلم وأرسل خلفنا نكون بالقرب من القسطنطونيه وان هلك وقام الروم ملك غيره مضيت اليه وجددت مملكتى بين يديه فقال عقبه هذا هو الصواب ولكن أريد بتدبيرى تحفظ هذا الشيطان الأسير الذى معك حتى لا يهرب لأنه آفة من الآفات وبلية من البليات وأقبلت منى ومن رأيى فدعنى آخذه وأطلع إلى هذا الدير الذى مالاحد عليه حيلة فيكون يبيت خلف باب واقفال وفى النهار تتوكل به الرجال فقال له الملك افعل مابدالك فهو مسلم اليك (قال الراوى) وكان دير الأنوار مذكور فى سائر الأقطار لان الرهبان الذين فيه كانوا يقولون للناس نحن كل ليلة أحد نرى المسيح ونسمع تلاوة الحواريون بالانجيل فتحمل اليهم الصلبان والقناديل والآلات والتماثيل (قال الراوى) وكان فيه صليب من الياقوت الأحمر وقنديل من الجوهر يسوى ملك الارض لأن بعض ملوك الجزائر قد وجد مطلب فيه أموال وجواهر تجل عن الوصف وفى جملتها هذا القنديل والصليب فأراد أن يرسلهما إلى بيت المقدس فاشار عليه بعض الرهبان أن ينفذهما إلى دير الأنوار ثم

وضعه بين يديه وذكر أن أنوار المسيح تظهر كل ليلة أحـد ويسمعون الرهبان تلاوة الحواريون للانجيل فلما سمع ذلك حملوا الصليب والقنديل إلى ذلك الدير وأوصى عليهما الرهبان وكانوا خمسة وعشرين راهب ولهم قس مقدم عليهم يقال له بورك وأن عقبه لما أمره ملك الافرنج أن يأخذ مذبحون ويصعد به إلى الدير ففعـل ذلك وصعد وهو معه وجعل يتحدث مع القس الكبير ومع الرهبان يتلو لهم الانجيل بكل لسان حتى حاروا من علمه واندهشوا من حسن معرفته ولما احتوى على قلوبهم قال أريد مكان أحتفظ فيه على هذا المسلم فانه شيطان وآفة على الأمم المسيحية فقال بورك ياأبونا ماسمعنا أن للخليفة شيطان إلا رجل محتال يقال له أبو محمد البطال وحق المسيح نحن من أجله قد حرمنا أن نضيف أحدا من أمة عيسى لأننا سمعنا عنه أنه يتزيا بكل زى تلبسه أمة عيسى المسيح والصليب والناقوس ويعمل على ذبح الرهبان وعلى ذبح القسوس فضحك عقبه من كلامه وقال هذا ولده وهو ألعن منه وأوعر وأيشم وأمكر فلما سمعوا الرهبان كلام عقبه جعلوا ينظرون إلى مذبحون وعلى وجوههم يصلبون وما فيهم إلا من قام اليه ولطمه على وجهه وقالوا لعقبه ياأبونا مانجد له أحفظ من بيت المذبح لأنه داخل الدير ونحن من حوله فى قلالينا ليلا ونهاراً ولكن قد سمعنا عن أبيه أنه يطير فى الفضاء مابين الارض والسماء فان كان هذا مثله فما نجيبه عندنا لأننا نخاف أن يقوم الينا ويذبحنا ويطير من عندنا فكشر عقبه عن أنيابه وضحك وقال لأنه مادام أنا عندكم فماله فى الخلاص من سبيل ولا إلى الانفلات لامسلك ولا مقيل (قال الراوى) ثم أمر اللعين فحمل الى بيت المذبح فحمله إلى بيت المذبح ودخل فأبصر الصليب الياقوت والقنديل الجوهر فحار من ذلك وانبهر وقال وحق المسيح مافى بيت المقدس ولا فى القسطنطونيه ولا رأت الملوك مثل هذا القنديل وهذا الصليب ولابد من آخذهما ولو قتلت كل من فى الدير من الرهبان فما آخذ للملك هدية أحسن من هذا القنديل والصليب أو أعلقه فى البيعه التى فى دارى ولكن ماأحرك ساكن حتى أبصر مايتجدد من أخبار الملك وأقتل أنا مذبحون وأفوز بقتله حتى لا أكون قدمضيت وخليت خلفى شىء أتأسف عليه ثم جعل يعذب مذبحون صباحا ومساء ويطلب يظهر للرهبان العلم والعبادة ويدبر فى أخذ القنديل والصليب واذا قد وصلت الأخبار من القسطنطونيه أن الملك الفالوغص سلم وأنه قد أفدى روحه من المسلمين بكل من فى القسطنطونية ووصل كتابه إلى ملك الافرنج يأمره أن يسير إلى القسطنطونيه ويعلمه أن سائر ملوك النصرانية قد أنفذ خلفهم يستدعى بهم اليه فلما سمع عقبه بذلك انفطرت مرارته واستدعى به ملك الافرنج وقال أيها الشيخ النجيح سر بنا إلى الملك الفالوغص حتى ننظر ما الذى قد عول

عليه فقال الملعون ماهذا صواب أن نمضى اليه على غره ولكن امضى أنت فيمن شئت من عسكرك وانظر ماالذى يريد واتركنى أنا فى هذا الدير احفظ هذا المسلم فان أنت رأيت الملك قد جمع العساكر وهو معول على الخروج إلى بلاد الاسلام انفذ اعلمنى حتى أسير هذا الأسير إلى بلدك وأمرهم أن يحتفظون به حتى إذا عدت من سفرتك تبيعه نفسه بماشئت من الأموال وان جرى عليك أمر من الامور فى بلاد الاسلام أو وقعت فى أيديهم كان هذا فداك لان قدره عندهم رفيع وان أنت حدثت الملك بحديثه وأمر باحضاره فانفذ الى حتى أسير به اليك فيمن يبقى عندى من عساكرك وأريد أيضا تحدث الملك بحديثى وتقدم عنده عذرى ولا يكون علىّ عتبان لأجل الحيلة التى دبرت فى الحصن وانعكست علينا فقال الملك ما أخرج عن رأيك ولا أدبر الا ما تشير به علىّ مادمت عندى ثم تحضر من يومه وسار فى ألف فارس وترك باقى العساكر عند وأمرهم بطاعة عقبة الملعون (قال الراوى) وكان غرض عقبة فى التخلف حتى يقتل يقتل مذبحون ويسرق القنديل والصليب ويعود الى بلاد الإسلام ولما مضى الملك عاد عقبة إلى الدير وجمع الرهبان اليه وقال لهم اعلموا أن قلبى تعلق بقولكم ان المسيح كل ليله أحد يظهر أنواره وأريد تقولون لى فى أى وقت حتى أشفى فؤادى من الأعادى (قال الراوى) فقالوا الرهبان ياأبانا ماتقول للأنوار وقت معلوم من الليل كان المسيح أى وقت اشتهى نزل وان كنت تشتهى ذلك فاسهر الليلة كلها إلى الصباح وقد رأيت القدرة المسيحية فقال عقبة إذا كان الامر على ذلك فاحضروا شيئا من الخمر وديروها بيننا حتى نتشاغل بها إلى الصباح فقالوا السمع والطاعة ولم تسكن إلا ساعة حتى قدموا الاوانى والاقداح وسكبوا الخمور فى بيت المذبح وقعدوا يشربون حتى مضى جزء من الليل وقد غلقوا باب الدير واستوثقوا منه بالاقفال وصار عقبة يشرب ومذبحون بين يديه وهو يعذبه ويقول للرهبان تقربوا الى المسيح يضرب هذا الملعون فانه أكبر عدو له (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك إلى ان مضى ثلث الليل وعلم عقبة ان الخمر دارت فى رءوسهم فأخرج من تحت أذنه قطنة بنج ورماها فى باطية الشراب وجعل يدير عليهم الاقداح وكان أول من انطرح على وجه الارض قسيسهم الاكبر بوريك وانطرحت بعده الرهبان يمينا وشمال ونظر اللعين عقبة إلى ذلك فقال كان هذا غرضى فقال مذبحون ويلك ياشيخ السوء أراك قد بنجت الرهبان ايش فى نيتك تعمل فقال سوف أريك ياشيطان ماأفعل وحق المسيح لاعدت أبقيت على أحد منكم إذا وقع فى يدى لان الايام قد تقضت والسنين قد مضت وأريد أشفى فؤادى منكم قبل الممات ثم رفصه ألقاه على ظهره وجلس على صدره وجذب السكين فى يده وعول على نحره وإذا بصيحة قد أخذته من خلفه وقائل يقول

ياعدو الله لاتمد يدك إلى أولياء الله فلما سمع عقبة ذاك ارتعدت أعضاءه وارتعشت يداه والتفت ينظر من ناداه وإذا بثلاث أشخاص فى زى الرهبان عليهم المسوح وفى يد كل واحد منهم خنجر يلوح فقال ويلكم من أنتم ومن أين دخلتم فقال واحد منهم لاتخف أيها الشيخ النحس فنحن رفقاك وأصدقاءك الذين لايأخذنا فى خدمتك توانى ولا اهمال أنا أبو محمد البطال وهؤلاء غلمانى ثم انهم هجموا عليه ولطموه حتى أنزلوا الماء الأصفر من عينيه وحلوا مذبحون وشدوا عقبه يديه ورجليه فبقى حائر كيف وصلوا اليه وكان أبو محمد أخبر أنه فى دير الانوار فسار هو وغلمانه فى طلبه وكان وصولهم اليه فى اليوم الذى رحل فيه ملك الافرنج وعلم أبو محمد بهذا الحال فصبر إلى الليل وأتى هو وغلمانه من وراء الدير ونصب أبو محمد السلم الابريسم وصعد هو ولؤلؤ وبديع وتركوا باقى الغلمان يحفظون السلم وقد قال لهم ان قدرتم على شىء من الدواب أو العده فحصلوا لنا من العسكر إلى أن نعود ولما أن صاروا فوق السطح سمعوا ضجه الرهبان وصوت عقبه بينهم ومذبحون بين أيديهم وهو بان عليه بالضرب والعذاب فقال أبو محمد واولداه واكبداه انزلوا بنا إلىسور الدير حتى صعد الرهبان وكل من صعد الينا فى حاجة بادرناه بالخناجر فتلناه حتى يقلوا ونهجم عليهم وكأنى أسمع ضجيجهم كثير قال لؤلؤ يامولاى فنخاف أن نقتل منهم واحد أو اثنين ويمج الصائح فقال البطال ماتم خوف انزلوا على اسم الله تعالى (ياسادة) فنزلوا واختفوا ساعة من الليل وإذا بحس الرهبان قد انقطع عنهم فى كرةوواحدة فاطلع أبو محمد اليهم واذاهم مطروحين وعقبه قدقام إلى مذبحون يريد أن يذبحه فعند ذلك قال أبو محمد لغلمانه والله ماينج هؤلاء الرهبان إلا حتى يقتل ولدى انجموا بنا عليه قبل مايفوت الأمر فهجموا كما ذكرنا وخلصوا مذبحون وربطوا عقبه وقد تركوا دماؤهم يفيض فى المذبح وعقبه ينظر إلى ذاك ويقول وحق المسيح ماقصرت مع البطال بنجت له الرهبان حتى هندمت له المكان حتى جاء وأصاب الأمر كما اشتهى هذا وأبو محمد قد نظر إلى القنديل الجوهر والصليب الياقوت فبقى حائر مبهوت وقال وحق محمدهذا شىء ماله قيمة على وجه الأرض ولا يصلح أن يكون هذا إلا فى كعبة الله المعظمة ثم أخذ الجميع ودار هو وغلمانه فى الدير وأخذوا من الصلبان والجوهر مايساوى ملكا عظيما ووجد فى بيت المذبح صندوقين فيهما كتب قديمة وأناجيل عتيقة فقال أبو محمد فرغواهؤلاء الصناديق واحملوا عقبه فى أحدهما والمال فى الصندوق الآخر وسيروا بنا مادام فى الليل رمق فانى أريد أحمل عقبه إلى الأمير عبدالوهاب إلى الحجاز ليشتفى منه ولا يبقى فى قلبى حسرة من الحسرات ففعلوا غلمانه ما أمرهم به وحمل كل واحد منهم صندوق وفتحوا الباب وخرجوا فوجدوا باقى

الغلمان فى انتظارهم وقد حصلوا لهم من العسكر خيل وفى تلك الساعة شالوا الصناديق على بغل وركبوا الخيل وتقلدوا بالسيوف بعد ما خلعوا عنهم ثياب الرهبان ولبسوا زى تجار الروم وقال لهم الأمير أبو محمد اتبعونى حتى نسير فى البر ولا يقع أحد لنا على أثر فقال له لؤلؤ على أى طريق تريد تأخذ بنا فقال على طريق الناسوت وبندق الأشقف ويكون على نوبيديانس وهو على يميننا حتى نقع فى نوايلاذ ونطلب الشام ونسير الى الرقه ونقيم إلى الغداة حتى نحاذى الأنبار ونعرج إلى الكوفه وندخل برية الحجاز فقالوا هذا هو الصواب افعل ما بدالك فعندها ساروا عسفا وقد أخذوا معهم من الدير كلما يحتاجون اليه من زاد وماء وغير ذلك وجدوا فى السير ليلا ونهار وغد وابتكار ولا يركنون الى راحة ولا الى قرار حتى مضت عليهم تسعة أيام وعشر ليال وادركهم مطر عظيم حتى وقفت الدواب التى تحتهم وما بقيت تندفع من التعب الا أنهم قد كان وصلوا فى اليوم العاشر الى أوائل بلاد الاسلام ونزلوا فى دير فى ضيعة كبيرة لها مسجد كبير عامر فنزلوا قريب منه ونشروا ما أنبل منهم من المطر وقعدوا للراحة حتى اصفرت الشمس وفتح الأمير أبو محمد الصندوق الذى فيه الجوهر وجعل يمسحهم من الندا والبلبل ويلفهم فى القطن ويحترص عليهم وإذا برجل شيخ وعليه ثياب سود وعمامة كبيرة وقد وقف عليهم وقال لابو محمد مسلمين أنتم فقال أى شىء معكم من التجارة ما أظنكم جلبتم غير هذا الزجاج الملون فضحك أبو محمد وقال ياشيخ ما نحن تجار وإنما دخلنا البلاد التى لاهل الروم لحاجة عرضت لنا ونحن عائدين إلى بلاد الإسلام فانصرف الشيخ عنهم ورد أبو محمد الجميع فى القطن ثم جعلهم فى الصندوق ولما أمسى المساء نام الامير أبو محمد وقلبه مطمئن بالوصول إلى بلاد الإسلام فلم ينتبه إلا والليل قد تهور وافتقد الصناديق فوجد الصندوق الذى فيه عقبه قد سرق فذهب عقله ولبه واندهشت أصحابه فقال مذبحون ما أخذ الصندوق الا من ظن أنه صندوق الجوهر قوموا بنا نرحل لئلا ينفر الخطب علينا عند الصباح وربما قال للناس اننا نصارى وأنه القاضى عقبه وما ندرى كيف يكون أمرنا فقوموا بنا نرحل فعندها قاموا الغلمان على الخيول وشدوا صندوق الجوهر على بغل وساروا يقطعون الأرض وما منهم إلا من تأسف على عقبه وخلاصه وهم خائفين أن يعلم بهم الخليفة فيمسك عليهم الطرقات إلى الحجاز ويأخذهم (قال الراوى) فوصلوا المراحل وقطعوا المناهل إلى أن وصلوا إلى الرقة ونزلوا على بابها وقد عولوا على الراحة والسير بعد ثلاثة أيام إلى الرحبة ولما تقضت الثلاثة أيام أخذوا فى الرحيل فقال أبو محمد لبعض غلمانه ادخل إلى البلد واشترى لنا سفطا نجعل فيه هذا الجوهر ونجعله فى بعض

الاخراج ونستريح من هذا الصندوق ثم فتح الصندوق ليخرج الجوهر فوجد فيه قنديل وصلبان من القرع وتماثيل من القرع فبهت أبو محمد وأخذ الضحك من شدة الغيظ وعرف ولده وغلمانه بذلك فما فى القوم الا من انذهل فقال مذبحون وحق المصطفى مافعل هذه الفعال إلا الذى خلص عقبه وهو الذى أعلمه بحالنا فقال البطال نفيت عن ظهر الحصيين ان تركت هذا يتم على ومعلوم أن عقبه ماخلص من أيدينا إلا ويطلب بغداد وان صدقنى حذرى فما اتبعنا إلا من القرية التى سرق اللعين منها فسيروا بنا وراءه إلى بغداد حتى أريكم ماأفعل به ثم أنه ركب هو وركبوا غلمانه وصار بهم يطلب طريق الموصل وترك طريق الحجاز من شدة مالقى من الغيظ ومذبحون يقول له الصواب أن نمضى إلى أهلنا ونترك معارضة هذا الملعون فما ندرى مايكون فى دخولنا إلى بغداد والخليفة علينا غضبان ولا نعلم مانلقى فقال البطال ما أقدر أغفل عمن أخذ منى هذه الأموال ونحن ماننكر أمرا ولا ندخل بغداد إلا فى الليل ومانقصد إلا دار عقبه ومنها ننال المقصود ثم ساروا يطلبون العراق (قال) وكان السبب فى ذلك أن رجل من عيارين بغداد اسمه لاحق ابن المختلس كان قد وقع فى حبس الخليفة مراراً ويفلت من الحبس ويخرج ويرجع إلى أخذ الأموال التى للناس ثم استتابه بعض نواب الخليفة وطالع المعتصم بذلك فقبل توبته وأجرى له فى كل شهر عشرة دنانير وصار يخدم فى الباب وكان لاحق لايصبر عن معاشرة الشباب والشرب مع الأصحاب فصار يحتاج إلى تدبير على العشرة دنانير فى كل شهر منها ولم يكن إلا مدة يسيرة حتى صار عليه دين عظيم لتجار بغداد رأى نفسه فى مضايقة عظيمة فقال لابد أن أقصد بلاد الروم عسى أن أكسب شيئا وإلا فهذا شىء لايقوم بى ثم ركب وسار حتى وصل إلى القرية التى بات فيها الآمير أبو محمد البطال وأدركه المطر فأقام ثلاثة أيام وقد ضاق صدره وقال هذه الأيام قد تقضت وشىء ماوقع فى يدك وما يمكننى أن أعود بلاشىء بعد هذا التعب وأنا فقد حلفت أننى لا عدت آكل حرام فى بلد العراق وأما هذه البلاد فلا ثم نزل تلك الليلة إلى دار الخليفة وسرق ثيابه السود التى يخطب فيها وأصبح معول على الرحيل فوصل البلاد كما ذكرنا ومعه ولده وغلمانه ونزلوا فى القرية كما وصفنا فلما أبصرهم لاحق قال لاشك أن هؤلاء من تجار الروم وما يخلون إلا أن يكون معهم فى هذه الصناديق مال وأريد الليلة أبات هينا لعلى آخذ منهم شيئاً ثم صبر إلى الليل وقام يتمشى وقد لبس ثياب الخطيب وجرى له مع أبو محمد ماجرى، وأبصره وهو يمسح القنديل فعلم أنه جوهر وكذلك الصليب وليس لهم قيمة وهم يظنون أنه خطيب المكان فلما أبصرهم العيار وقد امتلأ قلبه فرح فخلع تلك الثياب ولبس ثياب الليل وصبر حتى علم أنهم قد

ثقلوا فى النوم فجاء إلى عندهم وحمل الصندوق الذى فيه عقبه فلم يزل حامله حتى أبعده عن القرية إلى دير هناك خراب فدخل فيه وقد أتعبه حمله وهو يقول والله ماهذا إلا ثقيل هذا سبب غناى إلى الأبد ففتحه ومد يده فوقعت على ذقن عقبه قال ويلك أنت إيش فما يتكلم فأخرجه من الصندوق وقال والله ماطرح هذا ههنا إلا لسر عجيب ثم تأمله وإذا هو بشخص أعور ومقطوع الآذان وعليه ثياب الرهبان وهو كأنه القرد فقال والله لقد تبدلت الجواهر بقالب منحوس لعن الله من يبقى هذا فما حط فى هذا المكان إلا وهو خبيث ملعون ثم شال الأكره من فمه وعول على ذبحه من شدة الغيظ فقال عقبه يا أخى تقتلنى وما عرفتنى ولا علمت من أنا فقال له لاحق العيار وايش تكون أنت كلب ملعون نحس وقد ضاعت ليلتى معك فى الهذيان فقال عقبه يا أخى لاتفعل واتق الله من هذا الكلام فأنا قاضى من قضاة الإسلام وان حملتنى ياهذا إلى بغداد فهو يكون سبب غناك إلى الأبد قال لاحق وايش تكون أنت من أهل بغداد قال له أنا عقبه السلمى والليلة قد حقنت دمى لأن هذا الذى كنت معه البطال ومعه غلمانه الأندال وسبب مجيئه إلى ههنا انه الأمير عبدالوهاب فى بلاد الروم وأخذ خبر أننى فى بيت المقدس فقال لعبد الوهاب أريد أروح إلى عقبه آخذه وأجيبه إلى هذه البلاد ولبسنى لبس الرهبان وإذا عدنا الى الخليفة أحضرناه بين يديه بذلك الزى ونقول هكذا وجدناه فى بلاد الروم حتى يسلمه الينا نحكم فيه بالذى نريد لأن بيننا ياولدى عداوة عظيمة وحسد لأجل مايروا من دينى ومن عظم منزلتى عند الخليفة فأخذهم الحسد لذلك وأن البطال أتى إلى وحملنى إلى أن قربت من القسطنطونية فسمع أن عبد الوهاب دخل بر الحجاز فرجع يريد أن يسلمنى إلى عبد الوهاب فيعذبنى أشد العذاب فلما وصلوا بى إلى هذه القرية سهل الله تعالى خلاصى على يديك فأريد أن تتم احسانك على وتسيرنى إلى أرض العراق ولك من المال مايغنيك فى عمرك فقال لاحق السمع والطاعة وفرح فرحا عظيما لأنه كان سمع بذكر الشيخ عقبه وأنه قريب من قلب الخليفة وأنه متطلع إلى أخباره فقال أبشر ياقاضى بالسلامة فأنا أسيرك إلى بغداد وأبلغك غاية المراد ولولا أن لك عند الله منزلة عظيمة ماساقنى اليك حتى أخلصك ثم عرفه أنه ماخرج من بغداد إلا من ضيقة عظيمة وما سرقتك ألا ظننت أنك صندوق الجوهر لأنى رأيت البطال ومعه صليب ياقوت وقنديل جوهر وهو يلفهم فى القطن فعلمت أنهم يسووا مالا جزيلا وأعاد عليه ماجرى له مع أبو محمد البطال من الكلام فتحسر عقبه حتى كادت روحه أن تخرج وقال يالاحق وحق من أنشأ الخلائق ويحاسب النفوس على الدقائق والحقائق ان هذا القنديل لايوجد مثله فى المغارب والمشارق ولوكان معى حتى أهديه للخليفة وأعلقه على

البيت الحرام لكنت أنا وأنت نستغنى به بقية الأيام فقال لاحق إذا كان الأمر على هؤلاء فأنا أعود آتيك به ثم انطلق إلى المكان الذى كان فيه البطال فلم يره فعاد إلى عقبه وأخبره بذلك فجعل يأكل كفه ندما فقال لاحق وحق ذمام الفتوه لأدخلت إلى بغداد إلا بالصليب والقنديل ولو اتبعت البطال إلى آخر الدنيا فقال له عقبه أخشى عليك يا بنى من حيلته ومكره وخديعته فقال لاحق ياقاضى لاتخف على منه فأنا لو كنت تركت بلاد الإسلام وعبرت بلاد الروم ما كان للبطال ذكراً قط والساعة ياقاضى لا بد ما يبلغك ما يجرى بينى وبينه من الأعمال التى تعجز عنها الأبطال البس أنت الساعة هذه الأثواب التى سرقتها من دار الخطيب واركب فرسى واطلب بغداد وانتظرنى بعد حضورك بثلاثة أيام أكون أنا عندك وقد أتيتك بالقنديل وقد توكل به عزرائيل فلما رأى عقبه ذلك رآه صواب وقال فى نفسه أنا كنت أشرفت على الهلاك وقد سهل المسيح خلاصى بشىء لم يكن فى الحساب ورزقنى هذا الفرس الذى تحتى وقربنى من بلادى وقد توفر على المال الذى أردت أعطيه لهذا الشيطان ثم قال للعيار لاحق يا أخى افعل ما بدا لك بلغك الله آمالك وأما أنا أسير إلى بغداد وأبلغك من الخليفة مهما أردت من المرام ثم قال فى نفسه أنا أسير الى العراق وانظر مايكون من هذا العيار فما هو شىء يخفى فان أتى بالصليب والقنديل فأنا أدبر عليه وذلك انى أوهبه ماشاء من المال وأدبر عليه وأقتله وآخذ ماله ثم انه لبس ثياب الخطيب وركب وسار والفجر قد بدأ يطلع وسار لاحق بعد مسير عقبه وقد تضاحا النهار وجعل يقتفى الآثار (قال الراوى) وكان هذا العيار قوى العصب شديد السعى جسور على كل شىء لايأخذه تعب ولا يحل من النصب ثم جعل يقتفى خلف البطال الآثار وابو محمد وغلمانه يسير واسير الجد والتشمير الى أن وصل كما ذكرنا إلى القرية وقد سبق بيوم ونزلوا فى الخان كما ذكرنا وأقاموا للراحة ثلاثة أيام كما وصفنا ولاحق العيار من أول الليل وصل اتفق على انه بات عندهم فى الخان وهم لايعرفوه وكان له صناعة عظيمة فى فش الاقفال فتركهم ثانى يوم الى ان راحوا الحمام ليزيلوا عنهم تعب الطريق ففش القفل ودخل أخذ القنديل الجوهر وترك بداله قرع حتى يظهر صناعته على البطال وسار وقت السحر يطلب الموصل وأصبح الصباح وفتح البطال الصندوق وقد أراد يغير الشغل ويرحل فنظر الى ذلك القرع فعظم عليه كما ذكرنا وعلم انهم صنعة عيارين بغداد فترك طريق الحجاز وطلب بغداد وعدنا الى سياقة الحديث (قال الراوى) وسار البطال يقتفى أثر العيار وماكان بينهما تفاوت فى السير أكثر من يومه واحد فرحل لاحق بغداد بكره ودخلوا هؤلاء بعده بشىء يسير الا أنهم لم يجاوزون العمران وقال البطال لولده يابنى ادخل بغداد واقصد دار عقبة

وتسلق عليها وخذ لى خبر من داره فأنا أعلم أنا مادبر على هذا التدبير إلا هو فقال مذبحون السمع والطاعة انتظرنى فأناما أعود إلا بالخبر اليقين ان شاء الله تعالى ثم غير لباسه وسار طالب دار عقبة (قال الراوى) وكان عقبة قد دخل بغداد ودخل القصر وأقام خمسة أيام والخليفة أفرح الخلق به وكان لايفارقه أبدا حتى يصلى به العشاء الأخيرة وكان من أول قدومه سأله عن سبب غيبته فقال له يا أمير المؤمنين من ليلة خلصت أنا وأنت من ملطيه على يد عاصف نزلت وأنت فى قتال عبد الوهاب ومضيت إلى بيت المقدس لأنى قد تقضى زمانى فى ترك العبادة والغفلة عن طاعة الله تعالى وأقمت فى بيت المقدس إلى قريب وكان البطال يدور البلاد من خوفه منك لاتطلبه لتأخذ منه بثار أولادى وانه فى دورانه فسمع بى اننى فى بيت المقدس فقصد إلى وسرقنى وقصد بى الى بلاد الروم ليوصلنى إلى عبد الوهاب فوجده قد رحل ودخل أرض الحجاز فسبب الله من خلصنى منه بغير اختياره والذى خلصنى منه رجل من أهل الدين والإخلاص وأخ من إخوان المسلمين وطلب بذلك الثواب من رب العالمين فلما حصلت فى يده غلبنى الشوق إلى مشاهدتك السعيدة فقلت أسير اليه وأقضى باقى عمرى بين يديك وأربح مشاهدة الحضرة النبوية والسلالة المحمدية لما علمت ان الديار قد خلت من الأعداء الذين كان يفلتوا قلبك على فلما سمع الخليفة كلامه قال ياقاضى أقيم الساعة عندنا ولا ترجع تغيب عنا فأعداك قد أبعدناهم ولا بقى منهم من يطأ أرض العراق الا وأضرب رقبته بعد ما أشهره فى سائر الآفاق فنحن فى غناء عنهم وعن خدمتهم لنا وما بقينا نريد لنا عبيد الا الترك وأقام عقبه وفى قلبه النار من أجل لاحق العيار وهو بين المكذب والمصدق لأجل سلامته الى الليلة الثانية التى وصل فيها إلى بغداد ومعه القنديل والصليب وأقام لاحق فى انتظاره حتى صلى مع الخليفة العشاء الأخيرة وأتى عقبة ونزل إلى داره فاقر قراره الا ولاحق قد دخل عليه فلما رآه كاد أن يطير عقله من الفرح فقال ياولدى قل لى قلبى وحق محمد مشغولا لأجلك الساعة وأنت على بالى فما الذى تم لك مع البطال قال فضحك لاحق وقال ان كان هو البطال فأنا العيار الكثير الأشغال ثم انه أخرج الصليب الياقوت والقنديل الجوهر وقال خذ ياشيخ هذا ماشرحت عليه (ياسادة) فلما نظر عقبة إلى ذلك انخلع فؤاده وقال والله يالاحق لقد فعلت فعلا تعجز عنه الجن وحق محمد لتنفطرن مرارة البطال ياولدى أنت تعرف ان هؤلاء الجواهر ماتصلح إلا لمثل كسرى لأنها بيع ماتباع ولا تقوم بأموال الدنيا والذى فعلته معى ماأقدر لك فيه على جزاء وأنا أريدك ان تكون فى بغداد لى ذخيرة وكذلك أنا أبقى لك عند الخليفة غاية الوسيلة وما تلقى من صحبتى إلا كل خير وكل ماتحتاج لشىء من المال تعالى إلى وخذ منى ما أردت وان وقعت فى شدة خلصتك

بجاهى ولا أترك أحدا يصدر اليك بشىء من الأشرار (قال) ياسادة فشكره لاحق على ذلك وخرج من عنده طالب لداره وقد أعطاه عقبة ألف دينار فلما خرج لاحق من الدار استقل الألف دينار فى الجواهر وعقبة قد غلق بابه وأخرج سقطا ملآن من التحف والخيرات وحط فيها القنديل والصليب من بعد ماغطاهم بالقطن وحطهم فى خرستان وقال الى منامه وقد امتلأ فؤاده فرح وسرور (قال الراوى) هذا كله يجرى ومذبحون ينظر اليهم من شبابيك الدار وطلع إلى السطح وطلع فأصاب عقبة لما دخل داره وصعد من عند الخليفة ودخل اليه لاحق العيار وجرى ماجرى وعاد مذبحون ونزل من موضع طلع منه وعاد إليه وحدثه بما سمع ورأى وقال له مابرحت من على السطح حتى خرج لاحق من عنده وقام عقبة إلى منامه وما أظنه إلا يريد يرسل القنديل والصليب إلى القسطنطونية إلى ملك الروم (قال) فلما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك قال هذا هو الخبر الصحيح سربنا ياابنى إلى دار عقبه وباقى الغلمان يسيروا مع لؤلؤ إلى دار لاحق العيار عسى يظفروا به فان فى قلبى منه نار وأريد أحرمه يرجع يقول أنا عيار فقال لؤلؤ افعلوا مابدالكم واتركوا لنا أهل الأرض إلا عقبه فاننى ما أقع له على عوره ثم أنه أخذ معه بديع ويانس وأبو الليل وصندل وترك جوهر يحفظ الدواب وقد أخفى الجميع فى حمام خراب وسار كل قوم إلى جهة فأما البطال ومذبحون فانهم مضوا إلى دار عقبه والليل قد أظلم ولبس حلل السواد واعتم فلما صاروا تحت الدار قال الأمير أبو محمد لولده ياابنى اطلع أنت ودعنى أنا أنظر وإذا أخذت السفط الذى فيه الغرض دليه إلى وانزل ولا تتعرض لعقبه ولا لأحد ممن يلوذ به وربحنا من معارضته ولو انى أنا أعرف المكان الذى فيه القنديل والصليب لاصعد فيه أحدا غيرى لكن أنت أخبر منى بالصعود وأهدى إلى الموضع فاطلع وتوكل على الله تعالى فعندها التصق مذبحون بجنب الحائط وصعد مثل النمس حتى صار فوق السطح وطلع فرأى النور قد انطفأ وما سمع حس فقال هذا الذى أريد ثم فتح الباب بتاع المموق ونزل وهو يقول والله لابدلى من ذبح عقبه وما على من أبى لأننى أنا ما رجعت اليه هذه النوبة إلا لأشاوره فى قتله وإلا لو أردت لسرقت القنديل والصليب ثم أنه رجع إلى وسط الدار والخنجر فى يده مثل الصاعقة وهو حذر على نفسه من دواهى عقبه ولما صار فى وسط الدار جعل قصده الموضع الذى رأى عقبه نائم فيه فلم يجده فعظم عليه ذلك وما رأى أنه يقضى الليل فى البطال فأتى إلى الباب وفتحه أسرع من البرق ومديده وأخرج السفط ووقعت يده على خمسة أكياس فأخذها أيضا وكانت خمسة آلاف دينار وعاد وهو يأكل كفيه كيف لم يقع

بعقبه ولم يزل حتى عاد إلى السطح فوجد أبوه قائم فربط المال والصليب والقنديل فى الحبل ودلى الجميع إلى أبيه ونزل فما استقر على وجه الأرض حتى وقع فى رقبته لكمة مثل حافر بغل وانطبق عليه اثنان مثل الفتيق وفى يد كل واحد منهما سكين أمضى من من الحريق فأداروا من كل واحد كتاف وتركوا الاكر فى أفواههم وهم قد اندهشوا وحاروا ووقع بهم الانبهار ولم يقدروا ينطقون ولا يصيحون لأجل انهم مطلو بين للخليفة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن لاحق العيار لما رجع من دار عقبه بالألف دينار فاستقلها ورأى أنه خاطر بنفسه من أجلها فحدثته نفسه أنه يرجع ويتسلق إلى عقبه ويقتله ويأخذ الجواهر منه فقال حتى أشاور صديق وكبيرى أحمد العيارى وكان له صديق يقال له أحمد وهو كبيره فى الفتوة وكان هذا أحمد آفة من الآفات وبلية من البليات وهو الذى كان يحسره على كل شىء فلما وصل إلى داره وأنفذ غلامه فرآه فلم تكن إلا ساعه حتى وصل إليه وهنأه بالسلامة وقال ويلك يالاحق صرت تغيب هذه الغيابات ولا تعلمنى وأنت تعلم انى ما أقدر على فقدك فقال لاحق دعنى الساعة من العتب واسمع ماقد جرى لى فلو كتب بماء الذهب لكان عجيب لمن تعجب ثم قص عليه القصة من أولها إلى آخرها وحدثه بحديث الصليب والقنديل وكيف أعطاهم لعقبه وكيف أخذ منه الألف دينار ثم قال لى أنه يعوضنى وانى كلما احتجت إلى شىء أعطانى (قال) فضحك أحمد العيار وقال ويلك وكيف تم مثل هذا عليك وأنت تدعى العيارة والشطارة وحق الفتوة ماترجع تطالب من عقبه دينارا واحدا لا يعمل على ضرب رقبتك وانى أتعجب كيف أخذ منك هذا الصليب والقنديل وكيف أخذت منه الذهب وما أطعمك شىء قتلك لأننى أعرفه من سنين أنه مستهزىء بالدين كثير الشر والمكر على أنه لابد له من هلاكك ولا يغفل عنك فقال لاحق العيار وقد امتلأ قلبه عليه والساعة كيف يكون الأمر فقال قم بنا الساعة نمضى إلى داره فأنا أتسلق وأذبحه وآخذ الصليب والقنديل ونمضى من هذه البلاد إلى غيرها ونهديهما لبعض الملوك ونعيش فى غناه إلى الأبد وعز السرمد ولا نترك مثل هذا القرنان يأخذها بالهزيان فقال لاحق العيار افعل ما بدالك فانا ماأخالف فعالك فعندها لبس أحمد ثياب الليل وعمل فى رجليه نعلين من اللبد وفعل لاحق مثل فعاله وسلا سكاكينهم وساروا حتى وصلا إلى دار عقبه وهم أحمد بالصعود وأبو محمد قائم عندركن الدار وعيناه إلى السطح وظهره اليهم وهو منتظر ولده مذبحون مشتعل القلب لأجله فقال لاحق اثبت ياأحمد هذا وحق الفتوة أبو محمد البطال ولما أتى إلى بغداد خلفى من حرقته على مافعلت به وقد علم أن الصليب والقنديل مافاتونى وقد أتى

فى طلبهم وإن صدقنى حذرى ولم يخطىء نظرى فولده قد صعدأو بعض غلمانه وهوواقف فى انتظاره فقال ويلك إذا كان الأمر على ذلك فقد أراحنا من التعب والساعة نقبض عليه ويقف أحدنا مكانه حتى ينزل الذى قد طلع إلى الدار فنأخذ ما معه فقال لاحق هـذا هو الصواب ثم أتى من ورا البطال وعينيه ترمق إلى السطح فلم يحس وقد لكمه بنصاب السكين أرماه وأدركه أحمد ودار كتافه ووضع الاكره فى فمه ووقف مكانه حتى طلع مذبحون ودلا السقط وأخذه واحد من هؤلاء الاثنين والآخر أخذ المال وساقوا بين أيديهم مذبحون وأبوه حتى وصلوا إلى دار لاحق وفتحوا الباب ودخلوا فما هم الا بمقدار ما صاروا خلف الباب حتى وثب على كل واحد منهم اثنين وفى أيديهم السكاكين فقبضوا على الاثنين فى الحال وخلصوا مذبحون وأبيه وأخذوا القنديل والصليب والمال (قال الراوى) وكانوا هؤلاء لؤلؤ وأصحابه الذين ساروا فى طلب لاحق لأنهم تسلقوا الى داره فلم يجدوا فيها غير الغلام فسألوه عن مولاه فقال انه راح إلى دار عقبه فقالوا الساعة والله يقع أبو محمد ومذبحون ويأتى بهم الينا والصواب أن نقيم حتى يأتون هؤلاء الشياطين فهم على مثل ذلك الكلام وإذا هم وقد دخلوا بهم عليه وهم يقولون قد ملكناهم وبعد أن حصلوا فى أيدينا ياما يشتروا أنفسهم منا بالمال وأما نسلمهم إلى الخليفة فهو ما يستبقيهم ونحن إذا كنا ههنا ما يعلم بفعلنا أحد ولما دخلوا بهم عليهم خلصوهم غلمان البطال كما وصفنا وعدنا إلى سياق الحديث (قال الراوى) وكانوا غلمان البطال قد أنفذوا بديع إلى دار عقبة ليكشف لهم الخبر فرآهم وهم راجعين بالأمير أبو محمد البطال ومذبحون ووجدوا الأمر قد فات وهم قد تعبوا من حملهم وحمل المال فتركهم بديع وعاد إلى لؤلؤ وأخبره بالخبر فعظم ذلك عليه وكبر لديه فرتب أصحابه خلف الباب وأقاموا حتى أتى لاحـق ورفيقه وقبضوا عليهما وأداروهما كتاف ووضعوا الأكر فى أفواههم وخلصوا سيدهم البطال وولده مذبحون وأخذوا العيارين الاثنين والمال والجوهر وخرجوا وساروا وقد تركوا الدار على حالها مفتوحة الباب والغلام الذى كان فيها أطلقوه بعد أن وهبه أبو محمد شيئا من المال واستحلفه أنه لا يقر عليهم وساروا حتى انهم وصلوا إلى دارهم فقال مذبحون يا أبتاه ما الذى تنتظر به ههنا ما ترحل بنا ونلحق الأمير عبد الوهاب ونخلى عنا ما نحن فيه من الهزيان فقال له ويلك ياولدى أخاف من عقبه أن يبرطل علينا الأجناد ويرسلهم خلفنا إلى سائر الطرقات ويقول ما يقدر يفعل هذه الفعال الا البطال وغلمانه وان وقعنا سلمنا الى الخليفة يهلكنا ويقول يامولاى نزلوا إلى دارى وأرادوا قتلى والا فانا أعلم أنه ما يجسر يحدثه بحديث

القنديل والصليب لأنه يفزع أن يقول له فلم لاأعلمتني بهم والصواب أننا نقيم ههنا مختفيين فى الخراب إلى أن نسمع ما جرى بعدنا وندبر على ما نسمع فقال مذبحـــون هذا هو الصواب ثم انهم أقاموا على حالهم وقد أخفوا ما معهم من الرجال (ياسادة) فلما أصبح الصباح أراد عقبه أن يحضر غـلامه ويرسله الى القسطنطونية بالمال والصليب الياقوت والقنديل الجوهر هدية للملك ويأمره بالخروج إلى بلاد الاسلام فوجد الجميع قد فقدوا فدق يد على يد وجعل يعض كفوفه ندامة ويقول وحق المسيح انى أخطأت على نفسى حيث أخرجت لاحق العيار من عندى سالم لأنى رأيته على فعاله نادم وما هو الا استقل المال الذى أعطيته ولم يثق بالوعد الذى وعدته وقد رجع أخذ الصليب والقنديل لأنه كان خارج من عندى وأنا أنظر الغدر من بين عينيه ولـكن ما قلت أنه يجازيني سريع وكنت على قتله معول فما أسعده الا ما بقى له من الأجل ثم بقى مشكك فى ذلك وأراد أن يعرف حقيقة الحال فانفذ غلامه إلى دار لاحق وقال له ويلك امضى وأبصره فان كان فى الدار فما عنده من هذا خبر وان كان قد هرب فهو الذى أخـذ الجوهر والذهب فمضى غلام عقبه ساعه وعاد وقال يامولاى وجدت باب الدار مفتوح فدخلت ودورت المكان فما وجدت هناك انسان فقال عقبه هو الذى فعل هذه الفعال ولا بد ما أحكم نوبته عند السلطان ثم أنه تعمم وجنح الطيلسان وركب إلى دار الخلافة ونظره يضرب الى كل مكان ولما وصل ترجل ودخل إلى مجلس المعتصم فرآه منغص بالخلق والوزراء والـكتاب وهم بين قيام وقعود الا أن الـكل سكوت خمود والخليفة مطرق برأسه إلى الأرض وبين يديه كتب كثيرة وهو تاره ينظر اليها وتارة يتفكر فيها وما هو فيه والناس ينظرون أن يتـكلم وكـذلك أرباب الدولة والخدم فلما نظر عقبه إلى ذلك سلم وأخذ موضعه من المجلس وقعد ورأى الخليفة مشتغل عنه وعن غيره فتعجب من ذلك وقال لبعض الخدام والحجاب يا أخى إيش حال أمير المؤمنين كثير الأفتكار وما هذه الـكتب التى بين يديه وردت ومن أى الأقطار وصلت اليه وما الذى فيها فقال ياقاضى هذه الـكتب التى به يديه وردت من بلاد خراسان وفيها أخبار خارجى قد خرج من الديلم وقد استولى على رقاب الأمم وهو سائر إلى بلاد العراق فى عساكر قد ملأت الفضا والـكل معتدين والمقدم عليهم ليس له دين ولا وقع أحد له على حقيقة يقين والخليفة قد افتكـر فى حاله وهو عازم على قتاله لأنه قد وصل إلى حلوان بعد أن ملك بلاد الترك وبلاد خراسان وسمرقند واصفهان والرى وهمـــدان وقد ادعى أنه صاحب العصر والأوان (قال الراوى) وكان هذا الخارجى اسمـــه باهلاك بن سارستان وكان أول

ظهوره من بلاد الديلم وقد تقوى على الترك والعجم وفتح البلاد فى تلك الأقطار حتى أطاعه ما وراء النهر وملك أيضا جزائر البحر وكان مجنون خبيث لايعد فى شريعة ولا مذهب ولا يضحك العجب بل مجبول بالسخط مخلوق من الغضب عظيم فى نفسه متكبر على أبناء جنسه وأنه لما رأى انقياد الخلق إليه وذلهم بين يديه وخوفهم منه عجب بروحه وقال أنا امام العصر وصاحب الدهر وأطاعته الأمم وصار له رعاة من الترك والعجم وقاد الجيوش والأمم وخرج طالب أن يملك سائر البلاد ويردهم كلهم إلى طاعته حتى وصل حلوان وقد تبعه من العسكر مالا يصفه إنسان ورأى ما ملك من البلدان فعزت نفسه وطلب علو المكان وصار يقول أنا أميت وأحيي وأمرض وأشفى وأفقر وأغنى وقد جاءنى بذلك رسول من السماء الرابعة وقال لى أنت صاحب الأرض كما أن نحن أصحاب السماء السابعة نحن نشاركك فى ملكنا ونظهر فيك القدرة إلى يوم الحساب وننزل على يديك والنعيم والعذاب وأعاد مقام فرعون فى أمته وأضله الله تعالى لما يريد من شقاوته والذى بقى من البلاد ماأطاعه قد كتب إلى الخليفة يعلموه باخباره ومافيهم إلامن شرح أمره وقال يامولانا ظهر الفساد وملك أكثر البلاد وأهلك كثيرا من العباد وقد نزل فى مرج حلوان بعد ماترك الولاة فى سائر البلاد وهو سائر إلى العراق طالب إقامة الشقاق ووصلت الكتب كما وصفنا واحضرت قدام الخليفة فى يوم واحد فلما قرأها بقى متفكر فى أمره وجمع أرباب الدولة يطلب منهم المشورة وكان معولا فى ذلك الوقت أن ينفذ خلف القاضى عقبة ليحضر التدبير والمشورة وإذا به وقد حضر اتفاق وسمع ما جرى وعلم أن هذا الأمر أهم من الأمر الذى دخل فيه فقام قائما على قدميه وطرح أصبعه فى أذنيه وقرأ (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) ثم قال يا أمير المؤمنين ما هذا الافتكار والمقام عن الجهاد فى الكفار واطلب سنة ابن عمك محمد المختار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأخيار صلاة دائمة ترضى الجبار واعلم ان الله تعالى لايخلى أمة نبيه من أنصارفا كتب إلى سائر الأقطار وسير بعساكرك وأعلامك المعودة بالنصر على الكفار ولم يزال (ياسادة) يتكلم بمثل هذا الكلام حتى حمى صدر الإمام وأخذته النخوة الإسلامية وأمر المنادين أن ينادى فى بغداد وبرز الخيام واعلم الناس أن المسير بعد ثلاثة أيام فانقلب العراق وقامت الدنيا على ساق هذا وعقبة لابس السواد وهو يدور فى أسواق بغداد وينادى فى الناس بالغزو والجهاد ويتلو القرآن والناس يتبادرون من كل جانب ومكان وفى ثلاثة أيام صاروا على ظهر بغداد بالعدد والبيض والزرد وخلع الخليفة على

عقبة خلعة عباسية وولاه خزائنه وأمواله بالكلية لما رأى من نصيحته وحرصه على نصرة الشريعة الإسلامية وتركه فى القصر مقدم ينفق على الجوار والخدم وقال له ياقاضى أنت خليفتى من بعدى وهذا خاتم الخلافة معك مثل عهدى حتى لايجد أحدا سبيل إلى التعدى ثم رحل من ساعته وساروا العساكر متلاحقة به من سائر الأقطار وهو طالب مرج حلوان ليلقى الخارجى وعساكر خراسان (قال الراوى) وكان عقبة من حيث سمع بهذا الخارجى وفساد دينه وكثرة شره وتكذيبه بالمذهب وعزمته وشدته فمال طبعه إليه وقال هذا نؤمل فيه الآمال ولا يحب عنه الأهمال لأننى قد عزمت أن أنصره ثم كتب إلى الخارجى كتابا يعلمه بمسير المعتصم إليه فى عساكره وجنده ويقول له أعلم اننى أنا أحب من عنده غير أنى ما أقول بامامته ولا أدرى من عقلى ان أجعله امام بل أنا أدعى من دعاة مذهب الحق فى الأنام وقد فنى عمرى فى انتظار هذه وقد سمعت عنك كلمة الحقيقة وعلمت إنك على الطريقة وأكبر شهوتى ان تكسر هذه العساكر الواصلة إليك وتسير فى أثرها إلى بغداد حتى ترى من تدبيرى ما تقربه عينيك لأن الخليفة سار إلى لقاك وقلبه طائر من الفزع لأجل ما سمع من ذكرك فان تعسر عليك كسره فاكبسه فى الليل وادهمه بالرجال والخيل مادام هيبتك واقعة فى قلبه وأعلم أنك الظافر به لأجل فزعه ورعبه وقد قرأت هذا فى الكتب القديمه فشد منك العزيمة ولا تغير الملة المستقيمة وسوف تصل إليك الخلعة التى جعلها على الخليفة والخاتم مع حامل هذا الكتاب لتعلم أنى عنده أحسن الاخلاء والأصحاب والسلام على الروح الروحانى والشبح النورانى ومعنى المعانى ثم بعث له من الهدايا والتحف من خزائن المعتصم ما يكل عن وصفه اللسان (ياسادة) وهذا الذى قد سار مع الهدايا غلامه قد رباه لمهماته وأطلعه على أسراره وخفاياه واستخاره من بين أولاده وخصيانه لأجل المنزلة التى له فى فؤاده ولما عول على المسير قال له أكتم سرك وأخفى أمرك وليكن أكثر سيرك فى الليل متجنبا عن الطريق ولا تخالط هذه العساكر الذين سائرة فى أثر الخليفة لأجل اختباط البلاد واختلاف الأجناد فقال له الغلام السمع والطاعة ثم تأهب للسير عند المساء فهذا جرى هاهنا (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال وولده وغلمانه فانهم أقاموا فى ذلك الحمام الخراب فزعا على أنفسهم كما ذكرنا يومين وليلتين وهم يسمعون ركض الخيل من اليمين والشمال فيظنون أنهم فى طلبهم إلى أن كان فى الليلة الثالثة وقد ضاقت صدورهم وقد انقطع الحس فقال أبو محمد لولده مذبحون ياولدى أخرج فى هذا الليل وابصر ماقد تجدد وإياك أن تخالط القوم وارجع إلى بتجميع ماقد جرى حتى أدبر أنا بما أرى (قال) فتخفى مذبحون

وخرج وهو أحذر من الطير على وجه الأرض وتمشى على أطراف الدجله فرأى العساكر سائرة ومن كل الأقطار متبادرة والدنيا فى غاية الاختباط فسأل من واحد عن ذلك فاخبره بماقد جرى وكيف سار الخليفة إلى لقاء الخارجى وكل هذه الجيوش سائرة وراءه فعاد مذبحون (ياسادة) وقد سار وقت السحر وأخبر أبيه بالخبر فلما سمع البطال ذلك قال يابنى مابقى علينا خطر وفى غداة غد نرحل أول الليل ونسير إلى قرب الصباح ونكمن إلى الليلة الثانية ونرحل بمقدار مانقطع أرض الكوفة وندخل برية الحجاز وقد أمنا على نفوسنا ثم أقاموا ذلك اليوم إلى أن دخل الليل ومضى بعضه وأطلق أبو محمد أحمد العيار ولاحق وحلفهم أنهم لايعرضون بذكره لاحد ثم قال للاحق اذا أردت أن تحتال فلا تتعرض لابو محمد البطال ثم رحلوا من الخراب وأخذوا فى عرض البر مجنبين الطريق حتى جازوا المدائن وكلما أبصروا خيل سائرة حادوا عنها وخافوا منها فلما قرب الصباح سمعوا قدامهم حس حوافر الخيل وكلما سمع البطال حسهم ساق ثم قال لمذبحون ياولدى اتبع هذا الحس الذى قد قرب منا فما يخفى أنه مريب (قال) فحرك مذبحون حتى أدركه وصاح فيه فاوقفه وسأله عن حاله فقال له وقد خاف منه ارجع عنى وامض إلى حال سبيلك فما أنا ممن تطمع فيه لان صاحبى صاحب العراق ولا يقدر أحد له على أخذ مال مادام الخليفة بالحياه فقال مذبحون ومن هو صاحبك وأراك سائر منفرد فقال أما صاحبى فهو فقيه بغداد وقاضى قضاة البلد وفقيه العجم والعرب عقبه بن مصعب ومعى حوائج للخليفة أقصد بها اليه فى السر لانها من الأشياء التى يجب كتمانها فلما سمع مذبحون كلامه قال له لاتفزع فان مولاك صديقنا وله علينا من الأيادى مايجب أن نكافئه عليها ثم ضربه بالسيف صفحا أرماه إلى الأرض ونزل اليه وكتفه وسد فمه وأدركه أبوه والغلمان فاعلمهم بالحال فقال البطال والله ماهو سائر إلا فى مصيبة ثم ساقوا البغل وساروا فى البر وما بان الضوء إلا وقد نزلوا فى مكان يخبيهم وحلوا عن البغل وفتشوا الرحل فرأوا فيه هدية حسنة سنية من خزائن المعتصم ورأوا خاتم الخلافة والخلعة السوداء والكتاب وهو مختوم فلما نظر الكتاب أبو محمد البطال بخط عقبه والهدية والخاتم والخلعة كاد أن يطير من الفرح ثم أن البطال فتح الكتاب وقرأه وفهم مافيه وما قال عقبه للخارجى فى كتابه فتعجب البطال من ذلك وحل فم الغلام وقال له أخبرنا أين كنت قاصد بهذا الكتاب والهدية والا ذبحناك فعندها أخبره بما وصاه عقبه إلى بأهلاك الخارجى وقال يامولاى وأنا عبد مأمور فان أطلقتنى ربحت ثوابى والا فافعل ماتشاء فقال له أبو محمد أنا أطلقك على شرط أنك تسير مع ولدى هذا إلى الخليفة وتعرفه بهذا الحال وتصدق بين يديه فى المقال وان تغير كلامك فلا تظن

أنك تسلم منا لأننا نذبحك ولو كنت فى حجر مولاك وأنت تعرفنا جيد المعرفة وما يحتاج نصف لك نفوسنا فقال يامولاى أنا أفعل ذلك فاستحلفه أبو محمد على ذلك بدين النصرانية وبدين الحنيفية وقال لولده مذبحون ياولدى الصواب أنك تسير إلى المعتصم بالجميع لأن الله تعالى قد هتك ستر عقبه وأقول أن عمره انتهى وما أقول أن ما بقى فى ذلك خفى وما جرت هذه الأسباب إلا لهلاكه وصلحنا نحن مع الخليفة وانكشاف وجوهنا عنده وإذا وقف على هذا الكتاب والهدايا والثياب ما يبقى عن صلبه عاقه وها أنا سائر معك أراعى أخبارك فان تم ماتريد ورأيت أمرك مستقيم ارسل إلى حتى أدخل على الخليفة وأتوصل إلى هلاك عقبه بكل مصيبة وان لم يسمع الخليفة فى هذا ولم يصدقه وأراد بتأخير الاجل عقبه وقبض عليك تسببت فى خلاصك بكل سبب فأجابه مذبحون إلى ذلك وأعاد الحمل على البغل مثل ما كان عليه وركب واركب غلام عقبه وهو مكتوف وأخذ الكتاب من أبيه من بعد ما أعاد الختم عليه وسار يقطع الأرض مع الناس المشاه طالب المعتصم وكان المعتصم قدسار حتى أشرف على قصر حلوان وأقام حتى تجتمع عليه العساكر من البلدان لأنه من الخارجى فزعان الا ان مذبحون جد فى السير حتى أشرف على ذلك المكان وقصد سرادق الخليفة واستأذن فى الدخول فخرج اليه جوهر ومسرور ينظروا من يريد الدخول على الخليفة والحضور وإذا به مذبحون ففرحوا به واستبشروا بقدومه وقالوا لا أخلى الله الاسلام منك ولا من أبيك من أين طريقك أدام الله توفيقك وأين أبوك فحدثه مذبحون بجلية الحال وقال استأذن الخليفة لعل يكون سبب رضاه عنا ونبلغ من عقبة ما نتمناه فعجب مسرور من هذه القصة والاتفاق وعاد إلى الخليفة وقال يامولاى خلد الله ملكك وأدام عزك خادمك الأصغر مذبحون ابن البطال على الباب يستأذنك فى الدخول عليك والحضور بين يديك وقد قال أن معه خبر يسرك ويفرح قلبك ويريد يبلغه اليك فلما سمع المعتصم ذلك قال احضره الى بين يدى فما قدم الا بخير فدخل مذبحون ولما توسط السرادق قبل الأرض ثلاثا وأسبل دموعه وبكى وقال ياأمير المؤمنين قد أتينا نشكو اليك الاغتراب والتشتت فى البلاد وفقد الأحباب وعدم الجهاد فى طاعة رب العباد وما جسرت أن أتقدم الا أن تكون معى قصة بالغة أقصها عليك حتى تعذرنا بأى شىء فعلينا بعقبة هذه الفعال وتعلم أننا على الوجه الصحيح فلا زالت السعادة أينما حلت عليك باركة وكواكب السعود بإراداتك متداركة وسيوف نصرك لرقاب أعداءك فاتكة والأمر شرحه فى هذا الوقت يطول والاقتصار أحسن بين يدى ابن عم الرسول لأننا قد سمعنا بخبر هذا الخارجى الذى قد زعزع البلاد وشوش الأرض ودعى الناس إلى دين ما فيه لاسنة ولا فرض

فحملنا على أهوالها إما لنا واما علينا وسرنا خفية وحميه على دين الاسلام لعل الله تعالى أن يخصنا بالثواب فى ذلك المقام وتركنا فزعنا منك أيها الامام من بعد ما بقينا من خوفك نسكمن النهار ونسير تحت غسق الظلام فلقينا لعقبة غلام ومعه بغل وعليه تحف وهدية تزهل الأنام فمسكناه وعن حاله سألناه فقال قد أنفذنى مولاى بحاجة سرا الا يطلع عليها أحد من الأنام فلم نصدق مقاله بل فتشنا رحاله فوجدنا خلعة الخلافة وخاتم أمير المؤمنين وهدية من الخزانة الشريفة ومن الجملة كتاب مختوم إلى هذا الخارجى باهلاك فلما اطلعنا على ذلك علمنا أن فيه تلاف للاسلام وها قد أتيتك بالكل إلى بين يديك حتى تعمل ما تقر به عينيك وتقرأ الكتاب وتسمع ما فيه من الخطاب ويبان لك ذلك الوقت من هو منا على الصواب (ياساده) فاندهش المعتصم من سماع الكلام وأمر مذبحون أن يحضر الرجل والغلام فأحضر الجميع إلى بين يديه فقال الخليفة لغلام عقبه ويلك اصدقنى وأنا أوهبك دمك وإلا ضربت رقبتك إلى أين كنت سائر بهذه الهديه فقال يامولاى إلى بهلاك الخارجى من عند مولاى عقبه فلما سمع مذبحون ذلك شد قلبه وفتح الرحل وأخرج الخاتم والخلعة والهدية وقدم الكتاب إلى بين يديه ففتحه وقرأه وفهم معناه وعرف أنه خط عقبة قاضى القضاه وفى آخره يقول للخارجى أكبس عساكر المعتصم فى الليل وسير إلى حتى أملكك البلاد والعباد بعد أن تأخذ بغداد لأن دينك غاية المراد وطريقك طريق السداد ومن تبعك كان على الرشاد فعندها قامت على المعتصم القيامة وعرف الخاتم والثياب والعمامة فقال ماهذا اللعين الا آفة من الأفات وبلية من البليات وقد اطلعنا على محاله ألف مرة ونكذب فيه وينطلى علينا ناموسه ودواهيه والساعه قد انتهى الينا الأمر بهذه الشهادة وقد زالت عنه السعاده ثم قال للوزير أكتب إلى العراق وأمر مشايخ بغداد ومؤنس الفحل أن يبعث عقبه أيضاً مع النجابين وأريد أن يكون عندى بعد خمسة أيام فعندها كتب الوزير كتاب وعلقه على جناح الطير وأرسله إلى بغداد فلما وصل أخذه البراج وأتى به إلى مؤنس الفحل فلما قرأه ركب فى الدراجة والغلمان وقصد دار عقبه وكان عقبه قد نزل إلى داره وهو يقول اليوم يكون غلامى قد وصل إلى المهدى باهلاك بالهدية والكتاب وأنا أتركه إذا خصرت معه أن يميل إلى دين الاشراك (ياساده) فبينما هو يقول هذا الكلام وإذا بالباب قد طرق عليه فقال بعض غلمانه من بالباب فقال له قل لسيدك عقبه أنه قد وصل الساعة من عند مولانا الخليفة كتاب إلى ولى عهده الواثق بالله وهو يريد بوقفه عليه فدخل الغلام وأخبر عقبه بما سمع فقال وهو يقول لعل عسكر الخليفة قد كسر ونصر عسكر الخارجى ثم خرج من الباب

فدارت به الأحباب وألقوا عمامته في رقبته وجذبوه ونزلوا فى رأسه من بعدما كشفوا سلعته وسحبه مؤنس الفحل فى ركابه وهو يقول له ياعدو الله تريد أن تهلك أمير المؤمنين وتتلف عساكر المسلمين وانك ما خفت من رب العالمين فبكى عقبه وتحير وماعلم ما الخبر وصاح فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ياقوم ما سبب هذا الاخراق الذى لا يرضاه لكم الملك الخلاق فوحق من فتق ورتق وصور البشر ورزق ما أعلم لى ذنب يخلق فارحمونى واعلمونى بالقصة وارحموا هذه الشيبه البيضاء ولا تخدعوا بالشريعة ومنصب القضاء فقالوا قد سمعنا أنك فعلت كذا وكذا وكتبت إلى باهلاك الخارجى وتأمره بالكبسة على عساكر المسلمين وهلاك أهل الدين وانك أهديت له خلعة الخلافة وخاتمها وبايعت عليه عدوه وظالمه والبطال هو الذى كشف هذا الحال وولده وغلمانه ولقيوا مع غلامك فى الطريق الكتاب والأموال والخلع وقد أحضروا الجميع قدام المعتصم وقد عادوا إلى خدمته ويريد ان يرد عبد الوهاب ويسلمك أنت إليهم حتى يجرعوك غصص العذاب فلما سمع عقبة ذلك نشف ريقه وتغير لونه وخفق فؤاده وصار يقول حسب الظالمين رب العالمين لأنهم قد نزلوا إلى دارى وأخذوا أموالى وضربونى ضرب تعجز عنه الجبال وقد عولوا على ذبحى فقلت لهم بيعونى نفسى فقالوا ما نبيعك روحك إلا أن تكتب لنا كتاب بخط يدك وتحلف على ذلك ما تكتبه فحلفتهم إذا كتبت لهم ذلك يطلقونى فحلفوا لى وكتبت الذى ملونى عليه وأنا فزعان من البطال وغلمانه وولده ان يقتلونى وأنا لا أعلم ما يريدون بذلك وعلى انهم ماكانوا يجسروا يقتلونى فى دارى لأنهم كانوا منهزمين وانما هم هددونى بذلك المقال حتى يبلغوا منى الآمال ثم أخذوا الخلعة الذى خلعها على الخليفة وأخذوا أيضا الخاتم من أصبعى وكتفوا غلامى وأخذوه معهم من بعدما ضربونى وضربوا غلامى حتى أشرفنا على الهلاك ولا شك انه من شدة الضرب والفزع من الهلاك قد وافقهم على ذلك مما يريدوا ويشتهوا ولو علمنا انهم سائرين الى الخليفة لكنت كتبت اليه أعرفه بما جرى على وإنما قلت انهم داخلين برية الحجاز فامهلت أمرهم حتى انتهى إلى شرهم والآن فان لى معهم وقفة بين يدى الله تعالى الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن إذا انشقت السماء وكانت وردة كالدهان ونصبت الميزان وبانوا أهل الحقائق من أهل العصيان ولم يزل الملعون حتى أبكى مونس الفحل وأبكى من معه من الغلمان فرقوا لحاله وخشعت قلوبهم لمحالة وطلعوا إلى القصر وأعلموا السيدة زبيدة بعذره ومقاله ووعظه وأعماله فقالت السيدة زبيدة هذا المسكين الموت له راحة فياليته مات واستراح من هذه الآفات ولا يقاسى اللوعات والمصائب الطارقات ونحن نلومه إذا هج من بغداد

وتغرب فى البلاد وما نعلم مايقاسى من الأعداء والحساد ثم انها كتبت الى الخليفة كتاب، تشرح حاله على مقاله وان الذى قالوا عنه نزلوا إلى داره وأخذوا ماله من بعد ماعاقبوه وعاقبوا غلامه وأخذوه معهم فاقبل فيه سؤالى فقد ثبت انه مظلوم وان لم تقبل سؤالى فافعل فيه ماشئت فأنت تعلم من يسألك عن ظلمه يوم القيامة على انك فى مقام الخطر من جهة هذا الخارجى الذى قد ظهر فالظلم له ظلمات وقد قال الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ثم سيرت الكتاب إلى المعتصم وسلمت عقبة إلى النجابين فساروا يقطعون الأرض وعقبة أى موضع نزلوا يبكى فى وجوههم طول الطريق ويقرأ القرآن وإذا جاء وقت الصلاة يقول ياقوم دعونى أقضى حق الله فان العمر قد مضى وأريد أواظب على الصلاة لعلى تكون الخاتمة إلى خير لأن المعول على الخاتمة ولا يمكننى أن أتهاون فى الصلاة لأن من تركها فقد كفر وان من تركها جاحداً والصلاة هى حبل الله المتين فياطربا لمن واظب عليها من المسلمين ثم قرأ بصوته ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ففزعوا قلوب النجابين فلما أحتوى على قلوبهم قالوا مثل هذا الشيخ ما نسلمه إلى من يقتله ظلما والله لافعلنا ذلك أبدا ثم انهم قالوا ياشيخ ان رحمتك قد وقعت فى قلوبنا وقد عرفنا انك مظلوم وما نشتهى ندخل النار بسببك ونحملك إلى من يقتلك فان شئت ان نطلقك أطلقناك فقال جزاكم الله خيرا فى الدار الأولى والآخرة والله ان كنتم تريدون ان تفعلوا فى حتى مايقدمكم إلى الله عز وجل فاحملونى إلى البصرة حتى أجازيكم بشىء من حطام الدنيا لأن لى هناك مال وأعطى كل واحد منكم ألف دينار تستعينون بها على زمانكم وتستروا بها أحوالكم ولا تحتاجوا إلى خدمة السلطان فلما سمعوا النجابين هذا المقال داخلهم فى المال فساروا به إلى البصرة فدخل إلى عامل له نصرانى وأخذ منه المال ودفعه إلى النجابين وقال لهم عودوا بهذا المال إلى أهلكم وأولادكم فقالوا والله ياشيخ اننا الساعة على غاية من الخوف والخطر لأننا فعلنا شىء وندمنا عليه والساعة بلا شك يطلبنا الخليفة وأينما أصابنا حملنا اليه لأنه صاحب الأرض جميعها قال فتبسم عقبة وقال ياأولادى لاتضيقوا صدوركم وسيروا إلى الخليفة وان وصلتوا اليه شقوا أثيابكم بين يديه واحثوا التراب على رؤوسكم وقولوا يامولانا أخذنا عقبة من بغداد وسرنا نريد بوصله اليك فلما قطعنا أرض المدائن التقانا نجاب آخر راكب على بيجاوى عمرنا مارأيناه إلا فى تلك الساعة قصير من الرجال أزرق العينين أعطر حلو اللسان والمقال فقال لنا ان أمير المؤمنين قد أرسلنى اليكم حتى ألتقيكم وأحسكم على المسير فقد صعب عليه قعودكم وهو منتظر قدومكم وحضوركم بهذا الشيخ الذى معكم يامولانا وكان

عقبة مريض لايحس بما جرى ولا يسمع ولا يرى وكنا قد سألناه عن سبب مرضه وما هو فيه فقال يا أولادى نزلوا إلى دارى لصوص وعاقبونى عقوبة مفرطة وأخذوا مالى وقد أورثنى ذلك الضرب هذا المرض العظيم يامولانا فسرنا نوطى تحته ونواريه وهو لايحتمل على نفسه ولا علينا وسرنا وذلك النجاب معنا لايفارقنا إلى أن أقبل الليل وقد زاد بعقبه المرض وقلنا أنه مايصبح إلا ميت فنزلنا نأخذ الراحة وقمنا ونحن تعابا حتى أصبح الصباح وقمنا فرأينا النجاب قد سرق القاضى عقبه وهرب ولا علمنا إلى أى أرض طلب وما قد وصلنا اليك حتى نقص قصتنا عليك (ياسادة) فلما سمعت النجابين ذلك الكلام من عقبه شكروه وقالوا جزاك الله عنا كل خير فلقد علمتنا مانخلص به من نفوسنا ونربح المال فقال عقبه ياولدى لأن ماجزاء الإحسان إلا الإحسان فعندها ودعوه القوم وساروا يطلبون موضع الخليفة وبعد مضيهم قال عقبه لعامله النصرانى ابصرلى بعض العرب الجاهيل وأعطيه مائة دينار وقول له توصل لى هذا الشيخ إلى عسكر الخارجى باهلاك ففعل الرجل ما أمره به وأتاه ببدوى من أهل اليمن وأعطاه مائة دينار وقال له ياوجه العرب احمل لى هذا الشيخ إلى عساكر الخارجى الذى مقابل عسكر الخليفة فقال له سمعاً وطاعة وان أراد أوصلته إلى الهند فى ساعة واحدة ثم أنه أخذه وسار هذا جرى من هؤلاء (وأماما كان) من النجابين فانهم ساروا حتى وصلوا إلى عسكر المعتصم واستأذنوا عليه ودخلوا إلى بين يديه فلما نظرهم وعرفهم سألهم عن عقبة فبكوا النجابين ومزقوا الثياب وأعادوا عليه ما علمهم عقبة فضاق صدر الخليفة وقال هذا النجاب الذى وصفتم هو أبو محمد البطال ثم ادعى بمذبحون وأعاد عليه الحال وقال له ويلك تدبر أنت وأبوك علينا أحوال الفساد وتخفون عنى والله تعالى يطلعنى على فساد نياتكم ويكشفها للناس ثم أعاد عليه ما جرى وكان وصل كتاب زبيدة إليه فقرأه عليه وقال أنتم نزلتم إلى داره وأخذتم أمواله وضربتوه حتى كتب لكم ذلك الكتاب إلى الخارجى بغير اختياره وأبوك أيضا هو الذى التقى بهؤلاء المساكين واحتال عليهم حتى أخذ القاضى عقبة من أيديهم وهو من الضرب فى حال من العدم وهذه الأحوال قد زادت قلبى اشتغال من هذا الخارجى الذى قد أظهر فى البلاد الفساد وما أدرى الساعة من المحق حتى أجازيه ولا من هو على الباطل حتى انى أكافيه ثم أراد القبض على مذبحون حتى يحضر أبوه ويطالبه بعقبة ويسمع كلام الاثنين وإذا برجل قد هجم عليه وصار فى الحال بين يديه وقال السلام عليك يا ابن السيد المفضال أنا خادمك أبو محمد البطال وأنا أقسم بمن أرسى الجبال وأخرج من الصخر ماء زلال وتعالى عن الأشياء والأمثال إن كان عندى خبر من عقبة

شيخ الضلال ولا فيما يقولوا هؤلاء النجابين من المقال بل انى أعلم أن الكل زور ومحال وان تركتنى حتى أضرب هؤلاء النجابين الانذال فهم يصدقوا فى المقال (قال الراوى) هذا ما يقوله ابو محمد البطال والمعتصم قد بهت إلى كلامه وتعجب من حضوره فى تلك الساعة وانفرجت عن مذبحون الكربة بحضور أبيه فى وقت الحاجة فقال المعتصم للحاجب اياس قررهؤلاء النجابين حتى نبصر لا يكونوا كذابين فعندها أخذهم الحاجب إلى جانب السرادق وقال لهم اعلموا أن أمير المؤمنين قد عرف أن قولكم محال والساعة قد حضر البطال وما بقى ينجيكم إلا الصدق فى المقال وإلا حل بكم النكال لأن النفاق فى مجلس السلاطين محاق والريا ماله ضياء فاصدقوا حتى تنطلقوا ولا تكذبوا فتهلكوا لأن الخليفة قد قال ان صدقوا فاخلع عليهم وان كذبوا فاضرب رقابهم فاحقنوا دماكم ولا تخاطروا بنفوسكم (قال) فبكوا وقالوا أيها الحاجب والله ما تحدثنا إلا بما جرى علينا لأن البطال هو الذى أخذ الشيخ منا ونحن الساعة قدام الإمام أن ظلمنا طلبناه بظلمنا قدام الملك العلام وما عندنا خبر من هذا الكلام (قال الراوى) فلما سمع الحاجب هذا المقال عاد إلى الخليفة وأعلمه بما جرى فقال أضربوهم حتى لايبقى حجة ففعل الحاجب ذلك وبطحهم وضربهم حتى شمط لحومهم وهم لا يرجعون عن القول الأول بل يصيحون الله بيننا وبينك يا أبو محمد لأنك سرقت عقبة منا وتركتنا نضرب هذا الضرب فهنالك قال أبو محمد للخليفة ياأمير المؤمنين هؤلاء قد برطلوا بالمال ولو ضربوا إلى يوم القيامة ماقروا ادعنى أخصمهم وقدقروا فقال له الخليفة افعل ماتريد فلما أن سمعوا النجابين ذلك المقال قالوا ترفق يابطال فقال وأين المال الذى برطلكم به عقبة شيخ الضلال قولوا الصحيح وإلا أرميت الساعة خصواتكم (قال الراوى) فعندها تحدثوا بين يدى الخليفة بما جرى وصدقوا فى البعض وكتموا البعض خوفا لايؤخذ المال منهم وقالوا ياأمير المؤمنين اننا لما أرسل معنا القاضى عقبة ورأينا صلاته وعبادته رحمناه وقد أشرف على الهلاك والموت لخفرناه ونمنا وما حفظناه فلما أصبحنا طلبناه ما وجدناه ماندرى كيف هرب وهو فى ذلك السقم والعطب ولاله مايركب وهذا حديثنا قد قصصناه عليك وأنت بعدذلك المحكم فينا وهانحن بين يديك. فلما سمع الخليفة ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال أبو محمد علمكم عند الله عز وجل وما أضمر العبد وما أظهر وهذا غيب لاأدرى من هو الصادق من الكاذب حتى أقابله بما يستحق، والساعة فها هم بين يديك مهما شئت افعل فلما سمع البطال ذلك الكلام ما قدر يرداد الامام ولا يزيد على قلبه بل علم أن عقبه قد لعب بعقولهم بالمال وقد حل لهم أخذه، وأنهم مايقروا على أنفسهم ولو قتلوا فقال يا أمير المؤمنين ومن هو أنا حتى أتحكم فى

حضرتك وأنا ماضر بتهم وهددتهم إلا حتى بويت ساحتى ثم أنه أطلق النجابين تخفيفاً عن قلب المعتصم فلما أطلقهم ســـاروا وهم مايصدقون بالنجاة وبعد ذلك أقبل الخليفة على أبو محمد وقال يا أبو محمد مافعل الله بالقنديل والصليب الذى بلغنى أنك أخذتهم من بلاد الروم فقال يامولانا بين يديك الساعة يحضرون ثم قال لولده مذبحون يابنى أئتينى بهم فخرج وامر غلمانه فجابوهم فأخذهم وأحضرهم قدام المعتصم فلما نظرهم أخذه الانبهار ودهش وحار وتعجب من ذلك الجوهر النفيس الذى لايوجد مثله فى الأقطار فقال والله ياملك ماقنى أحد من الملوك مثل هذا عنده فقال المعتصم يا أبو محمد أريد منك أن تهديه لى أو تبيعنى إياه فقال أبو محمد حاشا الله يا أمير المؤمنين ان اجعل روحى لك مبايعاً وكلما على وجه الأرض لك فيه حظ ونصيب يامولانا مايقاس السيد الأعلى بالعوام فكلما يصلح للمولى فهوعلى العبد حرام على انى يامولانا كنت قبل أن آخذه نذرت على نفسى إن أخذته علقته على ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أهدى منى إلى الصواب وأعرف بفصل الخطاب (قال) فشكره المعتصم على ذلك وهو قد بقى حائر بماذا يكافئه فقال للوزير اكتب لأبو محمد كتاب إلى مشارق الأرض ومغاربها وامر كل من فيها من قبلى أن يعملوا بما يأمرهم به البطال إذا وصل اليهم وأينما وقع بعقبه يسلم اليه ويعاونوه عليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله ووليه أبو اسحاق المعتصم بالله أمير المؤمنين ابراهيم إلى جميع البلاد والولاه والمقدمين من قبله على العباد أن يكونوا طوعا لأبو محمد البطال فى مهما أراد وايش ماطلب منهم يسلم اليه حتى قاضى قضاة المسلمين وقد أمره الخليفة بذلك وقد حكمه فى أعداه لأجل ماعرف من نصحه وخدمته التى مايقدر عليها أحد سواه والسلام على من أطاع أحكام الامام واللعنة على من خالف شريعة الاسلام ثم ناول الكتاب إلى الخليفة فعلم عليه بيده وناوله إلى البطال فطار قلبه بالفرح وقال يا أمير المؤمنين مابقى عليك ملام وما بقى لى إلا أن أقوى همتى وأشد عزمى وأطلب من الله عز وجل قضاء حاجتى وانجاز وعده فى الذى قد انفطرت بنفاقه مرارتى فقال المعتصم هذا الكتاب بيدك وقد أبحت دمه لك ولولدك ولكن لكل مقام مقال ونحن اليوم محتاجين لك لأجل هذا العدو وما أخليك تنصرف حتى ينفصل هذا الأمر فقال يا أمير المؤمنين ما أقدر أن أبرح حتى يهلك الله معاديك وينصرك على من يعاديك فأنت للضعفاء والمساكين وكنز المستغيثين ورحمة للمسلمين (قال) فشكره الخليفة على ذلك وقال نريد منك التدبير والحيل وأرينى ايش يعمل علينا القتال بالاسل وقد وصف لى عن هذا الملعون شيئا زائداً من الشجاعة والجلد والهيبة التى له على عسكر خراسان وأنا والله منه فزعان فقال البطال

يامولاى أنت كان لك سيف قاطع ودرع مانع إذا سمعت به الملوك خضعت أبعدته عن، جنابك وصرفته عن بابك وكان أنصح الناس لدولتك وأحبهم فى مملكتك وقد حالت، الساعة بيننا وبينه الرواحل وتباعدنا بالبرارى والمنازل فقال صدقت والله ياأبو محمد فى هذا الكلام وكل هذه الأسباب بحكم الماجد العلام ثم قاموا جميع العساكر والعشائر يفتكرون فى أمر العدو (قال الراوى) ياسادة هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من عقبه فانه سار مع البدوى حتى أشرف على الخارجى باهلاك وهو نازل فى مرج حلوان فرأى عسكره وقد ملأ الفلا وسد المستوى وهم كالجراد المنتشر أو السيل المنحدر والكل منهمكين على المعاصى والفساد غافلين عن طاعة رب العباد فلما نظر عقبه إلى ذلك نزل عن نجيب البدوى وغير أثوابه وكبر عمامته وبلج طيلسانه ودعا وفتح حلقه وقرأ ونادى السلام عليك أيها القدرة الخفية الظنون والروح العلوية العالمة بما كان وما يكون ترى أين الملائكة تلقاك وأى النسيم رباك حتى تجوهرت عنا جميع أجزاك واجتمعت على علم الغيب أعضاك إلى مثلك كان الخلق محتاج حتى يستدلوا بنور ضياك وينجوا من ظلمة الضلال ولا يبقى عند هذه الظلمة انتقال ولا عن هذه الدعوة زوال وأنت قاتل الرجال وعالم بالآجال (قال الراوى) ولم يزال عقبه يتفوه بغرائب المقال وباهلاك يصغى لقوله حتى فرغ من دعاه فأمر أن يحضر بين يديه فخرجت الحجاب والمقدمين من الديلم ودخلوا بعقبه مبجل مكرم فلما صار قدام باهلاك سجد له طويلا ورفع رأسه وقد أظهر الرعد والرجفان وأسبل الدموع من الأجفان وقال السلام عليك ورحمة الله وأبرك التحيات أيها الدال على الخيرات الباقيات الصالحات الذى قد نشر للهدى رايات وأنهى الأفلاك الدائرات أنت البركه فى كل مكان تحل التوفيق مقودون بما تعتقد وتحل فلا زالت الألسنة تنظم لك ولا زالت الأفلاك تطلع لجلالك أهلة وشهود ثم جعل ينشد ويقول هذه الأبيات

أيا عالما بما تكن الصدور ... وعظيم على الأمور قدير
فاترك السيف فى أعاديك حتى ... يعلموا أنك العليم القدير
وابدأ بالمعتصم وقد سهل الأمر ... وعاد العسير سهل يسير
واكبس الجيش فى الظلام لئلا ... بالذى قد جرى هناك جدير
وافتح الأرض بعد هذا سريع ... فمعانى العلا بذاك تشير
وأنا العالم الذى بك بشرت ... ثم بى يستوى لك التدبير

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الخارجى ذلك من كلام عقبه تعجب كل العجب وكبرت عنده نفسه وداخله الطرب وعلم أنه ينطق عن خاطر كبير وأنه بأمور الدنيا خبير

ثم ميزه فرآه أعور العين مقطوع الآذان والأصابع فقال ياشيخ وأنت بهذا الفضل والأدب وقد عرفت كل علم ومذهب ويعضك الدهر بالمصائب ويسلبك بالنوائب ولكن ابشر أنا أرد عليك عينك التي قلعت وأصابعك التي قطعت (قال) فبكى عقبه وقال يامولى الموالى المؤمن ملتى والكافر مرقى وأنت تعلم أن خالق السموات والأرض والافلاك الدائرات يبتلى بعذابه خالص عباده حتى يسمع نداءهم ويرحم شكواهم ويضاعف فى الآخرة عطاءهم وأنا من جملة من ابتلاه الله بقوم مثل الدواب لاعقل لهم ولا رأى ولا معرفة بعلم الكتاب يقال لهم بنو كلاب ولهم مقدم يقال له عبد الوهاب وآخر لص محتال يقال له البطال وهم عند الخليفة ببال وأكرم حال لانهم يشدون فى القتال وفى العظائم الثقال وضم الذين فعلوا بى هذه الفعال وما كان لى ذنب إلا أننى كنت إذا خلوت بهم أقول لهم ياقوم لاتقاتلوا بين يدى هذا الذى يزعم أنه خليفة وابصروا حتى تظهر أيام البيض الشريفة وتنظروا الدنيا من المنافقين نظيفة فكأنهم بشمس الهدى وقد طلعت من بلاد الديلم ودين الحق قد قام من العالمين علم ويظهر الشخص المؤيد من السماء بالنصر على العرب والعجم ويقيم التوحيد على ساق وقدم ويظهر البراهين والحكم وتذهب من أعين الصادقين حنادس الظلم وترون جنات النعيم وعذاب الجحيم فلما لجيت عليه بهذا الكلام مراراً رفعوه إلى الخليفة ففعل بى هذه الفعال التى ترى وأرادوا قتلى فخدعته وتبت على يده وكفت أحوالى حتى رأيت هذه الأيام فسعيت اليك على الأقدام حتى أموت فى هذا الظل الممدود وأحظى بأوقات السعود فقال باهلاك ومن يقال لك ياشيخ من العرب فقال أنا عقبه بن مصعب حكيم الوقت وداعى الأنام إلى الحجة الباهرة بالحسام فلما سمع باهلاك هذا الكلام هذا يكون الواضح وداعى دولة الناصح لأنه يستميل سائر قلوب الناس ويقطع دولة بنى العباس بهذا اللسان الفصيح والقول البالغ الرجيح ثم استدعى من شدة فرحه بوجوه عساكره وأحضرهم عنده فى السرادق وذكر لهم ماقد سمع من عقبه ثم استنطقه فتكلم بسائر اللغات وفسر الأمور المقضيات وحل عقول المشكلات فقال باهلاك هذا نائب عليكم إذا غبت وحاجتى إذا حضرت وأنا بمنزلة المدينة وهذا الباب ولنا المعنى وهو الحجاب فاطيعوه ان كنتم طائعين وكونوا لقوله سامعين فرفعوا ملوك الروم مكانه وعظموا شأنه فلما نظر عقبه إلى طاعتهم له وانقيادهم اليه أراد أن ينجز الأمر فخطب خطبة بليغة شاملة بمدح باهلاك وذكر بينها الكفر والاشراك وحرض فى آخرها يكبس عساكر الخليفة وقال أنا أكتب لكل واحد منكم صحيفة وأضمن لكم النجاة من العذاب والدخول إلى جنات النعيم بلا حساب فاجتهدوا قدام هذه النسمة الطاهرة والروم الظاهرة والأنوار الباهرة ومن قتل

منكم رجلا من هذه العساكر المنافق شهد بفعاله حجة الخالق وكشف له عن خفيات الحقائق فشمروا ولا تقصروا واطلبوا النقلة إلى العالم الفوقانى والمقام الربانى ولا تقنعوا بهذا العيش الفانى فان أمكنكم فاهجموا الليلة إلى خيـــام هؤلاء المنافقين الخائنين المساكين واضربوهم بالخناجر والسكاكين وأطيعوا امامكم حتى تسيروا إلى الجنة وهو قدامكم ولكم أسوة بالذى قطعت أناملى وعدمت عينى اليمنى مع الشخص والحبل المتين ومن قاتل الليلة وصبر كانت له الجنة دار مستقر ولم يزال عقبه على ذلك حتى ضجوا القوم وأمراء الديلم وقالوا سمعنا وأطعنا أيها الحكيم العالم فدبرنا وأمرنا وجربنا فقال لهم كل من تحت يده رجال يعود اليهم ويعلمهم بهذا الحال ويأخذوا الاهبة للقتال حتى نجعلها ليلة الانفصال ولا يصبح الصباح إلا وقد بلغنا الآمال ففعلوا ذلك وقبلوا واعلموا الطوائف فتأهبت وللجنائب ركبت وركب أيضاً باهلاك وعقبه يهون عليه الهلاك (ياسادة) وفى تلك الليلة والساعة كان المعتصم مع أبو محمد البطال يدبروا فى أمر القتال هذا والليل قد طبق بسواده على الأرض والجبال وأسبل على الخائفين أزيال وإذا بالصباح قد ارتفع حتى كادت السماء أن تقع والأرض أن تصدع وخيول الديالم قد طبقت وفرسان خراسان قد تسارعت وسمع المعتصم ذلك فعظم عليه وكبر لديه وعلم أنها خيول أعاديهم لما سمع منادى الموت يناديهم وما كانت إلا ساعه حتى صارت الأعداء معهم فى الخيام وقد استيقظوا النيام وقد زلت بهم الأقدام ونزلت عليهم الأحكام وتخبل عقل الفارس الهمام ووثبوا الناس إلى الخيول وكان ليل مهول فعمل فيهم الحسام وغشيهم الظلام وتزاعقت أبطالها وزجرت أقيالها وجودت نصالها وبانت أهوالها فقال كسرنا والله هؤلاء الخوارج الأندال وما صبروا علينا حتى ندبر أمر القتال ثم صار ينادى فى الأبطال وينخى مقدمين الرجال يقول لهم يا أخوانى المسلمين دونكم وأعداء الدين من الخوارج المتمردين فهذه ليلة كسب الثواب وفيها تجازون من رب الأرباب وتحظون بعتق الرقاب فانصرفوا أمامكم واحفظوا أمامـــكم وها أنا ثابت غير فرار فالله تعالى نعم المعاون والجار وما خاب من به استجار وقد وعدنا بدار القرار وهى دار وأى دار وهى مفجرة الأنهار (قال الراوى) ياساده فهنالك حضرت الآجال وهمهمت الأقيال ولعبت الخيل بالجماجم فى المجال وتقطعت الأعمار الطوال وكان القضاء على النفوس دلال وزال من الفارس الا دلال وقاتل المعتصم أحسن قتال حتى تفللت عنه المواكب وبقى فى وسط المعمعه وحيد فريد وتفرقت عنه الغلمان والعبيد وتقطعت به المعامع فعاد إلى ورائه راجع قليل والناس بين طريح وقتيل وباهلاك الخارجى يدور فى ظلام الليل مثل الفيل وهو يسقى الأبطال كاس وبيل والفرسان

من على السروج تميل حتى طلع الصباح وأضاءت الآفاق وقد وقع المحاق فى عساكر العراق ومزقتهم السيوف الرقاق ونهب الأموال والرجال والخيول والاثقال واحتوى الخارجى على سرادق الخليفة بما فيه وقتل الفقهاء والعلماء وكل شخص صالح ووجيه وزاهد وفقيه ونزلت الخوارج فى خيام الاسلام وقال عقبه اعرضوا الأموال على مولانا الامام فأعرضت الأموال والرجال كلها على باهلاك فأخذ منها ما أعجبه وفرق الباقى على عساكره وأجناده وأما خزانة الخليفة فانها اختصها لنفسه وفتحها عقبة بين يديه فوجد القنديل الجوهر والصليب الياقوت الأحمر فى بعض الصناديق فلما رآه عقبه خفق فؤاده من شدة فؤاده من شدة الفرح (أما باهلاك) (يا سادة) ماعرف لهم قيمة بل قال لعقبه لما رآه وقد عزلهم ناحية أيها الشيخ الناصح الداعى إلى المصالح هذا قد أخذ لاشك من بعض أديرة الروم وحمل إلى الخليفة فخباه فى بعض خزائنه لأجل بجله وإلا فما هذا أمر خالص الزجاج كل ماعليه قيمة ولا أكون أبيعه لبعض القسوس بشىء يرجع منفعته على خزائن المال ثم أن عقبه تسلمه وهو لا يصدق بذلك وان باهلاك أراح واستراح ثلاثة أيام وهم بالمسير الى العراق فعارضه مرض شديد فما أجهد نفسه فى القتال فأقام مكانه وعقبه يطلبه وكلما سألوه الديالم عنه يقول مولانا قد احتجب فى علم غيبه وطلع الى السماء بروحه وترك عندنا جسمه وما ينزل ويقابل هذا العدو الا فى وقت يعلم أنه يبلغ فيه الهنا وكان الملعون عقبة قد قال للخارجى يامولانا أن يجب تكتم حالك ولا يطلع عليه أحد من رجالك حتى لاتنفص منزلتك عندهم ولربما سمع بذلك عدوك الخليفة فعاد اليك وطمع فى قتلك ففعل باهلاك ما أمره ومنع الناس من الدخول اليه (قال الراوى) وتسامعت الناس فى سائر البلدان بكسرة عساكر الخليفة وملكت عساكر الخارجى ما وقعت عينها عليه وما وصل اليه فأتى اليه كل قاطع طريق وكل كافر زنديق وعقبة يفرح قلوبهم بكل جميل وكان الملعون قد غير زيه بحيث لو رآه أى أحد ماعرفه وكان باهلاك يقول له لم تعمل بنفسك هذه الفعال فيقول له ياصاحب الزمان على لا أظهر لأهل العراق تملك أنت سائر الآفاق وهذا قد فعلته وأريد حتى لنفسى تغير القطع عنى ثم سار فى زى الديالم وقد عمل شعر اسود نازل على كتفيه ولبس قباء وجعل على رأسه شربوس مرصع بالدر والجوهر يأخذ بالبصر وصار فى زى لو أبصره أسواق بغداد ماعرفه أحد من العباد (قال الراوى) وكان أبو محمد من وقت وقعت الصرخة ليلة الكبسة فى الظلام ورأى الأعجام والديالم معهم فى الخيام فخرج من سرادق الخليفة وقال لغلمانه اعلموا أن هذه النوبة من تدبير عقبة وقد قال والله المنا وزال عنه العنا وانا أعلم أنه يأخذ

الصليب والقنديل ويكسر الاسلام ولا يترك لهم مقيل ومافى الأمر إذ أننا نختلط بعساكر هذا الخارجى ونختفى فى جوانبه والا هلكنا وان ظفرنا بعقبه بلغنا المنا ثم تركوا القتال فى الخيام ومضوا إلى عسكر الأعجام وصاروا بينهم بعد كسر عساكر الإسلام وطلبوا عقبه فلم يعرفوه وجعلوا يقصدوا عساكر الخارجى ولا يبصروه وأبو محمد يقول والله اننى قد تحيرت من هذا الملعون لأنى أعلم أنه ما كسر عسكر الخليفة غيره ولا دبر عليه سواه ولكن ما أدرى أين هو الملعون وما هو إلا قدره وأخفى نفسه منا فان لم نأخذ حذرنا منه والا عرفنا قبل أن نعرفه على أننى ما أبرح حتى نكشف خبره ان شاء الله تعالى (قال الراوى) هذا ما جرى هاهنا وأما المعتصم فانه لما وصل إلى العراق استقبلوه الناس بالبكاء والزعاق وسمعت بكسرته سائر الآفاق واجتمعوا العلماء والفقهاء والخطباء والفضلاء وطلعوا على المنابر يبتهلون الى الله تعالى بالدعاء على هلاك الخارجى ومن معه من الظالمين ويسألونه النصر لجيوش المسلمين فنادت المنادية فى سائر البلاد يدعوا الناس إلى الجهاد والقتال عن الدين ونصرة الموحدين وأقبلوا الناس يهرعون من كل جانب وفتح المعتصم خزائن المال الذى للآباء والأجداد وخلع على الأمراء وعلى العساكر والأجناد بعد الاجتماع وإذا هم ثلاث مائة ألف فارس ما بين رامح ولابس فلما رأى ذلك اشتد عزمه وقوى قلبه ونوى على لقاء الخارجى كرة أخرى وإذا بالأخبار قد وصلت بأنه سائر إلى بغداد وقد زادت عساكره أضعاف ما كانت ففزع الخليفة على الناس فى بغداد وقد درب الدروب وتزايدت الكروب واعتدوا الناس للحروب وتشققت المراير تأسفاً على هتك الحرائر وقامت القيامة فى بغداد وأخذوا أهبة الجهاد فى طاعة رب العباد وفرق الخليفة على الناس العدد بعد ما كان بها بخيل وأيقن بزوال ملكه عن قليل وحققت الحقائق وفى تلك الأيام وصل الأمير عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم ومعه أمم كثيرة من سائر القبائل وكل من خلص من يد الملك الفالوغص ووصل إلى ملطية رآها خراب مهدمة القصور ومصرحة الأبواب يجرى دمعه الهتان وقد قيل

لاتعتب الدهر يضيق العتاب   لأنه من طبعه الانقلاب

(قال الراوى) ثم انه أقام فى القلاع حتى اجتمعت اليه العربان من الأودية والضياع وانحدر بعد ذلك إلى العراق لما جرى هذا الاتفاق فلما صار بين يدى المعتصم قبل الأرض ودعا وأخبر بما جرى له وبشره بكثرة من جمعه من العساكر ففرح به الخليفة وهناه بالسلامة وخلع عليه وعلى وجوه قومه وقال له ابعث النجاب من بنى سليم إلى بلد الموصل والجزيرة واستنجاد الرحبة وديان وبلاد الشام حتى تجمع العساكر للعراق ويلتقى أهل الكوفة فقال

يامولانا لاتحمل على قلبك فان الله لايخلي دينه من أنصار وقد دعونا الله بالنصر على لسان نبيه المختار ثم قالوا له الحجاب مثل ذلك وهيبوا قلبه وقووا عزيمته وقالوا يامولانا الديالم ماينفعونا فى القتال بل كبسونا حيلة واغتيال وهذه فعال العاجزين من الحرب القليلين الخبرة بالطعن والضرب والآن وحق نعمتك لابد لنا مما نرى نفوسنا عليهم ونوصل الأذية اليهم بضرب يشفى العليل ويرضى الملك الجليل ولا نقل يا أمير المؤمنين أصابنا ذلك المصاب إلا انتقام من الملك الوهاب حين صدقنا على عقبه كلام أبو محمد البطال أوعطيته أنت خطك بقتله أينما كان ولو كان الساعة عندنا انكشف عنا ببركاته العنا على أنك رأيت خطه فى ذلك الكتاب وصدقت عليه ونحن نعلم أن الكل من أبى محمد البطال وهو الذى زور عليه هذا الكتاب فقال المعتصم دعونا من هذا لأن القلب فيه شغل شاغل عن سماع هذا الكلام والأمير أبو محمد قد عدمناه وما ندرى ماجرى عليه بعدنا وعندنا شغل شاغل عن كل أحد فابعثوا النجب الذى ذكرت لكم ودعونا من عقبه ومن سواه فلا أعقبه الله خبر فما أيشم طلعته فعندها ركب الأمير عمرو بن عبيد الله وبعث عشرين نجاب إلى بلاد الموصل وأرض الجزائر وإلى بلاد الهكاريه وسنجار والخابور والرحبة وديار بكر وقال لهم أوعدوا الناس عن مولانا أمير المؤمنين بالجوائز السنية والاقطاعات بكل جميل فقالوا سمعاً وطاعة وساروا مجدين وإلى الجهاد طالبين وانقلبت فى تلك الأيام على الخليفة الأقطار وأتت العساكر مثل البحار وأما باهلاك فانه لما برىء من مرضه فرح عقبة بذلك ورحله إلى بغداد وقد ارتجت لرحيله البلاد إلا أنه ماوصل إلى بغداد إلا والخليفة قد برز وقد ازدادت عساكره مثل ما كانت أضعافاً مضاعفة فلما أشرفت عليهم رايات الخارجى تبادروا إلى الخيل الجياد واعتقلوا بالرماح المداد واصطفوا فى طلب الحرب والجهاد ورفعوا أعلام الخليفة السود وصاحت أيضاً الأعاجم والديالم عند اشرافها على أعلام الخليفة هذا وعقبة إلى جانب باهلاك يحثه على القتال ويقوى عزمه على النزال إلا أن الخليفة أرسل اليه من قبل أن يصف العساكر يقول له أيها الطاغى الباغى احذر الباغى وإياك أن تظهر ملة ثانية غير ملة الاسلام واعلم أن الله ختم الملك والشرائع بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ونحن خلفاء وعلى سائر الانام قائمين بسنته إلى يوم البعث ولقاء الملك العلام ومن أراد يعاندنا غلب وما أراد اخماد جيشنا إلا انكب لأن دولتنا لاتزول وأيامنا لاتحول لأجل مادعا لنا الرسول فارجع واترك الخلاف وإياك والبغى والاسراف فلما وصلت الرسالة إلى باهلاك غضب ودمدم وقطب وهمهم ورأى ذلك عقبه منه فسكنه من غيظه ومسح أعطافه حتى زال غضبه وكتب الجواب يقول أمادولة بنى العباس فقد

اضمحلت وأيامهم قد ولت وهذه أيام قد بدت جدد وأرقاب هذا الشخص السعيد تحمد لأنه من السماء مؤيد فان كنت أيها المدعى الخلافة تترك هذا الأمر من يدك وتدعنا نمهد الأرض ونقيم ما معنا من السنن والفرائض فنحن تترك من بعض رغاننا فى البلاد ونترك الشر والعناد والافالسيف أمضى والموت أقضى ثم عاد الرسول إلى الخليفة بهذا الجواب فعندها زاد من المعتصم قلقه وعظم أرقه وأمر الناس بالاعتداد وحرضهم على الجهاد وكان قد مضى النهار وأقبل الليل ونزلوا فى الخيام وأركزوا الأعلام ونزل الخارجى بعساكره وقد طمع فى ملك العراق وباتت الأرض ترج من كثرة الزعاق وقد قامت الدنيا على ساق إلى أن طلع الصباح وركبت المواكب تطلب الكفاح وصاروا الناس على ظهور الخيل حتى حملت عليهم الديالم والاعاجم مثل السيل لأجل ما معهم من الطمع وبرق الحديد ولمع وثار النقع وارتفع وعمل السيف فى القمم وصارت الجسوم رمم ووثب الشجاع واقتحم وفر الجبان وانهزم وعميت الأبصار وقل الانتصار وتماسكوا باللحاء وتخضبوا بالدماء هذا وقد عددت القتلى وكانوا كما قيل

رؤوس تطير ودم يفور ☆ وخيل تكر وتقع يمور
فهذا قتيل بسيف صقيل ☆ وهذا جديل وهذا يخور
وهذا يجور وهذا ملوں ☆ وكاس المنايا عليهم يدور
وهذا ينادى إلى خصمه ☆ تقدم فانى جليد صبور
وهذا يدالى الى أهله ☆ وقد عاين الموت حقا وزور
وكل الفرارين فى محنة ☆ وأسنها فى تراقى الصدور
وقدغابت الشمس من فوقهم ☆ وحام بذاك القتام الطيور
وقال الذى ندمن بينهم ☆ رأيت بعينى يوم النشور

(قال الراوى) ثم ترجلت الديالم إلى الأرض وقد صاح فيهم عقبه اليوم نريد منكم الصبر حتى يتضاعف لكم الأجر فعندها احمرت أحداقهم وأرغت أشداقهم وكثر صياحهم وزعاقهم وقالوا مابقى الا القتال والهلاك فى طاعة باهلاك ثم قصدوا الخيل بالصوارم فتركوها بلا قوائم ونثروا من ركابها الجماجم ودقوا بين أيديهم العوالم وطلب كل واحد منهم الهزيمة ليكون سالم ونظر المعتصم إلى ذلك فعاد وقد نكست راياته والأعلام وتفرقت المواكب تطلب الانهزام فجرت دموعه على الاسلام وطلب النجاة بمن معه إلى جدار البلد وقد تصايحت وفزعوا الصبيان وغلقت الدروب ونكست الرايات والبنود

وتم المعتصم إلى قصره والتقته الجوار بالبكاء وفى أوائلهم الست زبيده وهى تضج إلى الله بالدعاء وتقول يا أمير المؤمنين اندر إلى الله تعالى النذور فلعــل أن يدفع عنا هذا البلاء فانا قد نذرت بعشرة آلاف دينار لصعاليك بيت الله الحرام وكذلك مثلها لأهل المدينه مدينة محمـد صلى الله عليه وسلم فقال المعتصم أنا على أضعاف ذلك نذر لله تعالى فقال حاتم بن ساحق مؤذن القصر يا أمير المؤمنين ماكان ضعفنا الا دعاء عقبه لأنى جربته فرأيته مستجاب وهو يصلح لهذه الأوقات الصعاب فقالت زبيده صدقت والله ياحاتم ولكن أين ذلك المسكين فى تلك الساعة مهيج فى البلاد ان كان هو فى عداد الأحياء ولقد كان إذا نظر المسلمين وهم فى مثل هذه الحاله تتحادر دموعه على شيبته ويحترس حتى أقول أنه قد انفطرت مرارته فان أردت الفرج القريب فانذر انك لا تسلمه الى الأعداء إذا رأيته بل تعمل على خلاصه (قال) ولم تزل زبيده بالخليفه حتى جعل عقبه من جملة النذور والخليفه لا يدرى ولا يعلم باطن الأمور وباتوا الناس تلك الليله فى شدة شديدة وهم مشرفين على السبى وكان باهلاك قد نزل فى جدران بغداد وعقبه يقول له هذا الذى كنت أنتظر من أيامك الظاهرة أيها الحجة الباهرة الساعه عرفت أنك صاحب المعجزات الظاهرة ونعمك على رعيتك متواترة وغدا تملك بغداد وتحتــوى على القصر وتطيعك بعدلك الخلائق من المغارب والمشاق وما ترجع ترسل إلى أحد كتاب الا ويبادر إلى طاعتك فلما سمع باهلاك ذلك أعجب بنفسه وقال قد عولت الليلة أن أهجم البلد ولا أترك الصباح يصبح الا وقد ملكته فقال عقبه بشرط أن تذبح أولاد المسلمين وتبــذل السيف فى المشايخ والشباب قبل أن يأتيك أبطال اليمن وفرسان الحجاز لأنى أعلم أن الخليفة قد أنفذ الطيور والنجابه إلى سائر البلاد وقد كتب إلى مكة وأهلها أن يدعوا له بالنصر عند البيت الحرام وزمزم والمقام وهذه عاداته وسوف يصل الخبر الى الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب وما تخليهم الأميرة يقعدون إذا سمعوا بأنك قد خرجت تدعوا الناس إلى قول لا يعرفوه ومذهب لا يعهدوه فقال له باهلاك أبشر ياشيخ فلو جاؤا أهل الأرض من المشرق والمغرب والسهل والوعر والبر والبحر وجن القلا ما باليت بهم بل كنت أصيح على كل واحـد منهم صيحة الغضب يقعون على وجوههم وقد حــل بهم العطب أما رأيتنى ياشيخ لما كشفت رأسى وحملت كيف كسرت عسكر الخليفة تحت الظلام فقال عقبة دعنا من هذا الجنون ولا تحدث نفسك بشىء لايكون واعلم ان مع عبد الوهاب رجال سودان فى لون الغربان كأنهم الجواميس وان كنت أنت ما تكشف رأسك إلا عند الغضب فهؤلاء طول الدهر مكشوفين الروس والزبد يطير من أشداقهم لاسيما إذا

السودان مثل السباع وقد فرحوا بذلك العطاء والاقطاع وتعلقوا فى الجبل وطلعوا فيه طلوع الحجل وغيلان فى أوائلهم يقول أريد أفتح الدير فى دون السبعة أيام الذى قد ألزمت نفسى لأنه مافيه ممانع ولامدافع والحصون والأديرة وكل من فيها من الرهبان هم معنا وعونا لنا وليس قدامنا أكثر من أربع خصوم وكم جهد ما يمانعونا ويدافعونا وإذا قاتلونا من مكان تسلقنا من الجانب الآخر وأوقعنا بهم الهوان (قال الراوى) وكان هذا الدير مبنى بالصخر على قرن جبل لا يرام ولا يقدر عليه أحد من الأنام (ياسادة) وكان هذا غيلان قد سرق فى أرض الحجاز واليمن من الأموال مالا عليه احصاء (قال الراوى) وقد بلغنى عن هذا الأسود أنه من حسن صنعته فى طول القلاع لأنه كان يجعل رأسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهذا غاية العجب وأنه لما صاح فى السودان وطلع بهم الى الدير فقالوا له وحياة الشيخ الطيار لو أردت منا أكل الجبل أكلناه فقال خفوا على بركة المسيح وبركة الشيخ النجيح الطيار فوقع بالمسلمين البوار فعند ذلك صعدوا كما ذكرنا وتسلقوا كما وصفنا ونظر إلى ذلك الأمير أبو محمد البطال فنادى فى الأمراء خذوا أهبتكم فالقوم قد طلعوا فى طلبنا ولا نأمن كيد هؤلاء الرهبان الذين عندنا فشدوهم كتاف ومن أتى من القوم ألقوه إلى التلاف فقالت الأميرة هذا هو الصواب ثم أنهم دعوا بهم وأعلموهم بما جرى وقالوا من لم يدير اليوم يديه فعلنا به كما فعل الشيخ النجيح بروحه لأنه أرمى روحه وحمله الهوى فسلم من البلوى وجرى علينا ما جرى ونحن ما نرمى واحد منكم فقالوا لهم الرهبان ياقوم ما تحتاجون إلى هذا كله نحن كما تريدون وحق المسيح ما نشتهى نحن السودان أن يملكون هذا المكان لأنه معروف بالرهبان فلما سمع أبو محمد البطال ذلك عرف صحة قولهم وشد الثياب منهم ثم صعدهو والأمراء على الأبراج الذى قد زحفوا إليها السودان وصاحوا بتكبير الواحد المنان ورموا بالأحجار فهشموا منهما الوجوه والأبدان وأحموا نفوسهم ذلك اليوم من كل الآفات ومأمسى المساء حتى قتلوا ثلاثين اسود ورجعوا الباقين عنهم خاسرين وعاد الأمراء مسرورين رابحين ولما أصبح الصباح عادت السودان طالبة الدير وزحفت إليه وقاتلت الأمراء قتال من قد ظن أنه هالك ولم يزالوا كذلك حتى أمسى المساء وعادوا وقد قتل منهم جماعة كثيرة وفى اليوم الثالث بان فى السودان النقص واشتد ذلك على الروم واستدعى بغيلان وقال له اعلم أن الموضع حصين ورفيع منيع ومع ذلك فهو ضيق حرج وإذا وقع الحجر ما يخطى وهذا كله خسارة فدع القوم حتى نطاولهم بالحصار وإلا فما نقدر عليهم فقال غيلان أيها الملك لا تضيق صدرك فأنا الليلة أريك العجب بعون المسيح ثم صبر الملعون

إلى أن انسدل الظلام وأخذ معه مائة من السودان الموصوفون بالشجاعة والقوة والبراعة وأمرهم أن يأخذوا معهم الأحبال وسار بهم إلى أن وصل الدير وأتى إلى سن خارج كان قد رآه من النهار فترك رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى فوق وأخذ طرف الحبل فى فمه وصعد مثل صعود النموس حتى صار بأعلى الدير وربط الحبل وهزه فعلموا أصحابه أنه قد أوثقه فصعد آخر مثل البرق وصار عنده وتبعهما الثالث وجعلوا يسبقون أصحابهم حتى صاروا الكل فى الدير وفى أيديهم السيوف المشهورة فقال غيلان دونكم الآن والأعداء ولا تبقوا منهم على أحد (قال الراوى) فهذا جرى من أمر السودان (وأما ما كان) من حديث الأمراء المجاهدين فانهم كان لهم حديث لو كتب بما الذهب على آماق البصر لكان قليل وذلك أن الأميرة ذات الهمة كانت كل ليلة لاتنام حتى تقرأ وردها وأنها لما صلت ما عليها تلك الليلة فقرأت فى أول ركعة بسورة الكهف والثانية بسورة مريم ثم جلست تتشهد وإذا قد دخل عليها راهبة من رهبان الدير وهى تبكى فلما رأتها الأميرة سألتها عن حالها فجعلت تمرغ خديها ووجهها على قدميها وتقول ياسيدتى هذا الكلام الذى كنتى تتكلمين به فى صلاتك من قاله فقالت هذا كلام الله أنزله على نبيه وجعله هداية للأمم فقالت الراهبة والله ياستاه أننى من حيث سمعته منكى قد تقلقلت جميع جوارحى فكيف السبيل إلى الدخول فى دينكم والعبادة لصاحب هذا الكلام فانى منذ فهمته وعرفته قد كرهت ههنا المقام لأنى بنت ملك الانجار وما ترهبت وانقطعت فى هذا الدير الا خوفا من عذاب الآخرة وقمت بين هؤلاء الرهبان وأنا أظن أننى فى عبادة والآن فقد هدانى الله تعالى وعرفنى حقيقة الدين وختم لى بالسعادة وأريد أدبر فى خلاصكم من هذا المكان وأسير إلى بلاد أهل الايمان فقالت الأميرة وقد سر قلبها ابشرى ياجارية فان الله تعالى قد كفر عنكى ما مضى ونجاكى من الضلال والردى فبكت الجارية وقالت سبحان من هذا وعده وكلامه وهو الذى أنعم على بأنعامه فوافقونى الآن على النزول فى هذا السرداب فقال الأمير أبو محمد البطال وقد طار فؤاده فكيف ذلك ياجارية فقالت لأن الراهب أخبرنى أن السرداب ينزل إلى الدير السفلانى ومنه كان ينزل إلى الجارية ويعود يصعد وأنا فقد أخذتنى الشفقة عليكم لأن العدو من حولكم كثير والحجارة التى كانت تعينكم على القتال قد فرغت ولو طلبتم اليوم حجر بدينار لما قدر تم عليه وأنا أعلم أن الروم يعملون السلالم ويطلعون اليكم السودان فتهلكوا فى هذا المكان فاقبلوا منى وقوموا بنا حتى ننزل من هذا الموضع الذى قد ذكرته لكم إلى الدير السفلانى وأنا أخرج بكم من الدير فى باقى الليل إلى أسفل الوادى ونختلط بهذه الأمم التى قد اجتمعت من

الهلاك وتقدمت والتقت الصياح والهمير وقــد أوقدت فى قلوبها نار السعير وصاحت باختلاف لغاتها وفوقت من القسى السهام وبذلوا الأرواح بعدما كان بها شحاح وهجمت على الدروب وقد تحسرت على أهل بغداد القلوب واستغاثوا إلى علام الغيوب والديالم يطلبون أنهم يبلغون الغرض ويتركوا فى قلوب أهل بغداد المرض وبقيت بغداد فى وسط الأعاجم والديالم مثل الجزيرة فى وسط البحر العجاج وتقدمت الأعلاج وفرسان العجم قد القت الهمة بين يدى ملكها باهلاك حتى وصلوا إلى الجدران وضربوها بقوارير النفط من كل مكان وعلمت النار فى الأخشاب واشتدت الأمور الصعاب ونفذ فيهم ماسطر فى فى أم الكتاب وكان قد أنفذ فى الليل الديالم فسكت المعابر وكان ذلك بارادة الملك الديان وهربت طائفة الاسلام وأهل الفضل والانعام إلى دار الخليفة ودام هنالك القتال وضرب النصارى ورأى المعتصم ذلك فبكى ورفع طرفه إلى السماء وهو يقــول يا كاشف الضر والبلوى فبينما الناس على ذلك وإذا بنجاب قد أقبل وهو من أمره على عجل حتى قرب من المعتصم وقد لطم قفاه وزاد بكاه ورفع نحو السماء يداه وجعل يقول :

بادر الأمر قبل فوت البدر ... ياابن عم المصطفى المختار
فبلاد الاسلام قد ملكتها ... وحوتها عساكر الــكفار
فعسى الله أن يجيب دعانا ... ويثبتنا من عنده بانتصار

(قال الراوى) وكان النجاب ينشد والناس يبكون والخليفة قد هملت من عيونه الدموع ولما فرغ النجاب قال المعتصم لاحول ولا قوة إلا بالله يامن لايحول ملكه ولا يزول عجل لنا بما وعدتنا به فما للاسلام غيرك ولا نرجو النصر إلا من عندك ثم نادى لغلمان الدار كانوا سبعة آلاف فاجتمعوا بين يديه فخلع عن نفسه لباس الملك ولبس قباء وفوقه زردية وترك على رأسه بيضة عادية وكان من الشجعان الكبار ثم نزل راجلا يقاتل فى سبيل الله وعن شريعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ونظرت المماليك إلى ذلك فارمت أنفسها إلى المهالك وفعلت الأتراك كذلك وحملت الزهاد والفقهاء وطلبوا أهل الصلاة والشهادة فى طاعة الرحمن فكشفوا الديالم عند ذلك عن البلد وردوهم على أعقابهم ووقعت عين المعتصم على باهلاك الخارجى والديلم حوله يعظموه فعلم أنه صاحب الفتنة فركب بعض الجنائب ورمى نفسه عليه وحملت معه مماليك الدار وكذلك باهلاك التقاه فى خواص قومه وعمل بينهما الحسام وطال الأمر حتى بصر الله شريعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأخرجوا العدو من المنازل والديار إلى أن أقبل الليل وانفصل كل واحــد عن غريمه وباتوا أهل بغداد وهم مستبشرين بالنصر وبات المعتصم يصلى ويدعو الله سبحانه

وتعالى ويسأله النصر على الأعداد (قال الراوى)وأما عقبه فانه قال للخارجى وقد عاد إلى سرادقه فقال له عقبه ياسيف العالم وياغياث الأمراء أريد أن أقول لك شيئا يكون فيه هلاك عدوك وأنت تعلم بذلك فقال هات ماعندك فانى لاأستغنى عن مشورتك إذا كنت بالأمر خبير فقال اعــلم أنك ان قبلت منى أمنت وان خالفتنى ندمت ولو أنك النمرود بن كنعان وقع بك الخسران فقال الغلام شروه وايش يكون النمرود ياشيخ عند هذا الشخص الموجود الذى يقطع الرؤوس ويعيدها إلى الوجود فقال عقبه بالعربى أحسنت ذكره بقطع رأسى لا كتب المسيح عليك سلامه ثم قال الملك ماالذى تشير به على ياشيخ قل لى حتى أوريك معجزاتى فقال أشير عليك أن يكون لك كمين من خلف خراب بغداد ويكونوا عشرة آلاف فارس فاذا خرج المعتصم غدا إلى قتالك هو وأصحابه فانك تولى قدامه مقدار فرسخين ثم ترجع عليهم بنية صــادقة فتردهم على أعقابهم ويخرج عليهم الكمين فلا ينفلت منهم أحد وأنت فى أعقابهم (قال الراوى) ياسادة فلا سمع الملك من عقبه ذلك الــكلام قال وحق على بنى آدم وحق هذا الصبى الذى أوجدته من العدم مايخفى على أنك صاحب همم فقال عقبه وحقك انى طول عمرى بظهورك مائعات وبسعادتك مااشتهيت فانجز الأمر الذى أمرتك به حتى تبلغ المراد فعندها جمع باهلاك الأمراء والقواد فما منهم إلا من استصوب رأيه ثم قالوا أيها الملك نحن غرباء من هذه الأرض وما نعرف موضع الخراب ونخاف أن يعلم بنا أحد ويدوم القتال إلى الليل ونحن بين الدروب ومحل لانعرفه ولا ندرى كيف نذهب فنهلك (قال الراوى) فقال باهلاك صدقتم فقال عقبه أنا أكون دليلهم وأسير من وقتى هذا معهم وأقطع بهم فرسخين حتى أخرج من خلف الخراب ولا يعلم بهم أحد إلا إن كان وقت الحاجة فقال الملك الآن قد تم الأمر ثم انتخب عشرة آلاف ممن يعرف بالقوة والشجاعه وألبسهم الدروع المانعة والجواشن اللامعة ثم ساروا وعتبه معهم وهو مثل الشيطان وقالوا له اركب فأبى وقال أريد أخطى هذه الخطوات فى طاعة الملك ولم يزل بهم إلى الخراب وأكمن فيه وأقام ينظر الصباح حتى أشرقت الشمس وركب المعتصم وخرج يطلب الجهاد فى طاعة رب العباد وهو يقول لمن حوله اعلموا أن هذا اليوم نريد نبذل فيه النفوس ونطلب فيه الثواب من الملك القدوس فمن يصبر كانت له الجنة ومن ولى وانهزم كان مستقره النار لأن الدنيا كثيرة المصائب ومظهرة الأمور والعجائب فما أقبلت إلا وأدبرت وما أغرت إلا وأزلت (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولم يزل المعتصم فى هذا المقال حتى طابت قلوب الناس للجهاد وكبر المجاهدين فأجابهم كل شىء فعندها أشار باهلاك إلى كتائبه فتقهقروا

إلى ورائهم وأعطت المجاهدين ظهورها وأظهروا عساكر باهلاك انهم مكسورين ولما
عاين المعتصم ذلك زحف اليهم وطلبهم ورمتهم الاتراك بالنشاب وكلما لزوهم عساكر
العراق أظهروا الانهزام حتى استبشروا بالنصر فلما أبعدوا ورأى المعتصم الديالم موليه
أنكر ذلك ونادى فى جيوشه ارتدوا رحمكم الله فقد رابنى أمرهم وأقول ان لهم كمين
ويكون ذلك سببا لهلاكنا (قال الراوى) فما استتم المعتصم كلامه حتى صاح باهلاك بأبطاله
ونادى فى رجاله فرجعت أعلامه وكشف رأسه وأرعد وأبرق فعادت المسلمين منهزمين
وللنجاة طالبين وثبت الخليفة وعمرو بن عبيد الله فى بنى سليم وقد اشتد عليهم البلاء
وبريت المعاصم وفنيت الأكارم ووقع الفناء فى بنى سليم بسيوف الديالم وكان هذا التدبير
من عقبة الخنزير حتى وصلوا بغداد وحيطان البلد وقد قل منهم الجند وكثر عليهم العدد
وخرج عليهم كمين عقبة وأصحابه وكان قد صبر بهم حتى سمع صياح المسلمين ورآهم راجعين
هنالك خرج بمن معه ثم أمرهم أن يبذلوا السيف فى المسلمين وأن يخربوا أبواب البلد
والدروب حتى لايبقى لهم ممانع ولامدافع ففعلوا ذلك وأيقنوا المسلمين بالمهالك ونظر
المعتصم إلى هذه الأحوال فاستسلم للقضاء وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فقال له
الفضل بن ماجد ياأمير المؤمنين اطلب البصره وسائر المسلمين فلعل الله تعالى يفرج عنا
(قال الراوى) ياسادة وأعجب مافى هذه السيره أن السيده زبيده لما رأت هذا البلاء على
الناس قد تجدد والصياح قد كثر فى البلد أخذت الأموال والتحف وكل شىء فاخر وأخذت
معه من اختارته من الرجال وخرجت فى الليل وقد ركب معها أربعة آلاف غلام وسارت
طالبه قلعة تكريت وكانت شديدة الرأى حازمة الأمر أكثر الناس معروفا وصدقة وذكر عنها
ان بعض الصالحين سار الى مكة وعبر إلى مصانع زبيده وسرب وقال رضى الله عنها ثم مات
فى الطريق فرآه بعض اخواته فى المنام بعد وفاته فقال له مافعل الله بك قال غفر لى كلما فعلت
برضائى عن زبيده لما شربت من مصانعها وقلت رضى الله عنها ثم وقفت بين يدى الله عز
وجل فقال لى قد رضيت عنها وانها لما خرجت من باب السر قال لها جوهر على ماذا عولت
قالت توكلت على الله تعالى لأن من توكل عليه ماخاب وقد قال تعالى ومن توكل على الله
فهو حسبه ان الله بالغ أمره ولو كان عقبه الساعه فى داره لدخلنا عليه وأخذناه معنا لعلنا
نسلم ببركته ثم سارت وجادت ودارت بها الغلمان وقد جردوا سيوفهم من حولها من كل
جانب ولما وصلت إلى الدوز التقت بحاجب وهو يبكى فسألته عن حاله فقال لها ياستاه الملك
الفالوغص قد ملك الموصل هى وسائر البلاد وقد عول أن يجعل كرسى مملكته بنداد
فقالت الله تعالى يعين أمير المؤمنين على ما أصابه وينصره على هذه الكسره

وما لنا شكوى إلا إلى رب العالمين (قال الراوى) ودخل الخارجى إلى بغداد وملك البلد وصار عقبه يقول له أترك السيف فيمن بقى من أمة محمد فقال له باهلاك ماهذا صواب لأننى أريد أعيد الخلق كلها إلى طاعتى وأدلهم على معرفتى فلا تكلمنى بما لاأريد وإلا ضربت رقبتك فقال عقبه أحسنت يامنحوس ولكن ما يحصل لى إلا ما يسرنى (قال الراوى) وكان عقبه قد صبغ لحيته كما ذكرنا وحواجبه وعمل له شعر طويل على أكتافه وهو لابس قباء ديلمى من مائة سنة حتى ان أولاده لو نظروا إليه ما عرفوه وقد قامت حدبته من الفرح الذى قد دخل قلبه مما حل بالمسلمين ودخل الملعون إلى دار الخلافة وجلس على سرير الخليفة ورأى المسلمين قد وقع بهم الذل والبلاء فجعل يقول

كم تركت الديار قفرا وكم لى وقعة فى الحروب فى كل يوم
أنا أخرب كل أرض ولكن سوف أفنى العباد جمعا بشومى

(قال الراوى) هذا وباهلاك قد عول ان يطلب تكريت والموصل ويملك باقى البلاد فقال له عقبه لاتفعل بل أطلب أبل كل شيء أثر المعتصم أبنما كان حتى لايبقى من ينفر عليك أهل البلاد فقال باهلاك لابد لى من تكريت والموصل وأخلى ههنا من يلتقى الخليفة فلا تكرر كلامك فى هذه النصيحة وأن رجعت إلى مثلها وأبقيت عليك قلعت عينك الصحيحة فقال عقبة ما أتفق أنا وهؤلاء القوم وان لم ألتقى هذا الملك المجنون فى يوم ميشوم وإلا قتلنى فى ساعة جنون ثم نزل إلى داره وقال لأخته عاقبة ياصالحة قد أخذت الأخبار ان الملك الفالوغص قد وصل إلى تكريت ولا بد لى من الوصول إليه وقدبلغنى أن السيدة زبيدة قد مضت منهزمه على تلك الطريق فلعل بطارقة الروم ان تلقاها وأريد إذا وصلت إلى ملك الروم أأمره أن يكمن عند المشهدين فيلقى باهلاك هناك وأنا أسلمه إياه برقبته وان أهلكه وأملكه البلاد كلها فقالت عاقبة هذا هو الصواب لأننى أنا كنت كاتبت الفالوغص وأخرجته وأريد أوفى ما وعدته لأننى قلت له لمنى أملكك البلاد ثم أن عقبة كتب كتاب إلى الفالوغص يشرح فيه ما قد جرى للملك الديلم وكيف دبر على الخليفة وملك مكانه ثم قال له وقد خلعت القنديل الجوهر والصليب الياقوت الذى أخذهم البطال ولابد أن أسلم هذا الخارجى إليك وأملكك البلاد وأذل بين يديك العباد والسلام ثم سلم الكتاب إلى بعض غلمانه وأمره أن يسير إلى لقاء الفالوغص فأخذه الغلام وسار حتى وصل إلى عسكر الروم فرأى خلائق لاتحصى فقصد سرادق الملك فرأى هيبته عظيمة أعظم من هيبة الملوك المتقدمين (قال الراوى) وكان الملك الفالوغص قد

خرج فى هذه النوبة لأنه لما كان صالح الأمير عبد الوهاب فى حصن يانس المتعزب عاد إلى القسطنطونية وقد تخلت الملوك عنه وجلس فى قصر كان بناه لنفسه وسماه القصر الأبيض وكان قد جمع ملوك الروم من سائر الأقاليم فلما تكاملوا عنده أحضر البترك والقسوس والرهبان وما ترك أحداً من عباد الصليب إلا أحضره وكان معهم شومدرس القرنان ولما انفض المجلس قال اعلموا يامعاشر العلماء إننى فى هذه السنة قد اجتهدت فى قتال المسلمين وحصلوا أمراءهم فى قبضتى أجمعين ولكن خانونى هؤلاء الملوك اللئام وانهزموا وسلمونى إلى عساكر المسلمين ولولا علم المسيح بنيتى ما كنت نجوت منهم وأريد الساعة تفتونى فى هؤلاء هل المسيح أمرهم بالجهاد أو بالهزيمة والفرار وأنا أعلم انهم قد تعودوا بالفرار من زمن الملوك المتقدمين وركبتهم الذلة والمسكنة بحملهم الجزية إلى بلاد المسلمين واستطابوا المقام فى الدور والقصور وركنوا إلى الدنيا وشهواتها وزهدوا فى الدار الآخرة ومقامها الذى وصفها المسيح فى الإنجيل واحسن صفاتها وذكر الحور والولدان والنعيم والإحسان وهؤلاء قد آثروا الباقى بالفانى واستعملوا شرب الخمر وسماع الزمور مع الحور الغوانى وأريد أن أحفظ السياسة وأقيم حدود المملكة وإنما أعلم إنما يتم لى ذلك إلا أن قتلت الملوك وأقيم ملوك غيرهم (قال) فقال البترك افعل ما شئت فى دولتك فما من يرد كلامك وإن عفوت فالعفو حسن فقال الفالوغص يامولانا دعنا من هذا الشأن فانا أريد أضرب منهم الأعناق وإن كنتم ماتمكنونى من هذا فانا أعزلهم وأسلم الممالك إلى غيرهم لأن العزل أشد من القتل (قال الراوى) فقال البترك والقسوس هذا لك ان كنت تفعله لأجل إقامة الناموس فعند ذلك عزل سائر الملوك واقام غيرهم على كل طائفة ملك من جنسها ثم قال للملك الافرنج وانت ايش الذى جرى لك حتى هربت وأنت عين العسكر وعمدة الملوك فقال أيها الملك أنا ما انهزمت حتى قاتلت حسب ما قدرت عليه ووقعت فى صدور الأعداء وأسرت مقدمهم ابن البطال ولكن الملوك ما ساعدونى بل انهزموا وتركونى فلما بقيت وحدى وعاينت الهلاك وليت مع جملة من ولى (قال الراوى) وشهد له بذلك جماعة من الأبطال الذين ثبتوا فى القتال فلما سمع الملك ذلك أخلع عليه وقال أنا ما أعزلك من الديوان حتى أغير اسمك حتى تكون عندى اسم بلا جسم ثم رده إلى بلاد ولما وصل سأل عن مذبحون فأخبروه بالقصة التى جرت فحس أن القيامة قد قامت عليه وكتب إلى الملك وأعلمه بذلك فصعب عليه ثم ان الفالوغص بعث إلى سائر ملوك الروم وطلب منهم أهل الشجاعة فأتوه من كل جانب ومكان وكانوا مائة ألف حتى شاع خبرهم بالقوة والشجاعة والشدة واللصوصية فرفع

قدرهم وتركهم فى ركاب حاجبه وأقام على رأسه خمسة آلاف بطريق بمناطق الذهب وشباك اللؤلؤ ثم فتح الخزائن التى من عهد الهراقله وأفرغها وأعطى وأوهب وأغنى القوم بالفضة والذهب وبعث قناديل الذهب وستور الديباج إلى البيع والكنائس وأمرهم بالدعاء (قال الراوى) وفى تلك الأيام وصلت كتب عاقبة أخت عقبة بلاها الله بكل نكبه من بلاد الإسلام كما ذكرنا وهى تهنيه بالسلامة وتعلمه بالخارجى الذى ظهر على الخليفة وكيف قد ملك البلاد وأقل العباد فانهض أنت إلى نصرة المسيح مادام أرض المسلمين خالية والخليفة رحل من بغداد فقبل الفالوغص قولها وسار فى هذه النوبة بعساكر لاتحصى وقدموا الجنائب بالمواكب الذهب وتقلدوا بالسيوف الهندية وتركوا على رؤوسهم البيض العادية وخيلهم قد ارتجت بصهيلها البرية ووقف الملك الفالوغص وعلى رأسه راية عالية وحوله عشرة آلاف غلام ونصب بين يديه خمسين علم أخضر عليها خمسين صليب جوهر (قال الراوى) وكان الخارجى قد أمر بنشر بنوده وأعلامه وأشهر قوته وشدة عسكره والعمد فى أيدى الفتيان وكان أكثر أعلام الخارجى بيضاء ولما أشرف باهلاك أمر بضرب الخيام وقال لعقبة أيها الشيخ الداعى إلى طاعتى والمقدم على جندى تقدم برسالتى إلى ملك الروم وأخبره بما رأيت من قدرتى وخوفه من سطوتى وان لم يدخل تحت طاعتى يخرج إلى مبارزتى ولا تفنى بيننا الأمم بل نجعل السيف بيننا حكم فمن قهر خصمه انقادت له العساكر وصار حكمها بيده (قال الراوى) فقال عقبة أيها الملك أنا أسير وأحكم التدبير وأكون لك بشير ونذير فركب عقبة فى الزى الذى ذكرناه وسار مع جملة من الديلم وهم فى أحسن زى فلما قارب عسكر الروم لقاه البترك راكب ومعه طائفة من بطارقته وكان الملك قد رتبهم خوفا من غدر العجم وكان مقدمهم بطريق يقال سرجوان وكان من البنادقه لايصطلى له بنار فلما أقبل عقبة والديلم معه علموا انه رسول فأرسلوا إلى الفالوغص أخبروه فقال احضروهم بين يدى فأقبلوا بعقبة ولم يعرفوه وساروا به إلى سرادق الملك فدخلوا وأوقف أصحابه برا السرادق ولما صار بين يدى الفالوغص زعقت عليه الحجاب الأرض الأرض فلم يلتفت اليهم بل انحنى ودعى للملك وعرفه بنفسه قال فنهض له الملك وجميع أرباب الدولة وقد عجبوا من عظم همته وقوة عزيمته ثم نصب له كرسى فجلس عليه قدام الملك وقص عليه كلما جرى ثم قال أيها الملك وما صدقت ان أصل اليك حتى تعلم انى ما أريد لك فى الدنيا مشارك ولا معاند فقوى قلبك وعزيمتك حتى أدبر لك فى فتح البلاد وهلاك هؤلاء الديالم وأما بنى العباس فقد عملت على هلاكهم وأفنيت أكثر المسلمين وسوف أدبر على هلاك هذا المجنون وأريد الساعة

ان تأمر بضرب رقاب هؤلاء الرسل الذين قد وصلوا معى وتشرع بعد ذلك فى فناء هذا العسكر (قال الراوى) فعند ذلك أمر الفالوغص بضرب رقاب الرسل وكانوا مائة رجل فقبضت عليهم الحجاب وضربوا رقابهم فانهزم منهم عشرة فمسكوهم وحلقوا دقونهم وردوهم أقبح رد فعادوا إلى باهلاك فى ذلك الزى العجيب وأخبروه بما جرى فعظم ذلك عليه ذلك عليه وهم أن يركب على الروم وإذا بغلام من الديلم أقبل إلى بين يديه يقول له اعلم أيها الملك أن الأميرة ذات الهمة قد أقبلت فى ثمانين الف مقاتل من العربان وستين الف من السودان تريد أخذ بغداد وهم فى أشد مايكون من القتال (قال الراوى) فلما سمع بذلك زاد حنقه وقال ما بقى إلا القتال لهؤلاء القادمين (قال الراوى) وكان اشراف الأميرة بعد رحيله بعشرة أيام وقد كانت الأخبار وصلت اليها بما فعل الخارجى فى بلاد المسلمين فما رأت أنها تقعد عن نصرة الإسلام فجمعت هذه الجيوش وسارت وكان الأمير عبد الوهاب مريض وقدهم ان يسير معها فما مكنته الأميرة وكان صحبها فى السفرة عبد من الحبشان يقال له غيلان الشوك ولم تزل سائرة إلى أن وصلت إلى بغداد فأبصرتها خراب فانتحبت غاية الانتحاب وجرت دموعها ثم أنها أمرت من معها بالنزول فنزلوا وضربوا الخيام وأركزوا الأعلام فلما رأى مهان مقدم الديلم إلى ذلك أمر من كان عنده بالركوب فعند ذلك ركبوا وإلى قتال الأميرة طلبوا فلما رأت الأميرة إلى ذلك أخذت أهبتها الى القتال وأمرت من كان معها بالركوب وأرادت ان ترتب الصفوف فلم يلتفت اليها أحد بل حملت الرجال إلى بعضها بعض وأبطل فى ذلك الوقت السنن والفرض والعقاب حام على لحوم القتلا انقض وما زال الرمح عامل والسيف فاصل والشجاع صائل والذليل ذاهل والفارس يقاتل إلى أن أقبل الليل بسواده فعند ذلك رجعت الطوائف عند المساء وكل منهم لايدرى أحسن الدهر عليه أم أساء وكان الربح فى ذلك النهار للأميرة من معها لاسيما السودان الذين كأنهم فروخ الجان فلما استقرت فى الخيام شكرت الأميرة ومن معها فقال لها غيلان أيتها الأميرة فى غداة غد أريكى ما أفعل فى هذا العدو إذا ترتبت الصفوف ثم باتوا إلى أن أصبح الله بالصباح ركبت الفرسان فبرز غيلان الى الميدان وطلب مقدم الديلم فبرز اليه وجرى بينهم قتال عظيم فضربه مهان ضربه أبطلها أوراه أنه يضربه على رأسه فاستترمهان بالدرقه فعاجله غيلان وضربه على ساقيه قطعهما أسرع من البرق وهمز إليه قطع رأسه وله هدير مثل هدير الجمل الهائج ثم عاد إلى ميمون الجماس وقال له زوجتى السوداء حمراة العيون فقال تستحق يافارس الزمان قد زوجتك فقال غيلان وانا

قبلت هذا الزواج ولك على ألف دينار آخذها من هذه الغزاة (قال الراوى) ثم حملت السودان على الديالم ولم يزالوا فى قتال ونزال حتى قتل أكثرهم فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وغنموا السودان غنيمة عظيمة واما غيلان فانه جعل يدور بين القتلا حتى رأى بعض أمراء الديالم وفى وسطه منطقة ذهب وكيس فيه ألف دينار فأخذهم وأتى بهم إلى ميمون الجماس ودخلوا الناس بغداد وبلغت الأميرة المراد وشكرت السودان على تلك الفعال ودخلت إلى دار الخليفة فرأتها خالية من السكان فبكت من غير الزمان وتصاريف الحدثان وقالت هكذا والله الدنيــــا مستردة المواهب وتعقب النوائب قل ما أعطت إلا وأخذت ولا وهبت إلا واستردت ولا ضحكت إلا وابكت ثم امرت أن يغلق باب الدار واقامت فى كل يوم تقبل العتبة الشريفة (قال الراوى) وبعد أيام وصلتهم أخبار الخارجى مع ملك الروم فى المصاف على تكريت فقالت الأميرة اللهم ألق الفتنة بينهم وثبت القتال بين الطائفتين فأى من قتل منهم كان فتحا للمسلمين ثم كتبت إلى المعتصم كتاب تعلمه بالقصة وتقول له يا أمير المؤمنين إننا قد قدمنا من الحجاز ولم يصحبنى ولدى عبد الوهاب لأجل مرض أعاقه عن السفر وإنى اقيت من كان فى بغداد من الديلم ونصرنى الله عليهم وقتلت ماهان مقدمهم وأنت ثبت الله سعادتك وبلغك فى الدنيا والآخرة ارادتك تعلم أننا سيوف هذه الدولة العباسية والخلافة الهاشمية وقد علم الله منا اخلاص النيات فلأجل ذلك ينجينا من الهلكات والمملوكة مقيمة ببغداد حتى تشرف راياتك عليها السعادة ثم ختمت الكتاب بهذه الأبيات

زد واعلوا فى العز والإقبال ... وسموا ورفعة وجلال
وابتهج بالذى أتاك من النصر ... وثق بالله المهيمن المتعال
وكفاك الإله من كل شر ... وكفاك الحساد والجهال
أوقدوا نارهم فأطفأها الله ... تعالى ذو المن والافضال
ثم كانت على جلالك بردا ... وسلاما ونصرة من ذى الجلال

(قال الراوى) ثم أرسلت الكتاب مع الأمير مرهف ابن عائد فأخذه وسار به إلى البصرة وسلمه إلى جوهر فدخل به إلى المعتصم فلما قرأه خر ساجدا لله تعالى على ما وصل إليه من كسر أعداءه ورحل من ساعته طالب بغداد فلما وصل إلى النهر خرجت الأميرة إلى لقاه وقبلت الأرض بين يديه وساروا فى الخدمة حتى دخلوا إلى الدار العزيزة واجتمعت إليه الأمم وهنوه بالسلامة فلما استقر فى دار عزه مع أرباب دولته استدعى بالأميرة ذات الهمة وقربها إليه وقال ايش ترين فى أمر هذا العسكرين فقالت يا أمير

المؤمنين معلوم على أنهم مقصدهم القتال وانا أسال الله تعالى أن يبيد العسكرين ويفنى الجمعين ويهلك الملكين فان كان الملك الفالوغص غالب فلا بد لنا منه وان شئت سر بنا اليهم ونزيل ما بقلبك ونطلب النصر من الله تعالى وسوف ترى ما يحل بهم من سيوفنا ونقتل رجالهم وننهب أموالهم (قال الراوى) فعندها فرح المعتصم بكلامها وقال أعلمى أيتها الأميرة أن فى قلبي النار من هذا الخارجى فان قتله ملك الروم فما نلنا منه المقصود ويقال فى الأقطار أن ما قدر يقتله إلا الفالوغص فقالت الأميرة ذات الهمة إذا كان الأمر كذلك فنروح إليهم ونرمى نفوسنا عليهم (قال الراوى) فقال المعتصم هذا هو الصواب ثم فتح خزائن كانت عنده مخفية من زمان جده المهدى بالله وفرق منها المال والسلاح وأعرض على الاميرة ذات الهمة شيئاً من المال فقالت يامولانا نحن ماجئنا فى طلب مال بل فى طالب الجهاد والثواب لأننا بذلنا أنفسنا فى مرضاة ربنا جل وعلا ومحبتنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال لها ارحلى وكونى متقدمة العساكر فقال الأمير عمرو بن عبيد الله معلوم أن التقدمة لنا من أيام بنى أمية ونحن بها أخبر ولقد قدمنا الأمام السفاح ونحن ملوك على كل من سكن البيداء والبطاح ولكن ما نعارضهم لأن الحاجة داعية إليهم (قال الراوى) فقال المعتصم ما هذا وقت المحاككة والتقدمة لاتكون إلا لمن يخلص البلاد ويفنى الاعادى والحساد فلما سمعوا السودان قالوا إذا كان الأمر على ذلك نحن أولى بالتقدمة من سائر الناس لأن ماكسر الديالم إلا نحن ولا قدرت بنى كلاب تعمل مثل ما عملنا فلم يتقدم علينا بنى سليم ولا غيرهم وإن من تقدم علينا قطعنا رأسه ونحن ننصر الدولة العباسية (قال الراوى) فقالوا بنى سليم نحن أحق بالتقدمة منكم ومن غيركم وما أنتم إلا من نسل حام وأنتم عبيد ولا يتقدم الا الأبطال الصناديد فقالت السودان اما والله لو كان لكم عقل ترجعون اليه لما رفعتم رؤوسكم بين الناس لأن ما برحت المذلة تلبسكم والعار يحل بكم وما قامت قط لكم راية وبالأمس أخذت منكم ملطيه وقتل أكثركم وأصبحت دياركم دراسة بعد ما كانت ببنى كلاب آنسة فعند ذلك غضب الأمير عمرو بن عبيد الله وحرد وأراد أن يضرب رأس المتكلم فمنعه من ذلك هيبة الخليفة وقال الأمر لله ولامير المؤمنين من قدمه قدمناه ومن أخره أخرناه وما نقدر نفعل شيء إلا باذن أمير المؤمنين فعند ذلك استحى المعتصم من بنى سليم لأنهم أصحاب حسب ونسب وهم سادات العرب فى كل مكان ولهم التقدمة على بنى كلاب فغضبت السودان وقالوا من هم بنوا سليم أخلا الله منهم الأوطان وما فيهم إلا من هو صاحب فتنة ولا سيا وفيهم ذلك الشيطان عقبه الذى اتخذ عبادة الأصنام وكفر بالملك

العلام وإنما الأمارة فى بنى كلاب الشجعان ونحن لا صبر لنا على ذلك الضيم والهوان ثم أن السودان قدموا عليهم ميمون الجماس ونافع وغيلان الشوك فلما نظرت الأميرة إلى ذلك غضبت وعاتبتهم على ذلك وقالت لهم يا بنى حام ويا أصحاب الضرب بالحسام مالكم أسوة بى فترضوا بتقدمة الأمير عمرو فقال لها غيلان الشوك ياأميرة نحن لا نعرف لا عمرو ولا بكر لأنكم تزعمون أننا كلنا أولاد زنا فدعى عنك هذا ماتدعونا أن نضرب رؤوس الديالم والروم وإلا أرض الله واسعة فقالت الأميرة ذات الهمة ويلك يا كلب السودان وما أنت حتى تجاوبنى عن سادات بنى حام وتتكلم بهذا الكلام فوالله لولا الزمام لفلقت رأسك بالحسام فلما سمع غيلان الشوك قول الأميرة قال لها أنا خير منكى ياهركولة يا أم الأهوال ولولا سيوف هؤلاء السودان ماكان طال عمرك إلى الآن بل كنت طعاما إلى الوحوش والغيلان والرخم والعقبان ونحن الآن لانسمع ولا نطيع لأحد من الأنام ولا بقت دولة فى الأرض إلا دولة السودان (قال) فعندها قال ميمون الجماس لغيلان الشوك ويلك يا كلب السودان تقابل الأميرة ذات الهمة بمثل هذا الكلام والله لازوجتك ياابنى أبداً فقال له غيلان الشوك أبعد الله تعالى ابنتك ولعن الله مرضعتك ثم أنه بادر إلى ميمون الجماس بضربة طير بها رأسه عن جثته ثم أنه بعد ذلك قال للسودان ياأولاد حام ياأولاد الزنا تصبرون على هـــذا الذل والضيم والفعل الذميم وأنتم عندى لكم المنزلة الكريمة وما بلغتم من زمانكم منا وحصل لكم هنا ولا مضى عنكم اسم العبودية وأنا أجعلكم ملوك الأرض فى طولها والعرض ولا نخدم أحداً أبداً إلا أن يكتب لنا توقيع أننا لانضام وأننا سادات بنى حام السودان الانجاب الامجاد والمتقدمين على كل الأنام من سائر العباد فى سائر المهاد ولكن إذا كان ربنا جلت قدرته وعلت كلمته سبحانه وتعالى قد سود أبداننا وجعلنا سود الأبدان فى الألوان لم تذلون أنفسكم لمن لا يشكركم على فعالكم (قال الراوى) فعند ذلك مالت السودان إلى قوله وقد ورد على قلب الأميرة ذات الهمة من قتل ميمون الجماس مالا يعلم به إلا الله تعالى وقالوا بنى كلاب والله مانصبر أنها الأميرة والسيدة الخطيرة على هذا بعد ماقابلوا بمثل هذا الكلام هؤلاء العبيد أولاد اللئام وسوف نحمل عليهم ونبذل السيف فيهم فقالت الأميرة ذات الهمة لاتفعلوا ذلك أبداً فهذا لايكون فما هو مصلحة أن تقاتلوا اخوانكم وتتركوا أعداءكم وتشمتوا الحاسدين بكم واعلموا أن هؤلاء السودان أسود ضاربة وليس لهم عقول ومامنهم إلا وهو أحمق جهول وقد قال القائل من العجائب أن يكون أسود عاقل وأنا والله لو ضربنى هذا غيلان الشوك بالسيف أسهل على من قتل ميمون الجماس ولاكان يهون على أن أراه مجندك على الغبراء موهون

الأساس لانه قتل غبينه على الغبرا من دون الناس ومازالت ببنى كلاب حتى ردتهم عن ما كانوا قدعزموا عليه وعلموا أن قول الأميرة صواب (قال الراوى)وعقدوا الرايات على رأس غيلان الشوك وقالوا نحن مانريد ملكا سواك وساروا مجدين حتى قربوا من العسكرين يعنى عسكر الروم الملاعين وعسكر الديلم الذين مع باهلاك اللعين (ياسادة) ولما جن الليل قال غيلان الشوك للسودان من يكشف لنا خبر هذين العسكرين وينظر لنا الغالب من المغلوب حتى ندبر أمرنا ونسعى فى اصلاح شأننا فقالوا والله نحن مانعرف كلام الديلم ولا الروم ولا العجم وما نرى أحداً منهم إلا وينكر أمرنا لأن ألوانهم غير ألوانا فقال غيلان نفيت من جملة السودان ومسخنى الله أبيضا بين العباد وأكلت لحم الخروف بعد أكل لحم السباع ان أرسلت إلى كشف هذا الأمر منكم أحد ولا يسير اليه إلا أنا وأريحكم من هذا العناء ثم قام فشد على نفسه (قال الراوى) وكان هذا غيلان خفيف الركاب لأنه كان ساعيا سلال الخيل خواض الليل وما أمن أهل الحجاز على خيلهم ونفوسهم إلا من وقت رحل من عندهم .

﴿ تم الجزء الثالث والستون ويليه الجزء الرابع والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الرابع والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وسار غيلان إلى عسكر الروم فرأى عسكر زائد فدار فيه جميعه ثم قصد عسكر الديلم فوجده كذلك فطانه حتى عرف خبر العسكرين فوجد عسكر الروم أكثر نشاطا وأعظم انبساطا فعاد غيلان إلى أصحابه السودان وأعلمهم بذلك (قال الراوى) وكان من أمر الروم حين وصل اليهم عقبه المذموم برسالة باهلاك وأمر النالوغص بقتل الديلم فقتلوا كما تقدم ثم قال له يامالك ارسل العباد تملك البلاد ولا ترفع السيف عن أحد فقال له الفالوغص أيها الشيخ النجيح انما أمر المسيح بالعدل فى الرعية والاحسان اليهم فقال عقبه اذا كان من أهل دينك وأما الأعداء فليس لهم إلا السيف (ياساده) ولما كان اليوم الثانى من نزول باهلاك فى مقابلة الفالوغص عند الصباح ركب العسكران فى طلب الكفاح فعندها ماج جيش الديالم كما يموج البحر إذا التطم وتقدم الأمراء وليس فيهم الا من هو مسربل بالحديد مشتمل بالزرد النضيد فترجلوا ومشوا بين يدى فارس مكين وبطل رزين لايبان منه غير حماليق الحدق أو تداوير الأمق وعليه ذرع زرد كثير العدد كانه عيون الجرد لا يعمل فيها الصارم المهند وهو مغموس فى الذهب وشعاعه يخطف البصر وعلى رأسه بيضا عاديه مليحة تأبى عنها الصوارم الهندية يفنى صقالها عن السراج فى الليل الداج وفى يده خشت أقطع من السيوف اليمانى وأمضى من القضاء الدانى وتحت فخذه سيف الركاب وهو حسام قرضاب وتحته جواد يصلح ليوم الطراد كانه البرق اذا سار والطير إذا طار كانه شهاب قد رجم به شيطان أو عقاب انقض على ورشان لو وطىء على البصر ماأذعر وعلى الرمل ماأثر (ياساده) وكان هذا الفارس

باهلاك فلما صار فى الميدان ومقام الحرب والطعان صاح صيحه بين يديه الترجمان معاشر الروم هذا صاحب الزمان ومالك قصب الرهان الداعى الى نفسه المفتخر على أبناء جنسه قد خرج إلى الميدان وغدى بنفسه رعيته الفرسان فلا يبرز اليه الا ملككم الفالوغص لأن هذا الملك سمع عن صاحبكم أنه يدعى الفروسية فدعوه يخرج اليه كما يزعم أنه من الفرسان (ياساده) فلما سمع الفالوغص هذا الكلام من الترجمان هم بالخروج الى الميدان فمنعه من ذلك عقبه القرنان فقال له هذا جبار لا يصطلا له بنار فدع غيرك يخرج اليه حتى تعرف ما هو عليه فقال له الفالوغص أيها الشيخ النجيح أيهما أشجع هو أم الأمير عبد الوهاب فقال له عقبه هذا يريد لرأسه مائة عند الضراب مثل عبد الوهاب لأنه لا يفزع من كثرة الفوارس ولا يهاب جميع الأشاوش ولا يقف بين يديه راجل ولا فارس فلما سمع الفالوغص كلام عقبه قال سوف ترى من هو منا أثبت جنانا وأوحد سنانا وأحسن بيانا وأجود طعانا وأوسع ميدانا فوحق العزارى من بنات النصارى ودير الصليب وكل حبيب لولا خدمتك ومحبة سبقت منك لى لحملتك من الاحراق مالا يطاق وكنت أجعلك مثلا فى الآفاق ثم تأهب للقتال وخرج للحرب والنزال وعليه درع كثير العدد لا يعمل فيه الصارم المهند ومن فوقه ثوب ديباج ملكى قسطنطينى وهو متقلد بسيف صاعق كالدرابه وفى يده قنطارية خلنجية من عمل الأفرنج كانها صارى مركب وتحته مهرة عربيه تطرب بصهيلها آخذ بعنانها (ياساده) ولما صار فى الميدان وقارب باهلاك فى الجولان نظر اليهما الفريقان وقد حملا على بعضهما البعض وأخذا فى البسط والقبض وحام عقاب المنيه على رؤسهما وأيقن بتلاف نفوسهما ورأى كل واحد منهما من صاحبه وما رآه من غيره فى عمره وقد تقدم وصف شجاعتهما (ياساده) وعلا عليهما الغبار وحجبها عن أعين النظار وساءت فيهما الظنون والأفكار وما زال الضرب يقد حتى توسطت الشمس فى كبد السما فعندها مالت الديلم على ميسرة الروم وميمنة الروم على ميسرة الديلم واشتد الألم وحمل الرجال على الرجال والتحمت الأبطال بالأبطال وعملت الصوارم الصقال وجرى الدم وسال كالغيث الهطال وكانت ساعة كثيرة الأهوال يشيب منها روس الأطفال وحامت فيها حمائم الحمام على الكرام واللئام وقطعت فيها قضبان الشباب بواسطة الطعان والضراب وانقضت عقبان القضاء والقدر وطارت الرؤوس مثل الاكر وقصر طول العمر وانبتر وقاتل الشجاع وصبر وماتقر عن الحرب وما تأخر وما زال السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتال ونار الحرب تشعل حتى مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصل الجيشان وعاد كل فريق إلى مكانه وأضرمت النيران وتحارس الفريقان

وكان لما حمل الناس انترق الملكان وكانوا فى الحروب اكفاء وفى الشجاعة سواء وما استقر الناس فى الخيام وأكلوا الطعام حتى أقبل الفالوغص على عقبه رأس الشام وقال له كيف رأيتنى أنا وباهــلاك فى الحرب والصدام فقال عقبه أنا ما بقيت أقدر على الكلام والسلام فقال له الفالوغص قل الحق وما عليك بأس فقال دعنا الساعه منذا واسمع الساعه ما أبشرك به فقال الفالوغص قل الحق وما هو فقال عقبه الساعه وصل إلى جاسوس من العراق وأخبرنى أن ذات الهمه دخلت بغداد وأهلكت ماهان الذى كان استخلفه باهلاك عليها ومانجا من أصحابه الا القليل وأرسلت إلى الخليفه فجاء اليها وهم قاصدين اليك وغدا يصلون آخر النهار إلى ههنا وقد وقع بين العرب والسودان خلف وقد سبقتهم السودان وهم نازلون بالقرب من هذا المكان الذى نحن نازلون فيه فقال الملك الفالوغص وأى بشارة هذه وما تحصل من الفائدة لنا فقال عقبه الفائده الحاصلة الساعه انك تكتب إلى غيلان الشوك أمير السودان وتوعده انك تعطيه الاقطاعات هو وأصحابه والبلدان وتزوجهم بنات البطارقه الكبار فان أجابوك بالطاعــه فقد اشتدت منك الأركان ونلت كلما تريد من الاحسان فقال الفالوغص افعل ما بدالك فلعل أن توثق فى رأيك فكتب عقبه إلى غيلان الشوك جواب يقول له فيه من الملك الفالوغص ابن ارمانوس ملك ملوك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية الى الأمير غيلان وأولاد حام الضاربون بالحسام أما بعد فقد بلغنا ما كان من أمركم مع أصحابكم مع فعلكم معهم الجميل وكسركم الديلم وأنتم أولى فى التقدم فما أعرف لكم لأصحابكم الا الاحسان وأنتم أحق بالتقدمة من كل انسان لأنكم المعروفون بالصدام إذا اشتد الزحام عند الحرب والخصام فان رأيتم الكرامة والاقطاع بادروا من غير إمتناع إلى طاعة الملك ليحصل لكم عنده النعيم ويزوجكم البنات الملاح أصحاب الوجوه الصباح من بنات البطارقة التى منهن كل بدرة فائقة ونقطعكم من القسطنطونية إلى أبواب ملطية وأنتم على دينكم لا تكرهون إلى غيره وطوى الكتاب ثم سلمه إلى مطران يقال له شليطا ابن شيحا وقال له انظر كيف تكون (ياساده) وكان هذا المطران شيطان فى صفة إنسان له طبقة عظيمة فى المكر والدهاء والخديعة وكان من تلاميذ عقبه (ياساده) وأحضر اليه عقبة مائة بطريق يسيرون فى خدمته إلى عسكر السودان وأعطاه مائة جنيب من الخيل الملاح عليها أجلة الحرير الملون وعشرة آلاف دينار لغيلان وألف خلعة لكبراء السودان وخلعة من الخاص من ملابس الملك الخاص الغيالية وأقبل على شليطا وقال له أنظر كيف تكون ولا تترك مكانكم واضمن لهم المال الكثير والاقطاع المليح والجوار الروميات الحسان

لعلهم يأتون الينا طائعين وللمسلمين من الأعداء وغيرهم معاندين فقال شليطا سوف ترى ما أفعل ويبان لك العمل (قال الراوى) وأخذ شليطا المال والهدية وساروا فى خدمته الرجال حتى وصلوا إلى عسكر السودان فاستقبلوه ورجلوه وعن حاله سألوه فأخبرهم أنه رسول ملك الروم إلى الأمير غيلان الشوك فاستوقفوه وأخبروا غيلان بقضيته وأطلعوه على حكايته وأخبروه بما أتى معه من الخيل المجنوبة ومن المال والثياب والديباج الملونة ففرح غيلان بذلك وقال للسودان أبشروا فهذه أول سعادتكم صارت ملوك الزمان تكاتبكم وتهدى اليكم وتطلب منكم النجدة ولابد لنا أن نملك الأرض ذات الطول والعرض فقيموا لنا ناموس نفوسكم وجودوا نفوسكم بالعدد والسلاح واللباس ومن لم يفعل ذلك منكم فعلت به الذى فعلته بميمون الجماس فقالوا له الجميع السمع والطاعة (قال الراوى) وأمر غيلان فى الحال لمائة من السودان أن يعتنقوا وأن يشبكوا أيديهم على أعناق بعضهم البعض ففعلوا الذى أمرهم به غيلان فصاروا كالقنطرة المنصوبة أو الخيمة المضروبة وركب غيلان على أعناق السودان وزاد فى التكبر والطغيان وأمر أن يدخل عليه رسول ملك الروم بعد أن أمر السودان أن يقفوا صفين ويشهروا العدد من السيوف والعمد وقبض هو فى يده عمود من الحديد لايقدر بنقله إلا كل ذو بأس شديد (ياساده) وجاء شليطا ومن معه من البطارقة فدخلوا على غيلان ونظروا اليه على أعناق الرجال والصفة الذى هو فيها والحالة الذى هو عليها فخافوا من سطوته وهابوا شدته ونظر شليطا إلى غيلان فرأى شيء ما رآه فى عمره من إنسان ولا من ملك ولا من سلطان وهو جالس على أعناق الرجال وأسره الأبطال فصعق اللعين وسلم وأطلق لسانه وتكلم وقال أيها الملك الفيداق الجالس على الأعناق الموصوف بشجاعته على الآفاق المقدم على عسكر مصر والشام والعراق أنا رسول ملك الروم اليك وقادم بهديته اليك فى أمر يكون سبباً لوصول السعادة اليكم (ياساده) ودفع الكتاب اليه وأعرض الجنائب والهدية اليه وأعطاه المال وقال له تصرف كيف شئت فى الجميع وخص بفضلك من أحببت (قال الراوى) وقد بلغنى عن غيلان الشوك بأنه كان يقرأ ويكتب بالسبعة أقلام وله فى النثر والنظام أعلى مقام وكان يتكلم بكلام الروم والعجم لأنه كان حبشى الأصل وكان لملك الحبشة الذى يقال له الديجوج ابن هجام صاحب العاج وأرض الزجاج وأنه بلغ سيده عنه شيء فهم بالقبض عليه فعرف غيلان ذلك فهرب منه وتوصل إلى أرض الحجاز وأباد العرب من فعاله شرا ورأوا منه نكراً من أخذ أموالهم قهراً ولما قدمته الأميرة المجاهدة ذات الهمة إلى العراق فى هذه المرة صحبها لأنه كان يتردد إلى حى بنى كلاب مدة اقامتهم فى أرض الحجاز ورأى بنت ميمون

الجاس فهو بها لما تقدم وجرى منه ماجرى من قتل ميمون الجاس فهابه الناس وانفسد معه من السودان سبعة آلاف أسود من سودان الأمير عبد الوهاب لأن الأمير كان يملك اثنى عشر ألف من السودان (ياساده) فلما قرأ غيلان الكتاب وفهم مافيه من الخطاب أقبل على شليطا وقال له قل للملك الهدية مقبولة وعلى الرأس والعين محمولة ولكننا نريد أن تكتب لنا أقطاع من حصن يابس إلى ملطية وتقدمنا على سائر النصرانية فقال شليطا لكم ذلك وعلىّ الضمان فقال غيلان أيضاً أجبت الملك إلى المصادقة والمصافاة على أننى أكون عدواً لمن عاداه وصديقاً لمن صافاه فقال واحد من السودان الذين هم تحته وهو راكب عليهم أيها الأمير بعد قراءة القرآن وصيام شهر رمضان ترجع إلى مصادقة أهل الصلبان ومعك كل قس ومطران فلما سمع كلامه مد يده إلى أصداغه وعصر رأسه ففتشها وخرجت عيناه فوقع ميتاً فما جسر أحداً من السودان أن يتكلم بعدها ونظر شليطا ومن معه إلى ذلك فماتوا فى جلودهم (قال الراوى) وكتب غيلان إلى ملك الروم جواب من مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق الصور المختلفات والألوان الذى خلق بيض وسود وجعل الدنيا دولا فى الزمان وقد مضى لأولاد حام سنين وأعوام وشهور وأيام يضربوا فيها بالحسام ويشدون عزائم الإسلام وكان لهم المدح على طول الزمان والآن فقد انتخت النفوس وطلعت الشموس ولنا النسب الشريف والقدر المنيف ومن اليوم ما نعمل إلا ما نريد فقد صرنا موالى بعدما كنا عبيد وقد قبلنا قول الملك الرحيم والسيد الكريم على أنه يعطينا مانختار ونحن نقاتل بين يديه العبيد والأحرار من العرب والعجم والترك والديلم وسائر الامم ورد الكتاب إلى شليطا وقال له هذا جواب الملك ودعه يرسل لى ولأصحابى ستة آلاف خلعة أخرى حتى نقدم عليه ونقاتل بين يديه وننفى الديالم والأعاجم ولا نترك علينا ملام بشرط أن لايكره أحداً منا على الخروج من دينه ومن أحب أن يدخل فى دين الملك باختياره فلا اعتراض عليه ومن أقام على دينه فذلك اليه وان كان الملك ينفر منا فدعه يرسل الينا من يستحلفنا على ذلك ومهما أراد وان أذن لنا اليوم فى قتال الديلم قبل قدومنا عليه فعلنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فأخذ شليطا الكتاب من غيلان ورجع إلى الملك فوجده عقبه على مقالى النار وهو له فى الانتظار فلما صار شليطا فى حضرة الملك أخبره بجميع ماكان من أمر السودان وما رآه من خبر غيلان ودفع اليه الجواب وأعاد عليه ماحمل من الخطاب وقال وحق المسيح لقد حملت رسائل كثيرة إلى العرب والعجم وإلى خليفة المسلمين وإلى عبد الوهاب أمير الإسلام والمجاهدين وإلى أمه ذات الهمة وما رأيت أحداً منهم فيما فيه هذا غيلان من العظمة (قال الراوى) وقرأ عقبه

كتاب غيلان على الفالوغص فلما عرف مافيه وتدبر معانيه فرح فرحا شديد ماعليه من مزيد فقال عقبة وأرجو من المسيح أن يكونوا قد نظروا إلى دين النصرانية وأن يشد بهؤلاء السودان عضد أهل ماء العمودية وما لعبد الوهاب مثل هذا الأسود المهاب وقال للملك ارسل لغيلان ماطلب من الخلع والفضة والذهب وابتغي الثواب من السيد المسيح (ياساده) فبعث الملك لغيلان ماطلب وأرسل يقول له أبشر بكلما تريد ولك منا ما لا مزيد ولما وصل إلى غيلان الخلع والمال فرح بذلك وفرق الخلع على السودان وقال لهم أبشروا بكلما تريدون فى هذا الزمان ورحل فى الحال ونزل قريبا من عسكر الفالوغص وأخذ الملك أهبته لقدوم غيلان عليه ولبس تاجه والإكليل وطرح على بدنه بدلة جوهر وأقام الملك المماليك عن يمينه وشماله بالسيوف المجذبه والدرق المكوكبه والعمد المذهبة وأقام بين يديه عشرة آلاف غلام وهو جالس على كرسيه والغلمان كلها بالمناطق والقراطق المرصعة بالدر والجوهر وقطع البلخش والياقوت الأحمر وأوقف على باب السرادق عددا مثل ذلك وجعل بقية العسكر كتائب ومواكب وجلس حول الملك السبعة عشر ملك الذين هم ملوك الأقاليم على كراسى الذهب والفضة (قال الراوى) ولم تكن الا ساعة حتى جاء غيلان فى جماعة من السودان ووقع نظره على الملك الفالوغص فقبل الأرض ودعا للملك واطلق لسانه وتكلم فأعجب الفالوغص كلامه فقربه اليه وأدناه ورحب به وحياه وقال ابشر بالتقدمة على الأبطال الصناديد وأنت أيها السيد غيلان مقدم على الانس والجان وأنت سيف الملك وحما الدول وشجاعتك يضرب بها المثل وهذا العهد بيننا مضروب والأمر فى هذه السرادق منصوب ثم طلب الخلع الملاح لكى يخلع على غيلان وأصحابه والذين معه من السودان وإذا بالصياح قد أقلب الربا والبطاح فسأل الملك عن الخبر فقيل له ان ملك الديلم خرج وركب إلى الحرب واشتهر فانزعج الفالوغص وغيلان من ذلك وخرج من السرادق ونظر وإذا بالديلم راكبه والغبار قد مد على الآفاق من جهة العراق وحجب بين السماء والأرض وارتفع العجاج وسد الفجاج فركب غيلان وركبت طوائف الروم وارتجت الأرض من التخوم فوقفوا الناس ينظرون إلى ذلك الغبار الثائر والنقع السائر ساعة طويلة فمزقته الرياح وبان من تحته الليوث الوقاح أبطال بنى كلاب والسودان والأنجاب وبعدهم الأبطال تزدحم والمواكب تلتطم والأعلام العباسية والرايات الاسلامية وظهر الامام المعتصم ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ولما نظر باهلاك إلى ذلك أقبل على أصحابه وقد قال لهم قد وقعتم فى بحرين زاخرين وحجرين دامغين وهما عسكر المسلمين والروم الملاعين فكل منهم قاصد هلاككم وخراب دياركم ومحو آثاركم

فانظروا كيف تكونون فقالوا سوف ترى منا مايسرك فيهم قال فقسمهم نصفين فجعل نصفا لعسكر المعتصم ونصفا لعسكر الروم وقدم على النصف الذى قدمه لعسكر المعتصم شهريار ابن روزنة وعلى الذى يقاتل الروم سمنديار ابن بزار وحملت الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب وتقاتلت الرجال وتماسكوا بالأطواق الابطال وسالت الدماء من القمم وجاء الصارم وحكم وازدحم الأمم وقامت الحرب على ساق وتدم وقل الغداء وحجب الغبار بين الأرض والسماء وصار الديلم بين بحرين ذاخرين وحجرين دامغين من الروم والمسلمين ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى أقبل الليل وانسدل ولما نزلوا الناس بعث الخليفه إلى ملك الروم يقول له دع عنك القتال فى غد فلنا عند الديلم تار نريد نستوفيه ودين نحب أن نقضيه فأجابه الفالوغص إلى ذلك وقال فى نفسه كل من هلك منهم كان لنا راحة فيه ولما أصبح الصباح وظهر نوره ولاح ركب الخليفة وتقدم فى طلب الكفاح وركبت الأميره ومن بقى معها من السودان الأنجاب وكذا سائر المسلمين وأبطال الموحدين وامتشقوا السيوف الرقاق وقامت الحرب على ساق وأقبلت الديلم بصياحها الآفاق وتكفلت بقتالهم الأميره ومن معها من الرفاق وكذا تابعهم من عسكر العراق وسقوهم من الموت كاسا دهاق وأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق وكان ذلك اليوم كما قال سبحانه وتعالى والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق وكانت المعمعه كما قال فيها الشاعر :

ومعركة ترى فيها سياقا ٭ جياد الخيل بالاسل الدقاق
كذاك النبل والنشاب فيها ٭ يطير من الصدور بغير واق
فكم كف من الرمضاء أضحت ٭ وكم قطعت من الهيجاء ساق
وكم رمح له فرع وزجر ٭ اذا الأقران مالت للسباق
وللهندى فى الهامات ضربا ٭ كمثل النار تضرب باحتراق
وكم عاجز خلا وولى ٭ وكم من سيد كره الفراق
وقد طارت طيور السعد عنهم ٭ وقد وقفوا جميعا فى السباق
ونادى الموت أين مفر منى ٭ اذ الآجال أورث للمحاق
وقد قام الأنام لهم حيارى ٭ وقد لفت بهم ساقا بساق
وللاسلام من ربى ثواب ٭ وللكفار نيران المحاق
وذا الهمة تنادى فى لظاها ٭ أيا رباه ذا يوم التلاق

(قال الراوى) فلله در الأميره المجاهده الصابره فلقد فعلت فعلا تعجز عنه الجبابره

وتركت الديلم خاسره وبذلت نفسها لله فى طلب الآخرة وخشعت لصوتها الأصوات وهدت عند حركتها الحركات وبذلت سيفها فى الموضع الوضيع والرفيع وقد خضبت الأرض بالنجيج وما أمسى المساء حتى فنى من الديلم ألوف وبذلت فيهم السودان وبنى كلاب السيوف وقتلوا منهم كثير وافترق الجمعان عن القتال ولما استقر القرار بالناس وهم نزول على الأرض والبطاح أرسل الفالوغص يقول للخليفة النوبة لنا غدا فى قتال الديلم فوجد الخليفة بذلك راحة عظيمة فأرسل يقول له افعل ما بدا لك فعاد الرسول إلى الفالوغص وأخبره بذلك وباتوا الناس إلى الصباح ولما بدا نوره ولاح ركبت ملوك الروم والبطارقة وخرجوا كأنهم البحور الزاخرة وركب الفالوغص ورفعت الأعلام وصاح القسوس والرهبان والتبرك والمطران ولما نظر باهلاك إلى ذلك أقبل على من حوله من خواصه وقال لهم اعلموا أن هذين الطائفتين قد اجتمعوا على قتالنا وكل منهم يريد أخذ مالنا وما فى الأمر الا أن أطلب البراز وآخذ فرسانهم وأبيد أقرانهم وبعد ذلك نحمل عليهم حملة واحدة فتصبح الدنيا خامدة لأن العسكر بالملك وإذا هلك الملك وقتل الشجاع ذهب منه الانتفاع وقل الامتناع فقال له أصحابه هذا هو الصواب (قال الراوى) فبرز باهلاك إلى الميدان على جواد كالسرحان ولما صار فى الميدان جال وصال حتى لين عريكة الحصان وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه الملك الفالوغص على جواد أبلق هذا وقد ركب المعتصم والمسلمون فى طلب الفرجة وتقدموا لينظروا ما يجرى بين الملكين وما يقع من القتال بين هذين الفارسين واصطفت بنى كلاب والسودان الانجاب عليهم من الحرير ألوان وفى أوساطهم المناطق المرصعة بالدر والعقيان (يا ساده) ووقف غيلان ومن معه من السودان فى عسكر الروم وعليهم الخلع التى أعطاها اياهم ولما نظرت الأميرة ذات الهمة الى ذلك عظم عليها وكبر لديها وكادت أن تقع من على ظهر جوادها مما جرى عليها من اجل ذلك واقبلت على عمرو بن عبيد الله وقالت له أنظر فنظر الى السودان فقالت له الأميرة هذا يرضيك قال نعم دعهم يروحوا الى لعنة الله يريدون أن يتقدمون علينا ونحن سادات العرب وأصحاب الفخر والنسب فقالت الأميرة والله ما السيد الا الذى يكشف الكرب ويجيد الطعن والضرب ويجاهد فى سبيل الله ويدفع الضر عن ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع المعتصم الأميرة ومجادلتها مع عمرو فسأل بعض الخدام عن ذلك فاعلمه بقصة السودان وكيف صاروا من حزب عبدة الصلبان فقال المعتصم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يا ليت شعرى هل كاتبهم ملك الروم وأمضوا اليه باختيارهم فقالت الأميرة لعن الله من كان السبب فى ذلك ولا نجاة من المهالك والله ما كاتب عليهم إلا عقبه

بلاه الله بالنكبة فقال المعتصم خافى الله أيتها الأميرة فما بقى من أجلك إلا القليل وتقدمين على الملك الجليل فاحذرى المطالبة يوم القيامة يوم يغرق الخلق فى بحر الندامة ويقول الله تعالى لكى يافاطمة كذبتى على شيخ من شيوخ المسلمين وإمام من أئمة الدين فما يكون جوابك إلى ذلك وهو ربما يكون اليوم فى بعض الأماكن المباركة يدعو لنا وللمسلمين بالنصر على هؤلاء الخوارج والروم الملاعين فلما سمعت الأميرة كلام المعتصم علمت أنه ماذكر من عقبه كما نظرت هى عليه وله منه الظاهر والله متولى السرائر فسكتت عن جوابه (قال الراوي) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الفالوغص وباهلاك الخارجى فانهما حملا على بعضهما البعض وجالا على وجه الأرض وأطلقا أعنتهما وأشرعا أسنتهما وجالا طويلا واعتزلا مليا وتطاعنا طعنا أحد من الجمر وأمر من الصبر وبقيت الأعين لهما ناظرة وألباب الشجعان من فروسيتهما حائرة فاختلفت بينهما ضربتان واهلتان واصلتان فأما ضربة الفالوغص فانها وقعت على عاتق باهلاك فاوردته مورد الهلاك لأنها وقعت على عاتقه خرج السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وأما ضربة باهلاك فانها وقعت على كتف الفالوغص حلته وأخذلته لأنها كانت قصيرة وما وصل اليه إلا ذباب السيف ولولا ذلك لقضى عليه لكن كان فى أجله تأخير لما يريده الله اللطيف الخبير (قال الراوى) لقد ذكر لى بعض من أثق به أن سيف باهلاك الذى ضرب به الفالوغص سيف أخضر صافى الجوهر ليس له مثال لأنه كان من سيوف الأكاسره ويقال أنه كان سيف اسمنديار ابن رستم زاده رأس ملوك الفرس لكن إذا كان الأجل مديد لا يقطعه الحديد وإذا أراد الله تعالى أمرا فما يكون إلا ما يريده الله الحى القيوم (قال الراوى) وسقط الاثنان إلى الأرض فاما باهلاك فنفذ فيه القضاء والقدر ومات كما تقدم وأما الفالوغص فانه لما سقط ورآه غيلان حمل عليه فيمن معه من السودان خوفا عليه أن تدوسه الخيل فكانوا اليه أسبق فشالوه وأوصلوه إلى سرادقه وأتواله بجرائحى فقطب جرحه وشده وهو لا يعقل على نفسه وصعب ذلك على عقبه وقال فى نفسه أن هلك هذا اللعين الفالوغص ما ينتج مثله فى هذا الزمان وكذا صعب على الملوك وأقبلوا على عقبه وقالوا أيها الشيخ البجبج لاشك أنه غضب علينا المسيح ولولا ذلك ما فعل ذلك هذا الفعال لأنه أراد أن لا يبقى لنا ملك مثل هذا الملك ليشد مراتب النصرانية وأهل ملة ماء المعمودية ونحن نخاف من هؤلاء السودان أن يتفقوا مع أصحابهم والملك على هذا الحال يحملوا علينا حملة واحدة فتصبح الدنيا خالية وخامدة فما يصل منا إلى بلادنا أحد فابصر كيف تعمل (ياسادة) فقال عقبه صدقتم فيما قلتم ولكن مالنا إلا نستميل

قلوبهم بالمال الكثير والعطاء الجزيل حتى يصيروا معنا فى بلاد الروم وإذا وقع بيننا وبين المسلمين قتال ينصحونا فيه لأن المال يلعب بعقول الرجال فقالوا صدقت (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأخذ عقبه من خزانة الملك خمسين ألف دينار وطلب غيلان ووجوه أصحابه السودان فلما حضر عنده أقبل عقبه على غيلان ومن حضر معه من السودان وقال لهم اعلموا ياسادات بنى حام انكم من حين وصلتم الينا ماوصل إليكم من الملك إلا الخير وقد عرفتم ايش وصل إليكم من الخلع والمال والخيل الحسان ولكم أضعاف ذلك إذا وصلتم معنا إلى بلاد الروم وسوف ترون ذلك وهذا الملك قد أصيب وهو كما ترونه وهذا العسكر جميعه اعتماده عليكم مادام الملك على هذا الحال الذى هو فيه. ولكن قالوا انهم يخافون منكم أن تغدروا بهم وتسلموهم إلى أصحابكم المسلمين فقد ضمنت لهم عنكم خلاف مافى ظنهم وها قد دعوناكم لننظر ماعندكم فماذا أنتم قائلون (قال الراوى) فلما سمع غيلان كلام عقبه عظم ذلك عليه وكبر لديه وقال أيها الشيخ العالم نحن ماأتينا إلى خدمة الملك حتى حلفنا له على ماأراد واننا نكون طوع يده نعادى من عاداه ونصفا لمن صافاه ولا نفعل إلا مايرضاه وندخل معه إلى بلاده ونكون من عدة أجناده ونحن مانقول قول ونرجع عنه وما هو من شيمنا الغدر ونحن إلى الآن مارجعنا عن الايمان فان شئت فالتق عسكر المسلمين وانظر ما يكون منا ومنهم فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب (قال الراوى) فلما سمع عقبه هذا الكلام من غيلان فقال له أحسنت ياسيف الملتين وجمال الدولتين لقد أجدت بما نطقت وأنت توفى بما قلت ووعدت وحاشاك أن تنكث فى اليمين وتكون من قليلين الدين ثم أخلع عليه وعلى أصحابه الخلع السنية وأجزل لهم العطية فقال له غيلان أيها الشيخ الفاضل والوزير العاقل أمرنا بما تريد وانظر العجب منا وما نفعل بالعجم والديلم والسودان والعرب فقال له اعلم ياسيد بنى حام أنه مايجوز للانسان أن يلقى نفسه للهلاك ولا يجوز خوضها فى بحر الهلاك ونحن الآن غنم بلا راعى وكل أحد يطمع نفسه بأخذ مالنا والآن ملكنا على ما تعلمه من هـــذا الجرح الذى فيه الصعب الذى أصابه ونحن فى غير بلادنا والديلم قد قتل ملكهم وهم خلق كثير وعمرهم تحت طاعة الخليفة وما أحوجهم على الخروج اليه الا باهلاك وقد ورد مورد الهلاك فتى تعرضنا اليهم ساعدهم الخليفة ومن معه ويصيرون علينا رجلا واحدا وكذا أن تعرضنا للخليفة مال الديلم والعجم اليه ويقولون نصلح حالنا عنده ويجتمع الجميع علينا وتصل أذيتهم الينا ولا يرجع إلى بلادنا الا كل عمر طويل وماتم أوفق لنا من رحيلنا بالليل وتتعقبونا أنتم ومن لحقنا اضربوه بالسيوف واسقوه شراب الحتوف واذا وصلنا إلى

بلادنا وأمنا على نفوسنا فان طاب ملكنا وسلم فهو يعرف لهم هذه الفعلة وان أصابه الموت وتولى غيره فما يخفى عليه ما فعلتموه والليلة نرحل مادام الخليفة ومن معه مشغول عنا بقتال الديلم والعجم (ياسادة) وكل هذا المقال من عقبه الى غيلان فقال له غيلان افعل ما بدا لك فنحن طوعا لك فقال له عقبه اخرج الى أصحابك وأخبرهم بما جرى لك واقض شغلك فخرج غيلان الى أصحابه السودان وأخبرهم بما كان بينه وبين عقبه الشيطان (قال الراوى) هذا ماكان من أمر هؤلاء (وأماما كان) من أمر الديلم والعجم فانهم لما قتل باهلاك خافوا على نفوسهم من الهلاك لأنهم بين الطائفتين الروم والمسلمين فوقفوا صفا واحدا وأشهروا الصوارم وعزموا على لقاء العوالم وأيقظوا الهمم وأيقنوا بزوال النعم فهانت عليهم النفوس بعد أن علموا أن ذلك اليوم يوم عبوس وصاروا ينتظروا من يحمل عليهم من العسكرين أو يبدو لهم من الفريقين فنظروا عنهم الروم فاترين وبملكهم مشتغلين فاستقرت قلوبهم من تلك الجهات (وأماما كان) من المعتصم ومن معه لما حققوا ان الفالوغص قتل باهلاك وانجرح الفالوغص جرحا بالغا شنيعا مشرف منه على الموت فرحوا بذلك وسجد الخليفة شكراً لله تعالى وأمر الناس بالحملة على الديلم والعجم وقال اذا فرغنا من هؤلاء عدنا إلى الروم الملاعين فحملوا الناس واشتد الباس وعملت الصوارم وتلمت الجماجم وبان البطل المصادم وأظلمت الأقطار وحجبت الشمس بالنهار وحارت الالباب وقوى الطعن والضراب وقطعت الأيادى والرقاب وهاج السودان وبنى كلاب وفعلوا بالعجم والديلم فعل النار بالاحطاب ولم ينفكوا من القتال إلى وقت الغياب وحملت الأميره ذات الهمة على الوزير الذى لباهلاك وطعنته فى صدره أخرجت السنان يلمع من ظهره ومالت على حامـــل العلم فذبحته ذبح الغنم فنكس علمهم إلى الأرض ورضت أعظامهم رض فما وسعهم الا الفرار وولوا الأدبار فوجدوا عسكر العراق قد مسكوا عليهم الطريق ووقف فى المضيق خلق كثير وما سلم منهم حاجب ولا وزير فنادوا الأمان الأمان واستسلموا للاسر وغنموا المسلمين خيامهم وأموالهم ولما حضروا إلى بين يدي المعتصم لامهم على فعالهم فقالوا يا أمير المؤمنين ماقدرنا على الامتناع من باهلاك اللعين لأنه كان جبار من الجبابرة الأولين فقبل عذرهم وأخلع على المقدمين منهم وأضافهم وشكر ذات الهمة على فعالها وأثنى عليها وقال لها لا أخلى الله الاسلام منكى ولا من ولدكى ولا من أولاده ولا من جماعتكم ولعن الله من يرمى بينى وبينكم وأنتم حمـــاة الاسلام وترس قبر النبى عليه أفضل الصـــلاة والسلام فقبلت الأرض ودعت للخليفة بطول البقاء وزوال الهم والشقاء فقال لها الخليفة أيتها الأميره ما بقى بين أيدينا الا

عسكر الروم الملاعين فقالت الأميرة ينصرنا عليهم رب العالمين ببركة سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين وكانت الأميرة ذات الهمة أسرت الغلام شروه الديلمى الذى كان باهلاك يقسم بحياته ويقول انه خلقته فلما نظرت اليه والى شمرته وزرقة عيونه وحسن صورته وبديع خلقته فقالت سبحان الله الخالق المصور والله أنه أقرب شبها الى البطال فسبحان الذى ليس له مثال المنزه عن الاضداد والأشكال لا إله إلا هو الملك المتعال خالق الليل والنهار وجميع المخلوقات على غير مثال سبحانه لا إله إلا هو (قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد مع الأميرة ذات الهمة فى العسكر إلا أنه كان مريضا إلا يعقل على أحد وكان ولده مذبحون معه وغلمانه يعللونه لأنه لما ملك باهلاك بغداد مع ماهان خليفة باهلاك عليها فلما قدمت الأميره وكسرت الديلم كما تقدم اجتمع بها وخرج معها فى العسكر فحصل له ذلك المرض ولما قتل باهلاك وكسر عسكره وقتل من قتل وكسر من كسر وأسر من أسر وانهزم من انهزم كما تقدم وأخذت الأميره الغلام شروه فى جملة الاسارى وأعجبها شكله وزيه وخلقته وشبهه بالبطال ورأته يتوقد بالفطنة والزكاء قالت ما لهذا الغلام من يربيه مثل البطال ثم أقبلت على غلامها وقالت له خذ هذا الغلام وأوصله إلى البطال وقل له أن الأميرة قد وجدت هذا الغلام وقد أعجبها شكله وما رأته منه من الحذق والزكاء ورأته قريب بك فأهدته إليك فاصطفيه لنفسك فعساه ينفعك (قال الراوى) فأخذه غلام الأميرة وسار به إلى خيمة الأمير أبو محمد البطال وكانت قريبة من خيمة الأميرة ذات الهمة فلما وصل غلام الأميرة إلى أبو محمد وجده جالسا وولده وغلمانه حوله وهم يتحدثون بما كان من أمر الفالوغص وباهلاك فقال غلام الأميرة بعد أن سلم عليهم وقال الأمير أبو محمد سيدتى تسلم عليك وتسألك عن حالك وقد أهدت لك هذا الغلام لما رأت فيه من الفطنة وقالت أنه لا يصلح إلا لخدمتك فخذه إليك وربيه فنظر إليه فوجده أقرب شبها به وبولده مذبحون فمال قلبه اليه وعطف بكليته اليه فقال له ما أسمك ياغلام فقال يامولاى أسمى شروه ولقبى فى بلد الديلم الدردون فتحرك البطال من كلامه وتحرك له سائر أعضائه وأقبل على ولده مذبحون وقال له خذ هذا الصبى وتوصى به فانه إن عاش حينا من الزمان يكون له شأن وأى شأن فانى أراه زكيا وزكاءه يفوق سائر الغلمان فعسى الله أن ينفعنا به وأن يجعل فيه بركة فلعن الله عقبة وعاقبه فهى التى أعدمتنى ولدى الحصين فلو كان سالما اليوم لكان فى سن هذا الغلام فقال له مذبحون صدقت والله ياأبتى وتحرك لهذا الغلام قالبى وقلبى وما عرفت

السبب فى ذلك ما هو وما يكون عندى إلا فى مقام أخى وولدى لأن قلبى مال إليه من حين وقعت عينى عليه فقال غشان البطال كلهم مثل هذا المقال يعنون أن قلوبهم مالت إليه فقال البطال وأنا والله كذلك قد مال قلبى إليه فالله يعطينا خيره (قال الراوى) فأخذه مذبحون وصار يسأله عن بلاد الديلم ومملكة العجم والغليم شروه يجيبه عن كل ما يسأله عنه والبطال يسمع كلامه ويعجبه حديثه وقد وجد بحديثه راحة وجوارحه اليه مرتاحه فصار البطال يعجب من ذلك غاية العجب وليس يدرى فى ذلك ما السبب (قال الراوى) هذا ما كان من أمر البطال والغليم شروة وسيأتى له حديث يذكر (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها ضيقة الصدر منقسمة الفكر بسبب غيلان ومن معه من السودان وقد عولت على أنها تتجرد لقتالهم ان لم يرجعوا عن فعالهم (ياسادة) ولما أصبح الصباح وظهر نوره ولاح تأهب الناس للكفاح وثارت بنو كلاب كأنهم أسود الغاب وإذا بحماد بن حازم الجاسوس قد دخل على الأميرة ذات الهمة وأخبرها ان عسكر الروم قد رحل من أول الليل طالب بلاده فقامت ودخلت على المعتصم وأعلمته بذلك ففرح فرحا شديداً وقال الحمد لله على ذلك فقالت له الأميرة يا أمير المؤمنين علينا منن لانحصيها ولا نقول ببعض الشكر عنها بالأمس هلك باهلاك ونصرنا على عسكر الديلم فانهدم عزهم وانصرم وخذلهم الله تعالى ومنهم انتقم والساعة فقد وصلنى حماد بن حازم الجاسوس وأخبرنى بما أخبرت به بين يديك من رحيل الروم من أول الليل وماأظنهم رحلوا إلا وقد مات ملكهم وخافوا على نفوسهم فى هذه البلاد فقال لها المعتصم فما ترين من الرأى أيتها الأميرة والسيدة الكبيرة فقالت ياأمير المؤمنين الرأى إننا نتبعهم ونسقيهم كأس الرد ولا نترك يصل إلى بلادهم أحد فقال لها المعتصم أفعلى ما تختارين وخدى معك من العسكر ما تريدين وعولى وعلى الله توكلى وأنا مقيم ههنا حتى يصل هذا العسكر الذى قد بلغنا خبره وأنا ألحقك ان شاء الله تعالى فعندها عادت الأميرة إلى سرادقها وجمعت اليها بنى كلاب ومن بقى معها من السودان وقالت لهم ما تقولون فى أتباع الروم الكلاب وكسب الاجر والثواب من الملك الوهاب ونغنم أموالهم والثياب ونرد السودان الينا وتهون القضية علينا فقالوا الذى تريه هو الصواب ثم ركبوا الخيل العربية وتوكلوا على رب البريه الذى يعلم السر والعلانيه وساروا طالبين عسكر الروم (قال الراوى) هذا ماكان من هؤلاء (واما ما كان) من عسكر الروم فانهم لما رحلوا من أول الليل كما تقدم أرسلوا الثقل التى لهم بين أيديهم وأمرهم اللعين عقبة باتباعه وقال للسودان سيروا أنتم على آثارنا وكونوا بعيدين منا وإذا لحقنا أحد من المسلمين

فابذلوا السيف فيهم وإياكم تأخذكم الشفقة عليهم فهم إن ظفروا بكم لايتركوا منكم أحد فقال له غيلان أبشر فسوف ترى ما أفعل وكيف أتقن العمل وادقق الحيل (قال الراوى) وتقدم الروم وجدوا السير وتأخر غيلان ومن معه من السودان حتى علم أن الروم ساروا قدر فرسخين ورحل (ياسادة) وأما الأميرة ومن معها فانهم ساروا ذلك اليوم ومن الغد أدركوا غيلان واصحابه السودان فلما وقعت العين على العين وعرفوا بعضهم الفريقين أقبل غيلان على من معه من السودان وقال لهم أعلموا أن هذه العجوزة الهركوله قد لحقتكم ولا بد لها منكم ومتى ظفرت بكم بعد أن تقاتلوها فلا تبقى على أحد منكم إلا وتتركم مثلا فى الآفاق إلى الأبد ما قام قائم وقعد وأنا أعلم أنها لابد أن ترسل إلينا رسولا لتسمع ما تقول فما أعددتم لها من الجواب فقالوا لاندرى فأنت أميرنا والحاكم على كبيرنا وصغيرنا (قال الراوى) فلما سمعوا السودان منه هذا الكلام دخل فى قلوبهم واستولى على عقولهم وقد تقدم وصف غيلان أنه كان شيطان فى صورة إنسان آفة من الآفات وبلية من البليات وقد هدر هذا الهدر والهذيانات على هؤلاء السودان الذين ليس لهم عقل ولا معقول وهو ولو هدرهذا الهدرعلى البيضان أصحاب العقول السليمة لتشعبت به قلوبهم وخامر معقولهم وقد قال القائل أسود عاقل مصيبة نازلة (قال الراوى) ولما سمع غيلان منهم الجواب قال لهم ما أعجبنى منكم هذا الكلام ولكن اذكروا لى شيئاً غير هذا حتى أسمعه فقالوا ما عندنا غير هذا إلا السيف إما لنا وإما علينا ومانعود إلى بنى كلاب لأننا عندهم كما قلت أنت أننا طول الدهر نخدمهم ونحامى بسيوفنا عنهم وقط ما زوجونا منهم بل نتزوج بنات بعضنا فيأتينا أولاد سود مثلنا بفراطيس كفراطيس الجواميس كأنهم الحلتين المحرق أو الزفت المنطلق وقد سئمت نفوسنا من ذلك وما قصدنا إلا الإقامة فى بلاد الروم ونتمتع ببناتهم الملاح أصحاب الوجوه الصباح ونرزق منهم الأولاد الملاح فى زينة الحياة الدنيا فاحمل بنا عليهم حتى نريك ما نفعل فيهم فقال لهم غيلان ليس هذا نصواب ولكن اصبروا على حتى أدبر لكم تدبير تحمدون عاقبته إن سمعتم قولى ورضيتم بفعلى فلا بد أن أدبر عليهم تدبير أهلكهم به كلهم من غير تعب ولا نصب وأوريهم من فعلى العجب لأنهم يقولون أن السودان ما لهم عقل وسوف يعرفون عقلى إذا هم شاهدوا فعلى واعلموا أننا متى حاربناهم طال الأمر بيننا وبينهم وربما أدركهم المعتصم ويكثر علينا العدد ويتزايد المدد ومعلوم أننا نقدر أن نخلص نفوسنا منهم ولكن لا نظفر بالمقصود والذى أدبره أنا أحسن وإذا أتانا رسولها يستعطفنا نظهر له الإجابه بعد التمنع حتى نخامر عقل الأميرة ثم نختلط بهم وننزل معهم

فإذا أظلم الظلام وهجعت العيون النيام نكون نحن على يقظة فنثور عليهم و نبذل السيف فيهم وأنا أتولى قتل ذات الهمة وأكف عنكم النار المضرمة فقالوا السودان هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب (قال الراوى) واتفقوا على هذا الحال ووصلت الأميرة إليهم وقربت منهم ونظرت إلى انفرادهم عن الروم وبعد الروم عنهم ففرحت بذلك وقالت لأصحابها الحمد لله هؤلاء أصحابنا ماهم مرافقين الروم الملاعين وما هم إلا على فعالهم نادمين ولكن أراهم لا يلتفتون إلينا ولا يقبلون بوجوههم علينا وما ذاك إلا أنهم غضابا فلا بد أن نترضاهم ونختبر قلوبهم بالإرسال إليهم ثم ادعت إليها مائة فارس من أبطال بنى كلاب وعقلائهم وقالت لهم يا بنى عمنا أنتم تعلمون ما بيننا وبين السودان من المودة والمصادقة وهم إخواننا على كل حال وقد فارقونا على وجه الغضب وأريد منكم أن تمضوا إليهم على وجه الرسالة من عندى وتتلطفوا بهم فى المقال لعلهم يرجعون إلينا بوجه الإقبال وتقولون لهم نحن وإياكم شىء واحد ونحن ما قلنا لكم أن بنى سليم يتقدمون علينا وعليكم إلا على سبيل الاستدلال عليكم والشفقة وإلا فأنتم تعرفون بنى سليم لايدفعون عن نفوسهم الضيم فكيف يدفعون عن غيرهم ونحن ما نراعيهم إلا لأجل الجوار والأميرة تقول أن عبيد الله أبو الأمير عمـــرو كان له عليها وعلى الأمير عبد الوهاب حنونية وشفقة فهى تراعيه من أجل ذلك وعمرو وبنى سليم ما اطلعوا على ما اطلعنا نحن وأنتم عليه من كفر عقبة ولا الخليفة أيضاً ولو اطلعوا على ذلك لما شده أحداً منهم وكانوا يقتلونه قبلنا وعقبة شيطان صاحب ناموس ما يظهر للناس إلا الزهد والدين والعبادة وقراءة القرآن والعلم فبذلك يتقدم وينافق على من لا يعرفه وأما نحن وإياكم فما ينافق عندنا ونحن نعرفه ونحن وإياكم شىء واحد فعودوا إلى ما كنا نحن وإياكم عليه من المودة والصفاء ودعوا عنكم اللجاج وإذا صح الاعتقاد وبطل الاتفاق ودعوا عنكم مضى وعودوا إلى الصلح والرضا فى ذلك رضا الرحمن الذى لا يشغله شان عن شان (قال الراوى) فسارت بنو كلاب بهذا الكلام إلى السودان وأدوا إليهم الرسالة وأعادوا عليهم هذه المقالة (يا ساده) ولما سمعوا السودان هذا الكلام أقبلوا على غيلان وقالوا له ما تقول أيها الأمير فقال معلوم أننى أكلت خبز الأميرة وملحها ولها على حق ولكن لا أطمئن إليها بعد قتلى ميمون الجاس وأما أنتم فهى مولاتكم قديماً فإن أجبتم بالرجوع إليها فأنا ما أمنعكم منها وأنا أمضى إلى حال سبيلى فقالوا السودان كلنا معك وأيما مضيت نتبعك فقال غيلان ما عليكم أنتم منى وامضوا إلى مولاتكم عنى فقالوا ما نفارقك وأين ما برحت ما نفارقك فقال غيلان إن كان ولابد لكم من ذلك فأنا

ما أفرط فى نفسى فقولوا للأميرة ذات الهمة تأتى بنفسها إلى ههنا وتحلف لنا يميناً مغلظا أنها لا تؤذينى ولا تمكن من يؤذينى ولا تطالبنى بشىء من أمر ميمون الجماس وأنا أعود إليها وأضرب بالسيف بين يديها وأنها لا تختار أحداً علينا وتكون التقدمة لنا فى الحرب يوم ولبنى كلاب يوم وإن اختارت بنو سليم ان يكون لهم يوم فما نمنعهم وبعد ذلك يبان للناس الفارس من الجبان فقالت السودان لبنى كلاب ما قد سمعتم ما قال لكم الأمير غيلان فعيدوا للأميرة الجواب واسمعوا ما تقوله فى الخطاب فان رضيت بذلك سرنا إليها وقاتلنا بين يديها وان لم تقبل رحلنا حيث أردنا (قال الراوى) فعادت بنو كلاب إلى الأميرة بهذا الخطاب فلما سمعت هذا الكلام فرحت به وقالت هؤلاء هم المجاهدون الصابرون وهم عندى مثل ولدى عبد الوهاب وكلنا عبيد رب الأرباب وسارت بنفسها إلى السودان وحلفت لغيلان على ما أراد منها وقالت له أما ميمون الجماس فقد مضى وقد عز على والله قتله وكان ركنا من أركان المسلمين ومحامياً عن هذا الدين ولكل أجل كتاب وما قدر الله إلا أن يموت هذه الموتة وأنها تكون على يدك فلا تعود إلى مثلها فان الفتن تورث المحن فبيض وجهك عند رب العالمين بالجهاد فى الكافرين لعلى استوهبك من ميمون الجماس اذا اشتد الناس يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يقوم الاشهاد يوم يقضى الله بين العباد وأما أنا فلا أطالبك بشىء من جهة دمه فقد بؤت باثمه (قال الراوى) فبكى اللعين غيلان وقد زاد به الحقد والطغيان وأخذ يد الأميرة على ذلك واعتنق السودان والعرب وذهب ما كان فى الأميرة من غيلان وكذا من كان وافقه من السودان وأما غيلان وأصحابه فزاد حنقهم وكتموا أمرهم وأقبلت الأميرة على غيلان ومن معه من السودان وقالت لهم اسرعوا بنا حتى نلحق الروم الكلاب ونمكن منهم الصارم والقرضاب وننهب مالهم ورحالهم وخيلهم وجمالهم فقال غيلان اعلمى أيتها الأميرة والسيدة الكبيرة أن من شيم الكرام الصدق مليح والكذب قبيح وهؤلاء الروم الملاعين قد سبق منهم الجميل الينا وأعطونا هؤلاء الخلع التى ترينهم علينا وما فعلنا معهم شىء يوجب ذلك ولا سبق اليهم منا جميل ونحن ما تأخرنا خلفهم الالكى نمنع ما يلحقهم وقد وصلتى الينا وكان بيننا وبينك الصلح ونستحى أن نلحقهم لأجل ما أحسنوا إلينا نهارا ونضع السيف فيهم جهاراً ولكن ننزل الساعة ها هنا ونستريح بقية هذا اليوم ونعلق على خيلنا ونبيت ها هنا وإذا كان فى غد نرحل ونسير إلى وقت العصر وننزل نعلق خيلنا ونستريح ساعة واذا قطعت الخيل العليق ركبنا فنلحقهم ثلث الليل فنمكن منهم الحسام فى جنح الظلام ولا يرونا ولا نراهم وما يصبح الصباح الا وقد فرغنا منهم

وزالت السعادة عنهم (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة هذا الكلام عجبت من غيلان الشوك وقالت لله درك ما أبصرك بالأمور وأنت الليث الجسور فأين عين الأمير عبد الوهاب عنك حتى يراك فكنت تصل معه إلى هناك فهو يعجبه الرجل النجيب سوى كان من الأحرار أو العبيد فالله يجمع بيننا قريباً غير بعيد أنه على ما يشاء قدير فانى فارقته وتركته فى مكة المشرفة حرسها الله تعالى ورعاها وهو مريض فالله تعالى يعافيه ويشفيه ويجمع بيننا وبينه فى خير وسلامه (يا ساده) وأمرت الناس بالنزول فى ذلك المكان وأعادت اليهم ما قاله غيلان فاستصوبوا رأيه هذا ما كان من الأميره وأصحابها (وأما ما كان) من اللعين غيلان فانه كتب إلى عقبه كتاب يخبره فيه بما كان بينه وبين الأميره ذات الهمة وأنه عازم على قتلها فلا تبعدون عنا وتكونوا بالقرب منا وإذا سمعتم الصياح فلا تفزعون وأنا قلت لهم اننى أكبسكم فى الظلام فما تكون الكبسة إلا لهم وفيها هلاكهم وانفذ اليهم الكتاب صحبة واحد من السودان (قال الراوى) فلما وصل الكتاب إلى عقبة المرتاب فرح به فرحاً شديداً واطلع ملوك الروم عليه ففرحوا بما فيه واخلع عقبه على الرسول خلعه سنية واجزل له العطية لأنه الملعون كان قد صار الحاكم على الروم والمدبر لهم ومشيرهم والحاكم على صغيرهم وكبيرهم وما لأحد منهم معه كلمة وكلهم تحت أمره وطاعته فقال فى نفسه وحق المسيح تنصر غيلان ومن معه من السودان وقال للرسول ما نكون إلا بالقرب منكم وأنا انجدكم بخمسين ألف من البطارقة يقاتلون معكم وتأخذون أنتم جميع ما نفتحوه من ذات الهمة ومن معها لا يشاركم فيه أحدا من الروم ولا ينازعكم فيه منازع ولا يطمع فى شىء منه طامع وسوف ترون ما يحصل لكم من المال والخير والنوال وإذا وصلتم معنا إلى بلادنا نزوجكم ببنات البطارقة الحسان التى كل واحدة منهن أحسن من الشمس الضاحية فى السماء الصاحية ونوليكم الولايات الملاح من القلاع والحصون والاقطاعات الثمان وسلم على غيلان وقل له قال لك الشيخ النجيح ان أتيته بذات الهمة أسيره أو قتيله فلك عليه ألف دينـــار وكذلك ان أتيته بالبطال فعاد الرسول إلى غيلان وأخبره بما كان من أمره مع عقبه القرنان وما أرسل اليه من الهزيان وما قال له من أجل الأميرة والبطال فقال اللعين غيلان على كلما طلب ولا أريد منه شيئاً من الذهب وانما اجعل له هذه الخدمة فى مقابلة ما حصل منه من هذه النعمة فقال له الرسول والله حسن ما تقول (ياسادة) ولما أمسى المساء وان وقت العشاء أرسلت الأميرة ذات الهمة الى غيلان ودعته إليها ليتعشى معها وخليا لأكل الطعام وقد أظلم الظلام وكان غيلان اللعين قد أمر أصحابه السودان أن يتفرقوا فى العسكر حتى إذا سمعوا صوته صاحوا

فى جنباته فترج الأرض (قال الراوى) ولما فرغوا من أكل الطعام أخذ غيلان من الأميرة فى الكلام وادار عينيه إلى المضرب فرأى أبو محمد قد أصابته الحمى وهو فى جانب مضرب الأميرة ينتفض وإلى جانبه ولده مذبحون والغلم شروه الديلمى الذى كانت الأميرة قد أهدته إلى البطال (ياسادة) فقال للأميرة من هذا الذى تهزه البارده وهو عندك فى مضربك فقالت الأميرة هذا الأمير أبو محمد البطال وهذا ولده مذبحون وهذا الغلم شروه الذى تراه عندهما وجدته فى عسكر باهلاك الخارجى فأهديته لأبو محمد لأنه رأيته زكيا حاذقا يصلح لخدمته فوهبته إياه وهذا الأمير أبو محمد أخو ولدى عبد الوهاب وبينهما مودة ومحبة من زمن الصبا وذكرت له شيئاً مما يفعله أبو محمد وما يتصور فيه فعجب غيلان من ذلك وصار ينظر إلى أبو محمد ويكرر النظر فيه شزرا فارتاب أبو محمد منه (قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد لم يشغله شيئاً مما هو فيه عن النظر فى مصالح المسلمين لأنه لما بلغه ما اتفق للأميرة مع غيلان وأصحابه السودان أنكر ذلك وأمر غلمانه أن يخرجوا إلى العسكر ويخالطوا السودان لعلهم أن يطلعوا على شيء من أمرهم فيطالعوه فخرج الغلمان كما أمرهم الأمير أبو محمد البطال واختلطوا بالسودان ولما جاء غيلان إلى الأميره وتعشى معها وجرى الكلام بينهما وصار غيلان يكرر النظر إلى البطال فلاح لابو محمد من عينيه الغدر والعارف لايعرف فدعى الأميرة إليه وقال لها سرا أعلمى أيتها الأميرة إننى قد ارتبت من هذا العبد وقد لاح فى عينيه الغدر وأنا قد حنكتنى التجارب وجرت على المصائب وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه إذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز فاحترزى لنفسك من هذا العبد وخذى حذرك منه فأنى أرى الغدر لائح بين عينيه وما رجع لنا إلا وقصده مكيدة يعملها معنا ويروح إلى الروم بما يبيض وجهه عندهم فخذى ماقلت لكى بالقبول وإلا سوف تقدمين وأقول لكى قد قلت لكى ماسمعتى منى ولا أطعتينى والله ما رأت عينى قط أسود أفهم منه والغدر يتقاطر من عينيه فالله يرد كيده عليه فقالت الأميرة استعذ بالله من الشيطان ياأبو محمد هذا الاسود الذى تراه خرج عن طمع السودان بأمور منها الحفظ والزكاء والعقل والكتابة وحسن الخط وجودة التدبير وهو يقرأ القرآن ويكتب بسبعة أقلام وكان للملك الديجور صاحب قبة العاج وقصر الزجاج وقد ربى مع أولاده فى المكتب وتعلم العلم والأدب ويعرف بلغة العرب ونفسه نفس الملوك وهمته عالية وما خدمنا قط مثله أبدا فقال لها الأمير أبو محمد هذا ما يريد ما قلته لكى فما أخرجه من أستاذه إلا نحسه وشؤمه ودبره والا فأى شيء كان يحتاج إليه وهو فى بيت سيده فقالت الأميرة ياأبو محمد زول هذا الخاطر

عنك فنحن ما لحقناه هو والسودان مع الروم وعادوا إلينا فلو كان ذلك لكان الانكار
ولو أراد هو يفعل ما تقول لكان مانعوا غالب السودان ذلك عليه وما يوافقوه عليه
وأصحابنا السودان لهم فى صحبتنا مدة من الزمن وهم مجاهدون وفيهم من حج إلى بيت الله
الحرام وزار قبر النبي عليه الصلاة والسلام أتراهم يختارون الضلالة على الهدى وينافقون
علينا الأعداء بعد صحبتهم لنا هذا الزمان الطويل فهم مالهم عقل ولا دين يصدهم عن ذلك
فقال أبو محمد أما قولك عقل السودان ودينهم فما كان فى حسابى أليس المثل السائر أسود
عاقل مصيبة نازلة والله مالهم عقل ولا دين والأسود متى جاع سرق وإذا شبع فسق
وأنا فقد نظرت موضع النظر ولكنى لاأقدر على دفع القضاء والقدر وأغلى أنت بنفسك
ما تختارين فما يكون إلا ما أراد الله رب العالمين فقالت الأميرة يفعل الله ما يشاء ويحكم
ما يريد وما أنا إلا قد احترزت غاية الاحتراز وقد أمرت ضيغم أن يتولى الحرس بنفسه
فى جماعة من أبطال بنى كلاب فلا تشوش على نفسك فلا أعدمنا الله نظرك وحسك
فقال الأمير أبو محمد البطال وأنا أيضا قد أمرت غلمانى بالخروج إلى العسكر
ومخالطة السودان لعلهم أن يقفوا منهم على خبر فيطالعونا عليه وما يكون إلا ما قضاه
الله رب العالمين (ياسادة) فقامت الأميرة من عند أبو محمد وهى متكلة على الله عز وجل
ورجعت إلى غيلان وتحدثت معه ساعة وقامت إلى وردها وهو ينظر إليها وهى تصلى
وهو يظهر الأسف ويبكى (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان)
من السودان فانهم تفرقوا فى جوانب العسكر كما أمرهم غيـلان وكانوا منتظرين
صرخته ليبطشوا بالناس كما قال لهم ومازال غيلان يراقب الأميرة حتى مضى الثلث
الأول من الليـل وهجمت النوام وطلبت العين المنام هنالك وثب اللعين كأنه شيطان
وجرد حسامه وضرب به الأميرة فوقعت الضربة بين أكتافها لما أراد الله من
سلامتها فجرحها جرحا شنيعا فوقعت الأميرة على وجهها ما فى عينها قطرة وصرخ
اللعين صرخة أدوت منها الجبال وسمعها كل من كان فى تلك الأرض فثار مذبون ابن
البطال وقد حل به الاندهال فبادره غيلان بضربة فوقعت فى رأسه قسمها نصفين وفتحها
كما يفتح الانسان الكتاب فسقط إلى الأرض غائب عن الدنيا لايدرى هو فى الأرض أم
فى السماء وما ظن غيلان إلا أنه قضى عليه وسارع غيلان إلى البطال فشد يديه ورجليه
وهو لايعقل على نفسه من شدة ماجرى عليه من ألم الحمى وخرج اللعين غيلان إلى
ظاهر المضرب وصاح وجلبب وفى يده حسام مشطب وأحمى المضرب من جميع الأمم
وما ترك أحد يدنو منه هذا والسودان قد صاحت فى جوانب العسكر ونزلوا على الناس

نزول السيل أو القضاء والقدر وزاد ظلام الليل واعتكر وثارت بنى كلاب وقد عدمت عقولها وامتشقت نصولها وقاتلت رجالها لأجل فقد خيولها وسمع ضيغم الصياح وهو على الحرس فعاد فيمن معه يطلب العسكر لكى ينظر ما الخبر فوجد السيف يعمل فى العسكر من سائر الجهات والأخ لا يعقل على أخيه ولا الولد على أبيه وصوت غيلان الشوك عالى وهو ينادى على باب مضرب الأميرة ويلكم يا بنى كلاب عن من تقاتلون وأميرتكم قتلت ومن كاس المنية شربت ونهلت فلما سمع ضيغم هذا الكلام كان أمر عليه من الحمام وعلم أن هذا الغدر من السودان والأصل فيه غيلان فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وأنا إليه راجعون ماشاء الله كان وقال لأصحابه اتصدوا بنا مضرب الأميرة عسى نخلصها إن كانت أسرت فتسارعت نحوها الرجال من اليمين والشمال وكانت ليلة كثيرة الأهوال عمل فيها الحسام وجرى الدم وسال كالغيث الهطال وتقطعت الأوصال وما وصل الأمير ضيغم وأصحابه إلى مضرب الأميرة حتى قلبت الأرض بالصياح ونادى من خارج العسكر خمسون ألف من الروم صوتا واحدا عيسى ومريم نخيل للناس أن السماء وقعت على الأرض وعلم ضيغم وأصحابه أن الروم عادت إليهم لتساعد السودان عليهم فطلب كل واحد من المسلمين لنفسه النجاة وأيقن بفناه ولما سمع ضيغم الصياح فضاقت عليه الدنيا وعاد هو وأصحابه إلى ورائه وانهزم بنو كلاب وكل من صاحبهم من السودان والاعراب وغيرهم من الناس لما رأوا شدة الباس وكانت الهزيمة لهم أوفى غنيمه واحتوى غيلان ومن معه من السودان على ختام بنى كلاب وما زال السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى طلع النهار وبان نوره للابصار (قال الراوى) ياسادة وما أصبح فى تلك الأرض من بنى كلاب ومن يتبعهم من الأصحاب ديار ولا نافخ نار إلا من كان أسيرا أو قتيلا وأخذ غيلان الأميرة وأبو محمد والغلام شروه لأنه أعجبته صورته وصفته وقال هذا يكون هدية للقاضى عقبه هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من غلمان الأمير أبو محمد البطال فانهم لما أمرهم مولاهم بالخروج إلى العسكر وأن يخالطوا السودان لعلهم أن يسمعوا منهم شيئاً فيأتوه بالخبر فخرجوا لما أمرهم به مولاهم وصاروا دابرين بين السودان وهم يسمعون الكلام فما اتضح لهم الحال إلا بعد صياح غيلان وثاروا السودان فعندها ساروا راجعين يطلبون سرادق الأميرة كيما يكشفوا الخبر فوجدوا الدنيا قد انقلبت بالصياح وذهبت من الناس الأرواح وفعل غيلان بالأميرة ذات الهمة وأبى محمد البطال مافعل فاكملوا إلى الصباح وعادوا بعد رحيل غيلان وأصحابه والروم اللئام إلى مكان الوقعة فوجدوا مذبحون ملقى على الأرض سطيح

والدم حوله يسيح وهو غرقان فى الدماء وهو فى عدد الأموات ورأسه نصفين كما تقدم (قال الراوى) فتقدم اليه الغلمان ليأخذوه وفى التراب يواروه فوجدوا الروح تتردد فيه فقالوا لعل الله تعالى يحييه فقطعوا جرحه وشدوه وحملوه وساروا به يطلبون النجاة (قال الراوى) فلما انفصلت الواقعة واحتوى غيلان وأصحابه السودان إلى خيام بنى كلاب أموالهم وأسلابهم اجتمع بالروم وسألهم عن سبب عودتهم اليه فاخبروه أن الشيخ النجيح أرسلهم إلى مساعدتهم لأنه خاف عليكم من بنى كلاب فقال غيلان لا تخافون علينا منهم ولوكانوا أضعافهم فشكر الروم على فعلهم وقال لاعدمنا المسيح همة الشيخ النجيح (قال) وسار غيلان وأصحابه السودان قاصدون إلى عسكر الروم ومازالوا سائرين حتى وصلوا اليه والتقاهم الشيخ النجيح عقبه اللعين وهناهم بالسلامة وشكر غيلان وأصحابه وقال له أحسنت يامك السودان وفارس العصر والأوان وأخلع عليه خلعة سنية وأجزل له فى العطيه وكذلك فعل بسائر السودان لأنه اللعين ملك بيده أمر الروم أجمعين وهو الحاكم عليهم والمتصرف فيهم وليس لأحد منهم له معه كلام وقد تقدم ذكر ذلك (قال الراوى) فعندها دفع غيلان إلى عقبه القرنان الأميرة ذات الهمة وأبا محمد البطال والغليم شروه الديلمى فدفع له عقبه نظير ذلك خزانة مال فيها عشرة آلاف دينار وقطب عقبه جرح الأميرة ذات الهمة وحملها معه هى والبطال ليصلبها على باب الذهب كما يقولون عليه انهم يصلبوه على هذا الباب فمقصود الملعون ونيته افساد ماهم معولين عليه المجاهدين الأبرار وتكذيب رؤية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولا يعلم بأن الله لا يخلف الميعاد وان رسوله لصادق أواب فساروا الروم طالبين بلادها وهى تنهب رستاق بلاد الاسلام وما زالوا كذلك حتى قطعوا أرض نصيبين وساروا فى أرض دنيس القديمة واذا هم بغبار من خلفهم قد ثار وعج فى الأقطار حتى أظلم منه النهار فانكروا ذلك الملاعين غايه الانكار وقال عقبه ابن مصعب ألقاه الله بكل آفة وعطب لا شك أن الأمير عبد الوهاب قد قام من أرض الحجاز وهذا غبار عسكر بنى كلاب وسودانه الأنجاب واليوم ينزل بالقوم العذاب الاليم وهذا يكون على الروم أيشم الأمور فانظروا لأنفسكم كيف تكونون وماذا تفعلون واكشفوا لنا خبر هذا الغبار وأوقفونا على حقيقة الأخبار (قال الراوى) فعندها ضحك غيلان لما سمع من عقبه هذا الكلام وقال له الشيخ ما أراك الا فزعان من جمعه العربان أقف مكانك وانظر منى العجب العجاب ومن هؤلاء السودان الأنجاب فى حق هؤلاء القادمين ما يحير فيه الأنس والجن أجمعين ويتحدث به بعدنا جيلا بعد جيل فقال عقبه القرنان المسيح

يشد أزرك ويقوى ظهرك فانت سيف المسيح وعمدة الشيخ النجيح (قال الراوى) فتأهبوا الملاعين ووقفوا ينظرون إلى الغبراء ساعة من النهار حتى مزقته الرياح باذن الملك الفتاح وظهر من تحته بيارق وبنود وأعلام بيض وسود مكتوب على السود بالبياض وعلى البيض بالسواد الكلمة الخفيفة على اللسان الثقيلة فى الميزان الذى من قالها نجى من عذاب النار ومن زاغ عنها وتركها ضل وغوى وهى لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام وكتب على بعضها نصر من الله وفتح قريب (قال الراوى) وظهرت المسلمون مهللون مكبرون رافعون أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشر النذير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبانت الكتائب والمواكب للنظار ورأوهم الملاعين بالابصار وظهر أمير المؤمنين المعتصم بالأعلام الخليفيه والرايات العباسية وقد أضاف إلى عسكره المهزمين الذين انهزموا من عسكر بنى سليم ومن عسكر بنى كلاب والسودان الانجاب وغيرهم ممن كانوا مع الأميره ذات الهمه لأنهم وجدوا المعتصم سائر اليهم لكى يلحقهم لأنه كان قد أقام فى المكان الذى فارقته فيه الأميرة ذات الهمه بعد فراقها يوما كاملا وهو منتظر قدوم العساكر الوارده ومن الغد أوصل اليه العسكر الذى كان فى انتظاره فرحل به طالب الأميره ذات الهمه فلما وصل برقعيد لقيه غلمان الأمير أبو محمد البطال ومعهم مذبحون وأخبروه بجميع الذى جرى من القصه الذى جرت من غيلان الملعون المفتون وما فعل من الغدر والمكرهو والسودان الكلاب فضاق صدر الخليفة لذلك وعيل صبره وجد فى مسيره خوفا من تعويقه فالتقاه ضيغم بن الأمير الاجل عبد الوهاب سيد بنى كلاب فى جماعه من المنهزمين وشكى اليه ما أصاب المسلمين من غدر غيلان وأصحابه الملاعين الطغاه فاشتد الأمر على الخليفه المعتصم وسار يقطع البرارى والقفار ويوصل سير الليل بالنهار حتى لحق الروم الكفار فى هذا المكان المقدم ذكره هذا وضيغم فى أول الناس وقد اشتد به البأس وعول أن يلتقى غيلان ويأخذ منه تار من أهل الايمان ولما تقابل الجمعان من المسلمين أهل الايمان والروم أهل الطغيان فارتفعت أصوات المسلمين بتوحيد الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان وصاحت الروم الملاعين أهل الطغيان بكلمة كفرهم وتابعهم غيلان رماه الله بالوبال والعذاب والخذلان ومن معه من الأصحاب من الكلاب السودان (قال الراوى) فلما نظر عقبه إلى ذلك على الملك الفالوغص محفة وسيره فيها إلى القسطنطونيه وبعث معه ملك الأرمن فى عشرة آلاف فارس من عسكره فانه قال لهم ماندرى ما يكون منا ومن المسلمين والملك على هذا الحال فسيروا به إلى سرير ملكه واجمعوا له الأطباء ولاطفوه وأنا أدبر هذا

العسكر إلى حين وصوله إلى القسطنطونيه فاستصوبوا رأيه وأخذوا الفالوغص وساروا وركب عقبه ووقف تحت صليبهم الأصفر وعلمهم الأخضر وصار اليه تدبير العسكر (قال الراوى) ونزل المعتصم وما تعرض للقتال ذلك اليوم ولما أصبح الصباح ركبت الطائفتين فى طلب الكفاح وشرعوا الرماح وأحبوا احمله على بعضهم البعض فمنع ضيغهم المسلمين من ذلك واستأذن الخليفة فى الخروج إلى البراز فأذن له فخرج إلى الميدان لما فى قلبه من غيلان الشوك وهو على حصان معد للطعان وعليه درع زرد لا يعمل فيه الصارم المهند وجال ضيغم فى الميدان وانشد

أرجو من الخالق أسباب الرضا ⁂ ولا يكون فى الميعاد معرضا
والتقى القرن بقلب صابر ⁂ على القتال عند تحقيق القضا
لا أختشى الأبطال فى هياجها ⁂ يوماً ولو كانوا كعقبان الفضا
إنى أحب الله جل اسمه ⁂ والهاشمى ثم على المرتضا
دونكم الحرب فقد دعوتكم ⁂ وخاب من كان لكم محرضا

(قال الراوى) وما فرغ ضيغم من شعره حتى برز إليه واحد من السودان كأنه شيطان مريد أو زبر الحديد وله عينان تتوقد كالجمر وفى يده سيف كأنه درابة باب لو وقع على جمل قده أو جبل هده وحمل على ضيغم فاستقبله ضيغم بقلب حنق وفؤاد محترق وجالا طويلا وعلا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار هذا وضيغم قد همهم ودمدم وضرب خصمه بالسيف على عاتقه أخرجه يلمع من علائقه فلما نظر غيلان الشوك إلى ذلك انقلبت عيناه فى أم رأسه وزعق زعقة نفرت منها الخيل وانقض على ضيغم انقضاض السيل وأخذ فى الالتصاق والافتراق وامتدت نحوهما الأعناق وطلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وعجب من شجاعتهما الحصار ومضى عليهما أكثر النهار وهما فى طعن يهدو ضرب يقد وحمى على أبدانهما الحديد وذل لفروسيتهما كل فارس صنديد وثقل على أبدانهما الزرد وهابهما كل أحد فعندها وقف غيلان عن قتال ضيغم سيد الفتيان وصار كل واحد منهما ينظر إلى صاحبه وأقبل غيلان على ضيغم وقال له ويلك ياضيغم عد عن قتالى فما أحب أن يكون قتلك على يدى لما لجدتك ذات الهمة على من الفضل ولولا خوفى منها من أجل ميمون الجماس ما فعلت بها ما فعلت لأنى ما وصلت إلى هذه الرتبة التى أنا فيها اليوم إلا من سبب ذلك لأنى لما هربت من مولاى ملك الحبشة ووصلت أرض الحجاز فصرت أقطع فيها الطريق وأخون السبيل وأقمت على ذلك مدة أيام فمرت بى جدتك فى جماعة من أصحابها نحو خمسين فارس وهم قاصدون الحج من أرض بنى كلاب

ومعهم جمال ودواب فلما رأيت ذلك خرجت عليهم وأنا عريان وفى وسطى تبان وأنا راكب حصان واعترضتهم لأجل ما معهم من المال وما كان لى بها معرفة فلما رأتنى أمرت بعض أصحابها بالخروج إلى والهجوم على وهى جاهلة بمكانى فما كانت إلا ساعةحتى أخذت من أصحابها جماعة فلما رأت جدتك ذلك حملت على ومدت يدها إلى فلما قاربتنى أقبلت على ووعظتنى وقالت لى يا هذا ما الذى حملك على تعرضك للمسلمين حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر النبي عليه الصلاة والسلام فأنت الساعى فى تلاف نفسك وذهاب حسك فارجع إلى الله من قريب فهو السميع المجيب فقلت لها وأنا أحبها رجلا دع عنك هذا الكلام واتركوا ما بأيديكم من الحطام وانجوا بنفوسكم سالمين قبل أن تصبحوا على فعالكم نادمين فأنا ما مر بى فى هذه الأيام أحد وما أترك نوبتى هذه ترجع خائبة ولابد لى من أخذ ما معكم من المال فقالت لى ويلك والله أنت ما تعرفنى ولو عرفتنى ما قمت فى هذا المقام ولا وقفت فى موقف الخصام فقلت من أنت فقالت أنا فاطمة بنت مظلوم بن الصحصاح أمير ثغور المسلمين والسادة المجاهدين أم الأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب والسودان الأنجاب فاترك عنك قطع الطريق واصحبنا فى الجهاد وكن رفيقاً مع الرجال الأجواد فتكتب فى ديوان المجاهدين فى سبيل رب العالمين وما زالت تعظنى حتى لانت جوارحى وخشع قلبي ورجعت إلى الله من قريب ورافقتهم إلى الحج وأطلقت ما كنت أسرت من الرجال ولما فرغنا من الحج عدت معها إليكم لحى بنى كلاب وأقمت عندكم هذه المدة ولما تجهزت الأميرة فى هذه البلاد فجئت معها وفعلت بين يديها الديلم ما فعلت وما شوش على إلا قتل ميمون الجماس فلا كانت ساعة قتلته فيها وما كان سبب سعادتى ووصولى إلى ما أنا فيه إلا جدتك ذات الهمه فأنا اليوم ملك بنى حام شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً وسوف تظهر دولة السودان على كل إنسان فانصرف عنى وقد وهبتك نفسك وجدت عليك بروحك لأجل جدتك ولولا خوفى منها أن تطالبنى بميمون الجماس ما كنت فعلت معها ما فعلت ثم أنشد يقول :

أضيغم قد نصحتك باعتقادى * فدع هذا التغافل والتمادى
غدا لقيتهم عريان شيخا * بوادى القرع أكرم ذاك وادى
وصيرت الرماح بلا رؤوس * وعدت إذا إلى طلب الجهادى
وسوف ترى هماماً قسوريا * هزبراً من بقية قوم عادى
فقد سعدت بى السودان لما * علت فى الأرض رايات السوادى
وولت دولة البيضان لما * رأيتهمو كأغنام البوادى

سأملك سائر الأقطار حتى ترى السودان فى كل البلادى
ويكثر رسلنا حتى يرانا كأنا مثل عانات الجرادى
فعد يا ضيغم فالنصح أفضل ولا سيما على أهل السدادى
فذا الهمه قضت ومضت وزالت فلا تطمع فإن العمر عادى
أخذها راهب للقوم يدعى بشيخ نجيح فى هذى البلادى
وما أدرى هدت أم هى توفت ومعها أشقر خلف الفسادى
فان تك راجعا تلق نجاحا وان تك واقفا تلقى الحدادى

(قال الراوى) فلما سمع ضيغم شعر غيلان علم أن الأميرة أسيرة وأنها مجروحة وان أبا محمد معها وان غيلان احتوى عليهما وأعطاهما لعقبة الرجس المهين ولا يدرى ما كان منهما لأن غيلان ذكر فى شعره ذلك فصاح ضيغم ياعدو الله وعدو نفسه دع عنك هذا الهذيان فما أنا ممن يطمع فى غدره فدونك والطعان ياعبد الخنا ويا ولد الزنا فلما سمع غيلان كلام ضيغم انقلبت عيناه فى أم رأسه وتغيرت جميع حواسه فخرج كالبرق الخاطف أو الريح العاصف وصاح وهدر وطغى وتجبر ثم أنشد يقول

أضيغم قد أتاك أبو الظلام همام سيد نسل الكرام
ولونى مثل لون الليل أدهم كذلك من يلى من نسل حام
أنا المعروف فى كل البرايا غداة النقع فى يوم الزحام
حلفت براهب القوم النصارى وشيخهم النجيح بلا ملام
وحق صليبهم وجميع ماقد يقول وهو صدق الكلام
لا يهبنكم بالسيف ضربا ولا أبالى من القوم اللئام
أنا غيلان قد فقت البرايا بضربى والخداع بكل عام
سأملك أرضهم جمعا إلى أن أرى قومى ونفسى ذى تمام
وأملك بعد ذلك مصر حقا إلى أرض الجزيرة والشام
ولا أبقى على أحد يضاهى لنا فى الدهر غير أبناء حام
ويكثر عسكرى ويزيد قومى وأمسى مالكا كل الانام

(قال الراوى) فما سمع أحد من المسلمين هذا الشعر إلا لعنه ودعا عليه وحمل على ضيغم بعد شعره فاستقبله ضيغم بصــدر رحب وقلب صلب وكان الأمير ضيغم قريب الشبه من والده الأمير عبد الوهاب وكان يقاربه فى العبادة والدين وكان كثيرا يتمنى الشهادة فى سبيل الله فحمل على غيلان بقلب صافى لا يريد إلا الله تعالى

فكانا يتهامران كأنهما أسدان فكانا تارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وعلا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ونظر غيلان من ضيغم مالا رآه من انسان فى طول دهره وكان الملعون خداعا مكارا كثير الشر والفساد فقال لضيغم أيها الأمير قف قليلا حتى أحدثك بما رأيته الساعة فقال ضيغم ماالذى رأيته فقال رأيت شخصا الساعة لم أرى أهول منه منظرا وقد نزل من السماء وقال لى ويلك أما تستحى من الله تعالى أن تقاتل الصوام القوام المجاهد فى سبيل الله الملك العلام الحاج إلى بيت الله الحرام الذاب عن ملة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فارجع عما أنت عليه وتب إلى الله تعالى مما وقع منك وإلا نزل بك العذاب وحل بك العقاب وأنا قد وقع فى قلبى هذا الكلام وأريد أرجع إلى الله من قريب وأتوب على يدك وأعوذ لدين الاسلام على شرط تأخذ لى الأمان وأنا أعمل الليلة على خلاص الأميرة ذات الهمة والبطل الضرغام أبو محمد البطال ونكيس الروم فى الظلام ولكن أريد منك تهرب بين يدى ليتم لى ماأريد أن أعمله مع الروم (قال الراوى) فلما سمع الأمير ضيغم مقالة غيلان علم أنه يريد يخدعه بهذا الكلام ومتى ولى عنه طعنه فى ظهره فقال له يا كلب السودان تريد تخدعنى بهذا الكلام وتنال منى المرام وأنا جرثومة الخداع فدع عنك الهذيان ودونك والطعان فقال ياأمير ضيغم أنا ماقلت الا حقا وان لم تصدقنى فالله تعالى يصدقنى فقال ضيغم امضى أنت قبلى إلى عسكر الروم وأنا أمضى بعدك إلى عسكرى فقال غيلان أنا أفعل مارسمت ولكن أعطينى يدك قبل مضيك أنك لا تغدر بى ولاتمكن أحدا منى وأنك تأخذ لى أمان الخليفة وأنا الليلة أخلص الأمير ذات الهمة وأبو محمد البطال وتكون أنت وقومك على يقظة فاذا سمعت الصياح تثور إلى مساعدتنا فانتم إذا عاهدتم لا تغدروا (قال الراوى) فلما سمع ضيغم هذا الكلام فقال لعل الذى خطر فى نفسى يكون باطلا فاحترز لنفسه (ياسادة) وتقدم إلى غيلان وقال هذه يدى لك على ما ذكرت ومد يده إلى غيلان فلما صارت يده فى يد غيلان وتمكن منها صاح غيلان صوتاً نفرت منه الخيل فى أماكنها والقلوب من مواضعها فصار من ضيغم يا سادة صوتا أعظم منه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقابضا باليدين وتعاركا على الجوادين حتى خدرت الساعدين وتطاولت إليهما الفريقين وشخصت نحوهما الأحداق وتعلقا بالأطواق وكثر منهما الصياح والزعاق ويلى كل واحد منهما بما لا يطاق ولم يزالا يتعاركان حتى سقطا عن الجوادين إلى الأرض فاما جواد ضيغم فانه خرج من المعمعة يرعد حين وقع على الأرض وأما جواد غيلان وقع ميتاً وهذه غاية القوة ولما صاروا على وجه الأرض سعى بعضهما على بعض وتعاركا على الأديم وعجب منهما الناس

واشتد الناس فصاح غيلان بضيغم صيحة أعظم من الأول ودخل تحته ورفعه وجلد به الأرض كاد أن يدخل بعضه فى بعض فعندها صاح عقبه بالسودان وقال أدركوا صاحبكم غيلان قبل أن يحملوا عليه بنى كلاب ويصلون اليه ويخلصون ضيغم من يده فتبادرت اليه السودان كأنهم جن سليمان وكانوا أسبق إلى غيلان وأخذوا ضيغم أسير واشتد القتال وعظمت الأهوال وصار عقبه ينادى ياأهل دين عيسى ومريم دونكم والقتال هذا اليوم تشهد لكم فيه الحواريون واعلموا ان تم على غيلان أمر فانتم بلا محاله هالكون ولا تقوم لكم بعدها قائمة (قال الراوى) وكان الروم اذاسمعوا هذا الكلام من عقبه يرمون أنفسهم على الهلاك ولا يبغون من ذلك لها فكاك وأرمت الروم والافرنج والزغاورة واللان والمغلبيط واليونان والروقسيس والصقلب والبلغار والأرمن والبنادقه وبقية فرقهم الطاغية المارقه ومازال الناس فى صدام وصياح وازدحام وقبض مهج وانتقام حتى أقبل الظلام وولى النهار بالابتسام ونادى المنادى بالانفصال والرجوع عن القتال وبات المعتصم فى هم عظيم وفكر جسيم مالا تحمله الجبال وقال لقد كنت أتمنى أن أكون بعد فى البصرة والديلم قد ملكوا العراق ولا اشتفوا من الأميره المجاهده أهل النفاق لاحول ولا قوه الا بالله العلى العظيم ثم جمع أرباب دولته وقد قامت الدنيا وقال قد عولت على شىء أصنعه فقالت له أرباب الدولة وماهو يا أمير المؤمنين قال أريد أن أكبس العساكر فى هذه الليله وأبذل المجهود فى طاعة الملك المعبود فكونوا على يقظة حتى يهدى الليل ونتفرق ميمنه وميسرة ونطلب المعونه من الله فقالوا والله ماغينا من بات هذه الليلة الا وهو من التعب فى أمر عظيم فقال ياقوم من أراد الآخرة وجنة المأوى صبر على ملاقاة الاعداء وطلب النور والغفران غدا أليس أعدائكم بهم من التعب مثل ما بكم وقد نالوا الذى نالكم وأنا أول من يحمل وعلى الله نعول فقالوا ياأمير المؤمنين افعل مابدالك فكلنا تابعين فعالك فعندها أوصى عمرو بن عبيدالله وبنى سليم أن يكونوا على أهبة وكذلك أوصى الاتراك والاكراد فما فى القوم إلا من قال السمع والطاعة لله ولك ياأمير المؤمنين ثم خرج كل أمير إلى أصحابه فأخذهم وصار إلى المكان الذى عين لهم (قال الراوى) فهذاما كان من هؤلاء وأما ما كان من عساكر الروم فان عقبه لما عاد أحضر غيلان وقال له ياولدى أن قلبى كان معلق بك لما كنت مبارز الأمير ضيغم وأنا الذى أمرتهم أن يحملوا لاجل خلاصك فضحك غيلان من كلامه وقال وحياتك أيها الشيخ النجيح لو كنت رأيت الغلبة لكنت رأيت خصمى تحت رجلى وقاتلت أهل الأرض وهم لا يقدرون يزولونى عنه فدعا له عقبه وفرح بمقاله كل الفرح وأمر الروم فحملوا ضيغم إلى الأمير أبو محمد البطال والاميره ذات الهمة فلما دخلوا به

عليهما ونظروه بكيا على الاسلام فقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الساعة بقيت العساكر مثل الغنم بلا راعى ولكن الله يحفظهم وأمير المؤمنين راعيهم وما يقعد عنا ثم سألوا الأمير ضيغم عن الحال فحدثهم بما جرى على الناس فى الكرة الأولى وما جرى له مع غيلان الشوك فقال أبو محمد والله ان انكسر المعتصم فى هذه النوبة لا قام الاسلام بعدها قائمة لأننى قط ما رأيت للروم عسكر مثل هذا العسكر وقد انضاف غيلان إليه ومعه هؤلاء السودان الذى جمعهم الأمير عبد الوهاب طول الزمان وقتل ولدى أنا بلا تار حتى أن الأمير عمرو بن عبيد الله يرضى ويعمله أمير المؤمنين أمير الأمراء فلما سمعت الأميرة ذلك قالت يا أبو محمد كان ذلك فى الكتاب مسطوراً فدع عنك الملام فقد قضى الله بما أراد وكل مقدر كائن فاحزن أنت الساعة على نفسك وعلى الولد الذى فقدته ما رأيته وهو الحصين الذى أخذته عاقبه من زوجتك نورى وما عاد طلع له خبر (قال الراوى) فبكى أبو محمد البطال لما سمع هذا المقال ورجع بشكواه إلى الملك المتعال (يا سادة يا كرام) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عقبه فانه أخرج البدنة الجوهر التى كانت للملك الفالوغص من صندوقها وهى بشرائط الذهب والفضة محبوكة كلها باللؤلؤ الكبار وقطع الجوهر المثمنة وفى صدرها مرآة جوهر تأخذ بالبصر وكان الملك إذا لبسها يسطع نورها فى شعاع الشمس فتأخذ بالأبصار ويغلب ضوءها على النهار وتسوى ملك الأقطار فقالوا ملوك الروم لعقبة لما أخرجها على ماذا عولت قال أعطى هذه البدنة إلى غيلان الشوك على وجه العارية إلى أن يهدى الملك وأعود آخذها منه ولا تعرفوا هذا إلا منى وان مات الملك فهو أحق بها لأنه الضارب فى وجوه أعداكم بالحسام ومبيد عساكر الاسلام وماقصدى هذا إلا لعلى ألعب بعقله فيدخل فى دين النصرانية ثم دعا به اليه وألبسه اياها وعمل على رأسه عصابة جوهر فبقى كانه جاموس اسود وعليه جوهر يتلالأ فلما أبصر ذلك الجوهر كاد أن يطير عقله وقد طاش لبه وباس يد عقبه وقال له ماأدرى شىء نكافئك فقال عقبه ياولدى ما أريد منك مكافأة وإنما أريد لك الحياة والخلاص والنجاة ثم اعلم أننى إن عاش الملك جعلتك سيفه وخليفته على أنه أيضاً يقاربك فى الشجاعة وإن مات فأنت الملك وأنا أجعلك مكانه وأجعل السودان ملوك القسطنطونيه التى هى حسرة الخلفاء الإسلامية ومع ذلك فقد وقعت محبتك فى قلبى وأنا أريد أنصحك فقال غيلان يا مولاى فأنا ما أخالفك فقال أول ما أقول لك أنك لا ترجع تقول لى يا مولاى لأنى ما أعرف مولاى غيرك والبيض هم العبيد ولا بد لى أن أخرج نسب السودان وأقيم البينة والدلائل على أنهم ملوك البيضان وإنما البيض أخذوا الكتب القديمة وغسلوها حتى تخفى أنسابكم

وتذهب أحسابكم فقال غيلان نحن نعلم أننا أولاد زنا فضحك عقبة وقال أنتم عند المسلمين أولاد زنا وأما عندنا فلا لأن الحرام والحلال عندنا نكاح وهو شيء فى مذهبنا مباح والخلق قد تزوجوا فى القدم بعضهم ببعض فما تحتاجون إلى زواج ثانى ولا شهود ولا كتب وأنا أقول لكم أننى كنت قاضى المسلمين وأنا أحب الناس إلى الخلفاء لأجل علمى وأنا عندهم بمنزلة عظيمة يا ولدى أنا عقبة بن مصعب ولعلك قد سمعت بى وما رأيت مع علمى دين الحق إلا دين النصرانية ومذهب المسيحية على أننى أحفظ القرآن بكل رواية اختلفت أئمة المسلمين فيها ثم اقرأ الانجيل وجعل يقرأه ويفسره ويبكى حتى لعب بعقل غيلان وقال له أنا ما أختار دين غير دينكم وأنتم أوفر منى عقل وأخبر منى بكل علم فلما سمع عقبه كلامه فرح وخلع الزنار من وسطه وحطه فى وسط غيلان وقبله بين عينيه وسمعوا السودان كلهم هذا الكلام فقال بعضهم لبعض معلوم أننا ما نريد دين تكونوا فيه اولاد زنا ولا عبيد وكلنا نفعل مثل غيلان وما بقى لنا وجه إلا لهذه الجهة ثم اتوا كلهم إلى بين يدى عقبه وتنصروا وشدوا الزنانير وتبروا من دين الاسلام وكان أول من وثب اليه غيلان وبايعه على ذلك وكذلك سائر السودان فخلع عقبه على الجميع وقال للملوك من كان يريد مرضات المسيح يحسن لهؤلاء (قال) فحملوا إليهم البطارقة والملوك أكثر من عشرين ألف ثوب ديباج ومناطق وصلبان فلبسوا السودان زى الروم فقال غيلان هذا ما فعلناه وما أمرتنا به امتثلناه فقال عقبة ما أريد منكم إلا كسر هذا العسكر الذى بين أيدينا حتى نعود إلى بلادنا فقال غيلان يا مولاى هذا أمر هين وأنا أفعل لك فعل يكون أول بركة دخولنا فى دين المسيح فقال عقبه وقد امتلأ قلبه وطار فرحاً ومرغ وجهه على الأرض وقال وابردها على كبدى ما قلت قطان خواص ذواص ذات الهمة وعبد الوهاب أراهم قدامى مثل العبيد والغلمان وقد شدوا الزنانير فى أوساطهم وعلقوا على صدورهم الصلبان وصاروا من جملة الأعوان هذا وحق الصليب الذى وعدنى به المسيح ثم قال على ما ذا عولت فقال إذا كان نصف الليل أكشف رأسى أهجم على عسكر الخليفة أنا والسودان والأفرنج لا غير لأن الروم مالهم شجاعة وما أريدهم يكونوا معنا بل يكونوا على الخيام فقال عقبة الأمر لك من رأيت أنت أنه أهلا للمسير فأمره بأخذ الأهبة إلى نصف الليل حتى تنام العيون ثم جمع سائر الملوك وأوصاهم بما يفعلون وأراد الملعون يغيظ الاميرة ذات الهمة فأحضرها وأحضر أبو محمد وضيغم وجلى عليهم السودان فى الحلل والصلبان فورد على قلب الاميرة النار فقالت يا ملعون هذا مناك وقد نلته فى دنياك وهذه والله علامة هلاكك وقتلك لان ما بعد الاغراض والزيادة إلا النقصان فى

الارادة وسوف تندم يا ملعون إذا حققت الحقائق وسألك الرب الخالق فضحك عقبه من كلامها وردها ومن معها إلى مكانهم وكانوا قد سمعوا كيف يريدون يكبسوا عساكر المعتصم فقال الأمير أبو محمد قد عولوا على كبسة المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالت ذات الهمة فى الله كفاية وله بدين الاسلام عناية ولما تنصف الليل زحف المعتصم من جانب العسكر الذى للروم ميمنة وميسرة وزحف غيلان نحو القلب الذى للمعتصم وما عنده خبر أن عساكر المعتصم قد أخذت ميمنتهم وركبت أيضاً الروم تبعاً للسودان وقالوا ان هؤلاء القوم خرجوا وهربوا إلينا ودخلوا فى دين النصرانية لأجل ما تقدموا عليهم البيضان ومالنا إلا أتباعهم فقالت الأفرنج لملكهم أيها الملك نحن لانرضى لأنفسنا بالهوان وتركنا نطيع هؤلاء السودان وأنت تعلم أن الفالوغص قد مضى وأشرف على الموت وما هو سليم فقم بنا حتى نسير إلى مدينة القسطنطونية ونملكها وان أطاعونا الروم وإلاضربنا رقابهم بالسيوف وان جمعوا أمراء أقاليمهم وحاصرونا أنفذنا إلى المسلمين وسلمنا اليهم القسطنطونية النار ولا العار فقال الملك ياقوم فهنا شىء آخر وهو الصواب فقالوا وماذلك فقال اعلموا ان هذا كله ما كان إلا من الشيخ النجيح حتى يبلغ غرضه من المسلمين وما عمله نصرة للدين لأنه لايبالى بمن تقدم أو تأخر ولا يريد إلا هلاك أعدائه ودع يهلك كل من أراد من المسلمين أو من الروم أو غيرهم والصواب انكم تأخذون الأهبة ونصبر حتى نسمع صياح العسكريين واختلاطهم وإذا علمنا أن السودان والروم قد اختلطوا بالمسلمين حملنا نحن وأخذنا خزائن الملك ومافيها من الأموال لأننا أحق من غيرنا ونأخذ عقبه ونقتله أشرقتلة حتى لا يرجع أحدا من القسوس يتكلم فى حق الأفرنج كلمة رديئة فقالوا أصحابه هذا هو الصواب ونأخذ معنا أيضا أمراء المسلمين ذات الهمة والبطال وضيغم وإذا نجـــونا بهم بعناهم نفوسهم بالأموال العظيمة أو نضرب رقابهم حتى نكون قد أرضينا المسيح ويغفر لنا ما فعلنا من قلة الشيخ النجيح فقال الملك اعلموا ما بدالكم وتأهبوا لقتالهم حتى تبلغوا آمالكم (قال الراوى) فعادت مقدمين الافرنج والخياله فأعلم كل واحد منهم أبطاله ورجاله فركبوا وتأهبوا ولبسوا الزرد واعتقلوا بالقنطاريات وتنكبوا وما استقروا على ظهور الخيل حتى سمعوا الصياح فى جوف الليل والجبال كادت أن تنقلع من نخومها والسماء قد احتجبت بنجومها والعساكر بعضها على بعض قد انطبقت والرجال على الرجال قد ترافعت والمواعيد قد حققت والسيوف على الدرق قد تحققت لأن الكل على أهبة القتال وما فيهم الا من يريد يكبس صاحبه فانظر (ياسادة) وكانت السودان قد قصدوا خيام الاسلام وتبعتهم الروم اللئام ونظر المعتصم إلى ذلك فكبر وحملت عساكره من الجانبين واختلطت الجيوش

مثل طرفة العين ووقع الانذهال والاندهاش فى عبدة الصلبان وقد عولت على الهرب ولولا ثبات السودان وقد صاح هم فى أوائلهم غيلان وفتك فى موا كب أهل الايمان فوقع الخطأ والصواب ولم يعرف الروم من الأعراب وتعثرت الخيل بأوتاد الخيام والاطناب وماجت الكتائب كما يموج البحر العجاج وشاب من هول تلك الليلة الشباب وكانت الاشارة من المسلمين توحيد رب العالمين وضجت المشركين بعيسى ابن مريم وكفرت بمن أنشأ الأمم وأوجد الخلق من العدم (قال الراوى) ولما نظرت الأفرنج إلى السيوف تلمع والرؤوس تقطع والصباح قد ارتفع وخرجت الافرنج على من تبقى فى الخيام من البطارقة وأخذوا خزائن الملك وعقبه شيخ الضلال وذات الهمة وأبو محمد البطال وضيفهم والغليم شروه الديلمى لأن عقبة قد أعرض عليه التنصر فأبى وقال ما يميل قلبى إلا إلى دين الاسلام فشده وتركه عند الأمراء وكان البطال كلما رآه حنت جوارحه اليه وهو لا يعلم باطن ذلك ولما أخذهم الملك الافرنج شد الكل على الخيول وعقبه يستغيث بالمسيح وهم يعاقبوه ويصفعوه على فعله معهم ويوافقوه على فعاله والملك ينادى فيهم ويلكم جدوا فى المسير حتى نقطع بلاد الاسلام مادام ان الروم مشتغلين عنا فتبادرت الافرنج تركض وكان قد تغيرت أحوالهم وغير كل واحد منهم جواده وركبوا الجميع ولم يزالوا كذلك حتى أصبح الصباح وقد صار بينهم وبين العسكر مدة بعيدة ولم يزالوا كذلك ولم يطلبوا راحة وعقبه قد انفطرت مرارته ودامت حسرته وجعل يقرأ طول الضرب الانجيل لعلهم يرحموه فلما سمعت الافرنج نفاقه جعلوا يلطموه والغليم شروه يضحك عليه ويقول له ياشيخ ما أرى علمك عند هؤلاء الا مقبول وان دمت على تلاوتك لهم الانجيل تركوا قفاك مثل الطبول فجعل عقبه ينظر اليه ويتحسر ندما عليه كيف ماقتلوه والأمراء يضحكوا على كلامه والبطال يقول كنت أشتهى من الله تعالى أن يسهل لنا الخلاص ويكون هذا الغليم معى حتى أتسلى به عمن ذهب لى من الأولاد هذا والافرنج سائرين يقطعون الأرض حتى خرجوا من أعمال بلاد المسلمين وصاروا فى أوائل أقاليمهم ورفقوا على أرواحهم بالمسير وصاروا يسيرون من النهار ساعة وينزلون لأن دوابهم اشرفت على العطب من شدة التعب فلما كان فى بعض الأيام قد نزلوا فى مرج كثير العيون والمنابع يعرف بمرج الوقاح وعنده تختلف الطرق إلى بلاد الروم وانهم لما نزلوا قال الملك لخيالة الافرنج قد عولت أصلب الشيخ النجيح فى هذا المكان لأجل أنه مفرق الطرق إلى سائر البلدان حتى يعتبر به كل انسان وكل بطريق ومطران ولا يرجع منهم أحد يدخل فيما لا يعنيه لأن هذا الشيخ أفنى أمة المسيح مما يسيرهم الى بلد الاسلام وان عاش قليل أخلا سائر

الاقاليم فقالوا أيها الملك ان فعلت ذلك أصلب معه شياطين المسلمين حتى تذكر بهذا فى كل حين ويرضى عنك المسيح والحواريين فقال الملك هذا هو الصواب اعملوا الأخشاب وأصلبوا الكل بالحبال واطعنوهم بالقنطاريات الطوال (قال الراوى) ولم تكن الاساعة حتى نصبت الأخشاب وقدم السيخ عقبه وهو يصيح ويقول واذلة ملة المسيح بعدى هذا والأمراء ضجوا بقراءة القرآن وقالوا أهلا وسهلا بلقاء الرحمن والافرنج قد عدلوا على رفعهم على الأخشاب وإذا بغبار ثار وعلا وسد الأقطار وهو يقرب على عجل فلما رأى الملك ذلك انذل وقال لأصحابه توقفوا عن هؤلاء حتى ننظر ما الخبر وما سبب هذا الغبار الذى قد ظهر فلم تكن الا ساعة حتى انجلى الغبار وظهر للابصار وإذا بهم كلهم سودان على خيول مثل العقبان ويقدمهم غيلان كانه الأسد الغضبان وقد انعكفت على رأسه الرايات والصلبان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن ملك الافرنج لما ملك خيام الروم وسار وترك القوم فى القتال مقابل المعتصم والكبسة التى ذكرناها وغيلان وسودانه معهم ودام القتال بين الطوائف حتى طلع الصباح وقد جرى الدم وساح وملوا من ضرب الصفاح ورجعت الروم إلى خيامها فوجدوها خالية من الرجال فارغة من الأموال فطلبوا عقبه فما وجدوه وملك الأفرنج فقدوه وقالوا وحق المسأح لقد غدرت بنا الأفرنج ونهبت أموالنا وقتلت رجالنا وإن أقمنا هلكنا وربما رجعت السودان إلى عساكر الإسلام ونفنى كلنا بالحسام فركب كل واحد هواه وطلب بلاده وأقرباه وهو لايصدق بالنجاة من الوفاة ونظر المعتصم إلى ذلك فقال لاصحابه وحق محمد المصطفى داهية قد نزلت على الروم وهذه عناية من الحى القيوم فاحملوا يامعشر المسلمين على أهل الكفر والضلال فهذه ساعة الإنفصال وتجلدوا ساعة على القتال وقد بلغتم الآمال ولعلنا نخلص ضيغم وذات الهمة والبطال وإن كانوا بعد فى الحياة فلما سمعوا المسلمين ذلك صاح كل منهم برجاله وحملوا حملة صادقة وقد أزعجوا الأرض بالتكبير والصلاة على محمد البشير النذير ونظر غيلان إلى ذلك فصاح بالمنتصرة وقال ويلكم أثبتوا للقتال ولاتحدثوا نفوسكم بالهرب والفرار فيأخذكم السيف من سائر الآفاق ولا يمسى المساء وقد بقى منكم ديار ثم حمل فى أوائلهم مثل الشيطان وحملت وراءه السودان ودام الضرب والطعان حتى صار وقت الاصفرار والتفت غيلان إلى الروم فما رأى منهم ومعه ديار فعلم أنه إن أقام هلك من السيوف الأبرار فصاحت السودان ياويلكم أطلبوا النجاة إلى بلد الروم ما دام الليل قد أقبل ومن لحقنا تركناه على التراب مجندل هنالك ولت السودان وأحلوا نفوسهم من الأمم وساروا تحت الظلام يطلبون بلاد الروم وهم لايعلمون

من أى طريق يسلكون فالقاهم الله سبحانه وتعالى على الطريق التى سار فيه ملك الافرنج وعقبة معه كما ذكرنا وما كان بينهم فى المسير أكثر من ليلة واحدة (قال الراوى) وان غيلان لما رأى العساكر وكثرتها أرسل رسولا يكشف له الخبر فغاب الرسول ساعة وعاد وأخبرهم بالحال وقال ان الشيخ النجيح الذى هدانا للدين الصحيح قد أشرف على الهلاك والصلب ومعه ذات الهمة وضيغم والبطال الذى أسرتهم وسلمتهم إلى عقبة وها هو تحت الخشبة يستغيث بالمسيح بن مريم وقد حل به البؤس والنقم ولولا اشرافنا فى هذه الساعة وإلا كان قد صلب فلما سمع غيلان انقلبت عيونه وزاد جنونه وقال وحق المسيح قد كنت أشتهى أكافىء الشيخ على مافعل بى من المليح وهذه أوفى مكافأة أكافئه بها ثم قال للسودان أحملوا على هؤلاء الأفرنج بارك المسيح فيكم (ياسادة يا كرام) وكانت الافرنج قد ركبت من حيث أشرف الغبار وكانوا خمسين ألف فارس والسودان فى سبعة آلاف وان ملك الافرنج لما ملك قيادة ونظر إلى حملة السودان عظم عليه وكبر لديه وقال لخيالته أحملوا فهذا أيشم الأحوال إلى السودان فعندها حملت الافرنج على الخيول العربية وظهرت الطوارق الافرنجية والقنطاريات الخلجنية واصطدمت الفرسان تصادم الجبال وعظمت الأهوال ودام القتال حتى وقعت الأبطال ونظرت الجميع السيوف بالدم الهطال ونفذت أسنة الرماح فى صدور الاقيال وحامت عقبات الموت على جميع وغرقت الأرض من جريان النجبع وكانوا بين قتيل وصريع إلى أن كان وقت العصر وربحت السودان على الافرنج إلا أنهم كانوا تعابا من شدة السير فطلبوا من غيلان الراحة والنزول فانفصل لهم من القتال وكان من أكبر أغراض الافرنج وقلب عقبة ملآن وكان قد تركه تحت الخشبة التى أراد أن يصلبه عليها فلما عاد طلبه فما وجده فجعل يبربر بالافرنجيه وقد زادت به البلية وسأل عنه الأمراء فقالوا والله إننا ما نعلم به فقال الغليم شروه الديلمى للافرنج بالعربية انا رأيته يزحف فى قيوده ويطلب الماء وإلى الساعة ما رجع ولا شك أنه بعد على العين (قال الراوى) وكان بالقرب منهم عين تخرج من تحت كهف طويل فمضيت الافرنج وعادت تخبر أنهم ما وجدوه (ياسادة) وكان الملعون لما رأى نفسه قد أشرف على الصلب والتلاف ونظر الافرنج وقد اشتغلت عنه بقتال السودان زحف فى قيوده والكتاف يطلب النجاة من التلاف ولم يزل يزحف حتى وصل إلى العين وأرمى نفسه فى العين من حلاوة الروح وزحف حتى صار فى صدر الكهف وأقام فى الماء وهو إلى حلقة ولما أتت الافرنج فى طلبه إلى العين وسمع حسهم غطس فى الماء ضم نفسه حتى طلعوا وعادوا وقالوا للملك أنهم مارأوا أحدا (قال الراوى) فقال لهم الغليم شروه

ياقوم خذونى معكم وأنا أخرجه لـكم من المـاء إلا أن يكون قد طار بقيوده إلى السماء فلما سمعوا الافرنج كلامه أخذوه معهم وساروا به إلى العين وجعل يدير عينيـــه على عقبة فما رأى له خبر فقال الافرنج اضربوا صدر المغارة بالأحجار فما هو إلا انه لما سمع حسكم غطس فى الماء فى بعض الزوايا فجعلوا يضربوا الماء بالاحجار الـكبار وقد ضاق نفس عقبه وهو يسمع كلام الغلام شروه ويأكل كفية ندما كيف ماقتله فلما خفت حسه شال رأسه وصاح لاتفعلوا ياعباد المسيح فانا الشيخ النجيح فما تم كلامه حتى وقع فى قرنه حجر فشق رأسه نصفين فصاح ياقوم امهلونى حتى أخرج من المغارة فخلوه وقالوا اخرج ياشيخ الضلال فقد بان لنا انك شيخ محتال فزحف عقبه حتى خرج والدم قد سال على بدنه فقالوا له ويلك لأى شىء فعلت بروحك هذه الفعال وهربت من دون الرجال فقال وحق المسيح ماهربت إلا أننى جئت أشرب قليل من الماء لما غلبنى العطش فغلبنى رأسى فوقعت فى العين فقال له الغلام شروه ياشيخ السوء قلنا لك انك وتعت فى الماء فما الذى أدخلك إلى صدر المغار فنظر إليه بغيظ وحنق وقال ياولدى الماء حملنى فضحك الغلام وقال حتى تعملوا أنه شيخ محتال الماء يحمل الرجل إلى الداخل أو إلى الخارج فقال عقبه جود على يا ابن الألف قرنان وفطنهم إلى شىء ما يعرفوه ثم ساروا به وهو يقول فى نفسه وحق المسيح مايخلق قط أشقرأزرق العيون إلا يكون أشر الخليقة وأعندوأكثر خبث وأمكر وما أدرى من أين وقع لى هذا الشيطان الابن ألف قرنان حتى لانبقى بلا شغل قلب (قال الراوى) ولم يزالوا حتى أوقفوه بين يدى الملك وحدثوه بحديثه فقال وحق المسيح لاخلصك مخلص لأن كلما جرى على الروم وعلينا منك ومن تدبيرك السوء وبك اشتفت السودان منا وأنا فى غداة غد أخرج إلى غيلان وأحمل عليه فى مقام الطعان وأرفعه على رأس القنطاريه وأعود اليك أصلبك على هذه الأخشاب وأسقيك كاسات العذاب (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك قال اعلم أيها الملك قد ظلمتنى وأغضبت المسيح من أجلى وهذا الذى فعلته مافعله أحدا من ملوك النصرانية بل كانوا يقتربون بى إلى المسيح فان كان ولابد لك من ذلك فاشفى قلبى من هذا الأسود غيلان فاننى على غاية الخوف منه أن يعود على دين النصرانية يخرج عليكم خارجيا لأنه ما تنصر إلا بقولى وأظن أنى عندكم ببال كبير فاذا رآكم أنتم ماتدعونى وأنا عليكم فاذا سمعوا عنكم السودان فيقولوا لو كان فى هؤلاء خيـر ما فعلوا بعالمهم هكذا ويعودوا إلى دينهم ويصبروا سيف لدين الحنيفية فقال له ملك الافرنج الساعة وحق المسيح أردت صلبك لولا قولك هذا المقال فالساعة أنا أمهلك وآخـذ الذى ذكرت عنه وأقتله حتى يعلم انى أفرس منه ويقول

أنه لايصلح أن يكون لى مملوك وأنت قد خيرته على الملوك (ياساده) وكان عقبه قد قال هذا المقال حيلة منه ولعنة لانه احتال على الملوك لعلمه بما فى عزيمته لما أحضره ورأى السيف مجرد فى يده والخشب منصوب للصلب فقال له ذلك حتى أخر قتله إلى ذلك الوقت وعلم أنه خرج إلى غيلان ما يمر به أيشم من ذلك اليوم وبات طول الليل يقرأ الانجيل بصبيب صوته وحسن نغمته بلغة الافرنج وحلف له جماعة وقالوا إن أراد الملك أن يقتلك بذلنا نفوسنا دونك ولا نخسر ديننا ودنيانا وكان عقبه تلك الليلة قد جعله الملك فى الخيمة التى فيها هو وأبو محمد وذات الهمة وضيغم وشروه الديلمى وكان كلما قرأ يقول له شروه خاطرك تقرأ أو لا تقرأ لابد لى ما أترك ملك الافرنج يضرب رقبتك فضحك البطال والأمراء من سماع ذلك الكلام وعجبوا من ذكائه (قال الراوى) ولما أصبح الصباح ركبت الأبطال والاقبال وتقدمت المواكب للمجال هنالك تقدم ملك الافرنج وطلب براز غيلان فلم يتم كلامه حتى برز إليه غيلان وكان شيطان وعليه صدرية زرد كأنها عيون الجرد لايعمل فيها الصارم المهند وحمل كل منهما على صاحبه وتطاعنا حتى أشرفا على الهلاك وبقى فى أيديهما أعقاب الرماح ولما طال بينها الأمر وقل الصبر اخترط ملك الأفرنج حساما ماضيا وهجم على غيلان وضربه ضربة ماضية وقد أيقن أنها عليه قاضية فبطلها غيلان عليه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه واعترضه وضربه بعامود كان معه من الحديد على صدره قطع أضلاعه فلما نظرت الأفرنج إلى ملكها قتيل نزل عليها الويل الطويل وكان له ولد اسمه جالوت جبار من الجبابرة وكان أفرس من أبيه فصاح بالصلبان وصاحت القساقسة والرهبان وصاح غيلان صيحة الأسد الغضبان واستقبل الكتائب والفرسان وحملت من ورائه الفتيان ودام الضرب والطعان وجردت الاسنة مثل الغدران وكان لهم وقعة تشيب فيها الولدان حتى انصرف النهار منصرفا وأقبل الليل بالدجا وقد امتلأت الأرض من القتلى وعادت كل طائفة عن الأخرى وظن عقبه أنه قد خلص من البلاء ومن الغضب نجا فأحضره جالوت بعد ما أمسى المساء وقال وحق المسيح لاضربن رقبتك غدا فلولاك ما كانوا السودان قتلوا أبى ولا تعرضوا بنا ثم وخزه وضربه حتى أشرف على الموت ورده إلى مكانه فبات الملعون يقرأ الانجيل ويصيح أكثر من كل ليلة وقد أيقن بالصلب والغليم شروه يقول ياشيخ السودان كنت قد سلمت فى المرة الأولى فما تسلم فى الثانية غدا تصلب وتموت ويخرب بيتك من دون البيوت ولو صحت بكل الحيل لابد لهم من هلاكك وتقطيع قفاك فضحك البطال من كلام الغليم وقال عقبة ويلك يا أبو محمد لاتضحك من منطقة وتسمع من كلام هذا الشيطان

الملعون وأبكى على فقد ولدك مذبحون فقال له البطال ويلك أما ولدى فقد وصل إلى دار الرضا والرضوان فى جوار الملك المنان وأنا فما أبكى للفراق لأن قلبى فى الآخرة أيقن بالتلاق فلما أصبح الصباح ركب جالوت ودعا بعقبة وأحضره بين الصفين وعول على ضرب رقبته والبراز لغيلان فانكر عليه بعض خيالة الافرنج وقال هذا ما يرضى المسيح بل يغضبه علينا إذا قتلنا الشيخ النجيح وقال قوم آخر بل يستاهل القتل لأنه هو الذى أوقع الفتن وأهلك النصرانية على طول الزمن وزاد الأمر بين الافرنج حتى أختلفوا ثم تضاربوا بالسيوف فلما رأى عقبة ذلك استغاث بالمسيح والسودان ونادى يا آل حام يا آل حام أنا شيخكم وطريقكم المبين ومعدلكم حقيقة الدين فصاح غيلان وحمل وحملت السودان وعمل الرمح والسنان وفارقت الأرواح الأبدان والتقى ملك الأفرنج بغيلان وقام الحرب بينهما على ساق وتضاربا بالسيوف الرقاق واختلف بينهما ضربتان وكان السابق غيلان لأنه ضرب جالوت على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه وحملت السودان على الأفرنج فولت هاربه وللنجاة طالبة وهى مما أملت خائبة ونهبت السودان الرجال والأموال وكان شىء كثير وخلص غيلان عقبه وملك الأمراء المجاهدين وقال لعقبه ما الذى تشير به أنا أفعله فقال اعلم يا ولدى ان الملك الفالوغص أنفذناه إلى بلد القسطنطونية وهو على أسوء حال وما أظنه يعيش من الجرح فالحق بنا البلد حتى ننظره وما منه فان كان سالما جعلته لك خادماً وإن كانت الأخرى ووجدناه قد مات وليتك ملكه وحكمتك فى البلاد وتركتك هالك رقاب العباد (قال الراوى) فلما سمع غيلان كلامه ضمه إلى صدره وعانقه حتى كاد أن يقصف أضلاعه من شدة حيله فضحك عقبه وقال زادك المسيح نشاطا وقوة وانبساطا وبات القوم معولين على الرحيل والأمير أبو محمد يقول للأميرة ذات الهمة وضيغم بالله عليكم من سبقنى منكم إلى الآخرة فليسلم لى على ولدى مذبحون ويقول له قد خلينا أباك واصلا بعدنا فضحكت ذات الهمة وقالت لعمرى كذا يكون الأمر فلا تخرج فما عقبة ممن يقعد عنا وهذا الأسود غيلان قصده ان يتخلص منا من زمان فهم فى الكلام وعقبه قد دخل عليهم ومعه غيلان والسيف بيده فقال أبو محمد لا إله إلا الله محمد رسول الله إنا لله وإنا إليه راجعون فقال عقبه يا شيطان قد بلغنى أنك مشتاق إلى ولدك مذبحون وقد جئت لأجمع بينك وبينه فقال أبو محمد ياملعون افعل ما بدا لك فما بى من الموت لان لابد لنا منه وأنت تعلم أنك لاحق بنا بعد قليل ويصلبك الأمير عبد الوهاب على باب الذهب كما أمر النبى المنتخب وما نبالى نحن إذا حضرت آجالنا بعد ما قد علمنا أنك تصلب وفى سلاسل الفضاء تسحب (قال الراوى) فلما سمع عقبه ذلك غضب وقال

لغيلان ياولدى أنا أسألك أن تغمد سيفك وتمهل عليهم بالقتل إلى أن نصل للقسطنطونية ونصلبهم على باب الذهب وافعل بهم ما تريد وما أرادوا أن يفعلوه بى فقال غيلان افعل ما بدالك فعندها شد عقبه الكل على الدواب وأمر العسكر بالرحيل فرحلوا السودان وتولى الملعون عذاب الامراء طول الطريق وكان أكثر ضربه للغلام شروه لأجل ما فى فؤاده منه وأبو محمد يرى ذلك ويقول للأميرة والله انى حملت هم هذا الغلام شروه أكثر من نفسى لأنى كلما رأيت عقبه يضربه ينقطع فؤادى كانه بعض أولادى هذا وعقبه يقدمهم إلى أن بقى بينهم وبين القسطنطونية ليلة واحدة ونزلوا فى مرج هناك يقال له مرج الزهر وعقبه فرحان بقربه من البلد حتى يصلب الأمراء وعاقبهم تلك الليلة وأخبرهم بنية صلبهم وقال لهم هذه الليلة ليلة الوداع وآخر لياليكم من الدنيا ثم ردهم إلى الخيمة المعروفة بهم ووكل بهم من يحفظهم فبكت الأميرة وقالت لضيغم يا بنى أراك أن تبات الليلة مناجيا إلى ربك فهذه ليلة الوداع ونريد نختم أعمالنا بعبادة الملك العلام فقال البطال أما أنا فلا والله ما بقى لى قلب ولا فؤاد وسرى منقسم على فراق أولادى ولاقيت عند الكبر ما أتلف منى السمع والبصر فعندها قامت الأميرة إلى الصلاة وضيغم إلى العبادة وما فيهم إلا من جعل يتضرع بالدعاء إلى الله تعالى ويبكى من شدة الضر والبلوى حتى تقضى بعض الليل وجلست الأميرة تتشهد وتقرأ التحيات وإذا بشخص قد طلع عليهم ونظر إلى بكائهم ودعائهم فعاد فك قيود الأميرة ذات الهمة وحملها إلى أن أخرجها إلى الفضاء من الخيام وعاد وفعل بالبطال كذلك ثم أخرج ضيغم والغلام شروه وصاروا الكل خارج الخيام وهم كأنهم فى منام ونظروا إلى الذى فعل بهم هذه الفعال وإذا به عبد أسود يقال له دينار وكان من أصحاب الأميرة قديما وكان حج معها إلى البيت الحرام وجاهد بين يديها زمانا طويلا ولها عليه جمائل لأنها وقعت به وهو مرمى فى بلاد الحجاز مجروح فأخذته وداوته حتى برىء من جرحه وصار من جملة خواص السودان إلى أن تنصروا فى هذه النوبه مع غيلان وتنصر هو معهم وندم على ما فعل وذكر فعال الأميرة واصطناعها معه ورأى أنه ما بقى له وجه يرجع الى دين الاسلام ولا له وجه يلتقى به الأميرة ذات الهمة ولم يزل كذلك حتى أسرت وجرى لها من القصة ما جرى وصار يدبر فى خلاصها ولا يقدر لأجل احتراز عقبه شيخ الضلال عليها ومن معها ولم يزل يتوصل حتى صار تلك الليلة من جملة المتوكلين عليها وسقى أصحابه حشيشة كان يعرفها فناموا فقام وذبحهم وخلصهم كما وصفنا وبذل روحه فى طاعة الله تعالى لأنه علم أن عقبة لما يصل الى القسطنطونية يهلكهم فلما حصلوا فى ساحة الفضاء فقال العبد دينار ترى يغفر لى ربى ما كان

منى وما ارتكبت من العصيان وعبادة الصلبان فقال أبو محمد ياأخى أبشر بالسلامة واعلم أن الله يسامح أهل العصيان وعبادة الصلبان اذا تابوا واخلصوا للرحمن وندموا على مافعلوا من متابعة الشيطان وبكى دينار على ذنوبه ثم رجع الى عسكر السودان وعاد وقد أتى بجواده وقال للأميرة اركبى وسيروا بنا قبل أن يفطن بنا أحد فقال البطال اصبر علينا يا أخى فأنت فعلت ما يجب عليك ولا بد لنا من تحصيل شىء نركبه وشىء نأكله وإلا هلكنا لشدة بعد الطريق والتعب لا سيما ومعنا هذا الصبى الصغير لأنه قد صار أخ من اخواننا ثم التفت بطلب الغليم شروه فلم يجده فضاق صدره لذلك فقال لابد للغليم خبر وما أخوفنى أن يكون قد مضى ينذر بنا السودان لأنه على كل حال صبى وناقص العقل اثبتوا مكانكم حتى أدخل فى طلبه وأعود إليكم فنخاف أن يجرى علينا منه ما لم يكن فى الحساب (يا ساده) فبينما البطال فى الكلام وإذا بوقع حوافر خيل خارجة من العسكر طالبة نحوهم فقال أبو محمد هذا الحساب الذى حسبناه خذوا أهبتكم للصدام وإذا بالخيل قد أدركتهم من غير ركاب ويقدمهم شخص فتأمله البطال وإذا به الغليم شروه وقال له ياعم جئت لكم بخيول تركبوا عليها وعدة تكتسونها لأجل مخافة الطريق فقال له أبو محمد البطال هذه اللصوصية بعينها ثم انه قال ولعل الله سبحانه وتعالى أخلف على ولدى مذبحون ثم أنه بعدها قدم الخيل للأمراء فركبوا واعتدوا وتأهبوا فقالت الاميرة ذات الهمة أى طريق نطلب أيها الامير فقال الامير أبو محمد البطال أنا أسير بكم فى طريق نكون ان شاء الله تعالى بعد إحدى عشر يوما فى ملطيه فقالت أى طريق فقال لها طريق الجبل الطويل لأنه أكثر عمران وأمان ونكون فى كل يوم نأخذ منه الزاد ونصير ونقطع البلاد فقال الأمير نسير على توفيق الله ونقطع البلاد فقالت الأميرة سير على بركة الله ثم ساروا وأبو محمد البطال بين أيديهم وهو فرحان بشروه هذا والأميرة ذات الهمة العامرية جعلت تقول وحق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم لو لحقنا ألف وألفين أو مثلهم أضعاف ما سلمنا نفوسنا إليهم (قال الراوى) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عقبة اللعين فانه لما أصبح الصباح من قبل أن يغسل وجهه افتقد الأمراء كلهم فوجد السودان الموكلين بهم مذبوحين وليس للأمراء خبر ولا جلية أثر فلطم على وجهه حتى نزل الدم من مناخيره وصاح وجلبب وحرب وترب وندم على ذلك حيث لاينفعه الندم الذى ما خلا غيلان يقتلهم وقال لاشك أن لهم أجل محتوم ورزق مقسوم وربما يكون السيد يمد المسيح فى عمرهم حتى أنهم يصلبونى كما يزعمون كما أن الله تعالى سلطهم على فى كل وقت يضربونى ويعذبونى ما السيد المسيح بعد هذا إلا مسلم ثم أنه أقبل على غيلان الشوك وقال الرأى فى قتلهم هم الأول كان معك ولكن

أنا الذى منعتك عن قتلهم بفضولى والرأى عندى أننا نتبعهم ولا ندعهم يفوتونا (قال الراوى) فقال له غيلان أنا أسير معك وحدى فقال دع عنك هذا الكلام ولا يغرنك أخذ الأميرة ذات الهمة تحت الظلام وأنا أعلم أنهم ما خلصوا إلا وهم فى جماعة وهى هذه النوبة ما هى من أبو محمد البطال اللص المحتال لانى ما تركت معه منقب ولا مبرد وقد كان مكتف اليدين ومقيد الرجلين وكذلك الاميره ذات الهمة العامرية وصيغم ولد الامير عبد الوهاب وما أقول إلا أن بعض السودان غدر بنا فاعتقاد أصحابك يبين لك وصدق قولى فعند ذلك افتقد الشوك فوجد العبد دينار فقد هو وجواده وعدته وجلاده وقد أتاه بعض غلمانه وقال له يامولاى اعلم أن الخيل المنسوبة للطعان التى هى لك سرقت الليلة ومعها آلة الحرب والسلاح (قال الراوى) فلما سمع غيلان الشوك ذلك الكلام فقامت عليه القيامة وزاغت فى أم رأسه عيناه وهمز كما يهمز الاسد الغضبان وصاح فى السودان وقد انتخب منهم ألف فارس من السودان الفتيان وهم أبطال شجعان وقال للباقى لا ترحلوا من مكانكم حتى أعود إليكم فقالوا له سمعا وطاعة ثم أنه سار وعقبه ركب على جواده وكل واحد منهم معه الفرس والجنيب ثم أنهم ساروا وما زالوا مجدين فى مسيرهم إلى أن وصلوا إلى دير سمعان وسألوا من فيه عن الامراء الاعيان فقالوا لهم اعلموا أنه مر بنا خمس فوارس وطلبوا منا قربة من الماء فأعطيناهم الماء والزاد فأخذوه ولاشك أنكم تلحقوا بهم غير بعيد فعند ذلك فرح بهم عقبة وقال أنا علمت أنهم ما يمضو إلا فى هذا الطريق لكثرة عمرانها وماؤها قال عقبة سيروا بنا على أثرهم فهذه النوبة تكون سيبا لانقطاع عمرهم فعندها سار غيلان الشوك وترا كضت خلفه السودان وما زالوا سائرين إلى آخر النهار فما وقعوا لهم على آثار فقال غيلان الشوك لاشك أنهم يكونوا عرجوا على جادة الطريق فقال عقبة الخنزير ما لهم طريق إلا من هنا ولا بد لهم من دير الفوارة وهو فى ضم هذا الجبل الطويل وهذا الذى هو دير الفواره على قلعة لا ترام وهى قلعة شاهقة فى العلو وفيه ثلثمائة راهب وراهبة وهم كانهم الاقمار (قال الراوى) فجد عقبة وغيلان الشوك فى المسير والخيل خلفهم تتجارى وهم طالبين ذلك الدير ويوعدون نفوسهم من الوصول بنيل المأمول وبلوغ المحصول وكانوا أهل ذلك الدير معتدين بالعدد والسيوف والنبال والورد ويقولون كل من يحتمل ذنباً عظيما ويرى أنه يتطهر يأتى إلى عندنا فى ديرنا ويخلع ثيابه ويغسل فى تلك الفواره التى هى فى تلك الدير فانه يطهر من سائر ذنوبه ويخرج منها كيوم ولدته أمه (قال الراوى) فهذا جرى لهولاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانهم أصبحوا قريبين من هذا الدير والأميرة ذات الهمة أم المجاهدين

تحثهم على المسير وتقول لهم اعلموا أن من تعب فى الدنيا قليلا نال فى الآخرة ثواباً جزيلا فقال البطال هذا هو الصحيح والقول الرجيح ولكن الله يا أميرة أننا نخاف أن أن يلحقنا عقبة وغيلان ومتنصرة السودان وما لنا مكان نتحصن فيه منهم إلا هذا الدير ثم حدثهم أبو محمد بحديث الدير السفلى والفوقانى وقال مالنا عبور إلا من ههنا إذا فتحوا هذا الباب فقالت الأميرة يا أبو محمد كيف سرت بنا على هذا الطريق وفيه التعويق فقال أنا طلبت بكم أقرب الطرق وعلمت أن هذا الطريق الضيق يلقانا وعلمت أن هذا الباب لا يفتح لنا حتى يطيح الديوان وينظر إلى كل مكان ونحن نقيم حتى يفتح الباب ونعبر فى طريقنا وأنا أكلمهم بكلام لا يتعرضون بنا وان تكلم الراهب الموكل بهم قتلناه وعبرنا ومن لحقنا منهم فانما يكون قد ساقه إلينا أجله وانقطع أمله وختم بالنحس أجله فقالت الأميرة مبارك ثم سارت ونزلوا عند الصباح وصلوا الفجر وتركوا خيلهم تستريح وإذا قد أشرف عليهم راهب من الدير الفوقانى وقال من أنتم ومن أين أقبلتم فقال له أبو محمد البطال نحن من أصحاب الملك الفالوغص وقد أرسلنا فى طلب حاجة فقال الراهب المسيح يحفظ الملك الفالوغص فقد كنا سمعنا أن المسلمين جرحوه فى هذه النوبة جرحاً شديدا فكيف حاله فقال له أبو محمد قد عافاه المسيح ونحن من أمورنا على عجل افتحوا لنا الباب كى ما ننصرف فى شغلنا فقال الراهب سمعاً وطاعة ولكن أريد أن أسألك عن شيء قبل فتح الباب اعلمونا به وإلا تركنا ديرنا مغلوقاً ولا نبالى بأهل هذه الأرض فقال البطال ما هو سؤالك فقال يا أخى أرى فى صدر الجبل عساكر كثيرة وكلهم معدون وهم من سيرهم على عجل وخيلهم قد انتشرت طالبين أو هاربين فهل تعلمون من هم فالتفت البطال وقال للأميرة أنا أعلم أن غيلان قد دله عقبه على الطريق ونخاف أن يدركنا قبل فتح الباب لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أن البطال التفت إلى الراهب وقال له أيها العبد الصالح افتح لنا الباب حتى نحدثك بهذه الأسباب فنحن خواص الملك الفالوغص الذى تأتى إليكم صدقاته وتعمكم بركاته وقد نذر لكم هذه النوبة بخمسين ألف دينار ومائة جارية يتركهم فى الدير للعبادة وخمسمائة حمل شراب وعشرة آلاف رأس غنم ومائة خنزير وكل هذا نذر لأجل سلامته من هذا الجرح الذى أصابه فى هذه الغزاة وبعد يومين أو ثلاثة وإذا بالصياح قد علا إلى عنان السماء بحس السودان فقال أبو محمد البطال يا أبونا أنظر إليهم وقل لهم ما شأنكم ومن أنتم فاذا قالوا نحن من أصحاب الفالوغص نطلب قوماً صفتهم كذا وكذا هل عبروا لكم قل لهم نعم وصلوا إلينا وقد أهلكهم الجوع والعطش وقد مات منهم اثنان أسودان والثلاثة الآخرون فى الغشوة وهم عندنا وقد زعموا

أنهم من أصحاب الملك الفالوغص ونريد يصعد واحد منكم إلينا لعله يعرفنا بهم فقالت الأميرة ماهذا يا أبو محمد فقال لها أنا أعلم أن عقبه فضولى ما يتخلف عنا وربما طلع إلينا هو وغيلان وأنا وهذا العليم لعقبة وأنتم لغيلان ثم التفت إلى الراهب وقال له يا أخى افعل ما قلت لك حتى تعود المنفعة عليك فقال الراهب ايش مقصودك قال مقصودى حتى يطلع ملك السودان والشيخ المقدم على كل مطران الشيخ النجيح فيأ كلون من هذا هذا الطعام والشراب ويمنعون بقية السودان من الصعود وإلا ما يقيمون بهم ساعة واحدة (قال) فلما سمع الراهب هذا الكلام رآه صواب ونزل إلى الباب وصاح مابالكم أيها القادمون ولماذا أنتم طالبون فتقدم إليه عقبه وقال يا راهب أنا الشيخ النجيح جوارى الزمان وهذا مقدم السودان وقد أتينا خلف قوم إلى هذا المكان فهل عندك خبر أو عبر إليك بسر فقال الراهب أى وحق المسيح عبر علينا قوم هالكون من الجوع والعطش وقد مات منهم إثنان اسودان فقال عقبة الإثنان دينار وضيغم فقال الراهب والباقون على الهلاك فقال عقبة هى ذات الهمه والبطال والغليم شروه والديلمى فقال الراهب فيهم واحد أشقر أزرق العينين قصير لكنه مغشى عليه لايعقل على نفسه وكذلك رفقته فقال عقبة ماتوا وحق المسيح ولا بد ما أصعد إليهم وأنزل بهم وأحرقهم بالنار فقال غيلان وأنا أصعد معك لا يكون فى الدير من يودعك فقال عقبة ما أحوجك إلى التعب وما يطلع إليهم إلا أنا وحدى فقال غيلان إن الأمر كما ذكرت فاصعد إليهم فى حفظ المسيح ودعته فعندها صعد عقبة وطلع إلى أعلى الدير فما صار فى أعلاه إلا والبلاء قد أتاه ونظر إلى ما فعلوه (قال الراوى) وتولى أبو محمد عذاب الملعون عقبة وجعل يضربه حتى غاب عن الوجود فقال ويلك يا أبا محمد استعمل الرفق والا اقتلنى حتى أستريح فقال والله يا ملعون لارحمتك بالقتل ولا تزال تحت العذاب حتى تصعد إلى أعلى هذا الدير وتصيح بغيلان الشوك وتأمره أن يرحل إلى القسطنطونية وإذا سألك عن حالك فقل أنا أبيت عن لحاق شياطين المسلمين وأريد أقيم ها هنا ثلاثة أيام وأغتسل من الفوارة وأسأل المسيح أن ينصر الملك الفالوغص على المسلمين ويمن عليه بالعافية حتى يكون عماد الدين (قال) فلما سمع عقبة ذلك أجابه إليه وقد أيقن بالهلاك وصعد إلى أعلى الدير والأمير أبو محمد يرقب إليه وينظره بعينه حتى ينفلت ويلعب بعقول الرهبان ويأمرهم بالقتال وأن الملعون لما صار فى أعلى الدير أشرف على الوادى وقال فى نفسه أنا ناديت السودان ورحلتهم من هذا المكان بقيت رهينة فى أيد الأعادى وسقونى شراب الردى إلا أنهم ملكوا الدير وأنا أعلم أنهم يشتفون منى ويعدمونى الحياة ومالى إلا أن

أرمى روحى ودعنى أموت بيدى ولا يتحكم أعدائى فى جسدى ثم أنه زج نفسه الملعون إلى أسفل الوادى وقد أيقن بالهلاك وأيس من الحياة فلما نظر أبو محمد إلى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أهلك الملعون نفسه وما بلغنا منه غرض من صلبه وما بنا إلا يقولوا الناس كذبوا نبيهم ولعلنا إذا دخلوا السودان نأخذ رأسه وعظامه ونعلقها على باب الذهب حتى يصدق قول النبى المنتخب ثم عاد إلى الأميرة ذات الهمة وضيغم وأعلمهم بما جرى فعجبوا من ذلك وقاموا يشرفون على عقبة وإذا به قائم فى وسط الوادى على رجليه كأنه شيطان ينادى يا أهل الدير السفلانى ويلكم أنا الشيخ النجيح وحجة المسيح أنا الآية الكبرى افتحوا لى باب الوادى واقبلوا نصيحتى فقد نزل عليكم أبو محمد البطال العيار المحتال صاحب المكر والمحال شيطان المسلمين والأبطال القائلين الكلمة عندهم الثقيلة التى تجعل قلوب النصرانية علالة وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله (قال الراوى) فلما سمعوا الرهبان الذين فى الدير التحتانى ذلك خرجوا إليه وانطرحوا عليه يقبلون يديه ورجليه ثم سألوه عن القصة فأخبرهم بما جرى عليه من أهل الإيمان وكيف قتلوا ثلاثة من الرهبان فلما سمعوا ذلك نالهم منال عظيم وتبادروا إلى الدروب وفتحوه وعادوا السودان فدخلوا فيه وكانوا قد نظروا إلى عقبة وهو طائر فى الهوى وقد أرمى بنفسه الى البلاء فوقع فيهم البكاء ورفعوا أيديهم له بالدعاء ولما دخلوا ورأوه سالم صاحوا بأجمعهم عيسى ومريم هذا هو الدين الصحيح ولا شك أن هذا آية من المسيح وقد ظهرت فى هذا الشيخ النجيح فمن أراد التقرب إلى ربه فقد وضح له الطريق إلى الدين العتيق ثم جعلوا ينطرحوا على يديه ورجليه وقد أبصروا منه آية عظامة (قال الراوى) وكان السبب فى سلامة الملعون أن الله تعالى أخره إلى الوقت المعلوم والأجل المحتوم والرزق المقسوم لكى يصدق فيه قول رسول الله الحى القيوم وأنه لما أرمى نفسه من الدير كان المكان مرتفع كما ذكرنا والهوى شديد عاصف فدخل الهوى فى ثيابه ولعب فيها حتى تطيبت وهو الملعون فى نفسه نحيف وخفيف كانه الشن البالى فصار فى الهوى يدور وينزل كأنه قلع من البحر ولم يزل كذلك إلى أن وقع به فى وسط الوادى سالما كانه كان على كف انسان ولما رأى الملعون روحه قائما من غير ألم ازداد الملعون طغيان وقال لولا ان يكن لى عند المسيح كرامة عظيمه ما فعل بى هذه الفعال ومن شدة فرحه بهذه القصة ذهب عنه ألم الضرب وفرح بالحياة والسلامة وقال ما قال ودخل إلى الرجال وحصل فى وسط الدير السفلانى وقرأ الانجيل وجعل يبكى ويقول ما أستاهل من المسيح أن يفعل معى هذه الكرامة التى ما وصل إليها الحواريون ولا بلغها أحد من أرواح

الأشباح المقدمين وذلك لأننى إذا ما كنت وقعت فى شدة أقول ما المسيح الا مسلم والا ما كان يفعل هذا وينصر أعدائى وما علمت أنه نعل بى هذا حتى أعطانى هذه المنزلة والكرامة المبجلة ثم جعل يبكى وأما الرهبان والسودان فانهم جعلوا يقبلون يديه ورجليه ويقولون له أذكرنا عند المسيح فقد صح عندنا أن ما على وجــه الأرض شيخ أكرم منك عليه ولا أعلى منزلة عنده (قال الراوى) وإن عقبه جمع الكل إلى بين يديه وجعل يحدثهم بما تم عليه فى الدير الفوقانى وقال شياطين المسلمين قد ملكوه وأنا أعلم أنكم ما تصلون إليه بعد القتال الشديد والمانعة وأريد الساعة أكتب كتاب إلى القسطنطونية وإلى سائر الملوك والأقاليم وآمر أهلها أن يأتوا إلى هاهنا وينظروا إلى ما أكرمنى به المسيح وأسير بهم وأمرهم أن يأخذوا هؤلاء الشياطين يصلبونهم حتى لا يعود واحد منهم يتجرأ على مثل هذا الأمر (قال) فلما سمعوا الرهبان ذلك قالوا افعل ما تريد فعندها كتب الملعون كتاب وكتب نسخته إلى سائر الملوك كتب عدة وأخذ شهادة الرهبان وأرسلها على أجنحة الطيور لسائر الأقاليم والبلدان وفيها قصته كما جرت ويحثهم على المجىء ويقول لهم قد قال المسيح من لم يجىء أنزلت عليه الهلاك وحشرته مع المسلمين بعد الممات ولما أن وصلت الكتب إلى سائر الأقاليم عجبوا من ذلك وتحيروا من كلام عقبه ووقع فيهم النفير وكان الملك الفالوغص قد وجــد الراحة من تلك الضربة والجراح وركب فى القسطنطونية والبوقات تنفر بين يديه وقد زينوا البلد فرحا بسلامته لأنهم ما ملكهم مثله وفى تلك الأيام وصلت إليه الكتب من عقبه وفيها شهادات الرهبان بما جرى له والسودان والإفرنج فقال الملك وحق المسيح لأقسمن لغيلان الشوك بمملكتى ثم صاح فى كتابه ومواكبه يطلب الفرجة على صلب الأمراء المجاهدين والروم يفرحون بما قد ظهر من عقبه لأنهم سمعوا بأن المسيح قد أخذ بيده من أعلا الدير وطرحه فى وسط الوادى وشهدوا له الرهبان بذلك وأنه يبكى الليل والنهار شوقاً إليه لأنه من وقت رآه ما طاب له عيش وقد نزلت الأنوار على وجهه وخصومه فى أعلى الدير وعندهم كلما يحتاجون إليه وقد مسك عليهم سائر الطرقات وقد أمركم المسيح على لسانه لا تتخلفوا وأى من تأخر فقد برأ من دين النصرانية وصاروا مثل الحنيفية وكانوا الروم كلما سمعوا ذلك صلبوا على وجوههم وقالوا هــذا الشيــخ لو سافرنا إليه عشر سنين ما كان كثير وقال الملك الفالوغص لولا أن الشيــخ النجيــح عند المسيح بمنزلة عظيمة ما أعطى هذه الكرامة التى ما نالها أسود ولا أبيض وجدوا إليه فى الرحيل حتى تستحل منه ثم تقاتل بين يديه وكان قد جرى بينه وبينه كلام طويل وما عرفت أنه من المسيح بهذه المنزلة والتبجيل

وأنا أعلم أنه اليوم يضع يده على الجرح يبرأ وعلى المريض يهدى (يا سادة) وبلغ سائر الملوك أن الملك الفالوغص قد سار بنفسه إلى خدمة عقبه فأتت جميع البطارقة والرهبان والمطارنة والبتاركة والقساقسة ولم يتخلف صغير ولا كبير وطلبوا دير الغواره وأبو محمد براهم كلهم يصلون وفى الوادى ينزلون وكل الملوك تترجل إذا رأت عقبة وتقبل يديه وتسأله عن القصة فيقول المسيح قد نزل معى وقبض بيدى وطرحنى على الأرض وقال لا تخف ولا تفزع قلنا معك سيرة جميلة وأنت تكون قائد الملة المسيحية وأهلها إلى باب الجنة ومن رضيت عنه رضينا عنه ومن غضبت عليه غضبنا عليه (قال الراوى) وكانوا الملوك إذا سمعوا ذلك منه يطلبون الرضا حتى صار على وجه الارض أمم لا تحصى ولا تعد بعدد الرمل والحصى وحملوا عقبه على الايدى ولا يبقى بترك ولا شماس إلا وضع رأسه بين يديه ويقول له ارحمنا يا صفوة المسيح من عباده هالكون وهو يقول قد رحمتكم وسألت المسيح من أجلكم قال وصار لعقبة عندهم منزلة عظيمة بهذا الامر ووصل أيضاً الملك الفالوغص وأتى بنفسه إلى زيارة عقبه وكشف رأسه بين يديه وقال لغيلان الشوك أنت شريكى فى ملكى وصاحب نهى وأمر وقد بقى لنا تعويق هذا الدير الذى فيه هؤلاء الشياطين والمكان كما نراه حصين ولا تقدر عليه ولا يؤخذ إلا بالحصار الطويل وهذه العالم التى قد اجتمعت فما يمكنها المقام ههنا لاجل قلة الماء وضيق المكان فقال غيلان الشوك أيها الملك الرفيع الشأن أعطنى اقطاعا لهؤلاء السودان هذا الدير وهذه الضياع التى فى الصحراء ولا تعرف فتح المكان إلا منى وأخذ المسلمين فى سبعة أيام فقال له السمع والطاعة وحق المسيح لو طلبت منى بلد القسطنطونية ما منعتك إياهم ثم كتب له توقيعاً يقول فى أوله كلمة كفرهم وبعدها هذا كتاب كتبه الملك الفالوغص لملك السودان باقطاع الجبل الطويل وما فى لحقه من القرى والاودية والاديرة وما خلفها وما بين يديه مسيرة عشرة أيام ثم حسبوا له الكل وكانوا سبعة آلاف قرية وسبعون دير وله من المنافع الاديرة أكثر من القرى لانها تفعل شيئاً كثير وفرح غيلان بذلك فرحا شديداً ثم قال للسودان ويلكم هذه الاديرة الذى إذا كنا فى إحداهم حمانا من كل من على وجه الارض وكنا على خير كثير سوا ما يصل إلينا من الملك الفالوغص من الخلع والدنانير فقالوا السودان هذا كله بسعادتك وعلو مجدك أيها الأمير فعندها قسم القرى وفرق فيها العمال وترك على كل قرية واحد من السودان حتى يعرفوا أهلها انه صاحبها ويحملون اليه مايجب عليهم ثم أقبل غيلان على أصحابه وقال لهم اعتدوا بالسيوف واطلبوا الدير لعلى نفتحه ببركة الشيخ النجيح (قال) فهنالك ضجت

السودان مثل السباع وقد فرحوا بذلك العطاء والاقطاع وتعلقوا فى الجبل وطلعوا فيه طلوع الحجل وغيلان فى أوائلهم يقول أريد أفتح الدير فى دون السبعة أيام الذى قد ألزمت نفسى لأنه مافيه ممانع ولامدافع والحصون والأديرة وكل من فيها من الرهبان هم معنا وعونا لنا وليس قدامنا أكثر من أربع خصوم وكم جهد ما يمانعونا ويدافعونا وإذا قاتلونا من مكان تسلقنا من الجانب الآخر وأوقعنا بهم الهوان (قال الراوى) وكان هذا الدير مبنى بالصخر على قرن جبل لا يرام ولا يقدر عليه أحد من الأنام (ياسادة) وكان هذا غيلان قد سرق فى أرض الحجاز واليمن من الأموال مالا عليه احصاء (قال الراوى) وقد بلغنى عن هذا الأسود أنه من حسن صنعته فى طول القلاع لأنه كان يجعل رأسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهذا غاية العجب وأنه لما صاح فى السودان وطلع بهم الى الدير فقالوا له وحياة الشيخ الطيار لو أردت منا أكل الجبل أكلناه فقال خفوا على بركة المسيح وبركة الشيخ النجيح الطيار فوقع بالمسلمين البوار فعند ذلك صعدوا كما ذكرنا وتسلقوا كما وصفنا ونظر إلى ذلك الأمير أبو محمد البطال فنادى فى الأمراء خذوا أهبتكم فالقوم قد طلعوا فى طلبنا ولا نأمن كيد هؤلاء الرهبان الذين عندنا فشدوهم كتاف ومن أتى من القوم ألقوه إلى التلاف فقالت الأميرة هذا هو الصواب ثم أنهم دعوا بهم وأعلموهم بما جرى وقالوا من لم يدير اليوم يديه فعلمنا به كما فعل الشيخ النجيح بروحه لأنه أرمى روحه وحمله الهوى فسلم من البلوى وجرى علينا ما جرى ونحن ما نرمى واحد منكم فقالوا لهم الرهبان ياقوم ما تحتاجون إلى هذا كله نحن كما تريدون وحق المسيح ما نشتهى نحن السودان أن يملكون هذا المكان لأنه معروف بالرهبان فلما سمع أبو محمد البطال ذلك عرف صحة قولهم وشد الثياب منهم ثم صعدهو والأمراء على الأبراج الذى قد زحفوا إليها السودان وصاحوا بتكبير الواحد المنان ورموا بالأحجار فهشموا منهما الوجوه والأبدان وأحموا نفوسهم ذلك اليوم من كل الآفات ومأأمسى المساء حتى قتلوا ثلاثين اسود ورجعوا الباقين عنهم خاسرين وعاد الأمراء مسرورين رابحين ولما أصبح الصباح عادت السودان طالبة الدير وزحفت إليه وقاتلت الأمراء قتال من قد ظن أنه هالك ولم يزالوا كذلك حتى أمسى المساء وعادوا وقد قتل منهم جماعة كثيرة وفى اليوم الثالث بان فى السودان النقص واشتد ذلك على الروم واستدعى بغيلان وقال له اعلم أن الموضع حصين ورفيع منيع ومع ذلك فهو ضيق حرج وإذا وقع الحجر ما يخطى وهذا كله خسارة فدع القوم حتى نطاولهم بالحصار وإلا فما نقدر عليهم فقال غيلان أيها الملك لا تضيق صدرك فأنا الليلة أريك العجب بعون المسيح ثم صبر الملعون

إلى أن انسدل الظلام وأخذ معه مائة من السودان الموصوفون بالشجاعة والقوة والبراعة وأمرهم أن يأخذوا معهم الأحبال وسار بهم إلى أن وصل الدير وأتى إلى سن خارج كان قد رآه من النهار فترك رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى فوق وأخذ طرف الحبل فى فمه وصعد مثل صعود النموس حتى صار بأعلى الدير وربط الحبل وهزه فعلموا أصحابه أنه قد أوثقه فصعد آخر مثل البرق وصار عنده وتبعهما الثالث وجعلوا يسبقون أصحابهم حتى صاروا الكل فى الدير وفى أيديهم السيوف المشهورة فقال غيلان دونكم الآن والأعداء ولا تبقوا منهم على أحد (قال الراوى) فهذا جرى من أمر السودان (وأما ما كان) من حديث الأمراء المجاهدين فانهم كان لهم حديث لو كتب بما الذهب على آماق البصر لكان قليل وذلك أن الأميرة ذات الهمة كانت كل ليلة لاتنام حتى تقرأ وردها وأنها لما صلت ما عليها تلك الليلة فقرأت فى أول ركعة بسورة الكهف والثانية بسورة مريم ثم جلست تتشهد وإذا قد دخل عليها راهبة من رهبان الدير وهى تبكى فلما رأتها الأميرة سألتها عن حالها فجعلت تمرغ خديها ووجهها على قدميها وتقول ياسيدتى هذا الكلام الذى كنتى تتكلمين به فى صلاتك من قاله فقالت هذا كلام الله أنزله على نبيه وجعله هداية للأمم فقالت الراهبة والله ياستاه أننى من حيث سمعته منكى قد تقلقلت جميع جوارحى فكيف السبيل إلى الدخول فى دينكم والعبادة لصاحب هذا الكلام فانى منذ فهمته وعرفته قد كرهت ههنا المقام لأنى بنت ملك الانجار وما ترهبت وانقطعت فى هذا الدير الا خوفا من عذاب الآخرة وقمت بين هؤلاء الرهبان وأنا أظن أننى فى عبادة والآن فقد هدانى الله تعالى وعرفنى حقيقة الدين وختم لى بالسعادة وأريد أدبر فى خلاصكم من هذا المكان وأسير إلى بلاد أهل الايمان فقالت الأميرة وقد سر قلبها ابشرى ياجارية فان الله تعالى قد كفر عنكى مامضى ونجاكى من الضلال والردى فبكت الجارية وقالت سبحان من هذا وعده وكلامه وهو الذى أنعم على بأنعامه فوافقونى الآن على النزول فى هذا السرداب فقال الأمير أبو محمد البطال وقد طار فؤاده فكيف ذلك ياجارية فقالت لأن الراهب أخبرنى أن السرداب ينزل إلى الدير السفلانى ومنه كان ينزل إلى الجارية ويعود يصعد وأنا فقد أخذتنى الشفقة عليكم لأن العدو من حولكم كثير والحجارة التى كانت تعينكم على القتال قد فرغت ولو طلبتم اليوم حجر بدينار لما قدر تم عليه وأنا أعلم أن الروم يعملون السلالم ويطلعون اليكم السودان فتهلكوا فى هذا المكان فاقبلوا منى وقوموا بنا حتى ننزل من هذا الموضع الذى قد ذكرته لكم إلى الدير السفلانى وأنا أخرج بكم من الدير فى باقى الليل إلى أسفل الوادى ونختلط بهذه الأمم التى قد اجتمعت من

حولكم لعلنا نصبح من وراء العساكر ونخرج من المضيق وقد ذهب عنا التعويق فقال أبو محمد وأنا آتيكم بالخيل من أطراف عساكر الروم (قال الراوى) فهنالك وثبت الجارية وقالت إذا كان الأمر على ما ذكرت فشدوا قبل كل شىء الراهب الذى يجبى كتافا واعملوا فى فمه أكره فقال أبو محمد وايش يلزمنا من هذا فقالت حتى لا يفتقدكم ويفتقدنى فلا يرى منا أحد فيعلم أننا قد نزلنا من هذا الموضع بعينه فيصيح بأهل الدير السفلانى فيمسك عنا باب المضيق فقال أبو محمد صدقتى جزاك الله خيرا فقال دينار الأسود وأنا أخرج أكتف الراهب وأعود ثم خرج من عندهم ونادى برفيع من صوته بالراهب فجاوبه حتى كانه كان فى انتظاره وقال ما حاجتك هل لكم من حاجة فقال ماهو الأخير تعال حتى نسألك عن أمر قد خطر لنا (قال الراوى) فلما سمع الراهب ذلك فأتى إليه فما هو إلا إن قاربه حتى ضربه دينار بسيفه البتار وإذا برأسه قد طار وعاد إلى الأمراء فقالت الجارية ايش قد عملت ياأخى فقال الذى أمرتينى به بارك الله فيكى فلما سمعت ذلك سارت بين أيديهم إلى المكان الذى وصفته وإذا فى وسطه باب من الرخام فيه أربع حلق صغار فقالت لهم اقلعوا هذا الباب فقلعوه وإذا بسلم من حجر منقور فى الجبل وكان واسع وسرداب نازل ففرحت الأميرة وأصحابها بذلك ونزلوا وقد أعطتهم الجارية كل واحد شمعة فى يده ليبصروا كيف ينزلوا ولما صاروا فى ثلث السرداب صاحت الأميرة انزلى انزلى خلفنا فقالت نزلت غير أنى قليلة الخبرة بهذا الدرج والمكان وأنا امرأة على كل حال وما نزلت هاهنا قط وعندى ياأميرة عصابة جوهر بقطع الياقوت الأحمر تسوى ملك بنى الأصفر وأريد تمهلين حتى آتى بها تكون معى فربما احتجت أو أصابنى نائبة من نوائب الزمان ثم عادت إلى رأس السرداب وبقيت الأميرة فى انتظارها وإذا بعشرين راهب وفى أيديهم العمد والسيوف والحراب وأطبقوا الطابق وجلسوا من فوقه واقفلوا عليه قفل وزنه خمسة أرطال ومضوا إلى الراهب الذى قتله دينار فحملوه وفى بعض النواريس دفنوه (قال الراوى) وكان هذا الراهب الذى قتله العبد دينار قد دبر هذه الحيلة على الأمراء إلا أنه وقع بعمله وخرج دينار ليكتفه. فقتله لأنه قال للرهبان اعلموا أن هذه عساكر الأرض قد اجتمعت من حولنا وقد صاروا هؤلاء الشياطين معنا وقد تغلبوا علينا لأنهم يعدوا بألوف وما لنا بهم طاقة فى الحرب ولا نقدر على الوقوف بين أيديهم وما لنا إلا أن ندبر على هلاكهم بالحيلة وإلا كانت قصتنا معهم طويله وإذا نحن أهلكناهم بالحيلة وإلى الملك سلمناهم هو يكون سبب صلحنا معه ويبقى ديرنا علينا ثم دعا بتلك الرهبان التى وصفناها ودبر مع الراهبة ماقد ذكرناه فقال إذا رأيتموهم وقد هموا بالنزول فانفذى

إلى من يكتفنى حتى يكون أوكد للقصة ففعلت الجارية ذلك ولكنه عارضه فى الطريق عارض نحس فقطع رأسه وكان الراهب قدكن الرهبان بالسيوف واعلمهم بما يفعلون (قال) فصبروا حتى نزلوا الأمراء وأطبقوا عليهم الباب كما ذكرنا ونزلوا هؤلاء والشمع فى أيديهم فما وجدوا شيئا إلا مكان منقور فى الصخر وكان يتبرد فيه أيام الصيف فقالوا لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال دينار ياقوم لايصعب عليكم فوالله مانجد قبرا أحسن من هذا ولا أطيب ولا أفسح يسترنا عن عيون الأعداء فقال أبو محمد البطال دعونا من هذا والله ما كنا إلا ملكنا الدير وقد وقعنا بحيلة امرأة يخلص عقبه وينزل من هذا المكان سالم ونقع نحن فى هذا الموضع ولكن إذا أراد الله أمرا بلغه وإذا أحب عبدا ابتلاه حتى يسمع دعاه فانظروا إلى قصة هؤلاء القوم كلما وقعوا فى أمر وخلصوا وقعوا فى آخر ثم خلصوا لأجل جهادهم عن الدين ومحاماتهم عن قبر محمد خاتم النبيين (قال الراوى) هذا جرى وأبو محمد ماأيس من الفرج بل قال ياقوم اصعدوا بنا لعل نجد إلى فتح الباب سبيل فصعدوا وذات الهمة فى أوائلهم وإذا بالصخرة معلقة بأربعة اقفال ومافيها حيلة المحتال فعادوا مكانهم واستسلموا للقضاء وأخذوا بالقبول والرضا فهذا جرى (وأما الرهبان) فقالوا ما نفتح عليهم إلا بعد ثلاثة أيام ونسلمهم إلى الملك يصلبهم على الدير ويحلف لنا انه لايعطى ديرنا لغيرنا من السودان وقد صاروا معهم فى المكان كما ذكرنا والسيوف فى أيديهم مشهرة كما وصفنا قال فتعجبوا الرهبان من ذلك وقالوا من أين طلعتم فقالوا من مكان نعرفه فأين شياطين المسلمين فقالوا وحق المسيح مانخبركم حتى تقولوا لنا من أين صعدتم الينا فقال غيلان تسلقنا بصنعة نعرفها وبعضنا سحبناه بالحبال فاعلمونا أين أعداءنا فقالوا وحق المسيح ما نعلم أين مضوا ولاعندنا منهم خبر لانهم قتلوا مقدمنا وهربوا ولاشك أنهم من موضع قد طلعتم نزلوا وماعندنا غير هذا (قال) فلما سمع غيلان ذلك قامت عيناه فى أم رأسه وابيضت شفتاه وأمر أصحابه فاوقدوا الشمع وجعلوا يفتشوا وينادوا عيسى ومريم فسمع عقبه صياحهم من العسكر فقال وهذه معجزة أخرى وقد ملكوا الدير وما هو إلا قد نظر إلى دين النصرانية بعين الرحمة والرضا وأنا أعلم أن غيلان وأصحابه ماأوقدوا الشمع إلا وقد ملكوا المكان والأعداء جميعهم قدصاروا أسارى فى أيديهم فان كانوا قد قاتلوهم فهذا الصياح عليهم فلا بد أن يقتلون بعضهم بعض ثم بقى الملعون يترقب الصياح والمكان وقال الملك قم بنا حتى نطلع نشتفى من الأعداء فقد وقعوا فى قبضة الرداء فعندها ركب الملك وقد قدمت له محفة ليصعد فيها لأجل أنه فيه بعض آثار المرض من الجراح ودارت عليهم القسوس والرهبان والشمامسة والمطارنه

ولم يزالوا سائرين حتى صاروا فى الدين واغتسلوا من ماء الفواره قبل كل شيء وجعل عقبة ينظر إلى ذلك المكان الذى أرمى روحه منه ويقول هذه آية من المسيح وما أظن أننى سلمت الا ببركة هذه الفواره ثم جعل يقلب عليه مائها ويغط رأسها فى جريانها وبعد ذلك استدعى بغيلان وقال له لاضيع المسيح أعمالك وبلغك غاية آمالك أين القوم وأين البطال حتى يرى كيف تسلقت ويقر لك بالصوصية وأين العبد دينار حتى نشتفى منه ومن صبيه مرزوق وأنزل عليهم عذاب ما نزل قبلهم على مخلوق واخبرنى من قتل منهم ومن سلم فقال غيلان وحق المسيح ماعندى منهم خبر ومن حين طلعت إلى ساعتى هذه وانا أفتش عليهم ما وقعت بهم والرهبان قد قالوا قتلوا مقدمهم وهربوا وتركوه وما أقول إلا أنهم فتحوا الباب ونزلوا فى الليل وساروا إلى بلادهم فقال عقبة وحق المسيح والجاتليق مالهم إلى بلادهم طريق وقد أقمنــــا أيضا ألف فارس على كل طريق ومضيق وما خلصهم المسيح إلا حتى أبلغ منهم غرضى فليتنى لم أرميت روحى من الدير، وطار رأسى فى الوقعة وبقيت قطعا قطعا ولا كانوا خلصوا من هذه الوقعة والبقعه ثم ان الملعون أقبل على أهل الدير وقال لهم ويلكم فتشوا أنتم ديركم لعل تقعوا بهم فمالهم مكان يهربوا منه أبدا فقالوا الرهبان أيها الشيخ الطيار وحق المسيح وحق كل من شد الزنار ماتركنا فى الدير لأجلهم بقعة حتى اننا فتشناها فما رأينا أحدا ولا رأينا لا أبيض ولا أسود وما يعلم بهم أحد إلا المسيح فجعل عقبة يأكل كفيه ويعض راحته وقد أيس منهم الملك الفالوغص وأقبل على عقبة وقال أيها الشيخ النجيح أعلم أن هذا الأمر قد طال وأنا بعد ضعيف من ألم الجراح وأريد الرجوع إلى القسطنطونية وهذه المواضع فقد سلمتها إلى غيلان وأصحابه ولكن نخلى فى هذه الأرض ألف فارس يكونوا نائبين عن أصحابهم وآخذ معى غيلان و باقى السودان فما بقى لى صبر عنهم ولا عن مفارقتهم لأنهم حسام ملكى وسيوف دولتى وكفى بك من طلع إلى هذا الدير وصار فى أعلاه مثل الطير ونزل من هذا الارتفاع كما أراد وبلغنا بفعاله المراد (قال الراوى) فلما سمعوا الرهبان ذلك قالوا أيها الملك أوهب لنا هذا الدير فهو معروف بالرهبان ولا تسلمه إلى السودان فبهذا يغضب عليك المسيح وأنت لك من الحصون والقلاع شيء كثير فأعطيهم عوضه واربح الثواب العظيم فقال الملك معلوم انى قد كتبت لهم خطى ولا أقدر أن أفعل غير ذلك حتى لاتعايرنى الملوك فقالوا لاتمل أيها الملك ومن علينا به حتى نسلم إليكم أعداكم المسلمين (قال) فلما سمع الملك ذلك طار عقله فرحا وقال وهبتكم ديركم وكل ما حوله من القرى والقلاع وأكتب بذلك منشور فقالوا ماتطيب قلوبنا الآن حتى يقتلونا هؤلاء السودان الذين هم أصحاب القلاع والاقطاع فعندها قال الملك لغيلان ياسيف النصرانيه

وعماد دين ماء المعموديه أنعم لهم بهذا الدير وأنا أعطيكم عوضه قلعة الثريا ووادى الرياض وعشر حصون فى مسيرة شهر كامل وتكونوا قريبا من القسطنطونية حتى لا تغيبوا عنا فقال رجل شيخ من الرهبان ان انتم فعلتم هذا سلمنا اليكم المسلمين الذين هم مقصودكم ذات الهمة والبطال ومن معهم فعندها أقبل عقبة على غيلان وقال له ياحسام الدين وعمده المسيح والحواريين أنعم علينا بهذا الدير وقد أطلق لكم ما هو أفضل من ألف قرية وأنا أقول له يزيدك القلعة السوداء وهى مدينة قريبة من القسطنطونية ودورها سبع فراسخ وحصن لا يرام على البحر ولها مينا ومراكب التجار تقصد اليها من كل جانب وتحمل اليها طوائف التجار من البر والبحر فيكون كرسى ملكك فيها والقلاع والضياع تحمل إليك أموالها ولا تكون تركب إلى الملك إلا أن تكون زائر أو يوم عيد (قال) ياسادة فلما سمع غيلان ذلك من عقبه فرح وقال أنا وكل ما أملكه للملك ولو لم يعطنى شيئا والبلاد بلاده والحكم حكمه وقد رضيت ولو لم يكن فى الأمر إلا أخذ هذا الشيطان أبو محمد البطال ثم أقبل على الرهبان وقال قد أعطيتكم هذا وأنا أعطيكم جميع ماتريدوا إكراما للشيخ الطيار قالوا أكتب لنا بهذا منشور على ألسنتكم كلكم فكتب عقبه كتابا يقول فى أوله كلمة كفرهم ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم كتب هذا الكتاب كتبه الملك الفالوغص ملك ملوك النصرانية وصاحب كرسى ماء المعمودية وملة الأمة المريمية وكذلك ملك السودان حسام الدين المسمى بغيلان ومن معه من الفرسان أصحاب العصر والزمان ملوك بنى حام الضاربون بالحسام المفضلون على سائر الأنام والمخلقون من غياهب الظلام والناصرون دين النصرانية على طول الأيام من إقطاع دير الرهبان وما حوله من القرى والمنافع على طول الزمان وهو وقف على الرهبان المتقدمين والرجال المتصدقين الذين هم فى طول الزمان مقيمين ويشهد بذلك الشيخ النجيح الطيار المخصوص من المسيح بالعبادة والافتخار ثم طوى الكتاب وسلمه اليهم وقالوا هذه الساعة هاتوا مقصودنا ومن قد بلغنا فيه مجهودنا ففرحوا الرهبان بذلك الكتاب وأخذوا الملك وغيلان وعقبه إلى باب السرداب فقال عقبة هذا شىء مايقدر عليه البطال العيار المحتال أبداً رحم المسيح الراهب الذى دبر هذا التدبير فقال غيلان للرهبان افتحوا هذا الطابق حتى ننزل اليهم ولا نصعد إلا برؤسهم فقال عقبة لا ياأمير ماهو صواب أن نفتح الباب ونخاطر مع هؤلاء الكلاب لأنهم قوم قد استقتلوا على كل حال وقد جعلوا هذا المكان لهم قبراً وهم مطاوقين ومعهم عدتهم لاسيا وفيهم هذه العاهرة ذات الهمة التى تبذل نفسهم للسيوف ولا تفزع من الحتوف وكذلك ضيغم ولد عبد الوهاب فى طبقة أبيه أيضاً

وان نزلنا نحن اليهم فى هذا الوقت لابد أن يدافعوا عن أنفسهم حتى يقاتلون ويبذلون المجهود وانا أعلم أنهم مايسلمون أنفسهم حتى يقاتلون ويفنون من السودان جماعة إلى ما ننال المقصود وما يسوى كل من فى الإسلام واحد من هؤلاء السودان لاسيما وقد صاروا جميعهم يعبدون الصلبان وما فى الأمر إلا أننا نخليهم يومين أو ثلاثة حتى يضعفوا من الجوع والعطش ولا يبقى بعد ذلك فيهم من يدفع ولا يمنع وننزل ونكتفهم ونحملهم إلى القسطنطونية وأصلبهم على باب الذهب حتى أكون أنا الذى صلبتهم موضع ما أرادوا يصلبونى فقال الملك هذا هو الصواب لأنهم الساعة فى حبسنا ولا بد أن نوكل بهم قوم من خواصنا فقال غيلان وحق المسيح لو فتح لى الباب لنزلت اليهم وحدى وما كنت أطلع إلا وهم أسارى واما يقتلونى ولكن أخاف أن أخالف الشيخ الطيار هذا وعقبة لاتسعه الدنيا من الفرح ومن عظم ما لحقه من السرور جعل ينادى يا أبا محمد مابقى لكم من هذا المكان خلاص مالى إلا أنكم تفزعونى بقول نبيكم وتقولوا قد وعدنا فى هذا المنام بصلبك والساعة ترون من يصلب على باب الذهب ثم أنصت وإذا بالأميرة تقول والله ياملعون انى أموت وتبلى عظامى ولا أيأس من صلبك واعلم أنه لابد أن يكون ذلك لأنه قد صح عندى أن نبينا عليه الصلاة والسلام صادق فى اليقظة وفى المنام ولا بد أن ينهتك سترك بين الأنام ويصلب موضع الموعد والسلام فقال عقبة وحق المسيح ياشيطان لولا هذا الكلام لكنت لميت الخشب والأحطاب وخلفت فيه النفط والنار وأذقتكم طعم الحريق والبوار والآن فقل له الساعة يخاصكم من هذا المكان بعد ذلك اطلبوا اصلبى ثم انه صعد وصعد معه الملك غيلان وأخذوا مفاتيح المكان من الرهبان وعادوا يطلبون الخيام والملك يقول يا أمير أريد أقطع هذه الأنام وأخرج معك ومع الشيخ النجيح وأشهد على ان أزوجك ابنتى شمونه التى كأنها الدرة المصونة رغبة منى فى شجاعتك وبراعتك وشدتك لأننى راغب فى الأبطال أكثر من رغبتى فى أرباب الحسن والجمال وأصحاب الأقاليم والأموال وإذا رأتنى الروم والبطارقة أزوجك ابنتى لايبقى أحداً إلا ويزوج ابنته لواحد من أصحابك (قال الراوى) فلما سمع غيلان ذلك فرح وطرب ودعا للملك (ياساده) وكانت ابنة الملك الفالوغص لها من العمر أربعة عشر سنة وقد ركبت الخيل واصطادت الوحش والطير مع جوارها المختصين بخدمتها وكانت تقرأ الإنجيل بصوت تقف له الطيور فى طيرانها وتحرك القلوب بأشجانها (قال الراوى) فلما سمع غيلان ذلك الكلام شكر الملك على ذلك وفرح فرحا شديداً ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الخيام وغيلان يقبل يد الملك ويقول انا ياملك عبدك والكريم

من أكرم عبده فشكره الملك وأمر بالطعامات فصفت والاشربه فروقت واحضر خواص البطارقة وعولوا أن يقضوا بالأقداح وشرب المدام يومهم هذا فهذا جرى منهم (واما ما كان) من أبو محمد وأصحابه فانهم أيقنوا أنهم من ذلك المكان يحشروا لأنهم مالهم سبيل إلى الخلاص وليس عندهم ما يأكلون وما يشربون (قال الراوى) ياسادة ولما كان اليوم الثانى بدأ الضعف يعمل فيهم وما فيهم إلا ومن ودع صاحبه وجعلوا يتشهدون وهم للموت ينتظرون والأميرة تبكى على الأمير عبد الوهاب وتقول ياأبا محمد أن المقام دنا ولم أنظر ولدى قبل الممات ولا يشيع أحدنا جنازة الآخر إلا أموت أنا فى هذا المكان ويموت هو فى موضع آخر على أننى أقول ما تكون حفرته إلا فى الحجاز لأنه خليته وهو مريض وما هو إلا ميت لامحاله وهذا كله بأمر الله تعالى ولااعتراض عليه فى حكمه لأن ماللعبد مفر من قضاه ثم أن الأميرة بكت بكاء شديدا أنشدت

ألا هل إلى تلك الديار سبيل ... وهل لى إلى تلك الطلول وصول
وهل مبلغ عنى الأمير بأننى ... مشوق وان الحادثات حلول
فيارب هذا آخر العهد بيننا ... فارزقنى صبرا عليه جميل
فراق أتانى آخر العمر بغتة ... فاورثنى حزنا عليه طويل
وقد كان ظنى ان يوارى جثتى ... ونبقى حساما للجهاد صقيل
ففرقت الأيام بينى وبينه ... ولم يشتفى قلبى ببرد عليل
فراق وأسر واشتياق وغربة ... على كبدى إنى إذا لحمول
فيارب بالمختار أعنى محمداً ... نبى أتانا بالرشاد رسول
أعنا وخلصنا لعل لقاءنا ... يكون قريبا والفؤاد عليل
وأن تكن الأخرى فانى صبورة ... صبور على مابه قضيت دليل

(قال الراوى) ولما فرغت الأميرة من بكائها وانتصابها وبكوا جمع أصحابها فقال البطال أيتها الأميرة لك أسوة بى قد فقدت ولدى الذى كان ركنى وعضدى وفقدت أخاه الحصين الذى أخذته عاقبة ولم أعلم مافعلت به وأنا والله أحق أن أبكى إذا كانت هذه القصة قصتى وهذه المصيبة مصيبتى فقال الغلم شروه أيها الشيخ ولم ابنك قد ضاع فقال يا ابنى من مدة وما أقول أنه باقى إلى الآن وما أخده من يستبقيه فقال الصبى ابشر أيها الشيخ فانا ولدك لأنى أرى كل من يبصرنى يشبهنى بك وأنا فما كان لى فى بلاد الديالم لا أم ولا أب إلا كنت إذاسألت الذى ربانى وقلت له من أبى قال يابنى مالك أم ولا أب أنا اشتريتك من قوم حراميه من أرض العراق أبوابك إلى أرضنا

مع جملة قماش كانوا قد أخذوه من قافلة عند أرض ملطيه وحدثني الذي باعني انه أخذني من امرأة عجوزة كانت سائرة إلى بلاد العراق ومع ذلك حملني مع جملة هدية إلى الملك باهلاك الخارجى وكان يحضرنى ويتعجب من كلامى ووقع لى فى قلبه محبة عظيمة حتى كان لا يحلف إلا بحياتى وأمر بتعليمى الخط وكان معلمى مسلم يكتم ايمانه خوفا من الخارجى وأدعى الملك الالوهيه وأطاعوه الناس إلى أن خرج إلى بلادكم وجرى عليه ماجرى فصاحت الأميره الله أكبر والله يا أبا محمد هذا ولدك ولى فيه علامه ثم كشف عن فخذه وإذا فيه بقعة زرقاء فى طول الاصبع وقالت يا أبا محمد والله أن هذا المكان أنا حشيته بالكحل لأننى أنا أخذته من نورى حتى أبوسه فوقع من يدى على زجاجة فجرحته فحشيت الجرح بالكحل ففرح البطال وجعل يقبله ويبكى وكذلك بكى الغلام والاميره تقول سبحان جامع الشتات فهم كذلك وإذا بحس من جانب البير وقد انكشف رخامه وظهر من تحتها الضوء وقد أشرقت منها الشمس فقال البطال لو كان لنا من يطلع إلى هذه الطاقه ويرفعنا واحد بعد واحد فضحك الحصين وقال أنا لها وتسلق كانه الفار إلى أن وصل إلى الطاقه ونظر منها فقال البطال ياولدى أين ترى روحك فقال حتى أبصر ثم نظر فاذا قناة ماؤها خارجة إلى خارج الدير والبساتين والكروم ففرح وعاد إلى أبيه وأخبره بذلك فقال البطال فكيف الطلوع فقال حلو إلى فوطكم وعمائمكم حتى ألفها وأربطها وأطلعو فيها كما تريدون لأنى ما أطيق أشيلكم لأنكم مثل الحمير فقالوا جزاك الله خيرا ثم رفعوا له الفوط فربطها وتعلق فيها البطال وبعده دينار وضيغم والاميره ثم صاروا فى القناة إلى خارج فقال البطال هان الامر ولكن أنا أعلم أن عقبه غدا يفتح باب المطموره فاذا لم يرانا ورأى هذا المكان مفتوحا حث الخيل فى طلبنا فقالت لو كان خيل مابلينا فقال البطال أنا أنزل إلى عسكر الروم ولا أعود إلا بالخيل لأن الليل قد أقبل فقال الحصين ياأباه أنا أنوب عنك فقال ياولدى اصبر حتى أشرف على العسكر وأعود اليك ثم غاب ساعة وعاد وهو فى زى بطريق عليه أقبية الديباج الحرير بمناطق الذهب والفضه فقالت ماهذا فقال إنى لما خرجت رأيت البطريق الخاص وهو نازل من باب الدير فسألته عن حاله فقال الملك قد طلب الخمر ليشرب مع الشيخ الطيار فقلت أنا غلام الطيار وها أنا احمل معك الخمر ثم مشيت معه حتى أبعدت عن الباب وقتلته ولبست قماشه وقد عولت أرجع إلى عسكر الروم ولا أعود إلا بما تريدون فقال الحصين والله مامضى غيرى فمانعه البطال فلم يقعد فقال إذا

أردت فافعل وأنا أعبر سرادق الملك لعلى آخذ عقبه واعذبه طول الطريق لأنه آمن من جانبي وهو يظن انني فى السرداب فقال العبد دينار بالله خذنى معك فما يضرك منى شيء فقال البطال ياأبى ما يمكننى أن أخاطر بكم الليله كلكم ونحن من أمرنا على عجل فقال زينى بأى زى أردت وخذنى معك حتى أنفرج على صنعتك وأن احتجت الينا أعناك وان سرقته أحمله معك وان فطن بك عدو قاتلته فأجابه الأمير إلى ذلك وأخرج من خريطة فى وسطه دواء وفركه فى راحته ومسح به وجهه وإذا به إلى البياض أقرب منه إلى السواد وزياه بزى الروم وأخده معه وسار هذاوقد سار ولده الحصين قلبه بعدما لبس فروه مقلوبه وخب شعره وأخذ معه عدة السل فى مخلاه وسار فما غاب إلا ساعة عن الاميره ذات الهمه وبقيت قلقانه عليه فهى كذلك اذ سمعت حس وقع حوافر خيل فارتجف قلبها وقالت لضيغم يابنى ابصر ماهذا الحس فتأمل وإذا ببغل محمل وقدامه شخص يقوده وهولايكاد يبين من الارض فدنوا منه وإذا به الحصين ففرحت به الأميره غاية مايكون من الفرح وقالت والله لقد سبقت أباك فى شغله يابنى ايش هذا البغل وما حمله فقال لها صناديق فيها طعام لأنى لما دخلت إلى عسكر الروم وجدت الدنيا منقلبه لأن الملك كان قاعد على الشراب فخرجت من خلف العسكر واذا بقطار بغال طالب خيمة الملك وما معهم سوى رجل واحد وهو راكب على البغل الاول ففرحت بذلك ووقفت حتى عبرت البغال كلها على وحليت هذا البغل وأخذته ثم إنى أبعدت به عن العسكر وربطته فى أصل شجرة كانت هناك وعدت وظلام الليل قدسترنى فسلبت من كل جانب فرسا حتى لايفطن به أحد وسقت الكل من خلف الخيام وقدسترنى الملك العلام حتى وصلت اليكم فتعجبت الأميره من عظم جسارته وحسن هذا الاتفاق ثم فتحت الصندوق الواحد وإذا فيه شواء ودجاج وخبز وحلو فقالت والله لا أكلت شيئاً حتى يأتى أبوك فانه جائع وقد راح ناظر بنفسه ونحن ههنا نأكل فقال الحصين فلاتقولى فان أبى إن لم يأتى الليله نموت بالجوع إلى أن يعود فانه لايفوته شيئاً يأكله وهو مايخلى نفسه وأنا والله لولا جوعى وطمعى فى الأكل ما كنت خرجت من العسكر إلا ومعى أكثر من عشر رؤس من الخيل فضحكت الأميرة وعلمت انه صغير السن لاصبر له على الجوع كصبرهم وله يومان ما أكل شيئا فعذرته الأميرة وقالت له دونك والزادفأنا ما آكل حتى أبصر ما يكون من العبد دينار والبطال فانهما لما سارا يطلبان العسكر كما ذكرنا قال البطال لدينار ابصر كيف يكون فانى ماأخذتك معى إلا لأجل ما أقسمت على وقلت لى إذا أنت سرقت شيئا أحمله فقال دينار طب نفسا وقر عينا أيها الأمير فلو حملتنى عشرين

قنطارا حملت ذلك على رقبتى (ياسادة) ولم يزالا كذلك إلى أن وصلا إلى عسكر الروم واتصلا إلى سرادق الملك فوجدوه على الشراب كما قال الحصين وعنده وجوه البطارقة وخواص العمالقة وعقبه إلى جانبه وعليه عقارة ديباج رومى مرصعة بالدر والجوهر محبوكة الاذيال وعلى رأسه برنس أسود وهو كأنه شيطان بصورته وقد لبس ذلك كله وسلب عقل الملك بطيب محادثته وتردد أخبار الملوك المتقدمين وأشعار وأحاديث من قد سلف من الأوائل والملك يقول له أيها الشيخ النجيح لقد ضجرت من المقام ههنا وطال الأمر بيننا وبين هؤلاء الكلاب وما فى الأمر إلا اننا نفتح غدا عليهم باب السرداب ونأخذهم أخذا بالكف ونسيرهم إلى القسطنطونية فقال عقبة أيها الملك أما المسلمين الذين تفزع منهم أن يتم على القسطنطونية أمر فما هم عندك وما عداهم فلا شىء لأن الكلام كله هؤلاء الذين فى السرداب أخربوا البلاد ولصوصهم الذين يسلبون العقول وما أقول إلا أنهم يصحبوا إلا موتى لأنى دخلت إلى الدير الذى فيه السرداب ووقفت عليه وناديت القوم بأسمائهم فلم يجيبونى لأجل ماقد أصابهم من الضعف وغدا ينزل اليهم غيلان ويطلع بهم مشدودين فى الحبال ويسوقهم إلى القسطنطونية ان شئت فى غايه الذل والهوان وان أحببت ان تعذبهم ونتركهم عندنا فافعل (قال الراوى) وكان غيلان جالسا قدام الملك الفالوغص كأنه الجاموس وعلى رأسه جماعة من السودان فقال لعقبه أيها الشيخ النجيح وحق المسيح ماأردت أنزل اليهم إلا وحدى ولو كانوا أكثر من ذلك نزلت اليهم وما كان على منهم خوف وكنت أريد شيئا يهولك ولما قلت لى خليهم ماقدرت أرد عليك كلامك لأن من خالفك خالف المسيح (ياساده) هذا والبطال قائم يسمع وعقبة يقول لغيلان أيها المولى أما شجاعتك فأنا ما أشك فيها وأما نزولك فأنا وحق المسيح ما أمكنك منه لأنى أعرف أن معهم واحدة إذا ماتت وبقيت سنة كاملة فى قبرها ما يجسر ان يمر بقبرها أحد إلا أننا غدا نفتح علىهم وناديهم فأن صعدوا وراموا عدتهم والا رمينا عليهم النار والحطب والنفط ونسير فى أشغالنا ونكون قد بلغنا آمالنا ولا نخاطر معهم بأرواحنا ولا ننزل إليهم (قال الراوى) فقال البطال للعبد دينار والله لولا سهل الله عز وجل لنا الخلاص اليوم لكان هذا الملعون أحرقنا بالنار وهذا الليل قد انقضى أكثره وبقى أيسره ومابلغنا الغرض قف مكانك حتى أدخل وأدبر كيف أصنع ثم مدعينه فنظر إلى خيمة صغيرة إلى جانب سرادق الملك وفيها رجل شيخ شيبته إلى سرته وقد انحنا من طول السنين وهو يروق الخمر بالماء الورد والطيب والسقاء تدخل اليه وتأخذه منه الشراب المروق الذى فى الصلاحيات والقوارير الذهب والفضة مع البلور وهاهم ثلاث سقاه مثل الأقمار

ولوجوههم أنوار تغلب ضوء الشمس فلما رأى البطال ذلك قال سبحان من أعطى الحسن فى الروم ثم ادعى بدينار وأمره أن يتوارى عن السرادق الذى فيه الملك الفالوغص وهجم صار قدام الملك ووقف على رأسه فقال له الملك أين كنت من أول الليل والرهبان الذين أنفذتهم خلفك جاءوا بالإقامة واحمال الخمر من دق الناقوس الأول وأنت جئت هذا الوقت فقال البطال وقد قبل الأرض يامولاى أنفذتهم إليك ونزلت فى الدير السفلانى أطلعت الرهبان منه إلى الدير الفوقانى لأنى رأيته خاليا من الرجال ففزعت أن يكون أحدا من كلاب المسلمين معهم ويصير لنا معهم شغل فلما سمع الملك استصوب رأيه وأعجبه كلامه ودارت الكاسات وتفرقت جميع البطارقة وكذلك السودان وغيلان

(قال الراوى) وأخذ الملك الكأس ونزل عند غيلان وقال له ابشر فاننا غدا يكون حيل إن شاء المسيح إلى القسطنطونية ومن أول يوم أصل أزف عليك ابنتى شمسونه سمك نعمتى فقبل غيلان الأرض بين يديه وجعل يدعى له ويثنى عليه وعقبه افرح ى بهذا الأمر ويقول هذا غيلان قد نشألنا وجعل يصف للملك صفة حام بن نوح يف بذر السودان وكيف له الفضل على سام (قال الراوى) ومما وصف الملعون فى ود حار الملك الفالوغص وقال احفظ هذا معك أيها الشيخ النجيح إلى أن تصل إلى سطنطونية فانى أعلم أن ابنتى شمسونه تظهر الكراهة فى الزواج لأجل سواد غيلان وهى تعلم أنه أبيض الفعال فى يوم الجهاد فامدده أنت بين يديها فقال عقبة ما هى ممن تخالفنى فضب المسيح عليهم واغضب أنا أيضا فتطبق الأرض لغضبى (ياسادة) وفى هذه الفترة رب أبو محمد يده المباركة وأخرج قليل بنج عتيق وتقدم ليلقيه فى الإناء الذى يشربون وقد أخذ على ملغاة على صفة العنبرة التى يسموها الروم النقرقوره فتقدم إليهم وهو بالرومى هذه الأبيات

ايا تيا كذا ايتها سكرروسا   اتدرس سنا كط لسيا
من لعي لكان بشىء انانيا   كفون كرسى باسا
وكسليس اندرشيا امن   كيف وكيس اعوس

قال الراوى) فطاب الملك من هذا الشعر وطرب وشرب القدح وفرح عقبة اللعين نال الأمير أبو محمد ما طلب وعاد كل واحد منهما إلى موضعه وقعد (قال الراوى) ما استقر بهم المكان حتى تغيرت أحوالهم وانقلبت عيونهم ومالت رؤسهم وخمدت حركاتهم وتلجلجت ألسنتهم وقد اشتغلت عينى غيلان فى ام رأسه مثل النيران وخلط فى لامه وتغير أحواله وصاح فى الملك ويلك يا ألف قرنان تشتمنى ثم تلهونى وتقول ان

ابنتك ما تريدنى ايش رأيك الساعة فيمن ينتف لحيتك ويصفع فمك. فسمع الملك كلا-
وهو نافخ فشتمه ووثب أن ينهض إليه فما قدر فتماسكا باللحا وتلاطما حتى وقعا و أ
عقبة قام وما فى عينه قطره فلما نظر البطال إلى ذلك قعد عند رأى الملك يروح عليه بالمد
وينتظر قدوم السقاه وقد امل ان يبلغ مناه وإذا بالشيخ الذى كان موكلا بالشراب الذ
للملك قد صاح فى السقاه ويلكم يا كلاب أنتم ترون الشيخ النجيح قد غلبه السكر وه
على هذه الحالة ولا فيكم من يحمله إلى خيمته احملوه وارجعوا الأمير غيلان(قال الراوى
فعندها تقدموا السقاة إلى القاضى عقبة وحملوه وهو مثل القتيل فقال أبو محمد وا
أقول ان الملعون سكر إلى هذا الحد والساعة كان يتحدث هو والملك وغيلان وما أدرى
فيهم من عاد تحرك إلا كأنهم مبنجون وما هذه إلا غاية العجب وما شربوا من الباطي
شىء اترى هذا صحيح ثم وثب فى أثر السقاة إلى باب السرداق
وإذا بالدنيا همسا ثم أنه صفر لدينار باشارة بينه وبينه وإذ بدينار
قد أتى اليه وقال ما حالك وما الذى فعلت

﴿ تم الجزء الرابع والستون ويليه الجزء الخامس والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيره أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الخامس والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعه المنيرية بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال أبو محمد ويلك يادينار امضى خلف هؤلاء السقاه الذين خرجوا بعقبه وانظر الى اين يمضوا به وعدالى واعلمنى حتى ابصر إما يكون منى ومن الملك لعلى آخذه واذبح غيلان فانى قد انكرت امرهم فانى ماقول انهم مبنجين لأنى خبير بما يعمل البنج فقال دينار السمع والطاعه ثم انطلق خلف السقاه واراد البطال ان يدخل السرادق واذا هو بحرس السودان الذين كانوا متوكلين على الحرس فى هذه الليلة قد اقبلوا من اطراف العسكر وهم طالبين السرادق لينظروا ان كان الملك قد نام ام لا فلما رآهم البطال عاد مثل البرق وحمل باطية الشراب وقال لهم انزلوا لتنالوا الراحة فان الصباح قد اقترب والملك قد نام وهذا من الشراب الخاص فاشربوا أنتم من شراب الملك فانه سكر سكر زائدما أظنه سكر مثله فكملوا أنتم ليلتكم بالفرح وكلوا من هذه الخيرات التى وصلت ثم نزل الباطية بين أيديهم وقد حموها بتلك الخمره المباركة هذا وقد اعلمهم ان الملك قد زوج ابنته لغيلان ففرحوا بذلك وشكروه ونزلوا عن الخيل وهم يقولون هذا الذى كنا نؤمل وما نظن انه بقى أحد من الروم يقدر يتأنف منا ولا بدلهم أن يزوجونا بناتهم ويحكمونا فى أموالهم ونملك سائر جهاتهم هذا والبطال قد تركهم وعاد فوجد الملك وغيلان على تلك الحالة وهما يتململان مثل الحيه على المقلا ولا يعلمان هل هما فى أرض أم فى سماء فقعد البطال على رأس الملك والمدية بيده ينتظر أن يناموا السودان وهو مقدم فى حمل الملك ومؤخر خائف أن يكون قد خانه ظنه وأن القوم

ماهم مبتهجين (قال الراوى) فبينما هوكذلك واذا هو بامرأة عجوز قددخلت من باب السرادق وقعدت الى جانب الملك وقد حطت من على رأسها قصعة ملآنه من لبن الجاموس وجعلت تحرك الملك وتعلمه وهو لا يعقل فملات من ذلك اللبن وجعلت تقلب فى حلقه وهو يفتح فمه ويشرب ولم تزل تسقيه حتى شرب نصف القصعة ولا يدرى ايش يشرب بل يتلذذ ببرودته من شدة مايجد من الحرارة التى فى قلبه وهى تسقيه حتى جاش فؤاده وتقيا كلما شرب وارما ثلاثة أقراص بنج كانها قوالب الشمع وفتح عينيه وقال للعجوز ويلك ايش أنت ومن فعل بنا هذه الفعال فقالت يامولاى فعل بكم هـــذه الفعال التى أحل بنا النكال وذبح النساء والرجال فقال ومامعنى هذا الكلام فقالت اعلم أيها الملك انى من هذا الدير الذى فيه المسلمين محبوسين ومافيه غيرى وغير ابنتى وحق المسيح لاننا أيها الملك أول الليل لما انفذت هذا الراهب وهو الذى على رأسك بالمدية فأمرنا باحضار الاقامة والشراب فنزلوا الرهبان الذين عندنا لخدمتك كما عرفت ولم يبق فى الدير من له منفعه إلا بعد نزولهم ماحسينا بأربعة أشباح وتد لوا علينا من السطح الدى للدير وفى أيديهم السيوف فقتلوا كل من بقى فى الدير ومابقى وحق المسيح غيرى وغير ابنتى لانى دبرت حيلة حتى تخلصت منهم وقلت انى لما رأيتهم وقد فعلوا تلك الفعال علمت أنهم مخالفين لديننا وانهم مسلمين فقيدت ابنتى وشديتها كتاف وفعلت أنا كذلك بروحى وانطرحت على جنبى فلما فرغوا من قتل الرهبان والنسوان وصلوا الينا فناديتهم ياقوم ان كنتم مسلمين فلا تقتلونا فما أصابنا نحن هذا كله الاعلى دين الاسلام لاننا دخلوا الينا قوم مسلمون من قبلكم وكانوا مطلوبين من الروم فأخفوا أنفسهم عندنا وسترنا عليهم فلما كان فى الليل انتبهت أنا وابنتى فرأيناهم وقد صفوا الاقدام ووقفوا فى طاعة الملك العلام فلما نظرنا حسن عبادتهم علمنا أنهم مسلمين فاسلمنا واقمنا عندهم مطلقين من دون أهل الدير فلما أتى عدوهم الملك الفالوغص ومعه هؤلاء السودان المتنصرة وتسلقوا اليهم وما أحسوا حتى قبضوا عليهم وحبسوهم وسألونا نحن عن ديننا فأقروا الرهبان علينا بالاسلام فعول الملك أن يحبسنا معهم فقالت له نسوان الدير لا تفعل أيها الملك لعلهم يرجعون عن دين الاسلام فخليهم عندنا مهانات ففعلوا بنا هذه الفعال ونحن لا نعود عن دين الاسلام بعد أن عرفناه ولا نعبد غيره بعد أن ألفناه (قال الراوى) فلما سمعوا منا هذا الكلام أيها الملك حلوا كتافى وكتاف ابنتى وقالوا نحن أيضا من المسلمين مثلكم وما نريد منكم الآن تعرفونا اين أصحابنا المحبوسين فعندها أيها الملك قمنا معهم واوريناهم الابطال الذين على باب السرداب فما هم الا أن قلنا لهم هاهنا حتى تقدم رجل شيخ له من العمر مائة سنه ولعب بها باصابعه ففتحها كانه هو الذى قفلها ونزل هو واصحابه وتركوا بعضهم عندنا احترازا على أنفسهم منكم ومنا

وفتشوا السرداب فما وجدوا فيه أحد فرأيتهم وقد صعب عليهم ذلك وقالوا ان أصحابنا قد خلصوا وطلبوا بلادهم وما فى الأمر الا اننا ندبر على القاضى عقبه ونأخذه ونلحقهم الى بلاد الاسلام فقلت لهم بالله هؤلاء الذين كانوا عندنا وخلصوا ايش يكونوا منكم فقالوا موالينا واحبابنا ونريد منك ياعجوز أن تكونى لنا الليله مشاركة فى الثواب اذا استودعناك وديعة تحفظيها فقلت لهم يا قوم لو قلتم لى ارمى روحك فى النار لفعلت ذلك ومضوا عندنا أول الليل ومارجعت رأيتهم الاالساعه ومعهم ذلك الشيخ الذى تسموه الشيخ النجيح وهو مثل القتيل فلما رأيته على تلك الحاله ضاق صدرى لأنى أعلم انه ركن من أركان النصرانيه لاسيما قدطار من الدير الى الوادى ولما حصل عندنا سألتهم عنه فقالوا هذاعدونا وقدبنجناه وكذلك فعلنا بالملك وبغيلان الشوك والساعة نمضى ونأتى بهما الى ههنا ونعود نسرق لناخيل وبغال ونحملهم معنا الى بلاد الاسلام فلما سمعت ذلك منهم أيها الملك صعب على ولكن ماجسرت أن أكشف لهم عن حالى فيقتلونى ويتم لهم مايريدون وتذهب دولة النصرانيه فأظهرت لهم الفرح بذلك وأطمعتهم انى أخرج معهم الى بلاد الاسلام فتركوا الشيخ النجيح عندى وعادوا خرجوا من الدير فأوصيت أنا ابنتى ان تحفظ الشيخ النجيح ولا تعود تفتح لهم الباب فقالت لى الى أين تريدى تسيرين فقلت أنا أريد أمشى وأسبق القوم وأخلص الملك مماهو فيه وأعلمه بهذه القصة فما يعوزنى ثواب من المسيح فقالت ابنتى ياأماه افعلى ماتريدى فما خلصنا الشيخ من أيديهم الاحتى نكون سببا لهلاكهم كما كنت انا سببا لهلاك أصحابهم لان ابنتى أيها الملك هى التى احتالت على أبطال المسلمين أول مردوا أنا أمها ولى من العمر مائة سنه أنا وهؤلاء الرهبان فى الدير على انتى أيها الملك من بنات الملوك واسمى فاشوره بنت غاشوره ابنة دامغ وابنتى طلعت أعلا منى (قال) فلما سمع الملك من الراهبه قامت عيناه فى ام رأسه وقال وحق المسيح لقد خلصوا القوم وعملوا علينا ولولاك أيتها العجوز الصالحه العابده لكانوا قد بلغوا منا ما أرادوا ثم قال لها خلصى غيلان الشوك ماهو فيه كما فعلتى بى حتى يمضى ويأتى بالشيخ النجيح وننصر كيف تمت عليناهذه القضيه (قال الراوى) ثم التفت الملك الى البطال وقال له ويلك يازالوه وانت حاضر وهذا كله يجرى وماعندنا منه خبر فقال البطال وحق المسيح يامولاى ما عندى خبر من هذا الامر لانى قد رأيتك نمت حسبت أنك قد غلب عليك السكر فقعدت عند رأسك وصرت أروح عليك بالمدبه كجرى العاده (قال) هذا جرى والعجوز قد تقدمت الى غيلان وفعلت به مثل مافعلت بالملك فتقيا البنج وأفاق على نفسه وفتح عينيه فرأى الملك ورأى العجوز بين يديه فقال أيها الملك ماهذه الغيبه وماهذه الاقراص فقال هى سبب الخلاص ثم أعاد عليه ماسمع من فاشوره وقال وحق المسيح يامقدم غيلان لولاها كنا أصبحنا رؤس

ولا أبدان فقال غيلان أيها الملك وخلصوا المسلمين فقال نعم فقال غيلان وحق المسيح ماعمل هذا كله الاهم وكل هذا برأى الشيخ النجيح الذى يريد يصلبهم على باب القسطنطونيه فلقاه المسيح ماهوفيه ثم قال أيها الملك على أى شىء قدعولت فقال مافى الأمر إلاأن نركب ونأتى بالشيخ النجيح من الدير وبعد هذا نشرع فى طلب المسلمين فقال غيلان هذا هو الصواب ثم ركب ونادى فى سودانه ليمضي بهم الى الدير واذا ببعضهم قد دخل وهو مثل المجنون فلما عرفوه ولا يدرى من الذى أخذ القاضى عقبه ولا يعرف أيضا مافعل العبد دينار ولا من الذى دخل الدير وقتل الرهبان ولا ماذا جرى للاميره ومن معها وقال هذه نوبه ماجرى على قط مثلها ثم ان الملك شد كتافه ونقله الى خيمة الدم ووكل به عشرة من البطارقه وجرد غيلان فى مائة فارس من أصحابه السودان بالعدد الكامل والسيوف القاتله والعمد الثقال والحراب الصقال وصعدوا الى الجبل رجاله وطلبوا الدير لخلاص عقبه هذا وغيلان يقول لانأمن ان يقعوا بنا المسلمين لانهم قد تخلصوا كلهم (ياساده) هذا جرى هاهنا (وأما) البطال فانهم لما تركوه فى خيمة الدم بقى منكر فى قبضه وقبض الاميره ذات الهمه وقال ان وقعوا بهم وحصلنا كلنا فى أيديهم أهلكونا ومكروا بنا وقد قتلنا بلاسبب فهو كذلك اذسمع معه أنين فى المضرب فتامله واذا به العبد دينار فقال دينار فقال نعم يامولاى فقال له ماالخبر فقال يامولاى لما أنفذتنى حتى أبصر أين يمضون القوم بعقبه لما أخذوه فما زلت فى الجبل ودخلوا فى الدير ورجعت أنا لاعلمك فوقعت فى السودان فهجموا على وقربوا منى ونظرونى فعرفونى وحملونى إلى الذى هو مستخلف عليهم من قبل غيلان واسمه طاعون الفلافلما رآنى قال وحق المسيح ياعبد السوء مادخلت العسكر إلا فى أمور تعملها ومصائب تدبرها وما أنتم إلا قد خلصتم من السرداب وإذا لم تقل لى كيف خلصتم وفى أى شىء دخلت وإلا ضربت رقبتك فقلت يامولاى ماخلاص غيرى وانى كرهت مقامى عند المسلمين وعدت لاخدم مولاى غيلان وأطلب منه الامان وأكون معه كما كنت فى جملة السودان فقال لى تكذب ياملعون كيف كان سبب خلاصكم وأى شىء جيت تعمل والاقتلتك تحت العقوبه فلمارأيت منه الجد شرعت احدثه بالذى جرى لنا وكيف دخلت أنا وأنت العسكر وبهذا اخذوك فقال البطال احسنت لاصح الله لك بدن والله ان وقعوا بالاميره ومن معها من الاصحاب أهلكوا ويكون ذلك من تحت رأسك وأنا ماأردت آخذك معى لولا أقسمت على وما فى الأمر إلاالرضاوالتسليم إلى رب العالمين (قال الراوى) فهم فى الكلام وإذا بالصياح من صوب الحصن قدعلاوزاد ونما وركبت السودان عن بكرة أبيها وعسكر الروم وكان ذلك عند الصباح وكان السبب فى ذلك الصباح ان غيلان ومن معه من السودان لما مضوا إلى الحصن ووصلوا اليه وجدوه

مفتوح وطلعوا فما وجد أحدا فيه إلا الرهبان مسلوخين والنسوان على وجه الأرض مذبحين وما للناس من عقبه خبر ولا أثر ولا للجارية بنت فاشوره وانما وجدوا الدم منها يجرى وهى طريه كما ذبحت فقالوا ان الذى فعل هذه الفعال وأخذ عقبه ما أبعد فدوروا بنا حول الدير وأوسعوا فى الدوران فوقعت فرقة منهم بالأميرة وضيغم والحصين والخيل وتلك الصناديق فلما رأوا ذلك فرحوا وصاحوا لاصحابهم من كل جانب ومكان وهذا أمر جرت به الاحكام وان الأميره لما رأت ذلك صاحت بضيغم وقالت يا بنى ان البطال لاشك قد اخذهو ودينار وقد اقروا علينا فما عندك من الرأى فقال ياستاه ما تريدى فقالت له يا بنى ما بقى فى الأمر إلا القتال والاتكال على الملك المتعال ولو عدنا دخلنا فى الفناه التى إخرجنا منها أحرقونا بالنار فيها ثم انها جردت حسامها وطلبت الرجال وفعل ضيغم ايضا مثل فعالها وصدم غيلان من دون السودان واعان باسم الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان ولم يزالوا كذلك حتى أصبح الصباح وقد قتل من السودان جماعة من الرجال الأبطال الاقيال فجرح ضيغم فى ثلاث مواضع ثم انهم أخذوه قبضا باليد ولم يبق إلا الأميرة ذات الهمة مع غيلان ولو بقيت هى والأمير ضيغم كانوا قد أفنوا السودان (قال الراوى) ياسادة بعد أن أخذوا ضيغم ووقع الصوت فى العسكر ووقعت الوقائع وظهرت الفجائع وظهرت المسلمين والبطارقة يطلبون الخيل رجاله هذا وان الأميرة لما رأت الرجال طلعوا من كل جانب ومكان تجات عن غيلان وطلبت الروم وغاصت فيهم ولم تزل تضرب فيهم حتى لم يبق فى يدها غير قائم السيف فصدموها بعد أن أوهنوها بالجراح وشدوها وضيغم كتاف وقادوهم والحصين بين أيديهم حتى وصلوا إلى الملك فلما مثلوا بين يديه أمر بضرب رقابهم فقال غيلان أيها الملك ما هذا صواب لأن الشيخ النجيح ما رأيناه فى الدير وما هم إلا قد تركوه فى بعض المواضع فقال الملك ابطحوهم وعاقبوهم حتى انهم يقروا بالشيخ النجيح الطيار اين ودوه وبعد ذلك نضرب رقابهم فعند ذلك بطحوا الأميرة ذات الهمة وضربوها حتى غابت عن الدنيا وهى تقول ياويلكم هذا الضرب لمن يفزع من مفارقة الدنيا ويخاف الموت ونحن كلما جانا أمر من الله نأخذه بالقبول وقد علمنا أنه يعطينا الجنة وغاية المأمول ويخاصنا بمجاورة الرسول فاقتلونا واشتفوا منا وأريحونا من هذا العناء فقال غيلان وحق المسيح لا برحت عليكم بالعقوبة حتى تقرون لنا بالشيخ النجيح وتعلمونا أين هو لأننا ما نقدر نتخلا عنه ولو دخلنا خلفه إلى بلاد الإسلام وقتل منا ألف ألف على السهام لأنه إذا غاب عنا عرفنا أن المسيح غضب علينا فقالت الأميرة وقد علمت أن عقبة قد عدم ويلك ياغيلان وحق من لا يشغله شان عن شان ما عندنا من عقبة خبر ولا سمعنا بحديثه إلا منك فان كنتم قد أخذتم البطال فاسألوه عنه فربما يعرف به فلما سمع

غيلان قسم الأميرة علم أنها صادقة فامر بها ان تحمل إلى الخيمة التى فيها البطال ودينار وضيغم والحصين وسار غيلان معهم ودخل على البطال وقال له ويلك ياشيطان اخبرنى أين الشيخ النجيح وإلا قتلتكم أجمعين فقال البطال والله الذى لا إله إلا هو ماعندى منه خبر إلا أنى رأيت رفقاءه قد حملوه وخرجوا به فبعثت وراءهم هذا العبد دينار فقبضتم عليه والساعة فقدذكر لى انهم دخلوا به الدير وعند رجوعه قبضتموه وهذا جملة ماعندى والسلام فعندها قال غيلان ائتونى بالسقاه فوحق المسيح ماكان مصيبتنا إلا منهم وهاتوا العجوز الصالحة فاشوره التى خلصتنا من البنج حتى إذا أنكروا تشهد عليهم فقال الملك وحق المسيح ماأقول ان غلمانى يعملون على وأنا ربيتهم صغار وعندى ولدوا وأما الشيخ الكبير كركيس الذى برسم خيمة الشراب فله عندنا أوفى من ثلاثين سنة يخدم أبى وجدى وبعد أن وقع الشك لابدمن احضارهم حتى نسمع كلامهم (قال الراوى) فمضت البطارقة ليحضروهم فطلبوهم فما وجدوهم فلما سمع الملك ذلك علم أن الأمر كان من تحت رؤسهم فصدق ذلك فيهم ثم قال اطلبوهم فوحق المسيح لأضربن رقابهم (قال) فركبت الخيل وتفرقت يمين وشمال فى طلب سقاة الملك وقد وكلوا بالمسلمين عشرة من البطارقة برسم حفظهم وقال ماتقتلهم حتى يظهر خبر الشيخ النجيح ونفعل بهم مايشاء فقال غيلان هذا هو الصواب ثم عادوا إلى الخيام وعادت الخيل تخبر أنها ماوجدتهم ولا وقعت لهم على خبر فقامت على الملك القيامة وقال وحق المسيح ما للمسلمين ذنب إلا لهؤلاء الملاعين ثم انه بات متفكرا فيما يفعل وقد ضاقت عليه أبواب الحيل وعول أنه إذا أصبح الصباح يرحل إلى القسطنطونية ويكشف عن خبر الشيخ النجيح وخبر غلمانه

(قال الراوى) فهذا ماجرى من هؤلاء (وأما ماكان) من امر المجاهدين فانهم بقوا متفكرين فيمن فعل هذه الفعال والبطال يقول للأميرة ذات الهمة لو كان ولدى مذبحون فى قيد الحياة لكنت أقول هو الذى فعل هذه الفعال وعمل هذه الأعمال فقالت الأميرة فلا تقول إلا أنه بالحياة من أين له ثلاث غلمان وكيف علم اننا محصورين فى هذا المكان وأنت تقول رأيت الشراب عند رجل شيخ وماأقول إلا أن هذا من بعض البطارقة قد كان بينه وبين عقبة عداوة قديمة وقد فعلوا به هذه الفعال (قال الراوى) فهم فى الكلام وإذا بأربعة بطارقة قد دخلوا عليهم من جملة المتوكلين بهم فلما رأوهم خافوا منهم وقالوا ياويلكم ايش أنتم وما الذى تريدون فقال الواحد منهم أنا يانس وقال الآخر أنا جوهر وقال الثالث أنا لؤلؤ وقال الرابع أنا مذبحون (قال الراوى) ياسادة فما فى المسلمين احد سمع هذا وعقل على روحه من الفرح لاسيما البطال فانه غاب عن الدنيا لما سمع بولده وحسن هذا الاتفاق فى مثل هذا الوقت الذى هو ضيق الخناق (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن مذبحون لما ضربه غيلان تلك

الضربة والعسكر على نصيبين وأخذ البطال من الخيمة وهو محروم كما ذكرنا وكان لؤلؤ وأصحابه فى عسكر السودان يسمعون ما عندهم من الاخبار كما وصفنا وكان غيلان قد ضرب الأميره وجرحها وضرب مذبحون فلق رأسه وتركه مرمى فى جانب الخيمه وهو يظنه قد مات ووقع الصايح فى العسكر وعاد لؤلؤ وأصحابه إلى سيدهم البطال ليعلموه بالحال فوجدا مذبحون يخور فى دمه فحملوه وهربوا من أول الكبسه ولم يزالوا سائرين إلى ان لحقوا المعتصم وأعلموه بما جرى ونزلوا بالموصل ليداووا مذبحون والتقى المعتصم بعسكر الروم وغدر ملك الافرنج بعقبه كما ذكرنا وقال غيلان لا بد من أخذ تار عقبه ومال عليهم حتى هربوا ولم يقدر أحدا من المسلمين يلحقهم بل نهبوا الأموال والخيام وأنفذ المعتصم الأمير عمرو بن عبيد الله إلى ملطيه وأعطاه ثلاث خزائن مال برسم عمارة ملطيه لاننا قد ذكرنا ان ارمانوس أخربها وأنفذ معه الصناع من سائر البلاد وعاد إلى بغداد وقلبه على الاميره ذات الهمه وضيغم ولم يعلم ما كان منهم ولا ماتم عليهم وعول انه يطلبهم من ملك الروم ويكاتبه بسببهم إذا وصل إلى العراق (قال الراوى) وأقام لؤلؤ يداوى مذبحون حتى برئ من جراحه وقد انقطع خبر مولاهم البطال فقال مذبحون قوموا بنا نعبر بلد الروم وندور على أبى ونكشف خبره ثم جهزوا حالهم وساروا حتى وصلوا إلى مدينة القسطنطونيه وقالوا أينما كان خبرهم يأتى إلى ههنا ثم أقاموا ثلاثة أيام وهم فى زى البطارقه ومعهم عدتهم وكلما يحتاجون اليه وفى اليوم الرابع وصلت كتب عقبه إلى الملك يخبروه بما جرى له فى دير الفواره وانه أعطاه المسيح تلك المنزله وطار من أعلى الدير وهو فى الجهاد مع المسلمين وهم فى الدير محصورين وأريد منك أيها الملك ان تسيروا إلى وتنظروا ما قد أنعم المسيح به على فسار الملك كما ذكرنا حتى أشرف على الدير وكانوا غلمان أبو محمد البطال فى جملة العسكر (قال الراوى) ودبرت الراهبه فاشوره الحيلة على المسلمين وأنزلتهم إلى السرداب كما تقدم ذكره وان مذبحون صبر إلى الليله الثانية وأخذ أصحابه وطلع الدير بعد نزول الرهبان بالاقامه فبذل السيف فى كل من فيه وماسلم منهم الا فاشوره وبنتها بالحيله التى دبرتها وانهم لما رأوا أصحابهم ماهم فى الدير فظنوا انهم قد خلصوا وطلبوا بلاد الاسلام فقال مذبحون والله مانخلفهم بلا افاده ولا بدلنا ماندبر على عقبه ونأخذ حتى نكون قد وقعنا بطائل ثم نزلوا من الدير وقد خلوا فيه فاشوره وبنتها وهم يظنون انهم مسلمات ولم يزالوا إلى ان وصلوا إلى سرادق الملك فوجدوه يشرب وعقبه عنده كما ذكرنا فقصدوا إلى بيت الشراب فوجدوا صاحب الشراب شيخ كبير وهو مشتغل بترويق الشراب فقتلوه ولبس مذبحون عدته وثيابه وركب على وجهه لحية مثل لحيته وسحبوه الغلمان إلى بعض الكهوف فألقوه فيه وأقام غلمان البطال عند مذبحون فى خيمة الشراب وكلما جاء

من غلمان الملك واحد يطلب يملا القرابه مايحس بنفسه الاوهم قد هموا عليه وقلوه ويلبس أحدهم ثيابه ثم يدور مذبحون بحسن صنعته ويجعل وجهه ويرخى شعره ويعطيه القرابه فيدخل بها على الملك والناس قد خالطهم السكر ولم يزالوا كذلك حتى دخل الثلاث غلمان على أبو محمد البطال بزى الثلاث سقاه واقام هو والشرابى كما ذكرنا وانهم لما ينجوا القوم اخذوا القاضى عقبه واوصلوه إلى الدير وعادوا ليأخذوا الملك فوجدوا فاشوره قدسبقتهم إلى الملك واسقته اللبن وحدثته بما جرى فقال مذبحون لعنك الله ياعجوز السوء والله لولا كى الليلة كنا قد اخذنا الملك وغيلان الشوك ولكن تمت خديعتك علينا بسبب خلاص الملك من ايدينا ثم اخذ أصحابه ورجع إلى الدير وفتح واخرج عقبه إلى أصحابه وقال ايش نعمل وإلى اين نذهب بهذا الملعون والساعه لابد مما يطلبه الملك فقال لؤلؤ اعلموا اننا بعدما عرفنا عند الملك فارجعوا بنا نحطه فى بعض الصناديق فى بيت الشراب ونقف نحن من وراء الخيمه فان رأينا الملك قد طلبنا وقد عرفته هذه الملعونه بحالنا نجونا بانفسنا وخليناه مكانه إلى الليل وعدنا اخذناه لانهم مايفطنوا به الاان يفتحون الصندوق فقال هذا هو الصواب ثم انهم عادوا إلى خيمة الملك فوجدوه قد عرف الأمير أبو محمد البطال وقد قبض عليه غيلان الشوك وقد ساروا فى طلب عقبه وقد وقع بالأميره ذات الهمه والملك قد ركب على صياحهم وفى تلك الساعه دخل مذبحون إلى السرادق الذى للملك وقد خلى من الناس ولم يبق فيه غير فاشوره فذبحها وارماها برا السرادق وغطاها بالتراب وقصد إلى ابو محمد البطال ليخلصه فوجد الصياح قد ازداد وقد اخذت الأميره ذات الهمه والأمير ضيغم والحصين فعظم عليه ذلك وقال مذبحون الحمد لله الذى وافق مجيئنا والا كانوا قد هلكوا ثم انهم لبسوا ثياب البطارقة وخلعوا ثياب السقاه وركبوا على وجوههم لحاء سود وجرى ماجرى وانفذ الملك يطلبهم وهو يظن أنهم غلمانه فكان أول من بادر للملك بالاسارى عشر بطارقة كما ذكرنا وكانوا هذه الاربعة من جملتهم فامهلوا لاصحابهم إلى ان أظلم الليل وقام مذبحون وطاف عليهم فذبح الستة ودخل هو وأصحابه على الأميرة كما وصفنا (وعدنا إلى سياقة الحديث) وان الأمير أبو محمد لما عرف ولده مذبحون كاد قلبه أن يطير فرحا وقال له يابنى وأنت فى الحياة والله ماظننت انك تسلم من تلك الضربة فقال والله ياأباه ماكنت إلا هالك ولكن لطف الله بى فقال يابنى وكيف كان وصولك إلى عندنا قال ماهذا موضع الحديث قوموا بنا مادام الليل من أوله حتى نقطع من الليل قطعة وإلا ان اصبحنا بالقرب منهم أخذونا ولا بد للخيل ماتركب فى أثرنا فقال البطال صدقت يابنى ولكن قلبى من الملعون عقبة فيه نار لاتطفى ولهيب لايخفى وايش عملتم به فقال عقبة حاصل اخلصوا أنتم من هذا البلاء وخلونا

من غيركم ثم ان مذبحون دنا منهم وحل كتافهم وفك القيود التى فى أرجلهم وسار بهم حتى أخرجهم من العسكر وقال الساعة قد علمت أنا قد نجونا فقالوا بقينا نريد خيل وعده فقال مذبحون أنا لا بد لى مما أعود إلى العسكر وأخرج عقبة إلى ما تخلصون انتم وتخلصوه لكم شيأ تركبوه فقال أبو محمد أنا أدخل فى طلب شىء نأكله فقالوا غلمانه ونحن ندخل فى طلب الخيل والعدة فقال الحصين لا والله مايدخل فى طلب الخيل غيرى لأنى تمرنت فى سلها فضحك البطال منه هذا وقد علم به ولده وغلمانه ففرحوا به وقال مذبحون والله ياأباه لقد رأيت من ليالى مناما وهو كان قد نبت لى ضرسا من حديد وبقيت متفكر فى ذلك فقال له البطال يابنى هذا والله تفسيره بأخيك الحصين وزاد فرحه بذلك ثم سار كل واحد منهم إلى ماعزم عليه وبقيت الأميرة ذات الهمة وضيغم والعبد دينار (قال الراوى) وما مضى من الليل ساعة حتى عاد أبو محمد ومعه برذونين فى علو الجمل وعلى كل واحد منهم صندوقين من الخيام ملآنين من الطعام فلما رأته الأميرة فرحت بسلامته وقالت الله تعالى يكتب على من بقى السلامة فقال الأمير أبو محمد والله مافزعى إلا على ولدى الحصين لأنه لو فطن به أحد ما كان له حجة يحتج بها فهو فى الكلام والحصين قد وصل وهو يقود خمسة رؤس من الخيل الجياد فضحكت الأميرة منه وقالت والله ياأبا محمد ان هذه صنعة مليحة ووصل الحصين وهو يضحك وسلم إليهم الخيل وأقاموا ينتظروا مايكون وإذا بلؤلؤ قد أقبل ومعه أربعة من الخيل الجياد وهو وحده يقودها فقلق الأمير أبو محمد والأميرة كذلك وقال لايكون أخذوا باقى أصحابه فقال لؤلؤ باقى أصحابى يحملون العدد ولم تكن إلا ساعة حتى أقبل جوهر وهو يتلهف من ثقل ماحمل من السيوف والدرق ومع الإثنين رمحين طوال تصلح للقتال فلما رأت الأميرة ذلك قالت أفرقتم الليلة وافقرتم الروم وكانوا الملاعين موتى لأنهم من العشاء مافيهم من يخرج من خيمته

(قال الراوى) وما بقى من الجماعة إلا مذبحون وبقيوا فى انتظاره وقد خافوا عليه وقالت الأميرة ذات الهمة والله لو جاءنا ماكنا نريد عقبة لأن له رب يستر عليه ولا بد مايوصلنا إليه فهم فى الكلام وإذا بركض فرس من بين أيديهم وفارس مقبل قاصد إليهم فقالت الأميرة لاشك قد أخذ مذبحون وقد أتوا فى طلبنا أو يكون هذا فارس واحد رايح فى شغله ثم ركبت الأميرة واشهرت سيفها وقصدته وإذا به مذبحون فهنته بالسلامة وقالت يابنى ايش أبطأك والله لقد ضاقت صدورنا لأجلك فقال والله ياأميرة انى لما سرت من عندكم قصدت الخيمة التى فيها عقبة فلقيت البطارقة الذين فيها لم يناموا فخفت ان يمضى الليل ونرجع نقع فى أيدى الروم ولا يسوى هذا كله شىء ولا يسوى عقبة الملعون فرجعت فى طريقى فوجدت هذا الفرس وقد انقطع مقودها وقد شردت فركبتها وأتيت إليكم قبل الصباح

فقالت مافعلت يا بنى الاجيد وما فى الأمر غير المسير مادام فى الليل رمق ثم رجعوا وأخبروا الجماعة بذلك فقال أبو محمد والله ماأردت أسير إلا بعقبة معنا ولكن الأمر لله تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد ثم ان القوم ركبوا الخيل واستعدوا بالعدد وقال لهم الأمير أبو محمد اقطعوا بنا هذه الأرض البيضاء حتى نقطعها ونطلب حصن يانس المتعزب فهو أقرب من بلاد الإسلام فقالت الأميرة سير أنت ياأبو محمد بين أيدينا حتى نتبعك فسار البطال فى أماكن يعرفها والقوم على اثره فلما أبعدوا قال مذبحون ياأباه أيكم أسبق لما كنا فى عسكر الروم فقال أبو محمد يا بنى ماسبق الا أنا الا أن الله تعالى سهل لى أمورى وانى دخلت الى العسكر وتصدت خيمة الملك فوجدت الى جانبها خيمة صغيرة والبطارقة فيها يتحدثون بما يلى بابها فعدت الى خلفها وقلعت من أطنابها وتد وحملت من صناديق الطعام صندوقان وأبعدت بهما الى آخر الخيام وبقيت مفكر فى أى شىء أشد الاثنان واذا أنا بصاحب هذا البرذون داخل الى العسكر فلما رآنى قال من أنت ياهذا قلت أنا من سواد البلد وقد حملت للملك هديه وأنا من هذه البلد وقد وقف بغلى على وأنا أود أنقل الصناديق هذه لعل أصل بهم الى خيمة الملك فقال لى وحق المسيح أنا صعلوك مثلك أحملها على برذونى هـــذا وان أعطاك الملك شىء توهبنى نصفه قلت أى وحق المسيح ولو أعطانى الملك ألف دينار كان لك نصفها ولعل المسيح يسهل لنا شيئا فعند ذلك نزل عن البرذون وشد عليه غير الشد الأول وشال عليه الصناديق وهو يعاونى فى الواحد وهو أثقل من الآخر فقال يا هذا ماكان هذا الصندوق أخر الآخر فكيف كان بغلك يحملها فقلت يا أخى كنت أشيل فوق الخفيف حجر حتى يعادل الآخر فقال يا هذا أما كان الصندوق الاثقيل فعندها مسك الصندوق الخفيف بكلتا يديه وحملت أنا صخرة أكثر من عشرين رطل وجبته من ناحية جنبه وقلت له يا هـذا دير وجهك حتى لا يدخل فى عينك من هذا التراب والرمل شىء فما هو يا بنى إلا أن أعطانى قفاه حتى بطحته بالحجر فى قرنه مع رقبته أخرجت مخه من رقبته ومن أذنه وعدت عدلت الصناديق وسقت البرذون وأتيت فقال مذبحون وفى خيمة الشراب خبينا عقبه وهو كما هو فى الصندوق الى الآن ولابد أن يكون طلع معك فى أحد الصناديق فوالله ليكونن هذا من أعجب العجب ويحق لهذا الحديث أن يكتب بماء الذهب لحياتى عليك يا أبتاه افتح لنا الصندوق الخفيف فوالله ان قلبى حس أن عقبة فيه فقال البطال يا بنى كيف يكون ذلك قال يا أبتاه لما حطيته فى الصندوق واردت أن أحمله اليكم وأنا فرحان بأخذ عقبه واذا بالصياح من عسكر الروم ومرج السودان وقد وقعوا بالأميرة ذات الهمة فخليته فى الخيمة ونجيت بروحى وعملت على خلاصك وهذا حديثى قم الآن وافتح الصندوق. فقام الأمير أبو محمد وفتح الصندوق

واذا بعقبة يبصبص بعينه الصحيحة الا أنه كاد أن يهلك من الجوع فلما رآه الأمير أبو محمد البطال قال الله أكبر ما أبركه من صباح وما أبركها من ليلة والله إن هذا اتفاق مليح بالشيخ النجيح وأريد أشرح قفاه لنستريح واقطع رقبتك حتى تنفى دين المسيح ثم انه أخرجه وقال اجتمعوا حوله وخلص الاكره من فمه وقال له كيف الشيخ الطيار فى قلوبنا منك النار فقال عقبة يا ابا محمد ما مر على فى عمرى أمر من هذه الحبسه فى الصندوق الميشوم فبحق ما تعتقده أنت أين أنا من هؤلاء الذين حولى وكيف خلصتم من ذلك السرداب ومن ذا الذى عمل على وبنجنى فما فقت من البنج الا الليلة فعندها حدثه أبو محمد كيف كان سبب خلاصهم واعلمه أن الصبى الديلمى قدخرج ولده الحسين وحدثه بما فعل مذبحون وكيف أتى الى بلاد الشام الى بلاد الروم ووصل مع الملك وكيف صاروا غلمانه سقاة وبنجوهم وحدثه بالقصة من أولها الى آخرها فلما سمع عقبة ذلك كادت مرارته تنفطر وقال وحق المسيح يا أبا محمد ما دين النصرانية الا على الباطل وما المسيح الا مسلم والا ما كان يمهلكم هذا الإمهال وقد عجبت أيضا من هذا ابن الزانية أن يكون الا منكم والساعه على أى شىء عولت فقال ما عولنا الا على الخير أريد أضربك مائة سوط وأرجع أردك الى الصندوق وأسير بك الى بلاد الاسلام وأتسبب فى صلبك فقال عقبه واى خير ها هنا ويلك يا شيطان ان كان من دين الاسلام ما تعتقده يا أبا محمد وان لا بد من ضربى فاطعمنى قبل كل شىء فوحق المسيح ان ضربتنى وانا جائع لأجمع المسيح منى جائعة فقال ابو محمد يا ملعون والله لا اضربك الاوانت جائع فقالت الأميره ذات الهمة دع عنك يا ابا محمد هذا الأمر واطعمه ما يمسك رمقه ورده الى الصندوق وسر بنا قبل ان يلحقنا شىء يشغل قلوبنا فقال عقبة أيتها الأميرة الزاهدة هذا والله اعتقاد اهل الدين فاسمع ماقالت الاميرة ذات الهمة وخلى كل شىء الى وقته فاطعمه البطال ورده الى الصندوق ولم يضربه وساروا الى ان اصبح الصباح وقد امنوا على نفوسهم واذا بغبار من بين ايديهم قد ثار الى ان علا على الأفق ثم انقطع بعد ان اظلمت منه الطرق ولاح من تحته علم اصفر يروق المنظر عليه صليب من الجوهر وتحت ذلك العلم عشرة فوارس وهم خمسة من العرب المتنصرة وخمسة من البطارقة الا ان مقدمهم بطريق على الجزيرة الأقصى اسمه طنطليس ابن شميص ابن فليص وهو كانه من بعض الجواميس وكان قد ورد الى مدينة القسطنطونية وحضر بين يدى نائب الملك وقال له انا طنطليس ابن شميص وقد قيل لى ان الملك الفالوغص كثير الأعداء وقد كفاه المسيح مؤنة من يطلب البراز من الجن والانس على انه يعطينى الجزيرة التى انا فيها لأن فيها رجل ما يساوى ملو اذنه نخالة وهو ملكها وله الأموال الجزيلة الكاملة والنعمة الشاملة والجند ما يريدون إلا كثرة المال

ولايفرقون بين شجاعة الأبطال فقال له نائب الملك الفالوغص حبا وكرامة ابشرايها البطريق. فقد وصلت الى ما تريد لا سيما اذا بقيت قدام الملك او ما سمعت ايها الملك بغيلان الشوك وهو من جملة السودان الذين قصدوا اليه وتنصروا فى هذا الزمان الا ان الملك لما بين هذا العبد قدامه اعماله اقطع له البلدان واحسن اليه غاية الاحسان وانت اولى بهذا من كل انسان وقد وصل كتاب الملك يامرنى ان اجمع الصياغ وآمرهم ان يصوغوا له سرير من الذهب الأحمر ويرصعوه بالجوهر برسم الملكة وانه قد زوجها بالملك غيلان وهى من يوم سمعت بذلك قامت عليها القيامة وقالت وحق المسيح ان أغصبنى على زواجه قتلت روحى لأنه من ذلته ومن فزعه يريد أن يزوجنى شيطان وهذا ما كان ولا يكون اعمله أبدا (قال) فلما سمع البطريق ذلك طمع فيها وقال قد أباح لى المسيح إلى غيلان والى جميع السودان الى الميدان حتى أتركهم رؤس بلا أبدان (ياسادة) فهو فى الكلام مع نائب الملك وكتاب الطير قد وصل بخبر أن الخليفة قد جمع عسكر خراسان وأجناد البلاد والقلاع والبلدان وقد سار فى عساكر عظيمة وقد حلف أنه لابدله مما يدخل الى بلاد الروم ويقتل وينهب ويهدم البيع والأديره والصوامع ويفعل ذلك فى بلاد الروم ولا يرجع حتى يقطع رقبة ملك النصرانية ويخلص كل أسير فى القسطنطونية فلما سمع نائب الملك ذلك قال ما بقى يحل كتمان هذا الأمر عن الملك ونريد من يسير بهذا الكتاب. الى الملك ويخبره بهذا فقال طنطايس أنا أسير اليه ولاأعود حتى أقبل يديه فقال النائب هذا وحق المسيح وقت حاجة الملك اليك ثم جهزه وجمله بالبيارق والطوارق والأعلام وانفذ معه خمسة من العرب المتنصرة وهو معه خمسة من البطارقة وأهل جزيرته كأنهم الأبالس بالعدد الكاملة والقنطاريات الواصلة والسيوف الفاصلة ولم يزالوا سائرين لحصن يانس المتعزب وطلبوا أقرب الطرق فساروا فى الأرض البيضاء والعرب المتنصرة تدل بهم حتى التقوا بالأميرة ذات الهمة وهم عشر فوارس ففرحت بذلك وقالت الحمد لله على تلك النعمة التى لم يلقانا من نفكر فيه فقال لها ضيغم وقد عاين حسن عددهم وجودة خيلهم ياستاه ماكان أحوجنا الى هذه الخيول التى لهم والعدة التى معهم لأننا قوم مطلوبين ومعنا هذه البراذين ماتنقل بنا وهذه الرماح التى معنا لاقيمة لها وما كان ينجينا الا عدة هؤلاء القوم مع الله تعالى فقالت الأميرة ذات الهمة وكيف نتعرض بقوم لايتعرضون لنا دعهم ودعنا نداريهم ونمضى فى طريقنا فقال ضيغم لا والله لا أتركهم ولا بد لى من أخذ عددهم وأنا أتركهم يتعرضون لنا ثم أطلق عنان جواده حتى قارب القوم وسلم عليهم فردوا عليه السلام واستخبروه عن الملك وعن العسكر فقال منه جئنا فقالوا واين الملك نازل فقال على دير.

الفواره فقال البطريق وكيف يطيق ويطيب قلب الملك أن يشتغل فى هذا المكان وخليفة المسلمين قد عول على الدخول الى بلاده وهلاكه وهلاك عبدة الأصنام فقال ضيغم ماخليناه الا على نية الرحيل الى القسطنطونية فكم من هنا الى حصن يانس المتعزب فقال البطريق يوما وليله فكأنكم أتيتم غربا من هذه البلاد فقال لا وحق محمد ابن عبد الله وما نحن الا مسلمين وقد أخذنا الشيخ النجيح عقبة وأنا ضيغم وهذه الأميرة ذات الهمة وهذا أبو محمد البطال وغلمانه وأولاده (قال الراوى) فلما سمع البطريق ذلك قال لقد تنكرتم الى غير راحم مادام انكم مسلمين فقالت له العرب المتنصرة أيها المولى هؤلاء أصحاب بلاد الاسلام ومعهم الشيخ النجيح وهو روح الملك الفالوغص والملك ماسار الى هذه الأرض الا لأجلهم وما ندرى كيف خلصوا منه فقال لهم البطريق ياويلكم فان كان الأمر على هذا فدونكم واياهم حتى أنظر قتالهم وان كانوا يصلحون لخروجى خرجت اليهم فعند ذلك صاحت العرب المتنصرة والبطارقة وتقدمت الى القتال الا شيخ منهم فانه خلاهم ونزل يرعى فرسه فقالوا له رفقاءه ويلك لم لاتركب وتطلب القتال مع أصحابك فقال أنا بى خلط فى الركوب ويلكم قلوا عنكم قلة العقل وسوء الأدب ولا تكونوا مجانين من بين الروم والعرب واعرفوا من قدامكم واطلبوا الهرب والا حل بكم الويل والعطب فما التفوا الى كلامه وأطبقوا على الأمير ضيغم فالتقاهم بقلب ملان ايمان وأنه استعان بالملك الديان فقتل أول بطريق والثانى فلما رأى الشيخ ذلك من فعال الأمير ضيغم انتزع الكفر من قلبه وآمن بالله ورسوله ونطق بالشهادة وصار من أهل السعادة ففرحت الأميرة ذات الهمة باسلامه وأما البطريق طنطليس فانه رأى ماهاله من ضيغم فأمر جماعته بالجملة فحملوا وضجو بأصواتهم فاستقبلتهم الأميرة ذات الهمة بقلب قوى وجنان جرى وصرخت عليهم بقول الله أكبر فتح الله ونصر وأخذل من كفر (قال الراوى) فبينماهم كذلك واذا بغبرة عظيمة قد أقبلت وتحتها عسكر مثل الجراد فلما رأوهم التهوا عن القتال وافترقوا عن بعضهم بعض وكان هذا العسكر نائب الملك وكان جبار من الجبابرة يعد فى الميدان بألف من الشجعان فلما اقبل التقاه البطريق طنطليس احسن الملتقى وهناه بالسلامة وساله عن سبب مجيئه فأعلمه فقال له من تكون من البطارقة وما هؤلاء القوم الذين انت واياهم فى القتال والنزال فقال له انا طنطليس البطريق ابن شبيص المبارز البحرى وهؤلاء القوم الذين فى قتالى ذكرا انهم من المسلمين ومعهم قس اسمه الشيخ النجيح الطيار وانا فى قتالهم أرجو هلاكهم لأنهم قد اهلكوا اصحابى وقتلوا غلمانى فلما سمع البطريق المقدم ذكره ذلك صلب على وجهه هو وقومه وقال هؤلاء

طلبة الملك وحق المسيح لاسيا ومعهم الشيخ النجيح (ياسادة) وكان البطال قال لضيغم وأصحابه اقبلوا منى والتجؤا الى وراء الجبل الذى بين أيديكم قبلهم لتستندوا عليه وتعتمدوا بالله عليه وتقاتلوا القوم من جهة واحدة بعد ما نرفع عقبة الى أعلا الجبل فان رأينا اننا هالكين قتلناه قبل هلاكنا حتى لايبقى سالم من بعدنا ولا يشتفى بالإسلام فقالت الأميرة هذا هو الصواب سوقوا الدواب واتكلوا على رب الأرباب ففعلوا ذلك وطلبوا الجبل وتعلقوا فى ذراه ورفعوا عقبة الى أعلاه ووقف الأمير ضيغم والأميرة ذات الهمة أسفل العقبة ومعهم العبد دينار والشيخ ثعلب ومذبحون والبطال واثنين من غلمانه والباقى حملوا الصندوق الذى فيه عقبة من فزعهم عليه (ياسادة) وطلبتهم البطارقة مثل السلاهب وقد ركبوا الجنائب وأشهروا القواضب وفى أوائلهم مائة من المقدمين وقد أملوا ان يأخذوا المسلمين وأمروا بقية الروم ان يصطفوا فاصطفوا خمس صفوف (ياسادة) وطلبت المائة مقدم الأميرة وأصحابها ونظر ضيغم الى تلك الخلائق واختلاف البيارق فقال للأميرة والله ياستاه ما هؤلاء الاخلق كثير وما ههنا من يقاتل إلا انا وأنتى وكم جهد مانقاتل وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فقالت الأميرة وما عسى أن نصنع يابنى ان طلعنا الى الجبل حاصرونا وربما طاولونا وأخذونا لأننا مقلين من الماء والزاد وان ولينا قدامهم الأدبار لحقونا لأجل بعد الديار ولا سيا وتحتهم الخيول السوابق وان سلمنا أنفسنا اليهم نموت موت اللئام وما بقى الأمر الا أننا نقاتل فى طاعة الملك العلام وان كان هذا اليوم يوم رحيلنا الى الآخرة خلصنا من هذه الدار الغادرة غير اننا مانرى الغلبة الا ونقتل عقبة قبل موتنا حتى نكون قد ارحنا امة محمد منه فقال ضيغم هذا هو الصواب والاعتماد بعد ذلك على الملك الوهاب ولما عولوا على القتال قالت الأميرة لثعلب ياثعلب ان هؤلاء القادمين ماعلموا انك معنا ولا انك اسلمت ورجعت الى الله تعالى فاكتم ايمانك عنهم واذهب اليهم وكن معهم الى ان تجد فرصة وترجع الى بلادك وتعمل فى خلاصهم الى بلاد الاسلام ومن رأيته من المسلمين فاقريه عنا السلام وقل لهم ان ذات الهمة الكبيرة البائسة الفقيرة التى مالها ذخيرة قد فدت المسلمين وماتت قتيلة فى محبة هذا الدين وان وفيت ما بيننا من حرمة وذمام ورايت ولدى فاقريه عنى السلام واوصيك انك اذا وصلت الى عبد الوهاب قل له ان العجوز مشتاقة اليك وهى تقريك السلام وتخلصك بالتحية والاكرام وهى فى ارض معطشة وبلاد غريبة لا لها مجير ولا معين ولا صديق به تستعين وقد قتلها الشوق اليك ثم انها اخرجت من حقها ورقة واعطته من وسطها قلم ودواة وقالت له تحسن تكتب فقال لها نعم فقالت له اكتب وانا املى عليك ثم انه تقدم يكتب وهى تملى عليه وانشدت :

سلام على الندب الأمير | من المفرد الصب بين الورا
سلام محب به شدة | يلاقى القتال وكيد العدا
ترى يجمع الدهر مابيننا | والقى الأمير قبيل العنا
فؤادى عليك وجسمى نحيل | وصبرى قليل غداة الوغا
فشوقى جليل ووجدى مقيم | وسيفى زعيم بسفك الدما
وانى غريب وامرى عجيب | وبعد الطبيب حياض الردا
وقلبى إلى ولدى شائق | وقد طال والله بعد المدا
واحدقت الروم من حولنا | الوف وقوف ببيض القنا
ألا ياحمام بحق الامام | ترى تعلمون بحالى هنا
ترى يصبح الشمل مستجمع | ويضحى البعيدبه قددنا
ذكرت زمانا مضى سالما | ونحن نزول بربع الحما
كان لم نعيش سرورا به | ولم اجنى فيه ثمار المنا
فسقيا ورعيا لعهد الرضا | ولا قرب الله يوم الجفا

(قال الراوى) فلما فرغت الأميره من شعرها وبلغت بما فى صدرها بكى الأمير ضيغم والشيخ ثعلب وقال بالله ان وجدتم لهذه الرساله غيرى فانفذوه واما انا والله اول قتيل يقتل بين ايديكم وقد مضى زمانى ضائعا وهذا آخر عمرى وان لم يغلب خيرى شرى فالنار اولى بى لأن الأعمال بخواتيمها وما بقى لى فى الحياة حاجة ومابقى الا الجهاد فى طاعة رب العباد وانا فما املك الا نفسى واريد اليوم اطلب بها الشهاده (قال) وكانوا الروم لماحملوا قالوا للبطريق طنطايس قف انت والزم حشمتك ولا تكون بينك وبين هؤلاء القوم مفاصله فنحن نكفيك امرهم والملك خلفنا واصل وسوف تبلغ ماانت له آمل لأنه يحب الشجعان ويرى رأيه فى الفرسان (قال الراوى) وكان قصدهم بذلك ان يكون الذكر لهم ويأخذون الخلع والثياب والأموال إذا اخذوا ذات الهمه والبطال وكان هذا البطريق غريب بهذا المقال وكانت الأميره قد اعجبته بعبادتها فانفرد عن الجيش ووقف ينظر اليهم واطبقت المائة مقدم الذين ذكرناهم على الأميره فالتقتهم بجنان اقوى من الصخر وقلب اقوى من البحر وحمل ضيغم وراها وساعدها على بلواها وصاح الشيخ ثعلب بقرب الكتائب يابنى اللئام جاءتكم طيور الحمام الا ان تقولوا الااله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاليوم تسعد قوم وتشقى اقوام (ياساده) فعرفوه البطارقة وكان بينه وبين واحد منهم صداقه فقال له ويلك

ما كنت اعرفك إلا اذل العرب فلاى شىء طلبت القتال وتركت دينك وأسأت الأدب وماعرفك فى الحرب إلا اذل من هرب فقال له ثعلب ان كنت تعرفنى هارب فانااليوم للقتال طالب والساعه اجود فى القتال والصنيع وتعلم انى شيخكم وشيخ الجميع فافعل مثلى والا فانت رقيع (قال الراوى) فلما سمع البطريق كلامه ضحك من نظامه وعدل عن الحرب لاجله لانه كان صديقه وبينهما موده وحملوا الباقين على ذات الهمه وضيغم واشتدت النقم وعملت الصوارم فى القمم وبدل الوجود عدم واظلم النهار من رهب الجبل واغتم ونظر إلى وحدة هذين الاثنين الملك الاعظم واعانهم على لقاء المائة فارس وكثرت الوساوس ودام ضرب البتار إلى ان انتصف النهار وإذا بثلاثة قد خرجوا من المعمعه وهم يصيحون كريالسيون ياشيخ ارحمنا وانظر الينا بعين الرضا فالهؤلاء المسلمين من المفر وانكشفت الغبرة للنظار وإذا بالبطارقة آذان مجزعه ورؤس مقطعه وابدان مطرحه ورقاب مشرحه وأكتاف قد جرحت ودماء قد قطعت فلما رأت البطارقة أصحابهم وما حل بهم من عذابهم انتخت المتنصره وحمل منهم مائتين وطلبوا الأمراء مثل طرفة العين فقال ثعلب لاستر الله عليكم ماتخلونا نستريح إلى غد فقالت الأميره دعهم يفعلوا ماأرادوا فنحن قد وهبنا أنفسنا للملك الأعلا ومن تعب اليوم نال الراحة غدا فقال ثعلب للاميره بالله عليكى يامولاتى انعزلى انتى ومولاى ضيغم واتركونى لهؤلاء الملاعين لانهم كلهم عرب مثلى ولى فيهم ثلاثة أخلاء والباقون بنى عمى وأقاربى فدعونى أدعوهم إلى الله تعالى ثم زعق بجواده وكان شيخا جوهرى الصوت فخرج الجواد من تحته كانه البرق الخاطف حتى قارب القوم وناداهم ويلكم إلى أين ياكلاب العرب اتبعونى تخلصوا من النار ذات اللهب وادخلوا فى دينى تنجوا من العطب فلما سمعو كلامه قالوا له ويلك ماأنت ابن عمنا ثعلب قال بلى أنا ثعلب وابو ثعلب وشيخ العرب وكل امرىء عجب وقد زال عنى الكفر وذهب ومابقى الا القتال عن دين سيد العرب والنبى المنتخب قالوا ويلك اسكت يامدلول عن هذا القول المجهول فقال والله ماالمدلول إلا من يرجع عن ملة الرسول فضحكت المتنصرة من قوله وقالوا له ويلك يامجنون ماأنت ثعلب الذى كنت تهرب من خيالك ولاتحمى عيالك قال بلى أنا ذلك وقد هدانى مالك الممالك وها قد برزت اليوم إلى قتالكم وأريد اليوم أقطع من هؤلاء الامراء آمالكم وأبيدكم وأفنى رجالكم واسبى أولادكم وعيالكم قال فغضبت المتنصره من كلامه وحمل عليه منهم فارس وكان من بعض اخوته وهو جبار من الجبابرة فأطبق عليه ونزل البلاء حتى قاربه ولم يرد قتله بل قرع من الرمح قته وشوش عمامته ونادى ياثعلب وحق ذمة العرب لولا مابيننا من النسب لاخذنا

مافى عيناك وأوقفتك بفعالك (ياساده) فهو فى خطابه وذات الهمه حملت عليه وصاحت به فارتعدت جثته وطعنته بالرمح من بين يديه وإذا بالسنان طلع من بين كتفيه فصاح ثعلب اليها ياسيدة العرب كل من شوش عمامتى شنى منه على فضحكت منه الأميره وحملت على باقى المايتين وتبعها ضيغم وغلمان البطال واشتد القتال وحمى النزال ولعبوا المجاهدين وطعنوا فيهم طعنات تقرب الآجال وضربوهم ضربا يهد الجبال ولم يزالوا معهم على هذا الحال حتى نودى فى قبائل النهار بالارتحال وفى قبائل الليل بالانسدال ورجعت المتنصرة عن القتال وقد هلك منهم رجال وتمددوا فى عرصة المجال واقبلوهم والروم يتلاومون ويقولون وحق المسيح ان هذا غاية العار أن نكون فى خمسة آلاف فارس ومالنا فى قتال فارس طاقه فكيف يكون عذرنا عند الملك إذا قدم علينا ومافى القصد إلا اننا نهمل أمر هؤلاء إلى غد إذا نزلوا من على الجبل ونحمل بأجمعنا عليهم والا بقينا فضيحة فى سائر الاقطار ومعيره عند كل من شد الزنار ثم أقاموا ينتظرون الصباح وقد عولوا على الحرب والكفاح (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمراء فانهم عند المساء طلبوا الجبل فلما وصلوا إلى البطال فوجدوه قد فتح الصندوق الذى فيه عقبه وهو قاعد عند رأسه بيده خنجر وهو ينظر إلى الحرب ويقول ان قضى على الأمراء بقضاء قتلت هذا المعون ولا أبالى بعده بما يكون فلما أمسى المساء وطلعت ذات الهمه وضيغم ومن معها من الأصحاب تلقاهم البطال وهناهم بالسلامه وأخرج لم الطعام وأقام هو وولده مذبحون والحصين يحرسوهم إلى الصباح فلما أصبح الصباح قامت الأميره إلى جوادها وفعل ضيغم مثل فعالها واتبعهم ثعلب وبعض غلمان البطال ونزلوا من ذروة الجبل وإذا بالدنيا ملآنه من المضارب والقباب وعساكر قد ملات الروابى والهضاب وصلبان قد سدت المشارق والمغارب وملات جميع الآفاق والجوانب فقالت الأميره لضيغم يابنى قف مكانك حتى ننظر هذه القصة فانى أقول ان الفالوغص قد أقبل وأحدق بعساكره حول الجبل فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

(قال الراوى) وكان الأمر كما قالته الأميره لان البطارقة لما باتوا معولين على ماذكرناه من القتال وجعلوا يأخذون أهبة النزال إلى أن كان وقت السحر فنزل الملك فى عساكره وبطارقته ودساكره وقد ملا الارض فى الطول والعرض وسألهم عن المسلمين فاخبروه انهم فى قتالهم وحربهم ونزالهم وقالوا قد احتموا عنا فى هذا الجبل والا كنا بلغنا منهم الامل ثم أعلموه بقصة طنطليس البطريق وانه أوحد زمانه وقد أتى يبارز بين يديك الاقران وضمن انه يبلغنا إلى غيلان فتعجب أصحاب الملك والملك من ذلك ونزل وأمر كتائبه فدارت بالجبل وأصبح الصباح كما ذكرنا ونزلت الاميره ذات الهمه وضيغم كما وصفنا ونظر ثعلب

إلى ذلك فقال الاميره ماأرى أعدانا اليوم إلا أكثر من أمس فضحكت الاميره وقالت اعلم ان الرجل إذا ضربت رقبته لايحس إذا كان السيف هندى أو أفرنجى وكذلك من طلب الله لايفزع ولا تدركه المخافه ولا يجزع (قال الراوى) ودخل طنطايس إلى الملك وخدمه فاكرمه الملك وعظمه وأمره ان يظهر شيأمن شجاعته فعاد إلى ظهر جواده وجال وتقلب على ظهره حتى حير أعين العباد بما أظهر فى الطراد فاعجب الفالوغص فاخلع عليه واندهل بما أبصر من حسن تقلبه على الخيل وما صنع من الفروسيه واللعين قدام الروم فقال الفالوغص ماأظن يكون أحد مثل هذا فى الزمان إلا أنت ياسيد السودان فقال غيلان كل ماهو فيه صناعة لاشجاعة هذا والبطريق قد تقدم إلى الملك وقال أيها الملك المسيح أباح مبارزتى لاهل الشرق والغرب وغدا آتيك بهؤلاء الاعداء إذا نزلوا من الجبل وأسقى الكل شراب الاجل وقد بلغنى انك زوجت ابنتك شمسونه بهذا العبد المنجوس وقد سمعت فى مدينة القسطنطونيه انها ما رضيت بذلك لانك ان أغضبتها بزواجها قتلت روحها وأريدك ان تخرجه إلى فى الميدان حتى تشهد بينى وبينه الفرسان ومن نصره المسيح فقد استحق الجود والاحسان فعند ذلك التفت الملك إلى غيلان الشوك ليشاوره فى هذا الشان وإذا به قد انقلبت عيناه فى أم رأسه وهو كانه الفتيق وما بقى للملك ولا لاحد عنده قدر وركب على جواده وقد ابيضت شفتاه وسواده ونادى بالبطريق طنطايس وقال دونك يا ابن الاعلاج لتنظر منى العجب تحت العجاج هذا والسودان قد عظم عليهم قول البطريق وقالوا من يكن احق منا بزواج الزنجيات الملاح ونحن الطاعنون بالرماح والضاربون بالصفاح ثم كثر منهم الزعاق وقامت الدنيا على ساق فقال ورمدون المجنون ان أفسد هذا الزواج انفسد حالنا كلنا فقال فيلمون الرأى عندى ان نكون غافلين عن اعدائنا والاصرنا مسلمين ولطمناهم بالدرق اجمعين (ياساده) هذا والبطريق وغيلان قد انطبقا فى الميدان واخذا فى الجولان والكر والفر حتى غابا عن العيان تحت الغبار وهما يتهامزان مثل الاسود قلوبهم اقوى من الجلمود ونظرت ذات الهمه إلى ذلك فقالت قد اوقع الله الفتنه بينهم واشغلهم اليوم عنا ليقضى الله امرا كان مفعولا فقال ضيغم ترا ايهما يغلب فقالت ذات الهمه اما البطريق فهو شجاع عند الاختبار واما غيلان فرجل لايصطلى له بنار فسوف يكون بينهما مايعلمه الواحد القهار على ان لهما آجال محتومه إذا جاءت لاتفرق بين القوى والضعيف

(قال الراوى) ودام القتال بين غيلان والبطريق حتى صار وقت العصر وقد تحير الناس منهما ومما جرى عليهما من الخداع والقراع فنشروا لهما دشة الانطباق والافتراق فلما ازداد الامر صاح البطريق وطعن غيلان طعنة هائلة وصلت القنطاريه فى الحديد وانحنا

غيلان عليها فرفعها بصدره وضرب البطريق بعامود بولاد وزنه عشرة أرطال فخسف البيضه ونزل إلى رأسه فطير مخه وأضراسه فوقع مثل قطعة الجبل فى الميدان ومقام الضرب والطعان

(قال الراوى) فعندها صاحت السودان وقبلت الصلبان وعظم غيلان فى عين الملك والبطارقة وشهدوا له بالفروسيه جميع العمالقة وغضبت الروم من ذلك الحال وقالوا لقد ترك الملك من فرسان الروم الأبطال وهم السادة الاقيال القليلة المثال وعادت عصبته مع هؤلاء السودان الانذال فقال ياقوم اعلموا ان هؤلاء الفرسان اليوم منكم واليكم وأشفق الناس عليكم لاسيما وقد اخلصتم فى قتال أعدائكم النيات وأظهروا فى دينكم العزمات حتى تنالون الغاية القصوى وترون النصر على الاعداء وقالوا أيها الملك من قدمته فهو المقدم ومن كرمته فهو المكرم فعندها أقبل الملك على غيلان وقال له أحسنت يافريد الزمان ويا ملك السودان ولكن اعمل قبل فى خلاص الشيخ النجيح وعمدة المسيح فصاح غيلان فى السودان وزعق فى الاقران فانفرد منهم خمسمائة عنان وطلبوا جند الرحمن ولما نظرت الاميره الى ذلك هزت رمحها الثقيل واشهرت حسامها وصارمها الصقيل وألوت عنانها وقومت سنانها بين آذان حصانها وفعل ضيغم مثل ذلك وانتخوا غلمان البطال وولده مذحون وتأهبوا للحمله وأما الشيخ ثعلب فانه لما راى السودان معولين على الحملة قال ياقوم انا قاتلت معكم امس وقد اصبحت اليوم تعبان ومالى طالع الا فى الروم واما هذه الوجوه العابسه والاناف الفاطسه فمالى على نظرهم طاقه لان امى كانت فى صغرى تخوفنى بالسودان وقد بقى الخوف فى قلبى الى الآن فضحك الامير ضيغم من هذا المقال وقال ماقلت الا الصواب لانك امس اتبعت فرسك معنا فالله معينك فقال ثعلب فامهلوا انتم حتى اعود انا عند البطال واجلسه عند الصندوق الذى فيه عقبه القرنان واذا رايتكم قد هلكتم قبضت على دقنه وذبحته من اذنه الى اذنه وان كنت ما افعل ذلك بريت من دين الحنيفيه والذمة العربيه فقالت الاميرة ذات الهمه لله درك هذا والله كان فى نفوسنا ونريد منك اذا انت قتلته فاكتم قتله عن نفسك وقل للملك اذا اخذوك قل لهم انا كنت مأسور مع القوم وتحرص انك تأخذ اولادك وتخرج الى بلاد الاسلام والسلام اذا اردت زمزم والمقام وحججت الى بيت الله الحرام ثم بكت بكاء حرقة وجرت دموعها بقطرات وانتحبت انتحابا شديدا وانشدت

اضيغم هذا اليوم يوم سعادة ... فدونك يا ابن الاكرمين الاطايب
ولا تجزعن يا ابن الامير من الردا ... فان جنات الخلد تحت القواضب
ومن طلب الرحمن لاشىء غيرة ... فلا يلبسن الدهر حلة خائب
سأطعن فى احداقهم بمسقف ... طويل ثقيل مثل سم العقارب

وارجو من المولى امانا وجنة ... اذا ما قتلنا فى بلاد الكواذب
الا يا غراب البين بلغ رسالتى ... امير يفك الهام من كل كاذب
وقل انها ما فارقتك وانما ... قضى من الرحمن غير مغالب
فلا نظرت عيناك ضيغم واقف ... يحامى عنها بالسيوف القواضب
وقد احدقت من الروم خيل حولنا ... وسودان غيلان اللعين الموارب
وفالوغص فى الف الف مدرع ... يرمون قتلى عامدا غير واجب
ولو كان عندى يا بنى كتيبة ... بالف سنان لم اكن بالمغالب
ومع ذا وهذا سوف اطعن فيهم ... واضرب فى اعناقهم والترائب
سأحمى على نفسى واجهد طاقتى ... عن البطال مولاى وغاية مطالبى
وانى ومحبوبى عنيت مقالتى ... لضيغم نور العين ابن الاطايب

(قال الراوى) ولما ان فرغت الاميره ذات الهمه من شعرها حملت وعلى الله توكلت والى السودان وصلت وكبرت وهللت وحملت وحمل ضيغم وغلمان البطال وراءها وما منهم الا من بكى لبكاءها ورق لشكواها وتصايحت السودان واختلطت اهل ملة الايمان باهل الشرك والطغيان واستغاثوا للملك المعبود وتصادموا فى المجال وجرى الدم وسال وكان يوم يشيب الاطفال وتزلزلت لهوله الجبال وصارت السودان تظهر من تحت الغبار فلم يزالوا بين هارب وعاطب والدماء تسيل مثل السحائب وأقبل الليل باجنحة الغياهب ونادى المنادى بينهم بالانفصال فرجعت وقد ملات الأرض من القتلى والسودان قد هلكت منهم الابطال وفنيت الاقيال فعظم ذلك على غيلان ونهم كما ينهم الأسد الجيعان وقال للروم كان بقى يقال خمسمائة من السودان قد أقاموا فى الحرب بفارسين يوم كامل وما كان منهم اليهما واصل وانتم كنتم خمسة آلاف وما قدرتم عليهم على انكم تعلمون انهم الموصوفان المعروفان الواحد منهم ذات الهمه التى أخربت البلاد وأيتمت الأولاد وفنيت الأكباد والثانى الأمير ضيغم الأسد الغشمشم والصلد الأرقم وحق المسيح لقد لقيته فى الحرب وموقف الطعن والضرب فرأيت منه فارسا لايطاق وعلقما مر المذاق وغدا أخرج اليهم وأكفى الروم شرهم فشكره الملك على ذلك وقال وتربة أبى ارمانوس ان فى قلبى حسرة من هذه المرأة مما رأيت منها فى حصن يانس من الحيل والقوى ولولا الليل حال بينى وبينها لكانت سقتنى شراب الردى فقال غيلان الشوك غدا نرى مايكون وما تتحدث به القرون فدعى له الملك على فعاله وباتوا إلى أن أصبح الصباح بعد ما افتقد غيلان الخمسمائة من السودان فوجد قد عدم منهم ثلثمائة وعشرون وبقى مائة وثمانون والطعنات كلها فى المقاتل وما فيهم شىء حائل عن المحائل واكثرها

طعنات الأميرة ذات الهمة فبات وهو متفكر (ياسادة) وأما الأميرة ذات الهمة فانها عادت طالبة إلى عند البطال هى وولدها وهم موتى من شدة التعب وقد كات سواعدهم ووقعت الخيل من تحتهم وكان الشيخ ثعلب قد حصل لهم غيرها من المعمعة خيول منسوبة تصلح للمجالد ورماح طوال بعدما هناهم بالسلامة وقال والله لقد كنت لما حملتم على السودان أزعق من رأس الجبل على الفرسان وأشاركم فى التكبير وأنفش ذقنى حتى يعلمون أن خلفكم مثلى ولا يطعنون فيكم فضحك البطال والأميرة من هذا المقال فقالت الأميرة الله لا يخلينا من طلعتك يا ثعلب فما هذا وقت الضحك ثم انها قامت على قدميها تعبد ربها وتخدم مولاها وتجعله رجاها (قال الراوى) وأما مذبحون وباقى الغلمان فما كان منهم من صلى أكثر من الفرض وانطرح من شدة التعب إلى الأرض ووقفت الأميرة ذات الهمة تطيل بكاءها وتشكو إلى مولاها هذا وضيغم يقول لها ياجدتاه لاخوف عليك فأنا إن شاء الله غدا أصطلى الحرب بنفسى وما أخليكى تقاتلى حتى انى أشرب كاس الحمام وعرقبنى الهوام فلما أن سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك الكلام احترقت أحشاها ثم أرادت أن تشفى من عقبة غليل صدرها وجواها ثم أخرجته من الصندوق وقالت له ياملعون إلى متى هذه الحياة الطويلة مع هذه العداوة فسوف يحل بك الليلة البلا وقد طال المدا ولا بد من قتلك فى هذه الليلة قبل غد ثم انها أخرجت حسامها حتى برق ولمع وبرق وسطع فطار قاب عقبة وعلم أنها تسقيه كاس الموت جرع فقال فى نفسه هؤلاء قوم قد استقتلوا ولا شك أنهم يقتلون الشيخ الطيار ويرحلوا من هذه الديار (قال الراوى) هذا وضيغم يقول له ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة لان متنا بموتك وقتلنا بقتلك فالحمد لله الذى حصل ذلك ولم يحكم علينا بالموت إلا وأنت معنا حتى نشتفى منك ونخلص المسلمين من فعلك القبيح يالعين يامن ليس له اعتقاد صحيح ولا ميزان فى الحساب رجيح (قال الراوى) فوثب له الشيخ ثعلب وهو يقول له ياشيخ السوء ان الدليل بالدليل عارف فوحق ذمة العرب لاصفعنك الليلة صفع جزاف ولا ذبحنك ذبح الخراف ثم جعل يعطيه بقوته على قفاه ويقول له ما أطيب قفاك ياقرنان وياعابد الصلبان والاوثان ياضعفان يامقطوع الاذان ياملعون فى سائر الالوان والاديان يامن عليك اللعنة من الحنان المنان لانك ياهذا ألعن من إبليس بطبقات كثيرة وليس لك قاعدة فى ملة من الملل ولا دين من الاديان فعليك ياعقبة لعنة الله وغضبه إلى أن تسقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار

(قال الراوى) فعند ذلك قال له عقبة يانحس ويحك ما أرقعك من شيخ وما أسفه من لسانك وما أجرى بالقبيح جنانك فقال له والله أنت أنحس منى بطبقات ولا بد ما تتجرع الآفات ولا تتخلص منى حتى تعطينى مهر أمى ثم تجهز البنات ونسأل فيك الاميرة وإلا أضربك ضربة

خطيرة فقال له عقبة صدقت يا ابن ألف نحس متى تزوجت أنا بأمك فقال له تزوجت بها عند مكة والحطيم وهو إلى تاريخه وإلى هذا الاوان مكتوب عندى من قديم وهذه علامة صحيحة وحق الإله العظيم (قال الراوى) فقال لهعقبة ماأكذبك يانحس متىهذا كان فقال له ثعلب لما كنت فىالحجاز تلاعبالصبيان وتعرض علىالنسوان فقال له عقبة اعلم ياهذا وهذه العلامة لاأعرفها فكيف يحل لك أن تصفها فقال له ثعلب اعلم أنى حققتها معرفة وأنا أخبر منك بهذه الصفة ويلك لم تنكرعيالك وتحمى أعمالك والكلب يصفعقذالك وينتف سبالك فقال عقبة ماكملت الجماعة إلا بهذا التيس الرقيع الزائد السقاعة ثم إنه التفت بعد ذلك إلى الاميرة ذات الهمةوقال لها باللهعليكى ياأم المجاهدين أريحينى من هذا الكلبفما رأيت أسفه منه فقالت الاميرةذات الهمة ياقاضى كيف يجوزلكأن تمنعه أوكيف يجوز لنا أن نمنعه منك وهو يطالبك بمهر أمه فقال عقبة كذب والله إن كان أنا قط تزوجت بأم هذا أو أعرفها فقالله ثعلب والله يارقيع ماتبرح من يدى إلا بالمهر وإلا صفعتك طول الدهر ثم انه شال يده وأعطاه واحدة وزنها رطلين بالدمشقى فى قفاه فصار عقبة يستغيث فلا يغاث وضيغم يقول ياقاضى من يطالب مهر أمه ايش يقال له ياثعلب لاتخليه بماطلك فى مهر أمك وخذ حقك منه أحسن لك لأن الإنسان إذا ترك حقه لاحق له (قال) ولم يزل فى ذلك العذاب الشديد حتى ركبت الأميرة وأصحابها على الخيول العتاق وتحدروا من ذيل الجبل بالسيوف الرقاق وأيقنوا بالشهادةفى طاعة الملكالخلاق وركبتعساكر الروم منسائرالآفاق وصهلت الخيول وهمهمت وتبادرت المواكب وازدحمت وافتخرت السودان وتقدمت وركب الملك الفالوغص ووقف تحت الأعلام واصطفتالبطارقة من كل جانب ومكان ينظرون مبارزة غيلان إلى العساكر والأميرة ذات الهمة سيدة الفرسان لأنهم قد سمعوا ذلك من أول الليل ولما نظر غيلان إلى العساكر وقد تبادرت وإلى ذات الهمه وقد نزلت تقدم وسلم على الملك وصقع وقال له أيها الملك أوفى وعدى ولا تخلف عهدى فقال له قواك المسيح وجاد عليك بالنصر الصريح افعل ما بدالك وأرنى اليوم طرفا من أفعالك فعندها قفز غيلانالى بين الصفين وتوسط الميدان وأوسع فى الجولان وهدركما يهدر الأسد الغضبانوقدتقدمت بينيديه السودان ورفعتالصلبان وصاحتالقسوس والرهبان وعولت الاميره أنتحمل على غيلان واذابجانب جيشالرومقداضطرب وشاش وكثرفيه الاندهاش وخرج منه أوفىمن عشرة آلافقارس بالقراطق والمناطق والرايات المختلفات وهميطلبون الاميره ذاتالهمهوالزاهدة العابده ويريدوننصرتهاويرومون نجدتها (قال الراوى) وكان السبب فىذلك أمرعجيب وحديث غريبنحب نذكره على الترتيب وذلكانفارسا منعظماء

الروم كان قد خطب ابنة الملك ارمانوس من قبل أن يقتله هذا الملك الفالوغص وكان ارمانوس قد زوجه بها فى حال حياته لانه خاف منه من أجل حشمته وعظم نجدته ان تعتقده الروم وكان اسمه فيتفورس واسم الجاريه ارمانوسه ولما قال الملك الفالوغص لغيلان أريد ان أزوجك ابنتى شمسونه وبلغ الخبر الى القسطنطونيه وسمعت بذلك شمسونه فبعثت الى أبيها تقول له وحق رأسى ان أنت زوجتنى بهذا الاسود لاقتلن روحى وكيف يجوز للملوك العظماء أن يزوجوا بناتهم لغير أشكالهم لاسيما وهذا عبد أسود ومرتد عن دينه (قال الراوى) فلما وصل اليه كتابها أخفاه عن غيلان خوفا أن تنفسد عنه السودان وترجع الى ملة الاسلام فاستشار مارس وأخيه دارس فى ذلك وقال لهما أنتما مشايخ الدوله وما بقى من عظماء الروم غيركما وقد جرى من الامر ما هو كذا وكذا وقد نفرت نفسى من هذا الاسود وقد رأيت من الرأى ان أفرق أختى أرمانوسه من فيتفورس وأزوجها لغيلان حتى لايخرج من يدى مثله فقد نصر دين النصرانيه فما قولكم فقال له مارس أيها الملك هذا هو الصواب (قال) وكان على رأس الملك خادم صغير يقال له قسطنطين كان قد هداه فيتفورس للملك ووصى الغلام وقال له يا بنى أريدك أن تطالعنى بأخبار الملك ومايظهر لك ولما سمع ماقاله الملك لمارس ودارس مضى الى سيده فيتفورس وأعلمه فقامت عليه القيامه ودخل على ارمانوسه بنت الملك أرمانوس وفى وجهه آثار الغضب وقال لها اعلمى أن أخاك يريد أن يطلقك منى ويزوجك بهذا العبد غيلان المجنون الاسود فلما سمعت ذلك تخبل عقلها وتغير لونها وقالت وحق المسيح لئن فعل ذلك لاقتلن روحى كيف يجوز لبنات الملوك أن يغصبن على أنفسهم ويتزوجن بما لايصلح لهن فقال لها فما الذى ترين من الرأى وقد دار حول رجاله فقالت له الموت أقرب من هذا وقد سمعت أن ذات الهمه قريب منا وقد دار حولها برجاله وهى وولد ولدها ضيغم فى مقابلتهم وهم صابرين شاكرين منتظرين الفرج فسير اليها وابصرها وكن من حزبها واذا فعلت ذلك خاف أخى من جانبك ويتمنى منك أن تعود الى ما كنت عليه وان لم يلين لك كانت تلك الأميره سند لك وعضدك كما كانت ليانس المتعزب وان انصلح مع أخى حالك والا أخرج معها الى بلاد الاسلام وانا أحتال حتى أتبعك وأكون معك فعند ذلك استوصب رأيها واعلم غلمانه وسار من القسطنطينيه حتى لحق بالفالوغص فى هذا المكان الذى نحن فى ذكره وجرى من القصه ماجرى ووجد الفرصه وعلم أن الاميره ومن معها هالكين فعندها صاح وحمل وتبعته غلمانه ومماليكه كما ذكرنا عشرة آلاف فارس ولما أن قربوا من الاميره أرموا سلاحهم وترجلوا لطفا من الله تعالى واعلمها فيتفورس بقصته وقال لها عليكى مطر السماء من كل من أكل الخبز وشرب الماء ففرحت الاميره بذلك الا أنها ما أطمانت لهم بل قالت لهم كونوا فى مقام واحد حتى نرى مايتجدد ولعل الفرج يكون

قريب ثم انها انعزلت هى ومن معها من أصحابها وأخذوا حذرهم (قال الراوى) ونظر الفالوغص الى الفيتفورس وقد التجأ الى الامير ذات الهمه بغلمانه وجنوده فصعب ذلك عليه وكبر لديه وعلم من أين دهى فقال لارباب دولته نحن ما كنا نقدر على هذه العجوزه الشمطا وحدها ومعها ابن ابنها فكيف وقد صار معها أبطال النصرانيه وعمدة ماء المعمودية ثم استشار مارس ودراس فيما يفعل فقال ياملك كل من مضى من آبائك وأجدادك كانوا كلهم يشاورونا فى أمورهم لاجل البصيرة والعلم والفضل ونحن كنا حضور عند الملك منويل وقد أتاه رجل من أهل دولته وتحدث فى عدوله فقال له الملك منويل أتحب ان أقبل قولك فيه وقوله فيك فقال لا ياملك بل أريد العدل فقال كف عن الشر يكف عنك وقد ضربت لك هذا المثل فتكون مستيقظا فى زمانك هذا الى غلمانك ولا تميل الى البغى وتفعل مايغضب به عليك المسيح وترضى بلباس القبيح واذا هممت بشيء فشاور فيه الحكماء والعلماء والاجناد من أرباب دولتك حتى يكونوا لك ولا يكونوا عليك عند شدتك وهذا الملك فيتفورس هو أقرب الناس اليك لاجل أن أختك معه وهو صاحب هذه الفعلة وجناح هذه الدولة وقد بلغه بلاشك أنك تريد أن تطلق أختك منه وتزوجها لغير أبناء جنسك فطلب إعزاز نفسه وإن هو شد مع الأميرة شغل سرك وأضعف أمرك وأطلع على المسلمين عورتك وكان سبب خراب دولتك وكيف كان يجوز لك أيها الملك أن تزوج أختك لهذا الأسود غيلان وهو من جنس العبودية والهوان وهذا عار عليك مدا الأزمان ومنقصة بين الملوك والفرسان أن يقولوا زوج الفالوغص أخته بنت أرمانوس بعبد أسود منحوس واعلم أيها الملك أن يانس المتعزب قريب منهم ولا يقعد عنهم وكأنك به وقد أقبل إلى نصرة القوم ويزداد الأمر ويعظم الشر (قال الراوى) فبينما مارس يحدث الملك وإذا قد أقبل إليه جاسوس من بلد العراق يخبره أن المعتصم قد جمع كل من فى بلاد الأمم وما عاقه إلا استنظاره الأمير عبد الوهاب يأتيه من الحجاز فى عساكر بنى كلاب والسودان الانجاب لأنه قد أنفذ إليه نجاب وأخبره أن الأميرة قد فقدت وأنه داخل إلى بلاد الروم يطلب كشف أخبارها وأقول انه اليوم قد قارب ملطيه فدبر أيها الملك أمرك وما تراه واحذر على بلادك من الأعداء (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك من الجاسوس تشوش خاطره وقال هذا شيء ما كان فى الحساب فقال مارس أيها الملك ما فى الأمر إلا أنك تغلق هذا الباب عنك وتصالح هذه الأميرة وتتلافا زوج أختك وترده وتأخذ عقبه من أعداءه وتدعهم يخرجون إلى بلادهم وترجع أنت إلى بلادك والا أخرب المعتصم الأقاليم وصار الأمر الحقير عظيم فعندها قال الملك وقد نجز فى أمره فكونوا أنتم الرسل فى سبب الصلح بينى وبين ذات الهمة وخلصوا منها الشيخ الطيار واضمنوا لها فتح الطريق حتى تعود

إلى بلادها سالمة فقالوا سمعا وطاعة أيها الملك وما نقدر نقع فى أيديهما لأننا نخاف أن يقبض علينا والصواب أن ترسل معنا البترك الكبير يستحلفهم ويستحلفك فقال الملك افعلوا ما بدا لكم ثم انه ادعى بالبترك وأوصاه بما أراد وسار البترك مع مارس ودارس يطلبون الأميرة فلما علمت أنهم رسل فاستقبلتهم هى وضيغم والبطال وترجل البترك ومارس ودارس إعظاما لقدر الأميرة ولما وصلوا إليها سلموا عليها وخاطبونا فى أمر الصلح وأن يحلف لهم على ذلك ويكون الصلح بينهم سنة كاملة وأنها لا تمكن الخليفة من الدخول إلى بلاد الروم وتسلم إليهم القاضي عقبة (قال) ففرحت الأميرة بذلك وأجابتهم عليه بعد ما أظهرت التمنع وأشرطت عليهم أن يعيدوا فيتفورس إلى ما كان عليه من عزته وحشمته وأنه لايعارض فى زوجته فحلف لها البترك على ذلك وعادوا إلى الملك وأخبروه بما جرى وفرحوا كلهم بذلك واستقر الرأى وفرحوا بالفرج من وسط الحرج وأطلقوا عقبه وأعادوا فيتفورس إلى ما كان عليه عندها حلف لهم الملك الفالوغص على ذلك لأنه لايفرق أخته منه ففرح بذلك ورحل الملك إلى القسطنطينية وهو خائف عليها غاية الخوف وسارت الأميرة إلى أن وصلت إلى حصن يانس المتعزب فالتقاها بالفرح والسرور والغبطة والحبور ثم حدثته بما جرى لها وأقامت عنده ثلاثة أيام وعولت على الرحيل إلى بلاد الإسلام وأرسل معها يانس ألف فارس إلى ملطيه فساروا معها ولم تزل تجد فى المسير حتى وصلت إلى بلاد الثغور وأشرفت على ملطيه وسمعت المسلمين بسلامتها ففرحوا بذلك وتعجبوا من نوبتها بعد طول غيبتها والتقوا الأميرة عند قلعة المنجنيق ورأوها فى ألف فارس والسعادة قد حفت والرايات على رأسها نشرت وجنود عزها على الأعداء منصورة ولما قرب الأمير عمرو منها هم أن يترجل فأقسمت عليه أن لا يفعل فسلم عليها وعلى البطال وضيغم وهناهم بالسلامة وكذلك وجوه بنى سليم وخواص أهل ملطيه وقد عادوا معها إلى البلد فأبصرت البلد وقد عمرت أصوارها وجرت أنهارها وغرست أشجارها وعادت أحسن ما كانت من العمارة والبنيان فشكرت ربها على بناية الثغور وسألها عمرو أن تنزل عنده فى ملطيه فقالت بعد فقد الأحباب وغيبة الأمير عبد الوهاب بل أنا أفتقد آثاره وبعد ذلك أطلبه وأبل شوقى منه وكان ياعمرو وقد وصل إلى الخبر وأنا فى بلاد الروم أن المعتصم يريد الدخول إلى بلاد الروم وما أرى لذلك عندك خبر فقال يا أمى سمعنا أنه برز من بغداد وقد أرسل خلف الأمير عبد الوهاب ولدك وكان قد سمع أنه تعافا من مرضه فأرسل إليه يعلمه بغيبتك ويأمره بالمسير حتى يدخل إلى كشف خبرك وسار عبد الوهاب يطلب العراق حتى وصل إلى قريب من بغداد وعدنا سمعنا أنه رجع إلى الحجاز وقد وقع بينه وبين الخليفة قبل وصوله وما ندرى ما سبب ذلك فلما سمعت الأميرة ذلك ضاق صدرها ولم تعلم كيف وقع بين الخليفة

وولدها إلا أنها ما طاب قلبها بسلامته من مرضه ومقامه بأرض الحجاز فسارت إلى قلعة المنجنيق ونزلت هناك وعاد الأمير عمرو إلى ملطيه وأرسل إليها الاقامة والضيافة وأقامت الأميرة عند نافع عشرة أيام ثم خلعت على أصحابها وأصحاب يانس وامرتهم بالرجوع وقالت للبطال كنا طمعنا ان نلتقى بالأحباب فوجدناهم غياب فوالله لقد ضجرنا من خدمة السلطان والزمان الغدار وما هو كما كان ومازلنا كل يوم فى حزن وتهديد ووعد ووعيد وهم مشتتين فى البلاد ولقد لزمتنا شماتة الحساد والصواب خلاصنا من هؤلاء القوم حتى لا يبقى علينا لوم وقد عولت أن الحق بولدى عبد الوهاب وأنظر كيف وقع بينه وبين الخليفة وما الذى غير قلبه عليه حتى عاد إلى الحجاز وما لنا حاجة فى الصلح ولا فى الخدمة وانه ماعاد إلى الحجاز بعد مسيره إليه إلا من شىء كبير اتصل إليه وان قدرنا على الصلح فعلنا ذلك وإلا دخلنا كلنا إلى الحجاز لأننا بحمد الله شاكرين كثيرين المال وإذا أردنا الغزو إلى بلاد الرم سرنا بأنفسنا وبلغنا الآمال فقال البطال صدقتى ياأميرة ولكن فى رحيلنا شماتة الأعداء لأجل العز الذى قد بنيناه وبلد قد ألفناه فكيف يطيب لنا أن نتركه ونتغرب عنه وفيه نسانا وقد بلغنا من الثواب والجهاد ماأردنا وهذا أفضل لنا من اتباع الدنيا وقد بقى من العمر القليل ونموت ونلتقى بالرب الجليل ومقامنا فى هذه الديار هو الأفضل وإن مضينا إلى الحجاز يخمد حسنا ويبطل ذكرنا ويطلع الفخر لغيرنا ولكن سيرى بنا إلى أرض العراق ننظر ما كان من الأمير عبد الوهاب ونتوكل على الله الملك التواب فاستصوبت الأميرة رأيه وعولت على مقاله وتجهزوا من يومهم وانحدروا وقلب الأميرة طائر على ولدها وقد جعلت على الله معتمدها فأنشدت :

تعجبت من دهرى وما قد رمانيا ... وما نال ابنى من زمان معاديا
تخلصت من أرض الملاعين عنوة ... وزال عنائى واطرحت الأمانيا
وسارت إلينا الخيل من كل جانب ... يروموا رجوعى للهلاك المعانيا
وكان عدو الله عقبة حاضرا ... أسيرا حقيرا طائش العقل باكيا
وغالبنى فيه القضاء وصدنى ... وكان قضاء الله فى الخلق ماضيا
وقد وقع الصلح المقرر بيننا ... ولم أدر ان الأمر يأتى مؤاتيا
تخلصنا من ذلة الأسر ربنا ... وسرنا نريد الثغر والنصر باديا
فلما أتينا سرعة ملطيــــة ... وجدنا بها ربعا من الأهل خاليا
ألا إن سيرى الآن نحو إمامنا ... بقصدى إلى بغداد والسوق غاليا
سأمضى إلى السلطان من غير خلعة ... إليه ولكن سائلا كيف حاليا

وما سبب الابعاد فى أرض غربة لقد شمتت حسادنا والاعاديا
ألا قاتل الله النوى ما أمره تـكدر عيشى بعدما كان صافيا

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى بغداد فقال البطال نحن جماعه ونخاف ان يعرف منا أحد وان الخليفة غضبان على عبدالوهاب ولا ندرى ما السبب والصواب ان تسيرى معى إلى دار صديق لى يقال له طوق بن ثابت الخزاعى لأنه مصادق لى ومراعى ونسأله عن هذه القصة ولاى حال قد غضب علينا الخليفة فان كان من أمر يسير طرحنا أنفسنا عليه ونتوكل على الله فى الوقوف بين يديه وإن كان الامر قد عرض وهو صعب فنـكون قد أخذنا حذرنا فقالت الاميره قد رضينا بهذا التدبير والله الموفق المجير وهو نعم المولى النصير ثم أقاموا متنـكرين إلى أن دخل الليل ونهضوا إلى دار الامير طوق بن ثابت وكان محبا للبطال كما ذكرنا فتسنطوا عليه من خلف الباب وإذا به ينشد ويقول :

ترانى أرى خلا وشخصا أحبه وأمسى بعيد الدار بعد التقارب
وكان صديقا لى وخلا وصاحبا فلما جفانى صار فى الحال غاضب
ولولا تقادير الزمان لزرته ولـكن هذا الامر خلف المصائب
ترى فى بلاد الروم أصبح ثاويا فأندب ذاك الشخص بعد التناصب
ألا إنه البطال وهو حبيبنا وما زال معروفا بصدق الاقارب
سألت بنى كلاب عنه فى كل محفل وقد خبرونى عنه بتحسين خائب
وقالوا عدمناه ومعه أمـيرة فيالك من دهر على الناس صائب

(قال الراوى) ولما فرغ الامير طوق بن ثابت من شعره ونظمه ونثره فدق البطال عليه الباب وقال له افتح فقد قدمت الاحباب الغياب فقام وهو يقول البطال ورب الـكعبة ثم فتح الباب ثم تراما على قدميه يقبلها ثم سلم عليه وعلى الاميرة ومن معها ولما استقر بهم القرار وصاروا فى الدار فقال لهم كيف أنتم وأرى الطلب عليكم فى هذه الايام حثيث فقال له البطال وكيف ذلك فقال طوق اعلم أن عاقبة أخت القاضى عقبة استغاثت إلى الخليفة وقالت يامولانا قد جاء أخي العابد الزاهد عقبة وهو معجز الرأس منزعج الحواس ومتـكسر الاضراس فقال لها وأين أخوكى ومن فعل به هـذا الفعال فقالت يامولاى قد زعم أن الامراء أخذوه إلى سرداب وجعلوا يعذبوه بأنواع العذاب ولولا ان الله تعالى من عليه ببعض السودان وإلا ما كان وصل إلى هذا المـكان فقال الخليفة وأين العبد الذى جاء به فجابت الملعونة عبد أسود كان من بقيه الجبابرة أو من نسل العمالقه فلما وقف قدام المعتصم فسأله عن القصة فقال يامولاى العفو عند المقدرة من فعال الـكرام اعلم يا امير المؤمنين إنى كنت من سودان

الأمير عبد الوهاب الفاجر الكذاب وما زال البطال حتى أفسدنى وقد صرت من أصحابه وأعطانى كل شهر عشرة دنانير وقال لى تدخل معى إلى بلاد الروم فى طلب مطلب قد اطلعت عليه يامولانا وأنت تعلم أن النفس مجبولة على الطمع فمضيت معه وقد أخذنا صندوقين لم أعلم مافيهما ولما وصلوا إلى أطراف بلاد الترك نزل بى البطال فى بعض الاديرة الخراب فرأيت فيه سرداب فنزلنا فيه حتى انتهينا إلى آخره وفتح أحد الصندوقين وأخرج منه هذا الشيخ المسكين فقلت له يامولاى إيش هذا الشيخ وأين المطلب الذى ذكرته فقال مالنا مطلب غير هذا الفاجر الجاحد للملك الواحد وإن عندى لك فى كل شهر مائة دينار وهذه ألف دينار سلف عن عشرة شهور وهم يأتونى بالطعام وأمرنى أن أضربه فى كل يوم مائة صوت وكل قليل يأتونى ويفتقدونى إلى أن كان فى بعض الأيام وإذا بالبطال مع الأميرة ذات الهمة على فاحشة وهو نائم معها مثل نوم الرجل وزوجته فانكرت ذلك وسألتهما عن حالها فقال البطال أماعلمت أنى تزوجت بالأميرة وإنما نحن نكتم زواجها لتبقى هيبتها فى قلوب الرجال حتى لاتسقط حشمتها وحشمة الأمير عبد الوهاب وإنما يامولاى باتا يعاقبان هذا عقوبة الارتحال وعولا أن يسقياه شراب النكال وكنت أنا مع عقوبتى له لا أراه الاكل ليلة يصلى إلى الصباح ويطلب من الله تعالى الأجر والثواب والغفران ويقرأ القرآن وإنى أعجب من أمره وصرت متحير فى ذلك حتى مضى زمنا وأنا أزيد فى الهوان إلى أن كان بعض الليالى فرأيت فى نومى قائلا يقول ياخبيث لم تعذب شيخ الدين وزاهد المسلمين ولكن ان كنت تطلب الرضا من الله فخلص ولى الله العبد الصالح والشيخ الناصح عقبة المظلوم لأنه بحر العبادة والعلوم ولقد تعدو عليه بنى كلاب وقد غضب الله على أميرهم عبد الوهاب كما مضى بهذا العبد الصالح من العذاب فارجع إلى الله من قريب وأطلق هذا الشيخ من التعذيب واعلم أنه عند ربه يبال وإلا ماكان صابر على هذه الأحوال وإذا دخلت أنت وإياه الى بغداد فبلغ المعتصم السلام وقل له كما سمعت وأوصيه بهذه الوصية فقلت والله إنى خائف أن يمسك فى الطريق فقال لا والله إن الله تعالى قد أزال عنكم العنا والتعويق فلما انتبهت من منامى أطلقت القاضى عقبة وأعلمته بما رأيت فبكى بكاء شديد وقال لى ياولدى أنت فى حل من قبلى فانك عبد مأمور ولا تعلم بهذه الأمور فحملته إلى الباب وأنا أسنده لأجل ضعفه وما جرى عليه من الشدة وسرت به ثلاث ليال وفى الليلة الرابعة رأيت قدامى عمران وقصور ومنازل ودور فلما نظر إلى ذلك صرخ صرخة عظيمة فقلت له أيها الشيخ ما الذى أوجب هذا الصياح فقال والله هذا بلد أمير المؤمنين والساعة تشرف على بغداد وهذا تصديق منامك قد ظهر وقد طويت الأرض لنا ثم أخذه من ذلك خشوع وسماع

وخضوع ولم أزل به حتى أوصلته إلى داره وهو فى حال غشوته وما عاد بعد ذلك كلمنى وها هو مطروح وهو فى حالة الأموات وقد كنت أشتهى أن يكلمنى قبل موته حتى أتحلل من طيبة نفسه ولا أكون به شقيا ثم بكى الأسود مكر منه وخديعة كما هو معلمه اللعين عقبة وبكت الخبيثة عاقبة وبكى المعتصم لبكائهم وقال والله لقد قطعت الزمان بالغفلة وكنت أسمع من هؤلاء الظلمة مايقولوه من الكلام القبيح فى حق هذا الرجل الصالح والآن فوحق البيت ومن حج والتلبية ومن ضج لاتركت من بنى كلاب من يمشى على التراب وأول ما أبدى بعبد الوهاب (قال الراوى) وكان هذا شيطان مارد وكان جاحد واسمه طاعون الفلا وكان من غلمان غيلان الشوك وإن عقبة لما خلص من الأسر بعد الصلح ودخل على الملك الفالوغص ونظر حاله فقال له يعز على ماقد أصابك ولكن قد وصل الجاسوس يخبر أن خليفة المسلمين كان معولا على الدخول الينا فاختلف هو وعبد الوهاب لأجل بعض الأسباب وعاد وقعد عما كان عازم عليه من الطلب فلما سمع عقبة ذلك صلب على وجهه وقال الساعة وحق المسيح تسير ذات الهمة والبطال إلى بغداد وربما يتوصلوا إلى إصلاح الحال وعودتهم إلى أوطانهم ثم إنه أخذ من الملك جنائب وغلمان وأعطاه هذا العبد المنحوس من جملة السودان ومضى يجد السير ليلا ونهار بلا هدو ولا قرار فسبق الأمراء كما ذكرنا إلى بغداد وعلم العبد جميع ماتحدث به مع الخليفة المعتصم وجرى من القصة ماجرى (ولما) سمع المعتصم هذا الأمر ضاقت عليه الأرض بما رحبت وقال سوف ترى ما أصنع وعاد إلى صاحب الوظيفة وقال له خذ معك ألف مملوك وطوف على الأمراء خلف بغداد وانظر مايمر عليك من الجانبين فقد بلغنى عنهم ماخوفنى منهم وقد عزمت على صلبهم (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من طوق فانه قال يا أبا محمد قد حرت فى أمركم كيف نجوتم من عدوكم وما أدرى كيف دخلتم سالمين فقال البطال اعلم أن الله تعالى إذا ستر العبد لايقدر أحد أن يفضحه ثم أقبل على الأميره ذات الهمه وقال لها ما ترى فى هذه القصة وكيف سبقنا الملعون إلى هنا وأحكم أمرنا فقالت الأميرة ما أنا حائره إلا من هذا الأسود ومن أين كان له فقال البطال هذا من بعض السودان المتنصرة الذين مع غيلان الشوك وقد علمه فى الطريق هذا الكلام فوالله إنها حيلة عظيمة وان وقعنا فى يد المعتصم فما يبقى علينا فقالت الاميرة يا أبا محمد دبر فى خروجنا حتى نلحق بأصحابنا فقال البطال والله لاخرجت وتركت عقبه فى عافية وإن قدرت أيضا على المعتصم أخذته معنا إلى أرض الحجاز فتعجب طوق من قوة جنانه وفصاحة لسانه فقال له كيف تقدر عليه وهو إلى الآن فى غشوته وأن أخته وأولاده عند رأسه يبكون عليه فقال بالله استعين ولا بد لى

من هذا اللعين ثم خرج من وقته وساعته وسار إلى دار عقبة فتسابق إليها وقد اتكل على من أمره بين الكاف والنون فنظر من سماء الدار وإذا بعقبه جالس يشرب الخمر وإلى جانبه طاعون الفلاه وأخت عقبه وهو يقول لهم شيلوا هذا واقطعوا الرائحة وأطلقوا العود والند حتى لا تعلو روائح الخمر فى الدار لان أمير المؤمنين لا بد أن يأتى إلى زيارتى ويجدد العهد بمشاهدتى فقالت له أخته عاقبه و لى متى تريد تبقى هكذا طريح وكيف لك على هذا جلد وطوله روح فقال لا أزال هكذا إلى أن تقع ذات الهمة والبطال ومن معهما من الغلمان والاولاد وهذا الذى قد ظهر لهم الآخر الذى سموه الحصين فلما سمعت عاقبه ذلك قالت ومن هو هذا فحدثها بحديثه وكيف خرج مع باهلاك الخارجى وكيف عرفه البطال فقالت له عاقبه وقد تعجبت من ذلك يا أخى هذا الغلام أخذته من ملطيه لما سلمتها إلى ارمانوس ووحق المسيح لقد عوات على ذبحه عشرين مره وكان ماسكا يمسك يدى عنه حتى أخذ منى وأنا منحدرة إلى بغداد فقال عقبه وحق المسيح ماقد خرج إلا أيشم من أبيه البطال وأسرق للأموال وللرجال فلا ستر المسيح عليه ولا على أبيه ووحق المسيح لا برحت على هذا الحال حتى أضرب رقاب الكل وبعد ذلك أرى الصحة والسلامة (قال الراوى) ولما سمع البطال ذلك عاد ونزل واستعمل العجل ولم يزل حتى وصل إلى دار طوق وحدث الاميرة والجماعة بما سمع من عقبه وطلب من طوق قباء ومنطقه فأتاه بما طلب وقعد البطال وقد قرب الشمعة إليه وقصر من ذقنه وألصق أجفان عينيه بالصمغ إلاالقليل منهما فصارفى زى وشاقى وقد أخذ بيده شربوس وزيا الاميره بزى خادم وألبسها ثوب أسود وأخذ معه العبدديناو وولده الحصين ومذبحون وهما أيضا فى زى الوشاقيه جرد مرد بخدود مورده وسار بهم البطال إلى دار عقبة فدق عليه الباب فظن أنه الخليفة فتغاشا ومات وأمر أن يشال كلما كان حوله من الآلات وقال للعبد طاعون الفلاه أنظرمن الباب فنظر وإذا بالبطال فى ذلك الزى هو وغلمانه وأولاده حوله فى زى الوشاقية والخدام فلما رأى العبد ذلك انذهل وسلم فقال البطال قل للقاضى عقبة إن مولانا أمير المؤمنين ما قدر الليلة يخرج من الدار مخافة من القوم الذين تعرفهم وقد أقسم لا يخرج من الدار إلا أن يشفى قلبه منهم وقال مالى صبرعن القاضى الامام فامضوا اليه وأتونى به على أى حالة كان وقد أتيناك كما ترى فاخرجه إلينا من كل بد فقال العبد أيها الحاجب الكريم اعلم أن القاضى لا يقدر على الركوب وقد تزايدت عليه الكروب فقال البطال فمولانا أمير المؤمنين أمر أن يحمل ولو فى محفة فلا يتخلف فعادالعبد إلى عقبة وحدثه بماسمع فقالت عاقبة كل شيء يفعله الانسان الامخالفة إمام الزمان ثم وثبت قائمة وأخرجت محفة عظيمة وفرشتها بفراش من الحرير وحملت هى من جانب والعبد من جانب ثم أجلسوا عقبة فيها وقد أظهر الضعف والأنين وقد نظر إلى البطال وهو فى زى

الحجاب فانطلاعليه و تغاشا فأظهرالبطال البكاء وأمر ولده مذبحون والعبد دينار فحملا المحفة وسار بها من تحت الظلام ولما أبعدوا التفت إلى عاقبة وقد همت أن تدخل إلى الدار فقال لها اعلمي أن الله تعالى ما سمي الانسان إلا لنسيه وأنا نسيت وصية كانت بها أوصتني السيدة زبيده وقد أنفذت معي هذا الخادم الخاص منجيح وهو الغلام الوشاقى الذى هو عندها مثل ولدها وقالت لى خذ هؤلاء معك حتى تأتى إلى الحرة الكريمة لتنال من بركاتها فصعقت عاقبه لما ذكرالبطال السيده زبيدة وقالت السمع والطاعة امهل على حتى ألبس ثيابى ثم عادت إلى الدار ولبست أفخر ثيابها ثم عادت مع الاميرة ذات الهمه والحصين قدامهم يتوقد مثل النار ووجهه مثل البدر ولما احتكمت القصة تركهم أبى محمد البطال ولحق بعقبة ومذبحون وسار بهم حتى وصل إلى دار طوق فوجد الباب مفتوح ووجد صديقه طوق فى انتظاره فلم يتكلم البطال حتى حطت المحفة فى الدار وقال لعقبة افتح عينك الصحيحة يا قاضى عقبة وانظر إلى أمير المؤمنين فلم يتكلم وظن أن ذلك حق وإنه فى دار الخليفة فرفع البطال يده ولطمه فى رأسه وقال له لم لا تتكلم ياقرنان ياشيخ الصلبان هنالك فتح عقبة عينه الصحيحة وإذا بالبطال بين يديه كانه شيطان ومن حوله الغلمان فأنكر الملعون ذلك وقال يا أبا محمد قال له نعم فقال له ويلك ياشيطان من أين جئت وكيف بقيت حاجب للسلطان فقال له اعلم أن الذى طوى لك البعيد من بلاد الروم فهو الذى صيرنى فى زى حاجب السلطان ثم أدار كتافة ورفعه إلى بعض الخزائن فهو كذلك وإذا بالأميرة قد أقبلت وهى محاوطه الملعونة عاقبة على كتفها فقال البطال ولما حملتى هذه العاهرة الملعونة يا أميره فقالت مشت معى ساعة وأنكرت الطريق وأرادت أن ترجع فلطمتها على رأسها أرميتها على وجهها وحملتها كما ترى وماقدرت تتكلم فقال البطال ما بقى إلا الاسود الزنيم اللئيم وقد تم لنا مانريد والا نفر علينا الخيل والطلب من عند المعتصم وكنا نهلك فقالت الأميرة صدقت يا أبا محمد وليس لهذا الأمر إلا أنت فقال ما يمضى غيرى ثم إن أبا محمد وثب وسار إلى أن وصل إلى دار عقبة وطرق البـــاب فخرج اليه العبد طاعون الفلاة وقال له ما الخبر يامولاى فقال له اعلم أن الخليفة يدعوك اليه ليخلع عليك فخرج العبد حتى صار فى وسط الدروب هنالك أخرج البطال خنجراً وقال له يا كاب المتنصرة ومن خسر الدنيا والآخرة ابشر بالنكبة فقد أخذنا الملعون عقبه وأخته عاقبة ولا بد ما أحملك اليهم أدر كتافك قبل تلافك (قال الراوى) ثم إن العبد لما سمع هذا الكلام علم أنه قد تم عليه البلاء فقال للبطال ويلك أزل مابيدك عنى وإلا وحياة الشيخ النجيح لكمتك لكمة ماتريد غيرها فعلم البطال أنه صادق وندم كيف أتى وحده ثم جعل يلاطفه بالكلام وينظر كيف ينفلت منه والعبد يهمز عليه مثل الأسد.

وأراد أن يقتل البطال وإذا بلكمة قد أخذته من أصول أذنه إلى قحفه فالتفت ينظر من الذى فعل تلك الفعال وإذا بها الاميرة ذات الهمة فأراد أن يصيح فسكت فمه وأدارت كتافه وسارت تقول يا أبا محمد لاتنظر فى العواقب لانك لما خرجت اتبعتك لعلمى انك ما أنت من رجاله ثم سارت الى دار طوق وأنزلوه إلى السرداب الذى فيه عقبة وعاقبة هذا وعقبة يقول والله ماتم على هذا الامر ياطعون إلا بقولك أجب حاجب الحجاب فقال طاعون الفلاة وأنا والله ما أخذت إلا بسببك وما أدرى كيف تم لهؤلاء القوم من الحيل (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من الخليفة المعتصم فانه لما هدأ الليل وتفرقوا أرباب دولته قال لمسرور يامسرور لقد اشتهيت الليلة الشيخ عقبة أن يكون عندنا حتى يحدثنا بقصته على جليتها وإن كان قد برىء أتركه يسامرنا فى هذه الليلة لانى فى فكر عظيم ثم أنفذ حاجب من حجابه الخواص ومعه أربعة من مماليك الدار وقال ائتونى بالقاضى عقبة من كل بد على أى حال كان فقال السمع والطاعة يامولانا وساروا إلى دار عقبة ومعهم مشعل فطرق بعضهم الباب وإذا بقائل يقول من بالباب فقالوا نريد القاضى عقبة فنحن مماليك الخليفه ومعنا خادمه الخاص وقد أمرنا بحمل عقبة اليه فقالوا ياقوم القاضى عقبة قد مضى من ساعته إلى عند الخليفة ومعه أخته عاقبة مع الحاجب طمان الخاص وقد جاء أيضاً خلف العبد الأسود وأخذه إلى عندهم ليخلعون عليه فلما سمع الحاجب ذلك الكلام عاد إلى الخليفة وقد أعلمه بالقصة وقال أخذوا والله الشيخ العالم وحل به الانتقام وكذلك الزاهدة وما أخذهم إلا البطال العيار المحتال ومذبحون قتال الرجال وذات الهمة أم الأهوال ثم بعث من وقته إلى صاحب الشرطة وأمره أن يفرق خمسة آلاف فارس إلى سائر الطرقات ففعل ذلك وأدعا بالنوابين والنقباء والعيارين وأقسم الخليفة إن لم يأتى بهم الوالى وإلا قطع رأسه ورؤس رجاله ففزع صاحب الشرطة (قال الراوى) وكان من جملة العيارين عيار يقال له الغواص آفة من الآفات وبلية من البليات فقدمه على أصحابه وقال له ما أعرف هؤلاء إلا منك فقال الغواص السمع والطاعة أنا آتيك بهم فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين ثم فرق فى كل درب جملة من الرجال يعنى كل درب خمسة رجال وستة رجال من الخراسانية وقد قامت القيامة وارتجت بغداد وقد أوقدوا المشاعل ووقع الصياح من كل جانب (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه قال للأميرة يا أميرة ما انتظارنا فى المسير ولم لانجعل هؤلاء الملاعين فى صناديق ونسأل حسن التوفيق ونسير من قبل أن تقع علينا عين أو يسعى أحد بنا ونطلب

الطريق ونقصد الأمير المكرم ولكن نريد نحترز على نفوسنا لأنى أخاف أن يكون الخليفة قد طلب عقبة فما وجده لأنه ما يصبر عنه طرفة عين وربما أرسل الخيل فى طلبنا إلى كل مكان وإن الطلب علينا حثيث من الخليفة وإننا نخاف إن خرجنا وقعنا فى الشباك ولا فينا الا من يقتل فقال مذبحون نريد من يكشف لنا الخبر ويكون ممن لا ينكر عليه وما انا مثل أخى الحصين فقال الحصين كفيتم الردى كونوا مواضعكم حتى أعود إليكم ثم انه خرج فى زى الخراسانية وأولاد الديلم فأبعد عن الضرب قليل وإذا قد دنا إليه بعض الخراسانية ورآه فى ذلك الزى فصاح فيه بالعجمية ودنا منه ليقضى عليه فبادره الحصين بالكلام وقال له من أنتم فى هذا المكان وبربر بلغة الديلم المغلقة فانتبه الذى ثار إليه وناداه اخرج من صدر الدرب ويلك امضى والا هلكت فنحن فى طلب البطال ومذبحون ونريد أن نسقيهم شراب المنون فقال الحصين يستاهلوا لأنهم لا يراقبون الله تعالى ولا يفزعون منه ولا يخافون ومولانا ثقة الملك تاج الدين رأس الوزراء أبو القاسم صاحب بيت المال قد فرق أيضا غلمانه فى طلبهم وأنا من جملتهم ثم انخلس منهم وطلب أباه وإذا بالغواص ومعه مائة رجل بالمشاعل بين يديه وهو يقول للرجال وحق من مرج البحرين وأنار القمرين لابدلى ماأظهرهم وأقتفى آثارهم فلما سمع الحصين ذلك اختلط بهم وجعل يمشى بينهم ويتصنت عليهم وهو متعجب من الغواص إلى أن قطع أربعة ضروب ووصل إلى الدرب الذى فيه طوق بن ثابت وقصد إلى داره وقال أقسم بالله قسما ان كان القوم إلا فى هذه الدار وقد انكشفت عنهم الأستار ببركة العبد الصالح وبسعادة مولانا الإمام فلما نظر الحصين إلى ذلك قال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا شيطان فى صورة إنسان وما يخفى عنه شىء ثم انه شق الناس ودار من خلف الدار وتسلق من موضع خافى والليل قد ستره فصار فوق السطح ونزل إلى أبيه الأمير أبى محمد البطال فقال له البطال وقد رأى وجهه مثل الزعفران ما بالك يا بنى فقال خذوا لأنفسكم الحذر قبل حلو العطب فقال البطال ويلك وما الذى قد جرى لك فأعاد عليه القصة فلما سمعوا ذلك بقوا فى حسرة عظيمة وقالت الأميرة ذات الهمة يا أبى محمد تعرف هذا الذى يقال له الغواص قال نعم كفانا الله شره لأنه فاسق شرير منافق ظالم غاشم لو دبت نملة على وجه الأرض وسلكت وفى أى طريق أخذت عرف ذلك وبالله مايدخلون إلى هذه الدار إلا وتكون نوبة ماجرى علينا أشد منها فقالت الأميرة فكيف يكون العمل فقال البطال نتزيا بزى النساء ونخرج ولعل الله تعالى أن يسبل علينا ستره فقال مذبحون وكيف نخرج وهذا الملعون الغواص قد ملك والدرب بالرجال ومعه المشاعل وربما كشف وجوهنا وأخذنا نتزيا بزى الخدم نقف فى خدمة النساء وإذا طرقوا الباب وقالوا

أين طوق فنقول هو فى الضيعة فما يجسر أحدا يتقدم إلى حريمه ولعلنا ننجوا من هذ البلاء العظيم فقال له افعل مابدا لك (قال الراوى) وكان البطال وغلمانه إذا مشوا فى زى النساء كانوا أليق فى المشى والحركة فأعطاهم طوق النزر والاخفاف والنعالات يلبسوهم وتنكروا وخرجوا والله قد ستر عليهم بستره الجميل الشامل ثم خرجوا وقد أخذ البطال طشطا وحجر طفل ومشط كانهم طالعين إلى الحمام فما عارضهم معارض لأنهم اختلطوا بنساء الدرب وان الناس فتحوا الأبواب وان الدرب قد امتلأ نساء ورجالا وقصد الغواص إلى باب درب الحجاج طوق وهو يقول ماأخطؤا هذه الدار ولاشك أنهم فيها وإن كانوا ماهم فيها فأنا أعلم أنهم خرجوا فى زى النساء وأنا فرطت فى أمرهم وإلا لو كنت وكلت من ينقد النساء كنت أمنت من هذا الخاطر الذى خطر ببالى ثم تقدم إلى الباب وقلبه قد اشتغل فقال طوق من بالباب فقال له افتح فأنا غلام أمير المؤمنين وقد عدم القاضى عقبة وقد أمرنا بالتفتيش عليه فى هذه الدار لأنه يعلم أنه صديقه وصديق الامراء المجاهدين وهم فى هذه الدار وما عليك فى هذا شىء والناس يختفون عند أصحابهم فلما سمع طوق هذا الكلام قال ياقوم ما عندى من هذا خبر وكيف أخبىء عندى الامراء أعداء الدنيا وأخاطر برأسى وكيف يكون ذلك وأنا عند أمير المؤمنين الثقة الامين فكيف أخاطر عليه فقال الغواص أحسنت ياطوق هذا اشتغال جيد افتح لنا الباب حتى ننظر فى الدار وندور حتى لا يبقى عليك شىء عند أمير المؤمنين وإذا لم نر أحدا خرجنا ولا يبقى فى قلوبنا شك فقال طوق أنا الذى لا أفعل ذلك وهذا اخراق بى وبحرمتى لانى خليل المؤمنين وثقة أمين فلما سمع الغواص ذلك أرسل خلق من الذين معه إلى المعتصم يقول ياأمير المؤمنين وصلت إلى دار الحجاج طوق بن ثابت الخزاعى فلم يمكنا أن نفتش داره وأنا أعلم أن البطال وذات الهمة ومن معهما عنده فى الدار وعقبة لاشك فى داره والامر لله ولك ياأمير المؤمنين (قال الراوى) فلما وصلت الرسالة الى المعتصم غضب غضبا شديدا وادعا بحاجب من حجابه يقال مؤنس وقال له خذ معك يامؤنس خمسمائة مملوك وانظر الى دار هذا الكلب طوق واهجم داره وانظر ان كان البطال وذات الهمة عنده فى داره وائتينى بهم فقال سمعا وطاعة ثم نزل الى طوق والمماليك فى ركابه الى أن وصل الى الدرب وكان قد امتلأ من النساء والرجال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الامراء فانهم لما اختلطوا بالنساء وخرجوا من الدرب أرموا البرز عنهم وامتشقوا السيوف وصاح البطال فى أوائلهم يقول ويلكم دوروا بنا على البطال واللص المحتال وذات الهمه أم الاهوال والحصين ومذبحون قتالين الرجال ثم طلب باب الدرب فوجد عنده خمسون رجلا من الخراسانيه بالسيوف المجذبة والتوت

المذهبه والدرق المكوكبه فتقدم اليهم وبربر بالتركيه المخلقه وقال لهم ويلكم أمير المؤمنين يقول لكم احفظوا الباب جيد ولا تمكنوا أحدا من الخروج بعدنا فان البطال يخرج فى أى صورة أراد وان توانيتكم ضرب رقابكم أمير المؤمنين فقالوا أيها الحاجب الاجل وماعسى أن يقدر البطال يعمل وقد حفظنا الباب ولو أتى فى صورة ابليس عرفناه فقال لهم ويلكم ماتعرفوا البطال فهو يتزيا بزى القطط والكلاب فاذا خرجت اغلقوا خلفى الباب فانى سائر انا وغلمانى فى حاجه لأمير المؤمنين فقال آخر هذا الحاجب طمان اعز ممن عند السلطان وماخرجوا ووجدوا الامان حتى وصل الحاجب ومعه المماليك ففتحوا له الباب وفتح الحاج طوق له باب داره فدخلوا وفتشوا اسفلها واعلاها ولم يتركوا موضع الا وقد فتشوه مرارا عديده فقال مؤنس ياغواص لقد اخرقت بالسلطان وبنا وما خفت الله تعالى وقد هتكت حرم الحاج طوق وما وجدنا فى داره احد وهو عزيز عند أمير المؤمنين فقال الغواص ماكانوا عنده إلا مختفيين ولا شك أنهم لما أن مسكنا رأس الدرب خرجوا فى زى النساء مع نساؤه وبناته ومعهم حوائج الحمام وقد هربوا ووجدوا الامان وانا الذى فرطت فى أمرهم هذا والحاجب مؤنس قد حار من كلامه وقال هذا محال وماأنت بعد هذا عاقل وأنت ظالم غاشم فلما سمع الحاج طوق هذا الكلام بكى وقال هذا قد جرى علينا هل جرى على احد قط من المسلمين مثل ماجرى على هتك حريمى وهجمت دارى وهتكت أستارى وأنا ثقة أمير المؤمنين. فقال له مؤنس ياحاج طوق الخليفه أمر بذلك وأما الغواص فانه خرج من دار طوق وقد حار فى أمره ووصل إلى الدرب وقال للخراسانيه ويلكم هل خرج أحد تنكروه فقالوا له ماخرج الاحاجب السلطان طمان واوصانا بغلق الباب فلما سمع الغواص ذلك قال انفلتوا القوم لامحاله بحيلة البطال ثم عاد إلى مؤنس الفحل وقال له يامولانا أنت بعثت حاجب السلطان طمان فقال لاوالله لابعثت لاطمان ولا طعان ثم أحضروا الخراسانيه وأول ماضرب الذى قال لرفيقه هذا طمان (قال) فهذا جرى ههنا (وأما ماكان) من البطال ومن معه من أصحابه فانهم لما خرجوا من الدرب قال لهم البطال لايتكلم منكم أحد وأنا أترجم عنكم فنالت الاميره ايش ماقلت قلنا مثله ولم يزالون يخترقون الدروب حتى خلصوا منهم وأما مؤنس الفحل فانه عاقب الخراسانيه وقال اطلبوا الهاربين أينما كانوا فما أظن الشيخ عقبه الاتركوه فى بعض الدروب فانهم لم أخذوه معهم وحق نعمة أمير المؤمنين فقال الغواص يامولاى ان ضرب طوق أريتك كيف يظهر الامر المكتوم فقال له مؤنس افعل مابدالك فصاح الغواص وأحضر طوق بن ثابت وضربه وهو يرمق إلى السماء بطرفه ويقول اللهم أنت تعلم انى مافعلت ذلك الا خوفا على عبادك المؤمنين (قال الراوى) فعندها قال الغواص هذا الامر لايتم لى.

الا ان هجمت الدار ثم هجم فوجدا بنة طوق الخزاعى الصغيرة فزعق عليها والسيف فى يده وقال لها ويلك أين المحبوسين الذى عندكم اخرجوهم حتى نخلى السلطان يعفو عن أبا كى من الضرب والعقوبه فقالت له هاهم فى السرداب يامولاى وأشارت إلى الموضع الذى هم فيه فصاح الغواص فدخل عليه عشرة من الغلمان فقال اقلعوا هذا الباب فقلعوه ونزلوا فى السرداب فوجدوا عقبه فى أسوأ حال وأخته إلى جانبه والإسود معهم مكتوف فرفعوهم على الاكتاف وحملوهم إلى بين أيادى حاجب الخليفه فلما نظروا الناس إلى ذلك وعقبة مائل على أكتاف الغلمان وهو يفتح فمه ويغلقه كانه يطالع فى الروح الخبيثه فتباكوا عليه الناس من كل جانب ورأوا أخته عاقبة وقد قطعت شعرها وهى تبكى عليه خيثما او لعنة وتقول واسيداه واأخاه واعالماه وازهداه ماتت بعدك العلوم وذهبت وخابت الآمال وعطبت وتعطلت المساجد من صورتك والمحاريب من قراءتك واستوحشوا أصحابك وبكوا أحبابك كنت راحم الغربا من لاختك الغريبة ويلاه من هذه المصيبة يامسكين ياأمة محمد يكون أعظم من هذا البلاء يخلص أخى من يد الاعداء من البلاد ويلحقوه وهو من أثر الضرب قد أشرف على الموت ولحقوه وأخذوه من الدار على لسان أمير المؤمنين وأخذونى معه وأنزلونا فى سرداب مظلم فى دار الظالم الغاشم وضربوا أخى وأحضروا الخمر وجعلوا يشربون وعلى رؤسنا فضلة خمرهم يقلبون وهم بذلك الزى بين الناس يتظاهرون ونزل الينا هذا الحاج طوق الذى يزعم انه مضى إلى بيت الله الحرام وزار زمزم والمقام وعاقبنا ونزل بعده واحد يسموه مذبحون يعذبنا أشد العذاب وإلى الله نشكو هذا المصاب وانتهاك سترى بين المشايخ والشباب فيامعاشر المسلمين قولوا اللهم استر عوراتنا ولاتهتكهم كما هتكت عاقبه الزاهدة العابدة المسكينة وامصيبتاه فما بقى لى فى الحياة مطمع إلا بمقدار ما يموت أخى وأقتل بعده نفسى (قال الراوى) فلما سمعوا القوم ذلك شاشوا على العبد الصالح الحاج طوق وجردوا عليه الخناجر وضربوه سبعين ضربة وسبوا أهله وإخوته ورجع مؤنس الفحل إلى الخليفة وحدثه بماجرى وحملوا عقبة إلى منزله وحملوا طوق ونساءه وهن مسبيات مسبلات الشعور فقالوا العوام هذا الذى قلتم إنه حج اثنى عشر حجة وأنتم تشربون الخمر معه وتعاقبون الشيخ الزاهد تهتك أستاركن هذا والنساء لا يحاورن أحدا بل قد اشتغلن بمصيبتهن وما قد نزل بشيخهن الصوام القوام إلى أن دخلوا به إلى المنزل وقلن له هذا كان عقب صداقتك لذات الهمة والبطال وعبد الوهاب ان ينزل بك هذا العذاب وكنت تؤمل من الله تعالى الثواب بذلك فرحمك الله كم قد تصدقت وصليت وأعطيت وركبت ثم جعلوا يفكرون كيف يدفنوه وقد فزعوا من الناس لا ينبشوه ويحرقوه فقالت أمهن ما انا إلا رأى واحد وهو أننا ندفنه فى الدار ويسمعوا عنا أنه قد مات ودفناه عندنا فى الدار فيسكتوا الناس عنا ولا يطالبنا به

أمير المؤمنين ثم أخذوا أهبتهم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة ومن معها من الرجال والأمير أبو محمد البطال فانهم أرادوا العبور على جسر بغداد وإذا بألف مملوك بالسيوف والمناطق وهم لهم فى الطلب فلما رأوهم رجعوا إلى ورائهم يطلبون وسط البلد ما دام الطلب فى أطرافه ثم عادوا يطلبون درب يقال له درب الماعز وإذا بين أيديهم أصوات السيوف والرجال تزعق وتقول لبعضهم البعض قد فاتنا المرغوب ونيل المطلوب وما وقعنا بطائل وغدا يطردنا الوالى عن خدمته لأجل ما وصل هذا الوقت والصباح قد اقترب وما وقعنا بأحد ممن هرب فلما سمع البطال ذلك قال هلكنا لا محالة لأن الوشاقية من خلفنا وهؤلاء القوم من قدامنا ثم افتقد من معه فوجد قد فقيد ولديه مذبحون والحصين وغلامه يانس فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم هموا بالرجعة وإذا بصوت امرأة من خلفهم تنادى من باب الدار وتقول لا بأس عليكم ولا يقدر أحدا يصل إليكم إن شاء الله تعالى فعليكم مطر السماء إلى أن يدفع الله عنكم البلاء ولو كان علينا فى ذلك أعظم ضرر فلما سمعوا ذلك وجدوا به راحة عظيمة وإذا بالمرأة عليها ثوب سواد مشقوق وشعرها محلول وهى تقول يا أخى أنا أحب لمن تحب ولو أن على الأرض دمى ينسكب فأنكر البطال ذلك وقال لها يا أختاه من أتى يرحمك الله ومن مات لكى ارجعى إلى الله تعالى فانه وعد الصابرين خيرا وأن يعطيهم فى الآخرة أجرا على أن الصبر على المصائب طريق إلى الجنة فلما سمعت ذلك قالت له أيها الأمير أنا جاريتك زينب أخت طوق الخزاعى والساعة كان زوجى عندى فأخبرنى أن أخى قتلوه العوام مما استغاثت عليه عاقبه والله يا أميرة إن له سنين كثيرة ما أكل فيها قط بالنهار ولا ينام فى الليل إلا القليل الا يخدم ربه ويبكى على ذنبه وإنى قد لبست السواد وشققت ثوبى عليه وسألت زوجى أن يمضى لعله أن يقدر على حمله الى عندى من قبل أن تأكله الكلاب وقد مضى وأنا فى الباب منتظرة له والطلب عليكم والرجال من خلفكم ومن بين أيديكم ولما رأيتكم وأنتم حيارى عرفتكم وقلت هؤلاء الذين كان يحبهم ويعامل الله تعالى فى قضاء حوائجهم ونسيت مصيبتى وناديتكم ودخلت بكم قلت إن هلكوا هلكت معهم وأكون قد لحقت بأخى الى الآخرة فقال لها البطال اذا كان الأمر على ما ذكرتى فأنا أمضى وأتسبب فى حمل أخيكى طوق الى عندكى فقالت الأميرة وأنا أخرج معك يا أبو محمد ثم خرجا من البلد وطلب الشيخ طوق وليس عندهم خبر ان تلك المرأة أرادت أن تلقيهم فى شبكة العذاب ثم تسلمهم للحجاب وكان تدبير الله خيرا من تدبير المخلوقين وبينما هم سائرين يطلبون وإذا بعصبة من المصالحة قد أقبلوا وهم بسيوف مجدبة وعمد مكتبة وحراب ودرق وقد أظهروا الحنق وقدامهم مقدمهم الغواص فلما وقعت العين على العين ونظرهم الغواص عرفهم وقال

لأصحابه أبشروا بالخلع الكثيرة ثم أوقف الرجال وتقدم الى الأميرة وقال يا سيدتى ماهذا صواب ان نخرق بكى ونمد أيدينا بسوء إليكى ولكن سلمى نفسك الينا حتى نسير بكى إلى أمير المؤمنين ونتسبب لكى فى الخلاص فلا تظنوا أنكم خلصتم مما دبرت عليكم أختى فقالت الأميرة وكيف ذلك فقال لأنى دبرت عليكم أمر وما تم والمرأة التى أخفتكم أختى ولا شك أنكم خرجتما بحجة الحاج طوق وما أسعفتكم السعادة ولا تمت لكم الإرادة

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك من قوله تمرمر مزاقها وتغيرت أخلاقها وقد أيقظت همتها العامرية وهمزت مثل اللبوة وزمجرت وضربت الغواص بالسيف وإذا به ملقى على الارض وثنت بآخر فضمته اليه وثالث فجندلته إلى أن قتلت منهم جماعة فى ساعة واحدة واندقوا بين يديها يمين وشمال ودخلوا الى الدروب وقصد البطال والاميرة دار الحاج طوق وإذا هم قد سمعوا بكاء البنات وعديد النساء فطرقوا الباب فقالوا من بالباب فقال البطال بعض الأحباب افتحوا ففتحوا لهم ودخلوا فوجدوا الحاج طوق ملقى فقال البطال رحمك الله يا حاج طوق فلقد عشت سعيدا ومت شهيدا ثم إنه وضع يده على فؤاده فوجده يخفق فقال للنساء ابشروا فان الحاج طوق سالم وفيه الروح ثم إنه أخرج من وسطه درج وفيه مراهم الجراح وملا الجراحات بالمراهم وخيط مايحتاج إلى الخياطة وشدها وأعاد كل عضو إلى مكانه وعادوا يطلبون النجاة (قال الراوى) وكانت الدار التى دخلوا فيها لم تكن دار أخت طوق وإنما كانت دار أخت الغواص وكانت لبست السواد لعنة منها وأملت أن تلقيهم فى يد الخليفة فخرجوا فى طلب الحاج طوق كما ذكرنا وكان ذلك سبب خلاصهم ولما خرجوا من دار طوق ابن ثابت سمعوا أن ضيغم والحصين وغلمان البطال قد أخذوا وكان السبب فى أخذهم ان أخت الغواص طرحت الصوت وقصت هذه القصة على الوالى الذى بالقصر فأتى وأخذهم قبضا بالكف وسار بهم نحو المعتصم فقال لهم ويلكم أتظنون أنى غافل عنكم وعن مافعلتم بالقاضى عقبة الزاهد وأخته الزاهدة العابدة الصالحة وحق ابن عمى محمد المصطفى وحق آبائى وأجدادى لابد لى من ضرب أعناقكم ولكن بعد ما آخذ اللص المحتال والعاهرة ذات الهمة وأقتلكم جميع أشر قتله (قال الراوى) وكان البطال لما سمع أنهم قد قبضوا عليهم فقال للأميرة ها أنا أطلب ديار الخليفة لعلى أتسبب فى خلاصهم ثم سار طالب القصر ولم يزل حتى وقف مع جملة القيام وسمع المعتصم وما قال وكيف قد حلف وأقسم أن لابد من قتلهم ثم قال ردوهم إلى المطامير وأوصوا الخادم بحفظهم وقولوا له رأسك مرهونة بهم وأنت تدرى من خلفهم وهو البطال سراق الملوك والأبطال وما أقدر أن أقتلهم حتى يقع البطال وذات الهمة وأصلب الجميع

(قال الراوى) فأخذوهم الخراسانية وساروا بهم إلى المطمورة التى أمرهم المعتصم بحبسهم فيها وكان أول من تقدم البطال ومسك بأذن ولده الحصين وجذبه منها حتى كاد يخلع جلدة أذنه ويسلخها ومسكها بفمه فعول الحصين أن ينطحه برأسه فعوقه البطال بنفسه وكان الحصين قد التفت ينظر من فعل به ذلك الفعال حتى يجازيه يوما من الدهر ان سلم وإذا هو أبوه البطال فقال له لاشك إنك قد كليت وإلا ماهو خال آدمى ثم طابت نفسه بأبيه (قال الراوى) ولم يزالوا بهم حتى أنزلوهم إلى رأس المطمورة فوجدوا صندل وكان أدعر مجنون مغفل فقال له البطال ياصندل إن مولانا أمير المؤمنين يقول لك ياصندل اوضع هؤلاء فى المطمورة واحتفظ بهم لأنه قد أمرنى بضربهم مرتين فى النهار ويكون المفتاح معى وقد أمر مولانا الخليفة أن يعطينى مائة دينار وأنت مائة دينار لاجل حفظهم فقال صندل حفظ الله أمير المؤمنين وفتح المطموره وأنزل الحصين والغلامين ومذبحون ورد الطابق الحديد عليهم وانصرفوا الغلمان والبطال قائم حتى يأخذ المفاتيح من يد الخادم صندل ثم أخذ المفاتيح ورجع والأميره معه وقصدوا إلى دار مسرور الخادم واختفوا فيها والبطال يقول للاميره ذات الهمه قفى ههنا ساعة فى الدهليز حتى يأتى الليل وينام الناس وأعود أخلصهم باذن الله تعالى ثم وقف حتى أظلم الظلام وغرقوا الناس فى المنام ورجع إلى المطموره والخادم صندل هناك فقال له ياصندل الخليفه يقول لك احفظ هؤلاء الذى عندك فرأسك مرهونة بهم واعلم انهم يطيرون فى الهوا ويخرجون من مكان يريدون يطيرون فقال صندل وحق على بن أبى طالب ماأفتح أنا عليهم الباب لئلا يطيرون واقع أنا فى أيديهم فقال البطال هذا الخادم مغفل وأنا الليله أعمل عليه حيله جيده ثم قال ياصندل أنا أعمل معك جميل ولا يعلم به أحدا مضى هات لى مقص قاطع حتى أنزل اليهم وأضربهم كما قال أمير المؤمنين وأقص الاجنحة التى يطيرون بها وبعد ذلك لو شيبتهم مافزعت عليهم فعندها انكب الخادم على يد البطال يقبلها وهو يقول وحق محمد بن عبد الله إذا أعطانى الخليفه مائة دينار فأنا أوهبك منها خمسة قراريط فقال له البطال جزاك الله خيرا اما أنا فما أريد الا منفعتك امضى أنت وهات المقص فعندها راح المنحوس وهو خائف أن يطيروا المحبوسين من قبل أن يأتى بالمقص (بإساده) فعندها فتح البطال الباب أسرع من البرق ونزل اليهم وفك قيودهم وأخرجهم وأخرج معهم جماعة كانوا محبوسين لهم سنين وشهور ولما خرجوا أخفاهم فى دار مسرور وتركهم وعاد وهم يقبلون يديه ورجليه ويقولون له لنا أسوة بكم ولكن لنا أهل وأقارب وأولاد مارأيناهم منذ عشر سنين فقال لهم قفوا مكانكم وأسأل الله أن يستر علينا وعليكم هذا والخادم عاد ومعه المقص وهو يقول وحق ألف سورة نزلت على صدر أبو عبد الله

لقد تعسر على طلب هذا المقص الميشوم حتى وقعت به بعدان كادت روحى أن تخرج فقال له البطال لاتشغل قلبك فانى قضيت الحاجه لماان رأيتك وقد أبطيت لجبت أنا مقص وقصيت به أجنحتهم والا كانوا قد طاروا من ساعة مضيت فاقفل أنت باب المطموره عليهم حتى يصبح الصباح وإذا حضرت عند الخليفه فاشكرنى عنده فقال له صندل وحق أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب لاذكرنك عند مولانا بأحسن خطاب فقول لى ايش اسمك حتى أشكرك عنده وأقول له لولا هذا لكانوا العيارين طاروا فقال له البطال قل له غلامك أبو الحصين فقال له صندل أبو الحصين وابن الحصين فضحك البطال وقال نعم ثم تركه وسار إلى عند الأميره ذات الهمه وأولاده وغلمانه وأخذ الكل ومضى بهم إلى باب القصر فوجد الغلمان نائمين لانهم سهروا إلى ذلك الوقت وانطرحوا مثل الموتى وعددهم إلى جانبهم فقال المحبوسين خذوا من عددهم وتقدم البطال وفتح الباب بلطف وخرجت الرجال ورده كما كان وخرج إلى الباب الثانى الذى عليه المعول فرأى البواب سهران والرجال نيام إلى جانبه فعند ذلك تقدم البطال وقال له افتح لنا الباب بالعجلة حتى نمضى فى طلب البطال فقد جاء صاحب الشرطة من تحت المنظره وأخبرنا انه قبض على البطال وذات الهمه وهم فى دار بعض المتعصبين لهم ولبنى كلاب فوثب الديلمى وفتح الباب فخرجوا مثل النشاب وقد بدأ ضوء الصباح وخافوا من الافتضاح فقال البطال للمحبوسين اطلبوا لأنفسكم النجاة والذهاب وتفرقوا فى المقابر والخراب إلى الليلة الثانيه وامضوا إلى أهاليكم سالمين (قال الراوى) ولما ان أشرقت الشمس وطلعت وجلس المعتصم وقد أقبلت عليه أرباب الدوله للسلام عليه فقال ياهلترى هل وقع الغواص بالبطال البارحة فقال واحد من القيام يامولانا الخليفه أما الغواص فقد صار بدن بلا رأس فقال له ويلك من قتله فقال الذى طيروا منا العقل من البارحه فقال الخليفه أقسم بالله قسما لآخذن للغواص بالثار من مذبحون بن العيار لأن الغواص كان يحفظ أموال التجار هاتوا مذبحون حتى نضرب رقبته فبادروا الغلمان إلى صندل وقالوا له انزل إلى المطموره وأخرج لنا مذبحون حتى يضرب الخليفه رقبته فنزل الخادم المغفل عاجلا والغلمان يستعجلون له اسرع ياويلك لئلا يغضب الخليفه علينا ويضرب رقابنا فنزل وعاد قد صار سواده إلى بياض فقالوا له ويلك ماحالك فقال مذبحون ومن معه قد طاروا من البارحه وساروا فعندها عادوا الغلمان إلى الخليفه وأخبروه ان القوم قد هربوا فقامت عليه القيامه فقال هاتوا صندل فتسارعت الغلمان اليه وأحضروه بين يديه فقال له كيف غفلت عن هؤلاء العيارين حتى تخلصوا فقال صندل يامولاى وحق فاطمة بنت عمران ماطاروا الا وقت المغرب وما أقول الان أبو الحصين ماقص اجنحتهم جيد ولو صبر هو إلى ان أجىء بالمقص كنت انا قصيت أجنحتهم

طيب وما كانوا يرجعوا يطيروا إلى سنة فلما سمع المعتصم ذلك قال ايش يقول وما هذا الهذيان ويلك ايش المقص فقال له يا مولانا ما أنت بعثت غلامك أبو الحصين الأزرق العينين وأخبرنى أنهم يطيروا وقال لى إن جبت لى مقص فأنا أقص أجنحتهم فأنا رحت لأجيب مقص فجئت فرأيت النحس قص أجنحتهم قص ميشوم فطاروا فقال المعتصم لقد تم فى دارى أمر عظيم ثم قال والذين كانوا عندك ايش جرى فيهم فقال يا مولانا لاشك انهم تعلموا منهم وطاروا معهم فضحك المعتصم من وسط الغيظ وقال أقسم بالله أن لو أرادنى عدو بسوء لوصل إلى ثم انه ادعى بالبوابين وسألهم عن القصة فقال أحدهم العفو يا مولاى أنا نمت إلى وقت السحر وقمت فوجدت الباب مفتوح وعدتى قد سرقت فقال المعتصم ائتونى بالبواب فلما حضر قال له كيف كان هذا الأمر فقال يا مولاى جاءنى واحد وخلفه جماعة وقال لى قم افتح الباب بالعجل لأن صاحب الشرطة قد جاء من تحت المنظرة وقبض على اللصوص فى بعض دور المتعصبين لهم فلما سمع المعتصم غضب وكاد ان ينقلب من على سريره وأمر بضرب رقابهم فشفع لهم الوزير ثم ضربوهم وعزلهم وأمر بالخيل أن تخرج فى طلبهم فقام إليه رجل من بنى سليم يقال له قره وقبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين أنا آتيك بهم فعندها قام وأخذ فرسانه وقال ان القوم ماطلبوا إلا طريق الكوفة (قال) وان الخليفة جاءته بشارة ان عقبة تعافا من مرضه وغدا يدخل الحمام ويحضر بين يدى الإمام فلما سمع المعتصم قال لقد أعطى ذلك الشيخ منزلة عظيمة وأنا قلت انه مايعيش ولكن هذه عناية ربانية وانجلى عن الإمام مايجده من ضيق الصدر هذا جرى ههنا (وأما البطال) فانه لما خرج من دار الخليفه ومعه أصحابه قال للأميرة لابد لى الليلة أن أتسلق على دار عقبة وأنزل به البلاء وإن ظفرت به قتلته وإلا أخذته معنا إلى أرض الحجاز وعذبته العذاب الشديد فقد طال الأمر وعيل الصبر فقالت الأميرة اعلم يا أبو محمد ان الطلب علينا كثير وربما نرجع نقع فى يد الخليفة والصواب اننا نتفرق ويأخذ كل واحد منا طريق ويكون الملتقى عند تل الأرانب وقرية الأتراك ولعلنا نرى قومنا فى الحجاز فنسير فى صحبتهم إلى الأمير عبد الوهاب ونستريح من هذه الأسباب وان وجدنا من يقرضنا الدينار بعشرة أخذنا شيأ يساعدنا على طول الطريق فقال البطال أيها الأميرة اعلمى ان لى صديق يهودى ولى عنده ثلاثة آلاف دينار قرضة من سنين وما طالبته بها والآن فقد ألجت الحاجة إليها نشترى بها جمال وخيل وكلما نحتاج إليه من الزاد ونتوكل على الملك الجواد ونعود إلى ديار الآباء والأجداد فقالت الأميرة يا أبو محمد ان كان الأمر على ذلك فلا بد لك من طلب الذهب ونحن محتاجين إليه فعول فى هذه الساعة فقال البطال والله ان فى قلبى النار كيف أترك عقبة فى هذه الديار فقال مذبحون أقسم قسما لاسار فى طلبه غيرى فسيروا أنتم إلى المواضع

الذى ذكرتم وأنا ألحق بكم إن شاء الله تعالى ومعى عقبة ثم ودعهم وسار وقد وقع لهم من قوله الانبهار وسار البطال وذات الهمة وولده الحصين وغلمانه يطلبون قرية الأتراك وتل الأرانب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من حديث قرة بن حجاج السلمى فانه سار مع الفوارس كما ذكرنا بجد السير فى طلب الأميرة ومن معها إلى أن وصل إلى القرية التى هم طالبوها فلم ير لهم أثر فقال ماالقوم إلا فاتونا وطلبوا برية الحجاز وان نحن وصلنا خلفهم بلازاد ولا ماء هلكنا من الظمأ ثم دخلوا القرية وداروا فيها وخرجوا منها وقره يقول لهم ما بقى علينا إلا تل الأرانب سيروا بنا إليه لعل نجدهم هناك فساروا طالبينه فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الاميرة فانها لما قربت من قرية الاتراك قالت للبطال ان أنت دخلت بنا إلى القرية كلنا عرفنا والصواب انى أنا وغلمانك وولدك نروح إلى تل الارانب وادخل أنت إلى اليهودى وخاص مالك من عنده ودبر بنا أمورنا وعد إلينا حتى ننجو من البلاء ونأمن شر الاعداء فقال البطال نعم ماقلتى ثم ودعها وسارت الاميرة إلى أن وصلت إلى التل وأوت إلى جهته وأقبلت تدعو إلى ربها وتسأله أن يوصلها إلى ولدها ويجمع بينه وبينها وقد أقامت لها من غلمان البطال ديدبان (قال الراوى) وما استقر بهم المكان حتى حتى نظروا إلى غبرة القوم وقد ملات الآفاق وأسبلت أذيالها على بلاد العراق فقال أحدهم يامولاتى أرى غبرة هائلة وعجاجة إلى نحونا مائلة وقد أقبلت من صوب الكوفة وأقول انها غبرة أصحابنا من بنى كلاب ومقدمها الامير عبد الوهاب فلما سمعت الاميرة ذات الهمة ذلك الكلام لم تلتفت إليه بل تممت صلاتها وأخذت فى مناجاة ربها وهى خاشعة بين يديه رافعة إليه قصتها وشكواها ولم تكن إلا ساعة حتى أقبلوا القوم وأحاطوا بها من كل جانب ومكان وصوبوا نحوها كل سنان وصاح مقدمهم وافرحتاه لقد بلغنا آمالنا وغدا نلبس خلع مولانا دونكم وهذه العاهرة قطعوها بالسيوف وبضعوها فقال رجل منهم إياكم والبغى فان مصرعه وخيم فدعوها حتى تتم دعاءها وتضرعها على باب مولانا وإذا فرغت من صلاتها فدونكم وإيا فقالوا له اسكت ياأبو ضريد فلو ركبت جوادها وغاصت فى عدة جلادها لرأيت رؤسنا تطير وجماجمنا تتناثر ودماءنا تنسكب وخيولنا تنسرب ونحن بين قتيل وعفير

(قال الراوى) ثم حملوا عليها يريدونها والكل يخافونها وزعقوا بها وأكثروا من الزعاق وأخرقوا بها غاية الاخراق وقد بقيت بينهم فى أشد خناق بعدما سألوا غلمان الامير أبو محمد البطال وقالوا مافعل سيدكم الملعون وولده مذبحون المفتون فقالوا ما ندري ونحن قد افترقنا من خراب بغداد من البارحة ولم يعلم كل واحد منا ما كان من صاحبه وهذا آخر عهدنا من سيدنا (قال) فضحك قره وقال لاشك أنهم قالوا نتفرق حتى لايعلم بنا أحد وما

علموا أن القضاء يحكم عليهم بدعاء القاضى العابد الزاهد فقيه المسلمين وإمام المسلمين الذى لا يفلح من عاداه ونحن نأخذ الأميرة ذات الهمة ونقيم ههنا ليلتنا ويومنا فان البطال وولده مذبحون إلى ههنا يصلون ونحو هذا المكان يقصدون ونأخذ الكل ونسير أيضا بهم إلى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ونأخذ الأقطاع التى لبنى كلاب وأكون أنا والأمير عمرو بن عبيد الله فى الثغور ولا يبقى لعبد الوهاب فى أرض ملطية مكان (قال الراوى) هذا والأميرة ذات الهمة قائمة فى التعظيم والتبجيل للملك الجليل ولما فرغت من تسبيحها التفتت إليهم وهيبتها قد وقعت عليهم وقالت لهم أذلكم الله بين العرب ورزقكم آفات العطب من أى الناس أنتم لا كنتم ولا استكنتم فقالوا لها نحن الغطارفة الكرام بنى سليم نسل كل همام ومنازلنا فى أرض الفلاه وبيننا وبين بنى كلاب حقود لا تنسى ولما بلغنا أن الخليفة غضب على بنى كلاب وعلى أميرهم عبد الوهاب وصار مأواه الحجاز كرهنا المقام فى جواره طمعا أن يعطينا مكانه واقطاعه ولما سمعنا أن القاضى عقبة الامام قدوة الاسلام جمال الانام وإمام هذا الزمان فعل فى حقه ما هو كذا وكذا فجئنا لأجله ونصرته وقتل أعدائه وحسدته ثم برز إليها مقدم القوم قرة بن حجاف السلمى وهو مع ذلك ينشد ويقول :

أذلهمة لم يبق من قتلكى بد ويرجع ذاك العز والفخر والمجد
وابنكى يبقى فى الفلاة مجندلا قتيلا بلا جندل وفى أسرنا عبد
ومن بعد ذا نصلب جميع خواصكم على خشب فى وسط دجلتنا عمـد

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة شعره والنظام انقلبت عيناها فى أم رأسها وسحبت حسامها فى يدها وقالت له ويلك يا كلب العرب والله إن بينك وبين ما ذكرت اسود الهياج وليوث العجاج ولا بد من صلب شيخكم على باب الذهب كما أمر النبى المنتخب وأما ما ذكرت كونكم فى ملطية فلا بد أن يأخذوها منكم الافرنج وأيضاً يسيرون بكم إلى القسطنطونية وتعلم أنها ما كانت تخلص إلا بسيوفنا وأما ما ذكرت من شجاعتك وقوتك فأنت أحقر وأقل وأذل ولكن سوف ننظر من يكون المقتول ومن نطحته بحوافرها الخيول ولو كنت كما ذكرت لما هجمت على امرأة قائمة بين يدى مولاها ولو طلبت الانصاف ما اتبعت طريق الإسراف ولكن اعطنى جواد ورمح وسلاح ثم ألبسه واحمل على بعد ذلك فارس لفارس وانظر منى العجب ومن يبقى منا أحدوثة بين العرب وإن أردت البغى والعدوان فأنا أتكل على الملك الديان وسوف أفعل ما يتحدث به الناس على طول الزمان (قال الراوى) فلما سمع كلامها قال اعطوها جواد وسلاح فعند ذلك أعطوها ما قد طلبت فعندها لبست الأميرة ذلك السلاح وركبت الجواد وأخذت الرمح بيدها وطلبت البراز فبرز اليها فارس

وقال بالثارات القاضى عقبة فقالت له الأميرة ذات الهمة أنت مسلم وتأخذ تار نصرانى كافر مشرك بالله تعالى فقال الملعون إن كان يهودى فهو يهودى وإن كان نصرانى فهو نصرانى فعندها قالت الأميرة الآن طاب قتلك ياهذا ثم انهما تجاذبا وتطاعنا وتقاربا وتباعدا وتدانيا ساعة من النهار حتى إنها أتبعته وضايقته ثم انها طعنته فى فاه أطلعت السنان من فقرة قفاه فلما نظر قره إلى ذلك قال لأصحابه ياقوم إننى أخشى العار أن يقال عنى قره خرج إلى امرأة لا قدر لها ولا مقدار فقال ثعلب الذى كان مع الأمير أبو محمد البطال ما العار عندك إلا أنها تقتل أصحابك وأنت واقف فوالله ما أنت من رجالها ولا تعد من أبطالها

(قال الراوى) فغضب قره من كلامه وضربه بالسيف على رأسه فنزل فى الحال إلى أضراسه فعند ذلك برز من القوم عشرة علوج وحملوا على الأميرة فما كانت إلا ساعة حتى رمتهم الأميرة عن الخيل وأنزلت بهم الذل والويل فعندها حملت عليها الأبطال والأقيال فلم تزل الأميرة تلتقطهم بضرب يقد وطعن يهد إلى أن أمسى المساء وخندست الظلماء وعاد قره بأصحابه وهو يقول والله مانظرت العيون ولا شاهدت أفرس منها فقالوا له أيها الأمير ماهى التى كانت تحمل فى ألوف من فوارس الروم أما هى تخطف الملوك من بينهم ثم إنهم أقاموا إلى أن أصبح الصباح وتواثبوا إلى الجرد القداح وهمو بالحملة وإذا هم بغبار قد ملأ الأقطار ثم انقشع عن أربعة آلاف فارس وهم غائصين فى الحديد والزرد النضيد وكانوا هؤلاء أكراد من أجناد الخليفة مع أمير يقال له عياش بن خشتر بن الكردى وهو بطل من الأبطال وكان أيضا قد خرج فى طلب الأميرة ذات الهمة فوصل إلى قره وسأله عن حاله فأخبره بالقصة فقال ياويلكم كيف تكونوا ألف وهذه امرأة فريدة وحيدة وما فيكم من هو كفؤا وأنا فى غداة غد إن شاء الله تعالى آخذها فقال قره ماياخذها الا أنا فقال عياش الكردى بل أنا آخذها ورأيك ما أفعل بها فقالوا العرب ماندعكم أنتم تحملون عليها فانها قتلت رجالنا وأبادت أبطالنا ونحن غرماها وهى غريمتنا وتريدون أن تأخذوها من أيدينا وتفوزون بالذكر فقال عياش الكردى يا ويلكم أنتم تأكلون خبز السلطان وهذه امرأة واحدة ما قدرتم عليها فكيف لو كانت عسكرها معها وسودانها فقالوا له لاتطيل الكلام فنحن ماندعكم تقربوها فقال الكردى يا ويلكم وبلغ من قدركم إنكم تجاوبونى بهذا الجواب فقال قره إذا لم تسكت وإلا ضربت رقبتك فعندها تار عياش الكردى والاكراد وكذلك العرب فقالت الأميرة ذات الهمة اللهم رد بأسهم فى نحورهم إنهم على مثل ذلك وإذا بغبار قد طلع من نحو الحجاز وتهامه حتى سد الاقطار ثم انكشف عن نواصى الخيل وبان من تحته اختلاف الرايات والدنيا قد انقلبت من سائر الجهات وقد

تقلع من حوافر الخيل أصول الشجر والنبات (قال) فعندها تقدمت العرب تكشف الخبر ثم عادوا إلى قره يخبروه بلقاء عساكر السودان وكانت الأميرة ذات الهمة لما رأت الغبار ترجت منه الفرج وقد حن جنانها اليه وبقيت رامقة بالنظر اليه ثم أرادت أن تتقدم إلى ذلك الغبار وكذلك عياش الكردى بعث من يقفو له الآثار وسمعت الأميره ذات الهمة الصياح ونظرت إلى العجاج وذلك السواد الذى قد أقبل فقالت الأميره يا أبو محمد لعل هذا العسكر الوارد يخلصنا من الشدائد فامض اليهم وأتينى بأخبارهم (قال) فعند ذلك أطلق الأمير أبو محمد رأس الجواد حتى قرب من عسكر ذلك الجيش وإذا به كانه سد من حديد يلمع بالزرد النضيد لايبان منهم غير حماليق الحدق او تداوير الامق وبين أيديهم فارس مثل البرج المشيد منغمس فى الحديد (قال) فلم يجسروا الاكراد أن يقربوهم من هيبتهم ولا العرب أن يخاطبوهم من صرختهم وسطوتهم بل قالوا أصحاب قره لعلهم من بنى سليم حتى نسلك بهم البلاد وقالوا الاكراد لاشك أن هؤلاء قد أتوا قاصدين إلى أمير المؤمنين يطلبون أقطاع الأمير عبد الوهاب وقومه بنى كلاب وان كان الأمر كذلك فلا بدلنا عن هلاكهم (قال الراوى) ولم يكن فى الكل أثبت جنان من الأمير أبو محمد البطال لأنه حمل حتى صار فى مقابلة العسكر فرآهم مثل أمواج البحر فصاح يامعاشر الابطال والاقيال جئتما بالسلام ونلتم أكبر درجة فى الاكرام اخبرونا من أنتم ومن أين أقبلتم وأين تريدون فان من ورائنا أميره مجاهده ولربها عابده وقد أحدقت بها الاعداء من كل جانب يرومون قتلها ويريدوا يحملوها إلى من يريدهلاكها وقد وقفت وحدها فى مقابلة هؤلاء الالوف وقد جردوا من حولها السيوف ولولا قدومكم علينا لسقونا كاسات الحتوف ولو عرفتموها لاجرتموها وكنتم بأسيافكم تقصدوها لان وراءها من كان يرعى لكم ويجازيكم على أعمالكم لانها من بيت الفتوة فبالله من أنتم ومن مقدمكم فان مقدم بنى سليم خرج للاميره ذات الهمه العامريه وهى صابرة للاحكام ثم انحدرت من جفون الامير أبو محمد البطال الدموع وأنشد

جيش بدا عند الصباح المسفر ... والخيل ترفل من ثيا العنبر
والظل من فوق الشقيق كلؤلؤ ... هطل على رطب العقيق الاحمر
والارض تحكى جيدها بقلائد ... هاتيك من ذهب وذا من جوهر
وعساكر قد أقبلت فى جحفل ... مثل الدجا أكرم من به عسكر
متقلدين صوارم مصقولة ... تبدو لناظرها كبحر أخصر
والارض ترجف والجبال تزعزعت ... من خوفها من خيلها المتقنطر

والوحش قد نفرت مخافة بأسكم والطير محجوب بها لم يظهر
فبحق من رفع السموات العلا ودجا العجاج بوجد بحر مزجر
من صاحب الجيش العرمرم فيكمو ان البشارة عند لفظ المخبر

(قال الراوى) فوالله ماوصل الأمير أبو محمد البطال إلى البيت الاخير حتى ترجلت عند ذلك الوقت جميع الفرسان والشجعان والسودان وثاروا كلهم إلى فارس بينهم راكب الطود الواثب فدنا منه الأمير أبو محمد البطال وأشار اليه يقول :

يامن هو الاسد الهمام القسور هو البحر حقا فى قراره جوهر
انظر إلى من أصبحت فى غربة مجروحة من يد ندل أفجر
قد قتلت ألفاً وكان أميرهم عند البراز كانه متكركرى
حتى اتتنا الكرد فى أبطالها فتواقعوا من أجلنا فى المقفر
من أنت من ولد الملوك فانى أشهد بأنك جوهرى العنصر
واعلم بأنى قد أتيتك قاصداً لترد عنا موبقات الاصدر
انظر كريمة قومها فهى التى أفعالها بيض كصبح مسفر
ولو أنهم قد أنصفوها فى الوغا تركت رؤس القوم نثر الابتر
إن كنت ترغب فى الثواب فانها فى موضع الاجر العظيم الاخطر
أو كنت تحتاج الوفاء من ابنها فهو المقيم على الوفا لم يغدر
وعلى أن أجزيك يوما بالذى تصنع فانى فى مقدم مخطر
فأنا الذى فى الناس يعرف اسمه وإذا ذكرت فأى قلب يذعر
واسأل ملوك الروم عنى يخبروا وجماعة الافرنج نسل الاصفر
واسأل لمن دار البلاد بأسرها هل كنت يوما جازعا لم أصبر
يامشترى طيب الثناء بماله أبشر فانك أنت نعم المشترى
واستنجد الخيل العتاق غوازيا نحو العدو بعزمه الاسكندرى
واطرح رماح الخط فوق جسومهم حتى يغيبوا فى الفناء المنكرى
أولا فادفعهم بقول ملاجج دون القتال وقل مقال العنصرى

(قال الراوى) وان الامير أبو محمد البطال مافرغ من شعره والنظام حتى صاح المقدم على الخيل بصوت كانه الرعد القاصف وقال ويلك اكشف لنا عن وجهك اللثام وقل لنا على بيان الكلام ومن تكون هذه المرأة التى قد وصفتها والسيدة التى قد نعتها فقال الامير أبو محمد البطال إنها من بنى عامر أصحاب التقى والمفاخر ذات الجناب الباهر والحسام الباتر

والكوكب الزاهر الامير الطاهر طيب العناصر أمير بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب فاكشف بلاها وأريح أزاها وأوجز أيضا فى لقاها فان البلا قد أتاها من هؤلاء القوم الاندال الذين حداها (قال الراوى) فما استتم الامير أبو محمد كلامه حتى عادت أربعة آلاف فارس إلى خيولها فركبوها ونصولها قد امتشقوها ونادوا عن لسان واحد وا أميرتاه واسيداه ونادى المقدم عليهم واجدتاه واستاه فعندها حار الأمير أبو محمد البطال واندهل مما سمع وهو يظن انه فى منام او اضغاث أحلام ثم انه نادى ياقوم افرجوا عن قلبى هذه الكربة وقولوا من انتم من قبل ان تخرج روحى من بين جنبى فنادى المقدم عليهم كيف أنت ياعماه فما أسرع ما نسيتنا فقال له الأمير أبو محمد البطال من أنت قل واوجز فقال له أنا ابن أخيك ظالم ثم انه صاح فى السودان وقال لهم دونكم ونصرة سيدتكم على هؤلاء العربان ثم انه حمل هو وأصحابه إلى ان وصل إلى الأميره ذات الهمه هذا ولما ان اقبلت عليها الخيل تحققتهم ولما ان صح عندها معرفتهم ترجلت وترجلوا الآخرين اليها وقد تقدم إلى عندها الأمير ظالم فضمته إلى صدرها وقالت له يابنى كيف حال أبوك الأمير عبد الوهاب فقال لها بكل خير وانه مما ناله عليكى أرسلنى اليكى لاكشف أخباركى وقد قرب الله البعيد (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر ظالم والأميره (وأما ما كان) من الاكراد فانهم لما نظروا إلى ذلك الحال قالوا للعرب احملوا عليهم بأجمعنا فقالت العرب نحن مانفعل ذلك وما يقاتلهم غيرنا فغضبوا الاكراد وقدعولوا على بعضهم فدخلوا المشايخ بينهم وقالوا دعونا من هذه الفتن والقوا بينكم القرعه فمن وقعت عليه القرعه يخرج إلى القتال فعند ذلك تقارعوا فوقعت القرعه على العرب فلم يرضوا الاكراد بذلك فأعادوا القرعة ثانيا فوقعت على العرب فخرجوا إلى القتال وحملوا على الأمير ظالم وأصحابه ودام الطعن والضرب حتى تثلم العضب هنالك تعلقوا الرجال باللحا وكل سكران قد صحا وثار عليهما العجاج وكثر الانزعاج وقد احتاجوا فى المعمعة إلى ضوء السراج وطارت الجماجم وقطعت منهم المعاصم إلى أن قتل من بنى سليم خلق كثير وانهزم الباقين

(وأما ما كان) من الاكراد فانهم قالوا الآن دونكم وهؤلاء القوم فحمل عياش الكردى ومن معه من الاكراد وانطبقوا على ظالم ومن معه كانهم الجراد فصاح الأمير ظالم يا آل كلاب يا آل كلاب جودوا الطعن والضراب وقد بذلوا فى الاكراد السيوف والحراب عند سماع مناداة أميرهم ظالم واسعفتهم السودان الانجاب فما امسى المساء الا والاكراد فى أشد مايكون من العذاب مما لاقوا من الجرب والحلاد وعادت كل طائفة إلى مكانها واضرموا نيرانها وباتوا إلى الصباح (قال الراوى) ولما ان كان عند الصباح تاروا الفريقين إلى الحرب والكفاح فكان أول من برز إلى الصفين عياش الكردى ونادى وقال لا يخرج لى إلا ظالم

فعند ذلك حمل عليه الأمير ظالم ثم انهما فى ساعة الحال تضاربا وتباعدا وتقاربا واختلف بينهما ضربتان واصلتان فكان السابق بالضربه عياش الكردى فوقعت فى قبة الحجفة ففى الحال ارمتها نصفين وقد وصلت الضربة إلى بدن الأمير ظالم فجرحته جرحا لطيفا فعندها ولى الأمير ظالم من بين يديه وقد عاد عياش الكردى وهو يقول وحق رأس مولانا السلطان ماابصرت قط أشجع منه فى الميدان فهو يقول ذلك الكلام والأمير ظالم رجع اليه اسرع من البرق الخاطف وهو يقول له خذ لنفسك الحذر فلما سمع عياش الكردى كلام الأمير ظالم رجع اليه هذا وظالم قد تمكن من الحسام وضربه بالسيف على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه فلما رأت العساكر ولت طالبة أرض العراق هذا والأميره ذات الهمه والأمير ظالم فى أعقابهم حتى تشتتوا فى الآفاق (قال الراوى) ثم ان الأمير أبو محمد قصد قرية الاتراك فقال الأمير ظالم أنت ياعم مالك نية ان تسير إلى الحجاز معنا فقال له يابنى أنت تعود إلى أهلك وأنا اطلب ولدى وحشاشة كبدى مذبحون فقال له الأمير ظالم وابن ولدك ياعم فقال له الأمير من بغداد فارقته فسيروا أنتم إلى الحجاز فقال الأمير ظالم والله لابدلى من الغاره على قرى بغداد (قال الراوى) ثم ان الأمير أبو محمد البطال سار إلى القريه واتى إلى اليهودى وقال له عندك ثلاث آلاف دينار وقد جعلت لك منها ألف دينار وهو ان تدخل إلى بغداد وتكشف خبر ولدى مذبحون (ياساده) فعندها سار ذلك اليهودى إلى أن وصل إلى بغداد فوجد البلد قائمة على قدم وساق والخليفه خائف من الأمير ظالم وقد أرسل إلى بلاد العجم وبلاد الشام يطلب منهم العساكر (قال الراوى) هذا جرى هاهنا من الكلام (وأما ما كان) من الأمير مذبحون فانه لما فارق أبوه وقال له يكون اجتماعنا عند تل الثعالب فسار مذبحون إلى ان بعد عن بغداد وإذا هو بصوت أنين يخرج من كبد حزين وقائل يقول لعنك الله ياعقبه لقد أحرقت فؤادى وأحرمتنى لذيذ رقادى فقصد مذبحون نحو ذلك الصوت وإذا هو بعجوز كبيرة السن فقال لها مذبحون ما بالك ياعجوز باكية العين وايش بينك وبين عقبه [فقالت له يابنى انا حديثى عجيب اعلم ياولدى انى امرأة شريفه عفيفه ولى ولد يقال له بكار بن الفضل أحسن الناس شبابا واتقاهم عرضا وثيابا وكان تيسر على ماتين ألف دينار الا أنه مارد سائلا قط خائب وكان عقبه يترصد له أكثر الاوقات فقال لها مذبحون انا والله أعرف الناس بولدك بكار وهو والله شجرة الكرم والدين والاصل الطيب ثم ماذا فقالت له العجوز ثم ان ولدى ذهب الى ديار مصر ورجع ومعه ثياب وبضائع من عمل تنيس ودمياط واشياء تلبسها الملوك وأنه لما استقر عندى وصار فى منزله وجعل البضائع فى مخازنه وقد قال

لعقبه اعلم أنه قدجاء معي بضائع وأنها ماتصلح الاللخليفه وارباب دولته وأنت لك التقرب والوصلة الى أرباب الدوله وأريد من فضلك أن تبيعها عليهم وأناأعطيك نصف الربح ثم ان ولدى عرض عليه البضائع فقال عقبه أيضا لولدى أما قولك ان قربك من السلطان فبعيد الامكان وربما انه احالك على احد من الغلمان وما يحصل لك رحالك الا بعد زمان ولكن ياولدى انا آخذهامنك ببيع وشراء واربحك فيها الدرهم عشرة ثم انه اخذ البضائع وقال له ياولدى اشترى لى عشر غلمان ارمن حتى احمل المال اليك ثمن بضاعتك ويكون ذلك عندى مكتوبا من دولة الخليفه ولولا انك ياولدى من شجرة الرساله ومعدن النبوه من غير اطاله لما اطلعتك على خبر لان لى ياولدى مطلب وهو ملآن ذهب وقداطلعنى الله تعالى عليه وكنوز الارض تفتح لعباد الله القوم الصالحين وانا ياولدى اقبض من المطلب مائتين الف دينار ذهب واعطيك منه ياولدى الف دينار اخرى ويكون ذلك محبة منى اليك لانك من اغصان شجرة النبوه ومن أهل بيت الفتوه ولكن أريد الغلمان الذين يكونوا معك أرمن لان الأرمن لايعرفون لساننا ولايفهمون ما نريد أن نفعل واذا قضوا حاجتنا وبلغوا مرادنا ولايبقى انا عاقة بوجه من الوجوه ضربنا رقاب الجميع عن آخرهم ولا يطلع للمطاب خبر وأنت بعد ذلك تأخذ مالك وفوقه اضعاف كثير وينصلح حالك وعلى انك ياولدى تحلف لى انك لاترجع تقرب ذلك الموضع حتى اموت اناواقبر ويكون ذلك كله لك من بعدى تنال به الثواب فى الدنيا لانى ياولدى اخاف من الاعوان والجند ان يحسوا بذلك الخبر ويعلموا الخليفه بهذا المال والحال وننال التعب الشديد والمشقه بسببك ففرح ولدى بذلك حين سمع منه ذلك المقال وابداله من مكتوم السؤال فعند ذلك حلف له ولدى الايمان المغلظه الشديدة فقال له ذلك اللعين ليس يكفينى ذلك الامر منك الان تحضر لى كتاب الله وذلك توثقة باليمين (قال الراوى) ياساده ياكرام فعمد ولدى واحضر له ماقد طلبه وحلفه عليه وولدى غافل عن ذلك كله ولا يدرى مابين يديه ثم انه عقد الايمان انه لاعاد يرجع الى ذلك المكان ابدا على طول الدهر والزمان مادام ان الشيخ عقبه على قيد الحياه ثم ان ولدى نزل الى السوق يطلب الغلمان وتأملوا فى ذلك المكان فنظر عقبه اللعين فوجد عشر غلمان ارمن كانهم الشواهين أو العقبان فعند ذلك اشتراهم ووزن اثمانهم واخذهم من وقته وساعته وصبر الى الليل ثم انه قام وشد على البغال وقد حمل الاحمال والاثقال وخرج وهو لايبالى بقيل ولا قال (قال) فعندها تعلقت انا به وقلت له ياولدى هؤلاء مماليك ونصارى وليس هم من ابناء جنسك ولا دينهم دينك ولا آمن عليك منهم ان يغتالوك ويقتلوك فحدثنى الآن ياولدى بحديثك ولا تخفى عنى شيء يختى عليك وان كنت تعرف حق التربيه ياولدى لان لى عليك حقوق كثيرة ولا

تخفى عنى من الحديث ولا كلمة واحده لئلا يجرى عليك شىء فقال لى جرى لى يا أمى شىء لااقدر على حمله فقالت له ياولدى ماتحدثنى بما حصل لك فقال لى اعلمى انه جرى لى من الامر ماهو كذا وكذا حتى انه لم يبق عنده شىء من الكلام حتى قاله لى ثم انه بعد ذلك قال يا امى ان هذا الرجل عالم وامام ومقدم على الخواص والعوام وان له قدرة على الاحكام وانه ربما أن يكون عنده من ذلك القول وصول ونبقى نحن فى العيش الهنى اللذيذ على طول الليالى والايام وذلك بما ينالنا من السعاده الجزيله من هذا المطلب الذى نحن له فى الطلب ففرحت أناله بالمال الكثير وبذلك المطلب وقلت له ياولدى امض على بركة الله تعالى وعونه ولا تغفل عن نفسك وكن حذورا وانظر انفسك فى تعاقيب الامور الا انه ياولدى لما خرج من عندى وابعد عنى تشوش لذلك خاطرى ولبى وتحرك لفراقه نار قلبى وحركتنى الشفقه ووقع بى على شأنه سوء الظن فخرجت خلفه كما قال لى ولدى وراءهم ولم يعلمون بى حتى اننا خرجنا من الكمين ولم نزل نمشى الى أن قربنا الى محل خراب والخراب عنده كنيسة خربه فوجدنا عقبه نائم وعلى رأسه تخفيفه ومعه غلام واحد فاتى ولدى وسلم عليه فقبل رأسه ودخل الى جوا الكنيسه الخراب وهى مقدار اربعين ذراع وسبعة فى العرض والطول مثل ذلك فقصدا الى حجرة المذبح الى موضع مغطيا بالتراب فأمر الغلمان فحفروا عليه حتى بان لهم بلاطه بحلقه كبيره فقاموها من مكانها ثم انه أشعل شمعه ونزل وصاح فى ولدى هو والارمن فنزلوا وما بقى الا انا فجعلت أميز الموضع وأعلم فيه علائم حتى اذا خفى عنى وعن ولدى عرفته لانه قط مايعرف ثم بعد ذلك نزلت وراءهم فى سلم مقدار عشرين ذراع فى درج واذاهم قد صاروا فى داخله وإذا هو موزر بالرخام فلما ان صاروا هناك أقبل عقبه على ولدى بكار ابن الفضل وقال له يا بكار بماذا تفتخر أنت على وعلى الناس فقال له ولدى بكار مجاوبا له أى أنا أفتخر عليك وعلى الناس لأن جدى رسول الله محمدا ﷺ فلما ان سمع عقبه كلام ولدى بكار أقبل عليه وقال له ياويلك البلاء قد أحاط بك من بين يديك ومن خلفك وحق المسيح لابد لى فى هذه الساعه ان أخرج لسانك من داخل قفاك وأقطعه من وراك حتى اننى أنظر من يخلصك منى بالغيظ ومن هؤلاء الارمن وانظر من يجيرك أو يأخذ بثارك فى هذا المكان الذى نحن فيه أو من يأتى إلى نصرتك ثم انه ياولدى نظر إلى الغلمان العشرة بعد ذلك القول والهزيان مالوا على ولدى بكار ابن الفضل وأرادوا انهم يسقوه كاس الحمام وينزلوا به البلاء والحرمان وولدى قد نظر منهم الذل والعدم فندم حيث لا ينفعه الندم لكنهم قد داروا احواليه وقد علا منهم الصياح وأثخنوه بالجراح وبعد ذلك كتفوه وأوثقوه كتاف وقواوا منه السواعد الاطرانب وقد ضربوه إلى أن كادوا يهلكوه أو يقتلوه ويعدموه الحياة فلما رأيت أنا إلى

ذلك علمت ان ولدى قد وقع فى المهالك واحتال عليه عقبه فطلعت أنا ياأمير من السرداب خوفا ان يعلموا بى ويرونى ويفطنوا بى وما أنا الا قد أتيت إلى هذا المكان فرأيتك أيها الفتى وهذا الذى تم وجرى والذى لولدى وعقبه قد طرى (قال الراوى) فلما سمع مذبحون ذلك الكلام من تلك العجوز رحمها ورق قلبه لها وقال لها ياعجوز اورينى المكان حتى أراه فقالت له تعال معى حتى اننى أوريك اياه وأوقفك عليه عسى تأخذ بثارى وتكشف عنى عارى (قال) فمشيت قدامه وهو تابعها من مكان إلى مكان حتى انها وصلت إلى الخرابه والسرداب فنزل فيه مذبحون وسيفه بيده مسلول مسنون وهو يتدفق فى حد كاس المنون ولم يزل حتى انه وصل إلى آخر السرداب فمد عينه فرأى الشاب العلوى الذى ذكرت عنه العجوز وعقبه إلى جانبه يعذبه ويضربه والارمن العشره عنده وقد زاد همه وغمه ووجده فعندها رآه رق اليه قلبه ورحمه فصاح مذبحون لعقبه ويلك ياشيخ الضلاله ومعدن الكفر والجهاله ابشر بالموت وشرب المنون فانا صاحبك وصديقك الأمير مذبحون ثم انه حمل على واحد من الغلمان الارمن وضربه قتله وآخر جندله وثالث أهواه والرابع أعدمه الحياه ولم يزل على مثل ذلك حتى قتل خمسة رجال والباقين قد خافوا منه وهابوه ولم يجسر أحدا منهم يتقدم اليه

(قال الراوى) فلما ان نظر عقبه إلى ذلك خاف على نفسه وقام على حيله وأخذ صليب كان فى يده وجعل يقبله ثم انه أنشد

ياأيها السيد المسيح انظر إلى عبدك النجيح
أما ترى عقبة ينادى من ألم الضرب قد يصيح
فانصره قبل ان تراه يبقى معفرا بالدما طريح
وأنت ان لم تجب دعاه فدين أحمد هو الصحيح

(قال الراوى) فلما سمع الأمير مذبحون شعر عقبه ضحك وقال والله انه هو الدين الصحيح ثم ان مذبحون اجابه على عروض شعره وجعل يقول

ياشيبة النار يانجيح لابد من صفعك المليح
ولطخ دقنك بكل جص يطلابه وجهك الكليح
وأصفع قفاك بكل جلد مقابل فعلك القبيح
وأبليك بالضنك كل وقت كى يشتفى قلبى القريح

(قال الراوى) ثم انه قتل مقدمهم توما وبقى منهم اثنين لاغير فلما رأى الملعون عقبه ذلك الحال صاح وقال ياويلاه واخجلتاه وفضيحتاه يوم القيامه يوم الحسرة والندامه ثم عمد إلى سيوف القتلا وأخذ منهم سيف وصاح ياولدى يامذبحون لاتخف منى ودونك خصمك

حتى انى أعاونك عليه ثم انه حمل على واحد من الارمن وضربه فقتله ونادى الله أكبر الله أكبر أشهد أنلا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ وحمل مذبحون على الذى بقى فقتله ثم ان عقبه اتى إلى مذبحون وقال له ياولدى الحمد لله الذى أماتنى على الاسلام والإيمان وانت الذى كنت السبب إلى هدايتى إلى أوضح مقام وأزكى مرام فلوان أبوك الأمير أبو محمد البطال ههنا ليرى منى هذا الاذلال (قال الراوى) هذا ومذبحون قد بهت وداخله الشك والاوهام فى قوله وقال لولم يكن صادقا لما قتل الارمنى وفعل هذه الفعال هذاوعقبه قد علم ان الأمير مذبحون قد انخدع وانطلى عليه الكلام فبكى ثم تأوه وقد أشار ينشد ويقول

ندمت على ما كان منى فى سالف الدهر ... وعاندنى صبرى وقد خاننى أمرى
وقد كنت أعبد للصليب وغرنى ... ابليس ذا الملعون بالزور والمكرى
الى ان رأيت الحق بعينى تبعته ... وعاندنى صبرى وقد خاننى دهرى
وعاديت أقواما كراما وسادة ... أفاقوا على كل البرية بالفخرى
فياليت شعرى يجمع الله شملنا ... بصفو وداد بعــــد ماتقبلواعذرى
فان قبلونى كان ذاك بفضلهم ... وان بعدونى قد بسط لهم عذرى
واترك عنى مامضى من عنادهم ... ويصفو لهم ودى مدا الدهر
لأنى قــــد جاهدت قبل منيتى ... وقد كشف الرحمن ماكان من امرى

(قال الراوى) ثم ان عقبه ابهت مذبحون وسحره بهذه الفنون وقام إلى جرة نحاس كانت فى القرب منه وقد سكب منها الماء وتوضأ واغتسل ثم إنه استقبل القبله وعقد النيه واحرم للصلاة وصف أقدامه ووقف يصلى فلما رأى منه مذبحون ذلك استحى من الله وقال فى نفسه من هو واقف على هذه الحاله فى الصلاة والعباده والتطوع والزهاده وأتحمل بدمه وأطالب يوم القيامه بإثمه وأحترم أنا الأجر والثواب من رب الأرباب والله لافعلت ذلك ابدا ثم انه بقى بين المصدق والمكذب وكان قد خالطه الشك واليقين من أمر عقبه لما قتل الغلام الارمنى فقال فى نفسه هذا شىء مافعله قط أبدا ولا أقول انه قتل نصرانى الا ويكون قد سلم ومايعلم بأمره الابارىء النسم وخالق الخلق من العدم وباعث الامم ثم انه تركه ومضى إلى أم الشريف بكار وغدا اليها حتى وصل اليها وهناها بسلامة ولدها وخلاصه من الاعتقال وكانت قد حلت كتافه وهى قاعده عنده تبكى عليه وتندب عند راسه وهو غايب عن الوجود من شدة الضرب لايفيق وكان فى قلب أمه نار الحريق ولما رأت الأمير مذبحون وقد عاد اليها باهتمامه وقد دخل عليها وهناها بالسلامه فلما رأت تهنئته لها وكلامه قامت اليه وقبلته بين عينيه وفى صدره وأشارت اليه تمدحه

جفانى النوم مذ جفت عيونى | وكان بمهجتى داء دفين
إلى أن من مولانا علينا | إذا قد أتانا مذبحون
جسور فى المعامع والرزايا | كريم الاصل فيه تقا ودين
أباد الكافرين بحد سيف | وكان عريقه ماء معين
وخلص نارنا من كلب كافر | يريد لقتلنا من غير دين
ألا يامذبحون اسمع كلامى | وكن اقطع لرأس هذا اللعين
ولا تخدع فهذا ابليس حقا | لقد صدقت لنا فيه الظنون
لقد سب الشريف وقد تعدا | وهذا كافر مافيه دين
فان كان ادعى الاسلام دينا | فدلك نفاق شيطان مهين
فبادر نحوه بالسيف حتى | يبان الشك عندك واليقين

(قال الراوى) فلما سمع مذبحون من الشريفه العلوية هذا الكلام شكرها على ذلك وقال لها ماأنا ممن ينطلى على مقاله ولا بدلى مما أبين صدقه من محاله ومابقى له حياة إلا بمقدار ماتفرغ من الصلاة وابدره بالسيف على غير المقاتل فان رأيته عند اشرافه على الهلاك أكف عنه علمت أنه قدعاد عن دين الاشرك وان نطق بكلمة الكفر تممت قتله وفى ذلك الوقت يبان زوره ومحاله اذقد تيقن بهلاكه وارتحاله والا فى هذا الوقت ماا تقلد بدمه لانى أعلم أن المصلى يناجى ربه وانا أفزع أن أضربه وهو فى الصلاه والمناجاة فأطالب بدمه بين يدين الله

(قال الراوى) وكان الملعون عقبة قدعمل هذه الاعمال واظهر هذا النفاق والمحال حتى يخلص نفسه من مذبحون ابن البطال بالمكر والزور والمحال لانه كان قدرتب له الترتيب وكان أنفذ بعض غلمانه ليعلم صديق له يقال له ماحق ابن الدهقان وكان نصرانى عنيد وجبار شديد من فراعنة النصرانيه لايخاف من مالك الدنيا والآخره فأرسل اليه عقبه وهو يقول له ياماحق هات من رفقاءك عشره وتعالى إلى عندى ولاقينى فى المكان الفلانى حتى ألقيك اليوم على رجل علوى شريف من آل بيت رسول الله ﷺ وأسقيك الخمر والمدام على شبابه وأتركك تتقرب إلى السيد المسيح بضربه وعذابه ونكاله ونأخذ منه ماله ومامعه من نواله ولكم على ان اكفيكم من المال والنوال على كل حال (قال الراوى) وكان هذا ماحق ابن الدهقان الذى نحن فى ذكره رجل جبار من نسل القوم الاشرار وقدمشى أيضا مع اللصوص والعيارين على طول الايام والسنين وقد أهلك خلق كثير من المسلمين ولاجل هذا كان صاحب الملعون عقبه قليل الدين لأنه كان إذا خلامعه واجتمعوا الاثنين يقول عقبه ياماحق امحق أنت من جانب وأنامن جانب أنت بشجاعتك وانا بحيلى إلا ان عقبه لما أنفذ خلفه فى هذه النوبه اراد

ان يوريه مافعل بالشريف بكاروكم قدأخذ منه درهم ودينار فما جرى لولدى مع مذبحون ماجرى وفعل ذلك الفعال وقال ذلك المقال وقتلت المماليك الارمن حتى لم يبق منهم أحدا غيرة وقد وقف ذلك الملعون يصلى وطول فى صلاته وبقى ينتظر الرجال الذين كان أوعدهم يأتوا إلى هذا المكان وهو لهم فى الانتظار وفى قلبه لهيب النار هذا والأمير مذبحون قام على حيله وأخذ سيفه بيده وجرده حتى دب الموت فى إفرنده وقد ظهر الحمام فى جنباته وقد وقف على رأسه ينتظره أن يسلم (قال الراوى) فبينما هو كذلك وإذا بالرجال قد أقبلت وإلى الخرابة دخلت وفى السرداب قد نزلت ونظروا من باب السرداب وإذاهم بعقبة وهو مستقبل القبلة وهو ينادى بصوت مجهر ومذبحون واقف على رأسه والسيف بيده مشتهر ليعلموا أنه هو فى هذا المكان وقد دافع عن نفسه بالنفاق فصاحوا به أبشر أيها الشيخ بالفرج القريب فقد أتوك عبدة الصليب وصاح ما حق ابن الدهقان قم يا مولاى وانظر مايحل بعدوك من الهوان فبادرعقبة ولم يتم صلاته بل قام وهو ينادى دونكم وهذا الشيطان ابن الشيطان الذى قد فتك اليوم بعبدة الصلبان وأراد قتلى لولا خدعته بمقال أهل الايمان فقال مذبحون وقد ندم حيث لا ينفعه الندم وقال كل هذا بسوء تدبيرى وحسن ظنى بك يا ألف قرنان (قال الراوى) ثم ان مذبحون عاد بسيفه نحو الرجال ونادى فى وجوههم وقال الله أكبر الله أكبر ياملاعين ثم ضرب بالسيف أول الواصلين على عنقه فبراه كما يبرى الكاتب قلمه والثانى جندله والثالث ضربه قتله والرابع أرداه فطلبه بعدذلك ماحق ابن الدهقان وكان كما ذكرنا عنيد جبار شديد وشيطان مريد فارس من الفرسان شيطان فى صورة إنسان فأخذ مع مذبحون فى المحاربة والمجالسة والمضاربة وهما الاثنين تحت الأرض فى ذلك السرداب ومن فوقهما تلك الكنيسة الخراب فلا يسمع لأحد منهما صياح ولا كلام ولا خطاب ولا يفهم لهما جواب هذا وعقبة اللعين قد عمد إلى الشريفة وابنها الشريف بكاروكانا قد أخذهما الانذهال والاختبار فشدهما الملعون كتاف وقوى منهم الاطراف وقد أيقنوا بالهلاك والتلاف وان ليس بقى لهم خلاص ولا فكاك وما كان لهما حيلة إلا أنهم سلموا أنفسهم اليه وبقت أم الشريف تقبل صدر عقبة ويديه وتمرغ وجهها على رجليه وعلى أسافل قدميه وتدخل عليه وتتذلل بين يديه وتقول له ياقاضى الاسلام والمسلمين والحاكم الحق بين المسلمين والموحدين وقاضى حضرة الخليفة أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين بالله أقسم عليك بحق الملك المتعال لا تفعل بنا هذه الفعال وأكرمنا لأجل نبينا وجدنا النبى المفضال الذى سلمت عليه الغزال وسبح فى كفه الحصا والرمال بحق من كنت الساعة تناجيه وتصلى اليه وتدعوه بابتهال وهو الواحد الأحد إلا ماأوهبتنى هذا الولد الذى طول عمره ما رد من أتى اليه وسأله وهو فى خدمة رب

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف
على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وما تم الأمير مذبحون تضرعه إلى الله سبحانه حتى قويت ركبه وثبتت أقدامه ورد الله الخيل على أعقابها وهو الذى يرد الأرواح فى الأجسام وقد هابوه كل اللئام ولم يقدروا يقربوا إليه فى مقام الصدام وخيل لهم أن فى سيفه الحمام والانتقام وقد عولوا على الهرب أيضا والانهزام (قال) ولما أحس الأمير مذبحون بذلك هلل وكبر إلى الملك العلام وتوسل بجاه سيد أنبياءه محمد عليه الصلاة والسلام الذى كل من توسل به مايضام ويحظى فى الجنه بأعلا مقام وفى الدنيا تزول عنه الأوجاع والآلام والأسقام وهز أيضا فى وجه ماحق الحسام والصمصام وضربه ضربة من يغار على دين الاسلام والايمان فوقعت الضربة على وريديه بريت عنقه كما يبرى الكاتب القلم وتركه على الأرض قتيل وفى دمه جديل وأسقاه كاس الحمام وانطبق بعد ذلك على النصارى اللئام أولاد اللئام وقد زاد به الفرح والابتسام وفى ساعة الحال قتل ثلاثه آخرين وسقاهم كاس الحمام فلما نظر عقبة إلى ذلك خاف على نفسه من الهلاك والانتقام وقد عول على الهرب والانهزام واشتغل عن طلب الشريفة العلوية وأيقن بحلول المنيه وقد حرض باقى النصارى (قال الراوى) فبينما الأمير مذبحون يقاتل ويجادل وقد لاح له من النصر دلائل وهو فى النصارى يناصل وإذا به قد سمع أم الشريف العلوى وهى تبكى وتصيح على ولدها الشريف بكار وفى قلبها عليه النار والالتهاب وهى عند باب السرداب وترجو أن يجاوبها أحد من ذلك الجانب بجواب أو بخطاب وقد أدوى ذلك

السرداب فتحير الأمير مذبحون وقد ظن أنه قد أتى له قوم آخرون فالتفت ينظر ما الخبر وإذا به فى بعض القتلا قد عثر فزلقت رجلاه فوقع على وجهه وقد تخلا عن روحه وأيس عن نفسه وأيقن بقتله وسكونه أيضا فى رمسه فانكبوا عليه باقى النصارى والرجال وقد لحقه الملال والعطب والنكال فأخذوه أسير وقادوه ذليل حقير ولا يقدر أن يتحرك من مكانه ولا يتور وقد زاد بالنصارى الملاعين الفرح والسرور هذا وقد لحق الامير مذبحون الفتور وقد بكى على نفسه وانتحب وقال هذا كله بقضاء الرب الذى إذا قدر بشىء له سبب وإذا أراد غلب ولكن لولا حسن ظنى بذلك الشيخ النحس ولو كنت قتته وأخذت تارى من قبل موتى أصوب وكنت قد ريحت منه العجم والعرب ثم أنه بكى وقال :

لا يكن ظنك إلا سيئا   فان سوء الظن من حسن الفطن
مارمى الانسان فى مكروهة   أحدا سوى الظن الحسن

(قال الراوى) هذا وقد بصره عقبة لما وقع فأمن على نفسه من الفزع ورمى ما كان عليه من اللباس وابتدع وقال للنصارى وكانوا قد كتفوا مذبحون وعقبه من شدة فرحه قد زال عنه الباس ورمى ماكان عليه من اللباس وغدا وهو مكشوف الرأس وفى يده المداس فقال للنصارى وكانوا قدموا مذبحون إليه وأرادوا أن يشاوروه على قتله فقال لهم ياويلكم خلوا هذا عنكم وألحقوا بالشريفة العلويه خوفا ان تأتينا بالبلية والا تضيع منا فى الخراب وربما رأت أحد من المسلمين أومن بنى كلاب الانجاب فتدله على هذا السرداب فيبلوكم بالبلاء والمصاب والهموم والعذاب ثم ان الملعون عقبة سحب الامير مذبحون وهو يقول أنا استغفرك يامسيح مما قتته عند الغضب لاجل غيظى من هذا الكلب الاكلب والآن فقد عرضت عندى محبتى وعلمت أنك تحترم شيبتى وتعلى بفضلى ومنزلتى لاجل مجاهدتى (قال الراوى) وأما النصارى أصحابه فانهم كانوا تركوه وغدوا خلف الشريفة العلوية كما أمرهم عقبة الملعون ولم يزالوا خلفها إلى أن لحقوها وقبضوا عليها وهى لم تقدر تمانعهم عن نفسها ولم تكن إلاساعة حتى عادوا إليه بها وهم يسحبوها على وجهها وقد ضربوها حتى كادوا يهلكوها ويعدموها وقد أدموها وبدمها خضبوها من كثرة ماعاقبوها وضربوها فقال لهم عقبة الملعون كتفوها وشدوها حتى أقول لكم أى قتلت تقتلوها لانى أريد الليلة أتركها هى وولدها فى هذا المكان وأطلع أدبر فى هلاك أعدائى وابلغ من الاعداء مناى لاننى أعلم أن مذبحون ماوقع فى هذا السرداب إلا ويكون قد ترك أبوه البطال قريبا منه على هذا الحال وأنا أوريكم ليلة غد ماأفعل بهم وببنات طوق الذى جرى لى أنا وأختى فى داره ماجرى وقد أتانى خبره أنه سلم من الجراح الذى جرت عليه والاهوال التى نزلت له وأنا وحق المسيح ما أصدق أنه عاش

بعد مافعلوا به تلك الفعال قدامى وأنا أرى بعينى فان كان بعد ذلك كله فى الحياة فأنا أقوده ليلة غد إلى هاهنا قال ثم انه جعل يضرب الامير مذبحون والشريفة وولدها بكار حتى فرغ النهار وأقبل الليل بالاعتكار وأمسى المساء وترك الكل هناك فى ذلك السراب وقد أوهبهم الملعون عقبة من مال الشريف بكار كل واحد منهم ألف دينار وكان مال له قدر وقيمة ومقدار وقال لهم ليلة غد أريدكم أن تكونوا هاهنا ولا تحزنوا على ما مضى فلولا أن المسيح قبلهم ما كان قتلهم ولا إليه قتلهم ونقلهم وقد مضوا فى طاعته وطاعتى وان أطال المسيح مدتى أخذت لهم بالثار وأكشف عنى وعنهم العار ثم سار الملعون ومن معه من القوم الأشرار حتى وصل إلى داره وقدقر فيها قراره ورأى أخته عاقبة قاعدة له فى انتظار وهى تتنسم أخباره فدخل عليها ووصل إليها وبما تم له اعلمها وما جرى له مع مذبحون بن البطال من الهم والنكال والضرب والاذلال وكيف انتصر عليه بعد ذلك وقبض عليه وأنزله فى السرداب هو والشريف بكار وأمه وهما فى العذاب الأليم فتبسمت الملعونة عاقبة من ذلك وهنأته بالسلامة ثم قالت هكذا دائم فى السرداب ولا تعلمنى حتى انى آتى معك وأجاهد كما تجاهد فقال الملعون عقبة أنا أدلك على شىء عظيم أعظم من هذا الأمر وأجل عند المسيح وأوفى قدر فقالت له وما هو فقال الحاج طوق الذى كنت أنا وانت فى داره وجرى ماجرى علينا منه وقد أتانى الخبر أنه مامات ولا همته همة الجراحات وأريد منك تنظرى كيف تحصليه فى السراب هو وبناته وامراته حتى اننا نذبح الكل ونشتفى منهم ليلة غد ثم فتح لها الباب الذى تعمله فقالت له لاتخاف وحق السيد المسيح أنا لها ثم انها سارت من وقتها وساعتها وتنكرت فى صفة شيخة سواحة ولبست الزى وطلعت وهى تسبح وتذكر لسان بلا قلب حتى أتت إلى المكان الذى والحاج طوق وبناته وزوجته فيه (قال الراوى) وكانت هذه الكلبة أخت عقبة أكفر أهل زمانها وأمر من أخوها وأكفر وأمكر وأدهى وأحيل وكانت قد سمت نفسها بالشيخة كرانة مكرا منها وخيانة حتى تجوز على الناس حيلتها ثم انها سارت وهى ضامرة على هلاكهم أجمعين وكل من رآها يعتقد فيها فبينما هى سائرة على تلك الصفة وإذا هى بزوجة الحاج طوق ماشية فى الطريق وهى فى بكاء وتأسف وحريق فقالت لها ماخبرك وما الذى أصابك فعند ذلك قالت لها زوجة الحاج طوق ابن ثابت نحن قوم مقهورين أنا وزوجى الحاج طوق ولكنه ضعيف (قال) فعند ذلك تقدمت اليها وقبلت يدها ودعت لها ثم انها قد التفت اليها وقالت ومن لكن فى الشدة فقالت لها الحاج طوق صاحب الدار فى شدة لايعلمها إلا الله تعالى ونحن بعده فى أسوإ الأحوال ثم حدثتها بحديثه وحديث عقبة وما جرى له وهى الملعونة تظهر العجب من ذلك إلى أن فرغت زوجة الحاج طوق من كلامها ثم انها

قد أخذت بيدها وقامت بها إلى الحاج طوق بن ثابت فوجدته يئن من ألم الجراح فطرحت يدها عليه وأخذت فى الدعاء ثم قالت لعنك الله ياعقبه وخزاك ولا لقاك خيرا ولا جزاك لأنك أكفر الخليقة وأفسدهم طريقه ثم قالت لبنات الحاج طوق يابناتى هذا عقبة نصرانى يأكل لحم الخنزير وأنا سمعت هذا الحديث من أقوام ثقاة وما قلت لكم إلا حتى تقولون هذه امرأة صالحة كيف تلعن رجل مسلم والله ماهو مسلم لأن عباد الله الصالحين الذين اصطفاهم لايخفى عليهم نفاق المنافقين والله إنى أعلم قطعا يقين أن عقبة رجلا نصرانى يأكل لحم الخنزير ويكفر بالملك القدير والويل له من ربه يوم الفزع الأكبر إذا ضاق الخلائق بالمحشر واسود وجه المنافقين وتغير وشهدت عليه أعضاؤه بما قدم وما أخر

(قال الراوى) فلما سمعت ذلك الكلام نساء الحاج طوق قالوا لها ياشيخة لا تخليه من صالح الدعاء فانه مظلوم فقالت الملعونة عاقبة ها أنا خارجة من عندكن أعود إلى بعض أخواتى العابدات فى بيت المقدس وأرجع اليكن عند العشاء الأخيرة وأفرجكن على شيخكن باذن الله تعالى وكونوا على أهبة وحصلوه فى حمام حار واعطوا لصاحبه دينار وخذوا منه المفاتيح وودوا شيخكم اليها فى كساء فما يعود من الحمام إلا وهو يمشى باذن الله تعالى واجهدوا أن تكون حمام العيارين لأنها قديمة حارة تصلح للمريض لانها معتدلة الهوى (قال الراوى) فلما سمعت النسوان ذلك الكلام فرحن وكن ثلاث بنات وأمهن فجعلن يقبلن يديها ورجليها ويقلن لها ياولية الله لاتغفلى عنا لأن الوعد دين وهذا أبونا قد نظرتيه فى هذا الحال وقد أظلم والله محرابه واستوحشوا له أصحابه وفيه أكثر من أربعين جرح فأختمت وفيها شىء عملت وهو الآن يستغيث من شدة الوجع والضربان فلا تقعدى عنه الليلة فهذه المثوبة أفضل من حجه (قال الراوى) فعند ذلك خرجت عاقبة وعادت إلى عند أخوها عقبة وأعلمته بكلما فعلت وقالت هذه نوبة نأخذ فيها البنات والشيخ والأم الكبيرة وكل من كان فى الدار فصلب الملعون عقبة على وجهه وقال المسيح يزيد فى عمرك فما يكون العبد الصالح بالأخت الصالحة لاضيع لكى الجوارى تراكيس هذا الفعل النفيس (قال الراوى) وأقام عقبة يدبر أحواله إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقال لأخته عاقبة يا أختى قومى الآن وسوقى القوم إلى الحمام فأنا قد فرغت من أشغالى وتممت أحوالى فعندها لبست غاقبة ماكان عليها وخرجت سائرة إلى دار الحاج طوق بن ثابت وقد اختلط الظلام فوجدت النسوان عند الباب لها فى الانتظار فدخلت وهن يقبلن رجليها وينطرحن عليها ويقلن فدينا رجلين تسعى عند الصباح إلى بيت المقدس وتعود عند العشاء الأخيرة (قال) وكانوا بنات الحاج طوق لا تراهن الشمس

وكانت أمهن خلصت منها تيح الحمام من صاحبها ودانته أجرته وتركت الشيخ طوق فى محفة فلما وصلت عاقبة حملت كل واحدة من البنات من جانب المحفة وسارت الشيخة كارنة قدامهن إلى الحمام وكانت تعرف بحمام العيارين وهى منقطعة عن العمران فدخلوا اليها وجعلوا الحاج طوق من داخل الحمام وكان عقبة مكمنا قريباً منها ومعه الرجال وقد دخل أيضاً وفى قلبه من الفرح أمر عظيم (قال) وكان من القضاء والقدران اليهودى الذى أرسله الأمير أبو محمد البطال يأخذ له خبر ولده مذبحون قد دخل إلى بغداد وسأل عن عقبة فلم يجده فى داره لأنه كان مع الشريف بكار فى الكنيسة كما ذكرنا فخرج فى الليلة الثانية يطلب خبر الامير مذبحون فجاءت طريقه على الحمام فرأى المحفة والنساء يحملنها فقال لهن من هذا فقلن هذا رجل فيه جراح فسار اليهودى من ساعته وإذا بشيخ يلوح بين يديه فوقف وهو خائف حائر ووقف أيضا ذلك الشيخ وتأمل كل واحد منهما صاحبه وكان ذلك الشيخ هو الامير أبو محمد البطال فقال له إيش معك من الخبر فقال مامعى مما أنفذتنى اليه خبر ولكن صديقك الحاج طوق قد دخل الليلة الحمام بتاع العيارين وما معه إلا بناته فقال الأمير أبو محمد البطال هذه حيلة قد جرت عليه ولا شك الا انها من عقبه والليلة يهلك فارجع معى حتى تبصر ما يكون منه

(قال الراوى) وكان السبب فى مجىء الأمير أبو محمد البطال وقدومه فى هذه الساعة سبب عجيب وذلك أنه لما أبطأ عليه خبر اليهودى أقبل على الأميرة ذات الهمة وعلى الأمير ظالم وقال لهما قد أبطأ اليهودى وقلبى من أجله على النار وما تكون النايحة بكرامه مثل النايحة لبلواها والحزين أحق بالبكاء وقلبى يحسانى ما بقيت أجمع بولدى وأريد أدخل إلى بغداد وأكشف خبر ولدى وأسأل عن الحاج طوق ابن ثابت ثم سار حتى لحق اليهودى علد الخراب وأخذه وعاد طالب الحمام (قال الراوى) فهذا ما جرى هنا (وأماما كان) من الحاج طوق بن ثابت فانه لما وضعوه فى الحمام تقدمت بناته اليه وهموا ان يقلبوا عليه الماء وإذا بعشرين رجلا قد دخلوا عليه بالسيوف المجذبه وأخذا البنات وشدوا الكتاف وظهر عقبه اليهم وقد كشف وجهه اليهم والامير طوق وقال له ويلك جاءك الدواء الذى لم يكن له أبدا شفاء ثم انه أخرج له الزجاج المصخون والقلى وجعل يحك له بدنه وهو يستغيث فلا يغاث حتى غشى عليه وغاب عن الدنيا فقال الملعون عقبة للرجال خذوا الآن هذه النسوة واذهبوا بنا كلنا إلى المطمورة فهذه سنة مانظرت أبرك منها ففعلوا ذلك وخرجوا من الحمام وقد أخذوا الحرائر العابدات وعقبة يقول للحاج طوق أنت من المقربين حتى يأتى اليك الصالحين وحق المسيح لابد لى أن أذيقك من العذاب ألوان قبل الموت والذهاب

(قال الراوى) والأمير طوق قد علم أنه قد تمت عليه الحيلة فقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ماشاء الله كان ثم أقبل على عقبة وقال لا تفعل فما بينى وبينك عداوة وإنما الأمير أبو محمد البطال نزل عندى كما ينزل الصديق عند صديقه وإن كان ولا بد لك من قتلى فلى معك سؤال لا تعذبنى واعلم أن الله تعالى يوقفك بين يديه اذا طارت الكواكب وبدلت الأرض وطويت السموات وسيرت الجبال والذوائب شابت والأبدان قد ذابت والرقاب خاضعة والأبصار خاشعه فاتق الله فى وفى دمى قبل هذا اليوم العظيم (قال) فلما سمع عقبة ذلك الكلام ضحك وقال والله ياحاج طوق أشهدك على أتى ألتى الله تعالى بدم كل حاج على وجه الأرض ثم جعل الملعون يلطم وجهه وهم يساقون إلى الكنيسة الكبيرة وبعد خروجهم من الحمام أتى الأمير أبو محمد البطال إلى الحمام وقد فاتوه بلحظة وإنه لما رأى الدنيا منهم خاليه فقال والله إننى أخاف أن يكون تم عليه الأمر ومالى إلا أن أقصد دار الحاج طوق بن ثابت فان كان فيها شكرت الله تعالى وان كان غير ذلك دبرت فى كشف خبره مع ولدى مذبحون لانه له على من الجميل مالا أوفية أبدا ثم انه سار إلى الدار الذى له فلم يجده فطلع إلى سطحها فرآها خالية من سكانها وإن الامير أبو محمد البطال لما نظر إلى ذلك بكى وقال هلك والله الشيخ طوق وبنابه وهذا والله بسببى ثم عاد إلى اليهودى وقال له اذهب إلى الامير ظالم والاميرة ذات الهمة وأخبرهما أن الخليفة قد استعد بجميع العساكر ويريد الخروج اليهم وربما كبسهم على غفله منهم فيكونوا على أهبة وإن أرادوا العودة إلى بلادهم فهو أصلح لهم حتى لا يسفك دماهم ودما المسلمين بينهم وأما أنا فلا أعود حتى أكشف خبر ولدى مذبحون وخبر هذا الشيخ طوق الرجل الصالح الذى ماهلك الا من أجلنا وها أنا ماضى إلى دار عقبة فما أكشف الخبر إلا منها وإذا وصلت اليهم فارسل إلى غلمانى وقول لهم يكون الملتقى بينى وبينهم حمام العيارين (قال) فلما سمع اليهودى ذلك الكلام انصرف طالب الاميرة ذات الهمه والامير ظالم وأما الامير أبو محمد البطال فانه قصد إلى دار عقبة ونصب سلمه وطلع على الدار ونصت يسمع فلم يجد لعقبة خبر ولكن رأى ابنته الكبيرة وهى تدور فى الدار وفى يدها المبخره وهى تقرأ شيأ من الإنجيل وكانت شديدة فى دين النصرانية وكان أبوها إذا ترك عندهم مسلم تعذبه وتحمى له مسمار وتدخله فى أذنه حتى يخرج من الاخرى فتقتله وكان إسمها عقيبة وكان أبو محمد البطال سمع بحديثها ويقول لابد لى من قتلها وآخذ منها تار من قتل من المسلمين وتصنت اليها وإذا بها سكتت من تلاوتها وجعلت تقول يامسيح خذ للصالح عقبة أبى بالحق من عدوه أبو محمد البطال وذات الهمة وعبد الوهاب وبنى كلاب وشد عضدى بهمتى

عاقبة وأطال عمرها حتى تجاهد فى الملة الإسلامية وهى تقول ذلك الكلام وإذا قد خرجت أختها الصغيرة واسمها عقبية وقالت لها ماتمتى يا أختاه فى هذه الليله وقد تعبتى من التلاوة والدعاء فعندها قالت لها ويلك ياعقبية كيف يأخذنى نوم وأبوكى وعمتكى وعشرين رجلا من عباد المسيح قد ذهبوا فى طلب الحاج طوق بن ثابت وبناته فلا رحم المسيح ممنهم أحد ويريدوا أن يجعلوهم فى الكنيسة الخراب عند الشريف وأمه ومذبحون ابن البطال المنجوس ويوريهم من العذاب أشد بؤس فقالت عقبية وكانت أصغر أولاده وكان الملعون مارزق قط أحسن منها لأنها كانت موصوفه بالملاحة وكان خطبها ابن بترك مدينة أريس وكان عقبه جهزها بمائتين ألف دينار من جوهر وذهب ولؤلؤ وفضة وأنعم لابن البترك بالزواج لان او اسطة بينهم ملك الروم وعقبه عول ان يزوجها بنية زيارة بيت المقدس ويكون معها أختها عقبيه وأخته عاقبه ويكونوا خيل زوجها مكمنة لهم فى الطريق فيأخذوها ويسيرون ويقولون للخليفه يامولانا قد انفذت بغالى بيت المقدس فاخذوهم الروم وسبوهم المشركين ثم يرجع يأخذ الواحده وأخته وتبقى عقبيه عند زوجها لأنه كان النيه فى هذه الايام وقد انفذ إلى ملك الروم يقول اريد اسيرا ابنتى إلى من كنت انت الواسطة فيه فانفذلى من العرب المتنصره عشرين رجلا يأخذون تجارة من بغداد حتى اشاور الخليفه وأنا اسيرانا وابنتى معى فى محفه إلى أطراف بلاد الروم ويخرج عليها زوجها ويأخذها واريدان تلقينا إلى أرض الخانوقه باربعة آلاف من بطارقة الروم فانى اخاف ان يلحقنا أحد من ملطيه أو من حرامية المسلمين ووصى العرب المتنصره انهم إذا وصلوا إلى بغداد يتفرقون حتى لايعرفون ولايا تون إلى دارى بالليل وكان الملعون لهم فى الانتظار (قال الراوى) وعدنا إلى سياق الحديث وكان الأمير ابو محمد البطال على سطح دار الملعون كما ذكرنا يسمع كلام البنات أولاد عقبه وان عقبيه لما سمعت أختها عقيبه تدعو على المسلمين فقالت لها بس ياأختاه من هذا الكلام فالحيطان لها آذان ولا نأمن أبو محمد البطال ان يسمع كلامنا أو يكون الليله من حول دارنا (قال) ولما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام لم يجد الصبر بل عاد ونزل وقلبه على ولده مذبحون وهو لايدرى اين الكنيسه التى سمع بها فاكمن حول الدار وقال لابد يأتى لعقبه خبر أو رسول او ينفذ أحدا يأخذ له طعام أو شراب واتبع انا من يأتى إلى ذلك السرداب فهذا والله شيأ ماكان لنا فى حساب وماهذا الملعون إلا آفة الزمان فياليت شعرى من اين اخذ هذا الشريف العلوى وامه الذى ذكرته ابنته يارب اجعل فرج القوم على يدى انك على كل شىء قدير (قال) ثم انه بقى متفكر فى بعد الأمير عبد الوهاب عن المصيبه وقلبه إلى زوجته نورى ومن شدة ماجرى عليه (قال الراوى) وأقام الأمير ابو محمد البطال باقى ليلته ولم يراحدا

فاصبح على مقالى النار ومن شدة ماجرى عليه خرج إلى ظاهر بغداد وجعل يتنسم الاخبار فلا خبر ولا أثر فرجع فى الليله الثانيه إلى دار عقبه وهو متحير فى امره ينتظر ان يسمع خبرا أو يقف على اثر وعلم ان عقبه اينما كان لابد ان يرسل رسولا إلى داره يطلب منها حاجه وكان الخليفه فى هذا اليوم قد ارسل خلف عقبه يطلبه فقالوا بناته ابونا خرج إلى المشاهد المهجوره يصلى فيها ويدعو للخليفه أمير المؤمنين (قال) وأما اليهودى فانه مضى إلى عسكر الأمير ظالم فعبر عليهم وطلب الاذن فى الدخول عليه فاذنوا له فدخل وسلم على الأمير ظالم وعلى الأميره ذات الهمه وحكى لهم على جميع ماجرى من عقبه واخته عاقبه واعلمهم بالحاج طوق بن ثابت وبناته وزوجته وكيف انمسك الأمير مذبحون ولد الامير ابو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع الأمير ظالم هذه الامور تعجب وشكر اليهودى واحسن اليه ثم انه استشار الاميره ذات الهمه وقال لها ياستاه كيف يكون العمل فعندذلك قالت الاميره ذات الهمه لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لاكان عقبه ولا أخته ثم انها ضربت مع غلمان الامير أبو محمد البطال وولده الحصين مشورة فقالوا لها نحن لك وبين يديك فعندذلك أخذت من العساكر جماعة وقالت لهم إننا قد وقعنا فى أمر عجيب وما بقى إلا الصدق فى الجهادلان هذه شدة لاتنفصل إلا بالقتال العظيم (قال الراوى) وكانت الاميره قد أخذت من بنى كلاب رجلا يقال له نجد وكان فيه قوة وبراعة ولما تحدثت الاميره ذات الهمة مع غلمان الامير أبو محمد البطال بهذا المقال شكروها وساروا حتى وصلوا إلى قريب من بغداد حتى أقبل الليل واختفوا حتى أقبل النهار وقد وصلوا إلى ظاهر بغداد فقالت الاميره ذات الهمه اكمنوا بنا هاهنا فى هذا الخراب إلى الليل لان الامير أبو محمد البطال لايظهر إلا بالليل ولو ظهر فى النهار وعرف لهلك وكذلك نحن كلنا مطلوبين من الخليفه وما يكون لنا ملتقى الليله إلا عند حمام العيارين كما وصانا اليهودى (قال) ثم انهم أكمنوا هناك إلى الليل وساروا إلى تلك الحمام ودخلوا معها غلمان البطال فما وجدوا هناك أحد فخافوا على سيدهم ان يتم عليه أمر من الامور فقالت الاميره لاتخافوا ماثم إلا الخير لانى أقول ان أبو محمد البطال الساعه قد توكل بدار عقبه لانه يعلم انه ان أخذه خلص به ولده الامير مذبحون لان مامصيبته الا هو وما عمل عليه غيره فاقصدوا بنا دار عقبه فقصدوها وداروا حولها وقد تفرقوا وكان الامير أبو محمد البطال فى تلك الساعه يرتقب الباب فلما رأى أشباحهم خاف منهم وقصد نحوهم فعرف غلمانه وولده الحصين ثم كلمهم فدنوا اليه وسلموا عليه فقال لهم من معكم فقالوا الاميرة ذات الهمه ونجد الكلابى فلما سمع الامير ابو محمد البطال ذلك المقال عدل

الى الاميره وشكرها على قدومها وقال لها أتعبتى نفسك ياأم المجاهدين فقالت له هذا من بعض ما يجب على يا أبا محمد فما الذى فعلت فى حق عقبه وولدك مذبحون فقال لها والله يا أميره ما اطلعت لأحد منهم على خبر ولى يوم وليله وأنا أجىء الى دار الملعون واقول لعلى أرى أحد يأتى من عنده واتبعه وابصر ما أدبر فما رأيت أحدا لا أبيض ولا أسود ثم حدثها كيف تسلق الى أعلى الدار وماسمع من عقيبة وعقبية وحديث الشريف العنوى وماسمع من حديثه ثم قال والله أنا حرت فى أمرى ولا أدرى الى اين أمضى واطلب هذا الملعون لاننى قد سمعت أنه فى كنيسة خراب ولا أعلم اين يكون (قال الراوى) فهو معها فى الكلام واذا بباب دار الملعون يطرق طرقا خفيفا فقال جاءنا والله الفرج ولكن اختفوا بنا حتى أبصر ماجرى وانظر من قد ورد واذا بثلاث رجال والباب قد فتح لهم وابنته عقيبه تكلمهم وهم يقولون لها قال لكى أبوكى افتحى السرداب الصغير ثم اقصدى الدن الكبير واملى لنا هذا الظرف لانه خمر عتيق وهو يريد الليله يشرب من على وجوه بنات الحاج طوق واذا سكر وطاب عيشه ذبح لهم مذبحون ابن البطال وكذلك طوق بن ثابت وبناته (قال الراوى) فلما أن سمعت ابنة عقبة ذلك الكلام دخلت الدار وملات الظرف من ذلك العقار فأخذوه الرجال وساروا وعاد الامير أبو محمد البطال الى الاميرة ذات الهمه واعلمها بماسمع ففرحت بذلك وقالت سبحان من يسهل الامور انهتك والله ستر الملعون سر بنا وراءهم حتى اننا نتبعهم وننظر على أى شىء ينفصل الحال (قال الراوى) ثم انهم ساروا وقد تبعهم أبو محمد البطال ونجد الكلابى وتلك الغلمان الى أن أشرفوا على الكنيسة الخراب وقصدوا باب السرداب وهو طريق عظيم بهندام دقيق لا يهتدى اليه أحد ولا عليه طريق ثم نزلوا والامير أبو محمد البطال يقول للاميرة والله ان هذا الموضع لا يهتدى اليه انسان فى النهار فكيف فى الليل فالحمد لله على هذا الامر (قال) ثم انه تقدم الى المكان ودخل هو والاميرة ذات الهمه وسائر الاصحاب فى ذلك السرداب وكان من أسفل عشرين درجه فلما بلغوا منتهاه بانت لهم الكنيسه ورأوا عقبه وهو جالس وتحته مطرح ديباج رومى ومن وراءه مسند أطلس وبين يديه باطية من الخمر والكاسات تدور وهو يشرب وأخته عاقبه جالسه والقدح فى يدها وعنده أكثر من عشرين نصرانى من نصارى بغداد وعلى عقبة حلة سوداء كان أوهبها له الملك الفالوغص وهى كلها ذهب وفصوصها جوهر وهو قد تميل من ذلك الخمر وصاح وقد طرب وقال ائتونى بطوق ابن ثابت فأتوا به الى بين يديه فلما ان رآه لطم بيده وجهه وقال له ياويلك ماتذكر ماصنع بى فى دراك وأردت قتلى انظر الى المسيح كيف أوقعك ومانجاك حجك الى البيت الحرام فقال له الامير طوق ان كانت منيتى قد حضرت وعلى يدك قد قربت فمرحبا بلقاء الله تعالى

وان كان فى أجلى تأخير فسوف أريك ما أصنع بك من التدبير فلما أن سمع الملعون عقبة ذلك الكلام وثب له قائما على الاقدام وضربه حتى غاب عن الدنيا وقال ائتونى ببناته فأتوا بهن وقال للنصارى اقعدوا حتى نشرب عليهن ونتفرج على وجوههن الى أن يفيق أبوهن وأريكم ما أصنع بهن (قال الراوى) فعندها تقدمت الغلمان الى الجوريات ليكشفوا عن وجوههن فتصارخن وتضاربن بأنفسهن الى الأرض ورأى عقبه ذلك فقال اضربوهن حتى يطاوعوكم ثم جعل يقدم واحده بعد واحده ويضربها حتى يغشى عليها ويأمر بها حتى تحمل الى عند أبيها هذا والاميره ذات الهمه ترى ذلك وقد كاد أن يغشى عليها فقالت يا أبا محمد دعنى أهجم عليهم فما بقى لى صبر فقال لها لا تفعلى يا أميره فان ولدى ما ظهر ولو هجمنا عليهم الساعة وخلصناهم هلك ولدى لانه قد خباه فى موضع لا تهتدى اليه الجن ولو ضربناه الى أن ينفخ فى الصور ولم يقر به وكان يموت موضعه ولكن لعله ان يظهر (قال الراوى) فهم فى الكلام وعقبه ناداهم هاتوا الشريف البصرى فأحضروه بين يديه وهو من الضرب لا تحمله رجليه فقال له الآن من ينجيك من صوتى فقال له ينجينى الذى أوقعنى فى يدك فصاح به الملعون اسكت ياويلك فأنا أبغض هذا الكلام الذى تذكره ثم ضربه حتى أيقن انه هالك ثم قال الملعون هاتوا أمه فأتوا بها الى عنده فضربها الضرب الوجيع ثم قال اخرجوا الى مذبحون فما تركته الى الآخر الا حتى أتفرغ له واشتفى منه (قال) فلما سمع الامير أبو محمد البطال بذكر ولده فرح ونظر واذا به قد خرج وأوقفوه بين يديه فقال له ويلك يا ابن الف ديوس ماجئت الا فى طلب هلاكى وقتلى فى هذا السرداب فاطلب السعادة لنفسك والخلاص من البلاء والعذاب ثم انه جعل يضربه فقالت له الاميره ذات الهمه يا أبا محمد أنا قد انقطع قلبى على مذبحون فدعنى أنزل إلى هذا اللعين وإلا الزم هذا المكان حتى أمضى أنا إلى الخليفه السلطان وآتى به إلى ههنا ان قدرت حتى انه يراه وهو فى هذه الحاله وقد انهتك ستره عنده وبرئت ساحتنا نحن ونستريح من هذا الصداع فقال لها الأمير أبو محمد البطال ماهذا رأى سديد لانى أخاف ان ذلك الملعون يبطش بولدى وهؤلاء المسلمين ولكن الصواب عندى النزول اليه والقبض عليه (قال الراوى) هذا وقد طرح عقبه الأمير مذبحون على صدر الحاج طوق والشريف بكار على صدر الأمير مذبحون واخرج سكينا وقال الساعه أشرب قدحى واذبح هؤلاء الثلاثه الذين مابقى لهم رزق ينزل ولا عمل يصعد فأين عين البطال حتى ينظر ولده واين عين ذات الهمه تنظر إلى الشريفه وابنها وهو فى يدى لا يقدر يمنع ولا يدفع وبعد هذا القدح راسه تقطع يامسيح بحق هذه الشيبه اجمع بينى وبينهم فى هذا الموضع حتى أشفى منهم فؤادى (قال الراوى) فعندها صاحت الأميره ذات الهمه ياملعون ان لك عند المسيح منزلة عظيمة الذى استجاب دعاءك واتى بنا إلى سلخ قفاك هذا وان عقبه

لما نظر اليهم جف لسانه ومن شدة ماجرى عليه وقع الكاس من يده وتلوث فى سرواله وقال هلكنا وحق المسيح فقالت له أخته أيها الشيخ الصالح قدقلت لك ألف مره لاتقسم على المسيح بشيبتك فان دعاك لايرد وربما دعوة صادقتها اجابة لاسيما وانت حجة المسيح فقال لها عقبة وكيف استجاب المسيح دعائى من هذه الساعة وأنا طول عمرى أدعوه ان يهلك البطال وذات الهمة العاهره وولدها الاسود عبد الوهاب فما استجاب دعائى ولكن الساعه أراد ان يورينى منزلتى عنده وأتى بهؤلاء عندى لذلتى ومسرتى وخلوتى (قال الراوى) هذا والأميره قدمالت هى وأصحابها على النصارى وهم سكارى فما كان أحدهم يقوم إلا ورأسه قد طارت ورأى عقبه ذلك فانهزم ودخل إلى صدر الكنيسة وأخذ أخته عاقبة معه واشتغلت الأميره عنه بقتل النصارى ولم تلتفت إلى عقبة لأنها قالت نحن مالكون الباب آمنون ان يهرب بسبب من الاسباب (قال) فلما فرغت الأميره ذات الهمة من القوم ونهب أموالهم وقد دارت عليهم بكاسات المنايا ثم قالت للأمير ابو محمد البطال دور الساعة فى الكنيسه على عقبة أنت وغلمانك واقبض عليه فجعل الأمير أبو محمد البطال يدور على الملعون عقبة هو والأميره ذات الهمه معه والسيف فى يمينها مشهور ساعة زمانية فلم يقعوا للملعون عقبة على خبر ومابقى فيهم الامن تحير فقالت الأميره ذات الهمة معلوم انه ماطار فدوروا عليه الساعة حتى احل انا هؤلاء المساكين من العذاب الاليم (قال الراوى) وكان الملعون عقبة لما انهزم وتبعته اخته عاقبه قدخل إلى المذبح وكان فيه بلاطة مزوقة على باب السرداب الذى يخبوا الرهبان فيه أموالهم واموال الكنيسة وصلبانها ومايخافون عليه فنزل الملعون عقبة وأخته عاقبة فيه وهما يرجفان واعادوا البلاطه على فم المكان وبقى الأمير أبو محمد البطال يدور وهو حيران حتى وصل إلى بيت المذبح ورأى إلى تلك البلاطه المزوقة فعند ذلك أنكرها لكثرة التجارب ودنا اليها ليقيمها وإذا بها سهلة القلع فشالها وإذا تحتها سرداب عميق فصاح للأميرة ذات الهمة وقال لها أيتها الأميره عقبة لاشك فى هذا المكان وهاانا نازل اليه اسحبه إلى الباب فقالت له الأميره ذات الهمة لاوالله ياأبا محمد انا أفديك بروحى وانزل اليه لئلا يكون المكان واسعا من اسفل وقد نزل معه بعض النصارى فهلك (قال الراوى) ثم تقدمت ونزلت وكانت عاقبة واخيها عقبة فى ذلك السرداب كما ذكرنا وقد جرد فى يده خنجر ووقفت اخته عاقبة كذلك وقد جردت بيدها سكين مقابلته وهما منتظران من ينزل اليهما والمكان مظلم وإذا بالأميرة ذات الهمة قد اشرفت عليها فوثب الملعون عقبة وضربها بالخنجر فوقع فى اضلاعها خرج من احشائها فوقعت الأميره ذات الهمة على وجه الأرض مغشيا عليها ثم ضربتها الملعونه عاقبة فى كتفها وهى لاتعقل على نفسها (قال) وكانت لما ضربتها عاقبة صاحت وسمعها الأمير ابو محمد البطال

عند وقوعها فصاح بصوته الجهر وا أميرتاه هلكت الأميره ذات الهمة وحق محمد ابن عبدالله وما كان نزولها فى مثل هذا الوقت بصواب ثم انه تقدم من حرقة قلبه عليها لينزل فمنعه من ذلك ولده الأمير مذبحون فقال والله ما أمكنك من ذلك ولكن ان نزلت كنت هالك فقال البطال ولا أنت أيضا تنزل لان قلبى ماصدق بالاجتماع بك فقال ومن ينزل إلى هذا الملعون يكون على خطر عظيم ولكن اخرج يا بنى إلى خارج الكنيسة لعل ان تجد شيأ من الحطب والشوك حتى نصيح بهذا الملعون ونهدده بالحريق والا فما نجد لخلاص الأميره من سبيل فقال مذبحون هذا والله هو الصواب ثم صعد من ذلك المكان وصار كلما لقى شوكا وحطبا القاه فى السرداب حتى صار عند البطال شىء كثير فقدمه إلى بيت المذبح وأضرم فيه النار واوهجها وقوى لهيبها وقدمها إلى باب السرداب حتى يدخل الى عقبة اللهب والدخان فعندها صاح عقبه الأمان الامان يا أبا محمد يا بطال فعندها بطل ابو محمد الوقيد وقال والله لولا خوفى على الاميره لمافرجت عنه ولكن اذا اخرجت وخلصتها من يده قتلته قدامها ان كان فيها روح ثم صبر حتى خرج عقبه وقد انحرقت لحيته وشواربه وكذلك أخته شاط وجهها وشعرها ولما صار ظاهر المكان أبصر عقبه أبا محمد ومذبحون وبقية الغلمان قيام وكل واحد منهم بيده حسام فأرمى الخنجر من يده وتقدم البطال وكتفه وكذلك مذبحون كتف عاقبه ثم نزل أبو محمد الى أسفل السرداب فرأى الاميره وهى على آخر نفس فرفعها الى الكنيسه وهى لا تعقل على روحها ولما رآها على تلك الحاله رد أمعائها وخيط جراحها وسقاها قليلا من الماء ففتحت عيناها واما أم الشريف بكار فانها مشتغلة بولدها وهى تعلله وتبكى على حاله وقد أفاق من ضرب عقبه وعقل على نفسه وكذلك طوق وبناته وقدهناهم أبو محمد بالسلامه وقال لهم دونكم وصاحبكم عقبة الذى فعل بكم هذه الفعال ولكن لا تقتلوه حتى تفيق الاميره ذات الهمة ونريه ايامه (قال الراوى) فلما سمعوا القوم هذا الكلام قاموا الى شيخ الضلال ومافيهم الا من ضربه حتى كل ساعده (ياساده) وعند العصر افاقت الاميره وعقلت على نفسها وكلمها الأمير أبو محمد البطال ففرحت بكلامه وقالت له سبحان من يحيى العظام وهى رميم والله ياأبو محمد ما كنت الا من الهالكين من ضربة هذا الملعون لأنها فى اضلاعى وألمها فى قلبى وان عشت الى غد فهذا شىء كثير وهاأنا اوصيك ان تقتل هذا الكلب الخنزير بين يدى حتى لاأموت ويبقى من بعدى يعاند أهل شريعة البشير النذير واذا أنا مت فاتركوا هؤلاء النسوة يتولون حالى وامرى ولا تدفنونى ههنا ان قدرتم على حملى الى عند الامير عبدالوهاب فمافى قلبى حسرة الا انى ماجتمعت به على موتى والنزاع فوا أسفاه كيف قضيت منيتى على يد هذا الملعون وكان فى ظنى انى اموت فى القتال والجهاد ويأكل من لحمى الوحش والطائر ولكن لااعتراض على الله الملك القادر ثم ان الاميره بكته

بكاء شديدا وذلك من شدة الاشتياق الى ولدها وجرت دموعها وقالت يا أبا محمد بالله عليك اذا اجتمعت بولدى فقبل لى عارضيه وجبينه ثم اخبره انى عند الموت والنزاع مشتاقة الى نظره ثم انها قد زاد هيامها وأنينها وبلواها فأشارت تنشد

أبو محمد سر فى الارض وانعانى . فقد سمعت منادى الموت نادانى
وابلغ الى ولدى السلام فقد فارقته وفؤادى عنده عانى
أبو محمد قبل عارضيه وان سألك عنى فيوم الحشر يلقانى
ان كان قدغاب فى أرض الحجاز فما غابت شمائله عن نصف اجفانى
فى كل يوم خيال منه يطرقنى عند الهجوع وطيفا منه يغشانى
فارقته ويد الاقدار تلعب بى الى الحمام وتأمرنى وتنهانى
وكان ظنى عند الموت يحضرنى حتى يوارى تحت الارض جسمانى
وكلما خففت روحى يقبلنى فان تقبيله روحى وريحانى
أبو محمد احملنى اليه عسى يؤخر الله فى عمرى ويرعانى
فلو نظرت بعينى شخصه وأنا أعالج الموت أغنانى وأحيانى
ماكنت أحسب انى ألتقى أجلى من كف هذا اللعين الكافر العانى
ياحسرتى كيف لا أقضى وفى جسدى للكافرين جراحا تحت أكفانى
كم كنت أخترق الكفار عامدة وأقول يارب هذا يوم بحرانى
يارب كم قد دعانى يوم معترك فرسانها بين حراب وطعان
حتى ألاقى حمامى فى الجهاد وفى نصر النبى الذى فى الحشر يلقانى
فموت مرة غبن والقضاء أبدا يغالب العبد لايرعى لانسانى

(قال الراوى) وكانت الاميره تنشد وأبو محمد وولده مذبحون والحاج طوق وسائر النسوان يبكون ولم يزلوا على ذلك الى ان أقبل الليل وقد عولوا على الخروج من ذلك المكان فرأوا الاميره قد زاد بها الامر وهى تقول اقتلوا هذا الشيطان بين يدى حتى أنال ثواب العيان ولا أموت وفى قلبى من أجل بقائه لهيب النيران فعند ذلك سحبه أبو محمد حتى صار قدامها وهو فى أسوأ الأحوال وقد احتاطوا بها أيضا النساء والرجال ومافيهم الا من قد حنق عليه لاجل ماله من قبيح الفعال وأم الشريف بكار تلطمه وتلعنه والامير أبو محمد قد برك على صدره ويريد يذبحه واذا هو بخمسين رجلا نزلوا من ذلك السرداب وفى يد كل واحد منهم سيف قرضاب مجرد مثل الشهاب وهم يقولون خلوا عن الشيخ يا كلاب فقد أرسلنا المسيح لنخلصه من العداب (قال) وكانوا هؤلاء من العرب المتنصره وأيضا كانوا أتوا ليأخذوا

عقيبه ابنة الملعون عقبه يسيرونها الى زوجها كما قد ذكرنا (قال الراوى) وكان السبب فى معرفتهم بالسرداب انهم كانوا دخلوا أول النهار الى بغداد كما أمرهم عقبه وطرق أحدهم الباب فخرجت عقيبة وسألته عن حاله فعندها أخبرها بما أتوا فيه فقالت لنا ثلاثة أيام مارأيناه لانه فى الجهاد والقتال ليل ونهار والبارحة أنفذ الينا وأخبرنا أنه فى هذه الليله مقيم هناك يشرب مع بعض الأصحاب ثم ساروا معهم إلى ان أوصلوهم إلى السرداب وأطلعوا عليهم وإذاهم بأبيهم وقد أشرف على العدم والهلاك والذهاب والبطال قد برك على صدره وهو بين يديه يتجرع غصص العذاب فارتجفت أعضاءهم وأخبروا المتنصره بمادهاهم فنزلوا كما ذكرنا ورآهم أبو محمد بالسيوف المشهوره ولهم صياح وزمجره فأيقن بالهلاك هو ومن معه من الرجال والنساء وتعجب من هؤلاء الاوغاد ومن معرفة هؤلاء الشياطين بهذا المكان المنقطع (قال الراوى) ومافى القوم الامن سلم نفسه بلا ممانعة وأطلقوا عقبة من وثاقه بعد ماشدوا الكل كتاف هذا وان الأميرة ذات الهمة قد علمت بماجرى إلا أنها فى دنيا أخرى وعقبة من شدة فرحة يقول ماكان المسيح بالذى يغفل عنى حتى أذبح ويشمت فى أبو محمد البطال وهذه العاهرة ثم ان عقبة شكر العرب المتنصرة وقال الشكر للمسيح الذى أتى بكم فى وقت الحاجة فكيف كان القدوم المبارك وكيف خلفتم ملك الروم فقالوا أيها الشيخ وصل إلى الملك كتابك وسمع مافيه وأمرنا بالمسير إلى خدمتك والمبادره إلى مسيرا بنتك وأما البطارقة الكبار الذى قد أوصيته عليهم وقلت له أريد انهم يلتقونى إلى برية الخانوقة وكان أيضا قد عول على انه ينفذهم فقال الملعون عقبة مع مسيركم ساروا فقالوا له لاولكن تركناهم على نية المسير معولين وقالوا لنا انهم يلتقونا على سحرات خرت برت لان طريقهم تجىء على قونية وما نلتقى معهم إلا ان كان وقت حاجتك اليهم ولان هذه البلاد كما تعلم ماعلينا فيها خوف مادام انك معنا ثم قال لهم عقبة صدقتم بارك المسيح فى أعماركم وأنا الليله أجهز ابنتى عقيبة العروس وأختها وعمتها وعند الصباح تسيروا وما قصرتم الذى قد وصلتم إلى فى هذا الوقت فكونوا فى هذه الساعة مكانكم إلى ان أخرج ادبر أشغالى واستأذن الخليفة فى المسير فى هذه الليله التى مارأيت طول عمرى أبرك منها بقدومكم ووقوع هؤلاء فى يدى إلا أننى أريد هؤلاء البنات أتركهن لابنتى خادمات والباقين مع البطال العيار المحتال أريد أحملهم إلى بلاد الروم معى وإذا زفيت ابنتى عقيبة قتلتهم فى صبحية عرسها وان قصدنا من بلاد الروم قاصد ووقعنا فى شدة أو عاندنا معاند كانوا هؤلاء سببا لخلاصنا على اننى أقول ان هذه الملعونة تصل إلى مكان نريد وفى بعض الاماكن نصلبها إذا رأيتها بعينى على هذه الحاله لاتفيق ثم خلا القوم يأكلون ويشربون وصعد الملعون من عظم همته وفرحته كانه ما وقع فى شدة قط ولا ضرب وسار

إلى داره وأمر غلمانه أن يخرجوا جهازا بنته عقيبة فى هدو الليل إلى ظاهر أرض بغداد ولا نام فى تلك الليلة حتى فرغ من كلما يحتاج اليه ثم ان الملعون قد تطيلس وتحنك ودخل على الخليفة الامام ففرح به وقدمه وأعلمه انه قد أنفذ الخادم فى طلبه فقال له صدقت يا أمير المؤمنين وأنا ممن يشكر همتك الشريفة ولكن كنت غائبا فى الخراب اقصد الاماكن المهجوره وأصلى فى الاماكن المنقطعة لأن العمر قد مضى وما أدرى على أى عمل أقدم وان عملى كما تعلم عمل المقصر وعلى أكتافى مكاره ثقيله لا أكاد أعبر بها يوم القيامة وما حضرت الآن الا أطلب من الحضرة العباسية الاذن فى المسير إلى كسب الأجر من الله والثواب ثم بكى حتى أبكى الخليفة وقال له إلى أين قد عولت ان تسير فقال له يا مولاى لى بنية وقد أجهدت نفسها على صغر سنها بالعبادة على انها يا مولاى ما تنام الليل وانها تعتب على فى بعض الاوقات إذا رأت تقصيرى وتقول لى يا أبتاه قد قرب وقت رحيلك من هذه الدنيا ثم انها تعظنى كما تعظ الوالده ولدها العاصى وانها فى هذه الليالى قد زاد بها الامر وما فيها ليلة من الليالى الا تقول لى فى صبحيتها يا أبتاه ليلة البارحة رأيت كاننى فى بيت المقدس وأنا اقبل الصخره التى قد رقامنها رسول الله ﷺ وأنا فقد اشتهيت ان ترينى اياها فى اليقظة وانها قد آلمت فؤادى وقلبى بهذا الخطاب وقد هيمت منى أشواقى الى ذلك المقام وقد أتيت اليوم أطلب الاذن فى المسير الى ذلك المكان وأنال ثواب الزياره كما تعلم من قبل ان أدرج فى الاكفان لأن يا مولاى خير العباد من قد استكثر معه من الزاد ليوم المعاد على اننى علم الله تعالى اننى ما أصلى ركعة إلا ولسانى يدعو لك للمسلمين أجمعين فعند ذلك قال المعتصم بالله يا قاضى هذا شىء منك عرفناه ولكن ما نشتهى ان تغيب عنا فى مثل هذه الايام الذى ما نستغنى عنك ولا عن رأيك فقال له عقبة وما الذى قد جرى يا مولاى فقال الخليفه ان ظالم بن عبد الوهاب قدم من أرض الحجاز وانه قد كسر جيشنا الذى كان قد سار خلف الاميره ذات الهمه والامير أبو محمد البطال واصحابنا قد عادوا الينا فى أسوإ حال وأنا قد عولت أن أخرج اليهم بجميع عسكر العراق ثم أقبض عليهم وأشهرهم بعد ذلك فى الأرض والآفاق وبعد ذلك أضرب رقابهم لانهم قد تجبروا علينا وأكثروا من النفاق لدينا (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك الكلام أظهر ان ما عنده من هذا الحديث خبر فقال بالله عليك يا مولاى دع القوم باعمالهم فلهم رب يجازيهم ان كانوا ظالمين وأحسب انك قبضت على الاميره ذات الهمة والامير أبو محمد البطال وظالم وقد حضروا قدامك فى القيود والاغلال ان كان يطيب على قلبك ان تفجع بهم الاسلام ما أتى الامير ظالم الا ليخلص سته ويعود فلا تؤاخذهم بهذه الفعال لانهم مسلمين على كل حال ولكن يا مولاى ان كانوا قد اعتدوا عليك فاصفح عنهم واعفو لأن العفو كما تعلم من شيم آبائك وأجدادك الكرام (قال الراوى)

ولم يزل عقبة بمثل هذا الكلام يردنية الخليفة الامام عن الامير ظالم وما كان قصده بهذا حقن دماء ولكن خاف ان يعلم الخليفة بفقد أبو محمد البطال والاميرة ذات الهمة ومذبحون ويطالب ظالم بهم عند القتال وربما طال الامر إلى أن يظهروا وربما انهتك ستر ذلك الملعون فقطعها من قريب حتى انه لايعوقه عن جميع أشغاله ويمنعه الخليفة عن ارتحاله وربح من أرباب الدولة بهذا الكلام المدح والثناء وبلغ هو غاية الهنا والمنا (قال) ثم انه ودع الخليفة وخرج وكان قد أنفذ إلى العرب المتنصرة فخرجوا إلى ظاهر بغداد وقد ركبوا على الطريق الواضحة والأمراء المسلمين معهم فى تلك الصناديق وهم فى زى تجار المسلمين (قال) ولما وصل عقبة اليهم أمر بعد ذلك بالمسير فساروا يقطعون الارض على انهم قاصدين بتجارتهم القسطنطونيه ويعودون إلى بلاد الاسلام هذا والاميرة معهم فى بعض الصناديق وهى مكتفة بغير قيود وعقبة قد جعلها على بغل هين السيران يؤمل انها تصل إلى بلاد عبدة الصلبان ثم انهم ساروا يقطعون الارض والاقطار ويوصلون سير الليل بسير النهار حتى انهم وصلوا فى مسيرهم إلى برية الخانوقه فترفقوا فى مسيرهم وصار عقبة ينتظر قدوم الروم كل صباح حتى قطع أرض السويديه بيوم وقد وقع بالملعون الاياس من وصول نجدة الروم ورأى الامراء فى ذلك اليوم (قال) وكان لها يومين قد قطعت أكل الزاد وقد أيقنت بالموت والحمام فعند ذلك قالت العرب المتنصرة هذه ماتصل معنا فاقيموا بنا ههنا مادام قد انقطعنا عن العمران وإلا كنا مخاطرين بانفسنا فى البرارى والقفار ونسير ليل ونهار ولكن الآن نريد منك أيها الشيخ النجيح ان تطلب هذه الميشومه الامير ذات الهمة ثم تتركنا نرميها من أيدينا بالحراب ونأخذ منها تارمن أهلكت لنا من الاصحاب والاحباب وان أصحابنا فى هذا اليوم يصلون الينا ويقدمون علينا وإذا وصلت النجدة الينا فى غداة غد سرنا يومئذ على طريق بحر الروم ونبلغك من الامر جميع ماتريد فعندها قال عقبة افعلوا ماتريدون ثم أمر بنصب الخشبة وأقبلوا بذات الهمة وهى تئن وقد علمت ماهم عازمين عليه فدعت فى سرها لربها وهمرت دموعها من شوقها إلى ولدها وجعلت على خالقها معتمدها وعقبة يقول ارفعوها حتى أكون أول من يضرب رقبتها بعدما أوقعها وأعلمها من يقدر يخلصها (قال الراوى) فهم على ذلك الحال وإذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وأسرعت واندفقت ساعة وانقطعت وتمزقت فى الآكام وبان من تحتها الصلبان والاعلام والروم وأهل الطغيان ونظر عقبة إلى ذلك فقال جاءت وحق المسيح البطارقة من عند ملك الروم فقال الملعون اصبروا يامعاشر العربان حتى ينظروا إلى فعالنا وجميع مايقع بيننا ويشاهدونها (قال الراوى) وما تم الملعون كلامه حتى رأى من الطريق التى أتوا منها غمامة سوداء أسود من الليل إذا انسدل فقال عقبة وقد فرح وماأظن الا أن الجيش الذى أرسله

الملك الينا افترق فرقتين خوفا ان يضيع تعبهم وحق المسيح لقد فعلوا فعلا مليح ثم أحدق بعينه إلى نحو الغبره وإذا بها قد انكشفت عن أعلام سود ورايات عليها اسم الملك المعبود وتحتها ابطال مثل الاسود بيض الالوان وفيهم فارس مثل العامود وهو ينادى واحرباه اين تاخذون ياكلاب فى الهرب ونحن لكم فى الطلب فقال عقبة هذا ظالم وحق المسيح وماأتى الا فى وقت ميشوم ولولا هذه النجده من الروم لكان يومنا مذموم فياليت شعرى ايش دل هذا الشيطان على طريقنا ومن الذى اخبره بحالنا حتى يكون سببا لتعويقنا (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وقدوم ظالم ومعرفته بهذه الطريق سبب عجيب نسوقه على الترتيب وكان السبب فى ذلك ان البدوى الذى كان مع الاميرة ذات الهمة لما قدمت إلى خلاص مذبحون وذلك انه لما رأى العرب المتنصرة وقد نزلوا فى ذلك السرداب ودخلوا على البطال وكل من معهم من الاصحاب ورأى نجد انه هلك فاختلط بالعرب المتنصرة وسار فى جملتهم ولم يعرف فلما رأى القوم مشتغلين وبالقاضى عقبة فرحين فاغتنم الغفلة وبقى فى العذاب حتى ينظر مايتم على الامراء الانجاب وباتوا مكانهم فبات نجد حتى ينظر ينقلوهم فى أى مكان أو يذهبون بهم إلى أى البلدان ولما كان الصباح استأذن عقبة الخليفة فى السفر وخرجوا هؤلاء بالأمراء وساروا فرآهم نجد وأبصر الطريق الذى سلكوا فيها وعاد هو والحصين لأنه كان قد هرب فى البهجة واجتمع بنجد ثم صاروا الاثنين إلى ظالم وقالوا له الحق بجدتك الأميرة والأمير البطال وإلا هلكهما عقبة ومن معهما من الرجال فقال وكيف ذلك فحدثوه بما وقع فركب ظالم من ساعته فى سائر العرب والسودان وسار نجد بين يديه والحصين وقد أركبه بعض جنائبه إلى أن وصل إلى الخراب ورأى الصياح قد دهمه فبقى مكمن إلى الليل خوفا من الخليفة لأنه قريب من بغداد فبقى خائف لاتعوقه عساكر العراق ان علموا به وربما لايكون له بهم طاقة فأقام هناك إلى أن دخل الليل وأقبل الظلام وأخذوا أثر عقبة وساروا وكان كلما عبر على بلد سأل عن عقبة فيقال له ان له يومين منذ عبر علينا وهو بجد خلفه حتى علم انه انقطع عن العمران وخرج من بلاد الإسلام هذا كان غرض ظالم انقطاعه عن البلاد حتى لايلقاه أحد ويبلغ من عقبة المراد ولما علم أن عقبة سار فى ذلك البر جد خلفه حتى لحقه كما وصفنا (قال الراوى) وكانت النجدة وصلت إلى عقبة خمسة آلاف فارس منتخبة من عساكر القسطنطونية وما لحقوا يسلموا على عقبة وعلى أصحابه حتى صاح ظالم وحمل فى السودان والعرب وهم على ماهم عليه من التعب وصاح عقبة فى الروم هاها ياعباد المسيح هذا الذى فزعت منه وكان قدومكم والحملة على الموحدين وتبيضوا وجوهكم عند المسيح والحواريين وأنا أضمن لكم الجنة والقصور والولدان والحور وأنتم تعلمون أنى ما كذبت قط فى الأمور

فعندها التقت الأبطال الصناديد وقد وقع الحديد على الحديد وتصارعت الفرسان على وجه الصعيد حتى جرى . بينهما القضاء المقدور وانكشف الغطاء المستور حتى أقبل جيش الظلام وعولت الروم على الانفصال فلم يفعل ظالم بل أنه طلب القتال وقد بان له الربح من الخسران وأراد الدخول إلى جدته ومن معها من الفرسان فصاح فى السودان يا بنى حام يينوا فعالكم فى هذا الظلام ثم خوضوه فان لكم فيه كل الفوائد وأنتم الرابحين باذن الملك الماجد

(قال الراوى) وكان مع ظالم رجل أسود وقد صحبه من الحجاز يقال له أبو سكران وقد قدمه على كل من معه من الفرسان وهو كأنه من أفيلة خراسان برأس كبير وآذان كآذان الحمير وعيناه تتوقد مثل نار السعير ولما نادى ظالم بذلك النداء دمدم أبو سكران وانتخى ونادى اتبعنى يافرطوس الفيل واحمل من ورائى ياقرحة العليل هاها يامفر العين دونك ياقضيب العجين اضرب فيهم بالعامود المذهب اطحنهم ياأبو الركب وكذلك ظالم صاح فى العرب ورأت ذلك وصبرت على العطب وما وجدت لها سبيلا إلى الهرب فمدت الرجال أيديها إلى المضارب وأظهرت تحت الظلام العجائب وشردت الجنائب وعابت من شدة الغبار الكواكب وبال فى سرجه كل راكب وكثر فى السودان الانزعاج وسكر أبو سكران من غير مدام وأبصر سواده كالليل الداج وظهر الزبد على أشداقه كأنه العاج ولما مضى من الليل القليل ورأى ظالم الروم خاسره فخاف أن يقتلوا ويهرب عقبة ويأخذ الأمراء معه ولا ندرى بعد ذلك أين نتبعه ولما ان حسب هذا الحساب انتخب عشرة من بنى كلاب وقال احملوا فى هذه الخيمة لعل أنا وأنتم نسير خلف الروم واحتفظوا بعقبة الملعون لئلا يهرب بالأمراء ونحتال إلى التعب والمسير مرة أخرى ففعلوا ماأمرهم به وحملوا وجعلوا يصدمون ويقاتلون والسيف يعمل فى الأبطال والرجال تنتثر نثر الحرمل والموحدون يكبرون والدماء تنهمر والسيوف تلمع والرقاب تقطع والشجعان تصرع والارض بالنجيع تكرع حتى صار وقت السحر ونصر الله جيش الموحدين فظفروا بمن كفر ولم يجدوا لهم مفر لانهم فى بر أقفر فامتحق عددهم واندثر ودام الامر على ذلك حتى لاح الفجر وانفجر ورأوا الروم عددهم وقد بقى منهم القليل فأيقنوا بالبلاء الطويل وطلبوا عقبة فلم يجدوه ومقدمهم أيضا عدموه فعولوا أن يطلبوا الهرب ويخلصون من السودان والعرب فما قدروا على ذلك لان جيش ظالم أحاطوا بهم من كل جانب وأبذلوا فيهم القواضب وما تضاحا النهار على طوائف الكفار وما بقى منهم ديار إلا من كان من أول الليل طالب الفرار وملك ظالم الخيام والاموال وداروا على الاسرى ليفكوهم من الاغلال فما رأوا لهم خبر فحار ظالم وانبهر وقال هرب والله الملعون واغتنم سواد الليل ودجاه وطلب بالامراء النجاه وكنت أمرت عشرة من أصحابنا أن يحملوا ويصيروا من وراءه وما

أرى أحد من العشرة قد عاد فهو كذلك وفارس من العشرة قد عاد وأقبل أسرع من الريح وهو يصيح كانه عادم عقله حتى قرب من ظالم وتبينه وإذا هو من العشرة المذكورين إلا أنه موثق بالجراح ودرعــه مخضب بالدماء من طعنات الرماح فقال ظالم ويلك ياخالد وأين باقى أصحابك ورجالك فقال له يامولاى قتلوا لاننا لما أمرتنا أن نخوض المعمعة ونصير من وراء عقبة ونحفظه ففعلنا ما أمرتنا به وشققنا المواكب وبذلنا غاية المجهود وضربنا فى الكفار حتى خذلت المناكب إلا أننا ماخلصنا من القتال وصرنا خلفهم حتى قتل منا ثلاثة رجال ونحن فى غاية التعب والنكال وقد أبعدنا عن المعمعة واستفقنا حتى رأينا الأمراء وقد أنفذهم عقبة فى خمسين فارس من المتنصرة الذين أتوا إلى بغداد وسار بهم وترك الروم فى القتال رأينا ذلك فامتدينا وراءهم وقلنا عسى يبعدوا عن عسكرهم فنتبعهم ونبلغ المراد وقد خلصنا الأمراء من الاصفاد وسرنا وساروا قدامنا حتى وصلنا إلى جبل ومضيق فسبقناهم وأخذناهم إلى رأس المضيق واستقبلناهم وضربناهم ضربات مثل الحريق وصحنا فى عقبة أين تهرب ونحن بين يديك نطلب خلاص الأمراء من الضيق ونتوكل على الله ونسأله الاعانة والتوفيق ثم قاتلناهم وعن المسير عوقناهم وصــار عقبة يصيح ويقول هيا ياعباد المسيح دونكم وإياهم فما هم فى جمع كثير وما زلنا على ذلك إلى وقت السحر وأعاننا الله عليهم وقتلنا من العرب المتنصرة الأكثر وبقى عقبة ومن معه فى نفر قليل وعول على الهرب وإذا بالبطريق الذى أتى من مدينة القسطنطونية المقدم على الخمسة آلاف فارس قد أدركنا وهو منهزم من بين يديك فى مائة فارس وطلب لروحه النجاة فصادفنا ونحن أشرفنا على أخذ عقبة بعد هلاك الذين كانوا معه فلما رأى ذلك حمل وقد صاح به عقبة لما أن أشرف على شرب كاس الحمام ورأينا نحن البلاء علينا قد نزل فقاتلنا حتى شربنا كاس الفنا وما سلم من أصحابى إلا أنا لأننى أخذت فى البر عرضا وكان جوادى سابقا وسلمت وفى هذه الجراحات وأنا لاأصدق بالنجاة (قال الراوى) فلما أن سمع ظالم ذلك الكلام حار ولحقه الانبهار وقال لقد تعبنا وما بلغنا الله غرضنا وهذه بلاد الروم بحر عجاج وما أنا فى عسكر كبير حتى أخوضها وما يمكننى أن أعود وأدع هذا الملعون يشتفى من جدتى وأصحابها وأنا قد حرت والله فى أمرى ثم قال للرجل الذى أخبره بهذا الخبر يا أخى وتعرف الطريق الذى سلكها عقبة فقال والله ما أعرف إلا من ههنا إلى المضيق والجبل الذى سلكناه رأس الطريق وبعده فلا أدرى ما وراء ذلك ولا سلكت عمرى تلك الطريق فقال ظالم على كل حال فلا بد لنا أن نتبع الآثار ونخوض البرارى التى بين أيدينا والقفار وندخل خلف أصحابنا إلى بلاد الكفار ولنا أسوة بهم إما أن نخلصهم

وإما أن نهلك معهم فقالوا بنى كلاب هذا هو الصواب وإلا بأى وجه نعود إلى الأمير عبد الوهاب وقالوا السودان والله مانعود حتى نبذل المجهود ففرح ظالم بهذه النية الصادقة ثم انهم أخذوا عدد الروم ولباسهم وطوارق الروم وبيارقهم وساروا بنى كلاب بين يديه وكانوا عند العصر فى المضيق وهو الجبل الذى ذكرناه وهو يدخل منه الإنسان بلاد الروم ويقع فى قلاعهم فلما رأى ظالم ذلك عبر وبات قاطع الطرق التى للجبل وأقام إلى الصباح ورحل وهو لايدرى أين يسلك ولا إلى أى موضع يقصد وما تضاحا النهار حتى عارضهم طريق أخرى عن يمينه غير الطريق الذى هو سائر منها فتأملوها وإذا فيها أثر حوافر خيل وهو درب واسع فوقف بصحبه وقال ياقوم ما أقول ان عقبة يسلك إلا من هذا الطريق لأننى أنا أرى فيهـا أثريين على أن الأثر الذى نحن فيه وعليه انقطع ولكن ما أدرى أين انقطع وقد حرت فيما أصنع فقال له أبو سكران مقدم السودان يا أمير لاتتحير فأنا أقول لك كيف التدبير إن كنت ترضانى مشير فقال ظالم قل ياأمير حتى نسمع رأيك وتدبيرك. فقال له الرأى عندى أن آخذ أصحابى السودان وأسير على هذه الطريق الذى قد اعترضتنا وتسير أنت على طريق الأثر الذى بين يديك لعل أحداً منا يقع بعقبة ونخلص الأمراء منه ويكون موعدنا هذا الجبل وأى من انقطع عنه الأثر ولا يسمع لعقبة خبر عاد اليه ولا يرجع حتى يجتمع بالآخر فقال أصبت يا أخى ولكن الصواب أن نلبس نحن زى الروم وأنتم لبس الافرنج حتى لاينكر علينا ولايجتمع علينا عسكر ومن سألكم عن حالكم فقولوا نحن من سودان غيلان الشوك صاحب الفالوغص وإن سألنا أحد ووقع بنا مالا نطيقه نقول نحن من العرب المتنصرة فقال أبو سكران هذا هو الصواب فربما وقعنا فى إقليم لانكون فيه معروفين ثم لبسوا سائر السودان لبس الافرنج ورفعوا الصلبان على القنطاريات واستتروا بالطوارق حتى كأنهم وصلوا من أفرنجية وودعوا ظالم وساروا على الطريق الأيمن. وسار ظالم على طريقه وقد تظاهروا بنى كلاب بزى الروم وعدد البطارقة وساروا يقطعون القفار (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من عقبة فانه لمـا أدركه البطريق دنكروش ليلة المضيق وخاصه من أصحاب ظالم وأهلكهم فقال له عقبة. انجو بنا فهذا أمر ماكان لنا فى حساب وما أدرى أيها السيد هؤلاء الشياطين. كيف عرفوا هذا الطريق وتبعونا من بلاد الاسلام فقال البطريق أيها الشيخ النجيح إنها كانت نوبة ميشومة وحق مريم لاعاد من أصحابى مايخبر بخبر وما هربت وتركتهم فى الليل إلا لما عاينت الويل وقد عرفت أن مالنا بهم طاقة وكان هروبى سببا لخلاصك وإلا كانوا السبع فوارس قبضوا عليك وخلصوا الاسرى من يديك.

وقد حرت الساعة كيف يكون خطابى للملك ان سألنى عن هذا الأمر فقال له عقبة لا يهمك أيها السيد فأنا أكتب معك كتاب وأخبره فيه بما تعبنا من بنى كلاب وأزيد من عندى فى هذا الحساب حتى لا يقع عليك لوم ولا حساب ومع ذلك ان الملك لو هلك كل من عنده فى القسطنطونية وسمع بوقوع هؤلاء الكلاب فى يدى كان على قلبه طيب لما يعرف انى فى هذه النوبة أريد أعذبهم فى جزيرة ما يكون لهم منها خلاص واذا زفيت ابنتى عقيبة أهلكت الجميع وأصلبهم فى صبحية عرسها على ان هؤلاء الذين قتلوا فى هذه النوبه فى خدمتى وطاعتى وطاعة المسيح وأنا يوم القيامة أجعلهم أصحاب قصور وأسكنهم عند يوشع صاحب مدينة الزرزور وتخدمهم الولدان والحور (قال الراوى) ولم يزل الملعون يلعب بعقل البطريق حتى وصل الى مفرق الطريق وقال له اطلب النجاة فهى توصلك الى عمورية الكبرى وتخرجك الى بلد الروم فاذا أنت وصلت الى الملك فأقريه منى السلام ثم سار على طريق بحر الروم وهو يقول للعرب المتنصره اعلموا انى ما أخذتكم معى دون البطارقة الا حتى اغنيكم وعلى فعالكم أجازيكم لانكم أنتم أصحاب التقدمة الى خدمتى وقد هلكت منكم جماعة فى طاعتى ولابد ما آخذكم الى جزيرة اريس وأتركم تحضرون زفاف ابنتى عقيبة وآخذ لكم الخلع من العريس ثم انى أعيدكم الى أوطانكم ومافيكم صعلوك (قال الراوى) ثم ان الملعون سار يقطع القفار ليلا ونهار والامراء معه فى تلك الحالة القبيحة والاميره كما ذكرنا جريحة تتمنى الممات من شدة السير فى تلك الفلوات وتمتنع من الطعام فى سائر الاوقات وعقبه يداويها ويطلب أن تصل معه الى مكان يريد حتى ينال بها الاسم الكبير ولسانها لا يفترق عن تسبيح الملك الجليل القدير ولم يزل عقبه على هذا السير أربعة عشر يوما بلياليها حتى قالوا الأمراء انهم خرجوا من الدنيا وبعد ذلك وصل بهم الى مراحل بلد الروم وأمن على نفسه وأصبح يوم الخامس عشر قريبا من قلعة تسمى قلعة السها فنزل هناك وقد شكروا اليه العرب المتنصره فقال لهم ابشروا فما بقى لكم شده هذه قلعة السها وبينهما فرسخ أودون ذلك فليمضى واحد منكم ويعلم صاحبها بقدرى حتى يخرج الى لقاءنا لان خبرى عنده من بغداد وأنا كنت أنفذت اليه وأعلمته انى فى هذه الساعة أزوره وأعبر بابنتى عليه الى زوجها ولا شك انه فى انتظارى وما يصدق بوصولى لان كلمتى عنده مسموعة ثم سير بعض العرب المتنصره اليه وقال له اذا حضرت بين يديه فقل له ان الشيخ النجيح قد وصل ومعه من أمراء المسلمين قوما يضرب بهم المثل وهم الذين كانوا يوعدك أن يهدى اليك بعضهم فاسرع الى لقاه (قال الراوى) وكانت هذه القلعة يضرب بها المثل لاجل علوها وامتناعها وهى برية بحرية قوية صنعتها الحكماء وتعبت عليها الملوك القدماء وكان لها بابان باب إلى البحر وباب إلى البر ولها نهر

دائر بنصفها ولها جسر موضوع للعبور فاذا طرقهم طارق أوعد وقطعوه وشالوا خشبة وبقيوا فى وسط الماء فلا يقدر عليها أحد وصاحبها من الجبابرة يقال له طرطوش يركب فى عشرين ألف فارس سوى أهل السواد من أهل الحصون والقرى وكان عقبه عارفا به من سنين وبينهما مكاتبات ومراسلات ولما قربوا من قلعته أرسل اليه كما ذكرنا وأقام فى الانتظار والراحة وهو على غاية من الفرح بسلامته وسلامة الأمراء معه (قال الراوى) وكانت الأميرة ذات الهمة قد وجدت الصحة وعاد اليها بعض قواها إلا ان عقبة كان قد كتفها حين رآها تأكل الطعام وتمشى على الأقدام ورأى جرحها قد أشرف على الاختتام فشد يديها خوفا منها وكان البطال أيضا وغلمانه معه مشدودين وقد آلمهم الشد والكتاف وكذلك طوق وبناته والشريف بكار وأمه وما فى القوم إلا من أيس من روحه (قال الراوى) وكان عقبة إذا نزل هو وصحبه لا يأكل الطعام حتى يحل بنت طوق الصغيرة تطعم أمها وأباها وسائر المأسورين وإذا رحل يعيدها فى الكتاف ولما كان فى ذلك اليوم نزلوا قريبا من قلعة السها فعل ما كان يفعل فى الطريق و حل بنت طوق وترك عندها شيء من الزاد تطعم أصحابها بعد ما افتقد الجميع (قال الراوى) وجلس عقبة والعرب المتنصره لأكل الطعام وكان قد بقى معه منهم ومن غلمانه ثلاثين نفر فجلسوا يأكلون ويتحدثون والأمراء فى ناحية عنهم نازلون والبطال يقول ترى يكون لنا فرج من هذا الملعون ليته كان قتلنا وأرحنا من هذا العذاب فقالت الأميرة والله إن القتل لنا راحة عظيمة ولكن الملعون ما يفعل بقتلنا فقال مذبحون وكيف وقد توعدوا فى صبيحة عرس ابنته لاستر الله عليه ولا عليها (قال الراوى) وكان عقبه كلما قال له البطال ابلغ غرضك منا واقتلنا واصلبنا وأرحنا وأريح نفسك منا فيقول وحق المسيح لا أرحتكم من العذاب ولا بد أن أجعلكم عبرة لمن حضر وغاب حتى أكون أنا كلما ذكرت فى مجلس من مجالس الملوك يقولوا أمة عيسى رحم الشيخ النجيح ورحم ابنته عقيبه لأنها فى يوم عرسها انقطعت شجرة المسلمين وهلك البطال وأم الأسود الحجام العجوز الشمطة التى كانت تغزونا فى كل عام وكانوا الأمراء كلما سمعوا ذلك الكلام زاد بهم الغيظ والغرام

(قال الراوى) فلما كان ذلك اليوم الذى نزلوا فيه عند قلعه السها وصار بينهم المقام وتحدث مذبحون وأباه البطال فقالت الأميرة يا أبو محمد لو كنت مطلوقة اليدين وفينا عافية مثل هذين اليومين لكنت أهلك هؤلاء الكلاب المتنصرة ولو كانوا ألفين وكنا نعود على أعقابنا وكنا تخلصنا وانتقينا بأصحابنا لأنى قد ذاب كبدى من فقد ولدى وكنت أريد من الله تعالى أن أجتمع به قبل الممات فقال أبو محمد يا أميرة إذا كنتى وجدتى فى نفسك القوة وعلمتى

أنكى تقدرى على لقاء الأعداء فقولى لبنت طوق تحل عنك الوثاق وقومى إلى هؤلاء الملاعين أهل الكفر والنفاق لعلكى تقدرين على فرج بمعونة الملك الخلاق لأننا لو كان فينا أحد يفعل فعالكى وفيه مافيكى من القوة والشجاعة مابقينا فى الأسر إلى هذه الساعه

(قال الراوى) فلما سمعت الاميرة هذا الكلام دبت فيها الحمية فى سائر جسدها وجعلت على الله معتمدها وتحسرت من عظم شوقها إلى ولدها وقالت لبنت طوق حلى يا بنتى يدى من كتافها لعل نخلص أنفسنا من قبل تلافها فعندها وثبت الجويرية إليها وحلتها (قال) فوثبت إلى عدد أصحاب عقبة وهى على الأرض مطروحة وأخذت سيفا ماضيا وهزته ودعست فى القوم وهم على الطعام وكبرت وذكرت الملك العلام ونادت وا شوقاه إلى زمزم والمقام والبيت الحرام ثم ضربت واحد طيرت رأسه ورأى عقبة ذلك فنادى وقد حار وصار يصيح مثل الحمار وهم على وجهه وما تارت العرب المتنصرة ومسكت العدد حتى قتلت تسع رجال وعادوا إليها وقد جردوا الصفاح وانقلبت الدنيا عليها بالصياح ورأى أبو محمد ذلك فطمع فى السلامة والفرج وقال لابنة طوق حلينا نحن أيضا حتى نعين الأميرة على أعداءها لأن جراحها بعدما ختمت تخاف أن تضعف قواها فحلتهم الجارية وحلت أمها وأخواتها وأباها فصاح مذبحون والبطال والنساء والرجال فوقع على النصرانية الانذهال وافترقوا عنها فوثبت إلى بعض الخيل فركبته من غير أن تضع رجلها فى الركاب وأخذت معهم فى الطعان والضراب ومددت أبطالهم على التراب ولم تكن إلا ساعة حتى محق الله الكفار وقد بقى منهم عشرة رجال والباقى هلكوا على يد الأميرة ذات الهمة وأصحابها ونظر عقبة إلى هذا الحال فأيقن بالارتحال وهرب يطلب القلعة من فزعه على نفسه وإذا بغبار قد تار من بين يديه وصاحب القلعة قد أشرف عليه وهو فى خمس آلاف فارس من كل بطل مداعس وحوله أكثر من خمسمائة راهب وشماس وجاتليق والكل قد خرجوا وقدموا إلى لقاء الشيخ النجيج فلما رآهم عقبة عاشت روحه وأسرع حتى صار بين يدى الملك وهو فى حالة لا تعرف وكل شعرة فى بدنه ترجف وهو يصيح أيها الملك ادركنى انجدنى أنا الشيخ النجيج وقد جرى على بعد انفاذ الرسول إليك كل أمر قبيح فانبهت الملك لما رأى حاله وفرح به وسأله عما ناله فقص عليه ماجرى وقال له أيها الملك وصلت إليك بأمراء المسلمين وأردت أن أهديهم إليك لأجل ما بيننا من المودة والصداقة وما زلنا إلى يومنا هذا وأصحابى من شرهم آمنين سالمين وهم معنا مكتفين وفى هذه الساعة انفلتوا من الكتاف وملكوا العدد والخيل فأدركهم كلهم وأقبض عليهم وأصلبهم فى أرضك حتى تفتخر على سائر الملوك (قال الراوى) فلما سمع الملك طرطوش مقالته عاد إلى جواده وقد أركب عقبة إلى جانبه ودقت مواكبه وقد أزعجوا بشدة صياحهم البرارى

حتى أشرفوا على الأمراء فالتقوهم وقد فرغوا من العرب المتنصرة وركبوا خيولهم وملكوا عددهم وبنات طوق وسائر النساء قد صاروا فى زى الفرسان (قال الراوى) وكانت الاميره قد عولت على العودة تطلب البلاد فرأت الدنيا قد أقبلت منقلبة بعساكر واجناد وعقبة يصيح أين تنحون ياشياطين فى هذه الاقاليم وأنا لكم عدو وغريم فلما رأت الأميرة ذلك قالت انا لله وانا اليه راجعون ياأبا محمد نخلص ونقع ونبلى كل يوم بعذاب وضرب والله لاعدت سلمت روحى لاحد من الاعداء حتى أشرب من أسنتهم شراب العطب ثم انها حملت تطلبهم وقد ملكت رمحا وحسام وجواد من الخيل الجياد وتذكرت الأمير عبدالوهاب عند بيت الله الحرام نخرت دموعها وحملت تطلب الشهاده وهى تنشد

ألا بلغوا عنى سلامى ... إلى أكناف زمزم والمقامى
وهل من مخبر ولدى بانى ... من الاشواق قد ذابت عظامى
أحن اليه شوقا وارتياحا ... وتخفق حين أذكره عظامى
غراب البين خبر عن عجوز ... إذا ماطرت بالبيت الحرامى
وفى جسدى جراح قاتلات ... مفتحة طريات دوامى
وعزمى قد مضى وأنا عجوز ... أكلف مهجتى خوض القتامى
أحامى عن شريعة من أرجى ... شفاعته إلى دار السلامى
وهاأنا ألتقى الكفار حقا ... أروى اليوم رمحى مع حسامى
ويصبح فى مجال الخيل جسمى ... تخطفه الطيور مع الهوامى
فان أنتم سلمتم فاندبونى ... وقولوا جرعت كاس الحمامى

(قال الراوى) وحملت الاميرة ذات الهمة وقد أيقنت أنها فى ذلك اليوم تلقى الاجل وتصل إلى الله عز وجل وحمل الشيخ طوق يعينها وقد صفت نيته لله عز وجل مثل نيتها وحمل الأمير أبو محمد البطال وعلم أنه مابقى ينجيه إلا القتال فحمل هو وولده مذبحون وسائر الغلمان والشريف بكار ومابقى إلا الله مع بنات طوق الابكار يبكون ويتضرعون إلى الملك الجبار (قال الراوى) وصار الكل تحت الغبار وقد انطبقت عليهم مواكب الكفار مثل انطباق البحار واندهش البصر وحار وكثر منهم الانبهار وعمل الصارم البتار وغاصوا فى المشركين الرجال الابرار وضربوا فى البطارقة ضرب من أيقن بالفناء وقطع الاعمار وطارت الجماجم قدام الأميره وتساقطت من ضربها تساقط الأشجار ورأوا الروم من فعالها شيأ مارأوه فى طول الأعمار وكان البطال وولده وغلمانه يقتفون منها الآثار ويحمون ظهرها من أسنة الكفار

وأما الحاج طوق فانه قاتل حتى احمرت شيبته من دماء الكفار وضرب فيهم حتى اشتهر فى ذلك النهار وقتل فى سبيل الله ووصل إلى دار القرار وقاتلت معه البنات حتى قتلت فى سبيل الله الملك الغفار وأخذت الصغيره أسيره وكذلك أم الشريف بكار أخذها عقبة من أول ماوصلت الكفار وأن الأميرة قاتلت حتى كثر عليها العدد والجمع وخدرت منا كبها حتى ماقدرت على نفع ولا ضرر ولا على رفع ولا منع وهى فى أثر المرض الذى ذكرناه وانها كانت تقاتل بهمتها وقوتها ولم تزل كذلك حتى اندهر الجرح واتسع وآلمها الضربان والوجع واسودت الدنيا فى عينها من شدة ضربانها ووقعت عن سرجها بغير أمرها فأخذتها البطارقه وقد ترجلوا اليها وهى مما بها لاتحس بمن أقبل اليها وسمع البطال وولده مذبحون الصياح عندما أخذوها فأيسوا من الحياة وعلموا أن الاميره قدأسرت أوقتلت فجاء فعند ذلك صدمتهم البطارقه حتى كلوا من القتال وأخذوا الجميع أسارى وبطل القتال وصاروا الجميع قدام الملك وقد شدوهم كتاف عندها قال عقبة للملك ايش انتظارك فيهم أيها الملك أصلبهم وأريح النصرانية منهم وأربح الثواب فأنا قد أقسمت بالمسيح لاعدت ابقى على أحد منهم بعد هذه النوبه لانى كنت أؤمل بهم أمل والساعة فترجانى أملى فقال الملك اعلم أيها الشيخ النجيح ان بلادنا مارأينا فيها منذ خلقنا مسلم ولا فى أقليمنا موحد وقد وقعوا هؤلاء فى أيدينا ونريد نتقرب بدمائهم إلى كل من فيها ونبعث معهم هدية وقربان إلى ملكنا الاكبر صاحب جزيرة الحائط وحصن القمر شمخولص الذى نحن كلنا فى فضله ونواله ونهدى بعضهم إلى رهبان دير الزيت الذى ظهرت فيه قدرة المسيح ونصلب أيضا من بقى فى عيدنا الاكبر حتى يكون فى قلعتنا يوم يذكر فقال له عقبة أيها الملك فأنا أشتهيت أن آخذ منهم بالتار لانى قد تعبت وأيقنت أن أبلغ غرضى وأتيت إلى هذه الديار ومالى فيها مقام وأخاف أن تقضى على الايام ومعى هذه البنية قرة العين وأنا كما علمت سائر بها إلى البترك الكبير الذى هو بترك أريس وكان نيتى أن أصلب هؤلاء فى يوم عرسها وأبلغ المنا والساعة فقد أخذتهم أنت أسارى وأريد أن تفرقهم فى هذه المواضع وأعدم أنا ثواب المجاهده فدعنى اليوم أبلغ منهم الآمال وأزوجك ابنتى وأسوق إليك كلما معها من الاموال ثم إنه أحضرها بين يديه وهى مكشوفة الوجه فسلبت عقله لاننا ذكرنا إنها أحسن أهل زمانها فلما أن رأى الملك مافيها وأبصر ماقد أعد لها أبوها من الاموال قال له أيها الشيخ النجيح افعل باسراك ماتريد وأنت على كل حال أتيت بهم الى هذه الديار وقد رغبت فى مصاهرتى فزوجنى بابنتك وهذا الذى أريد فشكره عقبه على ذلك الكلام وقال اليوم نلت مناى والمرام وأمر غلمانك بنصب الخشب حتى أبر قسمى وأصلب هؤلاء شلوح العرب فلم تكن الاساعة حتى نصب الاخشاب وقدموا الامراء اليهم وهم على

غاية الازلال والعذاب وقال عقبة علقوهم باكتافهم حتى أتولى بيدى تلافهم وهم يرونى ويشاهدونى وأبين لهم صحة قولى ويصدقونى فهنالك رفعوا الامراء فى الحال وشدوهم على الخشب بالحبال وأخذ عقبه بيديه حربة ماضيه وتقدم الى تحت البطال وقال هــذا يومك يا ابن الحصين مابقيت أماطل بكم طرفة عين فقد ضجرت مما أحتوى عليكم واليوم أنظركم وانتم تتجرعون الى أن تنقضون ثم ان عقبه أشار يقول

اليوم يا بطال حقا أصلبك وأستريح فكم أقاسى تعبك
أقطع رأسك ثم أبتر مهجتك وأبرك الوحش يجرجر عصبك

(قال الراوى) وتقدمت عاقبه الى تحت الاميره وفى يدها حربه مثل أخيها وتقدمت عقيبه الى مذبحون وباقى القسوس والرهبان تقدموا إلى الغلمان وإلى النسوان والكل ينتظرون عقبة ان يقتل البطال حتى يفعلوا هذه الفعال وأحاطت بهم الروم وبقيت بطارقة ذلك الاقليم وارتفع الضجيج العظيم وطلعوا الرهبان الى تلك الديوره وكانت ساعة عجيبه عظيمة مشهورة والامراء ينظرون الى بعضهم البعض نظرة الوداع ويرجون فى الآخره الاجتماع واذا بالصياح قد علا فى جانب الاقليم والبر قد انقلب وجفل جانب العسكر وأطرب واشتغلوا الكفار عما كانوا فيه وتقدم الملك بموكبه لينظر ما الخبر وما الذى حل بالناس من الضرر ومن تقدم عليه من الضياع والسواد والرساتيق وقد أقلبوا الدنيا بالصياح والزعاق والرهبان يتصايحون ويلطمون ومن خوفهم لا يعقلون فقال الملك ويلكم مادهاكم ومن بشره رماكم فقالوا أيها الملك قد دخل الى بلادنا عسكر كثيرة العدد مارأينا مثله فى البلد لأنه لا يبقى على أهل ولا على ولد بل يعمل عمل النار اذا وقعت فى الحطب اليابس لأن زيهم زى جند المسيح وفعلهم فعل القبيح وكلهم بالبيارق والصلبان والطوارق وانهم يوحدون الملك الخالق وهاهم خلفنا قادمين فلما سمع الملك كلام القوم حار وقال ياويلكم مافعلوا بكم هذه الفعال الاوهم مسلمين ولاشك انهم دخلوا خلف هؤلاء طالبين ثم صاح فى البطارقه فتبادروا اليه وتأهبوا فقال ائتونى بالشيخ النجيح حتى أسأل ان كان خلفه طالب أو عدوله غير هؤلاء الذين فى يده وأوصوه أن لا يملك أحد منهم حتى ننظر كيف حال الناموس هؤلاء القادمين (قال) فمضت الغلمان والبطارقة فأتوا بعقبه الى بين يديه وكان الملعون قد سمع بهذه الاخبار ولما حصل قدام الملك أخبره بالحال وسأله ان كان وراه طالب فقال له أيها السيد لا تخف فما أقول ان أحد يطأ الى هذه الدار من أمة محمد المختار وان كان قد وصل جيش كما يقولون فما يكون الكل أكثر من أربعة آلاف فارس أو دون ذلك لأن ولد ولد هذه الاميره لحقنى الى رأس المضيق وكان معى من عسكر القسطنطينيه خمسة آلاف بطريق وادركونى هؤلاء الأربعة آلاف فارس ووقع بيننا وبينه

الحرب والقتال والطعان ورأيت أصحابي معه في خسران فنجوت بهؤلاء الى هذا المكان وما قلت ان يتبعني منهم انسان وان كانوا اهتدوا الى الطريق ودخلوا الى ديارك فسعادتك ساقتهم اليك حتى تنال ماتختار وتفرقهم على الاماكن الشريفة التى فى هذه الديار لانهم جاهلون بهذه المواضع البعيده والمسيح قد ساقهم اليك حتى تنال الثواب وأنت فى مكانك آمن على فرسانك وأجنادك فقال الملك لما أن سمع هذا الحديث وحق المسيح ماأمر أربعة آلاف الا شىء قليل ولو كانوا عشرين ألف وانما خفت أن يكونوا سائر عسكر المسلمين قد دخلوا اليك طالبين لأننى قد سمعت من السفار والتجار انهم اذا دخلوا يطلبون اقليم يكونوا فى عالم عظيم يزيدون على عدد الرمل والقفار وموجات البحار وورق الاشجار فقلت حتى أسأله ان كان الأمر كذلك فأنا أكتب الى الملك الشمخولص وبطارقة الصناديد وأهلكناهم ولو كانوا كل من على وجه الأرض ومادام انهم كما ذكرت فاليوم نأخذهم ونطيل عذابهم ونصلبهم مع أصحابهم ففرح عقبه بذلك النداء وأيقن ببلوغ الأمل فهو مع الملك فى الكلام واذا قد أشرف الأمير ظالم فى عصابة الرحمن وأصحابه بالبيارق والصلبان وتسبيحهم قد علا الى العنان ونظروا البطارقة وعبدة الصلبان وهم يضجون بالتسبيح والتوحيد للملك الديان وعلموا انهم اقبلوا على اقليم كبير وخلق كثير وان مابقى لهم ناصر الا الملك القدير وندم الامير ظالم كيف سير السودان على الطريق الاخرى وقال ما علمت اننا نلحق عقبه فى هذه الارض ولا حسبت هذا الحساب ولكن لنا أسوة بالاميرة المجاهدة اما نؤخذ معها ونملك الجميع واما ينصرنا الله بعين عناية فنخلص سريع (قال الراوى) وكان الحصين قد زيا نفسه راهب وهو الذى كان يأتى بالاخبار ويقتفى على عقبه الآثار من الاديره والرهبان الذين هم سكان تلك الديار وهو كثير الاحزان على أبيه باكى الليل والنهار وعلى مذبحون أخيه ولولاه ما كان ظالم قدر يسلك هذه الارض والديار ونظرهم عقبه وقد انجلى عنهم الغبار فحققهم وقال للملك وحق المسيح ماهؤلاء أربعة آلاف ولاهم أكثر من ألفين وان صدقنى حذرى ماهم الا انقسموا نصفين لما وصل الى مفرق الطرق ومضوا السودان الى هناك وأتوا هؤلاء الى ههنا لأن الاثر استشكل عليهم وأنا أعلم أن الذين مضوا خلف البطريق يهلكون فى تلك الطريق وهؤلاء يهلكوا فى هذه الارض وهذا كله بسعادتك أيها الملك العالى القدر وبركة ابنتى التى أدخلتها اليك فى تلك الأيام لانها جويريه مباركة وقد رأت المسيح فى المنام وهو يبشرها بالرضى والاكرام وقد قتلت مسلمين وأهلكت موحدين من أهل دين الاسلام فأمر الساعة البطارقة والروم ان يحملوا على هؤلاء القادمين حتى يسوقوهم بين يديك مقهورين لانهم ماعلموا انهم يلقون بين أيديهم مثل هذا الاقليم وإلا ما كانوا قدموا على هذا الأمر العظيم

فنادى فى رجالك يحملون عليهم فما فيهم من تخشاه لأن أموالهم وشجعانهم معك أسرا وسودانهم وفرسانهم قد ضلوا فى تلك الطريق الاخرى (قال الراوى) فعند ذلك زعق الملك فى مواكبه ونادى فى بطارقته وكتائبه وكانوا قد صاحوا اليه أكثر من عشرة آلاف فارس ممن اجتمع عليه من أهل السواد وأتى يطلب الفرجة من صلب الامراء الاجواد فما منهم الا من صاح وجلب والى عسكر المسلمين قد طلب وكان ظالم ومن معه قد وصلوا على غاية من التعب الا انهم قد حملوا حملة رجل واحد وقد شمروا عن ساق واحد وأيقنوا بالعطب واختلط الروم بالعرب وعمل الصارم المنتخب وصوبت الروم القنطاريات وكذلك المسلمين واستغاثوا الى عالم الخفيات وابتهجت الارض بتوحيد رب السموات ونادت ما أحلى هذه النغمات الاسلاميات وما أطيب هذه الاصوات قد أنعمت علينا ان نسمع فى هذه الارض من يوحدك ويقر بربوبيتك ولا يجحدك اللهم أعن عبادك المجاهدين المخلصين هذا والرجال مشتغلة بقتالها ساحة بآجالها مزدحمة فى مجالها ولما أقبل الظلام قد أحاطت الروم بعساكر المسلمين ونزلوا من حولهم فى الخيام وقد قتل منهم مائتين فارس همام وقتل من الروم خلق كثير ورأى ظالم أصحابه هالكين وانه ماقدر على خلاص أحد من الامراء المجاهدين فندم على دخوله هذا الاقليم وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم والله ماحسبت هذا الحساب والا ما كنت قدمت على هذا الامر الصعب فقالوا بنى كلاب ماللعبد حيلة فى قضا بارىء النسم والله مابنا الاشماتة الاعداء وسلامة عقبه ونال مناه منا ومن الامراء والافالآجال لاتزيد ولا تنقص والموت لابد منه فقال ظالم والله ياقوم مابى حسرة إلا أنى ما اجتمعت بالاميره ولا علمت بما جرى عليها وكيف رأيت عند قدومنا خشب منصوب والروم محدقين به وأنا خائف لايكون عقبه قد بطش بساداتنا (قال الراوى) وكان الملك قد أنزل الاميره من على هذا الخشب وقال لغلمانه احفظوهم حتى ننظر مايكون من هؤلاء القوم القادمين ولما أمسى المسا نزل فى سرادقه وأحضر عقبه عنده وكان قد ضرب خيمة كبيرة الى جانبه وترك فيها كلما يحتاج اليه وتركها برسم بناته واخوته ومن يلوذ به من غلمانه ولما أن اجتمع به قال له ياشيخ ماهؤلاء المسلمين الاشياطين وما كذبوا الذين كانوا يأتون بأخبارهم من ديارهم لأن ألفين منهم قاتلوا هذا القتال وصبروا هذا الصبر على هذه الاحوال وافنوا هذه البطارقة والرجال فكيف لو أنهم فى جمع كثير وعسكر كبير كانوا أفنونا فضحك عقبه وقال أيها الملك كم قد رأيت ياما لهم من الموقفات وكم فى فؤادى من الحسرات وإن مت وما بلغت مرادى فما يكون الامنهم لأنى أكون قدمت مدبول والساعة أيها الملك قد نلت المنا وظفرت بمن أهوى لأن امرائهم فى يدى وقد ساق المسيح طائفة أخرى وفى غد يهلكون ومن أسر معهم من أصحابهم ولكن قلبى فزعان ان رأوا الغلبه يهربون ويسلم

منهم بعضهم ويمضون الى أرضهم فاقبل أنت رأيي وأنفذ البطارقه تمسك عليهم رأس المضيق الذى جاؤا منها حتى لا يسلم منهم مخبر ولا يرجع الى بلادهم منهم منذر (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك ضحك من كلام عقبه وقال له ياشيخ وأين بقى لهم مهرب وها نحن دائرين بهم والبحر عن يسارهم وعساكرهم قد تلاحقت بى من كل جانب ومكان وقد ملكنا جميع الطرق والوديان (قال الراوى) وكان عسكر الروم قد امسى تلك الليلة فى أوفا من عشرين ألف فارس لانهم قد سمعوا أن المسلمين قد دخلوا الى أرضهم وان ملكهم فى قتالهم فساروا من جميع الجهات حتى يشاهدوا الحرب والقتال الا أن الملك سمع ما أشار عقبه به عليه وقبل رأيه وأرسل بطريق من خواصه يقال له تمليتا فى عشر آلاف فارس من بين الاقاليم وقال له سير فى هذه الساعة وكن من وراء المسلمين فاذا أصبح الصباح وسمعت الصياح فاحمل عند حملتنا حتى تنجز هذا الامر ونعود إلى قلعتنا وتتم بالشيخ النجيح فقال البطريق سمعا وطاعه وان أمرتنى الساعة هجمت على هذه الامراء وآتى اليك بهم كلهم فقال له عقبه لا يا ولدى افعل ما ذكر لك الملك ولا تخالفه لأنهم الساعة كلهم مستيقظين وهم يحرسون أنفسهم ولا نأمن انك اذا حملت عليهم ان يحلون ويختلطون بكم وأنتم لا تعلمون ويقع السيف فى العسكر وانهم يقتلوا بعضهم بعضا وهم لا يعرفون لانى أخبر الناس بهذا الزبون فعندها سار البطريق بالرجال وقبل هذا المقال (قال الراوى) وباتت المسلمين فى وسط عسكر المشركين والنواقيس تدق من حواليهم من كل جانب وأصبح الصباح وركبت عساكر الكفره وهى فرحانه مستبشرة ونادى ظالم فى بنى كلاب وقال تأهبوا يا أحباب الرحمن إلى الطعان والضراب ولا تتركوا عليكم لوم ولا عتاب فقالوا له يا أمير لا تقول تأهبوا للحرب بل قل تأهبوا للموت ولقاء الرب واقطعوا أملكم من الدنيا وعاملوا رب الآخرة والأولى وبهذه النية نقاتل ثم ودع بعضهم بعضا وداع من قد أيس وقالوا بالله من سلم منكم إلى بلاد الاسلام فليقرى عنا أمير المؤمنين السلام ويوصيهم أنهم لا يتخلوا عن الأرامل والأيتام ثم ركبوا الخيل وتأهبوا واشتهروا وعقبة يصيح فيهم كأنه ابليس وقد فرح الملعون بالظفر وباح بما فى نفسه واشتهر (قال الراوى) ياسادة وتواصلت الرجاله ببعضهم وما وقع الحرب بينهم حتى سمعوا الناس صيحة عظيمة زلزلت الجبال وهى من وراء المسلمين فتأملوا لها الناس أجمعين وإذا بهم الروم الذى أرسلهم الملك بالليل مع البطريق مهلينا وقال لهم امسكوا على الموحدين الطريق من خلفهم حتى لا يهربون إلى بلادهم فتأملوهم وإذا بهم قد أقبلوا متفرقين ولأعنة خيولهم مطلقين ومن ورائهم السيف يلمع ويعمل فى أقفيتهم وصياح وزجل وهم مثل الوحوش إذا جفلوا فظن الملك أنهم عملوا مثل ما أوصاهم

به وإذا هم يلتفتون إلى رفقائهم ولا يسمعون لمن ناداهم وكان ظالم قد رآهم فانفرد إليهم فى طائفة من أصحابه يلتقى وجوه الكافرين وهو يقول ياقوم هذا كمين كان وراءنا وما أرادوا بذلك حتى لايسلم منا أحد إلى بلاد الاسلام (قال الراوى) وما تم كلامه حتى سمع التكبير لرب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وقدرأى السودان قد ظهرت مثل الشواهين وهى تضرب أقفية المارقين ولهم صياح وجلبية تلتذ بها السامعين وفى أوائلهم أبو سكران فى قدر الفيل العظيم فلما رأى ظالم إلى ذلك عاشت روحه وأرواح أصحابه والتقى المنهزمين بطعانه وضرابه وهو يقول لبنى كلاب ابشروا يابنى عمى بقدم السلطان لأن الله تعالى دلهم على هذا المكان (قال الراوى) وكانوا السودان فارقوه عندمفرق الطرق وساروا على اليمين فانهم عند المساء وإذا بالبطارقة الذين فارقوا عقبة ومضوا إلى نحوالقسطنطونية طالبين وكانوا السودان فى ألفين وهم يظنون أن عقبة معهم والأمراء معه ففرحوا بذلك وانكبوا عليهم فما لحقوا أن يتوروا حتى صاروا كلهم على أسنة الرماح وانطرحوا أشباح بلا أرواح ثم افتقد أبو سكران عقبة فما رأى له خبر ولا أحد من جندالرحمن فحار لذلك وافتكر وسأل بعض البطارقة الذين كانوا أسروهم وقال لهم ويلكم أين عقبة والأسارى فقال واحد منهم يامولاى سار بهم على الطريق الآخر ونحن طالبين مدينةالقسطنطونية لأن هذه طريقنا إليها فلما سمع ذلك قال لأصحابه الآن وقع بهم ظالم وخاصهم من المعاطب وما نعود نحن غدا إلى المضيق إلا وينتظرونا على رأس المضيق كما كانت الموافقة بيننا ثم جمع هو وأصحابه أسلاب القتلى وباتوا فى ذلك المكان وهم فراحا بالنصر الذى كان وعندالصباح رحلوا طالبين المكان الذى فارقوا ظالم فيه فما رأوا أحدا منهم ولا رأوا لهم خبر فتم به أبو سكران يقتفى الأثر وكلما بعد به الطريق زاد به العجب وقال والله اننى خائف على ظالم ومن معه من العرب أن يكونوا قد اغتالهم الملعون عقبة ابن مصعب وكان فى أول ركوبه الطريق قد سارسير الرفق وهو يرجو أن يلتى ظالم عايدوقد خلص الأمراءمن الشدائد ولما طال عليه الأمر جد فى السير ليل ونهار وهو يقتفى الآثار حتى وصل بالسودان إلى تلك الديار والتقى بين يديه موكب الكفار ورأى ظالم كما ذكرنافوضع فيهم السيف وصاح فى السودان فكشف رؤسها وبربرت وأقلبت عيونها وزمجرت ورأتها الروم فاندعرت وطلبت ملكها وقد تحيروا والتقاهم الأمير ظالم وقد قويت قلوب بنى كلاب بالعزائم وحمل الملك وهو على مافعل نادم وعملت الصوارم فى الجماجم وكانوا الذين عادوا منهزمين بما وقع فى قلوبهم من السودان مافيهم من ضرب بحسام ولا طعن بسنان بل طلبوا رايات الملك والأعلام وقد عملت فيهم سيوف الاسلام ورأوا الغبار والقتام وتوقفت الأبطال من شدة الزحام والصدام ووصلت إلى ظالم بنى جام ودام

السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل حتى أقبل الظلام وقد امتلأت الأرض من أجساد البطارقة وبقيت بالدماء بارقة غارقة ورجعت كل طائفة عن الاخرى لماهجم الظلام إلا أن الروم التصقت إلى الخيام وباتت وقلوبها فزعانة من أبطال المسلمين (قال الراوى) والتقى ظالم وبنى كلاب بالسودان الانجاب وهنوهم بالسلامة وسأل ظالم أبو سكران عن الامراء فحدثه ظالم بجميع ماجرى وقال والله ماعندنا خبر ولا أثر ولكن سمعنا من قوم كانوا عندنا أسارى أنهم فى قبضة هذا الملك صاحب قلعة السها وعقبة يتولى عذابهم صباحا ومساء فلعلنا نكسر الروم غدا ونخلصهم من قبضة الاعداء أن يبقوا فى الخيام سالمين وإن سار بهم فى الليل عقبة وجعلهم فى الحصن الحصين فاننا مانبلغ مانحن له طالبين ولكن نريد من يكشف لنا خبرهم ويعلمنا بما هم فيه ثم سأل عن الحصين بن البطال فما رأوا له خبر وقالوا بنى كلاب والله من أمس مارأيناه وما هو إلا قتل فى بعض المواضع أو عاد إلى دار الإسلام فقال ظالم ماقتل لأنه كان فى زى الرهبان وما حضر معنا ضراب ولا طعان ولعله فى بعض الاديرة ينتظر مايكون مناحاضراً فى هذه الساعة حتى كنا أنفذناه فى كشف أخبار المأسورين ثم أقاموا الحرس وباتوا منتظرين فى ذهاب الغلس (وأما ماكان) من ملك الروم طرطوس فانه لما نزل أحضر الرجال الذين كانوا قد أنفذهم يمسكون الطريق على ظالم وانهزموا قدام أبو سكران والسودان وقال لهم ويلكم أنتم كيف كانت قصتكم وكم أتاكم من المسلمين وأنتم عشرة آلاف حتى انهزمتم هذه الهزيمة فقالوا أيها الملك مضينا مع البطريق ولما ملكنا على هؤلاء الطريق وأصبح علينا الصباح وتأهبنا على أن نحمل على هؤلاء العرب إذ أشرفت علينا غبرة وقاربتنا وانقشعت وبان لنا من تحتها رجال ماهم مثلنا ولا يشبهون الآدميين بل إنهم سود مثل الجواميس كل منهم يلتى من فى بلدنا من الأبطال وما لهم إلا أن رأونا فبقوا يبعبعوا مثل الجمال ولعبوا برؤسهم مثل ماتلعب البغال ودعسوا فينا مثل ماتدعس الجواميس وهم حمر الحدق كبار الفراطيس فلما رأيناهم فزعنا منهم وما جسرنا أن نمد أيدينا اليهم وخفنا أن يكونوا ظهروا علينا من تلك الأرض عمارها فعندها قال الملك ياشيخ وما قد قلت أن ماتبعك غير هؤلاء القوم وحق المسيح لقد دخلت إلى وادينا فى طالع ميشوم وأنا قد قلت لك خلينى أرسل الى الملك الكبير وأجيب من عنده قوما يهلكون هؤلاء الشياطين فما تركتنى بل قلت لى مايحتاج حتى هلكت بطارقتى والأعلاج فقال عقبة أيها الملك هؤلاء السودان الذين حدثتك أنهم مروا على الطريق الاخرى ولا شك أنهم كانوا سائرين إلى القسطنطونية فأهلكوهم وأخذوا الخبر منهم وهم وحق المسيح جن الفلا وشياطين البيداء وكل واحد منهم يلتى أهل الأرض فقال الملك لابشرك المسيح بخير

وأنا من أين كان لى بهؤلاء القوم معرفة لولاك وحق المسيح إن رأيت الغلبة منهم تركتهم يفتصلونهم وإياك ولاأريد ابنتك ولامالك ولا نعمتك فلما سمع عقبة ذلك انتقض وضوءه وكان قد سلم معه ثلاثة من أهل القسطنطونية من العرب المتنصرة الذين معه إلى هذه الديار فجعلوا يصفوه للملك ويقولون لا تتخلى عنه فانه الشيخ النجيح وقد أتحفك بابنته التى هى روحه التى بين جنبيه (قال الراوى) ولهذه الملعونة عقيبة بنت عقبة حديث عجيب مع بنت أبو محمد البطال وهى عذيبة وسوف يأتى حديثها فى موضعه إن شاء الله تعالى (قال) وبقى الملك حائر لايدرى مايعمل وأنفذ إلى القلعة يأتى بمن فيها من الرجال وإذا ببعض البطارقة قد دخل اليه وقال أيها الملك قد وصل الراهب شرشيطا من دير الزيت يطلب الدخول عليك وقال إن القدرة عنده اليوم قد ظهرت وآيات المسيح فى الدير قد اشتهرت وقد أتاك بقربة من زيت القدرة وقال إن المسيح قد أنفذه اليك فى بشارة فلما سمع الملك ذلك وثب إلى لقاء الراهب شريف القدر وما قام الملك إلى لقاه إلا لأجل اعتقاده به فقال لولا إن هذا الراهب عظيم القدر عندهم ماقام له الملك ولا بد لى ما أراه لما يرد إلى هذا المكان (قال) وكان لهذا الدير المذكور حديث عجيب وهو قريب من هذه القلعة على ساحل البحر وما سمى دير الزيت إلا أنه كل سنة يظهر له معجزة تحير منها الروم وتزوره من سائر الأقاليم لأن فى وسط الدير صهريج يسع خمسين قربة من الزيت وكل سنة يكون له يوم يفور فيه الصهريج حتى يخوضوا فى الزيت وتقصده الروم من سائر الأقاليم والاقطار ويسافرون بهذا الزيت إلى البحار ويتركوه برسم المرضى والزمنى وأصحاب العاهات وكان سبب فورانه بالزيت الرهبان الذين فى الدير لأنهم مايتركون أحدا يأخذ من الزيت حتى يأتى أضعافه وإذا أتى الرومى ومعه عشرة أرطال زيت أو عشرين يعطوه رطل أو رطلين ويأخذون الزيت الذى يصل اليهم ويدخلون إلى صدر الدير ويقلبون الزيت فى جرن كبير يجرى فى مجارى إلى ذلك الصهريج ثم يقلبوا الزيت فيه فاذا أمتلا يسوى تلك المجارى النافذة إلى الصهريج فيفور حتى يملا الدير فيقولون الرهبان هذه معجزة ديرنا (قال الراوى) ورجعنا إلى سياق الحديث الأول من قيام الملك طرطوس وعقبة إلى لقاء الراهب شرشيطا الذى قدم من دير الزيت وإن الملك لما رأى الراهب وقربة الزيت فى يده تراما على قدميه وعادوا إلى السرادق والملك يقول للراهب أنا كنت منتظر قدومك لأجل ماتدعو لنا بالنصر على الأعداء (قال) فلما سمع الراهب ذلك الكلام قال ابشر بالنصر لأننا من الليلة بدا صهريجنا يفور وهذا أول زيت قد طلع منه والمسيح قد خاطبنى فى هذه الساعة فى سرى وقال لى ياشرشيطا قدم إلى الملك المجاهد فى أعدائى وبشره برضاى عنه وإن كان قد حمل على قلبه هم من دخول

المسلمين إلى بلاده فاعلهم أنا الذى أقدمتهم عليه حتى أخصه بثواب الجهاد واجعل دمهم قربانا فى هذه البلاد وما نصرتهم اليوم عليهم إلا حتى أبصر صبره والذين قتلوا تقربوا إلى ورضيت عنهم وفى غداة غدا أنصره ولا أقهره ولسائر أعداءه أظفره فقم اليه فى هذه الساعة وبشره وفرج عن قلبه ماقد اعتراه من الكرب واحمل اليه من القدرة حتى يخاف به رجاله عند الحرب واعلمه أن الشيخ النجيح قدم عليه وهو بركتى فى بلادى ونقمتى على عبادى فلا يقصر فى حقه مادام قد أتاه زائر يساعده على أعداءه فكأنه بهم ظافر وأما المسلمين الذين عندنا مأسورين قل له يقرب لى منهم قربان فقداشتهوا ذلك الرهبان (قال الراوى) فلما سمع ذلك عقبة خرج من عقله ثم باس الأرض شكراً للمسيح وقال ياراهب الحمد للمسيح الذى ذكرنى على لسانك عند الملك لأنه قد آلمنى بمجىء المسلمين إلى بلاده وأراد أن يسلمنى اليهم بعد مازوجته بابنتى وأدخلته فى نعمتى ثم ابتدأ وتلا شيأ من الانجيل حتى يرى الراهب فضله وينتشر عنده علمه وكان يقرأ وعينه تميز اليه فرأى إلى راهب وحش الخلقة مارأى أوحش منه فى الدنيا عينه اليمين عوره واليسار عليها مثل الفصد زرقا وأنفه كبير أحمر طويل ولحيته مقصصة وأجفانه مشحمة فقال عقبة فى نفسه وحق المسيح إن هذا الراهب موافق لى فى جميع أحوالى لأنه أعور وأنا أعور وما أقول إنه يتصبح به الملك الاويكيس ولو كانت عساكره مثل سد الاسكندر ولما سكت من تلاوة الانجيل صاح الراهب بصوت رفيق وقرأ أيضا من قلب رقيق لخير كل بطريق ودمعت عين عقبة وقال وحق المسيح إن هذا يتلوا الانجيل مليح ثم أخذ يقول شيأ من المزامير فسبقه واحد من التفسير وتكلم بكلمات لايعرفها البترك الكبير فعظم فى عين عقبة وقال وحق المسيح ماكنت أقول إن أحداً يعرف شىء من دين النصرانية إلا أن يكون أبو محمد البطال وهذا أعلم منه وأوفى فى المقال ولا شك إن كل من فى الدير هكذا لأجل مقامهم فى ذلك المكان المبارك ولولا انهم أعلم أهل الأرض مابين المسيح قدرتهم (قال الراوى) ولما فرغ الراهب من تفسيره وقال للملك وحق المسيح لقد اشتهيت أن أرى بعض المأسورين من المسلمين حتى أصفهم لمن فى دير الزيت من العباد والمترهبين فقال الملك أبصرهم وخذهم معك ونحن فى غداة غد نتبعك ثم أمر باحضار الأمير أبو محمد البطال والأميرة ذات الهمة ومن معهم من الأسارى فحملوا بين يديه وكانوا قد أيست أحوالهم وأيقنوا بفوت أعمارهم حتى سمعوا باستطار أرواحهم والنجاة ولما رآهم الراهب شرشيطا صار يتبسم ويضحك حتى عجبوا منه الحاضرين فقال له الملك لم تضحك ياأبونا فقال من ضعف قوتكم وقلة دينكم فقال وكيف ذلك قال لأن المسيح لايوقع فى البلاء إلا من غضب عليه وقرب أجله اليه

ولا يبقى له نجاة ولا ينفعه حيلة وأنتم من سوء ظنكم بالمسيح يشهدون أعدائه هكذا فى التلاف وينظرون لهم الخلاص من التلاف فقال عقبة كيف تعمل تخليهم مطلوقين حتى يتوروا علينا يفنونا فان هؤلاء الذين تراهم ياأبونا قد وقعوا ألف مره فى أيدى الملوك ويكتفوهم أشد الكتاف ثم يعملوا فى رقابهم الأغلال وفى أرجلهم القيود الثقال ويحبسوهم فى مطامير ماتقدر الجن تخلص منها فيخلصوا من كل البلاء والمصائب ويطيرون الرؤس من أعلى المناكب فقال الراهب نعم إذا رأى المسيح ضعف يقينكم فيه غضب عليكم وعاد خلصهم من أيديكم ومن تريد منهم الساعة أقوم أنا إليه وأحله من الكتاف وأسحبه باذنه إلى التلاف وهو لا يمنع عن نفسه ولا يدفع بل يبقى فى يدى على ضعفى وقوته مثل الطفل الرضيع فقال عقبة وحق المسيح ماتريد نطلق منهم أحدا وإن كان لا بدلك ماترينا شىء من معجزاتك فاطلق هذا العدو وأرجع رده فى الشد والقيد وأشار بيده إلى أبو محمد البطال فقامَ الراهب إليه وهو يقرأ شىء من الانجيل ثم رفصه ألقاه على ظهره وانحنى عليه ليحل كتافه وهو يقول له ياشيطان الموحدين أنت وقعت فى عذاب المسيح وعدت خلصت بقوتك أهرب الساعة إن كنت تقدر على الهرب أو إلى الخلاص تقدر تنجو بمهجتك وكان أبو محمد لما رفصه أرماه أيقن بالوفاة فلما سمعه يقول له ياأباه فتح عينه ورآه فتعجب من خلقته وصبر على بليته هذا والحصين قد حل كتافه وسحبه من أذنه وهو يتمايل ووقع وأعضاؤه ترجف وقد أظهر الهيبة والفزع ورأى عقبة ذلك فطاش عقله وانخرع ثم قال فى نفسه وحق المسيح هؤلاء عبيد مخلصين فى العبادة والزيارة لهم واجبة ثم قال كيف ترى حالك يابطال فقال له البطال الحمد لله ياملعون أنا بكل خير على كل حال لأنى أعرف فعل هذا الشيطان سحر وزور ومحال فلما سمع الحصين ذلك أظهر الغضب ودفع أباه فعاد إلى مكانه يتكبكب والبطال يقول رماك الله وقاتلك على سحرك وفعلك ولا ستر الله عليك ولا على عقبة معك فضحك عقبة من كلام البطال وفرح بفعل البترك ومعجزاته وقال ياأبونا بادر إلى هذا الشيطان بالكتاف حتى نأمن من مكره وشره فقال اسكت أيها الشيخ ودع عنك هذا الكلام الذى أنت قائله فاذا جاء الحق وزهق الباطـــل وحق المسيح حتى آتيك لاسوق الكل إلا وهم مطلوقين إلى دير الزيت ولو انهم كل من فى عسكرهم سقتهم فى جملتهم قدامى (قال الراوى) ياساده هذا وبقية الأمراء قد تحيروا وعجبوا مما نظروا وان الأميره ذات الهمه تقول اللهم اكفناشره وادفع عنا مكر هذا الملعون لا يسلبنا عقولنا ثم ياأبو محمد ايش جرى عليك من محالة حتى سلبك حيلك وفؤادك وبقيت لاتقدر على الممانعه اما أنا والله لوكانت انطلقت يدى وعلقت الانجيل كله فى عنق ماكنت إلا أنزل الماء الاصفر من

عينيه فقال لها الأمير أبو محمد دعى عنكى هذا المقال ولا تحلفين فهذا ولدى الحصين وهو يريد بهذه الحيله أن يخلصنا ويسيرنا إلى عسكر المسلمين ولو لم يفعل هذا الفعان ماينطلى على اللعين عقبة هذا المحال ولولا انه قال لى أنا ولدك ما كنت عرفته فى هذا القالب لأنى ماعلمته ولا خرجت أناواياه أبدا إلى زى راهب ولا فى حيلة (قال الراوى) ياساده فلماسمعت الأميره ذات الهمه هذا الحديث تعجبت وعادت تكرر النظر فى الحصين وتقول ياترى من قلع عينه اليمين وأى مصيبة جرت عليه حتى صار انفه طويل كبير وامتد وورم وصار فى هذا القدر فقال البطال ياأميره ماذهبت عينه ولا تغيرت خلقته وانما قد فعل هذه الفعال حتى تتم على اللعين عقبة حيلته هذا والحصين قد عاد إلى الاميره ذات الهمه وسائر المأسورين وحل كتافهم بعد ماعلم انهم قد علموا به انه الحصين فأول ماحلهم الحصين فما منهم أحدا مانع ولاداعى وودع الملك وعول على المسير فقال عقبة وحق المسيح لاتركت أن يفوتنى هذا العجب ولا بدلى ماأسير معه وأبصر كيف يفوت هذا الراهب بهؤلاء الشياطين إلى دير الزيت ومافيهم من يقدر يؤذيه ولا يمانع عن نفسه وأنا أعلم ان ذات الهمه وحدها تدفع عسكر كامل وحق المسيح هذا شيء عجيب يكون هذا عارف بعزائم الحكماء شيأ لاأعرفه أنا لانى قد رأيت من علمه شيأ رائد وهو على حكمته دليل وشاهد (قال الراوى) ياساده ثم ان عقبة ودع الملك قال أيها الملك أريد ان أمضى مع هذا الراهب إلى زيارة دير الزيت وأتبرك بمن فيه من الرهبان لان حكمة هذا الراهب تدل على ان الكل قد أخلصوا فى عبادة الصلبان وأنا ان شاء الله عند الصباح أعود اليك لكن حتى أبصر من يهلك من المسلمين فقال الملك إذا كان الامر كذلك اركب أنت وأبونا الراهب شرشيطا وأنا أترك بعض البطارقة يسوقون بين أيديكم الاسارى هؤلاء الشياطين ثم أمرلهم ببغلين فركبا وسارا معهم اثنين يسوقوهما والاميرة ذات الهمة منكسة الراس تبكى حيلة منها ومذبحون وأبوه يظهران الضعف والعجز والشريف بكار وأمه لان ابو محمد البطال اعلمهم بالقضيه وبأن الراهب شرشيطا هو ولده الحصين حتى يلعب بعقل الملك وعقل عقبة الخبيث وهم على ذلك الحال ومافيهم من هو مصدق بالخلاص من أهل الكفر والضلال والبطال جعل يديه على صدره كانه مغلول والجماعة عملوا مثل فعاله وهم كانهم عادمين عقولهم (ياساده) والحصين راكب إلى جانب اللعين عقبة وهو يهمهم ولا يفهموا مايقول ولا تنطب الحيله الاعلى الشطار والاميره ذات الهمه طائرة الفؤاد ومن شدة الفرح تقول ياأبو محمد من أين ولدك الحصين عرف دير الزيت واهتدى إلى هذه الذى لايهتدى اليها جن سليمان فقال أبو محمد دعينا حتى نخلص وأساله عن كل ماعمله من هذه العمايل (قال الراوى) وكان السبب فى معرفة الحصين دير الزيت انه لما وصل مع الامير ظالم فى اليوم الاول وهو

فى زى الرهبان و نظر ماحل بالناس وما اجتمع عليهم من أهل ملة الصلبان فصبر حتى امسى المساء وانفصل عند ذلك القتال وابصر ماحل بالناس فاختلط بعساكر الروم وهو يقول لعلى الليلة أخلص الاسارى ولم يزل حتى توسط إلى عسكر الملك فابصر الاسارى بين يدى عقبة اللعين وهو محتفظ بهم والبطارقة بهم محدقين فخاف من عقبة لايعرفه وعلم انه مايقدر على خلاصهم ماداموا على تلك الحاله فرجع خرج من العسكر وقلبه كادان ينفطر فقال فى نفسه مافى الامر إلا انى اقصد الى بعض الاديرة واقيم مع جملة الرهبان حتى ابصر كيف يكون الحال وعلى أى شىء يقع الانفصال والله لا برحت من هذه الديار حتى أعمل على خلاص المؤمنين الابرار ولو انى اهلك معهم على يد الكفار ثم استخبر بعض الرهبان عن دير القدره واظهر أنه يريد أن يزوره فدلوه على دير الزيت وكان فيه أربعين راهب فصار عند ذلك الحصين فى جملتهم وأقام فيه تلك الليله ومن الغدداره ورواده وعرف اسماء أكثر الرهبان الذين فيه وسمع بقدوم السودان ومافعلوا بعبدة الصلبان وكان فى تلك الليله قد بدأ يفور الصريج وقد جاء وقت فورانه فسرق قرعة ملآنه زيت وخرج يطلب العسكر من خوفه من عقبة لا يعرفه أخذ من حشائش البرعشية يعرف عملها من عهد كان فى بلاد الديلم ولطم بها وجهه وأنفه حتى احمر وورم وصار مثل الخياره وفعل بأجفان عينه كذلك حتى انهم تنفخوا والصق عينه بدم القراد فصار كانه أعور من مائة سنة ثم سار حتى دخل على الملك بهذه الصفه ورأى عقبة عنده وجرى له ماجرى حتى خرج بين يدى الاسارى والبطارقه يسوقوهم وهو على البغله راكب والى جانبه عقبه إلا أن الحصين يصيح فيهم وينهرهم ويضرب أكتافهم بالعصاه وعقبة يقول جود عليهم وزدهم لارحم المسيح منهم أحد (قال الراوى) والامراء منقادون حتى خارج العسكر وكان الحصين كلما ضرب أخيه مذبحون وأوجعه بالعكاز يقول قول لولدك يرفق بناوالاعدت ليه ونزلته من على هذه البغلة وخنقته حتى يبول دم أحمر والبطال يضحك من ذلك حتى أبعدوا عن الروم (ياساده) ثم تقدم الحصين الى البطارقة وقال لعقبه خلى البطارقه يسوقوهم واتبعونى الى الدير حتى أمضى أنا وأبشر الرهبان وساق بغلته وهرول وراح وخلاهم وأبعد عنهم فلما سمع عقبه كلام الحصين تقدم الى الاميره وتناول يده العكاز وضربها مثل ماكان يعمل الحصين فى الاول واذا بها التفتت اليه ثم قالت له ياقرنان وأنت تريد أن تكون مثل راهب دير الزيت ابشر الآن بخراب البيت ثم تعلقت به وجذبته ونكسته على رأسه ورأى البطال الى ذلك فوثب الى البطريق الذى كان وراءه فعجل فناه وقفز مذبحون الى البطريق الثانى وتعلق بخصاه فأسكنه فناه هذا وعقبه يغدو فى عماه ونزلوا فى قفاه فصار يصيح ويلك ياشرشيطا أدركنى والا اعمونى من الصك أنت اطلقت هؤلاء

الشياطين الحقنى بحق المسيح وارجع اتل عليهم الانجيل فلا يغيثه أحد والاسارى ينزلون على رأسه حتى انهم ارموه من على بغلته وكلما آلمه الصك يقول لاستر المسيح عليك يا راهب دير الزيت ولا كانت هذه الليلة التى جمعتنى بك والبطال يصفعه فى رأسه ويقول له ياصقيع الذقن وقليل العقل هو أنت حسبت ان أيدينا ما بقيت تمتد من قراءة الانجيل وانطلى عليك المحال من ولدى الحصين ياشيخ الضلال اشر بتقطيع القفار والعذاب الطويل (قال الراوى) ثم بعد ذلك رفعوه على البغلة وشدوه وقتلوا البطريقين اللذين كانا يسوقوهم وساروا يطلبون عسكر الأمير ظالم والسودان والحصين قد وقف اليهم فرحان بخلاصهم حتى وصلوا اليه وهناهم بالسلامه وعرف عقبة حقيقة الحال فانشقت مرارته وزاد كربه وبلاه وقال للحصين ياكلب يا ابن ألف كلب خدعتنى وادخلت على المحال وقد فرحت لك بهذا الوجه الذى مثل خلقة العفاريت فضحكوا الامراء من قوله وتموا سائرين الى أن وصلوا الى عسكر المسلمين وكان ظالم فى تلك الليلة قد نام وخرج أبو سكران للحرس ومعه جماعة من السودان ولما رأى أشباح الامراء حرك نحوهم الجواد وتجارت خلفه الفرسان وقد سلوا السيوف وقوموا الزماح فعندها تقدم أبو محمد البطال وصاح عليه امسك يدك ياأبو سكر ان فنحن اخوانك فى الاسلام وقد خلصنا ربنا من أهل الكفر والطغيان وأنا أبو محمد البطال وهؤلاء اولادى العقبان وهذه الاميرة ذات الهمه منكسة الصلبان فلما سمع ذلك أبو سكران تقدم وقلبه من السرور ملآن ورأى القوم فترجل هو ومن معه من السودان وقبلوا يد الاميره ذات الهمه وسلموا على أبو محمد البطال وعلى أولاده ومن معه من الفرسان وحدثهم أبو محمد بما جرى وبما كان ونظر الى عقبه وهو معهم مأسور فداروا به السودان من كل جانب ومكان ولطموه حتى واقعه العمى فى تلك الليله الظلما وساروا الجميع الى خيمة الأمير ظالم ودخلوا عليه وبهذا الخبر أخبروه فجلس وهو يقول ما أبرك هذه الساعة واتمها بخلاص هذه الجماعه بالله عليكم كيف كان من الذى خلصكم من المهالك فقال أبو محمد البطال ولدى الحصين الازرق العينين فقال ظالم ولهذا كان غائب من يومين والله لقد سافر وجلب قرة العين وارضى بفعاله سيد الكونين النبى المنتخب سيد العرب والعجم

(قال الراوى) فقالت الاميره ذات الهمة دعونا الساعة من هذا فأنا قد طال شوقى الى ولدى وما بقى لى صبر أكثر من هذا ونريد فى غداة غد نكون راجعين وما بقى يمكنا هذا إلا أن كسرنا هؤلاء الملاعين فاركبوا حتى نكبسهم ماداموا آمنين فرحانين بما بشرهم به المسيح على لسان الحصين وهم بالنصر مسرورين (ياساده) فقال أبو محمد هذا هو الصواب لانهم ما يحسوا إلا وانتم معهم فى الخيام والا طناب فقال الامير ظالم افعلوا ما بدا لكم فنحن

ما كان لناهم الا أسركم واعتقالكم والحمد لله على ذلك ثم ركب من وقته وساعته وارسل الغلمان الى بنى كلاب والسودان الانجاب وبعد ذلك قال للاميره ذات الهمه يا ستاه اقعدى مكانكى حتى تستريحى ويستريح بدنك من الشد ويديك من الكتاف فقالت الاميره ذات الهمة لا وحق محمد بن عبد الله لا كنت الا فى أوائلكم لأن جسدى لايريد الراحة الا فى القتال وان كان قد ضرنى الوجع والضرب ولكن طلب الثواب يلهينى عن ألم العذاب ثم انها ركبت وشدت وعليها وتحزمت وتأهبت وتلثمت ولم تكن إلا ساعة حتى ركبت فرسان بنى كلاب والسودان الانجاب ومقدمهم أبا سكران وقال البطال امضوا الى القتال ودعونى أنا أشتفى من عقبة شيخ الضلال ومعدن الكفر والمحال فما يدرى الانسان كيف تكون الأحوال (قال الراوى) وكان ثلث الليل الاخير وملك الروم قد نام وكذلك البطارقة وهم فرحانين بوعد المسيح وقد اتكلوا على بركة البترك شرشيطا فما أحسوا إلا والصياح معهم فى الخيام وضجت بنى كلاب وبنى حام وكانوا انقسموا لما حملوا ثلاثة أقسام ووضعوا عند ذلك السيف فى النيام والقيام فانذهلت الروم من صياح السودان ورجفت أرواحهم والأبدان وما منهم إلا من تار وعقله حيران وأما الملك فانه قد قام إلى جواده وقد انخلع من شدة الضجيج فؤاده وانقاد فى فؤاده النار والحريق واشتد الوهيج وهو يقول ما أمهلوا علينا هؤلاء الشياطين حتى يصبح الصباح علينا ونلطخ أصحابنا بزيت دير القدرة ويأتينا من عند السيد المسيح النصر والوعد ثم انه صاح فى خواصه فركبوا وتأهبوا للقتال وقد رنت السيوف من كل جانب ومكان واتفقت أنها كانت ليلة كثيرة العواصف واكتسى الليل ثوب الظلام وغابت عن الناظرين كواكب السماء وقد نزل على الكافرين البلاء من سيوف أمة محمد ولم يزالوا حتى طلع الفجر وبدا وأصبحت الاجساد مثل الضحايا وانهزم الملك ليتحصن فى قلعة السها وهلك من فرسانه مالا يقع عليه عدد واحتوت المسلمين على الاموال والخيام وكانت الخيام مضروبه على جانب الخليج قريب من القلعة فنزلوا فيها المسلمين وملكوا الجسر الذى ذكرناه للعبور وقد طلب الملك القلعة فما قدر لان المسلمين قد احتووا عليه قهرا وغصبا هذا وقد صارت الاميرة ذات الهمة تنظر إلى قلعة السها وتقول سبحان الله كم فى الاقطار من العجائب والغرائب والله إن هذه قلعة لاترام وما رأينا مثلها فى بلاد الروم ومانريد إلا أننا نفتحها حتى أننا نطهرها من هؤلاء الكفرة اللئام فقال عند ذلك ظالم ياستاه لولا أسرك ما كنا قربنا هذه الارض ولا شفناها والساعة فقد من الله تعالى علينا بخلاصك فدعينا الساعة من حساب القلعة حتى نأخذ الساعة فى الراحة هاهنا شوية أيام ونطلب الرجعة إلى الاهل والاحباب فهذه سلامة ما كانت لنا فى حساب فقالت الاميرة ذات الهمة بالله عليك

ياولدى دعنى أنفذ خاف الامير أبو محمد البطال وأشاوره فى هذا الامر فان قال انه يقدر ويتسبب فى فتحها أتينا إلى تحتها بالخيام وعولنا على القيام وإلا رحلنا عند الظلام وطلبنا بلاد الاسلام فقال لها عند ذلك ظالم افعلى ما بدا لك ياستاه فما أقدر أن أخالفك فعندها أنفذ عشرة من السودان وقال لهم أقيموا أنتم فى الخيام وارسلوا أنتم أبو محمد البطال حتى نرى كيف يكون الحال (قال الراوى) وكان البطال قد أوجع عقبة بالضرب والعذاب هو وأولاده وغلمانه وأم الشريف بكار وما فيهم إلا من حنق عليه وكان كلما ضربوه يقول هذا فى طاعة مطرون وطاعة كنيسة الزرزور ومريحنا المعمدان ويوشع الذى سن لنا الانجيل ولم يزل كذلك حتى غشى عليه وغاب عن الدنيا وقال البطال أتركوه لعلنا نحمله معنا إلى الحجاز نهديه إلى الاميرعبد الوهاب حتى لا يبقى فى قلبه حسرة من كاب الكلاب فهو كذلك وإذا عند ذلك بالسودان قد أقبلوا عليه لاجل أخذ رأيه من قلعة السها إن كان يقدر بملكها والقتال أم لافقال والله إنى أعرف الناس بها وما شىء يقدر عليه أحد يقاتل ولا فيها حيلة لمحتال فقال الحصين لاتقل هذا المقال وقم بنا إلى الاميرة ولو كان فيها كل عفريت يطير فى الهواء أو يغوص فى الماء لاننا كلنا قافلة لصوص فضحك البطال من كلامه ورجع ومعه جميع غلمانه وساروا حتى قدموا إلى الاميرة فرأوها تنتظر إلى القلعة وتتعجب وهى تلوح مثل الكوكب فلما قدم الامير أبو محمد البطال هو وغلمانه وأولاده فرحت بهم وأعلمتهم بما قد عولت عليه فقال البطال والله ماالموضع إلاحصين لايرام ولا يلتفتوا القوم ولو كان معنا سائر عسكر الاسلام ومادام فى قلبك من هذه القلعة أمر فانا وحق من أطلع البدر وخلق الفجر ورزق الذر لابد ماأتركك فيها قبل الصباح وأملكها ولوكانت متعلقة بالرياح ثم انه التفت إلى ولده الحصين وقال له ياولدى غير حيلتك التى دخلت بها على الملك عند خلاصنا وافتح عينك واغسل وجهك حتى أقول لك ماتفعل وكان الليل قد أقبل فلبس أبو محمد البطال زى راهب وألبس غلمانه وولده الحصين كذلك وأما ولده مذحون فانه قال فليس لى قدرة على أننى أحتال لان آثار الضرب على أضلاعى وأخاف أرجع أقع فيصلبونى دعونى ههنا أبرد جرحاتى وابصر أنت وأخى ما تنتقى وقد أفلح ضيغم والله الذى تركنا ومضى إلى الحجاز وأراح نفسه من هذا العذاب الذى نحن فيه وكان ضيغم من حين خلص من دار طوق قد ودعهم وطلب أرض الحجاز وأما أبو محمد البطال فانه سار طالب القلعة وتعلق فى الجبل وسار هو وولده وغلمانه بالمسوح السود والعكاكيز الابنوس وكان الملعون طرطنوس لما تحصن فى القلعة أمن على نفسه لما صار فى القلعة إلا أنه متعجب من تلك الوقعة وجلس تلك الليلة يتحدث مع أصحابه وحجابه وهو يقول ياويلكم كيف جرت هذه النوبة الصعبة علينا

من أربعة آلاف فارس ونحن فى هذا الخلق الذى لايعد فقالوا له أصحابه أيها الملك مادهينا الامن هذه السودان الذين كانهم يشبهوا جن سليمان الذى مارأينا فى عمرنا ياملك مثلهم ولا أوحش من خلقتهم ولا أوعر من أصواتهم ولو كنا رأيناهم من وقت طلعنا القلعه ماكان جرى علينا هذه الفجعه فقال الملك ياقوم ماقدر يخرب بيوتنا الاراهب دير الزيت ووعده الذى كان سبب خراب بيوتنا فقال ياملك وحق المسيح ماله ذنب ولا عليه ملام لان المسلمين حملوا علينا قبل الميعاد وقبل ان نتلطخ بالزيت بتاع القدره وما قلبى الاعلى الشيخ النجيح وأرجوان يكون عليه خير لانى لاأقدر ان أدخل على ابنته إلا ان يكون حاضر (قال الراوى) وكان عقبة قد ترك ابنته عنده فى القلعة وعطاها الملك دار حسنه هى وأختها وعمتها لانه عندعزيمته أمر البطارقة أن يخدموها ففعلوا ذلك لأجل الملك (وأما ما كان) من أمر ماقبة أخت عقبة فانها غابت ولم يعلموا لها خبر ولا وقعوا لها على أثر وكان الملك قد سألهم عنها فقالوا عندذلك ماعندنا بها علم أيها الملك إلا انها دخلت الكنيسه وقد تارت إلى بعض الخيل فركبت حصان ولا ندرى أين ذهبت فظن الملك انها هلكت فى الوقعة وصعب على الملك ذلك وقال الواجب كان نحفظها لان الشيخ النجيح يقول ماحفظتم حقى فبينما الملك فى الكلام وبعض الحراس قد دخل عليه وقال أيها الملك قد وصل الساعة إلى باب القلعة الراهب خادروس ومعه جماعة من الرهبان بتاع دير الزيت وهم يريدون الدخول عليك فقال الملك وقد سر بذلك يامسيح فرجك وقال عسى ان يكون معهم خبر بالشيخ النجيح ثم قال لهم افتحوا لهم فدخلوا وسار بهم البواب إلى بين يدى الملك فلما رآهم ماشك فيهم وحسب انهم رهبان فلما دخلوا عليه قالوا له ان أمراء المسلمين مقيدين فى القلعة وان الملك حفظه السيد المسيح فى هذه القلعة حتى تعم بركاتكم عليه وعلى كل من فى الحصن من أهله وأقاربه وعسكره فقدم حضورك إلى هذا المكان ولا تصحب معك غير الرهبان الذين تعرفهم بالعباده واصلاح الشان واياك ان تخلى الراهب الكبير دلهان فانه كثير العباده للصلبان ودعاء عند المسيح باعلامكان لاسيما إذاصاح بصوته المعروف يأمر يحنا المعمدان (قال الراوى) ياساده ولما هموا بالانصراف خاف الحاجب وقال أيها الملك أنا أخاف وأفزع من المسلمين لان عسكرهم من حولنا دائرين فقال الملك ويحك وأنت تخاف ومعك رهبان دير الزيت ثم التفت الملك إلى البطال وقال له ياخادروس قل لهم كيف جئتم فقال أيها الملك التطخنا بزيت الدير وعبرنا فى عسكر المسلمين فما وصلناهم الاوقد اختفينا عن أعينهم فان كان عندك شىء من بقية الزيت التى أتى به البترك شرشيطا ألطخ به حاجبك فقال الملك وحق المسيح عندى القرعة الذى أتانا بها أبونا الراهب شرشيطا كما هى

بتمامها وكمالها ثم انه أتى بها ولطخ منها حاجبه ومسح عليه أبو محمد وصلب بين عينيه وقال له اذهب الساعة وشق بين عسكر المسلمين فى الظلام ودوس رقابهم فى الخيام فما بقى يراك منهم أحد لاشيخ ولاغلام فعندها نزلوا من القلعه وقد فتح لهم الباب وأنفذالملك عشرة من البطارقه إلى أهل القرى واهل السواد يقول تحصنوا فى الجبال واحفظوا أموالكم والرجال والنسوان والشباب والاطفال (قال الراوى) ولما سار وعينان أبو محمد البطال على وجه الأرض ساروا طالبين عسكر المسلمين فانكر الحاجب ذلك وقال لهم إلى أين تمضون بى فى هذه الطريق تجنبوا بنا جيش هؤلاء الشياطين حتى لانكون بارواحنا مخاطرين فقال جوهر غلام البطال بلا كثرة كلام فما يراك أحد واحنامعك فى هذا الظلام وكان على الحرس فى تلك الليله أبو سكران فى عشرين من السودان فلما قربوا منه ونظر أيضا حاجب الملك إلى الخيل قال ياعبد المسيح هذاحرس المسلمين قدامنا وقد أتانا وعول نحونا ابصر كيف يكون فقال تبعنا ودع عنك الفضول ولا شك فى معجزات المسيح فنحن قددخلناههنا طريقين وماوقفت علينا عين فقال أدارس صحيح انكم انتم ترونهم وهم لاينظرونكم وانتم أيضا رجال المسيح وأنا مالى خفا وأخاف ان يأتيكم أو يأتينى الأمر بخلاف ذلك كالاأريدفيقطع قفا ياجيدفقالوا له سر خلفنا وانك ان وقعت خلصناك (قال) فسار الحاجب وهو يقصر خطوته من فزعه من الحرس وكان أبو سكران قدميل إلى نحوهم هو والسودان وقدقارب غلمان البطال وقال ياويلكم ايش انتم فى هذا الليل فقال لؤلؤ ياأبا سكران لابأس عليك نحن غلمان أبو محمد البطال وقد اتينا من عند سيدنا فى أمر نرجو من الله تعالى اتمامه فخذ هذا الذى وراءنا وقدكان فى زى الرهبان وأمر السودان ان يصفعوه ويشدوه كتاف ويطوفوا منه الاطراف وكلما رأيتموه يصيح علينا الطموه بايديكم الخفاف اللطاف ولا تعلموه انكم رأيتمونا ولا نظرتم منا أحد وتركوا الحاجب وانحرفوا يطلبون عسكر المسلمين وقصد أبو سكر أن الحاجب بتاع الملك ودارت به السودان فأخذوه وضربوه على رأسه حتى اعموه وهو يتعوز بالمسيح وهم كلهم يسمعوه يتعوذ يقولوا لهم وهم نازلين عليه وهو يقول ماقصر معى الراهب جادروس الذى غرنى ولطخنى بزيت القدره واوقعنى فى هذا البلاء وهذه الليله الميشومه لاجزاه المسيح خيرا قال ياقوم خذوا رفاقى وسكوهم مثلى حتى انكم تقطعوا قفيتهم كما أنكم قطعتم قفاى فكم قلت لهم عرجوا عن هذه الطريق فما رجعوا فعند ذلك قال أبو سكر ان ياويلكم واين هم رفقاؤك انا لم ننظر أحد قدامنا غيرك فقال الحاجب أمرى الى المسيح انهم قدامى ياويلكم ماتنظروهم يقولوا له السودان وهم نازلين فى رقبته ماننظر سوى أنت وينزلون عليه حتى أغمى عليه فقال لهم دولا رهبان يحفظون الانجيل وانا جندى جاهل قليل الخبره بالانجيل

فيضحكوا عليه السودان فجعل يصيح يارهبان بحق المسيح لاتتخلوا عنى وعن أهل دين المسيح (قال الراوى) هذا وغلمان البطال قد تموا يخترقون الخيام حتى أتوالى الاميره ذات الهمه واعادوا عليها الحديث وماقال لهم مولاهم أبو محمد البطال وكيف استقر معهم الحال ففرحت ونهضت تجمع الابطال الموصوفين من بنى كلاب والسودان الانجاب واذاقد وصل أبو سكران ومعه أدراس حاجب الملك فقالوا اقتلوه وعولوا بنا على الصعود قبل أن يفوتنا المقصود ثم أعلمهم بما دبر البطال فتعجبوا من تلك الفعال واما مذبحون فانه فرح بما دبره أبوه وانتخب أبو سكران أربعين من السودان أصحاب الاحساب فالبستهم الاميره ذات الهمه البرانس السود لبس الرهبان ولبست هى ايضا وابو سكران مثلهم حتى بقوا كانهم الغربان ثم اخذوا السلاح وخلوه تحت ثيابهم واوصت الاميره ذات الهمه الامير ظالم وبقيه العسكر ان يركبوا بعدها فى ألف بطل ويقصدوا باب القلعه الى معونتهم ثم سارت الاميره ذات الهمه الى الجبل وطلع بعدها مذبحون وجوهر ولؤلؤ غلمان البطال ولم يزلوا سائرين الى أن وصلوا الى باب القلعه فرؤا بابها مفتوح وابو محمد واقف على الباب منتظر هذه الأسباب (قال الراوى) وكان لهذه القلعه سورين الصور البرانى مبنى بالحجر والصور الجوانى منقور فى الصخر وفوق كل برج باب وبين الصور والصور زهاء عن عشرة أزرع وهى عاليه مشيده ما فى بلاد الروم ولافى بلاد الاسلام مثلها ولاأعلا منها ولاأظرف منها هذا وقد التقوهم أصحاب الحرس فترحبوا بهم ومن معهم وهم يظنون انهم رهبان كما سمعوا من الملك والبطال وماهم الا أن حصلوا من داخل الباب ثم غلقوه من خلفهم وسبقوهم البوابين الى الباب الثانى فهمت الاميرة ان تدخل هى وأصحابها واذا بمشط من الحديد قد وقع مثل الجبل فسد الباب واحال بينهم وبين الدخول فبقت الاميره حائرة والذين معها محتارين لايدرون ما السبب فى ذلك (قال الراوى) وان البطال دخل على الملك وقال له قم بنا أيها الملك حتى ننزل نلتقى الرهبان فانهم عند المسيح بمنزلة عظيمة وشان فقام الملك ومن معه من خواصه وقد عولوا على النزول فرأى الملك البوابين وهم طالعين لايعقلون وقد تكاثروا على لوالب المشط الحديد وقد أنزلوة إلى أسفل فسألهم الملك عن سبب ذلك فلم يجيبوه حتى انهم اطمأنوا وأمنوا مما يحذروه واقبلوا بعدها على ملكهم وساروه وقالوا له هذا البطال فأنكر عليهم الملك وبقى حائر لايدرى لأى شىء ارموا المشط واللوالب فهم كذلك واذا بالشيخ قد أقبل وهو منحنى الظهر من الكبر وهو يصيح أقف أيها الملك وانظر لنفسك قبل حلول رمسك قبل أن لاتقدر على النظر فقد سلمت سلامة لاتنكر قبل أن تدفن وتقبر ويفنى كل من فى قلعتك بالصارم المهند (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك الخبر تميز الشيخ وقال له ويلك ما الخبر فصاح راهبه

آخر بصوت منكر اقبض أيها الملك على هذا الراهب الاشقر الذى صح لك الخبر وتحقق ما فعلنا معك من الجميل الذى نستاهل عليه الجواهر والبدر فعندها تامل أبو محمد البطال وإذا هو شيخ أعور نحس الوجه محدر مثل الشيطان اذا بدر وهو القاضى عقبة وقد خلص مما كان فيه من العذاب ومن ورثه أخته عاقبة أم الفتن كانها عقاب اذا انقض لاعفى الله عنها (قال الراوى) وكان سبب خلاص الملعون عقبه حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انه لما تركه أبو محمد البطال عند السودان الذين أرسلتهم الاميره ذات الهمه وأمرتهم بحفظ الخيام وسار عندذلك البطال ليدبر فى أمر القلعه وكان قد لح على عقبه فى الضرب كما ذكرنا وأم الشريف بكار وبنت طوق وأن عقبه قام فى ذلك المقام وهو يبكى وينوح على نفسه وعينه تدمع وقد خفق نفسه وحسه إلى أن أظلم الليل ودخل عليه الليل وقد أدار وجهه الى قبلة الاسلام وقد صار يقرأ بصوت ضعيف ويرخى يديه الى شقته ويمدها ويصعد أنفاسه ويرددها فقالوا له السودان ويلك ماحالك فقال ياولدى جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وهذه الليلة آخر ليالى من الدنيا وأول ليالى من ليالى الآخره ومقصودى أعمل شيأ اقدم به إلى المولى ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ ثم طبق عينيه وصار يحرك شفتيه ويمدها فلما رأوه السودان على هذه الحالة أيسوا منه وقالوا القدضربه البطال ضرب عظيم وهذين المرأتين قتلوه ولكن ختم الله له بخير لانه تشهد عند موته وقد بقى مرتهنا بعمله

(قال الراوى) وكانوا هؤلاء السودان جاهلين بأمر عقبة اللعين لانهم من أرض الحجاز الذين قدموا مع الأمير ظالم فقالت لهم أم الشريف بكار ياقوم لاتسمعوا قول الملعون فقد مات عشرين مره زور وبهتان هكذا ورجع عاش وتم على الكفر والطغيان فداخل السودان الشك من قول العلويه أم الشريف بكار ثم تطلعوا فى وجهة فرأوا عليه آثار الموت وقد اشتكلت اسنانه وبردت أنفاسه وحواسه وبرق جبينه وغارت عيونه واسترخت أعضاءه وتمرت شفتاه فقالت السودان ماهو الاقدمات ثم ان السودان جعلوا يقلبوه وهو كانه خشبه ملقية يابسه فقالوا للعلويه أم الشريف بكار أيها السيده هذه النوبه ماهى مثل الاولى هذا قدمات قدمات على ملة الاسلام ونريد ننفذ للأمراء ونعلمهم بحاله فيأتون اليه ويغسلوه غسل المسلمين ثم انهم يدفنوه كما يفعلوا بالمسلمين لأنه على كل حال قاضى من قضاة المسلمين ولا يجوز لنا أننا نأتى فى حقه بشىء فعند ذلك صاروا السودان يغزوه بالمسله وهو لايتحرك فقالوا السودان مابعد هذا شىء ثم مضى منهم خمسة نحو قلعة السها يعلمون الأمراء بحاله وقالوا لاتدفنوه حتى نعود هذا وأم الشريف حارت وقالت اقسم قسما لا تركت هذا الملعون ولا بد أن أقوم اليه واقطع يده حتى يعلم السودان بذلك فقالوا لها السودان أيها السيده لاتفعلى فاننا نخاف من غضب

الأمير ظالم فقالت أنا أجاوب الامير ثم أتت إلى عقبه وقعدت إلى جانبه وشالت يده وهى مرخية وهمت تفصلها من زنده وإذا برجال قد هجمت إلى الخيمة وفى يد كل واحد حربه كانها المنيه وهم ينادون خلوا عن الشيخ النجيح ثم مالوا على السودان قتلوهم بالحراب وقبضوا على العلويه وقام عقبة كانه العقاب وتأمل القوم وإذاهم كلهم رهبان وعليهم المسوح السود مثل الغربان واخته عاقبة فى أوائلهم مثل الشيطانه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الملعونه لما كبس عسكر الروم ورأت عساكر الاسلام صارت معهم فى الخيام علمت انها عسكر النصارى مايفلحون وعلمت ان لابد لهم مايكسرون فركبت بعض خيل الملك وطلبت الهروب مع الرجال حتى وصلت إلى دير الزيت وإذا هو مثل الحصن الحصين ولهذا طلبوه أكثر المنهزمين ولما علمت انها قد صارت فيه سألت الرهبان عن اخيها عقبة وعن الأمراء فقالوا ماعندنا من هذا خبر فقالت ولا وصل اليكم شرشيطا فقالوا لها شرشيطا ماخرج الليله من الدير فلما سمعت ذلك علمت ان أخيها وقع فقالت وحق المسيح مادبر على أخى إلا بعض شياطين المسلمين وأخذوه وخلصوا الأمراء المأسورين ثم انها قامت فى الدير إلى الصباح وقد خرجت من الدير ورأت الروم قد كسروا وتموا فى هزيمتهم وقد تلقتهم المجاهدين وخليت خيام المسلمين من الابطال أجمعين وقد نظرت إلى ذلك فلبست الملعونه زى العرب وتلثمت ودخلت الخيام وقد رأت أخوها والبطال يعذبه ويضربه فبقت مثل الحبة على المقله وقد بقت واقفة إلى أن أتت السودان للبطال من عند الأميره وأخبروه بما قد طلبت المشاوره من أمر فتح القلعه كما ذكرنا وقد عرفت الملعونه عاقبة ان المسلمين مايعودون تلك الليله وقد عادت الملعونه مثل البرق الخاطف إلى الدير وأعلمت الرهبان وقد أعلمتهم أيضا بخبرها وخبر أخيها وأطمعتهم فى النهب والمال وقداتوا معها وكبسوا السودان فوجدوا فى الخيام شىء مايقدروا على حمله ولم يمكنهم القعاد ولا المقام خوفا من عودة عسكر الاسلام والتقت عاقبة باخيها عقبة كما ذكرنا وكانت أم الشريف بكار أرادت قطع يده فلما هجموا الرهبان على العبيد وقتلوهم وجرى ماجرى وتحقق الملعون ذلك فأول مافعل الملعون ذبح بنت الأمير طوق التى كانت بقيت من أخوتها وهى سبب الفتنه التى جرت لانها كانت حلت الاميره من الكتاف حتى جرى ماجرى وتقدم إلى أم الشريف بكار وعرفت أخت عقبة بما فعلت أم الشريف بكار وكيف أحوجت السودان حتى غزغزوه بالمسله وكيف أرادت قطع يده فلما سمعت أخته ذلك قالت وحق نعمتك يا أخى ان القتل لهذه العجوز استر فقال عقبة فى خاطرى اقتلها فقالت اخته لاتقتلها فقال لها نظرى مافعل معها ثم انه تقدم الملعون اليها فورعينها وقطع انفها وشفتيها وقال لاخته أطلعى بنا إلى القلعه الساعه حتى ابصر من سلم فان قلبى عليها ثم انه ساز هو واخته وقد لبست زى

الرهبان وهو كذلك وقد جاز على ساحل البحر وسار هو واخته تحت القلعة فى زى الرهبان وهم طالعين فاختلطوا بهم وقال لاخته الحمد لله الذى خلصنا ومن علينا بالخلاص والا كانوا هؤلاء الشياطين اهلكوا هؤلاء المساكين الليلة وكانوا اخربوا بيوتهم واخذا عند ذلك قلعتهم وما هذا كله الا فعال البطال الندل المحتال ولم يزالوا مع السودان حتى طلعوا وصعدوا الى الجبل ونددوا من الباب ورأوه مفتوح والبوابين لهم فى الانتظار فدنا عقبه من البوابين واعلمهم بالقصه وعرفهم بنفسة وقال للبوابين ويلكم اغلقوا من ورائهم الباب الثانى وارموا المشط والا ملكوا القلعه وقتلوا كل من فيها وقطعوكم قطع وقد سلمتم الليلة من شرهم وبلاهم فاسبقوا إلى الباب الثانى وارموا عليهم المشط ففعلوا البوابين ما امرهم به عقبة اللعين وقد تارت البوابين من الفزع والجزع وجرى من الحديث ماجرى والحديث الذى ذكرناه والتقى عقبه بالملك وحذره كما وصفنا ولما سمع الملك كلامه وعرفه فقال الملك أيها الشيخ النجيح ومما تحذرنى ولما اغلقتم الباب فى وجه رهبان دير القدرة فقال اللعين عقبه واين ياملك رهبان دير القدرة وماهم رهبان دير القدره هؤلاء شياطين الانس والجان الذين فتحوا بحيلتهم البلدان والمدن والقلاع ولولا خلاصى كان ملك المكان فى هذه الليلة فقال الملك أيها الشيخ على من تعنى فقال عقبه اعنى عن الاربعين راهب الذين يريدون ان يلقوكم فى المصائب والنوائب والعجائب والغرائب ويطيرون رؤسكم عن المناكب فقال الملك ياويلك ماهؤلاء الذين يدعون على المسلمين بالغرق والطوفان ويهلكوهم قبل نزولهم من هذا المكان فضحك الملعون عقبه من كلام الملك ضحكا عاليا وقال له أيها الملك ما هذا الهذيان فقد تم على وعليكم البارحة منهم شرشيطا الراهب راهب دير الزيت ولولا عناية السيد المسيح ما كنت ياملك رأيتنى وانى قد ضربت حتى اشرفت على الموت وهذا الراهب الذى بجنابك من هو فقال هذا خادروس راهب دير القدره فقال له وهل عرفته جيد المعرفه فقال الملك وحق المسيح اعرفه فقال الملعون عقبه واى معرفه عرفت ياابلم لولا أنا لكان ارماك فى الحفرة ويكون عليك وعلى اهلك ليلة ميشومه أيها الملك افتح عينك واصحى لروحك هذا آفة الزمان ومخرب البلدان وذابح القسوس والرهبان والمصور فى كل مكان والعامل فى تبطيل دين الصلبان الذى بحيله تخرب القلاع والحصون وتفزع منه الآباء والجدود واى مدينة يدخلها يصبح صاحبها مقهور الذى اخنى النصارى وذبحهم وهذا الغلام الصغير الذى هو ازرق العينين الاشقر الذى سمى روحه البارحه الراهب شرشيطا وفعل بنا ذلك الفعل المنكر ولده الحصين ابليس زمانهم فقال الملك وقد تحير من هذا الكلام وماهم الرهبان فقال عقبه هؤلاء كلهم سودان شجعان اقران فرسان ومعهم امرأة يقال لها الاميرة ذات الهمه قد هدمت بيوت الروم واسمها فاطمه بنت مظلوم التى هى مقدمة هذا العسكر وأما

هذا خادروس فهو البطال المحتال وقد صدقك ومن اسمه احذرك وهو الذى معه ولده الذى أتى البارحة وخلصه وأهدى اليكم قرعة الزيت والليله أتوا يأخذوا القلعه ويفجعوك بفجعة وأى فجعه لولا قدومى اليك يا ملك فاقبض عليهم وأهلك من بقى بين الاصوار والا ملكوا هذه الديار هذا كله يجرى وأبو محمد البطال يتعجب من خلاصه ومجيئه فى هذا الوقت الضيق وقد بلغت اللقمة الفم وقد بقى حائر ولم يدرى ما يكون جوابه فقال له البطال ياشيخ لاتفعل ولا يحملك ما رأيت فى دير الزيت ولا تحسد الرهبان حيث ماقدرت تبلغ من منزلتهم فتعمل على هلاكهم حتى انك تتقدم وتصير صاحب الدير حسدا منك وتنال اكتساب الدنيا وتترك الآخره وأنا وحق المسيح مابى روحى لأننى شيخ كبير وقد شبعت من الدنيا ولكن مابى الا كيف تتقلد بدم اربعين راهب وتلقيهم فى المصائب لاجل التقدمة ونيل المطالب وطمعك فى حطام الدنيا فلما سمع الملك كلام البطال داخله الشك وصدق البطال وانطلى عليه المحال وأراد أن يقبض على الملعون عقبه شيخ الضلال ومعدن الكفر والفجور والمحال فصاح عند ذلك الملعون عقبة لاتفعل أيها الملك هذا الهذيان من هذا العيار الشيطان فتصبح ديارك فيها البوم والغربان فقال الملك ما الدليل على ذلك ان هذا الراهب ماهو خادروس ابن سمعان وان هؤلاء الرهبان كلهم سودان من عسكر الإسلام فقال اللعين عقبه الدليل على ذلك انك تصيح على الذين بين الصورين وتسألهم عن حاجبك ادارس الذى أرسلته معهم ومع غلمان هذا الشيطان فان أجابوك فاعلم انى كذاب وإن لم يجيبوك فاعلم انى على الصواب واقبض على هذا العيار المحتال الشيطان حتى تأمن على روحك وعلى أهلك وعلى قلعتك من الهلاك والبوار فعندها أمر الملك بعض غلمانه أن ينادى بحاجبه ادارس فأشرف الغلام من أعلى البرج ونادى يا ادارس فما أجابه أحد فأجابته الاميره ذات الهمه وهى ماعندها خبرة بما جرى من الملعون عقبه ولم سكتت لانها اذا كانت سكتت لكان أحسن لكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا اما حاجب الملك فانه مقبوض عليه وما نطلقه الا لما تفتحوا لنا الباب وتطلقوا سبيلنا (قال الراوى) فكان هذا الكلام من الأميرة لانها لم تعلم القصة التى جرت ولا المجادلة بين البطال وبين عقبه ولم تعلم باطن القصة بل ظنت انهم مافعلوا ذلك بهم الا وقد علموا بهم انهم مسلمين هذا (ياساده) فلو مغمغت فى الكلام وقالت افتحوا وادى الحاجب وتكلمت على لشان الحاجب لكان انطلى على الملك وكان قد قبض على عقبة شيخ الضلال وكان قد صدق قول أبو محمد البطال ولكن الاميره ذات الهمة عكست فى الكلام فعند ذلك عاد الرسول وأعلم الملك بما قالت الاميره فصدق الملك قول عقبة وذهب عنه المحال وتيقن حقيق ان خادروس هو أبو محمد البطال وان الراهب شرشيطا هو ولده الحصين بن البطال فأمر بالقبض عليهم الاثنين وهو متعجب من هذا الحديث كيف

انهم يغيرون أحوالهم والملك حائر فى حالتهم (قال الراوى) ولما أمر الملك بالقبض على الذين بين الصورين وقال افتحوا عليهم الباب واخرجوهم إلى بين يدى حتى أضرب من هؤلاء الرقاب فزعق عقبة عليهم انت مغفل أيها الملك لاتفتح الباب فيفنوا بطارقتك والأصحاب ولوكانوا بعدد الحصى والتراب ويتركوهم رؤس بلا أبدان فضحك الملك وقال لاتقل ياشيخ هذا المقال فنى هذا الحصن بطارقه ماهم مثل من تقدم ولا رأيت لهم مثيل فى سائر الامم لانى قد ادخرتهم لشدائدى وأعددتهم لاوابدى ولوان واحد منهم قادر ان يلقى الاربعين لفعل فقال عقبة وحق المسيح ياملك ان أنت خالفت مشورتى ولم تقبل نصيحتى لندمت حيث لاينفعك الندم وترى أصحابك يذبحون ذبح الغنم لانى أنا أخبر بالقوم من كل احد لاسيما وفيهم هذه العجوز العاهره ذات الهمة التى قد أخربت بيوت النصرانيه ان كان فى قومك من يلقى الاربعين فارس فى الميدان فهى وحدها تلقى ألوف ياملك لاتكون مغفل فقال الملك والرأى عندك أيها الشيخ النجيح فقال عقبة الرأى عندى ياملك أن تقعد أنت وجندك فوق الصور وتضربوا القوم بالاحجار من هذا الوقت إلى ان يتضاحا النهار فاذا قتل بعضهم بالاحجار وبقى ياملك البعض فتحنا بعد ذلك الباب ونكون قد بلغنا المراد وانا أعلم ان الذى يبقى منهم مهشم مكسر ولا يقدر يمنع عن نفسه ولا يدفع بمشورتى ياملك المباركه فقال الملك وحق المسيح ماأخالف لك قول ولا مشوره لانك انت أخبر بهؤلاء القوم الشياطين ثم صاح الملك بعد ذلك فى بطارقته وجميع من فى القلعة وصعدوا على الاصوار فقال لهم الملك ارموا على هؤلاء الاحجار فهنالك أرموا على المجاهدين الاحجار فلما نظرت الاميره ذات الهمه علمت ان كل من معها هالك لامحاله فقالت كلمة لايخجل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فقال لها مذبحون الرأى عندى انك تفعلى أنت وأصحابك ماأقول لكم عليه والا مايصبح منكم أحد الا مقتول فقالت وماالذى نفعل يامذبحون وهذه الاحجار نازلة مثل الامطار فقال مذبحون مادام أنتم قيام مايبطلوا رمى الاحجار ومافى الامر ان كل واحد منكم يصيح ويقع تحت درقته ويسترها مهجته ويلم ركبته إلى عند رقبته فلعل إذا روا وأمنا ذلك أن يقلوا عنكم ذلك البلاء ويظنوكم قتلى وأما أنا الساعه أطلع اليهم وأتسلق مثل الثعالب واختلط بهم وأبصر ايش أعمل وادبر قبل الصباح ان شاء الله تعالى (قال الراوى) فلما سمعت الاميره كلام مذبحون علمت ان مافى الامر غير هذا فأعلمت أصحابها بما يصنعون وأمرتهم بما قال مذبحون فكان الواحد يلتقى الحجر بدرقته ويصيح ويقع ولا يرجع يتور بعدها وعقبه (ياساده) يضحك ويقول وحق المسيح لقد عملت على قتلهم لانها قتلة ميشومه وقد انطلى عليه وما كنت أريد موتهم هكذا الا بعدما أصلبهم وأعاتبهم ولكن جاء الامر بخلاف

رحمهم المسيح (قال الراوى) ولم تكن الاساعه حتى هدى حس الجماعة ومابقى فيهم من ينطق وقد تيقن عقبة انهم قد هلكوا فقال آه كان فى خاطرى وأشتهى حتى يعلموا انى أنا الذى دبرت عليهم هذا التدبير وبعد هذا غدا أصلبهم على القلعه وانكانت هذه العجوز السوء بالحياة فانها مثل القطط بسبعة أرواح وأقول لها أين الذى ذكرتى وولدك والبطال من صلبى ثم تقدم إلى الملك وقال أيها الملك بلغنا الساعه المقصود وهلكوا أعدائنا مثل هلاك عاد وثمود وان كان قد بقى منهم رمق فغدا نصلبهم وعلى أبراج القلعة نعلقهم قبال أصحابهم ثم ان الملك أمر أصحابه ان يقلوا عنهم رمى الاحجار وان يريحوا أرواحهم فمسحوا أيديهم عن رمى الاحجار وريحوا أنفسهم من رمى الاحجار مادام المسلمين كذلك وقد هلك خمسة من السودان والباقى متوهنين من الاحجار إلا انهم سالمين من القتل ومافيهم الامن وقع فيه الحجر والحجرين وكذلك الاميره وقع فيها حجر ومابالت منه (قال الراوى) هذا جرى وأما الملك طرطوش فانه عاد إلى داره وعقبه معه وهو فرحان بما عمل وأكثر فرحه بأخذ البطال وولده الحصين وانه قال ان هذا الشيطان وولده أشد علينا من كل انسان وأريد ان أعذبهما وبعد ذلك نحتفظ بهما بعد الاستيفاء نرى لهما فما خلصت من هذه النوبة حتى خدعت أصحابهم وخلصنى المسيح وما فعلت هذا كله يامسيح إلا من أجلى وأريد أشتفى من ضربهم وأبلغ الآمال من عذاب البطال وولده الحصين فقال الملك وقد سمع المقال افعل ياشيخ ماتريد من الفعال ثم إنه قال للبطارقة احضروا إلى البطال وولده فأحضروهم إلى بين يديه فلما رآهم عقبة ضحك وقال وقعتما ياملاعين فى الانحصار وكنتما أيشم الأطيار ولكن صار لكم علينا تار وحق لانكما صرتما رهبان دير القدرة فلا بد من هلاككما الليلة فى كره وأتركها عليكم ليلة مرة فقال البطال ويلك لاكتب الله عليك سلامة كيف خلصت من السودان فقال له عقبه خلصت بحيلة لايهتدى اليها الجان لأنى ألقيت روحى إلى الأرض وتماوتت وأرادت العلويه إنها تقطع يدى فأتت أختى عاقبة وخلصتنى وقتلت أنا السودان وقمت ذلك الوقت إلى النسوان وتركتهم رؤس بلا أبدان وشوهت بأم الأبكار وتركتها عبرة للنظار وحدثه بما عمل ووصلت رأيت ذات الهمة ومعها السودان وهم فى زى الرهبان ففعلنا بهم ما رأيت من الهوان وأول مارأيت ذات الهمة وقعت إلى الأرض والصخرة فوقها قامة مثل قامة الإنسان وما بقى الليلة فى قلبى حسرة إلا بمقدار ماتلحق أنت بهم وهذا ولدك الابن ألف قرنان حتى أحرم أحداً منكم يدخل فى زى الرهبان ثم إن الملعون مد البطال وضربه وفعل بالحصين كذلك وقال للملك أبصر الساعة إلى من أسلمهم اليه وانظر من يحفظهم وإلا خلصا فقال الملك وقد عجب من هذه القصة ابشر أيها الشيخ النجيح فما لهم خلاص من

قلعتى ولو كانوا مطلوقين لأن المكان كما ترى حصين ثم صاح ببعض حجابه وقال له ياقلنباص تسلم هؤلاء فأجابه بطريق أشقر معطر مشعر نازل على أقدامه والنار تخرج من عينيه فقال يامولاى السمع والطاعة أين تشتهى أتركهما فقال فى مطمورة وخذ معك عشرة وتوكل بهما وإياك أن تتم عليك حيلة من هذا الشيطان فيأخذ رأسك من بين أكتافك لأننا جرى علينا الأهوال من عيارة البطال وقد سمعنا من هذا الشيخ عنه أشياء لايصفها لسان وهذا يدل على أنه شيطان فقال قلنبـــاص طيب قلبك أيها الملك السعيد من هذا الوجه فبعد ما أستلمـه أنا مابقى يرى فرجا أبدا ثم ساقه بين يديه وهو فى تلك الحـالة وساق ولده معه وهو فى شدة الضرب وقد أشرف على شرْب كاس المنية وأخذ معه عشرة من بطارقة الملك وسار إلى المطمورة التى ذكرها الملك فأنزلهم فيها وفرح عقبة بذلك وبات قرير العين وهو يقول وحق المسيح مادام قد توكل بهما البطريق قلنباص لارجع أحدا منهما رأى بعينه الخلاص ولا كان له من هذه القلعة مناص ليوم العرض والقصاص (ياسادة ياكرام) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره الوضاح قال عقبة أيها الملك أنفذ الساعة بعض البطارقة ويكون معه رجال أنجاب حتى يأتون بالمسلمين من خلف الباب ولا تنفذ إلا رجال أنجاب لا يكون بعض المسلمين فيه رمتى فيكون الذى مضى اليهم غير موفق فضحك الملك من كلام عقبة وقال له ياأبونا إن فى قلبك من هؤلاء المسلمين فزع عظيم ووحق المسيح لو أنهم بعد مادخلوا ماقدروا يسلموا ولا يسلوا فى وجوه بطارقتى سيف خصوصا بطارقة هذه القلعة ولو كانوا معنا ليلة الكبسة ولأجل هذا تم علينا ماتم وبعد ذلك ما أرسل اليهم إلا أفرس بطريق عندى حتى أريك بعينك زى بطارقتى وجندى وتعلم أنى ما انكسرت الا لكونهم كانوا كلهم فى القلعة وما كان معى أحداً من الرجال الأجواد فقال عقبـــة أيها الملك افعل ما بدالك ولا تحمـل همهم فانك مالك بهم معرفة فعندها ادعى الملك ببطريق كأنه الفتيق يقال له كركيوس وكان فى قدر الجاموس وله وجه عبوس وشعر نازل على أكتافه مثل العروس وكان أحظى من عنده فقال له ياكركيوس امضى أنت وخمسين بطريق وأمر البوابين بأن يفتحوا الباب ويشيلوا المشط الحديد واخرج وأتينى بالمسلمين ولا تأتينى إلا بمن فيه روح حتى يبلغ هذا الشيخ غرضه منهم لأنه هو الذى كان السبب فى اعلامنا بهذه القصة ولولاه ماكنا قبضنا عليهم ولكن ما يجب علينا مخالفته لأنه آية المسيح وحجته وقد أتحفنى بابنتـه وسألنى أن أقضى شهوته فقال كركيوس وحق المسيح لاأمضين إلا وحدى بغير سلاح ولا حسام ولو ان الكل فى الحياة قيام على الاقدام لأننى أقول ماهم أقوى من السباع الذى طول عمرى أصطادها بيدى وأفك افكاكها بكفى وسوف ترى الكل

قدامك بدرقهم والسيوف ولو تطلب السودان الذين بين الأصوار فصاح عقبة مثل الحمار ويلك لا تفعل يا كركيوس وتطلق علينا هؤلاء السودان يصبحونا صباح منحوس وتعود أنت بلا راس ولا فرطوس ويبقى كل من فى القلعة أبدان بلا رؤس ويقتلوا كل الرهبان والقسوس ويحل علينا منهم العكوس فقال البطريق وقد داخله الغضب وحق الصليب والناقوس ما أنت إلا شيخ معكوس عليك أنت بقراءة الإنجيل والدروس واترك الفضول فى القيام والجلوس فعند ذلك وثب عقبة إلى الملك وقبل يده وقال له بحق المسيح لا تترك هذا البطريق على رأيه لأنه رجل جاهل بالأمور وأنفد معه من يعينه حتى نأمن غوائل الدهر فقبل الملك هذا المقام وجهز معه خمسين بطريق من خيار الأبطال وخرج معهم كركيوس وهو يقول هذا الشيخ قد خرف وشقت رأسه ولولا هيبة الملك للطمته طيرت رأسه لأنى أرى وجهه علينا ميشوم وقدومه إلى بلادنا أنحس قدوم (قال الراوى) وسارت البطارقة وهى متلاحقة ووقع النفير فى القلعة من كل جانب وجردت الروم القواضب ولما وصلوا إلى الصور أمر البوابين بشيل المشط الحديد وتصايحوا وهجموا فى الباب وازدحموا وما هم إلا أن دنوا من السودان حتى تواثبوا من تحت الدرق وما منهم إلا من وثب وعزمهم أقوى من الأسد وكل منهم زعق وهز صارمه فلمع وبرق وصاحت الأميرة يا أبو سكران وقد تار مثل الأسد الغضبان فنادت دونك وهؤلاء الكلاب فهذا خلاص ما كان لنا فى حساب ونظرت الروم إلى ذلك فجردت السيوف الحداد وحملت تطلب الجلاد فصاح البطريق المقدم على أصحابه وقال ياويلكم ما كذب الشيخ وحق المسيح فى مقاله فما فيكم من يقصر فى قتاله وإلا أرملت عياله وتقطعت أوصاله (قال الراوى) ونظرت الأميرة إلى هذا البطريق فعلمت أنه هو المقدم عليهم فجعلت تطلبه بعزيمتها وهى تفرق البطارقة بقوة صدمتها هذا والصياح قد تار وسطح الصارم قد برق ولمع والقلب قد طار من الفزع وشدة الجزع وأهل القلعة يروا ذلك من فوق الأصوار ولا يقدروا على رمى الأحجار خوفا على أصحابهم لا يموتوا لأن الجمع قد اختلط وكان فى اجتماع أهل القلعة عقبة هو وبطريق يقال له صندروس وكان من مناجيس الروم وقد أتى بين البابين فنظر إلى السودان وهم يتورون من تحت الأحجار وقد علاهم القتام والغبار وهم بتلك الأصوات الموعرة ويضربون فى البطارقة ضربات منكره حتى صاروا فى وسط الحصين فعند ذلك جعل ينادى ويلكم يامعشر النصرانية دونكم والباب فقد عاشوا المسلمين وقاموا من تحت التراب وكانوا الروم كلما رأوا ذلك تكالبوا وتسابقوا إلى الدخول والسودان يضربون فيهم ضرب الفحول ويمددوهم مرضا وطول هذا والأميرة مالها قصد إلا البطريق المقدم على الجميع وقد نشرت بحسامها الجماجم

قلعتى ولو كانوا مطلوقين لأن المكان كما ترى حصين ثم صاح ببعض حجابه وقال له ياقلنباص تسلم هؤلاء فأجابه بطريق أشقر معطر مشعر نازل على أقدامه والنار تخرج من عينيه فقال يامولاى السمع والطاعة أين تشتهى أتركهما فقال فى مطمورة وخذ معك عشرة وتوكل بهما وإياك أن تتم عليك حيلة من هذا الشيطان فيأخذ رأسك من بين أكتافك لأننا جرى علينا الأهوال من عيارة البطال وقد سمعنا من هذا الشيخ عنه أشياء لايصفها لسان وهذا يدل على أنه شيطان فقال قلنباص طيب قلبك أيها الملك السعيد من هذا الوجه فبعد ما أستلمه أنا مابقى يرى فرجا أبدا ثم ساقه بين يديه وهو فى تلك الحالة وساق ولده معه وهو فى شدة الضرب وقد أشرف على شرب كاس المنية وأخذ معه عشرة من بطارقة الملك وسار إلى المطمورة التى ذكرها الملك فأنزلهم فيها وفرح عقبة بذلك وبات قرير العين وهو يقول وحق المسيح مادام قد توكل بهما البطريق قلنباص لارجع أحدا منهما رأى بعينه الخلاص ولا كان له من هذه القلعة مناص ليوم العرض والقصاص (ياسادة ياكرام) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره الوضاح قال عقبة أيها الملك أنفذ الساعة بعض البطارقة ويكون معه رجال أنجاب حتى يأتون بالمسلمين من خلف الباب ولا تنفذ إلا رجال أنجاب لا يكون بعض المسلمين فيه رمتى فيكون الذى مضى اليهم غير موفق فضحك الملك من كلام عقبة وقال له ياأبونا إن فى قلبك من هؤلاء المسلمين فزع عظيم ووحق المسيح لو أنهم بعد مادخلوا ماقدروا يسلموا ولايسلوا فى وجوه بطارقتى سيف خصوصا بطارقة هذه القلعة ولو كانوا معنا ليلة الكبسة ولأجل هذا تم علينا ماتم وبعد ذلك ما أرسل اليهم إلا أفرس بطريق عندى حتى أريك بعينك زى بطارقتى وجندى وتعلم أنى ما انكسرت الا لكونهم كانوا كلهم فى القلعة وما كان معى أحداً من الرجال الأجواد فقال عقبة أيها الملك افعل ما بدالك ولا تحمل همهم فانك مالك بهم معرفة فعندها ادعى الملك ببطريق كأنه الفتيق يقال له كركيوس وكان فى قدر الجاموس وله وجه عبوس وشعر نازل على أكتافه مثل العروس وكان أحظى من عنده فقال له يا كركيوس امضى أنت وخمسين بطريق وأمر البوابين بأن يفتحوا الباب ويشيلوا المشط الحديد واخرج وأتينى بالمسلمين ولا تأتينى إلا بمن فيه روح حتى يبلغ هذا الشيخ غرضه منهم لأنه هو الذى كان السبب فى اعلامنا بهذه القصة ولولاه ماكنا قبضنا عليهم ولكن ما يجب علينا مخالفته لأنه آية المسيح وحجته وقد أتحفنى بابنته وسألنى أن أقضى شهوته فقال كركيوس وحق المسيح لأمضين إلا وحدى بغير سلاح ولا حسام ولو ان الكل فى الحياة قيام على الاقدام لأنى أقول ماهم أقوى من السباع الذى طول عمرى أصطادها بيدى وأفك افكاكها بكفى وسوف ترى الكل

قدامك بدرقهم والسيوف ولو تطلب السودان الذين بين الأصوار فصاح عقبة مثل الحمار ويلك لا تفعل يا كركيوس وتطلق علينا هؤلاء السودان يصبحونا صباح منحوس وتعود أنت بلا راس ولا فرطوس ويبقى كل من فى القلعة أبدان بلا رؤس ويقتلوا كل الرهبان والقسوس ويحل علينا منهم العكوس فقال البطريق وقد داخله الغضب وحق الصليب والناقوس ما أنت إلا شيخ معكوس عليك أنت بقراءة الإنجيل والدروس واترك الفضول فى القيام والجلوس فعند ذلك وثب عقبة إلى الملك وقبل يده وقال له بحق المسيح لا تترك هذا البطريق على رأيه لأنه رجل جاهل بالأمور وأنفذ معه من يعينه حتى نأمن غوائل الدهر فقبل الملك هذا المقام وجهز معه خمسين بطريق من خيار الأبطال وخرج معهم كركيوس وهو يقول هذا الشيخ قد خرف وشقت رأسه ولولا هيبة الملك للطمته طيرت رأسه لأنى أرى وجهه علينا ميشوم وقدومه إلى بلادنا أنحس قدوم (قال الراوى) وسارت البطارقة وهى متلاحقة ووقع النفير فى القلعة من كل جانب وجردت الروم القواضب ولما وصلوا إلى الصور أمر البوابين بشيل المشط الحديد وتصايحوا وهجموا فى الباب وازدحموا وما هم إلا أن دنوا من السودان حتى تواثبوا من تحت الدرق وما منهم إلا من وثب وعزمهم أقوى من الأسد وكل منهم زعق وهز صارمه فلمع وبرق وصاحت الأميرة يا أبو سكران وقد تار مثل الأسد الغضبان فنادت دونك وهؤلاء الكلاب فهذا خلاص ما كان لنا فى حساب ونظرت الروم إلى ذلك فجردت السيوف الحداد وحملت تطلب الجلاد فصاح البطريق المقدم على أصحابه وقال ياويلكم ما كذب الشيخ وحق المسيح فى مقاله فما فيكم من يقصر فى قتاله وإلا أرملت عياله وتقطعت أوصاله (قال الراوى) ونظرت الأميرة إلى هذا البطريق فعلمت أنه هو المقدم عليهم فجعلت تطلبه بعزيمتها وهى تفرق البطارقة بقوة صدمتها هذا والصياح قد تار وسطح الصارم قد برق ولمع والقلب قد طار من الفزع وشدة الجزع وأهل القلعة يروا ذلك من فوق الأصوار ولا يقدروا على رمى الأحجار خوفا على أصحابهم لا يموتوا لأن الجمع قد اختلط وكان فى اجتماع أهل القلعة عقبة هو وبطريق يقال له صندروس وكان من مناجيس الروم وقد أتى بين البابين فنظر إلى السودان وهم يتورون من تحت الأحجار وقد علاهم الفتام والغبار وهم بتلك الأصوات الموعرة ويضربون فى البطارقة ضربات منكره حتى صاروا فى وسط الحصين فعند ذلك جعل ينادى ويلكم يامعشر النصرانية دونكم والباب فقد عاشوا المسلمين وقاموا من تحت التراب وكانوا الروم كلما رأوا ذلك تكالبوا وتسابقوا إلى الدخول والسودان يضربون فيهم ضرب الفحول ويمددوهم عرضا وطول هذا والأميرة مالها قصد إلا البطريق المقدم على الجميع وقد نشرت بحسامها الجماجم

والقمم حتى صارت معه وهاجمته فرأته شيطان مريد وجبار عنيد فثبتت قلبها وذكرت ربها وصاحت فيه فاندعر وضربته وإذا برأسه انتثر ولما وقع البطريق وقع الفناء فى عبدة الصلبان (قال) وقد سمع عقبة شدة الصياح والضجيج فقال للملك قم أيها الملك الساعة واركب فى جميع الفرسان وإلا مالك منك المكان فضحك الملك من كلام عقبة وقال له وحق المسيح كلما كبر الإنسان تشوش عقله وتغير هندامه ياشيخ دع عنك هذا المقال فهذه الضجة على من يفنى من تلك السودان وكركيوس قد ساقهم بلا شك بين يديه وهذه الضجة عليه فهو معه فى الكلام والبطريق صندروس قد وصل ونادى أيها الملك قم من مكانك اركب أنت وفرسانك وإلا الساعة يخرج مخك من أذانك فقال له الملك وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه ويلك ما الخبر ياملعون وايش هذا الكلام الذى ماينكلم به إلا كل مجنون فقال أيها الملك السودان قد عاشوا بعد ماعملنا بهم البارحة تلك الفعال فبادر إليهم قبل أن يخرجوا من الباب ويقطعون الرقاب فقال الملك وأين البطريق كركيوس فقال طارت رأسه مع جملة الرؤس فقام الملك وهو فزعان وصاح فى غلمانه وطلب الصياح وأقبل عقبة ينادى بين يديه يامعاشر النصرانية قوموا للجهاد وقاتلوا عن الحريم والأولاد (قال الراوى) وما وصل الملك إلى المسلمين إلا وقد ملكوا باب القلعة وأهلكوا المشركين وما قتل منهم إلا القليل وسمع الأميرة تنادى فى السودان إن ملكتم الباب فانصحوا فى القتال واقصدوا موضع الأبراج وقد بلغنا الآمال ونرفع أصحابنا بالحبال وكلما سمعوا السودان ذلك الكلام دعسوا فى الأبطال وحملت الرجال على الرجال ونظر الملك الاهوال وصدق عقبة فى المقال وقال لقد كان الرأى مع الشيخ النجيح ولو كنا قبلناه وفتحنا الباب والآن فقد قتل كركيوس الذى كان سيفى القاطع فقال عقبة احمل بمن معك فى هذه الساعة إن كنت إلى قلعتك محتاج فصاح عندها الملك فى رجاله وقد اغتم على قتل البطريق فتلقتهم الأميرة بقلب ملآن تقوى وإيمان وأشعلت النار الحرب وقتل من السودان ستة أنفار وانتصف النهار وقتل من المشركين ثلاثين بطريق ونادوا بالانفصال وملكت الأميرة برج من الابراج الذى للصور الجوانى ونادت دونكم وهذا الباب أكسروه فكبرت الاميرة ذات الهمة ودخلت ومعها السودان وصاروا فى أعلاه ونصروا إلى ظاهر القلعة فنظروا اعسكر المسلمين حيارى قيام (قال الراوى) فعند ذلك لما سمعوا الاميره تكبر كبروا السودان كذلك فقال الامير ظالم أصحابنا سالمين بحمدالله فعندها رفعوا أصواتهم بأمر الأمير ظالم بالتكبير والصلاة على البشير النذير لتقوى بذلك قلوب أصحابهم فعندها كبرت بنى كلاب باسم الكريم الوهاب (قال الراوى) وكان الامير ظالم قد نظر ذلك اليوم عقبة على الصور وهو يصيح فى الروم ويحرضهم على القتال فقال للسودان الذى أتوه واخبروه انه مات أنتم تقولون رأيتموه فى

حالة الأموات فقالوا والله أيها الأمير ماتركناه إلا مثل الخشبة اليابسة وماندرى كيف رجع عاش فقال ومن خلفتم عنده فقالوا خمسة من أصحابنا وبنت طوق وأم الشريف بكار ثم اضاف لهم جماعة من بنى كلاب وانفـــذه يكشف له الاخبار ويأتى بالخيام الأولى التى دخلت معهم إلى هذه الديار (قال الراوى) هذا والملك قدبات فى غاية الادبار مما جرى على أصحابه من المسلمين الابرار وعقبه يقول يامولاى قد عرفتك من الأول ان هؤلاء القوم هم أشر الخليقـة وأنت ماتسمع منى وما كنت أريد انكم تفتحون الباب والعجلة منكم كانت والالو بقيوا هؤلاء بين الصورين يومين أخر كانوا أذل وأحقر وكان الجوع قد اضعف منهم الأبدان والسمع والبصر وكنت أنت قد بلغت منهم مايسرك فقال الملك ياشيخ دعنا من هذا فوحق المسيح ما كانت طلعتك علينا إلا ميشومه ولاوصلت الينا الافى ساعة مذمومة ولولاك ماقتلت ابطالنا وقد اشرفنا الآن على الاخذ وأخذ قلعتنا وسبى حريمنا فقال عقبه لاتفعل أيها الملك فهذا كله بقضاء السيد المسيح وقدرته وان الخلاف شوم فخلى عنك هذا الكلام وارجع الى ماأقول ففيه صلاح مهجتك فقال الملك وكيف ذلك وقد ملكوا علينا باب البرج وشاركونا فى القلعه وهذا من حسن سعادتهم وعجيب الانفاق وكان الأمر علينا قد اقترب وانما لما يريد المسيح من سعادتهم وقعوا فى برج السلامه (قال الراوى) وكان لهذا الملعون فى القلعه على الباب برجان برج يقال برج السلامه وبرج يقال له برج الهلاك والعطب وهـذه القلعه كان قـد اصطنعها حـــكيم يقال له اقليدس المهندس احتراز على ذلك المكان من الاعـداء وكانت الحـكمة له فى برج اللوالب وهـو برج العطب لأنه ترك فى وسـطة جبال من الأحجـار وعمـل فى اعـلاه رخامة من المرمر الصـافى تخينـة الوسط خفيفة الأطراف وثيقـه وبوسطهـا سهمـا من الحـديد يدور لوالبهـا وركبها من أعـلا البرج بتركـيب اعتدال وكان كل من يراها يظنها مثل سائر الأبراج وإذا طرح عليها شىء من الثقل ولورطل واحـد لاتقر حتى تنقلب ويصير فوقها تحتها وتعود إلى مكانها وهى بهندام دقيق رقيق قد صنعت فى ساعة توفيق وكانوا أهل هذه القلعة إذا نزل عليهم عدو وجرى مثل ماجرى عليهم من المسلمين لزموا الحصار فى برج السلامة وتركوا ذلك البرج خاليا من الرجال حتى يقع العدو ويطلب أن يملكه فيهلك بحكمته وان الحـكيم الذى صنعه هو الذى صنـع دير الزيت وتركه بعدة مكامن الرهبان (قال الراوى) وعدنا إلى سياقة الحديث وان المسلمين لما يريده الله من سلامتهم وسعادتهم طلعوا فى برج السلامة من غير معرفة ورأى الملك ذلك فتعجب وحدث عقبة بصفة الأبراج وقال الساعة قد شاركونا فى قلعتنا وأنا أعلم أنهم يأخذون من من عند أصحابهم مايشتهون من الطعام والشراب وربما رفعوا منهم قوماً آخرين يعاونونهم

على الطعان والضراب ونهلك نحن ويحل بنا العذاب والساعة ياشيخ أسألك عن المسلمين كلهم هكذا مثل هؤلاء الأربعين وإلا ماهم مثلهم فقال له عقبة اللعين اعلم وتيقن أيها الملك إن المسلمين الموحدين ماهم مثل هؤلاء بل أيشم وأشر وأدهى وأمر وأقوى وأظلم ولا سيما ابن هذه العجوز الأسود الأدهم الذى يقال له عبدالوهاب أسود بنى كلاب لأنه قد أذل بفروسيته أهل الأرض وتركهم مثل الكلاب ومعه سودان وعربان لا يصلحون هؤلاء الذين تراهم أن يكونوا لهم غلمان فلما سمع الملك كلام عقبة اصفرلونه وقال له وحق المسيح هكذا ملك هذه الأرض وصاحبها الذى هذه القلعة من بعض سواد بلاده وما فى الارض أشد منه ومن أولاده وهو الملك الاكبر شمخولص وهو صاحب البحر الاخضر وجزيرة الحائط وحصن القمر الذى قد حضر السيد المسيح أرضه بنبات شجرة الكافور وملكه صاحب العنبر وفى أرضه دير النذور الذى يريد المسيح عيسى ابن مريم فيه الظهور ويعيد الخلق الى عبادته فقال عقبة وقد اندهل من تلك الصفات أيها الملك كل هذا الامر عجيب وأريد منك أن تبين لى هذا القول الذى تقوله وتعرفنى إيش يكون المعانى فى قولك دير النذور فقال له اعلم أن المسيح أوعدنا أنه ينزل إلى هذا الدير والروم كلهم قد عرفوا هذه الامور وهم الذين أخبرونى بذلك الكلام وهم له فى الانتظار والذى أخبرهم بهذا القس الكبير مرقولا ابن مرتقولا وأما ملكنا الملك الاكبر شمخولص فانه كان معولا على الغزو والخروج إلى بلاد الإسلام ونحن كلنا كنا له فى الانتظار حتى انه يأتى إلينا ويعبر ونمضى معه إلى الجهاد والساعة فما أدرى ماهو الذى عاقه وأقول ان القس مرقولا قد عوقه حتى لا يهلك الطائفة النصرانية إذا أنه أهلك الملة الحنيفية فقال له عقبة وقد أعجبه ذلك الكلام وفى كم يكون هذا الملك مقدار عدد عسكره فقال له ياشيخ اعلم أن عدد عسكره مايقع له حساب لان له اثنا عشر ولد وكل ولد منهم مقدم على ماتتان ألف وانه لو خرج بعض أولاده لاخذ القسطنطينية من أهلها وفتح الارض وسهلها وأعاليها وجبالها فقال عقبة الساعة يجب علينا ان نحن سلمنا من هذا قصدنا إلى هذا الملك وأخرجته وكل من معه وتفتح له البلاد وأنا أملكه رقاب العباد بعلمى وتدبيرى وحيلى ولكن أدبر قبل كل شىء فى أمر هؤلاء الشياطين وارسل إليهم النفاطين والنقابين حتى يقورون البرج ويضربون النار ولا يصبح منهم ديار فلما سمع الملك منه ذلك الكلام قال وحق المسيح ماأنت إلا صاحب تدبير وما أظن أن أحدا يهتدى إلى هذا ثم ان الملك ادعى بألف بطريق وفتح لهم خزائن النفط واخرج لهم كلما يحتاجون إليه وادعى بالنقابين وقال أريد الساعة تدخلون تحت برج السلامة وتنقبون من أسفله ثم تضربوه بقوارير النفط حتى تلتهب الاخشاب والعتاليق ويهلكون هؤلاء الشياطين المسلمين بالنار والحريق فقالوا السمع

والطاعة ثم أخذوا المناقب والمعاويل والنفط والنار ودنوا من البرج ونقبوا من كل جانب ومكان والمسلمين يهللون ويكبرون وللصباح ينتظرون وهم بالنقب لا يعلمون إلى نصف الليل وقد نقبت أربع جوانب البرج وبقى معلق على الخشب والحطب وأنقب البرج واستمرت النار من كل جانب ورأت الأميرة إلى ذلك فأيقنت بالمهالك وقالت للسودان ياويلكم خوضوا النار وقفوا على الأحجار فكل هذا من تدبير عقبة الغدار فعند ذلك فعلوا أصحابها ذلك وارموا أنفسهم إلى المهالك والصياح عليهم قد ارتفع والدخان قد اعتكر وطلع ولم تكن إلا ساعة حتى ردم البرج على النار وقد احترق تسعة من السودان وأخذوا منهم اثنى عشر أسير وسلمت الأميرة وطلعت إلى وسط الحصن فى ثمانية أبطال ولما رات الأميرة إلى البطارقة حملت عليهم هى وأصحابها وكلهم يصيحون يامعشر الروم مابقى غير هذه المرأة التى يقال لها ذات الهمة وهى التى قتلت البطريق كركيوس وضربته تلك الضربة فدونكم وإياها حتى اننا نسقيها كاس فناها ولما رأت الاميرة ماحل بأصحابها قاتلت قتال من أيقن أنه يصيبه مثل ذلك المصاب وصارت كل من هجم عليها تضربه وتكبر الملك الوهاب والشيوخ يتعجبون منها والشباب وسيفها كل ماوقع على عاتق طلع من العلائق وكلما وقع على صدر قطع إلى خرزة الظهر وان ضربت يمين طلع من اليسار والظلام يسترها والاعتكار حتى انكشف الرجال قدامها وتراجعت من مضارب حسامها ورأى الملك ذلك فقال لهم ويلكم ماحالكم هذا فزعكم من امرأة وقد قال الشيخ النجيح انها عجوز كبير ضعيفة فلو كانت صبيه كيف كان يكون حالكم معها فقال له صندروس البطريق انزل أنت أيها الملك إلى هذه المرأة حتى انها تودبك المقبرة ولا تحوجك إلى مرهم ولا إلى مزوره لأن لها ضربات موفره وما تقتل إلا خمسة وعشرة عشرة (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامه اسودت الدنيا فى عينيه وسل حسامه وعول على الحملة على الأميرة فقال له عقبة وحق المسيح هذا أنا ما أمكنك منه أبدا فالزم سلطتك واترك غلمانك يخرجون قدامك وتأن فى أمورك وإلا وحق المسيح إن برزت لها فهذه هى تكون آخر ساعتك فى الدنيا وأول ساعتك من الآخرة ولكن أهلكها كما هلكت أصحابها وأمر أصحابك أن يضربوها بقوارير النفط وقد هلكت هى ومن معها (ياسادة ياكرام) فسمع الملك مقاله ودعا بطريق من أصحابه وقال لهم خذوا قوارير النفط بأيديكم واضربوا بها وجوه المسلمين عسى تهلكوهم كما أهلكتم أصحابهم الأولين ففعلوا البطارقة ذلك وكان أول من تقدم بطريق يقال له تمليخا وكان صانعا فى رمى النار وهو عظيم الخلقة جبار وأخذ فى يده قارورة وقصد الأميرة وهو يقول للملك إن أحرقتها

ايش تعطيني فقال له أعطيك وزنها ذهبا ففرح البطريق بذلك فرحا شديدا وصاح بالأميرة ورفع يده بالقارورة حتى بان سواد ابطه وضرب بالحبل والقوة فلهبت فى الهوى ورأت الاميرة ذلك قفزت إليه أسرع من المنجنيق إذا دنى وأخذتها بكفها وقد صلت على محمد المصطفى وضربت البطريق بها فاشتعلت فى ذقنه مع وجهه وصدره ومات لوقته فقال الملك ماقصر تمليخا وحق المسيح فانه قد طمع فى أخذ المال والذهب فاحترق والتهب وما هذه المرأة فى هذا الزمان إلا أعجوبة من عجائب الزمان .

﴿ تم الجزء السادس والستون ويليه الجزء السابع والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف
علي بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمي وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السابع والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال) وقد تقدم بطريق إلى أبو سكران وضربه بقاروره نخطفها قبل ان تصل اليه وضرب بها خصمه فعملت فى جانبه فاحترق بقارورته واحرقوا الثمانيه الذين مع الاميره ثمانيه من البطارقة وعقبه يقول جودوا عليهم ياعباد المسيح ومن مات فأنا أقبله وأعطيه قصر فى الجنة واليه أنقله (ياساده) وبطل تلك الليلة ضرب البتار وكان ضرب القوم بالنفط والنار وكلما وصلت قاروره المجاهدين يردوها فى وجوه المشركين فتشعل فيهم والملك يرى هذا الأمر ومرارته تنفطر وبطارقته تحرق فقال الملك ياقوم كفوا عن هذا القتال فما أنتم فيهم رابحين لأن هؤلاء الشياطين خطافين فلاستر عليهم المسيح ولارضى عن الشيخ النجيح كما قد أتانا بمن ليس لنا بهم طاقه ثم أتى اليه وقال له ياشيخ انظر ان كان عندك رأى آخر غير هذا نملك به أعداك فياليت انك ماأتيت الينا ولارأيناك فقال عقبه هل تعرفون عندكم الاوهاق فقال نعم نعرفها ولكن فى الميدان فقال عقبه مابقيت تقدر عليهم الابهذا ولالهم غيرها ارموا الساعه عليهم مائه وهق وقد بجبتموهم بها سحبا وأخذتموهم غصبا فقال الملك افعلوا ما قال فعسى ان نخلص من هـــذا الوبال ثم فتح خزانة أخرى وفرق عليهم الاوهاق وكان الصباح قد بدا بالاشراق والمسلمين يكبرون الملك الخلاق ويصلون على صاحب البراق وقد زحفوا هؤلاء اليهم وصاروا يلقون الاوهاق عليهم والمجاهدين قد قطعوها بالسيوف ومزقوها وصاروا يضربون رؤسهم ويحلقوها والملك وعقبه يحرضان الرجال ويصيحان فى الابطال وقدضج كل

من فى الحصن من النسوان والشيوخ والشبان ودام الأمر كذلك حتى تضاحا النهار وملوا المسلمين عن المدافعه وقد وقع بهم الانبهار وقتل منهم اثنان بالسيوف والأحجار واثنين بالاوهاق وبقيت الأميره وأبو سكران ورجلان آخران من السودان وعلت عليهم الاصوات من كل جانب ومكان وقد أتتهم الأحجار من أكف النساء والغلمان ورأوا الهلاك والقتل عيان فقالت الأميره لهم وقد أشرفوا على التلاف وتلمت فى أيديهم الاسياف ياويلكم دونكم وهذا البرج العالى حتى نصل اليه ونأخذ الراحة قليل ونعود إلى الجهاد حتى نلقى ما لقيوا أصحابنا من الصوارم الحداد ولا يعاتبونا فى اللقاء بعدهم يوم المعاد (قال الراوى) فعاد أبو سكران والرجلين الباقين معهم والأميره تضرب بحسامها فى عبدة الصلبان حتى انهم تكشفوا من خلفهم ووقعت الرقة فيهم من شدة الفزع وقد عاينوا فى ذلك اليوم هول الهلع وبان للمسلمين طريق المطلع وما صدقوا ان يروا الطريق وقالوا انهم خلصوا من العطب وكان ذلك البرج برج اللولب فلما حصلوا فى أعلاه فقال الملك بلغنا الساعة المنا كانكم بهم وقد وقعوا فى البلاء فما تم الملك كلامه حتى سمعوا ضجة عظيمة والأمراء قد انقلبت بهم الرخامه وحصلوا تحتها علو عشرين قامة فهنالك ارتفعت الضجات وضربت البوقات وسمع الامير ظالم ذلك هو وبنى كلاب فقالوا أخذت الاميره أو قتلت ثم بكوا على الهالكين وقد وقع النوح فى جيش الموحدين وهم لا يقدرون على نفع ولا ضرر وفرح عقبه بذلك فرحا شديدا وقال فى نفسه لو ضرب الساعه الملك رقبتى ما باليت بعدما بلغت المنا ثم انه صعد مع الملك إلى أعلا البرج ووقفوا البطارقة بالسيوف البارقة وقال الملك شيلوا الرخامه وابصروا من بقى من هؤلاء الشياطين فى السلامه ففعلوا ذلك ونادوهم فجاوبتهم الاميره وابو سكران ورجل من السودان فقال الملك وحق المسيح هؤلاء شياطين ما يموتون ولا يحسر ملك الموت ان يقربهم والامن لتى هذا التعب ووقع من هذا اللولب وبقى سالم من العطب فهاهذا الامن غاية العجب ثم دلى لهم الحبال وقال اصعدوا ياشياطين والا لطمناكم بالحجارة اجمعين فطلع أبو سكران ورفيقه وقد أرموا العدد وطلعت الاميرة المجاهدة وكانوا كل من طلع كتفوه وإلى أصحابهم سلموه واللطم يأخذهم من النساء والرجال وهم صابرين وعقبه يقول أيها الملك نلت المنا بهذا الجهاد وقد بقى هذا العسكر الذى ظاهر البلد ما يسوى حبة ولا بد ان يولوا منهزمين لانهم ما كانوا إلا بهؤلاء الاربعين فاصلبهم حتى تنقطع ظهور أصحابهم واخرج اليهم باهل القلعة فلا تبقى منهم باقيه فقال الملك دعنى أيها الشيخ النجيح حتى اتأنى فى امرى ويخف من هذا البلاء ظهرى وانظر كيف يكون حالى فقد هلكت أبطالى وبطارقتى ورجالى وما طلع الينا الا نفر يسير وخارج القلعة من هؤلاء الشياطين خلق كثير ولا بد ما أبصر الاخير وانظر فى عاقبة الامر وكيف يكون الحال فى هذا العسكر

النازل علينا ثم قال للبطارقه امضوا بهؤلاء إلى المطموره التى فيها البطال وولده المحتال حتى اننا ننظر كيف يكون الحال فساقوا الغلمان الامراء إلى ذلك المكان وإذا به خالى مافيه انسان فبقيوا من ذلك حائرين وعادوا إلى الملك راجعين فقال ياويلكم ماجالكم فقالوا له قد هرب المسلم المسمى بالبطال وذبح تسع رجال فوقع بالملك الانذهال وقال ياويلكم ما كان موكل به عشرة من البطارقة مع البطريق قليناص قالوا أى وحق المسيح لوكانوا تسعين كان ذبحهم (قال) فسار الملك بنفسه حتى رأى القتلى ونظر بعينه إلى ذلك البلاء فقال وحق المسيح أن خلاص البطال من حاجبى قليناص ومع ذلك فما رأيته فى جملة القتلى ولا له خبر فى هذا الملا فقال له عقبة ما أخوفنى أنه حاجبك قليناص كان مذبحون ابن البطال الذى يتسلق إلى القلاع والحصون ولوانها فى علو ديار قارون فقال الملك دع عنك ياشيخ هذا الجنون فان قليناص حاجبى وعندى نشأ وربى ومابرح من قلعتى منذ كان صبيا وان كان قد قتله البطال وهرب فليس له نجاة من هذا المكان لابحجة ولا بسبب من الاسباب لان الباب كما علمت مطبق والبرج الاسود مايقدر فيه يتسلق ثم قال للبطارقة ويلكم دوروا فى القلعة والبيوت لايكون قد خامر على أحد ويخرج المكان من يدى فهنا لك داروا سائر الاماكن فما وقعوا للبطال على خبر ولا جلية أثر ولا رأواله ولا لولده الحصين خبر فكانت مرارة عقبة كادت تنفطر وقال أيها الملك أين الكنيسه التى فى هذا المكان ومن سكنها من القسوس والرهبان. فقال الملك الكنيسة هاهى قريب من دارى وفيها أبونا الكبير فيرقون وهو فيها من أيام أجدادى وقد ربانى وربا أولادى ومن حين دخل الى الكنيسة ماخرج منها فما الذى تسأل عنه فقال انى أخاف ان يكون البطال هو فيرقون كما كان خادوعس وقد أقام فى الكنيسة حتى يجد فرصة للخلاص فقال الملك هذا شىء مابقى يتم علينا ونحن نعرف هذا الراهب كما يعرف الوالد ولده وكل يوم أحد ننزل اليه ونعود نغلق الباب ولا نفتحه إلا يوم الأحد الثانى وهذا دير الزيت الذى هو فيه فى بيت مايراه انس ولا جان الا المسيح فى عهده ولا خرج من تعبده ولا يراه فى غير ليلة الأحد الامن قد اتى يزوره اويكون له حاجة اليه واليوم عند السحر نزلت اختى الى عنده تفسر اليه منام ولاشك انها الآن فى الكنيسة تتقرب الى المسيح

(قال الراوى) ياساده وكان لهذا الملك أخت يقال لها مرحومه وكانت احسن أهل زمانها واكثر البنات وفاء واتمهن عقلا وحياء وكانت قد نزلت فى ذلك اليوم الى البيعه كما ذكرنا وسوف نذكر ما جرى لها فى موضعه لأن عقبه لما سمع بصفة هذا الرجل الراهب فيرقون نفر منه قلبه وخاف ان يكون هو البطال وقد دخل فى قالبه فقال أيها الملك سر بنا الى هذه الكنيسة عسى نرى عندهذا الرهب خبر او نقطع للبطال على أثر فسار الملك فى خواصه وعقبه.

الى جانبة حتى وصلوا الى البيعة المقدم ذكرها ودخلوا وقد رأوها مفتوحة فقال الملك اختى فتحتها ولما ان حصلوا فى وسطها واذاهم بالخدم وكانوا اثنين برسم خدمتها فلما رأيا الملك تقدما اليه وقبلا يديه وسألاه عن حاله فقال ابن ابونا الكبير فيرقون فقال فى بيت المذبح مع مرحوما يقربها ويستغفر لها فقال الملك قولا له ان الشيخ النجيح قدما الى زيارته فغابا ساعة وعادوا ومعهما فيرقون واذا به مجدر محدوب الظهر من طول السنين مرتعش اليدين وهو يتلو الانجيل بطريقة حزينه بخشوع تدخل حلاوتها فى الاحشاء والضلوع الا انه لسانه غريب معجم السنه الروم لايعرفه الا من كان يعرف افنان العلوم فتناثرت من اجفان الملك الدموع وطار قلب عقبه من الخشوع وتقدم الى الراهب وقبل يديه وصافحه وتراماعليه فقال الملك يا أبونا هذا الشيخ النجيح عقبة المجاهد فى بلاد المسلمين وقد أتانا زائر فى هذا العام ومعه عصابة من أهل دين الاسلام وجرى لنا معهم عجائب تسطر بالاقلام لأن أصحابهم لحقوهم وقد أرادوا خلاصهم واحتالوا علينا ودخلوا فى زى الرهبان الينا ومابقى الا أن يأخذوا المكان من أيدينا حتى نظر الشيخ الينا ولحقتنا بركاته فظفرنا بهم لأن المسيح ماضيع عهدك ولاخلف وعدك وأنت قلت لنا هذا المكان محفوظ مادمت أنت معتكف على عبادتك وكذا كان والساعة فقدنا عيارهم المسمى بالبطال وهذا كان فى حبسنا تخلص من الاعتقال وان هذا الشيخ قال ندور عليه لايكون فى الكنيسة وقد أتينا اليك فى ذلك فقال الراهب وقد تبسم هذا شىء مالنا به خبره ولوكان اللص الذى وقع فى ايديكم تركتوه هاهنا ماكان وجد إلى الخلاص من سبيل ولو كان مطلوق ان كان القوم الذين على الصور آدميين فضحك الملك وقال يا أبونا ان القوم الذين تراهم على الصور كلهم آدميين الاأنهم كان فيهم قوم سود مثل الشياطين وقداخذنا منهم جماعة بعدماقتلوا نصف أهل قلعتى وأرادوا أن يسلبون نعمتى ولابد مما أنفذلك منهم قربان لأنك أنت مارأيت عمرك قط مسلم فى طول الزمان ثم عول على الخروج فقال عقبه أيها الملك اريد الليلة اقيم فى هذا المكان عند هذا الراهب حتى اشبع من نظره ومن حديثه واسمع حسن تلاوته وتعم على بركته واكون آمنا على نفسى من البطال شيطان المسلمين فانه ماخلص من القلعه إلا بسبب عجيب واخاف أن يكون ذلك فى القلعة فيأخذنى اينما كنت لأنه ماله غرض إلاأنا واذا كنت فى هذا المكان كنت آمنا على روحى ثم تشملنى بركة الراهب فيرقون وماأريد منك إلاأن تنفذلى الاسارى مع جماعة من بطارقتك حتى نضرب لهم هاهنا أوتاد ثم بعدذلك نعذبهم عذاب قوم عاد ونبيت أنا وأنت فى جهاد (قال الراوى) وقدخرجت مرحوما أخت الملك من بيت المذبح وعليها ثوب أسود وقدظهرت فى وجهها خوف وانكسار وهى كالبدر فى غياهب الاعتكار فقبلت صدر أخيها الملك وجلست بين يديه وبكت فقال لها

ماحالك ياأختاه فى المنام الذى رأيتيه وماتفسيره الذى أخبرك به الراهب أبونا فقالت انى رأيت كان بيدى معول وأنا اخرب به حيطان تلك الكنيسة فانتبهت مرعوبة واتيت الى ابونا فيرقون وروحى مكروبة وفسرته عليه فقال لى ان قلبكى قد تشوش على الدين لاجل مارأيتى من فعال هؤلاء المسلمين فأقيمى ههنا عشر أيام واخلصى فى العبادة فى الضياء والظلام لعل المسيح يغفر لك الذنوب والآثام فقال الملك اذا كان الامر على هذا الحال فأنا انفذ اليكم المأسورين حتى تبيتوا انتم ومن عندكم عباد ومجاهدين ولعل المسيح ببركة ابونا فيرقون والشيخ النجيح يغفر لك كل ذنب ثم خرج الملك من البيعة وأنفذهم السودان والاميره ذات الهمه وابو سكران مع عشرين من عبدة الصلبان وما وصلوا إلى الكنيسة حتى أشرفوا على الهلاك والوبال من ضرب الحجارة من النساء والرجال ولما أن دخلوا وغلقوا الباب تقدم إليهم الراهب فيرقون يتصفح فى وجوهم ويضحك عليهم وجعل يلطمهم وهو يقول لعقبة سبحان الملك الخالق الذى فرق بين أهل السعادة والشقاوة وخالف بين صورهم فى دار الدنيا هذه وحق المسيح صور المجرمين ووجوه أهل العذاب الوبيل الذى وصفهم لنا ابن مريم فى الانجيل فصاحت الأميرة ذات الهمة من عظم ماحل بها ولم ذلك يا كلب الرهبان ويامن خلقه الله فى صورة شيطان انكانوا هم سود الألوان فلهم فعال بيض ترضى الرحمن والله عليهم خلع الرضى والغفران وإذا كان يوم الميعاد تبدل هذه الألوان وتنال السؤال والآمال والعفو من النيران وتتلقاهم الحور والولدان لأن الذى وعدنا بذلك صادق اللسان وما نطق به إلا خيرا وقد نطق به فى القرآن (ياسادة) ولما سمع منها الراهب فيرقون ذلك لم يتركها تتم كلامها بل مديده إلى شعرها وقال للبطارقة اسحبوها معى إلى بيت المذبح حتى أتركها الليلة أول القربان وألطخ بدمها سائر الحيطان والصور والصلبان فقال عقبة لاتفعل ذلك ياأبونا فان الملك يعتب علينا لأنه يريد يلتقى المسلمين وما يدرى مايكون منهم ومنه وإلاهذا الأمر أكبر مرادى وأعظم حسرة فى فؤادى ولكن هذا يكون إذا تفرغ قلب الملك وأمنا نحن أيضا على أنفسنا لأن لهم رجل عيار مكار واسمه قد شاع فى سائر الأقطار وقد هرب وما ندرى ماكان منه ولا إلى أى مكان قد طلب فقال له الراهب فيرقون وقد خلى يده عن الأميرة وهذا العيار ماهو خلقته مثل خلقة هؤلاء الأشرار فقال عقبة نعم ولكنه لو أراد وحق المسيح ان يصير فى صورتك ويسمى نفسه باسمك لفعل ذلك وأنتم لاتعلمون فالمسيح يكفينا شره ويدفع عنا مكره ويصرف عنا وعن القلعة فى هذه الليلة عظيم أمره (قال الراوى) ولما سمع فيرقون هز رأسه وسكت ولما أمسى المساء أتاهم من عند الملك الطعام واللحم والخمر فأكلوا وشربوا وقد تركوا الأمراء حداهم فى جانب الكنيسة وعقبة يقول إذا سكرت وطاب عيشى أقوم أعذبهم وكان يقول عسى الليلة

أسكر الراهب القس والبطارقة واترك مرحوما لى ضجيعة ومعانقه فقد ملكت فؤادى بهذا الجمال وتركتنى بأسوإ حال ولولا حياى من الراهب لقلت له يتركها تسقينا

(قال الراوى) فهو يحسب هذا الحساب والجارية قد خرجت وشمرت ذيلها وألقته على كتفها وقد بان درج طى اعكانها وفى يدها قرابة وقدح وأنوار وجهها تتلعب فى صفاء الزجاج وهى مثل القمر الوهاج فى الليل الداج فلما صارت بين يدى عقبة قالت له خذ هذه القرابة أيها الشيخ النجيح واتركها لنفسك خاصة لأنها من شراب أبونا فيرقون يأتيه كل سنة هدية من قرتميلا ابن قرمولاقس صاحب دير النذور الذى يعصره من دير الهيكل القديم فلما سمع عقبة ذلك المقال من مرحوما قام إليها وأخذ القرابة من يدها وقبلها وقد تركها قدامه ثم قال لها يا بنيه لم لا يخرج أبونا الليلة يحضر معنا وتكونى انتى تسقينا حتى يقبلك المسيح ويرضى عنكى ياصاحبة الوجه المليح فضحكت الجارية وقالت ياأبونا الليلة خلوة أبونا فيرقون فى بيت المذبح ويريد يستغفر لى وهو الذى قال لى اخرجى إلى ضيفنا واخدميه حتى اتفرغ من خدمتى وخلوتى واخرج إليه واقضى باقى الليلة بين يديه بالمشاهدة وها أنا قائمة للخدمة فقال عقبة لا وحق المسيح ياملكة الا تقعدى وكونى لى منادمه فما يكون مثلنا قعود وانتى قائمة فقالت بلى ياشيخ حتى يرى المسيح ذلى وانكسارى فيسامحنى بذنبى ثم جعلت تسق البطارقة الخمرة وطاب عيش عقبة وقال يا بنية اسقينا كلنا من هذه القرابة التى اتحفنا بها أبونا الأكبر لان الهدية لمن حضر فقالت مرحوما السمع والطاعة وهذا وقتها حتى تدور البركة ببركة القربان فى سائر الابدان ثم أدارت عليهم دور ثانى فوقعوا القوم صرعى وما فيهم من يسمع ولا يرى وصار عقبة يشخر مثل الثور وكان قد انقلب من أول دور ونظروا المأسورين إلى ذلك فتعجبوا وقالوا سبحان من أخذ عقولهم حتى انقلبوا وإلا كان عقبة الليلة اشتفى منا

(قال الراوى) فهم فى الحديث والكلام وإذا بالراهب فيرقون قد خرج من المذبح وهو يتوكأ على بعض غلمانه وقد زاد ضعفه ورجفانه ولما رأى القوم على تلك الحالة شكر مرحوما بالرومية وصار يبربر وينظر إلى الاميرة ذات الهمة وهى تقول اللهم اعزنا من شر هذا الكافر الملعون المسمى بفيرقون وألق عليه ما ألقيت على هؤلاء من السكر وخلصنا من يديه ثم جعلت تنظر إليه وقد أتى نحوهم وغلمانه وقد أخذوا من السودان اثنين وادخلوهم إلى بيت المذبح وعادوا وخرجوا وفى أيديهم راسين تشخب بالدماء وألقياها بين أيديهم وقال الراهب خذوا اثنين أخر وافعلوا بهما مثل هذا الفعال واغتنموا الفرصة مادام الشيخ النجيح قد نام لانه لو كان يقظان ما كان مكننا من ذلك وإذا فرغتم من المسلمين وعتب عليكم الملك فأنا أدرى بماذا أجيبه

(قال الراوى) هذا والأميره ذات الهمه قد نظرت إلى ذلك فهالها فعاله وقالت ما اقسى قلب

هذا الملعون يهلكنا كلنا الساعة فليت عقبه لا كان نام ودع يعذبنا بما أراد ولا يقتلنا هذا الشيطان ثم صاحت ويلك ايش هذا الفعال أيها الشيخ الضال واصحابنا براباب القلعه ومثلنا اضعاف وإذا سمعوا بقتلنا سقوا كل من ههنا كاس التلاف والملك ماهو راضى بهذا التدبير ولا بد ما يهلكوك غدا ولو كنت القس الكبير فلما ان سمع الراهب هذا الكلام بربر وصاح على الأميره بصوت منكر وسل فى يده خنجر كانه صاعقه ودنى من الأميره وقد ايقنت بالهلاك فقطع بالخنجر كتافها وقبل رأسها وقد ازال لحيته وحواجبه وإذا به محمد البطال بشخصه وقالبه فلما رأته الأميره عاشت روحها بعد الممات ثم قالت ياأبو محمد سبحان من يقلب صورتك فى سائر الالوان ياأبو محمد كيف دبرت هذا التدبير ومتى نبتت لك هذه الذقن الكبيره ولما قتلت اصحابنا السودان واين اولادك فما أراهم معك فى هذا المكان فضحك البطال من كلامها وكشف وجوه خدام الكنيسة وإذا بهم الحصين ومذبحون وقال هؤلاء أولادى وقد بلغنى الله من خلاصكم مرادى وأما اصحابكم فهاهم سالمين وهم عند مرحوما جالسين وقد جرى لنا حديث يطرب السامعين فقالت وماهو ياأبو محمد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك مذبحون ابن البطال لانه لما كان مع الاميره والسودان وقدوقعوا بين الصورين ورميت عليهم الاحجار من الابراج كما ذكرنا وقال لهم ارموا أرواحكم إلى الأرض والاقتلوكم بالحجاره وهاأنا صاعد اليهم وانظر كيف يكون التدبير قبل ان يصبح الصباح ثم انه أتى إلى مكان خالى وصعد من قرية خالية فى آخر الصور وتسلق منها إلى ان صار إلى اعلاه فرأى بطريق طالب الأصوار وهو سكران ويغنى بالروميه فعارضه مذبحون وقال له إلى أين ياأخى وأنت سكران وطالب الابراج والملك قدنهانا عن رمى الاحجار على المسلمين والسودان وقد أمر أن لا يطلع أحد اليهم الامن يكون من عنده خوفا ان لا يختلط بنا أحد من لصوص المسلمين وربما شالوا المشط وادخلوهم الينا (قال الراوى) ياساده وكان مذبحون قد قال ذلك المقال خوفا على اصحابه أن يكثر عليهم رمى الاحجار فقال البطريق سير انت فى طريقك فانا لابد لى ان آخذ قسمى فى الجهاد واما قولك لا يطلع للصور الامن هو معروف فاناصهر الملك قليناص وحاجبه الخاص ولو انه قدامى ونهانى ماقبلت منه ولا عملت الاما اريد ثم انه انحرف بعد ذلك طالب البرج فقال له مذبحون ياأخى بحق المسيح خذ هذه الثلاثة احجار وارمى بها عنى حتى أكون شريكك فى الثواب لانى قد منعت من ذلك وما انا ممن يقدر يقاوم الملك ولا غلمانه فقال البطريق هات الاحجار فوحق المسيح لارميت الثلاث احجار إلا فى روس ثلاثة من المسلمين ثم تقدم اليه وهو يتمايل من السكر فاستقبله مذبحون وضربه بالخنجر فى وريديه وإذا به قد وقع بين يديه وخرجت روحه من بين جنبيه فقلعه مذبحون ثيابه ولبسها

ونشر شعره على اكتافه حتى يشابه وكانت عوارض البطريق خفاف فنتف مذبحون عارضيه وسار إلى دار الملك فرأى اباه قد قدموه إلى العقوبه هو واخوه الحصين وعقبة يعذبهما كما ذكرنا حتى أراد حبسهما صاح الملك وهو سكران ياقليناص فعلم مذبحون انه يريد حاجبه الذى قتله فاجابه فسلمه أخاه وأباه وأعطاه الملك البطارقه وامرهم أن يقبلوا قوله ولا يخالفوه وساروا إلى أن وصلوا إلى المطموره وتركوا أبو محمد البطال فيها هو وولده وما مضى من الليل غير ساعة حتى ناموا البطارقة فعند ذلك نزل مذبحون وخلص أباه وأخاه وأعلمهما بما فعل ولما صعدوا من المطموره وضعوا فى البطارقه سكاكين الرحمة فذبحوهم التسعة وخرجوا إلى الغفر ومذبحون يقول كيف تخرجون الساعة وأين تمضون والاصوار محتفظين بها وما فى الروم الملاعين من نام وعلى اننا لو صعدنا إلى الابراج ونزلت أنا إلى برا بقيتم انتم هاهنا معطلين فقال البطال صدقت ياولدى لأن مافينا من يقدر على ما تقدر أنت عليه وما أقول ان لنا الى اصحابنا سبيل لاجل ما عند المشط من البطارقة ولو مضينا انكرونا ولكن أطلب أنت الكنيسة التى فى هذه القلعه لعلنا نعبر ونختفى فيها إلى أن نبصر مايجرى على الاميره ذات الهمه لانهم لابد لهم غدا يفتحون الباب ويرفعون المشط ويقبضوا من سلم منهم ونحن فما نبرح من القلعه حتى نرى ما يقع ونعمل على خلاصهم ان قـــدرنا وإلا ساويناهم بارواحنا ثم مضوا إلى الكنيسة الكبرى وكان البطال رآها لما دخل مع الحصين وتبركا براهبها فيرقون ولما أن جاؤا وجدوا بابها مغلوق فبقيوا حائرين فقال مذبحون اناافتح لكم الباب ولكن اذا دخلتم اين تفعلوا وكيف تعملون حتى انكم تقيمون فيها ولا يعلم بكم احد فقال له أبو محمد البطال نقتل الراهب واصير أنا موضعه فقال مذبحون هذا هو الصواب ثم اتى إلى قرنة الكنيسة وتسلق حتى صار فوق سطحها وان الحصين صار ينظر اليه ويقول له فديت ياأخى من الاسواء ولا بدلى ماأقول له يعلمنى هذه الصنعة حتى أكون إذا وقعت فى شدة نجوت فقال البطال ياولدى هذا شىء قد خصه الله به وما أقول إنه يعلمه لأحد (قال الراوى) وإن مذبحون قد نزل من على الدرج وفتح لهم الباب وقال ادخلوا فما عند الراهب أحد إلا غلمانه وهم راقدين فعند ذلك دخلوا وأغلقوا خلفهم الباب وأوثقوه ودخلوا إلى بيت المذبح فرؤا الراهب فيرقون قائما يصلى ويدعو على المسلمين لأنه قد سمع أنهم قد دخلوا إلى القلعة فما أحس إلا وهؤلاء على رأسه والخناجر فى أيديهم وكان مذبحون قد أخـــذها لهم من وسط البطارقة الذى ذبحهم عند المطمورة ولما رآهم الراهب صاح إيش أنتم ياشياطين ومن أين نزلتم إلى هــذا المكان وأراد أن يصيح فبادروه بالخناجر وذبحوه فى الحال وكذلك فعلوا بغلمانه وكانوا نائمين وصار مكانهما الحصين ومذبحون وأما أبو محمد البطال فانه صار فى زى القس

الكبير فيرقون وقال قد أمنا الساعة على نفوسنا وما نبرح حتى نبصر إيش يجرى على الأميرة ذات الهمة وعلى من معها من السودان ونحن مستورين فى هذا المكان والروم مشغولين عنا بما هم فيه وإن أتانا أحد منهم ودق الباب افتحوا له ودعونى أنا أكلمه

(قال الراوى) ولما كان وقت السحر سمعوا باب الكنيسة يدق فخرج الحصين وفتح لينظر من أتى وإذا بها مرحومة أخت الملك صاحب القلعة ومعها جاريتين من جوارها وهى تقول أين أبونا الكبير فيرقون فقال الحصين قد قام إلى قراءة الإنجيل فدخلت إلى داخل الكنيسة وصارت قدام البطال وهى تظنه الساعه فيرقون راهبهم القديم فترامت على أقدامه وبكت بكاء شديد وصارت ترعد مثل الزعفه فى يوم ريح عاصف وقد صار البطال يرفع رأسها ويبشرها برضاء المسيح عنها ويهدها من بكائها حتى قعدت بين يديه وقد رآها بذلك الجمال والحشم والكمال فقال هذه لاشك انها ابنة الملك أو أخته فجعل يستخبرها عن أمرها فقالت يا ابونا قد رأيت مناما وأنا خائفة منه وما أقول إلا أن نفسى بعد ذلك تالفة فقال يابنية وما الذى رأيتى فقالت كنت نائمة وقد كنت فزعانة من المسلمين وأنا خائفة منهم لايقتلون أخى ويسلبونا من منازلنا ويملكون قلعتنا فرأيت كأنى قائمة على باب الميناء الذى لنا فى البحر وقد عولت أن أرمى روحى فيه من شدة فزعى وإذا أنا بشخصان قد أقبلا يمشيان على وجه الماء يريدان يدخلا إلى الباب فقلت لهما إلى أين تدخلا إلى قلعتنا وهى محاصرة وقد أشرفت على الأخذ فقال الواحد منهما ويلكى ياجويرية دعى عنك هذا الكلام وابشرى بخلع السعادة من الملك العلام وعظمى إلى هذا الذى بجانبى فهو الذى مابعده نبى هذا سيد الأمم وأكرم من مشى على قدم وأفضل من دعى إلى بارىء النسم محمد صلى الله عليه وسلم فقلت يامولاى ومن هو محمد ونحن قد سمعنا أنه نبى المسلمين ونحن نجاهد فى أمته لنردهم عن ديننا القديم فقال لى يامرحومة فأنا هو المسيح بن مريم وها أنا تابع له وأنا الذى بشرت به قبل أن يظهر ولو أدركت زمانه كنت دعوت اليه البشرى لأنى أنا وأمى راضيين به ونتوسل به إلى الله يوم الحشر وكان النصارى على الباطل والغرور لأجل عبادتهم للصلبان والصور وتركهم لهذا النبى المطهر ونحن الليلة قد أتينا لنصر من بقى من هؤلاء الأولياء لأجل ماقد طرقوا باب السماء بالدعاء وكأنه ياأبونا قد مسح بأبهاميه عيونى فانتبهت وأنامرعوبة من ذلك وحيرانه ومن هذه الاشارات فزعانة وإن كان فى نيتى غير هذا فلا تنجينى وقد كنت نويت أن أنزل إلى هذا المسلم الذى هو لص المسلمين وأخلصه من المطمورة وأسلم على يديه وأقول له على ما قال المسيح بين يديه وأقص جميع ماجرى عليه وبعدها قعدت وقلت فى نفسى انزل قبل ذلك إلى

الراهب فيرقون وأفسر عليه منامى وأبصر ما يأمرنى به لا يكون ذلك من فزعى من المسلمين وما عاينت منهم (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد البطال ذلك من مرحوما فرح الفرح الشديد وقال سبحان من إذا عنا بالعبد سبب لخلاصه من الشرك أسباب ثم إن البطال قال لها يا بنية فأنا هو البطال الذى أردتى أن تنزلى إلى وتجددى إسلامكى على يدى وإن هذا المنام الذى رأيتيه هو الدين الصحيح حقا وصدقا المقدس المطهر الذى بما زلنا ببركاته ننصرولا نقهر فتحيرت مرحومة من ذلك وقالت وما كانك أنت القس الكبير فيرقون الذى ربانا وربا آباءنا وأجدادنا فقال لها يا بنيه أنا الذى دخلت اليكم وسميت روحى خادوعس وأتى الملعون عقبه وقبض على وقد خلصت ثم صرت ههنا فيرقون ثم إن البطال كشف عن وجهه فعرفته مرحوما وقالت وحق المسيح وحق من أتانى فى المنام إن هذا هو الدين الصحيح المطهر ولولا أنه دين قيم ما كنتم تقدرون أن تخرجون فى هذه الصورة وتم لكم ماتريدون وتأخذون القلاع والحصون وتخلصون من كل خطر مذموم والآن فقد صح منامى وأبصرت ماقدامى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق من هدانى لاعدت فارقتكم ولا خرجت من عندكم حتى يتم لكم ماتريدون واخرج معكم ان سلمتم ورجعتم من هذه الأرض والبلاد إلى دياركم وان متم متنا كلنا سواء فى رضا رب العباد فهو يتصرف فينا كيف أراد

(قال الراوى) ياساده ان كانت مرحومه فى تلك الليله معوله ان تحتال لهم فى فتح الباب على المسلمين ففتحته عاقبة الملعونة وجرى من القصة ماجرى من مجىء عقبه إلى الكنيسه بالأمراء وبنجهم البطال على يد الجارية مرحوما كما ذكرنا وعرف روحه إلى الأميره ذات الهمه كما وصفنا وكانت الرأسين اللذين أرميا بين أيديهم روس خدام الكنيسه ولما ان عرفهم بنفسه عاد وأخرج الرجلين وقد حدثهما بما جرى ففرحت الأميره بذلك وقالت ياأبا محمد وعلى ماذا عولت فقال لها مافى الأمر إلا ان نعطى لكى ولأصحابكى العدد الكامله وتفتح لنا الباب مرحوما وقد ملكنا القلعة ان شاء الله تعالى فقالت مرحوما هذا هو الصواب ولكن هؤلاء البطارقة وهذا الملعون عقبه ايش تريد ان تعمل بهم فقال لها البطال انظرى بعينك العجب ثم انه أخرج من وسطه خنجر وذبح الجميع وأتى إلى عقبه وقد نزل عليه بالضرب حتى أفاق بعدان تقايا البنج وأتى إلى الجاريتان اللتان دخلتا مع مرحوما فذبح الواحده وأتى إلى الأخرى فقالت له لاتفعل ياأبا محمد فانا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ فعند ذلك حل أبو محمد البطال كتافها وأطلقها وقال لمرحوما الساعة ما بقى علينا شىء غير اننا معوقين وما عاقتنا الا منكى فقالت له وكيف ذلك فقال لها البطال اعلمى انا نريد منكى عدة لأصحابنا

ونريد منكى بعد ذلك مفاتيح الباب فقالت له اعلم ان هذا كله هين وهو حاصل أما العده
فاريد من يجيء معى بحملها وأما المفاتيح فانا أعلم أين يتركهم أخى فقال أبو محمد البطال لمذبحون
ياولدى مالها غيرك فقال سمعا وطاعه ثم انه مضى مع الجارية فعند ذلك قصدت إلى خزانة
السلاح وقد قالت لمتوليها دع هذا يأخذ من العده ومن السلاح وماأراد فان أخى يريد ان
يأخذ الرجال بالكبس ثم انها قصدت إلى مكان المفاتيح فاخذتها وقد عادت إلى عند الامراء
فوجدت مذبحون قد حصل لهم العدة وقد اعتدوا بها (قال الراوى) ولما ان تم أمرهم أخذتهم
مرحوما وسارت بهم إلى وسط الحصن وقصدت إلى الباب الذى للقلعة ففتحته وتمت إلى الباب
الكبير وفتحته فوجدت ظالم وبنى كلاب والسودان الانجاب ثم انها أرادت ان تسير اليهم
نخافت ان يدوسوها بالخيل وإذا قد لحقها البطال وولده وقد وقف على الباب وصرخ وصاح
ياظالم ياظالم هيا بالرجال فعندها هجم ظالم بالسودان وبنى كلاب الشجعان ودخلوا جميعهم من
الباب وما نزلوا إلى ان توسطوا جميعهم الحصن وزعقوا الله أكبر فثار الراقد واستيقظ النايم
والقاعد والمسلمين الذين فى القلعه فرأوهم وقد تخلصوا فاعتقدوا انهم وحدهم يفصلونهم بالسيوف
تفصيل إلى ان افنوهم وقتلوا منهم الكثير وقد زعق من بقى منهم الأمان الأمان وقد دخلت
اليهم سائر الفرسان وأتى البطال بعد ذلك إلى الكنيسة ودخلها ليأخذ عقبة ويصلبه على باب
القلعة فلم يجده فعظم عليه وكبر لديه وكادت مرارته ان تنفطر ولم يفقد من القلعة سواه هو الملك
طرسوس فاتوا إلى باب المينه فوجدوه مفتوح فعلموا انهم هربوا من هناك (قال الراوى)
وكان السبب فى ذلك جارية مرحوما التى أسلمت لأنها كانت قد أسلمت نفاق وخوف من القتل
وضرب السيف وانها لما سمعت الصياح خلصت عقبة من الوثاق وصاروا إلى عند الملك وأخبروه
بالخبر نخاف على نفسه من العطب فاتوا إلى باب المينا وركبوا فى ذلك المركب هو والجارية
وقالوا اقصدوا بنا إلى الملك شمخولص فى حصن القمر ونرجوا منه الامان والسلامة لعل
ان يرحمنا ونرزق منه سعادة وان كان له من يحثه على نصرتنا ونصر دين المسيح فهو يسير
اليهم فى البحر فقال له عقبه هل له مراكب كثيره فقال له الملك نعم له مراكب كثيرة وهى
ثلاثة آلاف مركب حربيه قد ملك بها أرض الاندلس إلى البحر الأخضر إلى حد مدينة
القسطنطونيه وإذا أراد شيء أمر مراكبه بالاقلاع إلى هذه القلعة وطير الحمام أيضا إلى أصحاب
القلاع وأمرهم بالمسير إلا هؤلاء الشياطين فوحق المسيح ان سار اليهم ما كان يتحصل منهم
كل مسلم إلا فى يد عشرة آلاف بطريق فقال عقبه اطلب بنا هذه الجزيره وهذا الملك وأنا
أكفيك فى الكلام واتركه يجهز العساكر إلى هؤلاء اللئام لأنى قد تركت أختى وبناتى فى هذه
القلعة وما أدرى مايكون منهم (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر عقبه والملك (وأما ما كان)

من الأميره ذات الهمه فانها فتحت خزائن الحصن فوجدت فيها من الأموال مالا يصفه انسان ومن الحرير والثياب والاطاس والديباج شيء كثير فقالت ان هذا ان شاء الله تعالى ننفقه على المجاهدين ثم انها أمرت بجمعه وقالت لظالم آتنى بام الشريف بكار العلويه وولدها الذين أتوا معنا إلى هذه الديار فقال لها ظالم ياستاه يحسن الله عزاكى فى أمه وفى بنت طوق التى كانت قد بقيت فقالت له الاميره وما الذى جرى عليهما فاعاد عليها حديث عقبه وما فعل بهن عند خلاصه وكيف تماوت واحتال على السودان فضحكت عند ذلك الاميره من وسط الغيظ وقالت هذه قضية أخرى ما كان لى فى حساب لأن الملعون قد صار يموت إذا اشتهى ويعيش إذا أراد فلا ستر الله عليه بماذا يلاقى من العقوبة والاسا (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من أخت عقبة وبنته عقيبة فانها لما أن جرى ما جرى وملكت المسلمين القلعه فانهما اختلطا بالنساء ولما أن سبوهم اخذوا مع جملة من اخذوه واخذوا جميع مال عقبه وجهاز ابنته العروس وقد احتوت عليه الاميره وقالت للبطال ارسل خلف الشريف بكار حتى يأتى ويذبح أخت عقبه وبنته فى مقابلة مافعل عقبه ويبرد نار قلبه ونأخذ نحن بتار بنات طوق رحمة الله عليهم فقال البطال هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب.

(قال الراوى) ياساده ان الشريف بكار لما انفذه ظالم ومعه عشرة من بنى كلاب وقال له امضى وأتينى بالخيام وابصر ماقدتم لعقبه من الاحكام فسار هو ومن معه من الرجال فوجد أكثر الخيام الذى دخلت مع جيش الاسلام قدنهبت بعد خلاص عقبة منها وقتل ماذكرنا لأن رهبان دير الزيت فعلوا ذلك الفعال فلما نظر الشريف بكار إلى ذلك صعب عليه وقد طلب امه فما رآها فهام على وجهه بعد مالم ما كان هناك من الخام والخيام وانفذها مع بنى كلاب وقال لهم قولوا لظالم انى رأيت ابنة طوق مذبوحة وأنا ماضى فى طلب أمى فساروا وتركوه (قال) وكان عقبة ياساده لماقطع انف الشريفه وعورعينيها وهرب فهامت على وجهها من حرارة ماقد جرى عليها من البر وهى تبكى وسارت تطلب ولدها وهى لاتدرى إلى أين تمضى ولا تعلم أين تضع قدميها بل تسير تارة يمين وتارة يسار ولم تزل على مثل ذلك حتى ادركها ولدها وقد تاه خلفها ولما وقعت عينه عليها وهى تهيم فى البر على وجهها فعندها صاح واأماه واغربتاه تمكنت منكى الاعداء ليت كانت عيناى لعينا كى فداء ياأبنة الكرام النجباء لكن لكى اسوة بجسد كى الحسين سيد الغرباء تمكنوا منكى اللئام صبرا على هذا القضا وجذبه من ربك بالرضا حتى تنالين الفوز غدا (قال) وسمعت أمه كلامه فعرفته فنادت واولداه انظر يابنى الى أمك وهى على غير الاستوى ياولدى قد ذهبت منى المحاسن والبها وصرت قطعة لحم لا أسمع ولا أاوى فقال لها ياليتنى كنت لكى الفدا ثم انه أخذها وسار الى خلفه وقد عاد طالب

عساكر المسلمين فلما أن وصل اليهم فرأى المسلمين قدملكوا القلعه ففرح بذلك وقدم عليهم فسألوه عن حاله فقال لهم انى قد اصبت بالوالده هذا ولما أن رأت المسلمين إلى أمه وهى على تلك الحالة مابقى منهم إلا من التقاها وبكى وصاح الشريف بكار وقال انى أريد عقبه الملعون ان كان تحصل معكم حتى آخذ منه بثار والدتى فقالت له الاميره ذات الهمه ماهو معنا وقد فقدناه ولكن اخته وبناته معنا هاهنا وهاهم فى قبضتنا (قال الراوى) ثم ان الاميره احضرت الثلاثة إلى بين يدى بكار وقالت له خذ ثارك بيدك واعلم أن عاقبة أيشم من أخيها عقبه وهى اصل كل البلاء فعندها هجم عليها بقلب حنق لأنها كانت عاقبته فى الكنيسة التى فى ظاهر بغداد ولما أن نصب عليه أخوها عقبه هذا ولما أن تقدم اليها سحبها من شمط رأسها ومددها قدام أمه وقال لها ياأماه اقلعى أعينها بيدك حتى تبرد نار كبدك ويهدى قلبك قالت ياولدى قبل ذلك أعرض عليها الاسلام وادعوها إلى توحيد الملك العلام فان أجابت فاتركوها وان أبت فافعلوا بها ماشئتم فعند ذلك أعرضوا عليها الاسلام وماقالت أم الشريف بكار فلما أن سمعت منهم ذلك المقال ضحكت عاقبه وقالت هيهات هيهات ان يكون ذلك أبدا ولو شربت كأس الردا وان قلعتم عينى فالمسيح يردها وان أنتم قتلتمونى فريم تحيينى كما أحيا المسيح أخى لما أن مات وسلم وحرم عليكم الآفات واعلموا أن أبغض ماعليها البقاء فى الدنيا ويكون فيها مسلم فكيف تكون مسلمه فهذا محال ولا الى مثلى يقال (قال الراوى) فلما أن سمع منها البطال ذلك فلطمها على وجهها فقالت هذا فى طاعة المسيح وطاعة الراهب مطرون وقس دير الزيتون فلطمها الشريف بكار فقالت هذا فى طاعة برتوما ومريحنا المعمدان ويوشع وكرنا فلطمها ظالم فقالت هذا فى طاعة المسيح والشيخ النجيح فعندها أدارت الاميره كتافها وقدمت رأسها إلى عند الشريفه فقالت لها الاميره افدى روحك بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا وحق المسيح وبياض شيبة أخى عقبه ولو ان لى ألف حدقه وخيرت بين أن أقول هذه الكلمه ما قلتها فاقلعوا عينى وخذوا منى بثاركم لأنى قد كرهت أن أنظر المسلمين ولو رد المسيح نظرى وأنا فى بلاد الاسلام ماأردتها (قال الراوى) فلما أن سمعوا المسلمين قولها وحنقوا عليها وقورت العلوية عينيها بأصبعها وهى لا تتكلم بل تقول يامسيح خذلى بالثار من أعداءك وارمى عليهم سوط عذابك كما انهم جحدوك فعندها قام أبو سكران أمير السودان وكان فؤاده قد امتلا من الحنق وهاجت فى قلبه النيران وهو يقول ماأدرى ايش الفائده فى بقاء هذه الملعونه حتى انكم تتركوها وتسمعوا كلامها وتجاوبوها ثم انه ضربها بعامود من الحديد على ظهرها قصب أضلاعها وقال هذه الضربه أيضا فى طاعة الله وفى رضاء رسول الله ﷺ فاشتفت قلوب المسلمين ووقعت المصائب على

بنات عقبه اللعين وقد قالت عقيبه لالقاك المسيح خيرا ياسود ولا كنت أنت ولا البطال فلقد أهلكت وحق المسيح ركن الصليب وقصمت ظهرى وقطعت همتى بقتل هذه العابده عمتى فلما ان سمع أبا سكران كلامها عدل نحوها وقال لها وأنتى أيضا ياملعونه قولى لااله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وإلا ألحقتك بعمتك فقالت له لابحق دينك الا ماأمهلت على حتى أقول لك ماعندى من المقال وبعد ذلك افعل ماشئت ثم انها بكت على عمتها وعددت عليها وأبو سكران واقف على رأسها بعاموده ثم قالت وحق ضياء بياض شيبة أبى الذى يتوسل بها كل قس وراهب لارجعت عن عبادة المسيح ولو ألقيت على المصائب اصنع ياأسود ماشئت فالمسيح يلقيك فى هذه النوبه فعندها ضربها أبو سكران حتى طير قحف دماغها عشرين ذراع وقدم عقيبه الصغيره الذى كانت عروس إلى بين يدى الأميره ذات الهمه فأعرضت عليها الإسلام ودعتها إلى الايمان فقالت أنا والله مسلمه ياستى مثل أخى الوليد لأنى ماكنت أألف من دون اخواتى الا اليه وهو الذى ألفنى إلى دين الاسلام وقال لى اكتميه والا قتلك أباكى واصبرى فأنا فى هذه الأيام أهتك ستره واقيكى شره واطلع المجاهدين على مكتوم سره وكنت منتظره هذا الوعد وجرى هذا الأمر واخرجنى أبى من بغداد وقال يابنتى ماأنا ماضى بكى الا لزيارة بيت المقدس وأعود بكى والالو علمت انه يزوجنى بكافر ماكنت أطاوعه فى هذه الفعال والساعة لولا يفعلون بعمتى هذه الفعال وايا أختى واما كنت صبرت أن أقول هذا المقال لأن أبى كلما جاءنا بمسلم تعذبه بين يديه ويقول هكذا افعل بمن أعلم أنه على دين الإسلام وكنت انا قلت لأخى الوليد هذا الحديث يقول لى ياأختاه اكتمى دينك عن كل من فى الدار وإلا قتلك هذا الشيخ الغدار والساعه قد خلالى المكان وأنا مقره بدين الإسلام وأنا أقول أشهد أن لااله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ وان سمح لى الزمان ورجعت معكم سالمه إلى ملطيه سوف ترون ماأصنع فى حق أبى ووالله لاكان هتك ستره إلا على يدى فقالت الأميره ولم ذلك قالت لأنى أعرف لهـذا الملعون فى دارنا كنيسة فى صدر الحمام تحت الأرض ينزل اليها كل ليله أحد ويصلى فيها ويتعبد مع القسوس والرهبان وفيها الصور والصلبان وإذا وصلت معكم إلى بلاد الايمان أنا اطلع أمير المؤمنين على هذا المكان وأعيش معكم باقى الزمان فى أمان (قال الراوى) فلما سمع البطال من عقبيه ذلك الكلام لم ينطلى عليه المحال وقال أيتها الأميره لاينطلى عليكى كلام هذه اللعينه ولا نطلقها من الاعتقال فانى اخاف أن تكون مثل أباها وألعن فان ماساعة مارأيتها تبكى قد انكرت بكاءها لما قتل أبو سكران أختها وعمتها فقالت الاميره ياأبا محمد قد قالت لى لاى شىء بكت وأطلعتنى على السبب الذى منه اشتكت ولابد ان شاء الله تعالى مما يقضى الله حاجتها ويبلغها

أمنيتها ثم خلفتها وأقرنت بينها وبين مرحومها أخت الملك صاحب القلعة (قال الراوى) وأقاموا بعد ذلك عشرة أيام حتى هدت جراحات المجروحين وأخرجوا الاموال والسبايا والرجال وتهموا وهم معولين على الارتحال فلما أشرقت الشمس وإذا بأمواج البحر تصافقت وسمعوا منه ضجيج قد ارتفع حتى كادت الارض ان تتزعزع فرمقوا بالابصار وإذا فيه مراكب قد أقبلت بقلوع مثل أجنحة النسور وإذا رفرفت إذا هى قدملات البحر طولا وعرضا كأنها ثنايا الجبال وعلى صدرها البطارقة وصناديد الرجال بالعدد المشرفيه والملابس الموثقه والقنطاريات الخارقه والسيوف الماحقه فلما رأت المسلمين ذلك قالوا قد أشرفت وحق محمد المراكب وما كان عقبه يقعد عن هذا الامر المذموم فهم فى الكلام وغبائر البر قد تقسطلت وعجاجة القتام قد ارتفعت وأقبلت بزوابع وحسوا بالارض من تحتهم قد تزلزلت والقيامة قد قامت والجبال قد تزعزعت والارض من التخوم قد انقلعت ومازال الامر كذلك حتى تضاحا النهار وانكشف أول الغبار عن جيش جرار يأخذ بريقه بالابصار فاجتمعوا المجاهدين حول الاميره وقد وقع على قلوبهم من ذلك أمر عظيم وقالوا ياأميره هلكنا ورب الارباب وما كان مقامنا هذه العشرة أيام بصواب ولا حسبنا هذا الحساب فقالت الامير لا بأس عليكم ولا تظنوا هذه العسكرات خلفنا فى هذا الخلق ولا هى غاربه فى بعض الاقطار وإلا ما كانوا خرجوا فى هذا الجيش الذى قدملأ البرارى والقفار والاودية والاوعار (قال الراوى) وكان السبب فى هذه العساكر القادمة الملعون عقبة والملك طرطوس صاحب قلعة السهى بأنهم لما ساروا فى المركب المقدم ذكره وطلبوا جزيرة الحائط وحصن القمر وأخبروا الملك شمخولص الأكبر بعد أن سلم عليه وحضرا بين يديه وسألها عن حالها فقال الملك طرطوس أيها الملك نهب مالى وقتلت رجالى وسبيت عيالى وأخذت قلعة السهامى بغير اختيارى وخربت منازلى ودیارى وتم على أمر ماتم مثله على بشر وغاب على حكم القضاء والقدر فقال الملك شمخولص وقد توقدت عيناه وطار منها الشرار ويلك ومن أخذ القلعة من يدك وكيف حتى تم هذا الأمر عليك فحدثه بحديث عقبة وكيف أتاه بالأمراء المأسورين وكيف اتبعوهم المجاهدين والحيلة التى دبرها البطال وما قد تم فى القلعة من القتال فقال الملك شمخولص الأكبر وفى كم كانوا هؤلاء المسلمين فقال يامولاى كانوا أربعة آلاف بطل يريد كل واحد منهم اقليم (قال الراوى) فلما سمع الملك شمخولص ذلك ما أمكنه أن يتم شكواه بل وثب إليه ثم لطمه اعدمه الحياه وعاد وهو يقول بالرومية هذا الكاب تم عليه هذه المصائب من أربعة آلاف كاب من كلاب المسلمين وما استحى عند قدومه يقابلنى بمثل هذا الكلام وقد علم أننى كنت معول على الغزاة فى هذا العام والقس مرقولا فسح لى فى ذلك وأباح لى دماء المسلمين ودماء أهل القسطنطينية

الذين قد أضعفوا أهل بلاد الرومية وهم يحملون كل عام إلى المحمديين أموال النصرانية (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا والبطارقة قد انخرقوا الذين هم قيام على رأسه وما فيهم إلا من طار الدم من وجهه فزعا من سطوته وبأسه ورأى عقبة ذلك فقال فى نفسه هؤلاء وحق المسيح هم الملوك والسلاطين الذين يملكون الأرض فى طولها والعرض ثم فتح فمه وقرأ فصلا من الانجيل وترنم فيه حتى رأى نوع للملك يسهل عقله وبعد ذلك تكلم فى زهد المسيح واندر بما وصى به على الجهاد وذكر الملعون عقبة من عنده أخبار ما أنزل الله بها من سلطان وهى هذيان وفشار حتى رغب الملك فى دخوله إلى بلاد الاسلام ولم يزل على مثل ذلك حتى ملا قلب الملك من الغيظ الذى فيه وتعجب الملك الشمخولص من علمه وحديثه وأقبل عليه وقال له من أنت من عباد المسيح وكيف أتيت إلى تلك الديار فقال عقبة أيها الملك أنا الذى طول عمرى فى الاقطار غريب أنا المجاهد فى دين المسيح القريب أنا الذى لا أزال مقيما فى بلاد الاسلام وأجلب لهم البكاء والنحيب وما أتيت إلى هذه الديار الالما أعيتنى الحيل وقل منى العمل وما بقى لى ساعة ورأيت الاسلام كل يوم ينمو ويزيد فدبرت على أمراء هؤلاء المسلمين وحصلت فرسان أعداء هذا الدين وقصدت إليك وأنا مسافر وأردت ان أعبر عليك فى صفة زائر وأهدى أعدائى إليك وأتقرب بهم بين يديك وأسألك أن تخرج وتعينني على الباقين وتقطع من الأرض آثار المحمديين لما بلغنى من كرم صفاتك وشدتك وسطوتك وكيف أن الشيخ يدعاك من دون العباد وماقد ملكت من الجزائر والبلاد وانى لما وصلت الى قلعة السها جرى على فيها ماجرى وماقدروا على الأعداء بسوء تدبير هذا المفتول الظالم لنفسة لأنه بقلة تدبيره افنى البطارقه والروم وأمرته أن يكتب اليك كتاب يعلمك بتلك الأسباب فما فعل إلا برأيه المنحوس والآن فقد بلغ الأمر إلى المنتهى والمسلمين قد ملكوا قلعة السهى التى مالها مثيل فى الدنيا وبناتى واختى معهم سبايا ومابقى لى معول الا عليك ولا ملجأ الا اليك ثم ان الملعون بكا وناح وعدد على النصرانيه حتى زاد على الملك وحاف وفى الايمان شدد أنه مايرجع حتى يملك الدنيا ويقطع أثر المسلمين من سائر الأرض ويشهر دين الصليب طول وعرض ثم قال وأنت ياشيخ من يقول لك من عباد المسيح لأنى ماسمعت بهذه الصفة التى ذكرتها إلا أن يكون الشيخ النجيح وراهب آخر فى بلاد القسطنطينية يقال له شومدرس وهم الذين ينزلون بالمسلمين المصائب وجاهدوا فى بلادهم واظهروا العجائب ومن أجل هذين الاثنين كنت خارج حتى أكون لهم عون على بلوغ المطالب وافتح لهم البلاد واتعلم منهم حقيقة الجهاد فقال عقبة أيها الملك فأنا أحد الشخصين الصالحين أنا هو الشيخ

النجيح الذى شاب رأسى وجوارحى وعظمت على المحمدين مصائبى بما اجاهد فيهم وأقاسى وقطعت أصابعى وقلعت عينى واضراسى (قال الراوى) فلما سمع شمخولص من عقبه هذا الكلام قربه إليه وادناه ورفع قدره وعلاه وقال ابشر أيها الشيخ النجيح فما قدمت إلينا إلا وأنت هدية من عند المسيح حتى تزيدونا فى ديننا يقين وتخرج معنا إلى بلاد المسلمين وفى هذه الإيام اجمع العساكر وأسر قلبك بما أفعل فقال عقبه أيها الملك أخاف أن هؤلاء الشياطين يرجعون ويخرجون من تلك الأرض وهم سالمين فكانت مرارتى تنفطر لأن فيهم العجوز التى أهلكت من أمة عيسى بعدد ورق الشجر وفيهم أيضا واحد أشقر الذى هو فى سائر البلاد مصورومعه أولاده الذين هم أعير منه وأمكر وأوفى وأشطر فقال الملك ياشيخ لاتخاف من عودتهم فى البر فانه بعيد ونحن نلحقهم ولو إلى مصر والصعيد فأقم عندنا حتى نفرجك على أرضنا ونريك ملكنا ونجمع عساكرنا ونسير فى كرة واحدة تملك البلاد ومن أبى ولم يدخل تحت طاعتى ولا فى ديننا ضربناه بالسيوف الحداد فقال عقبه ياملك مايهدى لى قرار ولا أريد أتفرج على هذه الديار الاعلى صلب أعدائى الذين قدألهبوا قلبى بالنار وان هم عادوا سالمين من هذه الديار قطعت من وسطى الزنار وكفرت بالصليب وعدت إلى التوحيد ودخلت النار (قال الراوى) هذا وقد صاح الملك على حجابه ان يجمع العساكر الذين فى جزيرة الحائط وينادون بأخذ الاهبة وأنفذ خلف أهل القلاع القريبه منه وأمرهم أن يجتمعوا إلى قلعة السها وكتب لهم فى الكتب أن يسيروا فى البحر ونكون نحن قد قطعنا هذه المسافة التى قدامنا فى البر ونشرف كلنا على الاعداء فى يوم واحد وأنا أعلم أننا نأخذهم فى ساعة مانراهم ونقيم هناك إلى ان تجمع العساكر ونسير إلى بلاد العرب وأخذ معه من أولاده ثلاثة وسيرهم فى التقدمه ومعهم عشرة آلاف فارس وراح هو والقاضى عقبه فى خمسين ألف فارس وقال لباقى أولاده يجمع العساكر ويتبعوهم إلى قلعة السها وسار يقطع الارض فى طولها والعرض حتى أشرف على الامراء وكانوا أصحاب القلاع قد اجتمعوا وساروا بعده بسبعة أيام فلحقوهم فى ذلك الوقت فى البحر كما ذكرنا وكان وصول هؤلاء وهؤلاء فى يوم واحد والامراء قد أخرجوا الاموال والرحال وعولوا على الارتحال فرأوا الدنيا قد انقلبت عليهم وهى تضج ضجيج نقضا ورفقا وحوافر الخيل فى الآذان وقعا وكادت الجبال تقلع قلعا من كثرة ركض الجنائب وضجيج المواكب وهم كلهم بالعدو والحرب والخيول العربيه والسيوف الافرنجيه وتروسهم من جلود دواب البحر المعموله المدهونه وعلى أجسادهم ثياب الحرير البهيه وفوق صدورهم الصلبان الجوهريه وفى أوساطهم الزنانير الابريسميه (وأما الاميره) لما نظرت إلى تلك العسكر والقضية قالت لاصحابها ياأهل دين الحنيفية يامعاشر الامة المحمدية

هذه الواقعة المرضيه فى طاعة رب البرية فقال البطال وماالذى تريدى ان نفعل أيتها الاميره العامريه قالت أريد أن أحمل على هذه الطليعه واترك لنا اليوم وقعة مسموعة يترضون بها عنا أهل الشريعه فقال البطال دعينا حتى نعود إلى القلعة ونشغل أهل المراكب وتلتجى اليها عندشدة المطالبة وتكون القلعة لناعدة حتى يأتينا الفرج من هذه الشدة فما هذا العسكر يقدرون لقاه وكان معهم من المرافقين أربعة آلاف أسود وعربان فقتل منهم فيما تقدم ثلثمائة والباقى ثلاثة آلاف ومائتين وان الاميره لما سمعت قول البطال علمت أنه صواب فأعطته مائتين من السودان ومائة من بنى كلاب وقالت لهم ردوا الاموال والرحال وبقيت الاميره فى باقى الرجال وقالت يابنى عمى نريد نقصد إلى الطليعة التى للروم وننصر دين الحى القيوم ولانعود إلى القلعه الا عن غلبه حتى لانكون قد ولينا الادبار عند وصول الكفار فقالوا لها افعلى ماتريدى اليوم نقصد الطليعه بتاع الروم وننصر دين الحى القيوم ولانعود إلى القلعة فقالوا لها افعلى مابدالكى فما نحن تابعين أفعالك وقد علمنا أننا كلنا فى هذه الديار نفنى ولايسلم منا أحد ولافينا إلامن قطع آماله من الدنيا وايقن أن أولاده قد صاروا يتامى ثم من بعدذلك جردوا السيوف الثقال وندبوا المنازل والاطلال وحملوا يطلبون الطلائع ويكبرون وقد قطعوا من الحياة الآمال والظنون وكانت مقدمة الروم الاعلاج وتأهبت بطارقتها بعد الانزعاج من حيث رأوا عصابة الاسلام قليله وحملوا يطلبوهم فاختلط الجمع وطاب العطاء والمنع واختلط الصياح وبرقت الصفاح وخرجت الارواح من الانام وهبت الرياح وتقصفت الرماح ورفعت الروم أصواتها ومقالها بكلمة كفرها وصلاها ومدت قنطارياتها بأسنة قضبانها وبانت أحداقها بعد ماعملت صوارم أهل الجهاد فى أكبادها واجسادها واسودت المعمعة بعد البياض من كثرة الدم الفياض وطارت الجماجم فى الاعتراض وارتجت الأرض من تصادم الرعاد ونظروا من السودان غاية الامراض ونفذ السنان فى الحشى وخاض ودام القتال والانقراض ونظروا من السودان مالم يكن لهم فى الحساب ووقع فيهم الفناء والذهاب وأخذتهم الدهشه من التكبير ووقع بهم الفزع عند ذلك اللطيف الخبير لأنهم قد سمعوا الكل مالم يعهدوه وشاهدوا مالاشاهدوه فقالوا إلى أن تعالى النهار وولوا الادبار (قال الراوى) وكانوا المسلمين ثلاثة آلاف مامنهم الامن قتل الواحد والاثنين وفيهم من قتل خصمه وقتل وكانوا قتلى المجاهدين دون المائة رجل وقتل من الكفار ستة آلاف وانكسروا ورجعوا الباقين على أعقابهم والمسلمين من ورائهم فى الطلب وما هم إلا أن أبعدوا عن القلعة بشوط جواد حتى طلع الملك الاكبر وبانت أعلامه وقد بقيت عساكره من ورائه وقدامه وكان لما رحل من جزيرة الحائط رحل فى خمسين ألف فارس فتلاحقت به الروم من الرساتيق إلى أن

أشرف على قلعة السها وهو فى ماة ألف وجيوش له من ورائه متلاحقه والمواكب مثل البحار المتدفقه وما هو إلا أن طلع واستقبل الطليعة وهى منهزمة وفرسان عصابة الاسلام من ورائها فلما رأت عصابة الاسلام تلك المواكب المختلفة استغاثوا إلى عالم الخفيات وذكروا الربوع والاطلال والاولاد والعيال ففاضت الدموع وتلهفوا على الرجوع وزاد القياس وكثرت البطارقة والارجاس وقلت الشجاعة عند كثرة العدد وضعف القوى والجلد وصاروا يطلبون الخلاص فلم يجدون إليه سبيل فأيقن كل واحد منهم أنه قتيل هذا وعقبه يصيح ياعبدة الانجيل اشفوا بقتل الاعداء نار الغليل وكلما وصل موكب يقول لهم دونكم والحرب والجلاد قبل أن يفنونا المسلمين (قال الراوى)يا ساده يا كرام ودام القتال على هذا الوصف والعمل حتى وقع بالمسلمين الملل وقتل منهم دون الالف بطل وعادوا يطلبون القلعه واذا بالباب عليهم قدملك وعنده عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى والملك قد سبقهم إليه وحول خواص جزيرة الحائط والمواكب معتركه والاعلام مشتبكه وتاروا الامراء طالبين الباب فصاحوا عليهم من كل جانب وحمل عليهم خلق بعدد التراب فلما رأوا ذلك انقطعت بالمجاهدين الاسباب وسدت فى وجوههم الابواب ونادى أبوسكران ياويلكم قاتلوا عن نفوسكم واطلبوا الجسر الذى عبرنا منه إلى هذه الارض لعلنا نعبر عليه ونقطعه ونترك هذا العسكر برا الخليج ونبصر مانفعل والا مايبقى منا مخبر فلما سمعوا السودان ذلك الكلام رأوه صواب وجعلوا يدافعون ويتأخرون وبنى كلاب لهم تسع والاميره تصيح عليهم ولا فيهم من يرجع ولايسمع لأن ملك الموت فى وجوههم قد تطلع وسل صارم القضاء فلمع وطارت القلوب من الفزع وجرعت النفوس كاس الحمام جرع ولماوصلوا إلى الجسر وجدوه مقطوع والعبور عليه ممنوع (قال الراوى) ياساده وكان السبب فى ذلك الملعون عقبه لأنه رأى المسلمين قد عولوا على الهرب خاف أن يسلم منهم أحد من العطب أو يلتجوا الى القلعه ويحمون أنفسهم بالحصن والمنعة فأمر الملك أن يملك عليهم طريق الباب وصاح فى المراكب من على الساحل وأمر الركاب أن يدوروا حول القلعه وأن يقطعون الجسر ويزيلون الاخشاب حتى لا يكون للمسلمين سبب من الاسباب ففعلوا أهل المراكب ذلك ووصلوا المجاهدون فوجدوا الخبر على ذلك الحال فأيسوا من الحياة وايقنوا بالوفاة وعمل فيهم السيف وهم حيارى وتمنوا أن يأخذوا الكل أسارى فعندها نادت الاميره ياقوم والله ان العمر الطويل والقصير واحد إذا كان منغص اللذات والعاقل الذى لا يندم على مفارقة هذه الاجساد والبشريات الذى يحضر أجله فى مثل هذه الوقعات ويرزق خاتمة الخير والسعاده عند نفاذ الانفاس المعدودات ويقابل القضاء بالصبر والرضا على النائبات ولا يعترض على عالم الخفيات فهو أشفق على

أولادكم منكم وارحم بالبنين والبنات فجاهدوا واغتنموا هذه الساعات وبيعوا النفوس لمن من بها عليكم وعاد يشتريها منكم بافضل الهبات والعطيات وتخدمكم الولدان والحوريات فشمروا عن ساق الاجتهاد مادام المولى مطلع عليكم ويراكم ويسمع نداكم ويرحم شكواكم (قال) ولم تزل الاميره فى وعظ الرجال حتى هانت عليهم الآجال وقطعوا المطامع والآمال وعادوا وهم يطلبون الحرب والقتال وقدوجدوا الراحة بهذا الكلام وهى فى أوائلهم تقول ياقوم اتبعونى واحموا ظهرى حتى التقى عنكم الرماح بصدرى ولم يكن قصدكم الاالقلعه لعلنا نصير فيها ويقل غنا هذا البلاء والاهلكنا من الخلائق التى ملات الفلا ثم عادت تبرى بسيفها الرماح وتلعب بمهج الارواح وقد رمت البيضه عن رأسها ونزل شمطها الابيض على اكتافها وأبا سكران إلى جانبها وظالم قدامها يضرب بالسيف كل ماكلت مضاربها وقتالها وباقى الرجال تتبع والضجيج عليهم قدارتفع وحبل الحياة قد انقطع والصائح يصيح ولايسمع وجيش الكفر كلما جاء فى زيادة مثل الماء اذا نبع الا أن عودة المسلمين فى هذه الكره عودة من أيقن أنه اذاحمل لايرجع والاميره كلما سمعت أصواتهم قداشتد قلبها واتسع صدرها وضربت فى الروم وحمتهم من شفقتها عليهم مثل ماتحمى اللبوة أشبالها الرضع وهى مع ذلك تنشد وتقول .

أيارب لاشك هذا الموت وارد ... وقعنا فكن للمسلمين مساعد
فقد قطعوا الآمال من كل لذة ... ومنك يرجى يا إلهى الفوائد
وباعوك أرواح عليهم عزيزة ... وقد أخلصوا النيات فيك وجاهدوا
وقد هجروا أوطانهم وتغيروا ... وأنت لما قد أظهروا اليوم شاهد
وأطفالهم قد أصبحوا من وراثهم ... ينادوا بذل مالنا اليوم والد
وهم بين قوم يشركوا فى مقالهم ... وما فيهم الا كفور وجاحد
وعقبه يغويهم بها ويحثهم ... علينا وقد خابت لدينا المقاصد
ومابى قتلى غير أن جوارحى ... تحن الى من شخصه متباعد
سيبلغه انى قلت غريبة ... فيغما ومن أجلى يلقى الشدائد

(قال الراوى) ولما قربوا من باب القلعه طمعوا فى الحياة وثبتوا آجالهم بأحبال النجاة وكان قد قتل منهم فى هذه النوبة ألف ومائتين فارس من المجاهدين وقد وقاتلوا حتى قتلوا وقد قتلوا امثل أضعافهم من المشركين وأماالباقين فانهم قاتلوا إلى وقت الاصفرار وقدوصلوا إلى باب القلعه ونظر الملك اليهم وقد قربوا منه فحمل الملك بنفسه فى الموكب الخاص وقاتلوا إلى العشاء وطلبوا المجاهدين إلى باب القلعه وقد رجعوا عنهم الكفار وصاحوا على البطال ومن معه من الابطال فما أجاب من القلعه ولامن الابراج انسان لامن العرب ولامن السودان

فقالت الأميرة إنا لله وإنا إليه راجعون ياقوم لايكون البطال قد تم عليه أمر من الأمور من جانب المواكب فهى فى الكلام والباب قد انفتح وخرج منه البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ وهم ينادون الحقونا ياسيوف الإيمان ادركونا يا أهل الاحسان فقد تم علينا أمر فى هذا المكان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك لما رجع البطال إلى القلعة يحفظها ومن معه من الرجال المائتين وبقيت الأميرة ومن معها مع عبدة الصلبان ولما صاروا فى الحصن واغلقوا الباب رأى البطال مراكب الروم قد داروا بالمكان من كل جانب وأقبلت من باب المينا تطلب الدخول فقال لأصحابه لافيكم من يطلب القتال حتى أوريكم ما أفعل من الاحتيال ثم أخذ أصحابه ونزل إلى وسط الحصن وقال لهم كونوا اشهروا سيوفكم وكونوا مستيقظين ومن رأيتموه قد دخل إليكم من هؤلاء الملاعين فدونكم وإياه بلا جلبه ولا صياح حتى تكونوا مثل الأميرة فى جهاد الأعداء ورضا رب العباد ولبس هو وولده وغلمانه فى زى الرهبان وتظاهروا فى زى زهاد الصلبان وتقدم بهم إلى البحر وفتح باب المينا ونادوا بمراكب الروم إلينا ياعبدة المسيح فنحن رهبان دير القدرة وقد كنا فى أسر المسلمين والساعة قد خرجوا عنا إلى عسكر الروم فدونكم أنتم والحصن واحتووا على القلعة عندنا والا يطول على الملك أخذها ونرجع نحن نقع فى أيديهم فلما سمعوا البطارقة ذلك تراموا إلى الباب وكان أول من دخل مقدم الروم وهو يسمى الدومران على المراكب وصعدت خلفه البطارقة من كل جانب وما هم إلا ان صاروا داخل الأصوار حتى تواثبت عليهم السودان وبنى كلاب وضربوا فيهم بكل حسام قرضاب وهم داخلون يزدحمون حتى صاروا وقت الغياب وكلت أيدى المجاهدين من القرصاب وتكاثروا عليهم الروم وصاحوا بأصوات منكرة لما علموا أنها حيلة من البطال وفتك الدومران فى السودان وأباد بسيفه عبدة الرحمن وكان مذكور فى ملة أهل الصلبان موصوف بالفروسية فى كل مكان شديد الكفر والطغيان متجريا على الواحد المنان (قال الراوى) وتم بينهم ضرب البتار حتى انسدلت غياهب الاعتكار ورأى البطال أن أصحابه قد ملوا وتعبوا وقتل منهم أوفى من سبعين فارس سودان وعربان فندم البطال على هذه الفعال ونظر إلى الحصن قد امتلأ من أهل الضلال فطلب الباب هو وغلامه وولده كما ذكرنا فوجدوا الأميرة هى وأصحابها قيام فى الانتظار وقد علاهم الاصفرار فنادى أيتها الأميرة ادخلى الحصن أنت والرجال وانظرى ماتم علينا من الأحوال ثم حدثها بما جرى له من الحيلة وكيف انقلبت عليه فعندها دخلوا الرجال وقفل البطال الباب فعندها صاحت الأميرة وكبرت ونادى ظالم تابعا لها واشهرت سيفها وقالت ياويلكم أيملك الحصن مناولم يبق لنا مكان نلتجىء إليه ولاموضع نعول عليه هذا ولما نظروا أصحاب

البطال عاشت منهم الأرواح وطمعوا فى الروم لما رأوا أصحابهم الأبطال وحمل أبا سكران على الدومران وهو يهدر مثل المجنون وضربه بصارمه البتار وإذا برأسه قد طار وبعده وقع البلاء على الكفار ونثرت رؤسهم بسيوف الأبرار وغضب على المشركين الملك الجبار فعادوا يطلبون باب المينا وقع فيهم الفناء ولم يسلم منهم إلا من رمى روحه إلى البحر وتعلق ببعض المراكب والباقون تساقطوا فى الماء والذين تساقطت رؤسهم عن المناكب وأمرت الأميرة بغلق الباب وأوقدت الشموع والمشاعل وافتقدوا من قتل من المجاهدين فى القلعـــة فرؤهم أوفى من ثمانين قتيل من سودان وعربان فصعب ذلك على الأميرة وقالت ياأبا محمد قد خاطرت بنا وبالقلعة الذى أدخلت هذا الخلق الكثير وأنت فى مائتين فارس وبالله لولا أدركناهم لملكوا القلعة وكنا نحن بقينا طعاما لسيوف العدا عبدة الصلبان وان واحد من المسلمين أحب إلينا من طائفة من الروم فقال البطال ياأميرة ماحسبت هذا الحساب والا ماكنت فعلت هذه الفعال وإنما أنا قلت الساعه يدخل منهم طائفة قليلة وتغلق الأبواب عليهم ونبذل السيوف فيهم وكان الأمر بخلاف ذلك وغلبنا من غلق الباب حتى جرى هذا الحال الذى كان لابدمنه والساعه فما بقى فى الأمر اننا نقطع رؤس هؤلاء الملاعين ونرمى بها عند الصباح إلى القوم الكافرين حتى نضعف قلوبهم ونحل عزائمهم فقالت الأميره والله ياأبا محمد لقد لقينا نحن اليوم مالقيناه طول أعمارنا ومارأينا القلعه حتى هلك أكثرنا من كثرة هذه الخلائق ولولا قدم الليل بالاعتكار ماكان سلم منادياروان لم يسهل الله لنا شيأ يكون فيه خلاصنا والافنحن نهلك عن آخرنا ومالنا من يوصل إلى بلاد الإسلام خبرنا (قال الراوى) وكان الملك شمخولص قد نزل إلى الخيام وهو ضيق الصدر كيف لم ينال من المجاهدين غرض والبطارقة يعتذرون ويقولون قد منعنا عنهم الليل بسواده وإلا كنا أهلكناهم عن آخرهم وفى غداة غد ننجز أمرهم (قال الراوى) وما أصبح الصباح إلا والدنيا قد ملئت بالجيوش من كل جانب وقد قدموا فى الليل حتى ملكوا المشارق والمغارب وركب الملك وهو فرحان بكثرة الخلائق وبزيادة المدد وعقبه يقول أيها الملك لوكان الساعة معك نقابين ينقبوا هذه المدينه لاخذت المسلمين سرعه لأننى أعلم أنهم مابقوا ينزلون ولايخرجون إذ قد رأوا هذه العساكر العظيمة فقال الملك طب نفسا وقرعينا أيها الشيخ النجيح فمعنا خمسة عشر نقاب وهم فى المراكب واجهزتهم من الجزيرة وقدمت عليهم الدومران مقدم بطارقة البحر الساعة أنفذاليهم وآمرهم أن يطلعوا الينا (قال الراوى) فهم فى الكلام والرؤس قد تناثرت عليهم من الابراج كانها رؤس الشياطين ووقع رأس الدومران المقدم على بطارقة البحر إلى بين يدى الملك فلما رأى

الملك ذلك الحال قامت عليه القيامه وأمر أصحابه أن يقدموا باقى الرؤس فقدموها وتبينها فعرفها وكانت أربعمائة رأس من المراكب فعظمت على الملك المصائب واشتدت فى وجهه المذاهب ورجف قلب عقبه على أخته وبنته وقد عظم قتل البطارقة عليه وبقى متطاع إلى القلعة

(قال الراوى) ونظر البطال إلى فطرة الروم والخمده التى وقعت عليهم فقال ائتونى برأس أخت عقبه وبنته عقبيه حتى أرميها إلى الشيخ النجيح ويفرح بهما فؤاده ونعلمه أننا قد أخذنا بثار بنات طوق وبثار العلويه فأتوه غلمانه بشمط رأس عقبيه فرمى بها إلى صدر أبيها فوقعوا بين يدين عقبه مثل الاكره وبصرها الملعون فعرفها وكان راكب فترجل ولطم على وجهه وعينه حتى غشى عليه ولما أفاق وقعت رأس أخته عاقبه عليه فزاد حزنه وقطع سائر ذقنه وعارضيه وأخذ الرأسين فى يديه وجعل يدق بهما على فؤاده وينادى بالمسيح ماهذا مليح وأنا الشيخ النجيح تمكن الأعداء من هذه العجوز الصالحه الكالحه وهذا الوجه الاغبر الذى من تصبح به لم يرى خيرا فى عمره أبدا وتترك فؤادى بفقدهما قريح ثم قال ياعاقبه إلى جنات النعيم حشرك المسيح مع أخيكى الشيخ النجيح وحجة ابليس فى الأرض فلقد كنتى ركنا من أركان ابن مريم فهدموه الاعداء وسقوك النقم ثم زاد به الامر فعدد كما تعدد النسوان ثم عاد عقبه إلى الملك وقد اشتد غضبه وزاد التهابه وقال أيها الملك ما بقى لى على هذا الامر صبر ولا احتمال حتى أشفى فؤادى اليوم والامت فى الحال وخرجت روحى من فعال هؤلاء الانذال الذين قد الجعونى فى أهلى وشتتوا شملى وقتلوا الصالحه أختى عجوزة الخير ومحملة كل بيعه ودير وأنهم تحصنوا بالقلعة ولا يخرجون فقل لسائر الروم يترجلون ويزحفون ويعرقبون الابراج وينقبون ويضربون هؤلاء الكلاب بقوارير النفط والنار لعلهم يحترقون وتبرد نار قلبى وقلبك إذا أخذت نار أصحابك فقال الملك مانحتاج إلى هذه الفعال اصبروا انظر حسن خبرتى بالقتال ثم قال للنقباء اؤمروا الجيوش أن تركب الجنائب وقولوا لهم أن يقربوا من القلعة ويركضوا بالخيل ركضا وخببا حتى أورى هذا الشيخ النجيح ما أفعل فتفرقت الجاويشيه والنقباء وداروا على عساكر النصرانية ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى تجهزت عساكر الكفار وزحفت مثل البحار وداروا بالحصن من كل جانب وأخذوا فى الخب والركض حتى تزلزلت الأرض وماجت فى طولها والعرض وخيل لمن فى القلعة ان القيامة قد قامت والزلازل قد دامت من شدة الرجفات ساعة من النهار حتى تهدمت الاصوار وأيقنوا المسلمين بالبوار وطارت الشراريف من رؤس الابراج وأشرف الحصن على الوقوع وماجت أطلاله والربوع

(قال الراوى) وكان جانب القلعة البرى على الارض الرمله لانها على ساحل البحر فما هو إلا أن دام عليه الرجنان ساعة من النهار حتى تهدمت الاصوار وايقنوا المسلمين بالدمار وكثر

عليهم صياح الكفار ووقع يعقبه العجب والانبهار وقال وحق المسيح هذا شيء ما رأيته قبل اليوم وما هذا الاملك شديد الرأى والساعة وحق المسيح نهلك الاعداء وتبرد نار قلبي وتهدى (قال الراوى) هذا والاميره قد أبصرت ماهالها ورأت القلعه وقد أشرفت على الانقلاب من شدة زلزالها فقالت ياأبي محمد كيف ترى هذه المصائب الوارده هلكنا هذا البطريق مرة واحده والساعة ينقلب الحصن بنا ويبلغ عقبه منا غاية المنى فقال البطال دعى عنكى هذا المقال فهذا شيء مايهمنا ولو أن القلاع تقع من ركض الخيل وصاح ركابها لما بقيت قط قلعة لأصحابها فقالت هذا صحيح ولكن من أين يتفق لهذه الأرض هذا الاتفاق ان تجتمع مثل هذه الخلائق على مثل هذه القلعة الضعيفة التى بلا أساس وهى على ساحل رمل وتركض طوله مثل هذه المواكب وتدور بها من كل جانب وما أرى من الرأى غير النزول والخروج إلى الجهاد والموت فى كتائب أهل الكفر وعبدة الصلبان ولا نموت كذا موت الغبينة وتنقلب تجارتنا فى الحشر خاسرة مغبونة ثم صاحت ونزلت طالبة الباب وتبعوها السودان وبنى كلاب وهم موقنون بالهلاك والذهاب وبقى البطال وغلمانه وأبا سكران وجماعة من السودان خوفا على المكان من جهة المراكب وكان الذى اتبع الأمير ألف فارس مع الأمير ظالم وبقى فى الحصن مائتان وقلب البطال عليهم فزعان لأجل ماأبصر من كثرة الروم وعاين من ذلك الخلق العظيم (قال الراوى) ياسادة ياكرام وما هو إلا أن خرجت الأميره ذات الهمة من الباب وصارت ظاهرة هى وبنى كلاب والسودان الأنجاب حتى صاح شمخو لص فى البطارقة والحجاب دونكم وإياهم الساعة فقد حسبت هذا الحساب وما قد خرجوا إلا من شدة الزلزال وخوفا على القلعة من الانقلاب فقودوهم إلى بين يدى حتى أشفى فؤادى وأقر عينى فعندها هاج إلى المسلمين التغير وأطلقت نحوهم الخيل وطلبوهم مثل الدبابير وارتفع الصياح نحوهم حتى خيل للناظرين أن الجبال بهم تسير وعلا من المجاهدين التكبير ورفعوا قصتهم إلى اللطيف الخبير وتباشرت بنعيم الجنان ومصاحبة البشير النذير وحملوا بما نعون عن أنفسهم وقد رأوا العدد عليهم كثير فهناك جرت الأحكام والمقادير وعمى عمل البصير ووقع بالسماع التحيير وسمع للروم فى الأوداج جرير وطلع الغبار فى الأجفان والمناخير وأرسل ملك الموت إلى الأرواح بشير ولم يزل الأمر على مثل هذا الحال حتى عبر وقت العصر وطلبت الشمس الزوال وكانت الألف من أهل الايمان قد ضاعت فى مواكب أهل الصلبان وقتل منهم فى ذلك الوقت ثلثمائة فارس كرار وعادوا الباقين يطلبون القلعة فى آخر النهار يرجون الخلاص من الكفار وقد صار وقت الاصفرار والارواح خائفة فى الابدان وعلا الصياح من كل جانب ومكان (قال) وكانت الاميرة من وقت ماخرجت جعلت قصدها إلى موكب الملك ترجو بذلك

ان تصل إليه تقتله وتكون قد أخذت لنفسها بالثار قبل هلاكها والبوار ولم تزل على مثل ذلك تشق المواكب والكفار قد تقهقروا قدامها حتى صار آخر النهار والكفار تلطمها من كل جانب ومكان كما يلطم الهواء موجات البحار فعز بها الاصطبار والتفتت إلى ورائها فلم ترى أحدا من أصحابها الأبرار ترجو منه الانتصار فعلمت أن عندهم ما أشغلهم عنها فأيست عن نفسها ولم تزل تمانع وتقاتل حتى خذلت منها المناكب وأتى الظلام بالغياهب وبين القلعة وبينها مواكب بعدد الكواكب وهى تضرب الأبطال وتنكسهم عن المراكب حتى تثلم حسامها من شدة المضارب وتطاير قطع ولم يبق به فى يدها غير القائم وحلت منها العزائم وزاد عليها الأمر حتى قتل جوادها من تحتها ووقعت إلى الأرض وهى تمانع عن نفسها والطوارق تصدها والبطارقة تقاحمها حتى وقعت إلى الأرض على وجهها من شدة التعب وثقل الحديد فأخذت أسيره من على وجه الأرض والصعيد وقد بلغنى أن ماوصل إلى باب القلعة سوى خمسمائة فارس مع الأمير ظالم وبقيوا قيام فى انتظار الأميرة وسمعوا حس الصياح عليها وصعب عليهم الوصول إليها فدخلوا إلى القلعة وهم حيارى ومن الحرب سكارى وأكثر ظنهم ان الأميرة قد قتلت ولما صاروا فى الحصن سأل الأميرة ظالم أبى محمد البطال وأبا سكران عما جرى لهم مع أهل المراكب فقالوا نحن فى راحة لأن جانب القلعة البحرى على جبل كما ترى مانبالى بالاعداء ولا لأحد عليه سبيل الامن الهوى فقال ظالم والله لقد لقينا نحن اليوم البلاء مما جرى علينا وهلك أوفامن نصفنا لأننا خرجنا إلى عالم كثير مثل البحر إذا طما لايحد له عدد ولا يحصى له مدد ثم انه بعد شرح حاله زاد بكاه وذكر فقدسته ذات الهمة فعظم جواه ونادى واغربتاه واشماتة الأعداء واساه كيف تهلك فى هذه الأرض ولا يعلم بنا أحد ولا لنا من يوصل أخبارنا إلى بلاد الحجاز ويسمع الأمير عبد الوهاب ولكن هذا كله بحكم العلى الاعلى وزاد به البكا وذكر أباه فأقلقه الحزن ولم يزل الامير ظالم يندب بمثل هذا المقال حتى أبكى الرجال بالدموع الهطال وقد تقلقل لشواه قلب أبى محمد البطال وسمع أن الاميرة قد وقعت مع الأعداء ففزع عليها من عقبه الملعون شيخ الضلال فقال وهو يقول ان شاء الله تعالى آتيكم بخبر الأميره ان كانت قتيله أو أسيره ثم غير زيه وزى ولده وأخذ معه مخلاة حيلته وكلما يحتاج اليه من عمله وخرج يطلب عسكر الروم وقد تلاطمت فى قلبه أمواج الهموم لأجل الأميره ذات الهمه فاطمه بنت مظلوم (قال الراوى) فهذا جرى ههنا (وأما ما كان) من بطارقه الروم فانهم لما احتووا على الأميره حملوها إلى عند الملك شمخولص وقدا نسدل الظلام وعادت عبدة الصلبان إلى الخيام ونزل الملك فى سرادقه والغيظ كاد يخنقه كيف خلصوا المسلمين من يديه فما هو إلا أن جلس حتى دخلوا عليه بالأميره وقالوا أيها الملك شيطانة المسلمين التى

لولاها كنا اليوم قد أهلكنا أصحابها أجمعين نخذ منها بثار أصحاب المراكب وأمرنا حتى تنهب جسدها بشفار القواضب.فقال لاوحق المسيح لاعجلت عليها بالقتل قبل العذاب لأن القتل لها راحة وان لم أشعل عظامها بالنار مايبرد قلبى ولا يقر لى قرار فهو فى الكلام وعقبه الغدار قد دخل عليه مثل الشيطان ورأى ذات الهمه فلم يسلم على الملك بل انكمش عليها بما فى قلبه منها وعضها فاخذ فى فمه من لحمها قطعة ولطم وجهها حتى جرت الدماء من خديها وجعل يرقص قدامها ويقول ماكان المسيح بالذى يغفل عن تلك العجوز الكالحه وقد كانت طول حياتها فى العباده غادية ورائحة ثم قال أيها الملك ايش تنظر بهذه العجوز السوء التى هى شمطة على عبدة الصلبان وآفة على الروم فى كل مكان أقرض لحمها بالمقاريض حتى آكله وأشرب دمها وانها كما قد أحرقت فؤادى بهلاك أختى وأولادى فقال الملك لاأيها الشيخ فما قتلها الليله بصواب وانما الصواب عذابها حتى نأخذ باقى أصحابها وتكون قلوبنا قد اشتفت منها لأن القتل له فرد غصه والعذاب له غصص كثيره وكروب وحريق هؤلاء القوم وصابهم وبعضهم يرى فيه شقاء للكروب فقال الملعون عقبه وهذا وحق المسيح هو الصواب وماأريد منك إلاأن تنعم على وتولينى عذاب هذه الشيطانه إلى الصباح لأنك قد علمت ايش فى قلبى منها وأخاف ان بقيت عندك تكلمك بكل كلمة صعبة تقتلها وكانت تبقى فى قلبى حسرة فقال الملك صدقت وحق المسيح خذها عندك أنت واشف فؤادك منها ولا تقتلها حتى أريك ماأفعل بها وبقومها عند الصباح فعندها سحب الملعون عقبه شمط الأميره وقال لها قومى ياملعونه فالليله آخر لياليكى من الدنيا فقامت الأميره وهى مكتوفه شديدة الكتاف وقد أيقنت بالتلاف فقالت لعقبه ويلك ياملعون افعل ماشئت فما منا إلا من أيقن فى هذه الديار بالتلاف لاجل قتلنا أختك وابنتك وكل أصحاب الملك ورميناهم برؤسهم على أنك تعلم ياملعون ان أهون ماعلينا الموت وما يفزع من الموت إلا أنت لانك حطب جهنم ونحن فما هو عندنا إلا مثل خلع القميص وليس غيره لان أرواحنا إذا فارقت هذا الجسد وصلت إلى الواحد الاحد وهو عنها راض غير غضبان لاجل مابذلنا نفوسنا فى اعزازدينه فقال عقبه وحق المسيح ياصبية مرزوق لاذيقنك فى هذه الليله أنواع العذاب ثم سار بها ومعه عشرة من البطارقه بتوع جزيرة الحائط يسوقوها إلى خيمته ولما حصلوا فى الخيمة قال للبطارقه خذوا حقكم منها وانصرفوا إلى أشغالكم ودعونى أعذبها إلى الصباح فعندها تقدموا الملاعين ومافيهم الامن لطم الاميره على وجهها وضربها وعقبه يفرح بذلك ويقول جزاكم المسيح خيرا وأثابكم على ماتفعلون ثم تقدم بعدهم بطريق قصير ضعيف مريض وجعل يضرب الاميره على وجهها بسوط كان معه

(ياساده) فلما رآه عقبه أخذته البهتة اليه وقال له من أنت أيها البطريق من أصحاب الملك

فقال أنا معدكوس بن معقبان جلاد الملك وصاحب سيف عظمته والساعه دخلت عليه فقال لى كن الليله عند الشيخ النجيح احفظه من هذه المسلمه وأعنه على عذابها فقال عقبه المسيح يحفظ الملك كما انه يهتم بمشايخ الدين وينظر فى أحوال الصالحين افعل أيها السيد ما بدا لك واشفى فؤادك بطرف من أفعالك فعندها تقدم البطريق إلى الاميره وجعل يلطم وجهها ويبصق عليها ويضربها بسوط كان معه حتى كاد يقضى عليها وعقبه يتلذذ بذلك ويقول وحق المسيح ان عذابها أفضل من قتلها وما أتى هذا البطريق الا سخطة عليها هذا والبطريق قد فتح مزودا لطبق وأخرج منه حبل قطن رقيق وفيه كلاليب من الحديد وقد أضاءت ورؤوس أحد من الشوك فجعل يرتبها وينظر إلى ذات الهمه ويشتمها بالروميه ويقول لعقبه ياشيخ انظر الليله العجب من عذاب هذه المسلمه واكتبه عندك فى كتاب الملحمه ثم أخرج سلسلة طويلة وتركها فى رقبة الاميره وأدارها على أكتافها وهى تبكى وتقول اللهم انى أسألك ياملك ياقدوس يامنزه عن القيام والجلوس يامن حكم بالفناء على النفوس نجنى من العذاب والبؤس واكفينى شر هذا الوجه العبوس واصرف عنى كيد هــذا البطريق المنحوس (قال الراوى) وكانت الاميره كلما دعت يضحك الملعون عقبه ويقول ياملعونه إلى من تصيحى بالدعاء والمسيح قد سلط عليكى هذا البلاء وبعث إليكى من يذيقكى غصص الموت قبل القتل (قال الراوى) والبطريق قد مكن السلسلة من رقبة الاميره ومد الحبل إلى نحو القاضى عقبة وقال له أيها الشيخ قم حتى أشركك فى الثواب وأريك صفة بلادنا كيف أشفى فؤادى من هذا الذى قد أتيت به إليك ثم قام عقبه وشد طرف الحبل إلى رقبته وأقامه على يديه ورجليه وأخرج الحبلين من بين فخذيه وترك القراصات والكلاليب على أكتافه وأضلاعه وجنبيه وقال له امشى معى الساعة أيها الشيخ النجيح إلى قدام وانظر مايحل بهذه المسلمه من الانتقام وتعلم شيأ تذكرنى به فى كل عام فتعجب عقبه من ذلك وقال ايش تنظرى وترى ياذات الهمه فى هذه الصنعه التى ما كانت لكى فى حساب هكذا وحق المسيح افعل بكل من وقع فى يدى من أصحابك وأول ما أبدأ بعدك بالبطال النذل الكذاب وان عشت ووقعت بولدك عبد الوهاب سقيته من هذا الشراب وعذبته مثل هذا العذاب ثم مشى يسحب الاميره فطنبت الحبال وضاقت على عنقه ووريديه وصارت رأسه بين يديه وقد حس أنه قد خرجت مقل عينيه ولذعت رؤس الكلاليب أكتافه فأيقن بتلافه وصاح بصوت رقيق إلى البطريق يامعدكوس ايش هذا التعذيب المنحوس ما أرى فى العذاب الا أنا لان هذا الحديد قد أكل لحمى وخرق أضلاعى ورأسى قد صار عند كراعى وما بقى من موتى الا انزاعى فقال له البطال بالعربيه ويلك لا بأس عليك تعلم هذه الصنعه الغريبه وقد آن وقوعك فى هذه المصيبه واعرفنى يانسل الكلاب الانذال ولا ترجع تعادى البطال

فلماحقق عقبه الحال أيقن بالوبال وقال. ياديوث كل شيء حسبته إلا أنك تصير جلادالملك ونبت على وجهك هذا الشعر فى ليلة أو ليلتين ماحسبته وأما هذه الاحبال والقراصات فهى صفة جديده فلاكتب المسيح عليك سلامه ياألف قرنان ثم هم أن يصيح فجذب الحبال مرة أخرى فصارت ذقن الملعون عقبه عندشقه ودخلت يداه حتى صارت عند رجليه وغشى عليه من شدة الجذب عليه وصفر البطال بشفتيه واذا ببطريقين قددخلا عليه وهمامثل العقابين وكان أحدهما مذبحون والثانى الحصين فقال لهما لفوا هذا القرنان فى هذا الدراج واحملوه حتى نطلع القلعه ولقمه الاكره ودنا البطال من الاميره وحل أكتافها وهى قداندهلت مما رأت وقالت ياأبو محمد سبحان من ساقك الى فى هذا الصوره وان هذه اللحيه وتلك الحيله تؤرخ وتكون مسطوره وما أريد الا أن تعرفنى كيف صنعت بوجهك حتى نبت عليه هذا الشعر فانى أريد أعمل على خدودى من هذا الدواء ويصير لى لحية أدخل بها إلى عساكر الاعداء فقال لها دعينا الساعة منهذا المقال وسيرى بناالساعة مادام قد حصل لنا هذا الشيخ الضال فلو أردتى ألف ذقن أنبت لكى فىالحال فضحكوا من ذلك أولاده وخرجوا الجميع ومعهم الشيخ الرقيع وسارا حتى قربوا من القلعة وذات الهمه تقول يا أبومحمد ايش يفيد قدومنا ودخولنا اليهم انفذ عقبه مع ولديك وعدبنا إلى عسكر الروم لعلنا نقرب من الملك وندبر فى قتله أو سرقته والا مالنا من هذا البلاء خلاص فقال البطال هذا هو الرأى لأن حولنا خلق كثير ومالدخولنا إلىالقلعه تأثير ثم قال لولديه سيروا أنتما إلىظالم وأوصيه يامذبحون أن يحفظ على عقبه ويحذر من ابنته عقبيه فان قلبى خائف منها وان خرجنا غدا إلى االقتال فقل لهلايبعد عن الباب واعلمه اننا فىعسكر الروم لعل يكون لناخلاص من أهلالكفر والجحود ثم عاد هو والاميره يطلبان عساكر الكفار وهى تقول ياأبو محمد لو كنا فىزى البطارقه لكان أسترلنا وأتم لاشغالنا قال لها سيرى واتكلى على الله تعالى فأنا أحصل لكى فى الطريق كلما تريدى فعندها سارت الاميره متكلة على رب العباد (قال الراوى) هذا ماجرى ههنا (وما ماكان) من مذبحون والحصين فانهما وصلا إلى القلعه تحت الاستار والاعتكار وكان ظالم وأصحابه ما فيهم تلك الليله من نام ولا قر له قرار وكلهم على الابراج والاصوار خوفامن عساكر الكفار وهم للبطال وأصحابه فى الانتظار ولما قربوا وصاروا تحت البرج نادوا بأسماء بنى كلاب وعرفوهم بأنفسهم فنزلوا لهم والامير ظالم فى أوائلهم وفتحالباب وسلموا عقبه اليهوحدثوه بالاميره وعودتها مع البطال إلى عسكر أهل الكفر والضلال ففرح ظالم بذلكوسرفؤاده بخلاصسته وقالالحمدلله ماوقعنا حتى وقع هذاالملعون فىأيدينا حتى نشتفى منه قبل الموت ثم قدمه إلى بين يديه ليعاقبه ودارت بنى كلابوأخذه اللطم

من كل جانب واذا بابنته عقبيه قد دخلت عليه وتقدمت اليه ومسكت ذقنه وصارت تلطم فيه وتبصق عليه وتقول ياملعون من بين الكفار وياشيبة أهل النار وحق الواحد القهار الذى أدار الفلك وخلقنا لنعبده ونحمده لايتولى عذابك غيرى وان سمحوا لى بقتلك لاذبحنك من قفاك لانك لعبت بعقلى حتى مضى نصف عمرى فى الكفر والاشراك والساعة فقدمن على بالهداية والاسلام وأريدا جعل أول جهادى فيك لانى أخبر بقساوة قلبك من كل الانام وأنا أعلم أنى إذا عذبتك تمحى عنى الذنوب والآثام (قال الراوى) ولما سمع عقبة كلام ابنته ورآها قد تولت عذابه وعقوبته تضاعفت حسرته وفاضت عبرته وكادت تنفطر مرارته وقال ويلك يابنتى لعب الشيطان بعقلك ايش هذا الكلام ومن الذى غرك حتى اتبعتى دين الاسلام ويلك يابنتى لعب الشيطان بعقلك ليتك قد قتلتى مع أختك وعمتك عاقبه ولا كنت سمعت منك هذه المخاطبة وليتنى أنا كنت من قبل هذه المجاوبة ويلك يابنتى ما الذى بان لكى حتى تنزهى الرب القديم وتوحدى يابنتى بحق مافى قلبى عليك من الحنة ارجعى إلى دين المسيح وأنت الذى كنت أعتمد عليكى من دون أولادى فلا تغضبى المسيح والصلبان ويجور عليكى يوشع ويوحنا المعمدان وأباكى ومتابعة الدين المحدث ثم قال يابنتى اسقينى شربة من الماء ولوانها ملؤ كفك فقد ألهبتى كبدى باسلامك فقالت لاوحق من رفع السماء وأغسق الظلماء لاأذقتك قطرة من الماء ولو رأيت بعينى كبدك على جمر اللظى يتلهب لان الجهاد فيك أعظم جهاد ولا يحل اشراكك بالملك الجواد ياويلك أليس الساعة دخلت دين الاسلام وقلت عنهم انهم مختلفين فى المذاهب والاحكام ويلك ياشيخ النار ان كانوا اختلفوا فى الفروع فقد ثبت لنا الاصول والكل دلونا على تدبير الذى لايحول ملكه ولا يزول

(قال الراوى) ولم تزل عقبيه مع أبيها فى جدال وعتاب وضرب وعذاب حتى وقت السحر وقال ظالم للرجال قوموا بنا حتى نتأهب لامورنا ونحن ندافع عن نفوسنا واتركوا هذا اللعين عند ابنته عقبيه حتى نبصر كيف يكون أمرنا فقالت عقبيه لاوحق محمد بن عبد الله فما أتوكل أنا بهذا الملعون ولا أريد النظر فى وجهه إلا وهو مصلوب لانى أخاف انه إذا خلانى يلعب بعقلى ويبغض إلى دينى الذى قدمن الله على به فتعجبوا الناس من حسن عودتها وصفاء نيتها وتقربت من قلب ظالم بمقالها (قال الراوى) وكانت قد انفردت بنفسها فى برج من أبراج القلعة تتعبد فيه يقال له برج السلاح وهو مشرف على البحر ومرحوما تأتى كل ليلة إلى زيارتها وقد أخذت الاسلام أيضا بقبول وفتح الله فى وجهها باب الرضى والسول

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح خرج الامير ظالم إلى برا الباب فى خمسمائة فارس وبقى أبو سكران فى مائتين من الفرسان هذا وعساكر الكفار قد ثارت فى سائر الاقطار

وماجت كموجات البحار وركب الملك شمخولص وأولاده ودارت به خواصه وأجناده ومن قبل أن يأمر العساكر بالقتال قال ابصروا ماجرى للشيخ النجيح مع المسلمة وقولوا له يحضر حتى يرى ماأفعل بأعدائه فمضوا الغلمان وعادوا يخبروا أنه قد سرق وخلصت المأسورة التى كانت عنده وما نقول ماأخذه غيرها لأنه خلى بها وحده وقدقام يعاقبها فقطعت كتافها وأخذته ورجعت إلى أصحابها والا يكون قد نزل لص المسلمين إليها وسرقها وأخذه معها فتغير لون الملك وقال ويلكم كيف يكون إنسان يسرق إنسان واحد فقال له رجل كان قدسكن القسطنطونية بلى يامنك معهم واحد يقال له أبو محمد البطال يقال عنه أنه يسرق القلعة بما فيها من الآدميين وغيرهم ويطيرها فى الهواء وهو واحد الأرض وشيطان الزمان وعدو ملة الصلبان وشيطان فى صورة إنسان (قال الراوى) ياسادة فلما سمع ذلك الملك تعجب وقال ابصرو اليوم كيف تنجزوا أمر هؤلاء القوم وتكفونا شرهم أنتم وأهل المراكب الذين انا لأنهم ماعملوا شىء ولا قتلوا من هؤلاء المسلمين رجل إلا من يوم تمت عليهم الحيلة على مقدمهم داخلهم الفزع وأقاموا فى البحر متكلين عليكم وأنتم أدبر منهم وأقل بركه (قال الراوى) ياسادة فهم فى الكلام والغلمان تقدموا إليه وقالوا يامولانا قد وصل إلينا عشرة رهبان من القسطنظينية قاصدين إليك ولهم مقدم يقال له شومدرس ويريد الحضور بين يديك فقال الملك ائتونى به وبأصحابه فانى قد سمعت عن هذا الراهب وحدثت عنه العجائب وهو قرين الشيخ النجيح ويجاهد مثله فى طاعة المسيح (قال الراوى) ياسادة ولم تكن إلا ساعة حتى حضر الراهب شومدرس حكيم ملة الصلبان والكل بالمسوح السود والبرانيس والعكاكيز فلما رآهم الملك ترحب بهم ورفع شأنهم ومنازلهم وقرب شومدرس وأدناه وسأله عن أمور دينه ودنياه فقال أيها الملك ماجئت الا أحسك على الجهاد وأخرجك تطلب البلاد وتملكها لانها خالية من الانصار والمسيح قد فرق شمل الموحدين وأخلى منهم الثغور وبلاد الاسلام والملك صاحب القسطنطونية غافل عن الجهاد مشتغل عن الآخرة بالاكل والشرب والفساد وقد قلت عزيمته وانحلت طوائف الروم عن طاعته وبغضت أنا المقام عنده لاجل غفلته وسرت من غير علمه إليك لاقضى باقى عمرى بين يديك لأننى سمعت انك أكرم الملوك وأشرفهم وقيل ان فى أرضك نزلت قدرة المسيح وفى هذه الأيام سمعت انك خرجت من بلادك تجاهد فى أعدائك وأنك قدظفرت فى أرضك بطائفة من المسلمين واهلكت أكثرهم وقيل انهم هم الذين خرجوا من أرضهم وخربوا بلاد الروم وقتلوا ملوك سائر الاقاليم وسمعت أن الذى كان سبب دخولهم إلى اقليمك الشيخ النجيح وحجة المسيح قرينى الصالح وأخى الناصح الذى قد قلتنى اليه الأشواق وها انا قد

أتيت اليه زائراوفى حضرتك مجاهدا واخبرنى الآن من بقى من الاعداء وقص علينا ماجرى لان قلبى من هؤلاء قريح وفيه أعظم مما فى قلب الشيخ النجيح لأنهم قتلوا ولدى وزوجتى وتركونى أموت بحسرتى فرق له قلب الملك وطيب قلبه ووعده بفتح البلاد والخروج إلى هلاك العباد وقبول الرأى فى الجهاد ثم حدثه بما جرى وكيف فتحوا المسلمين قلعة السهاوكيف وصلوا إلى جزيرة الحائط ثم قال وقدقتلنا ياشيخ أكثرهم والباقين مشرفين على التلاف والهلاك ومامنعنا منهم إلا هذه القلعة والبارحة كانت أميرتهم أسيره فى أيدينا فأردنا هلاكهاولكن منعنا الشيخ النجيح منعنا وأخذها اليه ليشتفى بعذابها لان أصحابه قتلوا بناته وأخته وأراد هوأن يأخذ بثاره من هذه المسلمسه فنزل معهم لص المسلمين يقال له أبا محمد البطال سرقها وسرق الشيخ النجيح معها ونحن فى حيرة من ذلك لان هذا شىء ماعهدناه فى بلادنا أن يسرق انسان انسان مثله فلما سمع شومدرس من الملك ذلك ضحك وقال أيها السيد لاتعجب من هذا الذى يفعل هذه الفعال فانه موصوف بهذه الاعمال ومامات أحد من أمة عيسى الا وفى قلبه منه شىء لاتحمله الجبال (قال الراوى) وكان البطال وذات الهمه فى تلك الساعه حضروا فى موكب الملك وهم فى زى بطارقته لان البطال لما أنفذ ولديه مع عقبه وعاديطلب عسكر الروم والاميره تقول له اسرق لنا من ملابس أصحاب الملك ودعنا نركب فى موكبه ونعمل على عطبه لعل العساكر تختبط وننجوا نحن من هذه الارض فقال البطال هذاهو الرأى الصواب وكان قد صار وقت السحر فخاض البطال بين الخيام وصار كلما وجد من مضارب البطارقة فرصه يدعس ويأخذ مايحتاج حتى سرق وحصل له وللاميره مايحتاجون اليه فلما كان عند الصباح ركبا فى موكب الملك مع جملة الفرسان ووقفا تحت الصلبان يشاوران ويدبران إلى أن قدم شومدرس الفرنان الشيطان وجرى له ماذكرنا مع الملك فنظره البطال فقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم انظرى ياأميره هذا العجب كلما قلنا ظفرنا بنحس جاءنا نحس آخر وهذاشىء مايكون فى الحساب (قال الراوى) ورجعنا إلى حديثنا الاول وان الملك لماسمع مايعمل البطال من الصفات نادى فى رجاله بالزحفه إلى القتال ثم قال ابصروا من يتقدم إلى المراكب أيضا ويزحفوا من جانب البحر فقال شومدرس مايحتاج أيها الملك تبصر أحدا قدمنى أنا على المراكب وولينى أمر من فيها راكب وانظر من العجائب وان كنت ماسمعت ذلك منى فاسأل الشيخ النجيح عن أبو الشر شومدرس فلما سمع الملك بذلك قال وحق المسيح لقد سمعت بصفاتك من سائر الناس وبلغنى أن أعمالك مايقع عليها قياس ثم أنفذ مع غلمانه إلى المراكب وقال قولوا الاهلها يكونوا تحت حكمه ثم عول بعد ذلك أن يزحف إلى طائفة أهل الايمان واذا بفارس قدقفز بين الصفين وجال على حصان حتى حير أولى الالباب ونادى يطلب البراز من عبدة الصلبان

فقفز اليه عشر فوارس فى مرة واحده لان الخلق كثير فصاحوا وطلبوه مثل الدبابير فهنالك صلى الفارس على البشير النذير والتقاهم بلقب مافيه غير اللطيف الخبير (قال الراوى) وكان هذا الفارس الامير ظالم ابن الامير عبد الوهاب وقد خرج يفدى أصحابه ولما رأى العشرة بطارقه قد تبادروا اليه حمل عليهم وجال فيهم حتى ارتفع الغبار ومضى ساعه من النهار وانكشف القتار عن الابصار واذا بالعشره حول ظالم ممددين على الرمال ومطرحين يمين وشمال وهو يجول عليهم بالجواد ويذكر رب العباد وينادى دونكم والجلاد

(قال الراوى) ونظر الملك شمخولص إلى هذا الحال فزادت نيرانه اشتعال وأمر النقباء ان ترد العساكر إلى القتال وقال وحق المسيح ودير النذور وكل راهب مات من المسلمين مقتول والا لاغفر لى القس الكبير فرتمولا ولارضى عنى الحوارى نقولا ان رجع أحد منكم حمل أو قاتل وطلب الطعان لأضربن رقبته إلا أن تبرزوا إلى هذا المسلم فارس لفارس ياويلكم ماهذا عليكم أكبر عار أن يخرج منكم عشرة لفارس واحد ولا تنالوا منه مقصود ابصروا من يبرز إليه ويأتينى به أسير والا حلقت لحية كل ملك منكم وأمير على أننى أقول ان هذا الفارس هو المسلمة التى كانت عندنا البارحة أسيره وقد خلصت من أسرها وقد خرجت إلينا اليوم تطرح شرها عليكم دونكم واياها حتى لايقال عنى أن مافى عساكرى من يلقاها فلما سمعوا البطارقة ذلك صاروا يخرجوا واحد بعد واحدا شاكين فى سلاحهم وظالم يقبض أرواحهم حتى صار قريب الظهر وانقطع عنه البراز من البطارقة وهابته الروم والعمالقة وقد قتل منهم أزيد من مائة وعشرين بطريق وبقوا إليه ناظرين وهموا ان يأخذوه بالمكاثرة وهيبة الملك تمنعهم من المبادرة هذا وظالم قد غير جواده وعاد يجول هذا والملك حيران وقلبه يحترق وهو على أسر ظالم قلق وقد هم ان يأمر بعض أولاده بالخروج إليه وإذا بفارس من أعراض العسكر قد حمل عليه وهو على جواد أصفر يأكل الارض مليح الطول والعرض يرى الجولان عليه فرض وعلى راكبه صدريه زرد كأنها عيون الجرد وفى يد الفارس سيف للأعمار ماضى قاضى (قال الراوى) وكان هذا الفارس الاميرة ذات الهمة لانها لما رأت فعال ظالم بالرجال وصنعته بالابطال قالت للبطال ياأبا محمد أريد اليوم أحتال وأرمى روحى إلى الاهوال فقال لها بماذا اخبرينى ما الذى تريدى تفعلى قالت أنا أعلم الساعة مافى قلب الملك من ظالم واعلم أن الذى يخرج إليه ويأخذه يصير فى المنزلة العالية وأنا أريد افعل هذا العمل لعل الملك يقربنى ويرفع منزلتى إذا ظهرت له طرف من فروسيتى وأتوصل أنا بعد ذلك إلى أخذه فيكون ذلك سببا لخلاصنا وفداء أرواحنا لاننا ماكنا نطلقه حتى يحلف

لنا انه يخلى سبيلنا ونمضى إلى بلادنا سالمين فقال البطال ان هذا نعم الرأى وتكون الاشياء بخواتيمها إذا أنى أخذنى ظالم وحضرنى بين يديه وسألكى عن حالكى ايش تقولى له فقالت ما أدرى يا أبا محمد فقال قولى أنا شعشعونا ابن شيعون الهرقلى وقد أتيت أنا وغلامى فى طلب الغزاة بين يديك لاننى ياأميرة قد سمعت الروم يتحدثون بهذا الفارس وانه شجاع من هرقل (قال الراوى) فما تم كلامه حتى خرجت الاميرة إلى ظالم وحملت عليه وصاحت فيه فالتقاها بقلب قوى وقد هانت البطارقة فى عينه إلا أنه لما جال معها رآها بخلاف من تقدم فأخذ حذره منها وصار يطاولها وهو لايعرفها فجرى بينهما ماحير المسلمين والروم وصار الغبار عليهم مثل الغيوم وتطاول الملك فى سرجه لما رأى ثبات ذات الهمة مع ظالم وقال وحق المسيح ان قتل صاحبنا هذا المسلم لانعمن عليه ولاجعلنه أنيسى وان أخذه أسيرو تنصر المسلم جعلت الاثنين اخصائى وأصحاب أسرارى (قال الراوى) فما تم كلامه حتى سمع ضجة عظيمة وجلبة جسيمة فمد بصره وإذا بالاميرة قد حملت على ظالم وصاحت فيـــه روعته ومدت كفها إليه واقتلعته من سرجه وصار معها أسير فأتت به إلى بين يدى الملك حقير ذليل ففرح به الملك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال له من أين أنت أيها السيد الهمام ومن أين قدمت إلى هذا المقام فقالت له أنا شعشعونا ابن شيعون بن شعونا الهرقلى خرجت خلفك فى طلب الجهاد ومعى غلمان وبطارقة وثقل وكل ركبى غدا يصل وأنا سبقت وغلامى هذا لأجل القتال ثم أشارت بيديها إلى البطال (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا المقال قال وحق المسيح ياشعشعونا مايرجعون الأحباب يفترقون ولا بقيت أخليك تبرح من عندنا حتى نعود من عدونا المسلمين فصعقت له الأميرة ونظرت العساكر كلها على المجاهدين بعد أسر الأمير ظالم وقويت له العزائم والصياح قد انعقد من كل جانب حتى ملأت المشارق والمغارب فعادت الاميرة تطلب الحرب بعد ماسلمت ظالم إلى البطال وأوصته به وطلبت القتال وقلبها على من بقى من المسلمين حيران فصارت تطلب الغبار الشديد والقتام فتطعن فى صدور البطارقة وتحامى عن المسلمين لان العدو كثير وجيوش الكفار تندق مثل البحار وهم يجاهدون حتى قل منهم الاصطبار وعدم الانتصار وظهورهم ملتصقة إلى صورة القلعة وهم يكبرون الواحد القهار (قال الراوى) وبلغ الخبر إلى الحصن أن ظالم أسر فقامت القيامة على أبا سكران ورأى المسلمين فى نقصان فترك فى الحصن جماعة من السودان لانه رأى الحصن من جانب البحر فى أمان والمراكب تدور به من كل جانب ومكان ولا تقدر على أذيته ولا إليه سبيل ولا وصول فخرج مع السودان وغاص فى عساكر الكفار وتناخت الفرسان وقاتل أبا سكران قتالا يحير العيان وقد طلعت الغبائر إلى العنان وغابت الشمس

ولم تدرك الانسان هذا والملك قد أمر أن تنصب إلى شعشعونا خيمة إلى جانب سرادقه وقال سلموها إلى غلام شعشعونا وانقلوا اليه كلما يحتاج إليه ففعلوا ذلك وتسلمها البطال وربط ظالم فيها وهو لا يعرفه بل منكس الرأس كثير البكاء على نفسه وعلى المسلمين (قال الراوى) ودام القتال يعمل إلى أن أمسى المساء واختلط الظلام وقد وقع الفناء فى طائفة الاسلام ولم يدخل الحصن منهم إلا القليل والباقين بين جريح وقتيل هذا والروم قد عادت عن القتال وجلس الملك فى سرادقه وقال ائتونى بالبطريق الهرقلى فأحضروا الاميرة فقبلت الارض وهى تقول هذا لله عز وجل ولما رآها الملك ودرعها قد غرق فى دماء الكفار والمشركين ففرح بذلك وأيقن أنها قد قتلت فى المسلمين فخلع عليها واجلسها إلى جانبه واحضرت الغلمان الطعام فتقدم الملك وأولاده وخواص أصحابه واجناده يأكلون وكلهم إلى الأميرة ينظرون وقد وقعت هيبتها فى القلوب (قال) وكان البطال واقف فى جملة الغلمان فقال الملك شيلوا الغلام شعشعونا وقولوا له يطعم الأسير ولا يمنعه من الزاد إلى ان نقتله فان السيده مريم تقول لا تقتلوا أعداء ملة الصلبان وهم جياع (قال الراوى) ياساده وكان البطال قد ترك ظالم فى الخيمه وأتى إلى حضرة الملك خوفا على الأميره لا تسألها عن شيء يكون له حجة وانه لما رأى منزلتها عند الملك فرح بذلك وأخذ الزاد وعاد يطلب الخيمه وهو يقول ان كفيت الليله شر شومدرس اللعين فما نكون الاسالمين (قال الراوى) ياساده وكان الملك قد أنفذ من يشرف عليه وعلى المراكب ويبصر ماجرى له ويأتيه بشومدرس فرجع الجواب يقول أنا ما أعود حتى أدبر بذلك (ياساده) وعاد البطال إلى الخيمة فوجد ظالم يبكى على المسلمين وهو مطاطى الرأس حزين لأجل أسره لانه مايدرى بما جرى على المسلمين بعده ولاسيما فقد الاميره فقال له البطال مالى أراك مهموم حزين باكى لا ترقالك دمعة كل هذا الأجل أسرك اشرح صدرك ياظالم فما أسرك فارس دون ولا كنت فى قتالك مغبون ولا هو غريب منك وقد أسر من هو أجل منك قدرا وهو أبيك وان كنت ماتصدق بالعيان فانا البطال والذى أسرك الاميره ذات الهمه جدتك فدع عنك الرقاعه وكل الطعام فى هذه الساعه حتى أسير وأشرف على الاميره لعل نأخذ الليله الملك فلما سمع ظالم ذلك احمرت عيناه وطار الدم من وجنتاه وقال كأن العجوزه الخرفانه هى التى خرجت وفعلت هذه الفعال وهتكت سترى بين الابطال وذمة العرب لابد من قتلها ان نحن سلمنا وخلصنا فقال البطال لا يصعب عليك هذا الأمر ياولدى فما فعلت الاعين الصواب لأننا فى هذه الشده الشديده والبلاد بعيده وما نخلص إلا بالتدبير وما هذا وقت المباهاة (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان بعد تقريب الأميره وأكل الطعام قد قدم المدام وشرب فرحا بها ولما أن وصل القدح اليها أخذته بكفيها وباسته وعاودته

إلى الملك والساقى وقالت له بحق المسيح لا تنقض عهدى أيها الملك ولا تغير غيبتى فانى قد عاهدت المسيح من وقت خرجت من هرقله انى مابقيت أشرب من هذا القربان إلا الان أموجه من عين سلوان بعد الحج إلى بيت المقدس والجهاد والغزو الى بلاد المسلمين وهلاك أعداء الدين فقال الملك هذا وحق المسيح رجل نيته سليمة للجهاد ياشعشونا لوكان ربع عسكرى على هذه النيه فتحنا سائر البلاد الحنيفيه وشيأ قد تركته لوجه المسيح ماأغصبك عليه ثم جعل الملك يشرب مع خواصه وحجابه وبطارقته والأميره قاعده خائفة فعندها شرب الملك القدح وانطرح والسقاء والغلمان من شدة التعب والسهر نامت ولم يبق إلا البطارقة الذين بر السرادق بتوع الملك أصحاب النوبه ومن يعز على الملك إلا ان الكل سكارى متكاين على شعشعونا فلما رأى البطال ذلك انطرح عند رجلين الملك وخرجت الأميره والسيف فى يمينها مشهور ودارت حول السرادق حتى خمدت نيران العسكر ووقع النوم على الجميع وسكنت الحركات بأمر الجبار وعادت الأميره ودخلت إلى السرادق وقالت ياأبا محمد دبر حالك فما بقى من تخشاه فعندها وثب أبا محمد إلى شمخولص وشديديه وكذلك الأميره شدت رجايه وحمله البطال وخرج والأميره خلفه بالسيف حتى صارا عند ظالم وفكوا قيده وكتافه فقام وهو يقول ياأبا محمد من الذى معكم فقال البطال سير ولا تتكلم بما لا يعنيك فهذا ملك الروم وهذه ستك فاطمه بنت مظلوم فاقيموا على ماأنتم عليه حتى ادخل وأعود اليكم بما تركبون ثم عاد إلى سرادق الملك فتسلم من الجنائب الخاص ستة جنائب وأتى بها إلى الأمراء فركب ظالم وذات الهمة وشدوا الملك على بعضها وركب البطال وساروا حتى خرجوا من الخيام وكانت القلعة بين أيديهم لأن سرادق الملك كان محازى باب الحصن (قال الراوى) ياساده ولما خرجوا من الخيام أمنوا على نفوسهم وتموا يطلبون الخليج وظالم يقول ياأبا محمد أنا ماأدخل معكم حتى أبارز هذه العجوز الهرمة التى قد خرجت إلى وأسرتنى على غرتى وأنا تعبان وقد قتلت من الكفار نحو المايه والعشرين من الفرسان ولولا ذلك كانت أحقر بان تمديدها إلى فقالت الأميره ويلك ياظالم أعجبتك نفسك حتى صرت تتجرأ على مثلى بمثل هذا الكلام وتحدد من شىء قد فعلته بابيك مره ماحدد ولا جرى عليه ماجرى عليك فانت فرخ فرخى فلما سمع ظالم ذلك قال ذاك ولدك من احشاكى تفعلين به وأنا على أى شىء تذلينى حتى تفعلى بى هذا الفعال وتهتكى سترى بين الأبطال فقال البطال بالله عليك ياظالم دعنا الساعه من هذا العقبان وخلص نيتك حتى تخلص من هذا البلاء الذى نحن فيه (قال الراوى) ياساده فهم فى الكلام وإذا بثمانين فارس قد اعترضهم من بطارقة الروم مع مقدم من حجاب الملك يقال له شومطيش وكانت تلك الليلة نوبته فى درك القلعه والدوران حولها فلما رآهم باداهم ياويلكم من أنتم والا كذلك.

طالبين القلعة التي فيها الاعداء فقال البطال وقد تقدم إليه يا أخي ماحالك أنا كورين من سقاة الملك وقد أتيت فى طلب أحصله لصاحبي قبل أن تخوض الخيل فيه وأعد فلما سمع القوم ضحك وقال وحق المسيح ما أنتم إلا مسلمين والاسقاة الملك كيف يكون منكم معه جنايب من الخيل الخاص فقال البطال يا أخي لاتفعل ودع عنك هذا المقال وان كنت أنكرتنا لأجل هذه الخيل فهذه جنائب الملك والسياس قد أعطونى اياه وقالوا لى يا كورين خذها معك واترك غلمانك يخوضوها فى الخليج لأنها البارحة ما أكلت عليقها فقال البطريق تكذب ياشيطان وحق المسيح ما أنت الا الذى سرقت الشيخ النجيح والا فقل انك برىء من دين محمد وخصمك القرآن وأنيسك فى لحد الصلبان فعندها التفت البطال إلى الاميره وقال لها كلمى هذا الشيطان فانا قد اشتكلت على قصته فعندها دنت الاميره منه وقالت له لو تبينت وجوهنا لعرفتنا ثم سلت حسامها مثل البرق وضربته اطاحت رأسه عن بدنه وقال أنا ما أحب أخاطب إلا كذلك ثم صاحت الاميره بظالم وحملت معه على باقى الفرسان وبقى البطال موكل ورأت البطارقة سيدها قتيل فسلت السيوف وحملوا على الامراء وكان ذلك المكان بعيد عن العسكر قدام بين هؤلاء الامراء والقتال تحت الظلام وعمل الحسام وقل الكلام ولعب ظالم وسته بارواح المشركين اللئام حتى طلع الصباح وخاف الفزعان من الافتضاح وولت البطارقة هاربة وقد قتل منهم أوفى من خمسين بطريق ورأوا ضربا أحر من نار الحريق وعادت الاميره وظالم إلى البطال وهو فى انتظارهما بالبعد قائم ولم يشتغلوا بالقيام لأنهم طالبين النجاة بكل الوجوه ولم يزالوا حتى وصلوا إلى القلعة وصاحوا ففتح لهم البواب ودخلوا ثم نزلوا من على الخيل والاميره تقول أين الامير أبا سكران ان بشروه بخلاصنا من عبدة الصلبان وأخذنا لهذا الملك الذى نريد نطلب منه لأنفسنا الامان والخلاص (قال الراوى) ياساده فهى تقول هذا المقال واذا كبس عليها الرجال وأرموا أرواحهم عليهم مثل الجبال وهم ينادون عيسى ومريم وعقبة فى أوائلهم ينادى خذوا هؤلاء الاندال واتركوا فى اعناقهم الاغلال حتى أبلغ بصلبهم الآمال أنا وهذا الشيخ شومدرس المحتال ولم تكن إلا ساعة حتى أخذوا ظالم والاميره والبطال وكتفوا الثلاثة بالحبال وتولاهم عقبه وشومدرس شيخ الضلال وظهرت عقيبه بنت عقبه وهى تضحك وتلطم وجوههم وتبصق عليهم وتقول ياشياطين كيف ترون هذه الفعال التى تعجز عنها الرجال ابشروا بالصلب وقطع الآجال (قال الروى) ياساده وكان لذلك سبب عجيب وهو أن الراهب شومدرس لما نزل إلى المراكب وتقدم على أهلها وأراد أن يظهر صنعته وحكمته وصار يصيح على أصحاب المراكب ويزحف بهم طالب الاصوار وأبا سكران ومن معه من السودان يرموهم بالحجاره والصخور الكبار لما تنصف

النهار وحملت عساكر الكفار واسرت الاميره وظالم كما ذكرنا واشرفوا المسلمين على الهلاك وسمع أبا سكران بذلك فنزل ومن معه من الرجال وقلبه آمن من القلعة من صوب البحر لأنه رأى المكان أمين شاهق فى الهوى حصين ودام القتال مع عسكر الكفار ورأى شومدرس المكان قد خلا من الرجال فعلم أن الكل فى القتال وأن القلعة خالية من الأبطال فمال بمركبه إلى تحت برج السلاح وكان قد نظر فيه شباك حديد على طاقة واسعه فقال من هاهنا أنال المقصود ثم أخرج الكلاليب وربط فيها الحبال وصار يقول للبطارقة علقوها فى هذا الشباك حتى تتعلق وتتمكن وتصعدوا وقد تملكتم المكان وأنه قد بقى خالى من العرب السودان (قال الراوى) ففعلوا ذلك البطارقة وصاروا يرمون الكلاليب بقوتهم وهى لا تصل ولا تتعلق لأن المكان مرتفع فبقى شومدوس حائر لا يدرى ما يفعل ولما ضجروا عولوا على الانصراف واذا بكف قد خرق من عيون الشباك أنقى من البلور ابيض من الكافور ومنادى ينادى لا تنصرف يا راهب فأنا أبلغك ما أنت له طالب واقصد إلى باب البحر وانا افتحه لك وادخل كل من معك إلى المراكب (قال الراوى) فلما سمع شومدرس هذا المقال انفرج عن قلبه ذلك البلاء العظيم وعلم أنه كلام امرأة فناداها من أنتى يا بنتى من عباد المسيح اخبرينى حتى يخف ما بى واستريح فقالت أنا عقبيه بنت الشيخ النجيح كيف أنت يا عماه وحق الصليب لقد أتيت فى وقت الحاجه وأنا رأيتك اول ما نزلت فى المراكب وما امكننى أن أكلمك لأن الحصين كان من المسلمين ملآن وأنا كنت خدعتهم واظهرت انى قد دخلت معهم فى دينهم وجرى لى معهم عجائب ماهذا وقت شرحها اقصد الساعة إلى الباب حتى أفتحه لكم وتملكون المكان قبل أن تعود السودان ثم نزلت الملعونه والمفاتيح معها تطلب باب البحر وشومدرس قد طار قلبه من الفرح وميل بالمراكب إلى نحو الباب وما كانت إلا ساعة حتى فتحت الملعونة الباب وأدخلت البطارقة وطلع شومدرس واعتنق عقبيه وقبلها بين عينيها وقال لها يا بنتى جزاكى المسيح خيرا لأنك لولم تفعلين هذه الفعال لما كنت تسمى بابنة هذا الشيخ المفضال ومع ذلك أين هو فما أرى له خبر وأنا قتلنى الشوق إلى طلعته حتى أشبع منه بالنظر فقالت هاهو فى برج الزاوية مأسور وأولاد البطال به متوكلين فدعه الساعة على ماهو عليه فخلاصه مايفوت ورتب قبل كل شىء البطارقة خلف باب البحر حتى يقبضون على من يعود من المسلمين والساعة ترى الكل وقد عادوا منهزمين تعابا مجروحين وكان كل من دخل من المسلمين يتمهلوا البطارقة عليه حتى يتوسط الحصن بتدبير شومدرس اللعين ثم يقبضون عليه ومن مانع عن نفسه قتلوه والباقين هلكوا برا الحصن وداخله وكان الليل قد مضى منه بعضه وبعد ذلك أخذ شومدرس جماعة من البطارقة وقصدوا إلى باب الدار التى فيها عقبة فقبض على مذبحون والحصين أولاد

البطال وقعد عند رأس القاضى وهو فى غمرات الموت من شدة الضرب والعذاب وفى قلبه من كلام ابنته النار التى لا تطفا فقال له شومدرس افتح عينك أيها الشيخ النجيح وانظرنى فأنا أخيك أبو الشرشومدرس قد أتيت أبل شوقى منك (قال الراوى) فلما سمع عقبة هذا الكلام رجعت روحه إليه ورجف قلبه من الفرح وفتح عينه وهى تدمع وقال ياترى هذا الأمر صحيح وقد جمع بيننا السيد المسيح كيف كنت وطاب قلبك أن تنسانى فى هذه المدة ولا تسأل عنى وقد كنت لى عمدة ياراهب فكم جرى على بعدك من المصائب وما قاسيت بعدك من النوائب وبعد هذا قتلت أختى عاقبة وابنتى عقيبة وأسلمت ابنتى عقيبه واسمعتنى غليظ الكلام ووحدت الرب الكبير وأريد تنتقم منها غاية الانتقام وتأخذلى بثارى من هؤلاء وقد أتيتنى فى هذا الوقت وخلصتنى من الأمراء وهذه الفعلة ما أنساها لك أبدا وعلم المسيح ما كان بقلبى من الشوق إليك فلما سمع شومدرس ذلك من عقبة ضحك وأخبره أن ابنته عقيبة على دينها ثم حدثه بما فعلت وكيف فتحت القلعة وان الذى عملته كان كله خديعة ومكر ومحال حتى تم لها هذا المقال ثم حل كتافه وهو لا يصدق بذلك وإذا بابنته عقيبة قد دخلت عليه وقبلت رأسه ولحيته وقالت ياأبتى لا تؤاخذنى بذلك المقال وما فعلت بك من الفعال فانى ما قابلتك إلا الحيلة منى على هؤلاء الكلاب الأندال فقم أبصر كيف فتحت هذه القلعة كما فتحها أبى محمد البطال وأهلكت فرسان المسلمين والأبطال وباقيهم فى الأسر والحبال فعندها بكى عقبة الملعون من الفرح وقال يا ابنتى لو لم تفعليها ما كنتى من ظهرى فالمسيح يرضى عنك ولا يؤاخذك والقسس ترحمك والحواريين تزورك فأنتى قد بقيتى العمدة ثم خرج هو وشومدرس قدامه وأولاد البطال معه فى الكتاف ولما صاروا فى وسط الحصن ورأى عقبة قتلا المسلمين زاد فرحه ثم افتقد المأسورين فما رأى البطال ولا ذات الهمة فقال مالى لا أرى الشيطان الرجيس وتلميذ ابليس أبى محمد البطال وكذلك العاهرة أم الأسود الزنيم فقال له شومدرس وحق المسيح مالى منهم علم وما أنا الا سألت المأسورين فقالوا لى انهم نزلوا إلى قتال الملك وما ندرى ماجرى فقال عقبة وحق المسيح لابد مما يعملون بائقة ويصدقون وان صدقنى حذرى فما يعودوا الا بالملك ولا بد لهم فى هذه الليلة مايعودون إلى القلعة وأنا أدرى كيف آخذهم ثم استدعى بمائتين بطريق ودلهم على مكان يكمنوا فيه وقال لا تمكنوا أرواحكم من النوم وما كانت الاساعة من الليل حتى أقبلوا الثلاثة ومعهم الملك فثارت إليهم البطارقة وملكوهم كما ذكرنا وطلعوا بهم إلى القلعة وخلصوا الملك من أيديهم وتقدم عقبة إلى الأميرة وبصق فى وجهها وقال لها ياعاهرة قد أمكن المسيح منكى ولطم البطال على وجهه وكذلك ظالم وقال للملك كيف أخذوك أيها الملك فحدثه بحديث الأميرة وأنها أتت إليه فى زى البطريق شعشعونا فقال أيها الملك

هاقد ظفرت بهم وأريد منك أن تصلبهم على أبواب القلعة وأصوارها حتى تشتفى منهم أمة عيسى وأنفذ إلى العسكر وأعلمهم بخلاصك وأمرهم ان يتقدموا إلى القلعة ويتفرجوا على صلبهم فلما سمع الملك كلام عقبة امتثله وأنفذ رسول إلى العسكر وأعلمهم بخلاصه وصلب المأسورين ففرحوا بذلك وضربوا الديادى والبوقات ونشروا الأعلام والريات وداروا بالقلعة من كل جانب يتفرجون على مايحل بالمسلمين من المصائب وعقبة قد صاح بالبطارقة وأمرهم فسحبوا المأسورين وهم فى الحبال مقرونين والأميرة والبطال وظالم وأبا سكران فى أوائلهم وعقبة يقول اعبروا بهم فى وسط الحصن حتى يروا باقى أصحابهم كيف هم مطروحين مثل الضحايا وقد حلت بهم الرزايا فقالت الأميرة ياويلك لاتغتر بما ترى من أشباحهم وربهم قد أنعم على أرواحهم وإن كنت أنت ترى هذافسادهم فهو صلاحهم لأنك أنت تنظر بعين البشريه فترى حالهم قد زال وما تعلم انهم قد انتقلوا إلى دار مافيها زوال فقال لها عقبة صدقتى فى هذا الوعد كما صدقتى فى صلبى ثم سار بهم وهم يرون أصحابهم مطروحين فى وسط الحصن والأرض ملآنه من دمهم فبكوا الاسارى على المنازل وتيتم الأولاد وبكوا على الأطفال والأطلال والبلاد وعددت الاميره وفاضت دموعها وساروا على هذه الحاله حتى وصلوا إلى الابراج وفرقوا كل أمير ببرج وكل رجلين بيدنه (قال الراوى) ودقت الروم النواقيس ورفعوا الصلبان والقساقسه وكشفوا الرؤس وارتفع الضجيج إلى العنان (قال الراوى) وعلى الحقيقة أشرفوا المسلمين على الهلاك لولا أن البطال قال للملك شمخولص يا ملك لاتفعل بنا هذه الفعال وتسمع كلام أعدائنا الجهال ونحن حماية الثغور وسيوف بنى العباس وأمراء العرب وسادات الناس خلينا عندك إلى ان تخرج إلى بلاد الاسلام كما قد زعمت وخذنا معك نسلم إليك البلاد ونملكك رقاب العباد ونفدى أرواحنا بأموال إذا رأيتها تبهرك وتحير بصرك وأن أسرلك من يعز عليك كان الواحد منا لفداه ورجوعه اليك ولا تظن أن بلاد الإسلام هينه ولا عساكرها قليله فان فيها كل فارس همام وكل جيش مقدام ونحن دخلنا إلى هذه البلاد فى أربعة آلاف وهذه أعمالنا وشاهدت بعض أفعالنا ونحن سادات الناس والذى ترى عند خروجك أعظم أجرا وأوفى باسا (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الكلام انتبه كانه كان فى منام وقال لبطارقته وحجابه القيام لقد صدق هذا الشيطان أحملهم معى إلى الجزيره واترك الامراء عندى فى القلعة والباقين أفرقهم على رهبان السواحل يتقربون بدمائهم فى الاديرة وأريد أيضا أنفذ منهم إلى دير النذور لان الراهب مرقولا قد أوصانا بهذا وقال لى ياملك أنت ماضى إلى قتال الموحدين وأريد ان وقع أحد منهم فى يدك أسير تتركه فى هذا الدير

قربان وكذلك زوجتى عاميل قد اشتهت أن تنظر كيف يكونوا المسلمين وهذا الامر لا بد منه اجمعوا الاسارى حتى تأخذهم ونقسمهم ونأخذ معنا ونرسل باقيهم فى المراكب فعندها صاحت البطارقة بعضهم ببعض وجمعوا جميع المجاهدين سالمين مافرط فى واحد منهم فرط إلا الحصين ابن البطال فان عقبه قور عينه الشمال وكان عول أن يقور الاخرى لما فى قلبه منه فأتوا غلمان الملك وأخذوه من بين يديه واعلموه بما قد عول الملك عليه فلم يقدر عقبة على الملاججه بل نزل مع جملة الروم ونزل الملك من القلعة وولى عليها بطريق من أصحابه يقال له اكتفبيل النورانى وقال لشومدرس ياأبو ناخذ بعض الاسارى وعود فى المراكب واسبقونا إلى جزيرة الحائط حتى نسير نحن فى البر كما قد أتينا ويكون الاجتماع هاهنا بعد أربعين يوم ثم نادى فى العساكر وأوصاهم بذلك واخذوا فى أمر الرحيل هذا وقد أخذ شومدرس معه الاميره ذات الهمه والبطال وأنزلهم فى المراكب وكان برأى عقبة لأنه قال للملك ان أخذنا البطال معنا مانأمن من غوائله وكذلك ذات الهمه مانأمن شرها وفى المراكب احفظ لهم فأخذهم شومدرس وأفردلهم مركب كبير وأنزل الكل فيها مكتفين وأقلع بسائر المراكب وكانت ستمائة مركب فى كل مركب طائفة من النصارى فشرعوا الشراعات ورفعوا القلوع وساروا طالبين جزيرة الحائط ورحل الملك من الغد ومعه باقى السودان والعرب ومعه من الأمراء أبو سكران وظالم ومذبحون والحصين وأم بكار الذى قلع عقبة عينها وقد تولى عقبة عذابهم (قال الراوى) ياساده فهذا جرى هنا (وأماما كان) من شومدرس فانه سار بالمراكب تلك الليله وذلك اليوم وفى الليلة الثانية تغير عليهم البحر وقام الهوى عند غروب الشمس لحطوا القلوع وسارو بالمقاديف إلى الليل وإذا بالارياح قد زادت ولعب البحر وتلاطمت أمواجه وتمخض وأزبد وعاد بعد ذلك أسود وأخذه القلق والحرد وكثر اعتكاره وطلع رمل قراره وسبحت دوابه والتطم عبابه وزجرته الملائكة الموكلة به وبسواحله وزادت أهواله وزلازله وأظهر الخالق لعبيده حق توحيده وتبددت المراكب ولعبت بوارق المصائب واسودت الجوانب واشتغل كل واحد عن صاحبه وبكى على أهله وأقاربه وسبح مركب المسلمين ووحدا رب العالمين ونظر البطال الهلاك بعينه قد حضر فوجد الذى أمر البحر فزخر وتأمل إلى جانبه وإذا بالمركب الذى هو فيه قد انفتح وانخرق والماء منه قد نبع وأشرفوا على الغرق فنادى شومدرس ويلك ياراهب مركبنا قد غاب والماء قد طلع الينا وهؤلاء الملاحين الذين عندى قليلين الخبرة بعمل البحر قل لهم يحلونا حتى نصلح المركب قبل الغرق ونحن نرجع نمكنهم من كتافنا لان مامعنا عدد ولا نطمع أن ندفع هذه المراكب كلها ان كان غرضكم سلامتنا وسلامتكم وان لم يكن ذلك فكلنا أشرفنا على الهلاك فلما سمع شومدرس

كلام البطال علم انه صادق فى المقال وانه خبير بهذه الأعمال فقال لمن معه حلوا هؤلاء المسلمين من الكتاف ودعوا هذا الشيطان يدبر المراكب فهو أخبر منكم بها فعندها تبادروا البطارقة وقد طلبوا الهناء لأنفسهم والخلاص وهم يرجون من المسلمين الخلاص فحلوا كتافهم وقام البطال إلى المراكب ودبره إلى الصباح وطلع شومدرس إلى أعلى المراكب واذا هى كلها إمبدده فى أقطار البحر من كل جانب والموج بها لاعب فأراد يأمر أصحابه برمى المراسى واذا قد طلع من فوق رأسهم غمامة سوداء وغيام مغنم مظلم مكدر والتحم وامتدوصفقته الرياح وطارت منها الالواح والسالم منها غطته المياه وغاصت تطلب القرار فى ذلك البحر العجاج المتلاطم بالامواج ولم ينجوا من القوم ناجى وبقيت الاخشاب على وجه الماء تلعب وقد شرب من كان فيها شراب العطب وحكم الله عليهم بهذا الامر المقدور وكان لهم آجال قد تقاربت ولم يبقى منهم بشر ولا نفر (قال الراوى) ياساده فهذا جرى لهؤلاء (واما ما كان) من الملك شمخواص فانه سار ومعه عقبه الغدار والمأسورين حتى وصلوا إلى الجزيرة المقدم ذكرها وسأل عن المراكب فقال المتخلف مكانه وحق المسيح أيها الملك ماوصل الينا ولامركب واحد ولارأينا فى البحر لاقائم ولاقاعد فلما سمع الملك ذلك رجف قلبه على أصحابه وقال واندماه واشتغل عن من خرج إلى لقاه وقال لعقبه ياشيخ ايش تقول جرى عليهم لايكون غرقوا الآن لأن فى هذه الأيام بان لى فى البركان الهواء قد تغير الجومنه تكدر وأنا فزعان على المراكب فقال عقبه اذا كان الامر على ذلك فانفذ بعض الحراقات يكشف لك الخبر ان كان البحر هادى سليم من الخطر فعندها قبل الملك منه هذا الرأى وفرق المأسورين فى الابراج وسير مركب لطيف فيه عشر من الاعلاج وقال لهم لاتعودوا الا بالخبر اليقين ولو وصلتم إلى قلعة السها ونزل عقبه فى الكنيسة وقد فرح فى الباطن بهلاك الاميره ذات الهمه والبطال وقال فى نفسه ان كانت المراكب قد غرقت فما أهلكها الاالمسيح بمخالفة هذا الملك لأنى أمرته بهلاك المسلمين وصلبهم فما فعل وماغمنى الاهلاك الراهب شومدرس والالوهلك كل من فى هذه الجزيره وكان البطال معهم لا كنت غير خاسر (قال الراوى) ياساده وكان الملعون لما نزل فى الكنيسة قد أخذ العلويه أم بكار وطلب بذلك عذابها لأنه قال للملك مايطيب عيشى الا أن أداوم العباده على جهاد وأريد هذه العلويه تكون عندى أجاهد فيها بالعذاب حتى يفرح قلبى وقلبك أيها الملك وأشفى غليلى من باقى الاسارى (قال الراوى) وكان الملك قد اشتغل قلبه بغيبة المراكب لأن فيها خواص بطاقته وكبراء أهل قلعته وكان قد ترك الامراء فى برج عالى مشرف على البحر وهم ظالم وأبو سكران ومذبحون والحصين والشريف بكار العلوى (قال) ولما جن الليل تحدثوا الامراء فيما قد أصابهم وبكى

مذبحون على أبيه البطال وكذلك أخيه الحصين وبكى ظالم على ستـه وقال واحسرتاه على الاميره ليتها كانت معنا أسيره ولا غرقت فى هـذه البحار وشمت بها الملعون راس الفجار فقال الشريف بكار والله ياظالم وكلنا هذا المصاب مصابنا وفى غداة غدا إلى الآخرة أصحابنا ومافى قلبي حسرة الامن عجوزى الكبيره التى قدتولاها هذا الملعون ليعذبها ثم أقاموا كذلك إلى أن مضى من الليل ربعه وقال مذبحون لأخيه الحصين ويلك يا أخي أقرض كتافى حتى تبصران كان لنافرج قبل الصباح والامايغفل عناعقبه حتى يسقيناكاس الردا فتقدم الحصين اليه وقرض كتافه بانيابه وأطلقه فى الحال وأطلق يديه وعاد هو حل باقى الامراء فصاروا الكل مطلوقين إلاأنهم فى ذلك البرج الذى وصفناه مالهم إلى الخلاص منه سبيل فقال ظالم ايش كان الفائدة فى اطلاقنا يامذبحون ونحن فى هذا المكان فقال مذبحون أما أنا فلى فى هذا أكبر الفوائدلأنى أقدر الساعه اصعـد وانجو بروحى واقدرأقيم فى الجزيره سنة ولايعرفنى أحد حتى يسهل الله التوصل إلى بلاد الاسلام باى وجه كان ولو كنتم أنتم مثلى تقدرون على الصعود من هذا المكان لكنا كلنا ندبر فى الخلاص ولايشتفى منا عقبه القرنان فقال الحصين ويلك ياأخى ويطيب قلبك تخاص وتخلينى يتحكموا بى الاعداء فقال لاأنا أصعد وأدلى لك الحبال وألتقيك فقال أبا سكران لا وذمه العرب لانترك أحدا منكم يصعد حتى تحلفوا لنا انكم تأخذونا معكم والاتخلصون أنتم ونبقى نحن تطلع الحرارة كلها فى رؤسنا فقال الحصين أى قرن يقدر يستقيك أنت بحبل وأنت فى قدر الجمل فقال خونى أنا إلى الآخر حتى تطلعون كلكم وابصروا كيف تعملون معى وماأريد منكم إلاأن تستوثقون إلى الحبال وأناأصعد بروحى فقال مذبحون ان كان على ذلك فاصبروا على ثم التصق زاوية البرج وخلى رأسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وتسلق كما جرت له العاده (قال الراوى) ياساده وكان على البرج حارس وفى يده ناقوس وهو يغنى بالروميه فما أحس إلا برجلين مذبحون طالعه من بين أفخاذه فبطل دق الناقوس وأخذته إليه بهتة وقال وحق المسيح ماهـذا إلا جنى قد نزل إلى هؤلاء المسلمين رسول وقد عاد صعد من عندهم لأن الروم قالوا الكل سودان خلاف خلق الآدميين ثم جف لسانه وقام من ذلك المكان وبقى باهت حتى بقيت رجلين مذبحون كلها فوق وهمز بنفسه صار قائم وبادر الحارس وقد أراد أن يصيح فلكمه أرماه إلى أسفل البرج فقال أبا سكران صح الله بدنك يامذبحون ليت أنا كنت أحسن هذه الصنعة وما أريد فروسيه ثم قال لظالم أن يرجع إلينا فهو مليح فقال الحصين طيب قلبك فأنا أعرف صفة أخرى أطلع بها فى هذا البرج وأصيح به وأعود فقال ظالم لاوحق محمد بن عبد الله مابقينا نخليك تبرح من ههنا حتى نبصر مايكون (قال الراوى) ياسادة وما لبثوا أكثر من ساعة حتى أطلع

عليهم مذبحون فقال يا أبا سكران هاأنا قد وقعت لكم بحبل تشتهون تفعلان أو تصعدون
فقال ظالم ويلك يامذبحون دلى الحبل ودع الجنون فأين قرنان يشتهى يرى هذا المكان فضحكه
مذبحون ودلا لهم الحبل فصعد أول الكل الحصين ولما صار عنده قال سير بنا ياأخى ودع
هؤلاء لأنهم إذا صعدوا وكثروا أنكروا علينا إذا تفرقنا فى الجزيرة فقال الحصين إلى أين
تمضى قال ننزل فى هذه المركب الذى تراه تحت البرج ونقلع متابعة الهوى ويفعل الله بنا
مايشاء وأين ماوقعنا كان أصلح لنا فى المقام مع الأعداء فسمعه ظالم فقال لا بالله يا مذبحون
خذنا معك فضحك ثم دلى لهم الحبل واستقا الشريف بكار وبعده ظالم ولما صاروا الكل
فوق تعاونوا على أبا سكران حتى رفعوه وقد لاقوا منه مشقة عظيمة (قال الراوى) ياسادة
ولم تكن إلا ساعة حتى ساروا الكل على الساحل وتقدموا إلى المركب الذى ذكرنا وإذا
هى مركب الملك الخاص وهو ملان بالزاد والعدد والمقاديف ولما حصلوا فيه تولى مذبحون
أمره لأنه خبير بعمل البحر جيد المعرفة (قال الراوى) ياسادة وساروا حتى أصبح الصباح
واتسع البحر فى أعينهم وقد ابعدوا عن البر وهم سايرين لايرون إلا ألواح المركب التى
غرقت وأخشابهم تلعب بها الأمواج فبكوا على أصحابهم وكان أشدهم بكاء ظالم على سته الاميرة
ذات الهمة وعلى وطنه وبلده وبرية الحجاز مولده وتذكر أباه فبكى وكذلك انتخب مذبحون
والحصين على أبيهما أبو محمد البطال (قال الراوى) ياسادة وساروا الامراء وهم فى نوح
وبكاء واتكلوا على الله تعالى ذلك اليوم وتلك الليلة إلى أن أصبح الصباح بالضياء ولمعت
الشمس على الماء وقطعوا من البحر شيأ لايقع عليه احصاء وقد لاح لهم سواد بين أيديهم
لايكاد من تعاظم الامواج أن يرى فقال ظالم لمذبحون ميل بنا ياابن العم إلى هذا السواد
لعل أن يكون لنا فرج ولعلها تكون حديقة نطلع إليها ونستريح من هذه الامواج فميل
إلى السواد وادار القلع واتكل على رب العباد وسار حتى تنصف النهار وبان السواد للابصار
وتأمله وإذا بها مركب تجار وهى ستة مشرعة القلوع تسير وتدور لاتقدر على الطلوع فلما
رأى مذبحون ذلك حط القلوع وأرسى وخاف على نفسه وعلى مركبه ان يقع مع مراكب
القوم فى ذلك البلاء هذا وأهل المراكب قد صاحوا بأصوات مرتفعات وقالوا إلينا ياعباد
المسيح لعل يكون لنا على أيديكم فرج فقال لهم مذبحون بالرومية ماحالكم فقالوا نحن
قوم تجار خرجنا من بحر المجليه نطلب الجزيرة والحائط والبحر الاخضر وحصن القمر
وكنا ستة عشر مركب فوضعنا فى هذا الموضع وهو سيما بحر الصفا ودوار الرحى قد ارمانا
الريح إليها فى خمسة عشر يوم وقد بقينا بحكمه وحكم الماء ان حطينا القلوع غرقت المراكب
لاجل اختلاف الهوى وان أقلعنا كانت حالتنا كما ترى تدور الابراج من هذا الزقاق والصفا

وقد غرق من أصحابنا عشر مراكب وقد بقينا نحن ستة نقاسى البلاء وفى هذا اليوم نهلك أو غدا فان سلمنا من الغرق قتلنا الجوع والعطش لان زادنا والماء الحلو قد فرغ من عندنا (قال الراوى) ياساده فلما سمع مذبحون قال لمن معه ابشروا بالفرج أنا أخلص هذه المراكب وأينما أقلعت أقلعنا وتوصلنا إلى بلادنا إن شاء الله تعالى ثم نادى التجار بلغتهم وقال كم تجعلوا لنا على كل سفينة حتى أدخل إليكم وأخلصكم فقالوا كلنا تريد فرج عنا وخذ أموالنا (قال الراوى) ياسادة وكان فى المراكب أموال كلها حبوب وجواهر لانهم كانوا أقلعوا من الحلبة وهم فى خلق كثير يزيدون على خمسمائة رجل فقال مذبحون أريد على كل سفينة أخرجها ألف دينار وإن أردتم بعد ذلك أقلعت بكم قالوا رضينا بذلك ونحن نعطيك هذا الذى قد ضمنا لك ونوصل إليك هدايا أوفا من هذا القدر فعند ذلك ميل بمركبه إليهم وكان مركب لطيف حربى فحط الدوار معهم (قال الراوى) وكان مذبحون أخبر أهل زمانه بتدبير المراكب لانه تربية الجزائر وخرج كما ذكرنا فصار ينزل إلى السفينة ويقول لملاحينها كنبوا القلوع فاذا طنبوا سف جانبه الواحد وأخذ فى الجانب الآخر ثم يميلها من الدوار أسرع من البرق على جانبها ولم يزل كذلك حتى أخرج الجميع وعاد إلى الامير ظالم وأصحابه فاخرج مركبهم وصاروا فى لجج البحار وقد فرحوا بخلاصهم وصار مذبحون عندهم اعز من أرواحهم فقالوا له ياحكيم ان اردت ماضمناه لك سلمناه اليك ههنا وان اردت ان تسير معنا إلى بلادنا فافعل فنحن مابقى لنا إلا العوده إلى جزائرنا لان الريح علينا وقدامنا هذا البحر الاخضر وهو كثير المهالك والخطر وقد رأينا أنفسنا تبقى أحب الينا من الدينار والدرهم فانتم أين قصدكم فقال مذبحون نحن اقلعنا من قلعة السها نطلب جزيز الحائط وحصن القمر فتغير علينا الهوى فما قدرنا نقاومه وإلا الساعة نحن بحكمه فقالوا له الروم إذا كان الامر على ما ذكر فسيروا معنا إلى ملتقى البحرين والفيض الاكبر وعدى فى الخليج إلى حصن القمر فانه صفر واقل خطر فقال مذبحون نحن مركبنا لطيف ماأقول انه يقوى على موج البحرين فقالوا الروم نحن إذا وصلنا إلى هناك رفعنا كم الينا وجربنا مركبكم حتى تجوزا الفيض الاكبر وبعد ذلك نعطيك المال الذى ضمناه لك وتعود فى دعة المسيح فقال مذبحون أقلعوا وافعلوا مابدا لكم ثم صار معهم ذلك اليوم وتلك الليله حتى اصبح الصباح وقد قربوا من ملتقى البحرين فرفعوا مذبحون والامراء إلى بعض السفن وشالوا مافى مركبهم من العده والاله الذين عندهم وجنبوه ثم ساروا إلى ان تضاحى النهار وأشرفوا على الفيض الاكبر وإذا بين أيديهم مركب صغير لطيف وعلى ظهره أربعة رجال اثنين معهم قيام واثنين مطروحين على جنوبهم فالقيام منهم يصيحون الينا لعلكم تفرجون عنا فمالت المراكب اليهم

الزاد ومابقى فيهم من يدرى هو فى أرض أم سماء ان كانوا قد شبهونا بالمسلمين فدع يسألونا عن علم التحليل والتحريم وربما كانوا هم المسلمين وقد خافوا أن نعرفهم وقد بدؤنا بالشر والا فأنا وإياهم نتناظر فى دين النصرانيه والذى يكون اقل من صاحبه معرفة فى الدين هو الذى يكون من المسلمين (قال الراوى) فلما سمعوا أهل المراكب هذا الكلام حاروا ووقفوا وعادوا وانعطفوا وابصروا البطارقة أنهم هالكين وأن الحجة عليهم فقال واحد منهم ياقوم لا يبهتكم هذا الشيطان ويحوجكم أن تقتلوا حملة الصلبان ونحن شىء يفصل بيننا فى هذه المعانى ويبين لكم المسلم من النصرانى ثم أن الملعون أخرج ثلاث ورقات وقالوا هذا من إنجيل المسلمين لأن أبونا شومدرس لما أشرفنا على الغرق أخذه من بعض المسلمين وفرقه علينا وقال لنا ان أردتم أن تنجوا من هذه الشدة والأمور الصعبة اكفروا على هذه السطور فهى كلام رب محمد نبى المسلمين ومن وقت ما فعلنا ذلك ماافلحنا ولا أنجحنا والساعة فيها قد سلم معنا من الورق هذه الثلاثة فقالوا لهم يبصقوا عليها ويدوسوها بأرجلهم دوساحتى نعلم أنهم من أمة عيسى فقالوا الروم هذا هو الصواب ثم أخذوا ورق المصحف منهم وأتوا بهم إلى مذبحون وقالوا له ابصق على انجيل المسلمين ان كنت نصرانى فأخذ مذبحون ذلك الورق من أيديهم وباسه وتركه على رأسه وقال ماأمرنا المسيح بهذا وبيننا وبينكم علماء الانجيل ثم التفت إلى ظالم وقال له أنت ياعبد المسيح ايش تقول امروك القسوس قط بهذا فقال ظالم أنا ماأمرونى القسوس إلا بتطهير الرؤس وتبطيل دق الناقوس وقتل النصارى والمجوس وتوحيد الملك القدوس ثم وثب مثل السلهب وهز سيفه حتى التهب وضرب الخنزير الذى كان عرفهم على عاتقه طير رأسه إلى البحر وكبرت أهل السماء والأرض والسمك والبحر وطار أبو سكران وكشف عن وجهه مثل الغول أو أكثر وأكبر ووثب وثبة الأسد الغضبان وكشر عن أنيابه فطير عقل عبدة الصلبان وسل صارمه وانتضى وادرك أحدهم مثل القضى وضربه على صدره أخرج السيف يلمع من ظهره فتصايحت المراكب الكبار وعاد الامراء إلى الاشتهار وقام مذبحون وأخيه الحصين والشريف بكار وما فيهم الا من صلى على النبى المختار وحامى عن دين الملك الجبار ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى ملكوا المسلمين المراكب الذين كانوا فيها وارموا أصحابهم إلى لجج البحار ورأت باقى المراكب إلى ذلك فداروا بهم من كل جانب وارموا الخاطيف فى مركبهم ومروا إليهم الاسقالات ومشوا نحوهم وهجموا عليهم وكثر على الأمراء العدد وتزايد المدد إلا أن ظالم قد أحمى جانب المركب الواحد واحمى أبو سكران الجانب الآخر ومذبحون وأخيه كانا فى المؤخره والشريف بكار فى المقدمة إلا أنه قاتل هذا اليوم قتال حير العقول والأذهان إلا الأمير أبو سكران لأنه منع مركب فيها أكثر من خمسمائة روح ولم يقدروا يقربوا الى جانبه وكانوا كلما مروا اليه الاسقالات

وطلبوه وارموا على نفوسهم طير إلى البحر زؤسهم ونثر أجسادهم واشبع السمك ومنعهم بلوغ مرادهم (قال الراوى) ودام القتال حتى خزلت من المسلمين المناكب والقيت الكلاليب فى المراكب من كل جانب وجاءتهم الكفار مثل قبض السحاب ونادوا يامعشر المسلمين سلموا أنفسكم وإلا وحق المسيح مابقى بينكم وبين الغرق الا مقدار مايسحب الكلاليب التى هى عالقة بمركبكم وقد هلكتم عن آخركم ثم جذبوا الحبال فمال المركب وجرف من الماء فرأى مذبحون ذلك فعلم أنهم قد أشرفوا على المهالك وأنهم ان لم يسلموا أنفسهم غرقوا فقام مذبحون الى ظالم ومسك السيف من يده وقال له يا أخى بحياتى عليك لا تلزم القتال موضع الغلبة فانه من سوء التدبير ودعنا حتى نبصر الأخرى إلى أى شيء تنتهى ثم عدل إلى أبو سكران وأخذ سيفه أيضا ونادى الامان فأمسكوا عنهم الروم ومشوا إليهم وشدوهم كلهم كتاف وعولوا على المسير فوقع الخلف بينهم فقالوا اقوم منهم نريد نحملهم إلى الملك شمخولص الذى خاصوا من عنده لعله ان يعطينا من أموالنا التى هلكت مناو أرميناها فى البحر لما أشرفنا على الغرق وقوم قالوا ما نفعل ولا نريد مال نحن نريد أخذهم معنا إلى بلادنا ونفرقهم على الاديرة والكنائس ونجعلهم لرهباننا قربان ونشكر المسيح الذى خلصنا أحب الينا من الاموال (قال الراوى) وذاد الامر بينهم حتى انهم سلوا السيوف واذا صاح بهم شيخ منهم أزرق العينين قصير أشقر أنمش الوجه صغير اللحيه طويل السبال يقال له خيلوص الجوهرى (قال الراوى) وكان هذا الشيخ من رهبان جزيرة هرقله وكان شيطان فى علم الاديان فيلسوف الزمان قد قرأ سائر كتب اليونان وهو آفة من الآفات وكان قد بقى زمان راهب وقرأ على قسوس علم النصرانيه والانجيل وهو عندهم فى غاية من التعظيم والتبجيل وكان سبب تركه الرهبانيه أنه دخل عليه ملك الجزيرة يوما إلى المذبح فوجد عنده زوجته تمرح فقال له يا راهب ويلك ايش هذا الفعال فقال يا ملك هذا فعال الرهبان الذين ساحوا فى طاعة المسيح كل السياحه وعرفوا حكم الابارحه وهذه زوجتك قد خلوت بها لأن منزلتك عظيمة حتى أجوهرها واتركها مثل الجوهر الشفاف وان شاءت الماء سارت وان شاءت السماء طارت فلما سمع الملك منه منعه وعلم أنه محال مكار مفترى وسماه خيلوص الجوهرى وهتكه بهذا الاسم بين الرهبان فاراد خيلوص ان ينفى هذا الاسم عنه بين الرهبان بهذا المعنى فسار يسافر بالجوهر من مكان إلى مكان ويقصد الاقاليم والبلدان حتى اتفق فى هذه النوبه انه كان فى المراكب وأخذوا الأمراء جند الرحمن وجرى لهم من الامر ما جرى وأشرفوا الروم على القتال فنادى خيلوص لا تتقاتلوا وتثيروا الفتنة وبيعونى هؤلاء المسلمين كل واحد بألف دينار وأنا أسير بهم إلى أى موضع أختار وأخاطر بهم فى لجج البحر وان شئت أبيعهم أو أهديهم أو أحرقهم بالنار (قال الراوى) فلما سمعوا الرم ما قاله صفت منهم الضمائر وأخذوا

منه أثمان الامراء ذهبا وجواهر واقتسموا ماأصاب المراكب وصار كل مركب إلى اقليمه طالب وتسلم خيلوص الامراء وقال لغلمانه اقلعوا بنا إلى ساحل الديوره ناخذ أضعاف ماقد ذهب منافى هؤلاء المسلمين فقالوا الغلمان وكيف ذلك فقال انى أعلم ان هناك رهبان ماراوا قط مسلم وماسمعوا به وما عبرت بهم قط وقالوا ياخيلوص بحق المسيح ان أنت وقعت فى سفرك باحد من الموحدين الحقنا به ونحن نغنيك غناء لافقر بعده ونتقرب بدمه فى كل دير ومعبد وأريد أسير بهؤلاء الشياطين اليهم وأقدم بهم عليهم فاذا أخذت منهم أضعاف ماراح منى من ذهب ومتاع أمرتهم ان يصلبوهم على صوامعهم حتى يصير لاديرتهم عيد يسمى خيلوص ويزار فى كل سنة ثم أقلعوا سائرين والامراء قد سمعوا هذا الحديث وبقيوا من الخلاص آيسين وقال ظالم والله يامذبحون ماعملت معنا خير الذى منعتنا من القتال وتركتنا نسلم أنفسنا إلى من يفعل بنا هذا الفعال فقال أبو سكران عيدوا على الحديث بالعربية فاخبروه بالحال وكيف قد عولوا أن يصلبوهم على الصوامع صلب الكراع فقال يكون رجلاه أعلى ورأسه أسفل وهو معلق على الصومعه فقال أبو سكران ياغربتاه كيف يكون ارتفاعها يامذبحون فقال أقلى مايكون خمسين قائمه إلى فوق فقال أبو سكران يامصيبتاه واطول غربتاه فقال أى والله واعيناه من هذا اللعين خيلوص الذى ما بقيت أقدر منه على التخليص فقال الشريف بكار أنا والله ماأبكى على نفسى ولكن أبكى على عجوزى الكبيره التى قد وقعت فى يد ذلك الظالم ويعذبها الليل والنهار (قال الراوى) وسار بهم خيلوص وهم يبكون ويندبون على أنفسهم تمام ذلك اليوم وتلك الليله وماانشق لهم الفجر الاوهم قد أشرفوا على ساحل البحر وقد بانت القناديل من أديرة الرهبان مثل النجوم وسمعوا أصوات النواقيس قد أقلبت تلك الارض مع ضجيج الرهبان فأقبلت اليه من كل جانب ومكان وهم بالمسوح السود مثل الغربان فلما رأوه عرفوه وعظموا قدره وبجلوه وعن سبب قدومه سألوه فقال قد أنعمتكم بما كنتم تطلبوه وجئتكم بالغرض الذى كنتم ترجوه وهؤلاء الذين معى موحدين أعداء الدين والحواريين وأريد تبصروا لى حق تعبى وتخلفوا على ماخسرت من ذهبى وتغتنموا الثواب والجهاد وتجعلوا الاديرتكم عيد يدار فى كل البلاد (قال الراوى) ياساده فلما سمعوا الرهبان ذلك تباشروا وضحكوا وقالوا ابشر ياخيلوص بكل ماتريد فما أتيتنا إلا فى وقت الحاجه وفى وقت سعيد ثم تبادروا إلى وجوه الامراء وصاروا يلطموهم ويتصايحون وهم مثل الكلاب يتنابحون وزاد الامر عليهم حتى أخذوهم بأسنة العكاكيز فى أجنابهم فسالوا دماهم ورأى خيلوص إلى اسراه أن يهلكوا وشىء ماوقع فى يده فصاح على الرهبان وأبعدهم عنهم وقال ماأقل أدبكم كيف

تحكمون على مالا تملكون هاتوا المال وافعلوا بهم ما تشتهون فقالوا الرهبان ياهذا ابشر بما يسرك الساعه يأتى أبونا ومقدمناد هيلوس راهب الرهبان وقس القسوس ويجمع سائر الرهبان ويعطيك مال مالا تحمله البغال لانه يتولى هذه الديوره وهو يحمل صلبانها ونذورها وهو عالمها وخبيرها لانه أقبل على دين المسيح بن مريم بكليته وقد بانت عندنا آيته وكرامته وقد بشرنا ان فى هذا الزمان يريد المسيح يزورنا وهو يشتهى ان يرى مسلما من المسلمين حتى يقربه ليلة نزول المسيح فى هيكل الحواريين وقد وصلت اليوم ههنا بنية (قال الراوى) فلما سمع خيلوص ذلك فرح وقال قد أتيتكم بخيار أمة محمد العربى وأنا أرجو من المسيح أن لايضيع تعبى (قال الراوى) فعندها مضوا الرهبان ودخلوا إلى دير قريب منهم وأتوا بشيخ قصير بذقن بيضه كبيره طويله وعلى رأسه برنس مربع الجوانب وله صليب من كل جانب وعليه ثوب أخضر من الصوف الرفيع وفوق أكتافه ماشوحه سوداء وفى يده عكاز طويل وفوق رأسه صليب بلور وهو يمشى بين الرهبان ويتبختر وقد رفعوا أصواتهم بقراءة الانجيل إلى ان وصلوا إلى ساحل البحر وخيلوص خار من جلالة قدره فقام اليه وباس يده ثم أمر خيلوص الغلمان أن يقدموا المسلمين إلى بين يديه وهم فى أسوإ حال من ضرب الرهبان وماقد قاسوا من الذل والهوان (قال) فلما رآهم الراهب دهيلوس تقدم وميز اليهم طويلا وتكلم بكلمات من الانجيل وقال لخيلوص من أين هؤلاء ومن أين وقعوا فى أيديكم وهم بهذا الجفاء وعظم الأجسام ومن أتى بهؤلاء الشياطين إلى هذه البلاد قال خيلوص يابونا هؤلاء أمرهم غريب ثم حدثه بجميع ماجرى للروم معهم فى المراكب وماأظهروا من القتال والعجائب وكيف اشتراهم بالمال وأتى بهم يطلب الفائدة من الرهبان (قال الراوى) فلما سمع الراهب دهيلوس كلام الراهب خيلوص احمرت عيناه وصاح فى الرهبان ويلكم اقبضوا على هذا الشيطان وقدموه إلى حتى أحكم فيه بحكم المسيح وأمر مريحنا المعمدان وأبين لكم فى دينكم الصحيح.

(قال الراوى) ثم انه قال من جاب هدية إلى الرهبان وطلب المال وربح منهم فقد كفر فى شرع المعمدان وهذا كفره فبادروا الرهبان إلى خيلوص الجوهرى ولطموه على رأسه واكتافه حتى أشرف على الهلاك والهوان وشدوا يداه إلى ورائه كتاف وهو يقول هذا بقى رأس المال وايش كان لى فى هذا الفضول والهذيان ياخيلوص يازربون ايش كان لك إلى هذا المكان من حاجة وصار يسب فى روحه ويقول يامسيح اصرف عنى شر هذا الراهب دهيلوس الشيطان هذا والرهبان قد شدوا خيلوص وأصحابه كتاف وأحضروا الكل قدام الراهب دهيلوس وقالوا ماالذى تأمرنا فى هذا الخنزير قال اعلموا يامعاشر الرهبان ان الملعون خيلوص قد مرق من عبادة الصلبان لأجل انه أتى فى كسب المال وغشته الدنيا الغادره عن الدار الآخره

حتى انقلبت تجارته خاسره وأنا سمعت عن مرفارى عن مركوكيس سمعت من ماريحنا الذى سن ضرب النواقيس من سمعون الصفا صاحب التقديس انه قال المسيح من أتى إلى دير من الاديرة وطلب جعلا أو برطيل فقد مرق من دين الانجيل وهو مخالف للمسيح والانجيل والساعة قد خالف وكذب على دن المصلوب على العود والصواب ان يضرب إلى ان يعود (قال) فبادروا إلى خيلوص ولم يزالوا يضربوه إلى ان سال دماه وارادوا أن يحلوه فصاح فيهم الراهب دهيلوس وقال لهم من اتانى من ذقنه بشعرة ضمنت له من دار الآخرة حجرة (قال) فلما سمعوا الرهبان كلام دهيلوس بادروا إلى دقن خيلوص الجوهرى حتى تركوا ذقنه مثل خد الفرس أو خد العروس وقلعوا أسباله وشواربه وبعد ذلك نادى الراهب دهيلوس اسحبوا هؤلاء المحمديون إلى داخل الدير حتى أتركهم إلى ليلة نزول المسيح ونقربهم اليه ففعلوا الرهبان ذلك بعدما اشتفى من خيلوص فقالوا سبحان من سلط غليه من هو أظلم منه وبعد ساعة فاق خيلوص وجعل يقول قتلتنى يادهيلوس ياألف قرنان ولم تجاوبنى الابروايات وأخبار فلعنك المسيح يادهيلوس فضحك منه دهيلوس ثم قال أستغفر الله من هذا الضحك لانه قال من ضحك من غير سبب وعجب أتانى يوم القيامة وهو أعمى أصم فقالوا الرهبان واحرباه إذا كان يطالب العبد إذا تبسم فمن ذا يخلص من عذاب جهنم ثم قال اضربوا هذا الشيطان عشر عصى أخر فقد أمرنى المسيح بذلك حتى يرجع إلى حقيقة الدين فعندها رجعوا الرهبان إلى خيلوص وضربوه حتى كادوا أن يعطبوه وهو يقول جود ياألف قرنان لاتضربنى الابروايات وأخبار ماأكذبك عليه فقالوا غلمانه ياشيخ اصبر على حكم المسيح وليتك تراوس على الراهب الرئيس لأنه رجل عالم (قال الراوى) ولما فرغوا الرهبان من ضرب خيلوص الجوهرى قال لهم الراهب دهيلوس امضوا الآن إلى الديوره ونفروا أهلها حتى تقطع الليالى بالفرح والسرور (قال) وكان على الساحل تسع ديوره قريبة من بعضها وفيها خلق من الرهبان قال فما أمسى المساء إلا والكل حضروا نزول المسيح وقد ارتفع لهم ضجة عظيمة وكان خيلوص قد أفاق من ألم الضرب فرأى ذلك الخلق الكثير فانذهل وقال لأصحابه ياقوم انى لاأعجب من هذا المحالى الذى أمر الرهبان بنتف سبالى وقد أظهر الزهد والناموس وقد جمع هذه الرهبان والقسوس وقد أغراهم وقال ان المسيح ينزل عليه وهذا شىء لايقدر عليه ولا سمعناه فى الانجيل ولا فى مزمار حزقيل وما اخوفنى لاتكون هذه حيلة منه على أهل الديوره من هذا المنحوس دهيلوس ويقطع الليله رؤوسهم مثل روس التيوس فقالوا الغلمان والرهبان وحق المسيح كلما فعله فيك تستاهل يامنحوس لأنك مكذب بقدرة المسيح وبتكذيبك ونيتك اصابنا هذا المصاب وان سمع أبونا دهيلوس هذا المقال أنزل بنا العذاب والوبال فقال خيلوص

أنا ماسكت والساعة تبصرون مايجرى فى هذا المكان ويحل بناوبهؤلاء الرهبان من هذا القرنان الديال وان صدقنى حذرى فانهم قرائب لهؤلاء الذين كانوا معنا مأسورين من المسلمين هذا والرهبان قد أوهجوا البر وملؤا السواحل التى للبحر وفتحوا الدنان وتجاوبوا بالالحان وقالوا للراهب دهيلوس نريد الليله تحضر معنا حتى يتم سرورنا فقال ماأقدر على ذلك إلى وقت السحر لانى أنظر من السيد المسيح خبر والليل أخبر فى أى ليلة يظهر ولابدما آتيكم من عنده بقربان مخزونة لكم فى خمر هذه الدنان حتى تنكشف عن ابصاركم أوساخ هذه وترون ربكم عيان فاذا نزل فى ذلك الجمال والبها والكمال فلا تسكرون من الشراب واتركوا فيكم بقية للمكاشفة والحجاب وأذيقوا خيلوص ومن معه من العذاب لان لكم فى ذلك الأجر والثواب ثم انه تركهم وعاد إلى الدير وغلق خلفه الباب وقد اتى إلى عند المأسورين المجاهدين فوجدهم يندبون بالاشعار على المنازل والأحباب ويبكون على من فقدمنهم من القرائب والأصحاب حتى فاضت الدموع من عيون دهيلوس مثل السحاب وتقدم إلى بين أيديهم وقال يامعاشر المسلمين مالكم تبكون لايكون لكم من تشتاقون اليه وتذكروه وقد خفتم ان تهلكون وتبعدون

(قال الراوى) فلما سمع ظالم وأصحابه كلام الراهب بالعربيه فرحوا بذلك وقال ظالم أى والله ياراهب لنا قوم نشتاق اليهم ويجب ان نبكى عليهم وهم أسارى كانوا لنا سادات ودخلنا معهم إلى هذه الديار فضرب فيها بوق الشتات ومنهم أمير كان يقال له أبو محمد البطال وامرأة مجاهده عن ديننا تحامى وتنتق الابطال من دوننا (قال الراوى) ياساده فما تم ظالم كلامه حتى صاح مذبحون بس ياظالم من هذا الكلام فقد صح لى ولاح لى لائح الفرج من الملك العلام وحق الملك القدوس هو أبى البطال هذا الراهب دهيلوس (ياساده) ثم انه هم ان يقوم اليه فمنعه الشد الذى فى رجليه هذا والراهب الذى ذكرناه قد ترامى عليهم وصار يقبل عيناهم ويقول صدقت ياولدى فى هذا المقال وان أبيك أبى محمد البطال

(قال الراوى) ياساده لقد عجبت من هذا الاتفاق لما وصلت إلى هذا المكان وقلت سبحان الله الملك الخلاق الذى كان يسهل لهؤلاء القوم ويأتيهم بالفرج بعد الشدة وضيق الخناق هذا والبطال قد فك أطراف الأسارى من شدة الوثاق وبكوا الجميع من شدة الفراق فقال ظالم ياأبى محمد وماعندك من ستى ذات الهمة خبر فقال والله لقد كان أسرنا عبرة لمن اعتبر ومامعى لها خبر وانى مرتجى لها خبر وان الليله التى غرقنا فيها كانت سخط من الله تعالى وغضب وماقلت إلا ان البحر بنا قد انقلب ولما انكسر بنا المركب ماابصر منا احد صاحبه من شدة الغمام الذى غشينا فاما أنا تعلقت على لوح من الواح المركب وصار الموج يلعب بى حتى أشرفت على العطب وكنت كلما أيست من الحياه وأقول ان أخلى الخشبة من يدى تعود النفس تتعلق باذيال الطمع

ويعز على فبقيت سائر على كف الرحمن أسير فى يدى برهة من الزمان يومين وليله بعد ذلك أرمانى البحر إلى هذا الساحل وخذلت منى المناكب والمفاصل ولما ركبت البر أملت الحياه وتعلقت يدى باذيال النجاه ومن الخلاص رميت روحى إلى الأرض مثل القتيل وأنا من روائح البحر عليل وبقيت كذلك حتى عبرنى بعض الرهبان وقعد عند رأسى وسألنى عن حالى فقلت له أنا دهيلوس راهب جزيرة الصنم ثم وصفت لهم وصائف المسيح لحملنى إلى هذا الدير وألقى على ميشومه وثوب شعر ولما أفقت فسرت ما أعطيت من علم الانجيل وبينت للقوم شىء من التحريم والتحليل ورأيتهم قليلون المعرفة بالعباده فاظهرت لهم المعرفة والناموس حتى صرت عندهم بهذه المنزلة العظيمه والكلمة المستقيمة وكنت فى هذه الأيام عولت ان أخدعهم وأسير من عندهم وأبصر من هلك منكم ومن سلم فانتم قد سهل الله خلاصكم على يدى والساعه فانا شاكر ربى الذى جمع على ولدى فقال ظالم ياأبى محمد ولو أن الأميره سلمت كانت تكون الفرحة الكبرى ولكن لله فى هذا رضى ثم حدثوه كيف هربوا من جزيرة الحائط وكيف ألقتهم المراكب فى البحر ومافعل مذبحون واخبره ظالم بمن بقى من المسلمين مع عقبه اللعين فقال البطال (ياساده) هذا وولد العلويه الشريف بكار يبكى ويقول والله ماسرنى خلاص نفسى مادامت أمى مع اللعين عقبه فقال البطال ان لحقناها سالمه خلصناها ان شاء الله تعالى لأننا هاهنا نسير إلى حصن القمر وجزيرة الحائط وننظر كيف يكون التدبير ونتوكل فى أمورنا على اللطيف الخبير الذى هو نعم المولى ونعم النصير ولى هذه الأيام فى هذا المكان ماكان لى شغل إلا استخبار الرهبان عن طريق البر والبحر والجزائر والقلاع فقال مذبحون ونحن أيضا قد عرفنا طرقات البحر كلها ومابقينا نطلب إلا التوفيق من الله والخلاص من هذا الضيق فقال ظالم ماهذا ضيق ان شاء الله ومابقى إلا السعد والتوفيق هات لنا سيوف ودرق حتى نخرج من هؤلاء الملاعين ولو أنهم عدد أوراق الشجر فقال أبو محمد البطال السيوف عندى والعدد ولكن اصبروا على حتى نتقن هذا التدبير لأن هذه الأرض لها قرى وسواد وفيها أمم وعباد وخلائق كثيره ونخاف ان خرجنا إلى هؤلاء الجزائر ألقوا علينا النفير ولا ننال منهم مراد ولا نخلص من هذه البلاد ومافى الأمر إلا الحيله عليهم قبل الخروج اليهم ثم انه أخذ الأمراء معه إلى جانب الدير واخفاهم فى مكان لايفطن بهم أحد وسلم اليهم العدد وقال لهم اصبروا إلى حين رجوعى ثم انه خرج وفتح الباب الذى للدير ونظر (ياساده) إلى الرهبان الكبار منهم والصغار وإذا هم يتجاوبون بالحان وقد انتشطوا من خمر الدنان وهم يشربون ويفرحون ويلعبون ويمرحون فلما رأوا باب الدير قد فتح وخرج منه اليهم الراهب دهيلوس تواثبوا اليه قياما بعد ماكانوا جلوس وقالوا ياأبونا نحن

فى انتظارك وفى انتساب أخبارك واخبار المسيح (قال الروى) ثم قالوا ونريد منك المباشرة والرحمة والمكاشفة وكشف الحجاب بيننا وبين المسيح عيسى ابن مريم فقال لهم أبى محمد ابشروا فقد قرب الأوان وأتى وقت الجزاء على عباد الصلبان إلا أن يحل عن الاشتهار ولايجب أن يطلع عليه الاخبار ثم انه اختارمن الرهبان شيخا من علمائهم وأدخله إلى الدير واغلق عليه الباب دون الباقين وقال للذى دخل معه اعلم أن كل صاحب حق يختار منه عقال قومه من يثق بهم ويثقوا اليه حتى يحفظون ما يسمعون وان يقتفون الحقيقة ولاجل هذا موسى بن عمران ﷺ وأفضل الصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ اختار من قومه سبعين رجلا وترك الباقين ضالين وسيدنا المسيح اختار اثنى عشر رجلا من الحواريين فقال يا راهب هذا أوان ليالى نزول المسيح فى هذا الهيكل العظيم وهانحن نريد نجمع عبيده من سائر الاقاليم والليلة قرب جيرانه فى سائر الاقطار وفرقنا نحن وأمر بالنزول إلى كل الامصار حتى يختص بهديته رهبانه الاخيار لأنه لما طعنوه بنى اسرائيل وصلبوه دخل الريح فيه فتلق دمه بيده وترك فى الأرض قربان وفرقه فى سائر الادبرة والبلدان بعدان ضاف اليه قليل من ماء العنب حتى لايدخل عليه شىء يغيره من فصول الزمان ولايدخل عليه النقصان واراد بذلك حتى لاتخلو الأرض من بركته إلى أن يعود اليهم كما كان ويهدى الخلق إلى البيان وانت يا راهب من المخصوصين بالهدايا والقربان فاختار من قومك أربعين ويكونوا من عقلاء هؤلاء الرهبان اقصدوا إلى بيت المذبح ففى صدره حجر كبير من الصخر الاصم فيه ثلاث قطرات من الدم الممزوج بماء العنب تخذوه واخلطوه فى خمردنانكم حتى تصفوا من كدر الدنيا أبدانكم فاذا تقيتم من الاوساخ والذنوب رايتم ماخلف الحجاب محجوب ثم قال البطال وأنا اخترتك من دون من حضر وما بقى إن شاء الله الاصحة الخبر فعند ذلك خرج الراهب من الدير واختار من قومه أربعين راهبا وقص عليهم حديث دهيلوس واتى بهم إلى الدير فلما سمعوا هذا المقال سجدوا كلهم إلى الأرض وصلبوا على وجوههم وقالوا الحمد للمسيح يادهيلوس الذى اختارنا من دون هؤلاء الرهبان والقسوس ثم أخذوا فى أيديهم المعاول والفوس وقصدوا إلى بيت المذبح والبطال بين أيديهم حتى أتى بهم إلى صدر الحائط وقال اضربوا هاهنا ضربا وثيقا لايتبدد شىء من القربان فعند ذلك تقدم منهم اثنين وقالا باسم المسيح والمذبح الذبيح ثم ضرب الحجر وإذا به قد انفتح وخرج منه شراب أحمر له لمعان يأخذ بالابصار ورائحته أزكى من العنبر فما بقى من الرهبان الا من انبهر وطاش عقله وتحير وجعلوا يلتقونه بالقصع ويقولون هذا ينفع من المرض والاوجاع وكل هذا من بركة الراهب دهيلوس الذى عرفنا العباده ولقننا لرؤس ولما ملؤا آنيتهم فقال لهم البطال احتفظوا به ولا تقربوا منه إلا

لاعز الناس عليكم فهذا فيه ثلاث قطرات من دم المسيح ابن مريم ومن شرب منه أمن من الهرم وكفى كل بائقة وسلم وما يموت الاان يشاءهو ويطيب الانتقال إلى جنات النعيم فعندها خرج البطال والرهبان ومافيهم الامن هو فرحان يقول لصاحبه يا أخى الحمد للمسيح الذى ماأماتنا حتى اوضح لنا البرهان وخصنا بالقربان وفضلنا على سائر الاديان هذا والبطال قد عاد الى عند اولاده واصحابه فوجدهم حاماين العدد قيام فقال لهم ابشروا باهلاك الاعداء وبلوغ المنى فقال ظالم وما الذى فعلت يا أبا محمد قال قد ناولهم ما يكفى لهم باقى الزمان والساعة ترون هـذه الحركات قد سكنت والضجات قد قلت (قال الراوى) وكان هذا الخمر الذى دلهم عليه البطال من عمله وصنعته لأنه كان من خبرته بالاديرة والكنائس وكثرة مخالطة الرهبان قدعرف اين يكون مخابىء الذهب والصلبان واين يخبوا الرهبان الماء بتاع الديوره ولما دخل هذا الدير دخل بنفسه فى بيت المذبح ففتشه وقال مايخلوا هذا المكان من مال ابلغ به من خلاص الآمال ولم يزل حتى وقع بهذه الصخره ورآها مثل الصندوق من داخلها وفى جنبها طاقة لاتسع أكثر من يد الانسان فقال فى هذا المكان كان يخبى مال الدير من قديم الزمان فما أقول ان أحـدا يعرف هذه الصخرة من هؤلاء الرهبان واريد عمل مكيده فى هذه الصخرة واجعلها زخيرة ليوم من الزمان

﴿ تم الجزء السابع والستون ويليه الجزء الثامن والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف
علي بن موسى المقانبي وابن بكر المازني وصالح الجعفري ويزيد بن
عمار المزني وعبد الله بن وهب اليماني وعوف بن فهد
الفزاري وسعد بن مالك التميمي وأحمد الشمشاطي
وصابر المرغشي ونجد بن هشام العامري

الجزء الثامن والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم طاف أبو محمد على الدير فوجد فى لحف الجبل حشيشة كان يعرفها تنبت فى أرض القسطنطونية أحد من البنج وأخذ منها حاجته وملا تلك الصخرة من خمر الدير العتيق وطيبه وخمره بتلك الخميرة وفى هذه الأيام كان قد عول أن يبنج الرهبان ويمضى من شوقه إلى أولاده فقدموا الأمراء كما ذكرنا وجرى لهم من القصة ماجرى ولما سألوه عن حاله حدثهم بهذه القصة وقال لهم اصبروا على قليل وقد هان عليكم الخطب الجليل

(قال الراوى) وأعجب مافى هذه القصة أن خيلوص الجوهرى كان حله بعض الرهبان من وثاقه وحل أصحابه واعرض عليهم شيأ من الخمر فقالوا وحق المسيح عندنا شغل من الفرح وفى أضلاعنا ضرب يكفينا بقية أعمارنا ولم يزالوا كذلك يتفرجوا على الرهبان حتى خرج الأربعين من الدير بالقربان وفرقوه على الأصحاب والاخوان وما فيهم من شرب أكثر من قدح حتى مال وانبطح وقل ذلك الصياح والفرح ولم يبق منهم إلا من لم يصل إلى القربان لأن الخلق كثير ولما رأى خيلوص ذلك قال لأصحابه وحق المسيح ماأمر هؤلاء صحيح لأنهم قد انطرحوا الكل فى ساعة واحدة وان صدقنى حذرى إلا أنهم تبنجوا والساعة تروا المسلمين إليهم قد خرجوا ويلكم خذوا سيوفكم وقدموا بنا إلى الدير حتى نبصر مافعل دهيلوس إن كان قد تولى عذاب المسلمين نقول قد أتينا نتوب على يديك ونرجع إلى حقيقة الدين وان كان الأمر بخلاف ذلك هربنا ونجينا فقاموا أصحابه وأخذوا عدة الرهبان وساروا معه وهم

يلوموه ويقولون مانزل بنا هذا كله إلا بظنك السوء وتكذيبك ولا تبرح ترجع ترمينا فى المهالك والمعاصى ولم يزالوا سائرين إلى أن دخلوا إلى الدير فوجدوا الأمراء بعددهم خارجين مثل الشواهين وظالم فى أوائلهم مثل الأسد العرين (قال الراوى) ياسادة ولما رأى خيلوص ذلك قال لهم خيلوص علمتم الساعة ان هؤلاء كلهم لصوصا اهربوا والا طبخونا مصوصا وعاد اشتفى منا هذا الراهب المنحوسا دهيلوسا وعادوا القوم وهم هاربين يعترون بالنيام وهم مثل القتلى وخيلوص فى أوائلهم يرى ذلك البلاء ويقول ماقصر المسيح مع الرهبان الذى أنفذهم على يد دهيلوس هذا القرنان ثم طلب الصوامع وباقى الأديرة ينفر من بقى فيها

(قال الراوى) ياسادة هذا وقد خرجوا المسلمين ووقعوا فى القوم الذين بقيوا مستيقظين فضربوهم بالسيوف وسقوهم كاسات الحتوف ولم يصبح الصباح حتى نهبوا منهم الأرواح وداروا على الذين كانوا منطرحين فرأوهم على حالات نحسه هذا وقد تقايا على لحيته وهذا على صدره وهذا قد هب عليه الهوى كشف عورته وهو ملتى على قفاه وهذا قد اختلط بوله وخراه وهذا عبرة لمن يراه وهذا قد نام وقدحه فى يده وهذا قد احترقت ثيابه من شدة اللهب الذى يحبس فى كبده فقال ظالم ويلك ياأبو محمد خذ معك من هذه الحشيشة ولاترجع تتعب فى عمل البنج فقد تركت هؤلاء المناجيس مثل رفعة الشطرنج فقال البطال أنا أخذت منها مايكفينى عشرة أعوام وقد بقيت وجوه هؤلاء الشياطين عبرة ثم دار على الرهبان وسلخ منهم عشرين لحية مختلفات الالوان بعد ماذبحوا أكثرهم فقال البطال اركبوا الساعة فى هذه المركب الذى أتيتم فيه واقلعوا قبل مايأتينا النفير ونرجع نقع فى أيدى هؤلاء الخنازير لان خيلوص قدعدم وما هو إلا قدعرف حالنا ومضى ينفرعلينا من بقى فى الاديره فاسرعوا أنتم واركبوا فى نحو الجزيرة وهى جزيرة الحائط ففعلوا ماأشار به عليهم وساروا إلى المركب وأخذوا من الزاد والماء الحلو وطلع الامير أبو محمد البطال وأقلعوا صوب الناحية التى جاؤا منها (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصلوا أصحاب الاديرة بالسكاكين والعكاكيز والسيوف وقد ألتى خيلوص النفير فوجدوا الدنيا عبرة والدماء طريه على وجه الارض والرهبان مطروحين طولا وعرض لحارت أبصارهم وارتعت أبدانهم وقالوا ياويلكم هذه أفعال خمسة أنفس كما قال لنا خيلوص وحق الصليب مافعل هذا إلا دون الالوف فالحمد للمسيح الذى مالحقناهم فقال واحد منهم ويلكم عودوا بنا سالمين قبل أن يسمعوا بنا هؤلاء الشياطين لانى أرى الذبائح طرية والساعة قد ذبحوا هؤلاء المناجيس وان نحن وقعنا حل بنا ماحل بهم ارجعوا بنا فلا بد لخيلوص مايقع بهم ويأخذ منهم تاره لانه سبقهم إلى جزيرة هرقله ينفر عليهم الملك قاشورش ويطلعه على حالهم حتى يخرج إليهم فى مراكبه وبطارقته

(قال الراوى) ثم عادوا هؤلاء وهم لايصدقون بالنجاة وبقى الساحل والدير عبرة لمن يراه فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه سار بأصحابه ذلك اليوم من ضحى النهار حتى أمسى المساء وأرسى وقال بحر كثير الاخطار ونحب لانسير به إلا بالنهار لاننا قليلين الخبرة بهذه الجهات فقال ظالم هذا هو الصواب ثم انهم قاموا وقد حطوا القلوع حتى انفجر الصباح فأقلعوا وأشرفوا وقت الظهر على مدينة هرقله فقال البطال هذه جزيرة والرأى أننا نجتنبها لاننا لا نأمن من الملعون خيلوص انه قد سبقنا إليها وخبر بخبرنا لاهلها وان كان إلا كذلك فالساعة تروهم وقد طلعوا علينا (قال لراوى) ثم عول أنه يحول القلع ويلج فى البحر وإذا بين يديه أكثر من خمسين مركب ممدودة على وجه البحر وقد خرجت فى طلبهم وميلوا إليهم بالمراكب يطلبوهم من كل جانب وخيلوص فى أوائلهم ينادى أين تأخذون ياشياطين اللصوص وقد التقاكم الراهب خيلوص وحق المسيح لابد آخذ بثار نتف لحيتى وسبالى من الراهب دهيلوس المحالى (قال الراوى) وكان الملعون لما هرب من الامراء وقد علم بحالهم وسار إلى آخر الديورة ونفر أهلها إليهم وثب الى الخليج وعبر الى جزيرة هرقله وكانت المسافة بينهم قريبه فما أمسى المساء عليه الا وهو فيها فتم على حاله ودخل الى الملك قاشورش وصار يلطم على وجهه ويبكى بين يديه ويقول أيها الملك أنت غافل عن ماجرى بأرضك أنت نائم عن أعداء المسيح وأعدائك انهض بأصحابك وجاهد وانصر دين المسيح فالديوره والسواحل قد خربت وهدمت الاديرة والكنائس قال الملك ويلك من فعل هذا الفعال وعمل هذه الاعمال فقال يامولاى قوم مسلمون أكثرهم سودان ملل الشياطين فقال قاشورش ومن أين أتوا إلى تلك الارض مسلمين وقد دخلوا الى هنا الموحدين المحمديين من غير علمى فحدثه خيلوص الحديث الذى جرى له فى المراكب وكيف حمل الأمراء إلى الساحل واخبره أيضا بما فعل بهم دهيلوس وماجرى على الرهبان والقسوس ولم يزل كذلك حتى قال وخليتهم بعدى مقلعين وعلى خلاصهم إلى بلادهم معولين وفى غداة غداة ربما يعبروا على جزيرتك وربما يميلوا عن بلدك فاستعد لهم بالمراكب وخذ عليهم طرقات البحر من كل جانب (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك داخله الحنق واشتد به القلق وكان شيطان احمق لايفزع من الموت فقال ياراهب وحق المسيح لقد اشغلت قلبى لانى فى هذين اليومين كنت معول على الاقلاع إلى جزيرة الحائط لان الملك الأكبر شمخولص كان قد كتب إلى يأمرنى بالمسير اليه لاصحبه فى خروجه إلى بلاد المسلمين وذكر فى الكتاب ان عساكره قد اجتمعت ومابقى يعيقه إلا أنا والملك هرقل صاحب قلعة الشعاع وإذا كان هؤلاء فى أرضى فلا بدلى مما احرص على أخذهم واسيرهم إلى الملك شمخولص

يفعل مايشاء مع المسلمين الذى عنده فقال خيلوص انا وحق المسيح أسير معك لأننى قد سمعت انه قد وصل إلى الملك الأكبر شمخولص القس الذى يقال له الشيخ النجيح وحجة المسيح وسمعت انه أعلم أهل الأرض وأخبرهم بدين عيسى وأريد أسير معك إلى زيارته فقال الملك افعل مابدالك ثم أمر بطارقته انهم ينزلون إلى المراكب من ليلتهم ويتفرقون فى البحر ففعلوا ذلك ونزل خيلوص معهم من شدة فرحه وحرصه على هلاك الأمراء ولما صاروا على وجه الماء افترقوا كما ذكرنا إلى ان كان من الغد وأشرف مركب المسلمين وهم لنجاة أنفسهم طالبين ودارت بهم المراكب شمال ويمين وعلا منهم الصياح وأشهر ظالم سيفه وتقدم إلى وسط المركب مثل الاسد الغضبان وثار إلى مؤخر المركب أبوسكران ورأى الشريف بكار وأولاد البطال إلى ذلك الفعال فلزمهم المحاماة عن أنفسهم والقتال وأراد البطال أن يمنع ظالم من القتال فلم يسمع منه مقال بل قال دعنى يا أبو محمد أشفى صدرى من الكفار فقد كرهت الحياة ومللت من ركوب البحار وأريد ألقى ربى من بطون السمك والحيتان وأموت موتة ستى ذات الهمه والا أكون جبان مهان ثم التقى بصدره رجال المراكب وأظهر فيهم العجائب وتكاثروا عليهم البطارقة من كل جانب وتضاربوا بالسيوف الماحقه وتطاعنوا بالقنطاريات الخارقة وأيقنت النفوس بالغرق وهاج البحر واصطفق ولمع الصارم وبرق وكانت المراكب تلتدمركب المسلمين وتضيق عليهم وهم يقاتلون ويدفعون حتى أسندوا إلى الساحل ووقع الصياح فى الجزيرة فخرج كل من كان فيها ونزل الملك قاشورش فى طائفة اخرى وكثر على المجاهدين الاحجار وأخذهم الصياح من كل مكان فوقع بهم الانبهار وأصاب الامير ظالم حجرين فى أكتافه فأشرف منها على تلافه ووقع صدر المركب وطعن أيضا أبو سكران طعنة أشرف منهما على العطب وطلعت البطارقة اليهم وقد طمعوا فيهم فأخذوا البطال وأولاده وسائر الرجال وطلعوا بالكل إلى بين يدى الملك وخيلوص يلطم وجوههم وينتف ذقونهم وأكثر ما كان ينزل على البطال ويقول له يا شيطان كيف كنت فى الدير تروى الاخبار وتضربنى وأنا أستغيث وأصيح وأنت تقول للرهبان والقسوس أنتفوا ذقنه وسباله وانهبوا رحله وأمواله اليوم آخذ منك بالحق وأشبع رفص ودق ثم قال للملك اشفى قلبى بصلب بعضهم وخلى باقيهم نسيرهم إلى الملك الاكبر فقال قاشورش ما هذا صواب إلا أننا نحمل الكل ونحضرهم بين يديه فى حال المهانة والذل ونحن فى غداة غدا مقلعين وإلى جزيرة الحائط طالبين لأن مراكبنا قد أنجزناها وهذه الفرصة قد انتهزناها فاتركوا هؤلاء فى هذه البيعه الصغيره التى على ساحل البحر ولاتتركوا لكم شيأ إلى الصباح فقال خيلوص ياملك إذا كان الامر على ذلك فاتركنى أنا أتوكل بهم وأبات عندهم إلى

الصباح لأننى أريد اوافقهم على مافعلوا فى حقى من الأمور القباح لاسيما هذا دهيلوس الشيطان الذى قد شاع ذكره فى سائر البلدان ولا يتوكل بهم الليلة غيرى فلو وكلت بهم المسيح خلاه وطار هذا وسرق الكنيسة معه وسار (قال الراوى) باساده فلما سمع الملك ذلك حار وأخذه الانبهار وقال ويلك ايش هذا الجنون ياشيخ يامفتون إلا سمعت ان أحدا يسرق الكنائس بالحيطان وينقلها من مكان إلى مكان فقال خيلوص أيها الملك المسيح يكفيك البلاء المقدر ويصرف عنك القضاء المسطر ولا يسلط عليك هذا الازرق العينين الأشقر وأنا قدسمعت عنه مالا يسمعه أحد ورأيت فعاله مايشيب الأطفال الرضع فعندها قال الملك ياشيخ ان كنت تعرف منه هذه الفعال بأنه عيار محتال فكن عنده إلى غداة غدا ثم أضاف اليه خمسة من البطارقه وأمرهم بطاعته فساقوا الأمراء بين يديه إلى الكنيسه وكانت هذه الكنيسه على ساحل البحر فيها عشرة من الرهبان منقطعين عن العمران وعليهم الرواتب والجراية وهم مقيمين على العباده ولا يدخلون الجزيره إلا فى كل يوم واحد (قال الراوى) ولما حصلوا الأمراء فيها اغلق خيلوص عليهم الباب وانزل هو والبطارقة على الأمراء العذاب هذا وعساكر الجزيرة ينقلون إلى المراكب العدد والمتاع ويأهبون القلاع حتى مضى من الليل الثلث الأول وانقطع الحس والطارق وعسعس الليل الغاسق ونامت العيون وتبدلت الحركات بالسكون وكان خيلوص أيضا وأصحابه فى ذلك قد شبعوا من عذاب الأمراء وناموا وقد غلب عليهم الكرى وكذلك الرهبان وأصحاب البيعة قبلوا وانطرحوا على الثرى وبقيوا الأمراء مستيقظين وعلى أنفسهم معددون والبطال يقول أنا مابقى على قلبي هم لأجل اجتماعى باولادى وان أنا خلصت فقد بلغت مرادى فقال ظالم والله ان على قلبي هم وأى هم من فقد ستى الأميرة ذات الهمة ووالدى وشوقى إلى الحجاز الذى نشأ فيه جسدى فقال الشريف بكار والله ماهمى وغمى إلا خلاص أمى والا فالموت أهون لى لاسيما إذا كان من يد الأعداء فبينما هم كذلك وقد أخلوا مع بعض فى الظلام وتجلى الملك العلام وإذا براهب قد قام من جملة الرهبان النيام ودنى إلى البطارقة وسل حسام منهم وأول ماتقدم إلى الرهبان خيلوص وذبحه وثنى بالبطارقة اللئام ووقع بعدهم على الرهبان النيام وقوع الملك الذى فى يده أرواح الأنام وماكانت إلا ساعة حتى فرغ من الجماعة ودنا من الأمراء وقد حارت منهم الأبصار وطارت القلوب وكثرت الأفكار فحل كتافهم وعاد يقبل رؤسهم والبطال يقول ياراهب دع عنك البوس والتقبيل وقل لنا بمن بعثك المولى الجليل فقال الراهب بكلام له هيبة يا أبا محمد ان كنت ماتعرفنى فسبح خالقك ومولاك الذى نجانى ونجاك وجمعنا فى هذا المكان وإياك انا الاميرة ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم أمة الحى القيوم سلبنى من البحر الذى أمره بين الكاف والنون بعد ما أهلك من جحد وكفر ونجى

من شاء وقدر (قال الراوى) فما فى القوم إلا من سمع كلامها إلا وهو فى دنيا أخرى من هول قدرة الله تعالى فلما أفاقوا قال لها أبو محمد البطال بالله يا أميرة كيف كانت سلامتك حدثينى حتى أحدثك أنا الآخر على ماقاسيت من الشدائد والاهوال فقالت الاميرة ذات الهمة ما أنا قد استلمت عدل قطن وركبت عليه ورمتنى الامواج بعد يوم وليلة إلى ههنافى هذا الساحل ورؤنى هؤلاء الرهبان فأخذونى إليهم وكان على زى الروم الذى فارقتك عليه كما عرفته ثم سألونى عن حالى فقلت أنا من رهبان دير الزيت الذين فى أعمال قلعة السها كنت طالب جزيرة الحائط مع قوم منها فانكسر بنا المركب وسلمت أنا كما ترونى ثم أقمت أظهر العبادة والانفراد وبالليل أخلو بنفسى وأقوم إلى خدمة ربى وأدعو رب العباد ان يرينى منكم ولو شخص واحد حتى رأيتكم وقد وصلتم اليوم وجرى عليكم ماجرى من قتال العدا فصرت وحالى مكتوم وعلمت أنكم تفعلون فأردت أن أكون سببا لخلاصكم وهكذا كان والحمد لله الواحد المنان الذى نجانا وجمع بيننا فى هذا المكان فأنت ما كان خلاصك ونجاتك يا أبا محمد فأعاد عليها ما قد ذكرناه وكيف كان فى أديرة السواحل وصار مقدما عليهم حتى وصل ظالم وأولادى وجرى لهم ماقدمنا فعجبت الاميرة من ذلك وقالت يا أبا محمد أنت إذا وقعت فى أرض الروم تحسن أن تتكلم وتعيش بما أعطاك الله من علوم دينهم والحجج القوية فى مذاهبهم ونحن بخلاف ذلك وأنا لو أننى كنت قد صحبتك هذا الزمان الطويل وحفظت شيأ منك من علم الانجيل لكنت فى هذه النوبة من الهالكين فقال البطال دعينا الساعة من هذا المقال واخرجوا بنا حتى ندبر فى خلاصنا فما يكون فى الدنيا أسعد منا لاننا فى وسط الهلاك فقال مذبحون مالنا إلا نركب فى بعض هذه المراكب ونطلب البلد الذى كنا طالبينه لان المراكب الليلة كلها قد باتت ملآنة بالعدد والزاد والقنطاريات والسيوف الحداد وهى مستعدة للاقلاع عند الصباح فقال البطال ياولدى ان سرنا فى البحر لحقونا هؤلاء الملاعين وماكان فى هذه النوبة يبقوا علينا لاننا بكام يوم نقدر نسبقهم أو بأى شيء وقدامنا قلاعهم وجزائرهم وربما كتب هذا الكلب قاشورش كتاب إلى قلعة الشعشاع التى بين أيدينا على أجنحة الطير فيقتلونا ويقبضوا علينا فقال مذبحون والا كيف نريد نعمل فقال قوموا بنا حتى أقول لكم ما أفعل فعندها خرجوا من الكنيسة وقد أخذوا معهم عدد البطارقة الذين هم كانوا موكلين بهم ولما صاروا على الساحل وإذا بالمراكب تلعب على مراسيها مثل الخيول على مداودها وفيها كل ما يحتاج إليه وعلى كل مركب بطريق برسم حراستها فقال البطال مروا بنا إلى أول المراكب لانه يكون أكبرها وهو الذى يكون برسم الملك فقالت الاميرة ياأبو محمد فأنت قلت ما نريد نسير فى البحر وايش تعمل بأكبرها أو بأصغرها فقال وكأننى أريد أقلع

فيه قالت وإلا ايش تريد تعمل به قال ارفع قلعه وأزوده بالمقاديف والمدارى حتى يحصل فى اللجج ويملك هواه ويسير فى البحر ونسير نحن فى البر وأنا أعلم أن الروم اذا عدموا وعدموا المركب يظنون أننا سرنا فيه وتتفرق المراكب فى طلبنا ونمضى نحن فى البر آمنين مطمئنين واتكالى بعد ذلك على رب العالمين فقال ظالم والله ياعماه ان هذا نعم الرأى فلا أعدمنا الله طلعتك ثم تموا إلى المركب الأول فتصدوا اليه وذبحوا البطريق الذى كان موكل به ورفع البطال قلعه وطنبه وعادوا ونزلوا منه وقد زودوه بالمدارى حتى خرج من الساحل ولعب الهوى فيه فسار مثل الطير والمركب سائر وساروا هؤلاء على ساحل البحر وقد زيا البطال الكل بزى الرهبان وترك فى أعناقهم الصلبان وتقدم فى أوائلهم هو واولاده وهم من ورائه (قال الراوى) وما كان فى الكل أحسن من الأمير ظالم لأنه كان أسمر بطرف أكحل أحور وقد لبس لحية قصيره سوداء وهو بذلك الهيكل العظيم يسبى النساء والرجال والبطال كلما رآه يقول ارجو أن تقع معك بعض بنات الملوك والجوار المتعبدات حتى تساعدنا على خلاصنا من هذه الديار القاصيات (قال الراوى) وقد أصبح الله عليهم بالصباح وقطعوا من الأرض مسافة وهم لايفارقون ساحل البحر بل كلما عبروا على دير وقريه وقد دخلوا اصحابها وهم يتلون عليهم الانجيل ويتزودوا من عندهم وساروا هكذا يومين وليلتين واشرفوا على قلعة الشماع فرؤها على ضرس جبل نابتا فى البحر وهى عالية شاهقة كانها شعاع الشمس لاحقه وحولها جزيرة كبيره وفيها خلق كثير وصوامع مرتفعه وبيع مشيده فعجبوا من علو القلعة وارتفاعها وكبر الجزيره واتساعها فقال ظالم الله تعالى يدفع عناشر أهلها وكيد من فيها الان قلبى خائف لايكون قد سبق فينا كتاب من الملك قاشورش إلى هذا المكان فقال البطال هذا شىء لاتفزع منه فانى قد حسبته من قبل الآن وحسبت هذا الحساب ولأجل ذلك قد فعلت بالمركب ما فعلت واوهمتهم لأن الكتاب إذا وصل مايكون فيه إلا أننا قبضنا على قوم مسلمين وهربوا فى البحر فى بعض المراكب ونحن قد وصلنا فى البر فسيروا وتوكلوا على الله تعالى لأنه إذا أراد سلامتنا هو قادر بفضله يعمى أعينهم عنا ثم انهم قربوا الجزيرة وترنموا بالانجيل ودخلوا اليها والبطال فى أوائلهم يقرأ الانجيل وأولاده يجيبوه بتلك الأصوات والعالم خلفهم يدلونهم على الكنيسة وقد حاروا من قراءتهم وسكروا من طيب تلاوتهم وخرجوا اليهم والتقوهم وعادوا وهم بين أيديهم ومافيهم الامن صافح البطال وباس يده لاجل هيبته التى وقعت فى قلوبهم (قال الراوى) ولما حصلوا فى الكنيسة سألوهم الرهبان والقسوس عن حالهم ومن أين أقبلوا فقال البطال نحن من جزيرة الحضر التى هى آخر جزائر بحر الحلبه وقد خرجنا فى زيارة بيت المقدس ثم تكلم بشىء من فضائل المسيح وذكر زهده

وعبادته ورجع يتحدث فى الناسوت واللاهوت وهو أهل مذهب النصرانيه فحارت القسوس من ذلك وقالوا يا أبونا هذا شيء ما يعرفه أحد من أهل ملة الناقوس وما أنت عند المسيح الا بالمنزله الرفيعة والا ما كان اودعك علمه (قال الراوى) وشاع ذكرهم فى الجزيرة فما بقى شيخ ولا شاب ولا صبي ولا امرأة الا وأتوا يتفرجون على حسن تلاوتهم واجتهادهم فى عبادتهم الا ان البنات كلهم افتتن بظالم وما فيهن إلا من قالت وحق المسيح ان هذا الراهب الاسمر العريض الاكتاف شيء مليح وحق المسيح والصليب لو أقام عندنا هو وأصحابه كنا نصير مع الراهب وننزل عندهم إلى الكنيسة ونتفرج ونتقرب عندهم هذا وقد سمع الملك بصفات البطال وأصحابه وقصد الكنيسة وأول ما دخل وسمع ضجيجهم وطيب نغمتهم وحلاوة تلاوتهم كشف رأسه وتقدم اليهم فمسح عليه البطال وبشره برضاء المسيح عليه وعتقه من النار وقرأ حتى أبكاه (قال) وبعدما تقرب الملك قال للراهب ماهذا الراهب الا عالم عظيم لا راهبنا رأس الحكمة ولا غيره ومع ذلك لا أراه حاضر فقالوا له قسوس البيعه يا ملك خرج إلى ظاهر الجزيرة يتمشى بين البساتين ويغتسل من المياه النابعه ويأتى يجلس بنفسه ولا يرجع يخرج من هذا المكان والساعة يكون ههنا (قال الراوى) والرهبان مع الملك فى الكلام وإذا براهب القوم رأس الحكمه قد دخل يتمشى على عجل وهو لهفان كأنه شيطان فلما رؤه الرهبان تبادروا اليه من كل جانب ومكان وقالوا للبطال تخرج معنا إلى لقاء راهبنا فهو جليل القدر عند المسيح وعند الملك ولا بد مما يمسكك فى ضيافته يوم وعشرة ويتوسط لك عند الملك حتى يعطيكم ويسيركم إلى المكان الذى تريدوه (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك خرج فى أوائل القوم وقد رفع صوته هو وأولاده بالتلاوة وبالغوا فى أصواتهم باللذاذه والحلاوة إلى ان وقعت أعينهم فى عين الراهب وتأملوه وإذا به أبو الشر شومدرس اللعين المنحوس الغدار فلما رآه البطال هو وأصحابه خفيت منهم الأصوات وهديت منهم الحركات وقد حاروا فى أمرهم وتفكروا فى تدبير القضاء والقدر ورأى بعضهم إلى بعض فرأوا العجب وكيف تصادف المقادير وهذا كله بارادة اللطيف الخبير وصنع رب العباد وأين المهرب من القضاء والقدر والمسطر لابد منه أن يكون وأيقنوا بحلول العطب هذا والراهب الملعون يضحك ويقول بالرومية زاه بازماة أحسنت يافلك الدوار فقال له الملك ايش مالك يا أبونا قال ايش يكون حالى وقد دبر المسيح أشغالى فى هذا الفلك الدوار ما بقى الليل والنهار وهؤلاء ياملك كانوا معى فى المركب وغرقوا لما غرقت أنا ولاشك أنهم سلموا كما سلمت واجتمعوا بهؤلاء الآخرين من أصحابهم اتفاق عجيب والكل مسلمين

شياطين أعداء لهذا الدين والكتب التى وصلت من الملك قاشورش إلى هؤلاء ولاجلهم فصيح الآن فى جزيرتك وبادر فى بطارقتك واقبض عليهم وإلا فلعوا عينك وفرقوا بين رأسك وبدنك (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الحديث قامت عينه وبدأ جنونه والتفت إلى الأمراء فرأى أن ألوانهم قد تغيرت وتلاوتهم قد فترت لما رأوا الراهب شومدرس فأنكر أمرهم وصاح فى بطارقته الذين حواليه وأنفذ غلمانه ينفذون أجناد القلعة وأهل الجزيرة الذين حواليه وجذبت السيوف من كل مكان وتصايحوا القسوس والرهبان ونادت الأميرة بظالم وأبو سكران ويلكم ايش هذا الوقوف موتوا كرام ولا تموتوا لئام ثم جردت حسامها ومافيهم إلا من كان معه تحت ثيابه حسام ماضى فجرده وحمل فى الروم وذكر خالقه الملك الحى القيوم وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وطلعت على أشداق أبو سكران ضرايب الزبد وفاح صنانه وانعقد هذا وقد انقلبت البيعة بالصياح وعاد الاكتتام إلى الافتضاح وضجت الجزيرة وارتجت من سائر جنباتها وقد انقلبت البطارقة تحامى عن نسوانها وهجم على الناس اعتكار الظلام ووقع فى أبواب البيعة الزحام ووقعت السيوف على الخطأ والصواب وكانت ساعة تشيب الشباب مما ضرب فيها من الرقاب وكان هذا الامر قد صعب على النسوان لاجل افتتانهم بظالم وماأعجبهم تجمع العالم على الامراء ورؤا الامر قد زاد فساد يتصايحن ويقولوا ياقوم وحق المسيح لاتفعلوا هذه الفعال فما يستاهلوا مثل هؤلاء القوم أن يقتلوا

(قال الراوى) وفى الاخير سمعوا الناس جاريه تنادى من على سطح البيعه يامعاشر أهل الجزيره وحق الصليب ان قتالكم لهؤلاء الرهبان الغرباء ليس بواجب وسمعتم فيهم قول رأس الحكمة وهو شيخ قليل العقل كاذب وكانوا هؤلاء يقربونا وهم أحب الينا من ذلك المحلوق الذقن والشوارب الاعور العين الانمش الوجه (قال الراوى) هذا كله يجرى من النساء والبنات والاخ لايعقل على أخيه والولد لا يعرف أبيه وما زالوا فى قتال ونزال إلى أن صار وقت السحر وقد وقع بالامراء الملل والضجر وقد كثرت عليهم رمى الاحجار وقد نزل كل من فى القلعة وتقدم الملك هرقل بين يدى جميع البطارقة وفى يده سيف وطارقه وقد دار أذياله فى دور المنطقة وزعق على المسلمين لينخى البطارقة وقد كان له صوت مثل الرعد وفى وفى يمينه سيف كأنه صاعقة فصدم لأبو سكران وكان قد ملت من الضرب مناكبه فضربه بالسيف صفحا فأقلبه وارمت البطارقة على الوبال لما أن رأت الملك قد فعل ذلك الفعال وقد أرموا على الامير ظالم وذات الهمة الاتراس والدرق وجرحوهم بالسيوف البوارق وما أصبح الصباح حتى أخذوا الكل أسرى وملكوهم قهرا هذا وقد رأى الملك إلى أرض الكنيسة وقد امتلت من جثة البطارقة المطرحه والرقاب المذبحه فزاد على المسلمين حنقه وقال للبطارقة اصلبوا

الجميع على شراريف البيعة وخلطوا الحيطان بدمائهم فقال له شومدرس لاتفعل أيها الملك واعلم أن هؤلاء فى اسر الملك الكبير كانوا ومن تحت قبضته هربوا وهو الساعة عليهم بجرعة الثكلا والصواب أن تحملهم اليه وتشتفى بهم بين يديه ويكون لك بذلك المنه عليه وكان مقصود شومدرس بذلك حتى يحضر عقبه قتلهم ويشتفى هو واياه منهم فقال له الملك اذا كان الامر على ذلك فاحبسوهم حتى نحملهم معنا جميعا فى وقت مسيرنا فما بقى يعقينا الا هذه المراكب ونزولها فى الماء (قال الراوى) وكان الملك قد صنع له عشرون مركب خفاف جرية حربيه وقد عول أن يسير فيها وفى مراكب الجزيرة إلى الملك شمخولص صاحب جزيرة الحائط وحصن القمر هذا ولما أن أمر بحبسهم أنزلوهم إلى مطمورة فى وسط داره ينزل إليها بسلالم درج وما للمحبوس فيها من فرج وهى كثيرة الطراوه من ماء البحر والوخم فيها والبرد والبلاء والسقم ولما أن أخذوهم البطارقة من قدام الملك ساروا بهم وانزلوهم فى تلك المطمورة ولما أن حصلوا فيها قام الراهب شومدرس عندهم يتولى عذابهم وهم مشغولين عنه بما هم فيه من التعب والجراح وقد خفقت منهم الارواح وهو يلطمهم ويقول لهم ياويلكم ياشياطين بعد أن غرقتم فى التيار ونجوتم من تلك البحار فما بقى للموت فيكم طمع بحق دينكم من خلصكم من تلاطم الامواج وازدحام ذلك البحر العجاج فقال له البطال ياملعون خلصنا الذى خلصك فقال لهم انا خلصنى المسيح الذى خلق من غير ذكر وتركوا آية لمن اعتبر وموعظة لسائر البشر الا من أراد الله بضلالته واستحق العذاب ونار سقر فقال له البطال وقد خلصنا رب المسيح فقال شومدرس أبدا تطلبون نجاتكم بالوعد والوعيد بنبيكم والتوحيد ونحن قد ثبت عندنا أن العبد لاينجو من الهلاك إلا بما فى صحيفته من الاشراك والدليل على ذلك أنكم تنجون من الشدائد بما يكون قد بقى من الأجل ثم تقعون فى أيدينا فنعذبكم العذاب الاليم الذى لايحتمل لأجله جحدانكم لعيسى ومريم المغذاه من النخيل الشاربه من عين السلسبيل الذى نزل على ولدها الانجيل (قال الراوى) ولم يزل الملعون معهم فى مثل ذلك حتى مضى النهار الضاحك واقبل الليل الحالك وعاد إلى داره التى أخلاها الملك برسمه وبقوا الأمراء فى ذلك المكان يقرؤن القرآن وقد أيسوا من الخلاص وقد علموا أن مابقى لهم من الهلاك مناص وظالم يقول والله ماجرى علينا فى طول أعمارنا مثل ماجرى علينا فى هذه السفره فكم نخلص ونقع ليت ان الله يريحنا بموت أو فرج قريب ننجو به من التعذيب فقالت له الامير ياولدى لاتعترض واعلم ان هذه الامور كلها لله وما للعبد فى نفسه حيله ولا يجب عليه ان يشكو اليه ماهو منه بعيد بل هو اقرب اليه من حبل الوريد فيجب أن لايعترض على من هو بفعله شهيد (قال الراوى) ولم يزالوا على مثل ذلك حتى نامت العيون وتبدلت الحركات بالسكون وقد هموا انهم يرقدون وإذا بباب المطموره قد فتح عليهم

وشخص قد نزل اليهم وقال لهم ابشروا قد جاءكم الفرج على يدى وأريد أن يكون فرجى على أيديكم دوروا إلى حتى أحل كتافكم وأخلصكم من تلك الشده والابرام (قال الراوى) فلما ان سمعوا الامراء ذلك الكلام حاروا فى نفوسهم وقد تأملوا ذلك الشخص فرؤه احسن من البدر التمام وقالوا له يافتى من أنت الذى قد من الله علينا بك ونحن فى هذا المقام وما حالك حتى تطلب منا الفرج فما عليك من الاحكام فقال لهم ذلك الشخص ما انا ذكرانا ست البيع انا ابنه الملك هرقل وان لى من البارحه إلى هذا الوقت وانا فى البكاء والسهر إلى الآن ماهدى فؤادى من الفكر لاجل صاحبكم هذا الراهب الاسمر صاحب الشعر الأجعد والطرف الاحور فانى أريد منكم ان تزوجونى به كيف اردتم وانا أكون معكم وطوع يديكم كيف اخترتم وأنا اعطيتكم من مالى ومال ابى كلما تريدون واعتقد كما تعتقدون واسير معكم إلى أى موضع تطلبون وان كان هذا الراهب رأس الحكمه عدوكم تريدوه سلمته اليكم.

(قال الراوى) فلما أن سمعوا الامراء ذلك منها انكبوا على الارض وقبلوا التراب تعظيما لله الواحد المنان وقال سبحان مسبب الاسباب والله ان هذا أحسن ماسطر فى الكتاب واظفر ماسمع من الاحاديث والعجائب ثم قالت الاميره للجارية والمكان قد اضاء واشرق من نور وجهها يابنيه ابشرى بما يسرك ويسر فؤادك واعلمى أنك قد نلت مرادك وهذه يدى لكى بكل ماتريدين فقال البطال هذه الساعة اتركى ظالم يتقدم إليها ويعاهدها حتى يطمأن قلبها وتعلم أنه قد حصل لها فلما أن سمع ظالم من البطال ذلك القول ضحك وقال أحسنت يابطال ماأخبرك بهذه الاحوال ثم تقدم إلى ست البيع وقال لها أنا أكون لك قرين كما ترتدين ان كنتى تقرين بتوحيد رب العالمين وتنزهيه عن البنات والوزير والبنين والشريك والمعين والقرين فقالت وقد سلب عقلها بكلامه ياسيدى وماتريد أن أقول فقال لها تقولى أشهد أن لا إله الا الله واشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرت بالشهادة وكتبت من أهل السعاده وقد قالت بعد ذلك ماتريدون فقالوا لها تجيى لنا عدد وتدبرى فى خلاصنا حتى نسير من هاهنا إلى جزيرة الحائط لأن لنا فيها أصحاب ولابد لنا من خلاصهم فقالت لهم والله ان عندى كل ما تريدون ثم أنها حلت كتافهم وصعدت من عندهم ماغابت الا ساعة وعادت ومعها كل مايشتهون (قال الراوى) فلما أن كملت عدتهم طلعوا من المطموره وهم مثل الصقوره وطلبوا ساحل البحر وست البيع معهم ومعها مفاتيح القصر فقال لها البطال بالله عليك قبل ماتفتحى سيرى بنا إلى شومدرس اللعين وأورينا أين داره حتى نأخذه منها فقالت الجارية السمع والطاعة سيروا بنا وانتم خلفى ثم انها مشت بين أيديهم إلى حجرة عالية الحيطان وثيقة الباب مالاحد عليها سبب من الاسباب فقالت صاحبكم هاهنا ولكن كيف السبيل اليه فقال البطال لنا اليه أاف سبيل

ان شاء الملك الجليل تقدمى ودق على الباب فاذا هو كلمكى فقولى له أنا جارية ست البيع فقد تفضلت عليك بقليل من السمك الطرى وهو مقلى فى هذه الساعة بسيرج أتاها من عند أبيها وما طاب لها الأكل حتى أنفذت لك منه شىء قليل بحسب البركة (قال الراوى) فلما سمعت الجارية ذلك المقال عجبت من هذا الخطاب وتقدمت إلى الباب وطرقته كما تعرف وإذا بشومدرس يقول من الطارق فى هذا الليل الغاسق فقالت ست البيع ماعلمها البطال وقد شرحت له ذلك المقال فلما أن سمع الراهب شومدرس ذلك القول قام على حيله وأتى إلى الباب والبطال واقف يسمع مايقول هذا وقد صار الملعون يقرل حفظ المسيح ستك ست البيع بنت الملك ثم إنه أتى إلى الباب وهو يقول حفظ المسيح ذلك الخد المورود والجبين المشعشع على أنها لو أتت إلى رأس الحكمة لكان أجود وأبرك ثم إنه أتى إلى الباب فقال البطال والله لاطيرن هذه الحكمة الليلة من رأسك وأقطع من الضرب أنفاسك ثم إنه صبر عليه حتى فتح الباب وخرج ومد رقبته وفتح عينه وقال هاتى يابنتى مامعكى فعند ذلك زوده البطال بلكمه على قفاه فقال الملعون آه ما أرى إلا سمك كله بلطى لأجل المسيح كله بركة فهو يقول هذا المقال وظالم لكمه أرماه وقد غيبه عن دنياه ونزل عليه كتف يديه على رجليه وحملوه وساروا وابنة الملك تقول ماتقفوا حتى آتيكم بشىء من المال الذى لأبى فقال ظالم مابقينا نريد مال سيرى بنا من قبل الانكار علينا ثم انهم ساروا إلى باب القصر وفتحوه وقد طلبوا الساحل فوجدوا فيه عشر مراكب غير الذى هى على الشط جانحة وهى الجدد التى ذكرناها (قال الراوى) ولما أن صاروا على الساحل وهموا أن يطلقوا فى بعض المراكب ويقلعوا فقال البطال لولديه الحصين ومذبحون سيروا بنا أتما ياولدى فى البر ولا تفارقا ساحل البحر ودعونا نقلع فى هذه المراكب ويكون الميعاد بيننا وبينكم جزيره الحائط حتى إذا وقع بعضنا سلم البعض ولا نقع كلنا فى مرة واحدة وأهل هذه البلاد مايعرفونا وأخاف أننا فى بعض الكرات نهلك فقالت الأميرة لله درك يابطال فهذا هو الصواب حتى لانرجع نفرط فى أنفسنا ثم إنهم صعدوا إلى بعض المراكب بعد ماودعوا أولاد البطال وأقلعوا وقد ساروا على كف الرحمن لا يدرون مايقضى الله عليهم من نوائب الزمان وما يجرى عليهم من الأحكام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الأحكام (وأما ماكان) من الملك شمخولص الذين هم طالبين جزيرته فى هذه الأيام يؤملون خلاص باقى أصحابهم من قبضته والسلام فانه لما أن غرقت مراكبه وهلكت بطارقته عظمت عليه مصائبه وكان قد أنفذ مراكبه برسم كشف خبر المراكب كما ذكرنا ويبصر من سلم منهم ومن عطب فبقت المراكب ثلاثة

أيام وعادوا يخبروا أنه ما سلم من الستمائة مركب ولا لوح واحد فلما سمع الملك بذلك زادت أحزانه والتهب نيرانه وقال لهم يا ويلكم وإلى أين وصلتم فى سيركم فقالوا له إلى قلعة السها وما عدنا حتى إننا شارفناها فما رأينا سوى الأخشاب على وجه الماء تسبح والأمواج تلطمها فقال الملك وحق المسيح بطارقتى التى كنت معول بهم على الخروج إلى بلاد الاسلام ثم انه قص ذقنه وشعره ولبس السواد ولازم الأحزان أربعين يوما حتى قدمت عليه ملوك الجزائر وكثرت عنده العساكر فدخل عقبة عليه مع سائر الملوك وسألوه أن يخلع السواد وأيضا سلوه عن من مضى وما زالوا به حتى أركبوه ورجع اليه لبسه وجلس فى حصن القمر وأعرضت عليه العساكر فطاب قلبه وقال فى هذه الأيام أسير واطلب الغزاه ولكن ما أسير حتى أقتل كل من عندى من المسلمين حتى لا يبقى فى أرضى منهم أحد ثم انه أنفذ عشرة من البطارقة يجمعون السودان والعرب الذين كانوا وصلوا معه فى البر ويقولون للروم سيروا حتى تشاهدون قتلهم وتودعون الملك قبل رحيله لأنه قد عول أنه لايرحل إلا على سفك دماء حتى تكون طريقه محمودة العاقبة

(قال الراوى) وكانوا الرهبان والقسوس وأصحاب الأديرة والصوامع الذى فرق عليهم الأسارى يوم وصوله قد عولوا على قتلهم حتى يتقربون بدمائهم إلى المسيح فبينماهم يريدون أن يفعلوا ذلك وإذا هم قد سمعوا أن الملك قد حزن ولبس السواد على من عدم له من البطارقة والأجناد فقالوا ما نقتل نحن هؤلاء إلا حتى يطيب قلب الملك مع أننا نفرح لفرحه ونحزن لحزنه فتركوا هذه الأيام وقد انتقموا منهم غاية الانتقام هذا وعقبة سمع بذلك فأراد أن يكون هلاكهم على يديه وكان الملعون قد انفرد هو وابنته عقبية فى مكان يعذبان الشريفة العلوية أم بكار الذى قطع أنفها وقلع عينها وكان قد استوهبها من الملك وهى معه فى الدار الذى نزل فيها ومافيها ليلة إلاويضربها ويسبها ويكفر لعنه الله (قال الراوى) ولم يزال يضربها إلى أن يغلبه النوم فاذا هى رأته قدنام تقوم تحت جنح الظلام وتعبد الملك العلام وهى لاتعرف كيف تستقبل القبلة إلى بيت الله الحرام بل تصلى إلى أى جهة توجهت وتطلب الفرج من الله تعالى وتقول إلهى وسيدى ومولاى اجمع بينى وبين ولدى فقد تقطعت عليه أحشائى وكبدى اللهم إن كنت قضيت بعدم عيناى الذى كنت بهما أهتدى وسلطت على هذا الظالم المعتدى يؤذينى بضربه جسدى وبعد هذا يامولاى أنا منتظره الفرج من عندك إما بلقاك أو بكشف بلاك (قال) وفى هذه الايام سمع عقبة بجمع الأسرى وكان مؤملا أنه يخرج العلوية ويشهرها بين الأنام مع طوائف الروم اللئام ثم أنه يقتلها بيده وهو فرحان بخروج الملك إلى بلاد الإسلام إلا أنه ترك العلوية يومين ماعاقبها وفى

اليوم الثالث دخل عليها فرآها مستقبلة القبلة ولها عينان مثل الجوهرتان وأنف وشفتان وهى تتلو القرآن بصوت مجهر وما على قلبها فزع ولا جزع ولا كانها فى مقام الهلع فبهت عقبة إليها وقد تحير ووقع به الزمع وانبهر وقال لها من رد عليكى عيناك فقالت له الذى يرد العين الفقعاء واليد الجدعاء جدى المرتضى وقد وعدنى أن يأتينى الفرج من الله تعالى واخاص من هذا البلاء وأكون آية لأهل الولاء (قال الراوى) فلما أن سمع عقبة منها ذلك المقال قال هذا مالا ينطلى على ولا أترك أنا الشيطان يلعب بعقلى وانى أريد أن أرجع أقور منكى عينك واقطع أنفك وشفتيك وابصر كيف بعد ذلك يردها ربك عليك ثم سحب الملعون سكينة وقال لابنته ويلك يا عقيبة أمسكيها حتى أرجع أفجعها فى عينها ونواظرها والا انهتك بها دين النصرانية ويعود أكثرها إلى دين الحنيفية هذا والعلوية تنادى يامولاى لاتترك هذا الملعون يرد برهانك ويمنع عطاءك وأنعامك سيدى أنت قادر أنك تمنعه عن أوليائك مولاى اصرف عنى بلاك ياعادل فى علاك (قال الراوى) فما استتم دعاها ونداها إلا والفرج قد أتاها من الله الذى ابتلاها وهو سيدها ومولاها وأتاها من يخلصها من أعداها وفتح باب الدار أسرع من طبق الأجفان ودخل خمس رجال فى زى الرهبان وهم يقولون خلى عنها ياقرنان عن أمة الرحمن وقد هز كل واحد منهم صارم يمان ونادى خلى ياملعون يا كلب ياشيطان قد دنا أجلك فى ذلك المكان ثم تبادروا إليه وإلى ابنته مثل العقبان وهو قد حار ووقع به الخذلان وقد تأمل هؤلاء وعجب كيف دخلوا عليها بلا استئذان وتبينهم وإذا بهم ظالم وأبو سكران وذات الهمة والشريف بكار بن العلوية التى نحن فى حديثها وخامسهم البطال وهم هؤلاء الشجعان الاقران (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أننا قد ذكرنا ماجرى لهم وخلاصهم من قلعة الشعاع على يد ست البيع وساروا فى المركب طالبين هذه الجزيرة وكان كل من لقيهم فى البحر وسأل عن حالهم يقول البطال هذه ست البيع بنت الملك هرقل سائرة إلى جزيرة الحائط تزور عمتها عاميل زوجة الملك الكبير شمخولص والذى معها خادمها ارمانوس يعنى عن الأميرة ذات الهمة لانه قد تركها فى زى خادم وكانت الروم كل من سمع هذه المقالة انصرف وتركهم وهم سائرين حتى وصلوا إلى آخر بحر الحبله والجزيرة المعروفة بالحائط وكان وصولهم إليها عند غروب الشمس فربطوا مركبهم فى موضع مختفى وتركوا فيه ست البيع والراهب شومدرس ونزلوا من المركب وظالم يقول استروا حالكم وسيروا خلفى فأنا أعرف دار عقبة وعنده خليت أم بكار واننا نريد أن نعمل على خلاصها ان كانت تعد فى الحياة ونأخذ الملعون عقبة ونطلب أرضنا وأنا أعلم أن مابقى فى أصحابنا فى هذه الديار أحد وان الملك قد فرقهم يوم وصولهم على الاديرة والصوامع والكنائس ولم يزل سائر بهم

إلى أن أوصلهم إلى الدار وأدخلهم على عقبةوهو يعاقب العلوية لما أن رأى عينها قد ردهما الله عليها فصاحوا عليه نح عنها يا ملعون وصاح البطال وقال لهم خذوه فوصل إليه ظالم وقد لطم عقيبة على وجهها غيب صوابها وادار كتافها وتقدم أبو سكران إلى عقبة ودق فى خناقه ورفعه على يديه ولطم به الارض رض عظامه فى بعضها لبعض وقد نزل عليه بركب مثل الصوان وادار يديه كتاف ففتح الملعون فاه وأراد أن يصرخ لحشا فى فمه خرقة هذا وبكار قد وقع فى صدر أمه وغاب عن الدنيا لما أن رأى عينها قد عادت وهى تقول يا بنى لا تعجب فان الذى أخذ هو الذى رد واعطى وهو المعطى الوهاب الذى إذا دعى أجاب

(قال الراوى) فتعجبت الأميرة وأبو محمد البطال من هذه الأسباب وقد فاضت دموعهم من قدرة الله تعالى ذو الجلال والاكرام وقالوا والله ان هذه قصتها مثل قصة حجاف رحمة الله تعالى عليه فقال البطال اخرجوا بنا الساعة نطلب المركب لا يلعب شومدرس بعقل ست البيع ويطلب لنفسه الهرب وربما يصيح علينا ويجلب (قال الراوى) فعندها حملوا عقبة وبنته عقيبة وعولوا على الخروج وإذا بألف بطريق قد هجموا عليهم بالسيوف والطوارق وهم يقولون خذوا هؤلاء العيارين المكارين واللصوص المسلمين (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك هرقل أبو ست البيع لما أصبح عليه الصباح طلب شومدرس يشاوره فى أمر المسلمين فما رآه فقال انه لاشك عند المسلمين يعاقبهم ثم أرسل خلفه فما رأى له خبر ولا للأمراء أثر فقلق لذلك وتحير وفى تلك الساعة أرسلت إليه زوجته تسأله عن ست البيع وتقول له البارحة خرجت من عندى من أول الليل إلى مقصورتها تنام واليوم طلبتها فما وجدتها

(قال الراوى) فلما أن سمع الملك ذلك قامت عليه القيامة وقال وحق المسيح قد لعب بعقل ابنتى حتى خلصت المسلمين المأسورين وقد تخلصوا وسرقوها وساروا ثم انه افتقد المراكب ففقد أكبرها فقال الملك قد اقلعوا فيه ومالهم قصد إلا جزيرة الحائط وحصن القمر ليخلصوا أصحابهم كما حدثنى رأس الحكمه والملك زوج أختى عاميل قد عول على الغزو إلى بلاد الاسلام وقد أرسل يأمرنى بأخذ الأهبة وأنا أريد أن أرسل اليه كتاب أعلمه بما قد تم على ثم إنه كتب كتاب وكتب فيه شرح ما جرى وأرسله على جناح الطائر إلى حصن القمر وكتب له فى آخره يقول خذ حذرك فان شياطين المسلمين اليك قاصدين وعليك واردين وابنتى معهم فابصر كيف تأخذهم أجمعين فلما أن وصل اليه الكتاب اغتاظ غيظا شديدا ثم إنه من وقته وساعته أوصى غلمانه ونوابه باليقظة والاحتراز فلما أن وصل مركب المسلمين واختفوا علموا بهم فسيروا بطارقة كثيرة وقد خرج خلفهم خلق كثير فلما أن وصلوا إلى المركب كانوا الأمراء قد دخلوا فى طلب عقبة فوجدوا ابنة الملك فى المركب

والراهب شومدرس فامرهم بالقبص على ست البيع ثم أعلمهم شومدرس باسلامها فقبضوها وطلبوا الجميع إلى عند الملك واعلموه بالحال ففرح بذلك واستبشر حتى كأنه قد قدم عليه بعض الحواريين (قال الراوى) ولما أن صار شومدرس قدام الملك قال أيها الملك ادرك الشيخ النجيح بالبطارقة والابطال وإلا هلك لأنهم صعدوا من عندى فى طلبه فعندها وثب الملك بنفسه فى الف فارس مدرعة بالسيوف المجذبة والدرق المكوكبة . وما زالوا إلى أن وصلوا إلى دار عقبة وابنته وعولوا على الدخول وكانوا الأمراء قد عولوا على الخروج فما أحسوا إلا وهؤلاء قد هجموا عليهم وصاحوا فيهم هذا ولما أن رأت الأميرة إلى ذلك الحال علمت أنهم قد فطنوا بهم وقصدتهم الرجال فصاحت وطلبت القتال وحملت على البطارقه بسيف يلمع مثل لمع الآل هذا وقد فعل ظالم مثل فعالها وكذلك أبو سكران والشريف بكار وأبو محمد البطال وما ولى النهار عنهم وراح حتى تركوا الأرض من القتلا مثل المسطاح هذا وقد قصدتهم أهل البلد عند إقبال الظلام وكذلك البطارقة الذين قد أتوا قصدوهم بكل حسام مهند وما مضى من الليل هجعة حتى ملكوا الروم المسلمين الجميع وخلصوا عقبة وابنته من قبضتهم وأخذوهم إلى دار الملك هذا وعقبة قد فرح بخلاصه وهو متعجب من سلامتهم بعد الغرق وقد فرح أيضا بشومدرس وقال إن هذا وقت سعيد موفق رشيد حدثنى ياراهب كيف كانت قصتك وما جرى لك فى سفرتك فأخبره شومدرس بكلما جرى له من أوله إلى آخره فقال عقبة أما ظالم ومذبحون وهذا الاسود وبكار والحصين من هاهنا خلصوا وكان فى قلبى منهم البلاء فقال شومدرس أما مذبحون ما أدرى أين يمضى وكذلك أخوه الحصين وما هما إلا غرقا (قال الراوى) هذا وان الملك قد نصب له سرير من الفضة البيضاء قوائمه من الذهب الأحمر فى ميدان الجزيرة وجلس عليه واقعد عقبة وشومدرس إلى جانبه الآخر والأمراء المأسورين بين يديه فقال عقبة أيها الملك تريد أن يغفر لك المسيح ماقد تقدم من ذنبك وما تأخر فقال له الملك نعم فقال له عقبة إن أردت ذلك فعجل لهؤلاء القوم بالحريق فقال له الملك اعلم إن أمرهم مسلم اليك فافعل بهم ماتريد من الأعمال (قال الراوى) هذا وقد كانت ست البيع قد أضافوها إلى مرجوما أخت صاحب قلعة السها الذى أسلمت على يد أبو محمد البطال وهما حضور مع جملة الاسرى فقال عقبه إن هذين الجاريتين أيها الملك يفسدان بنات الملوك ويميلوهم عن عبادة المسيح وأنا أريد الحرق للجميع فقال له الملك لا ياشيخ هذه ست البيع عمتها عاميل زوجتى وأنا أعلم أن هؤلاء الشياطين قد لعبوا بعقلها وما يطيب قلبى بقتلها فاخلو بها لعلك تردها إلى دين النصرانية فقال له عقبة لا تفعل أيها الملك ذلك واعلم أنه لو كان فيها خير ماسلمت نفسها إلى

المسلمين وربما تكون قد حملت من بعضهم ودخل فيها الدين المحمدى وما بقى فى ابقائها فائدة ثم وثب الملعون وفى يده صوت منقوع باللبن الحليب والخل والزيت وصار يضرب واحدا بعد واحد إلى آن يشرف على الموت ويدور على الآخر ومازال كذلك حتى وصل إلى الأميرة ذات الهمة وضربها على وجهها عشرين صوت وهى صابرة على القضاء فلما أن رأى الأمير ظالم إلى ذلك بكى عليها وعلى نفسه وأشار يقول :

أيا ست صبر فالنصير بغيتى ... لك الفوز فى العقبا بفعلة عقبة
لنا فى عند الإله كرامة ... بما يفعل الملعون من قبح فعلة
وما هى إلا موتة ثم نلتقى ... برب كريم فى مقامة رحمتى
يعز على أن أراك إطريحة ... بذلة أسر فى قيود مذلة
وعقبة قد أهوى اليك بسوطه ... فلا زال فى خزى وفى سوء لعنة
فياليته أعفاك من شوم ضربه ... وعذبنى حتى ألاقى منيتى

(قال الراوى) ياساده فضحك شومدرس من شعر ظالم حتى بدت أنيابه مثل أنياب الكلاب وقال ويلك ياظالم تشفق عليها من الضرب والقتل فكم من قتيل وجريح من النصارى وعباد المسيح وان اراد أن يعفو عنها الشيخ النجيح فذلك إليه (ياساده) هــذا وقد كان شومدرس يحكى هذا الكلام تحريضا لعقبه على هلاك الامراء فقال لاعفى المسيح عنى إن عفوت عن مسلم لاسيما هؤلاء الذين قد حصلوا معى فى آخر الدنيا وأنا أترك الملك يحرقهم أو يصلبهم على أبراج هذه المدينه وأخرج معه أسلم اليه بلاد الاسلام ولا أترك غير هذه الجزيرة لى مقام فقد أعجبنى هذا حصن القمر ودير النذور وبحر الخلية وشجر الكافور وهذه الاراضى التى قد رضى عنها المسيح وانى أريد فى هذه الساعة ان أقطع أنف ذات الهمه وشفيتها قبل هلاكها ثم ان الملعون تقدم اليها وقام شومدرس أيضا وهو يصيح بالتارات شوما ودهر شوم الليله آخذها من ظالم ومن هذا الزربون الميشوم فعندها صاح أبو محمد البطال على عقبه وقال له ويلك ياملعون ويا كلب النصرانيه وأخس من غمس فى جرن ماء المعموديه ارجع عن الاميره ولا تصنع معها مكروه وان قتلتها سوف ترى مايحل بك من الضرر والبؤس فان فعلت معها ما فعلت فما هى الا قتلة واحد وتروح الجنة وتشاهد رب العزة والمنه فى مقام الدوام ودار السلام وان افسدت عليها دنياها فما تقدر تفسد عليها عقباها لأنها ماتفزع من المنيه ولا تخشاها بل تفرح بها وتتمناها وسوف تجمعك القيامة أنت واياها وقد سمعت ياملعون الآيات التى تقرأها (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وأنت تعرف ذلك كله وتعلمه وتحققه لكن تنكره ثم انه أنشد :

دع مهجتى تزداد فى خفقانها ليس التفرق فى الوغى من شانها
ان كان صرف الدهر غير قصده وبذل ذلهمة بدار هوانها
فلكم أبات فى الحروب غضنفرا وسطت يفوتها على فرسانها
ولكم تطايرت الرؤس بسيفها بالرغم فى الهجاء عن أبدانها
ولكم لها من غزوة وسرية سحرا وقد طالت على أقرانها
ولكم بأرض الروم ساقت جحفلا حتى رأيت الخيل فى بلدانها
ولكم أعزت كلمة التوحيد فى بلد العدا بالجهر فى اعلانها
وأذلت الكفار حتى انها وضعت قيود الذل فى صلبانها
ولكم لها فى قلعة مفتوحة صبحا وقد طلعت فى أركانها
ولطال ما طالت على ملا كها واستزلتهم من رفيع مكانها
ولكم تعفرت الجباه مخافة منها وتم الذل فى تيجانها
فالموت أشهى عندها من كل ما فى الأرض فاعلم لا انالك شأنها
بالقتل تبلغ ما تريد وفوزها فى جنة الفردوش مع ولدانها
ولها الرضا من ربها فى قربها من ساحة الرضوان مع رضوانها
عجل بقتلى قبلها وبقتلها فالقتل أسهل من تهتك شانها

(قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الامير أبو محمد البطال كلما أنشد بكت الاميره حتى قال فى آخره عجل بقتلى قبلها وبقتلها فقال عقبه السمع والطاعة يا أبو محمد ثم انه عاد إلى الملك وقال له اعلم أن الساعات تغتنم فيها فرحه من يسعى اليها على قدم وأعلمك انى أريد أن آخذ من هؤلاء القوم بتار أمة عيسى ابن مريم فقال له الملك افعل مابدالك فما نرجع نرد مقالك فعند ذلك تقدم عقبه لعنه الله وجزاه وجعل النار متقلبه ومثواه إلى الاميره ذات الهمه وشومدرس إلى ظالم (قال الراوى) فبينماهم معولين على مايريدون ان يفعلون بالامراء من القبائح وإذا قد وثب من بين الحضار غلام أشقر أعطر طويل الشعر أحور يقدح من أجفانه الشرر وتقدم إلى بين يدى الملك شمخولص الأكبر صاحب جزيرة الحائط والبحر الاخضر وقال له ياملك ماقتل هؤلاء الشياطين فى هذه الساعة بصواب فقال عقبه وقد اغتاظ من كلامه ولم لا يكون ياويلك صواب وفيه للملك أفضل الاجر والثواب فقال له ذلك البطريق وقد صرخ فيه فأبهت الحاضرين وظلوا اليه الجميع ناظرين اعلم أيها الشيخ أن أهل هذه المدينه مافيهم الامن فى قلبه من هؤلاء المسلمين حسرة لاسيما أهل الاديرة والصوامع وسكان هذه البلاد وأهل السواد الذى فرق عليهم الملك المأسورين وعاد أنفذ طلبهم منهم وجمعهم وهاهم قد وصلوا وقد وصل معهم خلق كثير

فى طلب الجهاد والفرجة عليهم وهم منتظرين الصباح حتى يشفون قلوبهم من هؤلاء الشياطين وما فى الممكن ان تأخذ أنت نارك وتستريح وتترك ألف قلب قريح لا كان هذا ابدا وحق المسيح واول الناس أنا وان قلبي مقروح ودمع عيني مسفوح وقد أتيت آخذ تار أبى واشرب من دماؤهم حتى ارتوى (قال الراوى) ياساده فلما ان سمع عقبة مقاله بهت وقال له ومن هو أنت ومن هو أبوك فقال له أنا قرد نكلى بن نكلان صاحب جزيرة الحيوان وان هؤلاء قد قتلوا أبى وهو عائد من أديرة السواحل وصوامع الرهبان وقد أتيت أرتجى ازاحة تارى وأطفى لهيب نارى وما أريد أن يكون ذلك إلا بمشاهدة جميع الناس حتى يشهد لى كل قس وشماس فقال عقبة وحق المسيح لقد وفقت فى هذا الكلام ياغلام وأتيت بالصواب ونحن نتمثل على هؤلاء حتى تنجلى غياهب الظلام ثم انه شاور الملك فى ذلك الابرام فرآه الملك صواب وقال إذا كان فى غداة غدا نادينا فى البلد وجمعنا سائر الأنام والخلق الذين قد وردوا ولا نترك صغير ولا كبير إلا ونخرجه إلى الميدان ونفرجه على قتل هؤلاء العرب والسودان ويشاهدوا تلك البنات والصبيان ويكون هذا أشد فى العقوبة والهوان (قال الراوى) ثم ان الملك ادعى بقرد نكلى فتقدم إلى بين يديه فأخلع الملك عليه وقال له جزيرة الحيوان التى كانت لأبيك فهى لك بعده ثم انه أحضر الطعام والشراب وجمع الملوك وخواصه والحجاب وقد أنفذ إلى العساكر القادمة عليه فساروا الكل وأتوا إلى بين يديه هذا وعقبة وشومدرس إلى جانبه وقد جلس الجميع وأخذوا فى أكل الطعام وشرب المدام والراح هذا وقد دارت عليهم الأقداح وضجت الجزيرة بأصوات الأغانى ودخلوا فى اللهو لبلوغ الأمانى وكان قرد نكلى هو الساقى فى تلك الليلة ومرتب مجلس الملك هذا وقد أعجب الملك وأعجب عقبة شيخ الضلال وشومدرس راس الجهال ولم يعلموا أنه الحصين بن البطال الذى أخلف أباه فى التدبير والأشغال (قال الراوى) ولم يزل يسقيهم حتى خمدت منهم الحواس والحركات والأعمال ومزج لهم من تلك الحشيشة المباركة الذى جلبها أبوه من الأديرة وادار عليهم الأقداح فانبطح كل من فى المجلس عند الملك وكان أول من انخمد القاضى عقبة وشومدرس وقد صاح الحصين فى باقى الناس وناول الملك من يده ذلك الكاس وخرج من عنده وقد خمدت منه الحواس وصاحت من حول سرادقه الحراس ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى عند الأمراء وكانوا فى خيمة منفرده وكانوا الموكلين بهم قد شربوا فى سرادق الملك وأتوا فانقلبوا فدخل الحصين وهو مطمئن القلب فقبل رأس أبيه وقال لهم قوموا واعلموا أنى قد مكنتكم من قفاء عدوكم وقد سقيتهم من تلك الحشيشة المباركة التى جبناها من الأديرة وقد خلعت عنهم ثياب النعمة ثم انه حل كتافهم وهم على غاية من الفرح هذا والبطال يقول

ياولدى وأين أخوك مذبحون فقال له انه قد مضى فى شغل آخر وأنا أرجوا تمامه سيروا حتى اننا نطلب النجاة لانفسنا فقال البطال ياولدى انى أريد ان تعلمنى أين عقبة وشومدرس والملك حتى ننظر مايكون منهم فقال الحصين أما عقبة وشومدرس فهاهم حاضرين فى الخيمة التى بالقرب منكم وهم لايعلمان أحسن الدهر إليهم أم أساء وأما الملك فلا تتعرضون له فانه خطر عظيم فقال له البطال وكيف ذلك ياولدى اما شرب مثل ماشربوا هؤلاء البطارقة فقال له يا أبتاه لانى ماأعطيته غير فرد قدح وخليته وخرجت فما أدرى ان كان شربه أم لا وان الحرس من حوله شديد فاتركونا من معارضته فلما سمع البطال من ولده ذلك الخطاب رآه صواب وقد ساروا طالبين خيمة عقبة هذا والبطال يقول لو كنت مع هذا كله حصلت لنا شىء نركبه كان أروج لنا فقال له الحصين سير وأنت ساكت فانى قد حصلت لكم خمس بغال وعشر رؤس من الخيل العوال بعدتها لانها من جنائب الملك لانى قد دخلت إلى سياسها وهم يشربون الخمر فى أول الليل ففعلت بهم كما فعلت بعقبة وشومدرس والخيل والبغال الساعة حاضره وهذه خيمة السلاح بين أيديكم فخذوا منها ماتريدون وركبوا ست البيع ومرحوما على البغال وسيروا على بركة الملك المتعال (قال الراوى) فلما أن سمعوا من الحصين ذلك المقال فما فى الجماعة إلا من عجب من حسن عمله وجودة توصله فقالت الاميرة يابنى من أشبه أباه ماظلم سبحان من جعل له فيك وفى أخيك البركة ثم دخل ظالم وأبو سكران وحملوا عقبة وشومدرس وعادوا إلى خيمة السلاح فأتوا منها ماأرادوا والناس فى أحلى ساعة من السكر والكرا ولما ان تكامل عددهم ركبوا الخيل وقال ظالم دعهم الساعة يلحقونا ودع يكونوا بعدد ورق الشجر وقطر المطر ثم انهم ركبوا العلوية أم بكار ومرحوما وست البيع على البغال وجعلوا عقبة وشومدرس فى صندوقين كانا فى المطبخ قد أخذوهم وتركوهم على بعض البغال وجعلوا عقبة وشومدرس على بعض البغال وساروا يقطعون الارض إلى أن صار وقت السحر فبينما هم سائرين وإذا قد بان لهم من بين أيديهم أكثر من مائة وخمسين فارس والجميع بالسيوف والدرق وقدسدوا جميع الطرق فقال البطال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم سبحان من يخلصنا من البوائق فقال الحصين لاتخاف ياأبتاه واعلم ان هذا أخى مذبحون قد خلص المأسورين لانى أنا وإياه لما أن وصلنا إلى هذه الديار أقمنا ننتظركم إلى أن تأتوا ورأيناكم قد وقعتم وقبضوا عليكم فافترقنا كل واحد منا فى شغل وكان الملك قد جمع أصحابنا من الرستاق ليكون قتلكم جميع فأنفذت اليهم وأوعدته إلى هذا المكان يكون الاجتماع وقد جئت أنا اليكم وخلصتكم من الاعتقال (قال الراوى) فبينماهم فى هذا المكان وهم يتحدثون فى ذلك الكلام وإذا بمذبحون قد ناداهم من بين أيديهم إيش حالكم

يا كرام تقدموا ولا تفزعوا فنحن لكم فى الانتظار أيها الأقوام فلما أن سمعوا حس مذبحون عرفوا منه الصوت وقد فهموا الكلام فعند ذلك صاحوا وتبادروا اليه وتباشروا واختلطوا ببعضهم البعض وفسيح الآكام وقالوا الساعة لو تبعنا كل من فى هذه الأرض مانبالى بهم فى هذه الأيام ثم انهم ساروا وقد أصبح عليهم الصباح عند قرية من القرى وقد هيؤا ما احتاجوا اليه من الزاد والعلوفة وأخذوا الخيل الجياد جنائب وساروا مجدين إلى وقت الظهر فبينماهم سائرين وإذا بالغبار من خلفهم قد طار إلى أن سد الاقطار وقد علا وزاد ونما حتى سد أفق السما ساعة وانكشف عن صليب يبرق ومن تحته مائة ألف فارس وقد ظهرت غبرة أخرى من على أيمانهم وغبرة أخرى من على شمالهم وقد أخذهم الصياح من كل جانب وكثر الصراخ من البطارقة وامتلأت الدنيا بالمواكب المتلاحقة هذا ولما أن نظرت الأميرة إلى ذلك قالت لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك شمخواص لما أن أصبح الصباح عليه وطلعت الشمس وهو فى سرادقه لم يخرج ولا رأى أحدا من البطارقة أن يدخل اليه إلا أولاده فانهم قد أنكروا ذلك فدخلوا الى السرادق فرأوه وهو يتقلب ولا يقدر أن يتور ولا تحمله رأسه ولا يعى على من يكلمه فلما رأوا ذلك قالوا وحق المسيح مصيبة بأبينا قد نزلت ثم أتوه بالماء البارد وقلعوه أثوابه وأقلبوا الماء عليه فصحا وبعد ساعة عقل على نفسه وقال لهم ويلكم إيش هذا السكر وهذا الخمار وحق المسيح ماهذا إلا من الساقى قردنكلى لانه قد سقانا من الخمر العتيق بلا ماء وهذا من قلة خبرته ياويلكم اطلبوه فى خيمة الشيخ النجيح والراهب شومدرس الميشوم رأس الحكمة فعندها خرجت البطارقة إلى خيمة عقبة فما وجدوا فيها أحدا فعادوا بالخيبة وأعلموا الملك بذلك فقال لهم ياويلكم وأين قرد نكلى فقالوا وحق المسيح مارأينا فى الخيمة أحد وقد سمعنا أن كل أسير كان فى العسكر البارحة هرب والموكلين بهم قد أصبحوا مذبحين (قال الراوى) فلما أن سمع الملك بهذا الخبر اندهش وتحير وخرج إلى سائر السرادق وركب ودار فى العسكر ليكشف الخبر فرأى الامر صحيح فتنمرد الملعون وكفر وطغى وتجبر وقال وحق المسيح ماتم علينا هذا الامر إلا من هذا الشيطان الذى قال أنا قردنكلى وحق المسيح لقد سلمت ان اسرق من على سريرى أو أخنق وقد عدموا الاسارى وشومدرس وعقبة اللعين وفى تلك الساعة وصل الملك هرقل وتقدم بين يدى الملك شمخواص وأخبره بما جرى عليه من فقد ابنته قزاده ذلك حنق وقال ماهؤلاء المسلمين إلا شياطين ثم إنه أمر بالمناداه من ساعته فى العسكر بالرحيل ورحل وهو لايعقل على أحد فلا زال سائر بالعساكر وقد فرقهم مع أولاده

فأرسل واحد مع جماعة والآخر مع جماعة ولحق الامراء كما ذكرنا وكان معه من أولاده سبعة والملك هرقل أيضا من حرقته على ابنته ومعه مائة ألف فارس من رجاله

(قال الراوى) فعندها نبهت الاميرة أصحابها وقالت لهم اعلموا أن هذه الموتة ما كانت لنا على بال فقالوا لها والله لاسلمنا أنفسنا إلا بعد ضرب يهد وطعن يقد هذا وقد أحاطت بهم الكفار ورفعوا شومدرس وعقبة والعجوز العلويه أم بكار ومرحوما وست البيع إلى رأس شقيف عالى من شقوف الجبل وعولوا على النزول إلى القتال فقالت ست البيع والله لابد لى من النزول معكم إلى القتال فقالت لها الاميرة مايحتاج الى ذلك فقالت إن هذا لا يمكن بل إننى أكون معكم وتلاقوا ما أنتم قادمين عليه هذا وقد أخرجت الاميره عقبة اللعين وشومدرس من الصناديق وقد وكلت بهم أربعة من بنى كلاب وقالت لهم إذا رأيتمونا قد هلكنا اضربوا رقاب هؤلاء الشياطين (قال ياسادة) هذا وعقبة قد فتح عينه ونظر الى كثرة العساكر ففرح وقال لشومدرس ياويلك أنا نايم أم يقظان فقال شومدرس ما أنت إلا مستنبه ياقرنان هذا وقد قالت لهم الاميرة ويلكما لا تفرحان بمجيء عساكر أهل ملة الصلبان وتطلبان الخلاص بهما من الذل والهوان فها أنا قد وكلت بكما أربعة من حزب الرحمن وقد أوصيتهم أن يقتلوكما إذا رؤنا قد شربنا كاس الحمام حتى لا يبقى من بعدنا من يشتفى بالاسلام فقال عقبة وحق المسيح ياعجوز السوء اننى بعد ماأرى جسدك نهبا للصفاح ماأبالى بما كان منى على أننى أعلم على أن هؤلاء الذين قد وكلتيهم بنا أحقر من أن يمد أحدا يده منهم الينا إذا رأى أمة الصليب يطلب جنده ولا بدلى بعدكم من الحياة وأخرج مع هذا الملك الذى قد حفظه المسيح وكلاه وان أسلم إليه بلاد الثغور وأرض العراق وأتركه ملك الآفاق قريب وبعيد وأطلب ولدك عبد الوهاب فى أرض الحجاز وأشتفى منه كما اشتفيت منكم

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة من الملعون عقبة هذا المقال اشتعلت عيناها شرار النار وزاغت فى أم رأسها وصارت مثل الجمر وقالت ياملعون إذا كان هذا بغيتك أنا وحق محمد سيد البشر فخر ربيعة ومضر لابد مما أثر فيك أيشم أثر من قبل أن أحمل على هذا العسكر ثم انها جذبت حسامها من غمده ورفعت يدها وقد ضربته ضربة الحنق فلما ان رأى عقبة الضربة نازلة عليه فالتقاها بيده اليمين فنزلت الضربة على زنده طيرت يده من حد المرفق فصاح الملعون ثم وقع وبقيت يده تنزف دما وهو لايدرى ان كان فى أرض هو أم فى سما ولما ان رأى ظالم إلى ذلك اشتفى فؤاده وكذلك بنى كلاب وقالوا احملوا بنا الساعة بنيات خالصة فما بقى فى قلوبنا حسرة فما هذا الملعون من يسلم فى هذه الكرة فبكت الأميرة وقالت والله ماأردت إلا أن يكون ولدى حاضر وإليه ناظر حتى كان يحمله إلى بلد القسطنطونية ويصلبه

على باب الذهب وتشتفى منه قلوب السادات من ذوى الرتب ولكن هذا الذى قد حكم به الملك الخلاق وكان قد سبق فى علمه أننا نبلى عند الكبر بالبعد والفراق ثم انها حملت على عساكر أهل النفاق وقلبها قد زاد به الاشتياق إلى ولدها أمير الآفاق وهى تنشد :

واجربا من حر نار الفراق ... لقد دهانى منه مالا يطاق
ياولدى جاروا علينا العدا ... وحرفوا القول وبان النفاق
ياولدى قد طار عنى الكرى ... فالعين لاتقوى على الانطباق
فابكى على أمك إذا أصبحت ... مقطوعة الظهر بسيف الفراق
أقسمت بالخالق سبحانه ... ورافع السبع الشداد الطباق
لأروين السمر والبيض من ... دمائهم بعد الحراب الرشاق
واضرب الأبطال رغما على ... رؤسهم بالمرهفات الرقاق
واشرب الكاس الذى شربها ... كريهة المطعم عند المذاق

(قال الراوى) ولما نظر ظالم إلى سته وقد فعلت ذلك الفعال فحمل من وراها وقد بكى مثل بكاها وأن واشتكى أعظم من شكواها ثم ارتجز وجعل يقول هذه الأبيات :

لست غريبا ماملكت صارما ... جعلت أوطانى قوى العزائما
لست أخاف فى الورى العوالما ... ولم أزل أشوش العمائما
من أجل هذا قد دعيت ظالما ... وكم قتلت عرب مع أعاجما
ياليت شعرى هل أعود سالما ... وأنظر الاطلال والمعالما
فاسأل الله ذوى العظائما ... ينصرنا على الطغاة عالما

(قال الراوى) فعند ذلك حملت من بعدهم المائة وخمسين فارس من بنى كلاب فغاصوا تحت الغبار والضباب وقد باعوا نفوسهم لرب الأرباب وقطعوا الآمال من الاطلال والأحباب وقد اشتد الطعان والضراب وانطبقت عليهم عند ذلك المواكب من كل جانب انطباق البحر العباب هذا والملك هرقل أبو ست البيع قد ترك الناس فى القتال وطلع إلى الجبل يطلب خلاص ابنته فى ألف من الأبطال وهو يظنها عند عقبة لأنه قد رآهم أول ما أشرفوا ورآهم وهم طالعين إلى رأس الجبل فطلع وقلبه عليها ملآن

(قال الراوى) فلما أن صار فوق الجبل مارأى إلا شومدرس يبكى وعقبة بين يديه يئن ويشتكى ويده مقطوعة وهى إلى جانبه فلما أن نظر الملك هرقل إلى ذلك صعب عليه وسأل شومدرس عن ست البيع فقال له يامولاى إنها قد ركبت ونزلت تقاتل مع المسلمين وما هاهنا إلا أنا وهذا الشيخ عقبة المسكين فعندها أمر أن يحمل عقبة وشومدرس اللعين

وقبض على الأربعة الذين كانوا موكلين بهم وأخذوا العلوية ومرحوما وقال ارجعوا بناحتى نحضر هؤلاء قدام الملك الكبير ولعلى أن ألحق ابنتى وآخذها من قبل أن تهلك ثم أخذهم وعاد بهم يشق المواكب ويخوض الكتائب ويطلب أعلام الملك شمخولص فما وصل إليه حتى خمدت نار الحرب وبطل الطعن والضرب وقتل من المسلمين مائة فارس وأخذ الباقين أسرى مع جملة الامراء وقد أحضروا الجميع بين يدى الملك ووصل الملك هرقل إليه ومعه عقبة هذا ولما رآه على تلك الحالة حار ووقع به الانبهار وقال لابو ست البيع ويلك من فعل بالشيخ النجيح هذا الفعل فقال له يامولاى هؤلاء المسلمين الانذال الذى قد لعبوا بعقل ابنتى وهتكونى فى جزيرتى هذا وقد كانت ابنته قاتلت فى ذلك اليوم حتى بيضت صحيفتها السوداء وقد قتلت مع جملة الشهداء إلا أن الملك لما أن سمع مافعلوا بعقبة قال للبطارقة اكووا يده فوحق المسيح لاضربن رقبة كل من بقى من المسلمين بين يديه وأدعه يشتفى منهم كيف شاء (قال الراوى) هذا وقد سمعت ابنته عقيبة لذلك فجاءت إليه وقد رأت أباها فى تلك الحالة فبكت ولطمت على وجهها ورأسها ومزقت ما كان عليها من لباسها ونادت واحزناه لفقدك ياأبتاه هدمت لفقدك أركان البيع ومال الصليب بعدك ووقع وبكت عليك صور الكنايس بأعين تدمع وقد تهنوا بعدك المسلمين بصلاة الجمع فرضى عنك المسيح ويوشع ورهبان دير مربع والراهب الكبير مقلع ومن فى الكنيسة من البنات قد ركع ثم انها أنشدت تقول

قطعوا يمينك ياأبى واحسرتى ... واعظم لهفاتى وشوم مصيبتى
لولم تكن أنت المسيح بعينه ... ما كنت ترجالى لكل بليتى
قد اوحشت منك الكنايس بعدما ... كانت بصورتك الكريمة شمعتى
ان أنت مت غدا الصليب منكسا ... وبكاك كل مقرب فى البيعتى
ان كان قد قصوا جناحك عامدا ... فقد تطير به فى قصور الجنتى
فاليوم أوفى غدا تفنى العدا ... وننال ما نختاره بكرامتى

(قال الراوى) ثم ان البطارقة كواو يد عقبة وهو غائب عن الدنيا وحمل بعد ذلك إلى خيمة ابنته وقد أمر الملك لحكماء الروم أن يكونوا عنده ويداووه ففعلوا به ذلك وقد لطخوها له بالمراهم فلما ان كان الغد عند الصباح فتح عينيه وقال أين أنا فقالت له أنت عند الملك الاكبر صاحب جزيرة الحائط وعدوك قد هلك وباقيهم فى الاسر إلى أن تقوم وتفعل بهم ماتشاء (قال الراوى) فلما سمع الملعون ذلك فرح وقويت همته وصحا على نفسه ثم انه قال وأين ذات الهمه والبطال فقالت له اعلم ان الجميع فى القيود والاغلال فاطمأن قلبه وقد

أقام على ذلك الحال ثلاثة أيام والملك يأتى اليه يزوره فى كل يوم مرتين وفى اليوم الرابع نادى الملك بالرحيل ورحل وشال عقبه فى محفه وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قلعة السها ونزل بها فقال عقبة لما ان أشرف على الصلاح أيها الملك وحق المسيح ماأرحل معك من هاهنا حتى تمكننى من أعدائى فقال له الملك هم مسلمين اليك افعل بهم مابدالك هذا وقد سلمهم اليه فقال له عقبة انى أريد أقطع أيديهم وأرجلهم ثم أصلبهم بعد ذلك على أبراج هذه القلعة وأذيقهم كاس التلاف حتى يبرد مافى قلبى من الارجاف (قال الراوى) وان الملعون أخذ الأمراء وصعد بهم إلى الابراج وصفهم قدامه ثم انه سل سكين أمضى من القضاء وألمع من البرق إذا أضاء وقال لابنته عقبيه قدمى لى هذه العجوز العاهرة ذات الهمة التى قد قطعت يدى حتى اقطع اربعتها واقلع عينها واقطع ثديها وشفتيها وبعد ذلك اصلبها حتى يطول بلاها هذا والملك قد ركب وحوله اولاده وسائر خواصه واجناده وقد اصطفوا الجميع من حول القلعة يتفرجون على عقبة وما يفعل بالمسلمين (قال الراوى) هذا وقد قدموا الأميره ذات الهمة إلى عند الملعون عقبة ومدوها البطارقة بين يديه بالعذاب هذا ولما ان رأى ظالم إلى ذلك صار يبكى وبنى كلاب والبطال يقول لظالم والله ماكان قطع يد هذا الملعون بصواب فى مثل هذه الاوقات ولكن هذا الذى جرى وكان (قال الراوى) ومن الاتفاق العجيب والأمر المطرب الغريب ان عقبة اللعين أمر البطارقة ان يمدوا له ذات الهمة يفعل بها ماهو ناوى عليه من التعذيب والأمراء يبكون عليها وإذا هم بجانب العسكر ارتج واضطرب وماج وانقلب فقال الملك ايش الخبر فقالوا له يا ملك ماندرى ولكن نرى كل راهب فى دير الزيت قد أقبلوا وهم يصيحون ويولولون وهم عراة حفاة فبينما هم مع الملك فى الكلام والرهبان قد شقوا المواكب ووصلوا إلى بين يدى الملك قد حصلوا وهم كلهم يتصايحون فقال الملك يا ويلكم أى مصاب أصابكم ومن عراكم ثيابكم فقالوا أيها الملك اعلم أن عسكر قد طرق دير الحمام كلهم سودان أسود من الظلام لايفقهون لهم وجوه ومناخر تنفطر عند النظر اليهم المرائر فبادرهم قبل أن يبادروك وسيروا اليهم من قبل أن يسيروا اليك ويفاجوك (قال الراوى) فلما أن سمع الملك ذلك المقال انذهل وحار واختبل وقال من يجسر من أهل الأرض يقصد إلى هذه الديار وذكرى فى الخافقين قد سار ائتونى بالشيخ النجيح حتى أننى أسأله عن هذا الحال وقولوا له لايفرط فى واحد من هؤلاء الرجال حتى انظر من طرق ديارنا وخاض اقليمنا وأتى امصارنا (ياساده) فطلعت البطارقه إلى عقبة وهو قد مد يده إلى الاميره ووضع السكين على مفصلها وهى صابرة لقضاء الله تعالى فصاحوا عليه وخلصوها من يده وقالوا له أجب الملك قبل هذا ياشيخ قد أمرنا باحضارك فلما أن سمع عقبة منهم ذلك المقال اغتاظ ونزل

مع البطارقة إلى بين يدى الملك وقال ما الذى يريد الملك فقال له الملك شمخولص ياشيخ اعلم انه قد جاءنى خبران أرضنا قد طرقها عسكر وقد وصل إلى رهبان دير الزيت واخبرونا بان الذين أتوا إلى دير الزيت أخربه وسبى كل من فيه ونهبه وأنا أريد أن تترك اشتغالك بهؤلاء القوم المأسورين وتسير مع أصحابى وتكتشف لى خبر هؤلاء القادمين لانك أنت أخبر بملوك الامصار وبعساكر جميع الاقطار وتعرف سائر الاشار

(قال الراوى) فلما أن سمع عقبة من الملك تلك الاخبار انتقض وضوء وتلوثت سراويله وأحدث على نفسه وظهر على وجهه الاصفرار وقال له ياملك ماتحتاج إلى من يكشف لك الأخبار وأنا أعرف الناس بهذا العسكر الجرار فهو عسكر الابرار وقد جاء فى خلاص هؤلاء الشياطين وقد دخلوا هذه الأرض على كثرة منهم وقطعوا المهامه والقفار وما هذا منهم إلا قلة يقين بما فى هذه الديار والصواب انك تنجز صلب أصحابهم وترحل بعد ذلك إلى طعانهم وضرابهم من غير توانى ولا تحمل هم منهم على قلبك فما هم من تخشاه وحق المسيح واعلم أن ماساقهم إليك إلا دنو آجالهم والمسيح قد أرادك ولولا ذلك ماساقهم إليك حتى يجعل على يديك هلاكهم فقال الملك إذا كان الامر على ذلك فالصواب ترك هذه الطائفة التى فى أيدينا حتى نملك رقاب من قدم علينا ويكون هلاكهم الكل فى يوم واحد ولا يبقى لنا عدو ولا معاند فقال له عقبه يامولاى إذا عزمت على ذلك وأردتنى أن أسير معك فسلم هذه القلعة إلى بنتى عقبية حتى تحفظها وتحفظ المأسورين حتى نسير ونبصر مايكون من أمر هؤلاء القادمين فقبل الملك رأيه وقال له اعلم أن القلعة بحكمك وحكم ابنتك لانها هى التى ملكتها بالحيلة وهى التى تحفظها من كل مصيبة (قال الراوى) ثم إن الملك بعد ذلك سلمها إليه وأنزل منها نائبه وترك فيها ألف بطريق وقد حكم عقبية فيهم ففرح الملعون بذلك وأوصى ابنته عقبية بالمأسورين ثم أن عقبة قال للملك نادى فى عساكرك بالرحيل وبادر إلى هؤلاء الشياطين حتى يكون أهيب لك وأجود فعندذلك نادى الملك بالرحيل فى الكتائب والمواكب فتزعزعت المشارق والمغارب ونشرت الرايات والبيارق ورفعت الصلبان على رؤس القنطاريات الخوارق وتتابعت العساكر مثل البحار الزواخر (قال الراوى) وكان المقدم على هذا العسكر الذى طرق هذه الارض الامير عبد الوهاب ومعه مائة ألف من السودان ومن بنى كلاب وكان السبب فى ذلك لما أبطأ عليه خبر ولده ظالم لما أرسله من الحجاز وقد سمع أن أمه قد اختلفت عليها السودان وتنصر أكثرهم مع غيلان الشوك وأنفذ ولده ظالم يكشف له الخبر فجرت عليه هذه العبر ولما انقطعت عنه أخبار الجميع وقع به الحزن والاكتئاب وصار كل من أرض العراق يسأل عنهم فيسمع أخبار مختلفة فما زال على ذلك حتى طال عليه

الامر وأقلقته القناصة ببكائها على ولدها ظالم لانها كانت تجتمع بنورى زوجة البطال وما فيهم إلا من تبكى وإلى رفيقتها تشكى لان نورى قد فقدت ولديها مذبحون وأخيه الحصين فما كانت تجف لها دمعة وكان الله تعالى رزقها بنت وسمتها عذيبة فكانت تتسلى بها عن الغياب لانها كانت رزقتها من البطال وما رآها فاشتغلت بتربيتها فى بلاد الحجاز فى هذه المدة الطويلة وكانت لما ان كبرت وانتشت تسألها عن أبوها فتقول لها انه من حملك ما أتانى ولا رأيته ثم أنها تحدثها بما يفعل أبوها من الحيل وكيف يغير صورته ويسرق الرهبان وقد علمتها شيء من الحيل وشيء من الإنجيل وبعض ألسنة الروم وقد نظرتها حاذقة عارفة فتعجبت منها ومن فطانتها فصارت تعلمها لغات الروم المختلفات وفصول الانجيل المشكلات وهى تحفظ كلما سمعته وكانت نورى خبيره بكل هذه الاشياء لاننا قد ذكرنا أنها من الحصون وانها ابنة ملك من الملوك الذين للروم لاسيما من يوم اتصلت بالبطال (قال الراوى) ولما انتشت عذيبة وكبرت تعلمت هذه الاشياء وصارت تجمع البنات بالليل وتلعب معهم والجميع كأنهم الشموس والاقمار وقد عملت لها من أذناب الخيل دقون ملونات ومن الفنا صلبان مذهبات هذا والنساء والرجال يتعجبون منها وكان الامير عبد الوهاب يحبها حبا شديدا وكان فى أكثر الليالى يحضرها إلى عنده ويترحم على أبيها إذا نظرها ويبكى ويقول سبحان من خلق فى زماننا فرعون ثانى وسلطه علينا يفرقنا فى الاقطار وهو هذا الملعون عقبة الذى طول عمرنا فى مصائبه ونوائبه (قال الراوى) ولما أن زاد شغف نورى بعذيبة صارت تركب فى كل يوم معها إلى البرية وتعلمها ركض الخيل والفروسية وما زالت كذلك حتى اكتسبت الشجاعة من أمها اكتساب زائد وقد ورثت الحيل من ابيها وراثة صحيحة ولم تزل على ذلك الحال إلى أن زاد شوق الامير عبد الوهاب وكثر قلقه على الغياب فرحل فى بنى كلاب والسودان الانجاب وقد قدم عليهم اللملمان وأخذ معه سائر النسوان وسار معولا أن يملك بسيفه بعض أقاليم الكفار ويقيم هو وأمه وأصحابه فيها باقى الاعمار (قال الراوى) ولم يزل يجد السير حتى وصل إلى الكوفة فخاف من معارضة الخليفة له فسار إلى الانبار وكان صاحب الانبار أمير يقال له صالح بن عمر وكان من أصدقاء الامير عبد الوهاب فلما أن سمع بقدومه أخرج له الاقامات والضيافات والعلوفات ونزل إليه فاجتمع عليه وقد سلم على صاحبه وشكى له سدة اشتياقه إليه هذا ولما أن اجتمع به صالح سأله عن حاله فقال انى خرجت من الحجاز لا أعلم إلى أين أمضى فتوجع له الامير صالح وجلس عنده فسأله عن ذلك الامير عبد الوهاب وعن أخبار ظالم ولده وأمه ذات الهمة فقال له الامير صالح والله يا أمـــير ان ولدك قد عبر على فى السنة الماضية فى أربعة آلاف فارس وسألته عن حاله فقال أنا ماضى فى خلاص ستى من قبضة عقبة

من أرض شيخان وما بات أكثر من ليلة واحده ورحل بعدذلك ماسمعت له خبر إلا من بعد مدة ثلاثة شهور قدسمعت انهم دخلوا إلى بحر الروم وقد وصلوا إلى قلعة يقال لها قلعةالسها وأنهم قد هلكوا فيها ثم رجعت سمعت أنهم سالمين وما صح عندى إلى الآن منهم خبر عن يقين وهذا ماعندى من التبيين (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب من الامير صالح هذا الخطاب بكى بكاء شديدا وقال مضى والله ولدى وامى واشتفى عقبة الملعون منى وبلغ الارب ثم انه بات تلك الليلة ولما أن أصبح زاد به الاكتئاب فرحل وسار يقطع البلاد والامصار حتى وصل إلى أرض شيخان واخذت به الجواسيس على الطريق اليسار حتى أشرف على بحر الروم وبانت له الاعلام والرسوم وسمع من الرهبان بعض اخبار فسار إلى أن وصل إلى دير الزيت كما ذكرنا وبلغ خبره إلى الملك شمخولص كما وصفنا (ورجعنا إلى الحديث الأول) بعد الصلاة على سيدنا محمد المفضل سيد البشر ونخر ربيعه ومضر ومن أنزل على قلبه الكتاب المطهر فجلا به عن قلوب أمته الفكر ولها من الرجس طهر (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب قد سمع بخروج هذا الملك من اقليمه وبلغه أن معه عساكر عظيمة فأقام بأصحابه فى طلب الراحة ذلك اليوم وقد فعلوا الرهبان بدير الزيت ما فعلوا حتى أصبح الصباح وعولوا على الرحيل واذاهم بغبار قد ثار وعلا وزاد إلى أن سد الاقطار ساعة من النهار وقد أشرفت الاعلام والصلبان قد اختلفت والرايات والبيارق رفرفت والارض من دوى الخيل قدرجفت وبروق الصوارم قد خطفت والدنيا قد انقلبت هذا ولما أن رأى الأمير عبدالوهاب ذلك كبر وصاح فى بنى كلاب فثارت وركبت خيولها بصفاء نياتها وحسن يقينها هذا وقد صاح اللملمان أيضا فى سودانه فتواسبت شجعانها بنخوتها وقد تقلبت عيونها وضربت بوقاب قرونها وقدزحفت العسكران إلى الحرب والطعان واصطدموا صدمه زلزلت الأرض وماجت طولا وعرضا وصار عقبه يحرض الروم وينادى يا عباد الصليب فهذه أنوار سعادتكم قد تشعشعت وشموس نصركم قد طلعت وارواحكم بلقاء المسيح قد تباشرت فأبيدوا أعداء الدين واطلبوا النصر من عيسى بن مريم والحواريين (قال الراوى) وان الروم لما سمعت النداء من عقبه فأرمت أرواحها إلى البلاء والدماء تجرى والسيوف للرقاب تفرى والابطال تجرى وصارت الأرض حمراء والخيل سكرى ولما أن رأى الامير عبدالوهاب كثرة جيوش الكفار خاف على عسكره من الانكسار فكشف رأسه وخفف عن لباسه وقد بان بياض شعره وصاح فى بنى كلاب وقال يا بنى عمى حاموا عن شريعة نبيكم وانصروا دينه واعلموا أن الله سبحانه وتعالى اذا نظر إلى صبر العبد بعينه وما بينكم وبين الجنة إلا مسافه قريبة فاصبروا على كرب الجهاد حتى تقطعوها بلا زاد وتشكروا هذا المقام

اذاوصلتم إلى دار السلام (قال الراوى) ثم انه جعل يحرضهم بمثل هذا الكلام ويحمل فى أوائلهم ويخترق القتام والرؤس تطايرت عن الاجسام والدماء ينهرق على الاقدام إلى أن مضى النهار بالا بتسام واقبل الليل بجيوش الظلام فانفصلوا لما ان خفيت عنهم مواقع الاقدام وكان ذلك اليوم كما قال فيه الشاعر

لقد عظم الويل بين المسرات ... بضرب الحسام وطعن القناة
فهذا طريح وهـــذا جريح ... وهـــذا ذبيح على الراسيات
وهـذا يصول وهـذا يجول ... وهـذا مهول من النائبات
وهـــذا تراه بلا ناصر ... وقد سلب الموت منه الحياة
وهـذا ذليلا بوسط الوغا ... وقد كسروا القوم بالمرهفات
وهـذا تراه جديل قتيل ... ممدد بالعرض وسط الفلاة
وقد ارعب الله جيش اللئام ... وهابوه أيضا خيوش السراة
فيارب انصر واحمى حما ... جميع الجيوش التقاة السراة

(قال الراوى) ولما أن افترقوا عن القتال نزلوا فى الخيام هذا ولما أقر بالناس القرار أكلوا شيأ من الطعام وقد دار الامير عبد الوهاب على بنى كلاب الكرام ورأى أكثرهم جرحا مخدشين من رؤس القنطاريات وضرب الحسام وهم تعابا مما لاقوا من الامور الهائلات العظام فقال اللملمان ياأمير اعلم أن الروم فى خلق كثير وعسكر كبير ومع كثرتهم فانهم يقاتلون بلا معرفة ولا لنا فى قلوبهم هيبة لأنهم مالقيونا غير هـذه النوبة وما سمعوا بفعـالنا ومافى الامر إلا أننا نتركهم حتى تهتـدى نار الحرب ونطلب منهم البراز فانهم اذا رؤا فرساننا فى الميدان وقع لنا الهيبه فى قلوبهم عند القتال فاذا رايت هذا الامر صواب فأنا أبرز فى غداة غد إلى الطعان والضراب وأوريهم شىء يشيب الشباب وأقودهم إلى بين يديك قود الكلاب فضحك الامير عبد الوهاب وقد فرح بهذا الخطاب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الروم الكلاب فان الملك لما ان عاد إلى سرادقه أمر الملوك ان يفتقدوا طوائفهم فافتقدوهم فوجدوا أكثرهم قد هلكوا فأعلموا الملك بذلك فزاد غيظا وحنقا وقال وحق المسيح ماقلت ان اليوم يمضى علينا بلا انفصال ولكن مايجب على الانسان انه يحتقر بالرجال فقالوا البطارقة أيها الملك وحق المسيح ماقدر يفنينا الاهؤلاء السودان الذين كانوا يدعسوا فينا مثل البغال ويبعبعوا مثل ماتبعبع الجمال فقال الملك انى قد رأيتهم وأنا تحت الاعلام وكلما هم فيه فرأيتهم فى شجاعة ولكن بلافروسيه ولا معهم من أبواب الحرب صناعة وهذا يدل على ان أحدهم إذا برز إلى الميدان كان طعاما لسيف خصمه إذا كان ثابت الجنان لانهم يرمون انفسهم رميا للحرب وما لهم صناعة فى الطعن والضرب (قال الراوى) وكان عقبه حاضر

فلما سمع من الملك ذلك المقال فضحك وكشر عن أنيابه فقال الملك ما حالك أيها الشيخ تضحك فقال له عقبه أيها الملك من أجل قولك هذا لانك ما تعرف هؤلاء القوم فوحق مريحنا ان هؤلاء السودان إذا برز واحد منهم إلى الميدان يريد ألف من عباد الصلبان فاقبل منى وداوم القتال مثل ما فعلت فى هذا اليوم والاتنتصف من هؤلاء القوم بالمبارزه أبدا فغضب الملك من مقاله وقال له أنت ياشيخ تقول هذا من أجل فزعك ولكن سوف ترى ماتصنع أصحابى بهم فى البراز وماهم [إ]مثل غيرهم من الروم وحق المسيح ماتركتهم يقاتلون فى غداة غد إلا فارس لفارس فقال له عقبه افعل مابدا لك وسوف ترى أفعالك

(قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الرواح إلىان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد ضجت المواكب بالصياح وركبوا الجرد القداح وقد جردوا الصفاح وكان الملك قدامه أكابر عساكره وقد أمرهم ان تمهل أصحابه بالحمله لما فى قلبه من كلام عقبه هذا ولما ان اعتدلت الصفوف وترتبت الالوف خرج من عساكر الامير عبد الوهاب فارس طويل من الرجال عريض المناكب كانه نحت من جبال وصور من الجمال بساعدين طوال وكفين عراض وهم ثقال وفى يده سيف صقيل ورمح طويل ودرع نبيل سابغ طويل وتحته جواد عالى يسبق الشمال فجال عند ذلك فى الميدان وطلب البراز والطعان وكان هذا الفارس اللملمان فقارب عسكر عبدة الصلبان بقلب غير فزعان وضرب بعاموده فى عساكر الروم عيان فقتل من أصحاب الملك شمخولص اثنان وجعل ينشد ويقول هذه الأبيات

أبذل نفسى فى الحروب بالرضا   لا أرهب البوس ولا أخشى القضا
أرجو من الخالق أسباب الرضى   ولا أكون فى المعاد معرضا
والتقى القوم بقلب صادق   وأعلم أن الله هو لى معرضا
لا أرهب الأبطال فى هيجانها   يوما ولو كانوا كاعداد الفضا
ان كان لونى أسود وقد غضى   فانه يوم الميعاد أبيضا
إنى أحب الله جل اسمه   والمصطفى ثم على المرتضا

(قال الراوى) ولما فرغ اللملمان من شعره وحمل على أحد المواكب فزعزعها وفرق جمعها وقتل من القوم أربعة وعاد إلى بين الصفين وطلب البراز هذا والملك ينظر إليه وقد بدا الغضب يلعب بين عينيه وإذا بفارس قد خرج من طائفة المجوس بشعر أشقر مرخى وراءه مثل العروس وعليه درع من الذهب مغموس وفى يده قنطارية بسنان ظمآن مشتاق إلى دم النفوس وتحته جواد مثل الطاووس وهو يتوقد فوق الجواد وله برق وارعاد ومازال يركض إلى أن صار مع اللملمان وجال معه فى الميدان ولم يأخذه صبر حتى صمم عليه بطعنة

وطلب بها فؤاده فأمهله اللملمان حتى وصلت إليه وسحبها على طارقته فعامت قنطاريته وقرب خصمه منه فمد اللملمان إليه يده وتعلق بمراق بطنه ومنكبيه وجذبه اقتلعه من سرجه وضرب به الأرض وتركه مطروح لايعرف طول من عرض وقد خرجت منه الروح وارتض فى بعضه البعض (قال الراوى) فلما نظر عقبة إلى ذلك صاح اعمل معهم مثل هذا العمل صح المسيح بدنك فهذا الرأى الذى أراده الملك فعندذلك خرج إلى اللملمان فارس ثانى فقتله إلى أن صار وقت الظهر له وقد قتل خمسين بطريق من جبابرة البطارقة (قال الراوى) فعندها وقفت عنه الفرسان لحمل على بعض الأعلام وكان علم عالى غليظ كانه صارى مركب فوق رأسه صليب ذهب مكوكب وكان تحته ولد الملك الأكبر فما زال اللملمان ينثر من الروم الرؤس حتى قرب منه وصاح بمن دونه فتكفكفوا لما نظروا إلى صولته وقد رجفوا من زعقته فانطبق على ابن الملك لما أن رآه وأراد أن يدافع عن نفسه بكل سبب وخرج من تحت العلم إلا واللملمان قد أدركه وطعنه فى صدره أهلكه وقد خرج السنان يلمع من خرزة ظهره فمال عند قتله العلم وتشوش الموكب وانهزم وعاد اللملمان إلى ورائه والصياح من كل قد أتاه فلما ان صار وسط الصفين أدركه فارس بجواد أبلق مليح الحدق وهو مثل الموج إذا اندفق ولما أن قارب اللملمان زعق وأرمى روحه عليه من شدة الحنق وكان هذا الفارس ابن الملك الثانى وقد عارض اللملمان وعليه انطبق يريد أن يأخذ بتار أخيه الذى درس وانمحق وما هو إلا أن أبعد عن مواكب أبيه وصاح حتى عاود عليه اللملمان وتطاعنا ساعة من النهار وقد تار عليهم الغبار ونبا عليهم القتار وقد خرج اللملمان من تحت الغبار وقد خلف خصمه معفرا فى القفار وجسده ملقى وروحه تساق إلى النار فلما أن علم الملك بهلاك أولاده فكاد أن يقع من على الجواد من شدة ما جرى عليه من الكياد (قال الراوى) فعند ذلك سل حسامه وأراد أن يحمل على اللملمان فتبادرت إليه المواكب والفرسان من كل جانب وقالوا له أيها الملك لاتفعل هذه الفعال فها نحن بين يديك الساعة نحمل عليه ونقوده إليك قود الكلاب فقال عقبة ان هذا مرادى من أول الزمان وإنما الملك أبى رأيى وقد فعل برأيه وماأصاب فعندها صاح الملك على عقبة وقد امتلأ غيظا عليه وقال لسائر الملوك لاتركت أحدا يحمل حتى أبلغ أنا من هذا الأسود مرادى وآخذ منه بتار أولادى واشفى بقتله فؤادى (قال الراوى) فبينما الملك فى ذلك المقال وإذا بالصياح قد ارتفع فنظر الملك إلى ذلك الصياح وإذا هو بخمس فوارس قد انطبقوا على اللملمان وقد انقضوا عليه انقضاض العقاب هذا والقسوس قد صاحت من خلفهم والرهبان ودقت النواقيس من كل جانب ومكان وكانوا هؤلاء بقية أولاد الملك وقد تسابقوا بأخذ تار

أخواتهم (قال الراوى) فلما نظر إلى ذلك الأمير عبد الوهاب نخاف على اللملمان وقدعول أن يحمل بنفسه وإذا قد نظر إلى اللملمان وقد ترجل من على الحصان وخطف عامود كان تحت نخذه والتقى أولاد الملك وصاح فى وجوههم وبربر وقد طلع الزبد على أشداقه وظهر وصار كلما وصل إليه قنطارية ضربها طيرها ثم يدرك صاحبها ويضربه بالعامود يخلط لحمه فى عظمه هذا وعقبة يرى ذلك ويقول لاتفعل أيها الملك بل أؤمر العساكر بالحملة فقدهلكوا أولادك على يد هذا العبد الأسود الذى لاقيمة له وأنا أخبر الناس به أنه يريد وحده هذا العسكر كله (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامه اسودت الدنيا فى عينه وصاح فى غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ السوء الذى فتت بكثرة قوله فؤادى ولولاطلعته الميشومة ماهلكوا أولادى ولا دخلوا هؤلاء الشياطين إلى بلادى فعندها تبادرت الغلمان إلى عقبة وقبضوا عليه ولطموه ونزلوا عليه إلى أن احمر قفاه وماتت أذنيه هذا وقد مد الملك عينيه ونظر إلى ما كان من أولاده فرآهم مطروحين يمينا وشمال واللملمان قد عاد إلى جواده وهو يهدر كانه الجمل الهائج هذا ولما أن رأى الملك إلى ذلك حار وأخذه الانبهار وبقى مايدرى ماالذى يعمل بل أنه التفت إلى غلمانه وقال لهم قدموا إلى هذا الشيخ الخرفان حتى أبرد قلبي بضرب رقبته فعند ذلك قدموا عقبة إليه ولما أن صار قدامه سل الملك فى عاجل الحال حسامه فلما أن رأى عقبة إلى ذلك خرجت روحه من بين جنبيه وقال مافى الدنيا أكثر منى فضول لأنى أنصح واشفق على من لايبالى بشفقتى عليه هذا وخواص الملك ينظرون إليه ولا يقدر أحد منهم على سؤاله فيه والملك زاغت مقل عينيه فى أم رأسه (قال الراوى) فبينما الملك على ذلك وإذا بشومدرس قد أقبل إليه وقبل الأرض بين يديه وقال له لاتفعل أيها الملك هذه الفعال فترجع تندم عليه فيما بعد أن يجرى ما يجرى عليه واعلم أن هذا الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح إذا قتلته طارت البركة من أمة عيسى وحرمت النظر إلى وجه المسيح واعلم أن أولادك الذين قتلوا فقد نقلوا إلى دار الرضوان وفى غداة غد يلتقون مع الحواريين ومريحنا المعمدان وأنت ترتع معهم فى رياض الجنان فلا تكدر عليك آخرتك بما تريد أن تفعل بهذا الشيخ فى دنياك ولاتحمل دمه فان عمله يلقاك (قال الراوى) ولم يزل شومدرس بالملك يخاطبه حتى لان جانبه وقال له ياراهب قد قبلت سؤالك فيه إلا أننى بعد أن حصل قدامى لابدأن أقطع منه شىء وحق المسيح مايهدى روعى ولاغضبى فقال شومدرس له أيها الملك ان الرجل لم يبق فيه شىء صحيح عينه مقلوعة ويده مقطوعة وآذانه مجزوعة وأضراسه منزوعة وأصابعه مخلوعة ومابقى له غير رجليه فان قطعت أحدهما تعديت عليه وان ولا بد لك من ذلك فاخصيه فقد فنى عمره وكبر سنه وما بقى يحتاج إلا الخصى ولا بقى له شىء إلى مجامعة النساء فقال عند ذلك الملك لغلمانه

اخصوه وافعلوا ماقال لكم الشيخ المصان شيخ القساقسة والرهبان وعمدة دين النصارى عباد الصلبان لأنه ماهو مثل غيره كثير الفضول والبهتان (قال الراوى) هذا كله يجرى وعقبة ينظر إلى شومدرس ويسمع ما يقول ذلك الهذيان فقال لامساك المسيح بخير ياألف قرنان ياأظرط الشمامسة والرهبان ايش هذه الواسطة الميشومة يانحس الرهبان ترى ياشيخ النحس أنت رأيتنى مع زوجتك شوما فى أضيق مكان حتى أشرت بهذا الرأى المذموم فقال له شومدرس اسكت يامنحوس فقال له عقبه فما كان يكون الاهذا ياديوس يانعسان فقال له شومدرس لولا ان الملك قد حلف ياخرفان ماكان جرى عليك هذا الامر والشان وأنا الااقدر أحنث الملك فى الايمان لأنه صادق فيما يقول من البيان فقال له عقبة حرضه ياكاب الرهبان لالقاك المسيح خير ياشيطان (قال الراوى) وقد دنوا من عقبه الغلمان وبطحوه على ظهره ومسكوه وسلوا منه الخصيان وقد كوواله موضع القطع على الجرح بالنيران وقد أخرجوه من السرادق إلى خيمته وتركوه فيها وهو غائب عن الدنيا هذا وقد باتت العساكر تلك الليلة وهم فى غاية الادبار مافيهم من اوقد نار هذا والملك لم يأخذه قرار بل انه يقول عند الصباح اخرج إلى حرب هؤلاء الفجار وآخذ لروحى بالتار (قال الراوى) هذا وقد نزلت عساكر المسلمين فى مضاربهم والامير عبدالوهاب فرحان بفعال اللملمان ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح عول الامير عبد الوهاب أن يركب فى بنى كلاب والسودان الانجاب واذاهم بعساكر الروم خامدة جامدة عن القتال وقد ضجت القسوس الذين هم والرهبان من حول سرادق الملك وكان دوارنهم انهم يعزوا الملك فى أولاده وفيما أصابه وماكانوا بطلوا ذلك اليوم الحرب إلاللراحة والعزاء فلماأن نظر الامير عبدالوهاب إلى ذلك قال لولاخوفنا من كثرة الرجال والعدد لكنا كبسناهم فى الخيام لأننى مابقى لى صبر على المقاله ولا على الصدام ثم انهم أقاموا ذلك اليوم فى طلب الراحة هذا وعسكر الروم يموجون مثل موجات البحر الزخار إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أضرموا المسلمين النار وقد أخذوا فى التقديس للملك الديان (قال الراوى) وأعجب مافى هذا السير العجيبة أن عذيبة بنت الامير أبو محمد البطال قد قالت لأمها الملكة نورى فى تلك الليله والله ياأماه ماأنا فى الدنيا وقد قتلنى الشوق إلى أبى واخوتى وقد عولت ألبس زى لبس الروم واختلط بهم وآخذ منهم الاخبار وابصر كيف أخلصهم وان لم تسمحى لى بذلك والا اتركك حتى تنامى وأنسرق أنامنكى وأفعل ماأختار (قال الراوى) فلما أن سمعت أمها كلامها انذهلت وعلمت انها تفعل ماقالت عليه وان لم تأذن لها فى ذلك فقالت لها يابنيه انى أخاف عليكى ان تهلكى لأنكى مالكى خبرة بهذه الاشياء ولا لكى بها عاده وأن كان ولابد من ذلك فما أخليكى تسيرى الا فى جماعة ثم انها استدعت بعشرة

رجال ممن كانوا يراعو عهد أبو محمد البطال وقد أطلعتهم على هذا الحال فقالوا لها نعم نفعل هذا الفعال والله كلما تأمرينا به فعلناه لاجل ماللامير أبو محمد علينا من الحقوق والافعال الملاح والافضال ثم انهم لبسوا زى الروم وأرادت الملكة نورى أن تعلم الامير عبدالوهاب بهذا الامرفلم تمكنها عذيبة بنت البطال من ذلك وقالت لها يا أماه أخاف أنه مايطاوعنا على هذا الامر ولا يمكننا من المسير فى هذه الامور ولكن اكتميه عنه ثم ان عذيبه ركبت على وجهها لحية سوداء مدوره ولبست زى الروم من لبس القتلى وعلقت فى حلقها صليب وركبت على فرس من خيل الروم بسرج أفرنجى وأخذت فى يدها قنطارية وسارت والرجال العشرة حولها وهى زى البطارقة (قال الراوى) ياسادة ولما أن نظرت نورى إلى فعل ابنتها عذيبه احتاجت ان تتبع رأيها وتطاوعها على فعلها فرحا عليها فركبت وسارت معها وقد خرجوا من العسكر وهو عسكر الاسلام هذا وقد أبعدت بهم عذيبه فى البر وقد رأوا انهم يأتوا من أطراف خيام الروم حتى لايفطن بهم أحد من الناس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك شمخولص فانه فى تلك الليلة قد أوصى سائر البطارقة بأخذ الاهبه للحرب والقتال هذا وعقبه مطروح فى مضربه وقد أيقن بعطبه وهو يئن من شدة الالم هذا وقد سمعت ابنته عقبيه بخبره وماقد جرى له فنزلت من القلعة وأتت إليه ولما أن نظرت الى حاله جعلت تبكى بين يديه وقد أخذته فى حضنها وجعلت تقبله بين عينيه وتلطم عند رأسه وعند رجليه على ماجرى عليه (قال الراوى) هذا وقدسمع الملك بنزول عقبيه بنت عقبه من القلعة وأتت إلى عند أبيها وقد سمع بما فعلت وما جرى لها من الحزن وما نزل عليها فندم على مافعل به وقام فى جماعة من خواصه ودخل على عقبه وجعل يعتذر إليه ويقول يا أبونا اجعلنى فى حل مما فعلت معك واسأل المسيح ان لايؤاخذنى لأنى عند غيظى ما أرجع أبصر مابين يدى ولاما قدامى أبدا ولا أبصر شىء ولايبقى لى عقل فقالت له عقبيه وحق المسيح لالقيت خير ولاتشفع فيك راهب كنيسة ولادير لأنك قد بعت آخرتك بدنياك واتبعت فى هذاالشيخ نفسك وهواك واليوم لوكنت اناحاضرة هذا الامر لقد دبرت على هلاك المسلمين ولو أن أبى واختى ماهو راضى عليك لكان هذا فى هذه الليلة يكون كسر هذه العساكر كلها (قال الراوى) فماتمت كلامها حتى فتح عقبة عينه الصحيحة وقال لها يابنيه أنا أسألك بحق المسيح وبحق شيبتى عليكى ان أنامت فماعليكى وصية إلا أذية المسلمين والمجاهدة فيهم بكلما تقدرين عليه وأماهذا الملك فقدغفرت له ما كان لأنه من خيار عباد الصلبان ولوقطع من لحمى كل يوم قطعة وهبت له ذنبه وكلما كان منه وأما المسلمين فلوأنهم فعلوا معى من الجميل مافعلوا ماأرحم أحدا لاأبيض ولااسود ولاغفرت لهم ولو قبلوا أسافل رجلى والساعة يا ابنتى بحياتى

عليكى ان كنتى تقدرى على ضررهم فافعلى وطيبى قلبى بذلك من قبل أن أشرب كاس المهالك وان قدرتى على البطال لاتبقى عليه أبدا وكذلك ذات الهمة فقالت له عقبية سوف ترى ياأبتاه ماأفعل بهم واعلم أن بك يتم لى عليهم العمل ثم قامت الملعونة من وقتها وساعتها شدت على بعض بغال الملك وشالت أبوها عليه وقد لبست فى زى مكارية الروم وأمرت الملك أن يرسل معها ألف فارس من خيار بطارقته وقالت له اعلم أيها الملك ان وقع فى يدى الليلة أحد من المسلمين حملته إلى قلعة السها ويكونوا عندى أسارى حتى يهدى أبى من مرضه ويفعل بهم مايريد وانى أريد منكم أن تكونوا على أهبة وان توصى مقدمين العساكر انهم لايناموا وإذا أتاك الخبر منى فاكبس عساكر المسلمين فانى أكون فى ذلك الوقت أخذت أمراءهم مثل ماأخذت الأميرة ذات الهمة وأمراءهم وملكت ساداتهم فتكبسهم انت على أثر ذلك فما أصبح الصباح ويبقى منهم ديار ولا نافخ نار فقال لها الملك وان قدرتى انت على هذا الرجل الأسود الذى قتل أولادى فاتينى به حتى أشفى منه فؤادى فقالت له السمع والطاعة أول ما آتيك به أسير (قال الراوى) ثم انها بعد ذلك سارت تطلب عسكر الأمير عبد الوهاب وقصدت إلى سرادقه وقد استدلت عليه بالنار بعد ماانفذت البطارقة إلى مكان تعرفه وأمرتهم أن يكونوا بعيدا من العسكرين وسارت الكافرة الملعونة مثل الشيطان والشيطانة بنت ابليس وكان الأمير عبد الوهاب فى تلك الليلة جالس فى مضربه والدلهان عنده فى جماعة من الفرسان وهم حواليه وهو يقول لهم والله انى مشتاق إلى أخبار أمى وولدى ظالم وكنت أشتهى أن أسمع ماجرى لهم (قال الراوى) فبينما هم مع بعضهم فى الكلام وعقبية قد وصلت إليهم وعلى الأمير دخلت وسلمت عليه ووضعت أبوها بين يديه وقد بهتوا منها عصابة الاسلام وقالت للأمير عبد الوهاب يامولاى تسلم هذا الشيخ الكافر الكذاب نسل الحرام ثم عاونى على خلاص الأحباب فقال الأمير عبد الوهاب فمن أنتى من الأنام فقالت أنا عقبية وهذا والدى عقبة واعلم أنه جرى لنا أمور عجيبة ياابن الكرام (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير منها ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال لها أطلعينى على هذا الحال وجميع الأمور وفسرى على هذا الكلام فقالت له اعلم يامولاى أن ولدك الأمير ظالم دخل خلف الأميرة ذات الهمة إلى هذه الديار وكانت أمك فى قبضة هذا الشيخ الغدار فالتجأ بها إلى هذه القلعة وان ولدك الأمير ظالم أقام عليها وحاصرها وكان فيها قليل من الروم والملك قليل الرأى والتدبير ولم يزل الأمير ظالم حتى أخذ القلعة وخلص سته الاميرة ذات الهمة ووقعنا نحن فى يده أسارى أنا وأختى وعمتى وهرب أبى وصاحب القلعة من باب البحر وكان أبى عذب والدتك عذابا شديدا فأخرجوا غبتهم فينا ثم انهم قدموا عمتى عاقبة وذبحوها بعد أن أعرضوا عليها الاسلام

فأبت ذلك وكذلك أختى عقيبة فلما أن قدمونى أنا فتح الله لى باب الهدى وقد آمنت بالعلى الاعلى وكان سبب ذلك ولدك ظالم لانى نظرته نظرة صابت فؤادى وقد منعتنى رقادى. فأسلمت حتى انى أتزوج به وأمك الاميرة هى التى أوعدتنى بذلك يامولاى وما أقاموا الامراء بعد هروب والدى غير عشرة أيام فى القلعة بقدر ماأخذوا لهم راحة واخرجوا من القلعة الاموال والرحال وقد عولوا على الرحيل إلى بلاد الاسلام (قال الراوى) فبينما هم معولين على الارتحال وإذا بالبحر قد استد بالمراكب وهى موسوقة بالرجال والبر قد امتلأ بالمواكب وخلق لاتحصى بعدد الرمل والحصى وكان سبب ذلك أبى لانه دخل إلى الجزائر ونفر مافيها من العساكر وقد حث هذا الملك على الغزو إلى بلاد الاسلام وخرج فى هذه الخلائق العظيمة التى لاتحصى فوجدا أبى قد ملك عليهم باب القلعة فى خلق كثير من البطارقة والعلوج المارقة فلما أن نظروا الامراء إلى هذا العسكر الكثير فبذلوا المجهود وقاتلوا قتالا يشيب منه المولود وقد سلموا أمورهم للملك المعبود وهو الحى القيوم الموجود وأما الاميرة ذات الهمة والدتك فانها أدركت لابى هذا الكافر وقد اشتد منها عليه الحنق والغضب وضربته بسيفها طايرت يده من حد المرفق وهربوا الباقين الذين هم حجزوا بيننا وبين القلعة ودخلنا نحن إليها ولما أن حصلنا فى القلعة دام علينا الحصى وقد ضربوا الروم القلعة بالمنجنيقات ليلا ونهار وما زالوا على ذلك الحال حتى وقعت منها الابراج كلها والابدان وملكونا عبدة الصلبان وأخذ أبى بثاره من السودان الانجاب ووقعت أنا فى يده وكان علم باسلامى فواضب على بالعذاب. حتى انى أشرفت على الهلاك والذهاب فمن شدة ماجرى على تلافيت قلبه وضحكت على لحيته وقلت له ياأبتاه لاتؤاخذنى بما كان منى واعلم أن المسلمين قد لعبوا بعقلى حتى خرجت من دينى وهاأنا الآن بين يديك تائبة إلى المسيح مما كان منى إليك فلما أن سمع أبى منى هذا المقال فرح وما أخذ منى مقالى على بال ثم انه قال لى كلى لحم الخنزير وكان معه شومدرس اللعين فما فيهم إلامن سل سكينه على وهددونى بالقتل فأكلت منه وقد فعلت ماأمرنى به أبى وقلت فى قلبى قد علم الله نيتى والاعمال كلها بالنية وانى مافعلت هذا الامر إلا من غير اختيارى أيها الامير وانى لما فعلت ذلك عاد قلب أبى صفالى وقد كنت أنا وإياه فى دار مفرده وكان. فى كل ليلة يعذب أصحابكم ويشرب الخمر حتى يقع من السكر مثل القتيل وأنا فؤادى يتقطع مما أرى وما يمضى ليلة إلا وأهم أن أذبحه وما زالت على ذلك الحال حتى وصلتم فى هذه الايام وسمعت بكم فلما ان علمت ذلك وأيقنت ببلوغ الآمال وقلت انى أهرب وأسير إلى عند اخوتى المسلمين وأقيم عندهم إلى أن ينكسروا هؤلاء العساكر الذين للكافرين وينالون المسلمين من الله الظفر والنصر إلا أنى قد خفت منكم انكم ماتصدقونى فى إسلامى لاجل مافى

قلوبكم من الحرارات ثم ان ابى قد شرب فى هذه الليلة حتى سكر فقمت إليه من حنق عليه ثم مسكته من ذقنه وخنقته حتى حسيت بنفسه يتردد ورأيت الخمر وقد طلع من حلقه فقلت لنفسى مالى إلا أن أحمله إلى الامير عبد الوهاب وأعرفه بما جرى من الامور والاسباب فخفت أنه يفيق فى الطريق ويلق على النفير فسليت هذا البغل وفتحت الباب وخرجت فى هذا الليل وقدمت على هذه الاهوال إلى أن وصلت إليك وحصلت بين يديك فدبر شىء يعود نفعه عليك واعلم يامولاى أن لو كان معى جسارة كنت خلصت جميع الاسارى من القلعة ولكن خفت أن يفطن بى أحد فأهلك والآن فباب القلعة مفتوح وهو مردود فليقوم الآن بعضكم وقد خلصوا الأسارى من القيود (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب من عقبية هذا الخطاب ورأى عقبة وهو فى تلك الأحوال فقال لمن حوله هذا والله شىء لم يكن لنا فى حساب الذى فتح الله عن قلب هذه الجارية قفل الشرك وهداها للاسلام والساعة مابقى فى الأمر الا أننا نسير معها إلى القلعة ونخلص أصحابنا مادام أن باب القلعة مفتوح ونعود إن شاء الله تعالى قبل الصباح ثم ان بنت عقبة وثبت وأيضا وثب الأمير عبد الوهاب هو واللملمان وولده ضيغم وتمام العشرة من الفرسان وشدوا عليهم السلاح وعزموا على الرواح فقالت عقبية يامولاى لاتسيروا إلا رجاله فى زى مكاريه الروم وأنا آخذكم من الطريق الذى جئت منها حتى يكون ذلك أخفى لكم ولأموركم ونكتم سركم فقبلوا رأيها وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا هذا وعقبية بين أيديهم سائرة حتى خرجت بهم من العسكر وطلبت بهم الوادى الذى فيه الروم مكمنين وكانوا هناك الكمنا قاطنين وقد مضى عند ذلك أكثر الليل وهم سائرين وما أحسوا بنفوسهم إلا وهم فى وسط الأعداء كلهم واقعين فصاحت عقبية فى البطارقة وقالت لهم خذوهم فتبادروا عند ذلك إلى المسلمين من كل جانب ومكان وقد جردوا عليهم القواضب هذا ولما أن رأت الأمراء إلى ذلك فردوا أيديهم إلى قوائم السيوف فما لحقوا أن يسلوها حتى وقعوا عليهم البطارقة والعلوج المارقة وصاحوا على الأمير عبد الوهاب وعلى من معه من الاصحاب وتزاعقوا وقبضوهم قبضا باليد وقد وقعت بهم الدهشة وجرح بعضهم (قال الراوى) ولما أن تمكنت عقبية منهم صاحت عليهم وقالت لهم كيف رأيتم هذه الحيلة والمكيدة التى فعلتها بكم ياشياطين الارض وحق المسيح ابن مريم لاصلبنكم كلكم الا مع أصحابكم ثم انها أخذتهم وشدتهم على ظهور الخيل وسارت بهم عرضا وقد أخذت معها من البطارقة عشرة وأرسلت الباقين إلى الملك ثم انها قالت لهم عرفوا الملك بما قد جرى وقولوا له ان يكبس المسلمين الليلة والدنيا خامدة فما عندهم من يخشاه واخبروه بأن أبى مطروح فى سرادق الامير عبـــد الوهاب فلا يكون لكم قصد الا خلاص الشيخ

النجيح وها أنا ماضية بهؤلاء الاسارى إلى القلعة وأحبسهم فيها إلى أن تنفصلوا من هذا القتال ويخلص أبى ويتعافا من هذا الامر ثم نفعل مانريد كما جرى الشرط بيننا ثم سارت الملعونة وهى تضحك طالبة إلى القلعة من خلف عسكر الروم والافرنج والامراء حائرين من فعالها وقد خافوا على عسكر المسلمين هذا والامير عبد الوهاب يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويقولون والله ماسبق هذه الملعونة أحدا فى فعالها هذا وقد غلبت أبوها عقبة فى أفعالها (قال الراوى) هذا ماكان منها (وأما ما كان) من البطارقة الذين هم كانوا مكمنين لما أن فارقوها ساروا إلى الملك وأخبروه بما تم لهم من الاحوال وكيف قبضوا على الامير عبد الوهاب وذلك العبد الاسود الذى قتل أولاده المسمى بالملمان ومافعلت بنت الشيخ النجيح عقبه من الفعال وكيف قبضت على الاميرعبد الوهاب والململان فطار عقل الملك من الفرح وقد زال عن قلبه الترح وقال وحق الصليب ودير المحمه والقليب ماهذه الجاريه وابوها الارحمة فى الأرض من قبل المسيح وقد جعلهم لامته مساعدين ثم أنه أمر النقباء أن يدوروا على الملوك وان يأمروا ما تحت أيديهم من عساكر الروم كلها أن يركبوا ويكبسوا عساكر المسلمين وسارت النقباء وقد داروا على الملوك ومقدمين العساكر وامروهم بما قال الملك شمخولص من المقال فلما أن سمعوا العسكر بأمر الكبسة على عساكر المسلمين فركبوا الخيل فى ظلام الليل وقد ماجت عساكر الروم شرقا وغربا فلما سمعوا عساكر المسلمين الضجة فنادوا إلى بعضهم البعض لأن الامير عبدالوهاب كان قدأوصاهم قبل رواحه مع عقبيه أن يكونوا على أهبة منهم (قال الراوى) فلماأن سمعوا تلك الضجة قالوا لبعضهم البعض ياقوم تأهبوا الحرب ولاشك أن الروم يريدوا أن يكبسونا فى ظلام الليل وماأخوفنا أن هذه الفعلة التى قد فعلتها بنت عقبه تكون حيلة منها وقد تمت حيلتها على الأمير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب فصاح فيهم الامير على بن مبارك وكان أفرس بنى كلاب واكثرهم دين وخوف من رب العالمين وقال لهم يابنى الاعمام حاموا عن دينكم واحموا نفوسكم وقاتلوا فى طاعة ربكم واعلموا أنكم غربا فى هذه الديار ومالكم أنصار ولامعين سوى الملك الجبار الواحد القهار فهو الذى ينصركم على عصبة الكفار فلا تحدثوا أنفسكم بالهرب والفرار فتهلكوا كلكم ويقضى عليكم الملك الجبارفاثبتوا ولاتبيعوا الجنة باطباق الناروا علموا أن مالكم من الهرب والذهاب من سبيل ولا كل من هرب منكم يجد له من حياض الموت مقيل ولا ينفعه الفرار ولايسلم اذا طلب الديار لأن الديار بعيدة ولا أحدا معه علف ولازاد فالله فى الجهاد خالص مخلص (قال الراوى) ولم يزل الامير على الكلابى يوعظهم بهذا الوعظ حتى تواثبوا إلى ظهور الخيل بنيات صادقة

وقلوب إلى الجهاد شائقة وماهم الا أن ركبوا وخرجوا من الخيام حتى دهمتهم مواكب اللئام وانطبق عليهم من كل جانب ومكان وتدفقت عساكر الكفار مثل موجات البحر الذخار وطلع الغبار حتى زاد الليل سواد واعتكار وأخذوا الروم عليهم سائر الطرقات وارتفعت الضجات وعملت المرهفات وعظمت البليات وتباشرت المجاهدين بالجنات هذا وقد زادت الغبائر من شدة الظلمات المرتفعات وطال على الناس الليل وكثر البكاء والويل فكانوا كما قال فيهم بعض واصفيهم هذه الابيات

ليل يشيب من هوله الشباب ۞ وشجاعه لايهتدى لضراب
وترى رؤس رجاله قد نثرت ۞ فوق الثرى ودماءهم كسحاب
والسيف يعمل والرماح سوارع ۞ والخيل تشكو شدة وعذاب
هذا وقد ضرب الغبار عليهم ۞ من فوق رؤس الكل مثل ضباب
هذا يئن من الجراح ويشتكى ۞ بعد الديار وفرقة الاحباب
ورفيقه يبكى على أولاده ۞ ودماؤه سالت على الاثواب
ولهم صياح قد علا وتنافرت ۞ ممن عظم صرختهم اسود الغاب
والمسلمون نفوسهم مسرورة ۞ قد نالوا الحسنات بغير حساب
يدعون عند الحرب يال محمد ۞ كى تعرف الاعحاب للاصحاب
والمشركون قسوسهم فى غفلة ۞ تتلو من الانجيل غير صواب
يدعون مريم والمسيح ويكثروا ۞ اشراكهم بالواحد الوهاب
والكل ينتظروا الصياح وبينهم ۞ طعنا يشيب رأس كل شباب
والله ينصر من يشاء بفضله ۞ من عصبة المختار والتواب

(قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى مضى الليل الحالك وأقبل الصبح الضاحك وقد حققت الحقائق وبانت العوائق من الطوارق فما أصبح الصبح إلا والمسلمين فى نزع لاجل مالاقوا من شدة الفزع وقد تقهقر البطل الشجاع لما انخذل منه الساعد والذراع وصارت الارواح فى سوق الهوان تباع وكان السيف شارى والرمح يباع فصار هذا للضراب وهذا للاندفاع وتكركبت فى ذلك البقاع وقتل كل بطل وضاع وكثر الجراح فى الشجاع ولا بقى به انتفاع هذا وقدموا الروم إلى المسلمين وارموهم إلى الخيام وقد قلت منهم الحركات وأيقنوا بالشتات وضاقت فى أعينهم الفوات ولاقوا الويل من الثبات وقد أرادوا الانفلات (قال الراوى) فبينما المسلمين فى أضيق الحالات واذا هم بأصوات من خاف عساكر الروم مختلفات

ومرتفعات وفرسان قد أقبلت مثل السباع الضاريات وكانوا لما أن وصلوا إلى موكب الملك شمخولص كبروا وحملوا وأشهروا السيوف ونزلوا بها على الكفار والوقوف وقد طعنوا برماحهم فى القلوب والصدور وقد طعن واحد منهم صاحب العلم الكبير فاقلبه وصاح آخر فى الملك شمخولص فأرعبه وقد فرقوا البطارقة من حول موكبه وضربه بلت حديد كان معه فكركبه عن موكبه وقد وقعت عند ذلك الدهشة فى الروم وانفرجت الغمة عن حزب الحى القيوم لان البطارقة قد لذوا المسلمين إلى الخيام ولما أن سمعوا الزعقات عادوا على الاعقاب وعاشت منهم الارواح الذى هم بنى كلاب والسودان الانجاب لما أن عادوا الروم عنهم وهم على مثل ذلك الحال وقد تبعوا الروم بضرب يقد وطعن يهد الاصلاب ذلك اليوم ويشيب من هوله الشباب وقد صاروا يضربون الروم ويصنتون للأصوات التى قدخرجت على الروم وزاحت عنهم هذه البليات وإذا بها مرتفعات بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وفى جملتها الامير عبد الوهاب سيدبنى كلاب وفى جملة الاصوات صوت الاميرة ذات الهمة والامير ظالم وأخوه ضيغم وأبوا محمد البطال ومن معهم من الاصحاب وقد نكسوا الاعلام والصلبان وشرعوا فى قتل طوائف الطغيان الكافرين بالرحمن (قال الراوى) ياسادة وكان السبب فى ذلك الامر والشان وهوأن الاميرعبدالوهاب لما أن تم عليه وعلى أصحابه ماتم من حيلة عقيبة بنت عقبة وأخذتهم وسارت طالبة القلعة بعد ما أرسلت إلى الملك شمخولص تعلمه أن يكبس المسلمين وسارت لما أن أشرفت على القلعة فرأت بين يديها أشباح وحس خيل سائرين فأسرعت عقيبة إليهم وقد سألتهم عن حالهم بعد أن وصلت إليهم وقربت منهم فقال لها واحد منهم نحن أرسلنا الملك ندور من حول القلعة احترازا على من فيها من المسلمين لايهربوا لانه قدعرف أشغالهم وعاين أعمالهم فقالت له عقيبة دع الملك يفرغ قلبه من هذا الوجه فقد وقعوا المسلمين مع من لايرحمهم ولايتوانا عنهم وهاأناقد أتيت بباقى أمراءهم وساداتهم فقال لها المتكلم ومن أتى فقالت له أنا عقيبة بنت عقبة وقد احتلت على أمراء المسلمين وهم عبد الوهاب وولده وعشرة من باقى أصحابه فاقصدوا معى إلى القلعة حتى ترون الليلة مايحل بهم من العذاب (قال الراوى) فلما سمعوا الفوارس منها ذلك الكلام تفرقوا ثلاث فرق وما فيهم من صاح ولا نطق بل طعن كل واحد منهم بطريق من الروم فارداه هذاوالمقدم عليهم قد طعن عقيبة فى صدرها أخرج السنان يلمع من ظهرها ولما أن هلكوا البطارقة تقدموا إلى الأمراء وحلوهم من الحديد والكتاف (قال الراوى) وكان الذى فعل هذا الفعال كله بنت الامير أبو محمد البطال

ومعها تمام العشرة أبطال كما ذكرنا وكانت لما أن خرجت من عساكر المسلمين أتت بهم حتى تتسبب فى خلاص أبيها فاتفق لها هذا الاتفاق وجرى لها ماجرى وحلت الامراء من الوثاق هذا كله يجرى والامير عبد الوهاب حائر من هذه الاسباب حتى دنت الملكة نورى من الامير وعرفته بالحال وقد أخبرته بفعال عذيبة بنت البطال فعندذلك شكر الملك المتعال على هذه الاحوال وقال من يكون أبوه البطال وأمه نورى بنت عين المسيح مايخيب فيما يفعله من الاشغال ثم ان الامير عبد الوهاب عول أن يعود إلى عسكر الروم حتى ينظر مايكون منهم لايكونوا قدعولوا على كبس المسلمين فقالت لاوحق محمد بن عبد الله لانعود حتى نطلع إلى القلعة ونخلص أبى الامير أبو محمد البطال ومن معه من الرجال فقال لها الامير عبد الوهاب وكيف تقدرين على هذا الحال وكيف تصعدين إلى هذه القلعة فقالت له سوف ترى العجب منى أيها الامير (قال الراوى) ياسادة ثم ان عذيبه أخذتهم وسارت بعد أن ألبستهم الثياب الذى كانوا على البطارقة ولبست هى الثياب التى كانت على عقبية ثم انها بعد ذلك سارت وخلفها عشرين فارس من أهل الايمان والجميع فى زى الروم وعليهم لبس ملة أهل دين الصلبان وقلوبهم ملآنه إيمان (قال الراوى) وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى القلعة ولما ان صاروا عند الباب نادت عذيبه بالحراس والبوابين وقد قالت لهم بالرومية ويلكم أمروا البوابين أن يفتحوا الباب فأنا عقبية بنت عقبة الشيخ النجيح ثم وقفت ساعة وإذا بالباب قدفتح وخرجوا أهل القلعة إلى استقبالهم فدخلت عذيبه وأدخلت الامراء من خلفها ولما أن صاروا من داخل الباب جذبت عذيبه عنان فرسها وقالت الروم ائتونى بهؤلاء المسلمين الذين هم عندكم محبوسين لأن الملك قد عول فى هذه الليلة على ضرب رقابهم وعند الصباح نرمى برؤسهم إلى أصحابهم وكل هذا برأى عقبة أبى حتى يهد ركن الموحدين أعداء الدين (قال) فلما أن سمعوا البطارقة ماقالت عذيبه فرحوا الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وقد تبادروا إلى المطمورة من وقتهم وساعتهم وأخرجوا الامراء منها وقد ساقوا من تبقى من العرب والسودان وأتوا الجميع قدام عذيبة هذا والمشاعل تقد فنظروا الاحباب إلى الاحباب وقد تحرك ما فى القلوب من الاشتياق والاكتئاب فعند ذلك قامت عذيبة إلى أبيها البطال وجعلت تفرك أذنه وتقول له بالروميه ويلك ياقرد المسلمين كم تقدم إلى ضرب الرقبه والصلب وتخلص ويؤخر المسيح فى أجلك هاقددنا غوراتك وخراب ديارك هذه الذى كنت فيها وعند الصباح تنقطع آثارك وترمى رأسك مع جملة الرؤس إلى هذا العسكر الذى قد دخل يريد خلاصكم ثم انها لطمت رأسه فاغتاظ البطال من فعالها وقال لها والله ياخائنة يافضلة الرهبان وبنت ألف قرنان لئن أخر الله فى أجلى لاريكى ماأفعل بكى وكيف يكون العذاب فلما سمع الامير عبدالوهاب

من البطال هذا الخطاب ضحك من هذه الامور والاسباب وماجرى فى هـذا المكان ثم ان عذيبة قد صاحت عند ذلك فى البطارقة الذين فى القلعة وقالت لهم ياويلكم علقوا سيوفكم فى رقاب هؤلاء المسلمين ثم سوقوهم قدامكم بالعصى والحراب حتى يشتفى منهم عند الصباح قلب الملك شمخولص وهم فى العذاب ففعلوا البطارقة ماقالت لهم عذيبة عليه وقد شالوا السيوف من رقابهم ووضعوها فى رقاب المسلمين وقادوا بها المأسورين فعندها نادت عذيبة فى الامراء وقالت لهم دونكم وهؤلاء الملاعين الكفار وطيروا رؤسهم بالسيف البتار فعند ذلك توائبوا الامراء كأنهم الاسود ووقعوا فى أهل الكفر والجحود وقد كبروا وذكروا اسم الملك المعبود الذى ليس له ولد ولا مولود خالق الخلق ومدبر الوجود الذى أنبع الماء من الحجر الجلمود (قال الراوى) هذا وعذيبة قد صارت تحل كتافات المأسورين واحد بعد واحد وتقول لمن تخلصه جرد سيفك الذى أنت مقلدبه فى رقبتك ودونك والروم الكفار ولم تزل تطلق المأسورين حتى أتت إلى آخرهم وكانت الاميرة ذات الهمه والامير ظالم وأبو سكران والعرب كلهم والسودان وأبوها الامير أبومحمد البطال واخوتها مذبحون والحصين وقد اجتمعت نورى بزوجها البطال وقد تشاكيا من ألم الفراق هـذا والامراء فى القتال كلهم إلا البطال ما قاتل لأنه صار مع نورى فى الكلام وما زالوا كذلك إلا ان كان وقت السحر فهديت حركات أهل الحصن وظهرت السخطه على روح من كفر بالله ولما أن فرغوا من هـذه الامور عادوا الامراء والمسلمين جميعهم مستبشرين بالنصر والظفر على من كفر هذا والاميره ذات الهمه تقبل ولدها عبد الوهاب وتقول له سبحان من جمعنا بعد طول البعاد وقد جرى علينا فى هذه النوبه مايشيب رؤس الشباب ثم انها عرفته بما جرى عليهم وعلى من قتل من بنى كلاب والسودان (قال) وما كان من الكل افرح من الامير أبومحمد البطال بابنته عذيبة فجعل يقبلها ويقول لها متى تعلمتى هذا الاحتيال ومن علمك بفرك آذان أبوكى البطال هذا ونورى تضحك من هذا الكلام وهو يقول انى وأمك تغلى البطال هذا ونورى تحدثه بما كانت عذيبة ابنته تفعله فى بلاد الحجاز (قال الراوى) ولما أن تمت لهم هذه الأفراح قال لهم الامير عبد الوهاب سيروا بنا من قبل أن يحدث حادث على أصحابنا من الكفار لأنهم قد بقوا كالغنم بلا راعى ثم انهم ركبوا وركبت السودان والاميره ذات الهمه والامير ظالم وباقى العربان ونزلوا من القلعة على الخيول مثل العقبان وقد ساروا بقلوب قد امتلأت بالفرح وكان اشرافهم على العسكر وقت بداة غرة الصباح فرؤا مواكب الروم قد لزوا بنى كلاب إلى الخيام والاطناب والسيف يعمل فيمن دنا أجله ويعمل فيهم وهم يستغيثون إلى رب الارباب ومعتق الرقاب (قال الراوى) ولما أن نظر الامير عبدالوهاب ذلك كشف رأسه

ونادى الله أكبر وهللوا وراء المجاهدين وقالوا هلكوا والله المجاهدين وتحكموا فيهم الكافرين فدونكم أنتم وموا كب الملك نقتله ونكشف عن أصحابنا هذه الغمة ثم حمل الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وحملوا كل المجاهدين فى طاعة رب العالمين وقتلوا الملك شمخولص واهلكوا صاحب العلم وانهزموا ولما أن نظرت الروم إلى ذلك خرجوا من الخيام وقد انفرجت الكربه وتبعوهم المسلمين إلى الخيام بالضرب هذا وقد أخذت الروم الدهشة وغلت ايديهم وانكسروا من كل جانب ومكان واعان الله أهل الايمان على الكفره أهل الطغيان (قال الراوى) وكان للملك شمخولص أخ يقال له فدعيلص وانه لما أن رأى إلى هزيمة العسكر خاف على مملكته من بعض الملوك ان يسبق ويملك عليه الجزيرة التى هى أعز هـــذا الاقليم فسار فى نصف العسكر يطلب حصن القمر وترك الخيام والمال والرجال والاثقال وكلما كان لأخيه وايضا خيامه وسار وترك السيف يعمل فيمن بقى من الروم ولم يزل القتال بعد هزيمة أخو الملك عمال إلى وقت الظلام هـــذا وقد ملكوا المسلمين الخيام والسرادقات كلها وقد خلت الأرض من الكفرة اللئام هذا وقلب الأمير عبد الوهاب على القاضى عقبة ملآن ولا يدرى ما كان منه وقد ذكرنا أنه كان فى خيمة الأمير عبد الوهاب وهو ملقى على ظهره وهو يئن من قطع خصاه فلما ان رأى ذلك الحال شد روحه وقام على حيله وحمل نفسه وعزم على الرواح والهرب خوفا على نفسه من العطب فرأى عساكر الروم قد هلكت ولا أحدا يعقل على أحد وقد طلب كل واحد هواه ولما أن رأى عقبة إلى ذلك قال فى نفسه أين تروح ان هربت ماأقدر على الهروب وربما يصدمنى بعض الخيل فيقتلنى ومالى قوة ان ادفع عن نفسى ومافى الأمر إلا أن أعود إلى المكان الذى كنت فيه واقعد موضعى فى المغرب وأقيم فيه حتى يملكون المسلمين هذه الأرض وأعود أتخلص بعد القتال على أعقاب النهار كما أحب وأختار ثم انه عاد إلى المضرب الذى كان فيه وقعد والناس مشتغلين عنه بالقتال والحرب والنزال ولما أن انصرفت العساكر وتم الحال عاد الأمير عبد الوهاب إلى المضرب فوجد القاضى عقبة قاعد مكانه وهو خائف من العطب ففرح وقال والله لقد حرت فى قصة هذا الملعون وان قتلناه فهذا مالا يكون وها نحن بلغنا المنى فقالت له الأميرة يا ولدى ولم لا تسير إلى بلد القسطنطونية فى طلب الجهاد ونبلغ من صلب هذا الملعون المراد فقال لهم أبو محمد البطال هذا هو المراد وهو رأى صواب ونصلبه ونعود إلى أرض الحجاز ونقيم حتى تفنى منا الأعمار ويدركنا الموت الذى حكم به الملك الجبار ويفعل الله مايشاء ويختار (قال الراوى) فلما أن سمع الامير عبد الوهاب من البطال ذلك المقال أمر العساكر بأخذ الاهبة للرحيل بعد ثلاثة أيام ولما ان لموا الاسلاب والعدد المبددة ولموا الخيل المشاردة وقد واروا القتلا الممددة

الراقدة وبعد انقضاء المدة أمر الامير بالرحيل وسارت وسار الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الانجاب بعد أن حملوا جميع من كان هناك هذا وأبو محمد قد شد الملعون عقبة على بعض الخيل وقد تعاهده بالمأكول والمشروب ووطى تحته من اللبابيد حرصا عليه منهم ان يبلغوا منه المطلوب وتذهب عنهم البؤس والمضره والكروب

(قال الراوى) ولم يزل الامير عبد الوهاب يقطع المراحل ويطوى المنازل إلى أن بقى بينه وبين القسطنطونية يومين أو ثلاثة فجعلوا أهل الرساتيق والبلاد يجفلون من هذه العساكر القادمة عليهم إلى أن وصلوا إلى الملك الفالوغص وأخبروه بالخبر وقالوا له ان الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وعساكر الاسلام علينا قد ظهروا من أقليم قلعة السها وقد سمعنا ان الشيخ النجيح معهم مقطوع اليد والخصا وقد أتوا به إلى ههنا ليصلبوه على باب الذهب

(قال الراوى) فلما أن سمع منهم الملك الفالوغص قامت عليه القيامة على ماحل بعقبة شيخ الضلالة وقال وحق المسيح قتل الشيخ النجيح في هذه الايام ثم نادى فى جميع الروم بجميع العساكر فاجتمعوا وخرجوا فى عالم عظيم وقد ركبت سائر ملوك الاقاليم وركب غيلان الشوك المنحوس فى سودانه الذين تنصروا معه وقد تنعموا وكذلك غيلان الشوك قد سمن وغلظ إلى أن بقى فى قدره الاول ثلاثة أمثال وصار كانه فيل أسود قدر ثلاثة من السودان الكبار وعرضت أكتافه وقويت أطرافه بمداومته على أكل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير هذا وقد اجتمعت جميع الملوك والعساكر فى ذلك اليوم من القاع القريبة ومن السودان ومتنصرة العربان (قال الراوى) ولما أن كان من الغد ضحى النهار أشرفت عساكر الامير عبد الوهاب وما فيهم الامن فتح فاه وكبر وقال الله أكبر واجل واعظم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وقد رفعوا أصواتهم بالصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد البشر صلى الله عليه وسلم هذا ولما أن نظروا الكفار من الروم إلى ذلك العساكر القادمة فطلبوا النصر من المسيح فكادت الارض فى تلك الساعة من كثرة الضجيج أن تميل وتمهد من ضجيج الطائفتين وركض الخيل والجبال كادت أن تنقلب من الصياح ومن صراخ العسكرين هذا والمسلمين قد وصلوا إلى قريب البلد ونزلوا وضربوا الخيام ولما أن رأى الملك الفالوغص إلى هذا الحال ورأى نزولهم عليه قال هذا جيد لنا دع يأخذون القتال حتى تأتى عساكرنا والابطال وتأتى إلينا النجدة من كل مكان هذا وقد قامت عساكر الاسلام فى الخيام ذلك اليوم حتى أنهم نالوا الراحة من التعب واستراحت الخيل من النصب ولما أن كان من الغد ثارت الابطال للحرب وقد اشتاقت إلى القتال وحنت الخيل للمجال هذا وقد رجف قلب الجبان الخائف لما أن اصطفت الفرسان ورفعت الاعلام وجالت الخيل فى الميدان وقدار تفع

القتام وقد حرضهم الامير عبد الوهاب على القتال وأحماهم بالكلام وجعل يقول هاها يابنى الاعمام جولوا فى هذه النوبة لله وجودوا الصدام فى سبيل الحى الذى لاينالم لعلكم تبلغوا من صلب عقبة المرام ويصدق فيه قول سيد الانام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام هنالك حملوا بنى كلاب بنيات صادقة صحاح القلوب وتوكلوا على علام الغيوب وأكثروا فى تلك الساعة التكبير والصياح ونادى البترك أيضا فى طوائف الروم وقال لهم بارك المسيح فيكم احملوا وخلصوا الشيخ النجيح وحاموا عنه وعن دينكم فقد طال ما كشف عنكم الشدائد ونصر الولد والوالد وان مكنتم المسلمين من صلب عقبة على باب الذهب يكون قد صدق عبد الوهاب فى منامه الذى قاله فان المسيح عليكم يغضب ويحشركم يوم القيامة مع المسلمين والعرب

(قال الراوى) فلما سمعت الروم كلام البترك حملت الطائفتين واختلطت المواكب بالمواكب وقد تمايلت الأبطال فى السروج وصار العرق بالدماء ممزوج وعز على الجبان الخروج وقد خيل للناظرين أن الدنيا ترتج من كثرة المواكب ولمعت الأسنة فى الغبار وحكم الصارم البتار واستوت فى تلك الساعة العبيد الأحرار ولم بقت تعرف المسلمين من الكفار إلا بالصلاة والسلام على المختار (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل حتى صار آخر النهار وتضعضع جيش الكفار ولولا غيلان الشوك وسودانه لكانوا قد ولوا وهربوا إلى البلد إلا أن غيلان اللعين قد فتك فى المجاهدين الأخيار وسطا على أمة محمد المختار فبينما هو كذلك وهو يلعب بمهج الرجال والابطال ويمدد الرجال على الرمال إذ التقت به الاميرة ذات الهمة وهو يقاتل فى المسلمين وقد أعجبته نفسه فأشار ينشد ويقول :

أنا غيلان الشوك زاد سعدى ... وقد علا بين الانام مجدى
لا أرهب الابطال يوم حرب ... والناس تعرف ساعدى وزندى
أضرب بالسيف لكل مسلم ... ولا أبقى على من هد مجدى
وعبدت المسيح أنا وجندى ... من أولاد حام كرام الجدى

(قال الراوى) ولما أن سمعت الاميرة من غيلان هذا الشعر والنظام قالت له لعنك الله وقد رأته منكس الابطال ويضربهم بالحسام فعند ذلك صدمته وجعلت تقول :

تقضت مدتى وابيض رأسى ... وزالت قوتى وقل ضربى
ودب الضعف فى جسدى ولكن ... أجود بمهجتى فى كل صعب
لعل الله يرحمنى إذا ما ... هدت يوم الحروب ولقيت ربى
ومت شهيدة فى يوم حرب ... أو ألاقيه وأنا أبكى لذنبى
فدونك ترى منى عجوزا ... تجاهد فى العداة بغير عجب

(قال الراوى) ولما ان فرغت الاميره من شعرها حملت عليه وهاجته وألهته عن الفرسان وصدمته فلما ان رأى غيلان منها تلك الحملة المنكرة المريعة مافزع منها ولا خاف بل حمل عليها ومال بكليته إليها وكان الوقت قد ضاق على الابطال وأقبل المساء فصدمته الاميرة بقوتها وقوة جوادها صدمة جبار وألقته هلى ظهره فى عرصات الميدان وذلك القفار هذا وقد أدركه أبو سكران بطل السودان ونزل إليه وكتفه وأخذه أسير وهو ذليل حقير غائب الصواب من شدة الوقعة هذا وقد وقع على الروم بعد أسره التعتير لما أن رؤا غيلان الشوك أخذ أسير وعمل السيف فى الكبير والصغير وقد سمع للأوداج طنين ومن الادمية خرير واندقوا الروم هاربين وطلبوا الابواب مكسورين هذا والسودان فى أعقابهم وبنو كلاب يطعنوا فى الروم وصار الدم منهم يفور وضربوا سودان غيلان الشوك بالسيوف وقد أفنوا منهم ألوف وهلك أكثرهم وولوا مع الروم هاربين هذا والاخ لايعى على أخيه ولا الولد على أبيه وما زالوا يضربوا فيهم إلى وقت العصر وكان الملك الفالوغص قد عاد منهم يطاب أبواب القسطنطونية لما ان رأى ماحل به وبعساكر النصرانية فأدركه الامير عبد الوهاب وهو حائر لايقدر على الدخول من شدة الزحام وكان الامير اللملمان قد طعن صاحب العلم جندله فصاح الامير عبد الوهاب عند ذلك فى الملك الفالوغص فأذهله وطعن جواده فقتله فوقع الملك من على ظهره إلى الارض فأدركه اللملمان مقدم السودان فأخذه أسير وبعده عمل السيف فى الروم وقد فرحوا المسلمين بالنصر والظفر وعادوا وقد ملكوا المضارب والخيام (قال الراوى) فلما ان سمع عقبة بذلك الحال فأيقن بشرب كاس الحمام هذا وقد كان له ثلاثة أيام ما أكل فيها طعام ولاشراب وقد بقى مثل الخلال وكان له صبر على الجوع إذا وقع مع عصبة الاسلام هذا وقد كان البطال يتردد عليه ويتلطف به ويسقيه السكر والشراب من خوفه أن يموت من قبل صلبه وتبقى حسرة فى قلوب المسلمين إلى الابد وكان البطال كلما سقاه شيأ تقاياه إلى أن كان فى هذه الليلة وقد دخل عليه البطال فرآه يتقلب ويتكرب فأيقن البطال بهلاكه وقال له ماحالك أيها الشيخ ومالك تتلوى وقد خفت حسك وضعف جسدك وبرد نفسك وقد قرب صلبك فابشر واعلم أن مابقى من عمرك غير هذه الساعة لان الملك الفالوغص قد أسرناه وغيلان الشوك قد ملكناه وقد هلك فى هذه الليلة من الروم بعدد النجوم وها أنا فى هذه الساعه أنصب لك الخشبه فما تصبح إلا معلق فقال له عقبه بصوت ضعيف لايكاد أن يسمع ويلك يا بطال هذا تقوله لى حتى تغيظنى به وأنا ماأغتاظ من هذا لانى أعلم ان مدتى قد قربت وأيامى قد فنيت وأنت تعلم ان الانسان إذا قتل خصمه وقتل من بعده مايكون مغبون وأنا فقد قتلت من المسلمين ومن غيرهم من الامم مالا يعلمه إلا الله تعالى يا بطال وتددرت

الاقاليم وفتحت الامصار وقد تركت لى فى كل مكان آثار وأخربت بلاد العراق ألف مره وألقيتكم فى الاسر والعذاب كم كره وقد تركت لى ولكم حديث يتعجبون منه الناس من بعدى إذا سمعه من فى رأسه حكمه فيتأسفوا على بعد فقدى ولا يعتقدوا انى أميل إلى النصارى وأشد منهم ومن دينهم بل اننى كنت ألعب بالدول آكل أموالهم حتى صرت مثل والآن فقد صح عندى ان الاديان نواعيس وأنا فقد أخذت لذة عمرى فى الأمر والنهى وقضيت فى المسره دهرى والساعه فعينى قد قلعت وأصابعى ويدى قدقطعت وأذانى قدجزعت وأضراسى قد وقعت وقد بليت فى آخر عمرى بهذا الملعون الذى أخصانى عند الكبر وقد صارلى من بعد هذا كله الموت راحة فكيف ماأردتم الآن افعلوابى لان الروم مايمكنوكم من ذلك وان فعلتم ذلك فان الروم تطلب تارى فلا يبقون منكم أحد ولا يقرلكم قرار لأجل مايكون فى قلوبهم من النار وكذلك المعتصم وسائر المسلمين ومن أجل هذا كنت أظهر لهم الناموس والدين والشرع حتى تلعنكم جميع المسلمين وتكون الفتن بعد مماتى بينكم وبين المعتصم وسائر المسلمين وبين الروم وتمتلى وجه الأرض عليكم من الروم والمسلمين (قال الراوى) ان كان هذا الكلام كله يجرى من عقبه والبطال يسمعه ويتجسر ولا يقدر أن يلطمه لطمه واحده خوفا أن يهلك فخرج من عنده حتى يدبر فى أمر الخشبه الذى يصلب عليها عقبه وكيف يضعها وينصبها على باب الذهب ومافى المسلمين تلك الليله من نام من شدة الفرح الا باتوا سهاره وهم فى تسبيح وتقديس وتهليل وصلاة وسلام على البشير النذير إلى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فطلع البطال على البرج الذى عمله قدام باب الذهب وترك الخشبة فى أعلاه وتقدمت الرماه وتواثبت الكماه وارتجت الفلاه وركب الامير عبدالوهاب وهو فرحان ببلوغ الآمال وتصديق المنام وكانت الروم فى ذلك اليوم على الاصوار وهم لا يقدرون أن يظهروا من ضرب النشاب لانه كان يأتيهم مثل المطر هذا والبطال فوق البرج والخشبة معه وقدقدموا الحبال وقال لغلمانه والسودان ائتونى بشيخ الضلال فاتوا السودان إلى مكانه ليأخذوه وكان ذلك الوقت وقت الغلس فما رأوه ورأوا المكان خالى مافيه انسان فعادوا وعليهم الانكسار وقد أعلموا الامير بهذه الاخبار فما منهم الامن التهب فؤاده بشعلة نار وتفرقوا فى سائر الاقطار وتفرقت بنى كلاب والسودان الانجاب وهى راكبة الخيل وقدداروا عليه البر والقفار وصاروا يطلبوا عقبه شيخ الفجار فما وقعوا له على آثار ولا سمعوا له أخبار

(قال الراوى) هذا وقد نزل البطال من على البرج وهو خجلان وقال الامير عبدالوهاب لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أقسم بالله لاصلبت مكانه إلا الملك الفالوغص وغيلان الشوك ثم ان الامير أمر باحضارهم فى عاجل الحال أحضروهم فلما ان رأى الفالوغص إلى

هذه الاحوال وقع على قدمى البطال وجعل يستجير به ويوعده بالاموال ويسأله أن يسأل فيه الامير عبد الوهاب لعله يقبل فيه سؤاله فقال له البطال على شرط انك تحلف لنا بالانجيل الطاهر وما فيه من التحريم والتحليل ننامتى وقعنا بعقبه واتينابه تمكنا من صلبه على باب الذهب ولا تقاتل ولا تمانع لا أنت ولا سائر جيوشك ولا حواشيك ولا جيوش النصرانيه فقال الملك الفالوغص نعم أنا أحلف على ذلك (قال الراوى) فعند ذلك تقدم البطال إلى عند الامير عبد الوهاب بلطف وأشار اليه بأخذ المال وقال له إذا أحضرت الملك الفالوغص إلى بين يديك وسألتك فى الصلح فقول أنت ماأفعل إلا ان كان يبنى الجامع الذى بناه الامير مسلمه على أيام جدى الصحصاح لانى ياأمير كلما دخلت القسطنطونيه فأراه يتهدم منه ركن وقد انهدم وما بقى إلا الآثار وقد اندثر ومابقى إلا معالمه وقصدى أن أجدد الجامع واعيده مثل ماكان حتى لا ينقطع ذكر الامير الصحصاح ويكون لنا نحن فى تجديده تذكار فقال الامير عبد الوهاب وامه الاميره ذات الهمة هذا هو نعم الرأى الصواب ثم انهم اتفقوا على ذلك المقال فعند ذلك أحضروا الملك الفالوغص ولما أن حضر وقع ماذكرنا واعلموه بتلك الحاله فقال سمعا وطاعة وقد انتهى الامر فقال البطال ما بقى الساعة إلا أن تخرجوا لنا الرهبان حتى يأتونا بالرهاين لاجل ما نطلق الملك وغيلان ونقيم إلى أن نعمر الجامع وتقوم لنا بالمونه والعلوفات فعندها أنفذ الملك واحد من غلمانه مع جماعه من قسوسه ورهبانه إلى القسطنطونيه فأتوا منها بأربع آلاف صبى من أولاد الملوك ووجوه البطارقة وخواص أهل البلد كلهم بالمناطق الذهب والقراطق وهم مثل البدور الطوالع والشموس اللوامع هذا ولما أن حضروا وحصلوا تحت قبضة البطال حلف الملك يمين ثانى على ذلك الحال ووزن المال وانه لا يخون ولا يغدر بهم بعد هذه النوبه وأيضا حلفوا البترك وحلفوا غيلان الشوك الآخر ودخلوا بعد ذلك إلى القسطنطونية وجمعوا جميع المعلمين والصناع وأخرج الملك الاموال وأمر الصناع بالاستعجال (قال الراوى) هذا وقد دارت العماره وكان أول من عمل فى الجامع الملك بنفسه يومين كاملين والبترك استحرض الروم على العمل هذا وقدقامت عساكر الامير عبد الوهاب على باب القسطنطونيه شهرا كاملا والاقامات والعلوفات تخرج إليه حتى تعمر الجامع والمكان الذى حواليه وارتفع وقد عمل فيه منارة للآذان وأحضر الملك مالا عظيما له قدر وقيمة وفرقه على الصناع والمعلمين ولما انتجز الشغل وتم دخل البطال واشرف على الجامع والمحراب فرآه قد تعمر من بعدما كان خراب وقد أعجبه فأراد البطال أن يخرج مع الملك فقال له اعلم أن هذه العماره ماتصلح لنا فقال الملك ايش مالها وما حالها وحق المسيح ياأبا محمد انها عمارة مليحة ماعمر مثلها فقال له البطال اعلم ان كان الجامع مبنى بالفضة والحجر

والقبله مبنيه بالذهب وان هذا ما هو الشرط الذى كان بيننا وما اتفقنا إلا أن نجعله بالفضة والذهب فقال له الملك وحق المسيح ياأبا محمد ان هذا القول كله جنان وان هذا القول عمرنا ماسمعناه ولو أرادوا ذلك وجمعوا كل فضة فى ارض القسطنطونية ماتكفى ربع هذا الجامع ونحن مانعرف الجوامع والاديره والبيع يعمروا إلا بالحجارة والتراب فقال له أبو محمد صدقت ولكن نحن ماشارطناكم الاأن يكون مبنى بالفضة وأن تكون القبلة ذهب واعلم أننا مانطلق أحدا من عندنا إلا بهذا الشرط وإلا ضربنا رقاب الرهبان وافجعناكم فى الصبيان وتركنا تندب عليكم الآباء والامهات فقال له الملك لاوحق المسيح اضرب رقابنا ورقابهم الجميع ودعنا كلنا من هذا الامر نستريح ومن هذه العماره لأن مالنا بها من طاقة ولاغيرنا من سائر الملوك (قال الراوى) فبلغ الخبر إلى الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وأمراء بنى كلاب فضحكوا من حديث البطال هذا وقد سمعوا أهل الصبيان الرهاين وآباءهم وامهاتهم ذلك فصلبوا على وجوههم وحملوا من الاموال على قدر اجتهادهم واقتدارهم واتوبه إلى عند البطال وقالوا له هذا ماملكت يدينا نخذه ثم أطلق لنا أولادنا فقال لهم البطال سوف أفعل ذلك ان شاء الله تعالى هذا وقد اتفقوا على أن الجامع يبقى على ماهو عليه إلاأن القبلة تهد وتبنى غير ذلك البناء وتتزخرف بالذهب ففعل الملك ذلك وقد جمع الملك السباكين والصياغ وعملوا القبلة كما أراد البطال ودخل الامير عبد الوهاب والاميره وسائر الامراء من بنى كلاب والسودان الانجاب إلى البلد وجميعهم لابسين الحديد من تحت أثوابهم خوفا من غدر الكفار وصلوا فيه يوم الجمعة وأذنوا المؤذنون وكبروا المكبرون هذا والرهبان والروم على وجوههم يصلبون والمسلمون بقراءة القرآن يضجون إلى أن صار وقت العصر وخرجوا الامراء والناس فى الخيام واطلقوا أولاد الملوك والبطارقة فقدموا لهم من الاموال وحلفوهم أنهم لايتعرضوا للجامع بعد رحيلهم واقاموا حتى أصبح الله بالصباح ثم بعد ذلك رحلوا يطلبوا بلاد الاسلام هذا والامير عبدالوهاب يقول لامه والله ياأماه مابقى جسرة فى قلبى الاصلب الملعون عقبة وماأظن انفلاته فى هذه النوبة إلالأمر يريد الله اتمامه فقالت الأميرة والله يابنى مادام له فى الدنيا حياة فما يقدر أحد على وجه الأرض يؤذيه إلا أن الله تعالى فلا تكن يابنى من أهل الاعتراض واصبر على مايقضى الله تعالى ماهو قاض وأنا أقول أن عقبه ماخلص وفيه مايحمل إلاأن يكون فى بعض الاديره التى للرهبان ولايعلم الغيب إلاالله تعالى الواحد المنان ثم انهم سارو إلى أن أمسى المساء عليهم ونزلوا فى آخر مرج العيون وضربوا الخيام وهم معولين على الراحة والمنام وقدعلقوا على خيلهم وأكلوا شيأ من الطعام وأقاموا إلى خدمة الملك العلام حتى قضوا ماعليهم من الصلوات ومافيهم إلا من وجد الراحة وانضجع حتى برق ضياء الفجر ولمع

وصلت الأميرة ذات الهمه صلاة الصبح فلما انشق الفجر و تنفس قام الأمير عبد الوهاب ودخل على والدته ذات الهمه يستأذنها فى أمر الرحيل فرآها قد قضت فرضها وهى مستقبلة القبله وهى جاثية على ركبتيها وقد شخصت نحو السماء بعينيها و بسطت يديها ودموعها منحدره على خديها وهى تتضرع إلى الله عز وجل و تبتهل بالدعاء وهى تؤمل من دعاء إلى أن أحست بالأمير عبد الوهاب معها فى الخيمة فعندها أوجزت فى الدعاء وختمت دعاءها والتفتت إلى ولدها عبد الوهاب وجعلت تقبل رأسه وشيبته وعارضيه وتقول له ياولدى كل يوم لا أراك فيه لم يهنأ لى فيه حياة ولا أعد من الأحياء فقال لها يا أماه وكيف خطر بقلبك هذا المقال فقالت يا بنى لأجل منام رأيته وأنا منه فزعانه وأحشائى قد أصبحت رجفانه فقال الأمير وقد بكى فما الذى رأيتى فى المنام فقالت يا بنى لما نمت البارحه وأنا مشغولة القلب من قولك لى فى قلبى حسرة من عقبة وكيف يبقى بعدنا فى هذه البلاد وينال من المسلمين المراد فرأيت الملعون كانه قاعد لنا على رأس الطريق وقد ملك علينا فم المضيق وهو يضرم بين يديه لنا نار وقد طلع لها لهيب وشرار فصحت من شدة اللهب والشرار وكانك أنت يا بنى والبطال قد أتيتم وألقيتم أرواحكم فيها وأنا قد صحت من شدة ماجرى على وأكلت من حذرى عليك لحم ثديى واردت ان ألقى روحى خلفك فى النار وإذا بصوت يكلمنى فالتفت وإذا به النبى ﷺ وهو يقول لى اصبرى ياأم المجاهدين على بلاك ولا تلقى روحك فى الهلاك فعلينا حفظ ولدك فى رواحه ومغداه وبهذا يصل إلى ماوعدناه ويشتفى بصلب أعداه وقد قرب الوقت والميعاد وفى هذه الأيام ينهتك ستره بين العباد كما هتك ستره فى الملا الاعلى وينجز فيه أمر من له المشيئة والمراد فعليك بالصبر وهو من سنن الأنبياء والاولياء والعلماء وبه تصلين إلا مقام الاصفياء فقلت يارسول الله كيف أجد الصبر وولدى فى هذه النار يذوق حرارتها والشرار فقال هذا عذاب يزول ويبلغ به فى الجنة غاية السول وأنا رسول الله المطهر انظريه فسوف يخلص من هذا اللهيب ويعود على أعدائه التعذيب فمددت ياولدى عينى إلى النار وإذا بك قد خرجت بوجه مثل البدر إذا استنار ثم بسطت يدى وشرعت فى الدعاء ثم طرت بين الجو والهوى إلى علو السماء فاستيقظت أنا وفى أجفانى أثر البكاء وزادنى الاشتكاء حتى دخلت على ورأيتك بعينى وأنا من بعد هذا المنام فزعانه وبوعد رسول الله ﷺ فرحانة فقال لها الأمير عبد الوهاب ياأماه الامر والحكم لله لامرد لقضائه ولا مفر ولا دافع لامره ثم انه أنفذ خلف البطال وحدثه بهذا الحال فقال لهم البطال أما اضرام النار من عقبة فانه مازال يشعل الفتن ويلقينا فى المحن واما وقوعنا فيها وعلينا الحرص أننا نحذر غاية الحذران لم يكن سبق القضاء والأمر لله تعالى يدبر فى خلقه مايشاء واما قول النبى ﷺ أن عقبه قد قرب تلافه فهو الصادق الأمين فى أوصافه

وأعماله والدليل على ذلك عذاب عقبة وقطع أطرافه وبعد هذا فسلموا الامر إلى الله تعالى وارحلوا بنا نطلب المنازل والديار لعلنا نخلص من عذاب هذه النارفقال الاميرعبدالوهاب هـذا هو الصواب ثم انه ركب وصاح فى بنى كلاب والسودان الانجاب بالرحيل وركبت الاميره وفؤادها ملآن خوفا على ولدها من هذا المنام وساروا ذلك اليوم حتى تقارب المساء ونزلوا وقد زاد بالاميرة المرض وحمى بدنها وتغير لونها وحالها وباتت تلك الليله وولدها عندها والبطال عند رأسها يحدثها ويسليها بامور الدنيا حتى أصبح الصباح ورحلوا ولم يزالوا يقطعون الارض والقفار ليلا ونهارا حتى وصلوا إلى أرض الدروب والاميره قد ضعفت عن الركوب وصارت تركب فى محفه وامرت ولدها أن يقصر المراحل والمنازل حتى خرجوا من دروب بلاد الروم وصاروا فى أوائل بلاد الإسلام وإذا براكب قد أقبل على ملطيه عظيمة الهيكل وجعل يشق المواكب حتى صار تحت أعلام المسلمين ووقف بين يدى الأمير عبد الوهاب وسلمه وناوله كتاب فتبينه الأمير وإذا به عامر النجاب الذى كان نجاب الخليفة فقال له الأمير من أين هذا الكتاب يا عامر فقال له يامولاى اقرأه وقد وقفت على معناه ففتحه الأمير عبد الوهاب بعد ما استدعى أبا محمد البطال وأيضا جماعة من الأمراء والاقيال وقرأ الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد أيها الأمير الأجل والكهف الأظل سيف المجاهدين وعمدة الإسلام والمسلمين حامى حوزة الدين ترس قبر النبى الأواب المسمى بالأمير عبد الوهاب اعلم أن أبا اسحق المعتصم بالله قد توفى إلى رحمة الله تعالى وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء وكان وما كان مرضه أكثر من ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع شرب كاس الحمام وقد جلس فى الخلافة ولده هارون الواثق بالله وقد تعصب لأخيه جعفر جماعة من الكتاب والعمال وأصحاب الديوان والحساب وقالوا اما نريد إلا جعفر المتوكل على الله وقد اختلطت الدنيا واختبطت بلاد العراق وقامت الدنيا على قدم وساق وانفصل الأمر على أن هارون الواثق يقيم فى الخلافة على وجه النيابة إلى أن تقدم أنت وتقدم من شئت وتشهد بما كنت تسمع من المعتصم رحمة الله عليه ومن هو ولى عهده من بعده ونريد ساعة وقوفك على هذه الأحرف لا تتوقف فى المسير ولو أنك تطير حتى تهتدى الفتن بعد ايقادها وتعود الولاة إلى بلادها فلما سمع الأمير عبد الوهاب ما فى الكتاب بقى متحير ومتفكر وتبين الخط وإذا به خط ابن خاقان الوزير فقال البطال ايش ترى يا أمير فى هذا الكتاب وهذه النوبة فقال البطال والله هذه النار الذى كان يشعلها عقبة تفسرت وهى من بعض مناصبه ولا شك أنه سبقنا إلى عند الخليفة وقال له قد قتلوا أختى وأولادى وقطعوا يدى وعولوا على صلبى ولا شك أنه قد دبر علينا غير أننى متحير فى هذا الامر وحذرى أنه من تدبير عقبة لاجل القبض علينا ومتحير أيضا كيف

يتجاسر عقبة على مثل ذلك وعلى كتب هذا الكتاب وفيه موت الخليفة مع علمه أنه يقع فى أيدينا وهذه قصة قد عميت على أن الخط خط الوزير ابن خاقان وما أقول أن عقبة بعد أن قطعت يده اليمنى مابقى يقدر يزور على خط أحد فقال الامير عبد الوهاب والساعة كيف يكون الحال فقال مايكون فى الامر إلا أننا نسير إلى ملطيه ونبصر كيف يكون الحال ان كان الامير عمرو بن عبيد الله قد انحدر إلى بغداد فالامر صحيح فاذا كان الامر كذلك تركنا والدتك هنالك وسرنا أنا وأنت فى ألف فارس ونصبنا الخلافة لامير المؤمنين هارون الواثق بالله لانه أدين أهل الارض واتقاهم واعقلهم وبه أوصانا المعتصم ألف مرة وهو ممن يبغض عقبة ولا يشتهى أن يراه فلعل صلبه يكون فى أيامه إن شاء الله تعالى ويسقيه كاس حمامه ويهتك الله ستره فى هذه الايام وتقف الناس على كذبه ومحاله فقال الامير عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم انهم ساروا على هذا الترتيب وهم متفكرين فى هذا الامر العجيب حتى أشرفوا على بلاد الثغور وأرض ملطيه وسبق البشير إلى البلد (قال الراوى) فعندها ركبوا الامراء الذين لبنى سليم وكذلك الاصحاب وخرجوا إلى لقاء الامير عبد الوهاب ولما وقعت أعينهم عليه ترجوا بين يديه ونعوا الخليفة إليه فقال ومتى وصلت إليكم الاخبار فقالوا من أيام قلائل وعلينا عبر النجاب عامر وهو سائر إليك بالكتاب وأميرنا عمرو يكون اليوم قارب بغداد فانه من يوم وصلت إليه هذه الاخبار تجهز وسار فلما سمع البطال والامير عبد الوهاب هذا المقال صح عندهم الحال والمقال ونزلوا الناس فى المقام وضربوا الخيام على ظهر البلد بجانب النهر وعملوا الأعلام وأقاموا حتى أصبح الله بالصباح ودخل الأمير عبد الوهاب على أمه فودعها واعلمها أنه سائر إلى أرض العراق ينصب الواثق خليفة وتأمن الناس بعد الخيفة فقالت له أمه يابنى افعل مابدا لك ولا تطيل الغيبة فما لى عنك صبر ولولا هذا المرض والا كنت سرت معك حتى لايغيب شخصك عنى ودعت له وقالت له أنت فى حفظ الله الحى القيوم الذى لاينام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فباس الأمير رأسها وودعها وانتخب معه ألف فارس من بنى كلاب وسودان أنجاب وركب هو والبطال يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كان قائد يقودنى إلى القضاء والقدر وتركوا الأميرة فى ملطيه وعندها باقى الأبطال من بنى كلاب والسودان الأنجاب وساروا يقطعون الأرض والبلاد ويستصحوا موت الخليفة وكلما قرب من أرض العراق ينكشف له الحال ويظهر حتى وصل إلى الموصل ونزل الأمير على بابها وسار منها إلى تكريت وعبر إلى الجانب الآخر ولاحت له المشاهد المباركة فأقام فيها يومين وسار حتى وصل إلى تل قومه وكان الأمير قد أخذ معه التحف والهدايا والخيل والظرف وشىء كثير من الذهب والفضة

والمناطق والجواهر والثياب الديباج ومن الأطالس الرومى وكل شيء حسن مليح وغير ذلك مما كان أخذه من بلاد الروم وانه لم يزل سائرحتى وصل إلى وأنا وعكبر وإذا هو بأرباب الدولة والوزراء والأمراء والاشراف قد التقوا به فلماوقعت العين على العين وترجل بعضهم لبعض وتعانقوا وتوادوا فقال عبدالوهاب وقد بكى وقال من هوالخليفة اليوم فقالوا الخليفه الواثق فى الظاهر الا أنه على وجه النيابة حتى تقدم أنت يا أمير وتنصب من تريد فقال الامير عبدالوهاب والله ياقوم ماولى العهد الا الواثق بالله وبهذا كان يوصينا المعتصم فى حياته ثم سار الامير فى موكب الخليفة حتى وصل إلى بغداد وتم فى سيره إلى الدار المعروفة العزيزة وأبو محمد البطال إلى جانبه يقول والله ما كان نيتى أدخل معك إلى بغداد لان قلبى خائف من منصب عقبة إلى أن صح لى الخبر وصح لى موت المعتصم واشتهر (قال الراوى) فلما صاروا الامراء على باب الخليفة دخلت الخدام على الواثق يطلبون الاذن فى الدخول فقال امهلوا بهم حتى أجلس لهم ثم وثب وجلس فى دست الخلافة وأقام الحجاب والوزراء والكتاب وأرباب الدولة فى خدمته وقال للخدم خلوهم يدخلوا فخرجوا الغلمان والخدام وقالوا بسم الله أجيبوا أمير المؤمنين فدخلوا الامراء وساروا إلى أن وصلوا المجلس الذى فيه الواثق فلما وقعت عين الامير عبد الوهاب على الواثق فعند ذلك تقدم الامير وقبل الارض وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين أدام الله لك العز والتمكين وحشرك مع ابن عمك خاتم النبيين وأسعد جدك وأعلا مجدك وقصم ضدك وأطال عمرك ونشر فى الخافقين ذكرك وهنيت بالخلافة ووقيت من كل آفة ويعز الله علينا ماجرى على قلبك من فقد مولانا أمير المؤمنين أبا اسحاق المعتصم بالله فوالله مايعود الزمان يسمع بمثله ولا يخلف مثله فانا لله وانا إليه ارجعوا (قال الراوى) وتقدم من بعده الامير أبو محمد البطال وخدم وعول أن يعزى الواثق ويهنيه بالخلافة وإذا قد ارتفع ستر دار الحرم وظهر شخص من ورائه وقد خرج معه أكثر من خمسمائة مملوك فتأمل البطال الشخص وإذا به المعتصم أمير المؤمنين فطار عقل الامير ووقع به التحيير وعلم أنها حيلة وقد تمت عليهم فقال الامير عبدالوهاب يا أبا محمد وقعنا ومانفعنا الحذر وهذا منام الأميرة قدتفسر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا والمعتصم قد صاح بهم وقال يا كلاب العرب وقعتم بأعمالكم أتظنون أنى لم أعلم بما فعلتم بالقاضى عقبة من قطع يده وقتل أخته وبناته وتعذيبه وتهديده بالصلب فى بلاد الروم وقلتم ان الله يمهلكم بعد ماحل قتلكم باجماع سائر الفقهاء ولا بقى لكم نجاة ولا ملتجأ غير ضرب الرقاب وفقد الاحباب وصاح بالغلمان خذوهم فمالوا عليهم وقبضوهم وشدوا أيديهم وأرجلهم وقام الواثق وجلس المعتصم وقدموا الامراء بين يديه فقال لهم

المعتصم إلى كم تخرقون حرمتى ولا تراعون فى هذا الشيخ ذمتى ان كانت دولتى ما تقوم إلا بكم فما أريد دولة ثم قال للسياف اضرب رقابهم وأفجع فيهم أحبابهم وجميع أصحابهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك القاضى عقبه وهذا التدبير هو الذى دبره وعمل هذا العمل لانهم ليلة عولوا على صلبه وأبصر الجد ورأى أن الروم قد كسرت حمل روحه لما أن رأى البطال قد خرج من عنده وهو معول على صلبه وقام إلى بغلة كانت للامير عبد الوهاب وكانت هنية السير فركبها الملعون بعد ما برطل سائسها بألف دينار ووعده من الخليفة بمثلها فساعده على هروبه وسار هو وعقبة يكمنان النهار ويسيران الليل إلى أن وصلا إلى العراق وعقبة يلقن السائس طول الطريق مايقول للخليفة ولما دخل عقبه إلى بغداد وصل إلى الخليفه خبره فقال المعتصم على به فقالوا ياأمير المؤمنين أنه مريض مايقدر على النهوض وماصدق أنه يصل اليك ويامن على نفسة لأنه وصل مقطوع اليد مجبوب حزين على قتل أخته وبناته فلما سمع المعتصم هذا الكلام قال أنا أسير اليه لأنه يجب السعى إلى مثله لاجل دينه وعلمه ولاجل هذا البلاء الذى قد حكم به عليه رب السماء ثم ان الخليفة ركب وسار إلى دار عقبه فلما سمع به الملعون تغاشا وتماوت فقعد المعتصم عند رأسه فرآه مقطوع اليد فبكى وقال له ياقاضى من فعل بك هذه الفعال فبكى وقال ياأمير المؤمنين أنا ما أشهد ولا أتكلم فى حق روحى ولكن اسأل هذا الرجل الصالح فانه يحدثك بما جرى على لانه من عبيد ذات الهمة وهو أدينهم وأزهدهم وإلا ما كان تسبب فى خلاصى (قال الراوى) وكان عقبة قد علم العبد مايقول كما ذكرنا وان عقبة لما قال للمعتصم اسأل العبد التفت المعتصم إلى العبد وقد عظم عليه ماقد جرى عليه وقال له يامبارك من فعل بهذا الشيخ هذه الفعال فقال العبد يا أمير المؤمنين أقسم لقد رأيت لهذا الشيخ كرامات وصبر على البلاء مالا يصفه أحد وانا كنت اعتقد فى ستى ذات الهمة انها من الصالحات بما كنت أرى منها من العباده والجهاد حتى انكشف لى ذلك وبان انه ريا ونفاق حتى يشيع ذلك عنها فى الآفاق وأنا يامولاى كنت معها لما كانت فى العراق هى والبطال واتى ظالم من الحجاز ودبروا على هذا الشيخ واخذوه من داره واخذوا اخته وبناته معهم وساروا إلى حصن يانس وارسلت مولاتى ذات الهمة خلف ولدها عبد الوهاب تقول له اننى قد أخذت عقبة واخته وبناته وكل من يلوذ به فسر إلى حتى ندخل إلى القسطنطونية ونشتفى منه ونعود إلى بلادنا وان الرساله لما وصلت اليه سار اليها هو وسائر بنى كلاب والسودان الانجاب وأول يوم وصل الامير عبد الوهاب إلى حصن يانس قتلت الاميره أخت عقبة وبناته فرحا بقدوم ولدها عبد الوهاب ثم أخذوا هذا الشيخ المسكين ودخلوا طالبين القسطنطينيه فخرج ملك الروم إلى قتالهم فنصروا عليه وكسروه وباتوا تلك الليلة فرحا بالنصر والظفر يقولون هذه الليلة

نتال من عقبه ماتريد وفى هـذه الأيام يـكون صلبه ولـكن قدموه حتى نعذبه قبل صلبه ثم قدموه وقطعوا يده كما ترى واخصوه وهوصابر على البلاء وجعل يتوسل اليهم وهم يضحكون عليه ويضربوه ويقولوا لى عذبه فأول من ضربه أنا ياأمير المؤمنين وما علمت كيف القصة بل كنت أسمعه يقول لمولاتى ذات الهمه وهى تعاقبه بحرمة مولانا المعتصم لاتفعلى بى أكثر من هـذه الفعال فقد أعدمتينى اليمين وبقى الشمال وان كنتى تريد قتلى فى كرة واحدة فأنا وحق المصطفى أجعلك فى حل من دمى قبل موتى حتى لايـكون لمسلم منى أذية فى الدنيا ولا فى الآخرة فكانت ياأمير المؤمنين إذاسمعت منه هذا القول تقول له تـكذب ياملعون ماأنت إلا نصرانى وكان يدخـل فى عقولنـا ذلك إلى أن سلمته لى فى تلك الليـلة وهو مقطوع اليـد

﴿ تم الجزء الثامن والستون ويليه الجزء التاسع والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء التاسع والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(ثم قال العبد) فرأيت عقبة يا أمير المؤمنين كلما اشتد به البلاء يقول يا إلهى بحرمة القرآن لاتؤاخذهم فانهم مجاهدون فى سبيلك وأنا ما فى منفعة للناس إلا أن أعلمهم شيئا من القرآن وأمور دينهم وبقيت أنا متشكك فى ذلك مما سمعت من ستى ذات الهمة فى حقه فنمت فرأيت فى منامى كأن أبواب السماء قد فتحت ونزل منها أقوام كل واحد منهم لو اطلع بوجهه الى الدنيا امتلأت نوراً وكلهم بثياب خضر ودخلوا الى الخيمة وأحاطوا بهذا الشيخ وجعلوا يقبلون يده المقطوعة ويبكون عليه فتخيل لى يا أمير المؤمنين أنه فى اليقظة وأنهم قد أتو يخلصوه وكأنى هممت أن أتقدم الى سبقى واذا بأحدهم قد أخذ بقوائمى وأقعدونى وقال لى إقعد يا من خسر الدنيا والآخرة لأجل متاعك لهذه المرأة العاهرة ذات الهمة الغادرة ، فقلت أنا يا أمير المؤمنين وكيف ذلك وهى مجاهدة فقال صدقت هى مجاهدة فى الأولياء لا فى الأعداء فقلت وما معنى هذا الكلام ؟ فقال معناه هذا الشيخ المظلوم الذى قد غضب الله على المعتصم من أجل تغافله عنه فانه يعلم أعداءه ولا ينصره عليهم ، فقلت يامولاى كيف ينصره وهو نصرانى فقال يا نصرانى هم يقولون عنه أنه نصرانى فقلت أنا والذى يفعل معه جميل يدخل الجنة ؟ فقال نعم يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب فقلت أنا والله أطلقه إذا اشتغلوا بالقتال وأسير معه الى المعتصم وأقص عليه هذه القصة حتى يأخذ له حقه فقالوا إن أنت فعلت هذا فنحن نضمن لك على الله الجنة فقلت ومن أنتم فقالوا نحن ملائكة السماء وقد نزلنا الى زيارة هذا العبد الصالح لعظم صبره على البلاء

ثم انتبهت بعد ذلك يا أمير المؤمنين وأنا أقول هذه أضغاث أحلام حتى سمعت عبقة وهو يقول الحمد لله على هذه المنزلة والله ما ظننت أنى أهلا لهذا ولا أصل اليه فقلت يا هذا ما الذى تقول وما الذى رأيت ؟ فقال لى ياولدى الساعة كان عندى ملائكة ربى وقد أوعدونى أن يكون خلاصى على يديك فعندها صح عندى المنام يا أمير المؤمنين وعلمت أن هذا الرجل ركن من أركان المسلمين (قال الراوى) هذا والمعتصم يسمع ويبكى حتى بل ذوائبه وعقبة يقول إلهى ان كنت قد قتلتنى فقرب ما بعد مدتى ولا تضيق صدر مسلم مؤمن بك الى أجلى ولاشك أن هذا الصالح أراد يقول عنى هذا وإلا من هو عقبه حتى يكون له عند الله هذه المنزلة فعندها قال المعتصم بحق الله عليك ياقاضى اجعلنى فى حل لأجل قعودى وبعد هذا فلا نصرنى الله إن لم أنصرك فقال عقبه يا أمير المؤمنين ومن هو حتى تقول هذا المقال إلا أنى طامع فى جاهك يوم القيامة وحق من خفف الألم ما بى ما جرى على وما بى إلا أن يطعموا الأعداء فى هذه الدوله العباسية ويزيلون دعوتها بالكليه فقال المعتصم وحق آبائى وأجدادى لأقلعن من الدنيا آثارهم ولأخربن ديارهم ولأجمعن عليهم كل من فى خراسان من الأتراك والأعجام ولابد من قصدهم وأقلع أصولهم وفروعهم وأشتت جموعهم فقال عقبه وقد قعد وتسند يا أمير المؤمنين هذا أمل بعيد لانك ان دخلت اليهم الحجاز طال الأمر واجتمعت القربات وسفكت دماء المسلمين واذا رأوا الغلبه دخلوا الى بلاد اليمن ولاتنال منهم طائل والحيلة عليهم أحسن من الرواح اليهم فقال المعتصم وكيف تكون الحيلة فقال عقبه أنا أدبر هذا يا أمير المؤمنين لأجل شفقتى على المسلمين وهو أنك تخفى عن الناس شهرا من الزمان وتظهر أنك مريض وتترك الواثق بالله فى منصب الخلافة ولاتطلع على هذا الامر إلا من تثق اليه مثل الوزير الفتح بن خاقان وبو عمك العباسيين وغيرهم ممن يبغض الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب وأنا أملى على الوزير كتاب يكتبه بخطه الى عبد الوهاب قبل خروجه من بلاد الروم وتحصينه فى الحجاز وترى كيف يتساقون اليك ويحضروا بين يديك واذا حضروا تقبض عليهم وتضرب رقابهم وبعد ذلك تشرع فى قلع دولة بنى كلاب والسودان الأنجاب وتأمر العساكر أن تطلبهم من كل جانب ومكان حتى لايرجع الى الحجاز منهم انسان (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك من عقبه أخذه الفرج وعلم أن عقبه قد قال الصواب فأمر بحمله معه الى الدار والملعون فى غاية الفرح والاستبشار ولما أمن عقبه على نفسه أمر الوزير أن يكتب الى عبد الوهاب ذلك الكتاب الذى ذكرناه بعد ما ظهر أن

المعتصم قد مات وأقعد الواثق فى منصبه وكتب الى الامير عمر ووالى والى الولاة القريبة يأمرهم بالقدوم الى بغداد ولم اطلع أحد على هذا الحال بل كل أمير يقدم ويريد أن يبايع الواثق يقول الوزير اصبر حتى يأتى الامير عبد الوهاب فان المعتصم قد ذكر قبل موته أن له مع الامير عبدالوهاب وصيه وعبد الوهاب يعلم من هو الخليفة بعد المعتصم فصار الوزير يصبر الأمراء حتى قدم الامير عبد الوهاب كما ذكرنا وجرى من القصة ماشرحنا وعقبه يعتقد أن الاميره ذات الهمة تصدر مع ولدها الى بغداد فأعاقها ذلك المرض كمايشاء رب العباد وقبض المعتصم على الامير عبد الوهاب والبطال كما ذكرنا وعاقبهم بذلك العقاب (ياساده) ومن شدة ماجرى على البطال قال يا أمير المؤمنين لمن تهدد بهذا المقـال فهل هى إلا موتة واحدة فاضرب رقابنا وخلصنا من هذه الدنيا الغادرة فقد علمنا ما نلتقى فى الآخرة ووالله ليطولن وقوفك معنا بين يدى رب العالمين اذا طويت السـموات والأراضين وأخذ للمظلومين ثم أنشد يقول :

أما والله ان الظلم شؤم　　ومازال المسىء هو الظلوم
ويحكم بيننا فى يوم عدل　　إله عادل بين الخصـوم
الى ديان يوم الدين نمضى　　وعنـد الله تجمع الخصوم

(قال الراوى) ياساده هذا وعقبه ينظر اليهم وهو الى جانب المعتصم يعصر عينه ويقول للبطال يا ولدى يا أبو محمد لقد كنت أخاف عليك من مثل هذه النوبه وأسأل الله تعالى أن يعطف قلب الامير عليكم ولايفجع المسلمين فيكم وأما أنا فأنتم فى حل من قبلى ولاطالبكم الله من قبلى ولاطالبكم الله بما فعلتم فى حق (ياساده) هذا والمعتصم قد زاد به الحنق وتحادر من جبينه العرق وقال لمسرور دونك ورأس هـذا الاسود عبد الوهاب واضرب بعده رقبة البطال نسل الكلاب فعندها تقدم مسرور والسيف فى يده مشهور وقد احترق على الاميرين كبده وكان ذلك من أعظم الاشياء عليه وهو يتشاغل عنهما وينتظر من يقوم فيهما وينتظر من يقوم بشفع فيهما هنالك قام الوزير الى قدام الخليفه وقبل الارض وهو يرتعد من الخليفة وقال يا أمير المؤمنين تأنى فى أمورك والمخاطبة واعلم أن العجله غير محمودة العاقبة وما تركنى أمير المؤمنين وزيرا حتى أحمل أوزاره وأكتم أسراره وأخمد عند الغضب ناره وأنت تعلم أن خلف هؤلاء من يأخذ بثارهم مثل الاميره ذات الهمه وظالم بن عبدالوهاب والسودان وبنى كلاب وما يبلغ الخبر الى ذات الهمه وتقعد عن نار ولدها عبـد الوهاب والبطال له

أيضا من يطلب تاره ويراعى أخباره وهم أولاده مذبحون والحصين وباقى غلمانه الذين شأنهم فى اللصرصية أعظم من شأنه والصواب أنك تترك هؤلاء فى السجن الى أن تجتمع العساكر من كل جانب وتقصد ذات الهمة ومن معها من بنى كلاب وإذا أهلكتها وأهلكت من معها من الشيوخ والشباب عند ذلك فتمكن من البطال وعبد الوهاب (قال الراوى) فلما سمعوا أرباب الدولة هذا الخطاب قالوا هذ هو الصواب وتكلموا المتعصبين للأمراء المجاهدين وشد منهم كل من له تقى ودين وانفطرت مرارة اللعين عقبه وماقدر أن يشاقق الحاضرين ورفعوا الأمراء الى السجن والمعتصم مطرق برأسه الى الارض لايرد على أحد جواب بل فكر فيما يدبر من الأمور والأسباب وهو متندم فى قتل الامراء ومؤخر وعقبه يحكى حكايات الملوك ومن قتلوا من الامراء والحجاب والكتاب ويعرض بذكر عبد الوهاب فى كل خطاب ويفتح الى قتله ألف باب حتى تقضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وتفرقوا أرباب الدوله وختم المجلس ولم يبق إلا الخدام وهم فى الخدمة قيام وقد عول القاضى عقبه على الانصراف فلم يمكنه الخليفه من ذلك بل قال له أقم عندى فلى معك حديث فعاد عقبه الى مكانه وجلس وجعل تارة يقرأ القرآن وتارة ينزل منازل العلماء وأرباب الاديان وتارة يحكى أحاديث ملوك الزمان حتى صار ربع الليل وأقبل المعتصم على الوزير وقال له اعلم أن فى قلبى من هؤلاء القوم نارلاتطفى ولا أجد عليها اصطبار وما أطفى ما أجد من الاشتعال إلا بقتل عبد الوهاب والبطال وأنت الذى منعتنى اليوم أن أضرب منهم الرقاب وخوفتنى من ذات الهمة وبنى كلاب أتكون ذات الهمة أنفذ من أمرى فى البلاد وتقدر تجمع ما أجمعه أنا من العساكر والاجناد فقال الوزير يا أميرالمؤمنين ومن هى ذات الهمه فى الناس حتى تقاوم دولة بنى العباس وانما هو عفوك عنهم اذا وقعوا فى يديك هو الذى يقوى عزمهم حتى يتجرؤا عليك ولو انك اذا قدرت على أحد منهم أن تذل به الآخر انذلوا هم وغيرهم ولا يبقى على وجه الأرض من يبذل فى وجهك سيف وذات الهمة اذا سمعت أن ولدها قد هلك انقطع اياسها وذلت وان هى أقامت فى هذه الارض والديار كاتبت نت فى شأنها أهل الأقطار وترسل لها عساكر الاسلام والكفارفيوقعوا بها الذل والدمار ولايبقوا من بنى كلاب ديار (قال الراوى) ولم يزل الوزير مع المعتصم حتى قال المعتصم لابد لى من قتلهم وأريد منك الساعة أن تقوم وتأخذ معك الخدم وتخرج البطال وعبد الوهاب من المطموره وتنزل بهم الى دجله وتركب بهم فى بعض الزوارق الى ان تصير فى وسط الشط وتربط فى رجل كل

واحدمنهما جرتين بعد أن تملأهما رصاص وترميهما فى وسط التيار ولاترميهما حتى تقلع عيونهما وتأتى بهما الى علامة فقال الوزير السمع والطاعة يا أمير المؤمنين ثم قام الوزير وقلبه قدامتلأ غضب على عقبه وعلىالمعتصم كيف يسمع من عقبه وأرادوا الخدم أن يسيروا مع الوزير فقال الوزير مالى بكم حاجة غلمانى يكفونى وما ثم أمر يوجب مسيركم فقال عقبه أنا أسير معك ان كنت تحتاج الى من يعاونك فقال المعتصم لا يا قاضى أقعد أَنت عندى لأنى أخاف أن تراهم وهم سائرين الى التلاف فيرق قلبك علتهم وتسعى فى خلاصهم ولاترى فى ديتك هلاكهم ويعود يأتينا منهم مالا نريد فاقعد فقعد عقبه بغير اختياره وهو يقول فى نفسه وحق المسيح ما أردت هلاكهم إلاوعينى تنظراليهم ثم جعل يحدثالمعتصم ويشاغله حتى لايقع به ندامه (قالالراوى) وسارالوزير ومعه أربعة منغلمانه وأطلعوا الاميرين منالمطموره وطلب بهماالدجله وأمر غلمانه فأتوا اليه ببعض الزوارق ورفعوا الاميرين اليه وطلع الوزير وأحدقوا به غلمانه حتى صار فى وسط التيار والاميران ينظران لى ذلك ولايعلمان مايرادبهما فأقبل البطال عليهما وقال ماالذى عولت انتفعل بنا أيها الوزير فبكى الوزير وأخبرهم بالحال وقال والله لو قدرت أن أفديكما بروحى ومالى لفعلت ذلك ولقد توصلت الى خلاصكما بألف حيله فلم أقدر علىذلك وقد علمت انكما مظلومان وقد حرت فيما جرى فدبر أنت يا أبو محمد ماترى وما ينجيكما من الخطر والبلاء ولا ينالنى منه ضرر فانى فاعل ما أمرتنى فقال البطال عندى من الرأى أن تحضر اثنين من السجن يكونان قد قتلا واستحقا القتل ويكون الواحدأشقر والآخر أسمر وتقلع أعينهما وتغرقهماوتطلع بأعينهما الى أمير المؤمنين فتبرد قلبه وتبرأ أنت من التعب وتطلقنا وتربح ثوابنا ولايضيع ذلك عندنا فقال الوزير هذ هو الرأى الصواب ثم انه أرسل فى الحال الى السجن مع غلمانه واوصاهم ان يكون الواحد اشقر والآخر اسمر فاحضروا باثنين فى الحال فقال لهما الوزير ماحبسكما عند الخليفة ولأى سبب من الأسباب ؟ فقالوا أيها الوزير جرى منا الذنب ونستوفى ونجازى فيما فعلنا لاننا اخطأنا وقتلت انا فلان بسبب كذاوقتلالآخر رفيقى فلانبسبب كذا فقالالوزير على بذلك لكناستخبرتكما حتى شهدتما على انفسكما ثم ان الوزير أمر بقلع أعينهما فقلعت وأخذها الوزير ثم ثقلهما بالحديد والرصاص وأرماهما الى الدجلة فى التيار ثم أرسل الأميرين مع غلمانه يوصلوهما الى البصرة وينزلاهما فى مركب ويعودان ثم طلع فى الحال الى الخليفة واستأذن عليه فأذن له بالدخول وكان عقبه عنده فلمادخل الوزير بالاعين وكان الليل

قد تنصف فلما نظر الخليفة الى الأعين برد ما بقلبه وزال همه وغمه وقال هكذا عاقبة الظلم تعود على أربابها هذا وعقبه طار عقله من الفرح وقال يا امير المؤمنين وحق محمد ما تكلمت فى حقهما لأجل مافعلوا فى حقى لان الدنيا مالها عندى قدر ولاقيمة حتى أبكى عليها وانما أبكى وآسف كيف يتحكمون فى هذه الدولة بعدى وينالوا مايشتهون والساعة فما بقى الا التدبير فى هلاك ذات الهمة وقد هديت الفتن فى الارض وتمهدت لك طولا وعرض فقال المعتصم اكتب الكتب الى سائر الاقطار واجلب العساكر الى العراق ولا أبق احدا من أهل النفاق ثم دخل الى بيت الحريم وأقام عقبه مع الخدام وقلبه قد امتلأ فرح وسرور وغبطة وحبور (قال الراوى) وبعد ايام وصلت اجساد العبارين فى دير ريحان وكان الناس مشككين فى قتل الامراء وكانوا قدسمعوا بتغريقهم ولم يصدقوا ذلك فلما نظر اهل دير ريحان الى الجسدين وقد طلعوا عندهم ورأوا الواحد أسمر والآخر أشقر فحققوا القول بهلاك الامراء فبكوا عليهم (قال الراوى) وكان للبطال صديق فى دير ريحان يقال له محمد العيار فلما نظر الى الجسد جرى عليه مالا يجرى على أحد وأخذ الجسدين الى داره واقام الى الليل وستر الاثنين وحملهما وسار طالب مليطه الى عندالاميره ذات الهمه (قال الراوى) وكانت الاميره ذات الهمه قد قامت موضعا بعد مسير ولدها الى بغداد إلا أنها فزعانه من المنام وكانت متطلعة الى أخباره حتى وصلت الخيل التى كانت سارت معه وأخبروها بالحيلة التى تمت على الامير عبد الوهاب والبطال فوقع بها البلبال واضرم فى فؤادها نار الاشتعال وقالت ان سلم ولدى فى هذه النوبه فما يكون الا من العجائب لان قلبى قد ايقن بحلول المصائب فقالوا لها الواصين نحن بعدهروبنا سمعنا انالخليفه قد اهلك الاثنين وما عرف احد كيف كان هلاكهما وما امكنا نحن نتيم نصحح الخبر لاننا ما صدقنا بالنجاه (قال الراوى) فلما سمعت الاميره هذا الخطاب ايست من ولدها عبد لوهاب والبطال فوقع بها البلبال واشتعل فى قلبها نار الالتهاب وكذلك أولاد البطال ومافيهما إلامن بكى وناح واحترق فؤاده وصاح وعولوان ينحدروا الى العراق واذاقدم عليهم محمدالعيار ومعه الصناديق وفيهما الابدان ودخل على الاميره ذات الهمه وهى فى بيت الاحزان وبكى فى وجهها وقال لها ماقد جرى وكان فعندها غابت الاميره عن الدنيا وقامت الى الصندوق الذى فيه جسد ولدها ونظرته فرأت السمك قد أكل وجوههما فضمته الى صدرها ونشرت شعرها وقطعت ذوائبها البيض لما عيل صبرها وتحادرت دموعها على خدودها ونحرها وكشف التابوت وقالت الحمد لله اللهم لااعتراض

عليك يا ذا العزة والجبروت انت الذى تقضى وتمضى وتمرض وتشفى وتميت وتحيي وتفقر وتغنى وماأفعل هذا اعتراضا عليك ياذا العزة والجبروت ولا مفر منك إلا اليك فبحرمة سيد البشر وفخر ربيعة ومضر الا مارزقتنى الصبر على القضاء والقدر وأن تعيننى على هذه النازله التى طرقتنى عند الكبر (ياساده) وانهتكت عذينه بنت البطال لما نظرت الى جسد أبيها وغشى عليها من شدة البكاء والانتحاب وأصاب ولده الحصين أعظم مصاب وضجوا السودان وبنى كلاب وأرخوا العمائم فى الرقاب وقطعوا الشعور ودقوا الصدور ولطمت نورى على وجهها حتى غشى عليها وا كلت من شدة الحزن لحم يديها وفرحوا بنى سليم الفرح الشديد وكان ذلك اليوم عندهم مثل يوم العيد وقالوا لبعضهم بعض هذه النوبة كلها من تدبير عقبة بن عمنا الرجل الصالح وقد أنفذ الينا وأعلمنا بصفة الكائنة منذ وصل الى بغداد وأخبرنا انه كان يدبر على هلاك الأعادى والحساد ويدعو عليهم فى صلاته والاجتهاد وما كان الله تعالى بالذى يخيب دعاء تلك الشيبة التى ابيضت فى الطاعات وتعبدت فى الليالى المظلمات وسعت فى المصالح والعبادات (قال الراوى) ولم يمسى المساء حتى بنت الأميرة على الجسدين قبرين ولبست السواد هى وجميع الأولاد وبنى كلاب والسودان والأنجاب وبقية النسوان والبنات والصبيان وجلسوا الناس للعزاء سبعة ايام وضعف بصر الأميره من البكاء لأنها كانت طول الليل قائمة وطول النها صائمة وهى للقبر ملازمه حتى نحل جسدها واندق عظما وانحنا ظهرها وهى ترثى الأمير عبد الوهاب بهذه الأبيات :

بكيتك لما طبق الشيب عارضى ... واعرض برق كالحسام لموع
فذكرنى أيام روض اجتماعنا ... أفيق وأرواح النسيم تضوع
وعاودقلبى الذكرأن يحن جبرة ... وأنت وقلبى والسرور هموع
جور أتاها عند آخر عمرها ... مصاب امسى لاتحتويه ضلوع
فقدت اميرا كان انساً لوحشتى ... وكان لقولى سامعا ومطيع
وراياته قد فللت وسيوفه ... مقاتلة والحاسدين هجوع
ولا بد مما آخذ التار بعده ... ولو أن أهل الخافقين جموع
وأترك أطلال العراق خلية ... قفارا ولايرجى لهن شفيع
سلمنا من الكفار فى كل محنة ... وكنا بأيدى المسلمين وقوع
فلو كان بين الروم أضحى مجندلا ... لكان لنا عذر هناك وسيع
ولكن اضحى فى المياه مغرق ... تخطفه الحياة وهو صريع

عليك سلام الله ماهبت الصبا　　وما عاد نبت يانع وربيع

(قال الراوى) وكانت نورى وبنتها عذيبة وجميع الأولاد كلما ندبت الأميرة ندبوا وبكوا وانتحبوا إلا أن أعظمهم اشجان وأشدهم مصاب عذيبه لأنها كانت كلما قامت وقعدت ترى قبر أبيها تندب وترثيه وتقول :

ايا عين جودى بالدموع السواكب　　ولا تصبرى فالصبر ليس بموجب
لأن فؤادى ليس يطفى لهيبه　　اذا طربت روحى وحنت الى أبى
فيا ابتى لو يحضروا بك اخوتى　　بكل همام فى الأمور مجرب
يا أبتى اليوم أصبح عقبة　　بمقتلك فرحان اللعين بن مصعب
أيا أبتى نال المنى فيك عقبة　　وأصبحت تحت الأرض فى بطن سبسب
ايا ابت لا بد من صلب عقبة　　ولو علقت يدى المنون بمركب
أيا أخوتى قوموا لثار أبيكمو　　خذوه من الملعون والجاهل الغبى
وسيروا الى أرض العراق　　وقلبوا جوانبها مابين شرق ومغرب
وجازوا أمير المؤمنين بفعله　　فيصبح ندمانا على فعله الغبى
ولا بد مما تقبل الروم نحوه　　وتقصده الصلبان من كل قمرب
فشفوا العدا من ترس قبر محمد　　ونكست الأعلام من فقدها أبى
فأبكوا بأجفان عليه قريحة　　ونوحوا على البطال فى جنح غيهب
وقولوا الرهبان الصوامع فتحوا　　صوامعكم وأسعوا الى كل مطلب
فقد مات من كنتم تخافوا جناحه　　ومن يحمى الحرب عين عترة النبى

(قال الراوى) ولما انفصلت أيام العزاء دخلت أولاد البطال وأولاد عبدالوهاب ومعهم جماعة من بنى كلاب والسودان والأنجاب الى عند الأميره وشاوروها فى أخذ التار والمسير الى بغداد فقالت الأميره ياقوم ما تحتاجون الى المسير الى بغداد ولكن اجمعوا ما قدرتم عليه من العباد فان الخليفة مافعل بالأميرين هذه الفعال الا وقدعول على حربنا والقتال ويقصدنا أين كنا وما يتركه عقبه يغفل عنا وما فى الأمر الا أن نخرج بنى سليم من عندنا ونقول لهم ارحلوا الى أميركم فى العراق وكونوا عنده فان الخليفة لابد أن يطلبنا ويرسل لنا عسكر من قبله فيثوروا هؤلاء الينا ثورة على غفلة منا وبعد هذا يا ظالم سر أنت الى الحجاز واجلب لنا من بنى أعمامنا وحلفائنا من يعيننا ويكون عندنا اذا طلبنا عدوا والا أقمنا مجاورين قبر أبيك ونحن نقيم فى وجوه الروم حتى ينفذ أمره فينا الحى القيوم فقال ظالم هذا هو الصواب ثم أمر من يومه

فنادت المنادية فى البلد أن لايبقى أحد من بنى سليم الا ويأخذ ماله من الأولاد ويطلب بغداد ومن أقام بعد هذا النداء ثلاثة أيام أخذ ماله وحل به البوار (قال الراوى) فلما سمعوا بنى سليم النداء أخرجوا من ملطيه أموالهم ورحالهم ونساءهم وأطفالهم ولم تأتى ثلاثة أيام الا ومابقى فى البلد من بنى سليم أحد بل صاروا الكل ظاهر البلد ورحلوا يطلبون بغداد وقد نما الحسد فى قلوبهم وزاد وأصبحت منازلهم خاوية وأقام ظالم بعد ذلك ثلاثة أيام ورحل فى مائة فارس يطلب الحجاز ليجمع العرب ومعه من الأميرة الكتب بما جرى على ولدها عبد الوهاب من الأمور والأسباب وأنها تريد أخذ التار ليطفى ما فى قلبها من لهيب النار وسار ظالم على شط الفرات حتى قارب هيت وعرج طالب الحجاز (قال الراوى) فهذا جرى ها هنا (وأما بنى سليم) فانهم ساروا حتى وصلوا الى بغداد ودخلوا فى يوم مشهود وهم ينادون واشماتة الحسود أخرجنا من ديارنا وتشتتنا عن أمصارنا ومابقى لنا مجير ولا محامى ولا نصير وسمع الأمير عمر بذلك فخرج الى لقاهم وفرقهم فى الحارات والدور وأوعدهم بما تطيب به القلوب والصدور وقال لهم قلوا من هذا البكاء والانتحاب ففى هذه السنة تهلك بنى عامر وبنى كلاب ثم انه عاد الى حاله ودخل على المعتصم وأخبره بماجرى على قومه من البلية والضيم وكان عقبه بجانب المعتصم فقال يامولانا لقد خطر بقلبى أن ذات الهمه تفعل مثل هذا وأكثر ولكن ما أمكننى الكلام حتى لايقال أن لى فى هذا غرض وأننى أتكلم فى حق المسلمين الذين هم حماة الدين فقال المعتصم والساعة كيف يكون العمل فقال عقبه مابقى فى الأمر الا أن مولانا يكتب الى سائر الأقطار ويطلب العساكر من الرساتيق والأمصار حتى يهلك من بقى من هؤلاء الأشرار وتخبرهم بما فعلت حتى تنال ما أملت وان رأيت الأمر قد صعب عليك فكاتب ملك الروم وجميع ملوكهم حتى يأتون الى خدمتك ويعينوك على ارادتك لأن ذات الهمه لابد أن تنفذ لى الحجاز وتطلب النجده من العربان وتريد أن تأخذ بالتار وان صدقنى حذرى فيكون ظالم قد سار بجميع العساكر من الحجاز والصواب أنك تقدم فرسانه المشهورة الموصوفة وتكاتب الولاة المعروفة وتترك بعض العساكر تنتظر ظالم بأرض الكوفة وتسير أنت فى باقى الأمم الى ماطيه وتوقع بذات الهمة العذاب والبلية فقال المعتصم هذا هو الصواب ثم انه أمر الوزير أن يكتب الكتب الى بلاد العجم والترك والديلم ويأمرهم بالمسير الى بغداد وكانت عديبه بنت البطال بعد أن سار ظالم الى الحجاز قد قالت للأميرة ياستاه ما لمقامنا هنا من حاجة فالصواب أن أخذ أخوتى وأسير الى بغداد

ونقيم فيها ونحن فى زى العوام ومهما جرى فى العراق من المقال طالعتك عليه فقالت الأميره افعلى ما ترين ودبرى ما تشتهين ها أنا مقيمة عند قبر ولدى وقبر أبيكى حتى أنظر ما يتجدد لنا فعندها أخذت عذيبه أخوتها وغلمان أبيها وسارت تطلب بغداد وكلهم فى زى العوام وعذيبه قد لبست السواد وبقيت كأنها من أولاد العجم التجار لأن وجهها كان أحسن من شمس النهار فهذا جرى ههنا (وأما ماكان من أمر الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فان غلمان الوزير ساروا بهم الى البصرة وقد طاب الهواء للاقلاع لأنهم التجأوا مع قوم تجار سائرين الى الهند فنزلوا معهم فى المركب كما ذكرنا ولم يزالوا مقلعين مدة عشرين يوما وفى اليوم الحادى والعشرين لاحت لهم السواحل وأشرفوا على جزيرة كبش فهللوا وكبروا وأخذهم الفرح والسرور وقال لهم القبودان ياركاب كل من كان داخل السواحل فليتأهب ولا يخلى له شغل فى المركب فعند الصباح ان شاء الله تعالى يكون فى برها ان ساعدنا الريح وزقنا السلامة (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب قال للبطال ماترى من الرأى ننزل فى هذه الجزائر وندخل فى بلاد الهند فقال البطال ايش لنا فى بلاد الهند نحن ننزل ههنا ونكون قريبا من بلادنا والديار ونستمع الأخبار أخير ما نخاطر بنفوسنا فى البحار ولايقر لنا قرار ولاصبر لنا على بلاد الشام ولا بد لنا من العودة ان شاء الملك العلام وما نعود حتى نسمع ما يسرنا من الأخبار حتى لايقع الوزير مع المعتصم فى العتب والتعب والاضرار فقال الأمير عبد الوهاب لقد قلت الصواب والله يا أبو محمد مالى صبر على العجوز الكبيره لأنى أعلم ما تلاقى بعدى من الفراق وما يجرى على قلبها ان هى سمعت بهلاكى من الاحراق فقال البطال لوصبرت أنت عن أمك فما صبرت أنا عن أولادى وزوجتى سيما ابنتى عذيبه لأنى يوما لا أراها أطول من سنة ولكن ما يقدر أحدا يرد القضاء والقدر (قال الراوى) ولم تزل المركب سائرة والريح يسوقها الى وقت السحر وهم سائرين فى قبضة القضاء والقدر واذا بالمركب يتمخض ويتقلقل فتأمله البطال واذا تحته دابة من دواب البحر فى قدر الجبل فقال المرباب ياقوم اغمضوا عيونكم ثم انه أراد أن يطوى القلع واذا بتلك الدابة قد نفخت نفخة وقرضت قرضة واذا بالمركب كل لوح منها فى مكان وقد شرب كل واحد منهم شراب العطب الا من كان فى أجله تأخير وقد أراد سلامته اللطيف الخبير وكان البطال قد عرف هذه الأمور ومعه منها أصول فلما انكسر المركب تعلق وطلب سلامة نفسه لأنه قد علم أن البر قريبا منه وكذلك عبد الوهاب ركب على لوح ولعب بهم الهوى فافترق

كل واحد من صاحبه وهو حزين على فقد حبائبه وقد سترهم الليل بغياهبه والبحر قد هاج وأظهر عجائبه (قال الراوى) ولما انفجر الصباح وأضاء بنوره ولاح مدا الأمير عبد الوهاب عينه واذا باللوح الذى هو راكبه بقرب الساحل فأيقن بالفرج بعد ما كان أيس من الحياة وحل اللوح من يده واذا به واقف على حالته حتى سار على شط الجزيرة واذا هو بجماعة من الرجال يدورون بين الأشجار فسلم عليهم الأمير عبد الوهاب فردوا عليه السلام ثم نظروا اليه فرأوه عريان فقالوا له ياشيخ أنت غريق فقال نعم وقد من الله على بالسلامة فايش اسم هذه الجزيرة وأنتم ههنا ايش تعملون فقالوا هذه جزيرة تسمى جزيرة كيس صبح ونحن قوم طلبنا نجمع العقاقير ونداوى المساكين ثم خلع أحدهم ثوب وألبسه للأمير عبد الوهاب وغطى رأسه بمنديل وقال يا شيخ اطلب البلد واقصد دار الغرباء وهى دار الضيافه واقعد وكل ماطلبت يأتيك حتى يسهل الله لك العوده الى بلادك فقال لهم الأمير عبد الوهاب جزاكم الله خيرا فمن يقال لصاحب هذه الجزيرة فقالوا اسمه شطن وهو أكرم أهل الأرض وأدينهم (ياساده) فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلامهم ودعهم وسارطالب البلد وهو متكل على الفرد الصمد وهو حزين على فراقه لأبو محمد البطال وهو يقول سبحان الله ماقضا أن نموت جميعا ولكن كان ذلك بقضاء الله وقدره ولم يزل سائر حتى أشرف على المدينة فرآها مثل الحمامه الراعبيه قصورها شاهقة وطيور زاعقه وأنهار متدفقه وخلق كثير وماء غزير فقال الأمير عبد الوهاب الحمد لله الذى فى هذا البلد من يوحد الله الواحد القهار ثم سار حتى توسط البلد وسأل عن دار الضيافة فأرشدوه اليها فوقف عليها واذا على بابها شيخ تقى الشيبة حسن الهيبة أسمر اللون مليح الكون عليه ثياب بيض وقدامه أربع غلمان حبش فعلم الأمير عبد الوهاب أن هذا الشيخ هو المطلوب فتقدم عليه حتى وقف بين يديه مثل بعض العوام والغربة مامعها عزة نفس وأنه لماسلم على الشيخ فردعليه السلام وقال له مالك فقال له الأمير عبد الوهاب أنارجل غريب وغريق فقال له ومن أى البلاد تكون فقال له من أرض الحجاز فقال له وما اسمك فقال له اسمى عبد الوهاب فقال الشيخ ادخل الى الدار وابشر بالخير والايسار ثم قال الشيخ لبعض غلمانه افتح الحجرة الكبيرة وقدم بين يديه شيئا يأكل حتى أخاطب الملك فى شأنه ليجعل له كسوة وطعام فلا يخفى أنه من أرباب الانعام فقال السمع والطاعة يا مولاى ثم ان الغلام دخل قدام الأمير عبد الوهاب الى صدر الدار وفتح حجرة الطعام وهى حجرة لطيفة وغاب ساعة وعاد وعلى يده مائدة عليها الطعام وخبز

كثير وتركها قدام الأمير عبد الوهاب وكان جائع فأكل حتى اكتفى ورفع الغلام المائده وقام الأمير عبد الوهاب وجدد وضوءه ووقف يصلى ما فاته من الصلوات وأجفانه تفيض بالعبرات على فراق الأهل والسادات وعلى فراق والدته ذات الهمه وما تلاقى من الحسرات وعلى البطال كيف فارقه فى هذه الديار القاسيات وكان كلما جلس للتحيات يسبح الله تعالى ويصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم سيد السادات ويقول اللهم يا جامع الشتات ويامحيى الأموات وياعالم الأسرار الخفيات ويا كاشف البليات ويا باسط الأرض ورافع السموات ويامن تسبحه الجبال الراسيات وتقر بوحدانيته البحار مع الوحوش الشاردات ويسبح له سواد الظلمات ويحمده اصطفاق زواخر أمواج البحار الزاخرات وتخاف من سطوته الرعود والبروق اللامعات أسألك اللهم أن تجمع على عجوزى قبل الممات ياجيب الدعوات ويا قاضى الحاجات ولما كان الغد من أتته كسوة حسنة وأقام طول نهاره صائم وليله قائم وصار كل يوم يخرج الى ظاهر البلد ويسأل السفار ويلتمس الأخبار وفى قلبه لفقد أمه لهيب ونار (قال الراوى) ياساده فلما كان فى بعض الأيام خرج الوزير فأبصر الملك وقد انزعج ولبست أصحابه السلاح وخرجوا الأجناد الى ظاهر المدينة والملك شطن فى عساكره وسار الامير عبد الوهاب الى ظاهر البلد ينظر ما الخبر واذا بغبار قدر بدر مثل الليل اذا اعتكر وظهر من تحته عسكر مثل البحر اذا زخر كلهم سودان مثل القطران وتحتهم خيول مثل الغزلان وفى أيديهم الرماح السمر والبيارق الحمر والسيوف البتر وهم ينادون ياللنار والنور والظل الحرور وفى أوائلهم فارس أعظم من خلقة الجمل وهو بالحديد قد تسربل ويقول يا للنار أنا الأمير شطا الذى أصاب وما أخطا (قال الراوى) فلما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك العسكر الذى قد ورد علم أنه يريد البلد ونظر الى لمعان العدد وبريق البيض والزرد فتمرر مزاقه وانقلبت أحداقه وأخذته الغيرة لدين الملك الجبار ولما سمع بذكر النار والنور فاشتهى الحرب وعول أن يتقدم الى بعض الفرسان ويسأله عن الخبر ويطلب منه عدة يقاتل بها فى جانب العسكر اذا بالشيخ الذى أنزله فى دار الضيافه قد خرج راكب وخلفه الغلمان والخيول والجنائب فتقدم اليه الأمير عبد الوهاب وسأله عن الحال فقال له هذا عدو وقد ظهر علينا وهو أخو الملك شطن وهو ملك هذه الجزيرة والسبب فى ذلك الأمر أن هذا البلد كان له ملك ومات وخلف هذين الولدين شطن وأخيه شطى الذى قد أقبل وهو رجل جبار قاسى القلب على الأخيار يخالط الأشرار فتركوه الرعية ومالوا الى

أخيه شطن واطاعوه بعدأبيه وكانوا يشكوا من تجبر هذا الشيطان عليهم وظلمه لهم فطرده أخيه من هذه البلد فمضى من غيظه الى عباد النار واستمال قلوب هؤلاء السودان الاشرار الكفار وأباح لهم مال السفار والتجار وجمع هؤلاء الشياطين من سائر جزائر البحار وقدأتى فى هذا العسكر الجرار (قال الراوى) فلماسمع الأمير عبدالوهاب ذلك الخطاب زادت به الحميه وحركته النخوة العربيه وقال للشيخ ماتنعم على بجواد أركبه وسلاح ألبسه حتى أفرق هذا الجيش وأبدد مواكبه وأهزم صاحبه وان أراد ملككم هلاكه اهلكته وان أراد اسره أسرته فقال له الشيخ ياهذا ان النجابة من عينك لائحة وعليك شاهده ولكن نخاف عليك من هذه الكتائب لانك غريب ضعيف (ياساده) فقال الأمير عبد الوهاب ياأخى لاتخاف على من الحمام فمايقدرأحد على ردالقضاء اعطنى لامة حرب وجواد أركبه وانظرمنى ومن هؤلاء العجب فعندها قال الشيخ لبعض العبيد اعطىهذا الرجل كلما يريدفمااظنه إلا بطل صنديد (قال الراوى) هذا يجرى والسودان على أهل الجزيرة اطبقت وصاحت وزعقت وبكلمة كفرها نطقت والصوارم فى اكفها برقت وفاضت الدماء واندفقت والخصوم بخصومها قدتعلقت ولم تكن الاساعة حتى تكاثر العدد على أهل البلد ووقع فيهم النقصان فعادوا طالبين الجدران وقدقل منهم الانصار وانتصر موكب شطا عابدالنار على موكب أخاه وقدنظر اليه وحققه وضربه على عاتقة ضربة الحدد قطع ماعليه من الزرد ونزل السيف إلى جسده فجرحه جرحا مشبع وماعقل شطن حتى أخذه أسير وسلمه إلى سودانه ذليل حقير واذا بالصياح من جانب عسكره انعقد وعسكره قداندق عن البلد وفى أقفيتهم فارس أسود على حصان جرد وقدطلع على شدقيه الزبدوهو ينادى أناترس قبر النبى أحمد وناصر شريعة محمد وهو يضرب ضربات تهلك العدد وتقطع البيض والزرد حتى أدرك السودان الذى كان معهم أمير البلد وطعن منهم فارس فانقلب وآخر فتكبكب والثالث فمال عن المركب ورابع فشرب شراب العطب ونظروا السودان إلى ضربات تورث العطب لاتبقى ولاتذر فتخلوا عن الأميرشطن وولوا هاربين ومانع الأميرعبدالوهاب عنه حتى ركب وهو لايقدر على الثبات من ألما لجراح وعادت السودان لمانظرت إلى فعال الأمير عبدالوهاب وجرت من حوله مثل الذئاب وعاد مقدمهم شطا وقدزادبه الاشتعال وهو لايعلم من فعل هذه الفعال وتناخت ذلك الوقت الرجال وردت خيل الجزيره بقلوب مثل الجبال ودام القتال على هذا الحال حتى أقبل الليل بالانسدال واسبل على الخافقين سبل الدجا ونادوا الناس بالانفصال وعادوا عن الحرب والقتال

والأمير عبدالوهاب قدخلص الأمير شطن وأقبل به على البلد وهو من جراحه فى كمد الاأنه يقول لأهل الجزيره وعسكره ياقوم من كان لقولى سامع مطيع من قريب وبعيد يطيع للأمير عبد الوهاب الغريب فهو والله الذى جلا الظلمه وكشف الغمه وصان هذه البلده من عباد النار وحقن دماء الكبار والصغار ولم يزل كذلك حتى وصل إلى قصره وجلس على كرسى نهيه وامره وأتوه بالاطباء فشدوا جراحه وأسقوه الشراب المنعش فلما وجد الراحه أقبل على الامير عبدالوهاب وقال له ياشيخ جزاك الله عنى كل خير وعن المسلمين فقد شفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل وأريد أسألك عن ماسمعت من فعالك الذى قلته وأنت غائص فى الحرب والقتال ونحن سمعنا أن ترس قبر النبى الماجد محمد صلى الله عليه وسلم الامير عبد الوهاب ابن الحارث بن ظالم بن الملك الصحصاح بن جندبه ابن الحارث الكلابى وان مقامهم فى الثغور فبحق محمد من أنت منهم فقال الامير عبد الوهاب أناسيدهم وأميرهم فقال شطن أنت ابن ذات الهمه أم المجاهدين فاطمة بنت مظلوم قال نعم (قال الراوى) فلماسمع الاميرشطن منه هذا الكلام وعرفانه الامير عبد الوهاب وانه سيد بنى كلاب قام قائما على الأقدام ونزل عن سرير ملكه وقال ياأمير عبدالوهاب بحق البشير النذير ان تجلس مكانى على هذا السرير واعذرنى فيما فعلت فى حقك من التقصير لانى كنت بمعرفتك وبمكانك جاهل غير خبير والآن فبلدى هذه تحت يدك وتحت حكمك وان اناعشت كنت تحت يدك وان أنامت كنت أنت الأمير على هذا البلد والناهى فيها والآمر والأمرلك لأنك أحق واشفق منى على المسلمين وأنت أحق بهذا المكان منى ومن غيرى ثم أنه أوصى الاجناد والوزير والحجاب والامراء وأرباب الاقلام والعساكر والابطال كلهم جميعا بطاعته والقبول لمقالته فأجابوه جميعا بالسمع والطاعة لأجل ماأبصروا منه من القوة والبراعة والشجاعه (قال الراوى) فعندها قام الامير عبد الوهاب وجلس موضع الملك شطن على السرير مقدارساعة لأجل ماحلف عليه الملك شطن وأعاده إلى مكانه بعد مانزل من على السرير وقال له أيها الملك ماأنا إلاعبدك وعندك على سبيل الضيافة ولايجوزلى ان أحكم فى بلادك فانى لاأقدر على الاقامة فى هذه الديار الابمقدار ماأسمع عن بلاد الثغور من الاخبارو أعمل على قدر ماأسمع ثم أنه حدثه بماجرى من المعتصم وماعمل فى حقه فتعجب شطن من حال الأمير عبد الوهاب كرم نفسه فقال له لم لم ترسل الى أهلك ومن يتعلق بك يأتى الى هذه الديار وتملكون هذه البلاد والبحار ويقربكم القرار وتقيمون فى جوارمن يكافيكم وأول ماأسلم اليك هذه البلد وأحكمك فى نعمتى وان عشت

كنت معك من جملة الاجناد والركاب وأنتم الملوك والاصحاب فشكره والامير عبد الوهاب على هذا الخطاب (قال الراوى) وكان الامير عبد الوهاب مشتاق الى الحرب والكفاح غيرة منه على شرع سيدنا محمد المختار وغيظا منه على عبدة النيران (قال الراوى) وكان شطالما عاد عن قتال البلد ورأى الامير عبد الوهاب ولكن ماوصل اليه الاوالظلام قدغشق والليل على الخافقين قدأطبق وشطايقول للسودان وحق النار ماكنا الاعلى غاية الاستظهار وكنا قداشرفنا على أخذ البلد لولا هذا الشيطان الذى لاأدرى من اين وصل الى هذه الديار وهذا المكان ولو كان بقى فى النهار اتساع ماكنت عدت عنه الا وهو مرمى فى البقاع فقالوا له السودان وحق النار لقدرأيناه من صناديد الرجال ورأينا منه مايذهل العقول والابصار على أنه شيخ كبير ولكنه نحرير وبالحرب خبير ومانريد منك عندالصباح الاتكفينا شره ونحن نكفيك شر أخيك شطن فقال على كل حال ماتريدون واناعند الصباح آمركم بالبراز فان خرج هذا الفارس المذكور وطلب البراز ورأيت فيه الشجاعة مايخرج اليه الاأنا فاذا خرجت اليه أخذت روحه من بين جنبيه وقطعت رأسه من بين كتفيه ثم أقام شطا فى هذه النيه حتى بدت غرة الصباح وقامت السودان تطلب الحرب والكفاح بعد ماأضرموا النار وسجدوا لها كلهم وطلبوا منها الانتصار على الامير عبد الوهاب وخرجت عساكر البلد وقدتقدم عليها الامير المهاب عبد الوهاب وهم فرحانين به لاجل قول الأمير شطن ولاجل ما بان لهم منه الشجاعة والبراعة والمروءة وكان الامير شطن قدأصبح فى كرب عظيم من الجراح التى كانت فيه ومن عظمها أدعا بالامير عبدالوهاب وقدمه على جميع العساكر والاصحاب وقال له افعل مابدالك من أمر الملك الوهاب ولعلك أن تصون هذا المكان وتحميه من عباد النيران وتربح الاجر والثواب من الملك الديان الرحيم الرحمن فوعده الامير عبدالوهاب بخير يكون ان شاءالله باذن من يقل للشيء كن فيكون وأقام الامير حتى اصطفت الصفوف واعتدلت المئات والالوف عند ذلك خرج الامير عبدالوهاب الى الميدان وطلب البراز فى طاعة الرحيم الرحمن وأن يشفى قلبه من عباد النيران فخرج مثل الاسد الغضبان وتحته حصان مثل السرحان معود للطعان والضراب مدخر لوقت الجولان وفى يده رمح أسمر من عمل سمهر وعلى رأسه سنان يزهر مقلد بسيف ابتر رزين عريض أخضر صقيل مجوهر من ضرب الهند وسقاية السند ان أومأ به قطع وان هزه برق ولمع ثم ان الامير عبد الوهاب توسط الميدان وصال وجال حتى هدى شعث الحصان وتذكر أمه والديار وماتلاقى بعده من الاحزان ففاضت دموعه

من الاجفان وبكا على الاهل والاوطان وعلى بنى كلاب والسودان والانجاب وأخيه الامير أبى محمد البطال الذى قدخانه فيه الزمان ثم أنشد وقال .

رياح الصبا بالنسيم الذى | يلاقيك من زمزم والمقامى
وإذا مررت بأرض العراق | فاقرى ساكنيها سلامى
وهي على قلب تلك العجوز | لتطفى نار الاسا والغرامى
فان سألتكى فقولى لها | سالم ولكن غريب المقامى
يقلقه الشوق نحو الديار | ويبكى بتعديد نوح الحمامى
ويستنشق الريح من أرضكم | فتزداد نيرانه والغرام
وبعد فقد الاخ من بعدكم | سلبه القضا منى فى بحر طامى
وكنت أرتجيه لى مؤنسا | يؤنسنى بعد فقد الكرامى
فعاجلنى فيه ريب المنون | ولم يبق لى من يرعى زمامى
وكذاك البلاء على عقبه | فقابله الله دون الانامى
تشفى بنا واشتفى قلبه | وقد نال منه بطيب الكلامى
وانى لارجو من خالقى | تمام الذى أبصرته فى المنامى
نبينا الذى قاله صادقا | محمد اعنى النبي التهامى

(قال الراوى) ولما انتهى الامير عبدالوهاب من كلامه قفزمن عسكر الكفار بعض السودان إلى قدامه وكان طويل عريض الاكتاف طويل بين السودان وتحته جواد نبيل ومعه صارم صقيل وفى كفه رمح طويل التعديل فجال مع الامير عبد الوهاب وقد سبقته المقادير وطرقته طوارق اللطيف الخبير وحكم عليه بنار السعير فلم يطل معه المجال حتى صاح به الامير المفضال وطعنه فى جنبه فوقع ومال وشرب كاس الوبال ومال عليه الامير عبد الوهاب وصال وجال وطلب البراز والنزال فخرج اليه فارس أعظم من الاول واقوى واشد حيلة واطول وأحسن رمى وأجمل فلم يمهله الامير عبد الوهاب حتى تمهل حتى الطعن عليه وطعنه طعن الاجل وطعنه في صدره طلع السنان فيه ... وقع الى الارض قتيلا مثل قطعة جبل وطلب البراز فخرج اليه ثالث فقتله ورابع وخامس وسادس ونحو ... فارس بعد فارس الى ان قتل نحو الثلثمائة فارس ... فحملوا الكفار وتلاحقوا ... والتطموا ... الى ... وتوقفت ... من ... الضرب والطعان ... ذلك الى ... قالوا ... واعترفوا بالعجز ... الامير عبد الوهاب المفضال ...

قدعرفت ذلك وماتوقفت عنه إلاحتى أبصران كان يصطلى براز الفرسان والآن فقد بان لى منه ماكان خافيا وتأملته تأملا شافيا وها أناخارج اليه فى حومة الميدان واقوده فى حبال الذل والهوان فقال بعض السودان وحق النار مادخل هذا الشيطان إلى هذا المكان إلاوهو آفة من الآفات وبلية من البليات ولايبرز اليه الامن فرغ أجله وقرب الى المقابر مرتحله هذا وشطا قد زعق عليه وقال له اسكت سكت حسك وعدموك أبناء جنسك ثم ان شطا خرج من غير بطا على جواد سريع الخطأ قدتجبر وسطا وكان الجواد الذى تحته من خيول اليمن وله خلق حسن يصلح للحرب والفتن وعلى صدره من الزرد مارأى مثله أحد ومتقلد بسيف مهند مثل مصباح إذاتوقد يقطع الجلمد وفى كفه رمح مسدد بسنان أجرد فجال قدام الامير عبد الوهاب وقدحير العقول والالباب ونادى وقال ويلك من أى البلاد أنت ياشيطان ومن يقال لك بين الفرسان فعند ذلك صاح عليه الأمير وقال له الويل لك أنت ياكافر بالرحمن ويامن ضل عن عبادة مكون الاكوان ومن عبادة النار والدخان وأماقولك من أنت فأنا الأمير عبد الوهاب سيدبنى كلاب ومقدم السودان الانجاب وترس قبر النبى الاواب وبلاد الثغور مولدى ومن أرض الحجاز والدى ورضاربى قصدى وعليه فى كل الأمور معتمدى وذخرى وسندى وهو معقدى ثم أنه أفشا وجعل يقول .

وان أكون عن جميع أهلى بعيد　　قل فانى من الاله قريب
هو ذخرى فى شدتى ورجائى　　واذا كان سيدى لاأخيب
وان بلانى بوحدتى فهو أنسى　　أرقضا بالسقام فهو الطيب

(قال الراوى) فلماسمع شطا شعر الامير عبدالوهاب صارت عينيه مثل الجمرالأحمر وقامت فى أم رأسه وشخر ونخر وتجبر ونقط الدم من مناخيره من كثرة الحدد وصرخ أشد من صراخ الأسد واومأ إلى الشمس وسجد وتلقاه الامير عبد الوهاب ولم يتزعزع من مكانه حتى علم أنه كل ومل من الاضرب والطعن هنالك حمل عليه حملة من خاص الاهوال والغار ودخلته الحميه لدين الملك الجبار وضربه بالسيف البتار وإذبراسه قدطار فعندها كبروا أهل المدينة تكبيرة الفرح والاستبشار لمارؤا شطا رأسه عن بدنه طار فعندها حملوا على السودان وقد انشرحت منهم الصدور وحمل عبد الوهاب فى أوائلهم كانه الأسد القسور وقاتلت السودان بعد شطا بكسل وفتور ساعة من النهار وقد طلبوا الهرب والفرار وقد عمل فيهم الصارم البتار ومنهم من استأمن وطلب الامان وعادوا أهل الجزيرة الى الامير عبد الوهاب ومعهم أكثر من خمسة

آلاف أسير ومن الاسلاب شيء كثير وكان قد ذهب من النهار أكثره وصار وقت الغياب فدخل الامير عبد الوهاب على شطن واذا هوفى غمرات الموت والنزاع فهناه بالسلامة الامير عبدالوهاب على ماجرى وهو لايسمع ولا يرى فبكى الاميرعبدالوهاب وتلاشئاً من القرآن العظيم الى أن صار وقت الاذان فقضى على شطن نحبه ولحق بربه وماصبح الصباح الا وهو تحت اطباق الثرى وقد احتوى عبد الوهاب على الجزيره ومافيها واطاعته الأمراء والحجاب الكبار والصغار فأخلع عليهم واوهب من يستحق ومن لم يستحق وجعل يتقرب الى قلوب الناس بكل سبب قدم السودان المأسورين وأعرض عليهم الاسلام فأسلم منهم ثلاثة آلاف والباقى أبو عن الاسلام فأمر الأمير عبد الوهاب بضرب رقابهم فضربت الرقاب وسقاهم كاس البوار وأقام فى الجزيره يتنسم الاخبار ومايجرى فى الثغور ويبكى على الامير أبو محمد البطال مساء وأبكار (قال الراوى) فهذا ما كان من الامير عبد الوهاب (وأما ما كان) من البطال فانه لما فرق الموج بينهم ليلة الغرق بقى على رجل المركب ينظر بطرفه الى السماء والكواكب والموجات تلعب به مثل الجبال الراسيات وهو يتضرع بالدعاء الى رب المشارق والمغارب ويبكى على الأهل والأقارب والأولاد والحبايب حتى طلع عليه الصباح وتضحى النهار ومدعينه واذا بالبر أمامه وهو فى شدة شديدة فطلب البر بكل همته ومروته والماء يلعب بخشته حتى ألقاه على ساحل البر وهى جزيرة كبيرة واسعة الأقطار كثيرة الازهار والأشجار فطلع اليها البطال بردان جيحان وهو من الضعف والتعب فى أسوإ حال الا أنه فرحان بخلاصه من تلك الاهوال ولم يزل على الساحل مطروح حتى وجد القوم ورجعت اليه الروح فقام يمشى بين تلك الأشجار وهو كثير الافتكار فى الأمير عبد الوهاب وهو يقول ياليت شعرى ماجرى على الامير الاجل والكهف الاطل وماذا عملت به المقادير والاسباب ليت لو كنا جميع فى هذه الجزيرة والبحار حتى تستأنس ببعضنا بعض عن الاهل والديار فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لا إله إلا الله محمد رسول اللهصلى اللهعليه وسلم ولكن مايقدر الانسان أن يدفع الاقتدار ولم يرد ما حكم به العزيز الجبار (ياساده) ولم يزل سائر حتى تنصف النهار وهو مستوحش بين تلك الأشجار واذ بين يديه أنين فيم يطلبه وهو يقول يارب الأرباب ومعتق الرقاب لعل يكون هذا الامير عبد الوهاب ولم يزل سائر حتى وصل اليه وصار قريبا من الأنين الذى سمعه ومد عينه اليه واذا هو بشخص نائم على سرير وعيناه الى السماء شاخصة وهو يهمهم بلغة عربية من لغة

الجزائر فلما رآه البطال سلم فرد عليه السلام وقد حول وجهه اليه وقال ياشيخ من أين أقبلت فقال له البطال ياولدى أنا غريق وقد أرمانى البحر الى هاهنا وسماع أنينك هو الذى أهدانى اليك وايش تعمل أنت فى هذه الارض وكيف طابت لك الوحدة فقال الصبى أنا رجل مقعد وقد خلقنى الله تعالى لايدين ولارجلين بل جعل فى كل موضع عضو شىء يسير على قدر الرجلين وهى عروق مسداه منشقه مثل الأصابع الا أنها لاتحملنى أقف عليها ولا أقدر أن ابطش بها وأما قعادى ها هنا فما هو سدى على ان أبى ملك هيمور وهى منا مسيرة يومين وهو ملك جبار يطيعه سائر جزائر البحار وتحمل اليه الأموال من سائر الأقطار ولم يرزق غيرى وما أنا أصلح الملك ولا أنا له أهل فأنف منى وخاف أن يبلغ خبرى الى الملوك فتنقص منزلته عندهم ويعايرونه بى فأظهر أنه رزق ولد ذكر ومات وعول على قتلى ظلما وعدوان فلم تمكنه أمى منى وقالت له أنت ما عليك منه انتذه الى موضع لايطلع له منه خبر ولا يطلع عليه أحد من البشر وأكون كلما اشتهيت أن أنظر اليه أمضى اليه وأنظره وأرجع اليك لكوننا ما رزقنا الله غيره فقال لها افعلى ما بدا لكى فأنقذتنى الى هذا المكان وأوصت على الغلمان وصاروا يأتونى كل عشرة أيام بما يكفينى الى عشرة أخرى من غير علم أبى وأمى تأتى الى كل شهر مرة واحدة تنظرنى وتعود مقهورة وأنا قاعد ها هنا على هذه الحاله وحيد فريد وقربة ماء معلقة الى جانبى كما ترى وما عبر بى أحد غريب ولا قريب فى هذه المدة غيرك وما رأيت أناثا من هذا الطريق الا أنت ياسيدى (قال الراوى) فلما سمع البطال كلام الولد وشكواه رق لحاله وحزن عليه وقال والله ماعيشك وعيشتك طيبة ولكن القضاء والقدر لايرد ثم أنه جلس معه على السرير وقد أنس به وقال له أقيم اليوم والليلة ها هنا حتى ترجع الى نفسى وآكل شيئا من الزاد وأسير الى الجزيرة ثم أنه مد يده وأكل من زاد الغلام وقام يسأله عن الجزيرة وأهلها فقال الغلام ياعم ان قلت لك على حاجة تقضيها لى ولا تكسر قلبى ولا خاطرى فقال له البطال أى والله ياولدى وكيف لا أقضى حاجتك وقد أكلت من زادك وطعامك فقول لى ما الذى تريد فقال له الغلام أخاف ما تفعل فقال البطال أنا أحلف لك أننى أقضى حاجتك اذا قلت عنها وكنت قادر عليها فقل ما تشتهى فقال أريد أن تحملنى على عاتقك وتمشى بى فى هذه الجزيرة وتفرجنى فيها حتى آخذ بيدى من هذه الفواكه آكل فانا أكثر حسراتى أن أنتقل من موضع الى موضع أتنزه فيه فقال البطال اركب على عاتقى وافعل ما بدا لك فأركبه وسار به فى الجزيرة وفرجه يمينا وشمالا

وأطعمه مما أراد وأراد الرجوع فزجره وضربه بسيقانه ضرب أشد من ضرب السياط (قال الراوى) ولم يزل البطال حامله يدور به حتى مضى من الليل النصف وبقى مايقدر على الحركة من شدة التعب والنصب فلما تعب البطال قعد الى الارض واستند الى بعض الشجر وقال ياغلام انزل حتى ننام وأنا احلف لك اننى أعود اليك قبل الصباح فقال لا ياشيخ وأنت عاقل وعارف حيلى كيف آمن عليك وأنزل من على كتفك هذا ما يكون أبدا وان كان ولابد لك من النوم فنام كما أنت ساعة وأنا راكب مكانى لأنى انا ما انام الا فى كل شهر ليلة واحدة وباقى الشهر أسهر ومن أيام نمت والى تمام الشهر فرج فقال البطال لاشك ان هذا من الجن قد اعترضنى فى هذه الجزيرة يلعب بى ويضحك على والا فما هذه صفة الآدميين ثم استند الى شجرة من بعض حتى صار وقت السحر والغلام يهمهم على أكتافه ويغنى وقد دلف سيقانه على أكتافه مثل الأوطار ولم يبق له الى الخلاص سبيل ان أنه ان حس به يتحرك من تحته قال للبطال قوم ياشيخ ماشبعت نوم واسترحت والى كم تنام وأنا سهران عليك فقال له البطال نعم أنا نمت طيب جزاك الله كل خير فقال قم الساعة حتى تنفرج على بهجة الصباح ونأكل من هذه الفواكه الملاح وأنت فلا بد ما أقول لغلمانى اذا أتوا الى يجعلوا لك الجراية والكسوه وتكون عبدى ها هنا فقال له البطال أحسن الله جزاك ثم قام به وصار يدور ويقول ماخلق الله هذا النحس فى هذه الصوره الا وهو ساخط عليه ولاساقنى اليه الا وهو ساخط على (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح جعل البطال يدير عينيه فى الجزيره لعله يرى حشيشة يعرفها أو شيء يطعمه اياه ينومه أو يقتله بها فلم يرى شيئا يعرفه فلما أعياه فيه الحيل قال يا غلام ايش قولك فيمن يرد عليك يديك ورجليك فقال وكيف تقدر على هذه الحالة فقال له ياولدى أنا رجل حكيم وعرفت الساعة ها هنا شجرة كنت أرى الحكماء تجلبها الى بلادنا وتطعمها للمقعد ففى تلك الساعة يجدد الله له الحيل والقوى فقال له ياحكيم افعل ماتشاء فأنا من على أكتافك ما أنزل ولا أبرح حتى أنظر رجلين أمشى بهامثل رجليك ويدين مثل يديك فلما سمع البطال ذلك زاد به الغيظ وجعل يدور على شجرة العنب يقطف منه المستوى حتى جمع منه حمل حمار وعصر الكل فى حجر منقور صوان وخلاه فى ذلك اليوم والثانى فقصرته الشمس وحر النهار وصار يغلى كغليان القدر والبطال يتردد اليه والغلام بين كتفيه يأكل من فواكه الجزيرة ويبول ويتغوط عليه والبال صابر ويقول ليتنى كنت غرقت فى البحر ولاجرى الذى جرى ولكن اذا كتب على جبينى

شيء ما أقدر أدفعه ولا أتعداه (قال الراوى) ولما كان ثالث يوم أتى الى الجرن فرأى العصير قد هدى من غليانه وقد استحال طعمه من الحلاوة فقال للغلام انزل ياولدى واشرب وانظر من هذا الدواء العجب واعلم أن لكل شيء سبب وأريد اذا رجعت اليك يديك ورجليك تشهد لى عند أبيك وأمك بما رأته عيناك وما فعلت فقال له الغلام ماتحتاج أنت توصيتى بشيء طاطى الى الجرن حتى أج مجة وأنا موضعى فقال البطال أنا أعلم أن هذا الأمر عظيم وهذا ابن الزانية ماينزل هكذا ثم أنه طاطى الى الجرن وترك الغلام فمه فيه وجعل ينهل حتى قامت عيناه ودار الخمر فى أعضاه وشال رأسه للراحة وقال والله ياحكيم ماذقت قط أطيب من هذا الشراب ومن اليوم ما بقيت أفارقه ولا أنت ياحكيم ومن منفعته ها أنا أحس به يجرى فى سائر عروق والعصب وقد طاب عيشى وأخذنى الطرب فغنى لى حتى أعود أشرب وأبشر من أمى بالخلع والذهب (قال الراوى) فلما سمع منه البطال هذا الكلام علم أنه قد عمل فيه المدام فغنى له وصفق بيديه وعاد قربه من الجرن فشرب نهلة أخرى وكان آخر عهده بالدنيا فلما أحس البطال بذلك رماه من على كتفيه على سريره وهو لا يصدق بذلك من غيظه منه ومما جرى عليه عول على قتله ثم رده عقله وقال هذا على كل حال مايعرف الله وما سمعت منه الكفر وأخاف ان قتلته طولبت به وبدمه فى الآخرة هذا وقد سلمت من أهله فى الدنيا وما الا أطلب الجزيرة وأتركه على هذه الحالة فيكفاه داءوفيه (قال الراوى) ياساده وكان البطال قد سأل الغلام فى هذه الأيام عن طريق الجزيره وقال له من أين طريق الجزيره فأرى له نحو الجزيره فلما خلص منه ركب الطريق وسار حتى وصل آخر النهار الى آخر الأشجار وأشرف على سواقى وأنهار وبساتين وضياع ورستاق كبير وعالم كبير فلما نظر الى ذلك أنس بهم وعاشت روحه وبات فى آخر الضياع وسأل عن المدينة فقالوا له بقى بينك وبينها دون اليوم ففرح بذلك وصار متفكر فيما جرى عليه ومتفكر فى الامير عبد الوهاب ويقول ترى يكون فى قضاء رب العباد يجمع بيننا فى هذه البلاد بعد غرقنا فى البحر وتفرقنا (قال اراوى) ولم يزل كذلك حتى أصبح عليه الصباح وسار يطلب البلد وقد رفق قوم من أهل الرستاق وصار يحدثهم حديث بلاد العراق وهم يسمعون حديثه ويتعجبون ويطعموه مما يأكلون اذا ذكر لهم أنه كان أمير يضحكون ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على مدينة هيمور فرأى مدينة مثل الحمامة البيضاء وضجيج العالم الذى فيها قد ملأ الفضاء فدخل اليها وقد قارب المساء الا أنه منكس القلب لايدرى أين يمضى (ياساده) وهذا فعال الغرباء لأنها تذل السباع وتنكس

رأس البطل الشجاع الا ان البطال قصدالى بعض المساجد فدخل فيه وأقام فيه الى وقت صلاة المغرب واجتمع الناس خاص وعام وأتى الامام فصلى فرض الملك العلام فلما تفرق الناس وعول الامام على الانصراف رأى البطال فى زاوية المسجد قائما وعليه أطمار رثه من ثياب ان السواد وصورته غريبة وحليته من خلقته عجيبه فعلم الامام انه غريب بعيد الدار فخرج ساعة وعاد ومعه غلام يحمل شيئا من الزاد فتركه بين يديه وجلس وقال بسم الله ياهذا الشيخ تقدم للعشاء فتقدم الأمير أبو محمد البطال وجعل يأكل والإمام يستخبره عن حاله ويقول أنارجل غريب بعيد الدار كنت أصحب التجار وأسافر فى البحار الى ان كان فى هذه السنه غرقنا قريبا من هذه الجزيره. وسلمت أناعلى رجل المركب بعد مابنت الأهوال وأشرفت على العطب والوبال لكن كان قد بقى فى عمرى مدة طويله حتى أتمم ماقدبقى على جبينى من الشدة (قال الراوى) فلما سمع الإمام هذا الكلام ونظر الى طرافة بدنه علم أنه من تربية النعم فطيب قلبه وسلاه وحادثه حتى مضى من الليل قطعه وانصرف الامام الى منزله وقام البطال بعده. الى خدمة الملك العلام تحت غياهب الظلام وجعل يصلى ويبكى ويدعوا الى الله عزوجل ويشتكى الى ان فرغ من ورده وصلى ركعتين ونام الى الصباح واذا بالامام قد دخل عليه ومعه ثياب من ملابسه فناوله اياها وقال له ياشيخ أقم ههنا ضيف فى المسجد ولاتضيق صدرك من شيء فلك أسوة بى وبأهلى فشكره الطبال على ذلك وأقام فى المسجد لعله يسمع للامير عبد الوهاب خبر أو يقف له على أثر وكان الامام كلما صلى يتحدث معه فيجده حلو المنطق عذب الكلام غزير المعرفة بالاحكام فقال له فى بعض الايام لم لاتقعد فى جنب هذا المسجد تعلم الصبيان الخط والآدب لانه كان عندنا مؤدب ومات فاذا قعدت تربح الاجر والثواب ويأتى اليك الفضة والذهب وأنا أجيب الى عندك ابن كل محتشم فى هذا المحل ويكون لك منهم المنفعة الجيده فقال البطال افعل مابدالك فانى مطيع لافعالك فلماسمع الملك ذلك صبر حتى اجتمعوا الناس. للصلاة وأخبرهم بماجرى وقال ان هذا الرجل يعلم أولادكم الخط والقرآن والادب والحساب وهو رجل من أهل الدين وفقيه من فقهاء المسلمين ففرحوا أهل المحله بذلك ووعدوه بكل جميل ولما كان من الغد ثانى نهار قعد البطال فى جنب المسجد يعلم الاولاد وأتت اليه الصبيان من كل جانب ومن بعيد وقريب وصار يعلمهم القرآن والعلم والكتابة وأملا عليهم الرسائل وأبواب الحساب ومامضت عليه عشرة أيام حتى كثر عنده الجمع الكثير من الأولاد وسمعوا به بياض البلد ومحتشمته فنقلوا أولادهم اليه

وصاروا يهدون له الهدايا وينعمون عليه الا ان البطال نظر الى روحه بعد الامارة والنهى والأمر والمماليك والغلمان والدور والخيـل والمواشى والانعام والاقطاع والبلاد وفزع الخلفاء والملوك من حيله وتعجب السلاطين من عمله وقدصار فقيه يعلم الصبيان القرآن فقال الحمـد لله على كل حال وهذا أحسن من حملك هذا الشيطان خمسة أيام ويخرى عليك يابطال فعجب من تقلبات الزمان من حال الى حال فسبحان من هو كل يوم فى شان وقال هذا قدحكم به ربى على عند الـكبر وجرى به القضاء والقدرثم صار يكتب الصبيان بأقلام مختلفه ويمثل لهم فى ألواحهم خطوط غيرمؤتلفة ويملى عليهم درر الكلام وغرائب العلوم ابن العالم يعلمه طرائق العلم والحديث وابن القاضى يعلمه علم القضاء والاداب بين الخصمين وابن الوزير يعلمه طرائق الوزارة وصار يقرى كل أحدغير القرآن ما يناسبه بحسن النظام حتى شاع ذكره فى البلدونظروا أهل الفضل الادب الى خطه فعلموا انه انسان كامل مسدد فقصدوا اليه الحكماءوالكبراء مثل البحر الزاخر فمابقى فى المدينه من فيه حسن الاوأتى اليه وقرأ عليه وصار تلميذاً بين يديه ونقل من المسجد الى دار كبيرة وصارله حال وجاه ونعمة كثيره الاان قلبه الى الوطن والأولاد شوقه الى بلاد الثغوركل يوم يزداد وأصعب الاشياء عليه فقد الأمير عبد الوهاب وعدمه فى مثل هذا المكان والوحشة له والبعد عن بعضهم بعض (قال الراوى) ياساده وكان صاحب المدينه رجل كبير يقاله جرنوش وكان جبار ظالم لايجنب المظالم فأتى اليه بعض الايام كتاب من ملوك السودان وكانوا أصدقاء وبلادهم داخل بلاد الهند فأتى منهم كتب مراسله بلغات مختلفات فأعرضها الملك على الوزراء فلم يقرؤا منها حرفا واحدا فيها فاستدعى قاضى البلد وأحضر العلماء والحكماءوالكتاب وأرباب الـكتب أرما المراسله بين أيديهم فمافيهم من عرف يقرأ مافيها العلماء عجزوا فصعب ذلك على الملك جرنوش فقالت له أمراء البلد الذين عرفوا البطال يامولانا ههنا رجل معلم فهو يعرف هذه الخطوط المشكلات وان كانت مختلفات والمسائل الغامضات مايعرفه أحدا غيره فاحضره اليك أيها الملك فانه يقرأ هذه الـكتب والافما فى الدنيا بعده من يعرفها ولامافيها أبدا (قال الراوى) ياساده فلما سمع الملك ذلك قال ائتونى بهذا الرجل الامام لعل يكون فيه من العلم مالايكون فيكم (قال) ياساده فعندما نزلوا العلماء من القصر الى البلد ساعة وعادوا والبطال معهم الا انه لمارأى المجلس محتفل بالناس والملك جالس منكس الرأس أطلق لسانه وسلم بلسان القوم ونثرونظم حتى حاروا الحاضرين ممابه تكلم ورفع الملك رأسه عند سماعه كلامه وقد

عجب من اطلاق لسانه وثبات جنانه وقال له اجلس ياشيخ فقد علمنا انك تنطق عن علم كثير وما يخفى أنك كنت أميرا أو زيرا كبيرا اقرأ لناهذه الكتب وبين لنا معانيها فقد عجزوا عن ادراك ما فيها دولتى فعند ذلك أخذ البطال الكتب ونظر خطها وتبين شكلها وضبطها وحروفها ونقطها وميزها وحسبها وقرأها كأنه قد كتبها فلما سمع الملك ذلك فرح غاية الفرح ومال قلبه الى البطال وانشرح وقال مثل هذا الرجل ينبغى أن يكون وزير وأنتم لافرق بينكم وبين الحمير ثم أمر بالخلع فجعلت على البطال وسلمت اليه مفاتيح خزائن الأموال الذى للملك وجلس فى دست الوزراء والوزير الكبير صار من تحت يده وأطاعته أرباب الدولة والأمراء وأشار على الملك بالعدل فى الرعية فأجاب الى ذلك وقال له تولى أمرهم واقضى فى البلد بأحسن قضية وفتش فى المحابيس الذى عليهم الدم والدين واقضى بينهم بأحسن قضية فعندها وهب وتكرم بجميع ما كان جاء اليه وما أعطاه له الملك وحاسب على الديوان وخلص المال وسيب الناس من الحبوس وبطل غالب المكوس وجاد على الفقراء والمساكين وأنعم عليهم فدعوا له العوام وأحبه الخاص والعام ومضت أيام عكوسه وقطوعه وزالت وعادت نجوم سعده واستقامت وغلبت سعادته سعادة الملك جرنوش فمات بعد ما استوفى أيام أجله والساعات ولم يبق لأهل المدينة ملك الا البطال لأن الوزير فرح فى الملك الذى مات وقال يكون هذا الرجل الملك وأكون أنا وزيره لأنه يصلح للملك وأنا الوزير فخاطبه بالملك وكل أهل الدولة خاطبوه بالملك والإماره بعد الوزارة ورضو به عوام البلد وتجارها فأزال عنهم المكوس ورد عنهم المظالم وأخذ للمظلوم حقه من الظالم وبقى يأمر وينهى ويسامح بالخطا حتى شاع ذكره وعلا أمره وصار يركب فى موكب كبير وعسكر يشرف على البحر والتجار ويتنسم الأخبار من الديار الى أن كان فى بعض الأيام وهو على ساحل البحر واذا بمراكب قد أقبلت والى الساحل قد وصلت فقال البطال لبعض الغلمان اسأل هؤلاء القادمين من أين وصلوا والى أينهم قاصدين فغاب الغلام ساعة وعاد وهو يقول يا مولانا هذه مراكب قد وصلت الى الهند مقلعة من بلاد البصرة وهم داعيين لك بطول البقاء ودوام النعم ورأيناهم أيضا يدعون لرجل قد ملك جزيرة كيش ويقولون انه قد طرح عنهم غالب المكوس ورفع عنهم وما يأخذ الا العشر والحقوق الشرعية كما فعلت وانى سألتهم عن اسمه فقالوا ما هو من هذه الديار وهو رجل غريب دين زاهد عابد يقال له الامير عبد الوهاب قد جمع فيه الشجاعة والدين والكرم وحسن الشيم فالله يمد فى عمره وينفذ فى البحر أمرك وأمره

(قال الراوى) ياساده فلما سمع البطال من الغلام هذا المقال كاد أن يغشى عليه وفاضت بالدموع أجفان عينيه من شدة فرحه بسماع ذكر أخبار الأمير عبد الوهاب واستحى من الأمراء الذين حوله والحجاب وعاد من وقته وساعته الى البلد ودخل الى دار المملكة التى كانت للملك وأصرف الناس ودخل اليها وخلى بنفسه وكتب من وقته كتاب الى الامير عبد الوهاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فهذا كتاب من الغريب المشتاق القلق القلب من شدة الفراق الى الأمير عبد الوهاب الزاهد العابد والأخ المجاهد الذى يقابل القضاء بالرضا ولا يعترض على المولى عند نزول البلاء أعلمك بأننى خامك البطال وقد سلمت من الغرق والأهوال وجرت لى عجائب وأمور من بعضها تذوب الصخور وكانت العاقبة بحمد الله خير والفرح والسرور وقد صرت صاحب مدينة هيمور الا أن قلبى من أجلك فى نار لظى وأنا أتقلب لفقدك على جمر اللظى لأنى ما رأيتك هالك فاسلوك ولا علمت أنك سالم فارجوك بل كان قلبى بين الخوف والرجاء وأجفانى مقرحة من البكاء أقاسى السهر والعناء وما زلت أتنسم الأخبار وأسأل التجار والسفار حتى سمعت بأنك ملكت جزيرة كيش وانتصرت على الكافرين فعلمت أن الانسان بسعده لا بأبوه وجده بل باقباله يعيش إلا أننى حمدت الله عز وجل على سلامتك والبقاء ورجوت من ربى قرب الاجتماع واللقاء وقد زاد طمعى فى لقاك الا ياس وأخذنى الى لقاك الوسواس وأنا أقول كما قال بعضهم حيث يقول :

شوقى يزيد على الصفات ... مالا يؤلف باللغات
شوقى كشوق غزالة ... لم تدر ما طعم الشتات

(قال ياساده) ولكن لا اعتراض على من علينا قضا بل نأخذه بالقبول والرضا وفراق الأمير كان قد أنسانى فراق الاخوان وأشغلنى عن ذكر الأوطان الذى نادى فينا وفيهم ريب الزمان وان كان الخليفة قد أبعدونا وأقصانا والى هذه الديار أنفانا فان الله سبحانه وتعالى يرعانا كنا فى بلادنا مكرمين وبين أصحابنا معظمين وههنا نحن سلاطين ومعظمين وقد ملكنا الله بنياتنا هذه الممالك ولكن القلوب تطلب الأوطان والخلان والأولاد وكذلك فى القلوب أوفى مكان وماأقدر أشرح من الشوق أكثر ولا أقل إلا وأنت تعلمه ولا أذكرهما يقلبنى والا وقلبك يشهد لى بذلك ويفهمه وأريد جواب الكتاب بما أنت معول عليه والسلام عليك كلما هبت الرياح وما غرد القمرى وصاح ثم انه سلم الكتاب الى قاضى هيمور وأنزله فى حراقة سريعة السير وأقلعه من يومه وسار (قال الراوى) ولما سار القاضى عبا أبو محمد الخيام والسرادقات

التى كانت للملك وعبأ جميع ما كان فى الخزائن وما يحتاج اليه هذا ما كان من البطال (وأما القاضى) فانه سار ومعه الكتاب ولم يزل سائر الى أن وصل الى مدينة كيش وكان الأمير عبد الوهاب قد افتكر فيما جرى عليه وعلى صاحبه البطال فبكى وأن وأنشأ يقول :

أيا عين جودى بالدموع السواكب ... ولاتجزعى فالصبر أقصى المآرب
فياليتنا أن يجمع الله بيننا ... نعود كما كنا بحسن المراتب
سيبكى على البطال كل مهذب ... وكل كريم طيب من أطايب
تحكم فينا عقبة نجل مصعب ... لعين كفور كاذب فى الكواذب
وأفجع بى قلب العجوز التى لها ... مع الله ظن صادق غير كاذب
مجاهدة قد أنحل الصوم جسمها ... وفى كل يوم تبتلى بالمصائب
ولكن لعل الله يجمع بيننا ... ونبلغ من عقبه جميع المآرب

(قال الراوى) وما فرغ الأمير عبد الوهاب من شعره حتى لاحت له الحراقة وأبصرها بعينه وهى تشق البحر قاصدة اليه فقال لغلمانه ائتونى بخبر هذه الحراقة وأبصروها من أين قد وصلت فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم ساروا الى جهة البحر ثم غابوا مقدار ساعة وعادوا الى الامير عبد الوهاب وهم يضحكون وقالوا له يامولانا ان هذه الحراقة فيها قاضى هيمور وهو رجل عالم زاهد قد أتى اليك رسول يقول ان رجل قد ملكه جديد ويزعم أنه صاحب عقل سديد وقد أنفذ معه كتاب وهو يريد الجواب فلما سمع الامير عبد الوهاب هذا الخطاب رجف فؤاده وكثر به من ذكر البطال الوسواس ونادى يامن يجمع الشمل بعد الاياس ياربى ويارب الناس ترى يكون هذا الكتاب من البطال وهو طيب حتى يكون حديثا عجيب تتحدث به الناس سير ويتعجبون من القضاء والقدر ثم قال لبعض غلمانه ائتونى بالرسول على عجل حتى أسمع مايقول فلم تكن الا ساعه حتى حضر الرسول بين يدى الأمير عبد الوهاب وصقع له وسلم عليه فقال له الأمير عبد الوهاب ياشيخ من هو صاحبك ومن أين أرسلك وأين الكتاب الذى حملك أيها القاضى فقال القاضى يامولاى أما الذى أرسلنى فهو السيد المسعود الكريم الآباء والجدود الذى مثله فى هذا الزمان مفقود الامير الأجل حمود وهذا كتابه اليك ولا أمن عليه أحدا غيرى فتبينه أنت واعرفه واعرف خطابه اليك ثم ناول الكتاب الى الامير عبد الوهاب فلما رآه تبين عنوانه وقراه وعرف خط أبو محمد البطال وبان له الصدق من المحال وما زال يقبله ويضعه على عينيه والرسول

قد بهت اليه وقال صحيح أنه غلام صاحبنا لأنه لما عرف خطه وقع عليه البكاء من شدة فرحه بسلامة مولاه (قال الراوى) ولما فرغ الأمير من قراءة الكتاب خلع على قاضى هيمور وخلع على أصحابه الذين معه الخلع السنية وأضافهم الضيافة الحسنة ثمانية أيام وهم يحكوا له ويضحك وكتب لهم جواب الكتاب بعد أن أحسن اليهم يقول فى أول الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فانى حمدت الله على سلامتك وفهمت ما ذكرته بالتصريح ونريد نطلع الى بلاد العراق على الخيول العتاق ونكافىء من اصطنع معنا هذا الجميل بمثله ونكون عند خروجنا من هذه البلد ملثمين الى أن تبلغ غرضنا من الخليفة ونؤمن الوزير بعد الخليفة وأريد أن لانترك شغلا الاونعمله وأنا فى رأس الشهر أقدم عليك بمراكبى وأصل اليك برجالى ولولا أن المراكب فرغت لما كتبت الاجواب الكتاب والسلام عليك ورحمة الله وبركاته (قال الراوى) وطوى الكتاب وسلمه الى رسول البطال وأمره بالارتحال وعاد الى حراقته هو ومن كان معه من جماعته ورفعوا القلاع وساروا طالبين قلعة جزيرة هيمور وهم من ذلك متعجبين من هذه الأمور وطاب لهم الريح فوصلوا من الغد وهم سالمين غانمين وحضروا قدام البطال وهم مسرورين فناوله الكتاب فزادبه الفرح والسرور لماسمع بعودة الامير الى الثغور وأحضر من يومه أجناد الجزيرة ثم عرض عليهم المسير معه فأجابوه منهم ثلاثة آلاف وخمسمائة وقالوا نحن لك وبين يديك خلد الله نعمه عليك وما نبخل بأرواحنا عليك فشكرهم على ذلك وكتبهم فى ديوانه وأعطاهم الأموال وأوعدهم بالاقطاع والنوال وشرع فى تحصيل المراكب بالشراء وبالكراء والعمارة وتقويتها بالأخشاب وأقام ينتظر الأمير عبدالوهاب ويستعد للاقامات والضيافات حتى انقضت الأيام التى قد بقيت فى ذلك الشهر وهل الهلال حتى مضى من الشهر ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرقت المراكب تلعب بها الامواج وهى تشق ذلك البحر العجاج وكان البطال على الساحل وعسكره وحوله بياض البلد ووجوه الامراء فلما نظروا إلى المراكب السلطانيه قد أقبلت أمر البوقات تضرب فضربت وصاح القراء بقراءة القرآن وكان يوما ماروى مثله فى الزمان الماضى فى هيمور (قال الراوى) ولماسمعوا أصحاب الأمير عبدالوهاب تلك الأصوات الهائلات ورؤا عبيد أبو محمد على جنب البحر يلعبون ويرقصون ودقت العبيد المراكب بأكعابها وصاح الرئيس عليهم حتى تطلعوا والاغرقتوا كلكم فدقوا الدبادب ورقصوا حتى قربت المراكب من الساحل وطلعوا وهم خمسة آلاف أسود غير العسكر الذى جاء مع الامير عبد الوهاب وطلع الامير ومشى وسعى إلى

الأمير أبو محمد البطال ووقع كل واحدمنهم فى صدر صاحبه يبوسه وجعل كل واحد منهم يشكو ماعنده من الوحشه لفقد أوطانه وحبايبه وقدمت لهم الخيول والجنائب العربيه لان أبامحمد البطال سأل عن الخيـل فدلوه على عرب هناك فى البرفبعث لهم واشترى منهم ألف حصان وألف حجره وبعد ماتشاكيا وتباكيا ساعة زمانيه ثم ركب الاميران ودارت بهم الفرسان من كل جانب ومكان وفرحت المقيمين بالقادمين وكل واحد من جماعة أبو محمد أخذو مشيت قدامهما الشجعان حتى وصلاالى البلد وخرجت الاقامات والطعامات الذى استعدهالهم أبو محمد البطال ونزل عسكر الامير عبدالوهاب ظاهر البلد ثلاثة أيام ونقل البطال الى المراكب مايكفى الرجال والعسكرين الى العراق. وخلف على البلد هيمور نائبه وكذلك كان فعل الامير عبد الوهاب وفى اليوم الرابع طلعت الرجال وقدصاروا ثمانية آلاف وخمسمائة كلهم رجال الحرب وليوث الطعن والضرب وقداستكثروا من العدد واقلعت المراكب بعدحل القلوع وشرعت الشروع وصاروا طالبين البصره على كف الرحمن أول يوم والثانى تاهوا فى سعة البحر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء الاميرين (وأما ما كان) من أمير المؤمنين المعتصم فانه كتب إلى سائر البلدان وكذلك كتب الى بلادالترك والتركمان والى بلادخرسان واجتمعت عليه العساكر من كل مكان حتى صار فى العراق خمسمائة ألف من والترك الفقجق سوى أصحاب الديوان وكان هذا الأمر برأى اللعين عقبه لأنه أشار على الخليفه فكتب الى سائر البلدان ان بنى كلاب قدارتدوا على دين الاسلام وطلبوا ان يقلعوا دولة بنى العباس ويولوا الخلافة لأحدهم ويمنعون الحج الى بيت الله الحرام وقد أهلكت منهم من كان عليه الاعتماد وأريد ان أقلع أثر الباقين من البـلاد فلما وصلت هذه الرساله الى بلاد خراسان وبلاد الاتراك فلما سمعوا ذلك خرجت هـذه الطوائف المختلفة الاجناس [illegible] وكان المقـدم على الاتراك آق سنقر والمقدم على الاعجام والديلم [illegible] المتولى على بلاد اصفهان (قال الراوى) هـذا والمعتصم بهذه [illegible] وأخرج الاموال وخلع على الامراء والابطال [illegible] هذه الخلائق وقالوا الذين ينتصبون لبنى كلاب [illegible] الديار [illegible] عقبة [illegible] (قال الراوى) [illegible] جمع [illegible] ألف [illegible] آلاف [illegible]

إلى العراق يطلب ثار أبيه عبد الوهاب فلما سمع المعتصم ذلك أحضر القاضى عقبه واعلمه بالخبر الذى سمعه عن الاميرظالم فقال له عقبه يامولانا قدحسبت هذا الحساب والصواب أن ترسل من هـذه الاتراك بعض ملوكهم فى خمسين ألف ومن الاعجام والديالم مثلهم وتأمرهم أن يسيروا اليهم ويقطعون الكوفة وأرض النجف ويمسكون على هذا الشيطان راس الطريق الى أن يصل ويلتقوه هو ومن معه من الاعراب من بنى كلاب وان يسقون الكل بالنشاب شراب العطب والعذاب ويأتون بظالم أسير ومن قدروا عليه من ذلك الخلق الكثير حتى إذا سرت الى ملطيه كانوا كلهم مشهورين بين يديك فى الحبال والقيود والاغلال وتشرف بهم ذات الهمه فتقطع اياسها من الفرج ولا يبقى لها من ينجدها ولا يخلصها وتهلك بسوء عملها وفعلها وتعلم أنها لاقت ماقدمته يداها (ياساده) فلما سمع المعتصم هـذا المقال والكلام شكر عقبه وقال له ماقصرت فيما به أشرت ثم أنه من ساعته. أحضر آق سنقر ملك الترك وقال له قدكنت معولا بكم الى ملطية واهلك من فيها من الاعداء واتم الى بلاد الروم واملكم اياها واجعل مقامكم فيها والآن قدعاقنى عائق عن هذا الطريق فقال آق سنقر ياأمير المؤمنين ومن هو ذلك العائق الذى عاقك فقال له قد جاءنى الخبر بان ظالم قدسار الى الحجاز واستنجد على بالعرب وعاد يطلب العراق ليأخذ تار أبيه منى الذى اهلكته من زمان لاجل النفاق فقال له آق سنقر ياأمير المؤمنين لاتشغل قلبك بهذا العائق فأنا أكفيك شره ولو أن معه كل من فى الأرض ثم ادعى باياس القفجق وضم اليه مائة ألف من الترك وقال له أريد أن تسير الى الكوفة واذا وصل اليك هذا العسكر فلا تبق على أحد منهم ولا تعود الا والكل معك أسارى فقال له سمعا وطاعة ولو أمرتنى أن أسير الى الحجاز آتيك بكل من فيه من العرب لفعلت ثم رحل من يومه يطلب الكوفة (قال الراوى) وقدذكرنا أن عذيبه بنت البطال وأخوتها مقيمين فى بغداد لأجل مايجرى من الأمور حتى يطالعون به الأميره ذات الهمة والأمير ظالم الا أن عذيبه لما نظرت الى هذا العسكر سائر الى ظالم أقبلت على أخوها مذبحون وقالت ياأخى أخاف على الأمير ظالم من هؤلاء الترك الذى قدسارت تلتقيهم وأنا فزعانة عليهم من سهام هذه الترك فقال مذبحون فما الذى نعمل قالت يمضى منكم واحد مع هذا العسكر فى زى الترك واذا قارب ظالم يتقدم اليه ويعلمه بسيرهم اليه حتى يأخذ أهبته للقائهم أو يوسع فى البر فقال لها مذبحون أنا أسير مع هذا العسكر واعلم ظالم لأن مابقى لنا من نرجوه غير الله عز وجل والأمير ظالم والأميره ذات الهمة (قال الراوى) هذا ما كان من

عذيبه ومذبحون (وأما ماكان) من ظالم فانه سار على طريق الحجاز لثار أبيه وعمه البطال لأنه كان يحبه كثير ومعه ثلاثين ألف من بنى كلاب وعشرة آلاف من السودان الانجاب وهو فرحان بمامعه من الفرسان يطلب أقرب الطرقات وقلبه قدطار لأجل أخذ الثار لايقرله قرار ولايهدى ليل ولانهار لأن أرض الحجاز مدهشه موحشه لافيها حس حسيس الازجر الجن أولاد ابليس فقطعها ظالم بتواتر السير والمراحل وطوى فيها المنازل حتى وقع فى أرض طيبه قدجرت عيونها وتمايلت غصونها وازهرت أزهارها وتجاوبت أطيارها بألحانها مناهلها متدفقة وروايحها فائحه (قال الراوى) فلما نظر الأمير ظالم الى ذلك المكان نزل فيه واستراح ورفق بالمسير والسيران وقال سبحان الله قدغضب على تلك الأرض واوحشها ورضى على هذه الأرض فآنسها وبالزهر نمنمها واثمرها (قال الراوى) وماتم كلامه حتى سمع صرخة عظيمه ارتجت لها الأرض بأقطارها وتراجعت الخيل بركابها وبهتت عيون الفرسان وارتاعت العبيد السودان فقال ظالم للخيل المتدفقه ويلكم ماالخبر فقالوا ياأمير قدظهر علينا عامر هذه الأرض وهو شيطان أسود أغبر يطير من لحاظه شرر النار وقد قبض بيديه أسد قسور وقد نحره بأسنانه كما تنحر البقر وهو ينهل من دمه ويهمهم وينهر ولما سمع حسنا قد صرخ وزمجر وخيلنا قدعادت من هول صراخه تتقهقر الى وراء وهو لايسمع ولايرد جواب (قال الراوى) ولماسمع الأمير هذا الخبر تحير وسار فى اوائل الخيل يطلب هـذا بقلب أقوى الصخر الجلمد حتى أدرك الأسود وإذابه قابض على الأسد وصياح الاثنين قدعلا الان الأسود قدمسك بصدغيه وهزها بقوته فشقها الى حد أذنيه فلما نظر ظالم الى ذلك قال ماهذه الفعال الافعال بطل من الابطال (قال) فتقدم اليه الامير ظالم وسلم عليه فوثب الأسود وقدطلع على شدقيه ضرايب الزبد وقال له أهلا وسهلا بالأمير الأجل انزل أيها الأمير أنت وصحبتك حتى أضيفكم وأسوق لكم سباع هذه الغابه الى بين أيديكم فقال له ظالم يافتى جزاك الله خيرا من أنت من سكان هذا المكان فقال يامولاى ما أنا من هذه الأرض ولا لى فى هذه الأرض أكثر من ثلاثة أيام ياسيدى أنا من أرض النيل وديار مصر السعيده باب مكة أتيت الى عبدان وجده وتوصلت الى مكة وأنا سائر الى العراق وطالب بلاد الثغور فى طلب أخ لى قدضاع منى من زمان يقال له اللملمان ابن دويب بن أبى الفراطيس وقدقاسيت الشدائد ووقعت بعدالشده فى هذه الأرض القليلة الماء والزاد والمقاصد لأنى لا آكل إلا من لحم السباع فيها بلا خبز ولا ملح (قال الراوى) فلما سمع الأمير ظالم هذا

الكلام ترجل الى الأسود وضمه الى صدره وقال له يافتى طب نفسا وقر عينا فأخوك عندك لانك صاحبنا وقد فارقناه وهو فى ملطيه فى غاية الاكرام والانعام فقال جعبر يامولاى وأستاذه الامير عبد الوهاب ايش كان منه أنا سألت عنه فى مكة فقيل لى ان الخليفة عاقبه وقتلوه فقال ظالم كذا كان ومادخلت الى بلاد الحجاز ومكة وجمعت هذه الجيوش الا حتى آخذ تاره مما قتله فقال جعبر يامولانا أتعبت نفسك ولو وقعت عيناك قبل جمعك الرجال ما تركتك تعانى وكنت أنا وحدى سرت بين يديك وأفنيت كل من فى أرض العراق ولو كانوا بعدد الأشجار والأوراق والآن فما بهذا العبد جميعهم من باس فعندها أخذه الأمير ظالم وعاد أمر الناس بالنزول للراحة فى تلك المروج الفائحة ليأخذوا حظهم من الراحة والى راحة الخيل فنزلوا بنى كلاب ونزلت العبيد الأنجاب فى هذا المكان وهم متعجبين من جعبر أخو اللملمان (قال الراوى) فلما نزل ظالم وحضر الطعام وقال جعبر أخو اللملمان بسم الله ياأخى دونك والطعام فصيقع وتأخر وقال يامولاى لاتعودنى على مالا اعتدت به لانى منذ خلقت ماأكلت الا اللحم الأسود الكاسره لأجل انى كنت اتعانى العلاج وشيل الحجاره والعلاج بالعمود والساعة لماتفايقت الفروسيه صرت أقاتل بهذا الدبوس الخفيف (قال الراوى) وكان معه دبوس حديد وزنه ثلاثون رطل وفيه حلق غلاظ إذاهزه عند الجولان أرجف قلوب الفرسان وان ظالم لماسمع منه ذلك المقال علم أنه لايقاس بالابطال فقدمه على جميع العبيد الذين معه وجابهم من بلاد بعيده بعد ماشاورهم فى ذلك فرضيوا به لمانظروا من فروسيته وقوته عند الاسر (قال الراوى) وأقام ظالم بالناس فى تلك الأرض بقية يومه وليلته ورحل عند الصباح فقطع البرارى والبطاح وجعبر فى أوائل السودان راكب الجواد الجواد الذى أعطاه له الأمير ظالم كلما جاع نزل وطرد الوحش واصطاد منها وشواها وأكلها وكان يأكل بغير نار ولا نضاج لأنه لايعرف ولا فرق عنده بين أن يأكل اللحم نيئا أو يأكل اللحم النضيج وعنده كلاهما سواء بل ربما فضل اللحم النيء على اللحم النضيج (قال الراوى) ولم يزل سائر بالجيش الى أن بقى بينه وبين البكرية مسيرة يوم وليلة فقال لهم ظالم ايها الناس من هذا المكان خذوا أهبتكم للحرب والطعان فاننا لا نأمن أن يكونوا خبروا بنا قبل وصولنا الى الحلة فى وقت جهزوا عساكرهم الى البكرية فهم يطلبون أن يأتوا علينا من الطريق ويأتونا بالقتال [illegible] (قال الراوى) فلما سمعوا الناس ذلك أخذوا أهبتهم [illegible] منهم [illegible] الى [illegible] (اياما [illegible]) [illegible]

وأخبره بأن العساكر بين يديه مبرزة من الكوفة وقد مسكت عليكم الطريق بأمر الخليفة والقاضى عقبه وعذيبه أختى قد أرسلتنى من فزعها عليكم وعلى هذه الرجال لتدبر تدبير يعود نفعه عليك وعلى هذه الابطال (قال الراوى) فلما سمع الامير ظالم تم فى سيره حتى بقى بينه وبين القوم دون اليوم وأنزل أصحابه يأخذون الراحة حتى صار بعد العصر وزوال الشمس والاصفرار وقال لهم يابنى عمى اركبوا وتأهبوا وقد عولت ان أكبس فى هذه الليلة تحت الظلا ونكبسهم فى الخيام حتى يبطل حكم نشابهم وتبطل عنا حكم السهام ولايطلع علينا النهار بالصباح الا وقد بلغنا الآمال وقضينا الأشغال وغنمنا المال والخيام بعون الملك المتعال فقالوا مشايخ العرب هذا هو الصواب والرأى السديد ونحن نفعل ما تريد ثم ركبت العرب وأبطالها الصناديد وأيضا ركبت السادات والعبيد وركب جعبر أخو اللملمان قدام السودان كأنه فيل من الأفيال فى ذلك الزمان وساروا على هذا الترتيب حتى صار وقت السحر وأشرفوا على نيران عسكر الأتراك والقفجق وهى قد خمدت نارهم وعيونهم رقدت وهم آمنون من ريب المنون فلم يشعروا الا والصراخ قد ارتفع والفرسان عليهم قد انطبقت والسيوف معاهم فى الخيام قد لمعت فثارت الرجال وانزعجت وطارت قلوبها وانخلعت وصاح جعبر فى جانب العسكر بذلك الصوت المذعر وهز دبوسه حتى كاد يطير حلقه ودعس فى الأتراك وزاد حنقه فما ضرب فارس الا وكردسه ولا رأسا إلا وهرسه (قال) وكانت الاتراك (ياساده) خيولها فى البريه مقيده وقسيها مرخيه فما فيهم من عقل على نفسه الا وخصمه على رأسه يقتله فهنالك حارت العقول وعملت الصول وزل الفارس البهلول وتدمدت الابطال عرضا وطول وكان ليل مهول الى أن بدا الفجر بوجهه الضاحك وبربرت الاتراك وقد عملت فيهم سيوف المهالك وصاحت وماطلعت الشمس على البيداء إلا والارض ملآنة بالقتلى مخضبة بالدماء وظالم وصاحبه قد ملكوا الخيام والأسلاب ونزلوا باقى يومهم فى هذا المكان للراحة الى أن كان من الغدو رحلوا يطلبون الغزاة (قال الراوى) ياساده وأما المنهزمين فانهم وصلوا الى بغداد وهم لايصدقون بالنجاة وكان الخليفة قد برز الى تل عرقوب والعساكر دائرة به من كل جانب ومكان وقد ملأت المشارق والمغارب وهم فى انتظار اياس الجفجق والاتراك الذين معه أن يأتوا بالامير ظالم أسير وأصحابه حتى يشهرهم بين يديه على الجمال ويرحل بهم حتى يكونوا أهيب لاشرافه على الأميره ذات الهمه فلما أشرف عليه كبار المنهزمين

وركبت الفرسان وتباشرت الشجعان ودخلوا الخدام على الخليفة وأخبروه بخبر الغبار فقال لهم كنا فى الانتظار ثم ركب وقال قولوا للقاضى عقبه يخرج فى القراء والفقهاء ويستقبل أهل البغى والنفاق حتى نشهرهم قبل مسيرنا من العراق ليبلغ خبر فى سائر الآفاق فساروا الخدام الى عقبه وأخبروه بذلك فركب وركبت الفقهاء والعدول لأن قوله فيهم مسموع مقبول وقد نجح الطيلسان وهو بذلك الأمر فرحان وهو يقول انقطعت دوله بنى كلاب ولما صار قدام الخليفة خدم وترجم وقال يهنيك يا أمير المؤمنين بظفرك بالاعداء المنافقين وهذا كله ببركة دعائى فى هدؤ الليل الطويل وندائى وارتفاع شيبتى وبكائى (قال الراوى) ولم تكن الاساعه حتى انكشف الغبار وبانوا المنهزمين للنظار وإذا بهم الاتراك وهم لايكادون يعرفون هذا يده معلقه فى حلقه وهذا حامل سرجه على عنقه وهذا فردة مداسه على رأسه وهذا قدوقعت أسنانه وأضراسه وهذا قدتعبت فرسه وهذا قدانقطع من شده الجرى حزامه فلما رأى انهم عساكر الاتراك بقى كل ناظر اليهم باهت حائر وقدم منهم جماعة بين يدى آق سنقر ملك الاتراك فرآهم على شرف الهلاك فقال لهم ياويلكم ياويلكم كيف كان حالكم وأين حاجبى اياس فقالوا أيها الملك أماحالنا فانا كبسنافى الليل وضربنا بمضارب الويل وماحسبنا بالعرب والعبيد الامعنا فى الخيام ونحن غارقين فى بحر المنام فالذى قاتل مناقتل فجأه والذى هرب فهوكما تراه وأما حاجبك اياس فعدمناه وطلبناه عند الصباح فما وجدناه (قال الراوى) وكان قتله جعبر أخو اللملمان فى ظلام الليل وماعرفه لأنه أدركه وقد خرج من السرادق وهو لايعى على نفسه فضربه ضربة بالدبوس أخلطه مع أضراسه (قال الراوى) ولما سمع ملك الأتراك ذلك كان من شدة الحنق أن يغشى عليه وقد انقلبت عينيه ومن شدة ما لحقه لم يعد الى الخيام ولم أخذ اذن الخليفة بل سار بنفسه يطلب ظالم والآثار والإقامات والقرب بالماء وأن عقبة خزى وقال للخليفة يامولانا هذا شىء لم يكن فى الحساب ومابقى فى الامر إلا أن تفرق العساكر وتدركهم قبل أن يغوصوا فى البر ويصعب عليك طلبهم فقال المعتصم هذا كان يجرى اذا كنت أنا عدمت من الدنيا ثم انه أنفذ كل فريق فى طريق وكان ظالم وأصحابه تركوا الثقل مع جماعة وقالوا ترفعوا فى هذا المكان الى ورائى حتى تعرفوا أمرنا مع هذه العساكر وإلا ارجعوا الى مكة وسارت العساكر طالبة ظالم من كل جانب ومكان وسارا الخليفة فى باقى الناس وقد امتلأت الدنيا بالمواكب والكتائب (قال الراوى) وكان ظالم بعد الكثرة قد جد فى سيره حتى قطع الانبار وتعلق بأرض جيت وهو فزعان من

الطلب موقن بالعطب وهو يجد فى السير والهرب أربعة أيام وفى اليوم الخامس تارت عليهم الغبائر وظهرت العساكر مثل البحار الزواخر فاندهشوا من كثرة العدد ولمعان الزرد وبربرة الاتراك وصياح الافيال وازدحام الاعاجم وهمهمة الديالم (ياساده) ولما وقعت العين على العين لم يستريحوا ولم ينزلوا بل صاحوا من كل جانب وحملوا ونظر ظالم الى ذلك فأيقن أنه هالك وكشف رأسه ونادى بجعبر أخو الململمان وقال يا أخى هذا يوم الاستشهاد والاشتهار وفيه نلحق الامير المجاهد الى دار القرار لأننا مطلوبين من هؤلاء الاشرار وقد اطلع على نياتنا الملك الجبار فاحمل بنا لعلنا نأخذ التار قبل الهلاك والبوار (قال الراوى) ولما سمع جعبر هز دبوسه وهدر وزمجر وحمل ظالم ورفقاه واشتغل كل انسان بما عناه وأشرف المعتصم فى باقى الناس من عسكر العراق فرأى الحرب قائمة على ساق وقدم والرجال تعلقت بالاطواق وكان عقبه الى جانب الخليفه فقال يامولانا أأمر باقى العسكر بالحملة عليهم والاطباق ولا يأخذك رحمة على أهل النفاق فقد أخرقوا حشمتك غاية الاخراق فعندها أمر الخليفة باقى العسكر فحملت على ظالم وزادت نار الحرب واشتعلت وتعلقت الأنفس وتململت (ياساده) فما قولكم فى أربعين ألف يطبق عليها أضعافها من ترك ومثلهم ففجق ومثلهم عساكر العراق ومثلهم عجم ومثلهم عرب وسائر العساكر وهى تطلب تلافها وهلاكها بفتنة القاضى عقبه وعقبه قد أفتاهم فى ذلك الامر وقال كل من قتل من هؤلاء المنافقين واحد نال الجنة يوم الهول والشدائد وان كان عليكم فى ذلك إثم فانه فى رقبتى والله على بذلك شاهد وكانوا كلما سمعوا ذلك من كلام عقبه رأوا قتلهم أفضل من قتل الكفار واندفقوا عليهم مثل البحار فضاعوا فى كثرتهم وقاتلوا على قدر قوتهم حتى تنصف النهار وقد بقى منهم عشرين ألف الأ أنهم ماهلكوا حتى أهلكوا أضعافهم وأشرف الباقى على التلاف وترجلت اليهم الاتراك ورمتهم بسهام الهلاك فبطحت الخيل وصرعت ركابها وأيقنت النفوس بذهابها ولله در ظالم وجعبر فلقد فعلوا افعال منكرة لما تلقا من الصور وضربا فى المواكب حتى وقع فى أيديهما الخزل واخترقا جنبات العسكر والدم من أجسادهما قد انهمر فوقع جعبر فى مواكب الاتراك وقاتل حتى ما بقى فيه حراك ووقع جواده من كثرة السهام التى أصابته ومارجع حتى أهلك ثمانين غلام وقبض وقد أثخن بالجراح وتشتت لهواته من العطش والصياح ووقع ظالم فى موكب الديلم وضرب فيهم ضرب من أيقن بالعدم الى أن كل ومل وانقطع منه الطمع وضرب جواد بعامود حديد فوقع الى الارض وقاتل ظالم بعد ذلك حتى نصرع وأخذ وقد قتل من الديلم سبعين فارس صميدع ووقع

بعد ذلك الفناء فى العبيد وبنى كلاب واستوى القريب والبعيد ونهبت مهج العرب من بنى كلاب والعبيد من ضرب الصفاح وانصرعوا بسهام الاترك فى البطاح ولم يأتى آخر النهار حتى خلت من أصحاب ظالم الديار وكانوا بين اسير وقتيل وشريد وأسروا خمسة آلاف عبيد وعشرة آلاف من بنى كلاب وهلك خمسة عشر ألف وهرب عشرة آلاف بطل ثم أحضروا الاسارى قدام المعتصم وفى أوائلهم الامير ظالم وجعبر فقال لهم هكذا عاقبة البغى تعود على أربابها وتهلك أصحابها ثم أمر الخليفه أن يستوثقوا منهم بالحديد وجعلوا فى رقابهم الحبال حتى يعلموا الناس ان الله لايخذل دولة بنى العباس ففعلوا بهم غلمان الدار ذلك الأمر وتوكلت بهم الاتراك لأنه قتل منهم فى هذه الكره مائة ألف غير ما قتل من العساكر المجمعه وكل هذا فتنة عقبه قابله الله بما يستحقه وأقام المعتصم الى ان أصبح الله بالصباح ورحل يطلب المعشوق وقد أمر كل أمير له ثقل أو شغل فى بغداد يتجهز الى ملطيه ولما وصل الى المعشوق أقام أيام حتى تكاملت المواكب والكتائب والعساكر ووصلت الاثقال وقضوا الناس الاشغال ورحل الخليفه يطلب ملطيه وقد أشهر المأسورين على الجمال وتركهم بين يديه والاتراك دائرة بهم وكلما أشرفوا على بلد وخرجوا أهلها يتفرجوا على العساكر يتقدم عقبه بين يدى المأسورين ويفتح حلقه ويقرأ (رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) فمن يتعصب لبنى كلاب والأمير عبد الوهاب ويراعى أيامهم يلعنه ويقول والله يا كافر مامرادك الا هلاك المسلمين يالعين ويبكون على الأمراء ومن كان يحب عقبه يدعوله ويستحل ذلك والمعتصم سائر حتى قطع نصيبين وقارب الى بلاد آمد ونزل بالناس عليها ليأخذ الراحه وإذا بالأمير عمرو بن عبيد الله قد دخل عليه ومعه جاسوس وقد وصل من مدينة القسطنطينيه فقال ياأمير المؤمنين اسمع مايقول هذا الجاسوس من الخبر فقال الخليفه قل يامبارك ماعندك من الأخبار فقال ياأمير المؤمنين أخبرك ان الملك الفالوغص الذى كان للروم قدزالت دولته وانقرضت مملكته وقد تولى على الروم مالك جبار يقال له ميخائيل الميمونى لأنه من بيمند ابن ميمونه المجنونه وهو آفه من الآفات وبليه من البليات ما نشأ لمثله من عبدة الصلبان ولا يسمح بمثله الزمان لافى خديعته ولافى مكره وأمافى حومة الميدان فلايقاس بالفرسان على أنه صبى صغير السن ومن شدة قوته انه لايقاتل إلا بالرماح البولاد الخراسانى اجسامها واسنتها كلها قطعة واحده وقال انه مايقاتل بالرماح الخشب الا كل رخو السواعد قليل القوة وكل يوم يخرج هو وغلمانه إلى الميدان ثم يملواله أعدال من الرمل حتى يشيلها من

اليمين الى الشمال ومن الشمال إلى اليمين ويطلب الرمح البولاد ثم يجرى بالجواد في الميدان ويطعن العدل الرمل بالرمح فيعلقه على رأس السنان والبطارقه تعوذه وتستجير من فعاله وقوته والفرسان تخافه ولا يزال كذالك الى ان يتعالى النهار ويصير وقت الظهر ويعود بعد ذلك الى مجلس الشراب ويتغذى بخنزير كبير ويتعشى بأسد مشوى وقد بقى مثل الجمل فى المنظر وقد أطاعه من الملوك والامم من لا أطاع الملوك المتقدمين ولا الهراقله المعظمين ومع ذلك فهو رجل مسعود أيش ماعمل من عمل ينجح وفى أى شيء توجه بوجهه يفلح يامولانا وقد جمع كل من أقاليم الروم وخرج إلى الغزو الى بلاد الاسلام وقد حلف انه مايبقى من بنى سليم أحدوقال أما بنو كلاب فهم أعمامى لأجل الامير عبد الوهاب زوج ستى ميمونه وان السودان أخوالى لان ميمونه كانت منهم فما آسى عليهم أبداولهم الكرامات وأرضهم لا بعارضهم فيهامعارض ولهم منى الاحسان فى كل عام الأان يبدومنهم شيء بوجب سفك دماءهم فهنالك استعبد نساءهم وأبناءهم ولا أبقى على كبارهم ولا صغارهم أبدا يا مولانا وماأتيت اليكم الاوالرجل قد رحل من بلده فى ألف ألف وثمانمائة ألف ويكون اليوم بالقياس فى قونيه وقابل عليها اليوم أوغد (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وأما القاضى عقبه فانه فرح الفرح العظيم باطنا وأظهر لهم الهم ظاهرا وقال يامولاى لاتضيق صدرك من هذا الامر فكم من ملك قبله قد قال مثل هذا المقال وأوقع الله به الوبال وكم من هرقل طلب هلاك الاسلام فجعل الله له الانتقام وما فى الامر إلاشيء واحد نخاف منه وهو أن الاميره ذات الهمه ربما يبلغها الخبر أن هذا الملعون يراعى جانب بنى كلاب والسودان الانجاب فتمتثل اليه وتخرج الى بلاد الاسلام بين يديه وتطلب تار ولدها عبد الوهاب وربما طال عليها المدا وتنصرت وخرج على الناس منها ما خرج من ميمونة الملعونة والرأى أن تبادرها وتبلغ منها المراد وتعود الى لقاء هذا الملعون والجهاد وان نحن صادفناه ونحن على ملطيه صالحه وطيب قلبه بأنك تزيل عن بلاد الروم الخراج الى أن تبلغ من ذات الهمه المراد والغرض ومن بنى كلاب وتعود توقع به وبعسا كره العذاب ولو كانوا بعدد التراب وأنت يا مولانا اليوم فى هذه العساكر الذى ما قادها أحد من الخلفاء الأكابر فالله يكفيها شر العين لاسيما هؤلاء الاتراك الذين يريدون أهل الارض فى طولها والعرض (قال الراوى) ولم يزل الملعون عقبه يشد قلب المعتصم حتى دخل يطلب بلاد الروم وقد اتكل على تدبيره وترك وزيره ومشيره (ياساده) وكان خروج هذا الملعون ميخائيل الميمونى

وحديثه فى مملكة القسطنطينيه حديث عجيب (قال الراوى) وذلك أن الامير عبد الوهاب لما أقام على مدينة القسطنطينية أخذ من الملك الفالوغص الاموال وجدد الجامع كما ذكرنا وأخذ أموال كل من فى البلد وأفقرهم حتى أرضى الامير عبد الوهاب والامير أبو محمد البطال ورحلهم من البلد وبقوا أهل القسطنطينيه منتظرون من يولونه عليهم ملك من غيظهم على الملك الفالوغص فما وجدوا أحدا إلا هذا الملعون ميخائيل فشدوا منه وأقروا له بالملك حتى قتل الملك الفالوغص وصار مكانه وأول ما ملك هدم الجامع الذى جدده الامير عبد الوهاب وقالوا لولا أنه الملك ماتركوا عنده جامع يذكر فيه الاسلام والتوحيد وانه فتح بيتا من بيوت التماثيل وأخذ المال الذى فيه وفرقه على الاقاليم حتى صار فى هذا العالم العظيم (قال الراوى) وهذه بيوت التماثيل التى فى القسطنطينيه مخزون فيها ذخائر الملوك لأن كل ملك يتولى المملكه يعمر بيت ويغرز فى وسطه رمحا ويجعل فى وسطه فرس وفارس من ذهب وفى يده رمح ثانى طوله عشرين ذراع من الفضه ويقلب المال الذى يحمل اليه من الاقاليم يصرف منه مايحتاج اليه الامر والذى يفضل يسكبه من منقب البيت الذى بناه حتى يساوى رمح الفارس الذى راكب على الفرس وان مات ولم يتمه فالملك الذى يتولى بعده يتمه وكان فى مدينة القسطنطونيه الى زمان ميخائيل هذا سبع بيوت ففتح أحدهم وجمع به العساكر وسمع بصلبان بنت الملك أرمويل صاحب الجزائر القصوى فانفذ وخطبها من أبيها وكانت أحسن أهل زمانها وأظرفهم وكانت وأمها وأبيها أعظم الملوك قدرا وأرفعهم ذكرا وأكثرهم مالا فلما خطب ميخائيل ابنته ردرسوله خائب وقال أناما أزوج بنتى الا لمن يحمى دين الصليب ويملك أقاليم المسلمين ولا أزفها عليه الا فى بلاد الموحدين كل ذلك حتى تفتخر على بنات الملوك أجمعين فلما سمع الملك ميخائيل ذلك التهب قلبه بالنار وجعل هذه الغزاة من أجل زواجه لأنه أرسل الى أرمويل يقول له قد أجبت لما تريد واعمل جهاز ابنتك وانفذها بلاد الاسلام فانى رائح أملكها وان شئت تسير معى وانظر ما أعمل فى هذه السنة فى بلاد المسلمين (قال الراوى) وان ميخائيل سار بالروم من شغفه بالزواج طالبا بلاد الاسلام (وأما ما كان) من الاميره ذات الهمه فانها كانت بملطيه ملازمة قبر عبد الوهاب على زعمها انه مات وهى لاتفيق من شدة همها وغمها وقد ضعف منها البصر من شدة بكاءها ودموعها الجارية وانحدب ظهرها وفنى صبرها واشتغلت عن أهل الارض بنفسها وبطلت الركوب والتزمت العباده وسلت قلبها بالامير قشعم وضيغم أولاد الامير عبد الوهاب (قال) وكانت قد سمعت

بخروج ملك الروم ميخائيل وعلمت أنه ماينزل إلا على ملطيه فقالت الحمد لله وبه المستعان ولعل الله تعالى يميتنى تحت حوافر خيل المجاهين الاخيار ولايبلينى بقتال المسلمين عند انقضاءأجلى والأعمار وأخسر ماربحته طول حياتى وقد قربت وفاتى ولعل ظالم يقدم قبل عساكر الروم حتى يحضر الجهاد لأن أخباره قد انقطعت عنى وكذلك أخبار عذيبه وأخواتها (قال الراوى) فهى فى الكلام والحصين قد وصل الى ملطية ودخل على الأميره وقال لها يا أم المجاهدين اعتدى للحرب وتأهبى للطعن والضرب وإلا هلكتى فقد وصل الخليفة اليكى قاصد الى هلاككم وفى غد يقدم عليكم ومعه من الديالم والأتراك والعرب والعجم والتركمان خلق لاتحصى بعدد الرمل والحصى وقد عول أن يقطع آثار بنى كلاب ويترك منازلهم خراب وأختى عذيبه وأخى مذبحون وباقى غلماننا مع العسكر ورصدنا عقبه فرأيناه محترز على نفسه منا لا يبات إلا فى سرادق المعتصم وأختى عذيبه على مقالى النار من أجل ذلك فقالت الأميره ذات الهمه وقدصعب عليهاذلك ياحصين فالأمير ظالم ماسمعت له خبر فقال لها يامولاتى ان ظالم كونى آيسة منه قد أخذوه أسير هو وخمسة عشر فارس وباقى العسكر التى قد جمعها هلكت بسهام الأتراك وسقوا الكل شراب الهلاك ثم حدثها بالأمور التى جرت وقال لها ان الاتراك قتل منهم مائة ألف والديلم مائة ألف والكل شربوا كاس الفنا وظالم مع الأتراك فلما سمعت ذات الهمه هذا الكلام بقت ترعد كما السعفه فى الريح العاصف وقالت وا أسفاه بلغ عقبه ماتمناه ثم جمعت سائر الأمراء من بنى كلاب وأخبرتهم بماجرى فما فيهم إلامن أيقن بالبلاء وقالوا كلهم هذه السنة لاشك تكون هذه وقعة الفنا فقال اللمللمان والله ياقوم مانموت الاكرام ولوأتانا كل من فى البلاد من الروم والاسلام فقال الحصين ياململان وقد سمعنا أنه قد ظهر لك أخ يقال له جعبر وهومع ظالم أسير لأنه وقع به فى بلاد الحجاز ولما أسر أخذ معه فقال اللمللمان وا حرباه ووصل جعبر فى طلبى وأخذ أخى أسير والله ماأخذ الا وقد لقيهم عسكر عظيم لأنى اعرف قوته فى الحرب وفروسيته وهو يريد مثلى فى الحرب جماعة ووالله لو وصل وصار عندى فى ملطيه لألاقين به وهؤلاء السودان كل من فى الارض فى طولها والعرض فقال الحصين اذا كان الامر على ذلك فأناعائد أكون مع أختى فان قدرنا على خلاصه خلصناه وان قدرنا على سرقة عقبه سرقناه فخذوا أنتم أهبتكم ودبروا أمركم ثم عاد يطلب عساكر المعتصم (قال الراوى) واستعدوا الناس فى ملطيه للقتال وتأهبت الأبال للنزال وأظهروا العدد وأشهروا ثياب الزرد وكان فيها من السودان وبنى كلاب

أربعون ألف مقاتل ومعهم عشرة آلاف من عرب الحجاز وباتوا يتفقدون سلاحهم ويشجعون أرواحهم حتى طلع عليهم النهار وتضاحى وأشرف الغبار من سائر الأقطار حتى سد الأمصار وتحيرت من كثرته الأفكار والأبصار ثم انه انكشف عن بيارق تخفق وأعلام وزرد تشرق ورماح ومواكب تزدحم وصياح منعقد وخيول تنطرد ولم تكن إلا ساعة حتى ضربت الخيام وركزت الأعلام وأقامت الجيوش تنزل حتى هب النهار كله وصار وقت الاصفرار وأقبل موكب الخليفة والقراء الذين يقرؤا القرآن والغلمان والوزراء وأصحاب الديوان والفقهاء وعقبه فى أوائلهم يتلو القرآن وقد جنح الطيلسان ومانزل المعتصم فى سرادقه حتى غسق الظلام وضربوا طوائل الخيل وباتوا الناس كلهم معولين الى الحرب وبنى كلاب فى ملطيه على الاصوار ينتظرون قدوم الصباح ليخرجوا الى الحرب والكفاح والاميره ذات الهمه تقول ماشاء الله كان والله ما كنت أشتهى قتال أهل الايمان ولا كان فى نيتى قلع ثياب الأحزان ولا اشتهر بعد ولدى فى ميدان ولكن ما يخلو الزمان من طوارق الحدثان ومن تصاريف الزمان وها نحن مقيمين على الاصوار ونمنع عن نفوسنا منع الاخيار الى أن يضيقوا علينا فى الحصار فنخرج الى ضرب البتار ونكون قد أقمنا عذرنا عند الملك الجبار خالق الليل والنهار وقلدناهم البغى والاستكبار وبعد ذلك يقضى الله بيننا بما يعلم من ضمائرنا ونياتنا (قال) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح عولت العساكر على الزحف الى ملطيه فمنعهم الخليفة من ذلك وقال خلوهم لعلهم يطمعون فى قتالنا واليناا يخرجون وبعد ذلك الامر ميلوا عليهم ميلة واحدة ثم املكوا عليهم الابواب واضربوا من خرج اليكم بالحسام القرضاب (قال الراوى) فلما سمعوا العساكر من الخليفة هذا الخطاب رأوه صواب وقالوا ونكون أيضا قد أخذنا الراحة من التعب ثم أقاموا ذلك اليوم والثانى والثالث ولم يروا أحدا خرج ولا عبر اليهم ولا طل عليهم فقال الخليفة ما لهؤلاء القوم نية فى الخروج ولا لهم نية فى القتال ولاهم من قليلين العقول أن يرموا أنفسهم فى هذا الامر المهول ازحفوا اليهم فى غداة وباكروهم بكرة بالقتال وازحفوا عليهم واشهروا اليهم المأسورين قدامهم على الجمال لعلهم يسلمون أنفسهم من غير قتال ولامطال فقال له العسكر سمعا وطاعه غدا يكون ان شاء الله تعالى الانفصال ولولا منعك لنا من القتال كنا اليوم قد بلغنا الآمال ثم أقاموا حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح تبادروا الى الحرب والكفاح وضرب الصفاح وأشهروا العدد وآلة السلاح وأقبلوا الارض من الصياح وتقدمت الاتراك والديلم بالسلاح وبالسهام المسقيات

بالسم وهذا بأمر القاضى عقبه بلاه الله بكل نكبه وصفوا الاسارى الاسلام على الجمال وهم فى القيود والاغلال وظالم بين أيديهم فى غاية الاذلال والى جانبه جعبر يهمهم مثل الاسد الريبال (ياساده يا كرام) ونظر اللملمان الى أخيه جعبر من فوق الاصوار وهو فى ذل الاسر والكتاف فصارت عيناه كأنها لظى الجمر وقال للأميره ذات الهمه مابقى بعد هذا صبر ولا خير فى هذه الحياة بعد الاقرباء وفقد الاحباب فقالت الله يعلم أنى ما أشتهيه ولا لى بغية ان هذا يكون ولكن قد ابتلينا يا إلهى بقوم لايستحيون ويفزعون من الله تعالى ولا يخافون ويطيعون هذا الكافر عقبه الملعون ولو أننا عبدنا الصلبان كان يتم علينا أوفى من هذه الامور بعضنا مأسور وبعضنا محصور وبعضنا مقتول وسادتنا فى القبور بغريق البحر فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان ولكن ما للعبد أن يعترض على المولى الكريم الاعلى ولا يقابل القضاء إلا بالرضا افتحوا الابواب حتى نخرج اليهم وندفع عن أنفسنا ولانترك الاعداء خلف الاصوار ومالنا نشتقى هذا لايكون الافى الروم حتى نموت شهداء فى طاعة الحى القيوم (قال الراوى) وماتمت الاميره ذات الهمة كلامها حتى اسودت الدنيا من نحو الدروب وأظلمت الاقطار وانحصر ضوء النهار وصار نوره من الشمس محجوب وارتفع الصياح حتى انزعجت القلوب وكادت الاكباد من شدة الضجيج تذوب فكان هذا الغبار قد أشرف قبل الظهر يعنى قبل نصف النهار فرمقوه النظار واشتغلوا به الناس عن الحصار حتى بان للابصار وظهرت تحته صلبان تهتف ورايات ترفرف وبيارق مرتفعه وطوارق لامعه وكتائب مندفقه وخيول سابقه وقد ضاقت بهم الارض الواسعه وتكدرت المياه النابعه (قال الراوى) ولما نظر الخليفه الى ذلك الامر قال لعقبه ياقاضى هذا الملك الذى حدثنا به الجاسوس وقال لنا انه جمع العساكر من الاقاليم وماخرج الافى عسكر عظيم وماأخوفنى أن يشغلنى عن بلوغ الآمال والمراد ويطالبنا بالقتال والجهاد فقال له عقبه ياملانا انفذ اليه رسولا يطلب منه الصلح ونطمعه انك تخلى له الخراج حتى يأمن منك وتبلغ منه ماتريد وبعد ذلك تفرق الاموال على العساكر وتكبسهم ليلا فلا ينجو منهم هارب وتقع لك الهيبه فى قلب هذا الملك الجديد اذا انكسر ويصير كالذى كان من قبله وأحقر وانما ينبغى أن يكون الرسول يدرى مايقول فقال له المعتصم على هذا الحساب ما لهذا الامر مثلك تسير اليه فقال عقبه السمع والطاعه يامولاى على اننى لولا اعلم انى سائر فى مصلحة لاهل الاديان لما مضيت ولاسعيت ولاسمعت كلام من يشرك بالرحمن على انى ما أقدر على المسير الان كان غداة غداذا

تكاملت العساكر وضربت سرادقات الملك ونزل (قال الراوى) هذا وقد قامت المواكب متواصله والجيوش نازله بطول ذلك النهار اجمع والليل واليوم الثانى الى وقت الظهر وبعد ذلك اشرق الصليب الاكبر والعلم الاخضر وتحته الملك ميخائيل ومن حوله ملوك الاقاليم بشباك اللؤلؤ والاكليل ونزلوا فى السرادقات هذا وقد امتلأت وقد تأهب عقبه فى غلمانه وسار بعد ماأخذ الاذن من الخليفه واعلمه أنه سائر رسول كما قال له وليس معه غير غلمانه وكان ذلك من خبثه حتى لايطلع أحد على مايعمل من العمائل ولايعرف مايقول من الاقوال (قال الراوى) هذا ولماان سار الملعون عقبه مازال سائرالى ان قرب من عساكر الروم فالتقاه عند ذلك البترك الكبير ومعه عشرة من الرهبان وشومدرس الى جانبه فى زى مطران وهم بثياب الصوف من سائر الالوان ولماان رأوه ترجلوا بين يديه وقدسعوا مسرعين وأتوا اليه هذا وقد ترجل هو الاخر وقد سلم بعضهم على بعض وقد سأل عقبه عن حالهم فقالوا له نحن سائرين الى خليفه المسلمين نأمره نحن عن اذن الملك أن يرحل عن هذه البلاد ويخلى لنا الاقاليم وان لم يفعل ذلك يكون فى غداة غدلهم حرب يشيب لهوله الطفل الصغير فقال لهم عقبه ما هذا صواب ارجعوا معى حتى أريكم ما أشير به على الملك وكيف يكون التدبير فعندها عادوا الجميع الى سرادق الملك ميخائيل هذا وعقبه يقول لشومدرس يا راهب أين كنت فى هذه المده لأنى منذ كسرت عساكر الروم على قلعة السها ماعدت سمعت لك خبر فقال له أنا كنت فى دير الزيت وكنت آليت على نفسى لا أعود أقرب هذه الديار وفيها البطال وهؤلاء السودان الابطال لأنى قد ضجرت مما أخلص وأعود وأقع وأنا أخاف أقع ما أعود أخلص وما برحت من مكانى حتى أننى قد سمعت انك قد دبرت على البطال وأهلكته هو والامير عبد الوهاب وكنت قد بقيت أى مكان دخلت فيه يصير يقلع وكلما عملت حيلة على ترجع والآن فانى قد اطمأن قلبى وزاد فرحى فهذا الملك المسيحى لعله أن يمسح المسلمين فى هذا العام ويبلغنى منهم المرام لأنه أفرس أهل زمانه وأقدرهم على أقرانه فقال له عقبه اننى قد سمعت أنه من أختى ميمونه قدس المسيح ضريحها ما كان أطيبها هنيئا لها أنها تلك الساعة فى الجنان مع الحور والولدان ومادام أن هذا الملك قد عول على هلاك المسلمين فأنا أدبره كما دبرت الملوك قبله وسوف يرى ما أفعل (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزالوا على ذلك الحال وهم سائرين إلى أن وصلوا الى سرادق الملك ودخلوا عليه فلما أن صار عقبه قدامه فرأى غيلان الشوك جالس بجانبه وقد صار قدر ما كان

مرتين وهو أقرب الناس إلى الملك لأجل شجاعته وبراعته هذا والملوك قدامه قيام على الأقدام وكان ذلك من هيبة ميخائيل فلما أن أقبل عقبه مالوا الكل اليه وجعلوا يقبلون يديه ورجليه هذا وقد سلم مارس ودارس عليه وكان الملك ميخائيل قد رفع شأنهم وعلا مقامهم على سائر الحجاب وهم عنده من خواص الأصحاب هذا ولما أن أرسله الملك وقد عادوا وما غابوا فقال لهم ما حالكم فقالوا له ماردنا أيها الملك إلا هذا الشيخ النجيح لأنه حجة السيد المسيح الراشد الى طريق الصلاح والرشاد المنزه عن طريق الفساد (قال الراوى) ثم أنهم قد حدثوه بحديثه ووصفوا له حاله مع ماقد سمع من أخباره وأنه رأى جميع الملوك والبطارقه الكبار وقد عظموه واستقبلوه ورفعوا قدره ومكانه فقام اليه الملك وأخذ بيده وأجلسه الى جانبه وقال لربنا الحمد الذى من على بحضورك عند خروجى الى الغزاه حتى انك تدبر دولتى بمعرفتك ورأيك الذى تراه هذا وقد قام غيلان الشوك واستقبله واعتنقه وقال له مرحبا بالشيخ النجيح الطيار الذى قد أوحشنا لما أن غاب عن الديار وشد دين الصليب والزنار فلما أن سمع عقبة منهم ذلك المقال شكرهم على ذلك ومسح بيده على رأس الملك وقال الشكر للمسيح الذى فتح فى وجهى أبواب المقاصد بصدق منامى ولم أكذب أحلامى لأنى نمت ليلة من الليالى وأنا متفكر فيما حل بى من المسلمين وقد انتهت حياتى وقتلت أختى وبناتى ولا بلغت غرضى ولاشفيت مرضى قبل مماتى إلا بما قتلت من المحمديين فى غزواتى فرأيت أيها الملك أن المسيح قد أقبل على وهو فى الهيكل العظيم ومن حوله الحواريون والاخوان ورجال الغيب وبين يديه مريحنا المعمدان وهو يقول لى ياحجتى على عبادى لاتضيق صدرك فما أميتك حتى أنشر نصرتى عليك فقلت له ومتى يكون ذلك وقد فنيت مدتى وابيضت لحيتى فارحم شيبتى وأنت تعلم أنهم قد قتلوا بناتى وأختى وزوجتى وقد انفطرت مرارتى وما بلغت مرادى فقال لى أما من قتل لك نقلتهم الى وأسكنتهم فى جنات النعيم ينعمون ومع الحواريون كلهم يحشرون وأما إظهار قدرتى فاعلم أنه اذا ظهر لك البشر الميمون وبان الأمر اللاهوتى وهو الملك ميخائيل بن بيمند بن ميمونه فهو الذى يمهد البلاد ويذل رقاب العباد ويكون جلوسه وكرسى مملكته ببغداد وتعود الكلمة والملة الذى ظهرت مرميه وترتفع الملة النصرانيه كما كانت فى أول الزمان وترتفع الصلبان وتبطل جميع الأديان ثم أنه يابنى بعد ذلك لما فرغ من كلامه تقدم الى وضمنى الى صدره وقبلنى بين عينى وقال لى هذه أمارتى ورسالتى معك اليه وان رأيته واجتمعت عليه قبل بين عينيه وقل له انى راضى عليه (قال الراوى) هذا يحكيه

عقبه والملك يسمع ويبكى وأنه قد فرح برسالته وقدرفع قدر عقبه وعظم منزلته وقال له يا أبونا أحسن المسيح جزاك ولا بد لى ما أهلك رقاب أعداك وانى ما كنت أنفذت البترك الى عند الخليفه إلا آمره أن يسلم الى بلاد الاسلام وان لم يفعل ذلك يا كرته بالقتال والجهاد فقال له عقبه تأنى على أمرك وأنظر بين يديك واعلم أن الملوك المتقدمين ما أهلكهم الا العجله بالزلل ومازال ملكهم الا بمخالفتهم لى ولكن ما دام قد عبرت أنا وشو مدرس بين يديك فقد نزلت الرحمة والبركة عليك وأنا قد عملت هذه الأعمال وقد أهلكت عبد الوهاب والبطال وأخرجت الخليفة من بغداد وأتيت به الى هذه الديار ليهلك هذه العجوز ومن معها من هذه الأعداء وبعد ذلك تكبس أنت عساكره وتبدد غبائره وتتسلم البلاد وتطيعك بعدفقده العباد ولا يبقى فيها معاند ولا مدافع والا ان أنت الساعه طلبت قتال المسلمين ورأى الخليفة أنه مغلوب صالح هذه العجوز والتجأ الى البلد وأطلق ظالم ومن معه من المأسورين ولاتبلغ منهم ماتريد من الآمال وانما الصواب أن تخدعه بالصلح حتى يطمئن اليك وتعاونه على هلاك هذه العجوز السوء التى بين يديك وبعد ذلك يهون الامر عليك وتكبسه أنت فى ظلام الليل وتضع فيهم الحسام وتأخذ الخليفة من الخيام وتأخذ أيضا منهم الأسارى اللئام وقد ملكت العراق والشام وتصل بخيلك الى زمزم والمقام ولايبقى على وجه الارض من يذكر ملة الاسلام (قال الراوى) فلما أن سمع الملك بيمند من عقبه ذلك الكلام قال له أنا كان فى نيتى ان آخذهم قوة وقهرا بحد الحسام ولكن الساعه فما بقى يجب علينا أن نخالفك لأن الخديعة أيضا من الشجاعة عند أرباب الأحكام ثم انه أمر الغلمان أن يقدموا بين يديه الطعام وقال أنا الليلة أريد أن أخلو مع الشيخ النجيح على شرب المدام فقال له عقبه أيها الملك اعلم انى قدجئت فى رسالة ولا يمكننى المقام لانى قد أتيت على وجه الرسالة من خليفة الاسلام وان أبطأت وقع العتب على والملام فقال له قل له ان الملك قدحلف على وأضافنى وأكرمنى لاجل الامام فقال له عقبه ان كان الامر كذلك فاخلى لنا جهة من بعض هذه الخيام لانى أخاف من جاسوس المسلمين أن يكون عندنا وهو حاضر فى هذا المقام (قال الراوى) وبعدذلك دخل الملك السرادق ولم يبق فيه الا خمسة من الملوك الخواص هذا وقد نقل اليهم الطعام والمدام واقام عقبه يأكل ويشرب ويلذ ويطرب وقد حدث الملك بكل عجب حتى مضى النهار بالابتسام وأقبل الليل ثم مضى بعضه فقال عقبه أيها الملك انى أريد أن أقوم فى هذه الساعه حتى

افيق على روحى وقت السحر ويذهب رائحة الخمر منى لان المسلمين يقولون أنه حرام
ومايقولون ذلك الامن قلة عقولهم ثم ان الملعون حط رأسه فى جنب سرادق الملك
ونام ومازال الى وقت السحر وانبهوه غلمانه الذين وصلوا معه فقام وقدعقل على
نفسه ولبس قماشه وتطيلس وركب بغلته وسار طالب المعتصم (قال الراوى) فلما
ان توسط الطريق وكان قدانحدر فى مكان وأصلى فبينما هو سائر وإذا بأشباح قد
انقضت عليه وادركته من ورائه وهم مسرعين فلما ان رآهم وقف مكانه حتى يكشف
احوالهم واذا بواحد منهم يقول لرفيقه ياقوم والله ان امرنا قدطال وعظم مع هذا
الملعون وكم لنافى طلبه دائرين ولولا خروجه فى هذا الوقت ماقدرنا عليه (قال الراوى)
فلما ان سمع عقبه ذلك المقال تعلق ماتبقى من خصاه فى حلقه وصاح على غلمانه وقال
لهم ويلكم خذوا اهبتكم واعلموا ان هؤلاء المقبلين علينا من الاعداء وان صدق حذرى
فيهم فهم غلمان البطال وأولاده وأناوحق المسيح منهم كنت فزعان بطول هذا الزمان
ثم ان الملعون نادى وقال من انتم ياويلكم فقال له واحد منهم لاتخاف ياشيخ الضلال
ياسقيع السبال فأناهوغلام أخوك بديع هـذا وقدنادى الثانى الى اين تأخذون وأنا
ابن البطال مذبحون ونادى الثالث وانا الحصين ابن صديقك أبو محمد وقد جئتك
بدلوين وقال له لعن الله هذه الشبيه وقد ناداه آخر ياقرنان وأنا عذيبه بالتارات
البطال هذا وقد تصايحو الباقين من حواليه وقدجردوا فى أيديهم السيوف ولم تكن
لاساعه حتى قتلوا من غلمانه اثنين وقد جرح عقبه جرحين هـذا وقد تعلق بذقنه
الحصين وصاروا يلطموه الى ان اعموه وأخذوه على بغله وطلبوا ملطيه وهو يقول
لقد كانت ايشم الرساله عليه (قال) ان كانت عذيبه واخواتها رصدوه هذه المده لعلهم
يأخذوه هو وعلمانه أويخلصوا الامير ظالم أو بعض المأسورات فلم يجدوا الدلك من
سبيل من كثرة ماعليهم من الحرس الشديد فلما أنفذه الخليفة فى الرسالة كما ذكرنا
كانت عذيبه وأخوتها رصدوه لأنهم كانوا واقفين وقالوا ن سار الى الملك فنرصده
وإذا به خرج بالرساله وكانوا ترتبوا له ذلك المكان فلماان أتى اليهم أخذوه كماوصفنا
وساروا به الى ملطيه وصاحوا على الحراس وأخبروهم بحالهم فمضوا الحراس وأعلموا
الأمير بذكر عذيبه وأخوتها فأمرتهم بفتح الباب وقد سارت الاميره اليهم وتلقتهم
وأخبروها بما فعلوا من قبض عقبه فقالت الحمد لله الذى وقع هذا الملعون فى أيدينا
حتى اذا رأينا الغلبة قتلناه على قبر الامير ولانموت وفى قلبنا حسرة من هذا الكلب
الغدار المنافق (قال الراوى) ثم أن الاميره وضعته فى قيد وجنزير وقد وكلت به من

يحفظه ولما أن أصبح الله بالصباح وصلوا غلمان عقبه الذين انهزموا الى عند المعتصم وأخبروه بماقد جرى على عقبه من أولاد البطال وغلمانه وماصنعوا فيه فلما أن سمع المعتصم ذلك صعب عليه وكبر لديه وقد اسودت الدنيا فى عينيه وقال لهم على أى حال قد انفصل الأمر مع ملك الروم فقالوا له يامولانا مازال سيدنا عقبه حتى بلغ من أعداه المراد ونال منهم مسرة الفؤاد وقال ان أنتم أقمتم على معاونتى عاونتكم وبعد ذلك آخذ الاذن من خليفتكم واعود الى بلادى بعد أن يقع بيننا الصلح فقال المعتصم لارباب دولته أيكون الساعه فى الارض أحسن من هـذا الامر الذى قد فعل أو أخير من توصل هـذا القاضى عقبه من الأشياء لأنه مازال بتدبيره حتى جعل الاعداء لنا أصدقاء وبعد هـذا قدأخذوه هؤلاء الظلمه يعاقبوه ويضربوه ويعذبوه وماأظن ان هؤلاء القوم يخافون من الله وان على هذا الحساب قتلهم أفضل من قتل الروم قدأجابوا الى ماتريدوا وهؤلاء لم يجيبوا (قال الراوى) ثم أنه أمر الناس بالركوب فركبوا وقددارت الترك بالبلد وأوترت قسيها ورجفت أهل البلد ونوت على الحصار ونصب السلالم والفرادات والمناجيق من سائر الجهات فما قولكم فى مائتين ألف يرمون عن قوس واحدفما تكون عنـد ذلك السهام الا شبه الجراد المنتشر أو الثلج إذا انحدر الاأن الاميره قدكانت أيست من أصحابها فألبستهم الدروع الداووديه والجوانيز القويه والبيض العاديه وأوقفتهم على الأبراج ولم تفعل ذلك الا أنها حتى لاتقاتل المسلمين فكانوا أصحابها يطالبونها بالخروج إلى الحرب فلم تمكنهم شفقة على المسلمين وقد أرادت أن تدفعهم عنها بالتى هى أحسن (قال) والنشاب لما طلع عليهم مثل الجراد المنتشر وأحجار المناجيق والفرادات فنزل عليهم وقد قتل منهم جماعة فى أقل من ساعة واحدة (قال الراوى) ولما أن اشتد عليهم الأمر وخرجت عليهم الصخور وقد استغاثوا إلى الملك الغفور وقد جرت الآدمية من النحور وخسفت الأحجار الصدور فكان أشد ما يكون على الناس النشاب لأنهم قد قاسوا من كثرته فنون العذاب وكان يقع السهم فى الانسان وفى أثره سهم آخر ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن أمسى المساء وعادوا ولم يتأخروا أصحاب النشاب عنهم وقد قتل منهم خلق كثير هذا وقد بان التقصير فى أصحاب الأميره والنقص لأجل قلتهم فلما أن رأواذلك الحال قال اللملمان ماكان الصواب الا الخروج وضرب الحسام والموت برا الأصوار ولاكنا سمينا على أنفسنا اسم الحصار ووقفنا ستاره للنشاب ولم لا نخرج وندفع عن أنفسنا هذا العذاب فقالت الأميره أنا ماعملت هذا الا شفقة على المسلمين وقد قلت

ان هذا البلد بلدى وهى حصينة وقلت إذا ضجروا عسى أنهم يرجعوا عنا ولا يقتل منهم أحد وما كان فى حسابى أن يصل الينا هذا الأذى العظيم فقال الملمان والسودان والله ياأميره ما كان هذا موضع الشفقه وقد طلبوا قتلنا فقالت لهم الأميره ان كان الأمر على هذا فأنا أبلغكم مرادكم وأخرج معكم وتتكل على الله تعالى لأننا نحن ما تعدينا عليهم وما كفاهم هلاك ولدى والبطال حتى أنهم يريدوا هلا كنا فقالوا بنى كلاب والسودان الأنجاب والله ما نموت الا تحت العز ولا نموت تحت الحصار من داخل الأصوار هذا وقد باتوا تلك الليلة يصلحوا عددهم على أنهم فى غداة يخرجون اليهم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما أن عاد الى الخيام قد أوعدته الأتراك بأنهم فى غداة غد يكشفوا له الصور ويأخذوا له البلد ففرح المعتصم بذلك لما أن سمع كلامهم فبينما هو على ذلك الحال واذا برسول الملك ميخائيل قد وصل اليه وقال له يامولاى ان الملك يقول لك دعنى فى غد أخرج الى القتال وترى ما أصنع بهؤلاء الأنذال فشكره المعتصم على ذلك وقال للرسول قل له انى أريد أن أقاتلهم ثلاثه أيام وبعد ذلك قاتل أنت ثلاثة أيام ومن فتح البلد كان صاحب الفتح فعاد رسول الملك وأعلمه بما قال المعتصم فصبر الملك وبقى منتظر مايرسل اليه عقبه من المقال وما كان عنده خبر أنه فى ملطيه أسير عند الأميره (قال الراوى) ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فدخلت الرجال فى الزرد ولبسوا السلاح وقد ركبت الاتراك والأعجام على ظهور الجرد القداح ولبسوا البيض الصفاح وزحفت الاتراك والأكراد والديلم هذا وقد ركب أيضا ملك الروم حتى أنه يتفرج على مايجرى من الطائفتين فبينما القوم على ذلك الحال واذا هم بباب البلد قد فتح والرجال قد خرجت منه والسودان وبنى كلاب قد تزاعقت وأهرجت والأميره ذات الهمه فى أوائلهم وهى بأحزانها قد اشتهرت والجميع مثل الغربان من لبس السواد وخيولهم مهلبة وراياتهم مقلبة وبيارقهم مصيبه وهم مثل الأسود (قال الراوى) هذا ولما أن رأى الخليفة الى خروج الاميره وأصحابها على أن هذا من عظم مصابها قال والله ما فى الأرض أقوى قلب من هذه العجوز كيف قد خرجت الى العساكر وهى تظن لها فرج فى القتال أو الى النجاة من مخرج فقال له الامير عمرو بن عبيد الله يا أمير المؤمنين ماهذا منها شجاعة ولا براعه وانما خرجت حتى تظهر اليقظه لهذه الدولة وتعلمك أن لها قوة وصولة وما أخوفنى أنها تكون قد قتلت القاضى عقبة على قبر ولدها عبدالوهاب وقد خرجت تريد أن تهلك نفسها (قال الراوى) هذا كان يجرى والأميره

تصف عند ذلك العساكر وترتب الدساكر وتقول قد علم الله تعالى أن هذا ما أردناه وما دام أننا بلينا به فنحن نبذل المجهود فى طاعة الملك الموجود فقال لها الململمان أنا والله لابد لى اليوم من الخليفه وذلك الأعلام اما أن أقتله من تحتها واما أن آخذه أسير ونستريح من هذا التطويل واما شرب كاس الحمام ثم أخلص أخى جعبر و ظالم ومن معهما من الرجال الكرام هذا وقد مالت اليهم الكتائب وخرجت بخروجهم المواكب وقد حملوا عليهم من كل مكان وجانب حتى أنهم تلاصقوا بالمناكب وزادت المصائب ولما أن نظرت الأميره الى ذلك فحملت وكشفت رأسها ونادت (ياساده) عند ذلك يالتارات الأمير عبد الوهاب ياويلكم يابنى الاعمام اوصلوا اليهم الطعن بالسمر العوال حتى يبطل عنكم حكم النشاب فى القتال فأجابها قشعم وبعده الململمان وحملت السودان وبنى كلاب الشجعان وهزوا الصارم اليمان وقد بان الرايح من الخسران والزيادة من النقصان (قال الراوى) فعند ذلك لم تقدر الاتراك ترمى ولا سهم واحد بامكان واختلطت بهم العرب والسودان وقد بطل بينهم حكم النشاب وحكم بينهم الحسام اليمان وقد طلع على الجميع القيام وأسود المكان حتى صار ذلك النهار كانه نار ودخان هذا وقد تعلقت الصناديد عند ذلك بالسروج وكانوا مثل يأجوج ومأجوج وقد اندقت العساكر التى حملت مع عساكر المعتصم على الاعقاب بين ايدى السودان وبنى كلاب وقد فرشوهم على التراب وطحنوهم بسنابك الدواب هذا وقد نظر ملك الترك الى ذلك وهو الى جانب الخليفة فأرعد وازبد وكاد قلبه أن يتضعضع ويتصعد من الحرد وكان رجل عظيم الخلقة وهو جبار من الجبابره فخرج وقد صاح على باقى الاتراك فانحدر مثل السحاب وقد حملوا قدامه مثل البحر العجاج هذا وقد رمى بنفسه سهما مذهبا الى صوب بنى كلاب وهذا هو رسم الترك اذا تقدم ملكها وارمى سهم إلى العدو رموا الكل ارواحهم إلى الهلاك ولو كان قدامهم البحار الزواخر فحملوا مثل الشواهين وقد عادوا عليهم جميع المنهزمين فقالت الاميره لقشعم ياولدى الشجاعة تبطل إذا بطحة الخيل ولو كانت من حديد واذا وقعت الخيل حل بركابها الويل وهذه أعظم ساعه تكون فى القتال ولكن يترجل كل واحد قدام جواده يابنى وصفوا الاتراس وازحفوا الى هؤلاء الشياطين وأعلموا أن الله تعالى قد فرغ من الآجال والانفاس ولا ينفع الحذر اذا وقع القضاء والقدر وما فى الأمر الا هذا (قال الراوى) ثم ان الاميره ترجلت وترجل من كان بالقرب منها هذا وقد نظروا باقى العساكر الى فعل الاميره فلم يبقى أحد الا وترجل وقد ضرب بهم المثل وقد نظرهم المعتصم فحار وخاف من ملك

الروم أن يرى عسا كره بعين النقصان فتقدم فى أوائل الناس وقدهاجت الأمم لتقدمه ورمى سهما إلى عسكر الاميره تحريضا للاتراك وصاح فى الناس وقال ائتونى بهؤلاء الاسارى حتى أشتفى منهم وفى صياحه نظره اللملمان فقصده وجعله قصده هذا والاميره لما أن رأت الحال زائدا عليها والعسا كر متدفقة اليها قالت لضيغم ياولدى افعل ما أقول لك وإلا تكون هذه الساعة آخر ساعاتنا من الدنيا وما بنا قتلنا إلا شماتة الأعداء فقال لها قولى ياسيدتى مابدا لكى فقالت له يابنى قاتل وتأخر الى وراءك حتى تصل الى الصور ثم يحمونا الذين فوقه على الابراج بالأحجار والسهام فان اشتد علينا الأمر دخلنا الى جانب البلد ففعلوا أصحابه كفعاله حتى أنهم التصقوا بالأصوار فطمعت فيهم الاتراك وقد رموهم بسهام الهلاك وبطل الرمح وحامله وقتل من فرغ أجله هذا وقد أشرفوا الناس على العطب وطلبوا الباب وقتل منهم خلق كثير وقل عددهم ووقع الزحام فى الأبواب هذا وقد قصدوهم الرماه بالنشاب فهلك منهم دون الألف رجل وجرح أكثر من ذلك وكانت ساعة من ساعات الفنا (قال الراوى) كل هذا يجرى وملك الروم ينظر ذلك وهو راكب تحت الصلبان وحوله خواص ملوك الروم والى جانبه غيلان الشوك فى جماعة السودان والملك ميخائيل يقول بحق المسيح ما هؤلاء القوم إلا مظلومين ولو لم يكونوا أفرس أهل الأرض ماثبتوا قدام هذا الجيش العظيم وحق الانجيل لو لا وصية الشيخ ما كنت الساعه الا أحمل على عساكر الخليفه وأفرق دساكره وأنهب أمواله لأنهم قد ظلموا هؤلاء الأمراء وأنا ما أحب الظلم فقال له غيلان دع عنك هذا الكلام فهذا كله خير لنا وأن المسيح يريد أن يهلكهم بعضهم ببعض حتى تنجلي لك البلاد وتملك رقاب العباد (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام والضجة قد وقعت فى عساكر الاسلام وماجوا مثل موج البحر العجاج المتلاطم بالأمواج ونادى المنادى ألا وان الخليفة قد قتل فلما أن سمعت العساكر ذلك الكلام اندفقت الأتراك راجعة وهى صارخة زاهقة لما أن سمعوا بقتل الامام وقد عولوا بعد الهجوم على الانهزام وقد خف الطلب عن بنى كلاب ونادت الأميره ارجعوا فهذا وقت الانفصال فقالوا أيتها الأميره نخاف أن تكون حيلة منهم علينا حتى نخرج عن الاصوار ويعودون الينا فلا يبقى منا ديار (قال الراوى) وكان السبب فى انزعاج عساكر الخليفة وهو أن اللملمان لما أن وقعت عينه على الخليفة كما ذكرنا فرق الصفوف فى طلبه ونظرت الأبطال اليه فصاحوا عليه من كل جانب وسلوا فى وجهه

السيف القواضب وضربوه بالسهام وهو سائر الى قدام ولاخوف ولافزع من الحمام بل هجم فيهم هجمة الاسد الضرغام وكان قدوقع فيه أكثر من مائة سهم وكان عليه زردية من عمل الهند مايعمل فيها رؤس الابر وكان اللملمان لايعلم بما جرى ومازال فى هجومه حتى وصل الى المعتصم ولما ان صار عنده صاحت فيه الخدام فلم يلوى اليهم ولاعن عليهم هذا وقدطعن بطلا كان بجانبه وكان قدحال بين اللملمان وبين الامام فطعنه طلع السنان يلمع من ظهره ثم انه هجم على الغلمان هجمة الشجعان وصار يضرب فيهم يمين وشمال فتواقعت الرجال تحت رجليه ومن تبقى منهم اندقوا بين يديه وقرب من المعتصم وفزعايه وطعنه بالرمح فوصل رمحه اليه فجاءت الطعنه لما يريده الله من سلامة المعتصم فى قربوص سرجه فخرقته ووصلت الطعنه اليه فصاح عند ذلك المعتصم ووقع عن سرجه فأحدقت به العوالم وترجلت اليه أرباب الدوله وقد انطلقت الخيل على اللملمان فمانع عن نفسه وطعن وضرب الى أن كل ومل والتفت أنه يرى أحدا عنده من بنى كلاب يفرج عنه ذلك البلاء العظيم فلم يجد أحداً فانكسر قلبه ورجف لبه وعظم كربه (قال الراوى) هذا ولم يزل على ذلك الحال والقوم يضربون جواده بالنبال الى أن قتلوه وقدوقع اللملمان من على ظهره الى الأرض فانطبقوا عليه وأخذوه أسير وقادوه ذليل حقير وأوثقوه بالحديد وأتوا به الى المكان الذى فيه أخوه جعبر (قال) هذا ما كان من اللملمان (وأما ما كان) من العساكر الاسلامية وبنى كلاب والأميره ذات الهمه فانهم لما أن رأوا الى ذلك الحال زعق قشعم فى جواده وخرج يرمى نفسه على هؤلاء العساكر فلما أن رأت الأميره منه ذلك أقسمت عليه بتربة أبيه أن لايفعل فلم يقبل منها بل أنه قد حمل وقال والله ان وجدت فرصة من المعتصم لأقتلنه ويكون قتله عوضا عن قتل أبى وان لم أفعل ذلك والا ماأنا ولد الأمير عبد الوهاب ثم انه خرق المواكب والكتائب خلف الغلمان لأنه ماعلم بما جرى على اللملمان هذا وقد طلبته الفرسان وتكردست عليه الشجعان وهو يضرب فيهم ضرب ولهان وقد أفناهم بالسيف والسنان فلله در الأمير قشعم ما أضربه بالسيف وما أطعنه بالسنان لأنه ولد البطل الهمام وهو أهلا لذلك فتهاربوا منه الفرسان وهابته الأقران فقالوا ياويلكم اصنعوا به مثل ما صنعتم بجواد اللملمان عند ذلك ضربوه بالنشاب حتى تركوه مثل القنفذ وهو يجول ويمانع عن نفسه وينشد يقول :

ألا أيها النفس العزيزة إنما ... يكون لذيذ الموت عند الاكارم
أخوض هياج النقع فى حومة الوغا ... اذا عملت أسيافهم فى الجماجم

وحق إله العرش والخمسة الذى همو صفوة الجبار من آل هاشم
لأقتحمن الحرب فى حومة اللقا بضرب يقدالروس عندالتصادم
وأهلك من عادى أبى ويريد لى هلا كاسأروىمنهماليوم صارمى
وأطعن بالخطى أعظم رتبة بطعن يحاكى لسعات الأراقم
ولو كنتمو مثل البحار لقيتمو بقوة قلبى كى أقوى عزائمى
وأنى لا أصفوا الى طيب عيشة ولا بد من حزن يكون ملازمى
ولوكانعندىاليوم ما كانقاصرا ولا سال دمى منسهام الأعاجم

(قال الراوى) هذا وقد طعن جواده فتقنطر الأمير قشعم ووقع من على ظهره فأخذ أسيراً فلما ان نظرت الأميره الى ذلك علمت أن الحزن قد حمل قشعم حتى أنه أرمى نفسه الى تلك الأهوال وقد ظنت أنه قد شرب كاس الوبال فصاحت الأميره ذات الهمه وهى تقول دخول الجحيم ولا الصبر على الغبن العظيم ولا بقى إلا هتك الحريم ثم أنها حملت تروم خلاصه ان كان سالم هذا وقد حملت من خلفها الابطال والاقيال من كل جانب ومكان وانتخت الشجعان وقد أرموا أنفسهم الى الهلاك والخسرانهذا وقد كان الخليفة من طعنة اللملمان فىغمرات الموت هذا والأخلا يعقل على أخيه ولا الولد علىأبيه هذا وقدعصبوا لخذ الخليفة وأسقوه الشراب الى أن أفاق وقدأشاروا عليه بالركوب حتىتنظره العساكر ولا تنهزم الجيوش ويطمع ملكالروم فيهم فيركب وقدعلم المعتصم أناللملمان هو الذى جرحه فقال وحق آبائى وأجدادى ان قتلتهم الا جميعا مع ذات الهمه وأصحابها كما فعلت بولدها والبطال وأذيقهم النكال فكم جهد ما أحمل منهم فوالله لقد أتعبونى هؤلاء القوم المنافقين (قال الراوى) ثم ان المعتصم صاح على العساكر وقال لهم ياويلكم احملوا علىذات الهمه وأصحابها فمابقى لها جناح تطير به ومن أخذها أعطيته وزنها ذهبا فلما أن سمعوا كلام الامام حملوا عليها العساكر وتبادرت اليها الدساكر هذا والأميره قدكشفت رأسها فبان شمطها الأبيض وقالت والله ما بقى على بعد ذلك ملام وانروحى بعد هذهالساعة علىحرام لأن الدنيا ما تطيب الا بأهلها وسوف أبذل مجهودى حتى أخلص أصحابى الفرسان وجعبر واللملمان وظالم وقشعم والسودان وان قدرت أن أترك بلاد هؤلاء القوم وأرحل الى بلاد الآباء والأجداد وإلا فالملتقى عند المولى ثم انها قالت عند ذلك لأصحابها ان ضربتم بسيوفكم فلا تضربوا بها الا بالعرض واذا طعنتم بالرمح فيكون بلا سنان لأنهم مسلمين وأنا ما مرادى إلا خلاص أولادى من عندهم لأنى أخاف

أن يحملوا الخليفة على قتلهم كما حملوه على قتل ولدى والبطال ثم أنها حملت وهى تطلب ما عليه قد عزمت (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم (وأما ما كان) من ملك الروم الملك ميخائيل فانه لما أن عاين ذلك الحال تعجب من شجاعة الأميره ذات الهمه وقوة قلبها وكيف قد حملت وأرمت روحها على تلك الخلائق فالتفت الى البطارقه الذين من حوله والملوك والى غيلان الشوك وقال لهم ماترون من الرأى فقالوا له فى أى شىء أيها الملك فقال لهم فى شىء لعباد المسيح فيه راحة عظيمة وهو أن ملطيه لم يبقى فيها أحد والأميره ذات الهمه قد حملت وخاضت العجاج وقد خطر لى أنا الآخر أن أحمل حملة واحدة الى صوب البلد وتتقدم الثقابة وينقبوا من حول الباب ويرموه فى أقل من طرفة عين وقد ملكنا البلد فقالت له ملوك الروم الرأى كما تراه أيها الملك (قال الراوى) فأمرهم بذلك فحملوا صوب البلد وما زالوا فى حملتهم الى أن قاربوا البلد وبقوا تحت الأصوار فاستتروا بالاتراس من رمى الأحجار فتقدمت الصفوف بالقسى والنبال فانكشف برج الباب من الرجال فصاح الملك ياويلكم اكسروا الأبواب واهجموا البلد هذا وقد علا الصياح وانعقدت وسمعت الاميره ذلك الصياح فعادت بقلب ملهوف وجعلت تخرق الصفوف وبنى كلاب والسودان قد عادوا ولحقوها وحملوا مثل حملتها وهم ينادون الحريم الحريم والصبر على البلاء العظيم ينجى غدا من نار الجحيم ياقوم أما تسمعوا صياح النسوان وضجيج الأطفال من خلف الأصوار دونكم وخلاصهم من قبل أن يبقوا للروم جوار ولاتموتوا الا تحت سيوف الكفار (قال الراوى) هذا ولم تزل الأبطال بالابطال والاقيال والرجال تنصدم والرماح تنحطم والفرسان تتهشم والدماء تنسجم حتى صارت الاميره بقرب الباب وهى تنادى يال كلاب (قال الراوى) فلما أن نظر الملك الى ذلك خرج من تحت الأعلام وقد عول على الحملة فلم يمكنه غيلان وقال له أيها الملك بعد ماتحمل ايش نعمل نحن أليس أرواحنا لك الفدا ثم أن الملعون حمل فى السودان المنتصر من عباد الصليب وقد ذكرنا فى غيلان الشوك من القوة والشجاعة هذا وقد صدم الاميره عند خروجها من الحرب وتعبها من الطعن والضرب حتى كلت منها السواعد فعندها لقاها الملعون بالرجال المستريحه فبطح عند ذلك رجالها ونكس أبطالها وقتل جماعة من فرسانها وهدر الملعون وزمجر وصلب على وجهه وكفر وانقض على الأميره انقضاض السهلب وقد كانت الاميره على غاية من التعب فالتقته بقلب صافى النية صادق الطويه وهى توحد رب البريه مشتاقة الى الجنان العليه وكان الملعون غيلان قد صوب الى

صدرها القنطاربه فأمهلته حتى علمت أن الطعنة قد قاربتها وضربت قنطاريته بالسيف برتها وخرج عند ذلك حصانها مثل السحاب واحتك الركاب بالركاب وكانت الأميره قد أخرجت رجلها من الركاب ورفصت جواد غيلان الشوك على أضلاعه كبكبته ونكست غيلان من على ظهره فنزل على دماغه ووقع على أم رأسه فأوهنت أساسه (قال الراوى) فلما أن رأت سودانه أن أميرهم قد تنكس من على جواده وصار تحت رجليه عند ذلك أدركته سودانه !لمنتصره وخافوا عليه وأدركته وازدحمت من حواليه هذا وقد تلاطمت المؤمنين والكفرة وجرى للأبطال فى هذه الساعة أشد ماجرى فى القتال هذا وقد أظهر الشجاع ماعنده ومد الخصم الى خصمه باعه وسطا اليه زراعه وقد قاتل كل واحد منهم على قدر الاستطاعة فكان ذلك النهار مثل قيام الساعة هذا وقد سمع ملك ما جرى على غلان فخرج من تحت الأعلام والصلبان ولعب برمحه الحديد وهو مثل البرج المشيد وقد صار الملك يطعن الفارس ويشيله على رمحه فيرفعه بما عليه من الزرد وينفضه فيقع وكلما فى جوفه يتبدد هذا والبطارقه يعوذوه عند ذلك بالانجيل وكان كيف ما مال يميل (قال الراوى) فكان عند حملته فرج لأهل البلدلان البلد قد قل عنهم فصاروا تحت الأصوار وكبروا ونادوا باسم الملك الجبار وارموا المسلمين من فوق الأصوار على الكفر بالاحجار فقتلوا خلق كثير من أهل الصليب والزنار ممن كان مع الملك من القوم الاشرار وكان كل من قرب الصور هلك وصار الى الارتحال الى جهنم وبئس القرار وكان ذلك الوقت قد صار الغياب وماصدقوا المسلمين أن يروا آخر النهار فدخلوا من الباب بعد دق طبل الانفصال وقد كلوا وملوا مما قاتلوا وقد هلك منهم خلق كثير وشىء جريح هذا ولم تزل الأبواب مفتوحه على حالها حتى مابقى انسان والاميره تفتقد الابطال الى أن مابقى منهم انسان وبعد ذلك دخلت الاميره ومن معها من الابطال وعادوا الروم الى الخيام وقد انتشرت جيوش الظلام وقد نزل الملك فى سرادقه وقد كاد الغيظ أن يخنقه حيث لم يبلغ غرضه من أهل البلد ولانال مقصوده وكان غيلان قد حملوه من تحت ارجل الخيل وهو على آخر نفس فادعى له الملك بالحكماء وأمرهم أن يداووه وقد حمل الى خيمته وهو لايعقل على نفسه هذا وقد اشتغل الملك والروم بغيلان وهو الذى أوصل الأميرة وأصحابها الى البلد والاما كان وصل منهم أحد (قال الراوى) وكان الخليفة قد ركب فى موكبه وابصر ماقد جرى للمسلمين مع الكفار فقال مالهذه العجوز وبنى كلاب فى الحرب ثانى ولو لاشجاعتهم وجسارتهم ماكان سلم منهم أحد فقال عمرو بن عبيدالله

والله ياأمير المؤمنين ان سلموا اليوم ماسلموا غدا ولابد ما يؤخذون لأنهم مما قاسوا
فى هذا اليوم مابقوا يخرجون وفى غداة غديفتح الباب الملك ميخائيل ويأخذ البلدلأن
البرج عرقبوه ولولاشغلهم اليوم بغيلان كانوافتحوه والصواب أننافى غداة غدنزحف
معهم الى البلد ويقوى الحصار وتنقلب الأصوار حتى يكون الفتح لنا منسوب وعدونا
بعد ذلك فى أيدينا مسحوب فقال المعتصم هـذا هو الصواب والامر الذى لايعاب
فتأهبوا للقتال (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الاميرة ذات
الهمه فانها لماأن دخلت الى ماطيه افتقدت أبطالها فوجدتهم فى غاية الضر والعيش
المروا كثرهم مجروحين فقالت لهم ياقوم مابقينا نخرج من خلف الأصوار حتى تهدأ
المؤمنين الابرار بل اننانحامى عن البلدوعن انفسنا على قدر جهدنا من على الأصوار
ونبصر ما يكون من هذه الأحوال ثم ننتظر الفرج من الملك الستار (قال الراوى)
ثم أنهم باتوا طول الليل فى نقـل الاحجار الى الابراج والأصوار ويطلبون النفط
والنار ولماان كان عند الصباح قامت الرجال من مراقدها هـذا وقدركبت الـكتائب
والمواكب وزحفت الى البلد من كل جانب ونادى المنادى من قبل الملك يامعاشر
البطارقه من يبين اليوم فروسيته اعطيته المال واخلعت عليه ومن قصر طيرت رأسه
من بين كتفيه فلما ان سمعوا الروم من الملك ذلك المقال فزحفوا بقلوب قريحه وخيول
مستريحه وقدركبت عساكر الخليفه فى ثمانمائة ألف بعد ماأرسل المعتصم الى الملك الذى للروم
واخبروه بذلك فقال له افعل ماتريد وكانالك عبيد وكان هذا الجواب برأى الملعون
شومدرس حتى انهم يملـكوا البلد (قال الراوى) فعنـد ذلك قدنصبت المناجيق
والفرادات وتزلزلت الأرض من ركض الخيـل العربيات وكثر الأنزعاج وقربت
السلالم من الابراج فلما ان نظرت الاميره الى ذلك فهانت عليها المهالك وقدقالت لضيغم
ابن الأمير عبدالوهاب ياولدى خذ نصف الناس وقف فى صدر الروم وانا آخذ النصف
الآخر وأقف فى مقابلة المعتصم وعساكره فقال لها افعلى مابدالـكى وافعلى ماتريدين
واعلمى أننا كلنا اشتقنا الى لقاء الله تعالى وصاح فى السودان وقدصاحت الامير فى بنى
كلاب واختلط عند ذلك الخطأ والصواب ورموا من الطلاقات الأحجار وضربوا
السلالم بالنفط والنار فاحرقت الاخشاب ودقت فى الاجساد وكذلك الاتراك أهلـكوا
جماعة من بنى كلاب والسودان الانجاب بالنشاب هذاوقد زادوا فى الأمر حتى ترجل
ملك الترك وأرمى شربوشه من على رأسه وزحف بنفسه الى الصور وفعلت الفقجق
مثل فعاله وتقدمت الخراسانية قدامهم تسترهم من البلاء والآفات هذا وقد تمكنوا عند

ذلك النقابين من الصور ورموا فى الحال صناديق الصخور إلا أنه ما افتتح له ذلك النقب إلا وقت المساء وكانوا المجاهدين قد بذلوا المجهود وقاتلوا قتال يشيب الاطفال فى المهود حتى اختلط الظلام وولت عساكر الابتسام وعادت العساكر الى الخيام وقد تباشروا أنهم فى غداة غد يفتحون البلد (قال الراوى) هـذا وقد كانت الروم أيضا قد تقدمت ونقبت من الجانب الآخر نقب عظيم وبقوا أهل البلد وقد أيقنوا بالسبي والهلاك هذا والاميره ذات الهمة تقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولابد ما نقاتل الاعداء فى النقوب ونتكل علام الغيوب وأى من أسرناه ريحناه على قبر الامير عبد الوهاب (قال الراوى) هـذا وان عذيبه لما ان نظرت إلى ذلك الحال والأمر الصعب والقوم يدعون بعضهم بعض أخذت أختها وغلمان أبيها معها ونزلت من البلد بعد ان قالت للاميره ذات الهمه ان مقامنا عندكم ما يفيدكم فدعونا نكون من برا البلد عسى نقدر لكم على شيء ثم أنها سارت وطلبت عساكر الروم واختلطت بهم هذا وقد باتت الاميره عند قبر ولدها تندب عليه وتبكى الى الصباح ولما أضاء النهار وانكشف الضوء طارت العساكر تطلب الحرب والكفاح فبينما هم كذلك وإذا قد أقبل من ناحية العراق غبار ونار إلى ان سد الاقطار فمدوا اليه العساكر الابصار ساعة من النهار فقالوا أهل البلد عسى يكون لنا فيه فرج عند الملك الجبار وقد انكشف الغبار وبان عن أعلام وصناجق فعند ذلك أنفذ المعتصم بعض الحجاب يكشف له الاخبار وقد بطل القتال هذا ولما ان نظر ملك الروم الى ذلك فأمسك عن القتال وأنفذ جاسوس الى عسكر الاسلام يأتى بالاخبار حتى ينظر ما يكون هؤلاء القادمين ومن أى الامصار (قال الراوى) ان كان هذا الغبار عسكر الخليفة الذى كان فى العراق ولم تكن الا ساعة حتى عاد الحاجب الى المعتصم وأخبره ان صاحب البصرة قد قدم هارب لأن البلاد قد ملكت والعباد قد هلكت وما وصل صاحب البصره الا وهو مجروح فلما ان سمع المعتصم الى ذلك اصفر لونه وارتعب كونه وصعب عليه وكبر لديه وبعد ساعة وصل صاحب البصرة وهو مجروح كما قال الحاجب ودخل على المعتصم ووقف بين يديه وقبل الأرض وأشار ينشد ويقول :

الى يا ابن المفاخر والمعالى أجرنى واستمع منى مقالى
فقد طرق العراق جيوش قوم من السودان بالبيض الصقالى
لهم ملك يرد الخيل قهرا بطعن من اسنات العوالى
اذا سدت معالى كل باب فتحها بالخديعة والمحال

وكل مدينة قد زينوها بقاضى تحت حكمهمو ووالى
وانى قد أتيت اليك أشكو بدائع ماترى من سوء حالى
ومعهم صاحب يختال حتى يريك الشمس تطلع كالهلالى
أبادونا الزنوج وأخرجونا وأفنوا عند حملتهم رجالى
فبادرنا واحمينا سريعا والا يوثقونا بالحبالى

(قال الراوى) ولما ان فرغ من شعره قام المعتصم وقعدمما سمع وقال له ياويلك دعنى من ذلك الشعر والنظام وقل لى ما الخبر فقال له يامولاى قدخرجت علينا سودان زنج وهنود فى مراكب وقدملكوا عبادان وأخذوالهم منها خيول وساروا الى البصره وفى أوائلهم ملك لهم أسمر اللون يقال له عبود لقيته فى مائة ألف من عساكر العراق وكان هوفى عشرة آلاف فارس فكسرونى ثلاث مرات وملكوا البصره وقدالتم عليهم كل من كان طالب المكسب من طاعة العرب وقدساروا الى بغداد وملكوها وقد انهزم ولدك الواثق الى بلاد العجم وانهزمت انامع من انهزم وهم خلفى سائرين يملكون هذه الأرض والى هذه الديار طالبين وقدسمعت ان خلفهم عسكر عظيم وأنهم يريدون الارض فى الطول والعرض وأنهم قدقالوا يعيدون الدوله للسودان ويقلعون البيضان من سائر البلدان وهم فى عزمة عظيمه مثل نارسقر لاتبقى ولاتذر وأكثر البلاد أخذوها بالحيل لأن وزير هذا الملك عبود يقال له حمود الخداع يفتح بتدبيره القلاع ويكسر الجيوش ولو كانت بعدد رمل البقاع (قال الراوى) فلما أن سمع المعتصم هذا الكلام داخله الفزع وكاد قلبه أن يتصدع وقال اخفوا هذا الكلام ولاتبدوه لأحد من الانام حتى تنجز أمر ملطيه ويرحل عنها الملك وسائر الروم ويسير الى بلاد النصرانيه ونعود نحن الى هذا الخارجى باهتمام ونخلص منه سائر ماملكه من البلاد وما احتوى عليه من سائر الامصار بالحسام إلا ان علم ملك الروم بحالنا جمع علينا وطمع فينا وزاد البلاء علينا ولايبقى لنا حال من الاحوال (قال الراوى) فهذا ما كان من المعتصم (وأما ما كان) من ملك الروم فانه لما أنفذ جواسيسه يكشفون له خبر الغبار فغابوا قليل وعادوا اليه وأخبروه بالأحوال على جليتها ففرح بذلك وجمع ملوك الروم واعلمهم بماجرى على الخليفة ورواح بلاده وهلاك عساكره واجناده وعبد الوهاب والرجال وهذا كله بعناية المسيح الذى قدأهلكهم وهذه المرأة ومن معها قدأشرفوا على الأخذ والاسر وقدرأيت من الرأى أننا نكبسهم الليلة إذا أقبل الظلام ونحل بهم لويل والوبال فقالوا الملوك شاوروا الشيخ النجيح فى هذا الامر ان كان قدطلع له

اخبر لأنه بهذه الأمور منا أبصر فقال لهم الملك ياقوم اعلموا ان الجواسيس قدذكروا الى أنهم مارأوه فى عسكر الخليفه وماأظنه الاقد حصل فى البلد مع هؤلاء المجاهدين (قال الراوى) ثم ان الملك بعدذلك أمر النقباء ان تدور فى العساكر ويوصوهم ان يكونوا على أهبة الكبسة على المسلمين فساروا مقدمين العساكر وأعلموا جميع الروم وقدتأهبوا واستعدوا للكبسه وأقاموا على ذلك الحال الى ان أظلم الليل والمعتصم ماعنده من هذا خبر بل أنه أحضر النقباء واخلع عليهم وقال لهم وتربة الرشيدان فتحتم البلد غدا أعطيكم ماشئتم من الخلع والاموال لانى من أمرى على عجل فقالوا له ياأمير المؤمنين ان فتحناها غداوالا يكون بعد غد (قال الراوى) هذاوقدبات المعتصم متيقن بفتح البلد وهو مشتغل الخاطر بالخارجى الذى ملك البلاد ولما أن تنصف الليل كبسته عساكر الروم وانطبقت على عساكره فى ألف ألف ومائة الف يتبعها مثلها هذا وقدارتفع عند ذلك الصياح حتى قيل ان السماء قدانطبقت على الارض وخيل للمعتصم ان جبال الدنيا قدقلعت والبحار قد تلاطمت فوثب قائم بلاعقل وقال هذا ما كان فى الحساب والله لقد غدر ملك الروم فى وقت صعب هذا وقد قام القاعد واستيقظ الراقدوعملت السيوف فى الليل الداج وسالت الدماء من الاوداج مثل البحار وعمل صارم الهلاك وقد أرموا بالسهام فى الظلام فأصابت المقاتل الرجال من شاب وغلام وعجل الحسام وفلق الهام وهشمت العظام وقل الكلام ودار ملك الموت عليهم بكاس الحمام وانقلبت الارض بوقوع الحوافر فى تلك الظلام واختلطت العساكر بالعساكر فكانت كالبحار الزواخر ولم يعرف الأكابر من الأصاغر وبان الرابح من الخاسر وقد همهم البطل وزمجر وجرت على القوم العبر وحكم عليهم القضاء والقدر وجرت سواقى النجيع وشاب من هول تلك الليلة الطفل الرضيع هذا وقدهجموا الروم الى الخيام التى فيها المعتصم وقد قتلوا السادات والعبيد وطرحوا الأجساد على الصعيد (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر القتال وما جرى من الحرب والنزال (وأما ما كان) من الأمير ظالم وجعبر واللملمان ومن كان معهم من العرب فانهم لما وقعت الوقعة فى هدء الليل هربوا الموكلين بهم وقدتركوهم فتاروا مثل الجمال لما أن رأوا كثرة الأهوال وقد فك كل واحد حديده وانطلق من قيوده وقد ركب بعضهم على الخيول الغائرة وبعضهم صارا راجلا فرحا بالخلاص وقدقصدوا املطيه هذا وقد علمت الاميره ذات الهمه بذلك فقالت والله غدر ملك الروم فقال الأمير ضيغم والله لاخرجنا اليهم ولا كنالهم ولاعليهم فقالت الاميره لا والله بل نخرج اليهم لأجل أخيك ظالم والامير اللملمان وجعبر ومن معهم من السودان

والعرب والفرسان ثم انها أمرت بنى كلاب أن يفتحوا الباب واذاهم بظالم واللملمان ومعهما طائفة من السودان وأكثر الناس قريب من الأصوار يتفقدون باقى أصحابهم ففرحت الأميرة بهم وهنأتهم بالسلامة ونظرت الأميره الى البر واذا بالأرض قد انقلبت من التخوم والعالم بعدد الحصى والنجوم والسيف يعمل والرجال تقتل والدم ينزل ونار الحرب تشعل الى وقت السحر (قال الراوى) وقد اندقت عساكر المعتصم منهزمة وقد أخذت الروم المال والخيام والمضارب هذا وقد أنفذ ملك الروم عند الصباح الى الاميره رسول يقول لها أيتها الاميره أنتى عملتى ماعملتى مع المعتصم من كل جميل وفى الآخر قتل ولدك وأتى يحاصرك فى بلدك وأنا أريد مثلك بينى وبينه وأنا وحق المسيح أصافيك وأجعلك من بعض الأصدقاء والأصحاب وأنتى أيضا تعلمى أن بيننا نسب لأن ستى ميمونه كانت منكم وأنتم أقرب الى من الروم ولكن قد ربيت بينهم وعلى دينهم ولا بد اذا افتحت البلاد أعطيكم اقطاع من بعض الأقاليم ويكون بينى وبينكم الهدنه بطول السنين ولا أخاف ماتقولون (قال الراوى) ولما أن وصلت الرسالة الى الاميره ذات الهمه فأنفذت تقول له أنا ما أدخل بينكم وأما الصلح بينى وبينك فان هذا لا يكون أبدا لأن ليس لكم عهد ولا ميثاق ولا تحبوا الا النفاق وتكرهوا المسلمين وتخلفوا وتغدروا وليس لكم اتفاق فعاد الرسول واعلم الملك بما قالت الأميره من المقال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما أن جرى ما جرى وانهزم فانه طلب آمد وما عبر من الغداة حتى هلك من عسكره خلق كثير وقد تبعه ملك الروم يوم وليلة حتى أدركه فى خرت برت ووقع السيف فى الناس فهلك أكثر بنى سليم ومن الاكراد وعسكر العراق وقد عدم منهم عالم عظيم هذا وقد داروا الاتراك والمقدمين من العساكر بالخليفة وقد صاروا هاربين والروم خلفهم سائرين ولهم طالبين حتى أشرفوا على آمد هذا وقد حل بهم من الهزيمة أعظم مما حل بهم من الكسره هذا وقد هلك تحت المعتصم خمس جنائب من الجياد حتى وصل الى آمد وما وصل اليها حتى مابقى معه إلا نفر قليل هذا وقد تبعه ملك الروم فى ذلك الخلق العظيم ونزل على البلد وقد تلاحقت به الكتائب والمواكب وكانت الاميره لما ان أخذ ملك الروم متاع المعتصم وتبعه فى حال انهزامه لما أن أنفذ اليها الرسول فما كان لها شغل إلا أنها هجمت بالرجال على ثقل ملك الروم ميخائيل ووضعت السيف فى بطارقته وقد تركت الدماء منهم تسيل من ضرب السيف الصقيل وقد أهلكت خلق كثير من عبدة الانجيل وقد حازت جميع مافى الخيام بقدرة الملك

العلام وصارت تصيح يا آل كلاب يا آل يالثارات الامير عبد الوهاب فان كان غاب في اللحود فان أمه تنوب عنه في قتال أهل الكفر والجحود وصارت تنادى الله أكبر الله أكبر وأصحابها تنادى من ورائها كندائها وقدرأت الاميره هناك أو في من عشرة آلاف منهم من هو مقيد ومنهم من هو حديده مجرد ومنهم من يده صارم مهند وهو يصلى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فقالت لهم الاميره ياويلكم من تكونوا فلما أن رؤها عرفوها وعرفتهم فقالت لهم واين ظالم فقالوا لها انه قد خلص في هذه النوبه وخلص اللملمان وجعبر وسائر المأسورين وقد أعطى بعضنا السيوف وترك بعضناها هنا وقوف وقال لنا انني أريد أن أبادر الى المعتصم لعله يقع يدى فاضربه ضربة أشفى بها غليل صدرى فقال جعبر لا والله ماأدعك أن تضربه قبلى ومايضربه في الأول إلا أنا وأنت اضربه بعدى وقد رأيناهم الاثنين وقد سارا خلف العسكرين (قال الراوى) فلما أن سمعت الاميره منهم ذلك المقال قالت ماشاء الله كان فبينماهى في ذلك الأقوال واذا به قد أقبل وجعبر الى جانبه ففرحت بهم الاميره لما ان رأتهم عادوا سالمين وقالت لهم يا أولادى أين كانت غيبتكما فقالوا لها اننا قد سرنا خلف المعتصم لنقتله فلم نقدر على ذلك من كثرة العساكر هذا وقد كانت الاميره ذات الهمه قد ملكت الثقل واحتوت عليه واغتنوا الناس غنا لافقر بعده وقد فرحوا بذلك ونجاهم الله من المهالك (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملك الروم ميخائيل فانه مازال بعساكره خلف المعتصم الى أن وصل الى آمد ونزل بعساكره عليها وكانت عساكره عدد النجوم وكان معهم السلالم والأبراج وآلة الحصار التى كانت مع المعتصم على ملطيه هذا وقد انفرشت العساكر الى ناحية نصيبين وقد نهبت الفلا والرساتيق وأقام المعتصم في آمد محصور ضيق الصدر باكى على من عدم من أصحابه هـــذا وقد وصلت الأخبار الى سائر البلاد بكسر المعتصم وعساكره وبحصره في آمد وأن ملك الروم واخذ ماله ونواله وجميع ثقله ورحاله وكان قد دخل معه عشرين ألف ترك وهربوا الباقين وبعضهم قتل وبعضهم طرد وبعضهم شرد (قال الراوى) فلما أن رأى المعتصم الى ذلك الحال وان النوبة صعبة أقبل على الوزير الفتح بن خاقان وجعفر بن عبد العزيز وأبا يوسف وأرباب الدولة وعمرو بن عبيد الله وكان قد دخل معه خمسة آلاف من بنى سليم والباقى تشتتوا في البر والقفار وقد هلك أكثرهم وطلبوا الباقين النجاة الا أن المعتصم أقبل عليهم وقال لهم كيف ترون هذه النوبة المشكلة الذى هلك فيها العالم وقد

تفرقوا المسلمين وضعف الدين وأحاطوا بنا عساكر المشركين وان اشتد علينا القتال أخذونا كلنا فى الحبال وسرنا معهم الى بلد القسطنطونية محمولين على الجمال ووالله ما كانت سعادتى إلا بوجود عبد الوهاب وما زلت أسمع من كلام الحساد حتى سقيته كاس الذهاب وتحملت ذنوبه يوم الحساب وكل هذا الذى قد جرى لى بما فعلت معه وما حسبت الحساب (قال الراوى) هذا وقد دام على المسلمين الحصار من الروم الكفار حتى قل عنهم الزاد وأكلوا خيولهم لأن آمد ما كان فيها شيء من الغلة هذا وقد أشرفوا المسلمين على الهلاك من قلة الأكل وقد طمع فيهم الملك ميخائيل وفى البلد وقد قالوا له الملوك إذا أخذت المعتصم ملكت الدنيا بما فيها هذا وقد ضاقت على المعتصم الأرض بما رحبت وأيقن بالهلاك وقال لعن الله من كان السبب فى ذلك وانى ما قبلت قط من رأى عقبه وأصبت ولا فلحت بطول الزمان لأنه رجل غير موفق (قال الراوى) وفى ذلك اليوم وصلت الكتب على أجنحة الطيور تخبر بأن الموصل قد ملكوها السودان وهم سائرين إلى باقى البلدان فقال المعتصم دعهم يملكون الى الصعيد الأعلى لأنهم أحق من الروم وأما أنا اليوم من الهالكين لا من المالكين وأنا أعلم أن هذا كله بما فعلت فى حق الأمير عبدالوهاب وأبو محمد البطال ومن أجلهم جرى على وعلى المسلمين هذا الوبال فوا أسفاه على من يرد الأميره ذات الهمة إلى طاعتى حتى كنت والله أشاركها فى نعمتى ومملكتى وأوليها أمر خلافتى لعلها أن تجعلنا فى حل من دم ولدها وتبذل فى خلاصى من هؤلاء الاعداء المجهود فقال رجل من بنى سليم ياأمير المؤمنين وماعسى أن تعمل ذات الهمه فى هذه العساكر التى قدسدت الفضا وملأت المستوى (قال الراوى) فلما ان سمع المعتصم منه ذلك المقال صاح فيه وقال له ياكلب بنى سليم بمثل هذا المقال يتم علينا هذا المصاب منك ومن ابن عمك عقبه ومن أمثالكم تنزل علينا النوائب فلعن الله من كان السبب فى ذلك فقال الوزير والله يامولانا مايذم الاميره ذات الهمه وأولادها ومن يلوذبها الامن يكره دولتك فقال له المعتصم صدقت وحق آبائى وأجدادى كل من عاديذكرهم لى بسوء ضربت رقبته ثم أنه قال للوزير أيش يقول فى مكاتبة ذات الهمه وردها الينا فقالوا أرباب الدوله والله مانظنها تعطيك أبدا لأنك أحرقت قلبها على ولدها فقال له الوزير اكتب يامولانا اليها كتاب وأنا أسير به اليها لأنها امرأة تغير على دين الاسلام وتحامى عن المسلمين وهى طيبة الأصل والفرع مجتهدة فى دين صاحب الشرع فان أجابت فهو المراد وان أبت كانت عند ذلك معذورة فقال المعتصم هذا هو الصواب (قال الراوى) ياسادة

فعند ذلك كتب المعتصم لها كتاب بيده وكتب فى أوله شفاء الصدور بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فان الحلم من شيم الكرام وما كتبت هذا الكتاب إلا وأنا أعلم أنى مطالب بولدك الأمير عبد الوهاب وأنى خائف من رب الأرباب أن لاتحالليني بحسن نيتك وان لم ترعى حق لأجل ما سمعت فى حق ولدك من كلام اللئام فارعى قرابتى من محمد سيد الآنام عليه أفضل الصلاة والسلام وقد كان الذى كان والغائب سابق يعود ياأميره واعلمى أن بلاد العراق قد ملكتها السودان وقدحاصرونى الروم فى هذا المكان وأنا خائف أن تزول دولتى وتنقطع بنى العباس ويشمتوا بنا أهل الكفر والطغيان الأنجاس فبادرى بحميتكى وحسن رأيك ومروتك لعل أن يكون للمسلمين فرج ونحامى عن قوم قد أيسوا من الخلاص وأيقنوا بسبى الأولاد والعيال وهتك النسوان المخدرات وارحمى يرحمك الله ولا تؤاخذينى بما قدر الله وحامى عن من طول ليلهم ونهارهم يقرؤن القرآن وان لم يكن لكى قدرة بملاقاة عسكر الصلبان فابصرى كيف تحتالى على خلاصنا من هذا المكان والسلام عليكى ورحمة الله وبركاته ثم أنشد يقول :

أذ لهمة ندمت على فعالى ... على من كان سيف المسلمينا
سمعنا فيه أقوال الأعادى ... وأصبحنا عليه نادمينا
وكان هلاكه حتما عليه ... وكان قضاء رب العالمينا
ظلمناه فكوفينا سريعا ... وسرنا عبرة للناظرينا
أبادتنا سيوف الكفر حتى ... بقينا فى الفلاة مطرحينا
وكم من سيد أمسى قتيلا ... على آثارنا يبدى الأنينا
ينادى آه من كاس المنايا ... إلهى أنت مجزى الظالمينا
حكمت بما تريد فلا اعتراض ... وأيتمت البنات مع البنينا
فعوضنا جنان الخلد حتى ... نكون بما صبرنا فائزينا
ولو نظرت عيونك للسبايا ... تريهم فى الحبال مكتفنا
ينادوا أن من يحمى حمانا ... حقيقا من سيوف الكافرينا
ومن ينجى لنا من كل خطب ... وأين الراكعين الساجدينا
لقد غدر الزمان بهم فولوا ... بلا شك أسارى مارقينا
وقد ملك العراق وصار فيه ... من السودان قوما مفسدينا
فراعينى ولا تبدى جفاء ... بحق رسول رب العالمينا

محمد خير هذا الخلق طرا وسيد الانبيا والمرسلينا
فكونى ارحمى قوما حيارى وليس بقى لهم أحدا معينا
وهذا من خليفتكم اليكم فكونى اسعفيا واحمينا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الخليفة من كتابة الجواب أعطاه الى الوزير وقال له تجهز للمسير فقال السمع والطاعه وقد صبر الوزير الى الليل وفتح باب الجبل لان ما عليه للأعداء منزل هذا وقد سار الوزير وجد فى سيره ومازال سائر الليل والنهار الى أن وصل إلى ملطية فوجد الاميره ذات الهمه نازلة على نهر قباقب وقد خرجت فى عساكرها من البلد وأمرت الناس بعمارة ما انهدم من الأصوار وكانت الاميره معوله فى هذه الأيام أن تحمل الملعون عقبه وتسير به الى القسطنطونيه وتصلبه على بابها وهى خالية من العساكر لانها قد علمت أن عسكر الروم ملكها فى اليتال وأن تشتهى قبل مسيرها أن تعلم ماجرى للمعتصم وهى خائفة أن يظفر به ملك الروم ويضعف المسلمين (قال الراوى) فبينما هى على ذلك الحال وإذا بالوزير قد أقبل عليها وحصل بين يديها فلما أن رأته قامت اليه وبجلته ورفعت محله وعظمته وقدبكت فى وجهه على ولدها وشكت اليه قتل ولدها وفقده وقلة صبرها عليه وجلدها ثم قالت له أيها الوزير وكيف طاب عليك أن تغرق فى الدجلة مثل هذا البطل الهمام الذى كان يحامى ويقاطع للاسلام فهم الوزير أن يعلم الاميره بأمر ولدها نخاف ثم أنه عاد إلى عقله وقال ربما يتشوس قلبها ويردد طمعها وربما أصيب عقلها فسكت عن ذلك الكلام ولزم الناموس وقال لهايا أميره ما كان بخاطرى لأن المعتصم كان قد وكل بى جماعة من الخدام فما قدرت أن أخالف الإمام وكانت قد جرت عليه هذه الأحكام ونفذ فيه حكم الملك العلام وأنتى تعلمين أن كاس الموت دائر على الأنام لابد لكل أحد من شرب الحمام ان كان قتيلا أو غريق أو على فراشه وقد قال تعالى (لكل أجل كتاب) ومع ذلك فان الله يعوضك عن ولدك بالأجر والثواب ويخفف عنكى ثقل يوم الحساب وسوف يندم قاتله بين يدى رب الارباب يوم تظل الابصار طائره والنفوس حائره والجبال سائره والسماء مائره والكواكب منتشره والعقول مشتهره والشمس مظلمه وجهنم معتمه والانفس نادمه على ما كانت مقدمه هنالك يفرح عبد الوهاب على ماترى عيناه ويندم الخليفه على ماقدمت يداه مما عمل فى حقه وسواه (قال الراوى) هذا وقد كانت الاميره ذات الهمه كلما سمعت أهوال يوم الحساب قد جرت دموعها بانسكاب ثم قالت له بعد ذلك أيها الوزير وبعد ذلك فيما أتيت

الينا وتعنيت فقال لها اعلمى يا أم المجاهدين ان الله الذى أنطق الألسن وشق الأعين قال فى كتابه العزيز (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) واعلمى يا أم المجاهدين إن الروم قد ملكت البلاد وأهلكت العباد والسودان فى العراق قد أظهرت الفساد وان دام هذا الخلق بينكم شمتوا بنا الحساد ونما الفساد وزاد وهذا كتاب الخليفة اليكى بالاعتذار فاعذريه ودعيه وربه يجازيه فلما سمعت الاميره من الوزير هذا الخطاب وقرأت ما فى الكتاب جرت عند ذلك دموعها مثل السحاب على ما أصابها وأصاب المسلمين من هذا العذاب وعلى من قتل منهم من الشيوخ والشباب وقالت اللهم صبرنا على بلاك واجعل خيار أيامنا يوم لقاك ثم أنها قالت اللهم ارزقنى الصبر على ولدى وبرد عليه نار كبدى لأن ما مات إلا وقد صار شيخ كبير وكان للاسلام نعم النصير ونحن لاشك به لاحقون فلا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون (قال الراوى) ثم إنها أجابت الوزير الى المسير وقد رتبت فى ملطيه من يحفظها وهو الامير قشعم بن الامير عبد الوهاب وقد وكلت بالقاضى عقبه أربعة من غلمانها يحفظوه ولما كان من الغد عولت على الرحيل وقد شاورت فى ذلك الأمير ظالم وضيغم فأجابوها الى ذلك خوفا على قلبها وقد رحلوا معها وصارت تقطع الأرض فى الطول والعرض وكلما نظرت قتلى المسلمين وهم مطروحين فى ذلك الفلاء والوحوش عليهم عاكفه فاض دمعها وتصدع قلبها وتقول كان هذا فى الكتاب مسطورا والله ان ذنبكم فى رقبة من كان السبب فى قتلكم ويتم أولادكم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملك الروم فانه داوم الحصار على آمد والقتال ليل ونهار وقد أبصر قوة البلد والأصوار فقدم اليها الأحجار وزحف بالبطارقة والأعلاج وكانت هيبة الملك قوية فى قلوب الملوك فنصحوا معه فى القتال وقد قتلوا خلق كثير من داخل البلد هذا وقد زاد على القوم الحصار والقتال والفساد وقل من عندهم العلف والزاد هذا وقد أيس المعتصم من نفسه لما أن رأى هذا الأمر المنكر وأيقن ملك الروم بالنصر والظفر (قال الراوى) ولم يزل القتال عمال خمسة عشر يوم ولما أن كان فى اليوم السادس عشر فلجوا أهل آمد الى ربهم بالدعاء بعد ما أيقنوا بالفناء وقد وقع بعضهم على بعض ونحلت منهم الأجسام من قلة أكل الطعام هذا وقد نظر الخليفة الى ماحل بجميع الناس فوقع به من ملكه الاياس وقد ضاقت من شدة ماهو فيه الأنفاس (قال الراوى) فبينما المعتصم فى ذلك الوسواس وإذا

بغبار قد لاح وقد تكدرمنه ضوء الصباح وقد رمقوه بالأبصار الصحاح وبعد ساعة من النهار قد بان للابصار وبان من تحته عساكر المجاهدين الأبرار وفى أوائلهم الأميره المجاهده مثل الليث الهدار والى جانبها الامير ظالم وضيغم وبين يديها اللملمان وجعبر ومن خلفها السودان ولها تهليل وتكبير قد أزعج الجبال وسائر المكان (قال الراوى) فلما أن نظرت أهل آمد إلى ذلك أيقنوا بالفرج وقد أجابوها بالصياح من كثرة الافراح هذا وقد تأخر ملك الروم عن الاسوار وتمحضت عساكره تمحض البحار واستغاثوا بعيسى بن مريم وهو ليس لهم من الانصار وماجت الارض من كثرة الامم هذا وقد وكل ملك الروم بالبلد ملك الارمن وملك الدوقس وعاد فى باقى عساكره يلتقى الجيش الذى قد ورد وشومدرس يقول أيها الملك لاتترك القوم يستريحون فقد حسبت لك هذا الحساب وقلت لك سيكون وان الخليفة مجبور أن يكتب لذات الهمه وبنى كلاب فيأتون اليه لأنهم يرون طاعته فرض لأنه خليفة الارض فى طولها والعرض فقال الملك ميخائيل ياشيخ وما الذى يقدرون أن ينزلون وحق المسيح لابد من أخذ الجميع وأفنى المسلمين أجمعين ولا أترك لهم معين (قال الراوى) فلما أن قربت الأميره من القوم تأهبت هى وجميع من معها للقتال ثم قالت لهم هذا يوم يضاعف فيه الاجر والثواب من الملك الوهاب ثم أنها نادت الله أكبر الله أكبر وقد حملت فى أوائل العسكر هذا وقد كبر عن يمينها الامير ظالم وأخوه الامير قشعم والامير اللملمان وجعبر عن يسارها هذا وقدتتابعت الابطال المجاهدين وأقيال الموحدين فيالها من ساعة كشف الموت فيها قناعه وبلى الانسان بما لا يطيق دفاعه هذا وقد اختلطوا أهل العصيان بأهل الطاعه وقد قاتل كل واحد منهم على قدر الاستطاعة وكان ذلك اليوم مثل يوم الساعه وعمل الصارم الضروب حتى زادت الكروب وقد جرى عليهم القضاء المكتوب وكانوا بين ضارب ومضروب وناهب ومنهوب وطالب ومطلوب وتعلقوا باللحاء والاكتاف والجيوب وكادت الاكباد أن تذوب هذا وقد ذابت المهج واختلط الدم وامتزج وضاقت الانفاس الواسعه وكلت الصفات القاطعه وتقطعت الدروع المانعه وطلعت شمس المنون وما زالت طالعه وكان يومهم مثل يوم القارعه هذا وقد كانت الاميره تقاتل الروم وهى تنادى فى السودان وبنى كلاب يا ويلكم اتبعونى ثم اجعلوا قصدكم البلد والباب لعلنا نسير من الجانب الآخر عند المسلمين ونكشف عنهم أليم العذاب (قال الراوى) وكان المعتصم لما أن رأى الاميره ذات الهمه قد أقبلت وكبرت وحملت وأبصر طوائف

الروم عليها قد تبادرت وأسرعت وما بقى على باب البلد منهم أحد صاح فى الاتراك والأعاجم ومن كان سلم معه من العرب والديالم وقال لهم ياويلكم اخرجوا الى معونة من قد أتى يطلب لكم الفرج وأعينوها على هذا البحر المتلاطم (قال الراوى) فعند ذلك فتحوا الأبواب ورفعوا منها الأقفال وقد علا الصياح والزعاق وخرجت الاتراك وعساكر العراق والخليفة فى أوائلهم غائص فى الزرد وهو متوشح ببردة النبي صلى الله عليه وسلم هذا ولما أن صاروا خارج البلد حملوا وعلى الله توكلوا فالتقتهم طائفة الدوقس والأرمن وقد اشتدت الفتن وكثرت المحن فلما أن نظر ملك الروم ميخائيل إلى المعتصم وقد خرج من البلد فزاد غيظا وحردا وقال ما بقى غير القتال ثم انه ترك مكانه حاجب الحجاب الخاص وعاد فى طائفة من أهل الجزائر يزيدون عن مائة ألف وقد حمل بهم وهو يطلب الخليفة حتى لحق بالأرمن وصار معهم ونادى يا ويلكم احملوا على هؤلاء الذين خرجوا من الأبواب وانظروا منى ومنهم العجب العجاب ثم انه حمل يطلب الأعلام السود وقد أيقن أن المعتصم تحتها وكان يطعن الفارس والفرس بذلك الرمح الموصوف فيرفعه من الأرض ويرميه الى ورائه ويخرج مصارينه وأمعائه ويتركه عبرة لمن يراه وخواصه من حواليه يعوذونه بالانجيل ويرقوه الى أن وصل الى الأعلام فنكسها وصاح على حاملها وأقلبها وقد قتل من الأشراف جماعة وقد طلب المعتصم فلم يراه فغاص فى المعمعة فرآه وقد علم أنه قد اصطلا نار الحرب بنفسه وكان المعتصم قد قاتل قتال من يطلب الفناء وكره الحياه وكسر هو والأتراك جماعة من الدوقس والأرمن وقد جارت عليهم صروف الزمن وأشرفوا من نبال الأتراك على الأخذ والهلاك فأبصرهم الملك كما ذكرنا فأدركهم فى أهل الجزائر وقاتلهم وأهلك أكثرهم وقد عاد عسكر المعتصم بعد الربح إلى خسران وقويت قلوب الأرمن لما أن رأت ملكها قد حمل فقويت مضاربها وقد أفرشت حتى ملأت الأقطار ومنعت المعتصم من القرب إلى عند الأصوار وصاروا فى وسط الأعداء وقد داروا كلهم بالمعتصم وهم يحموه من الردا فعلم الملك أنه الخليفة لما أن رأى المسلمين حواليه فحمل يطلبه وقد صاح فى مواكبه وأقاموا فى القتال هذا والامير عمرو بن عبيدالله يصيح قدام الخليفه ياعباد الله لاتتخلوا عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك اليوم أبذل المجهود وقاتل حتى أرض الملك المعبود وجرح فى ثلاث مواضع وسالت دماءه وكان الملك شق المواكب فى طلبه حتى قرب منه ففرق

الرجال من حواليه ومابقى الايهجم عليه وإذا بالصياح قد علا فزعزع البيداء ومالت الاعلام من عساكر الروم وظهرمن وسطها رجال مثل الاسد يكبرون الملك المعبود ويصلون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الآمر بالركوع والسجود وفى أوائلهم فاطمة بنت مظلوم الطالبة لدار الخلود ووراءها زجال وأبطال بيض وسود وقدبذلوا فى سبيل الله المجهود وفيهم اللملمان وجعبر أخيه وفى يدكل واحد عامود ولهم أصوات مثل الرعود ولم يزالوا حتى وصلوا عهد الخليفة وقاربوا الاعلام السود وجرى حوله قتال يشيب المولود ونظر ملك الروم الى ذلك فخاف على نفسه من الاميره فعادعن المعتصم وهو يمانع عن روحه ورجع إلى خلفه وهو يرجف من شدة الغيظ ودارت به البطارقة وطلب عساكره والرجال تقع وتقوم وصارت الكتائب مثل قطع الغيوم وهم بين عادم ومعدوم وصادم ومصدوم ولم تزل السيوف بارقة والارض بالدماء غارقة حتى أقبل الظلام ومدعلى الاقطار سرادقه ونزل كل عسكر فى خيامه وكان الخليفه أمرهم بضرب الخيام على أبواب آمد ونزل وهو لايصدق أنه سالم مماقاسا من كثرة العوالم ولولا قدوم الاميره ذات الهمه وفعالها وقتالها وردت الكفرة الفجره عنه وعن البلد وفعلها ذلك الفعال وقتاها للملوك لأنها قتلت ملك واللملمان قتل حامل العلم وظالم قتل ملك وجعبر قتل أيضا حامل علم فالتهت الروم بذلك عن المسلمين وفرقت الاميره ومن معها من بنى كلاب عساكر الروم وكذلك الامير ظالم فرق ومن معه من السودان وجعبر فى أوائلهم حتى وصلوا إلى عند المعتصم وفتح الوزير وخرج الاقامات والعلوفات ففرح المعتصم ودعا للوزير ولولا وصول الاميره ذات الهمه وبنى كلاب والسودان الانجاب ذلك اليوم لكان حل بعساكر العراق الوبال والفناء وان الاميره افتقدت أصحابها ففقدت منهم سبعة آلاف بطل من المجاهدين فبكت الاميره ذات الهمه رضى الله عنها وقالت الامرلله رب العالمين إنالله وأنااليه راجعون ماأهلك الناس الالبناء البلد وحملتناحتى نلنا المقصود ولكن هذا بقضاء الله الفرد الصمد ثم أنها سارت ومعها ظالم وجعبر واللملمان والامير ضيغم وتمام العشرة من الامراء الكرام وأخذت معها كفنها تحت أبطها وسارت ماشيه تطلب عسكر الخليفة لتسلم عليه فى سرادقه ومابقى الامراء من يعارضها لأنهم عرفوا انكسار قلبها بعد فقد ولدها الامير عبد الوهاب فساروا كلهم معها بأدب وحشمه فلما ان قربت من السرادق وكان المعتصم فى تلك الساعه منشرح بتدبير الوزير فى خزانته وماله الذى أرسله الى آمد والميره والعليق والاقامات لانه كان أوصى الغلمان كل من جاب شيء يجيء الى آمد فجاء كل شيء آمد فى ذلك اليوم الذى

فيه الاميره وأخبر الوزير الى المعتصم بخزانته أنها سالمة وأنه أرسلها الى آمد فهذا كان فرحه ولما سمع بمجيء الاميره ذات الهمه اليه قام ماشي الى لقاها وهو على أثر التعب والجراح الذى به والتقاها وعانقها وبكى فى وجهها واعتذر اليها وعاد الى السرادق والاميره ذات الهمه وراءه ماشيه وقدأسيلت دموعها على خدودها من فؤاد مجروح وأطلقت لسانها بالسلام عليه ونادت السلام عليك ياأمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ياوارث البردة والقضيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أدام الله ظلك على الخافقين وأخرجك من الدنيا بلانكد ولارين لانك خليفة الارض القائم بالسنة والفرض سامحك الله بما فعلت وبما أمرت يوم العرض ياأمير المؤمنين ارحم عجوز قد بليت بفقد ولدها وقل صبرها وجلدها وضعف حيلها وبصرها فان دموعها لفقده غزار وتنفسها شرار النار وقد أظلمت فى أعينها الاقطار واستوحشت الديار وانى كثيرة الانتحاب على سهم رمانى فأصاب وابلانى بفراق الامير عبد الوهاب وقد زادنى هم المسلمين ما كنت فيه من البكاء والانين فالله يلقى من كان السبب لهلاك هذا العالم فعلمت ان الدين بعد ولدى عبد الوهاب قد ذل وهدت أركانه واضمحل وفى هذه الايام أكون به لاحقه وللدنيا مفارقه ويدى لرحمة الله عالقة ثم بكت بعبرات متسابقه ودموع منحدر فبكى المعتصم لبكاءها وكل من حضر وما منهم إلا من تحسر على الامير عبدالوهاب هذا والمعتصم مطاطى الرأس وقد اعترف بالخطأ فقالت له الاميره ذات الهمه ياأمير المؤمنين ارفع رأسك فأنت فى حل من قبلى ولا آخذك الله بما فعلت فى ولدى وبما أحرقت به كبدى فقال المعتصم والله ياميره ما أقول انى أجوز عقبة الصراط بما فعلت معك وقد جرى ما جرى وبعد ذلك فقد كرهت الحياة فى هذه الدنيا واشتقت الى دار البقاء وحق ابن عمى محمد المصطفى لابد لى أن أبرز غدا إلى الاعداء لعل الله تعالى أن يسامحنى من الخطأ فقالت له الاميره يامولانا أنا قد حاللتك بما قد جرى وأنا أسألك بمن تفرد بالبقاء وقهر العباد بالفناء لاتقاتل حتى ترانى من جملة الاسراء او القتلاء لان العمر قد بلغ المنتهى وأنا أريد منك أن تقبل سؤالى وتدعنى القى الاعداء لعل ان الحق بولدى ويستريح كبدى وأنال المنى واجتمع به اجتماعا مابعده فرقة أبدا (قال الراوى) ولم يزل الاميره ذات الهمه عند المعتصم الى نصف اليل وعادت الى خيامها والى رحالها هذا والامراء من حولها (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملك الروم ميخائيل فانه عاد الى خيامه بعد انفضاض القتال وقد جمع ملوك النصرانيه واحضرهم الى بين يديه ولما أن صاروا بين يديه قال لهم وحق المسيح لابد ما أضرب منكم الليلة مائة

رقبه ياويلكم أنتم كنتم فى هذه الالوف المؤلفة وما كان فيكم قوه أن تمنعوا هذه العجوز الخرفه من الوصول الى البلد وكنت أنا أخذت الخليفة وانتجز الامر من هذه الطائفة اليسيره (قال الراوى) ثم هم أن يسل حسامه ويقوم اليهم ويضرب رقابهم فقال له شومدرس والبترك الكبير امهل فى أمرك ياملك وتأنى ثم أنهم كشفوا رؤسهم وكذلك سائر الرهبان والقسوس وجعلوا يتلون الانجيل ويخوفونه من عاقبة البغى وقد سألوه فى حقن دماء أمة عيسى فعاد إلى مكانه وقر قراره وبعد ذلك قالوا له الملوك والبطارقة ياملك وحق المسيح والانجيل ومافيه من التحريم والتحليل لقد اجتهدنا حق الاجتهاد ومافينا من قصر وقد أهلكنا أكثرهم وفى غداة غد نهلك الباقين فى حملة واحده ونترك الدنيا منهم خامده فقال لهم الملك أنا ما أريد هذا ولكن يقاتل كل واحد منكم يوم برجاله فقالوا له السمع والطاعه وقد اتفقوا على ذلك ولما ان كان من الغد فوقع القتال وزاد النزال وقتلت الرجال هذا وقد فتكت فيهم الاميره وهى ورجالها والامراء جميعها ومازالوا إلى آخر النهار وقد ردو الكفار خاسرين وعلى من قتل منهم باكين وحكم فيهم قضارب العالمين (قال الراوى) ولم يزالوا الروم كل يوم طائفة تقاتل هذا والاميره قد فتكت فى سائر الطوائف والبطارقة ورمتهم بكل بائقة فقال الملك وحق المسيح لابد ما أخرج إلى الميدان وآخذ هذه العجوز السوء وأريح الروم من شرها وقد باتوا تلك الليله وعند الصباح خرج ميخائيل الى الميدان وجال وصال وطلب الحرب والجلاد فخرج اليه فارس وحمل عليه فما أمهله الملعون أن يجول حتى طعنه برأس السنان جندله وخرج اليه ثانى قتله وثالث أباده ورابع وخامس ومازال كل من خرج اليه أهلكه إلى أن قتل عشرة فوارس (قال الراوى) فبينما هو يجول وإذا بفارس قد حمل وهو فى عدة كامله وتحته جواد وكان هذا الفارس عمرو بن عبيد الله وكان نزوله إلى حومة الميدان حسدا منه للاميره لأنه رأى قتالها وما فعلت فى الابطال فأراد أن يفعل كفعالها ولما رآها تهيأت الى الميدان فسبقها وطلب القتال حتى ينال الذكر الجميل هذا وقد كانت الاميره لما رأته سبقها توقفت عن الخروج وقد علمت أنه حسدها فأراد الملك أن يخرج اليه فسبقه غيلان الشوك ولما ان ساواه ناداه دونك ياكلب العربان الضرب والطعان فى محل الحرب والجولان حتى ترى ماقلت من الهزيان (قال الراوى) فلما رآه عمرو بن عبيدالله شكر الحصان وخاف منه وقال فى نفسه ماهو مليح ياليت هذا ماكان ثم أنه قال ان رجعت عنه بقيت معيره بين سائر العربان وان قاتلته ما أنا قياسه فى الجولان ولكن مالى إلا أن أطاوله إلى آخر

النهار وأعود من الميدان ثم أنه أظهر الجلد وأخفى الكمد وصاح بغيلان وقال له ياكلب السودان وياعابد الصلبان دونك والقتال يامطرود عن باب الرحمن (قال الروى) ثم أنهما تلاحما وتصادما وتلازما فصدمه عند ذلك غيلان الشوك صدمة الجبابره وقد صرخ فى وجهه فأذهله وحيره وخبله وبلبله ومد يده اليه وقبض عليه ونشله من سرجه أخذه أسير وسلمه الى بعض غلمانه وبعد ذلك طلب البراز وسأل الانجاز وساق الى أن قرب من عسكر الايمان فأراد الأمير ظالم أن يخرج اليه فقالت له سته قف ياولدى ولاتخرج اليه وتأنى على نفسك ولا تعدمنى النظر اليك فوالله لاخرج اليه غيرى ثم انها دفعت الحصان وصارت معه فى الميدان ونادت به ثم قالت له ياندل السودان (قال الراوى) فلما رآها غيلان وسمع كلامها طار الشرار من عينيه وفاضت الدماء من منخريه وكاد من الغيظ أن يغشى عليه ثم حمل عليها وهو ينادى هذا على بركة المسيح والشيخ الفجيج ثم أنه صدم الاميره صدمة الجبارين فتلقته الاميره بقلب قوى وجنان جرى وقد تلاطما وتصادما (قال) فبينماهم على ذلك الحال واذا هم بضجة عظيمة من الروم وقد ترجلت ملوك الروم والبطارقه هذا وقدنظرت الطوائف والمواكب الى ذلك فاندهت ووقفت الاميره ذات الهمه وغيلان بعد ما كانت نار الحرب بينهما قداشتعلت وما فى الناس إلا من أحدق بالنظر وطلب أن يستصح الخبر واذا هم بالملك ميخائيل قد ظهر وطلب الميدان وموقف الضرب والطعان وكان هذا كله من حنقه على الأميره وقد خرج وهو على جواد أصفر يسبق مراسى البصر ويفوت الطرف اذا نظر لا يأخذه فى الجولان ملل ولاضجر اذامشى فى الميدان حير وأصهل وكان مثل الرعد اذا زجر والأسد اذا هدر والملك ميخائيل فى سرجه كأنه قد نحت من الحجر وفى كفه صارم مهند صارم ذكر ورمح أسمر وعليه كاز غندار احمر وعصابة من الجوهر وعلى صدره صليب من الذهب الأحمر ولما صار قريب من الأميره ذات الهمه ورد كل من معه الى ورائه وقال لغيلان الشوك إرجع وانظر ما يجرى بينى وبين هذه العجوز التى ماتفزع من الموت ولا تخشى الفوت (قال الراوى) فعند ذلك انعزل غيلان الشوك عن الميدان ووقف فى جانب المكان يطلب خصما غير الأميره يلاقيه فى محل الجولان فبينما هو واقف واذا قد خرج اليه فارس أسود عبوس فى قدر الجاموس وفى يده دبوس وهو يصيح صياح منكر وينادى دونك يا ملعون أنا جعبر ثم انه جال وصال فى الميدان حتى حير الفرسان وحمل على غيلان الشوك وانطبق عليه وقد تلقاه الآخر (قال الراوى) هذا وقد كانت الأميره لما

أن رأت الملك ميخائيل وقد برز اليها ورد غيلان علمت أن فؤاده منهافيه لهب النار فصاحت به وقالت له دونك واختبرني ان كنت قد طمعت فى كبرى فمال الملك اليها وحمل عليها هذا وقد طلع الغبار على الأربعة وانعكفت عليهم الزوبعة والصيحات عليهم مرتفعة والصوارم فى أيديهم لامعه وعيون الناظرين اليهم شاخصه والطيور عليهم فى الجو حائمة وبى راقصه هذا والأرض من تحت حوافر خيلهم راجفه وقلوب العسكرين خايفه هذا والخليفة قد بسط كفيه إلى السماء وهو يدعو إلى الله تعالى ويقول له يامن خضعت له رقاب الجبابره وذلت لهيبته الأكاسره يامن تفرد بالبقاء والدوام وقهر العباد بالموت والفناء ونظر الى الصخر الأصم فانفجر منه ينابيع الماء وأمر النور فنور حنايس الظلماء أن تنصرنا على الأعداء ولا تمكن أهل النفاق والريا من أهل الايمان والأولياء فقد وعدت نبيك بدوام شريعتك الى يوم الدين وأنت الذى لاتخلف الميعاد دعوتك كما أمرتنا فاستجب منا كما وعدتنا لأن وعدك وقولك الصدق (قال الراوى) هذا والقتال يعمل بين هؤلاء الأربعة وكانت أيضا الرهبان يدعون لهم والقسوس يقسسون وشومدرس فى أوساطهم وعلى أياديهم الاناجيل وهم يكفرون بالملك الجليل ويدعون بالنصر للملك ميخائيل هذا والاعناق إلى الميدان ممتده والاحداق نحوهم محتده والدنيا من شدة الغبار مسوده والاميره مع خصمها وهى لضربه معتده وصابره وقد رأت منه جبار من الجبابره فقالت هذا اليوم لاشك رحيلى الى الآخره (قال الراوى) هذا وقد دام الامر بينهما حتى تصرم النهار وقو قويت عساكر الكفار وقربت إلى أن صارت قريب من الابرار وسمع الملك صياح أزعج الاقطار فعلم أن ذلك طول الانتظار فزاد غيظه حتى طار من عينه الشرار فعند ذلك أخرج حربته من تحت فخذه وهزها حتى التقت طرفيها وزجها الى الاميره وقد أراد بذلك اتلافها وكانت الضربه تحتانيه فوقعت فى صدر الحصان مرقت من مؤخره فهزت الاميره من على ظهره صارت على وجه الارض قائمة على قدميها وقد طلبت جواد الملك ميخائيل مع ثقل الحديد الذى كان عليها ورفعت يدها بالسيف لتضربه فى صدره كان الملعون قد علم مرادها فستر جواده برمحه البولادى الذى ذكرناه فوقع سيف الاميره على الرمح فطار السيف قطعتين وبقيت الاميره واقفة لاتمنع ولاتدفع فرجع الملعون عليها وطعنها فى كتفها ألقاها على وجه الارض وأخذها أسيره فدق المعتصم يد على يد وقال معاشر المسلمين دونكم وخلاص أم المجاهدين وها أنا معكم أقاتل فى طاعة رب العالمين فعندها حمل الامير ظالم ونادوا واسيدتاه واقلة ناصراه وقد حملت السودان

وفى أوائلهم اللملمان وحمل الامير ضيغم وبنى كلاب مثل العقبان وفى تلك الساعه كان جعبر قد ضرب بالدبوس جواد غيلان أرماه من على ظهره وقد عول جعبر أن يأخذه فحملت عليه عساكر الروم فزعا من ملكها وقد أظلمت الاقطار من سواد الغبار وعمل الصارم البتار (قال الراوى) هذا والملك قد سلم الاميره الى البطارقه وعاد يكر على الابطال وكان يهيج هياج الاسود هذا وقد ضاعت المسلمين فى كثرة المشركين وقد فنى أكثرهم بسيوف الكافرين وماصدقوا أن يروا أصوار البلد حتى أنهم التجأوا اليهاوقد كان ذلك الوقت آخر النهار وقدأحموهم أهل البلد من على الاصوار بالأحجار وما نجى من ذلك البحر الزخار إلا من أراد سلامته الملك الجبار وعاد الخليفة وقد أشفى ذلك اليوم الغليل وأرضى الملك الجليل لأنه يقاتل فى أوائل الناس وهو مكشوف الرأس وهو ينادى اللهم أنصر بنى العباس وعدك يامن لاتخلف الميعاد يارب لاتشمت بنا الأعداء والحساد يا الله ياحنان يامنان ياجواد (قال الراوى) ولما أن أمسى المساء وانفصلوا من القتال أشاروا عليه أهل دولته أن يدخل البلد فقال والله لا كان ذلك أبدا ولا اخترت روحى عن المسلمين ولى أسوة بهم ولابد فى غد ما أبذل المجهود فى طاعة الملك المعبود وان قتلت أو أسرت فلى أسوة بالأميره المجاهده لأنها بذلت نفسها فى طاعة الله تعالى وان هذه الدنيا مادامت لأحد ولابد لى فى غد من براز هذا الملعون ثم انهم باتوا إلى الصباح وركبت الرجال الجرد القداح وتقلدوا بالبيض الصفاح واعتقلوا بالرماح ووقفوا يطلبون الحرب والكفاح فكان أول من فتح باب الحرب كان الملك ميخائيل فأراد الامير ظالم أن يخرج اليه فصاح فيه المعتصم وقال ياظالم إننى قد حلفت أن لايفتح باب الحرب إلا أنا ثم انه قفز بجواده الى الميدان وطلب من خصمه الضرب والطعان فحمل الملعون ميخائيل عليه ولم يزالا فى كر وفر وأخذ ورد وهزل وجد وقرب وبعد ومصارعة وملازمة (قال الراوى) وقد وصفنا ما فى المعتصم من الشجاعة والقوة والبراعة هذا والمسلمين يدعون الى الامام ويتضرعون الى الواحد المنان الذى لايشغله شان عن شان كذلك الروم قد حملوا على أيديهم الأناجيل والصلبان وقد أقبلو ذلك المكان فبينما هم على ذلك الحال وإذا بالصياح قد علا من تحت الغبار فتطاولوا اليه بالابصار وإذا بالمعتصم ينتادمعه أسير والملعون ميخائيل يقوده ذليل حقير وهو يبعبع كأنه البعير والمعتصم معه لايبدى ولايعيد (قال) ياساده وكان هذا الملعون جبار من الجبابره وكان المعتصم لما أن خرج اليه جاء له وطلب منه غفلة ليضربه بسهم من سهامه فلم قدر على ذلك ولم يزل معه

فى القتال الى آخر النهار أوتر قوسه ووضع فيه سهما من سهامه ثم جذبه الى أن استوفى قوسه عند ذلك انكسر فانكب عليه الملعون فى دهشته أخذه أسير وكان قصد المتعصم أن ينفذ سهمة ربما عليه من الحديد نخانه القضاء والقدر عند ذلك تصايحوا الروم وقد أيقنوا المسلمين بالويل وكان الملعون بعد أخذ المعتصم حمل فى عساكره على عسكر المسلمين ودام الضرب والبعد والاقتراب إلى أن مضى النهار وأتى وقت الغياب وقد افترق الجمعان وظالم مايصدق أن ينفلت من يد الملك (قال الراوى) ولما أن انفصل القتال وعاد ظالم فعاد اليه الملك ميخائيل وضربه بحربة فى قفاه بعد مازعق عليه وقد سمع زعقته فاستتر بدرقته فخرقت الدرقة ومرقت منها ووصلت الى الدرع فمزقته ووصل سنانها الى بدنه فكاد أن يعجل عطبه وعن مركبه أقلبه وانكب عليه فى غشيه أخذه أسير وعاد به إلى عسكره وهو ذليل حقير فهمت العساكر بعد الانفصال بالحملة فرأت الليل قد أقبل والنهار قد ولى وارتحل وقد عاد الملك الى سرادقه منشرحا والقساقسه يتلو حوله الانجيل وتعظمه غاية التعظيم والملوك كلهم قد أقبلوا عليه وهنوه بالسلامة والنصر على أعداه ثم أن الملك أمر بظالم إلى عند الاميره فأخذوه ومضوا به الى عندها (قال الراوى) وكانت الأميره لما أن أسرت حملت هم المعتصم ولما أتوها بالمعتصم ورأته لما أن دخلوا به عليها وهو مجروح أسير لا يقدر على الكلام أيقنت بهلاك الاسلام وقالت ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ولما أتوها بظالم فراد جواها وعظم بلاها وقد قامت الدموع من عيناها وقالت سبحان من حكم علينا بهذا ولكن والله مافى قلبى حسرة إلا بقاء عقبه من بعدنا ويشمت بنا وأنا أرجو من الله تعالى أن يقتله قشعم فى ملطيه ولا يرجع يخلص من يده فقال لها ظالم والله ما كان مجيئنا إلى هذا البحر الزاخر بصواب ولكن ماقدرنا نخالفك فقالت له الاميره ياولدى أنا ماجئت إلا أفرج عن المسلمين كربة ونحمى خليفة الموحدين وقد علم نيتى رب العالمين وهو القادر على خلاصنا أجمعين من يد المشركين هذا كله يجرى والخليفة غائب عن الصواب لا يقدر يرد جواب من الجرح الذى فيه لأنه قد أشرف منه على الهلاك وهو يئن بصوت خافى ويقول والله ماأظن جرى على هذا العذاب إلا بما عملت فى حق الأمير عبدالوهاب (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملعون ميخائيل فانه قد فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد بأسر الاميره والمتعصم وظالم وقد أيقن أنه يهلك هؤلاء البلاد ويملك العباد وقد باتوا تلك الليلة الروم فى فرح زائد وأما المسلمين فانهم قد باتوا على غاية من الضرر والعيش المر وقد أرادوا أن يدخلوا الى البلد فلم يمكنهم الأمير ضيغم من ذلك بل قال لهم والله

لادخلنا البلد حتى نبذل المجهود ونهلك أرواحنا فى طاعة الملك الواحد المعبود والذى هو فى كل مكان موجود ولنا أسوة بأصحابنا الذين أسروا الليلة فى القيود (قال الراوى) ثم انهم أقاموا الى أن برق ضياء الفجر وركبت عساكر الروم وكانوا بعد قطر الغيوم وقد أمرهم الملك بالقتال والجلاد وركبت أيضا المسلمين واصطفوا للحرب فحملت عليهم الروم فالتقوهم المسلمين بقلوب مافيها غير رب العالمين ودام القتال والعناد حتى أقبل الليل بثياب حداد وقد انطرحت تحت أرجل الخيل الأجساد وكانوا الروم قد لزوا المسلمين إلى الأبواب ودخلوا إلى البلد وقد قتل فى الزحمة جماعة كثيرة وطلعوا على الاصوار وباتوا يدبرون أمر الحصار وقد رجع الملك وحوله البطارقه وهو فرحان وقد أيقن بأخذ البلد وعند الصباح أمر أن يتقدموا الأبراج فتقدموها وزحفت الأرمن والديقس ورموهم عند ذلك بالنبال وشدوا عليهم فى القتال (قال الراوى) ولم يزل القتال والحصار بينهم تسعة أيام ولما كان فى اليوم العاشر أشرفت البلد على الأخذ وقد بلوا المسلمين بما لاطاقة لهم به من الاعلاج هذا وقد نقبت الأبراج وزاد الانزعاج وزاد فيهم اللجاج وعلا منهم وكان على المسلمين يوم كأنه يوم العجاج (قال الراوى) فبينما هم على ذلك المنهاج وقد أيقنوا بالهلاك والتشتت والهجاج وإذا قد أشرف عليهم من ناحية ماردين غبار وعجاج وقد سد الفضاء وأظلمت منه الأقطار وقد صار النهار مثل الليل الداج فلما أن رأت الروم الى ذلك العجاج بطلوا الحصار وتأخروا عن القتال ووقفوا ينظروا ما تحت ذلك الغبار هذا وقد ضجوا المسلمين الأصوار وقالوا ياربناه لاتخلى أمة نبيك من الانتصار وأن تتعطف برحمتك على هؤلاء الرجال والنسوان والأطفال الصغار ولا تمكن منهم الكفار ولم يزالوا حتى قرب منهم الغبار وبان ماتحته للنظار وقد ظهر من تحت الغبار بيارق وأعلام وفرسان سود كأنهم قطع الظلام وهم ينادون عن لسان واحد يا آل حام يا آل حام هذا ورماحهم كانت مشتبكة كأنها آجام القصب وبريق سيوفهم تلمع مثل المصباح وفى أوائلهم فارس مضيق اللثام وعن يمينه رجل ربع من من الرجال طلق الكلام كثير الخديعة والمحال وهو يرتب الجيش فى المسير والجماعة تشير اليه بالتعظيم والتوقير وبين أيديهم فارس أسود عريض طويل مثل الفيل وهو ينادى ويقول ابشروا يا أهل هذه البلدة بالفرج والاتساع بعد الضيق والحرج فقد أتاكم الملك المطاع والفرم المناع وهو الملك عبود الشجاع ووزيره حمود الخداع (قال الراوى) فلما أن سمعت أهل البلد ذلك النداء زال عنهم بعض الخوف والارتياع وخف عنهم بعض ما كانوا فيه من الانزعاج وأما ملك الروم والبطارقه والأعلاج

لما أن رأوا ما بان من تحت العجاج وسمعوا منهم ذلك القول واللجاج قالوا من أين أتونا هؤلاء المقطوعين النخاع لابد أن نقطع منهم الأوداج ونطرحهم فى ذلك العجاج (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك العسكر وقدومه أن الامير عبدالوهاب لما أن خرج هو والامير أبو محمد البطال من بلاد الهند فى المراكب ومعهم السودان الذين قد ذكرناهم والأبطال الذين وصفناهم وكان أول وصولهم وإشرافهم على عبدان وفيها أقام الامير وأخرج الاموال التى وصلت معهم من الجزائر وأنفقها على أصحابه وقد اشترى لهم الخيل والعدد والسلاح بعد أن باعوا المراكب التى أتوا فيها ثم ساروا الى البصرة وملكوها بعد أن قاتلوا عساكرها وكسروا أهلها وساروا على ذلك الحال يملكون البلاد الى أن وصلوا بغداد وهى خالية من الأجناد والعساكر وسمعوا أن الخليفة قد سار الى لقاء الكفار فقال البطال هذا الذى كنت أريده حتى نأتى نحن من خلفه وملك الروم يكون من قدامه فلعله أن يقع فى أيدينا حتى نذيقه نحن الآخرين الذل مثل ما أذاقنا فقال له الامير عبد الوهاب أنا ضيق الصدر على والدتى الاميره ذات الهمة وأنا أعلم ماجرى لها لأنها ما تقعد عن نصرة الخليفة والمسلمين وإذا سمعت أنهم فى شدة تأخذها حمية الدين وأنا خائف عليها من الملعون عقبه أن يهلكها فقال له أبو محمد ما يكون إلا ما يريده رب العالمين فهو الذى يفعل ما يشاء فى خلقه ويريد (قال الراوى) وكانوا الامراء لما نزلوا على بغداد وأخرج اليهم الواثق القضاة وأرباب الدوله وسألوهم عن حالهم وكان البطال قد جعل له نائبا عنه وعن الأمير عبد الوهاب من السودان ليتكلم عنهم حتى لا يعرفونهم وكان الذى نيبوه منهم فى الكلام عاقل لبيب وقد لقبه البطال بحسام الملك وكانت إذا أتت اليه رسالة مع رسول يقول له ان هذا ما يريد أحدا لطاعه ولا لخدم وإنما يريد أن يملك الأرض فى طولها والعرض ويعيد الدولة للسودان ثم يقطعها من البيضان ويعمل على كل أبيض شىء معلوم حتى أنه يقاتل عنهم أعداءهم (قال الراوى) فلما ان أتاهم رسول الواثق أعادوه بهذه الرساله فعاد الرسول الى الواثق بذلك الجواب فقال الواثق ياقوم اننا ما نقدر نشاققهم وما فى الامر إلا اننا نداريهم بشىء من ذلك المال حتى نبصر ايش يكون من الحال ثم أنه حمل اليهم ماعنده من الأموال والضيافات والعلوفات والاقامات والعدد من السيوف والزرد وقال للرسول خذ هذا وامضى به اليهم وادفعهم بالتى هى أحسن وقل لهم ان البلاد بلادكم ونحن من تحت أيديكم وحكمكم واعلموا اننا نكون ههنا نوابكم وإذا ملكتم البلاد فعودوا واجعلوا سرير ملككم فى بغداد فعاد الرسول اليهم ثانيا بما معه وقد أوصل ما معه لحسام الملك نائب البطال

وقدسلم اليه الاموال وبلغه ماحمل من المقال فقال هذا الذى نريد وخلع على الرسول وعلى أصحابه وقال لهم أنتم رعيتنا ونريد أن نغمركم باحساننا وكان هذا الكلام من حسام الملك بأمر أبو محمد البطال وكانت الخلع من الثياب الخام وهى مختلفة الألوان من ملابس السودان ثم ان حسام الملك أخرج ثوب كبير واسع الاكام أحمر اللون وعمامة سوداء وقال خذوا هذا لصاحبكم حتى يعلم اننا قدرضينا عنه فقال له الرسول جزاك الله عنا خيرا والله ان هذا كرم زائد ومايلبس خليفتنا أحسن من هذه البدله (قال الراوى) ثم ان الرسول عادهو وأصحابه وعليهم تلك العمائم الحمر والخضر والثياب الصغر والحمر وهم فى غاية من غايات الخبال فلما ان رآهم الواثق ضحك عليهم وقال لهم والله انكم بقيتم أعجوبة الانام ثم أنهم قدموا له الخلعة التى برسمه فقال دعوها فى الخزانة حتى يأتى المعتصم لأننى أنانائبه وهو يلبسها ولاأقدر أنهجم على خدمته فقالت عند ذلك أرباب الدوله يامولانا والله ان ماهؤلاء عقل إذا كانت هذه الثياب لهاعندهم قدر وقيمه فكيف لورأوا أثواب الروم وذلك الملك كانوا يرموا أرواحهم على الهلاك (قال الراوى) ثم أنهم رحلوا من على بغداد وصاروا يقطعون الارض وكانوا كل مدينة أقبلوا عليها يخرجون اليهم أهلها بالاقامات والضيافات والأموال ويحلفوا له أنهم عبيده ونوابه فى بلاده وهو سائر والعرب تسمع به وتأتى اليه طمعا فى الكسب وحسام الملك يتولى أمرهم ويخلع عليهم ويوعدهم بكل جميل حتى أشرفوا على آمدكما ذكرنا وهم فى أربعين ألف كما وصفنا ونظر الامير عبدالوهاب الى عساكر الكفار فقال واشوقاه الى الضرب بالبتار ثم أنه التفت الى البطال وقال له مانزول هؤلاء على آمد الاوقد ملكوا ملطيه وأهلكوا العجوز الزكية وأسروا الخليفه والامراء وإلا ماكانوا الناس محصورين وما أخوفنى إلاأن يكونوا أولادى هلكوا أويكونوا أسارى فقال له البطال لابدما أعرف حقيقة الحال وأتنسم خبر عقبه شيخ الضلال ومافعل بعد غيبتنامن الفعال هذا والسودان قدنظروا الى عساكر الروم وقدأعجبتهم أثوابهم فقالوا ياأمير مرنابالحملة عليهم حتى تنهب أموالهم وندوس فى بطونهم (قال الراوى) هذا وقدكان ملك الروم لما انكشف له الغبار وبان العسكر للابصار وقدبطل القتال والحصار وقال ان هذه نجدة لهم وقد أقبلت دونكم وأيها تحملت الروم من جانب وقد تكدست الموكب فعندها حمل الامير عبد الوهاب فى السودان والهنود وقال لهم أنا ما أخرجتكم من بلادكم وأتيت بكم الى هــذه الديار إلا لمثل هذا اليوم المشهور ثم ضيق لثامه وقد حمل مثل العقاب فلما ان نظروا السودان الى

أفعاله حملوا من خلفه وقد فعلوا مثل فعاله وحمل حسام الملك وكان اسمه مقدام، (قال) هذا وقد أختلطت الروم بالعرب ورمت السودان بالحراب ولم تزل السيوف، تقطع والصياح لايسمع والرجال لاتقشع والابطال تقوم وتقع الى آخر النهار عند ذلك وقع الامير بملك الملاقطه فقتله وقد وقع حسام الملك بصاحب العلم فجندله فلما رأت الروم إلى ذلك وماقدحل بهم من هذا الانتقام فولت من قدامهم طالبين الانهزام وهم لايصدقون بالنجاة من الحمام هذا وقد غنموا المسلمين مع السوادن جميع الاسلاب وقد عادوا إلى المضارب والاطناب وقد سر بفعالهم الامير عبد الوهاب وبات وقلبه فزعان على أولاده ووالدته (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك ميخائيل فانه بات تلك الليله فى أضيق مايكون وقال هذه العساكر من هوالذى مقدمهم ومن أى البلاد يكونوا وبقى حائر من ذلك الامر ضيق الصدر لايدرى مايفعل فبينما هو محتار وإذا بالبطارقه قد دخلوا عليه وقالوا له أيها الملك يهنيك قدوم شومدرس والشيخ النجيح عقبه وهو فى عشرة من البطارقه فقال الملك على بهم حتى أبصر ماجرى فى ملطيه فلم تكن الاساعه حتى دخلا اليه وسلما عليه وقالا له ابشر أيها الملك بفتح ملطيه وعودتها الى ملك القسطنطونيه وقد أسرنا قشعم ولد الامير عبد الوهاب وقد أهلكنا من كان معه من السودان وبنى كلاب وقد أخرجناهم من فى القبرين وأحرقناهم بالنار وهم أجساد الاميرين عبد الوهاب وأبو محمد البطال (قال الراوى) إن كان السبب فى ذلك الملعون شومدرس وهو أنه قد أخذ غيلان الشوك والعرب المتنصره والسودان المتنصره وألبسهم كلهم فى زى أهل الايمان وسار بهم الى ملطيه وقد سير قدامه خمسة آلاف من البطارقه فى زى المنهزمين وقال لهم كونوا قدامنا وها نحن فى أعقابكم فساروا الروم وشومدرس ومن معه خلفهم ومازالوا الى أن أشرفوا على ملطيه فلما أن رآهم قشعم قال لاشك أن الروم قد كسروهم المسلمن وقد أقبلوا منهزمين من بين يدى الاميره ذات الهمه وكان شومدرس قد قال لغيلان كبر أنت والسودان ففعلوا ذلك وقد كبروا فأدوت من تكبيرهم تلك الأماكن فلما أن سمعهم الامير قشعم وسمع تكبيرهم خرج من البلد هو ومن معه فى الملطيه يريدون النهب لطائفة النصرانيه وقد تموا الروم بين أيديهم هاربين وقشعم وأصحابه لهم طالبين وقد علم غيلان الشوك أن أهل ملطيه قد أبعدوا عن البلد فقصد هو وأصحابه الابواب وقد ملكوها وقد دخل أكثرهم الى البلد ووضعوا السيف فيمن تخلف حتى لم يبق من المسلمين أحد غير النسوان والاطفال ولما أن علموا الروم المنهزمين أن أصحابهم

قد ملكوا البلد رجعوا على قشعم وأصحابه وكان قد أصعد خلفهم فى الطلب ثقة منه بمن خلفه لانه يظن أنهم من سودانهم وأصحابهم وأولاد عمهم . (قال الراوى) ولما أن رجعت الروم عليه التفت فلم يرى خلفه أحدا بل أنه سمع الصياح فى ملطية بعيسى ومريم والصليب وبريق السيوف على الاصوار مثل شعل النار فعلم أن البلد قد ملكوها الكفار وأنها كانت حيلة فأراد أن يطلب النجاة فالتقاه عند عودته غيلان ومن تخلف معه من السودان هذا وقد حصل قشعم بين خلق كثير فلم تكن إلا ساعة حتى أخذ أسير بعد قتال شديد ودخلوا إلى ملطية وقد خلص شومدرس القاضى عقبة وقال له احسب لى عندك هذه واشكرنى على هذه المنصبه فقال له عقبة جزاك المسيح خيرا أما تعلم أنى أنا وأنت جناح الملة المسيحية ومع ذلك ياراهب أريد أن أشفى قلبى بعذاب البطال وعبد الوهاب (قال الراوى) فلما أن سمع شومدرس كلام عقبة قال له ياويلك وأين عبد الوهاب والبطال فأنا قد سمعت أنك قد أهلكتهم وفى الدجلة غرقتهم فقال له عقبة نعم ولكن قد أتوا بأجسادهم إلى ههنا ودفنوها وأنا أريد أن أنبش قبورهم وأحرقهم بنار الدنيا قبل نار الآخرة فقال له شومدرس افعل ما تريد ثم انهما مضيا إلى القبرين اللذين كانت ذات الهمة تبكى عندهما ونبشاهما الملعونين وأحرقوا ماكان فى القبرين لأن أجسادهم قد بليوا وما بقى غير العظام فجمعهم عقبة وألقى فيهم النار وقال بعد ذلك وابردها على كبدى مابقيت أريد إلاذات الهمة أفعل بها هكذا وما أبالى بعدها متى قضى على بموت بعد ما عشت بعدها وقد كذب منامهم (قال الراوى) وباتا تلك الليلة وهما فرحان بما جرى ولما ان كان من الغد أوصى عقبة لغيلان الشوك على البلد وقال له أقم ههنا واحفظ البلد حتى أمضى انا وشومدرس الى عند الملك وندبر له على فتح البلد وان احتاج الملك اليك فهو ينفذ خلفك ثم سار عقبه وشومدرس وهو يحثه على المسير ومازالا إلى ان وصلا الى عسكر الروم ودخلا على الملك كما ذكرنا وبشراه بأخذ ملطية كما وصفنا ففرح الملك ميخائيل بذلك وقد بشرهما الآخر بأخذ المعتصم وظالم وذات الهمة وقال لهم وما كنا بعد اخذهم الا قد اشرفنا على اخذ البلد لولا قدوم هذا الجيش الذى قد ورد وهم أكثرهم سودان ولهم مقدم قد حير الشجعان وقد أباد عبدة الصلبان وقد قتل ملك الملاقطه فى حومة الميدان ولو كنت أنا عرفت اننا نلتقى منهم هذا الملتقى ماكان يلقاهم غيرى فقال له عقبه فمن اين اتوا هؤلاء الشياطين وكيف قد وصلوا الى خليفة المسلمين فقال لهم الملك ما قال له الجاسوس انهم ما اتوا ينجدون الخليفة بل قال لهم اول ما ملكوا

بلاده وان لهم ملك يقال له عبود الشجاع وله وزير يقال له بطلون الخداع وانه يريد ان يملك سائر البلاد والبقاع ويعيد الدولة للســـودان ويعملوا الجزيه على سائر البيضان من أهل الكفر وأهل الطغيان وأهل الايمان وقد قيل لى أن لهذا الملك وزير يقال له حمود الخداع يملك بحيلته سائر القلاع فقال له عقبه دع عنك هذا الصداع أيها الملك فأنا أعرف قلة عقل هؤلاء السودان واعلم أنهم بأدنى شىء ينخدعوا لا سيما هؤلاء الغشم وأنا أسير اليهم فى زى رسول وآخذ معى الراهب شومدرس وندبر على هلاكهم لأن هؤلاء قد خرجوا جياع يقتل الواحد منهم أخوه على دينار فايش حال لما يروا كثرة الأموال (قال الراوى) فلما ان سمع الملك كلامه وما أبداه من نظامه خف عنه ما كان به من الهم والغم ولما أن كان عند الصبح تأهب القاضى عقبه وشومدرس وقد لبسوا على أجسادهم الصوف الرفيع والبرانس وأخذوا فى أيديهم العكاكيز وقد تجملوا بالزنانير والصلبان وقد أخذوا معهم عشرة من الرهبان بالثياب الصوف المختلفة الألوان هذا وقد ساروا الجميع وعقبه فى أوائلهم كأنه شيطان وهو يقول لشومدرس البارحة بت تعبان وما كان لى قدرة على عقاب ذات الهمه وظالم بن الشيطان وها أنا سرت وما شفيت نفسى ولا انى مطمئن عليهم لأن ليس هنا البطال وأى وقت أردت إذا عدت غذبتهم لأنهم ما بقى لهم من يعمل على خلاصهم بعد هلاك البطال وهلاك أولاده الانذال لاننى قد سمعت ان عذيبه واخوتها قتلوا فى ليلة الكبسه على ملطيه (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى قاربوا عسكر الامير عبد الوهاب وكان الامير عبد الوهاب عند الصباح قد ركب هو والبطال وسائر السودان ثم أنهم وقفوا ينظروا عساكر الروم أن يركبوا ويطلبون منهم القتال فرأى البطال إلى جماعة قد انفصلوا من عساكر الروم ومنه قد خرجوا والى عندهم قد أقبلوا فقال البطال للامير عبد الوها ها قد أتتك رسل من عند ملك الروم وأظن ان فيهم عقبه المذموم وشومدرس الملعون عسى أن يكون الامر كما قلت حتى ننال منهم المراد ونشفى منهم غليـل الفؤاد ثم أننا نستوفى من أقفيتهم كلما لقينا فى البحر من الاهوال ولكن حتى نسمع ما أتوافيه من الاخبار (قال الراوى) ولما ان قربوا تأملهم البطال فرأى عقبه وشومدرس فقال الامير عبد الوهاب نقبض عليهما ونحمل على الروم فقال البطال ماهذا صواب بل ارجع بنا إلى الخيام حتى ننال منهما المراد فعادوا إلى الخيام وقالوا لحسام الملك اذا أقبل أحد اليك وقال أنا رسول أدخل به الينا من غير دستور ولا استئذان على طول الزمان وتحدث بحديث السودان لأن فيهم الذى يعمل على هلاك أهـل الايمان وهو الذى كان السبب فى دخولنا إلى

بلادكم وبحاركم ومن أجله هدينا الى أوطانكم فقال حسام الملك يامولاى إذا كان الامر على ذلك فأنا الساعه إذا وصلوا أضربه ضربة بالحسام سقيته كأس الحمام ولاأدعه يتم كلامه فقال البطال لا ياأخى لاتفعل وأعلم ان لنا معه خطاب وحساب وعتاب واننا نريد من قبل قتله نجرعه غصص العذاب فقال لهم افعلوا مابدالكم وماتريدون ودبروا ماتشتهون ثم ان الامراء عادوا إلى السرادق وجلس الامير عبد الوهاب والبطال ودارت من حولها الرجال وما استقر بهما القرار حتى وصل عقبه وشومدرس مشايخ الجهال ومن حولهم الرهبان والقسوس يهمهمون فدارت بهم السودان وساقوهم الى بين يدى حسام الملك فقال فى ماذا أتيتم فقال عقبه ياولدى اننا جئنا نسعى فى حقن الدماء لاننا مشايخ مانسعى الافى الخيرات فأين هو الملك المعبود فصاحت فيه السودان وقالوا له ياكلب الروم لاتقول معبود بل قول صاحب الأرض فى الطول والعرض فقال عقبه وقد طار عقله ياأخى ادخل بنا الى عند صاحبك حتى أكلمه على قدر مرتبته (قال الراوى) فلما ان سمع حسام الملك منه ذلك قام اليه وقبض على كتفيه كادأن يخلعها وقال له تعالى معى أدخل بك عليه فسار عقبه معه وقد انذهل وساووا بهم السودان وقد أخذوا من حلوقهم الصلبان وداروا بهم من كل جانب ومكان هذا وشومدرس يعدو قدامهم مثل الخنزير وقد أيقن بالبلاء والتدمير وصار يقول لعقبه بالروميه ياشيخ السوء لاأخذلك المسيح بيدو لاكفاك ماتحذره لأنك كلما خلصت من مصيبه أليقت نفسك فى أيشم منها وايش كان لنا فى المجىء الى هذا الوجه الميشوم من الفائده وحق المسيح لوكان الملك الاكبر جاء معنا لا بدما يلطمو ناحتى أننا نعمى (قال الراوى) ومازالو سائرين بهم السودان وشومدرس يوبخ عقبه الى ان وصلوا الى السرادق فدخل مع كل واحد منهم واحد من السودان وهو قابض على قفاه ولما ان صاروا قدام البطال والامير عبدالوهاب فبكى عقبه من فؤاد موجوع وأرخى الدموع وصار يئن كأنه مفجوع ويتذلل بقلب مصدوع وقد بكى حيلة منه ومكر وخضوع يظن ان مكره عليهم يحوز بذلك الهموع ومايعلم من وقف بين يديه من دون الجموع وقال بعد ذلك ياملك الزمان مامن عادة مرسل ان يخرق بهم غاية الاخراق ويساقون الى قدام الملك بهذا السياق بل يجب على كل حال أن يكرم الرسول ويسمع منه مايقول فان اعجب الملك الخطاب كان وان لم يعجبه ردالى صاحبه بغير جواب فقال له البطال مانحن الا نكرمك ونسمع جوابك ولابدان نخلع عليك ونحسن اليك ولكن قل ماحملت من الرساله وتكلم بما شئت من المقال (قال الرارى) فلما ان سمع عقبه من البطال ذلك المقال قبل الارض وقال

يا مولانا أنا قد أتيتكم من الحرب وأبلغتكم ماتريدون من غير طعن ولا ضرب وأن مالك الروم قد علم أنكم أقوام غرباء من غير هذه الديار وأنه يريد أن يجعلكم عدة له عند شدته فى هذه الأقطار ويعود إلى بلاده بعد ما ينال مراده لانه ما خرج من بلاد الروم إلا من أجل إعداله فى هذه البلاد ولولا قدومكم كان قد بلغ مراده وترك هذه البلاد لأن بلاد المسلمين لاتصلح إلا للمسلمين وهو يقول لك اطلب ما تريد وعرفه مقصودك فهو يبلغك إياه ويجعلك من جملة أصدقائه ويوصل تحفه اليك وهاياه فقال له البطال ياشيخ ماخرجنا من بلادنا وهى بلاد الهند إلا فى طلب أعدائنا فان كان الملك يقدر عليهم يسلمهم الينا وقدعدنا من حيث أتينا وان كان مايفعل ولا يسلمهم الينا فاننا نحاربه ولانبرح حتى يقعوا فى أيدينا وبعد ذلك نلقى فى بلاد الروم والمسلمين السيف ونحرم أحد منهم ينام فيها شتاء أو صيف فقال له عقبه لا ياملك ما نحوجك أن تفعل هذه الفعال بل نبغك من أعداءك الآمال فقل من هم أعداءك حتى نعود اليه ونعرفه بهم وندعه يبلغك منهم آمالك ومناك فقال له البطال نحن أعداءنا رجلين قد فعلوا بنا مايعجز عنه الانسان أحدهما يقالى له عقبه القرنان والآخر يقال له شومدرس الشيطان وهما على دين الصلبان (قال الراوى) فلما أن سمع عقبه من البطال ذلك قال له ايش هذا الكلام فايش بينك وبين هؤلاء الأقوام وما بينك وبينهم ومن أين تعرفهم أيها الملك الهمام هذ وقد رجفت أعضاءه وزاد بلاءه وقد فتح عينه الصحيحه وزاد اهتمامه فقال له شومدرس أنا ماقات لك يامنجوس بين الآنام ها نحن أعداهم قد جئنا لعندهم نسعى على الأقدام وسعينا برجلينا الى شرب كاس الحمام والليلة يصفع فى رقابنا الى أن تنقطع أسبابنا ويقل منا الكلام (قال الراوى) هذا وقد كان البطال لما أن قال لهم ما قال من الكلام فتأملهم واذا قد ورآهم تغيرت أحوالهم وزادت بهم الآلام فقال لهم مابالكم ماتردوا علينا كلام فقال عقبه يامولاى وايش أوصل خبر هؤلاء اليكم وأنتم من يقال لكم بين الانام واعلموا أنه قد اشتبه على هذا الكلام وأنا الساعه شبهتك برجل كان عندنا وضاع وأنت قد قلوا أن اسمك حمود الخداع (قال الراوى) ثم ان البطال كشف عن وجهه اللثام فنظر اليه عقبه فعرفه وقد بقى ناظر الى صورته وصورة عبد الوهاب وهو يقول يامسيح قوينا على هذا العمل فانه غير مليح فان لنا زما ماتصبحنا بوجوه هؤلاء الكلاب ثم ان الملعون التفت الى شومدرس وقال له ماترى فى هذا التقدير هل رأيت أعظم من هذا ساقنا القضاء والقدر إلى أعدائنا وبعد هذا إذا كان الماء يجرى من فوقهم ما يغرقهم والنار ماتحرقهم وكل

المخلوقات تنصرهم ايش نعمل نحن معهم وهذا يدل على أن المسيح ماخلقهم لأنه لوكان خلقهم كان قادر عليهم ثم زاد به الحنق وقال يا أبا محمد بحق دينك اصلبنى وريحنى من هذه الحياة لأن موت الأنسان خير له من الحياة التى لا يبلغ فيها مناه فقال له البطال لا والله ياملعون لان القتل لك راحه ولابدما أعذبكما عذاب الهداهد فقال شومدرس إلا أنا يامولاى لاتعذبنى الاهذا النحس فعذبه بالله عليك عذاب قوى فلافرج المسيح عنه لأنه كلب وابن ألف كلب وهو فضولى أحمق وفى رأسه خلط مايهدى والابالصفع والا ايش كان لنا بالمجىء الى حضرتكم لولا الفضول من هذا الكلب القرنان الذى يعادى من لايقدر عليه المسيح فضحك أبو محمد البطال من كلامه وقد أمر عند ذلك بالقبض على الجميع ومافيهم إلامن صفع قبل القبض حتى وقع الى الارض مغشى عليه (قال الراوى) ولما ان أفاق عقبة جعل ينظر الى الامير عُبد الوهاب وهو بعد ذلك مشكك فى أمره وقال ياأبامحمد بحق دينك حل نقاب هذا الاسود الذى هو بجانبك فوحق المسيح ان هذا عبد الوهاب فانكم على الدين الصواب فعندها كشف لثام الامير فأبصره عقبة فوقع فى التحيير وقال افعلوا الآن ماشئتم فأنتم الاثنين حواريين الزمان وان دين الروم كله باطل ومحال وهو هذيان فقال له الامير والله ياملعون لابدما أشفى فؤادى منك فقال عقبه وحق المسيح ماتقدر على ذلك ياسود لان عندنا خليفتكم وعندنا أمك ذات الهمه وولدك الامير ظالم وسائر أمرائكم فى قبضة هذا الملك الأوحد ميخائيل وهو الذى أظهر دين المسيح والانجيل ومتى ماسال منى قطرة دم ضرب الملك رقابهم لأنه شديد فى دينه وهو يرى فينا مايرى فى المسيح (قال الراوى) فلما ان سمع الأمير عبد الوهاب بذكر أمه تحادرت عبراته من شدة اشتياقه اليها وقال والله يا أبامحمد ماكنت الاقدأيست منها وقد ذكر لى هذا الملعون أنها مأسوره هى وولدى ظالم والمعتصم والامراء وأناأريد ان أدبر فى اجتماعى بها قبل الموت ولولاهى مأسوره كنت أشفيت فؤادى من هذا الملعون فعند ذلك أقبل أبو محمد على عقبة وقال كيف ياملعون أطاعت الاميره ذات الهمه المعتصم أم كيف أتت تقاتل معه وانها وقعت فى الاسر فقال له عقبة أنه كان المعتصم قد حصر فى آمد وقدضيق عليه ملك الروم فكتب الى ذات الهمه كتاب وتخضع وتذلل اليها واستعطف قلبها بلين الكلام فأتت الى نجدته وحامت عنه حتى أنها أخذت أسيره وقد حدثه بالذى جرى وكيف أسر المعتصم أيضا فقال البطال ياويلك فما أراك تذكر أولادى فقال له وحق المسيح

ماعندى منهم خبر غير أنهم أخذونى ودخلوا بى الى ملطيه وأنا عائد برسالة من عند الملك الى المعتصم لأن المعتصم قدأرسلنى رسولا الى الملك ولما ان أخذونى سلمونى الى ذات الهمه فتركتنى فى ملطيه وسارت الى نصرة المعتصم وقدخلصت وملكت البلد فقال له البطال والبلد الآن مع الروم فقال عقبه نعم لان هذا الشيخ قد احتال عليها وأخذها وخلصنى منها ثم أشار الى شومدرس أحسنت ياقرنال تفدى بى عن روحك فلا كفاك المسيح البلاء ولا عفى عنى كما خلصتك على أننى ما نبشت عظام الموتى من قبورها وأحرقتها وأخربت قبورهم فقال له عقبه صدقت ياقرنان انى نبشت القبور وهؤلاء قدبعثوا من قبل النشور وهاأنت الذى كنت السبب فى ذلك ولولاك لما كنت قدرت على شىء من هذا وأنت رفيق فى كل الأمور (قال الراوى) فلما ان سمع البطال مشاجرة الاثنين ضحك وقال ما يقدر يكشف هذا الامر أحد غيرى ولا يعرف مثلى ولابدلى ماأطلع على جلية الحال ولكن بعدماأشفى فؤادى منكما بالضرب لأن لى زمان ماضربتكما ولانظرتكما تعدبان ثم ان البطال جعل يمدواحد بعد واحد ويضربه الى ان ينثر لحمه ويشده الى السودان الى ان أتى الى آخر الرهبان وأقام على ذلك الحال إلى أن غلق الظلام وقد ودع الامير عبد الوهاب وسار يريد عساكر الروم (قال الراوى) فهذا ما كان هؤلاء (وأما ما كان) من الملك ميخائيل فانه لماأن سار عقبه من عنده وشومدرس أقام ينتظر عودتهم الى المساء فمارأى لهم خبرولم يزل ينتظرهم حتى أظلم الظلام واعتكر فجلس على سرير ملكه وقددارت الملوك من حوله والبطارقه والقسوس والشمامسه بين يديه وقد أيس من عقبه وشومدرس وقال ياقوم قد بطلنا اليوم القتال وقلنا أن عقبه وشومدرس يدبر ان شيأ يكون فيه اصلاح لحالنا فما أرى أحدا منهما عاد ولاخبرأتانا من عندهم بماكان من هؤلاء السودان الذين قدطرقوا هذه الديار فقالوا له البطارقة قديكون قبض عليهم والالو كانوا فى خير كانوا قدعادوا من يومهم فقال ميخائيل وحق المسيح ان كان وصل اليهم أذيه تركت قتال البلد فى غداة غد واحمل عليهم أنا وسائر عساكرى ولا أبقى منهم أحد (قال الراوى) ولم يزل يتحدث مع أصحابه ويحسب حساب عقبه وشومدرس حتى مضى من الليل الثلث الاول وهم أن يقوم الى مرقده واذا دخل عليه جماعة من البطارقه الذى كان وكلهم بالمعتصم وبالامراء المأسورين ومعهم رجل قدقبضوا عليه وهوفى زى راهب فلما أن رآهم الملك قال لهم ماحالكم وايش هذا الراهب الذى هومعكم فقالوا لهأيها الملك أعلم أننا كنا الليله افتقدنا قيود المأسورين فى أول الليل وخرجنا بعد ذلك ندورمن حول خيمتهم

خوفا عليهم فدرنا حولها من كل جانب وجلسنا نتحدث الى وقتنا هذا فسمعنا بكاء عند المسلمين من داخل الخيمة فقمنا ودخلنا فوجدنا هذا الراهب عندهم وهم به متعلقين وهو يعذبهم العذاب الاليم فقبضنا عليه وأتينابه اليك لتكشف خبره وتعلم حاله وتبين صدقه ومحاله وتعرف من هو من الرهبان (قال الراوى) فلماأن سمع منهم ذلك المقال أقبل على ذلك الراهب وقال له ياويلك أنت من تكون من الرهبان وكيف دخلت الى هؤلاء المأسورين من غير استئذان عند ذلك بكى الراهب بدموع تسيل وقد تلا فصلا من الانجيل بخشوع وحسن عباده وطيب نغمه حتى ترك الملك ومن عنده من الملوك والبطارقه يبكون وصار خاضعا وذليل ولما أن كان هذا الحال على هذا المنوال قام الملك وسائر الملوك وقد تراموا على يديه ورجليه هذا ولما أن فرغوا من تقبيل أياديه قال له الملك ياأبونا أنت من أين أرسلك المسيح الينا فقال له الراهب أعلم أيها الملك انى أنا راهب ديرقنا الذى لى فيه خمسين سنه استوحش من الحسيس والانيس وقد حرمت على نفسى كل شىء نفيس ولا آكل شىء فيه روح ولا ما يخرج من الروح بل آكل البقول وألبس المسوح ولم أزل حتى عبرنى المسيح ورأيته فى المنام وهو يقول لى ياصلصينا قد اجهدت بفسك فى عبادتى طمعا فى رحمتى وأناقد مددت لك فى العمر حتى ترانى قدظهرت فى الدنيا بعد غيبتى واعود كما كنت فى أمتى واجازى كل من جاهد فى عبادتى واريك بعدهذه العباده أن تسير الى الملك ميخائيل الميمونى الذى قدأظهرت فيه معجزتى وانى قد أعطيتك من القوة مالا أعطيته أحد من أمتى وأريد منك إذاوصلت اليه تمسح بيدك عليه حتى تناله بركتك ثم بركتى لأنى أريده أن يفتح البلاد قبل ظهورى ولايترك أحدا إلا من يكون من أمتى وأنى لماأن رأيت أيهاالملك عند المسيح منزلتى ومنزلتك وأنه قد جعلك آيته سرت اليك وتركت عبادتى واتيت وحدى لايعلم أحد بحالتى وقصتى ولما أن وصلت الى عسكرك المنصور سمعت أن فيه الخليفه مأسور فجعلت أسيرحتى دخلت الى الوطاق وقدجعلت أن أجعل أول قدومى عليك الجهاد ولاأدخل عليك حتى أعلم أنك على حال الوحدة والانفراد واقص عليك المنام ولايدرى أحدمن الأنام فقبضونى هؤلاء البطارقة الموكلين بالمأسورين وأتوابى الى عندك وأنابعدما أشتفيت من عذاب الموحدين وقد أخرجونى ان أخبرك بأمرى حتى لاتاس على فيطالبك المسيح بذنبى وأنت لاتعلم بى (قال الراوى) فلما سمع الملك مخياتيل من الراهب هذا الكلام أمر الملك بضرب رقاب البطارقه الذين قبضوا عليه من الخيام فقبلوا الارض بين يديه وقالوا للراهب ياأبونا ارحمنا واغفرلنا وانقذنا

من هذه الآلام فقال لهم الراهب قد غفرت لكم ورحمتكم ولكل من يقول بقولكم من سائر الآنام وقد شفع فيهم وأجارهم من ضرب الحسام هذا وقد صاروا القسوس والرهبان يترامون على يديه يقبلونها مع الأقدام ثم انهم قالوا ياملك اننا كنا نطلب من المسيح أن يطول أعمارنا حتى نزور دير قنا وكنا نريد نسمع كلام هذا الراهب صلصينا ونرى صورته فلا نقدر وكنا لما أن نسير اليه نقيم تحت صومعته يوم وعشره حتى أنه يطل علينا من طاق الصومعه ونرى وجهه ويقول لنا إننى قد سألت المسيح فيكم وقد غفرت لكم فأمضوه واتركونى فى حالى (قال الراوى) فلما أن سمع الملك من الرهبان والقسوس ذلك الكلام عظم الراهب فى عينه وقال له وقد أخذ بيده وأجلسه الى جانبه وقد مسح الراهب بيده على رأسه وتلا شيئا من الانجيل بنغمة حسنه فبكوا الملوك وسائر الرهبان وقالوا هذه التلاوة الصادقة تعمل فى القلوب وتكون لها خارقة فويل لرهبان دير قنا بعد هذا الراهب القريب العهد من السيد المسيح فلقد حلت بركته علينا (قال الراوى) إن كان السبب فى مجىء هذا الى عسكر الروم ومن أين هو ومن يكون بين الأنام وكان هذا أبو محمد البطال وأنه خرج من عساكره يكشف خبر المسلمين كما قدمنا وسار إلى أن دخل عسكر الروم تزيا بزى هذا الراهب لأنه كان يعرفه من زمن الرشيد وكان له عند النصارى قدر عظيم وكانوا يحملون اليه النذور من سائر الأقاليم فلأجل هذا سمى نفسه باسمه ودخل على المأسورين قبضوه البطارقة وكان سبب قبض البطال مع البطارقة رقة قلبه لأنه لما وصل الى السرادق الذى فيه الخليفة مع البطارقة المأسورين فرصد الموكلين بهم حتى انهم ناموا ودخل عليهم وهم يتلون القرآن ويسبحون الرحمن فلما أن رءوه قالوا له من أنت ومن تكون أيها الراهب فقال لهم أنا أبو محمد البطال وقد جئت أسعى فى خلاصكم من هذا الوبال فكان فى الجماعة من عرف نغمته وفيهم من عرف صوته وقد تصايحوا من فرحتهم وأما الأميرة ذات الهمة فانها أرادت أن تقول يا أبا محمد ولدى فى الحياة فلم تقدر وقد غشى عليها وخيل لها أن اسرافيل قد نفخ فى الصور وقاموا الناس من القبور (قال الراوى) فلما أن رأى البطال منهم ذلك الصياح والضجيج ندم على تعريفهم بنفسه ورآهم يصيحون فخاف على نفسه وقد علم أن الموكلين يسمعون حسهم ويأتوا على صياحهم فأظهر أنه يعاقبهم وقد صار يشتمهم بالرومى ويضربهم بعكاز كان فى يده من الأبنوس وقد سمعوا الحراس الصياح فدخلوا عليه فى الخيمة فرأوا البطال فقبضوا عليه وأتوا به الى عند الملك وأعلموه بما جرى وقد تخلص بحسن تدبيره وما قد ذكرنا وأجلسه

الملك الى جانبه وقد تحدث معه وقال له الملك انى أريد يا أبونا أن يكون مقامك عندنا حتى أسمع مشورتك وتحل بركتك فى عسكرى وجندى وإذا أتانا شومدرس وعقبه يصيرون تحت يدك فقال له البطال وأين هم وقد سأله سؤال تجهل العارف فقال يا أبونا انهم ساروا إلى هؤلاء السودان على سبيل الرسالة من أمس وإلى الآن ما عادوا فقال له البطال وحق المسيح لو علمت أنهم مضوا اليهم وجرى عليهم أمر من الأمور كنت خلصتهم ونفخت على أعدائهم حرقتهم كلهم ثم أن البطال أقام عند الملك فى أعز مكان يدبر فى خلاص المأسورين (قال الراوى) فهذا ما كان من البطال (وأما ما كان) من الخليفة والأميره ذات الهمه والمأسورين فانهم لما أن أفاقوا من غشوتهم على أرواحهم صاروا يقولون هذا ما كان إلا فى المنام لا فى اليقظة فقال الأمير عمرو بن عبيد الله أنا رأيته بعينى وهو البطال بصورته وحالته وقد كلمنى وكلمته وهو فى زى راهب وقد جاء يخلصنا من النوائب فقالت الأميره ذات الهمه صدقت هو ما فيه محال وأنا أردت أن أسأله عن ولدى عبد الوهاب فقال ما أظن أن البطال قد عاش وانما هذا من هوس القيود الثقال والأغلال وقد باتوا تلك الليلة فى ذلك الحديث (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الملك وسائر عساكره وأراد أن يحمل بعسكره على عسكر الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وإذا بغبار قد ثار وسد الأقطار وكان هذا الغبار من ناحية بلاد الروم وهو إليهم قاصد فقال الملك ميخائيل انظروا ما هذا الغبار فتجاروا البطارقة وقد غابوا ساعة وعادوا يبشروا وقالوا له أيها الملك ان زوجتك صلبان قد أقبلت ومعها ملك لا يحده لسان ففرح بذلك الملك فرحاً شديداً وقال ان هـذا اليوم يوم سعيد ثم انه سار إليها والتقاها ولما أن قرب منها فرآها فى عمارية بأربعة أركان ودائرها صلبان مرصـعة بأنواع الجواهر وبين يديها مائة جليب وهم كلهم بحلل الإبريسم بجنبهم صبيان مرد من أولاد الروم كأنهم اللؤلؤ المنظوم ومن ورائها مائة أخرى أيضا بغرائب المراكب وعلى المراكب جوار حسان مثل حور الجنان ومن حول الجارية خمسة آلاف عنان مجففة وبين أيديهم أربعين راهب لابسين المسوح السود (قال الراوى) فلما أن نظر الملك ميخائيل إلى ذلك صغر الملك بعينه ثم انه قال لنفسه يحق لها أن تكون فى مثل هذه النعمة لأن أبوها ارمويل وهو ملك عظيم وله الجزائر العامرة وهو من أولاد الاسكندر اليونانى والحمد للمسيح الذى أهانى وارتضانى وأعطانى هـذه الجارية وجعلها لى كفؤاً وما هذه إلا ببركة هذا الراهب الذى قدم علينا صلصينا ثم نزل عن مركبه وتقدم إليها وصار

يتخضع بين يديها هذا وقد ضربوا لها سرادق من الأطلس الأحمر ونزلت من المحفة إلى السرادق وقد بهتت إليها الخلائق هذا والملك قد تقدم وأراد أن ينظر إليها فلم يرى إلا الشبكة اللؤلؤ ارتخت على باب السرادق فحالت بينه وبينها إلا أن إشراق وجهها لائح من داخلها وهى تخطر فى أثوابها (قال الراوى) فلما أن رآها الملك ميخائيل وهى على هذه الحالة طار عقله وذهل لبه وعاد إلى سرادقه وأمر بنقل الضيافات والاقامات إليها فنقلوا البطارقة الضيافات والاقامات إليها وما انقضى النهار وأتى الليل بالاعتكار وفى عين الملك قطره هذا ولما أن أتاه الليل قام الملك ميخائيل وسار إليها فى عشرة من الرهبان وأبو محمد فى جملتهم وما زالوا سائرين إلى أن وقفوا على باب سرادقها واستأذنوا الغلمان الملكه فأذنت لهم بذلك فدخل الملك عليها ولما أن صار بين يديها رآها جالسة على سرير من الفضة البيضاء قوائمه من الذهب الأحمر وعليها بدلة مكللة بالياقوت والجوهر وهى كأنها البدر إذا بدر وقد سترت وجهها ببنان مخضب إذا رآه الإنسان التهب (قال الراوى) فلما أن صار الملك ميخائيل عندها ورأى ما هى فيه فصتح لها وزاد فى تعظيمها هذا وقد قرأ أبو محمد فصل من الإنجيل وقال فى تلاوته ان المسيح قد أمر بالجهاد فى الموحدين ونحن قط ما رأينا فى بلادنا مسلمين فقالت الجارية صلبان وأنا أيضاً قد أوصانى أبي بوصية وما أقدر أن أخالفه وحق المسيح فقال لها الملك ميخائيل وما الذى أوصاك به فقالت له اعلم أنه قد قال لى يا بنية لا تخلى الملك ميخائيل يدخل عليكى حتى تصلى الى القمامة وتغتسلى من عين سلوان وتقتلين من المسلمين من له قدر وشأن حتى تفتخرين بذلك على بنات الملوك فى ذلك الزمان فقال الملك يا حبيبة القلب فها قد وعدنى المسيح بذلك لأننا قد أشرفنا على أخذ المسلمين وقد أخذنا أبطالهم الكرام وأسرنا خليفتهم الذى هو لهم امام وكلهم له خدام وكذلك أميرة المسلمين التى يقال لها ذات الهمة وأولاد ولدها والجميع فى أسرى وتحت قهرى فقالت صلبان انى أريد أنظر اليهم ان كان لهم قدر وشأن فهو يبان (قال الراوى) فلما أن سمع الملك هذا المقال من الملكة صلبان فأمر باحضارهم فحملوا فى عاجل الحال الى بين يديها فلما أن رأتهم صلبان قالت وأين الذى قلتم انه خليفتهم فعرفوها بالمعتصم وقد وضعوا بين يديها الأميرة ذات الهمة وقد قالوا لها ان هذه هى التى فتحت البلاد وقتلت العباد وأرملت النساء وأيتمت الأولاد وهذا ظالم ولد ولدها وهو أشر منها فلما أن سمعت صلبان ذلك المقال لطمت ذات الهمة على وجهها وقالت لها انتى التى تأخذى البلاد وتقتلى العباد وتذلى دين الصليب والزنار

وتقتلى كل همام ثم انها قالت وحق المسيح والإنجيل الصحيح لا بد ما أرمى رقابكم أنتم الجميع ونرسل رءوسكم الى بلادى ثم انها قامت على حيلها وسلت فى يدها الحسام وقالت قدموهم الى حتى أرمى رءوسهم أجمعين فى هذا الوقت والحين فقال لها الراهب صلصينا لا تقتلى يا ملكة هؤلاء المسلمين قبل أن تملكوا بلادهم فقال الملك يا أبونا كيف أخالف الملكة صلبان وقد وقعت من أجلها فى النيران ولكن اسألها أنت فيهم (قال الراوى) هذا كله يجرى والأميرة ذات الهمة تميز فيهم وتنظر الى أبو محمد البطال ولما أن حققته عزفته وقالت لظالم انى أريد أن أسأله على أبيك الأمير عبد الوهاب من قبل ما تضرب منا الرقاب فقال لها المعتصم اياكى أن تكلميه فتهتكى ستره اذا أنت خاطبتيه ولكن دعيه حتى انه يتسبب فى خلاصنا بكل سبب ما دام هو عندهم فى هذه المنزلة هذا وقد تقدم البطال الى عند الملكة صلبان وقال لها أيتها الملكة تمهلى فى أمرك واقضى حاجتك واتركى قتلهم الى يوم عرسك واعلمى أن الملك ما فتح من البلاد غير فرد بلد وانه ما يملك البلاد إلا بهذا الرجل لأنه خليفة المسلمين وبه تنالين ما تطلبين ولاتستعجلين تندمين (قال الراوى) فلما ان سمعت الملكة صلبان ما قال لها البطال قالت له يا ابونا اعلم أن أبى ما أرسلنى الى الملك ميخائيل الا على انه يملك البلاد الى بغداد واذا كان الأمر على ذلك فاتركوا المأسورين عندى حتى ينفصل الحال فقال لها البطال هم لكى وبين يديكى فاحبسيهم عندكى واحتفظى بهم فقالت له يا أبونا مانحتاج أن توصينا بهم ثم انها استلمتهم والى غلمانها سلمتهم وقد أوصتهم بهم وخرج الملك من عندها وقد افتتن بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها وخرج البطال بين يديه والرهبان وساروا الى سرادق الملك (قال الراوى) ولما أن اختلت الملكه صلبان بنفسها أحضرت الأسارى إلى عندها فى ظلام الليل فرأتهم يبكون والى بعضهم البعض يشكون وكان أتمهم وأعظمهم شكوى الأميره ذات الهمه فقالت لها الملكه صلبان هكذا تبكى من تمارس الرجال فقالت لها والله ياملكه مابكائى إلا على ولد كان لى وفقدته وقد أفجعنى فيه الزمان وقد رأيت الساعة الذى كان معه وعرفته وأنتى قدعولتى على قتلنا وأنى خائفة أن أموت ومارأيته (قال الراوى) فلما أن سمعت الملكه صلبان من الأميره ذلك المقال جرت دموعها وكذلك سائر غلمانها وقالت لها يا أم المجاهدين لاتخافى ولاتجزعى فأنا جاريتك عذيبه ثم أنها أرمت روحها عليها وجعلت تقبل رأسها ويديها فتقول لها ذات الهمه لا يا ملكه فقالت لها بل أنا لى فى ذلك أوفى نصيب لأن الذى كان معولدك وهلك عذيب هوولداى وان كنتى تنكرى هذا الحال فأنا جاريتك

عذيبه بنت البطال هذا وقد صاح واحد من الغلمان وقال وأنا مذبحون المحتال وهذا أخى الحصين المشتاق إلى الأوطان وقال الآخر وأنا بديع أبو الأهوال وقد صاحوا الباقين وقالوا نحن كانا غلمان البطال فقالت الأميره ذات الهمه وقد طار قلبها من الفرح وزاد تعجبها من هذا الإختيال ياعذيبه ومن أين لكى هذا المال والغلمان والجوار والملك الجزيل وكيف قد صرتى الملكه صلبان بنت الملك أرمويل فقالت لها عذيبه اعلمى أننى قد سرت الى عند عمى يانس المتعزب من حين كبس الملك ميخائيل على ماطيه وقدأقمنا عنده نتنسم الأخبار حتى أننا سمعنا أنكم فى أسر الكفار ومازلنامقيمين إلى أن عبرت علينا الملكه صلبان بنت الملك أرمويل وهى فى هذا التجميل العظيم فخرجت اليها برجال وأى رجال لايخافون فى الله لومة لائم وهجمت عليها وقد أخذتها من العماريه وأمرت يانس يكبس على عسكرها فكبسهم وقتل الجميع وقد جلست أنا مكانها وأتيت من شفقتى عليكم ومعى رجال يانس المتعزب وقد ألبستهم بزى رجال أهل الجزائر حتى لاينكر عليهم أحد وقد أخذت منه مائة جارية وقد تجهزت فى ذلك الزى كما ترون والليلة أخلصكم وآتيكم بالملك حتى تقبضون عليه وتدبروا ماترون فقالت الأميره ذات الهمه وانى إلى الآن ما عرفتى أباكى فقالت لها وهو أين أبى ومن يكون أبى فقالت لها الأميره أبوكى البطال فقالت لها عذيبه يامولاتى أحقا ماتقولين أومزاح فقالت لها لا وحق من نسم الرياح وفلق الأصباح ان أبوكى البطال مع الملك ميخائيل وهو الذى كان قدامه يتلو الإنجيل ويدله على التحريم والتحليل وهو الذى شنع فينا وقد حدثك بذلك الكلام المذوق (قال الراوى) فلما أن سمعت عذيبه من الأميره ذلك المقال وكادت أن تنفطر مرائرهم بالفرحة بالأمير أبو محمد البطال وقالت عذيبه وحق من أرسى الجبال وعلم كم وزنها من مثقال لقد كنت كلما تلا الانجيل أشك فى تلاوته وأبكى كلما سمعت نغمته ولكن ما جعلت نظرى الى صورته ولا قلت انه يرجع يعيش من القبر وان اخوتى كانوا منكسين الرأس فزعا لا يعرفون وإلا ما كان يخفى عليهم لو نظروه عن حقيقة وان كان هذا الأمر صحيح فان الأمير عبد الوهاب معه وقد سلموا من القضاء والقدر وما سلموا إلا ولهم حديث يسطر والساعه أنفذ الى الملك وأقول له أنفذ لى الراهب الازرق العينين الأشقر وإذا أتى وصار عندنا صح الخبر ويكون هـــذا الحديث عبرة لمن اعتبر (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بالراهب صلصينا عليهم داخل وكان الليل بسواده قد اعتكر ولما أن صار عندهم رأى ابنته وهى مكشوفة الرأس فعرفها فترامى عليها وصار يقبلها وقد فاض دمعه

وانحدر هذا وقد تواقعوا أولاده عليه وما فيهم إلا من عانقه وقبل صدره ويديه هذا والأميره ذات الهمه تنادى يا أبا محمد حدثنى ما كان من حديث ولدى ان كان عندك منه خبر فقال لها يا أميره ابشرى فان ولدك فى هذا العسكر وقد جرى لى وله فى بلاد الهند ما لا يجرى من سائر البشر ثم ان البطال جعل يحدثهم من حديث أمر الخليفه وما كان من تفريقهم وكيف سيرهم الوزير فى مركب وكيف غرقت بهم المركب وتفرقوا فى البحر وكيف احتوى هو والأمير على السودان وما جرى للبطال مع المقعد (قال) هذا كله يجرى والخليفه يسمع ويرى ويتعجب ويقول سبحان من فسح لكم فى الآجال حتى سلمتم ووصلتم الينا ونحن فى هذا الحال والله لابد أن أرفع هذا الوزير ان سلمت من هذا الخطر ولأجعلنه نائبى ان غبت أو حضرت لأن مثل هذا يستاهل على ذلك الأجر (قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير أبو محمد من حديثه قالت له ذات الهمه يا أبا محمد انى أريد من فضلك أن تبصر بينى وبين ولدى كيف تجمع فقد فنى منى صبرى وخاننى جلدى فقال لها الليلة أوصلك ان شاء الله تعالى اليه وأتركك تشتفى من تقبيل عارضيه هذا وعذيبه وأخواتها قد غشى عليهم من حيث أنهم عرفوا أباهم وما أفاقوا حتى فرغ من حديثه وقال لعذيبه يابنيه مع هذا كله كيف صرتى ملكة ومن أين لكى هذه الأموال والفرسان فقبلت صدره وحدثته ثم قالت له اعلم أن كل من معى من الأبطال هم أصحاب يانس المتعزب والأموال أموال الملكة صلبان ثم حدثته كيف جرى وكيف كان وكيف قعدت مكانها وتركت أخواتها فى زى غلمانها ففرح البطال بهذا السماع وشكر الله على هذا الاجتماع وقال الساعة ما بقى غير التدبير على كسر هذا العسكر وقد نلنا ما نريد فقالت عذيبه ما نكسر الروم حتى نقبض على الملك ميخائيل وننفذ بعضنا إلى الأمير عبد الوهاب نعلمه بهذه الأحوال حتى يكون على يقظة من أمره وأنه إذا سمع الصياح من عندنا يحمل هو ومن معه من السودان ونحن فى هذه الخمسة آلاف فارس من أصحاب يانس والأمير ظالم وستة الأميرة ذات الهمه والخليفه والأمير عمرو بن عبيد الله نكبر فى وسط العساكر ونبصر كيف تضرب البطارقة بالسودان البواتر ونطلب النصر من العزيز الخالق الحكيم القادر (قال الراوى) فعند ذلك قال البطال أما الملك فأنا أسوقه اليكم تقبضون عليه لأنى ما جئت إلى عندكم يا بنيه إلا فى رساله لأن الملعون قد أحبك حبا شديدا وصار لا يأخذه عن حبك قرار وأنه قد أنفذنى حتى انى أسألك أن تتركيه يبات عندك الليلة وقال لى قل لها انى ما آتى لها إلا وحدى حتى لا يدرى بى أحد

وأعود أخرج من عندها وقت السحر ولا أعود أقربها حتى تعود من زيارتها فقالت له عذيبه مكنا الساعة من قفاه وسوقه إلى عندنا والسلام فقالت الأميره يا أبا محمد احتال قبل كل شيء فى خروجى معك إلى ولدى حتى أعلمه بما أنتم عليه معولين فقال المعتصم وأنا والله معكم وأكون عندكم فى الخيام لأنى ما أقدر على القتال ولا على القيام حتى يهدى روعى فقال له أبو محمد قم يا أمير المؤمنين حتى أننى أطلب النجاه (قال الراوى) فعند ذلك قام الخليفه وركب هو والأميره على جوادين من خيل عذيبه وقد سار بهم البطال حتى خرجوا من عسكر الكفار وإذا بالحارس قد عارضهم وقد قال لهم من أنتم فتقدم البطال اليه وقال له أنا الراهب صلصينا وان هؤلاء من العرب المنتصره قد أنفذنى وأنفذهم معى الملك إلى عسكر المسلمين حتى يختلطوا بهم فى هذه الليلة ويكشفوا له خبر الشيخ النجيح فلما سمعوا منه ذلك المقال تفرقوا عنه وساروا وهم متعجبين من فعال البطال وقد طلبوا عسكر الاسلام وعاد أبو محمد يدبر الأمر الذى قد ذكرنا ولم تكن إلا ساعة حتى قربت الاميره عسكر ولدها الامير عبد الوهاب وكان فى تلك الساعة على الحرس وهو مشتغل القلب على أبو محمد وعينه طائره عليه وقد زاد به الاشتياق إلى والدته (قال الراوى) فبينما هو على ذلك الحال وإذا هو بأشباح تلوح فى ظلام الليل وقد سمع سنابك الخيل فى ظلام الليل فركض بالجواد وصاح لما أن قرب من الأشباح وقال من الطارق فى الليل الغاسق فسمعت الأميره ذات الهمه الصوت فعرفته فترجلت نحوه وهى تقول مرحبا يا بنى مرحبا بهذه الشمائل والأعطاف الحمد لله على ما أولانا من حسن الالطاف ياولدى أعادك الله وأحياك الله حياة جديدة فرحقه ما أقدر أقوم بواجب حقه ولاشكره سبحان من رحم بك كسرى ومن بك على سمعى وبصرى وردك الله على ردا جميلا قبل الممات (قال الراوى) فلما أن سمع الامير صوت والدته ورآها عرفها فأرمى روحه عليها وهو طائر الفؤاد ثم انه اعتنقها ساعة زمانية هذا والخليفة ينظر الى ذلك ويبكى ويقول لا آخذنى الله بما قد فعلت مع هؤلاء القوم هذا ولم تزل الاميرة تقبل عوارض الامير عبد الوهاب الى أن أفاق من غشوته فجعلت تحدثه بما عملته عذيبة بنت البطال وكيف أتت الى الملك ميخائيل فى زى الملكه صلبان واخوتها معها فى زى الغلمان وكيف سمى روحه البطال وقال لهم لمثل هذه الساعة قد ادخرناكم وبها قد وعدناكم وفى هذه الليلة يكون غناكم فعند ذلك تاروا كلهم لما أن سمعوا ذلك الصياح وقد كانوا تأهبوا من قبل فحملوا وطلبوا عسكر الروم وفى أوائلهم الامير عبد الوهاب والله ما البطال وأشياعه

إلا أركان المسلمين فالله تعالى يطيل فى أعمارهم حتى يكونوا نقمة على الكافرين هذا وان الامير لما فرغ من السلام على أمه أقبل عليه الخليفة مسلما وتمثل بين يديه وقال له العفو يا أمير المؤمنين ثم دنا منه وقبل يديه وقبل عذره ولا آخذه بما فعله (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وماجرى لهم (وأماما كان) من البطال فانه لما ان فارقهم عاد يطلب سرادق الملك ومازال الى أن وصل اليه ودخل عليه فوجده فى لهيب النار من أجل الاستنظار فلما ان أقبل البطال اليه قال له وحق المسيح ياملك لقد جرى لى مع الملكه صلبان شىء ماأقدر اصفه بلسان حتى اجابت الى ماتريد ولولا خوفها من المسيح ونقمته وقلت لها ان طاعة زوجك مثل طاعة المسيح والا ما كانت اطاعت إلى ذلك فقم الساعه ايها الملك الى ذلك الحال وتمتع بذلك الحسن والجمال واشكر المسيح الذى بلغك الآمال فقام الملك وهو لايصدق بالنظر الى وجهها وخلع ثياب الملك من عليه وقد لبس البطارقه حتى لايعرفه أحد اذاراه وسار والبطال بين يديه سائر وقلبه من الفرح طائر (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى سرادق ابنته عذيبه والملك ميخائيل معه وقد دخل قدامه فوجدوا الاميرظالم وعمرو بن عبيدالله ومذبحون والحصين ولؤلؤ وبديع وباقى الغلمان كانهم العقبان ولما أن دخل الملك وصار فى السرادق تواثبوا عليه وألقوه فى الأرض وقد كتفوا يديه ورجليه هذا وقد أنفذت عذيبه إلى عند أصحاب يانس المتغرب مع اخوتها وقد أعلموهم بالحال وقالوا لهم ان الملك قد وقع فى أيدينا وقد أعتقلناه وكانوا قد فرحوا بسلامة البطال عند ذلك جددوا كلهم السيوف الصقال وركبوا الخيل فى ظلام الليل وقد صاحوا صوتا واحدا الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وتفرقوا فى جنبات العسكر (قال الراوى) فلما أن سمعت عساكر الكفار ذلك التكبير والصياح انزعجت بطارقة الروم ثم ثاروا من المقام وخرجوا من المضارب والخيام هذا وقد عجل الحسام فى الخاص والعام وقد زاد القتام والظلام اعتكار من الغبار والقتام فسمعت الاميره ذات الهمه الصياح فقالت لولدها الامير عبدالوهاب احمل يابنى الساعه على عساكر الكفار فهذا الامر الذى نحن له فى الانتظار (قال الراوى) وكان الامير عبد الوهاب قد رحل الى عسكره وايقظ رجاله واعلمهم بماقدجرى ومادبر البطال من الاحتيال وأمه ذات الهمه (قال الراوى) فلم تكن الاساعة حتى أنهم صاروا مع الأعداء فى المضارب ووضعوا فى البطارقه السيوف والقواضب فسمع فحمل هو وباقى الرجال ووضعوا الكل فيهم السيوف الصقال وتقدموا الأمراء إلى المعتصم وهنوه بالسلامة بعد ماولت الروم الأدبار وركنوا الى الفرار وتقدم الأمير

أبو محمد البطال واخبره بما فعل الملعون عقبه وكيف دبر عليهم وعلى الامراء والمعتصم
ومارأته الاميره ذات الهمه فى المنام وقال له ياأمير المؤمنين وحق قرابتك من رسول
الله سيدنا محمد سيد المرسلين وما كان سبب قدوم ملك الروم ميخائيل إلا هو الذى
دله واخبره بهذا الأمر الذى جرى علينا فعند ذلك قال الخليفة للامراء إذا كان ولابد
مايؤذيكم عندى الاعقبه فافعلوا به ماترويدون واين ماوقعتم به فاسقوه كاس المنون
ودعه ان يكون مسلم أونصرانى فأنا اعلم ان فى هلاكه اصلاح للمسلمين (قال الراوى)
فلما ان سمعت الاميره ذات الهمه من الخليفة ذلك المقال قالت لولدها يابنى مابقى على
أمير المؤمنين ملام وهذا عقبه عندنا فى ملطيه فسيروا بنا حتى نحمله الى مدينة القسطنطونيه
ونصلبه مادام الملك ميخائيل فى ايدينا والروم قد انكسرت والخليفة قدا باحنا دمه
فضحك الأمير عبد الوهاب والبطال من مقالها وقالوا لها عند من تركتيه فى ملطيه
فقالت لهم عند قشعم فقال لها البطال ياأميره هذا عقبه عندنا فى الخيام هو وشورمدس
شيخ الضلال ثم ان البطال حدثها بفتح ملطيه وأسر قشعم وحريق القبور الذى كان
فيها جثث القتلى وماحصل من القصه من أولها الى آخرها فلما ان سمعت الأميره ذلك
المقال من الامير ابو محمد البطال فتعجبت من هذه الامور والاحوال وقالت لعن الله
عقبه لأنه بالغ فى العداوه وقد كنت والله فزعانه منه على قشعم فقال الخليفة ياقوم
فاحضروه مادام هو عندكم حتى اننا نسمع كلامه وأنا والله أسير معكم الى بلاد الروم
وأحضر صلبه وصلب هذا الراهب الذى معه (قال الراوى) فعند ذلك قال الامير عبد
الوهاب لابو محمد البطال ياأبو محمد احضرلنا هؤلاء الملعونين فما نريد أحسن من هذا
الوقت ولا أطيب من هذه الساعه فقال له البطال انه فى الخيمه التى لحسام الملك أحضرهم
فامر غلمانه باحضارهم فقالوا لهم والله أنهم قد هربوا فقال حسام الملك وكيف هربوا
فقالوا والله اننا لما ان سمعنا صياحكم فى عسكر الروم طلبناكم وقد اشتغلنا عن أهل الدنيا
فقال أبو محمد فقولوا أنهم هربوا والله قد نقذوا الملعونين ثم ان البطال مضى الى
الخيمه وعاد ومامعه أحد فقال له الامير عبد الوهاب ايش الخبر فقال له والله مالهم
فى الخيام أثر وقد علمت أنهم قد هربوا وماسرت الاحتى لايبق لكم حجه فقال الخليفه
ماتحتاجون الى هذا كله فاذا وقع فى أيديكم اكتبوا إلى بالحال والذى تعملوا من الاعمال
حتى انى أوافقكم عليه وعذبوه وبعد عذابه اصلبوه (قال الراوى) وقد باتوا تلك
الليلة ومن الغد نادى الأمير فى العساكر بالرحيل الى ملطيه وقال سيروا بنا حتى نخلص
أوطاننا وأولادنا من أيد الكفار ثم دخل على الخليفه وأعلمه بذلك فقال له لولا البلاد

كما علمت قداختبطت لأجل فقدى وخروجكم أنتم من البحار ومجيئكم خلف عساكر الروم لما كنت أسيرالا معكم ولكن أنتم أخبر بالحال لأن خبرى فى هذه النوبه قدسار الى سائر الأقطار وسمعوا الناس بفقدى وخراب الديار فقال له الامير مانحتاج أيها المولى الى تعبك ونحن ننوب عنك فشكر الامير على ذلك وأمره بالرحيل فرحل الامير بالعسكر وسار طالب ملطيه وبلاد الثغور وهوفرحان مسرور وكذلك السودان الذين خرجوا معه من بلاد الهند فرحوا أيضا بماوصلوا اليهم من الغنائم والاسلاب وبماقد عاينوا من علو مرتبة الامير عبد الوهاب وقداختلطوا بسودان الاميره وبنى كلاب وصار حسام الملك عند الأميره ذات الهمه من خواص الاصحاب هذا والبطال سائر بين أيديهم وأولاده قدفرحوا بسلامته وغلمانه وعذيبه أفرج الخلق به وقدصار فى موكب كله لصوص هـذا وقد كان الامير عبد الوهاب لماان رأى الى جعبر أخو الملمان قربه اليه وأدناه لماان سمع صفاته من الفرسان فجعله مقدم على طائفة السودان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الخليفه فانه لمارحل الامير بعسكره على آمد رحـل الاخر بمن كان معه وسار طالب العراق بعدما وطىء رقبة ميخائيل وأوصى الامير عبد الوهاب أن لايطلقه حتى يحلفه على الجزيه فى كل عام وأنه يعاونهم على طلب عقبه أين ما كان (قال الراوى) وكان السبب فى هروب عقبه اللعين وشومدرس الخنزير وذلك أنه لماركبت العساكر الذى للامير عبد الوهاب وكبست عساكر الروم تركوهم فى الخيام وطلبوا كلهم القتال من أجل نهب الأموال لانهم عرب بجمعه وسودان قد خرجوا من بلاد الهنود طمعا فى المكسب وما التفت اليه أحدا جهلا منهم به ولمـا ان نظر عقبه الى خلو المكان قال لشومدرس ويلك ياقرنان ان لم نخلص فى هذه الساعه وهم فى تلك الغفله والامابقينا نخلص أبدا فقال شومدرس وكيف يكون الخلاص ونحن فى ضيق الاقفاص فقال له سوف ترى مايكون منى ثم ان الملعون أخرج يده المقطوعه من الكتاف وقدحل نفسه من القيد الذى كان فى رجليه وفعل بشومدرس كذلك وخرجوا من الخيمة فى ظلام الليل والناس مشتغله بماهم فيه من القتال وقدركبوا جوادين وساروا يطلبون طريق ملطيه وهم يرون بريق الصفاح ويسمعون كثرة الصياح (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين وهم يركضون الى ان وصلوا الى ملطيه قبل وصول العسكر المكسور ليلته ولمـاان صاووا قريب البلد دخلوا على غيلان الشوك فلما أن رآهم سألهم عن حالهم فأخبروه بماجرى وكيف عادعبدالوهاب

والبطال وظهروا بعد التفريق والحريق وقد أتوا فى سودان مثل الغيلان وقد كبسوا الروم تحت الظلام ونزلوا عليهم مثل السيل اذا سال وقد أنزلوا بهم الهم والغم والويل وقد هربنا نحن ونجينا بأنفسنا وبعد ذلك ما ندرى ما جرى ولكن أنا اعلم ان الروم ما يفلحون ولا بد ما ينكسروا لأننى قدسمعت صياح المسلمين قد علاوهم يقولون كلمة الاخلاص فقال له غيلان ويلك يا شيخ أما نحن قد نبشنا قبورهم وأحرقنا عظامهم بالنيران فكيف رجعوا وعاشوا وخرجوا من بلاد السودان هم من الجن الغواصه أم العفاريت الطياره فقال له عقبه وحق المسيح لقد حرت فى أمرى وفنى صبرى وجلدى وما أظن هؤلاء مثل الآدميين الذين هم فى هذه الدنيا وأنا ما أقول فى عقلى إلا أن أرواحهم تتنقل فى الأجساد اذا خرجت من جسد تدخل فى جسد غيره وباتوا تلك الليلة فى هوس واختباط (قال الراوى) ولما ان كان من الغد صبيحة ذلك النهار طلع عليهم غبار عساكر الروم الكفار وقد طلبت الهرب والفرار من ضرب سيوف عساكر الأبرار فقال عقبه جاء العمل هذا وحق المسيح عساكر الملك ميخائيل قد أتت منهزمه والساعه نرى عساكر المسلمين من خلفها قادمين والينا واصلين قم بنا حتى نبصر لنا مكان نلتجىء فيه مما يقع على البلاد من الحصار والا أخذنا من هذه الديار ويصلبونا على الأسوار (قال الراوى) ولما أن رأى غيلان الشوك الى ذلك الغبار ركبت عساكره وسودانه وخرج من البلد والتقى بأوائل المنهزمين وقد سألهم عن الخبر فقالوا له أيها السيد لا نسأل عما جرى من الأخبار واعلم أن ما بقيت عساكر النصرانيه تفلح ولو انها بعدد ورق الشجر وقد أسر الملك ميخائيل وقتل كل ملك جليل وما بقى من البطارقة غير القليل والباقون بين أسير وقتيل وفى هذه السنه تملك بلاد النصرانية وتصير ملكا إلى الملة الحنيفية ولا يبقى من عباد المسيح باقيه فقال غيلان الشوك وقد طار فؤاده ياويلكم وكيف أسر الملك فقالوا له ماندرى الا أتت الينا ابنة البطال فى صفة الملكه وفى صحبتها من الملك مايحير الافكار والأبصار وهى التى عملت الحيلة حتى أخذوا الملك أسير وقد تم علينا وعليه هذ التعتير (قال الراوى) فلما أن سمع غيلان منهم ذلك الكلام تحسر وقال لهم صدقتم وحق المسيح لأنها عبرت على وقالت لى هذا المقال وأخرجت اليها الاقامات والضيافات والأموال احتراما لها واكراما للملك ميخائيل وماعلمت أنها ابنة البطال ثم أنه سار يلتقى المنهزمين ويدخل بهم إلى البلد ويقول لهم كيف ترحلون وتتركون الملك فى أيدى المسلمين وحق المسيح ان هذا عار عظيم هذا وقد أشرف الأمير عبد الوهاب فى العساكر

التي كأنها البحر الزخار هذا وقد نظرت الروم الى السودان كأنهم الجواميس فقالوا والله إن هؤلاء يلتقوا أهل الأرض جميعا وما عمل معنا غيلان خير الذى مسكنا عن المسير وما كان الصواب إلا مسيرنا إلى بلادنا قبل قدومنا (قال الراوى) هذا وغيلان قد طلب عقبه ليشاوره فيما يعمل فما وجده فعلم أنه قد هرب هو وشومدرش فقال ما هذا عقبه وحق المسيح إلا شيطان يوقع الفتن بين الروم والمسلمين وإذا رأى الغلبة خلاهم وهرب (قال الراوى) هذا وقد كانت أول ما أشرفت عساكر المسلمين وقاربت الأصوار ورأت إلى الأوطان فانتخت فرسانها على خلاص أولادها ونسوانها هذا وقد داروا ملطيه من كل جانب وكبروا باسم الطالب الغالب ونادوا السودان تخلى نسواننا وأولادنا فى أيدى الكفار دونكم وهؤلاء الفجار وخراب الأصوار حتى ندخل إلى بيوتنا قبل ذهاب النهار (قال الراوى) ثم أنهم تقدموا بالمناقب والمعاول وطلبوا الأبراج وقد لمعت وجوهم مثل الليل الداج وقد تبعهم الأمير عبد الوهاب فى عشرين ألف من الأكراد عند ذلك هجموا الجميع فلما أن رأى غيلان الشوك إلى ذلك الحال فقال وحق المسيح إن توانينا على أرواحنا هلكنا ولكن ائتونى بالأسارى من الأمراء والسودان والصغار على الأصوار حتى تمنعوهم من رمى السهام والاحجار فى عاجل الحال أتو بالأسارى وهم حيارى وألقوهم على الاصوار وقد هتف للنبال فلما أن صاروا الاسارى على الاصوار صاحوا صيحة واحدة وبكوا بدمع غزار فسمعوهم السودان وبنى كلاب فما كنت ترى منهم إلا كل قلب مصدوع وأنف مجدوع (قال الراوى) فلما أن رأى الامير عبد الوهاب إلى ذلك المصاب فمنع الناس من القتال وقال ما أظن بقى للبلد خلاص إلا بميخائيل وإلا ماالبها وصول ولا إلى أهلنا سبيل فعند ذلك أرسل غتلان الشوك يقول له ياملعون ايش ذنب النسوان والأطفال حتى تفعل بهم هذا الفعال فلما أن سمع غيلان هذه الرسالة رد الجواب يقول كيف نخرج إلى القتال وأنتم مثلنا أضعاف أوكيف نرمى أرواحنا الى التلاف ولكن أقسم بالكنائس الآربع وما أوقع فيها وتشعشع وسجد للشرق فيها وركع ائن لم ينعم أميركم بخلاص ملكنا ويحلف هو وذات الهمه أنهم يخلوا سبيلنا وإلا أرميتهم برءوس كل من عندنا وقاتلناهم حتى نهلك كلنا عن آخرنا لاننا قوم مستقلين وليس عندنا من العساكر ماتقلنا ودع بعد ذلك يجرى ما يكون (قال الراوى) فلما أن عادت الرسالة ووصلت الى الامير عبدالوهاب خاف على الاطفال والعيال وقد أجاب الى الصلح مع الملك ميخائيل بعد ماحلفه بالانجيل وسألهم عن عقبه وشومدرس فحلفوا أن ماعندهم منهم خبر هذا ولما أن

اتفقوا وصفت النية أخرجوا الروم وغيلان الشوك من ملطيه ولم يأخذوا منها مايساوى درهم بالكلية هذا وقد دخلوا المسلمين وفرحوا الجميع بلم شملهم بأهاليهم واجتمع الامير عبد الوهاب بنسائه وكذلك أبو محمد البطال قد اجتمع بنورى وبل شوقه منها وقد استقروا فى الاوطان كأنه شىء ما كان هذا وقد أحسن الامير عبد الوهاب الى النسوان الغرباء وفضلهم على سودانه وأنزلهم فى الدور المليحة وقد أقاموا على ذلك الحال برهة من الزمان (قال الراوى) فبينما الامير عبد الوهاب فى يوم من بعض الايام وهو جالس فى طارمة له تشرف على الطريق والآكام وعنده البطال يتفرج على الغادى والبادى من الانام واذا هو بزعقات عالية وصرخات نامية فقال له الامير أبو محمد ما سبب هذا الصياح فأخرج أبو محمد رأسه من الشباك ثم عاد برأسه وهو يضحك ضحكا عاليا حتى استلقى على قفاه فقال له الامير عبد الوها والله يا أبو محمد لقد عجبت من ضحكك من غير سبب فقال له الامير أبو محمد أيها الامير أشرف وانظر العجب الذى قد أضحكنى فطل الامير عبد الوهاب من الشباك فنظر الى ماقال عليه الآمير أبو محمد البطال واذا بالناس يهرعون من كل جانب والصياح قد علا والصراخ قد نما وهم محدقين بشيخين أعورين أحدهما فى رقبته حبل والاخر يسحبه وهو يقول له قل أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (قال الراوى) هذا والمسحوب يقول أيها الناس أنظروا الى هذه الالطاف العظيمة والقدرة الجسيمة شيخ له من العمر ثمانين سنة وهو فى الضلاله والطغيان وعبادة الصلبان وما قضى الله إلا أن يكون هدايته على يد هذا العبد الصالح الذى لربه ناصح فتأملهما الأمير عبد الوهاب وقد عجب من فعالهما غاية العجب وإذا بالواحد منهما ملعون وقد أبعده الله تعالى من رحمته وأبلاه بالخزى والمقت القاضى عقبه بن مصعب السلمى والاخر اللعين شومدرس فقال الأمير لما ان رآهما عليكما لعنة الله فلقد حار فكرى فيكما وفى محالكما ثم أنه قال لابو محمد البطال ياترى قد أسلم شومدرس تحقيق فقال له أبو محمد والله لا كان ذلك منه أبدا وإنما يريدان الملعونان أن يعملان حيلة على المسلمين وسوف أطلعك عليها ان شاء الله تعالى وقد كان الذى نطق به البطال حقا صدقا مما يعلم من خبثهما (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه لما ان كسروا المسلمين عساكر الكفار وأيد الله عصابة أهل الدين القويم وأبادوا الموحدين طائفة الكفار الفجار ونظر عقبه وشومدرس الى ذلك وانهزما وخرجا من البلد سار شومدرس وقد ترك عقبه ينظر مايجرى وتبعه فما زال سائر الى رأس جبل وجلس هناك ينتظر رفيقه وهو باهت فيما جرى لأهل ماء المعموديه فبينما

هوكذلك وإذا باللعين عقبه قدوصل وهناه بالسلامه وقدشكى اليه مايجده من الحزن على الروم فقال له شومدرس خلى عنك الحزن والعناء وخذ هنا فيم ينفعنا فقال عقبه وحق الانجيل انى خائف من الملك أن يطالبنا أينما كنا ويسلمنا اليهم ويفدى بنا عن نفسه وعن مدينته ونصلب نحن ونمضى مجانا فقال شومدرس فما الرأى عندك أيها القاضى ومانيتك أن تعمل فقال له الرأى عندى أناقوم أناواسير وأنت خلفى ونقرب من البلد ونكمن فى مكان وننظر مايكون قدجر للملك من المسلمين ان كانوا اصطلحوا فأنا أعمل حيله وندخل بهاعليهم وان كان يقع القتال فننظر كيف يتم الحال وندبر على قدر ماترى لنافيه المصلحة (قال الراوى) فعند ذلك ساروا الملعونين الى قرب ملطيه وكمنوا هناك وقد سمعوا بكل ماجرى وبصلح الملك مع المسلمين وسار الملك بما كان قدتبقى من عساكره إلى القسطنطونيه فصبروا الى ان مضت مدة من الايام وقال عقبه لشومدرس قم بنا الان وسير بنا إلى ملطيه فقال له يا ملعون نحن هاربين منهم والا نسير لهم برجلينا فقال له عقبة قم بنا وانظر العجب فيما أفعل فقال له شومدرس وما تفعل ياقرنان فقال نسير وأعمل رقبتك فى حبل وأدخل بك الى ملطيه وأدخل على الأمير عمرو بن عبيدالله وألعب بعقله وأسعى بأن يبنى لك صومعه تكون فيها وأنت كاتم سرك وتزعم أنك قد أسلمت وتظهر العباده والورع ونتعاون أنا وأنت على الحيل وتأتى بالمصائب التى نوقعها على المسلمين فقال له شومدرس هذا هوالصواب إن صحت لنا هذه الأسباب فيكون أمر لايعاب ثم انهم ساروا فى طلب ماقد ذكرنا وقد عمل عقبة لما ان قرب من البلد فى رقبة شومدرس حبل وتهارعت إليهما الناس وصار يقول له اسلم وهو يقول كما ذكرنا (قال الراوى) فهذا ماكان السبب فى ذلك وعدنا إلى ما كنا عليه من سياقة الحديث وذلك ان اللعين عقبة وشومدرس دخلا إلى دار الأمير عمرو بن عبيد الله وسلما عليه فرحب بهما واستقبل عقبة ثم قال له ياقاضى اين كانت هذه الغيبة وها انا أرى معك رأس الحكمة شومدرس فقال له يامولاى اعلم ان هذا الشيخ قد نصب على وأخذنى وسار بى الى بلد القسطنطونية وقد جرى لى معه أمور عجائب الا أنه أسلم لما أن بان له منى البرهان وعاد الى الله من قريب فقال له الامير عمرو وأسلم ياقاضى هذا الرجل من بعد فعاله بالمسلمين تلك الفعال والكفر بالملك المتعال فقال عقبه اماعلمت أيها الامير انى أنامن أئمة هذا الدين وقد جادلت هذا الشيخ ثم أقمت له الدلائل وقد أفاضت منا المجادله الى أدله تعجز الخلق من اعمالها

واجماعها الا انى ماتركت شيئا من علمى الاوشرحته له ولاتركت مذهب الا وأوضحته بين يديه فلما أن سمع شيء حيره فما ساعه الا الدخول فى دينى والعقيدة فى يقينى وقال انى رضيت بما رضيته أنت لنفسك وأنا أيها القاضى قائل بمقالتك ومطيع لما تريد من ارادتك فعند ذلك سألته فى المسير الى حضرتك وها نحن بين يديك (قال الراوى) ولما أن تم عقبه ما معه من المقال أقام الدلائل والأخبار ووعظ وحذر وخوف وشوق الى الجنه ونعيمها وخوف من النار وجحيمها فأوجل القلوب وذرفت العيون ولم يبق طرف إلا ودمع ولا قلب إلا وخضع ولم يزل على ذلك الحال الى أن انقضى ذلك النهار وبات تلك الليلة الى أن اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وإذا باللعين عقبه قد دخل على الأمير عمرو وقال له اعلم أيها الأمير أن هذا الرجل الذى هو الآن قد أسلم كان فى زمانه الذى مضى راهب واليوم قد من الله عليه بالإسلام وأطاع الملك العلام وأنه قد ألف الوحدة والانفراد وقد سألنى أن أسألك أن تبنى له صومعة عاليه حسنة البنيان رفيعة الأركان بيضاء كأنها حمامة تلوح على حد البصر وكل من نظر اليها يتحير (قال الراوى) فلما أن سمع عمرو من عقبه ذلك أمر ببنيان صومعه برا ملطية فما كانت الا أيام قلائل حتى عمرت وكان عقبه مهندسها ولما أن فرغت بيضوها بالاسبيداج حتى صارت تراها الناس من بعيد كأنها قلع مركب ولما أن تمت أتى شومدرس وقعد فيها وقد انقطع عن الناس واجتهد فى العباده والديانه والورع حتى صار يورى الناس أنه ماينام الليل بل انه قائم على الأقدام حتى وصل حديثه الى سائر الناس (قال الراوى) هذا وقد سمع الخليفة بأخبار شومدرس وإسلامه واخلاص نيته فى الاجتهاد فأنفذ الخليفة خلفه حتى يسمع كلامه ويرى أثر العباده والاجتهاد وما نقلوه عنه السفار وقد كتب كتاب الى الأمير عمرو بن عبيد الله وقد أنفذه على جناح الطائر فما أمسى المساء الاوقد دخل به البراج على الأمير فأخذه منه وفضه وقرأه وفهم رموزه ومعناه فاجتهد الأمير عمرو فى انفاذه وقد سمع بذلك الأمير عبد الوهاب فعظم عليه وكبر لربه وقال والله ان هذا أمر عجيب أن يكون هذا الملعون عقبه الثانى يرفع على أكتافنا عند الخليفة ويكون يعمل على ضرب رقابنا وبالله لئن تم ذلك لابد ماافبض على الاثنين وادخل بهم الى بلاد الروم واصلب الاثنين ودع الخليفة ينغاظ أو يرضى وادخل الى بلاد الحجاز واستريح من هذا كله الى أن ينفذ الله سبحانه وتعالى بأمره فينا ويحكم بما يريد (قال) هذا وقد أخذ الملعون عقبه شومدرس وسار به الى العراق وقال له ما ترى فيما قد دبرنا من هذه الأمور فقال له شومدرس أحسنت

يا فريد العصر والاوان ثم انهما ما زالا سائرين الى أن وصلا الى بغداد وقد أمر الخليفة وزرائه وأرباب دولته وأكابر مملكته أن يخرجوا ويتلقوهما فخرجت العساكر بالزينه والهيبه والخدام الى لقاء شومدرس وعقبه وقد خرجت العوام والنساء والبنات (قال الراوى) وكان الملعون عقبه قد اصطنع كيس وقد عبا فيه كبود مشويه مطحونه كان قد جففها وطحنها وتركها لوقتها عند طلب حاجته وأخفاها معه هذا ولما التقاه الموكب ساروا به وشومدرس وما زالوا الى أن دخلوا الى دار الخليفة ودخلوا عليه ولما أن صاروا قدام أمير المؤمنين سلم عقبه وقبل الأرض بين يديه وقال ياأمير المؤمنين عليك أن تترحب بهذا العبد الصالح العابد الناصح صاحب الكرامات الظاهره والدلالات الباهرة (قال الراوى) ان كان الأمير عمرو بن عبيد الله لما أن أنفذ الخليفة يطلب شومدرس وعقبه أنفذ له كتاب على جناح الطائر يترضاه على عقبه وان جميع ماقالوه عنه الأعداد عنه محال وانه كان مأسور عند الكفار فلما أن وقف المعتصم على ذلك الكتاب فقبل منه ذلك المقال ولما أن وصل عقبه اليه لم يفتش عليه شيء مما كان معه بل ان المعتصم لما أن سمع من عقبه ذلك المقال فى حق شومدرس قال له أيها القاضى وماالذى بلغ من كرامة هذا الرجل فقال عقبه ياأمير المؤمنين هذا الرجل يبقى على عبادته عشرين يوم بلياليها لا يذوق الطعام ولا يطلب ماء الوضوء الا فى كل يوم طريق لانه يصلى الخمسة أوقات بوضوء واحد ويصلى صلاته تامه فلما أن سمع المعتصم ذلك القول من عقبه تعجب غاية العجب وقال أيها القاضى ان كان هذا حتما فقد فاق على العابدين والزاهدين وصار من جملة المقربين فقال عقبه يا مولاى اعزله فى بيت للعبادة ولا تمكنه من الطعام أربعين يوما على التمام فقبل المعتصم كلام عقبه وأعزله فى بيت وأتى شومدرس وأدخله فيه وبقى أربعين يوما لا يطلب منهم طعاما وما كان يأكل إلا الكبود المشويه التى قد صنعها الملعون عقبه فى ملطيه (قال الراوى) فلما ان كانت الاربعين يوم وهو لم يتغير عليه شيء من قوته عظم فى عين المعتصم وقال ان هذا منه عجب عجيب ثم انه قال يا قاضى انى أريد أن تسأله فى المقام عندنا فى بغداد حتى تعود بركته علينا هذا وقد شفق المعتصم به وزادت منزلته عنده وقال هذا من جملة أوتاد الارض فقال عقبه يامولانا انه لايقدر على المقام هاهنا لانه قد ألف هذه الصومعة التى بملطيه لاجل الوحده والخلوه فيها والبعد عن من يلهيه عن عبادته وقال انه يريد ان يكون قريب من الكفار حتى انه يكبر عليهم بالغدو والاسحار ويدعو عليهم آناء الليل وأطراف النهار وتعم بركته أينما كان على الكبار والصغار (قال الراوى) فلما أن

سمع المعتصم من عقبه ذلك المقال فامرله بألف دينار حتى أنه يستعين بها على زمانه.
فقال الملعون شومدرس ياأمير المؤمنين والله انى لاأرضى لغلامك فكيف أرضاها!
لنفسى والله تعالى قد محى عنى شهوات الدنيا وأحوالها وقد فارقتها فراقا لارجوع،
بعده لأنها ان صفت يوما تكون كدر وانها لم تكن لاحد من قبلنا وهى زائلة بكل،
مافيها وانها دار فناء لاهى دار خلود نعيمها ليس له بقاء ولافيها غير التعب فى الوجود.
والمسؤل من الصدقات العوده الى محل كنت فيه ثم أنه سأل المعتصم فى الرجوع إلى،
ملطيه فأذن لهبذلك فعادالى صومعته وقدأظهر للناس العباده والزهد والورع وصارت،
الناس تهرع اليهمن سائر الاماكن ويتبركون به (قال الراوى) وكان المعتصم قدصار.
يذكر شومدرس بالزهد والعباده وكان الواثق ابن الخليفة اجتمع بشومدرس وصار.
لايفارقه بطول اقامته فى بغداد فألف له ألفا شديدا حتى انه صارلايقدر يفارقه ساعة.
واحده فلما سار شومدرس الى ماطيه اشتاق الواثق اليه وعيل صبره وحار فى أمره.
وقال لوالده المعتصم أعلم يامولاى انى قد زادنى الشوق الى الشيخ الصالح الذىهولربه.
شاكر فقال له المعتصم خذمعك من أردت وسير الى زيارته واسأل الله السلامةفقال،
والله لاسرت اليه الاوحدى خفيف حتى لايعلم بى أحد حتى يكون اعظم للثواب فقال،
له المعتصم دونك وماتريد فسار الواثق ولم يزل سائر الى ان وصل الى ملطيه وقت،
غروب الشمس فقصد الى دار عقبه فلما ان علم به عقبه غاب رشده وخرج حافيا الى،
لقائه وقال له يامولانا ماسبب هذا الانزعاج فقال ياقاضى ان سبب قدومى شوقا الى،
العبد الصالح الذى هو فى عبادة ربه ناصح فقال له عقبه وقد اسبل دمعته والله مامثله.
فى جميع الاقطار والامصار لأنه صار من القوم الابرار وقدبات الواثق عند عقبه.
فى داره (قال الراوى) ولماان صبحالله بالصباح وأضاء بنوره ولاح قام الواثق وأراد.
المسير الى شومدرس فقال له عقبة يامولاى ماتركب وتسير الى زيارة العبد الصالح،
والرجل الناصح فقال له الواثق والله لاسرتاليه الاراجلا ولاأعلم أحدابما عزمت.
عليه ليكون أعظم للثواب فقال له عقبه يا مولانا شأنك وما تريد وافعل ما قد عزمت.
عليه ثم ان الواثق سار ومعه عقبة لاغير حتى أتى الى باب الصومعه واستأذن على.
شومدرس ودخل الواثق باب الصومعه وصعدالى عند الملعون شومدرس وسلم عليه وقبله.
وعانقه وجلس عنده يتحدث معه ساعة من الزمان (قال الراوى) وقال هنيئا للعباد.
المنفردين عن العباد لهم الاجر من الله وعلو الشأن فبينما الواثق مع شومدرس فى هزيان
واذا قدوثب عليه عشرة من الارمن وفى أيديهم السيوف وقالوا له وحق المسيح.

لئن تكلمت ياواثق مع شومدرس أوصحت لقطعناك قطعا بهذه السيوف ثم أنهم أداروا كتافه وقد وقعوا فى فمه الاكراه وأتى اليهم شومدرس عاجلا يرقص فى وجه الواثق ويقول له ويلك ياواثق لئن طول المسيح فى عمرى لابد ما أظهر الارض من الكلمة الاسلاميه وأجعل الدنيا كلها مسيحيه ومريميه فما كانت الاساعة وإذا بالقاضى عقبة قد أقبل عليهم وقال لهم ماهذا الحال فأمر شومدرس الارمن بالقبض على عقبه حيلة منه وخبث وقدأحضر عنده صندوقين وجعل عقبه فى صندوق والواثق فى صندوق وقفل الصندوقين وأمر شومدرس بالمسير الى القسطنطونيه وقدأوصاهم شومدرس اذا بعدوا عن الصومعة بقدر ميل يطلقوا القاضى عقبه وكان الملعون عقبة قد كتب قبل ذلك الامر كتاب وأعطاه لهم وأمرهم ان يسلموه الى ملك الروم ويعلمه فيه بماصنع (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما ابطأ عليه خبر ولده الواثق كتب كتاب وأنفذه الى ملطيه على جناح الطير يطلبه فلما دخل صاحب الخبر على الأمراء قرأوه فأنكروا ذلك الامر وقالوا والله مارأيناه فى ملطيه ثم أنهم كتبوا الى المعصم كتاب وهو رد الجواب يقولون فيه والله ما رأيناه اتى الى ملطيه ولا معنا من ذلك علم فلما وصل رد الجواب الى المعتصم بذلك الخبر ضاقت عليه الأرض بمارحبت ولم يأخذه قرار ولا هدو ولا اصطبار وقال للوزير ماالذى ترى فى هذه النوبه فقال الوزير ياأمير المؤمنين هل لك ان تنفذ الى الامير أبو محمد البطال تعلمه بذلك وتحرضه على كشف أخبار ولدك فما يفعل هذه النوبه غير البطال (قال الراوى) فعند ذلك كتب المعتصم كتاب إلى الأمير عبد الوهاب يقول له دع البطال يكشف خبر ولدى الواثق أينما كان فلما ان وصل اليه الكتاب أنفذ خلف البطال ولما ان عرفه بكتاب الخليفه وخبر الواثق فسار البطال الى ان وصل الى بغداد واستأذن فى الدخول على الخليفه فأذن له فدخل عليه وقبل الارض بين يديه هذا ولما ان رآه المعتصم وثب له قائما على قدميه وقدمزق ثيابه وصاح فى وجهه وقال أناأقسم بمن أنار القمرين وخلق الأشياء وقدرها بحكمته ماأعرف خبر ولدى الواثق الامنك ومالهذا الامر غيرك يابطال فقال له أبو محمد أعد على يامولاى حديث ولدك وماجرى له وما كان سبب عدمه فعند ذلك أخبره المعتصم بماجرى وأنه لماسار الى الشيخ الصالح شومدرس فقال له البطال إذا كان يا أمير المؤمنين الامر على ماذكرت فما أخذ ولدك إلاهو والله العظيم وقدمكر به هذا اللعين شومدرس وعقبه وقد أخذوه الاثنين فعليهم لعنة الله فقال المعتصم الآن مالى الا ان يكون أمرى يضيع بين عقبه وشومدرس فما يكون عملى فى مهجة قلبى

وحشاشة كبدى وأنا اقسم بالله قسما صادقا ان تم هذا الأمر فما أترك أحدا من بنى سليم ولا بنى كلاب ولا لعقبة ولا لشومدرس وأمحق الجميع فقال له البطال يا مولانا فما عملوا هؤلاء حتى يستحقوا ذلك وانما فعل هذا شومدرس وعقبه وسوف ترى ذلك عيان بيان فقال المعتصم مايكشف خبر ولدى أحدا سواك فقال له أبو محمد ياأمير المؤمنين تمهل على نفسك قليل ولعل ان تظفر بولدك ويرجع اليك ان شاء الله تعالى وتعلم من كان السبب فى ذلك (قال الراوى) ثم ان الامير أبو محمد قال ياأمير المؤمنين والله العظيم انا أعلم واتحقق ان ما اخذ ولدك وغربه الا شومدرس وعقبه وما لهم موضع الا بلاد الروم وما ادخل انا بسبب ولدك وخلاصه ويكون عقبه مطلق ألا ويعمل على ضرب رقبتى فان كان لك نيه فى خلاص ولدك فاكتب الى الامير عمرو بن عبيد الله وامره ان يقبض على عقبه ويقبض عليه فى مجلسه ولا ينفس له طرفة عين (قال الراوى) فلما ان سمع الامام من البطال ذلك مكلام امره ان يكتب كما يختار فكتب فى عاجل الحال كتاب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) امابعد ياأمير عمرو فساعة وصول هذا الكتاب اليك تقبض على القاضى عقبه وتهدده بالوعد والوعيد وانفذ الكتاب الى مليطه على جناح الطائر الى الامير عمرو بن عبيد الله فلما ان وصل اليه الكتاب عظم عليه وكبر لديه وارسل خلف عقبه ولما ان حضر قبض عليه وضيق فى ترسيمه فلما ان رأى الملعون الى ذلك فقال لهم ما هذا فقال له الامير عمرو والامراء اعلم ان يد الخلافة لا تطاولها يد وهذا خط أمير المؤمنين المعتصم يامرنا بالقبض عليك ثم أنهم سحبوه وسجنوه وضيقوا عليه فقال الملعون فى نفسه هذا الذى كنت أحسبه فى غيبتى وما أتيت الى بغيتى ولو أقمت فى بلاد الروم كان سبب قتلى بما ان الملعون لما ان سار مع الواثق الى القسطنطونيه مع الارمن حسب هذا الحساب وقال سوف يطلب فما يروه فيتهمنى فيه البطال أنا وشومدرس فاذا كنت حاضر حاججت عن نفسى وعن أبو الشر شومدرس ثم أنه عاد ولم يدخل البلد وأتى إلى ملطية وما أقام غير أيام قلائل حتى جرى ذلك الأمر وقبض عليه وحبس وضيق عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه سار من بغداد بعد أن ودع الخليفة وأوعده باجتماعه مع ولده وما زال سائر إلى أن دخل إلى ملطيه فالتقاه الامير عبد الوهاب وقال له ياأبا محمد طب نفسا وقر عينا وأعلم اننا قد قبضنا على اللعين عقبة فقال له البطال أيها الأمير والله مايطيب قلبى ان أدخل الى بلد الروم الا ان يكون الملعون تحت قبضتك فعند ذلك ساروا الاثنين الى عند الامير عمرو بن عبيد الله واعلموه بهذا

المعنى فقال أنا والله لاأخى عقبه عنكم وانى أسلمه الى الأمير عبدالوهاب ثم أنه أمر بأحضاره فأحضروه من الحبس وسلمه الى الامير عبد الوهاب هذا ولماان رأى عقبه الى ذلك الحال أيقن بالعطب والهلاك وقال ماهو كثير ان يقوم لهذا الشيطان يكشف حالنا المستور ويهتك سترنا المجبور هذا ولما ان تسلمه الأمير عبد الوهاب أمر بحبسه فى داره فأخذوه وحبسوه ودركوا عليه جماعة من بنى كلاب (قال الراوى) ثم ان البطال بعد ذلك الحال عول على الدخول الى ملك الروم والمسير ليكشف خبر الواثق فقالت له الاميره لماان رأته وهو سائر الى اين متوجه ياأبامحمد فقال لها أدور الاقطار والقفار ولاأرجع ان شاءالله الابخبر الواثق وأخلصه وأعود ان شاء الله تعالى فقالت له الاميره والله ما يطيب قلبى ان أفارقك بل أننى أسير معك فقال لها بسم الله عولى على المسير ثم أنه أمرها ان تأخذ معه أربعة آلاف فارس وتكون مقيمة بالساحل عندعلى بن يحيى الاموى ثم أن البطال ادعى بغلمانه وقال لهم سيروا بنا الى القسطنطونية فساروا ومازالوا سائرين الى أن وصلوا الى حصن يانس المتعزب وأعلموه بما جرى وساروا من عنده الى أن دخلوا القسطنطونيه وساروا الى دار مارس ودارس وطرقوا عليهم الباب فخرج اليهم أحد الغلمان وقال لهم من أنتم فقال له أبو محمد اعلم البطريق مارس أنه جاء اليك صديقا لك ليسلم عليك وما أتى إلا لزيارتك وهو اليك قاصد وكانت هذه علامة بين مارس ودارس وأبومحمد البطال فعند ذلك دخل الغلام وأعلم دارس بذلك فخرج اليه بنفسه وأدخله هو وغلمانه وقد خلا بهم واعتنقهم وسلم عليهم وقال للبطال ما سبب قدومكم وانزعاجكم هـذا الانزعاج أيها الامير المفضال وأنتم بينكم وبين الملك الهدنة مقيمه فأعلمه أبومحمد بالقصة وقد ذكر له السبب الذى دخل فيه فقال له مارس اعلم أيها الأمير انمن مدة دخـل على الملك غلام عقبه ومعه صندوقين والملك جالس وماعرفنا مافيهما وقدناول الملك كتاب وقال له اقرأه سرا تعلم مافيه فلما ان قرأ الملك الكتاب فرح لـكن مانعلم مافيه وان الملك ادعى بعشرة من البطارقه وأحضرلهم مركب وشال الصندوقين الى المركب وما نعلم بعد ذلك ماكان منهم وأمرهم بالمسير فى البحر وماأقول إلاأنه ابن الخليفه الواثق (قال الراوى) ان كان السبب فى ذلك وهو ان الكتاب الذى كتبه عقبه وأنفذه كان يقول فيه أعلم أيها الملك انى قدقبضت على ابن الخليفه وأنفذته اليك فاياك ان يظهر خبره وأول مايصل اليك انفذه الى موضع لايطلع له منه خبر أبدا فانه رهن على ضرب رقابنا فاياك ثم أياك ان يظهر ففعل ماأمره به وسوف نذكره فى موضعه ان شاء الله إذا وصلنا اليه (قال الراوى) فبينما البطال

ومارس فى ذلك الحديث وإذاهم بمارية جارية الملك ميخائيل قد وصلت الى دار مارس وهى كانها البدر المنير أوالقمر المستدير وكانت هذه الجاريه تهوى لمارس وتحبه وكان مارس قداهدها للملك تقربا الى قلبه فشغف بها واشتغل بها عن جميع سراريه ومحاضيه وقد أحبها محبة زائده وكانت فى كل اسبوع تأتى الى دار مارس وتنظر ما فى قلبه لها من المحبه فلما ان أتت فى ذلك الوقت كان البطال حاضر ولما ان رآها أبو محمد قال الله أكبر فانحن مقيمين عندك فدونك واسأل الجاريه عن ابن الخليفه فانها لاتخفى عليك شىء فعند ذلك أحضرها مارس الى بين يديه وهو يتذلل عليها ثم أنه لعب معها وبعد ساعة قال لها انى أريد أسألك عن شىء وتفيدينى به فقالت له ماهو ياسيدى ومالك رقى فقال لها هل عندك خبر من ابن الخليفه الذى للمسلمين له وحق المسيح ماعندى منه خبر ولكن ماتريد منه فقال لها انى أشتهى انظر واعرف ماجرى له فقالت له انكان هذا غرضك ويفرح به قلبك فسوف أسأل الملك عن هذا واعلمك به ومازالت عنده الى المساء وودعته وسارت الى دار الملك ولما ان كان تلك الليله دخل الملك عليها ولما ان تمكن من الجلوس أمر باحضار الطعام فأحضر فأكلوا الى ان اكتفوا وبعد ذلك أحضروا الشراب فشربوا فعندها أمر باحضار الجاريه ماريه فحضرت فلما رآها أخذها واقعدها على ركبتيه لأنه كان يحبها حبا شديدا فلما ان رأته وقد تمكنت من قلبه قالت له المسيح يزيدك علوا ورفعه ويمكنك من اعدائك المسلمين وخليفتهم لكن أسألك أيها الملك ماذا صنعت بابن الخليفه الذى للمسلمين وما كان منه (قال الراوى) فلما ان سمع منها الكلام تغير لونه ووجهه ركبته الغيظ ونار الغضب عليه ولطمها على وجهها ونفضها من ركبتيه فوقعت وقد انهشم وجهها فجلست تبكى فلما ان رآها على تلك الحاله غلب عليه السكر فنام فى موضعه الى ان أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فقام الملك من منامه وقال على بالجاريه ماريه فلما ان دخلت عليه ورآها منكسرة القلب ووجهها منهشم قال لها ياويلك من فعل بك هذه الفعال فقالت له أنت أيها الملك فقال لها ولم ذلك فقالت له وحق المسيح لم يكن لى ذنب الا انى قلت لك مافعلت بابن الخليفه المسلم فجرى على منك ماجرى فقال لها وكيف تسألينى عن شىء ليس لكى فيه فائده فقالت له هو ذلك أيها الملك إلا أنه خطر ببالى فقال لها اعلمى يامالكة القلب انى انفذته الى موضع لايكون له ابدا منه خلاص لأن الشيخ النجيح قدوصانى بذلك وأنه ان ظهر ضربت رقبته ورقبتة الراهب شومدرس وانى قد بعثته الى قلعة نجم الابحر التى فيها الذخائر التى للملوك كلهم وودائعهم وأمرتهم ان لايخرجوه من

القلعه الابخاتمى هذا الذى فى يدى وهو علامة بينى وبينهم (قال الراوى) فلما ان سمعت الجاريه كلام الملك قالت له أيها الملك بقاك المسيح مادام ان هذا الحديث هكذا مايجب لى أن اسألك عن شيء ليس لى فيه فائده بعد ماجرى لى منك البارحه الذى جرى ثم أنها باسته وعانقته ولاعبته وبعد ذلك قام الملك من عندها ودخل الى قصره ومحل مملكته هذا وان الجاريه لما ان خرج الملك من عندها خرجت خفية وسارت الى دار مارس واعلمته بماسمعت من الملك فى حق الواثق فأعاد مارس على البطال ماسمعه من الجارية (قال الراوى) فلما ان سمع البطال من مارس ذلك الكلام قال له أريد منك ان تقول للجاريه ان تسرق لنا الخاتم وقد نلنا مانريد وشفينا غليل الفؤاد هذا ولما اتت ثانى مره الجاريه الى عند مارس اعلمها بذلك فقالت له ويحك وحق المسيح ان عبدى الخاتم اسهل من طبق الجفن فعند ذلك التفت اليه أبو محمد وقال له يامارس مامثل هذه الصوره يجب ان تبعد وتهجر ولقد كان الواجب عليك حيث أنها قدمشت فى قضاء حاجتك ان تجعل لك عندها يدفقال مارس وحق المسيح مابقيت من اليوم ارجع افارقها ولابد ان اسرقها واخبيها فى دارى فقال له أبو محمد والله انه صدق من قال ماجزاء من يحب الا ان يحب وقال بعضهم من السعادة ان تحب * وان يحبك من تحب ومن الشقاوة ان تحب * ولايحبك من تحب (قال) فلما ان سمعت الجاريه ذلك المقال من البطال خرجت من عقلها ومضت الى قصرها ولما ان كانت الليله الثانيه عادت اليهم ومعها الخاتم وسلمته الى مارس ومارس سلمه الى ابو محمد البطال وقد فرح به غاية الفرح وقال الحمد لله على ما اولانا من النعم هذا ولما ان احتوى البطال على الخاتم امر مارس ان يقتل الجاريه فسلمها الى غلمانه فقتلوها وقد اخفى أمرها مخافة ان يظهر أحد على ذلك الامر ثم ان أبو محمد بعد ذلك قال لابنته عذيبه نعول الان على المسير الى هذه القلعه فقالت له أفعل ما تريد ثم أنه أرسل بعض غلمانه الى عند الأميره ذات الهمه وقال له قل لها وأعلمها بما قدجرى ودعها تجيء وحدها ودع العسكر مقيم على الساحل فمضى الغلام وماغاب غير قليل من الأيام وأتى والأميره معه ولما ان حضرت اعلمها البطال بماكان وجرى ثم ان البطال بعد حضور الاميره قال لمارس جهز الآن مركب لطيف فجهز له مركب لوقته وساعته وقد وضع لهم فيه كلما يحتاجون اليه من زاد وماء (قال الراوى) ثم ان البطال زيا الأمير بزى خادم صقلى فلما أن ألبسها ذلك الملبوس فبقت كأنها خادم الملك من ألف سنة ثم انهم نزلوا فى المركب فقالت لهم الأميره على ماذا عولت عليه وما تريد ان تفعل فقال لها

أيتها الأميره اعلمى أن هـذا الموضع الذى نحن سائرين اليه هو موضع حصين والبحر محدق به من أربع جوانبه ليس لأحد عليه سبيل ولا اليه وصول وهو شاهق فى الهوى والعرض والطول وان فى هذا الحصن اربعين بطريق وأزيد ثم أعطيكى هذا السيف يكون معكى وأكون أنا وغلمانى فى زى البطارقه ثم انـكى تتقدمى الى باب الحصن وتوريهم الخاتم وتقولين لهم هذا خاتم الملك علامة منه اليكم حتى تسلموا لنا ابن الخليفه فقد اعتاز الأمر الى حضوره بين يدى الملك ميخائيل ورأيه فيه أعلا وهو الذى أرسلنا اليكم بهذا الخاتم لأننا أعز الناس اليه وأحصاهم لديه فانهم ان أجابوا الى ذلك وأخرجوا الواثق فالحمد لله على ذلك وان امتنعوا من ذلك فلا يكون جوابك الا أن تقولين اننا قد أتينا اليكم فى هذه الحاجة وتسليمها الينا حتى نرجع الى الملك وان منعتونا من ذلك فاتركونا حتى ندخل عندكم ونستريح وننفذ بعد ذلك أحدا منا الى الملك ونعلمه بذلك حتى لا يكون علينا حجة واذا أتى دخلتى الى هذا الحصن وقت المساء لا يكون لك دأب إلا رءوسهم والسيف واعلمى أنهم أربعين لا غير والله العظيم يطيب قلبى ان أطلقك عليهم ولو كانوا أربعين ألف لأنـكى بقتالهم وفية فقالت له الأميره على ان شاء الله كلما تريد أيها الأمير (قال الراوى) ثم انهم ساروا فى ذلك البحر أيام متواصلة ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى قلعة مجمع البحرين فرأوهم البطارقة من أعلى القلعة فنزلوا اليهم وقالوا لهم من أين أتيتم وأقبلتم وما تريدون وما تطلبون فعند ذلك ابتدأ أبو محمد وسلم عليهم بالرومى وأحسن وترجم فأبلغ فى الكلام وتكلم ثم قال لهم بكلام عذب يترشفه القلب اعلموا أن الملك ميخائيل قد أرسل هـذا الخادم وهو أعز من عنده وهو المراد وما أتى إلا من أجل الحاجه التى هى عندكم وقد احتاج الملك اليها (قال الراوى) فلما أن سمعت البطارقة من البطال ذلك المقال عادوا وصعدوا الى القلعه المسماة بقلعة مجمع البحرين وأعلموا البطريق المقدم عليهم وهو الآمر الناهى فى القلعة وكان اسمه رسطالين بن منكلى وقد أعادوا عليه ما قد قالوا ذلك القوم الواردين فلما أن سمع كلامهم نزل الى باب المينا وخرج الى المركب الواصل ومد عينه فنظر أبو محمد البطال وغلمانه وأولاده والأميره ذات الهمه وهى فى زى خادم صقلبى فهنالك قبل الأرض وتقدم الى عند الأميره وقبل يدها وأقبل على الأمير أبو محمد البطال وقال له فيما أقبل البطريق الأجل الرفيع المحـل فعندها بربرت الأميره فقالت له يا ويلك وحق المسيح والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لولا أخاف أن يغضب الملك على علوتك بسيفى هذا حيث أنك أطلت وقوفنا على هذا الباب فـكأننا لك من بعض

العبيد وأناما أتيت الى ملك قط الا ورفع قدرى وعظم أمرى وخاف من شرى فقال لها أيها البطريق الأجل أما تعلم أننى ماأقدر أترك أحدا يدخل الى هذا الحصن الذى ما للطير عليه من سبيل ولا لأحد اليه وصول وكل هـذا احتراز من عيار المسلمين وذباح البنات والبنين أبو محمد البطال واللص المحتال ولأجل هذا قد وقفت أنا حتى نعرف من أنتم (قال الراوى) فعند ذلك أرمت اليه الأميره الخاتم وقالت له هـذه العلامة التى بينك وبين الملك ميخائيل من أجل ابن خليفة المسلمين أن لا يتسلمه الا من يوصل إليك ومعه هذا الخاتم وقد أنفذنا إليك الملك وأمرك أن تسلمه الينا حتى نأخذه ونرجع به الى الملك وأنت مكانك مبجل (قال الراوى) فلما أن رأى البطريق الخاتم قبله ووضعه على رأسه ومسح به عينه وقال حبا وكرامه وان هذه أماره صحيحه وحجة رجيحة وقال السمع والطاعه وما يكون الا احضاره الساعه ثم أمر الغلمان والبطارقه باحضار الواثق فما غابوا غيرقليل وعادوا ومعهم الواثق بالله فسلموه اليهم ثم تقدم البطريق رسطاليس الى عند الأميره ذات الهمه وقال لها أيها المقدم الأجل أنت تقيم لنا العذر وتقبل منا لأن علينا إيمان وعهود بأن لايصعد عندنا أحدا أبدا والآن فقد فعلت معكم كل جميل وكان بعض واجب حقكم لأنكم لو لم تكونوا عند الملك بالمنزلة العظيمة الرفيعة لما كان أطلعكم على سره وبين لكم مكتوم أمره هـذا والأميره لم تصدق بالواثق وخلاصه وقالت فى نفسها يا لها من فرحة ما أعظمها ثم انها قالت لأرسطاليس سوف أفعل ذلك وأقول للملك ما يحفظ هذا الحصن أحدا غير هـذا البطريق وانك لا تلام فيما فعلت معنا ونحن من أجل ذلك مانؤاخذك فى الاحتفاظ لأن الذى قلته حقا وكلما نطقت به صدقاً والمسيح يعيذنا من هذا العيار لص المسلمين فانه يدخل الى سائر الصور وينطلى محاله على كل البشر ثم أن الأميره قالت انى أريد من إنعامك أيها البطريق أن تتركنى أدخل أصلى فى الكنيسة التى فى القلعة ولا تقول ما أقدر فونعمة الملك وحق المسيح لا بد ما أصعد الى أعلى القلعة (قال الراوى) فلما أن سمع البطريق حلفان الأميرة استحى منها ولم يكن للبطريق بد من صعودها فصعدت الى القلعة من غير اختياره فما هى الا أن صارت الأميره من داخل القلعة وتمكنت منها حتى هللت وكبرت وسحبت حسامها وبذلته فيهم فكان أول مابدت فى البطريق المقدم ذكره ودارت على الباقين وكانوا آمنين ليس معهم سلاح محولاهم ترزين فقتلت الجميع ولا تركت منهم ولا بطريق ودخلوا أصحابها اليها ثم انهم فتحوا الخزائن التى لها سنين وأيام مافتحت ونقلوا ما قدرواعليه من الأموال

ثم أن الأميرة قد أقبلت على البطال وقالت له أيها الأمير سيربنا على عجل حتى نمضى عند الخليفة (قال الراوى) هذا كله يجرى ولم يكن الواثق له علم بما قد صنعت الأميرة فى القلعة ثم انهم بعد ذلك نزلوا فى المركب وساروا وقد جدوا فى المسير هذا والواثق قد أيقن بالتلاف وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا ولما أن توسطوا لجة البحار وأمن أبو محمد على نفسه أتى إلى عند الواثق بالله وكشف وجهه له وقال له ماحال مولانا الواثق فلما أن سمع كلامه بهت فيه وعرفه الواثق بالله فقال يا أبو محمد قال له نعم فقال عن صحيح أنت البطال فقال نعم أنا أبو محمد البطال وهذه الأميرة ذات الهمة وهؤلاء أولادى وغلمانى (قال الراوى) فلما أن سمع الواثق ذلك من البطال فرح فرحاً شديداً وقد بكى من شدة الفرح مما جرى عليه من السرور الذى دخل عليه وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا مدينة القسطنطونية هذا وقدكان البطريق مارس فى كل يوم ينظرهم على المينا وهو من أجلهم على مقالى النار وهوكأنه الحبة على المقلى ولما أن كان ذلك اليوم كان واقف على المينا على عادته وإذا بمركبهم قد أقبلت من لجج البحار فلما أن رآهم قد أقبلوا فحمد الله على هذه النعمة وأنزلهم من المركب وقد استقبلهم وسلم عليهم وما كان أكثر من ساعة حتى حولوا جميع مافيه من المال الذى أخذوه من القلعة وربطوا المركب بجانب المينا وأدخلهم الى داره وأجلسهم ولما أن استقر قرارهم سألهم عن ماجرى لهم فحدثه البطال بماصنع ومادبر فى عاجل الحال وأحضر لهم الطعام وأكلوا وبعد ذلك قال لهم اعزموا على الرحيل من قبل التعطيل ثم أنه صنع لهم الزاد وأحضر لهم الدواب وأركبهم وودعهم وقال لهم استودعتكم الله (قال الراوى) ثم أنهم بعد ذلك ساروا على عجل وما زالوا مجدين الى أن وصلوا الى البساتين فقال الأمير أبو محمد البطال للاميرة ذات الهمة اعلمى أن مالنا الا اننا ننفذ الى الأمير عبدالوهاب حتى أنه يخرج إلى لقاءنا لما أن نعلمه بقدومنا فقالت له الأميره هذا هو الصواب فقال الواثق لاتفعل يا أبو محمد فربما يسمع الملعون شومدرس بمجيئنا فيهرب وأنا قصدى لايعلم بنا أحد الاونحن عنده فى الصومعه فقال أبو محمد يامولانا وحق من فلق الحبة وبرأ النسمة أن الملعون عقبة أيشم من شومدرس وما دبر هذا التدبير غيره ويعلمه جميع ما جرى فقال له الواثق سوف ترى ما أفعله وأصنع إذا وصلت فوحق من ضر ونفع وشتت وجمع ومن كلم موسى فأسمع وبعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى أظهر الدين وشرع مالدولة بنى العباس مثلكم ناصح أبدا (قال الراوى) فعندها أنفذ البطال ولده مذبحون الى العساكر الذين هم بساحل

السويديه عند الأمير على بن يحي الأرموى وقال له سير على بركة الله تعالى وعونه وأمرهم بالمسير الى لقاءنا على طريق ملطيه هذا وقد أنفذ غلامه لؤلؤ الى ملطيه وقال له سير وإياك أن تعبر على صومعة الراهب شومدس واياك أن يراك أحد واذا أنت دخلت الى ملطيه فاقصد الى دار الأمير عبد الوهاب سرا ولا يعلم بك أحد من بنى سليم ولا من بنى كلاب وتأمره أن يركب القاضى عقبه على بغلة من خيار بغاله ويخرجه معه ويأتى به الى لقاءنا حتى أنه يرى ماقتح الله به علينا وماسهله فقال لؤلؤ سمعا وطاعة ثم انه سار الى أن وصل الى ملطيه عند العشاء (قال الراوى) فبينما الامير عبدالوهاب فرغ من صلاته واذا هو بلؤلؤ قال له السلام عليك يا مولاى فلما أن نظره الأمير عبد الوهاب فرد عليه السلام ثم قال له لؤلؤ قال نعم أيها الأمير فقال له ماذا جرى لأستاذك هل قضيت حاجته أم لا فقال له قضيت بسعادتك فقال له حدثنى بما جرى لمولاك وللأميره ذات الهمه هل وصلوا الى خلاص الواثق بالله تعالى فقال له لؤلؤ والله يامولاى لقد جرى لهم حديث عجيب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان قليل فقال له الأمير وماالذى جرى فأعاد عليه الحديث من أوله الى آخره فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب من لؤلؤ هذا الكلام سجد لله شكرا على خلاص الواثق بن الامام فقال له لؤلؤ يا مولاى ماتحتاج أن أوصيك بالكتمان عن بنى سليم وأن تأخذ معك القاضى عقبه صحبتك فقال له سمعا وطاعه ثم ان الأمير عبد الوهاب أنفذ خلف الأمير عمرو ابن عبيد الله فلما أن حضر قال له اعلم أنى قد عزمت غدا على الصيد والقنص فهل لك أن توافقنى فقال له الأمير عمرو أيها الأمير إنى مشتاق الى ذلك فقال شد عليك فى غداة فقال بسم الله (قال الراوى) فلما أن كان من الغد لما أصبح الصباح ركب الأمير عبد الوهاب وقد وركب معه الأمير عمرو بن عبيد الله ومعه ألف فارس من بنى سليم ومع الأمير عبد الوهاب ألف فارس من بنى كلاب هذا وان الأمير أخرج القاضى عقبه وقد أركبه البغلة ففرح وكانت البغلة بمركب حسن فلما أن رأى الأمير عمرو الى عقبه وهو راكب ذلك البغلة ففرح بذلك واستبشر وقد أعجبه ذلك المنظر فقال أيها الأمير الحمد لله الذى قد صفت القلوب وزالت العداوة والبغضاء ورد الأصل الطيب وذهبت الأحقاد هذا واللعين أفرح الناس بالخلاص ولم يكن يعلم بما جرى من الأمور بل أنه قال فى نفسه ما هم إلا رأوا معجزة نزلت عليهم من السيد المسيح حتى أنهم قد خلصونى من هذا الأمر القبيح ثم أنهم ساروا مجدين وبنى سليم ضاحكين فرحين وهم مسرورين (قال الراوى) ولما أن وصلوا الى الدروب قال الأمير عمر

وللأمير عبدالوهاب أيها الأمير الى أين أنت سائر والى أين معول من ههنا وقد تركت مواضع الصيد والقنص وأنت سائر بنا من هذا الطريق فقال له الأمير عبد الوهاب هل تريد صيد أحسن من خلاص الواثق بالله ابن الامام فقال له الأمير عمرو وأين هو الواثق فقال هاهو واصل مع الأميره ذات الهمه والأمير أبو محمد البطال وهو سالم غانم (قال الراوى) فلما أن سمع القاضى عقبه بخلاص الواثق اصفر لونه وتغير كونه وقال فى نفسه جاء العمل وقدجاءت بوادر السنه المشومة عليه لأن اليوم المبارك يبان والمثل يقول الليلة النيره من العصر باينه ثم أنهم مازالوا سائرين جميعهم فما هم إلا أن توسطوا الدروب وإذاهم بغبرة طلعت عليهم وعجاجة قد ارتفعت وبعد ساعة انجلى ذلك الغبار وبان من تحته للنظار واذاهم بالأميرة ذات الهمه قد أشرقت والى جانبها الأمير أبو محمد البطال والواثق بالله بينهما فلما أن رأوه ووقعت العين على العين ترجلوا كلهم عن بكرة أبيهم وكذلك القاضى عقبه ترجل وقدابتدأ يقرأ القرآن ويذكر الرحمن هذا ولما أن قرب الواثق منهم سلم عليهم وترحب بهم واعتنق الأمير عمرو وعانق الأمير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب وأمراء بنى سليم الا القاضى عقبه فان الواثق ما التفت اليه ولاعنى به ولافرح بلقائه كما فرح بسائر الأصحاب هذا وقد جعل الملعون عقبه يقول فى نفسه ان القرنان شومدرس يقول لى لاتكفر بالمسيح وأنا أعلم أنها أيشم الأيام عليه (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزالوا سائرين فجاءت طريقهم على صومعة الراهب شومدرس فلما أن صار الواثق بالله بازاء الصومعه رد رأس جواده ووقف فقال له الأمير عبدالوهاب ماشأنك قد وقفت يامولانا فقال له دونك وهذا الكلب شومدرس فاقبضوا عليه واوضعوه وضعاجيدا واعملوا له خشبه واصلبوه على رأس الصومعة لأنى قد رأيته يرفصنى برجله ويبصق فى وجهى ويسبنى ويكفر فقال له البطال يا مولانا هذا والله رفيق عقبه فقال الواثق يا أبا محمد اعلم اننى ما سمعت من عقبه مثل ما سمعت من هذا الكلب (قال الراوى) فعندها أيقن عقبه اللعين بالبلاء وقد علم انه ان تكلم فيه بكلمة واحدة لايقبل منه شيء فى حقه ويقولون انك مثله فعند ذلك ترجل الأمير أبو محمد البطال من شدة الفرح وغلمانه أيضا ترجلوا وكذلك الملعون عقبه ترجل وشمر عن أكمامه وقال قرب الوعد الحق كل شيء حسبناه ياملعون الا انك تعمل على ابن الخليفة وولى عهد العالمين ما حسبناه ولم يكن بأسرع مانجزت الخشبه ونصبت بأعلا الصومعة وقدقبضوا على الملعون شومدرس وقد صفعوه الصفع الشديد الى أن أغمى عليه من شدة الصفع وما أفاق الا والخشبة قد تمت ونصبت على أعلا

الصومعه (قال الراوى) وما أحس الملعون شومدرس الا وقد رفع على الخشبه وعمل الحبل فى رقبته وسحبه القاضى عقبه وطلع به الى أعلا الخشبه بعد ان اجتمعت كل من فى ملطيه من الكبار والصغار من النساء والرجال فلما أن أفاق شومدرس من غشوته وصحى على روحه فرأى أنه قدجاء الجد فقال فى نفسه كيف أمضى أنا وأترك عقبه بعدى فى الحياه ثم انه التفت الى عقبه وقال له بالرومى ياقاضى لاتحسب انى اغفل عنك ولا أسكت وسوف أعلم القوم بما أنت عليه وانك على دين الصليب وشد الزنار وانك نصرانى فقال له عقبه وحق المسيح ما أمكن أحدا من صلبك وانما أنا أهول عليك وسوف أتولى أنا مسكك وأطلقك فلما أن سمع كلامه اطمأن قلبه بذلك بعد أن أراد أن يقر على عقبه هذا وقد صاح الأمير أبو محمد البطال وقال أيها القاضى لاعدمنا هذه الهمه وانما هذا على التجربه وتصديق القول من رؤيا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فعندها قال عقبه فى نفسه وحق المسيح مايقول أبو محمد البطال الاعنى وهكذا يصلبونى ثم ان عقبه كفر بالمسيح وقال بالله عليك الا تركتنى حتى أطلع الى هـذا الراهب وأسأله عن حاجة عرضت لى فظن الأمير أبو محمد انه يسأله عن أمر مضمور أوشىء من الأمور فقال له البطال شأنك وماتريد فعندها صعد عقبه الى عند شومدرس حتى أنه يسأله فأتى اليه وساره فى أذنه وقال له طب قلبك وأعلم أن المسيح ماكان يحرمك هـذه النوبه ولا يخيب دعاءك ثم ان الملعون عقبه رفصه. فنزل من على الخشبه وصار يلبص فقال البطال أحسنت ياشيخ الضلال من أمرك ان تفعل هذه الفعال فقال عقبة يا أبا محمد ماهذا الانتظار فى هـذا الملعون لأن مابقى بعد هـذا الاهلاكه ونستريح من شباكه (قال الراوى) ثم أنهم ساروا ودخلوا ملطيه وقد كتبوا الى أمير المؤمنين كتاب بسلامة ولده الواثق وأنفذوا الكتاب على جناح الطائر فما بات الخبر إلا عند الامام فلما ان علم بذلك فرح الفرح الشديد وقد أمر عساكره وأرباب دولته ووزراءه وسائر نيابه ان يركبوا ويسيروا الى لقاء الواثق هذا وقد كان الواثق متجهز للسفر فعند ذلك تجهزوا عساكر الخليفة وساروا الى لقاء الواثق وقد كان الواثق بعد صلب شومدرس ماأقام فى ملطيه غير أيام قلائل ورحل منها وسار يطلب بغداد وقد سار معه الامير عبد الوهاب والبطال ومازالوا سائرين إلى ان وصلوا الى نصيبين فالتقوهم عساكر بغداد وسلموا المقيمين على القادمين وباتوا تلك الليله ولما أن كان من الغد ركبوا وسارت العساكر الى أن قربوا من بغداد فخرج الخليفه الى لقاء ولده فيمن تبقى عنده من العساكر ولقى ولده بالبعد عن بغداد فلما ان رآه فرح ودخلوا الى بغداد وكان له نهار

لايعد من الاعمار وقد زينوا البلد لقدوم الواثق وقد حدث المعتصم بما جرى عليه وكيف خلصه البطال والأميره ذات الهمة وماجرى لهم (قال الراوى) هذا وقد أقام الأمير عبد الوهاب فى بغداد الى أن كان أوان الحج فاستأذن الخليفة فى المسير إلى الحجاز فقال وانا أكون الآخر معك احج وأزور بيت الله الحرام وزمزم والمقام فتجهز المعتصم وسار وقدأخذ الواثق معه وساروا ومازلوا سائرين الى ان وصلوا مكة وحجوا (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) ملك الروم فانه لماجرى ماجرى من الواثق لماأخذه عقبه أسير بتدبير شومدرس وأرسله الى بلد القسطنطونيه أنفذه الملك القلعة وحبسه فيها وأتى البطال وخلصه منها وعاد فبلغه الخبر بان القلعة خربت والرجال التى فيها قتلت وخلص الواثق ونهبت الأموال التى فيها فصعب عليه وكبر لديه وكان الملعون عقبه قد كتب الى الملك ميخائيل كتاب يقول فيه ايش قاعد تعمل ما هذه الغفله عن الجهاد وقد أخذوا من قلعتك هذه السنه مال عظيم وهو الذى جمعوه الملوك بطول الزمان وقد صلبوا الراهب شومدرس فان كانت عساكر الروم مجتمعة فان بلاد الثغور خالية والخليفه والأمراء غائبين فى بلاد الحجاز وهم غير حضور لعلك أن تأخذ عوض مالك الثغور وان كان ما تيسر شغلك ولا اجتمعت عساكرك فاجهد على عجل وانفذ غيلان الشوك والعرب المتنصره قبلك وأن يكون يوم وصولهم اليوم الفلانى لانه يكون عيد المسلمين فيكبسوهم وهم فى صلاتهم قاعدين ويذبحوا النساء والبنين وتعود الرجال ويهجموا ماطيه ثم انهم يملكوها بأصلها (قال الراوى) ولما أن فرغ عقبة من كتابة الكتاب سلمه الى ولده حصيصه وقال له يا ولدى خذ هذا الكتاب وسير به الىالقسطنطونيه وسلمه الىالملك ميخائيل وعود بالعجل فأخذه حصيصه وسار ومازال حتى وصل الى القسطنطونيه ودخل على الملك وسلمه الكتاب فأخذه منه وقرأه وفهم معناه ومضمونه ولما أن فرغ من قراءته قال لا عدمت الشيخ النجيح عقبه لانه لا يسعى للروم الا فى المصالح ويأخذ لأمة عيسى بالثار من المسلمين الأشرار هذا وقد كان الملك ميخائيل مقهور بسبب خلاص الواثق بالله من يده لأنه ما افتقد الخاتم الا بعد ما سمع اطلاق الواثق وأخذ المال وقتل الرجال وقد علم ان الحيلة قد تمت عليه من الجاريه ماريه فعند ذلك جهز غيلان الشوك بعد طلبه الجاريه فما وجدها ولاوقع لها على خبر فعندها أرسل البطارقة الىالقلعه معغيلان فلما ساروا الى القلعه فوجدوها مفتوحة ولا أحد فيها ورأوا المسلمين قد أخذوا المال وقتلوا الرهبان وكل الرجال ورجعوا سالمين الى ماطيه (قال الراوى) فلما رأى غيلان الى

ذلك رجع بالخيبة وأعلم الملك بذلك فقامت عليه القيامة وقدلزم السواد من شدة حنقه ولم يزل كذلك الى أن وصل اليه كتاب الملعون عقبه ففرح به وقدجهز ليث بن حازم ومعه عسكر السودان والملعون غيلان وكلهم فى زى أهل الايمان وقد صاروا يجدون فى المسير الى أن وصلوا الى ملطيه يوم عيدهم وهو عيد المسلمين ثم ساروا يقطعون المنازل والمراحل إلى أن قربوا من بلاد الاسلام وقربوا الى ملطيه وما زالوا سائرين حتى بقى بينهم وبين ملطيه ليلة واحدة وهى ليلة العيد فأكمنوا فى المكان وتفرقوا فى المواضع الى أن أصبح الله بالصباح وخرجوا الناس الى الصلاة ولم يبق لاشيخ ولاغلام إلا وخرج يسعى يطلب من الله الثواب وخوجوا أيضا بنى سليم والأمير عمرو بن عبيد الله فصلوا الناش عيدهم واجتمعوا حول الخطيب واذا بالعرب المتنصره وهم الفرقة الأولى خرجوا على الناس كأنهم السباع وزعقوا بكلمة الكفر ووقعوا على الناس وضربوهم بالقضاب وقطعوا الأكف وأذاقوا الناس العذاب وجالوا على من فى الصلاة جولان النمر الوثاب وساقوا الحريم سوق الذئاب وأذاقوا الناس العذاب وكان بعض الناس ساجد وبعضهم يدعو الله فهنالك عظم المصاب وكثر الانتحاب وسالت الدماء مثل سيل السحاب ودام الضرب وارتفع الغبار وعظم الصياح من البنات والبنين ووقع البلاء فى مليطه ولم يرحموا لاصبى ولاصبيه ولما سمع عقبه ذلك فرح بهذه البلية ونادى يامسيح هذا وقت الحمية (قال) وقد قتل أكثر الناس فى الصلاة ومن سلم طلب لنفسه النجاة وكان الأمير عمرو بن عبيد الله قد ركب فى بنى سليم ونادى يابنى عمى هذا يوم نريد فيه كشف الغمة عن المسلمين والضيم وقد فنيت الأعمار فاطلبوا العز والافتخار ثم أنه ألقى نفسه الى وسط العجاج ورمى نفسه فى بحر عجاج وكم هام فلقه وكم صدر خرقه وكم رأس انشق ورأوا بنى سليم والجيش عليهم أطبق فأرموا عند ذلك أرواحهم على بحر الغرق وصاح الشجاع وزعق ومات الجبان وانخنق وفاض الدم وانهرق القلب بنار الحرب قد احترق ونفذ السهام وخرق الشطر الثانى عن خمسة آلاف أيلق منغمسين فى الحلق لايبان منهم غير تداوير الحرق فنثروا فرسان بنى سليم نثر الورق وتضخمت الرجال وعكفت الأبطال وتأخرت الأندال واندقت الرماح الطوال وأشرف جيش المسلمين على الوبال وعلى التلاف (قال الراوى) وإذا بمنادى ينادى أنا أم الأسود المبيدة لأهل الضلال الناصرة لدين محمد عليه الصلاة والسلام أنا مفرقة جيش الروم أنا مشيدة دين الحى القيوم أنا فاطمة بنت مظلوم (قال الراوى)

وكانت الأميرة منعكفة فى قلعة المنحنيق على العباده وكانت فى تلك الساعه تصلى صلاة العيد والخبر قد وصل اليها أن الروم قد كبست ملطيه فى نهار العيد وقد قتلوا من بنى سليم خلق كثير وهلكوا الاسلام فلما سمعت ذلك ركبت جوادها وركبوا معها أولادو لدها ضيغم وظالم والأمير على الأرموى وركبت السودان وبنى كلاب وكان أكثر العساكر مع الأمير عبدالوهاب وقد انحدروا معه الى العراق وكان بعض منهم رجع الى برية الحجاز وبعضهم أقام فى بغداد ينظروه الى أن يرجع من الحجاز (قال الراوى) وسارت الأميره وقد علمت أنها مكيده فلما أشرفت على القتال والمجال فلله درها لقد عملت عمائل المجاهدين وبذلت روحها فى طاعة الله رب العالمين وفتكت فى الكفرة والمنافقين وأورثهم من حسامها العذاب المهين وسمع لسيفها على البيض طنين وما مالت على كتيبة إلا وحطمتها وصارت تضرب فى الأعداء وتنادى ياويلكم (قال الراوى) ياساده يا كرام وأشرفت عساكر العرب المتنصره على الانكسار وعولوا أن يولوا الأدبار واذا بمركب غيلان الشوك قد طلع وكمينه قد اندفع وهو ينادى فى أوائلهم أنا غيلان الشوك ناصر ملة الصلبان كاره ملة الايمان وأنه حمل فى السودان وداروا بالأميره من كل جانب ومكان فصدمها الملعون صدمة غضبان وكانت قد تعبت من الجولان وجاءها هذا الجبار كأنها شعلة نار رمعه سودانه مائة ألف فارس والكل فى ركابه يريدون أهل ملطيه وفيهم من هو فيه الكفاية لما وصفنا من شجاعته (قال الراوى) فلما رأت الأميره ذلك علمت أنها مأخوذة لأنها غرقت فى عساكر الروم وأتى لها هذا الأسود الهجوم ولم تزل تظهر الجلد وتضرب بقوة جلادها حتى عرقبوا السودان جوادها وحمل عليها غيلان الشوك أخذها من تحت أرجل الخيل وصاح بعد ذلك فى السودان والناس قد وقع بهم الوسواس وتراجعت بعد ذلك المتنصره على بنى سليم وأخذوا منهم خلق كثير وأرموهم الى صور البلد وعادوا الى معونة غيلان الشوك وفتكوا فى أهل الايمان وأخذوا ماقدروا عليه من النساء والصبيان وصاح الملعون غيلان الشوك ارجعوا حتى نطلب القسطنطونيه فما نقدر نحاصر ملطيه وقد أخذوا الأسارى تساق بين يديه وباقى جيش الاسلام تشتت فى الآفاق وبنى سليم يندبوا على من لهم قد فقد من الأحباب وبنى كلاب قد فجعوا فى الأميره ذات الهمه وعقبه يظهر البكاء فى ملطيه والانتحاب وهو يقول سبحان من حكم على المسلمين بالكفار (قال الراوى) ولم يزل غيلان الشوك الى أن وصل الى القسطنطونيه وخرج الملك ميخائيل الى لقاه وفرح بما رأى معه

الأسارى عند ملتقاه وقال أنت سيف المسيح وحامى الدين العتيق فشكره غيلان على ذلك وقدم الأميره ذات الهمه بين يديه فزاد الملك فرحا لما رآها وقال بهذه الأميره آخذ كلما أخذوا من المال وان لم يردوا ذلك وإلا صليتها ورشقتها بالنشاب ثم أنه عاد الى القسطنطونيه وهى بين يديه وجلس على سريره وقدم الأميره وقال لها ياملعونه وحق المسيح انلم تنفذى الى ولدك فيرد ما أخذ من المال من قلعتى وإلا عذبتك أشد العذاب فقالت الأميره على كلما تريد أمهلنى حتى يعود ولدى من عند الخليفة وأنا أكتب اليه أن يرد عليك كلما أخذ من قلعتك من المال (ياساده يا كرام) وكان مرادها أن يبقيها حتى يكف عنها العذاب حتى يسمع بخبرها الأمير عبدالوهاب ويدخل الى خلاصها فى سائر بنى كلاب وعساكر العراق فلما سمع الملك بذلك طمع فى رد المال وقال انى أدع هذه الشيطانة وأحتفظ بها حتى لايدخل فى طلبها البطال ويخلصها من الأغلال فقال له وزيره أيها الملك مالها إلا جزائر السواحل تنفذها الى الملك الاقريطش وقد أمنت عليها كل من فى الدنيا لم يجدوا لها خبر ولو كنت هناك مطلوقه ماتقدر على الخروج ولا يصل اليها عساكرها ولو كانوا بعدد النجوم وما يقدر عليها الجن الذين تحت النجوم واذا طابت منك أخذت من المسلمين كلما تريد وبعد هذا فانك معول على الخروج الى الغزاة وماندرى مايقضى المسيح عليك فاذا كانت هذه عندك وأنت محتفظ بها أمنت على نفسك وعلى كل من معك (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام الوزير ومشورته استدعى بريس المراكب وسلم اليه الأميره وقال له توصل هذه الجاريه الى جزيرة السواحل قال سمعا وطاعه فعندها كتب كتاب وأعطاه لبعض الحجاب وفيه يعلم الملك الاقريطس أن هذه المرأة أم أمير المسلمين الأمير عبد الوهاب فاحتفظ عليها فساروا بها والأميره تبكى على فراق ولدها (قال الراوى) هذا ماجرى من حال الأميره (وأما أهل ملطيه) فانهم كتبوا الى بغداد والى بلد الحجاز أنهم يعلمون الخليفة بماجرى عليهم وكذلك ظالم كتب الى أبيه يخبره بأمر سته ذات الهمه وسبى المسلمين وماجرى عليهم من الكفرة وكانت قد كتبت بنى سليم الى الخليفة الرضى والامام الهاشمى لو عاينت ديارنا ودماء سادتنا قد سفكت على الثرى والسبب فى ذلك أننا قد دهينا فى يوم العيد ونحن فى الصلاة والخطيب على المنبر فكسرونا الروم والسودان المتنصره وكانوا مثل البحر اذا ذخر وفى أوائلهم غيلان الشوك مثل الأسد القسور ومعه كل من طغى وخالف وتنصر فحطمونا وأهلكونا فى يوم العيد الأكبر وساقوا أحبابنا حفاة يقاسون الموت الأحمر فان كنت تطلب الثواب فى الآخرة فلا تتخلى عنا

يا ابن عم النبي المختار فقد صارت منازلنا قفار وأهلكنا فى أيدى الكفار ولا بقى لنا معين غيرك والأمير عبد الوهاب أنصار وإلا فقد صعبت علينا الأمور وإن توانيتم عنا فقد ملكت الثغور لأن الملك ميخائيل معول على الخروج وقد جمع جيوش فى عدد يأجوج ومأجوج وها نحن يا امام منتظرين الجواب بما يكون فيه الصواب وفى آخر الكتاب ضمنه الأمير عمرو بن عبيد الله بهذه الأبيات

دهينا يا إمام فى يوم عيد وكنا فى الصلاة وفى الركوعا
أتتنا الخيل تلعب بالأعادى ونادونا وقادونا جميعا
وقد أسروا الأميرة فى دعاها وقادوها العدا قودا شنيعا
ولما أن أتوا كانوا جميعا بزى المسلمين أتو جميعا
فجروا للسيوف وبادرونا وأسقوا أرضنا كاسا نجيعا
فبادر أيها المولى الينا وإلا كلنا نأتى سريعا

(قال الراوى) ثم سلموا الكتب الى النجابين فساروا يقطعون الأقطار حتى وصلوا الى العراق ونحو الكوفه ودخلوا برية الحجاز وكان الخليفة قد حج واعتمر وهو فرحان بالأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وقد عول على الرحيل الى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام إلا والكتب قد وصلت اليه وقدمت عليه فبكى الخليفة لما جرى عليهم وجرت دموعه على شيبته وأخذ الأمير عبد الوهاب الكتاب الذى جاءه من ولده ظالم وبكى وقرأه فزاد فى البكاء والانتحاب وقال سبحان من قضى بهذه الأسباب واحرباه لفقد الأميره وما تريد تقاسى العجوزة الكبيره وما جرى على الأميره من التأسف فبكى وبكى كل من كان حوله وقال الأمير أبو محمد البطال لعن الله عقبه وجود عليه اللعنة فهذا والله كله من دهائه ومناصبه فقال الأمير عبد الوهاب بالله يا أبو محمد دعنا من ذكر عقبه وابكى على ما أصاب المسلمين من هذه الرزيه والنكبه لأنهم أصبحوا مهججين فى بلاد الأعداء فيالها من رزيه ما أعظمها وللظهور ما أقصمها ولم يزل الأمير عبد الوهاب فى البكاء والعويل حتى رق قلب المعتصم وأوعده بكل جميل وقال والله يا أمير لابد لى ما أسير معك ولو أنها فى السد الأقصى ولا أزل حتى أخلص والدتك من يد الأعداء لأنها كانت تبذل نفسها بسببنا وتخوض الأهوال من أجلنا فشكره الأمير عبد الوهاب على ذلك وقال يا إمام ما أكلفك هذا الأمر بل نسير ولو وطئنا على الجمر ثم رحلوا من وقتهم وساعتهم وساروا حتى أشرفوا على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم الأمير عبد الوهاب الى الحجرة الشريفه ونادى السلام عليك يا سيد تهامه يا شفيع الخلق فى يوم القيامه

أنت الطريق الواضح والعلم اللائح والميزان الراجح والذى يؤمن برسالتك فهو الرابح يا رسول الله صلى الله عليك وسلم بحق من اصطفاك ونباك أن تسأل الله فى جمع شملنا فما نتوسل الى الله إلا بك ومن توسل بك الى الله فدعاه مقبول راجح ثم ان الأمير عبد الوهاب جعل يبكى ويتضرع الى الله ويستشفع بالرسول صلى الله عليه وسلم ثم نادى السلام عليك يا صفوة الله الملك الجبار السلام عليك يا من اختاره الله السلام عليك يارسول الله نحن الذى سعينا على المنابر بترس حضرتك نحن الذين نرمى أرواحنا فى الهلاك لإظهار شريعتك وقد منيت الأعمار فى الانتظار ثم ان الأمير عبد الوهاب دنا الى الأمير أبو محمد البطال وقال ادعو أنت الآخر فقال اللهم عجل لنا صلب اللعين عقبه الغدار واشفينا منه قبل أن نشرب كأس البوار فقد غرقنا من أجله فى البحار وشتتنا فى الأقطار وذقنا من أجله عذاب الكفار ونحن لانيأس مما وعدتنا به يارسول الملك الجبار لأننا نعلم أنك فيما قلته صادق ولا يشك فيما قلته الا منافق فبحق منزلتك من الملك الجبار الا قربت علينا البعيد وهونت علينا كل صعب شديد ونسأل الله ان يعجل لنا بصلب عقبه ويكف شره عن أذية المسلمين أهل التوحيد فقال الأمير عبد الوهاب ويحك يا أبا محمد خلى عقبه وادعى بهذا المكان المبارك لك وللمسلمين بالمغفرة يوم قيام الساعه واطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاعه فقال أبو محمد ما أطلب سوى طلب عقبه ليكف عن المسلمين شره وعن أهل التوحيد مكره وان الأمير عبدالوهاب وقف فى العباده إلى وقت السحر فغلب عليه النوم فنام ساعه وانتبه فزعا مرعوبا مندهش ولهان فقال له البطال ما بالك أيها الأمير فقال يا أبا محمد ابشر بالخير والانعام واسأل الله فى التمام باحسان فقد نظر الله الى المسلمين وهتك ستر عقبه فى هذا العام وقد قرب أوان صلبه والانتقام فقال أبو محمد وكيف ذلك يا أمير فقال الساعه رأيت البشير النذير لأنى ولعت فى الافتكار فرأيت حائط الحجرة قد انشق وقد خرج الى سيد البشر وأنواره أبهى من الشمس وعن يمينه الصديق الموقر وعن يساره الثانى الامام عمر وهو يقول ياترس قبرى لاتبكى على فقد أملك وابشر بتفريج همك واعلم أن الأمور لها أسباب وهى مقدره بأمر مقدرها ومسطرها فى الكتاب لانه علام الغيوب ولا بد للانسان ما يلقى ما كتب على جبينه فقلت يا رسول الله كلما نحن فيه من فرعون أمتك والمكذب بشريعتك فتى ينجز الله فيه وعده ويريح الاسلام من حله وعقده فقال أتى أمر الله فلاتستعجلوه فقلت يارسول الله خلق الانسان عجولا فقال صلى الله عليه وسلم فى هذا العام ينهتك ويظهر للناس مكتوم سره ويستوفى ما بقى

من أيامه وعمره ويصلب وأنتم كلكم بالحياة ويعتبر به كل من يراه فلا تيأسوا من روح الله ولا تفرحوا له بالحياة فانما هى ذنوبه وأوزاره فى دنياه ولا بد للزبانية ما تخطفه بكلاليب النار ويحشر فى جملة الطغاة ويجعله الله عز وجل فى الدرك الأسفل من النار ويحشره فى جملة من يأكل الزقوم والمهل غدا وكلما نضج جلده جدد الله له جلدا سواه ويسمع غليان رأسه كل من فى الموقف من الطائعين والعصاه وينادى عليه هذا فرعون الاسلام الذى كذب برسالة محمد فى دنياه ثم قال الأمير عبدالوهاب وبعد ذلك احتجب الرسول عنى وانتبهت من نومى مرعوبا ما أدرى ماأقول (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد البطال منام الأمير عبدالوهاب أخذه البكاء والانتحاب فقال بالله لاتطلع الخليفة على هذا الحال وجد بنا عند الصباح على الارتحال فقد بلغنا غاية الآمال وازددنا يقينا بالله وبكلام رسوله الصادق صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ولم يزالوا فى بكاء ونحيب ودعاء للملك المجيب حتى أصبح الله بالصباح دخل الأمير عبد الوهاب على الامام المعتصم وقبل الأرض بين يديه وطلب منه الرحيل فقال له ارفق بالناس أنت ياأمير المؤمنين فنحن نريد العجل ونشتهى نسير فيما يرضى الله تعالى ويرضيك وان كان قدامنا أمر لا تقوم به فنحن نستنجد بك على نيل المطلوب فقال أمير المؤمنين الأمر مردود اليك والعساكر والبلاد بين يديك فقبل الارض ثانيا وخرج الى أصحابه والامراء والاجناد وأمرهم بالرحيل وسار يقطع البرارى والقفار ويوصل سير الليل بسير النهار وقد قال لأبو محمد البطال خذ بنا واتبع أقرب الطرقات وأطيبها ولعل أن تعدل بنا عن برية الحجاز فان الوحش فيها يمرح وما زالوا سائرين حتى أشرفوا على أرض بيضاء كافوريه أطيارها قد غردت وأزهارها قد ابتهجت والماء فى جنباتها يسرح ولما أن رأى الامير عبد الوهاب إلى هذه الارض فتعجب منها ونزل فيها لاجل الراحه وإذا هو بقصر مشيد الاركان عالى البنيان حيطانه من الرخام وهو صعب المرام من كان فيه لا يضام فلما نظر الامير عبد الوهاب تعجب منه فقال له الامير أبو محمد هذا القصر خالى من الناس وهو قصر مليح كبير داخله أحسن من ظاهره فلما سمعوا السودان قالوا نحن نريد ننزل ونتفرج فيه ثم ان جماعة منهم نحو عشرين قصدوا القصر ليتفرجوا فيه وإذا تحته عين ماء فواره ترمى الماء من ينابيع جواره فتأملوا الى تلك العين وإذا بغلام أسود كأنه من الجلمد برأس مثل القسوره وعينين متكدره وأعضاءه هائله وبيده عامود كأنه صارى مركب ولما رآهم صاح فيهم وهدر مثل هدير الجمال وحمل عليهم وزعق وجعل يخطفهم خطف الأسود

ويقبضهم اثنين اثنين ويدوسهم برجليه وقدأوثق الكل كتاف ولمفزع منهم ولاخاف (قال الراوى) وانهم لما أبطأوا على الأمير رجف قلبه ولم يعلم ماحل بهم أنفذخلفهم اللملمان فمشى نحوهم وإذا بالأسود صاح وطلبه وزعق فيه وقاربه فضحك اللملمان وتعجب منه ثم صاح عليه من تكون من العبيد فعندها صاح ويلك أنا المعروف بالديناري الرواس فلما سمع اللملمان داخله الغضب وصاح به صيحته المعروفه وأطبق عليه فضربه الديناوى أرماه الى الأرض ولطمه وأدار كتافه وإذا بجعبر قدأقبل ومعه جماعة من السودان قد أقبلوا فى طلب أصحابهم فلما رآهم الديناوى هجم عليهم ونادى يا كلاب ثم ضرب جعبر فوقع على التراب فوق قرافد فأخذ الاثنين وشدهم كتاف ثم خرج من بين الشجر ونظر إلى خيام العسكر والمسلمين فساءت منه الأخلاق وتنافرت السودان قدامه مثل الأغنام فنظره الأمير عبدالوهاب فقال لهم ماهذا فأخبروه بالخبر فقام الأمير عبد الوهاب وأخذ معه سيف وقصد العبد وصاح فيه وحمل عليه وقال يا أخس العبيد تمد يدك على المجاهدين فهجم على الأمير عبد الوهاب وهم أن يضربه وإذا ببعض السودان قد اعترضه وضربه على يده أرمى العامود من يده فبقى حائر خائف من سيف الأمير فقال له الأمير لاتخف وخذ عامودك فقال له الديناري لا وحق من أكسانى حلة السواد وأهلك ثمود وعاد إنى لازم ركابك وأكون معدود من جملة أصحابك لأنك قد بان لى أنك سيد القوم والمقدم عليهم ثم أنه تقدم اليه صغير حقير وقبل يده ففرح به الأمير المجاهد عبدالوهاب وخلع عليه خلعة سيفه وعادبه الى الخيام وقال له مافعلت بأصحابنا السودان فقال أصحابكم مكتفين عند الغدير وأنا ماجئت إلى ههنا إلا بسبب لأنى سمعت بالأمير عبدالوهاب ابن ذات الهمه وأتتنا أخباره وقصدته لأكون من خدامه وقد فقدت أخوتى فقال له ما اسم أخوتك فقال له أحدهم يقال له اللملمان والآخر يقال له جعبر وأنا الصغير وقد خرجت فى طلبهم فبالله عليك تدلنى عليهم وتقر عينى بهم فقال له الأمير ان السودان الذين أسرتهم فيهم أخوتك وها هم تحت قبضتك فقال الأسـود بحق من ألف بين الألوان أصحيح هذا الأمر فقال نعم وحق سيد البشر وأنا الأمير عبدالوهاب صاحب الثغور فابشر بالفرج والسرور ثم ان الأمير عبد الوهاب ارسل أتى بهم وحل كتافهم وأراهم له فعرفهم وسلم عليهم وعانقوه وعانقهم وفرح بهم وفرحوا به ثم ان الأمير أقام بالناس يوم وليلة وساروا طالبين ملطيه وقد سار الديناري واللملمان وجعبر مقدمين على جميع السودان حتى قاربوا ملطيه عند قلعة المضيق فسمع بقدومهم الأمير عمرو بن عبيدالله فخرج لملاقاتهم

ومعه جماعة من أصحابه وعقبة معهم ولما وقعت العين على العين سلموا على بعضهم وتعانقوا جميعا وبكى عتبه وقبل أقدام الأمير عبد الوهاب وقال له لو كنت عندنا ماجرى على المسلمين هذه الأمور لأنهم كبسوهم الكفار وهم ساجدين وذبحوهم وأخبره عن ماجرى فى غيبته فحصل عنده غم شديد ثم أنه أراد المسير الى بلاد الروم لأجل خلاص الأميره من يد ميخائيل فقال الأمير أبو محمد البطال اركب وسير بنا الى جزيرة الساحل فان أمك هناك فى قبضة الملك الأقريطش وقد أتانى فى هذه الساعة مكتوب من مارس ودارس يخبر فيه بهذا الخبر فقال له الأمير عبد الوهاب ومن يوصلنا الى هذه الجزيرة فقال له سمعان المطالبى هو الذى يعرف الطريق يوصلنا فقال له وأين هو فقال أنا آتيك به ثم أن أبو محمد خرج من وقته وساعته ولبس صفة راهب وخرج فى طلبه وكان سمعان المطالبى شيخ كبير طاعن فى السن وكان فى صغره مولعا بالمطالب والكنوز وكان يعرف بجميع الألسن وكان أبو محمد صحبه أيام وتعلم منه بعض الألسن وأنه لم يعرفه وكان فى دير الرخام وعنده ثلثمائة راهب يخدموه ويقرأوا عليه علم الانجيل وكان البطال يعرف هذا الدير ويعلم أنه مقيم فيه فسار هو وأولاده وغلمانه حتى أشرفوا على المكان ونزلوا على بابه وهو عند ذلك بالزى والهيبة والناموس والملبوس فلما رؤوهم الرهبان خرجوا اليهم مثل الغربان وسلموا عليهم وسألوهم عن حالهم فقال البطال نحن رسل من الملك ميخائيل ومعنا رسالة إلى الراهب سمعان نقولها فى سر وكتمان فقولوا له يظهر الى هذا المكان فقالوا سمعاً وطاعه ثم غابوا ساعة وعادوا والراهب معهم وهو يتوكأ على عكاز فقام له أبو محمد عند إشرافه وصافحه وسلم عليه وجلس بين يديه وقال له يا أبونا الملك ميخائيل يسلم عليك ويقول لك إحضر الى القسطنطونيه فان البترك الكبير قد مات ويريد أن يترك موضعه لأنه قد استشار القسوس والرهبان وأخذ رأى المطران فيمن يكون بترك لأهل الصلبان فقال أيها الملك إعلم أن مابقى هذا الزمان أعلم من الراهب سمعان لأنه يحفظ الانجيل والقرآن والتوراه فانفذ اليه الى دير الرخام وسلم اليه أمر ملة عيسى عليه السلام وقد أنفذنى اليك أيها البترك وأمرنى أن أقبل يديك وصدرك وأصير خادما لك (قال الراوى) فلما سمع الراهب كلام البطال تبسم وقال السمع والطاعة للرسول ومن أرسله أقم أنت وأصحابك وخذوا الراحة الى غداة غد ونعول على المسير ثم أمر الرهبان فقدموا لهم الجفان من العسل والعدس والبقل وغير ذلك من طعامهم وقد فرحوا كيف يصير مقدمهم بترك القسطنطونيه ولما كان من الغد قال سمعان للأمير أبو محمد البطال عول

بنا على الارتحال حتى لانكون قدتوانينا فى خدمة الملك المفضال فرحل أبو محمدالبطال والراهب وقدهموا الرهبان بأن يسيروا فى خدمته فمنعهم سمعان من ذلك وسارالأمير أبو محمد طالب مدينة القسطنطونيه حتى مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعرج يطلب الدروب فقال الراهب أيها البطريق أراك قد عرجت عن الطريق فقال البطال ياأبونا أنا أعرف من رأس الدروب طريق غير هذه تكون أقرب علينا الى القسطنطونيه فقال الراهب ويلك يابطل كيف تخلط على فى المقال وتظن أننى ينطلى على المحال وحق من أرسلك إلى ودلك على لقد عرفتك من حين أقبلت على أنت وأصحابك ولكننى كنت منتظر حتى يبان لى صحة الخبر فبحق نبيك محمد ما أنفذك الى الأمير عبد الوهاب إلى هذا الجناب وقد عول أن يسير الى جزيرة السواحل وماقد أتيت أنت تحتال على عسى أن أدلكم على الطريق وأرشدكم على التوفيق لتخلصوا الأميره المجاهده ذات الهمه من قبضة الملك الأقريطش فقال البطال وقد انذهل بالى وحق محمد فمن الذى أعلمك بذلك فقال أعلمنى الذى أمرنى أن لا إله إلا الله محمد رسول الله (قال الراوى) فحار البطال ومن معه من هذا المقال وقالوا للراهب وحق من هداك الا أخبرتنا بسبب إسلامك وكيف خالفت هواك فقال الراهب يا أبو محمد اعلم أننى نمت ليلة من الليالى وأنا متفكر فى الجنة والنار والوقوف بين يدى الملك الجبار وكيف يحاسب العبد على الدقائق ويعرف المؤمن من المنافق فقلت لروحى ترى انا من المحاسبين بعد هذه العباده وألا يدخلنى المسيح الجنة ثم غفلت عينى فرأيت المسيح فى النوم وهو يقول ياشيخ كلما عملته معنا ضائع وأنت تظن أنك عندنا طائع ولكن وحد خالقك فهو ينجيك واجعلنى له عبد ولا تجعلنى له شريك واعلم أنى أول من يقف للحساب ويخشى من العقاب وقد ختم الله لك بخاتمه خير عند انتهاء مدتك وبفضل خالقى اليك أيقظك من رقدتك فكن فى هذه الأيام على حذر يقدم عليك رجل من أهل ملة الاسلام يقال له أبو محمد البطال فارحل معه إذا أمرك بالارتحال لتخلصوا الأميره ذات الهمه من جزيرة السواحل وتفكوها من العذاب فقد خرق دعاها بين ألف حجاب وهى تسأل الله تعالى أن يجمع بينها وبين ولدها عبد الوهاب وخلوصها من أيدى الكفار فهى سبب نجاتك من عذاب النار فلما انتبهت يا أبو محمد من المنام كتمت حالى عن الرهبان وأخفيت ما رأيت فى الأحلام وبقيت أعد الأيام حتى أتيتم أنتم وبان لى صحة دين الاسلام وقد جددت الآن إسلامى بين يديك وقصصت قصتى عليك وأنت تعلم ما أنا عليه من القدم وكيف كنت تقرأ على فنون الحكم (قال الراوى) فلما سمع

البطال منه هذا المقال قال سبحان مغير الانسان من حال الى حال والله ماينبغى لأحد أن يغتر بعلمه بل يسأل الله خاتمة خير منتهى أجله ثم ساروا حتى قدموا على الأمير عبد الوهاب وأدخل البطال الراهب عليه وحدثه بهذه الأسباب فقال الأمير يا أبو محمد هذه العناية قد جاءت بالكفاية فسبحان من فتح عين بصيرته للهداية وقفل عين عقبه للغواية حتى انه لم يأتيه من الحق عناية (قال الراوى) فلما كان عندالصباح إدعى الأمير بالدينار أخو اللملمان وسلم اليه قلعة المنجنيق وأعطاه جماعة منالسودان وقال له يا أمير إحفظ هذا المكان ولا تمكن من الدخول اليه انسان ولو أنه خليفة الزمان لأن فيه أموال المجاهدين وجميع مالنا الذى جمعناه من سنين فقد رأيت فيك من الشجاعة والعقل والحمية ما يرد جميع المفسدين ثم رحل الأمير عبد الوهاب بعد ذلك فى سائر عسكرة وكتائبه وأولاده والراهب سمعان معه يقطع الأرض ويجوب طولها والعرض ويقول يامولانا علينا عجلة فى هذه الأيام التى بقيت فى هذا الشهر لانفيه تكشف القنطره التىعلى الخليج وتعبرعليها العساكر والقوافل ولاترجع تبان الى عام قابل فجدوا بنا فى السير لعل الله يسهل علينا العسير (قال) فلما سمع الامير عبد الوهاب منه ذلك المقال أوصل المراحل وقطع المنازل بالليل والنهار حتى وصل إلى مكان يسمى الكنائس وهى أديرة خراب وصوامع قفار وقرى خالية من الأهل والأصحاب لا يعبر بها عابر ولا يمر فيها سائر الا أن يكون عساكر كثيرة مما عليها من الوحشة فعند ذلك قال الراهب لعبد الوهاب ارفق بالناس أيها الامير ولا تتعبهم فى المسير فقد بقى بينهم وبين الخليج يومين ولظهور القنطرة خمسة أيام ففرح الامير عبدالوهاب بهذا الخطاب ورفق على الاصحاب وكان قد أضر بهمحيث الركاب ولم يزل حتى أشرف على الخليج وقد بقى معه يومين فنزل بالناس وضرب الخيام واستراحوا حتى كملتالايام وفى تلك الليلة التى بان فيها هلال الشهر الجديد نقص الماء بقدرة الملك المجيد وظهر لهم عند الصباح قنطرة عرضها عشرون ذراع وطولها مد البصر وكانت قد صنعتها الحكماء على قواعد من الرصاص وهى تبان مثل الفضة البيضاء فلما أن رأوها الامراء تعجبوا غاية العجب وعبروا السودان والعرب وباتوا فى الجانب الآخر إلى وقت السحر وإذا بالماء قد بربر وهدر وتصافقت أمواجه وغطا القنطرة فى عاجل الحال فقال الامير سبحان من بيده تدبير الاحكام والاهوال ويزجر المياه التى كأنها الجبال ثمرحل بالناس من الجانب الآخر وصار يقطع البرارى والقفار حتى وصل إلىالأرض المعطشه والبرارى الموحشه فرأوا أرضا كأنها قطعة من جهنم مافيها

إلا غيلان مرتاعه تغيب ساعه وتظهر ساعه قد ضرب فيها بوق الويل فى ممر النهار والليل فبقوا الناس سائرين فيها سبعة أيام لا يذوقوا منام ولا يشبعوا بطعام ونفد ما كان معهم من المـاء وشكوا من العطش والظمأ ونشفت منهم القرب وقد أشرفوا على العطب وتقطعت السودان والعرب وأبصر الأمير داعى الموت قد اقترب فطلب الأمير عبد الوهاب الراهب سمعان وشكى إليه ما فيه الناس من الخذلان وسأل عن المـاء فقال يا أمير ما نراه إلا فى غد أضحى النهار فسير بالعسكر ولا تهتدى الى قرار وسلم الامر إلى صاحب الاستار مدبر الليل والنهار فساروا الخيل حتى تقطعت منهم الاوصال والرجال قد تروعت ولولا قدوم الليل واقباله لـكان وصل اليهم الهلاك (قال الراوى) هذا والراهب قدامهم سائر الى أن طلع عليهم النهار واشتد الهجير وقد هلك من خيولهم شيئا كثير وإذا قد بان لهم قبة على أربعة أركان وهى عالية البنيان وعلى رأسها طائر رخام فى قد الانسان فنادى سمعان ابشروا بالفرج يا أهـل الايمان ان الماء قداجتمع فى هذا المكان فقال الأمير أين الماء ايها الراهب قال سيروا وحدثوا بهذه العجائب فساروا ساعه حتى أدركوا تلك القبه ونزلوا من حولها من كل جانب ونظر الأمير الى داخلها وإذا فيها ثور من الرخام الأحمر وعلى ظهره راكب يدور بحركات ولوالب فقال للراهب إيش هذا التمثال ياسمعان فقال يامولاى من ههنا ننتظر المـاء يفيض حتى يكفى أهل الأرض ثم صعد من أعلا القبه وأدار الطائر الذى على رأسها دورات معدوده بقدر ما يعرف الراهب وإذا بالمـاء قد نزل من فم الثور مثل القناه فأقبلوا الناس اليه من كل جانب ووقعوا عليه مثل السلاهب وشربوا وملؤوا القرب بعد ما كانوا أيقنوا بالعطب فقال الأمير ياسمعان لولا هذا التمثال فى هذا المكان ما عبر من ههنا إنسان وما أظن أحدا يعرف معرفة هذا المكان ولا يعبر ولا يقدر يقرب هذه الطلسمات ولا يقرب هذه المواضع الموحشات فقال الراهب لا والله يامولاى ما كان يعرف هذا إلا رجل شيخ ومات (قال الراوى) ولم يزالوا نزول فى هذا المكان الى الصباح وساروا بعد أن بطل الراهب سمعان نزول الماء وهم سائرين إلى أن وصلوا إلى وادى الفرج فرءوا جبلين قد التقت رءوسهما وبينهما لا يكاد يبين قراره ولا ينشق من اشتباك الأشجار وفيه نغمة أطيب ما يكون من النغمات ووافقتها أصوات البلابل والأطيار مثل أنين المشتاق إذا بلى بمحبوبه بالفراق وقد ارتفع ومن قعر تلك الوادى أصوات مشفقات ونغمات متجاوبات إذا سمعتها الحجارة رقصت أو أولى الألباب اندهشت وان الراهب لمـا وصل الى ذاك المكان أوقف العرب والسودان وردهم الى

وراءهم لأنه رأى الخيل قد قامت بأذيالها ولعبت الركاب من فوقها وطاشت عقولها وطربت ففزع وخاف عليهم أن يهلكون وردهم الى وراءهم وهم لا يعلمون فقال البطال وعبد الوهاب يا سمعان ما هذه الأصوات التى تعيب الانسان وتسلب العقول والأذهان فقال يامولاى هذا وادى الفرج اسمه فى بلاد الروم قد شاع ولايقربه أحد إلا ويرمى روحه اليه مما يحل به من الوجد والسماع ويهلك نفسه ولا يفزع ولا يرتاع فامسك الجيش فى ذلك المكان ولا تمكن أحدا يقربه لا من العرب ولا من السودان حتى أعود اليك ان شاء الله تعالى بعد ثلاثة ساعات وبعد ذلك أدعكم تعبرون من بعد ان أبطل الحركات (قال الراوى) فهما مع بعضهما فى ذلك الكلام واذا ببعض السودان كان قليل العقل خالف المثال وغدا الى ذلك الوادى فما مشى غير قليل من الخطا واذا به كان من أخذه وصعد به الى أعلا الجبل وشق ثيابه ولطم على رأسه ورمى روحه وهو ينادى يا أحبابى فؤادى ومن بعده لعب جواده بقوائمه ورمى روحه ورأى صاحبه فتبعه فحل به ماحل بصاحبه فلما رأى الأمير الى ذلك ترجل عن جواده وتأخر وعادت الناس الى وراءهم عن ذلك المكان وبعد ذلك طلع الراهب سمعان على الجبل وقال البطال هذا شر ماسمع بمثله فى سائر الأزمان وما أظن فى الدنيا أعجب من هذا المكان فسبحان من جمع الحكمة فى الرهبان وألهمهم فى الدنيا الدوران وترحموا على نجد بن هشام الذى جمع سائر الفنون فى ذلك الديوان (ونرجع الى ما كنا فيه من الأمر والشأن) وما جرى للمؤمنين على وادى الفرج وتلك الوديان وقال الامير عبد الوهاب والله لولا تسهيل الله علينا بهذا الراهب سمعان ما كان يسلم منا من هذا الوادى ولا إنسان فقال البطال ولولا ذلك ما قدرنا نسلك هذه الأسباب ولا نقرب هذه العجائب فليتنا كنا أحضرنا معنا عقبه لعنه الله كان يشرف على ذلك الوادى ويرمى روحه اليه حتى كان يخرج مخه من أذنيه ونتفرج نحن وأصحابنا عليه (قال الراوى) وكان الراهب طلع الى الجبل والشمس أول من أبسطت فما أتى وقت الظهر حتى نزل وقال للناس ارحلوا بارك الله فيكم ورحل الأمير فى المقدمه والبطال الى جانبه ونزلوا الناس الى الوادى وتوسطوه فرؤا فيه تماثيل وأشباح من الرخام فى قدر الآدميه وفى أيديهم ملاهى من الجنك والعيدان يذهل منه عقل الانسان وفيهم أصنام وفى أفمامهم النايات والكل باللوالب والحركات وقوم بالصنوج وقوم بالدبادب يدقون نوبات وهم بكل نوع مختلفات وبين أيديهم نسوان يرقصون وفى أيديهم الصاجات الا أن الكل بطالات لأن الراهب لما طلع الى الجبل قطع عنهم الماء فبطلت منهم الحركات

ووقفت اللوالب التى كانت تدور (قال الراوى) وكانت هذه الصور كلها من رأس الجبل الى صحن الوادى مشرفات فتعجبوا الناس من هذه الحركات وذهلت عقول السادات وقال الأمير يا أخى يا سمعان كيف بطلت هذه الآلات قال أيها الأمير بطلت عنهم الماء النازل غير أن الحكمة فى الصعود الى الجبل لأنه لا يقدر أحدا يصعد اليه الامن يعرفه والا أهلكته عجائبه ويتمطع من كثرة مهالكه (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين ذلك اليوم وتلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح فخرجوا من الوادى ودخلوا فى رستاق جزيرة السواحل وبانت الضياع والأديرة والقلاع وكانوا قد أشرفوا على التلف من قلة الزاد والعلف فنهبوا كلما رأوه بين أيديهم وقتلوا من عصى عليهم وتجافلت الروم من بين أيديهم وهجوا عسكر الأمير فى الآفاق وشاس لما وقعوا فى الرستاق ولما كان عند المساء نزلوا فى مرج يقال له مرج البهار منقوش من سائر الأزهار وبان من الجداول والأنهار فأخذوا فيه الراحه حتى ذهب الليل بالاعتكار وتشعشت أنوار النهار وهموا بالانصراف وإذا قد بان لهم شراريف قلعه تلوح من بين أيديهم فتبينوها واذا هى شاهقة فى الهواء يتبين للناظر أنها مفارقة للأرض قريبة من السماء فقال الأمير للراهب يا أخى هذه قلعة السواحل أو من أعمالها فقال نعم هذه القلعه روح الملك اقريطش لأنها كما تراها لا يقدر عليها أحدا من الأنام والرأى عندنا أنكم تعبروها ولاتشتغلوا بها وتدهموا الملك فى جزيرته على غفلة منه من قبل أن يستيقظ بكم ويجمع عليكم العساكر والجنود وربما استعان عليكم بملك اليهود ويفوتكم المقصود فقال الأمير وعندهم فى تلك الأرض ذلك الملك قال نعم كانت هذه البلاد من قديم الزمان لليهود إلى أن ظهرت ملة النصرانية وقويت على بنى اسرائيل وأخذوا منهم ذلك المكان وبقى من طائفة اليهود الملك يهودا ابن قادار وله أكثر هذه الديار والملك الاقريطش متولى من قبله وكان يحمل اليه المال فى كل عام حتى ملك ميخائيل القسطنطينيه فأنفذ الى جزائر الروم فضيق على هذا الملك يهودا وبطل الاقريطش حمل المال والملك يهودا والاقريطش الآن يد واحدة وعساكرهم متوارده والملك يهودا وحده يركب فى أربعين ألف من بنى اسرائيل كلهم فرسان الخيل وخواضين الليل (قال الراوى) فلما سمع الأمير من سمعان الراهب قال نحن نستعين بالملك المعبود وينصرنا على النصارى واليهود ولا بد لنا من العبور على تلك القلعه ونبصر ان كان لنا فيها مطمع والا عبرناها (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بعشرة من الفرسان أقبلوا من نحو القلعه وهم طوال من الرجال على خيول عوال وفى أيديهم الرماح الطوال

متقلدين بالسيوف الصقال وقدامهم كهل من الرجال قد نزل الشيب فى عوارضه والقفال ولما رأوهم السودان تبادروا اليهم وقالوا لهم من أنتم وما تريدون فقال المقدم عليهم أيكم أميركم والمقدم عليكم وقائد جيوشكم حتى أحدثه بحديث فيه خلاص أمه الأميرة ذات الهمة ويكون أنا لى فيه غاية التوفيق والخير فأتوا به السودان إلى بين يدى الأمير ومن حوله دائرين ولما تقدم وسلم وأطلق لسانه بكلام عربى فصيح ولفظ مليح فرحب به الامير وقد تعجب من فصاحته وقال ياهذا من فى هذه الأرض البعيدة بين الروم من أين لك هذا الكلام المفهوم فقال يامولاى ما أنا والله من هذه البلاد وأنا من بنى كلاب وأنت ابن عمى الأمير عبد لوهاب فقال الأمير من أين أنت من بنى كلاب حياك الله فقال يامولاى أنا فضالة ابن بشر الكلابى وانى أخذت أسيرمن الغزاة سنة ملك الروم كوشانوش الخارجى وملك بلاد المسلمين وأنتم أسراه فى قلعة الشيطان ولى عشرين سنة عند الملك الاقريطش أسير وفى قلبى النار على بلاد الاسلام ولا أقدر على المسير لأجل مابين يدى من المهالك والمفاوز التى لايجوزها لاعابر ولاسالك وأنا مقيم أتسلى عن أهلى وبلدى وأقول إن الله ما أمرنى أن أرمى روحى فى المهالك على أننى أحظى الناس عند الملك وأقربهم لديه ومن محبته لى سلم إلى هذه القلعة التى هى روحه التى بين جنبيه وفى هذه السنة مضيت الى عنده زائر فرأيت الأميره ذات الهمه والدتك قد وصلت من القسطنطينيه ومعها حاجب من حجاب الملك ميخائيل يحفظها فأخذها منه وتركها فى المطموره التى عنده فى جزيرة السواحل ولما عاد حاجب الملك من عنده صار فى كل يوم يخرجها ويعاقبها ويعذبها بأنواع العذاب وأنا كل ما أراها يتقطع كبدى وأتذكر أوطانى وبلدى وأقول هذه قضيت منيتها ههنا مثل ماقضيت منيتى ومالى إلا أن أحرص على أخذها معى فى قلعتى حتى أخلصها مما هى فيه ونقطع أنا وإياها باقى العمر ونقضيه وإنى سألت الملك فى ذلك فقال لى يافضاله أنا ماصدقت أن تقع فى يدى هذه المسلمة أتقرب بعذابها حتى تموت وأرميها للكلاب وإذا بعث الى الملك ميخائيل وطلبها أقول له ماتت فى المطموره فلما سمعت كلامه رجعت الى قلعتى بعيش مر ولا أقدر لها على نفع ولاضر ويعلم الله مامر بى يوم إلا وأنا أبكى عليها وأتمنى لها الفرج الى أن رأيت اليوم راياتك قد ظهرت وعليها كلمة التوحيد قد اشتهرت فطاش عقلى من شدة الفرح وذهب عنى الهم والترح وقلت والله هذه رايات بنى كلاب ولاشك مقدمهم الأمير عبد الوهاب وقد دخل فى خلاص والدته ولما تحققت ذلك نزلت اليكم وأكون بين يديكم وندبر على خلاص الأميره ليهون الأمر عليكم وإنى

أريد آخذ منكم ألف فارس فى زى أصحابى وأدخل بهم على الملك يقتلوه ويملكون الجزيره ويخلصون الأميره ذات الهمه المجاهده وأعود معكم الى بلاد الاسلام وأبل شوقى من الديار والأوطان (قال الراوى) ولما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام بان له الصحيح وعرف فضاله الأمير أبو محمد البطال وجماعة من الأمراء والأبطال وقالوا سبحان من يهون العسير ويسهل للعبد خلاف ما يوسوس فى الضمير لأن هذه القلعة أردنا أن نجوزها ولا نتعرض لها فسهل لنا أمرها رب العالمين فقال الأمير جزاك الله خيرا يا فضاله فقال يا أمير والله إن كل من فى قلعتى مسلمين لرب العالمين لأننا نستر أحوالنا عن الروم ونعبد الحى القيوم ولى عشرة سنين وأنا على هذا الحال حتى صفا لى هؤلاء الرجال واعترفوا كلهم بدين الملك العلام ذو الجلال والاكرام فقال الأمير يافضاله انك هنا فى عبادة واجتهاد فالحمد لله الذى سهل أمرنا الملك الجواد بك وبهذا الراهب سمعان والآن سيروا بنا حتى ننزل تحت القلعة ونبصر كيف نخلص الأميره ونرجع سريع لأن الثغور خالية من المجاهدين والفرسان وصاحب القسطنطونيه قد خليناه معولا على الخروج وقد جمع كل من فى البلاد من عبدة الصلبان فقال فضاله ارحل يامولاى واطلع تسلم القلعه ولا تعرف خلاص الأميره إلا منى فرحل الأمير بالناس ونزل تحت قلعة فضاله ونظر اليها واذا بها خارجة على سن جبل خارج من جبل ولا عليها منزل إلا من موضع واحد الذى أتى منه الأمير والله ما يكون مثل هذه القلعه ومن يكون فيها يكون على نفسه آمنا لأنه يخرج من يريد ويوصل من يريد من الباب ولا يبالى بمن يحاصره ولو أنزل عليه طول الزمان ثم أخذ معه مائة فارس من أمراء بنى كلاب ومن مقدمين السودان وطلع مع فضاله الى الحصن فرآه من داخل أحسن من الخارج والماء ينبع من جوانبه وفيه من الذهب والقناديل والصور والتماثيل والأموال غير قليل ففرح الأمير بذلك وسبح الملك الجليل ولم يزل بهم فضاله حتى صار بهم فى قصر الاماره ووصلوا الى مجلس كبير يسع ناس كثير فجلسوا فيه ونادى فضاله بالغلمان ويلكم قدموا الطعام وانزلوا إلى هؤلاء القوم الكرام الذين هم أركان الاسلام فعندها تبادروا الغلمان ونقلوا الطعام وبنى كلاب والسودان يأكلون ويدعون لفضاله ويشكروه على ذلك الاكرام وهو واقف فى باب المجلس مشدود الوسط يظهر لهم الخدمه فهم كذلك وإذا بالأرض تحتهم تتقلقل وأركان المجلس بهم تتململ فتواثبوا وظنوا أنها زلزله وهموا بالخروج وإذا بهم يدورون مثل دوران الرحى وأرض المجلس ترقص بهم حتى بقيوا مثل السكارى ساعة وإذا بهم قد صاروا

تحت الأرض وعاد المجلس الى حالته ووقع عليهم الصياح وقد أيقنوا بذهاب الأرواح وقال البطال تمت علينا الحيلة ونفذ فينا قضاء الرحمن على أنه والله لولا معرفتنا به ما كان أحدا منا أمن اليه ثم انهم نظروا وإذا هم فى وقت مقتم مظلم فقالوا ليتة الشيطان أخرجنا من هذا المكان ودع يسلمنا الى الروم (قال) وكان هذا المجلس صنعة حكيم يقال له الاقطينس بن قادريبس قد عمله لصاحب هذه القلعه حتى اذا أراد ان يقبض على عدو له دعاه إليه ثم يأمر الرجال الذين له أن ينزلوا تحت الأرض ويديروا اللولب المصنوع تدخل فى الحيطان وينخسف المكان الذى يصير مافوقه تحته بعد شدة الدوران ويعود المجلس الى حالته مثل ما كان (قال) فلما أن وقعوا الأمراء فى ذلك المكان ضاقت أنفسهم وتمنوا القتل وفتح عليهم باب صغير ضيق مشقوق فى الحائط وطلع عليهم فضاله وهو يقول يا كلاب أتظنوا أنى باق على دين الإسلام ابشروا بالعذاب والانتقام وحق الانجيل لأسلمنكم الى الملك الاقريطش ينحركم نحر الغنم وتلك العجوز العاهرة حتى أكون كافئت من ربانى وأنعم على وأعطانى (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك أيقن بالمهالك وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ليتك كنت يا أبو محمد ما وقعت معنا حتى كنت تعمل على خلاصنا لكن هذا قضاء الله وحكمه هذا وفضاله واقف والرجال بالسيوف على باب المكان وقال للامراء اصعدوا يا شياطين والا ألقينا عليكم النار وأذقناكم حرارة الشرار فعندها صعدوا الأمراء وهم لايصدقون بذلك وصار كل من طلع شدوه كتاف حتى شدوا الجميع وأقام فضاله حتى جن الظلام وأخرجوهم الى ظاهر القلعه وقد شدوهم على اخيول عرضا ونزل بهم من الجبل من غير الناحية التى فيها المسلمين نازلين وسار هو وبطارقته وترك القلعة ما فيها أحد وساروا قاصدين قلعة السواحل الى أن مضى أكثر الليل ووصلوا الى جبلين متلاصقين وبينهما طريق مضيق لا يعبر منها غير واحد فبينما هم منها سائرين واذا قد طلع عليهم رجل أسود ومعه جماعة من السودان وهم ينادون الى أين بالأمراء يا لئام وضربوهم بالحسام وقل الكلام وزادت الآلام فلم تكن الا ساعه حتى قتلوا الجميع وأسروا فضاله وخلصوا الأمراء (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك مذبحون بن البطال وذلك أنه لما أبطأ عليه خبر الأمراء وأصحابهم فزع عليهم وقال والله ما تم عليهم خير ولو كان ذلك ما كانوا قعدوا عنا بل كانوا قد أنفذوا إلينا الاقامات والعلوفات وما أظن الا أنهم أخذوا أسارى (قال الراوى) ثم ان مذبحون بعد ذلك الكلام قام وتزيا بزى راهب من بعض الرهبان وعلق على صدره الصلبان وصعد

إلى القلعة واختلط بمن فيها من الرجال فسمع واحد من الروم يقول ويتحدث بما فعل فضالة مع الأمراء وانه يأخذهم بعد العشاء وينزل بهم من القلعة ويوصلهم الى الملك ويأتى بالعساكر ويكبس المسلمين على غفلة منهم فقال مذبحون تمت الحيلة ثم رجع سريعا وأخذ معه من السودان اللملمان وأخوه جعبر وتمام ألف اسود من كل بطل أمجد بصدور الزرد ومسك عليهم فم المضيق كما ذكرنا وقتل الروم وأسر فضالة وخلص الأمراء كما وصفنا فقال الأمير أبو محمد البطال عودوا بنا على أثرنا الى القلعة على الطريق الذى كنا فيها حتى لا يحسوا بنا إلا ونحن معهم ومع ذلك ما فى القلعة من نخشاه ففعلوا ذلك وعادوا راجعين على أعقابهم وكانوا عندهم قريب الصباح وهجموا عليها وضربوا من كان فيها بالحسام وسقوهم كاس الحمام لأن ما كان فيها إلا شيخ كبير أو طفل صغير فتركوهم صرعى ودماؤهم تسيل واحتووا على ما فيها من الأموال وعادوا إلى عساكرهم فوقعوا بقدومهم الأفراح وزال عن المسلمين الأتراح وقدم الأمير عبد الوهاب فضالة بين يديه وقال له ياملعون طفح الكفر على قلبك وزين لك الضلال حتى فعلت بنا هذه الفعال فقال فضالة العفو يامولاى وهاأنا أجدد إسلامى على يديك وأخلص أمك الأميرة وأقدم بها عليك فهم فى الكلام وجعبر قد ثار كأنه من بعض العمار وضربه بالعامود على رأسه نثر أضراسه وقال أيها الأمير أيش فى عتاب هذا من فائدة بعد أن فعل بنا ما فعل وعلمنا أنه كذاب وسلمنا ربنا من ضرب الرقاب (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب أقام باقى يومه وارتحل عند الصباح طالب جزيرة السواحل والراهب سمعان بين يديه يدل بهم الطريق (قال) ولم يزالوا سائرين ذلك اليوم وبعد ذلك أشرفوا على جزيرة السواحل وعلى ظاهرها عساكر كثيرة قدر الأرض طولا وعرض (قال) وكان سبب جمع العساكر أن الملك (الاقريطش) كان قد سمع من المنهزمين من أهل الرستاق والفلاحين وأهل الضياع أن عساكر الاسلام دخلوا اليهم وهم من تلك المهالك سالمين فتعجب الملك من ذاك وكيف عبروا المهالك وخاضوا تلك المسالك فجمع عساكره من سائر الجهات وعباد ساكره ومواكبه وقال لهم سيروا بنا إلى ذاك العسكر نلقاه يكون أهيب لنا فى قلوبهم ويكون الملتقى عند قلعة فضالة لأنهم لابد لهم ما ينزلوا عليها وربما يشتغلوا بها فنبادرهم ونفتك فيهم بصوارمنا ونترك دماءهم تجرى وعول الملك على المسير وعند الصباح وصلت اليه الأخبار بأنهم قد أتوا اليه من ناحية القلعة وإذا بجماعة منهزمين وصلوا اليه وأعادوا عليه ما نزل عليهم فلما

سمع حار وقال كيف قدروا هؤلاء على تلك القلعة التى كانت تحسدنى الناس عليها مدى الأزمان من ملوك وأرباب أقلام فقالوا أيها الملك وحق دين المسيح لقد رأينا معهم قوم سودان يطيرون عقل الإنسان على صفة دواب البحر ثم أعادوا عليه كل ماجرى وكيف ان فضالة عمل الحيلة على الأمراء وعادوا وخلصوا من يده وأسره وقتلوه وملكوا تلك القلعة . فقال الملك وفى كم يكونوا هؤلاء القوم فقالوا يامللك لايحصى لهم عدد وأكثرهم فى لون الزبيب الاسود وكانوا هؤلاء القوم لايروا فى بلادهم أسود قط فتحدثوا وزادوا فى الحديث مما قد وقع فى قلوبهم من الفزع وقال وحق المسيح ماقطعوا هذه البرارى والقفار وسلموا من أهل تلك المهالك والأخطار ووصلوا الى هذه الديار إلا وهم قوم لايقع عليهم عبار ولا تخمد لهم نار ومالى إلا أن أقيم ههنا قريب من جزيرتى وأنفذ الى ملك اليهود يأتى الى معاونتى وأدبر أمرى وألتى القوم وأنال منهم غرضى ولو كان بفاضل يوم وأرسل الى الملك يهودا أقول له : انجدنا بعساكرك لأن قد دخلت إلينا المسلمين الى هذه الديارفى خلق كثير ما يقع لهم على عيار فسير الينا حتى تساعدنا على لقاءهم وإلا وصل إلى واليك أذاهم وأنا أقاتلهم اذا وصلوا الى أن تأتى بعساكرك (قال الراوى) وبعد مضى الرسول بثلاثة أيام أقبلت على الملك عساكر الاسلام وقد ارتفع ضجيجهم الى عنان السماء وهم يوحدون الملك العلام ويصلوا على سيد الأنام وعول الأمير أن ينزل فلم ترضى السودان دون أن كبت رؤوسها فى قرابيص سروجها وحملت وارتفعت الضجة وعلت الرنة ونادى الملك الاقريطش فيمن حوله من البطارقه وقال ويلكم دونكم وهذه العصابة الحقيرة حتى تنالوا السعود وتجاهدوا فى طاعة المولود ولا تحوجونا إلى نصرة اليهود وها أنا فى أوائلكم حتى لايبقى على عتب ولا لوم ثم حمل فيمن تبقى معه من البطارقه وأطبقوا على السودان من كل جانب ومكان وأخذوا عليهم جميع المذاهب (قال الراوى) فنظر الامير عبد الوهاب الى ذلك فكشف رأسه وخفف لباسه وحمل على ما به من التعب وتبعته باقى السودان والعرب واشتد بهم الويل والحرب وعمل الصارم الغضب واختلفت البيارق ولمعت الطوارق وحققت الحقائق وبان الكاذب من الصادق وعمل السيف الماحق ونادى الامير : واشوقاه الى الوالده المجاهده العابده الزاهده ثم انه جعل يلوح القحوف ويجزع الانوف وهو قاصد الى أصحاب الاعلام ويهبر الأعداء بحد الحسام والجو قد اسود من كثرة القتام والجماجم تتناثر على قامات الاجسام والرهبان تضج فى خيام الروم بقراءة الانجيل والمسلمون يسبحون الملك

الجليل بقراءة القرآن والفرسان من على السروج تميل والدماء من قوائم السيوف تسيل والناس بين أسير وقتيل والأرض بهم تهتز والأبدان من السيوف بالدماء تفز والأقران بالأقران عالقه والرماح بالصهور خارقه والجبان قد هرب وفر والصارم للرقاب جزز وخر والصياح منعقد والخيول تطرد حتى أقبل الليل بالظلام وعادوا الى الخيام وكان الرابح عسكر الاسلام والخاسر عسكر الروم اللئام لأنهم من السودان اندهشوا وطارت عقولهم وتخبلوا وباتوا يشكوا الى الملك مالاقوا من الحرب والكفاح وأكثرهم أسخن بالجراح فقال الملك يحق لكم أن تكشوا من هؤلاء المسلمين ويحق لهم أن يكونوا للأرض مالكين لأنهم ماوصلوا ههنا وهم فى هذا الثغر القليل إلا وهم ما لهم فى الدنيا عديل وأنا سمعت أن ملكنا صاحب القسطنطونيه ميخائيل يحمل اليهم فى كل عام المال الجزيل حتى انه يكتفى شرهم ويصير لهم صديق وخليل ولولا فزعه منهم ما كان أرسل هذه المسلمة إلينا وترك هؤلاء دخلوا إلينا وقد قيل لى إن هذه المرأة مأسورة عندنا تلق فى الحرب ألف فارس رومى وحق المسيح ما لقيت منهم إلا كل شجاع وبطل مناع وما كنت أقتل واحد حتى أشرف منه على التلاف مع ماتعرفون من شجاعتى وقوتى وبراعتى وقد عولت فى غداة غدا أخرج إلى البراز لأن أخبار الملك يهودا أبطأت علينا ولعلى أن آخذ الأبطال الذين هم مقدمينهم فى البراز ويهون علينا العسير (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء الروم (وأما ما كان) من أمر الأمير عبد الوهاب فانه بات وهو مسرور فرحان ويشكر فرسان بنى كلاب والسودان الأنجاب ويقول البطال والله لولا تعبنا اليوم وإلا كنا هزمنا عساكر الروم من بين أيدينا ولكن فى غداة غدا إن شاء الله تعالى يكون الانفصال ونبلغ من الأعداء سائر الآمال ونخلص الاميرة المجاهدة من الاعتقال (قال الراوى) وباتوا الجمعان يتحارسان حتى برق ضوء الصباح ومضى الليل بأجنحة الغربان فركبت الفرسان طائفة أهل الايمان وتبادروا الى الحرب العرب والسودان وصاح فيهم الأمير عبد الوهاب : هاها يامعاشر الاخوان انجزوا هذا الأمر حتى تعودوا إلى الأوطان فقد تركنا أولادنا وأموالنا والنسوان وهم فى بلاد الثغور بلا حماة ولانأمن عليهم من العداة لأن ماعندهم إلا بنى سليم وهم لا يكشفون عن أنفسهم شدة ولاضيم فدونكم والقتال حتى لايطول علينا المطال فعند ذلك انتخت الرجال بعد سماعها هذا المقال وتقدمت الروم تطلب البراز والنزال بنيات متفقة وقلوب صادقة وركبت أيضا واشتملت بعدتها وقدا تكلت على كلام ملكها لأنه بالبراز

قد أوعدها لكن أكثر فزعهم من السودان لأنهم خافوا من خلقتهم والألوان (قال الرواى) وقد عول عسكر الإسلام أن يحمل على الكفار وكذلك الاقريطش قد عول على ضرب البتار وإذا قد ظهر عليهم غبار حتى سد الأقطار وحجب سواده شمس النهار من كثرة الغبار ساعة من الزمان وقد انكشف وبان للنظار والعسكرين وقوف يصححوا الأخبار وإذا قد ظهر من تحته رايات سود وبيارق وبنود وكتائب وجنود وخيول عليها رجال مثل الأسود وهم طوال الأجسام كأنهم من قوم عاد أو ثمود فتبينوهم الطائفتين وإذا هم طائفة اليهود وملكهم يهودا كأنه النمرود وقدامه أكثر من عشرة آلاف خزان وقرناس وجوقار وكوهار ومشتبكه على رءوسهم البنود والتوراة والاسفار قدام على رأس جوقار وهم فى أمر ونهى يشيب منه المولود وانتشروا حتى ملؤوا الأرض فى طولها والعرض فتلقتهم الرهبان والقسوس بقراءة الإنجيل ودق الناقوس حتى خيل للناظر أن الأرض قد تزلزت والجبال قد اهتزت ونزلت بنى إسرائيل وضربت خيامها وأركزت أعلامها وعليها مكتوب باسمك اللهم علة العلل مخاطب موسى على الجبل (قال الراوى) ونزل الملك يهودا وضرب له سرادق من الحرير واسع كبير يسع خلق كثير ووضع فى وسطه سرير من الفضة البيضاء قوائمه من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر فجلس عليه وأجاس الملك الاقريطش إلى جانبه لانه كان قد عاد إلى لفائه فى خواص بطارقه ولما استقر بهم الجلوس شرع الجوقار بقراءة التوراة وفتح المذمور التشعى أوله ولهى نعوداد وناى الهينوا عليلنوا ومسعه يدثينوا لوابهيوشت مسير عيلون بصل شديتلديرا وصولاودى الهدير أبطح بوكى هوا بصلح منفخ بفونس مدبرهوت (قال الراوى) وهذا تفسيره بالعربى يا رب تلطف علينا وعز عبيدك وعزنا فى الغدوات فى رحمتك نسبح ونسر جميع الايام حياتنا وأفرحنا عوض الايام الذى أقصيتنا والسنين التى رأينا فيها الرزايا وانظر الى عبادك وسهل علينا مذمور النشعى الساكن فى ستر العلى محمد فى ظلال إله السماء يقول الرب ملجاى وناصرى إلهى عليك توكلت (قال الراوى) ولقد قرءوا اليهود كلام عبرانى وشىء غير عبرانى ولكن اقتصرت واختصرت وبعد قراءتهم وتلاوتهم قال الملك يهودا إلى الاقريطش ولأجل هذه العصابة اليسيرة أنفذت خلفى وأزعجتنى من أرضى وحق العشر كلمات ما قات إلا أن خليفة المسلمين قدم علينا والا ما كنت أتيت لأن هذا عار عظيم أن أسير إلى فرسان بنى كلاب بعسكر بنى إسرائيل فقال الملك الاقريطش أيها الملك الفخير الشأن أمس رأينا من حربهم النار وأفنوا خلق كثير ورأينا منهم ما يذهل النحرير فقال يهودا بسك تصفهم وحق العشر كلمات وما أتى به

من الاسفار والآيات ما تركت غدا منهم من يخبر بخبر ولو أنهم بعدد ورق الشجر وسوف ترى ذلك وتبصر ففرح الملك الاقريطش وأنفذ إلى جزيرته فأتوا إليه بالاقامات والعلوفات وأحمال الخمر والاغنام (قال الراوى) وكانوا المسلمين قداندهلوا وفتروا عن الحملة وقال الامير عبد الوهاب ياأبا محمد ما يكونوا هؤلاء القادمين فانهم منعونا عن المقصود فقال له البطال والله اعلم ياأمير أن هذا الذى قد قدم بجيشه ملك اليهود ويقال له الملك يهودا وأنه جبار وقد أتى نجدة إلى الملك الاقريطش والرأى عندى أن ترسل اليهم كتاب بخلاص الاميره وتطلبها منهم حتى نرى ما عندهم من الجواب ونفهم لذة الخطاب فان أطلقوا الينا الاميره كان الذى كان وإن لم يفعلوا ذلك أريك ما أفعل بهم إن شاء الله الرحمن (قال الراوى) فعند ذلك كتب الامير عبد الوهاب كتاب يطلب الاميره ذات الهمه من الملك الاقريطش وأرسله معرسول من عنده فسار به الرسول إلىأن وصل إلىعند الملك الاقريطش وتقدم إلى بين يديه وأخبره وقدم الكتاب اليه فأخذه منه وقرأه وأخبر الملك يهودا بأسر الاميره ذات الهمه وأعطاه الكتاب ولما أن قرأه الملك يهودا مسح بيده على وجهه وقال بلا شك أن هؤلاء القوم ما لهم من العقل شيء حتى انهم نظروا إلى جيشين ولم يعتبروا وقد أرسلوا أن يطلبون خلاص هذه المرأة فلا شك أن ما لهم عقول فقال له الملك الاقريطش نعم أيها الملك إنمع هؤلاء القوم رجل يقال له أبو محمد البطال وقد سمعت أنه عيار محتال يعرف إنجيلنا وتوراتكم مثل مايحفظ قراءتهم وهو الذى يدبرهم ويعظم شأنهم فعند ذلك قال الملك يهودا للقرناص أكتب الكتاب واعلمهم أننى ما أخذل جارى ولا أترك هذه المرأة تخرج من ديارنا فكتب القرناص على لسان الملك كتاب يقول فى أوله بسم الله القديم الجبار الذى أنزل على نبينا موسى الاسفار أما بعد هذا يا هؤلاء أنتم تعلمون أن أرزل الناس من يغزا فى دياره ويؤخذ ما عنده بغير اختياره وأنتم تعلمون أن صاحب الشمول قتل ولده ولم يسلم صاحبه وكذلك أريد أفعل مع الملك الاقريطش لانه جارى وشريكى فى ديارى لا يكون الشمول أكرم منى ولا أشد سلطنة ولا أحشم (قال الراوى) ولما أن فرغ القرناص من كتابة الكتاب سلمه للملك فالتفت الملك يهودا إلى الرسول وقال اعلم أن هذا الذى أردتم فهو شيء ما يحصل لكم وان أردتم التروده إلى دياركم فان الملك من عدله ما يتبع آثاركم وان تفعلوا ما قلتم وتبذلوا المجهود فى خلاص صاحبتكم من عندنا من القيود بالسيف وضرب الجنوب فهذا الشيء عندنا موجود وما نحن نخشى لمثلكم وهم اليهود وحق

بيت مشهور وكل سفر يحمل على رأسه الجالوت والسبعين الذى أماتهم الله وأحياهم وإلا قطع رزقى وعلق رأس العجل فى عنق وعصبت رأسى بعصائب صافور وأكلت السمك فى الصوم الكبير والا أحج مع المسلمين الى مكة وأقبل الأركان وأطفيت قناديل كنيسة فهيون ويغضب على موسى وهارون ان تركت أحدا منكم يصل الى دياره وأبقيت منكم من يبلغ أخباركم ودع يفعلون المسلمين ما أرادوا بكنائسنا التى هى فى ديارهم ويقلعون كل من كان هناك من اليهود ويمحوا آثارهم ثم ان الملك أعطى الكتاب للرسول وقال له خذ هذا الجواب فأخذه وعاد به الرسول الى الأمير عبدالوهاب وأعطاه الكتاب فقرأه وعرف أبو محمد معناه فلما أن فرغوا من قراءة الكتاب فقال الامير عبدالوهاب ايش ترى من الرأى يا أبا محمد فقال البطال ايش بقى ما تريد من الخبر وما هناك إلا أن أفعل ما أريد (قال الراوى) ثم ان البطال أنفذ خلف أولاده وكان الليل قد أقبل فلما أن حضروا لبس الكل ملابس الروم إلا هو وولده مذبحون فانهم ألبسوا ملابس أهل جزائر اليهود وقد تعمم ببقايا أسباب كانت معه حتى صار فى زى الجوقات وقد أرخوا لهم عذبات طوال وقال لهم تفرقوا ياأولادى ويكون الملتقى عند سراق الملك يهودا واعلموا أن الرسول قد قال لى ان الملكين فيه يشيرون ويبدون ويعيدون والنصارى واليهود مختلطين فعند ذلك تفرقوا الأولاد والغلمان وقد ساروا على هذا التدبير وكانوا خمسة عذيبه وأخوها الحصين وبديع ومذبحون وأبو محمد البطال فكانوا كلهم لصوص وكان فى نية أبو محمد أن يسرق الملكين ويترك السيف يعمل بين الطائفتين (قال الراوى) هذا ولما أن صاروا وقربوا من عساكر المسلمين ما زالوا سائرين وهم متفرقين وقد دخل كل واحد من قطر من أقطار عساكر النصارى واليهود وقد اختلطوا بهم فرأوهم عساكر مثل الجراد وكان الليل عند الاعتكار وما وصل البطال الى مرادق الملك واجتمع بالأولاد حتى مضى من الليل ثلثه فوجدوا الناس فى جلبه عظيمة وقد اختبطوا من شدة السكر وأصوات الأغانى والأخ لا يعقل على أخيه فلما رأى البطال الى ذلك قال هذا وقت غرضى وهم أن يدخل الى وسط المجلس فمنعته ابنته عذيبه وقالت بحياتى عليك قف أنت مكانك واكتفى بالنظر وانظر منى العجب ثم أنها دخلت فى جملة سقاة من اليهود والروم وصاحت فيهم وبربرت بالرومية وقالت ايش هذه قلة الأدب والخدمة التى لا تصلح إلا للعبيد من العرب ويلكم ما هؤلاء ملوك الارض وقد أخذهم السهر واجتمعت الخلق حولهم ما تفرق منهم أحدوهم صحاة املؤا الطاسات وديروا الفنانى وقد مضى أكثر الليل وتعبدوا المغانى ثم أخذت بيدها طاس وكاس ودارت تسقى الناس وتفتن بحسنها كل قسيس وشماس وكل خزان وقرناس وشال الملك يهودا رأسه فنظرها فى حلة سوداء

وجبينها يلمع بالأنوار وهي مثل البدر في غياهب الاعتكار بخد أحمر. وطرف فاتر يسحر وشعر منسدل غير معفر وأرداف ترتج مثل البحر إذا ذخر وخصر قد لمه الزنار فاختصر وهي تفتن كل من اليها نظر (قال الراوى) وكان الملك قد سكر فلما سمع صوتها واليها قد نظر فصحا من سكره وانبهر وقال ماهذه النصرانية صورة بشر وحق الشيم لقد صدق نبي المسلمين وماقصر إذ يقول إن الحسن فى الروم فان فاتنى هذا الشباب فى هذه الليلة ما أنا إلا محروم ثم صاح بعذيبه فأتت إلى بين يديه ونقلت خطاها وهزت أعضاها حتى وصلت وتمخطرت وقالت ماتريد أيها الملك الكريم فقال مااسمك ياولدى قالت مقشيلس فقال الملك ما أنت إلا فتنة للناس ياولدى هاهو صاحبك قد نام موضعه من شدة السكر وأنا كنت كذلك نائم بين الجماعه الى أن دخلت أنت فى هذه الساعه ياحبيبى اسقينى هذا الكاس الكبير الذى فى يدك وديره على كل من فى المجلس وكل من لا يشرب ادفعه بأكتافه واخرة ولاتراعى أحدا لامن القيام ولامن القعود ولامن النصارى ولامن اليهود حتى يخلوا لى ولك هذا المكان وأوهبك شيئا تفتخر به على الغلمان وان كان يمكنك النيام فابشر بما هويت فقالت عذيبه وقصعت الى كلامه أنا يامولاى ماأبات عندك إلا على شرط لاتترك هاهنا أحداً وتخرجنى وقت السحر حتى لايعلم بأمرى أحد فيكون سبب انقضاء عمرى فقال الملك لاوحياتك ما أترك أحداً يبات فى السرادق إلا أنا وأنت نتباوس ونتعانق اسق أنت الناس حتى يغفلوا وأنا أصيح فى الباقى يخرجوا وأول ما أخرج ملككم وصاحبكم ثم صاح فى غلمانه وقال قدموا بغلتى الخاص واحملوا الملك إلى خيمته فدارت به بطارقته وأرباب دولته فأراد البطال أن يتبعهم فخاف على ابنته ووقف يبصر الملك يهودا وعلى أى شىء تنفصل نوبته وأما عذيبه فانها دارت على الناس وأسقتهم بذلك الكاس وقد وضعت فيه من ذوائبها الذى إذا شربه إنسان نام ثلاثه أيام فما كانت إلا ساعة حتى تقلعوا الجماعة ومافيهم إلا من قام وهو محمول وهو لايدرى مايقول وأكثرهم نقلوا على أكتاف الغلمان وهم لايدرون ماصنع بهم الزمان وكانت عذيبه كلماخرج واحد وأخذه غلامه تقول لأبيها انفذ ياأبتاه خلفه من يذبحه من قفاه ففعلوه بسائر مشايخ اليهود ولم يبق فى السرادق غير الملك يهودا والجوقار فأتت عذيبه الى الملك وقالت أيها الملك بحياتى عليك اشرب هذا الكاس ونام فقد قتلك النعاس فأخذ الملك القدح وقبله وقد امتلأ قلبه بالفرح ولما شربه تثاوب والى الأرض انقلب وأيضا فعلت بالجوقار وجعلوا الاثنين يخطون كأنهم التيران ولما رأت عذيبه الى ذلك خرجت من باب السرادق وقد صفرت وكانت هذه علامة بينها فأتى أبوها وأخواتها. وقال أبوها ماعملتى يابنيه قالت عملت مايجب علىّ وهذا الملك قد تبنج ومعه ذلك التيس الآخر

الجوقار صاحب العمامة الذى قد نام نومة الى يوم القيامة فان كان لك تدبير فى حملهم فافعلوا وان ذبحتهم فاذبحهم فقال أبوها لا يا بنيه لقد ذبحنا الليلة مافيه الكفايه أنا وأخوتك جزارين اليهود ونريد نحمل الكل الى بين يدى الأمير عبدالوهاب ونرى عند الصباح كيف يكون التدبير ثم حمل البطال الملك وحمل مذبحون الجوقار ولف كل واحد خصمه فى دراج بعد ما كتفه وخرجت عذيبه من ورائهما كأنها البدر الوهاج ورؤوهم الحراس صاحوا عليهم من تكونوا ومامعكم يامقلياس قالت عذيبه هذا ما أوهبنى الملك اياه لأجل خدمتى له الليلة الى هذا الوقت وهؤلاء غلمان يحملون معى وقد أحالنى بذهب فى غداة غد يعطينى إياه ولكم فيه القسم الأوفر فقالوا اليهود وحق التوراة نستاهل أن نأخذ الأنفس لأنك كنت الليله جمال المجلس فشكرتهم عذيبه وسارت خلف أبوها حتى خرجوا من العسكر فالتقوا بالحصين وبديع وساروا الجميع حتى وصلوا الى عسكر الأمير وهم يتناوبون على حمل من معهم ولما قربوا من حرس المسلمين عرفوهم وقالوا للبطال مامعك أيها الأمير قال معى حويجة للأمير عبدالوهاب ووصلوا الى خيمة الأمير فوجدوه فى الانتظار له ولأولاده وقد اشتغل بهم فؤاده فلما رآهم انشرح وزال مابقلبه من الترح وقال يا أبا محمد ما معكم فى هذين الكاريتين فقال أعجب ماتراه من البطال وأولاده افتح وابصر ماتقر به العين ففتح الأمير الكاره الواحد فرأى الملك يهودا مثل المقتول وفتح الأخرى فرأى الشيخ الجوقار وقد تقايا على صدره وهو محمول فضحك الأمير وتعجب وقال من هؤلاء يكونوا مشايخ اليهود وكيف صنعت حتى وقعوا فى يدك هؤلاء القرود فقال البطال أما هذا فهو الملك الكبير وأما هذا فهو الذى يشيروا اليه بنو اسرائيل بالتعظيم والتوقير وأريد الليلة أصنع بهم صنيع يذكر مابقى الشمس والقمر وأخلص بهما الأميره ذات الهمه بعد أن لا يبقى من عسكر النصرانيه باقيه فقال الأمير كيف تفعل قال ياحبيبى اصبر ترى العجب ثم أرسل خلف طمطم وطماطم وقرقود وباغض رأسه وآكل مداسه وملاكم الريح وأبو سطنح وتمام الخمسين فارس من السودان ولما حضروا قال لهم خلقوا ثيابكم واكشفوا رؤوسكم قالوا لماذا ذلك قال لهم سرقت ملك اليهود وأريد الليلة أطير عقله بكم حتى يكون غدا خلاص الأميره ثم خلع بعضهم ثيابه حتى عاد مثل ماولدته مه أو بعضهم جعل فردة سراويله فى كتفة وبعضهم أرخاهم فى رجليه بعد أن خلع ماعليه وبعضهم طراطير بأجراس وبعضهم بفروة مقلوبة ولما فرغ من تصنيعهم أعطاهم السندروس ودقائق الشمع وقال لهم اجعلوا هذا فى أشداقكم إذا رأيتم الملك يهودا قد أفاق ومعه هذا الشيخ الآخر شيخ النفاق فتقدموا بين أيديهما وانفخوا فى وجوههم السندروس والطموهم بأياديكم اللطاف على الرؤوس ودكوا الدبادب وحركوا

الأجراس وأظهروا لهم الجنون والوسواس وتراقصوا بهذه الطراطير وانهقوا مثل ما تنهق الحمير وطيروا فى هذه الليلة عقل الاثنين وعضوا آذان الملك كلما نعدم وأظروا من جنونكم كلما تقدرون عليه فقالوا سمعاً وطاعة هات أنت وابصر من أصناف الجنون ما يخرج من قلبهم دين اليهود ولو أنهم صحبوا موسى وهارون فضحك البطال وأخذ الخل الحاذق والسيرج وجعله فى مناخيرهم والماء البارد على وجوههم فانقلبوا وتقايؤ البنج وفتحوا أعينهم إلا أن السكر فى رؤوسهم ونظروا إلى السودان حولهم بتلك الحالة فطارت منهم العقول وجعل الملك ينظر يمين وشمال ولسانه لا يطاوعه على الكلام ولا يدرى ما يقول هذا والسودان يتراقصون مثل العفاريف ونفخوا النار بدقاق الشمع والكبريت ودقوا بالدباب وحركوا الأجراس وصاحوا صياح منكر حتى أزعجوا الناس فانقلبت عيونهم وثار جنونهم وساروا يسحبون الملك ويلطموه ويعودوا إلى الجوقار ويصفعوه وهم يجتمعون من شدة الفزع ويتململون وينظروا إلى الخيمة وهى كلها نار تشعلى وطارت دونهم الألباب وخيل لهم أنها ليلة الحساب والعقاب وصاروا السودان كل واحد يحمل الملك ويلحقه الآخر ويلعبوا بهم لعب الأكره حتى خمدت منهم الحواس وبردت الأنفاس ولا بقى فيهما من يقدر يصيح بل عينه مفتحه وهو لا يتكلم فلما علم البطال أنهم أخذوا حاجتهم وبطلت حركتهم أتى إلى عند الملك وفى يده قدح وصاح فيه وقال له اشرب أيها الملك حتى تستريح من هذا التعب وذلك العذاب فما هو الا أن شرب القدح ورجع انطرح وفعل بالآخر كذلك بالدراجين الذى أتوا بهما وكتب كتاباً وحطه إلى جانب الجوقار وحمل واحد ومذبحون واحد إلى أن وصلوا إلى العسكر وقد صار وقت السحر وهم كلهم خمود وركود من شدة السكر والسهر ودخل إلى السرادق وولده من ورائه ونزلوا الاثنين على السرير وهما مثل القتلا وعادوا على أعقابهم (قال الراوى) ولما أن انقضى الليل وأصبح الصباح وانتبهوا اليهود إلى الخزانين للسلام فوجدوهم كلهم مذبوحين فى الخيام فصاحوا وبكوا وانتحبوا وقالوا وحق موسى الكليم ما فعل بعلمائنا إلا النصرانية لأنهم قتلوا مشايخ ديننا وعلماء ملتنا ثم انهم ساروا الى سرادق الملك ودخلوا اليه فوجدوه على تلك الحالة فتبهوه فلم ينتبه وكلموه فلم يتكلم وكذلك الشيخ الجوقار ولا يحسوا بأحد ولا يدروا من قام ولا من قعد فقالوا وحق الشيم لقد تم علينا ما تم على أحد ولا بشر وقد ذبحوا مشايخنا ذبح البقر وملكنا لا يوقر وهذا الشيخ الآخر وما فى الأمر إلا أننا نقيم حتى نصحح الخبر فان كان هذا من فعال الروم صبحناهم صباح ميشوم ثم انهم أقاموا الى أن تضاحا النهار وإذا بالملك

انقلب على جنبه وتقايا البنج وفتح عينه إلا أنه عليل مما جرى عليه فأقعدوه غلمانه والحجاب وسندوه وهو مثل المجنون المصاب فقال له موسم الكليم وهارون من حواليك، فحدثنا أيها الملك بما جرى عليك وتقدموا العقلاء من قومه قدامه فقال رأيت البارحه منام وأنا نائم سكران وما قات أني أصبح منه سالم فقالوا أيها الملك ألقيه الينا حتى نحدثك نحن بما جرى علينا فقال رأيت كأنى فى خيمة من نار ومعى قوم سودان وكأنهم الزبانيه الذين ذكرهم موسى فى التوراة والأسفار وقال انهم مشوهين الخلقه عرايا وكان فى أيديهم عمد من حديد ولهم صياح مذعر شديد وفى حلوتهم الأجراس وعلى رؤوسهم الطراطير وهم يتشاهقون مثل الحمير وكلما انقلبت على جنبي يلطمونى حتى أنهم أهلكونى ولما زاد بى العذاب أتانى واحد منهم بقدح من الشراب وقال لى اشرب هذا حتى تخلص من العذاب فشربت القدح فكان آخر شربى وما حسيت عن روحى الا وأنتم من حوالىّ وما أقول انى من جملة الأحياء وقالوا أيها الملك وحق السبوت ما هذا منام وانما جرى عليك هذا الأمر الا وأنت فى خيمتك لأن رقاب الخزانين قد أصبحت مذبحه وأول ما ذبح الخزان عزارو الفرناس حزقيل وأصبحت دماءهم تسيل وحل بهم ما حل بأهل الفيل (قال الراوى) فكاد أن يغشى عليه لما سمع ذلك الخبر وطاش عقله وتحير وقال من أين يكون فى خيمتى سودان وكيف قد جرى هذا وأنا يقظان والجوقار كان شريكى فى المنام نبهوه حتى نبصر هذه الأحكام فأتوا إلى الشيخ الجوقار وحركوه ولم يزالوا به حتى نبهوه فرأو فى ثيابه خراه فقالوا كلهم أفوه أفوه وأقعدوه وهو متلوث فى ثيابه وأرادوا أن يسألوه فرأوا إلى جانبه الكتاب الذى كتبه البطال فناولوه للملك وإذا فيه أيها الملك أبصر قدر ما عملت معك من سلامة نفسك من الحمام وكيف رددتك إلى الخيام بعد ما حصلت عندنا فى وسط عسكر الاسلام وما فعلت معك ذلك الجميل إلا حتى تخلص صاحبتنا التى عند الملك الاقريطش فى هذه الجزيرة من العقال وإن لم تفعل ذلك ففى هذه النوبة أسرتك ورجعتك إلى قومك والخدم فالنوبة الآتيه أسقيك شراب الانتقام وإن لم تكون عما أنت عازم عليه ترجع وإلا كل الروم تعلم أنى أبو محمد الصميدى تسمع بذكرى الملوك وتفزع وكل بلاد دخلت اليها جعلتها بلقع وإن كنت ما تسمع بى فاسمع ومهما أردت فاصنع وها أنا منتظر منك باقى النهار فان رأيت منك خلاص النية وإلا عدت اليك عشيه ما أبقى منكم بقيه ولا رقبة مستويه وأول ما أبدأ بك يا كلب اليهوديه فلما سمع الملك ما فى الكتاب زاد عليه المصاب فقال يا قوم وكان الذى جرى فى اليقظه وحتى من خاطب موسى على الجبل ما أقول إلا أنه فى منام فقال الجوقار أيها الملك كيف يكون

منام وأنا فى رأسى صفع يكفانى عشرة أيام وأن هذا كله قليل من حيل البطال العيار المحتال ولو كان أرادها كان يصبح منا إنسان لأنى سمعت بهذا الشيطان وما يفعل فى بلاد الروم مع أهل الصلبان والصواب أننا نجيب الرجل إلى ما قال ونخلص المسلمة من الاعتقال وإن أبى الملك خذها منه غصباً واحمل على بطارقته بدرها شرقا وغرباً وتصير أنت ملك هذه الديار وتحتوى عليها لأن المسلمين بعد خلاص أميرتهم ما يلتقون اليك بل يعاونوك على حرب الروم ولا تعادى هؤلاء الأقوام الذى فيهم مثل هذا الشيطان وتعود تبصر وجوه السودان ويكفينا ما لقينا على أنه فى هذه النوبه ما يبقى علينا فقال الملك أيها الشيخ ماسمعت ولا رأيت أن إنسان يسرق إنسان إلا إن كان فى ذلك الزمان من ذلك الشيطان ومن يكون هذه الفعال فعاله يجب أن يسمع مقاله (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام واذا بملك الروم قد أقبل عليهم ودخل على يهودا وسلم عليه ومعه جماعه من خواصه ومن حوله الفرسان والخدام فوجد الملك يهودا جالس وحوله أرباب دولته فقاما الى الاقريطش على الأقدام وأجلسه وعاد عليه ماجرى وأخبره بالذى رأى وقال ما بقى فى الأمر الا أن تسلم هذه المرأة التى عندك مأسوره والا خربوا هؤلاء الشياطين بلادنا وملكوا الجزيرة منا فضحك الملك الاقريطش من كلام يهودا وأصحابه اليهود وقال وحق المسيح ما هذا الاعقل مفسود وحق الصليب لو أنى فى عشرة من الفرسان ما سلمت هذه المرأة التى عندى وديعة بأى وجه أرجع انظر الى الملك ميخائيل فقال يهودا وما أتركك تحفظ وديعة ميخائيل ويقع الفنا فى بنى اسرائيل وأصبح أنا فى سرادقى قتيل وحق موسى ابن عمران ما ترجع تخرج من هذا المكان الا بالمرأة أميرة المسلمين والا أفنيت أنا وإياهم عبدة الصلبان فلما سمع الملك الأقريطش ذلك الكلام صاح فى بطارقته الذين معه وقال دونكم وهؤلاء اليهود الذين عليهم الذلة والمسكنه قطعوهم بالصوارم قطعاً فلو علمنا أنهم ما ينصرونا والا أرسلنا الى جزائر الروم القريبه وأفنينا هؤلاء المسلمين فتبادروا البطارقه بالسيوف البارقه وزعق يهودا فى أبطاله ونادى فى حجابه وتقابض هو والملك الأقريطش باليدين وتعاركوا بالزندين ووقع بينهم السيف وخافوا على بعضهم كل الخيف وانعقد الصباح وعملت الصفاح وسمعت الروم فهجمت بعد أن ركبت خيلها اليهود والتقوا الروم واليهود وصارت الدماء تسيل والمنايا عليهم تميل والرقاب تضرب والدماء تنسكب والجموع اختلطت والرجال قد فطرت والمنايا من الطائفتين قد انبسطت (قال الراوى) ونظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك المصاب فركب فى السودان وبنى كلاب وعول أن يحمل على الجميع فمنعه البطال وقال اتركهم

حتى يشربوا من بعضهم شراب الفنا ويبذلوا فى بعضهم السيف والقنا ويتمددوا على وجه الأرض والسرى وميلوا أنتم على الروم وقد قضينا الأمر المعلوم وخلصتم فاطمة بنت مظلوم فقيل للامير ذلك المقال ودام بين الطائفتين القتال حتى عبر نصف النهار وقد قتل من الطائفتين خلق ما يقع عليه عيار وعولت الروم على الفرار لأنها سمعت الصياح من ناحية سرادق الملك يهودا قد علا واليهود ينادوا يا ويلكم يا معاشر النصرانيه عن من تقاتلون وهذا الملك قطعناه وبضعناه ورأسه على الرماح رفعناه وكل من كان أتى معه هبرناه وكان السبب فى ذلك أن الملكين لما تقابضا فى وسط السرادق وصاح كل واحد منهما على رجاله وطلب منهما الاعانة وقبض على خصمه وشابكه وعاركه وكان يهودا جباراً لا سيما وهو فى سرادقه وبين أبطاله وأصحابه وصاح فى الاقريطش وجذبه اليه وسل من وسطه سكين صغير مثل البرق وضربه فى فؤاده أعدمه رشاده ومالوا على من من كان معه من البطارقه ورفعوا رأس الملك على رمح وركب الملك يهودا ونادى المنادى من قوله على الروم بما تقدم ونظروا الى رأس ملكهم فعلموا أن ركنهم انهدم فتمطعت ظهورهم وحاروا فى أموهلم وعولوا أن يطلبوا الى الجزيرة فصاح الأمير أبو محمد البطال فى عساكر الاسلام وقال للأمير عبدالوهاب احمل أيها الأمير فى هذه الساعه بالناس وكبروا للملك المعبود وابذلوا السيف فى النصارى واليهود واحرصوا أن تكونوا من الجانب الذى يلى الجزيره وتملكوا عليهم الطريق الى جزيرتهم ولا تتركوا يعبر عليكم أحد ولا تبقوا الا على من يتشهد ويقر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيع تعبكم وادخلوا الى تلك الديار وتبلغوا منا كم من الكفار فعند ذلك حملت الفرسان وأبطال الايمان وضجوا بتوحيد الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان وصلوا على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وقد حملوا عليهم وقد خذلت من الكفار المناكب وكلوا من المضارب فبذلوا فيهم المؤمنين القواضب وهمهمت السودان مثل السلاهب وحملت فرسان العرب من كل جانب وقويت فرسان المسلمين بعد ضعفها ولم تنظر الرجال من بين يديها ولا خلفها ولم تكن الا ساعة حتى ملكوا عليهم طريق جزيرتهم ومسكوا عليهم طريق رأس المضيق وحملوهم من البلاء ما لا يطيق والقتلى طرحوها على وجه الأرض ومددوهم طولا وعرض وأذاقوهم السودان كؤوس العطب وتناخت سادات العرب ولم يبق من الروم الا القليل ورأوا أرواحهم ما لهم الى الخلاص من سبيل والسودان قد بذلوا فيهم السيوف والكبير قد أذهلهم وذكر الله قد أزعجهم فما كان

لهم إلا أن قالوا الأمان الأمان ورموا من أيديهم السيوف والصلبان ومالوا الى جند الرحمن وهم يكبرون الملك الديان وقد نظر الله اليهم وفتح عن قلوبهم أقفال الطغيان وهدى منهم من أراد الله أن يجعل له شان ولم يأتى آخر النهار حتى خمد حس اليهود ووقع الأمير بملكهم فصدمه صدمة الأسد الأدرع فتلقاه يهودا كأنه النمر الصمبدع فلله در الامير ما أنجبه فما طال بينهما المقال حتى عن جواده كركبه . وبعد ذلك زاد الفناء فى بنى اسرائيل وعمل الصارم فى ظلام الليل وقل القوى والحيل وأهلك الله خلق كثير ولم يسلم منهم إلا اليسير وما أصبح على المسلمين الصباح إلا وهم فى غاية السرور والأفراح وقد نهبوا من الأموال والرجال وأبادوا الابطال والاقيال وبلغوا غاية الآمال ولم يترك الأمير أحدا ينزل حتى عبر الى الجزيرة وكله من شوقه الى الاميرة ولما صار فى البلد دخل الى القصر والروم الذين أسلموا بين يديه بعد مارفعوها من بعض المطامير وهى فى غاية الذل والتعتير ولما رأت وجه ولدها الامير عبد الوهاب ونادت سبحان الجواد الخبير الذى يسر بمجيئكم من غير تأخير ثم انها انكبت عليه تبوسه وتقول ياولدى الحمد لله الذى جمع بينى وبينك قبل المات وردك علىّ رداً جميل ياولدى كيف سبب الله ذلك الاسباب وأوصلك الى هذه المواضع المنقطعة الخراب فأعاد عليها الحديث ودموعه تجرى مثل السحاب وأخبرها بما قاسى وما جرى عليه وعلى أصحابه وما بقى من الامراء أحداً إلا واعتنق الاميرة وفاضت الدموع من عينه (قال الراوى) وبعد ذلك قدم الملك يهودا الى بين يدى الامير وأعرض عليه الاسلام وقال له تكون صاحب هذه البلاد والحاكم عليها وعلى من فيها من العباد وأنا أكون على من خالفك من الاعداء والحساد ومالى عليك غير الاقرار برسالة محمد صفوة الجواد وإن أبيت ذلك سقيتك شراب الحمام ياساده ياكرام فقال يهودا ياأمير أناأشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وإن تركتنى فى هذه الارض فما أكون إلا مثل بعض الغلمان بين يديك وكلما اجتمع شيء من الاموال حملته اليك فقال لاوالله بل تكون أنت صاحب هذه البلاد ولك مالها والاطلال ونحن مانريد غير الاسلام ثم خلع عليه وسلم أمر الجزيرة اليه وأقاموا الذين أسلموا عنده من جملة الرجال بين يديه وكان مقامهم فى بلادهم لاجل نسائهم والاولاد وأقام الامير بعد ذلك ثلاثة أيام وعول على الرحيل بعد ما أخذ من القصر هدايا وأموال تعجز عن حملها الجمال والبغال ورحل يطلب بلاد الاسلام وقلبه طائر الى بلاد الثغور ومايدرى ماقد جرى بعد من الامور إلا انه فرحان بخلاص أمه الاميرة ذات الهمة غاية الفرح والسرور (قال

الراوى) هذا ما كان من الامير (وأما ما كان) من ملطيه وبلاد الثغور فان القاضى عقبه بعد مضى الامير كتب الى القسطنطونيه لميخائيل كتاب يقول فيه أيها الملك الى متى هذا التقصير عن الغزو الى بلاد المسلمين لأنها بقيت بلا مدافع ولا ممانع حتى أسلمها اليك لان عبدالوهاب فى سائر السودان و بنى كلاب يطلب خلاص أمه وما أدرى كيف عرف مكانها على أن الأمر جاءنا على ما نريد لأن الثغور خلت والفرسان منها ارتحلت فأسرع فى السير لعل المسيح أن يسهل أخذها (قال الراوى) ولما وصل ذلك الكتاب الى ملك الروم وقرأه وكانت عساكره اجتمعت كما ذكرنا من سائر الاقاليم فنادى فيهم بالرحيل وقال وحق المسيح مادام ان عبد الوهاب غائب عن الثغور وعسكره معه لا أرجع حتى أطأ الرقاب برجلى وأدوس الأعناق وان ملكت البلاد جعلت سرير ملكى فى بغداد آخذ الأهبة بعد ثلاثة أيام وقد دقت النواقيس وتجاوبوا بقراءة الانجيل كل راهب وقسيس وقصدوا الى ملطيه وقد اهتزت الأرض بكثرتهم وكانت جريدتهم لخمسمائة ألف لأن الملك رحل على عجل وكتب الى باقى الملوك أن تجتمع وتلحقه الى ملطيه ويكون الاجتماع على الثغور هنالك يكون التدبير لأنكم ماتصلون الىّ حتى أفتح الثغور وبعد ذلك أدخل بكم الى بلاد العراق وكذلك كتب مارس الحاجب الى عمرو بن عبيد الله بمسير الملك ميخائيل ويقول له اكتب الى خلفائك واجمع بنى عمك وقومك وابصر كيف نحمى الثغور (قال الراوى) ولما وصل الامير عمرو الكتاب جمع بنى سليم من حواليه وأرسل الى العرب من الحجاز فأتت اليه فرسان بنى سليم الكاشفين الضيم وما لحق ملك الروم أن يصل الى بلاد الاسلام حتى تكامل فى ملطيه مائة ألف عنان ففرح عمرو فرحاً شديدا وشاورهم فى مكاتبة الخليفة فقالوا مانحتاج الى ذلك ففينا الكفاية لملك الروم ولو أنى فى عساكر بعدد النجوم فشكرهم على ذلك وأنفذ الامير عمرو الى قلعة المنجنيق الى الدينارى أن ينزل اليه هو والسودان الذين عنده فأرسل الدينارى يقول أنا ما أقدر أنزل من القلعه الذى سلمها الىّ الامير عبدالوهاب بل أحميها جهدى وطاقتى ولا أسلمها حتى تدهمنى منيتى ولما وصل الجواب الى الامير عمرو قال أذل الله بنى كلاب وأبعد السودان ولا أبقى الله منهم على وجه الارض إنسان ولما كان من الغد ركب الامير عمرو الى الميدان وهم أن يعرض العساكر واذا بالسماء قد أظلمت جنباتها ونصب الغبار خيام العجاج على أبواب سماواتها وهربت الوحوش من وكراتها وأقبلت الجيوش كأنها الثلج المنحدر والجراد المنتشر وبانت الفرسان وظهرت الصلبان ووقعت أهل الكفر على أهل الإيمان كأنها البرد وبان الكتمان وظهر عسكر الروم فخيل للناس أنه قد نفخ فى الصور

وخرجت أهل القبور ووصلت الافرنج فى الكتائب والمواكب وطبقت الارض بالمضارب وذلك العسكر وبعدها بان الصليب الأكبر وهو من الذهب الأحمر وعلى رأسه رمانه من الجوهر وأشرف الملك ميخائيل وعلى رأسه التاج والاكليل وقدامه ألف غلام جرد وألف فرس أبلق عليها جلالات ابريسم والبترك الى جانبه وبين يديه القساقسه والمطران والجاثليق والرهبان وأبصرت بنى سليم الى شر ما كان لها فى حساب وتأسفوا على الأمير عبد الوهاب وأيضاً على السودان الانجاب وقالوا الصواب أننا ندخل الى ملطيه ونغلق الأبواب ونكاتب الخليفة بأن يلحق البلد من قبل أن يملك وأيضاً نحن نهلك فقال الأمير عمرو ما هذا صواب ندخل البلد من غير قتال ولا ضراب وكان عقبه الى جانبه يقرأ القرآن ويمجد الرحمن وكلما رأى الصلبان طار قلبه من الفرح والهيمان ويقول فى سره يا مسيح مد فى عمرى مدة من الزمان ولما رأى الى فزع بنى سليم قال يا قوم لا تفزعوا وتولوا الأدبار فتحرموا من دار القرار وتغضبوا محمد المختار فثبتهم الملعون للقاء وبغضهم فى البقاء وكان قصده بذلك أن لا يسلم منهم أحداً (قال الراوى) فبينما هم كذلك وملك الافرنج حمل عليهم فى أربعين ألف قنطاريه وتبعه ملك البرغل فى ثلاثين ألف وبعدهم حمل ملك الانجار فى خمسين ألف وانطبقوا على بنى سليم كأنهم البحر الزاخر ليس له أول ولا آخر وارتفع على الطائفتين القصطل ولاح لبنى سليم الأجل وبطل منهم الأعل والعمل وعملت السيوف فى أعلى القلل ووقع بالجبان الخبل وقد طارت من الخيالة جماجمها ووقعت من الخيل قوائمها وانحلت عزائمها وبطل من الرجال عزائمها ودار ملك الموت بالمنية يسقى كاسها لمن نفذت فيه رزاياتها ولبست الأرض حلة أرجوان وصارت مصبوغة من دماء الفرسان فيا له من يوم عبوس عثرت فيه الخيل بالرؤوس وقطعت ثمور النفوس وتفطرت فيه المراير وبلغت الأرواح الى الحناجر وخرست الألسن وشخصت الأعين وأسروا جماعة من المسلمين ولما صار وقت المسا زاد على المسلمين الأسى وكثر الوطيس وتزعزع جيش بنى سليم واستقبل الى الثغو رصدورهم وعملت السيوف فى ظهورهم حتى صاروا من تحت الأصوار وأحموهم النساء من البلد بالأحجار وعقبه ينادى يا معاشر المؤمنين لا تولوا الأدبار ولا تشمتوا بنا الأعداء الأشرار (قال الراوى) وعند المساء فى تلك الليلة كتب الأمير عمرو الى الخليفة يعلمه بالقصة ويقول له يا أمير المؤمنين الثغور أصبحت محصوره وما كتبت إليك إلا وجيوشنا مكسوره فبادر الينا بعسكر الآفاق وإلا ملكوا ماطية وساروا إلى العراق ومن الغد

أنفذ الكتاب على جناح الطائر وصف الكتائب قريب من الصور وقال يا بنى عمى ما بقى فى الأمر إلا أن نطاولهم بالبراز فان بارزونا بارزناهم وإن قاتلونا قاتلناهم وان رأينا الغلبة ندخل إلى البلد وثارت عساكر الروم وقدملأت الاقطار وأرادوا الروم أن تحمل فأرسل ملك التكفور يعلم ملك الافرنج وهو يقول له أيها الملك اترك هذا البلد على اسمى واقطعنى إياه حتى أفتحه اليوم أو غدا أنا ورجالى وأبطالى لان معى فارس لايطاق علقم مر المذاق يقال له سراوند لايرى مثله فى سائر الآفاق فقال الملك ميخائيل افعل ما بدالك ولكن ما أعطيك منها سوى الحجاره والاطلال وآخذ أنا السبي والاموال فقال رضيت ثم زحف فى فرسانه وتقدم فى أقرانه واصطفت القنطاريات واستتروا بالطوارق ورفعوا الاعلام والبيارق وانعزلوا عن عسكر الروم وعولوا على الحملة وأسنتهم تلمع مثل النجوم وتحاوطوا بملكهم الميشوم وقال لسراوند اخرج الآن واطلب القتال والبوار والنزال ومن خرج اليك جندله على الرمال تقتل أبطالهم وتلتقط فرسانهم (قال الراوى) فلما سمع سراوند ذلك الكلام خرج الى وسط الميدان وطلب البراز والنزال وهو بعدة كاملة وآلة شامله ولما صار فى وسط الطائفتين واشتهر بين الفريقين برز اليه فارس من ميمنة العسكر على جواد أشقر عالى مضمر جيد المخبر شريف الخطوه يسبق لمح البصر وفى يده رمح أسمر من عمل سمهر وهو متقلد بسيف أبتر كثير الجوهر فجال معه ساعة وطعنه سراوند فى أضلاعه وجال عليه بسنانه والجواد وأخرج من صدره صليب وقبله ونادى يامعاشر المسلمين ابرزوا حتى تشربوا من هذا الكأس أوفى نصيب فبرز اليه أخو المقتول لما رآه على أخاه يصول وصاح عليه من فؤاد مصدوع وعيناه تفيض بالدموع فأمهله الملعون حتى وصل اليه ورمى رمحه واخترط السيف وضرب المسلم على رأسه نزل الحسام إلى حد أضراسه وطلب البراز وقد وقع له هيبة فى قلوب الفرسان وصار كل من خرج اليه ألحقه بالآخر حتى قتل خمسة عشر فارس من الشجعان وهو قائم فى الميدان فضجت عساكر أهل الإيمان فقال الامير عمرو بن عبيد الله أنا أنزل اليه وأتوكل على الله ثم انه عول على الخروج اليه والناس يتباكون بين يديه وإذا بفارس قد خرج من عسكر العرب المنتصره عليه أطمار رثة وعمامة خلقه وفى يده رمح مشدود بالعصب مائل وفى عنقه سيف خلق الحمائل إلا أن تحته حصان من حصل فى ظهره كان فى أمان وان الفارس لما قفز إلى الميدان وساوى سراوند فى مقام الجولان وصاح ارجع يا كلب النصرانية والصلبان فقد أخذت وحدك طابق الجولان ولا تدع غيرك يباشر حرب

ولا ضراب (قال الراوى) فلما سمع سراوند من البدوى هذا الكلام زعق عليه وطار الشرر من عينيه ونقط الدم من منخريه ونادى بالبدوى دونك والطعان والضرب بالسيوف اليمان يا نذل العربان ثم انه انطبق عليه انطباق الغمام من غير جواب ولا كلام ولعب بالسيف حتى حير الفريقان وغابا الاثنين تحت الغبار والقتام وأخذوا المسلمين فى الدعاء للبدوى من غير معرفة وقالوا عسى أن يريحنا من ذلك الشيطان وكذلك قسوس الافرنج جعلوا يدعون لفارسهم هذا يجرى والفارسين لا يسمع منهم إلا الصياح والجؤار ولم يزالا على ذلك ساعة من النهار وإذا بزعقة عظيمة من تحت الغبار فرمقوا الفريقين لها بالأبصار وإذا بالبدوى قد صاح بالافرنجى وهاجمه مهاجمة الأسد الريبال للأبطال الصناديد ورأى ماعليه من كثرة اللباس والزرد النضيد فأخرج من تحت فخذه عامود حديد بعد مارد السيف إلى غلافه وعلم أنه ما يقطع ولازق خصمه وضربه قسم خرزة ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ولما وقع كبرت المؤمنين الأبرار ووقعت الخذله على القوم الكفار وحمل البدوى على طائفة الافرنج ودعس فيهم كأنه الأسد الأدرع وجعل ينثرهم من على ظهور الخيل نثر الورق وهجم على الكتائب فمزقها فتجافلوا منه وخبلها وصاروا يتجنبوه ولا يقربوه ونظر الامير عمرو الى ذلك فصاح وقال يابنى عمى انصروا من نصركم وأعينوه كما فرج عنكم هنالك حملت المسلمين وجردت سيوفها وشرعت رماحها وعمل السيف أوفى عمل ومن غيظ ملك الروم ماحمل ولا مكن أحد من الحملة لأنه لما رأى ذلك خرج من العرب المتنصرة وعمل ماعمل نخاف الملك أن يكون فى عسكره من يخامر عليه فوقف عن الحملة وقال لعن الله العرب ومن يبغى قربهم أويشتهى يبصرهم لأنهم مايميلون إلا لجنسهم لأن الواحد لوأقام عندنا ما كان قلبه يميل إلينا (قال الراوى) هذا والسيف يعمل إلى الظلام وأشرفت الافرنج على الانخذال وعادوا بنو سليم إلى حول ملطيه وعاشت أرواحهم بعد الممات بما فعل ذلك البدوى فى هواهم وبذل روحه فى رضاهم وقالوا نريد نغمره بالعطايا ونجعله من خلفانا فداروا يفتشوا عليه فما وجدوه ولانظروه فقلقوا على قلة معرفته واشتهوا أن يعرفوا قصته وأماعقبه انفطرت مرارته وزادت حسرته ووقع به الخذلان وزادت به الأحزان وقال وحق المسيح ماهذا البدوى إلا شيطان ولولاه مابقى من بنى سليم ديار (قال الراوى) وأما ملك الروم فانه لما نزل فى سرادقه قال ائتونى بأمير العرب المتنصره واسألوه عن هذا الرجل الذى فعل اليوم هذه الفعال وفتك فى طائفة الافرنج وأوقع بهم الخبال فأحضروا

أمراء العرب المتنصرة وسألوهم عنه فقالوا وحق المسيح مافينا من عرفه ولا رأينا هذه الصفة بيننا إلا ان كان هذا اليوم فضاقت أخلاق الملك وندم على من قتل من الافرنج وقال غدا أفتح باب الحرب بنفسى وباتوا الناس يتحارسان بعضهم من بعض حتى أصبح الصباح وتبادرت الرجال الى خيولها واعتقلت برماحها واشتهرت نصولها وضاقت الارض بما رحبت وأدوت الطبول لما ضربت وأيقنت النفوس أنها عطبت واصطفت صفوف المشركين وتزينت بالتوحيد كتائب المؤمنين ورفعت الروم الصليب الأحمر على العلم الأخضر والأصفر وله مائة حبل من الابريسم الأحمر والأصفر وكل حبل فى يد فارس غضنفر وهمت الفرسان أن تنطبق على بعضهم وإذا بالبدوى خرج من عساكر العرب المتنصرة وهو بتلك الزى والهيبة والصولة والركبه وصال وطال وجال وطلب النزال فقال الملك من أين أتانا هذا الشيطان وحق المسيح لاتحملوا عليهم حتى تأخذوه وإن كان من أصحابنا فاعرفوه لاتكون العرب المتنصرة خامروا علينا ويكون هلاكنا من أيدينا اخرجوا اليه فارس لفارس لعل أحداً يظفر به ونبصر هذه القصة كيف هى (قال الراوى) وكذلك عمرو بن عبد الله قال لأصحابه : أتبين من هذا الخبر حتى أدفع عليه عدة مانعة غير هذه العدة وأستميل قلبه لعله أن يكون معنا ويساعدنا على هذه الشدة فمضى فارس من عنده الى ذلك البدوى وقال يا أخا العرب احضر الى عند الامير عمرو حتى يخلع عليك فقال البدوى أنا ما أريد من أحد خلعة ولامال ولا أطيع إلا صاحبي الذى منّ علىّ بالافضال فماد الرسول الى عمرو وأخبره بذلك المقال فلم يجد له صبرعن معرفته فقفز اليه بنفسه وقال له يافتى من أنت من أبطال المسلمين ولم لا تميل الينا وتكون مع جملة الموحدين ونكون جميعا على الأعداء نستعين فقال البدوى بصوت ذعر خشن غليظ أيها الأمير أما قولك اختلط بنا فما لى قدرة على ذلك لأنى موصيا بوصية لا أقدر أخالف صاحبها ولا أنقض عهده وأما معاونتكم فسوف أبذل فيها المجهود وأعمل ما أقدر عليه طاعة للملك المعبود وان كان ولابدلك من معرفتى وحقيقة صفتى فأنا يقال لى الدينارى وأنت تعلم أن الأمير عبد الوهاب قد أوصانى بقلعة المنجنيق وقال لى احفظها ولاتنزل منها وأنا قد خالفته وطلبت وصرت أنزل كل يوم فى وقت السحر وأختلط بالعرب المتنصرة وأعينكم عليهم فى القتال فى النهار وأرجع الى القلعه عند اختلاط الظلام وان فارقتها أخاف أن يتم عليها أمر من الامور وأبقى فى عين النقص عند مولاى الامير عبد الوهاب (قال) فلما سمع الامير عمرو بن عبيد الله فرح وعاد عنه وهو فى مقام القتال وكان أول من التقى به عقبة

اللعين لما فى قلبه من النار على ذلك الفارس الذى أباد الكفار وقال له ياابن العم من يكون ذلك الفارس الصنديد الذى نصر الله به دينه فقال له هذا الديناري غلام الامير عبدالوهاب الذى سلم اليه قلعة المجنيق وأوصاه بحفظها فقال الحمدلله الذى خرج منه هذا المخرج والله انه كان سبب الفرج ثم قال ياربأه انصره ولاتخذله واكتب لمولاه السلامة والينا أوصله قال ثم بعد ذلك رجعوا الى الموكب ووقفوا ينتظرون الدينارى ويدعون له بالنصر من العزيز البارى وبعد ذلك تناخت بطارقة الروم وصارت تخرج اليه من فارس وفارسين ويدخلون معه تحت القتام ولايطول لأحد معه مقام بل يطرحهم الى الأرض بالسيف والهندام (قال الراوى) فقتل ثلاثين بطريق بضربات أشد من الحريق وكان عقبة كلما قتل واحد من الروم أحس أنه انقطع عرق من مفاصله ومن شدة غيظه دمعت عينه الصحيحة وكل من رآه يقول ياأخوانى العين تبكى من الفرح مثل ماتبكى من الترح (قال الراوى) وملك الروم كاد أن يغشى عليه وقال وحق المسيح أشتهى أن أعرف هذا الفارس من يكون من العرب المنتصرة حتى كنت أشاركه فى ملكى وأقاسمه فى نعمتى وإن خرج اليه أحدا وأراحنى منه زوّجته ابنتى وجعلته يتصرف فى ملكى (قال الراوى) فما تم الملك كلامه حتى تقدم اليه بطريق كأنه الفتيق يقال له عربون وكان فاجر ملعون له عيون صغار بخلاف عيون الروم وهى تلعب فى رأسه كأنها عيون مجنون والى جنب جواده أسد فى قدر الجاموس قصير الرقبة كبير القرطوس يطير الشرر من عينه وهو أذعر أغبر بذراع أبتر مدملج مدور كلما زمجر وهدر أرعب القلوب وطربت الخيل منه وبعدت عنه وهى متأخرة الى ورائها وأن ذلك الفارس الرومى لما تقدم الى الملك قال أنا أخرج اليه وآخذ منه المعاطس وإن أردت قدمته اليك بيدى وتعطينى توقيعا ببلدى فقال ومن أين أنت ومن تكون بلدك فقال جزيرة الدوارك والقلعة السوداء واسمى عربون ولقبى متغرب الرجال لأنى مذ ملكت عقلى أدور على السباع وأصطادها بيدى ولاأبيت إلاّ فى داخل الاجمات وانما هذا الاسد تربى معى أخذته من صدر أمه وأعجبنى خلقته فربيته مع مهرى هذا وماأخرج قط إلا وهو معى وهو أعز من أخى وقد تعود يشرب دم القتلى وأكل لحومهم وتعود النوم معى وتحت رجلى وهو الذى يحرسنى بالليل ومن هيبتى عليه مايثب على شىء إلا حتى أشير عليه أو أومى اليه وقد عولت اليوم أن أشبعه من لحم هذا الفارس وان أردت تركته يحمله إلى بين يديك بفمه فقال الملك وقد تعجب من كلام البطريق : لا يا أخى ائتينى به أسير وأنا أكتب لك منشور بما طلبت فعندها ساق البطريق وجاء الى الميدان والأسد يجرى فى عراض الحصان فى الجولان

وكان الدينارى قد غير جواده وعاد يطلب الجولان كما قد ذكرنا ولما نظر إلى الفارس والأسد فى جانبه تقهقر من تحته الجواد إلى ورائه فدق بكعبيه إلى جنبي الحصان فلم يتحرك وصاح فيه فلم ينقل قوائمه بل تأخر الى ورائه من شدة هيبة الأسد فعلم الدينارى حاله فنزل من على ظهره وتقرب من خصمه وهو أخف من الوحش فى الميدان وصاح فى وجه الأسد والفارس الاثنان فأخرج البطريق عامود وهو كأنه صارى مركب فأراد عربون أن يطعنه فضرب القنطاريه طيرها أربع قطع وبقى مقبضها فى يده لا يضر ولا ينفع فضرب الدينارى جواد البطريق بالعامود الحديد فى جنبه فوقع الجواد والبطريق من فوقه انصرع فداس الدينارى برجله على بطنه وإذا به قد انفقع ودار بعد ذلك إلى الأسد وهو قد زمجر وهمهم وضرب بذنبيه الى جنبيه وقد صارت كالجمر اما فى عينيه والدينارى طلبه وصاح عليه وهجم وقد أرمى العامود من يديه والناس قد ضجوا وجعلوا ينظرون اليه والمسلمون يدعون له ويصلون على محمد صلى الله عليه وسلم وعقبه قد انفتحت عينه الصحيحة وخرجت روحه من بين جنبيه ويقول يا مسيح فى سره مكن الأسد من هذا الشيطان ولا تستر عليه والدينارى وثب مثل الأسد إلى شدقيه بيديه وزعق فى وجهه وتمطى بقوته وحيله فشقها إلى أذنيه وأرماه فى الميدان وعاد الى ظهر الحصان وضجت من فعاله الطائفتان وهالهم أعماله الجيشان وقبلوا الروم الصلبان قال الملك واذل النصرانيه من هذا الشيطان الذى قد فتك فى عبدة الصلبان ثم صاح الملك ميخائيل فى البطارقه فصارت تخرج اليه وهو يقبض أرواحها ويرمى على التراب أشباحها إلى أن أقبل الظلام وعاد كل قوم الى مقامهم والخيام ورجع الدينارى مع عسكر الإسلام لأجل أن العساكر لما انفصلت فما قدر يمضى الى القلعه وماصدق عقبه أن نزل فى خيمته حتى كتب كتاب إلى ملك الروم يقول فيه اعلم أيها الملك ما علمت بذلك الفارس الا ان كان فى هذا اليوم لأنه فارس أسود يقال له الدينارى وهو أخو اللملمان وأنه وصل مع الأمير عبد الوهاب الى هذه الديار فى هذه الأيام وقد سلم اليه قلعة المنجنيق وأوصاه بها وهو فى كل ليلة ينزل منها فى الليل ويفعل هذه الفعال ويرجع اليها ويختلط بالعرب المتنصره ويعبر بينهم وهم لا يعلمون واليوم فما قدر يعود الى القلعه لأجل اختلاط العساكر ولا قدر يسير لأن العيون بترصده وها هو فى سرادق الأمير عمرو بن عبيد الله ينتظر الليل حتى يعتكر ويختلط بكم ويعبر فساعة وصول هذا الكتاب اليك ترتب له ألف فارس يكونوا مكمنين من وراء العرب المتنصرة فى طريق القلعه فاذا رأوه وقد انفرد وطلبها يخرجون عليه وهو غافل ويأخذوه فاذا وقع فى يدك اعرض عليه التنصر لأنه أسود على كل حال وأرغبه فى

الأموال لعله أن يميل إلى دين النصرانيه ويكون سيفا للأمة المسيحيه وان أبى اضرب عنقه وازحف بعد ذلك واملك البلد لئلا تطول الأيام ويأتى خليفه الاسلام لأنهم كتبوا اليه من يوم نزلت عليهم وكأنك به وقد أقبل عليكم (قال الراوى) وأعطى الكتاب لولده وأمره بالمسير وقال له يا بنى شاركنى فى الثواب وأوصل إلى الملك ذلك الكتاب فأخلاه حصيصه وسار والليل قد أقبل وأسبل أزيال الاعتكار وكان الملك من أول ما نزل فى سراقه لم يتجاسر أحد أن يدخل عليه من الملوك مما جرى عليه وعلى قلبه من الغيظ وهو قابض على حسامه وهو قلقان على معرفة الدينارى وحصيصه وصل اليه والحجاب والخدام بين يديه ولما وصل اليه سلم وناوله الكتاب ففتحه وقرأه وعرف حقيقة معناه فانفرج عن قلبه ما كان اعتراه وقال لا أعدمنا الشيخ النجيح ولا أخلانا من لقاه ثم أمر بألف بطريق وخمسمائة من متنصرة السودان وضم الكل الى غيلان بعد ما حدثه بما جرى وكان عقبه قد عين لهم المكان الذى يكمنوا فيه ففرح بذلك غيلان وسار ومعه عبدة الصلبان حتى صار تحت قلعه المنجنيق وأكمن بالفرسان فى جانب الطريق (قال الراوى) فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الدينارى فانه حضر العشاء عند الأمير عمرو بن عبد الله وأقام يتحدث عنده حتى غسق ظلام الليل وركب جواده بعدما غاص فى عدة جلاده وعول على المسير والأمير عمرو يقول بالله عليك بات عندنا حتى نبصر كيف ينفصل الحال فقال يا أمير ما أقدر أبات لأن القلعة لا نأمن عليها ولا فيها من يخلفنى ويقوم مقامى فقال الأمير عمرو فى دعة الله فسار الدينارى فى أطراف عساكر الاسلام وخرج من أزيال العرب المتنصرة وهو مستيقظ لنفسه حتى قرب من القلعه وقد أمن على روحه واذا بألف فارس قد انطبقت عليه من كل جانب وداروا به مثل السلاهب فاستلب العامود وجعل يدعس فيهم دعس الأسود وكبر باسم الواحد المعبود فزاد من حوله الصياح ومدوا اليه عوالى الرماح فما كانت غير ساعه حتى جاءت طعنة فى جواده فوقع من تحته فدارت به الرجال من كل جانب ومكان وناداهم غيلان يا ويلكم ارموا عليه الطوارق وإذا لم يسلم نفسه قطعوه بالصفاح ففعلوا ذلك وصدموه بالأتراس وهو يقاتل ويناضل حتى كلت منه السواعد ووقع من شدة الكل الزائد فأخذوه أسيرا وقادوه ذليل حقير ولما احتوى عليه غيلان أرسل قدامه بشير وكان الملك على مقالى النار من أجل الاستنظار حتى وصل الرسول اليه وقبل الأرض بين يديه وشال رأسه وبشره بأخذ الدينارى ففرح وخلع عليه وبعد ساعة دخل غيلان الشوك ووضع الدينارى بين يديه فلما نظره الملك صلب على وجهه

وهم أن يقتله فتذكر ما قال الشيخ النجيح فى الكتاب الموصى عليه بالتنصر فعاد عما كان عازم علية وقال له كم لك على الامير عبدالوهاب من الاقطاع فقال الدينارى وقد علم مافى مراده أيها الملك ماعين لى شيئا معين بل قال لى أوصيك على هذا المكان وأواسيك بنفسى إذا عدت من جزيرة السواحل وانه الى الآن ما رجع ولا أدرى ما كان منه فضحك الملك وقال أما عبدالوهاب فآيس منه فانه قد هلك هو وكل من دخل معه الى الجزيرة وقد أتانى الخبر قبل رحيلى من القسطنطونيه ولولا ذلك لما خرجت الى بلاد الاسلام وأنت تعلم أن ذلك العسكر التى بين أيدينا هولك ولو اشتغالنا بك كنا أنجزنا أمره وملنا على بلاد الاسلام لأن مافيها مانع ولا دافع وأنا وحق المسيح قد أعجبتنى شجاعتك وأحب أن أبقى عليك فادخل معنا فى ديننا وقاتل بين يدى حتى أقطعك ملوربه فى بلاد الروم والموصل فى بلاد الأسلام وتكون مقدما على كل أسود من أولاد حام وأنت ترى مانحن فيه من الانعام وانظر الى هؤلاء السودان أبناء جنسك ماهم فيه من السعادة والنعم ولو رأيتهم فى القسطنطينيه ما أفرقت بينهم وبين أولاد الملوك (قال لراوى) فلما سمع الدينارى هذا الكلام أيقن بالخلاص وقال أيها الملك وحق دينى مافعلت ذلك الفعال إلا حتى ترغب فى وتعرف قدرى وتعطينى اقطاعا ترضينى لأن الامير عبدالوهاب لا رفع لى رأس ولا غير لى لباس (قال الراوى) فلما أن سمع الملك كلامه ورأى قوته واهتمامه فرح به غاية الفرح وسر بكلامه وخلع عليه من ملابسه وقدم له تاج وعصابة من الجوهر وبدنة تسوى وزنها ذهبا أحمر وقدم له جواده الخاص بموكب وقال له وحق المسيح ان رأيت منك مايطيب قلبى قاسمتك فى نعمتى وزوجتك ابنتى (قال الراوى) هذا والدينارى قد أظهر الفرح وقال يامولاى وحق نعمتك لا تركنك تبيت ليلة غدا إلا فى ملطيه ولو رأيت أنك تثق بقولى سلمت اليك قلعة المنجنيق قبل أن يعلموا أصحابى ما أريد أفعله فقال الملك وكيف ذلك قال تنفذ معى ألف فارس حتى أمضى بهم الى قلعة المنجنيق وأقول لأصحابى هؤلاء أنفذهم الأمير عمرو يكونوا عندكم وأرجع أقاتل الروم إلى أن يفرج الله بوصول نجده ثم أنى لا أطلع ولا أدخل الباب حتى يصيروا أصحابك كلهم من داخل الباب ويعلموا أنى صادق غير كاذب وعند الصباح اطلع أنت اليها وانظر ما فى هذه القلعة من الخزائن والأموال والتحف لأن من خوف الأمير عبدالوهاب عليها وعلى مافيها أوصانى أن لا أنزل منها ومن عهد أن سلمنى هذه الجزائر ماتدعنى نفسى أن أفتح شىء لأن الاماره هى الصيانه ولم يزل الدينارى يرق له الكلام حتى لعب بعقل الملك وانتخب له من الروم ألف فارس من خواص البطارقة أكثرهم أصحاب قلوع وحصون وضياع وبلاد وقال لهم سيروا مع هذا الرجل وأطيعوه فى كل ما يأمركم به افعلوه فقد صح

لى أنه صادق وكلامه غير منافق وعند الصباح ينزله فى ماء المعموديه ويطهره من اعتقاد الملة الحنفية فقالوا الروم السمع والطاعه (قال الراوى) وقد قام الدينارى وقال ائتونى بالعدة التى كانت معى حتى ألبسها لئلا ينفرون أصحابى منى وأخاف من الانكار وهذه الأموال تكون وديعة عندكم حتى ترى صحة قولى أيها الملك لأنى بعد تسليم هذه القلعة مايبقى لى الى المسلمين رجعه فشكره الملك وأوعده بكل جميل وقال وحق المسيح لأتركنك تطأ رقاب الملوك وتحكم على كل غنى وصعلوك فخرج الدينارى وهو لا يصدق بالنجاه وسارت البطارقه من ورائه الى أن قاربوا إلى القلعه وأمرهم بالوقوف وتم سائر إلى بابها فرأى أصحابه فى انتظاره فأخبرهم بالحال وقال لهم ترتبوا بالسيوف الصقال وكل من دخل اليكم من هؤلاء اقبضوا عليه والى أعلى القلعة ارفعوه ومن صاح منهم اقتلوه واضربوا رأسه طيروه ثم رجع إلى الروم وقال لهم إذا صدق الانسان فى قول أتاه الأمر على مايريد فقالوا له كيف ذلك قال كان فى القلعة ثلاثمائة أسود ومائتين من العرب وكنت أنزل من عندهم كل يوم عند السحر وأعود اليهم أول قدوم الليل فبطئت الليلة عنهم فهرب أكثرهم الى قلعة المتشار من فزعهم على نفوسهم والساعة وصلت وجدت الباقى معولين على الهرب لولا قدومى وإنى قلت لهم قد أتى معى ألف فارس من بنى سليم يحفظون هذا المكان وقد فرحوا فرحاً عظيما اطلعوا الساعه بأمان واملكوا هذا المكان (قال الراوى) فلما سمعوا الروم ذلك هموا الى القلعة طلعوا وصاروا يدخلون جماعه بعد جماعة والدينارى والدينارى يقول أنا ما أدخل إلا فى الآخر كما جرى الشرط قدام الملك حتى تشهدوا لى بصدق كلامى (قال الراوى) وصارت الرجال تدخل والسودان قيام وكلما صار عشره أو عشرين يسيروا قدامهم الى داخل الحصن فاذا أبعدوا عن الباب قبضوا عليهم إلى أن دخلت الآلاف فارس من البطارقه وبعد ذلك دخل الدينارى فرأى الكل شدوهم كتاف ففرح بذلك وقال هؤلاء عند الصباح نهدى الى ملك الروم رؤوسهم ثم جعل يقدم عشرة ويضرب رقابهم ويصف رؤوسهم على أعلى الابراج حتى زين القلعة بألف رأس وقال ياقوم ان الملك خلع على خلعة وأريد أن أزين له هذه القلعة ثم صبر إلى وقت السحر ونزل راجلا فى صفة الروم حتى عبر إلى الخيام الذى للعرب المتنصره وحاذاهم وقصد عسكر المسلمين (قال الراوى) هذا ماجرى من أمره (وأما ما كان) من ملك الروم فانه بقى منتظر الصباح يصبح حتى يأتيه خبر الدينارى وما يفعل ولما أن أشرقت الشمس ولا أتى قال ياقوم ما أخوفنى أن يكون ذلك الأسود مكر بنا

وأهلك أصحابنا فركب بنفسه وركبت العساكر وأشرف على القلعة فرأى أبراجها مزينة بالرءوس وهى تلوح مثل العروس وتشرق بالزرد واللبوس فقال الملك هلكوا وحق المسيح البطارقه من ذلك الشيطان وهذه القلعة مالنا فيها مطمع وإلا كنت اليوم أهلكت كل من فيها من هؤلاء الأندال ولكن ارجعوا بنا الى ملطيه ودعوا هذا المطال ثم عادوا الروم والملك مهموم مغموم وأداروا وجوه الخيل إلى ملطيه وصفوا صفوفهم ورتبوا ألوفهم وكذلك عساكر الإسلام قد ترتبت وللقاء تأهبت وخرج منهم فارس أسود على جواد أجرد وهو غائص فى الزرد وهو يهمهم همهمة الأسد وهو ينادى يا آل محمد معاشر النصرانيه أنا الدينارى الذى أردتم البارحه أن تنصرونى وأوعدتمونى أن تنزلونى فى جرن ماء المعمودية فابشروا بخراب بيوتكم بالكليه وابرزوا إلىّ حتى أريكم ضرب الرقاب بهذا العامود الذى يقربكم إلى مقابر اليهود (قال الراوى) وكان الدينارى وصل الى عساكر الإسلام عند انشقاق الفجر وطلب سرادق الامير عمرو ابن عبيدالله ولما دخل اليه أعلمه بالقصه وما عمل وكيف أسر وكيف احتال على البطارقة حتى أوقعهم فى القفص وجرعهم الغصص وطلب جواد ولامة حرب وجلاد فأعطاه الأمير عمرو وقد فرح بسلامته وعجب من كلامه وحيلته وسمع عقبه بهذا الكلام الذى نزل على قلبه مثل حريق النار فانشقت مرارته وانقطع كبده بحسرته إلا أنه أظهر الجلد وأخفى الكمد وقال لعمرو يا ابن العم من صدق الله فى معاملته حفظه (قال الراوى) وكان هذا نفاقا من الملعون من غيظه وحنقه ولما خرج الدينارى إلى الميدان وجال وصال وقال ماقال صلب الملك على وجهه وقال وحق المسيح ماهذا الأسود إلا شيطان فى صورة إنسان نحن قلنا أن عبدالوهاب غائب ومن بعده نترك بلاد الاسلام خراب رجع المسيح رزقنا بهذا النحس الكذاب وصب علنا صوت العذاب اخرجوا اليه لعل المسيح يوقعه فى أيدينا ويرجع عنا شره فجعلت البطارقه تخرج اليه وهى لا ترجع وتهجم عليه وهى لاترجع وتهجم عليه وهولرءوسها يقطع والأرض من دمائهم تكرع حتى صار وقت العصر ودام على ذلك إلى المساء ورجع المسلمين والأرض ملآنه من القتلى وثياب الدينارى مخضبة بالدماء ولما رجع تلقاه الأمير عمرو ورجعوا بنى سليم والقاضى عقبه إلى جانبه وهو يتلو القرآن ويقول سبحان من شد بك أركان الاسلام وجعلك نقمة على القوم اللئام وهذه عوائد الحق سبحانه وتعالى لأنه ما يخلى ملة نبيه من أنصار ثم تقدم اليه وقبل ما بين عينيه وقال يا ولدى اجعل مبيتك ههنا حتى لا يرجع يتم عليك سبب من الأسباب من هؤلاء القوم الكلاب لأنهم ما يخلو أن

يكون لهم ههنا جاسوس أو يكون عندنا من يعامل على المؤمنين ويستحق لعنة رب العالمين فأقم أنت ههنا حتى نأمن من كيد الحاسدين وتكون خلفا وعوضا عن مولاك المهاب والسيف القرضاب الأمير عبد الوهاب وأرجو من الله أن يفرج بقدومه عن هؤلاء القوم المساكين (قال) فلما سمع الديناري كلام عقبه ورقته وبكاه وخشيته فزادت فيه رغبته وقال لا شك أن هذا من عباد الله الصالحين (قال الراوى) وقد ذكرنا أن الديناري غريب من هذه الأرض وكان ما اطلع على أحوال عقبه إلا من حين تركه الأمير فى قلعة المنجنيق ما نزل منها إلا أن كان فى هذه الأيام طلب للجهاد وأنه لما أشار عليه عقبه بالمقام عند الاسلام ظن أن كلامه شفقة عليه فقال السمع والطاعه مابقيت أبرح من ههنا حتى تنظر بأى شيء ينفصل الحال ببركة دعاك المبارك يا شيخ (قال الراوى) هذا وعقبه قد زادت حسرته وعظمت مصيبته بالديناري وقد أضمر له أن يوقعه فى شباك حيلته وصار يتفكر فى خبثه ولعنته مايفعل معه حتى انفتح له باب من أبواب مكيدته وصبر عقبه إلى أن أظلم الظلام بعد ما دبر أمره فى خيمته وجلس عند الأمير عمرو فى سرادقه وهو يذكر فضل الجهاد فى عبدة الصلبان حتى بكى الديناري من وعظه وهو لا يعلم بخبثه ولما هم أن يقوم الديناري قام عقبه معه وقال يا ولدى اجعل مبيتك عندى حتى أسمعك شيئا من القرآن العظيم لتعود بركاته عليك وعلى جميع أعضاك ويجدد الله فى حياتك وقواك فقال الديناري جزاك الله خيرا يا قاضى ثم انه سار معه إلى خيمته ثم جلس فيها واستقر به الجلوس حتى صاح عقبه على غلامه وقال ويلك الأمير تعبان قدم له شيء من الحلوى حتى يتولع بها قبل أن ينام لأجل ما أقرأ له شيئا من القرآن فأتاه الغلام بصحنين من الحلوى المعقودة بدهن اللوز والسكر فقال عقبه لعنه الله كل ياأمير فمد الديناري يده وما أكل منها غير القليل حتى حط رأسه على المخده ونام فماهو إلا نام حتى هجم عليه خمس رجال وفى أيديهم السيوف الصقال وقالوا إيش عملت يا قاضى قال تم لى ماأريد فانى قد بنجت هذا الشيطان المريد خذوه وسيروا به إلى الملك مادام مستيقظ وقولوا له وصيتك لا تقتله حتى آتى اليه وأشتفى منه بالعذاب وقولوا للملك إلى متى هذا التوانى ازحف إلى البلد ودع عنك البراز فانى ماأعرف فيك هذه الفتره ولاأعرفك إلاأشد الملوك قوة وبطشا (قال الراوى) فدنوا النوم من الديناري وشدوه كتاف وجعلوا فى فمه أكره وحملوه على بغل وغطوه بكساء وساروا فى زى مكاربة الاسلام وكان كله من تدبير الملعون عقبه (قال الراوى) وبعد مضيهم من عنده قال لغلامه يا ويلك قم شد يدى إلى

رجلى واعمل فى فمى أكره واخرج من عندى ولا تعود إلىّ حتى أطلبك لأنى أخشى من الانكار علىّ وأن يقول الأمير عمرو ايش أوصل الدينارى إلى عند الروم فاذاهم رأونى مشدود على تلك الحالة أنا أعرف كيف أجاوب على روحى ففعل غلامه ما أمره به وخرج وتركه فى جانب الخيمه وقد أطفى من عنده الضوء ولما كان عند الصباح تبادرت الخيل واعتدت الابطال ورأى عمر ومقدمين العساكر الذين للروم يصفقون ويرقصون وقد دقوا النواقيس ولعلع كل راهب وقسيس وركبوا الجنائب وتقدمت المواكب ورفعوا الأعلام وكثر منهم الفرح والكلام فقال عمرو ياقوم تأهبوا ولابد للروم أن يحملوا ويعيدوا بياض النهار الى سواد فدونكم ياأحباب الله والجهاد لأنى أراهم قد أصبحوا فراحا وما أدرى ماسبب أفراحهم ثم قال لهم توجهوا الى القاضى وائتونى بالدينارى فساروا الى خيمة عقبه فرأوه على تلك الحالة التى وصفناها وهو يئن من شدة الكتاف ورأوه وهو مشرف على التلاف فصاحوا وقالوا لولا نلحق القاضى وإلا كان فارق الدنيا ثم حلوه من الكتاف وشالوه على الأكتاف وهو يتغاشى ويتماوت من شدة نفاقه وهو يقول ما أنفذكم إلى إلا الله وهم يقولون يا قاضى نحن أنفذنا الأمير عمرو ونأخذ الدينارى من عندك فوجدناك على هذه الحالة فقل لنا يافقيه من فعل بك هذه الفعال فقال ما أدرى ولكن المؤمن ملقى والكافر موقى اعلموا يا أولادى لما أتيت أنا وإياه فجلس على السرير وأنا أقرأ عند رأسه القرآن الى أن نام ونمت أنا الآخر فما أفقت من النوم إلا وعلى رأسى خمس رجال من متنصرة العربان وهم يقولون ياشيخ وحق المسيح إن تكلمت قطعناك قطع فقلت لهم سألتكم بربكم من تكونوا فقالوا نحن رسلنا الملك ميخائيل الى ذلك الرجل لما فى قلبه منه ونحن هنا من أول الليل ونحن فى خيام الاسلام حتى ظفرنا به ثم شدونى كتاف وأخذوا الرجل وأنا نالنى عليه أعظم منال أكثر مانالنى على روحى (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين به الى عند الأمير عمرو وعقبه يقول طول الطريق أنا علمت أنه ينهدم ركن الايمان ولما أن أحضروه قدام عمرو كاد أن يغشى عليه مما ناله وقال لأجل هذا أصبحوا فرحانين . وكان الدينارى لما أوصلوه الى الملك ميخائيل لأن القوم الذين أخذوه من مضارب ملطية كان قد رتبهم عقبة ولما حضر واقدام الملك قال اضربوا عنقه حتى نشتفى منه فقال القوم الذين أوصلوه أيها الملك لا تقتله لأن الشيخ أصبح يقول احتفظ به حتى يحضر ويشتفى منه بالعذاب لأن فى قلبه منه البلاء فقال الملك ارفعوه من بين يدى وأوثقوه بالكتاف حتى يأتى عقبه يفعل به ما يريد فرفعوه وهو كأنه قتيل وتركوه فى بعض الخيام وعليه التوكيل وأصبح الصباح كما

ذكرنا ونادت العساكر كاقدمنا وادعى الملك ميخائيل بالملوك وقال وحق المسيح من لم ينصح اليوم فى القتال أنتقمت منه فقاتلوا بنصيحة حتى تشفى قلوبنا القريحة فقالوا أيها الملك لا تلومنا فما لنا ذنب لأنك أنت اشتهيت البراز وإلا لو تركتنا نحمل عليهم بأجمعنا من الاول كنا أخذنا البلد فقال أنا ما كان غرضى إلا أخذ هذا الاسود والساعه فقد وقع فدونكم والقتال فعادوا الملوك الى سائر الطوائف وصاحوا صيحة واحدة والتقت سائر الأمم فتلقوهم بنى سليم ودفعوا فى وجوه الروم وكان يومهم يوم مذموم وتصادمت الخيل والجنائب وطلع الغبار حتى حجب الراكب والراجل وبلغ العرق الى الأذقان والشوارب وكان العدد على بنى سليم كثير فتعثروا فى أذيال المقادير وتقنطر الجواد بالأمير عمرو فأخذوه أسير وقادوه فى الذل والتعتير وعلموا الناس بأسره فقل منهم الصبر ولم يجدوا لهم من سيوف البطارقة نصير وعمل السيف فى الكبير والصغير ونجع الدماء من الأوداج خرير وعادوا يطلبون الأبواب وقد تقطعت بهم الأسباب وتمنوا نظر وجه الأمير عبد الوهاب وقتل فى زحمة الأبواب أكثر من عشرة آلاف ولم يدخل الباب إلا القايل وطلعوا فوق الأسوار وقد مانعوا عن الحريم والأطفال وبكت النسوان لما رأوا ضيق الحصار ونظر ملك الروم الى ذلك فتقدم وخرج من تحت الأعلام وأمر البطارقة فنصبوا الفرادات وصاحوا صيحة واحدة وتلوا الانجيل فخيل للمسلمين أن الأبراج تموج ووقع فيها البكاء والعويل وزادت الأهوال واشتد القتال وتقدمت الكباس الى الأصوار الى أن تضاحى النهار وقد ضربوها فى الاصوار فوقعت منها الأربعة أبراج والأربع بدنات والتجأت الرجال الى النسوان وهاجمهم فى البلد عباد الاصنام فتكاثروا عليهم حتى فتحوا الباب ودخلت البطارقه مثل البحر الزخار وفتحت ملطيه بالسيف قهرا وقتلوا الكفار الأمم وفلقوا القمم وصبروا المسلمين لما قضى الله به وحكم وبقى عقبة ينادى والمصحف فى يده مفتوح وهو يبكى وينوح واذل المسلمين بعد عبد الوهاب ابن عينه الساعه ينظر هذه المصائب بالله عليكم يامعاشر المسلمين من سلم منكم ووقع قدام الخليفة أمير المؤمنين يبلغه سلامى لأننى أدرى اننى فى هذه النوبة مقتول وما أسلم هذا المصحف من يدى الى الكفار حتى تعمل سيوفهم فى جسدى وكان كل من سمعه يقول هذا الكلام وثيابه مخضبة بالدماء يعض الأنامل ندماً ويقول مسكين القاضى عقبة الساعه يقتلوه الكفار ويخلوا الأرض من الصالحين الأبرار (قال الراوى) ولم يأتى آخر النهار إلا والمسلمين والبلد فى أيدى الكفار وقد سبيت البنات وضرب بوق الشتات وتمنوا أن يشربوا كاس الممات ولا كانت قد جرت هذه النائبات . وفى ثانى يوم أمر الملكان

يخرجوا سبي ملطيه خارج الأصوار وقد انقلبت الدنيا من بكاء الأطفال الصغار وكان أكثر من سبي بنى كلاب وحريم السودان الأنجاب هذا وعقبه مشدود فى جملة الأسارى وكان هذا من تدبير عقبه لعنه الله لأنه قال لميخائيل اخرج السبي وأنا معهم وارسلهم الى القسطنطونيه واتركنى أنا عندك وأوهم أنك تريد تعذيبي حتى اذا رأيت الدنيا خالية من الذى يعرفنى دبرت لك على أخذ البلاد وملكتك بغداد ففعل الملك ذلك وأخرج السبي وكل من فى ملطيه وسلمهم الى الملك الدوقس وضم اليه خمسة آلاف بطريق وقال له سر بهؤلاء الى القسطنطونيه وأرسل باقى العساكر وأعلمهم انى فى انتظارهم حتى أدخل بهم الى بلاد المسلمين فقال السمع والطاعه وها أنا سائر من هذه الساعه ثم انه ركب وركبت البطارقه وقدموا السبي بين أيديهم فلما هموا بالمسير أرسل الملك خمسة من الروم فأتوا بعقبه من عند المسلمين وزعقوا عليه وساقوه سوقا عنيفاً والملعون يبكى ويقول الحمدلله مرحباً بقضاء الله بالله عليكم يامعاشر المسلمين ادعوا لى بالخلاص واذا سمعتم بهلاكى فقولوا ان القاضى عقبه كان ناصح فى الدين لأن هذه الملاعين قد أخذونى من بينكم وما يريدون إلا اعذابى ويقولون هذا عالم المسلمين وعذابه نتقرب به للمسيح (قال الراوى) فلما وصل الى الملك ميخائيل فقام له قائما على قدميه وقال له مرحباً بالشيخ النجيح وحجة السيد المسيح ياشيخ لاتؤاخذنا بما فعلنا معك اليوم من القبيح فقال عقبه لا ياملك هذا كله فى طاعة المسيح ولولا هذه الأسباب ماتم لى أن أترك بلاد الاسلام خراب ونسوانهم تساق الى بلاد الروم سوق الدواب فدعا له الملك بطول العمر وخلع عليه وأمر الغلمان يقدموا له الطعام وزوقوا المدام وأكل عقبه من لحم الخنزير وجعل يشرب الخمر مع الملك ويقول له وحق المسيح لقد أخطأنا اليوم الذى تركنا الدينارى يسير مع الأسارى وما اشتفيت منه ولكن هذا مايفوتنا إذا فتحنا البلاد جمعناهم كلهم وضربنا رقابهم فى يوم واحد وأيضا نهدم الجوامع والمشاهد ويصدق منامى فيك بأنك لاتبقى على وجه الأرض مسلم (قال الراوى) وأقام الملك عشرة أيام يشرب على أنهار ملطيه وينتظر عساكر النصرانيه وقد عدم صوت الأذان وعلت على المنابر الصلبان وبكت الأوطان على القطان والمنازل على المفارق والأطلال على الرجال والأبطال ولما كان الحادى عشر أشرف من نحو آمد غبار حتى سد الأقطار وغشى الأبصار وأظلمت الدنيا والديار وركب ميخائيل فى عساكر الروم لمعرفة الأخبار ووقعت الضجة فى عساكر الكفار ورأى عقبه ذلك فقال : أيها الملك بعد أن ملكت هذا الاقليم لاتفزع من هذه العسكر القادمة فانه خليفة المسلمين وقد أتى فى جمع العراق والآفاق لأنى كنت فى ملطيه وقد كتبوا له أن يلحقهم بمن

يكشف الشدة عنهم فأراد المسيح أن يملك الارض قبل ذلك ويعكس عليهم أمورهم والساعة يشرفوا على البلد فيروه وقد أخذ فتنقطع ظهورهم (قال الراوى) وكان الغبار غبار الخليفة كما قد حسب الملعون عقبه لأننا قد ذكرنا أن عمرو بن عبيد الله كان قد كتب الى الخليفه يعلمه أن الثغر محصور وأخبروه بهذه الأمور فجمع الخليفه كل من كان فى العراق وسارت العساكر تتلاحق به من سائر الآفاق وهو يجد فى السير وهو يقول والله لاقعدت عن حريم الأمير عبدالوهاب ولانسيت مافعل معى من الجميل هو وبنى كلاب ولم يزل كذلك الى أن وصل الى آمد ومنها قد سمع ماقد جرى على ملطيه وكيف قد أخذها ملك الروم وما جرى على المسلمين من الأمر المذموم فقال والله لقد جرى على المسلمين أمر عظيم وما كان إلا ماأراده الملك القديم لكن وحق البشير النذير لابد لى ماأصطلى نار الحرب بنفسى فى سبيل الله وأبذل المجهود لعلى أخلص نفوس المسلمين وسباياهم من أيدى الكفار المنافقين ثم رحل من آمد وسار وكانت العساكر قد تلاحقت به من سائر الأقطار ولم يقر له قرار حتى أشرفَ على ملطيه وبانت راياته العباسيه وابتهجت تلك الأرض لما سمعت تكبير رب البريه وركبت العساكر الروميه لما سمعت تكبير الأمة المحمديه ولمعت الطوارق الشعشانيه فقال عقبه لملك الروم قل للعساكر أن تحمل على عساكر الخليفه حتى يقع لك فى قلوبهم الهيبة وتهلكهم على آثار التعب ولا تتركهم يستريحوا من التعب واجتهد اليوم فى القتال لأن مالهم جهة يلتجون اليها ولامع الخليفة من يعول عليه (قال الراوى) فلماسمع الملك كلامه رآه صواب وأمر النقباء فصاحوا على العساكر وأمروهم بالحملة والطعن والضراب فحملوا مثل البحر العجاج وانحدروا على عساكر المسلمين مثل انحدار السحاب ورأى المعتصم حملتهم فصاح فى العساكر والاجناد ونادى يامعاشر المسلمين لاتطلبوا الراحة إلا فى الآخرة واطلبوا الجنة وابذلوا المجهود وبيضوا اليوم الصحايف السود وبلغوا الأنفس بجنات الخلود فكل قطرة تقطر الساعة من النحور تتلقاها ملائكة الحور وكل ضربة لأهل الصلبان فى أجساد أهل الايمان هى لحور الجنان مهور فمن بذل هذه النفس الخبيثة نال بها أعلى القصور وسكن مع قوم أخلصوا النيات فى طاعة رب العباد (قال الراوى) ياساده فضجت المسلمون من كلام المعتصم وهانت عليهم الدنيا دار الغرور والتقوا جملة الكفار بقلوب مثل الصخور ونار فوق الجميع العجاج وخيل للناس أنه ينفخ فى الصور واختلفوا المواكب حتى لم يعلم المسلم من الكافر . وما تنصف النهار حتى صارت الأرض غدران من أدمية الفرسان وهى تفور وتكردست التلى وحامت

من فوقهم النسور وزاد تعب المسلمين ووقع بهم الملل وتزايد عليهم العدد وقاتل الخليفة حتى ضعف من الخليفة الجلد وقد أتت باقى عساكر العراق وسارت تقاتل وتتأخر والأتراك ترمى بالسهام ومن عظم ما جرى عليهم تقهقروا وكلما رأوا الخليفة تحت الغبار صبروا على ضرب البتار (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك حتى أشرفوا على البوار وعولوا على الهرب والفرار وإذا بغبار تارعن نحو الدروب وتحته صياح وزعقات تزعزع القلوب وهو سائر على عجل والبر له قد تزلزل والوحوش قد جفلت فقال ملك الروم ياويلكم ابصروا ما الخبر لا يكون هذا العسكر الذى كنا لها فى الانتظار وقد لحقوا بنا فى هذه الديار ثم انهم بطلوا الحرب والقتال وانتظروا الى الصباح وكذلك المسلمين وبهتوا بالأبصار وكان عقبه مع الروم فوق صور ملطيه وإذاهم بتكبير الرجال الكرام وضجيج عساكر الاسلام وصراخ السودان من تحت القتام مثل الرعود والدينارى فى أوائلهم يزعق ويهز العامود والململان وأخوه حضور وكل واحد كبر وصاح بذلك الصوت الجوهرى والاميره ذات الهمه والأمير عبدالوهاب فى أوائل العسكر وأبو محمد وأولاده وغلمانه لؤلؤ وجوهر وهم يصيحون يا ربنا أوقع فى أيدينا ذلك الشيخ الأعور فلما نظر عقبه الى ذلك الأمر المنكر وصح عنده الخبر خرا على نفسه وتلوث فى أوساخه وقال جاء والله الموت الأحمر وفى هذا المكان أموت وأقبر ولما أن تحققوا الروم ذلك فقالوا هذا يوم أغبر وحق المسيح مايسلم منا من يخبر بخبر ولا يرجع منا الى القسطنطونيه بشر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك حديث عجيب وأمر مطرب غريب رذلك أنه لما سار ملك الدوقس من ملطيه ومعه السبي والرجال من بنى سليم وعمرو بن عبيدالله والدينارى ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على أعمال بلاد الروم وهم يطلبوا القسطنطونيه وهم آمنين على أنفسهم وصار ملك الدوقس يقطع المراحل وينزل على المناهل والعيون حتى أشرف على أرض البهار فوجد فيها عساكر المسلمين الأبرار وكان قد نزل فيها الأمير عبد الوهاب للراحة فى ذلك المكان وقد ذكرنا أن الأمـــير خلص أمه من جزيرة السواحل وعاد طالب الأطلال والمنازل وكان بالاتفاق والعجب لأجـــل أمر يريده الله من نصر الاسلام كان يوم نزولهم فى هذا المكان فى يوم أشرف السبي فى ذلك المكان والامير نازل وقد أحدقت به السودان والعرب ومقيم بهم فى ذلك المكان لأجل أخذ الراحة من التعب واذا أشرف عليهم ملك الدوقس فى خمسة آلاف بطريق وقد خرج عليهم من فم المضيق والسبي بين يديه ولهم صياح وزعاق فلما رأى الامير ذلك وثب راكبا وركبت لركوبه العربان من بنى كلاب والسودان وقد وقع بهم الانبهار والدنيا قد انزعجت من عويل

النسوان والأميره أم الأمير عمر وفى أوائلهم وهى تقول واذل بنى سليم بين العرب أين من يرعى الحسب فما استتمت كلامها حتى كان الأمير عبد الوهاب قدامها وهو يصيح ويقول مهلا ياسيدة العرب يزول الكرب عنك ها أنا الأمير عبد الوهاب وأسود بنى كلاب (قال الراوى) وأقبل الدينارى وهو يساق سوق العبيد فأبصره اللمان وجعبر فهزوا فى أيديهم الدبابيس وتصايحت بنى كلاب وتقدمت السودان الانجاب وخيل للروم أن الدنيا قد انقلبت وما كان فيهم من يمد يده إلى حسام ولا إلى قنطاريه بل إنهم استسلموا للقضيه ووقع فيهم الذل والرزيه من رب البريه لأنهم خمسة آلاف والتقى بهم جيش الاسلام وجماعة من المسلمين فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا منهم ثلاثة آلاف وأشرفوا الباقين على التلاف فعند ذلك نادوا الأمان الأمان وساقوهم العرب والسودان فى حبال الذل والهوان وخلصوا رجال بنى سليم والفرسان والأولاد والنسوان وخلصوا الدينارى من العذاب وأحضروه بين يدى الأمير عبد الوهاب فسأله الأمير عبد الوهاب كيف كانت عليه هذه الأسباب فأعلمه بما جرى وأنه قد بات فى خيمة القاضى عقبه فدبروا عليه هذا التدبير وأخذونى أسير فضاق صدر الأمير لأجل ملطيه وقال والله لقد حسبت هذا الحساب وعملت أن عقبه ينال هذه الأسباب ثم أنه أمر الامير عمرو بن عبد الله وبنى سليم أن يركبوا من خيول البطارقه وساروا حتى أشرفوا على ملطيه كما ذكرنا وكان اشرافهم سبباً لكشف الكربة عن عسكر الخليفه فلما صح الخبر وعلموا أن الذى أقبل الامير عبد الوهاب وقد سمعوا صياح السودان وتكبير بنى كلاب فعادوا عن عسكر الخليفه الى البلد يطلبون الابواب فوجدوا الاميرقد سبقهم اليه ووكل بنى سليم والتقاهم بأبطال المجاهدين وفرسان الموحدين وارتفعت الاصوات بذكر رب العالمين وكان أول من حمل الاميره ذات الهمه وتبعها ولدها عبد الوهاب وحمل الدينارى وإخوته وتبعتهم الكتائب والمواكب وأنزلوا فى الروم المصائب وعادت عساكر الخليفة وقد قويت منهم الهمم الضعيفه وقد وقعت الروم بين العسكرين وعملت فيهم سيوف الطائفتين وأقبل الليل وهم على ذلك الحال والمسلمون فرحون بالنصر وبالظفر ولم يزل السيف يعملى والدم ينزل إلى وقت السحر وقد نزل البلا على من كفر وطارت الرؤوس مثل الاكر ونزل عليهم القضاء والقدر وكان الملك ميخائيل أول الليل قد التجأ إلى غيلان الشوك وقال له انج بنا فى طائفة من السودان تحت الظلام فأنا أعلم أن عسكرنا ما يقبل عليها النهار وقد بقى منا ديار ولا نافخ نار لان مجيء عبدالوهاب ما كان لى فى حساب ولا قلنا أنه يأتى من ورائنا فى هذا البر العباب

فقال غيلان هذا هو الصواب ثم خرج بسودانه حول الملك وخواصه وأخذ فى الهرب، فدار عسكر المسلمين وصار من ورائه وأطلقوا أعنة الخيل وطلبوا بلاد الروم (قال الروى) ودار القتال حتى أصبح الله بالصباح وقد بقى من عساكر الكفار القليل والباقى بين أسير وقتيل وأنهم نظروا إلى ملكهم فما أبصروه فظنوا أن المسلمين أسروه ومدوا أعينهم إلى ملطيه فرأوا على أصوارها طائفة الابرار وهم يكبرون الملك الجبار (قال الراوى) وكان للسبب فى ذلك عقبه الملعون لانه لما رأى عساكر الروم قد أشرفت على وأبصر الامير عبدالوهاب قد أتى من ورائهم وبين أيديهم عساكر الخليفه والاتراك خاف الملعون أن ستره ينتهك وأبصر أيضا بنى سليم موكلين بأبواب ملطيه ومعهم خلق كثير من العرب فقال مالى فى هذه النوبه سبيل إلى الهرب وما فى الامر إلا أننى أعمل على تسليم البلد للأمير عمرو وأنال بذلك الشكر ويذهب عنى اسم النفاق والربا وإلا فأنا أعلم أن عسكر الروم يهلك وأن البلد يؤخذ وما أدرى العاقبة كيف تكون ثم انه أقبل على من بقى عنده من البطارقه وكان الليل انسدل فقال لهم اعلموا أن هذه النوبه ما تم على النصرانيه مثلها ولا ايشم منها وحق المسيح ما يصبح الصباح إلا هوت من عساكركم المضاجع والارواح فاقبلوا منى حتى أخرج إلى هؤلاء الذين مسكوا عليكم الابواب واطلب منهم الامان وتنجوا أنتم بأنفسكم دون أحد وتسلموا هذه البلد قبل أن يزحفوا عليكم السودان عند الصباح وينهبوكم على رؤوس الرماح (قال الراوى) فلما أن سمعت البطارقه هذا الخطاب علموا أنه صواب وقالوا افعل يا شيخ ما بدا لك وابصر كيف تخلصنا من هؤلاء فعندها نزل عقبه إلى باب ملطيه وفتحه وخرج إلى الامير عمرو بن عبيدالله فلما رآه فقال له وعرفوه بنى سليم فقال يا قاضى وأنت سالم وان قلوبنا عندك من وقت أخذتك الروم وعادوا بك إلى الملك ميخائيل فقال عقبه والله ما أخذونى إلا على أنهم يعذبونى ولكن عرف الله نياتهم وقابلهم الله على أفعالهم وأتى خليفة المسلمين فى عسكر المجاهدين وبذل نفسه فى طاعة رب العالمين وخرجوا الى قتال الروم الملاعين وتركنى الملك ميخائيل مع هؤلاء المتخلفين وأتيتم أنتم من ورائهم وبلاهم الله بما أبلاهم وعلى كفرهم جازاهم وفى هذه الساعه أرادوا هؤلاء الملاعين يقتلونى وبالهلاك يهددنى وقالوا نحن قوم مخوفين ونريد نتقرب إلى المسيح بدمك لانك من علماء المسلمين فقلت يا قوم لا تفعلوا وأطلقونى حتى آخذ لكم من المسلمين الامان وأخرجكم من هذا المكان فقالوا ما نصدقك حتى تحلف لنا بكتابكم الذين تسموه القرآن وتقسم لنا بنبيكم صاحب البرهان أنك لا تمكن أحداً من بنى كلاب ولا من السودان الانجاب حتى نطلقك

نخرجك سالما وإلا أذقناك الموت وجرعناك غصص الفوت وانى ياابن العم لما رأيت الجد حلفت لهم على ما أرادوا حتى أخرجونى من عندهم وقد أتيت اليك ليكون فتح الباب على يديك فأنعم لهم بالأمان وانفذ لهم من يحلف لهم ونخرجهم من هذا المكان مادام الناس مشتغلون بالضرب والطعان لأن عبدالوهاب وأبامحمد لو علموا بهذا الحال ما يمكنونا أن نفعل هذه الفعال ولا كانوا ينفذوا ذمامنا لأهل الضلال لأجل ما بيننا من الرحال وكانوا يكسرون أغراضنا ولا يتركونا نبلغ الآمالى (قال الراوى) فلما سمع عمرو من عقبة هذا المقال أراد يكون له الاسم دون الأميره ذات الهمه فانفذ من بنى عمه خمس رجال فحلفوا الروم وأخرجوهم وعن عسكر الاسلام أبعدوهم وفى تلك الساعة كان ملك الروم قد خرج من الحرب ومعه غيلان والسودان والمتنصرة والتقى بهؤلاء فساروا فى جملتهم يطلبون ديارهم ودخلوا بنى سليم الى ملطيه وطلعوا فوق الأصوار وكبروا عند الصباح باسم الواحد الفتاح وكان قد أصبح من الروم القليل فما تضاحى النهار حتى وقع فيهم الفناء والبوار ولم يسلم منهم ديار والتقى عبد الوهاب بالخليفة المعتصم فقبل فخذه فى الركاب بعد ماترجل بين يديه وكذلك فعلت الأميرة ذات الهمه فى بنى كلاب كفعال الأمير عبد الوهاب والسودان الأنجاب فشكرهم المعتصم على فعالهم وهنأهم بالسلامة وقال ما فعل القاضى عقبه فقال أبو محمد البطال والله يامولاى مارأيناه فى السبى فقال المعتصم ماشاء الله كان وما هو إلا قد قتل فى المعمعه فهم فى الكلام واذا بالزعقات قد ارتفعت والضجات قد علت فقال الخليفة ماالخبر فقالوا يامولانا إن عقبه رمى روحه من على الصور من ملطيه وفى رجليه قيد ثقيل وزنه عشرة أرطال بالشامى فقال الخليفه علىّ به فأحضروه بين يديه فأخذته الرحمة عليه وذرفت بالدموع عينيه وقال الأمير عمرو ابن عبيد الله يامولانا لاتسأل ماقد جرى عليه وعقبه كاد أن يغشى عليه (قال الراوى) فعندها قال الدينارى هذا الأعور هو والله الذى أطعمنى الحلاوه فغمزه الأمير عبد الوهاب إكراما للخليفه حتى لايضيق صدره ثم ان المعتصم قال دعوا من هذا الأمر فليس به حاجه ياعبدالوهاب فوالله لابد من اتباع الروم فى عقيب هذه الكسره ونترك ملك الروم يزن لنا الجزية فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب (قال الراوى) فعندها أدخلوا السبى الى ملطيه ورحل المعتصم فى عساكر الحنيفيه إلى أن وصل الى موضع المعمعه الذى قاتل فيها الأمير عبد الوهاب وخلص السبى من ملك الدوقس ونظر المعتصم الى القتلى مطروحين شمال ويمين فقال أيها الأمير حقيق أنك

ترس قبر البشير النذير فشكره الأمير على ذلك وهم سائرين (قال الراوى) ولم يزالوا فى الكد والجد بكرة وعشية حتى نزلوا على باب القسطنطونيه وقد قطعوا الروم الجسور والمعابر وغلقت الأبواب ووقع فى البلد البكاء والانتحاب (قال الراوى) وأن الملك ميخائيل جمع اليه خواصه وقال لهم اعلموا أننى قد غضب على المسيح لأننى حلفت وكذبت ولقد أخرجنى الشيخ النجيح إلى هذا الأمر القبيح هذا وقد وقع الصباح أن عسكر المسلمين قد أقبلت فضجت الروم جميعها وولولت وبعث الملك الى الخليفه البطرك رسولا يقول له أيها السيد فى أى شىء دخلتم إلى بلادنا وما الذى أوجب ذلك وكان الرسول البطرك وكان لما ركب أحاطت به القسوس والرهبان وخرج الى عسكر المسلمين وحضر بين يدى الامام وقبل الأرض وقال ياملك الاسلام ماالذى أقدمك علينا بعد ماأفنيت عساكرنا فقال أتينا نحاصر القسطنطونيه ونأخذها ونهلك أهلها لأنكم مالكم قول ولادين ولاتثبتوا إذا عاهدتم أوحلفتم على يمين فقال البترك يامولانا هذا ماكان لايؤخذ فى سنة ولا عشرة وشرحه يطول فقال أبو محمد تكذب ياملعون وأنا آخذه فى يومين أوثلاثة باذن من يقول للشىء كن فيكون وأذبح كل من فيها وأصلبك أنت على بابها فقال البطرك لابحق دينك ياأبا محمد فأنا أعلم أنك قادر على ماتقول ولكن حصل عندى خمسة آلاف دينار حق الصلح ونحمل المال كما جرت به العادة فعندها التفت أبو محمد الى الخليفه وقال والله يامولانا ماالقسطنطونيه إلا بلد عظيم وصلحك مع الروم أصلح فضحك الخليفه والأمير عبد الوهاب وقال ماأحرج البرطبل إلا حكيم فقال الخليفه السمع والطاعه ياأبا محمد فعندها النفت أبو محمد الى البطرك وقال له اعلم أيها الشيخ ان مولانا أجاب الى صلحكم ولكن بشرط أن تحملون المال كما جرت به العادة وتبنوا الجامع الذى أخربه ميخائيل وتدعوه كما بناه الفالوغص فأجابه البطرك ورجع الى القسطنطونيه وأعاد على ميخائيل ماجرى من الحديث فحمل المال أضعاف ماتقرر بينهم ووقع عليه الاتفاق وبنى الجامع كما كان وعقدوا الهدنة بينهم وأرسلوا الى أبو محمد المال ورجع المعتصم الى ماطيه وقد بلغ الأمنيه (قال الراوى) ونصب المسلمون خيامهم على نهر قباقب والبدنون وأكثرهم من خيام الروم ونصب الخليفه سرادق ملك الروم وكان من الأطلس الأحمر وأحباله من الابريسم الأصفر وفيه من التماثيل والصور وفيه صورة مريم القدسيه وهى تهز النخلة والرطب يتساقط عليها وجبريل قد بسط أجنحته تحت أقدام عيسى والمسيح يومى اليهم بأصبعه (قال الراوى) وكان هذا السرادق له حلق من الفضة وفى كل موضع صليب من الذهب الأحمر وكانت الصور التى فى السرادق كانها ناطقة وبها كانت

تضل الكفار ويعبدون الصليب والزنار وهو سبب دخولهم النار وكان فى وسط هذا السرادق بيوت الطعام والشراب الصيف والشتاء وهو كأنه مدينة مبنية بماء استدار وله أربعة عشر عامود ومقمعه مدهونة من سائر الألوان لونه يأخذ بالأبصار وله باب رفيع وعن يمينه باب من الذهب الاحمر وكذلك على الشمال فاذا دخل السلطان وداس على العتبة المعمولة للسرادق وكان على يمينه وشماله مرابزان فاذا دخل الرجل صقعت البازان له وفتحت أفمامها وألقت مافى أجوافها من المسك المفتوت والعنبر الأشهب فيعبق السرادق من تلك الرائحة الزكية وفيه أسرة من العرعر المرصعة بالدر والجوهر ومساميرها وصفايحها من الذهب الاحمر هذا وقد حار المعتصم من ذلك السرادق وسجد شكراً للعزيز الخالق رب المشارق والمغارب وكان المعتصم قد جلس على السرير ونصب له أسرة بين يديه من العاج والابنوس مسمرة بمسامير من الذهب والفضة عليها مفارش والمعتصم بالنصر والظفر فرحان والغلمان والحشم والخدام فأتت العلماء والفقهاء والوزراء وفى أوائلهم الوزير أحمد وكانوا هؤلاء كلهم موكب واحد لا يفارقون قط المعتصم وكان معهم أيضا أولاد المعتصم هارون الواثق بالله وجعفر المتوكل ومحمد ابن عبد الملك ودخلت العالم وقد أعطاهم الاذن فى الدخول على سبيل المعتاد وأتت الامراء والملوك وكل من يلوذ بالخليفه ودخلت بنوكلاب يقدمهم الامير عبدالوهاب فأكرمه الخليفه وأجلسه بقربه واحترمه وقال مرحباً بالامير الهمام والسيد الضرغام وترس قبر النبي عليه السلام وكان الى جانبه الاميرة ذات الهمة وقد سلمت بأحسن سلام وتكلمت بألطف كلام ودخل الامير أبو محمد البطال وقبل الارض بين يدى الامام ودعا للخليفه وأنشد يقول :

نفسى فداك إذا رأيتك سالما	فى نعمة الله الذى آتاكها
فأتمها وأدامها وأطالها	هناك معتصم بما أعطاكها
وكفاك من ضخم الزمان وريبه	ومن المكاره ربنا وقاكها
طهرت أرضا كان فيها عصبة	كفروا فسيفك قادها وهلاكها
وتركت قسطنطين فى جثمانه	رهن الثرى ماأن يصيب فكاكها
أنت الذى تسطو بسيفك فى العدا	قسما بمن رفع السما وسماكها
فعليك من بعد السلام تحته	وكرامة من كل ماحباكها
إنى كسوتك من دعائى حلة	تبقى على مر الزمان فكاكها

(قال الراوى) فتعجب المعتصم من هذا النظم والنثر الذى أورده البطال وقال أحسنت ياأبا محمد لله درك تستاهل من يملأ فيك جوهر ويكون فى حقك مقصر ثم

خلع عليه وعلى الأمراء وأمرهم بالجلوس وقد طابت منهم النفوس وكان آخر من دخل الأمير عمرو بن عبيد الله وبنو سليم وعقبه بين يديه وقد كبر عمامته وأرخى أودانه وجنحة طيلسانه فلما رآه الخليفه تزعزع له وبجل قدره وعظم أمره وكذلك فعل الأمير هذا وعقبه قد قام فى ذلك المجلس وأشار إلى الأرض لاثما وقال اعلم يا مولانا أن كل كلام لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أجذم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين. وعلى آله وصحبه أجمعين فانى أخص بالسلام سيدنا ومولانا الإمام الصوام القوام المعتصم بالله أمير المؤمنين إمام الأئمه ووارث العلوم والحكمه فأقرن الله تعالى دولتك بالدوام وحكم على أعدائك بالانتقام كما وعدنا نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام لما قال للعباس يا عم والاك الله والاك وأخذل من خذلك وبارك فيك وعليك لأن من ظهرك سلالة الخلفاء الراشدين وبذلك أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة سوداء كأنها الليل الدامش كانت بصاصة السواد فانزعج النبى صلى الله عليه وسلم من الرجفان ولهذا لبس مولانا هذا اللون لما نفر قلبه من هذا اللون وقال يا جبريل ما الذى حدث فى السماء حتى لبست هذه الحلة السوداء فقال جبريل عليه السلام ليس الأمر كذلك يا محمد هذا لبس الخلفاء الذين يكونون من ذرية عمك العباس فعندها سكن قلب النبى صلى الله عليه وسلم من الرجفان ولهذا لبس مولانا هذا اللون من دون سائر الالوان لانه قد مدحه ولقد أوصلتم الخلافة إلى كريم ومن إمام إلى إمام إلى أن وصلت إلى أوفى براعه وأشدها شجاعه وأجملها صورة وقد أزالت عنا البؤس والضروره وهو مولانا المعتصم بالله المجاهد فى سبيل الله فبوصفه نطق الجماد وكرمه قد شاع فى البلاد فما فرغ عقبه من كلامه حتى تلألأ وجه الخليفه بالفرح وشكره على ذلك وأمر له بالقسم الأوفر من الغنيمه وقد عجب من عقله كل من حضر (قال الراوى) فلما رأى أبو محمد البطال ذلك صعب عليه وكبر لديه وتشوش لما رأى من عقبه ومن الخليفه هذا الحال وطأطأ عبد الوهاب رأسه وافتكر وقال لعنك الله يا أعور ومن هو بالخالق قد كفر وسوف تصل الى سقر هذا والأميرة ذات الهمه من حنقها عليه تتحسر وفرح عمرو وقال يا مولانا من يقول هذا القول فى حق النس والجاتليق والبترك الكبير من الصفع والهوان يقال عنه أنه نصرانى وصدره صندوق القرآن قال الخليفه اسكت أيها الأمير فلو ثبت عندى أحداً يقول أن عقبه نصرانى جدعت أنفه ولوحت قحفه فقام عقبه وقبل الأرض وقال يا مولانا ما يقول هذا إلا الأندال الذين لا يراقبون الله فى الغدو والآصال ثم أحضرت الأموال وقسمت على المجاهدين وكانت شيئا

كثيراً هذا وأبو محمد البطال يقول اللهم اهتك ستره وبين للناس مكتوم أمره وعدك يامن لايخلف الميعاد وعقبه يقول اعلم أن الله عز وجل منّ على المسلمين بالامير المجاهد عبدالوهاب والأميره المجاهده التي أقامت الدين ونصرت المسلمين وكذلك أبو محمد البطال الذى ماله مثال وأنتم أفصح الخلق لهذه الدولة العباسية أدام الله أيامها (قال الراوى) فعند ذلك استحى الامير عبد الوهاب وشكره على ذلك وقلبه حنق عليه وأما الأمير عمرو فانه قال يامولانا لورأيت هذا الشيخ معنا وهو مجاهد فى سبيل الله حين أخذت ملطيه وأسر من أسر وكان ملك الروم قدسمع بدينه وهوقاضى المسلمين فغضب عليه من دون الجميع وأراد الله أن يكون فتح ملطيه على يديه وأطنب عمرو فى وصف عقبه ومدحه فقال المعتصم ياعمرو من أطاع الله عز وجل أطاعه كل شيء (قال الراوى) فعند ذلك خرجت الأمراء وفى فؤادهم النيران ونزلوا فى الخيام ورجع البطال الى داره وأولاده باقى غلمانه وهوفى غاية الغم فأتكا على ظهره وأخذ المصحف بيده وأبصر مايطلع فى حق عقبه لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول تفاءلوا ولاتطايروا فأنا قدجعلت أمره إلى الله تعالى ثم أسبغ الوضوء وصلى العشاء الاخيره وأخذ المصحف الشريف وفتحه ونظر فيه فطلع له قوله تعالى (واقترب الوعد الحق) فعندها حمدالله وفتح أبو محمد ثانيا فطلع له قوله تعالى (الحمدلله الذى صدقنا وعده) فقال البطال اللهم لك الحمد هذه والله آيتان مباركتان وقد بقت الثانية ثم أنه فتح ثالثة فطلع قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) فقال أبو محمد الله أكبر هذه أقوال مباركه فى هتك ستر هذا الملعون وعدك وعدك يامن لاتخلف الميعاد اللهم بحق محمد بن عبدالله يسر علينا أمره وأهتك لناستره (قال الراوى) فبينما البطال كذلك واذا بالباب يدق دقا خفيفا فقال البطال من بالباب فقال حبيب من الأحباب فقام البطال الى الباب وفتحه وإذا به الوليد بن عقبه وهو يرعد مثل السعفه وكان أكبر أولاده وكان يخفى إيمانه مقيم عليه يصوم رمضان ويصلى على سيد ولد عدنان وكان عقبه مايأنس اليه ولايدنيه فلمارأى البطال الوليد وهوقدأتى اليه فى تلك الساعة فترحب به وأكرمه ورفع قدره وعظمه وقال له أهلا وسهلا ومرحبا بالمؤمن الموحد ثم أنه دخل به الدار (قال الراوى) ثم قال له فيما أتيت ياولدى وماحاجتك وما السبب الذى قطعك عنا فقال يا أبو محمد دعنى الساعه فقدهتك الله ستر الملعون عقبه واعلم أنه قدنزل هو واخوتى البيعة التى فى الدار وقد بلغنى الله ما أريد وأختار لأنى دخلت الى زيارته فسألت عنه من الجارية ماريه وهى تحبنى محبة عظيمة فقالت لى مضى الى عند الخليفة لأنه قدأتاه الخادم ببغلة وأخذه والى الآن ما عاد فقلت لها اعطينى مفتاح الحمام حتى نستحمه فقالت لى

ما أقدر فزعا من أبوك لما تعرف من مكره فقلت لها والله إنى لابد لى من الحموم وأن
أنظر إلى الحمام وما برحت أدخل عليها وهى تحبنى وقد ضممتها إلى صدرى فتخبل عقلها
ولقد هممت بها فنهيت نفسى عن ذلك خوفا من الله تعالى وحلفت للجارية انى ما أعلم
أحداً بذلك وأخذت المفاتيح منها وفتحت باب الحمام وقلت لها حطى بالك من مولاكى
لا يجيء وأنا فى الحمام أو يأتى على غفلة أكون على أهبة منه فقالت السمع والطاعه ثم
تركتها ومضيت نحو الباب وجعلت يا أبو محمد أمشى فى الحمام على البلاط وأنظر إلى ذلك
الرخام والبلاط فنظرت إلى بلاطه مربعه فمسكتها فتحركت فقلعتها فبان لى أربع درج
من الرخام فنزلت فيها فاذا أنا بقنديل بلور يوقد فقلت فى نفسى هذا دهليز البيعه وإذا أنا
ببيت مرخم مذمك بالذهب وهو إلى قبلة المسلمين فقلت لعل أبى يكون رجع إلى ملة
الاسلام وقد بنى هذا المسجد تحت الأرض يعبد الله فيه فبريت ساحته عندى وقلت كم
كنت أتهمه وأعتقه غاية العقوق فجعلت أبكى وأستغفر الله تعالى ثم إنى تقدمت الى المحراب
فوجدت سجادة فيها أربع محاريب مكتوبة بالسواد وعليها آية الكرسى وسورة الاخلاص
فوقفت أصلى عند المحراب وقد بنى على أربعة أعمدة من الرخام المنقط بالأبيض والعامودين
الأولين ظاهرين والآخرين مدفونين فى حائط القبلة ما يبان منهم إلا القليل فتأملت
أحدهم فوجدت فيه مصراع كأنه قد خلق منه بصنعة مليحه فتقدمت اليه وجعلت أعافره
فلم ينفتح فجعلت أدير طرفى فى المكان فرأيت على رأسه الأيمن عصفورة من الحديد
ففركته واذا به قد انفتح فيه طاقة أسرع من البرق فهويت عينى فرأيت نور كثير وستر
مسبول ومن خلفه هيكل فيه أربع قناديل من البلور وبينهم قنديل أحمر من الذهب الوهاج
ورأيت أعمدة مصفوفه وعليهم صور الحواريين والأول منهم عليه صورة عيسى
وبين يديه الشيخ النجيح وهو كأنه يراسله إلى البلاد والعباد بالكفر والطغيان ورأيت
فى الناحيه الأخرى صورة مريحنا المعمدان وقد تذللت الأسود بين يديه وهى تقبل
قدميه وعلى الثالث صورة مريم والمسيح فى صدرها والزنار فى خصرها وجبريل قد
فرش أجنحته وهو يخاطبها ويبشرها وفى الحائط الشرقى صفة المذبح وماء المعمودية وجماعه
من اليهود مصلوبين ورأيت شيئا كثير من أنوار الذهب والفضه والمباخر فيها العود والند
وقد عبق ذلك المكان وارتفع دخانه الى العنان وأيضا أربع أناجيل على أربع كراسى من
الحديد ورأيت صليب من الذهب الاحمر فى صدره مرآة من الجوهر وعلى رأسها
درة كبيرة كأنها بيضة تأخذ بالبصر ورأيت فيها أربع قسوس يقرأون الانجيل فخفت
أن يرانى منهم أحد فرجعت الى ورائى وقد أرخيت الستر ووقفت من خلفه وإذا بهم

قد سكتوا عن القراية وقال أحدهم الليلة يزورنا الشيخ النجيح وينام عندنا فالمسيح يطول لنا عمره أبو محمد سمعت ذلك ورأيت البيعه وصورة أبى عقبه بين يدى المسيح قلت لأجل هذا يسموه الشيخ النجيح ثم انى علمت أنه ما صنع المسجد إلا خبثا منه ولعنه حتى إذا اطلع عليه أحد يرى المسجد فلا ينكر عليه ورأيت فى المسجد فسقيه وهى الى جانب المكان فقلت فى نفسى الفسقيه ما تكون الا فى وسط المكان فكيف هذه فى الجنب ومما جرى على من الانذهال خفت أن يأتى الشيخ النحس عقبه الملعون ويرانى يقتلنى ويرمينى فى بعض السراديب فرجعت من السرادب وطلعت فى الدرج بعد ما رديت العصفور إلى حالها الأول وأنا مذعور مما رأيت وقد انفرج ما بقلبى من الهم والغم ثم انى خرجت من الحمام بعد ما رديت الرخامه على حالها كما كانت ثم أتيت الى الجارية فوجدتها قد نامت فأيقظتها وأعطيتها المفتاح وأوصيتها بكتمان سرى وسألتها عن أبى فقالت الليلة يجىء ويبات فى الحمام وما يخرج إلا غداة غد فعلمت أنه يريد أن يدخل الكنيسه يشرب الخمر ويكفر بمن له النهى والامر فقلت انى أريد أقوم الى الأمراء وأعلمهم بما قد جرى حتى يدخلوا معى الى الخليفه ويعلموه بالقصه وقد انهتك ستره وأعلمك يا أبو محمد أن أبى عقبه قد اجتمعت فيه عشرة خصال وقد انفرد بها دون العالم أحدها أنه أحيل الناس والثانيه أكفر الناس بالله عز وجل الثالثه أنه أبغض الخلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرابعه أن قلبه أقسى من الحجر الخامسه أنه أجرأهم على الله بالمعصية وأنه لا يصدهم فى كلام السادسه أنه أشد الناس حذر السابعه أنه أكثر الناس بكاء وهو على غير حقيقه الثامنه أنه أبغض الناس اليه من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم التاسعه أنه أكثر الناس نفاقا العاشره أنه أكثر الناس بهتانا وكذبا وافتراء على الله وهذه الخصال ما جمعت إلا فى ابليس يفرح بغواية الخلق وكثرتهم وهذا الملعون ما يفرح إلا بسفك دماء المسلمين فعليه لعنة الله إلى يوم الدين فلما سمع أبو محمد ذلك المقال قال الله أكبر الله أكبر بلغ الكتاب أجله وفى كل عامل عمله فقال الوليد قم بنا حتى ندخل على الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه حتى يسارعوا الى هذه التحفه النفيسه وتكبسوا الشيخ عقبه فى وسط الكنيسه (قال الراوى) فوثب أبو محمد البطال والوليد يطلبون الامير عبد الوهاب بعد ما أوعد الوليد بصلاح الحال وقد وصلوا الى دار الامير عبد الوهاب ودخلوا عليه فوجده منتصب فى المحراب وهو يبكى والأميرة عنده وقد سلم من صلاته والاميره ذات الهمه تقول له يابنى قد بلغ الامر

منتهاه وعدم العصب قوة قواه وقد كلت سواعدنا من الضرب والطعان ومابقى إلا خدمة الملك الديان وهذا الملعون عقبه قد زاد شره وكثر غدره والناس قد مقتونا من كثرة ما نتحدث فى حقه ويظنون أننا نتسبب فى قطع رزقه والامر كله لله عزوجل وقد يكون لهذا الملعون عقبه فى ديوان الظلمه حساب طويل . ولقد أحسن الشاعر حيث يقول :

لاتفرحن لذى ظلم بمظلمة   فسوف يعلم عقب الظلم من ظلما

(قال الراوى) ثم قالت الاميره والله ياولدى مالنا إلا الانقطاع فى طاعة الله تعالى وندع الجهاد لغيرنا لأننا أخذنا منه الحظ الاوفر (قال) فلما سمع الامير كلامها قال لها يا أماه أما ماذكرتى من العباده فأنا أؤمل من الله تعالى أن يجيرنا من النار وأن العباده سبب السعاده وأما ما ذكرتى من أمر عقبه فانه أهون علينا من شرب الماء والموفق إله السماء ومالنا إلا أن نتسبب فى أخذه بعزمة قويه وندخل به الى البريه ونجمع العربان كلها من كل مكان ونبذل المجهود فى الاموال ونفرق العدد على الرجال ونسير فى عساكر تسد الفضاء وآخذ معى الخشبه التى ذكرها المصطفى صلى الله عليه وسلم ونقصد القسطنطونيه ونبلغ من صلبه الأمنيه فقد طال العمر وقربت المنيه ويزول عنا بصلبه الهم والشقاء (قال الراوى) ثم قالت الاميره ذات الهمه أما قولك عن عقبه ياولدى انك تسير به الى باب الذهب لتصلبه فأنت قادر على ذلك باذن الله تعالى ولكن ياولدى نلعن من الخلق ونهدم مابنيناه من الجهاد ويقال عنا انهم قتلوا قاضى من قضاة الاسلام ولم يعلموا بأنه كافر بالملك الديان ومافى الامر إلا اننا نصبر حتى حتى يهتك الله ستره ويكشف حاله ويبان عند الخليفة أمره (قال الراوى) فبينما هم فى الحديث وإذا هم بأبو محمد قد دخل عليهم والوليد معه وقال أبو محمد دعونا الساعه من الوعد والوعيد فقد هتك الله ستر عقبه المريد على يد الولد السعيد المسمى بالوليد (قال) ياساده فلما سمعوا مايقول وعولوا على بلوغ المقصود فقال عبد الوهاب ياأخى حدثنا بما معك فقال لا والله إلا قدام الخليفه (قال الراوى) فقام الامير والاميره وأبو محمد والوليد ابن عقبه وهم يقولون بلغنا المقصود باذن من يقول للشىء كن فيكون ولم يزالوا سائرين حتى وقفوا على باب سرادق المعتصم فوثبوا اليه الخدام وسألوهم عن سبب حضورهم فى ظلام الليل فقال البطال للخادم الخاص استأذن لنا على مولانا الامام فان الامر عظيم وإذا هم قد سمعوا المعتصم وهو يناجى ربه ويقول : يامن لايموت ارحم من يموت ياصاحب العز والدوام ارحم من تبلى منه العظام واذا بالخادم قد

تقدم وصقع وقال يامولانا قد حضر عبد الوهاب ومعه جماعة وعلى وجوههم أثر الاستبشار ومعهم الوليد بن عقبه فقال المعتصم أمرهم بالدخول فدخلوا فوجدوه جالسا وبين يديه شمعة ومصحف وهو يقرأ القرآن فقبلوا الارض بين يديه فقال خير ياأمراء الاسلام ماالذى أتى بكم فى هذا الوقت فقال أبو محمد ياأمير المؤمنين جئنا فى قصة إبليس وقته وفرعون دهره ودجال زمانه المطرود عن باب رحمته شيخ الضلالة ومعدن الجهالة فسبحان الحليم الذى لايعجل الجواد الذى لايبخل الويل كل الويل لشيخ مضت مدته وابيضت لحيته وعظمت بلينه واسودت صحيفته فسبحان الذى يغير ولا يتغير ثم تلا قوله تعالى « إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » يامولانا القدرة عجيبة أعز الله أهل الكهف بطاعتهم وسمعوا شكواه وعرفوا بلواه تبعهم كلبهم فاتصف بوصفهم وحملوه إلى كهفهم ونزلت خلفه التأييد من الملك المجيد ونطق به الوعد والوعيد فقال تعالى « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » هذا من عزالله طاعته وأما من أذله الله بمعصيته فانه كان مأنوساً فصار إبليساً وكان مخصوصا بالوصال فصار مطروداً بسيف الجهر والانفصال وأمره الحق بالسجود لآدم فأبى واستكبر وتهاون وما فكر فوقع عليه ورقة علامة الطرد والعبر وتم على يديه القضاء والقدر وأجابته دعاوى الشقاوة والبطر إلا إبليس أبى واستكبر فرفع الخليفة رأسه وقال عن من تعنى بهذا الكلام قال يامولاى أعنى به صاحب كل نوبة صعبه الشيخ عقبه الذى يدخل البيت بالناموس ليستبيح كل النفوس وقد جئنا الى الحضرة العلية ببينة عادلة مرضية قال فلما سمع المعتصم كلامه عظم عليه وكبر لديه وقال لهم وأنتم جئتم لأجل عقبه وأوضحتم العبارة وإن لم تقيموا عليه البينة وإلا حل بكم البلية وأنا أقسم بآبائى الطاهرين لئن لم تترجم ياأبا محمد عن نفسك فيما قلت عنه لأقتلنك شر قتله وأمثل بك أقبح مثله أما سمعت قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية وأنت الآن قد اعترفت بين يدى أن عقبه نصرانى وأنا كل نوبة أعفو عنك والآن أريد منك البينة وإلا وحق آبائى الطاهرين علوتك بسيفى هذا فقد طال صداعك فقال أبو محمد الآن قد رضيت بقولك وحكمك فايش تقول يامولانا فى ولد عقبه الوليد فقال المعتصم ما أقبل منه كلام لأن الله عز وجل قال الولد عدو فقال البطال يامولانا فان رأيت عقبه بعينك وهو يكفر بالرحمن ويسجد للصلبان والصور التى فى الحيطان فهل تحتاز معه إلى بينة فقال المعتصم لا والله يا أبا محمد فعند ذلك التفت البطال الى الوليد ابن عقبه وقال ياولدى حدث أمير المؤمنين ببعض الحديث وقوموا بنا قبل الفوات نطلع على هذه الحالات فتقدم الوليد ابن عقبة وقال

له يا أمير المؤمنين وحق من أجرى الأقلام وأبرم الأحكام وخلق الضياء والظلام وعرفنا طريق الحلال من الحرام على لسان بدر التمام ومصباح الظلام والشفيع فى الانام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أن عقبه الليلة فى أسفل الحمام ثم ابتدأ وحدث المعتصم بما جرى وأن أبوه الليلة فى أسفل الكنيسة وقد كفرت نفسه الخبيثة فلما سمع الخليفة ذلك الكلام قال يا أبو محمد ها أنا سائر معكم بنفسى على شرط أنى أقسم بالذى ضر ونفع وشتت وجمع ووصل وقطع الذى كل جبار لهيبته خضع وكلم موسى فأسمع ان كان عقبه كما ذكرت ورأيته كما وصفت فأنا أترك دخولى إلى بغداد وأرحل معكم إلى مدينة القسطنطونيه فى أثر هذه الكسره ولا أبرح معكم حتى أصلبه على باب الذهب وان كان قولك محال صلبتك عوضه فى الحال فقال البطال يا مولانا الله على ما تقول وكيل فقال نعم ثم ان الخليفه أرسل خلف عمرو بن عبيدالله وولده الجراح والوزير أحمد والفضل بن مروان وأحمد بن أبان وداود وتمام العشره من أرباب الدوله وعشره من أخر حجابه وأخذ الأمراء ووثب من وقته وساعته وقال هذا الأمر لا يجب إهماله ربما يكون الأمر صحيح وساروا القوم والوليد أمامهم وهم يسألون الله تعالى أن يتم لهم الأمر (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن أتى بهم البطال إلى دار القاضى عقبه وتقدم إلى حائط جاره وتسلق إلى سطح الدار وسار على مهله فكلمه صاحب الدار وقال له من أنت الذى قد هجمت دارى فى هذا الوقت فقال البطال لا بأس عليك انزل وافتح الباب لمولانا أمير المؤمنين فسوف ينهتك ستر عقبه اللعين وكان هذا جار عقبه مذبول الكبد منه لأنه كان قد تغلب على كسر داره وقد تجبر وضجر منه ولم يقدر أن يكلمه من خوفه منه فلم يصدق أن يسمع ذاك فى حق عقبه فنزل من وقته وفتح الباب وخدم المعتصم وقد أصعدهم إلى سطح الدار ثم انهم طلعوا إلى سطح القاضى عقبه وقال لهم البطال يا مولانا ما فيكم من يتكلم بكلمة واحده فانى أخاف أن يفطن بنا. فقال الخليفة وحق محمد من تنحنح ضربت رقبته فلم يجسر أحد أن يتكلم ثم نزل البطال إلى جدار بيت عقبه ونصب السلم وتقدم الوليد بين أيديهم إلى باب الحمام الذى داخل الدار وطرقه طرقا خفيفا فأجابته الجاريه المذكوره وقالت من بالباب فقال لها أنا الوليد وقد أتيت إلى زيارتك (قال الراوى) فلما سمعت ذلك فتحت له الباب هنالك وثبت إليها الأميره ذات الهمه وأوثقتها كتاف وحطت فى فمها الأكرة وفتشوها وأخرجت المفاتيح من على وسطها وهى قد حارت وخافت من فعالهم ثم انهم أرسلوها إلى الخيام بعد أن أمروا بحفظها وأما أبو محمد فانه أخذ المفاتيح وقال للوليد اورينى الحمام فقال دونك فها هو بين يديك

ثم أتى الى الباب وفتحه ودخل الى بيت الحمام وكانوا يفعلون ذلك وهم فى الظلمة والخليفة يقول ما كأننا إلا لصوص فلما دخلوا الى بيت الجار والخليفة معه قد حار فقلع الوليد الرخامة ونزل بهم فى السرداب هذا والخليفة من خوفه على نفسه قد أشهر الحسام هذا وعمرو بن عبيد الله لا يقدر أن يتكلم وقلبه من أجل عقبه يتألم الوليد نزل فى السرداب والامراء محدقين بالخليفة وأبو محمد يقول يامولانا ستعلم صدق كلامنا وصحة حديثنا. هذا والوليد قد أوقفهم على المحراب وأوراهم السجادة الصوف وهى معلقة خلف الباب وقال يامولانا هذه من عمله من خوفه على نفسه ثم إنه أتى بهم الى عند المصاريع التى فى المحراب وهى مركبة فى العامود وفتحها وقال يامولانا وان فيها حكمة عظيمة إذا أغلقت الى جوا لم يكن للناظر اليها سبيل ولا إلى نحو الكنيسة من طريق ولأن عقبة من احترازه على نفسه قد أدار عصافيرها بشىء يعرفه فصارت كأنها طاقة فى المحراب وقد وضع فى كل طاقة مصحف كل ذلك من خوفه على نفسه فحار الوليد من ذلك وجعل يرجف وقال ياأبا محمد إنى اطلعت على هذا المكان فما أرى الذى نظرته فقال أبو محمد لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم هلكنا ورب الكعبة فقال الوليد ياأبا محمد كان ههنا نورين من ذهب وفيهم شمعتين فما رأيت لهم أثر فقال البطال اصبر ياولدى ثم أخرج قداحه وقدح وأشعل النار فرأى المسجد وذلك الترخيم ولم يرى نقب ولا حس فقال البطال ياولدى انظر ما الذى تغير عليك فقال الوليد ياأبو محمد قد تغير على ثلاثة أشياء أولها هذين الطاقتين والآخر رواح الشمعتين والأخرى كانت بركه تحت هذه الصفة فما رآها قد سارت وسط هذه الساحة وماأقول إن عينى سحرت بهذا كله عندها وقف البطال باهت وصار ينظر الى الوليد وقد تحير فقال الخليفة مامن أمرك ياأبا محمد فقال يامولاى اعلم أن الرجل خبيث ملعون وهو أخبث أهل زمانه وقد حرت فى هذه النوبة فقال المعتصم يا كلب العرب وياقليل الادب حجة قد ظهرت عليك ولابد ماأخرج روحك من بين جنبيك وهذا يدل على صحة براءته ببنيان هذا المسجد تحت الارض حتى يصلى ورده تحت الارض فى الليل وهذا كله خوفا منك لا تسرقه تحت الليل فقال البطال يامولانا ارفق على فان الله حليم لا يعجل ثم إن البطال أخذ الشمعة فى يده وجعل يدور على جوانب البركه ويتميز محاريبها فنظر الى بلاطة مربعة وهى فى جانب البركه فأخرج البطال قطعة كانت معه على هيئة المنجل ومازال يعالج البلاطه حتى قلعها من مكانها واذا قد ظهر شىء من تحتها على هيئة الدولاب فقلعه البطال من مكانه فتركت البركه وهى ملآنة بالماء وهى فرد قطعة مصنوعة من النحاس. وأما الفصوص والقطع الرخام كان فوقها سنارة لها

ومازال البطال يدور الدولاب والكيلجه حتى التصقت البركة تحت الصفم فقال الوليد الله أكبر هكذا كانت والله فى الأول هذا والخليفة حار مما رأى وبقى متفكر فيما جرى وقال والله هذه أعجوبة الزمان وقد ذهب الشك وبان البرهان فبينماهم كذلك إذ ظهرت لهم بلاطه أخرى درة وحلقة فجذبها البطال اليه واذا قد بان لهم سرداب ضيق وهو معقود فتقدم أبو محمد البطال وداس أرضها واذا قد وثب عليه أربعة أشخاص وبأيديهم السيوف المجدبه فهم الخليفة بالنزول فصاح البطال لا يامولانا وانظر الى هذه الحيل والمكر وهذه الطلاسم والأشخاص الذين فى أيديهم السيوف كل ذلك من احترازالملعون على نفسه فقال المعتصم ياأبا محمد كيف الحيلة وإزالة هذه الأشخاص وقد اتضح هذا الامر وبان الصدق من المحال فقال البطال ياسيدى ترى العجب ثم انه حفر بذلك المنجل الذى معه الى أن ظهرت له بلاطة مربعة فقلعها من مكانها وإذا قد ظهر من تحتها نقالات رصاص وسلاسل حديد فجذبها البطالى وأصحابه الى الى أن قلعوها من مكانها فعند ذلك وقعت الأشخاص الذين كانت فى أيديهم السيوف وتقدم البطال قدامهم ينظران كان بقى قدامهم شىء أم لا فلم يرى شىء فقال يامولانا بحق اتصالك من حمزة وعقيل ومحمد سيد الكونين صلى الله عليه وسلم لافيكم من يتكلم فما بقى ارتياب وهذا دهليز قد بان وعليه ستر مسبول وأنا أعلم أن الله تعالى قد هتك ستره فقال المعتصم قد فعلنا ذلك ثم أنه نزل فى الأزج المعقود وقد خلصوا عند الستر فمد المعتصم عينه فرأى الشمع والقناديل والعود والمسك والعنبر والماورد ثم أنه سمع أصوات الشمامسه والقساقسه يتلون الانجيل ويكفرون بالملك العظيم صاحب التنزيل فصاح المعتصم الله أكبر الله أكبر فان الحق قد ظهر وانكشف أمره واشتهر وهذه والله البيعه المشهوره الموصوفة المذكورة فقال البطال لاتعجل يامولانا فان الشرط أبلغ فقال له صدقت يا أبا محمد فقال له قف قليلا حتى تسمع عقبه كيف يقرأ الانجيل فسكت المعتصم وهو ينظر من وراء الستر وفى قلبه من عقبه أمر عظيم فبينماهم كذلك وإذاهم بالقاضى عقبه لعنه الله قد خرج من باب صغير وفى يده شمعه كافوريه وفى الاخرى مبخره من الذهب وهى فى يده المقطوعه وفيها العود القمارى وعليه ماشوحة سوداء وفى وسطه زنار من الحرير الاخضر وهو منظوم بالدر والجوهر وعلى صدره صليب من الزمرد الاخضر وولده حميصه بين يديه وفى يده الانجيل رفاته من الذهب الاحمر وهو يقرأ الانجيل فلما رأته القسوس وهو يقرأ الانجيل بصوت يشفى العليل فعند ذلك قامت القسوس على الاقدام وقالوا يا أبونا بارك

لنا واقرأ علينا الانجيل بصوتك الندى فقال سمعا وطاعه ثم أنه رفع صوته بلحن شجى وقرأ فصلا من الانجيل وهو يقول سماح المرايا كلاه الاب برسوما ببراش بجدونا وهو الاب مرسوما ببراس بترى وعود الاب برسوما ببراس بترى والدار سبوغا الاب برسوما يسمى بالنكوى بأسماء الاب برسوما ببواش آمين آمين ثم سكت عقبه من القراءه وقد قال لولده ويلك كنت أشتهى الساعة أبو محمد البطال أن يرانى فى هذا المكان على هذه الصفه حتى يعلم بحالى الخليفه وأنا أقسم بالمسيح والانجيل الصحيح والمذبح والذبيح أننى أنا حجة السيد المسيح وتلميذ مزمارى السليح ولو اطلع على الخليفه لعبت بعقله كما لعبت بعقل الرشيد والأمين والمأمون فلا رضى المسيح عنهم فطال ما تلهيت وأكلت لحم الخنزير وشربت الخمر العصير وكذلك جرى مع الرشيد ولم يبلغ منى ما يريد فقتلت المأمون بيدى ولا بد لى من قتل المعتصم ولا بد فى هذا العام من قتل الخاص والعام وأيتم الأطفال وأفتت الأكباد وأخرب المساجد وأهدم القواعد وأقتل المعتصم وأهلك الأمم عند ذلك ينقام ظهرى بعد ما انحنى وهذا كله ببركة المسيح الذى سخرلى خليفة المسلمين حتى أضحك على قمته ولا بد لى مما أضرب رقبته (قال الراوى) فلما سمع الخليفه كلامه أخذه الزمع وكاد من الغيظ أن يقع وهم أن يدخل ويقبض عليه فقال له البطال اصبر يا مولانا ولا تعجل وتفرج على هذا العمل هذا وعقبه قد أقبل على ولده حصيصه وقد سمع الحس وراء الستر يلعب لحس قلبه بالبليه فقال يا ولدى كأننى أسمع كلام خفى وراء الستر وكنت أشتهى على المسيح أن يكون الخليفه واقف يسمع كلامى ويفهم نظامى لعله يعجل حمامى فقد طال بين الأعداء مقامى وأنا أقرأ القرآن وأسجد للرحمن وألعب بالأديان فى السر والاعلان وأبكى عند الخليفه زور وبهتان (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك لم يستطع الوقوف بل هجم وهجمت الأمراء معه وأصحابه وينادى يا ملعون أكفر بعد إيمان وشك بعد إيقان هاقد هتك سترك واندحض عذرك وأين ذلك التذلل والخضوع وقراءة القرآن والخشوع وتلك النياحه على المنازل والربوع واظهار الأسف واجراء الدموع ويلك كيف طاب قلبك أن تجحد ربك وكيف ترجو أن يسعدك شيبك وكيف لك لسان أو جنان تقول بما قالت عباد الصلبان ولقد صدق البطال فيما قال فيك فعند ذلك خجل الملعون ثم التفت الخليفه إلى عمرو بن عبيد الله وقال له انظر الى ابن عمك الذى كنت تذب عنه ولا شك أنك على دينه فقال عمرو معاذ الله يا مولانا وأنا أقسم بالله تعالى اننى ما اطلعت عليه بشىء من ذلك إلا فى ساعتى هذه وهو ملازم الصلاة والقيام ولقد احتملنا العار فى سائر الأقطار ثم انه طأطأ

رأسه من الخجل وقد أخذه الخوف والوجل هذا وعقبه قد انطرح بين يدى الخليفه وجعل يقبل الأرض ويقول يا مولانا عجل بقتلى وأخرجنى من الدنيا بالكلية وارحمنى من هذه الأعمال الردية فهو الذى كنت أرجوه من بلوغ الأمنيه فقال المعتصم يا مطرود عن باب الملك المعبود وهيهات هيهات لقد حل بك الوجل وأحبط الله منك العمل ووقعت فى بحار الذل ثم عزم على ضربه بالحسام فوثب اليه الأمير عبد الوهاب وقبل الأرض بين يديه وقال يا مولاى أريد صلبه على باب الذهب كما أمرنى النبى المنتخب وأريد أيضاً عذابه بين أصدقاه وأصحابه لأنه قتل المسلمين وعمل على إبطال هذا الدين وكم سبا من البنات والبنين وهتك المحصنات وأخرب المساجد ولم يخف من الملك الماجد فقال له الخليفه تسلمه وسوف أسألك عليه (قال الراوى) فلما سمع عقبه كلام الخليفه وهو يقول للأمير تسلمه فسوف أسير معك وأحضر صلبه على باب الذهب عند ذلك وثب الملعون قائماً على قدميه كأنه الذئب الأمعط أو الثعبان الأرقط وهجم على الخليفه وكان فى كمه سكين وهى بالسم مسقيه قد جرت فيها المنيه وهم أن يضرب بها المعتصم فصاح البطال إياك يا مولانا يضربك الملعون بالسكين عند ذلك تأخر المعتصم إلى ورائه ووثب البطال إلى عقبه وثبة الاسد الضارى وقبض على يديه وجلد به الارض فرض عظامه رض وطارت السكين من يده وقال يهنيك يا مولانا السلامه فقال المعتصم اضربوا رقاب القساقسه فضربت الاميره رقابهم وتقدم الامير عبد الوهاب إلى حمصيصه ولد عقبه وضربه بالسيف أطاح رأسه عن جسده فقال عقبه يا ولدى الآن قد ظهر الحق وانكشف الغطا وقال الملعون هو برىء من دين محمد المصطفى فأراد المعتصم أن يقطع لسانه فقال البطال يا مولانا وايش جهد ما يقول وهل تبال السماء بنبيح الكلاب فالحمد لله الذى اتضح أمره وانهتك ستره بين يديك وظهر صدقنا ولولا كنا عارفين بمكره وكفره لما كان يجوز لنا أن نتكلم إلا بما علمنا فقال الخليفه ياعمرو خذه عندك واحفظ ابن عمك لقد كنت تشدمنه وان هرب ضربت رقبتك ورقاب سائر بنى سليم ففزع عمرو على نفسه والتفت الى ولده الجراح وضم اليه عشرين فارس وقال لهم يابنى عمى ما للمصائب الا أهلها لان هذا الملعون كسانا العار الذى لا يمحى أبداً وأنا أعلم أننا ما نلتقى فى هذه النوبه من الخليفه خير أبداً إلا إن شاء الله سبحانه وتعالى ثم ان الامير عمرو أتى الى أبو محمد وقال له يا أبو محمد هذا ولدى وبنى عمى يحفظونه معك ووكل عمرو بالمكان عشر رجال أخر من فزعه من الخليفه ثم انهم خرجوا الى الخيام ومما جرى عليه من اللعين عقبه ما أخذه منام فلما أصبح

الصباح أمر النقباء أن تنادى فى الطوائف والعساكر بأخذ الاهبة للرحيل الى بلد الروم وسمع الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه بذلك ففرحا بهذه الكرة فلما تضاحى النهار واذ قد أقبل البطال وهو ينادى فى الفرسان ياقوم تفرقوا فى كل مكان وعمرو أيضا ينادى وهو ولهان خائف من الذل والهوان وهو يقول هرب الملعون عقبه وماندرى هروبه كيف صنع ولا كيف كان فركب الامير عبد الوهاب والسادات وتفرقوا فى سائر الجهات (قال الراوى) وبلغ المعتصم الخبر فكاد أن يغشى عليه من شدة ماجرى عليه وأمر البطال فحضر بين يديه وقال له ويلك كيف هرب الملعون لا يكونوا بنى سليم أخفود فقال البطال وحق نعمتك ماندرى كيف هرب لأنى انا وأولاى وعشرة من بنى سليم كنا على باب السرداب نحفظ المكان طول الليل فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح نزلنا نطلبه لنطعمه شىء بسدبه رمقه فمارأينا له خبر (قال الراوى) وكان السبب فى هروب الملعون من البيعة أنها كان فيها سردا يخرج الى ظاهر البلد الى نهر سليمان يدخل منه الماء أيام الزياده فلما علم أن البطال يحرسه مع الرجال دخل الملعون فى السرداب وخرج من ظاهر البلد ولم يعلم به أحد فلما تحقق المعتصم من ذلك صاح فى غلمان الدار دونكم وهؤلاء الكفرة بنى سليم فمابقى لى عين تنظر إلى سليمى أبدا اقتلوا رجالهم وابدأوا بعمر وأميرهم فقامت الأميره ذات الهمه وقبلت الأرض وكذلك الأمير عبد الوهاب وقال يا أمير المؤمنين لاتفعل بهم فهم على كل حال مسلمين مؤمنين فلا تحرقهم بنار هذا الملعون فقال المعتصم بالله لابد لى ماأشفى قلبى منهم ثم قبض على مائة أمير من أمراهم وضرب رقاب خمسين وصلب خمسين وقال للبطال ويلك أنت طول عمرك تلقى الشدائد وتقاسى على رأس هذا الملعون الأوايد فلا انهتك ستره فان توانيت عنه وحق آبائى الطاهرين لئن لم تجد فى طلبه صلبتك موضعه فقال البطال ماهو كثير أن أصلب أنا ويسلم عقبه ثم قال يامولاى وحق سيد الأنام مابقينا نشبع من منام حتى نبرم هذه الأحكام وأجتهد أنا وأولادى حتى أشفى من عقبه فؤادى أنا أسأل مولانا أن يكتب لى خطه وعلامته إلى أى بلد أدخله ويكون فى يدى الى الولات والنواب بأن يكونوا الى أعوان لأنى أخاف أن يكون فى مكان قد احتوى على قلوب أهله باظهار زهده وناموسه فيقتلونى ويخلصوه من يدى فامتنع منه ومن أخذه فلما سمع المعتصم ذلك كتب له بخط يده إلى جميع النواب والنواحى والبلاد من عرب وعجم وديلم وهو يقول ساعة يصل هذا الامير الناصح للدين أبو محمد البطال وأى من رأى عقبه يساعده على أخذه من جميع النواحى وسائر الأقطار ويسير معه رجال تحفظه من المفسدين فقد شهد بكفره خليفة المسلمين بأنه

مشرك برب العالمين كافر بيوم الدين عابد الصلبان جاحد الواحد المنان فلا يمنعه أحد من المسلمين إلا ويعلم أن خصمه أمير المؤمنين ثم طوى الكتاب وناوله للأمير أبو محمد البطال فأخذه وعاد وهو فرحان إلى الأمير عبد الوهاب وأعرض عليه خبر الخليفة وخطه بيده وقال يا أمير ما بقيت أنام أنا وأولاى ولا أبرح حتى أعمل على تحصلة أو أموت دون ذلك فقال الأمير إن الله فى تأخير أجله إردة لا يعلمها إلا هو وإلا كان هذا الوقت أحسن الأوقات مادام إن الخليفة عندنا فى الثغور وقد انهتك ستره وتمت لنا الامور على أنى قد نفرت الخيل خلفه إلى كل مكان عرب وسودان فقد أمرتهم أن يقصدوا الاديرة التى تأويه وصوامع الرهبان والضياع وعباد الصلبان وما أقول انهم يعودوا ان شاء الله إلا به (قال الراوى) هذا والخليفه قد عول على الرحيل إلى بغداد وقلبه ملآن من الغيظ على بن سليم ولما كان وقت العصر وقعت الصرخة فى جانب العسكر وماجوا كما يموج البحر الزخار وعلا الصياح والافراح فاندهش الامير عبد الوهاب لذلك وركب وسأل عن الخبر فقالوا يا مولانا وقع عقبه وقد أتى به أبو سكران وهو مع السودان فلما سمع الامير ذلك حار فؤاده ورمح إلى نحو الصياح وركب أيضا أبو محمد وهو لا يصدق من شدة فرحه ووصل الخبر إلى المعتصم فركب فى أرباب دولته وهو يقول سبحان من سهل الامر قبل رحيلى إلى العراق (قال الراوى) ولم تكن إلا ساعة حتى وصل أبو سكران وعقبه ينقاد معه فى الذل والخبال

والهوان وفى رقبته حبل وعليه فروه مقلوبه وقلنسوه كبيره وقد شد

وسطه بزنار وتحزم بحبل صوف وفى عنقه حبلين قرع وهو

فى زى مشايخ الارض والسودان حواليه بالدبادب

والبوقات والقرون وهم من حوله يتراقصون

وكلما ضربوا رأسه يرقصون

ويضحكون

﴿ تم الجزء التاسع والستون ويليه الجزء السبعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء السبعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما رأى الأمير عبد الوهاب عقبه بصق على وجهه وقال لأبى سكران أين وقعت بهذا القرنان فقال ياسيدى تحت قرية الأرمن وهو طالع من عقبتها وماعرفته حتى كلمته وقلت له رأيت لنا شيخ صفته كذا وكذا اسمه عقبة فقال ياولدى أنا ما أعرف أحداً ولا أنزل فى هذه القرية إلا أن يكون لى فيها شغل وإلا زياره لأنى رجل كبير مالى عقل أعرف به أحداً وكان يكلمنى ورأسه فى الأرض وما عرفته إلا بنغمته فبادرت اليه وقلت باشيخ ها أنت المطلوب فلما سمع الأمير عبدالوهاب هذا الكلام ساقه قدام الخليفه وهو على تلك الحالة فشكر الله تعالى على وقوعه وقال للأمير عمرو تسلم ابن عمك الى غد فتدخل به الى بلاد الروم وتصلبه على باب الذهب فقال يا أمير المؤمنين أكون أنا وحدى وبنى كلاب لابد منهم أحد معى فقال البطال وأنا أكون مباشرهم فعندذلك برزت العساكر وسارت تقطع الأرض طولا وعرضا وكان القاضى عقبه على جمل وعلى جسده فروة مقلوبة وعلى رأسه طرطور من جلد الثعالب فهم فى سيرهم وإذا قدقامت عليهم ريح شديدة إلى أن عميت أبصارهم فطلبوا عقبه فلم يجدوه على الجمل فبقى أبو محمد باهت متحير هو وأولاده ثم أنه دخل على الأمير عبد الوهاب وأخبره بذلك فدق يد على يد وقال والله لقد تعبنا وتعب الخليفة فكيف كان سبب ضياعه من بين هذه العساكر والجموع فقال مازال على الجمل ونحن دائرين من حواليه فى وسط الثقل حتى هبت تلك الرياح وثارت فى وجوهنا الرمال وقد تفرقت الناس يمين وشمال وجفلت الجمال والدواب وهذا آخر عهدى به فقال الامير عبد الوهاب والله ماهذا إلا أمر عجيب وله سبب من الأسباب

وكان السبب فى هروب عقبه أنه لما جرت على الناس تلك الشده وهو سائر على الجمل وهو حائر فى أمره وقد أيقن بالهلاك لأجل شيء يريده الله تعالى تارت تلك الرياح فانقطع مقود الجمل بتاع عقبه وهج به بين الأشجار وقد تعلق بيده الصحيحة فخرج الجمل يهيم على وجهه وطلبه البطال فلم يجده وأعلم به الامير عبد الوهاب فقال هذا شيء ماتخفيه عن أمير المؤمنين فعندها أعلموا الخليفة بهذه القصّة فجرا عليه ما لا يجرى على قلب بشر وقال والله العظيم ان رجوعنا الى ملطيه شماتة للأعداء ثم أنه بعث الخيل تدور عليه مدة ثلاثة أيام وكان عقبه لما أصبح عليه الصباح وهو فى ذلك الموضع ورأى الخيل تدور فى طابه فاختفى فى الشجرة فزعا على نفسه فبينما هو كذلك و اذا بثلاثة رهبان قد أتوا الى ذلك المكان بسبب جمع الحطب فلما رآهم الملعون صاح بهم فأتوا اليه فعرفهم بنفسه فسلموا عليه وحملوه الى عندهم ثم أنهم سألوه عن سبب دخول العسكر فأخبرهم أنهم مادخلوا إلا أنهم يصلبوه على باب الذهب ثم اشتكى اليهم حاله وخوفه فألبسوه من الثياب التى عليهم وأخذوه معهم الى ديرهم وكان ديرهم على رأس جبل وهو لطيف صغير فلما حصل عقبة فيه أخذه القلق وقال للرهبان ما أقدر أقيم فى هذا المكان لأنى أخاف أن يلحقنى أبو محمد البطال ثم أنه ودعهم وأخذ فى يده عكاز وركبوه وشد وسطه وسار يطلب بيت المقدس وقمامة وقد ضاق صدره وضاقت عليه الدنيا وكان أكثر سيره فى الليل فهذا جرى ههنا (وأماماجرى) من الامير عبدالوهاب وعساكر الاسلام فانهم لما أيسوا من عقبه عادوا وفى قلوبهم النار طالبين الثغور وكان أكثرهم أسف أبو محمد البطال لأنه قد بقى يومين لا يأكل ولايشرب مما جرى عليه ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا الى ملطيه ونزلوا على ظاهرها هذا والخليفة قد عول على الرحيل الى العراق وهو يقول لعبد الوهاب والله لولا الشتاء وقد هجم البرد ما كنت رجعت حتى نزلت على باب القسطنطونيه وأعملها غزوه أذكر بها الى الأبد لأنى أعلم أن ملك الروم إذا سمع أننا دخلنا الى بلاده ورجعنا الى بلادنا يستعجزنا ثم أقام على ملطيه يومين ورحل طالب العراق وهو يوصى البطال بالكشف عن أخبار عقبه فقال السمع والطاعة وأوصاه متى قبض عليه يرسل ويعرفه حتى يسير الى بلاد الروم لاجل صلبه والجهاد ثم سار يطلب بغداد هذا والبطال قد جمع أولاده وقال لهم أريد أسير الى بلاد السواحل وأكشف الاخبار من التجار فقال له ولده مذبحون مالنا إلا بلاد الروم ولانكشف خبره الامن هناك فقال البطال ياولدى مايقدر يدخل الى هناك لأنى أعلم أنه مايقيم فى تلك البلاد وأنا الذى لا أقعد

عنه ولو أنه فى آخر الدنيا وأريد منكم المعونة والصبر على السفر ولا يلحقكم ضير لعلنا نبلغ الظفر وأن أشفى قلبي من عقبه قبل الممات وأقبر فقالوا له أولاده وغلمانه لو أمرتنا أن نخوض البحار لخضناها سير بنا أين شئت وارسلنا فى أى مكان هويت فما هنا من يخالفك فلما سمع البطال كلامهم فرح فرحا شديد وقال مالنا إلا بلاد السواحل ونكشف الاخبار من التجار وأهل البلاد ثم أنهم باتوا على أهبة السفر ولما كان عند الصباح أخذوا معهم خيل وبغال واستكثروا من الماء والزاد وودعوا الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وسار يطلب السواحل وبنته عذيبه فى زى أولاد التجار وهى فى أحسن شيء يكون وحمل الامير عبد الوهاب على قلبه من مسير أبو محمد البطال أمر عظيم وخاف عليه أن يهلك فى بعض البلاد ومايبلغ مراد ومن ضيق صدره صار يركب كل يوم الى الميدان ويتشاغل مع الفرسان فبينما هو بعض الأيام ظاهر البلد وإذا هو بنجاب قد أقبل اليه وسلم عليه وناوله كتاب ففضه وقرأه وإذا هو من سوار ابن جرهم صاحب دمشق الشام يقول فيه اعلم أيها الأمير أن مصر قد ملكتها السودان واحتوى عليها ملك زنعنع الحبشى وهو جبار من الجبابره وقد سير الى بلاد السواحل وقد زادت أذيته ونحن خائفين من أذيته وشره فكاتب أمير المؤمنين لعله أن يسير الينا من يعيننا على قتاله وإلا أهلك العباد وملك البلاد لانه فى خلق كثير لاتحصى من العبيد ومجمعة السودان وهم قوم لايعرف لهم دين بل يرمون أرواحهم الى الحرب مثل الدواب فالعجل العجل قبل أن تقوى شوكته وهو قد جعل بركة الحبش موطنه وهو نازل عليها فى مصر والسلام فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال هذا أمر ما كان لنا فيه حساب ثم أنه أعرض الكتاب على الامير عمرو وأمر صاحب الكتاب أن ينقلوه فى خمس نسخ ويعلقها على أجنحة الطيور الى بغداد فما بات الخبر إلا عند الخليفة فصعب عليه وقال لكبراء دولته كيف ترون فى هذا الأمر أراحت مصر من أيدينا فمن نرسله اليه فقالوا يامولانا ما له غير الامير عبد الوهاب يقتله فقال المعتصم ما هذا صواب أن نخلى الثغور من الأمير عبد الوهاب فربما يخرج علينا ملك الروم وما فى الأمر الا أننى أرسل بنى سليم فان أفلحوا بيضوا وجوههم وان هلكوا فيكون ذلك ببركة قاضيهم ثم انه أمر أن يكتبوا الى عمرو ويقول له أشتهى أن تسير الى مصر وتكفينا شر هذا الخارجى وتخلص البلاد من يده حتى أعفو عنك بما قد مضى ولا تحوجنى أجمع لك العساكر وأطلب الجهاد ثم أمر الوزير أن يرسل الكتاب الى ملطيه فلما وصل الكتاب الى عند الامير عمرو وقرأه وسمع مافيه من الخطاب جمع بنى

سليم وأعرضه عليهم وقال لهم اعلموا أن الخليفة ما هو طيب القلب علينا وكل هذا بسبب الملعون عقبه الذى كنا نشهد فيه بالصلاح حتى ظهر منه ما ظهر ويد الخلافه لا تطاولها يد ونحن فى بلاده واقطاعه وقد ندبنا الى هذا الامر وأنا أريد منكم أن تسيروا معى بنية صحيحة وتبذلوا أرواحكم لعلنا نهلك هذا الخارجى ويعود قلب الخليفه يتعطف علينا فما ننال المنزله الا بالصبر على النوازل فقالوا بنى سليم يا أمير ان هلاكنا أحب إلينا من الحياة وان الهلاك مع العز خير من الحياة فى النار كما قيل :

فعيشك تحت ظل العز يوما ولا تحت المذلة ألف عام

فشكرهم عمرو على ذلك ونادى فيهم بأخذ الأهبة وأعرضهم فكانوا سبعين ألف ففرح بذلك وطلعت الخيام والطبول ثم انه رحل وخرج الأمير والأميره لوداعه وأوصاهم عمرو أن يكشفوا أخبار عقبه فهذا ما جرى (وأما ما كان) من عقبه فانه سار الى انطاكيه ودخل الى عامل له وكان عنده مال كثير فأخذ المال منه واشترى ثلاث غلمان وبغله وجوادين وخيمه وعول على أنه يدخل الى بلاد الغرب فسمع أن زنعنع الحبشى قد ملك ديار مصر فقال وحق المسيح لابد لى أن أسير اليه وأطلب منه الزمام وأقيم فى بلاد المسلمين ثم ان الملعون عقبه سار الى صور وأقلع منها الى ديار مصر فرآها منقلبة بكثره العالم والعساكر ووصل الى الملك وعارضه وهو تحت مصر وقد عمل له طيلسان ونادى يا ملك خذ بيدى فأنا مظلوم وقد وصلت الى جنابك من قوم ظلمونى وما راقبوا فى وقد قطعوا أطرافى وأرادوا اتلافى فهربت منهم وجئت اليك ولم يزل عقبه حتى احتوى على قلب الملك بحسن النظام ولين الكلام فقال له يا شيخ قد قضيت حاجتك وتم معه وهو يحدثه بما قد جرى عليه فى الثغور وما قد تم عليه من الخليفة لأجل الدين وكان عقبه الملعون قد سأل عن دين الملك فقالوا له يعبد الشمس اذا طلعت بالأنوار ثم قال للملك وما أصابنى هذا الا بعلمى وخبرتى بصحة عبادة النار فلما سمع الملك ذلك تعجب فقال عقبه وحق ما فى الشمس من الحراره والنجوم السياره لقد أخفيت دينى وقد جاهدت فى الأعداء حتى اننى قد أهلكت منهم بعدد الرمل والحصى ولم يزالوا حتى اطلعوا على حالى وفعلوا بى هذه الفعال وما خلصت منهم الا بما قدمت يدى من العباده والجهاد فى المسلمين وأخبرك أيضا من ليالى رأيت أن النجم الثاقب قد خلا بى وقال لى يا شيخ لا تضيق صدرك ففى هذا العام وهذه الأيام يظهر رجل من بنى حام يتفضل على جميع الانام فاطلب أرض مصر وكن مع عبدى زنعنع فلما سمع الملك من عقبه ذلك الكلام طاب قلبه وانشرح صدره وقال له يا شيخ

فأنت مخصوص لهذا الدين فمن أى الأراضى أتيت الى هؤلاء الشياطين فقال يا ولدى أنا أصلى من بلاد الحجاز وقومى بنى سليم وكنت قرأت الكتب والمذاهب حتى وقفت على الصواب فلما سمع الملك زنعنع ذلك قال يا شيخ فأنت ابن عمى لان أبى أيضا كان من بنى سليم يقال له عقبه بن مصعب السلمى وكان عند خليفة المسلمين بمنزلة عظيمة فلما سمع عقبه كلامه بكا من فرحته وقال له يا ملك أنا عقبه وأنت ولدى وقد جمع الزمان بينى وبينك وقد شد ظهرى بك عند منتهى العمر لتأخذ لى بالثار من هؤلاء الأشرار فقال زنعنع ياشيخ وأنت دخلت الى بلاد الحبشه فقال له نعم فقال عند من نزلت فقال عند ميكائيل وأعطانى جارية سوداء فتزوجت بها وتركتها حامل فقال صدقت هى أمى وقد أوصتنى قبل موتها وأعطتنى هذه السكين وقد قالت لى أبوك عقبه بن مصعب قاضى المسلمين ثم ان زنعنع أخرج سكين وكان نصابها من الذهب مقمع بالفضة وعلى النصاب مكتوب عليها الشيخ الناصح عقبه وفى اصبعه خاتم على فصه أربع لؤلؤآت وعليه مكتوب الدين الصحيح دين السيد المسيح فلما رآهم عقبه اتضح له البرهان وكان السبب فى ذلك أن عقبه دخل فى زمان المأمون الى بلاد الحبشة الى دار ميكائيل فأكرمه وأنزله فى دار حسنة وأعطاه جارية تسرى بها مدة أيام فلما سمع أن المأمون رجع الى ملكه رجع عقبه الى أرض العراق فقالت له الجارية أريد تعرفنى من تكون وأريد منك علائم حتى أعطيها لولدى فأعطاها السكين والخاتم وقد عرفها أين مكانه ومن أى العرب هو ومقامه الثغور ودامت الجارية فى دار مولاها الى أن وضعت وما كان للملك ولد فأخذه ورباه وكبر وتجبر وكان يلقى بين الصبيان الشر والفتن الى أن بلغ مبلغ الرجال فانضافت اليه أصحاب وأعوان فصار يقطع الطريق وقد انضافت اليه الاشرار من السودان وهو يعطيهم وينعم عليهم حتى قوى واشتد ونظر الى نفسه بعز العظمة وقد كبرت نفسه عنده فتحالف هو والسودان على قتل الذى رباه وكان هذا من طمع أباه لعنه الله هو وأباه فما كان أكفره وأعداه فلما أن كان فى بعض الايام دخل على مولاه وذبحه من اذنه الى أذنه وملك مكانه وبذل الانعام فأطاعته السودان وصار حاكم على البلد واجتمع عليه أكالين الحرام فحدثته نفسه أنه يملك أرض مصر ووسوس له الشيطان فخرج فى خلق كثير ونزل على أرض مصر وحاصرها فأنفذ المتولى وأعلم الخليفة وأنفذ بنى سليم ولاناه عقبة الآخر وجرى منه ما جرى مع زنعنع وأصحابه وعرف أنه أباه فقال ياأبتاه ان أمى قد حدثتنى أنك نصرانى فقال له صدقت يا ولدى وأنا ما قلت لك عن عبادة النار الا حتى أتقرب اليك والا فلا دين الا دين

المسيح بن مريم الذى تكلم فى المهد قبل أن يظهر وأحيي الموتى من قبل النشور (قال) فشد يا ولدى وسطك بالزنار ودع عنك عبادة النار والشرار لأن ليس لها قرار هذا وان الملعون لم يزل يشرح له دين النصرانيه ويزخرف له فى الملة المسيحية حتى تنصر وفرح عقبه وأقام عنده وصار اذا ركب دارت به السودان من كل جانب وكلما رأى ذلك يقول فى نفسه ان عبد الوهاب يرانى وأنا قد صرت ملك وولدى ملك الحبشه وأولاد حام (قال الراوى) ولما أن كان فى بعض الأيام وصلت الاخبار الى زنعنع ابن عقبه نسل الحرام بأن بنى سليم قد وصلوا وهم يريدون قتاله وعن قريب يكونوا عنده باهتمام فاستشار أبوه عقبه فى المسير إليهم فقال له يا ولدى ارسل اليهم جاويش حتى تنظر منهم وتحقق أخبارهم فان كانوا بنى سليم أو عساكر العراق فما نبالى بهم وان كانوا بنى كلاب وعبدالوهاب فأقف مكانك فما للمسيح غيرك ولا له عدوا غيرهم وان كسرتهم أنت فاخرج وسير فانك بعدهم تملك البلاد وكان مع زنعنع عشرين ألف من العرب فأنفذ منهم خمسة آلاف يكشفون الاخبار عن العساكر القادمة فساروا العرب وما غابوا أكثر من ثلاثة أيام وعادوا يخبروا بأنهم بنى سليم وأنهم فى غد أو بعد غد يكونوا فى العريش وقد تبعتهم من عرب السواحل خلق كثير فلما سمع زنعنع بذلك قال يا أبتاه كيف نقاتل ابن عمنا فقال له عقبه يا ولدى نسب الدين أمر من نسب القرابة وأفضل ثم انه نادى فى العسكر بأخذ الأهبه ففعلوا وتسلحوا بالسلاح الكامل فلما أن كان من الغد ركب زنعنع وركبت عساكره فثارت غبرتهم الى أن طلعت للعنان فكانوا السودان اذا غدوا على أرجلهم يسبقون الخيل العربيه وبأيديهم الحراب الحبشيه وأكثرهم عرايا حمر الاحداق وهم الجميع على صفة الدواب فلما نظر عقبه الى ذلك اشتد فرحه وقال لولده زنعنع يا ولدى كفاك المسيح شر العين والحسد أنا أعلم أن بنى سليم ما تقيم بين يديك يوم واحد والصواب أن تأمر هؤلاء العرب أن تسير وتقطع هذه الطريق ولا يزالوا فى سيرهم حتى يخرجون من ورائهم ويصيروا خلفهم فتكون أنت من بين أيديهم وهم من خلفهم وتطبقوا عليهم بالعرب وسائر العبيد وتطحنوهم طحن الحصيد وتكبسوهم كبس المريد لانهم يكونوا آمنين من ناحية بلادهم فاذا انكسروا هؤلاء العرب وعادوا منهزمين الى ديارهم دبرت لك على أخذ البلاد والاراضى والامصار (قال الراوى) فلما أن سمع زنعنع كلامه أحضر العرب وخلع على كبرائهم وسادتهم وقد أعلمهم بما أشار أبوه فرأوه صواب فقالوا السمع والطاعه نحن نفعل ذلك أيها الملك ثم انهم جمعوا بنى عمهم وساروا فى ذلك البر طالبين

فأنت مخصوص لهذا الدين فمن أى الأراضى أتيت الى هؤلاء الشياطين فقال يا ولدى أنا أصلى من بلاد الحجاز وقومى بنى سليم وكنت قرأت الكتب والمذاهب حتى وقفت على الصواب فلما سمع الملك زنعنع ذلك قال يا شيخ فأنت ابن عمى لان أبى أيضا كان من بنى سليم يقال له عقبه بن مصعب السلمى وكان عند خليفة المسلمين بمنزلة عظيمة فلما سمع عقبه كلامه بكا من فرحته وقال له يا ملك أنا عقبه وأنت ولدى وقد جمع الزمان بينى وبينك وقد شد ظهرى بك عند منتهى العمر لتأخذ لى بالثار من هؤلاء الاشرار فقال زنعنع ياشيخ وأنت دخلت الى بلاد الحبشه فقال له نعم فقال عند من نزلت فقال عند ميكائيل وأعطانى جارية سوداء فتزوجت بها وتركتها حامل فقال صدقت هى أمى وقد أوصتنى قبل موتها وأعطتنى هذه السكين وقد قالت لى أبوك عقبه بن مصعب قاضى المسلمين ثم ان زنعنع أخرج سكين وكان نصابها من الذهب مقمع بالفضة وعلى النصاب مكتوب عليها الشيخ الناصح عقبه وفى اصبعه خاتم على فصه أربع لؤلؤآت وعليه مكتوب الدين الصحيح دين السيد المسيح فلما رآهم عقبه اتضح له البرهان وكان السبب فى ذلك أن عقبه دخل فى زمان المأمون الى بلاد الحبشة الى دار ميكائيل فأكرمه وأنزله فى دار حسنة وأعطاه جارية تسرى بها مدة أيام فلما سمع أن المأمون رجع الى ملكه رجع عقبه الى أرض العراق فقالت له الجارية أريد تعرفنى من تكون وأريد منك علائم حتى أعطيها لولدى فأعطاها السكين والخاتم وقد عرفها أين مكانه ومن أى العرب هو ومقامه الثغور ودامت الجارية فى دار مولاها الى أن وضعت وما كان للملك ولد فأخذه ورباه وكبر وتجبر وكان يلتقى بين الصبيان الشر والفتن الى أن بلغ مبلغ الرجال فانضافت اليه أصحاب وأعوان فصار يقطع الطريق وقد انضافت اليه الاشرار من السودان وهو يعطيهم وينعم عليهم حتى قوى واشتد ونظر الى نفسه بعز العظمة وقد كبرت نفسه عنده فتحالف هو والسودان على قتل الذى رباه وكان هذا من طمع أباه لعنه الله هو وأباه فما كان أكثره وأعداه فلما أن كان فى بعض الايام دخل على مولاه وذبحه من اذنه الى أذنه وملك مكانه وبذل الانعام فأطاعته السودان وصار حاكم على البلد واجتمع عليه أكالين الحرام فحدثته نفسه أنه يملك أرض مصر ووسوس له الشيطان فخرج فى خلق كثير ونزل على أرض مصر وحاصرها فأنفذ المتولى وأعلم الخليفة وأنفذ بنى سليم ولاه عقبة الآخر وجرى منه ما جرى مع زنعنع وأصحابه وعرف أنه أباه فقال يا أبتاه ان أمى قد حدثتنى أنك نصرانى فقال له صدقت يا ولدى وأنا ما قلت لك عن عبادة النار الا حتى أتقرب اليك والا فلا دين الا دين

المسيح بن مريم الذى تكلم فى المهد قبل أن يظهر وأحيي الموتى من قبل النشور (قال) فشد يا ولدى وسطك بالزنار ودع عنك عبادة النار والشرار لأن ليس لها قرار هذا وان الملعون لم يزل يشرح له دين النصرانيه ويزخرف له فى الملة المسيحية حتى تنصر وفرح عقبه وأقام عنده وصار اذا ركب دارت به السودان من كل جانب وكلما رأى ذلك يقول فى نفسه ان عبد الوهاب يرانى وأنا قد صرت ملك وولدى ملك الحبشه وأولاد حام (قال الراوى) ولما أن كان فى بعض الأيام وصلت الاخبار الى زنعنع ابن عقبه نسل الحرام بأن بنى سليم قد وصلوا وهم يريدون قتاله وعن قريب يكونوا عنده باهتمام فاستشار أبوه عقبه فى المسير إليهم فقال له يا ولدى ارسل اليهم جاويش حتى تنظر منهم وتحقق أخبارهم فان كانوا بنى سليم أو عساكر العراق فما نبالى بهم وان كانوا بنى كلاب وعبدالوهاب فأقف مكانك فما للمسيح غيرك ولا له عدوا غيرهم وان كسرتهم أنت فاخرج وسير فانك بعدهم تملك البلاد وكان مع زنعنع عشرين ألف من العرب فأنفذ منهم خمسة آلاف يكشفون الاخبار عن العساكر القادمة فساروا العرب وما غابوا أكثر من ثلاثة أيام وعادوا يخبروا بأنهم بنى سليم وأنهم فى غد أو بعد غد يكونوا فى العريش وقد تبعتهم من عرب السواحل خلق كثير فلما سمع زنعنع بذلك قال يا أبتاه كيف نقاتل ابن عمنا فقال له عقبه يا ولدى نسب الدين أمر من نسب القرابة وأفضل ثم انه نادى فى العسكر بأخذ الأهبه ففعلوا وتسلحوا بالسلاح الكامل فلما أن كان من الغد ركب زنعنع وركبت عساكره فثارت غبرتهم الى أن طلعت للعنان فكانوا السودان اذا غدوا على أرجلهم يسبقون الخيل العربيه وبأيديهم الحراب الحبشيه وأكثرهم عرايا حمر الاحداق وهم الجميع على صفة الدواب فلما نظر عقبه الى ذلك اشتد فرحه وقال لولده زنعنع يا ولدى كفاك المسيح شر العين والحسد أنا أعلم أن بنى سليم ما تقيم بين يديك يوم واحد والصواب أن تأمر هؤلاء العرب أن تسير وتقطع هذه الطريق ولا يزالوا فى سيرهم حتى يخرجون من ورائهم ويصيروا خلفهم فتكون أنت من بين أيديهم وهم من خلفهم وتطبقوا عليهم بالعرب وسائر العبيد وتطحنوهم طحن الحصيد وتكبسوهم كبس المريد لانهم يكونوا آمنين من ناحية بلادهم فاذا انكسروا هؤلاء العرب وعادوا منهزمين الى ديارهم دبرت لك على أخذ البلاد والاراضى والامصار (قال الراوى) فلما أن سمع زنعنع كلامه أحضر العرب وخلع على كبرائهم وسادتهم وقد أعلمهم بما أشار أبوه فرأوه صواب فقالوا السمع والطاعه نحن نفعل ذلك أيها الملك ثم انهم جمعوا بنى عمهم وساروا فى ذلك البر طالبين

انجاز الأمر وقد سار زنعنع من بركة الجيش وما زالوا سائرين حتى وقعت العين على العين وتقابلت العسكرين فنظرت السودان الى بنى سليم والى لبسهم فعند ذلك طمعت فيهم لاجل الاموال وأرادوا أن يشرعوا فى أمر القتال فعند ذلك أمر عقبه الى ولده زنعنع أن يردهم ففعل ذلك وقد أمر النقباء أن تردهم عن القتال (قال الراوى) ثم ان عقبه كتب الى عمرو بن عبيدالله كتاب يقول فيه الذى أعرفك به أنى أنا ابن عمك عقبه الذى تخليتم عنى لاجل ما رأيتمونى خالفت المذهب وسلكت الدين الأصوب فلما علم المسيح ذلك خلصنى منكم بظهور هذا الولد المنتخب والرأى أن تنظر فى طاعته حتى يعطيكم البلاد ويرفعكم لأجل النسب على سائر الأجناد والا أطلق عليكم السودان فلا يبقوا منكم انسان ثم انه أرسل الكتاب الى الامير عمرو فلما قرأه قال لبنى عمه ألا ترون الى هذا الملعون كيف يريد أن نتنصر ونلعن فى سائر الاقطار ثم انه سأل الرسول كيف جاءه من الولد فأخبره بحديث زنعنع وقصته فتعجب غاية العجب وكتب اليه جواب الكتاب يقول له ياملعون ان الذى تدعونا إليه لانفعله قط وإنما نحن جئنا فى طلبك حتى نحملك الى الخليفة يصلبك ونبيض وجوهنا بأخذك ولو ظهر لك ألف ولد مثل هذا الولد لابد لنا من صلبك ونحن طليعة لمن خلفنا من العسكر وفى غداة غد يشرف الخليفة فى عساكره مثل البحر الزاخر ويتقدمهم الامير عبد الوهاب وبنى كلاب وسودانه وترى كيف ينتقم الله منك وتبقى فى حال الذل والهوان ثم أعطى الكتاب للرسول فعاد ولما أعطاه لعقبه وسمعه لولده زنعنع كشف رأسه وخفف لباسه وحمل حملة منكره وحملت سودانه وقوموا الرماح وصرخوا صرخة واحدة وطلبوا قبض الارواح فما كنت ترى إلا رؤوس طائره ودماء فائره وأيادى تقطع وحضرت الآجال وقطعت الأوصال وزنعنع يصيح فى المجال ويرمى برمحه الأبطال ويضرب بسيفه الرجال وعقبه فرح بذلك ودعا له بطول الآمال وما زالوا كذلك حتى ولى النهار وأقبل الليل وعادت السودان ومعها خيل وغنائم كثيرة من بنى سليم . وأما الامير عمرو فانه لما رجع نزل واجتمعت الأمراء وقالوا له ما عملت معنا خيرا وانك أردت هلاكنا لأننا فى قلة وهم فى كثرة فقال عمرو يابنى عمى هذا أراده الله تعالى فقال محمد ابن أبان لانه كان من شياطين بنى سليم ولعقبه من المتعصبين ياابن العم ما أنفذنا الخليفه إلا يريد موتنا أجمعين ولو كان وقع لغيرنا هذا الامر كان شد الزنار وكفر بالرحمن ولكن غدا نبصر الى آخر النهار وإن طال علينا المطال طلبنا الفرار (قال) وأما زنعنع فانه دخل على أبيه فقبله مابين عينيه ودعا له وقال ياولدى شد قلبك وطمن

نفسك فانى أدبر لك تدبيرعظيم وآخذ هدايا وتحف من عندك إلى ملك الروم واعلمه بفعالك وأزوجك ابنته وأخرجك الى الثغور وتملك أنت الحكم والملك وتعود الدنيا كلها تحت حكمك ففرح بذلك زنعنع (قال الراوى) ولما اصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت السودان بقلب قوى وحملت حملة منكره . ولما رآهم محمد بن ابان قال هذا ما أخبرتكم به فارجعوا الى ورائكم وإلا أفنوكم عن آخركم فانكسرت قلوبهم ولحقهم الخوف وداخلهم الفزع فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ففرح زنعنع ومن معه من السودان ونهبوا الاموال والخيام والاثقال وقد رجعوا وهم بالنصر فرحين حامدين الى مصر (قال الراوى) وأما عقبه فانه أخذ من ولده زنعنع هدية سنية وسار يطلب مدينة القسطنطونيه وفى نيته يخطب لولده زنعنع ابنة الملك ملك الروم ميخائيل كما أوعده بها (قال الراوى) فسار الملعون ولم يزل سائر الى أن أشرف على أرض اسكندريه وكان اللعين قد نكر روحه وقال من ههنا تقلع الى بلاد الروم ثم ضرب خيمته برا البلد وجلس فى الخيمة وقال للسودان ابصروا إن كان على البحر مركب تقلع فيه الى قبرص ويكون خاليا من التجار وأرغبوا صاحبه بالمال حتى لايركب معنا آخر فقالوا السمع والطاعة . ثم انهم مضوا الى ساحل البحر وعادوا عند المساء فقال لهم ما الذى فعلتم فقالوا قد وجدنا على الساحل مركب وقد أكريناه رخيص فقال لهم انقلوا أسبابنا فنقلوا جميع أثقالهم الى المركب ولما أن كان الثلث الأول من الليل جهزوا أحوالهم وسار عقبه والعبيد بين يديه حتى وصل الى المركب وصعد وقد اطمأن فؤاده وعلم أنه قد بلغ مراده هذا وعقبه فرحان وقد أمن على روحه وأوقد بين يديه شمعة ونظر الى الملاحين وهم على جانب المركب وسألهم الى أين هم ذاهبين فقالوا انا قاصدين الى مدينة القسطنطونيه ففرح الملعون بذلك ولم تحدثه نفسه أن البطال يحمل مراكبى (قال الراوى) ثم أقلعوا من على مدينة اسكندريه وساروا الى نصف الليل فأحضر المدام وقعد الملعون يسكر الى أن تمكنت الخمرة من رأسه وطاب له الوقت فقال وحق المسيح لابد فى ذلك ما أخرب البلاد وأهلك العباد وأكثر فى بلاد الاسلام من الفساد ومادام أن المسيح قوى ظهرى وشد أزرى بولدى زنعنع فلابد ما أعمل على خراب ملكه وأنزل بكل مافيها البؤس وأجلب الى هناك الرهبان والقسوس وأدق هناك الناقوس (كذب الملعون لعنه الله) ثم قال اين عينين البطال يرانى فى ذلك الدست وحق المسيح والإنجيل انه جاء على بجرعة الثكلا وهو الآن دائر يدور على يريد منى فرصة أو خلسة فقالوا له غلمانه ياسر لانا بحق المسيح لاتذكر

لنا ذلك الشيطان فانه متى ذكر حضر فقال لهم ألا تخافوا يا ولادى وحق المسيح ان البطال يفزع منى أكثر مما أفزع منه (قال الراوى) فما استتم عقبه ذلك الكلام حتى وثب اليه الأمير أبو محمد البطال من طارمة المركب وقال له ياشيخ أما هوقبيح عليك تغتاب الناس فى غيابهم. فلماسمع عقبه ذلك الكلام اصفر لونه واضطرب كونه وتلوث فى ثيابه وقال له من أنت لابارك المسيح فيك فقال أنا صديقك بالتصريح ابشر أيها الشيخ النجيح بالصفع المليح فأنا البطال بلا تلويح. ثم انه تقدم اليه وشد يديه ورجليه وكذلك أخذت أولاده الغلامين الذين له وضربوا رقابهم وأرموهم الى البحر وأن البطال أحضر الأموال التى كان رايح بها عقبه الى ميخائيل يخطب ابنته الى ولده زنعنع فوجدها أموال كثيرة فقال عقبه يابطال لا تظن أن تلك الأموال طابت اليك فدونها موت أحمر وبلاء مصور لأنها لولدى (زنعنع) الذى ملك مصر وسوف انه يملك البلاد ويهلك العباد ويجعل سرير ملكه بغداد (قال الراوى) فلما سمع البطال من عقبه ذلك الكلام قال له: ويلك يا كلب النصرانيه وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية. أما قولك عن ولدك زنعنع فما بينه وبين حياته إلا بمقدارمايصل عبدالوهاب سيد بنى كلاب بأبطال بنى عامرأهل الثنا والمفاخر الأسود الكواسر فسوف إن شاء الله على باب القاهرة نصلبه ثم انه ضربه ضرباً أليما ماعليه من مزيد وكشف رأسه وربطه فى صارى المركب ثم انهم لجوا فى البحار (قال الراوى) وقد ذكرنا أن الأمير أبو محمد كان رئيس مراكب درك فجعل يدير المركب بمعرفته وحسن خبرته إلى أن أشرفوا على السويدية فطلبوا اليها وأرسل غلامه لؤلؤ إلى حاكم البلد يبشره بقدومه فطلع اليه حاكم البلد وفرح به فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وزينت البلدالىقدومه وكانلقدومالبطال يوم يعد منالأعياد وأخذت عقبة الأكف من كل جانب ومكان (قال الراوى) ثم ان البطال أمر بعقبة الى المطمورة وأقام عليه التوكيل وأقام يطلب الراحة ثلاثة أيام بعد ماباع المركب واشترى بحقها دواب وأخذ عقبة وسار يطلب ملطيه ولم يزل سائر الى أن أشرف عليها فوجد الأمير عبد الوهاب قد برز بوطاقه وقد ضربه على نهر قباقب والبدنون وهو متجهز الى الغزو (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الأمير عمرو بن عبيد الله لما ارتد مكسور ووصل الى ملطيه وأخبر بذلك الأمير عبد الوهاب فصعب عليه وكبر لديه على ماجرى للمسلمين ثم نادى فى أبطال بنى عامر وكلاب والسودان الأنجاب بالغزو على ذلك الخارجى (زنعنع) فقال له عمرو ياأمير قد بلغنىّ ممن أثق به أن هذا زنعنع

ولد القاضى عقبة وما كسرنا إلا هو بتدبيره . فقال الأمير سوف إن شاء الله ألقاه واعجل فناه فان الله قد وعدنا النصر . وقد قال رب العالمين وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (قال الراوى) ثم انه ضرب وطاقه على نهر قباقب كما ذكرنا وقال والله قلبى على الأمير أبو محمد البطال فقد طالت غيبته وانقطعت عنا أخباره وانى أخاف عليه أن يسمع بعقبة أنه فى عساكر السودان فيمضى اليه فيعرفه فيعمل على هلاكه . فقالت الأميرة (ذات الهمة) يابنى لله الأمر من قبل ومن بعد (قال الراوى) وفى تلك الأيام أشرف عليهم الأمير أبو محمد البطال ومعه عقبة وأرسل ولده مذبحون يبشر بقدومه ففرح الأمير عبد الوهاب وكذلك الأميرة ذات الهمة وأمراء بنى كلاب والسودان الأنجاب . ثم انهم ركبوا الى لقاه وزينت البلدة لقدومه وأخذ عقبة اللطم من كل جانب ومكان الى أن أنزل الماء الأصفر من عينيه فقال لهم ويلكم يا شياطين إن مرادكم تصلبونى أبقونى فانى وحق المسيح مشرف على الهلاك (قال الراوى) ثم إن البطال أخذه وحبسه فى المطمورة التى عنده فى داره . ثم انهم أنفذوا بطاقة الى الخليفة المعتصم يخبروه بذلك الأمر وأن الأمير عبد الوهاب متوجه الى قتال زنعنع فجاء الخبر أنكم تحترزوا عليه غاية الاحتراز (قال الراوى) ورحلت العساكر ويتقدمها الأميرة المجاهدة ذات الهمة وولدها الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وقد وكل غلمانه بالدار التى فيها عقبة وترك عندهم الحصين وأخذ ابنته عذيبه وولده مذبحون وسار من فزعه على الامير مع جملة العساكر وبلغت الأخبار الى سائر البلاد بأن الامير عبد الوهاب طالب دار مصر فأتوا الطماعه طالبين المكسب واجتمع عليه كل قاطع طريق وكل لص فى الشام طمعا فى النهب والحطام ولما وصل الى دمشق صار فى مائة ألف عنان ولما نزل على ظاهر الغوطه خرجت اليه الإقامات والعلوفات من صاحب دمشق الامير سوار وصار الامير بعد ذلك طالب بلاد الساحل وهو لايأخذه قرار لاجل مافى قلبه من زنعنع بن عقبه من النار قال وان زنعنع قد وصلت اليه الاخبار وقالوا له الجواسيس يا ملك شد عزمك فى هذه النوبه فقد سارت اليك عساكر بنى كلاب ومعها سودان مثل الذئاب يقدمهم الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه بنت مظلوم التى قد خربت بلاد الروم ومحت منها الرسوم وما أتى حتى ضمن للخليفة أنه يقودك اليه ويحضرك بين يديه فلما سمع زنعنع ذلك الكلام ضحك وقال وحياة شيبة أبى الشيخ النجيح الذى عرفنى عبادة المسيح لاورينكم عند إشراف هؤلاء القوم قتال يذكر يوم بعد يوم ثم أنه أمر عساكره بأخذ الأهبه واستعداد العدة

وقالوا نحن مانخرج من بلاد مصر حتى نكسر هذه العسكر ونملك البلاد كما أمرنى أبى على أنه لابد ما يعود مع ملك الروم الى بلاد الثغور ونخرب تلك البلاد (قال الراوى) ثم أن الملعون زنعنع أمر العساكر بأخذ الأهبه للحرب والقتال والاستعداد وللطعن والضرب (قال الراوى) ثم أنه التقى بعساكر المسلمين وابطال الموحدين وكان الملتقى بينهم بمرج يعرف بمرج أبى عاص فلما وقعت العين على العين ونظرت بعضها البعض فرسان الطائفتين فلم تمهل عساكر السودان أن تصف صفوفها حتى أنهم حملوا على القوم من غير ترتيب ومازجت فيهم السودان بالحرب والمزاريق وفعلوا بقوم زنعنع فعال الأبطال وخاضوا فى المجال واشتد الحرب وطال واشتعل القتال وجرى الدم وسال ووقع للجبان الانذهال (قال الراوى) هذا ولما نظر الأمير عبد الوهاب الى سودان زنعنع فى ذلك اليوم ومافعلوا بالرماح والحراب فقال إنا لله وإنا إليه راجعون والله ما رأيت مثل هؤلاء القوم لأنهم على طبع الدواب يرمون أرواحهم مثل مايرمى الانسان نفسه الى بارد الشراب ثم شكى ذلك الى الاميره ذات الهمه وقال والله يا أماه ما ننال منهم غرض حتى يهلك منا خلق كثير ولاسيما هذا الكلب ابن الكلب زنعنع الملعون فقالت الاميره ما حاله يا ولدى فقال انى لقيته فرأيته فى طبقة عظيمة من الفروسيه ورأيت منه شيطان لا يندفع فقالت الاميره أنا رأيته أول النهار وهو يجول وما كان لى إليه وصول ورأيت قتاله كله خساره بلا خبره ولو كان الله أوقعنى به لما كنت فارقته إلا بالانفصال على أننى يا ولدى اليوم ما أحضر الحرب الاطالبة الشهادة لان الكبر قد استولى على ولا بقينا مما يقاوم الفرسان الا بالصبر والجلد وفى غداة غد نقاتل حتى تهدى نار الحرب ونخرج نطلب البراز لعل هذا الشيطان يخرج ويظفر به واحد منا وقد نفرت هذه العساكر من بين أيدينا لانهم أقوام بجمعه وكلهم به وما هو الا أن يعدم وقد تفرقوا فى أقطار الارض فقال الدينارى وقد قامت عيناه فى أم رأسه ياأمير طيب قلبك فأنا غدا أخرج الى الميدان وأهلك هذا الكلب ومن معه من السودان فسكن قلب الامير عبد الوهاب بذلك وطلب الامير أبو محمد البطال فما رأى له خبر فدق صدره لاجله وقال والله ما هو الا مضى الى عسكر هؤلاء الشياطين يحتال عليهم كما وعدنى وما أخوفنى عليه منهم لانهم بخلاف الروم ثم انه بات ضيق الصدر لاجل هذا الأمر (قال الراوى) وكان الامير أبو محمد البطال قدشاهد القتال وقت العصر فرأى أن عسكر زنعنع قوى وأنه لاينكسر فى يوم ولا اثنين وخشى على عسكر الامير أن يفنى منهم جماعة من الموحدين فقال لولده مذبحون ولابنته عذيبة إعلمى أن هذا

القتال يطول وأنا قلبي على عقبه أن يهرب من ملطيه ويرجع سرى يتعب فى حضوره وربما مضى الى بلد ما أقدر آخذه منها والأمير قد قتل من عسكره جماعه وكل واحد منهم يسوى عشرين قبيله من هؤلاء الملاعين والصواب أننا ندبر فى أخذ الملك فى هذه الليلة لعل العسكر تنكسر بين أيدينا ونرجع الى ما هو أهم من ذلك وهو صلب عقبه. فقالت عذيبه ان كانوا هؤلاء القوم ما أبقاهم الا هذا الشيطان فسيروا معى حتى أريكم ما أفعل به وأوقعه فى شرا كى وان كنتم تخافوا ولا تدخلوا معى الى عسكره فأقفوا ظاهره حتى أدخل الى الملك وأخدعه بعبادة النار وأسوقه إليكم فوق الحمار فضحك البطال من كلامها وفرح بهذا الكلام وعاد الى خيمته وأخذ كلما يحتاج إليه وكلما قالت له عليه عذيبه فعله يستعين به على مايفعله وخرجوا عنداختلاط الظلام وساروا حتى وصلوا أطراف الخيام ولبست عذيبه تنور ذهب أحمر وتقنعت بقناع شعر أسود. وأخذت بيدها عكاز ودخلت نحو العسكر وهى طالبة سرادق الملك وقدأوصت أباها وأخاها بالمقام هنالك ولم تزل تخرق المضارب والخيام حتى وصلت اليه وكان زنعنع قد وصل واستراح وأمر باحضار الطعام وعنده خواص بنى حام وما هو الا أن قدمت له المو'ئد وقد شرعوا فى أكل الطعام فما هو إلا أن سمع صوت رقيق ندى يتلو شيئا من كلام المجوس وذكر الذمزمة الذين يذكرونها عند الأكل وهى اشواها يالملوهى هندناياهورهماتاريتااستانا ياشعياناادشعوباياهاقلناهايالوع بنار شعشيم وقطن يانافتونا واغطينا منسلينا سيارسينا أن سبنا فغمسنا عند سينا أفعطينا (قال الراوى) وهذا هو دين قديم أظهره فى الخلق رجل حكيم يقال له روالست وأمر بعبادة النار. وأظهر كلاما وشيجا وتقديسا بلغة المجوسية وأمر أمته أن يقولوه عند حضور الطعام. واذا ارتفع وعند اشراق الشمس اذا طلعت وعند ايقاد وقت وقودها وعند قدوم. الظلام وتصفيق الكواكب والقمر السائر الا أن زنعنع لما سمع الزمزمه من عذيبه بذلك الصوت الرقيق الحنون وذكر عبادة النار عاد قلبه إليها ووقعت اللقمة من فمه ودمعت عيناه وكذلك أصحابه وقال لغلمانه على بهذا الرجل العابد فما أظنه إلا رسول من النجم الثاقب وهو عتبان على فخرجوا الغلمان وعادوا وعذيبه معهم بذلك الزى والوقار وهى مثل البدر اذا بدر فلما رآها الملك تقلقل قلبه وطار لبه وقام هو وجميع من حضر إجلالا لقدومها وما فيهم الا من قبل يديها وأجلسها الملك الى جانبه وقال لها من أين قدمت علينا أيها العبد الصالح ومن تكون وكم لك فى الأرض سائح فقالت عذيبه أما سؤالك من أنا فأنا ابن الملك النبراس صاحب كانون الذهب

وتنور النار ذات اللهب الذى صفا فى العباده وتجوهر وأما قولك فيما أتيت فى أمر أقصه عليك وأريد أن يكون سرا لا يطلع عليه أحد الا أنا وأنت والاله المعبود فانه أمر برد قلبك فلما سمع الملك هذا الكلام ولع قلبه وهام وأصرف جميع من كان حوله وأمر أن يرخوا عليه أبواب السرادق ففعلوا ذلك وما فى الحضار الا من خرج وقلبه فرحان لأنهم كانوا قد بغضوا الملك من حيث استقل الى عبادة الصلبان فخرجوا وهم يقولون لاشك أن النار غضبت على ملكنا وقد أرسل اليه النجم الثاقب رسول يرده إلى الصواب لأن صورة هذا الرسول لم تكن من صورة الآدميين ولا رقة بشرته ولطافته وملاحته وهذا دليل على أنه من الملوك العلويين (قال الراوى) هذا والملك قد خلا بعذيبه وقال لها أيها السيد قص على مامعك من الأخبار فقد أضرمت فى قلبي النار فقالت عذيبه : اعلم أيها الملك انى خرجت من بلد من بيوت النار أتعبد فى بيوتها ورؤوس الجبال ليلا ونهارا حتى وصلت الى هذه الدنيا وقلت انى أمضى الى عين سلوان وأزور بيت هارون . فبينما أنا البارحة نائم عند اهرام مصر واذا قد تجلى النجم الثاقب الذى نعبد النار لأجل تقربنا اليه وقال لى ياعبدى قد قبلت عبادتك وبكاك وأريد أن أتحفك بالثواب وأرسلك رسول الى هذا الملك الذى تبرأ منى واشتغل بعبادة المسيح عنى ودخل عليه المحال من رجل محتال شيخ غدار لعب بعقله حتى بلغ منه الآمال وأزاله عن عبادة النار فامضى اليه وأعلمه انى غضبان عليه وان لم يستقيل من عثرته ويرجع يعظم معبوده وإلا جعلته عبرة بين عبيدى وأنزلت عليه الذل والمسكنة عند محاربته وأحرمته لقائى وأسكنته فى دار بلائى وان هو عاد عن ما ابتدع وقد رجع عن هذه البدع وعاد الى الدنيا كما كان وشيد بيوت النيران . ثم عادت عذيبه الى قراءة المجوس وذكرت أهوال يوم القيامة حتى بكى الملك من شدة ما ناله وكشف رأسه وقال أيها العبد الصالح دلنى كيف أصنع ؟ فقد دخل على قلبي الشك والبدع رأيت اليوم الرخاوة فى بدنى عند الحرب وأظن هذا من غضب الرب . فقالت عذيبه : أيها الملك استدرك الأمر قبل الفوات ولا تتكبر وارمى عن نفسك رداء الإعجاب وقم معى الى جبل طور العتاب واخرج معى الساعة الى ظاهر عسكرك حافى مكشوف الرأس متنصل من دنياك حتى أبسط لك رماد وأقف الى جانبك وأعلمك ما تقول وأدعو الرب الكبير وتصلى ركعات حتى يغفر لك مامضى ويقابلك بالعفو والرضا . لأن ذل العبد بين يدى المولى عز الى الأبد وما خاب من وقف تحت الظلام وتعبد . فلما سمع الملك ذلك طاش عقله وحار

وقام حافيا من سرادقه يطلب البر والقفار ولم يطلع على حالتـه أحد لا من الجيش ولا من غـيره . هـذا وعذيبه سائرة بين يديه حتى انفردت عن الخيام تحت غسق الظلام واستقبلت به الشوق وبسطت يديها وبسطت سقط كان معها فى مخلاة وجعلت تلقنه ما يقول من الدعاء وتبكى فى وجهه حتى بكا وصلى حتى غسق الظلام وهدى وقالت له عذيبه اتكى الساعة على جنبك فاتكى وقامت عذيبه تبكى عند رأسه وبعد ساعة قالت له عذيبة قد غفر لك ربك ومحيت خطاياك وذنبك فقعد زنعنع وهو قد انتبه كأنه كان فى منام وقال أيها العبد الصالح أريد ربى أن يخاطبنى وأسمع منه كلام فقالت عذيبه ما تقدر على ذلك إلا أن تترك القيد فى رجلك وهذا الغل فى عنقك وفى يديك وسلم أمرك اليه ثم أخرجت له قيد وسلسلة طويلة وهو مثل الحيران ثم انها غلت يديه الى عنقه وقالت له هذا بلوغ الصالحين للآمال وأخرجت سوطا من جلد منقوع وجعلت تضربه على أجنابه وتقول هذا عقوبة فعالك الفاسد وتحولك عن الدين الصحيح الى عبادة المسيح ولم تزل تضربه على أجنابه حتى أدمت وصاحت بأبيها البطال وأخوها مذبحون فتبادروا اليها ورأوها على تلك الحاله فتعجبوا من فعالها ثم أنهم جعلوا الأكره فى فمه وشدوا عليه وحملوه وساروا يطلبون عسكر الامير عبد الوهاب وقد أوسعوا فى الأرض حتى عبروا الحرس فكانوا عند السحر فى عسكر المسلمين وقصد الامير أبو محمد الى خيمة الامير عبد الوهاب وكان قد عاد من الحرس هو وأمه ذات الهمه لأن الليل كان قد انقضى وما هم الا قد نزلا حتى دخل عليهم البطال وأولاده فقال الأمير عبد الوهاب مرحبا يا أبو محمد أين كانت غيبتك والله ان قلوبنا بك معلقة فقال أبو محمد ما كان الاخير بحمد الله تعالى ثم ترك زنعنع بين يديه وأخبره بالحال وبما صنعت عذيبه من الحيلة فتعجب الامير وشكر الله تعالى وأثنى عليه وقال سبحان مسهل الأمور والله يا أبو محمد ما بت الليلة إلا وأنا حامل هم هذا الملعون وهم عساكره ثم نظر اليه وهو فى القيد والغل فزاد عجبه وقال والله ان فيه مشابهة من أبيه لولا سواده وهذا اذا كسرنا عساكره صلبناه على باب الذهب حتى لا يرجع يطمع أحد فى أموال المسلمين ولا يخرج خارجيا على بنى العباس ثم أنه وكل به جماعة من بنى كلاب وأقاموا حتى أصبح الصباح وثاروا الى الحرب والقتال بنيات صحاح وركبوا متون الخيل القداح وكثر فيهم الصياح وركب أيضا عسكر زنعنع وسودانه وانتظروا زنعنع أن يخرج فما خرج فسألوا عنه خواصه الذين كانوا عنده فقالوا رأيناه وقد أتاه شخص مثل القمر عليه ثياب حمر ورأيناه وهو يعاقبه على تركه عبادة النار ودخوله فى دين أصحاب الزنار وبعد

ذلك طلب الخلوه معه وخرجنا من عنده وتركناه وهذا آخر العهد به فان كان قد تم على الملك أمر فهذا علامة الادبار (قال الراوى) وقد شاع هذا الحديث بينهم حتى سمعوه العرب الذين كانوا قد صاروا مع زنعنع من أرض مصر فصعب ذلك عليهم وقالوا لبعضهم هذا هوالهلاك بعينه لنا ولأولادنا وسبب هجاجنا من أوطاننا وبلادنا لأننا قد خامرنا على أصحابنا وقاتلنا مع هـذا الخارجى وها قد تم عليه ما تم وما بقى فى الأمر الا أننا نسير اليوم ونـكون بمعزل عن القتال فان طلع للملك خبر بقينا على حالنا وان كان هلك حملنا على هؤلاء السودان والا سبونا وتركونا مثلا فى هذا الزمان (قال الراوى) ثم انهم ترتبوا واصطفوا للحرب وتأهبوا للطعن والضرب وقالت الحبشه نحن نعلم أن ملكنا ما عدم الاوهو عند هؤلاء القوم وقداحتالوا عليه وأخذوه ولا بد ما نرمى أرواحنا الى الهلاك حتى اننا نخلصه ثم انهم صاحوا وعولوا على الحملة فقال الأمير أبو محمد البطال للأمير عبدالوهاب اقبل منى ماأقول واخرج هذا الملعون إلى بين الصفين واضرب رقبته واصلبـه حتى ينقطع آمال السودان منه والا لاقيت اليوم منهم قتال مارأيته قط لأجل طمعهم فى خلاص ملكهم فقال الأمير عبدالوهاب افعل ما بدالك فأنا ما كان فى نيتى إلا صلبه مع أبيه والساعه فرأيك أصوب ثم انهم نصبوا لزنعنع خشبة بين الصفين وما كانت الاساعه حتى حمل إليها بقيده وغله ورفعوه الى أعلاها وقد أخذته الحراب والسهام من السودان والعوام ورأت عساكره ذلك فتعلقت عزائمها وانقطعت ظهورها وقد عولوا على الحملة فصاحت عرب مصر أمير المؤمنين يا منصور ثم انها مالت على عساكر السودان ونظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك فحمل فى بنى كلاب وكذلك الدينارى والسودان الأنجاب ووقع فى عسكر زنعنع الذل والهوان وأخذهم الصياح من كل جانب ومكان وعمل فيهم الصارم اليمان فيا لها من ساعه ما كان أعظمها وعلى أهل الكفر ما كان أيشمها (قال) فعنـد ذلك ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وعمل فى أقيفتهم السيف اليمان وفى ظهورهم الخطار ولم تزل العساكر وراءهم الى آخر النهار وردالأمير عبدالوهاب والأميره ذات الهمه وبنى كلاب والسودان الأنجاب والكل يثنوا على الأمير أبو محمد البطال وعلى ولده مذبحون وابنته عذبيه ويسبحون الله ويقدسونه (قال الراوى) ولما كان من الغد ارتحلت عساكر الاسلام والأمير عبد الوهاب أقبل إلى أرض مصر ينظر ان كانت السودان فيها والا رحلوا عنها قال لا بد أن أخلص مصر من هؤلاء الأنذال وكان المصاف بينه وبين مصر خمسة عشر فرسخ لأن مصر مفضلة فى سائر الأقاليم لأن الله تعالى ذكرها

الذين قد أضعفوا أهل بلاد الرومية وهم يحملون كل عام إلى المحمديين أموال النصرانية
(قال الراوى) ياساده ياكرام هذا والبطارقة قد انخرقوا الذين هم قيام على رأسه وما فيهم
إلا من طار الدم من وجهه فزعا من سطوته وباسه ورأى عقبة ذلك فقال فى نفسه هؤلاء
وحق المسيح هم الملوك والسلاطين الذين يملكون الأرض فى طولها والعرض ثم فتح فمه
وقرأ فصلا من الانجيل وترنم فيه حتى رأى نوع للملك يسهل عقله وبعد ذلك تكلم فى زهد
المسيح واندر بما وصى به على الجهاد وذكر الملعون عقبة من عنده أخبار ماأنزل الله بها من
سلطان وهى هذيان وفشار حتى رغب الملك فى دخوله إلى بلاد الاسلام ولم يزل على مثل
ذلك حتى ملا قلب الملك من الغيظ الذى فيه وتعجب الملك الشمخولص من علمه وحديثه
وأقبل عليه وقال له من أنت من عباد المسيح وكيف أتيت إلى تلك الديار فقال عقبة أيها
الملك أنا الذى طول عمرى فى الاقطار غريب أنا المجاهد فى دين المسيح القريب أنا الذى
لا أزال مقيما فى بلاد الاسلام وأجلب لهم البكاء والنحيب وماأتيت إلى هذه الديار الالما
أعيتنى الحيل وقل منى العمل ومابقى لى ساعة ورأيت الاسلام كل يوم ينمو ويزيد فدبرت على
أمراء هؤلاء المسلمين وحصلت فرسان أعداء هذا الدين وقصدت إليك وأنا مسافر وأردت
ان أعبر عليك فى صفة زائر وأهدى أعدائى إليك وأتقرب بهم بين يديك وأسألك أن
تخرج وتعيننى على الباقين وتقطع من الأرض آثار المحمديين لما بلغنى من كرم صفاتك
وشدتك وسطوتك وكيف أن الشيخ يدعاك من دون العباد وماقد ملكت من الجزائر والبلاد
وانى لما وصلت الى قلعة السها جرى على فيها ماجرى وماقدروا على الأعداء بسوء تدبير هذا
المقتول الظالم لنفسة لأنه بقلة تدبيره افنى البطارقه والروم وأمرته أن يكتب اليك كتاب
يعلمك بتلك الأسباب فمافعل إلا برأيه المنحوس والآن فقد بلغ الأمر إلى المنتهى والمسلمين
قد ملكوا قلعة السهى التى مالها مثيل فى الدنيا وبناتى واختى معهم سبايا ومابقى لى معول الا
عليك ولا ملجأ الا اليك ثم ان الملعون بكا وناح وعدد على النصرانيه حتى زاد على الملك
وحلف وفى الايمان شدد أنه مايرجع حتى يملك الدنيا ويقطع أثر المسلمين من سائر الأرض
ويشهر دين الصليب طول وعرض ثم قال وأنت ياشيخ من يقول لك من عباد المسيح لأنى
ماسمعت بهذه الصفة التى ذكرتها إلا أن يكون الشيخ النجيح وراهب آخر فى بلاد القسطنطينية
يقال له شومدرس وهم الذين ينزلون بالمسلمين المصائب وجاهدوا فى بلادهم واظهروا العجائب
من أجل هذين الاثنين كنت خارج حتى أكون لهم عون على بلوغ المطالب وافتح لهم البلاد
اتعلم منهم حقيقة الجهاد فقال عقبة أيها الملك فأنا أحد الشخصين الصالحين أنا هو الشيخ

النجيح الذى شاب رأسى وجوارحى وعظمت على المحمدين مصائبى مما اجاهد فيهم وأقاسى، وقطعت أصابعى وقلعت عينى واضراسى (قال الراوى) فلما سمع شمخولص من عقبه هذا الكلام قربه إليه وادناه ورفع قدره وعلاه وقال ابشر أيها الشيخ النجيح فما قدمت إلينا إلا وأنت هدية من عند المسيح حتى تزيدونا فى ديننا يقين وتخرج معنا إلى بلاد المسلمين وفى هذه الايام اجمع العساكر وأسر قلبك بما أومل فقال عقبه أيها الملك أخاف أن هؤلاء الشياطين يرجعون ويخرجون من تلك الأرض وهم سالمين فكانت مرارتى تنفطر لأن فيهم العجوز التى أهلكت من أمة عيسى بعدد ورق الشجر وفيهم أيضا واحد أشقر الذى هو فى سائر البلاد مصور ومعه أولاده الذين هم أعير منه وأمكر وأوفى وأشطر فقال الملك ياشيخ لاتخاف من عودتهم فى البر فانه بعيد ونحن نلحقهم ولو إلى مصر والصعيد فأقم عندنا حتى نفرجك على أرضنا ونريك ملكنا ونجمع عساكرنا ونسير فى كرة واحدة تملك البلاد ومن أبى ولم يدخل تحت طاعتى ولا فى ديننا ضربناه بالسيوف الحداد فقال عقبه ياملك مايهدى لى قرار ولا أريد أتفرج على هذه الديار الاعلى صلب أعدائى الذين قد ألهبوا قلبى بالنار وانهم عادوا سالمين من هذه الديار قطعت من وسطى الزنار وكفرت بالصليب وعدت إلى التوحيد ودخلت النار (قال الراوى) هذا وقد صاح الملك على حجابه ان يجمع العساكر الذين فى جزيرة الحائط وينادون بأخذ الاهبة وأنفذ خلف أهل القلاع القريبه منه وأمرهم أن يجتمعوا إلى قلعة السها وكتب لهم فى الكتب أن يسيروا فى البحر ونكون نحن قد قطعنا هذه المسافة التى قدامنا فى البر ونشرف كلنا على الاعداء فى يوم واحد وأنا أعلم أننا نأخذهم فى ساعة مانراهم ونقيم هناك إلى ان تجمع العساكر ونسير إلى بلاد العرب وأخذ معه من أولاده ثلاثة وسيرهم فى التقدمه ومعهم عشرة آلاف فارس وراح هو والقاضى عقبه فى خمسين ألف فارس وقال لباقى أولاده بجمع العساكر ويتبعوهم إلى قلعة السها وسار يقطع الارض فى طولها والعرض حتى أشرف على الامراء وكانوا أصحاب القلاع قد اجتمعوا وساروا بعده بسبعة أيام فالحقوهم فى ذلك الوقت فى البحر كما ذكرنا وكان وصول هؤلاء وهؤلاء فى يوم واحد والامراء قد أخرجوا الاموال والرحال وعولوا على الارتحال فرأوا الدنيا قد انقلبت عليهم وهى تضج ضجيج نقضا ورفقا وحوافر الخيل فى الآذان وقعا وكادت الجبال تقلع وعامن كثرة ركض الجنائب وضجيج المواكب وهم كلهم بالعدد والحرب والخيول العربيه والسيوف الافرنجيه وتروسهم من جلود دواب البحر المعموله المدهونه وعلى أجسادهم ثياب الحرير البهيه وفوق صدورهم الصلبان الجوهريه وفى أوساطهم الزنانير الابريسميه (وأما الاميره) لما نظرت إلى تلك العسكر والقضية قالت لاصحابها ياأهل دين الحنيفية يامعاشر الامة المحمدية

هذه الواقعة المرضيه فى طاعة رب البرية فقال البطال وماالذى تريدى ان نفعل أيتها الاميره العامريه قالت أريد أن أحمل على هذه الطليعه واترك لنا اليوم وقعة مسموعة يترضون بها عنا أهل الشريعه فقال البطال دعينا حتى نعود إلى القلعة ونشغل أهل المراكب وتلتجى اليها عندشدة المطالبة وتكون القلعة لناعدة حتى يأتينا الفرج من هذه الشدة فما هذا العسكر يقدرون لقاه وكان معهم من المرافقين أربعة آلاف أسود وعربان فقتل منهم فيما تقدم ثلثمائة والباقى ثلاثة آلاف ومائتين وان الاميره لما سمعت قول البطال علمت أنه صواب فأعطته مائتين من السودان ومائة من بنى كلاب وقالت لهم ردوا الاموال والرحال وبقيت الاميره فى باقى الرجال وقالت يابنى عمى نريد نقصد إلى الطليعة التى للروم وننصر دين الحى القيوم ولانعود إلى القلعه الا عن غلبه حتى لانكون قد ولينا الادبار عند وصول الكفار فقالوا لها افعلى ماتريدى اليوم نقصد الطليعه بتاع الروم وننصر دين الحى القيوم ولانعود إلى القلعة فقالوا لها افعلى مابدالكى فما نحن تابعين أفعالك وقد علمنا أننا كلنا فى هذه الديار نفنى ولايسلم منا أحد ولافينا إلا من قطع آماله من الدنيا وايقن أن أولاده قد صاروا يتامى ثم من بعدذلك جردوا السيوف الثقال وندبوا المنازل والاطلال وحملوا يطلبون الطلائع ويكبرون وقد قطعوا من الحياة الآمال والظنون وكانت مقدمة الروم الاعلاج وتأهبت بطارقتها بعد الانزعاج من حيث رأوا عصابة الاسلام قليله وحملوا يطلبوهم فاختلط الجمع وطاب العطاء والمنع واختلط الصياح وبرقت الصفاح وخرجت الارواح من الانام وهبت الرياح وتقصفت الرماح ورفعت الروم أصواتها ومقالها بكلمة كفرها وصلاها ومدت قنطارياتها بأسنة قضبانها وبانت أحداقها بعد ماعملت صوارم أهل الجهاد فى أكبادها واجسادها واسودت المعمعة بعد البياض من كثرة الدم الفياض وطارت الجماجم فى الاعتراض وارتجت الأرض من تصادم الرعاد ونظروا من السودان غاية الامراض ونفذ السنان فى الحشى وخاض وذام القتال والانقراض ونظروا من السودان مالم يكن لهم فى الحساب ووقع فيهم الفناء والذهاب وأخذتهم الدهشه من التكبير ووقع بهم الفزع عند ذلك اللطيف الخبير لأنهم قد سمعوا الكل مالم يعهدوه وشاهدوا مالاشاهدوه فقالوا إلى أن تعالى النهار وولوا الادبار (قال الراوى) وكانوا المسلمين ثلاثة آلاف مامنهم الا من قتل الواحد والاثنين وفيهم من قتل خصمه وقتل وكانوا قتلى المجاهدين دون المائة رجل وقتل من الكفار ستة آلاف وانكسروا ورجعوا الباقين على أعقابهم والمسلمين من ورائهم فى الطلب وما هم إلا أن أبعدوا عن القلعة بشوط جواد حتى طلع الملك الاكبر وبانت أعلامه وقد بقيت عساكره من ورائه وقدامه وكان لما رحل من جزيرة الحائط رحل فى خمسين ألف فارس فتلاحقت به الروم من الرساتيق إلى أن

أشرف على قلعة السها وهو فى ماة ألف وجيوش له من ورائه متلاحقه والمواكب مثل البحار المتدفقه وما هو إلا أن طلع واستقبل الطليعة وهى منهزمة وفرسان عصابة الاسلام من ورائها فلما رأت عصابة الاسلام تلك المواكب المختلفة استغاثوا إلى عالم الخفيات وذكروا الربوع والاطلال والاولاد والعيال ففاضت الدموع وتلهفوا على الرجوع وزاد القياس وكثرت البطارقة والارجاس وقلت الشجاعة عند كثرة العدد وضعف القوى والجلد وصاروا يطلبون الخلاص فلم يجدون إليه سبيل فأيقن كل واحد منهم أنه قتيل هذا وعقبه يصيح ياعبدة الانجيل اشفوا بقتل الاعداء نار الغليل وكلما وصل موكب يقول لهم دونكم والحرب والجلاد قبل أن يفنونا المسلمين (قال الراوى)يا ساده يا كرام ودام القتال على هذا الوصف والعمل حتى وقع بالمسلمين الملل وقتل منهم دون الالف بطل وعادوا يطلبون القلعه واذا بالباب عليهم قدملك وعنده عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى والملك قد سبقهم إليه وحول خواص جزيرة الحائط والمواكب معتركه والاعلام مشتبكه وتاروا الامراء طالبين الباب فصاحوا عليهم من كل جانب وحمل عليهم خلق بعدد التراب فلما رأوا ذلك انقطعت بالمجاهدين الاسباب وسدت فى وجوههم الابواب ونادى أبوسكران ياويلكم قاتلوا عن نفوسكم واطلبوا الجسر الذى عبرنا منه إلى هذه الارض لعلنا نعبر عليه ونقطعه ونترك هذا العسكر برا الخليج ونبصر مانفعل والا مايبقى منامخبر فلما سمعوا السودان ذلك الكلام رأوه صواب وجعلوا يدافعون ويتأخرون وبنى كلاب لهم تسع والاميره تصيح عليهم ولا فيهم من يرجع ولايسمع لأن ملك الموت فى وجوههم قد تطلع وسل صارم القضاء فلمع وطارت القلوب من الفزع وجرعت النفوس كاس الحمام جرع ولماوصلوا إلى الجسروجدوه مقطوع والعبور عليه ممنوع (قال الراوى) ياساده وكان السبب فى ذلك الملعون عقبه لأنه رأى المسلمين قد عولوا على الهرب خاف أن يسلم منهم أحد من العطب أو يتجوا الى القلعه ويحمون أنفسهم بالحصن والمنعة فأمر الملك أن يملك عليهم طريق الباب وصاح فى المراكب من على الساحل وأمر الركاب أن يدوروا حول القلعه وأن يقطعون الجسر ويزيلون الاخشاب حتى لا يكون للمسلمين سبب من الاسباب ففعلوا أهل المراكب ذلك ووصلوا المجاهدون فوجدوا الخبر على ذلك الحال فأيسوا من الحياة وايقنوا بالوفاة وعمل فيهم السيف وهم حيارى وتمنوا أن يأخذوا الكل أسارى فعندها نادت الاميره ياقوم والله ان العمر الطويل والقصير واحد إذا كان منغص اللذات والعاقل الذى لايندم على مفارقته هذه الاجساد والبشريات الذى يحضر أجله فى مثل هذة الوقعات ويرزق خاتمة الخير والسعاده عند نفاذ الانفاس المعدودات ويقابل القضاء بالصبر والرضا على النائبات ولا يعترض على عالم الخفيات فهو أشفق على

أولادكم منكم وارحم بالبنين والبنات فجاهدوا واغتنموا هذه الساعات وبيعوا النفوس لمن من بها عليكم وعاد يشتريها منكم بأفضل الهبات والعطيات وتخدمكم الولدان والحوريات فشمروا عن ساق الاجتهاد مادام المولى مطلع عليكم ويراكم ويسمع نداكم ويرحم شكواكم (قال) ولم تزل الاميره فى وعظ الرجال حتى هانت عليهم الآجال وقطعوا المطامع والآمال وعادوا وهم يطلبون الحرب والقتال وقد وجدوا الراحة بهذا الكلام وهى فى أوائلهم تقول ياقوم اتبعونى واحموا ظهرى حتى التقى عنكم الرماح بصدرى ولم يكن قصدكم الاالقلعه لعلنا نصير فيها ويقل غنا هذا البلاء والاهلكنا من الخلائق التى ملات الفلا ثم عادت تبرى بسيفها الرماح وتلعب بمهج الارواح وقد رمت البيضه عن رأسها ونزل شمطها الابيض على اكتافها وأبا سكران إلى جانبها وظالم قدامها يضرب بالسيف كل ما كلت مضاربها وقتالها وباقى الرجال تتبع والضجيج عليهم قدارتفع وحبل الحياة قد انقطع والصائح يصيح ولايسمع وجيش الكفر كلما جاء فى زيادة مثل الماء اذا نبع الا أن عودة المسلمين فى هذه الكره عودة من أيقن أنه اذاحمل لايرجع والاميره كلما سمعت أصواتهم قداشتد قلبها واتسع صدرها وضربت فى الروم وحتهم من شفقتها عليهم مثل ماتحمى اللبوة أشبالها الرضع وهى مع ذلك تنشد وتقول .

أيارب لاشك بهذا الموت وارد ... وقعنا فكن للمسلمين مساعد
فقد قطعوا الآمال من كل لذة ... ومنك يرجى يا إلهى الفوائد
وباعوك أرواح عليهم عزيزة ... وقد أخلصوا النيات فيك وجاهدوا
وقد هجروا أوطانهم وتغيروا ... وأنت لما قد أظهروا اليوم شاهد
وأطفالهم قد أصبحوا من ورائهم ... ينادوا بذل مالنا اليوم والد
وهم بين قوم يشركوا فى مقالهم ... وما فيهم الا كفور وجاحد
وعقبه يغويهم بها ويحثهم ... علينا وقد خابت لدينا المقاصد
ومابى قتلى غير أن جوارحى ... تحن الى من شخصه متباعد
سيبلغه انى قلت غريبة ... فيغما ومن أجلى يلقى الشدائد

(قال الراوى) ولما قربوا من باب القلعه طمعوا فى الحياة وثبتوا آجالهم بأحبال النجاة وكان قد قتل منهم فى هذه النوبة ألف ومائتين فارس من المجاهدين وقد وقاتلوا حتى قتلوا وقد قتلوا مثل أضعافهم من المشركين وأما الباقين فانهم قاتلوا إلى وقت الاصفرار وقد وصلوا إلى باب القلعه ونظر الملك اليهم وقد قربوا منه فحمل الملك بنفسه فى الموكب الخاص وقاتلوا إلى العشاء وطلبوا المجاهدين إلى باب القلعه وقد رجعوا عنهم الكفار وصاحوا على البطال ومن معه من الابطال فما أجاب من القلعه ولامن الابراج انسان لامن العرب ولامن السودان

فقالت الأميرة إنا لله وإنا إليه راجعون ياقوم لايكون البطال قد تم عليه أمر من الأمور من جانب المواكب فهى فى الكلام والباب قد انفتح وخرج منه البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ وهم ينادون الحقونا ياسيوف الإيمان ادركونا يا أهل الاحسان فقد تم علينا أمر فى هذا المكان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك لما رجع البطال إلى القلعة يحفظها ومن معه من الرجال المائتين وبقيت الأميرة ومن معها مع عبدة الصلبان ولما صاروا فى الحصن واغلقوا الباب رأى البطال مراكب الروم قد داروا بالمكان من كل جانب وأقبلت من باب المينا تطلب الدخول فقال لأصحابه لافيكم من يطلب القتال حتى أوريكم ما أفعل من الاحتيال ثم أخذ أصحابه ونزل إلى وسط الحصن وقال لهم كونوا اشهروا سيوفكم وكونوا مستيقظين ومن رأيتموه قد دخل إليكم من هؤلاء الملاعين فدونكم وإياه بلا جلبه ولا صياح حتى تكونوا مثل الأميرة فى جهاد الأعداء ورضا رب العباد ولبس هو وولده وغلمانه فى زى الرهبان وتظاهروا فى زى زهاد الصلبان وتقدم بهم إلى البحر وفتح باب المينا ونادوا بمراكب الروم إلينا ياعبدة المسيح فنحن رهبان دير القدرة وقد كنا فى أسر المسلمين والساعة قد خرجوا عنا إلى عسكر الروم فدونكم أنتم والحصن واحتووا على القلعة عندنا والا يطول على الملك أخذها ونرجع نحن نقع فى أيديهم فلما سمعوا البطارقة ذلك تراموا إلى الباب وكان أول من دخل مقدم الروم وهو يسمى الدومران على المراكب وصعدت خلفه البطارقة من كل جانب وما هم إلا ان صاروا داخل الأصوار حتى تواثبت عليهم السودان وبنى كلاب وضربوا فيهم بكل حسام قرضاب وهم داخلون يزدحمون حتى صاروا وقت الغياب وكلت أيدى المجاهدين من القرضاب وتكاثروا عليهم الروم وصاحوا بأصوات منكرة لما علموا أنها حيلة من البطال وفتك الدومران فى السودان وأباد بسيفه عبدة الرحمن وكان مذكور فى ملة أهل الصلبان موصوف بالفروسية فى كل مكان شديد الكفر والطغيان متجريا على الواحد المنان (قال الراوى) وتم بينهم ضرب البتار حتى انسدلت غياهب الاعتكار ورأى البطال أن أصحابه قدملوا وتعبوا وقتل منهم أوفى من سبعين فارس سودان وعربان فندم البطال على هذه الفعال ونظر إلى الحصن قد امتلأ من أهل الضلال فطلب الباب هو وغلامه وولده كما ذكرنا فوجدوا الأميرة هى وأصحابها قيام فى الانتظار وقد علاهم الاصفرار فنادى أيتها الأميرة ادخلى الحصن أنت والرجال وانظرى ماتم علينا من الأحوال ثم حدثها بما جرى له من الحيلة وكيف انقلبت عليه فعندها دخلوا الرجال وقفل البطال الباب فعندها صاحت الأميرة وكبرت ونادى ظالم تابعا لها واشهرت سيفها وقالت ياويلكم أيملك الحصن مناولم يبق لنا مكان نلتجىء إليه ولاموضع نعول عليه هذا ولما نظروا أصحاب

البطال عاشت منهم الأرواح وطمعوا فى الروم لما رأو أصحابهم الأبطال وحمل أبا سكران على الدومران وهو يهدر مثل المجنون وضربه بصارمه البتار وإذا برأسه قد طار وبعده وقع البلاء على الكفار ونثرت رؤسهم بسيوف الأبرار وغضب على المشركين الملك الجبار فعادوا يطلبون باب المينا وقع فيهم الفناء ولم يسلم منهم إلا من رمى روحه إلى البحر وتعلق ببعض المراكب والباقون تساقطوا فى الماء والذين تساقطت رؤسهم عن المناكب وأمرت الأميرة بغلق الباب وأوقدت الشموع والمشاعل وافتقدوا من قتل من المجاهدين فى القلعة فرؤهم أوفى من ثمانين قتيل من سودان وعربان فصعب ذلك على الأميرة وقالت ياأبا محمد قد خاطرت بنا وبالقلعة الذى أدخلت هذا الخلق الكثير وأنت فى مائتين فارس وبالله لولا أدركناهم لملكوا القلعة وكنا نحن بقينا طعاما لسيوف العدا عبدة الصلبان وان واحد من المسلمين أحب إلينا من طائفة من الروم فقال البطال ياأميرة ماحسبت هذا الحساب والا ماكنت فعلت هذه الفعال وإنما أنا قلت الساعه يدخل منهم طائفة قليلة وتغلق الأبواب عليهم ونبذل السيوف فيهم وكان الأمر بخلاف ذلك وغلبنا من غلق الباب حتى جرى هذا الحال الذى كان لابد منه والساعه فما بقى فى الأمر اننا نقطع رؤس هؤلاء الملاعين ونرمى بها عند الصباح إلى القوم الكافرين حتى نضعف قلوبهم ونحل عزائمهم فقالت الأميره والله ياأبا محمد لقد لقينا نحن اليوم مالقيناه طول أعمارنا ومارأينا القلعه حتى هلك أكثرنا من كثرة هذه الخلائق ولولا قدم الليل بالاعتكار ماكان سلم منادياروان لم يسهل الله لنا شيأ يكون فيه خلاصنا والافنحن نهلك عن آخرنا ومالنا من يوصل إلى بلاد الإسلام خبرنا (قال الراوى) وكان الملك شمخواص قد نزل إلى الخيام وهو ضيق الصدر كيف لم ينال من المجاهدين غرض والبطارقة يعتذرون ويقولون قد منعنا عنهم الليل بسواده وإلا كنا أهلكناهم عن آخرهم وفى غداة غد ننجز أمرهم (قال الراوى) وما أصبح الصباح إلا والدنيا قد ملئت بالجيوش من كل جانب وقد قدموا فى الليل حتى ملكوا المشارق والمغارب وركب الملك وهو فرحان بكثرة الخلائق وبزيادة المدد وعقبه يقول أيها الملك لوكان الساعة معك نقابين ينقبوا هذه المدينه لاخذت المسلمين سرعه لأنى أعلم أنهم مابقوا ينزلون ولايخرجون إذ قد رأوا هذه العساكر العظيمة فقال الملك طب نفسا وقر عينا أيها الشيخ النجيح فمعنا خمسة عشر نقاب وهم فى المراكب واجهزتهم من الجزيرة وقدمت عليهم الدومران مقدم بطارقة البحر الساعة أنفذ اليهم وآمرهم أن يطلعوا الينا (قال الراوى) فهم فى الكلام والرؤس قد تناثرت عليهم من الابراج كانها رؤس الشياطين ووقع رأس الدومران المقدم على بطارقة البحر إلى بين يدى الملك فلما رأى

الملك ذلك الحال قامت عليه القيامه وأمر أصحابه أن يقدموا باقى الرؤس فقدموها وتبينها فعرفها وكانت أربعمائة رأس من المراكب فعظمت على الملك المصائب واشتدت فى وجهه المذاهب ورجف قلب عقبه على أخته وبنته وقد عظم قتل البطارقة عليه وبقى متطلع إلى القلعة

(قال الراوى) ونظر البطال إلى فطرة الروم والخنده التى وقعت عليهم فقال ائتونى برأس أخت عقبه وبنته عقبيه حتى أرميها إلى الشيخ النجيح ويفرح بهما فؤاده ونعلمه أننا قد أخذنا بثار بنات طوق وبثار العلويه فأتوه غلمانه بشمط رأس عقبيه فرمى بها إلى صدر أبيها فوقعوا بين يدين عقبه مثل الاكره وبصرها الملعون فعرفها وكان راكب فترجل ولطم على وجهه وعينه حتى غشى عليه ولما أفاق وقعت رأس أخته عاقبه عليه فزاد حزنه وقطع سائر ذقنه وعارضيه وأخذ الرأسين فى يديه وجعل يدق بهما على فؤاده وينادى بالمسيح ماهذا مليح وأنا الشيخ النجيح تمكن الأعداء من هذه العجوز الصالحه الكالحه وهذا الوجه الاغبر الذى من تصبح به لم يرى خيرا فى عمره أبدا وتترك فؤادى بفقدهما قريح ثم قال ياعاقبه إلى جنات النعيم حشرك المسيح مع أخيكى الشيخ النجيح وحجة ابليس فى الأرض فلقد كنتى ركنا من أركان ابن مريم فهدموه الاعداء وسقوك النقم ثم زاد به الامر فعدد كما تعدد النسوان ثم عاد عقبه إلى الملك وقد اشتد غضبه وزاد التهابه وقال أيها الملك مابقى لى على هذا الامر صبر ولا احتمال حتى أشفى فؤادى اليوم والامت فى الحال وخرجت روحى من فعال هؤلاء الانذال الذين قد افجعونى فى أهلى وشتتوا شملى وقتلوا الصالحه أختى عجوزة الخير ومحملة كل بيعه ودير وأنهم تحصنوا بالقلعة ولا يخرجون فقل لسائر الروم يترجلون ويزحفون ويعرقبون الابراج وينقبون ويضربون هؤلاء الكلاب بقوارير النفط والنار لعلهم يحترقون وتبرد نار قلبى وقلبك إذا أخذت نار أصحابك فقال الملك مانحتاج إلى هذه الفعال اصبروا انظر حسن خبرتى بالقتال ثم قال للنقباء اؤمروا الجيوش أن تركب الجنائب وقولوا لهم أن يقربوا من القلعة ويركضوا بالخيل ركضا وخببا حتى أورى هذا الشيخ النجيح ما أفعل فتفرقت الجاويشيه والنقباء وداروا على عساكر النصرانية ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى تجهزت عساكر الكفار وزحفت مثل البحار وداروا بالحصن من كل جانب وأخذوا فى الخب والركض حتى تزلزلت الارض وماجت فى طولها والعرض وخيل لمن فى القلعة ان القيامة قد قامت والزلازل قد دامت من شدة الرجفات ساعة من النهار حتى تهدمت الاصوار وأيقنوا المسلمين بالبوار وطارت الشراريف من رؤس الابراج وأشرف الحصن على الوقوع وماجت أطلاله والربوع

(قال الراوى) وكان جانب القلعة البرى على الارض الرمله لانها على ساحل البحر فما هو إلا أن دام عليه الرجفان ساعة من النهار حتى تهدمت الاصوار وايقنوا المسلمين بالدمار وكثر

عليهم صياح الكفار ووقع يعقبه العجب والانبهار وقال وحق المسيح هذا شيء ما رأيته قبل اليوم وما هذا الاملاك شديد الرأى والساعة وحق المسيح نهلك الاعداء وتبرد نار قلبي وتهدى (قال الراوى) هذا والاميره قد أبصرت ماهالها ورأت القلعه وقد أشرفت على الانقلاب من شدة زلزالها فقالت يا أبى محمد كيف ترى هذه المصائب الوارده هلكنا هذا البطريق مرة واحده والساعة ينقلب الحصن بنا ويبلغ عقبه منا غاية المنى فقال البطال دعى عنكى هذا المقال فهذا شيء ما يهمنا ولو أن القلاع تقع من ركض الخيل وصاح ركابها لما بقيت قطقلعة لأصحابها فقالت هذا صحيح ولكن من أين يتفق لهذه الأرض هذا الاتفاق ان تجتمع مثل هذه الخلائق على مثل هذه القلعة الضعيفة التى بلا أساس وهى على ساحل رمل وتركض طوله مثل هذه المواكب وتدور بها من كل جانب وما أرى من الرأى غير النزول والخروج إلى الجهاد والموت فى كتائب أهل الكفر وعبدة الصلبان ولا نموت كذا موت الغبينة وتنقلب تجارتنا فى الحشر خاسرة مغبونة ثم صاحت ونزلت طالبة الباب وتبعوها السودان وبنى كلاب وهم موقنون بالهلاك والذهاب وبقى البطال وغلمانه وأبا سكران وجماعة من السودان خوفا على المكان من جهة المراكب وكان الذى اتبع الأمير ألف فارس مع الأمير ظالم وبقى فى الحصن مائتان وقلب البطال عليهم فزعان لأجل ما أبصر من كثرة الروم وعاين من ذلك الخلق العظيم (قال الراوى) ياسادة يا كرام وما هو إلا أن خرجت الأميره ذات الهمة من الباب وصارت ظاهرة هى وبنى كلاب والسودان الأنجاب حتى صاح شمخولص فى البطارقة والحجاب دونكم وإياهم الساعة فقد حسبت هذا الحساب وما قد خرجوا إلا من شرة الزلزال وخوفا على القلعة من الانقلاب فقودوهم إلى بين يدى حتى أشفى فؤادى وأقر عينى فعندها هاج إلى المسلمين التغير وأطلقت نحوهم الخيل وطلبوهم مثل الدبابير وارتفع الصياح نحوهم حتى خيل للناظرين أن الجبال بهم تسير وعلا من المجاهدين التكبير ورفعوا قصتهم إلى اللطيف الخبير وتباشرت بنعيم الجنان ومصاحبة البشير النذير وحملوا بما نعون عن أنفسهم وقد رأوا العدد عليهم كثير فهناك جرت الأحكام والمقادير وعمى عمل البصير ووقع بالسماع التحيير وسمع للروم فى الأوداج جرير وطلع الغبار فى الأجفان والمناخير وأرسل ملك الموت إلى الأرواح بشير ولم يزل الأمر على مثل هذا الحال حتى عبر وقت العصر وطلبت الشمس الزوال وكانت الألف من أهل الايمان قد ضاعت فى مواكب أهل الصلبان وقتل منهم فى ذلك الوقت ثلثمائة فارس كرار وعادوا الباقين يطلبون القلعة فى آخر النهار يرجون الخلاص من الكفار وقد صار وقت الاصفرار والارواح خائفة فى الابدان وعلا الصياح من كل جانب ومكان (قال) وكانت الاميرة من وقت ماخرجت جعلت قصدها إلى موكب الملك ترجو بذلك

ان تصل إليه تقتله وتكون قد أخذت لنفسها بالثار قبل هلاكها والبوار ولم تزل على مثل ذلك تشق المواكب والكفار قد تقهقروا قدامها حتى صار آخر النهار والكفار تلطمها من كل جانب ومكان كما يلطم الهواء موجات البحار فعز بها الاصطبار والتفتت إلى ورائها فلم ترى أحدا من أصحابها الأبرار ترجو منه الانتصار فعلمت أن عندهم ما أشغلهم عنها فأيست عن نفسها ولم تزل تمانع وتقاتل حتى خذلت منها المناكب وأتى الظلام بالغياهب وبين القلعة وبينها مواكب بعدد الكواكب وهى تضرب الأبطال وتنكسهم عن المراكب حتى تثلم حسامها من شدة المضارب وتطاير قطع ولم يبق به فى يدها غير القائم وحلت منها العزائم وزاد عليها الأمر حتى قتل جوادها من تحتها ووقعت إلى الأرض وهى تمانع عن نفسها والطوارق تصدها والبطارقة تقاحمها حتى وقعت إلى الأرض على وجهها من شدة التعب وثقل الحديد فأخذت أسيره من على وجه الأرض والصعيد وقد بلغنى أن ماوصل إلى باب القلعة سوى خمسمائة فارس مع الأمير ظالم وبقيوا قيام فى انتظار الأميرة وسمعوا حس الصياح عليها وصعب عليهم الوصول إليها فدخلوا إلى القلعة وهم حيارى ومن الحرب سكارى وأكثر ظنهم ان الأميرة قد قتلت ولما صاروا فى الحصن سأل الأميرة ظالم أبى محمد البطال وأبا سكران عما جرى لهم مع أهل المراكب فقالوا نحن فى راحة لأن جانب القلعة البحرى على جبل كما ترى مانبالى بالاعداء ولا لأحد عليه سبيل الامن الهوى فقال ظالم والله لقد لقينا نحن اليوم البلاء مما جرى علينا وهلك أو فامن نصفنا لأننا خرجنا إلى عالم كثير مثل البحر إذا طما لايحد له عدد ولا يحصى له مدد ثم انه بعد شرح حاله زاد بكاه وذكر فقدسته ذات الهمة فعظم جواه ونادى واغربتاه واشماتة الأعداء واساه كيف تهلك فى هذه الأرض ولا يعلم بنا أحد ولا لنا من يوصل أخبارنا إلى بلاد الحجاز ويسمع الأمير عبدالوهاب ولكن هذا كله بحكم العلى الاعلى وزاد به البكا وذكر أباه فأقلقه الحزن ولم يزل الامير ظالم يندب بمثل هذا المقال حتى أبكى الرجال بالدموع الهطال وقد تقلقل لشواه قلب أبى محمد البطال وسمع أن الاميرة قد وقعت مع الأعداء ففزع عليها من عقبه الملعون شيخ الضلال فقال وهو يقول ان شاء الله تعالى آتيكم بخبر الأميره ان كانت قتيله أو أسيره ثم غير زيه وزى ولده وأخذ معه مخلاة حيلته وكلما يحتاج اليه من عمله وخرج يطلب عسكر الروم وقد تلاطمت فى قلبه أمواج الهموم لأجل الأميره ذات الهمه فاطمه بنت مظلوم (قال الراوى) فهذا جرى ههنا (وأما ما كان) من بطارقه الروم فانهم لما احتووا على الأميره حملوها إلى عند الملك شمخو اص وقد انسدل الظلام وعادت عبدة الصلبان إلى الخيام ونزل الملك فى سرادقه والغيظ كاد يخنقه كيف خلصوا المسلمين من يديه فما هو إلا أن جلس حتى دخلوا عليه بالأميره وقالوا أيها الملك شيطانة المسلمين التى

لولاها كنا اليوم قد أهلكنا أصحابها أجمعين نخذ منها بثار أصحاب المراكب وأمرنا حتى تنهب جسدها بشفار القواضب فقال لا وحق المسيح لاعجلت عليها بالقتل قبل العذاب لأن القتل لها راحة وان لم أشعل عظامها بالنار مايبرد قلبي ولا يقر لى قرار فهو فى الكلام وعقبه الغدار قد دخل عليه مثل الشيطان ورأى ذات الهمه فلم يسلم على الملك بل انكمش عليها بما فى قلبه منها وعضها فاخذ فى فمه من لحمها قطعة ولطم وجهها حتى جرت الدماء من خديها وجعل يرقص قدامها ويقول ماكان المسيح بالذى يغفل عن تلك العجوز الكالحه وقد كانت طول حياتها فى العباده غادية ورائحة ثم قال أيها الملك ايش تنظر بهذه العجوز السوء التى هى شمطة على عبدة الصلبان وآفة على الروم فى كل مكان أقرض لحمها بالمقاريض حتى آكله وأشرب دمها وانها كما قد أحرقت فؤادى بهلاك أختى وأولادى فقال الملك لأيها الشيخ فما قتلها الليله بصواب وانما الصواب عذابها حتى نأخذ باقى أصحابها وتكون قلوبنا قد اشتفت منها لأن القتل له فرد غصه والعذاب له غصص كثيره وكروب وحريق هؤلاء القوم وصلبهم وبعضهم يرى فيه شقاء للكروب فقال الملعون عقبه وهذا وحق المسيح هو الصواب وماأريد منك إلا أن تنعم على وتولينى عذاب هذه الشيطانه إلى الصباح لأنك قد علمت ايش فى قلبى منها وأخاف ان بقيت عندك تكلمك بكل كلمة صعبة تقتلها وكانت تبقى فى قلبى حسرة فقال الملك صدقت وحق المسيح خذها عندك أنت واشفى فؤادك منها ولا تقتلها حتى أريك ماأفعل بها وبقومها عند الصباح فعندها سحب الملعون عقبه شمط الأميره وقال لها قومى ياملعونه فالليله آخر لياليكى من الدنيا فقامت الأميره وهى مكتوفه شديدة الكتاف وقد أيقنت بالتلاف فقالت لعقبه ويلك ياملعون افعل ماشئت فما منا إلا من أيقن فى هذه الديار بالتلاف لاجل قتلنا أختك وابنتك وكل أصحاب الملك ورميناهم برؤسهم على أنك تعلم ياملعون ان أهون ماعلينا الموت وما يفزع من الموت إلا أنت لانك حطب جهنم ونحن فما هو عندنا إلا مثل خلع القميص وليس غيره لان أرواحنا إذا فارقت هذا الجسد وصلت إلى الواحد الاحد وهو عنها راض غير غضبان لاجل مابذلنا نفوسنا فى اعزاز دينه فقال عقبه وحق المسيح ياصبية مرزوق لاذيقنك فى هذه الليله أنواع العذاب ثم سار بها ومعه عشرة من البطارقه بتوع جزيرة الحائط يسوقوها إلى خيمته ولما حصلوا فى الخيمة قال للبطارقه خذوا حقكم منها وانصرفوا إلى أشغالكم ودعونى أعذبها إلى الصباح فعندها تقدموا الملاعين ومافيهم الامن لطم الاميره على وجهها وضربها وعقبه يفرح بذلك ويقول جزاكم المسيح خيرا وأثابكم على ماتفعلون ثم تقدم بعدهم بطريق قصير ضعيف مريض وجعل يضرب الاميره على وجهها بسوط كان معه (ياساده) فلما رآه عقبه أخذته البهتة اليه وقال له من أنت أيها البطريق من أصحاب الملك

فقال أنا معدكوس بن معقبان جلاد الملك وصاحب سيف عظمته والساعه دخلت عليه فقال لى كن الليله عند الشيخ النجيح احفظه من هذه المسلمه وأعنه على عذابها فقال عقبه المسيح يحفظ الملك كما انه يهتم بمشايخ الدين وينظر فى أحوال الصالحين افعل أيها السيد ما بدالك واشفى فؤادك بطرف من أفعالك فعندها تقدم البطريق إلى الاميره وجعل يلطم وجهها ويبصق عليها ويضربها بسوط كان معه حتى كاد يقضى عليها وعقبه يتلذذ بذلك ويقول وحق المسيح ان عذابها أفضل من قتلها وما أتى هذا البطريق الا سخطة عليها هذا والبطريق قد فتح مزودلطبق وأخرج منه حبل قطن رقيق وفيه كلاليب من الحديد وقد أضاءت وبروس أحد من الشوك فجعل يرتبها وينظر إلى ذات الهمه ويشتمها بالروميه ويقول لعقبه ياشيخ انظر الليله العجب من عذاب هذه المسلمه واكتبه عندك فى كتاب الملحمه ثم أخرج سلسلة طويلة وتركها فى رقبة الاميره وأدارها على أكتافها وهى تبكى وتقول اللهم انى أسألك ياملك ياقدوس يامنزه عن القيام والجلوس يامن حكم بالفناء على النفوس نجنى من العذاب والبؤس واكفينى شر هذا الوجه العبوس واصرف عنى كيد هـذا البطريق المنحوس (قال الراوى) وكانت الاميره كلما دعت يضحك الملعون عقبه ويقول ياملعونه إلى من تصيحى بالدعاء والمسيح قد سلط عليكى هذا البلاء وبعث إليكى من يذيقكى غصص الموت قبل القتل (قال الراوى) والبطريق قدمكن السلسلة من رقبة الاميره ومد الحبل إلى نحو القاضى عقبة وقال له أيها الشيخ قم حتى أشركك فى الثواب وأريك صفة بلادنا كيف أشفى فؤادى من هذا الذى قد أتيت به إليك ثم قام عقبه وشد طرف الحبل إلى رقبته وأقامه على يديه ورجليه وأخرج الحبلين من بين فخذيه وترك القراصات والكلاليب على أكتافه وأضلاعه وجنبيه وقال له امشى معى الساعة أيها الشيخ النجيح إلى قدام وانظر مايحل بهذه المسلمه من الانتقام وتعلم شيأ تذكرنى به فى كل عام فتعجب عقبه من ذلك وقال ايش تنظرى وترى ياذات الهمه فى هذه الصنعه التى ما كانت لكى فى حساب هكذا وحق المسيح افعل بكل من وقع فى يدى من أصحابك وأول ماأبدأ بعدك بالبطال النذل الكذاب وان عشت ووقعت بولدك عبد الوهاب سقيته من هذا الشراب وعذبته مثل هذا العذاب ثم مشى يسحب الاميره فطنبت الحبال وضاقت على عنقه ووريديه وصارت رأسه بين يديه وقدحس أنه قد خرجت مقل عينيه ولذعت رؤس الكلاليب أكتافه فأيقن بتلافه وصاح بصوت رقيق إلى البطريق يامعدكوس ايش هذا التعذيب المنحوس ما أرى فى العذاب الا أنا لان هذا الحديد قد أكل لحمى وخرق أضلاعى ورأسى قد صار عند كراعى وما بقى من موتى الا انزاعى فقال له البطال بالعربيه ويلك لا بأس عليك تعلم هذه الصنعه الغريبه وقد آن وقوعك فى هذه المصيبه واعرفنى يانسل الكلاب الانذال ولا ترجع تعادى البطال

فلما حقق عقبه الحال أيقن بالوبال وقال ياديوث كل شيء حسبته إلا أنك تصير جلاد الملك .
ونبت على وجهك هذا الشعر فى ليلة أو ليلتين ماحسبته وأما هذه الاحبال والقراصات فهى
صفة جديده فلا كتب المسيح عليك سلامه ياألف قرنان ثم هم أن يصيح لجذب الحبال مرة .
أخرى فصارت ذقن الملعون عقبه عندشقه ودخلت يداه حتى صارت عند رجليه وغشى عليه .
من شدة الجذب عليه وصفر البطال بشفتيه واذا ببطريقين قددخلا عليه وهما مثل العقابين وكان .
أحدهما مذبحون والثانى الحصين فقال لهما لفوا هذا القرنان فى هذا الدراج واحملوه حتى
نطلع القلعه ولقمه الاكره ودنا البطال من الاميره وحل أكتافها وهى قدانذهلت مما رأت
وقالت ياأبو محمد سبحان من ساقك الى فى هذا الصوره وان هذه اللحيه وتلك الحيله تؤرخ
وتكون مسطوره وما أريد الا أن تعرفنى كيف صنعت بوجهك حتى نبت عليه هذا الشعر
فانى أريد أعمل على خدودى من هذا الدواء ويصير لى لحية أدخل بها إلى عساكر الاعداء .
فقال لها دعينا الساعة من هذا المقال وسيرى بنا الساعة مادام قد حصل لنا هذا الشيخ الضال
فلو أردتى ألف ذقن أنبت لكى فى الحال فضحكوا من ذلك أولاده وخرجوا الجميع ومعهم
الشيخ الرقيع وسارا حتى قربوا من القلعة وذات الهمه تقول يا أبو محمد ايش يفيد قدومنا
ودخولنا اليهم انفذ عقبه مع ولديك وعدبنا إلى عسكر الروم لعلنا نقرب من الملك وندبر
فى قتله أو سرقته والا مالنا من هذا البلاء خلاص فقال البطال هذا هو الرأى لأن حولنا
خلق كثير ومالدخولنا إلى القلعه تأثير ثم قال لولديه سيروا أنتما إلى ظالم وأوصيه يامذبحون .
أن يحفظ على عقبه ويحذر من ابنته عقيبه فان قلبي خائف منها وان خرجنا غدا إلى القتال .
فقل له لايبعد عن الباب واعلمه اننا فى عسكر الروم لعل يكون لنا خلاص من أهل الكفر
والجحود ثم عاد هو والاميره يطلبان عساكر الكفار وهى تقول ياأبو محمد لو كنا فى زى .
البطارقه لكان أسترلنا وأتم لاشغالنا قال لها سيرى واتكلى على الله تعالى فأنا أحصل لكى
فى الطريق كلما تريدى فعندها سارت الاميره متكلة على رب العباد (قال الراوى) هذا
ماجرى ههنا (وما ماكان) من مذبحون والحصين فانهما وصلا إلى القلعه تحت الاستار
والاعتكار وكان ظالم وأصحابه ما فيهم تلك الليله من نام ولا قر له قرار وكلهم على الابراج .
والاصوار خوفا من عساكر الكفار وهم للبطال وأصحابه فى الانتظار ولما قربوا وصاروا
تحت البرج نادوا بأسماء بنى كلاب وعرفوهم بأنفسهم فنزلوا لهم والامير ظالم فى أوائلهم .
وفتح الباب وسلموا عقبه اليه وحدثوه بالاميره وعودتها مع البطال إلى عسكر أهل الكفر
والضلال ففرح ظالم بذلك وسر فؤاده بخلاصها وقال الحمدلله ماوقعنا حتى وقع هذا الملعون
فى أيدينا حتى نشتفى منه قبل الموت ثم قدمه إلى بين يديه ليعاقبه ودارت بنى كلاب وأخذه اللطم .

من كل جانب واذا بابنته عقبيه قد دخلت عليه وتقدمت اليه ومسكت ذقنه وصارت تلطم فيه وتبصق عليه وتقول ياملعون من بين الكفار وياشيبة أهل النار وحق الواحد القهار الذى أدار الفلك وخلقنا لنعبده ونحمده لايتولى عذابك غيرى وان سمحوا لى بقتالك لاذبحنك من قفاك لانك لعبت بعقلى حتى مضى نصف عمرى فى الكفر والاشراك والساعة فقدمن على بالهداية والاسلام وأريدا جعل أول جهادى فيك لانى أخبر بقساوة قلبك من كل الانام وأنا أعلم أنى إذا عذبتك تمحى عنى الذنوب والآثام (قال الراوى) ولما سمع عقبة كلام ابنته ورآها قد توالت عذابه وعقوبته تضاعفت حسرته وفاضت عبرته وكادت تنفطر مرارته وقال ويلك يابنتى لعب الشيطان بعقلك ايش هذا الكلام ومن الذى غرك حتى اتبعتى دين الاسلام ويلك يابنتى لعب الشيطان بعقلك ليتك قد قتلتى مع أختك وعمتك عاقبه ولا كنت سمعت منك هذه المخاطبة وليتنى أنا كنت من قبل هذه المجاوبة ويلك يابنتى ما الذى بان لكى حتى تنزهى الرب القديم وتوحدى يابنتى بحق مافى قلبى عليك من الحنة ارجعى إلى دين المسيح وأنت الذى كنت أعتمد عليكى من دون أولادى فلا تغضبى المسيح والصلبان ويجور عليكى يوشع ويوحنا المعمدان وأباكى ومتابعة الدين المحدث ثم قال يابنتى اسقينى شربة من الماء ولوانها ملؤ كفك فقد ألهبتى كبدى باسلامك فقالت لاوحق من رفع السماء وأغسق الظلماء لاأذقتك قطرة من الماء ولو رأيت بعينى كبدك على جمر اللظى يتلهب لان الجهاد فيك أعظم جهاد ولا يحل اشراكك بالملك الجواد ياويلك أليس الساعة دخلت دين الاسلام وقلت عنهم انهم مختلفين فى المذاهب والاحكام ويلك ياشيخ النار ان كانوا اختلفوا فى الفروع فقد ثبت لنا الاصول والكل دلونا على تدبير الذى لايحول ملكه ولا يزول

(قال الراوى) ولم تزل عقبيه مع أبيها فى جدال وعتاب وضرب وعذاب حتى وقت السحر وقال ظالم للرجال قوموا بنا حتى نتأهب لامورنا ونحن ندافع عن نفوسنا واتركوا هذا اللعين عند ابنته عقبيه حتى نبصر كيف يكون أمرنا فقالت عقبيه لاوحق محمد بن عبد الله فما أتوكل أنا بهذا الملعون ولا أريد النظر فى وجهه إلا وهو مصلوب لانى أخاف انه إذا خلانى يلعب بعقلى ويبغض إلى دينى الذى قدمن الله على به فتعجبوا الناس من حسن عودتها وصفاء نيتها وتقربت من قلب ظالم بمقالها (قال الراوى) وكانت قد انفردت بنفسها فى برج من أبراج القلعة تتعبد فيه يقال له برج السلاح وهو مشرف على البحر ومرحوما تأتى كل ليلة إلى زيارتها وقد أخذت الاسلام أيضا بقبول وفتح الله فى وجهها باب الرضى والسول

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح خرج الامير ظالم إلى برا الباب فى خمسمائة فارس وبقى أبو سكران فى مائتين من الفرسان هذا وعساكر الكفار قد ثارت فى سائر الاقطار

وماجت كموجات البحار وركب الملك شمخولص وأولاده ودارت به خواصه وأجناده ومن قبل أن يأمر العساكر بالقتال قال ابصروا ماجرى للشيخ النجيح مع المسلمة وقولوا له يحضر حتى يرى ماأفعل بأعدائه فمضوا الغلمان وعادوا يخبروا أنه قد سرق وخلصت المأسورة التى كانت عنده وما نقول ماأخذه غيرها لأنه خلى بها وحده وقدقام يعاقبها فقطعت كتافها وأخذته ورجعت إلى أصحابها والا يكون قد نزل لص المسلمين إليها وسرقها وأخذه معها فتغير لون الملك وقال ويلكم كيف يكون إنسان يسرق إنسان واحد فقال له رجل كان قدسكن القسطنطونية بلى يا ملك معهم واحد يقال له أبو محمد البطال يقال عنه أنه يسرق القلعة بما فيها من الآدميين وغيرهم ويطيرها فى الهواء وهو واحد الأرض وشيطان الزمان وعدوا ملة الصلبان وشيطان فى صورة إنسان (قال الراوى) ياسادة فلما سمع ذلك الملك تعجب وقال ابصرو اليوم كيف تنجزوا أمر هؤلاء القوم وتكفونا شرهم أنتم وأهل المراكب الذين لنا لأنهم ماعملوا شىء ولا قتلوا من هؤلاء المسلمين رجل إلا من يوم تمت عليهم الحيلة على مقدمهم داخلهم الفزع وأقاموا فى البحر متكلين عليكم وأنتم أدبر منهم وأقل بركة (قال الراوى) ياسادة فهم فى الكلام والغلمان تقدموا إليه وقالوا يامولانا قدوصل إلينا عشرة رهبان من القسطنطينية قاصدين إليك ولهم مقدم يقال له شومدرس ويريد الحضور بين يديك فقال الملك ائتونى به وبأصحابه فانى قدسمعت عن هذا الراهب وحدثت عنه العجائب وهو قرين الشيخ النجيح ويجاهد مثله فى طاعة المسيح (قال الراوى) ياسادة ولم تكن إلا ساعة حتى حضر الراهب شومدرس حكيم ملة الصلبان والكل بالمسوح السود والبرانيس والعكاكيز فلما رآهم الملك ترحب بهم ورفع شأنهم ومنازلهم وقرب شومدرس وأدناه وسأله عن أمور دينه ودنياه فقال أيها الملك ماجئت الا أحسك على الجهاد وأخرجك تطلب البلاد وتملكها لانها خالية من الانصار والمسيح قد فرق شمل الموحدين وأخلى منهم الثغور وبلاد الاسلام والملك صاحب القسطنطونية غافل عن الجهاد مشتغل عن الآخرة بالاكل والشرب والفساد وقد قلت عزيمته وانحلت طوائف الروم عن طاعته وبغضت أنا المقام عنده لاجل غفلته وسرت من غير علمه إليك لاقضى باقى عمرى بين يديك لأننى سمعت انك أكرم الملوك وأشرفهم وقيل ان فى أرضك نزلت قدرة المسيح وفى هذه الأيام سمعت انك خرجت من بلادك تجاهد فى أعدائك وأنك قدظفرت فى أرضك بطائفة من المسلمين واهلكت أكثرهم وقيل انهم هم الذين خرجوا من أرضهم وخربوا بلاد الروم وقتلوا ملوك سائر الاقاليم وسمعت أن الذى كان سبب دخولهم إلى اقليمك الشيخ النجيح وحجة المسيح قرينى الصالح وأخى الناصح الذى قد قتلتنى اليه الأشواق وها انا قد

أتيت اليه زائراوفى حضرتك مجاهدا واخبرنى الآن من بقى من الاعداء وقص علينا ماجرى
لان قلبى من هؤلاء قريح وفيه أعظم مما فى قلب الشيخ النجيح لانهم قتلوا ولدى وزوجتى
وتركونى أموت بحسرتى فرق له قلب الملك وطيب قلبه ووعده بفتح البلاد والخروج إلى
هلاك العباد وقبول الرأى فى الجهاد ثم حدثه بما جرى وكيف فتحوا المسلمين قلعة السها وكيف
وصلوا إلى جزيرة الحائط ثم قال وقدقتلنا ياشيخ أكثرهم والباقين مشرفين على التلاف والهلاك
ومامنعنا منهم إلا هذه القلعة والبارحة كانت أميرتهم أسيره فى أيدينا فأردنا هلاكها ولكن
منعنا الشيخ النجيح منعنا وأخذها اليه ليشتق بعذابها لان أصحابه قتلوا بناته وأخته وأراد
هوأن يأخذ بثاره من هذه المسلمسه فنزل معهم لص المسلمين يقال له أبا محمد البطال سرقها
وسرق الشيخ النجيح معها ونحن فى حيرة من ذلك لان هذا شىء ماعهدناه فى بلادنا أن
يسرق انسان انسان مثله فلما سمع شومدرس من الملك ذلك ضحك وقال أيها السيد لاتعجب
من هذا الذى يفعل هذه الفعال فانه موصوف بهذه الاعمال ومامات أحد من أمة عيسى الا
وفى قلبه منه شىء لاتحمله الجبال (قال الراوى) وكان البطال وذات الهمه فى تلك الساعه
حضروا فى موكب الملك وهم فى زى بطارقته لان البطال لما أنفذ ولديه مع عقبه وعاديطلب
عسكر الروم والاميره تقول له اسرق لنا من ملابس أصحاب الملك ودعنا نركب فى موكبه
ونعمل على عطبه لعل العساكر تختبط وننجوا نحن من هذه الارض فقال البطال هذا هو الرأى
الصواب وكان قد صار وقت السحر فخاض البطال بين الخيام وصار كلما وجد من مضارب
البطارقة فرصه يدعس ويأخذ مايحتاج حتى سرق وحصل له وللاميره مايحتاجون اليه فلما كان
عند الصباح ركبا فى موكب الملك مع جملة الفرسان ووقفا تحت الصلبان يشاوران ويدبران
إلى أن قدم شومدرس الفرنان الشيطان وجرى له ماذكرنا مع الملك فنظره البطال
فقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم انظرى ياأميره هذا العجب كلما قلنا ظفرنا بنحس
جاءنا نحس آخر وهذاشىء مايكون فى الحساب (قال الراوى) ورجعنا إلى حديثنا الاول
وان الملك لماسمع مايعمل البطال من الصفات نادى فى رجاله بالزحفه إلى القتال ثم قال ابصروا
من يتقدم إلى المراكب أيضا ويزحفوا من جانب البحر فقال شومدرس مايحتاج أيها الملك تبصر
أحدا قدمنى أنا على المراكب وولينى أمر من فيها راكب وانظر من العجائب وان كنت ماسمعت
ذلك منى فاسأل الشيخ النجيح عن أبو الشر شومدرس فلما سمع الملك بذلك قال وحق المسيح لقدسمعت
بصفاتك من سائر الناس وبلغنى أن أعمالك مايقع عليها قياس ثم أنفذ مع غلمانه إلى المراكب وقال
قولوا لاهلها يكونوا تحت حكمه ثم عول بعد ذلك أن يزحف إلى طائفة أهل الايمان واذا بفارس
قدقفز بين الصفين وجال على حصان حتى حير أولى الالباب ونادى يطلب البراز من عبدة الصلبان

فقفز اليه عشر فوارس فى مرة واحده لان الخلق كثير فصاحوا وطلبوه مثل الدبابير فهنالك صلى الفارس على البشير النذير والتقاهم بلقب مافيه غير اللطيف الخبير (قال الراوى) وكان هذا الفارس الامير ظالم ابن الامير عبد الوهاب وقد خرج يفدى أصحابه ولما رأى العشرة بطارقه قد تبادروا اليه حمل عليهم وجال فيهم حتى ارتفع الغبار ومضى ساعه من النهار وانكشف القتار عن الابصار واذا بالعشره حول ظالم ممددين على الرمال ومطرحين يمين وشمال وهو يجول عليهم بالجواد ويذكر رب العباد وينادى دونكم والجلاد

(قال الراوى) ونظر الملك شمخوليص إلى هذا الحال فزادت نيرانه اشتعال وأمر النقباء ان ترد العساكر إلى القتال وقال وحق المسيح ودير النذور وكل راهب مات من المسلمين مقتول والا لاغفر لى القس الكبير فرتمولا ولارضى عنى الحوارى نقولا ان رجع أحد منكم حمل أو قاتل وطلب الطعان لأضربن رقبته إلا أن تبرزوا إلى هذا المسلم فارس لفارس ياويلكم ماهذا عليكم أكبر عار أن يخرج منكم عشرة لفارس واحد ولا تنالوا منه مقصود ابصروا من يبرز إليه ويأتينى به أسير والا حلقت لحية كل ملك منكم وأمير على أننى أقول ان هذا الفارس هو المسلمة التى كانت عندنا البارحة أسيره وقد خلصت من أسرها وقد خرجت إلينا اليوم تطرح شرها عليكم دونكم واياها حتى لايقال عنى أن مافى عساكرى من يلقاها فلما سمعوا البطارقة ذلك صاروا يخرجوا واحد بعد واحدا شاكين فى سلاحهم وظالم يقبض أرواحهم حتى صار قريب الظهر وانقطع عنه البراز من البطارقة وهابته الروم والعمالقة وقد قتل منهم أزيد من مائة وعشرين بطريق وبقوا إليه ناظرين وهموا ان يأخذوه بالمكاثرة وهيبة الملك تمنعهم من المبادرة هذا وظالم قد غير جواده وعاد يجول هذا والملك حيران وقلبه يحترق وهو على أسر ظالم قلق وقد هم ان يأمر بعض أولاده بالخروج إليه وإذا بفارس من أعراض العسكر قد حمل عليه وهو على جواد أصفر يأكل الارض مليح الطول والعرض يرى الجولان عليه فرض وعلى راكبه صدريه زرد كأنها عيون الجرد وفى يد الفارس سيف للأعمار ماضى قاضى (قال الراوى) وكان هذا الفارس الاميرة ذات الهمة لانها لما رأت فعال ظالم بالرجال وصنعته بالابطال قالت للبطال ياأبا محمد أريد اليوم أحتال وأرمى روحى إلى الاهوال فقال لها بماذا اخبرينى ما الذى تريدى تفعلى قالت أنا أعلم الساعة مافى قلب الملك من ظالم واعلم أن الذى يخرج إليه ويأخذه يصير فى المنزلة العالية وأنا أريد افعل هذا العمل لعل الملك يقربنى ويرفع منزلتى إذا ظهرت له طرف من فروسيتى وأتوصل أنا بعد ذلك إلى أخذه فيكون ذلك سببا لخلاصنا وفداء أرواحنا لاننا ماكنا نطلقه حتى يحلف

لنا انه يخلى سبيلنا ونمضى إلى بلادنا سالمين فقال البطال ان هذا نعم الرأى وتكون الاشياء بخواتيمها إذا أتى أخذنى ظالم وحضرنى بين يديه وسألكى عن حالكى ايش تقولى له فقالت ما أدرى يا أبا محمد فقال قولى أنا شعشعونا ابن شيعون الهرقلى وقد أتيت أنا وغلامى فى طلب الغزاة بين يديك لاننى ياأميرة قد سمعت الروم يتحدثون بهذا الفارس وانه شجاع من هرقل (قال الراوى) فما تم كلامه حتى خرجت الاميرة إلى ظالم وحملت عليه وصاحت فيه فالتقاها بقلب قوى وقد هانت البطارقة فى عينه إلا أنه لما جال معها رآها بخلاف من تقدم فأخذ حذره منها وصار يطاولها وهو لايعرفها فجرى بينهما ماحير المسلمين والروم وصار الغبار عليهم مثل الغيوم وتطاول الملك فى سرجه لما رأى ثبات ذات الهمة مع ظالم وقال وحق المسيح ان قتل صاحبنا هذا المسلم لانعمن عليه ولاجعلنه أنيسى وان أخذه أسيرو تنصر المسلم جعلت الاثنين اخصائى وأصحاب أسرارى (قال الراوى) فما تم كلامه حتى سمع ضجة عظيمة وجلبة جسيمة فمد بصره وإذا بالاميرة قد حملت على ظالم وصاحت فيه روعته ومدت كفها إليه واقتلعته من سرجه وصار معها أسير فأتت به إلى بين يدى الملك حقير ذليل ففرح به الملك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال له من أين أنت أيها السيد الهمام ومن أين قدمت إلى هذا المقام فقالت له أنا شعشعونا ابن شيعون بن شعونا الهرقلى خرجت خلفك فى طلب الجهاد ومعى غلمان وبطارقة وثقل وكل ركبي غدا يصل وأنا سبقت وغلامى هذا لأجل القتال ثم أشارت بيدها إلى البطال (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا المقال قال وحق المسيح ياشعشعونا مايرجعون الأحباب يفترقون ولا بقيت أخليك تبرح من عندنا حتى نعود من عدونا المسلمين فصعقت له الأميرة ونظرت العساكر كلها على المجاهدين بعد أسر الأمير ظالم وقويت له العزائم والصياح قد انعقد من كل جانب حتى ملأت المشارق والمغارب فعادت الاميرة تطلب الحرب بعد ماسلمت ظالم إلى البطال وأوصته به وطلبت القتال وقلبها على من بقى من المسلمين حيران فصارت تطلب الغبار الشديد والقتام فتطعن فى صدور البطارقة وتحامى عن المسلمين لان العدو كثير وجيوش الكفار تندق مثل البحار وهم يجاهدون حتى قل منهم الاصطبار وعدم الانتصار وظهورهم ملتصقة إلى صورة القلعة وهم يكبرون الواحد القهار (قال الراوى) وبلغ الخبر إلى الحصن أن ظالم أسر فقامت القيامة على أبا سكران ورأى المسلمين فى نقصان فترك فى الحصن جماعة من السودان لانه رأى الحصن من جانب البحر فى أمان والمراكب تدور به من كل جانب ومكان ولا تقدر على أذيته ولا إليه سبيل ولا وصول فخرج مع السودان وغاص فى عساكر الكفار وتناخت الفرسان وقاتل أبا سكران قتالا يحير العيان وقد طلعت الغبائر إلى العنان وغابت الشمس

ولم تدرك الانسان هذا والملك قد أمر أن تنصب إلى شعشعونا خيمة إلى جانب سرادقه وقال سلموها إلى غلام شعشعونا وانقلوا اليه كلما يحتاج إليه ففعلوا ذلك وتسلمها البطال وربط ظالم فيها وهو لا يعرفه بل منكس الرأس كثير البكاء على نفسه وعلى المسلمين (قال الراوى) ودام القتال يعمل إلى أن أمسى المساء واختلط الظلام وقد وقع الفناء فى طائفة الاسلام ولم يدخل الحصن منهم إلا القليل والباقين بين جريح وقتيل هذا والروم قد عادت عن القتال وجلس الملك فى سرادقه وقال ائتونى بالبطريق الهرقلى فأحضروا الاميرة فقبلت الارض وهى تقول هذا لله عز وجل ولما رآها الملك ودرعها قد غرق فى دماء الكفار والمشركين ففرح بذلك وأيقن أنها قد قتلت فى المسلمين فخلع عليها واجلسها إلى جانبه واحضرت الغلمان الطعام فتقدم الملك وأولاده وخواص أصحابه واجناده يأكلون وكلهم إلى الأميرة ينظرون وقد وقعت هيبتها فى القلوب (قال) وكان البطال واقف فى جملة الغلمان فقال الملك شيلوا الغلام شعشعونا وقولوا له يطعم الأسير ولا يمنعه من الزاد إلى ان نقتله فان السيده مريم تقول لا تقتلوا أعداء ملة الصلبان وهم جياع (قال الراوى) ياساده وكان البطال قد ترك ظالم فى الخيمه وأتى إلى حضرة الملك خوفا على الأميره لا تسألها عن شىء يكون له حجة وانه لما رأى منزلتها عند الملك فرح بذلك وأخذ الزاد وعاد يطلب الخيمه وهو يقول ان كفيت الليله شرشومدرس اللعين فما نكون الاسالمين (قال الراوى) ياساده وكان الملك قد أنفذ من يشرف عليه وعلى المراكب ويبصر ماجرى له ويأتيه بشومدرس فرجع الجواب يقول أنا ماأعود حتى أدبر بذلك (ياساده) وعاد البطال إلى الخيمة فوجد ظالم يبكى على المسلمين وهو مطاطى الرأس حزين لأجل أسره لانه مايدرى بما جرى على المسلمين بعده ولاسيما فقد الاميره فقال له البطال مالى أراك مهموم حزين باكى لا ترقألك دمعة كل هذا الأجل أسرك اشرح صدرك ياظالم فما أسرك فارس دون ولا كنت فى قتالك مغبون ولا هو غريب منك وقد أسر من هو أجل منك قدرا وهو أبيك وان كنت ماتصدق بالعيان فانا البطال والذى أسرك الاميره ذات الهمه جدتك فدع عنك الرقاعه وكل الطعام فى هذه الساعه حتى أسير وأشرف على الاميره لعل نأخذ الليله الملك فلما سمع ظالم ذلك احمرت عيناه وطار الدم من وجنتاه وقال كأن العجوزه الخرفانه هى التى خرجت وفعلت هذه الفعال وهتكت سترى بين الابطال وذمة العرب لابد من قتلها ان نحن سلمنا وخلصنا فقال البطال لا يصعب عليك هذا الأمر ياولدى ما فعلت الاعين الصواب لأننا فى هذه الشده الشديده والبلاد بعيده وما نخلص إلا بالتدبير وما هذا وقت المباهاة (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان بعد تقريب الأميره وأكل الطعام قد قدم المدام وشرب فرحابها ولما أن وصل القدح اليها أخذته بكفيها وباسته وعاودته

إلى الملك والساقى وقالت له بحق المسيح لاتنقض عهدى أيها الملك ولا تغير غيبتى فانى قد عاهدت المسيح من وقت خرجت من هرقله انى مابقيت أشرب من هذا القربان إلا ان أموجه من عين سلوان بعد الحج إلى بيت المقدس والجهاد والغزو الى بلاد المسلمين وهلاك أعداء الدين فقال الملك هذا وحق المسيح رجل نيته سليمة للجهاد ياشعشونا لوكان ربع عسكرى على هذه النيه فتحنا سائر البلاد الحنيفيه وشيأ قد تركته لوجه المسيح ماأغصبك عليه ثم جعل الملك يشرب مع خواصه وحجابه وبطارقته والأميره قاعده خائفة فعندها شرب الملك القدح وانطرح والسقاء والغلمان من شدة التعب والسهر نامت ولم يبق إلا البطارقة الذين بر السرادق بتوع الملك أصحاب النوبه ومن يعز على الملك إلا ان الكل سكارى متكئين على شعشعونا فلما رأى البطال ذلك انطرح عند رجلين الملك وخرجت الأميره والسيف فى يمينها مشهور ودارت حول السرادق حتى خمدت نيران العسكر ووقع النوم على الجميع وسكنت الحركات بأمر الجبار وعادت الأميره ودخلت إلى السرادق وقالت ياأبا محمد دبر حالك فما بقى من تخشاه فعندها وثب أبا محمد إلى شمخولص وشديديه وكذلك الأميره شدت رجليه وحمله البطال وخرج والأميره خلفه بالسيف حتى صارا عند ظالم وفكوا قيده وكتافه فقام وهو يقول ياأبا محمد من الذى معكم فقال البطال سير ولاتتكلم بما لايعنيك فهذا ملك الروم وهذه ستك فاطمه بنت مظلوم فاقيموا على ماأنتم عليه حتى ادخل وأعود اليكم بما تركبون ثم عاد إلى سرادق الملك فتسلم من الجنائب الخاص ستة جنائب وأتى بها إلى الأمراء فركب ظالم وذات الهمة وشدوا الملك على بعضها وركب البطال وساروا حتى خرجوا من الخيام وكانت القلعة بين أيديهم لأن سرادق الملك كان محازى باب الحصن (قال الراوى) ياساده ولما خرجوا من الخيام أمنوا على نفوسهم وتموا يطلبون الخليج وظالم يقول ياأبا محمد أنا ماأدخل معكم حتى أبارز هذه العجوز الهرمة التى قد خرجت إلى وأسرتنى على غرتى وأنا تعبان وقد قتلت من الكفار نحو الماية والعشرين من الفرسان ولولا ذلك كانت أحقر بان تمديدها إلى فقالت الأميره ويلك ياظالم أعجبتك نفسك حتى صرت تتجرأ على مثلى بمثل هذا الكلام وتحدد من شىء قد فعلته بابيك مره ماحدد ولا جرى عليه ماجرى عليك فانت فرخ فرخى فلما سمع ظالم ذلك قال ذاك ولدك من احشاكى تفعلين به وأنا على أى شىء تذلينى حتى تفعلى بى هذا الفعال وتهتكى سترى بين الأبطال فقال البطال بالله عليك ياظالم دعنا الساعه من هذا العقبان وخلص نيتك حتى تخلص من هذا البلاء الذى نحن فيه (قال الراوى) ياساده فهم فى الكلام وإذا بثمانين فارس قد اعترضهم من بطارقة الروم مع مقدم من حجاب الملك يقال له شومطيش وكانت تلك الليلة نوبته فى درك القلعه والدوران حولها فلما رآهم باداهم ياويلكم من أنتم والا كذلك

طالبين القلعة التى فيها الاعداء فقال البطال وقد تقدم إليه ياأخى ماحالك أنا كورين من سقاة الملك وقد أتيت فى طلب أحصله لصاحبى قبل أن تخوض الخيل فيه وأعد فلما سمع القوم ضحك وقال وحق المسيح ما أنتم إلا مسلمين والاسقاة الملك كيف يكون منكم معه جنايب من الخيل الخاص فقال البطال يا أخى لاتفعل ودع عنك هذا المقال وان كنت أنكرتنا لأجل هـذه الخيل فهذه جنائب الملك والسياس قد أعطونى اياه وقالوا لى يا كورين خذهـا معك واترك غلمانك يخوضوها فى الخليج لأنهـا البارحـة ما أكلت عليقها فقال البطريق تكذب ياشيطان وحق المسيح ما أنت الا الذى سرقت الشيخ النجيح والا فقل انك برىء من دين محمد وخصمك القرآن وأنيسك فى لحد الصلبان فعندها التفت البطال إلى الاميره وقال لها كلمى هذا الشيطان فانا قد اشتكلت على قصته فعندها دنت الاميره منه وقالت له لو تبينت وجوهنا لعرفتنا ثم سلت حسامها مثل البرق وضربته اطاحت رأسه عن بدنه وقال أناما أحب أخاطب إلا كذلك ثم صاحت الاميره بظالم وحملت معه على باقى الفرسان وبقى البطال موكل ورأت البطارقة سيدها قتيل فسلت السيوف وحملوا على الامراء وكان ذلك المكان بعيد عن العسكر قدام بين هؤلاء الامراء والقتال تحت الظلام وعمل الحسام وقل الكلام ولعب ظالم وسته بارواح المشركين اللئام حتى طلع الصباح وخاف الفزعان من الافتضاح وولت البطارقة هاربة وقد قتل منهم أوفى من خمسين بطريق ورأوا ضربا أحر من نار الحريق وعادت الاميره وظالم إلى البطال وهو فى انتظارهما بالبعد قائم ولم يشتغلوا بالقيام لأنهم طالبين النجاة بكل الوجوه ولم يزالوا حتى وصلوا إلى القلعة وصاحوا ففتح لهم البواب ودخلوا ثم نزلوا من على الخيل والاميره تقول أين الامير أبا سكران ان بشروه بخلاصنا من عبدة الصلبان وأخذنا لهذا الملك الذى نريد نطلب منه لأنفسنا الامان والخلاص (قال الراوى) ياساده فهى تقول هذا المقال واذا كبس عليها الرجال وأرموا أرواحهم عليهم مثل الجبال وهم ينادون عيسى ومريم وعقبة فى أوائلهم ينادى خذوا هؤلاء الاندال واتركوا فى اعناقهم الاغلال حتى أبلغ بصلبهم الآمال أنا وهذا الشيخ شومدرس المحتال ولم تكن إلا ساعة حتى أخذوا ظالم والاميره والبطال وكتفوا الثلاثة بالحبال وتولاهم عقبه وشومدرس شيخ الضلال وظهرت عقيبه بنت عقبه وهى تضحك وتلطم وجوههم وتبصق عليهم وتقول ياشياطين كيف ترون هذه الفعال التى تعجز عنها الرجال ابشروا بالصلب وقطع الآجال (قال الروى) ياساده وكان لذلك سبب عجيب وهو أن الراهب شومدرس لما نزل إلى المراكب وتقدم على أهلها وأراد أن يظهر صنعته وحكمته وصار يصيح على أصحاب المراكب ويزحف بهم طالب الاصوار وأباسكران ومن معه من السودان يرموهم بالحجاره والصخور الكبار لما تنصف

النهار وحملت عساكر الكفار واسرت الاميره وظالم كما ذكرنا واشرفوا المسلمين على الهلاك وسمع أبا سكران بذلك فنزل ومن معه من الرجال وقلبه آمن من القلعة من صوب البحر لأنه رأى المكان أمين شاهق فى الهوى حصين ودام القتال مع عسكر الكفار ورأى شومدرس المكان قد خلا من الرجال فعلم أن الكل فى القتال وأن القلعة خالية من الأبطال فمال بمركبه إلى تحت برج السلاح وكان قد نظر فيه شباك حديد على طاقة واسعه فقال من هاهنا أنال المقصود ثم أخرج الكلاليب وربط فيها الحبال وصار يقول للبطارقة علقوها فى هذا الشباك حتى تتعلق وتتمكن وتصعدوا وقد تملكتم المكان وأنه قد بقى خالى من العرب السودان (قال الراوى) ففعلوا ذلك البطاقة وصاروا يرمون الكلاليب بقوتهم وهى لا تصل ولا تتعلق لأن المكان مرتفع فبقى شومدوس حائر لا يدرى ما يفعل ولما ضجروا عولوا على الانصراف وإذا بكف قد خرق من عيون الشباك أنى من البلور ابيض من الكافور ومنادى ينادى لا تنصرف ياراهب فأنا أبلغك ما أنت له طالب واقصد إلى باب البحر وانا افتحه لك وادخل كل من معك إلى المراكب (قال الراوى) فلما سمع شومدرس هذا المقال انفرج عن قلبه ذلك البلاء العظيم وعلم أنه كلام امرأة فنادها من أنتى يابنتى من عباد المسيح اخبرينى حتى يخف مابى واستريح فقالت أنا عقبيه بنت الشيخ النجيح كيف أنت ياعماه وحق الصليب لقد أتيت فى وقت الحاجه وأنا رأيتك اول ما نزلت فى المراكب وما امكننى أن أكلمك لأن الحصين كان من المسلمين ملآن وأنا كنت خدعتهم واظهرت اننى قد دخلت معهم فى دينهم وجرى لى معهم عجائب ماهذا وقت شرحها اقصد الساعة إلى الباب حتى أفتحه لكم وتملكون المكان قبل أن تعود السودان ثم نزلت الملعونه والمفاتيح معها تطلب باب البحر وشومدرس قد طار قلبه من الفرح وميل بالمراكب إلى نحو الباب وما كانت إلا ساعة حتى فتحت الملعونة الباب وأدخلت البطارقة وطلع شومدرس واعتنق عقبيه وقبلها بين عينيها وقال لها يابنتى جزاكى المسيح خيرا لأنك لولم تفعلين هذه الفعال لما كنت تسمى بابنة هذا الشيخ المفضال ومع ذلك أين هو فما أرى له خبر وأنا قتلنى الشوق إلى طلعته حتى أشبع منه بالنظر فقالت هاهو فى برج الزاوية مأسور وأولاد البطال به متوكلين فدعه الساعة على ماهو عليه فخلاصه مايفوت ورتب قبل كل شىء البطارقة خلف باب البرحتى يقبضون على من يعود من المسلمين والساعة ترى الكل وقد عادوا منهزمين تعابا مجروحين وكان كل من دخل من المسلمين يتمهلوا البطارقة عليه حتى يتوسط الحصن بتدبير شومدرس اللعين ثم يقبضون عليه ومن مانع عن نفسه قتلوه والباقين هلكوا برا الحصن وداخله وكان الليل قد مضى منه بعضه وبعد ذلك أخذ شومدرس جماعة من البطارقة وقصدوا إلى باب الدار التى فيها عقبة فقبض على مذبحون والحصين أولاد

البطال وقعد عند رأس القاضى وهو فى غمرات الموت من شدة الضرب والعذاب وفى قلبه من كلام ابنته النار التى لا تطفا فقال له شومدرس افتح عينك أيها الشيخ النجيح وانظرنى فأنا أخيك أبو الشرشومدرس قد أتيت أبل شوقى منك (قال الراوى) فلما سمع عقبة هذا الكلام رجعت روحه إليه ورجف قلبه من الفرح وفتح عينه وهى تدمع وقال ياترى هذا الأمر صحيح وقد جمع بيننا السيد المسيح كيف كنت وطاب قلبك أن تنسانى فى هذه المدة ولا تسأل عنى وقد كنت لى عمدة ياراهب فكم جرى على بعدك من المصائب وما قاسيت بعدك من النوائب وبعد هذا قتلت أختى عاقبة وابنتى عقيبة وأسلمت ابنتى عقيبه واسمعتنى غليظ الكلام ووحدت الرب الكبير وأريد تنتقم منها غاية الانتقام وتأخذلى بثارى من هؤلاء وقد أتيتنى فى هذا الوقت وخلصتنى من الأمراء وهذه الفعلة ما أنساها لك أبدا وعلم المسيح ما كان بقلبى من الشوق إليك فلما سمع شومدرس ذلك من عقبة ضحك وأخبره أن ابنته عقيبة على دينها ثم حدثه بما فعلت وكيف فتحت القلعة وان الذى عملته كان كله خديعة ومكر ومحال حتى تم لها هذا المقال ثم حل كتافه وهو لا يصدق بذلك وإذا بابنته عقيبة قد دخلت عليه وقبلت رأسه ولحيته وقالت ياأبتى لا تؤاخذنى بذلك المقال وما فعلت بك من الفعال فانى ماقابلتك إلا لحيلة منى على هؤلاء الكلاب الأندال فقم أبصر كيف فتحت هذه القلعة كما فتحها أبى محمد البطال وأهلكت فرسان المسلمين والأبطال وباقيهم فى الأسر والحبال فعندها بكى عقبة الملعون من الفرح وقال يا ابنتى لولم تفعليها ما كنتى من ظهرى فالمسيح يرضى عنك ولا يؤاخذك والقسس ترحمك والحواريين تزورك فأنتى قد بقيتى العمدة ثم خرج هو وشومدرس قدامه وأولاد البطال معه فى الكتاف ولما صاروا فى وسط الحصن ورأى عقبة قتلا المسلمين زاد فرحه ثم افتقد المأسورين فما رأى البطال ولا ذات الهمة فقال مالى لا أرى الشيطان الرجيس وتلميذ ابليس أبى محمد البطال وكذلك العاهرة أم الأسود الزنيم فقال له شومدرس وحق المسيح مالى منهم علم وما أنا الا سألت المأسورين فقالوا لى انهم نزلوا إلى قتال الملك وما ندرى ماجرى فقال عقبة وحق المسيح لا بد مما يعملون بائقة ويصدقون وان صدقنى حذرى فما يعودوا الا بالملك ولا بد لهم فى هذه الليلة مايعودون إلى القلعة وأنا أدرى كيف آخذهم ثم استدعى بمائتين بطريق ودلهم على مكان يكمنوا فيه وقال لا تمكنوا أرواحكم من النوم وما كانت الا ساعة من الليل حتى أقبلوا الثلاثة ومعهم الملك فثارت إليهم البطارقة وملكوهم كما ذكرنا وطلعوا بهم إلى القلعة وخلصوا الملك من أيديهم وتقدم عقبة إلى الأميرة وبصق فى وجهها وقال لها ياعاهرة قد أمكن المسيح منكى ولطم البطال على وجهه وكذلك ظالم وقال للملك كيف أخذوك أيها الملك فحدثه بحديث الأميرة وأنها أتت إليه فى زى البطريق شعشعونا فقال أيها الملك

هاقد ظفرت بهم وأريد منك أن تصلبهم على أبواب القلعة وأصوارها حتى تشتفى منهم أمة عيسى وأنفذ إلى العسكر وأعلمهم بخلاصك وأمرهم ان يتقدموا إلى القلعة ويتفرجوا على صلبهم فلما سمع الملك كلام عقبة امتثله وأنفذ رسول إلى العسكر وأعلمهم بخلاصه وصلب المأسورين ففرحوا بذلك وضربوا الديادى والبوقات ونشروا الأعلام والرايات وداروا بالقلعة من كل جانب يتفرجون على ماحل بالمسلمين من المصائب وعقبة قد صاح بالبطارقة وأمرهم فسحبوا المأسورين وهم فى الحبال مقرونين والأميرة والبطال وظالم وأبا سكران فى أوائلهم وعقبة يقول اعبروا بهم فى وسط الحصن حتى يروا باقى أصحابهم كيف هم مطروحين مثل الضحايا وقد حلت بهم الرزايا فقالت الأميرة ياويلك لاتغتر بما ترى من أشباحهم وربهم قد أنعم على أرواحهم وإن كنت أنت ترى هذا فسادهم فهو صلاحهم لأنك أنت تنظر بعين البشريه فترى حالهم قد زال وما تعلم انهم قد انتقلوا إلى دار مافيها زوال فقال لها عقبة صدقتى فى هذا الوعد كما صدقتى فى صلبى ثم سار بهم وهم يرون أصحابهم مطروحين فى وسط الحصن والأرض ملآنه من دمهم فبكوا الاسارى على المنازل وتيتم الأولاد وبكوا على الأطفال والأطلال والبلاد وعددت الاميره وفاضت دموعها وساروا على هذه الحاله حتى وصلوا إلى الابراج وفرقوا كل أمير ببرج وكل رجلين بيدنه (قال الراوى) ودقت الروم النواقيس ورفعوا الصلبان والقساقسه وكشفوا الرؤس وارتفع الضجيج إلى العنان (قال الراوى) وعلى الحقيقة أشرفوا المسلمين على الهلاك لولا أن البطال قال للملك شمخولص يا ملك لاتفعل بنا هذه الفعال وتسمع كلام أعدائنا الجهال ونحن حماية الثغور وسيوف بنى العباس وأمراء العرب وسادات الناس خلينا عندك إلى ان تخرج إلى بلاد الاسلام كما قد زعمت وخذنا معك نسلم إليك البلاد ونملكك رقاب العباد ونفدى أرواحنا بأموال إذا رأيتها تبهرك وتحير بصرك وأن أسرلك من يعز عليك كان الواحد منا لفداه ورجوعه اليك ولا تظن أن بلاد الإسلام هينه ولا عساكرها قليله فان فيها كل فارس همام وكل جيش مقدام ونحن دخلنا إلى هذه البلاد فى أربعة آلاف وهذه أعمالنا وشاهدت بعض أفعالنا ونحن سادات الناس والذى ترى عند خروجك أعظم أجرا واوفى باسا (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الكلام انتبه كانه كان فى منام وقال لبطارقته وحجابه القيام لقد صدق هذا الشيطان أحملهم معى إلى الجزيره واترك الامراء عندى فى القلعة والباقين أفرقهم على رهبان السواحل يتقربون بدمائهم فى الاديرة وأريد أيضا أنفذ منهم إلى دير النذورلان الراهب مرقولا قد أوصانا بهذا وقال لى ياملك أنت ماضى إلى قتال الموحدين وأريد ان وقع أحد منهم فى يدك أسير تتركه فى هذا الدير

قربان وكذلك زوجتى عاميل قد اشتهت أن تنظر كيف يكونوا المسلمين وهذا الامر لا بد منه اجمعوا الاسارى حتى تأخذهم ونقسمهم ونأخذ معنا ونرسل باقيهم فى المراكب فعندها صاحت البطارقة بعضهم ببعض وجمعوا جميع المجاهدين سالمين مافرط فى واحد منهم فرط إلا الحصين ابن البطال فان عقبه قور عينه الشمال وكان عول أن يقور الاخرى لما فى قلبه منه فأتوا غلمان الملك وأخذوه من بين يديه واعلموه بما قد عول الملك عليه فلم يقدر عقبة على الملاججه بل نزل مع جملة الروم ونزل الملك من القلعة وولى عليها بطريق من أصحابه يقال له اكتفبيل النورانى وقال لشومدرس يا أبو ناخذ بعض الاسارى وعود فى المراكب واسبقونا إلى جزيرة الحائط حتى نسير نحن فى البر كما قد أتينا ويكون الاجتماع هاهنا بعد أربعين يوم ثم نادى فى العساكر وأوصاهم بذلك واخذوا فى أمر الرحيل هذا وقد أخذ شومدرس معه الاميره ذات الهمه والبطال وأنزلهم فى المراكب وكان برأى عقبة لأنه قال للملك ان أخذنا البطال معنا مانأمن من غوائله وكذلك ذات الهمه مانأمن شرها وفى المراكب احفظ لهم فأخذهم شومدرس وأفردلهم مركب كبير وأنزل الكل فيها مكتفين وأقلع بسائر المراكب وكانت ستمائة مركب فى كل مركب طائفة من النصارى فشرعوا الشراعات ورفعوا القلوع وساروا طالبين جزيرة الحائط ورحل الملك من الغد ومعه باقى السودان والعرب ومعه من الأمراء أبو سكران وظالم ومذبحون والحصين وأم بكار الذى قلع عقبة عينها وقد تولى عقبة عذابهم (قال الراوى) ياساده فهذا جرى ههنا (وأما ما كان) من شومدرس فانه سار بالمراكب تلك الليله وذلك اليوم وفى الليلة الثانية تغير عليهم البحر وقام الهوى عند غروب الشمس فحطوا القلوع وساروا بالمقاديف إلى الليل وإذا بالارياح قد زادت ولعب البحر وتلاطمت أمواجه وتمخض وأزبد وعاد بعد ذلك أسود وأخذه القلق والحرد وكثر اعتكاره وطلع رمل قراره وسبحت دوابه والتطم عبابه وزجرته الملائكة الموكلة به وبسواحله وزادت أهواله وزلازله وأظهر الخالق لعبيده حق توحيده وتبددت المراكب ولعبت بوارق المصائب واسودت الجوانب واشتغل كل واحد عن صاحبه وبكى على أهله وأقاربه وسبح مركب المسلمين ووحدا رب العالمين ونظر البطال الهلاك بعينه قد حضر فوجد الذى أمر البحر فزخر وتأمل إلى جانبه وإذا بالمركب الذى هو فيه قد انفتح وانخرق والماء منه قد نبع وأشرفوا على الغرق فنادى شومدرس ويلك ياراهب مركبنا قد غاب والماء قد طلع الينا وهؤلاء الملاحين الذين عندى قليلين الخبرة بعمل البحر قل لهم يحلونا حتى نصلح المركب قبل الغرق ونحن نرجع نمكنهم من كتافنا لان مامعنا عدد ولا نطمع ان ندفع هذه المراكب كلها ان كان غرضكم سلامتنا وسلامتكم وان لم يكن ذلك فكلنا أشرفنا على الهلاك فلما سمع شومدرس

كلام البطال علم انه صادق فى المقال وانه خبير بهذه الأعمال فقال لمن معه حلوا هؤلاء المسلمين من الكتاف ودعوا هذا الشيطان يدبر المراكب فهو أخبر منكم بها فعندها تبادروا البطارقة وقد طلبوا الهناء لأنفسهم والخلاص وهم يرجون من المسلمين الخلاص فحلوا كتافهم وقام البطال إلى المراكب ودبره إلى الصباح وطلع شومدرس إلى أعلى المراكب واذا هى كلها ابمدده فى أقطار البحر من كل جانب والموج بها لاعب فأراد يأمر أصحابه برمى المراسى واذا قد طلع من فوق رأسهم غمامة سوداء وغيام مغنم مظلم مكدر والتحم وامتدوصفقته الرياح وطارت منها الالواح والسالم منها غطته المياه وغاصت تطلب القرار فى ذلك البحر العجاج المتلاطم بالامواج ولم ينجوا من القوم ناجى وبقيت الاخشاب على وجه الماء تلعب وقد شرب من كان فيها شراب العطب وحكم الله عليهم بهذا الامر المقدور وكان لهم آجال قد تقاربت ولم يبق منهم بشر ولا نفر (قال الراوى) ياساده فهذا جرى لهؤلاء (واما ماكان) من الملك شمخواص فانه سار ومعه عقبه الغدار والمأسورين حتى وصلوا إلى الجزيرة المقدم ذكرها وسأل عن المراكب فقال المتخلف مكانه وحق المسيح أيها الملك ماوصل الينا ولا مركب واحد ولا رأينا فى البحر لاقائم ولاقاعد فلما سمع الملك ذلك رجف قلبه على أصحابه وقال واندماه واشتغل عن من خرج إلى لقاه وقال لعقبه ياشيخ ايش تقول جرى عليهم لايكون غرقوا الآن لأن فى هذه الأيام بان لى فى البركان الهواء قدتغير الجومنه تكدر وأنافزعان على المراكب فقال عقبه اذا كان الامر على ذلك فانفذ بعض الحراقات يكشف لك الخبر ان كان البحر هادى سليم من الخطر فعندها قبل الملك منه هذا الرأى وفرق المأسورين فى الابراج وسير مركب لطيف فيه عشر من الاعلاج وقال لهم لاتعودوا الا بالخبر اليقين ولو وصلتم إلى قلعة السها ونزل عقبه فى الكنيسة وقد فرح فى الباطن بهلاك الاميره ذات الهمه والبطال وقال فى نفسه ان كانت المراكب قد غرقت فما أهلكها الا المسيح بمخالفة هذا الملك لأنى أمرته بهلاك المسلمين وصلبهم فما فعل وماغنى الاهلاك الراهب شومدرس والا لو هلك كل من فى هذه الجزيره وكان البطال معهم لا كنت غير خاسر (قال الراوى) ياساده وكان الملعون لما نزل فى الكنيسة قد أخذ العلويه أم بكار وطلب بذلك عذابها لأنه قال للملك مايطيب عيشى الا أن أداوم العباده على جهاد وأريد هذه العلويه تكون عندى أجاهد فيها بالعذاب حتى يفرح قلبى وقلبك أيها الملك وأشفى غليلى من باقى الاسارى (قال الراوى) وكان الملك قد اشتغل قلبه بغيبة المراكب لأن فيها خواص بطاقته وكبراء أهل قلعته وكان قد ترك الامراء فى برج عالى مشرف على البحر وهم ظالم وأبو سكران ومذبحون والحصين والشريف بكار العلوى (قال) ولما جن الليل تحدثوا الامراء فيما قد أصابهم وبكى

مذبحون على أبيه البطال وكذلك أخيه الحصين وبكى ظالم على ستـه وقال واحسرتاه على الاميره ليتها كانت معنا أسيره ولا غرقت فى هـذه البحار وشمت بها الملعون راس الفجار فقال الشريف بكار والله ياظالم وكلنا هذا المصاب مصابنا وفى غداة غدا إلى الآخرة أصحابنا ومافى قلبى حسرة الامن عجوزى الكبيره التى قدتولاها هذا الملعون ليعذبها ثم أقاموا كذلك إلى أن مضى من الليل ربعه وقال مذبحون لأخيه الحصـين ويلك يا أخى أقرض كتافى حتى تبصران كان لنافرج قبل الصباح والامايغفل عناعقبه حتى يسقينا كاس الردا فتقدم الحصين اليه وقرض كتافه بانيابه وأطلقه فى الحال وأطلق يديه وعاد هو حل باقى الامراء فصاروا الكل مطلوقين إلاأنهم فى ذلك البرج الذى وصفناه مالهم إلى الخلاص منه سبيل فقال ظالم ايش كان الفائدة فى اطلاقنا يامذبحون ونحن فى هذا المكان فقال مذبحون أما أنا فلى فى هذا أكبر الفوائدلأنى أقدر الساعه اصعـد وانجو بروحى واقدرأقيم فى الجزيره سنة ولايعرفنى أحد حتى يسهل الله التوصل إلى بلاد الاسلام باى وجه كان ولو كنتم أنتم مثلى تقدرون على الصعود من هذا المكان لكنا كلنا ندبر فى الخلاص ولايشتفى منا عقبه القرنان فقال الحصين ويلك ياأخى ويطيب قلبك تخاص وتخلينى يتحكموا بى الاعداء فقال لاأنا أصعد وأدلى لك الحبال وألتقيك فقال أبا سكران لا وذمه العرب لانترك أحدا منكم يصعد حتى تحلفوا لنا انكم تأخذونا معكم والالاتخلصون أنتم ونبقى نحن تطلع الحرارة كلها فى رؤسنا فقال الحصين أى قرن يقدر يستقيك أنت بحبل وأنت فى قدر الجمل فقال خونى أنا إلى الآخر حتى تطلعون كلكم وابصروا كيف تعملون معى وماأريد منكم إلاأن تستوثقون إلى الحبال وأناأصعد بروحى فقال مذبحون ان كان على ذلك فاصبروا على ثم التصق زاوية البرج وخلى رأسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وتسلق كما جرت له العاده (قال الراوى) ياساده وكان على البرج حارس وفى يده ناقوس وهو يغنى بالروميه فما أحس إلا برجلين مذبحون طالعه من بين أفخاذه فبطل دق الناقوس وأخذته إليه بهتة وقال وحق المسيح ماهـذا إلا جنى قد نزل إلى هؤلاء المسلمين رسول وقد عاد صعد من عندهم لأن الروم قالوا الكل سودان خلاف خلق الآدميين ثم جف لسانه وقام من ذلك المكان وبقى باهت حتى بقيت رجلين مذبحون كلها فوق وهمز بنفسه صار قائم وبادر الحارس وقد أراد أن يصيح فلكمه أرماه إلى أسفل البرج فقال أبا سكران صح الله بدنك يامذبحون ليت أنا كنت أحسن هذه الصنعة وما أريد فروسيه ثم قال لظالم أن يرجع إلينا فهو مليح فقال الحصين طيب قلبك فأنا أعرف صفة أخرى أطلع بها فى هذا البرج وأصيح به وأعود فقال ظالم لاوحق محمد بن عبد الله مابقينا نخليك تبرح من ههنا حتى نبصر مايكون (قال الراوى) ياسادة وما لبثوا أكثر من ساعة حتى أطلع

عليهم مذبحون فقال يا أبا سكران هاأنا قد وقعت لكم بحبل تشتهون تفعلان أو تصعدون فقال ظالم ويلك يامذبحون دلى الحبل ودع الجنون فأبن قرنان يشتهى يرى هذا المكان فضحك مذبحون ودلا لهم الحبل فصعد أول الكل الحصين ولما صار عنده قال سير بنا ياأخى ودع هؤلاء لأنهم إذا صعدوا وكثروا أنكروا علينا إذا تفرقنا فى الجزيرة فقال الحصين إلى أين تمضى قال ننزل فى هذه المركب الذى تراه تحت البرج ونقلع متابعة الهوى ويفعل الله بنا مايشاء وأين ماوقعنا كان أصلح لنا فى المقام مع الأعداء فسمعه ظالم فقال لا بالله يا مذبحون خذنا معك فضحك ثم دلى لهم الحبل واستقا الشريف بكار وبعده ظالم ولما صاروا الكل فوق تعاونوا على أبا سكران حتى رفعوه وقد لاقوا منه مشقة عظيمة (قال الراوى) ياسادة ولم تكن إلا ساعة حتى ساروا الكل على الساحل وتقدموا إلى المركب الذى ذكرنا وإذا هى مركب الملك الخاص وهو ملان بالزاد والعدد والمقاديف ولما حصلوا فيه تولى مذبحون أمره لأنه خبير بعمل البحر جيد المعرفة (قال الراوى) ياسادة وساروا حتى أصبح الصباح واتسع البحر فى أعينهم وقد ابعدوا عن البر وهم سايرين لايرون إلا ألواح المركب التى غرقت وأخشابهم تلعب بها الأمواج فبكوا على أصحابهم وكان أشدهم بكاء ظالم على سته الاميرة ذات الهمة وعلى وطنه وبلده وبرية الحجاز مولده وتذكر أباه فبكى وكذلك انتخب مذبحون والحصين على أبيهما أبو محمد البطال (قال الراوى) ياسادة وساروا الامراء وهم فى نوح وبكاء واتكلوا على الله تعالى ذلك اليوم وتلك الليلة إلى أن أصبح الصباح بالضياء ولمعت الشمس على الماء وقطعوا من البحر شيأ لايقع عليه احصاء وقد لاح لهم سواد بين أيديهم لايكاد من تعاظم الامواج أن يرى فقال ظالم لمذبحون ميل بنا ياابن العم إلى هذا السواد لعل أن يكون لنا فرج ولعلها تكون حديقة نطلع إليها ونستريح من هذه الامواج فميل إلى السواد وادار القلع واتكل على رب العباد وسار حتى تنصف النهار وبان السواد للابصار وتأمله وإذا بها مركب تجار وهى ستة مشرعة القلوع تسير وتدور لاتقدر على الطلوع فلما رأى مذبحون ذلك حط القلوع وأرسى وخاف على نفسه وعلى مركبه ان يقع مع مراكب القوم فى ذلك البلاء هذا وأهل المراكب قد صاحوا بأصوات مرتفعات وقالوا إلينا ياعباد المسيح لعل يكون لنا على أيديكم فرج فقال لهم مذبحون بالرومية ماحالكم فقالوا نحن قوم تجار خرجنا من بحر المجليه نطلب الجزيرة والحائط والبحر الاخضر وحصن القمر وكنا ستة عشر مركب فوضعنا فى هذا الموضع وهو سيما بحر الصفا ودوار الرحى قد ارمانا الريح إليها فى خمسة عشر يوم وقد بقينا بحكمه وحكم الماء ان حطينا القلوع غرقت المراكب لاجل اختلاف الهوى وان أقلعنا كانت حالتنا كما ترى تدور الابراج من هذا الزقاق والصفا

وقد غرق من أصحابنا عشر مراكب وقد بقينا نحن ستة نقاسى البلاء وفى هذا اليوم نهلك أو غدا فان سلمنا من الغرق قتلنا الجوع والعطش لان زادنا والماء الحلو قد فرغ من عندنا (قال الراوى) ياساده فلما سمع مذبحون قال لمن معه ابشروا بالفرج أنا أخلص هذه المراكب وأينما أقلعت أقلعنا وتوصلنا إلى بلادنا إن شاء الله تعالى ثم نادى التجار بلغتهم وقال كم تجعلوا لنا على كل سفينة حتى أدخل إليكم وأخلصكم فقالوا كلما تريد فرج عنا وخذ أموالنا (قال الراوى) ياسادة وكان فى المراكب أموال كلها حبوب وجواهر لانهم كانوا أقلعوا من الحلبة وهم فى خلق كثير يزيدون على خمسمائة رجل فقال مذبحون أريد على كل سفينة أخرجها ألف دينار وإن أردتم بعد ذلك أقلعت بكم قالوا رضينا بذلك ونحن نعطيك هذا الذى قدضمنا لك ونوصل إليك هدايا أوفا من هذا القدر فعند ذلك ميل بمركبه إليهم وكان مركب لطيف حربى فخط الدوار معهم (قال الراوى) وكان مذبحون أخبر أهل زمانه بتدبير المراكب لانه تربية الجزائر وخرج كما ذكرنا فصار ينزل إلى السفينة ويقول لملاحينها كنبوا القلوع فاذا طنبوا سف جانبه الواحد وأخذ فى الجانب الآخر ثم يميلها من الدوار أسرع من البرق على جانبها ولم يزل كذلك حتى أخرج الجميع وعاد إلى الامير ظالم وأصحابه فاخرج مركبهم وصاروا فى لجج البحار وقد فرحوا بخلاصهم وصار مذبحون عندهم اعز من أرواحهم فقالوا له ياحكيم ان اردت ماضمناه لك سلمناه اليك ههنا وان اردت ان تسير معنا إلى بلادنا فافعل فنحن مابقى لنا إلا العوده إلى جزائرنا لان الريح علينا وقدامنا هذا البحر الاخضر وهو كثير المهالك والخطر وقد رأينا أنفسنا تبقى أحب الينا من الدينار والدرهم فانتم أين قصدكم فقال مذبحون نحن اقلعنا من قلعة السها نطلب جزيز الحائط وحصن القمر فتغير علينا الهوى فما قدرنا نقاومه وإلا الساعة نحن بحكمه فقالوا له الروم إذا كان الامر على ما ذكر فسيروا معنا إلى ملتقى البحرين والفيض الاكبر وعدى فى الخليج إلى حصن القمر فانه صفر واقل خطر فقال مذبحون نحن مركبنا لطيف ماأقول انه يقوى على موج البحرين فقالوا الروم نحن إذا وصلنا إلى هناك رفعنا كم الينا وجربنا مركبكم حتى تجوزا الفيض الاكبر وبعد ذلك نعطيك المال الذى ضمناه لك وتعود فى دعة المسيح فقال مذبحون أقلعوا وافعلوا مابدالكم ثم صار معهم ذلك اليوم وتلك الليله حتى اصبح الصباح وقد قربوا من ملتقى البحرين فرفعوا مذبحون والامراء إلى بعض السفن وشالوا ما فى مركبهم من العده والاله الذين عندهم وجنبوه ثم ساروا إلى ان تضاحى النهار وأشرفوا على الفيض الاكبر وإذا بين أيديهم مركب صغير لطيف وعلى ظهره أربعة رجال اثنين معهم قيام واثنين مطروحين على جنوبهم فالقيام منهم يصيحون الينا لعلكم تفرجون عنا فمالت المراكب اليهم

ورفعوهم إلى عندهم وقالوا ماحالكم وكيف أقلعتم فى المركب وانتم أربعة قالوا وحق المسيح ما كنا أربعة وما كنا الا أربعين مركب والكل هلكوا وهؤلاء الاثنين على شروف الموت من الجوع فقالوا لهم فمن أين أقلعتم إلى هاهنا قالوا نحن من أصحاب الملك شمخولص أقلعنا ستمائة مركب من قلعة السها طالبين جزيرة الحائط ومعنا قوم مسلمين فهبت علينا ريح سوداء فى الليل ودامت إلى الضحى وما سكنت حتى غرقت سائر المراكب فى البحار وماسلم منهم ديار ونحن أرمتنا الريح إلى هاهنا وهذا أمر السيد المسيح فصار الموج والفيض من قدامنا والريح من خلفنا ومركبنا غائب مهدم الجوانب مانقدر نستقبل به الامواج ولا لنا ريح نعود به ونحن مقيمين فى هذا المكان وصار كل يوم يموت منا أربعة وخمسة من قلة الزاد حتى فنينا وما بقى الا نحن كما ترون (قال الراوى) فلما سمعوا الروم ذلك أتوهم ببقية شىء من زادهم واطعموهم واسقوهم حتى عادت القوة اليهم هذا والامراء قد سمعوا بغرق البطال وقال ظالم اسألهم يامذبحون ان كان عندهم من أصحابنا خبر فقال مذبحون نخاف أنهم ينكرونا وعندهؤلاء شغل مايشغلهم عن غيرهم فعندها أقبل مذبحون على الاربعة وقد اطمأنوا نفوسهم وقويت همتهم وقال لهم بالرومى يا بنى عمى كيف كانت قضيتكم ومن سلم منكم ومن المسلمين الذين كانوا معكم فقالوا والله ان قلنا ان أحد منا كان يعلم بصاحبه فقد كذبنا لأن المسيح ما اظهر فينا قدرته واشتد علينا البلاء وكان معنا رجل جليل القدر يقال له شومدرس فجعل يقرأ الانجيل ويدعو للمسيح ويرجو بذلك الخلاص وابصر رؤساء بطرقتنا منه ذلك مالوا كلهم اليه وطلعوا إلى مركبه وقالوا ما كان يسلم منا احد فما يسلم إلا من يكون فى هذا المركب يا أخى وحق الصليب أول من غرق كان ذلك المركب كان يريد المسيح بعد ذلك اشتغل كل واحد منا بروحه عن صاحبه ثم ميزه الذى يحدث بهذا الحديث إلى وجه ظالم وأبا سكران وصاح كريالسون كريالسون هؤلاء من أين صحبوكم يامعاشر أمة المسيح فقالوا من بالدوار والفيض الاصغروهم أصحابكم من قلعة السها ثم حدثوهم بما فعل مذبحون وكيف خلصهم من ذلك المكان وكيف قالوا نحن من أصحاب الملك شمخولص فقال البطريق يكذبن وحق المسيح نحن نعرف كل من كان فى قلعة السها وعلينا جرىء من المصائب ومع ملكنا ساروا فى البر ولا شك أنهم قتلوه وهربوا من بين يديه وهذا الأسود الآخر الذى جانبه لايصطلى أحداً بناره ولا يدرك فى بحر قراره وتجيب كيف سلمتم أنتم من أيديكم وكيف ماأملكوكم جردوا ياقوم سيوفكم واقبضوا عليكم قبل أن يتوروا إلى عددكم فقاموا إليهم وقاموا الامراء أيضا ليدافعوا عن أنفسهم فصاح مذبحون ياقوم ايش هذا من فعالكم بعد إحساننا لكم تسمعوا فينا كلام هذه الكلاب التى قد خفت رؤسهم من الجوع وقلة

الزاد وما بقي فيهم من يدرى هو فى أرض أم سماء ان كانوا قد شبهونا بالمسلمين فدع يسألونا عن علم التحليل والتحريم وربما كانوا اهم المسلمين وقد خافوا أن نعرفهم وقد بدؤنا بالشر والافأنا واياهم نتناظر فى دين النصرانيه والذى يكون اقل من صاحبه معرفة فى الدين هو الذى يكون من المسلمين (قال الراوى) فلما سمعوا أهل المراكب هذا الكلام حاروا ووقفو وعادوا وانعطفوا وابصروا البطارقة أنهم هالكين وأن الحجة عليهم فقال واحد منهم ياقوم لا يبهتكم هذا الشيطان ويحوجكم أن تقتلوا حملة الصلبان ونحن شيء يفصل بيننا فى هذه المعانى ويبين لكم المسلم من النصرانى ثم أن الملعون أخرج ثلاث ورقات وقالوا هذا من إنجيل المسلمين لأن أبونا شومدرس لما أشرفنا على الغرق أخذه من بعض المسلمين وفرقه علينا وقال لنا ان أردتم أن تنجوا من هذه الشدة والأمور الصعبة اكفروا على هذه السطور فهى كلام رب محمد نبى المسلمين ومن وقت مافعلنا ذلك ماافلحنا ولا أنجحنا والساعة فيها قد سلم معنا من الورق هذه الثلاثة فقالوا لهم يبصقوا عليها ويدوسوها بأرجلهم دوساحتى نعلم أنهم من أمة عيسى فقالوا الروم هذا هو الصواب ثم أخذوا ورق المصحف منهم وأتوا بهم إلى مذبحون وقالوا له ابصق على انجيل المسلمين ان كنت نصرانى فأخذ مذبحون ذلك الورق من أيديهم وباسه وتركه على رأسه وقال ماأمرنا المسيح بهذا وبيننا وبينكم علماء الانجيل ثم التفت إلى ظالم وقال له أنت ياعبد المسيح ايش تقول امروك القسوس قط بهذا فقال ظالم أنا ماأمرونى القسوس إلا بتطهير الرؤس وتبطيل دق الناقوس وقتل النصارى والمجوس وتوحيد الملك القدوس ثم وثب مثل السلهب وهز سيفه حتى التهب وضرب الخنزير الذى كان عرفهم على عاتقه طير رأسه إلى البحر وكبرت أهل السماء والأرض والسمك والبحر وطار أبو سكران وكشف عن وجهه مثل الغول أو أكثر وأكبر ووثب وثبة الأسد الغضبان وكشر عن أنيابه فطير عقل عبدة الصلبان وسل صارمه وانتضى وادرك أحدهم مثل القضى وضربه على صدره أخرج السيف يلمع من ظهره فتصايحت المراكب الكبار وعاد الامراء إلى الاشتهار وقام مذبحون وأخيه الحصين والشريف بكار وما فيهم الا من صلى على النبى المختار وحامى عن دين الملك الجبار ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى ملكوا المسلمين المراكب الذين كانوا فيها وارموا أصحابهم إلى لجج البحار ورأت باقى المراكب إلى ذلك فداروا بهم من كل جانب وارموا الخاطيف فى مركبهم ومروا إليهم الاسقالات ومشوا نحوهم وتجمعوا عليهم وكثر على الأمراء العدد وتزايد المدد إلا أن ظالم قد أحمى جانب المركب الواحد واحمى أبو سكران الجانب الآخر ومذبحون وأخيه كانا فى المؤخره والشريف بكار فى المقدمة إلا أنه قاتل هذا اليوم قتال حير العقول والأذهان إلا الأمير أبو سكران لأنه منع مركب فيها أكثر من خمسمائة روح ولم يقدروا يقربوا الى جانبه وكانوا كلما مروا اليه الاسقالات

وطلبوه وارموا على نفوسهم طير إلى البحر رؤسهم ونثر أجسادهم واشبع السمك ومنعهم بلوغ مرادهم (قال الراوى) ودام القتال حتى خزلت من المسلمين المناكب والقيت الكلاليب فى المراكب من كل جانب وجاءتهم الكفار مثل قبض السحاب ونادوا يامعشر المسلمين سلموا أنفسكم وإلا وحق المسيح مابقى بينكم وبين الغرق الا مقدار مايسحب الكلاليب التى هى عالقة بمركبكم وقد هلكتم عن آخركم ثم جذبوا الحبال فمال المركب وجرف من الماء فرأى مذبحون ذلك فعلم أنهم قد أشرفوا على المهالك وأنهم ان لم يسلموا أنفسهم غرقوا فقام مذبحون الى ظالم ومسك السيف من يده وقال له يا أخى بحياتى عليك لا تلزم القتال موضع الغلبة فانه من سوء التدبير ودعنا حتى نبصر الأخرى إلى أى شىء تنتهى ثم عدل إلى أبو سكران وأخذ سيفه أيضا ونادى الامان فأمسكوا عنهم الروم ومشوا إليهم وشدوهم كلهم كتاف وعولوا على المسير فوقع الخلف بينهم فقالوا قوم منهم نريد نحملهم إلى الملك شمخولص الذى خلصوا من عنده لعله ان يعطينا من أموالنا التى هلكت مناوأرميناها فى البحر لما أشرفنا على الغرق وقوم قالوا مانفعل ولا نريد مال نحن نريد أخذهم معنا إلى بلادنا ونفرقهم على الاديرة والكنائس ونجعلهم لرهباننا قربان ونشكر المسيح الذى خلصنا أحب الينا من الاموال (قال الراوى) وزاد الامر بينهم حتى انهم سلوا السيوف واذا صاح بهم شيخ منهم أزرق العينين قصير أشقر أنمش الوجه صغير اللحيه طويل السبال يقال له خيلوص الجوهرى (قال الراوى) وكان هذا الشيخ من رهبان جزيرة هرقله وكان شيطان فى علم الاديان فيلسوف الزمان قد قرأ سائر كتب اليونان وهو آفة من الآفات وكان قد بقى زمان راهب وقرأ على قسوس علم النصرانيه والانجيل وهو عندهم فى غاية من التعظيم والتبجيل وكان سبب تركه الرهبانيه أنه دخل عليه ملك الجزيرة يوما إلى المذبح فوجد عنده زوجته تمرح فقال له ياراهب ويلك ايش هذا الفعال فقال ياملك هذا فعال الرهبان الذين ساحوا فى طاعة المسيح كل السياحة وعرفوا احكم الا بارحه وهذه زوجتك قد خلوت بها لأن منزلتك عظيمة حتى أجوهرها واتركها مثل الجوهر الشفاف وان شاءت الماء سارت وان شاءت السماء طارت فلما سمع الملك منه منعه وعلم أنه محال مكار مفترى وسماه خيلوص الجوهرى وهتكه بهذا الاسم بين الرهبان فاراد خيلوص ان ينفى هذا الاسم عنه بين الرهبان بهذا المعنى فسار يسافر بالجوهر من مكان إلى مكان ويقصد الاقاليم والبلدان حتى اتفق فى هذه النوبه انه كان فى المراكب وأخذوا الأمراء جند الرحمن وجرى لهم من الامر ماجرى وأشرفوا الروم على القتال فنادى خيلوص لا تتقاتلوا وتثيروا الفتنة وبيعونى هؤلاء المسلمين كل واحد بألف دينار وأنا أسير بهم إلى أى موضع أختار وأخاطر بهم فى لجج البحر وان شئت أبيعهم أو أهديهم أو أحرقهم بالنار (قال الراوى) فلما سمعوا الرم ماقاله صفت منهم الضمائر وأخذوا

منه أثمان الامراء ذهبا وجواهر واقتسموا ماأصاب المراكب وصار كل مركب إلى اقليمه طالب وتسلم خيلوص الامراء وقال لغلمانه اقلعوا بنا إلى ساحل الديوره ناخذ أضعاف ماقد ذهب منا فى هؤلاء المسلمين فقالوا الغلمان وكيف ذلك فقال انى أعلم ان هناك رهبان ماراوا قط مسلم وماسمعوا به وما عبرت بهم قط وقالوا ياخيلوص بحق المسيح ان أنت وقعت فى سفرك باحد من الموحدين الحقنا به ونحن نغنيك غناء لافقر بعده ونتقرب بدمه فى كل دير ومعبد وأريد أسير بهؤلاء الشياطين اليهم وأقدم بهم عليهم فاذا أخذت منهم أضعاف ماراح منى من ذهب ومتاع أمرتهم ان يصلبوهم على صوامعهم حتى يصير لاديرتهم عيد يسمى خيلوص ويزار فى كل سنة ثم أقلعوا سائرين والامراء قد سمعوا هذا الحديث وبقيوا من الخلاص آيسين وقال ظالم والله يامذبحون ماعملت معنا خير الذى منعتنا من القتال وتركتنا نسلم أنفسنا إلى من يفعل بنا هذا الفعال فقال أبو سكران عيدوا على الحديث بالعربية فاخبروه بالحال وكيف قد عولوا أن يصلبوهم على الصوامع صلب الكراع فقال يكون رجلاه أعلى ورأسه أسفل وهو معلق على الصومعه فقال أبو سكران ياغر بتاه كيف يكون ارتفاعها يامذبحون فقال أقل مايكون خمسين قائمه إلى فوق فقال أبو سكران يامصيبتاه واطول غربتاه فقال أى والله واعيناه من هذا اللعين خيلوص الذى ما بقيت أقدر منه على التخليص فقال الشريف بكار أنا والله ماأبكى على نفسى ولكن أبكى على عجوزى الكبيره التى قد وقعت فى يد ذلك الظالم ويعذبها الليل والنهار (قال الراوى) وسار بهم خيلوص وهم يبكون ويندبون على أنفسهم تمام ذلك اليوم وتلك الليله وماانشق لهم الفجر الاوهم قد أشرفوا على ساحل البحر وقد بانت القناديل من أديرة الرهبان مثل النجوم وسمعوا أصوات النواقيس قد أقلبت تلك الارض مع ضجيج الرهبان فأقبلت اليه من كل جانب ومكان وهم بالمسوح السود مثل الغربان فلما رأوه عرفوه وعظموا قدره وبجلوه وعن سبب قدومه سألوه فقال قد أنعمتكم بما كنتم تطلبوه وجئتكم بالغرض الذى كنتم ترجوه وهؤلاء الذين معى موحدين أعداء الدين والحواريين وأريد تبصروا لى حق تعبى وتخلفوا على ماخسرت من ذهبى وتغتنموا الثواب والجهاد وتجعلوا الاديرتكم عيد يدار فى كل البلاد (قال الراوى) ياساده فلما سمعوا الرهبان ذلك تباشروا وضحكوا وقالوا ابشر ياخيلوص بكل ماتريد فما أتيتنا إلا فى وقت الحاجه وفى وقت سعيد ثم تبادروا إلى وجوه الامراء وصاروا يلطموهم ويتصايحون وهم مثل الكلاب يتنابحون وزاد الامر عليهم حتى أخذوهم بأسنة العكاكيز فى أجنابهم فسالوا دماهم ورأى خيلوص إلى اسراه أن يهلكوا وشىء ماوقع فى يده فصاح على الرهبان وأبعدهم عنهم وقال ماأقل أدبكم كيف

تحكمون على مالا تملكون هاتوا المال وافعلوا بهم ماتشتهون فقالوا الرهبان ياهذا ابشر بما يسرك الساعه يأتى أبونا ومقدمناد هيلوس راهب الرهبان وقس القسوس ويجمع سائر الرهبان ويعطيك مال مالا تحمله البغال لانه يتولى هذه الديوره وهو يحمل صلبانها ونذورها وهو عالمها وخبيرها لانه أقبل على دين المسيح بن مريم بكليته وقد بانت عندنا آيته وكرامته وقد بشرنا ان فى هذا الزمان يريد المسيح يزورنا وهو يشتهى ان يرى مسلما من المسلمين حتى يقربه ليلة نزول المسيح فى هيكل الحواريين وقد وصلت اليوم ههنا بنية (قال الراوى) فلما سمع خيلوص ذلك فرح وقال قد أتيتكم بخيار أمة محمد العربى وأنا أرجو من المسيح أن لايضيع تعبى (قال الراوى) فعندها مضوا الرهبان ودخلوا إلى دير قريب منهم وأتوا بشيخ قصير بذقن بيضه كبيره طويله وعلى رأسه برنس مربع الجوانب وله صليب من كل جانب وعليه ثوب أخضر من الصوف الرفيع وفوق أكتافه ماشوحه سوداء وفى يده عكاز طويل وفوق رأسه صليب بلور وهو يمشى بين الرهبان ويتبختر وقد رفعوا أصواتهم بقراءة الانجيل إلى ان وصلوا إلى ساحل البحر وخيلوص خار من جلالة قدره فقام اليه وباس يده ثم أمر خيلوص الغلمان أن يقدموا المسلمين إلى بين يديه وهم فى أسو إحال من ضرب الرهبان وماقد قاسوا من الذل والهوان (قال) فلما رآهم الراهب دهيلوس تقدم وميز اليهم طويلا وتكلم بكلمات من الانجيل وقال لخيلوص من أين هؤلاء ومن أين وقعوا فى أيديكم وهم بهذا الجفاء وعظم الأجسام ومن أتى بهؤلاء الشياطين إلى هذه البلاد قال خيلوص يابونا هؤلاء أمرهم غريب ثم حدثه بجميع ماجرى للروم معهم فى المراكب وماأظهروا من القتال والعجائب وكيف اشتراهم بالمال وأتى بهم يطلب الفائدة من الرهبان (قال الراوى) فلما سمع الراهب دهيلوس كلام الراهب خيلوص احمرت عيناه وصاح فى الرهبان ويلكم اقبضوا على هذا الشيطان وقدموه إلى حتى أحكم فيه بحكم المسيح وأمر مريحنا المعمدان وأبين لكم فى دينكم الصحيح

(قال الراوى) ثم انه قال من جاب هدية إلى الرهبان وطلب المال وربح منهم فقد كفر فى شرع المعمدان وهذا كفره فبادروا الرهبان إلى خيلوص الجوهرى ولطموه على رأسه واكتافه حتى أشرف على الهلاك والهوان وشدوا يداه إلى ورائه كتاف وهو يقول هذا بقى رأس المال وايش كان لى فى هذا الفضول والهذيان ياخيلوص يازربون ايش كان لك إلى هذا المكان من حاجة وصار يسب فى روحه ويقول يامسيح اصرف عنى شر هذا الراهب دهيلوس الشيطان هذا والرهبان قد شدوا خيلوص وأصحابه كتاف وأحضروا الكل قدام الراهب دهيلوس وقالوا ماالذى تأمرنا فى هذا الخنزير قال اعلموا يامعاشر الرهبان ان الملعون خيلوص قد مرق من عبادة الصلبان لأجل انه أتى فى كسب المال وغشته الدنيا الغادره عن الدار الآخره

حتى انقلبت تجارته خاسره وأنا سمعت عن مرفارى عن مركوكيس سمعت من ماريحنا الذى سن ضرب النواقيس من سمعون الصفا صاحب التقديس انه قال المسيح من أتى إلى دير من الاديرة وطلب جعلا أو برطيل فقد مرق من دين الانجيل وهو مخالف للمسيح والانجيل والساعة قد خالف وكذب على دن المصلوب على العود والصواب ان يضرب إلى ان يعود (قال) فبادروا إلى خيلوص ولم يزالوا يضربوه إلى ان سال دماه وارادوا أن يحلوه فصاح فيهم الراهب دهيلوس وقال لهم من اتانى من ذقنه بشعرة ضمنت له من دار الآخرة حجرة (قال) فلما سمعوا الرهبان كلام دهيلوس بادروا إلى دقن خيلوص الجوهرى حتى تركوا ذقنه مثل خد الفرس أو خد العروس وقلعوا أسباله وشواربه وبعد ذلك نادى الراهب دهيلوس اسحبوا هؤلاء المحمديون إلى داخل الدير حتى أتركهم إلى ليلة نزول المسيح ونقربهم اليه ففعلوا الرهبان ذلك بعدما اشتفى من خيلوص فقالوا سبحان من سلط غليه من هو أظلم منه وبعد ساعة فاق خيلوص وجعل يقول قتلتنى يادهيلوس ياألف قرنان ولم تجاوبنى الابروايات وأخبار فلعنك المسيح يادهيلوس فضحك منه دهيلوس ثم قال أستغفر الله من هذا الضحك لانه قال من ضحك من غير سبب وعجب أتانى يوم القيامة وهو أعمى أصم فقالوا الرهبان واحرباه إذا كان يطالب العبد إذا تبسم فمن ذا يخلص من عذاب جهنم ثم قال اضربوا هذا الشيطان عشر عصى أخر فقد أمرنى المسيح بذلك حتى يرجع إلى حقيقة الدين فعندها رجعوا الرهبان إلى خيلوص وضربوه حتى كادوا أن يعطبوه وهو يقول جود ياألف قرنان لاتضربنى الابروايات وأخبار ماأكذبك عليه فقالوا غلمانه ياشيخ اصبر على حكم المسيح وليتك تراوس على الراهب الرئيس لأنه رجل عالم (قال الراوى) ولما فرغوا الرهبان من ضرب خيلوص الجوهرى قال لهم الراهب دهيلوس امضوا الآن إلى الديوره ونفروا أهلها حتى تقطع الليالى بالفرح والسرور (قال) وكان على الساحل تسع ديوره قريبة من بعضها وفيها خلق من الرهبان قال فما أمسى المساء إلا والكل حضروا نزول المسيح وقد ارتفع لهم ضجة عظيمة وكان خيلوص قد أفاق من ألم الضرب فرأى ذلك الخلق الكثير فانذهل وقال لأصحابه ياقوم انى لأعجب من هذا المحالى الذى أمر الرهبان بنتف سبالى وقد أظهر الزهد والناموس وقد جمع هذه الرهبان والقسوس وقد أغراهم وقال ان المسيح ينزل عليه وهذا شىء لايقدر عليه ولا سمعناه فى الانجيل ولا فى مزمار حزقيل وما اخوفنى لاتكون هذه حيلة منه على أهل الديوره من هذا المنحوس دهيلوس ويقطع الليله رؤوسهم مثل روس التيوس فقالوا الغلمان والرهبان وحق المسيح كلما فعله فيك تستاهل يامنحوس لأنك مكذب بقدرة المسيح وبتكذيبك ونيتك اصابنا هذا المصاب وان سمع أبونا دهيلوس هذا المقال أنزل بنا العذاب والوبال فقال خيلوص

أنا ماسكت والساعة تبصرون مايجرى فى هذا المكان ويحل بناوبهؤلاء الرهبان من هذا القرنان الديال وان صدقى حذرى فانهم قرائب لهؤلاء الذين كانوا معنا مأسورين من المسلمين هذا والرهبان قد أوهجوا البر وملؤا السواحل التى للبحر وفتحوا الدنان وتجاوبوا بالالحان وقالوا للراهب دهيلوس نريد الليله تحضر معنا حتى يتم سرورنا فقال ماأقدر على ذلك إلى وقت السحر لانى أنظر من السيد المسيح خبر والليل أخبر فى أى ليلة يظهر ولابدما آتيكم من عنده بقربان مخزونة لكم فى خمر هذه الدنان حتى تنكشف عن ابصاركم أوساخ هذه وترون ربكم عيان فاذا نزل فى ذلك الجمال والبها والكمال فلا تسكرون من الشراب واتركوا فيكم بقية للمكاشفة والحجاب وأذيقوا خيلوص ومن معه من العذاب لان لكم فى ذلك الأجر والثواب ثم انه تركهم وعاد إلى الدير وغلق خلفه الباب وقد اتى إلى عند المأسورين المجاهدين فوجدهم يندبون بالاشعار على المنازل والأحباب ويبكون على من فقدمنهم من القرائب والأصحاب حتى فاضت الدموع من عيون دهيلوس مثل السحاب وتقدم إلى بين أيديهم وقال يا معاشر المسلمين مالكم تبكون لايكون لكم من تشتاقون اليه وتذكروه وقد خفتم ان تهلكون وتبعدون

(قال الراوى) فلما سمع ظالم وأصحابه كلام الراهب بالعربيه فرحوا بذلك وقال ظالم أى والله ياراهب لنا قوم نشتاق اليهم ويجب ان نبكى عليهم وهم أسارى كانوا لنا سادات ودخلنا معهم إلى هذه الديار فضرب فيها بوق الشتات ومنهم أمير كان يقال له أبو محمد البطال وامرأة مجاهده عن ديننا تحامى وتنتقى الابطال من دوننا (قال الراوى) ياساده فما تم ظالم كلامه حتى صاح مذبحون بس ياظالم من هذا الكلام فقد صح لى ولاح لى لائح الفرج من الملك العلام وحق الملك القدوس هو أبى البطال هذا الراهب دهيلوس (ياساده) ثم انه هم ان يقوم اليه فمنعه الشد الذى فى رجليه هذا والراهب الذى ذكرناه قدترامى عليهم وصار يقبل عيناهم ويقول صدقت ياولدى فى هذا المقال وان أبيك أبى محمد البطال

(قال الراوى) ياساده لقد عجبت من هذا الاتفاق لما وصلت إلى هذا المكان وقلت سبحان الله الملك الخلاق الذى كان يسهل لهؤلاء القوم ويأتيهم بالفرج بعد الشدة وضيق الخناق هذا والبطال قد فك أطراف الأسارى من شدة الوثاق وبكوا الجميع من شدة الفراق فقال ظالم ياأبى محمد وماعندك من ستى ذات الهمة خبر فقال والله لقدكان أسرنا عبرة لمن اعتبر ومامعى لها خبر وانى مرتجى لها خبر وان الليله التى غرقنا فيها كانت سخط من الله تعالى وغضب وماقلت إلا ان البحر بنا قد انقلب ولما انكسر بنا المركب ماابصر منا احد صاحبه من شدة الغمام الذى غشينا فاما أنا تعلقت على لوح من الواح المركب وصار الموج يلعب بى حتى أشرفت على العطب وكنت كلما أيست من الحياه وأقول ان أخلى الخشبة من يدى تعود النفس تتعلق باذيال الطمع

ويعز على فبقيت سائر على كف الرحمن أسير فى يدى برهة من الزمان يومين وليله بعد ذلك أرمانى البحر إلى هذا الساحل وخذلت منى المناكب والمفاصل ولما ركبت البر أملت الحياه وتعلقت يدى باذيال النجاه ومن الخلاص رميت روحى إلى الأرض مثل القتيل وأنا من روائح البحر عليل وبقيت كذلك حتى عبر بى بعض الرهبان وقعد عند رأسى وسألنى عن حالى فقلت له أنا دهيلوش راهب جزيرة الصنم ثم وصفت لهم وصائف المسيح لحملنى إلى هذا الدير وألقى على ميشومه وثوب شعر ولما أفقت فسرت ما أعطيت من علم الانجيل وبينت للقوم شىء من التحريم والتحليل ورأيتهم قليلون المعرفة بالعباده فاظهرت لهم المعرفة والناموس حتى صرت عندهم بهذه المنزلة العظيمه والكلمة المستقيمة وكنت فى هذه الأيام عولت ان أخدعهم وأسير من عندهم وأبصر من هلك منكم ومن سلم فاتتم قد سهل الله خلاصكم على يدى والساعه فانا شاكر بى الذى جمع على ولدى فقال ظالم ياأبى محمد ولو أن الأميره سلمت كانت تكون الفرحة الكبرى ولكن لله فى هذا رضى ثم حدثوه كيف هربوا من جزيرة الحائط وكيف ألقتهم المراكب فى البحر ومافعل مذبحون واخبره ظالم بمن بقى من المسلمين مع عقبه اللعين فقال البطال (ياساده) هذا وولد العلويه الشريف بكار يبكى ويقول والله ماسرنى خلاص نفسى مادامت أمى مع اللعين عقبه فقال البطال ان لحقناها سالمه خلصناها ان شاء الله تعالى لأننا هاهنا نسير إلى حصن القمر وجزيرة الحائط وننظر كيف يكون التدبير ونتوكل فى أمورنا على اللطيف الخبير الذى هو نعم المولى ونعم النصير ولى هذه الأيام فى هذا المكان ماكان لى شغل إلا استخبار الرهبان عن طريق البر والبحر والجزائر والقلاع فقال مذبحون ونحن أيضا قد عرفنا طرقات البحر كلها ومابقينا نطلب إلا التوفيق من الله والخلاص من هذا الضيق فقال ظالم ماهذا ضيق ان شاء الله ومابقى إلا السعد والتوفيق هات لنا سيوف ودرق حتى نخرج من هؤلاء الملاعين ولو أنهم عدد أوراق الشجر فقال أبو محمد البطال السيوف عندى والعدد ولكن اصبروا على حتى نتقن هذا التدبير لأن هذه الأرض لها قرى وسواد وفيها أمم وعباد وخلائق كثيره ونخاف ان خرجنا إلى هؤلاء الجزائر ألقوا علينا النفير ولا ننال منهم مراد ولا نخلص من هذه البلاد ومافى الأمر إلا الحيله عليهم قبل الخروج اليهم ثم انه أخذ الأمراء معه إلى جانب الدير واخفاهم فى مكان لايفطن بهم أحد وسلم اليهم العدد وقال لهم اصبروا إلى حين رجوعى ثم انه خرج وفتح الباب الذى للدير ونظر (ياساده) إلى الرهبان الكبار منهم والصغار وإذا هم يتجاوبون بالحان وقد انتشطوا من خمر الدنان وهم يشربون ويفرحون ويلعبون ويمرحون فلما رأوا باب الدير قد فتح وخرج منه اليهم الراهب دهيلوس تواثبوا اليه قياما بعد ماكانوا جلوس وقالوا ياأبونا نحن

فى انتظارك وفى انتساب أخبارك واخبار المسيح (قال الروى) ثم قالوا ونريد منك المباشرة والرحمة والمكاشفة وكشف الحجاب بيننا وبين المسيح عيسى ابن مريم فقال لهم أبى محمد ابشروا فقد قرب الأوان وأتى وقت الجزاء على عباد الصلبان إلا أن يحل عن الاشتهار ولايجب أن يطلع عليه الاخبار ثم انه اختارمن الرهبان شيخا من علمائهم وأدخله إلى الدير واغلق عليه الباب دون الباقين وقال للذى دخل معه اعلم أن كل صاحب حق يختار منه عقال قومه من يثق بهم ويثقوا اليه حتى يحفظون ما يسمعون وان يقتفون الحقيقة ولاجل هذا موسى بن عمران ﷺ وأفضل الصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ اختار من قومه سبعين رجلا وترك الباقين ضالين وسيدنا المسيح اختار اثنى عشر رجلا من الحواريين فقال يا راهب هذا أوان ليالى نزول المسيح فى هذا الهيكل العظيم وهانحن نريد نجمع عبيده من سائر الاقاليم والليلة قرب جيرانه فى سائر الاقطار وفرقنا نحن وأمر بالنزول إلى كل الامصار حتى يختص بهديته رهبانه الاخيار لأنه لما طعنوه بنى اسرائيل وصلبوه دخل الريح فيه فتلقى دمه بيده وترك فى الأرض قربان وفرقه فى سائر الاديرة والبلدان بعدان ضاف اليه قليل من ماء العنب حتى لايدخل عليه شىء يغيره من فصول الزمان ولايدخل عليه النقصان واراد بذلك حتى لاتخلو الأرض من بركته إلى أن يعود اليهم كما كان ويهدى الخلق إلى البيان وانت يا راهب من المخصوصين بالهدايا والقربان فاختار من قومك أربعين ويكونوا من عقلاء هؤلاء الرهبان اقصدوا إلى بيت المذبح ففى صدره حجر كبير من الصخر الاصم فيه ثلاث قطرات من الدم الممزوج بماء العنب فخذوه واخلطوه فى خمردنانكم حتى تصفوا من كدر الدنيا أبدانكم فاذا نقيتم من الاوساخ والذنوب رايتم ماخلف الحجاب محجوب ثم قال البطال وأنا اخترتك من دون من حضر وما بقى إن شاء الله الاصحة الخبر فعند ذلك خرج الراهب من الدير واختار من قومه أربعين راهبا وقص عليهم حديث دهيلوس واتى بهم إلى الدير فلما سمعوا هذا المقال سجدوا كلهم إلى الأرض وصلبوا على وجوهم وقالوا الحمد للمسيح يادهيلوس الذى اختارنا من دون هؤلاء الرهبان والقسوس ثم أخذوا فى أيديهم المعاول والفوس وقصدوا إلى بيت المذبح والبطال بين أيديهم حتى أتى بهم إلى صدر الحائط وقال اضربوا هاهنا ضربا وثيقا لايتبدد شىء من القربان فعند ذلك تقدم منهم اثنين وقالا باسم المسيح والمذبح الذبيح ثم ضرب الحجر وإذا به قد انفتح وخرج منه شراب أحمر له لمعان يأخذ بالابصار ورائحته أزكى من العنبر فما بقى من الرهبان الا من انبهر وطاش عقله وتحير وجعلوا يلتقونه بالقصع ويقولون هذا ينفع من المرض والاوجاع وكل هذا من بركة الراهب دهيلوس الذى عرفنا العباده ولقننا لرؤس ولما ملؤا آنيتهم فقال لهم البطال احتفظوا به ولا تقربوا منه إلا

لاعز الناس عليكم فهذا فيه ثلاث قطرات من دم المسيح ابن مريم ومن شرب منه أمن من الهرم وكفى كل بائقة وسلم وما يموت الاان يشاءهو ويطيب الانتقال إلى جنات النعيم فعندها خرج البطال والرهبان ومافيهم الامن هو فرحان يقول لصاحبه يا أخى الحمد للمسيح الذى ماأماتنا حتى اوضح لنا البرهان وخصنا بالقربان وفضلنا على سائر الاديان هذا والبطال قد عاد الى عند اولاده واصحابه فوجدهم حامابين العدد قيام فقال لهم ابشروا بهلاك الاعداء وبلوغ المنى فقال ظالم وما الذى فعلت يا أبا محمد قال قد ناولهم ما يكفى لهم باقى الزمان والساعة ترون هذه الحركات قد سكنت والضجات قد قلت (قال الراوى) وكان هذا الخبر الذى دلهم عليه البطال من عمله وصنعته لأنه كان من خبرته بالاديرة والكنائس وكثرة مخالطة الرهبان قدعرف اين يكونمخابىء الذهب والصلبان واين يخبوا الرهبان الماء بتاع الديوره ولما دخلهذا الدير دخل بنفسه فى بيت المذبح فتشه وقال مايخلوا هذا المكان من مال ابلغ بهمن خلاص الآمال ولم يزل حتى وقع بهذه الصخره ورآها مثل الصندوق من داخلها وفى جنبها طاقة لاتسع أكثر من يد الانسان فقال فى هذا المكان كان يخبى مال الدير من قديم الزمان فما أقول ان أحدا يعرف هذه الصخرة من هؤلاء الرهبان واريد عمل مكيده فى هذه الصخرة واجعلها زخيرة ليوم من الزمان

﴿ تم الجزء السابع والستون ويليه الجزء الثامن والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف
على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

المطبعة المنيرية بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم طاف أبو محمد على الدير فوجد فى لحف الجبل حشيشة كان يعرفها تنبت فى أرض القسطنطونية أحد من البنج وأخذ منها حاجته وملا تلك الصخرة من خمر الدير العتيق وطيبه وخمره بتلك الخميرة وفى هذه الأيام كان قد عول أن يبنج الرهبان ويمضى من شوقه إلى أولاده فقدموا الأمراء كما ذكرنا وجرى لهم من القصة ماجرى ولما سألوه عن حاله حدثهم بهذه القصة وقال لهم اصبروا على قليل وقد هان عليكم الخطب الجليل

(قال الراوى) وأعجب مافى هذه القصة أن خيلوص الجوهرى كان حله بعض الرهبان من وثاقه وحل أصحابه واعرض عليهم شيأ من الخمر فقالوا وحق المسيح عندنا شغل من الفرح وفى أضلاعنا ضرب يكفينا بقية أعمارنا ولم يزالوا كذلك يتفرجوا على الرهبان حتى خرج الأربعين من الدير بالقربان وفرقوه على الأصحاب والاخوان وما فيهم من شرب أكثر من قدح حتى مال وانبطح وقل ذلك الصياح والفرح ولم يبق منهم إلا من لم يصل إلى القربان لأن الخلق كثير ولما رأى خيلوص ذلك قال لأصحابه وحق المسيح ماأمر هؤلاء صحيح لأنهم قد انطرحوا الكل فى ساعة واحدة وان صدقنى حذرى إلا أنهم تبنجوا والساعة تروا المسلمين إليهم قد خرجوا ويلكم خذوا سيوفكم وقدموا بنا إلى الدير حتى نبصر مافعل دهيلوس إن كان قد تولى عذاب المسلمين نقول قد أتينا نتوب على يديك ونرجع إلى حقيقة الدين وان كان الأمر بخلاف ذلك هربنا ونجينا فقاموا أصحابه وأخذوا عدة الرهبان وساروا معه وهم

يلوموه ويقولون مانزل بنا هذا كله إلا بظنك السوء وتكذيبك ولا تبرح ترجع ترمينا فى المهالك والمعاصى ولم يزالوا سائرين إلى أن دخلوا إلى الدير فوجدوا الأمراء بعددهم خارجين مثل الشواهين وظالم فى أوائلهم مثل الأسد العرين (قال الراوى) ياسادة ولما رأى خيلوص ذلك قال لهم خيلوص علمتم الساعة ان هؤلاء كلهم لصوصا اهربوا والا طبخونا مصوصا وعاد اشتفى منا هذا الراهب المنحوسا دهيلوسا وعادوا القوم وهم هاربين يعترون بالنيام وهم مثل القتلى وخيلوص فى أوائلهم يرى ذلك البلاء ويقول ماقصر المسيح مع الرهبان الذى أنفذهم على يد دهيلوس هذا القرنان ثم طلب الصوامع وباقى الأديرة ينفر من بقى فيها

(قال الراوى) ياسادة هذا وقدخرجوا المسلمين ووقعوا فى القوم الذين بقيوا مستيقظين فضربوهم بالسيوف وسقوهم كاسات الحتوف ولم يصبح الصباح حتى نهبوا منهم الأرواح وداروا على الذين كانوا منطرحين فرأوهم على حالات نحسه هذا وقد تقايا على لحيته وهذا على صدره وهذا قد هب عليه الهوى كشف عورته وهو ملقى على قفاه وهذا قد اختلط بوله وخراه وهذا عبرة لمن يراه وهذا قد نام وقدحه فى يده وهذا قد احترقت ثيابه من شدة اللهب الذى يحبس فى كبده فقال ظالم ويلك ياأبو محمد خذ معك من هذه الحشيشة ولاترجع تتعب فى عمل البنج فقد تركت هؤلاء المناجيس مثل رفعة الشطرنج فقال البطال أنا أخذت منها مايكفينى عشرة أعوام وقد بقيت وجوه هؤلاء الشياطين عبرة ثم دار على الرهبان وسلخ منهم عشرين لحية مختلفات الالوان بعد ماذبحوا أكثرهم فقال البطال اركبوا الساعة فى هذه المركب الذى أتيتم فيه واقلعوا اقبل ماياتينا النفير ونرجع نقع فى أيدى هؤلاء الخنازير لان خيلوص قدعدم وما هو إلا قدعرف حالنا ومضى ينفرعلينا من بقى فى الاديره فاسرعوا أنتم واركبوا فى نحو الجزيرة وهى جزيرة الحائط ففعلوا ماأشار به عليهم وساروا إلى المركب وأخذوا من الزاد والماء الحلو وطلع الامير أبو محمد البطال وأقلعوا صوب الناحية التى جاؤا منها (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصلوا أصحاب الاديرة بالسكاكين والعكاكيز والسيوف وقد ألتى خيلوص النفير فوجدوا الدنيا عبرة والدماء طريه على وجه الارض والرهبان مطروحين طولا وعرض لخارت أبصارهم وارتعت أبدانهم وقالوا ياويلكم هذه أفعال خمسة أنفس كما قال لنا خيلوص وحق الصليب مافعل هذا إلا دون الالوف فالحمد للمسيح الذى مالحقناهم فقال واحد منهم ويلكم عودوا بنا سالمين قبل أن يسمعوا بنا هؤلاء الشياطين لانى أرى الذبائح طرية والساعة قد ذبحوا هؤلاء المناجيس وان نحن وقعنا حل بنا ماحل بهم ارجعوا بنا فلا بد لخيلوص مايقع بهم ويأخذ منهم تاره لانه سبقهم إلى جزيرة هرقله ينفر عليهم الملك قاشورش ويطلعه على حالهم حتى يخرج إليهم فى مراكبه وبطارقته

(قال الراوى) ثم عادوا هؤلاء وهم لايصدقون بالنجاة وبقى الساحل والدير عبرة لمن يراه فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه سار بأصحابه ذلك اليوم من ضحى النهار حتى أمسى المساء وأرسى وقال بحر كثير الاخطار ونحب لانسير به إلا بالنهار لاننا قليلين الخبرة بهذه الجهات فقال ظالم هذا هو الصواب ثم انهم قاموا وقد حطوا القلوع حتى انفجر الصباح فأقلعوا وأشرفوا وقت الظهر على مدينة هرقله فقال البطال هذه جزيرة والرأى أننا نجتنبها لاننا لانأمن من الملعون خيلوص انه قدسبقنا إليها وخبر بخبرنا لاهلها وان كان إلا كذلك فالساعة تروهم وقد طلعوا علينا (قال لراوى) ثم عول أنه يحول القلع ويلج فى البحر وإذا بين يديه أكثر من خمسين مركب ممدودة على وجه البحر وقد خرجت فى طلبهم وميلوا إليهم بالمراكب يطلبوهم من كل جانب وخيلوص فى أوائلهم ينادى أين تأخذون ياشياطين اللصوص وقد التقاكم الراهب خيلوص وحق المسيح لابد آخذ بثار نتف لحيتى وسبالى من الراهب دهيلوس المحالى (قال الراوى) وكان الملعون لما هرب من الامراء وقد علم بحالهم وسار إلى آخر الديورة ونفر أهلها إليهم وثب الى الخليج وعبر الى جزيرة هرقله وكانت المسافة بينهم قريبه فما أمسى المساء عليه الا وهو فيها فتم على حاله ودخل الى الملك قاشورش وصار يلطم على وجهه ويبكى بين يديه ويقول أيها الملك أنت غافل عن ماجرى بأرضك أنت نائم عن أعداء المسيح وأعدائك انهض بأصحابك وجاهد وانصر دين المسيح فالديوره والسواحل قد خربت وهدمت الاديرة والكنائس قال الملك ويلك من فعل هذا الفعال وعمل هذه الاعمال فقال يامولاى قوم مسلمون أكثرهم سودان مثل الشياطين فقال قاشورش ومن أين أتوا إلى تلك الارض مسلمين وقد دخلوا الى هنا الموحدين المحمديين من غير علمى فحدثه خيلوص الحديث الذى جرى له فى المراكب وكيف حمل الأمراء إلى الساحل واخبره أيضا بما فعل بهم دهيلوس وماجرى على الرهبان والقسوس ولم يزل كذلك حتى قال وخليتهم بعدى مقلعين وعلى خلاصهم إلى بلادهم معولين وفى غداة غداة ربما يعبروا على جزيرتك وربما يميلوا عن بلدك فاستعد لهم بالمراكب وخذ عليهم طرقات البحر من كل جانب (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك داخله الحنق واشتد به القلق وكان شيطان احمق لايفزع من الموت فقال ياراهب وحق المسيح لقد اشغلت قلبى لانى فى هذين اليومين كنت معول على الاقلاع إلى جزيرة الحائط لان الملك الأكبر شمخولص كان قد كتب إلى يأمرنى بالمسير اليه لاصحبه فى خروجه إلى بلاد المسلمين وذكر فى الكتاب ان عساكره قد اجتمعت ومابقى يعيقه إلا أنا والملك هرقل صاحب قلعة الشعاع وإذا كان هؤلاء فى أرضى فلا بدلى مما احرص على أخذهم واسيرهم إلى الملك شمخولص

يفعل مايشاء مع المسلمين الذى عنده فقال خيلوص انا وحق المسيح أسير معك لأننى قد سمعت انه قد وصل إلى الملك الأكبر شمخولص القس الذى يقال له الشيخ النجيح وحجة المسيح وسمعت انه أعلم أهل الأرض وأخبرهم بدين عيسى وأريد أسير معك إلى زيارته فقال الملك افعل مابدالك ثم أمر بطارقته انهم ينزلون إلى المراكب من ليلتهم ويتفرقون فى البحر ففعلوا ذلك ونزل خيلوص معهم من شدة فرحه وحرصه على هلاك الأمراء ولما صاروا على وجه الماء افترقوا كما ذكرنا إلى ان كان من الغد وأشرف مركب المسلمين وهم لنجاة أنفسهم طالبين ودارت بهم المراكب شمال ويمين وعلا منهم الصياح وأشهر ظالم سيفه وتقدم إلى وسط المركب مثل الاسد الغضبان وثار إلى مؤخر المركب أبو سكران ورأى الشريف بكار وأولاد البطال إلى ذلك الفعال فلزمهم المحاماة عن أنفسهم والقتال وأراد البطال أن يمنع ظالم من القتال فلم يسمع منه مقال بل قال دعنى يا أبو محمد أشفى صدرى من الكفار فقد كرهت الحياة وملات من ركوب البحار وأريد ألتى ربى من بطون السمك والحيتان وأموت موتة ستى ذات الهمه والا أكون جبان مهان ثم التق بصدره رجال المراكب وأظهر فيهم العجائب وتكاثروا عليهم البطارقة من كل جانب وتضاربوا بالسيوف الماحقه وتطاعنوا بالقنطاريات الخارقة وأيقنت النفوس بالغرق وهاج البحر واصطفق ولمع الصارم وبرق وكانت المراكب تلذ مركب المسلمين وتضيق عليهم وهم يقاتلون ويدفعون حتى أسندوا إلى الساحل ووقع الصياح فى الجزيرة فخرج كل من كان فيها ونزل الملك قاشورش فى طائفة اخرى وكثر على المجاهدين الاحجار وأخذهم الصياح من كل مكان فوقع بهم الانبهار وأصاب الامير ظالم حجرين فى أكتافه فأشرف منها على تلافه ووقع صدر المركب وطعن أيضا أبو سكران طعنة أشرف منهما على العطب وطلعت البطارقة اليهم وقد طمعوا فيهم فأخذوا البطال وأولاده وسائر الرجال وطلعوا بالكل إلى بين يدى الملك وخيلوص يلطم وجوههم وينتف ذقونهم وأكثر ما كان ينزل على البطال ويقول له يا شيطان كيف كنت فى الدير تروى الاخبار وتضربنى وأنا أستغيث وأصيح وأنت تقول للرهبان والقسوس انتفوا ذقنه وسباله وانهبوا رحله وأمواله اليوم آخذ منك بالحق وأشبع رفص ودق ثم قال للملك اشفى قلبى بصلب بعضهم وخلى باقيهم نسير بهم إلى الملك الاكبر فقال قاشورش ما هذا صواب إلا أننا نحمل الكل ونحضرهم بين يديه فى حال المهانة والذل ونحن فى غداة غدا مقلعين وإلى جزيرة الحائط طالبين لأن مراكبنا قد أنجزناها وهذه الفرصة قد انتهزناها فاتركوا هؤلاء فى هذه البيعه الصغيره التى على ساحل البحر ولاتتركوا لكم شيأ إلى الصباح فقال خيلوص ياملك إذا كان الامر على ذلك فاتركنى أنا أتوكل بهم وأبات عندهم إلى

الصباح لأننى أريد اوافقهم على مافعلوا فى حقى من الأمور القباح لاسيما هذا دهيلوس الشيطان الذى قد شاع ذكره فى سائر البلدان ولا يتوكل بهم الليلة غيرى فلو وكلت بهم المسيح خلاه وطار هذا وسرق الكنيسة معه وسار (قال الراوى) ياساده فلما سمع الملك ذلك حار وأخذه الانبهار وقال ويلك ايش هذا الجنون ياشيخ يامفتون إلا سمعت ان أحدا يسرق الكنائس بالحيطان وينقلها من مكان إلى مكان فقال خيلوص أيها الملك المسيح يكفيك البلاء المقدر ويصرف عنك القضاء المسطر ولا يسلط عليك هذا الازرق العينين الأشقر وأنا قدسمعت عنه مالا يسمعه أحد ورأيت فعاله مايشيب الأطفال الرضع فعندها قال الملك ياشيخ ان كنت تعرف منه هذه الفعال بأنه عيار محتال فكن عنده إلى غداة غدا ثم أضاف اليه خمسة من البطارقه وأمرهم بطاعته فساقوا الأمراء بين يديه إلى الكنيسه وكانت هذه الكنيسه على ساحل البحر فيها عشرة من الرهبان منقطعين عن العمران وعليهم الرواتب والجراية وهم مقيمين على العباده ولا يدخلون الجزيره إلا فى كل يوم واحد (قال الراوى) ولما حصلوا الأمراء فيها اغلق خيلوص عليهم الباب وانزل هو والبطارقة على الأمراء العذاب هذا وعساكر الجزيرة ينقلون إلى المراكب العدد والمتاع ويأهبون القلاع حتى مضى من الليل الثلث الأول وانقطع الحس والطارق وعسعس الليل الغاسق ونامت العيون وتبدلت الحركات بالسكون وكان خيلوص أيضا وأصحابه فى ذلك قد شبعوا من عذاب الأمراء وناموا وقد غلب عليهم الكرى وكذلك الرهبان وأصحاب البيعة قبلوا وانطرحوا على الثرى وبقيوا الأمراء مستيقظين وعلى أنفسهم معددون والبطال يقول أنا مابقى على قلبي هم لأجل اجتماعى باولادى وان أنا خلصت فقد بلغت مرادى فقال ظالم والله ان على قلبي هم وأى هم من فقد ستى الأميرة ذات الهمة ووالدى وشوقى إلى الحجاز الذى نشأ فيه جسدى فقال الشريف بكار والله ماهمى وغمى إلا خلاص أمى والا فالموت أهون لى لاسيما إذا كان من يد الأعداء فبينما هم كذلك وقد أخلوا مع بعض فى الظلام وتجلى الملك العلام وإذا براهب قد قام من جملة الرهبان النيام ودنى إلى البطارقة وسل حسام منهم وأول ماتقدم إلى الرهبان خيلوص وذبحه وثنى بالبطارقة اللئام ووقع بعدهم على الرهبان النيام وقوع الملك الذى فى يده أرواح الأنام وماكانت إلا ساعة حتى فرغ من الجماعة ودنا من الأمراء وقد حارت منهم الأبصار وطارت القلوب وكثرت الأفكار لحل كتافهم وعاد يقبل رؤسهم والبطال يقول ياراهب دع عنك البوس والتقبيل وقل لنا ممن بعثك المولى الجليل فقال الراهب بكلام له هيبة يا أبا محمد ان كنت ماتعرفنى فسبح خالقك ومولاك الذى نجانى ونجاك وجمعنا فى هذا المكان وإياك انا الاميرة ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم أمة الحى القيوم سابقى من البحر الذى أمره بين الكاف والنون بعد ما أهلك من جحد وكفر ونجى

من شاء وقدر (قال الراوى) فما فى القوم إلا من سمع كلامها إلا وهو فى دنيا أخرى من هول قدرة الله تعالى فلما أفاقوا قال لها أبو محمد البطال بالله يا أميرة كيف كانت سلامتك حدثينى حتى أحدثك أنا الآخر على ماقاسيت من الشدائد والاهوال فقالت الاميرة ذات الهمة ما أنا قد استلمت عدل قطن وركبت عليه ورمتنى الامواج بعد يوم وليلة إلى ههنافى هذا الساحل ورؤنى هؤلاء الرهبان فأخذونى إليهم وكان على زى الروم الذى فارقتك عليه كما عرفته ثم سألونى عن حالى فقلت أنا من رهبان دير الزيت الذين فى أعمال قلعة السها كنت طالب جزيرة الحائط مع قوم منها فانكسر بنا المركب وسلمت أنا كما ترونى ثم أقمت أظهر العبادة والانفراد وبالليل أخلو بنفسى وأقوم إلى خدمة ربى وأدعو رب العباد ان يرينى منكم ولو شخص واحد حتى رأيتكم وقد وصلتم اليوم وجرى عليكم ماجرى من قتال العدا فصرت وحالى مكتوم وعلمت أنكم تفعلون فأردت أن أكون سببا لخلاصكم وهكذا كان والحمد لله الواحد المنان الذى نجانا وجمع بيننا فى هذا المكان فأنت ما كان خلاصك ونجاتك يا أبا محمد فأعاد عليها ما قد ذكرناه وكيف كان فى أديرة السواحل وصار مقدما عليهم حتى وصل ظالم وأولادى وجرى لهم ماقدمنا فعجبت الاميرة من ذلك وقالت يا أبا محمد أنت إذا وقعت فى أرض الروم تحسن أن تتكلم وتعيش بما أعطاك الله من علوم دينهم والحجج القوية فى مذاهبهم ونحن بخلاف ذلك وأنا لو أننى كنت قد صحبتك هذا الزمان الطويل وحفظت شيأ منك من علم الانجيل لكنت فى هذه النوبة من الهالكين فقال البطال دعينا الساعة من هذا المقال واخرجوا بنا حتى ندبر فى خلاصنا فما يكون فى الدنيا أسعد منا لاننا فى وسط الهلاك فقال مذبحون مالنا إلا نركب فى بعض هذه المراكب ونطلب البلد الذى كنا طالبينه لان المراكب الليلة كلها قد باتت ملآنة بالعدد والزاد والقنطاريات والسيوف الحداد وهى مستعدة للاقلاع عند الصباح فقال البطال ياولدى ان سرنا فى البحر لحقونا هؤلاء الملاعين وما كان فى هذه النوبة يبقوا علينا لاننا بكام يوم نقدر نسبقهم أو بأى شيء وقدامنا قلاعهم وجزائرهم وربما كتب هذا الكلب قاشورش كتاب إلى قلعة الشعشاع التى بين أيدينا على أجنحة الطير فيقتلونا ويقبضوا علينا فقال مذبحون والا كيف نريد نعمل فقال قوموا بنا حتى أقول لكم ما أفعل فعندها خرجوا من الكنيسة وقد أخذوا معهم عدد البطارقة الذين هم كانوا موكلين بهم ولما صاروا على الساحل وإذا بالمراكب تلعب على مراسيها مثل الخيول على مداودها وفيها كل ما يحتاج إليه وعلى كل مركب بطريق برسم حراستها فقال البطال مروا بنا إلى أول المراكب لانه يكون أكبرها وهو الذى يكون برسم الملك فقالت الاميرة ياأبو محمد فأنت قلت مانريد نسير فى البحر وايش تعمل بأكبرها أو بأصغرها فقال وكأننى أريد أقلع

فيه قالت وإلا ايش تريد تعمل به قال ارفع قلعه وأزوده بالمقاديف والمدارى حتى يحصل فى اللجج ويملك هواه ويسير فى البحر ونسير نحن فى البر وأنا أعلم أن الروم اذا عدمونا وعدموا المركب يظنون أننا سرنا فيه وتتفرق المراكب فى طلبنا ونمضى نحن فى البر آمنين مطمئنين واتكالى بعد ذلك على رب العالمين فقال ظالم والله ياعماه ان هذا نعم الرأى فلا أعدمنا الله طلعتك ثم نموا إلى المركب الأول فقصدوا اليه وذبحوا البطريق الذى كان موكل به ورفع البطال قلعه وطنبه وعادوا ونزلوا منه وقد زودوه بالمدارى حتى خرج من الساحل ولعب الهوى فيه فسار مثل الطير والمركب سائر وساروا هؤلاء على ساحل البحر وقد زيا البطال الكل بزى الرهبان وترك فى أعناقهم الصلبان وتقدم فى أوائلهم هو واولاده وهم من ورائه (قال الراوى) وما كان فى الكل أحسن من الأمير ظالم لأنه كان أسمر بطرف أكحل أحور وقد لبس لحية قصيره سوداء وهو بذلك الهيكل العظيم يسبى النساء والرجال والبطال كلما رآه يقول ارجو أن تقع معك بعض بنات الملوك والجوار المتعبدات حتى تساعدنا على خلاصنا من هذه الديار القاصيات (قال الراوى) وقد أصبح الله عليهم بالصباح وقطعوا من الأرض مسافة وهم لا يفارقون ساحل البحر بل كلما عبروا على دير وقريه وقد دخلوا اصحابها وهم يتلون عليهم الانجيل ويتزودوا من عندهم وساروا هكذا يومين وليلتين واشرفوا على قلعة الشماع فرؤها على ضرس جبل نابتا فى البحر وهى عالية شاهقة كانها شعاع الشمس لاحقه وحولها جزيرة كبيره وفيها خلق كثير وصوامع مرتفعه وبيع مشيده فعجبوا من علو القلعة وارتفاعها وكبر الجزيره واتساعها فقال ظالم الله تعالى يدفع عناشر أهلها وكيد من فيها الان قلبى خائف لا يكون قد سبق فينا كتاب من الملك قاشورش إلى هذا المكان فقال البطال هذا شىء لا تفزع منه فانى قد حسبته من قبل الآن وحسبت هذا الحساب ولأجل ذلك قد فعلت بالمركب ما فعلت واوهمتهم لأن الكتاب إذا وصل مايكون فيه إلا أننا قبضنا على قوم مسلمين وهربوا فى البحر فى بعض المراكب ونحن قد وصلنا فى البر فسيروا وتوكلوا على الله تعالى لأنه إذا أراد سلامتنا هو قادر بفضله يعمى أعينهم عنا ثم انهم قربوا الجزيرة وترنموا بالانجيل ودخلوا اليها والبطال فى أوائلهم يقرأ الانجيل وأولاده يجيبوه بتلك الأصوات والعالم خلفهم يدلونهم على الكنيسة وقد حاروا من قراءتهم وسكروا من طيب تلاوتهم وخرجوا اليهم والتقوهم وعادوا وهم بين أيديهم ومافيهم الامن صافح البطال وباس يده لاجل هيبته التى وقعت فى قلوبهم (قال الراوى) ولما حصلوا فى الكنيسة سألوهم الرهبان والقسوس عن حالهم ومن أين أقبلوا فقال البطال نحن من جزيرة الحضرا التى هى آخر جزائر بحر الحلبه وقد خرجنا فى زيارة بيت المقدس ثم تكلم بشىء من فضائل المسيح وذكر زهده

وعبادنه ورجع يتحدث فى الناسوت واللاهوت وهو أهل مذهب النصرانيه فحارت القسوس من ذلك وقالوا يا أبونا هذا شىء ما يعرفه أحد من أهل ملة الناقوس وماأنت عند المسيح الا بالمنزله الرفيعة والا ما كان اودعك علمه (قال الراوى) وشاع ذكرهم فى الجزيرة فما بقى شيخ ولاشاب ولاصبى ولاامرأة الاوأتوا يتفرجون على حسن تلاوتهم واجتهادهم فى عبادتهم الا ان البنات كلهم افتتن بظالم وما فيهن إلا من قالت وحق المسيح ان هذا الراهب الاسمر العريض الاكتاف شىء مليح وحق المسيح والصليب لو أقام عندنا هو وأصحابه كنا نصير مع الراهب وننزل عندهم إلى الكنيسة ونتفرج ونتفرب عندهم هذا وقد سمع الملك بصفات البطال وأصحابه وقصد الكنيسة وأول ما دخل وسمع ضجيجهم وطيب نغمتهم وحلاوة تلاوتهم كشف رأسه وتقدم اليهم فمسح عليه البطال وبشره برضاء المسيح عليه وعتقه من النار وقرأحتى أبكاه (قال) وبعدما تقرب الملك قال للراهب ماهذا الراهب الا عالم عظيم لاراهبنا رأس الحكمة ولاغيره ومع ذلك لاأراه حاضر فقالوا له قسوس البيعه ياملك خرج إلى ظاهر الجزيرة يتمشى بين البساتين ويغتسل من المياه النابعه ويأتى يجاس بنفسه ولايرجع يخرج من هذا المكان والساعة يكون ههنا (قال الراوى) والرهبان مع الملك فى الكلام وإذا براهب القوم رأس الحكمه قد دخل يتمشى على عجل وهو لهفان كانه شيطان فلما رؤه الرهبان تبادروا اليه من كل جانب ومكان وقالوا للبطال تخرج معنا إلى لقاء راهبنا فهو جليل القدر عند المسيح وعند الملك ولابد مما يمسكك فى ضيافته يوم وعشرة ويتوسط لك عند الملك حتى يعطيكم ويسيركم إلى المكان الذى تريدوه (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك خرج فى أوائل القوم وقد رفع صوته هو وأولاده بالتلاوة وبالغوا فى أصواتهم باللذاذه والحلاوة إلى ان وقعت أعينهم فى عين الراهب وتأملوه وإذا به أبوالشر شومدرس اللعين المنحوس الغدار فلما رآه البطال هو وأصحابه خفيت منهم الأصوات وهديت منهم الحركات وقد حاروا فى أمرهم وتفكروا فى تدبير القضاء والقدر ورأى بعضهم إلى بعض فرأوا العجب وكيف تصادف المقادير وهذا كله بارادة اللطيف الخبير وصنع رب العباد وأين المهرب من القضاء والقدر والمسطر لابد منه أن يكون وأيقنوا بحلول العطب هذا والراهب الملعون يضحك ويقول بالرومية زاه بازماة أحسنت يافلك الدوار فقال له الملك ايش مالك ياأبونا قال ايش يكون حالى وقد دبر المسيح أشغالى فى هذا الفلك الدوار ما بقى الليل والنهار وهؤلاء ياملك كانوا معى فى المركب وغرقوا لما غرقت أنا ولاشك أنهم سلموا كما سلمت واجتمعوا بهؤلاء الآخرين من أصحابهم اتفاق عجيب والكل مسلمين

شياطين أعداء لهذا الدين والكتب التى وصلت من الملك قاشورش إلى هؤلاء ولاجلهم فصيح الآن فى جزيرتك وبادر فى بطارقتك واقبض عليهم وإلا اقلعوا عينك وفرقوا بين رأسك وبدنك (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الحديث قامت عينه وبدأ جنونه والتفت إلى الأمراء فرأى أن ألوانهم قد تغيرت وتلاوتهم قد فترت لما رأوا الراهب شومدرس فأنكر أمرهم وصاح فى بطارقته الذين حواليه وأنفذ غلمانه ينفذون أجناد القلعة وأهل الجزيرة الذين حواليه وجذبت السيوف من كل مكان وتصايحوا القسوس والرهبان ونادت الأميرة بظالم وأبو سكران ويلكم ايش هذا الوقوف موتوا كرام ولا تموتوا لئام ثم جردت حسامها ومافيهم إلا من كان معه تحت ثيابه حسام ماضى فجرده وحمل فى الروم وذكر خالقه الملك الحى القيوم وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وطلعت على أشداق أبو سكران ضرايب الزبد وفاح صنانه وانعقد هذا وقد انقلبت البيعة بالصياح وعاد الاكتتام إلى الافتضاح وضجت الجزيرة وارتجت من سائر جنباتها وقد انقلبت البطارقة تحامى عن نسوانها وهجم على الناس اعتكار الظلام ووقع فى أبواب البيعة الزحام ووقعت السيوف على الخطأ والصواب وكانت ساعة تشيب الشباب مما ضرب فيها من الرقاب وكان هذا الامر قد صعب على النسوان لاجل افتتانهم بظالم وما أعجبهم تجمع العالم على الامراء ورؤا الامر قد زاد فساد يتصايحن ويقولوا ياقوم وحق المسيح لاتفعلوا هذه الفعال فما يستاهلوا مثل هؤلاء القوم أن يقتلوا

(قال الراوى) وفى الاخير سمعوا الناس جاريه تنادى من على سطح البيعه يامعاشر أهل الجزيره وحق الصليب ان قتالكم لهؤلاء الرهبان الغرباء ليس بواجب وسمعتم فيهم قول رأس الحكمة وهو شيخ قليل العقل كاذب وكانوا هؤلاء يقربونا وهم أحب الينا من ذلك المحلوق الذقن والشوارب الاعور العين الانمش الوجه (قال الراوى) هذا كله يجرى من النساء والبنات والاخ لايعقل على أخيه والولد لا يعرف أبيه وما زالوا فى قتال ونزال إلى أن صار وقت السحر وقد وقع بالامراء الملل والضجر وقد كثرت عليهم رمى الاحجار وقد نزل كل من فى القلعة وتقدم الملك هرقل بين يدى جميع البطارقة وفى يده سيف وطارقه وقد دار أذياله فى دور المنطقة وزعق على المسلمين لينخى البطارقة وقد كان له صوت مثل الرعد وفى وفى يمينه سيف كأنه صاعقة فصدم لأبو سكران وكان قد ملت من الضرب مناكبه فضربه بالسيف صفحا فأقلبه وارمت البطارقة على الوبال لما أن رأت الملك قد فعل ذلك الفعال وقد أرموا على الامير ظالم وذات الهمة الاتراس والدرق وجرحوهم بالسيوف البوارق وما أصبح الصباح حتى أخذوا الكل أسرى وملكوهم قهرا هذا وقد رأى الملك إلى أرض الكنيسة وقد امتلأت من جثة البطارقة المطرحه والرقاب المذبحه فزاد على المسلمين حنقه وقال للبطارقة اصلبوا

الجميع على شراريف ابيعة وخلطوا الحيطان بدمائهم فقال له شومدرس لا تفعل أيها الملك واعلم أن هؤلاء فى اسر الملك الكبير كانوا ومن تحت قبضته هربوا وهو الساعة عليهم بجرعة الثكلا والصواب أن تحملهم اليه وتشتفى بهم بين يديه ويكون لك بذلك المنه عليه وكان مقصود شومدرس بذلك حتى يحضر عقبه قتلهم ويشتفى هو واياه منهم فقال له الملك اذا كان الامر على ذلك فاحبسوهم حتى نحملهم معنا جميعا فى وقت مسيرنا فما بقى يعقينا الا هذه المراكب ونزولها فى الماء (قال الراوى) وكان الملك قد صنع له عشرون مركب خفاف جرية حربيه وقد عول أن يسير فيها وفى مراكب الجزيرة إلى الملك شمخولص صاحب جزيرة الحائط وحصن القمر هذا ولما أن أمر بحبسهم أنزلوهم إلى مطمورة فى وسط داره ينزل إليها بسلالم درج وما للمحبوس فيها من فرج وهى كثيرة الطراوه من ماء البحر والوخم فيها والبرد والبلاء والسقم ولما أن أخذوهم البطارقه من قدام الملك ساروا بهم وانزلوهم فى تلك المطمورة ولما أن حصلوا فيها قام الراهب شومدرس عندهم يتولى عذابهم وهم مشغولين عنه بما هم فيه من التعب والجراح وقد خفقت منهم الارواح وهو يلطمهم ويقول لهم ياويلكم ياشياطين بعد أن غرقتم فى التيار ونجوتم من تلك البحار فما بقى للموت فيكم طمع بحق دينكم من خلصكم من تلاطم الامواج وازدحام ذلك البحر العجاج فقال له البطال ياملعون خلصنا الذى خلصك فقال لهم انا خلصنى المسيح الذى خلق من غير ذكر وتركوا آية لمن اعتبر وموعظة لسائر البشر الا من أراد الله بضلالته واستحق العذاب ونار سقر فقال له البطال وقد خلصنا رب المسيح فقال شومدرس أبدا تطلبون نجاتكم بالوعد والوعيد بنبيكم والتوحيد ونحن قد ثبت عندنا أن العبد لاينجو من الهلاك إلا بما فى صحيفته من الاشراك والدليل على ذلك أنكم تنجون من الشدائد بما يكون قد بقى من الأجل ثم تقعون فى أيدينا فنعذبكم العذاب الاليم الذى لايحتمل لأجله جحدانكم لعيسى ومريم المغذاه من النخيل الشاربه من عين السلسبيل الذى نزل على ولدها الانجيل (قال الراوى) ولم يزال الملعون معهم فى مثل ذلك حتى مضى النهار الضاحك واقبل الليل الحالك وعاد إلى داره التى أخلاها الملك برسمه وبقوا الأمراء فى ذلك المكان يقرؤن القرآن وقد أيسوا من الخلاص وقد علموا أن ما بقى لهم من الهلاك مناص وظالم يقول والله ماجرى علينا فى طول أعمارنا مثل ماجرى علينا فى هذه السفره فكم نخلص ونقع ليت ان الله يريحنا بموت أو فرج قريب ننجو به من التعذيب فقالت له الامير ياولدى لاتعترض واعلم ان هذه الامور كلها لله وما للعبد فى نفسه حيله ولا يجب عليه ان يشكو اليه ماهو منه بعيد بل هو اقرب اليه من حبل الوريد فيجب ان لايعترض على من هو بفعله شهيد (قال الراوى) ولم يزالوا على مثل ذلك حتى نامت العيون وتبدلت الحركات بالسكون وقد هموا انهم يرقدون وإذا بباب المطموره قد فتح عليهم

وشخص قد نزل اليهم وقال لهم ابشروا قد جاءكم الفرج على يدى وأريد أن يكون فرجى على أيديكم دوروا إلى حتى أحل كتافكم وأخلصكم من تلك الشده والابرام (قال الراوى) فلما ان سمعوا الامراء ذلك الكلام حاروا فى نفوسهم وقد تأملوا ذلك الشخص فرؤه احسن من البدر التمام وقالوا له يافتى من أنت الذى قد من الله علينا بك ونحن فى هذا المقام وما حالك حتى تطلب منا الفرج فما عليك من الاحكام فقال لهم ذلك الشخص ما انا ذكر انا ست البيع انا ابنه الملك هرقل وان لى من البارحه إلى هذا الوقت وانا فى البكاء والسهر إلى الآن ماهدى فؤادى من الفكر لاجل صاحبكم هذا الراهب الاسمر صاحب الشعر الأجعد والطرف الاحور فانى أريد منكم ان تزوجونى به كيف اردتم وانا أكون معكم وطوع يديكم كيف اخترتم وأنا اعطيتكم من مالى ومال ابى كلما تريدون واعتقد كما تعتقدون واسير معكم إلى أى موضع تطلبون وان كان هذا الراهب رأس الحكمه عدوكم تريدوه سلمته اليكم

(قال الراوى) فلما أن سمعوا الامراء ذلك منها انكبوا على الارض وقبلوا التراب تعظيما لله الواحد المنان وقال سبحان مسبب الاسباب والله ان هذا أحسن ماسطر فى الكتاب واظرف ماسمع من الاحاديث والعجائب ثم قالت الاميره للجارية والمكان قد اضاء واشرق من نور وجهها يابنيه ابشرى بما يسرك ويسر فؤادك واعلمى أنك قد نلت مرادك وهذه يدى لكى بكل ماتريدين فقال البطال هذه الساعة اتركى ظالم يتقدم إليها ويعاهدها حتى يطمأن قلبها وتعلم أنه قد حصل لها فلما أن سمع ظالم من البطال ذلك القول ضحك وقال أحسنت يا بطال ماأخبرك بهذه الاحوال ثم تقدم إلى ست البيع وقال لها أنا أكون لك قرين كما ترتدين ان كنتى تقرين بتوحيد رب العالمين وتنزهيه عن البنات والوزير والبنين والشريك والمعين والقرين فقالت وقد سلب عقلها بكلامه ياسيدى وماتريد أن أقول فقال لها تقولى أشهد أن لا إله الا الله واشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرت بالشهادة وكتبت من أهل السعاده وقد قالت بعد ذلك ماتريدون فقالوا لها تجيبى لنا عدد وتدبرى فى خلاصنا حتى نسير من هاهنا إلى جزيرة الحائط لأن لنا فيها أصحاب ولابد لنا من خلاصهم فقالت لهم والله ان عندى كل ما تريدون ثم أنها حلت كتافهم وصعدت من عندهم ماغابت الا ساعة وعادت ومعها كل مايشتهون(قال الراوى) فلما أن كملت عدتهم طلعوا من المطموره وهم مثل الصقوره وطلبوا ساحل البحر وست البيع معهم ومعها مفاتيح القصر فقال لها البطال بالله عليك قبل ماتفتحى سيرى بنا إلى شومدرس اللعين وأورينا أين داره حتى نأخذه منها فقالت الجارية السمع والطاعة سيروا بنا واتبعونى خلفى ثم انها مشت بين أيديهم إلى حجرة عالية الحيطان وثيقة الباب مالاحد عليها سبب من الاسباب فقالت صاحبكم هاهنا ولكن كيف السبيل اليه فقال البطال لنا اليه أف سبيل

أن شاء الملك الجليل تقدمى ودق على الباب فاذا هو كلمكى فقولى له أنا جارية ست البيع فقد تفضلت عليك بقليل من السمك الطرى وهو مقلى فى هذه الساعة بسيرج أتاها من عند أبيها وما طاب لها الأكل حتى أنفذت لك منه شىء قليل بحسب البركة (قال الراوى) فلما سمعت الجارية ذلك المقال عجبت من هذا الخطاب وتقدمت إلى الباب وطرقته كما تعرف وإذا بشومدرس يقول من الطارق فى هذا الليل الغاسق فقالت ست البيع ماعلمها البطال وقد شرحت له ذلك المقال فلما أن سمع الراهب شومدرس ذلك القول قام على حيله وأتى إلى الباب والبطال واقف يسمع مايقول هذا وقد صار الملعون يقول حفظ المسيح ستك ست البيع بنت الملك ثم إنه أتى إلى الباب وهو يقول حفظ المسيح ذلك الخد المورود والجبين المشعشع على أنها لو أتت إلى رأس الحكمة لكان أجود وأبرك ثم إنه أتى إلى الباب فقال البطال والله لاطيرن هذه الحكمة الليلة من رأسك وأقطع من الضرب أنفاسك ثم إنه صبر عليه حتى فتح الباب وخرج ومد رقبته وفتح عينه وقال هاتى يا بنتى مامعكى فعند ذلك زوده البطال بلكمه على قفاه فقال الملعون آه ما أرى إلا سمك كله بلطى لأجل المسيح كله بركة فهو يقول هذا المقال وظالم لكمه أرماه وقد غيبه عن دنياه ونزل عليه كتف يديه على رجليه وحملوه وساروا وابنة الملك تقول ماتقفوا حتى آتيكم بشىء من المال الذى لأبى فقال ظالم مابقينا نريد مال سيرى بنا من قبل الانكار علينا ثم انهم ساروا إلى باب القصر وفتحوه وقد طلبوا الساحل فوجدوا فيه عشر مراكب غير الذى هى على الشط جانحة وهى الجدد التى ذكرناها (قال الراوى) ولما أن صاروا على الساحل وهموا أن يطلقوا فى بعض المراكب ويقلعوا فقال البطال لولديه الحصين ومذبحون سيروا بنا أنتما ياولدى فى البر ولا تفارقا ساحل البحر ودعونا نقلع فى هذه المراكب ويكون الميعاد بيننا وبينكم جزيره الحائط حتى إذا وقع بعضنا سلم البعض ولا نقع كلنا فى مرة واحدة وأهل هذه البلاد مايعرفونا وأخاف أننا فى بعض الكرات نهلك فقالت الأميرة لله درك يابطال فهذا هو الصواب حتى لانرجع نفرط فى أنفسنا ثم إنهم صعدوا إلى بعض المراكب بعد ماودعوا أولاد البطال وأقلعوا وقد ساروا على كف الرحمن لا يدرون مايقضى الله عليهم من نوائب الزمان وما يجرى عليهم من الأحكام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الأحكام (وأما ماكان) من الملك شمخولص الذين هم طالبين جزيرته فى هذه الأيام يؤملون خلاص باقى أصحابهم من قبضته والسلام فانه لما أن غرقت مراكبه وهلكت بطارقته عظمت عليه مصائبه وكان قد أنفذ مراكبه برسم كشف خبر المراكب كما ذكرنا ويبصر من سلم منهم ومن عطب فبقت المراكب ثلاثة

أيام وعادوا يخبروا أنه ما سلم من الستمائة مركب ولا لوح واحد فلما سمع الملك بذلك زادت أحزانه والتهب نيرانه وقال لهم يا ويلكم وإلى أين وصلتم فى سيركم فقالوا له إلى قلعة السها وما عدنا حتى إننا شارفناها فما رأينا سوى الأخشاب على وجه الماء تسبح والأمواج تلطمها فقال الملك وحق المسيح بطارقتى التى كنت معول بهم على الخروج إلى بلاد الاسلام ثم انه قص ذقنه وشعره ولبس السواد ولازم الأحزان أربعين يوما حتى قدمت عليه ملوك الجزائر وكثرت عنده العساكر فدخل عقبة عليه مع سائر الملوك وسألوه أن يخلع السواد وأيضا سلوه عن من مضى وما زالوا به حتى أركبوه ورجع اليه لبسه وجلس فى حصن القمر وأعرضت عليه العساكر فطاب قلبه وقال فى هذه الأيام أسير واطلب الغزاه ولكن ما أسير حتى أقتل كل من عندى من المسلمين حتى لا يبقى فى أرضى منهم أحد ثم انه أنفذ عشرة من البطارقة يجمعون السودان والعرب الذين كانوا وصلوا معه فى البر ويقولون للروم سيروا حتى تشاهدون قتلهم وتودعون الملك قبل رحيله لأنه قد عول أنه لا يرحل إلا على سفك دماء حتى تكون طريقه محمودة العاقبة

(قال الراوى) وكانوا الرهبان والقسوس وأصحاب الأديرة والصوامع الذى فرق عليهم الأسارى يوم وصوله قد عولوا على قتلهم حتى يتقربون بدمائهم إلى المسيح فبينماهم يريدون أن يفعلوا ذلك وإذا هم قد سمعوا أن الملك قد حزن ولبس السواد على من عدم له من البطارقة والأجناد فقالوا ما نقتل نحن هؤلاء إلا حتى يطيب قلب الملك مع أننا نفرح لفرحه ونحزن لحزنه فتركوا هذه الأيام وقد انتقموا منهم غاية الانتقام هذا وعقبة سمع بذلك فأراد أن يكون هلاكهم على يديه وكان الملعون قد انفرد هو وابنته عقيبة فى مكان يعذبان الشريفة العلوية أم بكار الذى قطع أنفها وقلع عينها وكان قد استوهبها من الملك وهى معه فى الدار الذى نزل فيها وما فيها ليلة إلا ويضربها ويسبها ويكفر لعنه الله (قال الراوى) ولم يزال يضربها إلى أن يغلبه النوم فاذا هى رأته قد نام تقوم تحت جنح الظلام وتعبد الملك العلام وهى لا تعرف كيف تستقبل القبلة إلى بيت الله الحرام بل تصلى إلى أى جهة توجهت وتطلب الفرج من الله تعالى وتقول إلهى وسيدى ومولاى اجمع بينى وبين ولدى فقد تقطعت عليه أحشائى وكبدى اللهم إن كنت قضيت بعدم عيناى الذى كنت بهما أهتدى وسلطت على هذا الظالم المعتدى يؤذينى بضربه جسدى وبعد هذا يامولاى أنا منتظره الفرج من عندك إما بلقاك أو بكشف بلاك (قال) وفى هذه الايام سمع عقبة بجمع الأسرى وكان مؤملا أنه يخرج العلوية ويشهرها بين الأنام مع طوائف الروم اللئام ثم أنه يقتلها بيده وهو فرحان بخروج الملك إلى بلاد الإسلام إلا أنه ترك العلوية يومين ما عاقبها وفى

يوم الثالث دخل عليها فرآها مستقبلة القبلة ولها عينان مثل الجوهرتان وأنف وشفتان وهى تتلو القرآن بصوت مجهر وما على قلبها فزع ولا جزع ولا كانها فى مقام الهلع فبهت عقبة إليها وقد تحير ووقع به الزمع وانبهر وقال لها من رد عليكى عيناك فقالت له الذى يرد العين الفقعاء واليد الجدعاء جدى المرتضى وقد وعدنى أن يأتينى الفرج من الله تعالى واخاص من هذا البلاء وأكون آية لأهل الولاء (قال الراوى) فلما أن سمع عقبة منها ذلك المقال قال هذا مالا ينطلى على ولا أترك أنا الشيطان يلعب بعقلى وانني أريد أن أرجع أقور منكى عينك واقطع أنفك وشفتيك وابصر كيف بعد ذلك يردها ربك عليك ثم سحب الملعون سكينة وقال لابنته ويلك يا عقبية أمسكيها حتى أرجع أجعها فى عينها ونواظرها والا انهتك بها دين النصرانية ويعود أكثرها إلى دين الحنيفية هذا والعلوية تنادى يامولاى لاتترك هذا الملعون يرد برهانك ويمنع عطاءك وأنعامك سيدى أنت قادر أنك تمنعه عن أوليائك مولاى اصرف عنى بلاك ياعادل فى علاك (قال الراوى) فما استتم دعاها ونداها إلا والفرج قد أتاها من الله الذى ابتلاها وهو سيدها ومولاها وأتاها من يخلصها من أعداها وفتح باب الدار أسرع من طبق الأجفان ودخل خمس رجال فى زى الرهبان وهم يقولون خلى عنها ياقرنان عن أمة الرحمن وقد هز كل واحد منهم صارم يمان ونادى خلى ياملعون ياكلب ياشيطان قد دنا أجلك فى ذلك المكان ثم تبادروا إليه وإلى ابنته مثل العقبان وهو قد حار ووقع به الخذلان وقد تأمل هؤلاء وعجب كيف دخلوا عليها بلا استئذان وتبينهم وإذا بهم ظالم وأبو سكران وذات الهمة والشريف بكار بن العلوية التى نحن فى حديثها وخامسهم البطال وهم هؤلاء الشجعان الاقران (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أننا قد ذكرنا ماجرى لهم وخلاصهم من قلعة الشعاع على يد ست البيع وساروا فى المركب طالبين هذه الجزيرة وكان كل من لقيهم فى البحر وسأل عن حالهم يقول البطال هذه ست البيع بنت الملك هرقل سائرة إلى جزيرة الحائط تزور عمتها عاميل زوجة الملك الكبير شمخولص والذى معها خادمها ارمانوس يعنى عن الأميرة ذات الهمة لانه قد تركها فى زى خادم وكانت الروم كل من سمع هذه المقالة انصرف وتركهم وهم سائرين حتى وصلوا إلى آخر بحر الحبله والجزيرة المعروفة بالحائط وكان وصولهم إليها عند غروب الشمس فربطوا مركبهم فى موضع مختفى وتركوا فيه ست البيع والراهب شومدرس ونزلوا من المركب وظالم يقول استروا حالكم وسيروا خلفى فأنا أعرف دار عقبة وعنده خليت أم بكار واننا نريد أن نعمل على خلاصها ان كانت تعد فى الحياة ونأخذ الملعون عقبة ونطلب أرضنا وأنا أعلم أن مابقى فى أصحابنا فى هذه الديار أحد وان الملك قد فرقهم يوم وصولهم على الاديرة والصوامع والكنائس ولم يزل سائر بهم

إلى أن أوصلهم إلى الدار وأدخلهم على عقبة وهو يعاقب العلوية لما أن رأى عينها قد ردهما الله عليها فصاحوا عليه نح عنها ياملعون وصاح البطال وقال لهم خذوه فوصل إليه ظالم وقد لطم عقيبة على وجهها غيب صوابها وادار كتافها وتقدم أبو سكران إلى عقبة ودق فى خناقه ورفعه على يديه ولطم به الارض رض عظامه فى بعضها لبعض وقد نزل عليه بركب مثل الصوان وادار يديه كتاف ففتح الملعون فاه وأراد أن يصرخ فحشا فى فمه خرقة هذا وبكار قد وقع فى صدر أمه وغاب عن الدنيا لما أن رأى عينها قد عادت وهى تقول يابنى لاتعجب فان الذى أخذ هو الذى رد واعطى وهو المعطى الوهاب الذى إذا دعى أجاب

(قال الراوى) فتعجبت الأميرة وأبو محمد البطال من هذه الأسباب وقد فاضت دموعهم من قدرة الله تعالى ذو الجلال والاكرام وقالوا والله ان هذه قصتها مثل قصة حجاف رحمة الله تعالى عليه فقال البطال اخرجوا بنا الساعة نطلب المركب لايلعب شومدرس بعقل ست البيع ويطلب لنفسه الهرب وربما يصيح علينا ويجلب (قال الراوى) فعندها حملوا عقبة وبنته عقيبة وعولوا على الخروج وإذا بألف بطريق قد هجموا عليهم بالسيوف والطوارق وهم يقولون خذوا هؤلاء العيارين المكارين واللصوص المسلمين (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك هرقل أبو ست البيع لما أصبح عليه الصباح طلب شومدرس يشاوره فى أمر المسلمين فما رآه فقال انه لاشك عند المسلمين يعاقبهم ثم أرسل خلفه فما رأى له خبر ولا للأمراء أثر فقلق لذلك وتحير وفى تلك الساعة أرسلت إليه زوجته تسأله عن ست البيع وتقول له البارحة خرجت من عندى من أول الليل إلى مقصورتها تنام واليوم طلبتها فما وجدتها

(قال الراوى) فلما أن سمع الملك ذلك قامت عليه القيامة وقال وحق المسيح قد لعب بعقل ابنتى حتى خلصت المسلمين المأسورين وقد تخلصوا وسرقوها وساروا ثم انه افتقد المراكب ففقد أكبرها فقال الملك قد اقلعوا فيه ومالهم قصد إلا جزيرة الحائط وحصن القمر ليخلصوا أصحابهم كما حدثنى رأس الحكمه والملك زوج أختى عاميل قد عول على الغزو إلى بلاد الاسلام وقد أرسل يأمرنى بأخذ الأهبة وأنا أريد أن أرسل اليه كتاب أعلمه بما قد تم على ثم إنه كتب كتاب وكتب فيه شرح ما جرى وأرسله على جناح الطائر إلى حصن القمر وكتب له فى آخره يقول خذ حذرك فان شياطين المسلمين اليك قاصدين وعليك واردين وابنتى معهم فابصر كيف تأخذهم أجمعين فلما أن وصل اليه الكتاب اغتاظ غيظا شديدا ثم إنه من وقته وساعته أوصى غلمانه ونوابه باليقظة والاحتراز فلما أن وصل مركب المسلمين واختفوا علموا بهم فسيروا بطارقة كثيرة وقد خرج خلفهم خلق كثير فلما أن وصلوا إلى المركب كانوا الأمراء قد دخلوا فى طلب عقبة فوجدوا ابنة الملك فى المركب

والراهب شومدرس فامرهم بالقبض على ست البيع ثم أعلمهم شومدرس باسلامها فقبضوها وطلبوا الجميع إلى عند الملك واعلموه بالحال ففرح بذلك واستبشر حتى كأنه قد قدم عليه بعض الحواريين (قال الراوى) ولما أن صار شومدرس قدام الملك قال أيها الملك ادرك الشيخ النجيح بالبطارقة والابطال وإلا هلك لأنهم صعدوا من عندى فى طلبه فعندها وثب الملك بنفسه فى الف فارس مدرعة بالسيوف المجذبة والدرق المكوكبة وما زالوا إلى أن وصلوا إلى دار عقبة وابنته وعولوا على الدخول وكانوا الأمراء قد عولوا على الخروج فما أحسوا إلا وهؤلاء قد هجموا عليهم وصاحوا فيهم هذا ولما أن رأت الأميرة إلى ذلك الحال علمت أنهم قد فطنوا بهم وقصدتهم الرجال فصاحت وطلبت القتال وحملت على البطارقه بسيف يلمع مثل لمع الآل هذا وقد فعل ظالم مثل فعالها وكذلك أبو سكران والشريف بكار وأبو محمد البطال وما ولى النهار عنهم وراح حتى تركوا الأرض من القتلا مثل المسطاح هذا وقد قصدتهم أهل البلد عند إقبال الظلام وكذلك البطارقة الذين قد أتوا قصدوهم بكل حسام مهند وما مضى من الليل هجعة حتى ملكوا الروم المسلمين الجميع وخلصوا عقبة وابنته من قبضتهم وأخذوهم إلى دار الملك هذا وعقبة قد فرح بخلاصه وهو متعجب من سلامتهم بعد الغرق وقد فرح أيضا بشومدرس وقال إن هذا وقت سعيد موفق رشيد حدثنى يا راهب كيف كانت قصتك وما جرى لك فى سفرتك فأخبره شومدرس بكلما جرى له من أوله إلى آخره فقال عقبة أما ظالم ومذبحون وهذا الاسود وبكار والحصين من هاهنا خلصوا وكان فى قلبى منهم البلاء فقال شومدرس أما مذبحون ما أدرى أين يمضى وكذلك أخوه الحصين وما هما إلا غرقا (قال الراوى) هذا وان الملك قد نصب له سرير من الفضة البيضاء قوائمه من الذهب الأحمر فى ميدان الجزيرة وجلس عليه واقعد عقبة وشومدرس إلى جانبه الآخر والأمراء المأسورين بين يديه فقال عقبة أيها الملك تريد أن يغفر لك المسيح ماقد تقدم من ذنبك وما تأخر فقال له الملك نعم فقال له عقبة إن أردت ذلك فعجل لهؤلاء القوم بالحريق فقال له الملك اعلم إن أمرهم مسلم اليك فافعل بهم ماتريد من الأعمال (قال الراوى) هذا وقد كانت ست البيع قد أضافوها إلى مرحوما أخت صاحب قلعة السها الذى أسلمت على يد أبو محمد البطال وهما حضور مع جملة الاسرى فقال عقبه إن هذين الجاريتين أيها الملك يفسدان بنات الملوك ويميلوهم عن عبادة المسيح وأنا أريد الحرق للجميع فقال له الملك لا ياشيخ هذه ست البيع عمتها عاميل زوجتى وأنا أعلم أن هؤلاء الشياطين قد لعبوا بعقلها وما يطيب قلبى بقتلها فاخلو بها لعلك تردها إلى دين النصرانية فقال له عقبة لا تفعل أيها الملك ذلك واعلم انه لو كان فيها خير ماسلمت نفسها إلى

المسلمين وربما تكون قد حملت من بعضهم ودخل فيها الدين المحمدى ومابقى فى ابقائها فائدة ثم وثب الملعون وفى يده صوت منقوع باللبن الحليب والخل والزيت وصار يضرب واحدا بعد واحد إلى آن يشرف على الموت ويدور على الآخر ومازال كذلك حتى وصل إلى الأميرة ذات الهمة وضربها على وجهها عشرين صوت وهى صابرة على القضاء فلما أن رأى الأمير ظالم إلى ذلك بكى عليها وعلى نفسه وأشار يقول :

أيا ست صبر فالنصير بغيتى ... لك الفوز فى العقبا بفعلة عقبة
لنا فى عند الإله كرامة ... بما يفعل الملعون من قبح فعلة
وما هى إلا موتة ثم نلتقى ... برب كريم فى مقامة رحمتى
يعز على أن أراك طريحة ... بذلة أسر فى قيود مذلة
وعقبة قد أهوى اليك بسوطه ... فلا زال فى خزى وفى سوء لعنة
فياليته أعفاك من شوم ضربه ... وعذبنى حتى ألاقى منيتى

(قال الراوى) ياساده فضحك شومدرس من شعر ظالم حتى بدت أنيابه مثل أنياب الكلاب وقال ويلك ياظالم تشفق عليها من الضرب والقتل فكم من قتيل وجريح من النصارى وعباد المسيح وان اراد أن يعفو عنها الشيخ النجيح فذلك إليه (ياساده) هـذا وقد كان شومدرس يحكى هذا الكلام تحريضا لعقبه على هلاك الامراء فقال لاعفى المسيح عنى إن عفوت عن مسلم لاسيما هؤلاء الذين قد حصلوا معى فى آخر الدنيا وأنا أترك الملك يحرقهم أو يصلبهم على أبراج هذه المدينه وأخرج معه أسلم اليه بلاد الاسلام ولا أترك غير هذه الجزيرة لى مقام فقد أعجبنى هذا حصن القمر ودير النذور وبحر الخلية وشجر الكافور وهذه الاراضى التى قد رضى عنها المسيح وانى أريد فى هذه الساعة ان أقطع أنف ذات الهمه وشفيتها قبل هلاكها ثم ان الملعون تقدم اليها وقام شومدرس أيضا وهو يصيح بالتارات شوما ودهر شوم الليله آخذها من ظالم ومن هذا الزربون الميشوم فعندها صاح أبو محمد البطال على عقبه وقال له ويلك ياملعون ويا كلب النصرانيه وأخس من غمس فى جرن ماء المعموديه ارجع عن الاميره ولا تصنع معها مكروه وان قتلتها سوف ترى مايحل بك من الضرر والبؤس فان فعلت معها ما فعلت فما هى الا قتلة واحد وتروح الجنة وتشاهد رب العزة والمنه فى مقام الدوام ودار السلام وان افسدت عليها دنياها فما تقدر تفسد عليها عقباها لأنها ماتفزع من المنيه ولا تخشاها بل تفرح بها وتتمناها وسوف تجمعك القيامة أنت واياها وقد سمعت ياملعون الآيات التى تقرأها (كأنهم يوم يرونها لم يلبسوا إلا عشية أو ضحاها) وأنت تعرف ذلك كله وتعلمه وتحققه لكن تنكره ثم انه أنشد :

دع مهجتى تزداد فى خفقانها ليس التفرق فى الوغى من شانها
ان كان صرف الدهر غير قصده وبذل ذلهمة بدار هوانها
فلكم أبات فى الحروب غضنفرا وسطت يفوتها على فرسانها
ولكم تطايرت الرؤس بسيفها بالرغم فى الهجاء عن أبدانها
ولكم لها من غزوة وسرية سحرا وقد طالت على أقرانها
ولكم بأرض الروم ساقت جحفلا حتى رأيت الخيل فى بلدانها
ولكم أعزت كلمة التوحيد فى بلد العدا بالجهر فى اعلانها
وأذلت الكفار حتى انها وضعت قيود الذل فى صلبانها
ولكم لها فى قلعة مفتوحة صبحا وقد طلعت فى أركانها
ولطال ما طالت على ملا كها واستزلتهم من رفيع مكانها
ولكم تعفرت الجباه مخافة منها وتم الذل فى تيجانها
فالموت أشهى عندها من كل ما فى الأرض فاعلم لا انالك شأنها
بالقتل تبلغ ما تريد وفوزها فى جنة الفردوس مع ولدانها
ولها الرضا من ربها فى قربها من ساحة الرضوان مع رضوانها
عجل بقتلى قبلها وبقتلها فالقتل أسهل من تهتك شانها

(قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الامير أبو محمد البطال كلما أنشد بكت الاميره حتى قال فى آخره عجل بقتلى قبلها وبقتلها فقال عقبه السمع والطاعة يا أبو محمد ثم انه عاد إلى الملك وقال له اعلم أن الساعات تغتنم فيها فرحه من يسعى اليها على قدم وأعلمك انى أريد أن آخذ من هؤلاء القوم بتار أمة عيسى ابن مريم فقال له الملك افعل مابدالك فما نرجع نرد مقالك فعند ذلك تقدم عقبه لعنه الله وجزاه وجعل النار متقلبه ومثواه إلى الاميره ذات الهمه وشومدرس إلى ظالم (قال الراوى) فبينماهم معولين على ما يريدون ان يفعلون بالامراء من القبائح وإذا قد وثب من بين الحضار غلام أشقر أعطر طويل الشعر أحور يقدح من أجفانه الشرر وتقدم إلى بين يدى الملك شمخولص الأكبر صاحب جزيرة الحائط والبحر الاخضر وقال له ياملك ماقتل هؤلاء الشياطين فى هذه الساعة بصواب فقال عقبه وقد اغتاظ من كلامه ولم لايكون ياويلك صواب وفيه للملك أفضل الاجر والثواب فقال له ذلك البطريق وقد صرخ فيه فأبهت الحاضرين وظلوا اليه الجميع ناظرين اعلم أيها الشيخ أن أهل هذه المدينه ما فيهم الا من فى قلبه من هؤلاء المسلمين حسرة لاسيما أهل الاديرة والصوامع وسكان هذه البلاد وأهل السواد الذى فرق عليهم الملك المأسورين وعاد أنفذ طلبهم منهم وجمعهم وهاهم قد وصلوا وقد وصل معهم خلق كثير

في طلب الجهاد والفرجة عليهم وهم منتظرين الصباح حتى يشفون قلوبهم من هؤلاء الشياطين ومافى الممكن ان تأخذ أنت نارك وتستريح وتترك ألف قلب قريح لا كان هذا ابدا وحق المسيح واول الناس أنا وان قلبي مقروح ودمع عيني مسفوح وقد أتيت آخذ تار أبي واشرب من دماؤهم حتى ارتوى (قال الراوى) ياساده فلما ان سمع عقبة مقاله بهت وقال له ومن هو أنت ومن هو أبوك فقال له أنا قرد نكلي بن نكلان صاحب جزيرة الحيوان وان هؤلاء قد قتلوا أبي وهو عائد من أديرة السواحل وصوامع الرهبان وقد أتيت أرتجى ازاحة تارى وأطفى لهيب نارى وما أريد أن يكون ذلك إلا بمشاهدة جميع الناس حتى يشهد لى كل قس وشماس فقال عقبة وحق المسيح لقد وفقت فى هذا الكلام ياغلام وأتيت بالصواب ونحن نتمثل على هؤلاء حتى تنجلى غياهب الظلام ثم انه شاور الملك فى ذلك الابرام فرآه الملك صواب وقال إذا كان فى غداة غدا نادينا فى البلد وجمعنا سائر الأنام والخلق الذين قد وردوا ولا نترك صغير ولا كبير إلا ونخرجه إلى الميدان ونفرجه على قتل هؤلاء العرب والسودان ويشاهدوا تلك البنات والصبيان ويكون هذا أشد فى العقوبة والهوان (قال الراوى) ثم ان الملك ادعى بقرد نكلى فتقدم إلى بين يديه فأخلع الملك عليه وقال له جزيرة الحيوان التى كانت لأبيك فهى لك بعده ثم انه أحضر الطعام والشراب وجمع الملوك وخواصه والحجاب وقد أنفذ إلى العساكر القادمة عليه فساروا الكل وأتوا إلى بين يديه هذا وعقبة وشومدرس إلى جانبه وقد جلس الجميع وأخذوا فى أكل الطعام وشرب المدام والراح هذا وقد دارت عليهم الأقداح وضجت الجزيرة بأصوات الأغانى ودخلوا فى اللهو لبلوغ الأمانى وكان قرد نكلى هو الساقى فى تلك الليلة ومرتب مجلس الملك هذا وقد أعجب الملك وأعجب عقبة شيخ الضلال وشومدرس راس الجهال ولم يعلموا أنه الحصين بن البطال الذى أخلف أباه فى التدبير والأشغال (قال الراوى) ولم يزل يسقيهم حتى خمدت منهم الحواس والحركات والأعمال ومزج لهم من تلك الحشيشة المباركة الذى جلبها أبوه من الأديرة وادار عليهم الأقداح فانبطح كل من فى المجلس عند الملك وكان أول من انخمد القاضى عقبة وشومدرس وقد صاح الحصين فى باقى الناس وناول الملك من يده ذلك الكاس وخرج من عنده وقد خمدت منه الحواس وصاحت من حول سرادقه الحراس ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى عند الأمراء وكانوا فى خيمة منفرده وكانوا الموكلين بهم قد شربوا فى سرادق الملك وأتوا فانقلبوا فدخل الحصين وهو مطمئن القلب فقبل رأس أبيه وقال لهم قوموا واعلموا أنى قد مكنتكم من قفاء عدوكم وقد سقيتهم من تلك الحشيشة المباركة التى جبناها من الأديرة وقد خلعت عنهم ثياب النعمة ثم انه حل كتافهم وهم على غاية من الفرح هذا والبطال يقول

.ا. ا بى وأين أخوك مذبحون فقال له انه قد مضى فى شغل آخر وأنا أرجوا تمامه سيروا حتى اننا نطلب النجاة لانفسنا فقال البطال ياولدى انى أريد ان تعلمنى أين عقبة وشومدرس والملك حتى ننظر مايكون منهم فقال الحصين أما عقبة وشومدرس فهاهم حاضرين فى الخيمة التى بالقرب منكم وهم لايعلمان أحسن الدهر إليهم أم أساء وأما الملك فلا تتعرضون له فانه خطر عظيم فقال له البطال وكيف ذلك ياولدى اما شرب مثل ماشربوا هؤلاء البطارقة فقال
٦ له يا أبتاه لانى ماأعطيته غير فرد قدح وخليته وخرجت فما أدرى ان كان شربه أم لا وان الحرس من حوله شديد فاتركونا من معارضته فلما سمع البطال من ولده ذلك الخطاب رآه صواب وقد ساروا طالبين خيمة عقبة هذا والبطال يقول لو كنت مع هذا كله حصلت لنا شىء نركبه كان أروح لنا فقال له الحصين سير وأنت ساكت فانى قد حصلت لكم خمس بغال وعشر رؤس من الخيل العوال بعدتها لانها من جنائب الملك لانى قد دخلت إلى سياسها وهم يشربون الخمر فى أول الليل ففعلت بهم كما فعلت بعقبة وشومدرس والخيل والبغال الساعة حاضره وهذه خيمة السلاح بين أيديكم فخذوا منها ماتريدون وركبوا ست البيع ومرحوما على البغال وسيروا على بركة الملك المتعال (قال الراوى) فلما أن سمعوا من الحصين ذلك المقال فما فى الجماعة إلا من عجب من حسن عمله وجودة توصله فقالت الاميرة يابنى من أشبه أباه ماظلم سبحان من جعل له فيك وفى أخيك البركة ثم دخل ظالم وأبو سكران وحملوا عقبة وشومدرس وعادوا إلى خيمة السلاح فأتوا منها ماأرادوا والناس فى أحلى ساعة من السكر والكرا ولما ان تكامل عددهم ركبوا الخيل وقال ظالم دعهم الساعة يلحقونا ودع يكونوا بعدد ورق الشجر وقطر المطر ثم انهم ركبوا العلوية أم بكار ومرحوما وست البيع على البغال وجعلوا عقبة وشومدرس فى صندوقين كانا فى المطبخ قد أخذوهم وتركوهم على بعض البغال وجعلوا عقبة وشومدرس على بعض البغال وساروا يقطعون الارض إلى أن صار وقت السحر فبينما هم سائرين وإذا قد بان لهم من بين أيديهم أكثر من مائة وخمسين فارس والجميع بالسيوف والدرق وقدسدوا جميع الطرق فقال البطال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم سبحان من يخلصنا من البوائق فقال الحصين لاتخاف ياأبتاه واعلم ان هذا أخى مذبحون قد خلص المأسورين لانى أنا وإياه لما أن وصلنا إلى هذه الديار أقمنا ننتظركم إلى أن تأتوا ورأيناكم قد وقعتم وقبضوا عليكم فافترقنا كل واحد منا فى شغل وكان الملك قد جمع أصحابنا من الرستاق ليكون قتلكم جميع فأنفذت اليهم وأوعدته إلى هذا المكان يكون الاجتماع وقد جئت أنا اليكم وخاصتكم من الاعتقال (قال الراوى) فبينماهم فى هذا المكان وهم يتحدثون فى ذلك الكلام وإذا بمذبحون قد ناداهم من بين أيديهم إيش حالكم

يا كرام تقدموا ولا تفزعوا فنحن لكم فى الانتظار أيها الأقوام فلما أن سمعوا حس مذبحون عرفوا منه الصوت وقد فهموا الكلام فعند ذلك صاحوا وتبادروا اليه وتباشروا واختلطوا ببعضهم البعض وفسيح الآكام وقالوا الساعة لو تبعنا كل من فى هذه الأرض مانبالى بهم فى هذه الأيام ثم انهم ساروا وقد أصبح عليهم الصباح عند قرية من القرى وقد هيؤا ما احتاجوا اليه من الزاد والعلوقة وأخذوا الخيل الجياد جنائب وساروا مجدين إلى وقت الظهر فبينماهم سائرين وإذا بالغبار من خلفهم قد طار إلى أن سد الاقطار وقد علا وزاد ونما حتى سد أفق السما ساعة وانكشف عن صليب يبرق ومن تحته مائة ألف فارس وقد ظهرت غبرة أخرى من على أيمانهم وغبرة أخرى من على شمالهم وقد أخذهم الصياح من كل جانب وكثر الصراخ من البطارقة وامتلأت الدنيا بالمواكب المتلاحقة هذا ولما أن نظرت الأميرة إلى ذلك قالت لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك شمخواص لما أن أصبح الصباح عليه وطلعت الشمس وهو فى سرادقه لم يخرج ولا رأى أحدا من البطارقة أن يدخل اليه إلا أولاده فانهم قد أنكروا ذلك فدخلوا الى السرادق فرأوه وهو يتقلب ولا يقدر أن يتور ولا تحمله رأسه ولا يعى على من يكلمه فلما رأوا ذلك قالوا وحق المسيح مصيبة بأبينا قد نزلت ثم أتوه بالماء البارد وقلعوه أثوابه وأقلبوا الماء عليه فصحا وبعد ساعة عقل على نفسه وقال لهم ويلكم إيش هذا السكر وهذا الخمار وحق المسيح ماهذا إلا من الساقى قردنكلى لانه قد سقانا من الخمر العتيق بلا ماء وهذا من قلة خبرته ياويلكم اطلبوه فى خيمة الشيخ النجيح والراهب شومدرس الميشوم رأس الحكمة فعندها خرجت البطارقة إلى خيمة عقبة فما وجدوا فيها أحدا فعادوا بالخيبة وأعلموا الملك بذلك فقال لهم ياويلكم وأين قرد نكلى فقالوا وحق المسيح مارأينا فى الخيمة أحد وقد سمعنا أن كل أسير كان فى العسكر البارحة هرب والموكلين بهم قد أصبحوا مذبحين (قال الراوى) فلما أن سمع الملك بهذا الخبر اندهش وتحير وخرج إلى سائر السرادق وركب ودار فى العسكر ليكشف الخبر فرأى الامر صحيح فتنمرد الملعون وكفر وطغى وتجبر وقال وحق المسيح ماتم علينا هذا الامر إلا من هذا الشيطان الذى قال أنا قردنكلى وحق المسيح لقد سلمت ان اسرق من على سريرى أو أخنق وقد عدموا الاسارى وشومدرس وعقبة اللعين وفى تلك الساعة وصل الملك هرقل وتقدم بين يدى الملك شمخواص وأخبره بما جرى عليه من فقد ابنته فزاده ذلك حنق وقال ماهؤلاء المسلمين إلا شياطين ثم إنه أمر بالمناداه من ساعته فى العسكر بالرحيل ورحل وهو لايعقل على أحد فلا زال سائر بالعساكر وقد فرقهم مع أولاده

أرسا واحد مع جماعة والآخر مع جماعة ولحق الامراء كما ذكرنا وكان معه من أولاده سبعة والملك هرقل أيضا من حرقته على ابنته ومعه مائة ألف فارس من رجاله

(قال الراوى) فعندها نبهت الاميرة أصحابها وقالت لهم اعلموا أن هذه الموتة ما كانت لنا على بال فقالوا لها والله لاسلمنا أنفسنا إلا بعد ضرب يهد وطعن يقد هذا وقد أحاطت بهم الكفار ورفعوا شومدرس وعقبة والعجوز العلويه أم بكار ومرحوما وست البيع إلى رأس شقيف عالى من شقوف الجبل وعولوا على النزول إلى القتال فقالت ست البيع والله لابد لى من النزول معكم إلى القتال فقالت لها الاميرة مايحتاج الى ذلك فقالت إن هذا لا يمكن بل إننى أكون معكم وتلاقوا ما أنتم قادمين عليه هـذا وقد أخرجت الاميره عقبـة اللعين وشومدرس من الصنـاديق وقد وكلت بهم أربعـة من بنى كلاب وقالت لهم إذا رأيتمونا قد هلـكنا اضربوا رقاب هؤلاء الشياطين (قال ياسادة) هذا وعقبة قد فتح عينه ونظر الى كثرة العساكر ففرح وقال لشومدرس ياويلك أنا نايم أم يقظان فقال شومدرس ما أنت إلا مستنبه ياقرنان هذا وقد قالت لهم الاميرة ويلـكما لا تفرحان بمجىء عساكر أهل ملة الصلبان وتطلبان الخلاص بهما من الذل والهوان فها أنا قد وكلت بـكما أربعة من حزب الرحمن وقد أوصيتهم أن يقتلوكما إذا رأونا قد شربنا كاس الحمام حتى لا يبقى من بعدنا من يشتفى بالاسلام فقال عقبة وحق المسيح ياعجوز السوء اننى بعد ماأرى جسدك نهبا للصفاح ماأبالى بما كان منى على أننى أعلم على أن هؤلاء الذين قد وكلتيهم بنا أحقر من أن يمد أحدا يده منهم الينا إذا رأى أمة الصليب يطلب جنده ولابد لى بعدكم من الحياة وأخرج مع هذا الملك الذى قد حفظه المسيح وكلاه وان أسلم إليه بلاد الثغور وأرض العراق وأتركه ملك الآفاق قريب وبعيد وأطلب ولدك عبد الوهاب فى أرض الحجاز وأشتفى منه كما اشتفيت منكم

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة من الملعون عقبة هذا المقال اشتعلت عيناها شرار النار وزاغت فى أم رأسها وصارت مثل الجمر وقالت ياملعون إذا كان هذا بغيتك أنا وحق محمد سيد البشر فخر ربيعة ومضر لابد مما أثر فيك أيشم أثر من قبل أن أحمل على هذا العسكر ثم انها جذبت حسامها من غمده ورفعت يدها وقد ضربته ضربة الحنق فلما ان رأى عقبة الضربة نازلة عليه فالتقاها بيده اليمين فنزلت الضربة على زنده طيرت يده من حد المرفق فصاح الملعون ثم وقع وبقيت يده تنزف دما وهو لايدرى ان كان فى أرض هو أم فى سما ولما ان رأى ظالم إلى ذلك اشتفى فؤاده وكذلك بنى كلاب وقالوا احملوا بنا الساعة بنيات خالصة فما بقى فى قلوبنا حسرة فما هذا الملعون من يسلم فى هذه الـكرة فبـكت الأميرة وقالت والله ماأردت إلا أن يـكون ولدى حاضر وإليه ناظر حتى كان يحمله إلى بلد القسطنطونية ويصلبه

على باب الذهب وتشتفى منه قلوب السادات من ذوى الرتب ولكن هذا الذى قد حكم به الملك الخلاق وكان قد سبق فى علمه أننا نبلى عند الكبر بالبعد والفراق ثم انها حملت على عساكر أهل النفاق وقلبها قد زاد به الاشتياق إلى ولدها أمير الآفاق وهى تنشد :

واحربا من حر نار الفراق ... لقد دهانى منه مالا يطاق
ياولدى جاروا علينا العدا ... وحرفوا القول وبان النفاق
ياولدى قد طار عنى الكرى ... فالعين لاتقوى على الانطباق
فابكى على أمك إذا أصبحت ... مقطوعة الظهر بسيف الفراق
أقسمت بالخالق سبحانه ... ورافع السبع الشداد الطباق
لأروين السمر والبيض من ... دمائهم بعد الحراب الرشاق
واضرب الأبطال رغما على ... رؤسهم بالمرهفات الرفاق
واشرب الكاس الذى شربها ... كريهة المطعم عند المذاق

(قال الراوى) ولما نظر ظالم إلى سته وقد فعلت ذلك الفعال فحمل من وراها وقد بكى مثل بكاها وأن واشتكى أعظم من شكواها ثم ارتجز وجعل يقول هذه الأبيات :

لست غريبا ماملكت صارما ... جعلت أوطانى قوى العزائما
لست أخاف فى الورى العوالما ... ولم أزل أشوش العمائما
من أجل هذا قد دعيت ظالما ... وكم قتلت عرب مع أعاجما
ياليت شعرى هل أعود سالما ... وأنظر الاطلال والمعالما
فاسأل الله ذوى العظائما ... ينصرنا على الطغاة عالما

(قال الراوى) فعند ذلك حملت من بعدهم المائة وخمسين فارس من بنى كلاب فغاصوا تحت الغبار والضباب وقد باعوا نفوسهم لرب الأرباب وقطعوا الآمال من الاطلال والأحباب وقد اشتد الطعان والضراب وانطبقت عليهم عند ذلك المواكب من كل جانب انطباق البحر العباب هذا والملك هرقل أبو ست البيع قد ترك الناس فى القتال وطلع إلى الجبل يطلب خلاص ابنته فى ألف من الأبطال وهو يظنها عند عقبة لأنه قد رآهم أول ما أشرفوا ورآهم وهم طالعين إلى رأس الجبل فطلع وقلبه عليها ملآن

(قال الراوى) فلما أن صار فوق الجبل مارأى إلا شومدرس يبكى وعقبة بين يديه يئن ويشتكى ويده مقطوعة وهى إلى جانبه فلما أن نظر الملك هرقل إلى ذلك صعب عليه وسأل شومدرس عن ست البيع فقال له يامولاى إنها قد ركبت ونزلت تقاتل مع المسلمين وما هاهنا إلا أنا وهذا الشيخ عقبة المسكين فعندها أمر أن يحمل عقبة وشومدرس اللعين

وقبض على الأربعة الذين كانوا موكلين بهم وأخذوا العلوية ومرحوما وقال ارجعوا بنا حتى نحضر هؤلاء قدام الملك الكبير ولعلى أن ألحق ابنتى وآخذها من قبل أن تهلك ثم أخذهم وعاد بهم يشق المواكب ويخوض الكتائب ويطلب أعلام الملك شمخولص فما وصل إليه حتى خمدت نار الحرب وبطل الطعن والضرب وقتل من المسلمين مائة فارس وأخذ الباقين أسرى مع جملة الامراء وقد أحضروا الجميع بين يدى الملك ووصل الملك هرقل إليه ومعه عقبة هذا ولما رآه على تلك الحالة حار ووقع به الانبهار وقال لابو ست البيع ويلك من فعل بالشيخ النجيح هذا الفعل فقال له يامولاى هؤلاء المسلمين الانذال الذى قد لعبوا بعقل ابنتى وهتكونى فى جزيرتى هذا وقد كانت ابنته قاتلت فى ذلك اليوم حتى بيضت صحيفتها السوداء وقد قتلت مع جملة الشهداء إلا أن الملك لما أن سمع مافعلوا بعقبة قال للبطارقة اكووا يده فوحق المسيح لاضربن رقبة كل من بقى من المسلمين بين يديه وأدعه يشتفى منهم كيف شاء (قال الراوى) هذا وقد سمعت ابنته عقبية لذلك فجاءت إليه وقد رأت أباها فى تلك الحالة فبكت ولطمت على وجهها ورأسها ومزقت ما كان عليها من لباسها ونادت واحزناه لفقدك ياأبتاه هدمت لفقدك أركان البيع ومال الصليب بعدك ووقع وبكت عليك صور الكنايس بأعين تدمع وقد تهنوا بعدك المسلمين بصلاة الجمع فرضى عنك المسيح ويوشع ورهبان ديرمربع والراهب الكبير مقلع ومن فى الكنيسة من البنات قد ركع ثم انها أنشدت تقول

قطعوا يمينك ياأبى واحسرتى ... واعظم لهفاتى وشوم مصيبتى
لولم تكن أنت المسيح بعينه ... ما كنت ترجالى لكل بليتى
قد اوحشت منك الكنايس بعدما ... كانت بصورتك الكريمة شمعتى
ان أنت مت غدا الصليب منكسا ... وبكاك كل مقرب فى البيعتى
ان كان قد قصوا جناحك عامدا ... فقد تطير به فى قصور الجنتى
فاليوم أوفى غدا تفنى العدا ... وننال ما نختاره بكرامتى

(قال الراوى) ثم ان البطارقة كواو يد عقبة وهو غائب عن الدنيا وحمل بعد ذلك إلى خيمة ابنته وقد أمر الملك لحكماء الروم أن يكونوا عنده ويداووه ففعلوا به ذلك وقد لطخوها له بالمراهم فلما ان كان الغد عند الصباح فتح عينيه وقال أين أنا فقالت له أنت عند الملك الاكبر صاحب حزيرة الحائط وعدوك قد هلك وباقيتهم فى الاسر إلى أن تقوم وتفعل بهم ماتشاء (قال الراوى) فلما سمع الملعون ذلك فرح وقويت همته وصحا على نفسه ثم انه قال وأين ذات الهمه والبطال فقالت له اعلم ان الجميع فى القيود والاغلال فاطمأن قلبه وقد

أقام على ذلك الحال ثلاثة أيام والملك يأتى اليه يزوره فى كل يوم مرتين وفى اليوم الرابع نادى الملك بالرحيل ورحل وشال عقبه فى محفه وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قلعة السها ونزل بها فقال عقبة لما ان أشرف على الصلاح أيها الملك وحق المسيح ماأرحل معك من هاهنا حتى تمكننى من أعدائى فقال له الملك هم مسلمين اليك افعل بهم مابدالك هذا وقد سلمهم اليه فقال له عقبة انى أريد أقطع أيديهم وأرجلهم ثم أصلبهم بعد ذلك على أبراج هذه القلعة وأذيقهم كاس التلاف حتى يبرد مافى قلبى من الارجاف. (قال الراوى) وان الملعون أخذ الأمراء وصعد بهم إلى الابراج وصفهم قدامه ثم انه سل سكين أمضى من القضاء وألمع من البرق إذا أضاء وقال لابنته عقيبه قدمى لى هذه العجوز العاهرة ذات الهمة التى قد قطعت يدى حتى اقطع اربعتها واقلع عينها واقطع ثديها وشفتها وبعد ذلك اصلبها حتى يطول بلاها هذا والملك قد ركب وحوله اولاده وسائر خواصه واجناده وقد اصطفوا الجميع من حول القلعة يتفرجون على عقبة وما يفعل بالمسلمين (قال الراوى) هذا وقد قدموا الأميره ذات الهمة إلى عند الملعون عقبة ومدوها البطارقة بين يديه بالعذاب هذا ولما ان رأى ظالم إلى ذلك صار يبكى وبنى كلاب والبطال يقول لظالم والله ماكان قطع يد هذا الملعون بصواب فى مثل هذه الاوقات ولكن هذا الذى جرى وكان (قال الراوى) ومن الاتفاق العجيب والأمر المطرب الغريب ان عقبة اللعين أمر البطارقة ان يمدوا له ذات الهمة يفعل بها ماهو ناوى عليه من التعذيب والأمراء يبكون عليها وإذا هم بجانب العسكر ارتج واضطرب وماج وانقلب فقال الملك ايش الخبر فقالوا له ياملك ماندرى ولكن نرى كل راهب فى دير الزيت قد أقبلوا وهم يصيحون ويولولون وهم عراة حفاة فبينما هم مع الملك فى الكلام والرهبان قد شقوا المواكب ووصلوا إلى بين يدى الملك قد حصلوا وهم كلهم يتصايحون فقال الملك يا ويلكم أى مصاب أصابكم ومن عراكم ثيابكم فقالوا أيها الملك اعلم أن عسكر قد طرق دير الحمام كلهم سودان أسود من الظلام لايفقهون لهم وجوه ومناخر تنفطر عند النظر اليهم المرائر فبادرهم قبل أن يبادروك وسيروا اليهم من قبل أن يسيروا اليك ويفاجوك (قال الراوى) فلما أن سمع الملك ذلك المقال انذهل وحار واختبل وقال من يجسر من أهل الأرض يقصد إلى هذه الديار وذكرى فى الخافقين قد سار ائتونى بالشيخ النجيح حتى أننى أساله عن هذا الحال وقولوا له لايفرط فى واحد من هؤلاء الرجال حتى انظر من طرق ديارنا وخاض اقليمنا وأتى امصارنا (ياساده) فطلعت البطارقه إلى عقبة وهو قد مد يده إلى الاميره ووضع السكين على مفصلها وهى صابرة لقضاء الله تعالى فصاحوا عليه وخلصوها من يده وقالوا له أجب الملك قبل هذا ياشيخ قد أمرنا باحضارك فلما أن سمع عقبة منهم ذلك المقال اغتاظ ونزل

مع البطارقة إلى بين يدى الملك وقال ما الذى يريد الملك فقال له الملك شمخولص ياشيخ اعلم انه قد جاءنى خبران أرضنا قد طرقها عسكر وقد وصل إلى رهبان دير الزيت واخبرونا بان الذين أتوا إلى دير الزيت أخربه وسبى كل من فيه ونهبه وأنا أريد أن تترك اشتغالك بهؤلاء القوم المأسورين وتسير مع أصحابى وتكتشف لى خبر هؤلاء القادمين لانك أنت أخبر بملوك الامصار وبعساكر جميع الاقطار وتعرف سائر الاشار

(قال الراوى) فلما أن سمع عقبة من الملك تلك الاخبار انتقض وضوءه وتلوثت سراويله وأحدث على نفسه وظهر على وجهه الاصفرار وقال له ياملك ماتحتاج إلى من يكشف لك الأخبار وأنا أعرف الناس بهذا العسكر الجرار فهو عسكر الابرار وقد جاء فى خلاص هؤلاء الشياطين وقد دخلوا هذه الأرض على كثرة منهم وقطعوا المهامه والقفار وما هذا منهم إلا قلة يقين بما فى هذه الديار والصواب انك تنجز صلب أصحابهم وترحل بعد ذلك إلى طعانهم وضرابهم من غير توانى ولا تحمل هم منهم على قلبك فما هم من تخشاه وحق المسيح واعلم أن ماساقهم إليك إلا دنو آجالهم والمسيح قد أرادك ولولا ذلك ماساقهم إليك حتى يجعل على يديك هلاكهم فقال الملك إذا كان الامر على ذلك فالصواب ترك هذه الطائفة التى فى أيدينا حتى نملك رقاب من قدم علينا ويكون هلاكهم الكل فى يوم واحد ولا يبقى لنا عدو ولا معاند فقال له عقبه يامولاى إذا عزمت على ذلك وأردتنى أن أسير معك فسلم هذه القلعة إلى بنتى عقبية حتى تحفظها وتحفظ المأسورين حتى نسير ونبصر مايكون من أمر هؤلاء القادمين فقبل الملك رأيه وقال له اعلم أن القلعة بحكمك وحكم ابنتك لانها هى التى ملكتها بالحيلة وهى التى تحفظها من كل مصيبة (قال الراوى) ثم ان الملك بعد ذلك سلمها إليه وأنزل منها نائبه وترك فيها ألف بطريق وقد حكم عقبية فيهم ففرح الملعون بذلك وأوصى ابنته عقبية بالمأسورين ثم أن عقبة قال للملك نادى فى عساكرك بالرحيل وبادر إلى هؤلاء الشياطين حتى يكون أهيب لك وأجود فعندذلك نادى الملك بالرحيل فى الكتائب والمواكب فتزعزعت المشارق والمغارب ونشرت الرايات والبيارق ورفعت الصلبان على رؤس القنطاريات الخوارق وتتابعت العساكر مثل البحار الزواخر (قال الراوى) وكان المقدم على هذا العسكر الذى طرق هذه الارض الامير عبد الوهاب ومعه مائة ألف من السودان ومن بنى كلاب وكان السبب فى ذلك لما أبطأ عليه خبر ولده ظالم لما أرسله من الحجاز وقد سمع أن أمه قد اختلفت عليها السودان وتنصر أكثرهم مع غيلان الشوك وأنفذ ولده ظالم يكشف له الخبر فجرت عليه هذه العبر ولما انقطعت عنه أخبار الجميع وقع به الحزن والاكتئاب وصار كل من أرض العراق يسأل عنهم فيسمع أخبار مختلفة فما زال على ذلك حتى طال عليه

الامر وأقلقته القناصة ببكائها على ولدها ظالم لانها كانت تجتمع بنورى زوجة البطال وما فيهم إلا من تبكى وإلى رفيقتها تشكى لان نورى قد فقدت ولديها مذبحون وأخيه الحصين فما كانت تجف لها دمعة وكان الله تعالى رزقها بنت وسمتهاعذيبة فكانت تتسلى بها عن الغياب لانها كانت رزقتها من البطال وما رآها فاشتغلت بتربيتها فى بلاد الحجاز فى هذه المدة الطويلة وكانت لما ان كبرت وانتشت تسألها عن أبوها فتقول لها انه من حملك ما أتانى ولا رأيته ثم أنها تحدثها بما يفعل أبوها من الحيل وكيف يغير صورته ويسرق الرهبان وقد علمتها شىء من الحيل وشىء من الإنجيل وبعض ألسنة الروم وقد نظرتها حاذقة عارفة فتعجبت منها ومن فطانتها فصارت تعلمها لغات الروم المختلفات وفصول الانجيل المشكلات وهى تحفظ كلما سمعته وكانت نورى خبيره بكل هذه الاشياء لاننا قد ذكرنا أنها من الحصون وانها ابنة ملك من الملوك الذين للروم لاسيما من يوم اتصلت بالبطال (قال الراوى) ولما انتشت عذيبة وكبرت تعلمت هذه الاشياء وصارت تجمع البنات بالليل وتلعب معهم والجميع كأنهم الشموس والاقمار وقد عملت لها من أذناب الخيل دقون ملونات ومن الفنا صلبان مذهبات هذا والنساء والرجال يتعجبون منها وكان الاميرعبد الوهاب يحبها حبا شديدا وكان فى أكثر الليالى يحضرها إلى عنده ويترحم على أبيها إذا نظرها ويبكى ويقول سبحان من خلق فى زماننا فرعون ثانى وسلطه علينا يفرقنا فى الاقطار وهو هذا الملعون عقبة الذى طول عمرنا فى مصائبه ونوائبه (قال الراوى) ولما أن زاد شغف نورى بعذيبة صارت تركب فى كل يوم معها إلى البرية وتعلمها ركض الخيل والفروسية وما زالت كذلك حتى اكتسبت الشجاعة من أمها اكتساب زائد وقد ورثت الحيل من ابيها وراثة صحيحة ولم تزل على ذلك الحال إلى أن زاد شوق الامير عبد الوهاب وكثر قلقه على الغياب فرحل فى بنى كلاب والسودان الانجاب وقد قدم عليهم اللملمان وأخذ معه سائر النسوان وسار معولا أن يملك بسيفه بعض أقاليم الكفار ويقيم هو وأمه وأصحابه فيها باقى الاعمار (قال الراوى) ولم يزل يجد السير حتى وصل إلى الكوفة فخاف من معارضة الخليفة له فسار إلى الانبار وكان صاحب الانبار أمير يقال له صالح بن عمر وكان من أصدقاء الاميرعبد الوهاب فلما أن سمع بقدومه أخرج له الاقامات والضيافات والعلوفات ونزل إليه فاجتمع عليه وقد سلم على صاحبه وشكى له شدة اشتياقه إليه هذا ولما أن اجتمع به صالح سأله عن حاله فقال انى خرجت من الحجاز لا أعلم إلى أين أمضى فتوجع له الامير صالح وجلس عنده فسأله عن ذلك الامير عبد الوهاب وعن أخبار ظالم ولده وأمه ذات الهمة فقال له الامير صالح والله يا أمـــير ان ولدك قد عبر على فى السنة الماضية فى أربعة آلاف فارس وسألته عن حاله فقال أنا ماضى فى خلاص ستى من قبضة عقبه

من أرض شيخان وما بات أكثر من ليلة واحده ورحل بعدذلك ماسمعت له خبر إلا من بعد مدة ثلاثة شهور قدسمعت انهم دخلوا إلى بحر الروم وقد وصلوا إلى قلعة يقال لها قلعة السها وأنهم قد هلكوا فيها ثم رجعت سمعت أنهم سالمين وما صح عندى إلى الآن منهم خبر عن يقين وهذا ماعندى من التبيين (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب بن الاميرصالح هذا الخطاب بكى بكاء شديدا وقال مضى والله ولدى وامى واشتفى عقبة الملعون منى وبلغ الارب ثم انه بات تلك الليلة ولما أن أصبح زاد به الاكتئاب فرحل وسار يقطع البلاد والامصار حتى وصل إلى أرض شيخان واخذت به الجواسيس على الطريق اليسار حتى أشرف على بحرالروم وبانت له الاعلام والرسوم وسمع من الرهبان بعض اخبار فسار إلى أن وصل إلى دير الزيت كما ذكرنا وبلغ خبره إلى الملك شمخواص كما وصفنا (ورجعنا إلى الحديث الأول) بعد الصلاة على سيدنا محمد المفضل سيد البشر وفخر ربيعه ومضر ومن أنزل على قلبه الكتاب المطهر فجلا به عن قلوب أمته الفكر ولها من الرجس طهر (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب قد سمع بخروج هذا الملك من اقليمه وبلغه أن معه عساكر عظيمة فأقام بأصحابه فى طلب الراحة ذلك اليوم وقد فعلوا الرهبان بدير الزيت ما فعلوا حتى أصبح الصباح وعولوا على الرحيل واذاهم بغبار قد ثار وعلا وزاد إلى أن سد الاقطار ساعة من النهار وقد أشرفت الاعلام والصلبان قد اختلفت والرايات والبيارق رفرفت والارض من دوى الخيل قدرجفت وبروق الصوارم قد خطفت والدنيا قد انقلبت هذا ولما أن رأى الأمير عبدالوهاب ذلك كبر وصاح فى بنى كلاب فثارت وركبت خيولها بصفاء نياتها وحسن يقينها هذا وقد صاح اللملمان أيضا فى سودانه فتواسبت شجعانها بنخوتها وقد تقلبت عيونها وضربت بوقاب قرونها وقدزحفت العسكران إلى الحرب والطعان واصطدموا صدمه زلزلت الأرض وماجت طولا وعرضا وصار عقبه يحرض الروم وينادى يا عباد الصليب فهذه أنوار سعادتكم قد تشعشعت وشموس نصركم قد طلعت وارواحكم بلقاء المسيح قد تباشرت فأبيدوا أعداء الدين واطلبوا النصر من عيسى بن مريم والحواريين (قال الراوى) وان الروم لما سمعت النداء من عقبه فأرمت أرواحها إلى البلاء والدماء تجرى والسيوف للرقاب تفرى والابطال تجرى وصارت الأرض حمراء والخيل سكرى ولما أن رأى الامير عبدالوهاب كثرة جيوش الكفار خاف على عسكره من الانكسار فكشف رأسه وخفف عن لباسه وقد بان بياض شعره وصاح فى بنى كلاب وقال يا بنى عمى حاموا عن شريعة نبيكم وانصروا دينه واعلموا أن الله سبحانه وتعالى اذا نظر إلى صبر العبد يعينه وما بينكم وبين الجنة إلا مسافه قريبة فاصبروا على كرب الجهاد حتى تقطعوها بلا زاد وتشكروا هذا المقام

اذا وصلتم إلى دار السلام (قال الراوى) ثم انه جعل يحرضهم بمثل هذا الكلام ويحمل فى أوائلهم ويخترق القتام والرؤس تطايرت عن الاجسام والدماء ينهرق على الاقدام إلى أن مضى النهار بالابتسام واقبل الليل بجيوش الظلام فانفصلوا لما ان خفيت عنهم مواقع الاقدام وكان ذلك اليوم كما قال فيه الشاعر

لقد عظم الويل بين المسرات ... بضرب الحسام وطعن القناة
فهذا طريح وهــذا جريح ... وهــذا ذبيح على الراسيات
وهـذا يصول وهـذا يجول ... وهـذا مهول من النائبـات
وهـــذا تراه بلا ناصر ... وقد سلب الموت منه الحياة
وهـذا ذليلا بوسط الوغا ... وقد كسروا القوم بالمرهفات
وهـذا تراه جديل قتيل ... ممدد بالعرض وسط الفـلاة
وقد ارعب الله جيش اللئام ... وهابوه أيضا خيوش السراة
فيارب انصر واحمى حمـا ... جميع الجيوش التقاة السراة

(قال الراوى) ولما أن افترقوا عن القتال نزلوا فى الخيام هذا ولما أقر بالناس القرار أكلوا شيأ من الطعام وقد دار الامير عبد الوهاب على بنى كلاب الكرام ورأى أكثرهم جرحا مخدشين من رؤس القنطاريات وضرب الحسام وهم تعابا مما لاقوا من الامور الهائلات العظام فقال اللملمان ياأمير اعلم أن الروم فى خلق كثير وعسكر كبير ومع كثرتهم فانهم يقاتلون بلا معرفة ولا لنا فى قلوبهم هيبة لأنهم مالقيونا غير هـذه النوبة وما سمعوا بفعالنا ومافى الامر إلا أننا نتركهم حتى تهتدى نار الحرب ونطلب منهم البراز فانهم اذا روا فرساننا فى الميدان وقع لنا الهيبه فى قلوبهم عند القتال فاذا رايت هذا الامر صواب فأنا أبرز فى غداة غد إلى الطعان والضراب وأوريهم شىء يشيب الشباب وأقودهم إلى بين يديك قود الكلاب فضحك الامير عبد الوهاب وقد فرح بهذا الخطاب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الروم الكلاب فان الملك لما ان عاد إلى سرادقه أمر الملوك ان يفتقدوا طوائفهم فافتقدوهم فوجدوا أكثرهم قد هلكوا فأعلموا الملك بذلك فزاد غيظا وحنقا وقال وحق المسيح ماقلت ان اليوم يمضى علينا بلا انفصال ولكن مايجب على الانسان انه يحتقر بالرجال فقالوا البطارقة أيها الملك وحق المسيح ماقدر يفنينا الاهؤلاء السودان الذين كانوا يدعسوا فينا مثل البغال وويبعبعوا مثل ماتبعبع الجمال فقال الملك انى قد رأيتهم وأنا تحت الاعلام وكلماهم فيه فرأيتهم فى شجاعة ولكن بلافروسيه ولا معهم من أبواب الحرب صناعة وهذا يدل على ان أحدهم إذا برز إلى الميدان كان طعاما لسيف خصمه إذا كان ثابت الجنان لانهم يرمون انفسهم رميا للحرب وما لهم صناعة فى الطعن والضرب (قال الراوى) وكان عقبه حاضر

فلما سمع من الملك ذلك المقال فضحك وكشر عن أنيابه فقال الملك ما حالك أيها الشيخ تضحك فقال له عقبه أيها الملك من أجل قولك هذا لانك ما تعرف هؤلاء القوم فوحق مريحنا ان هؤلاء السودان إذا برز واحد منهم إلى الميدان يريد ألف من عباد الصلبان فاقبل منى وداوم القتال مثل ما فعلت فى هذا اليوم والا تنتصف من هؤلاء القوم بالمبارزه أبدا فغضب الملك من مقاله وقال له أنت ياشيخ تقول هذا من أجل فزعك ولكن سوف ترى ماتصنع أصحابى بهم فى البراز وماهم إلا مثل غيرهم من الروم وحق المسيح ماتركتهم يقاتلون فى غداة غد إلا فارس لفارس فقال له عقبه افعل مابدا لك وسوف ترى أفعالك

(قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد ضجت المواكب بالصياح وركبوا الجرد القداح وقد جردوا الصفاح وكان الملك قدامه أكابر عساكره وقد أمرهم ان تمهل أصحابه بالحمله لما فى قلبه من كلام عقبه هذا ولما ان اعتدلت الصفوف وترتبت الالوف خرج من عساكر الامير عبد الوهاب فارس طويل من الرجال عريض المناكب كانه نحت من جبال وصور من الجمال بساعدين طوال وكفين عراض وهم ثقال وفى يده سيف صقيل ورمح طويل ودرع نبيل سابغ طويل وتحته جواد عالى يسبق الشمال فجال عند ذلك فى الميدان وطلب البراز والطعان وكان هذا الفارس اللملمان فقارب عسكر عبدة الصلبان بقلب غير فزعان وضرب بعاموده فى عساكر الروم عيان فقتل من أصحاب الملك شمخولص اثنان وجعل ينشد ويقول هذه الأبيات

أبذل نفسى فى الحروب بالرضا ... لا أرهب البوس ولا أخشى القضا
أرجو من الخالق أسباب الرضى ... ولا أكون فى المعاد معرضا
والتقى القوم بقلب صادق ... وأعلم أن الله هو لى معرضا
لا أرهب الأبطال فى هيجانها ... يوما ولو كانوا كاعداد الفضا
ان كان لونى أسود وقد غضى ... فانه يوم الميعاد أبيضا
إنى أحب الله جل اسمه ... والمصطفى ثم على المرتضا

(قال الراوى) ولما فرغ اللملمان من شعره وحمل على أحد المواكب فزعزعها وفرق جمعها وقتل من القوم أربعة وعاد إلى بين الصفين وطلب البراز هذا والملك ينظر إليه وقد بدا الغضب يلعب بين عينيه وإذا بفارس قد خرج من طائفة المجوس بشعر أشقر مرخى وراءه مثل العروس وعليه درع من الذهب مغموس وفى يده قنطارية بسنان ظمآن مشتاق إلى دم النفوس وتحته جواد مثل الطاووس وهو يتوقد فوق الجواد وله برق وارعاد ومازال يركض إلى أن صار مع اللملمان وجال معه فى الميدان ولم يأخذه صبر حتى صمم عليه بطعنة

وطلب بها فؤاده فأمهله اللملمان حتى وصلت إليه وسحبها على طارقته فعامت قنطاريته وقرب خصمه منه فمد اللملمان إليه يده وتعلق بمراق بطنه ومنكبيه وجذبه اقتلعه من سرجه وضرب به الأرض وتركه مطروح لايعرف طول من عرض وقد خرجت منه الروح وارتض فى بعضه البعض (قال الراوى) فلما نظر عقبة إلى ذلك صاح اعمل معهم مثل هذا العمل صح المسيح بدنك فهذا الرأى الذى أراده الملك فعندذلك خرج إلى اللملمان فارس ثانى فقتله إلى أن صار وقت الظهر له وقد قتل خمسين بطريق من جبابرة البطارقة (قال الراوى) فعندها وقفت عنه الفرسان فحمل على بعض الأعلام وكان علم عالى غليظ كانه صارى مركب فوق رأسه صليب ذهب مكوكب وكان تحته ولد الملك الأكبر فما زال اللملمان ينثر من الروم الرؤس حتى قرب منه وصاح بمن دونه فتكفكفوا لما نظروا إلى صولته وقد رجفوا من زعقته فانطبق على ابن الملك لما أن رآه وأراد أن يدافع عن نفسه بكل سبب وخرج من تحت العلم إلا واللملمان قد أدركه وطعنه فى صدره أهلكه وقد خرج السنان يلمع من خرزة ظهره فمال عند قتله العلم وتشوش الموكب وانهزم وعاد اللملمان إلى ورائه والصياح من كل قد أتاه فلما ان صار وسط الصفين أدركه فارس بجواد أبلق مليح الحدق وهو مثل الموج إذا اندفق ولما أن قارب اللملمان زعق وأرمى روحه عليه من شدة الحنق وكان هذا الفارس ابن الملك الثانى وقد عارض اللملمان وعليه انطبق يريد أن يأخذ بتار أخيه الذى درس وانمحق وما هو إلا أن أبعد عن مواكب أبيه وصاح حتى عاود عليه اللملمان وتطاعنا ساعة من النهار وقد تار عليهم الغبار ونبا عليهم القتار وقد خرج اللملمان من تحت الغبار وقد خلف خصمه معفرا فى القفار وجسده ملقى وروحه تساق إلى النار فلما أن علم الملك بهلاك أولاده فكاد أن يقع من على الجواد من شدة ما جرى عليه من الكياد (قال الراوى) فعند ذلك سل حسامه وأراد أن يحمل على اللملمان فتبادرت إليه المواكب والفرسان من كل جانب وقالوا له أيها الملك لاتفعل هذه الفعال فها نحن بين يديك الساعة نحمل عليه ونقوده إليك قود الكلاب فقال عقبة ان هذا مرادى من أول الزمان وإنما الملك أبى رأيى وقد فعل برأيه وماأصاب فعندها صاح الملك على عقبة وقد امتلأ غيظا عليه وقال لسائر الملوك لاتركت أحدا يحمل حتى أبلغ أنا من هذا الأسود مرادى وآخذ منه بتار أولادى واشفى بقتله فؤادى (قال الراوى) فبينما الملك فى ذلك المقال وإذا بالصياح قد ارتفع فنظر الملك إلى ذلك الصياح وإذا هو بخمس فوارس قد انطبقوا على اللملمان وقد انقضوا عليه انقضاض العقاب هذا والقسوس قد صاحت من خلفهم والرهبان ودقت النواقيس من كل جانب ومكان وكانوا هؤلاء بقية أولاد الملك وقد تسابقوا بأخذ تار

أخواتهم (قال الراوى) فلما نظر إلى ذلك الأمير عبد الوهاب نخاف على اللملمان وقدعول أن يحمل بنفسه وإذا قد نظر إلى اللملمان وقد ترجل من على الحصان وخطف عامود كان تحت نخذه والتقى أولاد الملك وصاح فى وجوههم وبربر وقد طلع الزبد على أشداقه وظهر وصار كلما وصل إليه قنطارية ضربها طيرها ثم يدرك صاحبها ويضربه بالعامود يخلط لحمه فى عظمه هذا وعقبه يرى ذلك ويقول لاتفعل أيها الملك بل أؤمر العساكر بالحملة فقدهلكوا أولادك على يد هذا العبد الأسود الذى لاقيمة له وأنا أخبر الناس به أنه يريد وحده هذا العسكر كله (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامه اسودت الدنيا فى عينه وصاح فى غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ السوء الذى فتت بكثرة قوله فؤادى ولولاطلعته الميشومة ماهلكوا أولادى ولا دخلوا هؤلاء الشياطين إلى بلادى فعندها تبادرت الغلمان إلى عقبة وقبضوا عليه ولطموه ونزلوا عليه إلى أن احمر قفاه وماتت أذنيه هذا وقد مد الملك عينيه ونظر إلى ما كان من أولاده فرآهم مطروحين يمينا وشمال واللملمان قد عاد إلى جواده وهو يهدر كانه الجمل الهائج هذا ولما أن رأى الملك إلى ذلك حار وأخذه الانبهار وبقى مايدرى ماالذى يعمل بل أنه التفت إلى غلمانه وقال لهم قدموا إلى هذا الشيخ الخرفان حتى أبرد قلبى بضرب رقبته فعند ذلك قدموا عقبة إليه ولما أن صار قدامه سل الملك فى عاجل الحال حسامه فلما أن رأى عقبة إلى ذلك خرجت روحه من بين جنبيه وقال مافى الدنيا أكثر منى فضول لأنى أنصح واشفق على من لايبالى بشفقتى عليه هذا وخواص الملك ينظرون إليه ولا يقدر أحد منهم على سؤاله فيه والملك زاغت مقل عينيه فى أم رأسه (قال الراوى) فبينما الملك على ذلك وإذا بشومدرس قد أقبل إليه وقبل الأرض بين يديه وقال له لاتفعل أيها الملك هذه الفعال فترجع تندم عليه فيما بعد أن يجرى ما يجرى عليه واعلم أن هذا الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح إذا قتلته طارت البركة من أمة عيسى وحرمت النظر إلى وجه المسيح واعلم أن أولادك الذين قتلوا فقد نقلوا إلى دار الرضوان وفى غداة غد يلتقون مع الحواريين ومريحنا المعمدان وأنت ترتع معهم فى رياض الجنان فلا تكدر عليك آخرتك بما تريد أن تفعل بهذا الشيخ فى دنياك ولاتحمل دمه فان عمله يلقاك (قال الراوى) ولم يزل شومدرس بالملك يخاطبه حتى لان جانبه وقال له ياراهب قد قبلت سؤالك فيه إلا أننى بعد أن حصل قدامى لابد أن أقطع منه شىء وحق المسيح مايهدى روعى ولاغضبى فقال شومدرس له أيها الملك ان الرجل لم يبق فيه شىء صحيح عينه مقلوعة ويده مقطوعة وآذانه مجزوعة وأضراسه منزوعة وأصابعه مخلوعة وما بقى له غير رجليه فان قطعت أحدهما تعديت عليه وان ولا بد لك من ذلك فاخصيه فقد فنى عمره وكبر سنه وما بقى يحتاج إلا الخصى ولا بقى له شىء إلى مجامعة النساء فقال عند ذلك الملك لغلمانه

اخصوه وافعلوا ماقال لكم الشيخ المصان شيخ القساقسة والرهبان وعمدة دين النصارى عباد الصلبان لأنه ماهو مثل غيره كثير الفضول والبهتان (قال الراوى) هذا كله يجرى وعقبة ينظر إلى شومدرس ويسمع ما يقول ذلك الهذيان فقال لامساك المسيح بخير ياألف قرنان ياأظرط الشمامسة والرهبان ايش هذه الواسطة الميشومة يانحس الرهبان ترى ياشيخ النحس أنت رأيتنى مع زوجتك شوما فى أضيق مكان حتى أشرت بهذا الرأى المذموم فقال له شومدرس اسكت يامنحوس فقال له عقبه فما كان يكون الاهذا ياديوس يانعسان فقال له شومدرس لولا ان الملك قد حلف ياخرفان ماكان جرى عليك هذا الامر والشان وأنا لااقدر أحنث الملك فى الايمان لأنه صادق فيما يقول من البيان فقال له عقبة حرضه يا كاب الرهبان لالقاك المسيح خير ياشيطان (قال الراوى) وقد دنوا من عقبه الغلمان وبطحوه على ظهره ومسكوه وسلوا منه الخصيان وقد كوواله موضع القطع على الجرح بالنيران وقد أخرجوه من السرادق إلى خيمته وتركوه فيها وهو غائب عن الدنيا هذا وقد باتت العساكر تلك الليلة وهم فى غاية الادبار مافيهم من اوقد نار هذا والملك لم يأخذه قرار بل انه يقول عند الصباح اخرج إلى حرب هؤلاء الفجار وآخذ لروحى بالثار (قال الراوى) هذا وقد نزلت عساكر المسلمين فى مضاربهم والامير عبدالوهاب فرحان بفعال اللملمان ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح عول الامير عبد الوهاب أن يركب فى بنى كلاب والسودان الانجاب واذاهم بعساكر الروم خامدة جامدة عن القتال وقد ضجت القسوس الذين هم والرهبان من حول سرادق الملك وكان دوارنهم انهم يعزوا الملك فى أولاده وفيما أصابه وما كانوا بطلوا ذلك اليوم الحرب إلا للراحة والعزاء فلما أن نظر الامير عبدالوهاب إلى ذلك قال لولاخوفنا من كثرة الرجال والعدد لكنا كبسناهم فى الخيام لأننى ما بقى لى صبر على المقاله ولا على الصدام ثم انهم أقاموا ذلك اليوم فى طلب الراحة هذا وعسكر الروم يموجون مثل موجات البحر الزخار إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أضرموا المسلمين النار وقد أخذوا فى التقديس للملك الديان (قال الراوى) وأعجب مافى هذا السير العجيبة أن عذيبة بنت الامير أبو محمد البطال قد قالت لأمها الملكة نورى فى تلك الليله والله ياأماه ماأنا فى الدنيا وقد قتلنى الشوق إلى أبى واخوتى وقد عولت ألبس زى لبس الروم واختلط بهم وآخذ منهم الاخبار وابصر كيف أخلصهم وان لم تسمحى لى بذلك والاتركتك حتى تنامى وأنسرق أنامنكى وأفعل ماأختار (قال الراوى) فلما أن سمعت أمها كلامها اندهلت وعلمت انها تفعل ماقالت عليه وان لم تأذن لها فى ذلك فقالت لها يابنيه انى أخاف عليكى ان تهلكى لأنكى مالكى خبرة بهذه الاشياء ولا لكى بها عاده وأن كان ولا بد من ذلك فما أخليكى تسيرى الا فى جماعة ثم انها استدعت بعشرة

رجال ممن كانوا يراعو عهد أبو محمد البطال وقد أطلعتهم على هذا الحال فقالوا لها نعم نفعل
هذا الفعال والله كلما تأمرينا به فعلناه لاجل ما للامير أبو محمد علينا من الحقوق والافعال
الملاح والافضال ثم انهم لبسوا زى الروم وأرادت الملكة نورى أن تعلم الامير عبدالوهاب
بهذا الامر فلم تمكنها عذيبة بنت البطال من ذلك وقالت لها ياأماه أخاف أنه مايطاوعنا على
هذا الامر ولا يمكننا من المسير فى هذه الامور ولكن اكتميه عنه ثم ان عذيبه ركبت على
وجهها لحية سوداء مدوره ولبست زى الروم من لبس القتلى وعلقت فى حلقها صليب وركبت
على فرس من خيل الروم بسرج أفرنجى وأخذت فى يدها قنطارية وسارت والرجال العشرة
حولها وهى زى البطارقة (قال الراوى) ياسادة ولما أن نظرت نورى إلى فعل ابنتها عذيبه
احتاجت ان تتبع رأيها وتطاوعها على فعلها فرحا عليها فركبت وسارت معها وقد خرجوا
من العسكر وهو عسكر الاسلام هذا وقد أبعدت بهم عذيبه فى البر وقد رأوا انهم يأتوا من
أطراف خيام الروم حتى لا يفطن بهم أحد من الناس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء
(وأما ما كان) من الملك شمخولص فانه فى تلك الليلة قد أوصى سائر البطارقة بأخذ الاهبه
للحرب والقتال هذا وعقبه مطروح فى مضربه وقد أيقن بعطبه وهو يئن من شدة الالم هذا
وقد سمعت ابنته عقبيه بخبره وماقد جرى له فنزلت من القلعة وأتت إليه ولما أن نظرت الى
حاله جعلت تبكى بين يديه وقد أخذته فى حضنها وجعلت تقبله بين عينيه وتلطم عند رأسه
وعند رجليه على ماجرى عليه (قال الراوى) هذا وقد سمع الملك بنزول عقبيه بنت عقبه من
القلعة وأتت إلى عند أبيها وقد سمع بما فعلت وما جرى لها من الحزن وما نزل عليها فندم
على مافعل به وقام فى جماعة من خواصه ودخل على عقبه وجعل يعتذر إليه ويقول يا أبونا
اجعلنى فى حل مما فعلت معك واسأل المسيح ان لا يؤاخذنى لأنى عند غيظى ما أرجع أبصر
ما بين يدى ولا ما قدامى أبدا ولا أبصر شىء ولا يبقى لى عقل فقالت له عقبيه وحق المسيح
لا لقيت خير ولا تشفع فيك راهب كنيسة ولا دير لأنك قد بعت آخرتك بدنياك واتبعت فى
هذا الشيخ نفسك وهواك واليوم لو كنت انا حاضرة هذا الامر لقد دبرت على هلاك المسلمين
ولو أن أبى واختى ماهو راضى عليك لكان هذا فى هذه الليلة يكون كسر هذه العساكر كلها
(قال الراوى) فما تمت كلامها حتى فتح عقبة عينه الصحيحة وقال لها يابنيه أنا أسألك بحق
المسيح وبحق شيبتى عليكى ان أنا مت فما عليكى وصية إلا أذية المسلمين والمجاهدة فيهم بكاملها
تقدرين عليه وأما هذا الملك فقد غفرت له ما كان لأنه من خيار عباد الصلبان ولو قطع من لحمى
كل يوم قطعة وهبت له ذنبه وكلما كان منه وأما المسلمين فلو أنهم فعلوا معى من الجميل ما فعلوا
ما أرحم أحدا لا أبيض ولا اسود ولا غفرت لهم ولو قبلوا أسافل رجلى والساعة يا ابنتى بحياتى

عليكي ان كنتي تقدرى على ضررهم فافعلى وطيبي قلبى بذلك من قبل أن أشرب كاس المهالك وان قدرتى على البطال لاتبقى عليه أبدا وكذلك ذات الهمة فقالت له عقبية سوف ترى ياأبتاه ماأفعل بهم واعلم أن بك يتم لى عليهم العمل ثم قامت الملعونة من وقتها وساعتها شدت على بعض بغال الملك وشالت أبوها عليه وقد لبست فى زى مكارية الروم وأمرت الملك أن يرسل معها ألف فارس من خيار بطارقته وقالت له اعلم أيها الملك ان وقع فى يدى الليلة أحد من المسلمين حملته إلى قلعة السها ويكونوا عندى أسارى حتى يهدى أبى من مرضه ويفعل بهم مايريد وانى أريد منكم أن تكونوا على أهبة وان توصى مقدمين العساكر انهم لاينامو ا وإذا أتاك الخبر منى فاكبس عساكر المسلمين فانى أكون فى ذلك الوقت أخذت أمراءهم مثل ماأخذت الأميرة ذات الهمة وأمراءهم وملكت ساداتهم فتكبسهم انت على أثر ذلك فما أصبح الصباح ويبقى منهم ديار ولا نافخ نار فقال لها الملك وان قدرتى انتى على هذا الرجل الأسود الذى قتل أولادى فاتينى به حتى أشفى منه فؤادى فقالت له السمع والطاعة أول ما آتيك به أسير (قال الراوى) ثم انها بعد ذلك سارت تطلب عسكر الأمير عبد الوهاب وقصدت إلى سرادقه وقد استدلت عليه بالنار بعد ماانفذت البطارقة إلى مكان تعرفه وأمرتهم أن يكونوا بعيدا من العسكرين وسارت الكافرة الملعونة مثل الشيطان والشيطانة بنت ابليس وكان الأمير عبد الوهاب فى تلك الليلة جالس فى مضربه والدلمان عنده فى جماعة من الفرسان وهم حواليه وهو يقول لهم والله انى مشتاق إلى أخبار أمى وولدى ظالم وكنت أشتهى أن أسمع ماجرى لهم (قال الراوى) فبينما هم مع بعضهم فى الكلام وعقبية قد وصلت إليهم وعلى الأمير دخلت وسلمت عليه ووضعت أبوها بين يديه وقد بهتوا منها عصابة الاسلام وقالت للأمير عبد الوهاب يامولاى تسلم هذا الشيخ الكافر الكذاب نسل الحرام ثم عاونى على خلاص الأحباب فقال الأمير عبد الوهاب فمن أنتى من الأنام فقالت أنا عقبية وهذا والدى عقبة واعلم أنه جرى لنا أمور عجيبة ياابن الكرام (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير منها ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال لها أطلعينى على هذا الحال وجميع الأمور وفسرى على هذا الكلام فقالت له اعلم يامولاى أن ولدك الأمير ظالم دخل خلف الأميرة ذات الهمة إلى هذه الديار وكانت أمك فى قبضة هذا الشيخ الغدار فالتجأ بها إلى هذه القلعة وان ولدك الأمير ظالم أقام عليها وحاصرها وكان فيها قليل من الروم والملك قليل الرأى والتدبير ولم يزل الأمير ظالم حتى أخذ القلعة وخلص سته الاميرة ذات الهمة ووقعنا نحن فى يده أسارى أنا وأختى وعمتى وهرب أبى وصاحب القلعة من باب البحر وكان أبى عذب والدتك عذابا شديدا فأخرجوا غبتهم فينا ثم انهم قدموا عمتى عاقبة وذبحوها بعد أن أعرضوا عليها الاسلام

نأبت ذلك وكذلك أختى عقيبة فلما أن قدمونى أنا فتح الله لى باب الهدى وقد آمنت بالعلى الاعلى وكان سبب ذلك ولدك ظالم لانى نظرته نظرة صابت فؤادى وقد منعتنى رقادى. فأسلمت حتى انى أتزوج به وأمك الاميرة هى التى أوعدتنى بذلك يامولاى وما أقاموا الامراء بعد هروب والدى غير عشرة أيام فى القلعة بقدر ماأخذوا لهم راحة واخرجوا من القلعة الاموال والرحال وقد عولوا على الرحيل إلى بلاد الاسلام (قال الراوى) فبينما هم معولين على الارتحال وإذا بالبحر قد استد بالمراكب وهى موسوقة بالرجال والبر قد امتلأ بالمواكب وخلق لاتحصى بعدد الرمل والحصى وكان سبب ذلك أبى لانه دخل إلى الجزائر ونفر مافيها من العساكر وقد حث هذا الملك على الغزو إلى بلاد الاسلام وخرج فى هذه الخلائق العظيمة. التى لاتحصى فوجدا أبى قد ملك عليهم باب القلعة فى خلق كثير من البطارقة والعلوج المارقة فلما أن نظروا الامراء إلى هذا العسكر الكثير فبذلوا المجهود وقاتلوا قتالا يشيب منه المولود وقد سلموا أمورهم للملك المعبود وهو الحى القيوم الموجود وأما الاميرة ذات الهمة والدتك فانها أدركت لابى هذا الكافر وقد اشتد منها عليه الحنق والغضب وضربته بسيفها طيرت يده من حد المرفق وهربوا الباقين الذين هم حجزوا بيننا وبين القلعة ودخلنا نحن إليها ولما أن حصلنا فى القلعة دام علينا الحصى وقد ضربوا الروم القلعة بالمنجنيقات ليلا ونهار وما زالوا على ذلك الحال حتى وقعت منها الابراج كلها والابدان وملكونا عبدة الصلبان وأخذ أبى بثاره من السودان الانجاب ووقعت أنا فى يده وكان علم باسلامى فواضب على بالعذاب. حتى انى أشرفت على الهلاك والذهاب فمن شدة ماجرى على تلافيت قلبه وضحكت على لحيته وقلت له ياأبتاه لاتؤاخذنى بما كان منى واعلم أن المسلمين قد لعبوا بعقلى حتى خرجت من دينى وهاأنا الآن بين يديك تائبة إلى المسيح مما كان منى إليك فلما أن سمع أبى منى هذا المقال فرح وما أخذ منى مقالى على بال ثم انه قال لى كلى لحم الخنزير وكان معه شومدرس اللعين فما فيهم إلا من سل سكينه على وهددونى بالقتل فأكلت منه وقد فعلت ماأمرنى به أبى. وقلت فى قلبى قد علم الله نيتى والاعمال كلها بالنية وانى مافعلت هذا الامر إلا من غير اختيارى أيها الامير وانى لما فعلت ذلك عاد قلب أبى صفالى وقد كنت أنا وإياه فى دار مفرده وكان فى كل ليلة يعذب أصحابكم ويشرب الخمر حتى يقع من السكر مثل القتيل وأنا فؤادى يتقطع مما أرى ومايمضى ليلة إلا وأهم أن أذبحه وما زلت على ذلك الحال حتى وصلتم فى هذه الايام. وسمعت بكم فلما ان علمت ذلك وأيقنت ببلوغ الآمال وقلت انى أهرب وأسير إلى عند اخوتى المسلمين وأقيم عندهم إلى أن ينكسروا هؤلاء العساكر الذين للكافرين وينالون المسلمين من الله الظفر والنصر إلا أنى قد خفت منكم انكم ماتصدقونى فى إسلامى لاجل مافى.

قلوبكم من الحرارات ثم ان ابى قد شرب فى هذه الليلة حتى سكر فقمت إليه من حنق عليه ثم مسكته من ذقنه وخنقته حتى حسيت بنفسه يتردد ورأيت الخمر وقد طلع من حلقه فقلت لنفسى مالى إلا أن أحمله إلى الامير عبد الوهاب وأعرفه بما جرى من الامور والاسباب فخفت أنه يفيق فى الطريق ويلق على النفير فسليت هذا البغل وفتحت الباب وخرجت فى هذا الليل وقدمت على هذه الاهوال إلى أن وصلت إليك وحصلت بين يديك فدبر شىء يعود نفعه عليك واعلم يامولاى أن لو كان معى جسارة كنت خلصت جميع الاسارى من القلعة ولكن خفت أن يفطن بى أحد فأهلك والآن فباب القلعة مفتوح وهو مردود فليقوم الآن بعضكم وقد خلصوا الأسارى من القيود (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب من عقبية هذا الخطاب ورأى عقبة وهو فى تلك الأحوال فقال لمن حوله هذا والله شىء لم يكن لنا فى حساب الذى فتح الله عن قلب هذه الجارية قفل الشرك وهداها للاسلام والساعة ما بقى فى الأمر الا أننا نسير معها إلى القلعة ونخلص أصحابنا مادام أن باب القلعة مفتوح ونعود إن شاء الله تعالى قبل الصباح ثم ان بنت عقبة وثبت وأيضا وثب الأمير عبد الوهاب هو والملمان وولده ضيغم وتمام العشرة من الفرسان وشدوا عليهم السلاح وعزموا على الرواح فقالت عقبية يامولاى لاتسيروا إلا رجالة فى زى مكاريه الروم وأنا آخذكم من الطريق الذى جئت منها حتى يكون ذلك أخفى لكم ولأموركم ونكتم سركم فقبلوا رأيها وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا هذا وعقبية بين أيديهم سائرة حتى خرجت بهم من العسكر وطلبت بهم الوادى الذى فيه الروم مكمنين وكانوا هناك السكنا قاطنين وقد مضى عند ذلك أكثر الليل وهم سائرين وما أحسوا بنفوسهم إلا وهم فى وسط الأعداء كلهم واقعين فصاحت عقبية فى البطارقة وقالت لهم خذوهم فتبادروا عند ذلك إلى المسلمين من كل جانب ومكان وقد جردوا عليهم القواضب هذا ولما أن رأت الأمراء إلى ذلك فردوا أيديهم إلى قوائم السيوف فما لحقوا أن يسلوها حتى وقعوا عليهم البطارقة والعلوج المارقة وصاحوا على الأمير عبد الوهاب وعلى من معه من الاصحاب وتزاعقوا وقبضوهم قبضا باليد وقد وقعت بهم الدهشة وجرح بعضهم (قال الراوى) ولما أن تمكنت عقبية منهم صاحت عليهم وقالت لهم كيف رأيتم هذه الحيلة والمكيدة التى فعلتها بكم ياشياطين الارض وحق المسيح ابن مريم لاصلبنكم كلكم الا مع أصحابكم ثم انها أخذتهم وشدتهم على ظهور الخيل وسارت بهم عرضا وقد أخذت معها من البطارقة عشرة وأرسلت الباقين إلى الملك ثم انها قالت لهم عرفوا الملك بما قد جرى وقولوا له ان يكبس المسلمين الليلة والدنيا خامدة فما عندهم من يخشاه واخبروه بأن أبى مطروح فى سرادق الامير عبد الوهاب فلا يكون لكم قصد الا خلاص الشيخ

النجيح وها أنا ماضية بهؤلاء الاسارى إلى القلعة وأحبسهم فيها إلى أن تنفصلوا من هذا القتال ويخلص أبى ويتعافا من هذا الامر ثم نفعل ماتريد كما جرى الشرط بيننا ثم سارت الملعونة وهى تضحك طالبة إلى القلعة من خلف عسكر الروم والافرنج والامراء حائرين من فعالها وقد خافوا على عسكر المسلمين هذا والامير عبد الوهاب يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويقولون والله ماسبق هذه الملعونة أحدا فى فعالها هذا وقد غلبت أبوها عقبة فى أفعالها (قال الراوى) هذا ماكان منها (وأما ما كان) من البطارقة الذين هم كانوا مكمنين لما أن فارقوها ساروا إلى الملك وأخبروه بما تم لهم من الاحوال وكيف قبضوا على الامير عبد الوهاب وذلك العبد الاسود الذى قتل أولاده المسمى باللملمان ومافعلت بنت الشيخ النجيح عقبه من الفعال وكيف قبضت على الاميرعبد الوهاب واللملمان فطار عقل الملك من الفرح وقد زال عن قلبه الترح وقال وحق الصليب ودير المحمه والقليب ماهذه الجاريه وابوها الارحمة فى الأرض من قبل المسيح وقد جعلهم لامته مساعدين ثم أنه أمر النقباء أن يدوروا على الملوك وان يأمروا ما تحت أيديهم من عساكر الروم كلها أن يركبوا ويكبسوا عساكر المسلمين وسارت النقباء وقد داروا على الملوك ومقدمين العساكر وامروهم بما قال الملك شمخولص من المقال فلما أن سمعوا العسكر بأمر الكبسة على عساكر المسلمين فركبوا الخيل فى ظلام الليل وقد ماجت عساكر الروم شرقا وغربا فلما سمعوا عساكر المسلمين الضجة فنادوا إلى بعضهم البعض لأن الامير عبدالوهاب كان قدأوصاهم قبل رواحه مع عقبيه أن يكونوا على أهبة منهم (قال الراوى) فلماأن سمعوا تلك الضجة قالوا لبعضهم البعض ياقوم تأهبوا الحرب ولاشك أن الروم يريدوا أن يكبسونا فى ظلام الليل وماأخوفنا أن هذه الفعلة التى قد فعلتها بنتعقبه تكون حيلة منها وقد تمت حيلتها على الأمير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب فصاح فيهم الامير على بن مبارك وكان أفرس بنى كلاب واكثرهم دين وخوف من رب العالمين وقال لهم يابنى الاعمام حاموا عن دينكم واحموا نفوسكم وقاتلوا فى طاعة ربكم واعلموا أنكم غربا فى هذه الديار ومالكم أنصار ولامعين سوى الملك الجبار الواحد القهار فهو الذى ينصركم على عصبة الكفار فلا تحدثوا أنفسكم بالهرب والفرار فتهلكوا كلكم ويقضى عليكم الملك الجبارفاثبتوا ولاتبيعوا الجنة باطباق الناراعلموا أن مالكم من الهرب والذهاب من سبيل ولا كل من هرب منكم يجد له من حياض الموت مقيل ولا ينفعه الفرار ولايسلم اذا طلب الديار لأن الديار بعيدة ولا أحدا معه علف ولازاد فالله فى الجهاد خالص مخلص (قال الراوى) ولم يزل الامير على الكلابى يوعظهم بهذا الوعظ حتى تواثبوا إلى ظهور الخيل بنيات صادقة

وقلوب إلى الجهاد شائقة وماهم الا أن ركبوا وخرجوا من الخيام حتى دهمتهم مواكب اللئام وانطبق عليهم من كل جانب ومكان وتدفقت غساكر الكفار مثل موجات البحر الذخار وطلع الغبار حتى زاد الليل سواد واعتكار وأخذوا الروم عليهم سائر الطرقات وارتفعت الضجات وعملت المرهفات وعظمت البليات وتباشرت المجاهدين بالجنات هذا وقد زادت الغبائر من شدة الظلمات المرتفعات وطال على الناس الليل وكثر البكاء والويل فكانوا كما قال فيهم بعض واصفيهم هذه الابيات

ليل يشيب من هوله الشباب ... وشجاعه لايهتدى لضرابه
وترى رؤس رجاله قد نثرت ... فوق الثرى. ودماءهم كسحاب
والسيف يعمل والرماح سوارع ... والخيل تشكو شدة وعذاب
هذا وقد ضرب الغبار عليهم ... من فوق رؤس الكل مثل ضباب
هذا يئن من الجراح ويشتكى ... بعد الديار وفرقة الاحباب
ورفيقه يبكى على أولاده ... ودماؤه سالت على الاثواب
ولهم صياح قد علا وتنافرت ... من عظم صرختهم اسود الغاب
والمسلمون نفوسهم مسرورة ... قد نالوا الحسنات بغير حساب
يدعون عند الحرب يال محمد ... كى تعرف الاصحاب للاصحاب
والمشركون قسوسهم فى غفلة ... تتلو من الانجيل غير صواب
يدعون مريم والمسيح ويكثروا ... اشراكهم بالواحد الوهاب
والكل ينتظروا الصياح وبينهم ... طعنا يشيب رأس كل شباب
والله ينصر من يشاء بفضله ... من عصبة المختار والتواب

(قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى مضى الليل الحالك وأقبل الصبح الضاحك وقد حققت الحقائق وبانت العوائق من الطوارق فما أصبح الصبح إلا والمسلمين فى نزع لاجل مالاقوا من شدة الفزع وقد تقهقر البطل الشجاع لما انخذل منه الساعد والذراع وصارت الارواح فى سوق الهوان تباع وكان السيف شارى والرمح يباع فصار هذا للضراب وهذا للاندفاع وتكركبت فى ذلك البقاع وقتل كل بطل وضاع وكثر الجراح فى الشجاع ولا بقى به انتفاع هذا وقدموا الروم إلى المسلمين وارموهم إلى الخيام وقد قلت منهم الحركات وأيقنوا بالشتات وضاقت فى أعينهم الفوات ولاقوا الويل من الثبات وقد أرادوا الانفلات (قال الراوى) فبينما المسلمين فى أضيق الحالات واذا هم بأصوات من خاف عساكر الروم مختلفات

ومرتفعات وفرسان قد أقبلت مثل السباع الضاريات وكانوا لما أن وصلوا إلى موكب الملك شمخولص كبروا وحملوا وأشهروا السيوف ونزلوا بها على الكفار والوقوف وقد طعنوا برماحهم فى القلوب والصدور وقد طعن واحد منهم صاحب العلم الكبير فاقلبه وصاح آخر فى الملك شمخولص فأرعبه وقد فرقوا البطارقة من حول موكبه وضربه بلت حديد كان معه فكركبه عن موكبه وقد وقعت عند ذلك الدهشة فى الروم وانفرجت الغمة عن حزب الحى القيوم لان البطارقة قد لذوا المسلمين إلى الخيام ولما أن سمعوا الزعقات عادوا على الاعقاب وعاشت منهم الارواح الذى هم بنى كلاب والسودان الانجاب لما أن عادوا الروم عنهم وهم على مثل ذلك الحال وقد تبعوا الروم بضرب يقد وطعن يهد الاصلاب ذلك اليوم ويشيب من هوله الشباب وقد صاروا يضربون الروم ويصنتون للأصوات التى قدخرجت على الروم وزاحت عنهم هذه البليات وإذا بها مرتفعات بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وفى جملتها الامير عبد الوهاب سيدبنى كلاب وفى جملة الاصوات صوت الاميرة ذات الهمة والامير ظالم وأخوه ضيغم وأبوا محمد البطال ومن معهم من الاصحاب وقد نكسوا الاعلام والصلبان وشرعوا فى قتل طوائف الطغيان الكافرين بالرحمن (قال الراوى) ياسادة وكان السبب فى ذلك الامر والشان وهو أن الاميرعبدالوهاب لما أن تم عليه وعلى أصحابه ماتم من حيلة عقبية بنت عقبة وأخذتهم وسارت طالبة القلعة بعد ما أرسلت إلى الملك شمخولص تعلمه أن يكبس المسلمين وسارت لما أن أشرفت على القلعة فرأت بين يديها أشباح وحس خيل سائرين فأسرعت عقبية إليهم وقد سألتهم عن حالهم بعد أن وصلت إليهم وقربت منهم فقال لها واحد منهم نحن أرسلنا الملك ندور من حول القلعة احترازا على من فيها من المسلمين لايهربوا لانه قدعرف أشغالهم وعاين أعمالهم فقالت له عقبية دع الملك يفرغ قلبه من هذا الوجه فقد وقعوا المسلمين مع من لا يرحمهم ولايتوانا عنهم وهاأناقد أتيت بباقى أمراءهم وساداتهم فقال لها المتكلم ومن أنتى فقالت له أنا عقبية بنت عقبة وقد احتلت على أمراء المسلمين وهم عبد الوهاب وولده وعشرة من باقى أصحابه فاقصدوا معى إلى القلعة حتى ترون الليلة مايحل بهم من العذاب (قال الراوى) فلما سمعوا الفوارس منها ذلك الكلام تفرقوا ثلاث فرق وما فيهم من صاح ولا نطق بل طعن كل واحد منهم بطريق من الروم فارداه هذا والمقدم عليهم قد طعن عقبية فى صدرها أخرج السنان يلمع من ظهرها ولما أن هلكوا البطارقة تقدموا إلى الأمراء وحلوهم من الحديد والكتاف (قال الراوى) وكان الذى فعل هذا الفعال كله بنت الامير أبو محمد البطال

ومعها تمام العشرة أبطال كما ذكرنا وكانت لما أن خرجت من عساكر المسلمين أتت بهم حتى تتسبب فى خلاص أبيها فاتفق لها هذا الاتفاق وجرى لها ماجرى وحلت الامراء من الوثاق هذا كله يجرى والامير عبد الوهاب حائر من هذه الاسباب حتى دنت الملكة نورى من الامير وعرفته بالحال وقد أخبرته بفعال عذيبة بنت البطال فعند ذلك شكر الملك المتعال على هذه الاحوال وقال من يكون أبوه البطال وأمه نورى بنت عين المسيح مايخيب فيما يفعله من الاشغال ثم ان الامير عبد الوهاب عول أن يعود إلى عسكر الروم حتى ينظر مايكون منهم لايكونوا قد عولوا على كبس المسلمين فقالت لاوحق محمد بن عبد الله لانعود حتى نطلع إلى القلعة ونخلص أبى الامير أبو محمد البطال ومن معه من الرجال فقال لها الامير عبد الوهاب وكيف تقدرين على هذا الحال وكيف تصعدين إلى هذه القلعة فقالت له سوف ترى العجب منى أيها الامير (قال الراوى) ياسادة ثم ان عذيبه أخذتهم وسارت بعد أن ألبستهم الثياب الذى كانوا على البطارقة ولبست هى الثياب التى كانت على عقبية ثم انها بعد ذلك سارت وخلفها عشرين فارس من أهل الايمان والجميع فى زى الروم وعليهم لبس ملة أهل دين الصلبان وقلوبهم ملآنه إيمان (قال الراوى) وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى القلعة ولما ان صاروا عند الباب نادت عذيبه بالحراس والبوابين وقد قالت لهم بالرومية ويلكم أمروا البوابين أن يفتحوا الباب فأنا عقبية بنت عقبة الشيخ النجيح ثم وقفت ساعة وإذا بالباب قد فتح وخرجوا أهل القلعة إلى استقبالهم فدخلت عذيبه وأدخلت الامراء من خلفها ولما أن صاروا من داخل الباب جذبت عذيبه عنان فرسها وقالت للروم ائتونى بهؤلاء المسلمين الذين هم عندكم محبوسين لأن الملك قد عول فى هذه الليلة على ضرب رقابهم وعند الصباح نرمى برؤسهم إلى أصحابهم وكل هذا برأى عقبة أبى حتى يهد ركن الموحدين أعداء الدين (قال) فلما أن سمعوا البطارقة ماقالت عذيبه فرحوا الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وقد تبادروا إلى المطمورة من وقتهم وساعتهم وأخرجوا الامراء منها وقد ساقوا من تبقى من العرب والسودان وأتوا الجميع قدام عذيبة هذا والمشاعل تقد فنظروا الاحباب إلى الاحباب وقد تحرك ما فى القلوب من الاشتياق والاكتئاب فعند ذلك قامت عذيبة إلى أبيها البطال وجعلت تفرك أذنه وتقول له بالروميه ويلك ياقرد المسلمين كم تقدم إلى ضرب الرقبه والصلب وتخلص ويؤخر المسيح فى أجلك هاقد دنا غورانك وخراب ديارك هذه الذى كنت فيها وعند الصباح تنقطع آثارك وترمى رأسك مع جملة الرؤس إلى هذا العسكر الذى قد دخل يريد خلاصكم ثم انها لطمت رأسه فاغتاظ البطال من فعالها وقال لها والله ياخائنة يافضلة الرهبان وبنت ألف قرنان لئن أخر الله فى أجلى لاريكى ماأفعل بكى وكيف يكون العذاب فلما سمع الامير عبد الوهاب

من البطال هذا الخطاب ضحك من هذه الامور والاسباب وماجرى فى هـذا المكان ثم ان عذيبة قد صاحت عند ذلك فى البطارقة الذين فى القلعة وقالت لهم ياويلكم علقوا سيوفكم فى رقاب هؤلاء المسلمين ثم سوقوهم قدامكم بالعصى والحراب حتى يشتفى منهم عند الصباح قلب الملك شمخو اص وهم فى العذاب ففعلوا البطارقة ماقالت لهم عذيبة عليه وقد شالوا السيوف من رقابهم ووضعوها فى رقاب المسلمين وقادوا بها المأسورين فعندها نادت عذيبة فى الامراء وقالت لهم دونكم وهؤلاء الملاعين الكفار وطيروا رؤسهم بالسيف البتار فعند ذلك تواثبوا الامراء كأنهم الاسود ووقعوا فى أهل الكفر والجحود وقد كبروا وذكروا اسم الملك المعبود الذى ليس له ولد ولا مولود خالق الخلق ومدبر الوجود الذى أنبع الماء من الحجر الجلمود (قال الراوى) هذا وعذيبة قد صارت تحل كتافات المأسورين واحد بعد واحد وتقول لمن تخلصه جرد سيفك الذى أنت مقلده فى رقبتك ودونك والروم الكفار ولم تزل تطلق المأسورين حتى أتت إلى آخرهم وكانت الاميرة ذات الهمه والامير ظالم وأبو سكران والعرب كلهم والسودان وأبوها الامير أبو محمد البطال واخوتها مذبحون والحصين وقد اجتمعت نورى بزوجها البطال وقد تشاكيا من ألم الفراق هـذا والامراء فى القتال كلهم إلا البطال ما قاتل لأنه صار مع نورى فى الكلام وما زالوا كذلك إلا ان كان وقت السحر فهديت حركات أهل الحصن وظهرت السخطه على روح من كفر بالله ولما أن فرغوا من هـذه الامور عادوا الامراء والمسلمين جميعهم مستبشرين بالنصر والظفر على من كفر هذا والاميره ذات الهمه تقبل ولدها عبد الوهاب وتقول له سبحان من جمعنا بعـد طول البعاد وقد جرى علينا فى هذه النوبه مايشيب رؤس الشباب ثم انها عرفته بمـا جرى عليهم وعلى من قتل من بنى كلاب والسودان (قال) وما كان من الكل افرح من الامير أبو محمد البطال بابنته عذيبة فجعل يقبلها ويقول لها متى تعلمتى هذا الاحتيال ومن علمك بفرك آذان أبوكى البطال هذا ونورى تضحك من هذا الكلام وهو يقول انتى وأمك تغلبي البطال هذا ونورى تحدثه بما كانت عذيبة ابنته تفعله فى بلاد الحجاز (قال الراوى) ولما أن تمت لهم هذه الأفراح قال لهم الامير عبد الوهاب سيروا بنا من قبل أن يحدث حادث على أصحابنا من الكفار لأنهم قد بقوا كالغنم بلا راعى ثم انهم ركبوا وركبت السودان والاميره ذات الهمه والامـير ظالم وباقى العربان ونزلوا من القلعة على الخيول مثل العقبان وقـد ساروا بقلوب قد امتلأت بالفرح وكان اشرافهم على العسكر وقت بداة غرة الصباح فرؤا مواكب الروم قد لزوا بنى كلاب إلى الخيام والاطناب والسيف يعمل فيمن دنا أجله ويعمل فيهم وهم يستغيثون إلى رب الارباب ومعتق الرقاب (قال الراوى) ولما أن نظر الامير عبدالوهاب ذلك كشف رأسه

ونادى الله أكبر وهللوا وراء المجاهدين وقالوا هلكوا والله المجاهدين وتحكموا فيهم الكافرين قدونكم أنتم وموا كب الملك نقتله ونكشف عن أصحابنا هذه الغمة ثم حمل الامير عبدالوهاب والاميرة ذات الهمة وحملوا كل المجاهدين فى طاعة رب العالمين وقتلوا الملك شمخواص واهلكوا صاحب العلم وانهزموا ولما أن نظرت الروم إلى ذلك خرجوا من الخيام وقد انفرجت الكربه وتبعوهم المسلمين إلى الخيام بالضرب هذا وقد أخذت الروم الدهشة وغلت ايديهم وانكسروا من كل جانب ومكان واعان الله أهل الايمان على الكفره أهل الطغيان (قال الراوى) وكان للملك شمخولص أخ يقال له فدعيلص وانه لما أن رأى إلى هزيمة العسكر خاف على مملكته من بعض الملوك ان يسبق ويملك عليه الجزيرة التى هى أعز هـــذا الاقليم فسار فى نصف العسكر يطلب حصن القمر وترك الخيام والمال والرجال والاثقال وكلما كان لأخيه وايضا خيامه وسار وترك السيف يعمل فيمن بقى من الروم ولم يزل القتال بعد هزيمة أخو الملك عمال إلى وقت الظلام هـــذا وقد ملكوا المسلمين الخيام والسرادقات كلها وقد خلت الأرض من الكفرة اللئام هذا وقلب الأمير عبد الوهاب على القاضى عقبة ملآن ولايدرى ما كان منه وقد ذكرنا أنه كان فى خيمة الأمير عبد الوهاب وهو ملقى على ظهره وهو يئن من قطع خصاه فلما ان رأى ذلك الحال شد روحه وقام على حيله وحمل نفسه وعزم على الرواح والهرب خوفا على نفسه من العطب فرأى عساكر الروم قد هلكت ولا أحدا يعقل على أحد وقد طلب كل واحد هواه ولما أن رأى عقبة إلى ذلك قال فى نفسه أين تروح ان هربت ماأقدر على الهروب وربما يصدمنى بعض الخيل فيقتلنى ومالى قوة ان ادفع عن نفسى ومافى الأمر إلا أن أعود إلى المكان الذى كنت فيه واقعد موضعى فى المغرب وأقيم فيه حتى يملكون المسلمين هذه الأرض وأعود أتخلص بعد القتال على أعقاب النهار كما أحب وأختار ثم انه عاد إلى المضرب الذى كان فيه وقعد والناس مشتغلين عنه بالقتال والحرب والنزال ولما أن انصرفت العساكر وتم الحال عاد الأمير عبد الوهاب إلى المضرب فوجد القاضى عقبة قاعد مكانه وهو خائف من العطب ففرح وقال والله لقد حرت فى قصة هذا الملعون وان قتلناه فهذا مالا يكون وها نحن بلغنا المنى فقالت له الأميرة يا ولدى ولم لاتسير إلى بلد القسطنطونية فى طلب الجهاد ونبلغ من صلب هذا الملعون المراد فقال لهم أبو محمد البطال هذا هو المراد وهو رأى صواب ونصلبه ونعود إلى أرض الحجاز ونقيم حتى تفنى منا الأعمار ويدركنا الموت الذى حكم به الملك الجبار ويفعل الله مايشاء ويختار (قال الراوى) فلما أن سمع الامير عبد الوهاب من البطال ذلك المقال أمر العساكر بأخذ الاهبة للرحيل بعد ثلاثة أيام ولما ان لموا الاسلاب والعدد المبددة ولموا الخيل المشاردة وقد واروا القتلا الممددة

الراقدة وبعد انقضاء المدة أمر الامير بالرحيل وسارت وسار الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الانجاب بعد أن حملوا جميع من كان هناك هذا وأبو محمد قد شد الملعون عقبة على بعض الخيل وقد تعاهده بالمأكول والمشروب ووطى تحته من اللبابيد حرصا عليه منهم ان يبلغوا منه المطلوب وتذهب عنهم البؤس والمضره والكروب .

(قال الراوى) ولم يزل الامير عبد الوهاب يقطع المراحل ويطوى المنازل إلى أن بقى بينه وبين القسطنطونية يومين أو ثلاثة فجعلوا أهل الرساتيق والبلاد يجفلون من هذه العساكر القادمة عليهم إلى أن وصلوا إلى الملك الفالوغص وأخبروه بالخبر وقالوا له ان الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وعساكر الاسلام علينا قد ظهروا من أقليم قلعة السها وقد سمعنا ان الشيخ النجيح معهم مقطوع اليد والخصا وقد أتوا به إلى ههنا ليصلبوه على باب الذهب

(قال الراوى) فلما أن سمع منهم الملك الفالوغص قامت عليه القيامة على ماحل بعقبة شيخ الضلالة وقال وحق المسيح قتل الشيخ النجيح فى هذه الايام ثم نادى فى جميع الروم بجميع العساكر فاجتمعوا وخرجوا فى عالم عظيم وقد ركبت سائر ملوك الاقاليم وركب غيلان الشوك المنحوس فى سودانه الذين تنصروا معه وقد تنعموا وكذلك غيلان الشوك قد سمن وغلظ إلى أن بقى فى قدره الاول ثلاثة أمثال وصار كانه فيل أسود قدر ثلاثة من السودان الكبار وعرضت أكتافه وقويت أطرافه بمداومته على أكل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير هذا وقد اجتمعت جميع الملوك والعساكر فى ذلك اليوم من القاع القريبة ومن السودان ومتنصرة العربان (قال الراوى) ولما أن كان من الغد ضحى النهار أشرفت عساكر الامير عبد الوهاب وما فيهم الامن فتح فاه وكبر وقال الله أكبر واجل واعظم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وقد رفعوا أصواتهم بالصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد البشر صلى الله عليه وسلم هذا ولما أن نظروا الكفار من الروم إلى ذلك العساكر القادمة فطلبوا النصر من المسيح فكادت الارض فى تلك الساعة من كثرة الضجيج أن تميل وتتمهد من ضجيج الطائفتين وركض الخيل والجبال كادت أن تنقلب من الصياح ومن صراخ العسكرين هذا والمسلمين قد وصلوا إلى قريب البلد ونزلوا وضربوا الخيام ولما أن رأى الملك الفالوغص إلى هذا الحال ورأى نزولهم عليه قال هذا جيد لنا دع يأخذون القتال حتى تأتى عساكرنا والابطال وتأتى إلينا النجدة من كل مكان هذا وقد قامت عساكر الاسلام فى الخيام ذلك اليوم حتى أنهم نالوا الراحة من التعب واستراحت الخيل من النصب ولما أن كان من الغد تارت الابطال للحرب وقد اشتاقت إلى القتال وحنت الخيل للمجال هذا وقد رجف قلب الجبان الخائف لما أن اصطفت الفرسان ورفعت الاعلام وجالت الخيل فى الميدان وقدارتفع

القتام وقد حرضهم الامير عبد الوهاب على القتال وأحماهم بالكلام وجعل يقول هاها يابنى الاعمام جولوا فى هذه النوبة لله وجودوا الصدام فى سبيل الحى الذى لاينالم لعلكم تبلغوا من صلب عقبة المرام ويصدق فيه قول سيد الانام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام هنالك حملوا بنى كلاب بنيات صادقة صحاح القلوب وتوكلوا على علام الغيوب وأكثروا فى تلك الساعة التكبير والصياح ونادى البترك أيضا فى طوائف الروم وقال لهم بارك المسيح فيكم احملوا وخلصوا الشيخ النجيح وحاموا عنه وعن دينكم فقدطال ما كشف عنكم الشدائد ونصر الولد والوالد وان مكنتم المسلمين من صلب عقبة على باب الذهب يكون قد صدق عبد الوهاب فى منامه الذى قاله فان المسيح عليكم يغضب ويحشركم يوم القيامة مع المسلمين والعرب

(قال الراوى) فلما سمعت الروم كلام البترك حملت الطائفتين واختلطت المواكب بالمواكب وقد تمايلت الأبطال فى السروج وصار العرق بالدماء ممزوج وعز على الجبان الخروج وقد خيل للناظرين أن الدنيا ترتج من كثرة المواكب ولمعت الأسنة فى الغبار وحكم الصارم البتار واستوت فى تلك الساعة العبيد الأحرار ولم بقت تعرف المسلمين من الكفار إلا بالصلاة والسلام على المختار (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل حتى صار آخر النهار وتضعضع جيش الكفار ولولا غيلان الشوك وسودانه لكانوا قد ولوا وهربوا إلى البلد إلا أن غيلان اللعين قد فتك فى المجاهدين الأخيار وسطا على أمة محمد المختار فبينما هو كذلك وهو يلعب بمهج الرجال والابطال ويمدد الرجال على الرمال إذ التقت به الاميرة ذات الهمة وهو يقاتل فى المسلمين وقد أعجبته نفسه فأشار ينشد ويقول :

أنا غيلان الشوك زاد سعدى ... وقد علا بين الانام مجدى
لا أرهب الابطال يوم حرب ... والناس تعرف ساعدى وزندى
أضرب بالسيف لكل مسلم ... ولا أبقى على من هد مجدى
وعبدت المسيح أنا وجندى ... من أولاد حام كرام الجدى

(قال الراوى) ولما أن سمعت الاميرة من غيلان هذا الشعر والنظام قالت له لعنك الله وقد رأته منكس الابطال ويضربهم بالحسام فعند ذلك صدمته وجعلت تقول :

تقضت مدتى وابيض رأسى ... وزالت قوتى وقل ضربى
ودب الضعف فى جسدى ولكن ... أجود بمهجتى فى كل صعب
لعل الله يرحمنى إذا ما ... هدت يوم الحروب ولقيت ربى
ومت شهيدة فى يوم حرب ... أو ألاقيه وأنا أبكى لذنبى
فدونك ترى منى عجوزا ... تجاهد فى العداة بغير عجب

(قال الراوى) ولما ان فرغت الاميره من شعرها حملت عليه وهاجته وألهته عن الفرسان وصدمته فلما ان رأى غيلان منها تلك الحملة المنكرة المريعة مافزع منها ولا خاف بل حمل عليها ومال بكليته إليها وكان الوقت قد ضاق على الابطال وأقبل المساء فصدمته الاميرة بقوتها وقوة جوادها صدمة جبار وألقته على ظهره فى عرصات الميدان وذلك القفار هذا وقد أدركه أبو سكران بطل السودان ونزل إليه وكتفه وأخذه أسير وهو ذليل حقير غائب الصواب من شدة الوقعة هذا وقد وقع على الروم بعد أسره التعتير لما أن رؤا غيلان الشوك أخذ أسير وعمل السيف فى الكبير والصغير وقد سمع للأوداج طنين ومن الادمية خرير واندقوا الروم هاربين وطلبوا الابواب مكسورين هذا والسودان فى أعقابهم وبنو كلاب يطعنوا فى الروم وصار الدم منهم يفور وضربوا سودان غيلان الشوك بالسيوف وقد أفنوا منهم ألوف وهلك أكثرهم وولوا مع الروم هاربين هذا والاخ لايعى على أخيه ولا الولد على أبيه وما زالوا يضربوا فيهم إلى وقت العصر وكان الملك الفالوغص قد عاد منهم يطاب أبواب القسطنطونية لما ان رأى ماحل به وبعساكر النصرانية فأدركه الامير عبد الوهاب وهو حائر لايقدر على الدخول من شدة الزحام وكان الامير اللملمان قد طعن صاحب العلم جندله فصاح الامير عبد الوهاب عند ذلك فى الملك الفالوغص فأذهله وطعن جواده فقتله فوقع الملك من على ظهره إلى الارض فأدركه اللملمان مقدم السودان فأخذه أسير وبعده عمل السيف فى الروم وقد فرحوا المسلمين بالنصر والظفر وعادوا وقد ملكوا المضارب والخيام (قال الراوى) فلما ان سمع عقبة بذلك الحال فأيقن بشرب كاس الحمام هذا وقد كان له ثلاثة أيام ماأكل فيها طعام ولاشراب وقد بقى مثل الخلال وكان له صبر على الجوع إذا وقع مع عصبة الاسلام هذا وقد كان البطال يتردد عليه ويتلطف به ويسقيه السكر والشراب من خوفه أن يموت من قبل صلبه وتبقى حسرة فى قلوب المسلمين إلى الابد وكان البطال كلما سقاه شيأ تقاياه إلى أن كان فى هذه الليلة وقد دخل عليه البطال فرآه يتقلب ويتكرب فأيقن البطال بهلاكه وقال له ماحالك أيها الشيخ ومالك تتلوى وقد خفت حسك وضعف جسدك وبرد نفسك وقد قرب صلبك فابشر واعلم أن مابقى من عمرك غير هذه الساعة لان الملك الفالوغص قد أسرناه وغيلان الشوك قد ملكناه وقد هلك فى هذه الليلة من الروم بعدد النجوم وها أنا فى هذه الساعه أنصب لك الخشبه فما تصبح إلا معلق فقال له عقبه بصوت ضعيف لايكاد أن يسمع ويلك يا بطال هذا تقوله لى حتى تغيظنى به وأنا ماأغتاظ من هذا لانى أعلم ان مدتى قد قربت وأيامى قد فنيت وأنت تعلم ان الانسان إذا قتل خصمه وقتل من بعده مايكون مغبون وأنا فقد قتلت من المسلمين ومن غيرهم من الامم مالا يعلمه إلا الله تعالى يا بطال وتدرت

الاقاليم وفتحت الامصار وقد تركت لى فى كل مكان آثار وأخربت بلاد العراق ألف مره وألقيتكم فى الاسر والعذاب كم كره وقد تركت لى ولكم حديث يتعجبون منه الناس من بعدى إذا سمعه من فى رأسه حكمه فيتأسفوا على بعد فقدى ولا يعتقدوا انى أميل إلى النصارى وأشد منهم ومن دينهم بل انى كنت ألعب بالدول آكل أموالهم حتى صرت مثل والآن فقد صح عندى ان الاديان نواعيس وأنا فقد أخذت لذة عمرى فى الأمر والنهى وقضيت فى المسره دهرى والساعه فعينى قد قلعت وأصابعى ويدى قد قطعت وأذانى قد جزعت وأضراسى قد وقعت وقد بليت فى آخر عمرى بهذا الملعون الذى أخصانى عند الكبر وقد صار لى من بعد هذا كله الموت راحة فكيف ماأردتم الآن افعلوا بى لان الروم ما يمكنوكم من ذلك وان فعلتم ذلك فان الروم تطلب تارى فلا يبقون منكم أحد ولا يقر لكم قرار لأجل ما يكون فى قلوبهم من النار وكذلك المعتصم وسائر المسلمين ومن أجل هذا كنت أظهر لهم الناموس والدين والشرع حتى تلعنكم جميع المسلمين وتكون الفتن بعد مماتى بينكم وبين المعتصم وسائر المسلمين وبين الروم وتمتلى وجه الأرض عليكم من الروم والمسلمين (قال الراوى) ان كان هذا الكلام كله يجرى من عقبه والبطال يسمعه ويتجسر ولا يقدر أن يلطمه لطمه واحده خوفا أن يهلك فخرج من عنده حتى يدبر فى أمر الخشبه الذى يصلب عليها عقبه وكيف يضعها وينصبها على باب الذهب ومافى المسلمين تلك الليله من نام من شدة الفرح الا باتوا سهاره وهم فى تسبيح وتقديس وتهليل وصلاة وسلام على البشير النذير إلى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فطلع البطال على البرج الذى عمله قدام باب الذهب وترك الخشبة فى أعلاه وتقدمت الرماه وتواثبت الكماه وارتجت الفلاه وركب الامير عبدالوهاب وهو فرحان ببلوغ الآمال وتصديق المنام وكانت الروم فى ذلك اليوم على الاصوار وهم لا يقدرون أن يظهروا من ضرب النشاب لانه كان يأتيهم مثل المطر هذا والبطال فوق البرج والخشبة معه وقد قدموا الحبال وقال لغلمانه والسودان ائتونى بشيخ الضلال فاتوا السودان إلى مكانه ليأخذوه وكان ذلك الوقت وقت الغلس فما رأوه ورأوا المكان خالى مافيه انسان فعادوا وعليهم الانكسار وقد أعلموا الامير بهذه الاخبار فما منهم الامن التهب فؤاده بشعلة نار وتفرقوا فى سائر الاقطار وتفرقت بنى كلاب والسودان الانجاب وهى راكبة الخيل وقد داروا عليه البر والقفار وصاروا يطلبوا عقبه شيخ الفجار فما وقعوا له على آثار ولا سمعوا له أخبار

(قال الراوى) هذا وقد نزل البطال من على البرج وهو خجلان وقال الامير عبدالوهاب لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أقسم بالله لاصلبت مكانه إلا الملك الفالوغص وغيلان الشوك ثم ان الامير أمر باحضارهم فى عاجل الحال أحضروهم فلما ان رأى الفالوغص إلى

هذه الاحوال وقع على قدمى البطال وجعل يستجير به ويوعده بالاموال ويسأله أن يسأل فيه الامير عبد الوهاب لعله يقبل فيه سؤاله فقال له البطال على شرط انك تحلف لنا بالانجيل الطاهر وما فيه من التحريم والتحليل نناميتى وقعنا بعقبه واتينا به تمكنا من صلبه على باب الذهب ولا تقاتل ولا تمانع لا أنت ولا سائر جيوشك ولا حواشيك ولا جيوش النصرانيه فقال الملك الفالوغص نعم أنا أحلف على ذلك (قال الراوى) فعند ذلك تقدم البطال إلى عند الامير عبد الوهاب بلطف وأشار اليه بأخذ المال وقال له إذا أحضرت الملك الفالوغص إلى بين يديك وسألتك فى الصلح فقول أنت ماأفعل إلا ان كان يبنى الجامع الذى بناه الامير مسلمه على أيام جدى الصحصاح لانى ياأمير كلما دخلت القسطنطونيه فأراه يتهدم منه ركن وقد انهدم وما بقى إلا الآثار وقد اندثر ومابقى إلا معالمه وقصدى أن أجدد الجامع واعيده مثل ماكان حتى لا ينقطع ذكر الامير الصحصاح ويكون لنا نحن فى تجديده تذكار فقال الامير عبد الوهاب وامه الاميره ذات الهمة هذا هو نعم الرأى الصواب ثم انهم اتفقوا على ذلك المقال فعند ذلك أحضروا الملك الفالوغص ولما أن حضر وقع ماذكرنا واعلموه بتلك الحاله فقال سمعا وطاعة وقد انتهى الامر فقال البطال ما بقى الساعة إلا أن تخرجوا لنا الرهبان حتى يأتونا بالرهاين لاجل ما نطلق الملك وغيلان ونقيم إلى أن نعمر الجامع وتقوم لنا بالمونه والعلوفات فعندها أنفذ الملك واحد من غلمانه مع جماعه من قسوسه ورهبانه إلى القسطنطونيه فأتوا منها بأربع آلاف صبى من أولاد الملوك ووجوه البطارقة وخواص أهل البلد كلهم بالمناطق الذهب والقراطق وهم مثل البدور الطوالع والشموس اللوامع هذا ولما أن حضروا وحصلوا تحت قبضة البطال حلف الملك يمين ثانى على ذلك الحال ووزن المال وانه لا يخون ولا يغدر بهم بعد هذه النوبه وأيضا حلفوا البترك وحلفوا غيلان الشوك الآخر ودخلوا بعد ذلك إلى القسطنطونية وجمعوا جميع المعلمين والصناع وأخرج الملك الاموال وأمر الصناع بالاستعجال (قال الراوى) هذا وقد دارت العماره وكان أول من عمل فى الجامع الملك بنفسه يومين كاملين والبترك استحرض الروم على العمل هذا وقد قامت عساكر الامير عبد الوهاب على باب القسطنطونيه شهرا كاملا والاقامات والعلوفات تخرج إليه حتى تعمر الجامع والمكان الذى حواليه وارتفع وقد عمل فيه منارة للآذان وأحضر الملك مالا عظيما له قدر وقيمة وفرقه على الصناع والمعلمين ولما انتجز الشغل وتم دخل البطال واشرف على الجامع والمحراب فرآه قد تعمر من بعدما كان خراب وقد أعجبه فأراد البطال أن يخرج مع الملك فقال له اعلم أن هذه العماره ماتصلح لنا فقال الملك ايش مالها وما حالها وحق المسيح ياأبا محمد انها عمارة مليحة ماعمر مثلها فقال له البطال اعلم ان كان الجامع مبنى بالفضة والحجر

والقبله مبنيه بالذهب وان هذا ما هو الشرط الذى كان بيننا وما اتفقنا إلا أن نجعله بالفضة والذهب فقال له الملك وحق المسيح ياأبا محمد ان هذا القول كله جنان وان هذا القول عمرنا ماسمعناه ولو أرادوا ذلك وجمعوا كل فضة فى ارض القسطنطونية ماتكفى ربع هذا الجامع ونحن مانعرف الجوامع والاديره والبيع يعمروا إلا بالحجارة والتراب فقال له أبو محمد صدقت ولكن نحن ماشارطناكم الاأن يكون مبنى بالفضة وأن تكون القبلة ذهب واعلم أننا مانطلق أحدا من عندنا إلا بهذا الشرط وإلا ضربنا رقاب الرهبان والجعنا كم فى الصبيان وتركنا تندب عليكم الآباء والامهات فقال له الملك لابحق المسيح اضرب رقابنا ورقابهم الجميع ودعنا كلنا من هذا الامر نستريح ومن هذه العباره لأن مالنا بها من طاقة ولاغيرنا من سائر الملوك (قال الراوى) فبلغ الخبر إلى الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وأمراء بنى كلاب فضحكوا من حديث البطال هذا وقد سمعوا أهل الصبيان الرهاين وآباءهم وامهاتهم ذلك فصلبوا على وجوههم وحملوا من الاموال على قدر اجتهادهم واقتدارهم واتوبه إلى عند البطال وقالوا له هذا ماملكت يدينا نخذه ثم أطلق لنا أولادنا فقال لهم البطال سوف أفعل ذلك ان شاء الله تعالى هذا وقدا تفقوا على أن الجامع يبقى على ماهو عليه إلا أن القبلة تهد وتبنى غير ذلك البناء وتتزخرف بالذهب ففعل الملك ذلك وقد جمع الملك السباكين والصياغ وعملوا القبلة كما أراد البطال ودخل الامير عبد الوهاب والاميره وسائر الامراء من بنى كلاب والسودان الانجاب إلى البلد وجميعهم لابسين الحديد من تحت أثوابهم خوفا من غدر الكفار وصلوا فيه يوم الجمعة وأذنوا المؤذنون وكبروا المكبرون هذا والرهبان والروم على وجوجهم يصلبون والمسلمون بقراءة القرآن يضجون إلى أن صار وقت العصر وخرجوا الامراء والناس فى الخيام واطلقوا أولاد الملوك والبطارقة فقدموا لهم من الاموال وحلفوهم أنهم لايتعرضوا للجامع بعد رحيلهم واقاموا حتى أصبح الله بالصباح ثم بعد ذلك رحلوا يطلبوا بلاد الاسلام هذا والامير عبدالوهاب يقول لامه والله ياأماه ما بقى جسرة فى قلبى الاصلب أللعون عقبة وماأظن انفلاته فى هذه النوبة إلالأمر يريد الله اتمامه فقالت الأميرة والله يابنى مادام له فى الدنيا حياة فما يقدر أحد على وجه الأرض يؤذيه إلا أن الله تعالى فلا تكن يابنى من أهل الاعتراض واصبر على مايقضى الله تعالى ماهو قاض وأنا أقول أن عقبه ماخلص وفيه مايحمل إلاأن يكون فى بعض الاديره التى للرهبان ولايعلم الغيب إلاالله تعالى الواحد المنان ثم انهم ساروا إلى أن أمسى المساء عليهم ونزلوا فى آخر مرج العيون وضربوا الخيام وهم معولين على الراحة والمنام وقد علقوا على خيلهم وأكلوا شيأ من الطعام وأقاموا إلى خدمة الملك العلام حتى قضوا ما عليهم من الصلوات ومافيهم إلا من وجد الراحة وانضجع حتى برق ضياء الفجر ولمع

وصلت الأميرة ذات الهمه صلاة الصبح فلما انشق الفجر وتنفس قام الأمير عبد الوهاب ودخل على والدته ذات الهمه يستأذنها فى أمر الرحيل فرآها قد قضت فرضها وهى مستقبلة القبله وهى جاثية على ركبتيها وقد شخصت نحو السماء بعينيها وبسطت يديها ودموعها منحدره على خديها وهى تتضرع إلى الله عز وجل وتبتهل بالدعاء وهى تؤمل من دعاء إلى أن أحست بالأمير عبد الوهاب معها فى الخيمة فعندها أوجزت فى الدعاء وختمت دعاءها والتفتت إلى ولدها عبد الوهاب وجعلت تقبل رأسه وشيبته وعارضيه وتقول له ياولدى كل يوم لا أراك فيه لم يهنأ لى فيه حياة ولا أعد من الأحياء فقال لها ياأماه وكيف خطر بقلبك هذا المقال فقالت يابنى لأجل منام رأيته وأنا منه فزعانه وأحشائى قد أصبحت رجفانه فقال الأمير وقد بكى فما الذى رأيتى فى المنام فقالت يابنى لما نمت البارحه وأنا مشغولة القلب من قولك لى فى قلبى حسرة من عقبة وكيف يبقى بعدنا فى هذه البلاد وينال من المسلمين المراد فرأيت الملعون كانه قاعد لنا على رأس الطريق وقد ملك علينا فم المضيق وهو يضرم بين يديه لنا نار وقد طلع لها لهيب وشرار فصحت من شدة اللهب والشرار وكانك أنت يابنى والبطال قد أتيتم وألقيتم أرواحكم فيها وأنا قد صحت من شدة ماجرى على وأكلت من حذرى عليك لحم ثديى واردت ان ألقى روحى خلفك فى النار وإذا بصوت يكلمنى فالتفت وإذا به النبى ﷺ وهو يقول لى اصبرى ياأم المجاهدين على بلاك ولا تلقى روحك فى الهلاك فعلينا حفظ ولدك فى رواحه ومغداه وبهذا يصل إلى ماوعدناه ويشتفى بصلب أعداه وقد قرب الوقت والميعاد وفى هذه الأيام ينهتك ستره بين العباد كما هتك ستره فى الملا الاعلى وينجز فيه أمر من له المشيئة والمراد فعليك بالصبر وهو من سنن الأنبياء والاولياء والعلماء وبه تصلين إلا مقام الاصفياء فقلت يارسول الله كيف أجد الصبر وولدى فى هذه النار يذوق حرارتها والشرار فقال هذا عذاب يزول ويبلغ به فى الجنة غاية السول وأنا رسول الله المطهر انظريه فسوف يخلص من هذا اللهيب ويعود على أعدائه التعذيب فمددت ياولدى عينى إلى النار وإذا بك قد خرجت بوجه مثل البدر إذا استنار ثم بسطت يدى وشرعت فى الدعاء ثم طرت بين الجو والهوى إلى علو السماء فاستيقظت أنا وفى أجفانى أثر البكاء وزادنى الاشتكاء حتى دخلت على ورأيتك بعينى وأنا من بعد هذا المنام فزعانه وبوعد رسول الله ﷺ فرحانة فقال لها الأمير عبد الوهاب ياأماه الامر والحكم لله لامرد لقضائه ولا مفر ولا دافع لامره ثم انه أنفذ خلف البطال وحدثه بهذا الحال فقال لهم البطال أما اضرام النار من عقبة فانه مازال يشعل الفتن ويلقينا فى المحن واما وقوعنا فيها وعلينا الحرص أننا نحذر غاية الحذران لم يكن سبق القضاء والأمر لله تعالى يدبر فى خلقه مايشاء واما قول النبى ﷺ أن عقبه قد قرب تلافه فهو الصادق الأمين فى أوصافه

وأعماله والدليل على ذلك عذاب عقبة وقطع أطرافه وبعد هذا فسلموا الامر إلى الله تعالى وارحلوا بنا نطلب المنازل والديار لعلنا نخلص من عذاب هذه النار فقال الامير عبدالوهاب هـذا هو الصواب ثم انه ركب وصاح فى بنى كلاب والسودان الانجاب بالرحيل وركبت الاميره وفؤادها ملآن خوفا على ولدها من هذا المنام وساروا ذلك اليوم حتى تقارب المساء ونزلوا وقد زاد بالاميرة المرض وحمى بدنها وتغير لونها وحالها وباتت تلك الليله وولدها عندها والبطال عند رأسها يحدثها ويسليها بامور الدنيا حتى أصبح الصباح ورحلوا ولم يزالوا يقطعون الارض والقفار ليلا ونهارا حتى وصلوا إلى أرض الدروب والاميره قد ضعفت عن الركوب وصارت تركب فى محفه وامرت ولدها أن يقصر المراحل والمنازل حتى خرجوا من دروب بلاد الروم وصاروا فى أوائل بلاد الإسلام وإذا براكب قد أقبل على ملطيه عظيمة الهيكل وجعل يشق المواكب حتى صار تحت أعلام المسلمين ووقف بين يدى الأمير عبد الوهاب وسلمه وناوله كتاب فتبينه الأمير وإذا به عامر النجاب الذى كان نجاب الخليفة فقال له الأمير من أين هذا الكتاب ياعامر فقال له يامولاى اقرأه وقد وقفت على معناه ففتحه الأمير عبد الوهاب بعد ما استدعى أبا محمد البطال وأيضا جماعة من الأمراء والاقيال وقرأ الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد أيها الأمير الأجل والكهف الأطل سيف المجاهدين وعمدة الإسلام والمسلمين حامى حوزة الدين ترس قبر النبى الأواب المسمى بالأمير عبد الوهاب اعلم أن أبا اسحق المعتصم بالله قد توفى إلى رحمة الله تعالى وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء وكان وما كان مرضه أكثر من ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع شرب كاس الحمام وقد جلس فى الخلافة ولده هارون الواثق بالله وقد تعصب لأخيه جعفر جماعة من الكتاب والعمال وأصحاب الديوان والحساب وقالوا ما نريد إلا جعفر المتوكل على الله وقد اختلطت الدنيا واختبطت بلاد العراق وقامت الدنيا على قدم وساق وانفصل الأمر على أن هارون الواثق يقيم فى الخلافة على وجه النيابة إلى أن تقدم أنت وتقدم من شئت وتشهد بما كنت تسمع من المعتصم رحمة الله عليه ومن هو ولى عهده من بعده ونريد ساعة وقوفك على هذه الأحرف لا تتوقف فى المسير ولو أنك تطير حتى تهتدى الفتن بعد ايقادها وتعود الولاة إلى بلادها فلما سمع الأمـــير عبد الوهاب ما فى الكتاب بقى متحير ومتفكر وتبين الخط وإذا به خط ابن خاقان الوزير فقال البطال ايش ترى يا أمير فى هذا الكتاب وهذه النوبة فقال البطال والله هذه النار الذى كان يشعلها عقبة تفسرت وهى من بعض مناصبه ولا شك أنه سبقنا إلى عند الخليفة وقال له قد قتلوا أختى وأولادى وقطعوا يدى وعولوا على صلبى ولا شك أنه قد دبر علينا غير أننى متحير فى هذا الامر وحذرى أنه من تدبير عقبة لاجل القبض علينا ومتحير أيضا كيف

يتجاسر عقبة على مثل ذلك وعلى كتب هذا الكتاب وفيه موت الخليفة مع علمه أنه يقع فى أيدينا وهذه قصة قد عميت على أن الخط خط الوزير ابن خاقان وما أقول أن عقبة بعد أن قطعت يده اليمنى مابقى يقدر يزور على خط أحد فقال الامير عبد الوهاب والساعة كيف يكون الحال فقال مايكون فى الامر إلا أننا نسير إلى ملطيه ونبصر كيف يكون الحال ان كان الامير عمرو بن عبيد الله قد انحدر إلى بغداد فالامر صحيح فاذا كان الامر كذلك تركنا والدتك هنالك وسرنا أنا وأنت فى ألف فارس ونصبنا الخلافة لامير المؤمنين هارون الواثق بالله لانه أدين أهل الارض واتقاهم واعقلهم وبه أوصانا المعتصم ألف مرة وهو ممن يبغض عقبة ولا يشتهى أن يراه فلعل صلبه يكون فى أيامه إن شاء الله تعالى ويسقيه كاس حمامه ويهتك الله ستره فى هذه الايام وتقف الناس على كذبه ومحاله فقال الامير عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم انهم ساروا على هذا الترتيب وهم متفكرين فى هذا الامر العجيب حتى أشرفوا على بلاد الثغور وأرض ملطيه وسبق البشير إلى البلد (قال الراوى) فعندها ركبوا الامراء الذين لبنى سليم وكذلك الاصحاب وخرجوا إلى لقاء الامير عبد الوهاب ولما وقعت أعينهم عليه ترجوا بين يديه ونعوا الخليفة إليه فقال ومتى وصلت إليكم الاخبار فقالوا من أيام قلائل وعلينا عبر النجاب عامر وهو سائر إليك بالكتاب وأميرنا عمرو يكون اليوم قارب بغداد فانه من يوم وصلت إليه هذه الاخبار تجهز وسار فلما سمع البطال والامير عبد الوهاب هذا المقال صح عندهم الحال والمقال ونزلوا الناس فى المقام وضربوا الخيام على ظهر البلد بجانب النهر وعملوا الأعلام وأقاموا حتى أصبح الله بالصباح ودخل الأمير عبد الوهاب على أمه فودعها واعلمها أنه سائر إلى أرض العراق ينصب الواثق خليفة وتأمن الناس بعد الخيفة فقالت له أمه يابنى افعل مابدا لك ولا تطيل الغيبة فما لى عنك صبر ولولا هذا المرض والا كنت سرت معك حتى لايغيب شخصك عنى وودعت له وقالت له أنت فى حفظ الله الحى القيوم الذى لاينام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فباس الأمير رأسها وودعها وانتخب معه ألف فارس من بنى كلاب وسودان أنجاب وركب هو والبطال يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كان قائد يقودنى إلى القضاء والقدر وتركوا الأميرة فى ملطيه وعندها باقى الأبطال من بنى كلاب والسودان الأنجاب وساروا يقطعون الأرض والبلاد ويستصحوا موت الخليفة وكلما قرب من أرض العراق ينكشف له الحال ويظهر حتى وصل إلى الموصل ونزل الأمير على بابها وسار منها إلى تكريت وعبر إلى الجانب الآخر ولاحت له المشاهد المباركة فأقام فيها يومين وسار حتى وصل إلى تل قومه وكان الأمير قد أخذ معه التحف والهدايا والخيل والظرف وشىء كثير من الذهب والفضة

والمناطق والجواهر والثياب الديباج ومن الأطالس الرومى وكل شيء حسن مليح وغير ذلك مما كان أخذه من بلاد الروم وانه لم يزل سائر حتى وصل إلى وأنا وعكبر وإذا هو بأرباب الدولة والوزراء والأمراء والاشراف قد التقوا به فلما وقعت العين على العين وترجل بعضهم لبعض وتعانقوا وتوادوا فقال عبد الوهاب وقد بكى وقال من هو الخليفة اليوم فقالوا الخليفه الواثق فى الظاهر الا أنه على وجه النيابة حتى تقدم أنت يا أمير وتنصب من تريد فقال الامير عبد الوهاب والله يا قوم ما ولى العهد الا الواثق بالله وبهذا كان يوصينا المعتصم فى حياته ثم سار الامير فى موكب الخليفة حتى وصل إلى بغداد وتم فى سيره إلى الدار المعروفة العزيزة وأبو محمد البطال إلى جانبه يقول والله ما كان نيتى أدخل معك إلى بغداد لان قلبى خائف من منصب عقبة إلى أن صح لى الخبر وصح لى موت المعتصم واشتهر (قال الراوى) فلما صاروا الامراء على باب الخليفة دخلت الخدام على الواثق يطلبون الاذن فى الدخول فقال امهلوا بهم حتى أجلس لهم ثم وثب وجلس فى دست الخلافة وأقام الحجاب والوزراء والكتاب وأرباب الدولة فى خدمته وقال للخدم خلوهم يدخلوا فخرجوا الغلمان والخدام وقالوا بسم الله أجيبوا أمير المؤمنين فدخلوا الامراء وساروا إلى أن وصلوا المجلس الذى فيه الواثق فلما وقعت عين الامير عبد الوهاب على الواثق فعند ذلك تقدم الامير وقبل الارض وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين أدام الله لك العز والتمكين وحشرك مع ابن عمك خاتم النبيين وأسعد جدك وأعلا مجدك وقصم ضدك وأطال عمرك ونشر فى الخافقين ذكرك وهنيت بالخلافة ووقيت من كل آفة ويعز الله علينا ماجرىء على قلبك من فقد مولانا أمير المؤمنين أبا اسحاق المعتصم بالله فوالله مايعود الزمان يسمع بمثله ولا يخلف مثله فانا لله وانا إليه ارجعوا (قال الراوى) وتقدم من بعده الامير أبو محمد البطال وخدم وعول أن يعزى الواثق ويهنيه بالخلافة وإذا قد ارتفع ستر دار الحرم وظهر شخص من ورائه وقد خرج معه أكثر من خمسمائة مملوك فتأمل البطال الشخص وإذا به المعتصم أمير المؤمنين فطار عقل الامير ووقع به التحيير وعلم أنها حيلة وقد تمت عليهم فقال الامير عبد الوهاب يا أبا محمد وقعنا وما نفعنا الحذر وهذا منام الأميرة قد تفسر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا والمعتصم قد صاح بهم وقال يا كلاب العرب وقعتم بأعمالكم أتظنون أنى لم أعلم بما فعلتم بالقاضى عقبة من قطع يده وقتل أخته وبناته وتعذيبه وتهديده بالصلب فى بلاد الروم وقلتم ان الله يمهلكم بعد ما حل قتلكم باجماع سائر الفقهاء ولا بقى لكم نجاة ولا ملتجأ غير ضرب الرقاب وفقد الاحباب وصاح بالغلمان خذوهم فمالوا عليهم وقبضوهم وشدوا أيديهم وأرجلهم وقام الواثق وجلس المعتصم وقدموا الامراء بين يديه فقال لهم

المعتصم إلى كم تخرقون حرمتي ولا تراعون فى هذا الشيخ ذمتى ان كانت دولتى ما تقوم إلا بكم فما أريد دولة ثم قال للسياف اضرب رقابهم وأفجع فيهم أحبابهم وجميع أصحابهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك القاضى عقبه وهذا التدبير هو الذى دبره وعمل هذا العمل لانهم ليلة عولوا على صلبه وأبصر الجد ورأى أن الروم قد كسرت حمل روحه لما أن رأى البطال قد خرج من عنده وهو معول على صلبه وقام إلى بغلة كانت للامير عبد الوهاب وكانت هنية السير فركبها الملعون بعد ما برطل سائسها بألف دينار ووعده من الخليفة بمثلها فساعده على هروبه وسار هو وعقبة يكمنان النهار ويسيران الليل إلى أن وصلا إلى العراق وعقبة يلقن السائس طول الطريق مايقول للخليفة ولما دخل عقبه إلى بغداد وصل إلى الخليفه خبره فقال المعتصم على به فقالوا ياأمير المؤمنين أنه مريض مايقدر على النهوض وماصدق أنه يصل اليك ويامن على نفسة لأنه وصل مقطوع اليد مجبوب حزين على قتل أخته وبناته فلما سمع المعتصم هذا الكلام قال أنا أسير اليه لأنه يجب السعى إلى مثله لاجل دينه وعلمه ولاجل هذا البلاء الذى قد حكم به عليه رب السماء ثم ان الخليفة ركب وسار إلى دار عقبه فلما سمع به الملعون تغاشا وتماوت فقعد المعتصم عند رأسه فرآه مقطوع اليد فبكى وقال له ياقاضى من فعل بك هذه الفعال فبكى وقال ياأمير المؤمنين أنا ماأشهد ولاأتكلم فى حق روحى ولكن اسأل هذا الرجل الصالح فانه يحدثك بما جرى على لانه من عبيد ذات الهمة وهو أدينهم وأزهدهم وإلا ما كان تسبب فى خلاصى (قال الراوى) وكان عقبة قد علم العبد مايقول كما ذكرنا وان عقبة لما قال للمعتصم اسأل العبد التفت المعتصم إلى العبد وقد عظم عليه ماقد جرى عليه وقال له يامبارك من فعل بهذا الشيخ هذه الفعال فقال العبد يا أمير المؤمنين أقسم لقد رأيت لهذا الشيخ كرامات وصبر على البلاء مالا يصفه أحد وانا كنت اعتقد فى ستى ذات الهمة انها من الصالحات بما كنت أرى منها من العباده والجهاد حتى انكشف لى ذلك وبان انه ريا ونفاق حتى يشيع ذلك عنها فى الآفاق وأنا يامولاى كنت معها لما كانت فى العراق هى والبطال واتى ظالم من الحجاز ودبروا على هذا الشيخ واخذوه من داره واخذوا اخته وبناته معهم وساروا إلى حصن يانس وارسلت مولاتى ذات الهمة خلف ولدها عبد الوهاب تقول له انى قد أخذت عقبة واخته وبناته وكل من يلوذ به فسر إلى حتى ندخل إلى القسطنطونية ونشتفى منه ونعود إلى بلادنا وان الرساله لما وصلت اليه سار اليها هو وسائر بنى كلاب والسودان الانجاب وأول يوم وصل الامير عبد الوهاب إلى حصن يانس قتلت الاميره أخت عقبة وبناته فرحا بقدوم ولدها عبد الوهاب ثم أخذوا هذا الشيخ المسكين ودخلوا طالبين القسطنطينيه وخرج ملك الروم إلى قتالهم فنصروا عليه وكسروه وباتوا تلك الليلة فرحا بالنصر والظفر يقولون هذه الليلة

تنال من عقبه ماتريد وفى هـذه الأيام يـكون صلبه ولـكن قدموه حتى نعذبه قبل صلبه ثم قدموه وقطعوا ايده كما ترى واخصوه وهوصابر على البلاء وجعل يتوسل اليهم وهم يضحكون عليه ويضربوه ويقولوا لى عذبه فأول من ضربه أنا ياأمير المؤمنين وما علمت كيف القصة بل كنت أسمعه يقول لمولاتى ذات الهمه وهى تعاقبه بحرمة مولانا المعتصم لاتفعلى بى أكثر من هـذه الفعال فقد أعدمتينى اليمين وبقى الشمال وان كنتى تريد قتلى فى كرة واحدة فأنا وحق المصطفى أجعلك فى حل من دمى قبل موتى حتى لايـكون لمسلم منى أذية فى الدنيا ولا فى الآخرة فكانت ياأمير المؤمنين إذاسمعت منه هذا القول تقول له تكذب ياملعون ماأنت إلا نصرانى وكان يدخـل فى عقولنـا ذلك إلى أن سلمته لى فى تلك الليـلة وهو مقطوع اليـد

﴿ تم الجزء الثامن والستون ويليه الجزء التاسع والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء السبعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
شارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما رأى الأمير عبد الوهاب عقبه بصق على وجهه وقال لأبى سكران أين وقعت بهذا القرنان فقال ياسيدى تحت قرية الأرمن وهو طالع من عقبتها وماعرفته حتى كلمته وقلت له رأيت لنا شيخ صفته كذا وكذا اسمه عقبة فقال ياولدى أنا ما أعرف أحداً ولا أنزل فى هذه القرية إلا أن يكون لى فيها شغل وإلا زياره لأنى رجل كبير مالى عقل أعرف به أحداً وكان يكلمنى ورأسه فى الأرض وما عرفته إلا بنغمته فبادرت اليه وقلت باشيخ ها أنت المطلوب فلما سمع الأمير عبدالوهاب هذا الكلام ساقه قدام الخليفه وهو على تلك الحالة فشكر الله تعالى على وقوعه وقال للأمير عمرو تسلم ابن عمك الى غد فتدخل به الى بلاد الروم وتصلبه على باب الذهب فقال يا أمير المؤمنين أكون أنا وحدى وبنى كلاب لابد منهم أحد معى فقال البطال وأنا أكون مباشرهم فعندذلك برزت العساكر وسارت تقطع الأرض طولا وعرضا وكان القاضى عقبه على جمل وعلى جسده فروة مقلوبة وعلى رأسه طرطور من جلد الثعالب فهم فى سيرهم وإذا قدقامت عليهم ريح شديدة إلى أن عميت أبصارهم فطلبوا عقبه فلم يجدوه على الجمل فبقى أبو محمد باهت متحير هو وأولاده ثم أنه دخل على الأمير عبد الوهاب وأخبره بذلك فدق يد على يد وقال والله لقد تعبنا وتعب الخليفة فكيف كان سبب ضياعه من بين هذه العساكر والجموع فقال مازال على الجمل ونحن دائرين من حواليه فى وسط الثقل حتى هبت تلك الرياح وتارت فى وجوهنا الرمال وقد تفرقت الناس يمين وشمال وجفلت الجمال والدواب وهذا آخر عهدى به فقال الامير عبد الوهاب والله ماهذا إلا أمر عجيب وله سبب من الأسباب

وكان السبب فى هروب عقبه أنه لما جرت على الناس تلك الشبده وهو سائر على الجمل وهو حائر فى أمره وقد أيقن بالهلاك لأجل شىء يريده الله تعالى تارت تلك الرياح فانقطع مقود الجمل بتاع عقبه وهج به بين الأشجار وقد تعلق بيده الصحيحة فخرج الجمل يهيم على وجهه وطلبه البطال فلم يجده وأعلم به الامير عبد الوهاب فقال هذا شىء مانخفيه عن أمير المؤمنين فعندها أعلموا الخليفة بهذه القصة فجرا عليه ما لا يجرى على قلب بشر وقال والله العظيم ان رجوعنا الى ملطيه شماتة للأعداء ثم أنه بعث الخيل تدور عليه مدة ثلاثة أيام وكان عقبه لما أصبح عليه الصباح وهو فى ذلك الموضع ورأى الخيل تدور فى طلبه فاختفى فى الشجرة فزعا على نفسه فبينما هو كذلك واذا بثلاثة رهبان قد أتوا الى ذلك المكان بسبب جمع الحطب فلما رآهم الملعون صاح بهم فأتوا اليه فعرفهم بنفسه فسلموا عليه وحملوه الى عندهم ثم أنهم سألوه عن سبب دخول العسكر فأخبرهم أنهم مادخلوا إلا أنهم يصلبوه على باب الذهب ثم اشتكى اليهم حاله وخوفه فألبسوه من الثياب التى عليهم وأخذوه معهم الى ديرهم وكان ديرهم على رأس جبل وهو لطيف صغير فلما حصل عقبة فيه أخذه القلق وقال للرهبان ما أقدر أقيم فى هذا المكان لأنى أخاف أن يلحقنى أبو محمد البطال ثم أنه ودعهم وأخذ فى يده عكاز وركبوه وشد وسطه وسار يطلب بيت المقدس وقمامة وقد ضاق صدره وضاقت عليه الدنيا وكان أكثر سيره فى الليل فهذا جرى ههنا (وأما ماجرى) من الامير عبدالوهاب وعساكر الاسلام فانهم لما أيسوا من عقبه عادوا وفى قلوبهم النار طالبين الثغور وكان أكثرهم أسف أبو محمد البطال لأنه قد بقى يومين لا يأكل ولا يشرب مما جرى عليه ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا الى ملطيه ونزلوا على ظاهرها هذا والخليفة قد عول على الرحيل الى العراق وهو يقول لعبد الوهاب والله لولا الشتاء وقد هجم البرد ما كنت رجعت حتى نزلت على باب القسطنطونيه وأعملها غزوه أذكر بها الى الأبد لأنى أعلم أن ملك الروم إذا سمع أننا دخلنا الى بلاده ورجعنا الى بلادنا يستعجزنا ثم أقام على ملطيه يومين ورحل طالب العراق وهو يوصى البطال بالكشف عن أخبار عقبه فقال السمع والطاعة وأوصاه متى قبض عليه يرسل ويعرفه حتى يسير الى بلاد الروم لاجل صلبه والجهاد ثم سار يطلب بغداد هذا والبطال قد جمع أولاده وقال لهم أريد أسير الى بلاد السواحل وأكشف الاخبار من التجار فقال له ولده مذبحون مالنا إلا بلاد الروم ولانكشف خبره الأمن هناك فقال البطال ياولدى مايقدر يدخل الى هناك لأنى أعلم أنه مايقيم فى تلك البلاد وأنا الذى لا أقعد

عنه ولو أنه فى آخر الدنيا وأريد منكم المعونة والصبر على السفر ولا يلحقكم ضير اعلينا نبلغ الظفر وأن أشفى قلبى من عقبه قبل المهات وأقبر فقالوا له أولاده وغلمانه لو أمرتنا أن نخوض البحار لخضناها سير بنا أين شئت وارسلنا فى أى مكان هويت فما هنا من يخالفك فلما سمع البطال كلامهم فرح فرحا شديد وقال مالنا إلا بلاد السواحل ونكشف الاخبار من التجار وأهل البلاد ثم أنهم باتوا على أهبة السفر ولما كان عند الصباح أخذوا معهم خيل وبغال واستكثروا من الماء والزاد وودعوا الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وسار يطلب السواحل وبنته عذيبه فى زى أولاد التجار وهى فى أحسن شيء يكون وحمل الامير عبد الوهاب على قلبه من مسير أبو محمد البطال أمر عظيم وخاف عليه أن يهلك فى بعض البلاد ومايبلغ مراد ومن ضيق صدره صار يركب كل يوم الى الميدان ويتشاغل مع الفرسان فبينما هو بعض الأيام ظاهر البلد وإذا هو بنجاب قد أقبل اليه وسلم عليه وناوله كتاب ففضه وقرأه وإذا هو من سوار ابن جرهم صاحب دمشق الشام يقول فيه اعلم أيها الأمير أن مصر قدملكتها السودان واحتوى عليها ملك زنعنع الحبشى وهو جبار من الجبابره وقد سير الى بلاد السواحل وقد زادت أذيته ونحن خائفين من أذيته وشره فكاتب أمير المؤمنين لعله أن يسير الينا من يعيننا على قتاله وإلا أهلك العباد وملك البــلاد لانه فى خلق كثير لاتحصى من العبيد ومجمعة السودان وهم قوم لايعرف لهم دين بل يرمون أرواحهم الى الحرب مثل الدواب فالعجل العجل قبل أن تقوى شوكته وهو قد عمل بركة الحبش موطنه وهو نازل عليها فى مصر والسلام فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال هذا أمر ما كان لنا فيه حساب ثم أنه أعرض الكتاب على الامير عمرو وأمر صاحب الكتاب أن ينقلوه فى خمس نسخ ويعلقها على أجنحة الطيور الى بغداد فما بات الخبر إلا عند الخليفة فصعب عليه وقال لكبراء دولته كيف ترون فى هذا الأمر أراحت مصر من أيدينا فمن نرسله اليه فقالوا يامولانا ما له غير الامير عبد الوهاب يقتله فقال المعتصم ما هذا صواب أن نخلى الثغور من الأمير عبد الوهاب فربما يخرج علينا ملك الروم وما فى الأمر الا أننى أرسل بنى سليم فان أفلحوا بيضوا وجوههم وان هلكوا فيكون ذلك ببركة قاضيهم ثم انه أمر أن يكتبوا الى عمرو ويقول له أشتهى أن تسير الى مصر وتكفينا شر هذا الخارجى وتخلص البلاد من يده حتى أعفو عنك بما قد مضى ولا تحوجنى أجمع لك العساكر وأطلب الجهاد ثم أمر الوزير أن يرسل الكتاب الى ملطيه فلما وصل الكتاب الى عند الامير عمرو وقرأه وسمع مافيه من الخطاب جمع بنى

سليم وأعرضه عليهم وقال لهم اعلموا أن الخليفة ما هو طيب القلب علينا وكل هـذا بسبب الملعون عقبه الذى كنا نشهد فيه بالصـلاح حتى ظهر منه ما ظهر ويد الخلافه لاتطاولها يد ونحن فى بلاده واقطاعه وقد ندبنا الى هذا الامر وأنا أريد منكم أن تسيروا معى بنية صحيحة وتبذلوا أرواحكم لعلنا نهلك هذا الخارجى ويعود قلب الخليفه يتعطف علينا فما ننال المنزله الا بالصبر على النوازل فقالوا بنى سليم يا أمير ان هلاكنا أحب إلينا من الحياة وان الهلاك مع العز خير من الحياة فى النار كما قيل :

فعيشك تحت ظل العز يوما ولا تحت المـــذلة ألف عام

فشكرهم عمرو على ذلك ونادى فيهم بأخذ الأهبة وأعرضهم فكانوا سبعين ألف ففرح بذلك وطلعت الخيام والطبول ثم انه رحـل وخرج الأمير والأميره لوداعه وأوصاهم عمرو أن يكشفوا أخبار عقبه فهذا ما جرى (وأما ما كان) من عقبه فانه سار الى انطاكيه ودخل الى عامل له وكان عنـده مال كثير فأخذ المـال منه واشترى ثلاث غلمان وبغله وجوادين وخيمه وعول على أنه يدخل الى بلاد الغرب فسمع أن زنعنع الحبشى قد ملك ديار مصر فقال وحق المسيح لابد لى أن أسير اليه وأطلب منه الزمام وأقيم فى بلاد المسلمين ثم ان الملعون عقبه سار الى صور وأقلع منها الى ديار مصر فرآها منقلبة بكثره العالم والعساكر ووصل الى الملك وعارضه وهو تحت مصر وقد عمل له طيلسان ونادى ياملك خذ بيدى فأنا مظلوم وقد وصلت الى جنابك من قوم ظلمونى وما راقبوا فى وقد قطعوا أطرافى وأرادوا اتلافى فهربت منهم وجئت اليك ولم يزل عقبه حتى احتوى على قلب الملك بحسن النظام ولين الكلام فقال له يا شيخ قد قضيت حاجتك وتم معه وهو يحدثه بما قد جرى عليه فى الثغور وما قد تم عليه من الخليفة لأجل الدين وكان عقبه الملعون قد سأل عن دين الملك فقالوا له يعبـد الشمس اذا طلعت بالأنوار ثم قال للملك وما أصابنى هـذا الا بعلمى وخبرتى بصحة عبادة النار فلما سمع الملك ذلك تعجب فقال عقبه وحق ما فى الشمس من الحراره والنجوم السياره لقد أخفيت دينى وقد جاهـدت فى الأعداء حتى اننى قد أهلكت منهم بعدد الرمل والحصى ولم يزالوا حتى اطلعوا على حالى وفعلوا بى هـذه الفعال وما خلصت منهم الا بما قدمت يدى من العباده والجهاد فى المسلمين وأخبرك أيضا من ليالى رأيت أن النجم الثاقب قد خلا بى وقال لى يا شيخ لا تضيق صدرك ففى هذا العام وهذه الأيام يظهر رجـل من بنى حام يتفضل على جميع الانام فاطلب أرض مصر وكن مع عبدى زنعنع فلما سمع الملك من عقبه ذلك الكلام طاب قلبه وانشرح صدره وقال له ياشيخ

فأنت مخصوص لهذا الدين فمن أى الأراضى أتيت الى هؤلاء الشياطين فقال يا ولدى أنا أصلى من بلاد الحجاز وقومى بنى سليم وكنت قرأت الكتب والمذاهب حتى وقفت على الصواب فلما سمع الملك زنعنع ذلك قال يا شيخ فأنت ابن عمى لان أبى أيضا كان من بنى سليم يقال له عقبه بن مصعب السلمى وكان عند خليفة المسلمين بمنزلة عظيمة فلما سمع عقبه كلامه بكا من فرحته وقال له يا ملك أنا عقبه وأنت ولدى وقد جمع الزمان بينى وبينك وقد شد ظهرى بك عند منتهى العمر لتأخذ لى بالثار من هؤلاء الأشرار فقال زنعنع ياشيخ وأنت دخلت الى بلاد الحبشه فقال له نعم فقال عند من نزلت فقال عند ميكائيل وأعطانى جارية سوداء فتزوجت بها وتركتها حامل فقال صدقت هى أمى وقد أوصتنى قبل موتها وأعطتنى هذه السكين وقد قالت لى أبوك عقبه بن مصعب قاضى المسلمين ثم ان زنعنع أخرج سكين وكان نصابها من الذهب مقمع بالفضة وعلى النصاب مكتوب عليها الشيخ الناصح عقبه وفى اصبعه خاتم على فصه أربع لؤلؤآت وعليه مكتوب الدين الصحيح دين السيد المسيح فلما رآهم عقبه اتضح له البرهان وكان السبب فى ذلك أن عقبه دخل فى زمان المأمون الى بلاد الحبشة الى دار ميكائيل فأكرمه وأنزله فى دار حسنة وأعطاه جارية تسرى بها مدة أيام فلما سمع أن المأمون رجع الى ملكه رجع عقبه الى أرض العراق فقالت له الجارية أريد تعرفنى من تكون وأريد منك علائم حتى أعطيها لولدى فأعطاها السكين والخاتم وقد عرفها أين مكانه ومن أى العرب هو ومقامه الثغور ودامت الجارية فى دار مولاها الى أن وضعت وما كان للملك ولد فأخذه ورباه وكبر وتجبر وكان يلتقى بين الصبيان الشر والفتن الى أن بلغ مبلغ الرجال فانضافت اليه أصحاب وأعوان فصار يقطع الطريق وقد انضافت اليه الاشرار من السودان وهو يعطيهم وينعم عليهم حتى قوى واشتد ونظر الى نفسه بعز العظمة وقد كبرت نفسه عنده فتحالف هو والسودان على قتل الذى رباه وكان هذا من طمع أباه لعنه الله هو وأباه فما كان أكفره وأعداه فلما أن كان فى بعض الايام دخل على مولاه وذبحه من اذنه الى أذنه وملك مكانه وبذل الانعام فأطاعته السودان وصار حاكم على البلد واجتمع عليه أكالين الحرام فحدثته نفسه أنه يملك أرض مصر ووسوس له الشيطان فخرج فى خلق كثير ونزل على أرض مصر وحاصرها فأنفذ المتولى وأعلم الخليفة وأنفذ بنى سليم ولاقاه عقبة الآخر وجرى منه ما جرى مع زنعنع وأصحابه وعرف أنه أباه فقال ياأبتاه ان أمى قد حدثتنى أنك نصرانى فقال له صدقت يا ولدى وأنا ما قلت لك عن عبادة النار الا حتى أتقرب اليك والا فلا دين الا دين

المسيح بن مريم الذى تكلم فى المهد قبل أن يظهر وأحيي الموتى من قبل النشور (قال) فشد يا ولدى وسطك بالزنار ودع عنك عبادة النار والشرار لأن ليس لها قرار هذا وان الملعون لم يزل يشرح له دين النصرانيه ويزخرف له فى الملة المسيحية حتى تنصر وفرح عقبه وأقام عنده وصار اذا ركب دارت به السودان من كل جانب وكلما رأى ذلك يقول فى نفسه ان عبد الوهاب يرانى وأنا قد صرت ملك وولدى ملك الحبشه وأولاد حام (قال الراوى) ولما أن كان فى بعض الأيام وصلت الاخبار الى زنعنع ابن عقبه نسل الحرام بأن بنى سليم قد وصلوا وهم يريدون قتاله وعن قريب يكونوا عنده باهتمام فاستشار أبوه عقبه فى المسير إليهم فقال له يا ولدى ارسل اليهم جاويش حتى تنظر منهم وتحقق أخبارهم فان كانوا بنى سليم أو عساكر العراق فما نبالى بهم وان كانوا بنى كلاب وعبدالوهاب فأقف مكانك فما للمسيح غيرك ولا له عدوا غيرهم وان كسرتهم أنت فاخرج وسير فانك بعدهم تملك البلاد وكان مع زنعنع عشرين ألف من العرب فأنفذ منهم خمسة آلاف يكشفون الاخبار عن العساكر القادمة فساروا العرب وما غابوا أكثر من ثلاثة أيام وعادوا يخبروا بأنهم بنى سليم وأنهم فى غد أو بعد غد يكونوا فى العريش وقد تبعتهم من عرب السواحل خلق كثير فلما سمع زنعنع بذلك قال يا أبتاه كيف نقاتل ابن عمنا فقال له عقبه يا ولدى نسب الدين أمر من نسب القرابة وأفضل ثم انه نادى فى العسكر بأخذ الأهبه ففعلوا وتسلحوا بالسلاح الكامل فلما أن كان من الغد ركب زنعنع وركبت عساكره. فثارت غبرتهم الى أن طلعت للعنان فكانوا السودان اذا غدوا على أرجلهم يسبقون الخيل العربيه وبأيديهم الحراب الحبشيه وأكثرهم عرايا حمر الاحداق وهم الجميع على صفة الدواب فلما نظر عقبه الى ذلك اشتد فرحه وقال لولده زنعنع يا ولدى كفاك المسيح شر العين والحسد أنا أعلم أن بنى سليم ما تقيم بين يديك يوم واحد والصواب أن تأمر هؤلاء العرب أن تسير وتقطع هذه الطريق ولا يزالوا فى سيرهم حتى يخرجون من ورائهم ويصيروا خلفهم فتكون أنت من بين أيديهم وهم من خلفهم وتطبقوا عليهم بالعرب وسائر العبيد وتطحنوهم طحن الحصيد وتكبسوهم كبس المريد لانهم يكونوا آمنين من ناحية بلادهم فاذا انكسروا هؤلاء العرب وعادوا منهزمين الى ديارهم دبرت لك على أخذ البلاد والاراضى والامصار (قال الراوى) فلما أن سمع زنعنع كلامه أحضر العرب وخلع على كبرائهم وسادتهم وقد أعلمهم بما أشار أبوه فرأوه صواب فقالوا السمع والطاعه نحن نفعل ذلك أيها الملك ثم انهم جمعوا بنى عمهم وساروا فى ذلك البر طالبين

انجاز الأمر وقد سار زنعنع من بركة الجيش وما زالوا سائرين حتى وقعت العين على العين وتقابلت العسكرين فنظرت السودان الى بنى سليم والى لبسهم فعند ذلك طمعت فيهم لاجل الاموال وأرادوا أن يشرعوا فى أمر القتال فعند ذلك أمر عقبه الى ولده زنعنع أن يردهم ففعل ذلك وقد أمر النقباء أن تردهم عن القتال (قال الراوى) ثم ان عقبه كتب الى عمرو بن عبيدالله كتاب يقول فيه الذى أعرفك به أنى أنا ابن عمك عقبه الذى تخليتم عنى لاجل ما رأيتمونى خالفت المذهب وسلكت الدين الأصوب فلما علم المسيح ذلك خلصنى منكم بظهور هذا الولد المنتخب والرأى أن تنظر فى طاعته حتى يعطيكم البلاد ويرفعكم لأجل النسب على سائر الأجناد والا أطلق عليكم السودان فلا يبقوا منكم انسان ثم انه أرسل الكتاب الى الامير عمرو فلما قرأه قال لبنى عمه ألا ترون الى هذا الملعون كيف يريد أن نتنصر ونلعن فى سائر الاقطار ثم انه سأل الرسول كيف جاءه من الولد فأخبره بحديث زنعنع وقصته فتعجب غاية العجب وكتب اليه جواب الكتاب يقول له يا ملعون ان الذى تدعونا إليه لا نفعله قط وإنما نحن جئنا فى طلبك حتى نحملك الى الخليفة يصلبك ونبيض وجوهنا بأخذك ولو ظهر لك ألف ولد مثل هذا الولد لابد لنا من صلبك ونحن طليعة لمن خلفنا من العسكر وفى غداة غد يشرف الخليفة فى عساكره مثل البحر الزاخر ويتقدمهم الامير عبد الوهاب وبنى كلاب وسودانه وترى كيف ينتقم الله منك وتبقى فى حال الذل والهوان ثم أعطى الكتاب للرسول فعاد ولما أعطاه لعقبه وسمعه لولده زنعنع كشف رأسه وخفف لباسه وحمل حملة منكره وحملت سودانه وقوموا الرماح وصرخوا صرخة واحدة وطلبوا قبض الارواح فما كنت ترى إلا رؤوس طائره ودماء فائره وأيادى تقطع وحضرت الآجال وقطعت الأوصال وزنعنع يصيح فى المجال ويرمى برمحه الأبطال ويضرب بسيفه الرجال وعقبه فرح بذلك ودعا له بطول الآمال وما زالوا كذلك حتى ولى النهار وأقبل الليل وعادت السودان ومعها خيل وغنائم كثيرة من بنى سليم . وأما الامير عمرو فانه لما رجع نزل واجتمعت الأمراء وقالوا له ما عملت معنا خيرا وانك أردت هلاكنا لأننا فى قلة وهم فى كثرة فقال عمرو يا بنى عمى هذا أراده الله تعالى فقال محمد ابن أبان لانه كان من شياطين بنى سليم ولعقبه من المتعصبين يا ابن العم ما أنفذنا الخليفه إلا يريد موتنا أجمعين ولو كان وقع لغيرنا هذا الامر كان شد الزنار وكفر بالرحمن ولكن غدا ننتصر الى آخر النهار وإن طال علينا المطال طلبنا الفرار (قال) وأما زنعنع فانه دخل على أبيه فقبله ما بين عينيه ودعا له وقال يا ولدى شد قلبك وطمن

نفسك فانى أدبر لك تدبيرعظيم وآخذ هدايا وتحف من عندك إلى ملك الروم واعلمه بفعالك وأزوجك ابنته وأخرجك الى الثغور وتملك أنت الحكم والملك وتعود الدنيا كلها تحت حكمك ففرح بذلك زنغنع (قال الراوى) ولما اصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت السودان بقلب قوى وحملت حملة منكره . ولما رآهم محمد بن ابان قال هذا ما أخبرتكم به فارجعوا الى ورائكم وإلا أفنوكم عن آخركم فانكسرت قلوبهم ولحقهم الخوف وداخلهم الفزع فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ففرح زنغنع ومن معه من السودان ونهبوا الاموال والخيام والاثقال وقد رجعوا وهم بالنصر فرحين حامدين الى مصر (قال الراوى) وأما عقبه فانه أخذ من ولده زنغنع هدية سنية وسار يطلب مدينة القسطنطونيه وفى نيته يخطب لولده زنغنع ابنة الملك ملك الروم ميخائيل كما أوعده بها (قال الراوى) فسار الملعون ولم يزل سائر الى أن أشرف على أرض اسكندريه وكان اللعين قد نكر روحه وقال من ههنا تقلع الى بلاد الروم ثم ضرب خيمته برا البلد وجلس فى الخيمة وقال للسودان ابصروا إن كان على البحر مركب تقلع فيه الى قبرص ويكون خاليا من التجار وأرغبوا صاحبه بالمال حتى لايركب معنا آخر فقالوا السمع والطاعة . ثم انهم مضوا الى ساحل البحر وعادوا عند المساء فقال لهم ما الذى فعلتم فقالوا قد وجدنا على الساحل مركب وقد أكريناه رخيص فقال لهم انقلوا أسبابنا فنقلوا جميع أثقالهم الى المركب ولما أن كان الثلث الأول من الليل جهزوا أحوالهم وسار عقبه والعبيد بين يديه حتى وصل الى المركب وصعد وقد اطمأن فؤاده وعلم أنه قد بلغ مراده هذا وعقبه فرحان وقد أمن على روحه وأوقد بين يديه شمعة ونظر الى الملاحين وهم على جانب المركب وسألهم الى أين هم ذاهبين فقالوا اننا قاصدين الى مدينة القسطنطونيه ففرح الملعون بذلك ولم تحدثه نفسه أن البطال يحمل مراكبى (قال الراوى) ثم أقلعوا من على مدينة اسكندريه وساروا الى نصف الليل فأحضر المدام وقعد الملعون يسكر الى أن تمكنت الخمرة من رأسه وطاب له الوقت فقال وحق المسيح لابد فى ذلك ما أخرب البلاد وأهلك العباد وأكثر فى بلاد الاسلام من الفساد ومادام أن المسيح قوى ظهرى وشد أزرى بولدى زنغنع فلابد ما أعمل على خراب ملكه وأنزل بكل مافيها البؤس وأجلب الى هناك الرهبان والقسوس وأدق هناك الناقوس (كذب الملعون لعنه الله) ثم قال اين عينين البطال يرانى فى ذلك الدست وحق المسيح والإنجيل انه جاء على بجرعة الثكلا وهو الآن دائر يدور على يريد منى فرصة أو خلسة فقالوا له غلمانه يامولانا بحق المسيح لاتذكر

لنا ذلك الشيطان فانه متى ذكر حضر فقال لهم ألا تخافوا يا ولادى وحق المسيح ان البطال يفزع منى أكثر مما أفزع منه (قال الراوى) فما استتم عقبه ذلك الكلام حتى وثب اليه الأمير أبو محمد البطال من طارمة المركب وقال له ياشيخ أما هو قبيح عليك تغتاب الناس فى غيابهم . فلما سمع عقبه ذلك الكلام اصفر لونه واضطرب كونه وتلوث فى ثيابه وقال له من أنت لابارك المسيح فيك فقال أنا صديقك بالتصريح ابشر أيها الشيخ النجيح بالصفع المليح فأنا البطال بلا تلويح . ثم انه تقدم اليه وشد يديه ورجليه وكذلك أخذت أولاده الغلامين الذين له وضربوا رقابهم وأرموهم الى البحر وأن البطال أحضر الأموال التى كان رايح بها عقبه الى ميخائيل يخطب ابنته الى ولده زنعنع فوجدها أموال كثيرة فقال عقبه يابطال لا تظن أن تلك الأموال طابت اليك فدونها موت أحمر وبلاء مصور لأنها لولدى (زنعنع) الذى ملك مصر وسوف انه يملك البلاد ويهلك العباد ويجعل سرير ملكه بغداد (قال الراوى) فلما سمع البطال من عقبه ذلك الكلام قال له : ويلك يا كلب النصرانيه وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية . أما قولك عن ولدك زنعنع فما بينه وبين حياته إلا بمقدار مايصل عبدالوهاب سيد بنى كلاب بأبطال بنى عامر أهل الثنا والمفاخر الأسود الكواسر فسوف إن شاء الله على باب القاهرة نصلبه ثم انه ضربه ضرباً أليما ماعليه من مزيد وكشف رأسه وربطه فى صارى المركب ثم انهم لجوا فى البحار (قال الراوى) وقد ذكرنا أن الأمير أبو محمد كان رئيس مراكب درك فجعل يدير المركب بمعرفته وحسن خبرته إلى أن أشرفوا على السويدية فطلبوا اليها وأرسل غلامه لؤلؤ إلى حاكم البلد يبشره بقدومه فطلع اليه حاكم البلد وفرح به فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وزينت البلد الى قدومه وكان لقدوم البطال يوم يعد من الأعياد وأخذت عقبة الأكف من كل جانب ومكان (قال الراوى) ثم ان البطال أمر بعقبة الى المطمورة وأقام عليه التوكيل وأقام يطلب الراحة ثلاثة أيام بعد ماباع المركب واشترى بحقها دواب وأخذ عقبة وسار يطلب ملطيه ولم يزل سائر الى أن أشرف عليها فوجد الأمير عبد الوهاب قد برز بوطاقه وقد ضربه على نهر قباقب والبدنون وهو متجهز الى الغزو (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الأمير عمرو بن عبيد الله لما ارتد مكسور ووصل الى ملطيه وأخبر بذلك الأمير عبد الوهاب فصعب عليه وكبر لديه على ماجرى للمسلمين ثم نادى فى أبطال بنى عامر وكلاب والسودان الأنجاب بالغزو على ذلك الخارجى (زنعنع) فقال له عمرو ياأمير قد بلغنى ممن أثق به أن هذا زنعنع

ولد القاضى عقبة وما كسرنا إلا هو بتدبيره . فقال الأمير سوف إن شاء الله ألقاه واعجل فناه فان الله قد وعدنا النصر . وقد قال رب العالمين وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (قال الراوى) ثم انه ضرب وطاقه على نهر قباقب كما ذكرنا وقال والله قلبى على الأمير أبو محمد البطال فقد طالت غيبته وانقطعت عنا أخباره وانى أخاف عليه أن يسمع بعقبة أنه فى عساكر السودان فيمضى اليه فيعرفه فيعمل على هلاكه . فقالت الأميرة (ذات الهمة) يابنى لله الأمر من قبل ومن بعد (قال الراوى) وفى تلك الأيام أشرف عليهم الأمير أبو محمد البطال ومعه عقبة وأرسل ولده مذبحون يبشر بقدومه ففرح الأمير عبد الوهاب وكذلك الأميرة ذات الهمة وأمراء بنى كلاب والسودان الأنجاب . ثم انهم ركبوا الى لقاه وزينت البلدة لقدومه وأخذ عقبة اللطم من كل جانب ومكان الى أن أنزل الماء الأصفر من عينيه فقال لهم ويلكم يا شياطين إن مرادكم تصلبونى أبقونى فانى وحق المسيح مشرف على الهلاك (قال الراوى) ثم إن البطال أخذه وحبسه فى المطمورة التى عنده فى داره . ثم انهم أنفذوا بطاقة الى الخليفة المعتصم يخبروه بذلك الأمر وأن الأمير عبد الوهاب متوجه الى قتال زنعنع فجاء الخبر أنكم تحترزوا عليه غاية الاحتراز (قال الراوى) ورحلت العساكر ويتقدمها الأميرة المجاهدة ذات الهمة وولدها الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وقد وكل غلمانه بالدار التى فيها عقبة وترك عندهم الحصين وأخذ ابنته عذيبه وولده مذبحون وسار من فزعه على الامير مع جملة العساكر وبلغت الأخبار الى سائر البلاد بأن الامير عبد الوهاب طالب دار مصر فأتوا الطماعه طالبين المكسب واجتمع عليه كل قاطع طريق وكل لص فى الشام طمعا فى النهب والحطام ولما وصل الى دمشق صار فى مائة ألف عنان ولما نزل على ظاهر الغوطه خرجت اليه الإقامات والعلوفات من صاحب دمشق الامير سوار وصار الامير بعد ذلك طالب بلاد الساحل وهو لايأخذه قرار لاجل مافى قلبه من زنعنع بن عقبه من النار قال وان زنعنع قد وصلت اليه الاخبار وقالوا له الجواسيس ياملك شد عزمك فى هذه النوبه فقد سارت اليك عساكر بنى كلاب ومعها سودان مثل الذئاب يقدمهم الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه بنت مظلوم التى قد خربت بلاد الروم وخت منها الرسوم وما أتى حتى ضمن للخليفة أنه يقودك اليه ويحضرك بين يديه فلما سمع زنعنع ذلك الكلام ضحك وقال وحياة شيبة أبى الشيخ النجيح الذى عرفنى عبادة المسيح لأورينكم عند إشراف هؤلاء القوم قتال يذكر يوم بعد يوم ثم أنه أمر عساكره بأخذ الأهبه واستعداد العدة

وقالوا نحن مانخرج من بلاد مصر حتى نكسر هذه العسكر ونملك البلاد كما أمرنى أبى على أنه لابد ما يعود مع ملك الروم الى بلاد الثغور ونخرب تلك البلاد (قال الراوى) ثم أن الملعون زنعنع أمر العساكر بأخذ الأهبه للحرب والقتال والاستعداد وللطعن والضرب (قال الراوى) ثم أنه التقى بعساكر المسلمين وابطال الموحدين وكان الملتقى بينهم بمرج يعرف بمرج أبى عاص فلما وقعت العين على العين ونظرت بعضها البعض فرسان الطائفتين فلم تمهل عساكر السودان أن تصف صفوفها حتى أنهم حملوا على القوم من غير ترتيب ومازجت فيهم السودان بالحرب والمزاريق وفعلوا بقوم زنعنع فعال الأبطال وخاضوا فى المجال واشتد الحرب وطال واشتعل الفصال وجرى الدم وسال ووقع للجبان الانذهال (قال الراوى) هذا ولما نظر الأمير عبد الوهاب الى سودان زنعنع فى ذلك اليوم ومافعلوا بالرماح والحراب فقال إنالله وإنا إليه راجعون والله ما رأيت مثل هؤلاء القوم لأنهم على طبع الدواب يرمون أرواحهم مثل مايرمى الانسان نفسه الى بارد الشراب ثم شكى ذلك الى الاميره ذات الهمه وقال والله يا أماه ما ننال منهم غرض حتى يهلك منا خلق كثير ولاسيما هذا الكلب ابن الكلب زنعنع الملعون فقالت الاميره ما حاله يا ولدى فقال انى لقيته فرأيته فى طبقة عظيمة من الفروسيه ورأيت منه شيطان لا يندفع فقالت الاميره أنا رأيته أول النهار وهو يجول وما كان لى إليه وصول ورأيت قتاله كله خساره بلا خبره ولو كان الله أوقعنى به لما كنت فارقته إلا بالانفصال على أننى يا ولدى اليوم ما أحضر الحرب الاطالبة الشهادة لان الكبر قد استولى على ولا بقينا مما يقاوم الفرسان الا بالصبر والجلد وفى غداة غد نقاتل حتى تهدى نار الحرب ونخرج نطلب البراز لعل هذا الشيطان يخرج ويظفر به واحد منا وقد نفرت هذه العساكر من بين أيدينا لانهم أقوام مجمعه وكلهم به وما هو الا أن يعدم وقد تفرقوا فى أقطار الارض فقال الدينارى وقد قامت عيناه فى أم رأسه ياأمير طيب قلبك فأنا غدا أخرج الى الميدان وأهلك هذا الكلب ومن معه من السودان فسكن قلب الامير عبد الوهاب بذلك وطلب الامير أبو محمد البطال فما رأى له خبر فدق صدره لاجله وقال والله ما هو الا مضى الى عسكر هؤلاء الشياطين يحتال عليهم كما وعدنى وما أخوفنى عليه منهم لانهم بخلاف الروم ثم انه بات ضيق الصدر لاجل هذا الأمر (قال الراوى) وكان الامير أبو محمد البطال قدشاهد القتال وقت العصر فرأى أن عسكر زنعنع قوى وأنه لاينكسر فى يوم ولا اثنين وخشى على عسكر الامير أن يفنى منهم جماعة من الموحدين فقال لولده مذبحون ولابنته عذيبة إعلمى أن هذا

القتال يطول وأنا قلبي على عقبه أن يهرب من ملطيه ويرجع سرى يتعب فى حضوره وربما مضى الى بلد ما أقدر آخذه منها والأمير قد قتل من عسكره جماعه وكل واحد منهم يسوى عشرين قبيله من هؤلاء الملاعين والصواب أننا ندبر فى أخذ الملك فى هذه الليلة لعل العسكر تنكسر بين أيدينا ونرجع الى ما هو أهم من ذلك وهو صلب عقبه فقالت عذيبه ان كانوا هؤلاء القوم ما أبقاهم الا هذا الشيطان فسيروا معى حتى أريكم ما أفعل به وأوقعه فى شراكى وان كنتم تخافوا ولا تدخلوا معى الى عسكره فأقفوا ظاهره حتى أدخل الى الملك وأخدعه بعبادة النار وأسوقه إليكم فوق الحمار فضحك البطال من كلامها وفرح بهذا الكلام وعاد الى خيمته وأخذ كلما يحتاج إليه وكلما قالت له عليه عذيبه فعله يستعين به على مايفعله وخرجوا عنداختلاط الظلام وساروا حتى وصلوا أطراف الخيام ولبست عذيبه تنور ذهب أحمر وتقنعت بقناع شعر أسود وأخذت بيدها عكاز ودخلت نحو العسكر وهى طالبة سرادق الملك وقدأوصت أباها وأخاها بالمقام هنالك ولم تزل تخرق المضارب والخيام حتى وصلت اليه وكان زنعنع قد وصل واستراج وأمر باحضار الطعام وعنده خواص بنى حام وما هو الا أن قدمت له المو'ئد وقد شرعوا فى أكل الطعام فما هو إلا أن سمع صوت رقيق ندى يتلو شيئا من كلام المجوس وذكر الذمزمة الذين يذكرونها عند الأكل وهى اشواها يالملوهى هندنا ياهورهما تاريتااستانا ياشعيانااد شعوبا ياهاقلناهايالوع بنار شعشيم وقطن يانافتونا واغطينا من سلميناسيارسينا أن سبنا فغمسنا عند سينا أفعطينا (قال الراوى) وهذا هو دين قديم أظهره فى الخلق رجل حكيم يقال له روالست وأمر بعبادة النار وأظهر كلاما وشيجا وتقديسا بلغة المجوسية وأمر أمته أن يقولوه عند حضور الطعام واذا ارتفع وعند اشراق الشمس اذا طلعت وعند ايقاد وقت وقودها وعند قدوم الظلام وتصفيق الكواكب والقمر السائر الا أن زنعنع لما سمع الزمزمه من عذيبه بذلك الصوت الرقيق الحنون وذكر عبادة النار عاد قلبه إليها ووقعت اللقمة من فمه ودمعت عيناه وكذلك أصحابه وقال لغلمانه على بهذا الرجل العابد فما أظنه إلا رسول من النجم الثاقب وهو عتبان على فخرجوا الغلمان وعادوا وعذيبه معهم بذلك الزى والوقار وهى مثل البدر اذا بدر فلما رآها الملك تقلقل قلبه وطار لبه وقام هو وجميع من حضر إجلالا لقدومها وما فيهم الا من قبل يديها وأجلسها الملك الى جانبه وقال لها من أين قدمت علينا أيها العبد الصالح ومن تكون وكم لك فى الأرض سائح فقالت عذيبه أما سؤالك من أنا فأنا ابن الملك النبراس صاحب كانون الذهب

وتنور النار ذات اللهب الذى صفا فى العباده وتجوهر وأما قولك فيما أتيت ففى أمر أقصه عليك وأريد أن يكون سرا لا يطلع عليه أحد الا أنا وأنت والاله المعبود فانه أمر برد قلبك فلما سمع الملك هذا الكلام ولع قلبه وهام وأصرف جميع من كان حوله وأمر أن يرخوا عليه أبواب السرادق ففعلوا ذلك وما فى الحضار الا من خرج وقلبه فرحان لأنهم كانوا قد بغضوا الملك من حيث استقل الى عبادة الصلبان فخرجوا وهم يقولون لاشك أن النار غضبت على ملكنا وقد أرسل اليه النجم الثاقب رسول يرده إلى الصواب لأن صورة هذا الرسول لم تكن من صورة الآدميين ولا رقة بشرته ولطافته وملاحته وهذا دليل على أنه من الملوك العلويين (قال الراوى) هذا والملك قد خلا بعذيبه وقال لها أيها السيد قص على مامعك من الأخبار فقد أضرمت فى قلبي النار فقالت عذيبه : اعلم أيها الملك انى خرجت من بلد من بيوت النار أتعبد فى بيوتها ورؤوس الجبال ليلا ونهارا حتى وصلت الى هذه الدنيا وقلت انى أمضى الى عين سلوان وأزور بيت هارون . فبينما أنا البارحة نائم عند اهرام مصر واذا قد تجلى النجم الثاقب الذى نعبد النار لأجل تقربنا اليه وقال لى ياعبدى قد قبلت عبادتك وبكاك وأريد أن أتحفك بالثواب وأرسلك رسول الى هذا الملك الذى تبرأ منى واشتغل بعبادة المسيح عنى ودخل عليه المحال من رجل محتال شيخ غدار لعب بعقله حتى بلغ منه الآمال وأزاله عن عبادة النار فامضى اليه وأعلمه انى غضبان عليه وان لم يستقيل من عثرته ويرجع يعظم معبوده وإلا جعلته عبرة بين عبيدى وأنزلت عليه الذل والمسكنة عند محاربته وأحرمته لقائى وأسكنته فى دار بلائى وان هو عاد عن ما ابتدع وقد رجع عن هذه البدع وعاد الى الدنيا كما كان وشيد بيوت النيران . ثم عادت عذيبه الى قراءة المجوس وذكرت أهوال يوم القيامة حتى بكى الملك من شدة ما ناله وكشف رأسه وقال أيها العبد الصالح دلنى كيف أصنع ؟ فقد دخل على قلبي الشك والبدع رأيت اليوم الرخاوة فى بدنى عند الحرب وأظن هذا من غضب الرب . فقالت عذيبه : أيها الملك استدرك الأمر قبل الفوات ولا تتكبر وارمى عن نفسك رداء الإعجاب وقم معى الى جبل طور العتاب واخرج معى الساعة الى ظاهر عسكرك حافى مكشوف الرأس متنصل من دنياك حتى أبسط لك رماد وأقف الى جانبك وأعلمك ما تقول وأدعو الرب الكبير وتصلى ركعات حتى يغفر لك مامضى ويقابلك بالعفو والرضا . لأن ذل العبد بين يدى المولى عز الى الأبد وما خاب من وقف تحت الظلام وتعبد . فلما سمع الملك ذلك طاش عقله وحار

وقام حافيا من سرادقه يطلب البر والقفار ولم يطلع على حالته أحد لا من الجيش ولا من غيره . هذا وعذيبه سائرة بين يديه حتى انفردت عن الخيام تحت غسق الظلام واستقبلت به الشوق وبسطت يديها وبسطت سقط كان معها فى مخلاة وجعلت تلقنه ما يقول من الدعاء وتبكى فى وجهه حتى بكا وصلى حتى غسق الظلام وهدى وقالت له عذيبه ابكى الساعة على جنبك فابكى وقامت عذيبه تبكى عند رأسه وبعد ساعة قالت له عذيبة قد غفر لك ربك ومحيت خطاياك وذنبك فقعد زنعنع وهو قد انتبه كأنه كان فى منام وقال أيها العبد الصالح أريد ربى أن يخاطبنى وأسمع منه كلام فقالت عذيبه ما تقدر على ذلك إلا أن تترك القيد فى رجلك وهذا الغل فى عنقك وفى يديك وسلم أمرك اليه ثم أخرجت له قيد وسلسلة طويلة وهو مثل الجيران ثم انها غلت يديه الى عنقه وقالت له هذا بلوغ الصالحين للآمال وأخرجت سوطا من جلد منقوع وجعلت تضربه على أجنابه وتقول هذا عقوبة فعالك الفاسد وتحولك عن الدين الصحيح الى عبادة المسيح ولم تزل تضربه على أجنابه حتى أدمت وصاحت بأبيها البطال وأخوها مذبحون فتبادروا اليها ورأوها على تلك الحاله فتعجبوا من فعالها ثم أنهم جعلوا الأكره فى فمه وشدوا عليه وحملوه وساروا يطلبون عسكر الامير عبد الوهاب وقد أوسعوا فى الأرض حتى عبروا الحرس فكانوا عند السحر فى عسكر المسلمين وقصد الامير أبو محمد الى خيمة الامير عبد الوهاب وكان قد عاد من الحرس هو وأمه ذات الهمه لأن الليل كان قد انقضى وما هم الا قد نزلا حتى دخل عليهم البطال وأولاده فقال الأمير عبد الوهاب مرحبا يا أبو محمد أين كانت غيبتك والله ان قلوبنا بك معلقة فقال أبو محمد ما كان الاخير بحمد الله تعالى ثم ترك زنعنع بين يديه وأخبره بالحال وبما صنعت عذيبه من الحيلة فتعجب الامير وشكر الله تعالى وأثنى عليه وقال سبحان مسهل الأمور والله يا أبو محمد ما بت الليلة إلا وأنا حامل هم هذا الملعون وهم عساكره ثم نظر اليه وهو فى القيد والغل فزاد عجبه وقال والله ان فيه مشابهة من أبيه لولا سواده وهذا اذا كسرنا عساكره صلبناه على باب الذهب حتى لا يرجع يطمع أحد فى أموال المسلمين ولا يخرج خارجيا على بنى العباس ثم أنه وكل به جماعة من بنى كلاب وأقاموا حتى أصبح الصباح وثاروا الى الحرب والقتال بنيات صحاح وركبوا متون الخيل القداح وكثر فيهم الصياح وركب أيضا عسكر زنعنع وسودانه وانتظروا زنعنع أن يخرج فما خرج فسألوا عنه خواصه الذين كانوا عنده فقالوا رأيناه وقد أتاه شخص مثل القمر عليه ثياب حمر ورأيناه وهو يعاقبه على تركه عبادة النار ودخوله فى دين أصحاب الزنار وبعد

ذلك طلب الخلوه معه وخرجنا من عنده وتركناه وهذا آخر العهد به فان كان قد تم على الملك أمر فهذا علامة الادبار (قال الراوى) وقد شاع هذا الحديث بينهم حتى سمعوه العرب الذين كانوا قد صاروا مع زنعنع من أرض مصر فصعب ذلك عليهم وقالوا لبعضهم هذا هوالهلاك بعينه لنا ولأولادنا وسبب هجاجنا من أوطاننا وبلادنا لأننا قد خامرنا على أصحابنا وقاتلنا مع هـذا الخارجى وها قد تم عليه ما تم وما بقى فى الأمر الا أننا نسير اليوم ونكون بمعزل عن القتال فان طلع للملك خبر بقينا على حالنا وان كان هلك حملنا على هؤلاء السودان والا سبونا وتركونا مثلا فى هذا الزمان (قال الراوى) ثم انهم ترتبوا واصطفوا للحرب وتأهبوا للطعن والضرب وقالت الحبشه نحن نعلم أن ملكنا ما عدم الاوهو عند هؤلاء القوم وقد احتالوا عليه وأخذوه ولا بد ما نرمى أرواحنا الى الهلاك حتى اننا نخلصه ثم انهم صاحوا وعولوا على الحملة فقال الأمير أبو محمد البطال للأمير عبدالوهاب اقبل منى ماأقول واخرج هذا الملعون إلى بين الصفين واضرب رقبته واصلبه حتى ينقطع آمال السودان منه والا لاقيت اليوم منهم قتال مارأيته قط لأجل طمعهم فى خلاص ملكهم فقال الأمير عبدالوهاب افعل ما بدالك فأنا ما كان فى نيتى إلا صلبه مع أبيه والساعه فرأيك أصوب ثم انهم نصبوا لزنعنع خشبة بين الصفين وما كانت الاساعه حتى حمل إليها بقيده وغله ورفعوه الى أعلاها وقد أخذته الحراب والسهام من السودان والعوام ورأت عساكره ذلك فتملقت عزائمها وانقطعت ظهورها وقد عولوا على الحملة فصاحت عرب مصر أمير المؤمنين يا منصور ثم انها مالت على عساكر السودان ونظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك فحمل فى بنى كلاب وكذلك الدينارى والسودان الأنجاب ووقع فى عسكر زنعنع الذل والهوان وأخذهم الصياح من كل جانب ومكان وعمل فيهم الصارم اليمانى فيا لها من ساعه ما كان أعظمها وعلى أهل الكفر ما كان أيشمها (قال) فعند ذلك ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وعمل فى أقيفتهم السيف اليمانى وفى ظهورهم الخطار ولم تزل العساكر وراءهم الى آخر النهار ورد الأمير عبدالوهاب والأميره ذات الهمه وبنى كلاب والسودان الأنجاب والكل يثنوا على الأمير أبو محمد البطال وعلى ولده مذبحون وابنته عذيبه ويسبحون الله ويقدسونه (قال الراوى) ولما كان من الغد ارتحلت عساكر الاسلام والأمير عبد الوهاب أقبل إلى أرض مصر ينظر ان كانت السودان فيها والا رحلوا عنها قال لا بد أن أخلص مصر من هؤلاء الأندال وكان المصاف بينه وبين مصر خمسة عشر فرسخ لأن مصر مفضلة فى سائر الأقاليم لأن الله تعالى ذكره

فى كتابه العزيز ومن جملة ذلك قوله تعالى (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) ثم انهم ساروا الى أن أشرفوا على مدينة مصر فوجدوهم قد انهزموا وكذلك العرب المتجمعه ولوا فعند ذلك دخل الأمير مصر وأوكب فيها (قال الراوى) وكان لدخوله يوم عظيم وفرحت به سائر الخلائق والأمم وهم يدعون إليه وقد أخذه الدعاء من كل جانب ومكان وأقام بمصر ثلاثة أيام كل يوم يركب ويزور قبور الصالحين ويتفرج على آثار المتقدمين وفى اليوم الرابع رحل يطلب البلاد وأبو محمد يحثه على المسير شوقا منه الى عقبه الخنزير وعبد الوهاب يقول له يا أبا محمد لا بد ما أجعل طريقى على بيت المقدس وأصلى فيه وأربح الثواب فقد انتهى العمر ومالى عمل ألقى به ربى ولا أنا طامع إلا فى المغفرة والرحمة وهذا بيت المقدس مكان شريف صلى فيه سائر الأنبياء صلى فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جعلوا يقطعون البلاد حتى وصلوا إلى عسقلان والدعاء يأخذهم من كل مكان وأقاموا فى عسقلان للراحه ذلك اليوم ومن الغد هموا بالرحيل وإذا بمذبحون قد دخل على أبيه البطال وقال يا أبتاه قد وصل أخى الحصين وغلامك لؤلؤ من ملطيه وأخبروا أن عقبه هرب فلما سمع أبو محمد منه ذلك كادت روحه أن تزهق من شدة ما جرى عليه ثم أحضر الحصين ولؤلؤ بين يديه وقال ويلكما حدثانى بهذه القصة فقال الحصين يا أبتاه ان محمد بن أبان السلمى كسر علينا الدار فى الليل ونزل هو وعشرة من بنى سليم وذبحوا من غلمانك اثنين وأخذ عقبه من المطموره وسار من ملطيه وكنا نحن تلك الليلة برا فلما أصبحنا دخلنا نفتقد عقبه فما رأيناه ووجدنا قد تم هذا الأمر وما كان لنا من نشتكى اليه إلا الأمير عمرو بن عبيد الله فلما أعلمناه بذلك أركب الخيل فى طلبه فلم يعلم له خبر فاعتذر إلينا وضاق صدره لذلك فأقسم أنه ان وقع بمحمد ابن أبان صلبه وصلب كل من معه ولما أيسنا نحن من عقبه سرنا إليك ثم قال الحصين وقد سمعنا أن عقبه ومحمد بن أبان وثلاثين رجلا من بنى سليم قد أقلعوا إلى قبرص وهم طالبين بلاد الغرب (قال الراوى) وكان هذا الشيطان محمد بن أبان كما ذكرنا قليل الدين شديد اللجاج محب لعقبة وانه لما رجع مع الأمير من الكسرة التى كسرهم زنعنع ورأى من قد هلك من بنى عمه وكان فى قلبه أيضا من فعال الخليفة أمر عظيم لما صلب منهم عند هتك ستر عقبه من ذكرنا ونفسه تحدثه أنه يدخل الى بلاد الروم ويتنصر من شدة لجاجه ولم يزل كذلك حتى رأى البطال قد أتى بعقبه وحبسه فى المطمورة وسار مع الأمير الى قتال زنعنع كما ذكرنا. ورأى محمد بن أبان ذلك فقال

مالى إلا أن اغتنم الفرصة عند خلو ملطيه من بنى كلاب وأخلص ابن عمى عقبه ولا يشمت بنا عبد الوهاب وأسير معه الى أين أراد الى القسطنطونيه أو إلى ولده زنعنع ونكون نحن معه ندور على فتح البلاد وهلاك أعداءنا والحساد ولا أصبر على الضيم كما صبروا بنى سليم ثم حالف الثلاثين رجل كلهم مثله فى قلة الدين . ولما أراد أن يأخذ عقبة من الدار ترك منهم عشرين ظاهرُ البلد ونزل هو وعشرة الى حجرة البطال فذبح غلمانه وخلص عقبة ونزل هو وأصحابه من أسوار ملطيه وكانوا قد حصلوا لهم الخيل والعدد مع أصحابهم فركبوها وقالوا لعقبة فما يكون عندك من الرأى والتدبير والى أى قول تشير والى أى طريق نسير فقال لهم اقصدوا بنا ديار مصر لننظر ايش فعل المسيح بولدى زنعنع وما كان منه فقالوا له افعل مابدا لك وهانحن سامعين الى مقالك (قال الراوى) ثم انهم ساروا وهم يسيرون بالليل ويكمنوا فى النهار وقد تكرز بهم وكذلك تنكر الآخر فبينما هم سائرون واذا بالخبر وصلهم بما جرى على ولده زنعنع وكيف أن الأمير عبد الوهاب ضرب رقبته وهو على الخشبة بين الصفوف وكسر عساكره (قال الراوى) فلما أن سمع اللعين بذلك شخر ونخر وطغى وتجبر وكفر وقلع مداسه ولطم به على رأسه ومزق ثيابه ولطم على قمته ونتف ما بقى من لحيته وقال فما المسيح إلا مسلم ولابد أن عقبة يدخل الى بلاد اليهود ويعتقد ما يعتقدرن ويعبد مايعبدون ولو يعبدوا الحجر وقد زاد به الفكر وأتاه الهم والضرر وكادت مرارته من الغيظ تنفطر وقال لمحمد بن أبان انقطع يا ابن العم أملى من هذا الوجه وخاب رجائى وقدحصلنا الساعة فى هذه البلاد ومابقى لنا نجاة ولا مكان نعيش فيه سالمين إلا بلاد المغرب ونقيم تحت ظل خليفة بنى أمية وأنا أتوسل اليه وأتركم عنده بالمنزلة الرفيعة ويكون حالنا مكتوما فقال محمد بن أبان افعل مابدا لك فموتنا فى بلاد الغرب أهون علينا من شماتة الأعداء ثم طلعوا فى بعض المراكب وأقلعوا طالبين جزيرة الأندلس وعقبة يشرح لهم دين النصرانية ليلا ونهارا حتى نصر الجميع وبراهم من دين الاسلام (قال الراوى) وكان الحصين ولؤلؤ قد اقتفوا آثار عقبة ومن معه إلى صور كما ذكرنا ودخلوا على البطال وشرحوا له القصة كما وصفنا (قال الراوى) ولما علم البطال حقيقة ذلك ضاقت عليه المسالك وقال للأمير عبد الوهاب أنا من هنا ما أتبعك ولا بد لى مما أدخل الى جزيرة قبرص وأقتفى آثاره ولا أعود إلا به إن شاء الله تعالى أو أهلك دونه ثم اكترى بعض المراكب له ولأولاده مذبحون والحصين وغلامه لؤلؤ وأرادت عذيبه أن تسير معهم

فلم يمكنها من ذلك بل سيرها مع الأميرة ذات الهمة بعد أن طلبت الأميرة المسير معهم فلم يطاوعها وقال لها أيتها الأميرة نحن نركب هـذا البحر والله يعلم ما يكون وانى مقامك فى الثغور فى وجه العدو أوفق ثم انه أقلع بريح طيبة وكتب الله لهم السلامة بعد ما قعدوا فى البحر أيام الى أن وصلوا الى قرطبة ونزلوا من المركب وسكنوا فى بعض أماكنها وأقاموا فيها ثلاثة أيام وهم يدوروا على عقبة فما وقعوا له على خبر فقالوا له أولاده يا أبتاه فما يكون عندك من الرأى فى وقوع هـذا الشيطان ونحن لانعلم هم فى أى مكان فقال البطال يا أولادى وحق البشير النذير إن قلبى يحدثنى أن الكلب عقبة ما قصد إلا بلاد الغرب لأنه يقول ان دخلت الى بلاد الروم لابد أن البطال يسير خلفى ولا يكون لى قرار فى تلك الأمصار وأما الغرب فما يعلم بى ان كنت هناك أم لا وما يعلم الملعون أن إبليس يتعلم منى الطريق والصواب أن نقصد الى تلك الأماكن وننظر ان كان هناك أم لا فقالوا له أولاده افعل ما بدا لك فكلنا سامعين مقالك فعند ذلك ساروا الى مدينة اسكندريه ومن هناك الى بلاد الغرب (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر البطال . وأما ما كان من عقبة الشيطان ومحمد ابن أبان فانهم ساروا يطلبون الغرب كما ذكرنا وقد ضاقت عليهم الأرض ولم يزالوا سائرين حتى انهم أشرفوا على مدينة الغرب وهى المدينة الكبرى وكان بها الملك الذى من بنى أمية وهو هشام المؤيد الذى جرى له مع البطال وظالم ما قد جرى لما كان نفاهم الخليفة هارون الرشيد بالله الى بلاد الغرب وعدوا قدام عبد الودود بن اسماعيل ودخلوا بعد قتل ازور ملك البربر وأتوا الوبال الى تلك المدينة (قال ياساده) وبعد ذلك دخلوا من خشخانه الى تلك المدينة وأرسلهم ذلك الملك هشام المؤيد الى بلاد الافرنج وجرى ماجرى وانتصروا على العدو ورحلوا بعد ذلك الى بلادهم (قال) ياساده وتداولت الأيام والشهور والأعوام الى أن دخل عقبة الى هذه المدينة (قال الراوى) وكان ذلك الخليفة من بنى أمية كما ذكرنا وكان السبب فى قدومهم الى هـذه الأرض أنه لما جرى لمروان مع أبو مسلم الخراسانى وعبد الله والمنصور والسفاح وماجرى من قتل مروان فانهزمت بنى أمية وأتوا الى هذه المدينة فساروا خلفه ومن جملتهم هشام المؤيد هـذا وكان صاحب عدل وانصاف ويكره الجور والإسراف (قال) ولما أشرف عقبة على هذه المدينة وجد ملك عظيم أعظم من ملك بنى العباس (قال) فلبس الملعون بدلة عظيمة وجنح الطيلسان وأرخى أردانه والتقى بموكب الخليفة وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامى حوزة الدين خذ

بيـد المظلوم وارحم المساكين يرحمك رب العالمين ثم ان الملعون حط يده على أذنه وقال « ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » وكان الملعون له صوت حنون وقال ياخليفة الله إنى قد جئت اليك من الداخلين عليك وانى أبشرك بكل خير ولك العز والبقاء وتظهر العدل فى هذا الزمان يا أمير المؤمنين أنا قاضى قضـاة العراق والحاكم بين الناس ومدير دولة بنى العباس وقد قصـدت الى حرمك العظيم لأعيش تحت ظلك لأننى فى محبتـك قطعت أطرافى ولأجل خلافتك سلمت من تلافى فأجرنى من الردى ولا تشمت بى العدا وامتحنى فى أى شىء أردت ليتبين لك ذلك لفهمى وعلمى ثم بكى الملعون بخشوع وفيضان دموع فقال له هشـام ماسمعنا أن القاضى بالعراق إلا عقبـة بن مصعب وبلغنا أنه نصرانى ولم نصدق هذه المعانى فقال عقبة أناذلك المظلوم المتهوم فحاش لله الحى القيوم وانمـا أنا أتولى دولتك وكل وقت يشاورنى المعتصم بأنه ينفذ اليك يقتلك وأنا أنهاه عن ذلك ولم أزل كذلك الى هذا الوقت فعادونى فى المشورة فنهيتـه فغضب المعتصم على وقال والله ياقاضى ماقصدك إلا دولة بنى أمية ثم قبض على وفعل بى هذه الفعال ونكل بى أشد نـكال وأراد أن يصلبنى فسألوه أرباب الدولة فى حتى تركنى وعدت الى الثغور ولمـا برئت أطرافى وشـكوت حالى الى بنى عمى فتبعنى منهم هؤلاء الثلاثين وأتيت اليك قاصد فلما سمع هشام منه ذلك تعجب وقال ياقاضى أبشرفقد ذهب عنك الشـقاء والتعب ونلت ما أنت له طالب وأنا أحكمك فى دولتى وأتركك مدير مملكتى ثم أعاده الى مركوبه وخلع عليه وعلى أصحابه وولاه قضاء الأندلس وبعد أيام وصل أبو محمد البطال وأولاده وقد اقتفوا آثاره حتى وصلوا الى تلك الديار وقال البطال ياأولادى هذه المدينة أعظم مدائن الأندلس وهى كرسى مملـكة خليفة المغرب فليدخل أحـدكم اليها ويتنسم أخبار عقبة إن كان ههنا أم لا ويعلمنى بمـا جرى فقال الحصين أنا لهـذا ثم سار الى البلد وقد ترك أباه فى بعض البساتين وهم أن يدخل البلد واذا بعقبة خرج ومعه جماعة من الأصحاب فلما رأى الحصين عرفه فأمر بقبضـه وعاد إلى هشام المؤيد وقبل الأرض وقال يامولانا وقعت ببعض أعداك وهو من جواسيس المعتصم فاصلبـه فهو الذى ضمن له قتلك فقال له افعل ما بدا لك ولا تعود نتوانا فى الركوب وفزع المؤيد على نفسه هذا وعقبة قد عاد وأمر أن يصلب الحصـين على خشبة عالية مقابل الباب وعقبـة ينظر اليـه كيف يشنقوه ويشتفى منه إلى أن فارقت

روحه جسده وسار الى أشبيله وقد حذر على نفسه (قال الراوى) فهذا جرى وأما البطال وولده مذبحون ولؤلؤ فانهم لما أبطأ عليهم الحصين دخلوا وراءه الى أن وصلوا الى الباب فرأوا الحصين مصلوب وقد مال على رأسه وكل من دخل وخرج يتفرج عليه فلما رآه البطال لطم على رأسه واعتنقه وهو على الجزع وكذلك لؤلؤ ومذبحون وتصايحوا واجتمعت الناس عليهم وقالوا لاشك إن هؤلاء باقى الجواسيس وبلغ الخبر إلى هشام المؤيد فقال لبعض حجابه انزل وائتينى بهؤلاء القوم حتى انظر هذه القصة كيف هى (قال) فنزل الحاجب وأتى بالبطال ومن معه من الرجال فقال لهم ويلكم من جسركم على هذه الفعال فقال أبو محمد يا أمير المؤمنين لاتقول هذا فتأثم إن كنت أمرت بقتل ولدى فلى معك وقعة بين يدى الله تعالى فقال له من أنت ومن هو ولدك فقال أنا أبو محمد البطال حامى ثغور الاسلام وسبب دخولنا الى هذه الديار عقبة الكافر الغدار المطرود من باب رب العالمين وقد ثبت عند كل أحد كفره وهذا خط المعتصم بكفره وقصته والذى قد صلبته هو ولدى وقطعة من كبدى ثم أعاد عليه ماجرى وأوراه خط المعتصم فلما قرأه أطرق الى الأرض رأسه ثم رفع رأسه وقال أما صلب ولدك فما رأيته وأما عقبة فقال لى كيت وكيت فصدقته والآن فما أقول انه كافر برب العالمين فاصطلحوا واقعدوا عندى ودعوا عنكم هذا الكياد فقال أبو محمد يامولانا ما أقدر على الاقامة ولا لى الى صلحه سبيل لأنى رأيته يسجد للصور والتماثيل فان سلمته الى فأنا أهبك دم ولدى وإلا عدت بالخيبة الى بلدى ثم قبل الأرض وسأل الإذن فى الانصراف واذا بخادم من خدام هشام عليه زى أهل الصلاح قد قبل الأرض وقال يامولانا أنت تعلم أنك قد أنعمت على بجالية النصارى لأنها حلال وفى هذا اليوم احتجت الى شيء من الدراهم فمضيت الى البيعة لآخذ من بعض النصارى ما وجب لى عليهم فرأيت عندهم عيد عظيم وهم مجتمعين وقد مسحوا وجوه الصور وحلوا القناديل وهم يقرءون الانجيل واذا بشيخ قد خرج من المذبح وعليه ماشوحة وعلى صدره صليب ذهب وحوله ثلاثين رجل على صدورهم الصلبان وهو يقربهم فتأملته وإذا هو القاضى عقبة والذى حوله أصحابه قال فلما سمع المؤيد ذلك صح عنده كفر عقبه وقال أريد أن أطلع على هذا ثم صبر إلى الليل وأخذ أبا محمد البطال وعشرة من الخدام والخادم الذى أخبر بذلك وساروا حتى وصلوا إلى البيعه فقال الخادم ان دقينا عليهم حتى يطلعوا علينا هربوا ولا ننال منهم مقصود فتسلق مذبحون وفتح الباب وقال ادخلوا على اسم الملك الوهاب

قال فدخل الخليفة وجماعة الأصحاب وقد أشهروا السيوف فلما حصلوا فى وسط البيعه سمعوا ضجة الرهبان وصوت عقبه يبدأ بهم ويضع لهم الألحان فقال الخليفة هذا والله صوت عقبه ثم دخل الهيكل فرآه على جرن ماء المعمودية وهو يغمس بنى سليم فما أحس عقبه إلا والمؤيد على رأسه وقال يا شيخ الضلال ايش هذه الفعال فشال عقبه رأسه وقد ضربت أضراسه وقال يا مولانا العفو أنا أجدد الاسلام بين يديك وأحلف أنى لا أعود الى مثلها أبدا فقال الخليفة ويلك فلا عفى الله عمن يعفو عنك ثم قبض عليه وعلى بنى سليم وسلم عقبه الى البطال وقال خلوا الباقين حتى نأخذ منهم حق الله وسلم إلى البطال عقبه وقد انفطرت مرارته وقال له يا شيطان خلق خلقى فقال له يا ملعون أقدر أخليك حتى أصلبك بكفى سيما وقد أثرت فينا أثر فصلبت ولدى الحصين وتركتنى عليه باكى العين (قال الراوى) هذا وهشام المؤيد قد أمر بالقبض على القسوس الذين فى البيعه وقال لهم ان أنتم أيضا قد خامرتم على لاطلاعكم على هذا الأمر وكتمانكم على ثم أقام باقى ليلته فى الكنيسة وغلمانه تنهب الأموال ولما كان عند الصباح أمر بصلب بنى سليم وصلب القسوس على شراريف البيعه وخلع على البطال وأقام عنده عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر استأذن أبو محمد فى الرواح وأعلمه أن له من ينتظره فأذن له فى ذلك وادعى برجل يقال له حسن بن عبدالله وهو ريس البحر المقدم على المراكب فسلم أبو محمد إليه وقال له أريد تسير هذا إلى أى بلد يريد من بلاد الساحل وتوصى عليه ولا تتوانا فى حقه فقال يا مولانا ما ههنا الساعه مراكب عازمه على الاقلاع إلا ثلاثة من ديار مصر واسكندرية فان اشتهى سيرته معهم فقال البطال أنا أسير إلى مصر ثم نقل رحله وتولى أمره ريس البحر وأنزلهم فى بعض المراكب ومن الغد أقلع المركب وسار وقد رزق بريح طيبة وما كانت إلا أيام قلائل حتى أشرفوا على اسكندريه وأقلع منها إلى ديار مصر ولما حصل فى مصر طلع عليه أحمد بن طالون وقد فرح بوقوع عقبه وأمر للبطال بدار حصينه وقال له أقم ههنا حتى تستريح من وخم البحر فقال له البطال أخاف على هذا الملعون أن يهرب أو يكون له ههنا من يخلصه لأن له فى كل بلد متعصبين وأصدقاء ومحبين وأصحاب من النصارى ومسلمين وربما أن أنكبس فى الدار ويؤخذ منى فأتركه عندك فى النصر واحتفظ عليه (قال الراوى) فسلمه أحمد ابن طالون وقيده بقيد ثقيل وتركه فى حجرة وأقام عليه التوكيل وبقى البطال خمسة أيام وفى اليوم السادس طلب المسير وطلبه أحمد حتى يسلمه إليه فما رأى له خبر ولا وقع له على أثر ولا للموكلين به أثر فتحير من ذلك وأخذه الفكر وأتى البطال فكادت مرارته

تنفطر وجرى عليه ما لا يجرى على قلب بشر وقال ضاع والله تعبنا وضاع السفر فقال له مذبحون يا أبتاه لا يكون قد تعصب له أحمد بن طالون وأطلقه فقال البطال لا والله يا ولدى لأنه يعلم أنه كافر وطول الزمان يعاونا عليه (قال الراوى) وكان السبب فى هروب عقبه أنهم لما تركوه فى الدار وتركوا عنده الموكلين فرآهم كثيرين السكر وشرب العقار ونشيد الأشعار والبكاء بالليل والنهار فسألهم عقبه عن أمرهم فقالوا ياشيخ نحن عشاق ومغلوبين قليلين الديوان مهجورين فلما سمع عقبه هذا الكلام طمع فى الخلاص وقال لهم يا قوم ما قولكم فى ثلاثة آلاف دينار تعيشوا بها مع من تحبوا طول الزمان وتستغنوا عن خدمة السلطان فقالوا والله ما هذا إلا رأى جيد ان حصل فقال عقبه هو حاصل لكم ان دبرتم فى خلاصى ولاتسرعوا فى هذا الحال حتى تقبضوا الأموال فقال واحد منهم أنا لو وقع فى يدى ألف دينار اشتريت منها محبوبتى بمائة دينار وأكلت الباقى معها وقال الثانى كذلك وقال الثالث وأنا كنت أرجع إلى أهلى فقالوا وكيف يكون حالنا مع السلطان فقال عقبه للمتكلم أنت قد ذكرت أنك ترجع إلى أهلك فاذا قبضتم المال انقبوا الدار وخلصونى حتى يبقى لهؤلاء حجة يقولوا رفيقنا أسكرنا وهرب بالشيخ عقبه فقالوا هذا هو الصواب ثم كتب لهم الملعون رقعة بيده اليسار إلى رجل نصرانى فلما قرأها أجاب بالسمع والطاعه وأخرج له ثلاثة آلاف دينار فأخذها وسار إلى أصحابه فلما رأوا أصحابه المال حارت منهم الأفكار وقاموا إلى عقبه وفكوا قيده وأخرجوه وقالوا له انج بنفسك من الحمام فنحن ما لنا مقام فقال امضوا فى دعة الله ثم أنفذ إلى النصرانى قوما فأخذ منهم نفقة وسار إلى النوبه وأشعل فى قلب البطال لأجله النار وقال والله لأدورن عليه الأمصار وأخوض البحار وأنا أعلم أن خبرنا سوف يكتب فى الأوراق والأسفار ويقرأوه فى سائر الأقطار ويتعجب كل من الحضار ويبقى حديثنا بعدنا حكايات وأسمار ثم ودع صاحب مصر وسافر إلى الصعيد وعبر إلى عيداب وقال لولده اقصد بنا إلى بلاد السودان فأنا أعلم أن عقبه يطلب البعد فى الأقطار لتنقطع أخباره عن هذه الديار ثم سار يقطع القفار ويتنسم الأخبار حتى دخل إلى بلد النوبه ونزل فى خان فبينما هو يسير بعض الأيام فى المدينه ويسأل وإذا بجنازة عابرة وبين يديها أعمى يقرأ فتأملها البطال وإذا به عقبه قال أحسنت يا نحس صرت أعمى ألا لعنة الله عليك وأراد أن يعرف قوله عندهم فقال لبعض تجار البلد والله ما هذا إلا مقرىء طيب فقال له نعم وهو أزهد المخلوقين وأكثرهم خوفا ودين وقد ظهرت له كرامات الصالحين ومقامات تدل على أنه عند الله من المخلصين فلما سمع البطال ذلك

علم أنه ما ينال منه مقصود إلا بالحيلة فعاد إلى الخان وأغلى له بعض من النمل والتبن حتى كبر بطنه واستقبل القبلة وقال لمذبحون وغلمانه غطونى وشقوا ثيابكم وابكوا على حتى يأتى عقبه يغسلنى ففعلوا ذلك وسمعوا أهل البلد فاجتمعوا الى البطال والخانى يقول لا تضيقوا صدوركم ولا تعترضوا على ربكم فان موت الغريب شهادة ونحن نعاونك عليه ونأتيه بمن يغسله ويقرأ بين يديه ثم ان الخانى خرج وعاد ومعه عقبه وهو يقرأ (رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) ولم يزل به حتى أدخله عند البطال وكشف عنه الغطاء وهو يقول اللهم اغفر له وسامحه واعف عنهم يا رب العالمين ثم فتح عينه الصحيحه فعرفه فقال يا مسيح طيب مليح هذا البطال وما مات إلا مكر ومحال ثم عول على الخروج فقال مذبحون يا سيدى لم لا تقضى حقنا وتغسل ميتنا وتنجز أمره وتأخذ حقك فقال عقبه أنا على غير وضوء وما أقدر أترك يدى عليه الا على طهارة وها أنا خارج أجدد وضوئى وأعود إليه فقال مذبحون ما يبالى إذا كان قلبك طاهر طهرت أعضاءك فقال لؤلؤ أنا ما أخليك تخرج لأن ما يقع لنا مثلك فقال عقبه أنا ماأغسله ولاأقربه وأهل الخان يحلفون عليه وإذا بالميت قد وثب وتعلق بلحيته ولطم قفاه وشاله على يديه وجلد به الأرض وقعد على صدره والناس قد تعجبوا من أمره وقالوا وحق محمد قد قام الميت يضرب الغاسل كيف ماغسله ماهذه إلا قدرة قادر وعقبه يصيح أنا بالله وبالمسلمين والبطال يعطى قفاه حتى اشتفى منه ورأى العوام قد مالوا إليه فصاح بعلو صوته ويلكم يا كلاب ما تمضون أو أصلبكم أنا أبو محمد البطال صاحب المعتصم وهذا عقبه الكافر بالله ورسوله وقدأنفذنى الخليفة خلفه وهذا خطه بأنه نصرانى على دين الضلال فروحوا وإلا صلبناكم بالحبال فلماسمعوا الناس كلام البطال أمسكوا عقبه وجرى الشرط أن يطلعوا إلى صاحب البلد ليرى فيهم رأيه فطلعوا إلى الأمير وحضروا كلهم بين يديه وقرأ كتاب المعتصم عليه وأوراه علامته فقام وباس الأرض وقال هذا طاعة لله ولخليفته ثم خلع على أبو محمد البطال وقال طاعة المعتصم فرض على وعلى كل الأنام وان عارضك أحد صلبته فأخذه البطال ولما كان من الغد قال لولده مذبحون الرأى عندى أن نرجع الى عيداب ونقصد البيت الحرام ونحج ونرجع مع الحجاج إلى مدينة الاسلام ونكون فى ذمام الله تعالى وحماه حتى نصل الى بغداد فقال افعل ما بدالك فساروا من يومهم وجدوا فى مسيرهم الى أن وصلوا الى عيداب وركبوا فى بعض المراكب وعبروا الى بر الحجاز وقد اطمأن أبو محمد وسار الى وقت السحر وترجل فلما وصل اليها تبينها واذا بها بيوت

قوم من العرب فقصد البطال الى أكبرها بيت وكان لأمير الحلة وهو رجل يقال له عمرو بن محارب فلما استقر بهم الجلوس حتى تملت اليهم الجفان واجتمعت حولهم المشايخ وخرج الأمير عمرو بن محارب وشرعوا فى أكل الطعام ورأى عقبه ذلك وكان مكتوف اليدين مشدود الرجلين فقرأ بطيب صوته حتى أبكى كل من سمعه فسألوا أبو محمد عنه فقال لهم وقد اطمأن بقرب الخليفة يا قوم هذا أكبر عدو للمسلمين الأبرار هذا عقبه الذى يعبد الصليب ويشد الزنار وكان الخليفة قد عول على صلبه فهرب منه وقد أتيت فى طلبه حتى حصلته فقالوا له أنت البطال بن الحصين السلمى وهذا عقبه بن مصعب السلمى التى قد شاعت عداوتكم فى الأقطار وتحدثوا بها التجار والسفار ونحن لنا زمان نسمع بهذا وان بينكما عداوة من أيام الصبا وأنت تتهمه بالتنصر وهذا بعيد أن يكون من هذا الشيخ فقال البطال والله ما قلت عنه الا الصحيح ومع ذلك فان الله إذا حكم على العبد بسوء حسن له كل قبيح وما هذا بأعقل من ابليس الذى تعبد فوق السبع الشداد وبعد ذلك خرج له التوقيع من رب العباد بالطرد والابعاد فقال عمرو والله يا أبو محمد مايشك فى مقالك أحد ولكن نريد منك أن تقبل منا فيه السؤال وتحل يديه ورجليه من هذه الحبال فان هذا قبيح بين العباد أن نكون نحن مجتمعين على الزاد وهو فى هذا الشد الوثيق وعلى كل حال فهو مقيت جواد فاذا أكل افعل به ماتختار ولا تخاف وترتاع فنحن من حولك مثل السباع فنام وتهنى بالكرا وإذا انتبهت افعل به ماتشاء فلما سمع البطال هذا المقال استحى من الرجال وقام الى عقبه فحل يديه ورجليه من الحبال وقال له قم ياملعون الى أكل الزاد فقد قربنا من البلاد ومابقى من أجلك إلا القليل وتشرب كاس الوبال فقام عقبه وهو يقول الحمد لله الذى يفعل مايشاء ثم تقدم إلى إناء فيه ماء فجدد منه وضوءه وقال والله لا أكلت طعام حتى أقضى ماعلى من فرائض الاسلام لأن حق الخالق أفضل من حق الخلائق ثم فتح صوته واستقبل القبلة وقرأ وطول حتى أبكى أهل الحله من طيب صوته وخرجت اليه النساء وجعلن ينظرن الى خشوعه والبكاء ولما فرغ من صلاته طلبن منه الدعاء وقام له عمرو وأجلسه إلى جانبه فجعل عقبه يأكل معهم ويحادثهم حتى لعب بعقولهم بما أورد من أخبار الصالحين ومواعظ المؤمنين ولما مضى من الليل أقله تفرقوا أهل الحلة وقال عمرو لأبى محمد افعل أنت الآن بخصمك ماتريد فسبحان من أضله وهذا الفهم فهمه والعلم علمه عندها قام البطال اليه وشد كتافه وأوثق أطرافه وقال له يا ألف قرنان ظننت أن نفاقك ينطلى على كل إنسان ثم باتوا إلى الصباح وعولوا على الرواح فطلب

البطال لعقبه فما وجده ولا عرف له خبر ولا أثر ففاض دمعه وانحدر وعض كفيه وتحير وكان السبب فى خلاصه عمرو بن محارب لأنه لما قام إلى المنام بقى متفكر فيما سمع من عقبه من الكلام وكيف اتهموه بترك دين الاسلام فقال هذا مايقبله عقل ولا يمكن أن يكون مثل هذا الشيخ جاهل ثم أمر عبيده أن يرقبوه وقال إن وجدتم منهم فرصه فاطلقوه وأركبوه بعض الخيل وسيروه إلى حيث أراد تحت الظلام وإذا أمركم بالعودة فقولوا له لاتخلينا من الدعاء ففعلوا عبيده هذا وجعلوا يرصدوا البطال وأصحابه حتى أحاط بهم الكرا من التعب والعنا فأتوا إلى عقبه وحملوه الى ظاهر الأحيا وحلوه من الشد والبلاء وأتوه من الخيل الجياد وأعطوه شيئا من الزاد وقالوا له اتسع فى البلاد ولاتخلى مولانا عمرو من الدعاء عند صلاتك والاجتهاد لأنه هو الذى أمرنا بهذه الفعال ففرح عقبه بها المقال وماصدق بالنجاه والعبيد معه ترعاه حتى أصبح الصباح وعادوا عنه وتم هو يقطع البطاح طالب بلاد اليمن فلما انتبه البطال طلبه ماوجده فعظم عليه وكبر لديه وقال والله ما أضيع تعبي ولأدورن عليه أقطار الدنيا وأنا أعلم أن أهل هذا الحى خلصوه منا ولكن ما يمكن الكلام وأنا وحيد فى أرض الحجاز وأرجع بالخيبة ولو هلكت وأريد أدويد أدور بلاد اليمن كلها فان عقبه ما تعداها ثم أقلع من الحلة وسار يقطع الأرض بلا قرار وهو يتفكر فيما جرى عليه من المحن حتى وصل بلاد اليمن ودخل يوم الخميس عدن وقال غدا إن شاء الله تعالى نصلى فى الجامع صلاة الجمعه ونبحث عن الأخبار فان رأينا لعقبة آثار وإلا سرنا لغير هذا المكان وطفنا سائر البلاد (قال الراوى) ولما كان من الغد خرج أبو محمد يتمشى فى البلد وإذا بالأسواق مغلقة والناس يطلبون الجامع أفراد وأزواج فقال البطال لبعض العوام يا أخى مابال هذا البلد بهذا الانزعاج فقال ياشيخ وصل الينا واعظ يجلس كل جمعة فى الجامع ويذكر من المواعظ شيئا يصدع القلب ويجرى الدمعة وقد صاروا أهل البلد تلاميذه وأكثرنا تاب على يديه واليوم قد نزل الامير عاصم بن الفيهار صاحب البلد الى مجلسه ويكون له يوم عظيم مايوجد مثله فى الأقاليم فقال أبو محمد فى نفسه الواعظ عقبه ورب الكعبه واذا به منغص بالناس وفيه بكاء ونحيب وهو منقلب من كثرة الوجيب وأكثر الناس مشققين الثياب مكشوفين الرؤس يطلبون التوبة من العلام وصاحب البلد يبكى وأرباب الدوله حواليه والواعظ يدق الكرسى برجليه وقد خرق كل ماعليه وهو ينادى يا أهل الذنوب هذا وقت التوبة والتضرع لعلام الغيوب فاحذروا يوما يرجع فيه البصر مقلوب وأنا عبد عاصى وكلنا اليه نتوب وأنا شيخ كبير كثير العيوب وفوق ظهرى ما اثقله من الخطايا

والذنوب ثم حانت منه التفاتة فرأى البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ فى أواخر الناس قيام متخفيين بين العوام فلما عرفهم تلجلج لسانه وقل كلامه وتغيرت احواله فثبت جنانه وأرمى طيلسانه وقال با لله العجب يامعاشر المسلمين ورد فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى وأنا رأيت فى بلادكم منكر ويجب على ان ابينه ولا اخفيه فقالوا المشايخ وما هو أيها العبد الصالح إعلمنا به حتى نزيله فقال عقبه إعلموا رحمكم الله ان عندكم امانة لله وهى المساجد والجوامع ويجب على كل مسلم ان يحرسها من النجس ويحفظها من الدنس لأنها بيوت الله وأمر ماعلينا ان يدوسها يهودى أو نصرانى لأن قلوبهم بالغل والاشراز نجسه وضمائرهم بالظن الفاسد والكفر دنسه وقد وقعت فى مجلسنا على قوم يهود وقد اختلطوا بكم يهزؤا بما أنتم فيه من سماع كلام الملك المعبود وما ينبغى ليهودى أو نصرانى أن يدخل المسجد حتى يستأذن المسلمين ثم لايقيم بل يقضى حاجته ويعود وهؤلاء قد رأيتهم من أول المجلس وكلما وعظتكم تلعب وجوههم وأناأعرض عنهم وأوعظ فى بحار أصول الأديان وأشرح كلام الواحد المنان وأقول لعلهم يعودون وهم فى ضلالهم لا يرجون والساعة قد ايست من فلاحهم وأيقنت بفساد صلاحهم فاخرجوهم من الجامع فانه يؤذيه مايؤذى العين فلما سمعوا الناس كلامه تواثبوا الى قدامه وقالوا أرنا اعداء الله حتى نريك مانفعل بهم هذا والبطال يسمع هذا المقال وقد أيقن بالوبال وقال له مذبحون يا أبتى عنايعنى الساعه ويشير الينا فتميل العوام علينا يهلكونا لأن العامه عمى ولايسمعوا منا ويشتفى عقبه وينال منا مايتمناه وما بقى لنا إلا الحيلة وإلا كانت قصينا طويلة وأى حيلة تنجيا فقال البطال معهما رأيتنى أفعل افعل مثلى واتبعنى فان قلت شىء فقل مثلى ثم صاح أبو محمد من آخر الناس بصوت مزعج فأذعر الأمم وشوش ولطم وكذلك فعل لؤلؤ ومذبحون وخاضوا فى العالم وهم يبكون وشق أبو محمد ثيابه وجعل ينادى معاشر المسلمين نحن الطائفة الذليلة التى غلت أيدينا إلى الأعناق وضربت علينا الذلة فى سائر الآفاق وما دخلنا الجامع إلا لأجل هذا العبد الصالح وندخل فى دين الاسلام ونعبد الملك العلام لتمحى عنا الآثام ثم جعل يتخطى رقاب العالم والمجلس منغص بالقاعد والقائم وعقبه يقول ألم أقل لكم إننى شممت روائح الخلاف وقد اتضح الأمر بالحق بأمر صاحب العدل والانصاف ثم جعل الملعون ينادى إلى يا أولاى إلى فان الله مطلع عليكم وعلى وقد فتح لكم باب القبول ونلتم من الله السؤال فانبعوا سنة الرسول واسمعوا منى ما أقول ثم نزل ثلاث درجات واستقبل البطال وقال مرحبا بالعيار

فلك كنت فى الانتظار هذا وأبو محمد قد عمل فى حلقه فوطه ولفها وأعطاها لعقبه وقال له ياشيخ نادى على فى هذا الموقف حتى يعلمون الخلق وسائر الناس انى مخطئ معترف ويشهدوا على فى الدنيا ويكونوا شهداء لنا فى العقبى (قال الراوى) هذا والناس قد غابت عقولهم من وجدهم وسماعهم واغتنم البطال الفرصة فعض فخذ عقبة بحنقه فملا منه فمه وطلع مذبحون وجعل يلطمه ولؤلؤ يلكمه وهو يصيح والقراء يقرأون والناس فى البكاء لا يعلمون ولم يبق فيهم من له محصول ولا يدرى مايقول وعقبة كلما أعياه الأمر وآلمه الضرب وشد عليه البطال بالضرب والعض يصيح ويلك قطعت لحمى ياقرنان نفس عنى من هذه العقوبة لا قبل المسيح لكم توبة هذا والملك يقول لحجابه الشيخ قد لحقه السماع وقد تسابق اليه الدموع من أجفانه أكثر من هذه الجموع لأجل هؤلاء اليهود (قال الراوى) ولم يزل عقبه يصيح والبطال يكرمه ولؤلؤ يلطمه ومذبحون يزوده حتى غشى عليه ووقع من على الكرسى الى أسفل فوقعوا عليه وفرقعوا أصابعه وداسوا أطرافه فى اختلاعه فرأوا الناس حالهم فقاموا من وقتهم وساعتهم وتطابقوا عليهم وانقلب الجامع بضجيجهم فقال الملك لحجابه ويلكم اضربوا العوام والا قتلوا الشيخ الإمام وداسوا هؤلاء القوم اللئام الذين قد رجعوا الى دين الاسلام وطلبوا رحمة الملك العلام (قال الراوى) ففعلوا غلمان الملك ذلك ورشوا على وجه عقبة الماء وهو غائب عن الدنيا مما تم عليه رجرى فحمل هو والبطال الى عند مقصورة خالية وغلق الباب عليهم وتفرق أكثر الناس عنهم وقام أمير البلد وجلسائه ينتظرون الصلاة وبعدساعة زمانية أفاق عقبه وفتح عينه الصحيحه وقال للبطال خلنى ياابن الحصين فلا رضى المسيح عنك ياسوذى لامسلم ولا يهودى ثم هم أن يصيح فرفصه البطال ولكمه وجعل يلطم خواصره ويقول له ياقرنان ياعدو الرحمن تهرب منى من مكان الى مكان ثم هم أن يكتفه فصاح : وا إسلاماه وا دين محمداه ثم إنه قال الحقونى يامسلمين فقد قتلنى هذا اللعين عدو الدين ولم يزل كذلك حتى سمعوه غلمان الأمير وفتحوا عليه الباب وسمع أبو محمد الباب يفتح فألقى نفسه وتغاشى وتماوت فقالوا لعقبه ياشيخ ما بالك تصيح فقال ياقوم قتلنى هذا اليهودى القرنان وهو عدوى وعدو الرحمن وأريد أنكم تقولوا للأمير يعجل انتقامه فانالله تبارك وتعالى ماقبل إسلامه فقالوا ياعقبه لاتفعل ولا تقل هذا المقال أما ترى الرجل مثل الخشبة مخبل من كثرة الوجد والشوق والهيام لدين الاسلام أنت لاشك ياواعظ قد لحقك عارض من قراءتك الكتب والوعظ واعتراك اختلال

فارجع الآن الى حقيقة الدين ولا تدخل فى دم هذه القوم المساكين ثم عادوا وخرجوا من عندهم وردوا الباب عليهم فقام البطال الى عادته وصار يرفصه برجليه ويلطمه بيديه حتى كاد أن يغشى عليه وهو يصيح: إلى يامعاشر المسلمين وياحماة الدين خلصونى والحقونى قبل أن لاتلحقونى فعاد الملك وسمع الصياح فقال لغلمانه احضروا الكل الى بين يدى (قال الراوى) ففعلوا ذلك ولما صاروا الكل قدامه قال لأبى محمد أنتم من يهود أى البلاد فقال البطال أيها الأمير من هم اليهود نحن عبيد الملك المعبود الذى ليس له ولد ولا مولود وحماة الثغور الأعلام المجاهدين فى طاعة الملك العلام وأنا أبو محمد البطال وهذا ولدى وهذا غلامى وإنما فعلنا هذه الفعال حتى ننال المقصود من هذا الكافر الجحود ولولا فعلنا هذه الفعال لكنا هلكنا مع هؤلاء الرجال وهذا خط الخليفة بمكتوم أمره واباحة دمه بعد ما اطلع على كفره وقد صار يهججنا فى الأقطار وهو يهزأ بالأديان ويظهر الناموس للعالمين وينافق على المسلمين وأنا المهجج فى طلبه حتى ظفرنى الله به بعد أمور جرت على ومصائب ثم حدث الأمير بما جرى له من العجائب وأوراه خط الخليفه فقام قائم وأخذ الكتاب باسه ووضعه على رأسه وصحت عنده الأمور واعتذر للبطال بالتقصير فى حقه لأجل قلة المعرفة به وقال والله يا أبا محمد لقد لعب هذا الملعون بعقول أهل البلد ثم التفت الى عقبه ولطم وجهه وهو لايعيد جواب ولايبدى خطاب وقال للبطال تسلم خصمك وأقم الليلة عندنا حتى نفوز بخدمتكم ثم أمر له بمكان أنزله فيه ونقل اليه كلما يحتاج اليه ومن الغد خلع عليه خلعة سنية وأجزل له العطيه وأمر له بدواب ونفقة وخيل تسير معهم الى حيث يأمنون على أنفسهم وسمع بحديث عقبه أهل البلد فأخذهم الغيظ والحرد كيف يلعب بالأديان وقالوا لو وقع فى أيدينا هذا القرنان قتلناه تقربا الى قلب البطال (قال الراوى) وما أمسى المساء إلا والبطال على الطريق ومعه عقبه الزنديق وهو يحدث القوم الذين معه بمساوىء عقبه وهم يلعنوه وكل مكان ينزلوا فيه يلطموه والعرب تحمل اليهم الاقامات والضيافات حتى خرجوا من أميا اليمن إلى أن وصلوا الى أطراف أرض الحجاز وأمن البطال مما يخاف فودع المسيرين وأمرهم بالانصراف وسار ذلك اليوم فى القنار من الغد الى أن تضاحا النهار واذا قد طلع عليهم عشرة فرسان كأنهم العقبان غائصين فى الحديد والزرد النضيد يقدمهم فارس كأنه البرج المشيد عليه صدرة زرد وهو متقلد بسيفه مهند معتقل برمح مسدد وكان هذا الفارس يقال له صدقه ويلقب بشيطان الحجاز وكانت الجن تفزع من مصائبه والعرب تتحدث فى المضارب بمضاربه لأنه قد أكل العقارات وأذل الفرسان والسادات وكان قد نظر جارية علوية من بنى هاشم فأحبها والتهب فؤاده

بها وما رأى له سبيل اليها فخطبها من أبيها ومعه مشايخ قبيلته وسادات عشيرته وضمن له المال الجزيل والعطاء النبيل ولما عرف أبو الجارية بمنزلته خاف من سطوته وماقدر يرده عن طلبته فبالغ فى الطلب وتعنت فى المهر والذهب وهو يقول على كلما تريد لأن أموال العرب كلها لى قريب وبعيد ثم عاد من عنده وقد أيقن أن الجارية زوجته ولم يأخذه قرار حتى أخذهذه العشرة فوارس وسار يطلب الغارات فلقى البطال وعقبه بالانفاق وكان له غائب عن قومه عشرين يوم وماوقع فى يده شىء فلمارأى هؤلاء مال اليهم وقبض عليهم وبالشد أوثقهم ولا فيهم من دافع عن نفسه ولا مانع لأنهم ما هم رجال الحرب فلما استوثق منهم عاد يطلب أهله والبطال يقول ويلك تهجم علينا ونحن حماة الثغور وسيوف بنى العباس من يجيرك بعد هذه الفعلة ومن يحميك من الناس اذا طلبتك عساكر الخليفة وأبطال بنى كلاب وذات الهمه وعبد الوهاب فقال صدقه وقد صعب عليه هذا المقال ومن أنت من الرجال حتى يطلبوك هؤلاء الأبطال فقال أنا أبو محمد البطال وهذا الذى معى الملعون عقبه شيخ الضلال الكافر بالملك المتعال وأنا سائر به الى بغداد لأنه كلفنى لهذا العناد والآن فقد تهجمت على ما عجزوا عنه كل العباد وفعلت فعل الأوغاد وسوف تندم اذا قصدتك الرجال الأجواد وبلغ خبرك الى المعتصم خليفة بغداد (قال الراوى) فضحك صدقه من كلامه وقال له ويلك يا كلب لو كان الخليفة فى مكانك لما عددناه فى هذا البر من الناس واذا كنت أنت البطال فبك أبلغ الآمال وبك آخذ ما قد قطع على من المال وكذلك هذا شيخ الضلال وما يخرج من عندنا الا بما أريد والا عذبته العذاب الأليم لأننا قد سمعنا عنه العجائب وان له فى كل بلد مضارب ثم جد فى سيره وعقبه بذلك فرحان لأنه يطلب الخلاص بأى وجه كان ولم يزل سائر حتى وصل الى بنى الريان وكانوا وراء مكة بثلاثة أيام وهم قومه وعشيرته ونزل فى بيته وشد أبو محمد وان أصحابه على باب المضرب وفرحت له بهذا سائر العرب وقالوا لقد نال صدقه ما لا ناله أحد وبحقه الذى تسميه العرب شيطان الحجاز هذا وأمه أفرح الخلق بقدومه وما كان له سؤال عند نزوله إلا عن الجارية ابنة حاميد العلوية فقالت له يا ابنى أمس كنت عند القوم وقد سمعت من أمها شيئا غمنى والرأى عندى أن تقصر عن هذه الجارية وتطلب غيرها من بنات عمك فما للقوم فيك رغبة فقال صدقه وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وماالذى سمعتى منهم ياويلك فقالت ياولدى مضيت أمس اليهم على سبيل الزيارة والمودة وحدثتهم بأن قلبي منكسر لأجل غيبتك عنى وعن الأطلال والديار

فقالت أمها الكاملة أما والله يا أم صدقه ما بقى لنا فى ولدك من سبيل لأن ابن عم الجويرية صالح بن هارون العلوى قد أتى اليها وساق علينا وخطبها وبذل لنا كل ما نريد ولما حدثنا أننا قد زوجناها لولدك غضب وقال أنا ما أخلى ابنة عمى علوية يعلوها من ليس له حسب ولانسب وان رددتمونى مضيت الى حاكم العرب وأخذتكم بالشرع والحق وجمعت عليكم سائر الخلق ونحن الآن قد زوجناها بابن عمها وما بقى لنا الى ولدك من سبيل (قال الراوى) فلما سمع صدقه هذا الكلام كاد أن يغشى عليه من شدة الغيظ والحنق والغرام وكثرة الهيام وقال والله لأتركن بنى هاشم موعظة للعرب ولأهججنهم فى أقطار الأرض ذات الطول والعرض ولآخذن الجارية بغير سنة ولا فرض (قال الراوى) وكان هذا الغلام الذى قد خطبها يسمى صالح بن هارون العلوى وهو الذى قتل أباه كرفناس على مدينة آمد وشق عقبة جوفه وأكل من كبده لما قال له ما مناكم إلا موتى ياهارون وفى قراءتكم تقولون إنكم أحياء عند ربكم ترزقون فصاح هارون فى وجهه وكلمه بالكلام الذى ذكرناه وهذا الكلام قد تقدم إلا انه لما قتل هارون خلف هذا الولد صغير وما كان لأبيه غيره فدخلت أمه على الأمير عبد الوهاب وهى لابسة السواد وطلبت منه الإذن فى الرحيل الى أرض الحجاز عند قومها وقالت له أنا ما كنت ههنا إلا ببعلى والساعة فما بقى لى أحد وقومى أولى الناس بى أربى هذا الطفل الصغير عندهم وأعيش تحت أكنافهم فضمن لهم الأمير عبد الوهاب كل شىء وحرص أن تقيم فى ملطيه فلم تفعل ولا طاوعته على ذلك بل رحلت ودخلت أرض الحجاز وتوصلت الى قومها وربت هذا الولد بينهم يتيم فخرج فارس لايطاق وأضربهم بالسيوف الرقاق وأصنع العرب فى طعن الرماح الدقاق وأشدهم حمية وأقواهم عزيمة وكان عبد الوهاب كل قليل يفتقدهم بشىء من المال وينفذ اليهم من كل غزاة يغزوها قسم أبيهم هارون لأنه كان يكرههم لأجل علوى زوجته لأنها كانت عمة صالحة وكان صالح قد سمع بقتل أبيه فى الغزاة وكيف كانت منزلته عند عبد الوهاب فعول على الرحيل إلى بلاد الثغور وطاوعته أمه على ذلك وما أعاقهم إلا نظره الى هذه الجارية التى ذكرنا أنه نظرها فوقعت فى قلبه وشكى حاله الى أمه فمضت الى أمها وخطبتها وقالت هذه ابنة عمنا ولا يقدر على أخذها غيرنا وجرى من القصة ما جرى وكانت أم الجارية مائلة الى صالح لأجل علو نسبه (قال الراوى) وأن صدقة لما سمع ذلك بات بأعظم ليلة يكون ولم يصدق أن يصبح الصباح حتى ركب جواده واعتد بعدة جلاده وسار طالب بنى هاشم وهو مثل الجمل المكبل بالحديد

وكان بالاتفاق أن ابن هارون حاضر ذلك اليوم فى بنى هاشم زائر وقد شغف بالجويرية وشغفت به لأنه كان مليح الصورة حسن الثياب وقد أتى للقوم بهدية حسنة وهو جالس فى البيت يتحدث معها أم الجارية فى أمر العرس وهو يحدثها فى ذلك واذا بفارس قد أقبل والى جانبهم قد عدل وهو يقول من الذى يحول بينى وبين زوجتى من كل الأنام حتى أجرعه كأس الحمام وان افتخر على بالنسب فأنا شيطان العرب فقامت الكاملة اليه وقالت والله ياوجه العرب ما كنا إلا من الراغبين ولكن أتانا من لم يكن فى الحساب وطلبها ابن عمها وهو أحق الناس بها لأجل حسبه ونسبه فدع عنك الطمع ولا تتكلم فيما لايسمع (قال ياساده) هذا وصالح قد أخذته النخوة الهاشمية وعزة النفس العلوية وقام الى جواده فركبه وأخذ الرمح واستله وتقلد بحسامه ونادى: ياويلك أنت الذى تفتخر على أولاد على وبنى هاشم أصحاب الفضل والمكارم دونك والميدان فنحن أصحاب الطعان وبأجدادنا عرف الحق والبرهان والصدق والإيمان وبأنسابنا افتخرت عدنان وإن كنت تعرف بأنك شيطان الحجاز فأنا اليوم أجرعك كاسات الحمام عند البراز فلما سمع صدقة منه هذا الكلام مابقى ينظر مابين يديه بل احمرت أماق عينيه وقفز الى البر بجواده ونادى ياصالح دونك والمجال حتى أريك الساعة من بعد من الرجال فعندها قفز صالح اليه وحمل عليه وما فيهما إلا من يريد قتل صاحبه حتى يظهر شجاعته عند حبائبه وغابا عن الأبصار وركبت رجال الحى ودارت حولهما فى كل مكان واصطفت فى أزيال البيوت البنات والنسوان والآماء والصبيان ونظرت الأعين اليهما شاخصة وعقبان الآجال على رؤوسهما راقصة ونياتهما فى الحرب خالصة وقد زاد بهما الغيظ وهما فى كر وفر وخداع وقوى عليهما الحر وهما فى حنق وشر حتى كلا وملا ورزق صالح من الناس محبة عظيمة فجعلوا يدعوا له بالنصر وقلوبهم تحترق عليه وكذلك الجارية لما رأت محبه الناس له زاد فى قلبها أضعاف ما كان ونادت يا رباه بحرمة أمنا فاطمة وأبونا على انصر ابن عمى صالح بن هارون العلوى (قال الراوى) وما استتمت كلامها ودعاها الى مولاها حتى سمعوا الناس ضجة عظيمة من تحت الغبار ومنادى ينادى يا آل على يا آل على فمدوا الناس أعينهم الى جهة الصياح واذا به صالح بن هارون العلوى وقد طعن شيطان الحجاز بعقب الرمح فى صدره ألقاه على ظهره عن الجواد وترجل مثل البرق وحصل على صدره وسل سكينا وعول على ذبحه فقال له صدقة لاتفعل ياغلام ودعنى ولا تسقينى كاس منيتى ولاتقطع ناصيتى وبيعنى نفسى بأسير أسلمه اليك تأخذ منه مهرابنة

عمك لأنه فى هـذه الأيام وقد وقع فى يدى وهم أربع رجال يقال لأحدهم أبو محمد البطال وولده وغلامه المعروفين فى الآفاق وعقبه الذى كان قاضى العراق فان أردت أخذهم فاتركنى سالم وأنا أعلم أن بغيي عليك يظفرك بى وإلا فـأأنت والله من رجالى فلما سمع كلامه وما تحدث به من مرامه أمسك عنه وقال ما أفعـل شيء حتى أشاور والدتى وفرح بما سمع منه لأن والدته كانت تخبره بأخبار الأمير عبدالوهاب وأبو محمد البطال وما تم لهم معهم من العجائب وكان قصده كما ذكرنا أن يسير الى الأمير عبد الوهاب وكان افتقاد الأمير كل سنة يصلهم (قال) فـما هو إلا أن سمع هذا الحديث حتى شد أكتافه وقاده بين يديه والعرب يتعجبون منه ومن فعـاله فلما سار بين يديه قص عليه « صدقه » ما ذكر من أمر البطال وولده وغلامه وعقبه وأعاد على أمه الحديث جميعه فقالت يابنى ان كان الحديث صحيح فقد نلت غاية الآمال لأن البطال عديل الأمير عبد الوهاب ولهذا البطال على أبوك فضل عظيم لأنه خلصه من الأسر مراراً عديدة ولقد سمعت عنه أن له ثلاث سنين يدور على عقبة الـكافر اللعين الذى يظهر الناموس ويحب الناقوس وان كان خلاص البطال على يديك نلت منه غاية الآمال ومن الأمير عبد الوهاب كل ماتريد وعشت فيها باقى عمرك سعيد وأيضا ياولدى فانهم والله ماقطعوا عنا الافتقاد فى بلاد الثغور بعد قتـــل أبيك ولا يمضى عنا عام إلا ويفتقدونا بالفضة والـكسوة الى الآن فلما سمع صالح هذا الـكلام قال لصدقه : يافتى قد أجبتك الى ماتريد انفذ وأتينى بالبطال وأنا أطلقك من الاعتقال هـذا والعرب قد نزلت عن خيولها والسودان قد عولوا الى منازلهم وما للـكل حديث إلا ماجرى بين الاثنين فى ذلك . وأما صدقه فانه عند ذلك أرسل بعض العرب الى قومه بنى الريان وأخبرهم بمـا جرى عليه وانه ضمن على نفسه اطلاق الأسارى فقالوا بنى الريان لا وحق ذمة العرب لا افتديناه إلا بالنصول ولا أجيناه إلا على أعناق الخيل ولاتعيرنا العرب بهذه الأمور ويقولون بنى الريان افتدزا حاميتهم بالأموال ثم ركبوا وكانوا خلق كثير يزيدون على ثلاثة آلاف فارس مامنهم إلا كل مدرع ولابس وضج الحى من جنباته وركبوا هذا وأم صدقه قد فزع قلبها من ذلك وكانت أرادت أن تفدى ولدها بالأسارى من خوفها عليـه فما طاوعوها قومها بل أخذ كل أمير منهم واحد وتركه فى خيمته وساروا يتبادرون مثل الشياطين وما أحسوا بهم بنى جعفر وهاشم إلا وقد طلعوا عليهم (قال الراوى) وهذه الثلاثة قبائل على ماء واحد ولـكن

أكثرها عدد وأزيدها مدد . هؤلاء القوم بنى الريان الذين قد أسر صاحبهم صدقه وأن بنى جعفر قاموا لما رأوا نواصى الخيل قد طلعت عليهم فركبوا خيولهم وفى أوائلهم صالح بن هارون العلوى وعليهم الحديد والزرد النضيد ووقعت الضجة فى بنى هاشم فركبت تعين صالح أيضا وتحمى عن ابنة عمه لأنها بين أظهرهم فما تأهبوا هؤلاء وخرجوا من البيوت حتى كبسوهم بنى الريان وصاحت الفرسان واشتد الطعان ودارت طاحون الحرب العوان وطاع الغبار الى العنان وجرى بينهم ساعة عظيمة حتى بقيت الأجسام بالدماء خصيبه والمضارب للأعناق معيبه والضجات مختلفة غير مجيبه . ولما كان بعد الظهر انهزمت فرسان بنى هاشم طالعة البيوت وبقى صالح بعدهم فى بنى جعفر يقاتل ويتأخر والخيل التى معه الى ورائها تتقهقر وقد عموهم بنى الريان بجمعهم الأكثر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ووقعت فيهم الهزيمة وصاحت نسوان القبيلتين على الرجال لترجع الى مؤنة صالح وهى لاترجع وقدداخلها الخوف والفزع ورأوا من بنى الريان فيهم الطمع وقاتل صالح قتال منكر وجعل يلتقى الرجال بصدره وحسامه مشهر وصياحه قد علا وجسده قد خضب بالدما وهو قد أيقن بالفنا ولكن رأى القتل عليه أهون من الهزيمة والقضا وأمه مثل الحبة على المقلا تصيح الى الله تعالى بالدعاء وتنادى ياقوم لاتتركوا ولدى نهبا لسيوف العدا فقد طال صابر وروحه لأرواحكم فدا فارحموا وحدتنا وانظروا الى حال غربتنا (قال الراوى) فبينما صالح فى غاية النكال وهو فى وسط المعركة بنفسه فريداً وهو يقاتل وعلى الله متوكل واذا هو بغبار قد علا وتقسطل فى الهواء حتى قرب ودنا وبان منه حديد يلمع وخيول تدفع وقنا تشرع وسودان مثل الجواميس الربع وفى أوائلهم فارس أدرع بالحديد قد تدرع وهو مائل نحو الغبار يلوح بالبتار ويطلب كشف الأخبار وقد أنكر هذه المعمعة والقتال (قال الراوى ياساده) وكان هذا الفارس الأمير ظالم بن الأمير عبد الوهاب ومن ورائه ألف فارس من السودان وبنى كلاب وسته ذات الهمة وأبوه عبد الوهاب وكان سبب دخولهم الى بلد الحجاز أن الأميرة ذات الهمة رأت أن عمرها قد انتهى وهى تقضيه فى العبادة وقيام الليل وصيام النهار وكذلك ولدها الأمير عبد الوهاب إلا أن قلوبهم من يوم غاب البطال فى طلب عقبه وهم مشغتلين لأجل غيبته وكل وقت فى حديثه ولما طال الأمر عليهم قالت الأميرة لولدها يابنى قلبى قد أيقن أن البطال قد هلك وما أقول اننا نرجع نجتمع عليه وهذا العمر قد فنى وأريد أن توافقنى وتحج معى حجة الوداع لعل الله يختم لنا بخير لأننا لو حملنا فى الطريق منقطع عطشان لكان لنا فى ذلك الثواب

الجزيل ومع ذلك نودع بيت الله الحرام وقبر المصطفى عليه الصلاة والسلام (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع الأمير من والدته ذلك الكلام بادر الى ما أرادت به طلبا لاغتنام الثواب وأخذ كلما يحتاج اليه واستصحب معه أموال كثيره وفى ثلاثة أيام برز الى ظاهر ملطيه ونادى فيها بالحج فصحبه ألف فارس من أصحابه سودان وعربان وأخذ أهبته فى تمام العشرة أيام ورحل بهم طالب بيت الله الحرام ولم يزل سائر حتى وصل إلى العراق ودخل الى بغداد وقد اجتمع فيها حاج خراسان من كل مكان ففرح الأمير بذلك ودخل هو ووالدته على الخليفة وأعلماه بما قد عولا عليه ففرح بذلك وأعطاهم ذهبا كثيرا وقال لعبد الوهاب يا أمير تصدق بهذا عنى فى بيت الله الحرام ولا تخلونى من الدعاء عند زمزم والمقام واجعلونى فى حل وكذلك آبائى واخوتى بما جرى منا عليكم فى سالف الأعوام فقال الأمير يا مولاى السمع والطاعة فقال المعتصم يا أمير فهل سمعت فى هذا الزمان الطويل لعقبه اللعين خبر فوالله ان قلبى متعلق بعقبه والبطال فقال الأمير يا مولاى والله ما خوفى الا على البطال وأما عقبه فلا بد ما تجره الينا المقادير بأمر اللطيف الخبير ويصدق فيه قول البشير النذير ثم عاد من حضرة الخليفة ومن الغد دخل بالحاج والناس أفرح الخلق به وقد حج فى تلك السنة كل ضعيف ثقة منهم بمداراة الأمير عبد الوهاب (قال) يا ساده وسار الأمير حتى وصل الى الكوفه وأرض الخلف ودخل برية الحجاز وكل منزل ينزل فيه يأمر بالمناديه تنادى يا معاشر الحاج من كان جائعا أو عطشانا أو منقطعا فليقصد خيام الأمير عبد الوهاب ومن تخلف فلا يلومن إلا نفسه (قال الراوى) ولم يروا الناس أطيب من تلك السنة حتى وصلوا إلى بيت الله الحرام وبقى الأمير هنالك الى موقف الناس بعرفه ورأى الناس عائدين إلى مكة فقال لأمه يا أماه قد قضينا فرض الله تعالى وقد وصلنا الى هـذه الأرض وأريد أن أزور قوم هارون العلوى وبنى هاشم وقد سمعت أنه قدنشأ له ولد اسمه صالح وهو مثل أبيه فارس نجيب فنبصره ونجدد به عهد ولعل الله يسهل قلبه ونأخذه معنا الى الثغور ليكون ذخيرة للاسلام ونترحم به على والده كلما رأيناه فقالت الأميره افعل ما بدالك فعنـدها انفرد الأمير بعسكره وسار ذلك اليوم والثانى والثالث أشرفوا على القوم ورءوا الغبار ثائر والحرب دائر وصالح وبنى جعفر فى وجوه بنى الريان وقد أشرفوا على الهلاك كما ذكرنا وأمه تدعو بذلك الدعاء ولما رأى الأمير عبـد الوهاب ذلك قال لولده ظالم اسبقنا الى الغبار يا بنى واكشف لنا الأخبار فعدل ظالم وهو يلوح بالحسام حتى وصل الى أطراف المعمعة

(وعدنا الى سياقة الحديث) ولما رأى النسوان على ذلك الحال سأل عن سبب الحرب والقتال فبدت اليه أم صالح وتبينته فعرفته وانفرج ما بقلبها وقصت عليه ما جرى وحدثته بحديث ولدها وحديث البطال وأنه فى الاعتقال ولأجله قد وقع ولدى فى هذا القتال فلما سمع ظالم كلامها عاد الى أبيه وأخبره بما سمع فكاد قلب الأمير من شدة الفرح أن يطير ثم حرك الجواد هو وأمه فى أول الجيش وسمعت السودان ذلك فرأت الحرب فتجارت وصرخوا فى جنباتهم فبددوهم فى القيعان والتقطوهم بالطعن مثل ما يلتقط الحب الغربان وماوصل الأمير عبد الوهاب حتى مددوا السودان أكثرهم على التراب وانفرجت الكربة والغمه عن صالح وأمه هذا والأمير عبد الوهاب قد تعلق قلبه بسماع الحديث فى خبر البطال وهو لا يصدق بلقاه وكان قد أيس منه فلم يطلب بنى الريان فى أثر هزيمتهم بعد ما ادعى بصالح بن هارون العلوى وقبله بين عينيه وتذكر أيام أبيه فبكى وصالح يقبل الأرض بين يديه وركابه وكذلك فعل بالأميرة ذات الهمه ولما وصلوا الى بنى الريان عولت السودان أن تهجم الى البيوت واذا بالنسوان والبنات ينادون قدامهم الأمان الأمان يا سيد أهل الثغور وفارس الايمان والاسلام (قال الراوى) وكانوا المنهزمين وصلوا إلى الحى وهم لا يصدقون بالنجاة وأخبروهم بالقصة فركبوا مشايخ الحى الى ملاقاة الأمير معتذرين من فعالهم وقبائح أعمالهم فقال أريد صاحبى البطال ومن معه من الرجال فقالوا السمع والطاعه ثم عادوا وجمعوهم من البيوت التى لأمراء العرب وطلبوا عقبه فما وجدوا له أثر وأخرجوا أبو محمد البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ إلى بين يدى الأمير وقالوا يا أمير الشيخ الذى كان معهم قد فقدناه وحق ذمة العرب ما منه خبر فلما سمع الأمير ذلك تأسف على انفلات عقبه وترجل للبطال وقلبه مشغول من أجله وحل كتافه وكذلك فعلت الأميرة وباقى الأمراء وترجلوا للبطال وهنوه بالسلامة وكذلك فعلوا بلؤلؤ ومذبحون وركبوا وعادوا يطلبون بنى جعفر وأبو محمد يحدث الأمير بماجرى له مع عقبه فى بلاد المغرب وكيف صلب ولده الحصين وكم مرة يقع فى يده ويخلص والأمير عبدالوهاب يقول سبحان من له فى تأخير أجله أمر لا يطلع عليه أحد غيره والله لقد فنيت الأعمار ونحن لهلاكه فى الانتظار (قال الراوى) ولما وصلوا إلى ديار بنى جعفر دخل الأمير عبد الوهاب فى قصة صالح وتولى نوبته فزوجه بالجارية من ليلته وكانت أم صالح قد أعلمت الأمير عبد الوهاب بقصة صدقه المعروف شيطان الحجاز وما جرى له مع ولدها فاصطنعه وأطلقه بعد ما كان الأمير أبو محمد قد هم بقتله لأجل خلاص

ذلك الملعون من يده (قال الراوى) ولما دخل صالح بزوجته وقرت عيناه بها جعل الأمير عبد الوهاب يتلاقاه ويوعده بكل جميل حتى أنعم بالمسير معه الى ملطيه وقد وعده أنه يعطيه أقطاع أبيه وأن يعمل له فى ملطيه عرس تانى بقدره ومكنه ورحلوا القوم بعد عشرة أيام بعد ماودعوا أهلهم وأقاربهم وساروا يقطعون الأرض طالبين العراق والأمير أبو محمد فى قلبه النار لأجل انفلات عقبه وهو كثير الافتكار ليل ونهار والأمير عبد الوهاب يسليه عن ذلك ويقول يا أبا محمد لاتندم على مافات فلولم يكن لله فى هذا رضا لماوقعنا بهذا القضا ولم يزالواسائرين الى أن وصلوا الى الكوفة وقدوصلت النجابه وسبقت الى بغداد وأخبرت الخليفة بقدوم الأمير عبد الوهاب من الحجاز فأخرج أرباب دولته الى لقاهم ودخلوا الى العراق فى يوم مشهود وقد خرجوا أهل بغداد اليهم بالخلوف والزعفران والطعامات وغير ذلك وفى يومهم دخلوا على الخليفة بغبار مكة وبرية الحجاز فلقيهم وأكرمهم وتقدم البطال وقبل يد المعتصم وشكى اليه حاله ومالقى من عقبه فصعب ذلك عليه واشتد أسفه وقال والله يا أبا محمد ما كنت إلا فى انتظارك وفى أكثر الأوقات تخطر على بالى وكنت أقول ما نعود إلا بعقبه ونسير به الى بلاد الروم ونصلبه على باب القسطنطونيه ونجعلها غزاه نذكر بها الى الممات فاعتذر أبو محمد وقال والله يامولانا لى ثلاث سنين ما أظن نمت على فرشى ليلة بهناء إلا أدور الأقطار وأخوض الأهوال والبحار وفى الآخرة ما كان الا ما أراد الله تعالى من فضله على أننى والله ما أقر ولا أهدى ولا أتبع عبد الوهاب من هنا ولا بد لى ما أسير فى طلبه أو أهلك بسببه ثم عادوا من عند الخليفة الى الخيام وقد سبقتهم الاقامات والعلوفات والاكرام الزائد وأمرهم الخليفة أن يقيموا عنده عشرة أيام حتى يشبع من الامير والاميره (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملعون عقبه فانه لما انفلت من بنى الريان عند اشتغالهم بالقتال سار الملعون على وجهه فى بلد الحجاز وهو لايصدق بالنجاه وجعل يتنقل من حلل العرب حتى التجأ الى ظعن سائرين الى وادى القرع فسار معهم وقد رأوه شيخ كبير لخلوه ورحموه وجعل يقرأ لهم القرآن ويظهر الناموس والدين حتى وصلوا الى أرضهم وبات عندهم تلك الليلة ومن الغد تحدث مع بعض العرب وضمن له خمسين دينار وقال أريدك أن تحملنى الى بغداد وكان الملعون قد افتكر وضاقت الدنيا فى عينيه وقال ان مضيت الى بلاد الروم فأنا أعلم أن خبرى يظهر الى الثغور لأن المسلمين لهم هناك عيون وبلاد اليمن فقد انتهك سترى فيها وبلاد الغرب فقد جرى فيها ماجرى وأريد أقيم فى

تحت حنك الخليفة وأترك البطال يدور الأقطار ولا ينال منى المراد ولايخطر بقلبه أننى مقيم فى بغداد ثم سار الملعون مع البدوى وقصد دار الروم وهى كنيسةمذ كورة عند النصرانيه بين الرصافه وبين مشهد عبيد الله فدخل على راهبها وكان له به صداقة ومعرفة فلما رآه قام واعتنقه وجعل يقبله ويقول يامولاى بحق المسيح لقد فرحت بسلامتك لأننى سمعت ماجرى من انتهاك سترك الخليفه وهجاجك فىالبلادوشاع الخبر فى بغداد وسمعت أنك أيضا وقعت فى أيديهم ودخلوا بك ليصلبوك وخلصك المسيح ولم يبلغهم مناهم منك فبكى عقبه وجعل يحدث الراهب بما قد تم عليه ويقول هذا كله فى طاعة المسيح فقال الراهب أيها الشيخ النجينح اعلم أن هؤلاء القوم الذين هم أعداك ما يقاومهم مقاوم ولايردهم عنك أحد وأنا أعلم أن بلاد الروم تضيق عليك وأينما دخلت فيها اتبعك ذلك الشيطان أبو محمد البطال لأنه مثل الديب الأمعط وهذه الكنيسه بحكمك فاقعدفيها باقى عمرك فقال عقبه علىهذا عولت ولأجله قدمت فأفرد له الراهب حجرة حسنة ونقل اليه جميع مايحتاج وأقام عقبه فيها وقد أمن على نفسه وقال ما علمت أن رأسى شابت على بدنى إلا فى هذه الساعة ثم لزم العبادة ولم يظهر من الحجرة خوفا من سوء العاقبة (قال الراوى) ولما وصل الامير عبد الوهاب الى بغداد أعلم الراهب عقبه بذلك وأخبره أن البطال وصل معه فزاد قلقه وحزنه وكان كل ساعه يحسب لنفسه ألف حساب (قال الراوى) ولما انقضت الأيام التى عينها الخليفة للأمير وعول على الرحيل الى ملطيه اجتمع به أبو محمد البطال وقال له والله ما اتبعك فى هذا الطريق لأن نومى قد طال من كثرة الافتكار فى تحصل الملعون عقبه وقلبى يحدثنى أنه معنا فى بغداد وقد انحدر الىالبصرة ولابدلى من الانحدار الىالبصره فى طلبه وإلا طال المطال وشمتوا بى الأعداء والحساد فقال الامير عبد الوهاب يا أبا محمد لاترجع تعدمنا طلعتك فانى أخاف أن ترجع تسير فى طلبه فيظفر بك فيهلكك لأنه كثير الناموس والنفاق وأين ماعرفك دبر علىهلاكك وطاوعوه الناس فيمايقول لأنه يحتوى على قلوبهم بعلمه ودينه فقال الأمير أبو محمد والله ان هلاكى ومماتى خير من حياتى لأن ما بقى لى نوم ولاقرار فى ليل ولانهار فسر أنت الى ملطيه واتركنى هاهنا أدبر ما أرى ولعل أن أطلع على خبره ولو كان فىجناح الغراب أوتحت التراب دبرت على تحصيله فقال الامير عبد الوهاب يا أبا محمد بالله لا تقطع عنا أخبارك وابصر كيف تكون فى طلبه فقال الامير أبو محمد لاتضيق صدرك ولاتقسم فكرك ولا يكون إلا مايريد الله تعالى أنت متى عولت على الرحيل فقال ليلة غد عشيه فعاد

البطال الى خيمته وخلا بنفسه هو وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ وفتح عليه حيله وأخرج منها قميص قصير واسع الأكمام وكلاوته كبيرة فلبس القميص ووضع الكلاوه على رأسه وتعمم عليها بمئزر من صوف أبيض ثم أخذ نومه وأحماها فى وسط قطنه وضر بها جبهته حتى انتفخت ومسحها بيده حتى اسود مكانها وصارت مثل وسم العباده وأخذ سجاده للصلاة ثم كحل عينه بكحل كان يعمله لنفسه حتى صارت رزقتها سواد مليحة السواد معتدلة وأخذ بيده عكاز أبنوس وفى يده الأخرى ركوه أدم وفعل مذبحون ولؤلؤ كذلك ولما كان عند الصباح قال اخرجوا بنا حتى ندور فى عسكر بنى كلاب الذى قد ربينا بينهم ونبصر ان كان فيهم أحد يعرفنا ثم خرج بهم وهم من ورائه وجعل يدور بين الخيام ويسلم على مشايخ بين كلاب والسودان وهم يقومون اليه ويصافحوه ولا فيهم أحد يعرفه بل كل من نظره يقول هذا من بعض الزهاد المنقطعين عن البلاد وهؤلاء تلاميذه وكلما سمع ذلك الامير أبو محمد يفرح ويقرأ القرآن ومذبحون يعاونه فى التلاوة حتى وصلوا الى خيمة الامير عبد الوهاب ولما رأوهم الغلمان فدخلوا عليه وقالوا أيها الامير قد قصد اليك عبد صالح من عباد الله الصالحين وهو يريد زيارتك (قال الراوى) وكان الامير اذا انحدر الى العراق تزوره الصوفيه والفقراء وأهل الدين لأجل الجهاد وكان هو يحب هذه الطائفة ويطلب منهم الدعاء بالاخلاص فى النية ولما سمع من غلمانه ذلك خرج حافيا الى لقاه وكان قصد البطال بذلك ليطيب قلب الامير عبد الوهاب وقال فى نفسه اذا لم يعرفنى عبد الوهاب فما يعرفنى أحد فى الأرض هذا وأن الامير عبد الوهاب لما خرج اليه ونظر الى حسن لباسه ونظافة زيه وأثر الركوع والسجود فى جبهته فبكى وقال والله هذه صفة الصالحين والعباد المقبولين ثم دنا منه وأخذ بيده وقبلها ففرح بذلك البطال وعلم أن أمره قد خفى على الامير عبد الوهاب ودخل معه الى الخيمة وجلس الى جانبه وهو يقول أيها العبد الصالح لا تخلينا من الدعاء نظفر بالأعداء فقال الامير أبو محمد وقد رقق حلقه وأخفى صوته وتكلم بلغة أهل خراسان وقال أيها الامير أنا والله داعيا لك ليلى ونهارى فى سرى وإجهارى لأجل ما سمعت بجهادك وشفقتك على المسلمين وما قصدت اليك الا حتى أزداد بك معرفة واستقضيك حاجة فقال الامير عبد الوهاب وقد فاضت عيناه بالدموع قل لى يا أخى ما تريد فانى مبادر الى قضاء حاجتك مسارع ولقولك سامع لأنى وقفت نفسى على خدمة الصالحين فقال أبو محمد ما هى حاجة صعبة ولكن كان لى بعض الاخوان وقد غدر بعهد الله وخان وأريد تبلغنى منه مرادى ويشفى غليل فؤادى وتصلبه مع عدوك على باب الذهب حتى يكون صلب

الاثنين عجب لأنه قد كفر بعد الايمان وجحد بربوبية الرحمن فقال الامير عبدالوهاب من يقال له هذا الشيطان الذى قد عاقبه الله بهذا الحرمان فانى أرى قصتك مثل قصتى وأريد أنولك البلوغ لما أمولك لعل ببركتك أظفر بعدوى وأصلبه مع عدوك فقل أنت ماهو عدوك من الرجال فقال أبو محمد أما عدوى فعقبه شيخ الضلال وأما أنا أبو محمد البطال فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك المقال وقع به الانذهال وجعل يكرر النظر اليه ويميز فى وجهه وعينيه حتى قرب منه وعرفه وتعجب من تلك الصفة وقال لله درك ياأبامحمد فان مثلك فى الأرض لايوجد والساعة على ماذا عولت وعزمت فقال أسير فى ذلك الزى المكنون وأرجو من الله الإعانة فيما يكون ثم أوصاه ان رجع الى الثغور لايخليه من الدعاء وتسهيل الأمور وأقام عنده الى قبيل الظهر ورحل الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الانجاب وسار البطال لوداعهم حتى قرب المساء وعاد الى بغداد وهو يقول لولده مذبحون : ويلك ياولدى قلبي يحدثنى أن عقبة معنا فى بغداد وما أريد أترك الحزم وراء ظهرى ولاأخلى فى قلبي حسرة اقصد بنا دارالروم لأنى أعرف أن راهبها صديقه وأريد أبصر هذه الوسوسة التى فى قلبي ايش آخرها مر بنا كما قد خطر ببالى (قال الراوى) ثم ساروا يطلبون الكنيسة المقدم ذكرها (ياسادة) وما نظر أبومحمد إلا موضع النظر ولا حسب الاحساب مثله ولكن يحدث من بعدالامور أمور وذلك أن عقبة االعين لما دخل الى هذه البيعة وعول على المقام فيها كما ذكرنا فأقام حتى قدم الامير عبد الوهاب من مكة وسمع أن البطال معه فأخذه قلق عظيم وخاف على نفسه التلاف وكان الراهب كلما رأى خوفه يسليه فقال له عقبه : أيها الراهب وحق المسيح ما بقى لى صبر والبطال معى فى البلد وأريد أن أسير من هذا المكان وأعمل على هلاك أهل الإيمان لعل أن أظفر بالبطال فى بعض المواضع وأهلكه ولعل المسيح يغفر لى وعلى الدنيا بعده السلام ولا بالغت بعده فى عداوة الأسلام فقال له الراهب : والى أين قد عولت تسير فقال الى البصرة وافتح فيها دكان باقلانى واتسبب فى سائر المعانى وأغير اسمى وأظهر العبادة والنفاق والعب بعقول أهل العراق واشترى لى دار عالية وثيقة الباب واحفر فيها سرداب ومخابئ وكلما ظفرت بمسلم قتلته وجعلته فيها واطلب بذلك الثواب لانى لو قتلت كل عام عشرة من المسلمين قربت من المسيح والحواريين فقال الراهب : المسيح يشد أزرك (قال الراوى) فعندها قص عقبة من لحيته وخنزر حواجبه وطول شواربه وأحمى مرود فى النار وجعل يضرب به رأسه ووجهه ورءوس

خديه حتى صار كل من رآه يقول الجدرى أتلف عينيه ثم أخذ من مال الكنيسة خمسة آلاف دينار وقال هذه لدين المسيح على واكترى له شارة بأربع ملاحين ونزل فيها وساروا ووصلوا به الملاحين بالليل والنهار حتى أوصلوه الى البصرة وشالوا قماشه من الشط وجميع ما صحبه وساروا به الى محل فى جانب تربيعه ما فى البصرة أحسن منها وأهلها كلها ملوك ليس فيهم صعلوك والمحلة والتربيعه يقال لها درب القماقم فاكتروا له حجرة فى خان التجار ونزل فيه ثم قام الى أن انصرم النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقال لبعض التجار ما الى جانب هذا الخان مسجد نصلى فيه قال نعم أيها السيد فى وسط هذه المحلة مسجد يصلوا فيه أهل الدرب وهم قوم فيهم ما قصدهم فقير إلا أغنوه ولاخائف إلا أمنوه لكثرة أموالهم وجاههم فلما سمع ذلك عقبه خرج من الخان بين العشاءين وقصد الى المسجد ودخل اليه وسلم على من كان فيه قال فردوا عليه السلام فنظر عقبه الى مسجد خشبه ساج وشبابيكه أبنوس وعاج وفيه أربع قناديل فضه بسلاسل من الذهب الأحمر وشمع معنبر ومكوفر وكل أرضه مفروشة بالحصر والأبسطه فجلس عقبه فى بعض زواياه وقد كادت روحه أن تخرج من بين جنبيه واغتاظ لما رأى حسن بنيانه هذا وقداجتمعت الناس يصلون جماعة وحضر الامام وكان مقرى جيد فجلس فى المسجد بعد ماصلى ركعتان وقعد يتحدث معالجلاس فقدم عقبه اليه وزحف الى بين يديه وقال ما اسمك أيها الصدرالأجل الامام المتولى هذاالمقام فقال له اسمى عبدالرحمن فقال له عقبه هل تحفظ القرآن فتبسم الأمام الى ذلك وقرأ فضحك عقبه وقال أيها الامام وبهذه القراءة تؤم بالناس فصعب هذا الكلام على الامام وقال له اقرأ أنت حتى أسمع فقرأ عقبة بطيب نغمته وحسن تلاوته ثم ذكر فضائل القرآن وعاد الى أشياء ماتعرفها الأئمة الكبار هذا والامام قد شخص اليه والجماعة حائرين من كلامه وهو يتردد بالمواعظ حتى أبكى كل من كان فى المسجد وطابت قلوبهم وقبل ما بين عينين عقبة ومابقى فى المصلين إلا من أرمى روحه عليه وقالوا هذا أوحد زمان فى كل مكان ولم يزالوا به حتى قدموه الى المحراب فصلى بهم وقرأ بذلك الصوت الندى حتى أرجف الأجساد وما فرغت الصلاة حتى أقبلوا على عقبة وقالوا أنت من أى البلاد أيها السيد الفاضل ذو العلم والفضائل فقال أنا الملقب بفصيح العرب ومقامى فى يثرب وإنما جرت بينى وبين أخى منافرة وأقسمت أننى لا أقيم بعدها فى البلد وقد انكسر قلبى حيث لم يعرفنى فيكم أحد فلما سمعوا ذلك من كلامه طيبوا قلبه وأعرضوا عليه أموالهم وقام من وسطهم رجل شيخ وهوشيخ

الاثنين عجب لأنه قد كفر بعد الايمان وجحد بربوبية الرحمن فقال الامير عبدالوهاب من يقال له هـذا الشيطان الذى قد عاقبه الله بهذا الحرمان فانى أرى قصتك مثل قصتى وأريد أنولك البلوغ لمأمولك لعل ببركتك أظفر بعدوى وأصلبه مع عدوك فقل أنت ماهو عدوك من الرجال فقال أبو محمد أما عدوى فعقبه شيخ الضـلال وأما أنا أبو محمد البطال فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك المقال وقع به الانذهال وجعل يكرر النظر اليه ويميز فى وجهه وعينيه حتى قرب منه وعرفه وتعجب من تلك الصفة وقال لله درك ياأبامحمد فان مثلك فى الأرض لايوجد والساعة على ماذا عولت وعزمت فقال أسير فى ذلك الزى المكنون وأرجو من الله الإعانة فيما يكون ثم أوصاه ان رجع الى الثغور لايخليه من الدعاء وتسهيل الأمور وأقام عنده الى قبيل الظهر ورحل الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الانجاب وسار البطال لوداعهم حتى قرب المساء وعاد الى بغداد وهو يقول لولده مذبحون : ويلك ياولدى قلبى يحدثنى أن عقبة معنا فى بغداد وما أريد أترك الحزم وراء ظهرى ولاأخلى فى قلبى حسرة اقصد بنا دارالروم لأنى أعرف أن راهبها صديقه وأريد أبصر هذه الوسوسة التى فى قلبى ايش آخرها مر بنا كما قد خطر ببالى (قال الراوى) ثم ساروا يطلبون الكنيسة المقـدم ذكرها (ياسادة) وما نظر أبومحمد إلا موضع النظر ولا حسب الاحساب مثله ولكن يحدث من بعدالامورأمور وذلك أن عقبة االعين لمادخل الى هذه البيعة وعول على المقام فيها كما ذكرنا فأقام حتى قدم الامير عبد الوهاب من مكة وسمع أن البطال معه فأخذه قلق عظيم وخاف على نفسه التلاف وكان الراهب كلما رأى خوفه يسليه فقال له عقبه : أيها الراهب وحق المسيح ما بقى لى صبر والبطال معى فى البلد وأريد أن أسير من هذا المكان وأعمل على هلاك أهل الإيمان لعل أن أظفر بالبطال فى بعض المواضع وأهلكه ولعل المسيح يغفر لى وعلى الدنيا بعده السلام ولا بالغت بعده فى عداوة الاسلام فقال له الراهب : والى أين قد عولت تسير فقال الى البصرة وافتح فيها دكان باقلانى واتسبب فى سائر المعانى وأغير اسمى وأظهر العبادة والنفاق والعب بعقول أهل العراق واشترى لى دار عالية وثيقة الباب واحفر فيها سرداب ومخابئ وكلما ظفرت بمسلم قتلته وجعلته فيها واطلب بذلك الثواب لانى لو قتلت كل عام عشرة من المسلمين قربت من المسيح والحواريين فقال الراهب : المسيح يشد أزرك (قال الراوى) فعندها قص عقبة من لحيته وخنزر حواجبه وطول شواربه وأحمى مرود فى النار وجعل يضرب به رأسه ووجهه ورءوس

خديه حتى صار كل من رآه يقول الجدرى أتلف عينيه ثم أخذ من مال الكنيسة خمسة آلاف دينار وقال هذه لدين المسيح على واكترى له شارة بأربع ملاحين ونزل فيها وساروا ووصلوا به الملاحين بالليل والنهار حتى أوصلوه الى البصرة وشالوا قماشه من الشط وجميع ما صحبه وساروا به الى محل فى جانب تربيعه ما فى البصرة أحسن منها وأهلها كلها ملوك ليس فيهم صعلوك والمحلة والتربيعه يقال لها درب القماقم فاكتروا له حجرة فى خان التجار ونزل فيه ثم قام الى أن انصرم النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقال لبعض التجار ما الى جانب هذا الخان مسجد نصلى فيه قال نعم أيها السيد فى وسط هذه المحلة مسجد يصلوا فيه أهل الدرب وهم قوم فيهم ما قصدهم فقير إلا أغنوه ولاخائف إلا أمنوه لكثرة أموالهم وجاههم فلما سمع ذلك عقبه خرج من الخان بين العشاءين وقصد الى المسجد ودخل اليه وسلم على من كان فيه قال فردوا عليه السلام فنظر عقبه الى مسجد خشبه ساج وشبابيكه أبنوس وعاج وفيه أربع قناديل فضه بسلاسل من الذهب الأحمر وشمع معنبر ومكوفر وكل أرضه مفروشة بالحصر والأبسطه فجلس عقبه فى بعض زواياه وقد كادت روحه أن تخرج من بين جنبيه واغتاظ لما رأى حسن بنيانه هذا وقد اجتمعت الناس يصلون جماعة وحضر الامام وكان مقرى جيد فجلس فى المسجد بعد ماصلى ركعتان وقعد يتحدث مع الجلاس فقدم عقبه اليه وزحف الى بين يديه وقال ما اسمك أيها الصدر الأجل الامام المتولى هذا المقام فقال له اسمى عبدالرحمن فقال له عقبه هل تحفظ القرآن فتبسم الأمام الى ذلك وقرأ فضحك عقبه وقال أيها الامام وبهذه القراءة تؤم بالناس فصعب هذا الكلام على الامام وقال له اقرأ أنت حتى أسمع فقرأ عقبة بطيب نغمته وحسن تلاوته ثم ذكر فضائل القرآن وعاد الى أشياء ماتعرفها الأئمة الكبار هذا والامام قد شخص اليه والجماعة حائرين من كلامه وهو يتردد بالمواعظ حتى أبكى كل من كان فى المسجد وطابت قلوبهم وقبل ما بين عينين عقبة ومابقى فى المصلين إلا من أرمى روحه عليه وقالوا هذا أوحد زمان فى كل مكان ولم يزالوا به حتى قدموه الى المحراب فصلى بهم وقرأ بذلك الصوت الندى حتى أرجف الأجساد وما فرغت الصلاة حتى أقبلوا على عقبة وقالوا أنت من أى البلاد أيها السيد الفاضل ذو العلم والفضائل فقال أنا الملقب بفصيح العرب ومقامى فى يثرب وإنما جرت بينى وبين أخى منافرة وأقسمت أننى لا أقيم بعدها فى البلد وقد انكسر قلبى حيث لم يعرفنى فيكم أحد فلما سمعوا ذلك من كلامه طيبوا قلبه وأعرضوا عليه أموالهم وقام من وسطهم رجل شيخ وهوشيخ

المحلة وخرج من المسجد ساعة وعاد ومعه مفاتيح دار فرماها بين يدى عقبه وقال له يامولانا هذه الدار التى بجانب المسجد هى ملكى وقد اشتهيت أن تقبلها منى ولاتخيب فيك ظنى ثم قبل يده وسأله فى قبولها فقبلها منه وقام معه ودخل الدار فرآها طيبة القرار وفيها بركة من الماء وأنابيب وفصوص ذهب وكلما يحتاج اليه من فرش وطرح وآنية ففرح عقبه بذلك وقال فى نفسه هذه غرضى الذى يتم لى به ما أريد ثم مضوا أهل المسجد الى الخان فنقلوا رحله الى الدار وعند الصباح أهدوا له الجارية وهدايا وتقربوا الى قلبه بذلك وجعلوه إماما للمسجد وجعل كل مقرىء فى البلد يقصد اليه ويقرأ عليه وعرفهم أن اسمه عقيل بن نجم الحجازى ولما احتوى على أهل البلد بعلمه وناموسه قال لهم فى بعض الليالى يا معشر المسلمين اعلموا أنى ما أثقل على أحد ولا آكل الامن عرق جبينى وكد يمينى لأنه أحل وأبرأ وقد عولت أن أفتح لى دكان باقلانى ولا أبيع فيها إلا قدر ما يكفانى يوم بعد يوم وأقطع الأيام بالعباده والصوم قال فرقت له قلوب الناس وأعطوه دكان فى وسط السوق ونقلوا اليه كلما يحتاج اليه من الأوانى وأقاموا له بكلما يريد وصار يبكر الى الدكان من صلاة الفجر فرءوه الناس وقد قصدوا اليه يطلبون التبرك من يديه وهو فرحان (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبه (وأما ماكان) من البطال فانه لما ودع الأمير عبد الوهاب عاد الى بغداد وطلب دار الروم وقد حسب ذلك الحساب ولم يزل حتى وصل اليها ونصب السلم على بعض أركانها وصعد هو وولده فى ظلام الليل وأشرف على أرض الكنيسه فرأى ذلك الراهب الذى كان عقبه عنده وهو نائم فى بعض المقاصير وقد تفرقت الرهبان والقنديل على رأسه يوقد وهو يشخر من ثقل نومه فنزل مذبحون من الهوى وما أحس به الا وهو على صدره وقد ترك الخنجر على نحره فاستيقظ وفتح عينيه ونظر الى مذبحون فكاد أن يغشى عليه وجف لسانه ولم يقدر يتكلم فقال له مذبحون ويلك تعرفنى قال يامولاى من أنت وإيش بينى وبينك حتى قد عولت على قتلى فقال ياقرنان أنا مذبحون ابن البطال وما بقيت تقدر تتخلص منى الا ان دليتنى على القاضى عقبه والا ذبحتك وحق ما أعتقده من دينى فقال الراهب يا مولاى لا تعجل على فلا ستر المسيح عليه وحق المسيح عندى كان ولم يعلم به أحد الا أنه لما سمع بكم أنكم فى بغداد لخاف منكم وانحدر فى شباريه يطلب لنفسه النجاة ورأيته يذكر ويعرض بواسط والبصرة فلا تدخل فى دمى فان نبيكم نهى عن قتل الرهبان فلما سمع مذبحون ذلك تحقق صدق الراهب وتأسف على انفلات عقبه الا أنه فرح بما سمع من الراهب ونزلوا من السلم

الابريسم وخرجوا الى الشط فاكتروا لهم شباره فى بقية ليلتهم ولم يصبحوا الا وقد قطعوا بعض الطريق وهم فراحا باظهار عقبه اللعين حتى وصلوا الى واسط وصعدوا الى البلد وطافوا فى المساجد والجوامع وهم فى ذلك الزى الذى ذكرناه وعليهم لبس صوفية خراسان فلم يعرفهم إنسان فبقيوا ثلاثة أيام فلم يقعوا لعقبه على أثر ولاأعطاهم أحد له خبر فمضى الى دير وردان وهو مسجد بالقرب من واسط فقصده أبو محمد وبقى فيه يومين أخر وما سمعوا لعقبه خبر فضاقت صدورهم وجعلوا يدعون الله أن يظفرهم به ومذبحون يقول والله يا أبتاه لقد تحيرنا مع هـذا الملعون الجاحد مما لقينا من شـدة التعب فبالله عليك دعنى ان ظفرت به أعجل له الحمام وأشفى قلبى منه وأقتله فقال أبو محمد يا بنى لا تخالفنى فلا بد من صلبه على باب الذهب ولعل أن يكون قد اقترب منه الأجل ثم انهم ركبوا فى بعض الزوارق ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى البصره فقال أبو محمد ان كان الله تعالى يريد تقريب سفرتنا من ههنا نأخذه وكان (ياساده) وكان عقبه قد سبقهم بأوفى من شهر الى البلد وقد احتوى على قلوب أهلها بقراءة القرآن ومواظبة الصلاة فى أوقاتها ومجالس العلماء وقد فتح له دكان باقلانى كما ذكرنا وهو فرحان بمجيء الناس اليه وقدقتل جماعة من الغرباء فىداره وقال فى نفسه انى ههنا فى جهاد ولى كل يوم بواب جديد هذا وقدنزل البطال يطلب له موضع ينزل فيه فساقه القضاء والقدر الى محله وبيعه الى درب قماقم فأخـذ له بيت فى الخان وكان البيت بيت القاضى عقبه الذى نزل فيه لما قدم فأقاموا فيه بقية يومهم وقدنقلوا رحلهم اليه وقال أبو محمد غد ان شاء الله ندخل الى الحمام ونسأل عن القاضى عقبه فلما أمسى المساء سأل أبو محمد الخانية على مسجد بالقرب منا نصلى فيه قال له بلى يا خواجه الى جانبنا مسجد وله إمام ما رأينا أعلم منه ولا أقرأ ولا أفقه فى سائر العلوم وهو أكثر الناس عباده وقد افتتنوا به أهل البلد فقال أبو محمد وقد خفق فؤاده وكان المتكلم مع أبو محمد أنثى فقال لها أبو محمد ياأختى ومن يقال له فقالت يقال له عقيل بن نجم الحجازى وقد كان أبوه قاضى مدينة الرسول من زمان فلما سمع أبو محمد هذه الأسماء اشتـكل عليه هذا الأمر قال ولعل يكون هـذا الحجازى من عباد الله الصالحين نصلى الليلة خلفه ونطلب بركات دعاءه ثم سار أبو محمد الى المسجد وإذا به منغص بالناس وما لأحد موضع يضع فيه قدميه فزاحم أبو محمد حتى وقف فى الصف الأخير وقد وقع للامام فى قلبه هيبة عظيمة لأجل ما رأى من قبول الناس عليـه وازدحامهم حوله (قال الراوى) فأقيمت الصـلاة واصطفت الناس ثمان صفوف من كثرتهم وشرع عقبه

بصوته وقرأ فلماسمع أبو محمد الصوت والنغمة أخذته الرجفه وتوسوس فى الصلاة وقال هذا عقبه ورب الكعبة وهذا صوته إلا انى أراه يفته القاف ويتكلم بلغة أهل الحجاز وهى لغة ثقيلة ثم بقى بين المصدق والمكذب وهو يقول لعله يشبه صوت عقبه ولم يزل كذلك حتى صلوا الناس وزاحم أبو محمد حتى يصل اليه فلم يقدر لأن الخلق كثير وقد داروا به حتى دخل باب داره وعاد البطال موسوس فقال لبعض الناس ياأخى أين يكون هذا الامام بالنهار وأين نقصده نطلب بركته ؟ فقال له يا أخى إن له دكان باقلانى يبيع فيه الباقلا ولا يأكل إلا من عرق جبينه حتى لا يكون له على المسلمين ثقله فتعجب أبو محمد من ذلك ثم مضى وهو يقول فى نفسه ياليت شعرى يصير عقبه باقلانى ولعله يريد بهذا كتمان سره ولابد فى غد ما أعبر عليه وأفتقده حتى لايبقى فى قلبى حسرة ولم يزل كذلك حتى وصل الى الخان وحدث ولده وغلامه بما جرى وبات تلك الليلة موسوس لايصدق بالصباح لينظر ما خطر بباله (قال الراوى) ولما أصبح الصباح دخلوا الى الحمام ولبسوا زيهم وجددوا الكحل فى عيونهم وقصدوا الى المسجد فوجدوا عقبه قد صلى بالناس وقدتفرقوا فعاد البطال الى البيت وهو لايقر له قرار وبما التهب فؤاده أخذ خمسة أقراص وفتها فى صحن قزدير وصار يطلب دكان عقيل ولم يزل يستدل عليه حتى أشرف على الدكان فوجد الخلق مزدحمة من الفقهاء والمحتشمين يطلبون الباقلا لأجل البركة فزاحم الناس وهو متعجب من ذلك ولم يزل حتى انكشف له باب الدكان فرأى عقبه وعنده شيوخ من عبادان وقد أتوا يزورونه وهوجالس على دكه كبيره والناس قد أتوه وهم يتقربون اليه وله غلام يسقى الناس الثريد بماء الباقلا فلما رأى أبو محمد ذلك ذهب الشك باليقين وترك الصحن بين يدى غلام عقبه حتى يسقى الثريد بماء الباقلا وتقدم هو الى عقبه وقبل يده فرآه عقبه بذلك الزى فدعا له بلسان العجم وقال له أحسن الله جزاك ياخواجا لأنك قد أحسنت الظن برجل لاتعرف باطنه (قال الراوى) ولم يزل البطال حتى سقى له الغلام ثريده وعاد الى ولده وغلامه فقال لهما كيف تروا هذا النحس عقبه قد صار باقلانى ثم أعلمهم بمنزلته عندهم وقال ان قبضناه من السوق رجمونا العوام بالأحجار وان احتلت عليه وأتيت به الى الخان ما أقدر أنال منه غرض ولاأتمكن من قفاه والصواب أن أكترى دار فى مكان منقطع واحصله فيها . فقال مذبحون وكيف نقدر نسوقه الى الدار وأنت تعلم أنه أخبث أهل الأرض فقال أبو محمد دع عنك هذا الحديث وهذا أمر ما وصل اليك ثم خرج من عنده واكترى له دار فى

آخر الحاره منقطعة عن العمران وما بات تلك الليلة إلافيها ولما أصبح الصباح أنفذ
مع غلامه لؤلؤ عشرين دينار وقال اشترى بها باقلا يابس فخرج لؤلؤ من ساعته
واشترى ما طلبه مولاه أبو محمد البطال (قال) فنقا أبو محمد أكبر مافيها وقال للؤلؤ
خذ هذا وامضى به الى دكان عقبه وسلم عليه وكلمه بلغات أهل خراسان وقل له إن
والدى من أهل كبر وله فى البصرة زمان طويل وقد أتاه من فلاح له من هذا الباقلا
مائة مكوك وهو يريد بيعه ويعمل بثمنه مسجد وكل الباقلا من هذه الصفة فان كان
لك به حاجة فخذ الكل اليك على كيسك واعطيه ثمنه من كيسك الحلال وان قال
لك أين هو والدك فقل له هاهو بالقرب من دكانك وهاته معك وقد قضيت الحاجة
فقال لؤلؤ السمع والطاعه ثم أخذ الباقلا وخرج وهو فى ذلك الزى وأتى الى عند
عقبه وحدثه فى أمر الباقلا فلما نظره عقبه وسمع كلامه قال له ياولدى فكم عندكم من
هذا الباقلا فقال لؤلؤ مائة مكوك ووالدى قد عول أن يبنى بثمنه مسجد فى عبادان
فقال عقبه كل شيخ فى عبادان صاحبى ولى اليهم زيارات كثيرة من قديم الزمان
واليوم قد صاروا يزورونى ثم قام مع لؤلؤ وقال امشى فسار لؤلؤ وتبعه عقبه وهو
يحرك شفتيه كأنه يقرأ القرآن والناس ينزلون من دكاكينهم يقبلون يديه وهو يقول
أحسن الله اليكم وجزاكم خيرا لأنكم تظنون الخير فى رجل عاصى (قال الراوى)
وكان البطال قد أعقب أمره بعد ما أنفذ مع لؤلؤ وقال لمذبحون ياولدى أنا أعلم أن
عقبه إن سهل الله مجيئه مع لؤلؤ فما يصل الى الباب إلا ومعه خلق كثير يطلبون
بركاته وأخاف ان دخل وتمت الحيلة يصيح ويسمعون الناس صياحه فيهجمون الدار
علينا ويهلكونا ولا يسمعوا منا ما نقول لأن العامة عماهم السواد الأعظم فخذ هذا
المنشور الذى هو بخط الخليفة واقصد قصر محمد بن سليمان الزينى واعرضه عليه
واعلمه اننى جئت فى طلبه وخليه يدركنا وإلا هلكنا فأخذ مذبحون الكتاب وخرج
من الدار وقصد قصر الأماره ووصل لؤلؤ وأدخل عقبه الى وسط الدار وقال له
بسم الله أصعد على هذه الصفه واقعد حتى أصيح لابى فقال عقبه يا ولدى ما هذا
مكانى ان مكانى على التراب لأنى منه خلقت وأريد أهين نفسى حتى لا تشمخ على
ثم قعد عقبه فى وسط الدار وقال ائتينى بالباقلا وافصل ثمنه وان قدرت تستأذن لى
على أبوك حتى أدخل أزوره فافعل فقال لؤلؤ السمع والطاعه ثم دخل على مولاه
أبو محمد البطال فرآه عريان جراب فقال لؤلؤ ياسيدى قد أتيت بالشيخ الصالح
أخرج اليه حتى تنال بركاته وتفصل ثمن الباقلا معه فقال أبو محمد قد سمعت الحديث

فاخرج وأقف فى وجهه وشاغله حتى أشتفى من أذيته بهذا الجراب فضحك لؤلؤ وعادالى عقبه ووقف فىوجهه وقال ياشيخ وحق محمد ما أظن فى البصرة ولافى عباد باقلا مثل باقلتنا ولابد ما تنال منه الخير إن شاء الله تعالى (قال الراوى) فهو معه فى هذا الكلام والجراب وقع فى آذان عقبه من المنكب الى المنكب فسف التراب وعاد قعد وقال : آه ما أرى الباقلا الا عباسى لاكتب الله عليك سلامه ثم شال رأسه يبصر من ضربه وإذا به البطال فقال له لا عافاك الله يا ألف قرنان لا تقتصر عنى ان صرت تاجر رجعت ريس مركب وان صرت مقرى تموت وتسوقنى أقرأ عليك وان صرت واعظ جئتنى فى زى يهودى تسلم عل يدى والساعه قد صرت باقلانى قل لى متى نبت لك باقلا وصرت مز رع فالمسيح يأخذ لى منك بالحق ثم صاح بملو بطنه : انا بالله والمسلمين الحقونى يامعاشر الموحدين وخلصونى من هذا الكافر اللعين وكان قد تبعه خلق كثير وهم وقوف ينظروه حتى يخرج ويطلبوا منه الدعاء فلما سمعوا صوته قالوا عمل على الشيخ الحجازى ورب الكعبة ووقع وان غفلنا عنه هلك وخلت البصرة من الصالحين ثم هجموا الدار فرأوا عقبه يدور فى زواياها والبطال يسلق آذانه بالجراب وهو يستغيث فمالوا على أبومحمد وزعقوا عليه : ويلك ياعدو الله خلى ولى الله وإلا قتلناك وأسقينا الأرض من دماك . هذا والبطال قد علق بآذان عقبه وبأزياقه خوفا عليه أن يهرب وصاح فى الناس وجعل يدافع عن نفسه ولؤلؤ يعاونه وقد أشرفوا على الهلاك من كثرة الخلائق الذين ساروا اليهم فبينما هم كذلك واذا برجال قد دخلوا من الباب وضربوا الناس بالخشب وهم يقولون ياويلكم خلوا عن ترس قبر النبي المنتخب . فلما رأوا العوام ذلك عادوا يطلبون الباب مندفقين وخرجوا على وجوههم منهزمين وكان السبب فى ذلك مذبحون لأن أباه لما أنفذه بخط الخليفة الى محمد بن سليمان الزينى وسار الى الباب بالقصر واستأذن عليه فدخل وسلم عليه ورمى كتاب الخليفة اليه وحدثه بحديث أباه البطال وانه قد قدم فى طلب اللعين عقبه شيخ الضلال فأخذ الكتاب واذا هو بخط الخليفة يعاونه كل واقف على هذا الكتاب (قال الراوى) ياساده ياكرام : وكان محمد بن سليمان أيضا حنق على عقبه وقد أتاه كتاب من الخليفة يأمره عن أخباره والكشف عليه . فلما سمع كلام مذبحون ورأى خط الخليفه قام قائما وقبله ووضعه على رأسه وركب من وقته وساعته فى جميع أهل القصر والحجاب والغلمان والأصحاب وسار مذبحون قدامهم حتى وصلوا الى الدارالتى فيها أبومحمد البطال ودخل فىأوائل الناس والحجاب

وطرد الناس كما ذكرنا ولما خلت الدار دخل محمد ابن سليمان على أبو محمد البطال فرآه قد أوثق عقبه كتاف وهو فى زى صوفى وما كان يعرفه حتى عرفه البطال بنفسه وقابله وقام الى خدمته وأخبره بما جرى عليه فقال ياأبا محمد ماكنت تحتاج الى هذا كله كنت عبرت على حين وصلت وأخبرتنى أن عقبة معى فى البلد حتى كنت بادرت الى قضاء حاجتك وحاجة أمير المؤمنين لأنى أيضا فى قلبى النار من هذا اللعين فقال الأمير أبو محمد أنا أردت أخفف عنك ولا أزعجك وقلت انى آخذه بالحيلة ولا يعلم بى أحد فبلغ الأمر الى هذا كله والساعه فالحمد لله الذى لم يضيع تعبنا ولاخيب سفرنا وكل مانلناه ببركاتك أيها الأميرفشكره الأمير محمد بن سليمان على ذلك الكلام وخرجوا من الدار وقد أمروا بتقديم الجنائب للأمير أبو محمدالبطال ومذبحون ولؤلؤ ومشت الحجاب والغلمان كلها رجاله خوفا من أهل البصرة وساروا يطلبون القصر ومذبحون ينادى بأعلى صوته يا أهل البصرة ارجعوا الى بيعكم وشراكم واشتغلوا بما عنا كم ودعوا معارضة السلاطين والخلفاء فهو أليق لكم واعلموا أننا نحن حماة الثغور وما أتينا إلا فى طلب هـذا الشيخ الكفور الذى لعب بعقولكم بعلمه والناموس وهو نصرانى يعبد الصليب والناقوس فلا يغرنكم ما سمعتم منه من النفاق فانه عدو للملك الخلاق العامل على المسلمين بالهلاك المستهزئ بالدين عقبـه بن مصعب قاضى بغداد الذى قد انهتك ستره بين العباد فى سائر البلاد (قال الراوى) وكانوا أهل البصرة قد اجتمعوا خلق كثير وهم يموجون ويطلبون السير فلما سمعوا هـذا الكلام بهتوا ونادوا يا غلام من تكون من حماة الثغور بين لنا الخطاب وعرفنا خطأنا من الصواب فقال يا ويلكم أنا مذبحون وهذا أبى الأمير أبو محمد البطال والخليفه بعثنا فى طلب هـذا عقبه شيخ الضلال فعندها تفرقوا القوم بعد ما كانوا مجتمعين وهم مما سمعوا وعاينوا حائرين ولما وصلوا الى قصر البصره أمر الأمير محمد ابن سليمان لأبى محمد البطال بدار حسنه فأنزله فيها وقال له يا أبا محمد أقم عندنا حتى نشبع منك ونتشرف بخدمتك فنزل أبو محمد فى الدار وقد قيد عقبه بقيد ثقيل وتولى عقابه ليل ونهار (قال الراوى) وسمعوا مشايخ البصرة بقدوم البطال وما فعل من الأفعال فأتوا للسلام عليه وتقربوا له بالهدايا والتحف واعتذروا من التقصير وأقام أبو محمد ثلاثة أيام وطلب الانصراف فأذن له الأمير محمد بن سليمان وأنزله بشباره حفيفة وأنزل له هدايا وتحف للأمير عبد الوهاب وودعه وقد أنفذ معه عشرة من الغلمان كلهم بالعدد الكاملة والأهبة الشاملة وسار الأمير أبو محمد البطال وعقبه اللعين

معه مقيد مثل القرد فى جانب الشباره ولم يزالوا سائرين الى أن عبروا نهر الدير ومطارا وباتوا تلك الليلة الثالثة بالشرطه وكانوا كلما نزلوا على موضع نزل صاحبه اليهم بالعلوفات والاقامات ويخدمهم بالهدايا والتحف ويعرض نفسه عليهم بالخدمة والمسير معهم فيشكرهم الأمير أبو محمد البطال على ذلك ويقول ما نحتاج ان شاء الله الى من يغفرنا فى الطريق لأن معنا عشرة من خيار جند الأمير محمد بن سليمان ويكفينا اسمنا الشائع وخبرنا الذائع لأننا تفزع منا الأطفال فى المهود ومن هيبتنا تفزع الأسود ثم رحلوا من الشرطه والبطال كل يوم يمد عقبه ويضربه ويشتفى منه حتى أشرف على الموت وكل يوم يتغاشا ويظهر أنه قد مات ويقول يا أبا محمد ويلك قتلتنى وأنتم نبيكم قد وعدكم بصلبي على باب الذهب فقال البطال يا ملعون ولأجل هـــذا قد جلبتك وإلا ما كنت ألقى هذه المصائب وأستبقيك فقال عقبه تكذب يا قرنان البلاد ويا من خلقه المسيح نقمه على العباد وسوف ترى كم يكون دون صلبي من الضرب بالسيوف الحداد وما أموت حتى أشفى منكم غليل الفؤاد فقال الأمير أبو محمد البطال لقد غطى كفرك على بصرك يا ملعون بقولك ان المسيح خلقنى وهو عبد مخلوق فمن أين تقدر تخلق صورة القبه لو قامت مستوية وقد حارت فى حركاتها العقول وتاه من تفكره فيها للعالم البهلول وهو بقدرة مكونة بالمشيئه غداها الحق بلطفه بالأحشاء وأنطقها كما يشاء حتى اذا بلغ الأمر المحتوم واستوفى رزقه المقسوم تحرك بقدره الله واضطرب وطلب الوجود بعد العدم والصحة بعد السقم ولما ظهر الى دار الدنيا وتنشق برد نسيم الهوى أمر الله العظام فقويت والمفاصل فاشتدت (قال الراوى) فبينما أبو محمد فى هـذا التوحيد للملك العلام وعقبه اللعين قطع عليه من ضرب الحسام فقال يا ابن الحصين هذا لا أسمعه ولا يقدر على هذه القدرة الا الذى أحي الميت من لحده قبل النشور وخلق من الطين طيور واليه ترجع هـذه الأمور فقال أبو محمد تكذب ياملعون بل هو صنعة من رفع فوقنا سبع شداد وجعل الأرض بساطا ومهاد وجعل الجبال أوتاد وأحصى المخلوقات أزواجا وأفرادا وقدر الأزمنة بين فصول أربع نقصان وازدياد وجعل لنا بعثا وميعاد وخلق ابن آدم وجعل له قلبا وفؤاد وهدانا إلى دين الاسلام توفيقا وإرشاد وهداية وسداد وما المسيح ابن مريم إلا عبدا له فضله على طائفة من العباد فلا يقدر على شيء الا باذنه ومراده وتوفيق ورشاد وأمر فى العباد بما أمر حتى بعث النبى المطهر مجد الطريق الواضح والنور اللائح صاحب المنام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود الذى حن اليـه الجذع وكلمه الضبع وكلمته السباع

وحذره الذراع وشهد بنبوته الشجر والمدر وخاطبه بفصيح الكلام القمر ووطىء بقدميه السموات السبع ويسمع من يصلى عليه ليلة الجمعة ومالت اليه النخلة والجذعة وحيته بالإكرام الغزالة والضبعه الذى دعا الخلائق الى توحيد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد جل عن الحساب والعدم وشرف نبيه محمد على كل من وطىء التراب ويعبد مقرن الخلائق طريق الحقائق ولا يقعد عن اتباعه إلا شقى مثلك منافق ولابد ماينفذ فيك يا ملعون أمره وكلامه ويصدق فى صلبك منامه (قال الراوى) هذا وعقبه لايزداد إلا كفرا ونفاق ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى موضع يقال له الهور الأزرق وهى بطحة مافى طريقهم وأصعب منها عرضها سبع فراسخ بين الشرطة وبين ساقية سليمان فدخلوا الهور وأبو محمد فرحان ببلوغ مناه وقد أمكنه الزمان منه وهم سائرين ومن عظم ذلك الهور مستعجبين ساعة من النهار وقد هبت عليهم العاصفة فهاج البحر يمين وشمال وغلا غليان المرجل وعلا فيه الموج وارتفع وانتظم وقعقع وأزبد وأخذه المخاط وبربر فأيقنوا القوم بالغرق وكادت نفوسهم تزهق من الفزع والغرق وسار أبو محمد وولده وغلامه يدعون الله تعالى ويتطلعون الى عقبه الملعون فانه لما نظر الى اختلاط الأمواج وترادف العجاج فرح فرحا شديدا وقال وحق المسيح ان هذا شىء يسرنى أن نهلك كلنا فى هذا المكان ويخلصوا منا المسلمين وعبدة الصلبان هذا والبطال مشتغل عنه بتدبير الزورق ولم يزل حتى ألصقه الى سندان قصب مزجا من الهوى وكان قصب غلاظ طوال مثل الرماح فشد أبو محمد الزورق اليه وقام ينتظر سكون الريح وقد فرح كيف وقع لهم هذا السندان وهم كذلك وإذا قد لاح لهم من صدر البطحة سواد مقبل اليهم على وجه الماء فتطاولوا اليه بالأبصار وجعلوا يتأملوه وهو يقرب منهم حتى بان وظهر للعيان وتبينوه واذا به شبارتين كل واحدة بعشرة مقاديف وعشرين رمح مشدوده بعضها فى بعض والزورقين مرصوصة بالرجال ممتلئة بالسلاح والسيوف السقال (قال الراوى) فلما نظروا غلمان محمد بن سليمان الذين قد ساروا يغفرون البطال الى ذلك اصفرت وجوههم وتغيرت ألوانهم فقال لهم أبو محمد البطال وقد رآهم على تلك الحاله ما بالكم قد اعتراكم الاصفرار وداخلكم من قدوم هذين الزورقين الانبهار فقالوا أيها الأمير خيفة على أنفسنا وشفقة على أرواحنا فقال لهم ممن تخافون فقالوا من عبد أسود وقد عصى على سيدنا محمد بن سليمان وتمرد يقال له قاصم الحياه جبار من الجبابره وكان مولده عند مولانا

ولما كان فيه من الشجاعة فضله على سائر عساكره لأنه كان يلكم رأس الجاموس يخسفه ويلطم الجمل فيبعجه ويعمل على تلفه وهو عبد طويل القامة كبير الهامة مفتول الزندين غليظ الساعدين مكدو آماق العينين لاتفرقه من الجاموس إلا قرونه ومن الفيل إلا خرموطه وكان مولانا ما يغضب على أحد إلا ويسلمه واذا أمر بقتله وثب اليه ولكمه فى صدره أخرج يده من ظهره وكان عند سيدنا بمنزلة الولد وانه أفسد فى جواره وبلغ مولانا ذلك فعول على قتله فهرب وعصى عليه وتمرد وخرج عن رق الطاعه وطلب النصرة وعاب فى الرجال فقتل الاسود وهزم الجنود وتبعه خمسين عبد أخر طماعة فى أكل الحرام لأجل اسمه الشائع وخبره الذائع ولما صار فى خمسين عبد قويت يده واشتد جلده وقطع الطريق (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام واذا بالشباريتين أقبلوا عليهم ومقدمهم عبد أسود مثل الجاموس وهو يزعق ويقول لمن معه هذه غنيمة لنا فى هذا اليوم قال فلما سمع البطال ذلك المقال ومن معه من الرجال وغلمانه الأشبال أيقنوا بالبلاء وتقدم اليهم قاصم الحياة وهو مثل الأسد الغضبان وقال دونكم وهؤلاء الغنيمه فعند ذلك تقدموا اليه غلمانه محمد بن سليمان الذى أنفذهم مع البطال فقالوا له ويلك ياقاصم الحياة أبيت أن يبدأ منك إلا هذا لأنك رجعت إلى أجنسة أصلك وقبحت الى من أحسن اليك والآن فقد مضى مامضى فاذكر حق التربية والإحسان والجود والامتنان ولاتعرض لنا بسوء فنحن غلمان محمد بن سليمان ونريد أن نسير الى بغداد فى خدمة أمير المؤمنين وخدمة هذا الرجل الذى معنا فكف شرك عنا حتى نتحدث بحديثك عند مولانا وعند الخليفة أيضا وان أبيت إلا القتال فما نسلم اليك الزورق وفينا عين تطرف (قال الراوى ياساده) فلما سمع السيد كلامهم انقلبت عيناه فى أم رأسه وصرخ بعبده المقدم فى الزورق الآخر وكان يلقبه أسد الفلا فناداه ويلك دونك وهؤلاء القوم اخطف أرواحهم والقى الى الماء أشباحهم فلما سمع أبو محمد ذلك علم أنهم مأخوذين لامحالة فنادى ويلك ياقاصم الحياة لاتتعرض بنا فيكون خصمك أمير المؤمنين والأمير عبد الوهاب مقدم ثغور المجاهدين فما تسلم من هاتين الجهتين ولا تنجو من سخط الاثنين لأنك لو لحقت بالنجوم وعضيت فى التخوم أتوك رجال الموت من مكان الى مكان وتصير مثلا فى الأزمان وربما اشتهرت فى البلدان حتى يعتبر من يتبعك من أهل الفساد والطغيان هذا والعبد معرض عن مقال البطال وهو يصيح فى أسد الفلا : ويلك دونك وهؤلاء الأبدال فعندها قدم العبد الزورق الى نحو أبو محمد البطال وميل نحوه ونادت غلمان محمد بن سليمان

وصاحت أيضا السودان وتراموا بالنبال وأشهروا السيوف الصقال وكثرت الأهوال وحمى القتال ودخل فى قلب عقبه الفرح والسرور وقال لو قتلت فى هذه النوبه كان قلبي طيب اذ لم يظفر بى عدوى ولا تمكن منى وهو فى هذه الساعة يهلك ويأكل لحمه السمك (قال الراوى) ولم تكن الا ساعه حتى هلكت رجال محمد بن سليمان وجرح مذبحون ولؤلؤ وظفر العبد بزورق البطال واحتوى على ما فيه من الأموال وشدوه وولده وغلامه كتاف وقدموا الزورق بين يدى قاصم الحياه فلما نظر الى ما فيه من المال العظيم والهدايا والظرف والتحف فرح بذلك فرحا عظيما ونظر الى البطال وعليه ثياب جميلة وكذلك على ولده وغلامه فقال ويلك من أين لك هذا ومن أين أنت ومن أين هـذه المعرفه بينك وبين محمد بن سليمان حتى أنفذ معك غلمانه وأمر لك بعطاه وغمرك باحسانه فقال يا فتى أنا من بعض غلمان أمير المؤمنين المعتصم وأنت قدمت على معاداته وهو صاحب الأرض فى طولها والعرض فلما سمع العبد ذلك تبسم عجبا وقال ويلك أتظننى أنى مثل من طلبه المعتصم ظفر به أنا وحق ذمة العرب أقدر على لقاء كل من فى العراق ثم أمر عبده أسد الفلا وقال ويلك اضرب رقابهم فايش فائده فى أخذ هؤلاء الأسارى الى الدحال أقتلهم حتى نحظى بالأموال فأيقن البطال بالارتحال وقال أيها المولى لا تفعل فعل الجهال واطلب منا مهما أردت من الأموال حتى نأتيك به بالمراد ومسرة الفؤاد ولا تقتلنا تندم وتطلب من كل الأمم فلما سمع العبد ذلك تبسم ضاحكا وقال ويلك تأتينى الأموال فى فديتك وفدية هؤلاء الرجال فقال أيها السيد أطلق غلامى هذا حتى أعطيه خطى بجميع مايقطع على وأنفذه الى أهلى وتحلف لى أنك اذا قبضت المال تطلق سبيلى وابصر ما يأتيك من الهدايا والتحف فقال العبد وذمة العرب ان أنت أتيتنى بالمال أطلقك واعلم أن طباعى تأبى الكذب فقال وبكم تقنع من المال فقال أريد منك خمسين ألف دينار حتى أطلق عن صاحبك وعنك فلما سمع البطال ذلك تمنع وأشار الى مذبحون أن يتكلم حتى يتم له الخديعة فقال مذبحون يا أبتاه مالك قد نكست رأسك أما تعلم أن المال مايدخر الا لمثل هذا الحال وقضاء حاجات الرجال وأعظم من الحاجه ما يكون وهـذه الأموال التى قد ادخرتها فى بغداد اذا لم تخرجها فى هـذا الوجه ففى أى وجه تخرجها اكتب مع غلامك كتاب ليأتى بهذا الفدا الذى طلبه هـذا السيد العميد فعندها أمر قاصم الحياه لعبيده أن يفرغ الزورق الذى كان فيه أبو محمد وقال لخمسة من عبيده انزلوا فيه وسيروا مع غلام هـذا الرجل الى بغداد واقبضوا المال الذى قال عليه وعودوا سريعا فانى منتظر قدومكم فقالوا العبيد

السمع والطاعه وعولوا على نزولهم فى الشباره وهموا باطلاق لؤلؤ واذا بعقبه قدصاح صيحة عظيمة كادت روحه أن تخرج منه وقال لقاصم الحياه أيها السيد لاتفعل ولاتأمن لهذا الشيطان ولا تجعل فدوا السودان أعينهم ينظرون من الصايح فرأوه شيخ منيد مكتوف فى جانب الزورق كأنه القرد فقال قاصم الحياه إيش هذا الشيخ وما الذى يقول ائتونى به لأنظر ما مراده لأنه أراه كأنه مسلوب العقل فعندها قدموا عقبه الى بين يديه فلما رآه أمر بحل كتافه وفك قيده من رجليه ففعلوا ذلك وأفرجوا عنه ومن فرحة الملعون بكا وانتشرت دموعه على شيبته ونادى أيها السيد الهمام والبطل الضرغام حياك الله بالانعام وكفاك حلول الانتقام وملكك رقاب الأنام وشربوا أعداءك كاس الحمام يا من قد تزعزعت من هيبته البلاد وذلت من عظيم سطوته العباد يا مولاى هل لهذا المسكين عندك زمام فقد جارت عليه الأيام وضعف من الغوام وانقطع الكلام وارتعشت منه الأقدام من قوم لئام لا يرحمون انهمال عبرتى ولا يرقون لعبادتى ولا يحترمون شيبتى بل يطلبون قتلى ولا أجارنى منهم مجير الا قتلوه ولا حمانى أحد الا أذلوه ولا نصرانى عزيز الا أهانوه والآن فقد وصلت اليك وأريد أن تجيرنى من الأعداء ولا تدعهم ليسقونى كؤس الردى ثم زاد به البكاء فأنشأ وجعل يقول :

ألا أيها السـيد المرتجى	لقيت المسرة فى كل عام
وأنت الذى فقت أهل الزمان	بطعن الرماح وضرب الحسام
وأنت الذى يشهدون العباد	له بالشجاعة يوم الصدام
وأنت الذى لم تزل محسنا	إلى كل من رام نيل المرام
وأنت الذى لم تكن سامعا	كلام اللئيم ونسـل اللئام
فشلى لا تهملوا أمره	وقد نلتمو بى كل المرام

(قال الراوى) فلما سمع العبد كلام عقبه عظم فى عينه وكبر قدره وقال أيها الشيخ طب نفسا وقر عينا فانى قد أجرتك من كل الأنام وأنا أقسم برفقتى وأجنادى وعبيدى وأستاذى والملك العظيم ومن خاف بزمزم والحطيم ان مكنت منك العدا حتى أشرب شراب الردا ولا بد ما أملكك رقاب الأعداء وأبلغك أمانيك فاخبرنى من هم الذين يهينون شيبتك ويخرقوا حرمتك وهذا العلم علمك والفهم فهمك فقال أيها السيد الحلاحل والفيل المنازل أعلا سعلاك وبان مجدك وهلك ضدك اعلم انى رجل من قضاة المسلمين وانى أعلم أهل زمانى فى العلم والبراهين وقد أتعبت فى قراءة الكتب خاطرى وأشغلت بالأديان سرائرى حتى تحققت الدين الصحيح وعرفت بفضائل المسيح

فاتبعته بقلبي وملت اليه بمعرفتي وعقلي وهؤلاء أعدائي وأضدادي وقد بالغوا في معاداتي وكيادي من حيث عرفوا أنني قد تركت دينهم وانتزعت عن يقينهم وأنا الساعة بين يديك وأشتهي أن تمن على بالاطلاق وتبصر ما يصل مني إليك (قال الراوي) فلما سمع العبد ذلك فكر في أمره وقال أيها السيد العالم أنت المسمى بعقبه الذي قد شاعت في الأرض أخبارك بقراءة العلوم وبخبرة الأديان وان كنت ذلك فانني والله من جملة من سمع خبرك وفكرت في نفسي وقلت هذا أعلم أهل زمانه ولولم يعلم أن دين المسيح هو الدين الصحيح لما طلبه وترك دين الاسلام وتجنبه ففرح الملعون عقبه عند سماع هذا الكلام وقد فرح كيف عرفه العبد وعلم أنه جاهل بالشرائع فقال له أيها السيد للمسيح بك عناية ورحمة كيف تطلق هذا الذئب الأمعط والثعبان الأرقط والبلاء المسلط أتعلم من هو هذا الأسير الذي وقع في يديك فقال لا والله فقال هذا الذي خدع الملوك وأباد بحيلته كل غني وصعلوك وكسر الجبابرة وتمت أعماله على الأكاسرة والقياصرة هذا أبو محمد البطال العيار المحتال مقرعة العرب ومخرب الأطلال ومردي أهل الرتب فلما سمع العبد ذلك كرر النظر في البطال وقال أيها الشيخ هذا رفيق أسود بني كلاب المسمى بعبد الوهاب فقال عقبه نعم فقال وحق ذمة العرب لقد سمعت بمكره وأعماله واحتياله على أنه لو أتاني بعبد الوهاب وسائر السودان وبني كلاب لما رفعت لهم راس ولا أهويت إلى أساس بل كنت أشبعهم ضربا وأجرعهم طعنا وحربا وأنا اليوم ما بقيت أعمل إلا برأيك وشورتك وأتخذك في منزلة الوالد فما الذي تشير به علي أصنع به وبأصحابه هل أضرب رقابهم وأرميهم في الماء فقال عقبه يا ولدي أنا أشير عليك بما فيه الصلاح والنجاح وذلك أنك تسوق هؤلاء الثلاثة معك أسراء وتسير الليل وتكمن النهار وأنا معك في هذا الزورق حتى تصل الى الدجلة التي بين جبلة والنعمانيه ونكمن هناك وأدخل أنا وبعض عبيدك إلى واسط مختفين فنشتري لك الخيل المسومة الاعوجيه وجميع ما نحتاج اليه في السفر ونسير في البريه في مواضع أعرفها أنا تخرج من أطراف بلاد العجم وتقطع أخبارنا عن هذه الأرض ونرجع على طريق القسطنطونيه اذا تركنا الأعداء خلفنا أدخلك على الملك ميخائيل وترى منزلتي عنده اذا قدمت عليه بهؤلاء الثلاثة وأنا أصف له شجاعتك حتى أتركك سيفه على أعدائه ومقدم على جيوشه ويعطيك إقليم مثل إقليم العراق ثم لا أقنع لك بذلك حتى أزوجك ابنته وأزوج عبيدك من بنات البطارقة ويلبسون الحرير والابريسم بعد لباس الخام ويأكلون من أطيب الطعام ويتنعمون بتلك الأقمار فلما سمعوا العبيد ذلك من عقبه

طابت قلوبهم لأنهم قد ربوا على أكل الحرام والجاهلية لاعقل لهم يمنع ولا دين يردع ففرحوا بذلك وأجابوا وقالوا العبد قاصم الحياة أنت تكون له سيف على العدا ضاربا وملازما ونحن نصير على مذهبك ونعود على ملتك ففرح عقبه بذلك وقال بهؤلاء أبلغ من عبد الوهاب وأمه وأولاده المراد وأشفى غليل الفؤاد هذا والبطال يسمع هذا الكلام وقد أيقن بشرب كاس الحمام وقال لعنك الله ياملعون فلقد تسببت الى الخلاص بكل الأسباب ثم عاد الى ربه رقوى جنانه وقال ولعل يأتى فى العرضيات ما لم يكن فى الحساب فهوكذلك والعبيد أتوا اليه وأوثقوه كتاف وكذلك ولده وغلامه وقام عقبه وأخذ فى يده سوط وجعل يضربهم ويقول هذه الكرة لكم آخر الكرات وهذا اليوم أذيقكم فيه العذاب والآفات وبعد ذلك تنظرون من يصلب على باب الذهب ويكون صلبه عجب ثم ضرب أبو محمد حتى غشى عليه وكذلك ولده وغلامه فعل بهم مثله وأقاموا بقية يومهم الى الليل وساروا تحت الظلام ولم يزالوا سائرين الليل ويكمنون النهار الى أن وصلوا الى الدجلة التى ذكرناها فأكمن العبد ومن معه من العبيد ومضى عقبه ومعه منهم خمسة ومعهم أكياس الذهب الذى كانوا مع البطال وقصدوا واسط واشتروا الخيل والعدد فى يومين وفى اليوم الثالث عادوا الى الدجلة ووصلوا الى قاصم ففرح بهم وبمن معهم فرحا زائدا وركبوا كلهم وساروا وعقبة معهم ذليل ولم يزالوا سائرين يقطعون الأرض حتى وصلوا الى بلد تورين وساروا الى أخلاط وتزودوا وتموا سائرين الى بلد الأرمن وساروا حتى قطعوا جبال السباسبه ودخلوا الى الهيلار وأبو محمد البطال وولده وغلامه مكتفين وقد أيقنوا بحلول الأجل وفوت الأمل ومذبحون يقول ياأباه هذا آخر ساعاتنا من الدنيا فليت انى قبل موتى تزودت بنظرة من زوجتى ابنة الملك كرفناس التى هى منيتى من دون الناس . هذا وعقبه لايصدق بوصولهم الى إقليم الروم حتى يأمن على روحه لأنه سائر وهو ميت فى جلده فزعان أن يلتقى بهم أحد من عساكر المسلمين وجيش الموحدين فيأخذهم (قال الراوى) ولما وصلوا الى قلعة الأرمن بمدينة هيلار وكان فيها بطريق اسمه جرجيس وهوجبار من الجبابرة وتحت يده ألفى فاوس من الأرمن رماة بالنبل شياطين فرسان الخيل إلا أن عقبة لما دخل على البطريق فرح بقدومه ووصوله اليه وقام قائما على قدميه وأكرمه وأجلسه بجانبه وأكرم قاصم وأمر لهم بالضيافات والعلوفات ثم قص عليه قصته وقبضه على البطال ففرح بذلك فرحاً شديداً ثم ان عقبة طلب منه جماعة يغفر وهم الى مدينة القسطنطونيه فقال جرجيس أنا أحق بذلك

والقرب بخاطر الملك بذلك فوافق مراد عقبة وساروا يجدون فى السير الى أن وصلوا مقابل الدروب وعقبة قد اطمأن قلبه وأمن على نفسه لأنه قد وصل الى أوائل بلاد القسطنطونيه وهو راكب على بغلته والبطال قد أيس من الحياة وعقبة يقول له أرأيت كيف أوقعك الله ياشيطان وأنت دائر خلفى تريد هلاكى وقد عملت أنا غاسل فعملت روحك ميت فعملت أنا واعظ عملت أنت يهودى وجئت تسلم على يدى فعملت أنا بقال عملت روحك تاجر وأنت دائر خلفى جميع البلاد حتى مكننى الله منك وخلصنى من يديكم وقد آن صلبك يابطال فى هذه المرة على باب الذهب ونستريح منك والبطال يقول له ياملعون أين أنت من ألطاف الله عز وجل وهو يقول له هيهات الندم على ما فات أن تخلص من يدى . هذا وقد تألم البطال من حبل الكتاف وهو يتألم لذلك وإذا هم بغبار قد علا وثار حتى سد منافس الأقطار وبان من تحته أسنة رماح ولمعان اللبوس والخوذ ورايات إسلاميه فلما رأى ذلك عقبه كادت مرارته أن تنفطر وتذوب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن صالح بن هارون العلوى الحجازى لما وصل الى ملطيه بزوجته صحبة الأمير عبد الوهاب قال له يامولاى أريد أن أغزو الروم لعل يحصل لنا الثواب فصبره فلم يصبر وقال لابد لى من السفر اليهم لأربح الثواب فأمر الأمير عبد الوهاب ولده ظالم أن يسير معه ووصاه عليه وأعطاه معه طيرين حمام من حمام ملطيه وقال له إذا حصل لكم ضيق فارسلوا لنا البطارقة نحضر إليكم سريعا فقال له سمعاً وطاعه ثم ساروا الى أن وصلوا الى القسطنطونيه وبلغ ميخائيل خبرهم وانهم فى عشرة آلاف فما اكترث بهم وأرسل له بطريق فى ثلاثين ألف فكسروه ونهبوهم ورجعت المنهزمين الى القسطنطونيه فقال ظالم لصالح على مراده ورجعوا الى ان وصلوا الى الدروب ووقعت العين على العين عندها برزت العساكر واصطفت الصفوف فأمر جرجيس الى قومه بالحملة وحملت كل طائفة على الأخرى وجرى بينهم الحرب وقتل من الروم خلق كثير وما صدقوا بالنهار قد مضى حتى أشرفوا على الهلاك ولما انفصلت الطائفتين رجعو الى الخيام وتحارسوا طول الليل وأضرمت النيران فدخلت المسلمين على الأمير ظالم والأمير صالح العلوى وقالوا له إنا نظرنا فى عسكر الروم قوم سودان تشبه قراقد وسودانه وتعجبنا منهم ومن حربهم ولا سيما المقدم عليهم فانه أباد عسكرنا وشوههم فقال له الأمير ظالم أنا رأيت هذا وأردت أن اصطاده فى الحرب لحجز بينى وبينه الرجال فى القتال لكن فى غداة غدا إن شاء الله تعالى أبرز اليه وآخذه أسير ولا يقف القوم بعده بين أيدينا ساعة واحدة

فدعوا له ثم انصرفوا فهذا جرى ههنا . وأما ما كان من قاصم الحياة فانه دخل الى خيمة جرجيس وعقبه جالس بجانبه فأكرموه وبجلوه وأجلسوه فرأى الأرمن وقوف بين يدى ملكهم وهم يشكوا اليه مالاقوا من عسكر المسلمين بظالم بن عبدالوهاب فقام قاصم الحياة وضمن للقوم قتله فى غداة غدا ويأخذه أسير وقال سوف تنظروا منى مايسركم فشكره جرجيس وعقبة على ذلك ولما أصبح الصباح وركبت العساكر برز قاصم الحياة واشتهر بين الصفين وطلب البراز وسرعة الإنجاز وأن لايبرز اليه إلا أمير الجيش عندها برز الأمير ظالم الى الميدان فسبقه الأمير صالح الحجازى وأقسم أن لايبرز اليه غيره فقال له ظالم إن كنت ولابد من برازك اليه نرمى القرعة فكل من خرج له السهم يخرج اليه ففعلا ذلك فطلع السهم لصالح ولما رأوا العبيد الذين مع قاصم أنه برز إلى أميرهم أمير المسلمين فبرزت ثلاثة عبيد منهم فبرز اليهم ثلاثة من المسلمين ولما رأى جرجيس الى ذلك نهر من تبعه ومنع أن يخرج منهم أحد غيره عندها تقدم الأمير صالح الى قاصم الحياة وتقدم الأمير ظالم الى جرجيس ملك الأرمن وتقدموا الثلاثة فرسان المسلمين الى الثلاثة عبيد الذين لقاصم الحياة والتحم كل واحد الى خصمه وتبادروا بالرماح حتى تقصفت ثم عمدوا الى السيوف ولم تكن إلاساعة حتى هجم صالح على قاصم الحياة وضربه على جانبه الأيسر وضرب ظالم لجرجيس على عاتقه أطلع الحسام يلمع من علائقه وكذلك فعلوا المسلمين بالثلاثة عبيد وأن عقبة أبطأ عليه الخبر وظن أن النصر لهم فبقى يجئ يهرب فيرجع يقول اصبر حتى أنظر إن كان جرجيس ينتصر أو لا فاذا رأيته انكسر أقتل البطال وأهرب وبقى مقدم ومؤخر فى ذلك الأمر واذا بالغبار قد انكشف فوجد المسلمين سالمين وقومه قد هلكوا عن آخرهم ولما رأى ذلك طلب لنفسه النجاة (قال الراوى) وأن الأمير صالح لما تقاتل هو وقاصم الحياة سأله من قبل أن يقتله من أين هو فقال وأخبره بجميع ماجرى له مع البطال وأسره له برأى عقبة اللعين ولما التقى ظالم بصالح وحمل كل منهم على صاحبه فسأل ظالم خصمه فأخبره على كل ماجرى وتقاتلوا مع بعضهم فقتل ظالم ملك الأرض وكذلك صالح قتل قاصم الحياة وتقابل صالح مع ظالم وأخبره بما جرى وأن عقبه حاضر معهم فى هذه الوقعة فما كان لظالم عقل إلا أنه اخترق المعمعة وشقت الروم من بين يديه وهو يسابق إلى عقبه يأخذه ولما قاطع ظالم على المنهزمين وجد فى أوائلهم القاضى عقبه وهو هارب يطلب لنفسه النجاة فقبض ظالم عليه وأدار كتافه ولما تحقق عقبه ذلك انفطرت مرارته وغاب رشده وذهل عقله

وأحدث على نفسه وأيقن بالهلاك ثم عطف ظالم على بقية المنهزمين وأفناهم عن آخرهم وخلص أبو محمد البطال وولده مذبحون وهناهم بالسلامة ورجعوا الى الوطاق وناموا تلك الليلة ولما أصبحوا طلبوا الرحيل إلى ملطيه وإذا بغبار قد ثار حتى سد منافس الاقطار وبان من تحته بريق الزرد ولمعان الخود فتحققوهم القوم وإذا هم عسكر قد جهزهم الملك ميخائيل وذلك لما رجع اليه المنهزمين من الوقعه الأولى فكشف خبرهم الأمير ظالم وتحققهم وإذا بهم مائتين ألف فارس فلما شاهد القوم قلق على المسلمين قلق عظيم وكذلك الأمير صالح العلوى ثم أنهم فى الحال كتبوا كتاب وعلقوه على جناح طائر من طيور ملطيه ثم انهم شجعوا قلوب العسكر للجهاد ولما وقعت العين على العين زعق فيهم غيلان الشوك وكان المقدم على العسكر بالجملة ولم يمهلهم حتى يرتاحوا فتلقوهم المسلمين بسيوف حداد وسواعد شداد ودام بينهم الحرب إلى آخر النهار وكان غيلان من الجبابرة الثقال ففتك فى المسلمين وأرموا خيولهم بالنبال فما ولى النهار حتى صار أكثر الناس من المسلمين بلا خيل واتجهوا الى الجبل وبان منهم التقصير ولما رأت الروم ذلك من المسلمين فقويت قلوبهم واشتدت همتهم ولما أصبح الصباح ركب غيلان وقصد الى الجبل ونادى فى العسكرين يترجلوا ويطلعوا خلفهم وصارت المسلمين يرموهم بالحجارة الثقال والصخور الكبار ورأوا من الروم الغلبه فتضرعوا الى الله تعالى بأن يرحمهم ويكشف ما نزل بهم فما استتم كلامهم ودعاءهم الا وغبار ثار حتى سد الاقطار وانكشف الغبار وبان عن رايات اسلاميه وأمة محمديه وفى أوائل القوم الأمير عبد الوهاب ولما رأى المسلمين فى هذا الضيق العظيم أمر المسلمين بالحملة هو ووالدته الأميره ذات الهمه وفتكوا فى الروم ثم ان الأميرة رأت شخصاً قد أباد الأبطال وقتل الرجال فتحققه وإذا به غيلان المقدم على عسكر الروم فقصدته وضايقته فى الميدان وطعنته فى صدره أطلعت السان يلمع من ظهره وفتكت فى الروم ولما رأت الروم الى أميرها قد قتل ولوا الأدبار وطلبوا الديار ونزل الأمير عبد الوهاب فى الخيام واجتمع بولده ظالم وبالأمير صالح وأبو محمد البطان وهنأهم بالسلامه والخلاص وبشروه بالقبض على عقبه ففرح بذلك وباتوا تلك الليلة ولما أصبح الصباح رحلوا طالبين ملطيه وقد أشهروا تورا قصوا من عظم ما فرحوا بالنصر والظفر وقد أشهر أبو محمد عقبه وألبسه طوطور وأركبه على جمل عرى وداروا حواليه السودان يضربونه ويلطمونه يمين وشمال ولما قربوا من ملطيه أرسلوا وأعلموا أهل البلد بقدومهم فوصل المبشر وأخبر بذلك وخرجوا كلهم للقائد وكان يوم عظيم

خلف البلد والبطال الى جانب الأمير وعقبه قدامهم الى أن دخلوا الى دار الأمير عبد الوهاب وسلم الأمير عبد الوهاب الى أبو محمد البطال عقبه فوضعه فى مطمورة وكتبوا للخليفة كتاب وأرسلوه اليه وذكروا فيه أنهم معولين على الدخول الى القسطنطونية يصلبوا عقبه على باب الذهب فان تيسر لمولانا أمير المؤمنين ذلك فليأتى سريعاً وان لم يتيسر له ذلك فيأذن للمماليك بالتوجه ولما وصل الكتاب الى الخليفة فرح بذلك غاية الفرح وأرسل الى جميع البلاد والقرى يأمرهم بالجهاد فى طاعة رب العباد والحضور سرعه ثم بدر خارج بغداد ونصب الوطاق فاجتمع اليه خلق كثير ثم انه رحل يجد ليلا ونهاراً إلى أن قرب من ملطيه فأرسل يخبر بذلك فخرج الى لقائه الأمير عبد الوهاب وعمرو بن عبيد الله وبنى سليم وبنى كلاب وجميع المجاهدين والتقوا بالخليفه وكان يوم مشهور ونزلوا فى الوطاق ودخل الأمير أبو محمد الى الخليفه وسلم عليه فرد عليه السلام وهنأه بالسلامة وطلب منه الملعون عقبه وقال وقال له أحضره بين يدى فخرج البطال مسرعاً ليحضر به للخليفة فأخرجه من المطمورة وأتى به إلى نصف الطريق فأراد الله تعالى اظهار قدرته وأمره فأرعدت وأمطرت وأظلمت الدنيا ونزل من السماء سيل فشتت الناس والخيام والجمال ووقع البطال فى حفيرة الى حلقه وكان وحده ومعه عقبه مكتف لا غير فصار البطال يصيح ويستغيث فلا يغاث ولا يسمع له أحد صياح وكل أحد من القوم اشتغل بنفسه ولما انكشف الغمام وزال المطر أدركوا البطال فوجدوه فى الحفيره فطلعوه من الحفيره التى وقع فيها فلم يجدوا لعقبه أثر ولا وقفوا على خبر فطاش عقله ودهش فكره واذا بالأمير عبد الوهاب قد أقبل يستعجل البطال ليحضر بعقبه للخليفة فأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها فكادت مرارته تنفطر وتحير مما سمع فبينما هو معه واذا بقاصد آخر قد أتى من عند الخليفة بالاستعجال فسار الأمير عبد الوهاب ومعه البطال الى أن وصلوا الى عند الخليفة وتمثلوا بين يديه فسأل البطال عن السبب الذى أبطأه فأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها فلما سمع الخليفة ذلك غاب رشده وطاش عقله وقام قائماً وزعق على السياف وأمره بضرب عنق البطال فعندها تقدم اليه الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وباس الأرض بين يديه وسأله فى البطال فقبل شفاعتهم بشرط أن يدور فى الأرض السابعه والجبال والبلاد ويحضر بعقبه ابن مصعب أين ما كان فخرج البطال وهو غائب عن الصواب لا يدرى أين يروح وتبعه الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وأوصوه بالعجلة واليقظه وحلف الخليفه أنه لن يرحل عن ملطيه إلا

بعقبه ولو مكث بقية عمره فدخل البطل إلى داره وأخفى نفسه فى الدار حتى ظنوا الأمراء أنه سافر وأرسل البطال غلمانه إلى جميع البلاد وهو مقيم فى داره لا يبرح منها فغابوا غلمانه أربعين صباحاً ثم عادوا اليه وأخبروه أنه لم يقعوا له على خبر ولا أثر فقام البطال مسرعاً وخرج من داره الى ظاهر ملطيه وتمشى بجانب نهرقبا فلاقاه الأمير عبدالوهاب فى طريقه فسلم عليه وهنأه بالسلامة وسأله عن حال سفرته وغيبته فقال له البطال والله يا أمير اننى لم أخرج من دارى مدة أربعين نهاراً وانما أرسلت غلمانى فطافوا البلاد وحضروا ولم يقعوا له على أثر فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من اليطال صعب عليه وغصب غضباً شديداً وتركه ومضى فواجه فى طريقه الأميرة ذات الهمة فوقف يحدثها بما أخبره البطال فعسر عليها ذلك غاية الإعسار وقالت هذا استهزاء بالخليفة والا بالذى خلصوه من ضرب العنق ثم انهم أضمروا له مكيدة فهذا جرى ههنا (وأما ما كان) من البطال فانه حار فى أمره وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فبينما هو فى حيرته واذا بشخص مرع اليه فتأمله البطال واذا به ياقوت عبده وكان ذلك العبد قد هرب من عندالبطال وله عدة سنوات (قال الراوى) وكان السبب فى هروب العبد أنه كان فى دار الأمير أبو محمد جارية وكان ذلك العبد قد شغف بها فاختلا بها يوم من بعض الأيام وطلب منها الفاحشة فأغلظت عليه فى الكلام وقالت له اعلم يا ياقوت انلم ترجع عنى والا علمت بك الامير نخاف ياقوت منها أن تعلم مولاها البطال فهرب ودار سائر بلاد المسلمين والروم وكل من عرف أنه عبد البطال يطرده عنه ويقول أرحنا من شرك وشر مولاك البطال فلماأضجرمن ذلك فقصد الى بغداد ودخل الى كنيستها وكتم أمره وجعل نفسه يوقد القناديل بتاع الكنيسة عند الشمس فبقى على هذه الحال له مدة سنه كاملة ولم يعلم بخبره أحد ونرجع الى سياقة الحديث (قال الراوى) ثم ان ياقوت قبل يد مولاه البطال واعتذر اليه وقال له يا مولاى قد جئتك ببشارة استحق عليها أنك تسامحنى بما وقع منى فانها بشارة تشرك فقال البطال والله ان كانت بشارتك تسرنى أعتقتك ووهبتك الجارية فعندها قال له ياقوت اعلم يا مولاى أن عقبه فى كنيسة بغداد وله ثلاثون يوما وهوعندشماس فى الكنيسة مخبى وهو فزعان مرعوب منك فان كان لك غرض فى تحصيله فقم اليه الآن على غفلة فهو مقيم هناك (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد البطال ذلك الكلام كاد أن يغشى عليه من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال للغلام أنت حر لوجه الله تعالى وسوف أسلمك الجارية ثم جهزحاله وأخذ ولده مذبحون ولؤلؤ وسار

أبعد ن أخبر الامير عبد الوهاب بذلك سراً ولم يزل سائر إلى أن وصل بغداد ليلا وقصد إلى الكنيسة فوجدها عاليه فقال مذبحون أنا أطلع أفتح لكم الباب ولايدرى بنا أحد حتى نقبض على عقبه إن كان ههنا فاستصوب رأيه وفى الحال طلع مذبحون إلى أعلا الكنيسة فوجد الشماس وعقبه يتحدثون وهو قلق الفؤاد وكثير الانزعاج من البطال ولما مضى أكثر الليل وبقى أيسره قام عقبه الى المذبح وهو مرقده وقام الشماس إلى مرقده وغلقوا الابواب ثم انه جعل المفتاح على وجه الباب وقد أمنوا على أنفسهم فلما نزل مذبحون ورأى ذلك وسمع غطيطه فصبر عليه حتى سمع خطيطه فى النوم وتقدم إلى الباب وفتحه أسرع من البرق فوجد عقبة نائم فحط فى أنفه قشة ففطس وفتح فاه فألقى فيه الاكرة وشده كتاف وحمله بعد أن ذبح الشماس وفتح باب الكنيسه وخرج إلى البطال فقال له هاك عقبة وقد قتلت الشماس فامضى دام الليل وما أحس عقبة بروحه إلا وهو مكتوف ورأى مذبحون والبطال فأيقن بالهلاك وساروا ليلاونهاراً يجدون السير إلى أن وصلوا إلى ملطيه وتقدم لؤلؤ وأخبر بقدوم البطال وعقبه ففرح بذلك الخليفة والأمراء وكان يوم سرور ودخل البطال على أمير المؤمنين وعقبه معه فى أسوأحال ثم قدمه بين يدى الخليفة فلما رآه بصق عليه وعلى وجهه ووبخه وأمر بضربه إلى أن اكتفى منه وأراد يرمى عنقه فأقسم عليه الأمير عبدالوهاب أن لا يفعل فصاح على البطال خذه اليك وإلا إن زادنى الامر قتلته ولا تنالون منه المراد وهو اليك وهو برأسك ولا أعرفه إلا منك على باب القسطنطونية وإن فقد صلبتك عوضه فأخذه البطال ولم يقدر يرد عليه جواب وقال ما هو قليل أن يهرب عقبه ويصلبنى الخليفة عوضه ثم رحل الخليفة فى سائر العساكر وتقدم الامير عبدالوهاب فى المقدمه وتبعته العساكر فى ستين ألف من بنى عامر وبنى كلاب وأربعين ألف من بنى سليم والبطال قد أركب عقبه على جمل عريان والطرطور على رأسه والاجراس فى حلقه وسخم وجهه بخداه وجعله عبره لمن يراه وتوكلت به السودان يحفظونه وبقى هذا يصفعه وهذا يلطمه وهذا يبصق فى وجهه وهم يرقصون حواليه ثم ان الامير جعل طريقه من على حصن يانس المتعزب لاجل أن الخشبة التى يصلب عليها عقبه فيه ولم ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على الحصن وخرج يانس المتعزب إلى لقاهم وفرح بهم وبقدومهم ونزل المعتصم بالعساكر حول الحصن وقد ملأوا الارض بالطول والعرض وسأل يانس الامير عبد الوهاب عن سبب حضورهم وسيرهم إلى بلاد الروم والهدنة مقيمة بينكم فقال إنما جئنا إلى صلب عقبه فقد نجز فيه وعد سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم وما عرجنا عن الطريق الا حتى نأخذ الخشبة التى عندك نصلبه عليها الملعون فقال يانس والله لابد لى من المسير معكم لانظر هذه الغزاة وأشاهد عقبة لعنه الله مصلوب ثم نزل لوقته بالخشبة وسلمها الى السودان فزفوها بالفرون والبوقات وعقبة ينظر الى فعالهم وقد حار من أعمالهم ومن عظم مانزل بهم أحدث الملعون فى ثيابه ومن الغد عولوا على الرحيل فقال يانس للأمير عبد الوهاب يامولاى ما يمكن انكم ترحلوا ولا يأكل أمير المؤمنين من طعامى ومتى أرجع أرى الخليفة يأتى الى حصنى مرة أخرى فقال له الأمير خفف عنك فان الخلق كثير والملأ غزير ومانقدر نقيم بهذه العساكر يوم واحد فقال يانس يامولاى المبرة عندى وجمعتها من يوم سمعت برحيل الخليفة من العراق (قال الراوى) فلما سمع الأمير مقاله عاد وأعلم الخليفة وقبل الأرض بين يديه وقال يامولاى الأمير يانس سألنى أن أسأل الحضرة الشريفة أن يقع فى هذه المنزلة ثلاثة أيام حتى يبالغ فى الخدمة جهده وطاقته ثم تقدم يانس وقبل الأرض فأنعم له بذلك وأقام كما ذكرنا ثلاثة أيام ولما كان اليوم الرابع أمر بالرحيل وطلب الأمير عبد الوهاب أبو محمد البطال فلم يجده فأنفذ خلفه ولده مذبحون فلم يجده أيضا فقال على بلؤلؤ فلم يجدوه أيضا فسأل عنه أكثر الناس فلم يعرف له أحد خبر فأحس قلبه بالبلاء وقال ابصروا عقبة إن كان موجودا فطافوا عليه الارض فلم يجدوا له خبر ولا أثر فقلق لذلك الأمير عبدالوهاب غاية القلق وفاض دمعه وجرى عليه مالايجرى على قلب بشر وأعلم الأميرة بذلك فعظم عليها وكبر لديها وحصل عندها غم لفقد البطال وفقد عقبة وقالت اكتم ياولدى هذا الأمر عن الخليفة وإلا قل عزمه وكثر همه ويقول ضاع تعبنا وما نلنا غرض . ثم قالت ومتى عاهدت البطال أنه فارقك فقال من أمس قبل الظهر مارأيته واشتغلت بخدمة أمير المؤمنين وضيافة يانس واختلاط الناس ولولا رحيلنا اليوم ماكنت افتقدته فقالت الأميرة إذا كان الأمر على ذلك فما هو إلا قصد القسطنطينيه لأن الطرقات خلفنا ملآنة بالخلائق والأقطار تعج بالمجاهدين وما اله الى بلاد الاسلام طريق ومافى الأمر الساعة إلا أن تكتب كتاب وتحتال فى وصوله الى مارس ودارس مع بعض الجواسيس وتخبرهما بماقد جرى وتسألهما فى كشف الخبر لعل حديثهما يظهر ولايعلم أمير المؤمنين ولاينحل عزم المجاهدين فاستصوب الامير رأيها وكتب فى الحال الى مارس يعلمه بجميع ماجرى ويقول : نريد من همتك الشريفة أن تبحث لنا عن خبرهم وتكون لك هذه المنة على الاسلام إلى الابد وتنال الثواب من الواحد الاحد وتشاركنا فى تصديق منام النبى

صلى الله عليه وسلم ثم طلب الامير من يبعث معه الكتاب فما اتفق إلا لأحمد الشمشاطى فادعى به وأوصاه بما يقول وبما يفعل وكيف يخفى حاله فلبس ثياب الروم وسار طالب مدينة القسطنطونيه ورحل الأمير عبد الوهاب فى المقدمه وهو يوصى الأمراء بكتمان الامر وفى قلبه غاية الاشتغال (قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من حديث أبو محمد البطال فانه من حين نزلوا على الحصن ورأى كثرة العساكر نخاف على عقبه أن يهرب فى كثرة الجمع فأخذه والتجأ به إلى دير المعبوديه من فزعه عليه وكان بالنهار يخلى ولده مذبحون وغلامه لؤلؤ يحرسوا عقبه وينزل البطال الى خدمة الخليفة ويعود الى الدير فى الليل (قال الراوى) وكان هـذا الدير من أعمال الحصن وفيه عشر رهبان معروفين بالتقى والأمانه والصلاح ولاجل ترك عقبه عند هذا الدير وكانوا هؤلاء اطلعوا على إسلام يانس ورجاله وكتموا ذلك ولم يطالعوا به الملوك وبينهم وبين أبو محمد صداقه عظيمه وعرف منهم الصدق والامانه (قال) وكان إذا دخل بلد الروم واحتاج إلى أمر مهم وطلبهم فيه فيجدهم فوق ما يريد ولاجل ذلك التجأ اليهم بعقبه خوفا عليه من تلك الطوائف وكثرتهم وذلك أن عقبه من يوم دخل الى الدير اشتغل بقراءة الإنجيل وهو يبكى ليلا ونهارا ويستغيث بالمسيح حتى ان الرهبان رقوا لحاله وحن قلبهم عليه من كثرة بكائه ثم اجتمعوا على مقدمهم تمليخا بترك الدير وقالوا له يا أبونا وحق المسيح لقد آلمنا بكاء الشيخ النجيح وأنت تعلم ما قد فعل من الحسنات مع الروم وكم له من المجاهدات فى المسلمين والآن فقد التجأ الينا فى آخر عمره ونحن قادرين على خلاصه وكشف ضره وان لم نبادر ونغتنم الثواب وإلا طالبنا المسيح يوم العرض والحساب ونريدك تشير علينا بشىء نفعله فقال تمليخا يا قوم ان أمرتكم بأمر تفعلوه وتعملوا به وتقبلوه فقالوا كلهم أى وحق المسيح ولولا ذلك مااستشرناك فقال اتركوه يفعلوا به القوم ماأرادوا به ولاتدخلوا فى مالا يعنيكم تندموا لان هذا الشيخ قد أهلك الامم فى سائر الاقاليم وماقدر على خلاص نفسه من هذا الامر العظيم فقالوا الرهبان يا أبونا هـذا الشيخ فى يد الاعداء وقد بلغ فى آخر عمره هذا المبلغ ولايقصر عن عبادة المسيح ونحن فى طاعة المسلمين وطاعة هذا المنافق يانس المتعزب هو وقومه وهذه فرصة قدوقعت لنا نغتنم بها الثواب من المسيح وان لم تطاوعنا على ذلك والافعلناه برغمك وقتلناك فعرف من نفسه أنهم يغلبوه فقال ياقوم وكيف تريدون تفعلون فقالوا نقبض على البطال وأصحابه ونخلص عقبه ونسير بهم الكل الى القسطنطونيه ونسلمهم الى الملك ميخائيل ليصير لنا عنده اليد البيضاء ثم نقيم فى بيعة

سوفيا عندقوم يعظمن الانجيل ولا نتم باقى عمرنا فى نفاق ونموت ولا لنا عمل نخلص به من يوم التلاف فقال لهم افعلوا ما أمركم به المسيح فانى تابع لكم فى كسب الثواب وبادروا إلى خلاص الشيخ النجيح من العذاب ثم بنوا أمرهم على ذلك وقبضوا على مذبحون وإن لو ولم يكن عندهم شىء من هذا الحساب ثم أطلقوا عقبه ففرح بالخلاص واستشارو فيما يفعلون فقال انى كنت قد غضبت عليكم والآن قد رضيت عنكم فاصبروا حتى يرجع البطال واقبضوا عليه وسيروا من أول الليل وأنا أسلك بكم طريقا أعرفها وننزل من جبل هذا الدير حتى نقع فى غوطة القسطنطينية وتروا ما أفعل بكم فى الدنيا قبل الآخرة فشكروه الرهبان وأقاموا حتى أقبل البطال عند المساء ودخل الدير وهو آمن على نفسه فما أحس بنفسه حتى داروا حوله الرهبان وقبضوه قبضا باليد وظهر عقبه وقال شدوا كتافه حتى أصلبه على باب الذهب وأذيقه حرارة الصلب الذى أراد أن يذيقنى إياه ففعلوا ذلك وأبو محمد يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويلكم لا تفعلوا واذكروا العهد الذى بيننا فقالوا يا ملكنا ندارى عليك وتدع الشيخ النجيح ثم خرجوا من الدير ليلا وعقبه بين أيديهم والبطال وأصحابه على البغال والاكرة فى أفواههم وهم مشدودين الكتاف وعقبه أفرح الخلق بهذا وضامر أن يصلب أبو محمد على باب الذهب وكان الملك قد سمع بأمر الخليفة قبل أن يصلى إلى ملطيه وعقبة معه وهو معول على صلبه وهم فى أمم لا تحصى فخاف على نفسه وكاتب سائر الروم وأعلمهم بما جرى على عقبة وحثهم على الجهاد والقدوم وهو منتظر العساكر وهو فزعان على البلاد وخرابها وقد قل عزمهم بقتل غيلان لما قدم عليهم المنهزمين ولما وصل الخليفة إلى حصن يانس وخلص عقبه وقبضوا الرهبان على البطال ونزلوا إلى مدينة القسطنطينية وأمنوا على أنفسهم ودخل عقبه على الملك ميخائيل ففرح به وقام له وهنأه بالسلامة فحدثه عقبة كيف كان خلاصه على أيدى الرهبان وكيف قبضوا على البطال بعد ما أيس من الحياة وقال للملك أريد أن لا تخالفنى أمر من الأمور ونصلب البطال على باب الذهب وتترك له يوم مشهود حتى ينقلب حزنى بسرور وصارت البطارقة تصيح من كل جانب ويلطموا رأس أبو محمد البطال وأصحابه وهم صابرين على النوائب (قال الراوى) فلما سمع الملك ميخائيل كلام عقبة اللعين طال افتكاره وقال أيها الشيخ النجيح أما صلب عدوك فامهل على حتى أنظر ما بين يدى لأنك تعلم ما قد جرى علينا من عساكر المسلمين وقد حدثنى الجاسوس ن الخليفة حضر هذه النوبة بأقوام مختلفة الاجناس لايقع عليهم عدو لا قياس واعلم أن قتل غيلان هد

ركني وأريد إذا اجتمعت العساكر كلها عندى على باب الذهب أجرب روحى مع المسلمين فى الحرب يومين وانظر إن كنا رابحين فعلنا كلما تريد وإن كنا خاسرين فدينا أرواحنا بهذا الشيطان ونحن ماكنا خائفين إلا عليك أنت ومن حين سلمت أنت لم بقينا نبالى بأحد ثم أنزله فى الدار التى كانت معدة له وترك عنده أبو محمد البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ ووكل بهم عشرة من البطارقة وأقام الملك يدبر فى أمره ومافى الملوك إلا من استعجزه فى ترك البطال وقالوا لانفلح أبدا ما دام هذا ملكنا (قال) فبلغه هذا الحديث فجمع القسوس والرهبان والبناركة وعلماء اليونان وكان ذلك وقت المساء خارج القسطنطينيه فى الوطاق ومارس ودارس حاضرين وأخذ فى المشورة وقال الملك ماجمعتكم وأحضرتكم فى هذا الوقت إلا لتزيلوا همى وغمى لان سائر الروم قد أكلوا لحمى لاجل ترك البطال سالم وأخاف إذا اتبعت عقبة فى رأيه يكون بتلاف روحى وخراب القسطنطينيه. فلما سمعوا القسوس ذلك الكلام مافيهم من رد جواب ولا أمر بخطاب إلا مارس فانه قال أيها الملك دستور أتكلم ويقبل منى إذا رؤى الصلاح فقال الملك وحق المسيح إن رأيك أنت وأخوك دائماً صواب وأنتما أهل النصح والمشورة وما تم أخبر منكما بهذه الامور فقال مارس: اعلم أيها الملك أن هؤلاء القوم كلما دار بيننا وبينهم وقعة فنكون أضعافهم فى العدد ويغلبونا ونعود منهم مكسورين ويملكوا منا الخيام والسلب والعدد والاموال والخيل ويأسروا كبارنا وصغارنا ولولا الاموال التى نفدى بها أنفسنا لما كان يبقوا منا أحد وكل ذلك من الغدر الذى يقع منا بعد عقد الهدنة. واعلم أيها الملك أن القوم قد جاء معهم خلق مالهم عدد وإذا تملكوا القسطنطينيه ورأوا هؤلاء الملوك الغلبة طلبوا بلادهم وتركوك تصطلى الحرب بنفسك وكذلك هذا الشيخ النجبج الذى يدعى أنه مدبر دولة الملوك فما رأيته قط فى عمرى دبر ملك وأفلح ولا كان فى غزاة نجح وإذا فعل شىء من ذلك لايريد إلا بلوغ مناه ويشتفى بذلك من أعداه وأقول لك قولا آخر وأقسم عليه بما صح عندى وحق الدين المكتوم وعيسى ابن مريم أن هذا الشيخ النجيبج عقبة لايعتقد فى دين وما قصده إلا قتل البطال وعبد الوهاب ولو هلك من الروم والمسلمين بعدد التراب وماقلت هذا إلا وأنا مخاطر بروحى وأردت بذلك النصيحة لدولة النصرانية. وتمام الرأى عندى أن تبقى على البطال وتوصى عليه وتتركه هو وعقبة فى الاعتقال حتى تأتى عساكر المسلمين وتجتهدوا فى القتال فان بلغنا المراد فلا كلام وإن قهرت أفديت نفسك بالبطال والشيخ النجيبج لانك تعلم أن الخليفة

ماحضر هذه النوبة بهذه العساكر إلا لخراب البلاد وقتل العباد وصلب عقبة وإذا غلبنا ما يكون رضاه إلا صلب هذا الشيخ النجيح وعند الغلبة يعذر الإنسان والرأى عندى الذى رأيته صواب ما قد ذكرته لك ورأيك أتم فى ذلك (قال الراوى) فلما أن سمع هـذا المقال ابتهج به وقال وحق المسيح يا مارس ما أنت إلا نعم الصاحب والمشير وما تصلح إلا أن تكون بترك أو وزير لأن مانصحنى أحد سواك وأريد كما أنت المشير بهذا الرأى والمقال تتولى أمر عقبه والبطال ويكونوا الاثنين عندك فى الاعتقال حتى أرى كيف يكون الحال ثم أمر الغلمان أن يكونوا مع مارس ويسلموا اليه عقبه والبطال ومن معهم من الرجال فمضى مارس ودارس وغلمان الملك الى القسطنطونيه الى الدار التى بها عقبه وكان تلك الساعه أحضر البطال بين يديه وهو يعاقبه بما فعل فى حقه فى البلاد والأقاليم وعول أن يضربه ويشفى منه الغليل وإذا بالغلمان قد دخلوا عليه وأعطوه لكمة فى رأسه وداروه كتاف وقووا منه السواعد والأطراف وسلموه إلى مارس ودارس وحملوا البطال وأصحابه ومافيهم إلا من كتفوه وعادوا بهم إلى دار مارس ودارس ورجعوا أخبروا الملك وأعلموه بذلك وأغلق مارس داره وحل الأمير أبو محمد البطال وولده وغلامه من الكتاف وبشرهم بالسلامه ففرحوا بذلك وأخبرهم بالحال فقال البطال على ماذا عولت أيها الأمير فقال والله انى حائر ان أخرجتكم أخاف من الملك لا يطلبكم ولا تكون لى حجة وان تركتكم هنا إلى أن ينفصل القتال فيقلق الأمير عبد الوهاب لأنى أعلم ما فى قلبه عليكم وما فى الأمر إلا أننى أسير أنا وإياكم إلى الأمير بمالى وأهلى ورجالى وأقطع من هذه الأرض آمالى لأنى قد ضجرت من المقام فى بلاد الكفر والضلال وأشتهى أن أكون فى بلاد المسلمين وأحضر الجمعه والجماعه وأتزود ليوم الحساب وأزور البيت الحرام وأمضى لقبر سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فقال الامير أبو محمد البطال والله لقد أشرت بالصواب والأمر الذى لا يعاب فان كان غرضك تجد فى أمرك وجهز شغلك الى أن يأتى الامير عبد الوهاب فقال مارس أنا بحمد الله خفيف الظهر وأمرى ميسر لأن خيامى وثقلى برا البلد وفى هذا اليوم أخرج الذى بقى لى من الرجال وقد عولت على الارتحال ثم باتوا يدبرون الأمر ويقطعون الليل بالتسبيح وقراءة القرآن وعقبه معهم فى الذل والهوان الى أن أصبح الصباح وفتح باب القسطنطينيه فعول مارس على الخروج فدخل عليه أحمد الشمشاطى بكتاب الأمير عبد الوهاب الذى أرسله وهو على حصن يانس المتعزب

ركبنى وأريد إذا اجتمعت العساكر كلها عندى على باب الذهب أجرب روحى مع المسلمين فى الحرب يومين وانظر إن كنا رابحين فعلنا كلما تريد وإن كنا خاسرين فدينا أرواحنا بهذا الشيطان ونحن ماكنا خائفين إلا عليك أنت ومن حين سلمت أنت لم بقينا نبالى بأحد ثم أنزله فى الدار التى كانت معدة له وترك عنده أبو محمد البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ ووكل بهم عشرة من البطارقة وأقام الملك يدبر فى أمره ومافى الملوك إلا من استعجزه فى ترك البطال وقالوا لانفلح أبدا ما دام هذا ملكنا (قال) فبلغه هذا الحديث فجمع القسوس والرهبان والبناركة وعلماء اليونان وكان ذلك وقت المساء خارج القسطنطينيه فى الوطاق ومارس ودارس حاضرين وأخذ فى المشورة وقال الملك ماجمعتكم وأحضرتكم فى هذا الوقت إلا لتزيلوا همى وغمى لان سائر الروم قد أكلوا لحمى لاجل ترك البطال سالم وأخاف إذا اتبعت عقبة فى رأيه يكون بتلاف روحى وخراب القسطنطينيه . فلما سمعوا القسوس ذلك الكلام مافيهم من رد جواب ولا أمر بخطاب إلا مارس فانه قال أيها الملك دستور أتكلم ويقبل منى إذا رؤى الصلاح فقال الملك وحق المسيح إن رأيك أنت وأخوك دائماً صواب وأنتما أهل النصح والمشورة وما ثم أخبر منكما بهذه الامور فقال مارس : اعلم أيها الملك أن هؤلاء القوم كلما دار بيننا وبينهم وقعة فنكون أضعافهم فى العدد ويغلبونا ونعود منهم مكسورين ويملكوا منا الخيام والسلب والعدد والاموال والخيل ويأسروا كبارنا وصغارنا ولولا الاموال التى نفدى بها أنفسنا لما كان يبقوا منا أحد وكل ذلك من الغدر الذى يقع منا بعد عقد الهدنة . واعلم أيها الملك أن القوم قد جاء معهم خلق مالهم عدد وإذا تملكوا القسطنطينيه ورأوا هؤلاء الملوك الغلبة طلبوا بلادهم وتركوك تصطلى الحرب بنفسك وكذلك هذا الشيخ النجبح الذى يدعى أنه مدبر دولة الملوك فما رأيته قط فى عمرى دبر ملك وأفلح ولا كان فى غزاة نجح وإذا فعل شىء من ذلك لايريد إلا بلوغ مناه ويشتفى بذلك من أعداه وأقول لك قولا آخر وأقسم عليه بما صح عندى وحق الدين المكتوم وعيسى ابن مريم أن هذا الشيخ النجيح عقبة لايعتقد فى دين وما قصده إلا قتل البطال وعبد الوهاب ولو هلك من الروم والمسلمين بعدد التراب وماقلت هذا إلا وأنا مخاطر بروحى وأردت بذلك النصيحة لدولة النصرانية . وتمام الرأى عندى أن تبقى على البطال وتوصى عليه وتتركه هو وعقبة فى الاعتقال حتى تأتى عساكر المسلمين وتجتهدوا فى القتال فان بلغنا المراد فلا كلام وإن قهرت أفديت نفسك بالبطال والشيخ النجيح لانك تعلم أن الخليفة

ماحضر هذه النوبة بهذه العساكر إلا لخراب البلاد وقتل العباد وصلب عقبة وإذا غلبنا ما يكون رضاه إلا صلب هذا الشيخ النجيح وعند الغلبة يعذر الإنسان والرأى عندى الذى رأيته صواب ما قد ذكرته لك ورأيك أتم فى ذلك (قال الراوى) فلما أن سمع هـذا المقال ابتهج به وقال وحق المسيح يا مارس ما أنت إلا نعم الصاحب والمشير وما تصلح إلا أن تكون بترك أو وزير لأن مانصحنى أحد سواك وأريد كما أنت المشير بهذا الرأى والمقال تتولى أمر عقبه والبطال ويكونوا الاثنين عندك فى الاعتقال حتى أرى كيف يكون الحال ثم أمر الغلمان أن يكونوا مع مارس ويسلموا اليه عقبه والبطال ومن معهم من الرجال فمضى مارس ودارس وغلمان الملك الى القسطنطونيه الى الدار التى بها عقبه وكان تلك الساعه أحضر البطال بين يديه وهو يعاقبه بما فعل فى حقه فى البلاد والأقاليم وعول أن يضربه ويشفى منه الغليل وإذا بالغلمان قد دخلوا عليه وأعطوه لكمة فى رأسه وداروه كتاف وقووا منه السواعد والأطراف وسلموه إلى مارس ودارس وحملوا البطال وأصحابه ومافيهم إلامن كتفوه وعادوا بهم إلى دار مارس ودارس ورجعوا أخبروا الملك وأعلموه بذلك وأغلق مارس داره وحل الأمير أبو محمد البطال وولده وغلامه من الكتاف وبشرهم بالسلامه ففرحوا بذلك وأخبرهم بالحال فقال البطال على ماذا عولت أيها الأمير فقال والله اننى حائر ان أخرجتكم أخاف من الملك لا يطلبكم ولا تكون لى حجة وان تركتكم هنا إلى أن ينفصل القتال فيقلق الأمير عبد الوهاب لأنى أعلم ما فى قلبه عليكم وما فى الأمر إلا أننى أسير أنا وإياكم إلى الأمير بمالى وأهلى ورجالى وأقطع من هذه الأرض آمالى لأنى قد ضجرت من المقام فى بلاد الكفر والضلال وأشتهى أن أكون فى بلاد المسلمين وأحضر الجمعه والجماعه وأتزود ليوم الحساب وأزور البيت الحرام وأمضى لقبر سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فقال الامير أبو محمد البطال والله لقد أشرت بالصواب والأمر الذى لايعاب فان كان غرضك فجد فى أمرك وجهز شغلك الى أن يأتى الامير عبد الوهاب فقال مارس أنا بحمد الله خفيف الظهر وأمرى ميسر لأن خيامى وثقلى برا البلد وفى هذا اليوم أخرج الذى بقى لى من الرجال وقد عولت على الارتحال ثم باتوا يدبرون الأمر ويقطعون الليل بالتسبيح وقراءة القرآن وعقبه معهم فى الذل والهوان الى أن أصبح الصباح وفتح باب القسطنطينيه فعول مارس على الخروج فدخل عليه أحمد الشمشاطى بكتاب الأمير عبد الوهاب الذى أرسله وهو على حصن يانس المتعزب

ليكشف الخبر عن أمر عقبه والامير أبى محمد البطال فلما نظر مارس عرفه وأحضر قدام الامير أبو محمد البطال وأخذ منه الكتاب وقرأه وعرف معناه وشكر الله تعالى على ماأولاه وسهل له هذا الامر العسير فقال مارس نحن عملنا بما فى الكتاب قبل أن يصل الينا ولكن أين فارقت الامير عبدالوهاب فقال يامولاى لابدأن يكون قدقارب القسطنطينيه فقال الامير أبو محمد البطال عد اليه وبشره بخلاصى ووقوع عقبه واعلمه أننا نلتقيه قبل أن يصل الى القسطنطينيه فعاد أحمد بالجواب وقد فرح بما رأى وعجب (وأما) الاميرمارس وأخيه دارس فماأمسى المساء وبقى لهم فى البلد علقه وكلماعز عليهم صارفى خيامهم ثم ركبوا هم وجميع غلمانهم والامير أبو محمد وولده وغلامه وخرجوا من البلد بآلة الحرب فى زى الروم وقدحطوا عقبه فى صندوق مع الغلمان وكان للأمير مارس وأخيه دارس أربعين مملوك مشترى مال وربوهم على دين الإسلام من حين كانوا أطفال صغار ولما نزلوا إلى الخيام أقاموا إلى أن انسدل الظلام وأظهر مارس للروم التى حوله أنه رائح فى حاجة للملك إلى عسكر المسلمين ثم انه ركب وسار لوقته هو وأخيه بعد أن شالوا الاموال وجميع الثقل على البغال وتركوا الخيام على حالها وكانت عساكر الروم واردة من كل مكان والعالم فى عدد التراب وهم مقبلين كتائب ومواكب والأخ لايعقل على أخيه ولم يزل مارس وأخيه دارس سائرين هما والامير أبو محمد البطال ومن يصحبهم من الغلمان والرجال إلى وقت الفجر ونزلوا للراحة حتى أصبح الصباح ورحلوا فبان لهم غبار ثم بان من تحت الغبار عسكر الإسلام وقدامتدت يميناوشمال فحركوا اليه قاصدين وأخرجوا عقبه اللعين وبانت لهم الفرسان المحمدية وقد ارتفع لهم تكبير يزعزع الارض وكان على المقدمه الامير عبدالوهاب والاميره ذات الهمه إلى جانبه مثل الاسد وبنى كلاب بين أيديهم فلما رأوا مارس ومن معه من البيارق والصلبان تجارت اليهم الاعراب والسودان وطلبوهم من كل مكان فتقدم الامير أبو محمد البطال وصار يلتقى الرجال والابطال ويردهم ويخبرهم بالحال وهم يرون عقبه قدامهم على بعض البغال مشدود الكتاف فى غاية الذل والهوان فلما رآهم الامير عبد الوهاب فرح بذلك فرحا شديد ودخل على قلبه المسرة (قال الراوى) ورأى أمير المؤمنين المعتصم ذلك وأخبروه بما جرى وكان فرح بخلاص أبو محمد البطال ومسك عقبه الكلب ندل الرجال ولم تكن إلا ساعة حتى حضر الامير عبد الوهاب بالامير مارس ودارس وأبى محمد البطال وعقبه شيخ الضلال الى بين يدى الخليفة فهناهم بالسلامة وشكر مارس ودارس على فعلهم الجميل ثم ان الامير عبد الوهاب قبل الارض

وقال يامولاى هذا مارس ودارس محبين للدولة العباسية وقد أتيا يطلبان المقام فى بلاد الاسلام وهما اللذان كانا يكاتبانى بأخبار الروم مدة الاعوام وعملا معنا من الجميل مالا يفعله خليل مع خليل وآخر فعلهما معنا هذه الفعلة لأنهما قد ردا علينا عقبة بعد الاياس وخلصوا لنا الابطال العزاز وهم أبو محمد البطال وولده مذبحون وغلامه من قبضة الارجاس ثم تقدم الأميران مارس ودارس وقبلا الأرض فتعجب الخليفة من حسن صورتهما ورأى نور الايمان على وجوههم شاهد بأنهما يعبدان الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم ان الأمير عبد الوهاب قال يامولاى أريد من انعامك أن يجعلهما أمراء عندك أوحجاب حتى لا يتم لهما ندما على ما كانا فيه من النعيم عند الروم فقالا لا والله ما أتينا ولنا فى بلاد الروم رغبة وقد تركنا الدنيا الساحرة ونريد عمل الآخرة فرسم لهم الخليفة بالوظائف فلم يقبلوا وامتنعوا من ذلك واختاروا لصحبه فشكرهما على ذلك وأخلع عليهما وأمرهما بالركوب وأن لايفارقاه فى الركوب والجلوس ثم تقدم الأمير أبو محمد البطال وهو يقود عقبة قود الجمال وفى رقبته الحبال الى أن أحضروه قدام الامام المعتصم بالله خليفة الزمان وقال يامولانا مضى حديث هذا الملعون الذى قد فسد فى البلاد وعذبنى عذاب قوم عاد وأريد أن تسلمه الى غيرى يحفظه ويريحنى منه فما بقى لى قدرة على مقاساته صدقة عنك (قال) فضحك أمير المؤمنين من كلامه وقال له والله ما نقيلك من حفظه إلا ان كان نصلبه على باب الذهب لأن كل أحد منا يعجز عن مقاساة هذا الكلب الأكلب والذئب الأجرب فلما سمع البطال كلام الخليفة ما قد يرد عليه جواب ولا يبدى خطاب بل انه عاد ووضع الحبل فى رقبته وجعل يسحبه الى عسكر السودان وأوصاهم بحفظه فقالوا مانحتاج وصية على هذا القرنان الذى يعبد الصلبان ثم تواثبوا إليه وصفعوه حتى ورمت رقبته وباتوا الى أن أصبح الله بالصباح وسارت العساكر تتلوا بعضها بعض حتى وقعت العين على العين وقدموا خشبة عقبة وهو على تلك الحالة فلما رأت الروم ذلك دقت النواقيس وضجت الشمامس وقرأت انجيلها وصاحت الرهبان وصلبت على وجوهها وماجت الأرض بأهلها وضاق بالعالم وعرها وسهلها.

وأما الأمير عبد الوهاب فانه رمى درعه وكشف رأسه وفعلت السودان مثل فعاله وسائر الفرسان ورفعت الروم الصلبان ولمعت على رأس الملك وصاح ياويلكم دونكم وإياهم فعندها تبادرت الروم إلى الخيل فركبتها وإلى السيوف فامتشقتها وإلى الأعلام فنشرتها وإلى القنطاريات فقومتها واعتمدت الاقبال على عظيم عدتها

وسارت الأعراب وبنى كلاب بهمتها وصاحوا فى خيولهم فخرجت مثل الرياح فى
جريان هبتها وأظلم الجو فى اشتباك الرماح وكثرتها وعدم الضوء لفرط ازدحام
أسنتها وبربرت السودان وفى أوائلهم اللملمان وصدموا عبدة الصلبان والأصنام
وقصمت سيوفها رؤوس الأقران وعن أبصارها وأجسادها نثرتها وأهرقت الأدمية
على عطاشى الأرض فأروتها وكشر قراقد على أنيابه وسال لعابه فمالتى علج إلا وقابله
بما لم يكن فى حسابه ولا بطل إلا ولقاه وسقاه من الموت كاس شرابه هذا وقد زعق
جعبر ياآل حام ياآل حام هاها يالون الظلام من لم ينصح اليوم وإلا فخبز الأمير
عبد الوهاب عليه حرام فهناك كشفت السودان رؤوسها وألفت الى الحرب نفوسها
ولم تترك جواد إلا عرقبته ولا إنسان إلا وصدعته ولا درع إلا وقطعته فلله در
الأمير عبدالوهاب وقد كشف رأسه واشتد بأسه وعظم مراسه وأخذته نخوة العرب
أصحاب الحسب والنسب هذا والأميرة ذات الهمة قد أخرجت يدها من جلباب درعها
وهى تصيح أنا ابنة مظلوم أنا خادمة الحى القيوم ولله در أمير المؤمنين المعتصم بالله
فلقد قاتل قتالا عظيما وهو مع ذلك ينادى أنا ابن الخلفاء أنا ابن عم محمد المصطفى صلى
الله عليه وسلم ولقد قاتلت عساكر الكفار قتالا عظيما كل هذا والأمير أبو محمد البطال
واقف وعقبة معه فى حبل والخشبة حولها السودان وجماعة من الفرسان ولم يزل
السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وهى تغلى غليان المرجل إلى أن ولى
النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وانفصل الجيشان وتحارسا العسكران فافتقد الامير
أصحابه فوجد قد قتل من السودان ألف أسود ومن بنى كلاب وبنى عامر خمسة آلاف
ومن بنى سليم عشرة آلاف ومن عساكر العراق ثلاثين ألف فكان جملة من قتل
من عساكر الاسلام ستة وأربعون ألف فى هذا النهار وما قدروا ينصبوا الخشبة .
وأما الروم فكان عدة من قتل منهم مائة وعشرون ألفا فقال لهم الملك ميخائيل :
ياعبدة الصلبان لقد رضى عنكم المسيح إن ثبتم فى قتال المسلمين فقالوا وحق الانجيل
الصحيح مايصلب الشيخ النجيح وفينا عين تطرف فهذا ما كان من هؤلاء (وأما
ما كان من أمر أمير المؤمنين المعتصم بالله فانه لما رجع إلى سرادقه وحضروا الامراء
عنده قال لهم : كيف رأيتم اليوم قتال هؤلاء الملاعين فقال الامير عبد الوهاب
يامولانا أتظن أن عقبة عندهم هين وهو الشيخ النجيح فقال المعتصم وحق محمد
المصطفى صلى الله عليه وسلم لابد ما أبرزن فى غداة غد بروحى إلى الحرب ومقام
الطعن والضرب ولا أزال أجاهد فى سبيل الله تعالى حق جهادى وولدى لواثق بالله

تعالى هو ولى عهدى والخليفة من بعدى وكذلك قال الامير عبد الوهاب والله يامولانا لتجرى لنا وقائع حتى نصلب هذا الملعون الفاجر تتحدث بها الناس من الأول للآخر هذا والأمير أبو محمد البطال قد وقف ووضع عقبة إلى جانبه وفى فمه أكره حتى لا يتكلم فلما نظر الخليفة تبسم من فعال البطال به وبصق فى وجهه وقال أبو محمد البطال والله يامولاى ما بقيت أفارقه حتى أعلقه على الخشبة فقال الوزير والله يامولانا لقد قتل اليوم من الناس مالا يعد ولا يحصى من أجل ذاك الملعون (قال الراوى) فلما أقيمت الخشبة ونظرت إليها الخيل تهوى بها الى الوقوع ولقد كان الاصول أن يعملوها على هيئة التخت أو السرير وتكون الخشبة فيه ويستريح العالم من هذا العذاب فقال المعتصم بالله على بأبو السعادات النجار وأصحابه فلم يكن بأسرع ماحضر وقبل الارض قدام الخليفة فقال له المعتصم أريدك تعمل لى برج على هيئة السرير وتأخذ الخشبة وتعملها فى وسطه وتعمل له بكر يمشى عليه وتعمل الخشبة ملعب موثق بصفائح الحديد فقال السمع والطاعة ولكن يامولانا تمهل على ثلاثة أيام فقال له شأنك وما تريد ونحن نباشر القتال إلى أن تنكسر هذه العساكر وإذا انكسرت تمكنا من صلبه (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أتى الليل وانقضى وأضاء الصباح بنوره الوضاح كالكوكب ركب ملك الروم وسائر الطوائف من الأمم المختلفة الأجناس من الروم والسودان والدوقس والملاقطه والزغاوره والافرنج والبرغل والصقلب والروسيه والانجار والبنادقه والبنجاك والقمن والمغلبيط وأهل القسطنطونيه والملوك السبعة عشر وأشهرت السيوف وتزايد الحنوف وركب المعتصم وسائر من يلوذ به وركبت الاميرة ذات الهمة والأمير عبدالوهاب وأولاده الثلاثة : ظالم وقشعم وضيغم وركب الأمير صالح ابن هارون العلوى والأمير هياج الكردى وجعبر واللملمان وقراقد وقرقود والهدلموس وصاح يا آل حام يا آل حام هنالك نادت الأميرة أيضا يا آل كلاب هاها يامحامين عن دين الاسلام وحملت الرجال على الرجال والأبطال على الابطال وجاء الحق وزهق المحال ودنا من الروم الأهوال هذا وقد تقدم البطرك قدام الروم ونزل وكسر عكازه وقطع زناره وقال ان تم عليكم هذا فقد أوصل المسيح السخط عليكم فمالت الطوائف على بعضها البعض وارتجت من تحتهم الأرض ومادت بهم طولا وعرض والتحم القتال وكثر الزلزال وعظمت الأهوال وتصادمت الأبطال وكثر النبل والنبال فيالها من ساعة شابت فيها الذوائب وحلت فيها المصائب وتصادمت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب فلم نر إلا رؤوس

طائره ودماء فائرة والألسن حائرة والغبار ثائر هذا وقد تقدم الأمير أبو محمد البطال
وعقبه معه وفى عنقه الحبل وهو مكشوف الرأس والخشبه تحملها السودان وقد
أحاطت بها أربعة آلاف أسود من كل بطل أمجد وهم بصدور الزرد وبأيديهم
السيوف والعمد وهم يقولون بهذا أوعدنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد حمل
الأمير عبد الوهاب والسودان الانجاب وقد أرموا الناس بمراود العما وعاد النهار
مثل الليل وسالت الأدمية مثل السيل ومالت السودان على عبدة الصلبان كل الميل
هذا كله يجرى وعقبه ينادى وهو مكشوف الرأس وعليه فروة مقلوبة وطرطور
وهو يقول يا ذل دين المسيح وشريعته من بعدى وواحسرة النصرانية لفقدى إذ
قد تمكن منى ضدى وكان تارة ينادى بلسان الرومى وتارة بلسان الافرنج وتارة
بلسان الملافطه وكل من سمعه يتحسر عليه ونظروه وقد صارت روحه فى الموت
فرحموه الروم وطابوه إلى أن كادوا يأخذوه ويأخذوا البطال معه فعندها زعق
الأمير عبد الوهاب يا آل حام يا آل حام ها ها يا سودان يا أولاد الكرام هذا
اليوم الذى كنا ننتظره من دون الأيام فعندها زعقت أربعة عشر ألفاً من السودان
واق واق يعنون الله الله فخيل للعسكران أن الأرض انقلبت ثم حملوا حملة واحدة
فكشفوا الروم عن باب الذهب وقدموا الخبة فصاح عند ذلك البترك ويلكم الساعه
يخسف بكم المسيح الأرض دونكم وخلاص الشيخ النجيح وها أنا أول من يقاتل
(قال الراوى) ولما سمعوا الروم كلام البترك وهو يحرضهم على القتال فعندها حملت الافرنج
فكانت قنطاريتها تشبه الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر ولم يزالوا كذلك والسيف
يعمل والدم ينزل والروم تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل
الليل بظلماه هنالك انفصل الطائفتين وافترقت العسكرين وتحارست الفريقين وقد امتلأ
قاع الصحصحان وبقوا مطروحين قتلا الروم وعربان وزغاوره ويونان وبغداديين
وأعجام وأهل خراسان وكلابيين وسودان وسليميين رأيتهم صرعا على الأذقان ونزل
المعتصم فى سرادقه وأحاطت به الأمراء وقد بقيت الاميره ذات الهمه كانها قطعة دم
وقد جمد دم الكفار على سواعدها حتى بقى كأنه أكباد الابل وكذلك الأمير ظالم
وهياج الكردى وصالح بن هارون العلوى واللملمان وجعير والدينارى وباقى الامراء
ووقفوا فى خيمة أمير المؤمنين المعتصم بالله وأبو محمد البطال معه عقبه لعنه الله وادعى
الخليفة بأبو السعادات مقدم النجارين وقال له إيش عملت فقال أمير المؤمنين قد فرغ
البرج والملعب وعملت مثل ما أردت وما بقى أن يسلموا إلى الخشبة حتى ننقز لها

فى وسط البرج فقال له المعتصم امضى وأتى به واعمل الخشبة قدامى وقدام هذا الكلب الذى نريد أن نصلبه عليها فقال له سمعاً وطاعة (قال) ولم يكن بأعجل من أن أتى بالبرج والرجال كلما دفعته من خلفه تقدم وأبو السعادات النجار قد أخذ مقدار تدوير الخشبة وغرزها وأدارها بالبكر فى وسط البرج فبقت مثل الصارى فى وسط المركب وجذبت الرجال البرج فى الحال فسار أسرع من ريح الشمال فقال المعتصم الآن حصحص الحق وأريد أربعة آلاف أسود الذين كانوا حول الخشبة يكونوا حول البرج يمنعون من يطلبه ولا يكون على السرير إلا الكافر بالملك القادر فقالت الاميره ذات الهمه والله يا مولانا هذا هو الصواب ثم إن المعتصم قال لسائر الامم والامراء والمقدمين نحن لا بد لنا ما نوصل الطعن والضرب إلى باب الذهب وهل هى إلا موتة واحدة وما أسعد من قتلوه الروم الكفار ويحشر فى دار القرار فى جوار الملك الغفار والنبى المختار (قال) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح وطلعت الشمس على رءوس البطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح فحملت المسلمين الابرار على الكفار الاشرار ودارت طاحون الحرب تطحن الرجال وتبيد الابطال مع تشايع الايام والقتال لطال الشرح وكثر والجملة تغنى عن التفصيل (قال) ولما مضت تلك الايام ولم يقدروا المسلمين على صلب عقبه اللعين جمعهم أمير المؤمنين المعتصم عنده فى السرادق وقال لامراء بنى كلاب وأمراء السودان الانجاب والامير عبد الوهاب اعلموا يا قوم أن ما فى الممكن بأن نقيم هكذا من غير أن نصلب هذا الملعون ومع ذلك فان الروم قد قتل منهم خلق كثير ما لا يقع عليه إحصاء ولا تظنوا أن أحدا من أصحابنا قتل حتى قتل الروم من فارس وخمسه وأكثر وقد أحصى الوزير أحمد جميع من قتل فى هذه الايام الماضية وأعرض جريدتهم على فوجدتهم خمسة وسبعون ألف كلهم استشهدوا فى سبيل الله تعالى وما بقى لنا عسكر نرجو به النصر إلا بقوة القلوب وإن لم تنصحوا فى غداة غدا فى القتال ما نبلغ آمال لان هؤلاء الملاعين تتواصل إليهم العساكر من البر والبحر والصواب أن يأتون كل الامراء الذين عليهم العين والمعتمد وقت صلاة الفجر وأكون أنا فى أوائلكم ونوصل الطعن إلى حامل العلم والصليب الجوهر فاذا وقع على الارض ركنوا كلهم إلى الهرب ونفنيهم كلهم بالحسام ونبلغ من صلب عقبه المرام فقالت الاميرة لله درك يا أمير المؤمنين فلقد أحسنت هذا الرأى السديد ثم مضوا إلى الخيام وعقبه أمامهم والامير أبو محمد البطال والسودان الانجاب يسهرون خمسين وينامون خمسين كل ذلك احترازا منهم على عقبه اللعين

وأما الأمير أبو محمد البطال فانه طار النوم من عينه ولما مضى الليل ودنت غرة الصباح جلست الأميرة وهى تقول مرحباً بلقاء الله عز وجل والاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى إليها الأمير عبد الوهاب وقال لها يا أماه عولى بنا إلى المضى إلى عند أمير المؤمنين المعتصم حتى نفعلى ما أوصانا به فقالت اجلس يا بنى حتى أقص عليك مناماً رأيته الليلة فقال خير إن شاء الله ما الذى رأيت يا أماه قالت رأيت كأن انفتح فى السماء باب كبير ونزل منه قبة كبيرة من اللؤلؤ المكنون وقد ملأ ضوؤها الخافقين وفيها جوار أبكار كأنهن الأقمار وضياء وجوههن أضوأ من النهار وفى تلك القبة من الفرش والاستبرق والسندس الأخضر شيء كثير والحوار يصحن ويقلن يا فاطمة أبشرى برضا الله تعالى عنك وسوف تبلغون من عدوكم المنى ويزول عن قلوبكم العنا وتصيرين عندنا عن قريب فى هذه القبه الرفيعه وتحشرين مع فاطمة الزهراء بنت النبى صلى الله عليه وسلم فانتبهت من منامى وأنا متنكرة يا بنى فى أمرى فى هذا المنام فقال الأمير وقد بكى يا أماه بهذا المنام وهو أن الله تعالى راضى عنك لأجل جهادك فى الأعداء ومحاماتك عن شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هذا وقد أقبلت الأمراء إلى الأمير عبد الوهاب وقد غاصوا فى العدد واشتملوا بالزرد وأقاموا ينتظرون ركوب الأمير عبد الوهاب وإذا قد أقبل رسول أمير المؤمنين المعتصم بالله إلى الأمير عبد الوهاب وقال له أجب أمير المؤمنين فعند ذلك ركب الأمير عبدالوهاب من بعد أن صلى صلاة الصبح وكذلك ركبت الأميرة ذات الهمة وأولاد الأمير عبد الوهاب وساروا إلى أن أتوا إلى سرادق المعتصم واستأذنوا فى الدخول وإذا هو يصيح عليهم بنفسه أدخلوا يا أركان الدين ويا تراس قبر محمد سيد المرسلين والنبيين فلما مثلوا بين يديه وإذا بدموعه تسيل على وجنتيه فقال لهم اجلسوا حتى ألبس عدتى وأقص عليكم قصتى وما رأيت الليلة فى المنام وقد أخذنى القلق والهيام فجلست الأمراء ووقفت الكبراء وقالوا يكون خيراً إن شاء الله يا أمير المؤمنين فقال لهم اعلموا لما مضيتم البارحه من عندى تفكرت فيمن قتل من المسلمين وقرأت ما تيسر من القرآن العظيم ونمت على سريرى هذا فرأيت كأن أنوار نزلت من السماء إلى أن أضاء سريرى من تلك الأنوار وإذا بشخص قد أقبل والضياء عليه يلمع والنور على وجهه يشعشع إلا أنه مليح الكون معتدل القامة بين كتفيه شامه وهى للنبوة علامه صلى الله عليه وسلم ورأيته ينظر من خلفه كما ينظر أمامه وهو بين أربع رجال كأنه البدر بين الكواكب فقلت له من أنت يا مولاى فقال أنا محمد المصطفى فعند ذلك

ذلك مددت يدى إليه وصافحته وقبلت يديه وقلت له يا سيدى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم أما تدعو الله تعالى أن ينصرنا على هؤلاء الكفار فقال لى يا أبا إسحاق اعلم أن الوقت قد اقترب وهو الذى أوعدت به الأمير عبد الوهاب وفى غداة غد تنصروا على هؤلاء الكفار كما نصرنى الله تعالى يوم الأحزاب فقلت يا رسول الله فمن هؤلاء الذين معك فقال لى اعلم أن الذى عن شمالى فهو الحسن والحسين والذى عن يمينى فهو أبو بكر وعمر وغداً تصلبوا عقبه إذا صار وقت العصر وتنكسر الكفار وتنصر المسلمين الابرار وتصل روح عقبه إلى الدرك الاسفل من النار ويقتل من المشركين ثلاث مائة ألف من أجل عقبه اللعين وإنى رأيت الاميره ذات الهمه وقد أقبلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبلت يده فقال لها يا فاطمة أبشرى بالجنة العليا وتكونى فى جوار بنتى فاطمة الزهراء وهى الساعة فى انتظارك يا أم المجاهدين ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من رآنى فقد رآنى حقاً لان الشيطان لا يتمثل بى فهذا الذى رأيت فى منامى وقد أخبرتكم به فعند ذلك بكى الامير عبد الوهاب من الفرح والسرور وكذلك الاميره ذات الهمه وجميع الذين كانوا هناك حضور ثم لبس كل واحد عدته ولامته وكذلك فعلت الامراء كلهم وقد قالوا لبعضهم اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا بالنصر فاخلصوا النيات فى طاعة رب البريات هذا وقد بلغ خبر منام الخليفة أمير المؤمنين الى سائر العسكر وعلموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بشر بالنصر والظفر فزادهم اهتمام فى القتال وأمر الخليفة أن تنشر راياته ودقت كوساته ونفخت بوقاته وتبادرت حماته وخلصت كماته (ياساده) فما قولكم فى هذه الجموع الذين قد اجتمعت من المسلمين الأبرار والكفار والفجار ويريدوا أن يحملوا على بعضهم البعض ويهلكوا فى يوم واحد (قال الراوى) فعندها رأيت الأعلام قد ارتفعت ونشرت والأمراء قد حملت والجنائب قد تقدمت والمواكب قد رجفت والأبطال قد زجت وتصادمت والفرسان قد تزاحمت والوحوش تنافرت والسيوف قد لمعت والخيل قد صهلت والسيوف قد حملت والأعلام قد انتشرت والبيض قد سطعت والكماة قد افتخرت والنفوس على الحياة قد تحسرت ومرائر الرجال قد انفطرت والرؤس قد تدحرجت والجماجم قد انتشرت والألوان قد تغيرت والبطون قد طعنت والأفئدة قد انخلعت والأرض من الحوافر قد تحفرت والجبال من الجولان قد تدكدكت والخيل قد وقفت والوجوه قد تعفرت والصوارم تثلمت والرماح قد تقصفت والأوداج من النجيع قد وكفت وسبل المنايا على البرايا قد أشرفت والغربان

بالشتات قد زعقت ومواعيد الآمال قد اختلفت والاحداق من السهام قد تقلعت والأكباد من العطش قد تلهفت (قال الراوى) هذا والأمير عبد الوهاب قد كشف رأسه ونادى يا آل كلاب يا آل كلاب وصاحت الاميرة ذات الهمة فى السودان والأنجاب وقالت هذا اليوم الذى كنا نطلبه يا معاشر الأصحاب فعند ذلك صاحت الفرسان وتناخت الأبطال والشجعان ودام الضرب والطعان واختلفت المضارب وزحفت المواكب وحملت الرجال من كل جانب ومكان وعمت المصائب وعاد رأس الجبان شائب وقاتلت بنى كلاب فى تلك الساعة قتال عظيم يشيب لهوله الطفل الصغير وهب عليهم من رياح الموت نسيم وصارت الأجساد رميم وبان الفارس الكريم من الجبان اللئيم وكان السنان للبطن يخرق والسيف للرأس يفلق فما كنت ترى إلا غالب ومغلوب وناكب ومنكوب وسالم ومعطوب وناهب ومنهوب فيالها من وقعة قد فاقت جميع الوقائع ولم يبق لا ناصر ولا شافع إلا عمل السيوف القواطع وقد ضاق على الناس الفضاء الواسع وتقطعت الضلوع والأصابع وتخرقت الدروع الموانع ولم ينفع بينهم شفاعة شافع وبقيت الدنيا من الجمعان بلاقع وبان الشجاع من الجازع واشتد الوقع وارتفع النقع وكلت السواعد وملت وضجرت الخيل واضمحلت فلله در السودان الانجاب وأبطال بنى كلاب فلقد صبروا صبر الكرام وأما الأمير عبد الوهاب فانه أفنى فى حملته الابطال وجندل الفرسان إلى أن التقى فى حومة الميدان بالملك ميخائيل فطعنه بعقب الرمح أرماه على ظهره فتبادرت إليه الملوك وشالوه من على وجه الأرض وأركبوه جواد سابق إلا أنه تتعتع من طعنة الأمير عبد الوهاب ولولا ما كان عليه من الزرد واللباس الكثير كان قضى عليه وحملت الأميرة ذات الهمة على صاحب العلم الأخضر والصليب الجوهر وطعنته فى فاه أطلعت السنان يلمع من قفاه وحمل المعتصم على ملك اليونان وضربه بالسيف على رأسه شقه إلى تحت أضراسه وحمل ظالم على ملك الأرمن وضربه بالسيف على قمته خرج من نصف قامته ومافيهم أمير إلا حمل على ملك من ملوكهم وقتله وما بقى من المسلمين فارس إلا وقتل من المشركين الفارس والاثنين والثلاثة والخمسة والعشرة وقتلت ملوكهم أجمعين ولم يسلم منهم إلا الملك ميخائيل لأنه هرب ودخل الى القسطنطونيه وطابت أكثر الارجاس هواها وقد ظنوا أن الملك ميخائيل قتل لما طعنه الأمير عبد الوهاب وأرماه عن جواده كما ذكرنا (قال الراوى) هذا وقد قرب العصر فنظر عقبة إلى ذلك فأيقن بأنه هالك وصاح أمير المؤمنين المعتصم بالرجال فسحبوا البرج بالحبال وصعد فوقه أبو محمد البطال

وهو يقود عقبة بالحبال ودفعت الرجال البرج حتى ألصقوه بباب الذهب وقد دارت السودان من حواليه وهم مثل السباع الكواسر والزبد على أشداقهم مثل ضرائب القطن المندوف وقد علا ضجيجهم وزعاقهم وترجل الأمير عبد الوهاب كرامة لهم وصار يحثهم حتى يحفظون البرج وبقيت الأمراء ركاب حول المعتصم . هذا وعقبة يصيح من فوق البرج ويقول ياالصليب والصلبوت والناست والمنسوت هاها ياعباد المسيح خلصوا الشيخ النجيح وإلا يغضب عليكم السيد المسيح ومزمار السبيح (قال الراوى) ولما سمعت الروم مقاله ورأوه وقد تغيرت أحواله صاح فيهم البطرك والمطران والقس والمعمدان وقالوا دونكم وخلاص الشيخ النجيح وإلا أخذتكم الزلازل وحل بكم العذاب النازل وخرق البطرك ثيابه وأبدا بكاءه وانتحابه وحرق ماشوحته وجرت على خديه عبرته . فلما رأت البطارقة فعاله أجابته الى ذلك وفتحوا باب الذهب وخرجوا كأنهم الكلاب وحملوا على السودان الأنجاب حتى أزاحوهم عن البرج مقدار شوط فرس ولم يبق إلا خلاص عقبة وأسر الأمير البطال فصاح الأمير عبد الوهاب أمير بنى كلاب يا آل حام يا آل حام الرجعة الرجعة (قال) فتراجعت السودان كأنها قطع الغمام وترجلت الأمراء عن بكرة أبيها وترجلت الاميرة ذات الهمة ونادت أنا فاطمة بنت مظلوم أنا خادمة الحى القيوم وصاحوا الأمراء وحملوا على القوم الكافرين فردوهم على أعقابهم خاسرين فدخلوا البلد وغلق باب الذهب وافتكر الملك فى أمر عقبة لما رآه فى البرج الخشب معلق يصيح كما ذكرنا فقال أليس الشيخ النجيح كان عندنا فى البلد والبطال معه أسير وسلمناه الى الحاجب مارس وأخيه دارس ثم قال على بهما فى عاجل الحال لاجل أن أسألهما عن حقيقة الحال والخبر فطلبوهما فلم وجدوا لهما خبر فقال الملك دخلت علينا الحيلة وحق المسيح حيلتهما وخلصا الابطال من أيدينا وأوصلا الى المسلمين الشيخ النجيح وقد كان يقول لى ان مارس ودارس مسلمين فما كنت أصدقه فيهما والساعة قد عرفت حقيقة الحال ولا بد لى مما أبذل المجهود فى خلاص الشيخ النجيح هذا وعقبة يصيح يا أمة عيسى المسيح أجيبوا دعواى وجاهدوا لاجل عيسى وخلصونى . فعند ذلك تناخت الروم وفتحت باب الذهب وعادت الروم وخرجت وعلى المسلمين حملت والملك ميخائيل فى أوائلهم وقد أرمى نفسه على الهلاك فردوا المسلمين الخيام وملكوا البرج ومن حوله من السودان وخرجت القسوس والرهبان وقرأوا الانجيل بطيبة الالحان وخرج معهم كل من كان من العوام وداروا حول البرج من كل جانب ومكان

الأمير أبو محمد البطال من أعلاه يقاتل ويكبر ويذكر فضائل الجهاد وقد تحير من ذلك الأمر لأنه قدأيقن بالعطب ثم انه تستر بخشبة من النبال وهى مثل صارى مركب فى ذلك البرج الخشب (قال) فعندها تقدمت الأتراك ورمت الروم بالنشاب والهلاك وحملت الأعاجم وتبعتها الأكراد والديالم وكشف الأمير عبدالوهاب رأسه وقد نزل شعره الأبيض على جبينه الأسود ونادى وقال يا آل محمد يا آل محمد ونظرت الأميره إلى ذلك ففعلت مثل فعاله وكشفت رأسها ونادت فى السودان يا آل حام يا آل حام هاها يا كرام (قال) فلما سمعوا السودان النداء ونظروا فعل الأمير والأميره فكشفوا عند ذلك الرءوس مثل رءوس الحداء وأرموا أرواحهم الى الهلاك والرداء وتقدمت بين أيديهم أمراءهم وهم جعبر والململان والدينارى وأبو سكران ودلهم ودلهان وبقية أمراء السودان وحمل الأمير عبدالوهاب وأولاده ظالم وضيغم وقشعم وحملت الاميره ذات الهمه وكذلك أمير المؤمنين المعتصم حمل وخرج من تحت الأعلام وأوتر قوسه وصار يرمى بسهامه وينادى يا للاسلام يا للاسلام حاموا عن دين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فعندها تبادرت الرجال وحملت الأبطال فداسوا الروم بالخيل وأنزلوا بهم الذل والويل وشالوهم بنى كلاب على رءوس الرماح وتزلزلت بهم البطاح ودفعوهم إلى الأبواب وكسروهم قوة واقتدار ودخلوا إلى البلد وأغلقوا الابواب وصاح البطال بأعلاصوته ارفعوا البرج بالبكر حتى يلصق بباب الذهب وقدانكشف عنا البلاء والعطب فرفعوه الرجال إلى أن وصل إلى الباب وأرموا بالنبال على الاصوار وكانوا خمسين ألف رامى من المسلمين فما قدر أحدا من الروم يطل من الصور وصعد الامير أبو محمد البطال الى الخشبة فى أعلى البرج وإذا بسهم جاء من الهواء حتى وقع فى كتف البطال فأسال دماه فقال الملعون عقبه وافرحتاه يا بطال قدرأيتك قتيل قبل موتى وما أريد منكم يا بطال إلا أنك إذا عشت بعدى تدق عظامى وتكتب على قبرى هذا قبر الشيخ النجيح صلب فى رضا المسيح فلم يلتفت اليه الامير أبو محمد البطال بل انه رفعه إلى رأس الخشبة وعقبه يقول باسم المسيح الذى ارتفع والاناجيل الاربع يا مسيح هذا كله فى رضاك ومتابعه هواك وما هو إلا أن صار فوق الخشبه معلق حتى صاح به المعتصم وقال يا قاضى كيف ترى قول النبى صلى الله عليه وسلم للامير عبدالوهاب حيث وعده بصلبك هل صح قوله فى الرؤيا أم لا فقال عقبه يا عبدالله مر فى شغلك فانى ما بقى فى قلبى حسرات بعد ما رأيت الدم من الطائفتين يسيح فلارحم المسيح الجميع وأنا ماقصدى إلا أدمية تسيح ورجال تذبح ولا على من هؤلاء

ولا من هؤلاء وبعد هذا كله فكم من مسلم قتلت وكم من مسجد أخربت وكم من كنيسة عمرت وكم صليت بالخلفاء بغير وضوء وكم قرأت القرآن عندهم نفاق وأنزلت بهم المحاق وعقبة كافر بالايمان عابد للصور والصلبان فاصنع ما شئت وبالغ فيما هويت (قال الراوى) فعندها قرأت القراء : (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) وقال أمير المؤمنين تقدمى يا أم المجاهدين وارميه بحربتك حتى تشتفى منه (قال الراوى) ثم نزل الأمير أبو محمد البطال من فوق البرج والخشبة بعد ماشد عقبة وأوثقه عليها ونظرت الروم الى ذلك من فوق الأصوار فعلا منهم البكاء والانتحاب . هذا وقد تقدم الأمير أبو محمد البطال بين يدى الخليفة المعتصم بالله وقال ياأمير المؤمنين اصبر على ساعة حتى اسمعك شيء يشرح الخاطر ويذهل النواظر فان خاطرى قد سمح بأبيات من الشعر يسمعها المسلمون وتنفطر مرارة عقبة الملعون فقال الخليفة هات ماعندك يافصيح الزمان ومن قد سمى بفصاحته الأذهان فعندها رفع الأمير أبو محمد البطال صوته وعقبة يسمع وجعل ينشد ويقول هذه الأبيات :

ألا بلغوا عنى جميع أقاربى … بأنى بحمد الله قد نلت مآربى
وقد فزت بالملعون عقبه بعد ما … تحملت منه مبدعات العجائبى
وكم قد أسرنى مرة وأسرته … وعاقبته يوما وصار معاقبى
وكم قد رمانى فى البلاد بحيلة … وكم قد رميناه بسهم النوائبى
وكم قد تركنى فى القيود مكبلا … وكم مرة قيدته فى الغياهبى
وكم قال عنى الخليفة أننى … منافق كذبا كى يحما مراتبى
وكم قلت عنـــه للخليفة أنه … كفور ويقرن للنصارى الكواذب
وكم قد ضربنى بالسياط تعمداً … وكم قد ضربناه بسوط المصائبى
وكم قد أخذناه بنصب وحيلة … وأوثقته بالغد مثل الحقائبى
وكم قد نفانى فى بلاد بعيدة … وكم قد نفيناه الى كل جانبى
وكم قد أخذنى مرة باحتياله … وكم مرة قد سد عنى مذاهبى
وكم قد تصالحنا بعهد وموثق … وذلك صلحا فاسدا غير صائبى
وكم قد تركنى فى الحبوس مقيدا … وكم قد حبسناه ونلت مآربى
وكم مرة بطلت حيلة مكره … وكم حل بى من حيلة مصائبى
وكم ليلة أملت أدخل داره … لعلى أن أحظى بنيل مطالبى
فيعلم ذا منى ويأخـــذ حذره … فأرجع عنه لابسا ثوب خائبى

وكم قد نصب لى حيلة بعد حيلة … فأبطلتها عنى كحلبة حالبى
وفى قصة القنديل حين رأيته … وقدقصدوه الروم نسل الكواذب
وسموه بالشيخ النجيح تبدلا … وحجة أصحاب المسيح الحبائب
ولما تلاقتنا أنا وهو بكرة … بوادى الظبا أعلمته يا صاحبى
وقلت له يا شيخ عقبه مرحبا … وقلت له قول العدو المحارب
تنصرت يامعلون ويحك قال لى … كذبت على يا نسل كاذب
فقلت له إنى رأيتك ليلة … وأنت على كرسى مليح الجوانب
وقدغطسوك القوم فى جرن ماءهم … ودارت بك الرهبان من كل جانب
وقدأنزلوا اقرعتك فى الجرن عامدا … وعددت للغطسان سبعا تقارب
فلما علم حقا بأنى رأيته … وأن مقالى صادقا غير كاذب
أراد ليخدعنى وأترك ملتى … واتبعه فى دينه فها فعل خائب
فقلت خزاك الله ياأخس من مشا … وألعن مصحوب وأخبث صاحب
ومسيرونه لما أتانا حديثها … جواسيس صدق يخبروا بالعجائب
فسرنا اليها مسرعين كأننا … أسود الفلا ما ترتدع من كتائب
فلما ملكناها أتتنا مواكب … لجالوت يتحملوا ليل السحائب
هنالك أتتنا لبوة عربية … كريمة أصل من أناس أطايب
ففرقت الكفار عنا بسيفها … وشتت الأعداء فى كل جانب
وعقبة لما احتال فى ملطيه … ودبر علينا مانظر فى العواقب
وأودعنا فى بطن صندوق عامدا … حيارى سكارى فى حبال النوائب
فعادوا علينا الروم حلوا وثاقنا … ونحن أسارى مع ليوث غوالب
وقصة لؤلؤ مع رفيقه إذ بدا … بدار بلاط زائدات للعجائب
لحلوا كتافنا وأزالوا قيودنا … وسرنا نروم البحر مثل السلاهب
علينا لباس الروم نتلوا كتابهم … ونوريهم الألحان عند الغرائب
نروم خلاصا من يدى كل غادر … كفور ظلوم فى القيامة خائب
فلما أتتنا ساحل وافتمت … سعادتها الغيد ببعض المراكب
فسرنا ليالى بين ريح وظلمة … وموج شديد كالجبال الرواسب
ورحنا نشق البحر والبحر قد طما … وماندرى مافى الغيب تقويم حاسب
إذا نحن بالروم اللئام وقد أتوا … حرامية يفدون من كل جانب

ودارووا بنا فى الحال دورة مرسل شبيه كلاب الغيد حول الأرانب
فلم تك إلا ساعة وتواثبوا إلينا وشدونا كشد العلاصب
وساروا بنا حتى أتينا جزيرة لدمروس الملعون نسل الكواذب
وأحضرنا مستخبرا عن أمورنا وأغويته منى بحسن مناصب
وقلت له إنى كبير قامة وراهبها المشهور أصدق راهب
وأتحفنا مالا كثيرا وجوهراً نذورا كثيرا لاتعد لحاسب
وجاء إلينا راهب القوم يرتجى ثوابا لدينا وينال المواهب
فلما رآنا صاح صوتا تفطرت لقوته جمع القلوب الرحايب
فقالوا له ماذا اعتراك وما الذى دهاك ومن وافاك منه بصائب
فقال وقد اصفر لونا أتعرفوا دواهى البرايا بين ماشى وراكب
همو هؤلاء القوم لاشك فيهمو يبيدوا الأعادى بالخنا والقواضب
فلما رأوا ما قال لوقا تحبزوا وقد كان فيهم صادق غير كاذب
وذا الأسود المقدام سيد كلابها وذا الأشقر المحتال رب المناصب
فكم جبروا من فارس فى مجاله وكم أخذلوا عند اللقا من محارب
وكم أيتموا مولودة فى مهادها وكم أرملوا من زوجة ذات صاحب
وكم خربوا حصنا منيعاً وشتتوا جموعاً وفازوا بالعطا والمواهب
ولما أمر رءوسهم بلقائنا فقويت مما حل بى بالعجائب
وأنزلنا فى جعوجب مرصص منيع على فرسانها والعقائب
ولاحت لنا فيه المنية عند ما بعدنا وعاينا نزول المصائب
وجاد علينا ربنا بخلاصنا بلطف وإحسان وتقدير غالب
على يد أشعونين بنت مليكهم بليل غواها نحونا فى صلحب
وكيف اختلسنا راهب القوم حيلة وتكتيفه من بعد نتف الشوارب
وقصتنا مشهورة فى خلاصنا وتدبيرنا منه تشيت الذوائب
إلى أن أتينا بعد طول مشقة سويدة الاسلام ذات الرحائب
وجاءت إليبا بنت مظلوم يالها من امرأة حازت جميع المناصب
فلما خلونا بعد ما قد جرى لنا وما قد سمعتم فى الليالى الغوارب
سألت عن الملعون فى الخلق عقبة وعما جناه فى سحور الغياهب
فقالوا لك البشرى هو اليوم عندنا أسير ذليل مثل كلب العرايب

ولم تك إلا ساعه وأتوا به	ومن حوله السودان مثل السلاهب
ولم يمهلوه دون نتف سباله	وتصفيعه فى رأسه بالأجارب
إلى أن أتى الليل البهيم وأسدلت	غياهبة الدهناء من كل جانب
ولما رأينا الراهب الزاهد الذى	يخبرنا من قوله بالعجائب
وفى الدير قاسينا أمورا عجيبة	إلى أن فتحناه كحلبة حالب
وعدنا لذى الملعون عقبة ما نرى	له أثر ما بين ماش وراكب
وقصة أشمونين لما تمكنت	مناصبه منا بأخذ المراكب
وكيف تخلصنا بقدرة قادر	وحزنا نساء الروم مثل الكواكب
فتحنا القسطنطين قصر مليكها	وتم لنا فيها أمورا غرائب
وفى الموصل الفيحاء قصة عازب	وماقد جرى من عقبة عندعازب
وقصة هياج عند حصن أربل	وماقد جرى منها أموراً عجائب
وحيلة كى يأخذ الحصن بغتة	وأكمن هياج له فى الغياهب
فطير من فكيه أنابيب نجية	وأربع أضراس كبار رواسب
ولما أتانا لخارجى وجنوده	يقال له مياس من أرض غالب
ومعه من السودان والريح عصبة	لهم بطلا ما مثله فى الكتائب
وصاح علينا أبو هزاهز أولا	وثانيه الديال نسل الاعارب
وفى حربهم لما بلينا بطارق	وخلصنا منه الرشيد المواثب
ولاتنس ماقديكون من فعل طارق	ومن عمه النعمان كلب الاعارب
وكيف أتينا بالرشيد مسلما	وقد آيست منه جميع الافارب
وجئنا إلى البيت العتيق نزوره	لفينا لدا الملعرن فيه مراقب
وظاهره بالعلم والدين والتقى	وباطنه فى زى قس وراهب
وسرنا إلى قناصة الاسر عنوة	وتمت أمور قد أتت وعجائب
وعدنا إلى أرض العراق بنعمة	ولله منا الحمد والشكر واجب
ودبر على كل الامارة حيلة	ببغداد دار الاكرمين الاطايب
فدبرت فيها حيلة بخلاصهم	وألبسته طرطور جلد الثعالب
وسارت به الفرسان إلى حصن يانس	وقد عذبته بالعصى فى المخالب
ولما أتى سيف الحنيفية الذى	له حملة فى الروم تهوى الجوانب
فأذلت منا يالها من مصيبة	وعاد الينا شبيه لبث مواثب

وكم قدرمانى فى الحصون بنكبة ... وخلفنى فى القيد خلف المصائب
وقصة كلب الروم شومدرس بق ... وشوما لحاها الله أم المصائب
وقصة نورى حتى جاءت بحيلة ... ولم تخش فيها صافنات العواقب
ورحنا تماكنا الحصون بأسرها ... وأخذنا نورى مثل بدر الكواكب
وعدنا الى الأوطان عودة غانم ... فراحا بأصحاب لنا وحبايب
وفودى على نورى وقاتات طاقتى ... وعاذرنى فيها أمير مواثب
وأقبلت السودان نحوى كأنهم ... ليوث الوغى بين ماش وراكب
إلى آمد الفيحاء ثم ملكتها ... من الكرد حقاً هم ليوث السباسب
ولا تنسى حقاً مامضى من فعالنا ... مع الروم والاسلام وقت الغياهب
وقد فعل الملعون عقبة نصبة ... أخذنى بها من عند تل العقارب
وقد قتل الأكراد لا كان فعله ... وأوثقنى شداً يروم معاطبى
وسلمنى للحرب لا كان اسمه ... ويدعى ابن شيبان لئيم وكاذب
وسلمنى كلب النصارى لشومة ... وشومدرس الملعون رأس الكاذب
وكان طعامى عندهم من نخالة ... ومن عكر الزيتون يسقى جوانبى
إلى أن أتانى لؤلؤ ثم يانس ... وصاروا بأعلى الدار مثل السلاهب
وأدركهم سبك وكنز وبعده ... بديع كمثل القسورى المراتب
وقد ذبحوا الغلمان فى مثل طرقة ... وساروا على الحيطان مثل العقارب
وأوقع مكوماً فى يدى مثل كلبة ... وشومدرس القرنان فى شر قالب
وسرنا بهم حتى ملكنا لعقبة ... وخالد حقاً فى قفار السباسب
فلم يدر بى حتى ملكت قياده ... لى الفوز إنى قد بلغت مآربى
وسرنا بهم حتى وصلنا لآمد ... وسدنا بأسر الفضل ابن الأطايب
وما زلت أبدى حيلة بعد حيلة ... وآخذ ملوك الروم نهباً لغالب
وحزت الأسارى والرشيد بحيلة ... ورتبت أملاكا طوالا غوالب
وصرت من العباد حتى ملكتهم ... وجاءوا الى غسلى ودفنى بواجب
وقصة الدمرياس والكلب عقبة ... وحرب ابن شيبان الطغاة الكواذب
وفعلة كندفرون لما تمكنت ... وكل أمور الخلق تقدير غالب
وسار اليه عقبة وأتى له ... أسير وراه مثل بعض الثعالب

وقصة بطليموس لما أتى لهم — من البحر يرهبهم بتلك المراكب
وإسلام كندفرون من أهل بيته — له من أحاديث بكل الغرائب
وعودتنا نحو الديار كأننا — أسود الورى من بعد نسل الأطايب
وقصة نورى قد رحمت بأسرها — الى أرض روم يالها من عجائب
وذهمة قد رافقتنى تعيننى — وقد طلعت ياصاح فى زى راهب
وعدنا بنورى قاصدين ديارنا — وساروا ورانا الروم من كل جانب
أحاطوا بنا من كل شرق ومغرب — وداروا علينا بالقنا والقواضب
هنالك أدركنا الأمير وحوله — ليوث كلاب كالأسود الغوالب
فعدنا بأخذ الغارقيط وقومه — وعدنا بنورى غايتى ومطالبى
ولا تنس ما قد تم لى فى زواجها — مع السيد المفضال ابن الأطايب
ولما أتانا ظالم الندب خارجى — وكدر كل الأرض فعل المواثب
وللفل جيش الثغر ثم أباده — بأمر الرشيد الندب بين الكتائب
وسار اليه ذا الأمير وأمه — وكان لهم حرب يشيب الدوائب
وجئنا به نحو الثغور فعالنا — بها عقبة الملعون رأس الكواذب
نفانا وأقصانا الرشيد تعمدا — الى نحو أرض الغرب دارت مصائب
وصرت أنا مع ظالم نحو أزور — لعبد ودود فى قتال ملازب
وشتت ظالم شمل بربر كلها — بقتل ملكها الزور مر عاطب
وعدنا على العراق بجيشنا — مجمعة مثل الأسود الغوالب
وقصة كرنانوش لما أتى لنا — على بغتة نسل الطغاة الأغالب
تملك أكناف العراق جميعها — وأسبا نسانا مع بنات كواعب
فسار اليه فارس الثغر غاله — بضربة صدق صار فى الحال عاطب
وكم صرت فى زى كراهب بيعة — وحولى تلاميذى وكل مراقبى
وأتلو الانجيل حتى يطمئن بى — جميع النصارى راهب وابن راهب
وأملك عقول الروم حتى أميرهم — ولم يبق إلا أبن أنال مطالبى
فيأتى ذا الملعون ويفسد حيلتى — ويكشف حالى يالها من مصائب
وكم رتب الملعون الذى لى كل حيلة — يؤمل أن ينجو بها من مخالبى
فأتركه حتى يطعن باله — سليم أمين الخوف من كل جانب
فلم يدر بى حتى أدير كتافه — وأضربه بالسوط ضرب العقارب

وكم قد غرقنا فى البحار لأجله … وتأخذنا الأمواج من كل جانب
ويشمت بنا الملعون ثم انه … يدبر تدبير العقول الكواذب
ويعمل فى أخذ البلاد وهدمها … ويخربها من جانب بعد جانب
ويأمن منى حيث شخصى بغيب … ويفرح اذا لم يلق من مناسب
فلم يدر بى حتى أسخم وجهه … وأخنقه خنق الدجاج الثعالب
وأصفعه بالنعل فى وسط رأسه … وتخطفه للسودان خطفة غالب
ويبقى أسيرا فى يدى مكبلا … ذليلا كمثل الكلب فى شر قالب
وكم قد ترك فى القلب منى بلية … وكم حسرة تزداد شتى مصائبى
ورحت الى حرب ابن شيبان عنوة … وأذبحت أبناء بحسن مناصبى
وكم قد دخلنا بيعة وكنيسة … وقسيس فيها شبه قس وراهب
وكيف تحيلنا عليــه بأنفس … طبيب حكيم فى أجل مراتب
وعرفته نفس خائفة البــلا … وصار يوافينى على فرد جانب
وسرنا به فى مركب وهو حائر … وفى البحر لا يدرى خطاب مخاطب
وقدمته نحو الأمير الذى له … مكارم أخلاق جزيل المواهب
وقصة زنانير التى شاع ذكرها … على دير تمليخا بدير التلاهب
وساروا بنا فى البحر أربع أشهر … إلى أن حصلنا فى قلاع الرواكب
وجاء الينا عقبة الآن قد سعى … هدية عيسى وهو فى ذاك كاذب
وشعونة لما مضينا لحصنها … وجاءت بجيش الكر مثل السلاهب
وقلت أنا رمانى المسيح ابن مريم … بجتنى ملوك الروم من كل جانب
وصابر قد كان من حزب ربه … واسلامه جازت اليه الكواكب
وإسلام عبدالله شعشعونا الذى … أباد خيول الروم من كل جانب
وصار اليه فى حماة صفوفهم … فأهزمهم سيفه بحد القواضب
ومهرب لؤلؤ من زنانير عامدا … الى أرض فلسطين يبغى الكواكب
وكيف عطاها درة ليس مثلها … وهل أمرما قد كان أعلم واجب
ولم أنسه لما مسكناه إذ أتى … وأسبل شعراء من عريب الغرائب
إلى أن تزوجها وباتت أمينة … ونال المنى منها بعزة جانب
وسل عن مليكة ماجرى فى نزالهم … عجائب لا تحصى لقار وكاتب
وكم حل بى لما ملكنا ديارها … وسرنا اليها بالقنا والقواضب

وأفلت منا الشيخ شومدس الذى   له حيل فاقت جميع المناصب
وسل عن أمور الخدلوس وخبثه   ترى عجباً يا ابن الكرام الأطايب
وشمراخ لما أن أتى بخديعة   وأرمى أميراً فى التراب بجانب
وصار أمير الثغر فى الحال واهناً   تدوس عليه الخيل من كل جانب
وغلب وما عدنا سمعنا حديثه   وجدنا عليه بالدموع السواكب
وسل عن حديث الدمدمان ترى له   عجائب مع ميمونة وغرائب
وميمونة بالأمس يا صاح فعلها   وقد عاينت الدمدمان المواثب
وفى حضنها لا تنس قتلة مالك   ويدعا ابن بتر أقطع اليد غالب
ومهرب ذا الملعون عقبة قاصداً   إلى الغرب واخاه ضعيف مغالب
وكيف تحيلنا عليه بأننى   طبيب حليم فى بلاد الغرائب
وأدخلته الحمام حتى خدمته   ودلكته تدليك منه مغالب
وعرفته روحى فأيقن بالبلا   وصار يراقبنى على فرد جانب
وملت على جنبه بكرلك عامداً   إلى أن رأيت الدم منه بساكب
وشلت زجاجاً قد خشنت دقه   وعركته تعريك ضد مضارب
وجانا قراقونا تملك أرضنا   وأسبى نسانا مع بنات كواكب
وأركب نسوان العراق تعمداً   إلى وسط بحر فيه العجائب
وهبنا له الملعون عقبة آخذ   إلى أهل ذا الهيجاء نسل الكواذب
وبقى حد النسوان من وسط أمه   وعذبهم بالعصى ثم المضارب
وقد صرت عيسى بن مريم عامداً   وأظهرت أبواباً تحير الأعارب
وأظهرت أحوالا تحير من يكن   له بحر علم ثم عقل مواظب
ولا زلت ألعب بالملوك وعقلها   إلى أن أخذت الكلب بن مصاعب
وقيدت رأس الشر شومدرس الغى   وأوثقت ذا الملعون نسل الأعارب
وعند قراقونا وما قد جرى لنا   حديث له السمع فى أعلى المراتب
حديثاً حكى السحر الحلال سماعه   عجيب نشا فى شرقها والمغارب
وعند مجوسا كم لنا من مواقف   يشيب لها يا صاح سود الذوائب
وكم قد سعى بى للخليفة مرة   وأودعنى فى الحبس فى زى خائب
وكيف أخذنا المعتصم وأميرنا   إلى الأسر غصباً فى حبال النوائب
وكنا جميعاً نشتكى جور عقبة   ونحن بسجن أسود كالغياهب

أقمنا به سبعا سنينا كواملا — بجوع وقمل ساعيا فى الجوانب
إلى أن أيسنا كلنا من نفوسنا — زمانا ولم نسمع خطاب المخاطب
إلى أن ظهر بحروم فى الروم غازيا — ومعه ابنى مذبحون المواتب
فحاز بلاد الروم جمعا بأسرها — وقد صحبته الخلق من كل جانب
وحاز بلاد المسلمين جميعها — وأخرب منها جانبا بعد جانب
وورد أمير المؤمنين وجيشه — وشردهم فى مقعرات السباسب
فلما رأى أن البلاد قد أحاطهم — وكلهم نادوا بعظم المصائب
فجاءوا إلينا خلصونا جميعنا — وعمهم الخذلان من كل جانب
فنادوا رجال القوم من عظم ما بهم — دهتنا الأعادى والنساء نواديا
أتتنا جيوش الروم يا خير سيد — ويا خير من يرجى لدفع النوائب
وقالوا لنا ما تجدون على الذى — أتتنا خيول غازيات ضوارب
وكل الذى قدمتم من فعل عقبة — لعنه إله العرش لعنة كاذب
وسرنا له نحو الثغور كأننا — أسود الشر فى شرقها والمغارب
تفرقت الكفار فى كل قفرة — ويجرون واى من يدى وهو هارب
ومرجالة لما هلكت لديرها — وعادت عن الاشراك فعل الأطايب
ومن أسلمت مرجانة كان يومها — على الروم أدهى من جميع المصائب
وقلنا يا ناقد ملكنا بعزمنا — عموداً ولم نخش قتال المواكب
فجاء الينا عقبة ابن مصعب — وشومدرس الملعون فى شرقالب
ليفسد ما قد كان أصلح ربنا — وهيهات هذا قول ندل وكاذب
فلم يدر بى حتى صفعت دماغه — وعدت إلى شومدرس كالمواتب
فنلت من الملعون شومدس الذى — له حيل مذكورة بمناصب
وقصة أرمانوس فيما جرى له — وميمونة بنت الطغاة الكواكب
وأعنى بها ميمونة بنت دمدم — وصارت لأرمانوس نعم المصاحب
وكان لهذا الغدر فى الأصل عقبة — خزاه إله العرش خزية كاذب
وكم قد أخذ هذا اللاعين بن ضمرة — وأفلت منه ثم هرول هارب
وغادينا فى مكة ليس ميلها — بميمونة اللخناء بنت الكواذب
فخلصنى منهم همام وقسور — وأعنى به هياج زين الكتائب
وعدت اليه صافعا لدماغه — بنعلى إلى أن صار ملتما بجانبى

ولما أتى عبد العزيز بنجدة … يروم جهاد الروم بين الكتائب
وبارز إلى ميمونة بنت دمدم … وجاهدها بالسيف من كل جانب
وقاتلها حتى أصاب لعينها … وقد غاد سالم وهى تشكو النوائب
وقصة أنتونا وما قد جرى لهنا … وعيطورس القرنان فيها عجائب
وجانا شومدس وهو موقن … على أن نرى منه طريق المعاطب
نخليته فى القيد ملقى مكبلا … وأمل آمالا فكان بخائب
وفى الموصل الفيحاء لى معه وقعة … وكيف أخذ فى أخذ من هو غالب
وعاقبنى فى السجن حتى تلطخت … ذيولى وسال الدم من كل جانب
ومن على خالق بسعيدة … وابنى نخلصنى وقد كنت عاطب
واصلح فيما بيننا من يكن لنا … خليفتنا فى شرقها والمغارب
ولما دهى عبد العزيز بأمة … ودبر عليها معظمات المصائب
سبى أمه جهراً على يد هرمس … ومعها بنات زاهدات كواعب
فحين علمنا أنها من فعاله … فصار علينا الموت ضربة لازب
أخذناه من أخلاط أخذة ضيغم … وحيلتنا أملت جميع الكتائب
وعاقبته حتى تيقنت أنه … يموت ولم يقض بحق وواجب
وسرت إلى دار اللعين بحيلة … أخذت بها مطرون بن الكواذب
عليه من الرحمن خزى ولعنة … كما يرمى الاسلام نحو المصائب
وشومدرس الملعون قد كان جالسا … له حيل معروفة ومناصب
وأجمعت بين القوم فى وسط موضع … إلى عبد جواد خليل وصاحب
ولما أتانا مانع بن ضابط … قريب العشا والليل مرخى الغياهب
نخلصنى من قبضتى ثم ساقنى … إلى مركب يبغون فيها معاطبى
وشومدرس الملعون يتتبع عقبة … ومطروق الملعون نسل الكواذب
يقولون نحمله إلى عند قومنا … نفرج عليه كل روم الكتائب
وسيرنى نحو العدو وقد حوى … على قلبه الاشراك من كل جانب
ولما أتتنا فاطمة ثم ابنها … وعاين منا كل ناء وخائب
ولما وصلنا هرمزا وغد قومه … لقينا من الأهوال كل العجائب
وعدنا إلى نحو الثغور بفرحة … بأموال تملأ الفلا والسباسب
وقصة سقراق اللعين وطيره … وما قد أتاهم من عجيب العجائب

وانى رأيت القوم جمعا يصدقوا ... مقالة ذاك الشيخ لما يجاوب
والبنت لخوف الطير كشف حاله ... فردونى الرهبان ردة خائب
وجئت بليل للكنيسة قاصدا ... تسلقت أنا وابنى مثل الثعالب
فلما كشفناهم وبانت عيوبهم ... علمنا بأن الطير حيلة ناسب
وقد أسلمت بنت المليك الذى لهم ... وماتت بحمد الله نجح المطالب
وصارت لنا عونا على سفك دمهم ... وقتل أهاليها وجمع الاقارب
وعلمها ابنى طريق فوائد ... ينال بها المحتال كل المطالب
وجاء عقبه الملعون بالطير فارحا ... وشومدس يصغى لشرح المذاهب
فأبدت لهم من داخل الطير حكمة ... غرائب لفظ يا لها من عجائب
الى ان رأيت القوم من عذوبة لفظها ... يملوا سكارى كل كهل وشائب
وحصلت للشيخين فى السرب حيلة ... وقد نفذت فيهم صروف النوائب
وأطعمتهم فالوذج فى حلاوة ... فصاروا حيارى من عظيم مصائبى
وقد قرقرت أجوافهم من تحيلى ... فضاق عليهم شرقها والمغارب
ينادون هل من راحم اليوم عقبة ... وشومدرس العالى على كل راهب
ودسناهمو بالضرب كى نشتفى بهم ... نتفنا لحاهم مع جميع الشوارب
يصيحون منى والكفوف تنوشهم ... إلى أن عموا باللطم من كل جانب
وبان لهم سقراق كالكلب غادر ... لعين خبيث الاصل ملعون كاذب
وما زلت حتى بان للناس زيغه ... وأخرجته عنهم بأنفح طالب
ومن بعد ذا سرنا أسارى بحبسه ... وخلصنا طيبون بن الاطايب
ولا تنس أعلى الشقيف الذى جرى ... ونحن بأعلاء بجرة لاهب
وجاءوا الينا الكافرون جميعهم ... وداروا علينا من جميع الجوانب
وخلصنا منهم كرفناس مذ أتى ... وبلغنا منهم ونلنا المآرب
وكيف بلى هذا الامير بسقيف ... وكان اللعين مطرون لا كان راقب
وخلصه طيبون فى الحال عاجل ... سقاه دواء من نقوع المشارب
وسرنا إلى نحو الحجاز نرومها ... غضابا وخلينا الثغور كراهب
فجاء كرفناس الندل أفنى جميعهم ... وشتتهم فى شرقها والمغارب
ولما أتانا صابر وهو باكيا ... ينادى لنا يا آل قوم أطايب
شريفه قوم أصبحت عند كافر ... يعذبها بالسوط فى كل جانب

بمعتصم نادته ثم خليفةً   لرب السما يعطى جزيل المواهب
عمورية من بعدها وقتالها   عليها جنوس للطغاة الكواذب
وبيناهمو صور ولما تيقنوا   أخذناهمو أخذ الليوث الكواذب
شريفتهم لو أنها وسط بلدة   لها ألف صور ما رجعت بخائب
ولما فتحناها بقوم أطايب   رجال يرون الموت ضربة لازم
ولا تنس حجاف ووعظ سعيدة   كلام لها فى السمع أعلى المراتب
وكيف مضت نحو العراق ووعظها   فلا عجب من كل فاضل خائب
وكيف أخذها قبة من طريقها   وغاص بها فى مقفرات السباسب
وسيرتها نحو الجبابر عنوة   وضربا عليها جانب بعد جانب
إلى الطرف الأقصى تعادوا بحيلة   محقرة فى ضدها فى الغياهب
وكيف مضى حجاف يبغى خلاصها   وتابعه زحاف بحر النوائب
وأتبعه كيما أبلغه المنى   أخلصنا من أسرها والمصائب
وكيف أتانا مرحبين بن مرحب   على صفة الرهبان ليس براهب
وقصة حجاف ورؤية نبينا   ورد له رجلاه فضلا بواجب
ورحنا إلى نحو القلال لأجل من   ندور عليها فى الضيا والغياهب
ولما وصلنا دير واحد منهمو   رأيناه يبكى بالدموع السواكب
وقال لنا يا أخوتى أنتم الذى   تواروا أعظامى فى الثرى والترايب
بهذا فبشرنى الرسول وقال لى   سيأتيك قوم من كرام أطايب
ولما دفناه أتينا بسرعة   الى عند قوم من طغاة كواذب
وقد أطلعوا قسا لهم فوق منبر   ليخطب لهم فى برعهموا فى المذاهب
إلى أن تلا فصلا ولم يأت تمه   وأصمت عن قوله بهته بخائب
وقال قرأنا كل علم ومذهب   وفى هذه سدت على مذاهبى
وأخبرهم أنى خبير بأحمد   نبى الهدى المبعوث من آل غالب
وقال لهم أنى به وبربه   مقر بآيات له وعجائب
فأسلم من قال أنت إمامنا   حكيم وفى الانجيل أنت بصائب
وقاتل حجاف وزحاف بعده   قتال ليوث الحرب عند التجارب
وجاء اليهم كلب كافر فاجر   نصارى وروم من أقصى السباسب
أخذونا وقادونا أسارى بجمعنا   إلى البحر راموا قتلنا بالقواضب

فهربها شيخ الرهبين شريحة … إلى ملك القانون أفضل صاحب
حمانا وأوانا وقال ترفقوا … أجاهد إخوانى وكل قرائبى
وجئنا إلى روبيس نبغى وصولنا … وجدنا الارمانوس نسل الكواذب
وميمون اللصص الذى شاع اسمه … وهو ابن ميمونة اللخناء بنت الكواذب
وقالوا كلاما زاد فيه تحيرى … وما فيه من عظم وعزم ساكب
وكيف تملكنا جميعا حواسرا … وشروث مضى مثل الهزبر المرابب
وأما حديث الباهلاك وضده … وكيف حوى تلك البلاد الرحائب
وكيف طغى وكفر كفرعون وادعى … فصار بعون الله شرط الخالب
وفى عابدين النار كانت عجائبا … وعاصف لا تنساه إن كنت كاتب
وقالوا عض فى ملكه وحروبه … أتت أمة فرعون يحتوون شائب
أسرت أنا مع فاطمه ثم ضيغم … وابنى حصين يا لها من مصائب
وخلصنا مولى كريما بفضله … وما زال مولانا كثير المواهب
وملكنا من ذا اللعين قياده … وصبرته بالله فى قسر غالب
ومن خوفه فى الحال أرمى بنفسه … إلى الأرض خوفا من عظيم معاطب
وسمى بطيار وما كان صالحا … وما كان إلا هاربا كالثعالب
لقينا أمور مبطلات غوامض … يشيب لها يا صاح سود الذوائب
وقصته لما دخلنا لشامة … إلى قلعة تسمى السها والكواكب
جرى تحتها حرب يشيب لهوله … ويهرب منه كل طفل وشائب
ولما أتى سمخولص فى جيوشه … يحاكوا عداد القفر ثم الكواكب
وكم وقعة فيها غرقنا وبعدما … غرقنا جميعا فى البحار الغوالب
وفى أم بكار الشريفة خيرة … ثواها أمور مفصلات الحبايب
حماها إلى شمخولص وهو قاصدا … يرمى سهام بين ماش وراكب
وجزت أنا والست فاطمة خلفها … وظالم ذاك القسورى المواهب
رأينا أمورا معضلات غوامض … لها وجلال الله شابت ذوائبى
وفى دير خيلوص جرت لى عجائب … وصرت عند الروم فى أعلى المراتب
وساروا يجونا فى جموع كتائب … عساكرهم تملأ الربا والسباسب
وشمخولص أحصاه بعد ما غدت … له عين قطع نصرها بتغاصب
وعدنا إلى نحو العراق نرومها … سبقنا اليها رأس كل المصائب

سبقنا إلى بغداد دبر حيلة | علينا ولم يخشى حلول النوائب
وساعده طاحون لا كان اسمه | وراح إلى ترضيع قد كان كاذب
ولما رجعنا والخليفة يبتغى | رفعناه معنا ثم ابن مصايب
أخذنا نصيرا لم يزل متفضلا | ومعنا جموع ملو بعض المراكب
وسرنا إلى هيمورمن كش بعدما | لقيت غلاما هدمنى المناكب
واسكرته بالخمر ثم رميتـــه | وعدت إلى نحو المدينة هارب
وقد سرت فيها يا أخى متعلما | وعدت وزير ثم شلت عصائبى
وصرت أراعى السيد الندب أرتجى | لقاه وقد سدت على مذاهبى
فلم أدر حتى سار نحوى عاجلا | ومعه رجال كالليوث السلاهب
فعدنا إلى نحو العراق وحولنا | رجال وفرسان كلون الغياهب
تسمى بعبود وسميت بعــــده | بمحمود ولو ادعى هناك بكاذب
وتمت حروبا يالها ووقائعا | وصالحنى المولى وقام بواجبى
وإسلام شومدرس الكلب الذى | له حيل تعدادها الكواكب
ودبر ذاك الكلب فى أخذ واثق | وأسكنه فى مجمع البحر راتب
وسار أمير الثغر طالب مكة | ليرجو من المولى الكريم المواهب
وخلف فى الثغر الممتع أمـه | وقد كان حكم الله حقا بصائب
فدبر الملعون فى الحال حيلة | عليها وساعدها القضا بمواهب
وكان نهار عيد والناس ركع | فجاءوا جيوش الروم مثل السلاهب
أراقوا دماء المسلمين تعمداً | وشدوا أميرتنا كشد الحقائب
وساروا الى السواحل يالها | أمورلذكرها تشيب الذوائب
وسرنا نروم الست نبغى خلاصها | وسمعان معنا نعم حل وصاحب
وصلنا إلى التمثال أيضا وبعده | بوادالفرج شاهدت كل العجائب
أجيب به يوما رجال أكارم | وسمعان فيها وهو خير الدوالب
وجرنا إلى أرض اليهود وقدجرت | علينا أمورا لاتعد بحاسب
وجاءت جيوش الروم تجرى لنحونا | فسدوا رباها شرقها والمغارب
وقاتل مولاى الأمير لجمعهم | وصارت علينا الموت ضربة لازب
الى الليل جاءت فى الجموع عذينة | وبنجت الأشرار من كل جانب
وغالبهم قد قبحت مثل طرفة | وقادت زعيم القوم نسل الأجانب

ودارت يدى حول الكبير أبيهم ... وكنا بجوقار عظام المراتب
وفى يد سودان الأمير رميتهم ... سقوهم كؤسا لاتلذ لشارب
وديتهم فى الحال نحو خيامهم ... وعدت للناس قبل حلبة حالب
وطالبتهم بالبنت فى طى رقعة ... وتمت عليهم حيلتى ومناصبى
وأوقعت بين القوم شدة مقعة ... وشتتهم فى شرقها والمغارب
وخلصنا الله الكريم بفضله ... وعدنا وقد نلنا جميع المآرب
وجدنامليك القوم قد ساق بيننا ... وقد أسروا الدواس ليث محارب
وكان فعال الكل فى الأصل عقبة ... عليه من الرحمن خزى مواظب
حملنا عليهم حملة فتشتتوا ... وعاد مليك الروم عودة خائب
وكان أمير المؤمنين مساعدا ... لنا وبه نلنا جميع المطالب
ولما اجتمعنا فانفر الكلب عقبة ... كشبه هزبرا وكليث مواثب
ورصع فى المولى الامام مدائحا ... تشيب لها والله أعلا المراتب
وقدفتت الأكباد من عظم مكرد ... وسالت دموعى مثل سيل السحائب
وهد فؤادى واضمحلت جلادتى ... وسدد فى وجهى جميع مذاهبى
وكم ذا لقينا شدة ومصيبة ... وكان سببها اللعين المحارب
وقدحار ذهنى من أمور لقدجرت ... بأكناف روم أو بأرض الأعارب
الى أن ألطاف الاله لنا جرت ... أمور غريبات لطاف عجائب
وأهتكت ستر الكلب فى وسط دارد ... ببيعته فى الأرض وهو كراهب
وجاء لنا ذا الأمر من ابن عقبة ... بأخبار فيها من أمور عجائب
وقال لنا كونوا معى لترونه ... يجاوب بالألحان من كل اجنب
وقرعته مكشوفة وهو قائم ... بانجيل عيسى والبخور بجانب
فقمنا ومعنا كل من كان حولنا ... رجال كأمثال الليوث السلاهب
وجئنا إلى نحو الامام بجمعنا ... قصصنا عليه ماجرى من غرائبى
فقام على أقدامه متحيرا ... لتنظر عيناه لثيما وكاذبا
وجئنا إلى نحو الكنيسة سرعة ... نزلنا إلى الملعون من كل جانب
فلما رآنا لم يكن قط جازعا ... وأشهر سكينا بها السم ذائب
وهوى بها نحو الامام مبادرا ... يؤمل أن يسقيه كاس المعاطب
فما كان إلا طرفة من مقلتى ... أخذناه كمثل الكلب مخذول خائب

مسكناهمو جمعا شفينا بمسكهم ... فولى وخلانا وهرول هارب
فجهز مولانا الامام لصلبه ... عساكر تملا الخافقين الجوانب
فانفلت منا يالها من مصيبة ... وسار عدو الله منا بغائب
وصار الى الأطلال يخرب عامدا ... ويهرب منى جانب بعد جانب
وقد صار مقرى بالجناين كلها ... ليعلو ثناه شرقنا والمغارب
فرحنا ودبرنا عليه مكيدة ... وساقوه غلمانى كسوق الأرانب
ولما مضى عنى وقد صار واعظا ... فصرت يهوديا وذا من مناصبي
وقد أوقفوه فوق منبر وعظه ... وضجت جميع الناس من كل جانب
ولما مضينا نحو نجد جميعنا ... وعاينت ناراً أوقدت للأعارب
لقينا أمير القوم يدعى صديقه ... فأفلته منى وصار محاربى
ولما أتينا حى صالح بكرة ... ووالده هارون من نسل غالب
ولما وصلناهم تحدث معهم ... حديث محال كله زور كاذب
ولما رجعنا طالبين بلادنا ... وصالح مثل البدر بين الكواكب
ولما توسطنا الفلا من مسيرنا ... طلبناه لم نلقاه بين الركائب
فراح الى بغداد وجا عند راهب ... كنيسة دار الروم فيها عجائب
ولما درا أنا وصلنا جميعنا ... فراح الى البصرى ببعض المراكب
وباع البقل يالها من مصيبة ... وهذه حيل منها تشيب الذوائب
فوديت (باقلا) كثير أبيعه ... لأجل بناء بيت مشيد الجوانب
فقام سريعاً ساعيا نحو منزلى ... بعيد من العمران من كل جانب
فلما أتى جودت دفس دماغه ... على قرعة مملوءة بالمصائب
ولما رحلنا نبتغى أرض قومنا ... إلى الثغر وافتنا جميع الكتائب
من العبد لا كان اسمه وهو قاصم ... حياة نفوس الناس بين المراكب
وأفته يا آل قومى وقد غدا ... الى العبد يدعونى لدين الكواذب
وساروا بنا يبغون روما وأرضنا ... فوافاهمو ليث شديد المضرب
إلى أن وصلنا الى الدروب وقد بدت ... خيام بها أبطال سود غوالب
وظالم فيهم ثم صالح بعده ... وكل هزير فى الهزيمة واثب
فرحنا به لما لقيناهمو ضحى ... وزاد سرورى فرحة بحبائبى
ولاحت لنا الصلبان والروم تحتها ... وغيلان معهم لاسقى غيث ساكب

وقاتلنا حتى تيقن بعضنا يكون على الرمضا بأرض السباسب
وذلهمة قد بادرت هى وابنها بأيديهما سمر وبيض قواضب
فعاينها غيلان وزاد هلوعه وقد طيرت أضراسه كل جانب
فراح الى نار الجحيم مبادراً بضربتها يا آل قوم أطايب
ونوبة حران ووقت هروبه الى تل سمعان لئيم وكاذب
فكم درت فى شرق البلاد وغربها وقاسيت من معضلات النوائب
وجئنا به ياقوم من بعد هتكة ولم يبق إلا موته والنواحب
تجهز مولانا الامام لصلبه وقاد جيوشا كالحصاد الجنادب
وجاءت الينا الروم من كل جانب ليحموه منا بالقنا والقواضب
وما زالت الصلبان تهوى بأسرها إلى نحونا من كل صوب وجانب
صلبناه حقا كى نرى صدق أحمد نبى الهدى المبعوث من نسل غالب
فهذا وكم لى وقفة بعد وقفة مع الندل أعنى عقبة بن مصعب
لعنه إله العرش حياً وميتاً وأمطره جمراً هول المصائب
لقد كان شر الخلق فى الأرض جمعها على خلقه من كل ماش وراكب
فلا رحم الرحمن تربة قبره ولا زال يجزيه بكل النوائب
وهذا مقالى وشرح حالى وماجرى لنا قريض الشعر عالى المراتب
ومن بعد هذا فالصلاة فريضة على أحمد الهادى حبيب الحبائب
كذاك الرضا عن صحبه وصديقه أبو بكر حاوى شريف المناقب
كذا عمر الفاروق ثانى صحابه أقام منار الدين إذ هو واجب
وثالثهم عثمان زوج بناته وجامع للقرآن نسل الأطايب
كذا علىّ ابن عم محمد كريم العطا مفنى العدا بالغوارب
كذا عن الأصحاب كلهم الذين أقاموا حدود الدين من كل جانب
وأما أمير المؤمنين لها الهنى جمال الورى فى شرقها والمغارب
وقد سمحت أفكارنا بلطيفة أميرة ما قد تم لى من عجائب
فهنيتمو هذا الهناء بصلبه وأعدا كموا بين باك ونادب
فيا أمة المختار أحمد فابشروا بصلب قبيح الفعل نسل الكواذب
وأما محدثنا فيورى حديثنا فصاحته قد أذهلت كل كاتب
لسان له مثل الحسام إذا بدا ويطرب شجعان الطيور النوادب

وحملها النساخ لمـا تجملت وقرأت أوراقا لها كل طالب
وقدصارت الحفاظ ترغب حفظا يميلوا اليها راغب بعد راغب
فيا أيهـا القارى بحق محمـد ترحم على ناس مضوا فى الترايب
واسـتغفر الله العظيم وانه غفور لمن تاب توبة تائب
وصلوا على المختار أحمد تسعدوا نبى الهدى المبعوث من آل غالب
عليه سلام الله ما لاح بارق وما بانت الجوزاء بين الكواكب
وما بان ضوء الشمس ترمى بجرمها على الأرض من شرقها والمغارب
ويغفر لكم يا سامعين حديثنا ويدخلكم الفردوس أعلا المراتب

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير أبو محمد البطال من شعره رقصت السودان عجبا ومالت العربان طربا وقال المعتصم أحسنت والله يافصيح اللسان ويا مجاهد عن دين سيد ولد عدنان لجزاك الله خيرا عن أهل الايمان ثم أن المعتصم أمر بشيل عقبه على رؤوس الأنام وأمر أن يرشقوه بالسهام فرشقوه حتى بقى مثل القنفد وضربه الأمير عبدالوهاب بحربة فى صدره فخرجت من ظهره وكذلك فعلت الأميره ذات الهمه فقال مطرون وكان الى جانب المعتصم راكب وحوله العلماء والفقهاء وقد نظر الى ماجرى الى اللعين عقبه وقد غمه ذلك إلا أنه لم يجسر أن يتكلم وأما طيبون ومارس ودارس ويانس المتعزب فانهم فرحوا بصلب عقبه اللعين هذا ومطرون قد التفت الى المعتصم وقال ياأمير المؤمنين لقد كفى ماجرى لهذا الملعون من الصلب والعذاب وتزيدوه برمى النشاب فقال المعتصم ويلك يافاجر وكأننى تخفى أحوالك علىّ ولفظك ومقالك لاشك أنك مائل الى الكفر والنفاق ثم أنه قال لعبد الوهاب يا أمير الثغور خذا هذا الكافر الآخر وانكبه أيشم نكبه واصلبه الى جانب صاحبه عقبه عند ذلك رجلوه السودان من على بغلته وقد كشف الله سريرته ثم أنهم لطموه وفى الحال علقوه وتبادرت الأتراس فى يد الأتراك وبالسهام رشقوه (قال الراوى) فلما نظرت الروم الى ذلك خرجت كأنها الزنابير ولما نظرت المسلمين الى فعال الروم حملت الرجال على الرجال والأبطال على الأبطال ووقع القتال وتراشقوا النبال ولم يزل خيل الحرب قائمة على ساق وقدم وانصبغت الأرض بالدم والجبان قد انفطر قلبه من الندم وقتلت الأمم وكثرت الرمم وجار الشيف فى حكمه وظلم ورمت الأتراك النشاب ورشقت السودان بالحراب وحملت الأمراء الكرام وردوا الروم الى الأبواب ونزل العذاب واستدعا بالبترك بعد أن أمر بغلق الابواب وقال له ما الذى تشير به علىّ أن أفعـل مع

عبد الوهاب وأميره المعتصم ابن عم النبي محمد عليه الصلاة والسلام وقد أوعدهم بصلب عقبه وكان ما كان من ذلك والقوم قد أوفوا رأيهم واعلم أن الشيخ النجيح له أسوة بمن هلك من عباد المسيح ومن الصواب عندى أنك تصالح المسلمين فى هذه السنه فان الروم قد فنيوا ومضى أكثرهم وما بقى فيهم لقتال المسلمين وان نحن قاتلناهم خسرنا معهم وأخربوا البلاد وأهلكوا العباد والصواب أن نصالحهم الى سنة أخرى فقال لما سمع كلامه وحق الانجيل مافى دولتى مثلك لانك بركة المسيح فى الارض والصواب أنك تخرج الى الامير عبد الوهاب وتضمن له فى هذا العام مايريد (قال الراوى) فعندها ركب البترك وسار إلى عند المسلمين فلما رأوه علموا أنه رسول فالتقوه واستأذنوا عليه الامير عبد الوهاب فأذن له فلما دخل قبل الارض بين يديه وخدم فقال له الامير عبدالوهاب فماذا أتيت فقال أيها الامير جئت أسعى فى الصلح والصواب أن تأخذوا من الملك الأموال وهى كل سنة مائتى ألف دينار وترحلوا عنه فى هذه السنة واعلم أن عساكره متواترة وعقبه قد صلبتوه وقد جاء الشتاء ونحن فمانبالى لاننا من داخل البلد وأنتم يطول عليكم المقام والصواب أن تصالحونا فقال الامير عبدالوهاب إعلم أيها البترك أن الامر فى هذا لمولانا أمير المؤمنين ثم قام الامير عبدالوهاب ودخل على الخليفة وأعلمه بذلك فقال له افعل ماترى فيه المصلحه لنا وللمسلمين واعلم أنى قد حسيت بالمرض الذى يعرض لى وهو القولنج ونحن نتوارثه من الآباء والاجداد وأنا خائف منه فلما سمع الامير عبدالوهاب كلامه عاد البترك وقال له أيها البترك قد أجبناكم إلى سؤالكم وماتريدون على أن تحملون المال كل سنة مادام الصلح واقع فقال السمع والطاعه وعاد البترك من وقته ولم يزل حتى دخل على الملك وأعلمه أنهم قد أجابوه الى ماذكر لهم من أمر الصلح على أن نحمل لهم كل سنة مائتى ألف دينار ويكون الصلح أربع سنين فلما سمع الملك ذلك فرح فرحا شديداً وقال له المسيح يجازيك على فعالك فى أهل ملته وعاد إلى عسكر المسلمين وحلفهم وحلف لهم على أن الصلح يكون أربع سنين بعد ما أعطاهم المال وودعهم وعاد إلى القسطنطونيه ونادت النقباء فى عسكر الخليفة بالرحيل بعد ثلاثة أيام فلما انقضت الايام رحلت العساكر وهى تتبع بعضها بعض وقد فتح الله عليهم وعلى أيديهم وأقر بالنصر أعينهم ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا مرج الديباج ونزل المعتصم والتفت الى الامير عبد الوهاب وقال يا أمير نادى فى الناس أن يسبقونا الى الطرق فما بقى علينا أمر يعوقنا فنادى المنادى ألا وان أمير المؤمنين قد أمركم بالارتحال فمن ارتحل فلا جناح عليه ومن أقام فهو المخير ذلك لان

الطريق قدامنا مضيق (قال الراوى) فارتحلت الناس ولم يبق إلا الامير عبدالوهاب ذلك اليوم ودخل على الخليفه وقال يا أمير المؤمنين قد أخفت الناس من المضيق ولم يبق غير غلمان الدار والفقهاء وجماعه من بنى كلاب وجماعة من بنى سليم فهل لك فى الرحيل فقال له يا أمير قد لحقنى مرض عظيم فدعنى ههنا حتى أسير بعد ثلاثة أيام فقال الامير سمعا وطاعه وأقامت (يا ساده) هناك المسلمين إحدى عشر يوما ثم نادى المنادى عن اذن أميرالمؤمنين بالرحيل الى الديار المسلمين ونشرت أعلام أميرالمؤمنين وقد أحدقت به المجاهدين إلى أن وصلوا الى مضيق الباطليق واذا قد ظهر من بين أيديهم غبار حتى سد الاقطار وحجب ضوء النهار وبان من تحته قنطاريات خلنجيه أنفسهم تسابق الى المنيه فلما نظرتهم العصابة الاسلاميه مالوا اليهم ولم يعلموا من أى الجهات هم غير أنهم رأوا الصلبان على الأعلام فأيقن المسلمين بالشهادة فزعقت المسلمين الله أكبر طاب الموت فى طاعة الله الملك الجبار بعد صلب الشيخ الغدار ثم حمل الأمير عبد الوهاب وحملت من ورائه أمراء بنى كلاب وقد طاب لهم الموت وعملت المصائب وأظلمت القفار وهجمت الوحوش فى الأوعار (قال الراوى) وكان هذا الجيش القادم لملك من ملوك الجزائر يقال له هرمس وكان قدسمع بماجرى على الشيخ النجيح وان الملك ميخائيل قد استنجد به من جملة الملوك وهو على قتال المسلمين عازم وعلى حربهم ملازم فسار الى أن وصل إلى هذا المضيق والذى ذكره كان وصوله بعد عبور المسلمين بأربعة أيام فلما رأى آثار الجيش قد عبر زاد قهره وقال يصلب الشيخ النجيح وتخرج المسلمين سالمين ثم أخذ الأخبار من رهبان الديوره فقالوا يا ملك ان خليفة المسلمين ما عبر وهو نازل فى مرج الديباج فلما سمع الملك ذلك فرح فرحا عظيما وأنفذ من جهته رسولا الى الملك ميخائيل يقال له قسطور وقال له اسرع واعلم الملك أننى قد مسكت على المسلمين رأس المضيق فلا تغفل عن هذه النوبة بعد قتل الشيخ النجيح فقد كسينا العار فى جميع الأقطار فسار الرسول إلى أن دخل على الملك ميخائيل فلما حضر بين يديه (يا ساده) وكان ميخائيل متفكر فى تلك الساعه فى قصة المسلمين وما جرى منهم وما كان من مارس ودارس فلما مثل بين يديه رفع رأسه اليه وقال له من أنت ومن أرسلك فقال أيها الملك أنا رسول هرمس والذى أعلمك به أنه لما وصل كتابك اليه كان مريضا فلما عوفى سار الى خدمتك فى رجاله وأبطاله فلما وصل الى طريق الباطليق لقى عساكر المسلمين وخليفة الموحدين وقدحجزهم ومنعهم من العبور والرأى أن ترحل بعساكرك من ساعتك ولا تنسى قتلة الشيخ النجيخ فى هذه الأيام

ولا ترعى للمسلمين عهد ولا زمام وتكون أنت من خلفهم وهو من بين أيديهم فما يبقى لهم أثر ولا ينفلت منهم بشر (قال ياساده) فلما سمع الملك ميخائيل ذلك فرح فرحا شديدا وكانت بعض الملوك مقيمة لم ترحل وهم الذين أعطاهم بعد قتل آبائهم وأصحابهم فأمر أن ينادى من أراد أن يأخذ ثار الشيخ النجيح أن يبادر فلم يبق أحد إلا وتجهز إلى أن صار على وجه الأرض مائة ألف وعشرين ألف فارس كرار وساروا طالبين الدروب (قال الراوى) فهذا جرى ههنا يا ساده. وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه قاتل ذاك اليوم المقدم ذكره هرمس ورجاله إلى أن أمسى المساء فلما كان من الغد ركبت المسلمين وأبطال الموحدين وركب أمير المؤمنين المعتصم والأتراك قد وطنت النفوس على الهلاك فلما نظروا الروم الى ذلك ركبوا خيولهم وحملوا لبلوغ آمالهم ووقع القتال ودام الالتحام وتطاعنوا بالرماح الطوال ودام الحرب وزاد الكرب واشتد الطعن والضرب وقاتلت بقية السودان قتال عظيم وأشرفت الروم على الهلاك وحل بهم الارتباك إلى المساء وداموا على ذلك سبعة أيام فلما كان فى اليوم الثامن والمسلمين قد بكوا وهم مستبشرين بالنصر موقنين وإذا بغبار قد ارتفع فلما نظر عبد الوهاب الى ذلك قال يامعاشر المسلمين هذا غبار قد طلع من نحو القسطنطونيه ولاشك أنه غبار عسكر الملك ميخائيل وقد غدر بنا ونقض الايمان والصواب تنقسموا قسمان وتكمنوا للقوم القادمين وتدهمون المشركين وتكونوا متوكلين على رب العالمين وتكونوا فى وجوههم وأنا أعلم أن هذه الوقعة تكون وقعة عظيمة وأظن والله قد تقاربت الآجال فموتوا كرام ولاتعيشوا لئام فقالت الأميرة يابنى لقد أشرت بالصواب وانا لهؤلاء القادمين ثم ان الأميرة انتخبت من العساكر عشرة آلاف فارس وبقى الأمير عبد الوهاب وأخذ من بقى من بنى كلاب والسودان الأنجاب والأتراك فى وجه هرمس فلم تكن إلا ساعة حتى أشرفت الروم فى خلق كثير والملك ميخائيل وعلى رأسها العلم الأزرق ووقعت العين على العين فقال البطرك أيها الملك أؤمر العساكر بالحملة ولاتستعمل فى ذلك مهلة وكل من تخلف أخرجته من الدين واعلم أن المسلمين قد تفرقوا قسمين وقد تقدمت الينا الداهره ذات الهمه والخليفه وولدها فى وجه هرمس فقال الملك وحق المسيح إن كانت ذات الهمة وقد انفردت لنا فهى نوبة عظيمة وما نرى منه أثقل منها (قال الراوى) وأن الأميرة لما نظرت إلى الملك ميخائيل وإلى جيوشه كشفت رأسها وخففت لباسها وقد بان شمطها وحملت على الروم وهى تنشد وتقول :

ولما جنى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظم ذنبي لما قرنتـه بعفوك ربى كان عفوك أعظما
ومازلت ذا عفوعن الذنب غافرا تجود وتعفو منـة وتكرما

(قال الراوى) فلما فرغت الأميرة من شعرها حملت على الروم وألقت زمام أمرها الى الحى القيوم وحملت أيضا من ورائها الأبطال على ما بها من التعب والكلال وحملت أيضا الروم وبطل القيل والقال وعظم النزال وشكوا من جود الحرب وجندس الطعن والضرب وحل بهم الفشل وبطل العمل وضاق الأمر على المسلمين وتأخروا على المشركين وقد تعبت الأميرة فى ذلك اليوم واثخنت بالجراح هذا والأمير عبد الوهاب مشتعل بقتال الافرنج وملكهم هرمس وهو معهم فى طعان وضراب وقد تضاربوا بالسيوف والحراب والمزاريق والنشاب وتعبت الفرسان الذين مع عبد الوهاب ولم يبق فيهم قوة ولاحيل ومالت عليهم الروم أعظم ميل وأى ميل وسالت الدماء من الجراح مثل السيل هذا وكتائب الروم كلما لها تزداد وقد رجعت عساكر الأمير منهزمين الى الأمير عبد الوهاب وتبعهم الملك ميخائيل بذلك الجيش العباب فالتجأت المسلمين الى الجبل وقد أمسى المساء وتحندست الظلماء واجتمع الأمير عبد الوهاب بالمعتصم وقال له ياأمير المؤمنين هذا جيش ثقيل ونحن مابقى معنا كتائب والمسلمين كلهم قد سبقونا الى العراق وما علمنا نحن بهذه المصائب انها تجرى والصواب انك فى غداة غد تأخذ الأتراك بين يديك وتحمل حملة واحدة وتخرق الروم وتصير الى ذلك الجانب وتنجو بروحك لأنك عليك معول الناس وخليفة بنى العباس ومثلنا يوجد ومثلك لايوجد واعلم ياأمير المؤمنين أن هذا الوقت هو الذى كنا له منتظرين والحمد لله الذى بلغنا المراد من صلب عقبة اللعين وصدق الوعد الذى وعدنا به محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وان تكن الأخرى فعليك السلام إلى يوم الدين فوالله يامولانا لقد وقعنا فى أمر عظيم ولوكان لنا فى الارض متسع لطال عليهم أن يصلوا إلينا فالحمد لله على هـذا الحال فعندها بكى أمير المؤمنين المعتصم وضجت المسلمين بالبكاء والنحيب . وأما الروم فانهم باتوا موقنين بالغلبة ولما أصبح الصباح أطبقت عليهم الروم من سائر النواح يطلبوا الحرب والكفاح وحملت المسلمين بنية صادقه وسيوف بارقه معلنين بقول : لاإله إلا الله محمد رسول الله وغابوا فى كثرة الكفار فصاروا مع الروم تحت الصلبان (قال الراوى) فلما نظر المعتصم إلى ماقد أحاط بالمسلمين من أعداء الله الكافرين

أمر الأتراك أن ترشق رشقة واحدة وكان عدتهم أربعة آلاف فرشقت عن يد واحدة كما أمرهم المعتصم فانفتح له درب فسار وهو يطلب الخروج من ذلك المضيق فأطبق الروم عليهم فما تخلص الا بعد قتال شديد وخرج الخليفة وقد اجتمعت له غلمان الدار والمماليك وأحموه الى أن أخرجوه من المعمعه وقد خرج معه من الأربعة آلاف أربعمائه وأطبقت على المسلمين الروم اللئام بعد خروج الامام فسقوهم كؤوس الحمام ولا ينفلت منهم شيخ ولا غلام ومضى إلى رحمة رب الأنام فلما نظر الأمير إلى ذلك قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون ذهبت المسلمون وتفرقت الموحدون ثم نادى الله أكبر وخاض بحر العجاج وبان كل أمر خفى وتواثبت الأبطال مثل الفهود وتزاعقوا مثل الأسود وصار الغبار على الرؤوس والخدود وتخضعت القامات والقدود ولم يزل القتال حتى مضى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وانفصلوا من الحرب واستراحوا من الطعن والضرب وقد قتل ذلك اليوم من المسلمين خلق كثير وقتل من المشركين أضعاف ذلك غير أن القلة لاتبان فيهم من كثرتهم . وأما بنى سليم فانهم لم يبق إلا نفر قليل لأنهم مارأوا الى الهرب سبيل فتقاتلوا وماقصروا وانتقلوا الى رحمة الله تعالى الملك الجليل وبات الأمير متفكر فيما يجرى على المسلمين وقال هذه آجال كانت موافقة بأجل عقبة اللعين فقالت الأميرة ياولدى هذه الموتة التى كتبت لنا وقد قال عزّ من قائل : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » وما بقى إلا الصدق فى القتال فقال الأمير أبو محمد البطال والله يا أميرة لقد كنت أحسب هذا الحساب وأقرأ هذا الكتاب فلا كان ولا استكان والله ياأميرة إننى أخشى فى هذه النوبة من الفرقة التى لا اجتماع بعدها إلا فى عرسات القيامة وأن هذه وقعة صعبة فنسأل الله أن يكفينا شرها ويصرف عنا أمرها فقال الأمير عبد الوهاب والأميرة والله ياأبو محمد ما تتأسف على الدنيا فانها دار فناء ولابد من الفراق وإنما أسفنا على المسلمين من بعدنا وباتوا على مثل ذلك إلى أن أصبح الصباح وتبادروا الى الحرب والكفاح بعد أن ركبوا صهوات الجرد القداح وأيقنت الروم بالنصر والنجاح واشتد بينهم النداح وحملت الرجال على الرجال وقاتلت المسلمين وقد أيقنت بالارتحال وكل منهم قد ودع صاحبه وأوصاه ان سلم من بعده أن يسلم على أهله وأقاربه ولم يزل القتال يعمل الى الليل وقد قتل من الطائفتين خلق كثير وقاتل يانس المتعزب إلى أن فنيت رجاله وقاتل هو قتال من قد أيس من الحياة وأيقن الوفاة وكان ذلك اليوم قد أصبح بردشديد وكان فصل

الشتاء قد دخل وقاست المسلمين منه مشقة عظيمه إلا أن همتهم جسيمه ونياتهم مع الله مستقيمه ولهم قلوب وافيه وأسرار صافيه وجنوب عن المضاجع متجافيه وقد سرت قلوبهم بلقاء محبوبهم وهو الذى لا تخفى عليه خافيه وداموا أعداء الله على الحرب وأشرفوا الروم فى ذلك اليوم على العطب وفرحت المسلمين بالنصر والغلبه ونادى الأمير عبد الوهاب يا أهل الفلاح ابذلوا فيهم السيوف والرماح فقد طاب الموت الموت فى مقام الكفاح وكشفت السودان رؤوسها وزعقوا زعقة من اشتاق الى الدار الآخره وهانت عليها نفوسها وهجرت الدنيا الساحره وقاتلوا قتال عظيم وأبلوا الناس بأمر جسيم وكان ذلك اليوم على الروم يوم ميشوم وطالعهم طالع مذموم ونثروهم السودان وسقوهم شراب الذل والهوان ولم يبق إلا أن ينجوا بأنفسهم من ذلك البلاء العظيم واذا بالجو قد أظلم والأفق قد اغتم وأشرفت عليهم عساكر سدت الفضاء وهم أكثر من مائة ألف فارس من كل بطل مداعس بالقنطاريات الطوال والسيوف الصقال والصلبان على رؤوسهم تبرق والأعلام تخفق وكان ذلك القادم ملك البنادقه لانه كان صهر الملك ميخائيل وكان فارس جبار وجبل مغوار وكان الملك قد كاتبه قبل خروجه القسطنطونيه ولم يكن حاضر فلما قدم أعرضوا عليه الكتاب فأجاب بالسمع والطاعه ثم سار فى هذا العسكر الثقيل حتى وصل الى القسطنطونيه وسأل عن الملك فأخبروه أنه فى قتال المسلمين وقد أشرفوا على كسرهم فرحل من وقته وساعته حتى أشرف عليهم وكان المسلمون قد أشرفوا على كسر الروم ولولا قدوم هؤلاء لكانوا قد خلصوا ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا (قال الراوى) فلما نظر الملعون الى المسلمين وهم ظافرين بالروم أمر أصحابه بالحملة فحملوا حملة رجل واحد فانكسرت همم المسلمين وضعفت المجاهدين الا أنهم صاحوا صيحة واحدة لا إله إلا الله محمد رسول الله وأرموا أنفسهم الى تلك الكتائب وقد ضعفت خيلهم والجنائب فترجلوا عنها وأطبقت عليهم الروم من كل جانب فداسوهم بسنابك الخيل واستشهدوا عن آخرهم رحمة الله تعالى عليهم وعلى من مضى من أموات المسلمين يا رب العالمين فلقد عاشوا سعداء وماتوا شهداء ولم يسلم منهم إلا أربعين رجل كانوا قد التجأوا إلى الجبل وهم الأمراء المعروفين مثل الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمه والدينارى وجعبر واللملان وبرد بن الأزهر وصالح بن هارون العلوى وهياج الكردى وطارق الحجازى وقرافد ونورى زوجة البطال وعذيبه ومذبحون وكان قد قتل من بنات هياج ثلاثة وبقيت واحده فالتجت الى أبى محمد وقتل فى ذلك اليوم من المسلمين خمسة وثلاثين ألف عرب وسودان وأتراك وكانت وقعه لم تشاهد العيون مثلها ولا أعظم

منها وقتل بجملة من قتل ألف فقيه ومقرىء وسلم الأمير أبو محمد واثنين من غلمانه
ويانس وظالم ابن الأمير عبد الوهاب وابنة هياج التى بقيت لأنهم ما دخلوا مع الأمير
إلى المغار بل طلبوا طريق أخرى فى كهف الجبل لأنهم لما رأوا ذلك الجيش الوارد
علم أبو محمد انها وقعة صعبة فأخذ الجماعه المذكورين وتعلقوا الى الجبل وتموا يطلبوا
بلاد الاسلام وقد اشتغلت الروم عنهم بالأربعين أميراً المذكورين وجعلوا يقاتلوا
ويتأخروا حتى دخلوا الى المغار والروم ينظرون اليهم وهم فى جانب الجبل وكانت دير
فى قديم الزمان ونزلت الروم على بابها وحاصروهم ولم يجسر أحد أن يعبر إليهم وكان
الأمير عبد الوهاب قد أدخل معه أربعة رؤوس من الخيل وحاصروهم الروم أربعين
يوما فأكلوا تلك الخيول وبعد الاربعين يوم نزلت عليهم الأمطار وهطلت الثلوج
فرحلت الروم ولا برح الثلج ينزل ستة وثلاثين يوما فتساوت بطون الأودية ورؤوس
الجبال فاستد عليهم باب المغار واستشهدوا جميعهم فى ذلك الموضع فى سبيل الله تعالى
رحمهم الله تعالى إلا أنهم عاشوا سعداء وماتوا شهداء على دين الاسلام وملة محمد عليه
السلام (قال الروى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أمر الامير أبو محمد
البطال والامير ظالم ومارس ودارس ويانس وابنة هياج وغلاميه فانهم خلصوا ومضوا
الى بلاد الاسلام وأبو محمد البطال ينشد الاشعار ويوفى الدموع الغزار (قال الراوى)
وساروا وهم مجدين حتى دخلوا الى ملطيه فوقع فيها الصوت على ما جرى على الامراء وبما
وقع وحل المصاب وكشفوا رؤوسهم واستغاثوا الى قدوسهم فقال الامير أبو محمد البطال
أين المعتصم اليوم فقالوا له انه رحل من هنا وهو مجروح ومعه أربعمائة مملوك وهو من
ذلك الجرح مريض وقال امض الى بغداد وأجمع العساكر وأعود وان سلم الامير عبد
الوهاب وقدم عليكم انفذوا الىّ وعرفونى حتى يطيب قلبى وقد انحدر الى العراق فلما
سمع أبو محمد ذلك انحدر الى العراق أيضاً وهو مشقوق الثياب هو غلمانه وظالم وابنة
هياج ولم يزالوا سائرين وكلما دخلوا الى بلد ينعون الامير عبد الوهاب والأمراء من
بنى كلاب فيقع فيها البكاء والانتحاب حتى وصل الى سامرا وهو على ذلك فسمع أن
المعتصم قد مات وقعد للخلافه ولده الواثق بالله والناس فى عزاء المعتصم فسار أبو محمد
وأصحابه حتى وصلوا إليهم وقد شقوا الثياب وعلا بكاؤهم والانتحاب ونعوا
الامراء والاصحاب فلما نظروا الناس الى أبو محمد البطال قامت عليهم القيامة ووقع
البكاء والانتحاب وتجدد على الناس حزن المعتصم على حزن الامراء وقالوا والله لا أخلف
الزمان مثلهم للاسلام ولا عادت بلاد الثغور مسكنا للروم ولابد لهم مايخربون

المواذن والجوامع ويجعلوها بيع وصوامع ثم تقدم البطال بين يدى الواثق بالله وأخبره بما تم على الأمراء والمجاهدين السادات فبكى بدمع معين من قلب حزين فعندها أنشد أبو محمد البطال وهو يقول :

حلت بذلهمة المنيـة وابنهـا وعاد حبل الصبر فيـه رميما
ياناصر الاسـلام فى يوم الوغا أشمت قوما يبصرون اللوما
وأقمت مأذنة العـلا فـيما أتى وجمعت فيك مكارما وعـلوما
ياسيدا يوم الوغا قد كنت فى غمرانهـا للمؤمنين زعيما
قد عز عندى أن أراك قرينة للنادبات وإن أبيت مليما
ولوأن أزور تراب قبرك لم أجد إلا الوقوف عليـه والتسليما
ذهبت بهجتك المنون وغادرت لجرايحى انى عليك سـقيما
فاذا قدمت ولم أساهمك الردا فقـد ادعانا بالصديق وهيما
فعليك من مولاك ألف تحيـة تهـدى لروحك نضرة ونعيما
رسق ضريحك سحائبا من رحمة قد كنت أبا لليتيم رحيما
وسقى الأميرة رحمـة منهلة تروى ثراهـا والعطاش الهيما
قد أصبح الاسلام بعد ثلاثة لايستفيق من البكا مغموما
بعـد الامام وبعـد ذلهمة التى كانت ترد الـكفر وهو ملوما
وكذا الأمير إذا التقى فى جحفل للروم رد لجيشهم مهزوما
ياواثقا بالله كن لى ناصرا واطلب لثار الاكرمين وقوما

(قال الراوى) فلم يبق دمع إلا وانحـدر ولا قلب إلا وخشع وكانوا الناس اجتمعوا خلف البطال ولما أنشد الأبيات ضجب الخلائق بالبكاء والعويل وقالوا يا أمير المؤمنين لا يراك الله قاعدا عن نصرة الاسلام وأخذ تار حماة قبر محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وفقد هؤلاء الأمراء ركن الاسلام (ياساده ياكرام) فلما سمع الواثق بالله ذلك الـكلام فاضت عيناه بالدموع وقال وحق جدى العبـاس المبرأ من الأدناس لا بد لى من أخذ التار وكشف العار من الروم الطغاة الـكفار وأبيـدهم بالمرهف البتار ثم أمر النقباء أن تنادى فى جميع الغسكر بالغزو إلى بلاد الروم لأخـذ تار الأمراء وكتب الـكتب الى الشام والحجاز وجاءت الاعراب من طى وعامر وكلاب وبنى الوحيد وهم مخرقين الثياب وقد حلفوا أنهم لا يخيطوها حتى يأخذوا بثأر الامراء ولم يبق أحد إلا وسمع نقبـاء الأمراء وهلاكهم فرثتهم الشعراء وندبتهم الأغنياء والفقراء (قال الراوى) فلـما اجتمع العربان فـكانت عـدة جريدة العسكر

الذين قد اجتمعت مع الواثق بالله يومئذ ثمانمائة ألف عرب وعجم وترك وديلم وأكراد ومن طلب الجهاد ووصلت العساكر من جربه إلى تكريت (ياساده)وكان الامام الواثق قد رأى فى منامه أمر عجيب فلما أصبح الصباح ادعى بالفقهاء وأهل العلم ومن لهم معوفة بتعبير الرؤيا وقال لهم يامعاشر المسلمين إنى رأيت الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وهى تقول لى ياأمير المؤمنين إذا أردت الدخول إلى بلاد الروم فادخل من طريق انكورية وخذ بتار المجاهدين لأنهم خدموا آباءك وأجدادك الطاهرين الراشدين ثم قال من يعرف طريق نكورية ولكن أخبرهم بالأرض الأمير أبو محمد البطال فقال الواثق بالله على بالبطال فعندها حضر فى الحال بين يديه وقد كبر سنه وحطمته الهموم من حزنه على الأمير وأمه وعلى زوجته نورى وعلى ابنته عذيبه وكانت قد لحقت بالزهاد والعباد وكانت مع ذلك حامل من الأمير أبو محمد البطال وقد قرب أيام ولادتها فلما تكامل حملها ولدت فى المغارة ولد ذكر كانه دائرة القمر ومات فى المغارة مع الأمراء (قال الراوى) فلما وقف البطال بين يدى الواثق قال له يا أبا محمد قد رأيت فى منامى كذا وكذا فقال البطال ياأمير المؤمنين إنى أعرف جميع الطرقات وأقربها غير أنى أعبر من تلك الطريق فلا يحسوا بك الروم إلا وأنت عندهم ويعطى الله النطر لمن يشاء وإن كنت تريد منى حيلة فقد استدت فى وجهى أبواب الحيل وجميع المذاهب وقد قل منى الحيل وأعيانى الويل فقال الواثق يا أبا محمد لكل أجل كتاب ولكل نعمة حساب والله ماجرى على من فقدوالدى مثل ماجرى على من فقد الأمراء واعلم أن الله تعالى نقلهم إلى جنات ونهر والله لآخذن بتارهم ولا بد أن أبنى من رؤسهم موادن يؤذنون عليها المسلمون ولا جعلت هلاك الأمراء على الروم ميشوم فشكره البطال على ذلك وقال ياأمير المؤمنين أدام الله علاك وخذل أعداءك وبلغك منهم مناك ثم رحل بالناس إلى أن وصل إلى ملطيه وطلع من فيها من بنى كلاب وهم خائفين وجلين بعد هلاك الأمراء وكان الجراح بن عمر قد كبر فلما وصل الامام الواثق بالله خرج اليه والتقاه وكذلك بنى كلاب التقوه بالبكاء والانتحاب فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم طيب قلوبهم وقال وحق آبائى الطاهرين لابد ما أريكم همة وعزمة مارآها أحد من سائر الملوك ولا الخلفاء ولآخذن بتار أمير المؤمنين ومن هلك من أمراء المسلمين ففرحت بنى سليم وبنى كلاب وبنى الوحيد بذلك وكان الوقت أول دخول الربيع فرحل الواثق بالله وصحبته هذه الامم المقدم ذكرها يقطع الأرض والعرض إلى أن وصل إلى مرج العيون فأمر الناس

بالنزول وضرب خيامه وركز أعلامه والتفت إلى أبو محمد البطال وقال له ما الذى تشير به علىّ أن أعمل هل ألتقى عسكر الملك ميخائيل ونحن فى هذا المرج أو نرحل الى القسطنطونيه فقال له الأمير أبو محمد البطال يا أمير المؤمنين الصواب أن تكتب حتى أسير أنا إلى عساكر الروم وأنظر اليهم وأعاين أمرهم وأنظر هل هذه العساكر فى قوة ومن المقدم عليهم من عساكرهم لأننى قد سمعت من الجواسيس أن عساكر هذا الملك فى جمع عظيم وأنه أقوى ممن تقدم من الملوك فان رأيته كما قيل عنه وأن مخبره يوافق بخبره فأنا أشير عليك أن تلتقيه ههنا ونكون أقرب إلى بلاد الإسلام وان جرى على المسلمين والعياذ بالله تعالى أمر فيكون لهم معقل يرجعون اليه وان لم أجده كما قيل عنه فنحن نرحل وننزل على باب القسطنطونيه ويكون لك بذلك هيبة فى قلوب الروم (يا ساده) ثم أن أبو محمد تزيا بزى الروم ولم يزل سائر حتى وصل إلى الروم فوجد عسكرهم وقد طبق الأرض حتى خيل له أن القيامه قد قامت وقد حشر الله العالم جميعهم فى ذلك الموضع فبقى حائر وهو يريد أن يدبر حيلة يصل بها إلى هلاك تلك العساكر فلم يقدر بل قال سبحان المتكفل بأرزاق الخلائق ورجع وقد افتكر الامير عبدالوهاب فجرت دموعه كالسحاب وأنشد :

لا عاش من عاش فى الأيام يقطعها وحامى الأرض تحت الأرض فى الحصر

(قال الراوى) ثم انه رجع سائر حتى وصل إلى عسكر الواثق بالله فلما رآه فرح به وقال له يا أمير المؤمنين اننى أشرفت على عساكر الروم فرأيتها قد طبقت الأرض فى الطول والعرض ولقد هممت بأن أدبر حيلة أهلك بها تلك الجموع فاستدت فى وجهى أبواب الحيل فقال الواثق بالله والله يا أبا محمد لقد تغيرت أحوالك وما بقى لك بعد فقد الأمير قلب ومانحن متكلين إلا على نصرة رب العالمين (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عسكر الملك ميخائيل فانه لما أثلج الثلج على باب المغار ورجع من مضيق الباطليق ورحل إلى القسطنطونيه ومكان صلب عقبه بنى هناك بيعة وعمل فيها قبة من النحاس الأندلسى ثم طعمها بالذهب وجعل لها عيد فى كل سنة تزورها الروم من كل مكان وهى إلى يومنا هذا (قال الراوى) فبينما الملك ميخائيل على سرير ملكه والبطارقه من حوله والملوك جلوس بين يديه وكان فيه هيبة عظيمه وحرمة جسيمة لم تكن لأحد من الملوك إذ دخل عليه بعض الجواسيس وقال أيها الملك العظيم الشأن الرفيع الاركان اعلم أن ملك الإسلام عبر الدروب ومعه عساكر عظيمة لم يجتمع لاحد مثلها من خلفاء المسلمين من قبله فلما سمع الملك ذلك التفت إلى

من حوله من الملوك وقال ما عندكم من الرأى نرحل ونلتقى خليفة المسلمين أو نتركه حتى يصل بالقرب منا ونلتقيه فان نصرنا المسيح عليه يكون بعيدا من بلاده وتكون عساكره قد تعبت وكلت وان نحن انكسرنا ونصروا المسلمين علينا نكون فى وسط بلادنا فنكاتب بلاد الروم ونجمع الامم ولا شك أنه ما دخل إلا لاخذ تار الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وبنى كلاب (قال الراوى) فلما سمعوا الملوك كلام الملك ميخائيل قالوا يا أيها الملك لقد أشرت بالصواب فعندها كتب إلى سائر الملوك الذين للنصرانية الغريبة من القسطنطونيه فاجتمع على باب البلد خلق لا تحصى بعد الرمل والحصى (قال الراوى) هذا ما جرى لاهل الروم (وأما ما كان) من الواثق بالله فانه رحل بعساكر الإسلام وقد لبس بردة النبي عليه الصلاة والسلام وقد اجتمع حوله أربعة آلاف مقرى وكان الواثق بالله مليح الصوره حسن الهيبه لطيف الشباب وقدأحدقت حوله العساكر من كل جانب وبين يديه الامير ظالم بن الامير عبدالوهاب والرايات تخفق على رأسه والقراء تقرأ بين يديه وكان فى زينة لم يرى مثلها المعتصم ولا من تقدم الخلفاء (قال) فلما نظر ظالم إلى هذه الجيوش واجتماعها بين يدى الواثق بالله ورأى ذلك الجمال الظاهر والزى الباهر وكان الى جانبه الامير أبو محمد البطال وحوله غلاميه يانس وجوهر فافتكر ظالم أبوه عبدالوهاب فجرت دمعته وزادت لوعته وتحسر على من فقد من اخوته (قال) فلماسمع الواثق بالله بكاء ظالم بكى وبكوا الناس وقد سمعوا منه ذكر الامير عبدالوهاب وذكر الاميره ذات الهمه وذكر أيام المعتصم ولم يزالوا سائرين حتى قربوا من الخليج فنصب الواثق بالله خيامه وأركز أعلامه وعلا قبابه ومد أطنابه فلما نظر ظالم إلى عساكر الروم ذكر والده عبد الوهاب وجدته ذات الهمه فبكى وأن واشتكى وأنشد يقول :

يا عين جودى بدمع منك منسكب ... وابكى لفقد أمير العجم والعرب
الاسود الابيض الافعال وفضله ... شهدت بمضمونه الاهلين والقرب
ولم يزل دائما فى الروم صولته ... حتى أباد ذوى الطغيان بالقضب
ونال من عقبة ما كان أبصره ... فى النوم حتى رأيناه على الحطب
كم سار من أجله البطال فى تعب ... وكم غدا خوفه فى ملكه يخب
ان الامير ومن قد كان يتبعه ... راحوا لجنات عدن خير مرتحب

(قال الراوى) فلما فرغ ظالم من شعره والنظام لم يبق أحد الا وشكى وبكى وان الروم لما نظرت الى عسكر الواثق داخل قلوبهم الفزع والجزع وقالوا لملوكهم وحق المسيح ان ملوك الروم جميعها ما أبصرت مثل هذا العسكر ولا جمع خليفة مثله

وان الأمير عبد الوهاب قط ما دخل الينا فى مثل هذا العسكر (قال الراوى) فعندها دخل البترك على الملك فلما رآه الملك عظم مكانه وأعلا شأنه وقال له ياأبونا لما لاتنظر عساكر المسلمين وكيف قد دخلت الينا فى هذه الكثره فقال البترك أيها الملك وحق المسيح إننى أخشى على النصرانيه من هذه العساكر وأن يكون صلب عقبه ميشوم على النصرانيه والصواب إنك تكتب إلى أمير المسلمين وخليفتهم كتاب وتبصر مايرد الينا من الجواب ولا شك أنه يطلب تار الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمه وسادات بنى كلاب وقد أطاعه من الخلق مالم يطيع لأبيه ولا لغيره من الخلفاء والصواب أننا نكاتبه ونبصر ماعنده وإن طلب منا المال لانباشر حرب ولا نزال ونريح الناس فى هذه السنه من القتال وإن هو لم يطلب المال ولا يرضى إلا بالقتال قلدناه البغى ويعطى الله النصر لمن يشاء (قال الراوى) فلما سمع الملك ميخائيل كلام البترك علم أنه قد تكلم باالصواب والأمر الذى لا يعاب وهو قد عول على ذلك وإذاقد دخل عليه ملك البنادقة وهرمس وكانا ملكين عظيمين وكان الملك ميخائيل يخاف من هذا الملك ويكاتبه ويهاديه ولا يقدر على مخالفته لأنه جبار عظيم سيفه قبل كلامه فلما دخل على الملك والبترك عنده وهو يشير عليه بذلك الرأى فلما سمع هيرمس بذلك قامت عيناه فى أم رأسه وقال أيها البترك وحق المسيح لقد أشرت بكلام مافيه إلا عار على جميع النصرانية ووهن على أهل ماء المعموديه وأى عار وشنار أعظم من هذا أنه يقال أن الملك ميخائيل ملك ملة المسيحية وزن دية أقوام قتلوا فى الحرب وعند اختلاف الطعن والضرب وحق المسيح أنا وحدى بعساكرى أقاتل عساكر الآسلام وأوقع بهم الخذلان والانتقام لأنهم مالهم ثبات فى القتال ولا جلادة على النزال لأنهم ماكان لهم فلاح إلا بعبد الوهاب وعساكر بنى كلاب وذات الهمة والسودان الانجاب والآن فان الذين كانوا يعتمدون عليهم وهم كانوا يكسروا عساكر النصرانيه قد قتلوا ومالهم أحد يقوم مقامهم ومن الصواب أيها الملك أن تلقاهم ويعطى الله النصر لمن يشاء ودع عنك كلام البترك فان هذا الرجل ماهمته لقتال ولا نزال بل همته إلى صلاح الدين وقراءة الانجيل (قال الراوى) فلما سمع البترك كلام هيرمس ورأى جميع الملوك عولوا على رأيه قام مغضبا وفوض الأمور اليهم فعندها ضربت طبولهم ونادت المنادية برحيله وعول على لقاء العساكر الاسلامية ونظرت أيضا عساكر الاسلام إلى ماقد عولوا عليه عساكر الروم اللئام فضربت كؤسها وطبولها وعلت الرجال على متون خيلها وجردت نصولها واصطفت الرجال بين يدى الواثق بالله وقالوا الصواب أيها

المولى أن تنفذ الى ملك الروم وتقول له ان بيننا وبينه الخليج فاما أن يتأخر وراءه حتى نعبر اليه ونصير فى أرض واحدة أو نتأخر نحن الى وراءنا وهم يعبروا الينا (قال الراوى) فقال الواثق بالله هذا هو الصواب (ياساده) وكان ظالم قد تزوج ابنة هياج الكردى لأنها سلمت كما ذكرنا وكان اسمها الفيضاء ولما طلع الواثق بالله الى بلاد الروم كان قد رزق ولد سماه عبد الوهاب (قال الراوى) وان الواثق بعث الى ملك الروم رجلا يقال له علوان بن عامر وكان جليل القدر عالى الذكر فلما وصل الى ملك الروم استأذن عليه فى الدخول فأذن له فى الدخول فلما دخل عليه وهو فى سرادقه أعاد عليه الرسالة التى من عند أمير المؤمنين والملوك حضور فلما سمع الملك كلام علوان قال للملوك ما الذى عندكم من الرأى فقالوا الرأى ماتراه فقال هرمس الصواب أننا نعبر اليهم ولا يطؤا أرضنا ويكون المصامره منصوبة على حالها فان نحن كسرناهم فلا يضرنا من نصبهم شىء وان هم كسرونا كانت المسامرة منصوبة لنا ونعبر الى هذا الجانب ونصير فى أرضنا والى بلادنا فقال له نعم ماأشرت به ثم قال لعلوان امض الى صاحبك وقل له يرحل خلفه فنحن نعبر اليكم فعاد علوان الى الواثق وأعلمه بذلك الجواب فرحل الى وراءه ربع أفراسخ فلما علموا الروم بذلك أمر بنصب الجسور فنصبت على الخليج المعابر والطرق وعبروا الى جانب المسلمين وصاروا معهم فى أرض واحدة ثم ركب فى رجاله وجميع أبطاله وبطارقته وعمالقته وملوك النصرانية وقد لبسوا الزرد وتقلدوا بالسيوف والعمد وتاروا وقد لاح غبارهم للمسلمين على بعد وقد ارتفع الظلام وعلا القتام وهم كالليل الدامس والظلام العانس (قال الراوى) فعندها ركب الامام الواثق وزعق النقباء فى الرجال والأبطال ولبست عليها الدروع الثقال واعتقلوا بالرماح العوال وتقابلت الفئتان ورفعت الروم الصلبان عندها تأخرت الاسلام ونادوا باسم الملك العلام ورفعوا أصواتهم بتلاوة القرآن وحملت الرجال على الرجال وجاهدت المسلمين فى الروم ونادت السادات الانجاب بالتارات الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة سيدة الأعراب والسودان الانجاب وطاب الطعان والضراب ووقع الضرب خطأ وصواب وعظم الحزن والاعتياب وزاد البكاء والانتحاب وقد طلع الغبار الى المناخر وبلغت القلوب الحناجر ولا تبق مجير ولا جائر وزعقت الأتراك فأجابها كل بطل فتاك والتقت الشجعان وتصادمت الفتيان وعدمت الأقران وتأخر كل جبان ولم تزل الحرب دائمة والخلائق قائمة وقد جرى النجيع فهذا قتيل وهذا صريع وهذا جريح وهذا طريح ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ذهب النهار بضيائه

وأقبل الليل بظلمائه وباتوا الناس سكارى ومن الحرب حيارى وكانوا المسلمين رابحين ذلك اليوم بثباتهم الى القتال للكفار وقتلهم للفجار وقتل من المسلمين أربعمائة ومن المشركين أربعين ألف فلما رأى ملك الروم إلى ماقد جرى على أبطاله وثبات المسلمين فى ذلك اليوم علم أن كلام البطرك كان صحيح وانه أشار عليه بالرأى السديد فجمع الملوك إليه وقال لهم مارأيتم ما جرى علينا من المسلمين وثباتهم بين أيدينا ونحن كنا نقول مايحفظ المسلمين إلا الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الأنجاب وأن الروم كانوا يفزعون منهم وقد ذهبوا ومانرى المسلمين إلا كل مالهم فى زيادة وأنتم فى نقصان وقد قتل منكم اليوم أضعاف ماقتل منهم ولقد كان الرأى مع أبونا البترك (قال الراوى) فلما سمعت الملوك كلام الملك ميخائيل قالوا أيها الملك اعلم أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وفى غد نبارزهم ونلتقط فرسانهم لأن فيهم من هوفارس مذكور ولانبقى لهم بطل مشهور فطيب قلبك وقر عينك (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من الامام الواثق بالله فانه قال: أيها الناس رحمكم الله اعلموا أنكم كنتم اليوم رابحين بحمدالله تعالى وأنتم تعلمون ماجرى على إخوانكم المسلمين من هؤلاء الملاعين وكيف قتلوا منكم أبطال والصواب أنكم تنصحون فى القتال فى غد وقد فزتم بأخذ الثار وكشف العار من الكفار فلما سمعوا المسلمين كلامه قالوا يا أمير المؤمنين وحق من عمك بالنعم وخصك بالجود والكرم لنقاتلن بين يديك فى رضا بارىء النسم فطب نفساً وقر عيناً فسوف ترى منا رجال أجواد معودين للضرب والجلاد ثم تقدم ظالم وقال ياأمير المؤمنين سوف أبرز فى غد الى مقام الحرب وأطلب البراز وأفنى أقبالهم وشجعانهم وأتركهم كأمس مضى ففرح الواثق بالله بكلام ظالم واستدعى بالأمير أبو محمد البطال فلم يجده فسأل عنه فقالوا من يوم نزلنا على القسطنطونيه ما رأيناه ولا غلمانه (قال الراوى) وكان السبب فى غياب البطال وغلمانه لما نزل الواثق على الخليج قال البطال لغلمانه أنا بعد الأمير عبدالوهاب استدت فى وجهى الحيل ولم أدرى كيف اعمل والواثق وظالم مايمكن أن نتخلى عنهم وبعد عقبة وشومدرس ماأحد يعرفنا وأنا عزمت أن أعمل حيلة عسى أن نقلل فيها جمعهم فقالوا افعل مابدا لك وهانحن بين يديك فعندها تزيا بزى البطرك الذى للبنادقه وغلمانه بزى القسوس ومضى الى وادى يقال له وادى المسيح فان الروم تقول إن المسيح بارك عليه وفيه بيعة خراب فوصل أبو محمد وغلمانه عليها وعمروها وقعد فيها وكان الى جانبها صهريج يجتمع فيه الماء من المطر. هذا ما كان من البطال. وأما ما كان من الأمير ظالم فانه دخل على الواثق بالله وهو حيران من فقد

البطال فلما نظره الواثق تذكر أيام أبوه وجدته فجرت على خدوده دمعته وبكى أيضا ظالم وتذكر أيام المعتصم وعبد الوهاب وما كانوا يفعلوا فى الروم فعندها قال الواثق بالله هنيئا لهم عاشوا سعداء وماتوا شهداء وأماأنت أيها الأمير فوحق محمد خاتم النبيين انك عندى فى منزلة أبوك وأعز وقدجعلتك ياظالم أمير الأمراء وأنت متقدم على سائر العرب شرق وغرب فعندها قام ظالم وقبل الأرض بين يدى الواثق وقال نحن عبيدكم من قبل ومن بعد أعاذك الله من الشيطان الرجيم ففرحت الناس بتقدمة الامير ظالم على سائرالأمراء والعرب وباتوا فى أحسن حال وبالهم عندالبطال فهذا ما كان من هؤلاء.

وأما ماكان من ملك الروم فانه بات بأبشم مبيت لأن ملوكهم قتلت وعساكرهم فنيت فالتمت الملوك الذين تبقوا ودخلوا على الملك ميخائيل يشاوروه فيما يفعلوا مع المسلمين وقد استدت فى وجوههم الحيل وحارالملك كيف يعمل فهم فى المشورة والكلام واذا قد دخل عليهم البطرك الكبير فلما أن رأوه قاموا له على الأقدام وأجلسه الملك إلى جانبه وقال له ياأبونا أين أنت غائب عنا ماتبصرايش صارفينا من هؤلاء المسلمين فقال الأمر تيسر ياأولادى أحدثكم بعجب ولكم فيه الصلاح والمسيح نظر اليكم فقالوا له وما العجب فقال له البطرك وأنا جاى وإياكم عديت على وادى المسيح فرأيت فيه بيعة من أيام هرقل وهى دائرة خراب فلما عديت عليها اليوم فوجدتها عمار فتقدمت اليها فلقيت ثلاث قسوس حواليها فسلمت عليهم وقلت لهم من أحيا هذا المكان فقالوا ياأبونا شيخ كبير من المعمرين وله من العمر مائة وعشرين من السنين وهو من بلاد الهراقله وأمره المسيح ببناء هذا الموضع فأتى وبناه وسكن فيه بأمر المسيح ومراده يجدد ويحيي أجداده الهراقله لأنه عالم لايطاق فلما سمعت فيه هذا الكلام دخلت عليه مع التلاميذ فرأيته كالخلال من كثرة عبادته فلمانظر الى فلم يقدر يتزحزح من موضعه فقعدت عند رأسه وسألته فى بعض علوم فرأيته بحر لايخاض ولم يكون فى زماننا هذا من يضاهيه فى علمه إلاان كان الشيخ النجيح الذى راح الى عند المسيح وهو بركة مصبوبة والرأى عندى أيها الملك أن تبطلوا غد الحرب وتقوموا معى بجمعكم ونسير اليه وندخل عليه وتقبلوا يديه وتطلبوا منه الدعاء والمساعده على المسلمين وهو يدبرنا لأنه رسول المسيح الى هذه الأرض وماهو قليل وأنا رأيت عنده العلم الراجح والشور الصالح فقالت الملوك لقد أشرت بالصواب وقاموا معه الملوك والملك ميخائيل فى أوائلهم وهو فرحان وأصبحوا خامدين بلا قتال وأقاموا الاسلام للامام وقد فرحوا بأخذ الراحة فى ذلك النهار وعادوا الى الخيام وأعلموا أمير المؤمنين فقال ماالذى أعاق هؤلاء

الملاعين وكانت الراحة لهم في ذلك اليوم فرج قريب وكان ميخائيل قد سار مع البترك هو والملوك حتى وصلوا إلى البيعه ووادى المسيح فلقوا تلك البيعه قد عمرت وعمال البطال يقرأ فى الإنجيل وذلك بحلاوة وترتيل وغلمانه ترد عليه فسمعت الملوك هذه الأصوات المطربات فزادت منهم العبرات فقال البترك هذا الذى مجتهد فى عبادة المسيح ليلا ونهار فعندها تقدمت الملوك اليه ونزلوا وترامو على يديه وكان البطال كشفهم ولم يعتن بهم بل إنهم عمال فى قراءته وغلمانه ترد عليه فعندها قالت الملوك يا أبونا هذا الملك ميخائيل ملك الملة النصرانيه قد أتى اليك وهو واقف بين يديك لأنه مع المسلمين فى قتال عظيم ويطلب منك أن تسعفه بدعاك وهو ما جاء إلا ليطلب رضاك لأنه مقبول عند السيد المسيح وقد تقدم ميخائيل اليه وارتمى على يديه وجعل يقبلهـا وقال له يا أبونا أنت متقرب عند السيد المسيح وأنا مع هؤلاء المسلمين تعبان ومرادى منك النصرة فعندها تـكلم البطال بصوت نحيف وقال لهم تموا هذه الليلة عندى إلى أن يجىء الليل لأن دعاء الليل مقبول وأنا أنجد لك المسيح والحواريين بتمكين وأخليك فى غد تروح تـكسر المسلمين (قال الراوى) هذا وانه بعد كلامه للملك التفت البطال الى غلامه جوهر وغمزه بالعين وقال له امض وأعلم الأمير ظالم وخليه يجىء بالليل يأخذهم كلهم من هذا المحل وقعد البطال بعد ذلك يناظر البترك بعلوم حتى أخذ عقولهم وعظم قدره عندهم وباتوا عنده فى مذاكره ومنادمه وهو يفسر لهم فى الانجيل من كلامهم حتى أخذ عقول الملوك كلهم (وأما جوهر فانه وصل إلى عسكر المسلمين يلتقى الأمير ظالم على الحرس وهو دائر حول عساكر المسلمين فلما نظر الى جوهر وهو مقبل اليه فنهض اليه وهو مقبل عليه فعرفه جوهر حسه فلما حضر بين يديه قبل يديه فلما عرفه الأمير ظالم فرح به وسأله عن أستاذه فحكى له جوهر عن أبى محمد البطال وما فعل فى وادى المسيح وكيف تمت الحيلة وعنده الملوك جميع والملك ميخائيل والبترك الـكبير وبعثنى اليك تأخذ معك رجال ونجيب الكل فى الحال فلما سمع ظالم هذا الـكلام قال ان الله لا يعدمنا طلعة أبو محمد البطال سبع الاسلام وبعدها أخذ جوهر وسار الى عند أمير المؤمنين وعنده العلماء والفقهاء وأرباب الدولة وهم فى ذكر البطال وغيابه فهم على ذلك من الحديث وظالم داخل عليهم ومعه جوهر غلام البطال فنظر الواثق بالله الى جوهر فعرفه فقال له جوهر قال نعم يا أمير المؤمنين أدام الله أيامك والسنين قال وأين أبو محمد وما الذى غيبه عنا فقال جوهر يا أمير المؤمنين أستاذى ما غاب إلا فى مصالح المسلمين وخدمة أمير المؤمنين ورضا رب العالمين وحكى له بما فعل فى وادى المسيح وكيف الملوك عنده وأنا جئت الى الأمير

ظالم يأخذ معه رجال ويروح معى يجيبهم كلهم فى الحبال وقد تيسر الأمر والحال فلما
سمع الواثق بالله فرح وأمر الأمير ظالم أن يأخذ معه ألف فارس ويسير مع جوهر
قدامه هذا ما كان (وأما أبو محمد البطال) بعد ما سار جوهر قال للملوك ادخلوا الى
عندى حتى نفتح الانجيل وأقعد اليه أنا والبترك نقرأ وندعى وأنتم تؤمنوا على دعانا
ويعلم المسيح تضرعنا وشكوانا فينصرنا على المسلمين فقال الملك قلت الصواب ثم دخلوا
الى البيعه الذى بناها البطال وأوقدوا فيها أربع قناديل وقدموا الانجيل وقال البطال
للغلمان هاتوا لنا نأكل من بركة المسيح فجابوا له قراقيش يابسه وقصعه فيها موية
وحطوهم قدامه فمد يده للقراقيش وادخرهم عنده لمثل هذا الأمر وثرد فى القصعه وقعد
على اسم أنه يأكل وقال يا ملوك السواح المنقطعين هذا الذى جابوه ملة الحواريين
فطلبوا منه بفمهم فقدم النصعة لهم فتواقعوا عليها كلهم حتى صارت فى بطونهم وتمت
الحيلة عليهم سواء فعمل معهم الدواء المسمى فى أوقاته شفاء ثم قعد على اسم أنه يقرأ
لهم فما كان إلا ساعه حتى ارتج بتركهم لانه أكل أكثر منهم وأخذمنهم كأنه قتيل فطلع
أبو محمد الى برا ينظر الى جوهر حتى كان وقت السحر إلا والخيل أقبلت وفى أوائلهم
الأمير ظالم فتلقاه البطال وضمه فى صدره وقال هذه ضمة الأمير عبد الوهاب رحمة الله
عليه وأبقاك فقال ظالم ما الذى فعلت يا عم فقال ادخل يا ولدى الى هذا المكان الذى
فيه القناديل ترى العجب فدخل الى المذبح يلاقى الملوك مطرحه مثل الغنم فحار ظالم
وقال والله يا عمى ما كأنهم إلا ممتثلين أمرك والا من يقدر يفعل فى مثل هذه الملوك
هذه الفعال فقال أبو محمد يا ولدى والله لولا فقد أبوك وجدتك هو الذى غير أحوالى
وإلا ما كنت خليت هؤلاء الملاعين يقفوا قدامك يوم واحد ولكن يا ولدى خذ
دوله وروح بهم الى عند الواثق بالله وأنا معول أن أسير الى عسكر الروم وأحوجهم
أن يقطعوا الجسور التى على الخليج فاذا تم لى هذا الأمر كان الفرج الأكبر فعندها
أخذ الأمير ظالم الملوك ورجع بهم طالب عسكر الاسلام وهو فرحان وأما الأمير
محمد البطال لما سار ظالم بالملوك قصد البطال الى عسكر الروم ودخل عليهم وغلمانه
قدامه بهذا الزى وهو عمال يقرأ الانجيل حتى صار فى وسط العسكر والناس يهرعون
اليه ويقعوا عليه ويقبلوا يديه ولم يزل حتى وصل إلى سرادق الملك ميخائيل وكان
الملك لما راح استخلف أخوه ميلاص موضعه فلما وصل ميلاص إلى أبو محمد البطال
وحسن شيبته وطيب تلاوته فى الانجيل نهض له قائماً على الأقدام وصار يقبل
يديه وكانوا أعلموه أنه راهب بلاد الملاقطه فقالو له يا أبونا وأين الملك والملوك

فقال أبو محمد إنى تركتهم فى بيت الدعاء يدعون على المسلمين وقد سألت المسيح أن يقبل دعاءهم أجمعين وقد جئت اليك أوصيك بكل ما أوصانى به المسيح من أخذ ثأر الشيخ النجيح (يا ساده) فقال ميلاص بماذا أوصاك يا أبونا فقال له اذا كان فى غد أأمر العساكر بالركوب وأقطع الجسر الذى للخليج حتى لا يحدث أحدا نفسه منهم بالهروب وقد نصرتم على المسلمين وبلغتم المطلوب (ياسادة ياكرام) فلما سمع ميلاص كلام أبومحمد البطال قال ياأبونا سمعاً وطاعه فيما تقوله من المقال ثم انه فى عاجل الحال أمر من حوله من الرجال أن يقطعوا الجسر الذى على الخليج قبل أن تشرع الناس فى القتال . هذا وقد أمر ميلاص النقباء أن تنادى فى العساكر بأخذ الأهبة للقتال من قدامهم من تلك الدساكر ويكون ذلك فى غداة غد فان الملوك والملك ميخائيل ومن معه من الخواص أجمعين كلهم فى دير الدعاء يدعوا على المسلمين (ياساده ياكرام) فعند سماع هذا الكلام أخذت الروم أهبتها للقتال واستعدوا للحرب والنزال هذا وقد أفرد ميلاص لأبو محمد البطال خيمة عظيمة ونقل إليها كل كل مايحتاج اليه ولما تم لأبو محمد البطال كل ماقد عزم عليه التفت إلى غلامه جوهر وقال له امضى الى عند الأمير ظالم وأعلمه بما صار من هذا الخبر وقل له اذا كان فى غداة غدا أأمر العساكر أن تبادر الى الحرب والقتال ويجردوا فى أيديهم النصال ويشهروا الملوك الى بين الصفين ويضربوا رقابهم بين الفريقين حتى انهم اذا عاينوا ملوكهم عند ضرب رقابهم تنحل عزائمهم وتنقطع أسبابهم وتنكسر قلوبهم ويبطل حرابهم وأنا قد أمرتهم بقطع الجسر الذى يعبروا عليه وقد يقعوا بين أمرين خطرين أى من وقف قتل وأى من هرب غرق وقد تخلصتم منهم كرة واحدة (ياسادة ياكرام) فمضى جوهر طالب عساكر الاسلام وقد ستر عليه الملك العلام وكان ظالم بعد مفارقته لأبو محمد البطال ومعه الملوك أهل الضلال فانه وصل الى عسكر الاسلام بالملوك وهم على ذلك الحال لايعقلوا على أنفسهم مما قد جرى عليهم فأحضرهم بين يدى أمير المؤمنين فلما نظراليهم قال من هؤلاء فقال ظالم هؤلاء ملوك الروم كلهم قد عمل عليهم الامير أبومحمد البطال وأوقعهم فى شبكة الاحتيال وأخذهم بها كلهم وأرسلهم معى فى الاحتيال (ياساده) فقال الواثق بالله وقد حار عقله وتحير فكره من هذه الاعمال وقال والله ان هذا ماهو إلا تأييد ربانى أيد الله به هذا الامير أبومحمد البطال ثم أمر أن يعمل فى أرجلهم القيود والأغلال وهم لايعقلون على أنفسهم بحال من الأحوال (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وصل

اليهم جوهر وأعاد على الأمير ظالم جميع ماجرى من الخبر وقال ياأمير ان مولاى الأمير أبو محمد البطال يقول لك اذا أصبحتم أأمر العساكر أن تركب وتحطم الروم وتجد فى القتال فان ما بقى لهم عبور إلى نحو القسطنطونية بعدهذا الحال واحتفظ بالبترك ولا تفرط فيه وقت ذهابهم وأما الملوك فاضرب رقابهم عن آخرهم قدام أصحابهم (قال الراوى) فعندها أمر الأمير ظالم لجميع العساكر بالحملة على الروم وتستعينوا عليهم بالحى القيوم فركبت العساكر كلها عن بكرة أبيها ودقت الكؤسات ونعرت البوقات ونشرت الأعلام والرايات وتقدمت الرجال الكرام وتأخرت الأوباش اللئام وركبت فى ذلك الوقت عساكر الاروام وكان ظنها أن ملوكها فى الدير الذى فى وادى المسيح يدعوا على المسلمين فى ذلك المقام (ياسادة) هذا ما جرى من أمر العساكر وحملتهم (وأما ما كان) من أمر الملوك وقصتهم فانهم أفاقوا مما هم فيه من ذلك الامر المعهود ورأوا أنفسهم فى الاغلال والقيود فعلمو أن الحيلة قد تمت عليهم ووصلت الأذية اليهم وإن ما بقى لهم من أيدى المسلمين خلاص ولا مناص فلاموا البترك على ذلك وقالوا له لقد أشرت علينا برأى ميشوم نشرب به كأس المهالك والحموم ويكون فيه إتلافنا وفساد أحوالنا فقال البترك وحق المسيح ومريحنا ماعلمت أن هذا الشيطان أبو محمد البطال إلى الآن فى الحياة بل قلت إنه هلك مع من هلك وشرب كاس فناه وإلا ما كنت فرطت فى روحى وأرواحكم معى وحق المسيح ماهو إلا فى عسكر الروم يدبر عليهم حيلة أخرى (ياساده ياكرام) فبقت الملوك حائرة وعقولهم على العساكر طائرة وعلموا أنهم هالكين فى هذه النوبه لامحالة فعندها تقدم اليهم الأمير ظالم وقال لهم يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية قد أهلكم الله تعالى بكفركم وأخذكم على غرة منكم والله لآخذن منكم فى هذا اليوم بثار الأمير عبد الوهاب وجدتى الأميرة ذات الهمه أميرة بنى كلاب وأيضا آخذ بثار من فقد معهم من الأصحاب ثم إنه (ياساده) أمر بهم أن يقدموا إلى بين الصفين وأن يشهروهم بين الفريقين وأمر أن ينادى عليهم يامعاشر الروم الملاعين انظروا إلى ملوككم كيف قد وقعوا فى أيدينا أجمعين وكيف نأخذ منهم بثار المسلمين ثم انه أمر بتقدمتهم واحد بعد واحد وصار يضرب رقابهم ويصيح هذا فى سبيل الله الملك الماجد ويقول بالثارات الأمير عبد الوهاب وذات الهمة أميرة بنى كلاب وكان آخر من ضربت رقبته الملك ميخائيل ولم يتأخر منهم لا كثير ولا قليل غير البترك الحقير الذليل وذلك امتثالا لأمر الأمير

أبو محمد البطال فانه مطيعا له فى المقال (ياساده) فلما نظرت الروم إلى ملوكهم وقد قتلوا عن آخرهم فصلبوا على وجوههم وحملوا على المسلمين حملة رجل واحد ووقع القتال وعظم الحرب والنزال واشتدت الأهوال وتراشقوا بالنبال وتضاربوا بالصقال وجرى الدم وسال وصاحت المسلمين بالثارات الأمير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب السادة الأنجاب ولم يزل الحرب والقتال قائم والطعن والضرب دائم هذا والمسلمين قد كشفت رؤوسها وذكرت اسم مليكها وقدوسها وجدت فى القتال والحرب والنزال وأعانها الله عز وجل على أهل الكفر والضلال ولم تزال الطائفتين على ذلك الحال وهم فى إدبار وإقبال إلى أن حان وقت الزوال فولت ذلك الوقت عساكر الروم وكان عليهم يوم ميشوم ووقت مذموم وطلبوا الفرار وولوا الأدبار وطلب كل واحد منهم هواه واشتغل بنفسه عن سواه وكل منهم التهى بما قد عناه وعمل السيف فيهم عمل الحريق وصار الضرب فى رؤسهم مثل حجارة المنجنيق ثم إنهم طلبوا إلى ناحية القسطنطونية والمسلمين يلتقطوهم بالطعن بالرماح السمهريه والسيوف المشرفية والحراب الخطيه ولم يزالوا فى أعقابهم إلى أن رموا أنفسهم الى الخليج وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وصاروا فى أمر مريج فكانوا بين أسير وحقير وقتيل وغريق ومحيق وجديل وبعد ذلك انحلت نار الحرب وبطل الطعن والضرب وكان جملة من قتل فى ذلك اليوم من الروم الملاعين ثلاثين ألف وأسر عشرة آلاف وداست الخيل عشرة آلاف وغرق فى الخليج خمسين ألف من غير خلاف فكان جملة من عدم من الروم فى ذلك اليوم العابس فكانوا مائة ألف فارس (قال الراوى) وبعد ذلك اجتمع الأمير ظالم هو ومن معه من خواص الرجال مع الأمير أبو محمد البطال وشكروه على تلك الأعمال ثم أنهم حضروا بين يدى أمير المؤمنين الامام الواثق بالله فتشكر له وقال له يا أبو محمد لاعدمتك فرسان الاسلام ولا أخلا الله من همتك الرجال الكرام ولا عدموا طلعتك وعزيمتك إلا بعد سنين وأعوام فإنك والله نعم الذخيرة بين الأنام فوحق تربة أبائى وأجدادى الكرام لقد أوحشتنى واذا حضرت يحل علينا الاكرام فلاكان يوم لا نراك فيه فوالله ما لنا عيش يطيب بلاك ولم يكن نشتهيه ولا نبتهج إلا بالنظر الى طلعتك وليس لنا غنى عن رؤيتك (ياساده) ففرح الأمير أبو محمد البطال بما سمعه من أمير المؤمنين من ذلك المقال ثم بعد ذلك قال الأمير ظالم للواثق بالله ياأمير المؤمنين ما الذى نصنع بهؤلاء الأسارى وما تفعل فى عذابهم فقال من الرأى والصواب أن نضرب رقابهم فضرب رقاب الجميع ولم يدع منهم لا رفيع ولا وضيع

وأمر أمير المؤمنين أن يبنوا من رؤسهم موادن فبنوا المسلمين منهم اثنا عشر مأذنة وأذنت فوقها المؤذنون وفرحت بذلك المؤمنين وذكرت الرواة فيما نقلوه من الدواوين أن هذه الواقعة تذكر إلى آخر الزمان مارأى أحدا مثلها فى ذلك الأوان (قال الراوى) لهذا الديوان على أن ما سلم من تلك الواقعة إلا الملك ميلاص ومعه جماعة قليلة من الخواص وعبر فى شختور ووصل إلى القسطنطينية بعد أن قتل كل من خرج منها وحلت بهم الرزية ولم يسلم منهم لا كثير ولا قليل ووقع فيها عند وصولهم البكاء والعويل (قال الراوى) وبعد انقضاء تلك الأحوال نزل أمير المؤمنين الواثق بالله وهو فرحان بما كان من هذه الأعمال وبالنصر الذى خصه الله به على أهل الكفر والضلال وقد لبس بردة رسول الله عليه الصلاة والسلام وتعمم بفاضل عمامته وقالت بين يديه القراء والفقهاء والعلماء وخواص الناس وأحضروا بعد ذلك البترك الخناس وقال له أمير المؤمنين الواثق بالله ويلك يا ملعون لأى شيء جسرت ملوك الروم على الغزو الينا ولم تأمرهم بالقعود عنا وحذرتهم جانبنا وخوفتهم من سطوتنا لكون انك مسموع القول والكلام عندهم فلم لا كنت عن ذلك الأمر تردهم وتنهاهم لأنك أنت الذى كنت السبب فى الصلح والهدنة وحلفت لنا على ذلك فلم لا أمرت الروم بوفاء العهود والمواثيق مع المسلمين وأنا وحرمت أبائى وأجدادى الطاهرين والأئمة الصالحين لو لا هذا الامير أبو محمد البطال قد أذم لك لكنت فى هذا الوقت ضربت رقبتك (ياساده) فقال البترك يا أمير المؤمنين لم تزل تعفوا عن المسيئين وهذا هو المعهود من آبائك الراشدين ومايكون المحسن محسن حتى يكون محسن لمن أساء اليه فقبل الواثق منه ذلك المقال وقبل فيه شفاعة أبو محمد البطال (ياساده) هذا جرى لهؤلاء من الأحوال (وأما ما كان) من الملك ميلاص وتخلفه على أهل الكفر والضلال فانه لما جلس على سرير ملكه واستقر به القرار ودارت من حوله عصابة الكفار فانه أقبل على من تبقى من خوص الدولة وأكابر المملكه وقال لهم ماتروا فى هذا الامر الذى جرى وهذا الحديث الذى قدره المسيح علينا وطرى فقالوا له من الرأى والصواب أن تكتب الى خليفة المسلمين كتابا وتحسن معه فيه الخطاب حتى أنه يرجع الى بلاده ونكتفى شره وشر أجناده وبعد ذلك ندبر أنفسنا بما نراه لانك تعلم أن ملوك الروم قد فنيوا وقتلوا وهذه كسرة قد جرت للروم لم يرى مثلها أحدا لاقبلها ولا بعدها لان المسلمين كانوا فيما مضى اذا ظفروا بنا نفدى أرواحنا منهم بالاموال ولا يقتلوا منا أحد من الرجال والآن فقد أخذوا المسلمين تارهم وبلغوا من أهل ملة النصرانية مآربهم وقتلوا ملوكنا وعساكرنا وتقووا فى هذه الكرة علينا الا أنك تردهم بحسن التدبير الى أن تنفذ

إلى الأقاليم الذى قتلت ملوكها وتأمرهم كل من كان له ولد يجلس مكان أبيه ومن لم يكن له ولد ينصبوا مكانه من يترضوا عنه أهل اقليمه وأرضه وتطيعك الملوك وتتأيد مملكتك وبعد ذلك افعل ماتريد وما تقضيه مقدرتك وان لم تفعل ذلك كان علينا العار والذل والشنار وهلكنا كلنا عن آخرنا وهذا رأينا نحن وإن كان عند الملك رأى غير هذا فيقوله حتى اننا نمتثله ونعمل به (ياساده ياكرام) فلما سمع الملك ميلاص كلامهم وفهم ماقالوه من أحكامهم رآه صواب وأمر فى ذلك الوقت باحضار قاصد وأمر أن يكتب له كتاب وأن يحسن فيه كما ذكرنا الخطاب وكان ذلك تملقاً من النصارى وعدوان وما فعلوه إلا زور وبهتان (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء من الأحكام ومن الكلام الذى سار ومادبروا من الهذيان. وأما ماكان من عسكر أهل الايمان فانهم لما نصرهم الله العزيز الرحمن الكريم المنان على أهل الكفر والطغيان ورجعوا إلى بلادهم بالامان والاطمئنان وجلس الخليفة الواثق بالله على كرسى مملكته ودار عزه ومحل مرتبته وحضرت بين يديه الأمراء والوزراء والحجاب والنياب وانحفل المجلس بمن له عادة أوكلام أو بخطاب مثل الأمير أبو محمد البطال والأمير ظالم ابن عبدالوهاب ومثل الحكيم طيبون من كان له فى كل علم فنون ومثل مارس ودارس ومثل الأمير يانس المتعذب رحمة الله عليهم أجمعين ومن ينسب اليهم من المسلمين الموحدين (قال الراوى) فبينما هم على ماهم فيه من الكلام والخطاب وإذ أقبل عليهم قاصد الملك الذى ذكرناه بالكتاب فاستأذن لما رأى ذلك المحفل فأذن له أمير المؤمنين الواثق بالله فلما دخل قبل الأرض وتأمل فى ذلك المجلس طولا وعرض فرأى مجلس ما عاين مثله ولا سبق لمن قبله شكله وفى مثل ذلك أنشد بعضهم :

هى البكر لم تنكح بماء سحابة ... ولا عصرت يوماً برجل ولا يد
ولا عبث القسوس يوماً بكاسها ... ولا قربوا من دنها نفس ملحد
ولا نص فى تحريمها عند مالك ... ولا قتل عند الشافعى وأحمد
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها ... فخذها بعقل بالكرامة واهتدى
وكفكف لهم بالفهم واسترح ... ولا تطرح يوم السرور الى غد

(قال الراوى) فلما دخل القاصد إلى أمير المؤمنين وحياه بتحية الملوك والسلاطين بعد أن قبل الأرض ومد يده بالكتاب فأخذه منه بعض الحجاب وناوله الى الوزير وكان ذو سياسة وتدبير ففضه وقرأه وتأمل معناه وإذا فيه يقول : يا أمير المؤمنين احقن الدماء بين الفريقين واتبع سنة آبائك الراشدين وقدر علينا فى كل سنة ما شئت

مثل الملوك الماضين وتكون الهدنة بيننا وبينكم أربع سنين (ياساده) فلما سمع ذلك أمير المؤمنين التفت الى من حوله من الحاضرين ممن ذكرناهم من أمراء المسلمين وقال لهم ماتقولوا فى هذا القول الذى قاله ملك الروم وماذا يحمل من الأموال فى كل عام وماهو القدر الذى يعجلوه فى هذه الأيام فأطرقوا جميعاً رؤوسهم الى الأرض ولم يتكلموا فقال لهم أمير المؤمنين يتكلم كل منكم بما عنده من الكلام ولا يخشى لوم ولا ملام فانى ما جمعتكم إلا لمثل هذه الأحكام فجعل كل منهم يتكلم على قدر ما يراه وماتصل اليه معرفته وذكاه ومنهم من قال أرسل اليه وقل له يزن الجزية والمال وإلا نسير اليه بعساكر ورجال وتكلم بعد ذلك كل منهم بخطاب وبما يليق به من ذوى الألباب فعندها قام الأمير أبو محمد البطال وقبل الأرض بين يدى الامام الواثق بالله وقال يا أمير المؤمنين أيدك الله بالنصر والتمكين ورحم آبائك وأجدادك الخلفاء الراشدين بجاه سيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين اعلم يا أمير المؤمنين أن مرجع هذا الأمر اليك ومعوله بعد الله عليك والى رأيك السعيد فاننا كنا نرى ذلك من الخليفة المعتصم بالله ومن أبيه الرشيد فليس منا من يصل الى عقلك وفهمك الصائب وهو شىء ورثته من آبائك وأجدادك والغرايب وهم كابر عن كابر فمنك الأمر ومنا السمع والطاعه (قال الراوى) فعندها قال الواثق بالله ياأبو محمد جزاك الله عن الاسلام كل خير ولكن لم يخلق الله عزوجل لاأعقل ولاأفضل ولاأجمل من سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزل عليه فى محكم كتابه العزيز « وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله فان الذى ثبت عندى من الخبر والعيان انك ياأبو محمد نتيجة هذا العصر والزمان وفى رأيك الخير والبركه فانك موفق بحمدالله فى جميع ماتأتى به من الأمر والحركه وانك ماتزال مفرج الكرب عن الاسلام والمسلمين ولا سيما من أيام الأمراء رحمة الله عليهم وعلى أمير المؤمنين لما سعيت فى خلاصى مما فعلوه فى حق عقبة وشومدرس الملاعين فقل ماعندك فانى أعرف فضيلتك وان لك لسان كأنه سنان (قال) فعند ذلك قام أبو محمد وقبل الأرض مراراً وقال مدحك لى يا امام تفضلا منك وإنعام وتخلقا بالكتاب العزيز وبالنبى عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى مدح عباده حيث قال : (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) وذلك تفضلا منك وإنعاماً وتبجلا وإكراما وحيث أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام فأقول : اللهم ألهمنى الصواب ووفقنى فى القول والعمل مع ان رأى أمير المؤمنين أعلا

لأنه كما قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات : —

يغنيه ثاقب رأيه أن يقتدى ﴿ بمقصر أو أن يكون منجما
فالرشد من عندالأئمة مرتجى ﴿ وبهم نعاين رشدنا بعد العما
إن الامام له توقد خاطر ﴿ قد قام فيه كل من تحت السما

ثم قال أبو محمد البطال : الذى عندى من الرأى ياأمير المؤمنين أن ترد هذا الرسول بعنف وتقصد بعد ذلك القسطنطونيه ونفتحها فان ما بقى فيها من يذكر بشجاعة ولا براعة ولا من يرتب حيلة نخافه وقد قطع الله من كان يؤذى المسلمين ويرتب الحيل التى لاتهتدى اليها العقول وهو عقبة الكافر اللعين ابن اللعين الداخل فى كل دين وتجعل يامولانا طريقك على المحل الذين استشهدوا فيه الأمراء رحمة الله تعالى وعلى من مضى من أموات المسلمين يارب العالمين وتأخذ جثتهم تدفنها وتجعل عليهم مزاراً وتحاصر أهل القسطنطونيه وإن نزلوا قاتلناهم وان لم ينزلوا عليك أنا أفتح القسطنطونيه بالحيلة ونجعلها إن شاء الله تعالى دار الاسلام ويكون نائبك فيها الأمير ظالم وتعمر الجامع الذى كان أنشاه الأمير مسلمة وتولى بعد ذلك أولاد الملوك مواضع آبائهم ونرتب عليهم أضعاف ما سألوا فيه وإلا ياأمير المؤمنين إن أجبتهم إلى ما سألوا فيه قويت شوكتهم واجتمعت كلمتهم وغدروا وربما أتاهم من يرتب لهم الحيل ونكون نحن آمنين من جانبهم لأننا نقول قد أذهب الله عن المسلمين عقبه ومطرون وشومدرس المفتون فتنفذ حيلة المحتال فان الدهر يبدى العجائب وأهل الشر أكثر من أهل الخير وربما يأتى من هو أشر ممن ذكرنا وهذا ماعندى والسلام (قال الراوى) فلما فرغ أبو محمد من هذا المقال تهلل وجه أمير المؤمنين بالفرح والسرور وقال لله درك ياأبا محمد لقد نطقت بما فى ضميرى ثم أمر باحضار القاصد وقال له ارجع الى من أرسلك وقل إن كنت تريد النجاة بنفسك فاذهب من القسطنطونيه بجميع عساكرك فانى سأجعلها إن شاء الله تعالى دار إسلام أو تسلم ونجعلك ملكها وأترك لك مالها فى هذا العام وإن أبيت ذلك فلا تعد إلا انك هالك ثم قال للرسول لولا غرضى إيصال الكلام لوشحتك بهذا الحسام (قال الراوى) فلما سمع القاصد هذا الخطاب والتوبيخ نهض قائما وهو يتعثر فى أذياله وركب جواده وذهب الى القسطنطونيه وهو ذاهل العقل مثل المجنون ودخل على الملك وقص عليه القصة من أولها الى آخرها فلما سمع ذلك غضب غضبا شديدا وكان فى حضرته البطرك فالتفت اليه وقال له ماتقول يا أبونا فقال ماالذى أقول رحمة المسيح على الشيخ النجيح

فقد كان فى مثل هذا له رأى وتدبير ولكن أيها الملك السعيد أرسل الكتب على أجنحة الطيور الى البلاد التى قتلت ملوكها وفى الكتب البدار البدار لأخذ التار فان خليفة المسلمين فى جمع قليل وأنا أكتب بخطى بعد ذلك من لم يحضر فى هذه الغزاة أخرجته من دين النصرانية (قال الراوى) فعند ذلك أمر الملك من وقته وساعته أن يكتبوا الكتب فكتبت وعلقت على أجنحة الطيور وأرسلت فلم يأتى المساء إلا وكل طائر نزل برجه فأخذه البراج وفك ماعلى جناحه وأتى به الى الملك واستأذن عليه فى الدخول فأذن له فدخل وسلم الكتاب الى وزير الملك ففرح وقال سمعا وطاعه لملك الملوك ولأبينا البطرك وكذا حصل لكل الملوك ونادى كل منهم فى عساكره بأخذ الأهبة للرحيل هذا جرى لهم . وأما ما كان من أمير المؤمنين الواثق بالله فانه أمر العساكر بالمسير الى الغار الذى دخلت الأمراء فيه على أن يبنى عليهم المزارات ويدفن جثثهم فيها ويحبس عليهم أقطاع فسارت العساكر تتلو بعضها بعضا وكان ظالم فى أوائل القوم فلما نظر الى الغار لم يتمالك أن يثبت على الفرس بل صرخ وسقط على الأرض مغشيا عليه فوقفت جميع العساكر عن المسير فلما أفاق بكى وانتحب فبكت الناس لبكائه ثم مزق ما كان عليه من لباسه وحث التراب على رأسه وأنشد وجعل يقول :

مصاب الناس بعد مصيبتى　　لفقد آبائى وصحبى وجدتى
كراماً إذا ما الضيف حلّ بأرضهم　　وشجعان يحموا الناس يوم كريهة
فلا كان يوما فيه صلبا لعقبة　　لقد كان ميشوما لكل الخليقة

(قال الراوى) فلما سمعت الناس من ظالم هذا النظام فلم يبق قلباً إلا أحرقه ولا فؤاد إلا مزقه ثم غشى عليه ساعة وأفاق وقد غير القافيه وأنشد وجعل يقول :

فوا أسفا كيف شط المزار　　وأحرمنا البين أن نلتقى
فياليت يوم النوى لم يكن　　وليت التباعد لم يخلق
لقد أحرق الشوق منى الفؤاد　　وشيب يوم النوى مفرقى
فعيشى من بعدكم لا يطيب　　وقلبى لبعدكمو قد شقى

(قال الراوى) ثم ان أبو محمد البطال بكى حتى بل لحيته وبكى كل من كان حاضر وقد أنشد وجعل يقول :

ديار من الأحباب أصبحت قفرة　　فليس بها إلا الظبا والتنافر
وقد أقفرت بعد الأنيس وأوحشت　　منازلها من أهلها والمعاطر

يذكرنى دهرى زمان أحبتى ... فتجرى دموعى سرعة كالمواطر
وأبكى على فقد الأمير وأمه ... فأبكى وتبكى أهله والعشائر
لقد كان فى يوم الكريهة صابراً ... وعند اللقا فى نفعها المتواتر
فيقتل جميع المشركين بسيفه ... إذا اصطدمت يوما جميع العساكر
ألا يا أميراً كان يحمى جنوده ... إذا جالت الأعدا بحد البواتر
مضى وانقضى حتى كأن لم يكن لنا ... بحام ولم نعقد عليه خناصر
وتبكى عليه الخيل حرقا مع القنا ... فتبكيه حتماً بالدموع البوادر
ألا فاندبوا تلك الأميرة إنها ... يحق لها حزناً يشق المرائر
أذلهمة ما كنت أحسب أن ذا ... يكون ولا يجرى به حكم قادر
فمن بعدها يحمى الديار إذا أتت ... خيول الأعادى غيرة بالبواتر
ومن بعدها يحمى الحريم ويحتمى ... ومن بعدها يحمى النساء الحرائر
سلام من الوسمى كل سحابة ... ويروى ثراهم سائل الرزق ماطر

(قال الراوى) وأما الحكيم طيبون فانه أجرى الدموع من العيون وأنشد من فؤاد محزون وجعل يقول

لا تعتب الدهر يطول العتاب ... لأنه من طبعه الانقلاب
يفرق الشمل على غفلة ... ويترك الأربع قفار خراب
ويفجع القلب بأحبابه ... ودأبه بعد النعيم العذاب
يا منزل الأحباب أين الذى ... فيك الفنا من زمان الشباب
أين مضى جيراننا بعدنا ... أين خيام القوم أين القباب
كانو رجالا فى ملماتنا ... فانقطع اليوم رجانا وخاب
وهذه أملاكهم بعدهم ... خالية وهى خراب يباب
تبكى عليهم وإذا قصرت ... صبحها بالنوح صوت الغراب
وكل ما مر بها سائر ... يبكى على من كان فيها وغاب
فيا جميع الناس نوحوا معى ... وابكوا لعل الدمع يروى التراب
لأن من فارق أحبابه ... يبكى على آثارهم بانتحاب

(قال الراوى) وأما أمير المؤمنين الواثق بالله لما سمع هذا الانشاد من السادة الأجواد بكى بكاء شديداً وكفكفت عبرته وتباكت الناس وكان ذلك اليوم كأنه يوم القيامة أصاب الناس على الأمراء ونزل أمير المؤمنين فى ذلك الموضع وأشعلوا

الضوء وقد قال لهم أمير المؤمنين قدموا هذه الاتراك والاعراب وكفنوا الاموات فى هذه الاثواب وضعوهم فى هذه المخمات كل ذلك من خوفه على ظالم لانه لا يطيق النظر إلى جثثهم فساروا إلى الغار ودخلوا فيه وكان الغار يمشى فيه نحو فرسخ فمشوا الناس والأمراء فى أوائلهم الى آخره فلم يجدوا فيه شيئا فخرجوا ودخلوا على أمير المؤمنين وأعلموه بذلك (قال الراوى) فلما سمع أمير المؤمنين كلامهم فتشوش خاطره فبينما هو كذلك إذ دخل عليه الامير ظالم وهو باكى العينين حزين القلب فلما دخل تحرك له أمير المؤمنين وترحب به وقال ما الذى أتى بك أيها الامير وما حالك فانى أرى بك كآبة فقال له الامير ظالم أصلح الله أمير المؤمنين بينما أنا فى المنام إذ رأيت شخصاً يقول لى يا ظالم أبشر فقد آن الاجتماع بالاحباب وذلك مسطر فى الكتاب فاشكر على ذلك رب الارباب ومعتق الرقاب وقم من ساعتك هذه وادخل على أمير المؤمنين فبعزمه تنال المطلوب ثم استيقظت من منامى وأنا مرعوب فما أدرى هذا الاجتماع هل هو فى الآخرة وتفسيره أن يكون قد دنا أجلى أو الحياة ويكون قلبى خلى ثم خنقته العبرة حتى أبكى كل من كان حاضراً ثم رجع إلى طبع العرب فأنشد يقول هذه الابيات

رأيت مناما قد أهاج بلابلى ... فجدد أحزانى وقلبى باكيا
وقد قال لى أبشر بجمع محبة ... فكن شاكراً لله أيضاً وداعيا
وقم سرعة نحو الخليفة إنه ... بهمته تأتى الامور كما هيا
فلم أدر هذا الاجتماع يكون لى ... بفرقة هذه الدار أم فى حياتيا

(قال الراوى) فلما سمع ذلك أمير المؤمنين الواثق بالله بكا وكفكفت عبرته وقال الله تعالى يصبر قلبك أيها الامير والله لو كان من دون الوصول اليهم ذهاب الارواح والاموال لكنا أول الباذلين غير أن الذى حصل لك من اشتغال خاطرك وهل اننا نقوى عزمنا ما الذى نفعل لو كان سفرا بعيدا أو أمرا شديدا لهان علينا ولكن الاجتماع فى الآخرة يكون ثم قال علىّ بالبطال فلم تكن غير ساعة حتى حضر وقبل الارض وتأخر وقال خير يا أمير المؤمنين يكون إن شاء الله تعالى (قال) فأخبره أمير المؤمنين بما ذكر الامير ظالم وقص عليه المنام الذى رآه ظالم وكيف لم يجدوا فى الغار شيئا من جثث الامراء فقال يا مولاى لا يخلو الحال من أمور اما أن يكون بعد مضى العسكر انحل الثلج ودخلت الوحوش فأجمعت جثثهم ثم أكلتهم فى الغابات أو رجعت الروم وأخذوهم أحياء أو أموات فقال الامام الواثق بالله قد ضاق صدرى حتى لو رأيت من يخبرنى عنهم لأعطيته

أمنيته فقال الأمير أبو محمد البطال يا أمير المؤمنين علمت أنهم فى أقصى البلاد لسعيت اليهم ولو كان فيه هلاك روحى ولكن هنا الحكيم طيبون وهو عارف بعلم النجوم فاعرض عليه هذا الأمر فعسى يخبرك بما يعلمه من علمه فقال الواثق علىّ به (قال الراوى) ولم يكن شيئاً مما ظنه البطال لكن لهم حديث عجيب ونحب أن نذكره على الترتيب (قال الراوى) فلما حضر طيبون بين يدى الواثق بالله سلم وخدم فقربه الامام الواثق وقال له أخبرت أنك تعلم علم النجوم وقد دخل على قلبى من جهة فقد الأمراء ما الموت دونه فعسى أن يكون عندك ما يفرج ما بى فقال يا مولاى نحن من أمرنا على عجل وهذا الأمر الذى تريده فلا يمكن أن أحصله إلا فى أيام وذلك أن الأمير عبد الوهاب لما علم منى أنى أعلم علم النجوم فذكر لى وقت سقوط رأسه بالولاية وسألنى أن أنظر فى ذلك وما يدل العلم من القطوع فقلت ان شاء الله تعالى ولم يمكننى ذلك لكثرة انشغالى معكم بالأسفار والآن ذلك يستلزم أن أحسب جميع الكواكب وأقرانها حساباً معكوسا اليوم وما قبله إلى أن أصل ميلادهم ثم أرتب عليه الاحكام إلى وقت فقدهم ثم إلى وقتنا هذا وما بعده فقال الواثق بالله لا غنى لى عن ذلك ونحن نقيم هنا أسبوع وتجتهد أنت فى تحصيل ذلك بكل ما أمكنك فعندها قال الأمير أبو محمد البطال يا مولانا نخشى أن يكون ملك الروم قد كاتب أبناء الملوك على أجنحة الطيور فبينما يمضى الأسبوع ويخرج طيبون ويأتونا من البر والبحر وعساكر الاسلام قلقوا وضعف حالهم ولكن فى الأمر شىء واحد وهو أن مولانا يرسل لملك الروم قاصد يقول له إن أردت الصلح أخبرنا بما جرى على الأمراء (قال الراوى) فعند ذلك أمر بعض الأجناد أن يمضى إلى القسطنطونيه ويسأل الملك عن ذلك فسار القاصد إلى أن وصل إلى القسطنطونيه ووقف على باب البلد وقال رسول فثاروا عليه ففتح له الباب فلما وقف بين يدى الملك أدى الأمانة فحلف الملك أن ليس له علم بذلك فرجع الرسول وأخبر أمير المؤمنين بذلك فأرسل خلف طيبون وأمره أن يفعل ما سأله فيه ثم نادى فى العسكر بالاقامة سبعة أيام وخلى الحكيم طيبون بنفسه ووكل به من يخدمه وصار يحسب ويكتب الى آخر السبعه أيام أتى إلى أمير المؤمنين الواثق بالله وقال يا مولاى قد حسبت الى أن وصلت إلى مولدهم ورتبت عليه الأحكام فدل العلم والله أعلم أن هذا آخر القطوع ولكن خرج النجم من تحت الشعاع واقترن بسعد أعظم ثم نظرت فى لوح الحياة ولوح الممات فرأيتهم فى لوح الحياة وهذا ما عندى والسلام (قال) فوجد الامام الواثق بالله بعض راحة ثم أمر بالمسير الى القسطنطونيه وأمر العسكر بالزحف فلما قربوا منها وإذا هى

مزينة بالسلاح متأهبة للحرب والكفاح بالمنجنيقات والفرادات على الاصوار والجواشن بلمعانها تأخذ بالابصار والرايات خافقه والسيوف بارقه والتراس مذهبه والدرق مكوكبه والرجال عليهم الزرد وقد تظاهروا بأحسن العدد ولما أشرف عليهم الامام الواثق بالله أمير المؤمنين بعسكره رفعوا أصواتهم من كل جانب وأسهروا القواضب وضربوا البوقات والدبادب ونزل الامام الواثق بالله أمير المؤمنين وضرب خيامه وأركز أعلامه وأمر أصحابه أن يتأهبوا للقتال ففعلوا ولمقالته امتثلوا ونظر أمير المؤمنين الى البلد فاذا هى لا تعمل فيها المناقب ولا لاحد عليها طريق ولا تسليق والماء حولها يتدفق ويسيل وهى مانعة الجبال وثيقة الاصوار منيعة بالصخور الكبار (قال) فلما قربوا من القلعه رميت عليهم أحجار ونار فقتل منهم خلق كثير وصار نشاب المسلمين ونفطهم لا يصل اليهم لعلو الابراج فرجعوا وشكوا ذلك إلى الواثق بالله أمير المؤمنين فحصل عندهم غم من سماع ذلك فبينما هو معهم فى الكلام وإذا بالبر وقد اسود بغبار قد ثار حتى سد الاقطار واعتكر غاية الاعتكار وكان زائد الحدو القياس منزعج الحواس فلم يزالوا ينتظروا اليه حتى تقطعت أطنابه وزال ضبابه وبان من تحته رايات وأعلام ورماح مشتبكة كأنها قصب الآجام وسيوف تلمع كأنها الكواكب وخيول وجنائب ومواكب وكتائب وقنا وقواضب وبيض تلمع مثل الكواكب وعسكر يدل على أن ملكه وقائده عظيم الشان كثير الاعوان (يا ساده يا كرام) وكان سبب مجيء هذا العسكر الجرار الملك ميخائيل لما كتب الكتب إلى سائر الملوك وصل كتاب إلى هذا الملك وكان يسمى مرطويس وهو جبار من الجبابره وكان سبب سبقه عن الملوك أنه كان قتل والده وكان متخلفا فى بلاده فلما سمع بقتل والده قامت عليه القيامه وعض على كفيه ندامه وقال أرجو أن يعيننى المسيح وآخذ بثار والدى وأستريح وكان تخلف عنده عسكر عظيم وكانت جريدتهم مائة ألف فأمرهم أن يتأهبوا للسفر فتهيأوا وارادوا المسير وإذا بالبراج قد أتى بكتاب الملك الأكبر يدعو إلى الجهاد ومعه خط البترك الذى تقدم ذكره فلما سمع ذلك زاد نشاطه وقوى انبساطه وجد السير ليلا ونهار حتى قدم فى ذلك الوقت وكانت نفسه تحدثه أن يملك القسطنطونيه وكان هذا الذى نحن فى حديثه اسم أبوه عبد المسيح وكان يقول لابيه وهو حى لاى شيء تعطى الطاعه لملك القسطنطونيه (قال الراوى) ورجعنا الى سياقة الحديث فلما أقبلت تلك العساكر قال الامير أبو محمد البطال يا أمير المؤمنين هذا الحساب الذى كنت أحسبه ونحن فى بلاد العدو كأنى بأولاد الملوك وقد جمعوا العساكر وأتوا يتلوا

بعضهم بعضا برًا وبحرا فقال الواثق بالله أمير المؤمنين دعني من هذا يا أبو محمد وانظر ماذا نفعل مع هؤلاء القادمين فقال الامير ظالم الرأى عندى يا أمير المؤمنين أن نلتقى هؤلاء القادمين قبل أن يستريحوا أو يأتيهم مدد وعسى الله أن يظفرنى بالمقدم عليهم فقال البطال نعم ما أشرت به أيها الامير كان الله لك معين ولكن اذا قصدت هؤلاء وصار ظهر العسكر الى القلعة فيخرجوا أهلها فتكون النار المحرقة ولكن يكون أمير المؤمنين بجانب من العسكر مقابل القسطنطونية فمن ظهر منها كان فى وجهه واذا انكسر هذا العسكر أنا أعلم أنهم يقصدون البلد فلا تقفوا بل اقصدوا بغداد وتنادى النفير العام وتجعلها غزاة ماسبقك بها أحد من الملوك وتبقى تذكر بها مدا الازمان والدهور وإلا أن طاولونا واجتمت عساكرهم ونحن فى هذا الجمع اليسير يكون والعياذ بالله الهلاك الكبير (قال الراوى) فعندها قال الواثق بالله أمير المؤمنين لله درك يا أبو محمد لقد سعد من اتبع رأيك السعيد ثم أمر العساكر بالركوب فركبت وتأخر أمير المؤمنين فى ثلث العسكر وقصد الامير ظالم بقية العسكر الذى للروم واشتبك القنا وضجوا العساكر من سائر الجهات وعلت منهم الضجات ومدوا الرماح وأشهروا الصفاح وعصفت أمواج بحر المنية وفرقت سهام الرزية وحكمت فيهم قضاء السيوف المشرفية فأطلقت الارواح من أقفاص الاشباح البشرية وطلع الغبار من تحت حوافر الخيول العربية فستر أنوار الشمس المضيه وطارت جماجم الابطال من على الاجساد على الارض المدحية ونفذت فى مقاتل الرجال سهام المنية وتغيرت ألوان الازهار الربيعية لما جاد عليها الغبار سحابة دمويه فكم من يطلب الغياث فلا يجاب ولا يغاث وكم من شجاع ولم يلتفت إلى أثاث ونزلت بهم البوائق وحقت منهم الحقائق وتضاربوا بالسيوف على العوانق فقطعت منهم العلائق وتطاعنوا بالارماح فكانت للدروع خوارق وتضاربوا بالسيوف فكانوا كالصواعق فلم ترى إلى رمح خارق أو سيف بارق أو فارس شاعق والخصم لخصمه معانق والشجاع فى دمه غارق والقتام قد مد على الفرسان سرادق فسبحان العظيم الخالق الحاكم بالفناء على سائر الخلائق (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك حتى زاد بهم الحرق وكثر القلق وعظم الحنق وتراشقوا بالنبال فى الحدق وتناثرت الرؤس مثل أوراق الشجر (ياساده) وكان الامير ظالم قد مزق الكتائب المتطابقة بطعناته السابقة وقد حسامه كل درع وطارقه ونثر جماجم الابطال المتلاصقة وكلما اتسع عليه المجال أظهر الاحوال وخطف بحسامه مهج الابطال ونظرت العساكر منه الاهوال فبينما هم كذلك والامير ظالم يهمهم ويصول وعلى الاعداء يجول وقد

جندل الابطال عرضا وطول وإذا بباب البلد قد فتح وخرج كل من فى السطنطونية من العساكر الضلالية أهل الملة النصرانية فالتقاهم أمير المؤمنين الواثق بالله بمن معه واستقبلهم كما تستقبل الأرض العطشانه أوائل المطر وجرى بينهم قتال شديد ماعليه من مزيد يذوب من هوله الصخر والجلمود ويشيب منه الطفل الوليد وأهلك منهم الأبطال الصناديد ولا زال الدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى بضياه وأقبل الليل بظلماه ولولا فرق بينهم الليل بظلماء لكانوا الكفار ولو الأدبار وركنوا الى الفرار وانتصروا المسلمين الابرار (قال الراوى) وباتوا يتحارسان الفريقان ويوقدون النيران هذا وملك الروم ركب إلى أن لاصق القسطنطونيه ودخل على الملك ميلاص فقام له وأجلسه إلى جانبه وترحب به وشكره على فعاله فقال له أيها الملك كنت أقول إن هذا العسكر الذى للمسين مايثبتوا بين أيدينا ساعة واحدة والحال إن فيهم فرسان وأبطال معدودين للحرب والقتال ولولا ذلك الفارس الأسود ماثبت منهم أحد ولكن فى غداة غدا طلبه إلى الميدان لأجل البراز فعسى أن المسيح ينصرنى عليه فقال له الملك أنا أعرف الفارس الذى وصفته فهو ظالم الذى ذل بلاد الروم ولكن قد كانت سائر بلاد الروم وكأنك بهم وقد وصلوا فلم يثبتوا هؤلاء ولاساعه واحده (ياساده ياكرام) فلما سمع ذلك من الملك جمع عسكره بعساكر الملك وباتوا يتحارسون إلى الصباح (قال) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا الجرد القداح وتقلدوا بالسلاح وبرزوا للحرب والكفاح وهموا بالحملة وإذا بفارس تقدم إلى الميدان ومقام الطعن والضراب وفى خدمته نحو من ألف ماشى وهو بزى عجيب يحير فى وصفه كل عاقل لبيب وبين يديه ترجمان فصيح وهو يصيح بالعربية وهو يقول هذا ملك الروم فلا يبرز إلا ظالم حامية لمسلمين (قال) فلم يمهله الأمير ظالم دون أن برز اليه وحمل بكليته عليه فتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر واختلفت بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة الأمير ظالم فدخلت فى فاه خرجت من قفاه فلما رأت الروم ملكها قتيل وعلى وجه الأرض جديل حملت بأجمعها وعلى القتال عولت وإذا بغبار وقد طبق الأقطار من سائر الجهات وكان ذلك (ياسادة) من بقية أولاد الملوك ولا زال ذلك الغبار يقرب حتى وصل وضربوا خيامهم وأركزوا أعلامهم وكانت جريدة عسكرهم مائتان ألف وتقلدوا بعد أن تقدموا وسلموا على الملك فلما استقروا وإذا بغبار آخر قد طلع وأسنة رماحه تلمع ثم انجلى الغبار وبان من تحته عساكر مثل الجراد المنتشر أو السيل المنحدر والخيول تتقاطر والمواكب تتبادر والرايات تخفق والبوقات تزعق

والأسنة تلمع ولمعانها يخطف البصر والاعلام تتقعقع والصلبان مرتفعة على الرماح وانتشر البحر بالمراكب واحتاطوا بالمسلمين كالخاتم بالاصبع أو السوار بالمعصم وصارت المسلمين فى وسطهم كالشامة "بيضاء فى الثور الأسود فقال أمير المؤمنين الواثق بالله كلمة لا يخجل قائلها وهى لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال مرحباً بلقاء الله فقال الأمير ظالم يامولاى إن حملوا بأجمعهم قاتلت إلى أن أقتل فانى سئمت الحياة وان بارزونا وحق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وحق رب العالمين خالق العباد أجمعين وجاعل الجبال أوتاد لابد من هلاك الجبابرة الكبار واجعلهم طعاما للوحوش فى القفار ودخول حواصل الأطيار وأقتل الصغار مع الكبار والعبيد والأحرار وأقيم الحرب على قدم وساق ولا أبقى على الفرسان ولا على الرفاق فلا يهولنكم أمرهم وأنا فى غد أطلب البراز (قال الراوى) ثم باتوا يتحارسون الى الصباح هذا ما كان من ظالم وأما ما كان من ملك الروم فانه شاور العسكر فى الحملة فقال بعض الملوك وكان مدلا بشجاعته أيها الملك أريد أن تأذن لى بالبراز فان أفنيت شجاعتهم وإلا فأنت مستدرك بالحملة فقال الملك دونك وما تريد فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وكان أول من برز الأمير ظالم وطلب البراز وسأل الانجاز فتمخض العسكر وبرز منهم بطل لايبان منه إلا أماليق الحدق أو تداوير الأمق عليه صدرة زرد ضيقة العدد لايعمل فيها الرمح المكعب ولا السيف المهند وعلى رأسه خودة عالية منورة مجلية لها لمعان كالشمعة المضيئة وتحته جواد أدهم مجتمع ململم كاون الغراب الأسحم تسمع له صوت رخيم أحجر وإذا صهل تقول انه يتكلم فهو غاية المغنم قد كمل من الوصف الغاية ووصل الى النهاية فالسعد معقود بعذاره ولجامه ظهره حصن عند الغبار ان سار وان جرى طار أعلاه جبل وأسفله جندل غرته كالقمر ورتبته كالأسد اذا زأر وصهيله جرس جبينه جبين سرحان ووطؤه وطؤ النمر الحدران وحوافره إذا مشى على الصخر يقدح منه النار والدخان واذا جرى ملك قطب الرهان ومدرك لأخذ التار كأنه القبة المبنية أو العروسة المجلية كما قال فيه حسان بن ظهير حيث يقول :

وأدهم يحكى ظلام الدجى ... محجل الأربع رابى الكفل
إذا ما تار هانت عليه القلا ... وأجمع السهل ثم الجبل
وخلف البرق على أثره ... وسياله ريح الظبا أين حل

(قال الراوى) وكان هذا الجواد من نسل الخيل الجياد فلما رأى ظالم هذا الجواد فعشقه كأنه من بعض الحرمات حتى كاد يخرج من عقله فما قولكم ياساده فى شاب كامل الشجاعة وفاق أهله وأصحابه وزاد عليه محبة هذا الجواد كيف يبقى قتاله

فقوم كل منهما السنان وأطلق العنان وأخذ فى الكر والفر والأخذ والرد وأخذ فى الطعان وقد طلب مقاتل الأقران وعملت فى قلوبهم الأحقاد مثل النار فى الزناد وثار على الاثنين الغبار حتى غابا عن الأبصار وتحدث فيهما كل إنسان بكل لسان وتعجب من حالهما جميع الفرسان مما قد جرى لهما وسط الميدان ولم يبق أحدا من الطائفتين إلا تأهب للقتال وكان الأمير ظالم يقع له على الفرس المضارب فيتوقاها من خوفه على الفرس وانقشع عنهما الغبار وإذا بظالم راكب فرس خصمه وقد أطلق فرسه فرجعت الى العسكر واذا بخصمه قتيل وعلى وجه الارض جديل وظالم على ظهر شلوه ينشد ويقول :

أين من يطلب الفخار ويدرى ... ان هذا المقام مر المذاق
فلعلى أطفى بحد حسامى ... نار خوف شديدة الاحتراق
وأرد العدا وأعتق قومى ... من أسود على خيول عتاق
أو ألاقى منيتى بسنان ... خارق ما للسعته ترياق

(قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك أراد الملك أن يأمر جميع الروم بالحملة واذا قد تقدم اليه أحد أبناء الملوك وكان يسمى زين النصرانية وقال أيها الملك أسألك أن تتأنى بالحملة حتى آخذ هذا المسلم فقال الملك لاتفعل فانى أعرف هذا ومابقى فى الاسلام مثله هذا ظالم ولد عبدالوهاب الذى أخرب بيوت النصرانية وهذا ثالث ثلاثة لارابع لهم العجوز الشمطا وولدها عبد الوهاب الذى أهلكهم المسيح وهذا فى طبقتهم وقد استقتل ولم يقف الآن أحد قدامه إلاأرداه لأنه أيقن بحمامه ولاسيما وقد ملك هذا الفرس المنسوب وهذه العدة التى ليس لها نظير (قال) فعند ذلك غضب زين ملوك النصرانيه وقال أيها الملك قد عظمت غير عظيم وأنا إن وجدته ظاهر على تأخرت وأشرت للعساكر بالحملة وان وصلت اليه فأكون أفتخر به وأنت أيها الملك قدرأيت حملاتى وكيف أعلم على أبطال عسكر النصرانيه فقال الملك إن كان ولابد لك من ذلك فخذ فرسى (ياساده ياكرام) وكانت هذه الفرس ليس لها نظيرفركبها وألبسه درع وزرد وكان أهدى له الملك هذا وظالم قد أنشد يقول :

إذا نحن ما لفنا شفار البواترى ... وسمر القنا فرق الجياد الغوامر
على حرب قوم كان فينا كفاية ... ولو أنهم مثل البحار الزواخر
وما العز فى جمع الجيوش وإنما ... فخار الفتى تفريق جمع العساكر
فان تبرزوا خلفت فى البر منكمو ... عظام ولحم للنسور الكواسر
أنا ظالم ابن الغريب وجدتى ... فذا الهمة من نسل قوم أكابر

(قال الراوى) ولما فرغ ظالم من شعره ونظامه ثار وتجبر وتشمر واحتزم وجرد عن ذراعيه وتلثم وأخذ رمحه وجعجع وزعق وبعبع وحمل على الصفوف واستعمل الرماح والسيوف ثم حمل فى إعراضهم وصاح فيهم وتقلب على ظهر الجواد وصارت ضرباته متواترة والرؤس تطير ومواكب الأقدار تسير والمواكب تتزاحم والغبار يتراكم وظالم للقوم يصادم وقد أبرى الجماجم وطير الاكف والمعاصم والدماء يفور من ينابيع النحور وطعناته تنفذ من الصدور الى الظهور وأنزل بالقوم المحذور وأعدمهم الفرح والسرور وقتل فى تلك الحمله ثلاثون فارسا بهلول من الفرسان المعدوده لملك الروم ورجع إلى حومة الميدان فبرز اليه زين ملوك النصرانية بذلك الزى الذى ذكرنا وجال معه ساعة من النهار ثم طعنه ظالم فى فاه أخرجها من نقرة قفاه وجال على شلوه وطلب البراز ولم يزل يبرز اليه فارس بعد فارس هو يقل ولا يأشر وكلما قتل بالبراز واحد يحمل على العسكر فيقتل الابطال ويجندل الاقيال حتى يخرج اليه واحد ومازال كذلك إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وعاد الامير ظالم مؤيد منصور وهو بحالة العز والسرور وعليه حلة من الدماء وهى تجرى كجريان الماء المدفوق وهو مسرور فرحان وقد أعانه ذلك اليوم بعد الله السيف والحصان فاستقبله أمير المؤمنين الواثق بالله وقام له قائم على الأقدام وقال له لله درك ياأمير ظالم لقد أشفيت الغليل وارضيت الملك الجليل فقال له الأمير ظالم هذا كله ببركة أنفاسك ياأمير المؤمنين وابن عم خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته الطيبين الطاهرين. وأرجو من الله الكريم الحليم يا أمير المؤمنين أن يبارزونا دائما على هذا المنوال فهو يكون علامه النصر من الله الحنان المنان وان حملو بأجمعهم قاتلنا إلى أن يحصل لنا الشهادة ونحن على كل حال رابحين دنيا وأخرى فى الدنيا النصر على الأعداء وفى الآخرة إن شاء الله جنة المأوى هذا ماكان من ظالم وأمير المؤمنين (وأما عساكر النصرانية) فان أبناء الملوك اجتمعوا بالملك ميلاص وجلسوا للمشورة وشكوا له مافعل ظالم بأبطالهم ولم يعرفوا له اسما بل قالوا عجبنا من هذا الفارس كيف قتل هؤلاء الفرسان الابطال الشجعان وهم قوام دين النصرانية فقال الملك هذا ظالم ابن الأمير عبد الوهاب فلو برزتوا اليه واحد بعد واحد لأفناكم عن آخركم ولا يخلى منكم قائم ولا قاعد وهؤلاء الذين بين أيديكم هم الاسلام كله والرأى عندى نطبق عليهم من سائر الجهات وقد انفصل الأمر (ياساده) وباتوا على هذه النية فلما أصبح الصباح ثار ظالم وحفت به أصحابه وأحبابه وترتبت العساكر وبرز ظالم بتلك

الفرس والعده وطلب البراز وسأل الانجاز فتوقفت الفرسان فخاض المعمعة وهاج ونزل الدم بحسامه من الأوداج وجرى من سنانه النجيع مثل المطر العجاج وارمى الفرسان أفراد وأزواج وأوقع فى قلوب الأعداء الانزعاج فهو فى حملته وإذ بالعسكر الذى للكفار قد تحرك من الأربع جهات فلما رأى الواثق بالله أمير المؤمنين ذلك قال من هنا نحشر ياعصابة الاسلام ثم قال للعسكر الاسلام انقسموا أربع فرق وجعل فى مقدم كل فرقة أبطالها وحماتها وقال لظالم اقرن عنانى بعنانك وسنانى بسنانك واقصد بنا هذه الفرقه التى بجانب الجبل فعسى أن نجعله خلف ظهورنا يحمينا ويصير قتالنا من ناحية واحده ولكن تذهب خيامنا ولا يصير لنا وصولا الى الماء والأمر لله تعالى (قال الراوى) فلم يتم الكلام حتى انطبقت عليهم الكفار انطباق الجفن على الجفن من العين وزعق عليهم غراب البين وقتل من الفريقين خلق كثير فلله در الواثق بالله فلقد كان فى حملته صادق وكان ساعيا فى رضا الخالق وكان رمحه للاعضاء خارق وسيفه عاملا فى المفارق وكان لدماء القوم دافق وكل من فى عسكره له موافق وأما الأمير ظالم فكان سيفه يرمى العلاصم والأكف والمعاصم ولم يكن للكفار راحم وكلاهما للكفار قاصد وصار لهم عند الروم علائم وهم يقولوا من وقف قدام هؤلاء القوم كان عادم وعفرت الخيل بالجماجم وكانوا كما قيل فى الجاهلية الأولى :

رؤس تطير ودم يفور ... وخال تكر ونقع يمور
وهذا قتيل وهذا أسير ... وهذا جديل وهذا يخور
وهذا يكر على خصمه ... وهذا جبان ملول ضجور
وهذا يئن لوقع الصفاح ... وذاك قد راح عنها نفور
وهذا يوصى على أهله ... وقد عاين الموت حقا يزور

(قال الراوى) وكان كل فارس فى محنة وأنفاسها فى تراق وحامت عليهم الطيور (قال الراوى) وصاروا يطعنون فى صدور القوم طعنات نافذات ويضربون وجوه الخيل فترد بركابها ففتحوا لهم زقاق فساقوا الخيل هم وجميع العساكر وتركوا أثقالهم وخيامهم وما ؤهم وزادهم وقتل فى تلك الحمله من الكفار والمسلمين ما لا يعد ولا يحصى وأسندوا المسلمين ظهورهم للجبل وقاتلوا باقى النهار إلى الليل فرجعت الكفار إلى خيامهم وأوقدوا نيراتهم واستراحوا وملكوا أموال المسلمين وزادهم وفرحوا بالظفر وأما المسلمين فلم

يجدوا ما يأكلوا ولا ما يشربوا ولا ما يأويهم ولا مايرقدوا عليه ولا مايوقدوه عليه وليس فيهم أحد إلا ملآن جراح فبينما هم كذلك وإذا هم بأشخاص منحدره من الجبل فارتاعوا لذلك وثاروا وإذاهم ثلاث نفر لا غير وإذا بقائل يقول لاتخافوا ولاتحزنوا أنا أبو محمد البطال وهؤلاء غلمانى فتأملوهم وإذا بأحدهم حامل قربة ماء والآخر عكة سمن والآخر عدل بقسماط فقال الامام الواثق بالله كيف وصلت إلى هؤلاء فقول يا أمير إنى حسبت حساب حملة العدو عليكم وان أحسن مالكم أنكم تتركون الخيام وتنجو بأنفسكم نحو الجبل فتصيروا محتاجين إلى الماء والزاد فتسلقت أنا ولؤلؤ وصافى وحملنا والمال والماء والزاد معنا الذى ترونه (قال) ففرحوا بذلك وشربوا وبالزاد والسمن فأكلوا وعاشت أرواحهم وأما الخيل فلم يأكلوا واستمروا يحرسوا أنفسهم إلى الصباح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قالت الروم معلوم إن مايبقى اليوم من المسلمين بقية لأن لولا وصولهم للجبل كانت ساعتهم انقضت ولكن مابقى لهم معنا مناص وقد حلنا بينهم وبين الماء والزاد وعلف الدواب فقال الملك وقد تبسم ماتعلموا منهم ما أعلم سيما وفيهم أبو محمد البطال وحق المسيح انى أخاف على نفسى منه فانه يأتى للانسان فى صورة ولده ووالده وأقرب من عنده وان لم تفعلوا ما آمركم به والا يطول عليكم وأخذهم ويفنوا رجالكم وأبطالكم فقالوا أيها الملك وبماذا تأمرنا به قال الجبل يمنعهم من الفرار وأنتم طابقين عليهم من سائر الجهات فامروا ألف منكم يسيروا الى آخر الجبل واصعدوا واجمعوا الصخور والأحجار وألقوا عليهم ذلك عندما يطلع الصباح ويتصل الحرب والطعان بيننا وبينهم فيهلكون عن آخرهم وقد كفينا شرهم فامتثلوا ماأمرهم به الملك بالسمع والطاعة وساروا فى ألف فارس من تلك الساعة الى أن وصلوا الى وراء الجبل وصعدوا الى أعلاه واستعدوا لجمع الأحجار والصخور الكبار وتموا على ذلك الحال حتى أصبح الصباح فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أهل الايمان فانهم باتوا يتضرعون الى الحنان المنان الى أن أصبح الله بالصباح فركبوا الى الحرب والكفاح وأيضا الروم ماجوا كما يموج البحر الزاخر فى خلق وأمم مالهم أول من آخر ونظر الامير ظالم اليهم فعلم قصدهم وأنهم يريدوا الحملة فعندها صاح فى رجاله ونبه أبطاله وقال ياأمة محمد سيد الاكوان ابشروا بالجنان وبالحور والولدان تحت لواء سيد ولد عدنان والزقوا ظهوركم الى هذا الجبل واستقبلوا القوم اللئام وجاهدوا فى الله حق جهاده وموتوا كرام فعندها استحسن الواثق كلام الأمير ظالم وألزق جواده الى جواد الأمير ظالم ومالوا إلى ناحية الجبل وجعلوه خلف ظهورهم واستقبلوا الحرب والقتال بصدورهم وتبعتهم الرجال والأبطال وفعلوا كما قال الأمير ظالم وخلوا لهم الخيام فعندها طمعت فيهم

الروم وحملت عليهم حملة رجل واحد وانقام الحرب على قدم وساق وازدحمت الروم على بعضها البعض بالسلاح وتبعتهم الغلمان بالأحجار فحصل للمسلمين ضيق شديد فبينما هم على تلك الحالات إلا وغبار ثار على الروم نازل من أعلى الجبل حتى أعتم منه النهار وتساقطت على الروم مشائب من نار وأحجار وأقبل على الروم غضب الملك الجبار فنظرت الخلق والأمم الى هذه الأحكام وإذا برايات وأعلام وشيء على صفات القرود وشيء على صفات الدياب وزاد الدخان حتى مابقي الشخص من الروم يرى رفيقه الذى بجانبه وسمعوا صرخات من الجو هائلات فتبددوا الروم فى الفلوات فصارت الركاب من الروم تتساقط مثل ورق الشجر فى يوم ريح عاصف فقتل منهم فى ساعة واحدة نحو مائة ألف والباقى أصحاب الخيول السوابق ساقوا والأخ لايعقل على أخيه ولا الولد على أبيه حتى تفرقت ركاب الخيل فى البحر فتفرقوا وأما أهل القسطنطونيه فلم يبق من عسكرهم بقية إلا فوارس قليل مع الملك ميلاص وكان سبق الى باب القسطنطونيه ففتح له الباب هو ومن معه من الأصحاب وقفل بعد ذلك الباب وخلت الديار من الكفار ورجعت المسلمين الأبرار الى خيامهم وأموالهم وهم فرحين مستبشرين بالنصر والفتح المبين وغنموا أموال الكفار بعد أن كانوا غنيمة وصاروا متعجبين من هذه الأمور المطربة الغريبة وهم يقولوا وعند التناهى يكون الفرج وقرأ القارئ «وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا» وأمير المؤمنين الواثق بالله يقول : ما نصرنا إلا بالملائكة المقربين أو بالجن المؤمنين (قال الراوى) وكان السبب فى هذا ياساده يا كرام حديث عجيب وأمر مطرب غريب يجب أن يسطر بماء الفضة والذهب ويساق على الترتيب بعد ألف صلاة وألف سلام ترضى الحبيب وهو أن الأميره ذات الهمه وولدها الأميره عبد الوهاب والدينارى وجعبر واللملان والأمير برد ابن الأزهر والأمير صالح بن الأمير هارون العلوى والأمير هياج الكردى والأمير طارق الحجازى والأمير قراقد ونورى زوجة الأمير أبو محمد البطال وولدها مذبحون وأخته عذيبه وابنة الأمير هياج الكردى وتمام الأربعين أمير لما دخلوا المغار وحاصرتهم الكفار فكانوا يذبحون الخيل ويتغذوا بلحمها ويمصوا مافيها من الأبوال ونزل الثلج على باب المغار كما ذكرنا وسد باب المغار فصاروا يكسروا من الثلج ويمصوا حتى نفذ ما عندهم من لحم الخيل ولم يبق عندهم ما يأكلون ومايشربون حتى أشرفوا على الهلاك وإذا بموضع الدم قد انهال قدر قامة وبان لهم سرداب ضيق صغير لايدخله الشخص إلا على بطنه فقالوا لبعضهم هلموا بنا ندخل الى هذا السرداب لعل

الله يأتيا بالفرج أو تموتوا كرام (قال) فدخلوا الأمراء كلهم بأجمعهم وكلما اذا والسرداب يتسع حتى أفضى بهم ذلك السرداب وهو على صفة قاعة نقر فى الجبل عالى السقف وإذا من داخله سراج موقود لاتصل اليه الأيادى فنظر بعضهم واذا فى القاعة لوانين وفى صدر اللوانين سرير من أعجب العجب وعليه شخص ميت مصبر فتقدم اليه الامير عبد الوهاب ترس قبر النبي الأواب عليه الصلاة والسلام وتأمل واذا بجانب السرير دن مغطى فكشف غطاه واذا فيه شئ يابس فأراد الأمير عبد الوهاب أن يذوق بفمه ذلك فمسكت الأميره يده وقالت له ياولدى لاتفعل فانه ربما يكون سماً قاتلا فقال دعيه ياأميره يكون سما قاتلا فانى قد اشتهيت الوفاة ثم ان الأمير أكل منه شئ قليل وإذا هو حلو دسم فأخبر الأمراء بذلك فوقعوا عليه فعاشت أرواحهم من ذلك الطعام المفتخر الذى سببه الله اليهم بعد الهلاك من الجوع والظمأ (قال الراوى) ولم يجدوا فى ذلك المكان غير السرير والميت الذى عليه والدن الذى فيه الطعام الذى أكلوه ولم يكن فيه مال لا فضة ولا ذهب فعندها قال الأمير عبد الوهاب كل مافى هذا المكان عجب عجيب فان مايفعل عند موته مثل هذا المكان إلا إذا كان ملكا من ملوك الزمان الكبار ويدخر فيه ماله ونواله وماملكت يداه وهذا الميت ليس عليه شيء من ذلك ولم يكن عليه آثار الملوك ولا السلاطين ولاهنا عنده ما يساوى حبة والذى أعجب من هذا كله هذا الطعام الذى أكلناه كأنه لم يعمل إلافى هذا الوقت والحين لأجل حياة أرواحنا ولم يتغير لطول المكث وهذا السراج الذى يقد من غير يد فهذا شيء عجيب فقالت الاميره ذات الهمه يابنى يحتمل أن يكون نقل ماعنده من المال وأما الطعام فيكون مصنوعا بالحكمة فهو لايتغير أو يأتى به بعض الاعوان وأما السراج فيكون موكلا به عوناً من الاعوان يزيد له من الزيت كلما ينقص (قال الراوى) وكان هذا الطعام مصنوعا بالحكمة كما قالت الاميره ذات الهمه وإذا أكل منه الانسان مكث شهرا لايجوع ولا يعطش ولا يبول ولا يتغوط (قال الراوى) ولما حققت الامراء هذا الامر أرادوا الرجوع بعد أكل الطعام واذا بالمحل وقد نزل فيه قطعة من الجبل فسدته عليهم فقالوا كلهم كلمة لايخجل قائلها وهى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون. هذا تمام الامر ياساده وقد أيسوا من الحياة لما نظروا الى ذلك ثم جلسوا يذكرون الله تعالى ويسبحونه ويهللونه ويقدسونه ويصلون على سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويصلوا الفرائض بلامعرفة وقت على حسب الحال لايعرفون النهار من الليل ولا الليل من النهار وهم

لا يجوعون ولا يعطشون لمدة شهر كامل وهم يقولون لبعضهم البعض ما كنا نقول اننا نموت هذه الموتة (ياساده) وبعد هذه المدة أحسوا بالجوع والعطش فجاعوا وعطشت أكبادهم وهتفت أرواحهم فصبروا قدر ثلاثة أيام فجاعوا أشد الجوع فقالوا هذه أشد الموتات ليتنا خرجنا وقاتلنا وقتلنا ولا هذا العذاب وصار بعضهم يقول: أيها العون الموكل بهذا السراج ائتنا ياهذا بما تتقوت به فلم يأتهم شيئا والاميره ذات الهمه فصبرهم وتتمثل بقول القائل ٭ فعندالتناهى يكون الفرج ٭ فقال مذبحون أظن أن ما بقى لنا فرج من هذا الموضع حتى تقوم القيامه فقالت الأميره ذات الهمه كل منكم يدعو الله تعالى وينذر نذرا ان كان له من هذا الصديق فرجا فعند ذلك نذروا النذور فقال بعضهم أصوم الدهر وبعضهم قال أحج فى كل عام وبعضهم قال كل مايدخل يدى شىء أتصدق به بعد أن أتقوت منه وبعضهم قال أجاهد فى الكفار (قال) فنظرت ذات الهمه الى سقف المكان فى ضوء السراج فوجدت طاقة لطيفة تسع اليد لاغير ينزل منها هواء لطيف فقالت لولا هذا الهواء لضاقت أنفسنا ومتنا ولو وصلنا الى هذا المحل لعل يكون فوقه وسع وكنا نكسره ببراشق سيوفنا ونوسعه ونتسلق منه فقالوا لو افتكرنا هذا قبل أن تهفت أرواحنا من الجوع والعطش كنا ركزنا لبعضنا البعض الى أن نصل اليه والآن فما فينا من يقدر يقف على حيله خلاف أن يحمل غيره فقالت الأميره ذات الهمه قدبدا لى شيئا أفعله وهو انكم تنقلون هذا الميت من على هذا السرير ونفك قوائم السرير ونربط بعضه فى بعض ونحفر لها فى الأرض حتى تمكث ونصعد عليها فقالوا الأمراء هذا رأى جيد ثم انهم حملوا الميت (ياساده يا كرام) ووضعوه على الأرض فوجدوا السرير مفكك من بعضه بأغربة من حديد تدخل فى زرد ففكوها.وشالوا القوائم فوجدوا تحت أحد رجلين السرير حقاً ففتحوه وإذا فيه لوحا من ذهب منقوش عليه أسماء وطلاسم لم أحدا يعرفها (قال) فوكز أحدهم لمذبحون وطلع على أكتافه حتى وصل الى وضوء السراج وقرأ ما فيه واذا هو مكتوب فيه يقول ياعابر هذا المكان اعلم أنى أحكمت علم النجوم وأنا من تلاميذ بقراط وأنا مؤمن موحد بالله ومصدق برسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنا معاشر الحكماء ماندخر شيئا من المال لامن الذهب ولا من الفضة ولا من معادن غير الحكمة وإنى ادخرت حكمتى لك نفعاً لأن العلم دل على أن يدخل مكانى هذا جماعة مؤمنين مجاهدين فى سبيل الله رب العالمين وأن ذلك قطعا عليهم عظيما وهو آخر الشدائد فاتخذت لكم هذا الطعام بالحكمة فمن أكل منه قعد شهرا

لايشتهى الطعام ولاالشراب ولايبول ولا يتغوط وقد استخدمت الجن ووكلتهم بهذا السراج وأمرتهم بطاعتكم فامعك اللوح يحضر لك خادمه وأمره بما تريد (قال الراوى) فعندها تناوله الأمير عبد الوهاب ومعكه وإذا هو بقائل يقول لبيك لبيك هاأنا بين يديك اطلب ماتريده فقال الأمير عبد الوهاب أريد أن تخبرنى بخبر عسكر المسلمين وما جرى عليهم من الأمور والاحكام فقال له الخادم فهم الآن فى غاية الحصار والضيق وإن لم تغيثهم وإلا هلكوا فى هذه الساعه (ياساده) وقص عليه العون قصة العساكر وماجرى لهم من الابتداء إلى الانتهاء مع الروم الملاعين وأن عساكر الروم أمرهم الملك أن يلطموا المسلمين بالدرق والأحجار فعند ذلك قال الأمير عبد الوهاب وأنت أيها الملعون خادم هذا اللوح وحدك قال له نعم ولكن لى قبيلة أحكم عليها وتطيعنى إذا أمرتهم بشىء فعلوه فقال أنا طالب منك أن تأمر قبيلتك أن يحملونا ويضعونا داخل القسطنطونيه ثم يمضون إلى عسكر الروم ويلقون عليهم النار والدخان والحجاره (قال الراوى) هذا ماجرى ههنا (باساده) من الأمراء والعون ففعل ما أمر به الامير وأصحابه فى الوقت والحين (ويرجع الحديث) الى الملك ميخائيل فانه لما سدت الثلوج باب المغار جلس على سرير ملكه ثم تنهد وتحسر على عقبه وقال مابقى الزمان يسمح بمثله فلوكان معنا لكان أخرج الأمراء بحيلة (ياساده) فتقدم رجل من عسكره الذين كانوا مقيمين بالبلد وقال أيها الملك أنا كنت صديق عقبه وكان يحكى لى مايفعل واستفدت منه شيئا كثيرا وأحفظ عنه فى مثل هذا أنه كان يأخذهم بالنار ولوكنت حاضرا مع الملك لأخرجتهم كما كان يخرجهم فقال الملك إن هذا المغارطويل وإذا أوقدنا النار بعدوا عنا ولا يحصل لهم ضرر فقال أيها الملك تأخذ قرامى الزيتون وتطلق فيها النار وتلقيها بالعمد الحديد وتسير خلفها فان كانوا أحياء يسلموا أنفسهم وإن كانوا أموات احترقت عظامهم فقال الملك عند سماع هذا الكلام (ياساده يا كرام) قوموا بنا الآن فان فى قلبى النار ثم رحل ورحل العسكر وساروا إلى أن أتوا الى المغار وقطعوا قرامى الزيتون وشالوا الثلوج ووضعوها وأطلقوا فيها النيران حتى تأججت وأشهروا السيوف وقلبوا النار بالعمد الحديد ولا زالوا يفعلوا ذلك حتى وصلوا صدر المغار فلم يجدوا أحدا فرجعوا وأخبروا الملك بذلك فقال معلوم انهم ماخرجوا وربما انهم ماتوا وأكلت النار لحومهم ثم أطفوا النار واذا فيها عظام الجيل محروقة وكانت الأمراء فى ذلك الوقت داخل الكنز (ياساده يا كرام) ونرجع الى حديث الامير عبد الوهاب

ترس قبر النبي الأواب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الوفاء والصفاء واليقين لما قال للعون خادم اللوح الذهب أنت وأعوانك وشتت شمل الكفار وألق عليهم الحجارة والنار وأمر بعده أرهاطك أن يطلعونا من داخل باب البلد وهى مدينة القسطنطونيه (قال) ففى الحال أمر الأرهاط أن تحملهم لحملوهم ووضعوهم فى داخل باب القسطنطونيه وأمر أعوانه أن يشتتوا شمل الكفار ويلقوا عليهم الحجارة والنار ففعلوا ما أمرهم وحصل لهم ماذكرنا من الكسر والشتات ونصروا المسلمين على القوم الكافرين أهل الكفر والضلال ولما فتح للملك هو ومن معه الباب كانت الأمراء خلف الباب وهم الذين فتحوا الباب بعد ماقتلوا جميع الروم الموكلين بالباب فدخل الملك ومن معه فعند دخولهم وهم آمنين ولم يعلموا مادبره لهم رب العالمين فلم يحسوا بأنفسهم إلا وهم مشدودين وبالحبال مكتفين وساقوهم الأمراء إلى قصر الملك . هذا جرى ههنا لهؤلاء من الشد والوثاق فتيقنوا بالعذاب الأليم والوثاق واتلاف أرواحهم بما حصل لهم ولم يعلموا من أين جاءهم هذا الأمر المخيف ولا من أين نزلوا عليهم وبقوا متفكرين متحيرين فى أمورهم ولم يدروا مايفعلون ولا مايدبرون وتحقق لهم أن هذا آخر أيامهم وارتحالهم من الدنيا من غير شك ولا توهم وخرسوا جميعاً عن الجواب ولم يكن لهم سؤال (قال الراوى) وأما أمير المؤمنين الواثق بالله فانه سارطالب القسطنطونيه فلما وصل اليها هووالعسكر وجد الباب مغلق ولم يروا على الأبراج شيئا فقال لاشك أن ما بقى فى المدينة رجل إلا أن يكون شيخ كبير أو طفل صغير فبينما هم كذلك وإذا بالباب قد فتح فأرادوا أن يدخلوا فعندها تقدم الأمير أبو محمد البطال وقال مهلا ياقوم واحذروا أن تكون مكيدة وانظروا بين أيديكم (قال) فتقدم الامير ظالم وقال أنا لها ثم تقدم أمام القوم وكان الامير عبد الوهاب رأى العسكر من أعلى القصر فنزل هو وذات الهمه وترك فى القصر باقى الامراء وفتح الباب فلما دخل الامير ظالم أمام الناس وكانت الاميره ذات الهمه دائما متنقبه فلما رأت ظالم والسيف فى يده مشهور قالت هكذا ياظالم الأولاد يقاتلوا آباؤهم وكشفت اللثام (قال) فلما رآها الامير ظالم صرخ ووقع مغشيا عليه فتلقته ذات الهمه قبل أن يقع على الارض . وأما العسكر لما سمعوا صرخة الامير ظالم وقفوا عن الدخول حتى يعلموا سبب صرخة الامير ظالم فلما رأى أمير المؤمنين الواثق بالله وقوف العسكر سأل عن ذلك الخبر فأخبروه بالخبر فتم لم يعرف الخبر (ياساده) وكان ظالم أفاق من غشيته وقام عانق جدته وعانق والده وهو يقول :

ما أظن الزمان يأتى بهـذا　　غير أنى رأيته فى المنـام

وركبوا ياسادة جميعا وظهروا من الباب فوقعت عين أمير المؤمنين الواثق بالله على عبد الوهاب وذات الهمة فصرخ وقال ياعبد الوهاب وحق الـكعبة الغراء وبيت الله الحرام وأراد أن يترجل فسبقه الأمير عبد الوهاب وترجل وقبل فخذه فقبل أمير المؤمنين الواثق بالله رأس الأمير عبد الواهاب وتقدمت بعده الأميرة ذات الهمة وفعلت كفعله فقبل الواثق بالله رأسها وقال سبحان محيي العظام وهى رميم ثم أمرهم بالركوب فركبا فى جانبه وصار يسألهم كيف كان سبب خلاصهم فأخذا يخبراه بما حصل وهو يتعجب ويخبر اللوح وخادمه وهو يقول سبحان من جعل المصائب مفاتيح الأرزاق وكانت نصرتنا على أيديكم وهذه ماهى أول بركتـكم ثم قال الواثق بالله أمير المؤمنين للأمير عبد الوهاب أنا أعلم أن مايطيب على قلبك مفارقة هـذا اللوح ولا أحب أن يتشوش خاطرك فاحتفظ به فقال الأمير أبو محمد البطال للأمير عبد الوهاب اعلم أيها الأمير أنى كنت أخاف أن تجتمع النصارى ويطلبوا ملك القسطنطونية وتتعب المسلمين معهم والآن طاب قلبي فان كل من عصى عليك تأمر العون أن يحضر ذلك من فراشه ونوعده بالقتل فانه لما يرى ذلك يرجع عنك وتتمهد لك البلاد غير أنى أشير عليك برأى وهو فيه الصلاح والسداد وهو أن تبنى لك بيتا عاليا ارتبك فى بنيانه ويكون له سلما تصعد لمنامك تسحبه بسرياقات حرير فى بكر ويكون البناء ليس لأحد عليه تسليط بوجه من الوجوه ولاطرف لأنى أخاف عليك أن يسمع بعض الملوك ويرغب فى اللوح فيرسـل اليك بعض الجواسيس ليسرقه منك فقال الإمام الواثق نعم ما أشار به الأمير أبو محمد البطال فمن وقتك هذا اجمع البنايين والمهندسين واشرع فى عمل ذلك (قال الراوى) ففى الوقت ياساده أرسل خلف البنايين والمهندسين وأمر الأمير أبو محمد أن يرتبهم فيما يفعلوا ثم سأل الواثق بالله أمير المؤمنين هل بقى فى البلد أحد من العسكر قال يا أمير المؤمنين ان الملك لما رجع مكسور وفتحنا له ومن معه الباب فدخل هو ومن معه فرجلناهم وكتفناهم وهم حاضرين ففرح الواثق بالله أمير المؤمنين بذلك ثم طلعوا القصر وتلاقت الأحباب بالأحباب واجتمع البطال بزوجته نورى وولده مذبحرن وابنته عذيبه ثم أحضروا الملك وقال له الواثق بالله أمير المؤمنين رأيت مافعل الله بك يا كافر فلم يتكلم وأخرس الله لسانه ولم يقدر ينطق بكلمة واحدة فقال أمير المؤمنين الواثق بالله مافى بقـاء هؤلاء من فائدة فعندها أمر السياف فضرب عنق الملك ثم

التفت إلا الأمراء وقال ما الذى تروه فى هؤلاء الملوك فتقدم البطال وقال معلوم يا أمير المؤمنين أنك إن قتلت هؤلاء ولوا فى مراتبهم غيرهم ولكن يشتروا أنفسهم وبعد ذلك يزنوا الجزية فى كل عام بما يرضى أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين الواثق بالله افعل ما بدا لك يا أمير أبو محمد فان قولك عندنا مقبول فقطع على كل واحد منهم خمسين ألف دينار وحلفهم أن لا يخونوا وأرسلوا من يأتى الهم بالمال وهم جلوس ثم التفت إلى عوام البلد وأعرض عليهم الإسلام فمن أسلم ترك له ماله ومن أبى رتب عليه الجزيه وعفا عن الأطفال الذين هم دون البلوغ والرهبان والرجل الكبير العاجز وجلس أمير المؤمنين الواثق بالله على سرير الملك (قال الراوى) وكان لأمير المؤمنين الواثق بالله موكب عظيم وقرأت فيه القراء كلام الله القديم وقالوا (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ما تقدم ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) ثم التفت أمير المؤمنين الواثق بالله إلى الأمير عبد الوهاب وقال كان هجس فى خاطرى أن أفتح القسطنطونية وأجعلها دار إسلام إلى يوم القيامه وأعمر الجامع الذى أنشأه مسلمه وأجعل نائبى فيها الأمير ظالم وذلك عند يأسنا منك والآن فقد جاء الفتح من قبلك وعلى يديك وأنت أحق بها فقال الأمير عبد الوهاب يا مولاى يا أمير المؤمنين أنجح الله مقاصدك اعلم أنى قد كبر سنى وولدى ظالم أحق بها منى فقال الأمير ظالم معاذ الله أن أكون أمير إلا من تحت أمر أبى فقال أمير المؤمنين الواثق بالله أنا اخترتكما ولا تخرجوا عن اختيارى فأجابوا بالسمع والطاعة فقال أمير المؤمنين الواثق بالله الحمد لله الذى حفنا بنعمته وشملنا بكرمه ومهد لنا البلاد وقاد إلى طاعتنا العباد إلا وأننا سالكون فى إمامة منازل العدل ومراتب الفضل وعمارة البلاد والرأفة بالعباد ورد ما تخرب من سائر الأقطار ولو كان له شهور وأعوام فليكن طائركم بالعدل والأمان فانا نبسط العدل على القوى والضعيف والدنى والشريف ونجعل العدل سنه محمودة وشريعة مفروضة وسترون من عدلنا ما تحمدونا عليه وبعد فقد خيرت الأمير الأجل عبد الوهاب أن يكون نائبى بهذا البلد فامتنع وأشار إلى الأمير ظالم وامتنع وقد رضيوا بما اختاره لهم وقد اخترت أن يكون الأمير ظالم نائبى بهذا البلد وأن يكون والده وزيرا ومشيرا وأن يجعلوا باقى الأمراء فى وظائف يختارونها وقد جعلت أمره كأمرى فمن أطاعه أطاعنى ومن خالفه خالفنى فلا يخرج أحد عن طاعته فهل أنتم راضون فقالوا جميعا رضينا

فأجلس ظالم معه فى الموكب على الكرسى ثم قال للامير عبد الوهاب اعلم أنى أعرضت عليك المملكه فتنزهت عنها وذلك من كمال عقلك وحسن نظرك وقد جعلتك وزيرا لولدك ظالم لأنك أدرى منه بالأحكام بل أنت صاحب الرأى الثاقب والتدبير الصائب واعلم أن الأحكام تصل إلى الوزير قبل الملك الكبير لأن الوزير هو مدبر المملكه والملك صوره على الكرسى والوزير هو لسان الملك وترجمان العسكر والمشار اليه فى جميع الأمور فأريد منك أيها الأمير أن تكون مسددا فى أمورك وتكون على ولدك شفوقا وله مطيعا ورفيقا والله تعالى خليفتى عليكما وهو لكما ناصرا وأمين ومساعدا ومعين فلا تتخلى عن ولدك فى سائر الأمور واستجلب العساكر اليه وكن له ولا تكن عليه ووصيتى جبر قلوب العالم وخلاص المظلوم من الظالم والعدل بين الأخصام فقد قال الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) (قال الراوى) وقام الأمير ظالم والأمير عبد الوهاب قائمين على الأقدام وقبلوا الارض بين يدى الامام ودعوا بدوام العز والسلطان وقال الأمير عبد الوهاب ياأمير المؤمنين اننا لما كنا فى المغار واستد علينا الباب فكل منا نذر شيأ وكان نذرى أنا والأميرة ذات الهمة الحج فى كل عام إلى بيت الله الحرام وقد علم الله صدق نيتى وأعطانى هذا الاستخدام فأكون فى شهر الحجه فى بيت الله الحرام أنا ووالدتى فقال أمير المؤمنين الواثق بالله ذلك لك وأشركنا فى دعاك وبعد ذلك جلس أمير المؤمنين الواثق بالله أياما حتى وصل المال فأخرج الخمس لبيت مال المسلمين وفرق باقى المال على العسكر على قدر طبقاتهم ثم طلب بعد ذلك المضى إلى بغداد وخرجت الأمراء والأمير ظالم إلى وداعه وسار معه هو والأمراء ثلاثة أيام لخلف عليهم الواثق بالله أمير المؤمنين أن يرجعوا وكان فى جملة من أسر من النساء ابنة الملك وكانت لما ضرب عنق أبيها وبلغها ذلك لبست السواد ثم انها جاءت فى قسم الامير ظالم وكانت مفردة فى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وكانت من أحسن الناس شكلا وأكثرهم أدبا وعقلا عذبة الكلام حسنة الابتسام تخجل بدر التمام كما قال فيها بعض واصفيها :

بيضاء مثقولة الخدين ناعمة كأنها لؤلؤ فى الحسن مكنون
شكل جرى قلم البارى فأبدعه حسن يحار لمعناه الدواوين
فقدها ألف أضحى ومبسمها ميم وحاجبها فى شكله نون
وصدغها عطفة واو فليس له مثل وصرتها فى شعرها سين

وآنست لحظها نبلا لحاجبها قوس على أنه بالموت مقرون
ووجهها جنة أبدت لناظرها آس وورد وريحان ونسرين
فالغصن يعرف فى البستان مغرسه وهذه غصن فيها للبساتين

(قال الراوى) وكانت فاقت على أقرانها باللطف والظرف وتاهت عليهم باللين والهيف (قال الراوى) وكانت السبايا تقاسموهم الأمراء فوقع فى قسم هارون العلوى جارية جميلة فأعجبه حسنها وجمالها فقال لها يوما ما أظن وقع فى قسم أحد مثلكى فقالت له لو رأيت ابنة الملك فما أقول أن فى الدنيا مثلها فلما طلع للخدمة وجد الملك فى موكب عظيم وهو يرتب الناس فى الوظائف بحضرة الوزير عبد الوهاب وكان يحب الأمير صالح فجعله أمير مجلس فلما انقضى الموكب أمر الأمير صالح بالجلوس معه فجلسا يتذاكرا ما حصل لهما فقال ظالم ذقت الشدائد فما وجدت شدة أصعب من هذه ولا رأيت فرجا مثل هذا فقال الأمير صالح بن الامير هارون العلوى مثل شدتنا لم يكن وتفاوضا فى الحديث فتذكر صالح ما قالته الجارية من وصف حسن ابنة الملك وأن سبب ذلك أننى ذكرت ما أنعم الله علىّ ولم يقع لأحد فى قسمه مثل ما وقع من حسن الجوار فقالت عند ما سمعت كلامى أحسنهن من لم أجىء أنا نقطة فى حسنها ابنة الملك وقد وقعت فى قسم الملك ظالم فقال ظالم إنى لم أرى شيئا من ذلك غير أن جارية منهن سوداء وسائر الجوار يشيروا إليها بالتعظيم وهى مسودة بهباب مقطعة الأثواب زائدة البكاء والانتحاب فلما أنظر اليها على هذه الحاله أقفل بينى وبينها باب وأعد أن سماعها عذاب فقال الامير صالح أيها الملك ان أردت أن تسليها عن ما هى فيه ابعدها عن مجلسك أيام وانظر من كان لها من قهرماناتها ومن تكون كلمتها عندها مقبوله فاغمرها بالعطاء واسألها أن تهديها لك فانك بهذا تصل إليها ثم سلم وانصرف وامتثل ما أشار به الأمير صالح وقام من مجلس الحكم ودخل البيت وسأل عن ابنة الملك ومن رآها فأخبروه أن العجوز فلانة لا تخالفها فى قول ولا فى أمر من الأمور وهى التى ربتها فأرسل خلف العجوز وأفرغ عليها النعم وأوعدها بكل جميل وشكى لها مايجده من ابنة الملك وانها بهذا البكاء نغصت عليه عيشه وسألها أن تتلطف بها وتهديها له وكانت هذه العجوز ممعوطة الحواجب من أعجب العجائب لها أنف طويل ووجه عليل بخدود معجره وأسنان مكسره كثيرة الحكة والجرب متمكنة فى تقريب الأجانب كما قال فيها بعض واصفيها :

قوادة تفخر بالعار أقود من دليل على سار

جاهلة حيث ترى مسجدا عارفــة حانة بخمار
تـكاد من لطف أحاديها تجمع بين الثلج والنـار
والذئب والشاة توخيهما وتعطف القط على الفار

(قال الراوى) فلما سمعت كلام الملك قالت له سمعا وطاعه أنا أهديها لك فى ساعه ثم قامت من عنـد الملك وسارت إلى أن دخلت على ابنة الملك فنهضت إليها وبجلتها فأخذت يدها وقبلتها وعلى أعلى المراتب والفرش أجلستها وتحدثت معها وآنستها فدعت لها بعد أنعوذتها فأخذت من فاكهة عندها ولقمتها فقالت لها العجوز ما هذا البكاء ارحمى نفسكى لا تذهب عينيكى فقالت يا خالتى لا تسألى عن حالتى فقد والدى واخوتى فـكيف لا تزداد حسرتى فلا زالت تلين لها فى الـكلام وأمرتها بدخول الحمام إلى أن لان جانبها فأخلت لها حمام القصر ودخلت بها وأرسلت أعلمت الملك بما كان وماصار وانها فى حمام القصر فلما بلغ الملك ظالم ذلك قام فى الحال قائم على الأقدام ولم يصحب معه خادم ولا غلام وطلع على سطح الحمام وكشف جامة من الجام ونظر اليها وهى عارية من اللباس فرأى شيئا يورث الوسواس تقتل العشاق وتفتن المشتاق وتخجل الغصون فى الأوراق والشمس فى الإشراق كما قال فيها بعض الحذاق حيث يقول :

غزالة أخجلت شبيهتها فلم تقايس بها وحاشاها
لو أعبد الناسكين قيل له تمن ما شئت ما تعداها

(قال الراوى) وكان لها وجه جميل وخدأسيل وطرف كحيل وردف ثقيل وخصر نحيل كما قال فيها الشاعر خليل حيث يقول :

لها كفل تعلق فى لطيفى وذاك الردف لى ولها ظلوم
يعذبنى إذا أفـكرت فيه ويعقدها إذا رامت تقوم

(قال الراوى) فلما استحلاها استحسنها وتصور فى كليته معناها فما زال يرعاها حتى خرجت من الحمام فأرسل خلف العجوز وسألهـا ماذا فعلت فقالت أزالت ما كان بها من السواد بالحمام وفى غد يكون الـكلام فزادها من الانعام وقال لها اجتهدى ولا تخفى عنى الـكلام فسارت إلى أن دخلت عليها وقبلت يديها وآنستها بالـكلام وهنتها بالحمام وصارت تدخل عليها من كلام إلى كلام حتىتهور الليل وطلبت المنام فعندها قالت يا سيدة الملوك ما يطيب قوام النساء إلا بالرجال وأنتى خلية من هذا الحال فقالت ما لى فى الرجال حاجه فدعى اللجاج ولـكن اخبرينى ما سبب هذه

الـكلام وإلا يصير لى عليك ملام فعندها قالت لها بلغنى أن الملك ظالم يريدكى لنفسه فلما سمعت هذا الـكلام قامت على الأقدام وامتشقت بيدها حسام وكادت تقتلها لولا ابتدرت الباب وأظهرت عداوتها بعد ما كانت من الأحباب (قال) فرجعت العجوز إلى الملك وهى عادمة الصواب. وقالت أيها الملك المهاب كدت أهلك بالسيف القرضاب وأحكت له على ما كان منها من الأحوال وما ذكرته من المقال فلزم الوساد ولم يأتيه تلك الليلة رقاد وأصبح لايبدى كلام ولا يرد جواب فدخل عليه الأمير عبدالوهاب. وقال يا ولدى ما هذا الـكلام فأنشد يقول :

شبهتها فى النقاب للقمر … تحت سحاب يلوح للنظر
وشعرها والجبين خلتهما … صبحا وليلا فهمت من فكرى
وحاجبيها إذا نظرتهما … أصاب من قسميها بلا وتر
جفونها فاترات ذو غنج … تصد أسود العرين كالشعر
وخدها فيه روضـــة وبه … خال من المسك فى شقيق طرى
وثغرها فيـه بهجة وبه … عقو سما عقده على الدرر
وريقهـــا خمرة مذوبة … يا طول لهفى لخمرها العطر
بصدرها قد رأيت من صدرت … رمان نهدين غير منكسر
وخصرها ناحل ورقته … كرقتى أو كرقة السمر
وردفها كالـكثيب ان نهضت … يروم انفادها على الأثر
وساقها ساق لى السقام وقد … قل اصطبارى وعز مصطبرى
أقدامها ان مشت على طرق … أود لو أن طرقها بصرى
رشيقه القد كلما خطرت … أبيت من حبها على خطر
فلا تلمنى إذا قتلت بها … لا عـــذر فى حبها لمعتذر

(قال الراوى) فقال الأمير عبد الوهاب يا ولدى دعنا من الأشعار واذكر لى ما أنت فيه من الاخبار فقال له يا والدى كلما بى من الهيام من محبة سيدة الملوك بدر التمـام فقال يا ولدى ومن تـكون هـذه من الأنام فقص عليه القصة من أولها إلى آخرها وأنها أورثته فى القلب غصـة فقال هذا أمر يهون ممن أمره بين الـكاف والنون وهو شيئا بحكمك وتحت يدك وان خوفتها بالقتـل أجابت وللاجتماع بك طابت فقال ظالم لأبيه سمعت يا والدى أنها قالت ان أكرهت على ذلك قتلت نفسها وان فعلت ذلك قتلت نفسى وأخمـدت حسى فقال يا ولدى بنجها فى الطعام كما فعل

بجدتك لتنال منها مطلوبك وحكى له حكاية جدته ذات الهمه مع جده الحـــارث وكيف واقعها وحملت به ثم قال وإذا زالت عن البنت بكارتهـا زالت حدتها فسرى عنه بعض ما يجده وأدعا بطعام وحلو وجعل فيه البنج وأرسله اليها فردته وقالت لا تأكل ولا تشرب حتى تموت جوعا وعطشاً فلما سمع ذلك سقط مغشياً عليه وقال وأنا لا آكل ولا أشرب حتى تأكل وتشرب ورقد على الوساد ينشد الأشعار ويبكى بالدموع الغزار ليلا ونهار لا يأكل ولا يشرب ولا ينام مدة ثلاثة أيام (يا سـادة يا كرام) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من حديث أبو محمد البطال فانه فى هذه المدة كمل على يديه البيت الذى أشار به على الأمير عبد الوهاب وجعـــل حيطانه عاليه لا يقدر عليها شخص بتسليق ولا لأحد عليه طريق ولا يشتبك فيهـا سلم بالـكليه وجعل بابه عالى نحو مائة سلم وجعله يرتفع بسرياقات حرير فى بكر وقال للأمير عبد الوهاب تـكلف يا أمير بنفسك ونام وحـدك فان الذى ظفرت به لا يوجد مثـله فى ذخائر الملوك وأنت تملك به نواصى الملوك ثم مضى إلى جزيرة يتنزه فيها فلما قدم أخبروه بخبر الملـكة وأنهم أرادوا يبنجوها فامتنعت من الطعـام والشراب وقد عجزوا وأن الملك ظالم صار رق الخلال (قال) فدخل أبو محمد على الملك وإذا هو فى أكثر مما ذكر عنه فقال له أبو محمد أيها الملك لا تعرف هذه إلا منى لأنى أقدر أبنجها وهى لا تأكل ولا تشرب (قال) وكان غيبة أبو محمد حتى أتى بحشائش إذا وضعت فى خرقه وعلقت فى مهب الريح كل من شم رائحتها يتبنج (قال الراوى) فلما سمع من أبو محمد ذلك الـكلام قام قائما على الأقدام كأنه حل من عقال وقدم له الطعـام فأكل وشرب وعاشت روحه بعدما كان من الهالـكين من الحب والغرام (يا ساده يا كرام) وأما أبو محمد فانه أخذ تلك الحشائش وصرها فى خرقه شاش بعد استعمال الضد وسد مناخيره بقطن محكم وصبر إلى الليل ودخل فى الظلام وعلق تلك الصره فى مهب الريح فلم يلبث غير ساعه وإذا بها سقطت على الأرض فما قولـكم (يا ساده) فيمن له ثلاثة أيام لم يذوق المنام وأتى له بنج كما قطع من أرضه فصارت فى حكم الأموات فأخبروا الملك بذلك فدخل عليها وأزال بكارتها وتركها غريقة فى دمها وأتى إلى أبيه فوجد هناك جدته ذات الهمه وأبو محمد البطال فقاموا اليه فأمرهم بالجلوس وقال أتى الفرج على يد أبو محمد فقالت الأميره ما زال مفرج الـكرب فقال البطـال يا أمير هذه بتلك الفعلة التى فعلتهـا معى ومع نورى (قال) وأمر نورى وعذبيه أن يدخلا عليها فقـال لهم اعرفوا كيف تفعلوا فدخلوا عليهـا

وأعطوها ضد البنج فأفاقت بعدما شال البطال البنج وقد كان أمر الملك بسد مناخيره عند الدخول خوفا عليه (قال الراوى) فلما أفاقت وجدت نفسها على تلك الحالة وبجانبها نورى وعذيبه هذا وقد زالت عنها حدة البكاره وأخذت نورى تحكى لها أصل ما وقع لها مع الأمراء وأنها كانت ملكة وابنة ملك وما وقع بسببها للأمراء من الفتن وعذيبه تحدثها وتذكر لها الحكايات المضحكات ويرغبوها فى الاسلام إلى أن لان جانبها وأسلمت فأخبروا الملك بها فسر سروراً عظيما وأمر أن تعمل وليمة لها قدر وقيمه ويأكل منها الخاص والعام مدة ثلاثة أيام وأن ينظروا مكانا يصلح للمقام وكان أوان الربيع والأرض قد أزهرت زهرها البديع فساروا فى نواحى للقسطنطونيه فوجدوا أرض كافوربه كأنها الفضة المجليه نقية مضيه ترفل فى أثوابها العسجدية وحللها السندسية مصورة بالحدائق ينزل فيها من الطيور الحمام والبواشق والقمارى والفواسق واليمام واللقلاق كل يوحد العزيز الخلاق والدراج والسمان على أغصان الجنان تحت ستائر أوراق الريحان وعيون النرجس مفتحة الاجفان والاغصان تتمايل كتمايل النشوان والارض قد رش طيبها وردوند وريحان وهى تزدرى بالفيروزج والزمرد والزبرجد والعقيان كسيت مطارف بيضاء وحمراء وخضراء وحسان وتوجت بألوان فاقت سائر الالوان وفى وسط تلك الارض نهرا يجرى ونواعير ترف وقصور مشيده ومنازل ممهده فنصبوا هنالك الخيام ودعوا الخاص والعام ونحروا النحائر وعلقت الغدور وكان يوما مشهورا وقدمت الموائد وكثر عليها القائم والقاعد وشالوا الزبادى وغسلت الايادى وقدمت الحلاوات والفواكه ما يعجز عن وصفها الواصف واعتكفت نصارى البلد على شرب الخمر وافقتهم أهل الفجور وكان ذلك النهار يعد من الاعمار (قال الراوى) وتقضى هذا النهار بالفرح والسرور والامن والحبور ورجع الملك إلى قصره وبات مع محبوبة قلبه ومن الصباح دخل الحمام وجلس بعد ذلك على كرسى المملكة لقضاء حوائج الناس الخاص والعام ولا زال يعظ الجنود ويكبت الحسود ويعلم الجنود ويكرم القبائل ويكسى الارامل ويسعف السائل ويوسع النائل ولا يرد السائل ولا بقطع الوسائل فمدحته المداح بألسنة فصاح وأزاح الظلم ونارت القسطنطونية بالامه لمحمدية هذا جرى لظالم (وأما أمير المؤمنين الواثق بالله) فانه لما وصل إلى غداد دار السلام زينت لقدومه جميع البلاد وأطلق ما فى الحبوس وأزال لمكوس وأعطى فقراء البلد ما أغناهم وصنع وليمة لها قدر وقيمه دعا فيها الخاص

والعام إلى مدة سبعة أيام هذا لامير المؤمنين الواثق بالله وما فعله عند قدومه من الغزاه فشكرته جميع المخلوقات وأثنوا عليه الثناء الجميل الذى ما عليه من مزيد (وأما ما كان من الامير ظالم فانه أرسل أتى بأهله وماله من الثغور وكذلك فعل الامير عبد الوهاب ومن له من الاصحاب ولما مضت له سنة كاملة أرسل يطلب الجزية والحمل من أبناء الملوك الذين تولوا موضع آبائهم فكلهم أجاب بالسمع والطاعه وقالوا كلهم نحن ما كنا نطيقهم وهم فى الخلاء فكيف وقد صارت الجن تقاتل معهم فوصل المال بالزيادة لا بالنقصان فأراد أن يرسله الامير ظالم إلى أمير المؤمنين الواثق بالله وإذا بقاصد وصل من بغداد بكتاب من عند أمير المؤمنين الواثق بالله ففضه وقراه بعد أن قام على الاقدام وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم السلام على حامى حوزة الدين وسيد المجاهدين الامير الاجل نائبنا بالقسطنطونيه الامير ظالم وعلى الامير الاجل عبدالوهاب وعلى الاميرة ذات الهمه وعلى الامير أبو محمد البطال وعلى بقية الامراء الاعيان وعلى جميع عساكر المسلمين المجاهدين الموحدين لله رب العالمين وبعد ذلك فانك ترسل لنا الامير أبو محمد البطال هو وأولاده مكرما معظما ويصحب غلمانه فاننا اشتقنا إلى رؤياه وأن المتحصل من مال الجزية نصرفه على عمارة الجامع الذى أنشأه الامير مسلمه وإذا انتهى الجامع تحبس عليه النفقات وكلما تحصل بعدهذه السنه تأخذ به عبيد وتكثر الجند (قال الراوى) فأرسل الامير ظالم إلى الجزائر مطالعات على أجنحة الطيور ورسم الشان المعظم والملك المكرم نائب أمير المؤمنين بالقسطنطونيه ومن حولها من الجزائر وهو الملك ظالم المجاهد ان كل من كان فى جزيرته صانع ماهر فى صناعته مهندس أو بنا أو مرخم أو نجار أوحداد أو دهان أو مبيض يرسله إلى حضرة الملك ظالم فلم يلبسوا إلا مسافة الطريق واجتمعوا وقام العمل مدة شهور الى أن انتهى الجامع على أحسن حال وزخرفه حتى صار نزهة للناظرين وأرسل على أجنحة الطيور أعلم أمير المؤمنين فأرسل أمير المؤمنين للامير ظالم إنى أريد أن أزورك وتزورنى سيما وقد حبيت انى أرى الجامع فأرسل إلى خادمك يحملنى (قال) فلما وصل الكتاب معك اللوح إذا بالخادم حضر وقال نعم أأمرنى بما تريد قال أريد أن تذهب إلى أمير المؤمنين الواثق بالله وتتلاطف به وتحمله إلى عندى برفق (قال) فبينما أمير المؤمنين فى بعض مقاصيره إذ تشكل له الخادم فى صفة انسان وقبل الارض فلما رآه أمير المؤمنين من داخل المقصورة علم أنه ما يتجاسر أحد يدخل عليه بلا اذن فعلم أنه الخادم فقال إنى أريد أن أقيم أياماً لأنى أريد أن أنيب مكانى أحد فاتنى فى غد وفى مثل هذا الوقت فقال ياأمير المؤمنين إذا كان الوقت الذى تطلب المضى فيه أطلع

إلى سطح القصر وأى شىء وجدته أركبه ثم انصرف فلما أصبح الصباح قال أمير المؤمنين لأهل محله ومجلسه أريد أن أخلو بنفسى أياماً ولايدخل علىّ أحد ومن كانت له حاجة فعليه بالوزير (قال) ولما مضى ذلك اليوم وأظلم الظلام طلع إلى سطح القصر وإذا بطائر عظيم الخلقة فعلم الواثق أنه الخادم فركب على كتفيه وطوق يديه على رقبته فأرخى له جناحين وطار فكان الواثق يسمع الهواء كالرعد مقدار ساعة وحط به وإذا هو فى القسطنطونيه فوق سطح القصر الذى لظالم وكان ظالم فى الانتظار فلما سمع الدكدكة على سطح القصر علم أن الخادم قد أتى بأمير المؤمنين فبادر الى السطح وكان الخادم مضى وإذا بأمير المؤمنين قائم فقبل الأرض ظالم بين يديه فسلم عليه أمير المؤمنين وهناه وسأله كيف كان حاله فقال شرح يطول (ياساده) ودخل أمير المؤمنين القصر وظالم أخذ بيده حتى أجلسه على المرتبة التى للملكة (قال) فلما جلس أحكى له ظالم على ما جرى له مع الجارية بنت الملك وهو يتعجب فلما أصبح الصباح أوكب موكب عظيم وجلس أمير المؤمنين على السرير وقدم ظالم كرسياً فجلس عليه وأتت الأمراء وقبلوا الأرض بين يديه ثم ركب أمير المؤمنين وسار إلى الجامع ودخل وصلى فيه ركعتين وكان قد حمل كيس فيه ألف دينار فأمر بتفريقها على من حضر من المسلمين وتأمل زخرفة الجامع فاذا هو ليس له نظير فانشرح لذلك واستمر عند الأمير ظالم فى القصر ثلاثة أيام ووجد الناس منطبقين على محبة ظالم فقال لظالم : أحببت أن أكنيك بالعادل وأمر أن تضرب السكة باسم أمير المؤمنين الواثق بالله ثم ودعه وأراد الانصراف فأحضر الخادم ليلا وحمل أمير المؤمنين ودخل به الى قصره وأصبح ظهر للناس وبعد ذلك بمدة أتى البطال إلى حضرة أمير المؤمنين ودخل الى قصره وخرجت العساكر للقائه ودخل على الخليفة وقبل الأرض فتحرك له واستمر ينادمه ويسامره فهذا ما كان من أمره.

[و]أما ألأمير عبد الوهاب فانه استأذن ولده فى الحج إلى بيت الله الحرام هو ووالدته [ذ]ات الهمه فأذن لهم وودعهم وحملهم العون الى مكة وكان أول شهر الحجة الحرام فحجا [م]ع الناس وكانا قد صحبا معهما مالا عظيما واجتمعا بأقاربهما وأعطوهما ما أغناهم [و]استمروا مجاورين مكة ذلك العام فمرضت ذات الهمه أياماً وانتقلت بالوفاة إلى [ر]حمة الله تعالى فكان لها مشهد عظيم ودفنت بباب المعلا وتصدق عليها ولدها بمال [جز]يل واستمر بعدها شهوراً وانتقل الى رحمة الله تعالى ووصل الخبر الى الملك العادل

المسمى بظالم فحزن حزنا عظيما وجلس للعزاء أياماً وتصدق عليهما بمال عظيم ووصل الخبر إلى أمير المؤمنين الواثق فحزن عليهما وصلى عليهما صلاة الغيبة وأما ظالم فانه انتشى له ولد من ابنة الملك وسماه عبد الوهاب على اسم أبيه وكان أحسن زمانه لأن أمه كانت أحسن زمانها وظالم كان مليحا واستمر الملك ظالم بتية عشرين عاما وكان كل عام يحج فى أوان الحج محمولا على الجان فلما كان فى العام الأخير وارتقى به الجنى وإذا بشهاب نار نزل على الجنى فاحترق ونزل ظالم يهوى على أم رأسه فاندق عنقه ومات وكان بقرب مكة فجازبه بعض أهل مكة فعرفه فحمله وأتى به إلى المتولى على مكة فكان له مشهد عظيم ودفن بجانب والده وجدته بباب المعلا وفقدا اللوح ولم يعلم له أحد خبر وبلغ ذلك أمير المؤمنين الواثق بالله فتشوش خاطره وقال ما منعنى من أخذ اللوح إلا الحياء من عبد الوهاب وإلا مثل هذا اللوح ما كان يكون إلا فى الذخائر ولأننا كنا فى هذه المدة مستريحين من القتال وقبل ذلك كنا مشتتين فى سائر البلاد ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا وكان قد علم بولد ظالم عبد الوهاب فأرسل له خلعة التولية موضع أبيه وعزاه فى والده فلما وصلت الرسل بالخلعة وأخبروه بموت والده حزن حزنا عظيما وجلس للعزاء أيام وبعد ذلك جلس على كرسى المملكة وحكم بين الناس بالعدل وأزال الظلم حتى عجبت الناس من حكمه على صغر سنه وحاز ما كان فى أبيه من الشجاعة وما فى أمه من الملاحة وزاد عليهم فأحبته الناس أجمعين فهذا ما كان منه. وأما ما كان من أبو محمد البطال فان الواثق بالله كان لا يفارقه لا ليل ولا نهار بل هو سميره ونديمه مدة سنين ولما ترادفت أخبار الامراء عليه ركب قلبه الحزن حتى ما بقى ينتفع به ولزم بيته أياما ثم إنه فى بعض الأيام قال يا أمير المؤمنين إنه قد كبر سنى ودنى أجلى وأريد أختم عملى بالانقطاع إلى الله عزّ وجل بالخلوة والعزة فقال الواثق يا أبو محمد يعز على فراقك ولكن اختر لك بلداً تكون بها فقال يا أمير المؤمنين لى فى بلاد الروم انكورية وكان أمير المؤمنين المعتصم قدس الله روحه ونور ضريحه لما فتح عموريه فى يوم الخميس وفتح انكورية يوم الجمعة فطلبتها منه فأنعم لى بها وأريد أن أسكن فيها إلى أن يدركنى الموت فقال الواثق على بركة الله وعونه ثم جدد له منشورا فقال يا أمير المؤمنين إنى فقدت غلمانى ولم يبق منهم إلا جوهر ولؤلؤ وهم يطلبون من مولانا رحبة مالك وما يليها فيكونوا فيها إلى أن يدركهم الموت فأجابه الواثق إلى ذلك ودفع له عشرة آلاف دينار وخرج بنفسه لوداعة فهذا ما كان منه. وأما مارس ودارس فأحضرهما بين يديه قال اختاروا ما تريدوا حتى أبلغكما ذلك فقالوا أدام الله أمير المؤمنين والله ما جئنا

بلد الاسلام ولنا حاجة وإن لنا من الأموال ما تكفينا إلى المات (قال الراوى) وأحضر يانس المتعزب وقال أيها العبد الصالح اشتهى على ما تريد فقال يا أمير المؤمنين أريد أن تبنى لى مسجداً أعبد الله سبحانه وتعالى فيه ويكون بالقرب منك فبنى له المسجد وأقام يعبد الله فيه وكف بصره وأخبر الواثق بذلك فأوقف عليه الوقوفات وهو إلى يومنا هذا يسمى مسجد يانس هذا ما كان منه . وأما أبو محمد البطال فانه سار إلى أنكوريه ففرحوا به وزينوا له المدينه وأقام يعبد الله إلى المات وأما عبد الوهاب ابن ظالم فانه أقام فى المملكه وكثرت جنوده وكان يجمع فى كل سنه خزانة مال ويرسلها إلى الواثق بالله واستمر على ذلك إلى مدة سنوات وبعد ذلك أتى اليه خبر الواثق بالله أنه انتقل إلى رحمة الله وتولى بعده المتوكل على الله وخرجت الروم وملكت أنكوريه إلى ملطيه فأرسل الأمير عبد الوهاب إلى الخليفه يعلمه بنزول الروم على ملطيه ويأمره أن يسلك سير آبائه فلما وصل النجاب بالكتاب وقرأه فقال المتوكل « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت » (قال الراوى) وملكت الروم إلى ملطيه وكان كل يوم يغار على بلاد الاسلام وأبو محمد كلما سمع ذلك يبكى الليل والنهار على نصرة الإسلام حتى أدركه الموت كما ذكرنا ودفن فى المسجد فى انكوريه وكان أوصى أصحابه أن يخفوا قبره ففعلوا ذلك وعلمت الروم بذلك فأتوا إلى القلعه وأخربوها ولم يعلموا أين قبره ولم تزل الروم تنهب بلاد الاسلام حتى ظهرت الترك وظهر لهم ملك يقال له آق سنقر وكان فارساً لا يطاق وعلقم مر المذاق فقاتل الروم وكسرهم وملك ديارهم وهججهم ثم أنه أتى إلى أنكوريه وكان لها أرض حسنه وقرى كثيره وكانت الروم أخربوها فأمر بعمارتها (قال الراوى) وسأل عنها فأخبروه أنها كانت لأبو محمد البطال فأمر بحفرها وأظهر القبر لما يريده الله تعالى فبناه بناية مليحة وطلاه بالذهب وعمل عليه قبة عظيمه وأقام أياما قلائل إلى أن توفى وتولى بعده ولده

ولم يزل إلى أن قويت شوكة الاسلام وعملوا بشريعة سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام وتمهدت البلاد واطمأنت العباد ودانت
وعمرت الأقاليم واطمأنت الناس وهذا ما انتهى الينا
من سيرة المجاهدين وأبطال الموحدين رضوان
الله عليهم أجمعين ولقد قرأت فى كتب
الأولين والآخرين فما وجدت
ألذ من سماعها والحمد لله
رب العالمين